



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مستدرکات

عیان السبعین

مبتدئین

« ۱ - ۷ »

دار الفاروق للطبوعات

بیرمینگھم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مستدرکات اعیان الشیعه

کاتب:

محسن امین عاملی

نشرت فی الطباعة:

دار التعارف للمطبوعات

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
١١١	مستدركات أعيان الشيعة
١١١	اشاره
١١١	المجلد ١
١١١	اشاره
١١٥	المقدمه
١١٥	أتش، حيدر على فيض آبادى
١١٥	أصف الدوله
١١٦	إبراهيم شراره بن محمد عبد الله
١١٦	اشاره
١٢٠	شعره
١٣٥	أبو الحسن شمس آبادى بن محمد إبراهيم
١٣٥	الحاج ميرزا أبو الفضل الطهرانى
١٣٦	الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء
١٣٦	السيد أحمد الخونسارى
١٣٦	أبو العلاء المعرى احمد بن عبد الله
١٤٥	أحمد بن منير الطرابلسى
١٤٥	اشاره
١٤٥	العلاقه بينه و بين القيسرانى
١٥٣	الشاه إسماعيل الأول الصفوى
١٥٧	أفضل الدين الكاشانى المعروف بابا أفضل المرقى
١٦١	اسامه بن منقذ
١٦٣	إنشاء السيد إنشاء الله خان ابن السيد ما شاء الله خان النجفى:
١٦٣	أنيس، مير ببر على بن خليف مير مستحسن بن مير حسن:
١٦٤	بدران بن سيف الدوله صدقه المزيدي:
١٦٥	البرسيين
١٦٦	توفيق الفكيكى ابن على
١٦٦	جرات، قلندريخش
١٦٦	جعفر الخليلى ابن الشيخ أسد
١٦٦	اشاره
١٦٨	مؤلفاته المطبوعه
١٦٩	جون مولى أبى ذر الغفارى
١٧٣	السيد حسين الخادمى ابن السيد جعفر
١٧٣	ابن سينا الحسين بن عبد الله:
١٨٧	السيد حسين القزوينى الحائزى ابن السيد محمد باقر

١٨٧	الشيخ حسين معنوق
١٨٩	أبو نواس الحسن بن هاني
٢٠٣	الشيخ حسن البحراني بن علي
٢٠٤	أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم علي بن نما الحلبي
٢٠٥	السيد حيدر الآملي
٢٠٨	حيدري حيدر بخش
٢٠٩	الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني
٢٠٩	الخطاطون في العهد الصفوي ٩٠٦ - ١١٢٥ هـ
٢١٨	الشيخ خليل مغنبيه
٢٢٤	الشيخ خليل ياسين ابن الشيخ إبراهيم
٢٣٢	ديبر، ميرزا سلامت علي ع
٢٣٢	ديبس بن صدقه المزيدي
٢٣٣	رجل من بني ليث
٢٣٣	ذو فقار الدوله نجف علي
٢٣٥	الشيخ راضي آل ياسين ابن الشيخ عبد الحسين
٢٣٦	الحاج ميرزا راضي ذو النوري التبريزي ابن محمد حسن
٢٣٦	الشيخ راعب حرب
٢٣٨	الحاج آقا رحيم أرياب
٢٣٨	السيد سبط الحسن الجائسي
٢٣٩	سعد صالح
٢٣٩	الدكتور سعيد نفيسي ابن علي أكبر
٢٣٩	الدكتور سليم حيدر ابن نجيب
٢٣٩	اشاره
٢٤١	شعره
٢٥١	الشيخ سليمان آل عبد الجبار ابن الشيخ احمد
٢٥١	سودا ميرزا محمد رفيع
٢٥١	شهبه بنت كمال الدين عمر بن العديم العقيلي
٢٥٢	الدكتور صادق رضازاده شفق
٢٥٥	السيد صادق الفحام
٢٥٥	السيد صالح الشهرستاني ابن السيد إبراهيم
٢٥٦	السيد صدر الدين الصدر بن السيد إسماعيل
٢٥٦	اشاره
٢٥٧	مؤلفاته
٢٥٧	شعره
٢٥٩	تاريخ وفاته شعرا
٢٥٩	السيد صدر الدين شرف الدين بن السيد عبد الحسين

٢٦١	صدر الدين خان فائر الدهلوى
٢٦١	صفى، السيد على نقى
٢٦٢	الضحاک بن عبد الله المشرفى
٢٦٢	الشيخ ضياء الدين الخالصى ابن الشيخ محمد صادق
٢٦٤	الشيخ ضياء الدين العراقى
٢٦٤	اشاره
٢٦٤	تلاميذه
٢٦٤	مؤلفاته
٢٦٥	طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبید الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ع:
٢٦٥	الطفيل بن عامر بن وائله.
٢٦٦	طلانغ بن رزيك
٢٦٦	اشاره
٢٧٥	العقوق
٢٧٨	ولدا أخی صلاح الدين
٢٨٨	ظالم بن عمرو أبو الأسود الدولى
٢٩٤	ظالم بن شراق
٢٩٤	عابى بن أبى شبيب الشاكرى.
٢٩٥	العباسيون و علاقتهم الشيعيه.
٣٣٠	عارف الحر
٣٣٥	عباس إقبال الاثنيانى
٣٣٩	السيد عباس أبو الحسن ابن السيد مهدي
٣٤٠	الشيخ عباس القمى ابن محمد رضا
٣٤٠	اشاره
٣٤١	مؤلفاته
٣٤١	السيد عباس الهمذانى الشيروانى
٣٤١	السيد عبد الحسين دست غيب
٣٤٢	الشيخ عبد الحسين الأمينى ابن أحمد
٣٤٢	الشيخ عبد الحسين الحلى بن قاسم
٣٤٩	السيد عبد الرؤوف الأمين بن على بن محمود
٣٥٠	اشاره
٣٥١	شعره
٣٦٢	عبد العزيز بن البراج
٣٧٨	السيد عبد الصاحب الحكيم بن السيد محسن
٣٧٩	عبد الكريم الخليل
٣٧٩	اشاره
٣٨٠	المنتدى الأديبى
٣٨٦	عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن طوس

- ٣٨٦----- السيد عبد الله الجزائري
- ٣٨٧----- الشيخ عبد الله السري البحراني
- ٣٨٧----- عبد الله بن عمير الكلبي
- ٣٨٩----- عبد الله بن خليفه الطائي
- ٣٩٣----- عبد الله و عبد الرحمن
- ٣٩٤----- الدكتور عبد الله أحمدويه بن محمد حسن
- ٣٩٤----- السيد عبد الله الشيرازي ابن السيد محمد طاهر
- ٣٩٤----- الشيخ عبد الله بن علي بن عبد الله الوائل الاحساني المعروف بالصانع
- ٣٩٤----- اشاره
- ٣٩٤----- الشاعر
- ٣٩٦----- آثاره
- ٣٩٧----- وفاته
- ٣٩٧----- قصيده نهج الازريه
- ٤٠٥----- عبد الله بن سلمه
- ٤٠٦----- عبيد الله علي بن أبي شعبه الكوفي الحلبي
- ٤٠٦----- السيد عبد المطلب الحلبي ابن داود بن مهدي
- ٤٠٦----- اشاره
- ٤٠٦----- شعره
- ٤١٠----- مؤلفاته
- ٤١٠----- السيد عبد المطلب الأمين
- ٤٢٢----- الشيخ عبد المهدي مطر ابن الشيخ عبد الحسين
- ٤٢٢----- اشاره
- ٤٢٢----- من شعره:
- ٤٣٥----- السيد علي إبراهيم ابن السيد محمد
- ٤٤٢----- علي رضا عباسي
- ٤٤٦----- علي أكبر دهخدا
- ٤٥١----- سيف الدوله الحمداني علي بن حمدان
- ٤٥٦----- علي بن عبد الله بن العباس
- ٤٥٨----- الشيخ علي البحراني بن لطف الله
- ٤٥٩----- الملا علي النوري المازندراني الأصفهاني منشا و مسكنا
- ٤٥٩----- السيد علي ابن السيد إبراهيم آل شبانه
- ٤٦١----- السيد علي البهبهاني
- ٤٦١----- السيد علي خان الشيرازي
- ٤٦٦----- علي بن الحسن الملقب شميم الحلبي
- ٤٦٨----- علي بن علي بن حمدون
- ٤٦٩----- علي بن عبد القادر المراغي

٤٦٩	ملا على الهمداني
٤٦٩	الميرزا علي خاموش الميبدى
٤٧٠	الشيخ علي الخياباني ابن عبد العظيم
٤٧١	عبد الله بن الحر الجعفي
٤٧٢	عطيه بن سعد العوفي الكوفي
٤٧٢	عمرو بن قرظہ الأضاري
٤٧٢	عمر بن خالد الصيداوي
٤٧٢	غالب
٤٧٤	فؤاد عباس
٤٧٤	اشاره
٤٧٤	شعره:
٤٧٩	عميد الدين أبو الفرج الفتح بن عبد الله بن محمد بن علي بن هبه الله بن عبد السلام:
٤٨٠	فتى من أهل الكوفه.
٤٨٠	الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس أبو علي البصير
٤٨٢	الفضيل بن الزبير بن عمر بن درهم الكوفي الأسدي
٤٩٤	القاسم بن الحسين بن معيه
٤٩٥	القاسم بن حبيب بن مظاهر
٤٩٥	قيس بن عبد الله النابغه الجعدي
٤٩٧	قيس بن عمرو المعروف بالنجاشي
٤٩٨	كليب الجرمي
٤٩٩	الكميت بن زيد الأسدي
٥١٢	الشيخ لطف الله العاملي
٥١٧	الشيخ لطف الله البحراني بن عطاء
٥١٧	السيد ماجد الصادقي بن هاشم
٥١٩	عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاک الأسدي
٥٢٢	الحاج مجيد العطار ابن محمد
٥٢٣	محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني ثم الدمشقي
٥٢٤	محمد بن أبي عمير البزاز بياغ السابري
٥٢٤	أبو نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان
٥٥٥	محمد بن إدريس الحلبي
٥٥٥	اشاره
٥٥٧	مؤلفاته
٥٥٧	عمره و وفاته
٥٥٧	محمد بن الحسين الشيخ البهائي
٥٥٩	محمد الغفاري الملقب ب" كمال الملك "ابن الميرزا الكبير بن الميرزا محمد بن الميرزا عبد المطلب الغفاري
٥٦٥	محمد باقر الدهلوي
٥٦٥	السيد محمد صادق بحر العلوم ابن حسن

٥٦٥	الدكتور السيد محمد بهشتي
٥٦٧	محمد تقي بهار الملقب بملك الشعراء
٥٦٩	السيد محمد الحجة ابن علي
٥٧٠	السيد محمد جمال الهاشمي ابن السيد جمال الدين
٥٧٠	اشاره
٥٧٠	شعره:
٥٧٢	الشيخ محمد حرز الدين ابن علي
٥٧٢	الشيخ محمد الخليلي ابن الشيخ صادق
٥٧٤	السيد محمد حسن الحكيم المشتهر بالشهرستاني
٥٧٧	شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي محمد بن الحسن
٦١١	الشيخ محمد تقي الآملي ابن محمد
٦١١	الدكتور محمد جواد باهنر
٦١١	محمد حسين آزاد
٦١١	السيد محمد حسين الطباطبائي
٦١٢	الشيخ محمد رضا الشيبيني
٦٢٧	محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي الأصل المشهدي المولد والمسكن
٦٢٨	محمد شريف خان
٦٢٨	الدكتور الشيخ محمد مفتح بن محمود
٦٢٨	ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي
٦٣٣	الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله الشويكي
٦٣٦	محمد شراره ابن الشيخ علي
٦٣٦	اشاره
٦٣٩	شعره
٦٥٣	السيد محمد حسين بن محمد علي الشهرستاني
٦٥٣	السيد محمد صادق نشأت ابن السيد محمد مهدي الحسيني
٦٥٤	اشاره
٦٥٤	مؤلفاته
٦٥٤	السيد محمد رضا شرف الدين ابن السيد عبد الحسين
٦٥٤	اشاره
٦٥٦	من شعره
٦٦٠	السيد محمد بن السيد علي آل أبي شبانه البحراني
٦٦١	الشيخ محمد صدوقي
٦٦٢	الشيخ محمد علي الأروبادي
٦٦٤	الشيخ محمد علي برى ابن الشيخ أحمد
٦٦٥	محمد بن علي الشيباني
٦٧٦	محمد علي الحوماني

٦٨٤	الشيخ محمد علي خاتون
٦٨٤	الشيخ محمد علي الصاحبي ابن محمد علي
٦٨٤	السيد محمد علي الجزائري ابن محمد عباس
٦٨٥	الشيخ محمد علي المدرس التبريزي
٦٨٥	الشيخ محمد علي المعصومي ابن سليمان
٦٨٥	محمد بن علي بن طباطبا
٦٨٦	الشيخ محمد علي ناصر ابن الشيخ عبد اللطيف
٦٩٤	الشيخ محمد علي اليعقوبي ابن الشيخ يعقوب
٦٩٤	اشاره
٦٩٦	شعره
٦٩٨	محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي
٦٩٨	الشيخ محمد قسام ابن محمد علي
٦٩٨	محمد قطب شاه السادس
٦٩٩	محمد قلى قطب شاه الخامس
٦٩٩	دول الهند الشيعيه
٦٩٩	القطب شاهيون:
٦٩٩	العاذل شاهيون:
٧٠٠	النظامشاهيون:
٧٠٠	محمد كامل شعيب ابن الشيخ وهبه المعروف بالعاملي
٧٠٠	اشاره
٧٠٢	من شعره
٧٠٦	مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز المقدادي القمي الوزير
٧١٢	أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخي
٧١٣	نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن
٧١٣	اشاره
٧١٣	عمله في إنقاذ الإسلام
٧٣٨	الشهيد الأول محمد بن مكي
٧٤٠	أبو عبد الله محمد بن أبي المعز منصور بن جميل أبو عبد الله الجبلي
٧٤٧	الميرزا محمد هاشم بن محسن الإشكوري
٧٥٠	محمد بن هاني الأندلسي
٧٥٧	محمد يوسف مقلد
٧٥٧	اشاره
٧٥٨	من شعره
٧٦١	أبو منصور محمد بن المبارك الكرخي
٧٦٢	الدكتور محمد مهدي البصير
٧٦٢	اشاره
٧٦٢	مؤلفاته:

- شعره: ٧٦٢
- السيد محمود الحويبي ابن السيد حسين ٧٦٧
- محمود بن علي بن الحسن الحمصي ٧٨٢
- السيد محمود الشاهرودي ابن علي ٧٨٢
- السيد محمود الطالقاني ابن السيد أبو الحسن ٧٨٢
- الشيخ يحيى الدين شمس الدين ابن الشيخ محمد حسين ٧٨٤
- اشاره ٧٨٤
- شعره ٧٨٤
- الشيخ مرتضى مطهرى ابن محمد حسين ٧٩٠
- الأمير مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بهاء الدوله المزيدى ٧٩٠
- الدكتور مصطفى جواد ٧٩١
- معاذ بن مسلم الهراء ٧٩٣
- المقداد بن عبد الله السيورى الحلبي ٧٩٤
- مهيار الديلمي ٧٩٤
- موسى الزين شراره ٨٣٦
- أمير أمين ٨٤٥
- مير محمد تقى اكبرآبادى ٨٤٥
- ناسخ، امام بخش فيض آبادى ٨٤٧
- ناصر الدين الشيخ راشد ٨٤٧
- أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصرى، المعروف بالخيز أرى. ٨٤٨
- نصير الدين أبو الحسن ناصر بن مهدي العلوكي الحسنى المازندراني الوزير ٨٥١
- ناصريف النصر ٨٥٦
- نصر بن علي بن منصور النحوى الحلبي ٨٦١
- نصير الدين بن أحمد بن علي المنازى ٨٦١
- نظير، ولي محمد اكبرآبادى ٨٦١
- نواب صفوى ٨٦٢
- النوار ابنه مالك بن عقرب زوجه خولى بن يزيد ٨٦٧
- الشيخ هادى النحوى ٨٦٧
- السيد هاشم معروف الحسنى ٨٧٠
- مجد الدين صاحب هبه الله بن علي ٨٧٠
- السيد أبو السعادات هبه الله بن علي بن محمد بن حمزه الحسنى، المعروف بابن الشجرى، البغدادى ٨٧١
- ورام بن أبى فراس الحلبي ٨٧٤
- يحيى بن محمد القرشى ٨٧٥
- يزدن الأمير القائد التركى ٨٧٥
- يزيد بن قيس ٨٧٦
- يزيد بن زياد أبو الشعثاء الكندى ٨٧٦

٨٧٦	يزيد بن مفرغ
٨٨٧	يحيى بن البطريق
٨٨٩	يعقوب بن داود
٨٩١	الشيخ يوسف بن المطهر الحلي وألده العلامة الحلي
٨٩٢	يوسف رجب
٨٩٢	السيد يونس الأردبيلي ابن فتح علي
٨٩٢	ملحق بالمستدركات
٨٩٣	اشاره
٨٩٣	الأمويون و الإسلام و العرويه
٨٩٣	اشاره
٨٩٣	الأحداث تجيب
٨٩٦	القتال الدموي
٨٩٩	الوحشيه و الفظائع
٩٠٠	السياسه التطبيقيه
٩٠٢	الهبوان
٩٠٣	لمن السياه
٩٠٦	المتعصبون الحرفيون
٩٠٨	الشيعة يحمون العالم الإسلامي يردون البيزنطيين عن بلاد الشام و يذودونهم عن القدس
٩٠٩	الاسطول الفاطمي
٩١١	الشعر في معارك الظفر
٩١٢	بعد المتنبى و ابن هاني
٩١٧	الحجاج بن يوسف
٩٢١	كلمه الختام
٩٢٤	تنبيه هام
٩٢٤	نظام الملك أبو علي الحسن
٩٢٤	القرابي محمد بن أحمد
٩٢٥	المجلد ٢
٩٢٥	اشاره
٩٢٥	اشاره
٩٢٩	مقدمه المؤلف
٩٣٢	أمنه خاتم بنت الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد الكريم صاحب كتاب نظم الغرر
٩٣٢	السيد إبراهيم القطيفي
٩٣٢	الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد النبي القدهي البحراني
٩٣٢	الشيخ إبراهيم بن الشيخ يوسف الخطي
٩٣٢	الشيخ أحمد بن حبيب الدندن
٩٣٣	الشيخ أحمد الصحاف بن علي
٩٣٣	اشاره

٩٣٥	علمه و فضله
٩٣٥	مسكويه أحمد بن محمد
٩٦٢	الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم آل عصفور
٩٦٣	الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد السلام البحراني
٩٦٥	الشيخ أحمد بن حاجي
٩٦٥	الشيخ أحمد بن صالح الدرزي البحراني
٩٦٦	الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني
٩٦٧	أحمد بن الحسين المتنبى
١٠٠٠	الشيخ أحمد آل طعان القطيفي السري البحراني ابن صالح
١٠٠٤	الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الربيعي الفلاحى
١٠٠٤	اشاره
١٠٠٥	هجراته
١٠٠٦	مكتبته
١٠٠٦	وفاته
١٠٠٦	أبو العلاء المعرى أحمد بن عبد الله
١٠٢٥	الشيخ أحمد بن الشيخ حسين
١٠٢٥	الشيخ أحمد الزاهد البحراني
١٠٢٥	الشيخ أحمد بن الشيخ سلمان آل عصفور
١٠٢٥	الشيخ أحمد بن سليمان الخطي
١٠٢٦	الشيخ أحمد بن صالح البحراني
١٠٢٧	السيد أحمد بن السيد عبد الرؤف البحراني
١٠٢٧	السيد أحمد الزنجي البحراني
١٠٢٨	الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن حسن البلادي
١٠٢٨	الشيخ أحمد بن محمد العقري البحراني
١٠٢٩	الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف البحراني
١٠٣٠	الشيخ أحمد بن الفلاح القطيفي
١٠٣٠	الشيخ أحمد بن محمد بن آل عصفور البحراني
١٠٣٠	الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد الشائب العمراني الأحسائي
١٠٣٢	أحمد بن يوسف المصري
١٠٣٧	أحمد بن هبه الله بن صاحب
١٠٣٩	الشيخ أحمد بن يوسف البحراني
١٠٣٩	الأخوص بن شداد الهمداني
١٠٤٠	إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن
١٠٤٠	اشاره
١٠٤٢	وفود العرب على إدريس
١٠٤٣	بناء مدينه فاس

- ١٠٤٦----- غزو إدريس المغربيين
- ١٠٤٦----- وفاة إدريس
- ١٠٤٨----- إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ع.
- ١٠٤٨----- اشاره
- ١٠٥١----- إدريس يغزو المغرب الأقصى
- ١٠٥١----- إدريس يغزو المغرب الأوسط " الجزائر"
- ١٠٥١----- الشاه إسماعيل الأول الصفوي
- ١٠٥١----- اشاره
- ١٠٧٧----- تعليقتنا على ما تقدم
- ١٠٨٢----- صدى قيام الدوله الصفويه عند الآخرين
- ١٠٨٧----- محاوله القضاء على الدوله في مهدها
- ١٠٩٠----- أم كلثوم بنت الشهيد الشيخ محمد تقى القزوينيه البرغانيه.
- ١٠٩٠----- امانت.
- ١٠٩٢----- أويس الأول.
- ١٠٩٢----- الشيخ أيوب بن عبد الباقي البورى البحراني.
- ١٠٩٣----- بابر ظهير الدين محمد.
- ١٠٩٤----- السيد باقر الدمستاني البحراني.
- ١٠٩٥----- بيرم خان خانان.
- ١٠٩٧----- جاريه بن قدامه السعدى.
- ١١١١----- جعفر بن محمد القطاع.
- ١١١١----- الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني.
- ١١١٣----- الدكتور جواد على.
- ١١١٣----- جويريه أم حكيم ابنه خالد بن قارظ الكمانيه:
- ١١١٤----- الشيخ حبيب بن قرين:
- ١١١٧----- الشيخ حرز بن علي بن حسين محمود العسكري السهراني الأوالي:
- ١١١٧----- الشيخ حسن بن الشيخ حسين
- ١١١٨----- الشيخ حسن علي البدر القطيفي بن عبد الله
- ١١١٨----- اشاره
- ١١١٩----- مؤلفاته:
- ١١٢٠----- شعره:
- ١١٢١----- وفاته:
- ١١٢١----- تايينه:
- ١١٢٢----- الحسن بن محمد الوزير المهلبى
- ١١٦٣----- الشيخ حسن الدمستاني البحراني
- ١١٦٥----- الشيخ المعمر مسند العراق أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحه النعالي البغدادي الحماني.
- ١١٦٥----- الشيخ حسين معتوق
- ١١٦٥----- الشيخ حسين بن الشيخ محمد البحراني

١١٧٠	السيد حسن الحيدري بن السيد أحمد
١١٧٠	الشيخ حسن بن محسن البلادي
١١٧٠	الشيخ حسين العلامه
١١٧١	أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه
١١٧١	اشاره
١١٧٢	مصنفاته
١١٧٢	موضوع الرساله
١١٧٣	هذه رساله في أسماء الريح
١١٧٨	السيد حسين الغريفي البحراني
١١٧٨	الشيخ حسين بن عبد الغفور الغريفي البحراني
١١٧٩	الشيخ حسين بن الشيخ علي البحراني
١١٧٩	الشيخ حسين بن الشيخ علي بن سليمان البحراني
١١٧٩	الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزي البحراني
١١٨١	مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الطغراني
١١٩٧	الشريف حسين بن داود بن يعقوب الفوعي
١١٩٧	السيد حسين بن السيد رضى بن السيد مقتدى الحسيني القزويني
١١٩٨	السيد حسين بن علي نور الدين
١١٩٩	ابن سينا الحسين بن عبد الله بن علي
١١٩٩	اشاره
١٢٢٥	ابن سينا عالما طبيعيا:
١٢٢٥	المقدمه
١٢٣٤	حمد البيك بن محمد بن محمود بن نصار
١٢٣٤	اشاره
١٢٣٤	في العهد الأموي
١٢٣٦	معركة الشاعر العاملي مع جرير
١٢٣٦	هزيمه جرير
١٢٣٧	بعض شعره
١٢٣٨	في العهد العباسي في العصر العباسي عند ما برز أبو تمام و البحتري و المتنبي و المعري و الرضى و الحمداني و غيرهم برز من جبل عامل شاعر جارى الفحول فكان في الظليعه منهم، ذاك هو عبد المحسن الصوري المتوفى سنة ٤١٩ هجرية، ١٢٣٨
١٢٣٩	لم تنظف جذوه الشعر
١٢٣٩	طلائع النهضه الشعرية بعد الاحتلال
١٢٤٠	فضل الشهيد الأول
١٢٤٠	نكبه جبل عامل بالجزار
١٢٤١	حصيله خمس قرون
١٢٤١	فقدان النماذج المنوعه
١٢٤٢	حفظ شعر النهضه
١٢٤٢	نماذج من القرن التاسع

١٢٤٣	و من القرن العاشر
١٢٤٥	و من القرن الحادى عشر
١٢٤٥	من القرن الثانى عشر إلى القرن الثالث عشر
١٢٤٥	الشيخ إبراهيم الحاريسى
١٢٤٧	الشيخ إبراهيم يحيى
١٢٤٩	الشيخ محمد على خاتون
١٢٥٠	الشيخ صليبي الواكد
١٢٥٤	السياسه من حال إلى حال
١٢٥٤	موقف الشعراء؟
١٢٥٥	حمد المحمود
١٢٥٧	تينين
١٢٥٧	لون من الشعر
١٢٥٨	طرائق الشعر في هذا العصر
١٢٥٩	حركه شعبيه
١٢٦٠	نجاح الحركه
١٢٦٠	موقف الشعراء
١٢٦١	الشيخ على مروه
١٢٦١	النظام
١٢٦٣	صوره عن البلاط الحمدانى
١٢٦٤	الشيخ حبيب الكاظمى
١٢٦٧	الكاظمى و جبل عامل
١٢٧١	بين حمد و سيف الدوله
١٢٧٢	الشيخ على سببى
١٢٧٣	السيد موسى عباس
١٢٧٦	الشيخ خلف بن الشيخ عبد على بن الشيخ حسين
١٢٧٨	الشيخ خلف بن الشيخ عبد على
١٢٧٨	الخليل بن أحمد الفراهيدى
١٢٨٧	الشيخ داود بن أبى شافير البحرانى
١٢٨٩	السيد درويش الغريفى البحرانى
١٢٨٩	رقيه بنت الشيخ الميرزا علامه بن الشيخ الحسن بن الشيخ محمد صالح الحارثيه
١٢٨٩	روبيه بن وبر الجلى
١٢٩٠	السائب بن مالك الأشعري
١٢٩٠	السيد سعد صالح
١٢٩٣	سعيد حيدر
١٢٩٣	اشاره
١٢٩٥	المساله القوميه
١٣٠٧	لما ذا سكت العرب

١٣١٥	فتره الاستقلال
١٣١٨	حزب الشعب ثم الثورة
١٣٢٤	الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبية الأصبعي.
١٣٢٧	شبيب بن عامر.
١٣٢٨	الشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني.
١٣٢٨	صخير بن حذيفه بن هلال المزني.
١٣٣٠	السيد صدر الدين الصدر.
١٣٣١	طاشتكين المستجدي الأمير أبو المكارم.
١٣٣٣	الشيخ عبد الامام الاحساني.
١٣٣٣	الشيخ عبد الباقي بن الشيخ أحمد العقبري.
١٣٣٣	الشيخ عبد الجبار الرفاعي البحراني.
١٣٣٣	السيد عبد الرؤوف الجد حفصي.
١٣٣٤	السيد عبد الرضا السيد صالح بن السيد محمد الأحساني.
١٣٣٤	الشيخ عبد الحسين القمي.
١٣٣٥	الشيخ عبد الحسين بن رقيه.
١٣٣٦	عبد الرحمن بن عبيد الهمداني.
١٣٣٧	عبد الرحمن بن عبيد.
١٣٣٩	عبد الرحمن بن الحسين النعماني القاضي.
١٣٤٠	ديك الجن عبد السلام بن رغبان.
١٣٤٠	اشاره
١٣٤٠	ديوانه
١٣٤٧	أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل الحلبي.
١٣٤٨	الشيخ عبد علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم البحراني.
١٣٤٩	الشيخ عبد علي القطيفي.
١٣٤٩	الملا عبد العلي البيرجندي بن محمد بن الحسين.
١٣٥٠	الحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدوله.
١٣٥٠	اشاره
١٣٥١	نموذج لمؤلفات ميرزا عبد الغفار نجم الدوله الأصفهاني.
١٣٥٣	مخطط كامل ل طهران و ولايات أخرى.
١٣٥٣	إحصاء طهران:
١٣٥٤	الشيخ عبد الكريم الممتن.
١٣٥٩	الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن المقاي.
١٣٥٩	الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الحجري البحراني.
١٣٥٩	الشيخ عبد الله القطيفي.
١٣٥٩	الشيخ عبد الله بن علي أحمد البحراني البلادي.
١٣٦٠	عبد الله بن عزيز الكناني.

- ١٣٦٠ عبد الله بن سعد بن نفيال الأزدي.
- ١٣٦١ عبد الله بن وال
- ١٣٦١ عبد الله بن خازم الأزدي.
- ١٣٦٢ عبد الله بن عمرو النهدي.
- ١٣٦٢ عبد الله بن عوف الأحمر.
- ١٣٦٤ الشيخ عبد المحسن بن محمد بن مبارك اللويهي البلادي الأحسائي.
- ١٣٦٥ الشيخ عبد النبي بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم الدرزي البحراني.
- ١٣٦٥ عبد الله بن سنان بن طريف - وقيل ظريف - الكوفي.
- ١٣٦٥ عبيد الله بن الحر الجعفي.
- ١٣٨٨ عبيده بن سفيان.
- ١٣٨٨ السيد عدنان الغريفي.
- ١٣٩٠ الشيخ علي الأحسائي.
- ١٣٩٠ الشيخ علي بن الشيخ حسن بن يوسف البحراني البلادي.
- ١٣٩١ السيد علي بن السيد محسن المقاي.
- ١٣٩١ الشيخ علي بن سليمان بن درويش بن حاتم القدي.
- ١٣٩١ الشيخ علي بن الشيخ جعفر.
- ١٣٩٢ الشيخ علي الدمستاني البحراني.
- ١٣٩٣ الشيخ علي بن محمد بن علي بن يوسف الصالح البحراني.
- ١٣٩٣ ابن الشقيه كافي الدين - أو فخر الدين - أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن بن أبي نزار الليثي الواسطي.
- ١٣٩٨ علي بن المؤيد.
- ١٤١٧ السيد علي باليل الحسيني الجزائري الدورقي.
- ١٤١٧ اشاره
- ١٤٢٠ آثاره العلميه و الأدبيه
- ١٤٢١ نموذج من قلاند الغيد
- ١٤٢٥ علي بن حمدان سيف الدوله الحمداني.
- ١٤٢٦ منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن بابويه
- ١٤٥٥ السيد علي الغريفي بن السيد عدنان.
- ١٤٥٥ اشاره
- ١٤٥٥ مؤلفاته:
- ١٤٥٧ شعره:
- ١٤٧٦ السيد علي نقى الحيدري بن السيد أحمد:
- ١٤٧٧ علي بن أسباط بن سالم الكندي، بياغ الزطي،
- ١٤٧٧ الشيخ علي الصحاف بن الشيخ محمد.
- ١٤٨٢ علي بن محمد الحماني.
- ١٥١٥ أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات
- ١٥٢٠ أبو الحسن علي بن محمد التهامي.
- ١٥٣٣ السيد علوي بن إسماعيل البحراني.

١٥٣٣	كمال الدين عمر بن العديم.
١٥٣٧	الشيخ عيسى بن صالح آل عصفور الدرزي البحراني.
١٥٣٧	قيس بن عمرو بن مالك.
١٥٤٤	كريب بن زيد الحميري.
١٥٤٤	الشيخ كمال الدين بن سعاده الستري البحراني.
١٥٤٤	السيد مال الله بن السيد محمد الخطي.
١٥٤٥	ماه شرف خانم بنت الشيخ محمد تقي بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم الطالقانيه القزوينيه.
١٥٤٦	الشيخ محسن بن الشيخ محمد بن الشيخ يوسف صاحب الحدائق.
١٥٤٦	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي.
١٥٤٦	اشاره.
١٥٤٩	تعليق الدكتور محفوظ.
١٥٥٣	محمد بن أحمد بن جعفر الكنائي المصري.
١٥٥٧	أبو نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان.
١٥٧٠	محمد بن أحمد البيروني.
١٦٠٠	الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني.
١٦٠٠	الشيخ محمد بن حسين السعي البحراني.
١٦٠٠	الشيخ محمد بن حسين السعي البحراني.
١٦٠١	الشيخ محمد بن الشيخ حسين الشويكي البحراني.
١٦٠١	الشيخ محمد بن عبد الله أبو عزيز الخطي البحراني.
١٦٠١	السيد محمد تقي السيزواري الباشيتيني الفشتنقي.
١٦٠٣	أبو علي، محمد بن الحسن بن علي القتال النيسابوري الفارسي.
١٦٠٣	محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، أبو جعفر الأعرج.
١٦٠٤	الشريف الرضي محمد بن الحسين.
١٦٠٤	اشاره.
١٦٨٨	السيرافيان.
١٦٨٨	اشاره.
١٦٩٢	المقصوره الحسينيه.
١٧٠١	الرضي المؤلف.
١٧٠٢	الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكركاني.
١٧٠٢	الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد النبي بن محمد بن سليمان المقايي البحراني.
١٧٠٣	الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحراني.
١٧٠٤	الشيخ محمد بن أبي جمهور الاحساني.
١٧٠٤	اشاره.
١٧٠٤	والده و جده.
١٧٠٥	مولده و نشاته.
١٧٠٧	دراسته و أساتيدته.

١٧٠٧	مشايخه في الروايه
١٧٠٧	تلاميذه و الراون عنه
١٧٠٨	أسفاره
١٧٠٨	مناظرته مع العالم الهروي
١٧٠٩	أقوال العلماء فيه
١٧١١	مؤلفاته
١٧١٤	وفاته
١٧١٥	أدبه و شعره
١٧١٦	شبه و مؤاخذات
١٧١٦	السيد محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبي شبابه الحسيني البحراني.
١٧١٨	الشيخ محمد الشهير بالملائكه البرغاني ابن الشيخ محمد تقي الشهير بالفرشته ابن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم
١٧٢٠	الشيخ محمد تقي الفشندي بن الشيخ محمد علي بن الشيخ حمزه بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد تقي بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.
١٧٢٠	الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم
١٧٢١	الشيخ محمد بن الشيخ غوث الحجري البحراني.
١٧٢١	السيد محمد جمال الهاشمي
١٧٢١	إشاره
١٧٢١	شعره
١٧٦٢	بدر الدين محمد بن زهره الحسيني.
١٧٦٢	محمد جواد دبوب ابن الحاج حسن.
١٧٦٣	الشيخ محمد بن محسن المقايي البحراني.
١٧٦٣	الشيخ محمد بن سعيد المقايي البحراني.
١٧٦٣	الشيخ محمد بن يوسف البحراني.
١٧٦٣	الشيخ محمد بن الحاج يوسف الأمير زبدي البحراني
١٧٦٤	الشيخ محمد بن الشيخ يوسف صاحب الحدائق
١٧٦٦	السيد محمد عباس الموسوي الجزائري اللكهنوي
١٧٦٩	الشيخ محمد علي الشهير بالملا علي البرغاني بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد تقي بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.
١٧٦٩	الشيخ محمد الفاضل القاتيني.
١٧٧١	الشيخ محمد صالح البرغاني.
١٧٨٥	الشيخ محمد قاسم الحسيني العاملي.
١٧٨٥	الشيخ محمد بن علي البغلي.
١٧٩٧	الميرزا محمد علي الحسيني الأصفهاني.
١٧٩٨	الشيخ محمد كاظم بن عبد العلي التنكابني
١٧٩٩	محمد محسن بن مرتضى بن محمود الملقب بالفيز الكاشاني
١٨٠٠	الشيخ محمد محسن بن الشيخ علي العاملي.
١٨٠٠	الدكتور محمد مهدي البصير.
١٨٠٣	الشيخ محمد النمر بن ناصر.
١٨٠٣	إشاره

- ١٨٠٤ بلدته
- ١٨٠٥ نشأته العلميه
- ١٨٠٦ تلاميذه
- ١٨٠٦ اشارته
- ١٨٠٧ شعره
- ١٨٠٩ محمود بن الحسين المعروف بكشاجم.
- ١٨٣٧ السيد مرتضى العلوي البحراني
- ١٨٣٧ الشيخ مغاسن الحجري البحراني
- ١٨٣٨ الدكتور مصطفى جواد
- ١٨٥٠ الشيخ معتوق بن الشيخ عمران الأحساني
- ١٨٥١ النقيب معد الموسوي
- ١٨٥٢ معقل بن قيس الرياحي
- ١٨٥٨ السيد مهدي الحكيم
- ١٨٥٨ السيد مهدي بحر العلوم
- ١٨٧١ الشيخ محمد مهدي بن الشيخ عبد الهادي بن الشيخ أبي الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادي المازندراني الهزارجيري الحائري
- ١٨٧٢ السيد مهدي الحيدري
- ١٨٧٩ السيد منصور كيونه التجفي
- ١٨٨٠ الشيخ مهدي الكلكاوي
- ١٨٨١ السيد محمد طاهر الحيدري ابن السيد احمد
- ١٨٨١ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر
- ١٨٨١ الشيخ محمد مؤمن أسد الله
- ١٨٨١ معمر بن خالد البغدادي
- ١٨٨١ الشيخ محسن بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب كتاب جواهر الكلام
- ١٨٨٣ الشيخ ناصر الخطي الجارودي
- ١٨٨٣ السيد ناصر حسين
- ١٨٨٤ نصر بن علي الحلبي النحوي
- ١٨٨٤ نصر بن ناصر المدائني
- ١٨٨٤ القاضي أبو حنيفه النعمان بن محمد
- ١٨٩٤ السيد نعمه الله الجزائري ابن السيد محمد جعفر
- ١٨٩٤ نعيم بن هبيرة الشيباني
- ١٨٩٦ الشيخ نوح بن الشيخ هاشم بن الشيخ أحمد بن صالح بن عصفور
- ١٨٩٦ الشيخ نور الدين بن الشيخ عبد الجبار القطيفي
- ١٨٩٧ هبه الله بن علي
- ١٨٩٨ وهيب بن زمعه الجعفي
- ١٨٩٩ أبو محمد هشام بن سالم الجواليقي الجعفي، العلاف الكوفي
- ١٨٩٩ يحيى بن زياد الفراء

- ١٩١٥..... الشيخ يحيى بن محمد الكتكاني
- ١٩١٥..... يعقوب بن إسحاق الكندي
- ١٩٢٩..... يوسف بن قزوغلي بن عبد الله التركي العوني الهبيري البغدادي
- ١٩٣١..... الشيخ يوسف بن الشيخ خلف بن الشيخ عبد علي صاحب الأحياء
- ١٩٣١..... الشيخ يوسف بن علي المقابي البحراني
- ١٩٣١..... ملحق بالمستدركات
- ١٩٣١..... صلاح الدين الأيوبي
- ١٩٣١..... اشاره
- ١٩٣٤..... و قد رد علي راد فرددت عليه بما يلي:
- ١٩٣٨..... و رد مره ثانيه فأجبت به بما يلي:
- ١٩٤١..... تدخل شخص آخر و تدخل آخر فرد علي ردي، فرددت عليه بما يلي:
- ١٩٤٧..... الخراسانية و المتشيعة
- ١٩٥٥..... العرب و المأمون ثم البويهيون
- ١٩٥٥..... اشاره
- ١٩٦٠..... البويهيون
- ١٩٦٣..... استدراك علي المستدركات
- ١٩٦٣..... السيد سعيد صالح
- ١٩٦٦..... صلاح الدين و خلفاؤه
- ١٩٦٨..... إسماعيل الصفوي
- ١٩٦٨..... اشاره
- ١٩٧١..... مواقف إيرانية
- ١٩٧٢..... ابن جبير
- ١٩٧٢..... اشاره
- ١٩٧٧..... جبل عامل
- ١٩٨٣..... المجلد ٣
- ١٩٨٣..... اشاره
- ١٩٨٣..... اشاره
- ١٩٨٥..... ابش خاتون بنت الاتابك سعد بن أبي بكر الزنكي
- ١٩٨٥..... المولى أتشي المراغي
- ١٩٨٥..... أتوني حياه الهروي
- ١٩٨٦..... السيد المير آزاد بن السيد المير عبد الباقي بن السيد المير محمد صالح
- ١٩٨٦..... الأميره آغا بيگم الملقبه بأغاباجي:
- ١٩٨٦..... أزروئي خاتم السمرقنديه:
- ١٩٨٨..... أسيه أم فتح علي الشاه الفاجاري:
- ١٩٨٨..... آشوبي النطنزي
- ١٩٨٨..... الأميره آغا كوجك بنت الأمير سيف الله ميرزا سردار مفخم الفاجاري
- ١٩٨٩..... أغنه دوست و يقال آغا دوست بنت درويش قيام السيزورايه:

- ١٩٨٩ السيد آفات حسين ابن السيد مقصود حسين الرضوي:
- ١٩٨٩ آمنه الصدر المعروفه ب بنت الهدى بنت السيد حيدر بن السيد إسماعيل ..
- ١٩٩١ السيد إبراهيم بن محسن بن زين العابدين الحسيني الجورسرى الراسرى.
- ١٩٩١ الشيخ إبراهيم بن المولى الشيخ عبد الرسول الحموزى النجفى ..
- ١٩٩١ الشيخ إبراهيم بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن ..
- ١٩٩٥ الشيخ أبو تراب الشهيدي القزوينى ابن الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن ..
- ١٩٩٦ السيد أبو جعفر الامام بن المير محمد حسين الآخوندى التنكابنى:
- ١٩٩٧ آمنه بنت عباد بن على بن حمزه الطباطبائى العلوى الأصفهانى:
- ١٩٩٧ آمنه بنت أبى محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا ..
- ١٩٩٧ آمنه بنت فتح على خان دولوى الفاجارى:
- ١٩٩٨ السيد إبراهيم بن أبو الحسن بن هادى بن محمد رضا الحسينى التنكابنى ..
- ١٩٩٨ الميرزا إبراهيم بن الميرزا شاه حسين الأصفهانى القزوينى ..
- ٢٠٠٠ الميرزا أبو الحسن بن حسين بن تقى الكلان محله اى الرانكوهى ..
- ٢٠٠٠ السيد أبو الحسن بن هادى بن محمد رضا الحسينى التنكابنى:
- ٢٠٠١ السيد أبو الحسن الرفيعى القزوينى:
- ٢٠٠٢ أبو الحسن كوشيار بن لبنان ..
- ٢٠٠٤ الشيخ أبو الحسن المشكينى:
- ٢٠٠٤ السيد الميرزا أبو الحسن الأنكجى:
- ٢٠٠٥ الشريف السيد أبو القاسم عبد الله:
- ٢٠٠٦ السيد أبو القاسم التنكابنى:
- ٢٠٠٦ أحمد بن الجزائر:
- ٢٠٠٦ اشاره ..
- ٢٠٠٧ أحمد بن الجزائر ..
- ٢٠١٦ أحمد الطيب التنكابنى بن الحسين بن أحمد:
- ٢٠١٦ احمد بن الحسين المتنبى ..
- ٢٠١٦ اشاره ..
- ٢٠٢٤ الاستعاره عند الحاتمى ..
- ٢٠٢٧ موقف الحاتمى من القدم و الحدائه ..
- ٢٠٢٨ السرقات عند الحاتمى ..
- ٢٠٣٣ أحمد أبو العلاء المعرى ..
- ٢٠٣٣ اشاره ..
- ٢٠٣٦ انعكاسات البواعث على رساله المعرى ..
- ٢٠٣٦ بواعث كوميدىا دانتي ..
- ٢٠٤٢ بين أبى العلاء و الوزير المغربى ..
- ٢٠٥١ السيد أحمد الحسينى التنكابنى:
- ٢٠٥٢ الشيخ أحمد بن الشيخ حمد الله:

٢٠٥٥	الشيخ أحمد
٢٠٥٦	الشيخ ميرزا أحمد:
٢٠٥٧	السيد أحمد العرفي بن السيد علوي البحراني:
٢٠٥٧	السيد أحمد بن فضل الله الحسيني الإشكوري:
٢٠٥٧	الشيخ أحمد بن الشيخ محمد التآهي القزويني:
٢٠٥٨	أبو بكر أحمد بن محمد بن السري:
٢٠٥٨	الملا أحمد الرمل بن محمد:
٢٠٦٠	السيد أحمد بن محمد حسين شريف الحسيني التنكابني:
٢٠٦٠	الشيخ أحمد بن الشيخ مهدي نصر الله:
٢٠٦٠	اشاره:
٢٠٦١	بلدته:
٢٠٦٣	شعره و أدبه:
٢٠٦٦	حياته:
٢٠٧٠	الأمير أردشير ميرزا:
٢٠٧١	أسامه بن منقذ:
٢٠٧٢	الشيخ إسحاق ابن الشيخ آقا محمد إمام الجمعة ابن الشهيد البرغاني:
٢٠٧٢	أسد الله بن نظر علي خان التنكابني:
٢٠٧٣	السيد أسد الله بن عبد الحسين الموسوي النبوي الدرفولي الدرفولي:
٢٠٧٣	أسماء و يقال حيايه بنت السيد صالح بن السيد مهدي القزويني:
٢٠٧٥	أبو العتاهيه إسماعيل بن القاسم:
٢٠٧٥	اشاره:
٢٠٩١	يحنال أبو العتاهيه لتقبيل يد عتبه:
٢٠٩٦	إسماعيل الصفوي:
٢١٠٣	السيد إسماعيل بن كاظم بن مير محمد مقيم الحسيني الرامسري التنكابني:
٢١٠٥	أم كلثوم بنت الشيخ كريم الروغني القزويني:
٢١٠٥	أم كلثوم:
٢١٠٥	الشيخ آغا التفات القزويني:
٢١٠٦	أم نزار الملائكة:
٢١٠٩	الأميره أوراق سلطان بيگم:
٢١٠٩	الحاج باقر اللاهيجي:
٢١١١	الشيخ باقر نجل الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر:
٢١١١	بروين اعتصامي:
٢١١٢	المولى بهرام الطالقاني التنكابني:
٢١١٣	الشيخ جابر الكمي:
٢١١٥	جابر بن حيان:
٢١١٥	اشاره:
٢١١٧	مصادر الشكوك:

٢١١٧	أدله الشك
٢١٢٠	نشأته و سيرته
٢١٢١	صلته بجعفر الصادق
٢١٢٣	منزلته العلمي
٢١٢٣	الكيميائي العربي الأول
٢١٢٤	الايمان بالعلم
٢١٢٤	نظريه المعرفة
٢١٢٩	الوجود الموضوعي للكون
٢١٣٠	منهج البحث العلمي
٢١٣٢	فلسفه الكيمياء
٢١٣٣	عقل الفيلسوف
٢١٣٣	شهاده الحاضرين
٢١٣٤	العنور على معمل جابر بن حيان
٢١٣٥	مصطلحات العرب القديمه
٢١٣٥	مواد حضرها العملاقان
٢١٣٧	نقطه تحول في العصر الوسيط
٢١٣٨	الشيخ جعفر التنكابني:
٢١٣٨	السيد جلال الدين الطهراني:
٢١٣٩	أبو ذر الغفاري جندب بن جناده:
٢١٣٩	اشاره
٢١٤١	إسلام أبي ذر
٢١٤٤	صفات أخرى للرجل
٢١٤٨	تحولات عهد عثمان
٢١٥٣	اتهام مردود
٢١٥٤	الصدام مع عثمان و معاويه
٢١٥٤	في المدينة:
٢١٥٧	في الشام
٢١٦٠	في المدينة.. مره ثانيه
٢١٦٣	السيد جواد بن إبراهيم بن محسن الحسيني الرامسري:
٢١٦٤	الشيخ جواد بن الشيخ علي بن الشيخ محمد "حميد" بن الشيخ محمد
٢١٦٥	الشيخ جواد بن قاسم المجد الايكائي كلائي الرامسري:
٢١٦٦	الشيخ جواد بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السمامي الرامسري:
٢١٦٦	المولي حبيب الله بن المولي قربان علي بن عبد الله بن منصور بن رحيم
٢١٦٦	حسن بن أبي الحسن التنكابني:
٢١٦٦	السيد حسن بن جواد بن إبراهيم بن محسن الحسيني التشيرسري
٢١٦٧	السيد حسن بن السيد عبد الله الموسوي الأحسائي الجبيلي البصري.

- ٢١٦٩ الشيخ حسن بن الشيخ علي نقي بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد
- ٢١٧٠ الشيخ حسين بن إبراهيم التنكابني: خليل التنكابني:
- ٢١٧٠ الشيخ حسين بن إبراهيم التنكابني:
- ٢١٧١ الشيخ جمال الدين أبو محمد الحسين بن بدر بن أياز بن عبد الله البغدادي
- ٢١٧٢ الحاج حسين الحرابوي:
- ٢١٧٦ الشيخ حسين الشنب غازاني التبريزي:
- ٢١٧٦ الميرزا حسين الجلاي بن علي أكبر الساماني:
- ٢١٧٦ الحاج الشيخ حسين بن محمد كاظم الآخوند الخراساني النجفي:
- ٢١٧٦ الشيخ حسين بن محمد علي القاري البهشتي:
- ٢١٧٧ السيد حسين العلوي بن محمد علي:
- ٢١٨٠ السيد حسين بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد
- ٢١٨٢ السيد حسين بن السيد محمد علي بن السيد نوارش علي بن السيد مظفر
- ٢١٨٢ الشيخ حسين بن محمد التنكابني:
- ٢١٨٢ السيد حسين بن السيد نعمه الله بن السيد محمد حسين بن السيد حسن
- ٢١٨٣ نور الدين حمزه:
- ٢١٨٥ الشيخ حمزه قفطان بن الشيخ مهدي:
- ٢١٨٥ اشاره
- ٢١٨٧ شعره
- ٢٢٠٨ المولى الخواجه حيدر علي بن الخواجه علي بخش:
- ٢٢٠٨ السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الهندي القزويني
- ٢٢١٠ السيد خير الدين بن السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله الهندي الاله
- ٢٢١١ الخليل بن أحمد الفراهيدي:
- ٢٢١١ اشاره
- ٢٢١١ كتاب العين
- ٢٢١٣ الخليل مبتكر لا مقلد
- ٢٢١٥ نسيه كتاب العين
- ٢٢٢١ السيد خليفه بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد علي بن
- ٢٢٢١ دعبيل الخزاعي:
- ٢٢٢١ الشيخ راجب حرب:
- ٢٢٢٢ ميرزا رحيم خان بهشتي:
- ٢٢٢٢ الأغا الميرزا رضي الزنوزي التبريزي:
- ٢٢٢٣ الامام السيد روح الله بن السيد مصطفى بن السيد أحمد الموسوي الخميني
- ٢٢٢٣ اشاره
- ٢٢٢٣ أسرته
- ٢٢٢٤ في طريق العلم
- ٢٢٢٥ التدريس
- ٢٢٢٥ المرجعيه

٢٢٣٦	حياته الثوريه
٢٢٣٧	بعض مشايخه في إجازة نقل الروايه
٢٢٣٧	مؤلفاته
٢٢٣٩	زييده بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن إبراهيم بن يحيى
٢٢٣٩	زينب بنت الفيلسوف الشهير المولى محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازى
٢٢٤١	زينب بنت الشاه مرتضى بن الشاه محمود الكاشانى
٢٢٤١	الأمير أبو النصر سام ميرزا بن الشاه إسماعيل الأول الصفوى:
٢٢٤١	السيد سعد صالح:
٢٢٤٣	السيد سعيد بن حسين الحسينى التنكابنى:
٢٢٤٣	الشيخ سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد بن دوست محمد بن نور
٢٢٥٥	المولى سليمان بن محمد الجيلاني التنكابنى:
٢٢٥٧	المولى سليمان الرامسرى التنكابنى:
٢٢٥٧	سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار:
٢٢٦٢	السيد شبر بن علي بن محمد المشعل الموسوى السرى الغريفى البحرانى:
٢٢٦٣	شرف النساء بنت أبى طالب بن مكرم العلوى الحسنى البغدادى.
٢٢٦٤	الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب
٢٢٦٤	الشيخ صادق بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.
٢٢٦٥	الشيخ صادق بن الشهيد البرغانى القزوينى آل الشهيدى.
٢٢٦٦	الشيخ صالح بن عبد الكريم البحرانى
٢٢٦٦	صالح بن شريف النغزى الرندى المعروف بأبى البقاء.
٢٢٦٦	اشاره
٢٢٦٩	كنيته
٢٢٦٩	نسبته
٢٢٧٠	أسرته
٢٢٧٠	مشيخته
٢٢٧٠	رحلته و تغريبه عن رنده
٢٢٧٢	جوانبه و اهتماماته
٢٢٧٢	شخصيه الرندى
٢٢٧٣	صلته بدوله بنى نصر
٢٢٧٣	مؤلفاته
٢٢٧٤	الرندى شاعرا
٢٢٧٦	أغراض شعر الرندى
٢٢٧٨	الغزل
٢٢٧٩	الوصف
٢٢٨١	الراء
٢٢٨٣	الجهاديات

٢٢٨٧	القصيده
٢٢٩٠	متى نظمت القصيده؟
٢٢٩٨	تشيع الرندي
٢٣٠٠	كتابه
٢٣٠٧	الشيخ صالح بن الشيخ زين الدين بن ابراهيم بن صفر بن ابراهيم بن
٢٣٠٨	الشيخ صدر الدين محمد بن ابي القاسم التنكابني.
٢٣٠٨	الشيخ ملا صفر علي اللاهيجاني القزويني.
٢٣١٠	الميرزا طاهر بن فرج الله التنكابني.
٢٣١٠	الشيخ ابو المظفر عامر بن عامر البصري.
٢٣١١	عباده بن الصامت.
٢٣١١	ابو سعيد عباد بن يعقوب الدواجني الراجزي الكوفي.
٢٣١٣	الشيخ عباس بن محمد الفيض القمي.
٢٣١٣	عباس ابو الطوس ابن مهدي.
٢٣١٣	اشاره
٢٣١٣	شعره
٢٣١٧	الشاه عباس الكبير الصفوي.
٢٣١٧	اشاره
٢٣١٨	فتح لار و البحرين في سنة ١٠٠٩.
٢٣٢٠	الحرب مع العثمانيين
٢٣٢١	الاستيلاء على قشم و هرمز في سنة ١٠٢١ هـ.
٢٣٢٤	وفاه الشاه عباس
٢٣٢٧	الشاه عباس و ادارته للبلاد
٢٣٢٩	الصفويون و البرتغاليون
٢٣٣٢	السيد عباس شير بن محمد
٢٣٣٩	السيد عباس المعروف بالمدرسي آل الحاج السيد جوادي بن السيد
٢٣٤٠	الحاج ميرزا عباس قلي صادق پور وجدى
٢٣٤٠	الدكتور عبد الباقي كلينارلي بن أحمد.
٢٣٤١	اشاره
٢٣٤٢	مؤلفاته
٢٣٤٣	عبادته
٢٣٤٣	من مزاياه
٢٣٤٥	السيد عبد الجواد.
٢٣٤٥	الشيخ عبد الحسين الحويزي المعروف بالخياط ابن الشيخ عمران
٢٣٥٣	الشيخ عبد الحسين القرملي ابن الشيخ محمد.
٢٣٥٥	الدكتور عبد الحسين فيلسوف.
٢٣٥٦	الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.
٢٣٥٦	السيد عبد الرؤوف فضل الله بن السيد نجيب بن السيد محيي الدين.

٢٣٥٦	اشاره
٢٣٥٨	موهبتة الأديبه و الشعريه.
٢٣٥٩	مراثيه
٢٣٦٧	عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي.
٢٣٦٨	عبد الرحمن الكواكبي:
٢٣٦٨	اشاره
٢٣٨٣	الكواكبي المصلح الاجتماعي
٢٣٩٤	الشيخ عبد الرسول بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ
٢٣٩٤	المهندس عبد الرزاق البغاثي بن المولي محسن بن المولي محرم علي
٢٣٩٥	عبد الرزاق بن همام بن نافع.
٢٣٩٦	عبد السلام الهروي
٢٣٩٨	الشيخ عبد الصاحب بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد حسن صاحب
٢٣٩٨	الشيخ عبد الصمد الخامنئي.
٢٣٩٨	الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن ابي نصر المبارك بن أبي القاسم محمود
٢٤٠٠	الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد علي بن الشيخ
٢٤٠٠	الشيخ عبد الكريم بن الشيخ مهدي بن محمد باقر بن الشيخ علي
٢٤٠١	الشيخ عبد اللطيف بن شمس الدين علي الواعظ البيرجندي
٢٤٠١	الشيخ عبد اللطيف بن الحاج عباس علي بن شاه نظر بن محمد بن
٢٤٠٣	الشيخ عبد الله بن الشيخ احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيخيه ابن
٢٤٠٤	المولى عبد الله بن المولى محمد الكسكري التنكايي.
٢٤٠٤	عبد المطلب الأمين
٢٤٠٩	عبيد الله بن موسى العبسي.
٢٤١٠	الشيخ عبد المنعم بن عبد المحسن الخاقاني.
٢٤١٠	الميرزا عبد الهادي القزويني.
٢٤١٠	عبد الواسع بن محمد قاسم الجيلاني الرامسري.
٢٤١١	عبد الواسع بن موسى بن حسين النحوي الرامسري.
٢٤١١	الشيخ الميرزا عبد الوهاب الشريف بن الشيخ محمد علي بن الشيخ
٢٤١٣	عطا الله المرشدي التنكايي الشهير ب آقا بزرگ.
٢٤١٣	الشيخ علاء الدين ابن الشيخ رضا بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ ملا
٢٤١٣	الشيخ ميرزا علامه بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح الحائري
٢٤١٥	الشيخ ملا علي بن إبراهيم الهمداني المعصومي
٢٤١٦	الشيخ علي نقى بن الشيخ احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيخيه
٢٤١٦	الشيخ أبو الحسن علي بن احمد بن محمد بن داود بن موسى بن بيان
٢٤١٨	السيد علي بن السيد إسماعيل الموسوي القزويني.
٢٤٢١	الدكتور علي أصغر حكمت بن الميرزا أحمد علي مستوفي حشمه
٢٤٢٢	الحاج ميرزا علي آقا التبريزي.

- ٢٤٢٢ علي بن الحسين المسعودي؛
- ٢٤٢٧ علي سيف الدوله الحمداني؛
- ٢٤٢٧ اشاره -
- ٢٤٣١ في المدح
- ٢٤٣١ في الوصف
- ٢٤٣٣ سيف الدوله الناقد
- ٢٤٣٨ ميرزا علي خان أديب خلوت.
- ٢٤٣٨ الشيخ علي بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.
- ٢٤٣٩ الشيخ علي نقى ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد صالح الحازنى
- ٢٤٤٠ علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني.
- ٢٤٤٠ اشاره -
- ٢٤٤٠ أبو الفرج الأصبهاني موسوعى كبير
- ٢٤٤١ متى ولد أبو الفرج، و متى مات؟
- ٢٤٤١ أين ولد أبو الفرج؟
- ٢٤٤١ انتساب أبى الفرج
- ٢٤٤٣ أبو الفرج بغدادى المنشأ
- ٢٤٤٣ السنه التي أصبح فيها أبو الفرج مؤلفا
- ٢٤٤٣ اللهو و الاقناع و القدر فى حياه أبى الفرج
- ٢٤٤٤ أبو الفرج مؤلف متعدد الجوانب
- ٢٤٤٤ كتاب الأغاني
- ٢٤٤٦ الواظ المحسن الشهير أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوى.
- ٢٤٤٧ السيد علي بن الحسين الهاشمى.
- ٢٤٤٨ علي بن رثاب التميمى.
- ٢٤٤٨ الأمير نظام الدين علي شيرين كنجينه بهادر الجفتانى الهروى.
- ٢٤٤٩ الشيخ علي رضا بن المولى كمال الدين حسين الأردكاني الشيرازى.
- ٢٤٥٠ الشيخ علي مراد بن حسين بن سبز علي السيارستاقى التنكابنى
- ٢٤٥٠ السيد علي نقى السياوزرى التنكابنى.
- ٢٤٥٠ الشيخ علي الخوئى بن علي رضا الخاكرداني.
- ٢٤٥٢ الميرزا علي آقا المجتهد التبريزى بن المولى عبد العظيم.
- ٢٤٥٢ الميرزا محمد علي المدرس الخيابانى:
- ٢٤٥٢ الحاج الميرزا علي آقا الشيرازى.
- ٢٤٥٢ الأغا علي أشرف بن الأغا علي ناصر بن الأغا إسماعيل بن الأغا
- ٢٤٥٣ الشيخ علي أكبر بن علي أكبر الكيلاني الاشكورى المتخلص فى شعره
- ٢٤٥٤ الشيخ علي القوجانى ابن الشيخ قاسم.
- ٢٤٥٤ السيد علي بن محمد بن حسين الحسنى التنكابنى.
- ٢٤٥٤ الحاج مولى علي بن سلطان محمد الجنابذى الملقب بنور علي شاه.
- ٢٤٥٥ الشيخ علي "علاوى" بن الشيخ محمد "حميد" بن الشيخ محمد

- ٢٤٥٥ أبو القاسم، علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي
- ٢٤٥٦ الشيخ علي الكنبدي الهمداني
- ٢٤٥٦ الشيخ علي نقي الخالسي
- ٢٤٥٧ الشيخ علي القمي
- ٢٤٦١ علي نقي بن محمد بن سليمان التنكابني الشهير بالمجتهد
- ٢٤٦١ ميرزا علي نقه الإسلام ابن موسى
- ٢٤٦٢ سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ
- ٢٤٦٩ علي بن المقرب الاحساني
- ٢٤٧٢ علي بن هاشم
- ٢٤٧٣ جمال الدين أبو الحسن علي بن يحيى المخرمي
- ٢٤٧٣ علي بن موسى بن الحسين، ابن السمسار دمشقي
- ٢٤٧٤ الأفضل أبو الحسن علي بن يوسف صلاح الدين الايوبي
- ٢٤٧٥ عمرو بن دينار الجمحي مولاهم المكي الاشم
- ٢٤٧٧ عوف بن أبي جميله أبو سهل الاعرابي البصري
- ٢٤٧٧ الشيخ عيسى بن صالح الجزائري
- ٢٤٧٩ غزوه بنت السيد راضي بن السيد جواد بن السيد حسن بن السيد احمد
- ٢٤٧٩ السيد غلام رضا السعيدى
- ٢٤٨٠ فاطمه أشرف السادات بنت السيد محمد بن السيد مرتضى بن السيد
- ٢٤٨١ فاطمه المكناه بام سلمه بنت الشيخ محمد علم الهدى بن ملا محسن
- ٢٤٨١ فاطمه بنت أبي محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع
- ٢٤٨٢ فاطمه بنت السيد حسين القزويني صاحب كتاب براهين السداد ابن
- ٢٤٨٢ الفتح بن أبي منصور البغدادي
- ٢٤٨٤ الشيخ فتح الله بن علوان الكمي القباني الدورقي
- ٢٤٨٤ اشاره
- ٢٤٨٧ اساتذته و مشايخه
- ٢٤٨٧ آثاره العلميه و الأدبيه
- ٢٤٩٥ الميرزا فضل علي المولوى المتخلص بصفاء
- ٢٤٩٥ الشيخ فضل الله بن صدر الدين محمد بن أبي القاسم التنكابني
- ٢٤٩٧ الشيخ فضل الله الصادق الأشتياني
- ٢٤٩٧ الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ عبد الكريم البسطامي الدشت
- ٢٤٩٧ الملا فضه ابنه الشيخ أحمد البلاغي
- ٢٤٩٨ الشيخ فيض الله البغدادي الحائري البرمكي
- ٢٤٩٨ أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود التقفي
- ٢٥٠٠ الشريف أبو محمد قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا بن
- ٢٥٠٢ قيس بن سعد بن عباده
- ٢٥٠٢ اشاره

٢٥٠٩	قيس بن سعد
٢٥١١	فشل محاوله احتوائه
٢٥١٣	عزله
٢٥١٤	الولاء المطلق لعلی ع
٢٥١٦	موقف قيس من التحكيم
٢٥١٧	مشاركته في حرب الخوارج
٢٥١٨	واليا على "أذربيجان"
٢٥١٩	قائدا في جيش الحسن ع
٢٥١٩	رفضه إغراءات معاوية المتجدده
٢٥٢١	معارضته للصلح
٢٥٢٢	قيس آخر المبايعين لمعاوية
٢٥٢٤	الشيخ كاظم بن صفی الله التنكابنی:
٢٥٢٤	الشيخ كاظم الصحاف ابن الشيخ علی
٢٥٢٦	الشيخ كاظم الهجرى ابن الشيخ عمران ابن الشيخ حسن السليم:
٢٥٢٧	كثير عزه:
٢٥٢٧	اشاره
٢٥٢٩	نسيه
٢٥٢٩	نشأته و حياته
٢٥٣١	شخصيته
٢٥٣٥	وفاته
٢٥٣٦	حبه عزه
٢٥٤١	عقيدته
٢٥٤٤	كثير الشاعر
٢٥٤٤	مصادر شعره:
٢٥٤٥	موضوعات شعره:
٢٥٤٥	الغزل العذرى
٢٥٤٨	شعره السياسى
٢٥٥٤	الخصائص العامه لشعر كثير
٢٥٥٧	منزلته
٢٥٥٩	الأميره كردوتشين بنت منكو تيمور بن هولاکو:
٢٥٥٩	الأغا كريم الروغنى القزوينى:
٢٥٦٠	الأميره كلين خانم المكناه بام سلمه بنت فتح على الشاه القاجارى:
٢٥٦٠	مبارك بن حامد بن أبى الفرج تقى الدين الحداد الحلبي:
٢٥٦٠	الشيخ الميرزا مجتبى بن الشيخ الميرزا احمد التنكابنى القزوينى
٢٥٦٢	الشيخ مجتبى القزوينى بن الشيخ احمد بن الميرزا حسين الطيب
٢٥٦٢	مجتبى مینوى
٢٥٦٢	اشاره

٢٥٦٦	مقالته
٢٥٦٦	القاضي التنوخي أبو علي المحسن بن علي بن أبي الفهم داود بن
٢٥٦٦	إشاره
٢٥٦٩	المرحلة الثانيه من عمره
٢٥٧١	المرحلة الثالثه من حياته
٢٥٧٢	شيوخه
٢٥٧٤	٤ - آثاره:
٢٥٧٥	شعره
٢٥٧٥	الأقا محسن بن عبد الكريم بن محمد بن محسن المرشد التنكابني
٢٥٧٦	الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزي الحائري المعروف بأبي
٢٥٧٨	الشيخ ملا محسن القزويني الأصل البروجردي المولد و المسكن
٢٥٧٩	الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن الكبير بن
٢٥٧٩	إشاره
٢٥٨٠	شعره
٢٥٨٠	الأغا الميرزا محسن المجتهد التبريزي:
٢٥٨١	محيى الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي طريف محمد بن علي
٢٥٨١	محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي
٢٥٨١	إشاره
٢٥٨٢	مراحل حياه صدر المتألهين
٢٥٨٣	مصادر الإلهام في فكر صدر المتألهين
٢٥٨٣	منهج صدر المتألهين الفلسفي
٢٥٩٠	أثار و مؤلفات صدر المتألهين
٢٥٩٦	سيره ملا صدرا
٢٦٠٢	مبنى أثار ملا صدرا
٢٦١٠	فلسفه المعاد
٢٦١٤	محمد بن أبي حرب بن محمد الحسيني أبو جعفر
٢٦١٥	محمد بن أبي علي بن أبي نصر النوقاني
٢٦١٥	الشيخ أبو منصور محمد بن أبي العباس احمد بن يحيى بن زيد بن ناغه
٢٦١٥	السيد محمد بن احمد بن حسن بن حسين الحسيني
٢٦١٥	السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد شيخ الإسلام الحسيني
٢٦١٧	أبو القاسم محمد بن احمد بن مهدي العلوي
٢٦١٧	محمد بن احمد بن حمدان المعروف بالخيار البلدي
٢٦١٨	شرف الدين محمد بن احمد بن يعلى الهاشمي
٢٦١٨	محمد بن احمد بن محمد الملقب ذو البراعين
٢٦١٨	محمد بن احمد بن محمد بن خلف أبو الحسن بن الفخام
٢٦١٨	محمد بن احمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن إبراهيم بن جعفر بن

- ٢٦١٩ محمد بن احمد الحيرى
- ٢٦٢٠ محمد أولجايتو خدابنده بن ارغون بن أيقا بن هولانكو
- ٢٦٣٥ محمد بن إسماعيل بن الفضل الحسينى بن العلوى السيد أبو البركات
- ٢٦٣٥ محمد بن إسماعيل بن أميرك بن إسماعيل بن أميرك بن إسماعيل بن
- ٢٦٣٦ محمد بن جعفر بن محمدا جعفر القصار الرازى
- ٢٦٣٦ مجد الدين أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن معيه العلوى
- ٢٦٣٦ السيد محمد المحقق الشهير بالداماد ابن السيد جعفر
- ٢٦٣٧ محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله المصرى
- ٢٦٣٨ الشيخ محمد بن حبيب الله العزيزى الشهير بالسيزوارى النجفى
- ٢٦٣٨ ميرزا محمد حسين النيسابورى المشهور بنظيرى
- ٢٦٤١ مجد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن احمد بن أبى القاسم
- ٢٦٤١ محمد بن الحسن بن محمد بن مهدى بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن
- ٢٦٤١ مجد الدين أبو عبد الله محمد بن عز الدين الحسين بن محمد بن عز
- ٢٦٤١ محمد بن الحسن القمى
- ٢٦٤٢ محمد بن الحسن بن محمد بن على بن احمد بن إبراهيم الخراعى
- ٢٦٤٢ مجير الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبى القاسم محمد بن
- ٢٦٤٢ المنتجب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن احمد الموصلى
- ٢٦٤٣ محبى الدين أبو طاهر محمد بن كمال الدين أبى الفتوح حيدر بن محمد
- ٢٦٤٤ محمد بن محمد بن طرخان الفارابى
- ٢٦٤٤ اشاره
- ٢٦٤٤ بدأ حياته متفلسفا، و ختمها متصوفا
- ٢٦٤٤ علمه بالموسيقى
- ٢٦٤٥ فلسفته:
- ٢٦٤٥ التوفيق بين أفلاطون و أرسطو
- ٢٦٤٧ التوفيق بين
- ٢٦٤٧ الفيلسوف الكامل
- ٢٦٤٨ المدينة الفاضله أو الدوله المثاليه
- ٢٦٥٠ السعاده العليا أو الخير الاسمى
- ٢٦٥١ خاتمه
- ٢٦٥١ محمد باقر المعروف بالفاضل السيزوارى
- ٢٦٥١ الشيخ محمد باقر بن محمد جعفر الأصفهانى الفشاركى
- ٢٦٥٢ السيد محمد باقر بن السيد على صاحب حاشيه القوانين المشهوره
- ٢٦٥٣ السيد محمد باقر إبراهيم بن السيد على
- ٢٦٥٧ السيد محمد باقر بن السيد مهدى بن السيد محمد على الرضوى
- ٢٦٥٧ الشيخ محمد تقى و يقال محمد بن الشيخ احمد الاحسانى مؤسس
- ٢٦٥٩ ميرزا محمد تقى المتخلص: بنير
- ٢٦٥٩ محمد تقى بن محمد قاسم الجيلانى التنكابنى

- ٢٦٥٩ المولى محمد تقي بن فقيه علي التنكابني اليوشي.
- ٢٦٥٩ الشيخ محمد تقي التنكابني بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم
- ٢٦٦٠ السيد محمد تقي الجلالى الحسينى ابن السيد محسن.
- ٢٦٦١ الميرزا محمد تقي بن محمد صالح الحكيم التنكابني.
- ٢٦٦٢ شمس الدين محمد المعروف بحافظ الشيرازي.
- ٢٦٧٨ الشيخ محمد حسن التنكابني الشاهرودي.
- ٢٦٧٨ محمد حسن الفاني الزنوزي ابن الحاج مير عبد الرسول.
- ٢٦٧٩ ميرزا محمد حسين نجاه بن عبد الغفار التبريزي.
- ٢٦٧٩ السيد محمد حسن القوجاني المعروف بأغا نجفي القوجاني.
- ٢٦٨٠ محمد حسن فروزانفر الشهير ببديع الزمان.
- ٢٦٨٢ محمد بن الحسن بن باكير الشيرازي كاتب السبيعي.
- ٢٦٨٢ محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن المسور أبو الحسن الجهني.
- ٢٦٨٣ السيد محمد حسن الشخص بن احمد.
- ٢٦٨٤ آقا رضي الدين محمد بن حسن القزويني.
- ٢٦٨٤ الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن بن الشيخ محمد الجوزي.
- ٢٦٨٤ الشيخ محمد حسن بن الشيخ احمد بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ
- ٢٦٨٥ محمد بن الحسن بن يعصن القصار.
- ٢٦٨٥ محمد بن الحسين البغدادي مقرئ العراق.
- ٢٦٨٥ الشيخ محمد حسين الدهقاني.
- ٢٦٨٦ الشيخ محمد حسين الغريب التنكابني الشهير بالشيخ حسين الرامسري.
- ٢٦٨٧ محمد بن الحسين بن حمزه بن جعفر بن العباس بن ابراهيم الاعرابي.
- ٢٦٨٧ محمد بن الحسين بن إسحاق بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن
- ٢٦٨٧ السيد محمد بن السيد حسين بن المير عبد المطلب الحسيني الرامسري.
- ٢٦٨٨ الشيخ محمد حسين بن الشيخ سليمان بن ولي الله بن امر الله بن
- ٢٦٨٨ الشيخ محمد حسين بن محمد جعفر التنكابني.
- ٢٦٨٨ الشيخ محمد بن الحسين بن مهدي المهدي السعدي اللاهيجي.
- ٢٦٩٠ الشيخ محمد رضا التنكابني.
- ٢٦٩٠ محمد بن حماد بن سلمان بن المحسن أبو غالب العلوي.
- ٢٦٩٠ محمد بن حمزه بن إسماعيل بن الحسين بن علي بن الحسين بن
- ٢٦٩١ الشيخ محمد رضا الطيبي النجفي ابن عباس.
- ٢٦٩١ المولى محمد زمان بن حاجي مراد خان التنكابني الديلمي.
- ٢٦٩١ مجد الدين أبو الحسن محمد بن زكي الدين الحسن بن أبي الفتوح
- ٢٦٩٢ أبو منصور محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن زيد بن احمد أمير
- ٢٦٩٢ الشيخ الكبير العالم المعمر مسند وقته أبو علي محمد بن سعيد بن
- ٢٦٩٤ محمد صادق بن حاجي مراد التنكابني.
- ٢٦٩٤ الحاج الشيخ محمد صالح المجتهد التنكابني.

- ٢٦٩٤ الشيخ محمد صالح بن محمد باقر القزويني المعروف بالروغني.
- ٢٦٩٥ مولانا محمد صالح الترشيزي.
- ٢٦٩٥ الشيخ محمد صالح قفطان بن الشيخ مهدي.
- ٢٦٩٥ اشاره
- ٢٦٩٥ شعره
- ٢٦٩٨ الشيخ محمد بن صدر الدين محمد بن أبو القاسم التنكابني الشهير
- ٢٦٩٩ الميرزا محمد طاهر بن ظفر خان أحسن بن الخواجه أبو الحسن
- ٢٧٠٠ الشيخ محمد بن عبد الحسين الرشتي النجفي.
- ٢٧٠٠ معين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بن محمد الجعفري
- ٢٧٠١ مختص الدين أبو عبد الله محمد بن عزيز الدين شرف شاه بن محمد
- ٢٧٠١ محمد بن عمرو السوسي الكوفي
- ٢٧٠١ السيد محمد بن السيد عبد الكريم الشهير بمولانا.
- ٢٧٠٣ الأمير عز الملك محمد بن عبد الله بن احمد الحراني.
- ٢٧٠٣ الأفضل محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني أبو الفتوح.
- ٢٧٠٦ محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الحسن الفارس أبو الحياه
- ٢٧٠٧ محمد بن علي بن احمد بن الناقد أبو السعادات البغدادي.
- ٢٧٠٧ أبو احمد محمد بن علي بن عبدك الشيعي العبدكي.
- ٢٧٠٩ محمد بن عبد الفتاح سراب التنكابني.
- ٢٧١٠ محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين
- ٢٧١٠ شرف الساده أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن
- ٢٧١١ مجد الدين محمد بن عبيد الله بن الكوفي الصدر العالم.
- ٢٧١١ محيي الدين محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن حسن بن
- ٢٧١٣ السيد محمد علي الغريفي البجراني بن السيد عدنان.
- ٢٧١٣ اشاره
- ٢٧٢٢ مؤلفاته
- ٢٧٢٣ السيد محمد علي آل خير الدين بن السيد حسين بن السيد محمد علي
- ٢٧٢٥ السيد محمد الحجه التبريزي.
- ٢٧٢٥ الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن
- ٢٧٢٨ أبو غالب فخر الملك محمد بن علي بن خلف
- ٢٧٢٧ السيد محمد الأمين بن السيد علي.
- ٢٧٢٧ اشاره
- ٢٧٤٤ الجوله الدعائيه
- ٢٧٤٤ اهتمام الدول الأجنبية بحركه الاستقلال الشاميه
- ٢٧٤٥ الشيخ محمد علي الشهير ب الحاج الشيخ آقا بزرگ الشاهرودي
- ٢٧٤٦ السيد محمد بن فضل الله الحسيني الاشكوري الجيلاني.
- ٢٧٤٧ الشيخ محمد فليح
- ٢٧٥١ محمد كاظم بن محمد جعفر الشيرازي المتخلص ب أشفته.

- ٢٧٥١ المولى الآخوند ملا محمد الكاشاني الاصفهاني.
- ٢٧٥٢ المولى محمد كاظم بن سليمان التنكابني الكلام وري.
- ٢٧٥٢ الشيخ محمد كاظم بن عبد العلي التنكابني.
- ٢٧٥٢ محمد كريم بن صفى الله بن علي التنكابني.
- ٢٧٥٢ الشيخ محمد كريم بن المولى الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ
- ٢٧٥٣ المولى آغا مير محمد مؤمن بن جمال الدين مصطفى الأجداني
- ٢٧٥٤ السيد محمد بن محمد حسين بن مير محمد رضا الحسيني التنكابني.
- ٢٧٥٥ الشيخ أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخي.
- ٢٧٥٥ محمد بن محمد بن عدنان بن عبد الله بن عمر العلوي الحسيني الكوفي
- ٢٧٥٥ مجد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن الضحاک القرشي
- ٢٧٥٦ محمد بن محمد بن أسعد بن علي بن معمر بن عمر بن علي بن أبي
- ٢٧٥٦ المولى الشيخ محمد مراد بن درويش علي بيك الأشتياني القمي.
- ٢٧٥٧ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن المرتضى بن عبد الله الحسيني
- ٢٧٥٧ المولى محمد بن محمد طاهر الكليجاني التنكابني.
- ٢٧٥٨ السيد محمد بن محمد يوسف الحسيني التنكابني.
- ٢٧٥٨ مجد الدين محمد بن محمد بن أبي مضر بن سالم بن علي العلوي
- ٢٧٥٨ محمد بن أبي الهيجاء بن محمد
- ٢٧٥٨ محمد بن محمد بن احمد بن السلال الكرخي.
- ٢٧٥٩ السيد محمد المعروف بالسيد القصير ابن ميرزا معصوم.
- ٢٧٥٩ الشيخ محمود بن الشيخ مرتضى بن الشيخ حسن الأشتياني
- ٢٧٦٠ آغا محمد هاشم بن آغا محمد إسماعيل الشيرازي.
- ٢٧٦٠ محمد بن موسى الفطري.
- ٢٧٦١ أبو عبد الله محمد بن ناصر بن مهدي بن حمزه العلوي الحسيني.
- ٢٧٦١ تاج الدين محمد بن نصر بن صلاح
- ٢٧٦٢ السيد محمد هادي الميلاني.
- ٢٧٦٣ السيد محمد هاشم بن محمد حسين بن المير محمد رضا الحسيني
- ٢٧٦٤ أبو البركات محمد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي
- ٢٧٦٥ أبو طاهر محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعي بن مهدي بن محمد بن
- ٢٧٦٥ مجد الشرف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله العلوي الكوفي
- ٢٧٦٥ مجد الدين أبو الفتح محمد بن تاج الدين أبي منصور يحيى بن المظفر
- ٢٧٦٥ محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعي بن مهدي بن محمد بن جعفر بن
- ٢٧٦٦ أبو العلاء محمد بن جعفر بن هبه الله بن يحيى بن الحسن بن احمد بن
- ٢٧٦٧ أبو الحسن محمد بن هبه الله بن محمد بن الحسين الحسيني.
- ٢٧٦٧ الميرزا محمد اليزدي.
- ٢٧٦٨ الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبيد الله النيسابوري البغدادي
- ٢٧٦٨ السيد محمد يوسف الحسيني التنكابني.

- جمال الدين أبو المكارم الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن ٢٧٦٨
- أشاره ٢٧٦٨
- مذهبه ٢٧٧٠
- شعره ٢٧٧٠
- مؤلفاته ٢٧٧١
- مقتله ٢٧٧١
- الشيخ أبو عقيل محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف النوقارزي ٢٧٧٢
- السيد محمود بن السيد سلطان علي المرعشي التستري. ٢٧٧٣
- السيد مرتضى الخسروشاهي بن السيد احمد بن السيد محمد ٢٧٧٣
- السيد مرتضى بن هادي بن محمد رضا الحسيني الراسري. ٢٧٧٣
- الشيخ مرتضى بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن ميرزا محمد ٢٧٧٤
- السيد مرتضى الكشميري. ٢٧٧٤
- أشاره ٢٧٧٤
- مؤلفاته ٢٧٧٤
- مشايخه في الروايه ٢٧٧٦
- تلامذته ٢٧٧٧
- وفاته ٢٧٧٧
- عقبه ٢٧٧٧
- السيد مسلم الحلبي النجفي ٢٧٧٨
- الحاج ميرزا مصطفى مجتهدى ٢٧٧٨
- الشيخ مصطفى بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد ٢٧٧٨
- أبو منصور المظفر بن أردشير المروزي العبادي و يلقب بالأمير. ٢٧٧٩
- السيد مظفر علي بن السيد خير الدين بن السيد مير خير الله الهندي ٢٧٨٠
- معصومه خاتون بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن ٢٧٨١
- منصور بن إسماعيل. ٢٧٨١
- الشيخ منصور المرهون: ٢٧٨٢
- الملا مهدي بن الملا عبد علي الشويكي الفلاحى. ٢٧٨٣
- السيد مهدي الحكيم بن السيد محسن. ٢٧٨٥
- أشاره ٢٧٨٥
- مراثيه ٢٧٨٦
- الشيخ مهدي بن الشيخ جعفر المعروف بأغا ميرزا كوجك بن الشيخ ٢٧٨٩
- السيد موسى بن السيد علي بن السيد مهدي بن السيد المير بزرگ بن ٢٧٨٩
- الشيخ موسى العصامي بن محسن. ٢٧٩٠
- أشاره ٢٧٩٠
- شعره ٢٧٩٠
- الشيخ موسى الهر بن جعفر. ٢٧٩٢
- قادر نادر ميرزا القاجارى. ٢٧٩٤

٢٧٩٥	السيد ناصر بن احمد البجراني
٢٧٩٦	السيد ناصر بن السيد هاشم بن السيد احمد بن السيد حسين آل السيد
٢٧٩٩	ناصريف النصر
٢٧٩٩	اشاره
٢٨٠٤	الشيخ ناصر النصر الانسان
٢٨٠٧	ناصريف النصر: زعامه الأسره
٢٨١٧	معركه كفر رمان
٢٨٢٢	تحرير صيدا
٢٨٢٥	ناصريف النصر و الجزائر
٢٨٣١	ناصريف النصر و الجزائر:
٢٨٣٢	معركه يارون الاثنتين ٥ شوال ١١٩٥هـ
٢٨٣٥	ماسي الجزائر في جبل عامل
٢٨٣٧	المقاومه العامليه للجزائر
٢٨٣٨	جبل عامل في عهد الشيخ ناصر النصر
٢٨٤٦	المولد و النشأه
٢٨٤٧	الصراع مع ظاهر العمر
٢٨٤٩	تسلم ولايه صيدا
٢٨٤٩	الحاكم المطلق في الشام
٢٨٥٠	جنون و صواب و قسوه
٢٨٥٣	ترتيب الديار المصريه:
٢٨٥٥	فوضى الحكومه
٢٨٥٦	اليكوات المماليك
٢٨٥٨	علي بك الكبير
٢٨٥٩	تاريخ علي بك
٢٨٥٩	شياخته
٢٨٦١	استقلال علي بك:
٢٨٦٢	الشيخ ظاهر
٢٨٦٤	علي بك و فتح بلاد العرب
٢٨٦٤	الحمله على الشام
٢٨٦٧	المحالفه مع روسيا:
٢٨٦٧	سقوط دمشق
٢٨٦٧	نهايه علي بك
٢٨٧٠	نهايه أبي الذهب
٢٨٧٠	الفوضى المملوكيه:
٢٨٧١	احمد باشا الجزائر
٢٨٧٣	الحمله العثمانيه و فشلها

٢٨٧٣	الشيخ نصر الله بن الشيخ هدايه الله الشهير بالحاج مجتهد بن الشيخ
٢٨٧٤	ملا نظر علي بن محسن الكيلاني.
٢٨٧٤	السيد هادي الحسيني التبريزي.
٢٨٧٦	السيد هادي بن المير محمد رضا بن المير محمد حسين الحسيني
٢٨٧٦	السيد هبه الله بن السيد أبو القاسم بن السيد حسين بن السيد مطهر بن
٢٨٧٦	الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعه
٢٨٧٦	اشاره
٢٨٧٩	أزواجه و أولاده
٢٨٨٣	شخصيته
٢٨٨٥	وفاته
٢٨٨٥	صلته بالحكام
٢٨٩١	الفرزدق و الشعراء:
٢٨٩٢	الديوان
٢٨٩٤	النقائض
٢٩٠٠	فنونه الشعرية:
٢٩٠٠	الفخر
٢٩٠٢	الهجاء
٢٩٠٤	الغزل و النسيب
٢٩٠٥	الوصف
٢٩٠٧	المدح
٢٩٠٨	الرياء
٢٩٠٩	الخصائص العامه
٢٩١٣	وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي
٢٩١٨	أبو عباده الوليد بن عبيد الطائي البحتري
٢٩١٨	اشاره
٢٩٢١	اسمه و كنيته و لقبه
٢٩٢١	نشأته
٢٩٢٢	حبه علوه
٢٩٢٥	شخصيته و أخلاقه
٢٩٢٩	أسرته
٢٩٣٠	عقيدته
٢٩٣٤	صلته بالأعيان و الحكام
٢٩٣٧	نتاجه
٢٩٣٩	شعره
٢٩٣٩	المدح
٢٩٤٦	الفخر
٢٩٤٧	العتاب

٢٩٥٢	الغزل
٢٩٥٦	الرباء
٢٩٥٧	الهجاء
٢٩٥٨	الحكمه
٢٩٦١	الخصائص العامه لشعر البحترى
٢٩٦٣	البحترى شاعر الأطفاف
٢٩٦٩	أبو تراب يحيى بن إبراهيم بن أبي تراب الكرخى اللويزى
٢٩٧٠	أبو جعفر يحيى بن أبي زيد العلوى النقيب
٢٩٨٥	يوسف اعتصامى
٢٩٨٥	يحيى بن أبي طى
٢٩٨٦	يحيى بن زيد بن على بن الحسين
٢٩٨٩	الشيخ يعقوب بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السامى
٢٩٨٩	الميرزا يوسف آغا المجتهد التبريزى بن الميرزا على بن المولى محمد
٢٩٩٠	ملحق بالمستدركات
٢٩٩٧	مستدرک على المستدركات
٢٩٩٧	أحمد أبو العلاء المعرى:
٢٩٩٧	اشاره
٣٠٠٣	عن رحله المطهر
٣٠٠٤	عبد الرحمن الكواكى
٣٠١٤	المجلد ٤
٣٠١٤	اشاره
٣٠١٤	اشاره
٣٠٢٠	الأميره آرام جان بيگم
٣٠٢٠	أرده خاتون بنت ترمشبين خان
٣٠٢٠	أفاق بيگه بنت الأمير على الجلانزبه الهراتيه
٣٠٢٢	آغا بيگم بنت السيد محمد على بن السيد عابد بن السيد على بن السيد محمد
٣٠٢٢	آغا سلطان بنت طهماسب قلى بيك الأصفهانيه
٣٠٢٢	أمنه بيگم و يقال أمنه خاتون بنت الشيخ محمد تقى المجلس الأول ابن الشيخ
٣٠٢٣	السيد أحمد ابن السيد سلطان على المرعى
٣٠٢٥	الميرزا أحمد بن الميرزا كاظم بن الميرزا صادق الكشميرى
٣٠٢٥	شهاب الدين أحمد بن ماجد
٣٠٢٥	اشاره
٣٠٢٥	تشيع «بن ماجد
٣٠٢٦	الأثار العلميه لابن ماجد
٣٠٢٦	اشاره
٣٠٤٣	الأرضيه التاريخيه

٣٠٤٩	النهروالى
٣٠٤٩	البرق اليماني
٣٠٥٠	مثال على تخطيطه التاريخي
٣٠٥٤	أسطوره النهروالى
٣٠٥٤	مناقشه أسطوره النهروالى
٣٠٥٨	و جاء فران
٣٠٥٩	مناقشه فران
٣٠٦٠	دليل من التاريخ
٣٠٦١	تبعيتنا للمستشرقين
٣٠٦٢	الدكتور أنور عبد العليم
٣٠٦٥	أهدافهم
٣٠٦٧	و أهدافنا
٣٠٦٨	النصب التذكارى
٣٠٦٩	السيد أحمد الصافي النجفي
٣٠٦٩	اشاره
٣٠٧٠	شعره
٣٠٧٦	أحمد بن عبد الله أبو العلاء المعري:
٣٠٧٦	اشاره
٣٠٧٦	١ - مقدمه:
٣٠٧٩	٢ - الكوميديا و إشاراتنا الإسلاميه
٣٠٧٩	٣ - مخطوطه المعراج الأندلسيه و ترجمه
٣٠٨٢	٤ - أبواب مخطوطه المعراج الأندلسيه
٣٠٨٨	٥ - بعض نقاط الالتقاء بينها
٣٠٩٤	أحمد بن يزيد القشيبى:
٣٠٩٧	ميرزا تقى خان، أو ميرزا محمد تقى خان، ابن مشهدى قربان الهازوى
٣١٠٢	تيمور لنك
٣١٠٢	اشاره
٣١٠٦	الملحق ٢
٣١٠٨	الملحق ٣
٣١٠٩	الملحق ٤
٣١١١	الملحق ٥
٣١١٢	الملحق ٦
٣١١٢	الملحق ٧
٣١١٤	الملحق ٨
٣١١٤	ميرزا جاني عزتي:
٣١١٤	السيد جعفر الرضوى العاملى:
٣١١٥	الشيخ جعفر النقدي ابن الحاج محمد:

٣١١٩	السيد جمال الدين بن السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن السيد الحسن بن
٣١٢١	السيد جواد بن السيد جمال الدين حسن بن السيد محمد باقر بن السيد
٣١٢١	حسن علي ميرزا شجاع السلطنة ابن فتح علي شاه الفاجاري
٣١٢٩	الحاج حسين بن علي قصفه
٣١٣١	السيد حسين فخر الدين ابن السيد علي
٣١٣٤	الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي:
٣١٣٤	اشاره
٣١٤٤	٢ - نشاته - بين الشام و مصر
٣١٦٠	٣ - الثورة في الرمله
٣١٧٠	٤ - بعد الثورة
٣١٩٠	شخصيه الوزير المغربي
٣١٩٨	بعض مجالات اهتمامه
٣١٩٨	١ - شعره و نثره:
٣٢٠١	٢ - النقد الأدبي:
٣٢٠٢	٣ - إعجاز القرآن:
٣٢٠٤	٤ - تفسير القرآن:
٣٢٠٤	٥ - الطب:
٣٢٠٥	٦ - السياسة:
٣٢٠٨	ما تبقى من شعره
٣٢٤٦	رساله له في الرد علي من تحده
٣٢٦٠	فصل له من رقعته
٣٢٦١	و من فصل له يصف الموصل حين ودها
٣٢٦٢	و في فصل من رساله له
٣٢٦٢	فصل من رساله بعث بها إلى ذي السعادتين
٣٢٦٣	كتابه إلى رئيس اعتنق الإسلام
٣٢٦٥	رسالته إلى أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري و أخيه
٣٢٦٨	خطبه له بين يدي الحاكم
٣٢٦٩	رساله في السياسة
٣٢٦٩	باب
٣٢٧٤	باب
٣٢٧٥	باب
٣٢٧٨	نصوص من أدب الخواص
٣٢٨١	نصوص من كتابه
٣٢٨٦	تذييل
٣٢٩٠	الشيخ حميد السملوي ابن الشيخ أحمد.
٣٢٩٠	اشاره

٣٢٩٠	شعره
٣٣٢٠	خديجه سلطان خانم بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ محمد الملائكة ابن
٣٣٢٠	الدكتور داود العطار
٣٣٢١	السيد راحه حسين بن طاهر الحسنى الرضوى القمى البهيكجورى الهندى
٣٣٢٢	ربابه خانم بنت الشيخ محمد صالح ابن الشيخ الملا محمد الملائكة ابن الشيخ
٣٣٢٣	الشيخ رشيد بن الشيخ طالب البلاغى
٣٣٢٣	الشيخ سالار و يقال سالار تخفيفا ابن حبيش البغدادى.
٣٣٢٤	سيده بيگم فخر النساء الخراسانيه
٣٣٢٤	أبو النجيب شداد بن إبراهيم بن حسن
٣٣٢٨	السيد عز الدين شرف شاه بن محمد الحسينى الأقطسى النيسابورى المعروف
٣٣٢٨	الشيخ شريف البهشتى القزوينى.
٣٣٣٠	الشيخ شكر بن أحمد بن شكر البغدادى.
٣٣٣١	مير شمس الدين شاه جهان آبادى
٣٣٣٢	الشيخ الميرزا ضياء الدين بن الشيخ أسد الله بن عبد الله البروجردى.
٣٣٣٣	طالب الأملى المشتهر ب طالبا.
٣٣٣٤	السيد أبو منصور ظفر بن أبى الحسين محمد
٣٣٣٦	الشيخ أبو منصور ظفر بن حمدون البادرانى.
٣٣٣٦	الشيخ عباس بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسين بن الشيخ عباس بن
٣٣٣٧	الشيخ عباس بن الشيخ محمد على بن محمد البلاغى الحازرى.
٣٣٣٩	الميرزا عباس الايروانى
٣٣٤٥	عباس قلى آغا
٣٣٤٦	عباس ميرزا ملك آرا
٣٣٤٨	الشيخ أبو محمد عبد الباقي بن محمد بن عثمان الخطيب البصرى.
٣٣٤٩	الشيخ الأغا عبد الحسين بن الشيخ الأغا محمد باقر بن الشيخ محمد أكمل
٣٣٥٠	السيد عبد الحسين بن السيد محمد بن السيد عبد الحسين بن السيد أحمد بن
٣٣٥٠	عبد الرحمن الخازن أو الخازنى:
٣٣٥٣	السيد عبد الرحمن الكواكبي.
٣٣٥٩	عبد الرزاق اللاهيجى القمى
٣٣٥٩	أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن عبد الله البصرى
٣٣٥٩	اشاره
٣٣٥٩	أقوال العلماء فيه
٣٣٦٢	عبد العزيز الجواهرى ابن الشيخ عبد الحسين.
٣٣٧٦	السيد المير عبد الفتاح
٣٣٧٧	السيد عبد القاهر بن السيد كاظم بن السيد حسين بن السيد عبد القاهر بن
٣٣٧٧	السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن السيد الحسن بن السيد جعفر الرضوى
٣٣٧٩	الشيخ عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبى
٣٣٨٠	الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر

٣٣٨٠	اشاره
٣٣٨٠	أقوال العلماء فيه
٣٣٨٥	وجيه الدين عبد الله لسانی ابن محمد مشک فروش الشيرازي.
٣٣٨٥	الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ابن الشيخ حسين.
٣٣٨٥	اشاره
٣٣٨٦	أسرته
٣٣٨٦	شعره
٣٣٩٣	مؤلفاته
٣٣٩٤	عبد مناف أبو طالب بن عبد المطلب.
٣٣٩٨	الشيخ عبد المولى الطريحي ابن الشيخ عبد الرسول.
٣٣٩٨	اشاره
٣٣٩٩	آثاره المخطوطة و المطبوعه
٣٤٠٠	عبد الواحد بن أحمد بن محمد النقي الكوفي
٣٤٠٠	الشيخ عبد الوهاب البهشتي القزويني.
٣٤٠١	ملا عظيما النيسابوري ابن ملا قيدي
٣٤٠٢	على نقي كمره اي المشهور بنقي:
٣٤٠٣	الميرزا على أصغر خان:
٣٤١٠	الشريف المرتضى على بن الحسين.
٣٤١٠	اشاره
٣٤٢٠	الشاعر العالم
٣٤٢٢	مدفن المرتضى
٣٤٢٦	دار المرتضى
٣٤٢٦	الشيخ فضل الله نوري
٣٤٢٦	اشاره
٣٤٥١	مؤلفاته
٣٤٥١	بدايات النظم الحديثه
٣٤٥٢	عوامل مساعده
٣٤٥٤	بدايه الحركه
٣٤٥٥	تفانم الحركه
٣٤٥٦	التجاء في كربلاء
٣٤٥٧	صياغه الدستور الايراني
٣٤٥٧	الشاه محمد علي
٣٤٥٩	الشقاق في العراق
٣٤٦١	عند إعلان الدستور العثماني
٣٤٦١	إنذار الخراساني إلى الشاه
٣٤٦٣	الوضع في كربلاء

٣٤٦٤	القوضى في إيران
٣٤٦٥	إعلان الجهاد على روسيا
٣٤٦٦	نظرة عامه
٣٤٦٦	فقير الله اللاهوري
٣٤٦٨	الشيخ قاسم حرج ابن الشيخ محمد
٣٤٧٠	الشيخ كاتب الطريحي ابن الشيخ راضي
٣٤٧١	كمال الدين سحايي الأسترآبادي
٣٤٧١	الشيخ لطف الله بن عطاء الله الخويزي
٣٤٧٣	الشيخ محسن الجواهري ابن الشيخ شريف
٣٤٧٥	محمد إبراهيم القزويني
٣٤٧٦	الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج عبد الله بن إسماعيل
٣٤٧٦	اشاره
٣٤٧٧	أقوال العلماء فيه
٣٤٧٩	خواجه محمد بن إسحاق البخاري
٣٤٧٩	الشيخ فخر الدين محمد بن الشيخ الملا أسد الله بن عبد الله البروجردي
٣٤٨٠	مير محمد أفضل الله آبادي
٣٤٨٠	الشيخ أبو الفضل محمد بن الحسين الكاتب البيهقي
٣٤٨٢	الشيخ محمد كاظم بن الشيخ محمد شفيع الهزارجربسي الأسترآبادي
٣٤٨٣	السيد النقيب تاج الشرف محمد بن محمد بن أبي الغنائم المعروف بابن
٣٤٨٣	السيد النقيب أبو طالب محمد بن محمد بن أبي زيد الحسن الحسني البصري
٣٤٨٤	الشيخ محمد باقر الهجري
٣٤٨٩	محمد حسن شهریار
٣٤٩٠	الشيخ محمد حسن بن الشيخ ملا صفر علي البارفروشي اللاهيجاني القزويني
٣٤٩١	الشيخ الميرزا محمد حسن بن محمد ولي بيك الاقشار البكشلولي الأرومي
٣٤٩١	محمد رضا ابن الخواجه ظهير الدين عبد الله الأصفهاني
٣٤٩٢	محمد بن هاني الأندلسي
٣٤٩٢	اشاره
٣٤٩٨	خروجه من الأندلس - في عهد من و كم كان عمره
٣٥٠٣	موت ابن هاني
٣٥٠٣	شعر ابن هاني و الحياه الاجتماعيه
٣٥٠٦	المدح
٣٥٠٧	الشاعر و ابنا علي بن حمدون
٣٥١٣	الشاعر و المعز لدين الله
٣٥١٥	الهجاء
٣٥١٩	الرناء
٣٥٢٢	الحكمه
٣٥٢٥	الوصف

٣٥٣١	مير عماد الدين محمود بن مير رحمه الله الحسيني الأسدأبادي الهمداني
٣٥٣٢	الأمير فخر الدين محمود ابن الأمير يمين الدين الطغراني المستوفي
٣٥٣٤	المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمر الثقفي
٣٥٣٤	اشاره
٣٥٤٨	هدم دور من شرك في
٣٥٤٨	قتل الذين رضوا جسد
٣٥٤٨	قتل عمرو بن الحجاج
٣٥٤٩	قتل خولي بن يزيد الذي جاء
٣٥٤٩	قتل حكيم بن الطفيل
٣٥٤٩	قتل مالك بن النسر
٣٥٥٠	قتل شمر لعنه الله
٣٥٥١	قتل حرمله بن كاهل
٣٥٥١	قتل الذين نهبوا الوريث من
٣٥٥١	قتل جماعه آخرين ممن شرك
٣٥٥١	قتل من اشترك في قتل
٣٥٥٢	قتل عمر بن سعد
٣٥٥٤	ما جرى لمره بن منقذ قاتل
٣٥٥٤	قتل زيد بن رقاد قاتل
٣٥٥٤	قتل بجدل بن سليم الكلبي الذي
٣٥٥٤	قتل الذين أكلوا من لحوم
٣٥٥٥	قتل عمرو
٣٥٥٥	قتل قيس بن الأشعث بن قيس الذي
٣٥٥٥	قتل سنان بن أنس النخعي
٣٥٥٥	ذكر الذين هربوا من المختار فهدم
٣٥٥٧	قتل عبيد الله بن زياد
٣٥٦٤	نهايه المختار
٣٥٦٩	نادر شاه الافشاري
٣٥٦٩	اشاره
٣٥٧٥	عند حاكم مشهد
٣٥٧٧	حرب الملك محمود
٣٥٧٨	الاتصال بالشاه طهماسب
٣٥٧٨	اتكسار محمود و احتلال مشهد
٣٥٧٨	تغير طهماسب
٣٥٨٠	ثورات و فتن
٣٥٨١	محاربه الأفغان
٣٥٨٣	احتلال هرات

٣٥٨٤	تحرير أصفهان
٣٥٨٧	تحرير شیراز
٣٥٨٧	مقتل أشرف و نهایه الأفغانه
٣٥٨٩	معاوده غزو هرات
٣٥٩٠	احتلال قندهار
٣٥٩٢	غزو الهند
٣٥٩٣	الصلح
٣٥٩٥	دخول دهلی
٣٥٩٥	فتنه رهييه
٣٥٩٨	معاوده الصلح
٣٥٩٩	عوده نادر إلى إيران
٣٦٠١	غزو تركستان
٣٦٠٢	غزو خوارزم
٣٦٠٢	العوده إلى خراسان
٣٦٠٤	حرب نادر و العثمانيين
٣٦٠٥	خلع الشاه طهماسب
٣٦٠٨	استئناف محاربه العثمانيين
٣٦٠٩	إعاده الكره على العثمانيين
٣٦١٠	غزو داغستان
٣٦١٢	محاولة اغتيال نادر
٣٦١٢	متابعه الحمله على داغستان
٣٦١٢	رجوع نادر من داغستان
٣٦١٣	استئناف محاربه العثمانيين
٣٦١٣	معاوده الصلح
٣٦١٥	عوده إلى الحرب
٣٦١٥	عوامل سلبيه
٣٦١٦	تتويج نادر
٣٦١٨	المؤتمر السنی الشيعی
٣٦١٩	فاجعه ولی العهد
٣٦٢١	مقتل نادر
٣٦٢٨	وقائع و عبر
٣٦٣٠	قبر نادر شاه
٣٦٣٠	نقش خاتمه
٣٦٣٠	بعض خصائصه و تطلعاته
٣٦٣١	شهادات
٣٦٣٦	القاضي ناصر الدين ناصر بن أبي جعفر الامامی الديلمی الأصل القزوينی
٣٦٣٧	نرکس بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملائکه ابن الشيخ محمد

٣٦٢٧ ميرزا نظام الدين ابن مير أمين الدين حسين دستغيب الشيرازى.
٣٦٣٩ هشام بن الحكم.
٣٦٣٩ اشاره
٣٦٤٣ ٢ - مصطلح هشام فى كلمه "جسم" !
٣٦٥١ ٣ - أصل هذه المقوله.
٣٦٥٨ ٤ - دليل هشام على اختيار
٣٦٦١ ٥ - المقوله لا تدل على التجسيم
٣٦٦٩ ٦ - مواقف الكلاميين من المقوله:
٣٦٧٢ ٧ - موقف الشيعة من المقوله:
٣٧٠٧ الحاج وداى العطيه.
٣٧٠٩ أبو محمد يحيى بن أبى الحسين محمود الذى ادعى الخلافه فى نيسابور
٣٧١٠ المكثوف ابن الحسن الأقطس ابن على الأصغر ابن الامام زين العابدين بن
٣٧١١ السيد عماد الدين يحيى بن السيد ركن الدين أبى منصور هبه الله بن أبى
٣٧١٣ الشيخ أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقى.
٣٧١٣ تنبيه إلى خطأ فى المجلد الثالث
٣٧١٥ ملحق بالمستدركات
٣٧١٥ صلاح الدين الأيوبي
٣٧١٧ الذكريات
٣٧١٩ الذكريات
٣٧١٩ اشاره
٣٧١٩ فى مدرسه القرية
٣٧٢٠ إلى القنيطره قديمشق
٣٧٢٢ فى دمشق
٣٧٢٥ اليوم كالأمس
٣٧٢٨ العاصفه
٣٧٢٨ نص الإنذار
٣٧٣٦ جماهير الحرب
٣٧٣٦ بعد معركة ميسلون
٣٧٣٨ فى المدرسه العلويه
٣٧٤٠ مصر و السودان
٣٧٤١ الخطاب المرتجل
٣٧٤٣ دمشق يوم ذاك
٣٧٤٣ أزياء، مقاه و فرنسيون
٣٧٤٤ من تقاليد دمشق
٣٧٤٧ فى أزقه دمشق
٣٧٤٩ العراضات

٣٧٥٠	السيران
٣٧٥٢	سيران الربوه
٣٧٥٣	تقاليد السيران
٣٧٥٥	الشارع و اليهود
٣٧٥٦	بعد الاحتلال
٣٧٦٠	اليوم كالأمس
٣٧٦٣	الهمود
٣٧٦٤	الصبحه الأولى
٣٧٦٥	أول مقال
٣٧٦٥	ذكرى الثامن من آذار
٣٧٦٧	الاتحاد السوري
٣٧٦٨	مع الجنرال وبنان
٣٧٧١	متابعه الحركه الوطنيه
٣٧٧١	أول احتفال بذكرى ميسلون
٣٧٧٣	أول مظاهره
٣٧٧٥	قراءات
٣٧٨٢	الاصطياف في جبل عامل
٣٧٨٢	مفوض سام جديد
٣٧٨٣	إلى جبل عامل
٣٧٨٧	شقرا
٣٧٨٨	الثوره
٣٧٩٤	كيف ثارت الثوره
٣٧٩٧	مفوض سام جديد
٣٧٩٧	موقف مجلس لبنان من الثوره
٣٧٩٩	الحليشه
٣٨٠٠	الحصيده
٣٨٠٠	الرجيده
٣٨٠٣	البيادر
٣٨٠٥	الكروم و السحارى
٣٨٠٦	عوده القطيع
٣٨٠٨	المعزى و الغنم
٣٨٠٩	الصيف في القرية
٣٨٠٩	الماء
٣٨١١	العيون منتزهات القرية
٣٨١٤	الشتاء في القرية
٣٨١٨	ليالي الشتاء
٣٨٢٠	دروس النحو

٣٨٢٣	الإعلان في القرية
٣٨٢٤	طبقات القرية
٣٨٢٤	العرس في القرية
٣٨٢٧	المطاحن
٣٨٢٩	البرغل
٣٨٣١	بنات أوى الواويه
٣٨٣٣	سياق الخيل
٣٨٣٤	الحركه الوطنيه
٣٨٣٥	في النباطيه
٣٨٤١	السيد طعان خليل
٣٨٤٢	البقاء في شقرا
٣٨٤٤	التردد في قبول الوظيفه
٣٨٤٤	في النباطيه
٣٨٤٦	الجهر بعد الإخفات
٣٨٤٨	بصيص من النور
٣٨٤٩	دراسه ثانويه
٣٨٥٠	دروس الجبر
٣٨٥١	اللغه الفرنسيه
٣٨٥٥	رفيقي يقض على
٣٨٥٧	في الدراسه الثانويه
٣٨٥٧	دخول الجامعه
٣٨٦٠	يوم الانتخاب في دمشق
٣٨٦٣	نتائج الانتخابات
٣٨٦٤	انتخابات جديده
٣٨٦٧	يوم المعاهده
٣٨٧٠	ثوره حمرا
٣٨٧٠	مع دى مارتيل
٣٨٧٢	زياره أحمد رامي
٣٨٧٣	وداع الدروس
٣٨٧٥	أول المعارك الوطنيه
٣٨٨٤	مره أخرى مع عبد اللطيف الأسعد
٣٨٨٥	في العراق
٣٨٨٧	في الحله
٣٨٩٢	موت الملك غازي
٣٨٩٤	تعيين الوصي
٣٨٩٩	استطرد لا بد منه

٣٩٠٩	بعض الحقائق
٣٩١٠	الجيش العراقي المظلوم
٣٩١٣	في دار المعلمين الريفية
٣٩١٧	مدرسه الفقراء
٣٩٢١	المفتش
٣٩٢٢	من أيام دار المعلمين
٣٩٢٣	في القضاء
٣٩٢٥	دعاوى طريفه
٣٩٢٨	شهود الزور
٣٩٣٠	بيوع الأرض
٣٩٣٢	خلافتات القرى
٣٩٣٣	مبدأ وطني
٣٩٣٣	من الأحكام
٣٩٣٦	في طريق الاستقاله
٣٩٤٢	إلى مصر
٣٩٤٧	إلى العراق مره ثانيه
٣٩٤٧	من ذكريات معهد الملكه عاليه
٣٩٥٥	آخر الذكريات
٣٩٥٦	وداع العراق نثرا
٣٩٥٩	وداع العراق شعرا
٣٩٦٠	نخيل العراق
٣٩٦٢	أعذب أيام حياتي
٣٩٦٥	البحث و التأليف
٣٩٦٥	الانصراف الانصراف إلى البحث و التأليف
٣٩٦٦	دائره المعارف
٣٩٦٨	بشاره الخورى في مذكراته
٣٩٧٠	سياسات لبنانيه
٣٩٧٤	أحمد الأسعد و عادل عسيران
٣٩٧٧	ندوات أدبيه في شقرا
٣٩٧٩	في المؤتمرات العلميه
٣٩٩٠	مع الناشرين
٣٩٩١	قصائد منوعه
٣٩٩١	أشواق
٣٩٩٣	بعقوبه
٣٩٩٤	ذكريات شعريه
٣٩٩٦	على عباب البحر الأبيض المتوسط
٣٩٩٨	على السين

٣٩٩٨	ليله سهاد
٣٩٩٩	إلى جدت والدى
٣٩٩٩	مواجس بارانا Parana
٤٠٠٢	إلى نيليدا شراره
٤٠٠٣	وحده
٤٠٠٤	رعشات
٤٠٠٦	الصعارى
٤٠٠٧	الحنين إلى الرويس
٤٠٠٨	حنين
٤٠٠٩	صخره
٤٠١٠	أشواق
٤٠١٠	يوم جلا الفرنسيون عن لبنان و نحن في بغداد
٤٠١٢	وفاء
٤٠١٣	حماسه و أمل و استنجد
٤٠١٦	ربيع السيوف
٤٠١٧	آمال
٤٠١٨	حديث الرزايا
٤٠٢٠	مناجاه حيفا بعد استسلامها
٤٠٢١	يا نخل دجله و الفرات
٤٠٢٣	حماسه و رثاء
٤٠٢٥	شاكبه
٤٠٢٦	عودى
٤٠٢٦	غضب و رضا
٤٠٢٦	الخامس من حزيران
٤٠٢٧	ايلات
٤٠٢٨	عزاء
٤٠٣٠	صامته
٤٠٣٠	من الذكريات
٤٠٣٠	أشاره
٤٠٣٠	"ن نحاور"
٤٠٣١	لا سلم
٤٠٣١	مؤتمرات القمه
٤٠٣٧	المجلد ٥
٤٠٣٧	اشاره
٤٠٣٧	اشاره
٤٠٤٠	هويه الكتاب

٤٠٤١	مقدمه المؤلف
٤٠٤٣	أخوند مالك
٤٠٤٣	السيد آغا
٤٠٤٣	السيد آقا حسن
٤٠٤٣	آقا محمد قاجار
٤٠٤٣	اشاره
٤٠٤٦	مساعي "آغا محمد خان"
٤٠٤٨	حروب أخرى
٤٠٤٨	غزو القفقاس
٤٠٤٩	تتويج "آقا محمد خان"
٤٠٥١	انقراض ملك الأفشاريين
٤٠٥١	الغزو الثاني للكرج
٤٠٥٢	مقتل "آغا محمد خان"
٤٠٥٤	آقا محمد قاجار
٤٠٥٤	مولد "آقا محمد خان"
٤٠٦٠	آقا محمد خان قاجار
٤٠٦١	حرب الملوك
٤٠٦٣	مقتل محمد حسن خان قاجار
٤٠٦٤	تمرد آقا محمد خان
٤٠٦٤	اعتقال آقا محمد خان
٤٠٦٤	خضاء آقا محمد خان
٤٠٦٦	آقا محمد خان في طهران
٤٠٦٨	آقا محمد خان في شبيراز
٤٠٧١	السفر إلى أسترآباد
٤٠٧٣	تمرد حاكم أسترآباد
٤٠٧٤	تمرد حسين قلى خان
٤٠٧٦	اعتصام آقا محمد خان
٤٠٧٧	مقتل حسين قلى خان قاجار
٤٠٧٨	فرار آقا محمد خان
٤٠٨١	السفر إلى مازندران
٤٠٨٣	تهزام انهزام على مراد خان زند
٤٠٨٤	تمرد ذو الفقار خان أفشار
٤٠٨٦	تمرد رضا خان قاجار
٤٠٩٣	تملك آقا محمد خان
٤٠٩٣	تمرد أمير جونه خان
٤٠٩٥	عنايه آقا محمد خان بالزراعه
٤٠٩٥	وضع الزنديين

٤٠٩٨	هجوم على مراد خان زند على شيراز
٤٠٩٩	محاصرة آقا محمد خان لطيهران
٤١٠١	ثوره بسبب اللحي
٤١٠٣	اختلاف الاخوه
٤١٠٣	مهاجمه الزنديين لأستراباد
٤١٠٤	فرار الشيخ ويس خان زند و إعماءه
٤١٠٧	مصير أخوى آقا محمد خان
٤١٠٩	محاصرة طيهران ثاني مره
٤١١٠	محاصرة قم و ثوره القميين
٤١١٣	فتح طيهران
٤١١٤	معركه نصرآباد
٤١١٥	العاصمه طيهران
٤١١٧	آقا محمد خان و الحكام
٤١١٨	مواصله الحرب
٤١٢٤	الترياق دواء الكوليرا
٤١٢٤	تغير جعفر قلى خان قاجار
٤١٢٤	الأمير الزندى الشجاع الوسيم
٤١٢٨	ثوره مصطفى قلى خان قاجار
٤١٢٨	معاوده فتح طيهران
٤١٢٩	مقتل جعفر خان زند
٤١٣٠	إعماء مصطفى قلى خان
٤١٣١	معاوده غزو فارس
٤١٣٥	تراجع آخر
٤١٣٧	تذهيب مقام على ع
٤١٣٧	نصب ولى العهد
٤١٣٧	مقتل جعفر قلى خان قاجار
٤١٤٠	فى أذربيجان
٤١٤٢	مؤامره لقتل آقا محمد خان قاجار
٤١٤٢	زحف الخان الزندى إلى أصفهان
٤١٤٣	الخان الزندى بعد الهزيمه
٤١٤٧	معركه مرج إبرج
٤١٤٨	دخول آقا محمد خان إلى شيراز
٤١٥٠	مسير الخان الزندى إلى كرمان
٤١٥٠	فى المفازة الرهيبه
٤١٥١	محاربه تقى خان البيزى
٤١٥٣	معركه خرمن كوه

- ٤١٥٤----- السير إلى كرمان
- ٤١٥٦----- محاصرة كرمان و فتحها
- ٤١٥٩----- خروج الخان الزندی من كرمان
- ٤١٦١----- إباحه كرمان و إعماء الكرمانيين
- ٤١٦٢----- لطف على خان زند في " بيم "
- ٤١٦٣----- اعتقال لطف على خان زند
- ٤١٦٣----- آقا محمد خان يتجلبب بالعارا
- ٤١٦٥----- حرب "شوشى" في الفققاس
- ٤١٦٦----- نكبه تفلين
- ٤١٦٩----- تتويج آقا محمد خان قاجار
- ٤١٦٩----- السفر إلى مشهد
- ٤١٧٢----- تعذيب شاه رخ شاه
- ٤١٧٥----- العوده إلى آذربيجان
- ٤١٧٨----- فتح قلعه فناه آباد
- ٤١٧٨----- محاصرة شوشى
- ٤١٨٠----- مفاوضه آقا محمد خان
- ٤١٨٠----- فتح شوشى
- ٤١٨١----- حرب شيروان
- ٤١٨٣----- مقدمه قتل آقا محمد خان
- ٤١٨٦----- آخر ليله من حياه آقا محمد خان
- ٤١٨٨----- آمنه بيگم بنت الآغا محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني الحائري:
- ٤١٨٩----- آمنه الكبرى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب ع.
- ٤١٨٩----- آمنه الوسطى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع.
- ٤١٩١----- السيد إبراهيم بن السيد إسماعيل آل باليل الموسوى الدورقى
- ٤١٩١----- إبراهيم حسين باروى
- ٤١٩١----- إبراهيم خان أيوب
- ٤١٩٢----- إبراهيم فخرائى بن الحاج رضا
- ٤١٩٢----- السيد إبراهيم الموسوى التبريزى ابن السيد مهدي
- ٤١٩٤----- السيد ابن حسن جارجوى ابن السيد مهدي
- ٤١٩٤----- اشاره
- ٤١٩٤----- شيء من سيرته
- ٤١٩٥----- ابن حسن بن مير حسين رضا جايسى
- ٤١٩٥----- ابن يوسف الشيرازى
- ٤١٩٥----- أبو البقاء إبراهيم بن حسين بن إبراهيم البصرى:
- ٤١٩٧----- السيد كمال الدين أبو الحسن بن السيد بهاء الدين محمد بن السيد على الحسينى الأفضلى الزبارى البهبقي:
- ٤١٩٧----- أبو الحسن أبو صاحب بن محمد بن على شاه الكشميرى
- ٤١٩٨----- أبو الحسن تاناشاه

- ٤١٩٨ الشيخ أبو الحسن بن الحسين الباقفی الیزدی الحائری:
- ٤١٩٨ أبو الحسن ممتاز العلماء ابن دلدار علی
- ٤٢٠٠ الشيخ أبو الحسن الشعرانی ابن الشيخ محمد بن غلام حسین بن أبو الحسن الطهرانی
- ٤٢٠١ أبو الحسن الكشمیری
- ٤٢٠٢ السيد أبو الحسن الكشمیری ابن السيد نفی
- ٤٢٠٢ أبو الحسن میرن صاحب ابن المولوی نیاز حسن پرستی
- ٤٢٠٣ أبو العباس شهاب الدین أحمد بن عبد الملك العزازی
- ٤٢٠٤ الشيخ أبو عبد الله بن جلاب البغدادی:
- ٤٢٠٤ أبو علی الأمروهی
- ٤٢٠٤ أبو الفتح الجیلانی ابن عبد الرزاق
- ٤٢٠٥ أبو الفضل بن الشيخ مبارک بن الشيخ خضر الیمانی الأصل الهندی المسکن و المدفن
- ٤٢٠٦ أبو الفیض، و يقال: فیضی، و فیاضی
- ٤٢٠٦ أبو القاسم النجفی ابن عبد الحكیم
- ٤٢٠٦ السيد أبو المعالی
- ٤٢٠٦ میرزا أبو المعالی
- ٤٢٠٧ أحفاد الحسنین بن جواد علی
- ٤٢٠٧ أحسن الله
- ٤٢٠٨ آقا أحمد الیهیانی ابن محمد علی
- ٤٢٠٩ أحمد بن حسن بن سلیمان العاملی
- ٤٢٠٩ أحمد حسن کاظمینی ابن المولوی صفدر حسین
- ٤٢٠٩ أحمد حسین أمروهی
- ٤٢٠٩ أحمد حسین بن گدا بن کاظم حسین
- ٤٢١٠ أحمد حسین خان
- ٤٢١٠ أحمد بن حسین خوانی امانت خوانی
- ٤٢١٠ السيد أحمد الحسینی
- ٤٢١٢ الشيخ أحمد دیوبندی ابن وجیه الدین
- ٤٢١٢ أحمد راد
- ٤٢١٢ أحمد حسین زنگی بوری بن السيد أكرم حسین زنگی بوری
- ٤٢١٢ أحمد حسین سرسوی
- ٤٢١٢ أحمد حسین سند یلوی
- ٤٢١٣ الشيخ أحمد الشمروانی الیمنی بن محمد بن علی بن إبراهیم
- ٤٢١٣ السيد أحمد الشهرستانی ابن السيد علی أصغر
- ٤٢١٣ میرزا أحمد علی أمرتسری
- ٤٢١٥ أحمد علی سجادی فاخانی
- ٤٢١٥ السيد أحمد علی محمدآبادی بن عنایت حیدر بن السيد علی
- ٤٢١٥ المفتی أحمد علی ابن المفتی محمد عباس

- ٤٢١٦ أحمد بن عيسى الرادعي:
- ٤٢٢١ أحمد الناصر لدين الله العباسي
- ٤٢٤٥ أحمد ناصر الدين شاه قاجار:
- ٤٢٥٧ أحمد شاه القاجاري
- ٤٢٥٨ أحمد كبير سيد بن فتح حسين بن قربان علي
- ٤٢٥٩ أحمد بن ماجد
- ٤٢٦٠ أبو جعفر أحمد بن محمد المروروزي أو المرورزي
- ٤٢٦٠ اشاره
- ٤٢٦٢ التعليق:
- ٤٢٦٢ الشيخ أحمد المظهر الساوجي
- ٤٢٦٢ أحمد ملا الأعرج
- ٤٢٦٢ أحمد الشيخ مهذب الدين الحيدرابادي البصري ابن عبد الرضا أو رضا
- ٤٢٦٣ السيد أحمد هادي بن السيد محمد
- ٤٢٦٣ الشيخ أسد الله بن محمد صادق البروجردي النجفي الحائري:
- ٤٢٦٣ أسماء صحابه و راويه للحديث:
- ٤٢٦٣ ملا إسماعيل ذبيحي، أو ذبيح اليزدي:
- ٤٢٦٤ إسماعيل راين
- ٤٢٦٤ الشيخ الميرزا إسماعيل الصوفي الاصفهاني:
- ٤٢٦٤ أشرف علي بلگرامي
- ٤٢٦٤ السيد أصغر حسين زنگي بوري
- ٤٢٦٤ أصغر حسين بن السيد فخر الدين
- ٤٢٦٤ المولوي اعجاز حسن حاجي أمروهي ابن المولوي محمد
- ٤٢٦٤ أعظم علي بنگوروي
- ٤٢٦٧ السيد أكبر علي الحسيني
- ٤٢٦٧ أكبر مهدي سليم بن حيدر مهدي
- ٤٢٦٧ السيد أكرم علي بنارسي
- ٤٢٦٧ ألفت حسين
- ٤٢٦٧ أم أحمد بنت موسى زوجة الامام موسى بن جعفر ع و وصيته:
- ٤٢٦٩ أم برده و اسمها خوله مشهوره بكنيتها بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن حراث بن عامر بن عدى بن النجار الأنصاريه النجاريه.
- ٤٢٦٩ أم بكر:
- ٤٢٦٩ أم حبيب بنت ربيعه:
- ٤٢٦٩ أم حبيبه:
- ٤٢٦٩ أم حذيفه اليمان القطعي
- ٤٢٧٠ أم الحسن بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع:
- ٤٢٧٠ أم الحسن النخعيه:
- ٤٢٧٠ أم الحسين بنت السيد الحسن بن السيد علي بن السيد الحسن الحسيني المدني:
- ٤٢٧٢ أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر:

- ٤٢٧٢ أم كلثوم بنت الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع:
- ٤٢٧٢ أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع:
- ٤٢٧٢ السيد أمجد حسين الله آبادي بن منور علي -
- ٤٢٧٣ امداد إمام -
- ٤٢٧٣ السيد امداد حسين كاظمي بن عباس علي -
- ٤٢٧٥ الراجة امداد علي بن رحمان بخش -
- ٤٢٧٥ إنشاء الله خان -
- ٤٢٧٥ أنور حسين -
- ٤٢٧٥ أولاد حسين الأمروهي -
- ٤٢٧٦ أولاد حسين لكهنوي -
- ٤٢٧٦ أولاد حيدر -
- ٤٢٧٦ السيد أولاد حيدر البلكرامي الهندي:
- ٤٢٧٦ ايرج ميرزا:
- ٤٢٧٨ السيد باقر حسين -
- ٤٢٧٨ السيد باقر و يقال محمد باقر الشخص ابن علي -
- ٤٢٧٩ السيد باقر مهدي ابن السيد ظفر -
- ٤٢٧٩ بدر جهان بنت محمد جعفر العرب:
- ٤٢٧٩ بدر جهان بيگم بنت السيد محمد خان الصفوي:
- ٤٢٨٠ بليغه الشيرازيه:
- ٤٢٨٠ بنت حسام سالار:
- ٤٢٨٠ بنت الشيخ عزيز الله بن الشيخ محمد تقي المجلسي الأول ابن مقصود علي المجلسي الاصفهاني:
- ٤٢٨١ بنت عمر بن يزيد:
- ٤٢٨١ بهادر علي ميرزا حيدر آبادي بن محمد رضا -
- ٤٢٨١ السيد أكبر شاه بن السيد مختار -
- ٤٢٨١ السيد إقبال رضا بن السيد محمد -
- ٤٢٨٣ بي بي و يقال بيدلي الأنصاريه الهراتيه:
- ٤٢٨٣ بيجه الكرمانيه:
- ٤٢٨٤ تفضل حسين خان بن أسد الله -
- ٤٢٨٤ الشيخ توفيق البلاغي -
- ٤٢٨٧ الشيخ جابر بن الشيخ مهدي آل عبد الغفار:
- ٤٢٨٧ اشاره -
- ٤٢٨٧ شعره -
- ٤٢٩٤ بيگم جان خانم بنت السلطان فتح علي شاه القاجاري:
- ٤٢٩٦ جعفر حسن بدايوني بن علي حسين -
- ٤٢٩٦ السيد جعفر حسين شاه بن المولوي السيد مير جعفر -
- ٤٢٩٦ السيد جعفر رشتيان -

- ٤٢٩٧ السيد جعفر علي جارجوي ابن السيد أفضل علي
- ٤٢٩٧ جعفر بن فلاح الكتامي
- ٤٣١٤ السيد جلال الدين المحدث الأرموي
- ٤٣١٥ جلال هماني
- ٤٣١٥ السيد جواد المصطفوي
- ٤٣١٧ أبو الحسين جوهر بن عبد الله الصقلي
- ٤٣٢٠ حاجي آل محمد
- ٤٣٢٠ حبيب يغماني
- ٤٣٢١ حسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني
- ٤٣٢١ اشاره
- ٤٣٢٢ نشاته و مذهبه
- ٤٣٢٤ العمود الفكري لحياه الهمداني
- ٤٣٢٧ شهاده " فصيده الجار "
- ٤٣٢٩ أهم أسباب حبس الهمداني
- ٤٣٥٢ جواره لابن الضحاک في ريده
- ٤٣٥٣ إبراز صورته الحقيقيه
- ٤٣٥٤ إعادته النظر في كتبه
- ٤٣٥٤ مختارات من شعر الهمداني
- ٤٣٥٨ من أقوال العلماء فيه
- ٤٣٥٨ اشاره
- ٤٣٥٩ الهمداني و خط المسند
- ٤٣٦٦ كتابه الإكليل
- ٤٣٦٧ السيد حسن الامامي
- ٤٣٦٧ حسن علي الحاجي
- ٤٣٦٨ الدكتور السيد حسن السادات الناصري
- ٤٣٦٩ الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن أحمد آل عيخان الأحساني القاري
- ٤٣٧١ الحاج الميرزا حسن عظيم آبادي
- ٤٣٧٣ السيد حسن المعروف ب باخدا ابن السيد علي حسين
- ٤٣٧٣ الحسن بن علي الكلبي
- ٤٣٨٠ الشيخ أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان البخاري الأصل المروزي
- ٤٣٨٠ الحسن بن علي بن ورضند النحلي
- ٤٣٨١ حسن بن علي بن جابر الهيل
- ٤٣٨١ اشاره
- ٤٣٩٠ شعره
- ٤٤٠٦ حسن نراقي
- ٤٤٠٧ السيد ركن الدين الحسن بن محمد بن يحيى بن هبه الله بن أبي الحسن علي بن أبي جعفر محمد الحسيني الزبيري البيهقي
- ٤٤٠٧ أبو سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي

- ٤٤٠٩ حسن بن محمود الكاشاني الآدمي
- ٤٤٠٩ السيد حسن ميرخاني
- ٤٤١٠ الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم البصري
- ٤٤١٢ الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي الحاكم النيسابوري
- ٤٤١٢ حسين إسلاميان
- ٤٤١٢ السيد حسين بلگرامي الملقب عماد الملك
- ٤٤١٢ الدكتور حسين الحاتمي
- ٤٤١٣ الحسين بن الحكم بن مسلم الحريري، أبي عبد الله الكوفي
- ٤٤١٥ حسين الخالص الأصفهاني
- ٤٤١٥ السيد حسين بن نور الدين الجزائري
- ٤٤١٥ حسين خديو جم
- ٤٤١٦ ابن سينا الحسين بن عبد الله بن علي
- ٤٤٢٢ الشيخ جمال الدين الحسين بن علي البيهقي
- ٤٤٢٢ حسين علي رزم آرا بن محمد
- ٤٤٢٢ الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ الحسن بن الشيخ علي بن الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد آل حاجي البلادي البحراني القطيفي
- ٤٤٢٤ الشيخ حسين علي راشد
- ٤٤٢٤ باد شاه حسين بن فدا حسين
- ٤٤٢٤ كمال الدين حسين بن محمد ضميري
- ٤٤٢٥ الشيخ حسين مع ناصر
- ٤٤٢٧ القاضي كمال الدين مير حسين بن معين الدين الحسيني المييدي اليزدي
- ٤٤٢٨ السيد حشمت علي بن الحاج جماعت علي
- ٤٤٣٠ السيد حمايت حسين
- ٤٤٣٠ حمد الله الملقب بفضل الله خان بن الحكيم شكر الله بن الشيخ دانيال
- ٤٤٣٠ السيد جمال الدين حمزه بن أبي منصور ظفر بن محمد بن أبي علي أحمد بن أبي الحسن الزاهد الغازي پلاس پوش ابن محمد بن أبي منصور ظفر بن محمد بن أبي جعفر أحمد زياره الحسيني البيهقي
- ٤٤٣١ الحاج حيدر بن حبيب الله الموسوي النيشابوري الكنتوري
- ٤٤٣١ حيدر حسين نكتهت
- ٤٤٣١ حيدر خان چراغ برقي أو "بمبئي"
- ٤٤٣٦ حيدر علي سند يلوي بن حمد الله
- ٤٤٣٦ حيدر علي لكهنوي بن محمد علي
- ٤٤٣٧ حيدر يغمای نيشابوري
- ٤٤٣٧ خادم حسين فيض آبادي بن السيد عالم حسين
- ٤٤٣٧ السيد خاقان حسين بن مظفر حسين الرضوي
- ٤٤٣٧ خان بايامشار
- ٤٤٣٧ الخليل بن أحمد الفراهيدي
- ٤٤٤٥ السيد خورشيد حسن
- ٤٤٤٥ خير الدين اله آبادي

٤٤٤٥	میرزا داراب بیگ،
٤٤٤٥	الشیخ المیرزا داود بن الشیخ أسد الله بن عبد الله البروجردی.
٤٤٤٦	میرزا دبیر سلامت علی بن غلام حسین
٤٤٤٨	ذاکر حسین بهریلوی
٤٤٤٨	السید ذاکر حسین زیدی الباهوی ابن گوهر علی خان
٤٤٤٨	ذاکر علی جون پوری
٤٤٤٨	ذبیح الله المنصوری
٤٤٤٨	الشیخ ذو الفقار خان بن علی أكبر البسطامی.
٤٤٤٩	السید راحت حسین الرضوی بن محمد ابراهیم
٤٤٤٩	رتن سنگوه بن بالک رام بریلوی
٤٤٥٠	رستم حیدر
٤٤٩٣	رشید ترابی بن شرف حسین
٤٤٩٤	رضا شاه بهلوی، بن عباس قلی خان سوادکوهی المشهور بداداش بیگ
٤٤٩٤	اشاره
٤٤٩٦	معاهده سنه ١٩١٩ م
٤٥٠٠	وزاره "مشیر الدوله"
٤٥٠٨	وزاره "السیدار"
٤٥١٢	سیاسه بریطانیا فی ایران
٤٥١٤	المقابله التاريخیه
٤٥١٥	"رضا خان" قائد الانقلاب
٤٥١٧	التمهید للعمل العسکری
٤٥١٨	وزاره "السیدار" الثانيه
٤٥٢٠	الزحف إلى طهران
٤٥٢٤	احتلال طهران
٤٥٢٧	مطالب الانقلابیین من الشاه
٤٥٢٧	تدابیر الانقلابیین
٤٥٢٩	وزاره الطباطبائی
٤٥٣٥	إلغاء معاهده ١٩١٩ م رسمیا
٤٥٣٨	مخالفة "رضا خان" للطباطبائی
٤٥٤٤	تزعزع وزاره الطباطبائی
٤٥٤٥	مساعی الطباطبائی
٤٥٤٥	عزل الطباطبائی
٤٥٤٨	وزاره "قوام السلطنه"
٤٥٤٩	خبیئه السیاسه الإنکلیزیه
٤٥٤٩	نشاط رضا خان
٤٥٥٢	بعض الأحداث
٤٥٥٢	أیام العزاء الحسینی

٤٥٥٣	أحوال العصاه
٤٥٥٥	تعديل الوزارة
٤٥٥٥	نهاية "الميرزا كوشك خان"
٤٥٥٦	سيطره الحكم العسكري
٤٥٥٧	سفر الشاه إلى أوروبا
٤٥٥٨	استقاله الوزارة
٤٥٥٨	المطالبه برقع الحكم العسكري
٤٥٦٣	إبعاد المومسات عن العاصمه
٤٥٦٣	استقاله "مشير الدوله"
٤٥٦٦	وزاره قوام السلطنه
٤٥٦٨	هديه من العباس ع
٤٥٦٨	استقاله رضا خان
٤٥٧١	المصالحه
٤٥٧٢	استقاله قوام السلطنه
٤٥٧٢	وزاره مشير الدوله
٤٥٧٤	ذروه الصراع
٤٥٧٤	اعتقال قوام السلطنه
٤٥٧٧	نقى قوام السلطنه
٤٥٧٧	استقاله مشير الدوله
٤٥٧٧	إبعاد علماء العراق
٤٥٧٧	وزاره رضا خان
٤٥٧٨	سفر الشاه إلى أوروبا
٤٥٧٨	توسع سيطره رضا خان
٤٥٨١	محاولة انقلاب جمهورى
٤٥٨٨	بيان "رضا خان"
٤٥٨٨	عزل رضا خان
٤٥٨٩	تكليف رضا خان بتشكيل الوزارة
٤٥٩١	بعد الوزارة الثانيه
٤٥٩٤	هديه من النجف
٤٥٩٥	أول تمرد فى المجلس النيابى
٤٥٩٧	تمرد "الشيخ خزعل"
٤٥٩٨	موضوع عوده الشاه
٤٦٠١	خلع الأسره القاجاريه
٤٦٠٣	بلاغ "رضا خان"
٤٦٠٣	اعتراف الدول الأجنبييه
٤٦٠٣	تمليك رضا خان

٤٦٠٤	تتويج "رضا شاه"
٤٦٠٤	حكم رضا شاه بهلوى
٤٦٠٧	قتل السيد "حسن المدرس"
٤٦٠٩	ضرب الشيخ الباقي و سجنه
٤٦١٠	مقتل الشيخ "نور الله الاصفهاني"
٤٦١١	مقتل "محمد فرخي"
٤٦١٢	"سجن القصر"
٤٦١٢	قتلى آخرون
٤٦٢٠	مذبحة مشهد
٤٦٢٢	نوره رضا شاه بهلوى
٤٦٢٥	خلع "رضا شاه بهلوى"
٤٦٢٦	بعض الحوادث
٤٦٢٩	رياض بنارسي
٤٦٣١	زكى خان زند.
٤٦٣٢	زكيه بنت الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني.
٤٦٣٢	زهراء بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملايكة ابن الشيخ محمد تقى ابن الشيخ محمد جعفر ابن الشيخ محمد كاظم البرغانى القزوينى آل الصالحى.
٤٦٣٣	زوار على خان
٤٦٣٣	زوار حسين نوگانوى
٤٦٣٣	زين العابدين حيدرآبادى بن نثار حسين
٤٦٣٣	السيد زين العابدين الملتانى بن ممتاز على
٤٦٣٤	زينب بيگم عمه الشاه عباس الصفوى الأول
٤٦٣٦	زينب بيگم بنت الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني الأصفهاني
٤٦٣٧	السيد سبط الحسن الجائسى بن وارث حسين
٤٦٣٧	السيد سبط الحسن الهنسى بن فيض الحسن
٤٦٣٩	سبط الحسين الجائسى بن رمضان على
٤٦٣٩	السيد سبط النبي بن السيد بشير على
٤٦٣٩	السيد سجاد حسين الزيدى الجونبورى بن محمد حسن.
٤٦٤٠	سعادت حسين
٤٦٤٠	سعد الله سلونى
٤٦٤٠	السيد سعد صالح بن محمد صالح
٤٦٤٠	اشاره
٤٦٥٠	من مرآيه
٤٦٥٣	السيد سعيد الدين بن رفيع الدين غريب
٤٦٥٣	الشاه سلطان حسين الصفوى.
٤٦٥٩	سلمان الأتبارى بن حسين
٤٦٥٩	الشيخ سلمان الخاقانى ابن الشيخ عبد المحسن
٤٦٦٣	السيد سليمان الحسينى التنكاينى

- ٤٦٦٣ سليمان خان قاجار
- ٤٦٦٨ سليمان بن محمد رفيع بن المولى عبد المطلب التنكابني
- ٤٦٦٨ شاه رخ
- ٤٦٧٤ السيد شبر بن السيد إبراهيم آل باليل الموسوي الدورقي
- ٤٦٧٤ شبير حسين جوتبوري
- ٤٦٧٥ آغا شريف حسين شاه بهكري
- ٤٦٧٥ السيد شريف حسين بن السيد رجب علي
- ٤٦٧٥ السيد شريف الدين بهريلوي بن السيد امام علي السيزوري
- ٤٦٧٥ السيد شريف الدين بن الشهيد نور الله الشوستري
- ٤٦٧٧ السيد شقيق حسن ايليا
- ٤٦٧٧ شمس الدين سامي أفندي
- ٤٦٧٩ شمس الدين فقير
- ٤٦٧٩ صادق خان زند
- ٤٦٨٢ السيد صادق ابن السيد عبد الله الحسيني التنكابني
- ٤٦٨٢ صالح الجعفري ابن الشيخ عبد الكريم
- ٤٦٨٢ اشاره
- ٤٦٨٢ شعره
- ٤٦٩٥ صالح الطالبي بن الشيخ مهدي
- ٤٦٩٩ السيد صدر الدين فضل الله ابن السيد محمد أمين
- ٤٦٩٩ اشاره
- ٤٧٠٠ شعره
- ٤٧٠٨ صدر الدين محمد خان فائر
- ٤٧٠٩ صدر الدين محلاتي بن أبو الفضل
- ٤٧٠٩ السيد صفاء إسحاق الهمذاني
- ٤٧٠٩ السيد صفدر شاه الرضوي الكشميري بن محمد صالح
- ٤٧٠٩ صفدر علي الشيرازي بن حسن
- ٤٧٠٩ الشيخ صلاح الدين أوزگوندوز
- ٤٧١١ صفوان بن إدريس التجيبي
- ٤٧٢٢ السيد ضياء الحسن الموسوي بن نجم الحسن
- ٤٧٢٣ طاهر شاه الدكني
- ٤٧٢٤ طهماسب قلي جلدير
- ٤٧٢٥ ظفر مهدي جرولي
- ٤٧٢٦ ظفر مهدي گهر جانسي
- ٤٧٢٧ السيد ظهور حسين
- ٤٧٢٨ ظهور الله بن دليل الله الصديقي البدايني
- ٤٧٢٨ عابد حسين خواجه بن بخش حسين الأنصاري

٤٧٢٨	عاشق حسين
٤٧٣٠	عالم حسين
٤٧٣٠	السيد عباس الميرزا بن السيد أحمد الحسيني
٤٧٣٠	الحاج عباس الأفعالي الشيستري
٤٧٣١	عباس الخليلي ابن الشيخ أسد الله
٤٧٣٩	السيد عباس حسين قارى بن جعفر على
٤٧٣٩	عباس رياض كرماني
٤٧٣٩	الشيخ عباس القرشي ابن الشيخ محمد بن عبد على
٤٧٣٩	اشاره
٤٧٤١	شعره
٤٧٥٢	عباس ميرزا نائب السلطنه
٤٧٥٧	الشيخ عباس الهاتف القوجاني النجفي
٤٧٥٩	عباس يميني شريف
٤٧٥٩	عبد الله باقري
٤٧٥٩	عبد الله قطب شاه
٤٧٦٠	عبد الله بن العباس
٤٧٦٠	ميرزا عبد الله بن ميرزا على أكبر المجتهدى الرايى التبريزى
٤٧٦٠	عبد الله مير تبريزى بن شاه نعمه الله ولى
٤٧٦٠	الشيخ عبد الحسين بسام
٤٧٦٣	عبد الحسين عبد الله بن إسماعيل
٤٧٧٨	السيد عبد الحسين الكلبدار سادن الروضه الحسينيه
٤٧٨٠	السيد عبد الرحمن الكواكى
٤٧٩٤	عبد الحسين ميرزا بن الميرزا محمد عسكرى
٤٧٩٦	الدكتور عبد الرزاق محيى الدين ابن الشيخ أمان
٤٧٩٦	اشاره
٤٧٩٦	شعره
٤٨٠٧	السيد عبد الرزاق الحلو ابن على
٤٨٠٧	اشاره
٤٨٠٧	أسرته
٤٨٠٩	أحواله
٤٨١١	الشيخ عبد المحسن بن محمد آل نصر
٤٨١١	الميرزا عبد الوهاب خان الشيرازى
٤٨١٥	الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين البيهقي
٤٨١٥	السيد عدنان الغريفي ابن السيد شير ابن السيد على ابن السيد محمد المشكل ابن السيد على ابن السيد أحمد المقدس
٤٨١٥	اشاره
٤٨١٨	شعره
٤٨٣٠	السيد عديل اختر بن السيد مبارك أحمد بن منير فصيح أحمد

٤٨٣١	السيد عزيز بن السيد ركن الدين أبي منصور هبه الله بن أبي الحسن علي بن أبي جعفر محمد الحسيني الزبيري البيهقي
٤٨٣١	السيد عطا حسين بن غلام مرتضى زنگي
٤٨٣١	علاء الدوله الشوشتری
٤٨٣٢	الدكتور علي الأسدي
٤٨٣٢	السيد علوي بن السيد حسين بن السيد سليمان بن السيد حسين بن السيد عبد القاهر بن السيد حسين التوبلي البحراني آل سليمان
٤٨٣٣	الشریف المرتضى علي بن الحسين
٤٩٤٣	فخر الدين علي بن الحسن الزواری
٤٩٤٣	اشاره
٤٩٤٥	دراسته و مراتبه العلميه
٤٩٤٦	أساتذته و تلامذته
٤٩٤٧	مؤلفات علي بن الحسن الزواری
٤٩٤٧	النسخ الخطيه لتفسير الزواری
٤٩٥٤	علي حيدر بن علي أظهر
٤٩٥٥	الملا علي رضا الشيرازي
٤٩٥٥	علي قاسم خان بيك
٤٩٥٦	الشيخ علي رضا ريجان اليزدي
٤٩٥٦	السيد فخر الدين أبو القاسم علي بن أبي يعلى عز الدين زيد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن أبي جعفر أحمد زياره الحسيني النيسابوري
٤٩٥٧	المجلد ٦
٤٩٥٧	اشاره
٤٩٥٧	اشاره
٤٩٦١	الدكتور إبراهيم أنبي آيتي
٤٩٦١	إبراهيم بن جعفر بن لطف الله بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي
٤٩٦١	السيد إبراهيم الحائري بن راضي
٤٩٦١	السيد إبراهيم الإصطهباناتي الشيرازي بن ميرزا حسن
٤٩٦٢	السيد إبراهيم بن الحسين الحسيني البابلكاني المازندراني
٤٩٦٣	الميرزا إبراهيم الحسيني
٤٩٦٣	السيد إبراهيم بن سليمان الموسوي الحسيني
٤٩٦٣	الشيخ إبراهيم بن عبد الله الخطيب المازندراني
٤٩٦٣	الشيخ إبراهيم بن عبد الجليل الحائري
٤٩٦٣	الميرزا إبراهيم بن عبد المجيد الشيرازي الحائري
٤٩٦٤	الشيخ إبراهيم بن علي السكري الحلبي
٤٩٦٤	الشيخ إبراهيم بن علي نور الدين بن أحمد بن مفلح
٤٩٦٤	الشيخ إبراهيم بن علي بن مبارك البحراني
٤٩٦٤	الشيخ إبراهيم بن علي بن الحسن الطريحي
٤٩٦٤	الشيخ إبراهيم اللنكراني
٤٩٦٤	الملا إبراهيم المازندراني

- ٤٩٦٦ السيد إبراهيم بن محمد الحسيني
- ٤٩٦٦ الميرزا إبراهيم بن محمد سميع المعروف بأقا بالا بن عبد الله
- ٤٩٦٧ الشيخ إبراهيم بن محمد هادي السرخه ديزجي الزنجاني
- ٤٩٦٧ السيد إبراهيم الموسوي الدزفولي
- ٤٩٦٧ الشيخ إبراهيم الورك رودى القزويني
- ٤٩٦٩ الشيخ إبراهيم بن يحيى بن محمد بن نجم الدين بن الحسين
- ٤٩٦٩ السيد ابن حسن نونهروي بن السيد محمد جواد
- ٤٩٧٠ أبو البقاء التفريشي
- ٤٩٧٠ أبو تراب
- ٤٩٧٠ السيد أبو تراب بن أبي الحسن الحسيني الأزغدى
- ٤٩٧٠ السيد أبو تراب بن أبي القاسم الحسيني النطنزي
- ٤٩٧٠ السيد أبو تراب بن جعفر بن علاء الدين الحسيني الواعظ
- ٤٩٧٠ أبو تراب بن محمد بن محمد جعفر اللاهيجاني
- ٤٩٧١ أبو تراب بن محمد حسين القزويني
- ٤٩٧٢ أبو تراب المشهدى
- ٤٩٧٢ الميرزا أبو الحسن بن أحمد دستغيب الحسيني الشيرازي
- ٤٩٧٢ الميرزا أبو الحسن بن الحسين بن تقي الكلان محله اى
- ٤٩٧٢ الشيخ أبو الحسن الشيروانى
- ٤٩٧٣ أبو الحسن بن عبد الله بن إسماعيل الخلقى
- ٤٩٧٣ الميرزا أبو الحسن المشكى بن عبد الحسين
- ٤٩٧٣ الميرزا أبو الحسن الأنكجي التبريزى بن الميرزا محمد
- ٤٩٧٥ أبو الحسن بن محمد تقي حسام السلطنة بن فتح على شاه
- ٤٩٧٥ السيد أبو الحسن بن محمد الحسيني الشيروانى
- ٤٩٧٥ السيد أبو الحسن بن محمد صادق بن ميرابى الخير الرضوى
- ٤٩٧٥ الشيخ أبو الحسن بن محمد كاظم الجاجرمى
- ٤٩٧٦ السيد أبو الحسن بن محمد هادى القزوينى التنكابنى
- ٤٩٧٦ الميرزا أبو الحسن شريعتمدارى الرشتى بن الميرزا مهدى
- ٤٩٧٨ أبو الخير بن أحمد بن أصلان القزوينى
- ٤٩٧٨ السيد الميرزا أبو صالح بن ميرزا حسن بن الميرزا ألغ بن
- ٤٩٧٩ الملا أبو طالب
- ٤٩٧٩ أبو طالب بن أبى تراب
- ٤٩٧٩ السيد أبو طالب بن أبى تراب بن قريش بن أبى طالب بن
- ٤٩٨٠ السيد أبو طالب بن الحسين الحسينى
- ٤٩٨٠ أبو طالب بن غفور بن شرف على بن أحمد الجربادقانى
- ٤٩٨٠ السيد أبو الفتح بن محمد الحسينى الخوارسكانى
- ٤٩٨٠ الميرزا أبو الفضل بن أبى القاسم بن محمد على بن محمد
- ٤٩٨١ السيد أبو القاسم بن السيد مير إبراهيم بن السيد إسماعيل بن

- ٤٩٨١ الميرزا أبو القاسم بن الحسن الهزارجربى المازندراني.
- ٤٩٨١ أبو القاسم حالت
- ٤٩٨٣ السيد أبو القاسم بن جعفر بن علاء الدين الحسينى الواعظ
- ٤٩٨٣ السيد أبو القاسم الحسنى السمناني
- ٤٩٨٣ أبو القاسم الطالقاني
- ٤٩٨٣ الشيخ أبو القاسم الطالقاني المرحاني
- ٤٩٨٤ السيد أبو القاسم بن فتح الله بن يد الله الحسينى الحائرى
- ٤٩٨٤ السيد أبو القاسم بن على أصغر الكلبايكاني
- ٤٩٨٤ الميرزا أبو القاسم بن محمد رضا الكاشاني
- ٤٩٨٤ السيد أبو القاسم الدهكردى بن السيد محمد
- ٤٩٨٤ أبو القاسم بن محمد على الاصفى
- ٤٩٨٧ الشيخ أبو القاسم بن محمد على بن محمد باقر الكاشاني
- ٤٩٨٧ السيد أبو القاسم بن السيد المير محمود بن السيد المير
- ٤٩٨٨ السيد أبو القاسم الكاشاني بن السيد نظام الدين
- ٤٩٨٨ السيد أبو القاسم بن محمد مهدى بن محمد سعيد الموسوى
- ٤٩٨٨ السيد أبو القاسم بن مير محمد بن مير عيسى بن مير صدر
- ٤٩٨٩ السيد الميرزا أبو صالح
- ٤٩٨٩ الميرزا أبو الهدى الكلباسى بن محمد
- ٤٩٩١ الخواجه أحسن الله المعروف بظفر خان الأحسن بن الخواجه أبو
- ٤٩٩٢ الشيخ أحمد بن إبراهيم بن نعمه الله الأردكاني التيزدى
- ٤٩٩٤ الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن أبى جامع
- ٤٩٩٤ الشيخ أحمد بن إسماعيل بن عبد النبى بن سعد الجزائى
- ٤٩٩٤ أحمد التبريزى
- ٤٩٩٤ الميرزا أحمد بن جعفر الأمين الحسينى اللالابادى
- ٤٩٩٥ أحمد الجيلى، نظام الدين
- ٤٩٩٥ الشيخ أحمد الدندن بن حبيب بن خميس الأحساني الميرزى
- ٤٩٩٧ أحمد بن الحسن بن ناصر بن على بن سيف
- ٤٩٩٧ الشيخ أحمد بن الحسين بن أبى القاسم بن الحسين بن محمد
- ٤٩٩٨ الشيخ أحمد بن الحسن البيرجندى البيزى
- ٤٩٩٨ السيد أحمد التسترى المعروف بالسيد آقا بن السيد حسين
- ٤٩٩٩ أحمد بن الحسين الأصبهاني
- ٥٠٠٠ السيد أحمد بن سلطان على بن أحمد بن صادق بن أحمد بن
- ٥٠٠٠ السيد أحمد بن مير صدر الدين الحسينى المائينى
- ٥٠٠٠ الدكتور أحمد الظاهرى العراقى
- ٥٠٠١ الشيخ أحمد العاملى
- ٥٠٠٢ الشيخ أحمد بن عباس الهمداني

- ٥٠٠٢..... الشيخ أحمد بن عبد الله الربيعي الأحسائي
- ٥٠٠٢..... الشيخ أحمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن ناصر بن جعفر
- ٥٠٠٢..... الشيخ أحمد بن عبد المحمد البرنجاني
- ٥٠٠٢..... الشيخ أحمد بن عبد الواحد العبودي
- ٥٠٠٣..... الشيخ أحمد بن علي محمد
- ٥٠٠٣..... أحمد بن محمد إبراهيم الحسيني
- ٥٠٠٣..... الشيخ أحمد بن محمد بن الحسين بن الفقيه علي بن محمد بن
- ٥٠٠٣..... الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن سرحان البحراني
- ٥٠٠٣..... الشيخ أحمد بن محمد شمس الدين بن علي بن خاتون العيناوي
- ٥٠٠٣..... السيد أحمد بن محمد باقر بن عناية الله بن محمد بن زين العابدين
- ٥٠٠٤..... الشيخ أحمد بن محمد بن الحسن بن المصيرد البلدائي،
- ٥٠٠٤..... الميرزا أحمد بن محمد حسين القمي المنشي
- ٥٠٠٥..... أحمد بن محمد أمين القزويني
- ٥٠٠٥..... السيد أحمد الصفائي الخوانساري بن محمد رضا
- ٥٠٠٦..... أحمد السبعي بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن علي
- ٥٠٠٩..... الشيخ أحمد بن عبد الرضا مهذب الدين
- ٥٠١٠..... المولى أحمد بن عبد العظيم بن علي أكبر الكاشاني
- ٥٠١٠..... الشيخ أحمد بن ملا محمد بن حسين الزاجكاني القزويني
- ٥٠١١..... الحاج ميرزا أحمد الكفائي بن محمد كاظم
- ٥٠١١..... السيد أحمد علي بن السيد مير محمد عباس المفتي التستري
- ٥٠١٢..... أحمد بهمنيار بن محمد علي
- ٥٠١٤..... أحمد بن محمد مهدي الشريف الخاتون آبادي الأصبهاني
- ٥٠١٤..... أحمد بن محمود المتطبخ التولمي الجيلاني
- ٥٠١٤..... الشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد بن مصطفى بن أحمد
- ٥٠١٥..... الشيخ أحمد المطهري
- ٥٠١٥..... الميرزا أحمد بن معصوم بن علي أشرف الأنصاري
- ٥٠١٧..... الشيخ أسد الله بن عبد الله بن محمد جعفر بن محمد علي بن محمد
- ٥٠١٧..... الشيخ أسد الله بن محمد علي بن مهدي بن محمد مهدي بن أبي ذر
- ٥٠١٧..... أسد الله بن محمد كاظم بن رضا الطبري
- ٥٠١٧..... الشيخ أسد الله بن محمد إبراهيم القزويني
- ٥٠١٨..... الميرزا أسد الله بن و مهدي الكاشاني الكاشاني، شعري.
- ٥٠١٨..... أسد الله المنجم الظهراي
- ٥٠١٨..... إسماعيل بن إسحاق البروجردي الحائري
- ٥٠١٨..... الشيخ إسماعيل بن الحسين التائب التبريزي
- ٥٠٢٠..... الأمير إسماعيل الحسيني الخاتون آبادي الأصبهاني
- ٥٠٢٠..... الشاه إسماعيل الصفوي بن حيدر
- ٥٠٢٠..... اشاره

٥٠٢٢	خليفه الشيخ الزاهد
٥٠٢٢	مزار الشيخ الزاهد
٥٠٢٢	طريقه الشيخ صفى
٥٠٢٣	دور الخاقانه فى حفظ البلاد
٥٠٢٥	مقدمات ظهور الصفويين
٥٠٢٦	خليفه صفى الدين
٥٠٢٨	الشيخ إبراهيم:
٥٠٢٨	الشيخ جنيد:
٥٠٣٠	الشيخ حيدر:
٥٠٣٣	فتره الهجره
٥٠٣٥	بدايه الثوره و الفتوحات
٥٠٣٩	فتح شيروان
٥٠٤٣	الحرب من أجل العرش و التاج
٥٠٤٥	فتح تبريز
٥٠٤٧	فتح غرب إيران
٥٠٤٩	القضاء على الرستمديارين
٥٠٥٢	حوادث متفرقه
٥٠٥٣	الحرب مع علاء الدوله ذو القدر
٥٠٥٦	فتح بغداد
٥٠٥٩	فتح الحويه:
٥٠٦٠	نفوذ البرتغاليين فى الخليج
٥٠٦٥	الطعن بالأمير نجم
٥٠٦٧	احتلال بلاد شيروان
٥٠٦٩	فتح خراسان
٥٠٧٤	الحرب مع الأوزبك
٥٠٧٧	أوضاع هرات و خراسان
٥٠٧٩	تنظيم الأمور فى مازندران
٥٠٨٠	الأوضاع السياسيه فى إيران الصفويه
٥٠٨٧	توجه الشاه إسماعيل إلى خراسان
٥٠٨٩	نتف من أخيار القزلباش
٥٠٩١	بدايه الحروب العثمانيه - الإيرانيه
٥١٠٢	أحداث ما بعد الحرب
٥١٠٤	معارك ديار بكر و نشاطات
٥١٠٦	الشاه إسماعيل بعد معركة جالدران
٥١٠٦	أشاره
٥١٠٧	الصلح مع ملك شيروان:

- ٥١٠٩-----تمرد ملوك مازندران:
- ٥١١٠-----حملات الأوزبك على خراسان
- ٥١١١-----عام ٩٣٠ و موت الشاه إسماعيل
- ٥١١١-----السيد إسماعيل بن كاظم الحسيني التنكابني
- ٥١١٢-----الشيخ إسماعيل الأصفهاني بن الشيخ محمد باقر
- ٥١١٢-----الشيخ إسماعيل المعزى بن محمد حسن معز الدين
- ٥١١٢-----السيد إسماعيل بن محمد جعفر البيرجندی القائني الخراساني
- ٥١١٣-----الشيخ إسماعيل بن محمد بن علي الساري الأوالي
- ٥١١٣-----السيد إسماعيل الموسوي العظمي الخوانساري
- ٥١١٣-----السيد إسماعيل بن نجف الحسيني المرندى التبريزي
- ٥١١٣-----السيد امداد علي بن أحمد علي الحسيني الواسطي الهندي
- ٥١١٣-----أورنگ زيب بن محمد تقى بن فتح علي شاه القاجارى
- ٥١١٥-----الميرزا بابا الأردبيلي
- ٥١١٥-----ميرزا آقا بابا الأصبهاني، ثابت
- ٥١١٥-----آقا بابا الشيرازي
- ٥١١٥-----السيد باقر بن طاوس الحسيني النجفي
- ٥١١٥-----الشيخ باقر بن كاظم
- ٥١١٥-----الشيخ باقر بن الشيخ محمد كاظم الطهراني القزويني النجفي
- ٥١١٦-----بدر التمام بنت أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب
- ٥١١٨-----السيد بدر الدين بن أحمد بن إدريس الحسيني الأنصاري
- ٥١١٨-----بدر الدين الطبري
- ٥١١٩-----بريهه بنت جعفر الكذاب بن الامام علي الهادي ع
- ٥١١٩-----بريهه بنت أبي علي محمد بن أحمد بن موسى المبرقع
- ٥١١٩-----السيد بشر بن محمد المحمدي العلوي الصديقي الصادقي
- ٥١١٩-----بنت حسين علي خان الداغستاني اللكري
- ٥١٢١-----بنت الشاه طهماسب الصفوي
- ٥١٢١-----بهرام بن بهرام شمس الدين بن علي بن بهرام الأسترآبادي
- ٥١٢١-----بهرام فره وشي
- ٥١٢١-----بيبي بي بي سلطان خانم الخراسانية
- ٥١٢٢-----ثابت علي شاه
- ٥١٢٢-----جابر بن حيان
- ٥١٢٢-----اشاره
- ٥١٣٧-----عالم و منهجه
- ٥١٣٧-----إيمانه بالعلم:
- ٥١٣٩-----مصدر العلم:
- ٥١٤٠-----الأستاذ و التلميذ:
- ٥١٤٢-----تعريف الألفاظ:

٥١٤٣	رجل التجارب العلميه:
٥١٤٥	الاستنباط و الاستقراء:
٥١٤٨	الاستدلال عن طريق المجانسه:
٥١٤٩	الاستدلال المنينى المنينى على جرى العاده:
٥١٥٣	المنهج الرياضى فى البحث العلمى:
٥١٥٦	من أخلاق العلماء:
٥١٥٨	تصنيف العلوم
٥١٥٨	اشاره
٥١٦٢	تعريفات العلوم:
٥١٧٣	سر اللغة و سحرها
٥١٧٣	اللغه و العالم:
٥١٧٥	محاوره أقراطيلوس:
٥١٧٨	الحروف و طبائع الأشياء:
٥١٨٠	ميزان الحروف:
٥١٨٥	اختلاف اللغات:
٥١٨٩	فلسفه الكون
٥١٨٩	مراحل الكون:
٥١٩١	تقسيمات رباعيه:
٥١٩٣	الفلك و جرم الفلك:
٥٢٠٠	فعل البروج و الكواكب
٥٢٠٠	البروج و الكواكب:
٥٢٠٣	خواص النجوم و أفعالها:
٥٢٠٤	تفاعل البروج و الكواكب:
٥٢٠٦	طبائع البلدان:
٥٢٠٩	علم الكيمياء
٥٢٠٩	جابر العلم:
٥٢١٠	الوجود بالقوه و الوجود بالفعل:
٥٢١٣	الإكسير:
٥٢١٩	الخواص و الموازين:
٥٢٣٠	تكوين الحيوان:
٥٢٣٢	جدل الفيلسوف
٥٢٣٢	الفلسفه و قواعدها:
٥٢٣٣	الوجود واحد مطلق:
٥٢٤٧	القديم و المحدث:
٥٢٤٩	بين العلم و الخرافه
٥٢٤٩	فعل الطلاسم:

٥٢٥٣	طبيب البحر:
٥٢٥٥	ابتهاال العلماء:
٥٢٥٧	الميرزا جعفر بن أحمد الأنصاري الفراه داغى.
٥٢٥٧	الشيخ جعفر بن أحمد بن الحسن المكى.
٥٢٥٧	جعفر بن إمام الدين الطهرانى.
٥٢٥٧	الشيخ جعفر بن عباس الكلبيكانى.
٥٢٥٨	جعفر الفراهى
٥٢٥٨	الشيخ جعفر بن الشيخ الميرزا على رضا بن الميرزا محمد
٥٢٦٠	الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى الأوالى.
٥٢٦٠	السيد جعفر بحر العلوم بن باقر.
٥٢٦١	أقا جعفر اللاهيجانى الجيلانى
٥٢٦١	جلال الدين همائى بن الميرزا أبو القاسم محمد نصير
٥٢٦٣	السيد جمال الدين الحسينى المحدث
٥٢٦٣	الشيخ جمال الدين بن محمد حسن بن محمد جعفر الثانى
٥٢٦٣	السيد جلال الدين بن على بن الحسن الحسينى الحائرى.
٥٢٦٣	السيد جليل بن عباس الموسوى الحسينى الطارمى
٥٢٦٤	السيد جواد بن على رضا الحسينى الرضى القمى الطاهرى
٥٢٦٤	الشيخ جواد الشاه عبد العظيمنى بن مهدى
٥٢٦٤	جبار باعجيريان جبار باغجه بان
٥٢٦٤	الميرزا حاتم بن نظام الملك النظام الملكى.
٥٢٦٤	حبيب الله حسن على الأصبهانى.
٥٢٦٤	الشيخ حبيب الله بن زين العابدين القمى الزىوانى.
٥٢٦٧	الشيخ حبيب الله بن محمد حسين حكيم باشى.
٥٢٦٧	الشيخ حسام الدين بن درويش على الحللى النجفى
٥٢٦٧	الميرزا حسن بن إبراهيم الأصبهانى.
٥٢٦٩	الشيخ ميرزا حسن النورى بن الشيخ إبراهيم.
٥٢٦٩	الشيخ حسن بن أحمد بن محمد بن على بن سنيغه العاملى.
٥٢٦٩	حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن فضل
٥٢٧٠	السيد حسن الميرجهانى الطباطبائى.
٥٢٧١	حسن التسليم الأصبهانى، صدر الأفاضل
٥٢٧١	الشيخ حسن التنكائى
٥٢٧١	الحسن بن الحداد العاملى
٥٢٧١	الحسن بن الحسين بن على الشيدى
٥٢٧١	الحسن بن الحسين
٥٢٧١	السيد حسن بن حمزه بن محسن الحسينى الموسوى النجفى
٥٢٧١	الشيخ حسن الخطيب القارى السيزوارى
٥٢٧٢	حسن الحسينى الأملى، نظام الدين

- ٥٢٧٢ الشيخ حسن بن داود الأسترآبادى
- ٥٢٧٢ الشيخ حسن بن سليمان العاملى
- ٥٢٧٤ الشيخ حسن اللنكرانى بن مشكور
- ٥٢٧٤ الحافظ حسن بن شجاع بن محمد بن الحسن التونى
- ٥٢٧٤ الشيخ حسن على الأصفهانى بن الأخوند ملا على أكبر
- ٥٢٧٥ الشيخ حسن على بن محمد بن محمد الشريف الشيروانى
- ٥٢٧٥ السيد حسن محمد الموسوى الكاشانى
- ٥٢٧٥ الشيخ حسن بن مرتضى نظام الدين بن جواد بن هادى
- ٥٢٧٧ الميرزا حسن بن عبد الله بن محمد باقر بن محمد على النورى
- ٥٢٧٧ الشيخ حسن بن عبد الله الكرمانى الكوهينانى
- ٥٢٧٧ الميرزا حسن بن عبد الله النورى
- ٥٢٧٧ الشيخ حسن عبد الهدى المراغه إى
- ٥٢٧٧ الشيخ حسن بن على بن رمضان البحرانى الكرمانى جمال الدين
- ٥٢٧٧ السيد حسن بن على محمد الحسينى الرودىبارى القزوينى
- ٥٢٧٨ الميرزا حسن بن فرج الله بن ملا حسن البيزدى
- ٥٢٧٨ السيد حسن بن محمد الطباطبائى، نياز
- ٥٢٧٨ الشيخ حسن العلامى بن محمد صادق الأصفهانى
- ٥٢٨٠ السيد حسن بن ولى الله بن هدايه الله القائنى
- ٥٢٨٠ الحسين بن أبى القاسم بن الحسين بن محمد العودى الأسدى
- ٥٢٨٠ الشيخ حسين بن أبى القاسم النيسابورى
- ٥٢٨٠ الشيخ حسين بن أحمد التوشى المازندرانى
- ٥٢٨٠ الحسين بن أردشير بن محمد بن الحسن الأندراؤذى الأندرادى الطبرى
- ٥٢٨١ حسين بيدار التبريزى
- ٥٢٨١ السيد حسين بن جعفر الحسينى البیدگلى
- ٥٢٨١ الشيخ حسين بن الحسن المشغرى العاملى الشامى
- ٥٢٨٣ السيد حسين بن الحسن الحسينى الأردبيلى
- ٥٢٨٣ الشيخ حسين بن حسن الجيلانى
- ٥٢٨٣ حسين بن حسين بن حسن الأصفهانى، جلال الدين القارى
- ٥٢٨٣ السيد حسين الحسينى القزوينى
- ٥٢٨٤ السيد حسين بن دلدار على بن محمد معين الرضى النقوى
- ٥٢٨٤ السيد حسين بن رضا الحسينى الأصفهانى
- ٥٢٨٤ السيد حسين بن محسن الموسوى الزنجانى
- ٥٢٨٦ حسين بن محمد شمس الدين بن على الطيسى
- ٥٢٨٦ الشيخ حسين بن محمد بن عبد النبى بن سليمان بن أحمد
- ٥٢٨٦ السيد حسين بن محمد الزيدى الحسنى
- ٥٢٨٦ حسين بن محمد على المستوفى الأنصارى الأصفهانى

٥٢٨٧	الميرزا حسين بن محمود الطبيب الأهري.
٥٢٨٧	الميرزا حسين بن هادي بن أبي القاسم التبريزي
٥٢٨٧	ابن سينا الحسين بن عبد الله
٥٢٨٧	اشاره
٥٢٨٩	القانون في الطب
٥٢٩٠	مفهوم الرياضة
٥٢٩١	أنواع الرياضة
٥٢٩٢	شروط ممارسه الرياضة
٥٢٩٣	التمرين و العلاج الطبيعي
٥٢٩٣	التدليك الصحي و الرياضي
٥٢٩٤	الحمامات الصحيه
٥٢٩٥	الغذاء و تدبير المأكول
٥٢٩٥	التعب العضلي و علاجه
٥٢٩٦	رياضه الشيوخ
٥٢٩٦	الشيخ حسين بن عبد علي بن محمد بن علي البيهاني
٥٢٩٧	حسين علي تالپور بن مير نور محمد خان
٥٢٩٧	حسين بن علي رضا الشيرازي، كمال الدين
٥٢٩٧	حسين بن علي الأصبهاني، كمال الدين
٥٢٩٧	السيد حسين بن كمال الدين بن الأبرز الحسيني الحلبي
٥٢٩٧	السيد حسين الرضوي الكاشاني بن هبه الله بن محمد.
٥٢٩٨	الشيخ حسين بن عيثان الأحساني البحراني.
٥٣٠٠	حمزه بن الحسين
٥٣٠٠	حمزه بن قربان آقا مراد بن صفر بن القاسم البارفروشي
٥٣٠٠	السيد حيدر الآملي
٥٣٠٠	اشاره
٥٣١٢	تعريف
٥٣١٣	فروق
٥٣١٨	تعليقتنا على مقال أحمد زين الدين
٥٣٢٣	حيدر بن أحمد بن حيدر
٥٣٢٣	حيدر بن علي بن محمد شفيح الأصبهاني
٥٣٢٣	خداويردي بن القاسم الأفشاري
٥٣٢٣	خسرو
٥٣٢٣	خضر عباس الصالحي
٥٣٢٤	الشيخ خلف بن عبد علي بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن
٥٣٢٤	خير النساء بنت الشيخ محمد جعفر بن الشيخ سيف الدين
٥٣٢٧	داود بن الحسين الحاج قاضي السيزوري الخراساني.
٥٣٢٧	السيد داود بن مخدوم بن داود الحسيني التفرشي.

٥٣٢٧	الأمير دوست محمد بن حبيب الله الحسيني المازندراني
٥٣٢٩	الأمير ذو الفقار
٥٣٢٩	ذو الفقار الأصبهاني، كمال الدين
٥٣٢٩	ذو الفقار العقداي التفتي
٥٣٢٩	السيد راحت حسين الرضوي بن السيد ظاهر حسين الرضوي
٥٣٣٢	السيد راشد بن علي بن خلف بن عبد المطلب الموسوي
٥٣٣٢	السيد ربيع بن شرف جهان بن أبي الصلاح بن جعفر الحسيني
٥٣٣٢	رجب علي بن محمد صالح بن علي نقى الطوسي الأصبهاني
٥٣٣٣	الحاج آقا رحيم أرباب
٥٣٣٣	رسول الهمذاني
٥٣٣٣	الحاج رضا قلي المشهدي
٥٣٣٤	رضا مشايخي بن عبد الحسين
٥٣٣٥	أبو المجد الشيخ رضا بن الشيخ محمد حسين بن الشيخ
٥٣٣٥	اشاره
٥٣٣٨	نظره في شعره
٥٣٤١	مع معاصريه من الأدباء والشعراء
٥٣٤٢	شيوخه في روايه الحديث
٥٣٤٢	السيد رضی الدين بن علي أكبر بن عبد الكريم بن أحمد بن
٥٣٤٢	السيد رضی الدين بن يوسف السيزوري البيهقي
٥٣٤٣	رفيع الدين الطباطبائي
٥٣٤٧	رفيع الدين محمد رفيع بن علي أصغر التبريزي، نظام
٥٣٤٧	السيد مير رفيع بن السيد مير علي بن السيد مير
٥٣٤٩	الدكتور رمال بن حسن رمال
٥٣٥٥	روح الأمين بن محمد شمس الدين بن رضا الحسيني
٥٣٥٥	السيد ريحان الله بن جعفر الموسوي الدارابي البروجردي
٥٣٥٦	زين العابدين بن علي الهمذاني
٥٣٥٦	السيد زين العابدين بن محمد باقر الحسيني
٥٣٥٦	السيد زين العابدين بن محمد تقى الحسيني الأصبهاني
٥٣٥٦	الشيخ زين العابدين بن مسلم البارفروشي المازندراني
٥٣٥٨	زين الدين بن محسن
٥٣٥٨	زين العابدين الباقتي
٥٣٥٨	زينه بنت الشيخ آغا محمد إمام الجمعة ابن الشهيد الثالث
٥٣٥٩	السيد سعيد بن علي بن سعيد بن الحسين الحسيني التكايني التكايني
٥٣٥٩	السيد سلطان بن حسن بن سلطان الحسيني العلوي الشجری
٥٣٥٩	سلطان محمد البيار جمندی
٥٣٥٩	سلطان خاتم بنت الشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد

٥٣٦١	سلطان محمود بن غلام علي الطيبي
٥٣٦١	الشيخ سليمان بن أبي القاسم الكاشاني
٥٣٦١	السيد سليمان بن داود بن حيدر بن أحمد بن محمود الحسيني
٥٣٦١	سليمان بن محمد الجيلاني التنكائبي
٥٣٦٢	الأمير شاه رخ ابن الأمير تيمور الكورغاني
٥٣٧٠	السيد شرف الموسوي بن عبد الله
٥٣٧٢	الشيخ شعبان بن مهدي الجيلاني
٥٣٧٣	صادق القاموسي بن عبد الأمير
٥٣٧٣	اشاره
٥٣٧٣	شعره
٥٣٧٧	السيد صادق بن محمد حسين الحسيني
٥٣٧٧	السيد صادق الحسيني الرشتي
٥٣٧٨	صاعد بن محمد بن صاعد البريد الآبي، القاضي أشرف الدين
٥٣٧٨	صالح بن محمد بن محمد صالح الفائني الهروي
٥٣٧٨	السيد صبغة الله بن السيد جعفر بن أبي إسحاق الموسوي
٥٣٨٠	صديقه بنت الشيخ علي نقى بن الشيخ الحسن بن الشيخ محمد
٥٣٨٠	الشيخ صفر علي الأشرفي
٥٣٨٠	صفر علي الرشتي
٥٣٨١	الشيخ ضياء الدين العراقي بن محمد
٥٣٨٣	طاهر خوشنويس التبريزي بن عبد الرحمن
٥٣٨٤	السيد طالب بن محمد طالب المازندراني
٥٣٨٥	الشيخ علي البازي بن حسين
٥٣٨٨	الشيخ علي محمد بن حسين الهمذاني الخوانساري
٥٣٨٨	السيد علي بن السيد دلدار علي غفران ماب
٥٣٨٨	السيد الدكتور علي بلگرامي بن زين الدين خان
٥٣٨٩	علي الهاشمي السنجاني
٥٣٨٩	علي أكبر سياسي
٥٣٨٩	علي أكبر شهابي
٥٣٩٠	السيد علي شاه الرضوي بن صفدر شاه
٥٣٩١	علي بن طيفور
٥٣٩١	الشيخ أبو الحسن بن الشيخ ملا علي البروجردي الطهراني
٥٣٩١	الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي السبتي البحراني
٥٣٩٢	الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن عبد الجليل البيضاوي
٥٣٩٤	السيد الامام الرئيس ضياء الدين علي بن السيد علي الحسيني الأفتسي آل
٥٣٩٤	السيد أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى بن هبه الله بن أبي الحسن
٥٣٩٥	الشيخ علي زين ابن الشيخ محمد
٥٣٩٥	اشاره

٥٣٩٥	الشعر
٥٣٩٧	علي بن محمد الايادي التونسي
٥٣٩٧	اشاره
٥٤٠٠	ما ذكره اليعلاوى
٥٤٠٧	عود إلى الايادي
٥٤١٩	مقطوعات متفرقة
٥٤٢٠	مجهول
٥٤٢٣	شعراء آخرون
٥٤٢٤	الدكتور علي بدر الدين بن مصطفى
٥٤٢٤	اشاره
٥٤٢٥	شعره
٥٤٣٣	السيد علي حيدر الطباطبائي بن مصطفى حسين اللكهنوي
٥٤٣٣	الشيخ علي التجفي الكاشاني
٥٤٣٣	الشيخ مجد الدين أبو الخطاب و يقال أبو الفضل عمر بن الحسن بن علي بن
٥٤٣٤	عمره و يقال البيضا و يقال أسماء بنت النعمان بن بشير الأنصاري:
٥٤٣٧	غلام حسين مصاحب
٥٤٣٧	الدكتور غلام حسين اليوسفي:
٥٤٣٧	السيد غلام علي بن السيد نوح الحسيني الواسطي البكرامي
٥٤٤١	الشيخ فتح الله بن الشيخ صادق بن الشهيد الثالث البرغاني القزويني
٥٤٤١	فاطمه بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملائكة بن الشيخ محمد
٥٤٤٢	فتح علي شاه الفاجاري
٥٤٤٢	اشاره
٥٤٤٤	نساء "فتح علي شاه" و أبناؤه
٥٤٤٥	الأوضاع الخارجيه
٥٤٤٦	مقتل الحاج محمد إبراهيم كلانتر
٥٤٤٧	غرور فتح علي شاه
٥٤٤٩	اختلاف إيران و روسيا
٥٤٥٤	فتح علي شاه و نابليون نابليون الأول
٥٤٥٨	سفيرا "نابليون نابليون" في إيران
٥٤٥٩	معاهده "فينكن شتاين"
٥٤٦٠	البعثه العسكريه الفرنسيه
٥٤٦٣	انقلاب في سياسه "نابليون نابليون"
٥٤٦٥	وساطه غاردان بين إيران و روسيا
٥٤٦٨	قطع علاقات إيران بفرنسا
٥٤٧٠	عوده العلاقات بين
٥٤٧١	معاهده ١٢٢٤ هـ

٥٤٧١	سفیر آخر
٥٤٧٣	معاهده سنه ١٢٢٧ هـ
٥٤٧٤	أصل الخلاف الايرانى الروسى
٥٤٨١	بدء الحرب بين إيران و روسيا
٥٤٨٦	غزو "إيروان"
٥٤٨٧	حروب سنه ١٢٢٠ هـ
٥٤٨٧	اشاره
٥٤٨٩	الحرب فى "جیلان" و بحر الخزر
٥٤٨٩	حروب أخرى
٥٤٩٠	احتلال الروس لقلعه "شوشى"
٥٤٩٢	مقتل "ستيتسيانوف"
٥٤٩٢	نتيجه الحروب الأولى
٥٤٩٢	سياسه إيران فى هذه الأحداث
٥٤٩٣	الجهاد
٥٤٩٨	معاهده "گلستان"
٥٤٩٨	مقدمات الحرب الإيرانيه الروسيه الثانيه
٥٥٠٤	معاهده سنه ١٢٢٩ هـ
٥٥٠٦	الاستعداد للحرب
٥٥٠٧	عوده إلى موضوع الجهاد
٥٥٠٧	اشاره
٥٥٠٩	روايه أخرى
٥٥١٧	الحرب الإيرانيه الروسيه الثانيه
٥٥٢١	احتلال تبريز
٥٥٢٣	مساعى الصلح
٥٥٢٥	محادثات الصلح
٥٥٢٨	معاهده "ترکمان شای"
٥٥٢٩	مقتل "غريبایدوف"
٥٥٣١	سفاره "خسرو ميرزا"
٥٥٣١	الحروب الإيرانيه العثمانيه
٥٥٣٢	حرب سنه ١٢٢٧ هـ
٥٥٣٤	حرب سنه ١٢٣٦ - ٣٨ ١٢٣٨ هـ
٥٥٣٧	معاهده الصلح
٥٥٣٧	إيران و أفغانستان
٥٥٤٠	نهايه فتح على شاه
٥٥٤٠	تنبيه
٥٥٤١	ملا فرخ ناظم الپهروى:
٥٥٤١	فريدون گرگانى

٥٥٤١	فضولي البغدادي
٥٥٤٣	الشيخ قاسم الرجبي الإسلامي الطهراني
٥٥٤٣	قرية قره العين بنت الشيخ صالح البرغاني
٥٥٤٣	اشاره
٥٥٤٩	قره العين
٥٥٥٣	رأى الأوسى
٥٥٥٥	رأيان آخران
٥٥٥٥	رساله عمها للاستفسار عنها
٥٥٥٦	الشيخ قوام الدين محمد بن محمد البحراني
٥٥٥٦	قياس آق گون
٥٥٥٨	كريم خان زند:
٥٥٦٥	الشيخ لطف الله العاملي:
٥٥٦٥	اشاره
٥٥٧٢	تعليق الأستاذ محمود شهابي
٥٥٧٢	رد الأشتياني
٥٥٧٢	لطف علي خان زند:
٥٥٨١	أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد
٥٥٨١	اشاره
٥٥٨٤	أبو مخنف في رأى أصحاب الرجال من غير الشيعة:
٥٥٨٥	الشيئات حول عدم تشيع أبي مخنف:
٥٥٨٧	مقتل أبي مخنف:
٥٥٩٠	تراجم المقتل:
٥٥٩٠	استخراج مواضع أبي مخنف من تاريخ الطبرى:
٥٥٩٦	الشيخ مجتبي القزويني
٥٥٩٧	محتشم الكاشاني
٥٥٩٧	الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد جعفر الأشتياني القزويني
٥٥٩٩	الشيخ محمد تقى بن الأخوند ملا محمد الأملى الطهراني
٥٥٩٩	السيد محمد تقى المصطفوي
٥٥٩٩	محمد حسن خان قاجار
٥٦٠٣	الدكتور محمد حسن مشايخ
٥٦٠٣	اشاره
٥٦٠٦	فنون أسويه
٥٦٠٨	تقاليد عريقه
٥٦٠٩	أبو نصر غرس الدوله محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون
٥٦٠٩	الشيخ الرئيس أبو المعالي بهاء الدين محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن
٥٦٠٩	اشاره

٥٦١١	أقوال العلماء فيه
٥٦١٢	من أشعاره
٥٦١٤	السيد محمد الحلبي ابن السيد حسين
٥٦١٤	محمد حسين آزاد
٥٦١٨	الشيخ أبو الجيش المظفر بن محمد بن أحمد البلخي الخراساني
٥٦١٨	محمد بن أحمد الظليجي
٥٦١٩	مير محمد أفضل إله آبادي
٥٦٢٠	محمد حرز بن عبد الله
٥٦٢١	الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني
٥٦٢١	محمد حسين جليل الكرمانشاهي
٥٦٢١	السيد محمد حسين بن السيد سعيد الطباطبائي الحكيم
٥٦٢٢	الشيخ المولوي محمد حسين بن الشيخ محمد باقر الدهلوي
٥٦٢٣	الشيخ محمد حسين بن معصوم البروجردي
٥٦٢٤	محمد حسين نورس الدماوندي
٥٦٢٤	الشيخ محمد حسين المظفر ابن يونس
٥٦٢٨	محمد خليل خان
٥٦٣١	السيد محمد رضا فضل الله
٥٦٣٨	ميرزا محمد رضا الهمذاني
٥٦٤٠	السيد الميرزا محمد رضى
٥٦٤١	محمد بن رمضان
٥٦٤٣	الشيخ أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الجوهرى الغلابي البصري
٥٦٤٤	الأمير السيد شهاب الدين محمد بن أبي سعيد زيد بن حمزه العلوي الحسيني
٥٦٤٥	الشيخ أبو علي محمد بن سعدويه البيهقي
٥٦٤٦	الشيخ محمد سعيد الإسكافي ابن الشيخ محمود
٥٦٤٧	الشيخ محمد السماوي بن طاهر
٥٦٤٧	اشاره
٥٦٤٨	شعره
٥٦٥٤	مؤلفاته
٥٦٥٤	الشيخ محمد شفيع الأسترآبادي
٥٦٥٥	السيد محمد شفيع بن بهاء الدين محمد شيخ الإسلام ابن الميرزا كمال الدين
٥٦٥٥	السيد محمد شفيع بن بهاء الدين شيخ الإسلام بقزوين ابن الأمير السيد محمد
٥٦٥٧	السيد محمد صادق بحر العلوم ابن حسن
٥٦٥٩	محمد صالح شمسه ابن مهدي
٥٦٥٩	اشاره
٥٦٥٩	شعره
٥٦٧٤	محمد صالح محيى الدين ابن الشيخ علي
٥٦٧٤	الشيخ محمد طه الجوزي ابن الشيخ نصر الله

٥٦٧٤	محمد بن العباس بن علي بن مروان بن الماهيار
٥٦٧٤	اشاره
٥٦٧٧	شيوخه
٥٦٨٣	مؤلفاته
٥٦٨٣	الرواه عنه
٥٦٨٥	تفسيره
٥٦٨٨	حجمه... و أهميته
٥٦٨٩	الشيخ محمد حسين بن غلام علي الأبيسي القزويني
٥٦٩١	السيد محمد حسين الطهراني الحسيني ابن السيد محمد صادق
٥٦٩١	محمد بن عبد الله الأبرقطي
٥٦٩٢	السيد محمد بن السيد عبد الحسين بن السيد أحمد بن السيد الحسن بن السيد
٥٦٩٣	الشيخ محمد بن عبد الله البحراني الشيباني
٥٦٩٤	الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق البيهقي السيزواري
٥٦٩٦	محمد محمود شهابي بن عبد السلام
٥٦٩٧	السيد شمس الدين محمد بن السيد عز الدين شرف شاه بن محمد الحسيني
٥٦٩٧	الميرزا محمد علي
٥٦٩٨	محمد علي بن أعثم الكوفي
٥٦٩٨	أبو جعفر محمد بن علي الامامي
٥٧٠٠	القاضي مجد الدين محمد بن علي الامامي الديلمي القزويني
٥٧٠٠	محمد علي حزين
٥٧٠١	السيد بهاء الدين محمد بن السيد علي الحسيني الأقطبي الزباري البيهقي
٥٧٠٣	الدكتور محمد علي درمان
٥٧٠٣	محمد علي دولت شاه قاجار
٥٧٠٤	ميرزا محمد علي بن ميرزا عبد الرحيم التبريزي الأصفهاني
٥٧٠٦	السيد محمد علي العلاق ابن السيد حسين
٥٧٠٧	محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني
٥٧٠٧	اشاره
٥٧٠٧	أقوال العلماء فيه
٥٧٠٩	مشاهير أساتذته
٥٧١٢	مؤلفاته
٥٧١٣	وفاته
٥٧١٣	ميرزا رفيع الدين محمد بن فتح الله القزويني
٥٧١٥	الدكتور محمد قريب بن علي أصغر خان
٥٧١٨	الأخوند الملا محمد كاظم الخراساني
٥٧٢١	محمد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود
٥٧٢١	اشاره

٥٧٢٣	مشايخه و الرايون عنه
٥٧٢٤	٢ - تصانيفه
٥٧٢٤	التفسير
٥٧٢٥	الحديث:
٥٧٢٥	العقائد:
٥٧٢٦	التوحيد:
٥٧٢٦	المعاد:
٥٧٢٧	الامامه و الولاية:
٥٧٢٧	الدعاء:
٥٧٢٨	الفقه:
٥٧٢٩	أصول الفقه:
٥٧٣٠	الأخلاق:
٥٧٣٠	التراجم:
٥٧٣١	المنتزعات:
٥٧٣١	الأدب:
٥٧٣٢	سائر العلوم:
٥٧٣٣	ميرزا شرف الدين محمد بن محمد رضا التريزي:
٥٧٣٤	أبو النظر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش:
٥٧٣٤	اشاره
٥٧٣٤	الثناء عليه
٥٧٣٥	شيوخه
٥٧٤١	تلاميذه و الرواه عنه
٥٧٤٧	تنبيه
٥٧٤٧	مؤلفاته
٥٧٥٩	تفسير العياشي
٥٧٦١	حذف أساسيد تفسيره
٥٧٦٢	رأى السيد الطباطبائي
٥٧٦٤	السيد محمد مشكاه
٥٧٦٤	الشيخ أبو الحسين و يقال أبو بكر محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن
٥٧٦٧	محمد بن المنيب
٥٧٦٨	محمد مهدي أرباب
٥٧٦٩	محمد مهدي عبدالرب آبادي
٥٧٧٠	الشيخ مهدي و يقال محمد مهدي بن محمد شفيح المازندراني الأسترآبادي
٥٧٧١	الميرزا محمد مهدي المشهدي
٥٧٧٢	السيد محمد نجيب فضل الله
٥٧٨٦	محمد نویدی قاسم الأصفهاني
٥٧٨٦	الشيخ محمد هادي ابن الحاج حبيب الله الكاشاني

- ٥٧٨٧ الشيخ محمد هاشم بن محمد قاسم الأفسار القزويني.
- ٥٧٨٨ محمد هاشم بن هادي بن مظفر الدين حسين علوي.
- ٥٧٨٨ الدكتور محمد هدايتي.
- ٥٧٨٨ الشيخ الفقيه الرئيس أبو عبد الله محمد بن يحيى البيهقي.
- ٥٧٨٩ السيد محمد البيزدي.
- ٥٧٨٩ محمود خان ملك الشعراء.
- ٥٧٩١ محمود راميار.
- ٥٧٩١ الشيخ محمود مغنيه.
- ٥٧٩٦ مرتضى فرح الله ابن الشيخ طاهر.
- ٥٧٩٧ مرتضى مدرسي جهاردهي جهاردهي.
- ٥٧٩٨ السيد مرتضى بن السيد محمد الحسيني الفيروزآبادي.
- ٥٧٩٩ مرضيه خانم و يقال مرضيه بيگم بنت الشيخ محمد صالح ابن الشيخ الملا.
- ٥٨٠٠ مرهون الصفار ابن حسن.
- ٥٨٠٢ مريم بيگم بنت الشيخ محمد تقى ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد تقى.
- ٥٨٠٢ السيد الميرزا مسعود شيخ الإسلام ابن السيد الميرزا مفيد شيخ الإسلام.
- ٥٨٠٤ الشيخ مسلم الجابري ابن الشيخ محمد.
- ٥٨٠٦ الشيخ مصطفى زمانى.
- ٥٨٠٦ الحاج مظفر ياكزاد ياك زاد.
- ٥٨٠٦ مظفر الدين شاه.
- ٥٨١١ السيد مظفر على بن السيد مدد على.
- ٥٨١١ السيد الميرزا مفيد شيخ الإسلام ابن السيد الميرزا حسن شيخ الإسلام ابن ..
- ٥٨١٣ الشيخ المقرئ أبو الحسن و يقال أبو محمد مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب.
- ٥٨١٤ ملا مقيم.
- ٥٨١٤ مكى بن أحمد بن سعدويه البرذعي.
- ٥٨١٤ مهدي جلالى.
- ٥٨١٦ السيد مهدي حسين.
- ٥٨١٦ مهرداد أوستا.
- ٥٨١٦ الشيخ موسى العصامى بن محسن.
- ٥٨٢٠ منوچهر منوچهر بوزرگمهر بوزرگمهر.
- ٥٨٢١ ناصح الدين، أبو الفتح، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي.
- ٥٨٢١ ناصيف النصار.
- ٥٨٢٩ نجف قلى ميرزا حسام الدوله.
- ٥٨٢٩ نصر الله فلسفى.
- ٥٨٣٠ الشيخ هادى بن زين العابدين بن إسماعيل بن محمد حسين التبريزى المرندنى المرندى.
- ٥٨٣٠ هادى الخفاجى بن محيى.
- ٥٨٣٠ اشاره.

٥٨٣٠	شعره
٥٨٤٢	السيد هادي سينا بن السيد مهدي
٥٨٤٣	الشيخ الميرزا هديه الله الشهير ب حاج مجتهد بن الشيخ صادق بن الشهيد
٥٨٤٣	يعقوب بن إسحاق الكندي
٥٨٥١	السيد يوسف الحلو بن السيد عبد الحسين بن محمد رضا
٥٨٥١	السيد يوسف الحكيم بن السيد محسن بن السيد مهدي الطباطبائي
٥٨٥٤	المجلد ٧
٥٨٥٤	اشاره
٥٨٥٤	اشاره
٥٨٥٨	أتشى:
٥٨٥٨	الأمير آق ملك بن جمال الدين فيروز الكوهي السبزواري المتخلص باسم شاهي:
٥٨٦٠	الميرزا إبراهيم الملقب ب حيرت الكرمانشاهي بن الميرزا حسين خان الملقب ب الشاهي:
٥٨٦٠	إبراهيم فران بن حيدر:
٥٨٧٢	أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت:
٥٨٧٣	اشاره
٥٨٧٥	ابن نوبخت:
٥٨٧٥	اشاره
٥٨٧٦	عهد ابن نوبخت:
٥٨٧٩	آراؤه الكلاميه:
٥٨٨١	آثاره:
٥٨٨١	أبو الحسن ميرزا الملقب ب حيرت و الشيخ الرئيس ابن الأمير محمد تقي ميرزا حسام الدوله بن فتح علي شاه القاجاري:
٥٨٨٢	الميرزا أبو الفتح خان الساماني الاصفهاني الملقب بسيف الشعراء و المعروف في أشعاره بالدهقان ابن بابا خان:
٥٨٨٢	الميرزا أبو القاسم القائم مقام الفراهاني
٥٨٨٥	أبو القاسم اللاهوتي المعروف ب اللاهوتي خان:
٥٨٨٨	السيد أبو القاسم الخوني بن السيد علي أكبر بن المير الهاشم
٥٨٩٢	الميرزا أبو القاسم رابع أبناء الميرزا وصال الشيرازي، الملقب ب فرهنگ الشيرازي
٥٨٩٣	الميرزا أبو القاسم الفزويني الملقب ب العارف بن الملا هادي
٥٨٩٣	الميرزا احمد الصفائي ابن الميرزا أبو الحسن يغما الجندقي:
٥٨٩٥	احمد بن أفلح:
٥٨٩٥	اشاره
٥٨٩٥	المصدر:
٥٨٩٦	التعليق:
٥٨٩٦	أحمد بن إسفنديار بن الموفق بن أبي علي، أبو الحكام البغدادي الصوفي
٥٨٩٧	الميرزا احمد الأشتياني بن حسن:
٥٨٩٧	السيد أحمد فرديد
٥٨٩٨	أبو علي احمد بن الأفضل بن بدر الجمالي:
٥٨٩٨	اشاره

- ٥٩٠٤ مصير آخر الملوك البويهيين ثم مصير آخر الملوك السلاجقه
- ٥٩٠٤ صلاح الدين الايوبي و الناصر العباسي:
- ٥٩١٣ هل كانت هناك خلافة فاطميه؟
- ٥٩١٥ هل قصر الأفضل بن بدر الجمالي؟
- ٥٩١٨ من هو بدر الجمالي؟
- ٥٩٢٠ المستنصر
- ٥٩٢٢ سيطره الدوله الجديده
- ٥٩٢٣ مصير الدوله الجماليه
- ٥٩٢٥ تصرفات كربوقا
- ٥٩٢٧ مسئوليه السلاجقه و أتباعهم
- ٥٩٣١ أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء بامر الله الحسن:
- ٥٩٤٢ أحمد بن الحسين الهمداني الملقب بديع الزمان الهمداني:
- ٥٩٥٥ أحمد بهمنيار الكرمانى المتخلص بدهتان بن محمد على
- ٥٩٥٧ احمد بن ماجد:
- ٦٠٥٥ الميرزا أحمد الابن الأول للميرزا محمد شفيع وصال الشيرازى:
- ٦٠٥٧ فخر الدين احمد خان بن محسن:
- ٦٠٥٧ الشيخ احمد القمى:
- ٦٠٦١ الملا احمد بن الملا محمد مهدي التراقى الملقب ب "الصفائى التراقى الكاشانى"
- ٦٠٦١ أسد الله خان الطهرانى الملقب بغالب الطهرانى أو غالب الأذربيجانى ابن رمضان خان المشهور بطرلان خان الأذربيجانى:
- ٦٠٦٢ الدكتور أسعد الحكيم بن أحمد:
- ٦٠٦٢ اشاره
- ٦٠٦٣ مؤلفاته:
- ٦٠٦٥ الدكتور أسعد الحكيم رئيس أطباء مستشفى ابن سينا للأمراض العقلية
- ٦٠٦٩ إسماعيل الاشتياني:
- ٦٠٦٩ الميرزا إسماعيل الملقب ب هند ابن الميرزا أبو الحسن يغما الجندقى
- ٦٠٧٠ السيد أشرف الدين الحسينى بن احمد القزوينى:
- ٦٠٧١ الأمير الشيخ أويس الإيلگانى بن الأمير الشيخ حسن بن الأمير الشيخ حسين
- ٦٠٧٣ الأمير برندق بن الأمير نصرت شاه الخجندى:
- ٦٠٧٩ الملا بمانعلى الكرمانى:
- ٦٠٨٠ الميرزا جعفر الملقب و المشتهر بأصف خان بن بديع الزمان بن الأغا ملا القزوينى:
- ٦٠٨١ جعفر الخامنئى بن الشيخ على أكبر الخامنئى:
- ٦٠٨١ السيد جمال الدين الأصفهانى الواعظ
- ٦٠٨٥ السيد جواد زينى:
- ٦٠٩٥ الحاج الميرزا حبيب الخراسانى بن محمد هاشم
- ٦٠٩٧ الحبيب القانئى بن الميرزا محمد على گلشن الشيرازى:
- ٦١٠٠ الميرزا حبيب الاصفهانى المعروف ب دستان:

- ٦١٠٠ الميرزا حسن الاصفهاني المعروف بصفى على شاه ابن الاقا محمد باقر
- ٦١٠١ ميرزا حسن المتخلص في شعره ب آتشي:
- ٦١٠١ ميرزا حسن بن الملا محمد صادق، المعروف بآتش الاصفهاني:
- ٦١٠١ السيد حسين الطباطبائي الملقب ب نياز الجوشقاني:
- ٦١٠٢ حسين بن ميرزا جان:
- ٦١٠٢ السيد حسين الطباطبائي الاردستاني بن السيد على المعروف ب المجرم:
- ٦١٠٢ السيد حسين بن محمد الحسيني:
- ٦١٠٢ السيد حسين بن مرتضى بن احمد بن الحسين الحسنى الحسينى الطباطبائي اليزدى:
- ٦١٠٤ الميرزا حسين على السمناني الملقب بمشتاق السمناني:
- ٦١٠٤ الشيخ حسين بن عبد العلى بن عبد المحمود بن أمير احمد الطهراني الكرمانى:
- ٦١٠٤ السيد حسين الرضوى الملقب بعبار الهمداني ابن رضا:
- ٦١٠٤ الشيخ حسين بن محمد بن عثمان الدندن الأحماسي المبرزي:
- ٦١٠٥ الشيخ فخر الدين حمزه بن علي ملك الطوسي الاسفرايني البيهقي المتخلص ب الآري:
- ٦١٠٩ حيدر الصفوى:
- ٦١٠٩ اشاره
- ٦١١٠ الشيخ جنيد الصفوى
- ٦١١٧ الشيخ داود بن محمد الكربلائي:
- ٦١١٨ ميرزا داود الخراساني:
- ٦١١٨ ديبس بن صدقه المزيدي
- ٦١٢٠ الميرزا رحيم بن الحاج إبراهيم قلى المعروف بأبو الحسن بغما الجندقي:
- ٦١٢١ رضا قلى:
- ٦١٢٣ ميرزاده عشقى
- ٦١٢٤ الخواجه سعيد الدين الهروى الملقب ب سعيد و المشهور ب سعيد الهروى:
- ٦١٢٤ الشيخ سعيد بن على بن جعفر أبو المكارم:
- ٦١٢٤ شهاب الأصفهاني:
- ٦١٢٤ صادق التفريشي:
- ٦١٢٧ طلائع بن رزيك
- ٦١٢٨ طهماسب الثاني:
- ٦١٣٣ طهماسب قلى خان الكرمانشاهى الملقب بوحدت الكرمانشاهى بن رستم خان
- ٦١٣٤ السيد عابد الحسينى الأردبيلي:
- ٦١٣٤ الشيخ عاشور بن محمد التبريزى:
- ٦١٣٤ الشيخ عامر بن فياض الجزائري، أبو الفتح:
- ٦١٣٤ عباس بن أبى القاسم بن محمد بن صفى الجعفرأبادى الأرومى:
- ٦١٣٤ الشيخ عباس بن أحمد الخونسارى:
- ٦١٣٤ الدكتور عباس سعيدى رضوانى:
- ٦١٣٤ السيد عباس بن على بن أميران الحسنى الأصفهاني
- ٦١٣٧ الشاه عباس الأول الصفوى:

- ٦١٤٢ عباس بن علي بن محمد بن الهادي الثاني، صفا
- ٦١٤٢ الشيخ عباس القمي بن محمد رضا:
- ٦١٤٢ الميرزا عباس بن موسى البسطامي:
- ٦١٤٤ السيد عبد الأعلى الموسوي السيزواري بن علي رضا:
- ٦١٤٥ الحاج الميرزا عبد الباقي ملاباشي الشيرازي ابن السيد محمد باقر:
- ٦١٤٧ عبد الباقي بن محمد حسين:
- ٦١٤٧ عبد الباقي السيزواري:
- ٦١٤٧ الشيخ عبد الجواد النيشابوري الملقب ب الأديب النيشابوري بن الملا عباس:
- ٦١٤٧ عبد الجواد بن عبد الرحيم باغبادراني الأصبهاني:
- ٦١٤٨ الشيخ عبد الجواد بن محمد جعفر:
- ٦١٤٨ الميرزا عبد الحسين بن ملا أبو الحسن بن گل نظر التبريزي:
- ٦١٤٨ الميرزا عبد الحسين المعروف بالميرزا آقا خان و الملقب ب بهار الكرماني:
- ٦١٤٩ عبد الحسين اليافعي اليزدي:
- ٦١٤٩ الشيخ عبد الحسين البغدادي بن الحاج جواد العطار البغدادي:
- ٦١٥٠ السيد عبد الحسين الطيب:
- ٦١٥٠ عبد الحسين بن علي جان السيفي الكابلي المشهدي:
- ٦١٥٠ الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد طاهر بن الشيخ محسن بن الشيخ إسماعيل الدزفولي المتخلص في شعره ب تجلي:
- ٦١٥٢ الشيخ عبد الحسين الشيرازي بن الشيخ محمد طاهر:
- ٦١٥٢ عبد الحي بن عز الدين بن عبد الحي الحسيني الكبيرى الزهدى اللارى، قطب الدين:
- ٦١٥٢ الشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي:
- ٦١٥٣ عبد الخالق بن محمد الجيلاني:
- ٦١٥٣ الميرزا عبد الرحمن بن نصر الله الشيرازي المشهدي:
- ٦١٥٣ عبد الرحيم بن إبراهيم الحسيني اليزدي:
- ٦١٥٣ السيد عبد الرحيم الرضوي الحسيني العلوي:
- ٦١٥٣ الشيخ عبد الرحيم بن كرم علي الهاجباري الأصبهاني:
- ٦١٥٥ عبد الرحيم بن محمد مهدي الخلخالى الخدجيني:
- ٦١٥٥ السيد عبد الرحيم بن نعمه الله الموسوي القزويني:
- ٦١٥٥ الشيخ عبد الرحيم بن ولي محمد الأردبيلي:
- ٦١٥٥ الشيخ عبد الرزاق بن علي أصغر الخائف القمي:
- ٦١٥٥ عبد الرزاق بن مير الجيلاني الشيرازي:
- ٦١٥٦ الشيخ عبد السلام بن عبد الله السلماسي:
- ٦١٥٦ الشيخ عبد السمیع بن قياض محمد الأسدی الحلبي:
- ٦١٥٦ الشيخ عبد الصاحب بن محمد جعفر بن عبد الصاحب بن محمد جعفر الخشتي الدواني الفارسي، أبو الحسن:
- ٦١٥٦ عبد الصمد بن الحسين المحلاني:
- ٦١٥٨ الشيخ عبد الصمد بن عبد الكريم، شيخ الإسلام:
- ٦١٥٨ الشيخ عبد الصمد بن محمد حسين الهمداني:

- ٦١٥٨ الشيخ عبد العال بن محمد مقيم:
- ٦١٥٨ الشيخ عبد العزيز اللنكراني:
- ٦١٥٨ الشيخ عبد العظيم بن الحسين الكاشاني البغدادي:
- ٦١٥٩ الشيخ عبد علي بن احمد بن إبراهيم بن احمد بن صالح بن عصفور الدرازي البصري:
- ٦١٥٩ عبد العلي الحسيني البزدي:
- ٦١٥٩ الملا عبد العلي البيرجندي:
- ٦١٦١ الشيخ عبد العلي بن محمد حسن بن ملا محمد حسين بن ملا حسن القاضي بن محمد باقر المغزي البسطامي:
- ٦١٦١ الميرزا عبد الغفار التويسركاني:
- ٦١٦٢ عبد الغفار بن علي محمد الأصبهاني:
- ٦١٦٢ السيد عبد الغني بن محمد معز الدين الحسيني:
- ٦١٦٢ الشيخ عبد الغني بن محمد رضا:
- ٦١٦٢ المولوي عبد الغني بن أبي طالب الكشميري:
- ٦١٦٢ علي بن عبد الفتاح بن محمد الطيبي الكيلكي:
- ٦١٦٣ عبد الكاظم بن عبد العلي الشيرمي الجيلاني الآملي التنكابي:
- ٦١٦٤ الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن علي نور الدين بن احمد بن مفلح الميسي العاملي:
- ٦١٦٤ السيد عبد الكريم الحسيني:
- ٦١٦٤ السيد عبد الكريم بن جمال الدين الرضوي القزويني:
- ٦١٦٤ عبد الكريم بن سلطان محمد التبريزي:
- ٦١٦٤ الميرزا عبد الكريم بن عبد الغني الطبيب الجيلاني:
- ٦١٦٥ الشيخ عبد الكريم بن محمد رضا الحسيني اللاهجي:
- ٦١٦٥ عبد الكريم بن المرشد الجيلاني:
- ٦١٦٥ المولى عبد الكريم بن محمد هادي الشهابي الكريني الطبيسي:
- ٦١٦٥ السيد عبد الله البلادي بن السيد أبي القاسم:
- ٦١٦٨ السيد عبد الله الرضوي الجانسي الهندي:
- ٦١٦٨ السيد عبد الله السبزواري بن السيد حسن:
- ٦١٦٨ السيد عبد الله البهبهاني بن السيد إسماعيل:
- ٦١٨٧ الشيخ عبد الله بن راشد البصري:
- ٦١٨٧ الملا عبد الله الزنوزي المشهور بالمدرس:
- ٦١٩٠ الشيخ عبد الله بن علي أكبر الأصبهاني:
- ٦١٩٠ عبد الله بن علي بن مهدي البروجردي:
- ٦١٩١ عبد الله بن عبد القادر المكري الساجبلاغي، المولوي:
- ٦١٩١ عبد الله بن عبد الكافي بن علي بن عبد الله الحسن الطباطبائي، نجم الدين:
- ٦١٩٢ الشيخ عبد الله بن كرم الله الحوزي:
- ٦١٩٢ السيد عبد الله الصادقي بن محسن:
- ٦١٩٣ الميرزا عبد الله بن محمد البهبهاني:
- ٦١٩٤ المولى عبد الله بن محمد كاظم بن شاه محمد التبريزي:
- ٦١٩٥ الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد تقي الكنجوي:

- ٦١٩٥ الشيخ عبد الله المامقاني بن الشيخ محمد حسن:
- ٦١٩٥ عبد الله بن المقفع
- ٦١٩٥ اشاره
- ٦٢١٧ الخاتمه:
- ٦٢١٩ رأى السيد محسن الموسوى
- ٦٢٢٣ عبد الله بن مهدي اليافعي النجفي، كتاب خوان:
- ٦٢٢٣ عبد الله بن المهدي النجفي الهندي:
- ٦٢٢٣ الشيخ عبد الله بن ناصر الحويزي الهميلي:
- ٦٢٢٥ عبد اللطيف الكازروني:
- ٦٢٢٥ السيد عبد اللطيف فضل الله بن السيد نجيب:
- ٦٢٢٥ اشاره
- ٦٢٢٨ شعره
- ٦٢٥١ مرثيه
- ٦٢٥٤ الشيخ عبد المحسن الخاقاني بن الحسين:
- ٦٢٥٤ عبد الملك بن محمد إبراهيم بن عبد الله البواناتي:
- ٦٢٥٥ الشيخ عبد المهدي المظفر بن إبراهيم
- ٦٢٥٥ الشيخ عبد النبي بن احمد بن إبراهيم بن احمد بن صالح بن عصفور الدرازي الجرجاني:
- ٦٢٥٥ الشيخ عبد النبي الشيرازي القزويني:
- ٦٢٥٥ عبد الواسع التوني:
- ٦٢٥٥ السيد عبد الهادي بن الحسين رفيع الدين الحسيني الدلجاني:
- ٦٢٥٧ عبد الوهاب بن محمد أشرف الجنابذي:
- ٦٢٥٧ السيد الميرزا عبد الوهاب خان نشاط الأصفهاني الملقب بمعتمد الدوله:
- ٦٢٥٨ الشيخ عزيز الله عبد العزيز بن إسماعيل الخرقاني:
- ٦٢٥٨ السيد عزيز الله بن امام ويردي الموسوي الفندرسكي الأسترآبادي:
- ٦٢٥٨ الخواجه فخر الدين عصمه الله بن مسعود البخاري:
- ٦٢٦١ علاء الدين بن محمد حسن مشكور:
- ٦٢٦٢ السيد علاء الدين حسين سلطان العلماء:
- ٦٢٦٢ علاء الملك بن نور الله الشوشتری:
- ٦٢٦٢ الأمير علاء الملك المرعشي
- ٦٢٦٣ السيد علي بن إبراهيم الحسيني الساوجي:
- ٦٢٦٣ الميرزا علي بن أبي القاسم نجم الدين بن عبد الله بن محمد التراقي:
- ٦٢٦٥ السيد علي أكبر بن أبو القاسم الموسوي البيدهندي:
- ٦٢٦٥ الشيخ علي أبو الوردی الشيرازي:
- ٦٢٦٥ السيد علي بن أحمد الحسنی الحسيني الطباطبائي الأصبهاني:
- ٦٢٦٦ لشيخ الشيخ علي بن احمد بن صالح العاملي:
- ٦٢٦٦ علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن احمد القزويني:

- ٦٢٦٦ السيد علي الحائري ابن السيد أبو القاسم:
- ٦٢٦٨ الميرزا علي أكبر طاهرزاده صابر الأذربايجاني:
- ٦٢٧٠ علي بن جعفر بن لطف الله بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي بن أحمد بن مفلح الميسى العاملي الجعفري الحائمي:
- ٦٢٧٠ الشيخ علي شريعتمدار الطهراني بن جعفر:
- ٦٢٧٢ علي بن جعفر الخوئي:
- ٦٢٧٢ الشيخ علي بن جعفر بن محمد أبو المكارم:
- ٦٢٧٢ الملا علي النوري المازندراني بن الملا جمشيد:
- ٦٢٧٥ علي باشا صالح بن ميرزا حسن خان مبصر الممالك الكاشاني:
- ٦٢٧٥ السيد علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن شذقم بن ضامن بن محمد الحسيني المدني:
- ٦٢٧٦ علي بن حسن بن احمد بن مظاهر الحلبي، زين الدين:
- ٦٢٧٦ الشيخ علي أكبر النهاوندي بن الشيخ حسين:
- ٦٢٧٨ الشيخ الميرزا علي رضا بن كمال الدين حسين الأردكاني الشيرازي:
- ٦٢٧٩ علي قلي بن الحسين التطنزي:
- ٦٢٧٩ السيد علي بن الحسين العاملي:
- ٦٢٧٩ السيد علي بن السيد الحسين بن السيد يونس الموسوي اللاريجاني الأصل الحائري المولد و المنشأ الطهراني المسكن:
- ٦٢٨٠ علي بن الحسين المسعودي:
- ٦٢٨٤ علي رضا بن خدا دوست العلياني:
- ٦٢٨٤ السيد علي بن خلف بن عبد المطلب بن حيدر الموسوي المشعشي الحوزي:
- ٦٢٨٤ علي رضا الخونساري:
- ٦٢٨٤ الميرزا علي أكبر بن داود وقايع نگار بن محمد جعفر بن محمد صادق بن محمد باقر المروزي، مشكاه السلطان التبريزي:
- ٦٢٨٤ الميرزا علي رضا بن داود وقايع نگار بن محمد جعفر بن محمد صادق بن محمد باقر المروزي، تبيان الملك الرضائي التبريزي:
- ٦٢٨٥ علي داور:
- ٦٢٨٥ الشيخ الميرزا علي بن رستم التبريزي المعروف ب پيش خدمت:
- ٦٢٨٥ علي السلطانيوي:
- ٦٢٨٥ علي سيف الدوله الحمداني:
- ٦٢٩٢ الميرزا علي أكبر بن شير محمد بن گل محمد بن محمد طاهر الهمداني، صدر الإسلام، دبیر الدين:
- ٦٢٩٢ علي بن الصاعد الدمشقي:
- ٦٢٩٤ الحكيم علي الصوفي الاصبهاني:
- ٦٢٩٤ الشيخ علي بن طاهر الصوري:
- ٦٢٩٤ شاه علي بن عبد الجواد الحسيني المرعشي القزويني:
- ٦٢٩٤ الشيخ علي أكبر بن عبد الكريم اليزدي:
- ٦٢٩٤ الشيخ علي الدامغاني بن عبد الله:
- ٦٢٩٥ الدكتور علي أكبر فياض بن السيد عبد المجيد:
- ٦٢٩٥ السيد علي محمد شاه عظيم آبادي بن السيد عباس ميرزا بن تفضل علي خان بارهوي:
- ٦٢٩٧ الميرزا علي أكبر بن علي بن محمد إسماعيل بن محمد مهدي النواب الشيرازي:
- ٦٢٩٧ الميرزا علي أكبر بن علي بن أبي القاسم بن عيسى الحسيني القائم مقامى الفراهاني:
- ٦٢٩٧ شرف الدين علي بن شمس الدين علي اليزدي الملقب و المعروف ب مخدوم و المتخلص ب شرف:

- ٦٣٠١ السيد علي محمد بن علي الحسيني:
- ٦٣٠١ السيد علي الكوه كمرى بن علي نقي:
- ٦٣٠٣ علي أكبر بن غلام علي الكرمانى الخراسانى، مروج الإسلام:
- ٦٣٠٣ علي بن القاسم المسكناني:
- ٦٣٠٣ الشيخ علي القزوينى الحائرى:
- ٦٣٠٣ الشيخ علي قلى خان بن الأمير قرچغاي خان الترمكمانى الاصفهانى القزوينى:
- ٦٣٠٥ جلال الدين أبو الفضل علي القزوينى المتخلص ب عنقا:
- ٦٣٠٥ الشيخ علي القزوينى الحائرى:
- ٦٣٠٥ علي محمد تاج العلماء:
- ٦٣٠٥ الميرزا علي محمد الملقب ب حكيم:
- ٦٣٠٦ الشيخ علي أصغر بن محمد حسين البفرونى البيزدى:
- ٦٣٠٦ علي بن محمد علي القراجة داغى التبريزى:
- ٦٣٠٦ علي نقي بن محمد رضا الهمذانى:
- ٦٣٠٦ الشيخ علي أكبر بن محمد أمين اللارى:
- ٦٣٠٦ الشيخ علي بن محمد الهندوكلايى المازندرانى المعروف بسليم:
- ٦٣٠٨ السيد علي بن محمد قطب الدين الحسينى التبريزى الشيرازى الملقب بدعاء:
- ٦٣٠٨ السيد علي بن محمد رحيم بن محمد الموسوى:
- ٦٣٠٨ الشيخ علي محمد بن كريم الرشتى:
- ٦٣٠٨ الشيخ علي أكبر بن محمد باقر القزوينى:
- ٦٣٠٨ علي نقي بن محمد نقي:
- ٦٣٠٩ المولى علي رضا بن محمد آقا جاني:
- ٦٣٠٩ السيد علي أصغر بن محمد شفيع الموسوى:
- ٦٣٠٩ السيد علي البيربى الكاشانى بن السيد محمد رضا:
- ٦٣١١ الشيخ علي كاشف الغطاء بن محمد رضا:
- ٦٣١٢ السيد علي الجزائرى بن السيد مير محمد علي:
- ٦٣١٢ الشهيد الشيخ علي الرضمان بن الشيخ محمد بن الشيخ عيد الله بن الشيخ حسن ابن الشيخ علي بن الشيخ عبد النبي آل الشيخ رمضان الخراعى الأحسانى:
- ٦٣٣٥ علي أكبر بن محمد علي:
- ٦٣٣٥ الشيخ علي أصغر بن الشيخ محمد الشكرنايى القزوينى:
- ٦٣٣٦ الميرزا علي محمد بن محمد علي الشريف الشريفى الاصبهانى:
- ٦٣٣٦ علي المسكناني الاصبهانى:
- ٦٣٣٦ السيد علي بن خان المدنى الشيرازى الشهير بابن معصوم:
- ٦٣٥٩ تقيه الإسلام الميرزا علي التبريزى بن موسى:
- ٦٣٦٢ الشيخ علي الميانجى:
- ٦٣٦٢ السيد علي الهمذانى ابن السيد شهاب الدين:
- ٦٣٦٢ الشيخ علي بن يوسف بن علي بن محمد العاملى:
- ٦٣٦٣ السيد يادعلى بن ممتاز علي الحسنى الواسطى البارہ اى البرستابادى الهندى:

- ٦٣٦٣ عماد الدين اللاهوري:
- ٦٣٦٣ ملا عنایت علی شاه بخاری بن السيد مرتضى شاه:
- ٦٣٦٣ السيد عنایه علی السامانی بن كرم علی:
- ٦٣٦٥ عوض بن حيدر التستري:
- ٦٣٦٥ الشيخ عبد بن الحسين بن عبد الله بن القاسم النجفي:
- ٦٣٦٥ الشيخ عيسى اللواساني بن الشيخ شكر الله:
- ٦٣٦٦ الشيخ عيسى بن علی الأردبیلی:
- ٦٣٦٦ الشيخ عيسى بن محمد النجفي:
- ٦٣٦٦ الشيخ عيسى بن يوسف بن علی بن عبد الغني الرشتي:
- ٦٣٦٦ الدكتور غلام حسين مصاحب:
- ٦٣٧٧ غلام حسين البيگلوري الحيدرابادي ابن أشرف حسين:
- ٦٣٧٨ غلام حسن الكهنوي اللكهنوي:
- ٦٣٧٨ غلام حسنين كنتوري:
- ٦٣٧٨ الدكتور غلام حسين صديقي:
- ٦٣٨٠ غلام حسين جونپوري بن فتح محمد:
- ٦٣٨٠ المولوي غلام حسين الدهلوي:
- ٦٣٨٠ الدكتور غلام حسين يوسفی:
- ٦٣٨١ غلام الحسنين:
- ٦٣٨١ الشيخ غلام رضا القمي:
- ٦٣٨١ الميرزا غلام رضا بن الحسين العبدل آبادي الكرمانی:
- ٦٣٨١ غلام السيد بن غلام الثقلين:
- ٦٣٨٢ الشيخ غلام علی بن عباس بن صفر علی البارفوشي المازندراني:
- ٦٣٨٣ الشيخ غلام علی المرندی:
- ٦٣٨٣ الشيخ غلام علی بن محمد علی، محمد أمين:
- ٦٣٨٣ غياث الدين الكرمانی، أبو إسحاق:
- ٦٣٨٣ فاطمه بنت الشيخ محمد علی بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد تقي بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم البرغانی القزوينی:
- ٦٣٨٤ فتح الله بن احمد بن محمود الشهرستاني السبزواری:
- ٦٣٨٤ الملا فتح علی بن گل محمد البرادگاهی اللكراني:
- ٦٣٨٤ الميرزا فتح الله البسطامي المعروف في أشعاره بالدوقي البسطامي:
- ٦٣٨٤ فتح الله الشيرازي:
- ٦٣٨٦ أبو النصر فتح الله الشيباني:
- ٦٣٨٦ فتح علی خان صبا:
- ٦٣٨٩ الشيخ فتح علی الزنجاني:
- ٦٣٨٩ فتح الله بن محمد رضا بن إبراهيم الخوئي:
- ٦٣٨٩ الميرزا فخر الدين الطاهري بن أبي القاسم:
- ٦٣٩٠ الشيخ فخر الدين بن حسن بن زين الدين بن طي العاملي:
- ٦٣٩٠ السيد فخر الدين بن ميرزا حسين الحسيني الاسترآبادي:

- ٦٣٩٠ السيد فخر الدين امامت الكاشاني:
- ٦٣٩٤ فدا حسين الشيخ:
- ٦٣٩٥ ملا فرج الله الشوشتری:
- ٦٣٩٥ فرمان علي:
- ٦٣٩٥ الشيخ فضل علي بن الشيخ ولي محمد أو ولي الله القزويني:
- ٦٣٩٦ فضل علي المعروف بملا فضلي بن أشرف علي خان:
- ٦٣٩٦ فضل الله أنجو الشيرازي:
- ٦٣٩٨ الميرزا فضل الله المعروف بشيخ الإسلام الزنجاني:
- ٦٣٩٩ الميرزا فضل الله بن محمد الشريف:
- ٦٤٠٠ الشيخ فضل الله المازندراني بن محمد حسن:
- ٦٤٠١ السيد قاسم علي البحريني:
- ٦٤٠١ فقير الله اللاهوري:
- ٦٤٠١ الحاج فياض حسين الولي بن قاسم علي:
- ٦٤٠١ الشيخ فياض الدين الزنجاني بن الأخوند ملا محمد السرخه ديزجي:
- ٦٤٠٢ قادر حسين مدراسي:
- ٦٤٠٢ الشيخ قاسم بن إبراهيم الخوني:
- ٦٤٠٢ الأمير قرچغاي خان التركماني القزويني:
- ٦٤٠٤ قليج بيك بن فريدون:
- ٦٤٠٤ السيد قمر الزمان بن السيد محمد رفيع الرضوي السيزواري:
- ٦٤٠٥ قمر الدين اورنگ آبادي:
- ٦٤٠٥ قوامي الرازي:
- ٦٤٠٨ السيد كاظم العصار الطهراني:
- ٦٤١١ الميرزا كاظم بن محمد التبريزي الملقب باسرار علي:
- ٦٤١١ كافي بن محتشم القانني، أبو جعفر:
- ٦٤١١ السيد كرامت حسين الكنتوري بن السيد سراج حسين:
- ٦٤١١ الحافظ كفايت حسين بن عبد الله:
- ٦٤١٣ كعب بن زهير بن أبي سلمى:
- ٦٤٣٩ كلب حسين بن آقا حسن:
- ٦٤٤٠ كمال الدين موهاني بن السيد نظام الدين حسين الرضوي:
- ٦٤٤٠ الميرزا لطف علي بن محمد كاظم بن لطف علي بن كاظم خان الشيرواني التبريزي، صدر الأفاضل، دانش:
- ٦٤٤١ لطف الله بن محمد رفيع الفارسي الشيرازي:
- ٦٤٤١ مولانا لطف الله النيسابوري:
- ٦٤٤٥ الشيخ لطف الله النيسابوري:
- ٦٤٤٥ لطيف القزويني:
- ٦٤٤٥ السيد محسن الأعرجي:
- ٦٤٥٧ محمد البيدايادي:

- ٦٤٥٨ محسن تنوي بن نور محمد
- ٦٤٥٨ محمد جعفر بن أبو الحسن الملقب أبو صاحب:
- ٦٤٥٨ الشيخ ناصر الدين محمد بن احمد التوني:
- ٦٤٥٩ محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني:
- ٦٤٩٠ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بن علي:
- ٦٤٩١ الشيخ محمد رضا آل ياسين:
- ٦٤٩٣ السيد محمد رضا الموسوي الكلبيايگاني:
- ٦٤٩٣ اشاره
- ٦٤٩٤ مؤلفاته:
- ٦٤٩٥ أسانذته:
- ٦٤٩٦ السيد محمد صادق بحر العلوم بن السيد حسن بن السيد إبراهيم بن السيد حسين بن السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم
- ٦٤٩٩ السيد محمد باقر بن هاشم الحسيني الجيلاني
- ٦٤٩٩ محمد باقر بيجابوري
- ٦٤٩٩ محمد باقر بن محمد حسين التبريزي
- ٦٥٠٠ محمد جعفر بن آقا بزرگ آقا كب التستري
- ٦٥٠٠ محمد مرشد بن عبد علي الماليري الأصبهاني
- ٦٥٠٠ محمد المعروف بملا آقا الساوجبلاغي الطهراني
- ٦٥٠١ الشيخ الميرزا محمد باقر الهمذاني بن محمد جعفر
- ٦٥٠١ السيد محمد باقر المشهدي
- ٦٥٠١ ميرزا محمد باقر بن أحمد بن لطف علي بن محمد صادق التبريزي
- ٦٥٠١ السيد محمد أمين بن محمود شجاع الدين الرضوي
- ٦٥٠١ الشيخ محمد إسماعيل بن محمد هادي الفدائي الكرازي
- ٦٥٠٢ الميرزا محمد الأخباري بن الميرزا أمان
- ٦٥٠٢ الميرزا السيد محمد بن السيد أحمد الهاتف الأصفهاني:
- ٦٥٠٢ الحاج محمد بن أحمد الشريف
- ٦٥٠٢ الشيخ محمد بن أحمد صاحب آيات الأحكام بن إسماعيل بن عبد النبي الجزائري النجفي
- ٦٥٠٢ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
- ٦٥٠٤ الميرزا محمد تقي بن آقا صالح بن أسد الله البروجردي
- ٦٥٠٤ محمد حسن علي خير بوري بن مير محمد نصير خان
- ٦٥٠٤ الشيخ محمد حسن بن محمد رحيم اللنجاني الأصبهاني
- ٦٥٠٤ السيد محمد حسن بن السيد محمد النجفي،
- ٦٥٠٥ محمد حسن القزويني الشيرازي
- ٦٥٠٥ الشيخ محمد حسن بن محمد علي بن الحسن الأسترآبادي الجابري الأنصاري النجفي
- ٦٥٠٥ السيد محمد حسن بن محمد العسكري الحسنی السمناني
- ٦٥٠٥ الشيخ محمد حسن بن محمد إبراهيم بن عبد الغفور اليزدي
- ٦٥٠٧ السيد الميرزا محمد جعفر الموسوي الشهرستاني ابن محمد حسين الموسوي الشهرستاني بن السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني بن أبي القاسم
- ٦٥٠٨ محمد تقي بن أحمد البروجردي

- ٦٥٠٨ محمد تقى السبزواري، أمين الواغظين
- ٦٥٠٨ محمد تقى بن محمد رضا
- ٦٥٠٨ السيد محمد تقى بن مير محمد تقى بن مير رضا بن مير قاسم أمير الحاج ابن مير محمد باقر قافله باشى الحسينى القزوينى.
- ٦٥١٠ السيد محمد تقى بن محمد حسن الرضوى
- ٦٥١٠ الشيخ محمد تقى موفق
- ٦٥١٠ الميرزا محمد تقى المراغى
- ٦٥١٠ الميرزا محمد تقى الشريف الرضوى القمى
- ٦٥١٠ ميرزا محمد تقى الطوسى
- ٦٥١١ الميرزا محمد حسن
- ٦٥١١ السيد محمد حسين بن السيد حسين الزيدى الباهوى اللكهنوى
- ٦٥١١ محمد حسين بن محمد الفاضل
- ٦٥١٣ الشيخ محمد حسين بن محمد جعفر الصدوقى النطنزى، صدر الشريعه
- ٦٥١٣ الشيخ محمد حسين التجنى بن أبو القاسم
- ٦٥١٣ السيد محمد حسين بن جعفر بن باقر بن القاسم الحسينى القزوينى
- ٦٥١٤ الميرزا محمد حسين خان الأصفهانى،
- ٦٥١٤ محمد حسين الأصفهانى:
- ٦٥١٤ محمد بن الحسين بن على المقرئ
- ٦٥١٤ السيد محمد حسين بن محمد على بن محمد كاظم الحسى الحسينى الطباطبائى التبريزى
- ٦٥١٥ الملا محمد حسين ضياء الأصفهانى
- ٦٥١٦ محمد حسين سالمى
- ٦٥١٦ الميرزا محمد حسين بن محمد إسماعيل الحسينى التفرشى
- ٦٥١٦ السيد محمد رضى بن محمد تقى بن محمد على الحسينى الخلىالى
- ٦٥١٦ الشيخ محمد رضا بن محمد حسين بن عبد الله
- ٦٥١٦ محمد رفيع بن محمد شفيع القزوينى
- ٦٥١٦ السيد محمد الرضوى الأكبر أبادى بن محمد
- ٦٥١٧ السيد محمد رضى
- ٦٥١٧ الشيخ محمد رضا بن محمد صادق الأسترا بادى
- ٦٥١٧ الشيخ محمد شريعتمدار المازندرانى البارفروشى
- ٦٥١٧ محمد سعيد بن محمد مقيم الارى
- ٦٥١٧ السيد محمد زكى الموسوى المشهدى الدرودى
- ٦٥١٨ السيد محمد شريف النقوى الشيرازى
- ٦٥١٩ محمد شريف بن حامد الجيلاى
- ٦٥١٩ ميرزا محمد شفيع التبريزى
- ٦٥١٩ السيد محمد شفيع بن محمد بهاء الدين الحسينى القزوينى
- ٦٥١٩ محمد شريف بن محمد صادق الخاتون أبادى
- ٦٥١٩ محمد صادق الخسروشاهى

- ٦٥٢٠ السيد محمد صادق بن علي نقي بن محمد علي الموسوي الزنجاني الأصفهاني
- ٦٥٢٠ محمد صادق الشريف الخراساني
- ٦٥٢٠ الشيخ محمد صادق بن محمد أمين بن محمد علي الجهيمي الحلبي
- ٦٥٢٠ السيد محمد الطباطبائي
- ٦٥٢٢ محمد محيط الطباطبائي
- ٦٥٢٣ الشيخ محمد بن عبد الله الكرمانشاهي
- ٦٥٢٣ الشيخ محمد بن عبد النبي بن نعمه الله البحراني
- ٦٥٢٣ السيد محمد بن عبد الحسين بن الحسن بن عبد الله علي بن فرج الله الحسيني النجفي
- ٦٥٢٣ محمد بن عبد الحي الشريف
- ٦٥٢٥ السيد محمد طاهر بن أبي طالب الحسيني
- ٦٥٢٥ ميرزا محمد علي خان بن قنبر علي السدهي الأصفهاني الملقب بشمس الشعراء
- ٦٥٢٥ الشيخ محمد علي بن محمد صادق النيشابوري
- ٦٥٢٥ السيد محمد الموسوي بن زين العابدين
- ٦٥٢٥ محمد مؤمن الأردستاني
- ٦٥٢٦ محمد قاسم بن محمد شريف
- ٦٥٢٦ محمد كاظم بن محمد شريف الطبيب بن محمد صادق الخاتون آبادي
- ٦٥٢٦ محمد كاظم بن الرضا الطبري
- ٦٥٢٦ محمد كاظم رحمت
- ٦٥٢٦ الأخوند الملا محمد الكاشاني
- ٦٥٢٨ الشيخ محمد قاسم الخلخالي، الفاضل
- ٦٥٢٨ محمد قاسم بن غلام علي الطبيب الرسمتاري
- ٦٥٢٨ محمد قاسم بن محمد عسكر اليزدي
- ٦٥٢٨ محمد بن قوج علي الحاجي آبادي الأسترآبادي
- ٦٥٢٨ السيد محمد بن علي بن نظام الدين الجيلي العقيلي
- ٦٥٢٨ محمد علي الفراجة داغي التبريزي
- ٦٥٢٩ الشيخ محمد علي بن محمد تقي البروجردي
- ٦٥٢٩ الشيخ محمد بن علي بن خاتون العينائي العاملي
- ٦٥٢٩ الملا محمد علي بن محمد حسن الآرائي الآرائي الكاشاني
- ٦٥٢٩ محمد علي الكشميري
- ٦٥٣١ السيد محمد علي الطباطبائي
- ٦٥٣١ محمد بن وهيب الحميري
- ٦٥٣١ السيد محمد بن هاشم الحسيني القمي الكشميري
- ٦٥٣١ محمد هاشم بن محمد طاهر بن الحكيم أبي طالب الطبيب الطهراني
- ٦٥٣١ السيد محمد بن نصر الله بن أحمد الموسوي الكاشاني
- ٦٥٣٢ السيد محمد بن السيد نجم الحسن
- ٦٥٣٢ الشيخ محمد مهدي بن محمد شفيع المازندراني
- ٦٥٣٢ السيد محمد مهدي بن محمد سعيد الشريف الموسوي الخلخالي

- ٦٥٣٢ السيد محمد مهدي الموسوي بن السيد محمد
- ٦٥٣٣ السيد محمد مهدي بن علي الكربلاي
- ٦٥٣٣ السيد محمد مهدي الحسيني الخطيب القمي
- ٦٥٣٤ محمد مهدي بن محمد حسن بن محمد حسين بن بديع الزمان المنجم
- ٦٥٣٤ السيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني
- ٦٥٣٤ محمد مقيم بن محمد علي
- ٦٥٣٤ السيد محمد بن معصوم بن محمد الرضوي الخراساني
- ٦٥٣٤ محمد معصوم بن الحسين المنشي البيزجردي
- ٦٥٣٥ الشيخ محمد مهدي بن حميد
- ٦٥٣٥ السيد مير محمد باقر بن السيد مير علي بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقاني الأصل القزويني المولد و المنشأ آل الرفيعي
- ٦٥٣٥ الشيخ محمد باقر بن محمد إسماعيل اليزدي السيرجاني الكرمانى، أبو جعفر:
- ٦٥٣٦ الشيخ محمد باقر المجد المسجدشاهي
- ٦٥٣٧ آقا محمد باقر بن محمد جعفر القهي الاصبهاني:
- ٦٥٣٧ الميرزا محمد باقر السيزوري بن محمد علي:
- ٦٥٣٨ الملا محمد باقر بن محمد محسن الخوزاني الاصبهاني:
- ٦٥٣٨ محمد تقي بن محمد مقيم اليزدي:
- ٦٥٣٨ محمد تقي
- ٦٥٤٠ السيد محمد تقي القزويني بن المظفر القزويني الزيابادي السمناني المعروف بالصوفي
- ٦٥٤٠ السيد محمد تقي بن السيد رضا بن السيد محمد تقي بن السيد مؤمن بن السيد محمد تقي بن المير أبو القاسم الحسيني القزويني التقوى الشهير بالسيد آغا القزويني:
- ٦٥٤١ محمد باقر الدهلوي بن محمد أكبر:
- ٦٥٤٢ الشيخ محمد حسن
- ٦٥٤٢ الشيخ ملا آغا محمد الطهراني الساوجلاغي المعروف ب ملا آغا:
- ٦٥٤٣ محمد رضا بن كمال الدين الحسيني الاسترآبادي:
- ٦٥٤٣ الشيخ محمد حسن بن عباس قلى المراغي:
- ٦٥٤٣ السيد محمد حسن بن محمد باقر الهزارجربىي:
- ٦٥٤٣ السيد محمد حسن النجفي
- ٦٥٤٥ السيد محمد الحسين الموسوي الشهرستاني
- ٦٥٤٦ محمد حسين مرشدآبادي بن محمد هادي العقيلي الشيرازي:
- ٦٥٤٦ السيد محمد حسين بن علي أصغر شيخ الإسلام الحسنى الحسينى الطباطبائى التبريزي:
- ٦٥٤٨ الشيخ محمد حسين بن صفر علي البارفروشى المازندراني:
- ٦٥٤٨ الشيخ محمد حسين بن ملا غلام علي الاويسى القزويني:
- ٦٥٤٨ الميرزا محمد حسين خان
- ٦٥٤٩ محمد الداوري
- ٦٥٥١ ميرزا محمد رفيع لكهنوي:
- ٦٥٥١ الشيخ محمد رضا القمشه اى
- ٦٥٥٢ الشيخ محمد زاهد النجفي

٦٥٥٤	الميرزا محمد صادق الأميري
٦٥٥٧	السيد محمد العصار بن محمود الحسيني اللواساني الطهراني
٦٥٦٠	السيد محمد بن علي الحسيني
٦٥٦٠	محمد علي حسن شمس
٦٥٦١	محمد علي الكشميري بن صادق
٦٥٦١	محمد بن عبد الله الكاتبي النيسابوري
٦٥٦٥	الميرزا محمد علي بن قنبر علي السدهي الاصفهاني المشهور بسروش الاصفهاني
٦٥٦٦	الشيخ الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ع، العلوي الحسني الشجري الكوفي
٦٥٧٦	الشيخ محمد علي الأراكي
٦٥٧٨	الشيخ محمد علي الأنصاري القمي ابن الشيخ محمد حسين
٦٥٧٩	نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن
٦٥٧٩	اشاره
٦٥٨١	المغول و كتب بغداد
٦٥٨٣	الشيخ شرف الدين محمد بن محمد رضا بن محمد التبريزي
٦٥٨٤	محمد بن محمد بن بقيق الحلبي، عضد الدين
٦٥٨٤	محمد بن محمد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد
٦٥٨٤	اشاره
٦٥٨٤	موجز سيرته
٦٥٨٤	اشاره
٦٥٩٢	١ - تثبيت ما لمدرسه أهل البيت ع من هويه مستقلة
٦٥٩٩	٢ - تأسيس الإطار العلمي الصحيح لفقه الشيعة
٦٦٠٠	اشاره
٦٦٠٣	أ - كتاب المقتعة
٦٦٠٥	ب - الرسائل الفقيهيه
٦٦٠٦	ج - كتاب التذكرة بأصول الفقه
٦٦٠٧	٣ - ابتكار أسلوب الجمع المنطقي بين العقل و النقل في الفقه و الكلام
٦٦١٤	مؤلفاته
٦٦١٤	- حرف الألف
٦٦١٤	اشاره
٦٦١٤	١ - اجازته للشيخ الدقاق
٦٦١٤	٢ - الأجوبه عن المسائل الخوارزميه
٦٦١٤	٣ - أحكام أهل الجمل
٦٦١٤	٤ - أحكام النساء
٦٦١٥	٥ - الاختصاص
٦٦١٥	٦ - اختيار الشعراء
٦٦١٥	٧ - الإرشاد
٦٦١٥	٨ - الأركان في دعائم الدين

- ٩ - الأركان في الفقه: ٦٦١٦
- ١٠ - الاستبصار فيما جمعه الشافعي من الأخبار: ٦٦١٦
- ١١ - الانشرف في عام فرائض الإسلام: ٦٦١٦
- ١٢ - أصول الفقه: ٦٦١٦
- ١٤ - الاعلام فيما انفقت الاماميه عليه من الأحكام: ٦٦١٨
- ١٥ - الافتخار: ٦٦١٨
- ١٦ - الإفصاح: ٦٦١٨
- ١٧ - الاقتصاد على الثابت من الفتيا: ٦٦١٨
- ١٨ - أقسام مولى في اللسان: ٦٦١٨
- ١٩ - الاقناع في وجوب وجوه الدعوه: ٦٦١٩
- ٢٠ - الأمالي المتفرقات: ٦٦١٩
- ٢١ - امامه أمير المؤمنين ع من القرآن: ٦٦١٩
- ٢٢ - الانتصار: ٦٦١٩
- ٢٣ - أوائل المقالات في المذاهب المختارات: ٦٦١٩
- ٢٤ - الإيضاح: ٦٦٢٠
- ٢٥ - ايمان أبي طالب: ٦٦٢٠
- حرف الباء - ٦٦٢٠
- ٢٦ - الباهر من المعجزات: ٦٦٢٠
- ٢٧ - البيان عن غلط قطرب في القرآن: ٦٦٢٠
- ٢٨ - البيان في تأليف القرآن: ٦٦٢٠
- ٢٩ - بيان وجوه الأحكام: ٦٦٢١
- حرف التاء - ٦٦٢١
- اشاره ٦٦٢١
- ٣٠ - تفضيل الأئمه على الملائكه: ٦٦٢١
- ٣١ - تفضيل الأنبياء على الملائكه: ٦٦٢١
- ٣٢ - تقرير الأحكام: ٦٦٢١
- ٣٣ - التمهيد: ٦٦٢٢
- ٣٤ - تصحيح الاعتقاد في شرح اعتقادات الصدوق: ٦٦٢٢
- ٣٥ - التواريخ الشرعيه: ٦٦٢٢
- حرف الجيم - ٦٦٢٢
- ٣٦ - الجمل: ٦٦٢٢
- ٣٧ - جمل الفرائض: ٦٦٢٣
- ٣٨ - جواب ابن واقد: ٦٦٢٣
- ٣٩ - جواب أبي الفرج بن إسحاق عما يفسد الصلاة: ٦٦٢٣
- ٤٠ - جواب أبي محمد الحسن بن الحسين النوبندجاني: ٦٦٢٣
- ٤١ - جواب أهل جرجان في تحريم الفقاغ: ٦٦٢٣

- ٤٢ - جواب أهل الحجاز في نفى سهو النبي ص: ٤٦٢٣
- ٤٣ - جواب أهل الرقه في الأهل و العدد: ٤٦٢٤
- ٤٤ - جواب الكرمانى في فضل النبي ص على سائر الأنبياء: ٤٦٢٤
- ٤٥ - جواب المافروخى في المسائل: ٤٦٢٤
- ٤٦ - جواب المسائل في اختلاف الأخبار: ٤٦٢٤
- ٤٧ - الجوابات في خروج المهدي: ٤٦٢٤
- ٤٨ - جوابات ابن الحمامى: ٤٦٢٤
- ٤٩ - جوابات ابن نيانه: ٤٦٢٤
- ٥٠ - جوابات أبي جعفر القمى: ٤٦٢٥
- ٥١ - جوابات أبي جعفر محمد بن الحسين الليثى: ٤٦٢٥
- ٥٢ - جوابات أبي الحسن سبط المعافى بن زكريا في اعجاز القرآن: ٤٦٢٥
- ٥٤ - جوابات أبي الحسن النيسابورى: ٤٦٢٥
- ٥٥ - جوابات أبي الفتح محمد بن على بن عثمان: ٤٦٢٥
- ٥٦ - جوابات أبي الليث الأوانى: ٤٦٢٦
- ٥٧ - جوابات الأمير أبي عبد الله: ٤٦٢٦
- ٥٨ - جوابات أهل الدينور: ٤٦٢٦
- ٥٩ - جوابات أهل طبرستان: ٤٦٢٦
- ٦٠ - جوابات أهل الموصل في العدد و الرؤيه: ٤٦٢٦
- ٦١ - جوابات البرقى في فروع الفقه: ٤٦٢٦
- ٦٢ - جوابات بنى عرقل: ٤٦٢٧
- ٦٣ - جوابات الشرقيين في فروع الدين: ٤٦٢٧
- ٦٤ - جوابات على بن نصر العبد جانى: ٤٦٢٧
- ٦٥ - جوابات الفارقيين في الغيبه: ٤٦٢٧
- ٦٦ - جوابات الفيلسوف في الاتحاد: ٤٦٢٧
- ٦٧ - جوابات المسائل الجاروديه: ٤٦٢٧
- ٦٨ - جوابات المسائل الجرجانيه: ٤٦٢٧
- ٦٩ - جوابات المسائل السرويه: ٤٦٢٨
- ٧٠ - جوابات المسائل الفارسيه: ٤٦٢٨
- ٧١ - جوابات مسائل اللطيف من الكلام: ٤٦٢٨
- ٧٢ - جوابات المسائل المازندرانيات: ٤٦٢٩
- ٧٣ - جوابات المسائل المنشوره: ٤٦٢٩
- ٧٤ - جوابات المسائل النيسابوريه: ٤٦٣٠
- ٧٥ - جوابات مقاتل بن عبد الرحمن: ٤٦٣٠
- ٧٦ - جوابات النصر بن بشير في الصيام: ٤٦٣٠
- حرف الحاء - ٤٦٣٠
- ٧٧ - حدائق الرياض و زهره المرتاض: ٤٦٣٠
- حرف الخاء - ٤٦٣٠

- ٧٨ - خلاصه الإيجاز في المتعه: ٤٤٣١
- حرف الراء - ٤٤٣١
- ٧٩ - الرجال: ٤٤٣١
- ٨٠ - رد الصوفيين: ٤٤٣١
- ٨١ - الرد على ابن الإخشيد: ٤٤٣١
- ٨٢ - الرد على ابن رشيد: ٤٤٣١
- ٨٣ - الرد على ابن عون في المخلوق: ٤٤٣١
- ٨٤ - الرد على ابن كلاب في الصفات: ٤٤٣١
- ٨٥ - الرد على أبي عبد الله البصرى: ٤٤٣٢
- ٨٦ - الرد على أصحاب العلاج: ٤٤٣٢
- ٨٧ - الرد على ثعلب في آيات القرآن: ٤٤٣٢
- ٨٨ - الرد على الجاحظ في العثمانية: ٤٤٣٢
- ٨٩ - الرد على الجبائي في التفسير: ٤٤٣٢
- ٩٠ - الرد على الخالدي: ٤٤٣٢
- ٩١ - الرد على الشعبي: ٤٤٣٢
- ٩٢ - الرد على الصدوق في عدد شهر رمضان: ٤٤٣٣
- ٩٣ - الرد على العتيقي: ٤٤٣٣
- ٩٤ - الرد على القتيبي في الحكايه و المحكى: ٤٤٣٣
- ٩٥ - الرد على الكرابيسي: ٤٤٣٣
- ٩٦ - الرد على من حد المهر: ٤٤٣٣
- ٩٧ - الرد على النسفي: ٤٤٣٤
- ٩٨ - الرساله إلى الأمير عبد الله و أبي طاهر ابني ناصر الدوله: ٤٤٣٤
- ٩٩ - الرساله إلى أهل التقليد: ٤٤٣٤
- ١٠٠ - رساله الجنيدى إلى أهل مصر: ٤٤٣٤
- ١٠١ - الرساله العزيبه: ٤٤٣٤
- ١٠٢ - الرساله العلويه: ٤٤٣٤
- ١٠٣ - رساله في الفقه إلى ولده: ٤٤٣٤
- ١٠٤ - الرساله الكافيه في الفقه: ٤٤٣٥
- ١٠٥ - الرساله المقنعه في الفقه: ٤٤٣٥
- ١٠٦ - الرساله المقنعه في وفاق البغداديين من المعتزله: ٤٤٣٥
- حرف الشين - ٤٤٣٥
- اشاره ٤٤٣٥
- ١٠٧ - شرح كتاب الاعلام: ٤٤٣٦
- حرف العين - ٤٤٣٦
- ١٠٨ - عدد الصوم و الصلاه: ٤٤٣٦
- ١٠٩ - عقود الدين: ٤٤٣٦

- ١١٠ - العمدة في الامامة: ٤٤٣٤
- ١١١ - العويص في الأحكام: ٤٤٣٤
- ١١٢ - العميون والمحاسن: ٤٤٣٧
- حرف الغين ٤٤٣٧
- حرف الفاء ٤٤٣٨
- ١١٣ - الفرائض الشرعية: ٤٤٣٨
- ١١٤ - الفصول من العميون والمحاسن: ٤٤٣٨
- ١١٥ - الفضائل: ٤٤٣٨
- حرف القاف ٤٤٣٩
- ١١٦ - قضيه العقل على الأفعال: ٤٤٣٩
- حرف الكاف ٤٤٣٩
- ١١٧ - الكامل في علوم الدين: ٤٤٣٩
- ١١٨ - كتاب في تأويل قوله تعالى: ٤٤٣٩
- ١١٩ - كتاب في تفضيل أمير المؤمنين: ٤٤٣٩
- ١٢٠ - كتاب في الغيبة: ٤٤٣٩
- ١٢١ - كتاب في قوله - ص - : ٤٤٣٩
- ١٢٢ - كتاب في القياس: ٤٤٤٠
- ١٢٣ - كتاب مسأله في القياس - مختصر : ٤٤٤٠
- ١٢٤ - كتاب نقض كتاب الأضم في الامامة: ٤٤٤٠
- ١٢٥ - كشف الإلباس: ٤٤٤٠
- ١٢٦ - كشف السرائر: ٤٤٤٠
- ١٢٧ - الكلام على الجبائي في المعدوم: ٤٤٤٠
- ١٢٨ - الكلام في أن المكان لا يخلو من متمكن: ٤٤٤٠
- ١٢٩ - الكلام في الإنسان: ٤٤٤١
- ١٣٠ - الكلام في حدود القرآن: ٤٤٤١
- ١٣١ - الكلام في الخبر المختلف بغير أثر: ٤٤٤١
- ١٣٢ - الكلام في دلائل القرآن: ٤٤٤١
- ١٣٣ - الكلام في المعدوم: ٤٤٤١
- ١٣٤ - الكلام في وجوه اعجاز القرآن: ٤٤٤٢
- حرف اللام ٤٤٤٢
- ١٣٥ - لمح البرهان: ٤٤٤٢
- حرف الميم ٤٤٤٢
- ١٣٦ - المتعه: ٤٤٤٢
- ١٣٧ - المجالس المحفوظه في فنون الكلام: ٤٤٤٢
- ١٣٨ - مختصر على المعتزله في الوعيد: ٤٤٤٣
- ١٣٩ - مختصر في الغيبة: ٤٤٤٣
- ١٤٠ - مختصر المتعه: ٤٤٤٣

- ١٤١ - المزار الصغير: ٦٦٤٣
- ١٤٢ - المزورون عن معاني الاخبار: ٦٦٤٣
- ١٤٣ - مسأله في الإجماع: ٦٦٤٤
- ١٤٤ - مسأله في الإراده: ٦٦٤٤
- ١٤٥ - مسأله في الأصلح: ٦٦٤٤
- ١٤٦ - مسأله في انشقاق القمر و تكليم الذراع: ٦٦٤٤
- ١٤٧ - مسأله في البلوغ: ٦٦٤٤
- ١٤٨ - مسأله في تحريم ذبائح أهل الكتاب: ٦٦٤٤
- ١٤٩ - مسأله في تخصيص الأيام: ٦٦٤٤
- ١٥٠ - مسأله في خبر ماريه: ٦٦٤٥
- ١٥١ - مسأله في رجوع الشمس: ٦٦٤٥
- ١٥٢ - مسأله في سبب استنار الحججه: ٦٦٤٦
- ١٥٣ - مسأله في العتره: ٦٦٤٦
- ١٥٤ - مسأله في عصمه الأنبياء: ٦٦٤٦
- ١٥٥ - مسأله في غيبه الحججه و فوائدها: ٦٦٤٦
- ١٥٦ - مسأله في قول المطلقات: ٦٦٤٦
- ١٥٧ - مسأله في القياس - مختصر -: ٦٦٤٦
- ١٥٨ - مسأله فيما روته العامه: ٦٦٤٦
- ١٥٩ - مسأله في المسح على الرجلين: ٦٦٤٦
- ١٦٠ - مسأله في المعراج: ٦٦٤٧
- ١٦١ - مسأله في معرفه النبي ص بالكتابه: ٦٦٤٧
- ١٦٢ - مسأله في معنى قول النبي ص: أصحابي كالنجوم: ٦٦٤٧
- ١٦٣ - مسأله في معنى قوله ص: اني مخلف فيكم الثقلين: ٦٦٤٧
- ١٦٤ - مسأله فيمن مات و لم يعرف امام زمانه: ٦٦٤٧
- ١٦٥ - مسأله في الموارث: ٦٦٤٧
- ١٦٦ - مسأله في ميراث النبي ص: ٦٦٤٧
- ١٦٧ - مسأله في النص الجلي: ٦٦٤٨
- ١٦٨ - مسأله في نكاح الكتابيات: ٦٦٤٨
- ١٦٩ - مسأله في وجوب الجنه: ٦٦٤٨
- ١٧٠ - مسأله في الوكاله: ٦٦٤٨
- ١٧١ - مسأله محمد بن الخضر الفارسي: ٦٦٤٨
- ١٧٢ - مسأله الجنيليه: ٦٦٤٨
- ١٧٣ - المسأله على الزيديه: ٦٦٤٨
- ١٧٤ - المسأله في أفضى الصحابه: ٦٦٤٩
- ١٧٥ - المسأله الكافيه في إبطال توبه الخاطئه: ٦٦٤٩
- ١٧٦ - المسأله المقنعه في امامه أمير المؤمنين ع: ٦٦٥٠

- ١٧٧ - المسأله الموضحه عن أسباب نكاح أمير المؤمنين ع: ٦٦٥٠
- ١٧٨ - المسأله الموضحه في تزويج عثمان: ٦٦٥٠
- ١٧٩ - مسائل أهل الخلاف: ٦٦٥٠
- ١٨٠ - مسائل الزيديه: ٦٦٥٠
- ١٨١ - مسائل النظم: ٦٦٥٠
- ١٨٢ - المسائل الحراتيه: ٦٦٥١
- ١٨٣ - المسائل الصاغانيه: ٦٦٥١
- ١٨٤ - المسائل العشره في الغيبه: ٦٦٥١
- ١٨٥ - المسائل الوارده عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفارسي: ٦٦٥١
- ١٨٦ - المسائل الوارده من خوزستان: ٦٦٥٢
- ١٨٧ - مصابيح النور في أوائل الشهر: ٦٦٥٢
- ١٨٨ - مقابس الأنوار في الرد على أهل الأخبار: ٦٦٥٢
- ١٨٩ - مقاله في الرد على البهشميه: ٦٦٥٢
- ١٩٠ - مناسك الحج: ٦٦٥٢
- ١٩١ - مناسك الحج العمليه: ٦٦٥٢
- ١٩٢ - مناسك الحج - المختصر -: ٦٦٥٢
- ١٩٣ - المنير في الامامه: ٦٦٥٣
- ١٩٤ - الموجز في المتعه: ٦٦٥٣
- ١٩٥ - الموضح في الوعد و الوعيد: ٦٦٥٣
- ١٩٦ - مولد النبي ص و الأوصياء ع: ٦٦٥٣
- حرف النون - ٦٦٥٤
- ١٩٧ - النصر في فضل القرآن: ٦٦٥٤
- ١٩٨ - النصره لسيد العتره: ٦٦٥٤
- ١٩٩ - النصوص: ٦٦٥٤
- ٢٠٠ - نقض الامامه على جعفر بن حرب: ٦٦٥٤
- ٢٠١ - نقض فضاء المعتزله: ٦٦٥٤
- ٢٠٢ - نقض المروانيه: ٦٦٥٤
- ٢٠٣ - النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي: ٦٦٥٤
- ٢٠٤ - النقض على ابن عباد في الامامه: ٦٦٥٤
- ٢٠٥ - النقض على أبي عبد الله البصري: ٦٦٥٥
- ٢٠٦ - النقض على البلخي: ٦٦٥٥
- ٢٠٧ - النقض على الجاحظ في فضيله المعتزله: ٦٦٥٥
- ٢٠٨ - النقض على الطلحي في الغيبه: ٦٦٥٥
- ٢٠٩ - النقض على علي بن عيسى الرماني: ٦٦٥٥
- ٢١٠ - النقض على غلام البحراني: ٦٦٥٥
- ٢١١ - النقض على النصيبى: ٦٦٥٥
- ٢١٢ - النقض على الواسطى: ٦٦٥٦

- ٢١٣ - النكت في مقدمات الأصول: ٦٦٥٦
- ٢١٤ - نهج البيان عن سبيل الايمان: ٦٦٥٦
- ٢١٥ - نهج الحق: ٦٦٥٦
- حرف الهاء - ٦٦٥٦
- ٢١٦ - الهدايه في الفقه: ٦٦٥٦
- محمد هاشم بن محمد سميع الجنيدي الشيرازي: ٦٦٥٦
- محمد هاشم بن نصر الله النوري: ٦٦٥٧
- الدكتور محمد مصدق: ٦٦٥٧
- اشاره ٦٦٥٧
- بعد التوره: ٦٦٥٨
- الاعتقال و السجن: ٦٦٦٠
- الدكتور محمد مصدق - ٢ - تامين البترول ٦٦٦٤
- الجهه الوطنيه ٦٦٦٥
- التأميم ٦٦٦٥
- العوده إلى سير الأحداث ٦٦٧٦
- انتفاضه الثلاثين من تموز ٦٦٧٨
- قانون ثوره الثلاثين من تموز و قانون إعطاء الصلاحيات ٦٦٨٣
- انقلاب ٢٨ مرداد ١٩ آب ٦٦٨٣
- وكاله المخابرات الأمريكية أنفقت الملايين من الدولارات ٦٦٨٥
- قضيه استقاله مصدق ٦٦٨٨
- الشيخ ضياء الدين محمد يوسف بن الميرزا حسين خان وزير توبجي القزويني: ٦٦٩٠
- محمد مهدي بن الحاج حيدر علي المشهور باسوده الشيرازي: ٦٦٩١
- السيد محمد مهدي بهيك بوري بن السيد علي: ٦٦٩١
- مير محمد علي بن حسين الطالقاني: ٦٦٩١
- الشيخ محمد علي بن محمد قاسم الطبرسي: ٦٦٩٣
- محمد علي مرشدآبادي الدكني: ٦٦٩٣
- الشيخ محمد بن محمد يوسف الميمني: ٦٦٩٣
- القاضي محمد صادق بن محمد لعل هگلي: ٦٦٩٣
- الميرزا محمد شفيح الشيرازي بن محمد إسماعيل الملقب بوصال ٦٦٩٤
- محمد كاظم المعروف بأشفته الشيرازي بن آغا محمد جعفر كدخدا: ٦٦٩٦
- المفتي السيد محمد قلي بن السيد محمد حسين الموسوي النيسابوري: ٦٦٩٦
- السيد محمد بن محمود الحسيني اللواساني الطهراني ٦٦٩٦
- ميرزا محمد مهدي اللكهنوي: ٦٦٩٧
- السيد محمد هادي اللكهنوي: ٦٦٩٧
- ميرزا محمد هادي: ٦٦٩٧
- السيد محمد هارون زنگي بوري بن السيد عبد الحسين: ٦٦٩٩

- ٦٦٩٩ الشيخ محمد بن يوسف العسكري البحراني، أبو الحسن:
- ٦٦٩٩ أبو جعفر محمد بن يونس بن الحاج راضي بن شويهي الطلويهرى الحميدى الربيعى
- ٦٧١١ محمود بن محمد أبى المكارم بن محمد أبى الفضل الواعظ الحسنى، أبو المكارم:
- ٦٧١١ الحاج محمود بن محمد التبريزى، نظام العلماء:
- ٦٧١١ شرف الدين محمود الطالقانى:
- ٦٧١١ الدكتور محمود حسابى
- ٦٧١٨ السيد مرتضى حسين النقوى صدر الأفاضل:
- ٦٧١٩ مرتضى بن محمد الحسينى:
- ٦٧٢٠ السيد مصطفى بن معصوم الحسينى المازندراني
- ٦٧٢٠ مطهر بن عبد الله بن على الحسينى، عز الدين
- ٦٧٢٠ السيد مطهر حسن سهارن بورى بن السيد صادق حسين:
- ٦٧٢٠ الشيخ مفيد بن الحسن البحراني الشيرازى
- ٦٧٢٢ الحاج مقبول أحمد بن غضنفر على
- ٦٧٢٢ ملك سعيد بن محمد الخلخالى
- ٦٧٢٢ الشيخ مهدي قلى خان بن الشيخ على خان بن قرجناى خان التركمانى الاصفهانى القزوينى:
- ٦٧٢٣ الشيخ مهدي بن أسد الله الهمداني
- ٦٧٢٣ مهدي بن محمد شمس الدين بن معد المطار آبادى
- ٦٧٢٣ الدكتور مهدي المخزومى
- ٦٧٢٥ الشيخ مهدي بن محمد تقى البيدگلى
- ٦٧٢٦ السيد مهدي بن هادى المازندراني:
- ٦٧٢٦ موسى بن محمد بن سليمان الشريف الطبيب التنكابنى
- ٦٧٢٦ نادر شاه الأفشارى:
- ٦٧٢٦ اشاره
- ٦٧٢٦ العلاقة بين ايران و انكلترا فى عهد نادر شاه
- ٦٧٣٠ نادر ميرزا
- ٦٧٣٨ المولى نصر الله الهمداني
- ٦٧٣٨ السيد نعمه الله بن محمد باقر الحسينى،
- ٦٧٣٩ الملا هادى السبزوارى
- ٦٧٤٥ الشيخ هادى النجم آبادى الطهرانى بن مهدي:
- ٦٧٤٧ السيد هاشم الأمين بن السيد محسن:
- ٦٧٤٧ اشاره
- ٦٧٤٨ شعره
- ٦٨٤٢ الحاج الميرزا هاشم الآملى:
- ٦٨٤٣ السيد هبه الله بن السيد مير رفيع بن السيد مير على بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقانى الأصل القزوينى المولد و المنشأ آل الرفيعى:
- ٦٨٤٤ أبو عباده الوليد بن عبید الطائى البحرى
- ٦٨٤٧ الميرزا يحيى بن الميرزا أسد الله بن الحاج آقا حسين بن ملا حسن امام الجمعه ابن المولى تقى الطسوجى الخونى:
- ٦٨٥٠ الشيخ يحيى العراقى:

٦٨٥٠	الشيخ يحيى بن محمد على النائيني:
٦٨٥٠	يحيى بن محمد بن علي بن محمد النقيب الحسيني، عز الدين، أبو القاسم:
٦٨٥٠	السيد يحيى الموسوي بن محسن:
٦٨٥٠	الميرزا يحيى بن شفيع الشريف المستوفي البيدآبادي الاصبهاني:
٦٨٥١	الميرزا يحيى خان بن الحاج الميرزا عبد الغني التفرشي
٦٨٥١	يوسف بن القاسم الاسترآبادي:
٦٨٥١	يوسف بن محمد الحسيني الواعظ اليزدي، عز الدين:
٦٨٥٣	حسن الأمين:
٦٨٥٣	اشاره
٦٨٥٣	مستدركات أعيان الشيعة
٦٨٥٦	أوائل العام الخامس و الثمانين
٦٨٥٧	في أول الطريق
٦٨٥٩	دائره المعارف
٦٨٦٠	السفر إلى طهران
٦٨٦٢	أكله شعبيه
٦٨٦٣	ضيوف آخرون
٦٨٦٥	محنى الظهر مطاطلى الرأس
٦٨٦٦	مؤتمر الشيخ المقيد
٦٨٧١	مؤتمر السيزوارى
٦٨٧٤	تصويب فى المجلد السادس
٦٨٧٥	تعريف مركز

مستدرکات أعيان الشيعة

اشاره

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديدآورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديدآور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

المجلد ١

اشاره

المقدمة

يقول حسن الأمين بن السيد محسن الأمين: كان من طريقه والدى فى كتابه (أعيان الشيعة) ان لا يترجم للأحياء، و بعد وفاته سنة ١٣٧١ توفى الكثيرون من الأعيان الذين يجب ان يترجموا، و كنت بعد وفاته قد تتبعت أسماء بعض من توفوا بعده و أعددت لهم تراجم نشرت فى الطبعة الأخيرة و أشرت فيها إلى انهم مما استدركتهم على الكتاب، و قد سقطت هذه الإشارة أثناء الطبع عن بعض الأسماء كأسماء الشيخ خليل مغنيه و السيد محمد باقر الصدر و السيد هبه الدين الشهرستانى و غيرهم، و يستطيع القارئ ان يدرك ذلك من ملاحظته تاريخ الوفاة، فجميع من يكون تاريخ وفاتهم بعد تاريخ وفاه المؤلف هم بالطبع ممن استدركت تراجمهم على الكتاب.

و لم أستطع تتبع أسماء جميع من يستحقون الترجمة لذلك فاتتني أسماء كثيرة و بعد انتشار الطبعة الجديدة دوت تراجم من فاتتني تدوين تراجمهم فى تلك الطبعة، ثم اننى أثناء مطالعاتى وجدت معلومات تتعلق بمن كانت قد نشرت تراجمهم من قبل و آثرت تدوينها كما وجدت ان بعض التراجم قد فاتت المؤلف، فاجتمع من ذلك كله مقدار كبير مهم يجب ان يضاف إلى الأصل فرأيت إخراجها فى مجلد مستقل باسم (مستدركات أعيان الشيعة) و هو ما يراه القارئ فى هذا المجلد.

و إذا بقيت فى الحياه بقيه ساظل أتابع و أدون ما استمرت الحياه و من الله نسال التوفيق و التسديد.

حسن الأمين

آتش، حيدر على فيض آبادى

ولد سنة ١١٩٢ و توفى فى لکنو سنة ١٢٦٣ شاعر هندى اشتهر بلقبه (آتش) لذلك ترجمناه فى حرف الألف.

شاعر جرىء، فى شعره نفاسه فى الخيال و قوه فى الغرام، و هو ذو منهج خاص فى النسب.

آصف الدوله

قامت فى الهند ثلاث دول شيعيه، هى: العادل شاهيه، والقطب شاهيه، و النظامشاهيه، و هذه كانت فى الدكن جنوب الهند.

ثم قامت بعد ذلك دوله رابعه هى دوله (أود) فى شرق الهند، و لم تكتم هذه الدوله بتبنى التشيع و نشر لوائه، بل كانت باعثا قويا على بث المعارف و الثقافه الإسلاميه و ارقاء الأدب الأردوى. و كانت أول عاصمه لها مدينه فيض آباد، و هناك كان النواب شجاع الدوله المتوفى سنة ١١٨٨ حيث التقى فيها من سائر صنوف الناس أعلاها و من جميع الطبقات أشرفها، و حيث ضمت إليها من كبار الأدباء أمثال سودا و مير و غيرهما.

ثم قام مقامه ولده النواب ميرزا يحيى آصف الدوله فنقل عاصمه الدوله من فيض آباد إلى لکنو. و كان آصف الدوله جوادا كريما شاعرا. و هو صاحب فكره إيصال الماء من الفرات إلى النجف الأشرف، و بذل فى هذا السبيل أموالا طائله حتى وصل

الماء إلى أقرب مكان يمكن إيصاله إليه، و لم يمكن إيصاله إلى النجف نفسها لعلوها.

و فى عهد آصف الدوله زحرت لکنو بالعلماء و الشعراء و الكتاب و المفكرين، و امتلأت بالمدارس و المكتبات لا سيما التى تضم أمهات الكتب الشيعيه، و برز فيها أول مجتهد هندی شيعى هو السيد دلدار على، و لمع فيها أكابر شعراء اللغه الأردويه أمثال سوز أستاذ النواب نفسه، و كذلك مير تقى مير و سودا من شعراء البلاط، و مصحفى و مير حسين و مير شير على أفسوس و غيرهم من شعراء العاصمه لکنو.

و تتابع بعده الملوك واحدا بعد الآخر سالکين السبيل نفسه حتى آخرهم واجد على شاه.

و قد كان آصف الدوله و واجد على شاه من الشعراء المجيدین. و حتى اليوم لا يزال الأدباء يسندون أصولهم إلى عهود لکنو، لأن شعراء لکنو و فى طليعتهم ناسك و رشك هم الذين هذبوا اللغه الأردويه و نقوها من اللفظ السوقى و من الأغلاط و الكلمات الركيكه و من رواسب السانسكريتیه و شذبوا قواعدها و سوا منهاهجها، أو بالأحرى اخرجوا منها لغه مستقله كامله تضم فيما تضم أصح الكلمات العربيه و الفارسيه.

و هكذا ترسخت اللغه الأردويه فى لکنو، لذات و أصبحت لغه الدوله و لغه الثقافه، يعبر بها العلماء و المثقفون فى أحاديثهم و مكتوباتهم، فاكسبت رقه الأسلوب و رشاقه اللفظ و عذوبه النسيج و لطافه المغزى فى الأمثال و الاستعاره، و كان رقيها رقا نهائيا. (راجع ترجمه السيد مير على الكبير فى الصفحه ۳۴۹ من المجلد الثامن ففياها ذكر للمترجم).

إبراهيم شراره بن محمد عبد الله

اشاره

ولد سنه ۱۳۴۱ فى بنت جبيل (جبل عامل) و توفى سنه ۱۴۰۳ فى بيروت

ص: ۵

و دفن فى بنت جبيل.

كانت دراسته الابتدائيه فى بنت جبيل و استفاد فى اللغة العربيه و قواعدها من صحبه الشيخ على شراره. هاجر فى مطلع شبابه إلى إفريقيا الغربيه و لم تطل إقامته فيها فعاد إلى بلده و تعاطى بعض الأعمال التجاربه. ثم استقر نهائيا فى بيروت حتى وفاته.

هو من شعراء جبل عامل الذين و اكبوا نهضته فكانوا لسانه فى وطنيتهم و أدبهم. و مما وصف به بعد وفاته: إبراهيم شراره كما تعرفه منتديات جبل عامل و مجالسه الأدبيه و مهرجاناته و احتفالاته و مناسباته الأدبيه و الثقافيه، من رعييل الأدباء العاملين الذين كانوا يؤثرون ان يخاطبوا بنتاجهم الشعري و الأدبي جمهورا محليا، يعرفون نوابضه و يتواصلون معه على منابر متعدده قد يكون النشر أقلها رواجا. و بغياب إبراهيم شراره يغيب اسم فى آخر سلسله من الأسماء قد تكون مع اسلافها الأوائل فى قلب تاريخ مطوى للثقافه العامليه، يغدو أكثر فأكثر مستورا، لكن على إبراهيم و آخرين تم نقل الأدب العاملى من سلفيه مفرقه إلى نفحه معاصره كانت تهب من حواضر الأدب يوم ذاك فى مصر و لبنان و المهجر. و لعل صدى الرومانطيقه فى لبنان و مصر تسلل إلى أدباء جبل عامل الشبان آنذاك ليؤثر فى كلامهم و نتاجهم و تؤثر الرقه الوافده فى اللغة العريقه الموروثه من شيوخ تشربوا الشعر من منابعه الأولى، و سلكوه من أعرق مسالكه و اوغلهما فى الزمن و أشركوا فيه مشاغل اخرى تشمل المكتبه العربيه القديمه بشتى فروعها. و الأغلِب ان شعر إبراهيم ينضم إلى تراث واسع لم يكتب له ان ينتظم فى التراث اللبناى بكليته، فقد كان هذا الأدب يتداول بين عائلات ثقافيه و منتديات أبرزها المنتدى الحسينى و اماسى سمر و مجالس أدب، و كان مكتفيا بتداوله هذا متالفا معه. (١)

و قال كاتب آخر متحدثا عن مجموعته الوحيداه التى طبع فيها شىء من شعره و سماها (فى قرانا): اننا مع نصوص شاعر بقى فى دائره الريف العاملى حيث عاش و عايشه معظم أوقات حياته. ان الشاعر حين يستنطق الريف يدخل معه فى خطاب رومانسى، و ينتقل به من العين إلى الوجدان، من الوصف إلى العلى. (٢)

و قال كاتب آخر متحدثا عن المجموعه نفسها: فى المضمون تتناول قصائده المكان القريه بفلاحيها و شجرها و حيواناتها و تبدلات الفصول مع نظم هذه العناصر فى اطار الإصرار على الحياه، كما تتناول قصائده انطباعات جماليه صادرة عن اطار ثقافى راهن، و عن اطار ثقافى عريق، و فى الشكل تبدو قصائد إبراهيم شراره ناتجه عن تراث بيئته اللغوى العريق (جبل عامل) و تراث التحديث العربى فى صورته اللبنايه، شعر ما بين الحربين العالميتين.

و من الرافدين اللغويين أتت قصائده أصيله رقيقه فى آن و نقلت أفق الشعر إلى الراهن بعد أن كان شعر جبل عامل محافظا و استمراريا. (٣)

و قال كاتب آخر متحدثا عنه بعد وفاته متطرقا إلى الشعر العاملى بعامه:

ان جبل عامل هو حكايه شعرائه، تماما كما ان شعراءه أيضا هم حكايه جبل عامل. و لذا فاننا حينما نتحدث عن الأدب العاملى كمدخل لفهم أحد شعرائه، فإنه من غير الجائز اعتبار ذلك تطلعا منا للفصل بين الكلمه فى تلك المنطقه و أختها فى اى مكان من الوطن أو العالم، و لا- يجوز وصف ذلك بالانغلاق الثقافى و السياسى، لأن ما نبتغيه هنا هو تشريح جدليه العلاقه لأرض

حوت في جوفها ايحاءات و مصادر تاريخيه شعريه لشعرائها، تماما كما رمل الخليج خبا النفط الأسود لأهله.

انها علاقه الظل بالضوء، و الوجه بالمرأه، و النكهه بالثمره.

بهذا المعنى العميق و المنفتح لطبيعته سفر العاملى فى رحاب ذاته فان الشاعر الراحل إبراهيم شراره " طائر غرد داخل سربه "العاملى. لكن هذا لم يجعله بالضروره واحدا فى جوقه كنيسيه تردد نفس الكلام و ذات اللحن، لقد كان طائرا عامليا بحق، و لكن كان لصوته صدى مميز و لرفيف جناحيه اختلاجات لا تشبه اختلاجات قلبه.

و لعل مقدره إبراهيم شراره على انتزاع تمايزه الفنى من دون ان يترتب على ذلك خروجه من المؤسسه العامليه الشعريه القديمه - لعل هذا بحد ذاته هو واحد من أهم خصائص الشاعر و مميزاته.

فالمؤسسسه الشعريه العامليه، و بشهاده النقاد و العاملين فى تاريخ الأدب هى مؤسسسه قديمه جدا، و أهم ما يميزها فى هذا المجال هو واقع أن سنوات عمرها المديده لم يصبغ نتاجها بالملل و التكرار، كما هى العاده غالبا حينما تكون المصادر الفنيه لاجيال متلاحقه هى ذاتها أو قريبه التشابه.

و كثيرا ما طرح السؤال: لما ذا لا يكرر الشعراء العامليون أنفسهم طالما أن شروط التكرار و اخطاره موجوده؟! ان إبراهيم شراره هنا هو واحد من الأجوبه التى توضح هذا الأمر للمتسائلين.

فإبراهيم شراره ظل عاملى القلب، و حسينى الدمعه و الدم، و لم ير فى غير التبغ(4) عبقا يجسد رائحه الإنسان، و لم يخرج فى شعره عن جذوره و مع ذلك كتب كلاما جديدا و قوافى جديده، رغم أنها لا- يمكن الا- وضعها فى ملف " الشعر العاملى الحسينى "، اتسم بالصدق و تلظى حراره الاحساس عند التعبير و النظر إلى الأشياء. و أدب كالأدب العاملى سمته الصدق فى أهم اعمدته، هو ملتزم فى جوهره حتى قبل أن تأخذ هذه الكلمه تحديدها الاصطلاحى الفنى. و لذا فان أحد أهم الشعارات التى سارت تحتها مظاهرات الحدائه الالتزام...

الكلمه السيف، كانت أصلا فى صلب الأدب العاملى الذى يغنى قضيته التاريخيه.

و يتجلى هذا الأمر فى الأدب العاملى إلى درجه ان البعض يأخذ على العاملين التزامهم هذا، و ينعتة بالانغلاق و البقاء عند الاطلاع. و كان يمكن لنا أن نسلم جدلا بهذا الكلام لو أن شعراء جبل عامل اكتفوا بالماضى أو لو انهم لم يأخذوا من الماضى هويه نضاليه ليعلنوا عبرها انتماءهم لقضايا الحاضر.

ان البعض، و لأسباب غير مقدسه لا- يريد أن يفهم أو يقر باهميه المصادر الفنيه العامليه، و يريد أن ينكر على الأدب العاملى مشروعيه مصادرته و اهميتها،ن.

ص: ٦

٢- محمد على شمس الدين.

٣- محمد فرحات.

٤- المقصود بالتبغ هنا: هو ما يزرعه منه العاملون في حقولهم و يكدون في هذا الزرع و يكدون.

و لو حتى كان يجافى بذلك أحد أهم شعارات الحداثه أو أحد ابرز الحقائق الإنسانيه المسلم بها و التي تعترف بان الأدب العالمى الراقى هو نتاج الحزن البشرى السامى. فروسيا كتبت من الأدب أجمل ما كتبه خلال تلك الفتره التي كانت تتخلص فيها من القيصر أو تتذكر فيها فيما بعد تضحياتها فى هذه المعركه... و العرب ما كان الشعر فضيلتهم، لو أن الصحراء بطبيعتها و تركيبها الاجتماعيه كانت أسمح معهم و أرق و أكثر لطفا. و كتاب دول امريكا اللاتينيه يكتبون اليوم و العالم يستمع إليهم. و يمكن لنا أن نذهب أبعد من هذا لنقول: أن حوار الشمال و الجنوب المعاصر "حوار الفقراء و الأغنياء" يظل حوار طرشان إذا ما أخذ من زاويته السياسيه، لكنه يظل حوارا فنيا من الدرجه الأولى، و هو بحق يمثل واحدا من أهم المصادر الفنيه الحقيقه لأدب هذا العصر.

كان هذا يقودنا إلى استنتاج مركب يخص الشاعر فى جانب منه و يخص مؤسسته الشعريه العامليه التي ينتمى إليها فى الجانب الآخر. فالشاعر اكتسب تمايزه بامتلاكه للموهبه، و فيما شكل انتاجه الفنى لونا جديدا هو مزيج من الأمس و اليوم فى مصادره و أسلوبه و تطلعاته... و الواقع ان مثل هذه الألوان الفنيه التي أنتجها الشعر العاملى فى غير فتره هي التي كانت دائما تمد "المؤسسه الشعريه العامليه" بدم الاستمرار.

و إذا كنا قد سلطنا الضوء على كيفيه تعامل الشاعر مع مصادر الأدب العاملى، فان الواقع يستلزم منا التنويه إلى أن الشاعر كان له إبداع آخر مع الحداثه فى الأسلوب، فى الكلمه الشعريه كتابه و ممارسه.(1)

شعره

مرت له فى هذا الكتاب قصيدتان رثائيتان: الأولى فى الصفحه ١١٢ من المجلد الثامن و الثانيه فى الصفحه ٤٤٥ من المجلد العاشر، و قد صدرت له مجموععه شعريه صغيره سنه ١٩٦٦ م بعنوان (فى قرانا) و ظلت بقيه شعره مخطوطه لم تنشر.

و كان آخر ما نظمه أبياتا وجدت تحت وسادته فى المستشفى نظمها و هو على فراش المرض قبيل وفاته:

بيتى على الرايبه الحالمه اشتاقه فى اللحظه الحاسمه

و انتشى من ذكر احجاره كأننى فى سكره دائمه

حين رمانى الداء فى كوه مظلمه كالليله القاتم

اشتاق أن انشر اخباره على ضفاف الموجه العائم

اشتاق أن توقد شمس الضحى على جناح الشرفه النائمه

فقبلوا أذبال أذبالها ما قام فى خاطر كم قائمه

قال فى أمير المؤمنين على ع:

بى زهوى، فقد حضنت النهارا و اختيالا أعانق الأنوارا
أنا فى يومك التمتع و الفيض عطاياى من يدى غيارى
قبضت راحتى على قطرات.. من معانيك، تلهم الأفكارا
كنت خليتها لنفسى شرابا.. ثم أطلققتها، فكانت بحارا
.. خطره من سناك تلهم روحى.. خطره من ضحاك تهدى الحيارى!
أى يوميك يا على، فادنوا.. منك زلفى، تبارك الأشعارا
يوم سميت يا على، فكان.. الكبر معناك، و العلاء شعارا
كان يوما، و مكه فى ضجيج الشرك تفنى أيامها استهتارا..
ولد الطفل فى حمى الكعبه الطهر. فبشرى تفتقت فى الصحارى
تزرع القفر نعمه، و الرمال البكر، عزا، و المكرمات فخارا
قدر الله أن تكون فتاها.. و المروءات تنتخى و الشفارا.
و على الكوفه الجريحه يوم صبغ الصبح من دماك احمرارا
كان شهر الفرقان، فى رمضان.. كل نفس به توقى العثارا
ليه القدر، و الملائك أرواح تنزلن، و القلوب عذارى
لم تحرق بجمره الدنس الغاوى و لا ألست هواها إزارا
فى خشوع الصلاه، فى هدأه المحراب و النفس تطلق الأسرارا
لاب أفعى، و اندس فى المسجد المحزون، و انهال مجرما غدارا
و حسام ابن ملجم، يلحق الجرم و يقتات خزيه و العارا..
ضربه! و الامام يهزأ بالسم.. فكانت صلاته استغفارا
ضربه! و الشهيد يحتطب الخلد و عبد العبيد يحطب ناراً..

ضربه! و انطوت، لتنشر فينا.. صفحه منك تملأ الأسفارا
كان عمرا ما بين يوميك، شال الدهر كبرا، و روع الأقدارا
كان عمرا يطيل من أمد الدنيا و دنيا تطول الأعمارا
شرف المنتهى، كما عظم البدء و عزا شهاده و افتخارا!..
أى يوميك، كل ما فيك مجد.. يتعالى، و رفعه لا تجارى
رائع فيهما، و تزدحم الدنيا طوالا دهورها لا قصارا
سل بها مطلع النبوه و الإسلام و ادع الصحاب و الأنصارا
يوم بدر، و ذو الفقار على الروع، حتوف، يزلزل الكفارا
و وساد الرسول، ليله كادوا.. بالرسول افتديته إيثارا..
سل بها خيبرا، و قد هزم الشر و هللت و ازدهيت انتصارا
أين ما شد من عزيمتك البكر.. فدك الحصون، و الأسوارا
خير تلك، عند مرمى حدود زعموها و قسموها صغارا
فى فلسطين.. عند مرمى ندائى و اليهودى مجرم لا يبارى
خير هاهنا.. و قد شوهوا القدس و داسوا حرمانها استصغارا
خير دارنا.. و نحن بها العانون سكنى، و الضائقون جوارا.
و أخى النازح الملووح شلو.. بين أنياب حاضن يتضارى
يطعم الكسبره التى حسبوها.. مهترت موطننا و شادت دارا
وطنى ليس سلعه، فى يد التجار ذلوا و راوغوا تجارا
بى عود إلى مشارف يافا.. ما تمادوا فلن أجل انتظارا
و ربوع الجنوب، أرضى كفاحى ينشر المستبد فيها الدمارا

خنجر فى يد الفجور و شعب اعزل لىس يرهب الفجارا
و غدا سوف يزأر الخنجر الحر... بحقى.. و يقتل الجزارا!..
يا عليا، يا فيصلا فى يمين الله..يا وثبه تخوض النمارا.
أنت من زرع أمتى.. من عطايا وطنى... تنتخى و تحمى الذمارا
هات وحد صفوفنا.. و اجمع العرب سبيلا، و امه و ديارا،
لا حدودا، لا ظلمه، لا سجوننا لا دخيلا بها و لا استعمارا

ص: ٧

١- ناصر شراره.

يا ابن عم النبي، تقفو خطاه.. و على الدرب، حيث طه أنارا

قدر الله منذ أن بدأ الخلق فتوحا، لدينه، و انتشارا

و اصطفى أحمدا رسولا أمينا.. صدق الله فيه حين اختارا

رفه من جناح جبريل، لولاها تشق السما و تنزل غارا

لقرأنا نهجا كقرآن طه.. و كآى ابن مريم للنصارى

غفر الله لى، و حبك أوحى لى غلوى، و زين الأفكارا

يا امام الأحرار. نور لنا الدرب فأنت اصطفيتنا أحرارا

كل عام لنا، ببابك، طابت.. وقفه عنده و طبت مزارا

جئت للكون مره، و هو يرجو منك فى الدهر لو أتيت مرارا

مره و الرجاء، يوغل فى الدنيا و لن يبلغ الرجاء القرارا

واحدا فى الزمان.. و هو مجىء.. واحد، ما أعيد دهرا و دارا

يا امام الثوار، تنهد جبارا و فى الله تصرع الجبارا..

كل يوم لنا بدر بك زحف.. للمعالى تمضى لها إعصارا..

يا عليا! و ماج فى حبك الصبح قريضى.. و لألأ الأنوارا

اعطنى من لدنك زهو القوافى.. و عجيبا إن لم تسل أنهارا

اعطنى من لدنك جمر المروءات.. فالظى، و قد عصرت النارا..

أجد الفىء من جناحيك يحوينى فاوى، و قد هدأت قرارا

هات منك الرحيق.. نسكر صاحين على سكبته.. و نصحو سكارى

نشا الشعر فى رياض معانيك فاعطى.. و أطعم الأثمارا..

خطره من سناك تلهم روحى.. خطره من ضحاك.. تهدى الحيارى!

و قال:

عطورك! و أنساب نبع الشروق و رف رفيف الجناح الطليق

فللخطو، ترنيمه كالصلاه و للدرب ضلع ينز الخفوق

صديقك نيسان ما لاح بعد فأين تخلف ركب الصديق

و سابت فينا، ربيع الكروم و عانقت قبل الصباح البريق

فمن أين فوحت هذا العبير؟ و عن أى شمس لمحت الشروق!

تفتقت فى الدرب أكمام ورد فقدست مجد الورود الفتيق

و غار الأفاح فألوى خجولا على الروض، و احمر خد الشقيق

فعند الشقائق عطر الجراح و عند الأفاحى ضلوع تنوق!

و ضاقت دروب الضياء.. فلاذ النهار بكوه فىء سحيق

و أنت و عطرك، لاذت به حياتى، فما فيك درب تضيق

تمنيت لو أننى قطره بعطرك، أغفو، و لا استفيق

فان هدهدتنى يد بضه و اهرقنى منك مس رفيق

وفيت النذور، حرقت البخور و أشعلت زيت دمي فى الحريق

لأولد فى فم قاروره و أفنى بمنعطفات الطريق!.

و فاح العقيق بخاطر دربى و خاطر شعرى الذى لا يطيق

عقيق تمثله خاطرى ليكنزه، كنز مجد عريق..

ففوحى، و خلى العقيق يفوح فانى أحب اكتناز العقيق!

سكرت من العطر، فى غير سكب فعطرك كالسكب خمر عتيق

و رحى أشم الرحيق المذاب بقلبى! و كيف يشم الرحيق

و أغرقت قلبي، بجدول طيب فعاش على راحتك الغريق!

كنوزك، و الثغر و المشتهى على شفتيك، و قد رشيق

و طعم الثمار، و ارجوحتان توائبتا، فى الحرير الرقيق

و جفن يخبئ أحلامه و جفن يبوح بسر عميق

و قال:

هادئ مثلما يسيل الغدير و قوى كما تموج البحور..

لم أزل أعصب الضلوع عليه كى يعيش اللظى و تحيا الصدور

خضب الوحي بالفتون جناحيه فغناه خاطرى المفطور

حبنا!! و ارتمى الفراش على النور ليفنى صب و ينهل نور

همسه الفىء للضفاف. حكته ضفه سمحه، و فىء قرير!

كدمانا التى بذرنا.. فعاشت فى الحنايا. و أطعمتنا البذور

نحن من زرع ما أرقنا من الدمع و ما صبه الدم المحرور

شفق يزرع اللهب على الأفق خضيب أصيله و البكور

كان مهر الهوى.. و قد بسم الحب فأعطت كما رغبتا المهور

كندورى، مشاعلى و زيوتى و هج.. و ابتهاله و ندور

نحن و الحب، ظامى و كئوس سكر الحب أو صحا المخمور!

ولد الحب خفقه تعصر الضلع و تهفو..... ظى.. و ثور

يا هوى ناشئا على شرفات الفجر أوطانه الندى و الزهور

دافنا كالسماح.. ريان كالأفياء نعمى غلاله و سرور

ضاق عنه المدى الفسيح.. و ضج العمر فيه.. فالعمر فيه دهور

حل أضلاعنا، فابنع شوقا و لهيفا و باح عنه الزفير
و طعمناه من لبان أمانينا أمانى رزقها موفور
و حرقنا له البخور لينمو فنما الحب و افتدانا البخور
مهده فى اختلاجه النبضه الحرى و سكناه فى الزمان الضمير
أى حب هذا الذى زرع الدنيا رجاء.. فهو الرجاء النضير!؟
يا هوى سائحا على لألات النجم منه طى و فيه نشور
كملت رحله النهار. و قرت كره الشمس، فهو شمس تدور
و مضى يعمر الدجى. فهو فيه لألات و أنجم و بدور
رحله تصنع الحياه. على الأيام فهو الحياه حيث تمور
يا هوانا! و أنصت الجدول الصاحى و أغفى على النشيد الخريير
و تلاقت أمواجه و النسيم المترامى.. و الشاطئ المعمور
و إذا الموج و النسيم كتاب عن هوانا و صفحه و سطور!
كل شىء يغار فى الحب منا لو يوافيه من هوانا اليسير!
لو تفاق الخريير، لو عشق الصفصاات يوما، و لو أحب الغدير
امنيات تبوح فى خاطر العمر فيحلو قليلها و الكثير!
يا هوى يستحم فى ضفه الحلم أباريقه المنى لا النمير
يتعرى كى ينسج الحلم ثوبا بعض ألوانه الشذى و العبير
مستراح الندى هناك.. مقيل الظل.. مأوى تلم فيه العطور
و مراح للشاربين و مغدى للنشوى.. و ساكب و خمور
و أفاق الربيع يهزج للحب و غنت مع الربيع الطيور

نحن دنيا الشروق.. نحن حروف النور، آمالنا ربيع غضير

غزلت ضوءنا الشموس فشدنا موثلا فى الذرى رجته النسور

و أقامت حدودنا فى دروب النور، فانداح فى ربانا النور

حبنا منتهى الزمان فقرى فى مداه و للزمان ضمير!.

و قال:

يا دفته النور صباح الغد أنت و آمالى على موعد

مقامنا عند احتضار الندى بين الضحى، و الليل، و الفرقد

حشائش مفروشه، هاهنا و هاهنا، فحيث شئت أقعدى

و الروض، حضن دافئ، و الهوى وساده من مهجتي، فارقدى

ما أطول الليل الذى بيننا أواه، من مفرقه الأسود

لو أننى أملكك ركب الضحى و لو تناولت الدجى فى يدي

قذفت بالليل و ساعاته حتى يوارى من طريق الغد

كم موعد لى منك فى خاطرى يضيق، كالسقم، به عودى

و الموعد الحلو، على مره يحسدنى فى مره حسدى

أليس بعد الملتقى فرقه و هل يكون الملتقى مسعدى

كيف أروى العمر من لحظه يتيمه كالأبعد الأبعد!

النار فى قلبى شوب اللظى أنت لها برد فلا تبعدى

إن نبرد، فائنان فى بردها أو نحترق فائنان فى الموقد

فأقبلى فالعمر وقف على لقياك، يا أحلى من الموعد!

و قال من قصيده بعنوان (فى قرانا) و يقصد بها قرى جبل عامل:

كما جعل هذا العنوان لمجموعته الشعرية الوحيديه التي طبعت و كان منها هذه القصيده:

فى قرانا! يورق النور

اشتھاء لقرانا!

كدسته الشمس أكواما

على صحو ذرأنا..

فى جدول فضه

و على خطوتها، تشهق فى

الأضلع نبضه

و الفتى نيسان يحتل

على السهل، مكانا.

و رجال فى سفوح المجد

بينون الزمانا

فى قرانا!..

فى قرانا أزهر اللوز

و فاح اليلسان

و اللهب الأبيض، المزهو

عرس فى الجنان

أشعلته أنمل الخالق

زهرا يتلأأ

و الندى يشربه الفجر

و يسقيه حلالا!

و الفتى نيسان!

ضيفنا نيسان بالباب

ربيع من جديد

فافتحوا الأبواب للقادم

فى موكب عيد

إنه يحمل أزرارا

و شمسا، و ظلالا

و قوارير من العطر

و رزقا، و غلالا

و الفتى الإنسان

الإله المنتضى معوله

فى كل تله

دمه المعروف ينساب شذى

من كل افله

إنه الإنسان

الإله المنكر الأصغر

أو شبه الإله

يحصد الموت ليبقى

خالدا مجد الحياه

ذاته حقل من الحب

و من زرع المنى

فدعوا نيسان يختار

مقيلا عندنا..

فالرفيقان على العهد

أقاما مهرجانا

في قرانا!..

في قرانا! عند مرمى الصوت

من أرض المعاد

مارق يفزعه أنى حر

في بلادى

بدعه العشرين، عار الجيل

لا يمحوه ماحى

فتعالوا نغسل العار

بمخضل الجراح

و الفتى نيسان!

عزمه مؤمنه تحرس

في صف الجنود

ضاحكا يسخر من أسطوره

خلف الحدود

إنه يحمل إيمانك

ص: ٩

بالأرض السليبه

و قوارير من الموت

لأعداء العروبه

و الفتى الإنسان

الشهيد الحى يلظى

بمروءات الرجال

صابرا ينتظر الموت

فداء عن تلالى

أنه الإنسان

عربيا كفلسطين

سيبقى عربيا!..

ينكر العيش مع الذله

أو يقضى أييا!

فدعوا نيسان يختال

شبابا و فتوه..

و ازرعوا الإنسان فى الخندق

كى يثبت قوه

فالرفيقان على العهد

أقاما مهرجانا

فى قرانا!..

أبو الحسن شمس آبادى بن محمد إبراهيم

ولد فى أصفهان سنة ١٣٢٦ و اغتيل سنة ١٣٩٦ فى أطراف أصفهان.

درس المقدمات و السطوح فى أصفهان. ثم سافر إلى النجف و درس على كبار علمائها، ثم رجع إلى أصفهان فكان من مراجعها له: شرح الصحيفة السجادية، موعظه إبراهيم، رساله فى أصول الدين و غير ذلك.

الحاج ميرزا أبو الفضل الطهرانى.

نشر له ديوان باللغه العربيه بتحقيق جلال الدين الارموى المحدث فكتب عنه السيد أحمد اللواسانى فى مجله الدراسات الأدبيه ما يلى:

هذا الديوان العربى مظهر لامتداد اهتمام الأدباء الايرانيين باللغه العربيه و آدابها حتى العصر الحاضر، فصاحبه الحاج ميرزا أبو الفضل الطهرانى و هو عالم دينى مرموق توفى سنة ١٣١٦ هـ. و قد تمكن من العربيه و راضها قبل أن يهاجر إلى العراق - سنة ١٣٠٠ هـ - انتجاعا للعلم و تكمله للمعرفه حيث بقى عشر سنوات يتلمذ و يتفقه على مرجع عصره الامام السيد محمد حسن الشيرازى، و بعد عودته إلى طهران فوض إليه الملك ناصر الدين شاه جميع شئون المدرسه الناصريه الحديثه البناء، و فى بعض القيود أنه هو الذى افتتح مدرسه سبهسالار التى هى اليوم كبرى المدارس الدينيه فى طهران و اسكن فيها الطلاب و اشتغل بالتدريس فيها. و تعد له كتب التراجم الحديثه عده كتب و رسائل، و تجمع كلها على ملكته الشعريه و طول باعه فى العربيه و حسن اطلاعه على الأدب العربى، و الغريب أنه و هو الايرانى الفارسى اللغه و المنشأ و الختام لم يعرف عنه فى الفارسىه إلا قصيده واحده.

و تكثر فى الديوان القصائد الطوال التى يبدو أنها من خصائص شعر الناظم!، كما أنه عامر بالمقطعات المتوسطه و الصغيره و خاصه الرباعيات و الموشح و التخميس.

أما القصائد الطوال فمعظمها فى المدح، و هو مدح يكاد ينحصر بالنبي و الأئمه و الزهراء ثم بالسيد محمد حسن الشيرازى علامه عصره الذى تطفى شخصيته على الديوان، فنقرأ اسمه مع مدائح الأئمه كما نقرأ اسمه مستقلا، و قلما تفوت ذكره و الإشاده به مديحه من المدائح الطوال.

أما أسلوبه فهو الأسلوب القديم من الابتداء بالغزل أو الخمره و ما شابه، و من تعظيم شان الممدوح و تشبيهه بالتشايه المجسمه المبالغ فيها و جعله فوق مستوى الناس العاديين، و أما تعابيره فسهله و واضحه على الغالب رغم استعماله بعض الكلمات الغريبه، و له فى أشعاره تعابير و إشارات إلى قصائد شعراء آخرين أو أحاديث أو وقائع تاريخيه تدل كلها على سعه اطلاعه و كثير تبخره...

و على سبيل المثال ننقل قوله:

أيها المنكر المكابر جهلا فضل أهل الزمان من غير لب

جىء بسيف من آل حمدان يوما كل يوما أجئك يا لمتنبى

و من شعره كذلك:

مهلا فما هى فى الكتوس عقار بل هذه مهج القلوب تدار

يا من يصول على القلوب بمرهف من لحظه و الموت منه غرار

رفقا و انى فيك ينجع لوعتى و تحنى و الظلم منك شعار

أفدى لواحظك التى ان تلتفت من لمحها ظبى الصريم تغار

عجبا للثغه لفظك الغنج التى للقلب منها نشوه و خمار

يا من سبى عقلى و اسلمنى إلى و له الصبايه طرفه السحار

لم لا تجود بوعدده من منطق من لطف لثغته العقول تحار

الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء

مرت ترجمته فى موضعها و لم تذكر سنه وفاته، توفى سنه ١٣٤٤.

السيد أحمد الخونسارى

ولد سنه ١٣٠٩ فى خونسار و توفى فى سنه ١٤٠٥ فى طهران و دفن فى قم درس دروسه الأولى فى خونسار ثم فى أصفهان ثم انتقل إلى النجف الأشرف فحضر على السيد كاظم اليزدى و شيخ الشريعة الأصفهانى و الشيخ حسين النائينى و الشيخ ضياء العراقى، ثم جاء إلى قم فحضر على الشيخ عبد الكريم الحائرى، ثم استقر فى طهران و بقى فيها حوالى الخمس و الثلاثين سنه مرجعا من كبار مراجعها.

ترك من المؤلفات: ١ - جامع المدارك فى الفقه ٢ - العقائد الحقه ٣ - حاشيه على العروه الوثقى ٤ - مناسك الحج ٥ - رساله عمليه.

أبو العلاء المعرى احمد بن عبد الله

مرت ترجمته فى الصفحه ١٦ من المجلد الثالث و نزيد عليها هنا ما يلى:

مر فى ترجمته شعر له يدل على تشيعه، و نزيد هنا على ذلك الشعر هذين البيتين:

لعمرك ما أسر بيوم فطر و لا اضحى و لا بغديرهم [بغدير خم]

و كم ابدى تشييعه غوى لاجل تنسب ببلاد قم

و معلوم ان الشيعة يعتبرون يوم (غدير خم)، و هو اليوم الذى

خطب فيه النبى (ص) بعد عودته من حجه الوداع خطبته الشهيره التى قال فيها: " من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه" و هو اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجه - معلوم ان الشيعة يسمون هذا اليوم (عيد الغدير) و يحتفلون به، و أبو العلاء يذكره هنا مقرونا بعيدى الفطر و الأضحى، اى يعتبره عيدا اعتبار الشيعة له، و ليس من دلالة على تشييع أبى العلاء أوضح من هذه الدلالة. (انتهى) و بعد هذا نأخذ مما كتبه الدكتور حسين مروه فى دراساته عن أبى العلاء لا سيما عن ديوانه (سقط الزند) ما هذا نصه:

هل خلا أدب "سقط الزند من الأدب القومى؟ كان أبو العلاء مفكرا انسانيا يتأبى النزعه القوميه و يرفض "التضييق" على نزعته الإنسانيه بان "يحددها" اطار من النظر الخاص إلى نسبته العربيه؟ لا بد أن يرد مثل هذا السؤال على أذهاننا، و لا بد ان نقارن أبا العلاء بصاحبه أبى الطيب الذى نفح عروبتة بقصائد ذات صيت معروف، ثم نسأل: أ كان لتلك الصحبه الروحيه الحميمه بين أبى العلاء و شعر أبى الطيب اثر ظاهر فى شىء من أدب شاعر المعره؟ اما فى "اللزوميات" فقد يكون البحث عن هذا بحثا لا يجدى و لا يثمر، إذا كان القصد ان نعثر فيه على كلام مباشر يتحدث عن شان خاص بالعرب، من حيث علاقته بهم و علاقتهم به، أو من حيث موقفهم السياسى أو العسكرى من أعدائهم و الطامعين فى بلادهم أو فى موقف أعدائهم منهم.

و لكن سنجد فى "اللزوميات" افكارا و آراء كثيره تتسم بالطابع الفكرى النظرى و هى ذات مقاصد سياسيه و اجتماعيه متأثره بجوهر الأوضاع السياسيه و الاجتماعيه التى كانت تسود المجتمع العربى الإسلامى فى عهده، و كانت الدوله العربيه الإسلاميه، بوجه عام، مصدر الكثير من هذه الأوضاع. انه يتحدث هناك عن الرؤساء و الأمراء إذ يراهم يعدون على "الرعيه"، و هم اجراؤها، و يتحدث عن مظاهر الفساد و الاضطراب فى مختلف مناحى الحياه العربيه يومئذ، و يتحدث عن المظالم الاجتماعيه تصيب فئات المجتمع الضعفاء، و عن سوء توزيع الحظوظ بين الناس، إلى غير ذلك من الانعكاسات الحقيقيه الصادقه عن أوضاع المجتمع و الدوله فى شعر "اللزوميات" كما يعرف الجميع.

و لكن، ما إلى هذا النوع قصدت، حين وضعت السؤال بامر الشعر القومى فى أدب أبى العلاء. بل قصدت إلى وجه آخر من هذا الأمر، حيث يبدو الشاعر و كان إحساسا ينبع من وجدانه الشاعرى فيهب ملكاته و أدواته الفنيه للتعبير عن عاطفه الاعتزاز بقومه: بتقاليدهم، بمفاخرهم، بشمائل معينه من أخلاقهم، بوقائع معروفه من فعالهم، بمزايا ماثوره من مزاياهم و خصائص تاريخهم.. هل فى شعر "سقط الزند" شىء من هذا؟ نعم، و هنا لنا فارق جديد بين "سقط الزند" و "اللزوميات"، أو بين المعرى فى مرحلتيه: الأولى و الثانيه:

نقرأ قصيدته التى مطلعها:

هو الهجر حتى ما يلم خيال و بعض صدود الزائرین وصال

و عجيب ان المعرى يخرج من المطلع هذا، ليدخل رأسا إلى موضوع القصيده، دون أن يستنفد شيئا من طاقته فى ما عودنا إياه

من تقديم الغزل و النسيب و وصف المسير و الإبل و الفيافي و مشاق الاسفار و ظلمات الليالي و عصف الرياح و مشاهد النجوم و وهج السيوف و اكتظاظ الرماح، إلى نهايه السلسله..

ينتقل من المطلع رأسا، و هو طافح العنان، إلى حديث هذا الفتى العربى الذى " تقصر الابصار عن قسماته " و تقوم الهيئه و الجلال يستترانه دون كل ستر يمنع النظر إليه، و نحن لا نعرف من هو هذا الفتى المهيب، و لكننا نعرف انه قائد معركة دارت فى " حارم " من شمال سوريا، و أن المعركة كانت على الثغور بين جيشه و جيش الروم الذى اعتاد أن يغزو بلاد العرب على تلك الحدود، و يهيجنا الشاعر لأن نصغى و نرى كيف يجيش على الخيل التى يقودها الفتى العربى بحر من الكتائب، و تخر إليها الشهب و هى نصال، و كيف يترامى إلى المعركة:

فوارس قوالون للخيل أقدمى و ليس على غير الرءوس مجال

لهم أسف يزداد اثر الذى مضى من الدهر سلما ليس فيه قتال

بأيديهم السمر العوالى كأنما يشب على أطرافهن ذبال

(١) و بعد قليل نرى الشاعر، فى انقض الحماسى، و قد انقض على جماعه الروم الغزاه، حين تصورهم فى غمره الذعر و شده المحنه عند لقاء الكتائب العريبيه، فإذا هو يجهز عليهم بهذا الهدير:

بنى الغدر، هل ألفتيم الحرب مره و هل كف طعن عنكم و نضال

و هل أطلعت سحم الليالى عليكم و ما حان من شمس النهار زوال(٢)

و هل طلعت شعث النواصى عوابسا رعال ترامى خلفهن رعال(٣)

لها عدد كالرمل المبر على الحصا و لكنها عند اللقاء جبال(٤)

فان تسلموا من سوره الحرب مره و تعصمكم شم الأنوف طوال(٥)

ففى كل يوم غاره مشعله و فى كل عام غزوه و نزال(٦)

خذوا الآن ما يأتىكم بعد هذه و لا تحسبوا ذا العام، فهو مثال

و نجرى سراعا مع الشاعر، لكى نرى خيل الكتائب العريبيه، و هن:

يردن دماء الروم، و هى غريضة و يتركن ورد الماء، و هو زلال(٧)

تجاوزه بالوثب كل طمره تمازج فى فيها دم و رؤال(٨)

تدانت به الأقران، حتى تجاثات كان قتال الفيلقين جدال(٩)

و قد علم الرومى انك حثفه على ان بعض الموقنين يخال

فما كبروا حتى يكونوا فريسه و لا بلغوا ان يقصدوا فينالوا

و نجول جوله ثانيه فى "سقط الزند"، فإذا بنا نقف دهشين أمام هذا المستهل يفجؤنا منه هذا الصدى المتجاوب المرنان:ب.

ص: ١١

١- الذبال: جمع ذباله، و هى الفتيله المشعله.

٢- السحم: السود.

٣- رعال: جمع رعيل، و هو قطعه من الخيل.

٤- المبر: الزائد أبر: زاد.

٥- سوره الحرب: سطوتها و شدتها. و يقصد بشم الأنوف هنا: الجبال العاليه.

٦- اشعلت الغاره: انتشرت فى العدو.

٧- غريضه: طريئه.

٨- فرس طمره: وثابه. الرؤال: اللعاب.

٩- الضمير فى البيت يرجع إلى الماء. تجاثات: أى جئت على الركب.

لقد آن أن يثنى الجموح لجام و أن يملك الصعب الابى زما

أ يوعدنا بالروم ناس، و إنما هم النبت، و البيض الرقاق موام؟

أبو العلاء هنا فارس على أهبه ان ينزل المعركة، و لكنه يتندر العدو بالندير الرهيب قبل النزال، و العدو هنا هو جيش الروم كذلك أو من يواليهم و يستعديهم من الخونه الأعراب، و المعركة دفاع عن الثغور، و زياد عن الحمى العربى، و انتخاء لضرب الغزاه، و اعتزاز بامجاد الفروسية العربيه:

كان لم يكن بين المخاض و حارم كتائب يشجين الفلا و خيام(١)

و لم يجلبوها من وراء "ملطيه" تصدع أجبال بها و آكام(٢)

كتائب من شرق و غرب تألبت فرادى أتاها الموت، و هى تؤام

غرائب در جمعت، ثم ضيعت و قد ضم سلك شملها و نظام

بيوم كان الشمس فيه خريده عليها من النقع الأحم لثام(٣)

كأنهم سكرى أريق عليهم بقايا كئوس ملئوهن مدام

فاضحوا حديثا كالمنام و ما انقضى فسيان منه يقظه و منام

و الظاهر من سياق القصيده انها موجهه إلى قائد عربى امتحنته التجارب بمقاتله الروم، و لكن المصادر التى بأيدينا لا تعين لنا هذا القائد، غير أن لهجه أبى العلاء فى هذه القصيده ليست لهجه المادح كما نعرف طرق المدح فى شعرنا القديم، بل من الواضح أن أبا العلاء هنا يعبر عن انفعال وجدانى بالقضيه التى تدور عليها القصيده، و ظاهر ان القضيه ليست تعنى الشاعر وحده، و لا الممدوح وحده، و إنما هى تعنى قوما من الناس نحس أن الشاعر عظيم الاعتزاز بهم، عميق الثقه بسلامه قضيتهم التى تتحدث عنها القصيده، و نجد فى ذلك حراره لا تكون فى الشعر عاده الا ان تكون هنا مشاركه وجدانيه بين الموضوع و الشاعر:

و ردوا إليك الرسل، و الصلح ممكن و قالوا على غير القتال سلام

فلا قول الا الضرب و الطعن عندنا و لا رسل الا ذابل و حسام

فان عدت، فالمجروح توسى جراحه، و ان لم تعد متنا و نحن كرام

فلسنا - و ان كان البقاء محببا - بأول من أخنى عليه حمام(٤)

و حب الفتى طول الحياه يذله و ان كان فيه نخوه و عرام

و كل يريد العيش، و العيش حتفه و يستعذب اللذات و هى سمam (5)

فلما تجلى الأمر، قالوا تمنيا: ألا ليت أنا فى التراب رمام

و راموا التى كانت لهم و إليهم و قد صعبت حال و عز مرام

و إذا كانت المصادر التى نرجع إليها الآن فى سيره أبى العلاء لا تلقى ضوءا على موضوع هذه القصيده أو على صاحبها الذى يخاطبه فيها أبو العلاء، برغم الجهد الذى بذلناه فى استنطاق الحوادث التى عاصرها الشاعر قبل رحلته إلى بغداد و بعد هذه الرحله، و فى مقارنه روح القصيده و مضامينها بتلك الحوادث - نقول: إذا كانت المصادر لا توضح لنا شيئا يطمئن إليه الباحث بهذا الشأن، فاننا نميل إلى الحدس - الحدس و حسب - بان أبا العلاء أنشا هذه القصيده خلال البرهه التى كانت الحرب فيها سجالا بين الفاطميين و البيزنطيين فى بلاد الشام، و ذلك قبل ان يرحل أبو العلاء إلى بغداد، و حين كان فى المرحله الأولى من حياته، مرحله الشباب. و هذا الحدس، إذا دعمه دليل أو شاهد تاريخى مقبول، إنما يوجه هذه القصيده لأن يكون صاحبها الذى قيلت فيه واحدا من قادة الجيوش الفاطميه التى حاربت البيزنطيين فى بلاد الشام نحو أربع سنوات، كما مر، فإذا استطعنا أن نطمئن إلى هذا التوجيه، و وضعنا دليلا جديدا بيد الباحث الكبير مارون عبود على صحه رأيه بان أبا العلاء كان فاطمى المذهب.

غير أن هذه النتيجة، إذا أمكن الوصول إليها من الوجهه التاريخيه بالأقل، لا تمنع ان تظل القصيده هذه ذات وجه عربى تتلامع فيه من أبى العلاء ملامح الاعتزاز بعروبتة و الانتحاء لكرامه قومه و عزتهم.

و قد تزيد هذه الملامح تالقا حين نطوف مره اخرى فى أشعار "سقط الزند" فإذا أبو العلاء يستوقفنا أيضا عند هذه القصيده التى مطلعها:

إليك تناهى كل فخر و سؤدد فابل الليالى و الأنام و جدد

و لكنه يبهم علينا الأمر هنا كذلك، فلا يزيد فى عنوان القصيده عن هذه الكلمات: "و قال أيضا مادحا" ..أما من هو الممدوح هنا، فكل شىء مبهم لا يرد جوابا عن ذلك. و لا ندرى أ كان قصدا من أبى العلاء إلى هذا الإبهام، و هو جامع "سقط الزند" كما نعلم، أم كان ذلك من صنع الأيدى الكثيره التى تداولت نسخ الديوان، أم من صنع الناشرين بعد ذلك؟ المرجح أن ذلك من صنع أبى العلاء نفسه، بدليل ما جاء فى مقدمته لسقط الزند من إظهاره التنصل من مدائحه التى وجهها إلى الأمراء و الحكام، إذ قال:

"و لم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، و لا مدحت طالبا للشواب، و إنما كان ذلك على معنى الرياضه و امتحان السوس" الطبيعه "ثم قال فى تفسير مدائحه: "و ما وجد لى من غلو علق فى الظاهر بادمى و كان مما يحتمله صفات الله عز و جل سلطانه، فهو مصروف إليه، و ما صلح لمخلوق سلف من قبل، أو غير، أو لم يخلق بعد، فإنه ملحق به و ما كان محضا من المين لا جهه له، فاستقيل الله العثره فيه".

فإنه لظاهر من هذا النص أن أبا العلاء حين جمع "سقط الزند" و هو معتكف فى "محبسيه" كان حريصا ان يتنكر لعلاقاته

السابقه برجال السياسه أيام شبابه وقبل اعتكافه، و بتأثير هذا الحرص تعمدا ان يغفل أسماء ممدوحيه فى سقط الزند ليطمس معالم العهد الذى سبق عهد عزلته. وهذا سر آخر من أسرارته التى غمضت على المؤرخين له و الباحثين فى شأنه. ولكن هل تنصل أبى العلاء من مدائحہ تلك فى عهد عزلته يغير شيئاً من الواقع نفسه، نعى الواقع الموضوعى الذى انشئت تلك القصائد من أجله؟ ان رغبه أبى العلاء ذات صفه اخلاقيه و فكريه مرهونه بحاله فى عهد خاص، و أما ذلك الواقع فله صفه تاريخيه موضوعيه لا يغيرها شىء.

و لكن مؤرخى أبى العلاء هم المقصرون، فلم ينفقوا جهداً فى كشف العلاقة بين قصائد المدح و روابطها التاريخيه، فى حين ان مثل هذه المهمه تدخل فى صميم التاريخ الحقيقى لرجل ذى شان كشان أبى العلاء.. و يقينا لو أن المؤرخين، قدماء و محدثين، قد عنوا بهذه المسأله لانكشفت لنا غوامض جمه من سيره الرجل، و من مذاهب الرأى فيه، و من أسباب عزلته و تزهدہ، و من اتجاهاته العقليه و الدينيه.

و كيف كان الأمر، فان أبا العلاء يستوقفنا الآن فى "سقط الزند" عند هذه القصيده، فإذا نحن نعلم - كل ما نعلم - ان الممدوح بها أمير عربى محارب، و انه من القاده الذاده عن ثغور الدوله العربيه الإسلاميه على حدود الروم من شمال سوريه، و ذلك إذ يخاطبه أبو العلاء:

و لولاك لم تسلم "أفاميه" الردى و قد أبصرت من مثلها مصرع الردى (٤)م.

ص: ١٢

١- المخاض: نهر قرب المعره.

٢- ملطيه: مدينه بأطراف الروم كان قد فتحها العرب زمن الصحابه، ثم غلب عليها الروم سنه ثلاثمائه هجريه.

٣- خريده: امرأه حبيبه. النقع: الغبار الأحمر: الأسود.

٤- الحمام: الموت. أحنى عليه الموت أهلكه.

٥- سمام: جمع سم.

٦- أفاميه: حصن على حدود الروم.

فانقذت منها معقلا هضباته تلفع من نسج السحاب و ترتدى

وحيدا بثغر المسلمين كأنه بفيه مبقى من نواجذ أورد(١)

باخضر مثل البحر ليس اخضراره من الماء، لكن من حديد مسرد

(٢) و قبل أن نفرغ من أمر هذه القصيده، نرى من المهم أن نشير إلى بصيص من نور يلوح لنا خلال أبياتها، ذلك إذ ترد كلمه " الشريف " فى هذه القصيده مرتين يطلقها الشاعر على ممدوحه حين يخاطبه:

متى أنا فى ركب يؤمون منزلا توحد من شخص " الشريف " بأوحد

و ذكرن من نيل " الشريف "مواردا فما نلن منه غير شرب مصدر

فمن هو هذا " الشريف "المحارب للروم فى عهد أبى العلاء إذ تغور العرب قد تساقطت حصونها إلى أيدى الروم، و لم يبق منها غير واحد يسميه الشاعر "أفاميه " و قد أنقذه هذا " الشريف " نفسه؟..

نرجع إلى التاريخ السياسى لذلك العهد، نبحت فيه عن قائد عربى شغل نفسه فى محاربه الروم أيام كان أبو العلاء يمدح الأمراء و القواد، و يعنى بالثناء على ذاده الثغور و منقذى الحصون العربيه من البيزنطيين أنفسهم. نرجع إلى ذلك التاريخ، فلا نجد من يصح أن يتوجه إليه مثل هذا الخطاب من أبى العلاء، و يكون مع ذلك من " الشرفاء "، غير قائد ينتسب إلى جيوش الفاطميين، إذ ليس غير هذه الجيوش كان معنا فى ذلك الحين بقتال البيزنطيين.. فهل هذا أيضا يلقي ضوءا على رأى الأستاذ مارون عبود فى " فاطميه " أبى العلاء؟. " انتهى ما ذكره الدكتور حسين مروه ".

و نحن هنا نريد ان نجلو شكوك الدكتور مروه، و نوضح ما اعتبره غموضا فى حقيقه المقاتلين الذين تغنى ببطولاتهم أبو العلاء، و نؤكد له ان من تراءى له انهم قواد الجيوش الفاطميه، هم بالفعل إبطال تلك المعارك التى أثارت شاعريه أبى العلاء، و انه يستطيع ان يكون على يقين بأنهم هم لا غيرهم الذين نظمت فيهم الأشعار العلائيه. و ذلك بعرض الحقائق التاريخيه التاليه:

استطاع البيزنطيون بعد موت سيف الدوله الحمدانى و ضعف الدوله الحمدانيه فى عهد خلفائه ان يستولوا على كثير من المدن فى شمال بلاد الشام و لما وصل الفاطميون إلى مصر و ركزوا دولتهم فيها و ثبتوا دعائمها فى عهد المعز لدين الله سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) كان أكبر همهم استرجاع ما استولى عليه البيزنطيون من المدن الشاميه، و حاولوا أول الأمر اجلاء البيزنطيين عن انطاكيه و لكن القوى البيزنطيه كانت أكثر كشافه من قواتهم الزاحفه إليها، فان البيزنطيين عرفوا خطوره سقوط انطاكيه لذلك حشدوا للدفاع عنها قوى كانت أعظم مما قدر الفاطميون ففشل الجيش الفاطمى فى استردادها، و اغتتم الامبراطور البيزنطى حنا زيمسكس هذا الفشل و تقدم بجيوشه سنة ٩٧٥ م من انطاكيه إلى حمص و منها إلى بعلبك، و خافت دمشق مغبه مقاومته فخضعت و دفعت له الجزيه، كما سلمت له طبريا و قيساريه، و كان مصمما على الوصول إلى القدس، و هكذا يسبق هذا الامبراطور البيزنطى الصليبيين فى التفكير باستعادة القدس من المسلمين.

و يبدو جليا من استعراض الأحداث ان الفاطميين أدركوا نيه حنا زيمسكس و صمدوا له فتراجع عن محاوله الوصول إلى القدس

و غير هدفه و اتجه إلى الساحل مغتتما فرصه حشد الجيوش الفاطميه فى طريق القدس، فاستطاع الاستيلاء على صيدا و بيروت، ثم اتجه إلى طرابلس، و أسرع الفاطميون لصدده و الوقوف فى طريق زحفه إليها، و عضدوا جيشهم البرى المدافع عنها باسطولهم الحربى، و استطاعوا الحاق الهزيمة بالامبراطور البيزنطى و رده عن طرابلس و ملاحقته حتى أخلى بيروت و صيدا و كل ما استولى عليه من بلدان الساحل، و ظلت الضربات الفاطميه تلاحقه حتى رده إلى انطاكيه ثم عاد من انطاكيه إلى عاصمته القسطنطينيه مقهورا حيث توفى فيها فى أوائل سنه ٩٧٦ م.

و تمر السنون و الفاطميون صامدون للبيزنطيين يدفعونهم عن بلاد الشام حتى كانت السنه ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) فرأى الامبراطور باسيل الثانى عقم مقاتله الفاطميين، و ان لا أمل بالنصر عليهم فأرسل إلى الخليفه الفاطمى (العزیز) فى القاهره وفدا يحمل هديه و يطلب انهاء الحرب، و كانت الهديه فيما يروى المؤرخون تحتوى على ثمان و عشرين صينييه من الذهب، فلم يعارض (العزیز) فى عقد الهدنه مع البيزنطيين ما داموا قد تخلوا عن اطماعهم، فعقدت هدنه مدتها سبع سنوات بشروط كلها فى مصلحه الفاطميين.

و لكن الفاطميين - مع الأسف - كانوا لا يواجهون البيزنطيين و حدهم بل كانوا يواجهون الفتن التى يثيرها عليهم أبناء قومهم مستعنين عليهم بالبيزنطيين، كهذا الذى فعله أمير حلب سنه ٣٨١ هـ مما أغرى باسيل الثانى بنقض الهدنه فرحف إلى بلاد الشام فالتقى به الفاطميون على ضفاف نهر العاصى فهزموه و ردوه من حيث جاء، و الذى جرى سنه ٣٨٨ حين انجد باسيل الثانى نفسه المستنجدين به فى ثورتهم على الفاطميين بقياده (علاقه) فى صور، و انتصر الفاطميون على البيزنطيين و المستنجدين بهم فى معارك بريه و بحريه و الذى جرى فى (أفاميه) (و هى التى ذكرها أبو العلاء فى شعره) حين استنجد حسان بن مفرج الطائى بالبيزنطيين على الفاطميين حيث قامت فيها المعارك سجالات.

و الواقع اننا لا نريد هنا التبسط فى الحديث عن تاريخ المعارك بين البيزنطيين و الفاطميين و جهاد الفاطميين فى ردهم عن بلاد الشام و عن القدس بخاصه، فذلك له مكان آخر، و لكننا نريد ان نشير مجرد إشاره إلى تلك المعارك التى استثارت شاعريه أبى العلاء المعرى و بعثت فيه روح الاعتزاز بالمناضلين الفاطميين و بطولاتهم فى الدفاع عن الوطن العربى الإسلامى.

أحمد بن منير الطرابلسى

إشاره

مرت ترجمته فى المجلد الثالث الصفحه ١٧٩ و نزيد عليها هنا ما ياتى:

العلاقه بينه و بين القيسراني

لم يكن بدعا أن تنتج الحروب الصليبيه فى أوروبا أدبا ملحيميا مستوحى مما حفلت به تلك الحروب من أحداث و خطوب، و لم يكن عجبا أن نرى فى الآداب اللاتينيه سواء فى لغه الشمال Chanson d'oil أو لغه الجنوب chanson d'oc ملاحم لامثال جفرى اللومباردى و يوسف اكستر و جنتر باسل و كذلك مثل انشوده انطاكيه البروفنساليه Chanson d'antioche التى ألفها غريغورى بشاده، و قصيده بودريه و انشوده غرايندور دويباى، و غيرها.

و لكن كان العجيب أن لا تخلق تلك الحروب الملاحم العرييه، لا فى حال تدفق الجيوش الفرنجيه و انتصاراتها و ما رافقها من فجاجع و أهوال، و ما عاناه المسلمون فيها من هوان و انكسار. و لا- فى حال انحسار المد الفرنجى و اجتماع القوى الوطنيه مستخلصه الوطن منه دفعه و راء دفعه حتى انتهت بتلاشيه.

و فيما عدا قليلا من القصائد و المقطوعات أعرب فيها أصحابها عن احزانهم

ص: ١٣

١- الثغر هنا: هو الحد بين بلاد العرب و بلاد الروم. النواجد: أقصى الأسنان. الأردد: الذى تساقطت أسنانه. و يظهر من هذا البيت ان "أفاميه" كانت الحصن الوحيد الباقى من ثغور العرب فى أيديهم يوم قال الشاعر هذه القصيده، و لذلك شبهه بالسن الباقيه فى فم الأردد.

٢- مسرد: منسوج.

أيام الهزائم و أفراحهم أيام الانتصارات، فان تلك الحروب لم تنل ما كان يجب أن تناله من الشعر العربي، و لا أوجدت الملحمة في أدبنا، و كانت بذلك جديره.

على اننى و أنا اقرأ وقائع عماد الدين زنكى ثم وقائع ابنه نور الدين محمود مع الصليبيين، حين بدأ الأول مهاجمه الإفرنج، فكانت انتفاضته أول انتفاضة في وجه المحتلين بعد نوم طويل على الضيم.

اننى و أنا اقرأ ذلك و جددت شعرا عربيا يسجل تلك الوقائع و يتغنى بها معبرا عما كانت تنضح به نفوس المسلمين من الابتهاج و الحبور، و ما كانت تفيض به بيئاتهم من الاستبشار و السرور.

و إذا كان مما يقلل من قيمه أصحاب ذلك الشعر في أعيننا أنهم لم ينظموا شعرهم ابتداء، و لا كان بنتيجته تحسس بالشعور العام، و لا- تعبيرا عن حقيقه أمورهم، بل جاء في معرض المدح و الاسترزاق. فإنهم و هم يعيشون في كنف عماد الدين و نور الدين و يحيون في سلطانيهما، كان لا بد لهم من أن يمدحوهما استدرارا للعطاء، و سواء أ كان عماد الدين و نور الدين غازيين منتصرين، أو متخاذلين متواكلين فإنهم سيمدحونهما حتما. إذا كان الأمر كذلك فان حسن حظهما جعل مدحهم غير منكور و لا ممجوج، و جعلهم دون أن يقصدوا لسان الحياه الإسلاميه في تلك الفتره، فعبروا عن مشاعر الأمه و نطقوا بلسان الأحداث فاكتمسوا بذلك خلودا لم يكن ليتأتى لهم لو ان عماد الدين و نور الدين لم يكونا مدبري تلك الوقائع و قائدي تلك المعامع.

و أبرز شعراء تلك الفتره شاعران لقبهما معاصروهما شاعري الشام هما محمد بن نصر القيسراني و احمد بن منير الطرابلسي، و لهما في عماد الدين و نور الدين مدائح تقليديه ككل مدائح الشعراء في الأمراء، ليست هي التي تعيننا في حديثنا هذا، و انما الذى يعيننا هو تلك القصائد التي نظمها في الانتصارات فكانت مظاهر للملحمه العرييه جديره بالعنايه و الاذاعه.

و القيسراني مولود سنه ٤٧٨ و متوفى سنه ٥٤٨ هـ و هو منسوب إلى مدينه قيساريه على الساحل الفلسطينى، و لم يكن الشعر وحده الصفه الغالبه عليه، بل يبدو أنه كان على مشاركه حسنه ببعض العلوم حتى أن ابن عساكر سمع منه و ذكره بين من ذكرهم من شيوخه. و هو ليس من موضوع كتابنا و ذكرناه لعلاقته بابن منير.

و الطرابلسي مولود سنه ٤٧٣ و متوفى سنه ٥٤٨ هـ و هو منسوب إلى طرابلس على الساحل اللبناى و هي المدينه التي عرفت في التاريخ الإسلامى باسم طرابلس الشام تميزا لها عن طرابلس الافريقيه التي عرفت باسم طرابلس الغرب.

و نحن نرى من ذلك ان الشاعرين من منطقتين نكتبنا بالاحتلال الصليبي و سقطتا في قبضه الفاتحين، فقد عانت قيساريه كما عانت طرابلس مراره الذل، و هوان الفتح، و لكننا لا نرى في شعر الشاعرين ما يدل على تحسسهما بما كان يشكو منه بلدهما، و هذا يدلنا على أن الشاعرين سيقا إلى شعر الكفاح سوقا، و لما لم يكن لوقائع عماد الدين ثم لوقائع نور الدين صله لا بقيساريه و لا بطرابلس بل كانت البلدتان بعيدتين عن ميدان الصراع، لذلك لم يذكرهما الشاعران و لا استجاشتهم همومهما، بل اقتصر الشاعران على ما بارشه القائدان من المعارك في المناطق النائيه لأن فيها ماده الوافره لموضوع المديح، و هو الأصل في نظمهما هذا الشعر.

و لم يكن هذان الشاعران متوافقين متصافيين دائما، بل كثيرا ما تهاجيا و تشاتما، و فى أثناء ذلك قد تقوم بينهما مطارحات

و كان الوضع قبل نهوض عماد الدين وضعا مذلا سيطر فيه الإفرنج سيطره كامله على البلاد الممتده من ماردين إلى عريش مصر. و لم يكن ناجيا من ربه الاحتلال فى هذا المدى الواسع إلا المدن الأربع: حلب و حماه و حمص و دمشق.

على أن هذه المدن إذا كانت قد نجت من الاحتلال فإنها لم تنج من الهوان. فقد كان الفرنج يرسلون وفودهم إليها فأرضه ما تشاء من الفروض، فضلا عما كانت عليه بقيه المدن و القرى. و لعل مما يصور وضع البلاد يوم ذاك ما قاله صاحب كتاب (الروضتين): "و كان الفرنج قد اتسعت بلادهم و كثرت أجنادهم و عظمت هيبتهم و زادت صولتهم و امتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم و ضعف أهلها عن كف عاديتهم و تابعت غزواتهم و ساموا المسلمين سوء العذاب و استطار فى البلاد شر شرهم".

ثم يزيد فى وصف الحال قائلا: "و كانت سراياهم تبلغ من ديار بكر إلى آمد و من الجزيرة إلى نصيبين و رأس عين، أما أهل الرقه فقد كانوا معهم فى ذل و هوان، و انقطعت الطرق إلى دمشق إلا- على الرحبه و البر، ثم زاد الأمر و عظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجا و اتاوه ياخذونها منهم ليكفوا أذيتهم عنهم".

و لا- يفوتنا أن نشير إلى ما كان عليه المسلمون من تشاحن و تقاتل و صراع مما كان يحول دون النهوض نهوضا يرد للأمة كرامتها و حريتها.

هذا هو حال الوطن حين كان قد استطال امر عماد الدين زنكى و رسخ سلطانه فكان أن هب لمناجزه المحتلين و مقارعتهم، ثم أخذ ينتصر عليهم انتصارات متتابعه، إذا كانت فى أول أمرها هيئه النتائج فإنها كانت مفتاحا للوثوب، كهذا الذى جرى حين ردهم عن حصن (شيزر) و حين فتح حصن (الأثارب) و حصن (عرقه) و حصن (بارين) ثم ضرب ضربته الكبرى بفتح مدينه (الرها).

و كانت الرها (ايدسا القديمه) محكومته من الأرمن، و بعد استيلاء الفرنج فى حملتهم الأولى التى تلت حمله بطرس الناسك، على مدينه (نيقيا) سنة ١٠٩٧ م ثم مدينه دوريلايوم (اسكى شهر) من السلجوقيين انفصل بلدوين اللورينى عن الجيش الصليبي الرئيسى و تقدم نحو الرها و استولى عليها بالاتفاق مع حاكمها الأرمنى (توروس) سنة ١٠٩٨ و أنشأ فيها أولى الدويلات اللاتينيه. و منها تقدم الفرنج إلى سميساط و سروج و البيره و غيرها، فقامت لهم اماره فى حوض الفرات الأعلى من مرعش فى الشمال إلى منبج فى الجنوب غربى الفرات، ثم تمضى شرقى الفرات فتشمل بهسنا و الرها و سروج. و كان تمرکز بلدوين فى الرها مما أعاق القائد السلجوقى (كربوقا) أمير الموصل عن الوصول فى الوقت المفيد لنجده انطاكيه التى كان يحاصرها الجيش الصليبي الرئيسى. ثم كان قيام هذه الاماره تهديدا متواصلا للموصل و ما يتبعها مثل نصيبين و ماردين

و حران، و كذلك لديار بكر و ما إليها على أعالي نهر دجلة، بل كان تهديدا أيضا لشمال العراق كله.

و إذا كانت الرها أول دوله لاتينية تقوم، فقد كانت كذلك أول دوله لاتينية تسقط. و بين قيامها و سقوطها ست و أربعون سنة، إذ كان سقوطها بيد عماد الدين، عام ١١١٤ م بعد حصار دام أربعة أسابيع.

و كان لفتح الرها وقع عظيم هز النفوس بالبهجة و الغبطة، و لم يكن أجدر من الشاعرين أن يكونا صدقيا لما كان يعتمل في نفوس المسلمين من السرور و ما كانت تجيش به قلوبهم من الآمال العراض. لذلك رأيناها يسجلان هذا الفتح بشعر يمكن أن نقول أن فيه ملامح الملاحم و جوهرها، فان القيسراني يقول فيما يقول من قصيده طويله:

مدينه أفك منذ خمسين حجه يفل حديد الهند عنها حداده

تفوت مدى الابصار حتى لو أنها ترقى إليه خان طرفا سواده

و جامحه عز الملوک قيادها إلى أن ثناها من يعز قياده

و كانت الرها حقيقه بهذا الوصف لأنها ظلت طوال ما يقرب من خمسين سنة، منذ أن عجز كربوقا عن فتحها و هو في طريقه لانقاذ انطاكيه، فأوقفه حصارها ثلاثه أسابيع بدون جدوى، و كانت هذه الأسابيع كافيه لوصوله إلى انطاكيه و القضاء على الجيش الصليبي المنهوك الجائع المحطم النفس، لو أنه لم يتوقف عند الرها فيتيح بذلك للصليبيين استعادته معنوياتهم و دخول انطاكيه فلا يصل كربوقا إلا بعد سقوطها، ثم يعجز بعد ذلك عن استردادها فيكون فتحها فاتحه الشرور و مبدأ الهزائم. ظلت الرها طوال تلك المده منيعه و مصدرا للشر، و من هنا أوحى للقيسراني بما أوحى من وصفها ثم بتصوير الشعور الإسلامى بالانتصار عليها.

و عن ثغر هذا النصر فلتأخذ الطبا سناها و ان فات العيون اتقاده

و فتح حديث في السماع حديثه شهى إلى يوم المعاد معاده

أراح قلوبا طرن من وكناتها عليها فوافى كل صدر فؤاده

فيا ظفرا عم البلاد صلاحه بمن كان قد عم البلاد فساده

ثم بما أحيا هذا النصر من الآمال البعيده:

و لله عزم ماء "سيحان" و رده و روضه "قسطنطينيه" مستراده

و مطلع هذه القصيده:

هو السيف لا يعينك إلا جلاده و هل طوق الأملاك إلا نجاده

و هو مطلع خارج عن الأسلوب التقليدي الذي كان يفتح القصائد بالغزل، و انما هو مطلع مستمد من روح الملحمة متأثر بجوهرها، و هكذا بقيه المديح في القصيده، فقد خرج عن كونه تعدادا لفضائل ابتذل تعدادها في كل ممدوح، بل هو وصف لكفاح قاده الممدوح و حقق الظفر فيه، و تعبير عن آمال مكبوتة، و هذا كله يعود إلى جذور الملاحم و أصولها.

و هذا عين ما نراه عند ابن منير الذي قال من قصيده طويله:

و الرها ان لم تكن إلا الرها لكفت حسما لشك الممترين

هم "قسطنطين" ان يفرعها و مضى لم يحو منها قسط طين

و لكم من ملك حاولها فتحلى الحين و شما في الجبين

ثم ينتقل إلى الحديث عن نتائج فتحها و أثر هذا الفتح عند الفريقين:

ان حمت (مصر) فقد قام لها واضح البرهان ان (الصين) صين

برنست رأس "برنس" (١) ذله بعد ما جاست حوايا "جوسلين" (٢)

"و سروج" مذ وعت إسراجه فرقت جماعها عنها عضيفين

تلك أقفال رماها الله من عزمه الماضي بخير الفاتحين

سل بها "حران" كم حرى سقت بردا من يوم ردت "ماردين"

سمطت أمس "سميساط" بها نظم جيش مبهج للناظرين

و غدا يلقي على "القدس" لها كلكل يدرسها درس الدررين

و يموت عماد الدين اغتially و يليه ابنه نور الدين و يستطيع السيطرة على رقعته ممتده من أعالي دجله شمالا إلى منابع الأردن جنوبا، و يكون الشاعران له كما كانا لأبيه، و يصطدم نور الدين بالفرنج و يفوز عليهم في معركة "أنب" و يقتل "البرنس" صاحب انطاكية في المعركة، و تتحقق بشاره ابن منير المتقدمه "و يتبرنس" رأس "البرنس" لا-بالذله وحدها بل بالمنيه، و هكذا نرى كم كان ذلك الشعر صدى للوجدان العربي و الضمير الإسلامى فى تخيل الآمال البعيده و التلهف على المطامح القصيه. فقد كان "البرنس" كما يقول ابن الأثير:

"عاتيا من عتاه الفرنج" و كان الخلاص منه احدى أكبر الأمنيات.

و قد رأينا كيف ان القيسراني كان يلوح فى قصيدته الداليه لا بالخلاص فى الوطن فحسب بل بالنفاذ حتى إلى القسطنطينيه:

و لله عزم ماء سيحان ورده و روضه قسطنطينيه مستراده

كما لوح ابن منير بالنصر على البرنس ثم بالنفاذ إلى القدس:

و غدا يلقي على القدس لها كلكل يدرسها درس الدرين

و تتالت بعد الرها المراحل المرجوه مرحله مرحله و ستظل تتوالى و لكن دون ان يقدر للشاعرين أن يعيشا ليريا تواليا، إذ انهما ماتا قبل نور الدين.

و استأثرت معركة أنب و مقتل البرنس بشاعريه الشاعرين و قفزت بالمطامح من القدس و القسطنطينيه إلى روما نفسها فقال لقيسراني من قصيده طويله جرى فيها على ما جرى عليه فى القصيده الداليه من الافتتاح بالشعر العسكرى لا الغزلى:

مذى العزائم لا ما تدعى القضب و ذى المكارم لا ما قالت الكتب

و هذه الهمم اللاتى متى خطبت تعثرت خلفها الأشعار و الخطب

و فيها يقول:

أغرّت سيوفك بالأفرنج راجفه فؤاد " روميه " الكبرى لها يجب

قل للطغاه و ان صمت مسامعها قولاً لصم القنا فى ذكره أرب

أغرّكم خدعه الآمال ظنكم كم أسلم الجهل ظنا غره الكذب

أجسادهم فى ثياب من دمائهم مسلوبه، و كان القوم ما سلبوا

أنباء ملحمة لو انها ذكرت فيما مضى نسيت أيامها العرب

فملكوا سلب "الابرنس" قاتله و هل له غير "انطاكيه" سلبا.

ص: ١٥

١- هو أمير انطاكيه يوم ذاك.

٢- هو جوسلين الثانى أمير الرها.

فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لجب يوليئك أقصى المنى فالقدس مرتقب

و نحن نلمس فى هذا الشعر شيئاً فوق المدح. اننا نلمس إحساساً متاججاً يثيره الذل الذى استحال عزا و الهوان الذى عاد فتحا، اننا نسمع اهازيج النصر راعده مدويه و هتافات الظفر صارخه متوعده تزرى بالغايبين و تدل إلى هلعهم و تتغنى بالراجفه التى و جب لها حتى قلب (روميه الكبرى) القصيه، و يجىء ذكر روما هنا طبيعياً سائغاً، لا نبو فيه و لا دلالة تبجح فارغ مستكره.

ثم هذه الإشاره إلى الخطوه التاليه المأموله إلى (سلب الابرنس)، هذا السلب الذى يسمو عن الماده و مغرياتها، ان السلب فى هذا الصراع الرهيب هو أعلى ما ملك (البرنس) و قوم البرنس: "هو انطاكيه" التى كان سقوطها فاتحه السقوط العام و سيكون نهوضها فاتحه النهوض العام ثم الطريق إلى المسجد الأقصى بالجيش الهادر المزمجر ذى اللجب، فالقدس ترتقب أهلها و تنتظرهم.

اننا نرى فى هذا الشعر، الشعب كله ينطلق فى صوت واحد و شعار واحد: إلى الإمام، إلى انطاكيه، إلى القدس..

ينطلق بذلك لا غرورا و غباء، و جهلاً، بل يقينا و عقلاً و تفهماً.

و يقول ابن منير من قصيده طويله افتتحها كزميله، لا بالغزل بل بما يناسب حاله الكفاح التى كانت فيها البلاد:

أقوى الضلال و أقفرت عرصاته و علا الهدى و تبلجت قسماته

فتح تعممت السماء بفخره و هفت على أغصانها عذباته

و سقى "البرنس" و قد تبرنس ذله بالروح ممقر ما جنت غدراته

تمشى القناه برأسه و هو الذى نظمت مدار النيرين قناته

و تتابع الفتوح و يلى النصر النصر فينطلق ابن منير حاملاً فى قصيده واحده قصص الأحداث متنقلاً من مكان إلى مكان:

أعدت بعصر ك هذا الأنيق فتوح النبى و اعصارها

فجددت إسلام "سلمانها" و عمر جدك "عمارها"

و ما يوم "أنب" الا كيسك بل طال بالبوع اشبارها

و لما هببت "بيصرى" سمكت باهباء خيلك ابصارها

و يوم على الجون "جون السراه" عز فسعطها عارها

صدمت "عريمته" صدمه أذابت مع الماء أحجارها

و فى "تل باتر" باشرتھم بزحف تسور اسوارھا

و ان دالكتھم "دلوک" فقد شدت فصدقت اخبارھا

و استمر نور الدين فى صراعه مع الصليبيين و استمر الشعاران فى تسجيل انتصارات نور الدين مما يمكن ان يعد مجموعہ ملحمہ من الملاحم العريبه و تاريخا شعريا لفته معينه من فترات الحروب الصليبيه.

الشاه إسماعيل الأول الصفوى

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٢١ من المجلد الثالث و نضيف إليها هنا ما يلى:

الشيخ قطب الدين النهروالى الحنفى الذى ورد ذكره خلال ترجمه إسماعيل الصفوى هو مؤرخ معاصر لتلك الأحداث، و بصرف النظر عما تتضمنه كتابته من التعصب المذهبى الأعمى الذمى الذى لا يتورع معه عن الاختلاق و الكذب - بالرغم من ذلك فاننا لا يمكن أن نتجاهل بعض ما ذكره من أخبار، كان لا بد لنا من وضعها بين يدي القارئ. فقد ألف الشيخ المذكور كتابا سماه (الاعلام باعلام بيت الله الحرام) تطرق فيه إلى ذكر السلطان سليم العثمانى و الشاه إسماعيل الصفوى و منه تأخذ ما يلى، مع العلم أن المؤلف المذكور انتهى من كتابه سنة ٩٢٢ و أن وفاه السلطان سليم كانت سنة ٩٣٦ و وفاه الشاه إسماعيل كانت سنة ٩٣٠ أى أن بين تاريخ انتهاء تأليف الكتاب و وفاه السلطان سليم أربع عشره سنه، و بين وفاه الشاه إسماعيل ثمان سنوات.

قال النهروالى عن الشاه إسماعيل:

هو شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ إبراهيم بن سلطان خواجه شيخ على بن الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفى الدين إسحاق الأردبيلى، و إليه ينسب أولاده فيقال لهم: الصفويون. و كان الشيخ صفى الدين صاحب زاويه فى أردبيل و له سلسله من المشايخ، أخذ عن الشيخ زاهد الكيلانى و ينتهى بوسائط إلى الشيخ الامام أحمد الغزالى. و توفى الشيخ صفى الدين فى سنة ٧٣٥ و هو أول من ظهر منهم بطريق المشيخه و التصوف، و أول ما اختار سكنى أردبيل، و بعد موته جلس فى مكانه ولده الشيخ صدر الدين موسى، و كانت السلاطين تعتقد فيه و تزوره، و ممن زاره و التمس بركته تيمور لما عاد من الروم و سأله أن يطلب منه شيئا، فقال له: أطلب منك أن تطلق كل من أخذته من الروم سرکنا، فأجابہ إلى سؤاله و أطلق السركن جميعهم، فصار أهل الروم (١) يعتقدون الشيخ صدر الدين و جميع المشايخ الأردبيليين من ذريته إلى الآن، و حج ولده سلطان خواجه على و زار النبى ص و توجه إلى زياره بيت المقدس و توفى هناك و قبره معروف فى بيت المقدس. و كان ممن يعتقدہ ميرزا شاه رخ بن تيمور و يعظمه. فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده فى الزاويه باردييل كثر مریدوه و أتباعه فى أردبيل فتوهم منهم صاحب آذربيجان يومئذ و هو السلطان جهان شاه بن قرا يوسف التركمانى من طائفه (قره قوينلو) فأخرجهم من أردبيل، فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مریديه إلى ديار بكر و تفرق عنه الباقون. و كان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بيك بن قتلوق بيك بن على بيك من طائفه (آق قوينلو) جد أوزون حسن بيك الباندري و هو أول من تسلطن من طائفه آق قوينلو، و ولى السلطنه منهم تسعه أنفس، و مده ملكهم اثنتان و أربعون سنه و أخذوا ملك فارس من طائفه قره قوينلو، و أول سلاطينهم قره يوسف بن قره محمد التركمانى و مده سلطنتهم ثلاث و ستون سنه.

و انقرض ملكهم على يد أوزون حسن بيك المذكور فى شوال سنه ٨٧٣ و كان أوزون حسن بيك ملكا شجاعا مقداما مطاعا مظفرا فى حروبه ميمونا فى نزوله و ركوبه، إلا أنه وقع بينه و بين السلطان محمد بن السلطان مراد خان حرب عظيم فى بايبرت فانكسر أوزون حسن بيك و قتل ولده زليل بيك و هرب هو و سلم من القتل و عاد إلى أذربيجان و ملك فارس و العراقين، فلما التجأ الشيخ جنيد إلى طائفه آق قوينلو صاهره أوزون حسن بيك و زوجه بنته خديجه بيگم فولدت له الشيخ حيدر، و لما استولى أوزون على البلاد و طرد عنها ملوك قره قوينلو و أضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر إلى أردبيل و كثر مريدوه و أتباعه و تقوى باوزون حسن بيك لأنه صهره، فلما توفى أوزون حسن بيك ولى موضعه ولده السلطان خليل سته أشهر ثم ولده الثانى السلطان يعقوب فزوج بنته حلیمه بيگم من الشيخ حيدر فولدت له شاه إسماعيل فى يوم

ص: ١٦

١- المقصود بالروم هنا: الأتراك العثمانيون.

الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة ٨٩٢ و كان على يده هلاك ملوك العجم طائفه آق قوينلو و قره قوينلو و غيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور. و كان الشيخ جنيد جمع طائفه من مريديه و قصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين فى سبيل الله فتوهم منه سلطان شروان أمير خليل الله شروان شاه فخرج إلى قتاله فانكسر الشيخ جنيد و قتل و تفرق مريدوه، ثم اجتمعوا بعد مده على الشيخ حيدر و حسنوا له الجهاد و الغزو فى حدود كرجستان و جعلوا لهم رماحا من أعود الشجر و ركبوا فى كل عود سنانا من حديد و تسلحوا بذلك و ألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسامهم الناس (قزلباش)، و هو أول من ألبس التاج الأحمر لأتباعه، و اجتمع عليه خلق كثير، فأرسل شروان شاه إلى السلطان يعقوب بن أوزون حسن يخوفه من خروج الشيخ حيدر على هذه الصفه، فأرسل إليه أميرا من أمرائه اسمه سليمان بك باربعه آلاف نفر من العسكر و أمره أن يمنعهم من هذه الجمعيه فان لم يمتنعوا أذن له أن يقاتلهم، فمضى إلى الشيخ حيدر و منعه من هذه الجمعيه فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه فقاتلاه و من معه فقتل الشيخ حيدر و أسر ولد [ولده] شاه إسماعيل و هو طفل و أسر معه إخوانه و جماعته، و جاء بهم سليمان بك إلى السلطان يعقوب فأرسل بهم إلى قاسم بك الفرناك و كان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب و أمره أن يحبسهم فى قلعه إصطخر فحبسهم بها و استمروا محبوسين فيها إلى أن توفى السلطان يعقوب فى سنة ٨٩٦ و تولى بعده السلطان رستم و نازعه فى سلطنته إخوانه و تفرقت المملكه و استقل فى كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب، فهرب أولاد الشيخ حيدر إلى لاهيجان من بلاد كيلان و خرج من إخوان شاه إسماعيلخواجه شاه على بن الشيخ جنيد و جمع عسكرا من مريدى والده و قاتل بهم فقتل فى أيام السلطان رستم بن يعقوب. ثم توفى السلطان رستم و تولى مكانه مراد بن يعقوب و ألوند بيك ابن عمه. و كان شاه إسماعيل فى لاهيجان فى بيت صائغ يقال له نجم زرگر، و بلاد لاهيجان فيها كثير من الفرق الضاله كالرافضه و الحروفيه و الزيديه(١) و غيرهم فتعلم منهم شاه إسماعيل فى صغره مذهب الرفض، فان آباءه كان شعارهم مذهب السنه السنيه و كانوا مطيعين منقادين لسنه رسول الله ص و لم يظهر الرفض غير شاه إسماعيل. و تطلبه من أمراء ألوند بيك جماعه و طلبوه من سلطان لاهيجان فأبى أن يسلمه لهم فأنكر و حلف لهم أنه ما هو عندى و ورى فى يمينه، و كان مختفيا فى بيت نجم زرگر، و كان يأتيه مريدو والده خفيه و يأتيونه بالنذير، و يعتقدون فيه و يطوفون بالبيت الذى هو ساكن فيه إلى أن أراد الله بما أراد و كثرت داعيه الفساد و اختلفت أحوال البلاد باختلاف السلاطين و كثره العناد بين العباد، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، و حينئذ كثر أتباع شاه إسماعيل فخرج هو و من معه من لاهيجان و أظهر الخروج لأخذ ثار والده و جده فى أواخر سنه ٩٠٥ و عمره يومئذ ثلاث عشره سنه، و قصد مملكه الشروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه و جده، و كلما سار منزلا كثر عليه داعيه الفساد و اجتمع عليه عسكر كثير إلى أن وصل إلى بلاد شروان، فخرج لمقاتلته شروان شاه بعساكره و قاتلهم و قاتلوه فانهمز عسكر شروان و أسر شروان شاه و أتوا به إلى شاه إسماعيل أسيرا فأمر أن يضعوه فى قدر كبير و يطبخوه و يأكلوه ففعلوا كما أمر و أكلوه(٢) و كان ذلك أول فتوحه، ثم توجه إلى قتال ألوند بيك فقاتله و انهزم منه و استولى على خزائنه و قسمها فى عسكره و صار يقتل من ظفر به قتلا ذريعا و لا يمسك شيئا من الخزائن بل يفرقها فى الحال، ثم قاتل مراد بيك ابن السلطان يعقوب فهزمه فى الحال و أخذ خزائنه و فرقها على عسكره، ثم صار لا يتوجه إلى بلاد إلا يفتحها و يقتل جميع من فيها و ينهب أموالهم و يفرقها إلى أن ملك تبريز و أذربيجان و بغداد و عراق العرب و عراق العجم و خراسان. (انتهى كلام النهروالى).

و بعد هذا الكلام يسترسل فى الاختلاق الباعث له عليه تعصبه المذهبي، مما لا صلح له بموضوعنا.

و المهم فى هذا القول هو ما ذكره من أن آباء الشاه إسماعيل لم يكونوا شيعه، و أنه هو المتشيع الأول فيهم، و أن شيعه لاهيجان

هم الذين لقنوه التشيع. على أن هذا يناقض ما ذكره من أن أباه حيدر هو الذى ألبس أتباعه التاج الأحمر فسماهم الناس (قرلباش). و معلوم أن هذا التاج كان مقسما من قمته إلى أطرافه اثنتى عشره شقه تشير إلى على و أبنائه الاثنى عشر.

و قد ظل هذا الاسم (قرلباش) وقتا طويلا يطلق فى تركيا على الشيعة، و لا يزال حتى الآن يطلق فى أفغانستان على الشيعة الايرانى الأصل. و النهروالى نفسه يسمي الايرانيين بهذا الاسم حين يتحدث بعد ذلك عن غزو السلطان سليمانلايران و العراق ثم يتحدث النهروالى عن الصدام بين الشاه إسماعيل و السلطان سليم العثمانى فيقول:

فلما وصلت أخباره (أى الشاه إسماعيل) إلى السلطان سليم خان تحركت فيه قوه العصبية، و أقدم على نصر السنه الشريفه السنيه، و عد هذا القتال من أعظم الجهاد، و قصد أن يمحو من العالم هذه الفتنة و هذا الفساد، و ينصر مذهب أهل السنه الحنيفيه على مذهب أهل البدع و الإلحاد، و يأبى الله إلا ما أراد، فتهيأ السلطان سليم بخيله و رجله و عساكره المنصوره و رحله، و سار لقتاله، و أقدم على جلاده و جداله.

ثم يتحدث بعد ذلك عن معركة جالديران و انتصار السلطان سليم و دخوله مدينه تبريز عاصمه الشاه إسماعيل، ثم عن رحيله عنها قائلا:

و أراد أن يقيم فى تبريز للاستيلاء على إقليم العجم و التمكن من تلك البلاد على الوجه الأتم، فما أمكنه ذلك لكثرة القحط و استيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقه بمائتى درهم و بيع الرغيف الخبز بمائه درهم، و سبب ذلك أن القوافل التى كان أعدها السلطان سليم لتتبعه بالمبره و العليق و المؤمن تخلفت عنه فى محل الاحتياج إليها، و ما وجدوا فى تبريز شيئا من المأكولات و الحبوب لأن الشاه إسماعيل عند انكساره أمر بإحراق أجران الحب و الشعير و غير ذلك، فاضطر السلطان سليم خان إلى العود من تبريز إلى بلاد الروم و تركها خاويه على عروشها.

ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه فأخبر أن سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى فإنه كان بينه و بين شاه إسماعيل محبه و موده و مراسلات بحيث أن كان السلطان قانصوه الغورى يتهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك. فلما ظهر للسلطان سليم خان أن الغورى هو الذى أمر بقطع القوافل عنه صمم على قتل السلطان الغورى أولا و بعد الاستيلاء عليه و على بلاده يتوجه إلى قتال شاه إسماعيل ثانيا. (انتهى كلام النهروالى).

و من هذا الكلام تبدو لنا حقيقتان: أولا - أن الشائع فى ذلك العصر أن حرب السلطان سليم كانت حربا مذهبيه، يراد بها القضاء على الدوله الشيعيه الناشئه فى مهدها قبل أن تتاصل جذورها و يتركز أمرها و ينتشر سلطانها.

ص: ١٧

١- هكذا يتكلم هذا المؤرخ المتعصب.

٢- هذا الافتراء معطوف على ما تقدم من جمله التعصبيه.

ثانيا - إن السلطان قانصوه الغورى قد حرم السلطان سليم من قطف ثمره انتصاره الحاسم فى جالديران، بل أحال ذلك النصر إلى هزيمه اضطر معها السلطان سليم إلى العوده إلى بلاده خائبا من القضاء على الدوله الصفويه، مما جعل تلك الدوله تعاود نشاطها، و يعود الشاه إسماعيل ملكا مظفرا يفتح البلاد و يوسع ملكه و ينشر سلطانه.

على أن اللافت للنظر هو قول هذا المؤرخ أن قانصوه الغورى كان يتهم من معاصريه بالتشيع، بسبب ما كان بينه و بين الشاه إسماعيل من قبل من محبه و موده و مراسلات.

و بذلك نفسر حمله هذا المؤرخ على الغورى و شماتته به، حمله و شماتته لا- تصدران إلا- من قلب مملوء بالحق المذهبى الذميم. و كذلك ابتهاجه بانتصارات السلطان سليم و إشادته به، و تغاضيه عن مجازره، ثم ترحمه عليه بعد موته.

و فى موضع آخر يصف ظهور الشاه إسماعيل و تحويله إيران إلى التشيع قائلا:

و ظهر فى أيامه (أى السلطان بايزيد والد السلطان سليم) الشاه إسماعيل فى سنه ٩٠٥ و كان له ظهور عجيب و استيلاء على ملوك العجم يعد من الأعاجيب، فتك فى البلاد و سفك دماء العباد و أظهر مذهب الرفض و الإلحاد و غير اعتقاد العجم إلى الانحلال و الفساد بعد الصلاح و السواد و أخرب ممالك العجم و أزال من أهلها حسن الاعتقاد و الله يفعل فى ملكه ما أراد. و تلك الفتنة باقيه إلى الآن فى جميع تلك البلاد.

أفضل الدين الكاشانى المعروف بابا أفضل المرقى

ورد ذكره فى المجلد الثالث الصفحه ٤٧٠ و قد تحدث عنه الدكتور محمود محمد الخضيرى بما يلى:

إنى مخصص هذا المقال لفيلسوف إسلامى إيرانى فذ. جمع إلى درايته بالفلسفه و إحاطته بالكثير من فنونها، النبوغ و التفوق فى الشعر. هذا الفيلسوف الشاعر هو أفضل الدين محمد الكاشى أو الكاشانى، و قد يذكر بلقبه فقط، و هو بابا أفضل الدين، و ينسب إلى كاشان كما ينسب أيضا إلى مرق من قرى كاشان، حيث دفن هناك، و يلقب بالإمام و بالصدر، و هو من أعلام المائتين السادسة و السابعه.

و لست بمعترض لدرس شعره، فهذا ليس غرضى، و لا هو من اختصاصى، و لكنى أكتفى للتدليل على علو درجته، بإيراد شهاده لمستشرق كبير هو الأستاذ هرمن إتيه HermannEthe إذ قرنه بالشيخ أبى سعيد بن أبى الخير، و عمر الخيام و جعله معهما أكبر ثلاثه ألفوا الرباعيات فى الشعر الفارسى. و توجد مجموعه من رباعياته الفارسيه محفوظه فى خزانه المخطوطات الفارسيه، بالمتحف البريطانى.

أما مكانه فى الفلسفه الإسلاميه، فهذا هو الغرض الذى نرمى إليه، و ليس هذا من الأمور الهينه، كما أنه ليس من الهين معرفه ما يشفى الغليل عن سيرته و حياته، و أقدم ما عثرت عليه من أخباره هو ما وجدته فى مخطوط صغير الحجم كبير الفائدة، عنوانه: " مختصر فى ذكر الحكماء اليونانيين و المليون " و ليس فى المخطوط ذكر لاسم مؤلفه، على أنى اعتقد أنه لا يمكن أن يكون متأخرا عن المائه الثامنه، و هذا المخطوط ضمن مجموعه فى خزانه الاسكوريال باسبانيا رقمها ٦٣٥ من الخزانه العربيه، ذكر

أفضل الدين فيه مرتين، الأولى باسم: أفضل الدين محمد بن المرقى القاشى، و وصفه صاحب المختصر بالزهد و التصوف و مداومه الرياضه، ثم قال إنه مات فى حدود سنه ٦١٠ هجرية، و فى المره الثانيه فى ظهر الورقه نفسها ذكره عند ترجمه فخر المحققين نصير الدين الطوسى إذ قال عن الأخير: " نشأ بمشهد طوس و اشتغل بها بالتحصيل على خاله".

أما أن أفضل الدين هو خال نصير الدين الطوسى، فهذا ما تشهد به أيضا بعض الكتب المتأخره مثل كتاب: "رياض الشعراء" لمؤلفه على قلى الداغستانى الملقب بالواله، فرغ من تاليفه سنه ١١٦١ هجرية، حيث ورد أن نصير الدين ابن أخت لأفضل الدين الكاشانى،^(١) و كذلك قال صاحب الذريعه عند كلامه عن كتاب منسوب إلى أفضل الدين -: "إنه معروف ب "بابا أفضل المرقى" لأنه دفن بمرق من قرى كاشان، و إنه كان معاصرا لخواجه نصير الدين، بل قيل إنه خال المحقق الطوسى".

و لأفضل الدين عدا الرباعيات مؤلفات كثيره العدد، و كان يكتب بالعربيه و الفارسيه، كما أنه ترجم كتباً فى الفلسفه إلى اللغه الفارسيه، و نذكر من أسماء كتبه ما وقفنا عليه مع إشاره موجزه إلى موضوع كل منها:

(١) جاودان نامه: أى كتاب البقاء، و موضوعه معرفه النفس و المبدأ و المعاد، و هو مرتب على أربعة أبواب فى أحوال السلوك و حقائق أمور الصوفيه.

(٢) مدارج الكمال إلى معارج الوصال، كتبه أولا بالعربيه، ثم نقله إلى الفارسيه، و هو وصيه جامع لخير الدارين، رتبه على ثمانيه أبواب.

(٣) أنجم نامه: مختصر، و يقال له: "آغاز و انجام" أى فى المبدأ و المعاد.

(٤) عرض نامه: فى التفرقه بين الجواهر و الأعراض.

(٥) ساز و پيرايه شاهان: فى حقوق الملوك و واجباتهم.

(٦) چهار عنوان: أى العناوين الأربعة، و هو مستمد من كتاب:

"كيمياى سعادت" لأبى حامد الغزالى، اختصر فيه كتابه إحياء علوم الدين.

(٧) انتخاب كيمياى سعادت: لا يبعد أن يكون هو نفس الكتاب السابق.

(٨) رساله ينبوع الحياه. أو ترجمه سيزده فصل إدريس: و هو ترجمه فارسيه لكتاب عربى منسوب إلى هرمس المثلث بالحكمه، و عنوانه بالعربيه:

كتاب زجر النفس، و هو فى الأصل فى أربعة عشر فصلا، و لكنه فى ترجمه أفضل الدين واقع فى ثلاثه عشر فصلا.

(٩) مجموعه نكات أرسطو در علم حكمت: ترجمه مقاله أرسطاطاليس، و هو ترجمه لما جرى بين أرسطو قبيل موته و بين تلاميذه من أحاديث و قد نشر عدده مرات، آخرها بتصحيح الخورى فيليمون الكاتب، بيروت سنه ١٩٠٣، و يلاحظ فى ترجمه

الفارسيه اطلاق اسم إدريس على هرمس و موضوع الكتاب: بيان فضل الحكمه، و عندى أن هذا الكتاب هو ترجمه لما يعرف فى العريه بكتاب التفاحه، و قد نشر الأستاذ مرغليوث نص الترجمه الفارسيه منذ أكثر من خمسين عامًا، و بحث عن شخصيه مترجمى هذا الكتاب إلى اللاتينيه و العبريه، و لكنه لم يعن بالبحث عن شخصيه صاحب الأثر

ص: ١٨

١- راجع فهرست المخطوطات الفارسيه فى المتحف البريطانى تأليف ريوچ ٢ ص ٨٢٩ و ج ١ ص ٣٧١.

الفارسي الذي نشره. و منذ ثلاثين سنه و بدون علم بما قدمه مرغليوث نشر أديب شرقي النص العربي لهذا الكتاب.(١)

و الإسلاميون يضيفون كتاب التفاحه إلى أرسطو، و قد ينسبون إليه ما ورد فيه من آراء، كما فعل اخوان الصفاء في رسالتهم الرابعه و الأربعين.(٢)

و الحقيقه أن هذا الكتاب ليس من تأليف أرسطو، و إنما هو من وضع فلاسفه "العرفان" Gnose المتأثرين بالمذهب الأفلاطوني الحديث. و يذكر هرمس في كتاب التفاحه موصوفا بأنه أول من علم الحكمة التي استفادها بالوحي من السماء، ثم نشرها في الأرض بين مختلف الأجناس و الملل.

(١٠) كتاب نفس - و هو ترجمه فارسيه لكتاب أرسطو في النفس، في ثلاث مقالات، توجد منه نسخه بين مخطوطات ديوان الهند الفارسيه. و ترجمه أفضل الدين لا- بد أن تكون عن العربيه. و قد عشر أخيرا على مخطوط في استنبول للترجمه العربيه الكامله، و نرجو أن تنشر عن قريب.

(١١) مطالب إلهيه سبعة و هي رساله صغيره الحجم باللغه العربيه، نشرت في مصر مشوهه، كثيره التحريف، أصاب التحريف فيها لقب المؤلف، فجاء "الموقى" بدل "المرقى" و سماها الناسخ، باسم "آيات الإبداع في الصنعه" ثم غير الناشر في هذا العنوان و زاد فيه فجعله "آيات الصنعه في الكشف عن مطالب إلهيه سبعة".

و نحن نعلم الآن على هذه الرساله الصغيره الحجم للتعرف بمذهب أفضل الدين و أدعو من وقف على شيء آخر من آثاره أن يتفضل بالكتابة عنه، فان هذا الرجل يستحق المزيد من الدرس و العناية.

يتضح في هذه الرساله، تأثير المذهب الأفلاطوني المحدث على نحو ما تمثله بعض المتصوفين من الإسلاميين، لا سيما في المائتين السادسة و السابعه، و بالرغم من صغر حجمها فان فيها من الفوائد اللطيفه ما يكفي ماده لبحث جليل.

و أهم ما في الرساله، الإشارة إلى تنزيه "الهويه" عن الصفات تنزيها مطلقا، و ظاهر أنه يستعمل لفظ الهويه استعمال القدماء إياه، و الشائع عند أكثر الفلاسفه الإسلاميين هو لفظ الموجود، و إنما عدل البعض عن استعمال هذا اللفظ الأخير كما قال أبو نصر الفارابي، لأنه بشكل المشتق، و المشتق يدل على عرض بينما يقسم الفلاسفه هذا المعنى إلى الجوهر و العرض، و إلى ما بالفعل، و ما بالقوه. و يستعمل البعض الآخر لفظ "الإنيه" و هو تعريب للكلمه اليونانيه الداله على "الموجود".

و يتبين من سياق عبارته في هذه الرساله، أنه يقصد الهويه، و لذلك نرجح أنه يعني بها ما يعني "العارفون" من الإسلاميين باسم "المرتبه الأحديه" التي هي أعلى مراتب الوجود الكليه، و هي حقيقه الوجود بشرط ألا يكون معها شيء.

و الهويه عند أفضل الدين الكاشاني ساميه جدا، و لا يمكن أن نتصور بينها و بين العالم أي نوع من الاتصال، إلا إذا أخذناها موصوفه بالصفات. و مع أن الصفات تكون ذاتيه إلا- أن اعتبار الهويه موصوفه بها، فيه تقليل من تنزهها و إذا أخذت الهويه موصوفه بالعلم، تكون مبدعه للعقل، و إذا أخذت من حيث تقتضى أوصافا، كانت فاعله، أو خالقه لها.

ثم إن مما يستحق أن يشار إليه، هو أن أفضل الدين، يرى في هذه الرساله أن العقل، و هو الذي تبدعه الهويه العالمه بذاتها،

ليس إلا- فعل التعقل، و ليس جوهرًا و لا عرضًا، و إذن فهو ليس ممن يذهبون إلى اعتبار العقل شخصا يسميه بعضهم ملكًا، و يسميه الآخر ربا.

أما النفس فهي عنده جامع بين الوحده و الكثره، و هي البرزخ بين الوجود و الإمكان، و الفعل و الانفعال. و هذا رأى أصحاب القول بالصدور على اختلاف مذاهبهم.

ثم إنه يعرف الجسم بالتعريف الذى يختاره الإشراقيون، و لا يقبله المشاءون أى إن الجسم عنده هو القابل لفرض الأبعاد الثلاثة، المتقاطعه على زوايا قائمه فيه بالفعل.

هذا تفسير مختصر لما فى هذه الرساله الصغيره من المعانى الخطيره، و إنى واثق أن الكشف عن غيرها من مؤلفات أفضل الدين كفيل بتوضيح مذهبه فى الفلسفه و التصوف على نحو لا يختلف عن الاتجاه الذى سلكته فى تقدير هذا الفيلسوف.

و أضيف إلى ما سبق أنى وقفت على رأى له فى قياس الخلف أورده صدر الدين الشيرازى حيث قال: "ذهب الشيخ أفضل الدين المرقى القاشانى قدس سره إلى أن الخلف قياس استثنائى من متصله مقدمها نقيض المطلوب، و يحتاج فى بيان تاليها إلى حمله مسلمه" ثم قال صدر الدين: "و هذا الطريق هو الذى ذكره الشارح"، يعنى محمود بن مسعود المشهور بقطب الدين الشيرازى و ظاهر أنه لا يذهب هذا المذهب فى مثل هذه المسأله الدقيقه إلا عالم له مشاركه عظيمه فى علم المنطق.

و نستطيع بعد ما قدمناه فى التعرف بأفضل الدين الكاشانى أن نتصور تصورا واضحا شخصيه أستاذ لنصير الدين الطوسى له تأثير كبير فى توجيهه الروحى و العقلى، و ليس يقتصر ما بين المعلم و تلميذه على ما بينهما من صلوات الرحم فحسب، بل إنهما يشتركان فى العناية بعلوم الأوائل، و الميل إلى التصوف الممزوج بمذهب "العرفان" و قد ذكر أكثر من واحد أن نصير الدينمدح أفضل الدين بربايعيات أو لعله رثاه بها، و لم نقف عليها لسوء الحظ و لكننا نحسب أنه أشار فيها إلى ما بينهما من صلته، و قال فيها أيضا ما معناه:

نسب أقرب فى شرع الهوى بيننا من نسب أبوى

اسامه بن منقذ

مرت ترجمته فى المجلد الثالث الصفحه ٢٥٢ و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال محمد مصطفى الماحى مدير أوقاف مصر من مقال له:

غير أن الدهر أبى الا أن يعاند اسامه، فقد أحس نبوه من صلاح الدين الايوبى لعل سببها ما انتهى إليه من أنه يرفد الشيعة و يصل فقراءهم و يظهر التقيه.

- ١- الشيخ أمين ظاهر خير الله، في مجله المقتطف أعداد ديسمبر سنة ١٩١٩ و كانون الثاني و شباط و آذار سنة ١٩٢٠.
- ٢- رسائل إخوان الصفاء، طبعه القاهره سنة ١٩٢٨ ج ٤ ص ١٠٠.

إنشاء السيد إنشاء الله خان ابن السيد ما شاء الله خان النجفي:

ولد في مرشدآباد (الهند) سنة ١١٦٠ و توفي بلكهنو سنة ١٢٣٣ اشتهر باسم (أنشأ) و هو شاعر كبير في الهزل و الهجاء و هو طويل الباع في النظم بلغات متعددة و لهجات مختلفه: بالعرييه و الفارسيه و الهنديه. و له في كل نوع أشعار مطبوعه و ليس له نظير في شعراء الهند، و هو أيضا كاتب ناشر، و هو أول أديب أسس القواعد الأردويه و أصولها من النحو و الصرف و العروض، و ضبط الكلمات و الأمثال، و كتب (درياي لطافت) فكان أول كتاب دون هذا الفن، و قد ألف بعض أجزاءه محمد حسن فتيل، الشاعر الكاتب بالفارسيه و التركي، و كان صديقا لانشا و شيئا مثله.

و لانشا كتاب (راني كيتكي) و هو قصه هنديه تعتبر نسيج و حدها.

أنيس، مير ببر علي بن خليق مير مستحسن بن مير حسن:

ولد حوالي سنة ١٢١٦ في فيض آباد و توفي في لکنو سنة ١٢٩١ من أكبر شعراء الهند، اشتهر بلقبه (أنيس) و لم يعرف بغيره لذلك ترجمناه في حرف الألف.(١)

اسره أنيس هي اسره الشعراء، فأبأوه شعراء مجيدون و ابناؤهم شعراء المرائي [المرائي] الحسينيه، مشى الشعر في بيته كابرا عن كابر، و قد نظم (أنيس) مئات الألوف من الأبيات الشعريه و كلها في مديح أئمه أهل البيت (ع) و رثائهم، و يطلق على أشعاره اسم (المريه)، و المريه في اصطلاح ذلك العنصر هي نظم سداسي يشتمل على اجزاء خاصه:

١ - التشبيب، و فيه يصور أنيس مظاهر الفطره من الصبح و المساء و الليل و الربيع و الشتاء.

٢ - المديح، و فيه يصور البطل في شخص الحسين ع و أنصاره صوره ملموسه، من الرأس إلى الجبهه و العينين و الأنف و العنق و الصدر و اليد و غير ذلك.

٣ - المعركه و فيها يصور الشاعر لقاء البطل لأعدائه فيضمن الصورة:

الرجز و الخطاب، ثم السيف و القوس و الرمايه و الرمح. ثم الالتحام البطولي فالاستشهاد.

٤ - الرثاء: يسمعك بكاء الأم على الابن، و الأب على الولد، و الشقيقه على الشقيق، و البنت على الوالد، و كل قريب على قريبه.

و تحتوى المريه على عدد يتراوح ما بين عشرين سداسيه إلى ثلاثمائه سداسيه متسلسله. و هذه المرائي مطبوعه في ستة مجلدات كبار، و ابطالها هم الحسين ع و أنصاره في كربلاء.

و أنيس هو أول من ابتكر هذا الفن الشعري و نهج هذا النهج، و هو في مرائيه شاعر حماسي، ففي كل مريه حماسه و بطوله و أخلاق و انسانيه. ثم انه يرى القارئ الصور المتحركه الناطقه و يمثل له رجال المعركه، فيقيم الحرب و يبرز الأبطال، فتسمع اراجيز الأحرار و تخاطب الأقران، و ترى تقدم الرجاله و جرى الفرسان. ثم ترى البطل من آل محمد يصمد للأعداء و يقتحمهم ثم يختر شهيدا مشخنا بالجراح.

انك تسمع فى شعره سهيل الجياد و صليل السيوف و قراع الأسنه و رنين السهام، و تبصر بتر الرءوس و تهاوى الأجساد، فشعره مناظر حيه متابعه و مشاهد متحركه ناطقه، يريك حياه الآلام: من السفر و الاغتراب و قتل الآباء و استشهاد الأقباء و ذبح الأبناء و وحده النساء و عويل الأمهات و صراخ الأخوات.

يبكى (أنيس) بكاء طويلا موجعا، فيبكى معه القارئ و السامع، و يحمله على ترداد الشعر و تكراره.

و أنيس معدود فى ملاحمه بين شعراء الأردويه كالفردوسى فى الفارسيه و شكسبير فى الإنكليزيه (راجع ترجمه "ديبر" فى هذا الكتاب).

بدران بن سيف الدوله صدقه المزيدي:

مرت ترجمته مفصله فى المجلد الثالث الصفحه ٥٤٨ و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال العماد الأصفهاني فى الخريده و هو يتحدث عنه: "تغرب بعد أن نكب والده و تفرقت فى البلاد مقاصده، فكان برهه بالشام يشيم بارقه السعاده من الأيام و آونه ورد بلاد مصر فاولاده كانوا بها لهذا العهد، و عادوا بأجمعهم إلى مدينه السلام، و ظهر عليهم أثر الاعدام".

و ذكر له من الشعر قوله:

لا و الذى قصد الحجيج على بزل و ما يقطعن من جدد

لا كنت بالراضى بمنقصه يوما و الالست من أسد

لاقلقلن العيس داميه الا خفاف من بلد إلى بلد

أما يقال سعى فاحرزها أو أن يقال مضى و لم يعد

و قوله:

و غريره و نحن على منى و الليل انجمه الشوابك ميل

زعم العواذل مللت وصالنا و الصبر منك على الجفاء دليل

فأجبتها و مدامعى منهله و القلب فى أسر الهوى مكبول

كذب الوشاه على فيما شنعوا غيرى يحل و غيرك المحلول

و قوله:

أشرب اليوم من عقار كميت و اسقنيها على غناء الكميت

ثم اسق النديم حتى تراه و هو حى من الكميت كميت

البرسيين

جاء فى الصفحه ٣٧٤ من المجلد الثانى خلال الكلام عن (أبو عبد الله الباقطانى): "القب بين الفرات و البرنسيين و قل لهم لا يزوروا مقابر قريش"، ثم جاء فى تتمه الكلام: "البرنسيين نسبه إلى برنس قريه بين الكوفه و الحله".

ثم وردت هذه الكلمه فى موضع آخر من الكتاب بلفظ "البرسيين" و ورد فى تفسيرها: "البرسيين عائله ثانيه من عائلات الشيعه".

أما كلمه "البرنسيين" فهى تصحيف كلمه "البرسيين". و يبدو أن كلمه "البرسيين" محرفه عن كلمه "الأريسيين" و هم الفلاحون و الاكره و

ص: ٢٠

١- شعراء شبه القاره الهنديه الباكستانيه يتخذ كل واحد منهم عاده اسما غير اسمه الحقيقى فيشتهر بهذا الاسم فى شعره. و يعرف هذا الاسم فى اصطلاح الأدب الأردوى بالتخلص.

المزارعون. قال ابن الأثير في النهاية في شرح

قوله ص في كتابه إلى هرقل " فان أبيت فعليك اثم الأريسيين " قال ابن الاعرابي و هم الأكارون، و قال أبو عبيده هم الخدم و الخول. و الحقيقه أنهم لا يختلفان لأن الزراع كانوا قديما خولا و عبدا لأهل الأرض المالكين.

توفيق الفيكي ابن على

ولد في بغداد سنه ١٣٢١ و توفي سنه ١٣٨٩.

أديب و مؤلف، تخرج من المدرسه الرشديه في بغداد ثم من دار المعلمين فمارس التعليم، ثم دخل كليه الحقوق و تخرج منها فاشتغل بالمحاماه ثم انتسب إلى سلك القضاء ثم استقال منه و عمل فتره في الصحافه و السياسه فانتخب نائبا.

و كان إلى جانب دراسته السابقه يتابع على بعض الفقهاء دراسه علوم اللغه العربيه و أصول الفقه.

له من المؤلفات: ١ - الراعى و الرعيه و هو أشهر مؤلفاته شرح فيه عهد أمير المؤمنين ع لمالك الأشر. طبع عدده مرات و ترجم إلى الفارسيه ٢ - سكينه بنت الحسين ٣ - رساله في سياسه الامام الصادق ع ٤ - دراسات في الفقه المقارن ٥ - القوميه الإسلاميه أو جنسيه القرآن ٦ - هشام بن الحكم (مخطوط) ٧ - أدب النخيل أو شجره العذراء، قال في مقدمته: "حرصت أشد الحرص على أن أجمع بين دفتي هذا الكتاب كل ما يتعلق بالنخل".

جرأت، قلندر بخش

توفي بلكهنو سنه ١٢٢٥ اشتهر بلقب (جرأت) لذلك ترجمناه في حرف الجيم.

كان كفيف البصر، و هو شاعر هندي شهير له في الغزل منهج خاص، و اشتهر أيضا بالمراثي الحسينيه. طبع المجلد الأول من كلياته سنه ١٩٧٠ م.

جعفر الخليلي ابن الشيخ أسد

اشاره

ولد في النجف عام ١٣٢٢ هـ و توفي في (دبي) سنه ١٤٠٥ و دفن فيها.

و قد أرخ ولادته الشيخ حسين العاملی بقوله:

عوذت مولودا أتى لشيخنا: (الشيخ أسد)

من كيد كل كائد و حاسد إذا حسد

يا فرحه ما جاءنا بمثلها قبل أحد

ان قيل من؟ أرخ: (أنا الشبل من ذاك الأسد)

ولد في بيت علم و أدب و دين و طب. تولى غير واحد من أسرته المرجعية الشيعيه. كان منهم جده الحاج ملا علي الخليلي، و عم أبيه الحاج الميرزا حسين الخليلي أما والده فهو الشيخ أسد الخليلي من رجال الفضل و الأدب و الطب القديم و كان من أساتذه علم المنطق المعروفين.

و من مشاهير الأسره شقيقه عباس الشاعر السياسى و الأديب المتمكن من اللغتين العربيه و الفارسيه، و المبرز في الحركات الوطنيه في النجف و الذى استطاع أن ينجو من مشنقه الإنكليز في ثوره النجف المعروفه التي قامت قبل الثوره العراقيه عام ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م و قد أرخ لها المؤرخون في وقتها بقولهم: (حصار و غلا) ١٣٣٦ هـ فقد تخفى عباس الخليلي في الآبار و هرب إلى ايران و حكم عليه بالاعدام غيابيا في حين أعدم زملاؤه الشهداء الذين لم يستطيعوا الهرب مثله، و كانوا أحد عشر شهيدا و قد قال حين فر و أخفقت الثوره النجفيه من قصيده:

رويدا رجال الإنكليز و رأفه ان اليوم أسرفتم فان لنا غدا

و ان قصرت اقدامنا عن خطاكم مددنا إلى ما فوق هامكم يدا

و منها يخاطب أهل العراق:

يحييكم أهل العراق على النوى فتى في سبيل المجد أمسى مشردا

تحيه عان كلما هبت الصبا ينوح كما ناح الحمام مغردا

ان اليوم أطلقت اللسان بحبكم فبالأمس عنكم قد سللت المهندا

عواطف لا تنفك تغلى بمهجتي إلى أن أرى فوق الصعيد موسدا

و قد أصدر جريده (إقدام)... بطهران و له عده مؤلفات توفى في طهرانعام ١٩٧٢ م.

و من أفراد الأسره الأديب الطبيب الشيخ محمد الخليلي ابن عم جعفر الخليلي و صاحب كتاب أدباء الأطباء و الأديب محمد علي إبراهيم الخليلي و بين آل الخليلي عدد من أدباء الشباب و الشعراء.

عمل المترجم في التعليم في الحله و النجف و سوق الشيوخ و الرميثه و الكوفه في فترات، و استقال من المعارف في السنه التي توفى فيها والده و كان آخر ما عمل في المعارف ان كان مدرسا للتاريخ و الجغرافيا في ثانويه النجف مده ثلاث سنوات تقريبا. ثم تفرغ للصحافه.

فاصدر جريده الفجر الصادق فى النجف عام ١٩٣٠ و كانت اسبوعيه عاشت سنه واحده و أوقفها صاحبها لازمه اداريه.

و اصدر جريده (الراعى) بعد ذلك اسبوعيه و عاشت سنه أيضا فأغلقتها الحكومه.

و أصدر (الهاتف) اسبوعيه عام ١٩٣٥ فى النجف و انتقل بها إلى بغداد عام ١٩٤٨ و فى عام ١٩٥٤ أغلقت الهاتف مع الصحف الأخرى بموجب مرسوم صدر فى ذلك العام و قد صدرت قبل إغلاقها يوميه سياسيه مدته أربع سنوات فكان مجموع عمرها عشرين سنه كامله صدرت فى النجف و بغداد دون انقطاع. و فى سنه ١٩٨٠ م ترك العراق ليقيم فى عمان. و فى زياره له لمدينه دبی توفى فيها.

مؤلفاته المطبوعه

- ١ - يوميات - الجزء الأول - خواطر و أفكار، ٢ - يوميات - الجزء الثانى - خواطر و أفكار، ٣ - الضائع - قصه مطوله، ٤ - عند ما كنت قاضيا - استعراض للأحوال الشخصيه، ٥ - فى قرى الجن - قصه على غرار مبادئ المدينه الفاضله، ٦ - من فوق الرايه - مجموعه قصص قصيره، ٧ - تسواهن - استعراض للغناء و الرقص و الموسيقى فى العراق، ٨ - على هامش الثوره العراقيه - هوامش على الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠، ٩ - أولاد الخليلي - مجموعه قصص قصيره، ١٠ - مجمع المتناقضات - مجموعه قصص قصيره، ١١ - اعترافات - مجموعه قصص قصيره على نمط الاعترافات، ١٢ - مقدمه فى تاريخ القصه العراقيه، ١٣ - هؤلاء الناس - مجموعه قصص قصيره، ١٤ - جغرافيه البلاد العربيه،

ص: ٢١

١٥ - آل فتنه كما عرفتهم - استعراض لحياه قبيله آل فتنه، ١٦ - نفحات من خمائل الأدب الفارسي - شعر مترجم، ١٧ - ما أخذ الشعر العربي من الفارسيه و الشعر الفارسي من العرييه، ١٨ - كنت معهم فى السجن - استعراض لأهم الأسباب التى تستدعى وقوع الجريمه، ١٩ - التمور العراقيه قديما و حديثا - من أول معرفه العراق بالتمور حتى اليوم، ٢٠ - القصه العراقيه قديما و حديثا - تاريخ القصه العراقيه القديمه و روادها المعاصرين، ٢١ - هكذا عرفتهم - سته اجزاء - تراجم عدد من الأشخاص ٢٢ - أ - حبوب الاستقلال - نقد للمجتمع فى أسلوب قريب من القصه، ب - خيال الظل، ج - حديث السعلى، د - السجين المطلق، ٢٣ - موسوعه العتبات المقدسه و قد صدر منها ثلاثه عشر جزءا، أ - المدخل إلى موسوعه العتبات المقدسه، ب - الجزء الأول من قسم مكه المكرمه، ج - الجزء الأول من المدينه المنوره، و - الجزء الأول من القدس الشريف، ه - الجزء الثانى من القدس الشريف، و - الجزء الأول من قسم النجف الأشرف، ز - الجزء الثانى من قسم النجف الأشرف، ح - الجزء الأول من قسم كربلاء ط - الجزء الأول من قسم الكاظمين، ى - الجزء الثانى من قسم الكاظمين، ك - الجزء الثالث من قسم الكاظمين ل - الجزء الأول من خراسان، م - الجزء الأول من سامراء.

و الموسوعه تاريخ واسع أسهم معه فى تاليفه عدد من أساتذته جامعه بغداد و بعض الفضلاء حسب اختصاص كل منهم.

٢٤ - ملخص تاريخ العرب و اليهود.

وله كتابات و مؤلفات لم تطبع و هى ما كتبه فى عمان فى أيامه الأخيره و هى:

١ - الوراقه و الوراقون البغداديون، ٢ - مما احتفظت به الذاكره من الخواطر و هى بمشابه مذكراته، ٣ - الأمثال العرييه، ٤ - المدن الإسلاميه و التاريخيه العرييه الكبرى نشر بعض منها، ٥ - الشعر العربى و الغناء، ٦ - قصه مطوله تصلح ان تتحول إلى تمثيليه عنوانها رهبان بلادى، ٧ - كتابات متفرقه شرع بكتابتها و لم ينهها.

جون مولى أبى ذر الغفارى

مرت ترجمته فى المجلد الرابع الصفحه ٢٩٧ و نزيد عليها هنا ما ياتى:

كرم محمد بن عبد الله ص الإنسانيه كلها فألقى الاضطهاد العنصرى إلغاء عمليا حين اختار لأقدس مهمه زنجيا أسود اللون، و جعل منه مؤذنه الذى ينادى المؤمنين للصلوات فى أوقاتها الخمس.

هذا الأسود هو بلال الحبشى الذى كان عبد من عبيد قريش فلم تكذبته الدعوة الإسلاميه حتى كان أول الملبين لها، و تعلم به قريش، و يعلم به سيده (اميه بن خلف) فينصحونه بالعدول عن الطريق الذى مشى فيه فلا يقبل النصيحه و يستمر مسلما مخلصا ف يأخذون فى تعذيبه العذاب الأليم، و لكنه لا يزداد إلا إيمانا، ثم يفر بنفسه إلى المدينه مع من هاجر إليها، و هناك صار مؤذن الرسول و لقد كانت فى صوته لكنه فلا يستطيع أن يلفظ الشين لفظا صحيحا، بل تخرج من فمه و كأنها سين،

فيقول الرسول ص إن سينه عند الله شين..

و على صوت بلال الحبشى كان يهرع شيوخ المسلمين و شبانهم إلى المسجد ملين نداء الله يبعثه هذا الإنسان الأسود اللون. و لم

يكن تكريم لعنصر بلال أعظم من هذا التكريم الذى خصه به رسول الله، و لذلك فإنه لما مات النبي انقطع إلى أهل البيت مخلصا لهم، وفيما لذكرى أبيهم الرسول. و تدور الأيام و يلقي أهل البيت محنا و ارزاء، و يبرز الأوفياء ملتفين حول الأسره النبويه عازمين على الموت دونها إخلاصا لمحمد و رسالته. و يقف الحسينى كربلاء فى أقل من مائه من الرجال كانوا يمثلون فى تلك الساعه انبل ما فى الكون من سجايا، و هل فى الكون أنبل من أن يبذل الإنسان دمه طواعيه و فاء لرجل و ثباتا على مبدأ و إخلاصا لعقيده.

و تبارى الرجال فى التضحيه و مضوا يسقطون واحدا بعد الآخر. و كان فى الركب الحسينى رجل بسيط، لا يحسب إذا حسبت البطولات، و لا يذكر إذا ذكرت التضحيات، لا يؤبه لرأيه و لا يعد لمهمه من مهمات الأمور.

كان يؤمر فيلبى الأمر، و يستخدم فيخدم مسرعا، كان أقصى ما يعرفه الرفاق عنه أنه خادم أمين و تابع مخلص. و ما فوق ذلك فليس مما يرد اسمه على البال.

كان رقيقا من أولئك الأرقاء السود الذين امتلأت بهم قصور العتاه و بيوت الطغاه، و كانت أيه حشره تلقى عنايه أكثر مما يلقاه أى واحد منهم. و كان نصيبه ان وصل إلى يد أبى ذر الغفارى صاحب محمد المخلص، و

سمع أبو ذر النبي ص يوصى بالأرقاء خيرا و يحض الناس على تحريرهم، و من أولى من أبى ذر بتنفيذ وصايا النبي فأعتق أبو ذر العبد (جون) و أرسله حرا.

و أصابت المحنه أبا ذر و طورد و اضطهد و مات منفيًا فى الربذه، و ظل جون فقيرا معدما، فتلقيه أهل البيت بالحنان و العطف، فقد كانت فيه ذكريات من صاحب جدهم رأوها جديره بالوفاء فاحتضنوه و ألحقوه بشئونهم يقوم على رعايه بيتهم و العنايه بأطفالهم و قضاء حاجات رجالهم.

و مشى الحسين إلى كربلاء، و هذه حال جون، لا-شان له أكثر من هذا الشأن، و لا من يفكر بان يكون لجون دور فوق هذا الدور. و كان فى حسابان الجميع أنه سيغتم أول فرصه للسلامه فينجو بنفسه و ينشد الخدمه من جديد فى بيت جديد.

و لكن جون بقى فى ركب الحسين لم يفارقه مع المفارقين، و ثبت مع الرجال المائه الذين ثبتوا حتى وصلوا إلى كربلاء و ظن الناس أن (جون) سينتظر الساعه الحاسمه، ثم ينطلق بعدها فى طريق النجاه، و لكن الأيام مضت و جون فى مكانه لم يبرحه، و جاء اليوم التاسع من المحرم و جون قائم على خدمه الحسين، فها هو يصلح له سيفه و الحسين يردد تلك الأبيات الشهيره التى لم تستطع معها و أخته زينب إلا أن تذرف دموعها.

أما جون فلم يذكر أحد أنه انفعل أو تاثر أو بكى، أ تراه لم يفهم ما كانت تعنيه تلك الأبيات؟ أ تراه صلب العاطفه متحجر القلب إلى حد لا يهزه صوت الحسين يعنى نفسه؟ أ تراه فى تلك الساعه فى شاغل عن كل شىء إلا عن نفسه يفكر كيف يدبر وسيله الخلاص عصر اليوم أو صباح الغد؟ الحقيقه كانت فوق كل تصور.. لم يبيك جون و لم ينفعل و لم يتأثر، لأن ما كان فيه كان فوق البكاء و الانفعال و التأثر. كان جون و هو يصلح سيف الحسين، و الحسين ينشد أبياته، كان جون يستعرض فى ذهنه كل ذلك الماضى الحافل، كان يتذكر النبي محمدا ص و هو يرفع الإنسان الأسود إلى أعلى مراتب الكرامه حين عهد إلى واحد

منهم بوظيفه مؤذنه الخاص و كان يتذكر تلك

ص: ٢٢

الألوف من السود التي انطلقت حره تنفيذًا لوصايا محمد. كان كل ذلك يجول في ذهن (جون) مولى أبي ذر الغفاري.

و ها هو سيف الحسين الآن في يده لآخر مره يصلحه له ليقف به الحسينغدا على أعلى قمه في التاريخ فيهب الدنيا كلها لتشهد كيف تكون حمايه الهدى و الحق و الخير، و كيف تكون البطولات التي لا- تبغى إلا الاستشهاد ذودا عما تؤمن به و تعتقه، و كيف يرفض الأباه الحياه إذا لم تكن كما يريدون حياه الحريه و السعاده للأمه، و حياه الكرامه و الحق لهم.

غدا سيلمع هذا السيف الحديدي في كف الحسين ثم ينثلم إلى الأبد، و لكن سيف الحق الذي جرده الحسين سيلمع إلى الأبد دون أن ينثلم، و غدا سيعلو صوت الحسين بنداء الحريه ثم يصمت إلى الأبد، و لكن صوت الحريه الذي انطلق من فم الحسين سيظل مدويا إلى الأبد.

كان جون يلجا إلى صمت رهيب، و ظل صامتا حتى دنا الليل، و أصغى بكل جوارحه إلى الحوار البطولي الخارق الذي جرى بين الحسين و أنصاره، و هو يحرضهم على تركه وحده و الانطلاق في سواد الليل، و هم يردون عليه واحدا بعد واحد رافضين لأول مره في حياتهم أوامرهم، و يصرون على أن يلقوا نفس المصير الذي سيلاقيه هو.

كان جون في تلك الساعه يجلس في زاويه دون أن يابه له أحد، و كان يود من كل قلبه لو كان لصوت الزنوج صوت بين هذه الأصوات، و لكنه فضل الصمت المطبق.

و في الصباح عند ما تبارى الأبطال المائه متسابقين إلى الموت، و مشى كل منهم يستأذن الحسين و يودعه ماضيا إلى مصيره، تقدم (جون)، و هو في كل خطوه من خطواته لا- ينفك مصغيا إلى صوت زميله بلال الحبشى متعاليا فوق كل أصوات البيض تكريما من محمد و إعزازا. و ربما خطر له في تلك اللحظات منظر بلال و هو واقف على أشرف مكان و أقدس بقعه، على ظهر الكعبه حين امره محمد ساعه فتح مكه أن يصعد فينادى بالأذان. الأسود الذي كان عبدا ذليلا قبل رساله محمد يصعد على الكعبه، و هو في نظر الناس أعز إنسان.

دنت ساعه الوفاء لمحمد، دنت الساعه التي يرد فيها هذا الزنجي (جون) بعض الجميل لمحمد، و هل أعظم في الوفاء لمحمد من أن يموت ذودا عن أبنائه و نسائه و تعاليمه، و تقدم جون من الحسين و قد انقلب بطلا مغوارا، و قد تجمعت فيه كل فضائل بنى جنسه، تقدم يستأذن الحسين في أن يكون كغيره من رفاق الحسين.

و

التفت الحسين إليه و قد أخذته الرقه له و الحنان عليه، و لم يشأ أن يورطه فيما لا شان له به، فقال له: أنت إنما تبعتنا للعافيه فلا تبتل بطريقتنا.

و لكن جون البطل أجاب الحسين: أنا في الرخاء على قصاعكم و في الشده أخذلكم؟! ثم أردف هذا الجواب بكلمات لم يقصد بها الحسين، بل أراد أن يوجهها للأجيال الماضيه و الأجيال الحاضره و الأجيال الآتيه، تلك الأجيال التي لم تر للزنوج الكرامه التي لهم، فقال: إن ريحي لنتن، و إن حسبي للثيم، و إن لوني للأسود، أفتنفس على بالجنه فيطيب ريحي و يشرف حسبي و

بييض وجهي؟ لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود بدمائكم. لقد كان جون يعلم أنه أكرم على الحسين من ألوف البيض، وإن الحسين أكرم من أن يراه لئيم الحسب نتن الريح. لم يكن جون في الواقع يخاطب الحسين سبط محمد مكرم الزوج، بل كان يقف على ذروه من ذروات التاريخ ليقول للأدعياء المفآخرين بالوانهم و أطيابهم، إليكم هذا الذي ترونه في نظركم لئيم الحسب نتن الريح، إليكم به اليوم يطاولكم شرفاً و حميه و شجاعه و وفاء فلا تصلون إلى أخص قدميه. منكم يزيد الأبيض اللون، المتحدر من عبد مناف، المضمخ بالأطياب، و منكم عبيد الله بن زياد و منكم شمر بن ذى الجوشن و حجار بن أبجر و قيس بن الأشعث و عمرو بن الحجاج، منكم قبل هؤلاء و بعد هؤلاء كثيرون، و كلهم يشع بياضا و يعبق طيبا، و كلهم يجر وراءه حلقات آباء و أجداد.

أولئك غدروا بمحمد الذى أخرجهم من الظلمات، فداسوا تعاليمه و حشدوا الحشود على بنيه، أولئك يتهيئون الآن ليرفعوا رؤوس أبناء محمد على رماحهم. و هذا الزنجى و فى لمحمد الذى حرره و أكرم جنسه، فتقدم ليزودكم عن بنيه و بناته و تعاليمه، و هو يتهياً الآن ليسفك دمه دون ذلك، فأيكم اللئيم الحسب، التتن الريح، الأسود الوجه؟ أ أنتم أم هو؟ و حقق الحسين رجاء جون فاذن له، و مشى (جون) مزهوا ببطولته معتزاً بوفائه يود لو أن عينى بلال الحبشى تراه فى خطواته هذه، و أن زوج الدنيا يطلون عليه ليروا كيف مثلهم فى موكب البطولات و تكلم باسمهم على منبر التضحيات، و كيف شرفهم ساعه لا شرف إلا للنفوس العظيمة.

لقد ضارب جون الحر أولئك العبيد بأعمالهم، السود بقلوبهم، و كان له ما أراد. فامتزج دمه الأسود مع أشرف دم: مع دم الحسين سبط محمد و مع دماء أهل بيته.

و فى الزوج لمحمد الذى رفع من شأنهم و أعلى أمرهم، و تحقق ما أراده جون. فلم ينفس عليه الحسين بالجنه، و لم ييخل عليه بان يثبت بأنه كريم الحسب طيب الريح.

السيد حسين الخادمى ابن السيد جعفر

ولد سنة ١٣١٩ فى أصفهان و توفى سنة ١٤٠٥ فيها و دفن فى مشهد الرضا.

هو سليل اسره الصدر الشهيره التى تفرعت فى أصفهان إلى عدة فروع منها فرع (الخادمى).

درس فى أصفهان على كل من الشيخ على اليزدى و ميرزا أحمد الأصفهانى و غيرهما. ثم انتقل إلى النجف الأشرف فحضر على السيد أبو الحسن الأصفهانى و الميرزا النائنى و الشيخ ضياء الدين العراقى. ثم عاد إلى أصفهان فكان مرجعاً من مراجعها، و قد قاوم الحكم الاستبدادى فى عهد الشاه محمد رضا فسجن و ضيق عليه، له من المؤلفات ١ - طريقه السعاده فى الرد على المذاهب الباطله ٢ - البراءة و الاستصحاب. ٣ - عدم إرث الزوجه من الأموال غير المنقوله و غير ذلك.

ابن سينا الحسين بن عبد الله:

مرت ترجمته فى الصفحه ٦٩ من المجلد السادس. و نضيف إليها هنا

الدراسات الآتية:

قال حمود غرابه:

الإسلام و الفلسفه السيناويه

تختلف الأديان عن الفلسفه الأخلاقيه فى الوسيله و إن اتحدت معها فى الهدف. فالأنبياء و الفلاسفه الأخلاقيون جميعا يهدفون إلى غرس بذور الفضيله فى نفوس البشر حتى يتهيأ المجتمع الصالح الذى يسعد بفضيلته و يهنأ بحياته.

و لكن الفلسفه تعتمد فى ذلك على العقل و الاقناع و الأديان جميعها تعتمد فى ذلك على العقيدة التى هى مزيج من الفكر و العاطفه.

هذه العقيدة لا بد لكمالها و فاعليتها من الايمان بحقائق ثلاث:

١ - اليقين بوجود إله خالق يعلم العالم و يعنى به و بيده أن يسعد الأخيار و أن يعاقب الأشرار.

٢ - الجزم بحياه أخرى أسمى من هذه الحياه. حياه تتلاءم فيها السعاده مع الفضيله و تتكافأ فيها الآلام مع الآثام.

٣ - التسليم بوجود ذلك الكائن البشرى الذى يستطيع بعد اتصاله بعالم القدس أن يترجم عن إرادته السماء. فهل تشمل الفلسفه السيناويه على الايمان بهذه الحقائق الساميه؟ و هل بذل ابن سينا من عقله و منطقته ما يؤيد تلك الدعوات الثلاث التى لا بد منها لصحة الأديان و قداسه النبوه و جلال رساله؟.

لست الآن بصدد الحديث عن منهج ابن سينا فى إثبات ذلك كما أننى لست بصدد الكشف عن قوه براهينه أو ضعفها فقد حاولت ذلك كله فى كتابى (ابن سينا بين الدين و الفلسفه) الذى أرجو أن يكون قد وصل الآن إلى أيديكم و لكنى أسجل هنا فقط ما آمن به الرجل من حقائق و ما وصل إليه من نتائج عاش و مات و هو يقوم بتأييدها و العمل على إقرارها.

١ - يعتقد ابن سينا - كما يبدو ذلك واضحاً فى فلسفته - بوجود إله واحد له الملك و الجود و يسمو بحقيقته عن كل موجود. كله حق و كله خير. منزّه عن النقص و بعيد عن الشر. جدير بالحب و العشق و الإجلال لأنه على أسمى ما يكون الجمال و الجلال. مصدر الخير و مبعث الرحمات و هو وحده الدليل على غيره من الكائنات. إلى غير ذلك من الصفات التى يقصر دونها وصف المتكلمين و تترك وقده الحب و الشوق فى قلوب السالكين.

و كيف يمكن فى رأيه إسناد وجود الأشياء إلى الأشياء نفسها على ما فيها من نظام و غائيه لا يمكن أن تكون نتيجة الاتفاق و المصادفه؟ و كيف ننكر - كما فعل أرسطو - القول بالخالقيه و نقصر العلاقه بين الله و العالم على العشق و الجاذبيه مع أن تعدد العالم و تغيره ناطق و إمكانه ناطق باحتياجه إلى مبدأ و علتة؟. و كيف نسلم مع أرسطو الذى يقرر فى "كلام عامى جدا" إن الله لا- يعلم العالم و بالضروره لا يعنى به و خصائص الله من اللطف و التجرد تقتضى هذه المعرفه بل و تقتضى عنايته. لأن العنايه معناها العلم بالكل على حسب النظام الأكمل علما يترتب عليه صدور الكائنات عنه على أكمل ما يرجى منها و ما قدر لها. فكل

شئ قد أخذ مكانه فى سجل الوجود و كل كائن قد ساهم فى إبداع لحن الخلود.

و ليس فى هذا الوجود على رأيه شرور و كيف يمكن أن يلحق الشر صنعه الخالق المتزه عن العيوب. فما يخيل للإنسان أنه شر لا- شر فيه بحسب حقيقته و إنما يعرض له الشر من ظروفه و بيئته. فسبحان الخالق الذى شمل برحمته جميع الكائنات و أفاض الجمال و الحب على سائر الكائنات. فإى إيمان بالخالق أعمق أو أجمل من إيمان ابن سينا به؟.

٢- و ابن سينا فى سبيل تحقيق أهداف الدين يخاطب الإنسان بلغه الإنسان فيلفته فى قوه إلى ما فى حياه الفكر و الفضيله من سعاده و روعه منددا بحياه الشهوه و ما فيها من انحطاط و ضعه و متخذنا من تجارب الإنسان نفسه دليله على ذلك فيخاطبه بقوله: إنك إذا تأملت عويصا يهملك و عرضت عليك شهوه و خيرت بين الطرفين استخففت بالشهوه إن كنت كريم النفس و كيف لا تستخف بالشهوه و مكانك فى سلم الوجود وسط بين عالم الظلمه و عالم النور و حياه الشهوه تهبط بك إلى هذا الوجود الأدنى و حياه الفكر و الفضيله ترتفع بك إلى المقام الأعلى فإى المقامين أجدر بك يا خليفه الخالق فى الأرض؟ قد تظن أن حياه الشهوه تجلب لك من اللذه مقداراً أكبر مما تجلبه حياه الفكر و الفضيله و هذا و هم قاتل و سراب خداع فاللذه فى حقيقتها هى إدراك كمال خيرى للمدرك فإذا كان الإدراك أكمل و المدركات أكثر و أشمل كانت اللذه الناتجه عن ذلك بداهه أعظم و أبهج. و الجوهر العاقل أمعن فى معنى الإدراك من الحواس. و المدركات العقلية أعلى كيفاً من المدركات الحسيه بل و أكثر عدداً. فكيف تعرض بعد ذلك عن حياه الفكر و الفضيله مع أن هذه الحياه الفاضله العقلية بمقتضى هذا المنطق تحقق لك سعاده أوفر و أدوم. و ليس ذلك فحسب فحياه الشهوه اشتهاه دائم.

و الاشتهاه ألم لا يهدأ حتى يشبع. و وسيله الشبع البدن و البدن يفنى بالموت و تبقى النفس التى تعودت على هذا النوع من الشهوه فكيف تحصلها و قد انعدمت وسيلتها من الأعضاء و الآلات؟ و كيف لا تطلب الكمالات العقلية التى تستمد وجودها من الجوهر العاقل فتسعد أبداً لبقاء مصدرها و هو النفس الخالده. فأكثر الناس شقاء فى الآخره - عند ابن سينا - هم الجهله الفساق الذى نبهوا إلى كمالاتهم من الحق و الخير فأعرضوا و أشد الناس بهجه و نعيما هم العارفون المتمزهن الذين جمعوا بين كمال العلم و العمل. فطوبى لهم يوم أن يفتح لهم الحق صدره و يمد إليهم يده و يشملهم بالحب و يحوطهم بالرعايه و يسمح لهم بالجوار. فإى منطق فى الدعوه إلى الخير أقوى من منطق ابن سينا و أى إيمان بالترابط بين نوع الحياه فى الدنيا و نوعه فى الآخره أقوى من هذا الايمان؟.

الغضب و حاله الهدوء - واقعا ملموسا فما الذى يمنع العقل من التصديق بان النبى يستطيع أن ياتى من الأعمال ما يعتبر معجزه حقا فى حال اشتغاله بالملا الأعلى و فرحه برؤيه الحق أو عند إحساسه بعزه دينيه أو حميه إلهيه؟ و لم يكتف ابن سينا بذلك بل أضعفى على الأنبياء أسمى صفات بشرية و حدد لهم من الخصائص ما لا يعرفه حماه العقيدة أنفسهم. فالنبى فى نظره يتمتع بقوه محرکه تستطيع أن تخرق العاده و تفعل المعجزه و له إلى جانب ذلك قوه قدسيه بها يدرك الحق حدسا من غير أعمال فكر و لا رويه كما يفعل الفلاسفه. و له أيضا مخيله قويه تصله بعالم السماء فى أى وقت يشاء. فهو أرقى من الفيلسوف إدراكا و وسيله. و مع ذلك فهو أرقى منه مهمه و وظيفه. لأنه يدرك الحق و يعلمه.

و يعصم نفسه من الرذيله و يجاهد فى سبيل عصمه غيره. و مع ذلك فالثابت من تاريخ الرجل أنه رغم أعبائه و فوق أعبائه كان يقوم بواجباته الدينيه و أنه قبض إلى ربه و المصحف بين يديه.

فلم يكن ابن سينا ملحدا يرمى إلى هدم الدين كما يرى ابن تيميه. و لم يكن شيطانا يسعى لإفساد عقائد الناس كما يرى ابن الصلاح. و لم يكن إنسانا يستحق اللعنه و المقت و الكراهيه كما يرى الرازى و غيره من حماه العقيدة و رجال الشريعه رغم انتفاعه بمنطقه و فلسفته و لكنه كان إنسانا يخطئ و يصيب و هدفه دائما هو الوصول إلى الحق و المعرفه و إن أخطأ بعض الأحيان فى النتيجة.

فقد أنكر ابن سينا اقتران علم الله بالزمان لأنه يحتاج فى رأيه إلى آله جسميه فلجا إلى القول بأنه يعلم الجزئيات على وجه كلى غير مقترن بالزمان لينزهه عن ذلك. و إذا فالهدف هو تنزيه الخالق و احترام العقيدة. و ابن سينا يوم أن قال بقدم العالم لم يهدف إلى أكثر من تنزيه الله عن التغير و الاستحاله التى تلحق الأشياء الحادته و إذا فتنزيه الخالق و احترام الدين القائل بالخلق هى البواعث التى أملت عليه هذا الرأى و لا يوجد فى العالم ما هو أنبل من هذه البواعث. أما مشكله البعث و الأبدية فقد كان ابن سينا فى ذلك الوقت ضحية لمقررات العلم فى أيامه فقد رأى العلم - و كم يخطئ - أن التغير مستحيل على عالم السموات و إذا فلا- مكان لتفسير مثل قوله تعالى (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) تفسيراً حقيقياً و إذا فليبق النص رمزا و لتتول النصوص الأخرى الواردة فى ذلك فابن سينا يوم أن قال بالرمزيه كان يحترم العقل و العلم و يفسح مع ذلك مكانا للدين فى نفسه.

إن مقررات العلم اليوم فى صالح الأديان و إن المكتشفات الحديثه تجعل نهايه هذا العالم ممكنه بل متوقعه و إذا فلم يكن هناك علم صحيح ليقضى تأويل النصوص و رمزيتها و حبذا لو شك ابن سينا فى معارف زمنه الكونيه فإنه كان بذلك يسير بالانسانيه ما يزيد عن عشره قرون إلى الإمام و ربما كان قد احتل مكانه بين بناه النهضه العلميه الحديثه. و لكن حسبه أنه قد بذل جهده و كان نبيلاً فى مقصده و لذلك كله يشارك الأزهر فى عيد الألفية اعترافاً بفضله فيما أصاب فيه و تقديراً لبواعثه فيما أخطاه التوفيق فى تقريره و العصمه لله و حده و الله ولى السداد.

و قال الشيخ محمد رضا الشيبى بعنوان:

جوانب متعدده من ابن سينا

كتاب المباحثات مجموعه أسئلة و أجوبه و رسائل متبادله بين ابن سينا و بعض أصحابه تختلف نسخها و ترتيب موادها و طريقه تليفها بحيث لا- يعلم على التحقيق من جمعها و لا- من أطلق اسم المباحثات عليها و قد نظم تلميذه الجوزجاني فهرسا معروفا لكتبه عد بينها كتاب المباحثات.

وردت فى الكتاب أسماء جماعه من أصحاب الشيخ منها "بهمنيار" و هو يكثر من توجيه الأسئلة و يعنى الشيخ بالاجابه عن أسئلته و ليس لنا دليل قاطع على تعيين من عنى بجمع الكتاب من بين هؤلاء و إن اشتهر أنه بهمنيار و إذا لاحظنا كثره التفاوت و الفروق البعيده بين نسخ المباحثات جاز لنا أن نقول: إن جماعه من أصحابه و فى مقدمتهم بهمنيار عنوا بجمع رسائله و أجوبته المدونه فى الكتاب كل على طريقته و وسائله الخاصه و لهذه الناحيه اختلفت النسخ و الأصول حتى لا نجد أحيانا شبيها ما بين نسخه و أخرى و الظاهر أن هذا الكتاب مؤلف من مجموع ما وجد متفرقا فى آثار بهمنيار و أستاذه من جزازات و من أجوبه الشيخ عن رسائله إليه و بعضها بخط الشيخ و بعضها بخط بعض تلاميذه و وراقيه و فى المباحثات فوائد عن باقى كتب الشيخ مثل الإشارات و الشفاء و الإنصاف و الفلسفه المشرقيه و قد رد أبو على فى بعض أجوبته هذه على بعض معاصريه ممن كان يناقش فلسفته و لكنه تناولهم بلهجه جافه ما كنا نتوقع صدورها منه و فى الكتاب أيضا نبد يستفاد منها شىء لم يعرف من قبل عن أحوال الشيخ الرئيس.

مدار البحث فى الأسئلة و الأجوبه الوارده كلام طريف فى أقسام الحكمه و الفصل بين العمليه منها و النظرية فى المباحثات على مسائل من الفلسفه الالهيه و الطبيعيه و فى البحوث النفسيه منها فوائد طريفه عن الفرق بين نفسى الإنسان و الحيوان الأعجم و بين شعوره و شعور الحيوان. و يستفاد من دراسه المباحثات - فيما نرى - فوائد جمه أهمها الأمور الآتيه:

١ - دلالة بعض نصوص الكتاب على ناحيه طريقه من سيره ابن سينا و أخلاقه.

٢ - كشف عن خطر الصراع بينه و بين فلاسفه عصره.

٣ - أسلوب الشيخ فى ترسله.

و قال يتابع كلامه بعنوان:

معركه ابن سينا

لا نهايه لمعركه ابن سينا التى بدأت فى عصره فهى مستمره إلى الآن و ما زال المعنيون بالفلسفه فريقين فى موقفهم منه فريق له و فريق عليه و لا عجب فان عصره احتدام الآراء و مصادمه الأفكار طورا بين أشياع الفلسفه و خصومها و تاره بين أصحاب المذاهب الفلسفيه أنفسهم من قدماء و محدثين طبيعيين و إلهيين.

فى هذا العصر نبه ذكر الشيخ و شدة الرحال إليه لأخذ الفلسفه و فنون الطب و الحكمه و كثر عدد تلامذته و كان الصراع فى عصره كما هو اليوم و كما هو بعد اليوم قائما بين معانى الحياه فى ناحيه الروح و الماده و الشك و اليقين و الياس و الرجاء و الحق و الباطل أو دائرا على البحث فى طبيعه النفس و الوجود و حقائق الموجودات و غير ذلك عن مطالب الفلسفه و قد أبلى

الشيخ بلاءه في هذا الصراع دفاعا عن نفسه و عن آرائه و معتقداته و بذل جهده في الرد على مخالفيه و تفنيد آراء المشنعين عليه.

ص: ٢٥

الفرقة المشائية أشياع أرسطو و هي فرقة مشهوره معقوده اللواء في هذا العصر لابن سينا و مركزها في أصفهان و غيرها من حواضر الدوله السامانيه. أما الفرقة الأخرى فلا يعرف لها رئيس في هذا العصر على أن أشهر مراكزها بغداد و بعدها البصره، و الغالب أن جل المعنيين بالفلسفه من العراقيين و البغداديين لم يكونوا من أشياع المشائين و من هذه الناحيه شجر ما شجر من الخلاف بين الفرقتين و عنيت كل فرقه بالرد على الثانيه مراسله و كتابه كما يشهد بذلك كتاب المباحثات.

لا- ينكر نشاط البغداديين المعنيين بالفلسفه في هذا العصر في الكتابه و التأليف و مناقشه آراء ابن سينا و لا ينكر وجود حركه عقليه قويه في عاصمه بنى العباس مستقله عن مدرسه الشيخ الرئيس في أصفهان و خوارزم و الرى متجهه غير وجهته منتحيه نحو معارضته في كثير من الأحيان و لما تفاقم خبرها لدى الشيخ و تلامذته عنوا بجلب تصانيف البغداديين إلى أصفهان على مغالاه أصحاب هذه الكتب بالسوم و لكن أصحاب ابن سينا لم يضمنوا بالمال مهما بلغ في هذا السبيل حتى أسهم في ذلك بعض الأذكياء من أبناء الأمراء. كل ذلك بغيه الاطلاع عليها و الوقوف على مدى تباين و جهات النظر و مناقشه آراء البغداديين من هذه الناحيه. هذا مع أن الشيخ كان بحاجة إلى الاستجمام في هذه الآونه بعد هزيمه أصفهان التي اجتاحت كتبه على باب المدينه المذكوره.

و يعد كتاب المباحثات على إيجازه المخل أحيانا و على ما فيه من تعقيد بمثابة سجل لهذه الأحداث و الأبحاث. و نحن ننقل بعض ما جاء في هذا الباب منه بشيء من التصرف و حذف ما لا حاجه به من العبارات قال بهمنيار " كان قد اتفق من الدواعى عام طروق ركاب السلطان الماضى رحمه الله عليه هذه البلاد ما بعثه على الاشتغال بكتاب سماه "الإنصاف" اشتمل على جميع كتب أرسطاطاليس إنما خفف على نفسه ما يحتاج أن ينقل فترك له فرجا و علامات و كان عدد ما تكلم فيه و جعله موضع نظر و نسب الكلام المقدم فيه إلى ظلم أو تقصير أو تحريف فوق سبعة و عشرين ألف موضع و قبل أن ينقل ذلك إلى الميوضه وقع عليه قطع في هزيمه أمت بأسبابه و كتبه كلها على باب أصفهان فلما عاد إلى الرى بهر لمعاوده ذلك التصنيف ففر فان معاوده المفروغ منه متثقله فلم يترك يحرض و يبعث و قيل له لعلك إن استدعيت ما أحدثه المحدثون بمدينه السلام كانت الخواطر الجديده تحرك منك نشاطا للحكم عليها بالتصويب أو بالتخطئه و انبرى بعض أولاد الأمراء من أهل الفضل قائلا أنه يستقبح من ماله إلى مدينه السلام لاستدعاء ما وجد للشيخين بها فامتعض و كره أن يقف موقف البخلاء و رسم لبعض أصدقائه أن يتناع ما تجدد من كتب الشيخين فلم يظفر إلا- بكتب الشيخ الباقي منها فلما تأملناها رأينا شيئا لا عهد لأهل التحصيل به تشويشا و اختلاطا فطال لسانه على ممرضيه و قال ألم أقل لكم أن الطبقة هذه الطبقة و أن التصرف هذا التصرف و أن أبا الخير ابن الخمار و ابن السمع على ضيق مجالسهما بروايه بعض الكتب كانا أحسن حالا من غيرهما و الشأن في إعظام القوم للطلبه و مقالاتهم في العين كأنهم يهدون ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و قد كان بلغنى أن ذلك الشيخ يعنى "أبا الفرج ابن الطيب" قد خولط وقتنا ما في عقله للأمراض التي تصيب أهل الفكر و لعل هذا من تصنيفه ذلك الوقت و بقينا نعجب ممن يقنع بهذا القدر اليسير ثم لهذا النمط المختل من البيان. و لعمري لقد أراح هؤلاء أنفسهم. و رفضوا المنطق مطلقا. و ليس هو هذا اليوم بل منذ زمان و أما من جهه صورتها فهؤلاء خاصه أغفلوها و كلما عالجوها حادوا عن الجاده لأنهم لم يحصلوا ملكه التصرف و لم يقاسوا فمن الجزئيات عناء التحليل و أنا أسأل الشيخ أن يعرض هذه الصوره على أهل التحصيل ليعلموا أنه لم يكن في أول الأمر إلى ثلب الكتب فاقه تحمل ذلك الاشتطاط و لا في الأمر لها بعد ذلك اقترار عين ثم قال: و سبيل هذه الكتب أن ترد على بائعها و يترك عليه أثمانها".

و بعد أن أشار بهمنيار إلى موضوعات هذه الكتب من منطقيه و فلسفيه عاد إلى نقدها و التنديد بها قائلاً " فمن عرض عليه من أهل العراق هذه الأحرف و اشتبه عليه الحال في صدق جماعتنا فليعين على أى موضع يشاء من المعانى التى تشتمل عليه هذه الكتب لا سيما الطبيعیه و الالهيه حتى يكتب بعض ما فيه من الفساد و الخروج عن النظام و الهديان.

فلذا حمى و طيس المعركه فى عصر ابن سينا و بعد ذلك العصر بين أنصاره و خصومه فكلما تصدى للرد على الشيخ أو التشنيع عليه أحد الخصوم نهض أنصاره للدفاع عنه فهذا ابن رشد صنف فى الرد على أبى حامد الغزالي لرده على ابن سينا و غيره من الفلاسفه و إن لم يتفق ابن رشد مع الشيخ كل الاتفاق فى تحرير الفلسفه القديمه و هذا نصير الدين الطوسى أشرع قلمه للذب عن ابن سينا رادا على الشهرستانى فى كتابه "مصارعه الفلاسفه" و على فخر الدين الرازى فى "المحصل" و "شرح الإشارات" و انبرى للذب عنه من الفلاسفه المتأخرين "ابن كمونه" فإنه لخص كتابا فى نقض الإشارات لنجم الدين النخشوانى فقال إن أكثر هذه الاعتراضات غير وارده. هذا و لصدر الدين الشيرازى مواقفه فى الرد على الرازى فخر الدين. و إياه أراد الشيرازى بقوله فى تعليقاته على إلهيات الشفاء: "كان هذا المرء المعروف بالذكاء سريع المبادره فى الاعتراض على الشيخ قبل الإمعان و التفتيش لعجله طبعه و طيشه".

خصوم الشيخ:

هناك ثلاث طبقات ناهضت فلاسفه الإسلام و شددت النكير عليهم منذ عصر ابن سينا حتى اليوم.

١ - قوم خرجوا عن حدود الاعتدال فى المناقشه إلى المهاتره و الاسفاف شعارهم الغيره على الفضيله و لا شان لنا بهؤلاء إذ كفانا أبو حامد الغزالي مئونه الدخول فى المناقشه معهم فقال "إنهم لمكان جمودهم و عجزهم أشد نكايه بالإسلام من الفلاسفه و الغزالي - كما لا يخفى - أغزر المعنيين بالرد على الفلاسفه ماده و أبعدهم أثرا فى هذه الناحيه.

من هذا القبيل ما جاء فى المختصر المسمى: "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقفطى، فى هذا المختصر من إسفاف و بداءه فى التحامل على الفارابى و ابن سينا لا يصدق و روده فى كتاب يعنى مؤلفه بتاريخ الحكماء، و من المفيد أن نقول فى هذا الصدد: إن هذا المختصر كتاب ملفق مبتور و أن جامعه جانب الأمانه فى النقل فهو يسطو على الكتب و على أقوال المؤلفين و يوردها فى كتابه بدون أن يشير إلى ذلك كما فعل بكتاب "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسى و غيره أيضا، و الخلاصه: إذا محصنا هذا المختصر بمنظار النقد العلمى لم نجده فى الكتب الجديره بالثقه بل نجد جامعه مجردا من مميزات العلماء.

ص: ٢٤

تصانيف الفلاسفة إلا بعدا عنها و من ثم و بعد محن و تجارب صوفيه قاسيه أوسعوا الكتب الفلسفيه ذما فيما لهم من منظوم و منشور نظير ما قاله علاء الدين على بن الحسن بن الحسن الجوادى الكاتب حسبا رواه ابن القوطى فى تاريخه المسمى "تلخيص مجمع الآداب":

تصفحت "الشفاء" على كمال و طالعت "النجاه" على تمام

فلم أر فى "النجاه سوى هلاك و لم أر فى "الشفاء" سوى سقام

و هذا أبو سعيد ابن أبى الخير من الشيوخ العارفين يقول بعد انقطاع الصحبه بينه و بين الشيخ الرئيس و ما انقطعت تلك الصحبه إلا بعد محنه صوفيه و أزمه نفسه عنيفه:

قطعنا الموده عن معشر بهم مرض من كتاب "الشفاء"

فماتوا على ما يرى رسطليس و عشنا على مله المصطفى

يعد ابن أبى الخير هذا من ألقى أصحاب ابن سينا به و أكثرهم أخذاً عنه و رسائل الشيخ إليه تدل على إكبار بالغ و هو يلقيه "سلطان العارفين و خاتمه المشايخ" و يلقبونه أيضا "قطب الأولياء" على أن أبا الخير نفسه كما يبدو من بعض رسائله كان يرى فى الشيخ مرشداً أو مرجعا فى حل المشكلات إلى أن شجر بينهما نوع من الخلاف فى المنحى و الطريقه فابن سينا يستوحى عقله فى البحث عن حقائق الأشياء و ابن أبى الخير يستوحى قلبه و شعوره الفياض و هو خلاف معروف بين أصحاب الحكمتين البحثيه و الذوقيه.

تحفل خزائن الكتب برسائل نادره متبادله بين الشيخ أبى سعيد ابن أبى الخير و ابن سينا فى أحوال النفس و الزهد و العزله إلى أسئله أخرى لا تخلو من شطحات المتصوفه و قد اشتهرت وصيه أوصى بها الشيخ صاحبه المذكور و هى التى يقول فى آخرها "خير العمل ما صدر عن حسن نيه و خير النيات ما يفرج عن جناب علم و الحكمه أم الفضائل بمعرفه الله أول الأوائل إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه".

من هذه الوصيه نسخ عدده مخطوطه و لكنها كثيره التفاوت و الاختلاف و فى الجزء الثانى من أجزاء رسائل ابن سينا التى نشرت أخيرا فى السنه الماضيه فى الآستانه نص كامل من هذه الوصيه و قد أورد ابن أبى أصيبعه جزا منها فى عيون الأنباء و نشرت رساله ابن أبى الخير و قسم من الوصيه فى أول الطبعة المصريه من كتاب "النجاه" هذا إلى أصول أخرى تختلف كل الاختلاف فهى لذلك جديره بالمقارنه و التحقيق و يحسن أن يتناول تحقيق هذه الوصيه تنافر الأساليب فى بعض فقراتها فان بعضها بأساليب المتصوفه المتأخرين أشبه من أساليب الشيخ الرئيس فليلاحظ ذلك.

هؤلاء و أمثالهم نفر من الصوفيه و الشعراء زجت بهم الأقدار فى خضم الحياه فهم يتطلعون إلى ساحل الأمان من خلال كتب الفلسفه فلما خابت أمانهم و لما طال عليهم التسكع فى مجاهل العلق و الحيره هجروا الفلسفه و كتبها و انحوا باللانتمه عليها و ليس الذنب ذنب تلك الكتب فى الحقيقه.

هذا و يلاحظ أن بين أرباب القلوب و الأحوال من المتصوفه و الشعراء طبقه أخرى نظرت نظره الرضا إلى أسلوب ابن سينا في قصصه الرمزيه الفلسفيه مثل قصه "حى بن يقظان" و "رساله الطير" و "سلامان و آبسال" و فى "حى بن يقظان" يقول ابن الهباريه الشاعر العباسى المشهور المتوفى سنه ٥٠٤ بكرمان:

حى بن يقظان ما حى بن يقظانا سبحان موجد ذاك الشيخ سبحانا

شيخ من الولد القدسى منشؤهرسى إلينا و حيانا فاحيانا

عنى فريق من المتصوفه و الأدباء بشرح قصه حى بن يقظان كما عنى بنظمها شعراء آخرون و منهم ابن الهباريه على ما تشير إليه فهارس بعض المكتبات و لا شك أن ابن الهباريه جود نظمه لحي بن يقظان كما فعل فى نظم كليله و دمنه فى ديوان سماه نتائج الفطنه و كما فعل فى الصادح و الباغم الذى نظمه على هذا الأسلوب هذا مع العلم بان منظومه المذكوره لم تصل إلى أيدي الباحثين و لا يخفى أن ابن الهباريه نشأ فى العصر الثانى لعصر ابن سينا متأثرا بآرائه معنيا بنظم كتب الحكم و الأمثال وصلت إلينا قصه حى بن يقظان منظومه نظما شائقا فى أكثر من أربعمائه بيت من إنشاء هبه الله بن عبد الواحد أحد شعراء القرن السادس و النسخه التى وصلت إلينا من هذه المنظومه منقوله عن خط الشيخ عبد الرحمن العتائقى من أعلام العراق فى منتصف القرن الثامن و له عليها تعليقات لطيفه و فى أولها يقول الناظم المذكور:

تيسرت لى من بلادى برزه صحبت فيها ساده أعزه

فسرت يومين عن المدينه فى رفته رفيقه أمينه

فأنست عيناي فى البيداء شيخا بهى العقل و الرواء

قد مرت السنون و الأعوام عليه و هو حدث غلام

٣ - الطبقة الثالثه معاصرو الشيخ المعنيون بالفلسفه القديمه و وضع الكتب فيها و جلهم من أهل بغداد و بعضهم من المسيحيين السريان و هو يسميهم فى بعض رسائله "نصارى مدينه السلام" و لم تظهر من الشيخ عنايه بما يكتبه هؤلاء البغداديون إلا بعد محنته على باب أصفهان حيث أراد أصحابه التسريه عنه و استئناف نشاطه فى البحث فجلبوا له مؤلفات البغداديين لدرسها و النظر فى وجوه الخلاف بينهم و بينه فى تحرير الفلسفه كما أشرنا إلى ذلك قريبا و من مشايخ هؤلاء الفلاسفه البغداديين الذين ورد ذكرهم فى المراسلات الدائره بين الشيخ و أصحابه أبو الخير الحسن ابن سوار المعروف بابن الخمار شيخ من شيوخ هؤلاء البغداديين فى الطب و الفلسفه أقام مده فى مملكه بنى سامان روى عنه ابن النديم فى فهرسته فهو معاصر له و لابن الخمار على ما جاء فى الفهرست و غيره كتب فى الرد على أرسطو فهو من طبقه مشايخ ابن سينا بيد أن تلامذته من المعاصرين للشيخ عنوا بالرد على ابن سينا و دخلوا فى النقاش معه و نقدوا آراءه فى الطب و فى الفلسفتين الطبيعيه و الالهيه إذ أن لابن الخمار تلامذه نجباء فى الفلسفه ذاع ذكرهم و اشتهرت مؤلفاتهم منهم أبو الفرج ابن هندو و أبو الفرج عبد الله ابن الطيب و الأخير من المعروفين بمناقشته لابن سينا و منافسه ابن سينا له فى الطب و المنطق و من فلاسفه بغداد فى هذه الفتره مسكويه صاحب "تهذيب الأخلاق" و ابن السمع البغدادى له تصانيف مشهوره و غيرهم ممن اشتهروا بالانحراف عن طريقه المشائيين.

و طعن فى ماخذهم للفلسفه و سوء فهمهم للعلم الالهى خاصه - على ما يقول - بل تهكم عليهم و سخر منهم سخره لاذعه أحيانا بيد أنه كان متحفظا فى الكلام عن ابن الخمار و ابن السمع و فى ذلك ما فيه من الدلاله على منزلتهما العلميه و المرجح أن ابن سينا لم يبدأهم بهذا الضرب من الطعن و الغمز و إنما كان يدافع عن نفسه و عن طريقته و عن مذهبه و آرائه التى نوقشت مناقشه شديده لا تخلو من التشنيع و التشهير فى كثير من الأحيان فكلما ظهر له كتاب ظهرت على أثره كتب تعارضه و تتحداه.

و لا تخلو كتب ابن سينا من التشهير بهذا النمط من الفلاسفه المعاصرين له و تنقصهم و التشنيع عليهم و نسبتهم إلى التمويه و المغالطه و لتعتبر قوله فى آخر منطق الشفاء و هذا نصه: و لقد رأينا و شاهدنا فى زماننا قوما كانوا يتظاهرون بالحكمه و يقولون بها و يدعون الناس إليها و درجتهم فيها سافله فلما ظهر للناس أنهم مقصرون أنكروا أن يكون للحكمه حقيقه و للفلسفه فائده. و كثير منهم لما لم يمكنه أن يدعى بطلان الفلسفه من الأصل قصد المشائين بالثلب. و صناعه المنطق و البانين عليها بالعيب فأوهم أن الفلسفه أفلاطونيه و أن الحكمه سقراطيه و أن الدرايه ليست إلا عند القدماء من الأوائل. و الفيثاغورسيين من الفلاسفه، و كثير منهم قال إن الفلسفه و إن كانت حقيقه فلا جدوى فى تعلمها. و أن النفس الإنسانيه كالبهيمة باطله و لا جدوى للحكمه فى العاجله. و أما الآجله فلا أجله و من أحب أن يعتقد أنه حكيم و سقطت قوته عن إدراك الحكمه أو عاقه الكسل و الدعه عنها لم يجد من اعتناق صناعه المغالط محيضا و من هذا بحث عن المغالطه "هذا ما قاله الشيخ فى آخر كتاب المنطق من الشفاء و لهذا السبب صار البحث عن فن المغالطه جزءا من أجزاء المنطق الثانيه.

و كتب ابن سينا لا- تنى من جهه إشاده بارسطو و كتبه و تنويها بالمشائين و آرائهم فى المنطق و الفلسفه حتى إذا ذكرهم فى الشفاء و غيره قال أصحابنا "المشاءون" و لا- تخلو كتب الشيخ من جهه أخرى عن غمز أفلاطون و سقراط و أشياع الفلسفه القديمه أو الاشرقيه و هو يميل فيها إلى تنزيه أرسطو عن النقص و الخطا فى صناعه المنطق و لذلك يقول فى آخر منطق الشفاء "انظروا معاشر المتعلمين هلى [هل] أتى بعده أحد زاد عليه أو أظهر فيه قصورا مع طول المده و بعد العهد بل كان ما ذكره هو التام الكامل و الميزان الصحيح و الحق الصريح" و لم يحجم بعد ذلك عن غمز أفلاطون و سقراط فقال "و أما أفلاطون الالهى فان كانت بضاعته من الحكمه ما وصل إلينا من كتبه و كلامه فلقد كانت بضاعته فى العلم مزجا" و ناقش مذهبه فى المثل الأفلاطونيه فقال فى بحثه عن المثل المذكوره "كان المعروف بأفلاطون و معلمه سقراط يفرطان فى هذا القول" و فى قوله المعروف بأفلاطون ما فيه من غميزه أما كتب الفرقه الأخرى فإنها حافظه كذلك بمناقشه المشائين و الرد عليهم.

ترسل الشيخ فى المباحثات:

و يلاحظ أن أسلوب الشيخ فى رسائله المدرجه فى المباحثات أسلوب أدبى بليغ يضاهاى أساليب بلغاء المترسلين فى عصره و ما إليه و هم كثيرون و لهم فى النثر أساليب خاصه معروفه. و تبدو لنا الفروق بعيدة إذا قارنا بين أسلوب الشيخ فى رسائله الإخوانيه فى المباحثات و غيرها و أساليبه الأخرى المألوفه فى أسفاره الفلصفيه الكبرى حيث يغلب عليها جفاف الأساليب العلميه البحثيه.

و يبدو لنا الشيخ أيضا رقيق الحاشيه جم الأدب فى مخاطبه أصحابه و تشهد هذه المراسلات شهاده قاطعه بوجود رابطه أكيد و صلوات وثيقه و إخلاص متناه بين الجانبين. هذا و قد اضطر الشيخ خلال مناقشه معارضيه إلى استخدام بعض العبارات الجافيه التى لا تليق بأمثاله و يلاحظ أنه كان مع هذا سديد المنطق قوى الحججه و لذلك أسباب تقدمت إليها الإشاره.

كانت للأدب دوله راقية في عصر السامانيين كما تشهد بذلك مؤلفات الثعالبي و في مقدمتها يتيمه الدهر و ذبولها في هذا العصر حيث كثر عدد الشعراء و المترسلين و الأدباء النابهين في خوارزم و الري و أصفهان و نيسابور و ما وراء النهر و كثير منهم من معاصري ابن سينا بيد أننا لم نجد للشيخ ذكرا في تلك الدواوين و الأسفار الأديبه و هو أمر يدل على أن صله الشيخ برجال الأدب لم تكن وثيقه و قلما اتصل به غير رجال الفكر و الفلسفه. عنى مؤرخو ابن سينا بشتى نواحي حياته و يلاحظ أنهم أغفلوا من بين ذلك ناحيه لها خطرهما في تاريخ الناس و هي ناحيه الخلف و الذريه فلم يذكر لابن سينا ولد أو نسل كأنما وجد بكتبه و أسفاره و بنات أفكاره بديلا عن ذلك و لم يخرج ابن سينا في هذا الشأن عن كثير من الأعظم الذين لا يعرف لهم نسل و لا تذكر لهم ذريه ترسم خطاهم و تنسج على منوالهم سنه الله في بعض خلقه و لن تجد لسنة الله تبديلا و هذه ناحيه تستحق التوسع في البحث و الدراسه.

و قال الأستاذ قدرى طوقان:

أثر ابن سينا في الغرب

لقد سحرت عبقرية ابن سينا المستشرقين و العلماء في الشرق و الغرب على السواء فلقبه بعضهم بارسطو الإسلام و ابقراته، و جعله (دانتي) بين أبقرات و جالينوس. و قال (دي پور) "... و كان ابن سينا أسبق كتاب المختصرات الجامعه في العالم... " و يرى فيه مثلا- للرجل الواسع الاطلاع و المترجم الصادق عن روح عصره. و إلى هذا يرجع تأثيره العظيم و شانه في التاريخ. كما كان يرى (مونك) في ابن سينا أنه من أهل العبقرية الفذه و من الكتاب المنتجين. أما (اوبرفيك - Ueberweg) فيقول أن ابن سينا اشتهر في العصور الوسطى و تردد اسمه على كل شفه و لسان " و لقد كانت قيمته قيمه مفكر ملام عصره. و كان من أكابر عظماء الإنسانيه على الإطلاق.. "

و لقد أجمع علماء الشرق و الغرب على تقدير ابن سينا و تمجيده، و استقوا من رشح عبقريته و فيض نتاجه فكان من الذين ساهموا مساهمه فعاله في تقدم العلوم الطبيعه و الفلسفيه و النفسيه.

و قد ظلت الفلسفه الأرسطيه المصطبغه بمذهب الأفلاطونيه الحديثه معروفه عند الشرقيين في الصوره التي عرضها فيها ابن سينا. و كثيرا ما اعتمد (باكون Bacon) في توضيح آراء أرسطو على ابن سينا.

و بقيت كتب ابن سينا في الفلسفه و الطب تدرس في الجامعات في أوروبا إلى القرن السابع عشر للميلاد. و يقول (دي پور) " و كان تأثير ابن سينا في الفلسفه المسيحيه في العصور الوسطى عظيم الشأن. و اعتبر في المقام كارسطو... "

و مما يدل على ميله إلى التجدد و التحرر قوله "حسبنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء. و قد آن لنا أن نضع فلسفه خاصه بنا...".

السيد حسين القزوينى الحائرى ابن السيد محمد باقر

ولد سنه ١٢٨٨ فى كربلاء و توفى فيها سنه ١٣٦٧.

و آل القزوينى الذين ينتمى إليهم هم غير الأسره القزوينيه الشهيره التى استوطنت النجف و الحله و طويريج و غيرها من مدن الفرات الأوسط.

هاجر الجد الثانى للمترجم السيد باقر من مدينه كرمنشاه - بعد أن كان انتقل إليها من قزوين - إلى النجف سنه ١١٨٥ لطلب العلم ثم استقر فيها، ثم انتقل مع ولديه إبراهيم و مهدى إلى كربلاء و استوطنوها.

بدأ المترجم دراسته فى كربلاء على أبيه و غيره ثم ذهب إلى النجف فدرس على الشيخ محمد كاظم الخراسانى و الشيخ آقا ضياء الدين العراقى و السيد أحمد القزوينى و السيد أبو الحسن الأصفهانى و الشيخ حسين النائينى و الشيخ محمد تقى الشيرازى.

و كان من معاونين للأخير تدير أمور الثورة العراقيه و من أعضاء المجلس العلمى المشرف على الثورة، كما كانت داره ملتقى لزعمائها.

و بعد القضاء على الثورة اعتقل مع من اعتقلوا من قادتها و حكم عليهم المجلس العرفى الانكليزى احكاما مختلفه بالأعدام و السجن لمدد طويله، ثم نقلوا جميعا إلى مدينتى الحله و طويريج و ظلوا فى السجن أكثر من سته أشهر.

و فى ٢٢ رمضان سنه ١٣٣٩ أعلن المندوب السامى البريطانى بعد عودته من مؤتمر القاهره العفو العام عن المشتركين فى الثورة، فعاد المترجم إلى كربلاء.

ترك من المؤلفات: ١ - المدينه الفاضله فى الإسلام جزءان مطبوعان ٢ - الأجوبه الحائريه على الأسئلة البغداديه ٣ - كتاب فى تاريخ الإسلام و غير ذلك.

الشيخ حسين معنوق

توفى سنه ١٤٠١ فى مطالع الشيخوخه.

درس دراسته الأولى فى جبل عامل ثم أتمها فى النجف الأشرف و عاد إلى لبنان فسكن فى (الغبيرى) من ضواحي بيروت و بنى فيها مسجدا كان يقيم فيه الجمعه و الجماعة و يعظ الناس و يرشدهم، و كان وكيلا لأحد مراجع النجف.

له كتاب المحاضرات الدينيه و له شعر أيام كان طالبا فى النجف.

منه:

(أ من العدل أنهم يوم بانوا أيقظوا جفنى القريح و ناموا)

روعونى و ما رعوا لى ذماما فى نواهم و للمحب ذمام

تركوا مهجتى تذوب و قلبى ملؤه لوعه بهم و غرام

لا عليهم فهم هنا بفؤادى حيث كانوا ترحلوا أم أقاموا

وحد الحب بيننا فغدونا روح حب تضمها أجسام

لا نبالى بما جنته الليالى و أتت فيه بيننا الأيام

و إذا صح فى النفوس و داد فسواء ترحل و مقام

و إذا خالط الوداد رياء فعلى الحب و الوداد السلام

خسرت صفقه المحب إذا ما لعبت فى وفائه الأوهام

تاره يحكم الولاء و أخرى تفصم الود فى يديه سهام

يا احباى قد طوينا عتابا ليس تسطيع نشره الأقلام

و كتمنا عن المسامع لوما حذرا ان تذيعه اللوام

و حفظنا لكم حقوق إخاء و كذا تحفظ الحقوق الكرام

و منه:

هيهات أن يتسلى القلب بعدكم و البعد يقدح أزناد الأسى فيه

إن مال للصبر عنكم لحظه بعثت ذكراكم لوعه الأشواق توريه

خط الغرام لكم فيه سطور صفا فأنتم حيث كنتم فى محانيه

دروس حب قرأناها على صغر و الحب مرآته أفكار قاريه

إذا سرى نسيم من نحوكم صعدت أنفاس أحشائنا الحرى تحييه

يحلو لنا ذكركم ما مر ذكركم فألسن الحب لا تنفك ترويه
نظل فيكم حيارى لا يجف لنا دمع ترققه الذكرى و تجريه
لو لا تعلقنا فى قربكم زمنا قضى علينا النوى ما بين أيديه
يا جيره الحى هل بعد الفراق لقا يفوز كل محب فى أمانيه
نسيتم حين كان الحب يجمعنا فى جانب الحى من شرقى واديه
حيث الهزار يغنينا فيطربنا بين الأراهير فى أحلى أغانيه
و أكؤس الراح تجلى بيننا علنا فى كف أهيف يحكيها و تحكيه
ننظم الشعر فى أسلاكه دررا تجلو ظلام الأسى عنا دراريه
ما أبدع الشعر لو ألفاظه عذبت و ما أحياه لو رقت معانيه
يدق فى القلب ناقوس السرور إذا ما أتقتت صنعه أفكار منشييه
ما الشعر تسطير ألفاظ معقده ما أبعده الشعر عمن ليس يدريه
آليت أرسل أفكارى تنظمه إلا إلى الوطن المحبوب أهديه
يا موطننا عاث فيه الجور فانبعثت هذى الجفون بقانى الدمع تبكيه
جارت عليه الليالى فى تصرفها فأسلمته إلى أيدي أعاديه
أزهار روضاته مال الذبول بها حزنا عليه كما جفت مجاريه
هل يفتح العدل فيه نفحه فعسى تربو و تهتر بالبشرى مغانيه
يا أيها الوطن المحبوب نار أسى عليك فى القلب لا تنفك تذكىه

أبو نواس الحسن بن هانى

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٣١ من المجلد الخامس و نزيد عليها هنا ما يلى مكتوبا بقلم الدكتور حسين مروه:

لا ندرى: من أين اندست فى تراث الأدب العربى هذه الدسيسه التى شاءت، أو شاءها ناس، ان تذهب فى تاريخنا الأدبى، فتصم

كل ذى شان كبير من شخصيات هذا التاريخ المكتنز الخصيب بوصمه "الشعوبيه"، لتضعه فى مكان يخرج من مكانه الأصيل فى تراثنا و تاريخنا معا، فإذا بنا كلما أوغلنا فى هذه الكنوز الأدبيه أو الفكرية التى أورثتنا إياها عصورنا الذهبية، وجدنا "الدسيسه" الخبيثه تنتقى جواهر متالقه من هذه الكنوز، ثم تفردنا ناحيه، لتقول عنها، واحده واحده:

- كلا.. هذه ليست جوهرة عربيه.. هذه دخيله غريبه.. هذه "شعوبيه"!...

من أراد هذه "الدسيسه" الخبيثه بتراثنا الأدبى و الفكرى؟..

ص: ٢٩

أم أرادها ناس آخرون لم يكونوا مخلصين لثقافته العرب و حضارتهم، فقصدوا إلى هذه الخدعه عن وعى و عمد، ليعطلوا جيد ثقافتنا و حضارتنا من روائع البدع الفكرية و الأدبية التي صنعها العقل العربي باداه عريبه خالصه، هي اللغه و أسلوبها و عبقرية تعبيرها؟..

يغلب في ظني، و أكاد أقول في يقيني، ان الذي دس الدسيسه هذه، هو إلى العدو أقرب منه إلى الصديق، و ان المسأله في مصدرها التاريخي انما ترجع إلى ناس أرادوها تحريفا لمفهوم الثقافه القوميه، ليكون ذلك سبيلا إلى تحريف تاريخنا الثقافى ذاته، و تشويهه، و الانتقاص من قيمته، فإذا هم يفردون عددا من اعلامه واحدا بعد واحد، و يفردون نتاج عبقرياتهم في معزل عن تراثنا الأصيل، بزعم أنهم "شعوبيون"، حتى يقفوا بنا أمام هذا التراث و هو خلو من بدائع الأدب و الفكر التي أبدعها أولئك الأعلام في أزهى أيامه و أخصب عهوده... ثم ما لبثت الدسيسه تسرى متنقله في كتب التاريخ و السير حتى وصلت إلى أجيالنا المتأخره و إلى جيلنا المعاصر بالذات، فإذا بنا نأخذها أخذ المسلمات أو الحقائق الثابته، دون مناقشه، أو محض شك!..

مثلا:

بشار بن برد.. "شعوبى"!!..

عبد الله بن المقفع.. "شعوبى"!!..

أبو نواس.. "شعوبى"!!..

ابن الرومى.. "شعوبى"!!..

بل.. حتى أبو عثمان الجاحظ، و أبو الطيب المتنبى "شعوبيان"!!.. (١)

لما ذا؟.. كان يكفى أن يرجع النسب بأحد هؤلاء و أمثالهم إلى أصل فارسي، مثلا، حتى يخرجوه بهذا الوصف من نطاق نسبه الفكرى و الثقافى و الأدبى، أى نسبه العربى الذى نماه فكرا و ثقافه و أدبا و لغه و حياه يومية، هي حياه اللحم و الدم، حياه الذهن و القلب..

بل، كان يكفى ان يجهل المؤرخون حلقة واحده من نسب كاتب أو شاعر أو مفكر، أو أن يشكوا مجرد الشك، حتى يلحقوه بفصيله "الشعوبيه"!!..

لقد كان أبو نواس "أعرق" هؤلاء الأعلام "شعوبيه" فى رأى مؤرخى أدبنا العربى، و هو لا يزال هكذا فى رأى الكثره الغالبه من مثقفى جيلنا المعاصر نفسه.. فلننظر، إذن، فى المستند الذى ركنوا إليه حين أطلقوا حكمهم ذاك على أبى نواس، لنرى: هل يصح لمنطق العلم و التاريخ ان يركن إليه، حتى نتبعهم واثقين، أو أن الأمر ليس بهذه المنزله من البداهه التي أخذته بها الأجيال منذ العصر العباسى الأول حتى اليوم..

فإذا استطعنا ان نصل بامر أبى نواس إلى رأى علمى مقبول، فان امر غيره من الموصومين ب "الشعوبيه" يصبح يسيرا لا محاله:

و لننطلق الآن، في موضوعنا، من هذا السؤال:

- هل صحيح أن أبا نواس كان شعوبيا.. بمعنى أنه كان عدوا للعرب يفضل عليهم الفرس، كما كان معروفا من معنى الشعبويه في العصر الذي نشأت فيه هذه النزعه العنصريه البغيضه؟..

لكي نستطيع ان نستخلص الحقيقه في هذه الدعوى، يجب أولا، أن نستعرض جمله الشواهد التي احتجوا بها على شعوبيته، ثم ننظر في هذه الشواهد نظره موضوعيه، غير متأثرين بسيطره الفكر التقليديه المتوارثه منذ أجيال، لنرى: هل تكفى هذه الشواهد للحكم لشعوبيه أبي نواس أو هي قاصره عن إثبات هذه الدعوى لقد استدلووا على شعوبيته بما يلي:

أولا - ما ورد في شعره من كلام وصفوه بأنه مدح للفرس و هجاء للعرب، مثل قوله:

و لفرس الأحرار أنفس أنفس و فخارهم في عشره معدوم

و إذا عاشر عصبه عربيه بدرت إلى ذكر الفخار تميم

و بنو الأعاجم لا أحاذر منهم شرا، فمنطق شرهم محسوم

لا يبذخون على النديم إذا انتشوا و لهم، إذا العرب اعتدت، تسليم

و جميعهم لى، حين أقعد بينهم بتدلل و تهب، موسوم

و قوله:

تراث أبي ساسان كسرى و لم تكن مواريث ما أبتت تميم و لا بكر

ثانيا - ما ورد في شعره من هجوم على الشعر العربى الذى يصف البادية و الاطلال و على حياه البادية نفسها و على أهلها كقوله:

لتلك أبكى، و لا أبكى لمنزله كانت تحل بها هند و أسماء

حاشا لدره ان تبنى الخيام لها و ان تروح عليها الإبل و الشاء

و قوله: "

ص: ٣٠

١- مهيار الديلمى ممن اتهموا بالشعوبيه. و من المعلوم ان مهيار فارسى الأصل، فكان من الطبيعى ان يذكر قومه الفرس بالخير، دون ان يسيء إلى العرب، بل انه فعل أكثر من ذلك، حين تغنى بأصله الفارسى و دينه العربى فقال فيما قال: و جمعت المجد من أطرافهسؤدد الفرس و دين العربفكان بهذا القول عند من تنطحوا لهذه الأمور شعوبيا لانه يذكر سؤدد قومه!! فكان الأمر عند

هذا الفريق من الناس هو انه لا- يبرأ غير العربي من تهمة الشعوبيه الا بان يتبرأ من قومه و لو كان مسلما مفاخرا ياسلامه، و انه يحق لهم وحدهم بان يتغنوا بقومهم، و لا يحق ذلك لغيرهم من الأمم!! على ان باذرى بذره الشعوبيه الأولى، هم - مع الأسف - من العرب، و قد بذرت هذه البذره فى ظل الحكم الأموى و فى رعايته. قال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى: كتاب مثالب العرب أصله لزياد ابن أبيه، فإنه لما ادعى أبا سفيان أبا، علم ان العرب لا تقر له بذلك مع علمهم بنسبه، فعمل كتاب (المثالب) و ألصق بالعرب كل عيب و عار و باطل و أفك و بهت. ثم ثنى الهيثم بن عدى و كان دعيا فأراد ان يعر أهل الشرف تشفيا منهم، و اما كتاب المثالب و المناقب الذى بايدى الناس اليوم فإنما هو للنضر بن شميل الحميرى و خالد بن سلمه المخزومى و كانا أنسب أهل زمانهما، أمرهما هشام بن عبد الملك ان يبيننا مثالب العرب و مناقبها، و قال لهما و لمن ضم إليهما: دعوا قريشا بما لها و عليها، فليس لقريش ذكر فى ذلك الكتاب "انتهى". و مثله قال أبو الفرج الأصبهاني. على ان الأمر عند هؤلاء المتنطحين اسوأ من ذلك، فمن كان فارسى الأصل و فاخر بأهله، فان هذا الفخر مغفور له و لا يعد شعوبيا، إذا كان من أعداء أهل البيت المنابذين لهم!. فابن حزم مثلا المجوسى الأصل، الفارسى النسب، إذا فاخر بذلك و قال: سما بى ساسان و دارا و بعدهمقريش العلى أعياصها و العنابس فما أخرت حرب مراتب سؤددىو لا قعدت بى عن ذرى المجد فارس كان هذا القول مقبولا- منه لا اعتراض عليه، لانه من النواصب المعادين لأهل البيت الشاتمين لاشياعهم، مضافا إلى ذلك ان جده الأعلى خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد كان مولى يزيد بن أبى سفيان، و هو فى بيته المتقدمين يباهى بذلك، لهذا فهو لا يؤاخذ بافتخاره بأصله الفارسى و لا ينسب إلى الشعوبيه بل يثنى عليه و يمجده لأن معاداه أهل البيت و التهجم على اتباعهم تغفر كل سيئه. اما مهيار الديلمى الذى يعتز بانتمائه إلى الإسلام مع اعترازه بقومه، فهو يؤاخذ و يهاجم و يتهم بالشعوبيه، لانه أخلص الولاء لأهل البيت و أحب على بن أبى طالب و مدحه بقصائده الخالدات، و هذا ذنب تستحل معه كل التهم!. ابن حزم الذى يعتز بساسان و دارا، و يقرن اعترازه هذا، باعياص قريش و عنابسها الأميين، ليس بشعوبى، و مهيار الديلمى الذى يعتز هو الآخر بكسرى، و يقرن هذا الاعتزاز لا (بالاعياص و العنابس)، بل بالإسلام و يعتبر انتسابه إليه مجدا باذخا هو شعوبى!.. لما ذا؟ لأن الأول غض من على بن أبى طالب و تعرض له بالسوء و فضل عليه حتى نساء النبى، و شتم محبيه، و لأن الثانى أحب على بن أبى طالب و مدحه!.. هكذا يكتب تاريخ العرب و الإسلام!.. "حسن الأمين"

سقىا لغير العلياء فالسند و غير اطلال مى بالجرد

و قوله:

يا واصف البید و القفار و يا ناعت اسرابها و مكاهها
و واصف الربيع و الرياض و ما أشرف من نبتها و بهاها
أحسن من ذاك نبت صافيه تنزو إذا ما تدرعت ماها
أعرض عن الربيع ان مررت به و اشرب من الخمر أنت أصفاهها

و قوله:

أيا باكى الاطلال غيرها البلى بكيت بعين لا يجف لها غرب
أتنعت دارا قد عفت و تغيرت فانى لما سالمت من نعتها حرب

و قوله:

دع الاطلال تسفيها الجنوب و تبكى عهد جدتها الخطوب
و خل لراكب الوجناء أرضا تحث بها النجيبه و النجيب
و لا تأخذ عن الاعراب لهوا و لا عيشا، فعيشهم جديب
ذر الألبان يشربها أناس رفيق العيش عندهم غريب
بأرض نبتها عشر و طلع و أكثر صيدها ضبع و ذيب
إذا راب الحليب قبل عليه و لا تخرج، فما فى ذاك حوب
فأطيب منه صافيه شمول يطوف بكاسها ساق أريب
فهذا العيش، لا خيم البوادی و هذا العيش، لا اللبن الحليب
فأين البدو من ايوان كسرى و أين من الميادين الزروب؟

و قوله:

عد عن رسم و عن كذب و اله عنه بابنه العنب

و قوله:

يا أيها العاذل دع ملحاتي و الوصف للموماه و الفلاه

دارسه و غير دارسات و أنف هموم النفس باللذات

ثالثا - ما أخذه عليه أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام" حين تعرض - أي أبو نواس - إلى أبي عبيده و الأصمعي، قائلا:
"أما أبو عبيده فإنهم إن امكنوه قرأ عليهم أخبار الأولين و الآخرين، و أما الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته".

فقد رأى أحمد أمين في هذا الكلام تحيزا من أبي نواس لأبي عبيده دون الأصمعي و استنتج من ذلك أن أبا نواس قد انتصر
لأبي عبيده لأنه فارسي، و لأن الأصمعي عربي.

هذه خلاصه ما يمكن استخلاصه من الأدله التي ذكروها دليلا على شعوبيه أبي نواس.

فهل تصلح هذه الأدله لاثبات ذلك؟ - إذا واجهنا هذه الأدله بنقد موضوعي، وجدناها قاصره عن إثبات الدعوى.

و لننظر الآن في كل دليل على حده:

أولا - اما الاستدلال على شعوبيته بما يظهر من مدح للفرس و ذم للعرب في شعره فهو مردود من وجهين:

أ - لقد جاء في شعره أيضا ما يناقض ذلك تماما.. أي أنه قد مدح العرب و ذم الفرس، بل لقد كانت مدائحه للعرب من الكثره
بما لا يقاس به شعره الذي يظهر منه الذم لهم.. و من امثله ذلك قوله في قصيده من روائع شعره يمدح بها الفضل بن الربيع:

من طلل لم أشجه و شجاني و هاج الهوى أو هاجه لاوان

بلى، فازدهتني للصبأ اريحيه يمانيه.. ان السماح يمانى

و قوله في مدح القحطانيين:

... فافخر بقحطان غير مكثب فحاتم الجود من مناقبها

و لا ترى فارسا كفارسها إذا زلت الهام عن مناقبها

عمرو، و قيس، و الاشران و زيد الخيل، أسد لدى ملاعبها

بل مل إلى الصيد من اشاوسها و الساده الغر من مهالبها

و حمير تنطق الرجال بما اختارت من الفضل فى مراتبها

أحب قريشا لحب احمدها و اعرف لها الجزل من مواهبها

ان قريشا إذا هى انتسبت كان لنا الشطر من مناسبها

و قوله فى مدح الأمين العباسى:

فمن ذا الذى يرمى بسهميك فى العلا و عبد مناف والداك و حمير؟

و قوله فى قصيده غزليه خمريه:

و قهوه مثل عين الديك صافيه من خمر عانه أو من خمره السيب

كان أحداقها و الماء يفرغها فى ساحه الكأس احداق اليعاسيب

يسعى بها مثل قرن الشمس ذو كفل يشفى الضجيع بذى ظلم و تشيب

كأنه، كلما حاولت نائله ذو نخوه قد نشا بين الأعراب

فهو فى البيت الأخير إذ يريد ان يصف نخوه الساقى و إباءه، لا يجد تشبيها لنخوته يصورها أحسن تصوير و أبلغه، سوى نخوه العرب و إباثهم و حميتهم..

و ذلك يدل على مبلغ شعوره بفضل هذه النخوه العرييه التى يظهر منه انه مفتون بها، و ليس بعائب لها.

و مقابل ذلك قد هجا أبو نواس قوما من عليه الفرس فى رأى المجتمع يومئذ، و هم البرامكه، إذ قال فى كبير زعمائهم جعفر بن يحيى:

لقد غرنى من جعفر حسن بابه و لم أدر ان اللؤم حشو اهابه

فلست و ان أخطأت فى مدح جعفر بأول إنسان خ... فى ثيابه

و قد هجا غيرهم من الفرس بمثل ذلك أيضا.. فهل إذن يصح الأخذ بمدح الفرس و ذم العرب فى بعض شعره دليلا على شعوبيته، ما دام قد مدح العرب و ذم الفرس فى بعض آخر من شعره؟..

ب - و الوجه الآخر الذى نرد به هذا الدليل، هو ان أبا نواس حين كان يمدح أو يهجو، فى مثل تلك المناسبات التى رأيناها فى ما تقدم، لم يكن يمدح أو يهجو عن نزع من نزعات التعصب لهؤلاء القوم أو أولئك و لا ضد هؤلاء أو أولئك، و انما كان الأمر عنده محض بدوات نفسه آنيه تهيجها المناسبه الطارئه، ليعبر حينا عن ذلك الولع بالتحدى للمراءين من هذه الجماعه أو

تلک، و ليعبر حينا آخر عن ثوره غضب عابره ضد شخص بعينه لأمر له معه ليس هو بأكثر من أمر عابر كذلك، و ليعبر في أكثر الأحيان عن "مزاجه الخمرى" إذا صح القول.. فقد كان هذا المزاج الملازم له يأبى أن يشغله عن خمره و ندمانه و لذته جليس لا يتقيد ب "آداب الشراب" و "تقاليد المنادمه"، بل يخرج عليها ليشغل جلساءه بشئون الجد كالتفاخر بالنسب و العنجهيات القبليه في وقت يريد أبو نواس فيه أن يستغرق بكل حواسه في متعه الشراب و دنيا "الصفاء"...

الشراب "أو" تقاليد المنادمه":

حقوق الصحب و الندمان خمس فأولها: التزين بالوقار

و ثانيها: مسامحه الندامى و كم حمت السماحه من ذمار

و ثالثها: و ان كنت ابن خير البريه محتدا، ترك الفخار

و رابعها: فللندمان حق سوى حق القرابه و الجوار

إذا حدثه فاكس الحديث الذى حدثه ثوب اختصار

و خامسها يدل به أخوه على كرم الطبيعه و النجار

كلام الليل ينسأه نهارا له باقاله عند العثار

فهل أصرح دلالة على كراهته للمفاخره بالأنساب على مجلس الشراب، من قوله: و ثالثها، و ان كنت ابن خير البريه محتدا، ترك الفخار.

ثم هو يؤكد تفسيرنا هذا "لمزاجه" بقوله أيضا:

فى الكأس مشغله، و فى لذاتها فاجعل حديثك كله للكاس

صفو التعاشر فى مجانبه الأذى و على الليب تخير الجلاس

و بقوله كذلك:

لمثلى من الفتیان حلت، أخى الخمر و طابت له اللذات و استرخص السكر

إذا كان شربى لا يكدر مجلسى و لا يعترى فيه خصام و لا هجر

من هنا رأينا أبا نواس يثنى على الفرس و ينفر من إحدى خصال بنى تميم فى قوله:

و لفارس الأحرار أنفس أنفس و فخارهم فى عشره معدوم

و إذا أعاشر عصبه عربيه بدرت إلى ذكر الفخار تميم

و بنو الأعاجم لا أحاذر منهم شرا، فمنطق شرهم محسوم

لا يبدخون على النديم إذا انتشوا و لهم إذا العرب اعتدت تسليم

و جميعهم لى، حين اقعد بينهم: بتدلل و تهبب موسوم

و يمكن ان نستنتج من هذه الأبيات أنه كان لأبى نواس جلساء على الشراب من الفرس يعرفون "مزاجه الخمرى" هذا فيراعونه و لا- ينعصونه بالتفاخر، بينما كان له جلساء من العرب، كالتميميين مثلا، يهيجون عنده "عقده النسب" فيثرونه" ..و قد عرفنا من قبل ان نسب الشاعر كان عرضه للغمز من جانب خصومه إذ كانت نسبه للحكم بن سعد العشيره تتردد بين الأصاله و المواله، و كان عصره لا- يزال يعنى بالأنساب و التفاخر بها، و كانت النزعه الشعبيه تؤلف تيارا سياسيا يقابله تيار عربى، و كان الصراع السياسى الحاد يتخذ من هذين التيارين أحد أسلحته المكشوفه المباشره، فليس غريبا - إذن - أن يتخذ خصوم كل شخص ذى شان من قضيه النسب ذريعه لايدائه و الكيد له و التاليب عليه.

ثانيا - و أما الاستدلال على شعوبيه أبى نواس بما كان من هجومه على الشعر الذى يصف الباديه و الاطلاع و على حياه الباديه و أهلها، فهو استدلال ضعيف أيضا، لأن الشعر الذى صدر عنه بهذا الصدد لا يحتمل التفسير بأنه صادر عن كراهيه للعرب، بل يمكن تعليله بأحد أمرين:

١ - أما بأنه يرجع إلى "مزاجه الخمرى" الذى تحدثنا عنه فى ما سبق..

أى أن الرجل كان إذا جلس إلى شرابه و ندمانه و استغرق فى لذاته، وجد فى دنياه تلك التى تنشئها له الخمره دنيا عامره بالضياء و الصفاء فهى عنده أفضل من تلك الدنيوات التى يبينها الشعراء الآخرون من أشياء الباديه بخشونتها و شظفها و مشاهدتها غير المؤتلفه مع أشياء الحضاره الجديده بمتعها الحسيه و نضارتها و جدتها، فتأخذ نشوه الاعتزاز بدنياه هذه و تلذه المقارنه و تستفز خياله طرافه المفارقة و المناقضه، و يجد فى مقارنه النقيض بالنقيض ما يزيده إغراقا فى الالتذاذ بدنياه..

٢ - و أما بأنه كان يريد من هذا الشعر ان يهزأ بالشعراء الذين يعيشون فى الحاضر بلحمهم و دمهم، ثم يفتعلون إنشاء عالم آخر فى أشعارهم ليس بينهم و بينه من صله غير صله الألفاظ و القوالب الشعريه التقليديه المتوازنه عن شعراء سابقين كانوا يحيون حياه الباديه فعلا، و كانت مشاهد الباديه تدخل فى تجاربهم الحيه الحاره.

على اننى أرجح ان الأمر الأول من هذين الأمرين هو التفسير الأقرب لواقع أبى نواس بالذات.

ثالثا - و اما استدلال أحمد أمين على شعوبيه الشاعر بما استظهره من كلامه عن أبى عبيده و الأصمعى العربى فهو استدلال ينقضه أحمد أمين نفسه بما نقله عن أبى نواس فى مكان آخر من "ضحى الإسلام" (ج ٣ ص ١١٩-١٢٠) قائلا- ما لفظه: "و لكن أبى نواس لا يعتد بهجوه، فليس فى هجائه مقياس الصدق، فقد هجا أبى عبيده و رماه باللواط إلخ" ..

فكيف يعتد أحمد أمين، إذن، بكلامه قاله أبو نواس عن أبى عبيده و الأصمعى و يجعله دليلا على شعوبيته، فى حين ان ذاك الكلام ليس ظاهرا بالتحيز لأبى عبيده، بينما هو - أى أحمد أمين - لا يعتد هنا بهجاء أبى نواس بحجه أنه ليس فى هجائه مقياس الصدق.

نحن مع أحمد أمين في أن هجاء أبي نواس ليس مقياس الصدق، و كذلك مدحه... و لذلك قلنا سابقا أنه لا يصح الاستنتاج من مدحه الفرس و ذمه العرب أحيانا انه يؤثر الفرس على العرب، كما لا يصح الاستنتاج من مدحه العرب و ذمه الفرس أحيانا اخرى انه يكره الفرس و يؤثر عليهم العرب.. فهو في مدحه و هجائه انما يصدر عن بدوات سانحه وليد اللحظه التي هو فيها، و لا يصدر عن نزعه معينه ثابتة و لا عن فكره أو فلسفه مقررته عنده.

إضافه إلى ما تقدم يمكن الرد على استدلال أحمد أمين بطريقه ثانيه، هي ان الجاحظ نفسه، و هو ابن العربي الذي لا شك بعروبتة و لا مجال لاتهامه بالشعوبيه قال في أبي عبيده ما هو اصرح من كلام أبي نواس فيه.. قال أبو عثمان الجاحظ: "لم يكن في الأرض خارجي و لا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيده" .. فلما ذا يؤخذ كلام أبي نواس انه تحيز شعوبي لأبي عبيده، و لا يؤخذ كلام الجاحظ كذلك بالرغم من أن المأخذ على كليهما غير منطقي.

و لقد وجد بين النقاد المحدثين من نفى عن أبي نواس نزعه الشعوبيه، و ان اختلفوا في تعليل الأشعار التي استظهر منها القدماء و المحدثون المقلدون هذه النزعه عنده.

و من هؤلاء النقاد المحدثين العقاد و الدكتور محمد النويهى، الأول في كتابه "أبو نواس الحسن بن هانئ -" دراسه في التحليل النفساني و النقد التاريخي"، و الثاني في كتابه "نفسيه أبي نواس". و قد علل الدكتور النويهى أشعاره التي أثارت تهمة الشعوبيه بنحو من التعليل الذي أشرنا إليه سابقا، أي بتأثير "مزاجه الخمرى" و عقب على شرحه التعليل المذكور بقوله:

"..و كان هذا هو السبب الذي كرهه في مناديه العرب لا لأنه يتعصب عليهم تعصبا شعوبيا كما اتهمه الكثيرون، فابو نواس ما أحب أن يعادى فردا أو جنسا، و ما كان يطيق نكد المعاداه، و لكن شكوا طباعهم و ضراوتهم و كثره مخاصماتهم و تنابذهم بالألقاب و تفاخرهم بالانتساب كلما ضمهم مجلس، بقيه من عنجهيتهم البدويه - كان تعكر عليه مجالسه الهنيئه إلخ..".

و بعد ان يورد الدكتور النويهى امثله من شعر الشاعر تدل على ذلك يورد الآيات التي ذكرناها سابقا:

أبي نواس - أدنى مانع من منادمتهم، و له قطع كثيره فى امتداح مجالسهم و حلاوه شمائلهم و قد قال على لسان الخمر هذا البيت الأريحي الطرب:

و لا الأراذل، الا من يوقرنى من السقاء، و لكن اسقنى العربا

(انتهى).

و الترجمة المنشوره فى مكانها كان المؤلف قد أصدرها فى كتاب خاص باسم (أبو نواس)، و عند صدور الكتاب سنه ١٩٤٨ كتب عنه الدكتور حسين مروه كلمه آثرنا نشرها هنا) (انتهى).

مسكين أبو نواس! لقد افترى عليه صانعو التاريخ أو لقد افترى عليه ناس غير صانعى التاريخ لأمر ما فأشاعوا فى الأجيال أن أبا نواس رجل دعابه و عربده و شهوه ليس غير و أن خصائصه جميعا تنتهى عند هذا "الثالوث" لا تتجاوزه إلى صفه من صفات العباقره المرموقين فى عصر من أرقى عصورنا العربيه الغابره، حتى لقد بخل عليه هؤلاء المفترون بمزيتة الكبرى: الشعر، فإذا هم يلقون عليه ألوانا من الكلام المنظوم لو كان قدر لأبى نواس أن يسمع أمثاله لغيره لاجتوت نفسه دنيا يقال فيها هذا اللون من الكلام الغث ثم يحسب هذا الكلام شعرا من الشعر فكيف له لو أنصت للأجيال بعده فإذا هو يسمع هذا الكلام منسوباً إليه مدخولاً عليه مدسوساً فى أعاجيب من القصص التافه الخليع يقصونها عنه افتراء و زورا؟! لقد ظلم أبو نواس - إذن - فانطبت عنه فى أذهان العامه طوال الأجيال صورته شوهاء مزوره و تجاوزت هذه الصوره فى الأجيال الأخيره أذهان العامه إلى أذهان فريق كبير من المثقفين و أنصاف المثقفين، و أعجب العجب فى هذا أن يكتسب هذا الانطباع المزور عن أبى نواس صفه الأمر الواقع المسلم به حتى لقد اجترأ واضعو القصص السينمائيه و المسرحيات على أن يطبعوا هذا الرجل العبقرى الخالد بطابعه الشائه الزائف المفترى فإذا بهم يخرجونه على "الشاشه" أو على المسرح رجلا- شانه التهريج و الاضحاك و العربده و إذا بجمهره الناس مثقفين و غير مثقفين يشهدون أبا نواس على هذا الطابع و يأخذونه ماخذ المسلمات و البداهه و لا يثير فيهم غير بواعث المرح و اللهو و المسلاه لكأنما صار ثابتاً فى الأذهان أن هذا هو أبو نواس الحق لا ذلك العالم الفقيه المحدث الفيلسوف الشاعر العبقرى.

و أى دليل على هذا الذى أقول أقوى من إهمال كتابنا المحدثين شان أبى نواس و هو أجدر أن ينال من دراساتهم التحليليه و أبحاثهم النقدية الحديثه نصيباً موفوراً لأن شخصيته الأديبه تكاد تكون أغنى شخصيات الأدب العربى العباسى من حيث وفره العناصر التى يأتلف منها هيكل الفن العظيم و من حيث تعدد الجوانب التى يتسق بها لصاحب الفن شخصيته الممتازه و لو لا أبحاث عابره نشرها الدكتور طه حسين فى " حديث الأربعاء " عن هذا الرجل المفترى عليه لكان عصرنا الحديث ما يزال جارياً مجرى العصور السوالف فى تجاهل أبى نواس الحق و لكن أ يكفى لانصاف هذا الشاعر العظيم الذى ظلمته أجيال طوال أن يكتب عنه الدكتور طه حسين أبحاثاً عابره هى بالمقالات الصحفيه الإنشائية أشبه؟ لا: إن من حق أبى نواس أن تكثر عنه فى هذا العصر المستنير الدراسات الطوال و الأبحاث التحليليه العميقه و المؤلفات الضخمه المشبعه و أنه لعجيب مدهش حقا أن ينبرى لانصافه قبل الأدباء و الشعراء و النقاد المتوفرين لهذا الفن، عالم كبير من علماء الدين منصرف إلى التأليف فى شؤون العلم، و فى

قضايا الدين و في نواحي التاريخ الإسلامى فإذا هو يخص أبى نواس المسكين المظلوم المفترى عليه لا يبحث مستفيض فحسب، بل بكتاب ضاف، شامل مستوعب يجلو به شخصيه أبى نواس العالم و الشاعر و المثقف و المحدث ثم يجلو به تلك الشخصيه التي انطبعت في أذهان العامه و المثقفين طوال الأجيال السابقه، فإذا هي في هذا الكتاب الجديد، شخصيه جديده، تنكشف لنا عوامل تكوينها سافره و إذا أبو نواس يبدو لنا من وراء هذه الشخصيه صاحب دعايه و عربده حقا و لكن لا عن زندقه، و لا ضعف و لا- استهتار، و لا- شهوه بل عن طبيعه نزاعه إلى الحريه تواقه إلى الخروج على القيود الموضوعه و هي طبيعه العبرى يتأبى على الأوضاع المألوفه أن تغل تفكيره أو تفرغ حياته في قالب جامد صلب لا يقبل التكيف و التجديد.

لا: بل إنه لأكثر من عجيب مدهش أن يكون عالم دينى كبير كالسيد محسن الأمين المنصرف إلى كبار الشئون الاصلاحيه فى الإسلام أسبق لانصاف الشاعر العبرى الخالد أبى نواس من ذوى الشعر و الأدب و النقد من أعلام هذا العصر بل إن ذلك مما يثير الاعجاب و الإكبار بهذه السماحه و هذه الرحابه فى الفكر و العقليه و هما صفتان عرفنا علامتنا الأكبر السيد محسن الأمين يمتاز بهما لا بين رجال الدين حسب بل بين رائدى البحث العلمى المجرى و كاتبى التاريخ الخالص.

هذا كتاب "أبو نواس" الذى أخرجه الامام الأمين أخيرا قد فرغت من قراءته خلال أيام أردت أن أفرغ فيها للراحه وحدها فإذا هو يستبد بى فأجد فيه راحه النفس و متعه الذهن و حلاوه التأليف المحكم المتسلسل يحكى قصه شاعر عرف ألوانا مختلفات من الحياه فى عصر عرف ألوانا متنوعه من الحضارات و العقليات و الأذواق.

و فى حياه أبى نواس مشاكل و عقد كثيره لا تزال بكرة فى عالم البحث و التحقيق منها عربوه الشاعر و شعوبيته المزعومه و منها عقيدته و دينه و زندقته و منها سلوكه الاجتماعى الذى لون حياته و شخصيته بتلك الألوان الشائمه المزيفه المزوره و منها تمرده على المألوف من أوضاع أهل الأدب و على المصطلح من الأفكار الشائعه و التقاليد الأدبيه المتبعه و منها قصه التجديد الأدبى التي استطاعت أن تلفت الأذهان من بين ركام الزيف و التزوير و الافتراء التي أحاطت بشخص الشاعر و لكن هذه القصة ظلت غامضه ذات مجاهيل كثيره لم يتعرف إليها الرواد و الباحثون، و لم يضع أحد حتى الآن حدودا واضحه لألوان التجديد الأدبى الذى عرف به أبو نواس الشاعر.

هذه المشاكل و العقد فى شخصيه الرجل استطاع كتاب "أبو نواس" أن يفتحها جميعا ببساطه فى الروح و عمق فى البحث، و دقه فى الاستقصاء و التحقيق و التدقيق و بامانه فى التاريخ لا نعرف لها مثيلا. و لقد خرجت أنا من هذا الكتاب بحقائق جديده. و لقد تجلت لى شخصيه أبى نواس بأوضح ما كنت أطلب أن تنجلي لى شخصيه شاعر أحيطت بذاك الركام العجيب من الباطل. و قد شفع علامتنا الأ-كبر بحثه النفيس هذا بمختارات نفيسه من شعر الشاعر تصلح أن تكون أمثله صادقه لكل نوع من أنواع الشعر التي عرف بالتجويد فيها أو بالإبداع. و لم تفت المؤلف - حفظه الله - ملاحظات نقديه بارعه استدرك بها على الناقدين أو المؤرخين أو مؤلفى كتب الشعر و الأدب. و إنا لنتمنى على سماحته - و قد عرفنا فيه روح الباحث المدقق الأمين - أن يضيف إلى فضله هذا فضلا آخر بان يحقق ديوان أبى نواس تحقيقا علميا على الطريقه العلميه الحديثه التي نعرف أنه من أعلامها اليوم، ثم يطبعه طبعه علميه محققه، لأن ديوان هذا الشاعر كشخصيته قد افترى عليه، و لحقه الزور و التشويه باشنع ما يلحق الزور و التشويه أمرا من الأمور فضلا

عن تشويه المطبعه و تزويرها.

و أخيراً: هل أرانى - بعد الذى قلت - محتاجاً إلى القول إن كتاب "أبو نواس" يجب أن يشيع فى طبقات المثقفين و أنصاف المثقفين لكى يرفع عن أبى نواس الشاعر العظيم تلك الأوهام الباطله، و يجلو شخصيته الحقيقيه كما كانت لا- كما صورها المفترون؟

الشيخ حسن البحرانى بن على.

توفى سنة ١٣٤٠ كتب ترجمته بنفسه فى كتابه (أنوار البدرين) فقال انه توفى والده و عمره ثمانى سنوات ثم قال: كان مولدى كما أخبرنى به بعض أرحامى المطلعين الثقات سنة ١٢٧٤ هـ فكنت مع الوالده المرحومه حتى وقعت الواقعة العظيمه على بلادنا البحرين سنة ١٢٨٤ هـ التى قتل فيها حاكمها (على بن خليفه) و غيره فتفرقت أهلها فى الأقطار و تشتتوا فى الديار فكنت ممن رمته مناجيق الأفضيه و الأقدار و قذفته نون الآونه و الأخطار فى بلاد القطيف مع الوالده المقدسه و قد كان الأمجد الأرشد المرحوم العلامه أعلى الله مقامه فى دار المقامه (١) قد سكنها مع الأهل و الأولاد و شرف تلك البلاد فصرت فى حجره و تربيته فقربنى و آوانى و علمنى و حبانى و قدمنى على أولاده فضلاً عن أقرانى و كان شيخى و أستاذى و جد أولادى فجزاه الله عنى و عن المؤمنين خير الجزاء و حباه أفضل الحباء، و بعد سنتين انتقلت الوالده المرحومه إلى رضوان الله و رحمته و فسيح جنته فصرت يتيماً من الأبوين، و كان لى (رحمه الله تعالى) بمنزلهما و أعظم و قرأت عنده (قدس الله تربته و أعلى فى عليين رتبته) فى النحو و الصرف و المعانى و البيان و التوحيد و الفقه، ثم سافرت إلى النجف الأشرف مهاجراً لتحصيل العلوم و حضرت متطفلاً عند جملة من فضلائها و ثله من علمائها كالعلامه الأمين الشيخ محمد حسين الكاظمى أصلاً و النجفى مدفنا و أهلاً و الفاضل ذى المجد و الشرف الشيخ محمد طه نجف و سيدنا المقدس التقى الزاهد النقى السيد مرتضى ابن السيد مهدى الكشميرى النجفى و العالم التقى الشيخ محمود ذهب النجفى المقدس و الشيخ حسن ابن الشيخ مطر الجزائرى و غيرهم من العلماء الأتقياء (قدس الله أرواحهم و طيب مراحمهم و نور أشباحهم) و فى تاريخ هذا الكتاب لم يبق أحد منهم سوى ذكرهم الجميل المستطاب فهم أحياء و ان ضمهم التراب (الناس موتى و أهل العلم أحياء):

فسبحان الحى القيوم الذى لا- تأخذه سنة و لا نوم ذى الملك و الملكوت و العزه و الكبرياء و الجبروت الذى يमित ملله و لا يموت، و لم اطلب إجازته من أحد منهم حياء و بعداً عن الاتهام بالأغراض الدنيويه الباطله الدنيه سوى ان سيدنا الجليل التقى الزاهد الأورع النقى السيد مرتضى الكشميرى ابتدأنى بالاجازه و أجاز لى روايه الكتب الأربعة و كتب جميع الأصحاب بل كتب جميع علماء الإسلام من الخاص و العام فى الليله الثالثه و العشرين من شهر رمضان المكرم فى الروضه الحيدريه مقابلاً لوجه أمير المؤمنين و سيد المسلمين عليه آلاف الصلاه و السلام و كان السيد المذكور مجازاً من أكثر علماء العراق عرباً و عجماً و كان (قدس الله سره و نور قبره) من العلماء الأوحدين و الأتقياء الزاهدين و الفضلاء المحققين و الكملاء المدققين.

و لى من الكتابات التى لا ينبغى ان تذكر لو لا ما التزمه فى تراجم الأكثر: منظومه فى الأصول الخمسه كبيره تقرب من اربعمائه بيت سمينها (جواهر المنظوم فى معرفه المهيمن القيوم) و منظومه ثانيه سمينها (زواهر الزواجر فى معرفه الكبائر) ذكرنا فيها سبعين كبيره تقرب من اربعمائه بيت جيده جامعه جدا و منظومه فى مواليد النبى و الائمه و الزهراء و وفياتهم ع سمينها (جامعه الأبواب لمن هم لله خير باب) و منظومه سمينها (جامعه البيان فى رجعه صاحب الزمان) تقرب من اربعمائه بيت جيده جامعه

جدا و أيضا لنا حواش كثيره على شرح ابن أبي الحديد للنهج المرتضى و ردا عليه و لنا كتاب (رياض الأتقياء الورعين فى شرح الأربعين و خاتمه الأربعين) اشتمل عنوانا على اثنين و خمسين حديثا مشروحه مبسوطه فى الأصول و الفروع و المواعظ و المناقب جيد جيدا و لنا (الجوهره العزيزه فى جواب المسأله الوجيزه) فى التوحيد و لنا رساله سميناه (الحق الواضح فى أحوال العبد الصالح) و هو شيخنا العلامة الأسعد المرحوم و لنا بعض الحواشى المتفرقه على بعض الكتب الفقيهيه و لنا هذا الكتاب الذى نسأل الله تعالى إكماله بالحق و الصواب و لنا كتاب سميناه (بجنات تجرى من تحتها الأنهار) فى المناظيم و المدائح و المراثي و سائر الاشعار (انتهى).

هذا ما ذكره هو عن مؤلفاته. اما أحسن مؤلفاته فهو كتاب (أنوار البدرين فى تراجم علماء القطيف و الإحساء و البحرين). و قد خدم فى [هذا] الكتاب تاريخ بلاده العلمى و الادبى أجل خدمه.

أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم على بن نما الحلبي

الكاتب الشاعر، من اسره حليه مشهوره، ذكره المنذرى فى وفيات سنه ٦١٨ قال: و فى الثانى و العشرين من شهر ربيع الأول توفى الشيخ الأديب أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم على بن نما الحلبي الكاتب ببغداد و دفن من يومه بالمشهد، و هو من أهل الحله المزيديه و سكن بغداد و خدم الأمراء و كان له ترسل و شعر. حدث بشيء من شعره و أخبر ان مولده فى سنه ثلاث و ثلاثين و خمسمائه. و قال مره اخرى: سنه تسع و عشرين. و قال مره اخرى: سنه اربع و ثلاثين و خمسمائه " اه " .

و ذكره ابن الديبى فى "الحسينيين" من تاريخه لبغداد قال: الحسين بن على بن نما أبو عبد الله بن أبي القاسم الكاتب، قدم بغداد و استوطنها و خدم الأمراء و كان ترسل و شعر. سمعنا منه قطعا من شعره. أنشدنا أبو عبد الله بن [الحسين بن على بن نما ببغداد لنفسه من قصيده له:

نفى وقدات الكرب عن روح قلبه نسيم سرى من صوب رضوى و هضبه

فيا حبذا وانيه ضعفا إذا سرى يلاعب غصنا من أراك بقضبه

جرى روحه فى روح قلبى فزاده اشتياقا إلى ريا الحبيب و قربه

ارى غصنا غضا ثناه نسيمه ثنى مارنى عطفنا لصوب مهبه

فأفقت قلبى من جبال وقده و طوقه روحا أريجا بقطبه (كذا)

دعانى داعى الشوق يوم تحملوا فليته يا ليتنى لم ألبه

ص: ٣٤

متى حن قلبي أن صبري فبرده بمعترك فيه المنايا و نصبه (كذا)

تمر خطوط الافتراق تمردا عنيفا فتبا للفراق و خطبه

فوا لهفتا إذ صار سهل فراقكم ببعدكم وعرا كقدس و شعبه

و قال ابن الديبثي في ترجمه عرس الدين بدر الدوله من [بن] أبي الحسن على بن آقسنقر الناصري الأمير: كتب الأديب كافي الدين الحسين بن علي بن نما الحلبي على لسان غرس [عرس] الدوله يذكر الصنع الذي أدركه مالك رقه سنه سبع و تسعين و خمسمائه:

ملك الملوك أزلت عنى صدمه لليتم فانحرفت مصاحبه اللقا

و بنيت لى ركنى و كان مهتما و نظمت لى شملى و كان مفرقا

لم يبلغا أبواى فى أمانيا بلغتنيها يا رفيع المرتقى

و ذكره عز الدين بن جماعه قال: أنبانا الشريف تاج الدين الغرافى عن أبى عبد الله بن محمد (ابن النجار) البغدادي قال أنشدنا أبو عبد الله بن نما الكاتب لنفسه:

أ وميض برق بالابيرق أوامضا أم ثغر غانيه بليل قد أضأ

أسكنتم الأيام فياض الحيا و كسوتهم الأحشاء الهوب الغضا

يا جامعى الاضداد لم لم تجمعوا سخطا ممضا للفؤاد به الرضا

زمن الوصال تقوضت أيامه يا ليت دهر الهجر كان تقوضا

ثم قال: له شعر و رسائل دونهما و الغالب عليهما ركاه الألفاظ و قله المعانى و كان رافضيا. ولد فى ذى الحجه سنه تسع و عشرين و خمسمائه و توفى سنه ثمان عشره [٦١٨] ببغداد.

السيد حيدر الأملى

مرت ترجمته فى المجلد السادس الصفحه ٢٧١ و نزيد عليها هنا ما يلى:

ولد فى آمل من بلاد مازندران، و اشتغل من عنفوان شبابه إلى الثلاثين بالعلوم الظاهريه - المنقول منها و المعقول - على كبار الأساتذه فى مسقط رأسه آمل و فى خراسان و أسترآباد و أصفهان لمدة عشرين سنه، و لما بلغ الثلاثين من سننى عمره عاد من أصفهان إلى بلده آمل فاجتمع بفخر الدوله بن الشاه كيخسرو، فقربه فخر الدوله حتى أصبح من أقرب أصحابه و أعظم نوابه و حجابيه، ثم طلبه فخر الدوله شاه غازى و اخوته جلال الدوله إسكندر و شرف الدوله كستهم و سعد الدوله طوس الملك،

فحصل له منهم من الجاه و المال الشيء الكثير.

و لما اتجهت إليه الدنيا و حاز شرفا ظاهريا عظيما و أموالا طائلة، علم ضلال هذا الطريق فترك المال و الأهل و الوطن و لبس دلقا قيمته أقل من درهم، فخرج بقصد الحج من أمل و وصل في مسيره إلى أصفهان فاتصل هناك بالشيخ نور الدين الأصفهاني الطهراني - نسبة إلى طهران (و يسميها العامه تيران أو تيرون) قريه على باب أصفهان -^(١)فاشدت الصله بينهما حتى عقدا عقد الأخوه بالرغم من أن الصحبه بينهما كانت أقل من شهر واحد، فلبس من يد هذا الشيخ الخرقه الصوفيه و أجز منه إجازة لبس الخرقه.

ثم توجه من أصفهان إلى ايدج، فكان هناك في صحبه شخص كامل عارف منتظرا تهيئه الوسائل للذهاب إلى بغداد، و لكن أخفق في مهمته و عاد إلى أصفهان فتمكن من الذهاب إلى بغداد من طريق آخر، و وفق بعد عناء لزياره أئمه العراق (ع) و جاور المشاهد المشرفه سنه كامله، ثم توجه إلى حج بيت الله الحرام مجردا فقيرا، و بعد الحج و زياره الرسول ص و زياره أئمه البقيع (ع) بالمدينه المنوره عاد إلى العراق و سكن النجف الأشرف مشغلا بالعباده و الرياضه و الخلوه، و في النجف التقى عبد الرحمن القدسي فقرأ عليه كتاب منازل السائرين و شرحه و كتاب فصوص الحكم و شرحه و رسائل فلسفيه اخرى، و طالع أكثر كتب التصوف من المطولات و المختصرات، و كتب على كثير - منها شروحا و حواشي، و ألف في مده أربع و عشرين سنه أربعه و عشرين كتابا.

و اتصل في الحله بفخر المحققين ابن العلامه الحلبي، فتلمذ عليه و استفاد منه كثيرا، و أجازة فخر المحققين بإجازات متعدده منها الإجازة التي كتبها بالحله في شهر رمضان المبارك سنه ٧٦١هـ. ^(٢)

و يقول السيد أحمد الحسيني:

كان السيد حيدر الآملي من كبار الصوفيه في القرن الثامن الهجري، سعى كثيرا في تدوين آرائهم و ما يتعلق بالتصوف الإسلامي، و لكن لم يكن من المتطرفين الذين لم يعرفوا من التصوف إلا القشور الفارغه التي لا تمت إلى روح الإسلام بصله، و لم يعرفوا إلا الرقص و الرهز و العريده و البعد عن التعاليم الدينيه، بل حاول في مؤلفاته الكثيره أن يستعرض التصوف في اطار القرآن الكريم و ما أثر عن النبي العظيم و الأئمه من أهل البيت (ع)، و لذا نراه في كتابه فص الفصوص يندد بجماعه من الصوفيه في أقوالهم الباطله و يبين معاييبهم و خرافاتهم، كما يذم بعضهم في كتابه الكشكول، و هذا يدل على أنه كان يتعلق بالتصوف كطريق إسلامي لتهديب النفس و الرقي بها إلى مدارج الكمال.

ثم يقول السيد الحسيني عن كتابه (المحيط الأعظم) و هو في تفسير القرآن أنه يوجد منه نسختان أحدهما في خزانه الروضه الحيدريه برقم (٢٢) و الثانيه في مكتبه السيد المرعشي العامه في مدينه (قم) ثم يصف الكتاب بما يلي:

طريقه المؤلف في كتابه أنه يبدأ بأى من القرآن يكتبها بالحمرة، ثم التفسير و يستعرض فيه ما يتعلق بالآيات من الجانب الأدبي و وجوه القراءه و بعض الأحاديث التفسيريه و أقوال المفسرين، ثم التأويل فيدخل في مباحث عقليه و صوفيه عميقه.

-
- ١- تعرف الآن باسم (تيران آهنگران). و هي غير قريه (بلوك تيران).
 - ٢- إلى هنا تلخيص لما كتبه المؤلف بخطه.

و المؤلف فى القسم التفسىرى يختصر الكلام ما أمكنه مع استيعاب و شمول، و فى القسم التأويلى يطول الكلام جدا مع تقسيم و تفرىع و تشقىق.

ففى آيه البسمله مثلا نجد القسم الأول لا يستوعب أكثر من صفحتين، و أما القسم الثانى فىستوعب سبعا و أربعين صفحه فى سته أبحاث: ألباء و تحقىقه، النقطه التى تحته، السین و المیم، الله و ما یتعلق به، الرحمن الرحیم، تطبیق حروفها بحروف العالم كلها.

و من هنا نعرف أن الكتاب لیس فىه من التفسیر - على المعنى المصطلح - إلا- الشىء القلیل، بل هو كتاب حاول المؤلف أن یجمع فىه المباحث العمیقه المتعلقه بالتصوف من كل جوانبها، و قد وفق تمام التوفیق فیما أراد و قصد تحت عنوان تأویل القرآن الکریم.

و الشىء الجدید الذى یلفت النظر فى عمل المؤلف أنه یختصر كثيرا من الموضوعات و المباحث فى جداول و دوائر و صور، و لكن فى النسخه التى نعرفها هنا بقى محل كثير من هذه الصور بشكل بیاض لم ینقش فىه شىء.

و یستند المؤلف فى معلوماته التفسیریة إلى كتاب مجمع البیان للطبرسى و الکشاف للزمخشرى، و فى التأویل إلى أقوال الشیخ الكامل نجم الدین الرازى و المولى کمال الدین، و ینقل كثيرا عن شرح نهج البلاغه لابن میثم و الفتوحات المکیه لابن العربى و کتاب الخطیب للجلودى، و ربما یقتبس عن بعض الکتب من دون إشاره إلى المصدر كما فعل مثلا فى فصل تقدم الامام امیر المؤمنین ع على غیره فى العلوم و المعارف، حیث اقتبس هذا الفصل من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحدید المعتزلى من دون تسمیه الكتاب.

یقول المؤلف فى مقدمته بصدد بیان خطته فى كتابه هذا " ..أن اکتب لهم کتابا جامعا للتأویل و التفسیر بحیث یكون التأویل مطابقا لأرباب التوحید و أهل الحقیقه غیر خارج عن قاعده أهل البیت (ع)، و التفسیر موافقا لأرباب النقل و أهل الشریعه غیر خارج عن قاعده أهل البیت (ع) بحسب الظاهر أعنى یكون جامعا للشریعه و الطریقه و الحقیقه لقول النبى ص " الشریعه أقوالى و الطریقه أفعالى و الحقیقه أحوالى ". لأن كل کتاب یكون جامعا لهذه المراتب الثلاثه التى هى جامعہ لجميع المراتب المحمديه یكون جامعاً لجميع المراتب الالهیه و الکوئیه حاویاً لمجموع الکمالات المنسوبه إلى الأنبیاء و الأولیاء بأجمعهم

لقوله ع " أوتیت جوامع الكلم و بعثت لأتمم مکارم الأخلاق ".

و قد جاء تاریخ الكتاب بخط المؤلف على الورقه الأولى من الجزء الثانى هكذا:

سلخ شوال بالمشهد المقدس الغروى سلام الله على مشرفه من سنه سبع و سبعین و سبعمائه هجریه نبویه.

حیدرى حیدر بخش

توفى سنه ۱۲۳۸.

کاتب هندى نجفى الأصل دهلوى المولد و الموطن. هو کاتب القصص و الأساطیر و التاريخ. و أشهر کتبه المعدوده من أعلى

كتب الأدب كتاب (توتاكهاني) (قصه البيغاء) و كتاب (آرايش محفل) و قصه (ليلي و مجنون) و (گلزار دانش) و (تاريخ نادري) و طبقات الشعر و الشعراء باسم (كلشن هند) و (كل مغفرت) و هو مجالس حسنيه.

الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني

قال اليافعي في الجزء الرابع من كتابه (مرآة الجنان) و هو يتحدث عن وفيات سنة ست و سبعين و ستمائة:

فيها توفي الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي شيخ الملك الظاهر، كان له حال و كشف، قيل مع سفه فيه و مردكه و مزاح. تغير عليه السلطان الظاهر بعد شده خضوعه له و انقياده لإرادته و عقد له مجلسا و أحضر من خافقه و نسب إليه أمورا رافضيه و أشاروا فيها بقتله، و الله أعلم بصحة ذلك، فقال للسلطان إن بيني و بينك في الموت شيئا يسيرا، فوجم لها السلطان و حبسه في سنة إحدى و سبعين إلى أن توفي انتهى (اليافعي).

و هكذا فان نسبة التشيع كافيه للافتاء بقتل من تنسب إليه، فان لم يقتل يسجن إلى أن يموت في السجن.

الخطاطون في العهد الصفوي ٩٠٦ - ١١٣٥ هـ

هذه مجموعه تراجم ينتظمها موضوع واحد رأينا أن نضمها إلى هذا الملحق و هي بقلم: حبيب الله فضائلي:

يعد العهد الصفوي من ألمع العهود و أرقاها و أكملها من ناحيه فن الخط، و لا سيما الثلث و التعليق و النسخ. و قد كان عامه الملوک و أنجالهم مغرمين بهذا الفن، بما في ذلك الأمراء الصفويون (و لا سيما الشاه إسماعيل الأول، و عباس الكبير، و ثلاثه من أبناء الملوک: بهرام ميرزا(١)، و سام ميرزا، ابنا الشاه إسماعيل، و ابن بهرام ميرزا الأمير إبراهيم ميرزا). حتى إن بعضهم أتقن كتابه الخط على أساطين هذا الفن، و أكرموا الخطاطين، و أحلوهم قصورهم، و أولوهم اعتبارا خاصا.

فنجم عن ذلك التشجيع انتشار لأنواع الفنون، و بزوغ لعدد من نوابع الخط و لا سيما كتاب خط النستعليق و رسماى الثلث. و لقد كان وجود أمثال هؤلاء الأساتذة باعثا على الافتخار بنقش أسمائهم على آثارهم لتخليد ذكرهم.

و من جمله الخطاطين المشهورين في الثلث و الرقاع و النسخ و الريحاني و غيرها من نعرضهم فيما يلي:

[أسامي الخطاطين]

محمد مؤمن الكرمانى:

هو ابن الخواجه شهاب الدين عبد الله مرواريد، المتخلص بالبياني.

(٢) و لقد كان محمد مؤمن أيضا أحد عدد من الخطاطين من ذوى الطراز الأول. و كان تحت يده عدد من خطاطي القرن العاشر بجميع أقلامهم المعروفة (أنواع الأقلام الستة و التعليق و النستعليق)، فقد كان أستاذا لم يكد يضارعه أحد فنه.

- ١- معنى كلمه " ميرزا " ابن الأمير.
- ٢- كان الخواجه شهاب الدين عبد الله بن الخواجه شمس الدين محمد الكرمانى من أشرف كرماني، و وزيراً فى بلاط التيموريين. اتصف بحسن السيره و مكارم الأخلاق. عمل فى أيام شبابه بخدمه السلطان حسين بايقرا، فأجله و أحله فى بلاطه، حتى بلغ مرتبه الصداره، لكنه اعتزل بعد موت هذا الأمير و اشتغل بالعباده و نسخ القرآن، و استمر الأمر على ذلك حتى تمكن الشاه إسماعيل الصفوى من هراسان [خراسان]، فأمره بنظم تاريخ الملك. كان الهواجه [الخواجه] عبد الله مطلعاً على أكثر العلوم المتداوله و الفنون المعروفه. و كان طويل الباع فى النظم و النشر. و كان يكتب مجموعه ن [من] الهطوط [الخطوط] بشكل جذاب. و قد اعترف تلميذه عبد الله طباه الهروى بمقامه الفنى، و بان خط التعليق كان فيه تلميذا للهواجه [للخواجه] تاج السلمانى. و قد جاء فى تاريخ الرشيدى أن خط النستعليق لم يكتب به أحد بعد السلطان محمد نور، سواء من حيث الفصاحه أو القاعده مثل عبد الله بيانى. و قد أوكل الشاه إسماعيل أمر تعليم ابنه أبى النصر سام إليه.

و دلف محمد مؤمن إلى بلاط الشاه طهماسب، و غدا كاتبه الخاص. و رتب له مرقعا يعد من نفائس هذا الفن النادر في إيران، إذ كتب بسائر الأقلام المتنوعه و قد اتفق على أن تاريخ خط هذا المرقع يتراوح بين ٩٣٤ - ، ثم تفرق بعد هذا التاريخ. و فيما يلي صفحات منها من ضمن مرقعات آخر (مثل مرقع مالك الديلمي، و سيد أحمد مشهدى، و غيرهما). و توجد في مكاتب "طوب قابوسراى" و جامعه إستانبول. و قد ترك محمد مؤمن بلاط الشاه طهماسب في أخريات عمره، و رحل إلى الهند، و توفي هناك سنة ٩٤٨ هـ.

نصير المنشى:

يقول سپهر: إن الخواجه نصير المنشى كان يكتب التعليق بشكل جميل جدا. و توفي سنة ٩٦٢. و قد حفظت مكتبه خزانة الأوقاف باستانبول بثلاث قطع من خطه من مرقع بهرام ميرزا، كتبت بقلم النسخ و الرقاع و نستعليق، و رقمها في المكتبة: "تحفه سلطنه مجلس النواب (و المقصود بكلامه هو بهرام ميرزا الصفوى) خلد الله تعالى ملكه. كتبه الفقير نصير غفر الله ذنوبه".

الأمير عبد القادر الحسينى الشيرازى:

جاء فى كتاب "راهنماى گنجينه قرآن" تأليف أحمد گل چين معانى: "يعد الأمير عبد القادر الحسينى الشيرازى من أبرع خطاطى منتصف القرن العاشر و أوائل القرن الحادى عشر الهجريين، هاجر إلى الهند و حط عصا الترحال فى كلكنده المدكن عاصمه سلاطين القطب الشاهى، و هناك شغل بنسخ القرآن، و قد تمكن من نسخ أربع نسخ من القرآن. و قد ذكرت هذه النسخ الأربع بخطه، و أورد صفحه منها نموذجا.

و لقد شاهدت بنفسى آثاره المعجزه، أعنى القرآن فى مكتبه العتبه المقدسه الرضويه، كتبت بخط ريحانى ممتاز. كما كان هذا الخطاط البارع متمكنا كذلك من الخطوط الأخرى.

علاء الدين محمد بن شمس الدين محمد الحافظ الشيرازى:

كان معروفا بالملا علاء بك. و هو من أساتذه تبريز المعروفين، و ممن تخرج على يديه عبد الباقي التبريزى و على رضا العباسى اللذين عد كل واحد منهما من أعلام الخط المشهورين.

كان علاء بك تلميذ شمس الدين محمد التبريزى كاتب أوامر الشاه طهماسب. و من آثاره: كتابات عمارات تبريز، و كتب و نسخ قرآنيه، و مرقعات و قطع خطيه ما زال بعضها موجودا بشكل متفرق. و جميع نماذجه الفنيه البارعه الأثريه مؤرخه بين إلى ١٠٠١ هـ، من ذلك: نسختان من القرآن بالقلم الريحانى و الرقاع و الثلث، و نسخه محفوظه فى مكتبه إيران السلطانيه السابقه، و قرآن بخط الثلث، و الريحانى و الرقاع، محفوظه فى مكتبه العتبه المقدسه الرضويه (مر عرض نماذج الخطوط فى فصول سابقه و الصفحه ٣٤٨).

صحيفى جوهرى:

من الخطاطين الأفذاذ فى العهد الصفوى. و من جمله آثاره ما كتبه فى مدخل المسجد الجامع بتاريخ ٩٩٢ هـ. و ما زالت صور

نقشه مائله. و له طريقه بنقل "سبعه الأقاليم" من الخط و التذهيب و التجليد و الوصل. توفي سنة ١٠٢٢هـ.

عبد الباقي التبريزي:

تلميذ علاء بك، و من الأساتذه البارزين. و من أشهر كتاباته التي ما زالت حتى اليوم: كتابات الإيوان الشمالي، و كتابات داخل الإيوان الكبير لمسجد شاه السابق، و الأطراف المحيطة تحت القبه، و التي كتبت بين ١٠٣٥ - ١٠٣٦ هـ.

بعد أن أتم اكتساب العلوم و الفضائل و فنون الخط ترك تبريز قاصدا بغداد. لكن الشاه عباس الكبير استدعاه منها و أوكل إليه أمر الكتابات في مسجد شاه السابق. و إضافه إلى هذه الكتابات وجدت له قطع خطيه.

لا- نعلم سنه وفاته. يذكر بعض المؤلفين أنه كان من زمرة الحكماء و العرفاء و الشعراء، و يذكر أن كان محبا عطوفا، و ذا منحنى درويشى. و قد تخلص في شعره ب "باقي". يذكر هوارت في كتابه "الخطاطون" و "المنياتوريون المسلمون في الشرق" ان: "عبد الباقي التبريزي الملقب بالعالم تلميذ علاء بك كان يقيم في تكيه الدراويش ببغداد.. كان الشاه [الشاه] عباس الأول قد سمع بشهرته في خط الثلث و النسخ و التعليق، فأرسل حسين جلبي يدعوه إلى أصفهان، لينقش كتابات المسجد الكبير هناك، غير أنه لم يقبل العوده.

لكن الشاه عباس بعد أن فتح قندهار أمر بإحضاره إلى أصفهان طوعا أو كرها. ففي ذلك الوقت كانت قبه المسجد الكبرى قد تمت، و الصفه الثانيه من طرف القبله، و الطاق رأس الباب الكبير للمسجد، من كتاباته التي وشتها ريشته " (١) و لا بد من القول بان السائح الروحي المشهور محمد رضا الامامى الاصفهانى هو تلميذ عبد الباقي التبريزي، و كلاهما من الفقهاء المشهورين في زمانهما.

على رضا العباسى التبريزي:

(٢) من ألمع خطاطى العهد الصفوى، و الذى لم يكن له نظير في خط الثلث.

فقد كان في خط الثلث و النسخ تلميذ الملا علاء بك، و فى النسئعليق تلميذ محمد حسين التبريزي. عاش على رضا فى بلاط الشاه عباس الكبير معززا، و دامت حياته حتى سنه ١٠٣٨ هـ. من آثاره فى خط الثلث كتابات القسم العالى لبوابه قزوين، و التي هى اليوم إداره الأمن و الشرطه لمدينه قزوين، و قمه باب الدخول إلى مسجد الشاه باصفهان بتاريخ، و كتابه على قمه باب دخول مسجد الشيخ لطف الله، و كتابه حول قبه من الطرف الداخلى فى أصفهان، و قطعتان فى الشرفات العباسيه فى الضلع الغربى و الشرقى لصحن العتبه القديمه الرضويه بتاريخ، و كتابه محيطه بقبه الخواجه ربيع بتاريخ، و كتابه داخل قبه الخواجه ربيع بتاريخ و التي ما زالت مائله حتى الآن، و تعد نماذج لأعظم كتابات الثلث. و لم يحفظ لنا من خطه النسخى إلا قطعه واحده من مجموعته شخصيه لخوشنويس زاده. و قد استخرجنا منها قطعه بالتصوير الضوئى (الفوتوكوبى)، ترى هنا، و التي كتبها على منهج أستاذة علاء الدين و قواعد.

محمد صالح اصفهانى:

ترى فى القسم الأعلى من محراب مسجد شاه فى أصفهان بخط ثلث ممتاز كتابات تدل على عراقه فنيه و ظرف فائق، و فى ختامها ورد اسم محمد صالح سنه . و ورد الاسم صريحا و بالرقم نفسه فى كتابه محراب القبه الشرقيه لمسجد شاه السابق: " كتبه محمد صالح الاصفهاني سنه " .

محمد رضا الامامى الاصفهاني:

يعرف محمد رضا يامام الخطاطين، عاش عمرا مديدا، و كان معاصراب.

ص: ٣٧

١- رساله العتبه المقدسه الرضويه رقم: ١

٢- راجع ترجمه مفصله له فى هذا الكتاب.

للشاه عباس الأول و الشاه صفى الدين و الشاه عباس الثانى و الشاه سليمان.

و لقد كان له فى كل حقه كتابات و آثار على كل ما كان بينى للذكرى.

لم يكن خطه "الثالث" وحده رفيع المقام، بل كان بارعا فى كتابه النسخ و المستعيق كذلك. و كان معاصرا للخطاطين المشهورين الآخرين مثل: على رضا و مير عماد و عبد الباقي و محمد صالح. و قد استطاع كاتب هذا المقال إحصاء ما كتبه على الأبنية التاريخيه المشهوره فى أصفهان، فكانت تسعا و عشرين كتابه، و كلها بخط محمد رضا الامامى. و أقدم ما كتبه كان مؤرخا بسنه ١٠٣٨، و هو فى مسجد شاه السابق، فى زمان الشاه عباس الأول، و كان أحدثه مؤرخا فى سنه ١٠٨١ هـ.

محمد محسن بن محمد رضا الامام:

تعزى إليه كتابات كثيره على الأبنية القديمه فى أصفهان و يمتد تاريخها من ١٠٩٣ - ، كما رثيت فى خزانه آثار أصفهان التاريخيه. لقد كان من أبرز الخطاطين فى عهد الشاه سليمان الصفوى و أوائل الشاه سلطان حسين و قد دون اسمه بشكل صريح فى بعض الكتابات: "كتبه ابن محمد رضا محسن الامامى" و لم تكتشف له إلا كتابات بالخط الثالث حتى الآن.

و لقد أورد الدكتور بيانى فى كتابه "نماذج الخطوط" قطعه بخط النسخ مع الرقم: "مشقه العبد الأقل محمد محسن الاصفهانى" و هى منسوبه إلى محمد محسن الامامى، و لعل لطول عمره سببا فى هذه النسبه. و ليس معلوما أنها له لأننا لم نجد كلمه "إمامى" فى الرقم. كما تنسب إليه كتابه بخط المستعيق موجوده فى شرفه إمام زاده إسماعيل، و التى هى فى الحقيقه بخط ابنه على نقى الامامى.

على نقى الامامى بن محمد محسن الامامى:

هو كجده و أبيه فى الكتابات فى المساجد و الأبنية و آثاره موجوده فى أصفهان، يعد من خطاطى عهد الشاه سلطان حسين الصفوى، و له خطوط كثيره فى مدرسه الحدائق الأربع و ابن الامام إسماعيل فى أصفهان. كما له كتابات موجوده بخط المستعيق.

كان على نقى يكتب بخط النسخ و الرقاع أيضا و تتراوح كتاباته التى بخطه بين و . ورد فى رساله العتبه المقدسه رقم " ١ " من المجموعه السابقه أن محمد رضا الامامى و ابنه محمد محسن و حفيده على نقى قاموا بكتابات كثيره لأبنية إيرانيه فى حدود قرن كامل من ١٠٣٩ - ، و يعدون من أعظم الخطاطين، كما ذكرت تلك المجله فى الصفحات ١٢٣-١٢٥ خطوط هؤلاء الأعلام الثلاثه فى أصفهان و مشهد و قم و قزوین، و أشارت إلى اختصاصهم و مقامهم.

عبد الرحيم الجزائرى،

إن أكثر خطوط المدرسه السلطانيه فى أصفهان (الحدائق الأربع) من آثاره، كتبها بخط الثالث الرفيع. كما له كتابات على باب الدخول إلى المدرسه السلطانيه المشرف على شارع الحدائق الأربع، و على باب آخر فى سوق السلطان الطويل بجانب المدرسه مؤرخ بتاريخ ، و كتابه فى مسجد واقع بشارع الشيخ البهائى بتاريخ ، تدل هذه الكتابات على مهاره و فن فى عهد السلطان حسين

الصفوى.

خطاطون مغمورون فى القرن العاشر

لم تتيسر لنا معرفه حياه عدد من الخطاطين، إلا أن آثارهم الماثله تدل على مهارتهم و براعتهم. من هؤلاء:

محمد بن سلطان شاه الهروى

-

معين المنشى

-

شمس الدين على الشيرازى

و له نسخه قرآنيه بخطه فى مكتبه العتبه المقدسه الرضويه -

شمس الدين محمد بن أمير على التبريزى

-

يوسف الغبارى

-

أبو سعيد الامامى

-

محمد بن أحمد الخليلى التبريزى،

و له نسخه قرآنيه بخطه فى مكتبه العتبه المقدسه الرضويه بقلم المحقق و توقيع ممتاز، مؤرخه بسنه ٩٨١. و سوف نفرض نموذجاً لها فى فصل المحقق -

محمد بن ميرك على نقى الشيرازى

-

عبد الله بن سلطان محمد الهروي

-

فخر الدين على الحسيني

-

الصيرفي،

و هو غير عبد الله الصيرفي المعروف - نظام الاصفهاني -

حسن بن محمود سالم

-

باقر بنا،

و أكثر كتاباته واقعه داخل مسجد الشيخ لطف الله بخط ثلث عال ممتاز.

كما أن هناك عددا من الخطاطين من الذين عاشوا في القرن العاشر، و أدركوا القرن الحادي عشر، و هم: درويش مقصود التبريزي أو حاجي مقصود شريف التبريزي - ميرزا علي - سلطانيه - حسن بيك التبريزي شاه محمد الأشرفي.

الخطاطون المعروفون في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر

إبراهيم آغا القمي:

محمد إبراهيم ابن محمد نصير القمي من مشاهير الخط النسخي، و الذي كان أستاذ ميرزا أحمد التبريزي. إبراهيم آغا من الخطاطين الأعلام و الأساطين المشهورين في عهد سلطنه الشاه سليمان و الشاه سلطان حسين الصفوي، فهو كان يكتب، بالاضافه إلى الخطوط الأصوليه، التعليق و النسثعليق و المكسر بغايه من الجوده و البراعه، و من أفضل ما اشتهر به خط النسخ، إذ يقال إنه كان ينسخ في كل سنه ثلاث نسخ من القرآن و يتعيش من أجرها عيشه مرفهه.

و قد أمضى عمره كله عزبا سخيا، و قد كان حيا سنه ١١١٧، إلا أن تاريخ وفاته غير معلوم.

ميرزا أحمد النيريزي:

هاجر أحمد بن شمس الدين محمد النيريزي في أيام شبابه من نيريز إلى أصفهان، و اختار دار إقامته في هذه المدينه بحدود سنه ١١٠٠. و قد كان يحظى باحترام الشاه سلطان حسين الصفوي، و بتقدير لدى أمراء عصره و فضلائهم و أصحاب الفن. و كانوا

يقبلون على آثاره بمال كثير، حتى قيل إنه جنى من فنه في حياته ستين ألف تومان صفوى.

كان النيريزى ذا شمائل نفسيه خاصه، فقد نقل أنه كان يكتفى لعيشه بمبلغ زهيد، بينما ينفق بقيه ما يجنيه. وقد قصد فى أواخر عمره العتبات العاليات، و لم يتقاعس هناك رغم كبر سنه عن الكتابه، ففى مكتبه سلطنه إيران دعاء بخطه محفوظ فى النجف الأشرف، كتبه بتاريخ .

و تبعا لاختصاص النيريزى ببلاط الشاه سلطان حسين (السلطانى) فإنه يكتب بعض الرقم و الآثار، كتبها بامر هذا الملك. و كان قد تعلم خط النسخ فى ابتداء حياته لدى إبراهيم القمى، إلا أن منهج خطوطه كان أقرب كثيرا إلى خطوط علاء الدين النيريزى، فقد كان واضع قواعد خاصه لخط النسخ، بل هو الذى قعد أصوله فى إيران. و عد النيريزى أشهر أساتذه النسخ فى إيران و أعرقهم.

و من آثار قلمه قاعده باقيه تعد من أندر ما قدمه أستاذ. و من أهم آثاره:

ص: ٣٨

عمل خطاطا بين ١٠٩٦ - ، أى كان اسمه لامعا أكثر من نصف قرن، و أنه توفي عجوزا.

محمد الهادى الاصفهانى:

هو ابن الملا محمد صالح المازندراني، و يعد من زمره العلماء و الزهاد، و من ألمع خطاطى الخط النسخى، و قد كان من معاصرى إبراهيم آغا القمى و من أتباعه فى منهجه و قواعده. أمضى حياته فى أصفهان و انتهت حياته فى المدينه المذكوره فى أثناء فتنه الأفغان فى سنه ١١٣٥.

القرنان الثانى عشر و الثالث عشر

هاشم آغا الاصفهانى:

هو محمد هاشم بن محمد صالح اللؤلؤى الاصفهانى، المعروف بزركر (الذهبى) (والد ميرزا محمد على محرم، و جد عبد الوهاب محرم اليزدى شاعر السلالة القاجاريه). و هو من أساطين خط النسخ المعهودين فى القرنين الثانى عشر و أوائل القرن الثالث عشر، و قد حظى فى زمانه بشهره طبقت آفاق الأمصار الإسلاميه، حتى إن الشعراء كانوا يمدحونه بحسن خطه. و قد كان فى الخط النسخى مضارعا لعبد المجيد درويش، و هما اللذان رسخا دعائم الخط المكسر.

لم نعرف تاريخ وفاته، لكن المسلم به أنه كان حيا بين السنوات و ، و قد احتلت آثاره طيله هذه المده مقاما جعلته من ذوى القدره فى فن الخط. و بناء على ما نقل من "دليل الخزانة القرآنيه" أن مجلدين من القرآن بخط محمد هاشم لؤلؤى محفوظان فى مكتبه العتبه المقدسه الرضويه، نسخا فى سنه ١١٨٤، و ١١٨٥ هـ. ق.

تذكره:

و إثر انقراض الدوله الصفويه سنه ١١٣٥ و الحوادث المتتابعه و الحروب و الفتن التى انتشرت فى أطراف دوله إيران و أرجائها جعلت الناس ينشغلون بأنفسهم، فكان ذلك سببا فى انحطاط الفن، بما فى ذلك فن الخط.

و منذ بزغ فجر القرن الثالث عشر استعاد فن الخط مقامه تدريجيا، فازداد الاهتمام بالأقلام الستة، و لا سيما الخط النسخى، و ازداد عدد الخطاطين بشكل ملحوظ، فظهرت آثار نفيسه من القرآن و الأدعيه و الكتب و المرقعات و القطع و الكتابات تحمد عمل أصحابها.

الشيخ خليل مغنيه

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٤٩ من المجلد السادس، و نزيد عليها هنا هاتين القصيدتين:

قال:

خمسون عاما قد مضت هل ترجعن و ليتهنه

مرت كانفاس الصباح تذيع من نفحاته
هاتيك أزهار الربيع تناثرت برياضه
كانت عليهن الرياح شديده فشرتهن
فبكي عليهن الكنار بغنه وصلت بغنه
كل الحياه هي الشباب فكم له بالنفس رنه
من لى يساعدنى على أيامه برجوعه
ذهبت و آمال الرجوع كومضه من نوره
ودعتن بادمع مزجت دما بجفونهن
فى عارضى طلائع أرجفتنى بطلوعه
بيض و لكن الكعاب بغضبه لياضه
نفرت بنيات الصبا لما بدت لوجهه
و ضحككن للنور المطل و قد بكيت لضحكهن
و خطرن و السمات تلعب فى ضعاف حضورهن
يمزجن من فرط التدلل هزلهن بجدهنه
يغرين كبار العقول بقاصرات عقولهن
و الشيب حد الملتقى بين الوقور و بينهنه
عفواك لست بمغرم نصب الشباك لصيدهنه
مثلى تنزه المكانه أن يخف لمثلهنه
ذى لهوه من شاعر أرخى لفكرته الأعنه
فاتى الخيال بباقة قد نظمت من زهره

هيا لروضات الربى نجرى الدموع لحالهنه
تلك المطامع أحرقت زهراتها فى نارهنه
أنى نظرت ترى الشحوب يلوح فى أنحاءهنه
صحراء تسقيها العيون سحابه من دمعهنه
هزتك يا جبل العلى أيدى الطغام بفعلهنه
صور كان وجوهها للناظرين لها دجنه
أشكال خزى كالقرون السالفات و خزيهنه
يا صبيه الأكر التى تعدو لها فى سوحهنه
سدت مهازللك الطريق و ليس فى سير مظنه
أيد معوده على بذر الخنوع بمقهنه
جعلت زخارف صنعها يوم الحساب لها مجنه
فى كل ناحيه أذى من دونه و خز الأسنه
إن الحوادث جمه و المخجلات أشدهنه
كم فى الحمى قد زمجرت هوج دهنه بعصفهنه
تركت بهاتيک المروج زلازلا من وقعهنه
تلك الخمائل ما رأت حرا يثور لحفظهنه
الكل فى نظر الحقيقه مهملون لشانهنه
و الكل قد تركوا البلاد محاطه ببلائهنه
للناقرات على الدفوف يجدن فى نقراتهنه
للضارين بأرجل وجه الثرى هوسا و جنه

يا للبلاد فكم تبت مفاسد بربوعهه
و لكم يراح و يفتدى فى كل مهزله لهنه
كشف الستار عن الأولى يتسابقون لنهيهه
جشع النفوس يثيرها للعب فى أوضاعهه
و خمول أشباه الرجال عن القيام بحقهه
ترك المجال لمن يروم وقيعه بكبانهه
أين الهداه و هل لهم من جوله بمجالهه
أين الشباب و ما هنالك يقظه بشبابهه
اليوم يومك يا رعا فكللى برجالهه
تلك الوعود فهرولى و خذى الحى لحربهه
ستضىء أنوار الصباح بهيه بجهاتهه
و تزيل كل دجنه سوداء عن أبصارهه
و ترى البلاد دليلها يمشى بها لحياتهه

ما رمت أقصد واحدا بمقاتلى من أهله

إن البلاد و أهلها مثل الخمول بارضه

فوضى تسود على الشئون جميعها بجميعه

وقال:

سائل الناس فى الجنوب علام سودوا بالعيوب وجه الجنوب

أضرموا نارها بكل مكان و أتى الغر يرمى باللهيب

ثم جاءوا و هم يقولون إنا قد ملأنا الدنا بنفح الطيوب

أيها القوم إنكم لأناس نهض العيب فيكم للمعيب

إنما الناس كالنبات فهذا طيب طعمه و ذلك مر

و كذا الناس فى الحقيقه هذا عبد قوم و ذاك فى القوم حر

إن تخفيت فى صفاتك يوما سوف يبدو لثاقب الفكر سر

ليس يزرى بصاحب الفضل زور لا و لا يبلغ الكرامه غر

قد عدونا على الطريق جميعا كلنا نبتغى بلوغ الأمانى

و انتهينا إلى الحمى و أخذنا نتجارى بحلبه الميدان

ثم عدنا و فاز هذا و هذا لم ينل غير صفقه الخسران

و أرى الكل فى الربوع سواء ذاك عيب فى كفه الميزان

نحن أولى بان نكون مثالا فائق الوصف فى بديع المعانى

نحن أولى بان نبت أريجا من زهور الهدى بكل مكان

نحن أولى بان تنظم فينا ألسن المدح رائعات البيان

نحن أولى بكل هذا فهذا أثر الدين فى بنى الإنسان

إن فى عالم النفوس نفوسا كالدجى وحشه و كالنتن ريحا
لم يكن للجميل فيها محل قد أبت أن تحل إلا القبيحا
أنهكت روحها القبائح حتى لم تبق لها و عينيك روحا
فى مطاوى اللثيم نار تلظى ليس تبقى مهشما و صحيحا
كم ترائى. و لا يفيد رياء هتك الستر عن خفايا المرائى
ميت أنت فى الحقيقه لكن بقيت فيك صوره الأحياء
يسطع النور فى الظلام و يبدو ما تخفى بحالك الظلماء
يا مقيم البناء فوق رماد سوف تنهار شامخات البناء
أنت فى ثروه الاباء غنى قد تجملت بالصفات الرضيه
و هو فى ثروه النقود فقير دنس الروح بالأموال الدنيه
يا أخا اللؤم و النوايا مطايا سوف ترميك بالمهاوى الخفيه
ظهرت منك للعيان مطاوى سوف تطويك طيه بعد طيه
لا تسلى فكم يثير سؤال فى محانى الأريب نار الأذيه
همج أقلقوا البلاد و زاحوا كيف شاء العمى لكل دنيه
يا عصى الرعاع و عرك أضحى مصدر الفضل للأكف قويه
لا تشاء الرعاع إلا شذوذا و انبعاثا بحالك الهمجيه
هذه نهضه البيان و هذا أثر الفن فى وجوه الطروس
يا يراع البيان منك عرفنا كامنات تغلغت بالنفوس
إن يوما به ولدت عبوس ليته لم يكن بيوم عبوس
قد حسبتاك بالسعود محاطا فإذا أنت بالنحوس مفعم

الشيخ خليل ياسين ابن الشيخ إبراهيم

ولد في بلدة العباسيه (جبل عامل) سنة ١٣٢٨ و توفي سنة ١٤٠٥. تعلم على والده القراءه و الكتابه و قرأ القرآن. ثم درس على الشيخ حسين مغنيه في بلدة طير دبا حتى بلغ كتاب (اللمعه) ثم سافر سنة ١٣٥٣ إلى النجف فتابع هناك دراسته على علمائها ثم عاد إلى جبل عامل سنة ١٣٦٥ و اقام في بلدة العباسيه إلى ان عين في القضاء الشرعى قاضيا ثم مستشارا في المحكمه العليا له من المؤلفات المطبوعه: إثبات الصانع، حل مشكلات القرآن، محمد في نظر علماء الغرب، الامام علي عداله و رساله.

و له من غير المطبوع: المفردات الاجنبيه في اللغة العربيه، شرح الكفايه، رساله في العلم الاجمالي، شرح على طهاره العروه الوثقى و غير ذلك.

و له ديوان شعر مخطوط، منه غير ما نشر في ترجمته:

أرسل لوالده جوابا على رساله منه:

تقول سوى العلياء لا تتطلب وجد و كاس الصاب دونك فاشرب

و أوصيك لا تنفك ربك مرضيا فذاك و ايم الله أعظم مكسب

أجيبك سمعا و امتثالا و طاعه فلست سوى العلياء بالمتطلب

و لست ارى الا رضاك وسيله و إرضاء ربي في بلوغى ماربي

قال يعلق على قصيده لأحد اصدقائه المصابين بمرض السل سنة ١٣٦٦:

عواطف قد ضاق الفسيح بها صدرا فنظمها في السلك شاعرها شعرا

و لحن آلام الكئيب مغرد فنبه بالألحان عاطفه سكرى

و راح من الآلام يبعث زفره تلظى و أنفاسا رماها لنا حرى

و أرسلها من فيه عقدا منضدا كما صاغها من فيض فكرته درا

شكا الشاعر السل الذى اجتاح جسمه و طار به للشيب يستبق الدهرا

و ود " بان الموت يسرع نحوه و لكنه يأبى الدنو له حذرا "

شكا مستغيثا من زمان رمى به إلى غمره الأسقام فاستوقف الفكر

و ردها شكوى تعاضم وقدها بطى الحشا إذ راح يقذفها جمرا

و دوى بارجاء البسيطه من أسى نداء تعالى ليت فى مسمعى وقرا
فأجج نيرانا بشكواه يصطلى بها القلب و انهلت لها أدمع حمرا
لئن كان داء "السل" سلطان قوه غزاكم فرحتم منه فى سجنه أسرى
و بزكم الآمال فى ميعه الصبا يسومكم ضعفا و يوسعكم قسرا
و يذوى من الروض البهيج نديه و راحت عليكم منه آلامه ترى
و باتت أمانيكم لديه صريعه و صرتم بحال لم تطيقوا لها صبيرا
فهذى سلاطين النوائب جمه تهاجمنا لا نستطيع لها قهرا
أطلت على الدنيا فمدت رواقها و ها كل من تلقاه يشكو لك الدهرا
فما الدهر و الأيام إلا مصائب تعض على الأحرار فى سيرها جهرا
تراها إذا ما امتد طرفك حلقت عقابا فتلوى الجيد منقضه صقرا

على الروضه الغنا فتنهب ما بها و قد تخذت غض الغصون لها و كرا

رويدك ما الإنسان إلا بعزمه ينال به المجد المؤثّل و الفخرا

فان هو أولاه الذميم رمى به سحيقا و إلا كان مقعده الشعري

و ما هي إلا النفس إن أنت رضتها تجدها على الآفاق عباقه نشرا

و إن هي طارت بالكمال إلى الذرى فما ضرها الجسم الذى يجرع الصبرا

و قال فى السنه نفسها من قصيده:

حيدر صنو أحمد من براه ربه للأنام من لألائه

من إذا هجته تلفت حذرا منه شخص الزمان خوف لقائه

و إذا هجته ترنح شوقا للوغى و الردى بحد مضائه

نشر العلم و الفضيله طرا فى صلاح الزمان فى أبنائه

سائق البغى للدمار و حامى بيضه الدين من أكف عدائه

فارس الكون من كشبل على دوخ الدهر فى عظيم بلائه

مفردا و العراق أقبل سيلا من جيوش تسد ثغر فضائه

فثنى السبط منه عزم كفاح يرجف الأرض فى ربي صحرائه

و أثار الورى ضروسا فماجت بالنجيع المراق من خصمائه

طرفه الفلك و اللواء شراع و الحسام المجداف فى دأمائمه

صرخ السبط فى الضلال فدوى فى عمود الزمان رجع ندائه

موقف حير العقول و ألوى بنفوس تطيش من دهياؤه

بذل النفس و النفيس فماتت أمه البغى و اهتدى كل تائه

و سرى موكب الهدى مطمئنا يبسم النصر فى بياض سرائه

حادث أرجف البسيطة حزنا و ترامت مصائب من جرائه

غمر الناس منه فيض دماء و أطاش العقول في كربلائه

كبر الكون من أسي و تهاوت عنه أفلاكه إلى بطحائه

و قال و أرسلها إلى مرجع عصره السيد أبو الحسن الاصفهاني في النجف الأشرف:

يا دره الدنيا التي أم العلى عقدتك فوق جبينها إكليلا

ما ذا أقول بمدح ذاتك اننى لا أستطيع لمدحها تفصيلا

يا واحد الدنيا و من إفضاله تركته فوق النيرين نزيلا

يا من بكل فضيله هو احمد للشرع اضحى حاميا و كفيلا

و لانت قطب رحى المعارف و الهدى و أحق من فى ذا الورى تفضيلا

و قال و هو فى النجف الأشرف راثيا الشيخ حسين مغنيه سنه ١٣٥٩ و أرسلها إلى جبل عامل:

جبت لعامله المنون سناما فطوت و لكن مجدها البساما

و هوت حصون العلم لما ان هوى عنها (الحسين) دعامه و قواما

يا واحد الدنيا طوتك ملمه فطوت بك الآمال و الأحلاما

ما ذا أقول مؤبنا أ فلسنت من خضع الزمان لقدره إعظاما

و علوت آفاق العلا حتى علت قدماك من هذا الزمان الهاما

حتى إذا مد الردى لك كفه فرمى من الدين الحنيف دعاما

و هوى صريعا شرع طه حينما صرف الزمان سقاك منه الجاما

و اطار قلب المكرمات أسي و قد ترك الدموع دما عليك سجاما

و انهار صرح العلم بعدك و انطفى مصباحه فغدا النهار ظلاما

يا مخرس الفصحاء أعظم حسره فى النفس انك لا تطيق كلاما

كنا برشدك نستضيء إلى الهدى مذ كنت فينا سيدا و إماما
رحماك قد حل المصاب و أصبحت قطع الاسى فوق النفوس ركاما
خطب له في قطر "عامل" صرخه هز "العراق" دويها "و الشاما"
خطب دهى النجف الشريف و راح فى أقطار يعرب يبعث الآلاما
ابكى بك الدين الحنيف و انما ابكى الابا و الحزم و الاقداما
عجبا لشخصك كيف غيبه الثرى أم كيف يلثم ثغرك البساما
أفلس من بلغ السماء بشاوه حتى وطات من السماك الهاما
واروك لكن فى القلوب انما واروا بك الايمان و الاسلاما
و قال يرثى الحسين (ع) من قصيده:

بأبى الألى فى الغاضريه صرعوا و قضوا حقوقا للعلى و ديونا
بأبى الألى باعوا النفوس و ارخصوا من سعرها دون الحسين ثمينا
بذلوا نفوسهم لديه و انما كل غدا فى بذلها مفتونا
فغدا ابن حيدر و حيدا لم يجد الا الصوارم و السنان معينا
و تدفقت كالسيل آل اميه كى تشفين من الحسين ضغونا
و عدوا عليه فغاص فى أوساطهم فردا و أوقدها هناك زبونا
و اثارها حربا و أدمى منهم قلبا و لف على اليسار يمينا
فبكفه ذات الفقار قد اغتدى فى حده الموت الزؤام كمينا
و أدار أرحيه الطعان و هزها حربا و حكم فى الرقاب منونا
مستنصرا بهم فلم ير ناصرا إلا الحسام و صحبه السبعينا
فسطا بفتيته الكماه و أوقدوا حربا على أهل الضلال زبونا

صيد نضوا بيض الخدود فضرجوا بدم الطلى للمرهفات جيينا
و عدت خيولهم فخيم قسطل فعدا لهم يوم الكفاح عرينا
شرعوا العوامل و هى ظاميه الحشا فهوت على مهج العداه منونا
حتى إذا حكم القضاء ترجلوا للموت: ثم مضرجا و طعينا
حقنت دم الكفار آل اميه و دم ابن طه لم يكن محقونا
مثل الحسين يرى شريدا خائفا و يزيد ينعم فى القصور أمينا
و أنت عقيله خدرها ابنه فاطم تبكى أخاها لوعه و شجوننا
و شكت فقطعت القلوب و للاسى وقع يهز الراسيات حيننا
أ أخى يا أملى و معتصمى و من قد كان خدرى فى حماه مصونا
غادرتنا و ذهب عنا نائيا من ذا إذا بعد النوى يحميننا
و رنت إلى نحو الغرى بطرفها و الزرء فت فؤادها المحزوننا
و دعت أباهما المرتضى و استنجدت فيه فأعطت للصخور اللينا
يا ليت شخصك حاضر ما بيننا لترى بنا تكك للسباء ولينا
فسروا بنا فوق المطايا حسرا نطوى سهولا فى الفلا و حزوننا
ان نبك من ذل السبا قرعوا لنا رأسا و ان نشك العنا نهرونا
الله ما فعلته آل أميه فى الطف كل رزيه ينسيننا
خطب له السبع الطباق تجاوبت حزنا و أدمى للسماء عيوننا
يا وقعه هدمت مشيدا للهدى و غدت سهام فصالها ترمينا
و مضت تسير مع الزمان كأنما اضحى صداها للزمان قرينا
ذكرى نجددها اسى و نقلها دمعا و تبقى أعصرا و قرونا

وقال في أمير المؤمنين (ع):

ص: ٤١

يا صب حنانك لا تجر رحماك فطرفي في سهر
يا من أخلصت له في الحب علام هجرت و لم تزر
أقسمت يا غيد ذى غنج يصطاد بطرف منكسر
و بمعقد تاج عسجده من فوق محيا كالقمر
انى أهواه على سقمى و اهيم به طول العمر
يا زهو النفس و بغيتها و مؤمل قلبى المستعر
صل صبا كابد فيك جوى ثم اعدل فيه و لا تجر
أ يلىق بمثلى ان يبقى قلقا و بدمع منهمر
و تعود و قلبك فى جذل ريانا كالغصن النضر
فلئن أسرفت بهجر ك لى و تركت فؤادى فى سعر
فحب على قد غنى لى عود الأانس بلا وتر
مولى الثقلين أبو الحسنين و دنيا الفخر لمفتخر
كشاف الكرب عن الهادى بمواقف تذهب بالفكر
بدر، أحد تتلو الأحزاب و خير ربات العبر
علم الإسلام بيمناه فى الحرب يرفرف بالظفر
من أحيا العدل و أفنى الجهل بحد مهنده الذكر
من قال سلونى ما شئت من كل عصب مستتر
فى الصدر هنا علم جم للناس فهل من مدكر
من بات وحيدا مفتديا طه بالنفس من الخطر
بمزايافيه قد ازدحمت حدث من شئت من البشر

ردد بالمدح له ذكرا و اثر ما اسطعت من الدرر

بسمو الذات علا هام العلياء و طال على القمر

بحماك أبا حسن قد لذت و جئتك في كف صفر

فاعطف مولاي على عبد لجزيل نوالك مفتقر

و أغثنى يا كهف اللاجى من نار ترمى بالشرر

أ فلست على الحوض الساقى من منهل كوثر ك النمر

أم لست قسيم النار غدا فتقول خذى هذا و ذرى

و اجعل محياى بمقعد صدق عند مليك مقتدر

و اقبل ما استيسر من مدحى لعلاك بنظم مبتكر

ديبر، ميرزا سلامت على ع

ولد فى دهلى سنة ١٢١٨ و توفى فى لکنو سنة ١٢٩٢.

عرف بلقبه (ديبر) و لم يشتهر بغيره لذلك ترجمناه فى حرف الدال. هو بين الشعراء الهنود شاعر المراثى الحسينيه، و هى المظهر الفريد لشعره، بلغ فيها أعلى المراتب، و بلغت على يده ذروتها، و كان يجيد العربية و الفارسيه.

يتميز شعره برصانته، و بصياغته الصياغه العاليه، فهى صياغه صائغ [صائغ] مبتكر تطيعه اللغه و البيان كما يريد.

و كان أنيس و ديبر فرسى رهان فى عصرهما، و كان الناس فيهما منقسمين بينهما يتعصب لكل واحد منهما المتعصبون و يتحزب المتحزبون. و تدور المناقشات و تعقد الحلقات التى ينقسم فيها الناس بينهما، كل فريق يفضل شاعره على شاعر الفريق الآخر. و فى هذا التزاحم و التنافس برزت مراثيهما الحسينيه بروزا كبيرا، لقد عنيا بتصوير واقعه كربلاء و وصف بطوله شهدائها تصويرا و وصفا فى غايه الدقه مما أثرى الأدب بالشعر القصصى الحى. و يعبر عنهما أحد الكتاب قائلا: "يشغل مير أنيس و ميرزا ديبر مقاما فى طليعه شعراء المراثى فى كل عصر و مصر.

و مراثيهما الحسينيه شهيره مقدره بشتى مقاييس النقد و معتبره من أفضل القطع الأدبيه التى كتبت باللغه الأردويه".

(راجع ترجمه أنيس فى محلها من هذا الكتاب).

ديبس بن صدقه المزيدي.

مرت ترجمه مفصله فى المجلد السادس، له و لأسرته بنى مزيد. و مما لفت نظرنا ما قرأناه فى دائره المعارف الإسلاميه فى بحث (تفليس) أن محمود بن محمد السلجوقى (١١١٨ - ١١٣١ م) انفذ حملة على الكرج إغاثة لمسلمى تفليس.

و قد اشترك فى هذه الحملة كل من نجم الدين غازى الارتقى و ديبس بن صدقه المزيادى (كذا) (عرف باسم دربز Durbez فى أخبار الكرج) و أخو السلطان طغرل (صاحب أران و نقجوان) يصحبه اتابكه كنتفدى، و دخل هذا الجيش ثريال و منجلس فى الثامن عشر من أغسطس سنه ١١٢١ و لكنه منى بالهزيمة على يد داود و من معه من القفجاق.

و لما كانت النسخه العربيه من دائره المعارف مترجمه عن لغه اجنسيه فلم يفرق المترجمون بين (مزيدي) و (مزيادى)، لأن الكلمتين تكتبان فى الحروف اللاتينيه كتابه واحده على انه كان من المفروض ان يكون لدى المترجمين شىء من الإلمام بتاريخ بنى مزيد و ان يكونوا اطلعوا و لو قليلا- من الاطلاع على تاريخ هذه الدوله العربيه العريقه. و لكن تبين من ذكرهم لكلمه (مزيادى) انهم يجهلون كل الجهل انه كان فى تاريخ العرب كلمه (مزيد)، و النسبه إليها مزيدي.

على ان المهم فى هذا الموضوع هو ما ذكر فى الأصل من مساهمه ديبس بن صدقه فى الحملة السلجوقيه على تفليس

رجل من بنى ليث

حملت ميمنه أمير المؤمنين ع يوم الجمل على ميسره أهل البصره، فاقتتلوا و لاذ الناس بعائشه، أكثرهم ضبه و الأزدي، و كان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر، و يقال إلى أن زالت الشمس، ثم انهزموا، فنادى رجل من الأزدي: فروا، و استحر القتل بالأزد فنادوا: نحن على دين على بن أبى طالب، فقال رجل من بنى ليث:

سائل بنا يوم لقينا الأزد و الخيل تعدو أشقرا و وردا

لما قطعنا كبدهم و الزندا سحقا لهم فى رأيهم بعدا

(١)

ذو فقار الدوله نجف على

حين تولى الحكم فى دهلى (الهند) أورنك عالم كير محيى الدين سنه ١٠٦٩ حدث تطور خطير فقد هاجم هذا الملك بلاد الدكن و تغلب عليها بعد حروب داميه، و تظاهر بعداء الشيعه و أخرج علماءهم إلى البحرين و ايران و الحجاز، و هاجر بعض أمراء الدكن إلى دهلى و بلاد اخرى.

و مات أورنك زيب فى اورنك آباد و خلفه ابنه شاه عالم بهادر شاه سنه

١١١٩ و كان بهادر شاه على عكس أبيه شيعيا صريحا معلنا بالتشيع، فأمر بان يخطب فى المساجد يوم الجمعة بأسماء الأئمة الاثنى عشر.

و بعد زوال الضغط نشط الشيعة بالكتابة و التأليف رادين على من هاجمهم و طعن فى عقائدهم.

و كانت الدوله فى دهلى قد أصبحت فى نهايه عهودها و بدأت الانتفاضات عليها و الاستقلال عنها فى المناطق و الأطراف، كما قامت المشاحنات المذهبيه، و بدأت الانقلابات فى العاصمه نفسها، ففى كل يوم أمير جديد يتولى الحكم ثم ينتزع منه.

و من بين هذه الزعازع نهض ذو فقار الدوله نجف على، و كان بطلا صنديدا ذا شخصيه قويه فقضى على الفتن و أصلح الفساد و أعاد النظام و وحد البلاد و رد بعض الشيعة المشردين. و عاد إلى الشيعة اطمئنانهم لأن ذا فقار الدوله كان شيعيا ايرانى الأصل، و عاد التأليف و الكتابة فى الشيعة و إقامه الشعائر الحسينيه، و بقى من أثر ذلك العصر كتاب (كربل كتا) أى قصه كربلاء و هو الكتاب الذى يمكن القول أنه أثر أبعد الأثر فى تركيز اللغه الأردويه و إرساء قواعد آدابها و إيجاد نثرها الفنى.

و صاحب هذا الكتاب هو (ملا فضلى)، فضل على، و قد كان أدبيا متضلعا، ثم واعظا و خطيبا على المنابر الحسينيه، و إلى جانب ذلك كان ممن يجيدون الكتابه العربيه و الفارسيه، و هو ممن برزوا فى عصر الاطمئنان عصر ذو فقار الدوله نجف على.

و كتاب (كربل كتا) هو كتاب فى المجالس الحسينيه و فيما عرف باسم (المقتل) رتبه على اثنى عشر فصلا، و فى كل فصل مجالس، و كل مجلس يشتمل على موضوع خاص، و هى هكذا:

المجلس الأول يشتمل على ذكر وفاه النبى ص، و المجلس الثانى على وفاه الزهراء (ع) و الثالث على استشهاد أمير المؤمنين ع، و الرابع على شهاده الحسن ع و الخامس على شهاده مسلم بن عقيل، و السادس على شهاده أولاد مسلم بن عقيل، و السابع على شهاده القاسم بن الحسن ع، و التاسع على شهاده العباس بن على ع و العاشر على ذكر على الأكبر، و الحادى عشر على ذكر على الأصغر، و الثانى عشر على استشهاد الحسين ع و على الكتاب طابع واضح من كتاب روضه الشهداء لملا كاشفى الفارسى، و منهجه منهج الكاشفى.

و ملا فضلى صاحب الفضل المتقدم على سائر الكتاب، و منهجه أقدم منهج أدبى صناعى، ففيه السجع و المحاسن البديعيه و الكلمات و الآيات و الأحاديث العربيه، حتى أنه افتتح مجالسه بخطبه عربيه، و فى خلال الكلام يورد أشعارا من الأردويه و الفارسيه.

و انتشر الكتاب و صار يقرأ و يسمع فى الحسينيات و مجالس العزاء و اطرده ذكره و كان تاليفه سنه ١١٤٥ (١٧٣٣ م).

الشيخ راضى آل ياسين ابن الشيخ عبد الحسين

ولد فى الكاظميه سنه ١٣١٤ و توفى فى لبنان سنه ١٣٧٢ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فى مقبره جده.

هو سليل الأسره العلميه الشهيره و وارث علمها و أخلاقها و ورعها.

درس على أخيه الشيخ محمد رضا و الشيخ محمد كاظم الشيرازى و غيرهما، ثم استقر فى الكاظميه عالما جليلا و سيدا نبيلًا، و قد كنت خلال وجودى فى العراق القاه فى بيته فى الكاظميه فيما كان يسمى (بفضوه آل ياسين) فيروعى مجلسه بما كان يفيضه عليه من علم جم و خلق كريم و حديث ممتع، و بموته انطوت فى الكاظميه صفحه من أنقى صفحات العلم و الدين و التقى.

له من المؤلفات: ١ - أوج البلاغه، جمع فيه خطب الحسن و الحسين (ع).

٢ - تاريخ الكاظميه مجلد كبير، نشر بعضه فى مجله الإصلاح البغداديه.

٣ - صلح الحسن، مطبوع. و له شعر غير مجموع.

أصيب فى أواخر حياته بمرض عضال لم تفد فيه المعالجه فى العراق، فذهب إلى لبنان فتوفى هناك.

الحاج ميرزا رضى ذو النورى التبريزى ابن محمد حسن

ولد فى تبريز سنة ١٢٩٤ و توفى فى حدود سنة ١٣٧٧ فى قم.

درس فى تبريز و فى سنة ١٣١٧ هاجر إلى النجف الأشرف فحضر على الشرايىانى و الخراسانى و اليزدى و الأصفهانى، ثم عاد إلى تبريز فمكث فيها عدة سنين. ثم انتقل إلى مدينه قم فكان من مدرسيها و بقى فيها حتى وفاته.

له من المؤلفات: ١ - شرح و تعليقه على العروه الوثقى ٢ - الكنى و الألقاب ٣ - القضاء و الشهاده ٤ - شرح نجاه العباد ٥ - حاشيه على الإشارات.

الشيخ راغب حرب

ولد فى جبشيت (جبل عامل) و استشهد فيها سنة ١٤٠٥ عن واحد و ثلاثين عاما.

تلقى دراسته الابتدائيه فى جبشيت ثم تابع الدراسه المتوسطه فى النبطيه ثم انتقل إلى بيروت حيث كانت قد تكونت فى ضاحيتها (برج حمود) مدرسه تعد للدراسات الإسلاميه و فانتضى إليها و بعد سنوات هاجر إلى النجف الأشرف لمتابعه تلك الدراسات و استمر فى دراسته حتى بلغ طغيان النظام العراقى عنفوان تسلطه و أخذ بمطارده الأحرار فى كل مكان فأجبر على ترك النجف و العوده إلى جبل عامل. و كانت مدرسه برج حمود قد نمت و توسعت فى تدريسها فعاد إلى الانتماء إليها متابعًا دراسته الأصوليه و الفقهييه، عاملا فى الوقت نفسه على رعايه مجموعه من الشبان المؤمنين الواعين من خلال جلسات اسبوعيه معهم.

و فى سنة ١٩٧٥ م اختار قريه (الشرقيه) للعمل فيها، و كانت معروفه بأنها قريه صعبه، و لم يمض سنتان على عمله فى هذه القريه حتى تبدلت حالتها و استنارت بهدى الايمان و التقى.

و فى سنة ١٩٧٨ م انتقل إلى بلدته جبشيت و تولى أمور الرعايه الدينيه فيها و إقامه صلاه الجمع. و كان حريصا على توسيع اطار نشاطه الارشادى إلى القرى المجاوره، و قد ساعده على النجاح سمعته الطيبه و بساطته و صدقه.

و في جيشيت عاش واحدا من الناس قريبا منهم متواضعا عفيفا،

ص: ٤٣

و بالاضافه إلى نشاطه اليومي من صلاه الجماعه و تدريس الفقه و القرآن و التعليم في مدارس المنطقه، عمل على إنشاء المؤسسات، مضافا إلى المسجد الكبير الذي استشهد و هو قيد الإنشاء.

أنشا دارا للأيتام باسم "مبره السيده زينب" و نظرا للنجاح الكبير الذي أحرزته المبره قرر أن يوسع المشروع ليضم ثلاثه آلاف يتيم و يتيمه، و قد أنجز القسم الأول من هذا المشروع قبل أشهر من استشهاده.

و جاء الاجتياح الاسرائيلي للبنان سنه ١٩٨٢ م، فتصدى الشيخ راغب لهذا الاجتياح منذ أيامه الأولى، فأخذت صفوف صلاه الجمعه تتسع و الصحوه الإسلاميه تنتشر و العداه لاسرائيل يشتد، فأحس الأعداء بخطر الرجل المجاهد فحاولوا الاتصال به فرفض مقابله الضباط الاسرائيليين، و لما نقلوه إليهم رفض مصافحتهم.

شارك في المؤتمر الأول لأئمه الجمعه و الجماعه الذي عقد في طهران، ثم عاد إلى لبنان، و بعد عودته و استئناف نشاطه قرر الأعداء أن يضعوا حدا لهذا النشاط بعد أن يشسوا من تهديته، فاعتقلوه، و لكنهم فوجئوا بان هذا الاعتقال تحول إلى هياج عارم في جبل عامل و أصبح منعظفا في تاريخ الجهاد الإسلامى في محاربه إسرائيل. لذلك عاد الأعداء إلى إطلاقه، فعاد هو إلى نشاطه و قد زاده الاعتقال صلابه و تصميمًا، كما زاده حب الناس له و تعلقهم به إصرارا و ثقه بخطه.

و قبل حوالى شهر و نصف الشهر من تاريخ استشهاده شارك في مؤتمر جرائم النظام العراقى الذي عقد في طهران، ثم عاد إلى (جبشيت) ملؤه الحماسه و الايمان، صامدا في وجه الجبروت و الطغيان، فلم يعد الأعداء يطيقون وجوده الذي تحول إلى صاعق فجر كل شىء من حولهم، فاغتالوه و مضى إلى جوار ربه مضرجا بدماء الشهاده، مكفنا بكفن البطوله.

الحاج آقا رحيم أرباب

ولد سنه ١٢٩٩ في أصفهان و توفي فيها سنه ١٣٩٦.

درس في أصفهان ثم في النجف على الشيخ محمد حسين النائيني و شيخ الشريعه الأصفهاني و الشيخ ضياء الدين العراقى و غيرهم. و فى سنه ١٣٧٣ سافر إلى (مشهد) لزياره الرضاع فطلب الناس إليه هناك أن يستقر في المشهد فأجاب طلبهم، ثم عاد إلى مدينته أصفهان فكان من كبار مراجعها حتى وفاته.

له شرح على العروه الوثقى و رسائل في فروع الدين و العبادات و الحكمه و الكلام.

السيد سبط الحسن الجائسى

مرت ترجمته في الصفحه ١٨٣ من المجلد السابع و نزيد عليها هنا ما يلي:

ولد سنه ١٢٩٦.

من أفاضل علماء الهند و من المراجع فيها، درس هناك على السيد محمد باقر اللكهنوى و السيد نجم الحسن و غيرهما. ثم تولى التدريس و برز في الخطابه.

هو عصامي من الأفاضل الذين انجبتهم النجف، ففي أول نشاته درس كما يدرس كل الفتيان النابهين في النجف علوم اللغة العربية، ثم انضم وهو فتى يافع إلى صفوف الثائرين على الحكم الاستعماري الانكليزي واضطر للتخفي ثم للفرار خارج العراق خوف بطش الإنكليز بعد انتصارهم على الثوار العراقيين. ولما أعلن العفو العام أثر قيام الحكم الوطني عاد إلى العراق والتحق بدار المعلمين ثم بكلية الحقوق، وبعد تخرجه منها تنقل بين المحاماه وبعض الوظائف الاداريه إلى أن عين (متصرفاً) وهو أعلى منصب اداري، فكان حيث حل يرتفع بالوضعين الاجتماعى و العمرانى إلى ما يمكن من درجات الارتفاع. ثم تخلى عن الأعمال الاداريه و دخل المعترك السياسى و انتخب نائباً فى المجلس النيابى، فكان فتحاً جديداً فى هذا المجلس بمعارضته و خطبه الفريده التى لم يعهد مثلها المجلس من قبل إذ كان سعد أدبياً موهوباً و خطيباً مفوهاً قبل أن يكون سياسياً ناجحاً و بدأت من ذلك الوقت تتكون زعامته الشعبيه. و لما اضطرت السلطات الحاكمة فى العراق إلى استرضاء الشعب لم تجد وسيلة سوى استدعاء سعد صالح لتولى الحكم، فاشترط لذلك اطلاق الحريات و فى طليعتها تشكيل الأحزاب السياسيه بعد أن كان تشكيلها ممنوعاً، و أصر على شروطه فنزلت السلطات على تلك الشروط فأبيح تشكيل الأحزاب لأول مره بعد المنع الطويل، فأسس مع اخوان له حزب الأحرار، و تولى هو وزاره الداخليه التى هى فى كل الوزارات عصب الحكم. و لكن السلطات ضاقت به ذرعا بعد أن سار فى تحقيق الحكم الشعبى أشواطاً بعيدة، فأخذت تضع فى طريقه العراقيل فاستقال من الحكم، و قاد المعارضة داخل المجلس و خارجه، فكانت مقالاته فى جريده الحزب نصوصاً من أروع نصوص الأدب العربى السياسى. و فجاه تسلط عليه مرض عضال أعيا أطباء العراق، فقصد أطباء أوروبا فعجزوا عن معالجته فعاد إلى العراق و قد أخذ يذوى يوماً بعد يوم حتى انتقل إلى رحمه الله سنة ١٩٤٨ م، و هو فى عنفوان نضوجه و تالق زعامته.

الدكتور سعيد نفيسى ابن على أكبر

ولد سنة ١٣١٤ و توفى سنة ١٣٨٦ فى طهران.

من كبار الباحثين المؤرخين الايرانيين. أتم دراسته فى ايران ثم أكمل تخصصه فى أوروبا، و لما عاد إلى طهران تولى تدريس الأدب و التاريخ فى جامعه طهران. و فى سنة ١٣٤٩ أصدر فى طهران مجله الشرق بالفارسيه فنشر فيها المقالات العلميه و الأدبيه و الدراسات التاريخيه و من مؤلفاته: ١ - آخرين يادگار نادر ٢ - أحوال و أشعار رودكى طبع منه مجلدان ٣ - أحوال و أشعار خواجوى كرمانى ٤ - أحوال و أشعار أفضل الدين كرمانى ٥ - شرح حال خيام ٦ - شيخ زاهد كيلانى ٧ - قابس و [] قابوس نامه ٨ - يزدگرد سوم ٩ - فرنگيس و فرهنگ فرانسى ١٠ - تاريخچه ادبيات ايران ١١ - جستجو در أحوال و آثار شيخ فريد الدين عطار. و غير ذلك. و قد صدرت مجموعه من كتبه فى الاتحاد السوفياتى باللغة الروسيه. و إضافه إلى مؤلفاته المتقدمه فان له كتاب (تاريخ الأدب الروسى) باللغة الفارسيه، و كان عضواً فى أكاديميه العلوم فى ايران. و اقتنى مكتبه يزيد ما فيها على عشرين ألف مجلد بينها أكثر من ألفى مجلد من المخطوطات.

الدكتور سليم حيدر ابن نجيب

ولد في بعلبك سنة ١٩١١ م و توفي سنة ١٩٨٠ م في بيروت و دفن في بعلبك

ص: ٤٤

تلقي الدراسة الابتدائية في بعلبك و الثانويه في مدرسه الجامعه الوطنيه في عاليه و أنهاها في الكليه العلمانيه في بيروت. سافر إلى باريس سنه ١٩٣١ و التحق بجامعة الصوروبون فنال شهاده دكتوراه الدوله في الحقوق و شهاده الليسانس في الآداب و شهاده الليسانس في قانون العقوبات من معهد العلوم الجزائيه.

ثم عاد إلى لبنان سنه ١٩٣٧ و في العام التالي عين في القضاء اللبناني فظل فيه متنقلا في عدّه وظائف ما بين و كان آخرها وظيفه نائب عام.

و في سنه ١٩٤٦ عين وزيرا مفوضا في ايران فتعلم هناك اللغه الفارسيه و في العام ١٩٥٢ عين وزيرا للتربيه و الصحه و العمل و الشؤون الاجتماعيه، ثم انتخب نائبا عن منطقه بعلبك - الهرمل سنه ١٩٥٣ و في سنه ١٩٥٤ عين وزيرا للزراعه و البريد و البرق و الهاتف، و في سنه ١٩٥٨ عين سفيرا في المملكه المغربيه. و في سنه ١٩٦٣ عين سفيرا لدى الاتحاد السوفياتي، و في سنه ١٩٦٨ انتخب نائبا عن منطقه بعلبك - الهرمل. ثم عمل فتره في المحاماه إلى أن أصيب بمرض القلب فأقعدته ذلك عن العمل حتى توفاه الله.

كان شاعرا كاتبا خطيبا، طبعت بعض مجموعاته الشعريه في حياته، و ظل بعضها مخطوطا و هو يعد الآن للطبع. فمن المطبوع: ١ - آفاق، طبعت سنه ١٩٤٩ ٢ - ألسنه الزمن، طبعت سنه ١٩٥١ ٣ - يا نافخ الثوره البيضاء، طبعت سنه ١٩٧٠ ٤ - العدالة أما غير المطبوع فهو: ٤ - أشواق ٥ - إشراق ٦ - الخليقه ٧ - ألحان ٨ - ألوان ٩ - لبنان ١٠ - أشجان.

أما في النثر فقد طبع له: (آراء و مواقف سياسيه). أما غير المطبوع فهو محاضرات ألقى في عدّه ندوات. و دراسات في الأدب و الشعر باللغتين العربيه و الفرنسيه، و مقالات ادبيه و سياسيه في الجرائد و المجلات.

شعره

قال عند ما استقال من القضاء لينتقل إلى السلك الدبلوماسي من قصيده جعل عنوانها: (العداله):

عشقناها، و ان كانت عذابا و أى مثاله ليست غلابا

تباعد وصلها حتى تدانى كانا قاصدون بها سرا

مقنعه المظاهر، مبتغاه لجوهرها، تطاول أن تحابي

لها عين مصوبه، نفاذ إذا حدجت فرند السيف ذابا

عشقناها، فما تبعت هوانا و لا حسبت لما تلقى حسابا

و أعطت من تشاء على هواها و لم تائف لعمرك ان تعابا

فلا حجبت عن الأعجام بابا و لا فتحت على الأعراب بابا

و شان النور للساين هدى إذا حم الدجى موجا عبا

عشقناها ممرده خلوقا ترى الأطماع زائله، هبا

فتاه حلوه عفا و ضاء طوالا بضه لدنا كعبا

محصفه محكمه جنانا ممنعه ممتعه شبا

مبلوره كاطياف الأمانى يسوق الخيرون لها الرغبا!

سل القاضى الوقور و ما يعانى بعصمتها فقد ذاق الصعبا

و لا عجب إذا تاهت دلالا و أرخت فوق طلعتها الحجا

فكنيتها العدالة، لا تبالى عروس الحق تشرع النصبا!

سل القاضى الذى عانى هواها و سدد فى رعايتها الحرا

و ذوب نفسه فيها و لاقى على و خز الشكوك أسى عجا

و سخر عقله كدحا و صبرا ليكشف عن مرامها النقا

و أقطعها فؤادا عج فيه دم أزكى، بحرمتها، و طبا

و أصلت فى إطاعتها ضميرا على حد الصراط مشى و ثبا

و فرد فى عبادتها حياه فعق الأهل و اعتزل الصحبا

سل القاضى الكنوم لما يلاقى أ عذبا ما يلاقى أم عذبا؟..

و هل خلجت بصيرته لكسب و هل شربت على جاه شرابا؟

و هل نزعت مطامحه، كراما لاكثر من كرامته ثوبا؟

عشقناها و إن كانت شقاء فان الله أنزلها كتابا!..

عروس الحق، لا يغرك بعدى فلا ساما تركت و لا ارتبا

و لا طمعا بغيرك فى المعالى و لا مستمطرا سحبا خلا

و لكنى دعيت إلى جهاد و مثلى من إذا نودى أجابا!

بلادى، يحلم الخلد ابتهاالا لو ان له بدوحتها شعابا

على الأزل السحيق بدت ملاذا و تبقى فى هوى البقيا مثابا

إذا عزف الهوى لحن التأخى و حرك مهجه الكون اضطرابا

و حالت قسوه الإنسان لينا و أخفض جانبنا فعلا جنابا

و بدد بارق الحسنى طماعا تلبد فى سما العقبى سحابا

عروس الحق ليس البعد هجرا و إن طوفت فى الدنيا اغترابا

سيبقى الحق إيمانى، صراحا أروض به مبادئ الصلابا

فقد جهل السياسه من يراها مراوغه و أسلوبا كذابا

وداعا أيها القصر المفدى تراحم أدمعى، و الخلق يأبى

و فى نفسى خيالات لماض تهيل على ربي عمرى ضبابا

تذكرنى أويقات عذابا سلافه عمرى الماضى ذهابا

و ما الماضى سوى كاس دهاق طففت من فوقها الذكرى حبابا!

وداعا، قصر عدل، كنت فيه أحاول، ما استطعت، به اعتصابا

أرى الأقدار تطرحنى سؤالا و آمل أن أسوق لها جوابا!

و قال من قصيده طويله سنه ١٩٧٥ حينما اندلعت أحداث لبنان:

لبنان، هل زعزع الايمان كفران أم روضه الأنس قد حلت بها الجان؟

ما أبشع الشر إذ تشرى غرائزه لا العقل عقل و لا الوجدان وجدان!

الحقد و الغدر، من ذرى ترابهما فالطييون أولى الأبصار عميان

و الدين، من شاده سورا يفرقنا و نحن فى شرعه الدينين إخوان

كنا، إذا قيل من لبنان، يطربنا تجاوب فى الذرى: الحب لبنان
و اليوم لبنان - ويل للأولى خفروا - كأنه من حياض البغض ريان!..

ص: ٤٥

يا موطننا حسدته، فى تطلعه إلى تلمس وجه الله، أوطان

على ذراه ابتهاج، و السهول رضى و فى السفوح الجنى المعطاء عنوان

ما ذا يعكر صفو العيش فى حرم خدامه لسوى الديان ما دانوا؟..

تكاد تنتحر الذكري و تغمره و يحتويه من التاريخ نسيان

تكاد تنتحر الذكري و قد عصفت بنا الشرور، و غشى الحق بهتان

من يرجم المشعل الوهاج، فى غضب من الرياح، و للديجور طغيان

لبنان، إن لم تكن روحا فقد دثرت ماذن و نواقيس و صلبان

همس الملائك لا يهمنى على بشر إن كان فى الأنفس الدكناء شيطان!

تمهر الحرف لا معنى و لا شرف و اغتيل فيه الحجى، و انحاز برهان

كأنه قدح من شاء يملؤه بما يشاء... و ساقى الماء عطشان!

إذا الرصاص تعالى و القلوب قلى فليس إلا لقول الزور سلطان!

تشعب الأمر فى الغايات، و اختلطت أسبابه، و نفى التبيان تبيان

هيهات يجرى حوار، و النفوس لظى و فى الطويات أرجاس و أدران!

ما كل نطق بيان، رب سفسطه يبين فيها خلال الجهر كتمان

لبنان ماساتك الكبرى مثلته: الدافعون الأذى هم أصله كانوا

و الحاكمون الأولى ترجى شفاعتهم هم الذين لهم فى الشر إدمان

و الشعب - ما العروه الوثقى إذا انفرطت؟ - أ لشعب من كثره الذؤبان قطعان!

و كيف يرتدع الاجرام فى بلد و المستحق ظلام السجن سجان؟..

لبنان، يا كيد إسرائيل متزنا و يا هناها إذا ما اختل ميزان

و العرب لا رائد يزجى صفوفهم توزعتهم قيادات و أشجان

تضافروا فانتشى تشرين منتصرا و هادنوا، فاستردت أهلها الحان
و راح سينا يطوى الحرب منفردا و فرق العرب سينا و جولان!..
لبنان، مهما أضاع الحرف قبلته يبقى به من أريج الروح ريحان
سكبت فى أحرفى روحى، و أطلقها حزينه، و الرؤى غيم و دخان
و للرصا ص أزيز، و الأنين صدى موت بطىء، و للأشباح إرنان...
و قال:

قولى أحبك، لا تملى فالصمت عنوان التخلى

قد قلتها و أعدتها لكنها لم تشف غلى!

لى فى سماعك نشوه الصوفى فى غمر التجلى

و لكل بوح لذه بكر كفجر مستهل!

قولى أحبك! نغميها فى فؤادى المضمحل

فالحب فى كبت العواطف زهره من غير طل

أنا ظامئ مهما نهلت فاترعى الأكواب، على...
عل الحياه بكربها تصفو لنا حتى التملى

لى فى سماعك نشوه قولى أحبك، لا تملى!...

و قال من قصيده طويله بعنوان: الثوره السوداء، و قدم لها بما يلى:

عاشرت الزوج رفيقا و صديقا و زميلا و مخدوما. و فى كتب الدراسه و فى مطالعاتى الواسعه، كم قرأت عن تاريخ بلادهم و
استعمار البيض لها و اضطهاد شعوبها تحت ستار التمدين، و فى السنوات العشرين الأخيره، كم أعجبت بجهاد الافارقه من أجل
استقلالهم، و بالبطولات الحربيه و الفكرية التى كرسست هذا الاستقلال:

عبثا فتشت، ملء الدين و الدنيا و عمر الكون، عن لون سواه

عبثا بالماء، بالصابون، بالثلج المفضض

بالدعاء الواله العرييد، بالنجوى المريره

بالتعاويد القديره...

لم أجد ما يجعل الأسود أبيض

هو لوني، لوني الأعمى، و لا يجلى عماه!

أنا أسود

لفنى الليل بجلباب الدجى

ص: ٤٤

و تفشى فى إهابى و سجا

و تمرد

كل جسمى، ما عدا كفى، فحم يلمع

و السنى الأسود فى عينى برق يسطع

و الحجى

فى الأحاجى و الدياتجى يسكع

أنا فى الهوه أهوى أبدا تحت الخطايا

واصلا آلام ناسوتى بالأم البرايا

ضاربا كالقدر الخفاش أضلاع الخفايا

فى ظلام الظلم، فى ليل النهار الجهر، فى المأساه قلبى يتنهذ

راعش الخفق، عنيا، مشربا يتوعد

صارخا فى دغش الصمت المعمى: أنا أسود!..

أسود اللون أنا، و الحظ و التاريخ، عبد

من ترى قد صنع التاريخ بهتانا و زورا

من ترى قد صنف الحظ قصورا و قبورا

و هناء مستطابا و عذابا مستطيرا

و جسوما فى مهاوى الطمع الجانى جسورا

من ترى قد صنع التاريخ إقطاعا عليه الحظ جند؟..

تلك أيد خنقت روح المفاهيم، الضمير!!،

قيل لى - قيل لنا، للسود - قول ماكر التزوير، و غد:

فى حنايا الغرفه السوداء، حيث المبتدا

حيث لا شىء يضىء

صنعت جدى لما أسودا

يد عات... و انتضت من صدره

ضلعا سوداء صباغتها وفاقا

زوجه مشبويه الحس هوت فى خدره

تلحق الذل جناسا و طباقا

و استكان الكون... و الزنج يضجون باصفاد، رقاقا!

هكذا قيل، و قيل العكس، ما لى أ توجد؟

علتى أنى كالزله أسود:

قبلتنى الشمس اجيالا و اجيالا طوالا

قلبتنى فوق مشوى الاستواء

غلغلت - ألسنه زرقا - بعزى و إبائى

فحمت جلدى، عضتنى بشعرى فتجعد

أترعت نفسى كالالا..

أ هو ليل، أ هو شمس

مولدى؟.. ما الفرق، و الطالع نحس؟

انا منذ الدهر فى سجن مؤبد

أزلى ثوبى الغييب فى المحنه سرمد

مات بى الإنسان فى النسيان، فى الذل المعبد

مات أو كاد، و أمضى

و السنى يرفض رفضى

أسود الطلعه فى رآد الضحى و الليل... أسود!

أنا أسود...

أى معنى هذه الألوان تعنى؟

أنا إنسان بخلقى و بروحى و بقدرى و بوزنى

لن تجدد

فتح العينين، يا أبيض، وجدانى تفتح

طال نومى، طال عمر الظلم فى الدهر المرشح

لست من كنعان، لا أرضى بهذا الانتساب

إن أصل الجمر من لون إهابى

نسبى أنى إنسان، فان شئت... و إلا

فالدّم القانى يروى الليل فجرا مستهلا

أنا من نمرود!... منذ الآن من نمرود، صياد المخاطر

هيه يا أبيض انى لك ناظر

إن أسنانى بيض

و طويل حقدى المكبوت فى الدهر، عريض

هيه يا أبيض، أقبل فى عتادك

نشعل الدنيا بفحمى و بدرى من زنادك!

الشيخ سليمان آل عبد الجبار ابن الشيخ احمد.

توفى سنة ١٢٦٦ من علماء القطيف و كان له مقلدون فى البحرين و عمان، و تلمذ عليه جماعه من فضلاء القطيف. ثم انتقل من القطيف و سكن بلاد عمان.

له من المؤلفات: النجوم الزاهره فى أحكام العتره الطاهره شرح على اللمعه لم يكمله، شرح على الباب الحادى عشر. شرح على الفصول النصيريه. شرح على الشمسيه فى المنطق. شرح على تهذيب المنطق للتفتازانى. شرح على كتاب إيساغوجى. منظومه فى المنطق. و غير ذلك. و كلها مخطوطه.

سودا ميرزا محمد رفيع

ترجمناه فى حرف السين لأن (سودا) هو اللقب الذى اشتهر به و لا يعرف بغيره.

ولد فى دهلى (الهند) سنة ١١٢٥ و توفى بلكهنو سنة ١١٩٥ من أكبر شعراء الهند و هو عديم النظير فى القصيده، و أكثر قصائده فى مدح الأئمه و قصيدته اللاميه فى مدح أمير المؤمنين ع و اليائه فى مدح الحسين ع بلغتا أقصى حدود الشهره. و إذا كان الشاعر (مير) سيد المتغزلين بين شعراء الهند فان (سودا) سيد شعراء القصيد غير المنازع، و يشبه غزله الغزل الفارسى، و له فى الرثاء الحسينى منهج خاص و أسلوب بديع.

و كلياته مطبوعه و فيها جميع أصناف الشعر.

شده بنت كمال الدين عمر بن العديم العقيلى:

قال اليافعى فى الجزء الرابع من كتابه (مرآه الزمان) و هو يتحدث عن

وفيات سنة تسع و سبع مائه:

فيها ماتت بحلب المعمره شهده بنت الصاحب كمال الدين عمر بن العديم العقيلي. ولدت يوم عاشوراء لها حضور و إجازة من جماعه من الشيوخ و كانت تكتب و تحفظ أشياء و تزهد و تتعبد و ذكر الذهبي أنه ممن سمع منها.

(راجع ترجمه عمر بن العديم فى الصفحه ٣٧٧ من المجلد الثامن).

الدكتور صادق رضازاده شفق

ولد فى مدينه تبريز سنه ١٣١٤ و توفى سنه ١٣٩١ فى طهران و دفن فيها.

اتخذ كلمه (شفق) لقباً له بعد أن أصدر فى صباه (أى فى سن الرابعه عشره من عمره) جريدته التى أطلق عليها اسم (شفق) فى مسقط رأسه تبريز لمدته من الزمن.

التحق فى تبريز بالمدرسه الابتدائيه الأمريكيه المسماه (برورش) و تخرج منها بعد أن أتقن فيها اللغه الإنجليزیه بالاضافه إلى مبادئ العلوم و الآداب، و فى هذه المدرسه توثقت الصلات بينه و بين معلمه الأمريكى الشاب المدعو: (هوارد سكرويل) الذى أصبح مترجماً له فيما بعد، و قد أنشأ بمسانده معلمه هذا و بعض الأحرار من مواطنيه جمعيه فى تبريز و لها فروع فى سائر أنحاء آذربيجان تدعو إلى إنقاذ الوطن من يرثن الحكم الاستبدادى الغاشم عهدئذ فى إيران و حيث أنه كان معارضاً منذ صباه للسياسه القيصريه الروسيه فى إيران و كان ينتقد و يهاجم هذه السياسه بعنف و بلا هواده فقد أخذت السلطات القيصريه تطارده لا سيما بعد أن تغلغت جيوشها فى الأراضى الآذربايجانيه عام ١٣٣٠ هـ و كان عمره فيها ١٦ سنه، مما اضطره إلى الاختفاء لمدته ١٤ شهراً استطاع بعدها الهرب عبر الحدود الروسيه إلى الأراضى القفقازيه متنكراً بان أطلق لحيته و تزيى بزى رجل دين ذى عمه سوداء و لم يبق فى قفقازيه طويلاً- إذ تركها و سافر إلى إسلامبول عاصمه الامبراطوريه العثمانيه، و فيها التحق بكلية (برابرت كالج) الأمريكيه، و حصل منها على شهاده الليسانس فى الفلسفه و الآداب و قد مكث فى العاصمه العثمانيه مده سبع سنوات كان يقوم خلالها بمهنه التعليم فى المدرسه الإيرانيه و بعض المدارس الأهليه هناك بالاضافه إلى دراسته العليا ثم عاد إلى إيران التى لم يمكث فيها سوى مده قصيره حيث سافر إلى ألمانيا التى بقى فيها ست سنوات درس خلالها الفلسفه فى جامعه برلين و حصل منها على شهاده الدكتوراه فى الفلسفه و الآداب كما درس بعض الوقت العلوم الإسلاميه فى جامعه السوربون بباريس ثم عاد إلى مسقط رأسه تبريز و منها وفد على طهران و بدأ فيها حياته العمليه و نشاطه العلمى و الأدبى و السياسى.

و فور وصوله إليها عين أستاذاً للآداب فى دار المعلمين المركزيه ثم استأذا فى الكليه الأمريكيه بطهران و أستاذ الفلسفه و الآداب فى كليه الآداب و فى هذه الأثناء نشط قلمه باتاج بنات أفكاره فى التأليف و التصنيف و الترجمة و نشر المقالات الممتعته على صفحات الصحف اليوميه و المجلات الأسبوعيه و الشهرية و الفصلية.

و فى الدوره الرابعه عشره من دورات المجلس النيابى انتخب نائباً عن طهران مع قيامه بواجباته التعليميه فى بعض كليات جامعه طهران، كما أنه انتخب عضواً فى المجمع اللغوى الايرانى (فرهنگستان) منذ بدء تأسيسه و أصبح فيه رئيساً للجنه الجغرافيه و لجنه المصطلحات العلميه، كل ذلك مضافاً إلى تمثيله لبلادته فى كثير من المؤتمرات و الندوات الداخليه و الخارجيه من سياسيه و

علميه واجتماعيه و غيرها منها عضويته في الوفد الايراني لهيئه الأمم المتحده و عضويته في لجنة حقوق الإنسان التابعه لتلك الهيئه من إلى ١٩٥١ و عضويته في الوفد الذي رأسه قوام السلطنه رئيس الوزراء الايراني إلى موسكو للبحث مع الزعماء السوفيت في قضيه إخلاء محافظه آذربايجان من القوات السوفيتيه و إقصاء (بيشه وري) و حكومته منها و انهاء موضوع امتياز النفط الايراني السوفيتي إلى غيرها من المؤتمرات كما انتخب لبعض الوقت أستاذا في جامعات امريكا كجامعتي كلمبيا و مشيغان و جامعه مكليل في كندا يدرس فيها تاريخ التمدن الإسلامي.

و قد أعيد انتخابه عضوا في مجلس النواب في دورته الخامسة عشره، كما انتخب بعد تأسيس مجلس الشيوخ عضوا فيه لعدده دورات منه و كان عضوا فيه حين وافته المنيه، مضافا إلى أنه كان شاغلا لكرسيه كاستاذ ممتاز في جامعه طهران في هذه الأثناء.

و كان دوى دوره في الدوره الرابعه عشره في المجلس النيابي و خاصه في قضيه النفط الايراني و تاميمه عظيمه جدا في الأوساط السياسيه في داخل إيران و خارجها، حيث فاجا المجلس باقتراحه الخاص بالغاء اتفقيه النفط التي كانت قد وقعت من قبل قوام السلطنه رئيس وزراء إيران و ساد شيكف السفير السوفيتي في طهران بعد أن ألقى خطابا ممتعا بين فيه الأخطار التي تهدد البلاد من جراء إبرام هذه الاتفقيه التي عرضت على المجلس لابرامها، ذلك الخطاب الذي مهد فيه السبيل لتقديم اقتراحه الذي أقره النواب باكثرية ساحقه و لم يرفضه سوى نواب حزب توده الشيوعى و هكذا استنكر مجلس النواب تلك الاتفقيه النفطيه و رفضها و في الحقيقه أن اقتراح الدكتور شفق هذا برفض تلك الاتفقيه كان نقطه تحول عظيم في موضوع النفط الايراني و كان الحجر الأساسى لتاميم النفط في إيران فيما بعد، و قد خدم باقدامه الجريء هذا، بلاده و أمته أعظم الخدمات و من جراء ذلك أطلقت عليه الصحف في حينه لقب (موفق الدوله) لنجاحاته و موفقياتة في مشاريعه و نظراته و خططه التي كانت تركز على المنطق و العقل و الإخلاص و قد وقف منذ صباه موقف المدافع عن اللغه الفارسيه و المناضل عن تراثها الأدبي و العلمى و التاريخى و المعارض بكل عنف و شده للمتطرفين من بنى جلدته في أمر تبديل الحروف العربيه إلى الحروف اللاتينيه على غرار ما فعلته تركيه أو تجريد اللغه الفارسيه من الكلمات العربيه و حتى قبل وفاته ببضعه أشهر ألقى آخر كلمه له عن هذين الموضوعين في مجلس الشيوخ استنكر فيها نظريه المتطرفين في ذلك.

كما أنه ألف و كتب في هذين الموضوعين الكثير من الرسائل و المقالات و ألقى الوفير من الخطب و المحاضرات عنهما، و كان يعتبر ما يذهب إليه البعض من الأدباء في السير على لزوم هذا التبديل باسم التجديد خيانه لتراث إيران التاريخى و العلمى و الأدبى و للغه الفارسيه لغه: الفردوسى، و حافظ، و الشيرازى.

مضافا إلى إتقانه عدده لغات حيه هي الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية و التركيّه الاسلامبوليه و الآذربايجانيه و معرفته بالعربيه و الروسيه. كما كان من الكتاب البارزين في لغته الفارسيه و اللغه التركيّه و له فيهما بعض النظم أيضا.. و يعتبر نشره في الفارسيه من النشر المشار إليه بالبنان من حيث السلاسه و الدقه و البلاغه.

و كان خطيبا ينحدر الكلام من فمه كالسيل المنهمر و يستمر في إلقاء خطبه لبضع ساعات بلا تكلف و بكل حراره و بماده غزيره.

مؤلفاته:

صنف في حياته كثيرا من الكتب و الرسائل التي جاوزت الثلاثين مصنفا بعضها مطبوع، و بعضها لا زال مخطوطا أو لم يخرج من المسوده كل هذا بالاضافه إلى مقالاته و أبحاثه التي طفحت بها الصحف و المجلات و كذا محاضراته في الاذاعه الإيرانيه و غيرها.

و من أهم مؤلفاته باللغه الفارسيه هي:

١ - تاريخ أدبيات إيران (تاريخ الآداب الفارسيه).

٢ - سرود مهر (نشيد الحب).

٣ - فرهنگ شاهنامه (لغه الشاهنامه).

٤ - إيران از نظر خاورشناسان (إيران من وجهه نظر المستشرقين).

٥ - تحقيق در فهم بشر (التحقيق في الفهم الإنساني).

٦ - (كوروش كبير) (كوروش الكبير).

٧ - نادر شاه أفشار (تاريخ نادر شاه أفشار).

٨ - إسكندر مقدوني (تاريخ إسكندر المقدوني).

٩ - یادگار مسافرت سويس (ذكريات عن الرحله إلى سويسره).

١٠ - مبارزه با خرافات (مكافحه الخرافات).

١١ - خاطرات مجلس (ذكريات المجلس).

١٢ - يك روز از زندگي داريوش (يوم من حياه داريوش).

١٣ - پندهای بزرگان (نصائح العظماء).

١٤ - درسهائی از تاریخ (دروس من التاريخ).

١٥ - دیوان شعره باسم (گیتی نامه) و قد أطلق علیه هذا الاسم تيمنا باسم بنته الوحیده الآنسه (گیتی).

١٦ - تاریخ مختصر ایران از اول إسلام تا انقراض زندیان.

(تاریخ ایران منذ صدر الإسلام حتى انقراض الزنديه باختصار). و هو ترجمه كتاب (بأول هون) و هو من الكتب الأوائل التي ترجمها الفقيه و طبعها منذ حوالي (٤٠) سنة. إلى غيرها من المؤلفات المشحونه بها مكتبته القيمه التي تركها لورثته.

"ملخص عن مقال للسيد صالح الشهرستاني".

السيد صادق الفحام

مرت ترجمته في المجلد السابع الصفحه ٣٦٠ و نزيد عليها هنا ما يلي:

قيل في وصف ديوانه المخطوط: ان الاستفادة بالديوان تاريخيا لا تقل عن الاستفادة به أدبيا فإنه وثيقه تاريخيه ثمينه توقفنا على تاريخ كثير من الأحداث العراقيه في دور المماليك و قبله و تسمى كثيرا من اعلام ذلك العصر في العلم و الأدب و الاداره ممن لم نجد لهم ذكرا في غيره من الدواوين و كتب التراجم المتأخره. و لما كان المترجم لم يقطع عن التردد على الحله فقد مدح جماعه من أشرافها و كبرائها بقصائد مثبته في الديوان كالسيد سلمان الكبير و آل النحوى و آل الحاج على شاهين. عدا عن مراسلاته مع آل فتله و رؤساء خزاعه ذوى السلطه و النفوذ يومئذ في الفرات الأوسط.

و للمترجم عقب في الحله و النجف و الشاميه من ولده أحمد أما الباكون من أولاده فقد درجوا.

السيد صالح الشهرستاني ابن السيد إبراهيم

ولد سنة ١٣٢٥ في كربلاء و توفي سنة ١٣٩٥ في طهران و نقل جثمانه إلى كربلاء و دفن في المقبره الخاصه بالأسره الشهرستانيه الواقعه في باب السدره للروضه الحسينيه المقدسه كان كاتباً باحثاً مؤرخاً محققاً متتبعا على جانب كبير من نبل الأخلاق و طيب الذات و حسن المعشر، و قد استعنت به في كتابه بعض التراجم عند ما بدأت بإخراج (أعيان الشيعه) بعد وفاه المؤلف، فكتب عده تراجم كانت من أحسن ما يكتب في موضوعها يراها القارئ خلال مطالعته للأعيان.

كانت دراسته الأولى في كربلاء ثم انتقل إلى بغداد حيث التحق بجامعة آل البيت و تخرج منها. ثم أصدر سنة ١٩٢٦ م في بغداد مجله المرشد فاستمرت اربع سنوات، و في أواسط سنة ١٩٣٢ م ترك بغداد إلى طهران و فيها تخرج من كليه الحقوق و العلوم السياسيه. و استقر فيها حتى وفاته.

و كان في طهران يتابع كتابه بحوثه باللغتين العربيه و الفارسيه في أمهات الصحف و قد استعانت به السفاره العراقيه في طهران ثم

السفاره الأردنيه فعمل فيهما غير منصرف عن دراساته الأدبيه و التاريخيه و السياسيه، و مما أخرجه:

١ - كتاب عن السيد جمال الدين المشتهر بالأفغانى لا- يزال مخطوطا و قد نشر بعض فصوله فى مجله العرفان و فى (أعيان الشيعه) ٢ - دليل العتبات المقدسه باللغه الفارسيه ٣ - تاريخ الأسره الشهرستانيه فى ثلاث مجلدات باللغتين العربيه و الفارسيه (مخطوط) ٤ - مجموعه الشهرستاني مذكرات باللغتين ٥ - (من عاصرتهم) بالعربيه يتضمن تراجم من عاصرتهم و اتصل بهم من الرجال ٦ - كلمات فارسيه الأصل استعربت باللغتين العربيه و الفارسيه، و قد نشرت كل من مجله (ماه نو) فى طهران و مجله (ناصر) فى يزد فصولا من هذا الكتاب بقسمه الفارسى ٧ - رساله بالعربيه حقق فيها شخصيه أحد أولاد الأئمه المعرف [المعروف بإمام زده [زاده] يحيى المدفون فى أحد أحياء طهران (مخطوطه) ٨ - رساله كبيره فى ترجمه السيد حسين البروجردى الطباطبائى (مخطوطه) ٩ - مجموعه أدبيه تضم بين دفتيها بضعه ألوف من القصائد القصيره و الرباعيات و الأبيات الشعريه و الأمثال و الحكم باللغتين العربيه و الفارسيه.

و قد كانت لديه مكتبه عامره بالكتب العربيه و الفارسيه و فيها بعض الكتب الخطيه النادره و كتب الأنساب، و بعض المؤلفات باللغه الإنكليزيه التى كان يلم بها، و تنفيذها لوصيته اهدى ولده السيد عباس محتويات تلك المكتبه إلى (مكتبه ملك) الأهليه فى طهران التى تعتبر ملحقا لمكتبه الامام الرضا فى (المشهد).

السيد صدر الدين الصدر بن السيد إسماعيل

اشاره

ولد فى الكاظميه سنه ١٢٩٩ و توفى فى مدينه قم سنه ١٣٧٣ و دفن فيها فى

ص: ٤٩

بقعه العلماء فى رواق حرم فاطمه ابنه الامام موسى الكاظم ع.

انتقل مع ابيه الى سامراء فتلقى تعليمه الاول فيها، ثم هاجر ابوه الى كربلاء فدرس فيها ما يعرف فى الاصطلاح العلمى بالسطوح، ثم سافر الى النجف الأشرف فتابع دراسته هناك و كان من اساتذته فيها الشيخ محمد كاظم الخراسانى. و فى سنه ١٣٣٩ بعد وفاه والده بسنه سافر الى ايران و استقر فى مدينه (مشهد) و فى سنه ١٣٤٤ عاد الى النجف الأشرف و لازم درس الشيخ محمد حسين النائينى. و فى سنه ١٣٤٩ عاد الى ايران و أقام فى مدينه قم حيث كان الشيخ عبد الكريم الحائرى قد أسس جامعته الكبرى فكان المترجم من مدرسيها البارزين، و لم يلبث أن سافر الى مدينه (مشهد) و بقى فيها و أخذ يقيم الجماعه فى (مسجد كوهر شاد) و أقبل عليه الناس. و كانت الشيخوخه قد أدركت الشيخ عبد الكريم عميد الحوزه العلميه فى قم فخشى أن ينفرط عقدها بعد وفاته، فرأى فى السيد محمد الحجه الذى كان يقيم فى قم، و فى المترجم خير من يعهد إليهم بالقيام بامر الحوزه بعده، فأرسل يستدعيه من مشهد فلبى دعوته، فجعل الشيخ الحائرى منه و من السيد الحجه معاونيه الفاعلين فى الاشراف على شئون الحوزه ثم توفى الحائرى فانضم إليهما السيد محمد تقى الخونسارى فتالفت منهم قياده جماعيه لحوزه قم. و كان شهره السيد حسين البروجردى و مكانته العلميه موضع تقدير الجميع، فاجمع الكل على توليته الأمر فاستدعى من بلده بروجرد فأشرف بشخصه على شئون الحوزه و تصريف أمورها فنهضت على يديه نهضتها المعروفه و ظل المترجم مقيما فى قم حتى وفاته.

مؤلفاته

المطبوع منها: ١ - المهدي ٢ - خلاصه الفصول، و هو فى علم الأصول ملخص من كتاب الفصول للشيخ محمد حسين الأصفهاني ٣ - الحقوق ٤ - التاريخ الإسلامى، و هو كتاب مدرسى موجز. و له غير ذلك بعض الآثار التى ظلت مخطوطه.

شعره

كان شاعرا و كان له ديوان شعر لا ندرى إلى أى مصير انتهى. و بقى محفوظا من شعره القصيده التاليه التى أرسلها إلى مؤلف (أعيان الشيعة) عند ما اطلع على الجزء الأول منه. و كان المؤلف قد حل عليه ضيفا عند ما تشرف بزياره الامام الرضا ع. و قد ذكره فى رحلته العراقيه فقال فيما قال:

"...و كان يقيم أولا فى قم حيث مدرسه الشيخ عبد الكريم، و كان وجهها و مقدمها، ثم انتقل إلى المشهد الرضوى فكان من مقدمى علمائه"، و يقول عنه فى مكان آخر: "و كان مضيفنا أول الأمر العلامه السيد صدر الدين الصدر الموسوى، و لما انتقلنا من داره إلى دار استاجرناها طيله مكوثنا فى المشهد، جعل ياتى إلينا كل يوم غدوه و عشيا و ذهب معنا إلى دور الجماعه الذين زارونا حين أردنا رد الزياره لهم".

أما القصيده فهى:

أ مولاي يا من قد أقر بفضلته محبوه طرا بل و أذعن حاسده

لقد جمعت فيك الفضائل كلها فلا فضل إلا أنت لا شك واحده

إذا ذكرت بين الورى طرق العلى فكل طريق للعلى أنت رائده

لعمرى لقد جددت ذكر معاشر لهم طارف المجد الأثيل و تألده

و أحيت فى تأليفك اليوم مجدهم و قد بليت آثاره و معاهده

و مثلت منهم كل عين سميدع عيانا لنا حتى كانا نشاهده

أبوك لقد سماك من قبل "محسنا" و فى يومنا هذا كتابك شاهده

و فى كل عصر واحد يعقد الرجا عليه و هذا العصر إنك واحد

و أنا إلى الإصلاح فى حاجه فقم به، رجل الإصلاح أنت، و قائده

ادامك رب العرش للعلم منهلا مصفى نميرا يرتوى منه وارده

و حصنا منيعا لا يضام نزيله و يبلغ ما يرجو و يأمل وافده

و من شعره الذى وصل إلينا أبيات يؤرخ بها وفاه الشيخ عبد الكريم اليزدى الحائرى:

عبد الكريم آيه الله قضى و انحل منه سلك العلوم عقده

أجذب ربع العلم بعد خصبه و هد أركان المعالى ففده

كان لأهل العلم خير والد و بعده امست يتامى ولده

كوكب سعد سعد العلم به دهره و غاب اليوم عنه سعده

فى شهر ذى القعدة غاله الردى بسهمه يا ليت شلت يده

فى حرم الأئمه الأطهار فى شهر الحرام كيف حل صيده

دعاه مولاه فقل مؤرخا لدى الكريم حل ضيفا عبده

و منه أبيات نظمها لتكتب على ضريح والده مؤرخا فيها و فيها:

لئن يك أخفى القبر شخصك فى الثرى فهيهات ما آخر فضائلك القبر

لقد كنت سر الله بين عباده و من سنن العادات أن يكتم السر

فظوبى لقبر أنت فيه مغيب فقد غاب فى أطباق تربته البدر

و لست بمستسق له القطر بعد ما غدا بشراه ينتجع القطر

تخيرت صدر الخلد مأوى فارخوا من الخلد (إسماعيل) طاب (له الصدر)

تاريخ وفاته شعرا

قال السيد محمد حسن الطالقانى مؤرخا وفاته:

تبت يد الزمان من خئون يعبث فى شمل الهدى و الدين

فكم له من ضربه قاضيه تستنزف الدمع من العيون

و فعله منكره عادت على الإسلام بالخسران و الشجون

لهفى على الطلاب مذ نعى لهم ناعى الردى شيخ ذوى اليقين

فقد تولى شملهم أيدى سبا و كان قبل فاقد القرين

و مذ قضى (فرد) الزمان ارخوا (الا مضى الدين و صدر الدين)

و فى قوله: و قد قضى فرد إلخ إشاره إلى إضافه واحد إلى مجموع أعداد التاريخ.

و هو والد السيد رضا المقيم الآن فى قم، و السيد موسى الذى أقام فى لبنان و سافر فى إحدى سفراته إلى ليبيا فاخفت فيها آثاره.

السيد صدر الدين شرف الدين بن السيد عبد الحسين

ولد فى صور سنة ١٩١٢ م. و توفى فيها سنة ١٩٧٠ م.

درس أولا- فى صور ثم ذهب إلى النجف الأشرف للدراسة فبقى هناك سنين ثم تجنس بالجنسيه العراقيه و عين مدرسا فى ثانويات العراق و فى سنة ١٩٤٤ م.

استقال من وظيفته و أصدر فى بغداد جريده الساعه يوميه سياسيه فلقبت فى أول عهدها رواجا و إقبالا لأنه كان كاتباً مجوداً فى الطليعه من كتاب العرب الشبان، فكان يغذى الجريده بمقالاته التى ادخلت شيئا جديدا على الصحافه العراقيه،

كما ضمت إليها بعض المحررين الاكفاء، وقد كانت تنطق بلسان كتله سياسيه نافذه فى الحكم، فساعدتها كل ذلك على أن تكون من أوسع الصحف العراقيه انتشارا. و لكن تبدل بعض الظروف و تغير أوضاع من كانت لسانهم من السياسيين جعلها تتراجع، أضف إلى ذلك ما قوبلت به من حملات طائفية غير شريفه لم تكن تتورع حتى عن البذاءه فى القول، و لكن كل ذلك كان هينا أمام ما كان عليه طبع صاحب الجريده من عدم الاستقرار و التطلع فى كل جهه مما أدى فى النهايه إلى توقف الجريده سنه ١٩٤٦ م ثم إخراج صاحبها من العراق فعاد إلى لبنان و أصدر سنه ١٩٥٠ م فى بيروت مجله (الألواح) اسبوعيه ادبيه فكانت من أفضل ما يصدر فى هذا الموضوع و من خير مجلات العالم العربى.

لكن المحيط كان أضيق من أن يعطى مجله ذات طابع أدبى فكرى بحث ما تستحقه من الذبوع و الانتشار فلم تلبث المجله أن توقفت. فاستقر المترجم فى صور و أشرف على مدرسه أهليه أنشأها، و عاوده الحنين إلى الصحافه فصدر سنه ١٩٥٥ م. مجله شهرية باسم (النهج) لم تكن ظروفه الماديه تسمح له بان يخرجها كما يجب أن تخرج، فظلت مجله متواضعه صغيره الحجم قليله الصفحات، لا تتفق مع ما لصاحبها من موهبه أدبيه فائقه. و أدركته محن و علل حتى توفاه الله.

لقد كان السيد صدر الدين شرف الدين كاتبا مبدعا من أكفا كتاب العرب فى عصره ماده و ديباجه و أسلوبا و كان جديرا بان يترك فى تراثنا الأدبى و الفكرى الكثير من الخالدات. و لكن القلق النفسى الدائم و تفاوت النظرات بين يوم و يوم و أشياء اخرى... و أدت مواهبه و حرمت الأجيال من أن تطالع ثمرات ذاك القلم الخلاق، فلم يترك من الآثار سوى كتب صغيره منها: حليف مخزوم، و هو فى سيره عمار بن ياسر، هاشم و أميه، سحابه بورتسموت.

صدر الدين خان فائز الدهلوى

من شعراء الهند نظم الغنائيات و الغزليات و رتب ديوانه سنه (١٧١٥ م).

و هو من أحفاد على مردان من أمراء شاه جهان، و كان معاصرا لولى الدكنى الملقب بادم الشعراء. و شعر كلا الشاعرين فيما اصطلح على تسميته بلغته (دهلوى). و يعتبر ديوانه أول ديوان بدهلوى.

صفى، السيد على نقى

ولد فى لکنو سنه ١٢٧٩.

اشتهر بلقبه (صفى) و لم يعرف بغيره، لذلك ترجمناه فى حرف الصاد.

كان (صفى) فى الهند شاعر المله، و لقبوه ب "لسان القوم" لأنه كان يدعو إلى الحركه و العمل و التقدم و ترك القعود.

و هو شاعر خطيب مصلح فى شعره، دعا إلى إصلاح ما فسد من الأمور و تنظيم الجهود، فقامت بدعوتة المؤسسات الشيعيه الكبرى فى لکنو مثل: كليه الشيعه، و دار الأيتام، و مدرسه الصنائع، و قاعه القوميه.

و كان هو صاحب قياده "شيعه كانغرس" و ان كانت الزعامه فى أيدي الأمراء و السياسيين، و لكن الحركه و الدعوه كانت بيد

الصفى وحده لحراره شعره و اثره العميق فى النفوس.

كان شاعرا كبيرا نظم فى تاريخ البلاد و صور أوضاع الشيعة و حاجاتها الراهنه، و هو شاعر اخلاقى اصلاحى.

الضحاك بن عبد الله المشرفى

قال أبو مخنف: حدثنى عبد الله بن عامر عن الضحاك بن عبد الله المشرفى قال: لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا و قد خلص إليه و إلى أهل بيته و لم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبى المطاع الخثعمى و بشير بن عمرو الحضرمى قلت له يا ابن رسول الله قد علمت ما كان بينى و بينك قلت لك أقاتل عنك ما رأيت مقاتلا فإذا لم أر مقاتلا فانا فى حل من الانصراف فقلت [فقال] لى نعم قال فقال صدقت و كيف لك بالنجاء ان قدرت على ذلك فأنت فى حل قال فأقبلت إلى فرس و قد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطا لأصحابنا بين البيوت و أقبلت أقاتل معهم راجلا فقتلت يومئذ بين يدى الحسين رجلين و قطعت يد آخر و قال لى الحسين يومئذ مرار لا تشلل لا يقطع الله يدك جزاك الله خيرا عن أهل بيت نبيك فلما أذن لى استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استويت على متنها ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنابل رميت بها عرض القوم فأفر جوالى و أتبعنى منهم خمسة عشر رجلا- حتى انتهيت إلى شفيه قريه قريه من شاطئ الفرات فلما لحقونى عطفت عليهم فعرفنى كثير بن عبد الله الشعبى و أيوب بن مشرح الخيوانى و قيس بن عبد الله الصائدى فقالوا هذا الضحاك بن عبد الله المشرفى هذا ابن عمنا نشدكم الله لما كففتم عنه فقال ثلاثه نفر من بنى تميم كانوا معهم بلى و الله لنجيبن أخواننا و أهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم قال فلما تابع التميميون أصحابى كف الآخرون فنجانى الله.

الشيخ ضياء الدين الخالصى ابن الشيخ محمد صادق

اسمه عبد الحسين لكنه لم يعرف به مطلقا بل اشتهر بلقبه، و إن كان توقيعته فى رسائله: عبد الحسين ضياء الدين.

ولد فى الكاظميه سنه ١٣١٥ و توفى فيها سنه ١٣٧٠.

كان من أطيّب الناس ذاتا و أعفهم يدا و أكرمهم خلقا و أصدقهم لهجه و أكثرهم وفاء. سليل البيت العلمى العريق. درس فى الكاظميه، ثم واصل التتبع و البحث و المطالعه فاخرج مجموعه نفيسه من المؤلفات.

و لكن لأنه كان أبى النفس بعيدا عن التملق و التزلف، عاش فقيرا معدما بينما كان الجهلاء المنافقون المدجلون ينعمون بأموال الشعب. و لو قدر لهذا الرجل من يحتضنه و يقيه غائله الجوع و يضمن له نوعا من كفاف العيش لا أكثر، لكان منه رجل علم و فضل و تحقيق تثرى بانتاجه المكتبه الإسلاميه. و مع ذلك، و مع أنه كان له من فاقته شاغل أى شاغل، فقد أخرج الكتب الآتيه:

١ - الدروس الاعتقاديّه ٢ - تنقيح و تلخيص شروح الألفيه ٣ - مخازى بنى أميه ٤ - تمرين الطلاب فى مشاكل مسائل فى النحو و الصرف و اللغه و الاعراب ٥ - خلاصه الحاشيه على تهذيب المنطق ٦ - قواعد التجويد ٧ - تهذيب كتب الفقه ٨ - حول تقريرات الشيخ مرتضى الأنصارى ٩ - تحفه الحبيب ١٠ - الصحيفه المهدويه ١١ - ضياء الايمان ١٢ - أربعون حديثا، فى أصول

الدين و الفقه و الأخلاق ١٣ - الملاحظات، حول كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) لعبد الجبار المعتزلى ١٤ - النقد الجميل على تفسير أنوار التنزيل للقاضى البيضاوى، و هو ما فات الشيخ البهائى من نقده ١٥ - تحفه الاخوان فى نقد كتاب آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ١٦ - تعليقات على عده كتب ١٧ - الفوائد المتفرقه، و هو على نهج الكشكول، و جله نقد لكتب دينيه و أدبيه يمكن أن يرتب و ينوع إلى عدد من الكتب، و قد تم منه ستة مجلدات كبار.

ص: ٥١

وقد كان يقرأ كل كتاب يقع في يده و شذ أن لا يعلق عليه أو يصحح ما فيه فقد كانت هوامش كتبه مملوءة بالفوائد. و لما اشتد به الضيق باع ذلك كله بثمان بخس.

و قد كنت خلال إقامتي في العراق و زيارتي للكازميه لا أفعل شيئاً بعد زياره الجوادين قبل أن أسعى للقاء الشيخ ضياء الخالصي فالتقي به في إحدى حجر الصحن أو في مكتبه النجاح فتمتلى نفسى سعادته بمطالعه ذلك الوجه الذى يشع إيماناً و وداعه و إيناساً و حكمه، و احرص على أن لا أتكلم بكلمه كى لا أقطع حديثه العذب الرائق المؤنس. و قد كنت أعلم أنه ضيق الحال و لكن لم أكن أدري أنه على تلك الدرجه من الضيق لأنه كان يحاول جهده أن لا يظهر عليه أمام أصدقائه أنه مكروب، بل كانت الابتسامه المشعه تملأ وجهه دائماً لئلا يكدرهم.

و زرت العراق بعد انقطاع و جئت الكازميه للزياره و لرؤيه الشيخ ضياء الخالصي، فسالت صديقاً عنه، فقال: لقد مات و أوكد لك أنه مات جوعاً بل لقد مات من الجوع.

هكذا كان مصير العالم الباحث الأديب المؤرخ ذى الشمم و الإباء و النزاهه، هكذا كان مصيره على مرأى و مسمع من الدوله البتروليه، و إلى جوار القصور الشامخه و العمائم المتنفخه التى تشكوهى و اتباعها من التخمه.

الشيخ ضياء الدين العراقي

اشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٩٢ من المجلد السابع و نزيد هنا عليها ما يلى:

ولد فى سلطان آباد (إيران) سنه ١٢٧٨ فدرس الأوليات، ثم قرأ المقدمات على والده و غيره ثم هاجر إلى النجف الأشرف فأدرك بحث السيد محمد الفشاركى و غيره، ثم حضر دروس الميرزا حسين الخليلي و الشيخ محمد كاظم الخراسانى و السيد محمد كاظم اليزدى و شيخ الشريعه الأصفهاني و غيرهم.

و استقل بالتدريس بعد وفاه الخراسانى سنه ١٣٢٩ و كان لمجلس درسه إقبال ملحوظ لا سيما فى علم الأصول الذى اشتهر به، و ظل متولياً للتدريس أكثر من ثلاثين سنه تخرج عليه خلالها العدد الكبير من المجتهدين.

تلاميذه

من تلاميذه: السيد محمد تقى الخونسارى و السيد عبد الهادى الشيرازى و السيد أبو القاسم الخوئى و السيد محسن الحكيم و السيد على الكاشانى اليتربى و الشيخ عبد النبى العراقى و الشيخ محمد تقى الآملى و الميرزا حسن اليزدى و الشيخ محمد تقى البروجردى و غيرهم كثيرون.

مؤلفاته

طبع من مؤلفاته كتاب (القضاء) و كتاب (البيع) و (المقالات الأصوليه) و (فروع العلم الاجمالي) و (حاشيه العروه الوثقى).

طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ع:

ذكر في الصفحة ٣٩٥ من المجلد السابع و ذكر في ترجمته أنه ممدوح المتنبى في قصيدته البائية.

و الصحيح أنه ليس هو ممدوح المتنبى. و هذه ترجمته:

هو من أمراء المدينة و علمائها و أعيانها، قال عنه ابن عنه في كتابه "عمده الطالب": كان من جلاله القدر بحيث أن كلا من اخوته يعرف باخى طاهر، و فى ولده البيت و الإمرة فى المدينة، و له عقب كثير (اه).

و جاء فى مقاتل الطالبين: كتب إلينا أن صاحب الصلاة بالمدينة دس سما إلى طاهر بن يحيى بن الحسن... فقتله، و كان سيدا فاضلا، و قد روى عن أبيه و غيره و روى عنه أصحابنا (اه).

و أبو طاهر هذا هو يحيى بن الحسن المعروف بالعقيقى (نسبه إلى عقيق المدينة) المتوفى سنة ٢٨٧ و هو أول من صنّف من الطالبين كتابا فى أنسابهم و ألف كتاب "أخبار المدينة" رواه عنه ابنه طاهر هذا.

و كتابه عن المدينة من أهم مصادر السهمودى، و قد وصلت إليه نسخ متعددة إحداها رواه طاهر هذا، كما صرح بذلك السهمودى فى عده مواضع من كتابه "وفاء الوفا".

و كان طاهر المترجم ينزل خارج المدينة فى العقيق، قال السهمودى فى "وفاء الوفا": أول الجماوات جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم، و هو منزل أبى القاسم طاهر بن يحيى و ولده. و قال فى موضع آخر فيما نقل عن أبى على الهجرى: و وجه ذلك فى قبالة جماء تضارع منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عثمان، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير بن عمر بن عثمان، و هو قصر طاهر بن يحيى و ولده. (١)

الطفيل بن عامر بن وأله.

كان مع أبيه مشاركا فى الثورة على الحجاج سنة ٨٢ فقتل فى احداث تلك الثورة، و كان شاعرا فمن شعره ما قاله و هو فى صفوف الثوار:

أ لا طرقتنا بالغريين بعد ما كللنا على شحط المزار جنوب

أتوك يقودون المنايا و انما هدتها باولانا إليك ذنوب

و لا خير فى الدنيا لمن لم يكن له من الله فى دار القرار نصيب

أ لا أبلغ الحجاج أن قد أظله عذاب بايدى المؤمنين مصيب

متى نهبط المصريين بهرب محمد و ليس بمنجى ابن اللعين هروب

و قال عامر يرثى ابنه الطفيل و يشير إلى فشل الثورة:

خلى طفيل على الهم فانشعبا و هد ذلك ركنى هذه عجا

و ابني سمييه لا انساهما ابدا فيمن نسيت و كل كان لى نصبا

و اخطاتنى المنايا لا تطالعنى حتى كبرت و لم يتركن لى نشبا

و كنت بعد طفيل كالذى نضبت عنه المياه و غاض الماء فانقضبا

فلا بعير له فى الأرض يركبه و ان سعى اثر من فاته لغبا

و سار من ارض خاقان التى غلبت أبناء فارس فى اربائها غلبا

و من سجستان أسباب تزينها لك المنيه حينما كان مجتلبا

حتى وردت حياض الموت فانكشفت عنك الكتائب لا تخفى لها عقبا

و غادروك صريعا رهن معركة ترى النسور على القتلى بها عصبا

تعاهدوا ثم لم يوفوا بما عهدوا و أسلموا للعدو السبى و السلبا

يا سواءه القوم إذ تسبى نساؤهم و هم كثير يرون الخزى و الحربا

(راجع ترجمه عامر بن واثله).

طلائع بن رزيك

اشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٩٦ من المجلد السابع و ذكر فيها أنه كان وزير

ص: ٥٢

١- أبو على الهجرى.

العاضد. و لما كانت احداث خلافه العاضد من الأحداث المهمه فى التاريخ و به انتهت خلافه الفاطميين مما تتطلع لمعرفة نفوس القراء و لا يجوز الاكتفاء بمجرد ذكر (العاضد)، رأينا أن نضيف فى هذا المستدرك ذكر الأحداث التى وقعت فى خلافه العاضد، ثم ذكر ولايه صلاح الدين الأيوبي وزاره العاضد، ثم انهائه لخلافه الفاطميين، ثم حقيقه سيره صلاح الدين، و هى حقيقه موته عمدا و أخفيت عن انظار قراء التاريخ مما يراه القارى فى الصفحات التاليه:

فى المقال الذى كتبه الدكتور زكى المحاسنى فى العدد الممتاز من العرفان، أشاد بموقعه حطين و أشاد أى إشاده بصلاح الدين الأيوبي. و لما كنت موقنا أن صلاح الدين من رجال التاريخ الذين أعطوا ما لا يستحقون، لذلك رأيت من واجبي خدمه للحقيقه أن أكتب هذه الكلمه متحملا مسؤليه ما تضمنته من رأى يخالف رأى الجمهور، و ما اتفق السواد الأعظم على الاعتقاد به. فحقائق التاريخ لا يصح التسامح بها، و لا يجوز الجبن فى إظهارها مهما كان الشائع قويا و المعتقد (بفتح القاف) منتشرا.

يقول الدكتور فى بعض أوصافه لصلاح الدين (انه بطل الخلاص العميم). و يقول أيضا: (أنه أزال من على رقعه الشرق العربى ظل الصليبيه. إلى غير ذلك من الأقوال).

و الدكتور المحاسنى ليس وحده القائل، بل أن كل الكتاب يقولون مثل هذا و أكثر من هذا. فقد قال مثلا الدكتور مصطفى زياده فى مقال له أن معركة حطين كانت الفاصله فى تاريخ الحروب الصليبيه فى حين أنه يعلم أن الفرنج ظلوا أكثر من قرن يحتلون البلاد بعد تلك المعركه و ان القدس عادت صليبيه الحكم بعد فتره غير طويله من معركة حطين.

الواقع أن حياه صلاح الدين تقسم إلى أقسام، كان صلاح الدين فى بعضها محاربا حقا فهو الذى حقق النصر فى معركة حطين.

و الأقسام الأخرى من حياه صلاح الدين تناقض هذا القسم تمام المناقضه، و لقد نسى بعض الناس حقيقه صلاح الدين، و لم يذكروا الا دورا واحدا من أدوار حياته. و ذلك لعوامل لا أحب الآن ذكرها. فما هى حقيقه صلاح الدين.

لقد انتصر صلاح الدين فى حطين و حرر القدس، و كان المفروض أن يتابع الكفاح حتى تتحرر البلاد كلها، و لكن صلاح الدين لم يفعل شيئا من ذلك، بل فعل العكس تماما، فأقدم على أمر لا أدرى كيف يتجاهله كتابنا، و كيف يسقطونه من حسابهم و هم يتحدثون عن صلاح الدين.

لقد فضل صلاح الدين فى هذا الدور من حياته الراحه على الجهاد، و آثر الاستسلام للفرنج على مقاتلتهم، بل فعل أكثر من ذلك، لقد سلمهم البلاد سلما بلا قتال. نعم سلمهم البلاد و العباد سلما بلا قتال.

ففى ٢١ شعبان سنة ٥٨٨ عقد صلاح الدين هدنه مع الصليبيين سلمهم بها حيفا و قيساريه و نصف اللد و نصف الرمله و غير ذلك، حتى لقد صار لهم من يافا إلى قيساريه إلى عكا إلى صور و لم يكن لهم ذلك من قبل.

يقول ابن شداد فى كتابه (الاعلاق الخطيره فى أمراء الشام و الجزيره) و هو يتحدث عن حيفا (ص ١٧٧-١٧٨) "لم تزل فى أيدي الفرنج إلى أن فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاث و ثمانين، فلم تزل فى يده إلى أن نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم فى المهادنه التى وقعت بينه و بينهم، و ذلك سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه، و لم تزل بعد فى

أيديهم".

وقال وهو يتحدث عن الرملة و اللد: (ص ١٧٣-١٨٤) "و لم تزل (الرمله) فى أيديهم (الفرنج) إلى أن ملكها و ملك معها (لد) الملك الناصر صلاح الدين يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائه. و لم تزل فى يده إلى أن وقعت الهدنه بينه و بين الفرنج فى سنة ثمان و ثمانين فنزل لهم عن البلاد، و جعل (لد) و (الرمله) بينه و بينهم مناصفه" و قال و هو يتحدث عن يافا (ص ٢٥٦) "و لم تزل فى أيديهم (الفرنج) إلى أن فتحها عنوه الملك الناصر صلاح الدين سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه على يد أخيه العادل و حربها و بقيت خرابا إلى أن تقررت الهدنه بين الملك الناصر (صلاح الدين) و بين الفرنج و شرطوا عليه إبقاءها فى أيديهم".

و يقول الدكتور حسين مؤنس فى مقال له فى مجله العربى العدد ١٤٩ "تنازل (صلاح الدين) للصليبيين عن جزء من الساحل يمتد من صور إلى حيفا".

يقول ذلك و لا يرى فيه شيئا فى حين أنه يشنع على الآخرين بالباطل.

سلم صلاح الدين كل هذه البلاد للصليبيين و هو المنتصر فى معركة حطين و فاتح القدس، سلمهم ذلك و عقد معهم هدنه ضمن لهم فيها أن لا يهاجمهم و لا يزعمهم مزعج.

و أكثر من ذلك فقد كان من رأى الخليفة العباسى الناصر(١) أن يواصل صلاح الدين الكفاح حتى اجلاء الصليبيين عن آخر معقل لهم فى بلاد العرب، و أبدى الناصر استعداده لإمداده بما يحتاج من جيوش جديده تكفى للقضاء على الصليبيين، و لكن صلاح الدين رفض و فضل أن يهادن الصليبيين و يسلمهم البلاد.

أما السبب فى ذلك فلأن صلاح الدين كان لا يريد توحيد البلاد، و انضواءها تحت لواء واحد يجمع شملها فى حكم واحد و سياده واحده، و خشى إن جاءت الجيوش من العراق لإمداده و تم النصر، أن يصر الناصر على الوحده معتمدا على قوه الجيش فيصبح هو مرتبطا ببغداد فأثر أن يكون انفصاليا، و أن يستقل وحده بحكم رقعته من البلاد، على أن يضم ما تحت يده من بلاد إلى الوحده الكبرى، و هكذا تحكمت فيه مطامعه الشخصيه و أثرها على المطامح الوطنيه، و رفض تحرير ما لم يتحرر من البلاد، ثم سلم البلاد للصليبيين.

و لقد خشى صلاح الدين أن يصر الناصر على إرسال الجيوش فعزم على مقاومتها، و لأجل أن يتفرغ لذلك هادن الصليبيين و سلمهم البلاد.

لسنا نحن الذين نقول ذلك، بل يقوله رجل من أخلص رجال صلاح الدين، جعل من نفسه مؤرخا لذلك العصر فصحب صلاح الدين و سجل انتصاراته و وقائعه، و لم تفته منها شاردة، و كان صلاح الدين موضع مدحها.

١- هو الخليفة الذي أعاد للخلافة رونقها بقضائه على السلجوقيين المتحكمين بها، و يصفه الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي بأنه (أحيا هيئه الخلافة و كانت قد ماتت بموت المعتصم، ثم ماتت بموته). ولى الخلافة سنة ٥٧٥ و هو ابن ٢٣ سنة و ظل في الخلافة ٤٦ سنة و عشره أشهر و ٢٨ يوما.

و ثنائه، فسجل فيما سجل من الأحداث هذه الحادثة:

هذا المؤرخ هو عماد الدين الأصفهاني صاحب كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى، و الذى كان بمثابة (سكرتير) شخصى لصلاح الدين.

(١) و فوق هذا ما ذا فعل صلاح الدين؟ لقد اعتبر البلاد التى يحكمها مزرعه له فتصرف فيها تصرف المالكين للمزارع و القرى، فلم يكتف بان سلم قسما منها للأعداء، و لم يكتف بان أثر الانفصال و خشى الوحده، بل أراد أن يثبت بالفعل أن ما تحت يده من اجزاء الوطن هو ملك شخصى له، و أنه يجب أن يكون بهذه المشابه من بعده، فقسمه بين ورثته، و اكتفى هنا بنقل عبارته صاحب كتاب (الأعلاق الخطيره) و هو من أخلص المخلصين لصلاح الدين، فقد قال فى الصفحه ٥٨ فى السطر الخامس عشر ما نصه "...فرق البلاد بين أولاده و أقاربه، فاعطى الشام لولده الملك الأفضل.. " إلى آخر ما قال.

و مع أن الخطر الصليبي كان لا- يزال جاثما على صدر البلاد يهددها فى كل ساعه، و مع أن هذا مما يوجب حشد القوى و تجمعها، و يوجب لا- تمزيق مملكه صلاح الدين بل ضمها إلى سلطه الخلافه فى بغداد، أو على الأقل الاحتفاظ بها سليمه متماسكه، فان صلاح الدين " فرقا بين أولاده و أقاربه " معتمدا على الهدنه التى عقدها مع الصليبيين مسلما لهم البلاد مقرا لهم باحتلالهم معترفا لهم بدولتهم.

و هكذا فلم يكذ يموت صلاح الدين حتى تقاسم بنوه و أقاربه ملكه و استقل كل واحد بما أوصى به صلاح الدين، و مهدوا بذلك للصليبيين أن يحتلوا البلاد من جديد. بل اقدموا على ارتكاب الخيانات العظمى، فان الكامل و الأشرف ولدى العادل أخى صلاح الدين سلما القدس و ما حولها للملك الصليبي فيريديك الثانى و سلماه معها الناصره و بيت لحم و طريقا يصل القدس و عكا و ذلك سنة ٦٢٥ هـ ١٨ شباط سنة ١٢٢٩ م. و يصف ابن الأثير وقع هذه الرزيه على العالم الإسلامى بقوله: " و استعظم المسلمون ذلك و أكبروه و وجدوا له من الوهن و التألم ما لا يمكن وصفه " .

و هكذا يسقط قول الدكتور مصطفى زياده و الدكتور زكى محاسنى حيث يقول الأول أن وقعه حطين كانت فاصله فى الحروب الصليبيه، و حيث يقول الثانى: (ان صلاح الدين أزال من على رقعه الشرق العربى ظل الصليبيه)...

و كيف يكون ظل الصليبيه قد زال و صلاح الدين يسلم البلاد للصليبيين يدا بيد، و الصليبيه تعود لاحتلال القدس بخيانه ولدى أخيه؟!.

و أقرباء صلاح الدين الذين قسم البلاد بينهم لم تكن هذه الخيانه خيانتهم الوحيده، ففي العام ٦٣٨ سلم الصالح إسماعيل الأيوبي صاحب دمشق للصليبيين صيدا و هونين و تبين و الشقيف فيما سلم لهم البلاد ليساعده على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر.

إذن فضل الصليبيه لم يزل صلاح الدين، بل ساعد على امتداده بامتناعه عن قبول دخول الجيوش العراقيه إلى فلسطين لمساعدته، و فى عقده للهدنه المشثومه مع الصليبيين و فى تسليمه لهم البلاد سلما و بدون قتال و فى تقطيعه أوصال الوطن بتوريثه البلاد لأقربائه كما يورث الملك الشخصى و تفريقها بينهم. و هناك شىء آخر فى سيره صلاح الدين هو طريقه معاملته الشعب، و هذا

الموضوع نترك الكلام عنه للدكتور حسين مؤنس حيث قال في العدد ٤٦٢ من مجله الثقافه كما نقلت ذلك مجله الحج في الجزء الثامن من السنه الخامسه عشره:

"كانت مشاريعه و مطالبه متعدده لا تنتهى فكانت حاجته للمال لا تنتهى، و كان عماله من أفسى خلق الله على الناس، ما مر ببلده تاجر إلا قضم الجباه ظهره، و ما بدت لأى إنسان علامه من علامات اليسار إلا أندر بعذاب من رجال السلطان. و كان الفلاحون و الضعفاء معه فى جهد، ما أينعت فى حقولهم ثمره إلا تلففها الجباه، و لا بدت سنبله قمح إلا استقرت فى خزائن السلطان حتى املق الناس فى أيامه و خلفهم على أبواب محن و مجاعات حصدت الناس حصدا".

هذا مع العلم أن الدكتور حسين مؤنس من المتحمسين لصالح الدين و لكنه لم يستطع إخفاء هذه الحقيقه.

هذه الحقائق القاسيه نرجو أن تتقبلها الصدور بصبر، لأن التاريخ الصحيح لا يرحم، و لأننا حين نؤمن بحقيقه نرى أن من أفضح الاجرام أن لا نعلنها مهما كان فى إعلانها من مصادمه لما تواضع الناس على الأخذ به على أنه من الحق و هو من صميم الباطل.

و فى العام ٥٦٤ هـ كان الفرنج الصليبيون يهددون مصر و يتحفزون للوثوب عليها بعد أن خبروا أحوالها قبل ذلك فى احداث ليس هذا مكان سرد تفاصيلها، و كانت الخلافه الفاطميه فى مصر لا تبدو بالقوه الكافيه إذ كانت قواها قد استنفدت معظمها فى مقارعه الصليبيين برا و بحرا، و فى إخماد الفتن، فرأى الخليفه الفاطمى (العاضد) أن لا قبل لمصر بمدافعه الفرنج فتجلت وطنيته على أبرز صورها، فتناسى ما بينه و بين الآخرين من أوتار و تجاهل ما يحملونه له من عداوه و شنان، و أغضى على ما طالما بيتوه له و لأسرته من تامر و صمم على الاستنجد بالقوى الإسلاميه خارج مصر مهما كان فى هذا الاستنجد من مخاطر عليه و على أسرته، و رأى أن أقرب القوى إليه فى الشام و فيها نور الدين محمود بن عماد الدين، زكى..

و كان الفرنج قد زحفوا على عسقلان حتى وصلوا إلى بلييس فاحتلوها و فتكوا بأهلها، ثم مشوا إلى القاهره و حاصروها، فتقرر إحراق المدينه (٢) خوفا عليها من الإفرنج فأحرقت و ظلت النار تعمل فيها أربعة و خمسين يوما، فكرر العاضد الاستنجد بنور الدين و أرسل فى الكتب شعور نسائه و قال: هذه شعور نسائي من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج.

(٣) و كان قد سبق لنور الدين أن أرسل إلى مصر فى نوبتين كلا من أسد الدين شير كوه و ابن أخيه صلاح الدين لأسباب لا مجال لذكرها الآن، فطلب العاضد أن يعود أسد الدين نفسه بحمله على مصر و أعلن أنه يتنازل سلفا لنور الدين و لأسد الدين عن كثير مما تحت يده. فقرر نور الدين تلبيه الطلب فأرسل حملاه.

ص: ٥٤

١- الصفحه ١٧٦ طبع مطبعه الاتحاد بالقاهره.

٢- هى التى عرفت بالفسطاط و توابعها.

٣- كتاب الروضتين (الجزء الأول - القسم الثانى) الصفحه ٣٩١ من طبعه ١٩٦٢ و صاحب هذا الكتاب مملوء تعصبا و لؤما على الفاطميين و لكنه لم يستطع انكار هذه الحقيقه. و الفضل ما شهدت به الأعداء.

مؤلفه من ثمانيه آلاف فارس بقياده أسد الدين شير كوه و معه ابن أخيه صلاح الدين.

و كان الفرنج فى خلال ذلك قد فكوا الحصار عن القاهره و عادوا من حيث أتوا، فلم تلق الحمله القادمه حربا ثم تسلسلت الأحداث فتولى أسد الدين الوزاره للعاضد و ساد أمره و أمر ابن أخيه صلاح الدين و لكنه لم يلبث فى الوزاره إلا شهرين و خمسه أيام ثم توفى فجاءه.

و تطلع إلى منصب الوزاره بضعه رجال من قواد الجيش الذى قدم مع أسد الدين و كان التزاحم بينهم شديدا، و لكن العاضد أثر عليهم جميعا صلاح الدين. يقول صاحب كتاب الروضتين: فأرسل الخليفه العاضد إلى صلاح الدين فأمره بالحضور فى قصره ليخلع عليه الوزاره و يوليه بعد عمه.

و قد صرح ابن شداد(1) فى كتاب النوادر السلطانيه أن صلاح الدين كان منهمكا بالشهوات عاكفا على الخمر. و قد ذكر عبارته هكذا: و شكر نعمه الله فتاب عن الخمر و أعرض عن أسباب اللهو أى فعل ذلك بعد توليه الوزاره.

و كذلك قال كمال الدين ابن العديم فى كتابه زبده الحلب فى تاريخ حلب (الجزء الثانى): فأرسل العاضد إلى صلاح الدين و أحضره عنده و ولاه الوزاره بعد عمه و خلع عليه و لقبه بالملك الناصر فاستتبت أحواله و بذل المال و تاب عن شرب الخمر. و إذا كان أنصار صلاح الدين قد اعترفوا بأنه كان سكيراً قبل توليه الوزاره، فالله وحده يعلم ما إذا كان قد تاب أم لا، فالذى يبدو أنه كان متجاهراً بالسكر قبل توليه الوزاره ثم صار يتستر بعد ذلك.

(2) على أن أسد الدين و من بعده صلاح الدين كانا مع توليهما الوزاره يعتبران تابعين لنور الدين يقول ابن أبى شامه: و ثبت قدم صلاح الدين و رسخ ملكه و هو نائب الملك العادل نور الدين و الخطبه لنور الدين فى البلاد كلها.

و لما أرسل نور الدين اخوه صلاح الدين إليه إلى مصر و فيهم توران شاه و هو أكبر من صلاح الدين. قال له نور الدين: ان كنت تسير إلى مصر و تنظر أخيك أنه يوسف الذى كان يقوم فى خدمتك و أنت قاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد و احضر حينئذ و أعاقبك بما تستحقه، و إن كنت تنظر إليه أنه صاحب مصر و قائم فيها مقامى و تخدمه بنفسك كما تخدمنى فسر إليه و اشد من أزره (3) و هذا يدل على شدة عنايه نور الدين بتثبيت أمر صلاح الدين.

و فى المنشور الذى أرسله الخليفه العاضد إلى صلاح الدين يقول العاضد فيما يقول: " و ظهور الخيل مواطنك و ظلال الخيام مساكنك، و فى ظلمات الليل قساطل الجهاد تجلى محاسنك و فى أعقاب نوازله تتلى مناقبك فشمّر له عن ساق من القنا و خض فيه بحرا من الطبّا و أحلل فى عقد كلمه الله و ثيقات الحبا، و أسل الوهاد بدم العدا. و ارفع برءوسهم الربا، حتى ياتى الله بالفتح الذى يرجو أمير المؤمنين أن يكون مذخوراً لأيامك....(4)

و هذا يدل على أن العاضد لم يستكن إلى الدعه بعد رحيل الفرنج: بل كان يأمل أن يغزوهم فى الأرض المحتله، و انه كان يعد صلاح الدين لهذه المهمه، و ان قتال الفرنج و تخليص البلاد من حكمهم كان الهدف الوحيد للعاضد، و أنه فى سبيل ذلك لم يبالي بان يولى حتى خصومه حكم البلاد و يعهد إليهم بمعونته على الدفاع عنها، بالرغم من أن ماضى هؤلاء الخصوم كان معروفاً، و حقدهم على من يخالفهم فى رأى كان صريحا، فان ما فعله نور الدين فى حلب كان معروفا مشهورا و كان العاضد

يعلمه حق العلم بالرغم من ذلك تغلبت وطنيه العاضد على عصييته، و حرصه على دينه فاق حرصه على مذهبه، فضرب بذلك أعلى الأمثال لكل الحكام. وقد كان يجب أن يكون هذا الموقف شافعا له عند من سلمهم البلاد، و لكن لم يشفع له عندهم شىء.

يقول العماد الأصفهاني عن منشور الخليفة العاضد هذا: " و هذا آخر منشور طويت به تلك الدوله و ختمت، و تبددت عقودها و ما انتظمت "

و بدلا من ان يكبر العماد هذا المنشور كل الإكبار و يثنى عليه كل الثناء لما احتواه من حميه اسلاميه و غيره وطنيه، و لما يدل على ما انطوت عليه نفس العاضد من إخلاص و تفان فى سبيل الإسلام. و بدلا من ان يثير هذا المنشور مدح العماد للعاضد اثار شماتته و هكذا يكون اللؤم فى ابشع صورته و أنكر أشكاله. لا- لؤم العماد وحده، بل لؤم من عاصرهم و من اتى بعدهم حتى اليوم. ان منشور العاضد هذا صفحه من أنضر صفحات تاريخنا، كان يجب أن تلقن للناشئه فى كل عصر لتتعلم منها الإخلاص و التفانى فى حب الأوطان كذلك إرسال العاضد شعور نسائه مستنجدا مضحيا.

و لكن... و لا نقول أكثر من (و لكن) و نقول للعماد الاصفهاني: انه ليشرف الدوله الفاطميه أن يكون هذا آخر منشور لها.

و ما قاله العاضد لصلاح الدين فى منشوره كان قد قال مثله لعمه أسد الدين شير كوه حين ولاه الوزاره قبل صلاح الدين، فقد قال العاضد مخاطبا أسد الدين:.... و استنهضهم فى الجهاد فهذا المضمار و أنت السابق، و قم فى الله تعالى أنت و من معك فقد رفعت الموانع و العوائق.

ثم يقول:

فاطلب أعداء الله برا و بحرا و أجلب عليهم سهلا و وعرا و قسم بينهم الفتكات قتلا و اسرا و غاره و حصرا.

ثم يقول:

و الله سبحانه و تعالى يحقق لأمير المؤمنين فيك أفضل المخايل و يفتح على يديك مستغلق البلاد و المعامل و يصيب بها لك من الأعداء النحور و المقاتل و يأخذ للإسلام بك ما له عند الشرك من الثارات و الطوائل.

و للتدليل على ما أولى العاضد من ثقته و تشجيعه و تعضيده لصلاح الديننقل عباره يحيى ابن أبى طى الحلبي فى كتابه الذى ألفه فى سيره صلاح الدين، قال: أقبل العاضد على السلطان الملك الناصر (٥) و أحبه محبه عظيمه، و بلغ من محبته له أنه كان يدخل إليه القصر راكبا فإذا حصل عنده أقام معه فى قصره اليوم و العشره لا يعلم أين مقره.

و قال أيضا: "... و لما استولى الملك الناصر على الوزاره و مال إليه العاضد، و حكمه فى ماله و بلاده حسده من كان معه بالديار المصريه من الأمراء الشاميه"، ثم أنهم فارقوه و صاروا إلى الشام.ب.

- ١- ابن شداد من المؤلفين الذين كتبوا للاشاده بصلااح الدين.
- ٢- كذلك ذكر أبو الفداء فى تاريخه عكوف صلااح الدين على الخمر ثم توبته.
- ٣- الروضتين ج ٢ ص ٤٠٨.
- ٤- نفس المصدر.
- ٥- اى صلااح الدين الذى لقب بهذه الألقاب.

و لم يترك العاضد وسيله تشيد بصلاح الدين و ترفع من شأنه و تزيد فى تكريمه إلا اتباعها من ذلك أنه لما ارتحل نجم الدين أيوب والد صلاح الدين إلى مصر بأهله و جماعته، و سار إلى القاهره ركب العاضد بنفسه لاستقباله و الترحيب به، و خالف بذلك قواعد (البروتوكول) كما نقول باصطلاحنا اليوم، إذ لم تجر العاده بذلك.

و يقول ابن أبى طى: و خلع العاضد عليه و لقبه الملك الأفضل و حمل إليه من القصر الألف و التحف و الهدايا.

ثم تبين بعد ذلك أن نجم الدين أيوب إنما قدم مصر ليحكم مع ولده صلاح الدين أمر القضاء على العاضد و دولته.

العقوب

و لم يطل الأمر و بعد انقضاء سنتين على وصول أسد الدين شير كوه و صلاح الدين إلى مصر، أى سنة ٥٦٦ كان صلاح الدين يكافئ العاضد على استنجاهه بالمسلمين لحمايه الإسلام و بلاد الإسلام، كان يكافئه بالتامر عليه و على دولته، و كان يقابل الثقة الكبرى التى منحه إياها العاضد بإطلاق يده فى شئون الحكم، كان يقابلها بالعمل على تحطيم أمر العاضد و توهين حكمه، فأمر أول ما أمر بتغيير شعار الدوله الفاطميه. و شرع فى تمهيد أسباب الخطبه لبنى العباس على حد تعبير صاحب (الروضتين).

و لم تدخل سنة ٥٦٧ حتى "استفتحتها صلاح الدين باقامه الخطبه فى الجمعه الأولى منها بمصر لبنى العباس" (١) و فى الجمعه الثانية خطب لهم بالقاهره نفسها. فعل ذلك و الخليفه لا يزال حيا.

و مما يجدر تسجيله أنهم لم يجدوا عربيا واحدا يحمل هذا الوزر، فقد أحجم العرب جميعا أن يطعنوا الدوله العربيه الصميميه التى كان تاريخها كله حمايه للعرب و دفاعا عنهم، و عن لغتهم و علومهم و ثقافتهم، أحجم العرب عن أن يطعنوا الدوله العربيه هذه الطعنه الغادره. و يقول ابن أبى شامه: "... و كان قد دخل إلى مصر إنسان أعجمى يعرف بالمير العالم، فلما رأى ما هم فيه من الاحجام قال: أنا ابتدئ بها، فلما كان أول جمعه من المحرم صعد قبل الخطيب و دعا للمستضىء بامر الله... (٢)

و أقدم صلاح الدين بعد وفاه العاضد على عمل لم يسبقه إليه أحد، و لم تشهد له مثيلا أشد العصور طغيانا و همجيه و ظلما، فقد احتجز جميع رجال الأسره الفاطميه فى مكان، و احتجز جميع نساءها فى مكان آخر. و منع الفريقيين من الزواج لئلا يتناسلوا. و يقول العماد الأصفهاني: و هم إلى الآن محصورون محسرون لم يظهروا". ثم أعمل النهب و السلب فى دورهم و قصورهم.

و قد تبجح بهذه الأعمال شعراء صلاح الدين فقال العماد الأصفهاني من قصيده بديئه طويله:

عاد حريم الأعداء منتهك الحمى و فى الطغاه مقتسما

و الأعداء الذين يتباهى هذا الشاعر بانتهاك حريمهم هم الذين استنجدوا بصلاح الدين على الإفرنج، فكانوا عند صلاح الدين و شعرائه الأعداء الذين يرتكب فيهم هذا الاجرام و يقال فيهم هذا القول...

و إنسانيه صلاح الدين المدعاه له فى معاملته للأفرنج لم تشمل أبناء قومه و دينه. و لم يكن الشعراء و حدهم البذيين الجحودين، بل كان كذلك كتاب صلاح الدين، فقال كاتبه القاضى الفاضل من كتاب أرسله إلى بغداد:

"...و المذله فى شيع الضلال شائع، و مزقوا كل ممزق و رغمت أنوفهم و منايرهم و حقت عليهم الكلمه تشريدا و قتلا..."

على أن أفجع الفواجع كان ما لحق خزائن الكتب و نترك الكلام فى وصفه لابن أبى طى قال: " و من جمله ما باعوا خزانه الكتب و كانت من عجائب الدنيا لأنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الدار التى بالقاهره فى القصر، و من عجائبها: أنه كان بها ألف و مائتان و عشرون نسخه من تاريخ الطبرى، و يقال أنها كانت تحتوى على مليونين و ستمائه ألف كتاب (٣) و كان فيها من الخطوط المنسوبه أشياء كثيره ".

و قد شتتوا هذه الكتب و أضعوها فغدت هباء منثورا، و اتلفوا هذه الكنوز العلميه التى لم يجتمع مثلها لا قبلها و لا بعدها. و يقول العماد الأصفهانى فى ذلك: " و فيها بالخطوط المنسوبه ما اختطفته الأيدى و اقتطت التعدى. و كانت كالميراث مع أمناء الأيتام يتصرف بها بشره الانتهاب و الالتهام... ".

و العماد هذا الذى رأينا بذاءته فيما تقدم من شعره لم يستطع أمام فاجعه العلم إلا أن يكون أكثر تحفظا.

و صاحب الروضتين أبدى من التشفى و البذاءه ما لم يقصر به عن كل من تحدث عن ذلك من قرنائه و مع ذلك فهو نفسه الذى تحدث عن استنجد العاضد بنور الدين، مما لم يستطع إنكاره، كما لم يستطع إنكار غير ذلك مما يدل على أرفع مثال للوطنيه و الحميه الإسلاميه و العرييه التى كان عليها هؤلاء الذين شمت بهم و نبزهم بما نبزهم به و هو يتحدث عن انقراض دولتهم.

و مع أن نور الدين كان ولى نعمه صلاح الدين و سبب تملكه و تفوقه، فقد بدأ صلاح الدين يتنكر له و يتنمر عليه و يرفض امداده بشىء من المال العظيم الذى استولى عليه، و كان نور الدين فى مسيس الحاجه للمال فى قتاله للفرنج، فأكتفى صلاح الدين بإرسال هديه بسيطه إليه.

ثم تظاهر بالتمرد عليه (٤) و فعل صلاح الدين أفزع من ذلك، فقد كان نور الدين عازما على المدخول فى معارك فاصله مع الإفرنج و مجاهدتهم مجاهده حاسمه، فأرسل يستحث صلاح الدين على أن يتقدم من ناحيته، و لكن صلاح الدين كان لا يجيب. و نترك الكلام هنا للمؤرخ ابن الأثير: " و كان المانع لصلاح الدين من غزو الفرنج الخوف من نور الدين، فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه فكان يحتمى بهم عليه و لا يؤثر استئصالهم، و كان نور الدين لا يرى إلا الجد فى غزوهم بجهد و طاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو و علم غرضه تجهز بالمسير إليه، فأتاه أمر الله الذى لا يرد ".

ص: ٥٦

١- المقصود هنا مدينه مصر، اى الفسطاط و ما يتبعها.

٢- الروضتين ج ٢ ص ٩٣٢.

٣- العبارة، ألفى ألف و ستمائه ألف كتاب.

٤- و بعد موت نور الدين غدر صلاح الدين باسرتة و قابل إحسان نور الدين إليه بالقضاء على أسرته.

لسنا نحن الذين نروي هذا القول، بل ان الذي يرويهِ هو ابن الأثير، و ينقله عنه صاحب الروضتين و لا يرى فيه شيئا. و هو الذى تكلم من قبل، و أبدى ما أبدى من القحه و اللؤم على البريئين و الشرفاء. و يروي ابن العديم فى الجزء الثانى من كتابه هذا الأمر بهذا النص: سار الملك الناصر (صلاح الدين) من مصر غازيا فنازل حصن الشوبك و حصره، فطلبوا الأمان و استمهلوه عشره أيام فلما سمع نور الدين بذلك سار من دمشق فدخل بلاد الافرنج من الجهه الأخرى، فقبل للملك الناصر (صلاح الدين): "إن دخل نور الدين من جانب و أنت من هذا الجانب ملك بلاد الافرنج، فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، و ان جاء و أنت هاهنا فلا بد من الاجتماع به و يبقى هو المتحكم فيك بما يشاء و المصلحه الرجوع إلى مصر فرحل عن الشوبك إلى مصر و كرر ابن العديم الروايه فى مقام آخر قائلا: و اتفق نور الدين و صلاح الدين على أن يصل كل منهما من جهته و تواعدا على يوم معلوم أن يتفقا على قتال الفرنج و أيهما سبق أقام للآخر منتظرا إلى أن يقدم عليه فسبق صلاح الدين و وصل الكرك و حصره. و سار نور الدين فوصل الرقيم و بينه و بين الكرك مرحلتان، فخاف صلاح الدين و اتفق رأيه و رأى أهله على العوده إلى مصر لعلمهم بأنهما متى اجتمعا كان نور الدين قادرا على أخذ مصر منه. فعاد إلى مصر. (و كتب إلى نور الدين يعتذر....) و نعتقد أن هذا الكلام الذى رواه ابن الأثير و ابن أبى طى غنى عن أى تعليق و أنه مضافا لما ذكرناه فيما نقدم حدا لأسطوره صلاح الدين الأيوبى....

ولدا أخى صلاح الدين

و إكمالا لما تقدم ننشر ما ياتى لتعلقه باسره صلاح الدين و أقرب الناس إليه، ولدى أخيه العادل:

اصدر الدكتور محمد على الضناوى كتابا سماه "قراءه اسلاميه فى تاريخ لبنان و المنطقه".

- و قد ناقش هذا الكتاب فى احدى الصحف ناقد لبنانى، و نقل فيما نقل عنه هذه الجملة: "ان الحمله شملت فيما شملت أيضا بعض الفرق الإسلاميه المنحرفه و التى تعاونت مع الأعداء كالاسماعيليين و النصيريه و بعض الشيعه".

و المقصود بكلمه (الحمله) حمله المماليك.

و قد رددت على هذه الجملة فى نفس الصحيفه بكلمه يراها القارئ فيما يلى:

يقول الدكتور ضناوى عن حمله المماليك: "أن الحمله شملت أيضا بعض الفرق الإسلاميه المنحرفه و التى تعاونت أيضا مع الأعداء كالاسماعيليين و النصيريه و بعض الشيعه".

لا- ندرى ما يعنى الدكتور بقوله: (بعض الشيعه)، هل يعنى بقوله هذا انهم داخلون فى من أسماهم ببعض الفرق الإسلاميه المنحرفه؟ أم هم داخلون فقط فى المتعاونين مع الأعداء؟ نريد أن نفترض حسن النيه و نأخذ بالقول الثانى، لذلك سنكتفى بان نحدثه بعض الحديث عن المتعاونين مع الأعداء مكتفين من القصص التى عندنا بقصتين فقط: ١ - الكامل و الأشرف ولدا العادل أخى صلاح الدين الأيوبى ترددت الرسل بينهما و بين الملك الصليبي فريديريك الثانى أمبراطور الألمان ليساعدهما على اقربائهما لقاء ثمن باهظ، فتمت الصفقه و سلما إليه القدس (نعم القدس) و ما حولها، و معها الناصره و بيت لحم و طريقا يصل بين القدس و عكا و ذلك سنه ٦٢٥ هـ ١٨ شباط ١٢٢٩ م و يصف ابن الأثير وقع هذه الصفقه على المسلمين قائلا: "و تسلّم

الفرنج البيت المقدس و استعظم المسلمون ذلك و أكبروه و وجدوا له من الوهن و التألم ما لا يمكن وصفه".

و الكامل و الأشرف - كما يعلم الدكتور ضناوى - أليسا من (بعض الشيعة).

٢ - فى السنه ٦٣٨ هـ سلم الصالح إسماعيل الأيوبى صاحب دمشق إلى الصليبيين. صيدا و هونين و تبين و الشقيف فيما سلم لهم من البلاد ليساعده على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر.

و كذلك فان الصالح إسماعيل - كما يعلم الدكتور ضناوى - ليس من (بعض الشيعة).

و نحب هنا أن نذكر موقف (بعض الشيعة) من هذا الحادث، و هم من أهل جبل عامل و من أجداد الذين يقارعون اليوم ببطولاتهم قوى الصهاينه.

فان صاحب كتاب (الأعلاق الخطيره) يسمى منهم (الحاج موسى) و (أحمد الشقيفى) و يقول أن الحاج موسى حين طلب إليه أن يساهم فى عمليه تسليم قلعه الشقيف ابى ذلك و قال: "و الله لا جعلته فى صحيفتى" و لكن الملك الأيوبى ظل يضربه حتى قتله، ثم صادر أمواله. و بالرغم مما أصاب الحاج موسى فان الآخرين أصروا على رفض المعاونه على تسليم القلعه و قرروا مقاومه التسليم و تحصنوا فى القلعه للدفاع عنها، و كاتبوا صاحب الكرك لانجادهم، فجاءتهم، منه نجده لم تغن شيئا لأن الملك الأيوبى جمع جموعه و خرج من دمشق و حاصرهم بنفسه و ضيق عليهم حتى اضطرهم للاستسلام، فقالوا له: "نحن لا يحل لنا أن نسلمه إلى الافرنج و نحن نسلمه إليك و أنت تفعل فيه ما تختاره".

فسلمه الصالح إسماعيل إلى الصليبيين.

لو سلم القدس ملك شيعى اننا نسأل الدكتور ضناوى و غيره، ما ذا كنتم تفعلون لو أن الذى سلم القدس إلى الصليبيين ملك شيعى.

ان فريه افتراها مفتر على ابن العلقمى تكذبها كل نصوص التاريخ الصحيح و تدحضها جميع أقوال المؤرخين الصادقين. ان هذه الفريه الكاذبه اتخذتم منها منذ أكثر من سبعمائه سنه شعارا لكم لا تزالون ترددونه فى كل يوم، و لا تزال أقلامكم طوال تلك القرون حتى هذا القرن، و ستظل فى كل قرن تنضح ببذىء القول و لئيم الكلام و أوضع الشتائم(١) و اخزى الفتاوى و تكفى فتاوى ابن تيميه. اننا نسأل ابن تيميه فى اشخاص الممثلين له اليوم، الناشرين لكتبه و المذيعين لفتاواه، اننا نسأله لما ذا لم تقل كلمه واحده فى الملوك الذين سلموا القدس إلى الصليبيين، أنت الذى ابحت بفتاواك المجرمه دماء

ص: ٥٧

١- كانت آخر الشتائم ما نشر فى احدى المجلات قبل شهرين من تسطير هذه الكلمات.

عشرات ألوف المسلمين المؤمنين الأبرياء المتقين، و بررت للسفاحين الذين سفكوها جرائمهم الشنعاء، و حرصتهم على أن يسفكوا أمثالها في كل مكان.

اننا نتوجه إليكم جميعا أينما كنتم و أينما ستكونون، اننا نتوجه إلى اللذين سبقوكم و إلى الذين سيأتون بعدكم. ما ذا كنتم تفعلون لو أن ملكا شيعيا هو الذى سلم القدس إلى الصليبيين.

الشيعه يدافعون خمس سنين عن طرابلس و الدكتور ضناوى الذى يزعم أن (بعض الشيعه) بين المتعاونين مع الأعداء - و هو لا يستطيع أن يثبت ذلك - ان الدكتور ضناوى و هو يزعم هذا الزعم لا يشير ابدا إلى أن (كل الشيعه) هم اللذين دافعوا عن بلده طرابلس و قاوموا الحمله الصليبيه التى غزتها و ظلوا يقاومونها خمس سنين، و انهم حين ضاقت بهم الأمور و تكاثر عليهم الصليبيون أرسلوا وفدا إلى الخلفه فى بغداد و إلى السلاجقه فيها يستجدون الجميع لحمايه طرابلس (مدينه الدكتور ضناوى) و لكن لم ينجدهم أحد.

و الدكتور محمد على الضناوى الذى يتحدث فى مقاله، و ربما فى كتابه أيضا عن الحضاره الإسلاميه التى شملت فيما شملت لبنان، يعلم أن من أبرز مظاهر تلك الحضاره حضاره (بنى عمار) اللذين كانت عاصمتهم مدينه طرابلس و التى قيل عنها فى عهدهم، و عهد الحسن بن عمار بالذات "ازدهرت و أصبحت مركزا للحياه الفكرية فى بلاد الشام".

بنو عمار هؤلاء كان لهم فى طرابلس اساطيل قيل فيها: "كانت تنتقل فى أنحاء البحر المتوسط معيده إلى الأذهان ذكرى اساطيل الفينيقيين و دورهم التجارى و الحضارى فى العالم القديم". هذه الأساطيل الذى تحدث عنها ابن الأثير فقال: "ان حمله ميره بحريه خرجت من اللاذقيه لانجاد الفرنج المحاصرين لطرابلس فاخرج إليها فخر الملك (من بنى عمار) اسطولا فجرى بينه و بين القادمين قتال شديد ظفر فيه اسطول طرابلس بقطعه من اسطول أعدائهم فأخذوها و أسروا من فيها".

و بنو عمار اشتهرت طرابلس فى عهدهم بصناعه الورق الذى كان يفوق ورق سمرقند الشهير.

و بنو عمار أنشئوا فى طرابلس جامعه (دار العلم)، و كان بين روادها أبو العلاء المعرى، و أنشئوا فيها جامعه (دار الحكمة) و أنشئوا فيها مكتبتهم الكبرى التى قدر بعض المؤرخين عدد ما كانت تحويه من الكتب بثلاثه ملايين كتاب.

بنو عمار هؤلاء هم اللذين دفعوا الصليبيين عن طرابلس خمس سنين، بما ذا تذكرهم طرابلس؟ انها بخلت عليهم حتى باسم شارع من شوارعها. و حين قيل أن فى النيه إنشاء معهد عال فى طرابلس لم يفكر أصحابه بان يكون اسمه (دار العلم) أو (دار الحكمة) بل جعلوا اسمه (دار المنار)، لأن فى الاسمين الأولين إحياء لذكرى بنى عمار!.

و الأستاذ رضوان مولوى ابن طرابلس عز عليه منذ سنين و هو يكتب فى مجله "السياحه" عن طرابلس، عز عليه أن ينسب المكتبه الكبرى إلى بنى عمار فقال: "يقال أن آل عمار الشيعه هم اللذين أسسوها".

و باستثناء ابن طرابلس البار الدكتور عمر تدمرى الذى نقب و درس حتى كتب تاريخا لمكتبه طرابلس العظيمة، باستثناء الدكتور عمر تدمرى تتجاهل مدينه طرابلس بنى عمار، ان لم نقل تتنكر لهم!.

و هذا المنشور هنا كان ردا على ما ورد في بعض المجلات:

ليت الدكتور حسين مؤنس كان أكثر تثبتا و أقل عصبية في مقاله عن العدوان الصليبي، فالبحوث التاريخيه لا تعالج بمثل هذه الروح و الاتهامات لا تلقى هكذا إلقاء اعتباريا.

يقول الدكتور: كان الفاطميون يرحبون بهذا الغزو الأجنبي، يقول ذلك و هو يعلم أن هذا الغزو إنما كان يستهدف أول ما يستهدف إزاله ملك الفاطميين و القضاء على سلطانهم فيما يحكمونه من بلاد!!، و لا نرد عليه نحن بل لنترك لابن القلانسي صاحب ذيل تاريخ دمشق أن يرد عليه بفقرات نأخذها بدون تتبع و لا- استقصاء بل كيفما اتفق من صفحات تقع عليها عينانا مصادفه:

يقول ابن القلانسي في الصفحه ١٤٠ من طبعه سنه ١٩٠٨: في هذه السنه "٤٩٤" خرج من مصر عسكر كثيف مع الأمير سعد الدوله المعروف بالقوامسي و وصل إلى عسقلان لجهاد الافرنج إلى أن يقول: و نهض إليه من الافرنج ألف فارس و عشره آلاف راجل. ثم يفصل المؤرخ المعركه التي استشهد فيها القائد الفاطمي ثم يختم كلامه بهذه الفقره: و عاد المسلمون على الافرنج و تدامروا عليهم و بذلوا النفس في الكره إليهم فهزموهم إلى يافا... " إلى آخر ما قال.

و يقول في الصفحه ١٤١ و في هذه السنه "٤٩٥" خرجت العساكر المصريه من مصر لانجاد و لاه الساحل من الثغور الباقية في أيديهم منها على منازلهم عن أحزاب الفرنج. (و انتهت هذه الحمله بالنصر الفاطمي أيضا).

و يقول في الصفحه ١٤٢ و هو يتكلم عن سنه ٤٩٦: في أول رمضان خرجت العساكر المصريه من مصر إلى البر و الأصطول في البحر مع شرف ولد الأفضل. إلى أن يقول: و تفرق الأصطول و العساكر إلى الساحل و كانت الأسعار بها قد ارتفعت و الأقوات قد قلت فصلحت بما وصل مع الأصطول من الغله و رخص الأسعار إلى آخر ما قال.

و يمضى ابن القلانسي في ذكر هذا و أشباهه في معظم الصفحات إلى أن يصل إلى سنه "٥٠١" فيقول: و في هذه السنه نهض بغدوين في عسكره المخذول من الإفرنج نحو ثغر صيدا فنزل عليه في البحر و البر و نصب البرج الخشب و وصل الأصطول المصري للدفع عنه و حمايه له فظهروا على مراكب الجنويه و عسكر البر...

و في أحداث سنه ٥٠٢ يصف حصار الفرنج لطرابلس و سير الأصطول الفاطمي لانجاده فيقول: فأيقنوا (أهل طرابلس) بالهلاك و ذلت نفوسهم لاشتمال الياس من تأخر وصول الأصطول المصري في البحر و البر و النجده و قد كانت غله الأصطول أزيحت و سير الريح ترده لما يريد الله تعالى من نفاذ الأمر المقضى. إلى آخر ما قال.

و إذا كان القدر أقوى من قوه الفاطميين الذين ردت الريح أسطولهم فلم يستطع الوصول في الوقت المناسب لانجاد طرابلس.

و إذا كان القدر أعتى من كل حماسه و إخلاص و نضال فتغلب الفرنج على قوى الفاطميين كما تغلبوا على قوى السلجوقيين، فالفاطيون عند الدكتور

حسين مؤنس مسئولون عن قوه القدر و عن عتوه. و غيرهم غير مسئول.

و فى أحداث سنه ٥١٧ يقول ابن القلانسى: و فيها ورد الخبر بان أسطول مصر لقي أسطول البنادقه فى البحر فتحاربوا فظفر به أسطول البنادقه و أخذ منه عدده قطع.

كيف ينهزم الأصطول الفاطمى؟ هذه مسئوليه الفاطميين!.

و تظل الحروب سجالا و يظل الفاطميون على سلاحهم يلاحقون الفرنج فى البر و البحر حتى تأتى سنه ٥٤٦ فيقول ابن القلانسى:

و فى هذه الأيام ورد الخبر بوصول الأصطول المصرى إلى ثغور الساحل فى غايه من القوه و كثره العده و العده و ذكر أن عدده مراكبه سبعون مركبا حربيه مشحونه بالرجال. و لم يخرج مثله فى السنين الخاليه و قد أنفق عليه قرب ثلاثمائة ألف دينار و قرب من يافا من ثغور الافرنج فقتلوا و أسروا و أحرقوا ما ظفروا به و استولى على عدده و افره من مراكب الروم و الافرنج ثم قصدوا ثغر عكا و فعلوا فيه مثل ذلك و حصل فى أيديهم عدده و افره من المراكب الحربيه الافرنجيه و قتلوا من الحجاج و غيرهم خلقا عظيما و انفذوا ما أمكن إلى ناحيه مصر و قصدوا ثغر صيدا و بيروت و طرابلس و فعلوا فيها مثل ذلك إلى آخر ما قال.

هذه شذرات قليله من كثير ماخوذه من كتاب واحد و من صفحات محدوده تشير إلى بعض جهاد الدوله التى يقول عنها الدكتور حسين مؤنس أنها رحبت بهذا الغزو الأجنبى. ثم لا يتورع عن القول عنها أنها كانت بلاء على الإسلام و المسلمين. و لعل من هذا البلاء أنها أورثتنا القاهره و الأزهر.

و الدكتور حسين الذى لم يستطع إلا أن يعترف فى مقاله بان صلاح الدين الأيوبى قد عقد اتفاق هدنه مع الصليبيين سلمهم بسببه سلما بلا قتال، الساحل الممتد من صور إلى حيفا.

الدكتور حسين مؤنس الذى اعترف بذلك، لم يجد فيه مأخذا!!!! فليت عفوه و تسامحه اللذين شملا هذه المهادنه و هذا التسليم، قد شملا ما ادعاه زورا على غير صلاح الدين من مثل ذلك.

و نزيد الدكتور مؤنس أن صلاح الدين لم يسلم الصليبيين الساحل فقط، بل سلمهم أيضا قسما من الداخل بما فيه نصف اللد و نصف الرمله و غير ذلك.

سلمهم هذا و هو المنتصر فى وقعه حطين!....

و نزيد الدكتور أيضا أن صلاح الدين رفض ما عرضه عليه الخليفه الناصر بان يمدد بجيوش العراق ليواصل قتال الصليبيين و القضاء عليهم فى فلسطين كلها، لقد رفض ذلك و آثر الهدنه و التسليم. و إذا كان الدكتور مؤنس و غير الدكتور مؤنس فى شك من ذلك فليرجع إلى ما كتبه عماد الدين الأصفهانى صاحب كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى و الذى كان بمثابة سكرتير شخصى لصلاح الدين و شهد كل هذه الأحداث بنفسه.

و نزيد الدكتور أيضا و أيضا بان نور الدين أراد قبل ذلك الزحف على الصليبيين من الشام و طلب من صلاح الدين الزحف

عليهم من مصر و لكن صلاح الدين رفض ذلك و تمرد على متبوعه نور الدين. أما لما ذا فعل ذلك فان ابن الأثير يكفينا الجواب، يقول ابن الأثير: و كان المانع لصلاح الدين من غزو الافرنج الخوف من نور الدين، فإنه كان يعتقد ان نور الدين متى زال عن طريقه الافرنج أخذ البلاد منه فكان يحتمى بهم عليه و لا يؤثر استئصالهم، و كان نور الدين لا يرى إلا الجدد في غزوهم بجهد و طاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو و علم غرضه لتجهز للمسير إليه فأتاه أمر الله الذي لا يرد.

فليت عفو الدكتور حسين مؤنس و تسامحه اللذين شمالا كل هذا شمالا أيضا و هما علق في ذهنه.

و لو كان الدكتور مؤنس أكثر تثبتا و أقل عصبية لما كان قال: (كان أصحاب السلطان هناك (في القدس) رجال الفاطميين انسحبت قواتهم دون قتال إلى عسقلان).

و كذلك فنحن هنا لا نرد عليه بأنفسنا و نترك للأستاذ حسن حبشى صاحب كتاب الحروب الصليبية و لكل المؤرخين أن يردوا عليه. قال الأستاذ حبشى مستندا إلى ابن الأثير و غير ابن الأثير من مؤرخى العرب و الفرنج: (فوجئ افتخار الدوله - حاكم مصر على القدس - بمقدم هذه الجموع اللجبه و أدرك ضعفه عن مقاومتها فعمد إلى تسميم الآبار و طم القنوات و أخرج النصارى من المدينه و عهد بحراسه الأسواق إلى جماعه من العرب و السودان).

و قله التثبت و كثره العصبية تجعل الدكتور مؤنس يسمي الفاطميين باسمهم حين يحسب أنه وجد موطن ضعيف. أما غير الفاطميين فلا يذكرهم أصلا بل يمر بهم مسرعا مجملا الكلام: كما في قوله: في نفس المقال: (بهذا و بدون مقاومه من أهل الدول التي كانت قائمه إذ ذاك و جنودها الكثيرين وضع الصليبيون قدما ثابتة في أرض الشام) فإذا صح هذا فلما ذا هذه العناية بذكر الفاطميين و تخصيصهم و حدهم ما دامت الدول القائمه كلها و جنودها الكثيرون لم يقاوموا باعتراف الدكتور المؤرخ؟! جواب الدكتور مؤنس:

كان كل ما أجاب به الدكتور مؤنس على ردنا عليه أن استشهد بقول لكاتب أوروبى.

و كنا قد قرأنا من قبل للدكتور مؤنس مقالا- فى المجله نفسها يعنى فيه على من يستندون فيما يكتبون عن تاريخ العرب و المسلمين على كتاب أوروبيين، جاءت فيه هذه الجملة فى معرض الإنكار و التأييب: "... كلام ينقلونه من كتب أوروبيه و نقل عنهم دون تفكير أو احساس!!..."

صدق الدكتور مؤنس... "نقل عنهم دون تفكير أو احساس!" و الدكتور يقول فى هذا المقال مدافعا عن المسلمين المنهزمين امام المغول:

"... فإذا كان المغول قد انتصروا عليهم فلهم عذرهم".

للمنهزمين امام القوى المغوليه الطاغيه عذرهم، لأنهم غير فاطميين، اما المنهزمون امام القوى الصليبيه الجارفه فلا عذر لهم، لأنهم فاطميون!!! و إليك نص ما أجاب به الدكتور مؤنس على ردنا عليه:

"ينكر السيد حسن الأمين ما ذهب اليه من اتجاه الفاطميين إلى التعاون مع الصليبيين أول ما نزلوا أرض الشام".

و نعلق نحن على هذه الفقره من رد الدكتور مؤنس بما يلي:

١ - لقد تراجع عن اتهامه السابق بعد ان قرأ ردنا عليه و ما واجهناه به من حجج دامغه. فبعد أن كان في مقاله السابق يتهم الفاطميين اتهاما صريحا

ص: ٥٩

بالتعاون مع الصليبيين أصبح الآن يسمى ذلك: (اتجاه الفاطميين إلى التعاون).

٢ - ان دولة الفاطميين استمرت أكثر من مائتين و خمسين سنة، فان صح - و ليس ذلك بصحيح - نقول: إن صح أن واحدا من رجالها قد تعاون مع الصليبيين، فقد كان على الدكتور مؤنس ان يسمى ذلك الرجل باسمه، لا ان يقول (الفاطميون).

ثم يسترسل الدكتور مؤنس فى القول: ذاكرا ما خلاصته انه عند ما دخل الصليبيون أرض الشام و بدءوا حصار انطاكيه، توهم رجال الدوله الفاطميه ان أولئك الصليبيين إن هم إلا جند مرتزقه أرسلهم امبراطور الدوله البيزنطيه لكى يعاونوه على السلاحقه و ان الأفضل وزير المستعلى أرسل إليهم سفاره ثم عادت هذه السفاره بدون نتيجته.

ثم يعترف الدكتور مؤنس بأنه لم يجد هذا القول فى أى مصدر عربى و ان مصدره الوحيد فى ذلك مصدر أوربى.

و نرد على قوله هذا بما يلى:

١ - بفرض صحه كل ذلك - و هو كما قلنا غير صحيح - نقول بفرض صحته فهو يعترف بان رجال الدوله الفاطميه لم يكونوا يعرفون بان هناك غزوا صليبيا يستهدف البلاد و انهم ظنوا بان القادمين جند مرتزقه. و من الطبيعى فى هذه الحال ان ترسل الدوله من يستطلع حال هؤلاء المرتزقه القادمين و يكلمهم ليعلم مقاصدهم.

ثم انه يعترف بان الذين ذهبوا للقاء هؤلاء المرتزقه عادوا دون ان يكون للقائهم معهم أيه نتيجته، و ان اى اتفاق معهم لم يحصل، و ان الدوله الفاطميه قد قاومت زحفهم و قاتلتهم و صمدت لهم ما استطاعت الصمود، و لكنهم كانوا أقوى منها، و كما انتصر المغول على المسلمين (غير الفاطميين) لأنهم أقوى منهم - باعتراف الدكتور مؤنس نفسه - كذلك انتصر الصليبيون على المسلمين (الفاطميين) لأنهم أقوى منهم. و لكن بما ان الأولين (غير فاطميين) فان لهم عذرهم فى هزيمتهم، و بما ان الآخرين (فاطميون) فليس لهم عذرهم فى ذلك!. هذا هو منطق الدكتور حسين مؤنس و منطق غيره من أمثاله أيضا...

٢ - إنا نرد على الدكتور مؤنس فى استشهاده على مزاعمه بأقوال الكتاب الغربيين بما رد به هو نفسه على من يستشهدون بهم حين يبحثون شئون التاريخ الإسلامى حين قال - كما ذكرنا من قبل :- (... كلام ينقلونه من كتب أوروبيه... و نقل عنهم دون تفكير أو إحساس "....

و الفاطميون أيضا:

نشرتم فى العدد الأخير من مجله "السياحه" مقالا عن كتاب "صيدا فى العصر الإسلامى" لمؤلفه الدكتور سيد عبد العزيز سالم كله ثناء على الكتاب فى حين أنه ملئ بالمغالطات التاريخيه و الافتراءات المدسوسه.

فالروح التى كتب بها الكتاب بعيده عن الروح العلميه التى يفترض أن يتحلى بها من يتصدى لكتابه التاريخ لا سيما إذا كان قد وضع نفسه موضع الأستاذ الجامعى الموجه. هذا فضلا عما فيه من أغلاط تاريخيه هى فى واقعها جهل لأبسط أحداث التاريخ.

لقد جعل المؤلف همه النيل من الدوله الفاطميه و كانت هذه هى غايته الأولى فى الكتاب. فهو مثلا يتحدى الحقيقه و يتجرأ

على الحق فيما يرويه من أحداث و ذلك من أجل الوصول إلى هدفه التخريبي. فهو مثلا يزعم أن الدوله الفاطميه هي مسئوله عن احتلال الصليبيين لصيدا. و هو فى هذا القول إما جاهل و إما منحرف عن الحق و الحقيقه.

و يبلغ الدكتور ذروه التعصب الأعمى حين يميز بين الأسطول المصرى و الأسطول الفاطمى، فهو حين يضطر لأن يشير إلى كفاح الأسطول الفاطمى يسميه الأسطول المصرى، و حين يظن أنه وجد مغمزا فى هذا الأسطول، يعود عند ذلك فيسميه أسطولا فاطميا، و فى ذلك العهد هل كان هناك أسطولان لمصر أحدهما مصرى و الآخر فاطمى؟؟ و قد رد الدكتور سالم على ردنا فأجبناه بما يلي:

١ - يقول الدكتور سالم أنه لم يسع قط إلى النيل من الفاطميين إلى آخر ما قال:

و نحن نسأله أ لم يقل فى الصفحه ٩٧ من كتابه هذا القول:

"... السلطات الفاطميه فى مصر قد أسهمت فى ضياع مدن الساحل السورى كله..."

و إذا لم يكن هذا القول الظالم المخالف لأبسط حقائق التاريخ نيلا من الفاطميين فكيف يكون النيل منهم؟..

يقتل قائد أسطول الفاطميين و هو يقاتل دفاعا عن الساحل السورى.

و يخوض هذا الأسطول أعنف المعارك و أشدها لحمايه هذا الساحل، و يمد الثغور المحصوره بالأقوات و السلاح لتصمد و تقاتل. و مع ذلك فهو مسهم فى ضياع هذا الساحل؟. و مع ذلك فالدكتور سالم يقول: انه لم يسع للنيل من الفاطميين.

٢ - يقول الدكتور أنه لم يفرق بين أسطول مصرى و أسطول فاطمى و انه اعتبرهما شيئا واحدا، و أنه خلاف ما نزع نحن، لم يذكر الاسطول المصرى فى وقت انتصاراته و الأسطول الفاطمى عند ما يجد مغمزا فيه.

قد لا يكون الدكتور سالم قد تعمد ذلك، و لكن هذا ما جاء فى كتابه فهو فى بحث واحد و فى سطور متتابعه صفحه ٩٦-٩٧ يقول مثلا عن صيدا أنه لحسن حظها وصل الأسطول المصرى فى تلك الآونه للذب عنها و مدافعه الصليبيين.

و فى نفس الصفحه يتحدث عن اضطرار هذا الأسطول للتأخر فى الوصول لانجاد طرابلس فيسميه: "السفن الفاطميه" ...ثم يكمل الحديث فى الصفحه التاليه و كيف وصل الأسطول متأخرا فيسميه الأسطول الفاطمى.

و عن طلّاع بن رزيك قالوا:

نقل العماد عن خطبه ديوان المترجم: "فقد نشرت أيامه مطوى الهمم، و أنشرت رفات الجود و الكرم، و نفقت بدولته سوق الآداب بعد ما كسدت، و هبت ريح الفضل بعد ما ركدت. إذا لها الملوك بالقيان و المعازف كان لهوه بالعلوم و المعارف، و إن عمروا أوقاتهم بالخمير و القمر كانت أوقاته معموره بالنهى و الأمر.(١)ب.

و يقول عنه الدكتور محمد كامل حسين فى كتابه (من أدب مصر الفاطميه):

"و من عجب أن يجتمع فى بلاطه أكبر أعيان أهل الأدب مثل: الجليس و الموفق بن الخلال و ابن قادوس و المهذب بن الزبير و الرشيد بن الزبير و غيرهم الذين وصفهم عماره اليمنى بقوله: و ما من هذه الحلبه أحد إلا- و يضرب فى الفضائل النفسانيه و الرئاسه الإنسانيه بأوفر نصيب، و ما زلت أأخذو على طرائفهم و أعرض جذعى فى سوابقهم حتى أثبتونى فى جرائدهم.

فهؤلاء الأعلام كانوا يجتمعون فى مجلس الملك الصالح طلائع بن رزيك يتناشدون الشعر و يتناظرون فى بعض المسائل العلميه و الأدبيه و يستمعون إلى شعره".

و يقول المقرئى: أن له قصيده سماها الجوهره فى الرد على القديره، و أنه صنف كتابا سماه (الاعتماد فى الرد على أهل العناد) جمع له الفقهاء و ناظرهم عليه، و هو كتاب يبحث فى إمامه على بن أبى طالب و الأحاديث النبويه التى وردت فيه.

ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلى

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٠٣ من المجلد السابع و نزيد عليها هنا ما ياتى:

قال الدكتور عبد المجيد زراقت:

كان أبو الأسود الدؤلى "من وجوه التابعين و فقهاءهم و محدثيهم و هو كان الأصل فى بناء النحو و عقد أصوله". (١) و عنه يقول الجاحظ: "أبو الأسود الدؤلى معدود فى طبقات من الناس، و هو فى كلها مقدم، مأثور عنه الفضل فى جميعها، كان معدودا فى التابعين و الفقهاء و الشعراء و المحدثين و الأشراف (٢) و الفرسان و الأمراء الدهاه و النحويين و الحاضرى الجواب و البخل و الصلح الأشراف و البحر الأشراف". و نرى فى أبى الأسود أيضا صفات تدعو إلى الإكبار و الإجلال. يتعلق بالله عن عميق إيمان:

و إذا طلبت من الحوائج حاجه فادع الإله و أحسن الأعمالا

فليعطينك ما تشاء بقدره فهو اللطيف لما أراد فعلا

إن العباد و شأنهم و أمورهم بيد الإله يقلب الأحوال

فدع العباد و لا تكن بطلابهم لهجا تضعضع للعباد سؤالا

(٣) هذا الترفع ينتج عن إيمان و عن إعزاز للنفس يتدبره عقل واع، فهو حين شاخ لم يكن يقعد فى البيت و إنما كان يخرج كى يبقى مهابا محترما فى منزله و كى يبقى على صله بالحياه. و ما كان يرضى الهبه، قال يوما لصديق أراد أن يهبه فروه:

بغنى نسيب و لا تثبنى إننى لا أستثيب و لا أئيب الوائبا

و لم يكن ميسور الحال باستمرار (٤)، و لعل هذا ما يفسر اتهام الناس إياه بالبخل، و الحقيقه أنه كان مقتصدا يتدبر أمره مما يدره

عليه رزق كان له، إذ يتحدث عنه صاحب الأغاني كمقتنى إبل يساوم في أثمانها. و الملاحظ أن أبا الأسود لم يحترف الشعر و لم يمدح لأجل أن يعطى، كما أنه لم يهج برغم أن له من الأجوبه اللاذعه ما يسجل، و برغم ما يقول عن لسانه:

فان لسانى ليس أهون وقعه و أصغر آثارا من النحت بالفأس

و إن تعرض لأحد بهجاء، فان ما يقوله مقبول لدرجه أن المهجو يتمثل به. قال أبو الأسود للحصين، فى نهايه أبيات عرض فيها رفض الأخير شفاعته:

يصيب و ما يدرى و يخطى و ما يدرى و كيف يكون النوك إلا كذلكا

و كان الحصين يتمثل بهذا الشعر عند ما يقضى بين الناس.

(٥) الحق أنه من النادر أن نلتقى بشاعر فى العصر الأموى و فى العراق هذه صفاته. و لنقرأ هذا الشعر قاله لصديق له، كان قد حكم عليه بالحق:

و لا تدعنى للجور و اصبر على التى بها كنت أفضى للبعيد على أبى

و إنى امرؤ أخشى إلهى و أتقى معادى و قد جربت ما لم تجرب

هذا هو أبو الأسود الإنسان، رجل مؤمن تقى عالم، يتدبر أموره بعقل و رويه، و يترفع بنفسه عن كل ما يؤذيها. و كان هكذا فى شعره، لم يتكسب به، و لم يتسلط به أيضا برغم أنه كان محتاجا لدرجه أن يكسى ثوبا أو ليسدد عنه دين و برغم أن لسانه ما كان كليلا إنه طراز من الشعراء نادر و إن لم يعرف، فى المقام الأول، كشاعر.

ما كان أبو الأسود يمدح و ما كان يهجو، و هذه مواضع فى الشعر العربى رئيسيه حتى أنها كانت تحدد منزله الشاعر، و هذا ما لم يابه له. و لو كان محبا للمال، كما يقولون، لاهتم باستغلال شعره. و ما كان ليفعل، و هو الإنسان العالم الذى كان العقل رائده فى مجمل تصرفاته، إضافة إلى أنه كان يسترشد الإله و حده فى سلوكه.

إذا فيم كان يقول الشعر؟ الواقع أن اطلاعا سريعا على شعر أبى الأسود يفيد أنه كان ينظم الشعر فى الأمور اليوميه التى كانت تعرض له، و هذا أمر جديد على الشعراء، و فى تأييد مذهبه.

كان يتناول، فى شعره، أمور حياته، حتى الصغيره جدا منها. أراد جاره خداعه فى شراء ناقه منه، فقال له: بثت الخلتان فيك: الحرص و الخداع و أنشد: (٦)

يريد وثاق ناقتى و يعييبها يخادعنى عنها وثاق بن جابر

فقلت: تعلم يا وثاق بأنها عليك حمى أخرى الليالى الغواير

بصرت بها كوماء حوساء جلده من الموليات الهام حد الظواهر

فحاولت خدعى و الظنون كواذب و كم طامع فى خدعتى غير ظافر

و لم يكن تناوله لهذه الأمور العاديه عاديا، بل كان تناول الإنسان المفكر المتبصر الذى يصل، من خلال معالجه القضيه اليوميه، إلى تعميم يهم الناس جميعا. كان يعرض القضيه و يستوفى تفصيلاتها ثم ينتهى بحكم عام يصح أن يتخذ حكمه أو مثلا:

بلغه أن زيادا يوقع به، فقال فيه كثيرا. و مما قاله هذه الآيات:

[\(٧\)](#)

نبئت زيادا ظل يشتمنى و القول يكتب عند الله و العمل

ص: ٦١

١- الأغانى، ٢٩٧/١٢.

٢- المصدر نفسه، ٣٠٠/١٢.

٣- المصدر نفسه، ٣٠١/١٢.

٤- المصدر نفسه، ٣٢١/١٢ و ٣٣١.

٥- المصدر نفسه، ٣٠٧/١١ النوك: الحقق.

٦- المصدر نفسه، ٣١٥/١٢.

٧- المصدر نفسه، ٣١٢/١٢.

و قد لقيت زيادا ثم قلت له و قبل ذلك منا خبت به الرسل

حتى م تسرقني في كل مجعته عرضي، و أنت إذا ما شئت منتفل

كل امرئ صائر يوما لشيمته في كل منزله يبلى بها الرجل

أبو الأسود، في هذه الأبيات، إنسان مؤمن بالله، يستوحى تعاليمه في سلوكه و فهمه للأمور، و ينظر بعقل لما يجرى معه، فيخلص إلى حكمه إنسانيه عامه تتحول بالقضيه الصغيره الفرديه إلى قضيه كبيره عامه.

و يقول ابن طي.

- "خطب أبو الأسود امرأه من عبد القيس يقال لها أسماء، فأسر أمرها إلى صديق، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها - و كان لها مال عند أهلها - فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبي الأسود، و سالهم أن يمنعوها من نكاحه و من مالها الذي في أيديهم ففعلوا ذلك، فزاروها حتى تزوجت ب ابن عمها، فقال أبو الأسود الدؤلي (1)

لعمري لقد أفشيت يوما فخانني إلى بعض من لم أخش سرا ممنعا

فمزقه مزق العمى و هو غافلو نادى بما أخفيت منه فاسمعا

فقلت و لم أفحش لعلك عاثر و قد يعثر الساعي إذا كان مسرعا

و لست بجازيك الملامه إنني أرى العفو أدنى للرشاد و أوسعا

و لكن تعلم أنه عهد بيننا فبن غير مذموم و لكن مودعا

حديث أضعناه كلانا فلا أريو أنت نجيا آخر الدهر أجمعا

و كنت إذا ضيعت سر ك لم تجد سواك له إلا أشت و أضيعا"

و يتناول القضية ذاتها مشبها إذاعه السر بالنار الموقده عاليا مكثفا من حكمه:

"أمنت امرأ في السر لم يك حازما و لكنه في النصح غير مريب

إذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بنقوب

فما كل ذي نصح يؤتيك نصح و ما كل مؤت نصح بليب

و لكن إذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعه بنصيب"

و أحيانا ياتى تناوله للقضيه مركزا فى موقف، و منذ البدايه. و ذلك عند ما تكون القضيه عنده بالغه الشأن: حكم على صديقه، فقال له: و الله ما بارك الله لى فى صداقتك، و لا نفعنى بعلمك و فقهك... فقال أبو الأسود: (٢)

إذا كنت مظلوما فلا تلب راضيا عن القوم حتى تأخذ النصف و أغضب

أرادت ابنته نهيه عن الذهاب إلى فارس فقال:

(٣)

إذا كنت معنيا بامر تريده فما للمضاء و التوكل من مثل

توكل و حمل أمرك الله إن ما تراد به آتيك فاقنع بذى الفضل

لزم ابنه منزله قائلا: " إن كان لى رزق فسيأتينى "، فقال له أبو الأسود: (٤)

و ما طلب المعيشه بالتمنيو لكن ألق دلوك فى الدلاء

تجئك بملئها يوما و يوما تجئك بحماه و قليل ماء

و هذا الموقف من أبى الأسود يتناسب و نظره العقلى إلى الأمور. و لعل " و ما طلب المعيشه بالتمنى... " يذكر ب " و ما نيل المطالب بالتمنى " لشوقى. و أبو الأسود، فى الشطر الثانى، دعا إلى الصراع و لكن على شكل صورته منتزعه من الحياه اليوميه فى حين أطلق شوقى " و لكن تؤخذ الدنيا غلابا " الحكم. و أحيانا كان يتناول القضيه بطريقه سرديه مشوقه ينتهى بتساؤل هو أقرب إلى التأكيد و كأنه يريد مشاركته الآخرين فى إطلاق الحكم.

خدعته (٥) امرأه فتزوجها و كانت على عكس ما ادعت، فجمع أقاربها و قال لهم:

أريت امرأ كنت لم أبله أتانى فقال اتخذنى خليلا

فخالته ثم أكرمته فلم استفد من لدنه فتبلا

و ألفيته حين جربته كذوب الحديد سروقا بخيلا

فذكرته ثم عاتبته عتابا رفيقا و قولها جميلا

فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر الله إلا قليلا

أ لست حقيقا بتوديعه و اتباع ذلك صرما طويلا؟

بلى أنت حقيق بذلك! و حقيق أيضا بمزيد من الانتباه، لهذه النظرات العقلية إلى شئون الحياه، و هي، و ان كانت عقليه، تنبض بالحياه لأنها منتزعه منها. فهي حوادث معيشه تعمم و تجرد، دون أن تكتسب بروده التجريد و دون أن تفقد حراره الحياه، و هذا ما يميز الجديد الأصيل في الشعر العربي عن الجديد المفتعل الذي أتى في عصور لاحقه. و هذا ما يجعلنا نقول:

إن أبا الأسود أتى بجديد مهم جدير بالدرس المفصل.

و أبو الأسود تلميذ الامام على في علمه و سلوكه، و هو من الذين استوعبوا الاتجاه الإسلامي للإمام، و كان من الأوفياء له و بقى كذلك حتى آخر حياته. و هو، في شعره، يصدر عن هذا الوفاء النابع عن إيمان بالله و اقتناع بان المذهب الشيعي إنما يمثل الاتجاه الإسلامي الصحيح. " كان بنو قشير يؤذون أبا الأسود لحبه عليا ع و يرمونه بالليل فإذا أصبح قال لهم: يا بنى قشير، أى جوار هذا؟ فيقولون له: لم نرمك، إنما رماك الله لسوء مذهبك و قبح دينك! فقال في ذلك:

يقول الأزدلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا!

فقلت لهم و كيف يكون تركى من الأعمال مفروضا عليا؟

أحب محمدا حبا شديدا و عباسا و حمزه و الوصيا

هوى أعطيته لما استدارت رحي الإسلام لم يعدل سويا

أحبهم لحب الله حتى أجيء إذا بعثت على هويا

رأيت الله خالق كل شىء هداهم و اجتبي منهم نيبا

(٦) الشاعر، في هذه القطعه، يبين لنا مذهبه و يبرر اختياره. و هي نظره عقليه هذه التى أطل بها. يرى حبههم واجبا و منذ استدارت رحي الإسلام، ٢.

ص: ٦٢

١- المصدر نفسه، ٣٠٥/١٢.

٢- المصدر نفسه، ٣٠٦/١٢.

٣- المصدر نفسه، ٣٠٨/١٢.

٤- المصدر نفسه، ٣٣٠/١٢.

٥- المصدر نفسه، ٣١٠/١٢.

٦- المصدر نفسه ٣٢١/١٢.

و هو يحبهم انطلاقا من حبه لله الذى اصطفاهم و اختار منهم نبيه. و الشاعر لم يكن متخذا موقفه لهذا السبب وحده و إنما لأسباب تتضح فى هذه القطعه، كما يتضح فيها موقفه إزاء استشهاد الامام الذى لم يصبه باليأس و لا بالارتقاء فى أحضان الحزن و إنما بالدعوة إلى استئناف العمل بقياده: "ابن نبينا و أخيئا.." (١)

ألا أبلغ معاويه بن حربفلا قرت عيون الشامتينا

أ فى شهر الصيام فجعتمونابخير الناس طرا أجمعينا

و كنا قبل مقتله بخيرنرى مولى رسول الله فينا

يقيم الدين لا يرتاب فيهو يقضى بالفرائض مستيينا

فلا تشمت معاويه بن حربفان بقيه الخلفاء فينا

و أجمعنا الاماره عن تراضإلى ابن نبينا و إلى أخيئا

ينطلق الشاعر من المبدأين الأساسيين للشيعه و اللذين ذكرناهما قبلا و هما:

القرباه من النبى و النهج فى الحكم المبنى على العدل و إقامة الحدود. فى وقوفه إلى جانب آل البيت:

سأجعل نفسى لهم جنه فلا تكثرى لى من اللائمه

أرجى بذلك حوض الرسول و الفوز بالنعمه الدائمه

لتهلك إن هلكت بره و تخلص إن خلصت غانمه

و هو يتخذ موقفا له دلالتة البالغه على التزامه الكامل لمذهبه. "قال الحارث بن خليلد (و كان فى شرف من العطاء) لأبى الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان فان فيه غنى و خيرا؟ فقال له أبو الأسود: قد أغنانى الله عنه بالقناعه و التجمل! فقال: كلا و لكنك تتركه إقامة على محبه ابن أبى طالبو بغض هؤلاء القوم".

ظالم بن شراق

فى رجال ابن داود: يكنى أبا الصفرة، والد المهلب، كان شيعيا، و قدم بعد الجمل فقال لعلى (ع): أما و الله لو شهدتك ما قاتلك ازدي، فمات بالبصره فصلى عليه أمير المؤمنين (ع).

عابس بن أبى شبيب الشاكرى.

جاء عابس بن أبى شبيب الشاكرى يوم كربلاء و معه شوذب مولى شاكرفقال يا شوذب ما فى نفسك ان تصنع قال ما أصنع

أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ص حتى أقتل قال ذلك الظن بك إما لا فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه و حتى أحتسبك أنا فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه فان هذا يوم ينبغي لنا ان نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه فإنه لا عمل بعد اليوم و انما هو الحساب قال فتقدم فسلم على الحسين ثم مضى فقاتل حتى قتل قال ثم قال عابس بن أبي شبيب يا أبا عبد الله اما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب و لا بعيد أعز على و لا أحب إلى منك و لو قدرت على أن أدفع عنك الضيم و القتل بشيء أعز على من نفسي و دمي لفعلته السلام عليك يا أبا عبد الله أشهد الله أني على هديك و هدى أبيك ثم مشى بالسيف مصلتا نحوهم و به ضربه على جبينه (قال أبو مخنف) حدثني نمير بن وعله عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم قال لما رأيته مقبلا عرفته و قد شاهدته في المغازي و كان أشجع الناس فقلت أيها الناس هذا الأسود هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن اليه أحد منكم فاخذ ينادي ألا رجل لرجل فقال عمر بن سعد ارضخوه بالحجارة قال فرمى بالحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه و مغفره ثم شد على الناس فوالله لرأيته يكرد أكثر من مائتين من الناس ثم انهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل قال فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوى عده هذا يقول أنا قتلته و هذا يقول أنا قتلته فأتوا عمر بن سعد فقال لا تختصموا هذا لم يقتله سنان واحد ففرق بينهم بهذا القول.

العباسيون و علاقاتهم الشيعيه.

هذا بحث عام يتعلق بعدد وافر من رجال (أعيان الشيعة) وردت تراجمهم خلال مجلدات الكتاب نعدد منهم: الامام جعفر بن محمد الصادق، و الامام موسى بن جعفر، و محمد، و إبراهيم ولدا عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي، و الحسن بن زيد الملقب بالداعي إلى الحق، و إدريس بن عبد الله بن الحسن، و زيد بن علي، و عبد الله بن الحسن، و الحسن بن زيد بن الحسن، و علي بن عبد الله بن العباس، و أبو سلمه الخلال، لذلك فهو من صميم موضوعات (أعيان الشيعة) لارتباطه بالرجال الذين مرت اسمائهم، و لا بد لمن يدرس ترجمه واحد منهم في (الأعيان) من أن يعود إلى هذا البحث و هو مكتوب بقلم الشيخ محمد رضا الشيباني:

أبو العباس السفاح

بويح أول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح فكانت بيعته اجماعيه، أجمع عليها أهل بيته و أنصارهم، و بهذا الإجماع امتازت بيعته على بيعه غيره ممن جاء بعده أو خلفه في هذا المنصب، أى أن عصر السفاح امتاز بعدم ظهور منافس له أو ناثر عليه، و مع أن أخاه و خلفه من بعده المنصور أكبر منه سنا الا انه كان في مقدمه من بايعه.

لم يحدث في خلافة السفاح حدث على أهل بيته أو أبناء عمومته خلافا لما وقع في خلافة المنصور، لأن السفاح كان معنيا باستئصال الأمويين في هذا الدور، و هو دور التأسيس و البناء.

بطش العباسيون الأول بطشه جباره ببني أميه، قتلوهم أينما وجدوا، حتى توارى عن الأنظار كل متصل بنسب إلى بني أميه، بيد أن كثيرا من أهل الشام حاضرهم و باديههم و كثيرا من عرب الجزيرة و ديار بكر، و هم من ربيعه و مضر و تغلب و بكر بن وائل، ظلوا ناقلين على الهاشميين أو العباسيين، لاسباب شتى، و هم يستظلون بظل الرايه العباسيه، بل أجهد العباسيين بعد ذلك

استئصال شاقه كثير من الناقمين عليهم فى حواضر الشام و الجزيره و بواديها، فانطوى هؤلاء على كثير من الغل و فساد النيات.

أصبح هؤلاء الناقمون عوناً لكل تائر على العباسيين، و لو لم يكن ذلك التائر من بنى أميه فكثرت الفتن فى الشام و الجزيره و فى ديار بكر و ربيعه و فى ديار مضر و تعدد خروج الخوارج فى هذه البلاد، و لا يخلو تاريخ بلد قديم غلب أهله على أمرهم من محاوله للثوره و الانتفاض على الغالب. فقد ثار الحجاز و ثار العراق و ثار غيرهما من الأقطار على حكم بنى أميه، فلما ذا لا تثور الشام؟ و لما ذا لا تثور الجزيره على حكم بنى العباس و قد تعددت الفرص السانحه لمناهضه الدوله الجديده و مناهضه خلفائها، و لم تعدم هذه الفرص

ص: ٦٣

١- الأغاني، ٣٢٩/١٢ تكمل من مروج الذهب، ٢٨٦/٢.

من ينتهزها من ذوى المطامع و الأغراض البعيده، و فى البلاد المذكوره - و هى الجزيره و الشام - بقيه باقيه من أنصار بنى أميه و من مواليهم الضالعين معهم، و لنا ان نقول: ان القطر الشامى و ما اليه قد استحال بسبب سخط الساخطين و بسبب وجود عدد لا يستهان به من موالى الأمويين و أنصارهم إلى بيته صالحه للخروج على بنى العباس و للدعوه إلى مناهضتهم و خصومتهم من أيه ناحيه جاءت هذه الخصومه.

أبو جعفر المنصور

و ما أن وافى السفاح أجله ليخلفه أخوه الأكبر أبو جعفر المنصور حتى كشرت الفتن عن أنيابها، و حتى تواتت القلاقل فى دولته و لكنه - أى المنصور - واجهها بما عرف عنه من صرامه و فطنه و دهاء، و قد تخلص - بموجب خطه رسمها - من خصومه واحدا بعد الآخر. تخلص من عمه عبد الله بن على الثائر عليه بأبى مسلم الخراسانى صاحب الدوله، ثم تخلص من أبى مسلم كما تخلص من زعماء آخرين توسم فى بقائهم خطرا على دولته، و خلع ابن أخيه عيسى بن موسى من ولايه العهد - و كان السفاح عهد اليه من بعد المنصور - و عيسى هو الذى حارب له الأخوين محمدا و إبراهيم من أبناء العالم الامام فظفر بهما، فكوفئ بخلعه من قبل المنصور، و عهد بولايه عهده إلى ولده المهدي ثم إلى عيسى بن موسى هذا، و الأقربون أولى بالمعروف، فكان من يبايعه يقبل يده و يد المهدي ثم يمسح على عيسى و لا يقبلها، نقل ذلك ابن تغرى بردى و أعقبه بقوله: "ان البلاء و الرياء قديمان"، ثم أن المهدي خلع ابن عمه المذكور من ولايه العهد و عقدها لولده الهادي، و كانت أول ثوره على المنصور ثوره الأمير عبد الله بن على عم الخليفه.

عبد الله بن على

يعد عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بين أنبه الأمراء العباسيين. و أبوه على - و هو الذى انتشر الخلفاء العباسيون من نسله - من أوائل الهاشميين الذين رشحوا للخلافه بعد أن نضجت فكره النوره على الأمويين و إحلال الهاشميين محلهم فى هذا الشأن، و قد أعقب أكثر من عشرين ولدا ذكرا، من أشهرهم: عبد الله هذا، و أخواه محمد و صالح أبناء على، و كان لكثير من أولاده شان فى تاريخ الدولتين الأمويه و العباسيه، الا أن الخلافه العباسيه كانت من نصيب أولاد محمد بن على و هو أكبر من أخيه عبد الله، و لم يبايع بالخلافه أحد من ولد عبد الله بن على المذكور، ثم هو الأمير الذى ندبه السفاح لقتال مروان الجعدى فظفر به و بغيره من أمراء بنى مروان فى واقعه الزاب و على يده انقضت دولتهم، من ثم استخلص الشام و مصر، و كان ساعده الأيمن فى ذلك أخاه صالح بن على الذى جهزه السفاح على طريق السماوه فطارد مروان و فلول الجيش الأموى إلى مصر و قتله فى (أبى صير)، و هو - أعنى عبد الله بن على - بعد ذلك عم السفاح، لذلك كان يحدث نفسه بالخلافه، بل كان يرى أنه أحق العباسيين بعد السفاح بان يكون خليفه. أحق من المنصور و أحق من سائر أمراء بنى العباس، و كان يظن أن ابن أخيه - أى السفاح - لا يعدوه فى الوصيه بولايه عهده لانه نائبه فى الجهاد و قياده الجيوش و غزو الروم، و لكن السفاح عهد فى مرض موته بولايه العهد إلى أخيه المنصور ثم إلى ابن أخيه عيسى بن موسى و ما أن علم عبد الله بن على ببيعه المنصور فى العراق و كان - كما قلنا - يتحين الفرص للمطالبه بحقه فى الخلافه، حتى جاهر بالدعوه إلى نفسه و عدل بجيشه إلى العراق، و لكن خانه الحظ و أخفق فى الوصول إلى بغيته، و انتهت حياه بطل الزاب بالموت فى سجن ابن أخيه المنصور بعد هزيمته فى واقعه "نصيبين" على يد أبى مسلم الخراسانى، و هكذا أخفق عبد الله بن على فى الوصول إلى غايته المنشوده، و مرد اخفاقه فيما نراه إلى قصر

نظرة وافتقاره إلى شيء كثير من الدربه و الحنكة السياسي، و كان دون أخيه محمد بن علي ربان الدعوة العباسيه في كل شيء. كان دونه في عقله الراجح و كان دونه في حزمه و خبرته الواسعه، و قد ارتكب في دعوته إلى نفسه أغلاطا فظيعة أمر بقتل عدد كبير من الخراسانيين كانوا في جيشه لتوهمه بميلهم إلى أبي مسلم الذي ندب لقتاله.

و هم أيضا أن يفتك ببعض القحاطبه و هم من أشهر القواد في جيشه. و كان جل جيشه الباقي مؤلفا من أهل الشام الذين غلبوا على أمرهم في واقعه الزاب و لا- بد لنا من القول: أن المنصور اضطرب الاضطراب كله في بدء هذه الحركة التي قام بها عمه حتى انه هم بالخروج إلى مناجزته بنفسه، و كان لا يرى من بعده أهلا للقيام بحرب عبد الله الا أبا مسلم الخراساني، و لذلك قال له: " ليس لهذا الأمر الا أنا أو أنت فامتثل أبو مسلم أمر المنصور في قمع هذه الثورة، و لم تقمع الا بعد أن مضت عليها أشهر غير قليلة، و هي أول حرب تقع في صدر الخلافة العباسيه بين أهل خراسان بقياده أبي مسلم و أهل الشام في الجزيره بقياده عبد الله بن علي المذكور.

دور الطالبين

و من أهم الأحداث في خلافة المنصور، أن لم يكن أهمها، تلك الثورات التي قام بها فريق من زعماء الطالبين. و قد بدأت في خلافة المنصور، و لم يكن لها أثر في أيام السفاح، بل لم يحدث في خلافته حدث على الطالبين كما لم يحدث من الطالبين حدث عليه. و قد أقضت هذه الأحداث مضاجع الخلفاء العباسيين الأولين، خصوصا و هم يعلمون أن النفوس في كثير من الأقطار إلى خصومهم أميل، و أن الرأي العام فيها يجنح إلى تفصيل [تفصيل] آل أبي طالب على بنى العباس، و كان المنصور يعرف أن لآل أبي طالب مكانه مكينه في نفوس الجمهور لا يحلم بها أكثر العباسيين، فكان يخشى - لذلك - جانبهم و مطالبتهم بحقوقهم التي يعرضهم كثير من الناس في المطالبه بها، و من هنا جاء حقد المنصور على الطالبين و قتل من قتل منهم من ساداتهم و أشياخهم الثائرين و عاملهم بقسوه منقطعه النظير. جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ما نصه: " و في سنه ٤٥ [١٤٥] كان خروج الأخوين محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي، فظفر بهما المنصور فقتلها و جماعه كثيره من أهل البيت، فانا لله و انا اليه راجعون. و كان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين و العلويين، و كانوا قبل ذلك شيئا واحدا". و قال أيضا:

" و ممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس، و قيل له:

ان في أعناقنا بيعه للمنصور، فقال: انما بايعتهم مكرهين، و ليس على مكره يمين.

العباسيه، و في هذا الرأى ما فيه من التكلف و المبالغه، لأن أخطر تلك الأحداث و البثوق التي انبثقت من ناحيه الطالبين انما وقعت في صدر الدوله العباسيه و في خلافه خلفائها الأول كالمصور و المهدي و الهادي و آخرين من القوم، و قد تمكن العباسيون الأولون من قمعها بشيء غير قليل من الغدو و القسوه و الغلظه المتناهيه على بنى العمومه المذكورين، على اننا نرى أن شيوخ هذين البيتين من طالبين و عباسيين عاشوا في صفاء تام في معظم عصور الدوله العباسيه الاخيره، و هي العصور التي منيت فيها الدوله المذكوره بالضعف الشديد. و في هذه العصور أحدث منصب نقابه الطالبين، و هو من المناصب الجليله، و قد تولاه كثير من أشياخ الطالبين و وجوه العلويين في العصور العباسيه المذكوره، لذلك لا يصح القول إطلاقا بوجود علاقه أكيداه أو صله مباشره بين الثورات الطالبية المشار إليها و بين انحلال الدوله العباسيه.

و قد خصص أبو الفرج الاصفهاني الشطر الأكبر من كتابه المسمى: "مقاتل الطالبين" بذكر زعماء آل أبي طالب الذين قتلوا في عصور الدوله العباسيه عصرًا عصرًا، و قد ابتدأ بمن قتل منهم في خلافه المنصور الذي بز جميع العباسيين في ذلك، و قد حفلت عصورهم بهذه الأحداث إذا استثنينا عددًا قليلًا من خلفائهم كالسفاح و الأمين و الواثق بن المعتصم و المنتصر مالوا إلى محاسنه الطالبين، و كان المتوكل شديد الوطأه على آل أبي طالب. قال أبو الفرج الاصفهاني: "بلغ منهم ما لم يبلغ أحد من الخلفاء قبله إلى أن قتل، فعطف عليهم ابنه المنتصر. كان يرى مخالفه أبيه المتوكل، و يظهر ذلك العطف على أهل البيت، فلم يجر عليهم مكروه في خلافته".

كانت غلظه المتوكل في هذا الباب من الأسباب التي استحل بها ولده المنتصر هدر دمه كما هو معروف و كان المتوكل يكره كل عباسي قبله ظهر منه شيء من الميل إلى آل أبي طالب، و قد روى بعض المؤرخين أن الفقهاء أشاروا على المنتصر بقتل أبيه بعد أن حكى لهم عنه أمورًا قبيحه.

و من الخلفاء العباسيين الذين اقترن تاريخهم بشده الوطأه على الطالبين - كما جاء في كتاب المقاتل - المهدي و الهادي و الرشيد و المستعين و المعتز و المهدي و هكذا إلى خلافه المقتدر (٢٩٥ -)، و حسبك أن مصارع الطالبين في عصور الخلافه العباسيه استوعبت جل كتاب المقاتل على ضخامه حجم الكتاب المذكور.

هذا و يحسن بالمؤرخ في هذا المكان الإلمام بتاريخ هذا الخلاف أو النزاع بين أعيان هذين البيتين الهاشميين و الوقوف على علله و أسبابه، و ذلك على الصوره الآتية.

أصل الدعوه و صبغتها العامه

كانت الدعوه إلى انتزاع السلطان من بنى أميه هاشميه عامه في أصلها شارك فيها الهاشميون: الطالبيون منهم و العباسيون، و كانت الجمعيات السريه القائمه بها في أواخر عصور الدوله الأمويه تتالف من وجوه العلويين و العباسيين، و ممن حضرها السفاح و المنصور، و كانت الدعوه تبث أو تعلن بشكل يتناول الهاشميين جميعًا، أى ان الدعوه كانت تعلن بالاضافه إلى (آل محمد أو أهل البيت). و قد بويع من بويع من وجوه الفاطميين بالخلافه سرا، بايعه العباسيون أنفسهم و منهم السفاح و المنصور، فكانت الدعوه الهاشميه في أخريات عصور الدوله الأمويه على جانب عظيم من التنظيم و القوه. و قد امتاز الدعاه الهاشميون بدهائهم و خبرتهم الواسعه.

اتجه الدعاه فى أول الأمر بعد سبر أحوال بنى العباس و المقارنه بينهم و بين الطالبين إلى تفضيل الطالبين، و لكن سادات أهل البيت من الطالبين كانوا على جانب كبير من الورع فلم يعاوا بالأمر، و قد رفض بعضهم مقترحات الدعاه بشأن البيعه، و كان الأمويون على وشك الاستفاده من انقسام الهاشميين لو لا أن الدعوه نمت نموا هائلا و سرت سرى النار فى الهشيم، و ذلك لملاءمه البيئه إليها، و هى بيئه مشبعه بالسخط و الثوره النفسيه على سياسه الأمويين، و هكذا كانت الدوله من نصيب بنى العباس.

هذا على أن بعض المؤرخين، و أكثرهم من الفرنجه المستشرقين يغمزون العلويين بالعجز عن انتهاز الفرص، و أن العباسيين فاقوهم بالحزم و المضاء و بعد النظر فى هذه الناحيه.

و الواقع: ان الطالبين أكرهوا على الثوره فى كثير من الأحيان لشده طلب العباسيين لهم، إلى أن صارت الثوره على حكم العباسيين شعارا لهم كما كانت من قبل على حكم الأمويين. و قد انتهز بعض الطالبين و العلويين طغيان الموالى و الأتراك فى الدوله العباسيه و اضطراب الأمور فيها بعد ذلك فقاموا بثورات عده و حاولوا الاستقلال بجزء من البلاد الخاضعه للدوله العباسيه، و قد نجح بعض زعمائهم فى إنشاء دوله لهم بطبرستان، و هى الدوله الزيديه العلويه عاشت أكثر من مائه سنه.

عيسى ولى عهد السفاح

عقد السفاح ولايه العهد قبيل وفاته سنه ١٣٦ لاثنين من العباسيين. أولهما أخوه المنصور و ثانيهما ولد أخيه عيسى بن موسى المشار إليه، و قد أخذت البيعه للثانى و هو أمير على الكوفه، و يبدو لنا من التأمل فى تاريخ الطبقة الأولى من بنى العباس أن صله عيسى بن موسى بأعمامه كانت صله وثيقه منذ فجر شبابه. فإنه ترعرع فى كنف أعمامه و هو يتيم فى الحميمه. و صحبهم بعد ذلك فى حلهم و ترحالهم. و شاركهم فى سرائهم و ضرائهم صحب أعمامه فى رحلتهم من الحميمه إلى الكوفه و فيهم السفاح و المنصور - بعد حبس إبراهيم الامام فى "حران" -، و هى رحله اهتر لها كيان الدوله الأمويه. لأن القوم خرجوا متكتمين خائفين إلى أوليائهم و أنصار دعوتهم فى الكوفه. حيث ظهر أمرهم و خطب السفاح فى الكوفيين و أخذت البيعه له فى يوم مشهود.

يغامرون فى طلب الحريه

كانت حركة القوم من الحميمه يريدون الكوفه مدعاه للاستغراب، استغرب القيام بها فريق من مشيخه بنى العباس أنفسهم، و فى مقدمتهم داود بن على عم السفاح، و فى هذا الباب يقول هذا الشيخ العباسى الكبير للسفاح: " يا أبا العباس تأتى الكوفه و شيخ بنى أميه مروان بن محمد بحران مطل على العراق فى أهل الشام و الجزيره، و شيخ العرب ابن هبيره بالعراق".

الزعيم أبو سلمه

اوقفناك - فيما مر - على رأى داود بن على عم السفاح فى رحله ابن أخيه، و لننظر الآن إلى رأى الزعيم الكوفى المسئول عن القيام بالدعوه الهاشميه فى المشرق، و هذا الزعيم هو أبو سلمه حفص بن سليمان الخلال أول وزير للسفاح فى الكوفه و يقال له "وزير آل محمد" فإنه لم يكتف خوفه و لا وجهه على هؤلاء النفر المغامرين، و قد جاهر بان رحلتهم مبتسره أو سابقه لأوانها، و عبثا حاول أبو سلمه ابقاءهم فى الباديه و لكن من يضمن لهم الأمن فيها، و من يمنع جيوش الأمويين منهم إذا قصدتهم فى الصحراء! و أخيرا لم يسعه إلا الإذن لهم فى الدخول إلى الكوفه على كره منه فان جيش العدو منهم غير بعيد، و هذا الجيش مرابط بهيت، و كتم أبو سلمه أمر القوم شهرين فى الكوفه محتجا بالخوف، و لا خوف يعتد به فى تلك الأيام.

نقل البيعه إلى العلويين

لم يكن ذلك رأيا من أبى سلمه و إنما كان يتعلل بعلى مختلفه و ينتحل أعدارا شتى قائلا للعباسيين إن أمركم لم يتم بعد و إن بنى أميه قادرون على الحرب، إلى معاذير أخرى لا غنى له عن كسب الوقت فيها، و كان أبو سلمه فى هذه الفتره العصبيه يسبر غور العباسيين و يوازن بينهم و بين العلويين إذ كانت فى عنقه بيعه لإبراهيم بن محمد الامام و لكنه فى حل منها الآن لأن إبراهيم بن محمد قد مات، فهو يريد أن يخلص إلى رأى قاطع بعقد البيعه من بعد إبراهيم كما خلس قبل ذلك إلى رأى قاطع بشأن الدعوه فجعلها للهاشميين عامه لا للعباسيين خاصه، و الظاهر أن أبا سلمه خلس إلى ذلك رأى فهو يريد نقل البيعه إلى العلويين و هو يبعث إلى ساداتهم المقيمين فى المدينه بكتبه يعرض عليهم ذلك، و لكن هذا الانحراف جاء متأخرا عن وقته فان البيعه عقدت للسفاح فى الكوفه بأشراف أهل بيته و ذويه و أنصاره، و فى مقدمتهم عمه داود بن على، و كان أبو سلمه آخر من بايع نزولا على حكم الأمر الواقع و اعتذر من أبى العباس.

لم تخف محاولات أبى سلمه على أبى العباس و أخيه أبى جعفر فقتل فى الكوفه، و لم يقتل إلا- بعد استشاره أبى مسلم الخراسانى، فابو مسلم شريك فى مقتل أبى سلمه وزير السفاح بلا شك، و قد شارك بمقتله و كان رأيه من رأى داود بن على - و هو من أهل رأى و المشوره - و يروى ابن قتيبه أن السفاح أمر بصلب أبى سلمه بعد ذلك و هكذا قتل أول وزير لأول خليفه من العباسيين.

نجاح المغامرة

و على كل حال فان مغامره العباسيين فى الوصول إلى الكوفه عبر باديه الشام تمت بنجاح و وصلت القافله المخاطره إليها بين مظاهر الحماس البالغ الذى غلب على شباب بنى العباس و أنصار دعوتهم، فكان عيسى بن موسى إذا ذكر خروجهم من الحميمه

يريدون الكوفه قال: "ان نفرا أربعة عشر رجلا خرجوا من ديارهم يطلبون ما طلبنا لعظيمه همتهم كبيره نفوسهم شديده قلوبهم".

مباشرة العمل

و عنى أبو العباس أول ما عنى به فور أخذ البيعه له و انفراده بالسلطه فى الكوفه بعد مقتل أبى سلمه بتنظيم معسكره و توزيع رفاقه على ميادين الحرب و الثوره، و كانت واسط محاصره يدافع عنها يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقين من قبل مروان بن محمد، و يشدد الحصار عليها الحسن بن قحطبه من أشهر قواد السفاح، فانضم الأمير عيسى بن موسى إلى هذا القائد بامر السفاح، و شارك فى حصار واسط، و هو أول عمل يقول به عيسى بن موسى بعد إعلان الثوره على الأمويين فى العراق، و مما هو جدير بالذكر أن ابن هبيرة سلم واسط لابن قحطبه بعد قتال دام سنه تقريبا، و سلم معه قواد جيشه، و قدم على المنصور بأمان منه ثم قتل هو و قواد جيشه بعد ذلك، و هو عمل يلام عليه السفاح و قد عده محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكيه و صمه فى تاريخ الدوله العباسيه و ولى عيسى بن موسى الكوفه بعد الفراغ من أمر واسط فحل محل داود بن على الذى نقل إلى ولايه المدينه فى السنه الأولى من خلافه السفاح.

عيسى سند المنصور

كان عيسى و هو فى عنفوان شبابه مستودع أسرار أبى العباس السفاح، و قد ائتمنه على وثيقه سجل فيها عقد الولايه لمن بعده، و بموجب هذا الوثيقه أخذت البيعه للمنصور، أخذها له فى الحجاز حاجبه الربيع بن يونس و أخذها - و كان حاجا - فى العراق عيسى بن أخيه هذا، و كتب بذلك إلى الأمصار و قام بامر الناس، ثم شرع فى ضبط الدواوين و حفظ الخزائن و الأموال حتى تسلمها المنصور، و لنا أن نقول: أن أبا جعفر المنصور مدين - إلى حد ما - بيعته و استقراره فى دست الخلافه خلال هذه الفتره لابن أخيه عيسى بن موسى، و كان أميرا على الكوفه من عهد السفاح إلى أيام المنصور و لا تقل مده امارته عليها عن ثلاث عشره سنه، ثم صار واليا على المدينه، و تتضارب الروايات بشأن موقف عيسى بن موسى هذا بعد موت أبى العباس السفاح فى الأنبار و قبل مجيء ولى عهده المنصور من مكه، و مرد هذا الاضطراب فى الروايات إلى سقم الأصول و كثره الأغلاط فيها.

مات السفاح و بويع أخوه المنصور و عيسى بن موسى ابن أخيهما على ولايه الكوفه، و قد كثرت الفتوق و الأحداث فى السنوات العشر الأولى من خلافه المنصور، و من أشهرها خروج محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكيه فى الحجاز، ثم خروج أخيه إبراهيم فى العراق، و قد عظمت شوكة إبراهيم هذا، و انضم اليه و هو يطلب بشار أخيه جل أهل العراق، و أرجف المرجفون بمصير الدوله العباسيه الناشئه فى العراق، و ضويق المنصور - و هو فى معسكره بالكوفه - مضايقه شديده، و كان هذا المعسكر محاطا بما لا يقل عن مائه ألف من أنصار العلويين يترصبون الدائره بالمنصور حتى تحدث المتحدثون بخروجه من العراق إلى بلاد فارس، و قد حفظت لنا كتب التاريخ مراسلات دارت بينه - أى بين أبى جعفر المنصور - و بين العلوى الثائر فى الحجاز، و تعد من عيون الرسائل، و من محاسن الكتب فى معناها و هو لا يخرج عن الأدب و التاريخ و الأنساب و الواقع أن ثوره محمد بن عبد الله من أخطر الثورات التى واجهها المنصور، و قد اضطرب لها جدا، و لم يبق أحد من أهل الرأى إلا استشاره فى كيفية التغلب على الثائرين.

و ركن عمال بنى العباس و ولاتهم - و فى مقدمتهم عيسى هذا والى الكوفه، و جعفر بن سليمان بن على والى المدينه - إلى الشده المتناهيه فى مناهضة المعارضين لأساليبهم فى قمع تلك الثورات فحاول الأول أن يفتك بأبى حنيفه فى الكوفه لمجاهرتة بأرائه فى الخلاف ثم أشخصه منها إلى بغداد، و فعل الثانى ما فعل بفريق من فقهاء المدينه، و فى مقدمتهم مالك بن أنس، بيد أن إخلاص هذين الأمرين كان وخيم العاقبه عليهما فعزلا و اوديا إيذاء شديدا بعد ذلك، حرم جعفر بن سليمان من مال طائل جاءه عن طريق الإرث و خلع الثانى من ولايه العهد، قال السيوطى و هو يذكر المنصور " كان عيسى هو الذى حارب الأخوين فظفر بهما فكافأه بان خلعه مكرها و عهد إلى ولده المهدي".

أثارت سياسه المنصور فى شدتها و صرامتها، و أثار إسراف قاداته و عماله فى سفك الدماء سخط جمهوره من اعلام عصره ما فى ذلك من شك حتى تعرض من تعرض منهم إلى صنوف من الأذى و المحن، و يقول لنا السيوطى فى هذا الصدد "أذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما - أى محمد و إبراهيم - أو أمر بالخروج قتلا و ضربا و غير ذلك، منهم أبو حنيفه و عبد الحميد بن جعفر و ابن عجلان".

أجمعت كلمه المؤرخين على أن عهد المنصور كان عهد محنه لهؤلاء العلويين و لأنصارهم من أهل الفقه و العلم على اختلاف مذاهبهم - كما رأيت فى قول السيوطى -، و لكن هؤلاء المؤرخين و بعض المحدثين و المؤلفين اختلفوا فى ماهيه الأسباب، منهم من يجعلها أسبابا سياسيه و منهم من يردّها إلى غير ذلك.

معركه بين النظار

و دارت معركه حاميه الوطيس بين النظار فى هذا الشأن تضاربت فيها وجهات النظر فمنهم من ينفى عنهم الخوض فى السياسه و ينفى الروايات و الأخبار المشعره بصدور فتوى صريحه أفتاها هؤلاء الفقهاء بجواز الخروج على المنصور مع من خرج عليه من العلويين و السادات أو فى جواز التحلل من بيعته، لما فى الخروج على السلطان من المفسد - و إن كان السلطان جائرا - فهو الذى يحمى الثغور و يحفظ السبل و يقيم الشعائر، و الخروج عليه ينافى أصولا- معروفه فى العقائد على ما يدعون، فهؤلاء يقولون: " أن مالكا ما كان يخوض فى السياسه و لا كان يحرض على السلطان، و أنه لزم بيته فى النزاع بين المنصور و العلويين، أى أنه كان على الحياد، و لم يقصد بفتواه فى يمين المكره و فى طلاق المكره الدعوه إلى التحلل من بيعه المنصور و إن حملت هذه الدعوى على ذلك و احتج بها عامل المدينه على ضربه فى محنته المعروفه، أما أبو حنيفه فإنه - على أصح الأقوال - أشد و أعنف من صاحبه لم يتردد فى الجهر بالخلاف، كما ستقف عليه مفصلا بعد قليل.

العامل السياسى فى النزاع

لا يجوز فيما نرى إغفال العامل السياسى قط فيما نحن فيه، و لا يصح تجاهل روح العصر الذى عاش فيه أولئك الفقهاء الأعيان من حجازيين و عراقيين، و هذا العصر العصبى عبارته عن الفتره الواقعه بين أواخر الدوله الأمويه و أوائل العباسيه، و فيها ساءت الأحوال السياسيه و تابعت الفتن و استشرى الشقاق، و هى بعد ذلك فتره يتناقل المحدثون من ابنائها عن آباءهم أو يروون عن

أجدادهم وقائع الطف، و الحره و استباحه الحرمین، و فتنه ابن الزبير و الثورات القبليه بين عرب الشمال و عرب الجنوب و غير ذلك من الوقائع التي استبيحت فيها كثير من المحارم، و انتهكت الحرمات، و في هذه العصور انقلبت الخلافة الراشده إلى ملك عضوض، تقطعت بسببه الأرحام و سفك الدم الحرام، فلا غرو إذا رأينا كثيرا من فقهاء هذا العصر و أئمة ناقلين على الدوله، ساخطين على الساسه و الحكام، نافرين من تقلد الأعمال العامه في تلك الأيام.

جعفر بن محمد، و أبو جعفر

تروى أخبار الامام الصادق جعفر بن محمد مع أبي جعفر المنصور بكثره في كتب الحديث و في الكتب المعنيه بسيره أهل البيت، و يلاحظ أن كتب التاريخ المشهوره كتاريخ الطبري و مروج الذهب و الكامل و تواريخ الخلفاء العباسيين خلت من الإشارة إلى اخباره في هذه المحنه إلا نادرا مع أنه أنه السلالة العلويه ذكر في عصره بالمدينه، عاصر المنصور في السنوات العشر الأولى من ملكه، و قد أجمعت كلمه المؤرخين و المحدثين على روايه مالك و أبي حنيفه و تحملهما عنه، عاش أبو حنيفه من بعده مده و عاش مالك أكثر من عشرين سنه، و كلاهما تحمل عنه في المدينه فاما أبو حنيفه فإنه كان نزيل المدينه هاجر إليها من العراق مضطهدا من قبل ابن هبيره عامل بني أميه على الكوفه، و أما مالك فإنه - كما لا يخفى - من أهل المدينه.

لم يقل لنا أحد من المؤرخين أن جعفر بن محمد حبس أو أوذى في المحنه كما ضرب أو حبس غيره بامر من المنصور أو من عامله على المدينه -، و ليس معنى هذا السكوت من المؤرخين في الغالب أن الامام سلم من المحنه مطلقا، و الحق أن موقفه كان غايه في الدقه بين العلويين الذين يطالبون بحقهم و يحاولون درأ المظالم عنهم و بين الذين انقادت لهم الأمور في العراق و خراسان، أى أن محتته كانت من نوع آخر فإنه عاش عيشه مشوبه بالكدر منغصه بالوعيد و التهديد محاطه بالعيون و الجواسيس في عصر أبي العباس السفاح و عصر أخيه أبي جعفر المنصور، و قد عانى من بعض الولاه و الأمراء العباسيين في عصر السفاح ما عانى من الأذى و الكيد، لأن الوشايات إليه كانت أسرع من السيل إلى المنحدر، و ستطلع على أسباب ذلك.

أمير المدينه في دوله السفاح

بالغ الأمير داود بن علي عم السفاح و واليه على المدينه في اضطهاد الطالبين المقيمين فيها، و مرد هذا الاضطهاد إلى شعوره بان هناك وثبه لا بد من قيام الطالبين بها على الدوله العباسيه، فكان يلاحق أتباع العلويين و أنصارهم و يضايقهم، و في أيامه و بامر منه قتل "المعلی بن خنيس" من أتباع جعفر بن محمد و صودرت أمواله، و في سبب قتله أقوال منها: أن المعلی المذكور امتنع من رفع قائمه بأسماء شركائه في رأيه فقتله "السيرافي" صاحب شرطه الأمير والي المدينه في قصه تدل على تفاني المعلی في طاعه الامام المذكور و في إخلاصه له ورد بعضهم قتله لقيامه بالدعوه لمحمد بن عبد الله النفس الزكيه.

بذلك، فيا لها من كلمه تدل على منتهى الشعور بسوء المنقلب و بأنه - أعنى السيرافى - أطاع المخلوق بمعصيه الخالق و يا له من إسراف فى سفك الدماء و استخفاف بحرمة الأرواح.

هذا و فى كتب أصحاب السير أقوال مضطربه فى تاريخ هذه الحادثه، قيل:

أنها وقعت فى خلافه المنصور - و هذا مستحيل -، و الصحيح أنها وقعت فى عصر سلفه أبى العباس السفاح، فقد أجمعت كلمه المؤرخين على أن داود بن على مات فى خلافه ابن أخيه السفاح بعد الحادثه المذكوره بقليل، و مرد هذه الأوهام فى كتب أصحاب السير و المؤرخين إلى سقم الأصول، و قد تكون من أوهام المؤلفين المتأخرين.

المنهج المرسوم

عانى جعفر بن محمد كثيرا فى سبيل إزاله المخاوف و الأوهام التى ساورت السلطان بشأن خطته أو منهجه المرسوم، فهو زعيم بيت ناهض دولاً و ناهضته دول و ألقى حكاما و فنى من فنى من رجاله و شبابه فى ميادين القراع، فإذا قيل: أن جعفر بن محمد موتور وجد من يقبل ذلك، و إذا قيل: انه يهيم بالانتقام و الخلاف لم يستكثر ذلك عليه فكان هدفا للسعاه و الوشاه غير أنه - و الحق يقال - ما كان فى هذا الدور من أدوار حياته معنيا بطلب الثار و لا منظويا على الانتقام و لم يكن له منهج مرسوم غير أحياء السنن و نشر المعارف و الآثار.

لذلك عنى بحسم ماده تلك المخاوف الأوهام التى ساورت أمراء بنى العباس و خامرتهم بشأنه، فقاطع فريقا من خصومهم المنابذين لهم سواء كانوا خصوما فى السياسه أم فى غيرها، قاطع طبقه معروفه من الأعلام فى الحديث و الروايه لأنها طبقه غير مرغوب فيها من قبل السلطان، و يلاحظ أن الجفاء كان شايعا جدا بين أمراء الدوله العباسيه و هذه طبقه من النساك بل كان يتبرم باتصال من يتصل به منهم و ينهاتهم عن غشيان مجلسه لعلمه بان ذلك يزعج الحكام و يثير هواجسهم و هو يريد اتقاء شرهم على كل حال، تدلنا على ذلك قصته المعروفه مع سفيان الثورى - و لا تخفى منزله سفيان فى الحديث و الروايه - فإنه دخل على جعفر بن محمد فقال له: "أنت رجل يطلبك السلطان و أنا رجل أتقى السلطان قم فاخرج غير مطرود".

اتصال الوشايات

هذا و لم تنقطع السعايات و الوشايات بجعفر بن محمد، و أكثرها يدور على اتصاله بأنصاره و أوليائه فى الحجاز و فى العراق و خراسان و أنهم كانوا يحملون زكاه أموالهم اليه، و قد وضعت على لسانه كتب إلى هؤلاء الأنصار يدعون فيها إلى خلع الخلفاء العباسيين، بيد أن المنصور لم يعبا بكثير من هذه السعايات، و هكذا سلم أبو عبد الله من القتل و نجا من الحبس و لم يرتكب منه ما ارتكب من بعض أعلام المدينه و العراق فى عصر المنصور.

و يميل بعضهم إلى تعليل هذه البادره بادره المحاسنه و الرفق من قبل المنصور و قله اكترائه بتلك السعايات بعلى لا يخلو بعضها من المبالغه، و قد يستندون فى ذلك إلى روايات لا يصبر أكثرها على النقد و التمحيص.

كان الخطر محققا بجعفر بن محمد - ما فى ذلك شك - و لكنه سلم على كل حال، و كانت سلامته فى الواقع و سلامه كثير

من أهل بيته وأصحابه اعجوبه في المحنة المذكوره، و لم يسلم إلا بشق النفس و بتوطينها على كثير من التحرز و التوقي، يدل على ذلك حديثه المشهور بل كلمته الحكيمه البليغه:

" عزت السلامه حتى لقد خفى مطالبها" فان تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فان طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في التخلي - و ليس كالخمول - فان طلبت في التخلي فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت - و ليس كالتخلي - فان طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، و السعيد من وجد في نفسه خلوه يشتغل بها، و قوله:

" أقلل من معرفه الناس و أنكر من عرفت منهم و إن كان لك مائه صديق فاطرح منهم تسعه و تسعين و كن من الواحد على حذر"، و من أقواله في العزله:

" إذا أمكنك ألا تعرف فافعل"، و مرد سلامته - فيما نرى - إلى منهجه السلمى البحث البعيد عن العنف في معارضه المنصور و إلى أخذ نفسه بالقصد و الحذر الشديد و الاحتياط التام، يدل على ذلك رده للأموال و رفضه للرسائل التي أمر المنصور بكتابتها اليه و إلى غيره من العلويين على لسان أنصارهم و أوليائهم في العراق و خراسان لتكون حجه بيد المنصور عليهم، و هو من هذه الناحيه منقطع النظير بين العلويين.

كان المنصور أخبر العباسيين قاطبه بموقف جعفر بن محمد و أكثرهم اطلاعا على منهجه السياسى، و تروى له مع المنصور أخبار غير قليله، و فى روايه لابن طاوس أن المنصور استدعاه سبع مرات، و لا تخلو بعض الأخبار من التناقض فبينما نرى المنصور فى منتهى العنف و الشده مع أبى عبد الله إذ نراه فى غايه اللطف و الرقه، بيد أنه على كل حال كان يدافع عن سكان دار الهجره - بلده و مسقط رأسه - و عن كرامه أبنائها و مصالحهم العامه كلما رأى ما يدعو إلى ذلك فى ديوان المنصور و فى انديه أمراء الدوله، يظهر ذلك من احتجاجه على الربيع بن يونس حاجب المنصور لما قدم الوافدين من أهل مكه على الوافدين من أهل المدينه زاعما أن مكه هى " العش"

فأجابه جعفر بن محمد قائلا: " أجل و لكنه عش طار خياره و بقى شراره".

لقى المنصور جعفر بن محمد و اتصل به مرارا، بعضها فى عصر بنى أميهو بعضها فى عصر بنى العباس، و ضمتها محافل عده عنى الهاشميون بعقدتها للمداوله فى كيفيه التخلص من حكم بنى أميه، و فى بعض هذه المحافل كان الامام يجاهر بأرائه فى انتقال الدوله و صيرورتها إلى بنى العباس و يخالف المتطلعين إليها من بنى عمه الحسن و ينهاهم عنها بمحضر من بنى العباس، و من الواضح أن لعبد الله و لولديه محمد و إبراهيم آراءهم فى الامامه و فى الخلافه و ما إلى ذلك، و هى تختلف عن المتعالم المعروف من آراء جعفر بن محمد، و لا- تخلو بعض كتب الحديث و السير من الإشاره إلى هذا الاختلاف و إلى أنه بلغ حد المشاده فى بعض الأحيان.

الرئاسه بين الهاشميين

عنى بنو هاشم فى أواخر الدوله المروانيه بالمداوله فيما يعانونه من عسف أمراء الدوله المذكوره و فى سام الناس من سياستهم و

انحرفهم عنهم فى اجتماعات عده عقدها الهاشميون سرا فى الحجاز، و شهدها أعيان القوم علويوهم و عباسيوهم، شهدها جعفر بن محمد و عبد الله بن الحسن و ابنه محمد و إبراهيم من العلويين، و شهدها أبو العباس السفاح و أخوه أبو جعفر المنصور و عماهما صالح و عبد الصمد ابنا على و غيرهم من العباسيين، و كان نصب الرئيس و اختيار الامام من أهم الموضوعات التى دار عليها البحث فى المحافل المذكوره، و اختير للرئاسه فيها محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكيه.

هذه البيعه معلنا أنها سابقه لأوانها و أن الدنيا موأته لبني العباس دون غيرهم من الهاشميين، فلا فائده من منازعتهم في ذلك، و كان الأمر كما قال.

تكافؤ القوى

نهى جعفر بن محمد قومه عن عقد هذه البيعه، فهو يعلم أن هؤلاء العلويين متفرقون، و أكثرهم في الحجاز، و الحجاز يومئذ من توابع العراق، و ليس في العراق - حيث استخلصه العباسيون المغامرون، و حيث بويح أبو العباس السفاح - عدد يعتد به من العلويين المذكورين، ثم أن هؤلاء العلويين من بني الحسن لم يشاركوا في حرب مروان بن محمد و في الظفر به و لم يساهموا في انتزاع الجزيرة و الشام و فلسطين و لا في انتزاع مصر و المغرب من الأمويين، هذا في الغرب، و يقال مثل هذا عن الشرق، أي أن الدولة العباسية هي الدولة القائمة الغالبة في الشرق و الغرب و إن قامت باسم بني هاشم و باسم آل محمد، و من ذلك نعلم أن توازن القوى في هذا الكفاح المرير بين بني الحسن و بني العباس مفقود بالمره.

إلى هذه الناحية من نواحي الضعف الظاهر في بني الحسن كان يشير الامام جعفر بن محمد في نصائحه لبعض أبناء عمه و إلى ذلك - فيما نرى - مرد مناهضته لرأى من يرى الخروج منهم بالسيف على دوله بني العباس، و إلى ذلك أيضا مرد معارضته لبيعه محمد بن عبد الله النفس الزكية.

ليست هذه أول مره ينصح فيها الامام أبناء عمه الحسن و يشفق عليهم من التطلع إلى الملك و يريدهم على العدول عن تلك الأمانى، فإنه لم يال العلويين نصحا في التجافي من شئون الدولة في عصره و الأعراض عن سفك الدماء في سبيلها، ففي طلب العلم و الأحكام و في تحصيل الأثر و بثهما في الدنيا ما يشغلهم عن ذلك، ثم أن دنيا بني العباس و دولتهم مقبلتان فإى جدوى في مقارعه العباسيين.

صحيفه الدوله

كان جعفر بن محمد بحدسه الصائب و نظره الثاقب يستشف احداث لمستقبل و لذلك كان أسد الهاشميين رأيا بمعارضته لبيعه النفس الزكية.

لا يخامرنا أدنى شك بما كان لهذا المنهج الذى يدعو إليه جعفر بن محمد و بما كان لسياسته السلميه البحتة من أثر بالغ في نفس أبى جعفر المنصور، فاعرض عن كثير من السعيات و ضرب صفحا عن الكتب المزوره عنه إلى أنصاره في العراق و خراسان، و أیه قيمه للهدس و التزوير المفضوح بعد ما رآه و سمعه المنصور بنفسه مما أقنعه بان هذا الامام برىء الساحة مأمون الناحية بعيد عن التهم المنسوبه إليه فلا عجب إذا كان لوفاته سنه ١٤٨ وقع إليم في نفس أبى جعفر المنصور على ما رواه فريق من المؤرخين و قد ابنه بكلمات تدل على مبلغ إكباره له.

لم يجنح بنو الحسن إلى رأى جعفر بن محمد، و كان لفريق منهم في وعظه و نصائحه مذهب آخر فهم يحملونه على الحسد، و هم يغلطون له القول أو يسمعونه خشن الكلام، و هم بعد ذلك لا يشكون بان انتزاع الأمر من يد العباسيين سهل يسير و أن الأمه تشد أزهرهم في ذلك، فهذه الرسل و الرسائل تترى عليهم من الأقطار و لا شك أن رسائل كثيره وافتهم من مختلف الأقطار بيد

أن شطرا من تلك الرسائل مصطنع بامر أبي جعفر المنصور إذا استثنينا رسائل بعض الزعماء في الكوفة و في مقدمتها رساله أبي سلمه الخلال نقيب الدعوه في المشرق و العراق.

دعوه الكوفه و حركتها الجديده

جد لأبي سلمه الخلال زعيم الكوفه و نقيب الدعوه الهاشميه بعد استقرار العباسيين القادمين من الشراه إلى العراق رأى خطير في البيعه فأجابه علويي الحجاز، و وافت الحجاز رسل الزعيم المذكور و رسائله على عجل لجس نبض العلويين واحدا و قد رسم الخلال لذلك - أى لتحويل البيعه إلى العلويين من العباسيين - خطه دقيقه لا يرسمها إلا الدهاه من أصحاب الدعوه بيد أن آراء أهل المدينه تضاربت في قبول الدعوه و هو أمر لا مناص منه بعد هذه المفاجاه الجديده.

كانت دعوه أبي سلمه هذه محكا للعلويين المقيمين في المدينه فقد انقسموا إلى فريقين فريق هش للدعوه و استبشر برسل أبي سلمه و رسالته و رأوا فيها فرصه سانحه لمناهضه بنى العباس و إحقاق حقهم في الخلافه و على رأس هذا الفريق وجوه بنى الحسن عبد الله و ابناؤه محمد و إبراهيم و موسى و عدد غير قليل من شباب آل أبي طالب و جمهور من أهل المدينه و فريق آخر قابل هذه الدعوه الكوفيه الجديده باعراض تام، و أمامهم في ذلك جعفر بن محمد فإنه امتنع من فض الكتاب المرسل إليه و أمر باحرقه على مرأى من رسول الزعيم أبي سلمه الخلال، و لما طالبه بالجواب قال: الجواب ما رأيت، ثم شفع هذا الجواب بالإنكار على عبد الله بن الحسن ثقته و اطمئنانه إلى مصدر هذه الدعوه و نصحه إلا يندفع وراء الخيال فان الأمر قد تم لبنى العباس في العراق.

عصر بنى الحسن، أو عصر الزيديه

يصح أن يحدد عصر بنى الحسن المذكورين بالفتره التاريخيه الواقعه بين أواخر الدوله الأمويه و أوائل العباسيه، ففي هذه الفتره ظهرت دعوتهم إلى الخلافه في الشرق و الغرب و أنهم أولى الهاشميين قاطبه - فضلا عن غيرهم بالإمامه - و إنها - أعنى الامامه - إليهم انتقلت من بعد الامام الحسين، و إن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى هو الامام، إذ كان أهله يسمونه المهدي و يقدرون أنه الذى جاءت به الروايات، كما كان بعض الطالبين يرون أنه النفس الزكيه، و إنما قيل له النفس الزكيه لزهده و نسكه.

كان عبد الله بن الحسن أبو محمد المذكور - و هو وجه من وجوه الهاشميين في ذلك العصر - يعتقد اعتقادا جازما بامامه ابنه كما كان من أنشط القائمين بالدعوه إلى بيعته، أعانه على ذلك أنه زعيم هاشمى موهوب معسول الكلام حلو البيان حتى كان أمراء الدولتين الأمويه و العباسيه يحسبون حسابا لبلاغته و أثرها في النفوس، فهذا ابن عبد العزيز لم يشأ أن يبيت عبد الله بن الحسن ليله واحده في الشام - في رحلته إليها و افدا على ابن عبد العزيز - قائلا: "الحق بأهلك فانك لم تبغهم شيئا أنفس منك و لا أرد عليهم من حياتك أخاف عليك طواعين الشام"، قال الجاحظ: "كره أن يروه و أن يسمعوا كلامه لعله يبذر في قلوبهم بذرا و يغرس في نفوسهم غرسا"، و كان أبو جعفر المنصور يصف كلام عبد الله بن الحسن بالسحر، و يقال ما سائر عبد الله بن الحسن أحدا إلا فتلته عن رأيه، و لذلك استجاب لدعوته التي قام بها لابنه من استجاب من أهل الحجاز.

البربر المجاوره للجزيره الأندلسيه الخضراء، و كان إدريس أكثر اخوته نجاحا فى خروجه على الدوله العباسيه - كما سنراه عن قريب - بيد أن عبد الله بن الحسن كان معنيا أشد العنايه بحمل أبى عبد الله جعفر بن محمد على التازر مع بنى الحسن و قصده غير مره من أجل الدخول معهم فى البيعه لابنه إلا أنه عجز عن إقناعه و لم يخرج من محاورته و مداورته بشىء.

كانت حجه جعفر بن محمد أبلغ و رأيه أسد و أصوب، و لهذا لجأ بعض الطالبين و أنصارهم من الزيديه إلى الشده مع الامام المذكور، تولى ذلك - فى روايه مشهوره - عيسى بن زيد بن على المعروف بمؤتم الأشبال، و كان عيسى هذا فى أوائل من استجاب لدعوه بنى الحسن مع أنه ابن عم جعفر بن محمد و من أقرب العلويين نسبا إليه.

عيسى بن زيد أو الظليم النافر

تروى لعيسى بن زيد مؤتم الأشبال فى عنفه و شدته و فى جرأته و محاولاته لاكره ابن عمه على البيعه أخبار كثيره و إن غمزها بعض المعنيين فى معالجه هذا الموضوع، هذا و فى الحكم على عيسى مدحا و ذما و جرحا و تعديلا أقوال عدده فهو فى قول مشهور لم يحجم عن إيذاء جعفر بن محمد و تهديده و إرادته على البيعه للنفس الزكيه و على المساهمه فى الحرب فامتنع امتناعا شديدا و امتنع معه أصحابه و طال الأخذ و الرد بين الفريقين و تغالظ الكلام، و كيف لا يمتنع الامام و هو يرى أن محمد بن عبد الله هالك لا محاله و كيف يستجيب لدعوه القوم و هو يخبرهم بان صاحبهم مقتول فى حال مضيعه، و كانت له كلمات موجعه جابه بها عيسى فى بعض المواقف المذكوره رواها أصحاب الأخبار فى حديث طويل منها

قوله " يا اكشف يا أزرق لكانى بك تطلب جحرا تدخل فيه و ما أنت من المذكورين فى اللقاء و إنى أظنك إذا صفق خلفك طرت مثل الهيق النافر ".

هذا ما قاله أبو عبد الله جعفر بن محمد لابن عمه عيسى و هو يعيبه و يغمزه بالضعف و ينذره بوخامه العقبي، و كان الأمر كما قال إذ أن عيسى - كما جاء فى سيرته - عاش فى البقيه الباقية من عمره متنكرا فى الكوفه على حاله يرثى لها و مات متواريا فى بيوت أنصاره و أنصار أبيه من الزيديه، و لا بد لنا من القول فى هذا الصدد أن جعفر بن محمد فادى فى سبيل اعتراضه على هذه البيعه كما فادى من قبل بمال كثير له و أكثر منه لأصحابه صادره العلويون الثائرون، و كان له فى المدينه عدد كبير من الأصحاب.

و مما لا شك فيه أن أصحابه المذكورين محصوا فى هذه المحنه الثانيه كما محصوا فى محتهم الأولى فى أواخر العصر الأموى طبقا لحديث قال فيه:

" لا بد للناس أن يحصوا أو يميزوا أو يغربلوا ".

هذا و لعيسى المذكور اخوته، و منهم الحسين ذو الدمعه و يحيى بن زيد الثائر فى خراسان، و كان موقف الحسين ذى الدمعه لا يشبه موقف أخيه عيسى فيما يراه أكثر المحدثين بل كان جعفر بن محمد يعنى به و يعطف عليه و لا عجب فإنه نشأ فى حجره، و يلاحظ أنه ممن تضاربت فى حاله أقوال القوم فعده بعضهم من الضعفاء، و خرج له آخرون أحاديث متفرقه فى بعض المسائل الفقهيه.

أبناء زيد و الزيديه فى صفوف بنى الحسن

كان فى طليعه من بايع النفس الزكيه اثنان من أشهر أولاد زيد بن على و هما عيسى مؤتم الأشبال و الحسين ذو العبره كما أنهما انضموا بعد مقتل محمد إلى أخيه إبراهيم الثائر فى العراق، و لذلك قال أبو جعفر المنصور: " ما لى و لابنى زيد و ما ينقمان علينا أ لم نقتل قتله أبيهما و نطلب بثارهما و نشف صدورهما! "، و الأغرّب من أن اثنين من أولاد الامام جعفر بن محمد نفسه مالا إلى الزيديه و هما عبد الله و محمد خرج الأول مع النفس الزكيه و كان متهما لخلاف على أبيه و دعا إلى نفسه من بعده و خالط الحشويه فيما يقال و له أتباع يعرفون بالفطحيه، و خرج الثانى على المأمون بمكته سنه ١٩٩ و أيدته الزيديه الجاروديه و لكن المأمون ظفر به فى قصه مشهوره.

تناسى هؤلاء الزيديه من العلويين ما كان بينهم من خلاف فى العصر الأموي ذلك أن عددا من وجوه بنى الحسن لم يخرجوا مع زيد و لم يشهدوا الحرب التى دارت فى الكوفه بينه و بين عمال الأمويين عليها بل كان هؤلاء الوجوه على صفاء - و لو فى الظاهر - مع هشام بن عبد الملك و مع الوليد من بعده، و يحكى أن عبد الله بن الحسن خطب فى المدينه منددا بحركه زيد فى العراق متبرأ منها، و الأرجح أنه كان مكرها على ذلك، و مهما كان الباعث على عمله هذا فان فيه دليلا قاطعا على حيدته بنى الحسن فى الثوره المذكوره.

تناسى القوم ذلك لأن ركن الامامه فى عقيدته الزيديه هو الجهاد و الخروج أمرا بالمعروف و نهيا عن المنكر مضافا إلى شرائط اخرى، و قد خرج محمد بن عبد الله و دعا إلى نفسه فهو الامام، و يقال أن محمدا هذا أوصى إلى عيسى بن زيد بعد أخيه إبراهيم و سرعان ما أصبح عيسى من ثقات محمد بن عبد الله و صاحب شرطته فى المدينه.

التمييز بين زيد و الزيديه

ظهرت الزيديه فى الفتره الواقعه بين عصر الامام أبى جعفر محمد بن عليو عصر ابنه أبى عبد الله جعفر بن محمد منشقه عن الاماميه، و الزيديه تفرقت عن الاماميه بأنها تعد الدعوه و الجهاد ركنا من أركان الامامه، هذا إلى فوارق اخرى ذكرها المعنيون بتاريخ الفرق الإسلاميه، و بناء على أصول المذهب الزيدى المذكور بايع الزيديه كل علوى ثائر إذا توفرت فيه شروط الامامه، بايعوا غير واحد من بنى الحسن كالنفس الزكيه و أخويه إبراهيم و يحيى ثم غيرهم من العلويين الثائرين من أبناء الحسن و الحسين.

يعنى المحدثون و المؤلفون فى سيره أئمه أهل البيت بسيره زيد و باخباره فى خروجه و مقتله عنايه فائقه لا يعهد مثلها فيما يكتبونه عن بنى الحسن و عن خروج من خرج و مقتل من قتل منهم فى الحجاز و العراق و خراسان، و من ذلك يستنتج أن أصحاب الامام جعفر بن محمد يفرقون بين زيد و الزيديه فكان زيد معذورا فى خروجه على هشام بن عبد الملك و إن لم يخرج معه ابن أخيه و لا أوصى أحدا من أصحابه بالخروج معه و لم يكن بنو الحسن بهذه المثابه فان خروجهم لم يكن مستساغا لدى الامام المذكور كما يتجلى ذلك واضحا فى جوامع حديثهم و أخبارهم و فى بعض الكتب المؤلفه فى الأنساب. و من المسلم عند كثير منهم انحراف بنى الحسن عن الأئمه من أبناء عمهم المذكورين.

خيف على زيد بن علي من الخروج و حذره أخوه الامام محمد بن علي و أخبره أنه مقتول إذا خرج و إنه لا يملك أكثر من
حيطان المدينة و لذلك لم يخرج في عصر أخيه و إنما خرج في عصر ابن أخيه.

ص: ٧٠

و ذويهم و يلاحظ أنه لم يبد عليه مثل هذا الحزن البالغ فى مقتل من قتل من بنى الحسن فى حربهم بالمدينه، و مما يدل على ذلك أنه خرج قبل وقوع الحرب إلى خارج البلد و لم يعد إلا- بعد مقتل النفس الزكيه و بعد أن عاد الهدوء إلى المدينه المذكوره.

كان هذا المظهر من مظاهر الحياد معروفًا عن الإمامين المذكورين فى العصر المذكور و لذلك كانا معنيين بإسداء النصح و إتمام الحجه على بنى العمومه من علويين و طالبين و غيرهم من سكان دار الهجره فان سكانها ضعفاء لا يقاؤون الدول الناشئه فى العصر المذكور.

تخليط و أوهام فى معاجم الرواه

هذا و يلاحظ شىء غير قليل من التخليط و الأوهام فيما يكتب عن بنى الحسن و عن أعيان الزيديه و عن رؤساء بعض الفرق و أصحاب المقالات المختلفه فى الامامه ممن عاصروا أبا عبد الله جعفر بن محمد، تاره يحسبونهم فى أصحابه و طورًا يعدونهم فى خصومه المنحرفين عنه، و هذا التخليط فى أقوال المؤلفين و أصحاب معاجم الرواه محمول على اضطراب علاقات بنى الحسن أعيان الزيديه و رؤساء الفرق و أصحاب المقالات المتضاربه المختلفه بالإمام جعفر بن محمد تبعًا لاختلاف الأحوال و الازمنه، و الامثله على ذلك كثيره، و منها انك ترى جل وجوه بنى الحسن المذكورين معدودين فى بعض هذه الكتب و المعاجم فى أصحاب الإمامين محمد بن على الباقر و ابنه جعفر بن محمد الصادق المتحاملين عنهما مثل عبد الله بن الحسن، و أخيه زيد بن الحسن، و محمد المدعو بالنفس الزكيه و أخويه إبراهيم و موسى أبناء عبد الله بن الحسن، و يحتج القائلون باستقامتهم و صحبتهم برسالة بعث بها الامام المذكور إلى عبد الله بن الحسن مصدره بقوله: "إلى الخلف الصالح و الذريه الطيبه من ولد أخيه و ابن عمه" و ليس هذا الاحتجاج بشىء - فيما نرى - لأنها رساله تعزیه بنكبه المنصور لبنى الحسن عند حملهم من المدينه إلى العراق و سجنهم فى الهاشميه، هذا إذا صحت روايه هذه الرساله، و نحن لا نميل إلى صحه هذه الروايه.

و من هذا القبيل اضطراب رواياتهم و أقوالهم فى عيسى بن زيد - المار ذكره فقد عد فى أصحاب جعفر بن محمد المتحاملين عنه و قد غمزه و أهمله آخرون - و ممن اضطربت أقوالهم فيه الحسن بن زيد بن الحسن والى المدينه للمنصور تاره يعدونه فى أصحاب جعفر بن محمد و يصفونه بالصدق و الفضل و مره يشيرون إلى خصومته و شدة وطاته على الامام المذكور. و مما لا شك فيه وشايته بنى عمه الحسن عند المنصور.

و من واجب المؤرخ الباحث عن الحق فى هذا الباب أن يقارن ما جاء فى بعض معاجم الرواه للشيخ الطوسى و الكشى و النجاشى و ما ورد فى غيرها من كتب المؤرخين مثل تاريخ بغداد للخطيب - و قد ترجم لغير واحد من بنى الحسن -، و تاريخ دمشق لابن عساكر - و قد ترجم كذلك لعدد منهم و من غيرهم من الهاشميين، و كتاب التقريب لابن حجر - و غيرها من كتب التاريخ ففى هذه التواريخ - تواريخ الخطيب و ابن عساكر و ابن حجر - ما فيها من الأعاجيب و الروايات الغريبه المدهشه المرويّه عن بنى الحسن و قد اعتبر بعضهم هذه الروايات مفتعله موضوعه على القوم أو صادرة عن الهوى و الغرض و ليس من السهل - فيما نرى - تكذيب كل ما ورد فى كتب التاريخ عن هؤلاء الهاشميين و أن كانت كتب التاريخ و الحديث مشحونه بالأحاديث الموضوعه، و فى وسعك أن تعرف من إيراد هذه الروايات على ما هى عليه من التناقض و التباين فى كتب اولئك المحدثين و المؤرخين إلى أى حد بلغت القطيعه و الجفاء و السخائم بين فرق هذه الأمه.

لاحظ الباحثون في نقد الرواه هذا الاضطراب فحاولوا وضع بعض القواعد و الأصول للتوفيق بين هذه الأقوال المضطربة قائلين أن روايات المتهمين و المضعفين و الغلاة تنقسم إلى قسمين فان كان لهؤلاء الرواه حال استقامه و حال غلو أو ضلال عمل بما ورد في حال الاستقامه و ترك ما رووه في حال الخطأ، و هو موضوع يستدعى كثيرا من التمحيص و الاستقصاء و دقه النظر في تاريخ الاعلام و سير الرواه.

و قد توسع آخرون في هذا الأصل قائلين ان المهم في الأصل المذكور أن يكون الراوى صادقا غير كاذب و أن كان مخطئا في أصول اعتقاده عندهم، و من أجل ذلك لم يردوا كثيرا من روايات الرواه المنسوبين إلى الفطحيه و الناووسيه و الواقفه و غيرها، و من أجل ذلك أيضا ذهبوا إلى تصحيح ما يصح عن بعض الجاروديه و غيرهم من فرق الزيديه. و مجمل القول: يعتبر هذا العصر عصر بلبله و نزاع و اختلاف بين رؤساء الفرق و أرباب المقالات في الامامه و في الاخفه، و هو نزاع له علله و أسبابه - بلا شك - و من المفيد تحرير هذا النزاع و علله المذكوره و تقريبها على الصوره الآتيه:

نزاع في الأصول

لهذا الاختلاف بين بطون الأسر العلويه ثم بين اتباعها في العصر المذكور ألوان و علل شتى، منها ما يدخل في الأصول و منها ما يدخل في الفروع، و من النوع الأول اختلافهم في نظام الامامه و في كيفية عقدها، فمنهم من الجهاد و الخروج أمرا بالمعروف و نهيا عن المنكر، ركنا من أركان الامامه، و هؤلاء هم الزيديه على اختلاف فرقهم، و لما لم يكن هذا النوع من الخروج من منهج جعفر بن محمد في هذا العصر - كما رأينا - لم تثبت إمامته عند هؤلاء فعدلوا إلى القول بامامه من خرج من العلويين على الإطلاق.

و يفهم من كثير من الروايات أن جعفر بن محمد و أصحابه نظروا إلى زيد نظره تختلف عن نظرهم إلى الزيديه المعروفين في العصر المذكور، و قد أجمعت كلمتهم تقريبا على أن عقيدته زيد في الامامه لا تختلف عن عقيدتهم و إن كان كثير من الزيديه لا- يسلمون لهم ذلك، و إذا ما قال أصحاب جعفر بن محمد بان زيدا امام فإنهم يعنون انه امام في العلم و الورع و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و من رأى بعض المؤرخين أن زيدا كان يحدث نفسه بالخلافه دائما و يرى أنه أهل لذلك.

من هم بنو الحسن؟

يعنينا من ذكر هؤلاء الطالبين و العلويين حسنيين و حسنيين فى هذه الفصول، انهم ممن سنا للعرب و للناس كافه، سنه الأنفه و الابهاء، و علموهم معنى الصبر و النجده و اختيار الموت على الحياه الدينيه، و تقبل مذاهب الأجداد فى إباء الضيم و العزوف عن الذل، فمنهم القائل: "ذل من أحب الحياه" و منهم من قال: "لا أعطيكم إعطاء الذليل" كرهوا الدينيه و فضلوا عليها المنيه، إلى غير ذلك من محاسن الشيم و الأخلاق.

يعرف كثير من العلويين - فى الكتب المؤلفه فى أنسابهم خاصه - بألقاب لا تعرف فى كتب التاريخ العامه، و من ذلك عبد الله بن الحسن أبو الأخوين محمد النفس الزكيه و إبراهيم قتيل باخمري، فهو فى كتب الأنساب "عبد الله المحض" و فى كتب التاريخ عبد الله بن الحسن، و يعرف أبوه الحسن "بالحسن المثنى" فى كتب الأنساب لمطابقه اسمه لاسم أبيه، و يعرف أخوه الحسن بن الحسن "بالحسن المثلث" فى كتب الأنساب و لا يعرف بذلك فى كتب التاريخ، و من ألقابهم "مؤتم الاشبال" و "ذو الدمعه" و "الأطروش" و "الغمر" و "الجون" و "الديباح" و "الأعرج" و "الأفطح" و هى ألقاب لا تعرف فى كتب التاريخ الكبرى حيث تجد أسماءهم مجردة من هذه الألقاب، اما فى كتب الأنساب فإنها ألقاب معروفه مقرونه بذكر أسبابها.

أعيان بنى الحسن و أشهر مشاهيرهم فى صدر الدوله العباسيه - عبد الله المحض و أبناؤه و إخوته و أبناؤهم - كانوا على جانب كبير من الوجاهه و الرئاسه و نفاذ الكلمه ببيع بعضهم بالخلافه.

امتاز هذا الفرع من العلويين بمناوئه العباسيين و خروج من خرج منهم واحدا بعد الآخر فى الدوله العباسيه طلبا للخلافه.

كابد بنو الحسن ما كابدوا فى سبيل تضامنهم إزاء العباسيين و بقاء رابطه العشيره قائمه و وثيقه فيهم مهما تحملوا فى سبيلها، فقد كانوا مثلا فى التضامن إذا استثنينا بعض من شد منهم و مالا المنصور على بنى عمه، و من أجل ذلك حاول رجال المنصور فى المدينه التفريق بين العلويين من حسنيين و حسنيين، و ميزوا بعضهم على بعض فى المعاملات، و من أجل ذلك نكل المنصور بهم ذلك التنكيل الشديد حتى مات كثير منهم فى السجون و قتل باقيهم بعد خروج محمد بالمدينه.

كان ولاه المدينه من قبل العباسيين يتهيبون بنى الحسن فى الحجاز و يخشون بأسهم و يلاحظون منزلتهم و فى مقدمتهم عميدهم عبد الله بن الحسن فيعجزون عن ملاحقه أولاده، و هم يعدون العده للخلاف و الخروج على المنصور، بل كان محمد النفس الزكيه و أخوه إبراهيم يترددان على المدينه بدون حرج و على مرأى و مسمع من الولاة المذكورين إذ كان لوجاهه أبيهم و نفاذ كلمته شان يذكر فى دفع غوائل السلطان عنهم فى المدينه و قد أحفظ ذلك المنصور و راح يحرق الارم عليه، و مما زاد فى الطين بله و أزعج المنصور جدا تحزب جمهور كبير من أهل المدينه لبنى حسن عليه و كثره المؤامرات فيها و محاوله الفتك به فى بعض مواسم الحج حتى لم يعرج على هذا البلد فى موسم [موسم] سنه ١٤٤ و هو الموسم الذى كان التنكيل ببنى الحسن احدى الغايات من شهوده، و مما يؤكد كون المدينه مواليه لمحمد بن عبد الله بن الحسن معاديه للمنصور دخول محمد لها من حين إلى آخر - كما مر ذلك آنفا - و اجتماعه بأصحابه و أنصاره و ذويه فيها مع شده الطلب و الملاحقه له.

نشأت من بنى الحسن دويلات فى الشرق و الغرب، و لهم فى إفريقيا و مصر و بعض بلاد الروم و الفرنج فتوح يحتاج شرحها إلى تاريخ منفرد، نشأ منهم أئمة الزيدية فى بعض الأقطار العربية و الإسلاميه كالادارسه مؤسسى الدوله المشهوره فى مراکش و المغرب الأقصى و أئمة الزيدية فى اليمن و بلاد الديلم و الأقطار الفارسيه.

هذا و يحسن بنا إيراد فذلكه عن أشهر مشاهير بنى الحسن على الصوره الآتیه:

عبد الله بن الحسن

يعرف فى كتب الأنساب بعبد الله المحض و أنه أول من اجتمعت له ولاده السبطين و من هذا لقب "المحض" و كان المقدم بين بنى الحسن علما و سخاء و من المنعوتين بأوصاف حسنه منها العلم و البيان و الخطابه، و مما يشهد بذلك أنه أحد الثلاثه الذين حاول أبو سلمه عقد الأمر لهم من العلويين، و قد استجاب عبد الله بن الحسن لدعوه أبى سلمه و لم يلتفت إلى تحذير جعفر بن محمد إذ أعلمه أن أهل خراسان ليسوا من أنصاره و أن أبى سلمه مخدوع مقتول، و القصه مشهوره، قبل عبد الله بن الحسن بعض الألفاظ و الكتب التى كتبها اليه بعض جواسيس المنصور على لسان أنصاره فكانت حجه المنصور عليه و أمر بحبسه، و خلاصه القول وقع فى فخ نصبه له المنصور و قامت عليه حجه حسب روايات بعض المؤرخين. و قد روى عنه فريق من الاعلام منهم أبناءه، و يقول أبو الفرج الاصفهاني أن مالك بن أنس احتج برأى عبد الله بن الحسن فى بعض المسائل الفقيهيه، و يعده الجاحظ من خطباء بنى هاشم و قد روى له كلمه بليغه و سيرته و أخباره فى عصور الأمويين و العباسيين معروفه فى كتب التاريخ و الأنساب و من أشهرها وفوده على عمر بن عبد العزيز و هشام فى الدوله الأمويه ثم وفادته على أبى العباس السفاح فى الهاشميه بعد بيعته، و قد صحبه فى وفوده على السفاح أخوه الحسن المثلث و هو ممن مات فى سجن المنصور بعد ذلك و كانت حفاوه السفاح بهما بالغه و أن لم تخل من العتاب و السؤال و الجواب بسبب تغيب محمد و إبراهيم و قد اعتذر الحسن المثلث عن ولدى أخيه بما يدل على علو منزلته، قال صاحب غايه الاختصار: "كان الحسن المثلث جليلا نبيلًا و لو لم يستدل على شرفه إلا بالجواب الذى قاله لأبى العباس السفاح فى قصه محمد و إبراهيم ابني أخيه لكفى".

كان لهذا الزعيم الحسنى - أعنى عبد الله بن الحسن - رأيه الخاص فى الخطه التى رسمها العباسيون لآبادته بنى أميه و استئصالهم أينما وجدوا فى عصر أبى العباس السفاح و هو - أى عبد الله - القائل لداود بن على عم السفاح - و قد أمعن فى قتل الأمويين فى الحجاز -: "يا ابن عمى إذا فرطت فى قتل أكفائك فمن تباهى بسطانك؟، أ و ما يكفيك منهم أن يروك غاديا رائحا فيما يسرك و يسوؤهم"، و هو فى هذا القول يرى رأى سياسى بعيد الغور.

عبد الله بن الحسن و ابنائه.

لم يفعل المنصور ما فعله من هذا القبيل و لم يرتكب ما ارتكبه الا بعد أن لمس في عبد الله بن الحسن لدداء في الخصومه و صلابه في العقيدته و تصميمه على المعارضه، فقد أخفق المنصور في حمله على تسليم أبنائه أو الإيماء إلى الجهات التي يقيمون فيها، و طالما طلب اليه إحضار ابنه بالتهديد و الوعيد و طالما جرى بينهما كلام غليظ فما أجدى ذلك كله و حاول أن يقتله قبل حبسه ثم عدل عن ذلك.

كان تخلف محمد و إبراهيم ولدى عبد الله بن الحسن عن القدوم على أبي جعفر المنصور - بعد مبايعته بالخلافه في الكوفه و تشجيع عبد الله لابنيه المذكورين على الخلاف و الثوره حتى قال لهما فيما قال: "أن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين" - في اولى البوادر التي أثارت شك المنصور و ريبته في نيات بنى الحسن، ثم توالى عليه أخبار و أنباء بعث بها اليه عيونهم و أرساده أكدت له خلاف بنى الحسن و أن محمد بن عبد الله عازم على الثوره، و كان بعض بنى الحسن أنفسهم - و هو الحسن بن زيد بن الحسن - يؤكد لأبي جعفر المنصور أن بنى الحسن ثائرون عليه لا محاله فيقظ الحسن منه عينا لا تنام، و في الحسن هذا يقول موسى بن عبد الله بن الحسن - ثالث الأخوين محمد و إبراهيم -: "اللهم أطلب حسن بن زيد بدمائنا".

و لا شك انه كان عينا للمنصور يرفع إليه أخبار بنى الحسن، و للحسن هذا ابن مشهور اسمه القاسم ورث عنه هذه الخصومه لأبناء عمه و هو الذى حمل البشاره بمقتل النفس الزكيه إلى المنصور..

و الواقع ان للحسن بن زيد أولادا آخرين لم يتبعوا طريقه والدهم في مجافاه بنى الحسن بل انهم التحقوا بثوار المدينه و كانت لهم صلته وثيقه بالنفس الزكيه و الحق أن المنصور كان بالغ القسوه شديد العقوبه و المؤاخذه لا يستطيع ضبط نفسه إذا رأى زعيما من زعماء بنى الحسن و خصوصا أبا محمد هذا، بل كان لا يتردد من ضربهم و اهانتهم و تعذيبهم و زجهم في السجون المطبقه في الحجاز و العراق، و قد عبر عما يكن من حق و حقد غالب عليه بقوله - و السياط تنهال بامرهم على أحد بنى الحسن في الربذه -: "هذا فيض فاض منى فافرغت منه سجلا لم أستطع رده.

النفس الزكيه

أنجب عبد الله بن الحسن هذه السلالة التي قادت الجيوش و كانت شجى في حلق الطبقة الأولى من بنى العباس، و لا شك أن المنصور قمع ثوره غير واحد من بنى الحسن - و في مقدمتهم النفس الزكيه "قتيل أحجار الزيت"، و أخوه إبراهيم قتيل "باخمري" الا انه قد استطاع غير واحد منهم أن ينشئ ملكا عريضا في غير ناحيه من نواحي العالم الإسلامى شرقا و غربا، فكانت لبعضهم دوله في المشرق و كانت لآخرين منهم دوله أخرى تعرف بدوله الادارسه في المغرب، و كان لبعضهم ملك كبير في جهات اخرى لا شك أن أبعد بنى عبد الله شهره و أبقاهم ذكرا هو محمد المعروف بالنفس الزكيه الذى ناضل نضال الابطال - حتى مات - في طلب الامامه.

ولدت مع مولد محمد بن عبد الله هذا فكره الدعوه بالإمامه و قدر أهله - و في مقدمتهم أبوه عبد الله الذى كان يطوف به على

الأحياء - انه المهدي الموعود، و تقبل كثير من الحجازيين و أهل المدينه خاصه هذه الدعوه و وقعت من نفوسهم موقعا حسنا و صادفت هوى من قلوب المدنيين. لقن محمد هذا و هو ناشئ أنه المهدي و ألقى في روعه و هو حدث إلى أن شب و ترعرع انه الذي تحدثت بظهوره الروايات فلا سبيل إلى مناقشته في هذا الأمر، بل كان من السهل و صم من يشك في إمامته بالمروق عند كثير من أهل الحجاز و المدينه، و من شان كل ناشئ على هذا النمط من التربيه و التلقين أن يكون راسخ العقيدته شديد الايمان بحقه، و هكذا كان محمد بن عبد الله بن الحسن نشا و هو واثق انه خليفه زمانه لم يتطرق اليه شك في ذلك و في أن له حقا مغصوبا و أن غاصبه هو المنصور، فلا- مناص له من الخروج في سبيل الحق، أضف إلى ذلك أنه كان في الواقع على قسط لا يستهان به من العلم و النسك و الدين، و من ذلك لقبه النفس الزكيه، و حسبك أن تتصفح الرسائل القيمه المتبادله بينه و بين أبي جعفر المنصور قبل خروجه لتجزم بأنه غزير العلم قوى الحججه بصير بالأخبار و الأنساب، لذلك مال الهاشميون المؤتمرون في الحجاز في ذيل الدوله الأمويه إلى ترشيحه للخلافه و بايعه من بايعه منهم، و في مقدمتهم أبو جعفر المنصور نفسه.

كان محمد بن عبد الله موقنا بان بيعه المنصور له لا يمكن نقضها شانها في ذلك شان ذوى العقائد أو المبادئ الراسخه و المثل العاليه و انها عقد لا يصح إبطاله و أن الخلافه أصبحت حقاله لا يناع فيه، و الحق فوق القوه، و كان المنصور على نقيض ذلك من الزعماء أو الساسه الواقعيين الذين يرون أن الحق للقوه و أن العهود و الموائيق لا تعدو قصاصه ورق من السهل تمزيقها، و هكذا كان، فما أبعد الفرق بين المزاجين و الخلقين! من ذلك عنى أبو جعفر بملاحقه عبد الله بن الحسن و أبناءه أشد العنايه - على ما رأيت -، و كان بينه و بين سلفه أبي العباس السفاح بون بعيد في هذا الشأن.

بنو الحسن في خلافه السفاح

كان أبو العباس لين العريكه إذا قورن بأبي جعفر المنصور لم يسرف كاخيه في سفك الدماء - إذا استثنينا وقائعهم مع الأمويين -، و الحق أن المنصور يختلف عن سلفه اختلافا ظاهرا من هذه الناحيه و نحن نرى السفاح لا يعمل بكثير من آراء أخيه المنصور و لا يوافق على صرامته و شدته، أرادته المنصور على قتل أبي مسلم الخراساني فنهاه عن ذلك قائلا: "يمنعني عن قتله سابقته في الدعوه و جهاده في قيام الدوله"، و لم ينزل أبو العباس السفاح كذلك على رأى أخيه في قتل وزيره أبي سلمه الخلال - و هو الذى حاول نقل البيعه إلى العلويين - على أن السفاح لم يكن مصرا على ذلك و لهذا تولى قتله بعض العباسيين غيله - بعد استشاره أبي مسلم الخراساني في الكوفه، و لا شك أن المنصور حاول الفتك بمن لقيه من بنى الحسن في ولايه عهده للسفاح و لكن كان يحسب لغضب أخيه حسابه.

على تشعبه بين هؤلاء الهاشميين في مدينة الأنبار لم يتناول موضوع "البيعه" و ان المؤرخين الذين عنوا بروايه أخبار عبد الله بن الحسن و أخبار من معه من الطالبين في وفادتهم هذه لم يشيروا إلى البيعه و لا شيء أهم من الدخول فيها إذ ذاك، و من رأينا أن هؤلاء العلويين و الطالبين اشتروا في هذه الوفاة عدم التعرض للبيعه كما أن السفاح لم يكن ملحا عليهم في ذلك، و لذلك اعتبرت هذه الزيارة "أخويه بحتة" أو "شخصيه" و لو كان المنصور مكان السفاح في ذلك الحين لأصر على الدخول في البيعه و لضرب أعناق القوم - لو امتنعوا - فوراً أو ألقاهم في السجون المطبقة و المطامير ليموتوا فيها أبشع ميتة كما قام بعد استخلافه بذلك.

كان زعماء العرب لا يرون في وفادتهم على أقرانهم و أندادهم و قبول الرشد و الهدايا منهم شيئا من الغضاضه لذلك نرى أبا العباس السفاح رضخ للوفد بمبالغ طائلة من المال، و من أهم العوامل في هذا السخاء أن المال كان ينفق في الحجاز و هو بلد قاحل جل سكانه من ذوى الفقر و الخصاصه و لكنه مهبط الوحي و مبعث الرساله.

هذا و لا بد لنا من القول: أن السفاح أظهر قلقا و وجلا- عظيمين من تخلف المتخلفين من شباب بنى الحسن و في مقدمتهم الإخوان محمد و إبراهيم ابنا عبد الله فالحف في الاستفسار عنهما و عن أسباب تخلفهما، و من حق السفاح ان يساوره القلق فإنهما تخلفا لأمر عظيم إذ كان محمد بن عبد الله مشغولا ببيت الدعوه لنفسه في الحجاز و العراق و في الأهواز و فارس و في أقطار أخرى - و كان له و لأنصاره نشاط ملحوظ في هذه الأقطار يجرى أكثره في الخفاء و ان لم يخف على عيون بنى العباس - كما كان معنيا بأعداد عدته للخروج، و لم يكن الغرض من ذلك الالتفات تفقدا أو حبا و انما هو الاطمئنان و الوقوف على مذهب الأخوين أو نيتهما في طلب الخلافه، و في وسعك أن تحكم على سياسه السفاح و مبلغ مجاملته لبنى الحسن من تظاهره بقبول المعاذير عن الأخوين الغائبين على مضمض فان الحسن المثلث أفهم السفاح بان محاولاته في الوقوف على أمرهما من العبث، و لذلك أراح السفاح نفسه باليأس من الظفر بالأخوين بعد الحديث المذكور مع أضيافه فاعرض عن طلبهم إلى أن فرق بينهم الموت، و تعزى مجاملته لبنى الحسن إلى خبرته بدخائل بنى عمه الهاشميين و إمامه بما يخالج نفوسهم من الشعور بالأنفه، و لذلك نرى كثيرا من هؤلاء الطالبين و الهاشميين يخاطبون خلفاء بنى العباس مخاطبه النظراء الأكفاء أو مخاطبه الأنداد، و قد يرون في آل عباس أتباعا لا- متبوعين و مرءوسين لا- رؤساء فيما مضى من خلافه الامام على و بعض الأئمه من أبنائه، قمن [فمن] أشق الأمور على وجوه العلويين أو الطالبين أن يروا أنفسهم تابعين مرءوسين للعباسيين بعد ذلك، و قد تعزى المجامله المذكوره فيما تعزى اليه إلى تأثير عبد الله بن الحسن نفسه فقد اشتهر - كما مر بك أن لحديثه تأثيرا كتأثير السحر في النفوس حتى كان الأمويون و العباسيون يحسبون لبلاغته و عارضته و ملاحه أحاديثه حسابا.

بنو الحسن في عصر المنصور

كان استخلاف المنصور بعد أخيه السفاح إيذانا بالانتقال إلى عصر جديد يمتاز بشدته المتناهيه و اجتناب سياسه اللين و التهده و تفضيل الحلول الحاسمه على انصاف الحلول، و الواقع أن المنصور واجه في مستهل خلافته اخطارا شتى منها القريب و منها البعيد عنى بدفعها عن الدوله، فهذا عمه الأمير الظافر عميد العباسيين بعد السفاح و قائد جيشهم و قاتل مروان الجعدى يمتنع من بيعه المنصور و يزحف على العراق مدعيا أن السفاح عهد بولايه العهد لمن يظفر بالأمويين و هو الظافر بهم غير مدافع و لذلك فهو أولى العباسيين بهذه الولايه، و هؤلاء بنو الحسن و أنصارهم في كل مكان لا يرون في بنى العباس أهلا للبيعه بل يرون فيهم

غاصبين ناكثين بالعهود و المواثيق و لا- بد لهم من وثبه على هؤلاء الناكثين الغاصبين، ثم هذه الفتنة الناجمة و الخوارج الخارجون في شتى الأقاليم.

لا شك ان المنصور واجه هذه الأحاديث و الفتوق في مستهل خلافته بجاش رباط و عزيمه ماضيه فتغلب على عمه بأبي مسلم الخراساني ثم ثنى بأبي مسلم ففتك به و بأنصاره ثم قمع فتنة شتى في الشرق و الغرب تفرغ بعدها لمناجزة بني الحسن و قد كونت حركتهم خطرا من أعظم الأخطار على الدولة، و كان هذا الخليفة في كل هذه الأحداث ثابت الجنان يعتمد على القوة و لا محل عنده للعفو و الرحمة.

و من رأى أبي جعفر المنصور ان الأساس الذي قامت عليه دولة بني العباس و أخذت بموجبه البيعة لخلفائهم لم يزل مهتدا بالانهيار إذا أصر بنو الحسن على المطالبة بحقهم في البيعة - و انهم لمصرون فعلا - طبقا لذلك الميثاق الذي اتخذته الهاشميون في أيام بنى أميه و إلى هذا الميثاق يستند بنو الحسن و محمد بن عبد الله في طلب البيعة و انها لبيعه يعرفها العرب و الهاشميون بأسرهم في ذلك الحين، و أول من عقدها للنفس الزكية هو السفاح، و يقال أن المنصور بايعه مرتين إحداها بمكة في المسجد الحرام فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال: " اما انه أن أفضى إليك أمر نسيت لى هذا الموقف "، و من هذا نعلم أن مناط السياسة و محورها الذي تدور عليه في مذهب المنصور هو المصلحة لا غير، فهو يساوم و يماكس و لا يقيم وزنا لغير هذا النوع من السياسة سياسة المنفعة لا سياسة العاطفة.

كان خبر هذه البيعة - بيعة المنصور للنفس الزكية - من جملة الأخبار المشهورة المتعالمه في ذلك العصر، و من الأدلة على ذلك حديث عثمان بن محمد بن الزبير مع أبي جعفر المنصور، و هو حديث يدل على ثبات نادر و جراه بالغة، كان عثمان هذا من وجوه أصحاب محمد ولي الشرطه له و له ذكر في بعض كتب الأخبار، و قد هرب إلى البصره بعد مقتل صاحبه فحمل منها إلى المنصور فقال له " هيه يا عثمان " أنت الخارج على مع محمد؟ " قال: " بايعته أنا و أنت بمكة فوفيت ببيعتي و غدرت ببيعتك " قال: يا ابن اللخناء، قال: ذلك من قامت عنه الإمام - يعنى المنصور - فأمر له فقتل، و هذا الحديث يدل على أثر العقيدة في هذا الضرب من أصحابه محمد بن عبد الله و على تفانيهم في ولاءه و الإخلاص له.

أضف إلى ما تقدم ما تنهى إلى علم المنصور من أن للعلويين أو لبني الحسن في كثير من الأقطار أنصارا يدينون لهم بالولاء و يبعثون لهم بزكاه الأموال و مختلف الألطاف و يعنون كثيرا باخبارهم و يتحدثون باحاديثهم، و من هؤلاء من يرى رأى الزيدية في الخروج، و منهم من يرى موالاته هؤلاء العلويين على كل حال، و كانت للقوم هيبه و مكانه في صدور الناس، و إلى تلك المكانه الرفيعه و البيعه القائمه لبني الحسن في أعناق الأول من بني العباس مرد هذا الحرص من المنصور على الظفر بمحمد و بأخيه إبراهيم ليطمئن على ملكه الجديد و يقيمه على الأساس الذي يريد، و قد تذرع إلى تحقيق بغيته بشتى الوسائل و نصب مختلف الجبائل.

يدهش المتأمل في سيره المنصور لعنائه البالغ بعد استخلافه - و قبل ذلك أيضا - بالتضييق على وجوه بني الحسن، كان ذلك شغله الشاغل أينما حل، ملأ الجزيرة بالعيون و الأرصاد و بذل الأموال الطائلة و فرق الأعراب يفتشون عنهم في البوادي و كان أولئك العيون و الأرصاد يتلقون تعاليم دقيقة من المنصور.

الخروج - أذكوا لهم عيوننا و جواسيس يوافونهم بأخبار المنصور بل كان إبراهيم بن عبد الله نفسه يتغلغل في مملكه المنصور و في قواعده العسكريه في الشام و العراق، و يروى انه تناول الطعام على مائده المنصور مره و حضر مجلسه متكررا، و قد بلغ المنصور بذلك إلا- انه عجز عن الظفر به، و يلاحظ أن عامه الناس في العراق كانوا يساعدون إبراهيم على الافلات و النجاه، و كان المنصور يقول: "غمض" على أمر إبراهيم لما اشتملت عليه طفوف البصره".

عزل المنصور ولاءه المدينة واحدا بعد آخر لفتورهم في طلب القوم و نسب هؤلاء الولاءه إلى الغش و المداهنه، و الواقع أنهم دهشوا و أخذتهم الحيره من هذا الولاء البالغ الذي ينعم به هؤلاء العلويون في الحجاز و تفضيل القوم لهم على العباسيين فلم يجد الحكام مساغا لاراقه الدماء نزولا على هوى المنصور، و الغالب أن لعبد الله بن الحسن والد الأخوين المتواريين دخلا قويا في ضعف هؤلاء الولاءه عن الاهتداء إلى مكان ابنائه و عجز المنصور عن الظفر بهما، و مرد ذلك إلى منزله عبد الله هذا و حرمة الكبيره في المدينة و لدهاء و عقل فيه، فكان الولاءه المذكورون يسمعون عنه و يطيعون.

المنصور يلح

ما زال المنصور يلح و عبد الله يدافع، و قد نجح المنصور أو كاد في اشاعه الاضطراب و الارتباك في نفوس بعض بنى الحسن، و كانت بين عبد الله بن الحسن و سليمان بن علي - عم المنصور و عامله على البصره - قرابه قريبه و مصاهره فاستشاره في إظهار ابنه علي شرط أن يعفى عنهما فقال سليمان: لو كان المنصور من أهل لعفى عن عمه عبد الله بن علي - و هو أخو سليمان هذا - فلم يسع عبد الله بن الحسن إلا قبول هذا الرأي الذي ارتاه صهره و قريبه سليمان، و من ثم أمعن في تشجيع أولاده على الثبات و المضى في الخلاف و هان عليه السجن في هذا السبيل و طال لبثه فيه علي وجه أثار إشفاق أولاده و رثاءهم لحالته، و كان محمد ابنه يزوره في سجنه بالمدينة و خطر له أن يسلم نفسه للمنصور ليخلص والده و لكن الوالد الجلد الصابر ظل و هو رهين السجن يحث أولاده على الثبات و المقاومه حتى الموت و قد اشتهر له في هذا الشأن كلمته التي خاطب بها ابنه قائلا "أن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين".

و كان عبد الله أول من بث الدعوه لابنه و بايعه، و لذلك كان المنصور يكنيه "أبا قحافه" تشبيها له بعثمان بن عامر التيمي لأن أبا بكر ابنه بويح و هو حى كما بويح النفس الزكيه و أبوه على قيد الحياه.

طلائع الثورة

أجمع المؤرخون على أن طلائع الثورة الحسينيه على الدوله العباسيه بدأت بتضييق أبي جعفر المنصور على عبد الله بن الحسن و أهله و زجهم في سجنهم الأول بالمدينة - بعد استخلافه بنحو سبع سنين - متهما إياهم بتهم مختلفه ناسبا إليهم انهم يكيدون للدوله العباسيه و يبغونها الغوائل، و لم يأمر المنصور بسجن عبد الله - بعد أن حاول قتله - إلا بعد أن أراده على إحضار ابنه و هدده و طالما تكاشفا و تغالطا في الكلام و قد أراد المنصور بالتضييق عليه في سجن المدينة أن يضطره إلى تسليم ابنه و لما امتنع أشد امتناع أمر باشخاص بنى الحسن إلى العراق و أشرف بنفسه على وضع الأغلال في أعناقهم و القيود في أيديهم و سامهم في الطريق من الحجاز إلى العراق ألوانا من العذاب و التنكيل و القتل إلى أن أودع من بقى على قيد الحياه منهم سجنه في قصر ابن هبيرة أو الهاشميه، و كان ذلك سنة ١٤٤ هـ. بقى عبد الله بن الحسن في سجن المنصور ثلاث سنين، و كان ينتحل

لغياب ابنه شتى الأعذار، مره يقول: انهما منهومان بالصيد و طلبه و انهما هجرا لذلك الأهل و الديرار، و تاره يقول: انه لا يعلم من أمرهما شيئا، و طورا يدعى أن خوف المنصور اكرههما على الغياب و على الخروج إلى اليمن و إلى السند و إلى العراق و إلى أقطار أخرى.

كان محمد خبيرا بالنكر و الاختفاء جوابه للبوادى و رادا على المياه الأواجن و قد تزيا بشتى الأزياء، تزيا بزى الأعراب و العمال و غيرهم و لم يزل يتنقل من موضع إلى موضع إلى حين خروجه بالمدينه.

ظهور محمد بالمدينه

ألح أمير المدينه فى طلب محمد و ضيق عليه و أرقه الطلب طبقا للأوامر التى تلقاها من أبى جعفر المنصور بعد قفوله إلى العراق بمن حملهم من بنى الحسن فلم يسع محمدا إلا الخروج و الثوره بعد أن بعث بأخيه إبراهيم يجوس خلال مملكه المنصور فى العراق، و هى الثوره التى قمعت على يد الأمير عيسى بن موسى - بعد ثلاثه أشهر - طبقا لما توقعه الامام جعفر بن محمد - و قد مر شرح ذلك -.

تتضارب أقوال المؤرخين فى أسباب نجاح المنصور فى قمع ثوره بنى الحسن بمثل هذه السرعه فيقال: أن محمدا خرج قبل وقته الذى واعد أخاه إبراهيم على الخروج فيه و قيل خرج بميعاده و كان التأخير من أخيه، و يبدو لنا أن أهل المدينه برموا من القلق و الاضطراب و سئموا من الانتظار على وجه اضطر معه محمد إلى الخروج، و يقال أيضا أن أهل المدينه لم يكونوا أهل حرب كاهل العراق و كانت ذخائرهم و مئونهم قليله، و قد اتصل ذلك ببني العباس من جواسيسهم فى الحجاز، و من أجل ذلك هان على المنصور إخماد الثوره فيها، و فى كتب التاريخ روايات تدل على ان المنصور كان بارعا فى نصب المكاييد و الخدع للشائرين فكانوا يتلقون رسائل مذيله بتوقيع قواد الجيش العباسى و أمرائه يحثون فيها بنى الحسن على الظهور و يخبرونهم أنهم من أنصارهم، إلى ذلك و نحوه مما جعل محمد بن عبد الله يعتقد بانحياز قاده الجيش العباسى إلى جانبه إذا ثار، و ما كتبت تلك الكتب و الرسائل إليه إلا بامر أبى جعفر المنصور.

عنى المنصور باستشاره أصحابه فى كيفية التغلب على محمد بن عبد الله فكانت لهم آراؤهم فى هذا الشأن، و كثير منهم هون على المنصور أمر الثوره قائلين أن أهل المدينه ليس معهم آله الحرب و لا قدره لهم على الزحف، و قد يستطيعون الدفاع مده قليله، و مما يدل على ذلك أن عالما كثيرا من سكان المدينه تركوها إلى الباديه و الجبال لما دنا منها جيش المنصور يقوده ابن أخيه الأمير عيسى بن موسى، و لم يبق مع محمد بن عبد الله عدد يؤبه له و تفرق عنه جل أصحابه فى أخرج لحظه.

أضف إلى ذلك أن أصحاب محمد اختلفوا فى كيفية اداره رحى الحرب داخل المدينه بيد أن محمدا مع ذلك كله ثبت ثبات المؤمن بحقه و قاتل قتال الابطال حتى قتل و قتل معه من أهل المدينه قوم لم يسع المنصور إلا الاعتراف ببسالتهم و نجدتهم البالغه.

بعض مميزات الثوره

و كان أعيان معتزله البصره من واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد من دعائه و أنصاره و يقول بعض المؤرخين: بايعه الأئمه من أهل عصره كمالك و أبي حنيفه و من فى طبقتهما.

خرج مع محمد جماعه من آل أبى طالب من أبناء الامام على و من أولاد جعفر الطيار و خرج معه اثنان من أولاد زيد بن على عيسى و حسين و خرج معه جماعه آخرون اعتقدوا إمامته و قتلوا على ذلك، و منهم بعض من آل الزبير كعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير المتقدم ذكره، و قد خرج أكثر من خرج معه على أنه المهدي الموعود.

و من السهل تعليل هذا التأييد الذى لقيه محمد بن عبد الله من العلويين و الطالبين و غيرهم و كذلك الانحراف الذى منى به المنصور و العباسيون فان مردهما إلى الاعتقاد أو إلى القول بالإمامه فاننا نعرف عن أولئك الفقهاء و نقله الأثر و الحديث فى ذلك العصر و أمثال هؤلاء - ممن اعتزل الحكم و تجرد للتفقه و النسك و العباده - أنهم يرون أن مناصب السياسه أهون من أن تراق فى سبيلها ملء محجمه من الدم، و لما كان الأمويون و من بعدهم العباسيون على النقيض من ذلك فى عدم التخرج من سفك الدماء فى سبيل الملك و السلطان لم يسع أولئك إلا-المجاهره بالخلاف و الخصومه العنيفه، و عقد غير واحد من المؤرخين فصولا خاصه سموا فيها من أجاب دعوه محمد بن عبد الله أو خرج معه من أعيان ذلك العصر و أئمه فى عده من الأقطار، و هى فصول تصلح للاحتجاج على متانه مركز بنى الحسن من الناحيه المعنويه فى العصر المذكور و أن اضطربت آراء فريق من وجوه الطالبين فى خروجه و امتنع من امتنع منهم عن تأييده.

عمال محمد بن عبد الله

أرسل محمد قبل ثورته و بعدها عماله و دعائه إلى مكه و إلى الشام و اليمن و العراق، و من أشهر هؤلاء العمال و الدعاه أخواه إبراهيم بن عبد الله وجه به إلى العراق قبيل ثورته و موسى و يعرف "بموسى الجون" فى كتب الأنساب، و قد استعلمه على الشام، و منهم محمد بن الحسن بن معاويه من أحفاد جعفر بن أبى طالب استعلمه على مكه و يظهر من قوائم المؤرخين التى وردت فيها أسماء عماله أنه اختارهم من ذوى قريبه و لم يكتب لأكثر هؤلاء العمال نجاح يذكر فى الأقطار المذكوره، فهذا عامله على مكه لم يقم إلا يسيرا فيها حتى استدعاه محمد لما خرج إليه عيسى بن موسى و لكن محمدا قتل و عامله هذا فى طريقه إلى المدينه فهرب إلى العراق و لحق بإبراهيم بن عبد الله و أقام عنده حتى قتل، و قد منى موسى أخو محمد و عامله على الشام بالفشل أكثر من غيره، توجهه أهل الشام و استقبلوه استقبالا رديا و كان أثر الرعب و الوجوم باديا على القوم منذ زوال الدوله الأمويه و استئصال امرائها و أبادتهم. تدلنا على ذلك رسالته التى بعث بها إلى أخيه من دمشق و قد جاء فيها: "أخبرك أنى لقيت الشام و أهله فكان أحسنهم قولاً-الذى قال: و الله لقد مللنا البلاء و ضعفنا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع و لا لنا به حاجه، و منهم طائفه تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا و أمسينا من غد ليرفعن أمرنا، فكتبت إليك و قد غيبت وجهى و خفت على نفسى" و قد ترك موسى الشام بعد رسالته هذه إلى المدينه و قيل إلى البصره - و هو الأصح فيما نرى - و المرجح أنه ترك الشام بعد أن حوصر أخوه فى المدينه و ذهب رأسا إلى البصره ملتجئا إلى قريبه محمد بن سليمان العباسى فى البصره و لكن هذا وبخه توبيخا شديدا و جبهه بكلمات نابيه تدل على اضطراب و رعب من المنصور، و قد أشار المؤرخون إلى مصير موسى بعد وصوله إلى العراق و سجنه فى أيام المنصور و الإفراج عنه فى عصر ابنه المهدي و ذكروا أنه عاش إلى أيام هارون الرشيد و له معه أحاديث لطيفه هذا و لم يغفل المؤرخون أسماء و لاه محمد بن عبد الله و قضاته على المدينه و وزرائه فى إداره الشئون

إبراهيم يثار لأخيه فى العراق

هرب عدد من أقرب المقربين إلى محمد بن عبد الله - بعد مقتله سنة ١٤٥ - و عدد من ولاته و عماله إلى البصره، و قد اشتملت باديتها على كثير من أنصار بنى الحسن عقدوا البيعه لأخيه إبراهيم بن عبد الله و نادوا و أعلنوا الخلاف على الدوله العباسيه.

يعد إبراهيم بن عبد الله - أخو النفس الزكيه - من أشهر رجال بنى الحسن علما و فقها لم يملأ عين المنصور بعد أبيه و أخيه غيره من بنى الحسن، و له ضلع فى الأدب و يروى له شعر، و من رأى بعض المؤلفين فى الأدب و التاريخ أن "المفضليات" من جمع إبراهيم بن عبد الله جمعها من دواوين العرب لما كان مختفيا فى منزل "المفضل الضبى" فلما قتل إبراهيم نسبت المفضليات إلى المفضل المذكور، و كان المفضل زيديا و من رواه حديثه و شعره كما كان إبراهيم يكثر من الإقامه عنده.

كنز المادحون من الشعراء لإبراهيم، و من مداحه بشار بن برد، و حسبنا من شعره فى إبراهيم قصيدته السائره التى تعد من عيون الشعر العربى و فيها يقول:

أقول لبسام عليه جلاله غدا أريجيا عاشقا للمكارم

من الفاطميين الدعاه إلى الهدى سراج لعين أو سرور لعادم

أتى إبراهيم نعى أخيه فخرج و أخبر الناس فى البصره، و كانت البصره مواليه له جدا كما كان البصريون من أكثر أنصاره و أشدهم انقيادا و طاعه له، و لإبراهيم كلمه بليغه فى الثناء على البصريين لايوائهم إياه مع أصحابه و قد اتخذ أصحابه من هذه الكلمه شعارا لهم و أنشوده ينشدونها، و قد جاء فى ختام الكلمه قوله: "إن أملك فلکم الجزاء و إن أهلك فعلى الله الوفاء".

توالت على المنصور الفتوق - بعد خروج إبراهيم - من البصره و الأهواز و فارس و واسط و المدائن و السواد إلى جانب كثير من أهل الكوفه، و يبدو لنا أن كثيرا من زعماء العراق فى الكوفه و فى الموصل و غيرهما مالوا إلى إبراهيم و بايعوه و قد أجمع المؤرخون على أن إبراهيم وجم و اغتم بخروج أخيه و أمره إياه بالخروج فلعله كان يرى خروجه مبتسرا أى قبل أوانه، و يفهم أن المنصور أكثر من استشاره رجال دولته فى أمر إبراهيم و خروجه، و قد أخذ برأى من ارتأى منهم بان يقاتله بجند من أهل الشام لأنهم لا يميلون إلى آل أبى طالب بخلاف العراقيين.

خرج مع إبراهيم عدد غير قليل من أهل العلم و الفقه و نقله الآثار سماهم و ترجم لهم أبو الفرج الأصفهاني، كما أفتى بالخروج معه فقهاء آخرون سماهم غير واحد من المؤرخين كابن سعد و الطبري، و قد عللنا فيما مر تأييد أهل الفقه و النسك في صدر الدوله العباسيه للثائرين عليها من العلويين، و مرد ذلك إلى هوان السياسه و طلب الملك و الدوله على هذا الفريق من الفقهاء و النساك و إن ذلك فيما يرون أقل شانا من أن تراق في سبيله الدماء و أخرى أن يركن بسببه إلى العزله و الانزواء فقد صح أن أبا حنيفه كان يجهر بآرائه في نقد سياسه المنصور و أصحابه نقدا لاذعا يعلن عن مناوآته للخليفه و لعماله في شده و طاتهم على العلويين على رؤوس الأشهاد، حتى قال له بعض أصحابه: " و الله ما أنت بمنته حتى توضع الجبال في أعناقنا"، و الواقع أن أبا حنيفه عارض سياسه الأمويين المجافيه للدين و المبنيه على اضطهاد العلويين قبل معارضته لسياسه العباسيين فرفض ولايه القضاء في أيام مروان بن محمد، و ضرب و حبس في هذا السبيل، و في هذا الامتناع الشديد عن ولايه القضاء في العصرين الأموي و العباسي بعد ذلك ما فيه من الدلاله على تبرمه بالسياسه و على مجافاته للحكام من أمويين و عباسيين، و يعده المؤرخون كافه من الموالين لآل علي، و كان لخروج زيد بن علي و قتله على الصوره التي قتل فيها - في أيام هشام بن عبد الملك - أثر عميق في نفسه و مشت بين زيد الشهيد و أبي حنيفه رسل و بعث إليه بمال و أطلعه على بعض الموانع التي منعت من الخروج.

و مما لا شك فيه أن اغتباط أبي حنيفه كان عظيما بزوال دوله بني أميه و انتقال الأمر إلى العباسيين، و تروى له خطبه في الكوفه عند بيعه السفاح استقبال فيها الدوله الناجمه استقبال الولي الناصر، و لم تعرف عنه خصومه لهذه الدوله في أيام السفاح و في شطر غير قليل من أيام المنصور، و لما خرج محمد بن عبد الله النفس الزكيه بعد مضي عشر سنوات على بيعه المنصور - و كانت تربط أبا حنيفه بالنفس الزكيه رباطه قديمه إذ كان أبوه عبد الله بن الحسن من أجل أشياخه - ظهرت الخصومه بينه و بين أمراء الدوله العباسيه و لم يسعه إلا المجاهره بآرائه في مناصره العلويين، لذلك نرى كتب التاريخ حافله بأخبار سخطه على بني العباس بعد هذه الثوره و بعد مقتل العلويين الثائرين.

آراؤهم في الخروج على السلطان

و قد عقد الخطيب فصلا عنوانه " ذكر ما حكى عن أبي حنيفه من رأيه في الخروج على السلطان"، و هذا الفصل عباره عن أحاديث يستنتج منها أن أبا حنيفه يرى الخروج بالسيف على سلطان زمانه الجائر، و قد ناقش هذه الروايات فريق من المؤلفين و المحدثين زاعمين أنها روايات واهيه الإسناد، و قال آخرون: أنها كذب و افتراء على أبي حنيفه و دليلهم على ذلك أن فقهاء الحنفية مجمعون على القول بعدم جواز الخروج على السلطان و إن طاعته واجبه ما لم يأمر بمعصيه، و يفهم مما قالوه أن ما نقله الخطيب في هذا الشأن لا أصل له في مذهب أبي حنيفه.

و ممن ناقش الخطيب البغدادي فيما حكاه عن أبي حنيفه و أسند إليه و إلى أصحابه أقوالا تنافي الأقوال الوارده في تاريخه و أنكر تلك الأقوال المنسوبه إليه في جواز الخروج على ولاه الأمور الملك عيسى بن العادل الأيوبي في كتابه: "السهم المصيب" و قد نقل عن أبي حنيفه قوله " و لا نرى الخروج على أئمتنا و أولياء أمورنا و أن جاروا علينا و ندعو لهم" ثم قال: " و إجماع أصحاب أبي حنيفه على ذلك".

و من رأى بعض المؤرخين أن هذا القول مرجوح و إن فى إجماعهم على محنته ما يكفى لترجيح قول القائلين بخلاف ذلك، فالمنصور اعقل من أن يؤذى أبا حنيفه لمجرد امتناعه عن القضاء و إنما اتخذ من هذا الاضرار و من مواقف أخرى عارض أبو حنيفه رغبات المنصور ذريعه يتذرع بها لايقاع هذه المحنه، و قد ثبت أن فى أعوان المنصور و وزرائه من يحرض على أبى حنيفه و يثير الخصومه بينه و بين الخليفه و منهم الربيع بن يونس و أبو العباس الطوسى و الأمير عيسى بن موسى أمير الكوفه الآنف ذكره و غير هؤلاء.

كان أبو حنيفه و هو فى الكوفه يحث الناس على الخروج مع إبراهيم بن عبد الله و يأمرهم باتباعه و يشجع إبراهيم على الطلب بدم أخيه و يدعوه إلى نزول الكوفه مهونا عليه أمر عيسى و عمه المنصور، و قد أفتاه - على ما يقول هذا الفريق - أن يسير معهم سيره جده مع أهل الشام، و كان بقاءه فى الكوفه - و هى علويه فى دعوتها - خطرا على القوم، و لذلك هم واليه الأمير عيسى بهدر دمه ثم اكتفى بان أشخصه من الكوفه إلى بغداد بامر من المنصور، و توفى أبو حنيفه سنه (١٥١) على أصح القولين أى بعد مقتل إبراهيم بن عبد الله بست سنوات، و يجب أن تكون إقامته هذه المده ببغداد أو أنه كان يتنقل بينها و بين الكوفه، و فى كيفيه وفاته ببغداد أقوال بيد أن المؤرخين مجمعون على وفاته و هو فى المحنه.

هذا و يلاحظ أن مذهب أبى حنيفه فى الفقه أصبح مذهب الدوله العباسيه فى عصر الهادى و الرشيد بعد أن نوهض صاحب المذهب فى عصر المنصور، و قد اختير جل القضاء من بين المنتمين إلى المذهب المذكور، و كان لأبى يوسف صاحب أبى حنيفه شان يذكر فى ذلك حتى قيل: مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسه و السلطان الحنفى فى الشرق و المالكى فى الغرب، و كان مرد رغبه كثير من الطلاب بعد ذلك بدرس الفقه الحنفى إلى تولى المناصب القضائيه أو مناصب التدريس.

محنه اخرى

كان المنصور يلاحق من خرج مع محمد و أخيه إبراهيم أو أفتى بجواز الخروج معهما، و قد أجمعت كلمه المؤرخين على محنه امتحن بها مالك بن أنس المدنى صاحب الموطأ فضرب بالسياط و مدت يده حتى انخلعت كتفاه و قيل: ضرب سبعين سوطا فى المدينه هذا ما أجمع عليه المؤرخون و أصحاب السير، و فى أسباب هذه المحنه المتفق عليها أقوال أشهرها فتوى مالك المعروفه فى "يمين المكره"، و فى "طلاق المكره" إذا استفاض فى كثير من كتب المؤرخين أن مالكا أفتى بجواز الخروج مع محمد بن عبد الله و بصحه البيعه له: فقيل له: أن فى أعناقنا بيعه للمنصور فقال إنما بايعتم مكرهين أو قال: ليس على مكره يمين، و قد احتج من احتج بهذا الحكم على بطلان بيعه أبى جعفر المنصور و بايع أهل المدينه النفس الزكيه، و على هذا فان التحلل من بيعه أبى جعفر المنصور هو المقصود من هذه الفتوى و نفى آخرون عن مالك الخوض فى السياسه و التحريض على السلطان ذاهبين إلى أن هذه الفتوى عامه لم تقصد بها نازله أو حادثه بعينها، و هذا الفريق من المحدثين و المؤلفين يذهبون إلى أن مالكا التزم الحيدره فى حرب المدينه بين الأمير عيسى بن موسى مقدم جيش المنصورو العلويين و مقدمهم النفس الزكيه، بيد أن بعض حساد مالك و مثيرى الخصومه بينه و بين المنصور استندوا إلى هذه الفتوى فيما جرى بين مالك و والى المدينه.

دوله لبنى الحسن فى المغرب

كبلاد الديلم و في بعض بلاد العرب كاليمن، و إنما قلنا دوله في المشرق لأن بنى الحسن كونوا لهم - و الحق يقال - أكثر من دوله واحده في المغرب الأقصى و في بلاد الأندلس، عرفت الدوله الأولى في كتب التاريخ بدوله الأدارسه و عرفت الثانيه بدوله بنى حمود من أعقابهم، و قد استندت هاتان الدولتان في قيامهما على حزب لا يستهان بقوته و شده مراسه قوامه البربر و المغاربه المراكشيون، و قد نسبت دوله الأدارسه إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن و إلى ابنه الذي خلفه في المغرب و سمي باسمه، و يقال لإدريس ابن عبد الله "إدريس الأكبر" تمييزاً له عن ابنه الذي يقال له "إدريس الأصغر" كما يقال لكل منهما "صاحب البربر" لأن جل من استجاب لدعوتهما و شد أزرها من قبائل البربر - و كان ذلك في عصر هارون الرشيد - و إدريس الأكبر أو الأول ثاني اثنين من أولاد عبد الله بن الحسن المثني أفلت من وقعه "فخ" المشهوره، أما أخوه و هو يحيى بن عبد الله الذي أفلت معه من هذه الواقعة فيقال له "صاحب الديلم" خروجه على الرشيد في بلاد الديالمه و إن خاب يحيى في حركته بخلاف أخيه إدريس و ابنائه الذين حالفهم التوفيق في تكوين الدوله الادريسيه.

خيه صاحب الديلم

تيسر للرشيد إحباط حركه يحيى لوقوعها في إقليم غير بعيد عن العراق، و شتان بين البلاد التي ظهر فيها إدريس - و هي مراكش - و بين بلاد الديلم من هذه الناحيه، لذلك لم يستطيع أن ينشأ ملكاً أو دوله كالتى أنشأها الأدارسه.

كان ساعد الرشيد في إحباط حركه صاحب الديلم الناجمه في المشرق وزيره أبو الفضل بن يحيى، و هو وزير عرف بحنكته و كياسته و اجتنابه سفك الدماء و ميله إلى حل المعضلات سليماً، فلما ندب الرشيد وزيره المذكور إلى قتال هذا العلوي الثائر استماله و أقنعه بالتسليم بشروط، منها أخذ الأمان له بخط الرشيد في حادثه مشهوره يظهر منها أن يحيى عاش في عاصمه الرشيد بعد تسليمه عيشه امرائها المرفهين مده ثم مات مسموماً، و في روايه ابن الأثير حبسه فمات في الحبس بعد أن أفتاه بعض فقهاءه بان أمانه منقوض، هذا و ليحيى بعد ذلك ضلع في التاريخ و العلم بالأنساب و الأيام، و مناظراته مع بعض خصومه في مجلس الرشيد تدل على ذلك.

و لصاحب الديلم حديث مع الامام موسى بن جعفر في الموقف الذي يجب أن يقفه العلويون من الدوله العباسيه في هذا العصر، و قد تبودلت بينهما رسائل طريفه و هذه الرسائل صريحه جدا في الخلاف الناشب بين هذين البطينين من العلويين في هذا الباب، و قد نهى فيها الامام موسى بن جعفر عن الخروج على هارون الرشيد و أوصاه بالاخلاد إلى السكينه، و يقول أحد شراح أصول الكافي: يكتر الزيديه من الثناء على يحيى و يروون أنه فيمن أوصى إليه جعفر بن محمد بعد ابنه موسى الكاظم، و ليحيى ذكر في بعض معاجم الرجال و أصحاب الحديث.

ورثه الحضاره الأندلسيه

بدأت دعوه الأدارسه في مراكش أو المغرب الأقصى سنه ١٧٠، و في قول بعد ذلك بقليل، و جل أنصارها من البربر الذين استجابوا لدعوه إدريس الأكبر ثم بايع البربر ابنه إدريس الأصغر، و هو أول من بويع بالخلافه من بنى إدريس بيعه عامه في البلاد المذكوره، و قد خلفه من خلفه من أبناء إدريس الأكبر و أحفاده، و الخلاصه:

عبثا حاول الرشيد و أد هذه الحركة الادريسيه بدس السم لإدريس الأكبر فان أولاده خلفوا أباهم في تلك البلاد فعاشت هذه الدوله رغم إرادته بنى العباس، و يقول ابن بسام - (٥٤٢) - في معرض ذكره لبني الحسن و أسباب خروجهم إلى المغرب ما هذا نصه - "بلغنى أن عقبهم إلى اليوم هنالك". و إماره الأدارسه المعروفه أخيرا في عسير شرقى اليمن أنشأها بعض ذرارى الأدارسه المعروفين فى البلاد المغربيه و كانت بين بنى الحسن فى المغرب و بنى الحسن فى المشرق - و هم أئمه الزيديه فى اليمن - مراسلات.

مقارنه بين الدولتين الفاطميه و الادريسيه

عاشت دوله الأدارسه مدته تناهز مائه و ثمانين سنه، و قد ناوت الدوله الفاطميه الإسماعيليه هؤلاء الأدارسه فى أواخر أيامهم و استولى القائد جوهر على عاصمتهم فاس سنه ٣٤٧، و كان الفاطميون أنبه ذكرا و أبعد مغادا حتى أن دوله الأدارسه التى استولت على المغرب كانت خامله الذكر بالنسبه إليهم، و مرد ذلك إلى انزواء الأدارسه فى المغرب الأقصى و اقتصرارهم على الدفاع عن أنفسهم و مملكتهم و خوفهم من بنى العباس بخلاف دوله الفاطميين التى غزت المشرق و هددت بنى العباس فى عقر دارهم و أزالت دولتهم من مصر و الشام، إلى غير ذلك مما لم يحلم به الأدارسه، و مع ذلك لا ينكر فضل هؤلاء الأدارسه على المغرب الأقصى أو مراکش، ففى عهدهم قطعت هذه البلاد شوطا بعيدا فى مراحل الحضاره، و من مظاهرها تأسيس المدن الكبيره.

لا شك أن المدن الكبرى فى المغرب الأقصى - و فى مقدمتها "فاس" و هى مدينه الأدارسه، "و مكناس" و "سلا" و "تطوان" و غيرها من آثارهم أو ملحقات مملكتهم - تعد وارثه الحضاره الإسلاميه فى الأندلس، و أهلها - أعنى أهل هذه المدن المغربيه - يمثلون مسلمى الأندلس فى عاداتهم و أطوارهم و ثقافتهم، و تعد مدينه فاس معقل الثقافه الإسلاميه فى المغرب و بها جامع القرويين المشهور يؤمه طلاب العلم من سائر أنحاء البلاد.

عارف الحر

ولد فى جباع (جبل عامل) سنه ١٩١٠ م و توفى فيها سنه ١٩٧١ م درس دراسته الأولى فى جباع ثم انتسب فى بيروت إلى مدرسه الشيخ أحمد عباس، ثم اشترك فى دوره لتدريب المعلمين تخرج منها سنه ١٩٣٠ فعين معلما فتنقل فى وظيفته فى عدده قرى إلى أن استقر سنه ١٩٦٠ فى صيدا. و ساهم مع فريق من أدباء جبل عامل فى إنشاء (الرابطه الأدبيه العامليه).

و من شعره قوله:

هذى فلسطين قد عاث اللثام بها و جرعوها من الارزاء ألوانا

لا تمتع الله طرفا بالرقاد إذا لم يكحل الفوز بالآمال أجفانا

و لا تمتع قلب بالحياه إذا لم يقطف النصر يوم الثار ريانا

و قوله فى ثوار المغرب العربى:

دم فى السفوح دم فى الربى تبارك عطرا و ما أطبىا

و ما ذاك عن شهوه للدماء تلون حلما لها مرعبا

و لىس انتشاء و لكننى تنسمت فى عطره يعربا

تنسمت رىح الجلاذ الأبى و نار الكفاح و من ألهبها

دم لون الأفق من زهوه و روى البطاح فما اخصبا

فقل للعتاه و للغاصبىن دماء التحرر لن تنضبا

و قوله فى أحد حكام العرب:

يا حاكما بك يلعب الدولار أضرمتها فعدت عليك النار

رق بطبعك لا ىرى حربىه لبلادىه ىحيا بها الأحرار

ص: ٧٨

فاملأ كئوسك من نجيع شبابنا و اطرب فانات الورى مزمار
و ارقص على جث الضحايا نشوه فكان ناعيه القبور هزار
يا محرق الأوطان يرضى طبعه " نيرون " قبلك اطربته النار
و قال:

يا ذكى المسك فى انفاسه و شبيهه الغصن فى مياسه
صوره الوجه أرتنا سوره جمعت جمرته مع آسه
غارت النجمات من سحر العيون و اطل السحر من بين الجفون
و عيونى نبعت منها عيون صب منها الشوق صهبا كاسه
حدثت عنك ورود زاهره و روت عنك بدور باهره
بهوانا و المزايا طاهره رفع الزنبق على رأسه
كم روى عنا نسيم السحر من حديث كان عطر الزهر
اطرب العشاق صدق الخبر عن هوى يقرع فى أجراسه
و قال شاعر فى بلده جباع و أهلها:

يا بلده ضحكت فيها أقاحيها خلت السماء لها أهدت دراريها
جميله هى لو لا قبح أهليها شرطى لأدخلها إخراج من فيها
فرد عليه المترجم قائلا:

(يا بلده ضحكت فيها أقاحيها) كان قطعه فردوس زواهيها
بحسن آياتها غنت شواديها (خلت السماء لها أهدت دراريها)
ما ضرها قول غر خابط تيبها (جميله هى لو لا قبح أهليها)
كهجو إبليس خلدا قول هاجيها (شرطى لأدخلها إخراج أهليها)

و قال:

يا صادقاً فوق عود أحييت ميت و عودى

ردد فنون نشيدى و هز أوتار عودى

و انشر حديث هوانا و انفح بعطر ورودى

وردت عذب الأمانى فطاب اهنى ورودى

أحلامنا زاهيات ألوانها بالخلود

ماست عروسه شعرى تهز قلب الوجود

قل للحبيبه عنى عودى لعهدك عودى

أيام كان نعيمى يطيب بين النهود

قل للتى عاهدتنى و لم توفى عهدى

صونى فراشه صدرى هامت بنار الخدود

أطلت ليلى و صبحى أراه تحت الجعود

حتى م تكوين قلبى بميسم من صدود

و قال فى بعض الأحداث التى تفاعل فيها بجميع شمل العرب:

كادت لهاه اللسن تنكر ضادها و قلوبهم لا تستبين رشادها

هى أسره لعب الزمان بمجدها فسعى ليلطم فى السباق جوادها

نسب العروبه فيه أعرق "نجدها" "مصرا" و حيت "شامها" "بغدادها"

فالأمر روعها الزمان بشملها فى نكبه قد شتت أولادها

و أباح منعته لصوله فاتح بعد السيادة أحكم استعبادها

ما عاسفت حكم القضاء و ما ونت عن رد ما تحيى به أمجادها

و أعانها طبع الليالى أنها غير فكم جلى البياض سوادها
أما القلوب فلم تزل خفاقه بهوى مفاخر تبتغى استردادها
و حميه الآناف باق عرقها فيها العرائن أيقظت آسأداها
و مشاعر الأشواق سعرها الجوى حال الشتات فحركت أكبادها
و تقاربت تلك العواطف كتله خفاقه هز الشعور فؤادها
فغدت سويداء (الجزيره) (مصرها) و الشام من عين العراق سوادها
آمنت فى بعث الحياه أ ما ترى هذى العروبه آذنت ميعادها
قوميه العرب الكرام تأزرت عضدا يحطم عزمه أصفأداها
طويت حناياها على الشوق الذى فتح العيون فلا تمل سهادها
لم لا يهيج حنينهم و قلوبهم شطرت فلم تطق الضلوع بعادها
ذاك الشتات كسا الأعزه ذله فسقتهم نوب الزمان حدادها
و تجمع الاخوان بعد تفرق حالت ماتمهم به أعيادها
فإذا فرقت النأى عن إخوانه لم يصبر ساحر فنها إنشأداها
و رأيت جامعه الأزاهر جنه فيحاء هز هزارها ميأداها
و الناس ما فاقوا الخلائق غير فى جمع الحواس فأصبحوا أسياأداها
تلك " الثريا " ما تنظم عقدها إلا لتسيح الثرى عقأداها
لا تحسبوا ان العروبه أسلمت أبدا إلى حكم الزمان قيأداها
لا تنكروا وعى العقول فإنها عافت على نور الصباح رقأداها
فلأسره الضاد الكريمه مجمع أحييت به أمم العروبه ضأداها
و وشائج القربى تشد قلوبهم نسبا به توفى القلوب ودأداها

عباس إقبال الآشتياني

ولد في مدينة آشتيان (إيران) سنة ١٣١٤ و توفي في روما سنة ١٣٧٤ و دفن في طهران.

ولد من أبوين كادحين، فقد كان أبوه نجارا في مدينته و قد فرض على ابنه الاشتغال معه في مهنة النجاره، و لكن تلهف الولد للعلم و هوايته للأدب شجعاه على الإقبال على تلقى مبادئ القراءه و الكتابه أثناء فرصه فراغه و تعطيل العمل. و بعد أن أتم دراسته الأولية على هذا المنوال في كتاتيب "آشتيان" انتقل إلى طهران و التحق بمدرسه (دار الفنون). فنال منها شهاده الدراسه الثانويه ثم عين معاونا لمدير مكتبه المعارف التي كانت ملحقه بهذه المدرسه بالاضافه إلى توليه تدريس الأدب الفارسي في المدرسه نفسها، ثم عين استاذا للأدب الفارسي في (دار المعلمين العاليه) و استاذا للتاريخ و الجغرافيا في كل من كليه الحقوق و العلوم السياسيه و الكليه العسكريه.

و لما عاد إلى طهران عين استاذًا في جامعتها و عضواً في مجمع اللغة الإيرانيه (فرهنگستان) كما أشرف على شؤون مجله "يادگار" التاريخيه الأديبه الشهريه التي كانت تنشرها (دار اطلاعات) للطباعه و النشر ذلك اعتباراً من أول عدد صدر منها سنه ١٣٦٥ حيث استمر صدورها مده خمس سنوات كاملات و بعد احتجاج مجلته هذه انتخبته الحكومه الإيرانيه ملحقاً ثقافياً لها في كل من تركيا و إيطاليا فغادر طهران و بقي يشغل هذه الوظيفه حتى وافته المنيه في مدينه (رومه) بايطاليا.

إن إكباب عباس إقبال آشتيانی على التحقيق العلمی و التتبع الأدبی و الدراسه المعارفيه حتى آخر لحظه من حياته كان معروفاً لدى عارفی فضلہ و المقربين منه و كان لا يألو جهداً و لا يترك فرصه تمر به دون أن يستغلها لتحقيق موضوع أو تأليف كتاب أو تصنيف رساله.

هوایته الكتب و البحث علمياً و أدبياً و تاريخياً و كانت داره مفتوحه الأبواب لأصحابه و رفاقه من رجال الفضل فيستقبلهم في مكتبته الحافله بأنفس الكتب من خطيه و مطبوعه، عربيه و فارسيه و بعض المؤلفات الفرنسيه، و داره كانت في الحقيقه ندوه يلتقى فيها رجال الفضل و العلم و الأدب، و كان هو قطب الرحي في هذه الاجتماعات العلميه و اللقاءات الأدبيه.

لقد ترك المترجم مجموعه قيمه من المؤلفات و كثيراً من الكتب و الرسائل التي طبع معظمها إما في إيران أو في خارجها و بعضها لا زال مخطوطاً، كل ذلك بالاضافه إلى مقالاته الأدبيه و التاريخيه و الاجتماعيه التي ملأت صفحات المجلات و الصحف.

و من تاليفه المطبوعه و كلها باللغه الفارسيه هي:

- ١ - وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقی. ٢ - شرح حال عبد الله بن المقفع. ٣ - قابوس و شمسگیر زیاری. ٤ - تاريخ مفصل ایران از استیلاي مغول تا مشروطیت. ٥ - کلیات در علم جغرافی. ٦ - تاريخ اكتشافات جغرافیایی و تاريخ علم جغرافیا. ٧ - کلیات جغرافیای اقتصادی. ٨ - مطالعاتی درباره بحرين و سواحل خلیج فارس. ٩ - تاريخ ایران (في ثلاثه مجلدات للمدارس)
- ١٠ - تاريخ عمومي (في ثلاثه مجلدات للمدارس أيضا) ١١ - جغرافیای عالم (في ثلاثه مجلدات كذلك للمدارس) ١٢ - جغرافیای اقتصادی (مجلد واحد مختص بالمدارس الثانویه) ١٣ - خاندان نوبختی (و هو من أهم كتبه التاريخيه).

هذا مضافاً إلى الكتب العربيه و الفارسيه التي حققها و أشرف على طبعها و كتب لها المقدمات المستفيضه و أضاف عليها الشروح و التعليقات الوافيه و هي:

- ١ - حدائق السحر في دقائق الشعر - بالعربيه، لمؤلفه الوطواط ٢ - بيان الأديان - بالعربيه لأبي المعالي محمد الحسيني العلوي.
- ٣ - بيست مقاله - بالفارسيه، للعلامه محمد القزويني.
- ٤ - معالم العلماء - بالعربيه، لابن شهر آشوب.
- ٥ - تبصره العوام في معرفه مقالات الأنام - بالعربيه، للسيد المرتضى ابن الداعي الحسين الرازي.

- ٦ - تجارب السلف - بالعربيه، لهندو شاه بن سنجر النخجوانى الصحبى. ٧ - تتمه اليتيمه - بالعربيه، لأبى المنصور الثعالبى.
- ٨ - الشاهنامه - بالفارسيه، للفردوسى.
- ٩ - طبقات الشعراء فى مدح الخلفاء و الوزراء - بالعربيه، لابن المعتز.
- ١٠ - ديوان أمير معزى - بالفارسيه.
- ١١ - لغت فرس - بالفارسيه، للأسدى الطوسى.
- ١٢ - تاريخ طبرستان - بالعربيه، لبهاء الدين محمد بن الحسن ابن إسفنديار الكاتب.
- ١٣ - سياست نامه - بالفارسيه للخواجه نظام الملك.
- ١٤ - كليات عبيد زاكاني - بالفارسيه.
- ١٥ - رجال حبيب السير - بالفارسيه.
- ١٦ - أنيس العشاق - لشرف الدين الرامى.
- ١٧ - تاريخ نو - بالفارسيه، لجهان گير ميرزا.
- ١٨ - روزنامه ميرزا محمد كلانتر فارس - بالفارسيه.
- ١٩ - جنك إيران و انگليس - بالفارسيه تأليف الكابتن هيت و ترجمه حسين سعادت نورى.
- ٢٠ - شد الإزار فى حط الأوزار عن زوار المزار - بالعربيه لمعين الدين الجنيد الشيرازى.
- ٢١ - سمط العلى للحضره العليا - بالعربيه، لمؤلفه ناصر الدين منشى الكرمانى.
- ٢٢ - مجمع التواريخ.. بالفارسيه، لميرزا محمد خليل المرعشى الصفوى.
- ٢٣ - ترجمه محاسن أصفهان - بالفارسيه، للسيد حسين بن محمد ابن أبى الرضا آوى.
- ٢٤ - مجموعه مراسلات ديوان السلطان سنجر، لمنتخب الدين أتابك الجوينى.
- ٢٥ - المضاف إلى بدائع الأزمان فى وقائع كرمان، تأليف حميد الدين الملقب بأفضل كرمان.
- ٢٦ - فضائل الأنام من رسائل حجه الإسلام الغزالى - بالفارسيه.

٢٧ - شرح حال عبد الله ميرزا ملك آرا - بالفارسيه، لعبد الحسين نوائى.

و إضافه لهذا كله فقد قام بترجمه الكتب التالیه و طبعها و نشرها:

١ - مذكرات الجنرال تره زل مبعوث نابليون إلى الهند.

٢ - مهمه الجنرال " غاردان فى إيران " .

٣ - طبقات سلاطين الإسلام - تأليف استانلى لين بول.

٤ - (سيرت فلسفى رازى) و هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى.

٥ - سه سال در دربار إيران للدكتور فوريه.

و أول كتاب أصدرته له المطابع هو كتاب (قابوس وشمگیر زیاری) الذى طبع فى برلين سنه ١٣٤٢ و آخر أثر طبع له هو: (فضائل الأنام من رسائل حجه الإسلام الغزالي)، و قد طبع فى طهران سنه ١٣٧٤ هجرية أى قبل وفاته بأشهر.

"ملخص عن مقال للسيد صالح الشهرستاني".

ص: ٨٠

السيد عباس أبو الحسن ابن السيد مهدي

ولد سنة ١٣٣١ في بلدة معركة و توفي سنة ١٣٩٢ في بلدة الغازيه (جبل عامل) و دفن فيها قرأ في جبل عامل على بعض فضلائه ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٣٥٣ و كان معظم دراسته فيها على الشيخ محمد رضا آل ياسين ثم عاد سنة ١٣٦٩ إلى جبل عامل فأقام في بلدته معركة بضع سنين ثم انتقل إلى بلدة الغازيه و بقي فيها حتى وفاته و كان قد عين قبل سنتين من وفاته مفتيا لمنطقه بنت جبيل.

كان خطيبا جريئا صداعا بالحق مناصرا لكل عامل مخلص أوله من المؤلفات كتاب الامامه و الأئمه (مطبوع) و ثلاثه كتب لا تزال مخطوطه. و له شعر منه:

قوله في مدح أمير المؤمنين ع من قصيده:

بسرک صنو المصطفى يدفع الضر و فيک لنا السلوی إذا استفحل الأمر

و فی آلك الغر الميامین عصمه إذا ما دهانا معضل و طغى عسر

ففيکم لمن يبغى الوقايه جنه من الغم و العانى له الغوث و الذخر

و أنتم لمن يشکو الخصاصه وفره و أنتم لذی کسر إذا مسه جبر

و أنتم لوراد الشریعه منهل ترقرق من حافاته النور و التبر

أبا حسن یا خير من وطئ الثرى و خير بدور حلقت فيهم فهر

لئن کان غيری يکتّم الحب خشيه فدينى باثراء المديح لك الجهر

و ان کان يوما قد أعد ذخيره فأنت لى المأوى و أنت لى الذخر

فانى تبارى بالفضائل و العلى و للمصطفى قد شد فى بأسك الأزر

و أنت لواء الله فى كل موقف يرفرف فوق المسلمين به النصر

و من قصيده فى رثاء الشيخ حسين مغنيه المتوفى سنة ١٣٥٩:

تقوض للهدى منه البناء أم احتجبت عن الدنيا ذكاء

أم الندب الحسين قضى فعجت لعظم الخطب بالندب السماء

لك الصدر الرحيب بكل ناد لك الرأى المصيب لك العلاء

فمن للدين بعدك مستغاث و من للمجد بعدك مستضاء

و من قصيده فى رثاء الشيخ محمد رضا آل ياسين المتوفى فى النجف سنة ١٣٧٠:

هزرت كيان الشرع يا ناعى الهدى رويدا فأرواح الأنام له الفدا

أ تنعى عمادا يأمن الحق عنده و عنه حديث الفضل يرويه مسندا

و كم فاضل غمت عليه أصوله يثوب إذا ما آب منه على هدى

و ناشد حق لم يجد غيره حمى يلوذ بمغناه و ان بعد المدى

فان ارثه إرث الفضائل و النهى و ان ابكه ابك الامامه و الهدى

و ابك نصوحا كان يمنحنى العلى و ينشئنى فضلا و خلقا و سؤددا

و من قصيده فى رثاء السيد أبو الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٥:

فى ذمه الدهر ان يقضى أبو حسن و يثكل الشرع و الإسلام و الجود

و هو المدير رحى العليا بهمته و العلم فى يمينه و العطف مرصود

و من قصيده أرسلها إلى رفيقه فى الدراسه فى النجف السيد على مهدي الأمين حين عاد السيد على إلى جبل عامل سنة ١٣٥٨:

لقد غبت يا ابن الأكرمين و لم يغب مثالك عنا بل و لا خلقك العذب

و سرت عزيزا فالفضائل جمه تزينك و الآداب و الراجح اللب

ثوان خلسناها من الدهر فانقضت كما ينقضى للواله الأمل الخصب

أ ترجع يوما يا على زواهايا و عيش لنا رغد و نادىكم رحب

حنانيك يا ابن الأكرمين ترفقا بقلب أخ أضناه من نايك الكرب

و لا غرو ان أضحيت فينا مميزا فقد عرقت فيك الغطارفه النجب

الشيخ عباس القمى ابن محمد رضا

إشاره

ولد في قم حوالي ١٢٩٠ و توفي في النجف الأشرف سنة ١٣٥٩.

قرأ مقدمات العلوم و سطوح الفقه و الأصول على عدد من علماء قم. و في سنة ١٣١٦ هاجر إلى النجف فاخذ عن علمائها لا سيما الميرزا حسين النوري.

و في خلال إقامته في النجف ذهب إلى الحج و من هناك عاد إلى قم فأقام فتره ثم عاد إلى النجف. و في سنة ١٣٢٢ عاد إلى إيران و أقام في قم و انصرف إلى البحث و التأليف. و في سنة ١٣٣١ نزل مدينة مشهد الرضا و اتخذها مقرا دائما له. و لما أقام الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري في قم و أنشأ فيها الحوزه العلميه كان المترجم من مناصريه و الملتفين حوله. و في أواخر حياته انتقل إلى النجف و اقام فيها حتى وفاته، و كان قد كف بصره.

مؤلفاته

من مؤلفاته: ١ - الكنى و الألقاب في ثلاثه اجزاء ٢ - وقائع الأيام ٣ - مقاليد الفلاح في اعمال اليوم و الليله ٤ - تحفه الأحاب في نوادر آثار الأصحاب ٥ - الفوائد الرضويه في أحوال علماء الجعفريه ٦ - طبقات العلماء قرنا قرنا. لم يتم ٧ - شرح الوجيزه للشيخ البهائي ٨ - تتمه المنتهى في وقائع أيام الخلفاء ٩ مفاتيح الجنان في الأدعيه و الزيارات و هو أشهر مؤلفاته ١٠ - سفينه البحار و غير ذلك.

السيد عباس الهمداني الشيرواني

مرت ترجمته في الصفحة ٤٣٢ من المجلد السابع باسم السيد عباس الهمداني الشيرواني. و لكننا وجدنا آغا بزرگ يسميه: الشيخ محمد عباس الشيرواني. و كذلك جاء في (الأعيان) تاريخ وفاته سنة ١٢٥٦ و لم يذكر تاريخ مولده. و آغا بزرگ يقول ان آخر تاريخ لطبع كتبه في حياته كان سنة ١٣٠٩ فوفاته بعد هذا التاريخ، و أن مولده سنة ١٢٤١. و نحن لا نستطيع الحكم على أحد الرأيين بما بينهما من التباين البعيد و لكن كان لا بد لنا من وضع هذا الرأي أمام القارئ تحريا للحقيقه.

و قد وردت التفاصيل الآتية عن حياته:

كان جده الميرزا إبراهيم وزيراً للسلطان نادر شاه و لما عزله سكن النجف و كان والده محمد علي خان مستوفى الممالك فقتله نادر شاه ففر ولده محمد تقى إلى شيروان و أبدل اسمه فسمى نفسه (الشيخ محمد الشيرواني) ثم سافر إلى الهند فهبط بنارس أولاً ثم لکنو، ثم هبط اليمن فولد له فيها ابنه الشيخ أحمد و لذلك يعرف باليماني و سكن الشيخ أحمد مدينه کلکته من بلاد الهند سنة ١٢٢٠ ثم هبط لکهنو فولد فيها المترجم سنة ١٢٤١.

السيد عبد الحسين دست غيب

ولد سنة ١٣٣٢ في شيراز و اغتيل فيها سنة ١٤٠٢ و هو في طريقه بالسياره إلى اقامه صلاه الجمعة بتفجير عبوه ناسفه قضى على أثرها هو و جماعه من مرافقيه.

كانت دراسته الأولى فى شيراز ثم فى النجف الأشرف فحضر على كبار

ص: ٨١

علمائها ثم عاد للاقامه فى شيراز.

كان له موقف مقاوم للسلطات الحاكمه و فى العام ١٣٩٨ حوضر فى منزله و عطل المسجد الجامع الذى كان يقيم صلاه الجماعه فيه و اعتقل هو و سجن و نفى.

و بعد نجاح الثورة الإسلاميه كان من أعضاء مجلس الخبراء الذى وضع الدستور الايرانى الجديد.

له من المؤلفات: حقائق من القرآن، شهر الله، الصديقه الكبرى، سيد الشهداء، اثنان و ثمانون مسأله، شرح الرسائل، شرح الكنايه [الكفايه] و غيرها.

الشيخ عبد الحسين الأمينى ابن أحمد

ولد سنه ١٣٢٠ فى تبريز و توفى سنه ١٣٩٠ فى طهران و دفن فى النجف بدأ دراسته فى تبريز ثم انتقل إلى النجف الأشرف حيث حضر على السيد محمد الفيروزآبادى و السيد أبو تراب الخونسارى و ميرزا على الشيرازى و غيرهم.

له من المؤلفات: كتاب (الغدیر) فى عده مجلدات جمع فيه كل ما يتعلق بيوم غدیر خم من حديث و شعر و ترجم فيه لشعراء الغدير و كتاب شهداء الفضيله ترجم فيه لمن استشهدوا من علماء الشيعة، و قد نقل الكتابان إلى اللغة الفارسيه.

من مآثره انشاؤه المكتبه الكبرى فى النجف الأشرف التى سماها مكتبه أمير المؤمنين جمع فيها ما يقرب من أربعين ألف كتاب بينها مئات المخطوطات و جعلها مكتبه عامه. و قد صادرها النظام العراقى فيما صادر من دماء الناس و حرياتهم و كراماتهم و مكتباتهم و أموالهم.

الشيخ عبد الحسين الحلى بن قاسم

ولد فى الحله سنه ١٨٨٣ م ثم هاجر إلى النجف سنه ١٨٩٦ م فدرس على علمائها و استقر فيها عالما شاعرا مبرزا.

اختير قاضيا شرعيا للبحرين فانتقل إليها و فيها توفى سنه ١٩٥٥ م. له من المؤلفات المطبوعه كتاب (حياه الشريف الرضى).

مرت له فى الصفحات ٢٨٦-٢٨٨ من المجلد الرابع من (الأعيان) ثلاث قصائد رثائيه. و من شعره ما نظمه سنه ١٩٤٨ سنه النكبه فى فلسطين:

هز قرار تقسيم فلسطين، و قيام إسرائيل فى الأراضى المحتله عام ١٩٤٨ م شعور الشاعر من الأعماق، فانبعث يصور المأساه، و يجسد الأمر الواقع، و يستنهض أبناء قومه من العرب الأقحاح، فى ثلاث قصائد نظمها تباعا عام النكبه ١٩٤٨ م.

أما قصيدته الأولى فعنوانها "الجامعه العربيه و فلسطين" نظمها عام ١٩٤٨ م، يقول فيها:

حى العروبه أنى كانت العرب فهم على البعد إخوان قد اقتربوا

قد وحدت لغه القرآن بينهم أشد ما وحد الأبناء فيه أب
و ألفت بينهم آياته فغدوا بعد التباغض أحبابا قد اصطحبوا
رامت تخادعهم عن حقهم عصب يشتد للبغي منها العظم و العصب
جدت بهم لعبا كيما تفرقهم فكان - لا كان - جدا ذلك اللعب
بنت حدودا من الأوهام بينهم كي يبعد البعض عن بعض و إن قربوا
و سنت النظم الخرقاء ترهقهم يا ليت لم يعدها الارهاق و النصب
نظم الطبيعه أولى أن يفوز بها شعب تحامى حماه الغدر و الشغب
خل السياسه للمراق تعصبها إن السياسه جسم روحه الكذب
سنوا نظاما لهم يقوى الضعيف به و فيه يدفع عنه الهلك و العطب
لو طالبوا النجم يوما أن يدين به لهم لنالوا به أضعاف ما طلبوا
و وحدوا أمرهم فى نظم جامعه كبرى، ليعتصموا فيها إذا اغتصبوا
فشيدها بلا خوف و لا وجل و الأرض حرب، و جبل الأمن مضطرب
و أحكموها بإيمان و أنظمه لا الغدر و الرعب يبليها... و لا الرهب
كانت و لم تك إلا فكره خفيت كالسر و هو بصدر الغيب محتجب
فأصبحت دوحه لا تستمال و لا تهوى بأغصانها الأهواء و الريب
إن أثمرت طيبا فى راحه فكفى أولا... فما فات هدرا ذلك التعب
يا رافعى علم العرب انصبوه لنا إن الدليل على الخيرات ينتصب
قوموا بأمركم نهض بطاعته كيما نقوم كما قتمت بما يجب
كنا نؤمل أن نحيا بلا سبب فكيف نهلك لما أمكن السبب
و كان قوم يرونا أمه نجحت قرنا، و عفت على آثارها الحقب

فأيقنوا اليوم أن العرب ما برحوا شعبا كريما يساوى بدءه العقب
هدتم كل حد كان يفصلنا حتى انمحت تلکم الأستار و الحجب
شدتم لنا فوقها منحي و معتصما يرسو إذا خفت الأعلام و الهضب
بنيتموه و شخص الموت مقترب منه و معوله الهدام مرتقب
و صنتم حرمة العرب الكرام به أنى أراحوا من الآفاق أو ذهبوا
يا قوم عطفنا على أوطانكم فلقد تتابعت من أعاديكم بها النوب
دب البلاء لها من كل ناحيه و اليوم حتى رأوها فرصه و ثبوا
أضحت فلسطين أوصالا مقسمه كما تقسم في أربابه السلب
بعض لهم، و لنا بعض بزعمهم و السيف يأبى و يأبى الله و العرب
قوم إذا غضبوا خفت حلومهم و أرضوا السيف كيما يهدأ الغضب
لقد عجبت لهم أن يستباح لهم سرح، و ليس غريبا ذلك العجب
قومي الألى لا يحل الضيم ساحتهم و لا يمد على ذل لهم طناب
و لا يحل حبا أندائهم فرق و لا يدر على غضب لهم حلب
و ليس تجتاز إرغاما ثنيتهم و لا تشاد على خزي لهم قيب
ما بالهم لا سمت فيهم مراتبهم أغفوا، و قد أقنعتهم تلکم الرتب
فاتتهم الفرص الأولى التي ذهبت و كان أولى لهم لو أنهم ذهبوا
عذرتهم إن كيد القوم دب لهم يسرى إليهم رويدا.. و هو منتقب
أعطوا بكف و بالأخرى رموا شررا لاقاه منا و من أعدائنا حطب
كانوا و لم يملكوا غير انتدابهم فلا تسل كيف ما لم يملكوا وهبوا
إذا تصارع ذو حق و مقدره لا شك يغدو لرب القدره الغلب

يا شائدى العصبه الكبرى بجدهم نديتكم لو تقييم القاعد الندب

دعوا التكتل بالآراء جامده تصونها و تعيها الصحف و الكتب

فليس تنفع آراء ولا كتب حتى تنفذها الهنديه القضب

ص: ٨٢

و أما قصيدته الثانيه فعنوانها "مجلس الأمن و فلسطين"، نظمها عام ١٩٤٨ م، يقول فيها:

يا (مجلس الأمن) لا حيتك أيمان و لا رست لك في الأنداء أركان

ما فيك مأوى لذي خوف فتؤمنه و كلما بك فهو اسم و عنوان

ما للضعيف الذي يأتيك مهتضما إلا اعتلال فارهاق فحرمان

(تعطى و تمنع لا بخلا و لا كرما) لكن هوى، و الهوى ظلم و كفران

كأنما أنت سوق يستسام به ما فيه، و (الأمن) فوق الباب إعلان

تجمعت فيك أقوام مفرقه أهواؤها، و لكل منهم شان

يزينهم حسن سمت في مراتبهم عداه لطف على العاتى و إحسان

للحق شكل و لون واحد، و لهم حول المطامع أشكال و ألوان

تنكبوا المثل العليا، و ما امتثلوا غير الذي سنه فيهم (ترومان)

كأنه حين ينهاهم و يأمرهم مسخرون لهم يوحى (سليمان)

لهم عيون و لكن ما لأكرمهم - إذا الضعيف اشتكى - قلب و آذان

لا الحق حق، و لا البرهان متبع و إنما القوه الورهاء برهان

أين العروبه ليت العرب قد عدموا حياتهم فهى إذلال و خسران

لقد عجبت لهم أن يستهان بهم و أن يدينوا لأقوام لهم دانوا

هذى اليهود تنزى فى مواطنهم و كيف يسكن أرض القدس شيطان

عهدى بهم أنهم عند اللقا صبر و أنهم قط ما ذلوا و لا هانوا

يستعذبون الردى من دون عزتهم كما استلذ بشرب الماء عطشان

كم موقف أصحروا للموت فيه و قد أضلهم و هو باد الناب عريان

و موقف وقفوا من دون عزته سورا له و هو أطناب و عيدان

يأبى لهم شرف الأحساب أن يدعوا عدوهم فيه يسرى و هو عجلان
يا قوم عطفًا على أوطانكم فلقد حلت بها محن جلت و أشجان
تفجرت فتنا من كل ناحيه كما تفجر يرمى النار بركان
أنت (دمشق) من البلوى فشايها يواكب الدمع و البرحاء (لبنان)
و (تونس) و (طرابلس) و جارتها تشكو فيرثي لها أهل و جيران
قالوا احصلوا بيننا في أمره حكما و هل تحاكم أسياذ و عبدان
إذا اليهود اغتدوا شعبا بلا وطن فأين كانوا إذن يا ليت لا كانوا
في الحق أن يدعوا للعرب موطنهم و يطلبوا وطنًا ما فيه سكان
لو كان للحق سلطان لما طمعوا يوما بأرض بها للعرب سلطان
قد غرهم أنهم في بغيهم وجدوا عونًا، و ذو البغى للباغين معوان
لاذوا بقوه قوم لا ينازلها حتى إذا طمعت فيه و أيمان
قوم رأوا أن يخونوا عهدهم و بغوا بوعد من أفكوا قولًا و من خانوا
لو كان للقوم وجدان لعنفهم عن نصره البغى و العدوان وجدان
يا قوم عن نصرهم كفوا فقد كرهت أرواحهم رؤس منهم و أبدان
لقد نسوا فدعونا كي نذكرهم بنا، فداء مراضى القوم نسيان
لا تخشون على البلدان إن هدمت فسوف تبنى من الهامات بلدان
القوم للقوم أنداد لو التحموا و ضم أبطالهم للحرب ميدان
فحكموا السيف فيما بينهم، و دعوا مواعدا، ملؤها زور و بهتان
فالسيف أقطع حكما و هو منصلت مما يلفق طماع و فتان
به ترد و تستصفي بمنطقه لا بالتهاويل أوطار و أوطان

خلوا التهليل عنكم جانبا و دعوا مزاعما و عهودا ما لها شان
هيهات تغدو فلسطين موزعه ما دام للعرب فوق الأرض سلطان
و لم يشأ مبدع الأكوان أن يقفا في موقف واحد ذئب و إنسان
أما قصيده الشيخ الحلى الثالثه فعنوانها "تنظيم الرياحين"، نظمها في عام ١٩٤٨ م أيضا و مطلعها:

بالروض تعبت من حين إلى حين أ موكل أنت تنظيم الرياحين
يقول فيها:

وا رحمتا لفلسطين و ما لقيت قومي و ما هي تلقى في "فلسطين"

لقد رمتها رجال الغرب لا سلمت من النوائب بالأبكار و العون
توزعوها كما يهرون فامتلكوا شطرا، و شطر غدا ملكا لصهيون

و أنزلوا أهلها في كل قاحله قفر، فبئس مناخ الذل و الهون

من كل أبلج ميمون نقيته ينمى لأبلج يوم الفخر ميمون

سيموا على الضيم نوما في ديارهم و الضيم تانفه شم العرائين

إن طاعنوا دون أقصى أرضهم فهم بقيه من مطاعيم مطاعين

في كل مطرح جنب من بلادهم دم لمنتحر منهم و مطعون

أضحوا قرابينها و النفس إن كرمت من دون أوطانها أدنى القرابين

عتوا على (وعد بلفور) و هل خضعت فيما مضى (يعرب) طوعا لمافون

سل عنهم (الروم) في (اليرموك) ما صنعوا فيه و في (القدس) الأعلى و (جيرون)

و سل (فروق)، و (قسطنطين) منكمش فيها بجيش على الأسوار مرصون

داسوا بأرجلهم رأس الرجا فغدت تخطو، و تسحق في (الاسبان) و (الصين)

السيد عبد الرؤف الأمين بن علي بن محمود

ولد سنه ١٣١٨ فى شقرا (جبل عامل) و توفى سنه ١٣٩٠ فى بيروت و نقل جثمانه إلى (الصوانه) فدفن فيها.

كان من الأوائل الذين أخذوا يجددون فى الشعر العاملى سواء فى موضوعاته أو أسلوبه أو اهدافه فنظم فى الأمور الاجتماعيه و السياسيه و الوطنيه و غير ذلك.

تولى التدريس فى ثانويه مدينه الناصريه فى العراق ثم كان مفتشا فى وزاره التربيه الوطنيه فى لبنان ثم فى وزاره الشؤون الاجتماعيه حتى احواله على التقاعد طبع فى أواخر عشر العشرين ديوانا صغيرا باسم (العواطف الثائره) و لا يزال ديوانه مخطوطا و هو يعد للطبع.

قال:

يوم ساروا أتبعتهم نظراتي من مهاه تقتص إثر مهاه
أكبر الصحب مذ رأوني معيرا لفتاتي يوم النوى لفتاتي
عجبوا من دمي المراق و عيني نثرته طلا على وجناتي
ليس هذا المحمر إلا دموعا صعدها من الجوى زفراتي
عددت فى الهوى ذنوبى و قالت إن وجدى بها من السيئات
وعدتني و ما وفت بوصول هل تفى بالوصول قبل وفاتي
لست أنسى و قد تثنت دلالات بين خمس من صحتها خفرات
هى بدر الدجى سنا و سناء قد تبدت و هن كالنيرات
نفحات من النسيم أتتني فعرفت الديار بالنسمات
و امتطيت الظلام سرا و حقا إن سر الهوى لفي الظلمات
أوقفنتي هنا هواجس فكر من وراء الظنون و الشبهات
سائرا و الغرام رائد نفسى شاكيا و الحنين بعض شكاتي
و قال يرثى عمه السيد حسن محمود الأمين:
وفاك منهل السحاب فغدوت زاهيه الجناب
تشقى و تسعد تربه كالناس و هى من اليباب
يا بقعه لى فى ترابك خير من فوق التراب
ضرحوا بأرضك للزكى فانزليه على الرحاب
تيهى فخارا بالنزىل و طاولى شم الهضاب

قل للألى هجروا الحمى أبعدم أمد الغياب
و مروع ألف الأسى قلق كقادمى غراب
أبعته ركب الأحبه فافتنى أثر الركاب
و بقيت بعد الراحلىن أسير دمع و اكتتاب
ما أدمع المحزون غير عصاره القلب المذاب
ذهب الذىن أحبهم متعاقبن على الذهب
و أمض ما يشجى الفتى وقع المصاب على المصاب
من كل أبلج كالشهاب انقض فى أثر الشهاب
كانوا مصابيح الدجى فى قومهم و أسود غاب
عماه قد عم الأسى افقى و قد ضاقت رحابى
عماه أوقفنى المصاب على شفىر من عذاب
فتجهمت و استوحشت هذى البقىه من شبابى
عماه آب الغائبون فهل لركبك من إياب
ستطول بعدك لو عتى و يدوم حزنى و انتحابى
هيهات لو كشف الغطاء ما زاد فى الدنيا ارتبابى
ظمان أغراه السراب فكيف يروى بالسراب
ساروا بنعشك خاشعبن كسبرهم يوم الحساب
يتهافتون علىه كالظامى على برد الشراب
ساروا حيارى و الهبن و طأطأوا غلب الرقاب
من للبيان السمع ينطق فىه عن فضل الخطاب

من للقوافى الغر بنظمها كازهار الروابي

من للندى يزينه بروائع الأدب اللباب

من للشباب يرد جامحه إلى اسمى مآب

من للصلاه وللخشوع وللدعاء المستجاب

من للقضاء العدل يتبع فيه هج [نهج] أبى تراب

يقضى و يفصل فى الأمور فلا يسيل [يميل] ولا يحابى.

يا ابن الألى فقهوا الحديث و اوضحوا سنن الكتاب

و ابن الهداه الطيبين تنزهوا عن كل عاب

الداخلين إلى المكارم و العلى من كل باب

من كل مرموق السنا كالسيف أسلط من قراب

وصلوا إلى الحق الصراح و كان أمنع من عقاب

ساروا بسيره جدهم و كذا الشكير من الزغاب

و قال يرثى شجره له أحرقتها الصاعقه:

يا سرحه الحى ما للطائر الغرد غنى على غصنك الزاهى و لم يعد

غناك أجمل ما جادت قريحته من كل عذراء فى أثوابها الجدد

غرسها بيدي حتى إذا ورفت بعدت عنها و هذا لم يكن بيدي

فيات اظلالها صحبى فهل ذكروا أيام لهو لهم فى ظلها ودد

طوى الزمان احبائى على عجل فقد بقيت و لا زندى و لا عضدى

يا سرحه الحى لا أهلى و لا ولدى كما عهدت و لا صحبى و لا بلدى

تفرق القوم لا غر بمبتعد عن الضلال و لا شيخ بمتند

إرادته الله شاءت و هي قاهره أن ينزل القرد منا منزل الأسد
فهل نعود إلى أحسابنا فأرى ما شاده والدى ياوى له ولدى.

وقال:

أما آن للفجر المهيض طلوع فتشرق أوطان لنا و ربوع
حدبنا عليه و ارتقبنا بزوغه كما حدبت فوق القلوب ضلوع
هي "الوحده الكبرى" التي طالما ثوى شهيد على ثوراتها و صريع
مشينا إليها خطوه بعد خطوه و قد يجشم الليل البهيم مريع
نحن إليها من قرون بعيدة كما حن للأم الرءوم رضيع

ص: ٨٤

و كم أزهدت منا نفوس أبيه و سال على حد الشفار نجيع
نثرناهم نثر الأزهير فى الربى و روى الثرى منا دم و دموع
ثرى طبق الآفاق نشر عبيره و ما زال كالمسك الفتيت يضوع
غياهب فى آفاقنا قد تلبدت تساوى لديها مغرب و طلوع
" تسرمد " هذا الليل فينا و كلما توارى هزيع يقتفيه هزيع
و كم هامه منا انحنت عند ظالم و درت على الباغى الأثيم ضروع
و كم خائن منا مشى فى ركابه و ند عن النهج القويم قطع
و كم أحرقت للغاصبين مباحر و كم أوقدت للحاكمين شموع
و ضاق على احرارنا رحب أرضنا و لكنه للأجنبى وسيع
فكيف تباعدنا و نحن أقارب و كيف تفرقنا و نحن جميع
و فينا كفاءات و فينا مواهب و جانبنا فى الحالتين منيع
و إن تذكر الأنساب يوما فاننا لنا نسب بين الأنام رفيع
أرومتنا فى مغرس المجد قد نمت و مدت لها فى المشرقين فروع
" و كنا لماء المزن ما فى نصابنا كهام و لا فينا يعد " وضع
و كنا إذا ما استنفرتنا مصيبه تهاوت على صوت النفير جموع
نسجنا من الإيمان درعا مفاضه تقينا و ايمان الشعوب دروع
و لما تنازعنا على أخذ حقنا أضعناه و الحق المشاع يضيع
كفرنا و خالفنا مبادئ قومنا و لم يرض عنا " أحمد " و " يسوع "
متى تشرق الأرض البياب بنورها و يزهو خريف عندها و ربيع
هل " الثوره الكبرى " على الظلم لم يزل بساحاتها من يشتري و يبيع

رسا قبل فى دنيا "العروبه" أصلها وقامت على تلك الأصول فروع

تهاووا عليها كالنصور و كلهم صبور على بلوائها و مطيع

و هل لم يزل فى "الرافدين" و "جلق" مجيب إذا استنجدته و سميع

تبدلت الدنيا فغلت جموعنا و ران عليها رهبه و خنوع

و ها هى قد سلت علينا سيوفنا و نادى بها فى الخافقين "مذيع"

طلعنا على الدنيا بدورا و أشرقت بنا الأرض و اجتاح الظلام سطوع

و عدنا و قد كاد الظلام يلفنا و ما آن للفجر المهيض طلوع

و قال:

وطنى هذا أراه جنه عبث فيه أكف النوب

كيف لا أبذل نفسى دونه خائضا فيها غمار الرهب

و حسامى و لسانى و انا عربى عربى عربى

و قال فى الزهراء ع:

أطلت على الدنيا بطلعتها الغرا وليده بيت الوحى فاطمه الزهراء

كاطلاله الفجر المدل بنوره و كم ساهر فى الحى يرتقب الفجرا

و بشر فيها الوحى عند نزوله و باهى بها جبريل مذ جاء بالبشرى

فأشرق بالنورين بيت خديجه فنور من الكبرى و نور من الصغرى

و قد نشأت بنت النبى محمد مباركه اسما معطره ذكرا

و من كان يدعوها البتول طهاره كما دعيت من قبلها مريم العذرا

و زوجها من صنوه و ابن عمه فأعظم بها زوجها و أعظم به صهرا

على أبو السبطين أفصح من رقا ذرى منبر أو خط فى صفحه سطرأ

و امضى سيوف الله فى كل موقف به الفارس المغوار من هلع فرا
فسل عنه أحدا و النضير و خيبرا و إن شئت ادراك اليقين فسل بدرا
و سل عنه عمروا و الوليد و عتبه و من صرعوا فى سيفه فهم أدرى
و من حضن الإسلام بعد نبيه كما تحضن الطير التى تسكن الوكرا
حماه كما تحمى الأسود عرينها من الكفر بل قد كان من أسد أضرى
شرى فى سبيل الله نفسا أبيه و عاهدها أن لا تباع و لا تشرى
فيا لده الإسلام و البضعة التى بها أودع الله القداسه و الطهرا
و أم الإمامين الشهيدين من هما أجل و أعلى الناس فى نسب قدرا
" لك الله من مفجوعه بحبيها " تشم تراب القبر من لهفه عطرا
هلم إلى التاريخ نسبر غوره و نوسعه بحثا و نعلنه جهرا
أ ما روعت فى بيتها يوم حزنها أ ما حرمت إرثا أ ما دفنت سرا
و ما ورثته عن أبيها و أمها سمت و تعالت فيه عن " فذكك " قدرا
" لسر من الأسرار لا تجهلوننه " أسىء لها لا بل أريد بها شرا
و قد نسبوا القربى إلى غير أهلها و من ولد " الزهراء " لم يلد " الحمرا "
و من أغضب الحوراء بنت نبيه فليس بمعذور و إن حاول العذرا
على لأهل البيت عهد و ذمه سأذكرهم ما دمت استلهم الشعرا
سادفع عنهم فى لسانى و ليس لى سلاح سواه عنهم يدفع الضرا
و من عمر الايمان بالله قلبه يرى حبهم دينا و بغضهم كفرا
بنى البضعة الزهراء تهفو إليكم جوارحنا اليقظى و أكبادنا الحرى
و كل شهيد من ذؤابه هاشم شققنا له فى كل جارحه قبرا

مشى تحت ظل الموت يطلب ثاره و ما ذا على الموتور أن يطلب الثارا

كفانى فخرا اننى من سلالة تمت إلى الزهراء فى نسب فخرا

متى يرجع الإسلام سالف عهده و تخفق فى أجوائه الرايه الخضرا

تطل على الدنيا كتائب يعرب و تحشد فى ساحتها مره أخرى

أ صبرا و ثانى القبليين تسودها يهوديه حمقاء تستسهل الوعرا

سنظفر بالفتح المبين تزينه شريعتنا السمحا و أفعالنا الغرا

عدلنا فداست خيلنا تاج قيصر و أورثنا امجاده مرغما كسرى

و سدنا فكان العدل رائد حكمننا فلم نجترح إثما و لم نقترف وزرا

و ما عرف التاريخ فى الدهر فاتحا سوانا تحاشى الظلم و استنكر الغدرا

و قال:

تطلعت عبر الدهر ابحث عن صحبى فلم ترهم عيني و منزلهم قلبى

و سار بهم ركب المنون تتابعا و ما زال قلبى يقتفى أثر الركب

تقطعت الأسباب بينى و بينهم فلا شرقهم شرقى و لا غربهم غربى

أناديهم و الترب بينى و بينهم و هل يملك الإصغاء من كان فى الترب

و أصبحت كالطير المشتت سر به فقد خاننى دهري و ضيعنى سربى

"مضوا لا يبالون الحشى و تروحو" خليين من همى بعيدين عن دربى

و قد كنت أروى غلتى من لقاءهم كما يرتوى الظمان من منهل عذب

و عايشتهم ليل الصبا و نهاره فخدن إلى خدن و ترب إلى ترب

أشاطرهم حلوا الزمان و مره فسلمهم سلمى و حربهم حربى

وشائج حب عذبه ذكرياتها تطيب لها نفسى و يذكو بها حبى

و جشمى دهري مصاعب جمه و يحملنى قسرا على مركب صعب

و كم قطب علم من سراه عشيرتى ترفع و استعلى إلى هامه القطب

هوى مثلما يهوى الشهاب إلى الثرى و يا طول تحنانى إلى مسقط الشهب

ص: ٨٥

هيج بي الذكري و لو لا بقيه من الصحب فى الجلى أراهم إلى جنبى
لضقت بهذا العيش ذرعا و ربما تضيق حياه المرء فى المرتع الخصب
ذكرت شبابى و الهوى و لياليا صبوت بها و الحب من شانہ يصبى
تماديت فى حبى و قد ذقت عذبه و قد يحلو مر الحب للعاشق الصب
أحن إلى بيت تفيات ظله إلى العين فى شقرا إلى المرج و الهضب
إلى الربوات الخضر يزهو ربيعها إلى الزهر فواحا إلى الماء و العشب
إلى العين يملأن الجرار أوانس و يمشين وهنا فى دلال و فى عجب
يرددن الحان الهوى و فنونه على مسمع الفتيان فى زجمه الدرب
إلى ندوات الأنس و الشعر و الندى إلى ملتقى الضيفان فى المنزل الرحب
إلى القبه البيضاء و ما ضم تربها من العلماء الصيد و الساده النجب
هنا قد ثوى جدى و أمى و والدى و ثم أخى و العم جنبا إلى جنب
هنا تربه قد فاق نشر عبيرها شذا العنبر الريان و المندل الرطب
أحبك يا شقراء من أجل حبههم و من أجله أهواك فى البعد و القرب
أولئك حزب الله فى العلم و التقى و قد رفعت أيديهم رايه الحزب
فيا مغرس الأمجاد من آل هاشم سقت تربك الظمان هطاله السحب
و عند ضريح الطهر "زينب" قد ثوى منير سبيل الرشده فى عتمه الحجب
تفرق شمل الطيبين و بدلت معالم ذاك الخصب فيه إلى الجذب
فذلك عهد قد تقضى و لم يعد سوى ذكريات أو صحائف فى كتب
و ما لى غير الشعر من متنفس أداوى به همى و يكشف لى كرى
فكان رفيقى عبر خمسين حجه فما خاننى يوما و كان إلى جنبى

و كم جوله لى فيه تشهد اننى وقفت قوافيه على نصره العرب
تصفح دواوينى تراها مليئه بما يدفع النكس الجبان إلى الحرب
أناشيد فى بغداد و الشام لم يزل يرن صداها العذب فى مسمع الحقب
و محنه أولى القبلتين تحولت لها أدمعى شعرا فأسرفت فى السكب
وقفت على اليرموك استاف تربها فمن مهبط الوادى إلى مرتقى الكتب
أفتش عن آثار قومى عن اللوا لوا الفتح معقودا على العسكر اللجب
سمعت الصدى المكبوت من ألف حجه صدى الزحف و التكبير من صرخه الغلب
تصورت ذاك الفاتح الفذ و الذى مشى لسبيل الله كالصارم العضب
و كان له فى "الشرق" و "الغرب" دوله أنارت سبيل العدل فى "الشرق" و "الغرب"
و يا قوم أذنبتم بتفريق شملكم فهل يهتدى للحق مرتكب الذنب
فعودوا إلى ماضيكم و تعلموا بان سبيل النصر للسيف ذى الشطب
و قال فى هجاء الوظيفة:

بليت بها عجفاء درت ضروعها على سموما مثل سم الاراقم
وظيفه سوء قد تجرعت صابها و إن كنت من جرائها غير آثم
لحا الله دهرا انزلتنى صروفه على مثل من لا يرعوى مثل كاظم
و إن انس لا أنس زكيا و ما وعى من القول إلا لفظه المتشائم
يبادرنى فى كل صبح بقوله غدا حالنا! و الويل! ضربه لازم
و يا رب جار ما حمدت جواره يجادلنى فى عبد شمس و هاشم

كان "يزيدا" جده لا لأمه تناسل منه أو قريب "لقاسم"

و مثل "زهير" و هو فى ضد اسمه زهير و لكن فعله جد قاتم

و قل عن سواهم ما تشاء فإنهم عمالقه لكن بغير قوائم

كمثل ابن حرب و ابن دبس و خالد طوال جسوم أو ضخام جماجم

و كلهم فى ساحه الأكل فارس يصول بضرس لا برمح و صارم

و فى عكسهم موسى و حسنى و مصطفى و أشباههم من نسل حوا و آدم

و كل لهم فى آخر الشهر غايه هى الراتب المقبوض من كف "سالم"

إذا طير لبنان يرف جناحه فلا فى الخوافى هم و لا فى القوادم

فمن مثل هؤلاء جاءت ظلامتى (و ما ظالم إلا سبلى بظالم)

و من نكد الأيام أن تلق جاهلا يصول و يستعلى بمنطق عالم

عبد العزيز بن البراج

مرت له ترجمه موجزه فى المجلد الثامن الصفحه ١٨ و هى من الترجمات التى توفى المؤلف قبل أن يكملها. و قد نشر له الشيخ جعفر السبحانى ترجمه مفصله فى نشره (تراثنا) التى تصدر فى مدينه (قم) نأخذها فيما يلى:

سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن براج الطرابلسى، تلميذ السيد المرتضى، و زميل الشيخ الطوسى أو تلميذه المعروف بالقاضى تاره، و بابن البراج أخرى، فقيه عصره، و قاضى زمانه، و خليفه الشيخ فى بلاد الشام.

و هو أحد الفقهاء الكبار فى القرن الخامس بعد شيخيه: المرتضى و الطوسى، صاحب كتاب "المهذب" فى الفقه و غيره من الآثار الفقيهيه فهو اقتفى خطوات شيخ الطائفة من حيث التبويب و التفريع، و يعد هذا الكتاب من الموسوعات الفقيهيه البديعه فى عصره.

و نورد هنا بعض أقوال العلماء فى حق المترجم:

١ - يقول الشيخ منتجب الدين فى الفهرس عنه: القاضى سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن براج، وجه الأصحاب، و فقيههم، و كان قاضيا بطرابلس، و له مصنفات، منها: "المهذب" و "المعتمد" و "الروضه" و "المقرب" و "عماد المحتاج فى مناسك الحاج" أخبرنا بها الوالد، عن والده، عنه.

٢ - و يقول ابن شهر آشوب فى "معالم العلماء": أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز، المعروف بابن البراج، من غلمان (١) المرتضى رضى الله عنه، له كتب فى الأصول و الفروع، فمن الفروع: الجواهر، المعالم، المنهاج، الكامل، روضه النفس، فى أحكام العبادات الخمس، المقرب، المهذب، التعريف، شرح جمل العلم و العمل للمرتضى رحمه الله.

٣- وقال الشهيد فى بعض مجاميعه، فى بيان تلامذه السيد المرتضى :-

و منهم أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن براج، و كان قاضى طرابلس، و لاه القاضى جلال الملك رحمه الله.

و كان أستاذ أبى الفتح الصيدأوى، و ابن رزح (كذا)، من أصحابنا.

و قال الشيخ على الكركى فى إجازته للشيخ برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن على - فى حق ابن البراج - : الشيخ السعيد، خليفه الشيخ الامام أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى بالبلاد الشاميه، عز الدين عبد العزيز بن

ص: ٨٦

١- المراد من الغلمان فى مصطلح الرجالين هو الخصيص بالشيخ، حيث أنه تلمذ عليه و صار من بطانه علومه.

نحرير بن البراج قدس سره.

٤ - و قال بعض تلامذه الشيخ على الكركي، في رسالته المعموله في ذكر أسامي مشايخ الأصحاب: و منهم الشيخ عبد العزيز بن البراج الطرابلسي، صنف كتباً نفيسه منها: المهذب، و الكامل، و الموجز، و الإشراف، و الجواهر، و هو تلميذ الشيخ محمد بن الطوسي.

٥ - و قال الأفتدي في الرياض: و قد وجدت منقولاً عن خط الشيخ البهائي، عن خط الشهيد أنه تولى ابن البراج قضاء طرابلس عشرين سنه أو ثلاثين سنه، و كان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قراءته على السيد المرتضى كل شهر اثنا عشر ديناراً و لابن البراج كل شهر ثمانيه دنانير، و كان السيد المرتضى يجري على تلامذته جميعاً.

٦ - و نقل عن بعض الفضلاء أن ابن البراج قرأ على السيد المرتضى في شهور سنه تسع و عشرين و أربعمائه إلى أن مات المرتضى، و أكمل قراءته على الشيخ الطوسي، و عاد إلى طرابلس في سنه ثمان و ثلاثين و أربعمائه، و أقام بها إلى أن مات ليله الجمعه لتسع خلون من شعبان سنه إحدى و ثمانين و أربعمائه و قد نيف على الثمانين. (١)

٧ - و نقل صاحب الروضات عن "أربعين الشهيد"، نقلاً عن خط صفى الدين المعد الموسوي: إن سيدنا المرتضى - رضى الله عنه - كان يجري على تلامذته رزقاً، فكان للشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله أيام قراءته عليه كل شهر اثنا عشر ديناراً و للقاضي كل شهر ثمانيه دنانير، و كان وقف قريه على كاخذ الفقهاء.

٨ - و قال عنه التفريشي في رجاله: فقيه الشيعة الملقب بالقاضي، و كان قاضياً بطرابلس.

٩ - و قال المولى نظام الدين القرشي في نظام الأقوال عبد العزيز ابن البراج، أبو القاسم، شيخ من أصحابنا، قرأ على المرتضى في شهور سنه تسع و عشرين و أربعمائه و كمل قراءته على الشيخ الطوسي و عبر عنه بعض - كالشهيد في الدروس و غيره - بالقاضي، لأنه ولي قضاء طرابلس عشرين سنه أو ثلاثين، مات ليله الجمعه لتسع خلون من شعبان سنه إحدى و ثمانين و أربعمائه.

١٠ - و قال الشيخ الحر العاملى في أمل الآمل: ... وجه الأصحاب و فقيهم و كان قاضياً بطرابلس، و له مصنفات، ثم ذكر نفس ما ذكره منتجب الدين في فهرسه، ابن شهر آشوب في معالمه، و التفريشي في رجاله.

١١ - و قال المجلسي في أول البحار: و كتاب المهذب و كتاب الكامل و كتاب جواهر الفقه للشيخ الحسن المنهاج، عبد العزيز بن البراج، و كتب الشيخ الجليل ابن البراج كمؤلفها في غايه الاعتبار.

١٢ - و قال التستري في مقابيس الأنوار: الفاضل الكامل، المحقق المدقق، الحائز للمفاخر و المكارم و محاسن المراسم، الشيخ سعد الدين و عز المؤمنين، أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البراج الطرابلسي الشامي نور الله مرقده السامى، و هو من غلمان المرتضى، و كان خصيصاً بالشيخ و تلمذ عليه و صار خليفته في البلاد الشاميه، و روى عنه و عن الحلبي، و ربما استظهر تلمذته على الكراجكى و روايته عنه أيضاً. (٢)

و صنف الشيخ له - بعد سؤاله - جمله من كتبه معبراً عنه في أوائلها بالشيخ الفاضل، و هو المقصود به و المعهود، كما صرح به

الراوندى فى "حل المعقود"، وكتب الشىخ أجوبه مسائل له أيضا، و كان من مشايخ ابن أبى كامل، و الشىخ حسكا، و الشىخ عبد الجبار، و الشىخ محمد بن على بن محسن الحلبي، و روى عنه ابنه الأستاذان أبو القاسم و أبو جعفر اللذان يروى عنهما القطب الراوندى و ابن شهر آشوب و [السروى و غيرهم، و له كتب منها:

المهذب، و الجواهر، و شرح جمل المرتضى، و الكامل، و روضه النفس، و المعالم، و المقرب، و المعتمد، و المنهاج و عماد المحتاج فى مناسك الحاج، و الموجز، و غيرها، و لم أقف إلا على الثلاثة الأول، و يعبر عنه كثيرا بابن البراج.

١٣ - و قال المتتبع النورى:... الفقيه العالم الجليل، القاضى فى طرابلس الشام فى مده عشرين سنه تلميذ علم الهدى و شىخ الطائفة، و كان يجرى السيد عليه فى كل شهر دينار (الصحيح ثمانيه دنانير)، و هو المراد بالقاضى على الإطلاق فى لسان الفقهاء، و هو صاحب المهذب و الكامل و الجواهر و شرح الجمل للسيد و الموجز و غيرها... توفى - رحمه الله - ليله الجمعه لتسع خلون من شعبان سنه ٤٨١هـ، و كان مولده و منشؤه بمصر.

إلى غير ذلك من الكلمات المشابهه و المترادفه الوارده فى كتب التراجم و الرجال التى تعرف مكانه الرجل و مرتبه فى الفقه و كونه أحد أعيان الطائفة فى عصره، و قاضيا من قضاتهم فى طرابلس.

ميلاده و موطنه

ميلاده: لم نقف على مصدر يعين تاريخ ميلاد المترجم [المترجم] له على وجه دقيق، غير أن كلمه الرجاليين و المترجمين له اتفقت على أنه توفى عام ٤٨١هـ و قد نيف على الثمانين، فعلى هذا فان أغلب الظن أنه - رحمه الله - ولد عام ٤٠٠هـ أو قبل هذا التاريخ بقليل.

و أما موطنه فقد نقل صاحب "رياض العلماء" عن بعض الفضلاء أنه كان مولده بمصر، و بها منشؤه و أخذ منه صاحب "المقاييس" كما عرفت، و لكن الظاهر أنه شامى لا مصرى.

الرزق بحسب الدرجه العلميه

قد وقفت فى غضون كلمات الرجاليين و المترجمين أن السيد المرتضى كان يجرى الرزق على الشىخ الطوسى اثنى عشر دينارا و على المؤلف ثمانيه دنانير، و هذا يفيد أن المؤلف كان التلميذ الثانى من حيث المرتبه و البراعه بعد الشىخ الطوسى فى مجلس درس السيد المرتضى، كيف و قد اشتغل الشىخ بالدراسه و التعلم قبله بخمسه عشر عاما، لأنه تولد عام ٤٠٠هـ أو قبله بقليل و ولد الشىخ الطوسى عام ٤٨٥هـ.ب.

ص: ٨٧

١- رياض العلماء ج ٣ ص ١٤١-١٤٢.

٢- سيوافيك من صاحب رياض العلماء خلافه و أن الذى تتلمذ عليه هو تلميذ القاضى لا نفسه، و أن الاشتباه حصل من الوحده

و حتى لو فرض أنهما كانا متساويين في العمر و مده الدراسه و لكن براعه الشيخ و تزلعه و نبوغه مما لا يكاد ينكر، و على كل تقدير فالظاهر أن هذا السلوك من السيد بالنسبه لتلميذيه كان بحسب الدرجه العلميه.

هو الزميل الأصغر للشيخ

لقد حضر المؤلف درس السيد المرتضى عام ٤٢٩هـ، و هو ابن ثلاثين سنه أو ما يقاربه، فقد استفاد من بحر علمه و حوزة درسه قرابه ثمان سنين، حيث أن المرتضى لبي دعوه ربه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنه ٤٣٦هـ.

فعد ما لبي الأستاذ دعوه ربه، حضر درس الشيخ إلى أن نصب قاضيا في طرابلس عام ٤٣٨، و على ذلك فقد استفاد من شيخه الثاني قرابه ثلاث سنوات، و مع ذلك كله فالحق أن القاضى ابن براج زميل الشيخ فى الحقيقه، و شريكه فى التلمذ على السيد المرتضى.

و يدل على أن ابن البراج كان زميلا للشيخ لا تلميذا له أمور:

١ - عند ما توفى أستاذه السيد المرتضى رحمه الله، كان القاضى ابن براج قد بلغ مبلغا كبيرا من العمر، يبلغ الطالب - فى مثله - مرتبه الاجتهاد، و هو قرابه الأربعين، فيبعد أن يكون حضوره فى درس الشيخ الطوسى من باب التلمذ.

٢ - إن السيد المرتضى عمل كتابا باسم "جمل العلم و العمل" فى الكلام و الفقه على وجه موجز، ملقيا فيها الأصول و القواعد فى فن الكلام و الفقه.

و قد تولى شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى شرح القسم الكلامى منه، و هو ما عبر عنه ب "تمهيد الأصول" و قد طبع الكتاب بهذا الاسم و انتشر.

بينما تولى القاضى ابن براج - المترجم له - شرح القسم الفقهى.

و من هذا يظهر زماله هذين العلمين، بعضهما لبعض فى المجالات العلميه، فكل واحد يشرح قسما خاصا من كتاب أستاذهما.

٣ - إن شيخنا المؤلف ينقل فى كتابه "شرح جمل العلم و العمل" عند البحث عن جواز إخراج قيمه من الأجناس الزكويه ما هذا عبارته: "و قد ذكر فى ذلك ما أشار إليه صاحب الكتاب رضى الله عنه، من الروايه الوارده، من الدرهم أو الثلثين، و الأحوط إخراجها بقيمه الوقت، و هذا الذى استقر تحريرنا له مع شيخنا أبى جعفر الطوسى، و رأيت من علمائنا من يميل إلى ذلك".

و هذه العبارة تفيد زمالتهما فى البحث و التحرير. هذا فضلا عن أن المترجم عند ما يطرح فى كتابه (المهذب) آراء الشيخ يعقبه بنقد بناء و مناقشه جريئه، و هذا يعطى كونه زميلا للشيخ لا تلميذا آخذا عنه.

٤ - إن الناظر فى ثنايا كتاب "المهذب" يرى بان المؤلف - المترجم له - يعبر عن أستاذه السيد المرتضى بلفظه "شيخنا" بينما

يعبر عن الشيخ الطوسي بلفظه "الشيخ أبو جعفر الطوسي" لا بـ "شيخنا" و الفارق بين التعبيرين واضح و بين.

و هذا و إن لم يكن قاعده مطرده فى هذا الكتاب إلا أنها قاعده غالبيه. نعم عبر فى "شرح جمل العلم و العمل" عنه بـ "شيخنا" كما نقلناه.

٥ - ينقل هو رأى الشيخ الطوسى - بلفظ "ذكر" أى قيل، و قد وجدنا موارد فى مبسوط الشيخ و نهايته.

و لا شك أن هذا التعبير يناسب تعبير الزميل عن الزميل لا حكاية التلميذ عن أستاذه.

استمرار الاجتهاد و المناقشه فى آراء الشيخ

لقد نقل صاحب المعالم عن والده - الشهيد الثانى - رحمه الله بان أكثر الفقهاء الذين نشاوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه فى الفتوى تقليدا له لكثرة اعتقادهم فيه و حسن ظنهم به، فلما جاء المتأخرون وجدوا أحكاما مشهوره قد عمل بها الشيخ و متابعوه فحسبوا شهره بين العلماء، و ما دروا أن مرجعها إلى الشيخ و أن الشهره إنما حصلت بمتابعته.

قال الوالد - قدس الله نفسه -: و ممن اطلع على هذا الذى تبينته و تحققت من غير تقليد: الشيخ الفاضل المحقق سديد الدين محمود الحمصى، و السيد رضى الدين بن طوس، و جماعه.

و قال السيد فى كتابه المسمى بـ "البهجه لثمره المهجه": أخبرنى جدى الصالح - قدس الله روحه - ورام بن أبى فراس - قدس الله روحه - أن الحمصى حدثه أنه لم يبق مفت للاماميه على التحقيق بل كلهم حاك و قال السيد عقيب ذلك: و الآن فقد ظهر لى أن الذى يفتى به و يجاب على سبيل ما حفظ من كلام المتقدمين.

و لكن هذا الكلام على إطلاقه غير تام، لما نرى من أن ابن البراج قد عاش بعد الشيخ أزيد من عشرين سنه، و ألف بعض كتبه كالمهذب بعد وفاه الشيخ و ناقش آراءه بوضوح، فعند ذلك لا يستقيم هذا القول على إطلاقه: "لم يبق مفت للاماميه على التحقيق بل كلهم حاك".

و خلاصه القول أن فى الكلام المذكور نوع مبالغه، لوجود مثل هذا الفقيه البارع.

مدى صلته بالشيخ الطوسى

قد عرفت مكانه الشيخ و منزلته العلميه، فقد كان الشيخ الطوسى ينظر إليه بنظر الإكبار و الإجلال، و لأجل ذلك نرى أن الشيخ ألف بعض كتبه لأجل التماسه فيها هو الشيخ الطوسى يصرح فى كتابه "المفصح فى إمامه أمير المؤمنين" بأنه ألف هذا الكتاب لأجل سؤال الشيخ ابن البراج منه، فيقول:

سألت أيها الشيخ الفاضل - أطال الله بقاءك و أدام تأييدك - إملاء كلام فى صحه إمامه أمير المؤمنين، على بن أبى طالب،

كما أنه ألف كتابه "الجمل و العقود" بسؤاله أيضا حيث قال:

أما بعد فانا مجيب إلى ما سال الشيخ الفاضل - أدام الله بقاءه، من إملاء مختصر يشتمل على ذكر كتب العبادات. (٢)

و نرى أنه ألف كتابه الثالث "الإيجاز فى الفرائض و المواريث" (٣) بسؤال الشيخ أيضا فيقول: ٩.

ص: ٨٨

١- الرسائل العشر ص ١١٧.

٢- الرسائل العشر ص ١٥٥.

٣- الرسائل العشر ص ٢٦٩.

سالت أيدك الله إملاء مختصر في الفرائض و المواريث.

و لم يكتب الشيخ بذلك، فألف رجاله بالتماس هذا الشيخ أيضا إذ يقول:

أما بعد فاني قد أجبت إلى ما تكرر سؤال الشيخ الفاضل فيه، من جمع كتاب يشتمل على أسماء الرجال الذين رووا عن النبي ص، و عن الأئمة من بعده إلى زمن القائم - ع -، ثم أذكر من تأخر زمانه عن الأئمة من رواه الحديث. (١)

و يقول المحقق الطهراني في مقدمته على "التبيان"، عند البحث عن "الجمل و العقود":

قد رأيت منه عدة نسخ في النجف الأشرف، و في طهران، ألفه بطلب من خليفته في البلاد الشاميه، و هو القاضي ابن البراج، و قد صرح في هامش بعض الكتب القديمه بان القاضي المذكور هو المراد بالشيخ، كما ذكرناه في الذريعه ج ٥ ص ١٤٥.

و يقول المحقق الشيخ محمد واعظزاده في تقديمه على كتاب "الرسائل العشر".

و في هامش النسخه من كتاب "الجمل و العقود" التي كانت بأيدينا، قد قيد أن الشيخ هو ابن البراج.

و على ذلك يحتمل أن يكون المراد من الشيخ الفاضل في هذه الكتب الثلاثه هو الشيخ القاضي ابن البراج، كما يحتمل أن يكون هو المراد في ما ذكره في أول كتاب الفهرس حيث قال:

و لما تكرر من الشيخ الفاضل - أدام الله تأييده - الرغبه في ما يجرى هذا المجرى، و توالى منه الحث على ذلك، و رأيته حريصا عليه، عمدت إلى كتاب يشتمل على ذكر المصنفات و الأصول و لم أفرد أحدهما عن الآخر... و ألتمس بذلك القربه إلى الله تعالى، و جزيل ثوابه، و وجوب حق الشيخ الفاضل - ادام الله تأييده -، و أرجو أن يقع ذلك موافقا لما طلبه إن شاء الله تعالى. (٢)

و نرى نظير ذلك في كتابه الخامس أعنى "الغيبه" حيث يقول:

فاني مجيب إلى ما رسمه الشيخ الجليل - أطال الله بقاءه -، من إملاء كلام في غيبه صاحب الزمان. (٣)

و ربما يحتمل أن يكون المراد من الشيخ في الكتاب الخامس، هو الشيخ المفيد، و لكنه غير تام لوجهين.

أولا: أنه قد عين تاريخ تأليف الكتاب عند البحث عن طول عمره حيث قال:

فان قيل ادعائكم طول عمر صاحبكم أمر خارق للعادات، مع بقاءه - على قولكم - كامل العقل تام القوه و الشباب، لأنه على قولكم في هذا الوقت الذي هو سنه سبع و أربعين و أربعمائمه...

و من المعلوم أن الشيخ المفيد قد توفي قبل هذه السنه ب ٣٤ عاما. أضف إلى ذلك أنه يصرح في أول كتاب الغيبه بأنه "رسمه مع ضيق الوقت، و شعث الفكر، و عوائق الزمان، و طوارق الحدثن"، و هو يناسب أخريات إقامه الشيخ في بغداد، حيث حاقت

به كثير من الحوادث المؤسفة المؤلمه، حتى ألبأت الشيخ إلى مغادره بغداد مهاجرا إلى النجف الأشرف، حيث دخل طغرل بك السلجوقي بغداد عام ٤٤٧، و اتفق خروج الشيخ منها بعد ذلك عام ٤٤٨، فقد أحرق ذلك الحاكم الجائر مكتبه الشيخ و الكرسي الذي يجلس عليه في الدرس، و كان ذلك في شهر صفر عام ٤٤٩. (٤)

أضف إلى ذلك أن شيخ الطائفة ألف كتابا خاصا باسم "مسائل ابن البراج"، نقله شيخنا الطهراني في مقدمه "التبيان" عن فهرس الشيخ.

أساتذته

لا شك أن ابن البراج أخذ أكثر علومه عن أستاذه السيد المرتضى، و تخرج على يديه، و حضر بحث شيخ الطائفة على النحو الذي سمعت، غير أننا لم نقف على أنه عمن أخذ أوليات دراساته في الأدب و غيره.

و ربما يقال أنه تتلمذ على المفيد، كما في "رياض العلماء" و هو بعيد جدا، لأن المفيد توفي عام ٤١٣ هـ، و القاضي بعد لم يبلغ الحلم لأنه من مواليد ٤٠٠ أو بعام قبله، و مثله لا يقدر على الاستفادة من بحث عالم تحرير كالمفيد.

و قد ذكر التستري صاحب المقابيس أنه تلمذ على الشيخ أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، أحد تلاميذ المفيد ثم السيد، و مؤلف كتاب "كنز الفوائد" و غيره من المؤلفات البالغه ثلاثين تأليفا. (٥)

و قال في الرياض ناقلا عن المجلسي في فهرس بحاره: إن عبد العزيز بن البراج الطرابلسي من تلاميذ أبي الفتح الكراجكي، ثم استدر ك على المجلسي بان تلميذه هو القاضي عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي، لا عبد العزيز بن نحير.

غير أن التستري لم يذكر على ما قاله مصدرا نعم بحسب طبع الحال فقد أخذ عن مثله.

و ربما يقال بتلميذه على أبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزه الجعفرى، صهر الشيخ المفيد و خليفته، و الجالس محله الذي وصفه النجاشي في رجاله بقوله:

بأنه متكلم فقيه قيم بالأمرين جميعا.

و لم نقف على مصدر لهذا القول، سوى ما ذكره الفاضل المعاصر الشيخ كاظم مدير شانه چي في مقدمه كتابه لشرح "جمل العلم و العمل" للقاضي ابن براج.

و ربما عد من مشايخه أبو الصلاح تقى الدين بن نجم الدين المولود عام ٣٤٧ و المتوفى عام ٤٤٧، عن عمر يناهز المائة، و هو خليفه الشيخ في الديار الحلبيه، كما كان القاضي خليفته في ناحيه طرابلس.

كما يحتمل تلميذه على حمزه بن عبد العزيز الملقب بسلاار المتوفى عام ٤٦٣، المدفون بقريه خسرو شاه من ضواحي تبريز، صاحب المراسم و لم نجد لذلك ٠.

- ١- رجال الشيخ ص ٢.
- ٢- فهرس الشيخ ص ٢٤.
- ٣- الغيبه ص ٧٨.
- ٤- لاحظ المنتظم لابن الجوزى ج ٨ ص ١٧٣، و الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٨١.
- ٥- ريحانه الأدب ج ٥ ص ٤٠.

مصدرا و إنما هو و ما قبله ظنون و احتمالات، و تقریبات من الشيخ الفاضل المعاصر "مدير شانه چي"، و على ذلك فقد تلمذ المترجم له على الشيخ أبى عبد الله جعفر بن محمد الدويرىسى، ثقه عين، عدل، قرأ على شيخنا المفيد، و المرتضى علم الهدى. (١)

و قد ذكر الفاضل المعاصر من مشايخه عبد الرحمن الرازى، و الشيخ المقرئ ابن خشاب، و نقله عن فهرس منتجب الدين، غير أنا لم نقف على ذلك فى فهرس منتجب الدين و إنما الوارد فيه غير ذلك.

فقد قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ المفيد أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الحسين النيسابورى الخزاعى، شيخ الأصحاب بالرى، حافظ، ثقه واعظ، سافر فى البلاد شرقا و غربا، و سمع الأحاديث عن المؤلف و المخالف، و قد قرأ على السيدى علم الهدى المرتضى، و أخيه الرضى، و الشيخ أبى جعفر الطوسى، و المشايخ سالار، و ابن البراج، و الكراجكى.

و قال أيضا: الشيخ المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن على المقرئ الرازى فقيه الأصحاب بالرى، قرأ عليه فى زمانه قاطبه المتعلمين من الساده و العلماء، و قد قرأ على الشيخ أبى جعفر الطوسى جميع تصانيفه و قرأ على الشيخين سالار و ابن البراج (٢)

عام تأليفه كتاب "المهذب"

قد ذكر القاضى فى كتاب الاجاره تاريخ اشتغاله بكتابه باب الاجاره و هو عام ٤٦٧.

فالكتاب حصيله ممارسه فقهيه، و مزاوله طويله شغلت عمر المؤلف مده لا يستهان بها، و على ذلك فهو ألف الكتاب بعد تخليه عن القضاء لأنه اشتغل بالقضاء عام ٤٣٨، و مارسه بين عشرين و ثلاثين عاما، فعلى الأول كتبها بعد التخلّى عنه، و على الثانى اشتغل بالكتابه فى أخريات ممارسته للقضاء.

و على ذلك فالكتاب يتمتع باهميه كبرى، لأنه وقف فى أيام توليه للقضاء على موضوعات و مسائل مطروحه على صعيد القضاء، فتناولها بالبحث فى الكتاب، و أوضح أحكامها، فكم فرق بين كتاب فقهي يؤلف فى زوايا المدرسه من غير ممارسه عمليه للقضاء، و كتاب ألف بعد الممارسه لها أو خلالها.

و لأجل ذلك يعتبر الكتاب الحاضر "المهذب" من محاسن عصره.

تلاميذه

كان المترجم له يجاهد على صعيد القضاء بينما هو يؤلف فى موضوعات فقيهيه و كلاميه، و فى نفس الوقت كان مفيدا و مدرسا، فقد تخرج على يديه عده من الأعلام نشير إلى بعضهم:

١ - الحسن بن عبد العزيز بن المحسن الجبهانى (الجبهانى) المعدل بالقاهره، فقيه، ثقه، قرأ على الشيخ أبى جعفر الطوسى، و الشيخ ابن البراج، رحمهم الله جميعا.

٢ - الداعي بن زيد بن علي بن الحسين بن الحسين الأفتسى الحسينى الآوى، الذى عمر عمرا طويلا كما ذكره صاحب المعالم فى إجازته الكبيره، و هو يروى عن المرتضى، و الطوسى، و سلالر، و ابن البراج، و التقى الحلبي جميع كتبهم و تصانيفهم و جميع ما رووه و أجز لهم روايته.

٣ - الشيخ الامام شمس الإسلام الحسن بن حسين بن بابويه القمى، نزيل الرى، المدعو حسكا، جد الشيخ منتجب الدين الذى يقول نجله فى حقه: فقيهه، ثقه، قرأ على شيخنا الموفق أبى جعفر جميع تصانيفه بالغرى - على ساكنه السلام -، و قرأ على الشيخين: سلالر بن عبد العزيز، و ابن البراج جميع تصانيفهما.

٤ - الشيخ المفيد أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابورى الخزاعى.

٥ - الشيخ المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن على المقرى الرازى.

و قد توفى بطرابلس، و دفن فى حجره القاضى، كما حكى عن خط جد صاحب المدارك، عن خط الشهيد و كان حيا إلى عام ٥٠٣.

و قد عرفت نص الشيخ منتجب الدين فى حق الرجلين.

٦ - الشيخ أبو جعفر محمد بن على بن المحسن الحلبي، فقيه، صالح، أدرك الشيخ أبا جعفر الطوسى.

و قال فى "الرياض": إنه يظهر من إجازته الشيخ على الكركى للشيخ على الميسى و غيرها من المواضع، أنه يروى عن القاضى عبد العزيز بن البراج الشيخ أبو جعفر محمد بن محسن الحلبي (٣) و ينقل عنه.

و قال فى تلك الإجازة فى مدح ابن البراج هكذا: الشيخ السعيد الفقيه، الحبر، العلامة، عز الدين، عبد العزيز بن البراج - قدس الله سره -.

٧ - عبد العزيز بن أبى كامل القاضى عز الدين الطرابلسى، سمى شيخنا المترجم له، يروى عن المترجم له، و الشيخ الطوسى، و سلالر، و يروى عنه عبد الله بن عمر الطرابلسى كما فى "حجه الذاهب".

٨ - الشيخ كميح والد أبى جعفر، يروى عن ابن البراج.

٩ و ١٠ - الشيخان الفاضلان الأستاذان ابنا المؤلف: أبو القاسم (٤) و أبو جعفر اللذان يروى عنهما الراوندى و السروى و غيرهم.

١١ و ١٢ - أبو الفتح الصيداوى و ابن رزح، من أصحابنا.

هؤلاء من مشاهير تلاميذ القاضى وقفنا عليهم فى غضون المعاجم، و ليست تنحصر فيمن عددناهم.

١ - إنه كثيرا ما يشتهه الأستاذ بالتلميذ لأجل المشاركة في الاسم و اللقب، فتعد بعض تصانيف الأستاذ من تأليف التلميذ.

قال في "رياض العلماء": و عندى أن بعض أحوال القاضى سعد الدين عبد العزيز ابن البراج هذا، قد اشتبه بأحوال القاضى عز الدين عبد العزيز بن أبى كامل الطرابلسى.د.

ص: ٩٠

١- فهرس منتجب الدين ص ٢١٥-٢١٦.

٢- بحار الأنوار ج ١٠٢ - فهرس الشيخ منتجب الدين - ص ٢٤٢.

٣- و وصفه الشيخ منتجب الدين: بالحلبى كما نقلناه آنفا.

٤- و بما أن كنيه القاضى هو أبو القاسم، ملازم ذلك أن يكون اسم ابنه القاسم لا أبو القاسم، و من جانب آخر فان التسميه بنفس القاسم وحده بلا ضم كلمه الأب إليه قليل فى البيئات العربيه، فيحتمل وحده الكنيه فى الوالد و الولد.

و يظهر من الشهيد الأول في كتابه "الأربعين"، في سند الحديث الثاني و الثلاثين، و سند الحديث الثالث و الثلاثين مغايره الرجلين.

قال الشهيد الأول في سند الحديث الثاني و الثلاثين:.... القطب الراوندى، عن الشيخ أبى جعفر محمد بن على بن المحسن الحلبي (١) قال:

حدثنا الشيخ الفقيه الامام سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البراج الطرابلسى، قال: حدثنا السيد الشريف المرتضى علم الهدى أبو القاسم على بن الحسين الموسوى، إلى آخره، و فى سند الحديث الثالث و الثلاثين...

الشيخ أبو محمد عبد الله بن عمر الطرابلسى، عن القاضى عبد العزيز بن أبى كامل الطرابلسى، عن الشيخ الفقيه المحقق أبى الصلاح تقى بن نجم الدين الحلبي، عن السيد الامام المرتضى علم الهدى... إلى آخره.

و لاحظ الدرعيه ج ٢٣ ص ٢٩٤ فلا شك - كما ذكرنا - فان القاضى ابن أبى كامل تلميذ القاضى بن نحرير.

٢ - يظهر من غضون المعاجم أن بعض ما ألفه القاضى فى مجالات الفقه كان مركزا للدراسه، و محورا للتدريس، حيث أن الشيخ سعيد بن هبه الله بن الحسن الراوندى - الشهير بالقطب الراوندى - كتب بخطه إجازة لولده على كتاب "الجواهر فى الفقه" لابن البراج عبد العزيز و هذه صورتها:

قرأه على ولدى نصير الدين أبو عبد الله الحسين - أبقاه الله و متعنى به -، قراءه إتقان، و أجزت له أن يرويه عن الشيخ أبى جعفر محمد بن المحسن الحلبي عن المصنف (٢).

و لم تكن الدراسه لتقتصر على كتاب "الجواهر"، بل كان كتابه الآخر و هو "الكامل" كتابا دراسيا أيضا.

و لذلك نرى أن الشيخ أبى محمد عبد الواحد الحبشى، من تلاميذ القاضى عبد العزيز بن أبى كامل الطرابلسى، قرأ الكامل عليه. و الكامل من مؤلفات المترجم له.

٣ - نقل صاحب الرياض أنه تولى القضاء فى طرابلس، لدفع الضرر عن نفسه بل عن غيره أيضا، و التمكن من التصنيف، و قد عمل أكثر الخلق ببركته بطريق الشيعة، و قد نصبه على القضاء جلال الملك عام ٤٣٨ هـ.

٤ - و قد عبر العلامة الطباطبائى فى منظومته عن القاضى بالحافى، و لم نجد له مصدرا قبله.

قال فى منظومته:

و سن رفع اليد بالتكبير و المكث حتى الرفع للسريير

و الخلع للحذاء دون الاحتفاء و سن فى قضائه الحافى للحفاء

خلف المترجم له ثروه علميه غنيه فى الفقه و الكلام، تنبئ عن سعه باعه فى هذا المجال، و تطلعه فى هذا الفن.

و إليك ما وقفنا عليه من أسمائها فى المعاجم:

١ - الجواهر: قال فى رياض العلماء: رأيت نسخه منه فى بلده سارى، من بلاد مازندران، و هو كتاب لطيف، و قد رأيت نسخه أخرى منه باصفهان عند الفاضل الهندى، و قد أورد فيه المسائل المستحسنه المستغربه و الأجوبه الموجزه المنتخبه.

٢ - شرح جمل العلم و العمل.

٣ - المهذب.

٤ - روضه النفس.

٥ - المقرب فى الفقه.

٦ - المعالم فى الفروع.

٧ - المنهاج فى الفروع.

٨ - الكامل فى الفقه، و ينقل عنه المجلسى فى بحاره.

٩ - المعتمد فى الفقه.

١٠ - الموجز فى الفقه، و ربما ينسب إلى تلميذه ابن أبى كامل الطرابلسى.

١١ - عماد المحتاج فى مناسك الحاج.

و يظهر من الشيخ ابن شهر آشوب فى "معالم العلماء" أن كتبه تدور بين الأصول و الفروع كما أن له كتابا فى علم الكلام.

و لكنه مع الأسف قد ضاعت تلك الثروه العلميه، و لم يبق إلا الكتب الثلاثه: الجواهر، المهذب، شرح جمل العلم و العمل.

و يظهر من ابن شهر آشوب أنه كان معروفا فى القرن السادس بآبى البراج، و هذا يفيد بان البراج كان شخصيه من الشخصيات، حتى أنه نسب القاضى إلى هذا البيت.

هذه هى كتبه و قد طبع منها "الجواهر" ضمن "الجوامع الفقهيّه" على وجه غير نقى عن الغلط، فينبغى لرواد العلم إخراجها و

تحقيق متنه على نحو يلائم العصر.

كما أنه طبع من مؤلفاته "شرح جمل العلم والعمل" بتحقيق الأستاذ كاظم مدير شانه چى.

السيد عبد الصاحب الحكيم بن السيد محسن

ولد سنة ١٩٤٢ م فى النجف الأشرف و استشهد فى ٥ آذار سنة ١٩٨٥ م درس فى النجف و كان من اساتذته السيد محمد الروحانى و السيد محمد باقر الحكيم و الشهيد السيد محمد باقر الصدر، هذا فضلا عن تلقيه دروس (الخارج) على السيد الخوئى. و بلغ درجه الاجتهاد و هو فى الثلاثين من عمره تولى تدريس الفقه و الأصول و اهتم بتدريس الأخلاق، كما كان له فى أواخر أيامه بحث فى التفسير.

و له كتابات فى الفقه و الأصول، و شرح الكفاية فى الأصول.

استشهد على ايدي الطغاه البرابره جلادى الشعوب جماعه النظام العراقى التكريتى مع سته من أهل بيته فى مذبحه من اشجى مذابح العالم الإسلامى.

و كان قد سبقهم إلى الاستشهاد السيد محمد باقر الصدر و الألوف من أبناء الشعب العراقى المسلم، كما لحقهم بعد ذلك الألوف، قتلوا صبرا برصاص البغى و العصبية اللئيمه بلا جرم سوى انهم مؤمنون.

أما الشهداء أهل بيت الشهيد فهم:

ص: ٩١

١- و قد عرفت أن الصحيح هو "الحلبى"،

٢- قد مضى أنه من تلاميذ القاضى.

٣- روضات الجنات ج ٤ ص ٢٠٥ و الظاهر أن الحافى تصحيف القاضى.

١ - أخوه السيد عبد الهادي المولود في النجف سنة ١٩٤٠ م الذي درس أولاً في النجف ثم اتجه إلى الدراسات الجامعية حيث نال شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعه بغداد. و كان موضوع رسالته (حول العقد الفضولي في الفقه الإسلامي). ثم أكمل الدراسات في القاهرة حيث نال شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية في حدود سنة ١٩٧٧ م. و كان موضوع رسالته (حول المعاطاة في الفقه الإسلامي).

و تولى التدريس في كلية أصول الدين في بغداد و في كلية الفقه في النجف.

٢ - أخوه السيد علاء الدين. ولد في النجف سنة ١٣٦٥ هـ و أكمل دراسته فيها، ثم كان من مدرسي حوزتها في (السطوح و المقدمات) ثم اشترك في ادارة مدرسه دار الحكمة لطلاب العلوم الدينية في النجف التي أسسها والده السيد محسن.

٣ - أخوه السيد محمد حسين. ولد في النجف سنة ١٣٦٧ هـ و درس فيها ثم كان من مدرسي حوزتها العلمية على مستوى السطوح و المقدمات.

٤ - ابن أخيه السيد كمال ابن السيد يوسف. ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٦٢ هـ درس في النجف، و كان من تلامذه السيد الخوئي في بحث (الخارج). ثم كان من مدرسي الحوزه العلمية، و له محاضرات و شروح و تعليقات في الفقه و العلوم الدينية.

٥ - ابن أخيه السيد عبد الوهاب ولد في النجف سنة ١٣٦٤ هـ و درس فيها.

٦ - ابن أخيه السيد احمد ابن السيد محمد رضا. ولد سنة ١٣٦٤ هـ في النجف الأشرف و انهى الدروس الابتدائية و المتوسطة و الثانويه في المدارس الحكوميه. ثم حاز على شهادة البكالوريوس من جامعه القاهرة في العلوم الإنسانية.

عبد الكريم الخليل

اشاره

مرت ترجمته في الصفحه ٣٢ من المجلد الثامن و نزيد عليها هنا ما يلي:

قال أحمد عزت الأعظمي في كتابه (القضية العربية) في الصفحه الخامسه:

كان عبد الكريم افندي قاسم الخليل من أخلص شباب العرب للقضية القومية و كان ذا مبدأ قويوم رضع أفأويقه منذ الصغر فشب على حب العروبه و تمسك باهدافها، فتراه و هو لا- ينفك عن السعي دائماً لتحقيق أمانى الأمه العربيه حيث لم تكن أمانيه الا الاستقلال الذي تعتز به الأمم.

و لا- نغالي إذا قلنا و نحن نسجل قضايا تاريخ النهضه العربيه - ان ما نراه اليوم من هذه النهضه يعود الأوفر منه إلى سعي ذلك الشاب النبيل.

إلى أن يقول الأعظمي:

نعم فان لعبد الكريم قاسم الخليل فضلا كبيرا على الأمه العربيه لأنه كان من أخلص خدامها الأمناء الأبرار.

ثم يقول في مكان آخر:

"كان العرب و الترك من جمله العناصر التي أخذت في تشكيل جمعيات بعد إعلان الدستور و قد اندفعت مختلف الأقوام إلى تشكيلها و كأنها انطلقت من عقال. و باعتبار أن قانون ١٩٠٩/٧/٧ بخصوص الجمعيات كان يحظر قيام جمعيات و أحزاب ذات اهداف سياسيه بتسميه قوميه، فان العناصر المختلفه قد لجأت إلى تشكيل هذا النوع من الجمعيات بصوره سريه، لأنه لم يكن بالإمكان وضع السدود أمام العواطف القوميه التي بدأت تغزو الشعور العام، خاصه بعد أن رأت عناصر الدوله المختلفه أن الاتحاديين لا يتقيدون بروح القوانين التي يصدرونها هم أنفسهم، فيوجهون دفه السياسه الداخليه في مصلحه العنصر التركي. أما العرب فكانت جمعياتهم إما علنيه و إما سريه. فما كان منها بتسميات قوميه كان سريا. و أما الأخرى التي لا تحمل تسميه قوميه فبعضها كان سريا، و الجمعيات السريه الشهيره هي التاليه: الجمعيه القحطانيه، جمعيه العلم الأخضر، جمعيه اليد السوداء، جمعيه العهد، جمعيه العربيه الفتاه.

" و أما الجمعيات و الأحزاب و النوادي العلنيه فهي التاليه:

"المنتدى الأدبي، حزب اللامر كزيه العثماني بمصر، الجمعيه الاصلاحيه في بيروت، و جمعيه البصره الاصلاحيه و غيرها من الجمعيات الصغيره و قد عقد مؤتمر من الشيبه العربيه في باريس لبحث حقوق العرب أطلق عليه اسم (المؤتمر العربى الأول).

" و هنا لا بد من الإشارة إلى أن الجمعيه السريه المسماه "اليد السوداء"، و التي كان طالب الطب في الاستانه (داود يوسف الدبوتى) من الموصل من أبرز مؤسسيها، و كانت الغايه من تأسيسها اغتيال كل من يناوئ الفكره العربيه من رجال العرب خدمه منهم للاتحاديين لقاء منافع و مطامع شخصيه، لم تتمكن من الحيله فانحلت قبل أن تمضى سنه واحده على تأسيسها و اندمج اعضاؤها في الجمعيات الكبرى".

المنتدى الأدبي

" و أما أبقي هذه الجمعيات و اخلدها ذكرا و أعظمها أثرا و فائده للعنصر العربى فكان هو المنتدى الأدبي ذو الأهداف العلميه الأديبه الاجتماعيه.

"بعد أن ألغى الاتحاديون جمعيه الإخاء العربى العثماني. في أعقاب ثوره ١٣ ابريل المضاده، رأى فريق من شباب العرب النبهاء في الاستانه و فى مقدمتهم طالب الحقوق عبد الكريم قاسم الخليل من أبناء جبل عامل في لبنان ضروره تشكيل ناد علمى يجمع شبان العرب. إذ كان عبد الكريم، عند تأسيس جمعيه الإخاء العربى - العثماني من الذين نشطوا فى الدعايه لها، فكان يبت فكره التأخى بين شبان العرب، و يدعوهم بين آونه و اخرى إلى بنايه الجمعيه فيعرف بعضهم ببعض و يشرح لهم فوائد الاتحاد و الوفاق، و يذكرهم بماضى أجدادهم و تاريخهم المجيد فلما حل الاتحاديون الجمعيه مع كافه فروعها و ألغوا جريدتها "الإخاء العثماني" بدعوى وقوع بعض ما لا يناسب فى سوريه عند حدوث ثوره ١٣ نيسان و ظهور الأفكار الرجعيه فى تشكيلاتها و اعضائها شعر شبان العرب بالفراغ فألغوا المنتدى الأدبي فى ١٦ محرم ١٣٢٧، الموافق ٨ شباط ١٩١٠، و كان القصد من إيجادها

أن يجمع شبان العرب و طلابهم تحت سقفه و بين جدرانه بدلا من أن ينتشروا فى المقاهى، أو يمضوا أوقاتهم بالبطاله متجولين من مكان إلى مكان آخر، فيؤمن لهم مييتا نظيفا و حياه طيبه.

أما الذين اشتركوا مع عبد الكريم الخليل فى تأسيسه فكانوا نخبه من

ص: ٩٢

طلاب العرب في الاستانه من أبرزهم يوسف مخيبر، سليمان حيدر من بعلبك، و رفيق رزق سلوم من حمص، سيف الدين الخطيب من دمشق، أحمد خليل الحسيني من القدس، و كان يضم بين جدرانه شبانا من جميع الأقطار العربيه، فترى السوري و العراقي و اليماني و الحجازي و البرقاوي و الطرابلسي و الفلسطيني جنبا إلى جنب يترنمون بذكر أمجاد العرب.

ثم يتحدث باطناب عن المنتدى الأدبي قائلا:

" هو الجمعيه التي أحييت الروح القومي و بثت المبادئ الساميه بين طبقات الشبيبه العربيه في الاستانه و خارجها، و كانت خطته الوحيدة نشر الدعوه للقضييه القوميه الوطنييه). و قال الأستاذ مصطفى الشهابي الذي عاصر الحوادث و عاش في جوها " ان هذا النادي كان مباءه العروبه في عاصمه الدوله. ففيه كان الطلاب الجدد يتلقون ممن تقدمهم في الدراسه مبادئ القوميه العربيه و مراميها و فيه كانت تدرس و تناقش خطط الأتراك الاتحاديين الراميه إلى تسييد القوميه التركيه و القضاء على القوميات السائده في الدوله. و كانت أهداف النادي القوميه تبرز على الملأ- فيما كان يلقي فيه من محاضرات و خطب و ما كان يقام فيه من حفلات، و ما كان ينشر في مجلته من بحوث و قصائد و مقالات و أناشيد وطنيه، و ما كان يدور فيه من أحاديث و مناقشات في الشؤون العربيه سواء بين بعض أعضائه و بعض، أو بينهم و بين زوار النادي الكثيرين من نواب و ساسه و موظفين و جاليه عربيه مقيمه في العاصمه "

لم يكن نشاط شبان العرب في تأسيسه مقتصرًا عليهم فقط انما لقوا مؤازره كبيره من رجالات العرب السياسين في الاستانه و في مقدمتهم خليل حماده باشا وزير الأوقاف، و عبد الحميد الزهراوي، و شفيق المؤيد، و رضا الصلح، و رشيد رضا، و حقي العظم، و رفيق العظم، و الطيب حسين حيدر و طالب النقيب و عزيز علي المصري، و ندره مطران، و نخله مطران، و رشدي الشمعه الذين كانوا يلقون الخطب أحيانا في احتفالاته.

كانت الفكره التي وجهت عبد الكريم هي أن تكون قواعد المنتدى الأدبي مبنيه على التريبه الأساسيه و رفع المستوى العلمى و الأدبى و الاجتماعى لخدمه الفكره القوميه العربيه، فوضع له منهاجا مفصلا عرضه على الشيخ رشيد رضا، و كان يومئذ في الاستانه، لاصلاح لغته، ثم على وزير الأوقاف خليل حماده باشا بغيه تنقيح بنوده لاشتغاله في مثل هذه المؤسسات و لسعه اطلاعه و خبرته الكامله. فرحب الوزير بهذا العمل الجليل و شجع القائمين به. و بعد أن درس المنهاج و نقح ما نقح منه وضع للنادى اسمه المعروف، و وعد أن يخصص له سنويا معونه قدرها خمسمائه ليره عثمانيه من الأوقاف على أن يكون كمعهد علمى للشباب العربى تلقى فيه المحاضرات العلميه في الليل و تؤسس فيه مكتبه قيمه، مع اتخاذ البعض من غرفه مأوى لأبناء العرب الذين لا- تساعدهم حالتهم الماليه على السكن في الفنادق و ما ان اطلع المخلصون من رجالات العرب على تأسيس المنتدى حتى اندفعوا في مساعدته و تشجيعه فوضع شكرى بك الحسينى محاسب وزاره المعارف، و أحد أعضاء هيئه اداره جمعيه الإخاء العربى - العثماني المنحله، تحت تصرف النادي ستين ليره عثمانيه كانت باقيه لديه من صندوق تلك الجمعيه، ثم سلمه كل ما كان للجمعيه من أثاث و رياش و تلقى النادي عدا ذلك مساعدات ماليه كبيره من طالب النقيب، و زميله أحمد الزهير من مبعوثى البصره هذا فضلا عن كونه قد قام بتمثيل روايتى صلاح الدين الأيوبي، و امرئ القيس، و جمع من ريعهما مبالغ كبيره أضيفت إلى المبالغ السابقه فتوفرت لديه القوه الماليه للسير إلى الإمام.

لم يكن للمنتدى الأدبى صحيفه تخدم أغراضه في الفتره الأولى من تأسيسه، إنما كان عبد الكريم الخليل يكتب هو و بعض

زملائه في الجرائد العربية التي كانت تصدر في الاستانة كجريدة (الحضارة) لعبد الحميد الزهراوى و الجرائد التي تصدر في سوريا و القاهرة و أراد أن ينشئ له مجله خاصه به غير أنه عند ما رأى أنه قد صدرت مجله باسم (لسان العرب) من قبل جمعيه العلم الأخضر^(١)، باداره و تحرير أحمد عزت الأعظمى سعى عبد الكريم الخليل أن تكون هذه المجله ناطقه باسم المنتدى. و ان يكون اسمها "المنتدى الأدبي"، فكاد ان ينشب خلاف شديد و خطير بين الجمعيتين لو لا تدخل ذوى الرأى من الحكماء مثل الدكتور حسين حيدر، و كان وطنيا غيورا جوادا كثير البذل ساعد المنتدى بمال و فیر،^(٢) و عبد الحميد الزهراوى، و حلت المسأله في مصلحة المنتدى الأدبي.

لم يمض زمن على تأسيس المنتدى الأدبي حتى بلغ عدد من انضوى تحت لوائه ما يزيد عن ٢٨٠ شابا و أديبا من أبناء العرب المقيمين في الاستانة، و ما يقرب من ٥٠٠ شاب من طلاب المدارس العاليه فيها، من مختلف الأقطار و مختلف الأديان و المذاهب و فتحت له فروع في شتى أنحاء البلاد العربيه و انتمى إليها آلاف من ابنائها. فقد كان له صدى قوى فيها، كما كان رئيسه على اتصال بالحركات الوطنيه و بوادق اليقظه القوميه التي تعهدتها النابهون من أبناء العرب في كل مكان، و بالجمعيات الاصلاحيه العربيه في بيروت و البصره و بحزب اللامركزيه في مصر. و كان له أيضا باع طويل في عقد المؤتمر العربى الأول في باريس، و باقطاب المعارضه العربيه في مجلس المبعوثان و خاصه بممثليها من أمثال شفيق المؤيد، و شكرى العسلى، و عبد الوهاب الانكليزى، و عبد الحميد الزهراوى و غيرهم. و على قول الأمير مصطفى الشهابى: " كان المنتدى يطوى في جنبات أعضائه نزوعا إلى الأهداف القوميه وراء الأهداف الأديبيه الاجتماعيه الظاهرية " .

على أن الذى لمستته من كل مطالعاتى المتعلقه بهذا البحث أن المسئولين في هذا المنتدى و خاصه منهم رئيسه عبد الكريم الخليل الذى أحرز رئاسته بالانتخاب من قبل الأعضاء المنتسبين اليه، كانوا حريصين على الرابطه العثمانيه و الوفاق مع العنصر التركى. و ان الفكره التي كانت تسيطر على أبناء العرب المثقفين ثقافه عاليه هي ضروره احتفاظ كل قوميه من القوميات العثمانيه بطابعها المميز و لغتها و تقاليدھا و احياء أمجادھا و تنميه الشعور القومى فيها ضمن رابطه جامعہ هي الرابطه العثمانيه التي يجب أن يرفرف علمها على الجميع، و ان تنضوى القوميات تحت جناحيها في نظام ديمقراطى حر. و في جو من الإخاء و المساواه الذى يهيا لجميع العناصر و الأديان العيش الهنيء الرغيد، ك.

ص: ٩٣

١- تأسست هذه الجمعيه و كانت سريره في الاستانة بتاريخ أيلول ١٩١٢ من قبل الدكاتره إسماعيل الصفار و داود الدبونى و عدد من الشبان و الضباط العراقيين و الدمشقيين و الفلسطينيين كمسلم بك العطار و أحمد عزت الأعظمى و مصطفى الحسينى و كثير من الطلبة بالمدارس العليا و كان القصد من تأسيسها تقويه الرابطه بين طلبة المدارس العليا و توجيه جهودهم إلى انتشار أمتهم من الدرك المهيمن الذى وصلت إليه و كان اسم الجمعيه يرمز إلى العلم النجدى الأخضر لأن أفكار العرب - حسب قول الأعظمى - كانت متجهه إلى ابن السعود و الامام يحيى.

٢- حكم عليه جمال باشا فيما بعد بالنفى ٧ سنوات إلى الأناضول حيث توفى هناك.

و الحياه الاقتصاديه و الاجتماعيه الرافهه. ان أكبر دليل على ذلك أن الاجتماعات العامه و حفلات الخطابه و الاحتفالات فى شتى المناسبات، و خاصه منها ذكرى المولد النبوى السنويه التى كان يقيمها المنتدى، كان يدعى إليها أبناء الترك من رجالات السياسه و الأدب و الاجتماع(1) و كان يتخلل الخطب المتبادله بين الطرفين عواطف الود و الإخاء و الولاء للرابطه العثمانيه كما كان يتخللها استعراض لماضى العرب الزاهر و مجدهم الوضاء(2) و بيان السبل المؤديه إلى تسهيل أمر التعليم الصحيح و الثقافه القديمه للناشئه العربيه، و من الأدله أيضا المقالات الصحافيه التى كان ينشرها كبار كتاب هذا المنتدى و فى مقدمتهم الدكتور عزت الجندى، عضو هيئه الاداره فيه فى الجرائد العربيه و منها المؤيد، و الأهرام. فالدكتور عزت الجندى، حتى فى أشد حملاته على الاتحاديين و فى وقت وصلت فيه الأفكار القوميه بعد حرب البلقان إلى آخر انطلاق لها فى نطاق الفتره التى أبحث فيها، ليس عند العرب فقط بل عند العرب و الترك على السواء، لم يخرج عن الرابطه العثمانيه، و كل ما وصل إليه هو و كل من لف لفه من القوميين المتطرفين أنه قدم العروبه على كل شىء آخر قال: اننا عرب قبل كل شىء، المسلم عربى، و المسيحي عربى... و... أجل اننا عرب قبل أن نكون مسلمين، و المسيحي عربى قبل أن يكون مسيحيا... و... و...

و قد تركنا مسأله الديانات و العبادات إلى الجوامع و الكنائس. فإذا كنا عربا قبل أن نكون مسلمين أو مسيحيين فبأولى أن نكون عربا قبل أن نكون عثمانيين.. و لكنه لم يقل أننا عرب و لسنا عثمانيين، فإذا كان عزت الجندى قال هذا فى الشهر الرابع من عام ١٩١٣ فالأحرى به أن تكون لهجته أخف و ارتباطه بالعثمانيه أكثر قبل هذا التاريخ.

"كان عبد الكريم الخليل لولب المنتدى الأدبى و ألمع شخصيه فيه، كان شعله من النشاط و الذكاء نال شهاده الحقوق من مدرسه الحقوق بالآستانه فى عام ١٩١٠ بدرجة التفوق. و قد وصفه جمال باشا فى مذكراته عند ما جرت مفاوضات عام ١٩١٣ بين الطرفين لبحث مطالب العرب بقوله: "... فبرز لنا شخص قصير القامه يزيد عمره على الثلاثين ربيعا أسمر اللون ذو عينين واسعتين براقتين تدلان على الذكاء و الاقدام هذا هو عبد الكريم الخليل...". لقد أخلص عبد الكريم للقضيه العربيه و شب على حب العروبه و تمسك باهدافها و عرف السبيل الصحيح لإعلاء مجدها، سبيل التعليم الصحيح و التربيه القوميه للناشئه العربيه إذ كان يفضل سلوك البناء الاجتماعى إلى جانب البناء السياسى. تباحث عبد الكريم مع النواب العرب حول خطه مثلثى تتعلق بإصلاح المدارس الابتدائيه فى دوائرهم فدعاهم إلى حفله أقامها لهم فى حزيران يونيه سنه ١٩١١ و اقترح عليهم برنامجا يرمى إلى إنهاض البلاد العربيه على دعامتين.

١ - توثيق عرى الإخاء بين العرب على اختلاف أجناسهم و أديانهم و عناصرهم و طوائفهم حتى لا- يذكر الواحد منهم فى السياسه و الوطنيه غير عربيته الشريفه.

٢ - توحيد طرق التعليم فى البلاد العربيه حتى تتربى النفوس تربيه واحده ليسير جميع العرب فى طريق واحده و إلى غرض واحد.

فاستصوب النواب البرنامج الذى عرضه عليهم عبد الكريم و تعهدوا بتنفيذه بالتآزر مع المنتدى الأدبى بعد أن حفل الاجتماع بالخطب الحماسيه الرنانه من الحاضرين. و لم يتوان رئيس المنتدى لحظه فى العمل و سرعان ما شد رحال السفر إلى مصر و سائر الأقطار العربيه يحمل المشروع الذى تضمن ما يلى بالتلخيص:

"ان يقسم كل نائب دائره انتخابيه إلى أقسام تؤلف في كل منها لجنة لتعميم التعليم الابتدائي. و اخرى اختصاصيه لترتيب برنامج لاصلاح هذه المدارس على أن تسلك خطه التوحيد، و ان يعقد النواب مؤتمرا عاما يحددون زمانه خلال السنه ذاتها يحضره مندوبون عن هذه اللجان لدراسه جميع البرامج، الموضوعه و استخلاص برنامج واحد منها يكون دستورا للعمل في سائر البلاد العربيه، و ان يبحث المؤتمر مسأله توحيد الكتب و التريه لإيجاد شعور واحد في نفوس طلاب جميع البلاد العربيه و إنشاء مدرسه لتخريج المعلمين - دار للمعلمين بطريق الاعانات و قد تعهد المنتدى بتضحيات ماديه و أدبيه في سبيل تهيئه المعلمين لهذه الدار و بتطوع أعضاء المنتدى المثقفين للتدريس في المدارس علاوه على وظائفهم أو أعمالهم العاديه.

" و لقد قوبل هذا البرنامج بالترحيب و الارتياح في البلاد العربيه و خاصه في مصر التي كانت أول من رحب به و نهض لمساعدته فتألفت لجنة فيها ضمت سبع عشره شخصيه كبرى من ابرزهم: احمد تيمور باشا، محمد باشا الشريعي، رفيق بك العظم، الدكتور شبلي شميل، إلخ، للقيام به و العمل بموجبه.

"في الواقع كان اهتمام المنتدى الأدبي منصبا إلى الناحيه الاجتماعيه و الإصلاح الأساسى للنهوض بالأمة العربيه من حيث الثقافه قبل كل شىء لتتبعها مكانها اللائق في السلطنه العثمانيه فكان بهذا الوصف عباره عن معهد علمى و ناد أدبى فى آن واحد، حيث كانت تعطى فيه الدروس الليليه و تعلم الطلاب اللغه التركيه و اللغات الأجنبيه و يستفيدون من مكتبته الحافله بالكتب العلميه فى سائر فروع الثقافه إنما لم يقتصر الطلاب و المنتسبون إليه على هذا الأمر بل كانوا يتناقشون فى المسائل الاجتماعيه و الوطنيه التي تجرى على مسرح السياسه فى الاستانه و فى تقدير قيم الرجال و تفضيلهم بعضهم على بعض و انتقاد أقوال الجرائد و التنديد باعمال رجال السياسه و يبحثون فى الأحزاب السياسيه فى مجلس الأمة و حقوق العرب، و يعللون العلاقات السياسيه بين الدوله العثمانيه و دول الغرب، و فى ميزانيه الدوله و غير ذلك من المواضيع.

فالمنتدى الأدبى كان أول مؤسسه تعهدت فكره القوميه العربيه بعنايتها و رعتها منذ أول نشوئها و ظهرت هذه الفكره بنوع من الوضوح فى أذهان أعضائها و فى أحاديثهم و مناقشاتهم، و لكن فى اطارها العثماني العام، و تلمست طريقها الصحيح طريق العلم و المعرفه و الثقافه، ففي الخطاب الذى القاه عبد الكريم الخليل فى الحفله التي دعا إليها نواب العرب، ترددت عيسى.

ص: ٩٤

١- كان ذلك بعد سنه ١٩١٢ بصوره خاصه إذ كان رجالايت الاتحاديين كطلعت و جمال يحضرون الحفلات بعد أن جرى الاتفاق على حقوق العرب.

٢- كان من أروع هذه الحفلات حفله افتتاح المنتدى فى ٨-٢-١٩١٠ حيث حضرها رجالايت العرب السياسيون فى الاستانه و خطب بعضهم فيها ثم ألقى إحدى الشعراء العرب قصيده رائعه جاء فيها: و ان تكن عربى الأصل لا كذباقت لا حياء مجد كان للعرب دع المجامع فى لهو و فى طربو اجعل مقرك هذا المنتدى الأدبى اختتم الحفله الموسيقى البارع وديع صبرا العربى اللبناى يعزف النشيد العربى الوطنى على البيانو و كان قد لحنه بالاشتراك مع بعض طلبه العرب ثم ترنموا بنشيد وطنى من تأليف الشاعر اللبناى حلیم دموس.

لسانه كثيرا عبارته الأمه العرييه و توحيد قوى الأمه، و حدد فيه معالم و أركان القوميه و روابطها مثل وحده اللسان، وحده التاريخ، و وحده الوطن، و وحده المنفعه، و بين أن هذه الروابط موجوده فى الأمه العرييه، لكنه قال: ان هذه الروابط غير كافيه ما لم تركز على أساس متين من الثقافه الموحده و العلم الراسخ"، فكان بذلك من أوائل الذين دعوا إلى الوحده العرييه، أو الجامعه العرييه و عرفوا الطريق الصحيح إليها و شرع فعلا فى العمل نحو تحقيقها عن طريق المشروع الذى تحدثت عنه.

" و قد بقى المتسدى الأدبى حتى عام ١٩١٥، وقت أن شفق جمال باشا رئيسه أثر محاكمات ديوان الحرب العرفى فى عاليه مع شهداء العرب.

عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن طاوس

مرت ترجمته فى المجلد الثامن الصفحه ٤٢ و نضيف إليها ما يلى:

درس على عمه رضى الدين و على المحقق الحللى و على الخواجه نصير الدين الطوسى و يحيى بن سعيد و المفيد بن الجهم الحللى و السيد عبد الحميد بن فخار الموسوى و الشريف أبى الحسن على بن محمد بن على العلوى العمرى النسابه مؤلف كتاب المجدى فى أنساب الطالبين و الشيخ حسين بن ايباد النحوى.

و تلمذ عليه جماعه منهم أحمد بن داود الحللى و الشيخ عبد الصمد بن أبى الجيش الحنبلى و الشيخ على بن الحسين بن حماد اللببى.

له من المؤلفات: الشمل المنظوم فى مصنفى العلوم، فرحه الغرى(١) و جاء فى كتاب تاريخ الحلله أن قبره مشهور لدى أهل الحلله واقع بالقرب من قبر السيد على بن طاوس فى جهه الجنوب.

و نقول: كيف يتفق هذا مع ما ذكر فى كتاب (الحوادث الجامعه) و نقله صاحب تاريخ الحلله نفسه من أنه توفى فى مشهد موسى بن جعفر و حمل إلى جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع. و مع ما ذكر كذلك فى ترجمه المنشوره فى المجلد الثامن.

و يقول فى "روضات الجنات": حائرى المولد، حللى المنشأ بغدادى التحصيل كاظمى الخاتمه. اه و لم يذكر موضع قبره.

السيد عبد الله الجزائرى

مرت له ترجمه فى المجلد الثامن الصفحه ٨٧ و نزيد عليها هنا ما يلى:

ولد فى سابع شعبان سنه ١١١٢، تعلم القراءه و الكتابه ثم بدأ بقراءه العلوم الدينيه عند أبيه و علماء آخرين، و فى سنه ١١٢٨ ذهب إلى أصفهان ثم شيراز و منها إلى خراسان و آذربايجان، و أكمل دراسته و اهتم بتعلم الرياضه و الحكمه و النجوم، و بعد ذلك عاد إلى موطنه تستر و أخذ يدرس تلك العلوم، و اخص بتدريس النجوم و الهيئه و الرياضه.

له مناظرات مع علماء المذاهب الأربعة عند سفره إلى الحج، و كان ينظم الشعر باللغتين العرييه و الفارسيه.

توفى فى سنة ١١٧٣ بمدينه تستر و دفن فى مقبره والده الملاصقه للمسجد الجامع.

الشيخ عبد الله الستري البحرانى

مرت ترجمته فى الصفحه ٥٧ من المجلد الثامن و ذكر فيها أن وفاته سنة ١٢٧٠ و لكن ذكر فى (أنوار البدرين) ان وفاته كانت سنة ١٢٨١ و يقول عنه: كان من بقايا علماء البحرين الأتقياء الورعين المصطفين الزاهدين العابدين، و كان مشتغلا بالتدريس فى قريته الخارجيه من جزيره ستر يحضر عنده جملة من الطلبة و العلماء، كثير المواظبه على البحث و التصنيف متواضع النفس.

ثم يصف حياته قائلاً: قبل اشتغاله بالدرس كان هو و الحاضرون من العلماء المستقلون يشتغلون فى فتل الحبال و تميلها لأجل صنعه الفرش المسماه ب (المداد)، و كانت معاشهم منها، و له و لأولاده من بعده دكاكين لصنعتها بالأجره، فإذا أكمل الطلبة و العلماء الذين يدرسون عنده أخذ مما صنعه من الميال و الحبال و اشتغل بالدرس.

توفى عما يقارب ثمانين سنة و دفن فى جانب مسجده من الجنوب فى قريه الخارجيه، و دفن أولاده بعده معه.

من تلاميذه الشيخ صالح الستري البحرانى و الشيخ عبد الله بن أحمد الستري و الشيخ عبد الله بن على الستري.

عبد الله بن عمير الكلبي

قال أبو مخنف [مخنف] حدثنى أبو جناب قال كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير من بنى عليم كان قد نزل الكوفه و اتخذ عند بئر الجعد من همدان دارا و كانت معه امرأه له من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد فرأى القوم بالنخيله يعرضون ليسرحوا إلى الحسين قال فسأل عنهم فقبل له يسرحون إلى حسين بن فاطمه بنت رسول الله ص فقال و الله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصا و إنى لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوابا عند الله من ثوابه اياى فى جهاد المشركين فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع و أعلمها بما يريد فقالت أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك افعل و اخرجنى معك قال فخرج بها ليلا حتى إنى [أتى] حسينا فأقام معه فلما دنا منه عمر بن سعد و رمى بسهم ارتمى الناس فلما ارتموا فخرج مولى زياد و سالم مولى عبيد الله بن زياد فقالا من يبارز ليخرج إلينا بعضكم قال فوثب حبيب بن مظاهر و برير بن حضير فقال لهما حسين اجلسا فقام عبد الله بن عمير فقال أبا عبد الله رحمك الله ائذن لى فلاأخرج إليهما فرأى حسين رجلا آدم طويلا شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين فقال حسين إنى لأحسبه للأقران قتالا اخرج ان شئت قال فخرج إليهما فقالا له من أنت فانتسب لهما فقالا لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حضير و يسار مستنتل امام سالم فقال له عبد الله بن عمير الكلبي يا ابن الزانية و بك رغبه عن مبارزه أحد من الناس و يخرج إليك أحد من الناس إلا و هو خير منك ثم شد عليه فضربه بسيفه حتى برد فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم فصاحوا به قد رهقك العبد قال فلم يابه له حتى غشيه فبدره الضربه فاتقاه عبد الله بيده اليسرى فأطار أصابع كفه اليسرى ثم مال عليه عبد الله الكلبي فضربه حتى قتله و أقبل مرتجزا و هو يقول و قد قتلها جميعا:

إن تنكرونى فانا ابن كلب حسبى بيتى فى عليم حسبى

إنى امرؤ ذو مره و عصب و لست بالخوار عند النكب

إنى زعيم لك أم وهب بالطعن فيهم مقدما و الضرب

ضرب غلام مؤمن بالرب

فأخذت أم وهب امرأته عمودا ثم أقبلت نحو زوجها تقول له فداك أبى و أمى قاتل دون الطيبين ذريه محمد فاقبل إليها يردها
نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم

ص: ٩٥

١- تاريخ الحله.

قالت إنى لن أدعك دون أن أموت معك فنأادها حسين فقال جزيتم من أهل بيت خيرا ارجعى رحمك الله إلى النساء فاجلسى معهن فإنه ليس على النساء قتال فانصرفت إليهن و لما قتل زوجها خرجت تمشى إليه حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب و تقول: هنيئا لك الجنة، فقال شمر بن ذى الجوشن لغلام يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها، فماتت مكانها.(1)

عبد الله بن خليفه الطائى

واثب عائذ بن قيس الحرزمى فى صفيين عدى بن حاتم الطائى فى الرايه، و كانت حزمز أكثر من بنى عدى رهط حاتم، فوثب عليهم عبد الله بن خليفه الطائى البولانى عند على ع فقال يا بنى حزمز، على عدى تتوثبون، و هل فيكم مثل عدى؟ أوفى لآبائكم [آبائكم] مثل أبى عدى؟ أليس بحامى القرية و مانع الماء يوم رويه؟ أليس بابن ذى الرباع و ابن جواد العرب؟ أليس بابن المنهب ماله و مانع جاره؟ أليس من لم يغدر و لم يفجر و لم يجهل و لم يبخل و لم يمنن و لم يجبن؟ هاتوا فى لآبائكم [آبائكم] مثل أبيه، أو هاتوا فيكم مثله، أ و ليس أفضلكم فى الإسلام، أليس وافدكم إلى رسل [رسول] الله ص أليس برأسكم يوم النخيله و يوم القادسيه و يوم المدائن و يوم جلولاء الوقيعه و يوم نهاوند و يوم تستر؟ فما لكم و له؟ و الله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذى تطلبون.

فقال له على بن أبى طالب: حسبك يا ابن خليفه، هلم أيها القوم إلى و على بجماعه طيى، فأتوه جميعا، فقال على من رأسكم فى هذه المواطن؟ قالت طيى: عدى، فقال ابن خليفه: فسلهم يا أمير المؤمنين أ ليسوا راضين مسلمين لعدى بالرئاسه، ففعل، فقالوا: نعم فقال لهم: عدى أحقكم بالرايه فسلموها له، فقال على - و ضجت بنو الحزمز - إنى أراه رأسكم قبل اليوم و لا أرى قومه كلهم إلا مسلمين له، غيركم، فاتبع فى ذلك الكثيره، فأخذها عدى.

و كان عبد الله بعد ذلك من أصحاب حجر بن عدى (راجع ترجمه حجر) فطلبه زياد بن سميّه فتوارى فبعث إليه الشرط و هم أهل الحمراء يومئذ فأخذوه فخرجت أخته النوار فقالت يا معشر طيى أ تسلمون سنانكم و لسانكم عبد الله بن خليفه؟ فشد الطائيون على الشرط فضربوهم و انتزعوا منهم عبد الله بن خليفه فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فوثب على عدى [بن] حاتم و هو فى المسجد فقال ائتنى بعبد الله بن خليفه. قال و ما له؟ فأخبره قال:

فهذا شىء كان فى الحى لا علم لى به قال: و الله لتأتيني به. قال لا و الله لا آتيك به أبدا أحيئك بابن عمى تقتله و الله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه. قال فأمر به إلى السجن، قال فلم يبق بالكوفه يمانى و لا ريعى ألا أتاه و كلمه و قالوا تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب رسل [رسول] الله ص قال فانى أخرج على شرط قالوا ما هو؟ قال يخرج ابن عمه عنى فلا يدخل الكوفه ما دام لى بها سلطان... فاتى عدى فأخبر بذلك فقال نعم فبعث عدى إلى عبد الله بن خليفه فقال ين [يا] ابن أخى أن هذا قد لج فى أمرك و قد أبى إلا اخراجك عن مصرك ما دام له سلطان فالحق بالجبلين فخرج فجعل عبد الله بن خليفه يكتب إلى عدى و جعل عدى يمينه فكتب إليه:

يمينه فكتب إليه:

تذكرت ليلى و الشيبه أعصرا و ذكر الصبا برح على من تذكرا

و ولى الشباب فافتقدت غضونه فيا لك من وجد به حين أدبرا
فدع عنك تذكار الشباب و فقده و آساره إذ بان منك فاقصرا
و بك على الخلان لما تخرموا و لم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعتهم منياهم و من خان يومه من الناس فاعلم أنه لن يؤخرا
أولئك كانوا شيعه لى و موثلا إذا اليوم ألقى ذا احتدام مذكرا
و ما كنت أهوى بعدهم متعللا بشيء من الدنيا و لا أن أعمرا
أقول و لا و الله أنسى ادكارهم سجيى الليالى أو أموت فاقبرا
على أهل (عذراء) (٢) السلام مضاعفا من الله و ليسق الغمام الكنهورا
و لاقى بها (حجر) من الله رحمه فقد كان أرضى الله حجر و أعذرا
و لا زال تهطال ملث وديمه على قبر حجر أو ينادى فيحشرا
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها و للملك المغزى إذا ما تغشما
و من صادع بالحق بعدك ناطق بتقوى و من أن قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الإسلام كنت و إننى لأطمع أن تؤتى الخلود و تخبرا
و قد كنت تعطى السيف فى الحرب حقه و تعرف معروفا و تنكر منكرا
فيا أخوينا من هميم عصمتما و بشرتما للصالحات فابشرا
و يا أخوى الخندفين أبشرا فقد كنتما حييتما أن تبشرا
و يا اخوتا من حضر موت و غالب و شيان لقيتم حسابا ميسرا
سعدتم فلم أسمع باصوب منكم حجاجا لدى الموت الجليل و أصبرا
سأبكيكم ما لاح نجم و غرد الحمام بيطن الوادين و قرقرا
فقلت و لم أظلم أغوث بن طيى متى كنت أخشى بينكم أن أسيرا

هبلتم ألا قاتلتم عن أخيكم و قد ذب حتى مال ثم تجورا
ففرجتم عنى فغودرت مسلما كانى غريب فى إباد و أعصرا
فمن لكم مثلى لدى كل غاره و من لكم مثلى إذا البأس أصحرا
و من لكم مثلى إذا الحرب قلصت و أوضع فيها المستميت و شمرا
فها أنا ذا دارى باجبال طيى طريدا و لو شاء الإله لغيرا
نفانى عدوى ظالما عن مهاجرى رضيت بما شاء الإله و قدرا
و أسلمنى قومى لغير جنايه كان لم يكونوا لى قبىلا و معشرا
فان ألف فى دار باجبال طيى و كان معانا من عصير و محضرا
فما كنت أخشى أن أرى متغربا لحا الله من لاحتى عليه و كثيرا
لحا الله قتل الحضرميين وائلا و لاقى الفناء من السنان الموفرا
و لاقى الردى القوم الذين تحزبوا علينا و قالوا قول زور و منكرا
فلا يدعنى قوم لغوث بن طيى لأن دهرهم أشقى بهم و تغيرا
فلم أغزهم فى المعلمين و لم أثر عليهم عجابا بالكويفه أكدرا
فبلغ خليلى أن رحلت مشرقا جديله و الحيين معنا و بحترا
و نبهان و الأفناء من جذم طيى أ لم أك فيكم ذا الغناء العشنزرا
أ لم تذكروا يوم العذيب أ لى أمامكم أن لا أرى الدهر مدبرا
و كرى على مهران و الجمع حاسر و قتلى الهمام المستميت انقسورا
و يوم جلولاء الوقيعه لم ألم و يوم نهاوند الفتوح و تسترا
و تنسونى يوم الشريعة و القنا بصفين فى أكتافهم قد تكسرا
جزى ربه عنى عدى بن حاتم برفضى و خذلانى جزاء موفرا

أتنسى بلائى سادرا باين حاتم عشيہ ما أغنت عديك حزمرا

ص: ٩٦

١- الطبرى

٢- عذراء: المكان الذى قتل فيه حجر بن عدى خارج دمشق.

فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا و كنت أنا الخصم الألد العذورا

فولوا و ما قاموا مقامى كأنما رأونى ليثا بالإبائه مخدرا

نصرتكم إذ خام القريب و أنعظ البعيد و قد أفردت نصرا مؤزرا

فكان جزائى أن أجرد بينكم سجينا و أن اولى الهوان و أوسرا

و كم عده لى منك أنك راجعى فلم تغن بالميعاد عنى حبترا

فأصبحت أرعى النيب طورا و تاره أهرهر ان راعى الشويهات هرهرا

كانى لم أركب جوادا لغاره و لم أترك القرن الكمى مقطرا

و لم اعترض بالسيف خيلا مغيره إذ النكس مشى القهقرى ثم جرجرا

و لم أستحث الركض فى اثر عصبه ميممه عليا سجاس و أبهرا

و لم أذعر الإيلام منى بغاره كورد القطا ثم انحدرت مظفرا

و لم أر فى خيل تطاعن بالقنا بقزوين أو شروين أو أعز كندرا

فذلك دهر زال عنى حميده و أصبح لى معروفه قد تنكرا

فلا يبعدن قومى و إن كنت غائبا و كنت المضاع فيهم و المكفرا

و لا خير فى الدنيا و لا العيش بعدهم و إن كنت عنهم نائى الدار محصرا

٤ فمات بالجبلين قبل موت زياد و قد مضى بعض هذه القصيده فى ترجمه حجر.

عبد الله و عبد الرحمن

ابنا عزره الغفاريان جاء [جاء] إلى الحسين يوم كربلاء فقال يا أبا عبد الله عليك السلام، حازنا العدو إليك فأحبينا أن نقتل بين يديك نمنعك و ندفع عنك. قال: مرحبا بكما، ادنوا منى فدنوا منه فجعلنا يقاتلان قريبا منه و أحدهما يقول:

قد علمت حقا بنو غفار و خندف بعد بنى نزار

لنضرب بن معشر الفجار بكل غضب صارم بتار

يا قوم ذودوا عن بنى الأحرار بالمشرقى و القنا الخطار

حتى قتلا.

الدكتور عبد الله أحمديه بن محمد حسن

ولد فى آمل بمازندران (ايران) سنة ١٣٠٣ و كان أبوه من كبار الملاكين فيها. و فيها بدأ دراسته فى أحد الكتاتيب القديمه. ثم تابع دراسته إلى أن التحق بمعهد (دار الفنون) فى طهران و كان هو المعهد الوحيد ذا الدراسات العاليه فى ايران، و كان قد أنشئ سنة ١٢٦٨. و فيه انضم إلى القسم الطبى الذى كان يشرف عليه الطبيب الفرنسى (جورج غاله) فنال شهاده الدكتوراه فى الطب سنة ١٣٣٣ فتنقل فى عدده وظائف طبيه و منها رئاسه مستشفى (أحمديه) سنة ١٣٥٤ ثم أوفدته الحكومه إلى الكليات الطبيه فى كل من فرنسا و ألمانيا و بلجيكا للاستفاده من تجاربها الطبيه، و لدى عودته عين مديرا للصحه العامه فى مقاطعه خراسان، ثم ترك العمل الحكومى و فتح عياده طبيه خاصه فى مدينه (مشهد) كان يعالج فيها مرضاه لا بحسب دراسته الطب الحديث، بل مستندا إلى الطب القديم لاعتقاده بان العقاقير الطبيه القديمه بحشائشها و نباتاتها هى أكبر ملائمته للبيئه الطبيعه التى يعيش فيها الشرقى. و أصبح الإقبال عليه كبيرا لا سيما من الأسر العريقه و العائلات المحافظه، و كان يتلقى الرسائل من الأوساط الطبيه فى الشرق و الغرب مستعينه باختباراته فى هذا الموضوع.

ترك من المؤلفات ١ - راز درمان، باللغه الفارسيه، أى (سر العلاج) ٢ - درمان روماتيسم و نقرس و سياتيڪ، باللغه الفارسيه. أى (علاج المفاصل و النقرس و عرق النساء) و يعرض لمدواوه هذه الأمراض بالحشائش و الأعشاب ٣ - الجزء الثانى من (راز درمان) مخطوط ٤ - بيماريهاى عصبى بالفارسيه. أى (الأمراض العصبيه) مخطوط.

توفى فى طهران سنة ١٣٧٩.

السيد عبد الله الشيرازى ابن السيد محمد طاهر

ولد سنة ١٣١٩ و توفى فى مشهد الرضا سنة ١٤٠٥.

درس فى النجف الأشرف على السيد أبو الحسن الأصفهانى و الشيخ حسين النائينى و الشيخ ضياء الدين العراقى. ثم استقر فى النجف.

و بعد طغيان النظام العراقى سافر إلى مشهد الرضا و أقام هناك مرجعا من مراجعها حتى وفاته.

له من المؤلفات: ١ - عمدہ الوسائل فى شرح الرسائل ٢ - ذخيره العباد فى المعاد ٣ - ذخيره الصالحين و أنيس المقلدين ٤ - كتاب القضاء ٥ - حاشيه على العروه الوثقى ٦ - الاحتجاجات و غير ذلك.

الشيخ عبد الله بن على بن عبد الله الوائل الاحسائى المعروف بالصائغ

قال الشيخ جعفر الهلالي في العدد الرابع من السنه الأولى (ربيع ١٤٠٦) من نشره (تراثنا) الفصلية ما يلي:

إن مما يؤسف له حقا: أن هذه الرقعه من الأرض و التي عرفت ب (الأحساء) اليوم، وقد كانت تعرف قديما ب (هجر)، أو (هجر البحرين)، و التي إليها يشير المثل المشهور "كناقل التمر إلى هجر" قد أغفلها الدارسون و المتصدون لكتابه التاريخ و الآداب بالخصوص.

يقول أحد أبناء تلك المنطقه: "فأنت إذا جئت تبحث في صفحات التاريخ فلا تجد ما يبرد ظمائك و لا ما يبل صدائك، و ليس حظك من كتب التراجم و الآداب بأحسن من حظك من صفحات التاريخ". (١)

و قد صدر قبل فتره ديوان باسم "ديوان هجر"، جمع فيه صاحبه أشعار جماعه من شعراء الأحساء، و هي خطوه حسنه، و كنت أظن أن هذا الديوان سيحتضن بين دفتيه قصائد و أشعارا لبعض هؤلاء الشعراء المنسيين ضمن من تصدى لنشر شعرهم في هذا الديوان، و لكن يظهر أن العامل المذهبي عند جامع الديوان كان قد أثر عليه فاسقط من حسابه أن يعنى بنشر شعر هؤلاء الشعراء، أو ذكرهم و لو ببعض ما يدل على وجودهم كشعراء يعيشون في هذه المنطقه.

و هذا العامل في إغفال هذا النوع من الشعراء كان قد تاثر به غير واحد من كتاب الأدب و أصحاب المعاجم، فالمعروف عن صاحب كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" أنه أهمل الكثير من الشعراء الذين عرفوا بمولاتهم لأهل البيت (ع)، و هكذا الحال بالنسبه لصاحب "الذخيره" العماد الاصفهاني، فقد أسقط هو الآخر من حسابه مجموعه من هؤلاء الشعراء، و على هذه الوتيره مضى الثعالبي في "اليتيمه"، و الميداني في "معجم الأدباء".

ص: ٩٧

١- و نقول نحن جوابا على ما كتبه هذا الكاتب المخلص: لقد سددنا فراغا كبيرا مما يشكو منه فيما نشرناه في دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه في بحث الإحساء، و يبدو أن الكاتب لم يطلع على ما نشرناه.

و الذى نحن بصددده الآن هو ضياع هذا الأدب لمدينه الأحساء، و نسيانه.

و تتلخص الأسباب بما يلى:

١ - عدم تصدى الدارسين للتاريخ و الأدب، و عدم التوجه منهم، و إغفالهم هذه المنطقه إلا القليل النادر.

٢ - التأثير العامل المذهبي لدى بعض من تصدى لجمع شعر شعراء هذا القطر كما بينا ذلك.

٣ - عامل الخوف الذى ساد رجال العلم و الأدب فى تلك البلاد، و هذا ناتج عن الحمله الوهابيه فى أول مجيئها، فقد تعرض الناس و أهل العلم و الأدب - بالخصوص - إلى الامتهان و القتل أحيانا، مما دعا البعض من رجال العلم و الأدب أن يغادروا وطنهم و يهاجروا إلى سائر البلدان كإيران و العراق و البحرين و غيرها، و اضطر الباقون إلى إخفاء ما لديهم من تأليف علميه أو دواوين شعريه، و ذلك بدفنها فى الأرض.

و أما ما سلم من هذا التراث و انتقل إلى يد الورثه من أبناء العلماء و الأدباء، فقد قام هؤلاء بسبب العامل نفسه بإتلاف ما ورثوه من تلك المآثورات العلميه و الأدبيه و خصوصا الشعر منها، و إذا أحسنوا رموها بين سفوح الجبال أو وضعوها فى المساجد مع نسخ القرآن الممزقه.

٤ - جهل من انتقل إليهم ذلك التراث، و حرص بعضهم حتى تلف كثير من تلك الكتب و الدواوين، و لعل الجهل و الحرص لم يختصا ببلاد دون أخرى، فهناك الكثير من التراث العلمى و الأدبى قد ضاع فى كثير من البلدان لهذا السبب أيضا.

و بالرغم من كل هذا فقد وقفت فى إحدى سفراتى إلى بلاد الأحساء على مجموعه لا بأس بها من الآثار الأدبيه و الدواوين الشعريه لبعض الشعراء هناك، و قد نقلت كثيرا من القصائد و المقاطيع الشعريه و بعض البنود، و قد استنسخت بعض الدواوين بكاملها، من ذلك ديوان الشيخ محمد البغلى من شعراء القرن الثالث عشر... و كثير من شعراء هذا القرن و القرن الذى قبله، و ممن نقلت كثيرا من قصائده و تخاميسه و تشطيره الشيخ عبد الله الصايغ، كما نقلت له ملحمة مطوله فى المعصومين الأربعة عشر، تبلغ ١٥٢٦ بيتا حسب تعداد الشاعر لأبيات تلك الملحمة، و إن كان الذى وقفت عليه من أبيات تلك الملحمة يربو على هذا العدد بمائه بيت تقريبا.

و قد جارى فيها الشاعر قصيده الملا كاظم الأزرى، و قد أشار إلى الشاعر المذكور و أشاد بأفضليه سبق له عليه، و قد نقلتها عن نسختين مخطوطتين موجودتين لدى بعض المؤمنين فى الأحساء، و ها أنا أقدم للنشر جانبا من هذه القصيده، عسى أن تنهيا فرصه أكبر لنشرها بكاملها.

الشاعر

هو الشيخ عبد الله بن على بن عبد الله الوائل الأحسائى المعروف بـ "الصانع".

ولد الشاعر فى الهفوف عاصمه الأحساء، فى حدود النصف الأول أو بعده بقليل من القرن الثالث عشر، و لم يحدد بالضبط

تاريخ ولادته، غير أنه كان حيا عام ١٢٨١ هـ، و هو تاريخ الفراغ من نظم ملحمته الشعرية، كما أرخها هو في آخر أبياتها.

و الشاعر، بالاضافه إلى ملكته الشعرية، كان أحد العلماء المحصلين، أخذ دراسته العلميه في مدينه الأحساء على يد علمائها آنذاك، و منهم الشيخ محمد أبو خمسين(١) فقد أخذ عنه الفقه و الحكمة، و لا يدري هل سافر إلى النجف أم لا؟

آثاره

للشاعر المذكور من الآثار المخطوطة ما وقفت عليه في الأحساء عند بعض المعنيين بجمع تراث الأحساء - و خصوصا الأدبي منه - و هي كما يلي:

١ - ديوان شعر كبير يتالف من ثلاثه أجزاء في مختلف الأغراض و المواضيع.

٢ - كشكول كبير في مجلدين سقطت أكثر أوراقه أو تلفت.

٣ - نهج الأزريه، و هي الملحمة التي سنقدم جزءا منها للقارئ: تشتمل على أكثر من (١٥٠٠) بيت من الشعر، كما توجد له ثلاثه بنود، في التوحيد، و النبوه، و الامامه.

وفاته

توفي الشاعر في قريه "سيهات" إحدى قري مدينه القطيف، و كانت وفاته سنه ١٣٠٥ هـ.

قصيده نهج الازريه

هذه رامه و هذى رباها فاحبسا الركب في حماها
و أنيخا بها المطايا و ميلا للثرى و انشقا ريج شذاها
وقفبا بى و لو كلوث إزار عل نفسى تنال منها منها
و أسائل طولوها عن ظعون سار قلبى لسيرها و تلاها
و أؤدى لها يسير حقوق من كثير و أين منى أداها
بمغان حوت لحسن غوان تتوارى الشمس تحت ضياها
من ظباء كوانس بخدور حجبته ليوثها بظباها
يا خليلي لا تلوما خليعا خلعت نفسه غرام سواها

و اسعدانى - سعدتما - فى غرامى إن خير الصحاب صحب صفاها

أو دعانى بها أث شجوننا كلمت مهجتى كلوم مداها

أنا فيها متيم و غرامى شاهد أننى قتيل هواها

كيف تهوى الملام نفس معنى كثره اللوم فى الهوى أغواها

ما لنفسى و للسلو و هذا دمعها أهرقته سرب دماها

صيرته خضابها لا كف و حدود قد صرت من قتلها

لست أنسى - و كيف أنسى - زمانا قد تجلت أيامه بصفاها

و ليال قد أقمرت بوصال العين من غيدها و شط نواها

زمن أينعت ثمار الأمانى لى فيه و أتحنفتنى جناها

حيث لم نلف واشيا و رقبيا نتقى منهما وقوع جفاها

فتولى كأنه ومضه من برقه أو كخفقه من كراها

يا رعى الله تلك أوقات أنسى تم حسن الزمان من حسناها

كم به من لبانه أنعشتنا باجتنا صفوها بوصل مهاها

فقضينا به مناسك عشق حيث إحرامنا بلبس هواها

ص: ٩٨

١- أسره آل أبى خمسين من الأسر العلميه المعروفة فى مدينه الهفوف بالأحساء، أشهرهم الشيخ موسى أبو خمسين.

ثم قد ضمنا معرس وصل فافضنا به لورد لماها
ثم حلت نفوسنا مشعر الأمن و نالت من بعد ذاك مناها
فنحرننا هدى الجوى و حلقنا من وشاه لنا شعور رجاها
و قذفناهم برمى جمار البعد عنا فأحرقتهم لظاها
ثم طفنا بكعبه الحسن منها و اعتكفنا بها بهجر سواها
و استلمنا لأسود الخال منها و شفاه قد أنعشتنا شفاها
و سعينا بصفو عيش هنى مرء لا بمروه و صفاها
فراشت لنا الليالى سهاما من صروف النوى فجد جفاها
فتداعت إلى الفراق رفاق الأنس منا و نوهت بدعاها
و جرى ما جرى و لا تسألا عن حال أهل الهوى غداه نواها
فلكم ثم من قلوب تهاوت مصعقات لفرط روع عراها
و قلوب تطايرت لوشك البين منا كان ناف نفاها
لست أنسى على النقى وقفه التوديع و العين لا يكف بكاهها
ثم سارت مطيهم تذرع البيد و لكن قلوبنا تلقاها
و انشينا بصفقه الغبن ظميا للقاها و أين منا لقاها
و كذا عاده الزمان بأهل الفضل لا زال مولعا بجفاها
فاسالانى به فانى خبير ذقت أحواله على استقصاها
برقه خلب و سحب أياديه جهام لمن يروم استقاها
لم يهب نعمه بلا سلب أخرى لبنيه و لا يدوم بقاها
من عذيرى له و فى كل آن تتحنينى صروفه بعناها

مستطيلا بخفض قدرى و لم يدر بانى من المعالى فتاها

موقفى فوقهن ناش و طفلا قد غذتنى بدرها ثدياها

و لئن نابنى بخفض مقامى بعيون داعى الغوى أغواها

لا يعاب الإكسير يوما إذا ما جهلته من الورى جهلاها

كيف لا تملك المعالى نفس حب طه بنوره زكاها

احمد المصطفى أجل نبى بعث الله للورى لهداها

عله الناشأتين فيمن برى الله و مولى وجودها و فناها

ذات قدس تذوقت كل ذات من هيولى هياكل حلاها

هو فى الكائنات أول نفس برأ الله كنهها فاجتباها

و حباه من فضله بمعال عرك النيرات أدنى علاها

ما اصطفى فى العباد شخصا سواه للعبودية التى يرضاها

ثم آتاه ما يشأ من علوم الملكوتيه التى أبداها

بل و أنهى اليه خير مزايا كبرت رفعه بان تتناها

عالم عالم السرائر أسرى سره فى عوالم أنشاها

جاء للأنبياء منها يسير فيه قد فضلت على من سواها

جمع الله فيه كل كمال أخذت عنه كل نفس هداها

أول السابقين فى حلبه الفضل و مصباح أرضها و سماها

نير أشرق الوجود باشراقات أنوار عزه جلاها

و به قررت القوابل طرا بقبول الوجود عند دعاها

و استقامت به السموات و الأرض و من فيهما بحسن استواها

ملك ملكه الممالك لا بل هو قيومها الذى يرها
و هو ناموسها العليم بما قد عملته بجهرها و خفاها
و هو الكلمه التى انزجر العمق لها و استقام من جدواها
عليم فاض للعوالم منه خير فيض حوت به نعمها
كل ما فى الوجود من كائنات ذو المعالى لأجله سواها
و كفاه على الخلائق طرا أنه كان فى العلى مصطفاها
و له اشتق ذو الجلاله من أسمائه اسما سمت به حسناها
فهو فى خلقه الحميد و هذا (أحمد) يا له على لا يضاها
سر فضل لما يطق كتبه الغيب لأسرار حكمه قد حواها
لم يزل فى عوالم منه يجرى فى بحور به أفيض نداها
فاتى عالم الشهاده هاد أمما قادها دواعى غواها
فبدا فى سما الرساله شمسا مشرقا فوق كل شىء ضياها
جاء منه لها و لم تبد آيات عظام بهرن من قد رآها
كتهاوى شهب السما و هى تنبى أنه للعدى شهاب رداها
و انشقاق الإيوان ينبى عنه أنه بالهدى يشق عصاها
و انظفا نار فارس عنه منب أنه آن من لظاها انظفاها
و اغتدت باسمه الهواتف تدعو معلنات و فوهت بنداها
و أتت أمه البشائر منها أنه فى الورى بشير هداها
و رأت من كرامه الله منه ما أقرت بنيله عيناها
و تهاوى لدى ولادته عن كعبه الله كل جبت علاها

و سرى منه فى فلاسفه الكهان حتف أبادها فاختلاها
و به الماردون نالت دحورا و ثبورا به تحست رداها
و من الحجب بالبشاره جبرائيل بأملاكها الغر فاها
و به الأرض أشرقت و استطالت - إذ آتاها - على علو سماها
و به مكه على كل شىء فخرت إذ حواه منها فناها
و حقيق بها إذا افتخرت بالمصطفى أحمد على من سواها
قد حوت سؤددا تود درارى الشهب منه تكون من حصباها
إذ حوت سيد السموات و الأرض و مختار خالق سواها
كعبه الفاضلين فى كل فضل بل و ناموسها الذى رباها
إن يكن جاء للنبيين ختما فلقد كان فى الوجود أباها
ما أتى آخرا سوى لمزايا فيه ذو العرش حكمه أخفاها
إذ هو العالم المفيض عليها كل علم أتى به أنبياها
فهى عنه بكل عصر تؤدى ما من الرشد للبرايا عنها
فلذا ما حوته من مكرمات و جلال إليه يعزى انتهاها
سل به آدماء فكم من أباد من جلال إليه قد أسداها
و به تاب ذو الجلال عليه إذ جنى من خطيئه حوباها
و له أسجد الملائك و الأسماء طرا لحفظه أملاها
و له نال بالسفينه نوح خير عقبى و فلكه نجاها
و الخليل اغتدت له النار بردا و سلاما به و أطفى لظاها
و هو سر العصا لموسى فألقت عنده الساحرون سلما عصاها

و لعيسى أعار سراً فأحيا من قبور دوارس موتاهما

كم له فى العلى سوابق فضل مستحيل على العداد انتهاها

يعجز العد عن مناقب نفس ذو المعالى لأجله سواها

ص: ٩٩

فهى صنع له و كل البرايا أحكمت صنعها البديع يداها
ظهرت باسمه العظيم فكل خاضع تحت مجتلى كبريها
أنبا الخلق سوره النور عنه نبا كالشموس راد ضحاها
تاه فى وصفه الخلائق طرا و حقيق بوصفه أن يتاها
صاغه الله جوهرها و هى منه عرضا منه كونها قد أتاها
سيد واجب الوجود إليه كل فضل و حكمه أنهاها
ظهرت منه حكمه الله للخلق عيانا لأنه مجتلاها
من دعا البدر لانشقاق فأهوى عن سماه و خر فى بطحاها
كيف يعصيه و هو منه تحلى حليه النور و اكتسى أسناها
فهو لو يدع جملة الشهب طرا من سماها لحطها عن سماها
أ و تعصيه و هى منه استنارت و استقامت به على مجراها
حيث قد كان للوجودات قطبا و على مجده استدارت رحاها
و من الوحش كلمته أسود ثم طلس و أعربت عن ثناها
و الظبا سلمت عليه و لا غرو بان سلمت عليه ظباها
و لتلقى هواه حنت نياق و على مثله حقيق هواها
و النباتات كلمته و أحيا باسقات و أينعت بجناها
و العصا أورقت لديه و لا غرو بان أورقت لديه عصاها
و له الجذع حن شوقا كثكلى فارط الحزن مضها و شجاها
و من الصخر كم أسال عيوننا بمعين تعب فى مجراها
و الحصا سبحت بكفيه جهرا و كثير من الورى قد وعها

و إذا سار فى الظهيره أرخت أذيل السحب فوقه أفيهاها
حق لو ظللته فهو كريم منه نالت حياتها و حياها
لا تخل ذا من النبى عجيبا فهو من آى فضله أذناها
لم يزل فى البلاد ينشر آيا ضاق منهن كثره قطراها
فدعاه اليه ذو العرش ليلا ليريه من آيه كبرها
ثم أسرت به إليه براق بعروج سبحان من أسراها
و خطأ عالم الجواز و لما يبق فى الكون ذره ما وطاها
فى قليل أقل من لمح طرف سبحات الجلال قد جلاها
فدنا من مليكه فتدلى بفنا حضره تناهى علاها
لم يكن بينه سوى قاب قوسين و ذات الجليل جل ثناها
ثم ناجاه ما هناك بما شاء يؤديه للبرايا شفاها
و على كتفه امر يدا قد أثلج القلب منه برد رواها
و حباه من الكرامات ما لم يحوها غيره و لا من سواها
و إليه مفاتيح الغيب ألقى و أراه كنوزها فاحتواها
لا رعى الله من قریش بغاه ما رعته و لم يزل يرعاها
ظاهرتة ببغضها و تولت عن هداه و تابعت طغواها
قد أراها معاجزا ما رأتها من نبى و لا الزمان رآها
بذلت جهدها لإطفاء نور منه لا زال بالهدى يغشاها
فاباه إلهه إلا تماما فى علاه و نقصها و انتفاها

قال ما يسرنى انى لم أشهد صفين، و لوددت أن كل مشهد شهده على شهادته.

عبيد الله على بن أبى شعبه الكوفى الحلبى

فى رجال ابن داود: له كتاب معمول عليه، و قيل انه عرض على الصادق (ع) فاستحسنه و قال ليس لهؤلاء مثله. قال البرقى: كان متجره إلى حلب فغلب عليه هذا اللقب. و آل أبى شعبه بيت كبير فى الكوفه له اخبار. و هو أول من صنف للاماميه، ثقه.

السيد عبد المطلب الحلى ابن داود بن مهدي

اشاره

ولد فى الحله حوالى سنه ١٢٨٠ و توفى سنه ١٣٣٩ فى قريه (بيرمانه).

نشا فى الحله و كان أكثر تحصيله الأدبى على عمه السيد حيدر، و أخذ منذ أوائل شبابه يمارس نظم الشعر حتى اجاده. و كان إلى جانب اشتغاله بالأدب يمارس الزراعه و يلتزم الأراضى الأميريه من الحكومه فحصل على ثروه كبيره، ثم تقهقرت أحواله الماليه حتى صار لا يملك شروى نقيير، فوضعت الحكومه املاكه للبيع استيفاء لما عليه من الديون الحكوميه، و كانت داره فى جمله ما وضع للبيع فهزت الاريحيه السيد محمد القزوينى فاشتري الدار و سلمها لصاحبها.

و بعد أن جف نهر الحله هاجر إلى النجف سنه ١٣٢٤ على عهد الشيخ كاظم الخراسانى، و كان هذا يدعو للحياه الدستوريه فى ايران ضم لدعوته و صار شاعرها و مدح زعيمها الخراسانى و هاجم شاه ايران محمد على القاجارى هجاء مقذعا كما عرض بمن لم يكونوا مع الدعوه من رجال النجف.

ثم رجع إلى الحله و منها سافر إلى البصره فاتصل بالسيد طالب النقيب و انضم إلى حركته اللامركزيه، و نظم الشعر فى تأييدها و هاجم الأتراك و قام بجولات فى الفرات الأوسط دعما للحركه. و لكن لما أعلنت الحرب العالميه الأولى و خاضها الأتراك أخذ يؤيدهم و يحرض القبائل فى الفرات الأوسط على محاربه الإنكليز و زار جبهات القتال فى البصره و لكنه لم يسلم منهم حين وقعت حادثه الحله و هاجم القائد التركى عاكف الحله و خرب دورها، فكانت دار المترجم فيما خرب(١) فاعتذر له الأتراك بان ما حصل كان خطأ و لما احتل الإنكليز بغداد اعتزل فى قريه (بيرمانه)(٢) التى كان له فيها بعض الأملاك و بقى معتزلا فيها حتى مماته.

و يقول الدكتور مهدي البصير أنه توفى هو و اثنان من أبناء عمه فى وقت واحد فكان هذه الأسره التى طالما عركت الحياه و طلبت المجد و الجاه و الغنى و أصابت من كل شىء حظا لا بأس به فى فترات مختلفه من الزمن قد أرادت أن تودع الحياه دفعه واحده لأنه لم تقم لها بعد أولئك الثلاثه قائمه حتى الآن.

شعره

من شعره من قصيده يشيد بها بموقف الشيخ كاظم الخراسانى فى الحركه الدستوريه:

نصرت وداعى الجور خزيان واجم فما ذل مظلوم ولا عز ظالم

ص: ١٠٠

١- راجع تفاصيل هذه الحادته فى ترجمه الشيخ محمد على اليعقوبى من هذا المجلد.

٢- بيرمانه قريه فى جنوبى الحله على ضفه الفرات اليسرى.

غداه غشيت المستبد بلطمه على تاجه منها غدا و هو لاطم
فولى و قد أعطاك للطعن كتفه فما أتت الا العدل للجور هازم
إذا ما بنى للجور عرشا هدمته و من ذا الذى يبنى و ذو العرش هادم
فلو كان حرا ما استرق بجوره رقاب لها الإسلام بالعتق حاكم
و لا أصبحت فى القيد ترسف ارجل برتها فأدمتها القيود الاداهم
و لا اختار أرباب السفاه بطانه فادنى ذو جهل و اقصى عالم
و له من قصيده نظمها عند ما هاجمت ايطاليا طرابلس الغرب سنه ١٣٣١:

أيها الغرب ما ذا لقينا كل يوم تشير حربا طحونا
تظهر السلم للأنام و تخفى تحت طى الضلوع داء دفيننا
أجهلتم باننا مذ خلقنا عرب ليس ينزل الضيم فينا
و لنا نبعه من العز يأبى عودها أن يلين للغامزينا
قد قفونا آباءنا للمعالى و إليها أبناؤنا تقتفينا
و منها:

كيف ترجو كلاب (رومه) منا ان ترانا لحكمها خاضعينا
دون ان نفلق الجماجم و الهام بضرب ياتى على الدار عينا
نبحونا مهولين فلما ان زأرنا عاد النباح أنينا
حيث لم تجدها المناطيد نفعا كلما حلقوا بها معتدينا
كيف رعناهم الغداه بضرب جعل الشك فى المنايا يقينا
و منها:

يا رسولى للمسلمين تحمل صرخه تملأ الوجود رينا

و تعمد بطحاء مكة و اهتف ببني فاطم ركينا ركينا
و على الحى من نزار و قحطان فجع و امزج الهتاف حيننا
الحراك الحراك يا فئه الله إلى الحرب لا السكونا السكونا
و منها:

يا ابن ودى عرج بايران فينا انها اليوم نهزه الطامعينا
قف لبكى استقلالها بعيون تنزف الدمع فى الخدود سخينا
و على مشهد (الرضا) عج ففيه فعل الروس ما أشاب الجنينا
تركوا المسلمين فيه حصيدا و استباحوا منه الرواق المصونا
لا تحدث بما جرى فيه إعلانا فان الحديث كان شجوننا
و قال يرثى الشيخ كاظم الخراسانى من قصيده:

نعم هكذا تفنى السيوف القواضب و تنقاد للموت القروم المصاعب
و ترمى المنايا السود عن قوس غدرها بسهم حمام لا يقى منه حاجب
فيغتال حد السيف و السيف مصلت و تستل نفس الليث و الليث واثب
و منها:

لقد بات ينوى الحرب لا العزم نأكل و لا الرأى عن طرق البصيره ناكب
يعبى لهم من بأسه و حفاظه مقانب لا تقوى عليها المقانب
و اقلامه هن القنا و جنوده هى الكتب و الآراء هن القواضب
قضى ليله شطرين شطرا محاربا و شطرا به باتت تضىء المحارب
فما ابيض وجه الصبح الا و سودت ما تم فى فقدانه و منادب
و اوضحت ركاب السير و هى مناخه و هل تائر فيه تثار الركائب

و لو أمهلهه النائبات لأصبحت به تترامى للجهاد النجائب

إذا انتدبت لم تبق للروس عسكريا ولا فيلقا الا لهم فيه نادب

اسالب تيجان الملوك كفى جوى بموتك ان الكفر للدين سالب

قضيت فاما حزننا فهو قاطن مقيم و اما صبرنا فهو ذاهب

مؤلفاته

شرح ديوان مهيار الديلمى الذى طبع فى بغداد بثلاثه أجزاء سنه ١٣٣٠ و عليه بعض الحواشى بقلم عمه السيد حيدر. و جمع شعر عمه المذكور فى ديوان و وضع له مقدمه ضافيه، و جمع ديوان جده السيد مهدي فى جزئين، و جمع ديوان شعره.

السيد عبد المطلب الأمين

مرت ترجمته فى المجلد الثامن الصفحه ١٠١ و هنا دراسه عنه بقلم الأستاذ محمد على مقلد:

أحد الذين عرفوه عن قرب، حين طلب إليه أن يختار لعبد المطلب من بين مواهبه لقبا، راح يحصى: الشعر، الشريعة، القانون، السياسة و الحقل الدبلوماسى، النقد و الصحافه... إلخ ثم اختار له لقب المفكر، و اردف:

نعم لقد كان مفكرا، منظرا، بل لقد كان مجتهدا، و ربما كان أحد كبار المفكرين، أحد أدمغه سوريا فى أيامه، مع أنه لم يتخصص فى ميدان معين و لم يحجز ثقافته فى حقل واحد من الحقول.

ص: ١٠١

و قال عنه حسن شراره: "يوم يولد تولد دنيا جديده لا تخوم لها و لا حدود... و يوم يموت: تموت طيوف إبداع و أدوات خلق و مفاتيح رؤى..."

يموت الفكر الحالم المتوقع... و الوجدان المتفتح... تموت الطيوف و الرؤى.

و لقد قيل فيه الكثير و أجمعت الأقوال دون استثناء على أن عبد المطلب شخص هفت إليه الأسماع و أنشدت إليه الأذهان و كانت تميل القلوب حيث يميل... و الذين عرفوه كان الواحد منهم فى حاله دائمه من الانتظار إلى أن ياتى عبد المطلب.

على أن لكل لقب، أى لكل موهبه، و لكل وظيفه نوعا من العلاقه مع الناس و إذا تنوعت و تمايزت علاقات الشاعر و القاضى و الناقد و الصحافى و السياسى فلأن نافذه الشاعر على جماهيره هى نافذه صاحب الموهبه و الشفافيه و الخيال و من خلالها يحكم على الشاعر أنه يرى ما لا يراه الآخرون و بصره يخترق الحجب و لسانه يعزف على أوتار القلب... و... و.. و.. و الصحافى أمام جماهيره قابض على السياسه دون أن يغرق فيها ملكه الفضول عنده كسلاح الهندسه فى الجيوش، يتبعها على الخيط و يعود من الكواليس ليجد الأذان فى انتظاره... شأنه شان الشاعر يعرف ما لا يعرفه الآخرون، أو على الأقل، هكذا كان شأنه منذ عقدين و ما سبق.

و القاضى، فى قلمه اللحظه التى يميز فيها بين الأسود و الأبيض الجريمه و البراءه، السجن و الحريه، و ذاكرته خزانه لغرائب الناس و مساكينهم، أشرارهم و عقلائهم، و هو جزء من السلطه محاط بمهابتها، ينهار لقبه إذا انهارت، و لكن إذا قويت و تماسكت فويل لمن يقع فريسه القانون...

و السياسى كما قال الشاعر: واحد يملك الشرفات و آخر يملك الجبال، واحد يملك اللاكى و آخر يملك النمى و التواليل... واحد السفن و آخر الأمواج... و لكل منهما طريقه إلى القلوب و لكل منهما موقع و أثر، واحد يجيب الذين يسألون: كم الساعه الآن... و الآخر يعرف كم ستكون الساعه...

واحد يصنع زعامته بين الرؤساء و الوزراء و السفراء و يصفع بها وجوه الناس و أحلامهم، و آخر يمشى على خط طويل يمتد بين الحى الشعبى أو المدرسه أو المعمل و بين ساحه واسعها اسمها حركه التحرر، و يختار حيث يستطيع موقع الزعامه أى القيادة و يمنحها للذين ينضحون عرقا و نضالا..

و الناقد فى لغه الحروب مثل القناص يصوب من بعيد، يصوب عبر نافذه ضيقه، باتجاه الناس فيطل عليهم "بالمفرق" بينما السياسى أو القاضى... "بالجمله"....

و كيف إذا اجتمعت هذه الألقاب و الصفات و الوظائف و المواهب فى شخص واحد و كيف إذا كان هذا الواحد عبد المطلب الأمين. أجل هو نفسه الذى حشد فى داخله سياسيا و قاضيا و صحافيا و شاعرا و ناقدا و محاميا و غلف هذه الجوانب و وحدها و صهرها و اخرج منها شخصا ليس بالقاضى و لا بالشاعر و لا بالمحامى و لا بالسياسى و لا بالصحافى... بل هو من كل واحد من هؤلاء زبدته و قد تجمعت إنسانا يتقن ترجمه معارفه و مواهبه بالمرح الدائم و النكته المبتكره.

و قد يكون مفاجئا للبعض اعتبار جانب المرح و إتقان فنون الضحك و الدعابه اللطيفه و الفرح الجاهز دوما و المستخرج دوما من أى شىء، من أیه وظیفه، من أى موقع أو موقف أو شخص أو حدث أو خبر أو حركه... أهم جوانب شخصيته، أجل أهم ما فى عبد المطلب موهبته فى تجميع المواهب و موهبته فى توزيعها على الناس عبر أقرب الطرق و أسهل السبل و أكثرها امتاعا... قد نجمع على احترام عدد من الأشخاص و على محبتهم لكننا لا نجهم و لا نحترمهم بنفس المضمون و على نفس الطريقه، و قد تكون أساليب تعبيرنا واحده و أدوات تعبيرنا واحده لكننا حياهم كمن يعزف تنوعات على آله موسيقية واحده... أى نوع من العزف كأنه عبد المطلب؟ كلما وجهت هذا السؤال لأحد ارتبك لأنه لا يحسن اختصار عبد المطلب بالكلام أنه شخص لا يجوز اختصاره.

ارانى امدح عبد المطلب الأمين أكثر مما أقدمه أو اعرف به، اننى فى ذلك أترجم مواقف الذين سالتهم عن عبد المطلب. كلهم أجمعوا على أن من الطبيعى بل و من الضرورى أن يكون موقع عبد المطلب أفضل مما كان...

و ان يكون دوره أكبر مما كان، و أن تكون مكانته الرسميه أكثر رسوخا و بروزا و شهره و تأثيرا...

كلهم دون استثناء اتفقوا إذن على أمرين:

- الأول هو أن امكاناته و مواهبه كانت كبيره و كبيره جدا.

- الثانى ان موقعه فى تاريخ بلاده لم يكن موازيا لتلك الإمكانيات.

أما أن امكاناته كانت كبيره و متعدده فذلك أمر لا شك فيه، كما أنه لا شك فى الدور الكبير الذى كان لنشأته فى بيت ذى مكانه فى تاريخ جبل عامل و بلاد الشام و فى تاريخ الفكر الشيعى الحديث، عبد المطلب هو ابن السيد محسن الأمين و هو من هو فى المجال الدينى و الفكرى و السياسى، انه أحد المراجع الكبرى فى زمانه فى الدين كما فى المواقف الوطنيه.

و انطلاقا من هذا المنشأ تهيأت الظروف لعبد المطلب الأمين كى يكون فى عداد الرعيل الأول من المتعلمين و الذين تابعوا دراستهم (حمل إجازة فى الحقوق عام ١٩٣٩) و قد اتقن إلى جانب العربية الفرنسيه و الإنكليزيه و الروسيه و اتبح له أن يتخرج من بيت عريق بالثقافه تخصص فى جانب مهم من التراث التاريخى و الدينى...

على المستوى الثقافى العام استطاع عبد المطلب إذن ان يستفيد من منشئه الأكاديمى و البيتى و الوظيفى ليتكون فى داخله جانب من شخصيه رجل الدين المحدث، العارف بشئون الأولياء و الصحابه الناقل لأخبارهم و سيرهم، الملم بشئون القرآن و تفسيره.. إلى آخر ما يوفره الجو العام فى بيت السيد محسن الأمين... و ليتكون فى داخله نموذج المثقف الجديد الذى لا يكتفى بالتراث بل يميل إلى حضاره الغرب و يطلع على بعض آثارها من خلال اللغات التى يتقنها..

و ليتكون فى داخله نموذج يجسد المجتمع الجديد الذى يخطو من العلاقات الدينيه الاقطاعيه إلى العلاقات المدينه الرأسماليه.

و هكذا بدا عبد المطلب بثقافته نموذجا للجديد الذى بقى على صله وثيقه بما كان سائدا فى الذاكره الشعبيه من التقاليد و العادات و الأفكار و القيم.

و هاشم. و عبد المطلب عرفت عنه غزاره انتاجه فكان الشعر يتدفق منه لأنه قابض على ملكه الكتابه الفنيه ممتلك لأدوات تلك الكتابه و أولها اللغه و فوق ذلك بل و فى أساسه موهبته و حساسيته...

يذكر من يعرفه أنه كان يكتب شعره على الهامش الأبيض من صحيفه بين يديه أو على علبه السجائر، يكتبه فى الأماكن العامه، فى سيارات النقل و أحيانا كان يكتب و هو على كرسيه و أمام الطاولة، كان بمقياس ما، حسب احدى المجلات السوريه، أشعر الناس.

على مستوى القانون و الشريعه فقد عين لسنوات قاضيا و عمل لسنوات اخرى محاميا... و كان يأتيه طلبه العلم فى القضاء أو فى المحاماه، أحد هؤلاء و كان مثل غيره من المعجبين كان يعتبره دائره معارف... هذا هو شأنه فى القانون المدنى، و كذلك كان فى مجال القانون الدينى أو الشريعه و مراجعه فى ذلك الكتب الإسلاميه و تاريخ أهل البيت و هو من المتأثرين بهم و المعجبين.

على المستوى السياسى امكاناته أيضا كبيره و مواهبه كبيره. فعلى الصعيد الرسمى عمل عبد المطلب سفيرا لسوريا فى موسكو و كان سفيرا ناجحا بشهاده مسئوليه... يروى زهير ماردينى بعض الحوادث التى تؤكد ذلك (مع الجابرى رئيس الوزراء) و قيل أنه أحد مؤسسى وزاره الخارجيه السوريه... و على الصعيد الشعبى عرف بمواقفه الوطنيه الدائمه دون خوف و بلا حساب لأيه رده فعل... من القضايا المطليه، إلى القضايا السياسيه و الموقف من السلطه و الرؤساء و الوزراء، إلى القضايا القوميه و الموقف من القضيه الفلسطينيه و الوحده العربيه... إلخ كان لعبد المطلب مواقف وطنيه معروفه فى كل مجال...

و أخيرا و على مستوى الكفاءات الشخصيه و المواهب و المزايا الذاتيه يجمع الذين يعرفونه على أنه إنسان حاد الذكاء، كثير الاستقامه و الصدق، كثير التواضع بارع فى تكيفه مع جميع فئات المجتمع من الفلاحين و أبناء الريف إلى الدبلوماسيين و اجواء الارستقراطيه... و إلى جانب ذلك كان يمتلك مهاره فائقه فى صنع المرح و ابتكار الضحكه و استحضار النكته و كان لا يوفى، فى ذلك، أى شىء، أى شىء، و فى أساس كل ذلك قدره على الاستيعاب مدهشه.

هذه الإمكانيات الكبيره لم يكن لها ما يوازيها على المستوى الرسمى. فحيث كان من المفترض بهذه الإمكانيات أن تدفع باسم عبد المطلب إلى سجل الشهره كواحد من المؤثرين و الفاعلين فى تاريخ بلادهم السياسى و الثقافى و الأدبى لم يتوفر لهذه الإمكانيات و الطاقات ما يدفعها نحو تأثرها و على العكس من ذلك منيت هذه الإمكانيات بمن لا يحسن تقديرها و بدا عبد المطلب يغرد خارج سربه منذ ولاده أولى الانقلابات فى هذا العالم العربى على يدى حسنى الزعيم... فمع مجيء هذا الرجل انقطع النشاط الدبلوماسى و تضاءلت احتمالات تجدد.

تذكر المكتبات و المطابع، و يذكر القراء اسم بدوى الجبل، اسم نزار قبانى بينما بقى عبد المطلب خارج التداول مع أنه عاش معهما فى فتره واحده، و اشتغل مع بدوى الجبل مثلا فى حقل التعليم فى العراق، و ربما كان فى أحد جوانب العمل الفنى أغزر نتاجا... هكذا شأنه فى ميدان النقد و فى ميدان الصحافه و فى ميدان الفكر. فى التشريع، فى الحقل السياسى... نتداول اليوم بعض شعره الذى جمعه له شقيقه السيد حسن الأمين و نندفع إلى الاعتقاد أن ما يحكيه عنه شعره لا يوازي ما يتداوله البعض ممن عرفوه بل و نندفع هذا الاعتقاد قليلا- إلى الإمام لنرى بينهما هوه لا يردمها إلا البحث الجاد و المعتمد فى تفاصيل عبد المطلب مبتدئين من دمشق حيث ولد و نشأ و درس و تعلم و تخرج حاملا إجازته فى الحقوق، و بالتحديد نبداً من بيت السيد محسن

الأمين و نتهى فى شقرا، قرينه الجنوبيه معرجين على الميادين التى عمل فيها: سفيرا لسوريا فى موسكو، معلما فى دار المعلمين فى بغداد، موظفا فى وزراء [وزاره] الخارجيه السوريه و واحدا من مؤسسيها، قاضيا فى لبنان، محاميا فى الكويت، صحافيا فى صحف دمشق بتوقيع القاضى الفاضل، و فى جريده النداء فى بيروت، موظفا فى وزاره الدفاع (رئيس قسم التوجيه) فى سوريا حتى النكسه ١٩٦٧... و ما تبقى من حياته قضاها فى بيت متواضع فى منطقه النهر فى بيروت و فى بلدته شقرا.

يستوقفنا فى عبد المطلب الأمين أنه كان قاضيا و محاميا و صحافيا و ناقدا و سياسيا.. إلخ على صورته ابتكرها لنفسه و على مثال يجمع الفراده مع ما فى الفراده من جوانب التالى أو جوانب الانكفاء. و إذا لم يكن الشعر ابرز مظاهر هذه الفراده فإنه نموذج و نتاج لشخصيه تكونت خارج هيمنه الطراز السائد.

كتب شعرا كثيرا و لكن صحف زمانه و مجلاته كانت خلوا من أى بيت أو أية قصيده من قصائده، كتب كما لو كانت الكتابه عنده فيض لا- يرد عطاؤه و كما لو أن الشعر عنده عمل عادى و طبيعى كالتنفس لا يستوجب اهتماما كونه، بالنسبه إليه، عملا تلقائيا جاهزا للممارسه على الدوام.

ان بعض المقاييس الفنيه تمنحه بامتياز صفه شاعر فى وقت تلجأ مقاييس اخرى إلى التقليل من أهميه شعره. فهو من جهه قابض على مجموعه من العناصر الضروريه للإنتاج الفنى و منها لغته التى لا- شك بتملكه لها اطلاعا على التراث الدينى، تراث أهل البيت، التراث الشعري القديم و من عناصر الإنتاج الشعري المستوى الفكرى و الثقافى الذى تمتع به و الذى قال عنه أحدهم إعجابا: انه دائره معارف، و منها وضوح الموقف من الأحداث و من القضايا و من المواضيع و من العلاقات، و قد كان فى هذا المجال صاحب موقف لا يتأخر عن إعلانه مهما كانت الظروف معاكسه.

أما مواقفه من الحياه و الموت و الحب و الزمن.. إلخ فيمكن استخلاصها مما توفر بين أيدينا من أشعاره و كذلك مواقفه من القضايا السياسيه الوطنيه و القوميه و الاجتماعيه.

الحياه كلها لم تكن فى نظره إلا- محطه، لم تكن هدفا لم تكن إلا- إضافه كميّه و نوعيه على التاريخ فقيمتها إذن فى حجم ما تضيف لا فى حجم ما تأخذ:

و دروب الحياه مهما استطالت هى فى خطونا الملح دروب

أو:

تضائل العمر و انهارت مهابته حتى استحال تساجيعا و أوزانا

و الحياه من هذه الزاويه لمح من الحوادث تتراكم بتناقضاتها و تتعاقب تفاصيلها ليضيع العمر بين هذه التفاصيل:

فى حىاته الؤومفه؁ فى تفافصفل العلافات الاجفماعفه كان ضافكا مرأا و فى شعره وءه آفر لهذا الفرأ الحىافى. فى شعره كأبه و فأس و اشمفزاز و نفور و قرف... نفس الأشفاء الفى ففرءمها ضفكه و نكهف أمام الناس كان ففرءمها فى شعره شكوى و ففمرا؁ المقاففس المأفله بل القفم المأفله أضفكه و أبكفه فى آن معا. فقول فى قصفده:

إلى أفن فمضى بنا ركبنا عنففا لءوفا على عمرنا

(١) ان فراكم هفه الفساؤلاف هو بء فافه ءلفل على شكوى ءافله عمفقه:

إلى أفن؟ و ففام؟ أ كنا... و هل؟ و من؟..

و ففم أفبافه بففباف الأمل و باسفاف الأوام و بالانفظار الممل.

فى قصفده اأرى نظمها كما ففءو فى أوافر حىافه ففشد عءءا من المفرفءاف فكفى مجرد اسفراضها للفأكفء على انزعافه الشءفء من القفم المأفله فلك:

ضلال العمى و ضلال البصر و فمى الفلال و فمى السفر

(٢) على أن هفه الأءواء المفعمه بالفساؤلاف لم فشكل كما عءء الرومنفطققفن مئلا مرضا اسمه الهروب مما قء فعرفض الإنسان من مشاكل و الاحفماء بءفن الأنا و الفءاف و الانكفاء إلى عالم ءافلى باطنى صوفى فاملى... لقفء كان عبء المطلب فرى إلى الواقع بعفن فاقبه و ففشن فشففص ءءاء من اعراضه و فءفعه ءرأفه إلى إعلاف موفقه؁ و موفقه كان ءافما منأازا إلى شعبه إلى المظلومفن و المسفعبءفن فى كل زمان؁ منأازا إلى فلك القوى المناضله من أجل ففرفر بلاءها و ففرر شعوبها من صلف الفكام و اسفهارهم و امفهارهم لكراماف الناس و أعراضهم و أسباب عفشهم؁ منأازا إلى أهل البفف و شعره فنفض إعءابا بهم و فمسكا ففارىفهم و فمسكهم العنفء بقصفه ما زالت ففى ففوم فقبض على هواءس بعض ءوى القربى و السلالاف؁ منأازا إلى القصفه القومفه؁ قصفه فلسطين مسفشرفا مسفقبلها منذ أيامها الأولى... و ربما بسبب مواقفه الواضفه فلك عاش عبء المطلب حفا سماها حفا الفشرء و حفا الغربه:

فى أى صقع اسفقر و اسكن و لأى ظل اسفرفف و اركن

(٣) و الغربه فلك هى نفسها الفى شعر بها الففنبى فوما ففن قال:

ما مقامى بأرض نأله الا كمقام المسفف بفن الفهوء

أنا فى أمه فءار كها الله فرفب كصالف فى فموء

أنها الغربه نفسها لأنها غربه أصحاب الإمكانياف الكبفره و الطموف الكبفر و الآمال العرفضه الففن فصابون بففباف أمل من واقع لا فساعدهم و فقف فوق فلك موقفا اعفراضفا من مواهبهم و مزافهم. و الا كفف نفسر إءن شأفا بامكانياف عبء المطلب و منزله

كان يسكن غرفه متواضعه فى أحد الشوارع "المتشابهه" من منطقه النهر فى بيروت، و فى تلك الغرفه زاره دبلوماسيون عرب و أجاناب؟ قلنا أن عبد المطلب كان يمتلك الأدوات اللازمه و العناصر الضروريه ليكون شاعرا كبيرا، امتلك اللغه و وضوح الموقف و الموهبه و غزاره الإنتاج... إلخ قال الدكتور حسين مروه فى ذلك: "يملك العده الكافيه، بل الغنيه، لدقه الاختيار و براعه الاستصفاء، ثم لأحكام البناء الشعري و إتقانه". و فى مكان آخر يشير الدكتور مروه إلى "امتلاكه، أى عبد المطلب، الوثيق لكل أدوات اللغه الشعريه و قواعد النحو و العروض"... و فضلا عن تملكه لتلك الأدوات و العناصر كان بإمكانه أن يجير موقعه الاجتماعى و السياسى كسفير و منشاہ فى بيت السيد محسن الأمين و يستعين بهما لكى يشيع شعره و يدفعه إلى التداول، لكنه لم يفعل ذلك و اكتفى بأنه أنشد الشعر بعفويه ليهمله على الفور بعد إنشاده تاركا لاصدقائه أن يحافظوا على شعره و أن يحفظوه. و رغم محبتهم له و لشعره لم تنج قصائده من البعثره و الضياع إلى حد يدفعنا إلى الاعتقاد أن ما جمع من أشعاره لا ينقل بامانه تفاصيل عبد المطلب التى يتحدث عنها اصدقائه، و ربما لا يكون ذلك بسبب قله ما جمع من أشعاره بل بسبب كون الشعر بالنسبه إليه مجرد هوايه متطوره لم يشأ أن يدخلها فى باب الاحتراف لهذا الباب طاقه اخرى غير الشعر، ربما كانت السياسه، ظلت هى بدورها خارج باب الاحتراف.

الهوايه فى الشعر دون الاحتراف استندت عند عبد المطلب إلى أسس ثلاثه:

الأساس الأول: هو ان الشعر لم يكن عالمه الوحيد و نظن أنه لم يكن الأهم و لذلك لم تكن عنايته به موازيه لموهبته فيه. يقول الدكتور حسين مروه عن شعره:

"انه التفجر الأفقى المندفع خلال قشره الإحساس و ياتى، حين ياتى، استجابته لتوترات عفويه آنيه يدفعها من العمق إلى.... ذلك كان شأنه فى أغلب حالاته الشعريه... سمه العفويه انسحبت على تعامله مع اللغه الشعريه فى معظم ما كتبه شعرا بل انسحبت كذلك، أحيانا، على تعامله مع قواعد النحو و العروض رغم امتلاكه الوثيق لكل أدوات اللغه الشعريه و قواعد النحو و العروض".

يضيف الدكتور مروه: "كانت استجاباته للحظات التوتر النفسى، تندفع بقسريه حاده و بنوريه لا تمهله أن يتوقف ليقارن و يختار و يستصغى ثم ليبنى قصيدته برويه و تدقيق و أحكام..".

الأساس الثانى: ان الشعر عنده لم يكن طاقه استثنائيه يندر وجودها، بل أن ملكه الشعر بين يديه قد توفرت فى بيت عج بالشعراء و قد ذكرنا أن اخوته الثلاثه يكتبون الشعر، إضافه إلى عدد من أقاربه مما يترك الانطباع أن من طبيعه الأمور أن يكتب عبد المطلب الشعر من أجل الإبداع فى ميدان آخر ينبغى التفتيش عنه.

الأساس الثالث: انتماء شعره إلى ما يسمى الشعر العاملى. و الشعر العاملى ليس حدثا مفتعلا أو قولاً ينحو نحو المبالغه. الشعر العاملى ظاهره تستحق التوقف و قد بادر الأستاذ حسن الأمين شقيق عبد المطلب كما بادر غيره إلى جمع بعض التراث العاملى و ما زال الجزء الأكثر من هذه الظاهره مبعثرا فى ميدان آخر ينبغى التفتيش عنه.

لقد تفرد جبل عامل بهذه الميزه بحيث لم تخل قريه فيه من شاعر ينشد أو ينظم أو يقرض شعرا بالفصحى و إذا لم يتوفر فبالعاميه. و ربما تكون هذه الظاهره مرتبطه بالتراث الشعري القديم أكثر من تأثرها بالتيارات الجديده بدءا من المدرسه

الرومنطيقه و حتى يومنا هذا و لذلك جاء شعر عبد المطلب أكثر استجابته لظاهره الشعر العاملي بعفويته منه إلى التيارات الغنيه و الشعريه منهاه.

ص: ١٠٤

-
- ١- راجع القصيده في ترجمته.
 - ٢- راجع القصيده في ترجمته.
 - ٣- راجع القصيده في ترجمته.

بخاصه، رغم كونه ولج باب الجديد و كتب خارج المؤلف التراثى من موزون الشعر و مقفاه..

و عن هذه المسأله كتب الدكتور حسين مروه أيضا يحدد انتماء شعر عبد المطلب:

" ان الذى مقدمه من شعره، و هو بعض شعره لا كله، يتخذ مسارا يتقاطع حيناً، و يتوازى حيناً مع مسار حركه الشعر الجديد... ان عبد المطلب كان أزر طاقه و أقوى طموحا و حيويه، و أشد اندفاعا للانطلاق و التطور و التحرر من أن يتخلف عن قافلته..."

إذن هل ينتمى شعر عبد المطلب إلى تيار الجديد؟ لا، لكنه ليس غريبا أو بعيدا أو قاصرا عنه. كان قادرا على مواكبه الحركه الشعريه و قد عايش انطلاقتها بين الحريين و بشكل خاص بعد الحرب العالميه الثانيه، لكن نتاجه الشعري لم يكن بشكل عام، مواكبا لها.

هذا عن عبد المطلب الشاعر. أما عبد المطلب السياسى فقد يكون الحكم عليه مقاربا و قد يكون النموذج الذى تكون عليه شاعرا هو نفسه الذى تكون عليه سياسيا... لذلك نسارع إلى القول أنه عمل فى السياسه هاويا، أيضا، و ليس محترفا، لكنه هاو بامكانات محترف، هاو يجيد بامتياز حرفه السياسه التى منع عن احترافها فى السلطه بينما امتنع عنها فى المعارضه الحزبيه.

أما عمله كدبلوماسى فلم يدم طويلا رغم نجاحه الباهر حسب زهير مارديني أحد اصدقائه و هو يروى عن لسان سعد الله الجابرى رئيس وزراء سوريا و وزير خارجيتها آنذاك و إذا كان عبد المطلب أحد مؤسسى وزاره الخارجيه السوريه فهل إلى جانب ذلك أول سفير أو قائم بالأعمال السورى لدى الاتحاد السوفياتى و قد كان ذلك فى الأربعينات أى فى السنوات العصبيه التى مرت بالعالم العربى، أبان معارك الاستقلال و فى فتره النكبه و التامر الامبريالى على الشعب الفلسطينى و الشعوب العربيه. و يحكى عنه نافذ البصيره ثاقب الرؤيا حيال القضيه الفلسطينيه لكنه كان يقترح فى واد و العرب الخونه يقررون فى واد آخر فاعتبرهم عبد المطلب من أفضل الذين يتقنون غموض المواقف و استعداد الآخرين، و من أفضل الذين " يكبرون الكلام ". على أن عمله فى الحقل الدبلوماسى لم يدم طويلا. فما لبث بعد عودته إلى سوريا أن استقال من وزاره الخارجيه احتجاجا على انقلاب حسنى الزعيم و بذلك بدأت مرحله جديده من العمل السياسى عند عبد المطلب.

فى الحقل الدبلوماسى لم يكن هاويا. لقد كان محترفا رغم حدائه عهدده فى هذا الحقل، بل لقد كان محترفا بامتياز. فى حقل النضال الحزبى و الشعبى و الجماهيرى كان عبد المطلب هاويا، لم يدخل فى تنظيم حزبى لكنه منحاز لحزب الناس، للمستضعفين، للفقراء، الذين سلبهم الظالمون حرياتهم، و المستثمرون خيراتهم و المستعمرون أوطانهم، كان منحازا ضد المتأمرين على بلادهم، و منذ اللحظة الأولى لانقلاب حسنى الزعيم أعلن موقفه واضحا:

لقد تمرد عبد المطلب لأنه رأى فى حسنى الزعيم خطرا على البلاد بتسلطه و ارتباطاته و لأنه كان وفيا للذين تعاون معهم قبل الانقلاب، و نظم قصيدهته الشهيره فى حسنى الزعيم. (1) (نذكر بالمناسبه أن الشاعر نزار قبانى كان قد تغزل بحسنى الزعيم).

بعد هذه القصيده الوطنيه ضد صاحب الانقلاب فصل عبد المطلب من الوظيفه و كانت قصيدهته قد انتشرت انتشارا كبيرا. و على أساس مثل هذا الموقف الوطنى كان عبد المطلب مع قضايا الشعب و الوطن كتب عن الالمهم و أفراحهم و معاركهم ضد الاستعمار، كتب عن الفدائى، عن معركه القناه، قناه السويس، عن حكم كميل شمعون عن الهزيمه ١٩٦٧.

من وحى مهنته قاضيا، وجد نفسه يحاكم قسرا متهمين شتان بين جرائمهم و جرائم من يتربعون على كراسى الحكم.

و كان بسبب مواقفه الوطنيه شاعرا جماهيريا يتضخم المهرجان و يتضاعف عدد المشتركين فيه و الحاضرين له إذا كان عبد المطلب فى عداد الخطباء.

ان ذلك يفسر لنا الشفافيه التى امتاز بها فى حسه الشعبى و فى مواقفه الجماهيريه و فى قدرته على التعبير عما يجول فى خواطر الناس من حوله و الشهادات على ذلك كثيره. فى مثل هذه المواقف و إزاء مثل هذه القضايا كان عبد المطلب يهجر أسلوبه الكئيب يائس الذى تحدثنا عنه ليعود إلى أسلوب مفعم بالثقه بالمستقبل و بالناس، مستند إلى هذه الثقه فى سخريته من القيمين على أمور شعبهم من النماذج الشعريه التى كتبها تلك التى تركها بعد الهزيمه فى دمشق و اعتزل بعد وظيفته و كان يوم ذاك رئيسا لمصلحه التوجيه و التبعئه فى وزاره الدفاع السوريه. كتب هذه القصيده و ترك سوريا و الوظيفه و غادر إلى لبنان.

قال يعارض قصيده شوقى التى مطلعها:

قم ناج جلق و انشد رسم من بانوا مشت على الرسم احداث و ازمان

نم و انس جلق و اندب حظ من هانوا على الأرائك أطفال و غلمان

على الحدود تلاميذ و مدرسه و فى السرايات ضباط و أركان

مع العدو رعاديد واقفيه مع الرفاق منافيخ و شجعان

مع الجواسيس تطنيش و مغيبه و فى المباحث تعذيب و إمعان

تضاءلت قيم التاريخ فانتفخت فيه الزقاق و شاب الحور و البان

مررت فى معرض التاريخ اساله هل للعروبه فى البازار دكان

هل نحن فى معرض التاريخ اقيه أم انا قيم تنمو و إنسان؟

هل نحن عربده تطفو كما زبد أم أنا فى يد التاريخ برهان

هل نحن معوله الهدام أم يده مناره فيداه اليوم بركان؟

قم سائل الأكمه التاريخ: هل عبرت مع الحضاره فى مئواه عربان؟

هل عشعش القمل فى أفيائه و حبا حتى تضايق أهل ثم جيران؟

تبا له القزم التاريخ و انفجرت شفاهه عن نوايا هن عدوان

لولا دمشق لما طارت قنيطره ولا ازدري بينى القفقاس دايان

كل الشهور وصمناها بمأثره و كان آخر من قاسى حزيان

و قبله كان آذار و ثورته و جاء من بعد تشرين و نيسان

أما شباط فلم نترك به رمقا للتأثرين فالثوار احزان

و كان يوليو: و حدث دون ما حرج عن الشقيق ليونيو نحن اخوان

و أشهر الهجره الغراء رصعها من الأشقاء بالثورات رمضان

و ارحل لسيناء و اسال فى متاهتها عن المشير و قد وارته أكفان

من تاه فيها: أ موسى فى جماعته أم جيشه اللجب حفيان و عريان

موشى يرد لفرعون هديته مع الفوائد فالديان دايانه.

ص: ١٠٥

١- راجع القصيده فى ترجمته.

سل الحشيش سل الأفيون أن فرغت حقايب، ففم التاريخ ملتان

ملتان باللغات السود يبصقها فى وجه من غدروا عمدا و من خانوا

وراء كل مواقف صدق انتمائه. لقد انتمى إلى شعبه فى جبل عامل، إلى قضيه شعبه و الشعوب العربيه، إلى القضيه الفلسطينيه، إلى قضيه الحريه، إلى قضيه الإنسان... لذلك آمن بالإنسان، بقدرته على تغيير العالم، بقدرته على صنع المستقبل.

هذا عبد المطلب السياسى المنحاز إلى شعبه فى معاركه الوطنيه فى معارك عماله و فلاحيه و مثقفيه، فى نضاله ضد الغلاء و ضد القمع، فى كفاحه من أجل التحرر. لكن هذا السياسى الواضح فى انتمائه لم ينخرط فى تنظيم حزبى و لم يعمل باتجاه الزعامه الشعبيه عن أى طريق رغم كونه ابن السيد محسن ذى الموقع المعروف كرجل دين، و كرجل دين مميز. كان بإمكانه أن يستعين بهذا الموقع الاجتماعى و الدينى للحصول على موقع سياسى لكنه لم يفعل.

كما الشاعر و السياسى كان عبد المطلب المفكر و عبد المطلب القاضى و عبد المطلب المحامى و الصحافى و الناقد... فكره هو موقفه بل هو جمله مواقفه التى عبر عنها شعرا و صاغها فى زاويته فى جريده النداء و فى بعض ما نشره فى صحف دمشق بتوقيع القاضى الفاضل و فى أحاديثه و نقاشاته مع اصدقائه و ندمائه...

المسلك الثانى هو مسلك السخريه و النكته و الفكاهه الحاضره دائما و الفكاهه تعريفيا هى مهاره اللعب على التناقض بين ما هو طبيعى و ما هو مفتعل، عادى و غير عادى، سائد و منقرض... إلخ و لا يمتلك القدره على الفكاهه من كان لا يمتلك ناصيه النقيضين، على حد سواء.

و تزداد المهاره فى ابتكار الفكاهه كلما اتسعت ماده الفكاهه لتشمل كل شىء، نعم كل شىء، القضاء، السلطه، الوزاره، السفاره، القصيده، الصديق، الزوج الشيخ، المسائل الحياتيه الاجتماعيه الأخلاقيه إلى ما هنالك من أشياء و مواضع، و بذلك تتجاوز الفكاهه حد التهريج و الضحك الشكلى و تصل فى مستواها و غناها حد الطرب الأصيل و هذا ما كان يتقنه عبد المطلب إلى آخر مداه مما يجعله متحدثا وحيدا فى الجلسات و الحاضرون على ترقب لجديد من طرائفه و حكاياته و أشعاره و اخباره...

وراء مهارته الضاحكه استخفاف بجوانب الواقع الذى منعه من اطلاق مواهبه و قد اتسع نطاق الاستخفاف هذا ليشمل بعض ما فى الذهن من مقدسات كان لا مباليا مع موته، مستخفا به. الأشهر الأخيره من حياته قضاهها فى المرض. كان يصاب بالغيوبه و حوله الناس فى حزن عميق كل واحد منهم يذرف دمعته بصمت و فى مثل هذا الجو من كآبه الحاضرين يصحو من الغيوبه ليروى لهم نكته تضحكهم. كان زائروه ينظرون إلى أعراض مرضه بخشوع و مهابه و بتأمل عميق بالحياه و الموت فيشرد واحداهم إلى حيث يذهب به الخيال، وحده عبد المطلب كان دائم الابتسامه بل دائم الضحك على ما يظهر عليه من أعراض.

فى مجال الشعر قلنا: لا يتقن الشعر إلا من كان قابضا على عده الشعر و أدواته ممتلكا لمفاهيمه مستندا إلى وضوح موقفه... و فى مجال الفكاهه نقول:

لا يتقن الضحك و المرح و النكته كعبد المطلب إلا من كان قابضا على أدوات المرح من الذكاء الحاد و سرعه البديهه و دقه

الملاحظه و بلوغ الجراه و العبث المفرط الذى يفتش عن الحقيقه فيما وراء الحقيقه، و يقابل بالنكته من يلتقيهم أيا كان موقعهم و رتبهم من ستالين إلى تشرشل إلى زملائه و اصدقائه و ندمائه و رؤسائه و مرءوسيه و كافه الفئات الشعبيه التى كان يرتاح إليها أكثر من ارتياحه للآخرين.

و طرائفه لا- تحصى و مزاحه لا- يتوقف و الحوادث التى تروى عنه و عن فنونه فى الضحك كثيره منها حادثه مع ستالين و مولوتوف.

و حادثه مع الشيخ هاشم الرفاعى فى الكويت.

و حادثه مع السفير الأميركى فى موسكو.

و آلاف الحوادث الأخرى التى نعتبرها مجتمعه أهم ما فى شخصيه عبد المطلب. فبواسطه هذا الأسلوب الطريف الفكاهى المرح ترجم عبد المطلب مواهبه و أخرجها إلى الناس و بها ادخل إلى القلوب فرح اللقاء به و بهجه التعرف عليه شاعرا و قاضيا و دبلوماسيا و ناقدًا و صحافيا و محدثًا...

الشيخ عبد المهدي مطر ابن الشيخ عبد الحسين

إشاره

ولد فى النجف الأشرف سنه ١٩٠٠ م و فيها نشأ و درس حتى غدا علما من أعلامها علما و أدبا و شعرا. و كان على جانب كبير من طيب الذات و حسن المعشر و كرم الخلق.

كان من الأعضاء العاملين [العاملين] فى جمعيه منتدى النشر فى النجف منذ إنشائها، و تولى تدريس النحو فى كليه الفقه.

هو إلى جانب علمه الجم فى الفقه و الأصول و الحديث و التفسير و النحو، فى الطليعه من شعراء العرب المبدعين فى هذا العصر، و لكن محيطه الضيق و ظروف حياته و ابتعاده عن توسل وسائل الأعلام و غير ذلك، حرم الأمه العربيه من وصول شعره إلى كل وسط من أوساطها و حصره فى نطاق ضيق لم يتعد فضاع اسمه فى الضوضاء الفارغه التى تحيط بالأسماء الفارغه، و من المؤسف أن ديوانه ظل مخطوطا لم يطبع، و الله وحده يعلم إلى أى مصير سيصير. و لم يصلنا من شعره إلا هذا القليل الذى يراه القارئ فيما يلى. و قد طبع من مؤلفاته كتاب (دراسات فى قواعد اللغه العربيه) فى أربعه أجزاء.

من شعره:

قال و أنشدها يوم الاحتفال بافتتاح الباب الذهبى الذى أهدها بعض الايرانيين لمقام أمير المؤمنين فى النجف سنه ١٣٧٣:

ارصف بباب على أيها الذهب و اخطف بابصار من سروا و من غضبوا

و قل لمن كان قد أقصاك عن يده عفوا إذا جئت منك اليوم اقرب

لعل بادره تبدو لحيدره أن ترتضيك لها الأبواب و العتب

فقد عهدناه و الصفراء منكره لعينه و سناها عنده لهب

ما قيمه الذهب الوهاج عند يد على السواء لديها التبر و الترب

ما سره أن يرى الدنيا له ذهباً و فى البلاد قلوب شفها السغب

و لا تضجر أكباد مفتته حتى يذوب عليها قلبه الحذب

أو يسقط الدمع من عينى مولهه أجابها الدمع من عينيه ينسكب

تهفو حشاه لأنات اليتيم بلا أم تناغى و لا يحنو عليه أب

ص: ١٠٦

هذى هى السيره المثلى تموج بها روح الوصى و هذا نهجه للحب
فاحذر دخول ضريح أن تطوف به إلا باذن على أيها الذهب
باب به ريشه الفنان قد لعبت فأودعته جمالا كله عجب
تكاد لا تدرك الأبصار دقته مما تماوج فى شرطانه اللهب
كان لجه أنوار تموج به خلالها صور الرءىن تضطرب
سبائك صبها الإبداع فارتسمت روائع الفن فيها الحسن منسكب
يدنو الخيال لها يوما لينعتها وصفا فيرجع منكوسا و ينقلب
أدلت بها يد فنان منقمه تعنو لروعتها الأجيال و الحقب
ملء الجوانح ملء العين رهبتها و مريض الليث غاب ملؤه رهب
يا قالع الباب و الهيجاء شاهده من بعد ما طفحت كاس بمن هربوا
بابان لم ندر فى التبريح أيهما أشهى إليك حديثا حين يقتضب
باب من التبر أم باب يقومه مسماره و جذوع النخل و الخشب
هذا يشع عليه التبر ملتها و ذاك راح بنار الحقد يلتهب
و أى داريك أحرى أن تطوف بها و أن تجللها الأستار و الحجب
دار تحج بها الدنيا لمجدك أم دار عليك بها العادون قد وثبوا
هذى تدال بها للحق دولته زهوا و فى تلك فىء الحق يغتصب
حتى إذا جاءت الدنيا مكفره عما جنته و جاء الدهر يتهب
شادت عليك ضريحا تستطيل على هام السماء به الأعلام و القبب
و تلك عقبى صراع قد صبرت له و ذا فديتك مظلوما هو الغلب
بلغ معاويه عنى مغلغله و قل له و أخو التبليغ ينتدب

قم و انظر العدل قد شيدت عمارته و الجور عندك خزي بيته خرب

تبنى على الظلم صرحا رن معوله بجانبه و هدت ركنه النوب

أبت له حكمه البارى بصرختها أن لا يخلد مختال و مرتكب

قم و انظر الكعبه العظمى تطوف بها حشد الألو ف و تجثو عندها الركب

تأتى له من أقاصى الأرض طالبه و ليس إلا رضا البارى هو الطلب

قل للمعربد حيث الكأس فارغه خفض عليك فلا خمر و لا عنب

سموك زورا أمير المؤمنين و هل يرضى بغير (على) ذلك اللقب

هذا هو الرأس معقود لهامته تاج الخلافه فاخسا أيها الذنب

يا باب (حطه) سمعا فالحقيقه قد تكشفت حيث لا شك و لا ريب

مواهب الله قد وافتك مجزيه ما كنت تبذل من نفس و ما تهب

هذى هى الوقفات الغر كنت بها للدين حصنا منيعا دونه الهضب

هذى هى الضربات الوتر يعرفها ضلع بها أنقذ أو جنب بها يجب

هذى هى اللمعات البيض كان بها عن وجه خير البرايا تكشف الكرب

هذى هى النفس قد روضت جامحها فراق للعين منها عيشها الجشب

فلا الخوان لها يوما ملونه منه الطعوم و لا ابرادها قشب

لا تكتسى و فتاه الحى عاربه و لا تعب و مهضوم الحشا سغب

نفس هى الطهر ما همت بموبقه و ليس تعرف كيف الذنب يرتكب

هذى التى انقادت الأجيال خاشعه لهديها و ترامت عندها النجب

تعيفوا و ركبنا فى سفينته فميز اللج من عافوا و من ركبوا

و ساوموا فاشترينا حب حيدرته و لا نبيع و لو أن الدنا ذهب

يا فرصه كنت للإسلام ضيعها حقد النفوس و أبلى جدها اللعب
شجوا برغمك أمرا أنت تعصبه في ذمه الله ما شجوا و ما شجوا
فرحت تنفض من هذا الحطام يدا إذ شمت فيه يد الأطماع تنتشب
تكالب عنه قد نزهت محترقا له و عندك ما يشفى به الكلب
فاستنزولوك عن العرش الذي ارتفعت بك القواعد منه فهو منتصب
لو أنصفوك لفاض العلم منتشرا في الخافقين و سارت بالهدى كتب
و لازدهى باسمك الإسلام دوخته فينانه و فناه مربع خصب
و لا تبنيت عليه من سماء علا ما ليس تأفل عن آفاقها الشهب
لله أنت فقد حملت من محن ما لم يطق صابر في الله محتسب
أمر به ضاقت الدنيا بما رحبت و لم يضق عنه يوما صدرك الرحب
جاءتك "فارس" باسم الباب يجذبها لك الولاء على شوق فتنجذب
أن يبعدوا عنك بالأوطان نائيه فكم لهم قربات باسمها قربوا
هم في المحاريب أشباح مقوسه و في الحروب ليوث غابها أشب
و قال سنه ١٩٣٢ من قصيده عنوانها (هتف القدس):
هتف القدس بعلياه فناجى منه نفسا أبت الذل فهاجا
و انثنى يفتح بابا مقفلا زاد فيه وعد بلفور الرتاجا
هاجه العدل، و أحماه الإيا إذ رأى في بيئه القدس اعوجاجا
فانبرى يسعفها في همه لو على الشم لأصبحن فجاجا
فاراها أن للقدس يدا تمنع الضيم، إذا ما الحيف ماجا
ثم لما محص الحق الذي زاد في استرجاع ماضيه احتجاجا

آب و العز على هامته عاقد من شرف العلياء تاجا

يحتسى العزه عذبا صافيا بعد ما أوردها الذل أجاجا

اسالوه سكنت أم هل يرى بعد فى آمالنا البيض ارتجاجا

و اسالوه السلطه هل أبقت لنا أم أحالت بأسنا الصلد زجاجا

و اسألوا التاريخ عن آثارنا و اسألوا القدس إذا التاريخ داجى

من أقاموا عرشها من دوخوا لابتيتها، من أقاموها أذاجا

(أ لقوم التيه) ذلا - بعد ما قد ملكنا منهم - نعطى الخراجا

أم هى السلطه حيفا غالطت نفسها فينا فراحت تتحاجى

حكمت فينا الألى لم ندرهم لا و لا مروا على البال اختلاجا

فأبت منا على أقلامها أنمل، أو تملأ الدهر ابتهاجا

و قال بعد نكبه سنه ١٩٤٨ فى فلسطين:

وجدى ليعرب لا سرج و لا قتب تنقاد حيث يشاء الصارم الذرب

سبع من الدول العرباء تنقضها دويله، ما لها ريش و لا زغب

هذى (فلسطين) نصب العين إن صدقوا و ذا هو (الزيت) منهم كيف يغتصب

شكت لهم وطاه الطاغى فما انبعثوا و ولولت ضجرا منهم فما غضبوا

و أيقظتهم من العادين مطرقه فما استفاقوا لها، إلا و هم شعب

و أججت لهم نار لتضرمهم هم يوقدون لظاها، و هى تحتطب

شئوا فقلنا على اسم الله غارتهم تظنها الخيل، إلا أنها قصب

تغزو العدو باطمار مهلهله و عنده الحلق الماذى و اليب

يا وادعين إذا استسلمتم فلمن هذى الجيوش، و ما ذا هذه الأهب
أما هو العار إن كاس العلى سكبت أن لا تدار عليكم هذه النخب
سيف العقيدة يحسو من دمائهم بخبير، و قنا الإسلام تحتلب
و أصبحوا و كتوس النصر مترعه لديهم، و دماكم فوقها حب
لقد طربتم على الأوتار، و انتفضوا إلى المفاد، أما يكفيكم الطرب
ف (ذو الفقار) لكم قد خط سابقه حمراء، بين شباها الموت يضطرب
أنى يسود فتور فى دمائكم و فى العروبه رأس كله عصب
أعيدكم و المواضى فى سواعدكم أن يدركوا اليوم فيكم ثار ما طلبوا
تخدعنكم الأقوال فارغه من قاده هم إذا جد الردى خشب
صفر العزائم، هزى جذع نخلتها أو لا تهزى، فلا بسر، و لا رطب
يا ساحه العز بالبارى معوذه أو لا يخوضك قلب خافق و جب
و له من قصيده تلت نكسه الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ م، يقول فيها:
و بكيه حقا للعروبه ضائعا لا يسترد بغاره و كفاح
إذ عاد نهبا للألى أيديهم غلت، فلم تظفر بيوم نجاح
أعن الملايين الثلاث تقاعدت تسعون مليونا من الأتحاح
عادت مبدده القوى، إذ أصبحت (صهيون) تطلق غاره بجماح
ما ذا يكون الغرب؟ ما هو شأنهم؟ إما أعانوها بكل سلاح
أو ما لنا فى (الفيتنام) و صدها (الأمريك) أسوه قابس مقداح
أ فلم نقف بالأمس وقفه حازم؟ منهم لصد الغاره الملحاح
نشرى البلاد بكل ما يشرى الفتى أوطانه، فى صرع و أضاحى

حتى نزعنا منهم استقلالنا جذلان بين أسنه و صفاح

ما بالننا عدنا و فى إيماننا شلل، نعج بعوله و نياح

أين الذين إذا احتوتهم ندوه ملثوا الفضاء بضجه و صياح

و تبرموا للفتح تحسب أنهم آساد غيل، أو ليوث بطاح

من كل مقوال إذا جد الوغى تلقاه يمزج جده بمزاح

فالحرب تهتف بالكماء أمامكم من ممتط صهواتها لواح

و الساحة الكبرى، و ها هى أقفرت تدعو بكل مسابق للساح

هبوا غضابا، إن صدقتم للوغى كالأسد و ثبه نائر مجتاح

لا تخدعنكم الوعود من الألى خدعت شعوب باسمهم و نواحي

أ رأيت قولهم الكذوب لها افرجى فورا، بلهجه ساخر ممزاح

فالجرح يعرفه الجريح إذا اكتوت منه العروق بمبضع الجراح

أ تضيمننا يا للهوان حقوقنا حتى اليهود، و فضله النزاح

أو ما بنا عصب يثور، و نخوه تورى الوغى بلهيبها اللفاح

و له قصيده يحيى بها (مؤتمر الأدباء العرب) المنعقد فى القايره فى ١٩٦٨/٣/٢١ م، و مطلعها:

قف أيها الأدب الفياض إذ تقف بمسرح حل فيه المجد و الشرف

يقول منها فيما يخص الموضوع:

و للعروبه أمجاد معطره تجنى لمنتجع منها و تقتطف

لا ينتهون لحد من سماحهم و النبل أعذبه التبذير و السرف

حتى إذا ما أضعنا بعدهم سرفا معالم الدين، و استشرى بنا الترف

تطلعت (حشرات الأرض) تنهشنا لسعا، فلم يجدنا التفرع و الأسف

تكهت بعد إرهاف صوارنا فغودرت و هي لا حد و لا رهف
كانت (فلسطين) قبل اليوم طعمتنا فأصبحت و هي منا اليوم تختطف
جفت عزائمنا عنها، فما انبعثت آسادنا لحياض الموت تردلف
عاد التواكل يثينا فان وثبت غضبي، فقالون عن هيجائها انصرفوا
فلا و رب المعالي لا قرار على هذا الهوان، إذا ما فاتنا الهدف
إن لم نقف حيث أم المجد ساحتها تبرى بها الهام، أو تبرى بها الكتف
أو أن ترد حقوق ظن غاصبها إن لا تدور رحي يعطى بها النصف
لتدرى (صهيون) إن مدت حبالها إن العصا سوف تعلوها و تلتقف
و أن أرض (فلسطين) لنا خلقت لا يعتلى تربها رجس و مقترف
و قال فى الحفله التى أقيمت فى النجف لوفود مؤتمر الأدباء العرب:
يا شموسا لا يغطيها سحاب و ليوثا ضمها فى المجد غاب
لحتم فازدهرت آفاقنا و ازدهت منا تلاع و هضاب
فتحيات لكم من بلده طالعت دربكم منها الرقاب
فأكف تتلاقى فرحا و قلوب فيكم شوقا تذاب
أى وفد نظمت لؤلؤه لبني العرب شعوب و شعاب
فالتقى منتظما فى سلكه كل عقد هو كالجمر شهاب
و تدانت بعد ناي فالتقى فيه بعد البين للعرب اقتراب
و تجلى كوكب النصر الذى كاد أن لا ينتهى منه الغياب
دب و عى فاستفاقت غفوه و انبرت من غابها أسد غضاب
فانتهت أرض البطولات إلى معقل فى كل شبر منه غاب

و تمشى فى الشرايين دم فيه للوحده هز و انجذاب
فتلاقت من قنا شوكتهم أنصل هزت لطعن و كعاب
يا عقولا فجر الوعى بها أعينا سائغه فهى عذاب
و استقت من كل فن فارتوت منه حتى ملئت منها الوطاب
لم يخنهم حصف الرأى فهم فيه إما استهدفوا مرمى أصابوا
و إذا بحر من الحيف طغى خوضوا لجته و هو عباب
يا سقاه لم يكن من همها غير أن تملأ بالوعى العياب
عودونا أن نرى من نهجكم غمرات يرتوى منها الشباب
لا كما يلمع آل انه ليس يروى قط ظمانا سراب
علموه كيف بينى مجده لا كما يبحث فى قفر غراب
علموه كيف يقتات الأخادون أن ينبش عن رمس تراب
دون أن تعبث فى صفو يد دون أن يكشف عن حقد نقاب
فاقدحوا النور لعينى سادر دونه اسود مصير و مآب
فعساه يبصر الدرب الذى دونه ألف حجاب و حجاب
ليرى الحق جليا واضحا حين يمتاز عن القشر اللباب
أدباء العرب حيثكم صدور فتحت شوقا لكم فهى رحاب
لتحىى الأدب الحى بكم إنكم من بيضه العرب اللباب

حيث الآداب فيكم بلده هي للآداب مفتاح و باب

بلده الناطق بالفصحى التى تورق الأعواد إن رن خطاب

علم الأقدام جريا فلها كالصلال الرقش فى الطرس انسياب

بلده الضارب بالسيف إذا شمخت هام أو استعصت رقاب

بلده القاسم بالعدل و إن ناشدته رحم غرثى سغاب

بلده العاكف فى محرابه أبدا حتى اعتلى الشيب الخضاب

بلده القانع بالقرص فما لونت منه طعوم تستطاب

ملك الأرض و عاشت يده فعليها و لها منها حساب

مبدأ الحق و ما أعظمه تلتقى السنه فيه و الكتاب

مبدأ العفه إن خانت يد مبدأ الأمن إذا عم ارتياب

مبدأ الطهر إذا ما لوثت دنسا من درن النفس ثياب

علموه النشا يصلح لكم منه ما أفسده الغرب و عابوا

إنه قافله آمنه لم تدحرج بين رجليها دباب

أيها الوفد و فى النفس شجى يتوخاكم و إن مض العتاب

أفترضيكم إذاعات لنا ملأت آفاقنا و هى سباب

عربى يتحدى قرعه عربيا أنه خزى و عاب

إنه الطعن الذى قرت له عين إسرائيل و الوخر الكذاب

سد الرمى بما أدمت له أعين العرب و ماقف الإهاب

دللت فى طعنها المضى بنا أنها لابنه صهيون حراب

ليس يرضيكم، و لكن كيف لا غضبت أرقامكم و هى صلاب

كيف لم تستنكروا سخريه سفه العالم عقباها و عابوا
إنما الإصلاح إن قمتم به فى يد سيف و فى الأخرى كتاب
و كذا الطائش لم يقنع إذا لم يلت فى كاسه شهد وصاب
لا تقولوا جمره قد تنطفى إنه قد يعقب الجمر التهاب
فوراكم حاطب مستعمر دأبه أن يوسع الجمر احتطاب
لعبت فينا يد عابته عذبها مر و نعماما عذاب
فغدونا كقطع سائم عز أن تحرسنا منهم ذئاب
و رموا فاستهدفوا مقتلنا حيث كل الطعن منا و الضراب
و أجالت طعنه القوم بنا حيث لا مسبار للجرح يصاب
فأقاموا ابنه صهيون على هامنا تبني لها منهم قباب
فرخه المولد، ما ارتاشت و لا حام فى جولها يوما عقاب
و عجيب و هى درداء غدت تتحدى من له ظفر و ناب
إنها مهزله الدهر، فلا عجب لو أكل الفأر الجراب
و على الوضع التحيات إذا ما انضوى نحل أو استشرى ذباب
ما العلاج الصدق إلا ضربه تصفع الطائش إن غاب صواب
أين من ذاك الملبون الأولى أن دعوا للبطشه الكبرى أجابوا
للطعان المر ردوها فلا يسترد الحق نوح أو نعب
و دعونى أفتح الشكوى لكم و هى خطب لا يساويها مصاب
ألف باب للخصومات يرى حيثما يفتح للأحزاب باب
و إذا ما ادارأت ما بينها كان عقباها خصام و اضطراب

إنها غالبه مغلوبه فعليها لا لها ذاك الغلاب

صوله كانت لنا عامره هدها معولها فهى خراب

طفحت آمالنا فانطفات مثل ما يطفح فى كاس حباب

فالدعايات مليئات بما ينعش الآمال، و الربيع يباب

طلبت دهرًا فما حلت بها عقد أو ذلت منا صعاب

فضماء لم نزل و هى هيام و خماس لم نزل و هى سغاب

و لهى أشداقنا غصت بما يختم الفم، و إن سال لعاب

و كذا الشهد الذى نشتاره فهو فى العلقم و الصبر مشاب

إن هذا بعض ما جاءت به من لهيب فاكتوى فيه الشباب

إنما الأحزاب صفر فإذا حميت بوتقه التفرغ ذابوا

أدباء العرب هذى نفثه سألتكم هل لها منكم جواب؟

السيد على إبراهيم ابن السيد محمد

ولد سنة ١٩١١ م و توفى سنة ١٩٨١ م فى بيروت و دفن فى أنصار كان قد كتب ترجمته بنفسه فقال:

ولدت فى قريه أنصار (جبل عامل)، و لا تختلف نشأتى الأولى عن سائر المواطنين فى جبل عامل، فقد جرت العاده يوم ذاك أن

يبدأ تعليم الطفل فى السنه السابعه عملا بحديث مروى

(اتركه سبعا و أدبه سبعا) فعانيت من جهل معلمى سامحه الله و تأثير أسلوبه البدائى على نفسى و تفكيرى، و بعد ذلك انتقلت

لمدرسه القريه الرسميه، كان المعلم فيها شيخا قريبا فى تفكيره و منهجه من الأول، يعلم الطلاب الكبار منهم و الصغار، سائر

الدروس، وحده لا- شريك له، و يرتفع مستواه بنظر المواطنين عن غيره ممن يتعاطى هذه المهنة فهو موظف رسمى راتبه من

الدوله.

و قد صمم الوالد رحمه الله على إرسالى للعراق لطلب العلم الدينى فى النجف الأشرف انسجاما مع نهجه و سلوك من سبقه من

أسرته، فان والده المرحوم السيد حسن إبراهيم أسس مدرسه دينيه فى قريه أنصار حفلت بالطلاب و بعد وفاه والده تعهد هو

بشئونها، و تملك الأسره بيتا فى النجف يسكنه طالب العلم من أبنائها.

ذهبت و أنا لا أتجاوز السنه الرابعه عشره مع والدتى قاصدا النجف.

ثم أذكر أننى وصلت البلد المقصود فارتديت بزتى الجديده و دخلت فى غمار الطلاب، و لم أنتسب لمدرسه ذات منهاج محدد و برنامج خاص. ابتداءً استاذى يشرح لى كتاب (ابن هشام) فى النحو و أنا أتلقف كلماته بشغف و نهم و انتباه، و انتهى به المطاف و هو يفسر (الكلمه قول مفرد) و يفرق بين الجنس و الفصل لهذه الجملة (و استعمال الأجناس البعيده فى الحدود معيب عند أهل النظر).

ففسر على ذهنى فهمها و صعب على حلها، و عز على استاذى ذلك فطاف بموضوعات و علوم متنوعه ليستعين بها على توضيح المعنى فلم يفتح الله عليه، ثم رضت نفسى فألفت هذه التعابير و أقبلت عليها استسهل صعابها و أحل رموزها، فقد علمت أننى نقطه صغيره فى الخضم الواسع ليس لى أن أشكو غموض الأداء و قصور التعبير، و إقحام علم فى علم و الاستطراد من موضوع لموضوع فأساليب التدريس لا يغيرها اقتراحى و لا تعدلها شكواى.

ص: ١٠٩

فاود لو تعود، و يتملكنى الحنين للنجف و من فيه فاهتف بها و بساكنيها قائلا:

أرض الغرى و كل ما منح الحجبى للناس من فضل فمترك المبتدى

و لكل فكر أنت كعبه مامل الركب سار و فيه حاديه حدا

و بكل نفع من عواطف شاعر طيب من النجف امترى و تزودا

همنا بذكرك فالسواجع لم تثر لولاك لحنا و المغرد ما شدا

بقى الحنين العاملى على المدى شعرا و نثرا للوصى مخلدا

و لساده حلوا بجيره حيدر باتوا لآمال البريه مقصدا

لى أوبه لحمى على أنتشى من قدسه و أرى بترتبه الهدى

و أجدد العهد القديم و انثنى و معى البراءه فهو أصل للندى

قرأت بعد رجوعى من النجف على المرحوم الوالد بقيه الكتب المعروفة فى المنطق و البيان، و الأصول و الفقه، ثم عينت معلما للدروس الدينيه فى مدرسه النبطيه الرسميه فابتدأت مع الشعر و الأدب مرحله جديده فى حياتى، ذلك أن النبطيه كانت مسرحا فكريا و أدبيا واسعا، و يكفى للدلاله على ذلك وجود الشيخ عبد الحسين صادق و الشيخ أحمد رضا و الشيخ سليمان ظاهر و غيرهم فيها.

و كانت مجله العرفان لصاحبها الشيخ أحمد عارف الزين، فى أوجها فوجدت فى نفسى ميلا آسرا لنشر ما عندى، و كانت البدايه فى مجله العرفان (أدباء جبل عامل بقلم رسام).

و من المواضيع التى عالجتها فيها، شعراء من جبل عامل، و من صور الحياه، و رسوم.

و لو لا ذلك العلم الفرد الذى ظل ثمانين عاما أمام دواته و قلمه، يفكر و يستهدف، يعبد ربه و يجلس إليه فى الأسحار و الناس نيام فيرتل و يحن و يتشوق ثم ينصرف من ساعه النجوى مع خالقه لأرفع ما خلق و أسماه، فيقف أمام باب المعرفه خاشعا ينفذ الأ-تربه المتراكمه على الهيكل، أجل لولا- (صاحب أعيان الشيعه) السيد محسن الأمين، ما عرفنا شيئا عن شعراء و أدباء جبل عامل.

تحدثت عنهم طويلا بالأذاعه اللبنانيه، فموضوع أدباء من وطنى كان يذاع كل أسبوع، و كانت لنا فى أيامنا الزاهره طرائف جميله منشوره فى العرفان فمنها هذه القصيده:

من للجمال إذا انصرفت عن الهوى و أرقت راحك يا هوى الندمان

و جعلت همك يا طويل العمر في دفن الجنائز من بنى شيبان
و جلست بين عجائز لا ترتجى الا حلول النصف من شعبان
و حملت سبحة زاهد متبتل ما انفك يهدى الجهل للإنسان
من للحياه يكف من باسائها و يثيرها حربا على الحرمان
و يقول للزعماء آن حسابكم فالذئب جار على قطع الضأن
من للشيت من الرجال تنافسوا بالجهل و اتفقوا على الخذلان
و تمسكوا بالزور حتى خلتهم أصلا لكل موارد البهتان
يا صاحب القلم المشع ألا اتند للشعب أنت و لست للأعيان
للحب أنت و للجمال فلا تقف فى الصف بين البوم و الغربان
ما أشرف الحرمان يلهم شاعرا فتفيض منه جوانب البركان
و يناضل الأحداث فى غلوائها إن النضال طبيعه الفنان
قل لى بربك أين أنت فحولنا ليل و نحن على الضلال حوانى

و عينت سنه ١٩٤٣ بالمحكمه الجعفريه العليا بوظيفه لم تحقق أملى، فذهبت للوزير الذى عيننى، و ظن أنى جئته مادحا شاكرا،
فسر أول الأمر، ثم وقفت و خاطبته بقولى:

ما كنت أحسب أن سيغرينى الهوى فأجد فى طلب الأمانى الشرد
و أبيت بين الطامعين فريسه للوهم لم تقبض على أمل يدى
و من البليه أن أساس بمنطق يوحيه للزعماء خلقهم الردى
إننا شهدنا للوظائف حله يجرى بها فيفوز كل مبلد
أما الكفاءه فهى ظل زائل وردت بعهدكم أحس المورد

و كان لى مع قضاه المحاكم الجعفريه مواقف شعريه طريفه فى السنين التى قضيتها بينهم، و التى ندبت فيها سوء حظى بقولى:

ما بين إرث قسمت أبوابه أحيا و إرث مهمل لم يحصر

و قلت من قصيده (بين بعلبك و جبل عامل) مخاطبا الشيوخ البعلبكيين:

يا بعلبك أتيت من جبل سما و له يعود النقض و الإبرام

من عامل وطن المعارف و الحجى يكفيه ذا فخرا فليس يضام

كم رف فوق جباله علم و كم جالت بمتن خيوله أعلام

وطن الجحاحج كم لهم من آيه غراء فيها عزز الإسلام

هم خلدوا الآداب فى نفحاتهم فزهت و نالت مجدها الأقالم

و الشعر عندهم الحبيب المجتبى صلوا له بعد الإله و صاموا

و العلم هم رواده و حماته تروى و تؤخذ عنهم الأحكام

و هم الذين تبوءوا دست العلى عشقوا الكمال و بالحقيقه هاموا

نثروا المعارف و استجابوا للهدى تخنى لمجد السابقين الهام

و عند ما أثرنا معركة شعريه بين الشيوخ و الشعراء وقف أحدهم بجانب الشيوخ فقال من قصيده:

شخذ (الحسين) قرائح الشعراء و أثارها حربا بغير دماء

و عداوه الشعراء نعم المقتنى لا ترهبنك عداوه الشعراء

فقلت معلقا على هذه الناحيه من قصيدته:

هانت لديك مكانه الشعراء و حسبت أنك فارس الهيجاء

أمنت فيك مثير أحلام الهوى تنشى الخوالد فى ربي "شعراء"

أيام كنت تسير فى درب العلى و تثيرها حربا على الدخلاء

و كفرت فيك رئيس مصلحه التقى تذوى مع التدريس و الإفتاء

قل لى بربك أى حله شاعر لم تك فيها حجه العلماء

نصوا عليهم بالقضاء فهل ترى نصا عليهم باقتسام الشاء

نوهت بالفقراء يا ليت الهنا يسمو ليدخل خيمه الفقراء

لو أستطيع سكبت روى بلسما لجروحهم و كبحت عاتى الداء

صدرت لى عده كتب، تحدثت فيها عن أعلام الشعر و الأدب بما وصل إليه علمى و بلغته معرفتى، و تحدثت عن الامام على بكتابى (فى رحاب الامام على)، و عن سيد الشهداء الحسين بن على بكتابى (فى رحاب سيد الشهداء الحسين بن على).

ص: ١١٠

وقفت و الحنين فى نفسى أستعرض الماضى الجميل و آسى على الحاضر و المستقبل و أناجى قلبى ببعض الصور و الذكريات
قائلا:

يا خافقا أى المنى و مضها ما علل الفكر بوهم عبر

تصرم العمر و سفر الأسى يمشى مع العمر جديد الصور

ما غاب طيف الأمس عن خاطرى أستعرض الماضى فترنو الذكر

تالق الحب بها ساعه ما لاح نجم منه حتى استتر

و السعد ياتى للفتى لمححه تخبو كان الورد منها الصدر

هذا خريف العمر ما ساءنى إن جاءنى فيه القضا و القدر

فالعيش بعد الحسن لا ينجلى للعين إلا عن أسى أو كدر

تناثر الزهر و من لوعتى تناثر الدمع فروى الزهر

يا شعر إن أعطيتنى نفحه أغنيتنى فيها بهذى الدرر

فطالما رويت من مهجتى للفن غرسا لذ منه الثمر

و طالما صليت فى وحدتى للشعر أهفو للمعانى الغرر

و طالما أوريت فيك السنا من شعله القلب و نور البصر

ثم أجد بالايمان راحه و عزاء فأتوجه للنبي العربى بقولى:

يا وحي أحمد فجر طاقه العربى و افتح لهم صفحه من سفر ك الذهبى

أودى أبو لهب فى حسره و مضى و اليوم فيهم ألوف من أبى لهب

مالوا عن الدين و اختاروا صيارفه للجهل تتقن فن الزور و الكذب

تنازعوا فاستباح الخطب عزتهم و أصبحوا موطنا للويل و الحرب

لم يجمعوا أمرهم فاجتاح لجهم شعب تشرد مجهولا بغير أب

و الدهر يلهو بمن ترسو مطامعه على المنى و يروم الجد فى اللعب

تعاضم الخطب فى لبنان و انبعثت دهياء فيه تلف الرأس بالذنب

و أوغل القوم بالتتكيل و احتقبوا وزر الجرائم بالمسلوب و السلب

الليل للقتل و التدمير و الريب و الصبح يقذفنا فى أفدح النوب

نريده موطنا للخير مزدهرا بالعلم يبعد عنه كل مغتصب

ما زال ينزف و الدنيا تشاهده ما زال يقبض كذب الساده العرب

و قد مرت له فى هذا الكتاب قصيدتان رثائيتان (المجلد الخامس الصفحه ٣٠٠) و (المجلد السادس الصفحه ٣٥٤) كما مرت له كلمه فى ترجمه الشيخ أحمد رضا، (المجلد الثانى الصفحه ٤٦٥).

على رضا عباسى

بقلم: محمد عباس عبد الوهاب كان رضا مصورا مشهودا له بالبراعه، و قد ظل اسمه و آثاره الفنيه فى طى النسيان، و لم تعلم سيرته كما يجب إلا- فى العصر الحديث، حيث عكف مشاهير المستشرقين الألمان أمثال ساره و ميتوخ و غيرهما من مؤرخى الفنون على دراسه حياته، و الكشف عن مواهبه.

و رضا من الفنانين الذين عاشوا فى أيام الشاه عباس الأكبر من سنه (٩٨٥ - ١٠٣٨ هـ)، تلك الفتره التى عرفت بالعصر الذهبى للدوله الصفويه فى إيران، إذ كان الشاه محبا للفن مشجعا للفنانين، و يقال: إنه أسس فى أصفهان - عاصمه ملكه - معهدا للتصوير، كان يؤمه المصورون و الخطاطون و المذهبون، فنشأت بذلك مدرسه جديده للتصوير^(١) هى "المدرسه الصفويه الثانیه".

و بنى الشاه عباس قصورا فى أصفهان، منها قصرا: "جهل ستون"، و "عالى قاپو". و قد وصف الرحاله الأوروبيون فى القرن السادس عشر الميلادى جمال هذه القصور و جمال نقوشها و زخارفها و صورها البديعه التى منها مجموعات كبيره من الرسوم الحائطيه بالألوان المائيه على الجص أو باللآكيه، و قد استقدم بعض المصورين الأوروبيين، فعلموا إلى جانب الوطنيين فى تصويرها على الطراز الايرانى و الأوروبى، و لهذا تاثر التصوير الايرانى فى عهده تأثرا قويا بالتصوير الأوروبى.^(٢) و قد كشف عن هذه الصور حديثا، فأحدثت ضجه كبيره فى الأوساط الفنيه و كان "جهل ستون" قد أحرق فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى، فكانت الصور تالفه من جراء الرطوبه و تراب الحريق و دخانه، و لكن أمكن تنظيفها و إعادتها إلى الكثير من سالف رونقها، فامكنت دراستها و دراسه خصائصها.

و يعتبر "رضا" من أعلام مصورى المدرسه الصفويه الثانیه، بل هو صاحبها، فإنه يرجع الفضل الأكبر فى خلق أسلوب جديد للتصوير فى إيران بعد به بعدا تاما عن تقاليد العصور السابقه فى هذا الفن، إذ تحرر من قيود اللون و الزخرفه، كما تحرر من ملء

الفراغ و كثره المناظر والأشخاص، مما كان يتميز بهما التصوير الايراني، و بذلك خلق أسلوبا يعلوه طابع جديد هو إظهار الفراغ و الموضوع في جو من الرقه و البساطه.

و يجدر بنا أن نلقى ضوءا على حياه هذا الفنان قبل أن نتعرض لدراسه فنه، فحياه الفنان هي المؤثر الأول الذي يوجهه و يطبع إنتاجه بفلسفه خاصه به، هذا إلى جانب روح العصر ذاته، فان لها أثرا أيضا في هذا التوجيه.

ولد رضا في مدينه تبريز، و أصل اسمه "علي رضا"، و قد جاء إلى أصفهان في عنفوان شبابه، و ترعرع في بيئه ذواقه للفنون، و لذلك نشا مقبلا عليها: فأبوه "علي أصغر" كان رساما مشهورا في مكتبه الشاه إسماعيل.

و يقول إسكندر منشى في تاريخ العصر الصفوى فيما بين سنتى ١٥٠١ و ١٦٢٩ م: إن رضا قد اشتغل في تصوير قصور الشاه منذ أن كان كبير مساعدى "مظفر على" (٣) ثم احتل المكانه الأولى من بعده، و إنه أصبح أعجوبه عصره في التصوير و فى رسم لوحات الأشخاص الفرديه **Single Figures** ، و بالرغم من رقه لمساته فإنه لم يكن رقيق الطبع، فقد كان يمارس ألعاب القوى، دائم الاتصال بالأنديه الرياضيه و أنديه المصارعه، لذلك اصطبغ بطابعهم (٤)، كما أنه قطع شطرا طويلا من حياته غير محمود السيره، و كان فى ذلك الوقت قليل العنايه بفنه، إذ كان حاد المزاج يميل إلى الوحده و عدم مخالطه المجتمعات، فلم يكن فنه معبرا عن شيء إلا عن مناظر الشراب و المنادمه، و لهذا كان قليل الإنتاج في شبابه.

ثم التحق بخدمه البلاط، فحسنت سيرته، و زاد إنتاجه، و كان موضع عنايه الشاه، لذلك لقب "شاه نواز" أى مدلل الملك، و منذ ذلك الحين أضاف إلى اسمه لقب "عباسى" نسبة إلى الشاه، و أخذ يرسم الشاه فى مجالسه

ص: ١١١

١- M.S.Dimand; A Handbook of MUhammadan Art, N Y , ١٩٤٧, P. ٥٣

٢- A.U.Pope: A Survey of Persian Art, vol. ٢ Oxford , ١٩٣٩ P. ١٣٨٨

٣- المرجع السابق ص: ٧

٤- T.W.Arnold-A.Grohmann; The ISlamic: Book, Pergasco, ١٩٢٩ PP ٨٢-٨٣

المختلفه، كما رسم أفراد العائله الملكيه، و صور شخصيات عصره رجالا و نساء من قاده و أطباء و علماء. و كانت فرشاته قادره على تاديه مطلب البلاط، و فى الوقت نفسه كانت تأخذها المتعه فى الانتقال من تلك المظاهر البراقه المترفه إلى تسجيل حياه الدراويش(١) و الشحاذين و الفقراء و المسنين فى أوضاع لا تنقص إتقاننا عن سابقتها.

و آثار رضا عباسى الفنيه نوعان:

أما النوع الأول منها فتلك الصور التى رسمها. المخطوطات، و هى على العموم لم تخرج عن تقليد القديم، و كان إنتاجه فيها قليلا- لتدهور تلك الصناعه و قله إنتاجها منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادى. و من المخطوطات التى صورت فى تلك الفتره شاهنامه الفردوسى، و فى متحف المتروبوليتان(٢) بنيويورك مخطوطه للشاهنامه مؤرخه بسنه ١٠١٤ - ١٠١٦ هـ (١٦٠٥ - ١٦٠٨ م)، بها خمس و ثمانون صوره تحمل خصائص رضا عباسى و أسلوبه. و من المعروف أن نشاط الفنانين قد تجلى فى تصوير المخطوطات حتى ذلك العصر، و أن إيران قد فاقت غيرها فى هذا المضمار.

أما النوع الآخر فصوره الفرديه التى تصادفنا تاره ملونه و تاره أخرى غير ملونه، و هى خطوط بسيطه و لمسات سريعه، و لها سمات و دقائق فنيه واضحه و هذه الخطوط السريعه التنفيذ Sketeches هى خير ما يمثل عبقرية هذا الفنان و أستاذيته، لأنه استطاع أن يجعلها معبره عن سمات الوجه و تفاصيله و انفعالاته، كما أوضح فيها الحركه بإشارات اليد أو الجسم. و مما عرف عنه أنه كان يعدل فى الصوره، و يغير فى إخراجها عدة مرات حتى يصل بها إلى النتيجة المنشوده.

و لئن كانت صور الأشخاص الفرديه هذه قد ظهرت على يدى المصور محمدى قبل عصر الشاه عباس فإنه يرجع الفضل كل الفضل لرضا عباسى و مدرسته فى نشر هذا اللون الجديد من الصور على نطاق واسع، و وضع الأسس التى أدت إلى تعميمها مما كان له الأثر أكبر الأثر فى نقله التصوير الايرانى من الطابع الملكى إلى الطابع الشعبى، إذ لم يعد المصور يرسم للسلطان، و يوضح للمخطوطات، بل أصبح يرسم ما يمليه عليه خياله و فنه، و لهذا انتقل إلى الرسم من الطبيعه بعد أن كان يرسم موضوعات تقليديه من الذاكره، كما أن الأشخاص الذين كانوا رمزين متشابهى السحنه فى الأسلوب القديم أصبحوا أشخاصا حقيقيين معروفين غالبا.

و من الخصائص التى تجلت فى أسلوبه الجديد و أسلوب مدرسته بصفه عامه عدم الاهتمام برسم العمائر. و الواقع أنه لم يصبح لها أى اعتبار فى رسومه على ضد ما كانت عليه من مكانه و أهميه لدى المصورين، إذ كانت لا تخلو منها صوره إلا فيما ندر، كما بعد الكثير من صوره عن الطابع الزخرفى لاستخدامه القلم فى إخراج صور سريعه الإنتاج رخيصه التكليف. و من المعروف أن المصورين قبل رضا كانوا يعتمدون على الألوان الزاهيه البراقه فى إيجاد التباين و الجو الزخرفى الذى يكسب الصوره الإيقاع الفنى، أما رضا فكان يعتمد على خطوطه و لمساته فى خلق هذا الإيقاع. و امتاز رضا بدقه الملاحظه و التأثر بأسلوب الكتابه الخطيه من حيث تكونها من عدة خطوط منحنيه و خطوط مستقيمه قصيره أو ممتده، لأن رضا كان خطا إلى جانب كونه مصورا، و له إنتاج وافر فى هذا الميدان. و أغلب كتاباته موقعه باسمه الأسمى "على رضا" حيث اشتغل فى بدايه حياته - كما أسلفنا - فى المخطوطات نسخا و تصويرا، كما وقع باسمه و نسبه "على رضا العباسى".

حينما اشتغل للشاه، و كتب. فى مسجد الشيخ لطف الله و فى المسجد الجامع العباسى باصفهان(٣) كتابات رائعه بخط النسخ و

و يرى بعض مؤرخى الفن الإسلامى أن على رضا الخطاط غير على رضا المصور و أنهما شخصان، و لكن جميع كتاباته توقعاته و خطوطه بأسلوب واحد مما يجعلنا نعتقد أنهما شخص واحد، و كل ما فى الأمر أنه وقع بأساليب و عبارات و أسماء متعددة مما دعا إلى الاختلاف فى أمره، و من ثم فهو فنان أصيل جمع بين فنين من أعرق الفنون و أجلها مكانه عند المسلمين، و هما الخط و التصوير، فالواقع الذى لا شك فيه أن سواد المسلمين لم ينظروا إلى التصوير نظره ارتياح.

على أن عبقرية الفنان المسلم تجلت فى ناحيه التصوير فى المخطوطات، إذ شغف المصورون بتجميلها و تزيين كتب العلم و الدين و الأدب و التاريخ و الصناعات بصور مفسره، كما تجلت عبقريتهم فى نسخ هذه الكتب بالخط الراق الجميل و رسم رضا فى أرضيه صوره أغصانا ذات أوراق مبسطه مختلفه الشكل، و تعتبر هذه الأغصان علامه ملازمه مميزه لصوره، و رسم الأفق و التلال و الكتبان و المناظر المرثيه فى الطبيعه الإيرانيه و الواقع أن أرضيه بعض صوره يغلب عليها التسطیح، و هى التى نهج فيها على الأسلوب القديم فى المخطوطات أو بعض الرسوم الملونه الأخرى، أما تلك التى تجلى فيها أسلوبه فبها ظلال أظهرت فيها نوعا من التجسيم.

و ولع بإظهار طيات الثياب كما نوع فى أشكالها من ملابس دراويش، إلى ملابس أمراء، و ملابس صيد، ثم ملابس أوروبية الطراز، و كذلك رسم أغطيه متعددة للرأس من عمامات و قبعات للرجال و النساء.

أما السحنه التى صورها فتمتاز بمسحه من الهدوء، و بعضها يعلوه وقار إلا أن أغلبها فيه ملامح الشباب المنصرفين إلى اللذه و اللهو. و على العموم فكل شخصياته غضه حتى الكهل لم يستطع أن يحمله ما حملته السنون من آلام الكبر إلا فى تعبيرات على وجهه و نادرا ما كان يحوط شخصياته بهاله تبرز مكانتها، كما كان متبعا فى الأسلوب القديم.

و الواقع أنه كان مولعا بسطوح الأشياء و خاصه سطح البشره، إذ رسمها ناعمه تكاد تنبض بالحياه و الدفء، و لهذا نجد فى تصويره لمحه جديده تجعله مقربا إلى الذوق الحديث، و من الصعب تمييز شخصياته: الفتیان هى أم لفتيات(٤)، و لا سيما أن أوضاعهم جميعا فيها أنوثه و ليونه. و لا عجب فى ذلك، فقد نقل عن الواقع بكل دقه و أمانه: فها هو ذا "توماس هربرت" أحد الرحاله الأوروبين الذين(٥) زاروا بلاط الشاه عباس فى سنه ١٦٢٨ م يروى أنه شاهد أن

ص: ١١٢

١- T.W.Arnold;Painting;Islam, Oxford ١٩٢٨,P.١١٤

٢- M.S.Dimand;A Handbook of Muhammadan Art,N.Y.١٩٤٧,P.٥٣

٣- F.Sarre-E.Mitt Woch;Zeichnungen von Riza Abbasi,Munchen ١٩١٤ P.٨

٤- F.R.Martin;The Miniature.Painting and Painters of Persia...etc.vol.٢ I.ondon,١٩١٢,P٧١

٥- T.W.Arnold;Painting in Islam,Oxford ١٩٣٨,P٩٠ Fresco Painting و هو التصوير بالألوان على ملاط

فتيانا بالقصر يروحون و يغدون، و هم على جانب من الوسامه، يرتدون صدريات و عباءات مزخرفه بالقصب المذهب، و ينتعلون أحذيه جميله منتقاه.

و قد راعى قواعد التشريح و المنظور، و كانت النسبه الجماليه محفوظه اللهم إلا تلك الأرجل المعيبه التى نكاد نلاحظها فى معظم إنتاجه. و أغلب ظننا أنه رسمها كذلك عن عمد، فان تلك الأرجل الرقيقه الصغيره لها تقديرها الجمالى فى خيال الفنان.

و هناك ميزه خاصه فى صورته و هى أنه يمكننا أن ندرس منها أشكال الملابس و أنواعها المستعمله فى ذلك العصر - على ما أسلفنا - و كذلك أشكال الآنيه، كما نلاحظ ان بعض صورته يعلوها مسحه من التهكم و السخرية منتحيا فيها ناحيه "التصوير الهزلى".

و قد خلف رضا مجموعه كبيره من الصور المؤرخه التى بها توقيعه، و أغلبها مؤرخ فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى. و بعض رسوم له غير مؤرخه و إن كان عليها توقيعه مثل: "رقم كمينه رضاي عباسى"، أو "رسمه العبد الفقير رضا عباسى" .. إلى آخره و هذه عبارات تدل على تواضعه الجم و خشوعه، و هو بخلاف أغلب من سبقوه من المصورين قد وقع على رسومه معتزا بفنه، و لم يكن يوقع باسمه فحسب، بل كان أحيانا يذكر الحال التى صور فيها، و هذه خواص جديده ابتدعها رضا و اقتفى أثره فيها المصورون من بعده، فكانت معينا على تاريخ الصور و دراستها و معرفه مصورها، و لا شك أن أسلوب رضا بنوع خاص يميزه المتذوقون للفن الإسلامى حتى من غير توقيعه، بخلاف كثيرين غيره من المصورين. و هذا ما نلمسه فى رسوم الفرسكو بقصور الشاه عباس التى أشرنا إليها، و فى رسوم أخرى.

و كان أسلوبه هو السائد فى عصره، و أصبح تأثيره عظيما فى الحياه الفنيه فى أصفهان، و أخذ يدرس عليه تلاميذ كثيرون و يريدون نسبت إليه و إليهم هذه المدرسه التى استمرت فى إنتاجها حتى القرن الثامن عشر الميلادى، و استطاعت أن تشر هذا الفن بين طبقات الشعب مما جعلهم يدركون معانيه، و يفهمون أصوله، و يتذوقون قيمه الجماليه.

و من أشهر تلاميذه "معين"، فقد برز إنتاجه على أقرانه، و كان معجبا باستاذه، و رقم له صورتين خلدت محياه: إحداهما فى مجموعه Quaritch بلندن و الأخرى فى مجموعه Parish-Watson بباريس.

و بعد هذه المدرسه تدهور التصوير الايرانى الإسلامى، و بعد عن خواصه و تقاليده الأصلية لاقتفائه أثر التصوير فى أوروبا كل الاقتفاء.

على أكبر دهخدا

(١) ولد فى طهران حوالى سنه ١٢٩٧ (١٨٧٧ م). كان والده خان بابا خان من طبقه الملاكين المتوسطين فى قزوین قد أتى قبل ولادته من قزوین إلى طهران و اتخذها موطنًا لاقامته. فلما بلغ على أكبر دهخدا العاشره من عمره توفى والده، و تابع دهخدا دراسته تحت إشراف والدته و توجيهها.

و قد عهد إلى أحد علماء عصره و هو الشيخ غلام حسين بروجردى أن يقوم بتعليم دهخدا و تربيته، فقد كان له كتاب فى

مدرسه حاج شيخ هادى (بشارع حاج شيخ هادى اليوم فى طهران)، و كان متفرغا لتعليم اللغة العربيه و العلوم الدينيه. فلما افتتحت المدرسه السياسيه فى طهران بعد ذلك، دخلها دهخدا طالبا و تابع دراسته فيها. و كان أستاذ الأدب الفارسى فى تلك المدرسه محمد حسين فروغى يعهد أحيانا إلى دهخدا بان يعطى درس الأدب فى الصف. و إذ كان دهخدا قريبا من منزل الشيخ هادى نجم آبادى، فقد أفاد من جواره، فكان على صغر سنه يحضر مجالسه باستمرار إلى جانب الشيوخ و الكهول، و فى هذه الفتره شغل دهخدا بتعلم اللغة الفرنسيه. فلما عين معاون الدوله غفارى [فروغى] بعد ذلك وزيرا لايران فى البلقان أخذ دهخدا معه، ففضى دهخدا بسبب ذلك سنتين فى أوروبا و بخاصه فى قيينا عاصمه النمسا، و هناك أكمل الفرنسيه و معارفه الحديثه.

كانت عوده دهخدا لايران بعيد إعلان الدستور، فاصدر بالتعاون مع قاسم خان جريده باسم "صور إسرافيل". و قد كان أطف ما فى تلك الجريده الزاويه الفكاهيه التى يكتبها دهخدا بعنوان (چرند پرند) - اى ثرثره - و يوقعها بامضاء (دخو)، فقد كان الأسلوب جديدا فتح بابا لمدرسه جديده فى الفن الصحافى و فى النشر الفارسى المعاصر، و كان يضمن تلك المقالات موضوعات انتقاديه و سياسيه بأسلوب فكاهاى. فلما ألغى الشاه محمد على الدستور و عطل المجلس النيابى نفى دهخدا مع مجموعه من أنصار الدستور إلى أوروبا.

كان دهخدا رفيقا فى باريس للسيد محمد قزوينى، ثم انتقل إلى ايفردون Iverdon فى سويسرا حيث اصدر ثلاثه أعداد أيضا من جريده صور إسرافيل، و انتقل بعد ذلك إلى استامبول فأنشأ بمساعدة عدد من الايرانيين الذين كانوا فى تركيا جريده باسم (سروش) (ملك الوحى) باللغة الفارسيه، و صدر منها حوالى خمسه عشر عددا. و بعد خلع محمد على شاه انتخب دهخدا لتمثيل طهران فى المجلس النيابى (٢) و دعى من تركيا إلى طهران.

و قد انزوى دهخدا خلال الحرب العالميه الأولى فى قرى (چهار محل) البختياريه قرب أصفهان، ثم عاد بعد الحرب إلى طهران، و انصرف إلى الدراسات العلميه و الأعمال الأدبيه و الثقافيه، و تولى مده رئاسه ديوان وزاره المعارف، و رئاسه تفتيش وزاره العدل، و رئاسه مدرسه العلوم السياسيه، ثم عهد إليه برئاسه مدرسه الحقوق العليا و العلوم السياسيه بطهران، و تفرغ من ذلك العهد حتى ختام حياته للمطالعه و التحقيقات و تصنيف كتبه.

توفى فى ٢٧ شباط - ١٩٥٥ فى منزله، و نقل جثمانه إلى الرى (صاحيه طهران الجنوبيه) و دفن فى مدافن (ابن بابويه).

ص: ١١٣

١- ملخصه عن بحث للدكتور محمد معين.

٢- بدأت الثوره فى ايران من أجل الدستور سنه ١٩٠٦ و دامت عدده أشهر حتى أجبر مظفر الدين شاه القاجارى شاه ايران فى ذلك الوقت على إعلان الدستور. و لكن مظفر الدين شاه توفى بعد فتره قليله و خلفه ولده محمد على شاه الذى ألغى مرسوم الدستور، الا أن النواب و الأحزاب قاوموا تعسفه، فضرب المجلس النيابى بالقنابل و اعتقل أنصار الدستور فسجنهم و فر بعضهم. اما الشعب فلم يرضخ لهذا الأمر و تألفت قوى ثوريه زحفت من تبريز و رشت و شيراز و أصفهان و مختلف أنحاء ايران على طهران فاحتلتها بعد عدده معارك مع قوى الشاه، و فر محمد على شاه إلى روسيا، و كان أول ما حدث بعد انتصار الأحرار أن أعيد المجلس النيابى، ثم خلع المجلس محمد على شاه و ولى مكانه ابنه أحمد شاه.

أهم مؤلفاته كتاب (لغت نامه) الذى ستحدث عنه فى آخر الكلام. و له غيره مؤلفات و تحقيقات فى مواضيع أدبيه مختلفه نذكر منها ما يلى:

كتاب (أمثال و حكم) و قد ضمنه أمثالا و مصطلحات و كنايات و اخبارا و أحاديث و سواها. فى أربعة اجزاء.

و قد ترجم إلى الفارسيه من آثار مونتسكيو (عظمه و انحطاط الرومان) De La grandeur et de la decadence des Romains و (روح القوانين) Des lois L'esprit و الكتابان لم يطبعوا.

و له قاموس فرنسى فارسى يضم الكلمات العلميه و الأدبيه و التاريخيه و الجغرافيه و الطبيه الفرنسيه مع ما يعادلها فى الفارسيه و العربيه. و قد شغل بتأليف هذا القاموس من مطلع شبابه إلى أواخر عمره، و هو لم يطبع.

و له تعليقات و تصحيحات لعدد من الدواوين الشعرية القديمه و القواميس اللغويه و الكتب الأدبيه الفارسيه بعضها مطبوع و بعضها لا- يزال مخطوطا. من هذه الكتب و الدواوين الفارسيه ديوان ناصر خسرو، و ديوان حسن غزنوى، و ديوان حافظ الشيرازى، و ديوان المنوجهرى، و ديوان الفرخى، و ديوان مسعود سعد، و ديوان السوزنى السمرقندى، و ديوان ابن يمين، ثم لغه الفرسلاسى، و قاموس صحاح الفرس، و قصه (يوسف و زليخا) المنسوبه إلى الفردوسى.

و له مجموعه مخطوطه تضم حكما و كلمات قصارا على طراز حكم (لاروشفوكو) كما أن مجله (شورى) الطهرانيه نشرت مجموعه مقالاته فى صور إسرافيل و سروش.

و له ديوان شعرى لا يزال مخطوطا.

لغت نامه

استطاعت اللغة الفارسيه الدريره (المتداوله اليوم) فى فتره تقرب من عشره قرون و بفضل شعراء كبار كالرودكى و الفردوسى و العنصرى و الفرخى و المنوجهرى و النظامى و السنائى و العطار و المولوى و سعدى و حافظ و كتاب بارزين كالبلمعى و البيهقى و الكرديزى و الوطواط و سعدى و الفراهانى و سواهم ان تصل إلى مرتبه أصبحت تستطيع معها أن تعبر عن أدق المعانى و أرق الأحاسيس و أعمق الأفكار. و قد توسعت اللغة الفارسيه الدريره مع الزمن و دخلها كثير من الكلمات و التراكيب اللغويه من اللغات الإيرانيه الفرعيه كالسغديه و الختنيه و الخوارزميه، و من اللهجات المحليه الإيرانيه كالكزبيه و الزاوليه و الأفغانيه و الكرديه و اللريه و الفارسيه و غيرها، كما دخلها كلمات من العربيه و التركيه و الفرنسيه و الإنكليزيه و الروسيه و الألمانية، و كلما أتى عليها حين من الدهر زادت ثروتها التعبيره حتى غدت اليوم و بعد أحد عشر قرنا من التطور و التقلب على ما هى عليه من الطاقه و الدقه. و كانت هذه اللغة العريقه المعبره جديره بمعجم يصورها بمجموعها و بمختلف شعبها، إذ أن المعاجم التى ظهرت حتى الآن فى ايران و الهند و تركيا لا- تفى قط بحاجه الأدباء و طلبه العلم، ذلك لأن بعضها يضم الكلمات الفارسيه وحدها دون الكلمات العربيه (المستعمله فى الفارسيه) مثل معجم "لغه الفرس" للأسدى و "صحاح الفرس" و "برهان قاطع"، و

بعض يضم الكلمات العربيه و الفارسيه مثل "غياث اللغات" و "قاموس آندراج"، و لكنها جميعا لم تضبط الكلمات المستعمله سواء الفارسيه منها أو العربيه، و إذا ما ضبط بعضها قسما من الكلمات فان الطريقه التي استعملتها تلك المعاجم لا- تدفع الالتباس، كما أنها تكتفى من المعانى المتعدده للكلمه الواحده بمعنيين أو ثلاثه، مهمله باقى المعانى، عدا أن فى المعانى المورده اخطاء جسيمه و غير قليله فى كثير من الأحيان و بعض تلك المعاجم يهمل إطلاقا إيراد الشواهد على المعانى و الكلمات، و حتى المعاجم التي تورد شواهد منها (كمعاجم جهانگیری، رشیدی، انجمن آراء، سرورى) انما تنقل شواهد على قسم من معانى بعض الكلمات، و معظم هذه الشواهد من الشعر لا من النثر، كما أن فى تطبيق المعنى على الكلمه و فى مفهوم الاشعار اخطاء بارزه فى كثير من الأحيان.

يبدو بعد هذه المقدمه مدى وجوب تأليف قاموس فارسى جامع، هذا العمل الذى تم على يد المترجم.

ان (لغت نامه) انما هو خلاصه مطالعات مستمره و جهود جباره مدى خمس و أربعين سنه من دهخدا و عدد من اصدقائه، لقد كتب خلال هذه المده قريبا من ثلاثه ملايين بطاقه (فیش) من متون الكتب المعتمده من أساتذته النظم و النثر فى الفارسيه و العربيه و القواميس المطبوعه و الخطيه و كتب التاريخ و الجغرافيه و علوم الطب و الهيئه و النجوم و الرياضه و الحكمه و الكلام و الفقه و سواها، و قد كانت هذه البطاقات نواه (لغت نامه).

أطلق على معجم دهخدا فى مشروع القانون الذى تقدم به عدد من النواب فى ماده وحيده سنه ۱۹۴۵ اسم (دائره المعارف الفارسيه) و (دائره معارف السيد على أكبر دهخدا)، و فى القانون الذى صدر فى ماده وحيده سمي (معجم السيد دهخدا اللغوى)، و كذا سمي فى الميزانيه (معارف السيد دهخدا). أما دهخدا نفسه فقد تحاشى اطلاق اسم ضخيم كدائره معارف أو انسيكلوبيدى و اكتفى بتسميه الكتاب بكتاب اللغه (لغت نامه) مستمدا الاسم من معجم الأسدى، أول قاموس موجود بالفارسيه إذ جاء فيه:

" و قد طلب ولدى الحكيم الجليل الأوحى أردشير بن ديلمسپار النجمى الشاعر ادام الله عزه منى أنا أبا منصور على بن أحمد الأسدى الطوسى كتاب لغه يضم...".

فاخذ دهخدا هذه التسميه البسيطه و أطلقها على كتابه الكبير فاسماه (لغت نامه دهخدا)، أى (كتاب لغه) دهخدا.

و شغل إلى جانب تدوين لغت نامه بتصحيح المتون و الكتب و الأشعار التي كان يرجع إليها فى تحضير عمله، و كان يكتشف كذلك اخطاء فى الكتب التي صححها علماء غربيون مدققون.

و المحققين إلى السبيل الصحيح للاستفاده من منتجات الماضين، و لتوضيح المصنفات التي يكثر فيها الغموض و التعقيد بسبب الخطأ في النسخ الناتج عن فقدان القواميس اللغويه الجامعه، ثم ان آلاف الكلمات التي كانت لا تزال مغلوطة و متفرقه في العديد من الكتب المختلفه حتى اليوم أصبحت مصححه و مجموعته في مرجع واحد.

و هناك من ناحيه ثانيه كميات ضخمة من الكلمات التركيه و المغوليّه و الهنديه و الفرنسيه و الإنكليزيه و الألمانيه و الروسيه المتداوله في اللغه الفارسيه و التي لم تذكر في أي من المعاجم اللغويه، و لكنها مدونه في هذا السفر الضخم و موضوعه أمام المراجعين.

ان لمعجم لغت نامه ميزه هامه اخرى هي أنه يردف أكثر الكلمات بشواهد و أمثال شعريه أو نثريه ماخوذه من الكتب المعتمده. هذه الشواهد عدا أنها تكون مستندا للكلمه المدروسه فإنها تشرح المعنى الصحيح للكلمه في عبارات مختلفه و كيفيه استعمالها في عده صور بين مجازيه و حقيقيه. و قد روعي في مواضع الشك ان يرجع إلى أصح النسخ و أقدمها و مقابلتها مع سواها لتؤخذ أصح العبارات أو الأبيات الشعريه، و قد ساعد هذا العمل على تصحيح متون الماضين أو ضبطها.

و من فوائد معجم (لغت نامه) كذلك أنه يوجد مجموعته قواعد كامله للصرف و النحو في اللغه الفارسيه، إذ من نواقص اللغه الفارسيه المتداوله اليوم أن قواعد الصرف و النحو فيها ليست ماخوذه من خصائص اللغه نفسها أو مقتبسه من خلال كتابات القدامى، بل هي في معظمها ترجمه أو تقليد لأساليب اللغات الأورويه أو قواعد الصرف و النحو العربيه. و لئن كانت كتبت قواعد قليله مستمده من خصائص اللغه الفارسيه نفسها، فإنما هي إلباس ثوب جديد لمقدمات المعاجم القديمه أو التي وردت في علوم العروض و القوافي نظير (المعجم في معايير أشعار العجم) أو هي مقتبسه من مؤلفات بعض أفاضل الهند، هذا و لا نكران أن الدراسات التي نشرها عدد من العلماء المعاصرين في هذا السبيل قيمه كلها مفيده، و لكن مصنفات فضلاء الهند لا يعتمد عليها و لا- يطمان إلى كفايتها، كما هو الحال في (نهج الأدب). و الخلاصه أننا لا نملك في الوقت الحاضر كتابا يجمع الشروط المتقدمه في الصرف و النحو الفارسيين، فحسنه معجم (لغت نامه) أنه أوجد قواعد مفصله للصرف و النحو في اللغه الفارسيه من خلال تفسيره للحروف المفرده.

و مما لا تنكر الحاجه إليه جمع الكلمات المتداوله اليوم في اللغه الفارسيه في مصطلحاتها الحديثه مع ضبطها و ذكر معانيها من حقيقي و مجازي. فالقواميس الفارسيه التي كتبت حتى اليوم اهتمت بجمع الكلمات القديمه أو الحوشيه غير المألوفه التي وردت في كتابات الماضين و أشعارهم، و لما كانت هذه القواميس لا تلحظ خاصه اللغه الفارسيه بتقبل الكلمات الغريبه فإنها تكتفي بذكر جذور الكلمات و مصادرها و تهمل عشرات الكلمات التي تشتق من كلمه واحده بزياده الحروف السوابق Les prefixes أو اللواحق Les suffixes، و لا تقدر ان كثيرا من الكلمات العربيه أو الأجنبيه الأخرى اتحدت مع أداه أو كلمه فارسيه فاتخذت معنى جديدا و صارت تعد كلمه فارسيه، من قبيل ذلك:

نصيحترگر، ملامتگر، نصيحت پذير، نصيحتگو، حق رو، حق گو، حق شناس، ناحق، حرف زدن، مطالعه کردن، غم خوردن، طلبیدن، غارتیدن و أمثالها من الكلمات المركبه التي لم يهملها قاموس لغت نامه بل أوردها مع شواهد.

و كذا ذكر الكثير من الكلمات المحليه في مختلف نواحي ايران - في حدود الإمكان - مع شرحها.

و لمعجم دهخدا خاصه اخرى هي انه قد أولى اعلام الرجال و الأماكن عنايه و تحقيقات و دقه فأوجد، بذلك لكل قسم من البطاقات (الفيش) دراسات و مراجع قيمه. و هنا يجب أن نذكر أن دهخدا قد أولى عظماء بلده عنايه خاصه و عمل على تبيان الآثار الإيرانيه القديمه و إظهار خصائصها البارزه. و مما يلاحظ أنه فصل تراجم كثير من الشخصيات كما فعل في ترجمه أبي الريحان البيروني و أبي علي ابن سينا و أردشير و اردوان و سواهم.

سيف الدوله الحمداني على بن حمدان

يضاف إلى ترجمته المنشوره في الصفحه ٢٦٩ من المجلد الثامن ما يلي:

حرص الاخشيديون أثناء ولايتهم على مصر على توطيد نفوذهم بولاية الشام التي تقلدوا حكمها، فلما علم محمد بن طغج الإخشيد أن الخليفه العباسي الراضي قلد محمد بن رائق الخزري هذه الولاية، كتب إلى نائبه ببغداد يطلب إليه أن يخبر الخليفه بمطامع ابن رائق في الشام و يستطلع رأيه في هذا الأمر. غير ان الخليفه العباسي لم يكن إذ ذاك لديه من النفوذ بحيث يستطيع أن يتخذ قرارا يلزم أحد الفريقين باتباعه، لذلك استقر رأى الإخشيد على إعداد العده لمحاربه محمد بن رائق، فخرج على رأس جيشه في أوائل سنه ٣٢٨هـ، و دارت بينه و بين ابن رائق معركة في العريش، فمضى ابن رائق منهزما إلى الرمله، ثم عقد الصلح بين الفريقين على أن يحكم ابن رائق الولايات الشاميه شمالي الرمله و على أن يدفع الإخشيد إليه جزيه سنويه قدرها مائه و أربعون ألف دينار. و من المحتمل أن الإخشيد اضطر إلى قبول الصلح على هذه الصوره رغم ما أحرزه من نصر خشيه أن تواصل الخلافه العباسيه الحملات عليه و رغبه في إعداد نفسه لدرء الخطر الفاطمي الذي كان يهدده من ناحيه حدود مصر الغربيه.

استطاع الإخشيد أن يعيد بلاد الشام إلى حوزته من غير حرب بعد وفاه ابن رائق، و بذلك استقر حكمه في هذه البلاد و أصبح من القوه بحيث استطاع أن يحصل على تقليد في بدايه سنه ٣٣٣هـ من الخليفه المتقي بولاية مصر و حق توريث إمارتها لأبنائه من بعده، كما أخذ تقليدا من الخليفه المستكفي في جمادى الآخره من هذه السنه، أقره فيه على ولاية مصر و الشام.

لم يحتفظ الإخشيد فتره طويله بسلطانه على جميع بلاد الشام و يرجع السبب في ذلك إلى تطلع الحمدانيين (١) إلى انتزاع هذه البلاد من أيدي الاخشيديين،

ص: ١١٥

١- ينسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون من قبيله تغلب و موطنها ديار ربيعه في الجزيره بالقرب من سنجار و نصيبين، و كان لحمدان سته أولادهم: إبراهيم و الحسين و نصر أبو السرايا و أبو الهيجاء عبد الله، و أبو العلاء سعيد، و داود، و قد ظهر نفوذ الحمدانيين في الموصل منذ أن تقلد ولايتها عبد الله بن حمدان من قبل الخليفه المكتفي سنه ٢٩٣هـ، (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٧٥). و لما ولي المقتدر الخلافه أقره واليا عليها، فظل يلي أمورها حتى سنه ٣١٧هـ حيث اشترك في المؤامره التي دبرت لخلع المقتدر، فكان مصيره القتل (أبو المحاسن: النجوم الزاهره، ح [ج] ٣ ص ٢٢٣). على أن الخليفه المقتدر رغم ذلك حرص على الاستعانه بالحمدانيين و على الأخص في إقليم الجزيره لاعتقاده أنهم يستطيعون إخمد حركات القبائل

المتنافرة بهذا الإقليم، فاسند إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان ولاية الموصل. وقد استطاع هذا الأمير أن يحتفظ بنفوذه في الموصل منذ سنة ٣١٧هـ، كما تمكن من بسط سلطانه على جميع أرجاء ديار بكر و ديار ربيعه (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨ ص ٦٧، ٦٨). و لما استولى البريديون على بغداد و نهبوا دار الخلافة اضطر الخليفة المتقى إلى الهرب منها و سار مع فريق من جيشه إلى الموصل، فقضى بها ما يقرب من أربعة أشهر، ثم عاد إلى بغداد في شوال سنة ٣٣٠هـ، و علا منذ ذلك الوقت شان بني حمدان، فخلع المتقى على الحسن بن عبد الله و لقبه ناصر الدولة كما خلع على أخيه علي بن عبد الله و لقبه سيف الدولة (مسكويه: تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢٨).

فلما أسندت ولايه حلب إلى أبي الفتح عثمان بن سعيد الكلابي فقد عليه أهل بيته من الكلابيين وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا إليه حلب. و كان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة أن يوليه إحدى الولايات، فقال له ناصر الدولة: الشام أمامك و ما فيه أحد يمنعك منه. فلما وقف سيف الدولة على الخلاف القائم بين الكلابيين و أيقن من عجز أبي الفتح والى حلب عن مقاومته، سار فى جيشه الصغير قاصدا حلب، فقابله إخوه أبى الفتح الكلابى عند نهر الفرات و أعلنوا ولاءهم له، كما أن أبى الفتح نفسه ما لبث أن لقي سيف الدولة و دخل فى طاعته، و بذلك تيسر لسيف الدولة الاستيلاء على حلب و أصبح أميراً عليها منذ سنة ٣٣٣ هـ، و بدأ عمله باقامه الخطبه للخليفه العباسى المكتفى و لأخيه ناصر الدولة و لنفسه.

لما وصل إلى محمد بن طغج الإخشيد نبا دخول سيف الدولة حلب و إقامته الخطبه للخليفه العباسى، كتب إلى الخليفه بذلك، فأرسل إليه و إلى ابنه أونوجور خلعا دليلا على تأييده له. على أن سيف الدولة ما لبث أن كشف عن نواياه بعد أن استقرت له الأمور فى حلب، فسار إلى حمص يريد دمشق. و لما بلغ الإخشيد أن سيف الدولة عزم على بسط سلطانه على دمشق، أرسل إلى الشام جيشا التقى بسيف الدولة عند بلده الرستن، فكان النصر حليف الحمدانيين، و تقهقر الجيش الاخشيدى إلى دمشق، ثم خرج منها قاصدا الرمله فى طريق عودته إلى مصر، و سار سيف الدولة فى أثر الجند المصريين يريد دمشق، و كتب إلى أهلها كتابا، قرئ على منبر المسجد الأموى. و قد تضمن هذا الكتاب حرصه على صيانه أرواحهم و المحافظه على أموالهم.

استقر رأى محمد بن طغج الإخشيد بعد أن وصلته نسخه من كتاب سيف الدولة على ان يسير بنفسه لمحاربته، فاستخلف على مصر ابنه أونوجور و سار على رأس جيش كبير إلى دمشق، و التقى الفريقان فى قنسرين. و كان النصر فى البدايه حليف سيف الدولة، غير أن هذا النصر ما لبث أن انقلب إلى هزيمه، فدخل الإخشيد حلب حاضره الحمدانيين و استرد دمشق.

و على الرغم من انتصار الإخشيد، فإنه رأى أن يصلح الحمدانيين، و تم الصلح بين الأميرين فى ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ، على أن يكون لسيف الدوله حلب و ما يليها من بلاد الشام شمالا، و أن يكون للاخشيد دمشق و أعمالها، كما تضمن الصلح أن يدفع الإخشيد لسيف الدولة جزيه سنويه.

و من المرجح أن الإخشيد سعى إلى عقد الصلح مع سيف الدولة لانه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسما و أن الحرب بينهما ستظل قائمه إلى أن يتم النصر لسيف الدوله، كما أنه كان على يقين من أن النزاع بينه و بين الحمدانيين على الشام سينتهى بانتصارهم عليه لأن هذا الإقليم يعد المجال الحيوى لاتساع سلطانهم، و فضلا عن ذلك فان الإخشيد كان يرمى من إبرام الصلح مع سيف الدوله على هذه الصوره أن يبقى الدوله الحمدانيه حصنا منيعا بينه و بين البيزنطيين يكفيه مئونه التعرض لهجومهم من وقت لآخر.

لما خلت دمشق من حاميه قويه ترد غاره الحمدانيين على أثر وفاه محمد بن طغج الإخشيد و عوده جنده من الشام إلى مصر، انتهز هذه الفرصه سيف الدوله الحمدانى و اتجه إليها بجيشه، فسقطت فى يده بعد أن استسلم إليه حاكمها الاخشيدى، و لم يكتف بذلك، بل عمد إلى مطالبه أهلها بودائع الإخشيد، فكاتبوا كافورا يستدعونه من مصر، فجاءهم بصحبه سيده أونوجور، ثم دار القتال بين الفريقين، فكان النصر حليف المصريين و تقهقر سيف الدوله إلى دمشق فحمص حيث أعاد تنظيم صفوفه، و جمع جيشا كبيرا من الأعراب هاجم به الجنود المصريه شمالى دمشق، فلحقت به الهزيمه و طارده الاخشيديون إلى حلب، فهرب إلى الرقه، ثم بدأت المفاوضات بين الحمدانيين و الاخشيديين، و انتهت إلى عقد معاهده الصلح بنفس الشروط التى كانت بين

الآخشيدين و سيف الدوله ما عدا الجزيه، فان الآخشيدين لم يقبلوا دفعها و كان من نتائج هذا الصلح أن ساد الصفاء بين الحمدانيين و الآخشيدين (انتهى).

و ننشر هنا كلمه للكاتب إبراهيم ونوس علق بها على كلمه لكاتب زعم أن جيش سيف الدوله كان خليطا من عده شعوب فكان مما قاله صاحب المقال المعترض عليه:

- "أما الصوره الثالثه التي وددت أن أشير إليها من صور المحاربين فى تاريخنا فهى صوره جيش الأمير سيف الدوله الحمدانى الذى كان يقف رغم صغر امارته على الحدود بين الدوله الإسلاميه و الدوله البيزنطيه وقفه شجاعه، و ان كانت تتكى على جيش يغير فى تركيبه جيش القبائل فى الجاهليه، و جيش المسلمين فى الفتوح.. فقد كان خليطا من أقوام متعدده الجنسيات، فى عصر اقطاعى غرق فى أسواق الرقيق الذى أفاد منها سيف الدوله، فأنشأ ذلك الجيش الذى يصفه الشاعر المتنبى بقوله:

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

خميس بشرق الأرض و الغرب زحفه و فى أذن الجوزاء منه زمام

تجمع فيه كل لسن و أمه فما يفهم الحداث الا التراجم

فرد عليه إبراهيم ونوس بهذه الكلمه و فيها وصف لإحدى معارك سيف الدوله:

و الحقيقه التاريخيه تخالف هذا القول تماما، فجيش سيف الدوله كان بغالبيته من أبناء أفخاذ بكر بن وائل، عشيرته تغلب، و شيبان و غيرهما، و أبناء القبائل العربيه الأخرى التي كانت تسكن بوادى و مدن شمال بلاد الشام، كبنى كلاب، و قشير، و نمير، و بلعجلان و تنوخ و غيرهم.. و هذه القبائل كانت تسكن المناطق التي تمتد من الموصل، و ديار بكر شرقا، إلى أنطاكيه و اللاذقيه غربا، و "من حدود بلاد الشام مع الدوله البيزنطيه شمالا، حتى بوادى "سلميه" و "تدمر" و "حسباء" جنوبا.. و إذا وجد فى جيشه بعض الغلمان و القاده من غير العرب، فهم قلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين، ذكر لنا التاريخ أسماء بعض منهم "يماك" و "قرغويه" و "نجا" ..

جيش الأمير سيف الدولة.. بل وصف بها جيش الروم الكبير الذى هزمه سيف الدولة شر هزيمة فى معركة "الحدث الكبرى" عام ٣٤٣هـ..

و الحدث قلعه قديمه على حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطيه، خربها و أحرقتها القائد البيزنطى "الدمستق فردس ففاس" سنه ٢٣٧هـ. فقرر الأمير سيف الدولة فى ١٧ جمادى الثانيه من عام ٣٤٣هـ، احتلالها و اعاده ترميم حصونها و جدرانها، كى يجعل منها قاعده عسكريه متقدمه لقواته، و يحرم العدو البيزنطى من الاستفاده منها فى عملياته الحربيه، و فيما كان سيف الدولة منهمكا مع قادته و جيشه و عماله فى بناء حصون القلعه تقدم القائد البيزنطى نحو القلعه بجيش عرمرم من اليونان و البلغار و الخزر و الصقالبه و الروس و الأرمن، زاد عن خمسين ألفا بين فارس و راجل...

و عند ما وصل الجيش البيزنطى إلى أرض المعركه، أعطى القائد أوامره بمحاصره قلعه الحدث.. فتم له هذا.

تم حصار الروم لجيش سيف الدولة فى أصيل أحد أيام أواخر جمادى الثانيه من عام ٣٤٣هـ، و كان الأمير سيف الدولة قد علم مسبقا ما ذا سوف يفعل القائد الرومى، و قد هيا نفسه له، فقرر أن يخوض معركته المريعه فى صباح اليوم التالى.. فأمر وحدات الصدمه الرئيسييه فى جيشه أن تتهاى خلال الليل، و عددها حوالى خمسه عشر ألفا بين فارس و راجل، بقياده ابن عمه الأمير أبى فراس الحمدانى و محمد و هبه الله ابنى أخى سيف الدولة، و ناصر الدولة أمير مدينه الموصل فى تلك المرحله من التاريخ،" و نجما" غلام سيف الدولة، و أبقى الأمير سيف الدولة خمسه آلاف من خياله البدو الخفيفه بامرته لحسم المعركه فى الوقت المناسب..

مع بزوغ أول ضوء فى سلخ جمادى الثانيه، تقدم أبو فراس بقوام جيشه و هاجم جيش الروم بعنف و ضراوه، و من مكان لم يكن يتوقعه القائد البيزنطى، و هو اتجاه حصن من حصون القلعه يسمى "الأحيدب" .. دارت معركه رهيبه جدا لم يذكر التاريخ لها مثيلا فى تلك الحقبه.. أبدى الأمير سيف الدولة حنكه، و فنا قياديا عالى المستوى، و تخطيطا مدهشا، و شجاعه فائقه..

و بعد مرور بضع ساعات على بدء المعركه، و الروم يعتقدون أنهم الغالبون، و فى الوقت المناسب الذى خطط له الأمير سيف الدولة.. بدأ هجومه السريع بخيالاته الخفيفه من فرسان البدو المعروفين بخبراتهم القتاليه العاليه باتجاه قلب الجيش البيزنطى، و شق طريقه بهم بين صفوف الجيش المعادى، و معه أبو الطيب المتنبى، حتى وصل إلى مقر قياده الجيش البيزنطى فلم ير أمامه سوى الفرار و النجاه من سيف الدولة.. ففر بسرعه، و ترك جيشه طعما لسيوف جنود سيف الدولة.. و قبل غروب شمس ذلك اليوم، كان جيش حلب يسيطر سيطره كامله على الموقف، بعد إباده جيش الروم بكامله تقريبا، و قتل فى هذه المعركه ابن الدمستق و صهره، و ابن عمه، و زوج أخته.. و انتشرت جثث عشرات آلاف من القتلى من جيش الروم فوق أرض المعركه.. فهاج هذا المنظر المريع شاعريه أبى الطيب المتنبى، فنظم قصيدته التى يصف فيها المعركه ذات المطلع:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر الكرام المكارم

و أنشدها أمام الأمير سيف الدولة، و جنده المنتصرين، و العمال العرب بينون آخر شرفه فى قلعه الحدث..

و فى هذه القصيده يصف أبو الطيب الأمير سيف الدولة أثناء المعركه فيقول:

وقفت و ما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى و هو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمه و وجهك وضاح و ثغرك باسم

و يصف أبو الطيب جيش الروم، و ليس كما ذكر كاتب المقال جيش سيف الدوله.. فيقول:

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها، و العمائم

خميس بشرق الأرض و الغرب زحفه و فى أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن و أمه فما تفهم الحداث الا التراجم

قال أبو البقاء العكبرى فى شرحه للبيت الرابع من هذه الأبيات ما يلى:

- "المعنى: جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد، و البريق اللمعان، يفرق بين سيوفهم و بينهم، لأن على رءوسهم البيض و المفاخر، و ثيابهم الدروع، فهم كالسيوف، و قد فسره بقوله: "من مثلها" .. أى مثل السيوف، يريد من الحديد و أشار بهذا الوصف، أعنى كثره سلاح هذا الجيش إلى قوته، و بما ذكره عن هذه الهيئه إلى شدته، و سمعت بعضهم، و كان شيخا يقرأ عليه الديوان يقول: "أخطأ أبو الطيب، كيف ذكر العمائم، و العمائم للعرب.. و ليست للروم، فكيف جعلها للروم؟" فضحكت من قوله، و قلت له: "الضمير فى " مثلها " إلى أين يعود؟ أليس إلى البيض و هى السيوف؟ فلم يدر ما قلت".

و بدأ يتبين لنا أن أبا الطيب المتنبي فى الأبيات التى أوردها الكاتب فى مقاله، يصف فيها جيش الروم، و ليس جيش سيف الدوله، فجيش سيف الدوله كانت وحداته متجانسه تماما - كما قلت سابقا - و يجمع بين الصوره الأولى التى رسمها الكاتب للمحاربين العرب فى العصر الجاهلى، لأن جيش سيف الدوله بمعظمه كان من أفخاذ قبيله بكر بن وائل، و الصوره الثانیه للمحاربين المسلمين الأوائل، الذين كانوا يقاتلون لهدف سام، و تاديه رساله عظيمه خالده هى رساله الإسلام..

على بن عبد الله بن العباس

جد السفاح و المنصور توفى سنه ١١٤ و قيل ١١٩ و قيل ١١٨.

قال اليافعى: كان سيدا شريفا بليغا، و كان أصغر أولاد أبيه و أجمل قرشى على وجه الأرض و اوسمه و أكثره صلاه و كان يدعى السجاد لذلك.

و

روى أنه لما ولد أتى على بن أبى طالب ع إلى أبيه فهنأه و قال:

شكرت الواهب و بورك في الموهوب، ما سميته؟ قال: أ و يجوز لى أن أسميه حتى تسميه، فأمر به و أخرج إليه فحنكه و دعا له ثم رده إليه و قال خذ إليك أبا الأملاك، و قد سميته عليا و كنيته أبا الحسن، فلما كان زمن ولايه معاويه قال ليس لكم اسمه و كنيته و قد كنيته أبا محمد فجرى عليه، هكذا قال المبرد.

و قال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حليه الأولياء: لما قدم علي عبد الملك بن مروان قال له: غير اسمك و كنيته فلا صبر لى عليهما، فقال:

ص: ١١٧

أما الاسم فلا و أما الكنية فاكنى بأبى محمد، فغير كنيته. قيل و إنما قال عبد الملك هذه المقالة لبغضه فى على بن أبى طالب، إذ اسمه و كنيته كذلك.

و ذكر الطبرى فى تاريخه أنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه و أجلسه على سريره و ساله عن كنيته فأخبره، فقال لا يجمع فى عسكرى هذا الاسم و هذه الكنية لأحد، و ساله هل له من ولد فأخبره بولده محمد و كناه أبا محمد.

على أن الواقدى يقول: ولد أبو محمد يعنى على بن عبد الله المذكور فى الليلة التى قتل فيها على بن أبى طالب.

و قال المبرد: ضرب على المذكور بالسياط مرتين، كلتاهما ضربه الوليد بن عبد الملك، أحدهما فى تزوجه لبابه بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، و كانت عند عبد الملك فعرض تفاحه ثم رمى بها إليها و كان أبخر فدعت بسكين، فقال ما تصنعين بها؟ فقالت أमित عنها الأذى فطلقها و تزوجها على بن عبد الله المذكور فضربه الوليد و قال إنما يتزوج بأمهات الخلفاء ليضع منهم، إن مروان بن الحكم إنما تزوج بام خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه، فقال على بن عبد الله إنما أرادت الخروج من هذا البلد و أنا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها محرما.

و أما ضربه إياه فى المره الثانيه، فقد حدث محمد بن شجاع بإسناد متصل، قال: رأيت على بن عبد الله مضروبا بالسوط يدار به على بعير و وجهه مما يلي ذنب البعير و صائح يصيح: هذا على بن عبد الله الكذاب (إلى آخر ما قال...).

و كان عظيم المحل عند أهل الحجاز حتى روى أنه كان إذا قدم مكة حاجا أو معتمرا عطلت قريش مجالسها فى المسجد الحرام و هجرت مواضع حلقها و لزمت مجلسه إعظاما و إجلالا و تبيجلا، فان قعد قعدوا و إن نهض نهضوا و إن مشى مشوا جميعا حوله حتى يخرج من الحرم. و كان طويلا جسيما ذا لحيه طويله و قدم عظيم جدا لا يوجد له نعل و لا خف حتى يستعمله. مفرطا فى طوله، إذا طاف كأنما الناس حوله مشاه و هو راكب.

الشيخ على البحرانى بن لطف الله

توفى سنة ١٠٩٩ من أدياء البحرين، من شعره ما قاله متشوقا إلى وطنه و أخوانه:

يا نسيم الريح أن جئت المقاما فابلغن عنى احباى السلاما

بلغيهم قبل ما ان تحملى من هداها الروض شيحا و خزامى

سفر قد صار من أهواله فيه كل المستحبات حراما

طال حتى ملت الروح به الجسم و القلب به حل المقاما

و لقد صليت نحو الشرق و الغرب فى السير و لن أخشى الاثاما

و لعمرى جاز من تطويله لو به صمنا و صلينا تماما

فكانى صار قصد السدلى مثل ذى القرنين فى السبر مراما

غربه قد عرف القلب بها ربه من بعد ما عنه تعامى

وقال فى (أنوار البدرين): الظاهر أنه هو صاحب المسائل التى أجاب عنها الشيخ أحمد بن عصفور والذ الشيخ يوسف فى العطاره و التجاره. و الظاهر أنه من أهل حد [جد] حفص من البحرين و الله العالم.

الملا على النورى المازندرانى الأصفهانى منشا و مسكنا

توفى سنه ١٢٤٧.

ذكر اسمه و تاريخ وفاته فى الصفحه ٣٦٨ من المجلد الثامن و لم تذكر ترجمته فقد سقطت خلال الطباعه، و اختلطت ترجمته مع ترجمه الذى يليه (على بن هارون) الذى سقطت ترجمته هو الآخر، و بقى منها مقطوعتان شعريتان.

لذلك نذكر هنا ترجمه الأول، ثم نتبعها بترجمه الثانى.

أما ترجمه الأول فهى:

انتقل فى أوان الطلب من وطنه إلى أصفهان و انصرف فيها إلى درس الفلسفه، أخذ فنونها أخذاً عن فلاسفه عصره إلى أن صار إماما فى هذا الشأن و صارت الرحله إلى أصفهان بسببه. أخذ عنه جماعه من الفلاسفه منهم السبزوارى.

صنف حاشيه على شرح الارشادات [الإشارات] و لما مات نقل إلى النجف.

أما ترجمه الثانى فهى:

أبو الحسن على بن هارون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم فى معجم الشعراء للمرزبانى: من بيت الأدب و معدنه و معانى الشعر و موطنه و هو القائل:

السيد على ابن السيد إبراهيم آل شبانه.

قال فى (أنوار البدرين) عنه فيما قال نقلا عن ولده صاحب تتمه الأمل:

شاعر فى زمانه و رئيس هذه الصناعه فى وقته و أوانه أخذ عن الفضلاء و لازم الأدباء حتى صار لأهل هذه الصناعه سيدا و اماما و لكن حوادث الأهوال الواقعه على (أوال) قد فرقت ما نظم و أذهبت منه الجزء الأعظم و انى وقت اشتغاله بالعلوم و الآداب لم اخرج من الأصلاب فلما من الله على بالابراز من العدم إلى الوجود و ألهمنى شيئا من معرفه هذه الصناعه تتبعت أشعاره و استقيت لآثاره فلم اعثر بعد تتبع كثير إلا على شىء يسير فممنه قوله:

ضاق النطاق و أحكمت حلقاتها فالنفس لا تختار طول حياتها

بلغ الزباسيل الهموم و لا ارى من يزجر الأيام عن نكباتها
فلذاك خاطبت الزمان و اهله بشكايه الشعراء فى أبياتها
قد قلت للزمن المضر بأهله و مقلب الدولات عن حالاتها
ان كان عندك يا زمان بقيه مما تهين به الكرام فهاتها
و له من قصيده:

أن تقعد العيس بى من دون حيهم أو يعترهين من طول المسير حفا
فلا رعين الكلى غضا و لا وردت من الموارد إلا موردا خسفا
بلى إذا قعدت بى فى منازلهم و قمت اسحب أذيال الهنا شغفا
فلا ذوى لهم فرع و لا برحت تسقى السما طرفا إن أمحلت طرفا
و قوله و هو يومئذ بمدينه شيراز:

يا بارقا فى أفقه متعرضا إن جزت يوما بالمنامات
و منها:

ص: ١١٨

و عراسها الفيح التي قد طرزت أطرافها ببواسق النخلات
و على عشيات حسوت مكررا فيها كئوس الوصل فى الخلوات
من كل شهدى المذاق تديره من ريقها ورديه الوجنات
حوراء فاتره اللحاظ كأنما رضوان أبرزها من الجنات
عذراء ناحله الوشاح بطيئه الحركات آراميه اللفتات
أن حدثتك ارتكك عند حديثها دررا و لكن غير منتظمات
فإذا هى ابتسمت ارتكك بثغرها فى السلوك در الحب ملتزمات
هى روضه العشاق إلا انها تصمى القلوب بأسهم اللحظات

السيد على البهبهاني

ولد سنه ١٣٠٤ فى مدينه بهبهان و توفى فيها سنه ١٤٠٠ درس المقدمات فى ايران و فى سنه ١٣٢٢ سافر إلى النجف الأشرف
فحضر درس الآخوند الخراسانى و بعد وفاته حضر على شيخ الشريعة الأصفهاني و غيره. ثم عاد إلى ايران فأقام بضعه شهور فى
رامهرمز، ثم عاد إلى كربلاء فبقى فيها سنتين و منها انتقل إلى النجف ثم عاد إلى رامهرمز. و أخيرا قسم وقته بين أصفهان و
منطقه خوزستان فكان يقيم فى الصيف إلى انقضاء سته أشهر فى أصفهان و فى الشتاء إلى انقضاء سته أشهر متنقلا بين رامهرمز
و عبادان و الأهواز.

و فى أصفهان كان يلقي الدروس فى الفقه و الأصول فى مدرسه الصدر، و يقيم الجماعه ظهرا فى مسجد الامام و عشاء فى
مسجد السيد.

ترك من المؤلفات: مصباح الهدايه فى إثبات الامامه، شرح و حاشيه على العروه الوثقى، كشف الأستار فى الحديث، أساس علم
النحو، بحث الألفاظ، بحث الاشتقاق، القواعد الكليه، الفوائد الثمانى عشره و غير ذلك.

السيد على خان الشيرازى

مرت ترجمته فى المجلد الثامن الصفحه ١٥٢ و ذكر فيها أبيات من قصيدته الرائيه و أبيات من قصيدته السنيه، و قد وجدنا بعد
ذلك منهما ما يزيد عما هو منشور و هو مدح أمير المؤمنين ع من القصيده الرائيه و بقيه القصيده السنيه، كما وجدنا أبياتا غير
القصيدتين، و هو ما نأخذه فيما يلى:

هيهات يابى الغدر لى نسب أعزى به لعلى الطهر

خير الورى بعد الرسول و من حاز العلى بمجامع الفخر

صنو النبى و زوج بضعته و أمينه فى السر و الجهر

إن تنكر الأعداء رتبته شهدت بها الآيات فى الذكر

شكرت (حنين) له مساعيه فيها و فى (أحد) و فى (بدر)

سل عنه (خير) يوم نازلها تنبيك عن خبر و عن خبر

من هد منها بابها بيد و رمى بها فى مهمه قفر

و الطير إذ يدعو النبى له من جاءه يسعى بلا نذر

و فراش أحمد حين هم به جمع الطغاه و عصبه الكفر

من بات فيه يقيه محتسبا من غير ما خوف و لا ذعر

و الكعبه الغراء حين رمى من فوقها الأصنام بالكسر

من راح يرفعه ليصدعها خير الورى منه على الظهر

و الناكثين غداه أمهم من رد أمهم بلا نكر

و القاسطين و قد أضلهم غى ابن هند و خدنه عمرو

من فل جيشهم على مضض حتى نجوا بخدائع المكر

و المارقين من استباحهم قتلا فلم يفلت سوى عشر

و (غدير خم) و هو أعظمها من نال فيه ولايه الأمر

و اذكر مباهله النبى به و بزوجه و ابنه للنفر

و اقرأ (وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ) (1) فكفى بها فخرا مدى الدهر

هذى المفاجر و المكارم لا قعبان من لبن و لا خمر

و له أيضا فى مدح أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع:

أمير المؤمنين فدتك نفسى لنا من شانك العجب العجاب
تولاك الأولى سعدوا ففازوا و ناواك الذين شقوا فخابوا
خفيت عن العيون و أنت شمس سمت عن أن يجللها سحاب
و ليس على الصباح إذا تجلى و لم يبصره أعمى العين عاب
لسر ما دعاك أبا تراب محمد النبى المستطاب
فكان لكل من هو من تراب إليك و أنت علتة انتساب
و فيك و فى ولائك يوم حشر يعاقب من يعاقب أو يثاب
فوا عجا لمن ناواك قدما و من قوم لدعوتهم أجابوا
أزاعوا عن صراط الحق عمدا فضلوا عنك أم خفى الصواب
أم ارتابوا بما لا ريب فيه و هل فى الحق إذ صدع ارتياب
و هل لسواك بعد (غدير خم) نصيب فى الخلافه أو نصاب
أ لم يجعلك مولاهم فذلت على رغم هناك لك الرقاب
لئن جحدوك حقك عن شقاء فبالأشقين ما حل العقاب
فكم سفهت عليك حلوم قوم فكنت البدر تنبجه الكلاب
و قال لما زار النجف الأشرف فى طريقه إلى حج بيت الله الحرام:
يا صاح هذا المشهد الأقدس قرت به الأعين و الأنفس
و (النجف الأشرف) بانث لنا أعلامه و المعهد الأنفس
و القبه البيضاء قد أشرقت ينبج عن لألائها الحندس
حضره قدس لم ينل فضلها لا المسجد الأقصى و لا المقدس
حلت بمن حل بها رتبه يقصر عنها الفلك الأطلس

تود لو كانت حصى أرضها شهب الدجى و الكنس الخنس (٢)

و تحسد الأقدام منا على السعى إلى أعتابها الأروس

فقف بها و الثم ثرى تربها فهى المقام الأطهر الأقدس

و قل صلاه و سلام على من طاب منه الأصل و المغرس

خليفه الله العظيم الذى من ضوئه نور الهدى يقبس

نفس النبى المصطفى أحمد و صنوه و السيد الأراس

ص: ١١٩

١- سورة آل عمران، آيه (٦١).

٢- الكنس الخنس: هى النجوم كلها. و السيارات منها.

العلم العليم بحر الندى و بره و العالم النقرس (١)

فليلنا من نوره مقمر و يومنا من ضوءه مشمس

أقسم بالله و آياته إليه تنجى و لا تغمس

إن على بن أبى طالب منار دين الله لا يطمس

و من حباه الله أنباء ما فى كتبه فهو لها فهرس

هذا أمير المؤمنين الذى شرايع الله به تحرس

و حجه الله التى نورها كالصبح لا يخفى و لا يلبس

تالله لا يجحدها جاحد إلا امرؤ فى غيه مركس

و المقحم الخيل و طيس الوغى إذا تناهى البطل الأخرس

جلبابه يوم الفخار التقى لا الطيلسان الخز و البرنس

يرفل من تقواه فى حله يحسدها الديباج و السندس

يا خيره الله الذى خيره يشكره الناطق و الأخرس

عبدك قد أمك مستوحشا من ذنبه للعفو يستأنس

يطوى إليك البحر و البر لا يوحشه شىء و لا يؤنس

طورا على فلک به سابع و تاره تسرى به عرمس (٢)

فى كل هيماء يرى شوکها كأنه الريحان و النرجس

حتى أتى بابك مستبشرا و من أتى بابك لا ييأس

أدعوك يا مولى الورى موقنا أن دعائى عنك لا يجبس

فنجنى من خطب دهر غدا للجسم منى أبدا ينهس (٣)

هذا و لو لا أملى فيك لم يقر بى مثوى و لا مجلس

صلى عليك الله من سيد مولاة فى الدارين لا يوكس (٤)

ما غردت ورقاء فى روضه و ما زهت أغصانها الميس

على بن الحسن الملقب شميم الحلبي

مرت ترجمته فى المجلد الثامن الصفحه ١٨٢ و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال عنه ابن خلكان: كان أدبيا فاضلا خيرا بالنحو و اللغه و أشعار العرب، حسن الشعر، و كان اشتغاله ببغداد على أبى محمد بن الخشاب و من فى طبقته من أدباء ذلك الوقت، ثم سافر إلى ديار بكر و الشام، و مدح الأكابر و أخذ جوائزهم و استوطن الموصل و له عده تصانيف. كان جم الفضائل إلا أنه كان بذيء اللسان كثير الوقوع فى الناس و لا يثبت لاحد من الفضل شيئا. ذكره أبو البركات ابن المستوفى فى تاريخ اربل، و فتح ذكره بأشياء نسبها إليه من قله التدين و معارضه القرآن. اه.

نقول: من المؤسف اسراع هؤلاء إلى الوقيعه بالناس دون تحرج و لا تأثم!. و قال عنه ياقوت فى معجم الأدباء: هو من أهل الحله المزيديه قدم بغداد و بها تادب ثم توجه تلقاء الموصل و الشام و ديار بكر و أظنه، قرأ على أبى نزار ملك النجاه. و كنت وردت إلى آمد فى شهور سنه ٥٩٤ فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ فقصدته إلى مسجد الخضر و دخلت عليه فوجدته شيخا كبيرا فى حجره من المسجد و بين يديه (جامدان) مملوء كتبنا من تصانيفه فحسب، فسلمت عليه و جلست بين يديه، فاقبل على و قال من أين؟ قلت من بغداد، فهش بى و أقبل يسألنى عنها و أخبره. ثم قلت انما جئت لاقتبس من علوم المولى شيئا، فقال لى: و اى علم تحب؟ قلت أحب علوم الأدب، فقال ان تصانيفى فى الأدب كثيره، و ذلك ان الأوائل جمعوا أقوال غيرهم و أشعارهم و بوبوها و أنا كل ما عندى من نتائج افكارى و كنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب فى نوع من الأدب استعملت فكرى و انشأت من جنسه ما ادحض به المتقدم، فمن ذلك أن أبا تمام جمع أشعار العرب فى حماسه و انا عملت حماسه من أشعارى، ثم رأيت الناس مجمعين على تفضيل أبى نؤاس فى وصف الخمر فعملت كتاب الخمريات من شعرى، لو عاش أبو نؤاس لاستحى ان يذكر شعر نفسه لو سمعها و رأيت الناس مجمعين على خطب ابن نباته فصنفت كتاب الخطب. قلت له: انشدنى شيئا مما قلت فابتدأ و قرأ على خطبه كتاب الخمريات، ثم انشدنى من هذا الكتاب:

امزج بمسبوك اللجين ذهبا حكته دموع عيني

لما نعى ناعى الفراق بين من أهوى و بينى

كانت و لم يقدر لشيء قبلها إيجاب كوني

و أحالها التشبيه لما شبهت بدم الحسين

خففت لها شمسان من لألائها فى الخافقين

و بدت لنا فى كاسها من لونها فى حلتين

فأعجب هداك الله من كون اتفاق الضرتين

فى ليله بدأ السرور بها يطالبنا بدين

و مضى طليق الراح من قد كان مغلول اليدين

فى زينه الأحياء فى الدنيا و زينه كل زين

و سألته أن ينشدنى شيئاً آخر فقال لى قد صنفت كتاباً سميته: أنيس الجليس فى التجنيس فى مدح صلاح الدين فانا أنشدك منه، انشدنى لنفسه:

ليت من طول بالشام نواه و ثوى به

جعل العود إلى الزوراء من بعض ثوابه

أ ترى يوطئنى الدهر ثرى مسك ترابه

و ارى اى نور عيني موطناً لى و ترى به

و انشدنى غير ذلك مما ضاع منى أصله. ثم سألته عن تقدم من العلماء فلم يحسن الثناء على أحد منهم، فلما ذكرت له المعرى نهرنى و قال لى: ويلك كم تسيء الأدب بين يدى من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر فى مجلسى.

فقلت يا مولانا ما أراك ترضى عن أحد ممن تقدم، فقال كيف أرضى عنهم و ليس لهم ما يرضينى. قلت فما فيهم أحد قط جاء بما يرضيك؟ فقال: لا أعلمه الا أن يكون المتنبى فى مديحه خاصه، و ابن نباته فى خطبه، و ابن الحريرى فى مقاماته.

ثم قال ياقوت: حدثنى الآمدى الفقيه فابلغنى أنه لما قدم من بغداد إلى

ص: ١٢٠

١- النقرس: بكسر النون ثم القاف الساكنه بعدها الراء المكسوره ثم السين المهمله، هو الطيب الماهر المدقق.

٢- العرمس: بكسر العين المهمله، الناقه الصلبه الشديد.

٣- نهس: أخذ بمقدم أسنانه: نهست الحيه. نهشت. نهس الكلب: قبض بالفم.

٤- وكس: نقص. و وكس و أو كس: خسر.

الموصل انشال عليه الناس يزورونه، و أراد نقيب الموصل و هو ذو الجلاله المشهوره زيارته فقيل له أنه لا يعبا بأحد و لا يقوم لزائر ابداء، فجاءه رجل و عرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه و نسبه و علو منزلته من الملوك فلم يرد جوابا، و جاءه النقيب و دخل و جرى على عادته من ترك الاحتفال به و لم يقم عن مجلسه، فجلس النقيب ساعه ثم انصرف مغضبا، فعاتبه الرجل الذى أشار عليه بإكرامه فلم يرد عليه جوابا، فلما كان من الغد جاءه و فى يد الحلى كسره خبز يابسه و هو يعض من جانبها و يأكل، فلما دخل الرجل عليه قال له: يا رقيق من يقنع من الدنيا بهذه الكسره اليابسه لأى معنى يذل للناس مع غناه عنهم و احتياجهم إليه.

ثم ذكر ياقوت نماذج من نظمه و عدله من المصنفات ما ينيف على أربعين كتابا منها: الحماسه من نظمه. مناح المنى فى إيضاح الكنى. أنيس الجليس.

التعازى فى المرزى. أنواع الرقاع فى الأسجاع. الأمانى فى التهانى. المخترع فى شرح اللمع. المحتسب فى شرح الخطب. المهتصر فى شرح المختصر.

رسائل لزوم ما لا يلزم. كتاب خلق الآدمى. المنائح فى المدائح. الخطب الناصريه. شعر الصبا. مناقب الحكم فى مثالب الأمم. اللماسه فى شرح الحماسه. المناجاه.

قال ابن خلكان: توفى ليله الأربعاء الثامن و العشرين من شهر ربيع الآخر سنه ٦٠١ بالموصل و دفن بمقبره المعافى بن عمران. و قال ياقوت: مات بالموصل عن سن عاليه.

على بن على بن حمدون

أبو الحسن بن أبى القاسم الكاتب من أهل الحله السيفيه.

قال عنه صاحب كتاب (إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون) (١) تصرف فى الأعمال الديوانيه، و كان فاضلا أديبا مدح الأكابر و سافر إلى الشام، و كان غالبا فى التشيع مبالغا فى الرفض خبيث العقيده مجاهرا بتكفير الصحابه!!.

نقول: يكفى فى الرجل أن ينسب إلى التشيع لتنهال عليه التهم الباطله ثم أورد له قصيده منها:

أصف السيد الذى يعجز الواصف عن عد فضله فى السنين

خاصف النعل خائض الدم فى بدر و أحد و الفتح خوض السفين

و القضايا التى بها حصل التمييز بين المفروض و المسنون

سل براهه عمن تولت و فكر ان طلبت النجاه فكر ضنين

ان فى مرحب و خبير و الباب بلاغا لكل عقل رصين

و كفى فتح مكة لمن استيقظ أو نال رشده بعد حين

حين ولي النبي رايته سعد المفدى من قومه بالعيون

فرأى ان عزله بعلى هو أحمى لمجده من افون

توفى على عهد الخليفة الناصر.

على بن عبد القادر المراغى

قال الشيخ عبد القادر بدران فى كتابه (منادمه الأطلال) و هو يتحدث عن (خانقاه السمساطيه) فى دمشق و عن مشاهير صوفيها، و ذكر منهم المترجم، ما ياتى:

على بن عبد القادر المراغى ثم الدمشقى الصوفى المعتزلى. قال ابن حجبى:

كان فاضلا فى العلوم العقلية و يعرف العربيه و يقرئ (المنهاج) و [فى الأ-صول، و كان بارعا فى الطب و يدرى النجوم و ما يتعلق بها، و يقرئ (الكشاف)، و كان معتزليا و ينسب إلى التشيع و الرفض، و كان أولا صوفيا بالسمساطيه، فقام جماعه و شهدوا عليه بالاعتزال، و أخرجوه و رفعوه إلى الحاكم فعززه و استتابه، ثم قدره بخانقاه خاتون فنزل بها إلى أن مات. و حصل له استيحاء من الفقهاء، و ربما كان يقرأ عليه من يأنس به. أخذ عنه التقى ابن مفلح، و التقى ابن حجبى، توفى سنه ثمان و ثمانين و سبعمائه. (انتهى) و وصفه بالمعتزلى هو ما اعتادوه فى وصف كثير من أعلام الشيعه بالاعتزال، لاتفاق الشيعه مع المعتزله فى بعض الأمور، و إلا فأين الاعتزال من التشيع.

ملا على الهمذانى

ولد سنه ١٣١٣ فى قريه من قري همذان و توفى سنه ١٤٠١ فى همذان درس على علماء همذان ثم على علماء طهران، ثم انتقل إلى قم فتابع دراسته فيها على الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى. ثم استقر فى همذان حتى وفاته.

له من المؤلفات: الاجتهاد و التقليد، الإحباط و التكفير، حاشيه على العروه الوثقى، رساله فى حالات أبى بصير، رساله فى علم الكلام، قاعده لا ضرر و غيرها.

الميرزا على خاموش الميبدى

ولد سنه ١٢٨٧ فى ميبد (ايران) و توفى سنه ١٣٧٩ فى النجف الأشرف.

هاجر والده إلى كربلاء فكان معه طفلا فنشأ و درس فيها و بدأ ينظم الشعر الفارسى متخلصا (بخاموش) فلقب بذلك. و فى حدود سنه ١٣٠٩ انتقل إلى النجف الأشرف موظفا فى القنصليه الإيرانيه، فنظم الكثير من الشعر الفارسى فى أمير المؤمنين و أهل البيت ع بلغ فيه حدا ملحيميا.

له: ١ - ديوان شعر فارسي في ثلاثه مجلدات. ٢ - مدائح المعصومين.

٣ - الغزليات ٤ - الرباعيات. ٥ - تقليد و طهارت و هي نظم فارسي لمسائل التقليد و أحكام الطهاره من كتاب (مجمع المسائل) الفارسي. ٦ - خلافت نامه امام حسن. في ثمانية عشر ألف بيت. ٧ - خلافت نامه حيدري. في خمسه و أربعين ألف بيت ٨ - شهنشاہ نامه حسيني. في أكثر من ستين ألف بيت. ٩ - مختارنامه. ١٠ - المثنويات. ١١ - كتاب الرضاع ١٢ - كتاب زينب ع و غير ذلك و كلها باللغه الفارسيه بقيت بعده عند ولده.

الشيخ علي الخياباني ابن عبد العظيم

ولد في تبريز سنه ١٢٨٢ و توفي سنه ١٣٦٦ من مشاهير وعاظ ايران و خطباء المنبر الحسيني فيها. له: (منتخب المقاصد و منتخب الفوائد) في تسعه مجلدات على نسق الكشكول. و له: (وقائع الأيام) فيما يخص شهور رجب و شعبان و رمضان و محرم. و له. (تحفه الأحياء في شرح قصيده سيد الشعراء) و هي القصيده العينيه للسيد الحميري. و له: (علماء معاصرون) بالفارسيه

ص: ١٢١

١- توجد نسخه خطيه مصوره من هذا الكتاب في مكتبه الآثار العراقيه.

اشتمل على مائه وخمس وتسعين ترجمه.

عبد الله بن الحر الجعفي،

و بعضهم ذكره باسم عبيد الله مرت له أبيات في الصفحه ٥٠ من المجلد الثامن و نذكر هنا ما يلي:

لما وصل الحسين ع إلى قصر بني مقاتل [راى] فسطاطا مضروبا، فقال لمن هذا الفسطاط، فقبل لعبد الله بن الحر الجعفي، فأرسل إليه الحسين رجلا من عشيرته يقال له الحجاج بن مسروق، فاقبل فسلم عليه، فرد عليه السلام ثم قال: ما وراءك؟ فقال ورائي يا ابن الحر لك الخير، ان الله قد أهدى إليك كرامه ان قبلتها. فقال و ما تلك الكرامه؟ فقال: هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته فان أنت قاتلت بين يديه أجرت، و إن قتلت بين يديه استشهدت. فقال عبد الله: و الله يا حجاج ما خرجت من الكوفه إلا مخافه أن يدخلها الحسين و أنا فيها فلا انصرنه لأنه ليس له بالكوفه شيعه و لا أنصار إلا مالوا إلى الدنيا إلا من عصمه الله منهم فارجع إليه فأخبره بذلك. فجاء الحجاج و أخبر الحسين ع. فمشى الحسين حتى دخل على ابن الحر، فلما رآه قد دخل و سلم، وثب عبد الله و تنحى عن صدر مجلسه و قبل يديه. فجلس الحسين ثم قال: يا ابن الحر ما يمنعك أن تخرج معي. قال: أحب أن تعفيني من الخروج معك يا ابن رسول الله، و هذه فرسى المحلق فأركبها فو الله ما طلبت عليها شيئا الا أدركته و ما طلبني الا فته، و أدلاء من أصحابي حتى تلحق بامنك، و أنا ضمير لك بعيالاتك أؤديهم إليك أو أموت أنا و أصحابي دونهم. فاعرض عنه الحسين ع و قال: لا حاجه لنا فيك و لا في فرسك. ثم تلا قوله تعالى: (وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضْمِلِينَ عَصُدًا). ثم قال الحسين ع أ هذه نصيحه منك لي؟ قال: نعم. فقال الحسين: سأضحك كما نصحتني: مهما استطعت أن لا تسمع واعيتنا، فو الله لا يسمع اليوم واعيتنا أحد ثم لا يعيننا إلا أكبه الله على منخريه في النار.

فتركه الحسين ع و رحل عنه، حتى إذا كانت واقعه الطف و قتل الحسين ع تداخله الندم و صار يظهر عليه ذلك في أشعاره، فمن ذلك قوله:

فيا لك حسره ما دمت حيا تردد بين حلقي و التراقي

حسين حين يطلب بذل نصرى على أهل الضلاله و النفاق

غداه يقول لى بالقصر قولاً أ تتركنا و ترمع بالفراق

و لو انى أواسيه بنفسى لنلت كرامه يوم التلاقي

مع ابن المصطفى روحى فداه تولى ثم ودع بانطلاق

فلو فلق التلهف قلب حى لهم اليوم قلبى بانفلاق

فقد فاز الأولى نصروا حسينا و خاب الآخرون أولى النفاق

و ذكر ابن الأثير ان عبد الله بن الحر الجعفي تغيب عن الكوفه، و بعد مقتل الحسين صار ابن زياد يتفقد الأشراف من أهل الكوفه

فلم ير عبد الله بن الحر، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه. فقال له: أين كنت يا ابن الحر؟ قال:

كنت مريضاً، قال: مريض القلب أم مريض البدن. فقال: أما قلبي فلم يمرض و أما بدني فقد من الله علي بالعافيه. فقال ابن زياد: كذبت و لكنك كنت مع عدونا. فقال: لو كنت معه لرئى مكانى، و غفل عنه ابن زياد، فخرج و ركب فرسه، ثم طلبه ابن زياد فقالوا ركب فرسه الساعه. فقال علي به، فاحضر الشرطه خلفه، فقالوا: أجب الأمير، فقال أبلغوه انى لا آتى إليه طائعا ابدا، ثم اجرى فرسه حتى اتى كربلاء فنظر إلى مصارع الحسين ع و من قتل معه و إلى قبورهم فاستغفر لهم، ثم مضى إلى المدائن فقال: (الآيات المنشوره فى المجلد الثامن).

و قال فى كتاب (الاعلام) عن موته: و كان معه ثلاثمائه مقاتل و أغار على الكوفه و أعيا مصعبا امره. ثم تفرق عنه جمعه فخاف أن يؤسر فالقى نفسه فى الفرات فمات غرقا.

و قد شهد أولاد عبد الله بن الحر - و هم ثلاثه - وقعه دير الجماجم مع ابن الأشعث فى ثورته على الحجاج.

عطيه بن سعد العوفى الكوفى

قال اليافعى فى الجزء الأول من (مرآه الجنان) و هو يذكر وفيات سنه إحدى عشره و مائه:

فيها توفى عطيه بن سعد العوفى الكوفى، روى عن أبى هريره و طائفه، و ضربه الحجاج أربع مائه سوط على أن يشتم على بن أبى طالب فلم يشتم.

عمرو بن قرظه الأنصارى.

خرج يوم كربلاء يقاتل دون الحسين ع و هو يقول:

قد علمت كتيبه الأنصار أنى ساحمى حوزة الذمار

ضرب غلام غير نكس شارى دون حسين مهجتى و دارى

عمر بن خالد الصيداوى.

كان هو و جابر بن الحارث السلمانى و سعد مولى عمر بن خالد و مجمع بن عبد الله العائدى قد قاتلوا فى أول القتال يوم كربلاء فشدوا مقدمين بأسيافهم على الناس فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم و قطعوهم من أصحابهم غير بعيد فحمل عليهم العباس بن على فاستنقذهم فجاءوا قد جرحوا فلما دنا عدوهم شدوا بأسيافهم فقاتلوا فى أول الأمر حتى قتلوا فى مكان واحد.

غالب

مرت ترجمته فى المجلد الثامن الصفحه ٣٨٤ و نزيد عليها هنا ما يلى:

ولد سنة ١٢١٢ فى أكبرآباد و توفى فى دهلى سنة ١٢٨٦ ترجم شعره إلى أكثر من لغة و أقيمت لذكراه العام ١٩٦٩ م مهرجانات عالميه فى أكثر من عاصمه كبرى، و لم يعن بشاعر من شعراء اللغة الأردويه مثل ما عنى بهذا الشاعر و لم يشتهر أحد شهرته و لم ينل أحد منزلته. يقول عبد الحق: " و يخيل إلينا أن الشعر الأردوى جمى فى هذه المرحله من مراحلها، و فى هذه اللحظه ظهر غالب فجاه كما ييزغ النجم فى سماء الأدب، و كان غالب - شان عظماء الرجال - سابقا لعصره، كان طليعه الحركه الحديثه فى الشعر الأردوى. و ليس له فى دوله هذا الشعر نظير فى الابتكار و قوه الخيال و سمو الشاعريه ".

و إلى جانب شعره الأردوى فهو شاعر أيضا بالفارسيه. و قد رتب السيد مرتضى حسين صدر الأفاضل العالم و الكاتب و المفكر الباكستانى شعره و تتبع أخباره و أشعاره فطبع ديوانه فى ثلاث مجلدات.

ليس لغالب قرين فهو الشاعر الحكيم، يترجم فى شعره عن الضمائر

ص: ١٢٢

و يحكى عن السرائر و يصور تجاريب الحياه و يدون أصول الفكر و النظر. غرامه غرام الحكيم و نظرتة نظره الشاعر الحساس الذكى، و لا مساجل له من حيث منهجه الخاص.

و بسبب ميله إلى الفارسيه أكثر من كل شاعر و لتعمقه فى المعنى و دقه فكره فى المغزى، احتاج شعره إلى شرح و تفسير، لذلك حظى ديوانه الأردوى بعشرات الشروح.

و مع هذا فانك لا تجد أحدا ممن يحسن اللغة الأردويه إلا و هو يملك (ديوان غالب). أما غزله فيقبله كل شاعر و يحفظه كل قارئ.

و يحتوى على الغزل و الرباعيات و مدائح الأئمه ع. و غالب كاتب كما هو شاعر، و اشتهرت رسائله إلى تلاميذه و إخوانه، و من كتبه (ديوان اردو) و (كليات فارسى) و (عود هندی) و (اردوى معلی).

فؤاد عباس

اشاره

ولد سنه ١٩١٠ فى (المربعه) من محلات مدينه الخالص فى العراق، و توفى سنه ١٩٧٦ فى بغداد و دفن فى النجف الأشرف.

كان شاعرا مجيدا و لكن مقلا، على جانب كبير من طيب الذات و نبل النفس و صفاء الروح، و فيا كل الوفاء، عذب المعشر، أنيس المجلس طيب الحديث. محدثا بارعا و معلقا ساحرا و فكهيا غايه فى سبك النادره، و إذا تحدث ينصت إليه الجميع.

أفاد من دراسته و مطالعاته علما و معرفه، و لكنه - كما قال أحد أصدقائه بعد وفاته - : "إنه على غزاره معرفته و كثره قراءته كان يحجم عن البحث و الكتابه لأنه يرى أن الخلود بعد الموت وهم من الأوهام، و أن هذا الوقت الذى يقضيه بالبحث و الكتابه جدير بان يقضيه بالقراءه و المطالعه ليمتع نفسه أضعاف ما يمتعها بالكتابه".

قال عنه صديق آخر: "كان أميل إلى الحديث و الخطابه الارتجاليه البليغه منه إلى الكتابه و التأليف، إذ كان مذوده يراعه، و لعل لسحر صوته الذى لا يمكن أن يدون على قرطاس أثرا فى هذا المنحى الذى انتحاه".

أنهى دراسته الابتدائيه فى (الخالص) ثم انتقل إلى دار المعلمين الابتدائيه فى بغداد و تخرج منها سنه ١٩٣١ و تولى التعليم الابتدائى فى عدده مدارس ابتدائيه، و عند البحث عن المتفوقين من خريجي الدراسه الثانويه و دار المعلمين لانضمامهم إلى البعثات التى ترسلها وزاره المعارف كان المترجم ممن اختيروا لارسالهم إلى الجامعه الأمريكيه فى بيروت، و فيها تفتحت شاعريته. و تخرج من الجامعه الأمريكيه سنه ١٩٣٨ و عاد إلى العراق ليتنقل فى الوظائف التعليميه بوزاره المعارف مدرسا و مديرا للمدارس الاعداديه و محاضرا، ثم مفتشا اختصاصيا للغه العربيه و آدابها سنه ١٩٦٠ حتى سنه ١٩٧٣ حيث أحيل على التقاعد.

شعره:

من شعره قصيده نظمها عند ما كان طالبا في بيروت:

تهادين من كل الجوانب كالقفر على رأس بيروت إلى ساحل البحر

كواعب أتراب كان وجوها يفيض بها ماء الملاحه و البشر

فمنهن من قد أسفرت و تبذلت و قد لاح ما بين الترائب و النحر

حصان رزان بضه قسماتها مهفهه الأعطاف ناهده الصدر

و منهن من قد حجبوها لأنها تريش من الألاحظ سهما من السحر

فغيب مسود النقاب جمالها كما غيبت سود السحاب سنى البدر

خرجن ليستروحن طيب نسائم و يشخصن بالأبصار فى مسرح الفكر

و فى جانب منهن شيدت مساكن قصور و أكواخ لمثر و ذى فقر

فثمه قصر قائم شامخ الذرى و ثمه كوخ جاثم واطئ الجدر

و بالقرب منه دوحه قام فوقها حمام بوكر كم شجى الناس بالهدر

و قد طرزت أيدى الربيع و نمقت بساطا من الرياحان و العشب و الزهر

و فى جانب منهن بحر و شاطئ عليه من العشاق طير بلا و كر

تنهد صدر البحر بالموج مزبدا ييث لعين الشمس برح الهوى العذرى

فاخلجها بالعتب فاصفر لونها فاهدته - كى يهدا - ذوائب من تبر

و لكنها لما رأته مقطبا قد أزرق كالمخنوق من غصه الهجر

دنت نحوه تبغى رضاه و أقسمت يمينا بان تلقاه باسطه العذر

و فى الأفق من بعد العتاب تعانقا فقبلها عشرا و زاد على العشر

و جاريه قاد البخار زمامها و حيزومها كم هيح الماء إذ تسرى

لقد سئمت طول الطواف فأرسلت باهاتها تترى حيننا إلى البر

توسل فى ربانها كى يريحها و لكن للربان قلبا من الصخر
و تنفث من غليونها بدخانها لتجلو هموما قد جثمن على الصدر
فلما أجلن الطرف فى كل منظر هتكن به ما للطبيعه من ستر
تحلبن معسول الأمانى و المنى و كم خففت بعض الأمانى من الضر
فهذى تود الشمس تاجا و هذه تمت لها عقدا من الأنجم الزهر
و تلك تريد الليل كحلا لجفنها و أخرى حلال السحر من فمها يجرى
فهيجن منى ذكريات دفتتها و أذكرنى ما كان فى سالف العصر
و أطلقن مسجوننا - فؤادى - و طالما بخلت عليه بالفكاك من الأسر
فهب طروبا ثم راح مغازلا وجوه الأمانى و هى باسمه الثغر
و عاوده الشوق القديم مذكرا (عيون ألمها بين الرصافه و الجسر)
ذكرت رياضاً جمه و بواسقا كان بها شوقا إلى مطلع البدر
تراقصها ريح الشمال عشيه فتهتز كالنشوان مال من السكر
تذكرت صوب الكرخ و الكرخ مربع قضيت به صفو الشيبه من عمرى
فيا رأس بيروت سلاما و عصمه و خلدت فى الدنيا إلى أبد الدهر
و قال أيضا و هو طالب فى بيروت:

لن أبالى أن تبخلى أو تجودى يا ليالى فانقصى أو فزيدى

بعد ما قد شهدت ليله أنس خلفتنى كمسلم بن الوليد

ليله لاحت (الكومون روم) فيها غاده قد تزينت صبح عيد

فالخوانات قرطقت بزهور و العواميد منطقت بورود

مدت البسط و الزرابى بثت و أعدت للقوم دار الخلود

و مشى فى الفناء سرب حمام برياش من زاهيات البرود
فخدود تضىء و الضوء سحر و زجاج يضىء دون وقود
و غصون تميمس من غير ريح بثمار من راقصات النهود
و هناك (الفؤاد) أصبح نهبا بين زرق من العيون و سود
أيها القائلون إن جنان الله مخصوصه بدين و حيد
هذه جنه حوت كل دين من نصارى و مسلمين و هود
وقفوا يشربون قلت هنيئا كظباء الغدير حين الورود
فسقى الحسن ورد تلك الخدود و سقى الدل بان تلك القدود
و العذارى خطون كالطير مثنى و ثلاثا من مزوج و فريد
و فتى لم يكن لديه جواز و د لو يشتري ببذل النقود
حام حول الشباك يشبه جاسوسا يروم العبور خلف الحدود
ما الذى ضر لو منحتهم جوازا (لفؤاد) من الهوى مفئود
و فتاه لا أقصد الشمس لا بل فضلتها بقامه و بجيد
أ رأيت الغزال يبدى نفورا أ رأيت انعطافه الأملود؟
ما اتلاق الياقوت من شفتيها ما الثنايا بلؤلؤ منضود
تلك أحياء هذه جامدات أ فحى كميت ملحود؟
لبست مثل طهرها حله بيضاء تزرى بناصع من جليد
كشكشتها بمنتهى كتفيها و انتهى الكم بانتهاء الزنود
و بدت و الدلال يعبث فيها كجناح الملاك عند الصعود
يثب النهد تحتها أ سجين باذل جهده لكسر القيود

أم كقلبي لما دنت و تدلت بعد حر الجوى و مر الصدود

أم كفرخ فى البيض ينقر قشرا يبتغى مخرجا لهذا الوجود

مد منقاره يريد غذاء و هواء لذا الوليد الجديد

فانالته ورده قلت مهلا هل طعام الطيور حمر الورود

فأجابت: لا ليس ذاك طعاما بل حجابا من شر عين الحسود

و قال معزيا أحد أصدقائه بزوجته:

عهدتك من جزع أكبرا و من جل من صبروا أصبرا

فكم قد أغارت عليك الهموم و كم رجعت ظلعا حسرا

بلى صادفت منك جلد الرجال و لاقى بك الليث ليث الشرى

فيا علما قد أغار الثريا و يا جعفرا قد أغانى الثرى

إليك بمن قد مضى أسوه نبى الهدى و وصى الورى

خديجه فارقت المصطفى و فاطمه فارقت حيدرا

و أخرى (أبو حسن) قالها إلى أشعث يوم قد ذكرنا

أعيدك بالله مستعبرا و أرجو لك الله أن تؤجرا

عميد الدين أبو الفرج الفتح بن عبد الله بن محمد بن على بن هبة الله بن عبد السلام:

الكاتب البغدادي،

ذكره ابن الديبشى فى أصل تاريخه، و لكن لم يوجد بل وجد مختصر الترجمة فى مختصر تاريخه للذهبي، قال: من أهل بيت حديث و كلهم ثقات، سمع محمد بن أحمد الطرائفى و محمد بن على بن الدايه و أبا الفضل الأرموى و أبا منصور نشتكين و غيرهم، سمعنا منه. ولد يوم عاشوراء من سنه سبع و ثلاثين و خمسمائه. قلت روى عنه أبو عبد الله البرزالي و أبو الفتح بن الحاجب و القاضى شمس الدين ابن العماد و السيف أحمد بن عيسى و أبو إسحاق بن الواسطى و أبو الفرج بن الزين و أبو المعالى الأبرقوهى و عبد الرحمن المكبر البغدادي و جماعه كثيره، و كتب عنه أبو الفتح بن الحاجب و قال: شيخنا بقيه بيته، صارت إليه الرحله من البلاد و تكاثر عليه الطلبة و كان من ذوى المناصب و الولايات و ترك الخدمه و قنع بالكفاف و أضر

باخره و كان كثير الأمراض حتى أقعد، و كان محققا لسماعاته إلا أنه لم يكن يحب الروايه لمرضه و اشتغاله بنفسه و كان كثير الذكر ذا هيبه و وقار، و كان يتوالى (١) و لم يظهر لنا منه ما نكره بل كان يترحم على الصحابه و يلعن من يسبهم، و كان صحيح السماع ثقه، سمع جده و أبا القاسم بن أبي شريك و علي بن نور الهدى الحسين الديبى و أبا الكرم الشهرزورى و أبا لوقت [الوقت]. و ذكر الذين ذكرهم ابن الديبى و قال:

توفى فى رابع عشر محرم سنه أربع و عشرين و ستمائه. و عده الضياء محمد فى الشيوخ الذين أجازوا له، و شيوخ الفتح فى مشيخه جده أبو الفتح و أحمد بن محمد ابن الاخوه و ابن الدايه و نور الهدى الزبى و ابن الطرائفى و أحمد الميهنى و أبو الكرم الشهرزورى و نوشتكين و الارموى و ابن الحاسب و سعيد البناء و أبو بكر الداغونى و أبو الوقت و ابن خضير و ابن النخل " اه " .

و ذكره المنذرى فى وفيات سنه ٦٢٤ و قال: كان شيخا حسنا كاتباً أدبياً بليغاً و له شعر و تصرف فى الأعمال الديوانيه و لنا منه إجازة كتب بها إلينا من بغداد غير مره. " اه " .

و قال ابن الفوطى: " ولى الأعمال الجليله و سار فيها السيره الجميله.

فتى من أهل الكوفه.

أخذ على ع مصحفا يوم الجمل فطاف به فى أصحابه، و قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفه عليه قباء أبيض محشو، فقال: أنا، فاعرض عنه، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟ فقال الفتى: أنا، فاعرض عنه ثانية. ثم أعاد القول للمره الثالثه، فقال الفتى: أنا، فدفعه إليه، فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى، فدعاهم، فقطعوا يده اليسرى، فأخذه بصدره و الدماء تسيل على قبائه، فقتل. فقال على: الآن حل قتالهم فقالت أم الفتى بعد ذلك:

لا هم أن مسلما دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

و أمهم قائمه تراهم يأترون الغى لا تنهاهم

قد خضبت من علق لحاهم

(٢)

الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس أبو على البصير

عد ابن شهر آشوب فى المعالم أبو على البصير فى شعراء أهل البيت المتقين. و أورد له فى المناقب قوله:

بنفسى و ما لى من طريف و تالد و اهلى أنتم يا بنى خاتم الرسل

بحبكم ينجو من النار من نجا و يزكو لدى الله اليسير من العمل

ص: ١٢٤

١- يعنى يوالى أهل البيت (ع).

٢- الطبرى.

اواصل من واصلتموه و ان جفا و اقطع من قاطعتموه و ان وصل

عليه حياتى ما حيتت فان أمت فلست على شىء سوى ذاك اتكل

الفضيل بن الزبير بن عمر بن درهم الكوفى الأسدى

هو مردد بين أن يكون زيديا أو جعفرىا، و إذا صحت زيديته فهو على كل حال من أصحاب الباقر و الصادق ع.

قال السيد محمد رضا الحسينى الجلالى متحدثا عنه:

"فضيل" كذا عنوانه البرقى فى رجاله فى أصحاب الامام الباقر ع، و فى أصحاب الامام الصادق ع، و هكذا الكشى لكنه ذكره مع "أل" أيضا، و كذا الشيخ الطوسى بدون "أل" و معها.

فظهر التصحيف فى عنوانه ب "الفضل" بدون ياء، كما صنعه الشيخ ابن داود، بدون ترديد و صنعه مترددا جمع، منهم السيد التفريشى و المامقانى و الزنجانى و الخوئى و قد عاد هؤلاء الأعلام فعنونوا له ب "الفضيل".

كما ورد مصحفا - كذلك - فى بعض أسانيد الكتب مثل: أمالى الشيخ المفيد و إرشاد العباد له، و مقاتل الطالبين للأصفهانى.

كما ظهر أن ما ورد فى مطبوعه "الفهرست" لابن النديم بعنوان "فصل" بالصاد المهمله خطأ واضح.

و قد ضبط طابع كتاب الرجال للبرقى اسمه هكذا "فضيل" بضم الفاء الموحده و فتح الضاد المعجمه على صيغه تصغير "رجل".

اسم أبيه و نسبه

(الزبير) كذا ذكره البرقى فى رجاله و كذلك الكشى و ابن النديم و الشيخ الطوسى و غيرهم.

و قد ضبطه طابع رجال البرقى هكذا "الزبير" بضم الزاى و فتح الموحده على زنه "رجيل" مصغرا، لكن الشيخ المامقانى عند ترجمه ابنه ضبطه هكذا:

"الزبير" بفتح الزاى، و كسر الموحده، على زنه "شريف" الصفه المشبهه و كذلك جاء هذا الضبط بالحركات فى "مقاتل الطالبين".

و لم يذكر الشيخ المامقانى ما يرشد إلى وجه هذا الضبط، و ما ورد فى مطبوعه رجال البرقى من الضبط هو المؤلف و هو الظاهر من علماء الأنساب، حيث ذكروا أبا أحمد الزبيرى فى عنوان المنسوب إلى "زبير" بضم الزاى و فتح الموحده، فلاحظ "تبصير المنتبه". لابن حجر، و أنساب السمعانى.

و قد ذكر السمعانى نسبه هكذا: "الزبير بن عمر بن درهم" كما سيأتى فى ترجمه حفيده.

"الرسال" كذا نسبة البرقى والكشى و ابن النديم و الطوسى، قال المامقانى فى ضبط الكلمه: "الرسال: بالراء المهمله المفتوحه و السين المهمله المشدده و الألف و النون، المراد بائع الرسن، و هو زمام البعير، و نحوه أو صانعه".

و قد رسمت الكلمه فى رجال العلامه: الرسانى باضافه ياء النسبه، قال المامقانى: "و لم أجد له معنى صحيحا و الظاهر أنه تصحيف، كما أن ما جاء فى مطبوعه طبقات ابن سعد - فى ترجمه ابن أخى الفضيل و هو: "الرماني" بالميم كالتسبه إلى الرمان، تصحيف أيضا، و صحفت الكلمه "ب الريان" بالياء المثناه بدل السين. "الكوفى" نسبة الشيخ الطوسى كوفيا، و الوجه فيه أنه من أهل الكوفه كما يظهر من بعض رواياته و تراجم أخيه و ابن أخيه.

"الأسدى" كذا نسبوه هو و أخاه و ابن أخيه و النسبه إلى قبيله "بنى أسد" الشهيره بالكوفه و حواليتها، لكن صرح كثير من الرجاليين و أهل الأنساب بان آل الزبير لم يكونوا من صلب العشيره، و إنما كان ولاؤهم فى بنى أسد، قال الطوسى فى ترجمه الفضيل: "الأسدى مولاهم" و قال ابن سعد فى ترجمه ابن أخيه: "مولى بنى أسد".

أخوه

يقترن اسم الفضيل باسم أخيه أو ابن أخيه فى أكثر من مورد فى كتب الرجال و التراجم و الفهارس و قال الكشى: "قال محمد بن مسعود: و سألت على بن الحسن، عن فضيل الرسان؟ قال: هو فضيل بن الزبير، و كانوا ثلاثة إخوه: عبد الله و آخر".

و الملاحظ أنهم يذكرون اسم أخيه عند ما يكون الحديث عن الفضيل، و لم نجد موردا كان الحديث فيه عن أخيه فذكر فيه اسم الفضيل، و هذا يشير - من بعيد - إلى أن الأخ كان أعرف منه بحيث يعرف الفضيل به، نعم ذكر الفضيل فى ترجمه ابن أخيه، معرفا له كما سيأتى.

قال أبو الفرج الأصفهانى: كان عبد الله بن الزبير من وجوه محدثى الشيعة، روى عنه عباد بن يعقوب - الرواجنى المتوفى ٢٠٥ - و نظراؤه، و من هو أكبر منه.

أقول: روى عن عبد الله بن شريك العامرى و عنه موسى بن يسار، و روى عن صالح بن ميثم، و عنه بشر بن آدم فى روايه أوردها كل من الكنجى و الحسكانى و ابن عساكر و ابن المغازلى، لكن اسم المروى عنه "صالح بن رستم" فى الأخير.

و كان عبد الله بن الزبير شاعرا، و من شعره:

١ - عن "أنساب الأشراف" للبلادرى، فى قصه تعذيب عبد الله بن الزبير بن العوام أخاه عمرو بن الزبير، و هى طويله، جاء فى آخرها: فقال ابن الزبير الأسدى:

فلو أنكم أجهزتموا إذ قتلتمو و لكن قتلتم بالسياط و بالسجن

جعلتم لضرب الظهر منه عصيكم تراوحه و الأصبحيه للبطن

٢- و هو القائل فى رثاء مسلم بن عقيل رضى الله عنه و هانى بن عروه رحمه الله:

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانى فى السوق و ابن عقيل

فى أبيات عديده.

٣- و عن مصعب فى "نسب قريش" أنه ذكر: أول من جاء بنعى الحرهالكردوس بن زيد الطائى، قال ابن الزبير الأسدى:

لعمري لقد جاء الكردوس كاظما على خير للمسلمين و جيع

و من المحتمل أن يكون قائل هذه الأبيات شاعرا آخر بهذا الاسم، و لا بد من المزيد من التحقيق.

و قد عنون له بعض الرجاليين.

ص: ١٢٥

عبد الله ع دنانير، و أمرنى أن أقسمها فى عيالات من أصيب من عمه زيد، فقسمتها، قال: فأصاب عيال عبد الله بن الزبير الرسان، أربعة دنانير.

و روى الشيخ المفيد هذه الروايه عن أبى خالد الواسطى، قال: سلم إلى أبو عبد الله ع ألف دينار... و ذكر نحوه، و لعلها واقعه أخرى غير ما جرى على يد عبد الرحمن بن سيابه.

و قد ذكر العلامة الحلى بعد نقل الروايه: إن هذه الروايه تعطى أنه كان زيديا و سياتى مناقشه هذه الجبهه فى عنوان "مذهبه".

أقول: كون عبد الله هو المستشهد مع زيد، هو المشهور، و المفهوم من هذه الروايات أنه أصيب معه، لكن أبا الفرج الأصفهاني ذكر فى المقاتل ما يدل على أن عبد الله بن الزبير بقى إلى زمان محمد بن عبد الله النفس الزكيه، الذى استشهد فى عهد المنصور العباسى، سنه (١٤٥)، قال أبو الفرج:

حدثنا على بن العباس، قال: حدثنا بكار بن أحمد، قال: حدثنا الحسن بن الحسين، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير الأسدى - و كان فى صحابه محمد بن عبد الله - قال: رأيت محمد بن عبد الله عليه سيف محلى يوم خرج، فقلت له: أ تلبس سيفاً محلى؟! فقال: أى بأس بذلك؟! قد كان أصحاب رسول الله ص يلبسون السيوف المحلاه.

ثم قال أبو الفرج: عبد الله بن الزبير هذا أبو أحمد الزبير المحدث.

أقول: التشويش فى عبارته المقاتل ظاهر فى الفقره الأخيره، إذ من الواضح أن عبارته "أبو أحمد الزبير" ليست صحيحه، و أظن قويا أن عبارته هكذا:

"عبد الله بن الزبير هذا أبو أبى أحمد الزبيرى المحدث" و أبو أحمد الزبيرى هو محمد بن عبد الله بن الزبير، و ستاتى ترجمته فى عنوان "ابن أخى الفضيل".

و لو كان عبد الله مستشهدا مع زيد - الشهيد سنه ١٢٢ - فلا يمكن أن يكون هو الباقي إلى أيام محمد بن عبد الله النفس الزكيه - الشهيد سنه ١٤٥ - و عبارته الأصفهاني صريحه و واضحه الدلاله على بقاء عبد الله إلى سنه (١٤٥)، لكن الروايات الداله على شهادته مع زيد سنه (١٢٢) غير صريحه، و لا- تدل إلا- على كون عائلته فى عوائل المصابين، و لعله كان مجروحا، مع أن عبارته الروايات تلك فيها اختلاف، فقد حكى عن المحدث التقي المجلسى الأول قدس الله سره أنه قال فى حواشى الفقيه مشيرا إلى الخبر الذى رواه عبد الرحمن بن سيابه ما لفظه: يظهر من هذا الخبر - و غيره - أن المقتول (هو) الفضيل، و كان عبد الله عياله، انتهى.

قال المامقانى: و تأمل فيه الفاضل الحائرى فى المنتهى لما مر فى ترجمه السيد الحميرى من بقاء فضيل بعد زيد و مجيئه إلى الصادق ع و إخباره بقتله و إنشاده شعر السيد رحمه الله فى حضرته ثم قال: و يقرب سقوط كلمه (عيال) قيل [قبل] عبد الله فى نسخه أمالى الصدوق (أى فى روايه ابن سيابه).

أقول: روايه إنشاد فضيل شعر السيد فى حضرته الصادق ع صريحه فى بقاءه بعد زيد - و سياتى نقلها نسا - فلا يمكن أن يكون

فضيل هو المقتول مع زيد قطعاً، و لم نجد من صرح بذلك.

و روايه الاصفهاني صريحه في بقاء عبد الله بعد زيد إلى سنه (١٤٥) فالأمر يحتمل أحد وجهين: الأول: و هو الأقوى، أن يكون الحاضر مع زيد هو (عبد الله) و لكنه لم يستشهد و إنما أصيب فقط، فلعله كان مجروحاً و عليلاً و كانت عائلته بحاجة إلى نفقه، و هذا هو الموافق لظاهر تلك الروايات، بنقولها المختلفه.

الثاني: و هو الأبعد، أن يكون الاسم المذكور فيها هو (عبيد الله) و أن يكون هو الأخ الآخر لفضيل الذي لم يذكر اسمه في روايه ابن فضال عند الكشي، و لكن نسخ الكتب المتعدده متفقه على ذكر (عبد الله) مكبراً.

ابن أخيه

قال ابن سعد في الطبقات: أبو أحمد الزبيرى، و اسمه: محمد بن عبد الله بن الزبير، مولى بنى أسد، و هو ابن أخى فضيل الرسان.

و قال السمعاني: (الزبيرى) أبو أحمد، محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم، الأسدى الزبيرى، من أهل الكوفه، كان يبيع القت بزباله.

و قال الذهبى: أبو أحمد الزبيرى، الأسدى، مولاهم الكوفى الحبال.

قال ابن سعد: كان صدوقاً كثير الحديث، و قال أحمد بن عبد الله العجلي: كوفى ثقة كان يتشيع، و قال السمعاني: محدث كبير مكثر و قال أبو حاتم: حافظ عابد مجتهد، له أوهام، و قال الذهبى: الحافظ الثبت، و نقل الذهبى عن بندار قوله: ما رأيت رجلاً قط أحفظ من أبى أحمد، و حكى أنه كان يصوم الدهر.

روى عن يونس بن أبى إسحاق، و عيسى بن طهمان، و فطر، و سفيان و طبقتهم و عن مسعر و مالك بن مغول، و مالك بن أنس، و بشر بن سلمان و سفيان الثورى، و إسرائيل بن يونس.

و روى عنه: أحمد بن حنبل، و أبو بكر بن أبى شيبه، و خيثمه و عبد الله القواريرى و أحمد بن منيع، و عامه أهل العراق و محمود بن غيلان، و أحمد بن الفرات، و محمد بن رافع، و خلق، قال نصر بن على: قال أبو أحمد: لا أبالى أن يسرق منى كتاب سفيان، إنى أحفظه كله.

قال أحمد بن حنبل: كان كثير الخطأ فى حديث سفيان.

قال ابن سعد: توفى بالأهواز فى جمادى الأولى سنه ثلاث و مائتين فى خلافه المأمون، لكن قال أحمد: مات بالأهواز سنه اثنتين و مائتين.

و وصفه بالزبيرى نسبة إلى جده (الزبير) أبى الفضيل، يكشف عن شهره للزبير الجد كما لا يخفى، و قد صرح علماء الأنساب بان النسبه ليست إلى الزبير بن بكار كما توهم.

ابن آخر لأخي الفضيل: ذكر ابن الجعابي في ترجمه أبي أحمد الزبيرى ما نصه: إن له أخوا يسمى (حسنا) من وجوه الشيعة يروى عنه، و روى عن ابن نمير.

وقد عنون القهبائى لمن يكنى ب (ابن أخى فضيل) فقال: ابن أخى فضيل،، عن فضيل، عن الصادق ع اسمه (الحسن) صرح به فى باب ما ينقض الوضوء من "الكافى".

أقول: و عن "الوافى" بسند، عن ابن أبى عمير، عنه: ج ٤ ص ٣٨.

لكنه فى هذا المورد روى عن الصادق ع.

ص: ١٢٦

و علق على قوله: (فى باب...) بان الموارد المذكور فيها ابن أخى الفضيل كثيره، و المحتمل لهذا العنوان فى كتب الرجال ثلاثه: فضيل بن الزبير، و ابن غزوان، و ابن يسار.

الحسن بن الزبير؟

عنون الشيخ الطوسى فى أصحاب الصادق ع ل: الحسن بن الزبير الأسدى مولا هم الكوفى، و نقله عنه الرجاليون من دون تعقيب، إلا أن الشيخ الزنجانى قال: لم أقف لا على حاله و لا على حديثه.

و الاحتمالات فى هذا الشخص ثلاثه:

١ - فهل هو ابن الزبير، كما يدل عليه عنوان الترجمة، فيكون هو الأخ الثالث للفضيل و عبد الله؟.

٢ - أو هو الحسن بن عبد الله بن الزبير، الذى ذكره ابن الجعابى، نسب إلى جده سهوا أو اختصارا فيكون أخا لأبى أحمد الزبيرى؟ ٣ - أو هو شخص آخر، لا يرتبط بال زبير الأسديين بصله؟ و يقرب الاحتمال الثانى أن ظاهر ترجمه الشيخ له، و قوفه على روايته عن الامام الصادق ع، و حيث لم ترد عن الحسن بن الزبير روايه، و كان الحسن بن عبد الله بن الزبير من وجوه الشيعة، و وردت له بهذا العنوان روايه عن الصادق كما عرفت، تعيين كونه هو المراد بالترجمه.

طبقته

يروى فضيل عن زيد الشهيد ع كما سيأتى، و يأتى - أيضا - أنه كان من أنصاره و دعائه و المشتركين فى نضاله، و قد استشهد زيد سنة (١٢٢).

و عدّه أصحاب الطبقات فى أصحاب الامام محمد بن على أبى جعفر الباقرع (المتوفى ١١٤)، و أصحاب الامام جعفر بن محمد أبى عبد الله الصادق ع (المتوفى ١٤٨)، و قد وردت له روايه عنهما، كما سيأتى فى تعداد مشايخه.

و لم نقف له على روايه عن الامام على بن الحسين السجاد ع (المتوفى ٩٥)، و لا عن الامام موسى بن جعفر الكاظم ع (المتوفى ١٨٣) فتحدد فتره حياته العلميه بين (١٢٢ -).

مشايخه

١ - الامام محمد بن على أبو جعفر الباقرع (٥٧ - ١١٤)، ذكره فى أصحابه - كما تقدم - و هذا يقتضى أن يكون من الرواه عنه، لأن كتب طبقات أصحاب الأئمه إنما ألفت لجمع أسماء الرواه المباشرين عن الامام، و التى عثر المؤلفون على رواياتهم، و هذا معنى ظاهر فيما صنعه الشيخ الطوسى فى كتاب رجاله إلا أنا لم نعر على روايه كثيره له عن الامام سوى روايه واحده، نقل ورودها الشيخ الزنجانى عن الجزء الأول من بصائر الدرجات للصفار.

٢ - الامام جعفر بن محمد أبو عبد الله الصادق ع (٨٣ - ١٤٨)، و الحديث فيه كما تقدم فى روايته عن الامام الباقرع، و روايته عن

الإمام الصادق أيضاً ليست كثيرة، لكن روى الكشي حديثاً يدل على حضوره عند الإمام، بل يدل على نحو اختصاص له بالإمام، و إليك نص الحديث:

قال الكشي في ترجمه السيد الحميري الشاعر - بسند فيه: حدثني علي بن إسماعيل، قال: أخبرني فضيل الرسان، قال: دخلت على أبي عبد الله ع بعد ما قتل زيد بن علي رحمه الله عليه، فأدخلت بيتاً جوف بيت، فقال لي: يا فضيل، قتل عمي زيد؟ قلت: نعم، جعلت فداك، قال: رحمه الله، أما والله كان مؤمناً و كان عارفاً، و كان عالماً، و كان صدوقاً، أما أنه لو ظفر لوفى، أما إنه لو ملك لعرف كيف يضعها، قلت: يا سيدي ألا أنشدك شعراً؟ قال: أمهل، ثم أمر بستور فسدلت و بأبواب ففتحت، ثم قال: أنشد، فأنشده:

لام عمرو باللوى مربع طامسه أعلامه بلقع

إلى آخر الحديث.

٣ - زيد بن علي الشهيد أبو الحسين ع (٧٨ - ١٢٢)، كان فضيل من أصحابه، و له معه تراود في شئون النضال كما سيأتي ذكر ما يتعلق بذلك، و قد روى عنه فرات و الحسكاني، و الطوسي.

و يروى فضيل عن جمع من الرواه نذكر أسماءهم حسب أوائلها:

٤ - أبو الحكم، روى عنه قوله: سمعت مشيختنا و علماءنا يقولون.

٥ - أبو داود السبيعي روى عنه في تفسير بعض الآيات، و قال في بعض الروايات: "سمعت أبا داود" و الظاهر أنه السبيعي هذا.

٦ - أبو سعيد عقيصا، روى عنه في كامل الزيارات.

٧ - أبو عبد الله، كما نقله الكشي.

٨ - أبو عبيده، كما نقل عن الصدوق في "الخصال" باب (٣).

٩ - أبو عمر - أو أبو عمرو، حسب اختلاف النسخ - و أضاف الكشي:

البزاز.

١٠ - أبو الورد، روى عنه في هذا الكتاب الذي نقدم له.

١١ - حمزه بن ميثم، كما نقله الكشي.

١٢ - صالح بن ميثم، أورد روايته القمي في تفسيره.

١٣ - عبد الله بن شريك العامري، روى عنه فى هذا الكتاب.

١٤ - عمران بن ميثم، كما نقله الكشى و أورد روايته المفيد.

١٥ - فروه، كذا ورد اسمه فى أكثر موارد روايته، و أضاف فى بعضها:

(... بن مجاشع) وردت روايته عنه فى "الكافى" للكلىنى، و فى "الروضه" و "أمالى المفيد".

١٦ - يحيى بن أم طويل، روى عنه فى هذا الكتاب.

١٧ - يحيى بن عقيل، كما رواه المفيد فى "الأمالى".

و قد وردت عن فضيل روايات مرسله فى "رجال الكشى" نذكرها:

١ - قال: قيل لأبى عبد الله ع.

٢ - قال: خرج أمير المؤمنين ع.

٣ - قال: مر ميثم التمار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدى، و ذكر الكشى فى نهايه هذه الروايه: هذه الكلمه مستخرجه من كتاب "مفاخر الكوفه و البصره".

الرواه عنه

١ - أبان بن عثمان، نقله فى الكافى و الكشى.

٢ - أرتاه، نقله الصدوق و المفيد.

٣ - إسماعيل بن أبان، نقله المفيد و الحسكانى.

ص: ١٢٧

٦ - الحسين بن محمد بن فرقد، رواه الصدوق.

٧ - داود رواه الصدوق.

٨ - الربيع بن محمد المسلي، كما نقله الكوفي و الحسكاني.

٩ - زكريا بن يحيى القطان، ذكره المفيد.

١٠ - سفيان، ذكره المفيد، و في غيبه الطوسي: سفيان الجريري.

١١ - سكين بن عمار، نقله في الكافي.

١٢ - طاهر بن مدرار، هو راوى هذا الكتاب عن الفضيل.

١٣ - عاصم بن حميد الحنفي، أكثر الروايه عن فضيل، في "رجال الكشي" و نقل روايته ابن قولويه، و المفيد.

١٤ - عبد الله بن يزيد الأسدي، أورده الكشي.

١٥ - علي بن إسماعيل التيمي، أكثر الروايه عنه، نقله الكشي و القمي و الطوسي.

١٦ - عامر السراج، كما في نقل الحسكاني.

١٧ - فضاله بن أيوب، روى عنه في ترجمه زواره من "رجال الكشي".

مذهبه

قال سعد بن عبد الله الأشعري - عند حديثه عن فرق الزيديه - من فرق الزيديه يسمون (السرحوبيه) و يسمون (الجاروديه) و هم أصحاب أبي الجارود زياد بن منذر، و إليه نسبت الجاروديه، و أصحاب أبي خالد الواسطي و أصحاب فضيل بن الزبير الرسان.

و في موضع آخر قسم الزيديه إلى ضعفاء و أقوياء، ثم قال: و أما الأقوياء منهم: فهم أصحاب أبي الجارود، و أصحاب أبي خالد الواسطي، و أصحاب فضيل الرسان، فهذا يدل على أن الفضيل كان من الزيديه، بل من الأقوياء منهم، و يشير إلى أنه كان صاحب رأى و نفوذ فيهم، حيث كان له (أصحاب) ينسبون إليه.

و قال ابن النديم، و من متكلمي الزيديه: فضيل الرسان، و هو ابن الزبير، و ذكر ناجي حسن فضيلا في عداد من نظمهم زيد الشهيد من الدعاه، و أرسلهم إلى الأقطار المختلفه يدعون الناس إلى ثورته.

و مما يقرب ذلك أن الرجل كان ممن يسأل عما يتعلق بشئون زيد، و كان مطلعا على أسرار حركته و المتصلين به، كما توسط في إيصال الأموال إليه و دعمه، كما يستفاد ذلك من رواياته، و منها ما نقله أبو الفرج الأصفهاني في "المقاتل" بسنده عن

الفضيل، قال: قال أبو حنيفة: من ياتي زيدا في هذا الشأن من فقهاء الناس؟ قلت: سلمه بن كهيل، و يزيد بن أبي زياد، و هارون بن سعد، و هاشم بن البريد، و أبو هاشم الرماني، و الحجاج بن دينار، و غيرهم فقال لي: قل لزيد: " لك عندى معونه و قوه على جهاد عدوك، فاستعن بها أنت و أصحابك فى الكراع و السلاح " ثم بعث ذلك معى إلى زيد، فأخذه زيد.

و هذه الروايه تدل على مدى اختصاص الرجل بزید، و اتصاله به و سلوكه مسلكه، و ربما يستأنس ذلك أيضا مما رواه الكشى من دخوله على الامام الصادق ع، بعد مقتل زيد و سؤال الامام منه عن مقتل عمه، و إنشاده شعر السيد الحميرى، كما تقدم نقله. فيمكن أن يستظهر من هذه الروايات و أمثالها كون فضيل زيدى المذهب، كما استظهر العلامة الحلى و السيد ابن طاوس زيديه أخيه عبد الله من روايه عبد الرحمن بن سيابه التى ذكرناها سابقا، و التى جاء فيها أن الامام الصادق ع أمر بتقسيم الأموال على عوائل المصابين مع زيد، فأصاب عائله عبد الله اربعة دنانير، قال العلامة: و هذه الروايه تعطى أنه كان زيديا، و قال السيد:

ظاهر الحديث ينطق بان عبد الله بن الزبير كان زيديا.

و ناقش الشيخ المامقانى فى هذا الاستظهار بقوله: إن الذين خرجوا مع زيد ليسوا كلهم زيديه بالبيده.

أقول: مجرد الخروج مع زيد ليس دليلا على الزيديه كما ذكر، لكن تصريح علماء الفرق و الرجال - كالأشعري و ابن النديم - و ضم الروايات الأخرى التى تلائم زيديه الرجل، حجه للاستظهار المذكور، فهو زيدى على الأظهر.

و ما ذكره الشيخ المامقانى - بعد ما نقل عن الشيخ الطوسى، ذكر الرجل فى أبى أصحاب الباقر و الصادق ع - من: أن ظاهره كونه إماميا لا وجه له أصلا و ذلك:

أولا: لما عرفت من أن الأظهر كونه زيدى المذهب.

و ثانيا: أن مجرد ذكر الشيخ الطوسى للراوى فى كتاب رجاله لا يدل على كونه إماميا، لأن الشيخ لم يلتزم فى الرجال بذكر من كان إماميا، بل هو بصدد جمع أسماء الرواه عن الأئمة، بمجرد عثوره على روايه له عن أحدهم فكتابه فى التحقيقه فهرس لأسماء الرواه، من دون نظر له فيه إلى توثيق أو جرح، و لا- إلى تعيين مذهب أو غير ذلك من الاهتمامات الرجاليه، و هذا واضح لمن راجع كتاب الرجال، نعم التزم الشيخ الطوسى فى "الفهرست" بان يذكر فيه المؤلفين من الاماميه عدا من يصرح بمذهبه من غيرهم.

حاله فى الحديث

١ - بناء على ما التزمه سيدنا الأستاذ من وثاقه رواه كتابى "كامل الزيارات" للشيخ ابن قولويه، و "تفسير القمى" لعلى بن إبراهيم، بالتوثيق العام، استنادا إلى كلام المؤلفين فى أول الكتابين كما فصله.

فان الرجل يكون (ثقه) شهد ابن قولويه و القمى بوثاقته، و يكون خبره (موثقا) بناء على كونه زيدى المذهب، كما أسلفنا.

٢ - ذكره ابن داود فى القسم الأول من رجاله، المعد لذكر (الممدوحين) و نقل عن (كش: ممدوح).

لكن قال السيد التفريشي: قد نقل عن الكشي مدحه، و لم أجده في الكشي، و قال المامقاني: لم نقف فيه على مدح، و نسبه ابن داود مدحه إلى الكشي لم نقف له على ماخذ، إذ ليس في الكشي إلا جعله معرفاً لأخيه عبد الله بن الزبير الرسان، و دلالة على مدحه ممنوعه، نعم يدل على كونه أعرف من عبد الله، و مثل ذلك لا يكفي في درج الرجل في الحسان، كما لا يخفى.

أقول يرد عليه:

ص: ١٢٨

فيكون عبد الله هو المعرف و لم نجد ذكرا لفضيل في ترجمه عبد الله كما أشرنا إليه سابقا.

و ثانيا: أن ذكر الكشى لفضيل لا ينحصر بهذا المورد، بل ذكره في موارد آخر، و ضمن أسانيد أخرى، فلعل ابن داود استفاد المدح من مجموع ذلك.

و قال السيد الخوئي: لعله (ابن داود) استفاد المدح مما رواه الكشى في ترجمه السيد ابن محمد الحميري من أن الصادق ع أدخله في جوف بيت إلى آخر الحديث.

أقول: لكن الروايه تلك مرويه بطريق الرجل نفسه فكيف يتم سندها حتى يستند إليها؟ و الذى أراه أن الرجل معتبر الحديث، لما يبدو من مجموع أخباره و أحواله من انقطاعه إلى أهل البيت ع، و اختصاصه بهم و نصرته لهم و تعاطفه معهم، و كونه مأمونا على أسرارهم، و كذلك وقوعه فى طريق كثير من الروايات - و كلها خاليه مما يوجب القدح فيه - فهذا كله مدعاه إلى الاطمئنان به، و لو التزمنا بكفايه عدم القدح فى الراوى لاعتبار حديثه من دون حاجه إلى معرفه وثاقته بالخصوص، كما هو مذهب القدماء لكان الرجل معتمد الحديث بلا ريب.

كتابه

هو صاحب كتاب (تسميه من قتل مع الحسين ع) و من ميزه هذا الكتاب احتواؤه على أسماء شهداء لم يذكرها فى موضع آخر، و احتواؤه على آثار و روايات و تفصيلات، مما يرفع من قيمته العلميه و التاريخيه.

القاسم بن الحسين بن معيه

مر ذكره فى المجلد الثامن الصفحه ٤٣٨ و نضيف إلى ما ذكر هناك ما يلى:

قال فيه صاحب عمده الطالب: كان جليل القدر شاعرا، و لم يل جلال الدين القاسم بن الحسين صداره و امتنع، و كان أبوه على قاعده أبيه صدرا نقيباً بالفرايه فعزل عن النقابه.

و من شعره قوله:

تقاعست دون ما حاولته الهمم و لا سعت بى إلى داعى الندى قدم

و لا امتطت جوادا يوم معركة و خاننى فى الورى الصمصامه الخدم

و لا بلغت من العلياء ما بلغ الآباء قبلى و لا أدركت شأنهم

ان كنت رمت سلوا عن محبتكم أو كنت يوما بظهر الغيب خنتكم

فما الذى أوجب الهجران لى فلقد تنكرت منكم الأخلاق و الشيم

أذاك من بخل بالوصل أم ملل أم ليس يرعى لمثلى عندكم ذمم

وله:

ومن العجائب أن قلبى يشتكى ألم الفراق و أنتم بمكانه

القاسم بن حبيب بن مظاهر.

تنازع فى قتل حبيب بن مظاهر يوم كربلاء كل من بديل بن صريم و الحصين بن تميم. فقال الحصين لبديل انى شريكك فى قتله، فقال بديل و الله ما قتله غيرى، فقال الحصين اعطنى رأسه اعلقه فى عنق فرسى كيما يرى الناس و يعلموا انى شركت فى قتله ثم خذه أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد فلا حاجه لى فيما تعطاه على قتلك إياه، فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به فى العسكر قد علقه فى عنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه. فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه فى لبان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد فى القصر، فبصر به القاسم بن حبيب و هو يومئذ قد راهق، فاقبل مع الفارس لا يفارقه كلما دخل دخل معه و إذا خرج خرج معه، فارتاب به فقال ما لك يا بنى تتبعنى؟ قال: لا شىء، قال: بلى أخبرنى. قال له: إن هذا الرأس الذى معك رأس أبى أفتعطينيه حتى أدفته [أدفته]؟ قال: يا بنى لا يرضى الأمير أن يدفن، و أنا أريد أن يثينى الأمير على قتله ثوابا حسنا. قال له الغلام: لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب، أما و الله لقد قتلته خيرا منك، و بكى. فسكت القاسم حتى إذا أدرك لم يكن همه إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غره فيقتله بابيه. فلما كان زمان مصعب بن الزبير، و غزا مصعب باجميرا دخل عسكر مصعب، فإذا قاتل أبيه فى فسطاطه، فاقبل يختلف فى طلبه و التماس غرته، فدخل عليه و هو قائل نصف النهار، فضربه بسيفه حتى برد. (١)

قيس بن عبد الله النابغة الجعدى

قيل اسمه حيان بن قيس بن عبد الله و هو الذى صححه أبو الفرج فى الأغانى و قيل اسمه قيس بن عبد الله و قيل اسمه عبد الله. مرت ترجمته فى الصفحة ٢٦٠ من المجلد السادس باسم (حيان). و قد تحدث خليل إبراهيم العبطه عن ديوانه فى العدد ٤٧ من السنه الخامسه من مجله (المكتبه) (تموز ١٩٦٥) فقال بعد أن ذكر أنه توفى سنه ٧٠ فى حين ذكر فى ترجمته فى المجلد السادس أنه توفى حوالى سنه ٦٥، و بعد أن ذكر كذلك أنه أحد شعراء الطبقة الثالثه الفحول عند ابن سلام:

لقى شعره عنايه من الأقدمين فائقه فرووه و نقدوا عليه و استشهدوا به، و لكن الأيام جارت على ديوانه فلم نجد له أثرا على ما بذلنا من جهد رغم أن جمهوره من العلماء الثقات جمعوا متفرق شعره فى دواوين مستقله: كالاصمعى (٢١٦) و ابن السكيت (٢٤٣) و السكرى (٢٧٥) و ثعلب (٢٩٠) و ابن الأنبارى (٣٢٨) و غيرهم.

بل أن أبا بكر بن خير الإشبلى (٥٧٥) يذكر فى (فهرسته) باب "تسميته كتب الشعر و أسماء الشعراء التى وصل بها أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى إلى الأندلس" ما حرفه: (و شعر النابغة الجعدى تام فى خمسه اجزاء قرأته على نبطويه). و يفيدنا هذا الخبر بأنه أول إشاره إلى حجم الديوان و ان كان لا يخلو من غموض، و لم يشر ابن النديم (٣٨٥) فى فهرسته إلى شىء من

ذلك.

و لكن اين الدواوين التي جمعها أولئك العلماء؟ لقد صارت أثرا بعد عين و ضاعت في خضم الأيام. و هذا الحاج خليفه (١٠٦٧) صاحب (كشف

ص: ١٢٩

١- الطبرى

الظنون) لا يعرف عنه شيئاً بدلاله عدم ذكره في ماده (علم الدواوين) و اكتفى بإشاره غامضه لا تغنى و لا تنقع الغله ذكرها في المجلد الثاني من مصنفه الأنف الذكر في ماده (كتب الأشعار) قائلاً "شعر النابغه و امرئ القيس و زهير و الجعدى و ليبد - جمعه أبو سعيد الحسن بن الحسن السكرى النحوى المتوفى سنه ٧٥هـ". اه.

و ليس فى النص المذكور ما يدل على معرفه الحاج خليفه بديوان الجعدى و لو كان رآه أو سمع عنه لترجم له كما لوف عادته.

و قد كنت استقرأت أغلب فهارس المخطوطات العربيه فألفت أن فى معهد المخطوطات العربيه المصوره قطعه من شعر الجعدى (فيض الله ١٦٦٢) تقع فى ست ورقات فطلبت صورتها و عكفت على جمع شعره من المظان: مطبوعها و مخطوطها فإذا بها جمله حسنه تنيف على ما جمعت المستشرقه ماريا نالينو منه سواء ما نشرته فى المجلد الرابع عشر من مجله الدراسات الشرقيه بنابولى أم ما نشرته بديوان مستقل سنه ١٩٥٢ بروما.

تحتوى القطعه المذكوره على رائيه الجعدى و مطلعها:

خليلى غضا ساعه و تهجرا و لو ما على ما أحدث الدهر أو ذرا

و تقع فى مائه و عشرين بيتا، و كان صاحب جمهره أشعار العرب روى منها خمسه و سبعين بيتا.

و لاميّه مطلعها:

أ ما ترى ظلل الأيام قد حسرت عنى و شممت ذيلا كان ذيلا

و هى سبعة و ثلاثون بيتا.

و فى المخطوطه بعض الشروح و التغييرات. و رغم أنها غفل من التاريخ فانى أستطيع إرجاع نسخها إلى القرن الثامن الهجرى لإشاره نقل فيها ناسخها من كافيه ابن مالك.

و يبدو أن هذه القطعه كانت فى مجموع مخطوط فيه قصيده لعمر بن أبى ربيعه و ديوان الحادره و ديوان لقيط بن يعمر الأيادى لتشابه الخط و النقول و التقييدات كما بان لى بعدئذ، و من المؤكد أن نسخه دار الكتب المصرية المرقمه (١٨٤٥ أدب) منسوخه عن قطعتنا.

و آخر ما ظهر عن الجعدى ما أصدره المكتب الإسلامى بدمشق معنوناً ب (شعر النابغه الجعدى) و هو اعاده لمطبوعه المستشرقه الايطاليه نالينو مع إضافه مقطعتين أو ثلاث. و أمل أن أدفع بالديوان إلى الطبع قريباً - باذن الله - و الله الموفق و المستعان " انتهى "

و لا ندرى هل دفع الكاتب بالديوان إلى الطبع أم لا؟

قيس بن عمرو المعروف بالنجاشى

مرت ترجمته فى المجلد الثامن الصفحه ٤٥٧ و نزيد عليها هنا ما يلى:

يبدو أن هذا الرجل قد ختم سيرته بالسوء فقد ورد فى أكثر من مصدر انه شرب الخمر فى رمضان فضربه أمير المؤمنين ع مائه سوط، ثمانين للسكر و عشرين لحرمة رمضان، فلما ضربه ذهب إلى معاويه، و نال من على عو الظاهر أن هذا هو الذى أشار إليه صاحب كتاب (الطليعه) و هو قوله:

و نسب إليه ابن أبى الحديد هناه لا تصح.

اى أن صاحب الطليعه ينكر هذه الحادته.

كليب الجرمى.

حدث كليب الجرمى قال فيما قال: انتهينا إلى البصره فلم نلبث إلا قليلا حتى قيل: هذا طلحه و الزبير معهما أم المؤمنين، فراع ذلك الناس و تعجبوا فإذا هم يزعمون للناس انهم انما خرجوا غضبا لقمان [لعثمان] و توبه مما صنعوا من خذلانه، و إن أم المؤمنين تقول: غضبنا لكم على عثمان فى ثلاث: اماره الفتى و موقع الغمامه و ضربه السوط و العصا، فما انصفنا إن لم نغضب له عليكم فى ثلاث جررتموها إليه:

حرمة الشهر و البلد و الدم. فقال الناس: أ فلم تبايعوا عليا و تدخلوا فى امره؟ فقالوا دخلنا و اللج على أعناقنا.

و

قيل: هذا على قد أظلكم، فقال قومنا لى و لرجلين معى: انطلقوا حتى تأتوا عليا و أصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الذى قد اختلط علينا، فخرجنا حتى انتهينا إلى على فسلمنا عليه، ثم سألناه عن هذا الأمر، فقال: عدا الناس على هذا الرجل و أنا معتزل فقتلوه ثم ولونى و أنا كاره و لو لا خشيه على هذا الدين لم أجبهم، ثم طفق هذان فى النكت فأخذت عليهما و أخذت عهدهما عند ذلك و أذنت لهما فى العمره، فقدمنا على أمهما حليله رسول الله ص [٤٤] فرضيا لها ما رغبا نسايتها عنه و عرضا لها لما لا يحل لهما و لا يصلح، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا فى الإسلام فتقاولا يفرقوا جماعه.

ثم قال أصحابه: و الله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا و ما خرجنا للإصلاح.

فصاح بنا أصحاب على: بايعوا، بايعوا، فبايع صباى [صاحبى]، و اما أنا فأمسكت، و قلت بعثنى قومى لأمر، فلا أحدث شيئا حتى ارجع إليهم، فقال على: فان لم يفعلوا؟ فقلت: لم افعل. فقال: أ رأيت لو أنهم بعثوك رائدا فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلا و الماء، فحالوا إلى المعاطش و الجدوبه ما كنت صانعا؟ قال: قلت كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلا و الماء، قال: فمد يك [يدك]، فو الله ما استطعت أن أمتنع، فبسطت يدي فبايعته.

و كان يقول: على من أدهى العرب.

و قال (أى على): ما سمعت من طلحه و الزبير؟ فقلت: اما الزبير فإنه يقول: بايعنا كرها، و اما طلحه فمقبل على أن يتمثل الاشعار

و يقول:

ألا أبلغ بنى بكر رسولا فليس إلى بنى كعب سبيل

سيرجع ظلمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فصول

فقال: ليس ذلك و لكن:

ألم تعلم أبا سمعان انا نصم الشيخ مثلك ذا الصداع

و يذهل عقله بالحرب حتى يقوم فيستجيب لغير داع

(١)

الكميت بن زيد الأسدي

مرت ترجمته في الصفحة ٣٣ من المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما ياتي:

قال الدكتور عبد المجيد زراقط:

ولد الكميت عام ٦٠ و هو عام كربلاء، و كان قومه بنو أسد هم الذين دفنوا الحسين ع و أنصاره. و لعل كربلاء ظلت حاضره في أذهانهم و في أحاديثهم و في نفوسهم فوضعها الطفل مع الحليب و لا سيما ان بنى أسد لم يكونوا راضين هذه القرشيه المستأثره و المتمثله ببني أميه. لا سيما أنه ولد لأبوين لا يملكان من حطام الدنيا شيئا.

ص: ١٣٠

هذه الظروف اسهمت بقوه فى فرض اختيار الكميته فشب و هو يعتقد مذهبا دينيا و سياسيا و اجتماعيا.. و راح يدعو له بعد أن تهيأ للأمر كأفضل ما يكون، و نلمس هذا من خلال الأخبار التاليه:

- يقول صاحب الخزانة: "قال بعضهم: فى الكميته خصال لم تكن فى شاعر، كان خطيب بنى أسد و فقيه الشيعة و حافظ القرآن و كان ثبت الجنان و كان كاتباً و كان نسابه و كان جدليا".

- هذه الصفات يفصلها أبو الفرج فى اخبار متفرقه فنعلم أنه "كان شاعرا مقدما عالما بلغات العرب، خبيراً بأيامها، و أنه كان راويه للشعر و للحديث.

و بلغ من مقدرته أنه كان يحفظ شعر نصيب أكثر منه، و أنه تنازع و حماد الراويه العلم بأيام العرب و روايه الشعر فأفحمه، و أنه كان عالما بالنجوم و قد مارس التعليم فى جامع الكوفه الكبير.

و هذه الإمكانيات و المهارات، كانت تترافق مع صفات كان يتحلى بها الشاعر تجل و تحترم. و ليس سهلا على إنسان عادى أن يصادق رجلا يختلف عنه مذهبا و عصبية... أما الكميته، فقد كان يصادق الطرماع رغم بعد المسافه بينهما، إنه نوع من الارتفاع بالنفس الإنسانيه. كما أن الشاعر كان مؤمنا يخاف الله لدرجه أن يندم على هجائه لبنى كلب. و يقول: "فعممتهن بالفجور و الله ما خرجت بليل قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك" و كان مخلصا لمذهبه. " إذ أظهر ما كتم العباد من الحق و جاد حين ضمن الناس "دون أن يشاء مقابلا لذلك إلا الثياب تبركا.

الحق أن الكميته كان شاعر المعارضه أو داعيتها. و قد جهد فى أن يحتل موقعه عن جداره، و هو بهذا الجهد أصبح الرجل الملم بكل معطيات عصره السياسي و الثقافيه. بكل ما تعنيه هاتين الكلمتين، و الرجل المخلص العامل بكل ما يستطيع على نشر مذهبه.

الظلم و التشويه

رغم هذا لم يقدر للكميته أن ينجو من ظلم و تشويه نالا- من أمثاله من الشعراء، فهو عندهم أصم، برغم أنه كان معلم أولاد و طالب غريب...

هذا قليل بالنسبه إلى مظاهر أخرى للظلم و التجنى نلمسها فى ما يلى: أهمل ابن سلام الشاعر و لم يتحدث عنه كما تحدث عن غيره من الشعراء، و لم يعامله الأصبغى بالمقياس نفسه الذى عامل به ابن أبى ربيعه و آخرين من المولدين.

قال الأصبغى: "الكميته بن زيد ليس بحجه لأنه مولد و كذلك الطرماع.. " و قال: " و عمر بن أبى ربيعه مولد و هو حجه. سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج فى النحو بشعره و يقول هو حجه. و فضاله بن شريك الأسدى و عبد الله بن الزبير الأسدى و ابن الرقيات هؤلاء مولدون و شعرهم حجه.... " و مما يجدر ذكره ان الحكم ب" الحجه "كان امرا مهما جدا لروايه الشعر و الاهتمام و الاستشهاد به أيضا. المفضل كان يقول: "لا يعتد بالكميته فى الشعر و قال: أنشدنى أى معنى له حتى آتيك به من أشعار العرب".

و ابن قتيبه يقول عنه: "...فإنه يتشيع و ينحرف عن بنى أميه بالرأى و الهوى، و شعره فى بنى أميه أجود من شعره فى الطالبين، و لا أرى عله ذلك إلا قوه أسباب الطمع و إيثار عاجل الدنيا على آجل الآخره". و الجاحظ يصفه فيقول: "الكميت كان شيعيا من الغاليه" و يصف شعره فى مديح الرسول بأنه من الحمق كقوله:

"إليك يا خير من تضمنت الأرضو إن عاب قولى العيب"

. و نقل المرزبانى فى موشحه هذا الرأى فقال: "و لا يعيب قوله فى وصف النبى ص إلا كافر بالله مشرك".

و عابوا عليه أخذه من الشعر العربى القديم و استفادته من القرآن حتى أن ابن كناسه حاول أن يضع مؤلفا فى سرقاته من القرآن و غير القرآن.

أما عن تأثير شعره فيقول أحمد الهاشمى: "لشعره من التأثير السياسى و المذهبى أثر سيئ شتت شمل الوحده العربيه".

هذه عينات لأراء و مواقف سببها، كما يرى د. ن. القاضى بحق، أن هؤلاء كانوا متاثرين فى أحكامهم بأمرين اساسيين الأول مذهب الشاعر الدينى و السياسى و الثانى اتجاه شعره المخالف للقدمات، إذ طبقوا عليه مقاييسهم المتعارف عليها فى المدح و الهجاء، فى حين كان شعر الكميت يفترض نظره خاصه جديده لشعر خاص بصاحبه جديد. و ربما كان هذا الرأى للقدمات:

"الكميت، و كان يعتمد إدخال الغريب فى شعره و له فى آل البيت الأشعار المشهوره، و هى أجود شعره". أقرب الآراء إلى الحقيقه.

و إن كانت مواقف القدمات تجد تفسيرها لها فى التعصب المذهبى دينا و فنا، أو فى الخوف من "السلطان"، فما هو تفسيرنا لرأى الدكتور شوقى ضيف التالى: "...و معنى ذلك أن قصيدته المذهبه كتبت لخدمه الشيعة عن طريق تشتيت الجماعه الإسلاميه و بث الفرقة بينها، أ كانت الجماعه الإسلاميه تنتظر مذهب الكميت كى تتفرق! ألم تكن "الاستراتيجيه" الأمويه قائمه على رد الناس إلى أنسابهم؟ أى على التمزيق القبلى، ألم نر نماذج من هذه السياسه فى الفصول السابقه؟ أ يحتاج الدكتور إلى التذكير بنقائض العصر الأموى؟! و التى رأينا أن "السلطان" الأموى كان يتبناها. ثم أن مذهب الكميت أتت انعكاسا لواقع كان مستفحلا، و كان فى الوقت نفسه السبب فى فشل ثوره اسلاميه، هذا الفشل و ملاساته جعل الكميت يستجيب لرجاء عشيرته و يجيب شاعرا طالما هجا قومه و أفحش و ما كان يجيبه لأنه كان مهتما بأمر أخطر، و لكن الواقع هذا، و الذى كان نتيجة للتطور الذى ساق الأمويون إليه الجماعه الإسلاميه، أضاع أموره و جره إلى المستنقع الذى سرعان ما خرج منه و ندم على الارتداء فيه ردحا بسيطا من الزمن.

الجديد فى شعر الكميت وليد تجربته الخاصه

كان شعر الكميت تعبيرا عن موقف املاه عليه موقعه، و كان يريد منه تاديه مهمه منوطه به. و كان من الضرورى أن يتأثر هذا التعبير بشروط تتعلق بالنشر و المنافسه و الاقتناع و التعبئه النفسيه، عبر استخدام وسائل خاصه. و قد لاحظ معظم من درس شعر الكميت تميز شعره، فوصفه القدمات بالخطب.

"جاء حماد الراويه إلى الكميت فقال: اكتبني شعرك: قال: أنت لحن و لا- اكتبك شعري " ...فقال له: "و أنت شاعر؟ انما شعرك خطب " .و قال بشار: "الكميت خطيب و ليس بشاعر " .و قال الجاحظ: " و من الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي و كنيته أبو المستهل " . و قال: " ان للخطبه سعداء و هي على ذى اللب أرمي، الكميت و كان خطيبا " .

ص: ١٣١

" بالاستهواء الخطابي "الذى يحيل الخطيب فيه الفكره إلى احساس بوسائل الخطابه المعروفه من تكرار أو سخرية أو تأكيد أو اتجاه إلى عاطفه السامع و محاوله إثارة وجدانه قبل اقناع عقله".

" و قد عرف الكميت بأنه كان يحسن الخطابه و لا شك أن هذه الموهبه تبدو جليه فى شعره السياسى بوجه فنيه كثيره بعضها يتصل ببناء القصيده و تسلسل صورها و اجزائها و بعضها خاص ببناء العباره و إيقاعها و تكوين الصور نفسها.

أما بناء القصيده فيقوم فى الأغلّب على استثاره فضول السامع كما يفعل الخطيب...". و يرى أن الشاعر يستخدم وسائل مثل التكرار الخطابي و التكرار المؤكد (ألفاظ ذات معان متقاربه) و الجناس الناقص و التقسيم، و اقتران الألفاظ بصفات توضح دلالاتها، و الأرصاد للقافيه من أجل أن يصل إلى غرضه و هو كما يقول: "و كان الشاعر بتكرار هذه الألفاظ ذات الإيقاع الواحد و المعانى المشتركه يحاول أن يطبع عاطفته و يحفرها فى وجدان القارئ أو السامع إلى أعماق ما يستطيع".

و يثير الدكتور القط مسأله شديده الأهميه عند ما يقول: "و يمكن أن نجد فى تلك الصيغ الموقعه المشتركه بدايات واضحه لبعض مظاهر البديع التى يربطها الدارسون دائما بالمخضرمين من شعراء الدوله الأمويه و العباسيه و ببعض شعراء الدوله العباسيه كمسلم بن الوليد و أبى نواس ثم أبى تمام رأس هذا الاتجاه و تؤكد هذه الظاهره الملموسه فى شعر الكميت أن التطور الفنى الذى عرف فيما بعد باسم البديع... كان تطورا طبيعيا ممتدا متأثرا بطبيعته التجربه عند الشاعر و بحسه اللغوى و الموسيقى".

و يلاحظ الأستاذ احمد نجا، فى كتابه عن الشاعر، أن الكميت استخدم التكرار و الطباق و الترصيع و الترتيب و المجاوره لتأكيد المعنى، و الالتفاف لتأييد فكره أو لنفيها، كما يلاحظ أن شعره يتميز بصفاء لغه، و جزاله تعابير و انتفاء مفردات. و أنه جدد من حيث القالب بحيث صار موضوع الناقه ثانويا، و من حيث الموضوعات إذ هجر النسيب و سخر من الأوضاع البدويه و يقارن بينه و بين أبى نواس و يعطى امثله منها قول الكميت:

فدع ذكر من لست من شاناه و لا هو من شانك المنصب

و هات الثناء لأهل الثناء باصوب من قولك فالأصوب

و يقارن بين قوله الأخير و قول أبى نواس:

أثن على الخمر بالائها و سمها بأحسن أسمائها

و بين قول الكميت:

ما لى فى الدار بعد ساكنها و لو تذكرت أهلها، أرب

و قول أبى نواس:

ما لى بدار خلت من أهلها شغل و لا شجاني لها شخص و لا لطلل

و بعد أن يستنفد وجوه المقارنه بينهما ينتهى إلى القول: "الكميت هو الحافظ الحق للثوره الأدبيه العباسيه و السباق للتححرر و التجديد".

إن كان الدكتور القط قد خالف الدارسين فاعترت التطور الفنى الذى عرف باسم البديع تطورا طبيعيا يعود إلى طبيعه تجربه الكميت، و إن كان الأستاذ نجا قد اعتبر أن الكميت هو الحافظ الحق للثوره الأدبيه العباسيه، فان خشافا فى حديثه مع أبى تمام قد لاحظ هذا قديما. سال أبو تمام خشافا عن الكميت بن زيد و عن شعره و عن رأيه فيه، فقال: "لقد قال كلاما خبط فيه خبطا من ذاك (مما لا يجوز) لا يجوز عندنا و لا نستحسنه، و هو جائز عندكم، و هو على ذاك أشبه كلام الحاضره بكلامنا و أعربه و أجوده و لقد تكلم فى بعض أشعاره بلغه غير قومه".

إذا يذكر الكميت بأبى تمام و مدرسته. و لكن يجب الانتباه لفروق ضرورى تحديدها بين طبيعه تجربه الكميت و طبيعه تجربه أبى تمام و شعراء مدرسته، فالكميت كان داعيه، يعبر عن موقف سياسى و دينى اجتماعى، كان يدعو إلى ثوره، فمسأله التجديد عنده يمكن أن ينظر إليها من زاويه، أنه كان يريد شد الانتباه و تركيزه، و إيضاح المعنى و تأكيده و ترسيخه، فاستخدم أساليب الخطابه، و كل هذا يجعل من الضرورى أن يكون الشعر متميزا كى ينشر، و ذا مستوى من الجوده يحترم من أجله فيحفظ و ينشر و يقرأ أو يسمع و يروى و يدرس. و هذا ما دفع الشاعر إلى طلب الغريب و إلى استعمال البديع، و هكذا يمكن فهم بديع الكميت و صناعته من زاويه خدمته لغرض الشاعر الذى كان يريد لقصيدته أن تتسرب و تسرى. أما تشهيره بالأوضاع البدويه ففهمه سهل، إذ أن الشاعر يريد من الناس أن يتجهوا إلى معالجه مشكلاتهم الحقيقيه و إلى الاهتمام بأمورهم الأساسيه.

"ما لى فى الدار بعد ساكنها و لو تذكرت أهلها، أرب"

نلاحظ هنا اهتمام الشاعر بسكان الدار، بالإنسان الذى يشكل همه الرئيسى. و لعل هذا أفضل رد على من يتهمون الشعر الشيعى بالارتفاء فى احضان الحزن، كمنفس للمشاكل. ان الكميت يفتح بابا عريضا للتطور الفنى انطلاقا من فكره الاهتمام بالإنسان، و مصيره، و ضروره معالجته لمشكلاته، و هنا يمكن الفرق بين الأصاله و الافتعال.

الفرق بين أن تفرض تجربه الشعريه الشكل، من بناء قصيده و بناء عباره، و الملائم للمضمون، و بين أن يدور الشاعر على شكل (قالب) يصب فيه معانيه و لا- يكون أمامه إلا- تزيين هذا القالب و تزويقه. و الفرق أيضا بين موقف يرفض التعامل مع الديار كبديل عن التعامل مع ساكنها، و كأنه لاحظ أثر المقدمات المدحيه فى إغواء المتلقى، و الدعوه إلى الاهتمام بالذات، و بين موقف يسخر من الديار و ساكنها و يعود فى مدائح ليقطفى آثار نهج يسخر منه بمراره.

و ما كان سهلا أن يتخلص أبو نواس من أسار التقليد لأنه كان يرفض و هو فى الإطار ذاته، و هو الإطار المتمثل ب: على الشاعر أن يدور على شكل يبدأ به شعره، و لأنه كان يرفض و هو فى داخل أسوار "السلطان". و مما يؤكد أن تحديد الكميت مرتبط بتجربته كداعيه، أن شعره فى الأمويين مختلف تماما، إذ هو تقليدى، و قد قال فيه هو: "إن هو إلا كلام ارتجلته"، و لا اهميه لآراء القدماء فيه إذ أنهم كما قلنا متأثرون بمقاييس خاصه بهم فى المدح. و يقول الدكتور القط عن مدائح فى الأمويين: "إننا نحس إزاء القصيده بغلبه النظم الردىء و الصفه الشكليه التى لا تنضح بعاطفه أو صدق أو توفيق إلى ثوره فنيه ذات قيمه أو عباره شعريه محكمه.

و الكميت أيضا جدل، و قد لاحظ الجاحظ هذا: "ما فتح للشيعه باب الاحتجاج بالشعر إلا الكميت"، و المحدثون أكثروا من الحديث عن هذه الصفه فى الكميت. يقول الدكتور شوقى ضيف: "يتحول الشعر عند الكميت إلى تأليف حجج و صياغه أدله. و هذا معنى ما نقوله من ان الهاشميات جديده فى اللغه العربيه، فالشعر فيها يتصل بمنابع عقليه لا صلّه بينها و بين المنابع القديمه التى كان يستمد منها الشعراء".

و يقول الدكتور نعمان القاضى: "لم يكن شاعرا على الطريقه المألوفه و إنما كان شعره لونا جديدا على الذوق العربى التقليدى و محاوله رائده فى إدخال الشعر العربى من باب جديد، و استمدادا لمنابع عقليه جديده، و صياغته صياغه فكريه لم يسبق إليها، تتحول بالشعر العربى من مجال العاطفه إلى مجال الفكر و العقل المحض و محاوله التصدى للتعبير عن نظريه مذهبيه مدعمه بالنظر العقلى و طرائق المتكلمين و وسائلهم فى الاحتجاج و الاستدلال حتى ليخرج ديوانه الهاشميات نسا طريفا لمذهب الزيديه بكل تفاصيله و وقائعه بل أنه ليتجاوز ذلك إلى الاستدراك على كتاب الملل و النحل الذى أغفل بعض مبادئ الزيديه كفكره العدل".

و هكذا يبدو لنا الكميت خطيبا جدلا، داعيه إلى الثوره، هكذا يبدأ الكميت القصيده من هاشمياته:

طربت و ما شوقا إلى البيض أطرب و لا لعبا منى، و ذو الشيب يلعب

و لم يلهنى دار و لا رسم منزل و لا يتطربنى بنان مخضب

و لا أنا ممن يزجر الطير همه أ صاح غراب أم تعرض ثعلب

و لا السانحات البارحات عشيه امر سليم القرن أم مر أعضب

و لكن إلى أهل الفضائل و النهى و خير بنى حواء و الخير يطلب

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله، فى ما نالى أتقرب

بنى هاشم رهط النبى، فاننى بهم و لهم أرضى مرارا و أغضب

يستفيد الشاعر من تعود الناس على تقليد شعرى، و يفاجتهم برفضه الذى ياتى على شكل صدمه تنبهم، و يملك انفسهم مشوقا إلى أن يصرح بغرضه و قد صرخوا، كما فعل الفرزدق عند ما أتى يسأله إن كان يذيع هذا الشعر أم لا: "من هؤلاء ويحك؟!"، و ينتهى بهم الأمر إلى الاستجاده، كما قال الفرزدق أيضا له، بعد معرفته من هم هؤلاء الذين يطرب لهم: "أذع يا بن أخى و أنت و الله أشعر من مضى و من بقى". و يكون هذا الرضى عن الشعر و الشاعر الزاد المرافق طوال التعرف على باقى اجزاء القصيده الهادفه إلى إيصال المتلقى إلى موقف الشاعر.

هذه المقدمه الشاده تسلّم المتلقى إلى التماس مباشره مع مسأله الحقيقه.

وقد لعب الصراع على الزعامه أساسيه فى المذهب الشيعى، و قد كانت محرجه لخصومهم الذين يحكمون باسم الدين و يضطهدون آل النبى و من يحبهم. و هذه حقيقه تاريخيه لا يفيد فيها إغماص العينين عنها و القول كالجاحظ مثلا: من يعيب على الكميت حبه لآل محمد الا كافر؟ فقد كانوا يعيرون عليه حبه لآل محمد، و يضطهدون من يحبهم.

و الأحداث التاريخيه شاهد على هذا، لأن القضيه لم تكن حبا لمجرد الحب، و إنما كانت قضيه سياسيه، أو مسأله مركزيه فى السياسه الإسلاميه، من حيث تقرير حق الخلافه، فالعيب و الاضطهاد لم يكونا من أجل الحب و إنما من أجل ما يقرره هذا الحب من أحقيه بالخلافه، و كان الكميت واعيا هذه القضيه تمام الوعى و قد أستغلها كأفضل ما يكون الاستغلال مثيرا للناس على هؤلاء الذين يرون حب آل النبى عارا، و الذين يخيفون من يحبهم. و يستخدم الشاعر وسائل كالاستفهام و التقرير و التضمين بآيات القرآن. و المقابله لحب آل البيت و المصاب بالجرب. و التكرار المؤكد " ترى... " و تحسب، أعنف، و أؤنب.. " . و المتلقى يخرج من هذا التماس، ان لم يكن متبنيا لموقف الشاعر، فعلى الأقل متعاطفا معه أو كحد أدنى يخرج مثارا غير مطمئن و غير هادئ، و يغدو يريد إجابته على جمله من الأسئلة يطرحها هذا التحريض و تثيرها هذه الاثاره:

.. باى كتاب أم بآيه سنه ترى حبههم عارا على و تحسب

وجدنا لكم فى حم(1) آيه تأولها منا تقى و معرب

ألم ترنى فى حب آل محمد أروح و أغدو خائفا اترقب

كانى جان محدث و كأنما بهم يتقى من خشيه العر أجرب

على أى جرم أم بآيه سيره أعنف فى تقریظهم و أؤنب

و الداعيه لا- يترك المتلقى مثارا حائرا، و إنما ينطلق معه فى جوله جديده و هذه المره تختلف، إذ أنها تطول الأمر فى العمق. يحكم الأمويون لأنهم من قريش، و قريش تحكم لأنها رهط النبى، إذا هم يحكمون باسم هذا الذى يؤنب فى حبه! يحكمون بسبب هذا الذى يعتبر حبه و حب آل بيته عارا، و جرما و يعامل محبه و كأنه اجرب. من هذا المنطلق، يناقش مسأله "الإرث" أو الحق بالخلافه، من منطلق الأمويين أنفسهم الذين يتناقضون عند ما يروون:

" نحن الأنبياء لا نورث " و

" انما الأئمه من قريش "، فلم من قريش؟ أليس بسبب النبى؟ إن كان الأمر هكذا، فكيف لا يورث:

يقولون لم يورث و لو لا تراثه لقد شركت فيه بكيل و أرحب

و عك و لخم و السكون و حمير و كنده و الحيان بكر و تغلب

و لانتشلت عضوين منها يحابر و كان لعبد القيس عضو مؤرب

و لا تنتقلت من خندق فى سواهم و لامتدحت قيس بها ثم ائقبوا

و لا كانت الأنصار فيها أذله و لا غيبوا عنها إذا الناس غيب

هم شهدوا بدرًا و خير بعدها و يوم حنين، و الدماء تصيب

و لكن موارىث ابن آمنه الذى به دان شرقى لهم و مغرب

فان هى لم تصلح لقوم سواهم فان ذوى القربى أحق و أقرب

الفكره بسيطه جدا، إذا كان الرسول لم يورث، كما يقولون، فالخلافه من حق العرب جميعا، كما يقول الخوارج الذين يجعلونها من حق المسلمين جميعا، و لكن طالما أن الخلافه محصوره فى قريش و ليست من حق باقى القبائل فهذا بسبب تراثه: "لو لا تراثه" و لكن موارىث ابن آمنه"، و التراث أحق الناس به ذوو القربى، و لو لا- تراث النبى لكانت هذه القبائل جميعا لها الحق بالخلافه و بخاصه الأنصار الذين لهم اليد الطولى فى نصره الإسلام، و تراث النبى أولى به ذوو قرياه. و هكذا يوصل الكميت متلقى دعوته إلى دفء اليقين عبر التشويق و الاثارة و الاقناع.

و كان هذا دأب الكميت فى هاشمياته جميعا، أنه فى الهاشميه الرابعه يبدأ بايقاظ الأمه من نعستها:

ألا هل عم فى رأيه متأمل و هل مدبر بعد الاساءه مقبلى.

ص: ١٣٣

١- قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.

و هل أمه مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسه المتزمل!

فقد طال هذا النوم و استخراج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يعدل!

لا أظن أن هذا الإيقاظ للأمه من كراها ارتداد على الذات بالعدوان، بحيث يعد صمام أمان للسلطان، و إنما هو شد للناس إلى رؤيه واقع مرير، و انهاضهم كى يلمسوا ما صارت إليه أمورهم. و لنلاحظ قبل أن نرى عرضه لواقع الحال، هذا التساؤل الممتد المتعجب فى البيت الأول. و الذى يأخذ مداه و معناه فى المقابله بين (عم متأمل) و بين (مدبر و مقبل) دون أن ننسى هذا الإيضاح، بعد الاساءه، لتبيان مدى فظاعه هذا الادبار.

يعرض الكميت الذى يدعو إلى الثوره و يناقش مسأله على غايه من الأهميه، و حسمها ضرورى للخروج على السلطان، و أعنى بها أن يصل المرء إلى درجه من الاقتناع بالأمر و من التبنى له تدفعه لأن يضحى بحياته من اجله.

و يعود الكميت إلى هذه المسأله مره اخرى فى آخر القصيده، و يرى الباحثون فى موقفه هذا وقوفاً منه عند حد التأييد دون المخاطره ببذل النفس و يرون أنه قاله عند خروج زيد. و الواقع أن القصيده نظمت قبل خروج زيد بمداه طويله.

و ان التطرق إلى هذه القضية كان فى نطاق مناقشه أمر مهم جدا و حسمه ضرورى من أجل نجاح الثوره.

لاحظ الكميت أن قلوب الناس مع آل البيت و لكنهم يخافون السيف فعرض للأمر فى أوائل القصيده مؤكداً أن حياه كالتى تعاش ليست بذات قيمه:

و عطلت الأحكام حتى كأننا على مله غير التى نتنحل

... رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت و نقتل

و نحن بها مستمسكون كأنها لنا جنه مما نخاف و معقل

أرانا على حب الحياه و طولها يجد بنا فى كل يوم و نهزل

فتلك أمور الناس اضحت كأنها أمور مضيع آثر النوم بهل

ثم يعود إليه فى أواخر القصيده، و كأنه يريد أن يقطف الثمره التى انضج، و هنا يتحدث عن الناس، و لكن بلسانه، بحيث يصل و متلقيه إلى:

فيا رب عجل ما يؤمل فيهم ليدفا مقررور و يشيع مرمل

و ينفذ فى راض مقر بحكمه و فى ساخط منا الكتاب المعطل

- فإنهم للناس... غيوث حيا، أكف ندى... عرى ثقه.. مصايح تهدى.. و لكن كيف يتم التعجيل؟ و يجيب:

لهم من هواى الصفو ما عشت خالصا و من شعرى المخزون و المتنخل

... تجود لهم نفسى بما دون وثبه تظل بها الغربان حولى تحجل

لا يزال الشاعر يعالج هذه المسأله، مسأله بذل النفس، و يقول بلسانه و لسان الآخريين أنه يضحى بكل شىء إلا بالحياه. أنه من هذا الموقف ينفذ إلى الموقف الذى يريد أن يصل إليه، فقد أوصل المتلقى إلى تمنيههم و إلى تأييدهم، ثم ينطلق به، ليصل معه إلى حيث لا يقف التأييد عند حدود و لهذا يكمل، و هنا يصبح الحديث مع النفس." و قلت لها بيعى من العيش فانيا.. أتنى بتعليل و منتنى المنى.. و قد يقبل الأمنيته المتعلل...".

ثم يحسم الأمر و هذا ما يريد الوصول إليه:

و إن أبلغ القصوى أخض غمراتها إذا كره الموت اليراع المهلل

إذا، عند ما يجب " يخض غمراتها "، رغم ما يظهره من مداراه و تقيه:

و يضحى اناه و التقيات منهم أداجى على الداء المريب و أدمل..

هذا هو الموقف الذى يريد الكميت إيصال متلقيه إليه، التهيؤ للخروج باقتناع كامل و بذل مطلق، عند ما تبلغ الأمور الدرجه القصوى. و نحن أن كنا نريد الحكم للكميت، أو الحكم عليه، لا- يجب أن نقتطع بيتا و نقول هذا يمثل موقف الكميت من القضيه... معتقدين أن البيت يمثل الوحده فى القصيده العربيه. و هذه الرؤيه التى تحاكم القصيده كأبيات منطلقه من تردد غير مستند إلى قراءه فى التراث مخطئه. و قد بينا هذا لدى حديثنا عن قصيده المديح و النقيضه و قصيده الغزل و نعيد هنا فنقول: يجب أن نلظر برؤيه شامله إلى القصيده كوحده متكامله، و الموقف يؤخذ منها كامله و إن كان من وجود مستقل للبيت، فهو وجود آخر يختلف عن ذلك الذى يندرج فى اطار القصيده. و هو ما يراه النقاد فى وجود اجزاء القصيده الحديثه: فلم يرون رؤيتين! لعله الكسل و ترديد ما اتبع و قيل. و لهذا ما كان ممكنا للشاعر أن يصل و متلقيه إلى النتيجة التى رأينا دون أن يناقش الساسه مسائلهم، إضافه إلى ما بدأ به من إيقاظ لرؤيه واقع. يقول الكميت:

فيا ساسه هاتوا لنا من حديثكم ففيكم لعمرى ذو أفانين مقول

أ أهل كتاب نحن فيه و أنتم على الحق نقضى بالكتاب و نعدل

يقود هذا التساؤل إلى عرض يبلغ فيه الذروه فى استخدام الوسائل الفنيه، يكثف السؤال و يعرض صورتين متقابلتين:

فكيف و من انى و إذ نحن خلفه فريقان شتى تسمنون، و نهزل؟

من يقرأ: " فكيف و من أنى و إذ " و " تسمنون و نهزل " مفرده يحكم حكما مخالفا لحكمه لو قرأها فى إطارها، إنها ليست صناعه، و لكنها حشد لوسائل توصل إلى الغرض. و هذا هو الفرق بين أن تكون الوسائل فى خدمه الشاعر و بين أن يكون

الشاعر فى خدمتها.

ثم يفصل عارضا صورته توضح حقيقته ما هم عليه:

برينا كبرى القدرح أو هن منته من القوم لا شار ولا متنبل،

و لنلاحظ هذه السخرية المستخدمة ألفاظا غريبه و كان هذه الألفاظ الغريبه صورته كاريكاتوريه مبرزه:

ولايه سلعد ألف كأنه من الرهق المخلوط بالنوك أثول

كان كتاب الله يعنى بامرته و بالنهى فيه الكودنى المركل

ألم يتدبر آيه فتدله على ترك ما ياتى أم القلب مقفل

و ينتقل الشاعر إلى الهجوم المباشر مستخدما أيضا وسائل كالتكرار " فحتى م حتى م، أيتموا و أثلكوا، خبال مخبل " و كالاستفاده من الأمثله العربيه " كلبه حومل.. كانت تربطها صاحبته فى الليل لتحرسها و تطردها فى النهار، و كنار الحالفين التى كان يضاف إليها الملح "...

ص: ١٣٤

رضوا بفعال السوء من أمر دينهم فقد أتموا طورا عداء و أثلوا

كما رضيت بخلا و سوء ولايه لكلبتها فى أول الدهر حومل

نباحا إذا ما الليل أظلم دونها و ضربا و تجويعا.. خبال مخبل

... هم خوفونا بالعمى هوه الردى كما شب نار الحالفين المهول

لهم فى كل عام بدعه يحدثونها أزلوا بها اتباعهم ثم أوجلوا

و بعد هذا يفصل الشاعر فى مساوى الأمويين، و لنلاحظ هذه المقابله بين ما يحل و ما يحرم، فالأمر ليس مجرد صناعه:

تحل دماء المسلمين لديهم و يحرم طلع النخله المتهدل

و ليس لنا فى الفىء حظ لديهم و ليس لنا فى رحله الناس أرحل

... هما هم بالمستلثمين عوابس كحدان يوم الدجن تعلقو و تسفل

يحلثن عن ماء الفرات و ظلله حسينا و لم يشهر عليهن منصل

تهافت ذبان المطامع حوله فريقان شتى ذو سلاح و أعزل

ثم لرى هذا التوظيف لما ساه كربلاء عقلانيا و لخدمه الثوره التى كان يدعو إليها، و كيف يستخدم هذا العرض المأساوى

لينهض بالناس:

فلم أر موتورين أهل بصيره و حق لهم أيد صحاح و أرجل

كشيعة و الحرب قد ثقت لهم امامهم قدر تجيش و مرجل

فريقان هذا راكب فى عداوه و باك على خذلانه الحق معول

فما نفع المستأخرين نكيصهم و لا ضرر أهل السابقات التعجل

فان يجمع الله القلوب و نلقهم لنا عارض من غير مزن مكلل

سرايلنا فى الروع بيض كأنها اضا اللوب هزتها من الريح شمال

على الجرد من آل الوجيه و لاحق تذكرنا اوتارنا حين تصهل

نكيل لهم بالصاع من ذاك اصوعا و يأتيهم بالسجل من ذاك اسجل

ألم يفزع الأقوم مما أظلمهم و لما تجبهم ذات ودقين ضئيل

إلى مفزع لن ينجى الناس من عمى و لا فتنه إلا إليه التحول

إلى الهاشميين البهاليل إنهم لخائفنا الراجى ملاذ و موئل

كان الكميت داعيه ثوره، أفاد من إمكاناته و مهاراته، التي كانت شامله لمختلف شئون الحياه فى ذلك العصر من أجل خدمه عقيدته، فاتى بشعر جديد فى الأدب العربى، و ما كانت هذه الجده مفتعله أو وسيله زينه، و ما كانت صناعه تهدف لإظهار الحرفه الفنيه، و إنما كانت جده ابنه لموقف أو جده وليده تجربه خاصه

الشيخ لطف الله العالمى

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٨ من المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما يلى لتعلق بعضه بالمترجم، و ما نشره هنا كان ردا على ما نشر فى بعض المجلات:

إن المجال، مكانا و زمانا ليس فيما نعتقد و نقدر، مجال مناقشه مسهبه كامله شامله لكل ما أورده الأستاذ فؤاد البستاني فى جلسته مع مندوبى الصياد (العدد ١٦٩٢) فى منهجيه و فحواه و مرتكزاته و بنيته، حضاريا و تاريخيا و ايدولوجيا و سياسيا و فى ما هو فى عمقه الخلفى و ما هو فى بعده الإمامى و إذا كنا انتظرنا. إفساحا منا فى المجال لمن ألقى الكره فى وجوههم، فى يوم ممطر على ملعب غير ذى عشب، ان يقذفوا بالكره، و مر عددان من "الصياد" دون أى أثر... إذا كان ذلك كله قائما فإنه لا يمكن أن يمر الإنسان مرور الكرام بالمغالطات و الأخطاء التاريخيه التي ارتكز الأستاذ البستاني إليها، و سوف نكتفى فى هذه العجالة بابداء بعض الملاحظات حول ذلك:

أولا: قضيه الهيثم بن عدى:

يقول الأستاذ البستاني ان العربى منذ العصور العباسيه يعنى المسلم. و قد قيل فى الهيثم بن عدى فى العصر العباسى الأول لأنه كان يفرق بين العروبه و الإسلام:

و لا يزال له حل و مرتحل إلى النصرى و أحيانا إلى العرب

إنه من المفزع فعلا تنكب منهجيه مثل المنهجيه التي تنكبها الأستاذ البستاني من استقراء التاريخ حدثا و إطارا و دلالة، و بالتالى عبره. و هى فى الواقع - و يسمح لنا الأستاذ البستاني بذلك - مجرد تجريد بدائى من جهه و مسخ و تشويه من جهه ثانيه. و هو داء طفولى معروف فى علم التاريخ و الاعتبار به.

لقد كان الهيثم بن عدى دعيا فاحتقره العرب المعترفون بانسابهم فأراد أن يعر أهل البيوتات العربيه تشفيا بهم فراح يضع مثالب للعرب و يؤسس للشعوبيه، فهجاه شعراء العرب، و قال قائلهم مره:

الله أكبر هذا أعجب العجب الهيثم بن عدى صار فى العرب

و يؤسفنا أن يحور الأستاذ البستاني قصه البيت الذى استشهد به هذا التحوير العجيب.

أ - إن جميع المصادر التى بين أيدينا تروى البيت على هذا الشكل:

ولا يزال له حل و مرتحل إلى الموالى و أحيانا إلى العرب

ب - إن القصة التى نظم فيها هذا البيت قصه تافهه لم يكن يجدر بالأستاذ البستاني أن يجعل بسببها من الشاعر مفكرا يفرق فى ذلك العصر بين العروبه و الإسلام. و نحن نريد أن نسلم - جدلا - مع الأستاذ البستاني انه وجد مصدرا يؤيد روايه البيت على الشكل الذى رواه، و لكن كان من الكياسه أن يذكر القصة التى نظم فيها هذا البيت لنرى إن كان يصح أن نعد معها الشاعر مفكرا قوميا. و كل ما فى الأمر ان الهيثم بن عدى أغضب أبا نواس - و كان أبو نواس لا يزال حدثا - فهجاه بأبيات قال فيها:

لهيثم بن عدى فى تلونه فى كل يوم له رجل على قتب

فما يزال أبا حل و مرتحل إلى الموالى و أحيانا إلى العرب

و بذلك صار أبو نواس عند الأستاذ البستاني من غير المفكرين بين العروبه و الإسلام فى العصر العباسى الأول!..

إذن ان اطار الحدث من قضيه الهيثم بن عدى سببا و موقفا و ظرفا ليس اطار النزاع الطائفى أو الدينى بالمعنى الذى يريده له الأستاذ البستاني. و الشعوبيه أصلا ليست فى هذا الإطار. و كلمه (نصارى) الواردة فى بيت الشعر الذى ذكره الأستاذ البستاني - على فرض صحه ورودها و هو غير صحيح -، لا تعنى المسيحيين باعتبارهم معتقى هذا الذين و إنما تعنى الروم: الأمه، الشعب، الحكم، السلطه المواجهه العدو. الإطار ليس صليبيا كما يحاول أن يوهم بذلك الأستاذ البستاني. و كان من الممكن أن يعنى ذلك: أى عدو آخر مسيحيا كان أو يهوديا أو وثنيا.

و القول بأنه قد " قيل " فى الشاعر ما قيل " من انه كان لا يفرق بين العروبه و الإسلام " هو تجريد بدائى للتاريخ و طمس و تشويه له. و نتساءل إذا أخذنا بمنطق الأستاذ البستاني إلى ما ذا كان يدعو إذن أبو نواس؟ هل إلى حكم علمانى

أو إلى حكم فوضوى أو ما ذا؟..

ثانيا: قضيه نشوء الباكستان:

إن أكبر زعماء المسلمين فى الهند كانوا ضد تقسيم الهند و يكفى أن نذكر منهم: أبو الكلام آزاد، و فخر الدين على أحمد، و ذاكر حسين، و السيد محمد سعيد العبقاتى إلى عشرات أمثالهم. بل ان أبا الأعلى المودودى زعيم (الجماعه الإسلاميه) و مؤسسها كان هو نفسه ضد التقسيم. هذه الجماعه المعروفه بنزعتها الإسلاميه المتصلبه. و عند ما اختلف المودودى مع رئيس جمهوريه الباكستان أيوب خان، كان مما غير به هذا، انه كان معارضا لقيام الباكستان.

و قد استوضحت خلال زيارتى للباكستان عددا من زعماء الجماعه الإسلاميه فأقروا بهذه لدى الزعيم محمد على جناح دورا فى التقسيم بالاضافه طبعاً إلى الأسباب الرئيسيه الأساسيه التى أدت إلى التقسيم.

إذن ليس صحيحاً - و هو أمر عاصرناه - أن مسلمى الهند " ظلوا فى الحض حتى نشأت دوله الباكستان " كما يقول الأستاذ البستاني ليدعم ما انطلق به من مبدأ أصلاً: و هو أن المسلمين لا يمكن أن يتعايشوا مع أحد...

إن تاريخ الشعوب لا تلخص أسبابه و تكشف مكنوناته ببعض كلمات. إن وراء تقسيم الهند و نشوء دولتين فيها، استعماراً دام عشرات السنين كان قوامه نهب الخيرات و اثاره الفتن و بذر الشقاق و تقسيم الشعوب و تركيب الدول.

و نحن نريد أن نسأل الأستاذ البستاني ما دام ان "المسلمين يسعون بمعونه مسلمى العالم ليكونوا دوله مسلمه" كما يقول فكيف خرجت بنغلادش المسلمه من دوله مسلمه بمعونه الهند؟ ان إهمال العوامل الاقتصاديه و السياسيه و القوميه و اللغويه فى فهم مثل [مثل] هذه الأمور هو تجريد بدائى للتاريخ. و عند ما يرد ذلك للدين و للدين الإسلامى فقط لا يعود هذا تاريخاً أبداً. و أخيراً لما ذا لا تزال تحبو فكره وحده غرب أوروبا و ليس فيها مسلمون و هى مسيحيه من قرون عده.

ثم إننا نسأل الأستاذ البستاني، من كان وراء الحركه الانفصاليه التى قامت فى بيافرا؟ و من هو وراء الحركات الانفصاليه القائمه الآن فى فرنسا و اسبانيا و كندا؟ أ هم المسلمون؟.. بل اننا نسأله من كان وراء انفصال لبنان عن سوريا؟! ثالثاً: قضيه الشيخ لطف الله العاملى:

يزعم الأستاذ البستاني أن فخر الدين المعنى أرسل الشيخ لطف الله العاملى من ميس الجبل إلى عند الشاه عباس فى ايران، لينسق بين الشاه و فخر الدين فى حربه مع العثمانيين.

و الأستاذ البستاني حين يقول هذا القول فإنه يجهل حقيقه مهمه علماء جبل عامل فى ايران فى عهد الدوله الصفويه.

إن الهجره العلميه العامليه إلى ايران هى أبعد عهداً و أسمى هدفاً مما يظن الأستاذ البستاني. و إذا كان فخر الدين المعنى هو الذى أرسل الشيخ لطف الله العاملى إلى الشاه عباس فمن الذى أرسل قبل ذلك المحقق الكركى الشيخ على بن الحسين بن عبد العالى المتوفى سنه ٩٤٠ هجرية (١٥٣٤ م) إلى الشاه إسماعيل و الشاه طهماسب و من الذى أرسل الشيخ حسين عبد الصمد المتوفى سنه ٩٨٤ هجرية (١٥٧٦ م) و ولده محمد بهاء الدين؟ و من الذى أرسل الشيخ إبراهيم البازورى و الشيخ محمد على

خاتون و السيد بدر الدين الحسينى الأنصارى؟ و من الذى أرسل المئات غيرهم من علماء جبل عامل؟ لقد كان سبب هذه الهجره ان الدوله الصفويه قامت أول ما قامت على كيان عسكري بحت يتركز إلى القوه الماديه وحدها، فكانت بحاجة إلى العلماء و المثقفين فوجدت بغيتها فى هذا الجبل العظيم (جبل عامل) الذى استمر تدفق علمائه و مفكره إلى ايران طيله قرنين حتى ظهر فى الميدان العلماء الايرانيون، و كان أبرزهم محمد باقر المجلسى المتوفى سنه ١١٠٦ هـ (١٦٩٩ م).

و قبل ذلك، قبل قيام الدوله الصفويه فى عهد ملك خراسان على بن المؤيد، حاول هذا الاستعانه بعلماء جبل عامل فأرسل يستدعى الشهيد محمد بن مكى المستشهد سنه ٧٨٦ هـ و لكن محمدا اعتذر لأن بلاده كانت فى ذلك الوقت بأمس الحاجه إليه، إذ كان هو رأس النهضه العلميه العامليه التى تضععت بفعل احتلال الافرنج (الصليبيين)، ثم انبعثت على يد محمد بن مكى. و اكتفى محمد بن مكى بان ألف لعلى بن المؤيد كتاب (اللمعه) فى الفقه و أرسله إليه.

إذن: ١ - مبدئيا ان العلاقات بين الشيعه و فخر الدين كانت على الأغلب سيئه، إن لم تكن عدائيه و لم يكن من مبرر لهم حتى و لو كانوا مضطهدين من قبل الحكم العثمانى لأن يوالوا فخر الدين، و لا لأن تقوم علاقته تحالف "مصيرى" مع حكمه تستدعى "نشاطا دبلوماسيا دوليا" من قبل الشيعه لدعم فخر الدين.

٢ - إن قضيه الوجود الشيعى فى ظل الحكم العثمانى فى العهد المعنى لم تكن فى لبنان مطروحه بالمعنى و المبنى اللذين يذكران للوجود المسيحى أو اللبناى.

فلم تكن لدى الشيعه آنذاك و لا الآن نزعات استقلاليه ذات دور حضارى.

كما انه من العبث الكلام عن علاقات آنذاك فى هذا السياق بالذات بين شيعه جبل عامل و شيعه ايران. و بالتالى لا مجال للقول بتحرك شيعى متمثل فى عالم كبير من علماء الشيعه فى سفاره للأمير المعنى. و هذا فى رأينا مجرد كلام يراد به تركيب تاريخ "بالابره و السناره".

٣ - لم يكن فى مطلق الأحوال من الوارد لدى الشيخ لطف الله، شانه فى ذلك شان علماء الشيعه آنذاك ان يقوم بمهمه مثل المهمه التى يذكرها الأستاذ البستاني و بخاصه لرجل مثل الأمير المعنى. و كان أولئك العلماء من المنزله و الانشغال و العمل و الترفع بحيث ان القصه المورده لا تعدو أن تكون موضوعه.

هذا من الناحيه المبدئيه، أما من حيث سيره الشيخ لطف الله العاملى نفسها، فهى تنفى النفى كله مثل هذه السفاره. فالشيخ لطف الله ليس هو الذى ذهب إلى جبل عامل، بل ان جده إبراهيم بن على بن عبد العالى الميسى هو الذى ترك ميس و ذهب من الجبل إلى إيران.

و قد كان له ولدان هما: الحسن و عبد الكريم، و لعبد الكريم ولد، هو لطف الله.

و عن تفاصيل حياته ننقل له عبارته واحده و ليراجع تفاصيل ذلك فى ترجمه

الشيخ لطف الله في أعيان الشيعة. أما العبارة فهي:

" و دخل في أوائل أمره إلى مشهد الرضا (ع) و تلمذ على مولانا عبد الله التستري و غيره. إلى أن انتظم في سلم المدرسين في الحضرة المقدسه و الموظفين بوظائف التدريس و النظارة لخدام الروضه. ثم انتقل منه إلى قزوين و منها إلى أصفهان و توطن فيها إلى أن بنى له الشاه عباس المدرسه و المسجد. و هو و ابنه الشيخ جعفر و والده و عمه الحسن و جداه من مشاهير الفقهاء الاماميه ".

فمتى كان الشيخ لطف الله - و هذه سيرته - سفيرا لفخر الدين؟!.

الشيخ لطف الله البحراني بن عطاء.

من أدباء البحرين ذكره في (أنوار البدرين) و لم يذكر لا تاريخ مولده و لا تاريخ وفاته و قال: وله شعر في مرثي الحسين ع يقرأ في المجالس الحسينيه و الظاهر أنه من قريه جد حفص و من شعره قوله:

وصلنا السرى بالسير نقطعها ففرا مهامه لا تهدي إليها القطا أثرا

يضل بها الخريث أن حل أرضها و ترصدها الجربا فتقذفها سعرا

على يعملات كالقسي تفاوضت أحاديث من تهوى فطاب لها المسرى

تسابق أيديها على السير ارجل قدحن من الصلدا الصفاه لها حجرا

و ما أن زجرناها و لكنها متى تلهف ملهوف توهمه زجرا

و ما اتخذت منا دليلا و انما تخب و تستقرى إذا انتشقت عطرا

إلى أن أجازت ساحه الحى و انتهت إلى دار من تهوى و قد أقفرت دهرا

فلما عرفن الدار حنت و ارزمت فلم تنبعث في السير ارجلها شبرا

فملنا عن الأكوار للأرض سجدا فسابقت الأجفان أفواها فخرنا

و عدنا فسلمنا سلاما فسلمت ثلاثا فسلمنا عليها بها عشرا

و هي طويله و له شعر كثير و قفت عليه.

السيد ماجد الصادق بن هاشم.

توفي في شيراز سنة ١٠٢٨ من علماء البحرين و ادبائها ارتحل إلى شيراز و وصف بأنه أول من نشر علم الحديث فيها، و انه اقبل

عليه أهلها. و تلمذ عليه بعض علمائها مثل محمد محسن الكاشاني صاحب (الوافي). و انه اجتمع بالشيخ البهائي في أصفهان، و ان البهائي استجازه فكتب له إجازة طويله، و إن هذه الإجازة وجدت في خزانه بعض كتب الأعيان سنه ١١٠٣ و ان له من المؤلفات: (الرساله اليوسفيه) و له حواشى على الشرائع و على اثني عشره الشيخ البهائي. و له رساله سماها (سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد)(١) من شعره قوله:

ناشدتك الله إلا ما نظرت إلى صنع ما ابتدأ الباري و ما ابتدعا

تجد صفيح سماء من زمرده خضرا و فيها فريد الدر قد رصعا

ترى الدراري يدانين الجنوح فما يجدن غب السرى عيا و لا ضلعا

و الأرض طاشت و لم تسكن فوقها بالراسيات التى من فوقها وضعا

فقر ساحتها من بعد ما امتنعا و انحط شامخها من بعد ما ارتفعا

و أرسل الغايات المعصرات لها فقهقتهت ملء فيها و اكتست خلعا

هذا و نفسك لو أم الخبير لها لارتد عنها كليل الطرف و ارتدعا

و ليس فى العالم العلوى من أثر يحير اللب إلا فيك قد جمعا

و من شعره:

طلعت عليك المنذرات البيض و ابيض منها الفاحم الممحوض

ست مضين و أربعون نصحن لى و لمثلهن على التقى تحضيض

وافى المشيب مطالبا بحقوقه و على من قبل الشباب فروض

أ يقوم أقوام بمسنون الصبا متوافرا و يفوتنى المفروض

أن الشباب هو المطار إلى الصبا فإذا رماه الشيب فهو مهيض

بادرته خلس الصبا إذ لاح لى بمفارق الفودين منه و وميض

فمشى و حاز سبق إذ أنا قارح جذع بمستن العذار ركوض

و اسود فى نظر الكواعب منظرى إذ سودته الغائبات البيض

و الليل محبوب لكل ضجيعه تهوى عناقك و الصباح بغيض
عريت رواحل صبوتى من بعد ما أعيأ المناخ بهن و التقويض
قد كنت فى طلب العنان فساسنى وال يذلل مصعبى و يروض
عبث الربيع بلمتى و عاث فى تلك المحاسن كلهن مقيض
و من شعره يحن إلى ألفه و وطنه:

يا ساكنى (جد حفص) (٢) لا تخطفكم ريب المنون و لا نالتكم المحن
و لا عدت زهرات الخصب وادىكم و لا أغب ثراه العارض الهتن
ما الدار عندى و ان ألفتها سكنا يرضاه قلبى لو لا الالف و السكن
ما لى بكل بلاد جئتها سكن و لى بكل البلاد جئتها وطن
الدهر شاطر ما بينى و بينكم ظلما فكان لكم روح و لى بدن
ما لى و ما لك يا ورقاء لا انعطفت بك الغصون و لا استعلى بك الفنن
مثير شجوك أطراب صدحت بها و مصدر النوح منى الهم و الحزن
و جبرتى لا أراهم تحت مقدرتى يوما و إلفك تحت الكشح محتضن
هذا و كم لك من أشياء فزت بها عنى و أن لزننا فى عوله قرن
و قبره بشيراز فى جوار السيد احمد بن الامام موسى الكاظم ع المعروف (بشاه جراغ) كما فى اللؤلؤه.

عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك الأسدى

أستاذ دار الخلافة:

ذكره صلاح الدين الصفدى فى وفيات سنه "٦٢٧" من تاريخه الذى على الحوادث قال فيها: "و أستاذ دار الخليفة أبو نصر
المبارك بن الضحاك... له شعر حسن فمن شعره:

و قد كان حسن الظن جل بضاعتي فادبنى هذا الزمان و أهله

و أكثر من تلقى يسرك قوله و لكن قليل من يسرك فعله

و ما كل معروف و إن قل قدره يخف على عنق المروءه حمله

و دفن بمقابر قریش ". و جاء ذكره فى كتاب الحوادث فى وفيات سنه " ٦٢٧ " قال مؤلفه: " و فيها توفى عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاک. و كان شيخا دينا فاضلا أديبا و كان من المعتدلين بمدینه السلام و رتب ناظرا بديوان الجوالى و كتب فى ديوان الإنشاء ثم نفذ رسولا إلى صاحب الشام فلما عاد رتب أستاذ دار الخلافه فكان على ذلك إلى أن توفى و كان له شعر حسن فمما نسب إليه ما رثى به بعض أصحابه و هو:

لئن مضى أحمد حميدا ما الموت فى أخذه حميد

ص: ١٣٧

١- أنوار البدرين

٢- جد حفص قريه فى البحرين.

أو بخلت مقله بدمع فهي على مثله تجود

و ذكره ابن الفوطى فى الملقبين بعضد الدين قال: "عضد الدين أبو نصر المبارك بن أبى الرضا محمد بن أبى الكرم هبه الله بن الضحاك الأسدى القرشى البغدادى المعدل أستاذ الدار. (هو) المبارك بن محمد بن هبه الله بن على بن محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عبد الله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى. شهد عند قاضى القضاة محمد بن جعفر العباسى فى شعبان سنة خمس و ثمانين و خمسمائه و رتب ناظرا بديوان الجوالى و كتب فى ديوان الإنشاء و أنفذ رسولا- إلى العادل محمد بن أيوب سنة خمس و ستمائه(1) و لما عاد من الرسالة ولى استاذيه الدار فى ربيع الآخر سنة ست و ستمائه فلم يزل على ذلك إلى حين وفاته ليله الجمعة الخامس و العشرين من المحرم سنة سبع و عشرين و ستمائه. و مولده سنة اثنتين و خمسين و خمسمائه، و له شعر و رسائل "

و كان لقبه بهاء الدين ثم بدل لما رفعت رتبته، قال ابن الساعى فى حوادث سنة ٦٠٥: " و فيه (أى شهر ربيع الأول) خلع على رسولى الملك العادل و نفذ صحبتهما العدل بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك و الأمير عماد الدين أزيك الناصرى"، ثم قال فى حوادث ذى القعدة من السنة المذكورة: " و فى يوم الاثنين سادس عشرى وصل بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك و الأمير عماد الدين أزيك من دمشق و تلقاهما حاجب الحجاب، و جماعه من الأعيان و دخلا و عليهما الخلع التى خلعهما عليهما العادل و قصد البدرية الشريفه "

و قال فى حوادث سنة "٦٠٦" فى شهر ربيع الآخر: " و فى ليله الخميس ثانى عشرى ولى بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك استاذيه الدار العزيزه و لقب عضد الدين و أسكن الدار المقابلة لباب الفردوس المحروس و ذلك بعد عزل أبى الفتح بن رزين فى تلك الليلة و نقله عنها"، ثم قال فى حوادث السنة المذكورة فى جمادى الآخرة منها: " و فيه نفذ عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك أستاذ الدار العزيزه يومئذ رسولا إلى الملك العادل و صحبته الأمير نور الدين آق باش الناصرى المعروف بالدويدار، و كان العادل إذ ذاك على سنجار محاصرا لها و أمرا أن يرحله عنها فمضيا و رحلاه و عادا فى يوم الأربعاء ثانى شهر رمضان". و مما قدمنا يعلم أنه أرسل رسولا إلى الملك العادل الأيوبى مرتين.

و ذكره كمال الدين المبارك بن الشعار الموصلى قال: "من بيت معروف بالكتابه و تولى الأعمال الديوانيه، و كان من أعيان أهل بيته دينا و فضلا و معرفه و أدبا. شهد عند قاضى القضاة محمد بن جعفر البغدادى العباسى فى شعبان سنة خمس و ثمانين و خمسمائه و رتب ناظرا بديوان الجوالى ثم رتب أستاذ الدار العزيزه فى شهر ربيع الأول سنة ست و ستمائه، و لم يزل على ذلك إلى أن توفى فى ليله الجمعة خامس عشر محرم سنة سبع و عشرين و ستمائه - رح - و صلى عليه بجامع القصر و حضر جماعه أرباب الدوله و غيرهم فصلوا عليه و حمل إلى مشهد موسى بن جعفر - (ع) فدفن فى ترابه له هناك. أنشدت له بمدينة السلام هذه الأبيات، حكى لى أنه كتبها على بعض سطوح الحمام المعد للمهام و نقل الأخبار:

يا حجره بنيت بأيمن طائر شيدت مبانيتها بأحسن منظر

حفت باطيار كان حفيفها ريح الشمال تضحخت بالعنبر

وضعت لأصناف سوابق لم تكن لا لابن داود و لا الإسكندر

الله شادك نزهه المستبصر ببقاء مولى خلقه المستنصر

مولى زكت أعرافه و جدوده فى الأطيبين و فى المحل الأظهر

فغمامه من رحمه و عراضه من جنه و يمينه من كوثر

و أنشدت له فى المعنى:

برج حمام سما بحمامه حوما على الابراج طرا

و حمامه سبق الرياح وفاتها برا و بحرا

و المبارك بن الضحاك الاسدى هذا هو خال الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى الشهير. و له أخبار كثيرة لأنه كان من شيوخ الدولة العباسيه و أعيانها. و هو الذى درب ابن العلقمى على شئون الاداره و السياسه و الوزاره، و أن لم يكن وزيرا، فإنه كان مرشحا للوزاره و لكن انقطاع أجله حال دون ذلك.

قال كمال الدين الشعار فى ترجمه الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد و توكيل الخليفه المستنصر له: و قال له أستاذ الدار أبو نصر ابن المبارك بن الضحاك و كانا قائمين(٢) بين يدى الشباك الشريف، و هو الذى قام بامر البيعه(٣) لشيخوخته و ملابسته لاشغال الدار العزيزه: أن أمير المؤمنين قد وكل أبا الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد فى كل ما يتجدد من بيع و عتق و ابتياع.

الحاج مجيد العطار ابن محمد

ولد سنه ١٢٨٢ فى بغداد و توفى فى النجف الأشرف سنه ١٣٤٢ نشا فى مدينه الحله و فى سنه ١٣٣٤ انتقل بأهله إلى ناحيه شريعه الكوفه، له شعر كثير فى مدح أهل البيت و رثائهم، و له إلمام فى فن التاريخ الشعرى.

من شعره قوله:

من حمى المرتضى اعصمت بحصن قد حمى منه جانب العز لث

فجبانا ببره و حمانا فهو فى الحاليتين غوث و غيث

و له مقرظا على عصا من عوسج أهديت إلى السيد محمد القزوينى:

و ان عصا من عوسج ترهق العدى و تثمر معروفا بيمنى محمد

لتلك التى يوم القيامه جده يذود بها عن حوضه كل ملحد

و له متشوقا إلى لقاء الله:

ما شاقنى قرب الحمام و انما اشتاق قرب الواحد المنان

لأشم ريح العفو عند لقائه و أذوق طعم حلاوه الإحسان

و له مناجيا ربه:

أ محصلا ما فى الصدور بموقف لا عذر فيه لنا عن العصيان

أ تقيم فينا العدل يحكم وحده و أمرتنا بالعدل و الإحسان

محمد بن أبى بكر بن أبى القاسم الهمداني ثم الدمشقي

قال اليافعى فى (مرآه الجنان) و هو يذكر وفيات سنه إحدى و عشرين

ص: ١٣٨

١- كان السبب فى إرساله سير العادل إلى الجزيرة و استيلاؤه على الخابور و نصيبين و حصره سنجار، و ذلك أن الأتابك نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل غدر به بعد أن عاهده و الخبر مفصل فى الكامل لابن الأثير و لكنه سمى فيه "هبه الله بن المبارك" و هو تصحيف. و قال ابن الأثير فى تاريخه الآخر الأتابكى المعروف بالباهر " ص ٣٦١ أوربه " إن أمير المؤمنين الناصر لدين الله - أعز الله سلطانه - أرسل رسولا... و ناهيك بهذا شرفا و جلاله و قدرا لنور الدين عند أمير المؤمنين إذ ينفذ مثل أستاذ داره العزيز ". و لكن ابن الأثير فى ترجمه الناصر شتم و ذم و جاوز الحد.

٢- الثانى قاضى القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرازق الجبلى.

٣- يعنى أستاذ الدار.

فيها مات شيخ الشيعة و فاضلهم الشمس محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني ثم الدمشقي. (انتهى) (راجع ترجمته في الصفحة ٦١ من المجلد التاسع).

محمد بن أبي عمير البزاز يبايع السابري

في رجال ابن داود: يكنى أبا أحمد. من موالى الأزد، و اسم أبي عمير زياد بن عيسى. من أوثق الناس عند الخاصة و العامة و انسكهم و أورعهم و أعبدهم، و قد ذكره الجاحظ في كتابه في فخر قحطان على عدنان بذلك، و ذكر أنه كان أوحد زمانه في الأشياء كلها. أدرك من الأئمة ثلاثه: أبا إبراهيم موسى بن جعفر (ع) و لم يرو عنه، و روى عن أبي الحسن الرضا (ع)، و روى عنه احمد بن عيسى كتاب مائه رجل من رجال أبي عبد الله (ع)، و له مصنفات كثيره، و ذكر ابن بطه انها اربعة و تسعون كتابا.

حبس بعد الرضا (ع) و نهب ماله و ذهبت كتبه، و كان يحفظ أربعين جلدا فلذلك أرسل أحاديثه. و كان قد سعى به انه يعرف أسماء الشيعة و مواضعهم، فأمره السلطان بتسميتهم فأبى فضرب ضربا عظيما. و قيل كان ذلك ليلي القضاء - قال: فلما بلغ مني الضرب ذلك كدت اسميهم فسمعت نداء: يا محمد بن أبي عمير: اذكر موقفك بين يدى الله، فتقويت بقوله و صبرت و لم أخبرهم و الحمد لله. و قيل انه أدى مائه واحده و عشرين ألف درهم حتى خلص، و كان ممولا. و كان مولى بنى اميه و قيل مولى المهلب بن أبي صفرة، بغدادى الأصل و المقام،

لقى الكاظم (ع) و سمع منه أحاديث كناه في بعضها، فقال (ع): يا أبا احمد، تعظيما له رحمه الله.

أبو نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان

مرت ترجمته في الصفحة ١٠٣ و ما بعدها من المجلد التاسع و مر فيها ذكر مؤلفاته بصورة مجمله و نذكرها هنا مفصلا مكتوبه بقلم الأستاذ جعفر جاويشى.

و نكرر الآن ما قلناه في أول الكتاب عن البحوث المنشوره في ترجمته في المجلد التاسع و المعنونه بهذه العناوين: (مع الفارابي الفيلسوف الروحى) و (مع الفارابي في المدينه الفاضله) و (مع أهل المدينه الفاضله) - إن هذه البحوث مكتوبه بقلم: الدكتور محمد مصطفى حلمى.

المنطق

١ - شرح العبارة لأرسطوطاليس:

شرح قيم على كتاب العبارة لأرسطو، كتبه الفارابي. أساس هذا الشرح نسخه أصلية باليونانية، تختلف عن شرح امونيوس الذى أعده في القرن السادس الميلادى، كما يختلف عن الأثر اليونانى الذى استفاد منه بوتوس المعاصر له باللاتينية، و لعل المآخذ و المباني لهذه الشروح الثلاثه هو التفسير المفقود لفرفوروس.

الطباعه:

ويلهولم كوش و مساعده طبعاً و نشر المتن العربى مع مقدمه و فهرس كامله و مفيده بيروت عام ١٩٦٠ م. الدكتور محسن مهدي نقد هذه الطبعه فى المجلد الثانى و الثمانون من مجله اتحاد شرق امريكا، و كذا دانلوب فى مجله الاتحاد الملكى الآسيوى.

يوجد من هذه الرساله أربعه نسخ خطيه:

١ - المكتبه الحميديه، تركيا، و رقمها ٨١٢/٤.

٢ - مكتبه الأمه (فيصل الله أفندى) رقمها ١٨٨٢.

٣ - مكتبه تويقا بوسراى رقمها ١٧٣٠/٢٠.

٤ - مكتبه براتيسلاوا رقمها ٢٣١.

الدكتور مباحه تور كركويل ترجمت هذه النسخه إلى اللغه التركيه عام ١٩٦٦ م، و طبعت مرفقه مع المتن العربى بانقره.

٢ - رساله صدر بها كتاب التوطئه فى المنطق:

دانلوب طبع المتن العربى لهذه الرساله مرفقا بترجمه انكليزيه عام ١٩٥٧ م.

يوجد من هذا الكتاب خمس نسخ خطيه فى السليمانيه.

الدكتور مباحه تور كركويل طبعت المتن العربى و أرفقته بترجمه تركيه.

فى تعريف آثار الفارابى لموجغان جنبور تم تعريف ترجمتين ألمانيتين كنسخ خطيه لهذا الأثر.

٣ - تعليقات انالوطيقا الأولى لأرسطوطاليس أو كتاب القياس الصغير:

- نسخه مكتبه الأمه (جار الله) رقم ١٣٤٩، الحميديه ١/٨١٢.

- نسخه مكتبه تويقا بوسراى رقم ١٧٣٠/١٥.

- نسخه مكتبه كليه الآداب و التاريخ الجغرافى باسطنبول ١/١٨٣.

- الدكتور مباحه تور كركويل أعدت المتن العربى مع ترجمه تركيه تشمل مدخلا ممتعا جدا و طبعته فى أنقره عام ١٩٥٨ م.

- نيكولاس روشر ترجمه إلى الإنكليزيه.

٤ - تفسير كتاب المدخل فى صناعه المنطق:

هذه الرساله منسوبه للفارابى، فى حين تردد بعض المحققين فى نسبتها له، و اعتقدوا أنها من إخوان الصفا.

النسخ الخطيه:

- المكتبه السلیمانیه (آيا صوفيا) رقمها ٤٨٣٩/٥.

- المكتبه السلیمانیه رقم ٤٨٥٤/٥.

- مكتبه تويقا بوسراى رقم ٣٠٦٣/٢.

ديتريشى طبع المتن العربى لهذه الرساله فى لايبزيك عام ١٨٨٣ م.

ترجمه القرون الوسطى باللاتينيه أعدت و طبعت عام ١٨٩٧ م.

٥ - شرح كتاب إيساغوجى فرفوروس:

نسب هذا الكتاب إلى الفارابى، لكن التحقيق الذى أعده شتيرن - محقق العلوم الإسلاميه - يشير إلى أن هذا الكتاب هو فى الواقع من آثار أبو الفرج بن الطيب.

دانلوب طبع المتن العربى و الترجمة الإنكليزيه لهذا الكتاب عام ١٩٥٦ م.

٦ - كتاب الأمكنه المغلظه أو كتاب فى السفسطه:

توجد عده نسخ من هذه الرساله:

١ - مكتبه مجلس الشورى الوطنى برقم ٥٩٥.

ص: ١٣٩

٣ - مكتبه كايل برقم ٤٥ (٢١٧) ٦٦.

٤ - مكتبه براتسلاوا برقم ٨/٢٣١.

تقسم هذه الرساله إلى ثلاثه فصول هي:

الفصل الأول: يشمل مقدمه الكتاب (في صدر الكتاب).

الفصل الثاني: "في إحصاء الأمكنه المغلظه من الألفاظ".

الفصل الثالث: "في إحصاء الأمكنه المغلظه من المعاني".

و توجد لهذه الرساله ترجمه عبريه من القرون الوسطى.

عماد الدين المراكشى كتب شرحا على هذه الرساله تحت عنوان شرح مختصر في السفسطه. توجد نسخ من هذا الشرح في المكتبه المركزيه لجامعه طهران، ضمن الكتب المهدهه من الأستاذ السيد محمد مشكاه.

٧ - شرح كتاب المقولات لأرسطوطاليس أو شرح فاطيقورياس أرسطو:

يوجد من هذه الرساله ترجمتين عبريتين من القرون الوسطى على شكل مخطوطتين إحداهما في ميونيخ رقمها ٣٠٧/٢، و الأخرى في مكتبه اسكوريال رقمها ٦١٢.

دانلوب طبع المتن العربى و الترجمه الإنكليزيه لهذه الرساله عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩.

نهاد ككليك طبع المتن العربى مع مقدمه باللغه التركيه من ١١ صفحه في اسطنبول عام ١٩٦٠ م.

يحتمل أن تكون هذه الرساله عينها رساله الدكتوراه لككليك بجامعه اسطنبول التي قدمت باللغه التركيه إلى هذه الجامعه عام ١٩٥٦ م بعنوان تاريخ المنطق الإسلامى و مقولات الفارابى.

٨ - كتاب الجدل:

النسخ الخطيه:

١ - المكتبه السليمانيه (الحميديه) رقمها ٨١٢/٩.

٢ - مكتبه براتسلاوى، تشيكوسلوفاكيا رقمها ٢٣١.

٣ - المكتبه الوطنيه الملكيه ضمن المجموعه ١٥٨٣.

هكذا بدأت هذه النسخة:" قال أبو نصر محمد بن محمد الفارابي في صناعه الجدل، هي الصناعات [التي] بها يحصل للإنسان القوة على أن يعمل من مقدمات مشهوره قياسا في إبطال كل (ما) وضع موضوعه كلى بتسلمه بالسؤال".

حسب زعم العديد من المحققين فإن كتاب الجدل للفارابي هو قسم مما أعده من فصول يحتاج إليها في صناعه المنطق، وإن المتن الكامل لهذا الكتاب لم تصل إليه يد حتى الآن، ولا يوجد منه سوى ترجمته العبرية ليعقوب بن أبي موري، التي يوجد منها نسخه خطيه محفوظه في المكتبه الوطنيه بباريس تحت رقم ١٠٠٨ - FOL.

عماد الدين المغربي (المراكشي) كتب شرحا على كتاب الجدل للفارابي، توجد نسخه خطيه في مكتبه سكوريال رقمه - ٦٣٠ . COD.

٩ - كتاب الألفاظ المستعمله في المنطق:

الدكتور محسن مهدي طبع المتن العربي لهذا الكتاب و أرفقه بمقدمه و حواشي في بيروت عام ١٩٦٨ م. ١٠ - كتاب شرائط البرهان تلخيص من فصول يحتاج إليها في صناعه المنطق:

دانلوب طبع المتن العربي لهذه الرساله و أرفقه بترجمه انكليزيه عام ١٩٥٥ م.

الدكتور مباحه تور كوكويل طبعت نفس الملخص هذا و أرفقته بترجمه تركيه في انقره عام ١٩٥٨ م.

١١ - كتاب شرائط اليقين:

النسخ الخطيه: توجد نسخه خطيه من هذا الكتاب في باريس بحروف عبريه، و نسخه أخرى في المكتبه السليمانيه (أسد افندي) رقمها ١٩١٨/٢.

الطبعات: الدكتور مباحه تور كوكويل طبعت المتن العربي للكتاب و أرفقته بترجمه تركيه عام ١٩٦٣ م.

يوجد شرح على رساله الفارابي هذه تحت عنوان "شرح في شرائط اليقين" على هيئه نسخه خطيه في مكتبه سكوريال رقمها ٢٦١٢٠٧.

و توجد ترجمه عبريه لكتاب شرائط اليقين للفارابي في المكتبه الوطنيه بباريس رقمها ١٠٠٨ - HEBR.

١٢ - كتاب المختصر الصغير في المنطق على طريقه المتكلمين:

ورد اسم هذه الرساله في برنامج و فهرسين للقبطي و ابن أبي أصيبعه.

أراد الفارابي في رسالته هذه - في مقابل بعض الإشكالات التي جعلها الظاهريون من المنطق - أن يقرب ذلك بأسلوب استدلال المتكلمين الإسلاميين.

النسخ الخطيه: توجد نسخه خطيه في المكتبه المركزيه لجامعه طهران رقمها ٢٤١/٢٥. و كذلك نسخه خطيه عبريه تعود للقرون الوسطى موجوده في باريس.

فن الشعر و الخطابه

١٣ - رساله في قوانين صناعه الشعر:

هذه الرساله بمثابة تلخيص لكتاب فن الشعر لأرسطو، مأخوذ عن شرح ثامسطيوس و بعض الشارحين الأخر، و في الواقع ليس بترجمه لكتاب أرسطو و تلخيص صحيح له، إنما هو عباره عن مطالب مختلفه جمعت ظاهرا عن بعض الشروح المتداوله بين فضلاء مكتب الإسكندريه علق عليها.

أربرى طبع المتن العربى لهذه الرساله و أرفقه بترجمه انكليزيه و ذلك عام ١٩٣٨ م.

١٤ - القول في التناسب و التأليف:

يوجد من هذه الرساله فيلم ٢٧٤ (صوره ٣١٣٥) في المكتبه المركزيه لجامعه طهران.

١٥ كتاب الشعر:

الدكتور محسن مهدي طبع المتن العربى المنقح من هذا الكتاب على أساس نسخه المكتبه الحميديه مع مقدمه و حواشى، و ذلك في مجله شعر، المجلد الثالث، بيروت ١٩٥٩ م، ص ٩٥-٩٠.

ص: ١٤٠

المتن العربى لهذا الكتاب مع ترجمته الفرنسيه طبع ببيروت عام ١٩٧١ م.

١٧ - شرح كتاب الخطابه لأرسطو:

توجد نسخه خطيه من هذه الرساله فى المكتبه الحميديه بتركيا رقمها ٨١٢/١٠.

و توجد ترجمتين باللاتينيه من القرون الوسطى طبعا عامى ١٤٨٤ م و ١٥١٥ م.

١٨ - صدر كتاب الخطابه:

المتن العربى لهذه الرساله لم يعثر عليه حتى الآن، لكن الترجمة اللاتينيه من القرون الوسطى موجوده و قد طبعت فى فينيز عام ١٤٨١ م.

نظريه المعرفه

١٩ - كتاب إحصاء العلوم:

كتب الفارابى هذا الكتاب حول تقسيم و توضيح موضوعات العلوم. و قد نال هذا الكتاب منذ بدايته إعجاب الجميع، و فى القرن الأخير كان موضع اهتمام المستشرقين، حيث أنه يبين سعه علم فيلسوفنا من جهه، و من جهه اخرى هو بيان مفهوم للمراد من لفظ العلم فى هذا العصر.

الفارابى اتبع فى تقسيمه هذا أسلوب أرسطو، و زاد عليه فى علمى الفقه و الكلام من العلوم الإسلاميه ذات الأهميه الكبيره فى عصره.

طبع هذا الكتاب للمره الأولى فى اسطنبول عام ١٨٨٠ م.

الشيخ محمد رضا الشيبى طبع المتن العربى لهذا الكتاب على أساس النسخه الخطيه فى النجف، دون أن يقابلها مع النسخ الأخرى، و نشره فى مجله العرفان ج ١١/٤ - و ٢٠ و ١٣-١٣٤ و ٢٤١-٢٥٧ فى صيدا عام ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م.

الدكتور عثمان أمين طبع المتن العربى المنقح لهذا الكتاب فى القاهره عام ١٩٣١ م على أساس الصوره رقم ٢٦٤ دار المصريه.

أنجل بلانسيه نشر المتن العربى لإحصاء العلوم - معتمدا على نسخه سكوريال الخطيه - بمدريد عام ١٩٣٢ م.

و كان هو أول شخص تصدى لمهمه تحليل كتاب المدخل لصناعه المنطق تأليف ابن طملوس الذى نقل فيه فصل المنطق من إحصاء العلوم بكامله، و قابله مع نسخه سكوريال.

الدكتور هنرى جورج صحح القسم المتعلق بالموسيقى من كتاب إحصاء العلوم و نشره فى مجله الاتحاد الملكى الآسيوى فى لندن عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ م.

ثم نشر هذا القسم بمفرده فى غلاسكو عام ١٩٣٤ م.

السيد حسين خديو جم ترجم المتن العربى إلى الفارسىه طبق طبعه القاهره، و قابلها مع متن طبعه مدريد، و طبعت هذه الترجمة مرفقه بمدخل ممتع من قبل مؤسسه ثقافه ايران، طهران عام ١٣٤٨ هـ. ش.

البروفسور أحمد آتش أعد ترجمه تركيه لهذا الكتاب تحت عنوان: - Farabi himeriN SayiniAL و طبعت فى اسطنبول عام ١٩٥٥. كالونيموس بن كالونيموس ترجم باختصار هذا الكتاب إلى العبريه (المتوفى ١٣٢٨).

يوسف بن عقين (تلميذ موسى بن ميمون المتوفى عام ١٢٢٦) قام بنقل فصل الموسيقى فى كتابه طب النفوس من كتاب إحصاء العلوم.

غودمان نشر المتن العربى لكتاب [للكتاب] بالأحرف العبريه.

توجد ترجمتان لاتينيتان قديمتان للكتاب [لكتاب] إحصاء العلوم، وضع إحداها "دوى نيكوس غوند يسالوى كاميرا ريوس"، طبعت و نشرت بباريس عام ١٦٣٨ م. هذه الترجمة غير كامله و مجديده، حيث أن المترجم حذف بعض فصول الكتاب، مثل فصل علم الكلام، و اختصر و أجمل مطالب اخرى.

الترجمه الثانيه لمترجم القرون الوسطى المعروف "جيراد او كرمونا" و هى ترجمه كامله و دقيقه و مطابقه للمتن العربى.

"آنجل بلانسيه" ضم هاتين التريمتين مع الترجمة الاسبانيه التى أعدها بنفسه إلى المتن العربى لكتاب إحصاء العلوم و طبعتها فى مجلد واحد طبعه نفسه، نشرت ضمن سلسله نشرات كليه الفلسفه و الآداب بجامعة مدريد.

"الدكتور ويدمان" ترجم إلى اللغه الالمانيه القسم الخاص بعلوم التعاليم (الرياضيات) من كتاب إحصاء العلوم أخذنا عن النسخه اللاتينيه للمكتبه الوطنيه بباريس و طبعه.

"مرحبا" ترجم هذا الكتاب إلى اللغه الفرنسيه.

"الدكتور فارمر" ترجم إلى الإنكليزيه فصل الموسيقى من كتاب إحصاء العلوم.

"البروفسور روزنفلد" ترجم إلى الروسيه فصل الرياضيات من إحياء العلوم، مستعينا بمعاونيه.

٢٠ - كتاب الحروف أو كتاب الألفاظ و الحروف:

ألف الفارابى هذا الكتاب لحل مشكلات أرسطو الالهيه، و بين فى بدء رسالته هذه ألفاظ المصطلحات، ثم أرسل كلامه حول

المقولات، ثم شرح معانى العبارات المستعمله فى هذا العلم. و بخلصه فقد تصدى للفرق بين المطالب البرهانيه و الجدليه و المغالطه، إلى أن جر ذلك إلى أصل الكلام فى موجودات اللغات و ارتباطها و تطابقها أو اختلافها فى بناء الأعضاء الصوتيه، ثم وصل إلى أوضاع المجتمع، فتحدث عن النواميس الدينيه و السياسيه و الفلسفه البرهانيه.

هذا الكتاب من الجانب العلمى مهم جدا بالنسبه لطلاب البحث، و التحقيق فى اللغات القديمه و لغات القرون الوسطى، من باب المثال: عند ما يبحث عن الوجود، الوجدان، الوجود و تعريف ذلك و تقسيمه، يستعمل لغات سغدى الثلاث، و يذكر معادلها فى اللغات العربيه و الفارسيه و غيرهما.

توجد نسخه خطيه خاصه فى المكتبه المركزيه لجامعه طهران رقمها ٣٣٩/٢.

"جلال الدين السيوطى" نقل قسما من هذا الكتاب فى كتابه "المزهر فى علوم اللغه و أنواعها".

ص: ١٤١

بمقدمه و حواشى، أخذه عن نسخه المكتبه المركزيه لجامعه طهران. و ذلك عام ١٩٦٩ بيروت.

"حسين عطائي" نقد هذه الطبعه ضمن مقاله باللغه التركيه نشرت فى نشره كليه الإلهيات لجامعه أنقره عام ١٩٦٩ م. المجلد ١٧، ص ٣١٥ - ٣٢٧.

٢١ - كتاب العلل أو كتاب فى الخير المحض:

هذا الكتاب رغم ميوله الافلاطونيه كان من جمله كتب نسبت سهوا إلى الفارابى، فى هذا الكتاب تم عرض مقصود أرسطو عن الخير المحض.

فى الواقع هذا الكتاب خلاصه من ElementatiO TheOlogica لبروكلوس.

"عبد الرحمن البدوى" طبع المتن العربى لهذا الكتاب ضمن كتاب أفلاطونيه المحدثه عام ١٩٥٥ م.

"يوحنا هيسباليينى" ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينيه فى القرون الوسطى، و قد طبع عام ١٨٨٢ م.

٢٢ - مقاله فى معانى العقل أو رساله فى العقل و المعقول:

سعى الفارابى فى مقاله هذه إلى شرح و تحديد العقل و أنواعه حسب اعتبار المتكلمين و بناء على تعريفات أرسطو. أن أحد هذه الاعتبارات يقول بان العقل هو ما ينسب إليه الشخص العاقل، و الآخر ما جاء فى اصطلاح المتكلمين الذين قالوا هو الشىء الذى يؤيده أو ينكره العقل، و الثالث العقل الذى تحدث عنه أرسطو فى كتاب البرهان، و مقصوده منه قوه النفس، و الرابع العقل الذى ذكر اسمه أرسطو فى كتاب الأخلاق الذى يحمله الشخص الذى يفرق بين الخير و الشر، و الخامس العقل الذى أورده أرسطو فى كتاب النفس و قسمه إلى أربعة أقسام: عقل بالقوه، عقل بالفعل، عقل مستفاد، عقل فعال.

"ديتريشى" طبع المتن العربى لهذا الكتاب ضمن الثمره المرضيه فى ليدنعام ١٨٩٠ م.

"عبد الرحمن مكوى" طبعه ضمن رسائل الفارابى الأخرى بالقاهره عام ١٩٠٧ م.

و طبع كذلك فى هامش كتاب حكمه الإشراف بطهران عام ١٣١٥ هـ ش.

"بويش" اهتم بنقد هذه الرساله، و طبع نقدها فى بيروت عام ١٩٣٨ م.

"يوحنا قمير" طبع قطعات من هذه الرساله عام ١٩٥٤ م.

توجد من هذه الرساله ترجمه عبريه و لاتينيه من القرون الوسطى طبعت عام ١٨٥٨ م.

٢٣ - مراتب العلوم:

هذا الكتاب مرادف لكتاب إحصاء العلوم، المتن العربي لهذا الكتاب كان يعتقد أنه مفقود، لكنه اكتشف ضمن المجموعه MS.1.O.3832 (ص ١٢٥ - ١٤٢) من مكتبه ديوان الهند (إنديا اوفس).

بدئ هذا الكتاب بهذه العبارة "بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أبي نصر محمد الفارابي في مراتب العلوم، قال: قصدنا في هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهوره علما علما، و تعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، و اجزاء كل ما له منها، اجزاء و جمل ما في كل واحد من اجزائه، و منجمله في خمس فصول:

الأول في علم اللسان و أجزائه، و الثانى في علم المنطق، و الثالث في علوم التعاليم و هى العدد و الهندسه و علم المناظر و علم النجوم و علم الموسيقى و علم الأثقال و علم الحيل، و الرابع في العلم الطبيعى و أجزائه و العلم الالهى و اجزائه، و الخامس في العلم المدنى و أجزائه و تعلم علم الفقه و علم الكلام".

"دومى نيكوس جوند بسالوى" ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينيه فى القرون الوسطى، و قد طبعت هذه الترجمة عام ١٩١٦ م.

شكك بعض المحققين مثل "فارمر" فى انتساب المتن اللاتينى من مراتب العلوم إلى الفارابى، و ذلك قبل أن يكتشف المتن العربى.

"فارمر" طبع قسم الموسيقى من المتن اللاتينى من مراتب العلوم إلى الفارابى، و ذلك قبل أن يكتشف المتن العربى.

"فارمر" طبع قسم الموسيقى من المتن اللاتينى مرفقا بترجمه انكليزيه، و ذلك عام ١٩٣٤ م.

الطبيعات

٢٤ - كتاب فى الخلاء:

أثر الفارابى هذا ذكر فى المنابع القديمه ضمن تعداد آثاره، و كان مفقودا حسب تصور البعض، ثم اكتشف عام ١٩٥١ م ضمن النسخ الخطيه لمكتبه الآداب و التاريخ و الجغرافيا بجامعة أنقره مجموعته "إسماعيل صائب سنسر" الرديف ١، الرقم ٣/٣٨١.

"الدكتور آيدىن صايلى و نجاتى لوغال" طبعا المتن العربى لهذا الكتاب مرفقا بترجمه تركيه و انكليزيه فى أنقره.

أثر الفارابى هذا حاز على أهميه كبيره فى نظر تاريخ العلم، و للاطلاع على أهميته من وجهه نظر تاريخ العلم تراجع مقاله "الدكتور يدين صايلى" فى ملف تاريخ الترك ١٩٥١، ج ١٥، ص ٧٤-١٥١. و قد كتبت هذه مقاله باللغه التركيه و اشتملت على خلاصه باللغه الإنكليزيه.

٢٥ - كتاب ما يصح و ما لا يصح من أحكام النجوم أو رساله فى فضيله العلوم و الصناعه:

ألف الفارابى رسالته هذه بطلب من إبراهيم بن عبد الله البغدادى - من فضلاء القرن الرابع الهجرى، و العالم الرياضى الذى تباحث مع الفارابى فى باب صحه أحكام النجوم - و راوى هذه الرساله هو إبراهيم بن عبد الله نفسه.

وضع الفارابي في هذه الرسالة ثلاثين أصلاً، و في آخره استنسخ بطلان أحكام النجوم منها.

الطبعات:

- طبعه ليدن ١٨٩٠ م (ضمن الثمره المرضيه...) - طبعه القاهره ١٩٠٧ م (دار المجموع للمعلم الثانى) - طبعه حيدرآباد ١٩٣١ م.

- طبعه بومباى ١٩٣٧ م.

"ديتريشى" ترجم هذه الرساله إلى اللغه الألمانیه و طبعها عام ١٨٩٢ م.

ص: ١٤٢

"السيد على أكبر الشهابي" ترجم هذه الرسالة إلى اللغة الفارسية تحت عنوان: في فضيله العلوم و الصناعات، و طبعها في المجلد ١٣ من نشره كلية الإلهيات و المعارف الإسلامية بجامعة الفردوسي بمشهد.

٢٦ - مقاله في وجوب صناعة الكيمياء:

هذه المقالة عرفها ابن أبي أصيبعة ضمن آثار الفارابي، لكن ابن القفطي و منابع أقدم منه لم يتحدثوا عنها في تعدادهم لآثار الفارابي. كما لم يدع أي من هذه المنابع أنه أحصى كل آثار الفارابي في فهرسته.

و من جهة اخرى فان المصطلحات و المفاهيم المدرجه في هذه المقالة من قبيل نزوع، محاكاة، اغتباط، تصديق و تصور. هي نفس ما جاء في سائر آثار الفارابي و من جملتها: آراء أهل المدينة الفاضله و الرسائل المنطقيه.

المتن العربى المنقح لهذه المقالة نشره الدكتور آيدين صايلى، و أرفقه بترجمه تركيه، و مقدمه بالتركيزه و الإنكليزيه تحت عنوان:

.FarabI nim SimyaniN Luzumu Hkkindki risAlesi bElleten

و ذلك في المجلد ١٥، الرقم ٥٧ (شباط ١٩٥١) طبع أنقره.

"و يدمان" ترجم هذه الرسالة إلى اللغة الألمانية.

٢٧ - كتاب في أصول علم الطبيعه أو المقالات الرفيعه في أصول علم الطبيعه:

يوجد من هذا الكتاب ثلاث نسخ خطيه هي:

١ - نسخه مكتبه جامعه ليدن رقمها ٢٩٣٠. ٢ Or - نسخه لاندبرغ رقمها ٥٧٠ ٣ - نسخه مانشستر رقمها ٣٧٥,٣٧٧ "الدكتور آيدين صايلى و نجاتى لوغال" طبعها المتن العربى لهذا الكتاب مرفقا بترجمه تركيه، و ذلك ضمن تاريخ الترك ج ١٥، ص ٨١-١٢٢، ١٩٥١ م.

الرياضيات

٢٨ - كتاب الحيل الروحانيه و الأسرار الطبيعه في دقائق الأشكال الهندسيه:

توجد نسخه شخصيه من هذه الرسالة في مكتبه جامعه تورنبرغ أويسالا (السويد) رقمها ٣٢٤. و حتى العام ١٩٦٩ م كانت تعتبر هذه الرسالة و رسالته الأخرى في الهندسه "بغية العمل في صناعة الرمل و تقويم الأشكال" رساله واحده، ثم قام كل من "روزنفيلد" و "كوبسوف" بمقارنه صور النسخ الخطيه لهاتين الرسالتين، و أثبتا أن هاتين الرسالتين مختلفتان تماما، و أن الرساله الأولى تشبه تماما كتاب فيما يحتاج إلى صائع من الأعمال الهندسيه تأليف أبو الوفاء البوزجاني.

رساله الفارابى التى تمت عام ٣٢١ هـ شملت مقدمه و عشر مقالات، المقالات العشره من رسالتها تشمل كلها نفس المباحث المدرجه فى كتاب أبو الوفاء بهذا الترتيب:

المقاله الأولى من رساله الفارابى تتطابق مع النصف الثانى من الفصل الثانى من كتاب أبو الوفاء من التقرير ٩ حتى النهايه.

المقاله الثانيه و حتى التاسعه متطابقه مع الفصول الثالثه و حتى العاشره لكتاب أبو الوفاء. المقاله العاشره متطابقه مع النصف الأول من الفصل الحادى عشر من كتاب أبو الوفاء. التفاوت بين رساله الفارابى و كتاب أبو الوفاء جزئى. ٢٩ - كتاب الحيل الهندسيه:

فى "عيون الأنباء" ذكر هذا الكتاب ضمن آثار الفارابى، كتب حسب الظاهر فى مجال الميكانيك، و خاصه طاقه الآلات المائيه، و يحتمل أن المطالب المذكوره فيه هى عين المذكوره فى كتاب "فى معرفه الحيل الهندسيه" لبديع الزمان الجزرمى (المتوفى عام ٦٠٢ هـ).

لا توجد أى نسخه متداوله من هذه الرساله.

٣٠ - المنتخب من كتاب المدخل إلى الحساب:

توجد نسخه خطيه من هذه الرساله فى مكتبه "رامبور" و نسخه اخرى فى مكتبه "ياصوفيا" رقمها ٣/٣٣٣٦.

٣١ - شرح المجسطى لبطليموس أو كتاب اللواحق فى علم المجسطى:

ذكرت هذه الرساله فى الفهارس القديمه ضمن آثار الفارابى. كتب فى النسخه الخطيه الموجوده بمتحف بريطانيا برقم ٧٣٦٨. Or فى الورقه الأولى منها عبارته "شرح مجسطى نسب تاليفه إلى العلامه أبى نصر الفارابى".

النسخه الثانيه من الكتاب رقمها ٦٥٣٠ موجوده فى مكتبه مجلس الشورى الوطنى بطهران.

٣٢ - شرح المستغلق فى مصادرات المقاله الأولى و الخامس من أقليدس:

طبع هذا الكتاب تحت عنوان:

.Commentar Zu Euklid,ZuR Einleitung deS I und V.Buches

(يراجع بشأنه فهرست آثار الفارابى تأليف الدكتور مجغان جنبور).

"شئى شنايدر" ذكر فى أثره حول الفارابى ترجمه عبريه للكتاب ترجمها "موسى بن تبون".

"روزنفلد" و معاونوه قاموا بترجمته إلى الروسيه، و طبع ضمن آثار الفارابى الرياضيه عام ١٩٧٢ م.

٣٣ - فى بيان تساوى الزوايا الثلاث للمثلث القائمتين:

توجد من هذه الرسالة نسختان خطيتان:

١ - نسخه فى مكتبه كلية الآداب بجامعة طهران رقمها ١٢٣ د.

٢ - نسخه فى مكتبه كلية الإلهيات و المعارف الإسلاميه بجامعة طهران رقمها ٢٦٢ ج.

طبع المتن العربى لهذه الرسالة بطهران ضمن كتاب الكشكول للشيخ بهاء الدين العاملى ص ٥٩-٦٠.

الطب

٣٤ - الرد على جالينوس فى الرد على ارسطوطاليس:

يجيب الفارابى فى رسالته هذه على الإشكالات التى وضعها جالينوس على آراء أرسطو حول العله الأوليه، و يحتمل أن يكون الفارابى قد كتب اثره هذا تبعا لرد "إسكندر فردويسى" على جالينوس.

توجد نسخه خطيه من هذه الرسالة فى طشقند. و نسخه اخرى فى كلية الإلهيات و المعارف الإسلاميه بجامعة طهران رقمها ٧١ من المجموعه ٢٤٢ ب.

٣٥ - رساله فى صناعه الطب:

ص: ١٤٣

(yKA-B) ، و نسخه في مكتبه اياصوفيا رقمها ٣٧٤٩/٢.

"الدكتور سهيل أنور" طبع المتن العربي و أرفقه بترجمه تركيه.

٣٦ - كتاب التوسط بين أرسطوطاليس و جالينوس:

توجد نسخه خطيه من هذا الكتاب في مكتبه المدرسه العليا للشهيد مطهرى بطهران ضمن المجموعه ١٢١٦. تبدأ هذه الرساله بالعباره هذه " ...قصدنا أن نثبت ما أخبر جالينوس أنه شاهده من أعضاء الإنسان و ما ذكر أن (ه) شاهده في عضو منها، بإزاء ما أخبر أرسطوطاليس أنه غايته من ذلك العضو و بعينه ل () تبين لنا الموضوع التي (تذا) يتفق فيه ما يخبران عنه...".

٣٧ - كتاب ما اشترك في الفحص عنه جالينوس و ارسطوطاليس من أمور أعضاء الإنسان:

توجد نسخه خطيه من هذه الرساله في مكتبه المدرسه العليا للشهيد مطهرى بطهران، ضمن المجموعه ١٢١٦.

٣٨ - رساله في مداواه الأمراض بالأنغام:

حازت رساله الفارابي هذه في نظر تاريخ العلم باهميه كبيره من حيث مداواه و معالجه المرضى بوسيله الارتعاشات الصوتيه. توجد نسخه شخصيه في إيطاليا.

٣٩ - المزاج و الأوزان على ما ذهب إليه الجمهور:

تقسم هذه الرساله إلى ثلاث مقالات:

المقاله الأولى في المزاج الذي ينقسم إلى ثلاث أقسام:

- الفصل الأول في بيان ماهيه المزاج.

- الفصل الثاني في أقسام المزاج.

- الفصل الثالث في المزاج الاضافي.

المقاله الثانيه في معرفه أمزجه المركبات، و تقسم إلى عدده فصول.

المقاله الثالثه في التركيب.

توجد من هذه الرساله نسخه خطيه في مكتبه جامعه ليدن رقمها ٢٨٤٤. OR.

و نسخه اخرى في مكتبه برينستون رقمها ٧٩٤/٥.

٤٠ - كتاب الموسيقى الكبير:

تشكلت هذه الرسالة من كتابين، في الكتاب الأول تحدث الفارابي عن المباحث التاليه:

ألف - المدخل الذى حكمه حكم المقدمه، و يتشكل من مقالتين، تحدث فى هذا القسم حول فلسفه الموسيقى.

ب - الفن، و يشتمل على مقالتين، بحث فيه المسائل التاليه: الصوت - الأبعاد، الأجناس، الجموع - الأغاني - المقامات - الإيقاع.

ج - فى القسم الثانى من هذا القسم بحث فى قواعد و أصول تأليف الألحان أو صناعه اللحن.

الكتاب الثانى يشتمل على أربعة مقالات، لم يعثر عليه حتى الآن.

بحث الفارابى فى كتابه هذا نظريه الموسيقى من وجهه نظر الفيزياء و الرياضيات، و دخل فى بحثه مفصلا فى معرفه الأصوات (اكوستيك) مع المحاسبات الفيزيائيه، و طرح بعض المطالب التى ما زالت مدار بحث الفيزياء اليوم.

"لاند" طبع الفصل الخاص بالآلات الموسيقية فى ليدن عام ١٨٨٣ م و ذلك بمناسبة انعقاد المجمع العالمى السادس للأوسط.

"لاند" قام بنفسه مستقلا بطبع هذا القسم تحت عنوان "البحث فى خطوات العرب" فى ليدن و أرفقه بترجمه فرنسيه عام ١٨٨٤ م.

طبع المتن العربى المنقح مرفقا بشرح و تفسير ل "الغطاس عبد الملك خشبه" و "الدكتور محمود الحنفى"، و قد طبعه دار الكاتب العربى بالقاهره عام ١٩٦٧ م.

"رودلف ارلانزه" طبع المتن الكامل المترجم إلى الفرنسيه فى باريس عام ١٩٣٠ - ١٩٣٥ م. و قد جدد طبعه مرارا.

قسم من طبعه "ارلانزه" الفرنسيه ترجم إلى اللغه الفارسيه طبع فى نشره رساله الأونسكو السنه ١٣٥٢ هـ. ش، العدد ٤٧، ص ٣١-٣٤.

"الدكتور مهدي برکشلى" ترجم قطعاً من كتاب الموسيقى الكبير إلى اللغه الفارسيه، و أقدم على تجزئتها و تحليلها علميا.

و نقلت قطعاً منه إلى اللغات الالمانيه، اللاتينيه، الإسبانيه و الهولنديه.

٤١ - المدخل الموسيقى:

مطالب هذا الكتاب جاءت خلال سائر آثار الفارابى حول الموسيقى، و فى الحقيقه هى نفس المطالب المدونه فى مقدمه كتاب

الموسيقى الكبير، لكن أهميته الوحيدة هي أنه حرر مستقلا عن غيره. توجد عدة نسخ خطيه من هذه الرساله فى مكتبات العالم، و من جملتها مكتبه المتحف البريطانى.

٤٢ - كتاب الإيقاعات:

تحدث الفارابى فى كتابه هذا عن الأوزان المختلفه، و قد اشتمل هذا الكتاب على شرح نفس النظريات التى أشار إليها الفارابى فى كتابه الموسيقى الكبير.

"ابن زيله الأصفهانى" نقل اقساماً كثيره من هذه الرساله فى كتابه "الكافى فى الموسيقى".

"نيوباور" حلل هذا الكتاب فى مقاله باللغه الألمانيه.

٤٣ - كتاب فى إحصاء الإيقاع:

قسم الفارابى فى كتابه هذا الأوزان الموسيقيه، و يشبه هذا الكتاب فى كل جهاته كتاب الإيقاعات، و يحتمل أن يكون نفس الكتاب، لكنه بتحرير آخر.

يوجد هذا الكتاب مصوراً على شكل ميكروفيلم (فيلم مصغر) فى المكتبه المركزيه لجامعه طهران رقمه ٢٦٢ (٥٠٨ صوره).

٤٤ - كلام... فى النقل مضافاً إلى الإيقاع:

كتب الفارابى هذه الرساله حول كيفيه تغيير الوزن الموسيقيه.. و قد وضع "شتاين شنايدر" فى الصفحه ٢١٦ من كتابه حول الفارابى كلمه "نقره" مكان كلمه "فى النقل".

لا بد من التذكير بان "إيقاع" لفظ عامى للوزن الموسيقيه، و "نقره" تطلق على اجزاء وزن واحد، لذا بناء على هذا صوره الكتاب الثانى قد تكون:

ص: ١٤٤

٤٥ - كتاب شرح السماع:

هذا الكتاب مفقود، و يبدو من عنوانه أنه شرح لسماع الموسيقى، و قد يكون نفس الشرح المعروف للفارابي على كتاب الفيزياء لأرسطو الذى عنوانه كتاب شرح السماع الطبيعى.

الفلسفه العامه و ما بعد الطبيعه

٤٦ - إثبات المفارقات:

طبع هذا الكتاب مرتين فى حيدرآباد ضمن رسائل الفارابى، واحده عام ١٩٢٦ م، و الأخرى عام ١٩٣١ م، كما و طبع فى بومباى ضمن رسائله عام ١٩٣٧ م.

"حلمى ضياء أولكن و قوان الدين بورسلان" ترجمنا هذا الكتاب إلى التركيه و طبعاه فى اسطنبول عام ١٩٤١ م.

٤٧ - فلسفه أفلاطون و اجزاؤها و مراتب اجزائها من أولها إلى آخرها:

"روزنتال و والترز" طبع المتن العربى مرفقا بترجمه لاتينيه و حواشى مفيده عام ١٩٥٣ م.

"الدكتور محسن مهدي" طبعه طبعه جديده مع ترجمه انكليزيه.

"الدكتور عبد الرحمن البدوى" طبعه ضمن كتابه أفلاطون فى الإسلام على أساس النسخه الخطيه فى اياصوفيا تحت الرقم ٨٨٣٣، مع مقابلتها مع المتن المطبوع لروزنتال و والترز.

"شتاين شنايدر" طبع الترجمة العبريه للقرون الوسطى - و هى قسم من هذه الرساله - و أرفقها بترجمته هو إلى الألمانيه عام ١٨٦٩ م.

٤٨ - كلام فى معانى اسم الفلسفه و سبب ظهورها و أسماء المبرزين فيها و على من قرءوه منهم أو رساله فى بيان ظهور الفلسفه:

ذكر اسم هذا الكتاب القفطى و الخزرجى، كما جاء فى برنامج اسكوريال، و حرر عنه المسعودى فى التنبيه و الاشراف [الاشراف] ص ١١٥-١٢٢، و نقل ابن أبى أصيبعه عن الفارابى قطعه من هذه الرساله حول الاكاديميات القديمه و مدرسه الإسكندريه و تأسيس أوغست "للشعبه الأكاديميه فى روما، و التحقيقات التى ستذكر كلها أخذت بهذا القول.

"شتاين شنايدر" طبع المتن العربى لهذه القطعه فى كتابه حول الفارابي عام ١٨٦٩ م. (يراجع بشأنه قسم الكتب باللغه الأوروبيه رقم ٢٠٩).

"مولير" طبع هذا المتن عام ١٨٨٢ م.

"عمر فروخ" نقل نفس القطعه العبريه فى كتاب العرب و الفلسفه اليونانيه، و كذا "عبد الرحمن البدوى" فى كتابه التراث

اليوناني.

و جاءت الترجمة الفارسيه لهذه القطعه فى كتاب اللغه ل "دهخدا" محمد تقى دانش پژوه " وضع ترجمه فارسيه عن النسخ المطبوعه، و نقل ابن أبى أصيبعه، و كتابه المسعودى، و نسخه كابل (مجله معهد المخطوطات ٢٣/١) و (فهرست بوركوى ص ٢٩٣).

٤٩ - المسائل الفلسفيه و الأجوبه عنها أو رساله فى جواب مسائل سئل عنها:

كتاب يشتمل على اثنين و أربعين مسأله سئل عنها الفارابى و أجب باختصار عنها. و يظهر أن مدون هذا الكتاب كان أحد تلاميذ الفارابى.

طبعاته: - طبعه ليدن ١٨٩٠ م (فى الثمره المرضيه) - طبعه القايره ١٩٠٧ م (فى المجموع للمعلم الثانى).

- طبعه حيدرآباد ١٩٣١ م.

- طبعه بومباى ١٩٣٧.

"ديتريشى" ترجم هذه الرساله إلى اللغه الألمانية، و طبعها عام ١٨٩٢ م.

"حلمى ضياء أولكن و قوام الدين بورسلان" ترجمتا المتن الكامل لهذه الرساله إلى اللغه التركيه ٥٠ - كتاب النفس:

توجد من هذه الرساله نسخه فى بودلين (S.II, 605, Bodleian I, 809)، و نسخه اخرى فى مكتبته توبقابوسراى رقمها ٣١٩٥/٢.

و توجد لهذه الرساله ترجمات عبريه ثلاث من القرون الوسطى.

٥١ - فلسفه ارسطوطاليس:

"الدكتور محسن مهدي" طبع المتن العربى لهذه الرساله ببيروت عام ١٩٦١ م.

"الدكتور محسن مهدي" ترجمها إلى الإنكليزيه و طبعها فى نيويورك عام ١٩٦٢ م.

٥٢ - رساله أفلاطون فى الرد على من قال بتلاشى الإنسان:

النسخ الخطيه:

١ - مكتبته جامعه اسطنبول رقمها ١٤٥٨.

٢ - ادارته النسخ الخطيه فى الهند رقمها....

"الدكتور مباحه توركر كويل" طبعت المتن العربى لهذه الرساله و ارفقتها بترجمه تركيه فى انقره عام ١٩٦٥ م.

٥٣ - رساله من كلام أفلاطون فى معنى الفلسفه و الأعمال المرضيه:

استوفى الفارابى فى رسالته هذه لفوائد عديده من أفلاطون، النسخه الخطيه لهذه الرساله موجوده فى كابل.

٥٤ - كتاب فى الواحد و الوحد.

"مشتاق" طبع المتن العربى المنقح و ترجمته الإنكليزيه.

٥٥ - مقاله فى أغراض ما بعد الطبيعه ارسطو طاليس فى كتاب ما بعد الطبيعه:

بحث الفارابى فى رسالته هذه فى غرض أرسطو فى كتاب ما بعد الطبيعه، قسم فيه العلوم إلى مجمله و جزئيه، و غرضه من العلم الجزئى هو العلم الذى موضوعه عن بعض الموجودات أو الموهومات. و العلم المجمل فى الشىء الشامل لجميع الموضوعات مثل الوجود و الوحد و أنواعها و لواحقها، و الأشياء التى ليست بعراض على الموجودات الخاصه، و تبحث مبدأ جميع الموجودات ثم بعد هذا شرح الفارابى غرض أرسطو فى كل واحده من المقالات الاثنتى عشره.

طبعاته: - طبعه ليدن اهتم بها "ديتريشى" ١٨٩٠ (فى الثمره المرضيه..) - طبعه القايره اهتم بها "عبد الرحمن مكوى" ١٩٠٧ م (فى مجموعته فلسفه أبو نصر).

- طبعه بومباي ضمن رسائل الفارابي الأخرى عام ١٩٣٧ م.

٥٦ - عيون المسائل:

يشتمل هذا الكتاب على مقدمه و مقدار من المباحث الطبيعیه و أكثر مباحث العلم الالهی، و قد ألف باختصار و متانه فی اللفظ و المعنی.

"شمولدرس" طبع المتن العربی لهذه الرساله مرفقا بترجمه لاتینیه عام ١٨٣٦ م.

"ديتريشي" طبع هذا المتن فی "الثمره المرضیه..." و نشره عام ١٨٩٠ م.

"عبد الرحمن مكوى" طبع هذه الرساله فی "المجموع للمعلم الثانى" بالقاهره عام ١٩٠٧ م.

ثم جدد طبعه بالقاهره عام ١٩١٠ م.

"يوحنا قمير" طبع المتن المنقح لهذه الرساله ضمن كتابه حول الفارابى.

"كروز هرناندوز" طبع المتن العربی لهذه الرساله و أرفقه بترجمه لاتینیه من القرون الوسطى عام ١٩٥١ م.

"حلمى ضياء أولكن و قوام الدين بورسلان" ترجموا هذا الكتاب إلى التركيه عام ١٩٤١ م و طبعا.

٥٧ - ما ينبغى لمن أراد الشروع فى الحكمة:

"البیهقى" أورد هذه الرساله فى تتمه "صوان الحكمة"، كما وردت فى ترجمه فارسیه. و لعله نفس ما ذكره ابن أبى أصيبعہ تحت عنوان "كلام فى لوازم الفلسفه".

توجد نسخ متفرقه من المتن مع ترجمه فارسیه.

وضح الفارابى فى رسالته هذه وظائف طلاب العلم.

٥٨ - رساله فيما ينبغى أن يقدم قبل تعلم الفلسفه المأخوذه عن أرسطو:

جاء ذكر هذه الرساله فى "برنامج سکوريال" و فى كتابى القفطى و ابن أبى أصيبعہ جاء ذكره تحت اسم "كتاب فى الأشياء التى يحتاج ان تعلم قبل الفلسفه".

ذكر الفارابى فى كتابه هذا عن سبع مجموعات فلسفيه، و يبدو أنه أخذ من "حنين بن إسحاق الترجمان".

"شمولدرس" طبع المتن العربى للكتاب هذا، و أرفقه بترجمه لاتینیه و ذلك عام ١٨٣٦ م.

"ديتريشى" طبع المتن العربى لهذا الكتاب ضمن "الثمره المرضيه..." .

و قد طبع المتن العربى ضمن رسائل الفارابى الأخرى فى دلهى عام ١٨٩٤ م.

"عبد الرحمن مكوى" طبعه ضمن آثار الفارابى الأخرى فى "المجموع للمعلم الثانى" بالقاهره.

"محب الدين الخطيب و عبد الفتاح الفنلان" طبعا المتن العربى لهذه الرساله مع ترجمه انكليزيه ضمن كتاب "مبادئ الفلسفه القديمه" بالقاهره عام ١٣٢٨ هـ.

"قوام الدين بورسلان" ترجم قسما من هذا الكتاب إلى التركيه و طبعه فى اسطنبول عام ١٩٣٥ م. ٥٩ - الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون الالهى و ارسطوطاليس:

فى هذا الكتاب يمكن لمس تأثير الافلاطونيين الجديد فى فكر الفارابى بوضوح، حيث أنه يشبهه فى سعيه بين آند و الحكيم اليونانى، الذين ذهبوا إلى أنه فى الواقع مجزأ إلى طريقتين، و وفق فى موارد حدوث العالم و قدمه و إثبات الخالق و أنه هو عله كل شىء، و كذلك فى مسائل العقل و النفس و الجزاء و العقاب و كثير من أمور الأخلاق و السياسه و المنطق التى كانت فى الغالب مورد اختلاف و نزاع مفكرى العصر.

"ديتريشى" طبع هذا الكتاب ضمن "الثمره المرضيه" فى ليدن عام ١٨٩٠ م.

"عبد الرحمن مكوى" طبع المتن العربى للكتاب فى "المجموع للمعلم الثانى" بالقاهره عام ١٩٠٧ م.

"محمود حجازى" طبع الكتاب هذا مستقلا بالقاهره عام ١٩٠٧ م.

و طبع بهامش "شرح حكمه الإشراق" بطهران عام ١٣١٥ هـ.

و طبع مستقلا بطهران عام ١٣١٥ هـ.

"البير نادر" اعتنى بطبعه منقحا مع مقدمه فى بيروت عام ١٩٦٠ م.

"قوام الدين بورسلان" ترجم قسما منه إلى التركيه عام... ١ م، و طبع فى اسطنبول.

"الدكتور عبد الحسن مشكاه الدين" ترجمه إلى الفارسيه عن متون طبعات طهران و بيروت، و النسخه الخطيه لمكتبه مجلس الشورى الوطنى رقمها ١١٧/١٣٠، و النسخه الخطيه لمكتبه الحضرة القدسيه الرضويه ذات الرقم ١٢٦، و أرفقه بترجمه و شرح و حواشى، ليطلع و ينشر من قبل الشورى العليا للثقافه و الفن بطهران عام ١٣٥٣ هـ. ش تحت عنوان الترابط بين أفكار الفيلسوفين أفلاطون و أرسطو.

"ديتريشى" ترجم هذا الكتاب إلى اللغه الألمانية، و طبع فى ليدن عام ١٨٩٢ م.

٦٠ - تعليقات الحكمة:

طبع هذا الكتاب مرتين في حيدرآباد ضمن آثار الفارابي الأخرى، و ذلك عامى ١٩٢٧ و ١٩٣١ م.

و طبع فى بومباى عام ١٩٣٧ م.

" بورسلان و أولكن " ترجماه إلى اللغة التركيه.

٦١ - تجريد رساله الدعوى القليه:

طبعت هذه الرساله مرتين فى حيدرآباد ضمن آثار الفارابي الأخرى فى عامى ١٩٣٠ و ١٩٣١ م.

و طبعت فى بومباى ضمن باقى آثاره عام ١٩٣٧ م.

" بورسلان و أولكن " ترجماه إلى اللغة التركيه.

٦٢ - تفسير بعض أسماء الحكماء المتقدمين:

أورد الفارابي فى هذه الرساله المعانى اللغويه لعدد من الفلاسفه اليونان، و يظهر من هذا أنه كان عارفا باللغه اليونانيه، توجد منها نسخه خطيه فى لاندبرغ.

ص: ١٤٦

كتب الفارابي رسالته هذه دفاعا عن أرسطو، و ردا على النحوى ضمن آراء الكندى حول الخلق و إيجاد العالم يحيى النحوى و الكندى كلاهما كانا يقولان بخلق العالم من العدم.

"الدكتور محسن مهدى" طبع المتن العربى لهذا الكتاب فى ليدن عام ١٩٧٢ م.

٦٤ - شرح رساله زينون الكبير أو تلخيص مقالات زينون و الشيخ اليونانى:

المتن العربى لهذه الرساله طبع ضمن رسائل الفارابى فى حيدرآباد عامى ١٩٣٠ م و ١٩٣١ م، و فى بومباى عام ١٩٣٧ م.

"بورسلان و أولكن" ترجمتا هذه الرساله إلى اللغه التركيه...

الفلسفه المذهبيه

٦٥ - دعاء عظيم:

أثر صغير منسوب إلى الفارابى، لم يذكر هذا الدعاء فى فهرست كتب و رسائل الفارابى، لكن ابن أبى أصيبعه ذكره ضمن آثار الفارابى.

ذكر المتن العربى لهذا الدعاء فى النص الأول من المجموعه ٥٣٧ للشهيد على باشا بالمكتبه السليمانيه باسطنبول.

"الدكتور محسن مهدى" طبع هذا الدعاء ضمن "كتاب المله و نصوص اخرى" ببيروت عام ١٩٦٧ م.

"السيد غلام حسين ابراهيمى دنيائى" طبع المتن العربى لهذا الدعاء مع ترجمه فارسىه و توضيح للمصطلحات الفلسفيه تحت عنوان "دعاء الفيلسوف" فى نشره كليه الإلهيات و المعارف الإسلاميه بجامعة الفردوسى فى مشهد العدد ١١٣ (شتاء ١٣٥٣ هـ. ش) ص ٢٦٠-٢٧٩.

"الدكتور آيدىن صايلى" ترجم هذا الدعاء إلى التركيه و نشره ضمن مقاله تحت عنوان: Farabi ve tefekkur tarinindeki yeri المندرجه فى المجلد الخامس عشر من مجله Bellten، السنه ١٩٥٠ م.

٦٦ - كتاب فى العلم الالهى:

توجد نسخه خطيه فى مكتبه الحكومه رقمها ١١٧/١، و نسخه اخرى فى مكتبه جار الله رقمها ١٢٧٩.

"الدكتور عبد الرحمن البدوى" طبع المتن العربى المنقح ضمن كتابه "أفلاطون عند العرب" ص ١٦٧-١٨٣.

٦٧ - كتاب المله:

توجد منه نسخه فى ليدن رقمها ١٠٠٢/٤، و نسخه بالقاهره بالمكتبه التيموريه رقمها ٢٩٠.

"الدكتور محسن مهدي" طبع هذا الكتاب و أرفقه بمقدمه و حواشى تحت عنوان "كتاب المله و نصوص اخرى" و ذلك ببيروت عام ١٩٦٨ م.

٦٨ - فصوص الحكم:

كتاب فى التوحيد بلحن قريب من كلام المتصوفه، لكنه مستند إلى الأدله المنطقيه.

طبع المتن غير المنقح فى اسطنبول عام ١٨٧٤ م.

"ديتريشى" طبع المتن المنقح ضمن "الثمره المرضيه" عام ١٨٩٠ م. "عبد الرحمن مكوى" طبعه مع رساله "نصوص فى شرح فصوص الحكم" للسيد محمد بدر الدين الحلبي عام ١٣٢٥ هـ.

طبع فى حيدرآباد ضمن رسائله الأخرى مرتين فى عام ١٩٢٤ و ١٩٣١ م.

طبع المتن المنقح مع مقدمه و شرح و تعليق للسيد جلال الدين الآشتيانى و نشره فى نشره كليه الإلهيات و المعارف الإسلاميه بجامعة فردوسى بمشهد، فى العددین ١٣ (١٣٥٣ هـ. ش) و ١٤ (١٣٥٤ هـ. ش) ص ٢٤-٢٥٩.

كتب فى القرون المتواليه عدده شروح و تفاسير على هذا الكتاب، كان أهمها شرح الإسماعيلى الحسينى الفارائى.

"الأستاذ مهدي إلهى قمشه اى" كتب شرحا معتبرا على هذا الكتاب فى المجلد الثانى من "الحكمه الالهيه" الخاص و العام (طهران ١٣٢٥ هـ. ش) أخرجه على شكل دوره كامله لكتاب عرفان تظهر جليه فيه كتابات ابن العربى، صدر الدين القونوى، عبد الكريم الجيلى و محمود الشبسترى.

"مهدي إلهى قمشه اى" ترجم الكتاب و طبعه بطهران عام ١٣٣٠ هـ. ش.

"غلام حسين آهني" ترجم الكتاب و طبعه باصفهان عام ١٣٣٩ هـ. ش.

"قوام الدين بورسلان" ترجم قسما من الكتاب إلى اللغه التركيه عام ١٩٣٥ م.

"بورسلان و حلمى ضياء أولكن" ترجمتا المتن الكامل إلى اللغه التركيه عام ١٩٤٥ و طبعاه.

أخلاق و سياسه المدن

٦٩ - كتاب آراء أهل المدينه الفاضله:

كتاب ذو حجم ضئيل، لكنه ذو لحن عال، فيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول نظري: فى هذا البحث يشرح الفارابى العقائد التى يجب أن يمتلكها أفراد المدينه الفاضله، يشمل هذا القسم

بدوره عدة أقسام مثل الإلهيات الخاصة، و كذلك فيه مباحث أخرى من قبيل الكلام فى مصدر الوجود، صفات الموجودات الثانويه، تكوين و ظهور كائنات هذا العالم و غيره.

القسم الثانى من الكتاب بحث حول بناء المدينه الفاضله.

القسم الثالث بحث حول هدم و اجتثاث المجتمعات المتباينه مع المدينه الفاضله.

"ديتريشى" طبع هذا الكتاب فى ليدن عام ١٨٩٥ م.

طبع فى القاهره مرتان عام ١٩٠٦ م و ١٩٤٨ م.

"يوحنا قمير" طبع قطعات من الكتاب ضمن كتابه حول الفارابى عام ١٩٤٥ م.

"البير نادر" اعتنى بطبعه فى بيروت عام ١٨٩٥ م.

طبع فى القاهره مرتان عام ١٩٠٦ م و ١٩٤٨ م.

"يوحنا قمير" طبع قطعات من الكتاب ضمن كتابه حول الفارابى عام ١٩٤٥ م.

"البير نادر" اعتنى بطبعه فى بيروت عام ١٩٥٩ م.

"الدكتور السيد جعفر سجادى"، ترجمه إلى الفارسىه و شرحه، و كتب مقدمته "الأستاذ الدكتور ذبيح الله صفا" و طبع و نشر بشكل نفيس من قبل الشورى العليا للثقافه و الفن تحت عنوان أفكار أهل المدينه الفاضله و ذلك عام ١٣٥٤ هـ. ش.

(ص ١-٦٤) بحث آثار الفارابي ونظرياته السياسيه والاجتماعيه و مقايستها بنظريات أرسطو و أفلاطون و الفلاسفه المسلمين.

(ص ٧٣-٣٥٧) الترجمة الفارسيه لآراء أهل المدينه الفاضله مع الشرح و التعليق.

(ص ٣٦١-٣٧٩) فهرست الكلمات و المصطلحات.

"نفيس دانشمند" ترجم هذه الرساله عام ١٩٥٠ م إلى اللغه التركيه تحت عنوان:

Fazil medine tercumesi، و طبعها في اسطنبول ضمن مجموعه مقالات حول الفارابي (Farabi Tetkikleri).

ثم طبعها في كتاب مستقل تحت عنوان: AL-Farabi ELmedinetul Fazila في ١٠٨ صفحات باسطنبول عام ١٩٥٦ م.

"ديتريشي" ترجم هذا الكتاب إلى اللغه الألمانيه و طبعه في ليدن عام ١٩٠٠ م.

٧٠ - كتاب المله الفاضله:

توجد نسخه خطيه منه في ليدن رقمها ١٩٣١، و نسخه خطيه بالمكتبه التيموريه بالقاهره رقمها ٢٩٠/١٩، و ترجمه عبريه نقل "شتاين شنايدر" قطعه منها.

٧١ - كتاب في الفصول المنتزعه لاجتماعات:

توجد نسخه خطيه منه في مكتبه الشعب في ديار بكر رقمها ١٩٧٠/٤، و نسخه خطيه في بودلين رقمها ٤ و ١٠٢ و I.

"الدكتور فوزي النجار" طبع المتن العربى مع مقدمه و حواشى في بيروت عام ١٩٧١ م.

و توجد ترجمه عبريه.

٧٢ - في تحصيل السعاده:

في الحقيقه هذا الكتاب مبنى على المنابع اليونانيه، و ليس له أثر أو صبغه اسلاميه أصلا، و القسم الأخير منه خلاصه لجزء من الكتاب السادس لجمهوريه أفلاطون.

طبع في حيدرآباد مرتين عام ١٩٢٦ و ١٩٣١ م، و في بومباى عام ١٩٣٧ م.

"الدكتور محسن مهدي" طبعه اشتملت على نقد و ترجمه انكليزيه له.

"قوام الدين بورسلان و حلمى ضياء أولكن" ترجموا هذه الرساله إلى التركيه، و طبعها في اسطنبول عام ١٩٤١ م.

"شمطوب بن يوساب بن فلقيره" ترجم قسما من هذه الرساله إلى العبريه في القرون الوسطى.

٧٣ - التنبيه على سبيل السعادة أو رساله السعاده:

"طبع مرتين في حيدرآباد دكن" ضمن رسائل الفارابي الأخرى و ذلك عامي ١٩٢٧ و ١٩٣١ م، و جدد طبعه في بومباي عام ١٩٣٧ م. و توجد ترجمه عبريه في المتحف البريطاني رقمها ٤٢٥.

"زالمن" طبع و نشر الترجمة اللاتينية للقرون الوسطى.

"حلمى ضياء أولكن و قوام الدين بورسلان" ترجماه إلى اللغة التركيه. ٧٤ - رساله في السياسه أو كلام يعم نفعها جميع من يستعملوها من طبقات الناس:

"لويس شيخو" طبع هذه الرساله للمره الأولى عام ١٩٠١ م في مجله المشرق (ص ٦٥٣-٧٠٠). ثم جدد طبعها ضمن مجموعه بعنوان مقالات فلسفيه قديمه لبعض مشاهير فلاسفه العرب في المطبعه الكاثوليكيه للآباء اليسوعيين ببيروت عام ١٩١١ م.

"يوحنا قمير" طبع المتن العربى فى كتابه حول الفارابى.

٧٥ - سياسه المدينه أو مبادئ الأجسام أو مبادئ الموجودات:

طرح فيه الفارابى كل اجزاء الفلسفه بصوره منظمه، و الغرض من تأليف الكتاب و تدوينه ينعكس فى عنوانه.

طبع فى حيدرآباد عام ١٩٢٧ م (١٣٤٦ هـ).

"البروفسور فوزى النجار" طبع المتن العربى المنقح مع مقدمه و حواشى فى بيروت عام ١٩٦٤ م.

"موسى بن صموئيل بن تبرون" ترجمه فى القرون الوسطى إلى العبريه، و طبع عام ١٨٤٩ م.

"ديتريشى" ترجمه إلى الألمانية، و طبع فى ليدن عام ٩٠٤ م.

"فوزى النجار" ترجمه إلى الإنكليزيه و نشره.

٧٦ - كتاب الآداب الملوكيه:

توجد منه نسخه خطيه فى المكتبه التيموريه بالقاهره "عيسى إسكندر المعلوف" تحدث عن هذه النسخه فى مقاله "خزائن الكتب العربيه: الخزانة التيموريه" فى مجله المجمع العلمى بدمشق، عام ١٩٢٣ م، العدد ٣/٣٣٩.

٧٧ - تلخيص نواميس أفلاطون:

يشتمل على مقدمه و ملخص لكتب نواميس أفلاطون العشره، يشرح الفارابى فى البدء أسلوب أفلاطون، و يوضح حول أسلوب تلخيصه هو، و يبين فائده الكتاب، ثم يفسر و يبين بايجاز و اختصار تحقيقات أفلاطون عن القوانين الالهيه اليونانيه.

"غبريلي" طبع المتن العربي مع ترجمته اللاتينية و حواشى عام ١٩٥٢ م.

"الدكتور عبد الرحمن البدوى" طبع المتن المنقح فى كتابه "أفلاطون فى الإسلام" و نشره بطهران.

٧٨ - فصول المدنى:

"أبو العباس لوكرى" نقل هذه الرساله فى خمسہ أبواب فى كتابه "بيان الحق بضمان الصدق" تحت عنوان "فصول مدينه".

توجد نسخه خطيه من "بيان الحق" فى مكتبه كليه الإلهيات و المعارف الإسلاميه بطهران رقمها ٦٩٨ د، و نسخه خطيه اخرى فى المكتبه المركزيه لجامعه طهران رقمها ٢٥٠.

"دانلوب" طبع المتن العربى و الترجمة الإنكليزيه لفصول المدنى مع مدخل ممتع و حواشى مفيده، لجهه جامعه كمبريدج بانكلترا عام ١٩٦١ م.

ص: ١٤٨

قسم هذا الكتاب إلى خمسة أقسام كما يلي:

الأول: فى صدر الكتاب.

الثانى: فى أصناف البراهين.

الثالث: فى أصناف الحدود.

الرابع: فى كيفية استعمال الحدود و البراهين فى الصناعات النظرية.

الخامس: فى أصناف المخاطبات.

توجد منه نسخ خطيه متعدده، من جملتها نسخه خطيه فى المكتبه السلیمانيه (الحميديه) رقمها ١: ٨/٨١٢. و نسخه منشستر رقم (٣٤٩) ٣٧٤، و نسخه براتيسلاوا رقم ٢٣١-٩.

٨٠ - فى بحث العروض:

توجد منه نسخه خطيه فى مكتبه متحف توبقابوسراى رقمها ١/١٨٧٨.

٨١ - مقاله فى بيان الأجسام السماويه تفعل فى الأجسام التى تحتها:

توجد منه نسخه خطيه فى المجموعه MS١.٥ ٣٨٣٢. فى مكتبه ديوان الهند - (٨٢) IN .Dia Office - فى بيان كيفية القياس و كيفية الاستدلال:

توجد منه نسخه خطيه فى المجموعه MS .١.٠.٣٨٣٢. فى مكتبه ديوان الهند.

٨٣ - رساله فى الجزء الذى لا يتجزأ:

ذكرت هذه الرساله ضمن آثار الفارابى فى "عيون الأنبياء"، لكنها لم يعثر عليها حتى الآن.

٨٤ - رساله فى الفراسه:

توجد منه نسخه خطيه فى مكتبه المجلس بطهران ضمن المجموعه ٥٩٥.

٨٥ - كلام فى الجن و حال وجودهم:

ذكرت هذه الرساله فى "عيون الأنبياء"، و لم يعثر عليها حتى الآن.

٨٦ - رساله فى ماهيه و الهويه:

توجد نسخه منها فى المكتبه السليمانيه (اياصوفيا) رقمها ٣/٣٥٧٧.

٨٧ - كتاب الوصايا:

توجد نسخه شخصيه منه فى المكتبه السليمانيه (اياصوفيا) رقمها ٨/٤٨٥٥.

"عبد الرحمن البدوى" أورد المتن العربى لهذا الكتاب ضمن كتاب "الحكمه الخالده" طبعه القايره ١٩٥٢ م ص ٣٢٧-٣٤٢.

محمد بن إدريس الحلى

اشاره

ذكر فى المجلد التاسع الصفحه ١٢٠ و نزيد هنا ما ترجمه به صاحب كتاب (تاريخ الحله) قال:

كان أصوليا بحثا و مجتهدا صرفا، له اثر كبير فى تاريخ الفقه الشيعى، فقد ثار فى وجه السائد بين فقهاء عصره من العمل بخبر الآحاد، و فتح باب الطعن على الشيخ أبى جعفر الطوسى جده من قبل الأم، و ندد بأقواله، و ابدى من الجراه الفكرية تجاه فقهاء عصره امرا عجيبا فتعرض بذلك لسهام نكدهم، و لم يثنه كل ذلك عن عزمه، و كان يقصد من تلك المناوأة فتح باب الاجتهاد، فقد كاد أن يقضى على روح الاجتهاد و لم يبق منه الا رمق. فان الفقهاء من بعد عصر الشيخ الطوسى كاد أن يتلاشى منهم روح الاستنباط و الاجتهاد و التفريع، ذلك لاعتقادهم بالشيخ الطوسى و حسن ظنهم به. تأمل ما قاله السيد رضى الدين بن طوس فى كتابه (البهجه لثمره المهجه) قال: "أخبرنى جدى الصالح ورام بن أبى فراس ان سديد الدين محمودا الحمصى حدثه أنه لم يبق للاماميه مفت على التحقيق، بل كلهم حاك. ثم قال السيد عقيب هذا الكلام: فقد ظهر لك الآن ان الذى يفتى به و يجاب على سبيل ما حفظ".

و قد أكثر فقهاء عصر ابن إدريس و من تأخر عنهم الطعن فى أقواله، و ممن طعن فيه سديد الدين الحمصى، قال فيه: "أنه مخلط لا يعتمد على تصنيفه(١) و المحقق الحلى، و العلامه الحلى و يعبر عنه فى بعض مصنفاته بالشاب المترف.(٢)

قال فيه صاحب أمل الآمل: "و قد اثنى عليه المتأخرون، و على كتابه السرائر، و على ما رواه فى آخره من كتب المتقدمين و أصولهم". و قال فيه الحسن بن داود الحلى فى كتابه الرجال: "أنه كان شيخ الفقهاء بالحله، متقنا للعلوم كثير التصانيف لكنه اعرض عن اخبار أهل البيت بالكليه".

و قال فيه صاحب لؤلؤه البحرين: "هو أول من فتح باب الطعن على الشيخ الطوسى، و الا فكل من كان فى عصر الشيخ أو من بعده انما كان يحذو حذوه غالبا إلى أن انتهت النبوه إليه".

يروى ابن إدريس عن عربى بن مسافر و الحسن بن رطبه السوراوى و أبى المكارم حمزه الحسينى، و يروى بالواسطه عن خاله أبى على ابن الشيخ أبى جعفر الطوسى، و عن أمه بنت مسعود بن ورام، و كانت امرأه صالحه فاضله مجازه بالروايه.

ثم يقول صاحب "تاريخ الحله": ذكر أرباب التراجم أن أم الشيخ ابن إدريس كانت بنت الشيخ الطوسى و انها كانت مجازه من

قبل أبيها، و ان ولدها صاحب الترجمة كان يروى عنها، و هذا لا يستقيم فان الزمن الذي كان بين وفاه الشيخ الطوسي و ولاده المترجم له نيفا و ثمانين سنة. و لكن يمكن أن تكون أمه بنت بنت الشيخ الطوسي " انتهى " و قال السيد مهدي الروحاني:

اثر عظمه الشيخ أبو جعفر الطوسي و كثره تلاميذه من الكبار و الصغار في ان لا يتجرءوا على مخالفته في فتاواه مده من الزمن. فظهر ابن إدريس الحلبي رحمه الله صاحب كتاب السرائر فناقش الشيخ الطوسي في عدة من فتاواه و قسم الفقهاء بعد الشيخ إلى محصلين و اتباع و يسميهم بالمقلده، و هذا و إن كان فيه بعض الإغراق الا أنه كان لثورته هذه اثر جيد، و ذلك لأن الفقهاء بعد ابن إدريس و ان لم يتبعوا آراءه خصوصا في رأيه الأصولي الذي يقول بعدم حجيه الخبر الواحد، و لكنه جعلهم مستقلي الرأي و النظر يكثرون من التأمل في الأدله، و بذلك كله نضج الفقه فقه أهل البيت ع بما فيه من المأثورات الكثيره و بما فيه من المسائل المجمع عليها و ما هو غير مجمع عليه فظهر الصحيح من الروايات و غيرها في الأغلب.

ص: ١٤٩

١- لؤلؤه البحرين.

٢- روضات الجنات.

مؤلفاته

كتاب السرائر فى الفقه. كتاب التعليقات و هو حواشى و إيرادات على التبيان للشيخ الطوسى، كتاب يشتمل على جملة اجوبه مسائل كان قد سئل عنها.

عمره و وفاته

قال صاحب روضات الجنات: و الذى رأيتة فى البحار من خط الشهيد رحمه الله هكذا: قال الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن إدريس الامامى العجلي: بلغت الحلم سنه ٥٥٨.

و جاء فى وفيات العلماء للكفعمى: " يقول ولده صالح: توفى والدى محمد بن إدريس يوم الجمعة وقت الظهر ١٨ شوال سنه ٥٩٨" و قيل توفى شابا ".

و قبره فى الحله جنوبى حديقه الجبل. و قد جدد بناءه الحاج حسان مرجان، و أنشأ حوله بنايه فخمه كما أسس مسجدا بجواره.

محمد بن الحسين البهائى

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٣٤ من المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما يلى:

من شعره، ما نظمه من قصيده يذكر فيها مدينه هرات التى كان والده شيخ الإسلام فيها، و كان له هو بعض الإقامه فيها مع والده:

ان الهرات بلده لطيفه بديعه شائعه شريفه

انيقه انيسه بديعه رشيقه أنسه منيعه

خندقها متصل بالماء و سورها سام إلى السماء

ذات فضاء يشرح الصدورا و يورث النشاط و السرورا

حوت من المحاسن الجليله و الصور البديعه الجميله

ما ليس فى بقيه الأمصار و لم يكن فى سالف الأعصار

لست ترى فى أهلها سقيما طوبى لمن كان بها مقيما

ما مثلها فى الماء و الهواء كلا و لا الثمار و النساء

كذلك الباحات و المدارس فما لها فيهن من مجانس

هواءها من الوباء جنه كأنه من نفحات الجنه

فيسط الروح و ينقى الكربا و يشرح الصدر و يشفى القلبا

لا عاصف منه تمل الحره و لا بطيء السير فرد مره

بل وسط يهب باعتدال كغاده ترفل في أذيال

فمن رماه الدهر بالافلاس حتى على المسكن و اللباس

فلا يصاحب بلده سواها لأنه يكفيه في هواها

لو قيل ان الماء في الهرات يعدل ماء النيل و الفرات

لم يك ذاك القول بالبعيد فكم على ذلك من شهيد

تراه في الأنهار جار صاف كأنه لآلى الأصداف

لا يحجب الناظر عن قراره بل يطلعنه على إسراره

تظن غور عمقه شيرين من الصفا و هو على رمحين

خفيف وزن رائق الأوصاف ما مثله ماء بلا خلاف

يضهم ما صادف من طعام كأنما أكلته من عام

نساؤها مثل الطباء النافره ذوات الحاظ مراض ساحره

يسلبن حلم الناسك الأواه يسلمن جسمه إلى الدواهي

من كل حو و عذبه الألفاظ تقتل من تشاء بالألحاظ

أضيق من عيش اللبيب ثغرها أضعف من حال الأديب خصرها

قاتله قد شهدت حداها بما بنا تفعله عيناها

ترنو بطرف تاعس فتاك يفسد دين الزاهد النساك

و الصدغ واو ليس واو العطف و الثدى رمان عزيز القطف

و الجسم فى رفته كالماء و القلب مثل صخره صماء
و لفظها و ثغرها كالردف سحر حلال اقحوان قحف
وقدها و نهدها و الخد غصن و رمان طرى و ورد
و الشعر و الرضاب و الأجفان صوارم مدامه ثعبان
غير حميدات خصالهن طوبى لمن نال وصالهن
يا حبذا أيامنا اللواتى مضت لنا و نحن فى هرات
تسترق اللذات و الافراحا و لا تمل الهزل و المزاحا
و عيشنا فى ظلها رغيد و الدهر مسعف بما نريد
واها على العود إليها واهما فما يطيب العيش فى سواها

محمد الغفارى الملقب بـ "كمال الملك"، ابن الميرزا الكبير بن الميرزا محمد بن عبد المطلب الغفارى

ولد بمدينة كاشان فى أواخر شهر شوال سنة (١٢٦٤) و توفى فى نيسابور سنة ١٣٥٢.

امضى طفولته و صباه فى تلك المدينة و أكمل فيها مراحل الدراسه الأولى ثم انتقل إلى طهران و هو فى الخامسة عشره من عمره و التحق بمدرسه دار الفنون، فانهى مراحل الدراسه و دوراتها فى هذه المدرسه، و لكونه يتمتع بموهبه متميزه فى الرسم فقد عينه ناصر الدين شاه رساما و أفرد له غرفه خاصه فى عماره بادكبير من مجموعه شمس العمارى، فصار مشغولا باعمال الرسم و فنونه هناك تحت عنوان (نقاش باشى).

و يمكن تلخيص الحياه الفنيه لكمال الملك فى أربع مراحل:

المرحله الأولى: و تشمل المده التى أمضاها فى بلاط ناصر الدين شاه مشغولا باعمال الرسم و قد بلغ عدد اللوحات التى أنجزها فى هذه المرحله مائه و سبعين لوحه. و سنكتفى بذكر الآثار النموذجيه لهذه المرحله (١٢٨٥ هـ - ١٣١٢ هـ).

المرحله الثانيه: و هى تشمل المده التى أمضاها فى أوروبا. (١٣١٩ هـ - ١٣٢٤ هـ).

المرحله الثالثه: و تتعلق هذه المرحله بالآثار و التناجات التى أنجزها عند سفره إلى العتبات المقدسه.

المرحله الرابعه: و هى التى شهدت بدايه حركه المشروطه و تأسيس مدرسه (صنائع مستظرفه).

و سنتناول الحديث مفصلا عن هذه المراحل.

المرحلة الأولى

ص: ١٥٠

اندثر و اختفى و قسم آخر توزع هنا و هناك بنحو يتطلب جمعه فى مكان واحد جهودا ضخمة كبيره و وقتا هائلا طويلا و من بين الأعمال المنوذجيه لكمال الملك التى وصلت إلينا: لوحه "آبشار دوقلو" موقعه بامضاء (نقاش باشى) يعود تاريخ إنجازها إلى سنه (١٣٠٢ هـ)، لوحه قصر (گلستان) و قد أنجزت سنه (١٣٠٣ هـ)، منظر قريه (أماميه) أنجزها فى (سنه ١٣٠٤ هـ)، منظر حديقته (باغشاه) أنجزت فى (سنه ١٣٠٦ هـ) و منظر لوادى (زانوس) من بعيد و قد أنجزت فى سنه (١٣٠٦ هـ) أيضا. أما لوحه (المخيمات الحكوميه) التى أنجزت سنه (١٢٩٩ هـ) فهى تعد من بين أقدم الآثار التى بلغتنا من تلك المرحله التى كان يوقع كمال الملك لوحاته بامضاء (نقاش باشى) و هى موجوده الآن ضمن مجموعه بمكتبه مجلس الصيانه.

و يستنتج من خلال عناوين اللوحات المذكوره أن كمال الملك قلما أعطى المناسبات و الموضوعات الإنسانيه اهتمامه و عنايته فنجد أن لوحاته أما أن تكون حاكيه عن الطبيعه و جمالها الفياض حيث يبدو فيها انعكاس النفحات الشعريه التى تتجلى فى لمسات فنيه معبره عن الهامات عاطفيه، أو أن تكون تلك اللوحات متضمنه لمباني الدوله و أماكنها. كما أن عناصر لوحاته و سبكها الخاص تأتى فاقده للروح و الحركه و الإبداع الذى يمنح العمل الفنى أملا بالخلود و الحكايه عن أصلته. و رغم أن لوحاته ممتعه للذوق و النظر و مثيره لعاطفه المشاهد الا- أن عمل الرسم المبذول فى هذه اللوحات لا يعدو أن يكون مماثلا للتصوير الآلى حيث الصور الجامده و البسيطة و السطحيه التى تقل فيها اللمسات الفنيه الخلافه الصادره عن بديهه الفنانين و قريحتهم، كما يلاحظ فيها عدم الانسجام بين موضوعات اللوحات و عناصرها و بين أحاسيس الفنان و مشاعره، و إن وجد مثل ذلك فإنه يتوقف فى حدود السطح و لا يمتد إلى الأعماق الخلاقه، سوى بعض الاستثناءات القليله التى نجد فيها الاندماج و الانسجام الكلى للفنان و عواطفه و روحه مع لوحاته المرسومه على أن التقنيه العاليه الملحوظه فى تلك الأعمال و اللوحات و تطوراتها كانت تنبئ عن مستقبل مزدهر للفنان، حيث يشاهد تحسن الإنتاج و تصاعد و تيرته الفنيه لوحه بعد لوحه، كما يبدو فيه المنحى التكاملى الذى يتسلفه.

تعد لوحه (تالار آيينه) معلما لمرحله جديده للرسم الايرانى فقد أحدثت هزه حقيقيه فى بيان مدرسه الفن القاجارى الذى كان يعتمد أساسا على رسوم المينيه التقليديه و يغوص فى الجمود على الأساليب القديمه و تقليدها و اتباعها.

أما الطريق الفنى الذى سلكه كمال الملك حتى آخر عمره فقد كان استمرارا و تطورا لأسلوبه الفنى الذى انتهجه فى لوحه (تالار آيينه)، و ضمن هذا السياق أيضا فقد عد كمال الملك و أسلوبه نقطه انعطاف فى الحركه الفنيه حيث يمثل نهايه مرحله للفن التقليدى و بدايه مرحله لتيار فنى آخر متأثر بالفن الغربى إلى حدود بعيده. و رغم أن التأثر بالفن الغربى يعود تاريخه إلى أزمان بعيده إلا أنه كان من المستحيل بنحو من الأنحاء أن يتسلل تأثير الفن الغربى - فى أعمال الفنانين الذين سبقوه - داخل التقاليد الأصلية للفن الايرانى، أما فى أعمال كمال الملك و لوحاته فقد صارت القيم الفنيه الايرانيه تذوى و تختفى لتحل محلها القيم و المعايير الأساسيه للفن الكلاسيكى الأوروبى.

إن هذا التطور الذى كسر التقاليد الفنيه و خرج عن مالوفها تحول ليصير بذاته تقليدا و أسلوبا جديدا للفن الايرانى الذى اندفع على أساسه فى مسيره النهضه و الازدهار. و لم يكن هذا التطور وليد صدفة أو نتيجه حدث طارئ بل أنه ياتى ضمن سياق التطور و التحول العالم الذى طال كافة الأسس و العلاقات الاجتماعيه و المعايير الإنسانيه للمجتمع الايرانى و أثر فى حركه الرشد للخلايا و المكونات و الأنسجه التى تؤلف كيانه العام، فقد مضت مده من الزمن شهد البنيان القديم للمجتمع الايرانى جملة من

التطورات و تعرض لعهده هزات أوجدتها الاصلاحات الاجتماعيه التي جاء بها (أمير كبير) و جعلت المجتمع الايراني في حالة غليان و اضطراب مستمره.

و مع اقتراب وقت انفجار ثوره المشروطه فان القوالب القديمه و القيم الباليه العتيقه كانت تزداد عجزا في استيعاب المتطلبات الجديده و المضامين الحيه لحركه المجتمع، و لذا فقد سيطرت حاله القلق و عدم الاستقرار في المجتمع، و ازدادت الحاجه إلحاحا إلى التجديد و التحول الذي ينهض إلى مستوى تلبيه الاحتياجات المتطوره و التعاطى مع المتغيرات المتسارعه في ايران و العالم. ان كل تلك الضرورات و المعطيات انعكست و تجلت بوضوح في الميدان الثقافى و الفنى.

و في هذه المرحله نشاهد أن فن الرسم يلتفت إلى الموضوعات الإنسانيه ضمن حدود معينه، فنجد ذلك مثلا في لوحه تصور أحد المصريين و قد أنجزت بعد لوحه (تالار آيينه) أما قبل زمن إنجاز هذه اللوحه فثمه لوحه "الصيدون" و "الشحاذتان". أما آخر عمل انجزه كمال الملك يحمل إمضاء "النقاش باشى" فهو لوحه (الفوال) سنه (١٣٠٩ هـ) و هى تعد أرقى عمل قدمه كمال الملك إلى ذلك الوقت حيث تبرز قدرته على الاستيحاء من الطبيعه و ضلوعه في استخدام الألوان فقد رسمت شخصيات اللوحه بنحو جيد من حيث الترابط المنطقى و الانسجام فيما بينها. و قد عرضت هذه اللوحه لاحقا في أحد معارض الرسم في باريس و اختيرت من بين كل اللوحات المعروضه كأفضل عمل فنى فنالت الجائزه الأولى.

فى سنه ١٣٠١ تزوج كمال الملك و هو فى سن السابعه و الثلاثين و رزق بنتا و ثلاثة أولاد هم: نصرت خانم، معز الدين خان، حسن قلى خان، و حيدر قلى خان، و قد كان له أخ يدعى أبا تراب يكبره بثلاث سنوات و كان رساما أيضا تعود إليه تلك الرسوم و اللوحات المنشوره فى صحيفه (شرف و شرافت) و التى تحمل إمضاء (أبو تراب).

المرحله الثانيه

لقد فتحت أوروبا عالما جديدا أمام كمال الملك و استفاد من احتكاكه و صداقاته لكبار الفنانين حيث اكتسب المزيد من التجارب و اتسع مدى أفقه الفنى و اتيح له أن يطل على دنيا واسعه أكبر من أن توصف و خلال رحله بحثه فى فن الرسم و علومه استطاع كمال الملك أن يزور كل متاحف أوروبا و ضمن تلك الرحله فتن ب (رامبراند) رسام القرن السابع عشر، لقد لاحظ كمال الملك فى أعمال هذا النابغه الهولندى آثارا و علامات للعرفان الشرقى فانجذب نحوها بشده، و كان يقول: "تكمّن فى لوحات رامبراند و تيسين القوه و الروح و الفن". لقد تعلم كمال الملك علوم الرسم من مطالعته لآثار رامبراند، نيسين، رافائيل، روبنس، انديك و ليونارد و دافينشى: و كانت تتم دراساته تلك و تعلمه لفنونهم من خلال استنساخه لأعمالهم و تجزئتها بحضور الرسامين الكبار لتلك المرحله فى أوروبا.

درس لوحه. رامبراند و استنسخها فى قصر بيتى بايطاليا.

و قد تعرف كمال الملك فى فرنسا على الرسام الشهير فى ذلك الوقت فونتين لانتور فكان ثمره هذه المعرفه لوحه رسمها الأستاذ هى عبارته عن صورته ذلك الفنان الفرنسى الذى كان يصف كمال الملك بالشعله القادمه من ايران و يدعو تلاميذه للاستفاده منه فيقول: "انظروا إلى هذه الشعلة القادمه من ايران، و استفيدوا من لهيبتها و حرارتها الخلافه".

يقول (بن زور) رئيس مدرسه ميونخ و أحد كبار الرسامين فى أوربا: إن كمال الملك هو أفضل و أكبر ناسخ لآثار و نتاجات أساتذته الفن الكلاسيكى الأوروبى.

ثم أقوال مختلفه حول مده إقامه الأستاذ فى أوربا و ليس هناك اتفاق على رأى موحد فى هذا الشأن بل تردد القول حول طوال سفره بين ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات و أقوى تلك الأقوال و أكثرها سنداً هى تلك التى تذهب إلى أن كمال الملك اتجه إلى أوربا سنه (١٣١٤) و عاد منها سنه (١٣١٩) إلى ايران..

و كان محصله هذه السنوات الخمس على صعيد الإنتاج الفنى ١٢ لوحه أكثرها كان عبارته عن استنساخ لأعمال كبار رسامى أوربا عهدئذ.

و تدل تلك اللوحات على أن كمال الملك طوى خلال السنوات الخمس طريقاً عالياً و اكتشف آفاقاً جديده فى نفسه. فقد تطورت تقنياته الفنيه و نضجت مقدرته و ازدادت رؤيته عمقا و دقه، و صار أكثر درايه و معرفه بالألوان و خطوط الربط و مفصلات اللوحه الفنيه و التى تعتبر روح عمليه الرسم و بنيه هيكله الفنى، كما منحه حضوره المباشر فى تجارب عباقره الفن و أساطينه و فطاحله فرصه الاتصال القريب بأسرار هذا الفن و حقائقه فتبين وسط ذلك المحيط الخلاق المكان الواقعى للطبيعه و الحياه فى دنيا الفن.

المرحله الثالثه

و عند ما عاد كمال الملك إلى طهران كان يحمل معه روحاً تفيض بالحيويه و قلباً مفعماً بالنشاط و نابضاً بالرجاء و الأمل.. غير أنه وجد جواً ثقيلاً راكداً و محيطاً باهتاً فى طهران لا يلبى طموحاته و لا يستوعب حركه هذا النسر الذى يريد أن ينطلق و يحلق فى دنيا الفن كالأساطير. و كانت ظروف ايران عهدئذ غير ملائمه لنمو الفن و رشده فقد أوصلت هذه الظروف المضطربه السيئه الأشكال الأصيله لفنون المينيه إلى الحضيض، و من الطبيعى لفنان كالأستاذ كمال الملك الذى يجد حياته و رزقه فى فنه، أن لا يجد فى تلك الأجواء عوامل الهدوء و الاطمئنان و السكينه و الرضى. و قد كانت عودته فى زمن السلطان مظفر الدين شاه القاجارى حيث كان يوصى كمال الملك بإنجاز اعمال لا تتسجم مع ذوقه و مزاجه الفنى مما كان يبعث الضيق فى نفس هذا الفنان إذ أن الفن يخلق و يفقد خلاقته عند ما يخضع لجو القهر و الأوامر المفروضه. و قد وجد كمال الملك نفسه وسط أمراء السلطان مظفر الدين شاه و رجاله الذين لا يدركون من مضمون الفن شيئاً و لا يعرفون حقيقه مكانه الفنان، فكانوا يطلبون منه أموراً لا تهدف سوى إلى إرضاء رغباتهم فى التفاخر و التمايز و يكلفونه باعمال سطحيه و سخيفه بحيث أنه لو أراد مسيرتهم و إنجاز ما يريدون لصار كمن يجعل من الرسام مسخره و أضحوكه. و لذا فقد دفع هذا الجو المفعم بتلك السلبيات إلى جانب

الوضع غير البناء في بلاط مظفر الدين شاه دفع بكمال الملك إلى العصبان و الفرار إلى بغداد حيث مكث فيها مده و أنجز فيها أعمالاً- فنيه مختلفه. فرسم لوحات: (اليهود المنجمون البغداديون) و (الصائغ البغدادى) و تمتاز هذه اللوحات بدرجة عاليه من الإتقان فى التركيب و بمقارنه هاتين اللوحتين بأعمال الأستاذ السابقه لسفره إلى أوربا نكتشف التطور الهائل فى مقدرته الفنيه و فكره، و نلمس فيها نظرتة إلى واقع المجتمع فى بعده الطبقي.

عاد كمال الملك من بغداد إلى ايران فى سنه (١٣١٢ هـ) فعاود السلطان طلباته إليه ليمارس عمله فى رسم اللوحات التى يملئها عليه إلا أنه اعتذر متذرعاً بأنه يعانى من رعشه فى يده. و قد زامنت عودته ظهور حركه المشروطه و تصاعدها فكان أن ساهم فيها و كتب عدده مقالات فى ذلك نشرت له على صفحات جرائد الوقت.

المرحلة الرابعه

(تأسيس مدرسه صنائع مستظرفه) بعد وقائع حركه المشروطه فى حدود سنه (١٣٢٩ هـ) فكر وزراء ذلك الوقت فى تحسين الوضع المالى لكمال الملك الذى كان يعانى من فقر مدقع و حرمان شديد، فطلب حكيم الملك وزير الثقافه عهدئذ إجازة منح ارض مساحتها سته آلاف ذراع فى منطقه نگارستان مع مبلغ قدره سبعة آلاف تومان لكمال الملك من أجل بناء مدرسه (صنائع مستظرفه) باسم كمال الملك نفسه و بما أن المبلغ لم يسدد فى ذلك العام فقد قام بتسديده - كمال الملك فى العام اللاحق عند ما صار وزيراً للماليه، و تحقق بناء المدرسه رافقها فنقلت إليها لوحات الأستاذ كمال الملك و نصبت فيها حيث كان مدرسه فنيه تشيد تحت عنوان مدرسه صنائع مستظرفه، و صار كمال الملك يمارس نشاطاته الفنيه فى تلك المدرسه كما أنها أصبحت أول مكان يزوره الضيوف باعتباره مركزاً ثقافياً و مرفقاً فنياً.

أما اللوحات التى رسمها و أنجزها كمال الملك فى هذه المدرسه فهى: منظر بعيد ل (مغانك)، لوحتان عن مدينه (دماوند)، ثلاث لوحات عن محله (شميران) و (جبل توجال) و لوحه (سيد نصر الله التقوى) و بعض اللوحات لنفسه نسخها عن المرأه و لوحه (مولانا) و لوحه (ابن ناصر الملك) و لوحات اخرى. كما أن الأستاذ كمال الملك استطاع أن يربى عدداً كبيراً من الفنانين فى هذه المدرسه و لعل ابرزهم: إسماعيل الأشتيانى، حسن على وزيرى، أبو الحسن صديقى و على محمد حيدرمان.

الخلافت المستمره إلى اعاقه تقدم اعمال المدرسه إلى أن بلغت الاحتكاكات أشدها في زمن سيد محمد تدين الذى صار وزيراً للمعارف. و لكن كمال الملك الذى أعيته تصرفات أولئك و أتعبه الوضع السيئ لهم لم يتمكن من المواصلة فقدم استقالته إلى رئيس الوزراء آنذاك الميرزا حسين مستوفى الممالك و قبلت تلك الاستقالة سنة ١٣٠٦ هجرى شمسى و غادر كمال الملك إلى منطقه حسين آباد فى مدينه نيشابور بتاريخ (٢٢ اربيهشت سنة ١٣٠٧) و سكن فى ملك شخصى له هناك إلى آخر أيام حياته و قد زاره الكثير من اصدقائه و تلامذته من داخل ايران و خارجها فى منطقه حسين آباد كما أن بعض المستشرقين و الفنانين توجهوا إلى هناك ليحظوا بقاء هذا الفنان الكبير و فى ذلك الزمان اتجه بعض المسئولين فى مجلس الشورى الوطنى نحو شراء لوحات كمال الملك لصالح المجلس و إقامه متحف هناك باسم كمال الملك، لذا فقد ابتاعوا لوحه "سردار أسعد" بمبلغ (٥٠٠) تومان سنة ١٣١٠ ثم ابتاعوا اثنتى عشره لوحه اخرى بمبلغ سته آلاف تومان و حملت إلى طهران حيث نصبت فى مكتبه مجلس الشورى الوطنى عهدئذ.

و فى عام ١٣٥٠ توجه السيد شريف رئيس مكتبه المجلس إلى حسين آباد و حمل أربع لوحات من اعمال كمال الملك إلى طهران و ألحقها بلوحات المجلس الأخرى و فى سنة ١٣٥٢ وقع كمال الملك صريع مرض تضخم البروستات فتوفى فى مدينه نيشابور بمنزل حفيده محمد غفارى و شيعت جنازته إلى مقبره الشيخ العطار " عن مقال لاسكندرى".

محمد باقر الدهلوى

قتل سنة ١٨٥٧ م.

من رجال العلم و الفضل فى الهند، و هو خطيب و صحافى و كاتب، و من مجاهدى الثورة الهنديه على الإنكليز. و كان لمجلته (دهلى اردو اخبار) مقام رفيع فى تاريخ الصحافه. و من مؤلفاته (هادى التواريخ) رتبت فيه الأحداث بحساب الشهور و الأيام.

السيد محمد صادق بحر العلوم ابن حسن

ولد فى النجف الأشرف سنة ١٣١٥.

درس فى النجف فكان من اساتذته السيد محسن القزوينى و أبو الحسن المشكينى و السيد أبو تراب الخوانسارى و الشيخ محمد حسين النائينى و السيد أبو الحسن الأصفهانى. و واصل البحث و المطالعه فى كتب الأنساب و التاريخ و اللغه و الأدب، ثم انصرف إلى تحقيق بعض كتب التراث مثل (تاريخ يعقوبى [اليعقوبى]) لابن واضح الأخبارى و (تاريخ الكوفه) للبراقى و (فرق الشيعه) للنوبختى و (النقود الإسلاميه) للمقريزى و (عمده الطالب) فى أنساب آل أبى طالب ابن عنبه و (أسماء القبائل العراقيه و غيرها) للسيد مهدي القزوينى و (الفهرست) للشيخ الطوسى و (الكواكب السماويه) للشيخ محمد السماوى.

و له حواش على (الرسائل) و (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصارى و (كفايه الأصول) للشيخ كاظم الخراسانى و (كشف الظنون) للشلبى. و له (المجموع الرائق) على طريقه الكشكول و (السلاسل الذهبيه) و (الدرر البهيه) فى تراجم علماء الاماميه من القرن الحادى عشر إلى هذا القرن. و (دليل القضاء الشرعى). و له ديوان شعر مخطوط. عين قاضيا شرعيا فى محاكم العراق.

الدكتور السيد محمد بهشتى

ولد في أصفهان سنة ١٣٤٩ و اغتيل في ٢٥ شعبان ١٤٠١ مع اثنين و سبعين مسؤلوا من مسؤلوى حزب الجمهوريه الإسلاميه الحاكم في انفجار المكتب المركزي للحزب في طهران.

هو من عائله دينيه و كان أبوه امام مسجد لومان. و جده لومه هو الحاج مير محمد صادق مدرسى الخاتون آبادى من المراجع الدينيه.

انهى الدراسه الابتدائيه و قسما من الدراسه المتوسطه في أصفهان ثم انتقل إلى الدراسه الدينيه، فدرس قواعد اللغه العربيه و المنطق و سطوح الفقه و الأصول في مده أربع سنوات و في سنه ١٣٦٧ انتقل إلى مدينه قم فدرس على الشيخ مرتضى الحائرى و السيد البروجردى و السيد محمد تقى الخونسارى و غيرهم. و كان خلال ذلك يتولى التدريس في بعض المدارس المتوسطه الحديثه، و كان قد اتقن اللغه الإنكليزيه فنوى الالتحاق باحدى الجامعات البريطانيه، و لكنه حضر مره درس السيد محمد حسين الطباطبائى في الفلسفه الإسلاميه فاستهواه هذا الدرس و قرر متابعته و لما وقعت احداث ١٩٦٢ و ١٩٦٣ م كان له فيها دور بارز لا سيما في كتابه البيانات، لذلك اعتقل على اثر الأحداث الدمويه التي عرفت باحداث (١٥ خرداد). و تحدث عنه السيد على خامنى رئيس الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه الذى كان زميله في الدراسه في قم، في تلك الفتره، تحدث عنه بمناسبة مرور ذكرى اغتياله فقال من حديث طويل: (و شهرته كانت تعود إلى اتجاهاته الفكرية الناصعه النيره و التقدميه).

هذا فضلا عن نبله و خلقه الرفيع الذين اتسم بهما بين مدرسى الحوزه العلميه، و تطورت العلاقات بيننا حينما قام بفتح صف دراسى و دعا جمعا من أفراد الحوزه للمشاركة فيه من أجل التعرف على العلوم و المعارف الحديثه و كنت أحد من شاركوا في هذا الصف. و بالطبع فان اصدقاءنا المشهورين اليوم أغلبهم من مجموعه الثلاثين الذى جمع الصف المذكور شملهم). ثم يذكر السيد خامنى انتقال السيد بهشتى من قم إلى طهران، ثم انتقاله إلى ألمانيا - كما سيأتى - ثم عوده منها إلى طهران و كان السيد خامنى قد انتقل إلى (مشهد).

ثم يستأنف السيد خامنى كلامه قائلا: (ربطنا معا صلته تشاور مستمره حول الشئون الخاصه بالقضايا الإسلاميه و عرض المفاهيم و المعارف الإسلاميه على الجيل الحديث و توثيق الأواصر معه، و كنت على اتصال دائم معه و كنت آتى إلى طهران للقائه و كان هو يأتى إلى مشهد مره واحده في كل عام. و بعد مضى سنوات بدأنا عملا مشتركا مع عدد آخر من الاخوه أدى إلى تشكيل الحزب في آخر المطاف) انتهى).

و هكذا يتبين أن نواه حزب الجمهوريه الإسلاميه - الذى كان المترجم في الواقع عميده - كان وجودها سابقا لانتصار الثوره، و لم يكن ينقص الحزب إلا إعلان وجوده. لهذا لم يرتبك رجال الحزب عند مفاجاتهم بانتصار الثوره، بل كانوا منسجمين كل الانسجام. و كان الحزب منظما و معدا اعدادا حسنا لتولى مسؤوليات الانتصار، لذلك نراه يستولى بسهولة على الحكم و ينفرد به مطبقا برنامجه الذى كان قد أعدده للحكم الإسلامى.

و كان المترجم خلال دراسته في الحوزه العلميه في قم يتابع دراسه منهج

الشهادة الثانويه التي تؤهله لدخول الجامعه حتى نجح في نيلها فانتسب إلى كليه الإلهيات فحصل منها على شهادته (الليسانس) ثم شهادته الدكتوراه. و كان المرجع الأعلى في قم السيد البروجردى قد اهتم بإنشاء مسجد جامع للجاليه الإيرانيه الكثيره العدد في مدينه (همبورغ) بالمانيا و ان لا بد لتلك الجاليه ممن يقوم على شئونها و شئون المسجد العتيذ، فانتدب لذلك السيد بهشتى فسافر إلى همبورغ و أتم بناء المسجد و نظم له برامج اسلاميه، و بعد أن كان اسم المسجد (مسجد الايرانيين) حول اسمه إلى (المركز الإسلامى فى همبورغ) و أصبح ملتقى للمسلمين جميعا و بعد اقامه حوالى خمس سنوات فى ألمانيا عاد إلى ايران فمنعته السلطات من الذهاب إلى قم، و لكنه ظل يواصل نشاطه مع إخوانه فى طهران حتى نجاح الثورة الإيرانيه. و رحيل الشاه.

و حين قررت الحكومه الموقته اجراء انتخابات (مجلس الخبراء) ليعد الدستور الايرانى الإسلامى كان السيد بهشتى عضوا فيه عن طهران. ثم كان رئيسا أعلى للقضاء.

و عن حادث انفجار المكتب المركزى للحزب و اجتماع ذلك العدد الكبير من المسئولين فيه يتحدث السيد خامنى قائلا:

لقد كان ذلك الاجتماع فى الواقع اجتماعا اسبوعيا بل كان محورا للسياسات الرئيسيه لكافه اجهزه الحكومه، فقد كان اجتماعا حزبيا يحضره جمع من أعضاء المجلس المركزى للحزب و عدد من الأعضاء العاملين و ممثلى الحزب فى المؤسسات و الوزارات و مجلس الشورى الإسلامى و لقد كنا جميعا فى الاجتماعات السابقه و لو لا- اننى كنت فى المستشفى أثر حادث محاوله الاغتيال التى تعرضت لها لكنت من المشاركين فى ذلك الاجتماع، و ان أحد الألفاف الإلهيه هو عدم وجود الشيخ هاشمى رفسنجانى (رئيس مجلس الشورى) و الشيخ باهنر فى ذلك الاجتماع و قد كان عدم وجودهما لأسباب خاصه.

محمد تقى بهار الملقب بملك الشعراء

ولد سنه ١٣٠٤ فى مدينه مشهد و توفى سنه ١٣٧٠ فى طهران.

انتقل إليه لقب (ملك الشعراء) من أبيه محمد كاظم الذى لقب بملك الشعراء للروضه الرضويه العلويه فى مشهد الرضا ع و أصبح ملك الشعراء فى تلك البقعه البهيه و لقد حافظ على هذا اللقب ابنه المترجم و زاد عليه بما أوتى من كفاءه و عبقرية.

هو محمد تقى بهار الملقب بملك الشعراء ابن محمد كاظم صبورى ملك الشعراء، درس الأوليات من العلوم العربيه و الفارسيه فى مسقط رأسه على أبيه و على بعض أدباء خراسان المعاريف كما أخذ ينظم الشعر و لم يتجاوز الرابعه عشره من عمره و قد أصبح نظمه و هو فى سن العشرين موضع إعجاب الأدباء و النقاد من المتضلعين باللغه الفارسيه و آدابها فى عصره.

و عند ما بزغت شمس النهضه الدستوريه التى عمت جميع أنحاء إيران منذ العشره الثانيه من القرن الرابع عشر الهجرى و أعلن الدستور الايرانى سنه ١٣٢٤ كان المترجم على رأس من ولج ميدان الكفاح السياسى و النضال الاجتماعى فى محافظه خراسان، رافعا رايه هذه النهضه مستعينا بشعره الحماسى و نثره المنسجم، مناقضلا عن الدستور و مشتركا فى المنتديات و المجتمعات السياسيه و الأدبيه التى كانت تعقد فى مدينه مشهد. و كانت الصفه الغالبه على شعره و نثره الانتقاد اللاذع للأوضاع السائده و الاستنهاض الملح للطبقه المنوره و إثارة الرأى العام و تأييد الأحرار فى نضالهم الحاد و كان عمره لما يتجاوز العشرين سنه عندئذ، كما أنه أصدر فى نفس هذا الوقت فى مدينه مشهد جريده باسم (نوبهار) أى (الربيع الجديد) ثم جريده (تازه بهار) أى

(الربيع الطازج) و قد أصبحت مرآه تعكس آراءه و نظرياته، كما ثابر على إصدارهما سنوات فى هذه المدينه المقدسه.

و لم يكذب يبلغ السن القانونيه حتى انتخب نائبا عن محافظه خراسان فانتقل بحكم الضروره إلى العاصمه (طهران) و نقل جريدته (نوبهار) أيضا من مشهد إلى العاصمه و استأنف إصدارها فيها فضلا عن أنه أصبح محرر فى صحف أخرى كانت تصدر فى طهران و صار من رجال السياسه المعروفين فى ايران، و هكذا تكرر انتخابه نائبا فى المجلس النيابى فى دوراته الثالثه و الرابعه و الخامسه و السادسه و الحاديه عشره و كان صوته یرن من على كرسى النيايه فى أكثر جلسات المجلس ممثلا للمعارضه و متعاوننا مع زعيمها السيد حسن المدرس، كما اشترك فى بعض الأحزاب سواء فى مشهد أو طهران كعضو بارز فيها و شغل منصب وزاره المعارف الإيرانيه سنه ۱۳۶۵ فى الوزاره التى ألفها صديقه القديم السياسى العنيف أحمد قوام السلطنه أثناء الحرب العالميه الثانيه و استقال قبل سقوط الوزاره لمعارضته لحكومته (بيشه وری) التى كانت قد تألفت فى آذربيجان خلافا للدستور ممتنعا عن توقيع أى اتفاق معها.

و على الرغم من قضاء معظم وقته فى الكفاح السياسى فإنه لم يترك نزعتة الأدبيه و ما جبل عليه من النظم الحاد و النثر اللاهب، و نزولا عند هذه النزعه أنشأ سنه ۱۳۳۶ جمعیه أدبيه باسم "انجمن أدبى دانشكده" و أصدر مجله "دانشكده" التى كانت لسان حال تلك الجمعیه، تلك المجله التى كان لها الأثر البالغ فى تجديد حياه النهضه الأدبيه فى ايران و اتسام النظم و النثر الفارسى بسمه حديثه مجلبه بروح عصريه و بأسلوب يختلف كثيرا عن أسلوب النظم و النثر المحاط باطار القرنين الثانى عشر و الثالث عشر الهجريين.

هذا و قد لقي مترجمنا فى نضاله السياسى المعارض عنتا قويا و كبتا عنيفا من السلطات القائمه، فسجن من جراء ذلك فى سنه ۱۳۴۸ للمره الأولى و فى سنه ۱۳۵۳ للمره الثانيه (دفعتين) و بقى حتى أواسط عمره معتما بالعمه البيضاء الصغيره و مرتديا زى علماء الدين على غرار زملائه و من على شاكلته من الفضلاء و الأدباء عصرئذ لكنه على أثر إصابه عضده بالكسر أثناء رحلته مع المهاجرين إبان إعلان الدستور اضطر إلى استبدال زيه هذا (ببدله الستره و البنطلون و القلبق) لأنه كان قد تعذر عليه بعد إصابه عضده بالكسر أن يلف بسهولة طيات عمته.

و لقد كان لتأسيس المترجم جميعه (انجمن أدبى دانشكده) و إصداره مجلتها القيمه أثر كبير فى حياته و سيرته السياسيه التى لقي من ورائها العنت و التعب و النصب، من سجن و تبييد و كفاح برلمانى و نضال صحفى، و نتيجة لكل ذلك أثر ترك السياسه و التفرغ للأدب و الشعر و التعليم فى المدارس العاليه كدار المعلمين العليا و كليه الآداب و كذا التأليف و الترجمة و الاشراف على طبع الكتب الأدبيه و التاريخيه القديمه و التعليق عليها و تصحيح متونها.

خاصه و أن لأسلوب شعره و نثره مسحه من الأدب الخراسانى المعروف، كما كان المترجم زعيم المجددين فى النثر و النظم الايرانى الحديث، كل ذلك مضافا إلى ما كان يمتاز به من وطنيه ملتبهه و غيره إسلاميه و حميه شريقيه.

لقد أصيب فى السنوات الأخيره من عمره بمرض السل الذى أفعده عن أى نشاط علمى أو سياسى أو أدبى عدا نظم الشعر الذى كان يستعين به على قضاء وقته فى انزوائه و اعتزاله و رغم المحاولات الكثيره سواء فى إيران أو فى رحلاته إلى مصحات و مستشفيات أوروبا للعلاج فان هذا المرض العضال قد تغلب عليه.

حيث توفاه الله عن عمر يناهز (٦٦) سنه.

كان ملك الشعراء بهار ملما إلاما تاما باللغه العربيه و آدابها و كان يستعين كثيرا بالكلمات العربيه الفصحى فى نظمه و نثره. و لذلك كنا نرى مكتبته التى حوت الآلاف من الكتب الخطيه و المطبوعه غاصه بدواوين الشعراء العرب من قبل الإسلام و بعده و المعاصرين و كذا بكتب اللغه العربيه و قواميسها و آدابها و موسوعاتها.

مؤلفاته و آثاره

لقد ترك المترجم آثار كثيره من نتاج أفكاره كثير منها مطبوع و بعضها لا زال مخطوطا، منها:

١ - كتاب (سبك شناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى) باللغه الفارسيه فى ثلاثه مجلدات مطبوعه.

٢ - ديوان شعره بالفارسيه فى مجلدين كبيرين مطبوعين.

٣ - مجموعه مؤلفه من عدده مجلدات تحتوى على المقالات السياسيه و الأدبيه و غيرها التى نشرها فى صحفه أو الصحف و المجلات الأخرى طوال مده حياته.

٤ - تعليقاته و تصحيحاته لمتون كتابى (تاريخ سيستان) و (مجل التواريخ و القصص) اللذين طبعا على نفقه وزاره المعارف الايرانيه و أشرف المترجم على الطبع و التصحيح و التنقيح " ملخص من مقال للسيد صالح الشهرستانى".

السيد محمد الحجه ابن على

ولد فى تبريز سنه ١٣١٠ و توفى سنه ١٣٧٢ فى قم.

درس فى تبريز ثم سافر إلى النجف الأشرف فكان من اساتذته فيها الخراسانى و اليزدى و شيخ الشريعه و غيرهم و ظل فى النجف حتى سنه ١٣٤٩ و فى هذه السنه انتقل إلى مدينه قم فكان من مدرسيها و بنى فيها المدرسه الحجتيه. و لما أدرك الهرم الشيخ عبد الكريم اليزدى الحائرى مؤسس جامعه قم و عميدها خشى أن ينفرد عقدها بعد وفاته فاستدعى السيد صدر الدين الصدر من (مشهد) و جعل منه و من المترجم معاونين له، ثم توفى الشيخ عبد الكريم فانضم إليهما السيد محمد تقى الخوانسارى فتألفت منهم قياده ثلاثيه لحوزه قم، ثم انتقل إلى قم السيد البروجردى فأشرف بنفسه على شئون الحوزه و تصريف أمورها.

له: لوامع الأنوار، جامع الأحاديث، مستدرک البحار، رسائل في فروع الدين.

السيد محمد جمال الهاشمي ابن السيد جمال الدين

إشارة

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩١٤ م.

أصل والده من قرية سعيدآباد عن قرى كلبايكان في إيران ثم انتقل إلى النجف سنة ١٣١٩ فأقام فيها طالبا فعالما من مشاهير علمائها، ثم توفي فيها وهناك ولد نجله المترجم فدرس على والده وعلى كبار العلماء وتقدم في الدرس، حتى كان من المبرزين واشتغل في تفسير القرآن حتى كانت له حلقة يلقي فيها دروس التفسير على الطلاب. وكان إلى ذلك شاعرا مجيدا. ولما قام حكم الطغيان البعثي التكريتي في العراق، فسفك الدماء وارتكب المجازر الإنسانية وشرد العلماء وقضى على الحريات، كان هو ممن لحقته آثام هذا الحكم فاضطهد وطورد، ثم توفي فجاء في الستين من عمره.

طبع من مؤلفاته: الأدب الجديد، الزهراء، المرأه و حقوق الإنسان. و بقى ديوانه مخطوطا، و يؤسفنا أن لم يصل إلينا إلا هذا النزر القليل من شعره الكثير الجيد، و الله أعلم بما انتهى إليه أمر ديوانه.

شعره:

من شعره قصيده له في فلسطين نظمها سنة ١٩٤٦ و ألقاها في إحدى الحفلات الكبرى في النجف:

ثبي ففى سيره التاريخ قد وثبا و استسهلى فى سبيل المجد ما صعبا

و خلفى أمس ظهريا فان لنا يوما طوى ذكره الأجيال و الحقبا

قولى لحاميك: يكفى ما غصبت فقد أمسيت لا سله عندى و لا عنبا

تلك الحقيقه لا زور و لا كذب فأين ما حدث الراوى و ما كتبنا

الحرب أرأف من سلم يضيع به شعب، و يصبح قطر فيه منتها

و الضغط أرحم من رفق يجف به دم و يخمد عزم كان ملتها

إن كان ما كان عن عدل و مرحمه يا رب سلط علينا الظلم و الغضبا

طال احتجاجك و القاضى بمنصبه يراوغ الحق مشكوبا و محتجبا

ما تثبت اليوم تنفيه غدا نظم سلت لتشخب من ذى دره حلبا

دعى المواثيق عنا إنها صور تمحى، و خلى الدم الموروث و الحسبا
الحكم للقوه الخرساء فاستمعى لما تقول، و خلى الصدق و الكذبا
ما ذا يفيدك إضراب يقوم به شعب عليه نطاق الظلم قد ضربا
أخوك مثلك فى الإرهاب فالتجئى لثالث ما رأى ضغطا و لا رهبا
نيف و عشرون عاما هل جنيت بها من التعلم إلا الويل و الحربا
قامت لآلامك الدنيا و ما قعدت إلا لتبرير ما قامت له عتبا
ما ذا اكتسبت من الحربين هل ذهبت تلك الدماء على أرض الفداء هبا
يراوغونك بالآمال لا فزعا حاشا، و لكنهم راموا بها إربا
و يخلقون حياه للكفاح فان فتشت عنها وجدت الموت و العطبأ
نلك السياسه لا كانت، فقد حصدت حقولنا، و خسرنا البذر و التعبأ
كانت دروسا و ضاعت، فاذكرى عبرا مرت عليك بها، و استعرضى النوبا
إيه فلسطين و الأيام دائره بلا نظام، و لم تعرف لها قطبا
لا يرجفنك صهيون و عصيته فطالما نجم الشيطان ثم خبا
ثبى إلى العمل المجدى، فما ربحت تلك التجاره لا مالا و لا نشبا
غزاك أفتك جيش دربته يد شلت قديما، و نفس تنفث اللهبأ
قد خرجته (أوروبا) من معاملها مثقفا وزن الأيام مرتقبا
مجهزا باحتياجات الحياه فما يخاف جهلا و لا فقراً و لا وصبا
فهيشى قوه تحكيه و اكتسحى جيوشه فسيغدو زحفها هربا

و له قصيده نظمها فى عام ١٩٤٨ م بعنوان "فلسطين" يقول فيها:

يا فلسطين تحييك دموع و دماء أنت لحن هام فيه الفن و أفتن الغناء

يزدهى الفتح بدنياك و يختال الفداء يا فلسطين.. و هل يجدى مناديك النداء

قضى الأمر، و جار الحكم و اشتط القضاء أمناء الحق شاءوا أن تخون الأمناء

وضح المحجوب و انجاب عن النور الغشاء و سرى (التقسيم) فى العرب كما يسرى الوباء

و استشاط الحقد مجنوننا و ثار الكبرياء و أبى (الضاد) بان ينسخه فى النطق (زاء)

حطى القيد فلا ينفع عهد و وفاء واجهى الواقع بالواقع إن فاض الإناء

و احذرى العدل فبالعدل تضام الضعفاء يرجع الحر إلى السيف إذا خان الإخاء

الشيخ محمد حرز الدين ابن على

ولد سنة ١٢٧٣ فى النجف الأشرف و توفى فيها سنة ١٣٦٥.

ينتسب إلى قبيله عرييه عراقيه تدعى (بنو سليم) و هو من بيت علمى أدبى أخرج جماعه من الفضلاء.

توفى والده و عمره أربع سنين فكفله أخوه الشيخ عبد الحسين فلما توفى عنى به أخوه الآخر الشيخ حسن، و تابع دراسته فى النجف فكان من أساتذته الشيخ إبراهيم الغراوى و الشيخ محمد الايروانى و الشيخ حبيب الله الجيلانى و السيد محمد الشرموطى و الشيخ عبد الله المامقانى و الشيخ محمد طه نجف و الميرزا حسين الخليلى، و أكثر من ملازمه الشيخ محمد حسين الكاظمى، و جل دراسته عليه. كما تخرج عليه عدد من الفضلاء.

له ما يزيد على الأربعين مؤلفا بقيت مخطوطه لم تطبع. و طبع من كتبه (معارف الرجال) فى التراجم.

الشيخ محمد الخليلى ابن الشيخ صادق

ولد فى النجف الأشرف سنة ١٩٠٠ م و توفى و دفن فيها سنة ١٩٦٨ م.

من أسره علميه نبغ فيها مراجع دينيون، كما نبغ فيها أطباء يتعاطون الطبابه على الطريقه القديمه، و كان هو نفسه طبيبا على هذه الطريقه، أديبا شاعرا مقلا.

له من المؤلفات المطبوعه: (معجم أدباء الأطباء) جزءان. (شرح توحيد المفضل)، (طب الامام الرضا)، (الطب فى القرآن)، (المغريات العشر).

من شعره قوله متحدثا عن فلسطين سنة ١٩٣٦:

بالسيف - إن كل عن نيل المنى القلم - يرجى النجاح، و لم تنفعكم الكلم

خلوا اليراعه للآراء تحفظها فى الطرس، و لتحفظ بالسؤدد الخدم

سيل الكوارث عنا غير منقطع إن لم يسئل فوق هامات الكماه دم

و لا يعالج جرح دام فى جسد إلا بمشرط جراح و يلتئم

إن السياسه للتفريق قد وضعت لكنها بوسام العدل تتسم

فالعدل ظلم، و بالتشتيت قد جمعت أطماعها، و بكذب الوعد تحتكم

هذى (فلسطين) قد أمست و ليس لها - لتبلغ العدل ظلم الأبرياء - فم

لكنما المدفع الهدار أسمعنا صوت السياسه فيها حين تنتقم

و ذى ضحايا الأباه الصيد قد صرعت و لن تراعى لها فى دارها ذمم

كم حره هتكت، كم طفله قتلت، و كم شباب صريع، جنبه الهرم

وا رحمتاه، و هل تجدى استغاثتهم بنا، و هم بحراب الجور قد عدموا

ضيموا بدارهم، فاستنهضوا شما و العرب يأبى لها أن تخضع الشمم

و حاولوا غصب ما قد أورثته لها آباؤها، فاستشارت عزمها الهمم

و شاطرتهم " بنو صهيون " أرضهم و كيف ترقى إلى أسيادها الخدم

يأبى الفتى العربى الحر منقصه فكيف يرضى إذا ما حقه اهتضموا

و هل تنام إذا ريع الحمى أسد و فى الصدور شواظ العزم تضطرم

لله كيف ترى أوطانها علنا " مقسومه و بعين الله تقتسم "

ثقى فلسطين أن العرب أجمعهم إن تهضمى هضموا أو تسلمى سلموا

فالجسم إن سقمت إحدى جوارحه نال الجميع كما قد ناله الألم

قال السيد صالح الشهرستاني:

- أسره الحكيم الحائريه:

اسره علويه عريقه، ينتهى نسبها بالإمام الشهيد الحسين بن على ابن أبى طالب ع، و قد استوطنت هذه الأسره مدينه كربلاء منذ أواخر القرن الثانى عشر الهجرى و تصاهر أفرادها بمرور الأيام مع بعض الأسر الكبيره فى مدينه الحسين ع كالأسره الشهرستانيه و غيرها.

و اسره الحكيم الحائريه هذه لا تمت بصله باسره الحكيم الطباطبائيه التى تسكن النجف الأشرف و سائر أرجاء العراق إذ أن أسره الحكيم الحائريه حسنيه النسب و أسره الحكيم الطباطبائيه حسنيه النسب.

ص: ١٥٦

و السيد الميرزا صالح الموسوي الشهرستاني غلبت شهره الشهرستاني على أفراد أسرته آل الحكيم، ثم حافظ الذريه من الأولاد و الأحماد من اسره الحكيم الحائريه على هذه الشهره التي زادت تأصلا فيهم من جراء مصاهره كثير من أفرادها ذكورا و إناثا بافراد من الأسره الشهرستانيه و العكس بالعكس.

هذا و يستبان من وثيقه مؤرخه في ٢٠ شوال سنه ١٢٩٣ هـ و خاصه ببعض أملاك الأسره الشهرستانيه في كربلاء جرت مصالحتها بين بعض الإخوه و الأخوات من ذريه السيد الميرزا كاظم الموسوي الشهرستاني أخى السيد الميرزا صالح الموسوي الشهرستاني. يستبان من هذه الوثيقه (الموجوده فى مكتبتي) أن السيد خليل الحكيم عدل السيد الميرزا صالح كان حيا فى ذلك التاريخ لأن خطه و ختمه مسجلان على تلك الوثيقه المدونه فى كربلاء بذلك التاريخ على النحو التالى: (الأمر كما سطر و أنا من الشاهدين الأقل خليل بن إبراهيم الحسينى - رسم الختم خليل بن إبراهيم الحسينى) كما و أن ابنه السيد مهدي وضع شهادته جنب شهاده أبيه على هذه الوثيقه على النحو الآتى: (نعم الأمر كما سطر لدى و أنا الجانى مهدي بن خليل الحسينى - رسم الختم مهدي الحسينى) فيستدل من هذين التوقيعين و الختمين أن لقب الحكيم و شهره الشهرستاني غلبت على أفراد هذه الأسره الكريمه بعد سنه ١٢٩٢ هـ).

أما المترجم - الطبيب السيد محمد حسن الحكيم المشتهر بالشهرستاني:

فهو حكيم بالمعنيين اللغوي و الاصطلاحى، طيب نطاسى على أسلوب الطب القديم، طريقه ابن سينا و الرازى، علوى خلقا و خلقا، دقيق فى فحوصه و علاجاته و صفاته الطبيه.

و هو السيد محمد حسن الحكيم المشتهر بالشهرستاني ابن السيد مهدي الحكيم الشهير بالشهرستاني ابن السيد خليل بن السيد إبراهيم بن محمود ابن عبد العزيز بن عمران... إلى أن ينتهى النسب الشريف بالإمام الحسين الشهيد ع.

ولد صاحب الترجمة فى مدينه كربلاء فى ليله الجمعه الثانى من شهر صفر سنه ١٢٩٤ و درس على أبيه الطبيب النطاسى المعروف المقدمات فى علوم العربيه و أصول الدين و قواعد الطب القديم وفقا لعرف زمانه. كما أخذ يتدرب على يده أساليب العلاجات بالعقاقير الطبيه و الحشائش العلاجيّه، بالاضافه إلى إكبابه على المطالعه فيما حوته مكتبته والده من كتب طبيه خطيه قديمه مستعينا بها على دراساته الطبيه و واضعا إياها نصب عينيه فى علاجاته.

تلك الكتب القيمه التى انتقلت إليه بعد وفاه شقيقه الأكبر السيد أحمد الحكيم الذى اعتنى بصاحب الترجمة بعد وفاه أبيهما سنه ١٣١٨ هـ و تدريبه على استخلافه فى مهنة الطب التى تلقاها هو أيضا من والده السيد مهدي و خلف والده فى وسادته الطبيه و كان من أشهر أطباء كربلاء. و لم يكذب يتوفى شقيق المترجم إلا و جلس السيد محمد حسن الحكيم على وساده الطب بعد أبيه و شقيقه و أصبح من الأطباء المشار إليهم بالبنان فى مدينه كربلاء و ما جاورها من القرى و الضياع.

و كان الإقبال عليه كبيرا خاصه من الأسر العريقه المعروفه، لا سيما و قد اشتهر عنه سرعه تشخيص المرض و إتقان العلاج.

وفاته

لقد وافت المنيه مترجمنا فى ٢٤ ذى الحجه سنه ١٣٦١ هـ فى مسقط رأسه (كربلاء) و دفن فى مقبره أسره الحكيم الحائريه الواقعه فى الجبه الشماليه من الصحن الحسينى و قد ترك مجموعته خطيه نفيه ضخمه باللغتين العربيه و الفارسيه على شكل مذكرات أو كشكول ضمت بين دفتيها كل شارده، و وارده من المسائل العلميه و النبذ الأدبيه و المقطوعات الشعريه و النكت المفيده و القواعد الطبيه و التجاريب العلاجيه و الوصفات الصحيه و الحوادث التاريخيه.

والده السيد مهدي الحكيم الشهير بالشهرستاني:

كان أستاذا لكثير من الأطباء الذين زاولوا مهنة الطب بعده فى مدينتى كربلاء و النجف و ما جاورهما، ذلك الطبيب الحاذق و العالم المحقق و الفقيه المدقق الذى خلف كثيرا من المؤلفات و الرسائل ذات الفوائد العميمه. فهو السيد مهدي الحكيم بن السيد خليل إلى آخر نسبه الطاهر. و قد ولد فى كربلاء و توفى فيها سنه ١٣١٨ هـ و دفن فى مقبره أسره الحكيم المار ذكرها.

و قد أرخ بعض معاصريه الأفاضل وفاته بجمله (قد قضى المهدي من آل النبى).

و من مؤلفاته التى انتقلت يدا بعد يد و خلفا عن سلف إلى حفيده السيد محمد صدر الدين:

١ - كتاب (هياكل الحكمة و صور النعمه) فى الطب اليونانى فى مجلد ضخم يربو على (٦٠٠) صفحه - مخطوط.

٢ - كتاب (تحف السلف و معارج الشرف) على نمط الكشكول، مخطوط. و قد جاء فى مقدمته (أما بعد فيقول الأقل الأذل المفتقر إلى الأعز الأجل مهدي المشتهر بالطبيب بن الخليل الحسينى الحائرى حرسه القريب المجيب... إلخ).

٣ - كتاب (فقه الأطباء): مخطوط و للسيد الميرزا محمد على المرعشى الشهرستاني الحسينى المتوفى سنه ١٣٤٤ هـ تعليقات مفيده عليه.

٤ - الرساله البائيه: مخطوط.

٥ - مجموعته ديوان شعره. باللغتين العربيه و الفارسيه. مخطوط.

٦ - مسودات فى اختبارات الطبيه: مخطوط.

و قد خلف السيد مهدي أربعة أولاد أكبرهم السيد أحمد و ثانيهم السيد محمد حسن (صاحب الترجمة) و ثالثهم السيد محمد حسين و رابعهم السيد محمد على.

كما ترك مكتبه غنيه باثمن الكتب الخطيه و كان يضرب بها المثل لما احتوته من النسخ الخطيه النفيسه و لا سيما الطبيه منها، كقانون ابن سينا و كتاب تشريح المسبحى المكتوب سنه ٧١٧ هـ و الأوقيانوس فى الهندسه و كتاب الاقليدس و تاريخ خطه سنه ٧٥٣ هـ و قد اطلعت على بعضها لدى ابنه السيد محمد حسن قبل أكثر من ٣٥ سنه و خاصه نسخه كتاب قانون ابن سينا التى أتذكر أن تاريخها يرتقى إلى القرن السابع الهجرى.

مرت ترجمته في الصفحه ١٥٩ من المجلد التاسع، و نزيد عليها هنا ما كتبه السيد على خامنه إى رئيس الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه عن كتاب (اختيار الرجال) و كتاب (الفهرست) مقدا لذلك بمقدمه عن علم الرجال:

ص: ١٥٧

علم الرجال:

موضوعه و أنواع كتبه حتى أيام الشيخ و النجاشى باجمال.

لعله من المفيد قبل ورودنا موضوع البحث، يعنى "التعريف بالكتب الأربعة الأصلية فى علم الرجال و تقييمها" (١) أن نلقى نظره إجماليه حول الموضوع، فنقدم نبذه تاريخيه عن علم الرجال و فائده.

تعريف بعلم الرجال:

يجدر بنا أولاً، أن نذكر بان "فن الرجال" فى هذا البحث، هو علم الرجال بمعناه العام، الذى يمكن تعريفه بأنه: "علم معرفه قبيل من الناس يشتركون فى جهه خاصه، و الاطلاع على أحوالهم أو أنسابهم أو تاليفاتهم أو بعض خصوصياتهم الأخرى" و عليه، فان علم الرجال بمعناه الخاص، من فهرست و تراجم و أنساب و مشيخه جميعا مندرج تحت ذلك التعريف.

هذا، لأن علم الرجال فى اصطلاحه الخاص، علم يبحث فى معرفه رواه الحديث من حيث الاسم أو الأوصاف التى لها دخل فى قبول أقوالهم و رواياتهم و ردها. "فالفهرست" مجموعه تنتظم أسماء المؤلفين و المصنفين. "و المشيخه" عليها بيان أسانيد الحديث. و "التراجم" بصوره عامه هى شرح حال العلماء أو الرواه بدون الإشاره إلى ما يؤثر فى الروايه من حيث القبول و الرد من الجهات.

و علم الرجال باصطلاحه الخاص، يقسم حسب الدواعى المختلفه إلى أقسام و مواضع أكثر تحديدا، كما تختلف الكتب الخاصه بهذه الأقسام فى شكلها. فبعضها كتب عامه شامله لأسماء الرواه، لا تتعرض لتوفر الثقه فيهم أو عدمها، مثل، "طبقات الرجال" المحتمل تاليه لأحمد بن أبى عبد الله البرقى (المتوفى سنه ٣٧٤ أو ٣٨٠)، و بعضها خاص بالممدوحين و المذمومين، مثل، كتاب ابن داود القمى (المتوفى سنه ٣٦٨). و الكتاب الأكثر تفصيلا منه أيضا لاستاذه أحمد بن محمد بن عمار الكوفى (المتوفى سنه ٣٤٦). و بعضها يقتصر على أصحاب امام واحد، مثل، كتاب ابن عقده (المتوفى سنه ٣٣٢ أو ٣٣٣) الذى ألف خاصه لأصحاب الامام الصادق ع و اشتمل على أسماء أربعه آلاف راو. كما أن بعضها نظر إلى جهات أخرى خاصه، ككتاب عبد العزيز بن يحيى الجلودى (المتوفى سنه ٣٣٢) المشتمل على أسماء العده من صحابه الرسول الأكرم ص الذين رووا عن على ع أو كتاب ابن زيدويه (٢) فى شرح حال "من روى من نساء آل أبى طالب". و كتب اخرى ناتى إلى ذكر أسماء بعضها.

نبذه تاريخيه عن هذا العلم و تطوره بالإجمال حتى زمان الشيخ النجاشى:

كان هذا العلم منذ القرون الأولى لظهور الإسلام محل عنايه المسلمين، ثم اتسع مجاله بالتدرج حسب تزايد الاحساس بالحاجه إليه.

فلو أننا عرفنا علم الرجال بتلك العموميه التى سبق بيانها، بمعنى، اننا وسعنا اختصاصه إلى كتابه شرح الحال، فان سابقه هذا العلم تعود إلى النصف الأول من القرن الإسلامى الأول. ففى حدود سنه ٤٠ الهجرية. (٣) جمع عبيد الله بن أبى رافع كاتب أمير المؤمنين على ع أسماء العده من أصحاب الرسول الأكرم ص الذين ساهموا مع على فى حروبه و حاربوا فى صفه.

و الظاهر أنه هو أول من كتب كتابا في الرجال. و الشيخ الطوسي ذكر هذا الكتاب في الفهرست باسم "تسميه من شهد مع أمير المؤمنين على ع - الجمل و صفين و النهروان من الصحابه - رضى الله عنهم" كما ذكر سنده أيضا.

و في القرن الثالث الهجري ازدهر فن الرجال على أثر شيوع كتب الحديث و رواج أصول هذا العلم و مصنفاته، فألفت و دونت في هذا الفن كتب كثيره نسبيا، لا- يزال بعضها موجودا للآن، و تعتبر من نفائس آثار الشيعة في هذا العلم. من جملتها: كتاب "طبقات الرجال" تأليف أحمد بن أبي عبد الله البرقي(٤) الذي لا تزال نسخه ناقصه منه موجوده اليوم. و كتاب محمد بن أبي عبد الله بن جبله بن حيان بن أبجر الكناني (المتوفى سنه ٢١٩) (٥) الذي عدّه الشيخ الطوسي في كتاب الرجال من أصحاب الامام الكاظم. و نسب النجاشي إليه كتبا كثيره منها كتاب في الرجال.

و مجموعه أخرى من الكتب الرجاليه في القرن الثالث عباره عن: رجال، حسن بن علي بن فضاله (المتوفى سنه ٢٢٤) و يقال أنه كان معروفا في زمن النجاشي و ربما كان تابعا له(٦) و كتاب رجال حسن ابن محبوب (المتوفى سنه ٢٢٤) باسم "معرفه رواه الأخبار"(٧) و هو غير كتابه الآخر في "المشيخه" الذي رتبّه أبو جعفر الأودي فصولا حسب ترتيب أسماء الرجال. و هناك أيضا كتاب رجال إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي (٨) (المتوفى سنه ٢٨٣) و كتاب رجال حافظ أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن خراش المروزي البغدادي(٩) (المتوفى سنه ٢٨٣).

و هكذا يتبين مما قلنا أن قول "السيوطي" في كتاب "الأوائل" من أن:

أول مؤلف في علم الرجال، شعبه بن الحجاج - من أئمه أهل السنه و توفي سنه ٤.

ص: ١٥٨

١- يقال أن المنظور من "تاريخ الرجال" المذكور في بعض الكتب في عداد فروع علم الرجال، و اختصت به بعض مصنفات القدماء ككتاب العقيلي (الأب)، هو هذه التراجم.

٢- هذه الكنيه في بعض المصادر (ابن ريديويه) بالراء المهمله، و ضبطت في البعض الآخر (ابن رويده)، و الكنيه الوارده في المتن نقلت عن الفهرست للشيخ الطوسي. و على كل حال فالمقصود هو علي بن محمد بن جعفر بن عنبسه الجداد العسكري.

٣- تم تحديد هذا التاريخ اعتمادا على قول الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعه (ج ١/٨٤) الا- أنه بالتوجه إلى أن عبيد الله كان حتى أواخر القرن الأول الهجري على قيد الحياه (الفهرست طبع النجف حاشيه الصفحه ١٣٣ نقلا- عن "التقريب" لابن حجر) يصبح ذلك القول بلا دليل، اللهم الا أن يكون تأليفه في سنوات في حدود الأربعين.

٤- الذريعه (ج ١٠/٩٩) و الاسناد المصنفى / ٧٩. ان ما قيل عن مؤلف هذا الكتاب هو نظر العلامة الطهراني في كتابه القيم "الذريعه" و في رسالته "المشيخيه" أيضا المعروفه "بالاسناد المصنفى" و هو في هذا النظر سائر على أثر النجاشي و ربما على أثر بعض من أئمه الرجال الآخرين. و فريق آخر يعزو هذا الكتاب إلى أبيه أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي. و لكن المحقق الرجالي المعاصر محمد تقى الشوشترى صاحب كتاب "قاموس الرجال" يرد هذين القولين، و يعتبر أن مؤلف "طبقات الرجال" بقرينه طبقه الروايه هو عبد الله بن أحمد البرقي - من مشايخ روايه الكليني - أو أحمد بن عبد الله البرقي من مشايخ الصدوق الثاني. و هناك أيضا بين هذين الاثنين احتمال كون الثاني أقرب إلى الصواب. لمزيد من التفصيل ارجع إلى قاموس الرجال ج

٥- فهرست النجاشى، طبع الحروف طهران / ١٦٠ و ضبط هذا التاريخ فى قاموس الرجال نقلا عن فهرست النجاشى ٢٢٩. و بالرجوع إلى نسختى النجاشى المطبوعتين و إلى بعض الكتب الأخرى التى نقلت عن النجاشى مثل الذريعة و تأسيس الشيعة حصل الاطمئنان إلى وقوع صاحب القاموس أو المامقانى صاحب الرجال فى خطأ (لأن القاموس يكاد يكون حاشيه عليه).

٦- الذريعة: ج ٨٩/١.

٧- معالم العلماء: تأليف محمد بن على بن شهر آشوب (المتوفى سنة ٥٨٨) طبع عباس إقبال / ٢٨ أما فى فهرست الشيخ الطوسى فلم يذكر الا المشيخه فقط دون هذا الكتاب.

٨- الذريعة: ج ١٠ / رقم ١٤٧.

٩- الذريعة: ج ١٠ / رقم ١٥٤.

١٦٠- (١) مجاف للحقيقه عار عن التحقيق. إذ أن فن الرجال كما شاهدنا، بدأ في القرن الأول، وقد وضع كتاب في هذا الفن بمعرفه عبيد الله بن أبي رافع قبل شعبه بأكثر من قرن.

و نظير هذا الخطا ان لم يكن اسوأ أن الأستاذ الفاضل الشيخ محمد أبو زهره المصرى المعاصر فى كتابه "الامام الصادق" يزعم بغفله ناجمه عن عدم التبع الكافى فى مصادر الشيعه و ماخذهم، لا عن الانتماء الفرقى و العصبية، أن فهرست الشيخ الطوسى أول كتاب رجالى عند الشيعه فائتى على الشيخ الثناء الوافد و مجده أكبر التمجيد(٢) باعتباره فاتحا لطريق جديد إلى أفق الثقافه الشيعيه بوسيله هذا المعبر. ان هذا الحكم دليل على عدم تدقيقه فى كتاب الفهرست بالذات، إذ أن الشيخ نفسه أشار فى مقدمه الكتاب إلى كتب أخرى فى نفس المجال ألفت بمعرفه العلماء السابقين.

و كائنا ما كان، فان تأليف و تدوين كتب الرجال الذى اكتسب حاله نسيبه من الزيوع و الانتشار فى القرن الثالث الهجرى، قد صار فى القرن الرابع و بنفس النسبه أكثر شيوعا و تنوعا و جامعيه.

و الظاهره التى يمكن استخلاصها من دراسه الكثير من كتب الرجال فى هذا القرن هى أن هذه الكتب ألفت فى موضوعات أكثر محدوديه و انحصارا، و كأنما راجت سنه التخصص فى هذا القرن و أصبحت الفروع التخصصيه و الموضوعات المتنوعه مورد نظر الخبراء و علماء الفن بصوره مستقله. مما يعتبر فى حد ذاته دليلا على اتساع دائره هذا العلم فى القرن المذكور.

فمثلا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقده (المتوفى سنه ٣٣٢ أو ٣٣٢) (٣) كما ذكرنا، جمع كتابا اشتمل على رجال الامام الصادق ع و ذكر فيه أسماء أربعه آلاف شخص تشرفوا بصحبته ع و الروايه عنه. و أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبد الله الغضائرى كتب كتابين عن مؤلفى الشيعه (يعنى ما نطلق عليه اصطلاحا "فهرست") و كتابا آخر اشتمل على أسماء الرواه الضعفاء و غير الموثقين باسم "الضعفاء". (٤) و القاضى أبو بكر بن عمر الجعابى البغدادى (المتوفى سنه ٣٥٥) من كان قمه زمانه فى الحديث و الرجال (٥) ألف كتابا كبيرا باسم "الشيعه من أصحاب الحديث و طبقاتهم" فى طبقات رواه الشيعه، سمعه الشيخ النجاشى، و كتابا آخر فى "شرح طبقات أصحاب الحديث فى بغداد" (٦) و وضع عدده كتب اخرى فى موضوعات محدوده ترتبط برواه الحديث. (٧) و مجموعته اخرى من الكتب الرجاليه المعروفة فى القرن الرابع كالاتى.

رجال ابن داود القمى (المتوفى سنه ٣٦٨) فى باب الممدوحين و المذمومين.

رجال محمد بن على بن بابويه المعروف بالصدوق (المتوفى سنه ٣٨١).

فهرست حسن بن محمد بن الوليد القمى، أستاذ الصدوق و قميين آخرين.

كتاب الطبقات لابن دول (المتوفى سنه ٣٥٠).

كتاب رجال الكلينى، محمد بن يعقوب مؤلف كتاب الكافى المعروف (المتوفى سنه ٣٢٨ أو ٣٢٩) رساله معروف إلى [أبى] غالب الزرارى إلى حفيده فى تراجم آل أعين و...

"التي حررت سنه ٣٥٦ مره و بعد ١١ سنه يعنى ٣٦٧ حررت مره اخرى.

و الأشهر منها جميعا كتاب "معرفه الناقلين عن الأئمه الصادقين ع" (٨) تأليف الشيخ أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى (المتوفى فى حدود منتصف القرن الرابع) (٩) و توجد منه فى الحال الحاضر خلاصه منتخبه باسم "اختيار الرجال" و النسخه المطبوعه معروفه و فى متناول الأيدى.

و فى حدود النصف الأول من القرن الخامس الهجرى يعنى بعد مرور ثلاث قرون على تأليف أول كتاب رجالى، وضعت الأصول الأربعة الرجاليه، أى الكتب الأربعة المشهوره مورد استناد هذا العلم، التى تشكلت من تركيب المصنفات السابقه و تصحيحها و اندماجها، فبدأ فصل جديد فى تاريخ هذا العلم. و لحسن الحظ بقيت هذه الكتب الأربعة مصونه طول الزمان من تناول يد الحدثان، و ظل أصلها باقيا حتى يوم الناس هذا، و قد تكرر طبع بعضها.

و هى عباره عن:

اختيار الرجال الفهرست الرجال و ثلاثتها تأليف الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسى (المتوفى ٤٦٠).

و كتاب الفهرست المعروف "رجال النجاشى" تأليف أحمد بن على النجاشى (المتوفى سنه ٤٥٠). (١٠) المتوفى ٣٨٠ أو ٣٨٥ زائده جدا. و الظن الغالب صحه الاحتمال الثانى. و ذلك يعلم بالرجوع إلى "فرحه الغرى" تأليف عبد الكريم بن طوس. يم

ص: ١٥٩

١- تأسيس الشيعه لفنون الإسلام - تأليف السيد حسن الصدر (المتوفى سنه ١٣٥٤) / ٢٣٣. و قدسها قلم العلامه المذكور فاثبت وفاه شعبه سنه ٢٦٠ و ظنه متأخرا عن ابن جبله، و اعتبر عبد الله بن جبله أول مؤلف فى علم الرجال.

٢- الامام الصادق: طبع مصر / ٤٥٨.

٣- اثبت الشيخ وفاته فى الفهرست سنه ٣٣٣ و ذكر فى كتاب الرجال انها سنه ٣٣٢. و المحقق الشوشترى فى قاموس الرجال استصوب القول الأول. القاموس، ج ١ / ٣٩٧.

٤- اكتشف هذا الكتاب لأول مره جمال الدين أبو الفضائل أحمد بن طوس الحلى (المتوفى سنه ٦٧٣) و أدرجه فى كتابه "حل الاشكال" و هو مجموعه شامله لهذا الكتاب و الأصول الأربعة لعلم الرجال. ثم استخرجه المولى عبد الله التستري بعد ذلك من حل الأشكال و دونه على حده. لمزيد من الاصلاح [الاطلاع] ارجع إلى الذريعه ج ١٠.

٥- قاموس الرجال، ج ٨ / ٣٢٣ نقلا عن أنساب السمعانى.

٦- الذريعه، ج ١ / ٣٢٣.

٧- الفهرست، طبع النجف / ١٧٨ و القاموس، ج ٨ / ٣٢٢.

٨- تكلمنا عن اسم هذا الكتاب بالتفصيل فى القسم الخاص ب "اختيار الرجال".

٩- بناء على قول السيد محمد صادق بحر العلوم فى مقدمه رجال الشيخ طبع النجف / ٦١.

١٠- هذا القول بخصوص وفاه الشيخ النجاشى معروف و قد ذكره المؤلفون المتأخرون أيضا كالعلامه المامقانى و العلامه الطهرانى و غيرهما. كما وضح جماعه آخرون هذا التاريخ ذاته بعباره "عشر سنوات قبل الشيخ". و لم يخطئ هذا القول الا المحقق الشوشترى صاحب القاموس، مستدلا بان النجاشى فى كتابه أشار إلى محمد بن الحسن بن حمزه بن أبى يعلى و قال إنه

توفى فى سنه ٤٦٣. و عليه و جب أن يكون النجاشى على قيد الحياه فى هذا التاريخ و أنه توفى بعد ذلك (القاموس، ج ١/٣٤٧).
و لكن السيد موسى الشبيرى الزنجانى (ساكن قم) له فى هذا الصدد رأى يستند إلى استدلال متين. و قد رد كلام مؤلف
القاموس. و الرأى المعزى إليه هكذا بالنص: نظرا لأن النجاشى لم يثبت وفاه الشيخ الطوسى المتوفى سنه ٤٦٠ فى كتابه و لم
يذكر كتب الشيخ المعروفه كالمبسوط و التبيان، يمكننا أن نطمئن إلى أن التاريخ المذكور يعنى تاريخ وفاه محمد بن الحسن
بن حمزه الثابت فى كتاب النجاشى إما ان يكون خطأ و صحته ٤٣٦، و إما أن يكون من الخطوط الملحقه التى يحدث نظيرها فى
كثير من الكتب على اثر اختلاط الحاشيه بالملحق، و من ذلك القبيل تاريخ وفاه عبد الكريم القشبرى المتوفى سنه ٤٦٥ الذى
ضبط فى بعض نسخ تاريخ بغداد تأليف الخطيب المتوفى سنه ٤٦٣، و الخطوط الملحقه فى فهرست بن النديم

هذه الكتب الأربعة ظلت دائما هدى القرون العديده التاليه لتأليفها محل العنايه و الاستفاده و المراجعه بالنسبه لخبراء الفن. و كما سنرى بالتفصيل ان أعمالا من قبيل الترتيب و التويب و الجمع و التفصيل قد أجريت على أساسها.

و من ثم استوجب تأليف هذه الكتب الأربعة اعتبار هذا القرن قمة القرون السابقه و نقطه أوج فعاليتها الرجاليه حتى ذلك الوقت.

بدايه تدوين أقسام علم الرجال كل على حده و الدافع لكل:

ان علم الرجال بمعناه العام كما سبق ان قيل يتضمن عدّه أقسام، من جملتها: الرجال بالاصطلاح الخاص (معرفة أسماء الرواه أو الأوصاف التي تؤثر في رد اخبارهم و قبولها)، الفهرست (معرفة أسماء المؤلفين و المصنفين)، التراجم أو تاريخ الرجال (معرفة تاريخ و شرح حال العلماء أو الرواه لا من حيث التدخل في رد الخبر و قبوله)، و المشيخه (معرفة سلسله الأسانيد الروائيه).

فلو شئنا تعيين تاريخ دقيق لبدايه كل من هذه الأقسام، لأعوزنا الاطلاع الكافي الا ان جمع أسماء عدّه من الناس تشترك في جهه واحده كما سبق ان وضعنا قد حدث لأول مره في القرن الإسلامى الأول بمعرفة أحد الشيعة باسم عبيد الله بن أبى رافع.

أما تدوين الكتب الرجاليه بالمعنى المصطلح (يعنى ما هو مرتبط بذكر أحوال رواه الحديث من حيث الصفات التي يمكن أن تؤثر في رد اخبارهم و قبولها) فان الظن الغالب أنه بدأ في النصف الأول من القرن الثاني، يعنى منذ فتره رواج الحديث. و ربما أمكن القول بصفه قاطعه أن الدافع الأصلي لظهور هذا الفن و تدوين المصنفات الخاصه به، كان الاهتمام و المراقبه البالغين من الشده حد الوسواس، الذين كان المحدثون و جامعوا الحديث يراعونهما أثناء قيامهم بمهمه تدوين الروايات.

لقد تعددت عوامل جعل الحديث في ذلك الوقت فمناها: أولا، ان مقام المحدثين و حمله الحديث و وزنهم الاجتماعى أغرى بعض السطحيين طلاب الشهره بالاندساس في كوكبه المحدثين. ثانيا، كانت الأغراض السياسيه و الفرقه هي الأخرى عاملا مهما قائما بذاته في تلك الحاله، مما أدى إلى نسبه أحداث كثيره نبتت على السن منابع الحديث إلى الرسول الأكرم ص - أو في حوزة التشيع - إلى أئمه أهل البيت ع. هذا الأمر الذى ينعكس في كثير من بيانات الأئمه ع أو الرواه، استوجب أن يأخذ خبراء الفن في تشخيص الحديث صحيحه من سقيمه بذكر أسماء الرواه، و تمييز الممدوح من المذموم. و هكذا ألفت الكتب في هذا الصدد.

و كذلك الحال، فان أيدينا خاليه من الاطلاع الدقيق بالنسبه لبدايه تدوين الكتب الخاصه بقسم الفهرست. إلا أنه من المسلم أن الفهرسه كانت رسما متداولاً منذ سنوات قبل الشيخ الطوسى و الشيخ النجاشى، شأنها شأن كتب الرجال، هذا ما يستفاد من قول الشيخ الطوسى في مقدمه كتابه الفهرست، إذ يقول بالنص: "فانى لما رأيت جماعه من شيوخ طائفتنا من أصحاب الحديث عملوا فهرست كتب أصحابنا و ما صنفوه من التصانيف و روه من الأصول... كما أن كلام المحقق الشوشترى في مقدمات الكتاب النفيس "قاموس الرجال" يثبت أن أكثر القدماء كانت لهم فهرس(١) و إن كان محتوى هذه الفهارس قد خضع لأسلوب الاختصار، و مؤلفوها لم ينصوا على الكتب التي رووا عنها أو التي كانت في مكتباتهم(٢). و لقد ذكر الشيخ الطوسى في كتاب الفهرست بعضا من هذه الفهارس، من جملتها فهرست ابن عبدون (المتوفى سنه ٤٢٣) الذى ذكره ضمن ترجمه إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال(٣).

و أول من وضع كتابا مفصلا في مجال الفهرست أبو الحسين احمد بن حسين بن عبيد الله الغضائرى المعروف بابن الغضائرى معاصر الشيخ الطوسى و الشيخ النجاشى و كان يتقدم الاثنى عشر فى المرتبه. و هو كما ذكر الطوسى فى مقدمه الفهرست قد ألف كتابين كبيرين كاملين فى هذا القسم، أحدهما يقتصر على "الأصول" و الآخر يختص "بالمصنفات" (٤) الا أن الذى حدث بعد موته الفجائى أن أحد أعقابه أئلف نسختى هذين الكتابين العزيزين القيمين لا غير.

فلم يصل هذا الأثر العظيم إلى الأجيال التاليه و لو بقى لكان بلا شك ثروه رجاليه شيعيه. (٥)

أما معرفه الدافع إلى تدوين الفهرست فيمكننا معرفته مما ذكره الشيخ النجاشى فى مقدمه فهرسته المعتبر المبسوط المشهور برجال النجاشى حيث قال:

"فانى وقفت على ما ذكره السيد الشريف أطال الله بقاءه و ادام توفيقه - من تعبير قوم من مخالفينا، أنه لا- سلف لكم و لا مصنف. و هذا قول من لا- علم له بالناس و لا وقف على أخبارهم و لا عرف منازلهم و تاريخ أخبار أهل العلم و لا لقي أحدا فيعرف منه...".

و يكاد الظن أن يكون يقينا بان نصف دوافع مؤلفى كتب الفهرست الآخريين أو قسم عظيم منها على الأقل هو نفس هذا الدافع الذى تشير إليه العبارة المذكوره، يعنى التعريف بسلف الشيعه، و تجديد المعرفه بآثارهم القيمه فى العلوم و الفنون المختلفه، و الرد على مغامز عدّه من المخالفين و انتقاداتهم ممن يجهلون هذه الآثار و يقدحون فى الشيعه بافتقارهم للسابقه العلميه. (٦)

و فى أواخر القرن الثانى و أوائل القرن الثالث، يطالعنا اسم "مشيخه ابن محبوب" (المتوفى سنه ٢٢٤) و هو من الكتب الرجاليه المعروفه، و قد رتبّه أبو جعفر الأودى (٧) فصولا حسب أسماء الرجال. و عليه، تصل سابقه "المشيخه" احدى أقسام علم الرجال بالمعنى العام إلى سنوات ما قبل ٢٢٤.

و فى قسم تاريخ الرجال أيضا، وضعت فى القرنين الثالث و الرابع كتب، مثل "تاريخ الرجال" تأليف أحمد بن على العقيقى (الأب) و غيره، و قد ثبتت.

ص: ١٦٠

١- القاموس، ج ٣٤/١

٢- فهرست الشيخ، طبع النجف (سنه ١٣٨٠) / ص ٢٤.

٣- الفهرست / ٢٨.

٤- يحتمل أن يكون "الأصل" كتابا ذكرت فيه المطالب دون تبويب و ترتيب، و "التصنيف" ما ذكرت فيه المطالب مرتبه تحت عناوين خاصه. أو أن الأصل هو ما نقلت فيه الروايات بسندها، و التصنيف ما أراد عليه الجامع من كلامه و بيانه.

٥- الفهرست / ٢٤. يعتقد مؤلف قاموس الرجال أن هذين الكتابين لم يتلفا و انهما وصلا بعده إلى النجاشى. و يقيم على هذا الادعاء دلائل من أقوال النجاشى أيضا، لا تنهض مطلقا بتأييد هذا الرأى. ارجع إلى القاموس، ج ١/٢٩١-٢٩٢.

- ٦- و تمكن مشاهده إشاره إلى هذا الدافع الفرقى فى قول ابن شهر آشوب فى مقدمه كتاب "معالم العلماء" هناك عند ما ينقل كلام الغزالى عن أول كتاب فى الإسلام ثم يردده و ينسب أول كتاب إلى على ع ثم إلى سلمان و أبو ذر و أصبغ و...
- ٧- بناء على ضبط النجاشى: الأزدي.

اسماؤها في كتب الفهرست. (١)

و بناء عليه، يمكن القول إن جميع الأقسام المختلفه لعلم الرجال (بالمعنى العام) قد ظهرت في القرون الأولى على فترات لا تكاد تطول، ثم أخذت تتوسع بالتدرج. و ألفت الكتب في كل قسم من الأقسام و صنف استجابته لمقتضيات الحاجه الماسه.

شخصيه الشيخ الطوسى الرجاليه:

يمكننا على ضوء ما تقدم (من نبذه تاريخيه وجيزه و بيان للتطور التاريخى لعلم الرجال على مدى القرون الثلاثه الأولى) أن نقدر المكانه العظيمه و المقام الرفيع الذى بلغه فى هذا العلم شيخ الطائفه محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥ - ٤٦٠) الفقيه المحدث الكبير. أنه هو ذلك العالم الذى استطاع بتأليف كتبه القيمه فى هذا المجال، أن يسجل غايه خالده فى تاريخ هذا العلم. و كما أنه فى علم الحديث قد حاز قصب السبق بين مؤلفى "الكتب الأربعة" الآخرين، فقد انفرد فى الفقه بكتاب لم يسبق إلى أسلوبه المبتكر. لقد كان له فى هذا القسم أيضا دور فائق مشخص، فهو جامع ثلاثه من الكتب الأربعة المعروفه عمده اعتماد هذا الفن. و كانت كتبه من الجامعيه و لياقه التنسيق و رشاقه الأسلوب و حسن السليقه و النبوغ العلمى بحيث بزت كتب السابقين و اخلفتها متروكه مهجوره.

و ما زالت هذه الكتب الثلاثه التى يختص كل منها بقسم من أقسام علم الرجال المختلفه منذ زمان المؤلف حتى يوم الناس هذا. و هى فاصله تربو على ٩ قرون - و هى مدار بحث الخبراء و تحقيقهم و تأليفهم، و كما سوف نبين فان الشروح و التذييلات و الترتيبات قد دارت فى مدار هذه الكتب.

اختيار الرجال الفهرست و لتناول الآن التعريف بالكتاب الأول و الثانى.

١ - اختيار الرجال أو تلخيص رجال الكشى

يعود أصل هذا الكتاب - كما سنوضح بعد - إلى الشيخ أبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى (٢) (المتوفى فى أواسط القرن الرابع). كان موسوما بـ "معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين" و كانت قد وقعت فيه اخطاء و اشتباهات و إضافات، فاهتم الشيخ الطوسى بتلخيصه و تهذيبه، و أطلق عليه اسم "اختيار الرجال" و بناء على روايه السيد على بن طاوس فى كتاب "فرج المهموم" من نسخه بخط المؤلف، شرع فى إملائه على تلامذته يوم الثلاثاء ٢٦ صفر سنه ٤٥٦.

١ - مشخصات الكتاب:

موضوع هذا الكتاب، تاريخ الرجال و ذكر طبقاتهم. و مبناه على ذكر الروايات الوارده فى مدح الرجال و القدح فيهم، دون ما إظهار للرأى فى تلك الروايات.

ففى ذيل اسم كل رجل من الرجال. ياتى بحديث أو عده أحاديث مسنده ذكر فيها الشخص المعنى بصوره من الصور. و أحيانا ما تكون هذه الأحاديث محلا للنظر من حيث ما تتضمنه من مدح أو قدح، أو تكون متعارضه أحدهما مع الآخر. ففى هذه الحاله التى عاده ما تقتضى ترجيح أحد الحديثين، يمسك عن الكلام مكتفيا بما تقدره الروايات، اللهم الا فى بعض الموارد، حيث

يبدى اعتقاداً بخصوص الشخص المعنى أو السند أو مضمون أحد الأحاديث.

فمثلاً: فى شرح حال زرارہ بن أعين، بعد أن ذكر حديثاً فى مذمته هكذا سنده "محمد بن الكرمانى، عن أبى العباس المحاربى الجزرى، عن يعقوب بن يزيد عن فضاله بن أيوب... "يقول: "محمد بن بحر هذا غال، وفضاله ليس من رجال يعقوب، و هذا الحديث مزاد فيه، مغير عن وجهه". (٣)

و الكتاب، لا يقتصر على رجال الشيعة فحسب و لا ينحصر فى الموثقين و الممدوحين قط. فكما أن فيه شرح حال زرارہ وجه الشيعة المشرق، فيه أيضا شرح حال أبى الخطاب المقلاص الغالى المعروف. الا أنه اقتصر من غير الشيعة على ذكر من رووا للشيعة و اعتبروا فى عداد رجال الحديث الشيعة (٤) فوجود اسم شخص فى هذا الكتاب ليس دليلاً على كونه شيعياً و لا برهانا على كونه ثقه. كما أن عدم وجود اسم شخص لا ينفى تشيعة أو يثبت ضعفه.

و فى مستهل الكتاب، ينقل سبع روايات فى مدح الرواه و حملة الحديث، و أربع روايات تختص باصحاب على ع و مقريه، ثم يأخذ فى ذكر أسماء الرجال، فيذكر اسم صاحب الترجمة فى البدايه، ثم يعقب بما تقرره الروايات فى حقه.

مثلاً: "زيد بن صوحان - جبريل بن أحمد، قال حدثنى موسى بن معاويه بن وهب... إلى آخره". فالشخص المعنى فى العنوان عليه "زيد بن صوحان"، و "جبرائيل بن أحمد" هو الراوى الأول فى سلسله الحديث الذى نقل بخصوص زيد بن صوحان. و بعد هذا الحديث يشرع فى الحديث الثانى على هذا النحو: "على بن محمد القتيبى قال... إلى آخره" و بهذا الترتيب ينقل جميع الروايات التى وردت فى زيد بن صوحان بالتوالى.

و أحيانا، يشخص اسم الشخص المعنى بكلمه "فى". مثلاً: "فى الحسين بن بشار - حدثنى خلف بن حماد قال حدثنا... إلى آخره". أى أن "حسين بن بشار" هو مورد الترجمة. و أحيانا يبدأ المطلب على هذا النحو:

"ما روى فى". مثلاً: "ما روى فى الحسن بن محبوب".

و الروايات التى تنقل فى ذيل كل عنوان أيضا، تبدأ أحيانا بكلمه "حدثنى" و أحيانا بجمله "وجدت بخط فلان"، و أحيانا بدونهما مقتصرًا على اسم الراوى الأول.

و يبلغ مجموع من ذكر فى هذا الكتاب من الرجال ٥١٥ شخصا، مندرجه فى ستة أقسام حسب التقدم و التأخر الزمنى.

أما أسماء الرجال فلا أساس فى ترتيبها، فلا هى على أساس تاريخ الوفاة ١.

ص: ١٦١

١- لو أن كتاب عبيد الله بن أبى رافع - الذى مر اسمه سابقا - كان مشتملا على شرح حال الأفراد أيضا، لكان أول كتاب فى قسم تاريخ الرجال بطبيعته الحال. أما قرينه ان الشيخ ضبط اسم الكتاب المذكور "تسميه من شهد مع أمير المؤمنين" فتوجب احتمال اقتصاره على أسماء الرجال فقط دون شرح حالهم. و فى هذه الحالة يكون خارجا عن موضوع تاريخ الرجال.

٢- ينسب إلى "كش" (بفتح الكاف و تشديد الشين) من قرى جرجان و يقول آخر، من بلاد ما وراء النهر .

٣- اختيار الرجال طبع بمباى / ٩٩.

٤- قاموس الرجال، ج ١/١٦.

ولا هي على أساس صحابه آل البيت ع ولا هي على أساس ابيجديه الأسماء، الأمر الذي يجعل العثور على شرح حال شخص ما أمرا صعبا.

و النسخه المطبوعه فى بومباى، ترتب فهرست الأسماء بنفس الترتيب الكائن فى الكتاب مع ذكر رقم الصفحه الخاصه، مما يسهل أمر المراجعه إلى حد ما. إلا أنه أحيانا، عند ما تكون الروايات الخاصه " بشخص ما موزعه على مواضع مختلفه من الكتاب - وما زال " فهرست الأعلام "لم ينضم بعد إلى النسخه المطبوعه ليجبر هذا النقيصه - (1) فان العثور على عنوان الشخص المعنى، لا يكفى للاطمئنان إلى تحقق الاطلاع على جميع ما يرتبط به من الاطلاعات.

٣ [٢] - نسبة الكتاب إلى الشيخ الطوسى:

هناك اختلاف فى نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ. و تعتقد غالبيه علماء الفن أن الكتاب موضوع البحث منتخب منقح جمعه الشيخ الطوسى من كتاب رجال أبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى. كما أن عنوان الكتاب يؤيد هذا الرأى إلى حد ما.

و القول الآخر أن الكتاب الموجود هو أصل الكشى بعينه لا- منتخب الشيخ. و هذا الرأى صادر من احمد بن طاوس الحلوى (المتوفى سنه ٦٧٣) و تلميذيه العلامه الحلوى (٦٤٨ - ٧٢٦) و ابن داود الحلوى (المتولد سنه ٦٤٧). (٢) إلا أن عدده من الدلائل و الشواهد تؤيد بشكل قاطع نسبة الكتاب إلى الشيخ، و كونه منتخبا. و إليك بعض هذه الدلائل:

على بن طاوس (المتوفى ٦٦٤ - أخو أحمد بن طاوس المذكور) فى كتاب "فرج المهموم" يذكر نسخه من هذا الكتاب، كتب فيها بخط الشيخ بالذات أن: " هذه الأخبار اختصرتها من كتاب الرجال لأبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز و اخترت ما فيها " (٣) و هذه العبارة تدل صراحه على أن الكتاب الموجود منتخب الشيخ الطوسى لا أصل الكشى.

و الشيخ فى فهرسته أثبت نسبة اختيار الرجال إلى نفسه، و عدده بين آثاره العلميه. (٤) و منذ ما بعد الشيخ حتى الآن، و هذا الاسم منطبق على هذا الكتاب موضوع البحث، و لا أثر هناك لكتاب آخر بهذا الاسم. و الشيخ النجاشى صاحب الفهرست المعروف، معاصر الشيخ الطوسى كان فى بعض الموارد ينقل من كتاب الكشى موضوعا لا- توجد له أى إشاره فى الكتاب الموجود حاليا. (٥) و هذا دليل على أن النسخه الأصلية من كتاب الكشى - التى كانت فى متناول اليد أيام النجاشى و كانت مورد الاستفاده - غير كتاب "الاختيار" الحالى. و أن الكتاب الموجود منتخب و ملخص من كتاب الكشى و ليس أصلا. (٦)

و أيا ما كان، فإنه لا مجال للشك فى أن ما هو فى اليد بعنوان "رجال الكشى" منذ عدده قرون حتى الآن، ليس شيئا آخر غير منتخب الشيخ الطوسى هذا. و أغلب الظن أن النسخه الأصلية من كتاب الكشى لم تقع فى يد أى من علماء الفن بعد أيام الشيخ، و انها انقرضت بالكلية. و الوحيد الذى يظن أنها كانت عنده، هو الشهيد الأول، لأنه فى حاشيته على كتاب "الخلاصه" للعلامه، بعد أن نقل أحد المطالب من اختيار الرجال، نقل نفس المطلب من كتاب الكشى بصوره أخرى (٧) و هذا يدل على أنه علاوه على وجود اختيار الرجال عنده أن أصل كتاب الكشى كان عنده أيضا، و أنه قابل أحدهما بالآخر و طابق بينهما. و لكن المحقق الشوشترى المعاصر مؤلف قاموس الرجال (المتمتع بمقام رفيع فى هذا الفن) يعتقد أن الشهيد قد اشتبه عليه أمر الكتاب الذى فى يده، فتوهم نسخه من اختيار الرجال على أنها أصل كتاب الكشى، لأن نسخ اختيار الرجال تختلف الواحده مع الأخرى فى بعض

الموارد. و أحسن شاهد على سهو الشهيد، أن هذه الجملة بعينها التي نسبها الشهيد إلى كتاب الكشى، نقلها المولى عناه الله القهبائي (٨) (مرتب اختيار الرجال) من اختيار الرجال.

و يستفاد من بعض كلمات العلامة فى كتاب "الخلاصه" أن النسخه الأصلية من كتاب الكشى كانت لديه، لأنه كان فى بعض الموارد ينقل مطلباً من الكشى مع عبارته "ذكره الكشى" أو "قال الكشى" على حين أنه لا توجد إشاره للمطلب المذكور فى اختيار الرجال. و لكن مع التوجه إلى أن العلامة فى كتاب الخلاصه ينقل عين عبارات أصحاب الأصول الرجاليه لا مطالبهم فقط، يمكننا الاطمئنان إلى أنه فى الموارد المذكوره عبارته "ذكره الكشى" أو "قال الكشى" أيضاً ماخوذه من الكتب المذكوره، مثل كتاب النجاشى أو فهرست الشيخ، و ليست من العلامة، و فى هذه الحاله يكون نقلهم للمطلب من كتاب الكشى لا العلامة. (٩)

و النتيجة، أنه منذ أيام الشيخ الطوسى و النجاشى لم يعثر أحد من علماء الفن على أثر لأصل كتاب الكشى أو كان لديه اطلاع عنه. كما قيل أن هذا الكتاب لم يكن رائجا قبل الشيخ. و بعد الانتخاب منه و تلخيصه سقط من التداول بالكلية، و اكتسب المنتخب اعتباراً أكثر إلى مكانه منتخبه فاحتل مكانه.

و يمكننا من عبارته النجاشى بخصوص الشيخ الكشى، إذ يقول: "له كتاب الرجال كثير العلم و فيه أغلاط كثيره" (١٠) و من تناول الشيخ الطوسى له ٨.

ص: ١٦٢

١- ملحق بالنسخه الحديثه الجامعه التى جمعت و طبعت من اختيار الرجال، التى جمعها و صححها و نقحها العالم المتتبع الحاج ميرزا حسن مصطفوى، فهرست كامل مبسوط للأعلام يشتمل على جميع من ذكر من الرجال سيان من ترجم لهم و من لم يترجم لهم، و لا شك فى أنه انتاج قيم لجهده و عناء كبير، شكر الله سعيه. كما أن السيد موسى الزنجانى هو الآخر قد أعد فهرستا للأعلام المترجم لها، إلا أنه لم يطبع لا مع أى من الكتب الرجاليه و لا على حده، فلم يتوفر لاستفاده المراجعين. هذا، و يوجد مع الطبعة الجديده الأخرى أيضاً التى انتشرت أخيراً فى النجف بتصحيح و تحشيه السيد أحمد الحسينى، فهرست بالأسماء و الكنى و الألقاب، و فهرست على حده لأسماء النساء و كنهان و القابهن، و فهرست للموضوعات المتفرقه.

٢- قاموس الرجال، ج ٣٢/١.

٣- فرج الهموم، طبع النجف / ١٣٠.

٤- الفهرست / ١٩٠.

٥- لتفصيل هذه الموارد، ارجع إلى: قاموس الرجال، ج ٣٣/١.

٦- يقيم مولى عناه الله القهبابى [القهبائى] أيضاً أدله اخرى على هذا المطلب، و ان كانت غالباً قاصره عن إفاده المدعى. للتفصيل ارجع إلى: قاموس الرجال، ج ٣٤/١.

٧- على هذا النحو: انه أولاً ينقل هذه العبارة من العلامة: "روى الكشى عن جعفر بن أحمد بن أيوب عن صفوان...." (ما يتعلق بخالد البجلي) ثم يقول: هذا الحديث علاوه على عدم دلالتة على التوثيق و المدح، سنده مجهول مضطرب، لأن الشيخ فى كتاب

الاختيار أورد السند بهذه الصورة و لكن السند فى كتاب الكشى بهذه الصورة عن جعفر بن أحمد عن جعفر بن بشير " إلیخ:
(قاموس الرجال، ج ٣٦/١).

٨- بضم الكاف، معرب " كوهبايى "نسبه إلی "كوهبايه " یا "كوهبايا" من محال أصفهان. و هو من تلامذه الشيخ البهائى و له
عده تألیف فى علم الرجال.

٩- ارجع إلی القاموس، ج ٣٦/١-٣٧.

١٠- فهرست النجاشى؛! طبع طهران (مركز نشر الكتاب) / ٢٨٨.

بالتنقيح، أن نستنتج أن النسخة الصحيحة المتقنه من الكتاب لم تصل حتى إلى الشيخ أو النجاشي، أو أنها في أصلها بالذات كانت كتابا مليئا بالخطأ. وهذا أيضا في حد ذاته يحتسب عاملا لإهمال الكتاب بعد اختيار الشيخ.

و يعتقد مؤلف قاموس الرجال، أن منظور النجاشي من الجملة: " وفيه أغلاط كثيرة " أن في أصل الكتاب خطأ في المطالب، لا أن الخطأ و التصحيح تطرق إليه فيما بعد عن طريق النساخ و الكتاب. و إذ ذاك يبدي المحقق المذكور رأيه بان هذا الحكم من النجاشي بلا- أساس، و أن الأخطاء الموجودة في كتاب الكشي فاحشه حتى أنه لا- يخطر على البال نسبتها إلى شخص كالكشي(1) و ما أعجب هذا الرأي من المحقق!! إذ أنه مع قبول افتراض أن النسخة الأصلية من كتاب الكشي لا وجود لها، من أين له أن يعلم أو يقدر أن اخطاء الكتاب فاحشه أو غير فاحشه، و أن يحكم و يظهر الرأي في إمكان أو عدم إمكان نسبتها إلى الكشي؟! و بعبارة اخرى: على أخطاء أى كتاب يدور الكلام؟ كتاب اختيار الرجال؟ هذا الكتاب الذى تأتى من صافى تحقيق الشيخ الطوسى و تنقيحه، و ما كان النجاشي ليحكم عليه بطبيعته الحال؟ أم أصل كتاب الكشي؟ و لم يبق منه طول القرون الا اسمه؟ و فى الحاله الثانيه، من اين تأتى لمؤلف قاموس الرجال أن يعرف أن اخطاءه فاحشه و ينزه الكشي عن ارتكابها!؟.

و على أية حال، إذا قبلنا ان اخطاء أصل كتاب الكشي ناشئه عن تصحيح النساخ، و ليست معلولا لخطا المؤلف، فلا مندوحة قد وجب البحث عن عله تحريضه فى عدم اعتناء معاصريه بكتابه. لقد كان هو و استاذة العياشى ينقلان عن الرواه ضعيفى الحال، و هذا يحتسب طعنا كبيرا فى عرف القدماء، نفس الأمر الذى أدى إلى ترك كتابه و هجره حال حياته و بعدها، مما ترتب عليه تحالف التحريف و التبديل على نسخه.

و العجب أن كتاب "اختيار الرجال" أيضا و هو المنتخب المنقح من ذلك الكتاب، و لا شك فى أنه أصلا برئ من كثير من اشتباهات كتاب الكشيو أغلاطه، هو الآن مصاب بتحريفات و تصحيفات و اشتباهات كثيرة.

و على حد قول العلامة الكلباسى مؤلف "سماء المقال" (2) فان هناك قرائن تشير إلى تعرض هذا الكتاب لتداول يد الحدثان و أسقطت و حذفت منه مطالب بمرور الزمان. كما أن المحدث النورى فى خاتمه كتاب "مستدرك الوسائل" يذكر موارد نقل فيها مؤلفو الكتب الرجاليه مطلبا من "اختيار الرجال" و هذا المطلب لا يوجد فى النسخة الموجوده من الكتاب.

علاوه على كل هذا - كما أشرنا - فإنه تشهد فى النسخة الموجوده اخطاء و تصحيفات أشار الرجاليون المتأخرون إلى بعضها. و يعتقد المحقق الشوشترى أن اخطاء هذا الكتاب تفوق الحصر، و أن الموارد الصحيحه المصونه منه تعد على الأصابع. و من الأخطاء التى يشير إليها المحقق، أنه فى كثير من العناوين تختلط الأحاديث المتعلقة بشرح حال شخص، بالأحاديث المتعلقة بشرح حال شخص آخر، أو بأحاديث سميته من طبقه اخرى. مثلا- الأحاديث الخاصه ب "أبى بصير ليث المرادى" اختلطت بالروايات الخاصه ب "أبى بصير يحيى الأسدى". كما عرف "الحميرى" و هو من أصحاب العسكرى ع فى عداد أصحاب الامام على بن موسى الرضاع. و منها أيضا أن أول روايه فى حالات "عبد الله بن عباس" ذكرت خلال الأحاديث الخاصه ب "خزيمه" الذى عنون قبل عبد الله. و أنه قد ذكرت فى ذيل اسم "محمد بن زينب" المكنى ب "أبى الخطاب" ثلاث و عشرون روايه لا ترتبط به من أى وجه.(3)

و واضح جدا، أن هذا القبيل من الأخطاء ليس مما يشبهه على شخص كالكشي أو كالشيخ الطوسى أو أنها تصدر عنه. و لا يرقى

الظن بنسبتها إلا إلى المستنسخين و الكتاب.. كما يبعد عن التصديق أن بعضا من الأخطاء الأخرى الموجودة في هذا الكتاب من قبيل الاشتباه في تاريخ وفاه حماد بن عيسى، و تعيين سنى حياه معاويه بن عمار، و تحريف جبرئيل بن أحمد الفاريابي إلى جبرئيل بن محمد الفاريابي الموجود في أول الكتاب، و أمثالها مما أشار إليه العلامة الكلباسى فى سماء المقال: تنسب إلى الشيخ الطوسى.

و بناء على ما قلناه، يمكن الحكم بان رأى "مولى عنايه الله القهبائى" فى اعتبار هذه الأخطاء من الشيخ، و اعتقاده أن أصل كتاب الكشى كان مبرأ و خاليا منها، خلاف التحقيق تماما و ادعاء بلا دليل.

٣ - اسم أصل كتاب الكشى:

لم يذكر اسم كتاب الكشى فى ذيل حالاته بأغلب كتب القدامى مثل فهرست الشيخ و فهرست النجاشى، و اقتصر على أصل وجوده.

فالشيخ الطوسى فى "الفهرست" تحت عنوان "أبو عمرو الكشى" يقول:

"ثقه بصير بالأخبار و بالرجال، حسن الاعتقاد، له كتاب الرجال..."^(٤) و عبارته النجاشى فى هذا الصدد أيضا لا تزيد الأمر إيضا: "كان ثقه عينا، و روى عن الضعفاء كثيرا و صحب العياشى و أخذ عنه و تخرج عليه فى داره التى كانت مرتعا للشيعة و أهل العلم، له كتاب الرجال".^(٥)

و على قدر اطلاعنا، فان أول من ذكر اسما لكتاب الكشى هو ابن شهر آشوب (المتوفى سنة ٥٨٨) صاحب كتاب "معالم العلماء". ففى هذا الكتاب الذى يعتبر ذبلا- و تتمه لفهرست الشيخ، ذكر كتاب الكشى باسم "معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين"^(٦) و بقرينه التقارب بينه و بين الكشى و الشيخ، لا يبقى مجال للشك فى أن قوله مستند إلى قرائن قطعيه، و ان اسم كتاب الكشى هو هذا الذى ذكره.

و الشيخ الطوسى فى الفهرست فى ذيل عنوان "أحمد بن داود بن سعيد" بعد أن نسب إليه كتبا متعددة، يقول: ذكره الكشى فى كتابه فى معرفة الرجال".^(٧) و استند مؤلف سماء المقال إلى هذا العبارة، و ظن أن اسم كتاب الكشى "معرفة الرجال" و نسب هذا الظن إلى الشيخ أيضا، على حين أن هذه العبارة تقتصر على بيان أن كتاب الكشى كتب فى معرفة الرجال، و ليس فيها أى ذكر لاسمه. و يحتمل أن تكون هذه العبارة فى النسخه التى لدى الكلباسى على هذا النحو: "ذكره الكشى فى كتابه معرفة الرجال" (بحذف كلمه فى) و من ٩.

ص: ١٦٣

١- قاموس الرجال، ج ٨/٣٢١.

٢- صفحه ٣٢.

٣- لمزيد من التفصيل ارجع إلى قاموس الرجال، ج ١/٤٣-٤٤.

٤- الفهرست / ١٦٧.

٥- رجال النجاشي / ٢٧٧.

٦- معالم العلماء / ٩١ و العبارة هكذا: " و له معرفه الناقلين عن الأئمه الصادقين".

٧- الفهرست / ٥٩.

ثم وقع صاحبنا في مثل هذا الزعم.

و في النسخة المطبوعه من كتاب "اختيار الرجال" (طبع بمباى سنه ١٣١٧) أيضا في آخر الجزء الخامس، ورد ذكر كتاب الكشى على هذا النحو:

"قد تم الجزء الخامس من كتاب أبى عمرو الكشى فى معرفه الرجال... " و الملاحظ فى هذه العبارة أيضا خلوها من أى تصريح بان اسم الكتاب "معرفه الرجال".

و العلامه المجلسى (١) و كذلك من معاصرنا مؤلف قاموس الرجال، (٢) قالوا أن اسم كتاب الكشى "معرفه الرجال" (٣) و لكن بالنظر لما قدمناه، فان هذا القول يعوزه الدليل (٤) و لا يجوز العدول عما ارتاه ابن شهر آشوب، لما يتمتع به رأيه من رجحان.

و يمكننا على ضوء ما قلناه، أن ندرك أن اسم "معرفه اخبار الرجال" أيضا المسمى به كتاب الكشى فى أول النسخه المطبوعه فى بمباى و آخرها، لا وجه له و لا دليل. فعلاوه على أن الكتاب الموجود المطبوع، تأليف الشيخ الطوسى و موسوم ب "اختيار الرجال" لا "معرفه اخبار الرجال"، فإنه لا يوجد فى المدارك أو المآخذ محل الاطمئنان، أيه إشاره أصلا إلى مثل هذا الاسم لكتاب الكشى. و كان الذى باشر الطباعة أو أحد المستنسخين استفاد من تركيب عبارتي "كتاب أبى عمرو الكشى فى اخبار الرجال" و "كتاب أبى عمرو الكشى فى معرفه الرجال" اللتين ذكرتا فى بعض كتب الرجال أثناء ذكر كتاب الكشىو زعم أنها اسم الكتاب.

٤ - طريقه انتخاب الشيخ و تلخيصه:

ان الأخطاء و الزوائد كما أشرنا دائما، هى أخطاء و زوائد كتاب الكشى، الذى نهض الشيخ الطوسى بتهذيبه و تلخيصه حتى أخرج كتاب "اختيار الرجال" إلى الوجود. و بقى علينا أن نرى من أى قبيل هذه الأخطاء و الزوائد، و كيف تصرف الشيخ بالنسبه لها. (٥)

يزعم البعض ان كتاب الكشى مشتمل أصلا على رجال عامه و خاصه، و أن الشيخ أسقط العامه و خصص كتابه بالاختيار لتوجيه رجال الشيعه. الا أنه بالنظر إلى أن النسخه الموجوده من الاختيار تشتمل على أسماء جمع من رجال العامه أيضا، يتضح خطأ هذا الزعم. و المحقق أن كتاب الكشى أيضا كغيره من كتب الرجال العديده من قبيل فهرست الشيخ و فهرست النجاشى، كتبت لترجمه الشيعه و غير الشيعه ممن رووا للشيعه و عن أئمتهم أيضا. و من ثم نشاهد فى كتاب الاختيار أسماء اشخاص مثل محمد بن إسحاق و محمد بن المنكدر و عمرو بن خالد و...، مع انهم ليسوا من الشيعه، و ذلك لأنهم رووا عن أئمه الشيعه.

و أغلب الظن، ان الشيخ فى تلخيصه و انتخابه كان ينظر قبل الرجال المذكورين فى الكتاب إلى الروايات التى ذكرت تحت اسمائهم. و إذا كنا على استعداد لقبول ما يفترض من حق الشيخ فى إسقاط عدده من أصحاب التراجم فى أصل الكشى بوجهه من الجهات، فإنه من باب أولى أن نعترف بحقه فى أن يسقط أو يصحح ما يجده - فيما أورده الكشى من الأحاديث بمناسبه المترجم لهم - مخدوشا فى نظره من حيث السند أو ارتباطه بالمترجم له. و هذا يبدو أقرب و أليق بمقام الشيخ و الكشى من أى احتمال آخر بالنسبه لطريقه تلخيص الشيخ و اختياره أو انتخابه.

و يمكننا أن نستنتج بناء على بعض القرائن، أن الشيخ في كتاب الاختيار، لم يذكر جميع القضاة الواردين في أصل كتاب الكشي. فمثلا، في الفهرست، بعد أن ذكر "داود بن أبي زيد النيشابوري" و صرح بأنه ثقه و صادق، كتب: "و له كتب ذكرها الكشي و ابن النديم في كتابيهما" على حين أن النسخة الحالية لاختيار الرجل [الرجال] خاليه من اسمه. و عليه، إذا سلمنا بان المراد من كتاب الكشي المشار إليه في العبارة عاليه، هو كتاب "معرفه الناقلين" يعنى أصل كتاب اختيار الرجال، مع فرض أن نسخه الاختيار الحالية لم تتعرض في هذا القسم إلى التحريف و الاسقاط، فلن يبقى هناك شك في أن تصفيه الشيخ شملت قسما من الرجال الثقات.

٥- ما دار حول محور "اختيار الرجال" من تأليف:

كتاب اختيار الرجال كما قلنا في البدايه، أحد الكتب الأربعة الأصليه في علم الرجال. و كان دائما فيما بعد الشيخ الطوسي من الأزمان معقد نظر علماء الشيعة و مورد مراجعتهم. و نتيجة لهذه العناية و الاهتمام تمت على مر الزمان عده اعمال علميه ظهرت في صوره كتب تدور على محوره. و لما كان الكتاب المذكور غير مرتب أصلا و غير مفصل بصوره كامله، مما جعل الرجوع إليه و الاستفاده منه امرا شاقا. فان أغلب هذه الأعمال حدثت على مستوى التبويب و الترتيب هادفه إلى تحقيق اليسر و السهوله للمراجعين. و نحن في حدود هذا البحث نقدم ما كتب على هذا الأساس:

أ- ترتيب القهبايي [القهبائي]: رتب المولى عنايه الله بن شرف الدين الألفبائي [القهبائي] النجفي (المتوفى بعد ١٠١٦هـ) كتاب الاختيار حسب الحروف الأولى من الأسماء، فذكر جميع من وردوا فيه سواء كانوا مستقلين أو واردين في ترجمه الآخرين على هذا الوتيره. و أورد في كل مورد عين عباره الكشي الخاصه بكل منهم بلا نقص و لا زياده. و بعد أن ذكر روايات أول الكتاب أدرج أولا- الكنى المصدرة ب (ابن) ثم الكنى المصدرة ب (أب) و أذاك شرع في الأسماء من (ابان) إلى "يونس" حسب ترتيب الحرف الأول. و تم هذا الكتاب بتاريخ سنه ١٠١١ الهجرية.

و كما ذكرنا فان طريقه هذا الكتاب تلتزم بعين عباره الكشي و لا تتجاوزها، فتكرر ألفاظه بلا نقص أو زياده تحت اسم كل واحد من الرجال. و مع هذا لم يكن هناك بد، مراعا للترتيب الذي ارتاه، من أن يغير العناوين الموجوده فيه.

ص: ١٦٤

١- نقلا عن الكلباسي في "سما المقال" / ٤٧.

٢- ج ١٥/١

٣- يستنبط من جملة "اختيار معرفه الرجال" التي انتخبت عنوانا لكتاب الشيخ في الطبعة الأخيره المصححه الكامله، ان مصححها كان يعرف اسم أصل كتاب الكشي. فكان طبيعيا أن يطلق على كتاب الشيخ اسم "اختيار معرفه الرجال" باعتباره انتخابا و اختيارا منه. على أن في هذه التسميه مسامحتين: إحداهما بالنسبه لأصل كتاب الكشي، و هو "معرفه الناقلين عن الأئمه الصادقين لا- "معرفه الرجال" و الأخرى بالنسبه إلى اختيار الشيخ المذكور في جميع المدارك المعتره باسم "اختيار الرجال" لا اختيار معرفه الرجال.

٤- ابن شهر آشوب في كتابه الآخر "مناقب آل أبي طالب" يذكر كتاب الكشي باسم "معرفه الرجال" ج ١٤٧/٤. و لكن الظاهر

أن منظوره هو تلخيص الشيخ لا أصل الكتاب، لأنه يقول: " معرفه الرجال عن الكشى عن أبى بصير".

٥- منهم المحدث القمى فى الكنى و الألقاب، ج ١١٦/٣ طبع النجف.

٦- التاريخ المذكور سنه فراغه من تأليف كتابه المشهور "مجمع الرجال" و ليس لدينا بعد هذا التاريخ ايه معلومات عن حاله، كما أننا لم نحصل على تاريخ دقيق لوفاته.

اختيار الرجال، و في الموارد التي يعنون فيها الكشي شخصين أو بعض الأشخاص معا وضع كل اسم في مكانه حسب ترتيب الحروف. كما أن نسخته تتفاوت في بعض الموارد مع نسخه الاختيارات المطبوعه. من جمله ذلك، عنوان حسن بن سعيد الأهوازي و محمد بن إسحاق صاحب المغازي.(1)

ب - ترتيب السيد يوسف بن محمد حسب الحسيني العاملي مؤلف جامع المقال:

رتب المؤلف اختيار الرجال حسب طبقات أصحاب المعصومين ع ترتيبا نظير ترتيب الشيخ، بمعنى، أنه ابتداءً أولاً بأصحاب الرسول الأكرم ص فأصحاب أمير المؤمنين ع و بعده أصحاب الامام الحسن ع و هكذا حتى أصحاب الامام الحادي عشر ع جميعا بالتتابع.

و بناء على ما قاله المحدث النوري في خاتمه "مستدرک الوسائل" فان تاريخ إتمام هذا الكتاب هو سنة ٩٨١.(2)

ج - ترتيب الشيخ داود بن حسن بن يوسف البحراني:

هو على وجه التقريب من معاصري الشيخ الحر العاملي صاحب "وسائل الشيعة". رتب الاختيار بالترتيب الألفبائي الكامل، يعني، مراعاة حروف الكلمه كلها، الأول و الثاني و الثالث و... (3) نظير منهج المقال.(4)

د - كتاب "حل الأشكال" تأليف: السيد أحمد بن طاوس الحلبي، رجالي القرن السابع المعروف:

جمع المؤلف متن كتاب اختيار الرجال إلى متن الأصول الثلاثة الأخرى (فهرست و رجال الشيخ و فهرست النجاشي) باضافه متن كتاب "الضعفاء" لابن الغضائري في كتاب و أطلق على هذه المجموعه اسم "حل الأشكال في معرفه الرجال". و قيل أن الشهيد الثاني رحمه الله عليه، كانت عنده النسخه الأصلية لهذا الكتاب.(5)

و على الرغم من أن الكلباسي مؤلف "سماء المقال" (المتوفى سنة ١٣٥٦) قد أفاض في تمجيد حسن الترتيب في هذا الكتاب و الثناء عليه نظرا لأن أكثر أحاديث اختيار الرجال لم ترد فيه و ان بعضها قد اكتفى بالإشارة إليه أو نقلت بالمعنى حتى لا يستغنى المراجعون عن الأصل، فإنه ينتقد الكتاب المذكور في موارد طراً فيها الخطا على قلم المؤلف العظيم.(6)

و بعد ابن طاوس سار بعض تلاميذه و جماعه من المتأخرين على اثره و جمعوا الأصول الأربعة الرجالية مع بعض كتب اخرى للقدماء، مثل: الضعفاء، رجال البرقي و رجال العقيقي في كتاب واحد.(7)

- كتاب "تحرير طاوس" تأليف الشيخ حسن بن الشهيد الثاني، صاحب المعالم (٩٥٩ - ١٠١١).

استخرج المؤلف كتاب "اختيار الرجال" من مجموعته حل الأشكال (المذكور عاليه في الفقرة د) و سماه "تحرير الطاوسي" و عليه، فهذا الكتاب هو متن الاختيار بلا- تفاوت الا- في أن عناوينه نقلت على نسق حل الأشكال لا- بطريقه أصل الكشي و الشيخ.(8)

و - كتاب "مجمع الرجال" تأليف: المولى عنايه الله شرف الدين القهپائى.

علاوه على أن المؤلف رتب كتاب اختيار الرجال (المذكور فى الفقرة أ) فإنه قد وفق بين عبارات الكتاب المذكور بعينها و عبارات رجال الشيخ و فهرسته و فهرست النجاشى و ضعفاء الغضائرى، و رتبها، و أطلق على هذه المجموعه اسم "مجمع الرجال".

و تاريخ الفراغ من تأليف هذا الكتاب سنه ١٠١٦. و توجد نسخه منه بخط المؤلف فى مكتبه العلامه الطهرانى صاحب "الذريعه" (٩).

٦ - هل حصل انتخاب آخر من رجال الكشى

؟ عرفنا أن ما هو متداول اليوم باسم رجال الكشى، هو النخبه المنقحه التى جمعها الشيخ الطوسى رحمه الله عليه من كتاب رجال أبى عمرو الكشى، يعنى، "معرفه الناقلين عن الأئمه الصادقين" و التى أسماها "اختيار الرجال" و أن أصل كتاب "معرفه الناقلين" لم يتيسر ليد أحد ما حتى فى أيام العلامه الحلى (٦٤٨ - ٧٢٦).

و يستنبط من بعض العبارات أن شخصا آخر غير الشيخ الطوسى قام بانتخاب من كتاب الكشى و هيا منتخبا منه بصوره تأليف مستقل، و حسبنا أن نلفت النظر إلى هذه العبارة من "سماء المقال".

"و من العجيب ما ذكره الفاضل العنايه، من أنه يظهر بعد التصفح و التبع التام فى الكتاب أن الأغلاط ليس فيه (منه، ظ)، بل إنما هى من قلم المنتخبين منه مثل الشيخ قدس سره" ثم أضاف مؤلف سماء المقال: "نعم يحتمل ذلك فى البعض" (١٠).

فبهذه القرينه الموجوده فى العبارة المذكوره، لو كان الكلام على اختيار الرجال، لأمكن احتمال كلمه "المنتخبين" على أن عده اشتركوا مع الشيخ الطوسى فى تهيئه الكتاب المذكور و يكون المراد بها هؤلاء المنتخبين. و لكن من حيث أن انتساب هذا الكتاب للشيخ لا يشوبه أى شك، و أن التأليف الجماعى لم يكن معهودا و لا متداولا فى تلك الأعصار فان الزعم بان اشخاصا آخرين أيضا تناولوا كتاب الكشى بالتلخيص و الانتخاب بصوره مستقلة يجد ما يقويه فى هذه العبارة المذكوره.

- ٢ - الفهرست

هذا الكتاب من أئمن الآثار القديمه فى فن الرجال لدى الشيعه، و من الكتب العمده بالنسبه لعلماء هذا الفن.

و الفهرست كما بينا فى البدايه، يطلق اصطلاحا على الكتب التى تذكر فيها٦.

ص: ١٦٥

١- لمزيد من التفصيل و تحقيق هذه الموارد ارجع إلى قاموس الرجال، ج ١/٤٦.

٢- ثبت هذا الكتاب برقم ٢٨١ فى المجلد الرابع من الذريعه.

- ٣- ثبت هذا الكتاب برقم ٢٧٩ فى المجلد الرابع من الذريعه.
- ٤- يعرف ب " الرجال الكبير " تأليف ميرزا محمد الأسترآبادى المتوفى ١٠٢٦ أو ١٠٢٨
- ٥- سماء المقال / ٣٠.
- ٦- لمزيد من التفصيل ارجع إلى سماء المقال / ٣٠-٣١.
- ٧- الذريعه، ج ٨١/١٠.
- ٨- من هذا الكتاب نسختان فى مكتبه آستان قدس فى مشهد برقمى ١٣.....٣٦٠٣٣٦٢٥...
- ٩- مقدمه رجال الشيخ، طبع النجف / ٨١.
- ١٠- سماء المقال / ٢٦.

أسماء أصحاب "الأصول" و "المصنفات" (١) و غالبا ما كانت لدى القدامى من علماء الرجال فهارس اكتفوا فيها بالتعريف ببعض مؤلفي الشيعة أو بالكتب الموجودة عندهم، مثل: "فهرست الزراري" و "فهرست ابن عبدون".

و أول من وضع كتابا مفصلا في هذا القسم، أبو الحسين أحمد بن حسين بن عبيد الله الغضائري رجالي الشيعة المعروف، معاصر الشيخ الطوسي و النجاشي، الذي كتب كتابين أحدهما في الأصول و الآخر في المصنفات. و من دواعي الأسف أن الكتابين لم يصلا إلى الأجيال اللاحقه كما سبق أن ذكرنا.

و يستفاد من لهجه الشيخ الطوسي في مقدمه "الفهرست" هناك حيث يتكلم عن إصرار "الشيخ الفاضل"، و من بيان الشيخ النجاشي معاصر الشيخ في مقدمه كتابه الذي ألفه في نفس الموضوع أيضا، أن الدافع لهذين العالمين الجهابذين المعاصرين، هو بالذات خلو المجال من هذا العمل، و افتقاد كتاب جامع مشبع في هذا القسم.

فإذا تجاوزنا "فهرست ابن النديم" (المتوفى سنة ٣٨٥) الذي يتفاوت إلى حد من وجهه النظر الموضوعيه مع الفهرست المصطلح، و يستوعب جميع العلوم و الفنون و المذاهب و السنن الجارية بين المسلمين و بيان مؤلفاتهم في كل منها و مؤلفات علماء غير المسلمين، و كان تأليفه سنة ٣٧٨: فان فهرست الشيخهو أقدم كتاب موضوعي مفصل موجود في هذا القسم و في متناول الأيدي منذ كان.

فهرست أبي غالب الزراري (٢) (المتوفى سنة ٣٦٨) و من الفهارس المتقدمه على الشيخ (٣)، و هو موجود في متناول اليد، و عبارته عن كتيبات، بل رسالات للتعريف بعده كتب. (٤)

أما عن اسبقه تأليف أي من الفهرستين، فهرست الشيخ أم فهرست النجاشي، فلم يحدث تحقيق يبعث على اليقين. و لا يستبعد بالنظر إلى أن النجاشي في فهرسته ذكر الشيخ و تأليفاته و منها الفهرست، على حين أنه لا يوجد في فهرست الشيخ ذكر للنجاشي و تأليفاته، ان يظن أن كتاب النجاشي ألف بعد كتاب الشيخ. الا أن ذكر كتاب الشيخ في فهرست النجاشي لا ينهض دليلا على تقدم كتاب الشيخ. الا يمكننا أن نتصور أن النجاشي كان قد سجل اسم الشيخ و تأليفاته الأخرى في فهرسته، حتى إذا ما ظهر فهرست الشيخأضافه النجاشي إلى شرح حال الشيخ و زاده على كتبه، تماما بتمام كما أضاف الشيخ نفسه كتابه "المبسوط" الذي قيل أنه آخر تأليفاته إلى شرح حاله و زاده في عداد تأليفاته في فهرسته؟ ثانيا إذا كان خلو فهرست الشيخ من كتاب النجاشي موجبا لعدم وجود فهرست النجاشي أثناء كتابه الشيخ لفهرسته، لاستوجب ذلك - و قد كتب فهرست النجاشي فيما بعد - ان يذكره الشيخ في فهرسته. لأن المشهور أن الشيخ الطوسي ظل على قيد الحياه ١٠ سنوات بعد النجاشي، و لا بد من أنه كان قد علم بوجود كتابه. و عليه، ينبغى البحث عن دليل لعدم ذكر كتاب النجاشي في فهرست الشيخ مع ذكر النجاشي لكتاب الشيخ، في شيء آخر، يحتمل أن يكون اشتهار الشيخ الطوسي و عظمته العلميه و كتبه التي سيطرت على المجتمع الشيعي آنذاك في مقابل قله حظ النجاشي من الشهرة، هي التي جذبت الأنظار إليه و إلى كتبه.

و لكن مع هذا كله، فإنه بالدراسه و مقابله الكتابين المذكورين و العثور في فهرست النجاشي على عبارات هي بعينها عبارات فهرست الشيخ مع شيء من الإضافات، و بملاحظه طريقه بيان النجاشي التي تعرض نظره الانتقادي بالنسبه إلى مطالب فهرست الشيخ في كثير من الموارد، لا يبقى هناك مجال للشك في أن فهرست النجاشي ألف بعد فهرست الشيخ.

يشتمل هذا الكتاب على أسماء ما يقرب من ٩٠٠ شخص و آثارهم من أصحاب الأصول و المصنفات مع سلسله السند بينهم و بين الشيخ غالبا.

و جاءت تهيئه هذا الكتاب و تاليفه بناء على رغبه أحد معاصري الشيخ يشير إليه في مقدمه الكتاب بقوله "الشيخ الفاضل". و مع أنه لا- توجد قرينه معتمده تمكننا من معرفه هذا الشخص، الا- أنه يمكن من تعبير "الشيخ الفاضل" و كذلك من أن رجاءه لتاليف هذا الكتاب (و كذلك كتابي الشيخ الآخرين "الرجال" و "الجمل و العقود") قد استجيب من قبل الشخصيه العلميه الكبيره في زمانه، يمكن بصوره كليه أن تطمئن إلى أن هذا الفاضل كان يتمتع بمقام علمي مرموق. (٥)

و مبنى الكتاب على التعريف بأصحاب الأصول و المصنفين الشيعه و من الفوا كتابا للشيعه على السواء. (٦) و الشيخ نفسه يعد في مقدمه الكتاب بان يردف اسم كل من المصنفين و أصحاب الأصول بما يرتبط به من جرح أو تعديل و أن يشير إلى ما إذا كانت روايته مورد الاعتماد أم لا، و إلى مذهبه و اعتقاده. الا أنه حصل في الكتاب بعض التخلف عن هذه الطريقه فسكت في بعض الموارد النادره عن توثيق المذكورين أو تضعيفهم. (٧) و أمسك في بعض الموارد عن ذكر المذاهب في التعقيب على الشيعيين غير الاماميين من قبيل الفطحيه ٢.

ص: ١٦٦

- ١- سبق إيضاح معنى "الأصول" و "المصنفات" و الفرق بين هذين الاصطلاحين في الهامش رقم ٢٣.
- ٢- فهرست أبو غالب جزء من رسالته المعروفه (نامه) إلى حفيده التي ذكر فيها شرح حال آباء عائلته و اعمامها و سلسلتها. و فيها إجازة لروايه الكتب المذكوره في هذا الفهرست. و توجد نسخه من هذا الكتاب بالخط النسخ الجميل لم توغل في القدم تقع في ٢٩ صفحه قطع "الجائر" تحت رقم ٧٦٦٩ بمكتبه آستان قدس الرضويه هكذا أولها: "حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن إبراهيم الوسطي، قال حدثنا أبو غالب احمد بن محمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين الشيباني، منه إلى ابن ابنه محمد بن عبد الله بن أحمد، سلام عليك فاني أحمد الله إليك الله الذي لا إله إلا هو...".
- ٣- من جملة الفهارس المعروفه قبل الشيخ فهرست كتب السيد المرتضى. و يحتمل أن يكون لنفس السيد كما يحتمل أن يكون لتلميذه محمد بن محمد البصروي (المتوفى سنه ٤٤٣) ارجع إلى الذريعه (ج ٣٨١/١٦ و ٣٩٢) نقلا عن العلامه الطهراني. و توجد نسخه من هذا الكتاب في مكتبه سبهسالار.
- ٤- على أي حال، فان رأى المرحوم عباس إقبال الوارد في مقدمه معالم العلماء أن فهرست الشيخ أول كتاب بقي من علماء سلف الشيعه، ناشئ عن قله الاطلاع، فبالإضافه إلى فهرستي أبي غالب و السيد المرتضى الموجودين الآن، فان ابن النديم مؤلف فهرست ابن النديم هو أيضا شيعي. ارجع إلى الذريعه، ج ٣٧٥/١٦.
- ٥- ينقل العلامه الطهراني في المجلد الخامس من الذريعه (ص ١٤٥) عن بعض نسخ "الجمل و العقود" القديمه أن المقصود بالشيخ الفاضل هو القاضي عبد العزيز بن البراج قاضي طرابلس (المتوفى سنه ٤٨١).
- ٦- زعم عباس إقبال في مقدمه "معالم العلماء" أن الفهرست يختص بالمصنفين و أصحاب الأصول من الشيعه، و لكن بيان

الشيخ ذاته في مقدمه الفهرست و ذكر جماعه من المؤلفين من غير الشيعة بالفعل، يجب ذلك الزعم.
٧- لمزيد من التفصيل ارجع إلى: الفهرست طبع النجف (١٣٨٠) الصفحات ٧١/٧٨/٨٨/٨٩ - و سماء المقال / ٤١-٤٢.

و الواقفيه. و التزم بذكر المذهب إذا كان صاحب الترجمة من العامه. و بناء عليه، و جب كلما سكت عن مذهب شخص و لم يذكره، الاطمئنان إلى أنه ليس من العامه و إن لم يثبت كونه شيعيا إماميا، بمعنى أنه من الممكن أن يكون متمذبا بمذهب من سائر شعب الشيعه مثل الفطحيه و الواقفيه و غيرهما.

و الخلاصه، ان من كان على مذهب الشيعه الاماميه(1) أو غير الاماميه قد ذكر مذهبه أحيانا و أحيانا لم يذكر في الفهرست، أما مذهب العامه و هو غير شيعي، فهو دائما مورد الذكر. و كذلك، غالبا ما يتحاشى القدرح في امامي ضعيف أو تضعيفه، لأن موضوع الكتاب و مبناه كما قلنا تدوين أسماء من كتبوا أصولا أو مصنفات للشيعه سواء أ كان شيعيا أم غير شيعي ممدوحا أم مذموما. فتعيين هذه الصفات ليس مهمه هذا الكتاب.

وضع الكتاب و ترتيبه:

و الكتاب مرتب حسب حروف الهجاء. و في كل حرف فتح باب لكل اسم من الأسماء المصدرة بهذا الحرف. فمثلا، في حرف الألف، فتح "لإبراهيم" باب و "لإسماعيل" باب و "لأحمد" باب. و بالنسبه لجميع أسماء الآحاد، فقد فتح لكل حرف باب على حده بعنوان "باب الواحد". فمثلا، في باب الواحد من حرف الألف تأتي أسماء "أصبغ" و "إدريس" و "أصرم" و هي آحاد لا غير. و هكذا دواليك حتى آخر حروف الهجاء. و جميع الأسماء الوارده في الكتاب البالغ عددها ٩٠٠ تتدرج كلها تحت هذه الأبواب.

كيفيه نسخ الكتاب:

بناء على ما قرره خبراء الفن، فان نسخ كتاب الفهرست مثل غالبيه كتب الرجال المعتمده القديمه من قبيل كتب الكشي و النجاشي و البرقي و الغضائري، مصاب بالتحريف و التصحيف و النقص و الزياده. و لم تصل نسخه الصحيحه إلى يد أبناء هذا الزمان. و يقول العلامة الكلباسي، ان "أكثر نسخ الفهرست الحاليه لا تخلو من التصحيف و الغلط. و كما قال بعض أصحاب النظر أن أكثر النسخ المتيسره للمراجعين في هذا الدور أصبحت محلا لتناول الحدثان و العويه بيد التصحيف. و قد تصدى المحقق الشيخ سليمان البحراني(٢) لشرح هذا الكتاب و ترتيبه و تصحيحه، فأصلح الأخطاء الناجمه عن قلم الكتاب في أكثر تراجمه، و لكنه لم يطبع الا الأسماء المصدرة بالألف". (٣)

فيستنبط من هذا القول أن تصحيحات المحقق البحراني من نوع "التصحيح القياسي" و أنه اجري على أساس المقابله مع الكتب الأخرى المعتمده لدى الرجال، لا "تصحيح النسخ" بمعنى الحصول على نسخ مصححه قابله للاعتماد من كتاب الفهرست و مقابلتها الواحده بالأخرى. و الا لوجب على المحقق نفسه في هذه الحاله أن يشير إلى هذا الموضوع، و لنقله الكلباسي أيضا. و لتحتم علاوه على هذا ان تكون مسأله اختلاف النسخ قد انحلت منذ ذاك، و تشخصت نسخه كامله أو صحيحه تقريبا.

و في حدود اطلاعنا، إن النسخه الصحيحه من الفهرست. كانت موجوده حتى زمان ابن داود الحلبي (المولود سنه ٦٤٧) فقد صرح في موارد بان نسخه الرجال و فهرست الشيخ بخط المؤلف موجوده لديه. و ليس لدينا من بعد اطلاع عن النسخه المصححه. و من حيث ان العبارات المحرفه تشاهد بصوره قطعيه في النسخ الحاليه، و من حيث ان مؤلفي الرجال المعروفين في

الأدوار المتأخره عن ابن داود مثل ميرزا محمد الاسترآبادى مؤلف " الرجال الكبير " (المتوفى سنة ١٠٢٨ أو ١٠٢٦) و مير مصطفى التفرشى مؤلف " نقد الرجال " (من علماء القرن الحادى عشر) يختلفون الواحد مع الآخر فيما نقل من المطالب، يمكننا بناء عليه الاطمئنان إلى أن أحدا منهم لم يصل إلى نسخه مصححه من هذين الكتابين و ان نسخه ابن داود مفقوده الأثر.

فحيثما كانت نسخ الفهرست الموجوده لا تنطبق على ما نقله ابن داود من الكتاب المذكور، وجب بلا ترو تقديم نقل ابن داود و اعتباره حجه، فالاعتقاد فى صحته و تطابقه مع ما كتبه الشيخ أقوى و ابعث على الرضا. و لا يفوتنا، أنه حيثما شوهده عدم التطابق بين ما نقله ابن داود و ما نقله العلامة الحلى (معاصره و زميله فى التلمذ على أحمد بن طاوس) لا نستطيع بصفه دائمه أن نقدم كلام ابن داود، لأن العلامة أيضا كانت لديه نسخه مصححه من الرجال و فهرست الشيخ. و طبعى الا ينتفى الاشتباه بالكليه عن ابن داود فى قراءه النسخه.

كيفيه النسخ المطبوعه:

طبع متن الفهرست بنفس الترتيب الأصيلى لأول مره سنة ١٣٥٦ فى المطبعه الحيدريه بالنجف مع مقدمه و تصحيح و هامش بمعرفه (السيد محمد صادق بحر العلوم) و تجدد طبع النسخه نفسها بنفس الخصوصيات مره اخرى سنة ١٣٨٠. و تقع هذه الطبعه فى ٢٥٢ صفحه من القطع "الوزيرى" (٤) و بها فهرست للأسماء و أرقام أسماء الرجال و هى كامله التقيط نسيبا و الطباعه على وجه العموم ممتازه و لافته للنظر. و قبل هذا التاريخ بسنوات يعنى سنة ١٢٧١ الهجرية (- ١٨٥٣ الميلاديه) رتبت نسخه من الفهرست حسب الحرف الأول و الثانى و الثالث من الاسم و اسم الأب و اسم الجد و صححت و طبعت فى الهند بمعرفه "أ. سبرنجر" و "مولى عبد الحق". و العلامة الكبير الشيخ آقا بزرك الطهرانى (مؤلف كتاب الذريعه) رأى هذه النسخه و نقل خصوصياتها فى الذريعه (ج ٣٨٤/١٦) و السيد محمد صادق بحر العلوم و صفها فى مقدمه رجال الطوسى (ص ٦٩) بالنقص و الامتلاء بالغلط و رداءه الطباعه.

و المصحح المذكور ينقل فى مقدمه كتاب الرجال عن قول العلامة الطهرانى و صفا لطبعه اخرى من الفهرست أنه قال ما خلاصته: " منذ عده سنوات (فى حدود سنة ١٣١٥) فى طهران، رأيت نسخه من الفهرست فى مكتبه العالم الكبير الحاج ميرزا أبو الفضل الطهرانى. و هذه النسخه طبعت فى "ليدن".

و هى من حيث الإتقان و جوده الطباعه رائعه بالغه القيمه. و بعد أن تكبدنا مشقه ترجمه ما كتب باللاتينيه فى آخرها من شرح، اتضح أن الناشر بذل جهودا كبيره فى مقابله النسخ و الدقه فى التصحيح. و الآن، فان النسخه التى استنسختها بخطى فى ذلك التاريخ لا تزال موجوده بنفس الخط و الورق".

و مما يبعث على العجب، أن العلامة الطهرانى مع إعجابه بهذه النسخه لم يأت لها بذكر أصلا فى الذريعه فى ذيل اسم "الفهرست" و اكتفى بما قرره عن طبعه الهند. ألا يرقى الظن بهذه القرينه، و قرينه أن أحدا آخر لم ير نسخه .

- ١- قاموس الرجال، ج ١٨/١ فى هذه الحاله يكون كلام العلامه الطباطبائى و السيد الداماد (نقلا عن المامقانى فى الرجال ج ٢٠٥/١) من ان مبنى الشيخ على التصريح بمذهب غير الامامى مثل الفطحيه و الواقفيه، لا وجه له.
- ٢- توفى سنه ١١٢١ الهجرية.
- ٣- أسماء المقال / ٤٢.
- ٤- لعل القطع الوزيرى هو ما يقال عنه باصطلاح المطابع فى مصر ١٠٠٠.٧٠.

هكذا من كتاب الفهرست أو تكن لديه إشارة عنها، إلى أن العلامة المذكور قد اشتبه عليه الأمر و ظن طبعه الهند طبعه ليدن، أو أنه أثناء كتابه الوصف (الذي ذكرنا خلاصته) يكون قد نسي خصوصياتها نظرا لطول المده و اختلط الأمر عليه؟!

اعتبار الفهرست و الانتقادات الموجهه إليه:

حتى نقدر ما لكتب الشيخ الطوسي من اعتبار، يجمع بنا قبل تناول الكتب بالدرس أن ننظر إلى ما يحتازه مؤلفه من اعتبار. لقد كانت عظمه مقام الشيخ العلمى و رفعه شأنه بحيث لا يطرأ على الذهن سوى التسليم بعظمه كتبه و رفعه مكانتها. إن كتبه فى كل قسم كانت فتحا لطريق جديد و ابتكارا لأسلوب و عرضا لقدرة علميه فائقه يندر وجود سابقه لها.

فلا يخفى على أحد أن كتابيه "التهذيب" و "الاستبصار" فى عداد كتب الحديث الأربعة المشهوره و كتبه الفهرست و الرجال و اختيار الرجال ثلاثه من الأصول الأربعة العمده فى علم الرجال. و كتبه الأخرى، كل فى قسمه الخاص من تفسير و كلام و أصول و فقه ممتاز مشخص على خط من الابتكار.

و عليه، فان الخدش فى آرائه و نظراته فى فن الرجال أمر صعب و بعيد عن الاحتياط. و بالفعل كان كتاباه الفهرست و الرجال فيما بعده من الأدوار مورد اهتمام و عنايه العلماء الكبار المشهورين أمثال المحقق و العلامة و ابن طاوس و الشهيد و غيرهم. و على حد قول العلامة الكلباسى فى سماء المقال (ص ٥٢):

"لقد نظر إلى مشهورى العلماء و التوثيق و التضعيفات و غيرها من نظراته للرجال بعين الاعتبار و الإتيان.

و على الرغم من هذا كله، لا نستطيع أن نصف كل أقوال الشيخ الكبير الطوسي فى الرجال بالصحة، و نغمض العين عن وجود بعض الاشتباهات فى كتبه، و ان وجب الإذعان لكون هذه الاشتباهات نادره و تعتبر بطبيعته الحال كلا شىء بجانب نظرات شيخ الطائفة الدقيقه الصائبه.

و لقد أشار المحقق الرجالى فى أيامنا هذه الشيخ محمد تقى الشوشترى فى عموم كتابه التحليلى الجامع "قاموس الرجال" إلى موارد اخطاء الشيخ (قدس سره) الواقعه فى كتابيه "الفهرست" و "الرجال" و من جمله ذلك ما عرضه فى الفصل العشرين من مقدمات الكتاب المذكور من نموذج لها فى ترجمه "أبى غالب الزرارى".

و بناء على ما أظهره المحقق المذكور، فان الموجب الأصلى لاشتباهات الشيخ هو أنه نقل فى موارد كثيره عن "فهرست ابن النديم" و هو غير بالغ فى دقته و ليس محلا للاعتماد. و من ثم كلما وجد اختلاف بين نظر الشيخ و النجاشى فى مورد ما، فان كلام النجاشى هو المقدم، لأنه لم ينقل فى كتابه كله عن الكتاب المذكور الا مره واحده(١) و مع هذا، لا نستطيع أن نحكم بصورة دائمه بتقديم كلام النجاشى على الشيخ فى موارد الاختلاف بينهما، إذ أن الحكم فى غالب الموارد هو القرائن و الأمارات الخارجيه. (و سوف نستوفى الكلام فى هذا الصدد فى قسم تحت عنوان المقارنه بين فهرست النجاشى و الشيخ).

ما كتب من الكتب على محور الفهرست:

ان التذييلات و الترتيبات المتعدده التى كتبت على محور هذا الكتاب فيما بعد الشيخ من أدوار، دليل بارز على اهتمام الأصحاب

به. و سنذكر تحت كل ما وصلنا إليه في هذا المجال:

١ - معالم العلماء: تأليف رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (المتوفى سنة ٥٨٨) هذا الكتاب بناء على تصريح مؤلفه كتب لتمامه و تكمله "فهرست" الشيخ - رحمه الله عليه - و يشتمل علاوه على ما ورد في الفهرست من أسماء، على أسماء جماعه من المعاصرين و المتأخرين عن الشيخ أيضا. و مجموع من ورد ذكرهم فيه ٩٩٠ شخصا ما عدا الشعراء. فإنهم اختصوا بفصل في الآخر لذكر اسمائهم أيضا. و هذا الكتاب و لو أنه يشتمل على أسماء ٩٠ شخصا و ٦٠٠ كتاب علاوه على المذكورين في الفهرست، الا أنه نظرا لحذف الأستاذ يبدو مختصرا في مجموعه بالنسبه للكتاب المذكور.

٢ - أحيانا ما يعقب أسماء الأفراد بالاشارة إلى توثيقهم أو ضعفهم و كذلك تاريخ وفاتهم. و هذا امتياز آخر لهذا الكتاب على فهرست الشيخ. و في ترتيب الأسماء روعى الحرف الأول، أما الحرف الثاني و الثالث... فلم تراعى. و عليه فهناك ترتيب بين "أحمد" و "بلال" و لا ترتيب بين "إبراهيم" و "أحمد".

و طبع هذا الكتاب لأول مره سنة ١٣٥٣ في طهران بعناية المرحوم عباس إقبال الذي قام بتصحيحه و مقابلته و التقديم له. و طبع مره اخرى سنة ١٣٨١ مع تعليق و مقدمه مفصله للسيد صادق بحر العلوم في ١٥٣ صفحه في المطبعة الحيدريه بالنجف. و هو في متناول اليد.

٢ - فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن أبي القاسم عبيد الله بن بابويه القمي (و توفي بعد ٥٨٥). (٢)

اسم هذا الكتاب "أسماء مشايخ الشيعة و مصنفيههم". و موضوعه، ذكر أصحاب الأصول و المصنفين الذين جاءوا بعد الشيخ الطوسي أو عاصروه و لم ترد اسمائهم في "الفهرست". فهذا يتفاوت من حيث الموضوع، لاشتماله على المعاصرين و المتأخرين عن الشيخ، مع كتاب معاصره يعنى معالم العلماء المتضمن للمتقدمين على الشيخ. و بناء على تحقيق عباس إقبال في مقدمه معالم العلماء، فان هذين الكتابين مع كونهما من عالمين معاصرين و انهما صدرا في وقت واحد تقريبا، قد كتبا دون علم لأحدهما بالآخر. و هذه الحقيقة لا تقبل الشك بالنسبه للشيخ منتجب الدين، لأنه في مقدمه كتابه بعد أن ذكر الفهرست، أضاف قوله: "و لم يصنف بعده شيء من ذلك... و عليه، فاما أن يكون معالم العلماء في ذلك التاريخ ما زال يؤلف بعد، و أما أنه لم يصل).

ص: ١٦٨

١- القاموس، ج ٣٧/١-٣٩.

٢- كان منتجب الدين معمرا و في سنة ٦٠٠ هـ حصل على الإجازة العامه لروايه الحديث و الدليل على ذلك، القول الآتي: "قال ابن الفوطى في مجمع الآداب في تلخيص معجم الألقاب في كتاب الميم ص (٧٧٥): منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الرازى المحدث المقرئ، ذكره الشيخ الحافظ صائن الدين أبو رشد محمد بن أبي القاسم بن الغزال الأصبهاني في كتاب الجمع المبارك و النفع المشارك من تصنيفه و قال: أجاز عامه سنة ستمائه، و له كتاب الأربعين عن الأربعين رواه عنه مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزوينى... (حواشى و تعليقات ديوان قومى الرازى، من جلال الدين المحدث الأرموى / ٢٢٩).

إلى علم الشيخ منتجب الدين.

و ترتيب هذا الكتاب عين ترتيب كتاب المعالم بلا- زياده و لا نقصان و حجمه أقل منه. و قد طبع مره واحده فقط بقطع كبير (رحلى) (١) منضمًا إلى الكتاب المعروف بحار الأنوار (في أول المجلد الخامس و العشرين) طبعه حجرية. و هو في حاجه إلى التصحيح و تجديد الطبع.

٣ - تلخيص الفهرست، تأليف الشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى المعروف بالمحقق الحلبي (المتوفى سنه ٦٧٦هـ).

اكتفى في هذا الكتاب باسم الرجال و الكتاب و بعض خصوصياتهم، و حذفت أسماء الكتب و كذلك سند المؤلفين. و بناء على ما نقله العلامة الطهراني في الذريعة، فان نسخه من هذا الكتاب توجد في المكتبه الخاصه للسيد حسن الصدر.

٤ - ترتيب القهيايى [القهبايى]:

المولى عنايه الله القهيايى [القهبايى] كما علمنا جامع الأصول الأربعة الرجاليه فى مجموعته "مجمع الرجال" و قد رتب جانبًا من هذه الأصول أيضا على حده، سبق أن تكلمنا عنها عند الكلام عن ترتيب اختيار الرجال. و من بين الكتب التى رتبها "الفهرست" و قد ذكر هذا بنفسه فى مقدمه مجمع الرجال. (٢)

٥ - ترتيب البحرانى:

الشيخ على بن عبد الله الأصعبى البحرانى (المتوفى سنه ١١٢٧هـ) هو الآخر رتب الفهرست. و هذا الكتاب ثابت برقم ٢٧٧ فى المجلد الرابع من الذريعة.

و ليس لدينا اطلاع عن خصوصياته، و عما إذا كانت نسخه منه باقيه أم لا و أين هى.

٦ - شرح الفهرست:

شرح الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله البحرانى الماحوزى (١٠٧٥ - ١١٢١هـ) الفهرست و صححه و رتب تراجمه و أطلق عليه "معراج الكمال إلى معرفه الرجال" و لكن هذا الكتاب لم يكتمل، و لم يكتب منه إلا حرف الألف (بناء على قول الكلbasى فى سماء المقال / ٤٢) أو كتب منه حتى حرف التاء (بناء على روايه السيد صادق بحر العلوم فى مقدمه رجال الشيخ عن قول الشيخ يوسف البحرانى فى لؤلؤه البحرين).

٧ - بناء على ما نقله العلامة الطهراني فى الذريعة (ج ٤/٦٦) فان أحد الفضلاء رتب الفهرست بترتيب الحروف: الحرف الأول و الثانى و الثالث.

و فرغ منه سنه ١٠٠٥هـ، و هو نفس النسخه التى طبعت فى كلكتا سنه ١٢٧١هـ.

الشيخ محمد تقى الآملى ابن محمد

ولد فى طهران سنة ١٣٠٤ و توفى فيها سنة ١٣٩١.

درس فى طهران على والده و على غيره من علماء طهران. ثم سافر إلى النجف الأشرف فحضر دروس النائنى و الفيروزآبادى و الخوانسارى و العراقى و الكمبانى، و بعد انتهاء دراسته عاد إلى طهران فأقام فيها ما يقارب الأربعين السنه مرجعا من مراجعها.

له من المؤلفات: شرح على منظومه السبزوارى، شرح على الإشارات لابن سينا، حاشيه على المكاسب للأنصارى، حاشيه على العروه الوثقى.

الدكتور محمد جواد باهنر

ولد سنة ١٣٥٢ فى مدينة كرمان بايران و اغتيل سنة ١٤٠١.

درس المقدمات فى كرمان ثم انتقل إلى مدينة (قم) حيث درس على السيد حسين البروجردى و السيد محمد حسين الطباطبائى و غيرهما ثم نال شهاده الدكتوراه من كليه الإلهيات فى جامعه طهران.

اختير رئيسا للوزراء فى عهد رئاسه (رجائى) للجمهوريه، ثم اغتيل معه فى تفجير مكتبه. و هو من المؤسسين لحزب الجمهوريه الإسلاميه إلى جانب أركانه البارزين.

له من المؤلفات: معرفه الخالق، معرفه الإسلام، دروس من أصول الدين، العالم فى عصر البعثه.

محمد حسين آزاد

ولد فى دهلى سنة ١٢٤٥ و توفى فى لاهور سنة ١٣٢٨.

بعد الشاعرين أنيس و دبیر جاء عصر جديد بالعلوم و الأفكار و النهضه السياسيه فى الهند و كان الإنكليز قد سيطروا على البلاد فواجه الشعر و النثر حالات طارئه حديثه، كان لا بد فيها من شىء جديد. هنا يبرز رجل عظيم و كاتب مبدع و مصنف خالد، يدعو للتجديد، هو محمد حسين آزاد.

استقبل آزاد عهدا جديدا فكتب مقطوعات من الشعر الجديد و دعا إليها فاستجاب له المستجيبون و اتبعوه، و كان أولهم (حالى) غير الشيعى.

كان آزاد حامل لواء الأدب الجديد و الشعر الحديث فى الهند. و قد جمع شعره فى ديوان سمى (نظم آزاد) و هو مطبوع (راجع ترجمه أنيس و راجع ترجمه دبیر فى محليهما من هذا الكتاب).

السيد محمد حسين الطباطبائى

مرت ترجمته بقلمه فى الجزء التاسع الصفحه ٢٥٤ و نزيد عليها هنا بعض ما جاء فى كتابه (الشيعة و الإسلام) المترجم عن الفارسيه و لم يذكر اسم المترجم:

ذاعت شهرته فى ايران بعد أن هاجر إلى قم، فشرع بتدريس التفسير و الحكمه، و كان لمحاضراته فى الحوزه العلميه اثر بليغ فى طلابها، بل شملت غيرهم من المثقفين. فكانت لقاءاته مع الأستاذ "هنرى كربين" مستمره فى كل خريف يحضرها جمع من الفضلاء و تثار فيها المسائل الدينيه و الفلسفيه و قد اهتم بتدريس الحكمه، فشرع بتدريس كتاب "الشفاء" و "الأسفار" كما اهتم بتدريس التفسير.

الشيخ محمد رضا الشيبى

ولد فى النجف سنه ١٣٠٦ و توفى سنه ١٣٨٥ فى بغداد و دفن فى النجف.

مرت ترجمته فى المجلد التاسع الصفحه ٢٨٧ و نشرنا له هناك قصيدتين لم ينشرا فى ديوانه. و لما كان ديوانه مفقودا و لم يعد طبعه بعد طبعه آثرنا أن ننشر هنا هذه القصائد:

ص: ١٦٩

١- القطع الرحلى هو ما زاد فى الحجم عن ١٠٠٠٧٠.

٢- الدرعيه، ج ٤/٦٤.

قال و قد قدم لها بما يلي:

أشهر أيام الحرب العراقية ان لم يكن أعظمها يوم الشعبيه ذلك اليوم الذى استنفر إليه أهل البلاد من حاضر و باد قلت قبيله أو مدينه لم يشهده منها جماعه أضف إلى ذلك عظيم محتتهم و قد رابطوا عدده شهور فى النخيله صابرين على ما لا يصبر على مثله من جذب المكان و شظف العيش إلى أن منوا بذلك الخذلان العظيم و مجمله أنه فى أوائل صفر سنة ١٣٣٣ ورد بغداد أمير الای اسمه سليمان عسكري بك متقلدا قياده الجيش العثمانى العامه فى العراق خلفا لجاويد باشا و معه فريق من الجنود التركيه المدربه انحدر بها إلى القرنه و واقع الإنكليز هناك فى منتصف صفر المذكور فجرح جراحا بليغه أعيد بسببها إلى بغداد و أقام فى المستشفى شهرين لم ينجح فيه علاج لكنه أبى مع هذا أن يستقيل و ثابر على تدبير الأمور الحربيه و النظر فيها متوقعا البرء التام ليعود إلى الميادين و لما طال ذلك عليه صمم على أن يتحامل و يقود الجيش بنفسه فى وادى الشعبيه دوين البصره فحمل فى محفه من بغداد إلى الناصريه بعد أن تقدم بان يحتشد فيها الجيش المؤلف من ثلاث كتائب (الآيات) واحده تركيه و اثنتان ملفقتان من العرب و العراقيين و الأكراد و معها عدده رشاشات و نحو أربعين مدفع سهل قام هذا الجيش منتصف جمادى الأولى سنة ١٣٣٣ من الناصريه إلى المعسكر العام فى النخيله مشيا على الأقدام و بعد يومين أو ثلاثه من وصوله زحف بايعاز من القائد العام هو و العرب المجاهدون على الشعبيه و هاجموا الإنكليز و هم فيها أمتع من عقاب الجو صباح الاثنيين السابع و العشرين من الشهر المذكور هجوما شديدا دام يومين بدون طائل إلى أن ارتدوا فشلين فاغتنم الإنكليز انقطاع الطرق و المواصلات بهم و غلبه الإعياء و التعب عليهم و سوء أثر العطش و الجوع فيهم فاتبعوهم و ناجزوهم صباح الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣٣٣ مناجزه شديده غلب فى آخرها العثمانيون غلبه تامه و فقدوا نصف ذلك الجيش بين قتيل و جريح و أسير و فقيده و انتحر سليمان عسكري بك:

نبت الربى حمر أشلاء و أورد منثوره لك بين القصر فالوادي

دون الشعبيه أجساد موزعه فى البيد توزيع أعضاء بأجساد

و فى النخيله أرماس موثقه علائقا بين أسياف و أغماد

للترك ثمه أوتاد و أخبيه فيها أصيبوا و شجوا شج أوتاد

جيش أقام ثلاثا فى خنادقها خالى الحقائب من ماء و من زاد

ماء الفراتين موفور و جبهما و الجند غرثان ملتاح الحشا صادى

الغله الغضه المجنى التى نهبت متروكه نهب أيدى الرائح الغادى

أقواتنا فى بطون الذر أكثرها لا فى بطون صعاليك و أجناد

صم مدافعنا ما أمطرت حمما و لم تكن ذات ابراق و إرعاد

ننازل القوم فأتوا ذرع فيلقنا بعده و كثرناهم باعداد
عشرون ألف عراقي و مثلهم حمر الحماليق من ترك و أكراد
مشمرون تجافوا عن ديارهم و استبدلوا الوحش من أهل و أولاد
مكابدون على حالى حفا و وجى فى الرمل كلفه إغذاذ و اساد
بحر من الرمل قامت عن تغطمه تنزو غوارب أمواج و أزباد
يهاجمون و هم رجاله كشف فى البر جملة أسوار و أسداد
فل العدو جناحيهم و قلبهم من قبل تجهيز أعوان و أمداد
ان الدماء التى حلت نحورهم قد أوهمتنا عقودا فوق أجباد
تلك الجماهير لا تلوى على أحد مخفه بعد أثقال و أزواد
الصادرون و قد أكدت مطامعهم من بعد ما أوردوها شر إيراد
و الراصدون من الفيحاء ثروتها باتت مناياهم منهم بمرصاد
و قائد حملوه فى محفته إلى الشعبه من زوراء بغداد
أفاتك بالعدى جيش يدبره معطل الجسم ملقى فوق أعواد
جرى سليمان فى استعجال مصرعه مجرى كفاه بامر الحرب قواد
قاد الألوف فارداهما و اتبعها فى الحال نفس أبى غير منقاد
مخاطر عاش أعمارا لأن له فى أثر كل نجاه يوم ميلاد
و كثره أعجبه من كتائبه فراح للنصر فيها أى مرتاد
كأنه و المقادير التى سبقت على مقر و ميقات و ميعاد
ظن الألوف من الأعراب تعضده فكان ما ظنه فتا باعضاد
ان القصور التى جلت عمارتها أمست صوامع رهبان و عباد

سقىا لواديك لا من ماء غاديه كان أجزاءها علت بفرصاد

و قال يصف وقعه المدائن و قدم لها بما يلي:

ان هذه الوقعه من أكبر الوقائع فى العراق و أشهرها تسميها العامه واقعه سلمان باك خسر فيها الفريقان أكثر من عشره آلاف جندى خلاصتها ان الإنكليز زحفوا فى أوائل المحرم سنه ١٣٣٤ من كوت الاماره بقيادة الفريق طاونسند قاصدين أخذ بغداد فصمد لهم العثمانيون بقيادة نور الدين باشا قائد الجيش العثمانى العام و تحصنوا فى أنقاض المدائن قرب مشهد سلمان الفارسى و بدأت المناوشات بين الفريقين منذ المحرم سنه ١٣٣٤ ثم شرع الإنكليز بهجومهم العنيف الشديد يوم الاثنين فى ١٤ المحرم بعد تمهيد هائل بالمدفعيه لم يسمع البغداديون نظيره فاستولوا أول الأمر على خنادق العثمانيين و تأخر الأتراك إلى دىالى فاشتد الأمر على الناس و كثرت الأراجيف ثم كرت الجنود التركيه الجديده التى كانت تتواصل منذ أوائل المحرم من السنه المذكوره بقيادة خليل باشا و محمد على بك على العدو كره شديده و استقتلوا و تغامسوا مع الإنكليز بالحرب فكشفوهم و أورثوهم وهنا بينا بعد أن دامت الحرب أربعة أيام لبليالها حتى اضطر الإنكليز إلى الانسحاب فجاه ليله ١٩ المحرم فثابروهم الأتراك إلى يوم ٢٦ منه و فيه ضرب الحصار على كوت الاماره:

أ عالم بالذى وافت مدائنه كسرى و إيوانه المعقود و السور

يا أعدل الناس قم للناس أوصهم ان الوصيه شىء عنك مأثور

أسمعهم بعد أن صحت اصفحوا انتقموا و قل لهم بعد أن قلت اعدلوا جوروا

أ بعد عشرين قرنا لم يزل ذلقا قيل السياسه و البهتان و الزور

أ بالمدائن فى أيامك انبعثت و فى مدائنك السبع الأعاصير

ما فى البسيطه من أنس و من بشر إلا الوحوش تعادى و اليعافير

مدائن أردشير الملك خططها و قام فى عقرها كسرى و سابور

لولا بلى طيسفون و البلى حرم دكت كما دك من أركانه الطور

من حاسديك على هذا البلى كره لم يبق فى ربعها المعمور معمور

الأرض كاسفه الأرجاء قد عبثت فيها الصروف و نابتها التغيير

روايه النصر صحت بعد ما اشتبهت و حينما رجمت عنك الأخابير

لتذكرى بخليل أو بفيلقه سعدا و فيلق سعد فيك منصور

كل همام و كل ليث ملحمه أزل داميه منه الأظفير

تجاه إيوان كسرى مازق ضنك أودى الرجال به و الخيل و العير

كادت تميز ذبا عن حقائقها فيه النقوش و تستضرى التصاوير

ص: ١٧٠

شاو تعاطت سباقا دون غايته جرد البصائر و الجرد المحاضير
ان كان للخيل مضمار و مضطرب فكم خلت ثم للرائى المضامير
قتلى بدجله منها دجله امتلأت و النهروانان و الأنقاض و الدور
من لم يلد يوم ساباط و ليلته صوب النجاه فمقتول و مأسور
يوم أغر من الأيام منبلج و موقف فى سبيل الله مأثور
من جالب جرح بغداد و قد علمت ان الرشيد بذاك الجرح موتور
للكرخ عهد من المأمون مؤتمن و فيه روح من المنصور منصور
أ يستيح الحمى قوم أمامهم و من وراء الحمى غلب مساعير
يا من أحبوا على الدنيا شهادتهم تزينت لكم الولدان و الحور
و قال بعد انتهاء الحرب العالميه الأولى و احتلال الإنكليز لبغدادو الفرنسيين لدمشق:

ما ذا بنا و بذى البلاد يراد فقدت دمشق و قبلها بغداد

من موطن الميعاد(1) قامت نزعاً خيل لهن بجلق ميعاد

ساءت وقائعها و ما سرت بها لا الهجره الأولى و لا الميلاد

وردت مياه الرافدين(2) مغيره شقر من القب البطون و راد

هجن طردن من الجياد كرائمه عربيه فكأنهن جياد

بردى و أوديه الفرات و دجله و النيل غص بمائك الوراد

حال العلوج من الأحامر بيننا و تعذر الإصدار و الإيراد

لا ساغ يا بردى الشراب و لا هنا عذب من الماء القراح براد

نبا بأعلى قاسيون تجاوبت بدويه الأغوار و الأنجاد

و أصاب بحر الروم حتى عبرت عن شجوه الأمواج و الأزباد

حولان حال الشرق حالت فيهما لا تكلم الأحقاب و الآباد
الشرق مسود الجوانب كله ليس العراق و ما لديه سواد
أعياد هذا الشرق صرت ماتما لكنها لعدائنا أعياد
الجو و هو مقطب متجههم يبكي لنا و الأرض و هي جماد
لسنا نحد عليك يوما واحدا أو ليله كل الزمان حداد
شل العداة جموعنا ففترقت فى الخافقين كأنها أذواد
آحادهم فينا جموع جمه مرهوبه و جموعنا آحاد
فى كل يوم للعدو مهابه فينا تقوم و قدره تزداد
أنا لست منتظرا تألف شملنا شمل العراق و ساكنيه بداد
يا راكبين إلى دمشق تزودوا منى السلام لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام كأنه جسد دمشق الشام منه فواد
هل فى مروج الغوطتين لأهلها و لرائديها مربع و مراد
و هل الربى حلل ضواف طرزت و طرزاها الأزهار و الأوراد
و شيت من الروض الأريض مطارف خضر الأديم و فوفت أبراد
بين المعاطف و الغصون تشابه فى الحال كل مورق مياذ
تلك القصور كأنهن قلائد فوق الشطوط كأنها أجياد
أ و ما تزال على معاهد جلق ترد الضيوف و تصدر الوفاد
يحلو لها هذ القريض مهذبا و يروقها الإنشاء و الإنشاد
غدت العواصم خطه مغزوه لا الخيل تعصمها و لا الأجناد
لا آل حمدان و لا أيامهم فيها لها تيک الثغور سداد

المصلتون سيوفهم ليست لها إلا رقاب عداتهم أعماد

أخذوا المضايق و الدروب تغلغت فيها الجيوش و أمعن القواد

ضاقت على سعه المجال بجندهم شعف الجبال و غصت الإسناد

فوق الجنادل راسخات مثلها صم الصفاه من القلوب صلاب

سمعوا الصريخ فانعموه اجابه ما ذاك إلا أنهم أنجاد

الذاهبون مضى لنا بذهابهم فى الله جد دائم و جهاد

خنا ذمام الفاتحين و عهدهم ما هكذا تستنجب الأولاد

إنا بما نجنى و هم فيما جنوا بثس البنون و نعمت الأجداد

كانت حفاظ يعرب إن صوليت نارا و نار الآخرين رماد

إنى يذكرنى الشهامه عنتر فينا و والد عنتر شداد

و يهزنى عصر العراق تسوسه لخم و آل محرق و ايباد

يا أيها الجيل الطريد كم انقضت فيما تحاول غاره و طراد

و عدت بغربتك الرواه و انه حتم عليك كما بدئت تعاد(٣)

مما أضعتم من تراث بابل و مصانع الخلفاء و الأسوداد

لم تخلفوا بانى السدير بما بنى و مشيديه بما أتوه و شادوا

لولا التفكر فى مصير بلادكم تالله ما ضاقت على بلاد

إنى أبيت لأجلها متمللا قلق الوساد و ما لدى وساد

أضدادكم متساندون قد اجتنوا ثمر الوفاق و أنتم أضداد

نبدوا لكم ثمن البلاد و فيكم من لا يشك بأنهم أجواد

و عدوكم الإصلاح فلتتوقعوا برقا جوانب وعده إيعاد

إطلاق أيدينا على أيدي العدى رق و فك اسارنا استعباد
ما ولد الآثار إلا معشر حركوا الطباع وجودهم إيجاد
القوم ملح بالحديث قديمهم فرقوا و زين بالطريف تلاد
ألقي أعتته الهواء إليهم و الماء صعب كليهما منقاد
هانت على السفن التي مخرت بهم لجج المياه كأنها أثماد
كم بين من بلغوا السماء و بيننا نحن الذين خيالنا منطاد
هل فى غياض الدردنيل مجاوب إن قلت لم لا تزأر الآساد
خرس المقاول ناطقون دهاهم ريب الزمان و غيب إشهداد
أسماءكم فيما ظننا جنه مما نخاف و عده و عداد
الصدر فى دار الاماره "طلعته" و ممالئوه و الامام "رشاد"
أ أفادكم شن الحروب تتابعت و أنالكم ما لا ينيل حياذ
رفع الخيال لكم و قرب روضه غناء تسقى بالمنى و تجاد
ثمن دنا منه القطاف زعمتم سفها و زرع حان منه حصاد
رفع الهلال عن السماء و قد خبا أو كاد ذاك الكوكب الوقاد
لله اكتاد عوات حملت ما ليس تحمل بعضه أكتاد
من كل قاصيه لأخرى لم تحط تجبى الجنود و تجلب الأمداد
ما بين مصر و الحجاز تطاحن و من العراق إلى الخليج جلاذ
يتزودون من التجلد كلما قل المتاع و خفت الأزوادى.

ص: ١٧١

٢- الرافدان دجله و الفرات.

٣- إشاره إلى حديث بدئ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدئ.

و يعللون جريحتهم بادائه فرض الدفاع كان ذاك ضماد
يا للرزيه كم تفرق بيننا و تضلنا الأضغان و الأحقاد
لا تبرد الأكباد فيما بيننا حتى تذوب و تعطب الأكباد
الآن لا الحجاج فينا قائم لننال منه و لا الدعى زياد
حسب البغاه الظالمين تربص بالمسلمين و حيله و كيد
ان الزعامه سلمت لزعانف فى الشرق قادوا اهله فانقادوا
انظر إلى الاعجاز كيف تصدرت و عمائم السادات كيف تساد
شر العصور و فى العصور تفاوت عصر به تتقدم الأوغاد
أما مخازيهم فليست تنتهى و لو انقضت و تناهت الأعداد
و لو أن أشجار البسيط يراعه و الأرض درج و البحار مداد
قال و قدم لها بما يلي:

السيد محمد سعيد بن السيد محمود الحسنى الشهير بحبوبي النجفى الشاعر البليغ المعروف زعيم النهضه العراقيه المأثوره المتوفى
عشيه الأربعاء ثانى شعبان سنه ١٣٣٣ فى دار الجهاد بناصريه المنتفق المحمول إلى النجف المدفون فى المشهد العلوى كان
نهوضه من النجف بالدعوه إلى الدفاع فى المحرم سنه ١٣٣٣ فأجابه خلق من أهل الفرات و الغراف و المجره سار بهم إلى
الشعيبه إلى أن كان ما كان من الخذلان المعروف هناك فعاد إلى الناصريه و رابط فيها إلى أن مات:

عم الثغور الموحشات ظلام و دجت لأنك ثغرها البسام
طوت الفيالق نكسا أعلامها إذ ليس تخفق بعدك الأعلام
رابطت فى ثغر العراق و ثغرها يحمى الحجاز بسده و الشام
سقط الذى شيدت من أركانه و أعيد فيه النقض لا الإبرام
رام العدو بك الوثوب فأدركوا من غير أن يتكلفوا ما راموا
صالت على تلك المنيه أختها وسطا على ذاك الحمام حمام

لله تسعه أشهر موصوله طالت عليك فكل شهر عام
شهر الصيام أتى فراعك أنه فى ظل غير المسلمين يصام
شهر الاطاعه و العباده خائف من أن تطاع و تعبد الأصنام
فارقته لا ذلك الليل الذى يحيا و لا تلك الصلاه تقام
لك فى الدفاع موفر أجر الأولى فى الثغر صلوا خاشعين و صاموا
ما كنت تؤثر فى جهادك لذه فيسوغ شرب أو يطيب طعام
قلق و غيرك ساكن و مسهد و المسلمون مهومون نيام
القوم دونك حائرون لدينهم و الناس بعدك و الهون هيام
ما جهم لك حب راج حظوه فى الحب بل هو لوعه و غرام
علم الرجال الحاملوك بأنهم حملوا الصلاه فكبروا و أقاموا
فعليكما من ذاهبين تحيه و عليكما من غاديين سلام
إذ لست وحدك فى الحقيقه ذاهبا طى الردى بل أنت و الإسلام
الآن لما غيبوك تيقنوا أن الحياه جميعها أحلام
أين البساله و العداله و التقى أين الحفاظ المر و الاقدام
أين الذى بثباته ثبت الورى و تزلزلت من بعده الأقدام
هل كان يومك و هو بغته باغت طيف الكرى و طروقه إمام
يوم يكاد الدهر ينكر عده منه و تطلب لغوه الأيام
أبا الفريق البائسين كفلتهم و رعيتهم فإذا هم أيتام
أدركت أن ستدول دوله أحمد و علمت أن ستبدل الأحكام
و تكذب الآيات و هى حقائق مجلوه و تصدق الأوهام

ترك الإقامة في المقام فريضه و تطلب البيت الحرام حرام
يستعظمونك في ابتكارك نهضه و شئون ذاتك كلهن عظام
قدت القبائل في الامامه فيهم فمن الامامه في يديك زمام
شافهتهم بالدر و هو مباسم و أخذتهم بالسحر و هو كلام
كلم بها و بمعجزات مثلها تجلى العقول و تصقل الأفهام
أصلحت شأنهم و كانوا عصبه لا الدين يحجزهم و لا الأرحام
عقدوا عليك خناصرا و تأكدوا أن الوكيل عن الامام إمام
و سعوا إليك فثم ودت أنها تسعى الرءوس إليك لا الأقدام
و تكاثفوا يطاون عبتك التي عنت الوجوه لها و ذل الهام
و بدا جبينك فيهم فتهافتوا شان الفراش فهم عليك حيام
أيد يؤثلن الثناء و أنعم لك في رقاب المسلمين جسام
خلدن ذكرك ليس تدرك ثلمه منه السنون الغبر و الأعوام
قال و قد سماها لاميهِ العرب الجديده:

يسائلني من لو درى لم يسائل أنا الآن في شغل عن الرد شاغل
و يطلب منى أن أقول و لم أشأ و لو شئت لم أترك مقالا لقائل
من الحق حبس الشعر إلا لغايه تفرق فيها بين حق و باطل
إذا أنت كابرت الحقيقه عبرت فصاحه قس عن فهاهه بأقل
كفى الشعر ذما إن للشعر قائلا و ما هو إلا قائل غير فاعل
و لا خير في شعر إذا لم يقم به خمول نبيه أو نباهه شامل
إذا قلت إن الشعر بحر غبنته متى يستقيم البحر من غير ساحل

قرائننا منها بحور خضارم و منها إذا جربت رشح الجداول
و اجمع أقوال الرجال أسدها معان كبار فى حروف قلائل
و قد يفضل البيت البليغ قصيده مطوله لكن على غير طائل
و قد يبلغ اللفظ القصير رساله إذا عدت الألفاظ روح الرسائل
بلاغه سبحانه وراء لسانه و أبلغ منه قلب سبحانه وائل
و كم راجل فى حلبه الشعر رامها فأصبح فيها فارسا غير راجل
و ساجله قوم إلى أن رماهم بما كف من غرب الفريق المساجل
و كم شعراء فى القبائل غبروا بما أنشئوه فى وجوه القبائل
إذا نبغوا فى قومهم حفلوا بهم و لم يعهدوا من قبل عقد المحافل
نشيدك من أبيات شعر نواقص دليل على أبيات شعر كوامل
أما رفع الطائى فى الذكر نعتنا و تشبيها أشعاره بالسلاسل
من الشعر هزل مستفاد و ربما أتاك صريح الجد من هزل هازل
و تعجبنا منه حقائق جمه على أنها منا تخاييل خائل
أحاول طورا منه صعبا و طالما أتى طائعا حاولت أو لم أحاول
و يلذعنى منه شرار قدحته و قد أتلقى منه ربا الخمائيل
ترى الذهن حيننا حائلا غير لاقح بشيء و حيننا لاقحا غير حائل
أهيم بسر الابتكار لأننى - و قد طال عهدي - لا أرى غير ناقل
و يحزننى أن الأواخر قصرُوا و لم ينزعوا فى الفضل نزع الأوائل

و لم يرثوا من ديدن القوم قبلهم سؤال مجيب أو إجابته سائل
عفت بابل أم العراق و جددت معانيك إذ أوتيتها سحر بابل
معانيك أرواح هياكلها اللغى و سرى فى الأرواح لا فى الهياكل
تمر بك الأسراب من كل خاطر فتتنقض فيهن انقضاض الأجادل
و تنصب للفظ الشرود جبالا فيأخذ من يصغى له بالجبال
و تسجع ألحانا تثير بلابلا و تنسى حسان الطير سجع البلابل
تسافر من معنى بعيد لآخر و تطوى سهوب الفكر طى المراحل
إذا ارتفعت نفس و جلت تعشقت جلال المعانى لا جلال المنازل
أرى غربه الإنسان شتى صنوفها و أعظمها لقيان من لم يشاكل
و ما كل ربع غص بالناس أهلا و إن كان من معروفهم غير أهل
و كم هيكل حال كان لم تحله و كم عاطل من حليه غير عاطل
يقر لعينى أن تطالع صاحبها إذا طال فى الأقران لم يتناول
يعالج أصداد الطباع بمثلها و يلقى بمر البأس حلو الشمائل
يهون خروج المرء من كل مازق إذا كان دأب المرء لطف المداخل
أضاع صوابى عامل غير عالم سيسال عنه عالم غير عامل
أحب إلى الديان من علم عالم إذا هو لم ينفع به جهل جاهل
إذا لم يزدك العلم تقوى و عفه فمن قله التحصيل حفظ المسائل
و طعنك فى إحساب قوم ذريعه إلى الطعن فى لباتهم و الشواكل
و من يدعى أن الشكوك فضيله فانى أرى الايمان رأس الفضائل
تزول ظلال الناس عنا سريعه و لله ظل فوقنا غير زائل

تداولت الأيام و الحقب بيننا لتلهمنا إكبار شان المداول
من الجهل لا من صحه العقل أننا نحكم فى الأقدار أوهام عاقل
أمرور باسعاف المقادير نلتها على حين أعيا نيلها بالوسائل
أ تأمل أن ترقى إلى الحق سلما و تقعد عجزا تلك آمال آمل
لكل أوان سنه و فريضه و ليست فروض الناس مثل النوافل
توسط تزد شاننا فى الكف خمسه و أطول ما فى الكف وسطى الأنامل
إذا لم تصب فيما بذلت مكانه فما أنت إلا مانع غير باذل
ذوو الجود من أن يعذلوا لم يفرقوا أ إغراء مغر ثم أم عدل عاذل
من الطبع و الذوق السليم أدله كفت ناقد الأشياء وضع الدلائل
إذا قام حسن الشىء فى حد ذاته فاثبات ذاك الحسن تحصيل حاصل
خذ الحذر أو لا تأخذ الحذر إننى إذا جاء أمر الله بادى المقاتل
و ما هالنى كالموت شىء فانى أرى كل شىء غيره غير هائل
لقد فشلت أوهامنا و تخاذلت من الموت لم يفشل و لم يتخاذل
سأقتل دهرى خبره و تجاربا و لا رد للموت الذى هو قاتلى
كان البرايا فى الوجود قوافل تسير إلى الأجداث إثر قوافل
فثمه ركب عاجل غير آجل و ثمه ركب آجل غير عاجل
عبورك من دار القلب رحله إلى دارك الأخرى فكن خير راحل

محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمى الأصل المشهدى المولد و المسكن

من تلامذه المجلسى صاحب البحار. له ١ - ارجوزه فى المعانى و البيان فى مائه بيت و شرحها سنه ١٠٧٤ و سمي الشرح إنجاح المطالب فى الفوز بالمآرب.

٢ - التحفه الحسينيه فى اعمال السنه و الشهور و الأسابيع و الأيام. ٣ - كنز الدقائق و بحر الغرائب، فى التفسير، يقع فى أربعة مجلدات كبار ألفه بين السنين و و كتب المجلسى تقریظا له سنة ١١٠٢ كما قرظه آغا جمال الخونسارى سنة ١١٠٧. ٤ - حاشیه على الكشاف للزمخشرى ٥ - حاشیه على حاشیه الشيخ البهائى على تفسير البيضاوى ٦ - رساله فى أحكام الصيد و الذباجه. و مؤلفات اخرى.

و يقول السيد عبد العزيز الطباطبائى عن كتابه فى التفسير: جمع بين التفسير الأدبى و اللغوى و بين التفسير المأثور عن أئمه أهل البيت ع.

و يتحدث عن المترجم قائلا: كان من اعلام المفسرين و المحدثين فى بدايه القرن الثانى عشر، و فقدنا خبره بعد فتنه الأفغان فى أصفهان سنة ١١٣٥ و لعله استشهد فى تلك الوقعه.

محمد شريف خان

ولد فى دهلى سنة ١٢٢٢ الحكيم الطبيب الفاضل. كان أول من ترجم القرآن الكريم إلى اللغه الأردويه.

الدكتور الشيخ محمد مفتاح بن محمود

ولد سنة ١٣٤٧ فى مدينه همذان و اغتيل فى طهران سنة ١٣٩٩.

كانت دراسته الأولى فى مسقط رأسه فى المدرسه الابتدائيه و على والده و على ملا-على الهمذانى ثم انتقل إلى قم و تابع دراسته فى حوزتها العلميه، ثم التحق بجامعة طهران حيث نال (الليسانس) ثم (الدكتوراه) ثم تولى تدريس الفلسفه فى كليه الإلهيات فى جامعه طهران.

له من المؤلفات: شرح و تعليق على كتاب الأسفار لصدر الدين الشيرازى، حاشیه على منظومه السبزوارى، رسائل فى المنطق.

ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعى

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٨٤ من المجلد التاسع و نزيد عليها هنا بحثا عن كتابه (درر السمط) مكتوبا بقلم الدكتور رضوان الدايه:

فى الآثار الأدبيه الأندلسيه الباقية كتاب "لطيف الحجم، بل هو رساله صغيره لابن الأبار القضاعى البنسى الأندلسى سماه: "درر السمط فى خبر السبط"^(١) خصصه لفصول قصيره متلاحقه تتابع من وراء أسلوب أدبى ممتع أطرافا من سيره النبويه مما يخص النبى الكريم عليه أفضل الصلاه و التسليم، و زوجه أم المؤمنين خديجه بنت خويلد رضى الله عنها و ابنته البتول فاطمه

ص: ١٧٣

١- طبع الكتاب بعنوان "درر السمط فى خبر السبط" و فوقه عنوان صغير تعريفى و هو: "من أدب التشيع بالأندلس". حققه أول

مره الدكتوران عبد السلام هراس و سعيد أحمد أعراب. تطوان ١٩٧٢، و لم يجاوز بمقدمته و فهرسه مائه صفحه من القطع
الوسط.

الزهراء و ابنها الحسن و الحسين ع.

و انفرد المؤلف بعد فصول بحديث أحد السبطين الكريمين فوقف عند أخبار من أخبار الحسين بن علي ع. متابعا الوقائع إلى ما بعد نكبه كربلاء بما فيها من أحداث جسام.

و الكتاب، من حيث تقويمه و تبويبه كتاب نثر أدبي فني، لكنه يتمركز حول قضيه تاريخيه. و من هنا جاء الكتاب متميزا بمزايا هذين الطرفين: طرف التاريخ من جهة و طرف التعبير الأدبي المؤثر من جهة أخرى.

و لئن لم يكن الكتاب من حيث موضوعه و فكرته بدعا في الآثار الأندلسيه فإنه متميز من حيث طريقه عرضه، و مستقل بأسلوبه و صياغته، و خاص من حيث الشحنة العاطفيه الغامره التي غلبت على جوانبه و فصوله.

لم يكن ابن الأبار أول من التفت إلى المديح النبوي، و تذكارة ما أصاب الحسين بن علي ع، فقد سبقه عدد غير قليل من الأدباء و الشعراء نذكر منهم الكتاب الفقيه أبا عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال(1) الغافقي المتوفى سنة ٥٤٠ و أبا بحر صفوان بن إدريس التجيبي (٥٦١ - ٥٩٨) و غيرهما كثير.

و نذكر هنا أن ابن الأبار روى كتاب (مناقب السبطين) لأبي عبد الله محمد التجيبي (٥٤٠ - ٦١٠) و أجز فيه (من المؤلف) و هو ابن ثلاثه عشر عاما.

و يتالف الكتاب على صغر حجمه من مقدمه، و واحد و أربعين فصلا.

و المقدمه قصيره مهمتها أن تبدأ الكلام، و أن تسوقه دون إطاله إلى الفصل الأول الذي تتلوه الفصول الأخرى، دون مشقه.

و عنوان (الفصل) الذي يحجز فقره عن أخرى هو في الحقيقه أشعار بانتقال الكاتب عاده من جانب من جوانب الموضوع إلى طرف آخر جديد فكأنها حلقات متسلسله متواصله، تتنامى فيها الأحداث، و يغزر عطاء الأخبار، و عرض الأسماء، و تقويمها، حين تبلغ تلك الأحداث الذروه، ثم تكون الخاتمه سريعه، فاصله، مؤثره.

و كانت فصول الكتاب، من خلال عرض الكاتب البليغ قادره على تصوير الأحداث بعنفها و انفعالها، و بنهايتها الدراميه المأساويه. و كان تمكن الكاتب - في الغالب - من ناحيه اللغه هو الوسيله التقنيه لحسن عرض الفكره المختصره من جهة و لتذويب أثر التكلف (من سجع و جناس خاصه) من جهة أخرى.

و هذه قطعه من المقدمه، نتعرف من خلالها على نمط من أسلوب المؤلف، و طريقته في التناول: متنبهين إلى ما في النص من الاقتباس و التضمين و الإشاره إلخ، قال:

" رحمه الله و بركاته عليكم أهل البيت، فروع النبوه و الرساله، و ينابيع السماحه و البساله صفوه آل أبي طالب، و سراه بنى لؤى بن غالب الذي حياهم الروح الأمين، و حلاهم الكتاب المبين. فقل في قوم شرعوا الدين القيم، و منعوا اليتيم أن يقهر و الأيم. ما قد من أديم آدم أطيب من أبيهم طينه، و لا أخذت الأرض أجمل من مساعيمهم زينه... إلخ.

و تسترسل الفصول على هذا النمط من العبارة، و يستفيد الكاتب من ثقافته اللغوية و الأدبية و التاريخيه، و من ثقافته العامه أيضا ليوظف ذلك كله فى فصوله، فيعطيها رصيذا ضخما من الإشارات و الاحالات، و يمزج النص الثرى بألوان شعرية مختلفه. و قد استغل الأبيات الشعرية ذات الأغراض المتعدده المتباينه فوجهها لتزيد النص - على ما قصد إليه - إثارة و إحكاما، قال فى الفصل الثانى:

"يا لك من أنجم هدايه، لا تصلح الشمس لهم دايه. كفلتهم فى حجرها النبوه (ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ). سرعان ما بلى منهم الجديد و غرى بهم الحديد. نسفت أجبلهم الشامخه، و شدخت غررهم الشارخه، فطارت بطرهم الأرواح، و راحت عن جسومهم الأرواح، بعد أن فعلوا الأفاعيل، و عيل صبر أقتالهم و صبرهم ما عيل!

يود أعداؤهم لو أنهم قتلواو أنهم صنعوا بعض الذى صنعوا

تدامروا و الردى موجه يلتطم، و توامروا و القنا يكسر بعضه بعضا و يحتطم.

فان يكونوا ما عرجوا فى مراقى الملك فقد درجوا فى مهاوى الهلك.

و نحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

و على هذا فقد نجموا و نجبوا مع الحتوف الشداد و السيوف الحداد، و التمر أنمى على الجداد. ما أعجب كلمه أبيهم ظهر صدقها فيهم: "بقية السيف أنمى عددا و أنجب ولدا"، (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا).

رضوا فى ذاته رضا، فمشوا إلى الموت ركضا

"إنا و الله لا نموت حيجا كما يموت بنو مروان".

تسيل على حد الظباه نفوسنا و ليست على غير الظباه تسيل

و خلاصه القول:

- إن ما كتبه ابن الأبار فى (درر السمط فى خبر السبط) هو نثر فنى يعبر عن موضوع تاريخى، مزجه الكاتب بطاقه وجدانيه عارمه، و أعد له قدرا كبيرا من الإشارات و وجوه الاحتجاج و الاستشهاد، و عرض فيه براعته الفنيه عرضا معجبا، و إن أثقل النص باختياره الأسلوب الشائع فى زمانه من القيود البديعيه و التلميحات الواسعه و الاتكاء على النصوص التراثيه.

- و الكتاب: ذو مقصد واحد واضح، أدى التعبير عنه بنثر فنى مزوق منمق متقن.

- و العبارة منمقه، مسجوعه، تعتمد - بالاضافه إلى السجع - على ضروب من الجناس، و قد يخرج الكاتب فى الفواصل (أواخر السجع) إلى لزوم ما لا يلزم، كقوله من الفصل الحادى عشر:

" إلى البتول سير بالشرف التالد، و سيق الفخر بالأم الكريمة و الوالد. حلت في الجيل الجليل، و تحلت بالمجد الأثيل ثم تولت إلى الظل الظليل...".

- و يتعاقب الشعر و النثر في الفصول كلها. و معظم الشعر من قصائد مشهوره قديمه، ليست أصلا من الشعر الذي قيل في المناسبات التاريخيه و لا هو).

ص: ١٧٤

١- صدر ديوان رسائله في دار الفكر بدمشق (إصدار ١٩٨٧).

من الشعر الذى قيل فى النبى الكريم ص، و إنما وظفه الكاتب ليكون مجاريا للسياق، مناسباً للكلام، متداخلاً مع النثر ليعطى الاحساس المطلوب، و يساعد على ظهور المقصد، و يرتفع بالقارئ إلى درجة التأثير القصوى.

- و النص يحفل بالاعتباس، و الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، و التحليه بالأحاديث النبويه، و الأخذ من أقوال الصحابه و التابعين و غيرهم.

- و النص زاخر بالاشارات التاريخيه و التلميحات إلى الخلفاء و القاده و الأشخاص المعاصرين ذوى الشأن.

- و أسلوب ابن الأبار فى هذا الكتاب أسلوب مقيد، مصنوع، قال فيه العبدرى صاحب الرحله إنه نحاه فيه منحنى ابن الجوزى.

قال فى ص (٢٧١-٢٧٢) فى ترجمه الشيخ الفاضل أبى محمد بن هارون (من علماء تونس): " و قرأت عليه: درر السمط فى خبر السبط لأبى عبد الله القضاعى، و حدثنى به سماعاً و قراءه، و هو جزء وضعه فى مقتل الحسين رضى الله عنه نحاه فيه نحو طريقه أبى الفرج بن الجوزى " قال: " و كنت أتكلم معه فى تعقب مواضع منه فيعجبه قولى فيها " .. و لم يبين لنا تلك المواضع التى كان العبدرى ينتقد ابن الأبار فيها، و لعلها فى الواقف التاريخيه خاصه.

و معلوم أن بعض من ترجم لابن الأبار أخذ عليه بعض شططه فى طريقه تناول أحداث من التاريخ أو فى طريقه عرضها.

و للدارسين الباحثين من القدامى و المحدثين كلام فى جوهر الكتاب و فى ألفاظ منه، و كلام آخر فى الظروف التى أنشأ فيها الكاتب كتابه تستحق أن تكون جزءاً من دراسته و اسعه أخرى عن النثر الفنى فى عصرى المرابطين و الموحدين.

و أزيد أمراً آخر هو أننى لاحظت أثر أبى عبد الله بن أبى اخصال، الغافقى الأندلسى أحد كتاب العصر السابق لابن الأبار فى كتاباته، و فى درر السمط أيضاً. و كان ابن أبى الخصال يعرف ب (رئيس كتاب الأندلس) و كانوا يحفظون رسائله حفظاً و يستظهرونها زياده فى الاعجاب بها و التأثير، و النسج على منوالها.

و عدا عن الكتب التى ذكرت فى ترجمته فان له من المؤلفات: (رساله المسفى الجميل و محاذره المرعى الوبيلى فى معارضه فلقى السبيل). نشرها المنجد فى (رسائل و نصوص).

و له ديوان شعر نشره الدكتور عبد السلام هراس فى الدار التونسيه سنه ١٩٨٥.

و قد سردت كتب التراجم لابن الأبار أكثر من أربعين كتاباً و رساله و فى جملتها (معدن اللجين فى مراثى الحسين) و هو كتاب مفقود و قد قال عنه الغبرينى فى عنوان الدرايه: و لو لم يكن له من التأليف إلا هذا الكتاب لكفاه فى ارتفاع درجته و علو منصبه و سمو رتبته.

و يتوزع كتبه الاهتمام بالحديث و التاريخ و الأدب و التراجم و الفقه. و قد ألف ابن الأبار فى تراجم الأندلسيين و أخبار بلادهم كتباً مهمه ضاع كثير منها، و بقى القليل.

الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله الشويكى

توفى سنة ١٢٥٤. الشويكى: نسبه إلى الشويكه، قرية بقرب مدخل مدينه القطيف. ذكره السيد على العدنانى فى نشره (ثقافتنا) التى تصدر فى مدينه (قم) وقال أنه تلمذ على الشيخ حسين آل عصفور، وانه كان من العلماء الأدياء البارزين فى عصره، و له فى أهل البيت ع مرات [مرات] كثيره، و أنه اختار له القصيده الآتية فى رثاء الحسين ع، و أنه اقتطفها من مجموعته خطيه تضم مراثى و مدائح أهل البيت ع لشعراء معدودين. و أنه ورد للمتروجم ذكر فى "أنوار البدرين" ضمن ترجمه ابنه الشيخ مرزوق، و فى "شعراء القطيف" القسم ١ ج ١ ص ٧٩. و هذا ما أخذناه نحن من القصيده:

حنانيك لا تصبو و إن هصر الصبا قوامك مرتاحا إلى زمن الصبا

و لا تك صبا يستفزنك الهوى فتحسو كنوس الشوق من مورد الصبا

و أنى و قد ولى شبابك مدبرا و عارض ليل العارضين ضيا الصبا

فدع ذكر لذات بأيام وجره مضت و لييلات تقضت على قبا

و إن صرمت يوما جبالك زينب بعيد وصال فاصر من حبل زينبا

فليس احتسا اللذات ينجع مطلبا و ليس وصال الغيد ينفع ماربا

و سالف عصر مر باللهو لم تنل به شامخ العليا و لا نلت منصببا

سطحت به شرخ الشيبه إذ غدا قوامك ريانا و وقتك طيبا

فصيرت شرب الإثم أعذب مشربا لديك و كسب الإثم أعذب مكسبا

فيا ويح نفسى كم تقاسى من الدنا بلايا أعادت ليل فودى أشيبا

و ذلك من فعل الزمان فكم رمى بزايه الهجران شهما مجربا

و سكن أهل الجهل مرتفع البنا و وطن أهل الفضل منخفض الربا

بكللكه ألقى على كل ذى حجبى فحمله عبئا من الخطب متعبا

و بث على أهل المعالى صروفه فابدع فى سبط النبى و أغربا

أناخ به فى عرصه الطف بعد ما أضاقت عليه الأرض شرقا و مغربا

و قد كان فى ربع المدينه آمنا فاخرج منها خائفا مترقبا

كانى به يفلى الفلاه بعيسه إذا سبسا وافاه جاوز سبسا

فحط على تلك السباب رحله و خط على تلك المضارب مضربا

و منها:

أيا راكبا علياء حرف متى سرى بها مدلج قدت بأخفافها الربى

متى شمت أطلال الغرى فعج به ولاتك عن سمت به متنكبا

فان بمشواه ابن عمران خير من سما و على هام المجره طنبا

على أمير المؤمنين و إنه أجل الورى قدرا و أرفع منصبا

فان لزمتم كفاك سامى ضريحه فقل بعد ما تقرى السلام تقربا

ألا يا ولى الله جنتك مخبرا و عما رأى طرفى أتيك معربا

تركت حسينا فى ثرى الطف ضارعا له كبد حرى تزيد تلهبا

تلبس سافى عثير العفر إذ غدا عفيرا و من أثوابه قد تسلبا

و قد صار للبيض الصفاح ضريبه و للصفانات الجرد أصبح ملعبا

و أصحابه من حوله و بناته أيادى سبا تعنو إلى من لها سبى

و منها:

ص: ١٧٥

و جد لى بيسط من ندى كفكك التى إذا ما همى فى مجذب آب مخصبا

و خذ بيدى ذات اليمين بمحشرى و كن شافعى فيه و إن كنت مذنبا

عليك سلام الله ما هطل الحيا فأحيا رياض الممحلات و أعشبا

محمد شراره ابن الشيخ على

اشاره

ولد فى بنت جبيل (جبل عامل) سنة ١٩٠٦ م و توفى فى بغداد سنة ١٩٧٩ م و دفن فى النجف الأشرف.

درس دراسته الأولى فى بنت جبيل و كان لوالده العالم الشاعر الأثر الكبير فى تكوينه الأدبى، فقد درس عليه علوم اللغة العربيه و كان يجبره على حفظ غرر من قصائد الشعر العربى و هو لما يبلغ العاشره من عمره و يعاقبه عقابا صارما إذا أخطأ، و عند ما بلغ الرابعه عشره أرسله والده إلى النجف الأشرف لمتابعه دراسته فيها فانتمى إلى الحلقات العلميه مواظبا فيها على تلقى علوم اللغة و علوم الشريعه، و فى الوقت نفسه عكف على دراسه اللغة الإنكليزيه و تلقى العلوم الحديثه من المجلات و الكتب و تتبع نتاج الفكر الأوربى و ما حققه فى ميادين العلم و الأدب و الشعر. ثم أخذ يواصل نشر المقالات فى الصحف العربيه مركزا فى بعضها على الهجوم على آفات الوضع الاجتماعى و عيوبه بعيدا عن التطرف و المغالاه فى النظر إلى الأمور، و محاكمتها برويه و هدوء. فهو يقول مثلا- فى احدى مقالاته: " و على دعاه التجدد أيضا أن يفهموا أن فى القديم روعه تتضاءل امامها روعه كثير من جديدهم الذى يدعون إليه و يبشرون به ".

و هكذا مضى يعالج جميع القضايا الاجتماعيه و الدينيه و اللغويه التى دعا إلى إصلاحها و تخليصها من شوائب العادات و غبار الركود.

و ثمه ألوان اخرى من المقالات استقى مواضيعها من الحياه اليوميه المؤلفه. و كتب بعضها تحت عنوان "من صور الحياه" و هى صور ادبيه تحمل انطباعاته و خواطره عن مجرى الأيام التى يحياها، و هى تمضى بين العناء و الرتابه و غضب الطبيعه و جمالها و سكون الحياه و يبوستها.

و أولى مقالاته كانت سنة ١٩٢٨ فى مجله العرفان. و كذلك فقد نشر أولى قصائده فى المجله نفسها فى العام نفسه. و كانت أشعاره لونا من ألوان الشعر الوجدانى العامر بالحب السامى، المحاط بهاله من الخيال و المفعم بالنزعه الرومانتيكيه المعبره عن روحه الظماى للجمال و الأمانى الحلوه و العواطف الرقيقه.

و يؤسفنا ان مجموعته شعره ليست الآن بين أيدينا لنعطى القارئ نماذج كامله عن شعره فى مختلف أدوار حياته، و ما سيراه القارئ بعد هذا الكلام منشورا من شعره ليس هو الذى كان يمكن أن نختاره، و لكن كان مفروضا علينا اخذه لأنه وحده الشعر الذى وجدناه و نحن نقلب الصحف تفتيشا عن شعره.

و نحب هنا ان لا يفوتنا ذكر هذين البيتين الذى قرأناهما خلال دراسته عنه:

هى نظره اخفت وراء طيوفها ليلي و عفراء الهوى و لداتها

رفعتك للملا العلى بلحنها و عن الورى شالتك فى نغماتها

و يتعالى فى اجواء شعره صوت يشبه الألم و التأسى من الركود و الجهل اللذين يسيطران على الناس، و ترفع المناداه لتنبية قومه و
ايقظهم من السبات الذى يغطون فيه و يتبرم من السكينه التى تلف الحياه و تكتنفها و التى تحتاج إلى انسام تنعش الروح و
تمدها برعشات الفكر المستنير و ترفدها بنبض حى قوى و لكن من يحرك مواطنيه و يوقظهم من غفوتهم:

فمن ينبه قومي و يستثير العزائم

و من يفيق إذا ما كان المنبه نائم

هيهات ينجح شعب يرى التكاسل حزما

أ يبصر النور قوم و قائد القوم أعمى

و قد عالج الترجمة، و كانت جل ترجماته لشاعر الهند "طاغور"، كما ترجم قصصا لموباسان.

و هكذا فقد كتب مقاله و القصة و القصيده و مارس الترجمة و برغم الظروف القاسيه التى مرت به فيما بعد. فلم يتوقف عمله
الأدبى عند منتصف الطريق و لم ينغلق ضمن اطار محدود، و لم يصب أسلوبه بالتركرار سواء فى مواضيعه أو لغته أو مضامينه.

و كان أسلوبه متميزا فى مختلف المواضيع التى طرقها، و يشف عن روح شاعريه سواء فى مقالاته أو قصصه أو تراجمه ناهيك
عن قصائده، و يتسم بميسم رومانتيكى و ينم عن حسن مرهف تجاه الكلمه و وظيفتها الفنيه فى النص الأدبى.

فأسلوبه النثرى ينأى عن العبارات التقريرية الصحفيه التى تصوغ الفكره بشكل مكرر، خال من الروح الفنيه، فهو يخلق بالكلمه
فى دنيا الإبداع فتفتح قوتها الداخليه و تكتسى بظلال شعريه و تتكشف نضارتها و ليونتها، و بذلك تنتعش الكلمه مفعمه بعقب
الشعر و عدوبته باعثه فى النفس الجمال و الدفء و الدهشه.

أغنت فتره دراسته فى النجف معلوماته و فتحت امكاناته الفكرية و الفنيه و أبرزت شخصه على مسرح الحياه الاجتماعيه و
الادبيه، و كانت بمثابة الأساس الصلب الذى استند اليه و انطلق منه ليشق طريقه فى مجاهل الدنيا و مضاربها، بعد قضاء ما ينيف
على اربع عشره سنه فى الدرسته حصل فيها على أعلى ما يحصل عليه طالب من الإجازات العلميه.

و لقد كانت النجف فى تلك الآونه مركزا للاشعاع الفكرى، فقد ازدهرت فيها الحياه الثقافيه و شهدت صدور العديد من
الجرائد و المجلات مثل (الهاتف) و (الحضاره) و (البيان) و (الغرى) و غيرها، و رفدت العراق برعيل من المؤلفين و الأدباء و
الشعراء و السياسيين و الاساتذه نذكر منهم على سبيل المثال:

الشيخ محمد رضا الشيبى و أخاه الشيخ باقر و الجواهرى و الشرقى و الخليلى و سعد صالح.

سنة ١٩٣٦ م كانت حاسمه فى حياه محمد شراره فبعد أن بلغ ما بلغ فى دراسته النجفيه قرر السير فى طريق جديد، و كان قد تجنس بالجنسيه العراقيه فعين فى وزاره المعارف استاذاً للأدب العربى فى ثانويات العراق فتنقل بين الناصريه و كربلاء و اربيل و الحله حتى استقر به المقام فى بغداد فى أواسط عشر الأربعين. و لم تنقطع صلته بالحياه الثقافيه بالنجف و استمر ينشر فى مجلتى الحضاره و الهاتف و يساهم فى معالجه المشاكل الفكرية و الأدبيه.(١)

و فى العام ١٩٤٨ بدأت الانتفاضات الشعبيه على الوضع القائم، و كانت له مشاركات فعاله فى ذلك فاعتقل فى كانون الثانى ١٩٤٩ و ظل معتقلاً زهاء

ص: ١٧٦

١- المتنبى بين البطوله و الاغتراب.

الشهرين ثم فصل من وظيفته و حاول في هذه الفترة المساهمه في بعض الأعمال التجاريه، و لكنه لم يخلق لذلك، و حسب الناس كلهم مثله أمانه و إخلاصا فاخترته شركاؤه و سعى إلى أن وجد عملا في احدى المدارس الأهليه و في العام ١٩٥٢ م قامت المظاهرات و أعلنت الأحكام العرفيه فكان محمد شراره فيمن اعتقلوا و قدموا إلى المحاكمه فحكم عليه بالسجن سنه واحده. و بعد انقضائها كان مجال العمل أمامه في العراق معدوما فذهب إلى لبنان سنه ١٩٥٤ و قام بالتدريس في احدى المدارس الأهليه و ظل يواصل الكتابه و النشر حتى العام ١٩٥٨ حين قامت حركه ١٤ تموز فعاد إلى العراق و أعيدت إليه حقوقه في مجال عمله و عاد إلى التدريس و الكتابه و لكن الحكم الذي تلا ١٤ تموز لم يكن هو الحكم الذي كان يطمح إليه محمد شراره و غيره من المخلصين، فلم يلبث أن قبض عليه و حكم بالسجن ثلاثه أشهر. فكان ان عاد العام ١٩٦١ إلى لبنان. و في العام ١٩٦٢ دعى لتدريس اللغه العرييه في جامعه (بكين) في الصين، و عند ما وصل إلى بكين تبين له ان عمله سيكون الترجمة في مجله (بناء الصين)، فلم يلبث في هذا العمل سوى بضعه شهور حيث كان لا يرتضى ترجمه بعض المواضيع الذي كان يرى أنها لا تتفق مع تفكيره فترك عمله و سافر إلى الاتحاد السوفيتي في مطلع العام ١٩٦٣ و كان يتوقع ان يجد عملا تدريسيا هناك فلم يتيسر له ذلك فسافر إلى لبنان و بقي فيه حتى العام ١٩٦٨ مارس خلال ذلك التدريس و الكتابه و الترجمة و نظم الشعر، ثم عاد إلى العراق و ظل فيه حتى السنه ١٩٧٤ حيث عاد إلى لبنان و سكن في بلدته الأولى بنت جبيل، و لكن قيام احداث سنه ١٩٧٥ في لبنان اضطرته إلى العوده إلى العراق صيف سنه ١٩٧٦ و هناك توفرت له أسباب الكتابه و المطالعه بعد أن كانت قد خفت عنه الأعباء العائليه بتخرج ابناؤه و بناته من الجامعات و شقهم طرقهم بنجاح في الحياه العامه، فاحتضنته ابنته الدكتوراه حياه حتى وفاته، حيث عاش عندها ثلاث سنوات اخرج فيها - كما يعتقد هو - خير مقالاته.

كان كما قيل عنه بحق: "كان محمد شراره عالما كاملا- من العطاء و المعارف و المعلومات و الصلابه الفكرية و الثبات في الشدائد و النقاء الروحي و الخلقى، لقد توارى ذلك العالم و انطوى من الوجود و لكنه أبقى لنا عالمه الأدبي الذي بناه و شيده لبنة لبنة على مدى نصف قرن". (١)

و بعد وفاته أخرجت له ابنته الدكتوراه حياه كتابه (المتنبى بين البطوله و الاغتراب) كما جمعت بعض مقالاته في كتاب اسمته (نظرات في تراثنا القومي). كما جمعت له ديوانا شعريا لم ندر إن كان قد طبع بعد ذلك أم لا.

و كان قد كتب مقالاته تحت عناوين شتى منها: "من صور الحياه" "نهلات طائر" "صور و أخلاق" "في الأدب و الحياه" مع العرب في الجوانب العليا من الأخلاق "نساء و مواقف" "نظرات في تراثنا القومي" "من تراثنا الشعري" "الكلمه و البناء الشعري". و كان يزعم إصدار كتب تحت بعض هذه العناوين مثل "نساء و مواقف" و "تأملات في الأدب و الحياه"، و لكنه لم يستطع تحقيق ما يصبو إليه، و أتم فقط كتابه عن المتنبى.

شعره

ما ننشره له هنا من الشعر هو ما أطلعنا عليه منشورا في أوقات متباعده في مجله العرفان: قال من قصيده، و هي من شعره عند ما كان مدرسا في ثانويه الناصريه:

على وحى الهوى خفقت بنودي و في نغماته دوى نشيدى

بمدرسه العواطف رف قلبى و بين ضلوعها رفت مهودى
انا الذكرى التى طارت و حامت على الدنيا باجنحه الخلود
أنا الحب الذى ربط البرايا باسلاكك أشد من الحديد
تهز الكائنات بمن عليها إذا ما استيقظت نغمات عودى
أرق من الهوى لغه و أحلى من النشوى و تمتمه الوليد
سكبت على القلوب ندى رقيقا كانداء الصباح على الورود
دعونى املاً الدنيا حنانا و أشدو بالنشائد و القصيد
على شفتى جميل طاف لحن شجى عبقرى من نشيدى
و فى ديوان قيس لاح ضوء سماوى مشع من وجودى
و من روحى اطل الوحى شعرا على (ولاده) و أبى الوليد
(٢) و قال:

ذاب الرحيق العذب فى شفتيك و الورده الحمراء فى خديك
ظمى الجمال و مذ رآك تحركت شفتاه و ارتمتا على نهديك
حتى إذا مص السلافه و انتشى منها هوى لثما على قدميك
و الروح إن خفقت فما بخفوقها غير الصبا به و الحنين إليك
و القلب ما فى القلب يا ليلى سوى ذكرى تطل مع الزمان عليك
هذا مكانك فى الحياه فما الذى جعل الدموع تجول فى عينيك
لا الهزه النشوى و لا أحلامها تختال كالنغمات فى عطفيك
لا البلبل الشادى يهزك حسنه بين الرياض و لا حمام الايك
و لقد لمحت - لدن لمحتك - بسمه صفراء شاحبه على شفتيك

لو كان دهرك فى يدى لحملته و وضعته كالعبد تحت يديك

و قال:

ديناك عابسه و فى لحظاتها صور الحياه تنم عن نياتها

و مشت على ضوء النجوم غمامه مجنونه رعناء فى خطواتها

طار الرفاق و خلفوك أمامها فى الأفق وحدك تتقى غاراتها

فخلقت من دمك المذوب شمعته سخرت من الدنيا و من ظلماتها

و وقفت فى دنيا العواصف ضاحكا مستهزئا فيها، و فى صرخاتها

و حملت فى يدك الشموع و سرت فى وادى الحياه تجوب منعطفاتها

أقوى من الدنيا العنيفه مهجه و أشد فى الأهوال من وثباتها

حتى تناوحت الرياح و أقبلت تغزو شموعك من جميع جهاتها

رجفت لها الأضواء و اضطربت و ما بقيت سوى الخفقات فى شعلاتها

و بقيت فى الصحراء وحدك لا ترى غير الرمال تموج فى جنباتها

حيران!! لا قمر و لا نجم بها يهديك - يا قلبى - إلى واحاتها

و تلفتت عينى لتبصر ما الذى أعددت للأكوان فى غاراتها

فإذا العيون ترى - كما كانت ترى - ضحكا على الدنيا، على حركاتها

ضحكا على الصحراء و هى تهدد القلب الغريب بهولها و عتاتها

ضحكا على الأكوان فى وثباتها ضحكا على الوادى، على هضباتها

ما أنت فى لغه الحياه؟! أ لفظه؟! تتحرك الأغاز فى حركاتها!!

ص: ١٧٧

أم أنت في كتب الطلاسم صفحه لا تعرف الأفلاك محتوياتها؟!

و حمامه وقفت بافقك و انبرت تملى عليك الوحي في وقفاتها

شدوا أحن من القلوب - إذا مشى فيها الهوى - وارق من خفقاتها

ترنو إليك، و في العيون قصيده تتظلل الأحلام في أبياتها

هي نظره أخفت وراء طيوفها ليلي، و عفراء الهوى، و لداتها

رفعتك للملاّ العلي بلحنها و عن الوري شالتك في نغماتها

فذهبت في دنيا النعيم ترف في اجوائها، و تطوف في جناتها

الجو كاس و الشعاع سلافه و رؤاك عاكفه على نهلاتها

و الأرض حولك روضه قدسيه و هواك كالانداء في زهراتها

شاعت أمانيك العذاب بها كما شاع الشذى و العطر في نفحاتها

و دنت حمامتك المطوقه التي رفعتك عن دنياك في نيراتها

فاذبت روحك عندها أنشوده و سكبتها - يا قلب - في نظراتها

أخذتك حتى كنت فوق جفونها لحنًا، و إشعاعا على بسماتها

أخذتك حتى كنت فوق شفاها نغما، و تمتمه على كلماتها

و مشت إليك و في خطأها رعشه أ فهل مشت نجواك في خطواتها؟!

حتى إذا قرب العناق و اوشكت تنهد الشفتان في وجناتها

"شحدوا المدى لك دونها فركبتها تغتر حتى طرت في شفراتها"

هزتك روح الكبرياء، و عزه تتضاءل الأكوان في ساحاتها

فوقفت في وجه المدى و رميتها و رمتك حتى ذبت في طعناتها

ثم انثيت و في ضلوعك لوعه حرى يضج الكون من لدعاتها

لواحه غضبى كان جهنما سكبت على جمراتها زفراتها

اين العيون الفاتنات و ما حوت من عاطفات الروح فى نظراتها!؟

اين الشفاه الحالقات و ما طوت من عاطفات الحب فى بسمااتها!؟

لتلم من هذى و تلك تميمه تحميك من سقر، و من جمراتها!؟

ذهبت و ما تركت سوى الذكري و ما خلعت على الأرواح من غصاتها

و بقيت لا عين، و لا روح، و لا شفه، ترف عليك فى قبالاتها

ظمان ترنو، و الكئوس بعيدة و مناك حائمه على قطراتها

خذلتك ساحره العيون و أنت ما زلت الوفى تطوف فى شرفاتها

يا أيها المضىنى أفق ما هذه النشوى التى تطويك فى غمراتها!؟

حرمت عليك الكأس حتى نهله منها، فكيف طمعت فى رشقاتها(1)

و عصابه عمياء تعتنق الهدى اسما و ما مر الهدى بحياتها

عاشت على الموتى و لما لم تجد شعبا بها عكفت على حشراتنا

و تحرك القدر اللئيم عشيه ثم انثنى و رماك فى عرصاتها

فتلفتت عيناك فى انحائها لترى... فلم تبصر سوى هبواتها

الأرض ببداء، و أنت مشرد ناء غريب الروح فى جناتها

و الجو ملتهب كان وراءه سقرا تصب عليه مقذوفاتها

فوقفت تلتمس النجاه كسائح تاهت به الأظعان فى طرقاتها

حتى إذا انحدرت رفيقه يوشع و بدا الشحوب يلوح فى وجناتها

عوت الذئاب و ولولت حتى شكأ أهل السما و الأرض من أصواتها

فجزعت من أخلاقها و أرتعت من أوضاعها و نفرت من عاداتها

و حملت فى يدك اليراع و طرت فى جو الصراحه فاضحا نياتها
غضبت و صاحت فى الفضاء و لوح بالإنفك و التدجيل فى صيحاتها
و تلعلت (٢) بالزور ألسنه و قد أوحى بان الوحى فى كلماتها
و اهتر بركان الشرور و لعلت نيرانه و أطل فى مقالاتها
و أمدها الزمن البليد بدوحه و هوى - كما شاءت - على رغباتها
فسخرت من أعمالها و ضحكت من تدجيلها، و هزئت من غضباتها
و وقفت تقرأ للزمان قصيده طافت على شفيتك من أبياتها
"إن كان عندك يا زمان بقيه مما تضيف به الكرام فهاتها"
و قال فى بعض المناسبات و هى من شعره عند ما كان طالبا فى النجف:
حيثك فى وادى الهدى نفحاته و رنت إليك بلهفه زهراته
فاض السرور عليه حتى شاركت أزهاره بسرورها ربواته
و يرف كالأحشاء جنح حمامه عند التحيه و الخفوق لغاته
يا حامى الإسلام فى اليوم الذى عزت بمعركه الحياه حماته
كم أن من جور الخطوب و ظلمها جزعا فضاعت فى الفضا أناته
كانت بنوه بظله تجد المنى عذبا و تحلم بالنعيم بناته
و اليوم كاد لها الزمان و أوشكت تقضى على أحلامها صولاته
ما فى الرجال سوى شج متأوه و بصدرة محبوسه آهاته
حتى نهضت تذود عنه فأورقت و تمايلت نشوانه شجراته
كمجاهد يجد الحياه عقوبه إن لم تنل شرف العلى رغباته
تحمى لواء الحق صولته كما تحمى الشجاع من العدو فقاته

قلم الامامه فى يمىنك روجه من روحها و من الهدى رشحاته
ما زال يشرق فى الحياه و كلما دجت الحياه تشعشت قطراته
و المنبر السامى تهادى حينما واجهته و تهللت جنباته
ما كنت إلا صوت أحمد فوقه و الصوت من وحي السما نبراته
تملى على الدنيا حديثنا كله عبر و أحوال الشعوب رواته
فمن الكتاب و ضوئه أسلوبه و من الفنون و غورها كلماته
فيه من الرعد الغضوب دويه و عليه من ورد الربى نسماته
لم يبق فى الإسلام قطر هادئ إلا و هاجت روحه نغماته
و بكل قلب رعشه روحيه خفقت كما خفقت به نبضاته
هى يقظه فى مصره و عراقه زارت على خطواتها شاماته
لا ينهض الإسلام من عثراته إن لم تسر فى ضوئه طبقاته
ما قيمه الدرع الدلاص إذا التوت و تفككت بنظامه حلقاته
ما ذا رأيت و ما سمعت بموطن الميعاد هل عادت اليه حياته
حدث عن الوطن المقدس انه وطن النبوه و الهدى عرصاته
ما ذا جنت أوعاد (بلفور) و هل كانت سوى خزى له دعواته
فى ذمه الدهر الخئون و أهله عصر تطالب بالحقوق طغاته
و قال:

و هفت.. فكان جناحها و جناحى و ترين يرتعشان فى الصحاح
عطش الرياح اللاغبات بها و بى عطش السرى الحيران للاصباحه.

- ١- النهل هو أول الشرب و الرشف هو استقصاء الشرب حتى لا يدع الشارب شيئاً في الإناء.
- ٢- تلعلع لسان الكلب (اندلع) وقد جاءت هنا على سبيل الاستعارة التمثيلية.

أسرى و من حولى تدور و ترتىمى بيد يغير صوى.. بغير نواح
و الليل تنسجه الرماح، فينشى و يعود سدا من رؤوس رماح
و أوابد الصحراء تتعب و الرؤى تنساب بين لوائم و لوح
سود تسير تغدى و سوادها ينداح بين غدوها و رواحى
حتى إذا لاحت خيامك أو مضت أشعاعه بجينى الملتاح
رفت كما رف الشراع فأشرق عيناى، و اختلج الحصى بيطاحى
كنا و كان لقاؤنا انشوده فى الظل بين خمائل التفاح
و على شفاهك نجمه و قصيده تنساب بين الورد و القداح
من ورده ذهبه ان حومت فى الفجر أو من سوسن و اقاح
ليلى و شاعرها الحبيب بها و ما تركاه من أمل و من أفراح
و حنين هاتفه تذوب و نشوه نسرى من "الأعشى" إلى "وضاح"
نبرات صوتك واحه و خميله فى الدو. فى لهب الحصى اللواح
رنت فلملمت النجوم شعاعها خجلا، و تاه بضوئها مصباحى
ستظل ما بقى الأسى و جروحه بين الجوانح بلسم لجرأحى
كنا و كان لقاؤنا انشوده فى الظل بين خمائل التفاح
و على خيالى من لقائك نغمه لمأحه كجيينك اللماح
و الأرض من حولى قصيده شاعر و حنين صادحه إلى صداح
و البيد فى ظما المهامه واحه و مدائن ماهوله و ضواح
و هوادج خضر تميل و جدول بدل السراب و مائه الضحضاح
ثم انطوت تلك الظلال و عطرها فيها و لم تترك سوى الأشباح

عش و لا أغروده فيه و لا وتر ينوس و لا رفيف جناح
طارت حمائمه، و أفقرت الربى من حوله و محا رؤاه الماحى
الدو و الأشباح فيه و عتمه تلتف حول ذباله المصباح
جرس جريح يستعير رنينه و نياحه من ماتم الأقداح
خيوط من الفجر البعيد و نغمه تنسل ثم تعود للأرواح
عودى فقد تعب النضال و أوشكت تلك العواصف أن تنوش كفاحى
و الشعر يذبل و الهواتف تنحنى و يكاد يخرس بلبل الادواح
و من العجائب أن ينهنهى السرى و تصد غاشيه الخطوب جماحى
عودى فقد تعب الحنين و قد ونت روحى و هلهلت الرياح وشاحى
ناحت و لو بقيت خيامك فى الدجى حولى لما عرف الزمان نياحى
عودى ففى عينيك كل قصائدى و ازاهرى و خمائلى و سلاحى
لا تذكرى السلوى، و لا تتحدثى حول السلو و لو حديث مزاح
انا ان سلوتك لحظه أو مر بى طيف من السلوى كسرت جناحى
أنت الخيال إذا ترنح و انتشى فوق الغمام و هو أروع صاح
و ضياء قافله تشق دروبها فى الليل بين زوابع و رياح
موسى تحول رقه و وداعه لما رأى معناك فى الألواح
طافت بعينيه السعاده مذ رأى عينيك فى فلك الجمال الضاحى
عودى فقد تعب الحنين و قد ونت روحى و هلهلت الرياح وشاحى
و خذى يدى و دعى الحياه تمر من راح يهددها النعيم لراح
و تنفسى فى الشاحبات من المنى و العطر و النفحات و الأرواح

و تسمعى نغم السماء و كل ما فى ذلك الفلك البديع الواحى

أنا لم أزل بالرغم من تعب السرى بين الحقول ربابه الفلاح

و غناء راعيه تلم قطيعها فى المرح بين مسره و مراح

و تنوب و الشفق الجميل يطل فى وجناتها و جبينها الوضاح

و قال و قد نظمها سنه ١٣٨٩ (١٩٦٩ م) و لعلها آخر ما نظم:

كرنين الجرس البالى على قبر الحبيب

كنداء الطائر التائه فى جو غريب

كان صوت النعى فى المئذنه الثكلى

صدى ينداح فى الأرض الحزينه

و تعيد الصوت فى نبرته الخرساء اجراس الغروب شاحبا

مثل مناديل الحزانى النائحات

فى دروب اللانهايات و فى شتى الدروب

ثم تلقيه، و قد مات، على الاطلاق فى قلب المدينه

و على الأفق، و قد ماد من الإرهاب، أهوال القيامه

و شاح احمر اللون و نجم و غمامه

و على صفصافه النهر التى مالت غراب و حمامه

سافرت تحتهما الريح إلى الدنيا نعييا و ابتسامه

و سرت دوامه الموت كما يسرى عويل الزوبعه

و طوت فى سيرها الجائع ازهار الفصول الأربعة

و أعادت ذابح الأطفال فى صدر الأمومه

حيوانا هائجا

يغتال أوراق البراعم

و يدوس المرجه الخضراء

أو يلقي على الدوح سمومه

عسّس الدخان و أغبر الفضاء الرحب

و امتدت عجاجه

و مضت تلتف فى ولوله الريح و تلتف

على كل زجاجه

و تغطى قطع البلور فى درب السراه المدلجينا

و تصوغ الجو كبريتا على الركب و نارا و جنونا

و تمشى الليل فى حممه الخيل و فى احلى الأغانى

و على متنيه يختال مع الزهو رداء الأفعوان

و اله الحرب فى موكبه الأعلى يقيم المهرجانا

و كئوس النصر تنساب على الشرب دموعا أرجوانا

و لواء النصر يختال على القوس كأصوات الضباع

و عبيد الله يلقي "الخطبه البتراء"

فى الجيش الشجاع!

و يهين الكوفه الحمراء فى قتل الحسين السبط...

فى دوس ضلوعه

ثم يختال، كما يختال، طاوس الروابى

فى ربوعه

آه ما أكبرها ماساه.. ماساه المروءات النبيله

شفق يسود فى الفجر على الدنيا

و رايات خجوله

و عيون تبلع الدمع الذى ماج

و تمتص سيوله

و عذارى كطيور الورق اليابس

فى الأسر سبيات ذليله

آه ما أفضعها المأساه... ماساه البطولات النبيله!

و تبدى الصمت كالكابوس.. كالهول

على كل الملامح

كهواء اللحد.. كالشوك الذى ينمو

و ينمو فى الجوانح

كذاب أزرق عاش على أخبث

ما لمت روائح

حول الأنفاس في المحفل إنذارا

و نيرانا لوافح

و انتهى

في صرخه كالقدر الزاحف تحت المعمعه

كاذب أنت و كذاب أبوك الوغد..

و الوغد الذى ولى أباك

أيها الشاتم فى الحفل سماء الطهر

سترى ما أنت.. أو من أنت

ان هبت على الوادى الرياح الأربعة

السيد محمد حسين بن محمد على الشهرستاني

مرت ترجمته فى المجلد التاسع الصفحه ٢٣٢ و نضيف إليها هنا ما يلى:

كانت ولادته فى كرمانشاه و فيها نشا و أخذ فيها مقدمات العلوم، ثم هاجر إلى كربلاء، فقرأ السطوح و أتمها و لازم حوزة والده السيد محمد على الشهرستاني و حوزة المولى حسين الأردكاني. له عدا مؤلفاته المذكوره فى ترجمته ارجوزه فى أقل من ثلاثمائه بيت سماها "غايه التقريب".

قال فى أولها:

و بعد هذا "غايه التقريب" مهذب "لنطق التهذيب"

و يعنى بمنطق التهذيب كتاب تهذيب المنطق للتفتازانى، و قد جمع فى هذه الأرجوزه مطالب الكتاب المذكور. و كان نظمه له فى سنه ١٢٨٣.

السيد محمد صادق نشات ابن السيد محمد مهدى الحسينى

إشارة

ولد في كربلاء سنة ١٣١٣ و توفي في طهران سنة ١٣٨٧ اسمه في الأصل محمد صادق الحسيني، ثم بعد إقامته بمصر اختار اسم صادق نشات، ثم أضاف إليه بعد استقراره في طهران لقب (مير داماد) لأنه يتصل به في النسب.

أديب كاتب باللغتين العربية و الفارسيه و مؤرخ و له إلمام باللغتين التركيه و الإنكليزيه درس في كربلاء آداب اللغتين العربية و الفارسيه لدى الشيخ غلام النحوى و الشيخ عبد الرحمن الكويتي و الشيخ احمد الأصفهاني و الفقه و الأصول في حلقات الشيخ مهدي الكرمانشاهي و الشيخ محمد سعيد الفارسي و الشيخ محمد علي القمي و الشيخ عبد الكريم اليزدي. و الحكمه و الأخلاق لدى الشيخ مهدي الحكمي المعروف بعلاقه بند و الشيخ محمد علي القمي. اما التفسير و الحديث و التاريخ فقد درسها على والده السيد محمد مهدي الحسيني المعروف بالمهندس. و قد انتسب إلى منظمه المعارف الإيرانيه في كل من كربلاء و بغداد و الكاظميه. ثم انتقل إلى طهران و تولى تدريس اللغة العربية و آدابها و جغرافيه ايران و تاريخها و جغرافيه الأقطار الإسلاميه في كليه المعقول و المنقول و معهد سبهاسالار. ثم دعى إلى القاهره لالقاء محاضرات في الأدب الفارسي و تاريخ ايران و جغرافيتها في جامعه القاهره بكليه الآداب و جامعه عين شمس، ثم عين مستشارا ثقافيا للسفاره الإيرانيه في القاهره مع استمراره في التدريس الجامعي و ظل في القاهره ١٣ سنه. ثم عاد إلى طهران فتولى التدريس في معهد سبهاسالار و في كليه الآداب مواصلا نشاطه في التأليف و الترجمة و طبع ما لم يطبع من مؤلفاته.

مؤلفاته

باللغه الفارسيه: ١ - رساله روح ملي ايران (رساله الروح القوميه الإيرانيه) ٢ - أخلاق عملي ٣ - راهنمای تربيت جوانان (المرشد في تربيه الشبان) ٤ - معلم جديد ٥ - تاريخ سياسى خليج فارس.

باللغه العربية: ١ - عمران بغداد ٢ - صفحات من تاريخ ايران بالتعاون مع مصطفى حجازي ٣ - كشكول نشات و هناك عشرون كتابا باللغه العربية و اللغه الفارسيه شرع بتأليفها و لم يكملها. كما أنه ترجم إلى العربية عن الفارسيه سته كتب من أهمها كتاب (تاريخ البيهقي) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب و المجلدات الأول و الثانى و الثالث و الرابع من كتاب (جامع التواريخ) بالاشتراك مع الدكتور موسى الهنداوى و الدكتور فؤاد الصياد.

و كتاب (تاريخ التصوف في ايران).

السيد محمد رضا شرف الدين ابن السيد عبد الحسين

إشارة

ولد في صور، و توفي فيها سنة ١٩٧٠ م في سن الكهوله.

درس أولا- في صور ثم ذهب إلى النجف الأشرف فتابع فيه الدراره ثم تجنس بالجنسيه العراقيه و اصدر في بغداد مجله (الديوان) اسبوعيه ادبيه فكانت من خيره المجلات العربيه في موضوعها، و لكن المحيط لم يكن يوم ذاك يتحمل المجلات

المتخصصه، فاصدرها شهريه و لكنها لم تلبث أن توقفت، فعين موظفا في الحكومه العراقيه فضل كذلك حتى احواله إلى التقاعد.

كان كاتباً شاعراً و لكن غلب عليه الشعر، و تعاطى النظم المسرحي فنظم مسرحيه (الحسين). لم يطبع له ديوان بل بقي شعره مخطوطاً. اما مسرحيه الحسين فقد طبعت و انتشرت و لاقت رواجاً، و مع ذلك فلم تطبع سوى طبعه واحده.

ص: ١٨٠

قال بعنوان نشيد الأرياف نظمها و هو فى العراق:

أنت أرياف بلادى جنه الفردوس عذبا

لك كيمياء ارض قد حوت ماء و خصبا

فأحال الترب تبرأ و أعاد اليبس رطبا

حبذا طيب ثراك و نبات فى حماك

من نخيل و أراك قد حويت ما حوته

عنا كان و أبا أملاك من سماه؟

باعث فيك الأمانا حل فى الأرياف حتى

خطط القاع جنانا ملأ الآفاق رحمى

و شعورا و حنانا و كسا الروض بهاء

و جمالا و سناء هبه جلت ثناء

كل فذ ذو شعور مطلق فيك اللسانا

أ مليك ذو حنان؟ تخذ العدل دليلا

بذر العمران فينا فنما غرسا جليلا

و سقى الزرع رحيقا و سقانا السلسيلا

هل لنعمائك شاكره؟ من عليك اليوم أمره

أم عدا الإزراء ضامره؟! سامك ظلما و ذلا

و منحته الجميلا أنت رب فى قراك

و مليك فى المدن قد منحت ذى حياه

و غمرت ذى منن و بنيت الكوخ فى ذى

و بذى قصرا و فن فلما ذا فى عناء

- قد ظللت - و شقاء و انزويت فى الفضاء

حكم الجهل عليك - يا حياتى - بالمحن

سكن الآساد فىك تحت كوخ من شقاء

و زرعت و حصدت فجنته الغرباء

و بنيت دور حكم غضبتها الأتوياء

ذات فضل انكروك من جناك حرموك

بدخيل نبذوك و اعتلوا كرسى حكم

نجدته الضعفاء و ادعى أرضك ملكا

و له طاب جناك فسماك فى يديه

و ثراك و هواك و بنوك غرباء

أو عبيد - فهناك قلب الايمان كفرا

جعل الإحسان نكرا و دماء منك هدرا

و إذا حيفا شكوت فالى السجن شكاك

قد صدمت فى قواك دوله فوق الدول

كم فتى راح إربا من حراب أو أسل

و شباب ضاع ما بين رصاص (أو كلل)

ما عرفنا ما دهاه أى قفر قد حواه

هلى اتى ثم رداه أم ترى قد هام فى الآفاق

أفقا يسئل أفرارا من ممات

حرم النفع بلاده؟! طائعا ما اختار ليث

هجر غاب أو بعاده خائبا بان - و حاشا

تنبت الريف قتاده بذر الصدق نواه

بالوفا - طاب ثراه و سقاه أبواه

صوب إيمان و حق ثبت. الله فؤاده

و قال فى ذكرى عيد الغدير:

ما المرء غير لسانه و فؤاده و العقل خير دليله لرشاده

لا يغرنك من شباب بزه مبيضه و الجهل فى ابراده

لبث إذا أرسلت أول نظره تعلم بان الغى جل مراده

أنموذجا أعطيك من أفعاله فاحكم و دونك بينات فساده

قد قلد الغربى فى إغوائه و لوى عن الشرقى فى إرشاده

و غدا يحبذ ترك دين جهره قد انهض الأنجاد من أجداده

و غدا يخط بمزبر مستأجر يبغي الغوايه جاحدا لمعاده

قصد السفور لكل كاعب غره لم تدر ان النار تحت رماده

زعم الحجاب لهن أبعد غايه عن رشدهن فضل فى إبعاده

لم ترتق الأوطان فى سعدى و لا ملك (الرشيد) بهن فى بغداده

كلا و لم تجر الفتوح (لطارق) فيهن حيث دخلن فى أجناده

و العلم فى زمن (الأمين و صنوه) ما كان فى الفتيات نهج رشاده

فتبى لرشدك يا شبيبه - فانجدى لك موطنا فالعز فى انجاده

و تسنمی المجد الجموح لترتقی فالحر من بینی العلی بنجاده
خلی مرادک یا شیبیه و ابصری فالدین أجدر باتباع مراده
لا تسخری بالدین ان مناله صعب و دون مناك خرط قتاده
ملئ القلب قلب بدر بالأولی راموا اقتلاع الدین من أوتاده
و مضی ابن ود لم تفده لدى الوغی أحزابه كلا و لا ابن وداده
الدین سل علی ابن حرب صارما فقضى علی إعداده و عداة
رام ابن هند ان يعارض حیدرا (و هو الامام) بأرضه و بلاده

ص: ١٨١

علم الإله بان حيدر سيفه و لسانه فى خلقه و عباده
و أمينه و وليه و نصيره و مفرق الأحزاب من أصداده
نصر الإله بنفسه و بماله و بأكرم الأنجاب من أولاده
بطل اناف على الورى فى علمه و سداده و جهاده و جلاده
و سم الإله به خراطيم العدى فلوت على بغضائه و عناده
نطق الكتاب به و فاض بمدحه و هداه من ميلاده لمعاده
و تكشفت غرر المواقف عن فتى جعل الإله به الهدى لعباده
أخذ النبى بكفه و سما به لله من داع سما بعماده
هذا على فان من والاه قد والى الإله و كان من أجناده
لبوا النبى و بخبخوا لوصيه و تفرقوا عنه بيوم بعباده
مالت بهم عنه لوامع فضله و بروق صارمه و سمر صعاده
لا يذهبن عليكم ان الهدى فيه و فى الأفاذ من أولاده
ان تعضدوه فقد أخذتم حظكم أو لا فتلك الصيد من اعضاده
رفعوا لواه و كبروا فى نصره و تسربلوا الادراع فى إنجاده
عشقوا الممات على مذابح عزه و استعذبوا الأحشاد فى وراده

السيد محمد بن السيد على آل أبى شبانه البحرانى

قرأ على فضلاء زمانه من أهل البحرين كالشيخ يوسف البلادى و الشيخ حسين الماحوزى و غيرهما و له (تتمه الأمل) الذى كتبه
تتمه لكتاب الأمل للحر العاملى و له كتاب آخر بمنزله الكشكول كتاب أدب و له فيه أشعار كثيره. و يقول صاحب (أنوار
البدارين): لم أقف له على ترجمه، حتى منه فى كتابه التتمه لم يذكر لنفسه ترجمه و ينسب الأشعار التى فيه: لصاحب الكتاب،
فمن شعره قوله:

أبا حسن لو لا اختيارى ولايه عقلت بها من تكوين آدم

لما كان ينجيني انتسابي لأحمد و لا بك كلاً أو ثلاث الفواطم

(١) و من شعره:

بنى لنا أحمد بيتا دعائمه سمت على هامه المريخ مع زحل
و كان قدما لنا من هاشم نسب يعلو علاه على الأفلاك و الحمل
فلا ابالي و أن اضحت معاقده دنيا تحاربني بالبيض و الأسل
كفى باني من أولاد حيدر و فاطم و أييها سيد الرسل
و من شعره:

اقلى عن ملامك و العتاب و لا تعزى بتمويه الخطاب
لقد سافرت عن وطنى و قومى إلى أن مل أصحابى ذهابى
و طففت على البلاد فما تراءى إلى سوى ذئاب فى ثياب
لقد ضاقت على الأرض حتى رضيت من الغنيمه بالأياب
و أيام العذيب تبدلت لى بأيام أشر من العذاب
فلى حظ كخافقه الغراب و لى عرض كأيام الشباب
أنا الرجل الذى لم أثن عزمى عن المعروف فى النوب الصعاب
سل الدار التى شط التنائى بها هل ناب ساكنها منابى

الشيخ محمد صدوقى

ولد فى مدينه يزد سنه ١٣٢٧ و اغتيل سنه ١٤٠٢ فى يزد و دفن فيها.

نشا فى احضان اسره علميه عريقه، فوالده الميرزا أبو طالب كان من أبرز علماء يزد. يرجع بنسبه إلى الشيخ الصدوق صاحب كتاب "من لا يحضره الفقيه".

بدأ دراسته على علماء يزد ثم هاجر إلى أصفهان فواصل دراسته فيها، ثم انتقل إلى قم متابعا لدراسه، ثم صار مدرسا بارزا بين مدرسى الحوزه العلميه فى قم. و هناك توثقت الصله بينه و بين السيد الخمينى ثم دعاه أبناء مدينه يزد إلى العوده.

و لما نفى السيد الخميني إلى النجف الأشرف، ثم انتقل بعد ذلك إلى قرب مدينة (باريس) كانت نداءاته و بياناته تصل أكثر ما تصل إلى صديقه القديم (الصدوقي) في يزد، و من هناك تنتشر في أنحاء إيران و لما بدأت حركة الثورة الإسلامية تشتد داخل إيران، أصدرت حكومه الشاه في أحد الأيام أمرا بمنع التجول فتحدى الشيخ الصدوقي امر المنع و خرج متجولا مع جماعه من الناس.

و لما هاجم النظام العراقي إيران تولى المترجم توعية الناس و اثاره الحماسه في نفوسهم لصد العدوان الغادر. ثم أخذ يتنقل في مناطق العمليات العسكريه حاضا المجاهدين على الثبات و الصمود لا سيما في عمليات (بيت المقدس) التي انتهت بتحرير مدينه (خرمشهر).

و لما هاجمت إسرائيل لبنان سنة ١٩٨٢ كان مما قاله: لقد سمعنا صوت الشعب اللبناني المظلوم و لبينا النداء لمساعدته فورا في قتال الصهيونية العالميه، رغم استمرار الحرب المفروضه علينا، و نعلن أننا لن يهدا لنا بال ما لم نقض على جذور الظلم و البغى في المنطقه.

الشيخ محمد على الأردوبادى

مرت ترجمته في المجلد التاسع الصفحه ٤٣٨ و نضيف إليها ما يلي:

هو الشيخ محمد على بن الميرزا أبى القاسم بن محمد تقى بن محمد قاسم الأردوبادى التبريزى النجفى.

و نسبته إلى أردوباد، مدينه تقع على الحدود بين آذربايجان و القفقاز، قرب نهر أرس.

و كانت ولادته في تبريز في ٢١ رجب سنة ١٣١٢ هجرية.

و أتى به والده إلى النجف بعد عودته إليها في حدود سنة ١٣١٥ فنشأ عليه و وجهه خير توجيه.

قرأ مقدمات العلوم على لفيق من رجال الفضل و العلم، و حضر في الفقه و الأصول على والده، و شيخ الشريعة الاصفهاني - و قد أخذ عنه الحديث و الرجال أيضا - و السيد ميرزا على الشيرازى، و فى الفلسفه على الشيخ محمد حسين الاصفهاني، و فى الكلام و التفسير على الشيخ محمد جواد البلاغى، و لازم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخرين أكثر من عشرين سنة. و برع فى الشعر و الأدب العربيين و تضلع فى التاريخ و السير و أيام العرب و وقائعها. توفى سنة ١٣٨٠ فى النجف الأشرف.

له: كتاب ضخيم فى ست مجلدات على نهج الكشكول، فيه الكثير من الفوائد التاريخيه و الرجاليه و التراجم و التحقيقات.

و "حياه إبراهيم بن مالك الأشتر" مختصر نشر فى آخر "مالك الأشتر" للسيد محمد رضا بن جعفر الحكيم المطبوع فى طهران سنة ١٣٦٥ هـ.

و "حياه سبع الدجيل" فى ترجمه السيد محمد ابن الامام على الهادى ع صاحب المشهد المشهور فى الدجيل قرب بلد، طبع فى النجف أيضا.

١- فاطمه أم عبد الله و أبي طالب و فاطمه أم أمير المؤمنين و فاطمه الزهراء.

و "سيك النصار في شرح حال شيخ الثار المختار".

و "الرد على ابن بليهد القاضي" و هو رد على الوهابيين طبع.

و "الأنوار الساطعه في تسميه حجه الله القاطعه".

و "منظومه في واقعه الطف".

و "منظومه في مناقله أرجوزه نير" جارى بها أليفه الشيخ محمد تقى التبريزى المتخلص بنير، و قد بلغت "١٦٥١" بيتا.

و "على وليد الكعبه" طبع في النجف عام وفاته ١٣٨٠ مع مقدمه لسبطه السيد مهدي ابن الميرزا محمد ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمد الشيرازى.

و "حياه الامام المجدد الشيرازى" في ترجمه السيد الميرزا محمد حسن المتوفى سنه ١٣١٢، و هو يشتمل على تراجم كثير من تلاميذه و معاصريه.

و "سبك التبر فيما قيل في الامام الشيرازى من الشعر" في "٦٠٠" صفحه، ترجم فيه لشعرائه و مادحيه مع إيراد قصائدهم مرتبه على حروف الهجاء.

و "ديوان شعر" عربى، معظمه في مدح آل البيت و رثائهم، و مرثى العلماء و العظماء و فى سائر الأغراض الأخرى، و يبلغ مجموع نظمه أكثر من سته آلاف بيت.

و "التقريرات" فى الفقه و الأصول و غيرهما، كتبها من تقريرات مشايخه و آخر آثاره "تفسير القرآن" خرج جزؤه الأول فقط.

الشيخ محمد على برى ابن الشيخ أحمد

ولد فى بلده تبنين (جبل عامل) و هاجر قبيل الحرب العالميه الأولى إلى ديترويت ميشغن فى الولايات المتحده الأمريكيه و التحق للعمل فى معامل فورد للسيارات و ظل هناك حتى مطالع شيخوخته فعاد إلى بلده تبنين و فيها توفى.

قال يصف حياته فى معامل فورد:

معامل "فورد" قد طويت بها عمرا الأهل ارى بعد الزوال له نشرا

قطعت بها العشرين كرها كأننى أسير يمج الماء من فمه صبرا

و قاسيت اتعابا بصدري مريره و هيهات أشفى من مرارتها الصدرا

و ما مر يوم فى الزمان مساعف على اليسر الا قد لقيت به عسرا

تخال شباب العرب قبل وصولها إلى النار تشوى من مداخنها الصفرا

فهذا عليل يائس من شفائه و ذاك يداوى من أذاها و لا يبرا

و قالوا اصطبر بعد العناء لمهجر لعلك تثرى أو تنال به اجرا

صبرت على ضيمي و صبرى وراءه معاول شقت فى التراب لى القبرا

محمد بن على الشيبانى

(١) عماد الدين أبو جعفر و أبو الفضل محمد بن على بن حمد بن علوان بن على بن حمدون بن علوان بن المرزبان بن طارق بن يزيد بن قيس بن جندب بن عمرو بن يحيى ابن مره بن ذهل بن شيبان بن ثعلبه، الشيبانى السورائى، الفقيه الشاعر المقرئ.

هكذا عنوانه ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ ص ٨٣١ رقم ١٢١٨ و قال فى ترجمته:

كان أدبيا فاضلا و فقيها شاعرا، حسن الشعر، طيب الإنشاد، فصيح الإيراد، كريم الأخلاق و الشيم، ممتع المحاضره و المذاكره، كثير المحفوظ، حسن المحاوره، كتبت عنه، و كان ينعم و يشرفنى إلى منزلى، و كتب لى الإجازة نظما.. و توفى ثالث عشر رجب سنه ٧٠٦ و دفن بمشهد على.

و ترجم له أيضا فى نفس الجزء ص ٨٣٧ برقم ١٢٢٦ و كناه أبا عبد الله فقال:

عماد الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن علوان الشيبانى الحلى الفقيه المقرئ الأديب.

يعرف ب (ابن الرفاعى) من أكابر العلماء و أفاضل الأدباء و الفقهاء، كتبت شعره فى (أشعار أهل العصر) و مما أنشدنى و هو متوجه إلى زياره أمير المؤمنين (ع)...

و أورد له ابن الشهرزورى الموصلى فى مجموعته المخطوطه - فى الورقه ١١٤ و ما بعدها - قصيده غديريته فى مدح أمير المؤمنين (ع)، و عبر عنه ب (نصير الحق و الدين ابن علوان).

كما أورد له فى نفس المجموعه - فى الورقه ١٤٦ - قصيده فى رثاء الحسين (ع) صاغها تخميسا للاميه العجم المعروفه و وصفه ب (ابن علوان الرفاعى الربعى البغدادى).

هذا ما استفدناه من المجموعه المخطوطه التى جمعها السيد عبد العزيز الطباطبائى فى تراجم المنسيين و المغمورين من السابقين، و هى مجموعه ضخمة قوامها أضاير عديده. وفقه الله لتبييضها و طبعها.

و عن مجموعته ابن الشهرزورى نقل هذا التخميس.

و النسخه التى عندنا تختلف فى بعض الألفاظ مع روايه ياقوت للاميه العجم، و قد صححنا قسما منها على روايه ياقوت بعد أن

وضعنا الكلمه الصحيحه بين عضادتين و أشرنا إلى ذلك فى الهامش. و كذلك فعلنا فى الألفاظ التى استظهرنا خطأها و صححناها. و تركنا ما له وجه من الصحه على حاله.

قال الشيخ الامام العالم الأديب الفاضل عماد الدين أبو جعفر محمد بن على بن علوان الرفاعى الربعى البغدادى - رحمه الله تعالى - يرثى مولانا و سيدنا الامام السبط الشهيد أبا عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، مما وشح به لاميه الطغرائى رحمه الله:

لو لا إباءى بنفسى عن ذوى البخل و صون مدحى عن الأندال و السفل

ما كنت أنشد و الآفاق تشهد لى (أصالة الرأى صانتنى عن الخطل

و حليه الفضل زانتنى لدى العطل)

صبرا فليس لما قد فات مرتجع فالصبر ينفع إذا لا ينفع الجزع

و الدهر يخفض أوقاما و إن رفعوا (مجدى أخيرا و مجدى أولا شرع

و الشمس رآد الضحى كالشمس فى الطفل)

لواعج الشوق تطوينى و تنشرنى إلى بلادى (و) من خلفت فى وطنى

وا طول شوقى! و وا وجدى! و وا حزنى! (فيم الإقامة بالزوراء، لا سكنى

بها، و لا ناقتى فيها و لا جملى؟) (٢)

مثل الحسين بأرض الطف حين غدا لهفى عليه، وحيدا بين جمع عدا

لا يرقبون لديه ذمه أبدا (ناء على الأهل صفر الفك منفرد (أ)

كالسيف عرى متناه عن الخلل) (٣)

يشكو إلى الله ما يلقى من المحن و يحتمى بظبا الهندى و اللدن

بقول: هل ناصر لله ينصرنى؟ (فلا صديق إليه مشتكى حزنى

و لا أنيس لديه منتهى جدلى)

١- بقلم أسد مولوى.

٢- الواو بين المعقوفتين يقتضيها السياق.

٣- فى المخطوط (منفرد) و الألف تقتضيها القافيه.

ما ذا أردتم - لعنتم - من مكاتبتى أبعدمونى عن جدى و منزلتى
برحله قتلت أهلى و قاطبتى (طال اغترابى حتى حن راحلتى
و رحلها وقر العساله الذبل)

كم قد سفكتم لأبناء النبى دما و كم أبحتم له فى كربلاء حرما
و قلت للصحب: عاد الدين مبتديا (فسر بنا فى ظلام الليل مهتديا
فنفحه الطيب تهدينا إلى الحلل)

فجاءت الخيل منكم و هى راکضه و العهد و الدين و الأيمان ناقضه
و فى دما خير خلق الله خائضه (فالحب حيث الردى و الأسد رابضه
حول الكناس لها غاب من الأسل)

لبس ما شاهدت عينى و ما لقيت منكم و من بعدكم يا ليت لا بقيت
يا قوم جدوا فان النفس قد شقيت (نوم ناشئه بالجزع قد سقيت
نصالها بمياه الغنج و الكحل)

جنات عدن كساها الله ثوب بها عدونا لجحيم و الولى بها
بها توله أرباب الصفا و لها (قد زاد طيب أحاديث الكرام بها
ما بالكرائم من جبن و من بخل)

عوجوا عليها و لا تلوا على أحد فالعيش فى نغص و الدهر فى نكد
قتلتمونا على بعد و عظم ظما (و ضج من لغب نضوى، و عج لما
و لى تاس بيحى و هو خير (ولى) (و ذى شطاط كعقد الرمح معتقل

لمثله غير هياب و لا وكل) (1)

شقيقى الحسن المسموم من فرجت لفقده الأرض و الأفلاك و انزعجت

و النفس بعد أخى - العباس - ما ابتهجت (حلو الفكاهه مر الجدد قد مزجت

بقسوه البأس منه رقه الغزل)

فجعتهم المصطفى الهادى بعترته قتلى و أسرى لكم، يا شر أمته

و ابنى على فلو لا عظم مرضته (طردت سرح الكرى عن ورد مقلته

و (الليل) يغرى سوام النوم بالمقل) (٢)

غادرتم الله و المختار فى غضب و الأنبياء و أهل الحق فى حرب

أ تقتلوننا بلا ذنب و لا سبب؟! (و الركب ميل على الأكوار من طرب

صاح و آخر من خمر الهوى ثمل)

أدعو الشقى ابن سعد كى يساعدى و قد جرى الدم من رأسى و من بدنى

دعوت ندلا لئىما لا يجاوبنى (فقلت: أدعوك للجلى لتصرنى

و أنت تخذلى فى الحادث الجلل) (٣)

جيوشكم بإله العرش كافره دنيا طلبتم ففاتتكم و آخره

لتندمن إذا ضمتك ساهره (تنام عنى و عين النجم ساهره

و تستحيل و صبغ الليل لم يحل) (٤)

فقال كل امرئ منهم لصاحبه هذا الحسين أتانا فى أقاربه

و عزمنا الفتك فيه مع حبايبه (فهل تعين على غى هممت به

و الغى يصرف أحيانا عن الفشل) (٥)

فجردوا كل غضب صارم خذم و أقبلوا نحو خير العرب و العجم

ما ذا تريد؟ فقال السبط ذو الكرم: (إنى أريد طروق الجزع من إضم

و قد حمته حماه الحى من ثعل)

قلتم لنا: الدين أضحى من جوانبه قد هد، و الكفر فى أعلى مراتبه
و جئتم بآبن سعد فى كتآئبه (يحمون بالبيض و السمر اللدان به
سود الغدائر حمر الحلى و الحلل)

أجبتكم برسول الله مقتديا و العدل و الفضل و المعروف مرتديا
يلقى ركابى، ولج الركب فى عدلى)

ما نهى عن بنى الزهراء نور نهى بقتلهم قد ملأتم قلبها ولها
تيت أطلب حقا ليس مشتبها (أريد بسطه كف أستعين بها
على قضاء حقوق للعلا قبلى)

خرجت للأمر بالمعروف من وطنى و النهى عن منكر و الله يامرنى
نجاى يخذلنى من كان ينصرنى (و الدهر يعكس آمالى و يقنعنى
من الغنيمه بعد الكد بالقفل)

إن تظلمونى فجدى خاتم الرسل غريمكم و أمير المؤمنين على
و لا تميلوا على حى و لا بلد (تيت نار الهوى منهن فى كبد
حرى و نار القرى منهم على القلل)

أمر الغرام مطاع فى تقلبها فلا يفيد نهى عن حب تلك بها
بها أسود شرى غلب و فتك مها (يقتلن أنضاء حب لا حراك بها
و ينحرون كرام الخيل و الإبل) (٤)

نايت عنهم و قلبى فى ربوعهم مقيد مغرم صب بحبهم
و ما لدائى دواء غير وصلهم (يشفى لديغ العوالى فى بيوتهم
بنهله من غدیر الخمر و العسل)

ترقبوا دوله المهدي دانيه تجلو قلوبا لأهل الحق صاديه

لا تيأسوا هذه الآيات باديه (لعل إمامه بالجزع ثانيه

يدب منها نسيم البرء فى علقى)

إنى إذا بدت الآيات، و ارتفعت أنوارها تملأ الآفاق إذ لمعت

و أدبرت دوله الكفار و انقضت (لا أكره الطعنه النجلاء قد شفعت

برشقه من نبال الأعين النجل)

و آخذ الثار من ضد يعاندنى فى حب آل الحسين الطهر و الحسن

و أصطلى الحرب بالهندي و اللدن (و لا أهاب الصفاح البيض تسعدنى

بالمح من صفحات البيض فى الكلل)

و لا أحول إذا ما حال بى زمنى لكن أصول و لو أدرجت فى كفى

و لا أبقى على أسد تنازلى (و لا أخل بغزلان تغازلنى

و لو دهنتى سود الغيل بالغيل)

أ تقتلون حسينا مع مناقبه! وا حسرتاه مذودا عن مشاربه

لهفى له حين يدعو مع مصاحبه (حب السلامه يثنى عزم صاحبه

عن المعالى و يغرى المرء بالكسل)

صبرا و لا تنكلوا جبنا و لا فرقا صرنا يقدر الطبا و البيض و الدرعا

فكيف أطلب فى دار الفناء بقا (و إن جنحت إليها فاغذ نفقا فى أرض

سابق إلى قصبات السبق و اسم علا فالطعن فى أعين و الضرب فوق طلى

و إن عدلت بنفس فى البلى ببلا (و دع سبيل العلا للمقدمين على

ركوبها و اقتنع منهم بالبلل)ء.

- ١- فى المخطوط (نبى) و القافيه تأباها، و ما أثبتناه ملائم للقافيه.
- ٢- فى المخطوط (النوم) و ما أثبتناه من معجم الأدباء.
- ٣- ابن سعد، هو عمر بن سعد.
- ٤- فى المخطوط (عنى) و فى معجم الأدباء (عينى) و كل منهما فى سياقه مقبول.
- ٥- فى المخطوط (شئ) و فى معجم الأدباء (غى).
- ٦- فى الشطر الثانى من التخميس وردت عبارته (تلك بها) و هى واضحه فى المخطوط، و لعل صحتها (ذات بها) أى ذات بهاء.

تهوى العلا و سبيل المجد تبغضه كمتن لبناء و هو ينقضه

لا ترض بالدون من دنياك تقبضه (يرضى الدليل بخفض العيش يحفظه

و العز عند رسيم الأيتق الدلل)

لا تترك النفس فى الأهواء غافله و خذ لدينك من دنياك نافله

و حثث العيس نحو العز قافله (و ادراً بها فى نحور البيد جافله

معارضات مثانى اللجم بالجدل)

و اعلم بان ذرى العلياء رائقه بحبها أنفس العشاق وامقه

و لا تعقك عن الإدلاج عائقه (إن العلا حدثنى - و هى صادقه

فيما تحدث أن العز فى النقل)

فخذ لنفسك عن دار الفنا وطنا فكيف تظفر فى دار الفنا بهنا

و لا تقل مسكنا فارقت أو سكنا (لو كان فى شرف المأوى بلوغ منى

لم تبرح الشمس يوما داره الحمل)

فالحظ و الفضل فى دنياك ما جمعا لواحد من جميع و العالمين معا

و لو أجابا جوابا أو لو انخدعا (أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا

و الحظ عنى بالجهال فى شغل)

أنا الحسين بجدى الطهر فقتهم و العدل و الصدق و المعروف حزتهم

و الدهر حرب لأمثالى و سلمهم (لعله إن بدا فضلى و نقصهم

لعيته نام عنهم أو تنبه لى)

كواهلى بعد خف الحمل مثقله و حالتى عند أهل الجهل مهمله

فان تولت حياتى و هى مرقله (لم أرض بالعيش و الأيام مقبله

فكيف أرضى و قد ولت على عجل)

صفت موارد شتى كنت أشربها عزا، و لست بذل النفس أقر بها

رجاء نعمه ربي منه أطلبها (أعلل النفس بالآمال أرقبها

ما أضييق العيش لو لا فسحه الأمل)

أبى على و نفسى جل شيمتها كل المحامد من أبعاض قيمتها

أضحت ترى القتل من أسنى مراتبها (غالى بنفسى عرفانى بقيمتها

فصنتها عن رخيص القدر مبتذل)

فلا أطيع يزيدا فى تكبره إذ ساء فى ورده قدما و مصدره

أنا ابن من ليس فى الدنيا كمفخره (و عاده النصل أن يزهى بجوهره

و ليس يعمل إلا فى يد البطل)

خلافه الله إرثى من أخى الحسن عن والدى ثم جدى، أنتم بمن؟

يزيد يحكم فى مالى و فى بدنى! (ما كنت أوتر أن يمتد بى زمنى

حتى أرى دوله الأوباش و السفلى)

لا خير فى العيش مع قوم عقولهم كدينهم فى البرايا ناقص و هم

أنا ابن من عم خلق الله فضلهم (تقدمتنى رجال كان شوطهم

وراء خطوى إذ أمشى على مهل)

عن نصرنا إذ دخلنا مصرهم خرجوا فليس لى فى حياتى معهم فرج

فان أمت منهم غبنا فلا حرج (هذا جزاء امرئ إخوانه درجوا

من قبله و تمنى فسحه الأجل)(1)

نفوسنا بالظبا و السمير تستلب نساؤنا كسبايا الروم تنتهب

فابكوا علينا دما يا قوم و انتحبوا (و إن علاني من دوني فلا عجب

لى أسوه بانحطاط الشمس عن زحل)

فان نصر فى البرايا عبره العبر كما بدا سيعود الدين فاعبر

بنا و منا و فينا سيد البشر (فاصبر لها غير محتال و لا ضجر

فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل)

فجئت إذ شدت الكفار و ابتهجت إلى قتالى و باب الغدر قد ولجت

و ليس فى أمرنا شىء بمشبهه فيما مضى و الذى لم يأت فانتبه

و لا تصاحب رفيقا إن ولعت به (أعدى عدوك أدنى من وثقت به

فحاذر الناس و اصحبهم على دخل)

كتب مطوله جاءت و موجزه أن سر إلينا فان الأرض محرزه

و حسن الظن فالأيام منجزه (و حسن ظنك بالأيام معجزه

فظن سرا و كن منها على و جل)

فقلت: أيمانكم ما بالها فلجت؟ (غاض الوفاء و فاض الغدر و انفرجت

مسافه الخلف بين القول و العمل)

أجابنى الحر: (٢) إن القوم ربهم عليهم ساخط إذ جل ذنبهم

بدا لهم بغضكم و الضد حبههم (و شان صدقك عند الناس كذبهم

و هل يطابق معوج بمعتدل)

فاقتل لمن يتعدى من طغاتهم و لا تبق بحال من بغاتهم

فلمست ترجو سرورا من سراتهم (إن كان ينجع شىء فى ثباتهم

على العهود فسبق السيف للعدل)

قل لابن سعد: لحاك الله يا عمر قتلت قوما بهم جبريل يفتخر

حصلت في شر نار كلها شرر (يا واردا سؤر عيش كله كدر

أنفقت عمرك في أيامك الأول)

أ تسخط الله و المختار تغضبه بقتل أبنائه طرا تحاربه

و الآل و المال تسبيه و تنهيه (فيم اعتراضك لج البحر تركبه

و أنت يكفيك منه مصه الوشل)

غادرت سبط رسول الله منجدلا طلبت ملكا كساك الله ثوب بلا

و لو قنعت لزداد الله فيك علا (ملك القناعه لا يخشى عليه و لا

يحتاج فيه إلى الأنصار و الخول)(٣)

ويل لمن حارب ابن المصطفى ولها عن نصره و تعدى أمره ولها

يا بائع الدين بالدنيا و أخذ لها (ترجو البقاء بدار لا بقاء لها

فهل سمعت بظل غير منتقل)

كن مسلما صان عهد المصطفى و رعى في آله و بنيه و ادخر ورعا

و لب عبد بنى الديان حين دعا (و يا خبيرا على الأسرار مطلعا

أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل)(٤) آدم مفصل حمد ثم مجمله لمن لخلقك بالايما حمله

ثم الصلاه لمن بالحق أرسله (قد رشحوك لأمر إن فطنت له

فاربا بنفسك أن ترعى مع الهمل)

محمد على الحوماني

ولد حوالي سنة ١٣١٥ (١٨٩٦) م. في قرية حاروف (جبل عامل)

١- فى المخطوط: (رحلوا)، و (درجوا) فى معجم الأءباء، و هى المناسبه لقافيه المءمس.

٢- الحر، هو ابن يزىء الرىاحى.

٣- فى المخطوط: (لك القناعه) و ما أثبتناه من معجم الأءباء.

٤- أشار الشاعر بقوله: "عبء بنى الءىان" إلى نفسه، حىء عبء نفسه عبءا للءتره الطاهره، الءىن هم بنو الءىان و يعنى بالءىان الرسول الأعظم (ص).

و توفي سنة ١٩٦٤ م في بيروت و دفن في حاروف تعلم الخط و القراءه على أبيه و أخيه الشيخ حسين ثم دخل المدرسه الابتدائيه في النبطيه ثم مدرسه السيد حسن يوسف في البلد نفسه فدرس فيها علوم اللغه العربيه. و في نهايه الحرب العالميه الأولى و ابتداء الاحتلال الفرنسي للبنان عين معلما لمدرسه شقراء سنة ١٩٢٠ م. ثم تنقل في عدّه قرى حتى استقر في النبطيه، و كانت قد تفتحت شاعريته و بدأ ينظم الشعر. و هنا في النبطيه خطا خطوته الأولى في تملق النافذين الأثرياء استدرارا لأموالهم، فنظم في أحدهم قائلا من قصيده: (١)

من فيض كفك هذا البحر منفجر و من سمائك هذا الغيث منهمر

يا تاركا حصب الغبراء تحسده عليك فوق السماء الأنجم الزهر

هل ابصروك على عرش العلى ملكا إكليله الكلم المنظوم لا الدرر

و بقدر ما كان يسر الناس بروز شاعريه هذا الشاعر، كان يؤلمهم ان يسلك في شاعريته تلك السيل المزريه، ثم يكرر القول في الشخص نفسه قائلا من قصيده: (٢)

كان جبين (يوسف) و هو فيهم هلال بالنجوم الزهر حفا

روى عنه الحيا كرما فأمست غوانى المكرمات تيمس عطفنا

و نلاحظ دائما في هذا الشعر. التركيز على (فيض الكف) في القطعه الأولى، (و الكرم) في القطعه الثانيه استنهاضا للممدوح على أن تفيض كفه و ينهل كرمه (كالحيا) لتتحقق اهداف الشاعر من نظم هذا الشعر. و لا شك أن الكثير من اهدافه قد تحققت بدليل أنه ظل مسترسلا في هذا الضرب من الشعر موجها إلى الممدوح نفسه (٣)

اتى العيد يرفل لكن بماكسته المحامد من يوسف

ترى المستنين لدى بابهعكوبا بالسنه هتف

تنادى الجواد أبا حاتمو تدعو الحليم أبا الأحنف

"فالمستنون" - و هو بالطبع منهم - عاكفون على باب الممدوح و ألسنتهم هاتفه في ذاك الباب، و لا شك أن الشاعر كان أعلاهم صوتا في الهتاف بشعره، و الشاعر صريح ببيانه حقيقه ذلك الهتاف بقوله ان تلك الأصوات، - و صوته في أولها - كانت تنادى (الجواد أبا حاتم) و حين تنادى الجواد أبا حاتم فمعنى ذلك أنها كانت تطالب بعطاياه و لئلا يغضب الممدوح لعلو تلك الأصوات و صخبها فهي تدعوه في الوقت نفسه (الحليم أبا الأحنف) و قد شجعت العطايا هذا الشاعر على أن يزداد استرسالا في الوقوف على باب الممدوح، و ان يعلن بصراحه ما بعدها صراحه بان الكديه هي مهنته، و أنها ما دامت مهنته فهو يقول و يكرر في قوله بدون أى حياء أنه يعكف على الأبواب و يجتدى الأكف (٤)

من العيد أن نجتلى وجهههلا لا يتم و لا يخسف

من العيد أن نجتدى كفهدي و على بابه نعكف

و الواقع أنه لم يعرف المدح فى الشعر العربى مثل هذه الوقاحه التى لا يخجل صاحبها من أن يقول: (نجتدى كفه) (و على بابه نعكف) و كان من يطالب بالعطايا فى الماضين يلتمح إلى ذلك تلميحا خفيفا خجلا و استحياء، اما هذ الشاعر فلا يخجله شىء. ثم رأى أن العكوف على باب هذا الممدوح وحده، و اجتداء كفه دون غيره من الأكف لا يحقق مطامحه و الطموح أشكال، فهو كما يكون فى معالى الأمور يكون كذلك فى الكديه، و هنا يكون الشاعر قد عرف طريقه و ابتدأ رحله الكديه الطويله التى استمرت طيله حياته.

فقد قرر أن (يعكف) على أبواب أوسع و أن يجتدى) اكفا أكثر امتلاء و كان أقرب بلد إليه هو الأردن، و كان قد علم أن أميراً جاءها (هو الأمير عبد الله) و أنه أنشأ حكماً جديداً فصمم على الذهاب إليه و أخذ يمدحه بمثل قوله:

فوق السرير و لا أدرى به ملك يدرى به الحزم و الاقدام و الشمم

بل سيد فى حشا الجوزاء صارمه يفرى و فوق السها تجرى به قدم

يا صاعدا خفقت للمجد أليه عليه لما جرت من تحته الديم

أقمت (رغدان) حيث النجم يحسده و لحت فى أفقه فانجابت الظلم

و سمت آناف من شف الضنا حسدا جسومهم و بغير الجود لا تسم

مررت بالروض فاعتل النسيم به و كاد يقطر من اكمامه الكرم

(٥) و صحت نبؤه الشاعر فأصبح (الأمير) بعد ذلك (ملكا) و لكن لم يصح فيه ما ادعاه له بان صارمه يفرى فى حشا الجوزاء، و أنه تجرى به قدم فوق السها، فالأمير عبد الله كان أضعف و أقل شاناً من أن تكون له هذه الصفات، و قصر رغدان كان من التواضع بحيث لا يحسده النجم و لا أحسب كذلك أن أحداً كان يحسد عبد الله على ما كان فيه.

و نلاحظ هنا كما لاحظنا من قبل أن التركيز هو دائماً على (الجود) و (الكرم)، لأنهما هما وحدهما اللذان يحققان للشاعر مطامعه.

و لا يخجل هذا الشاعر من أن يقول بان خير أيامه هو يوم يكون على مائده الأمير، و هكذا يكون قد انحدر بالكديه إلى أحط دركاتها فهى ليست كديه فى اجتناء المال فقط بل هى كديه باجتناء الطعام أيضاً:

أفضل أيام حياتى التى أنشدها يومى على المائده

مائده كف أبى نايف تملى عليها سوره المائده

معبوده الأيدى فان أو مأت خرت ايدينا لها ساجده

خولها فرط الندى مرفقا قد وصل الحمد به ساعده

(٤) و يذكرنا هذا الشعر بشعر لابن الرومى يصف به أحد الطفيليين و كأنما عنى به الحوماني.

يلين الطعام على ضرسه و لو كان من صخره جامده

و يأكل زاد الورى كله و لكنها اكله واحده

و لو عاينته جحيم الإله لخرت لمعدته ساجده

و هناك قصيده فى الأمير عبد الله تحسب و أنت تقرأها أنها نظمت فى بطل من أبطال العرب سما إلى الملك بجهاد وطنى طويل، لا فى أمير مسكين جاء به الإنكليز و اقطعوه رقعته صغيره كانت فى يوم من الأيام (قائم مقاميه)، فعاش فيها لا حول له و لا طول، على أنه تنبأ له الشاعر فى هذه القصيده بأنه سيحمل .٠

ص: ١٨٦

١- ديوان الحوماني الصفحه ١٠٢.

٢- الصفحه ١١٠.

٣- ديوان الحوماني الصفحه ١٢٠.

٤- الصفحه نفسها.

٥- ديوان الحوماني الصفحه ٣٩.

٦- ديوان الحوماني الصفحه ٤٠.

لقب الملك كما تنبأ في قصيده تقدمت و صحت النبوءه كما قلنا. و من المضحك و ربما من المبكى تلك الصفات التي أغدقها على الأمير بأنه من عزت به (مضر) و أنه (جبرئيل) تحف به الملائكه و أن العلي صافحت به قمرا إلى غير ذلك:

كيف لا تزهى منازلنا و عليها أشرق القمر

وطاتها و هي خاشعه رجل من عزت به مضر

مرحبا بالروح (1) تعضده من ملائكه السما زمر

رد مغانيه ترد ملكا وشيه الماذى لا الحبر

حيثما حلت ركائبه فهناك الظل و الثمر

صافحت منه العلي قمرا تجتليه البدو و الحضر

و تعالى في أسرتها ملكا إكليله الظفر

(2) هكذا كانت تمضى مدائح الحوماني في الأمير عبد الله ملقا و استجداء و كديه. و يبدو واضحا أن اعطيات الأمير لم تمنع الحوماني من أن يعرج بين الحين و الحين على بعض من يتوسم فيهم العطاء من الاردنيين فيمدحهم كهذا الذي نظمه مثلا في أديب و هبه مدير معارف الأردن:

هل قدروا لك أعمالا برتك بها يد العناية برى النصل للقلم

حسب المعارف ان أصبحت ناظرها و الشمس في الأفق غير النار في العلم

(3) و هذا الذي نظمه في ذوقان الحسين، و فيه يفاخر بتناوله الحلوى على مائدته، و يبدو أنه كان كثير الشغف بولوج موائد الناس و التغنى بهذه الموائد التي كان يسعى إليها سعيا، و أنه كان لا يخجل بذلك، و الدليل على هذا تخصيصه لها بالقصائد و نشر تلك القصائد في ديوانه:

في مجلس (ذوقان) نظم شمله من نابهن بهم أنار المجلس

نتناول (الحلوى) على أنواعها و تدار سائغه علينا الأكوس

(4) و من انفعاله بتناول الحلوى يحرص على أن يذكر انها لم تكن نوعا واحدا بل هي أنواع، و من المضحك الباعث على الاحتقار الذي يستحقه هذا الشاعر تشديده على أن الحلوى كانت أنواعا، فكم هو تافه من يتغنى بتناول الحلوى على موائد الناس... ثم هذا الجهر المصحوب بالتباهي بان الأكوس كانت تدار سائغه، و هكذا فالذي ينطقه بالشعر و يجعل يومه أفضل الأيام هو التهامه الطعام على مائده الأمير، ثم تناول الحلوى على أنواعها على خوان ذوقان الحسين، و حسب الشعر مهانه ان

المائده و الخوان هما ملهما.

و أحسب أن هذه هي المره الثانيه التي يذكر فيها شاعر الحلوى في شعره فقد ورد في شعر قديم لشاعر من شعراء الطفيليين قوله من قصيده طفيليه:

قل لأهل التطفيل انى امام لكم بين شيبكم و الشباب

لا ابالى حلت بالساده القاده أم بالعلوج و الأعراب

فترانى ألف بالرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب

قابل أن جرى على امتهان فى سبيل الحلواء و الحوذاب

و يبدو التقارب ما بين هذا الشاعر و بين الحوماني، فكما أن الأول لا يهتمه فى التطفيل أن يكون على موائد الساده القاده أو على موائد العلوج و الأعراب كذلك كان هم الحوماني هو أن يكون على المائده لا فرق بين مائده الأمير عبد الله أو مائده ذوقان الحسين.

و بعد ان امتلأ و طاب الحوماني فى الأردن رأى أن الأردن وحده لن يحقق له مطامحه، و الطموح - كما قلنا من قبل - يكون فى معالى الأمور كما يكون فى الكديه فمضى فى فتره إلى العراق فكانت له فيه نفس الحياه على أن من اخزى ما فعله هناك أنه ارتبط باقطاعى معروف بعسفه و تسلطه على الفلاحين و استعباده لهم، و جنيه الأموال لا يبالي من حيث تجنى. و لو كان فى جنيها قتل النفوس و إرهاق العباد و اغتصاب الأرزاق، فعكف الحوماني يمدحه و يثنى عليه بالشعر ثم ألف كتابا ضخما أطلق عليه اسم ذلك الظالم القاتل السالب و وصفه بأعظم الصفات.

و بعد أن استنفد أغراضه فى العراق انتقل إلى السعوديين يستعطي من اموال اثريائهم ما يستعطي، ثم سكن بلادهم يعيش على فتات موائدهم و يقف شعره عليهم لا سيما محمد سرور الصبان الذى نظم فيه ديوانا كاملا كله كديه و تملق سماه "معلقات"، طبعه سنة ١٩٦٠ و هكذا انحدر بهذا الاسم الرفيع (المعلقات) من عليائه التى كانت له فى الشعر الجاهلى إلى هذا المنحدر الزرى فأصبح استجداء لرجل مثل محمد سرور الصبان كل ميزته أنه جمع أموالا بالطرق التى يجمع بها عبيد السعوديين أموالهم و حسبك بها من طرق. و كان الصبان هذا يكنى (أبو حسن).

فيقول فيه الحوماني فيما يقول:

أبا حسن نعمای ان احمد السرى إليك و أدنو منك فى كل ما ارى

ارى كل ما يبدو لعينى لوحه من الحسن ترقى بى إليك مصورا

كأنك ألوان الحياه تراحت على الفكر حتى صاغ منهن عبقرا

و من الطريف ان الصبان هذا هو زنجى الأب و من بقايا العبيد الذين تم اعتاقهم بعد الامتناع عن تعاطى الرقيق. و إذا كان المتنبي فى مدحه لكافور لا ينكر سواد كافور فيعبر عن ذلك بتكنيته بأبى المسك فان الحوماني يتغزل بوجه الصبان و يتجاهل لونه الأسود و يرى فى ذلك الوجه (لوحه من الحسن). ثم يبلغ به التغنى بذلك الحسن أقصى مداه فيقول: أنه عند ما يراه تتراحم ألوان الحياه فى فكره فتريه (عبقرا) قد صيغت بالصبان و وجهه الأسود.

و لا يدري الإنسان و هو يقرأ هذا الشعر أ يضحك من هذه الصورة البشعه التى ال إليها عبقر و العبقرية فى شعر الحوماني، أم يحزن لهوان الشعر هذا الهوان.

و بعد أن يتغزل بوجه الصبان الأسود فى هذه القصيده، يرى أن هذا التغزل غير كاف، و إذا كان المتنبي لا ينكر سواد كافور - كما قلنا - فان الحوماني لا يعرض أبدا لذلك السواد بل يهيج فيه الغرام بذاك الوجه الفاحم الذى يراه توأما للصباح فيقول من قصيده:

لكان وجهك و الصباح كلاهما فم توأم ينقض عن فم توأم

و من أضحك و أفجع ما قاله فى معلقته بالصبان هذا البيت:

كأنك بدعه هذا الزمان أما لاحدائه أو أبا

يمكن ان يقال لأحد إبطال التاريخ انه أم أو أب لأحداث زمانه. و لكن ٣.

ص: ١٨٧

١- خشى الشاعر بان لا يدرك القارئ ما يقصده بكلمه الروح لذلك أوضحها فى الحاشيه قائلا: الروح: جبرائيل.

٢- ديوان الحوماني الصفحه ٨٣.

٣- الصفحه ٥٧.

٤- الصفحه ١٠٣.

يوم يقال لمحمد سرور الصبان أنه أم أو أب لأحداث الزمان و يكون القائل هو محمد على الحوماني، فلا شك أن ذاك الزمان هو شر الأزمنة.

و لما تقدمت به السن ثقل على السعوديين فعاد إلى لبنان فلم يعيش فيه طويلا، و نقل هنا بعض ما جاء في كتاب (مع الأدب العاملي) في الصفحة ٢٥: (و ربما كان الحوماني في نزعتة الأخيره أقرب أبناء هذه الطبقة إلى الجديد لو لم يتخذ الأدب وسيله للتكسب) إلى آخر ما قال.

و نحن حين نترجم لهذا الشاعر فلكى نعطي صورته عن حالات بعض الشعراء، في فتره من الفترات، و هذا واجب على من يسجل تاريخ الأدب، فليس التاريخ دائما صورا مشرقه، و على المؤرخ أن لا يكتفى بعرض الصور المشرقه وحدها و الا خان التاريخ.

و هذا الشاعر ليس فريدا في دنيا الشعراء، و لا نختص به نحن وحدنا لنخجل من ذكره، فعند الناس جميعا أمثال له.

الشيخ محمد علي خاتون

مرت ترجمته في مكانها.

ذكر السيد أحمد الحسيني في مقال له في نشره (تراثنا) التي تصدر في مدينه (قم) و هو يتحدث عن مخطوطات مكتبه الحاج هدايتي ان فيها مخطوطا باسم (ترجمه قطب شاهي) تأليف الشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي.

الشيخ محمد علي الصاحبى ابن محمد علي

ولد في أصفهان سنة ١٢٨٥ و توفي في طهران سنة ١٣٦١.

من الأدباء الايرانيين، كان يتخلص في شعره ب (عبرت) و يلقب ب (عارف على). له: (نامه فرهنگيان) ترجم فيه لخمسه و ثلاثين شاعرا في القرن الرابع عشر (مخطوط).

السيد محمد علي الجزائرى ابن محمد عباس

ولد في لکنهو (الهند) سنة ١٢٩٨ و توفي سنة ١٣٦٠.

درس أولا في لکنهو ثم انتقل إلى النجف سنة ١٣٢٥ فحضر على السيد محمد كاظم اليزدى و الشيخ محمد كاظم الخراسانى و الشيخ ضياء الدين العراقى و غيرهم. ثم عاد إلى لکنهو فتولى ادارته المعهد العلمى الذى عرف باسم (شيعه عربى كالج) و تولى التدريس فيه فتخرج على يديه جملة من الأفاضل.

له: تخميس القصيده العلويه باللغه العربيه، و القصيده فى الأصل لوالده. شرح ديوان امرئ القيس باللغه الأردويه. رنات الطرب فى قصائد العرب باللغه الأردويه. مزاعم العرب فى الجاهليه، ديوان شعر باللغه العربيه. ضبط الغريب من لغه العرب. الإفادات المحمديه و غير ذلك.

و هو والد السيد طيب من العلماء الفضلاء العاملين و قد تخرج من معاهد النجف ثم سكن في مدينه لاهور بالباكستان ثم استقر في مدينه قم بايران.

الشيخ محمد علي المدرس التبريزي

ولد في تبريز سنه ١٢٩٦ و توفي سنه ١٣٧٣ و دفن في (الطوبائيه) في تبريز.

درس على مشاهير علماء عصره، و كان بعيدا عن المظاهر و الضوضاء الفارغه مؤثرا العزله، و سكن في الاثنتي عشره سنه الاخيره من حياته في احدى غرف (مدرسه سبهاالار) في طهران منصرفا إلى ما أخذ نفسه به من البحث التأليف و التحقيق. و من أهم كتبه كتاب (ريحانه الأدب في تراجم المعروفين بالكنيه أو اللقب) فارسي طبع منه في حياته خمس مجلدات، و طبع المجلد السادس بعد وفاته طبعه نجله على أصغر المدرس. و من مؤلفاته (حياض الزلائل في شرح رياض المسائل) و هو شرح باللغه العربيه لكتاب الطهاره من الرياض (مخطوط) و (غايه المنى في تحقيق الكنى) (مخطوط) و (قاموس المعارف) بالفارسيه (مخطوط) و (فرهنگ نوبهار) مجلدان بالفارسيه (فرهنگ بهارستان) في مترادفات اللغه الفارسيه (مطبوعان) و (الدر الثمين أو ديوان المعصومين) جمع فيه الأشعار المنسوبه إلى الأئمه ع، طبع منه المجلد الثاني و (فرهنگ نكارستان) باللغه الفارسيه في خمس مجلدات (مخطوط) و (أمثال [و] حكم تركي آذربايجاني) لم يطبع.

الشيخ محمد علي المعصومي ابن سليمان

ولد سنه ١٢٨٨ و توفي سنه ١٣٧٢ تلقى دروسه الأولى في ايران ثم سافر إلى النجف الأشرف فحضر على الشراياني و الخراساني و اليزدي و الطهراني. ثم عاد إلى بلاده فاستقر في مدينه بههان. و لما هاجم الإنكليز العراق في أوائل الحرب العالميه الأولى و احتلوا البصره و أعلن مجتهدو النجف الجهاد لدفعهم عن العراق، اعتقد المترجم أن إعلان الجهاد يشتمله هو نفسه لقربه من العراق فدعا الناس إليه و شارك فيه.

له: حاشيه على الجواهر. شرح اللمعه. القواعد المشكله. أنيس المهموم. كتاب المواعظ. رسائل في الفروع.

محمد بن علي بن طباطبا

صفى الدين المعروف بابن الطقطقي. ولد سنه ٦٦٠ و توفي سنه ٧٠٩ تولى أبوه تاج الدين أبو الحسن علي بن محمد بن رمضان المعروف بالطقطقي صداره الحله، و كانت أسرته قد سكنت الحله من أيام جده رمضان. و تولى المترجم بعد أبيه نقابه العلويين سنه ٦٧٢ و سافر إلى بلاد فارس و دخل مراغه سنه ٦٩٦.

و زار الموصل و اتصل بأمرها فخر الدين عيسى بن إبراهيم أيام غازانو باسمه صنف سنه ٧٠١ كتابه في التاريخ (منيه الفضلاء في تواريخ الخلفاء و الوزراء) الذي عرف بالفخرى نسبه إلى فخر الدين. و قد يعرف باسم (الفخرى في الآداب السلطانيه) طبع مرارا في مصر و طبع في ألمانيا بسعى المستشرق الألماني (آهلوارد) (١٨٦٠ م) و كان طبع في فرنسا بسعى (ارنبورك) المستشرق الافرنسي (١٨٩٥ م) و ترجمه (آمار) إلى الفرنسيه، و ترجمه إلى الفارسيه و زاد عليه (هندو شاه) فرغ منه سنه ٧٢٤ و سماه (تجارب السلف)، و طبع في طهران.

الشيخ محمد علي ناصر ابن الشيخ عبد اللطيف

ولد في قرية حداثا (جبل عامل)، و درس دراسته الأولى في الجبل ثم هاجر إلى النجف الأشرف فتابع الدراسة هناك، ثم عاد إلى بلاده فأقام في حداثا حتى عين قاضيا شرعيا في صيدا فانتقل إليها و بقي فيها حتى وفاته.

كان شاعرا مجيدا و ظلت مجموعته شعره مخطوطه لم تطبع، و مرت له في هذا الكتاب في الصفحه ٤٤١ من المجلد العاشر قصيده رثائيه.

قال سنه ١٣٧١ في ذكرى المولد النبوي:

ص: ١٨٨

عيد التحرر و العلياء للعرب يوم بعثت به يا خير كل نبي
ذكرى حياتك أمجاد يرددها فم الزمان بزهو الفخر و العجب
بنيت للعرب فى دين دعوت له مجدا اطل باسراق على الشهب
و رحى تغرس فيهم كل مكرمه حتى تساموا إلى أوج من الرتب
تسمو بهم لذرى العلياء فى سعد من نهج دينك لا يفضى إلى صيب
و تنتحى بهم للعز منزله حيث المفاخر قد شدت من الطنب
نزتهم عن تماثيل مجسمه خروا لها سجدا جهلا على الترب
و قدتهم للهدى تجلو حقيقته بالمعجز الحق من قرآنك العجب
فى شرعك العدل و القرآن ملتئم و العفو و العرفان مقرونان فى سبب
ولدت فى الدهر فانجابت غياهبه بالنور من وجهك الكشاف للكرب
يفوح بالبشر من طيب نفحت به ارجاءه الفيح لا بالمندل الرطب
يختال فيها بما قد حاز من شرف بمولد لك مزهوا من الطرب
ابنت للناس نهج الحق منبلجا كالصبح شاع بنور غير محتجب
آيات فرقانك السامى بحكمته فيها جلاء العمى و الشك و الريب
وحى تفرد بالاعجاز إذ عجزت عن مثله بلغاء العجم و العرب
بعثت كى تغمر الدنيا بنور هدى يبدو فيكشف ما فى باطن الحجب
يشيع حتى نرى الدنيا بزینتها تجلى و تختال فى ابرادها القشب
و تبرز الأرض فى ثوب تتيه به من رائع الزهر فى لون من الذهب
بعثت كى تبتنى بالخير مجتمعا للشر فيه ضلالا أى مضطرب
و تبتنى للعلی و المجد صاعده من يعرب امه وضاحه الحسب

و تعمر الدهر بالأخلاق فاضله يروق سائغها كالمنهل العذب
و تنشر العلم فى الدنيا إلى أدب جم الفوائد من شعر و من خطب
و تظهر الحق و ضاء السنا ليرى نور الهدى مدعنا للحق كل غبى
و تكبر العقل يستهدى بنيره إلى السلامه فى داج من النوب
و تمنح المثل العليا بما اشترعت لكك الرساله فى وحى من الكتب
بدلت بالأحسن الدنيا إذا انفجرت يمناك بالخير من جود و من حذب
و صنت للناس حقا كان مهتضما من قبل بعثك نهبا للقنا السلب
أتيتهم بالهدى دينا مناهجه إلى الفضائل فى بدء و فى عقب
وعدتهم باخاء يلجئون له حصنا أعز حمى من معقل أشب
ما كنت الا بشيرا بالحياء لمن يبغى الحياه و خيرا غير منقضب
هديتنا لو وعينا ما أتيت به من بالغ القول ما يجدى و لم تخب
علمتنا كيف نحى المجد إذ عصفت به العواصف من خوف و من رعب
و كيف نبذل ذودا عن كرامتنا ما عز من أنفس منا و من نشب
و لم تزل تهب الدنيا دروس علا كالشمس تغمر إشراقا و لم تغب
لكنما ضاع ما أسديت من عظه و الطبع ان ساء أنسى كل مكتسب
يا امه سرت فى ظل الهدى كرما و نلت فى جاهه ما عز من ارب
حللت فى أفق العلياء ناشره رايات عز سمت خفاقه العذب
و قدت للفتح بالإسلام منتصرا جيشا من الصيد فى جيش من الرهب
ما بالك اليوم قد أصبحت فى ضعه و صرت ماسوره فى قيد مغتصب
ما ذا جنيت من الأوزار مسخظه حتى سقيت بكأس الذل و العطب

أجل تنكبت عن نهج الهدى و هوت بك المطامع خسفا شر منقلب
و صرت فى حاله تزرى بصاحبها رأى بديد و شمل غير منشعب
عاث الأجانب فى دنياك تفرقه كما تعيث صغار السوس بالخشب
و مزقوك دويلات فكنت لهم رهن الإشاره طوع الأمر و الطلب
رضيت بالذل بعد العز خانعه و طالما عفت طيب النوم من حرب
أ ما علمت بان المجد مغتصبا لا يسترد بغير السم و القضب
و لا ينال العلى الا الأولى اعتصموا بشفره السيف فى جد و فى لعب
و همه تعلى الجوزاء فى شمم ان شاب فود ليالى الدهر لم تشب
و عزمه هى امضى من غرار ظبى تشب نار لظى فى صدر كل أبى
يا امه العرب لا غالتكك غائله و لا جثت بك اطماع على الركب
و لا شربت بكأس الذل قد ملئت من كف مستعمر أو كف منتدب
و ثرت حتى تعيدى المجد مستلبا بالرغم من انف ذى بغى و مستلب
تمشين للعز و العلياء فى نفر من كل ذى همه ارسى من الهضب
و ترفعين لواء المجد تحرسه ضياغم العرب فوق الجحفل اللجب
و تغسلين بيوم الروع إذ وجمت به الفوارس عارا بالدم السرب
و تنقذين بلادا عز منقدها من معشر قلدونا الذل فى اللب
و ترجعين "فلسطينا" كما غضبت و تاخذين بثار لج بالطلب
فما المواعيد تجدى القوم منفعه و كلها نسجت بالمكر و الكذب
و لا القصائد تذكى فى حماستها عزائمها تضرم الأحشاء باللهب
و لا المنابر تتلى فوقها خطب من لفظها تتزى سوره الغضب

و انما النافع المرجو بارقه من المواضى ترينا النصر من كتب
و تملأ الأرض من قانى دم سرب يودى بمنعفر فى زى مختضب
و ترجع الحق و ضاء السنا لهجا عادت "فلسطين" عاد المجد للعرب
و قال سنه ١٣٨٠ من قصيده فى رثاء الشيخ عارف الزين صاحب مجله العرفان:
ما مت بل خفت بك الأقدار فمضيت تهتف باسمك الأمصار
رمت الخلود فحلقت بك عن دنا نفس أبت غير العلى تختار
حاشاك ان تطوى و يغمرك الفنا و لأنت من خلدت به الآثار
كنت المنار بها لكل دجنه ان عز فى حللك الظلام منار
تملى على القلم الدءوب روائعا من كل ما يحلو و ما يختار
و لكم أذعت من المعارف ما به تسمو العقول و ترتقى الأفكار
"عرفانك" الغراء أصدق شاهد فى ان جهدك للعلى جبار
قد كنت للأحرار أعظم قدوه و عليك قد عقد اللوا الأحرار
تلفى بساحات الجهاد مناظلا فردا يهابك جحفل جرار
ما هنت يوما للصعب و لم تلن حتى مشت بك للردى الأقدار
ايه أبا الأدباء كم لك موقف يزهو به الاعجاب و الإكبار
خمسين عاما فى الجهاد قضيتها ما ان سئمت و لا خلا المضمار
أديت فيها للحياه رساله ملئت بها الأسماع و الأبصار
ما ذا أحدث عن مواقفك التى غنى بها الحادون و السمار
و يراعك المشاق يجرى دائما ما عاقه ورد و لا إصدار
و مجله لك فى البلاد نشرتها يقف الزمان و نفعها سيار

أسفا خلت منك المحافل بعد ما ملئت بفضل جهادك الأسفار

وقال سنه ١٣٦٤:

ص: ١٨٩

خلنى و الهموم تترى على القلب بما يحكم القضا و الزمان
ليس فى الكون ما يروقك لونا سمجت فى حياتنا الألوان
أخذ الناس عن زمانهم المكر فكل بمكره شيطان
و لبئس الرياء فى الناس قولا و فعالا يسيغه الإنسان
خدع الناس فى زخارف إبليس و لما يهب بهم إيمان
عشقوا نضره الحياه حريصين عليها و فى الهوى خسران
و تفانوا على خسيس من العيش ضئيل كأنهم ذئبان
ليت شعرى أ للزمان بقاء أم تدوم القصور و التيجان
ملك كسرى عدت عليه الليالى سقط التاج و امحى الإيوان
لا يغرنك من زمانك لين المس منه فإنه ثعبان
كم تراق الدماء فى ساحه الحرب و كم تعمل القنا المرآن
عجز الطب عن دواء نفوس و تداوى من دائها الأبدان
عالم لا يفيق من سكره الجهل و خلق فى رشده حيران
كل أدوائه عضال و لكن شر أدواء نفسه الطغيان
كم قرأنا من الحياه دروسا يتساوى سماعها و العيان
و بلونا الزمان فى حالتيه فإذا فى سروره أحزان
يحكمون البناء ظن بقاء و قريبا ما يهدم البنيان
عظه الدهر آذنت بوداع فتيقظ يا أيها الإنسان
ان تنم سادرا عن الموت لاه بأمانيك فالردى يقطان

و قال فى ذكرى مرور خمسين سنه على صدور مجله العرفان سنه ١٣٧١:

حملت من عبء الجهاد ثقيلًا و جزيت من طيب الثناء جميلًا
و بلغت من شرف الجهاد مكانه توجت فيها بالعلی إكليلًا
خمسین عامًا قد قضيت مجاهدًا لم تتخذ إلا الجهاد سبيلًا
أديت للآداب خير رساله فيها و كنت لها الأمين رسولًا
ما إن أصبنا في جهادك كله لك في الثبات و في الالباء مثيلًا
(عرفانك) السفر النفيس مجله حازت بمضمار العلی التفضيلًا
يحوى من الأدب الشهي موائد تغذو العقول و منهلا معسولًا
يجلى لقارئه عروس ثقافه حسناء تسبی أنفسا و عقولًا
يجلى بكل طريقه أدبيه تحلو و تحسن في المسامع قیلا
يا منفق الخمسين عامًا كافلا نشر الثقافه قد عظمت كفيلا
أبدیت للأدب الرفیع جماله و جعلته بين الوری مبدولًا
و نشرت رايته فرفت و احتوت دنيا الثقافه عرضها و الطولًا
حق لجهادك في الحياه تجله توليك شكرًا يستطاب جزيلًا
و تريك أن مكانه الأدب التي عظمتها بلغت بك المأمولًا
و بلغت منها ما تحب و نلت من أسبابها ما نلت منه السولًا
لم تتخذ باب الصحافه متجرًا للريح ينقع من ظمأك غليلًا
لكنما حاولت فيها غايه تسمو و قصدا في الحياه نبيلًا
شان الصحافه أن تكون نزيهه تأبی الرشى و تجانب التدجيلًا
و ترى الحقيقه رائدًا لجهادها لا ترتضى عن نهجها تحويلًا
و ترى لزامًا أن توجه للعلی شعبًا تعود أن يعيش ذليلًا

شعبا يعيث ولاته بحقوقه و إذا اشتكى منهم غدا مسئولا

شعبا يئن لما به و بلاده كادت تمثل أربعا و طولولا

الفقر ملء بيوته و ولاته عمروا القصور و أحسنوا التجميلا

و تحفز الجيل الجديد ليقظه يسمو بها عن أن يكون جهولا

و تجله عن أن يكون مسخرا يحيا كما عاش القرون الأولى

و تبث فيه من المعارف ما به تبنى على أسس الحياه الجيلا

فالعلم مرقاه الشعوب و ما ارتقى شعب يظل بجهله مغلولا

و العلم نهج الراشدين و ما اهتدى من لم يجد منه عليه دليلا

و العلم نبراس الحياه و نوره يجلو الظلام و يكشف المجهولا

و الجهل داء فى الحياه و لم نجد كالجهل داء للحياه وبيلا

إن نحتفل بالعاملين فإنما نجزيهم التقدير و التبجيلا

رمز الجهاد أبو (الأديب) و حقه حسن الثناء مرددا مرصولا

و لربما كثر الثناء و ربما كان الكثير من الثناء قليلا

الشيخ محمد على اليعقوبى ابن الشيخ يعقوب

اشاره

ولد سنه ١٣١٣ فى النجف الأشرف، و توفى و دفن فيها سنه ١٣٨٥.

خرج به أبوه و هو صغير السن إلى الحله حيث هاجر إليها فنشأ و درس دراسته الأولى فيها. و كان والده من خطباء المنبر الحسينى فاخذ يدرّب ولده المترجم على الخطابه الحسينيه، ثم كان يرود مع والده مجتمعات الحله التى كانت عامره بالأدب و الشعر، لا سيما منتدى السيد محمد القزوينى، و بعد وفاه والده سنه ١٣٢٩ ارتبط بالسيد القزوينى و لازمه و تلمذ عليه، ثم وقعت حادثه الحله، و تلخص هذه الحادثه بأنه فى أواخر الحرب العالميه الأولى جاء القائد التركى عاكف إلى مدينه الحله و معه فريق من الجند و استدعى المختارين و بعض النافذين فى البلد و طلب إليهم أن يسلموا خلال اربع و عشرين ساعه الجنود الفارين و الا فإنه سيتخذ ما يقتضيه الموقف من اجراءات صارمه.

و كانت الحله ملأى بهؤلاء الجنود. و لما جن الليل فرق عاكف عساكره فى الطرقات و على السور و دوائر الحكومه و على مناره المسجد الكبير فوق الصدام بين العسكر و أهل الحله و استطاع الحليون السيطرة على الموقف. و كان عاكف قد استنجد بمن فى السده من الجنود فانجدوه و لكن الحلين و من انضم إليهم من الاعراب أوقفوا النجده عند مشهد الشمس، فلما رأى عاكف ذلك خادع أهل الحله و وعدهم بان يخرج بمن معه من الجند من الحله إذا فكوا الحصار عن القوه المحاصره فى مشهد الشمس، و هكذا كان فاخلى عاكف الحله و خرج منها بجنوده. ثم أنه فى أوائل شهر المحرم سنة ١٣٣٥ أرسل عاكف إلى الحلين يطلب إليهم الاذن بان يمر فى الحله فى طريقه لانجاز مهمه عسكريه فى مكان آخر.

فاجتمع أهل الحل و العقده فى منزل السيد محمد على القزوينى لينظروا فى طلب عاكف، فوقع الخلاف بينهم، إذ قال بعضهم باجابه طلبه و قال الآخرون بعدم الاذن له لأنه انما يخادعهم فإذا دخل الحله فلن يخرج منها و رأوا انهم الآن فى منعه و يستطيعون صده إذا حاول الدخول عنوه لمناعه سور الحله و قوه المدافعين و ان الناس فى أرياف المدينه سينجدونهم حتما إذا صمدوا فيقع عاكف بين نارين. و اشتد الهرج و المرج بين المجتمعين و امتد ذلك إلى جمهور الناس خارج الاجتماع بعد أن بلغهم خلاف من اجتمعوا و قامت مجموعات من الحلين بالتزوح عن الحله و تشتت امر الناس تشتتا كاملا فدخل عاكف المدينه دخولا هينا، و قام الجنود بالنهب و الحرق و الهدم و القتل و خربت محلات الجامعين و الطاق و جبران و الورديه و كان عدد من علقوا على أعواد المشانق مائه

و ستة و عشرين رجلا- ثم سيق من بقى من الناس و فيهم الشيوخ و العجائز و الأطفال مشيا على الأقدام إلى ديار بكر في الأنضول فمات الكثيرون منهم في الطريق. و بقى الذين استطاعوا النجاه قبل دخول عاكف إلى المدينة منتشرين حيث حلوا حتى سقوط بغداد بيد الإنكليز فعادوا إلى الحلة.

و لم يكن بين استباحه الحلة و سقوط بغداد أكثر من خمسه أشهر و كان المترجم فيمن نزحوا إلى بلده جناحه و هناك التقى بالشاعر الشيخ محمد حسن أبي المحاسن الكربلائي فاتصل به و تخرج عليه. و بعد احتلال بغداد من الإنكليز عاد إلى النجف فأقام فيها، ثم سكن الكوفه ثم الحيره. و بعد سنة ١٣٤٠ استقر في النجف خطيبا حسينيا مؤثرا، منصرفا في الوقت نفسه إلى البحث و المطالعه و نظم الشعر، و اختير عميدا لجمعيه الرابطه الأدبيه حتى آخر حياته.

و قد ذاع اسمه بالخطابه الحسينيه في جميع أنحاء العراق، و صار سمه من سمات النجف البارزه.

ترك آثارا منها: ١- المقصوره العلويه و هي قصيده تناهر (٤٥٠) بيتا من الشعر في سيره أمير المؤمنين ع ٢ - عنوان المصائب في مقتل الامام على ع. ٣- البابليات في ثلاثه اجزاء و هو في تراجم شعراء الحلة. ٤- الذخائر ديوان شعري خاص بأهل البيت ع ٥- ديوان شعره.

و قد حقق عدده دواوين شعرية طبعت باشرافه. و له تعليقات على بعض كتب التاريخ و التراجم، كما أن له كثيرا من البحوث في المجالات في التراجم.

شعره

مرت له قصيده رثائيه في الصفحه ٤١ من المجلد الثامن، و قصيده رثائيه اخرى في الصفحه ٤٤٠ من المجلد العاشر، و له ديوان مطبوع في حياته قال الشيخ محمد رضا الشيبى في المقدمة التى كتبها للديوان: "تجد الشاعر يستوحى احداث العالم العربى من العراق إلى المغرب، و هى احداث و ماس جلبها استعمار المستعمرين الغربيين على العالم المذكور".

و يقول أيضا: "جبل اليعقوبى على شىء غير قليل من لطف الطبع و خفه الروح و حراره النكته و الفكاهه و انك لتجد في شعره شواهد يتناولها الرواه، على أن بعض أبياته في المداعبه و المباسطه تعد نقدا سياسيا لاذعا".

قال في الحفله التى إقامتها جمعيه الرابطه الأدبيه في مركزها العام في النجف احتفاء بأعضاء النادى العربى بدمشق يوم زيارتهم النجف في ٣ شوال سنة ١٣٥٧:

عسى وحده للعرب أنتم رعاتها يلم بكم عما قريب شتاتها

و ليس عجيبا ان نهضتم بعثها فإنكم اكفاؤها و كفاتها

سعيتم لتحقيق الأمانى لقومكم و رب أمان لا تخيب ساعاتها

و ايقظتم للعز أشرف امه على الذل لم يعهد قديما سباتها

تحن بلاد الرافدين لوصلكم و دجلتها تشناقكم و فراتها
سقى الله فى ارض الشام مغارسا من العز فينا أينعت ثمراتها
فروع علا من دوحه عربيه تطاول جوزاء السماء نبعاتها
و أرواح بشرقى العراق تضوعت و لكن سرت من جلق نفحاتها
تحبيكم منا الوجوه ضواحكا و أنفسنا مطويه حسراتها
و لو كان يروى الدمع غله واجد رأيتم عيوننا ثره عبراتها
حدادا لما قاست فلسطين انها عليها الرزيات التقت حلقاتها
إذا اليوم لا يطفى شرار لهيها فهيها تطفى فى غد جذواتها
تئن فيكى العالمين أنينها و تشكو فتشجى السامعين شكاتها
توالى عليها الظلم و الكرب و البلا و لا تنجلي الا بكم كرباتها
و من عجب يغدو حماها مقسما و من دونها تفدى النفوس حماها
كماه إذا فلت مواضى سيوفها كفتها بماضى حدها عزماتها
تضحى لاولى القبلتين نفوسها و تلك أضحائها و ذى قرباتها
تفانى العدى فى غضبها بعد ما غدت بفيض الدما مغموره جنباتها
فلا عجب فالخود تسبى مشوقها إذا ما بدت محمره وجناتها
و لما نبا عن صوتها سمع خصمها أتها تلبى صوتها أخواتها
و ما موتنا بين الورى و حياتنا مدى الدهر الا موتها و حياتها
و قال حين وقف على ضريح مؤلف (أعيان الشيعة) سنة ١٣٧٤:

قد كنت آمل أن أراك إذا دخلت الشام حيا

و يقر طرفى ان رأى لمعان ذياك المحيا

و اليوم زرتك ثاويا بثرى له تعنو الثريا

ما المسك أطيّب من شذى عبقاته نفحا و ريا

فلئن طوتك يد الردى فبنشر ذكرك سوف تحيا

لم يسل ذكرك غدوه أبد الحياه و لا عشيا

محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي

ذكر في الصفحة ٢٧ من المجلد العاشر، و لم يشر إلى عصره. و نقول هن أنه توفي في حدود منتصف القرن الرابع. و يراجع بشأن كتابه (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) ما جاء في هذا المجلد فيما استدرک علی ترجمه الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة).

الشيخ محمد قسام ابن محمد علي

ولد في النجف سنة ١٢٩٩ و توفي في بغداد سنة ١٣٧٣ و دفن في النجف.

توفي أبوه و هو ابن عامين فكفله أخوه الشيخ قاسم و درس في النجف ثم اتجه إلى الخطابه الحسينيه و تخرج فيها على الشيخ محمد تامر.

سكن الحيره خطيبا ناجحا يلتف الناس حول منبره، و لما هاجم الإنكليز العراق في الحرب العالميه الأولى و احتلوه كان صوته مدويا في الدعوه إلى مقاومتهم في خطبه التي كان يلهب بها الجماهير. و بعد احتلال النجف توارى عن الأنظار و التجأ إلى (بدره) و بعد توسطات و مداخلات سمح له بالعودة إلى النجف على أن يمتنع عن الخطابه. و لما قام الحكم الوطني زالت عنه القيود و عاد إلى المنبر الحسيني و اقبل عليه الناس و عمت شهرته العراق كله.

ترك: (الأخلاق المرضيه في الدروس المنبريه) طبع بعد وفاته و الحق به بعض قصائده في رثاء أهل البيت ع. و له غيرها من النظم و النثر.

محمد قطب شاه السادس

مرت ترجمته في المجلد العاشر الصفحة ٤١ و نزيد عليها هنا ما يلي:

كان شاعرا فذا مرب للشعراء. و له في شعره الكليات، و فيها الشعر الغنائي و الوجداني و قصائد في مدح أئمه أهل البيت ع و رثاء الحسين ع. و يعتبر مؤسس الاحتفالات السنويه بذكرى استشهاد الحسين ع في الهند.

أحد ملوك الدوله القطب شاهيه فى الهند. مرت ترجمته فى المجلد العاشر الصفحه ٤١ و نزيد عليها هنا ما يلى:

هو الذى ارتفع باللغه الأردويه إلى ما وصلت، و قد كان شاعرا فكان ديوانه الشعرى أول ديوان بهذه اللغه، ثم أخذ يقرب شعراءها و يغدق عليهم الجوائز، فاستطاع أن يرسى قواعدھا و يجعل منها لغه شعر و أدب بعد أن كانت لغه تخاطب فقط.

و من تأثيره أنه أخذ ينظم الشعر فى مدائح أهل البيت ع و مراثيهم، و يتفنن فى الحديث عن بطوله الحسين ع و وقعه كربلاء، و أخذ الشعراء يتبعون أثره فى النظم مدحا لآل البيت و رثاء للحسين، و من شعراء عاصمه محمد قلى و ما يليها نستطيع أن نعد كلا من: غواصى و ابن نشاطى و فائز و بحرى و أشرف و ولى و كلهم من شعراء مراثى الحسين ع و لهم كما لمعاصريهم المجاميع العديده الكبيره و الصغيره المختصه برثاء الحسين و أهل بيته، و ليس لأحد غيرهم ما يمكن ان يسمى ديوانا فى تاريخ الأدب الأردوى فى ذلك العصر.

و من هنا يبدو فضل الشيعه لا سيما المترجم على اللغه الأردويه التى أصبحت بفضلهم من أرقى اللغات العالميه (راجع آصف الدوله).

دول الهند الشيعيه

القطب شاهيون:

ولد محمد على قطب شاه فى همذان و سافر فى غضاره الشباب إلى الهند و لازم حاكم (الدكن) و استزاد فى العزه و المقام يوما بعد يوم لما كان يتمتع به من النشاط حتى لقب بعد مده بلقب (قطب الملك) و أصبح عام ٩١٨ هـ حاكم منطقه الدكن، و كان قطب شاه من تلامذه صفى الدين الأردبيلى، و حين أعلن الشاه إسماعيل المذهب الجعفرى رسميا للدوله فى ايران، تبعه فى ذلك قطب الملك فى الهند و عمل على نشره و التبليغ عن التشيع سعيا بليغا، و هاجر على عهدهم جمع من ايران إلى الدكن و عملوا على نشر الإسلام و التشيع. و كان أحد كبار الشخصيات العلميه التى هاجرت من ايران إلى الهند على عهدالقطب شاهيين هو المير محمد مؤمن الاسترآبادى، و استمر هذا العالم مده خمس و عشرين عاما فى منصب (وكيل السلطنه) يعمل فى نشر الإسلام و التشيع الكثير، و كان يعتبر متبحرا فى أكثر العلوم العقليه و النقليه على عهده بل كان من اعلم العلماء فى عصره. و استمر القطب شاهيون فى حكم هذه المنطقه قرنين من الزمن، و لهم تاريخ فى ذلك طويل مفصل (١).

العادل شاهيون:

كان مؤسس هذه الأسره يوسف عادل شاه الايرانى الساوجى، فقد ولد فى مدينه ساوه قرب قم، و سافر إلى الهند فى عنفوان الشباب و دخل فى خدمه حكام بيجابور و تملك السلطه فى هذه الناحيه بعد مده و عرف باسم عادل شاه الساوجى. و كان العادل شاهيون شيعه و لهم السعى الكثير فى سبيل تبليغ الإسلام و نشر التشيع فى الهند، و فتح عادل شاه كثيرا من مناطق الهند المركزيه التى كانت بايدى الوثنيين و نشر فيها الإسلام و التشيع. و كان فى جيشه على الدوام جماعه من العلماء الاعلام من ايران و العراق و من المدينه المنوره، و كان هؤلاء يشرفون على الأمور الدينيه فى العسكر و البلاط، و كان أكثر الأمور الحكوميه

و السياسيه فى ايدى الايرانيين.

و لهؤلاء الملوك المسلمين تاريخ طويل.(٢)

النظامشاهيون:

كان مؤسس هذه الاسره رجلا هنديا اسمه تيمابته أصبح أسيرا لدى المسلمين فى عهد السلطان احمد شاه البهمنى، فوجده السلطان ذا ذكاء و فطنه و دهاء و استعداد و قريحه، فوهبه لابنه محمد شاه و بعثه معه للدراسه فى المدارس، فتعلم هذا الهندي الخط العربى و اللغه الفارسيه بمدته قليله و لقب بالملك حسن البحرى، و توصل أخيرا إلى الحكم بما يطول ذكره، و تشيع بعد تملكه السلطه و سعى فى نشر الإسلام و المذهب الشيعى سعيا بليغا.

و كان أكثر رجال بلاطه و حكومته و أكثر الشخصيات الدينيه لدوله النظامشاهيين من الايرانيين، و كان الايرانيون هم الذين يديرون الأمور السياسيه و الدينيه فى الدوله. و الملك شاه طاهر الهمذانى الدكنى سافر على عهد هؤلاء إلى الهند، و كان هذا من مؤيدى الشاه إسماعيل الصفوى ثم خالفه و كاد ان يقتل على ذلك فتخفى و دخل الهند هاربا من الصفويين و عاش فى بلاطالنظامشاهيين معظما محترما حتى توصل إلى الحكم بنفسه.

و قد خدم هذا الرجل "شاه طاهر" فى الهند خدمه هامه، فقد تربى على يديه علماء كثيرون فى مختلف الفنون و الفروع الإسلاميه، و كانت حوزته العلميه احدى كبريات الحوزات العلميه فى الهند.(٣)

محمد كامل شعيب ابن الشيخ و هبه المعروف بالعالمى

اشاره

ولد فى قريه الشرقيه (جبل عامل) سنه ١٨٩٠ م و توفى سنه ١٩٨٠ م فى صيدا و دفن فيها.

تلقى مبادئ القراءه و الكتابه فى الشرقيه، ثم دخل مدرسه المقاصد الخيره فى صيدا ثم المدرسه الرشديه فيها، بعد أن كان والده قد انتقل إليها و سكنها.

تلقى علوم اللغه العربيه على الشيخ موسى مغنيه و السيد محمد إبراهيم.

و فى العام ١٩٢٤ اصدر جريده العروه الوثقى اسبوعيه، كما كان قد شارك فى إصدار جريده الاتفاق اسبوعيه أيضا، و لم تطل مدته صدور الجريدتين كما اصدر فى تلك الفتره ديوانا صغيرا باسم (الحماسيات). و طبع له بعد وفاته ديوان شعرى كبير باسم (البحار) فى مجلدين.

و مما أضع عليه ما تستحقه شاعريته و أدبه من تقدير معاصريه أنه كان مهووسا بالحديث عن المناصب العليا إلى حد الشطط... و الا فقد كان فى الطليعه من أدباء النهضه لا سيما فى جبل عامل.

و يبقى للأجيال المقبله التي لم تعاصره أن تنصفه و تضعه في المكان الذي تؤهله له مواهبه الشعريه و الثريه بعد أن لا يبقى لتلك الأجيال الا ما تعرفه عن تلك المواهب.

و كان يتميز في نظم الشعر بحضور البديهه و سرعه الخاطر.

ص: ١٩٢

١- الإسلام و ايران الجزء الثالث، الصفحه ٢٧٠.

٢- ن. م الصفحه ٢٧١.

٣- ن. م الصفحه ٢٧١.

مرت له فى هذا الكتاب قصيدتان رثائيتان إحداهما فى الصفحة ٣١٥ من المجلد السابع، و الثانية فى الصفحة ٤٤٢ من المجلد العاشر.

من قصيده له بعنوان " الدهر ":

نروم صفاء العيش مما يشوبه و غارب صرف الدهر صعب ركوبه

خليق كبالى الطمر باطن وده و ظاهره غض الإهاب قشيبه

و كم قد توسمنا به الخير و المنى كان ثراه عنبر و هو طيبه

و يا طالما أعياء الورى سير غوره قبائله فى حيره و شعوبه

و كم قد جنينا منه كالحلم لذه و فاضت باشتات المسرات كوبه

فلم نستفق إلا و قد خاب فالنا و فاضت أسي أرزأوه و خطوبه

يصيب بسهم البين من رام غدرة و من لم يرم غدرا به لا يصيبه

كان الليالى خبط عشواء تستوى بها حسنات للفتى و ذنوبه

و من قصيده له بعنوان " يا أخت • شمس الضحى ":

يا أخت شمس الضحى و الكوكب السارى فقت الشموس بهالات و أنوار

إن رمت و الغيد فى حسن، مسابقه ما فاز غيرك فى شوط بمضمار

فى صحن خديك روض بالورود زها و فى لحاظك فتك الضيغم الضارى

ما هذه القامه الهيفاء مائسه كذابل من طوال الخط خطار

تكاد إذ تتثنى أن تميل كما يميل من لجه فى المركب الصارى

إذا الردينى أدميت القلوب به أم هذب جفن كحد السيف بتار

كزئبق فوق أحداق مركبه على أجاج بماء الحسن موار

ما ذا بفيك؟ أ در؟ أم تساقط في فجاجة برد من صوب مدرار؟

أم ذا فم شفتاه ضرجا بدم كأنما قدتا مثني بمنشار

لم يحو برق ثناياك العذاب لمى عنقود كرم و لا حانوت خمار

سمط من اللؤلؤ المكنون متسق ذو منبع بالرحيق العذب فوار

هلا جعلت سهامها ترشقين بها على لقاء عداتي بعض أنصاري؟

خلبت لبي بصوت رن في أذني كان رجع صدها شدو أطيبار

برزت في حسنك الطاوس زرکشه و حامل العود في تحريك أوتار

و من قصيده له بعنوان " ملحمة الغدير ":

أ ملحمة، بنودك أم صروح ممرده كشاهقه الجبال؟

جلوت الصرح عن زبد التجنى على الحق الصراح و لم تبال

فحققت الفراسه فيك ظني و لم تبلغ أشدك في النزال

زففت إلى أبي حسن رداحا من الخفرات فائقه الجمال

فكاد بطرفه يرنو إليها جوى تحت الجنادل و الرمال

طويت عن الفنا الشدو كشحا و أنت مرنج الأعطاف سال

كأنك قد أصبت بها دواء لما تشكو من الداء العضال

كلفت بصاحب النهج المعلى و خير غضنفر للحرب صال

أ تدري ما السوى و لأى باب من الأبواب شدك للرحال

تجشمت المفاوز في الفيافى و أرهقت العزائم بالكلال

و رمت من الذرى ما ليس منه يطاول طائر و طء النعال

أبو حسن له القدح المعلى بمضممار البساله و الكمال

تظل الشهب شاخصه إليه فتخطئه على بعد المجال

و يفرق أن يثوب الدهر كيلا يصاب به بقحط فى الرجال

إذا شكت الظماء صدور غلف سقاها البيض و الأسل العوالى

و تقطر إن نضا للحرب سيفا مواضيه كانداء الطلال

و كم فى الخيزوانه غال قرما و جندل كل مفتول السبال

و من قصيده له بعنوان قلعه الشقيف:

رحماك من طل، يا أيها الطلل أين المعازل و الأجناد و القلل

وقفت عندك لا أدرى، و قد ظعنوا، أ من بنيك مجيب، إن هم سئلوا

أين المضارب، و الجرد السلاح، و البيض القواضب، و العساله الذبر

أين الجحافل، و القب الأياطل، و الغر الشمائل، و الأمجاد و المثل

أين الجفان، و ما يروى الرواه لنا عن ذلك الجود، و هو العارض الهطل

اين الأسود، أسود الغاب، من عرفوا بالباس، فى الروع فيهم يضرب المثل

و كيف، يا صرح، لم تجزع لفقدهم و كيف - ويحك - باق، بعد ما ارتحلوا

أ لا شرحت لنا ما قد أحاق بهم و كيف، كيف على ذئب البلى نزلوا

من قصيده له بعنوان "وادی العرائش":

تمضى القرون و تنطوى الأعوام أبدا و ثغرك ضاحك بسام

متجدد فيك الشباب و إنما حرم الأمان لديك و الإلهام

خلع الهيام على صباك وشاحه ما للصبا و الشوق فيك فطام

مشكاه نبراس العصور و طالما بك قد تقشع فى العشى ظلام

ما كان من خدع السراب تالق بك، أو نسيم عاطر و خزام

تحلو الحياه لديك، و هي مريره و يطيب فيك الموت، و هو زؤام
خضعت لعزتك المعائل و الذرى أين الخورتق منك، و (الأهرام)؟
دار السعاده أنت إن شاءت و إن أنحت عليك بعذلها اللوام
و لكم هزرت من الهواه معاطفا و شدت بعاطر ذكرك الأقلام
و من قصيده له بعنوان "على نبع الباروك":

هاج وجدى بك الخدود الملاح و غبوق بين ألمها و اصطباح
و عبير من الأراهير فيها طالما ضاحك الغدير المراح
و الغوانى نواعم فاتنات و رقاق كأنها أشباح
صيرت فحمه الظلام نهارا و جنتاها، و ثغرها الوضاح
و الصفا باسط جناحيه دلا حيث لا شقوه و لا أتراح
و بساط الندمان ثم عجيب إذ يطيب الهوى و يحلو المزاح
سرحه الفن و الرياض عليها تتدلى الأغصان و الأدواح
كل صبح يغدى و كل مساء لدوالى أفيائها، و يراح
و الأداة الخرساء تنفث فيه حرقا للغرام و هي فصاح
و القدود الهيفاء إذ تتهادى مائسات كأنها أرماح

تجمع الظرف و البهاء و ترمى بلحاظ، هي المراض الصحاح
كاشفات عن مرمر أو لجين إن ذرت ثوبها الرقيق، الرياح
فقات أعين الظلام و شعت كلما لاح نورها اللماح
تأخذ النفس قسطها من هناء إذ تدار الأوتار و الأقداح

مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز المقدادى القمى الوزير

ذكر مؤلف الحوادث نقله من مدفنه إلى مشهد الكاظميه سنه "٦٤٣" قال فى حوادث هذه السنه: " وفى ليله الجمعه حادى عشرى رمضان نقل مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن برز القمى الوزير من مدفنه بمقبره الزرادين (١) بالمامونيه إلى تربه كان أنشأها بالمشهد الكاظمى و وقف عليها وقوفاً و ذلك بعد ثلاث عشره سنه و أحد عشر شهرا "

قال الدكتور مصطفى جواد: ذكر المؤرخ نفسه خبر القبض على مؤيد الدين القمى فى حوادث سنه ٦٢٩ من كتابه هذا و معنى ذلك الخبر الأول أنه توفى فى سنه القبض عليه و يؤيده ابن الطقطقى فى تاريخه، و قد ذكره ابن الطقطقى قال: " وزاره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمى، هو قمى الأصل و المولد، بغدادى المنشأ و الوفاه ينتسب إلى المقداد بن الأسود الكندى، كان - رحمه الله - بصيرا بأموال الملك خيرا بأدوات الرئاسه، عالما بالقوانين، عارفاً باصطلاح الدواوين، خبيراً بالحساب، ريان من فنون الأدب، حافظاً لمحاسن الأشعار، راوياً لطرائف الأخبار، و كان جلداً على ممارسه الأمور الديوانيه، ملازماً لها من الغدوه إلى العشيّه. و كان فى ابتداء أمره قد تعلق بسلاطين العجم و كان يلوذ ببعض وزراء العجم باصفهان فى حال صباه و لم يبلغ العشرين من عمره، و كان ذلك الوزير قد ضجر من الكتاب الذين بين يديه و نسبهم إلى أنهم يخالفون تقدماته فابعدهم عنه و استكتب القمى ظناً منه أنه لمجرد حدائه سنه لا يقدم على مخالفه ما يشير به. فمكث القمى يكتب بين يديه مده، ففى بعض الأيام أحضرت بين يدى الوزير جمله من الثياب النسيج بعضها صحيح و بعضها مقطوع، فاحضر القمى بين يديه، ليثبت عددها و يحملها إلى الخزانة و كان الوزير يورد عليه كذاً و كذاً ثوباً صحاحاً. فيكتب القمى كذاً و كذاً ثوباً و ما يكتب لفظه (صحاحاً) فقال له الوزير: لم لا تكتب ما أقول لك؟ فقال: يا مولانا لا حاجه إلى ذكر الصحاح فانى إذا وصلت إلى ذكر ثوب مقطوع ذكرت تحته أنه مقطوع، فتخصيص المقطوع بالذكر يدل على أن ما لم يوصف بالمقطع صحيح. فقال الوزير، لا بل أكتب كما أقول.

فراجعه القمى، فحرد الوزير لذلك و ارتفع صوته و التفت إلى الحاضرين و قال: أنا عزلت الكتاب الكبار الذين كانوا عندى لأجل مخالفتهم و لجاجهم فيما أقوله و استكتبت هذا الصبى ظناً منى أنه لحدائه سنه لا يكون عنده من التجرى و المخالفه ما عندهم، فإذا هو أشد مخالفه من أولئك. فخرج بعض خدام السلطان من بين يديه و كان جالساً قريباً من مجلس الوزير، و سال عن كثره الصياح و حرد الوزير، فعرف الخادم صوره ما جرى بين الوزير و القمى، فدخل و حكى للسلطان ما قيل، فقال له: أخرج و قل للوزير: الحق ما اعتدهه الصبى الكاتب. فنبل القمى فى عيون الناس و علت منزلته و أنس القمى بهذا الخادم و صار الخادم يستشيريه و يسكن إليه و يأنس به. فاتفق أن السلطان عين على هذا الخادم و على رجل آخر ليتوجها فى رساله إلى ديوان الخليفه، فالتمس الخادم أن يكون القمى صحبته. فأرسل صحبته فتوجهوا إلى بغداد و حضر الخادم و رفيقه عند الوزير ابن القصاب، فشافها بالرساله و سمعا الجواب، و كان جواباً غير مطابق للرساله و لكنه كان نوعاً من المغالطه، فقنع الخادم و رفيقه بذلك الجواب و ما تنبها على فساده و خرجا، فرجع القمى و وقف بين يدى الوزير و حادثه سرا و قال له: يا مولانا الجواب غير مطابق لما أنناه المماليك. فقال له الوزير: صدقت و لكن دعهم على غباوتهم و لا تفتنهم إلى ذلك. فقال السمع و الطاعه. ثم إن ابن القصاب كتب إلى الخليفه (الناصر لدين الله) يقول له: إنه قد وصل صحبته خادم السلطان فلان شاب قمى قد جرى من تنبهه كيت و كيت و مثل هذا يجب أن يصطنع و يحسن إليه و يستخدم. فكتب الخليفه إليه يأمره بان لا يمكنه من التوجه معهم. فعمل له حجه و قطع عنهم فتوجهوا و أقام القمى ببغداد فعين عليه فى كتابه الإنشاء، فمكث على ذلك مده ثم تولى وزاره و

تمكن في الدوله تمكنا لم يتمكن مثله أحد من أمثاله، و كان أوحد زمانه في كل شىء حسن، كثير البر و الخير و الصدقات. حدث عنه مملوكه بدر الدين أياز قال: طلبت ليله من الليالي حلاوه النبات فعمل منها في الحال صحون كثيره و أحضرت بين يديه في ذلك الليل، فقال لى: يا أياز تقدر تدخر هذه الحلاوه لى موفره إلى القيامة؟ فقلت: يا مولانا و كيف يكون ذلك و هل يمكن هذا؟! قال: تمضى هذه الساعه إلى مشهد موسى و الجواد - (ع) - و تضع هذه الأصحن قدام أيتام العلويين فإنها تدخر لى موفره إلى يوم القيامة. قال أياز. فقلت: السمع و الطاعه. و مضيت، و كان نصف الليل إلى المشهد و فتحت الأبواب و أنبته الصبيان الأيتام و وضعت الأصحن بين يديهم (كذا) و رجعت. و ما زال القمى على سداد من أمره، تولى الوزاره للناصر ثم للظاهر ثم للمستنصر حتى قبض عليه المستنصر و حبسه في باطن دار الخلافه مدته فمرض و أخرج مريضا فمات - رح - سنه تسع و عشرين و ستمائه".

و قال مؤلف الحوادث في أخبار سنه ٦٢٩: "ذكر عزل الوزير مؤيد الدين القمى... في يوم السبت سابع عشر شوال تقدم إلى مؤيد الدين أبى طالب محمد بن أحمد بن العلقمى مشرف دار التشريعات يومئذ أن يحضر عند أستاذ الدار شمس الدين أبى الأزهر أحمد بن الناقد و يتفقا على القبض على نائب الوزاره مؤيد الدين القمى. فجمع أستاذ الدار رجال النوبتين و أمرهم بالمبيت في دار الخلافه، و لم يشعر أحدا منهم بشىء، فلما أغلق بابا النوبى و العامه عين على جماعه مع ابن شجاع مقدم باب الأتراك بالقبض على القمى إذا فتح باب النوبى، و عين على جماعه مع حسن بن صالح المعمار للقبض على ولده (فخر الدين أبى الفضل أحمد) في الساعه المعينه، و عين على جماعه للقبض على أخيه و جميع أصحابه و خواصه، فلما فتح باب النوبى خرج الجميع بالسيوف و هجموا عليه و على ولده و أخيه و جميع أصحابه في ساعه واحده فلم يفلت منهم صغير و كبير فاما هو و ولده فنقلا ليلا إلى باطن دار الخلافه فحبسا هناك و أما أخوه و مماليكه و أصحابه فحملوا إلى الديوان.

و كان المؤرخ نفسه قال في حوادث سنه ٦٢٨: "و في صفر دخل بعض الأتراك إلى دار الوزير مؤيد الدين القمى و طلب غفله السترى و انتهى إلى مجلسه فلم يصادفه جالسا و كان بيده سيف مشهور و كان آخر النهار، و قد تقوض

ص: ١٩٤

١- هي مقبره الصدرية و سراج الدين بشرقى بغداد و قد أصبحت مسكونه و ابنتى الناس الدور فوق القبور.

الجماعه من الديوان فصاح عليهم خادم فتبادر الغلمان و أمسكوه و أنهى ذلك إلى مؤيد الدين فجلس و أحضر التركي بين يديه و ساله عما حمله على ذلك فلم يقل شيئا، فضرب ضربا مبرحا فذكر أن له مده لم يصله شيء من معيشته و هو ملازم الخدمه و قد أضر به ذلك فحمله فقره و حاجته و غيظه على ما فعل، فأمر بصلبه فصلب و حط بعد يومين "

و ذكره هندو شاه الصاحبى و ذكر أنه أنشا مارستانا فى المشهد الكاظمى و زوده و جهزه بالأدويه و الأشربه و المعاجين و أنشا مكتبا و دار للقرآن لأيتام العلويين هناك و وقف على ذلك أوقافا و أحسن الثناء عليه و ذكر ابنه فخر الدين أحمد و أنه كان أديبا فاضلا و كان يتولى الشرطه و الاحتساب و كان قاسيا فى العقوبه ينتهى بها إلى قطع الأعضاء و لما نكب أبوه و حبس قال له: بخلك انسلقنا. يعنى أنه كان السبب فى تلك النكبه و حبس عز الدين عبد الحميد بن أبى الحميد لأنه كان مفتونا بتركى اسمه عثمان فبعث إليه بقصيده من السجن يقول فيها:

و قد تبت من الغى و قد أقلع شيطانى

و قد ذكر ابنه فخر الدين أحمد كمال الدين بن الفوطى قال: "فخر الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، القمى محتدا، البغدادي مولدا، نائب الوزارة يعرف بخداوندزاده. ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل أحمد بن مهنا الحسينى فى كتاب وزراء الزوراء (قال) ظهر من فخر الدين فى وزاره أبيه من القوه و الحرمة و النقمه ما جاوز فيه حد التأديب، و بلغ منه إلى الفطيع الغريب من قطع الأيدى و صلصم الآذان و ازداد منه ذلك حتى ولى الشرطه و حجه باب النبى، و كان ذا فطنه و ذكاء و دهاء و ناب عن والده حين تخلف عن الركوب إلى الترب. و فى سابع شوال سنه تسع و عشرين و ستمائه و كل به و بابيه الوزير و نقلا إلى دار الخلافه و لم نقف لهما على أمر "

و ترجم له الصفدى بما يخالف ما نقلنا بعض المخالفه قال: "محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمى الوزير مؤيد الدين أبو الحسن القمى البليغ الكاتب، قال ابن النجار: قدم بغداد صحبه الوزير ابن القصاب و كان به خصيصا فلما توفى قدم بغداد(1) و قد سبقت له معرفه بالديوان و رتب ابن مهدى فى الوزارة و نقابه الطالبين أختص به أيضا و كانا جارين فى قم و لما مات أبو طالب بن زياده كاتب الإنشاء رتب القمى مكانه و لم يغير هيئه القميص و الشربوش على قاعده العجم ثم ناب أبو الوليد (محمد) ابن أمسينا فى الوزارة و عزل فى سنه ست و ستمائه فردت النيابه و أمور الديوان إلى القمى و نقل إلى دار الوزارة و لما ولى الظاهر الخلافه أقره على حاله و كذلك المستنصر قربه و رفع قدره و حكمه فى البلاد و العباد و لم يزل فى سعده إلى أن عزل و سجن هو و ابنه بدار الخلافه فمات الابن أولا و أبوه بعده فى سنه ثلاثين و ستمائه و كان كاتبا بليغا فاضلا كامل المعرفه بالإنشاء يكتب بالعربى و العجمى كيف أراد و يحل المترجم المغلق و كان حسن الأخلاق مليح الوجه، تخافه الملوک و ترهبه الجبابره و له يد باسطه فى النحو و اللغه و مشاركه فى العلوم "

و من إنشاء مؤيد الدين القمى عهد نقابه الطالبين الذى كتبه فى توليه نقابتهم فخر الدين أبا الحسن محمد بن محمد بن المختار الكوفى فى السابع عشر من شهر ربيع الأول سنه ٦٠٣ قال ابن الساعى: و هو بخط المكين أبى الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمى كاتب ديوان الإنشاء المعمور حينئذ و من إنشائه و من خطه نقلت و هذه نسخته:

" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبد الله و خليفته الامام المفترض الطاعه على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين

إلى محمد بن محمد ابن المختار، حين وجده مرضى الخلائق، سوى الطرائق، محمود السجايا و الشيم، متمسكا من الديانه بامتن سبب و أوثق معتصم، سالكا في الزكانه و الرصانه لاجب جدد، و أقوم لقم، متحليا من التقى و الورع، بأحسن لباس و أبهى مدرع، قد فاق بكفائته الأكفاء و برع، و استشرف إلى محامد الخلال، و محاسن الخصال كل مطلع، فقلده نقابه العتره الكريمه العلويه، و الأسره الجليله الطالبية، بمدينه السلام، و سائر بلاد الإسلام، شرقا و غربا، و بعدا و قربا، مقدرًا فيه الاضطلاع بالأعباء، و القيام بحسن الاستخدام و الاستكفاء، و النهوض بتاديه شكر النعماء، و الله تعالى يقرن آراء أمير المؤمنين بالتأييد و التوفيق في كل ما ينتحيه للإسلام و المسلمين من المصالح، و يدنى لى في كل ما يبتغيه من منازم الدين كل بعيد نازح، إنه سميع مجيب، و ما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه توكل و إليه ينيب، أمره بتقوى الله تعالى و استشعاره مراقبته في سره و علانيته، فإنهما الفريضة اللزومه، و السنه القائمه، و اللباس الأحسن الأروع، و الحرز الأحصن الأمنع، و أفضل ما اعتقده المعتقدون، و دعا إليه الصالحون، و وزن به المرء مراجع لحظه، و مخارج لفظه، و مسارج حوارته، و مطارح نواظره، و أوضح سبل الرشاد، و خير الزاد ليوم المعاد، قال الله تعالى: (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى). و قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، فطوبى لمن سمع قوله فاتبعه، و تجلبب لباس مراقبته و أدرعه، و اقتدى بكتابه، فاستخرج كنوز المرشد من عيابه، و اقتنى ذخائر ثوابه، فتوقى به أليم عقابه، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقائد الصحاح، و أثقل موازين توفيقهم الرواجح، و هداهم بما كبت في قلوبهم من الايمان إلى الجدد اللاحب و المنهج الواضح، فعمل في دنياه لأخراه، و قوم بالهدى بالجد في معاده جدواه، (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). و أمره بان يتأمل أحوال من فوض أمره من أهل بيته إليه، و عول في زعامته من ذوى الرحمه عليه، و يعتبر طرائقهم و يختبر شيمهم و خلائقهم، و ينزلهم منازلهم التي يستوجبونها بكرم العناصر، و يستحقونها بتباين المساعى و المآثر قال الله تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ). فلمن كان منهم رشيد المنهج، متنكبا عن الطريق الأعوج، متحليا من الدين بما يناسب نسبه، و يلائم محتده الكريم و منصبه، يحق له من الإكرام، و خصه من الأنعام، و التودد و الاحترام، بما يرفع منزلته، و يحث على اكتساب فضيله من تأخر عن غلوته ليشيع فيهم المناقب و الفضائل، و يسفروا عن المناظر المهيبه في النوادي و المحافل و يستضيفوا إلى شرف الأبوه فضل النبوه، و يتقبلوا آثار من قال الله فيهم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ). فإنهم أغصان تلك الدوحه الشريفه، و الشجره المباركه المنيفه، و أمره بان يعاملهم برفق لا يشينه ضعف، و تهذيب لا يهجنه عنف، فمن بدت منه بادره، أو عثره نادره أقالها، و ألحق جناح المياسره أذيالها، و اتخذ له من التأنيب بما يجنبه أمثالها، قال الله (وَ لِيَعْفُوا وَ لِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ). و

قال رسول الله ص: أقيلا ذوى الهيئات عثراتهم.

ص: ١٩٥

١- تأمل قوله: قدم بغداد... فلما توفي قدم بغداد " هكذا كانوا يخلطون حين يترجمون.

، فليس من كانت زلته بادره، و خطيئته مبتكره كمن كان فى الغى متهوكا، و بعرا الإصرار عليه متمسكا، و من صادفه جاهلا بقدره، و نابذا مصلحته وراء ظهره و عرف خلوص دخلته و سلامه صدره، إلا أنه عن مصلحه شانه غافل، و عن حلى العلم الذى هو قيمه المرء عار عاطل، أيقظه من هجوع الاعترا بالأمل، و نبهه على أن ٣٥٦، لا- يغنى بغير عمل، و النبى ص أوحى إليه: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . و

قال: يا بنى هاشم، يا بنى عبد المطلب إننى لا أغنى عنكم من الله شيئا، اتتوني بأعمالكم و لا تأتونى بانسابكم، إن أكرمكم عند الله أتقاكم. و من ألفاه منهم ذاهبا فى مجاهل الجهال، و سادرا فى مهاوى الضلال، و مشايعا فى احتقاب الأوزار، و هاتكا لأستار التصون و الاستتار، واجهه خاليا بالتقريع و التقييد، و زجره بالاخافه و الوعيد، فان أنجع ذلك و أفاد، و رجع عن جهالته و عاد، و إلا- قوم من ميده و اعوجاجه، و وقف به على سبيل الحق و منهاجه، و إن قرف أحدهم بجريمه أو رمى بجريره فلا يعجل عليه بالمؤاخذه أو لا يسرع إليه بإجراء المقابله، بل يثبت إلى أن يقف بالبحث و الإيضاح، على الحق المحض الصراح، قال الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) فان اتضح ما قرف به وزن بسببه، نظر فان كان مما أوجب الله فيه حدا من الحدود أقامه، من غير تعد على سلكه المحدود فيه و نظامه، قال الله سبحانه و تعالى: (تَلَمَّكَ حُرْدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا) و قال تعالى: (وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُرْدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . و قال سبحانه: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . و لا- يجرمنه احتقابه الجرائم من نظر اعتنائه، و لا إقامه حد الله فيه من ملاحظته و إرعائه، (فأهل) هذا النسب و إن تفاوتت أحوالهم، و تباينت أعمالهم، خصوا بالاصطفاء، و سمووا بالاجتباء، قال الله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأذِنُ اللَّهُ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) و أمره بصرف همته إلى مصالح اليتامى و تخصيصهم من الاعناء، و تخويلهم من الإرعاء بما ينسيهم ذله اليتم و فقد الآباء، فمن كان منهم غنيا فيثمر ماله، و يهدب خلاله، و ينفق عليه بالمعروف، لا شطط و لا تبذير، و لا تضيق و لا تقتير، فإذا بلغ الأشد و أنس منه الرشد، سلم ماله موفورا إليه، و أشهد بقبضه عليه، قال الله تعالى:

(وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) إلى قوله: (فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ) . و من كان فقيرا فليش عنان العنايه إلى ما يعود بإصلاح أمره، و ليصرف همه إلى جبر كسره، إلى حين استوائه، و تهذب أنحائه، و ليدر عليه من الوقوف بالمعروف و ليكن به عطوفا، و له أبا رءوفا، و أمره بالنظر فى أمر الأيامى بعين الاعتناء، و تزويجهن من الأضراب و الأكفاء، و تحصينهن بالاحصان لا بالمنع و النسيان فان التناكح مدد الوجود و قوامه، و به يستتب أمره و يتسق نظامه، قال الله تعالى: (وَ أَنْكِحُوا الْيَتَامَىٰ مِنْكُمْ) . و

قال رسول الله ص: تناكحوا تناسلوا أباه بكم الأمم يوم القيامة. و ليتوخ تطهير عقود نكاحهن من أدناس الالتباس، و ينزها من أدران الأنجاس، قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . و أمره بصونه هذا النسب الكريم، و البيت الماجد العظيم، من تنحل الأديعاء، و انتماء الزنماء، فان صادف من يدعى من ذلك ما لا يقوم البرهان على صحته، و لا- تشهد الاستفاضه و الشيوخ بدحض حجته، صب عليه سوط التأديب، و ردعه بزواجر التهذيب، فان كفه الردع، و زجره المنع، و إلا وسمه بميسم يعرف به تنحله، و يشيع به كذبه و تقوله،

قال رسول الله ص: ملعون ملعون من انتسب إلى غير أبيه و ادعى إلى غير مواليه. هذا عهد أمير المؤمنين إليك، و حجته عليك،

هداك به إلى طريق الرشاد، و حداك فى سبيل السداد، فاهتد بأنواره، و اتبع لرشيد آثاره، تظفر بمغانم الرشاد، و تفرز فى المبدأ و المعاد، و الله ولى التوفيق، لأرشد جدد و أقوم طريق، و كتب فى سادس عشر شهر ربيع الأول من سنه ثلاث و ستمائه و الحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد النبى المصطفى و آله و سلامه، رب أختم بخير. صوره العلامه الشريفه تحت البسمله (الناصر لدين الله). صوره خط الوزير نصير الدين أبى الحسن ناصر بن مهدي العلوى بين سطوره...".

و لمكين الدين القمى أى مؤيد الدين فى آخر عمره منشور كتبه بامر الخليفه الناصر فيه تجديد الفتوه، قال ابن الساعى: "قرأ المنشور عليهم (على رؤساء الفتیان) المكين أبو الحسن محمد بن محمد القمى كاتب ديوان الإنشاء المعمور و هو من إنشائه و هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، من المعلوم الذى لا- يتمارى فى صحته، و لا- يرتاب فى براهينه و أدلته، أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه - هو أصل الفتوه و منبعها، و منجم أوصافها الشريفه و مطلعها، و عنه تروى محاسنها و آدابها، و منه تشعبت قبائلها و أحزابها، و إليه دون غيره تنتسب الفتیان، و على منوال مؤاخاته النبويه الشريفه نسج الرفقاء و الاخوان، و أنه كان مع كمال فتوته، و وفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها، و يستوفيه من أصناف الجناه على تباين جناياتها أو مللها و نحلها و مذاهبها، غير مقصر عما أمر به الشرع المطهر و حرره، و لا مراقب فيما رتبته من الحدود و قرره، امتثالاً لأمر الله تعالى فى إقامه حدوده، و حفظاً لمناظمه الشرع و تقويم عموده، فإنه ع فعل ذلك بمراى من السلف الصالح و مسمع، و مشهد من خيار الصحابه و مجمع، فلم يسمع أن أحدا من الأمة لأمه، و لا طعن عليه طاعن فى حد أقامه، و حقيق بمن أورثه الله مقامه، و ناط به شرائع الإسلام و أحكامه، و انتمى إليه ع فى فتوته، و اقتفى شريف شيمه و كريم سجيته، أن يقتدى به ع فى أفعاله، و يحتذى فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله، غير ملوم فيما يأتيه من ذلك و لا معارض فتوه و لا شرعا فيما يورده و يصدره، و قد رسم - أعلى الله المراسم العليه، المقدسه النبويه الامامه و زادها نفاذا معضودا بالصواب، و تأييدا ممتد الأطناب محكم الأسباب - على كل من تشرف بالفتوه برفاقه الخدمه الشريفه المقدسه، المعظمه الممجده المكرمه الطاهره الزكيه النبويه الاماميه، الناصره لدين الله تعالى - شرف الله مقامها و أخلد أيامها، و أعلى كلمتها و نصر رايتها - أنه من قتل رفيق له نفسا نهى الله تعالى عن قتلها و حرمة، و سفك دما حقه الشرع المطهر و عصمه، و صار بذلك ممن قال الله تعالى فى حقه، حيث ارتكب هذا المحرم، و احتقب عظيم هذا المأثم:

ضل و هوى، و

النبي ص يقول: من آوى محدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا. و لا حدث أكبر من قتل النفس عدوانا و ظلما، و لا ذنب أعظم منه وزراء و إثما، و أن الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته و وجب أن يؤخذ منه القصاص عملا- بقوله: وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ . و أن (من) قتل غير فتى عوننا من الأعوان أو متعلقا بديوان فى بلد سيدنا و مولانا الامام المفترض الطاعه على كافه الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين و خليفه رب العالمين فقد عيب هذا القاتل فى حرم صاحب الحزب بالقتل، فكأنما عيب على كبيره فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح، و وجب أخذ القصاص منه عند كل فتى راجح، و ليعلم الرفقه الميمونه ذلك و ليعملوا بموجبه و ليجروا الأمر فى أمثال ذلك على مقتضى المأموريه، و ليقفوا عند المحدود فى هذا المرسوم المطاع، و يقابلوه بالانقياد و الاتباع - أن شاء الله تعالى - و كتب فى تاسع صفر سنه أربع و ستمائه.

و قال ابن الساعى: و سلم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثل فيه شهاده ثلاثين من العدول. ثم كتب تحت كل مرسوم و منشور ما هذا صورته. و الظاهر أنه من إنشاء مؤيد الدين القمى:

قال العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع، و قابله مما يجب عليه من الانقياد و الاتباع و الامتثال و هو الذى يجب العمل به فتوه و شرعا، و هذا المعروف من سيره الفتيان المحققين نقلا و قد ألزمت نفسى إجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف فمتى جرى ما ينافى المأموريه، المحدود فيه كان الدرک لازما لى، و المؤاخذه مستحقه على ما يراه صاحب الحزب ثبت الله دولته، و أعلى كلمته و كتب فلان بن فلان

أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخى

ذكره ابن الساعى فى وفيات سنه ٥٩٨ قال بعد ذكر اسمه: شيخ حافظ القرآن المجيد، قرأه بالقراءات و كان حسن القراءه جيد الأداء طيب الصوت شجيه، و كان يتشيع و ينشد فى المواسم بالمشاهد المقدسه و يعظ فى الاعزیه.

توفى فى حادى عشر المحرم من سنه ثمان و تسعين المذكوره و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر (ع). " اه "

و قال المنذرى فى وفيات السنه المذكوره بعد ذكر اسمه و تاريخ وفاته و وصفه بالمؤدب المغربى: قرأ القرآن الكريم بشىء من القراءات ببغداد على أبى محمد الحسن بن على بن عبيده، و بواسط على أبى بكر عبد الله بن منصور الباقلانى و غيرهما و سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و غيره. " اه "

و ترجم له ابن الديبى ترجمه أحسن مما نقلناه آنفا قال: محمد بن محمد بن المبارك الكرخى أبو منصور المقرئ المؤدب، كان يسكن الجانب الشرقى و له مكتب يعلم فيه الصبيان الخط، و كان حافظا للقرآن المجيد، حسن القراءه له، قرأ بشىء من القراءات على أبى محمد الحسن بن على بن عبيده و بواسط على شيخنا أبى بكر بن عبد الله بن منصور ابن الباقلانى و غيرهما، و كان ينشد الاشعار فى مدح أهل البيت (ع) فى المشاهد و أوقات الزيارات سمع شيئا من الحديث من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان و غيره، و لم يعن بالروايه و لا حدث بشىء.

مرت ترجمته في المجلد التاسع الصفحة ٤١٤ و نزيد عليها هنا ما ياتي:

عمله في إنقاذ الإسلام

كان نصير الدين الطوسي ضحية من ضحايا الغزو المغولي الأول، حينما اجتاحت جحافل جنكيز خان (١٢١٥ - ١٢٢٧ م) البلاد الإسلامية و دمرت ما مرت به منها. و كان من تلك الضحايا مدينه نيسابور التي كانت تعج بالعلماء و تزخر بالمدارس.

و لم يكتف المغول بتدمير المدينه بل أعملوا السيف في الناس، فقتل من قتل و استطاع الفرار من استطاع، و كان بين الناجين نصير الدين الطوسي، فهام على وجهه يطلب الملجأ الأمين فوجده في قلاع الإسماعيليه الحصينه، تلك القلاع التي صمدت وحدها لجنكيز خان و صدته عن أسوارها، فظل حقد المغول مضطرا على الإسماعيليين إلى ان استطاعوا الثار منهم في عهد هولاء حفيد جنكيز.

و لم يكن نصير الدين وحده هو الذي احتفى بهذه القلاع، بل لقد لجأ إليها كثير ممن استطاعوا الفرار و النجاه.

و عند ما تقدم المغول في غزوهم الثاني، و أعاد هولاء-كو سيره جده، كانت الحمله هذه المره من القوه بحيث هابتها القلاع الإسماعيليه فلم تستطع لها صداد، و نزل الأمير الإسماعيلي ركن الدين خور شاه على حكم المغول، فكان حكمهم قتله و قتل أعوانه و من لجأ إليه، و استثنوا من ذلك ثلاثه رجال كانت شهرتهم العلميه قد بلغت هولاء فأمروا بالابقاء عليهم، و لم يكن هذا الإبقاء حبا للعلم و تقديرا لرجاله، بل لأن هولاء كان بحاجه إلى ما اختص به هؤلاء الثلاثه من معارف، فاثان منهم كانا طبيبين هما موفق الدوله و رئيس الدوله، و الثالث كان مشهورا باختصاصه في أكثر من علم واحد هو نصير الدين الطوسي، و كان مما اختص به علم الفلك، و كان هولاء مقدرا لهذا العلم تقدير حاجه لا محض تقدير، مؤمنا بفائدته له. لذلك رأيناه بعد ذلك يعنى بإنشاء مرصد "مراغه" و يوفر له كل ما يستدعي نموه و تقدمه...

جمع نصير الدين الطوسي إلى العلم الواسع العقل الكبير، فتريك سيرته رجلا- من أفذاذ الرجال لا يمر مثله كل يوم. و تشاء الأقدار أن تعده لمهمه لا ينهض لها إلا من اجتمعت له مثل صفاته: علم و عقل و تدبير و بعد نظر، فكان رجل الساعه في العالم الإسلامي، هذا العالم الذي كان مثخنا بالجراح.

كانت مهمه الطوسي من أشق المهمات، و كانت أزمته النفسيه من أوجع ما يصاب به الرجال، فإنه و هو العالم الكبير ذو الشهره المدويه بين المسلمين، يرى نفسه فجاه في قبضه عدو المسلمين، و يرى هذا العدو مصرا على أن يبقيه في جانبه و يسيره في ركابه. و إلى اين يمشى هذا الركاب؟ أنه يمشى لغزو الإسلام في دياره و القضاء عليه في معاقله، فهل من محنه تعادل هذه المحنه؟ ان أقل تفكير في التمرد على رغبه القائد المغولي سيكون جزاؤه حد السيف... و أنني لا تخيل الطوسي متأملا طويل التأمل، مطرقا كثير الاطراق، لقد كان يعز عليه أن يذهب دمه رخيصا و أن يكون ذلك بإرادته هو نفسه، فلو

أن سيفاً من سيوف المغول الجانيه أودى به فيمن أودى بهم في رحاب نيسابور و سهول ايران لكان استراح. أما الآن فلن يستسلم للقدر الطاغى و سيثور على حكم الزمن الغاشم.

كان الطوسى ذا فكر منظم يعرف كيف يخطط و يدبر. و هو فى ذلك آيه من الآيات، و قد أدرك أن النصر العسكرى على المغول ليس ممكناً أبداً، فقد انحل نظام العالم الإسلامى انحلالاً تاماً لم يعد معه أمل فى تجميع قوه تهاجم المغول و تخرجهم من دياره، و كانت البلاد المحتله أضعف من أن تفكر فى ثوره ناجحه. على أن الغرب الإسلامى كان لا يزال سليماً، و كانت مصر هى القوه الوحيدة التى تتجه إليها الأنظار، و قد استطاعت مصر أن تذيق المغول مراره الهزيمة و أن تردهم عنها، و لكنها لم تكن مستطيعه أكثر من ذلك، فمهاجمه المغول فيما احتلوه من بلاد بعيدة و إخراجهم من تلك البلاد كان فوق طاقه مصر.

و فكر نصير الدين طويلاً فأيقن أنه إذا تم للمغول النصر الفكرى، بعد النصر العسكرى، كان فى ذلك القضاء على الإسلام، و ها هو يرى بام عينيه الكتب تحرق و العلماء يقتلون، فماذا يبقى بعد ذلك؟..

لقد استغل حاجه هولاءكو إليه، و حرصه على أن يكون فى معسكره فلكى عالم بالنجوم، فعزم على كسب ثقته و احترامه فكان له ما أراد، و صار له من ذلك سبيل لانقاذ أكبر عدد من الكتب و تجميعها، كما استطاع أن ينجى من القتل الكثيرين ممن كانوا سيقتلون.

و لما استتب الأمر لهولاءكو خطا نصير الدين خطوته الأولى، و كانت هذه المره خطوه جباره فقد اقنعه بان يعهد إليه بالإشراف على الأوقاف الإسلاميه و التصرف بمواردها بما يراه، فوافق هولاءكو. و تتطلع نصير الدين فرأى أن المسلمين كانوا قد وصلوا من الانحلال الفكرى إلى حد أصبح العلم عندهم قشوراً لا لباب فيها، و أنهم حصروا العلم فى الفقه و الحديث و حدهما، و حرموا ما عداهما من سائر صنوف المعرفة التى حث عليها الدين العظيم، و انصرفوا عن العلوم العمليه انصرافاً تاماً. فأعلن افتتاح مدارس لكل من الفقه، و الحديث، و الطب، و الفلسفه، و أنه سيتولى الإنفاق على طلاب هذه المدارس، و لكنه سيجعل لكل واحد من دارسى الفلسفه ثلاثه دراهم يومياً، و لكل واحد من دارسى الطب درهمنين و لكل واحد من دارسى الفقه درهماً، و لكل واحد من دارسى الحديث نصف درهم، فاقبل الناس على معاهد الفلسفه و الطب، بعد ما كانت من قبل تدرس سرا.

أحرز نصير الدين النصر الأول فى معارك الإسلام، فالعلم لن ينقطع بعد اليوم، و لن يجمد المسلمون عن طلبه، ثم انصرف يخطط للمعركه الكبرى الكاسحه. فإذا كان إنشاء المدارس المتفرقه لن يلفت هولاءكو إليها، و لن يدرك أهميتها، فان إنشاء الجامعه الكبرى و حشد العلماء فيها و حشر الكتب فى خزانتها، سيكون حتماً منها هولاءكو فكيف العمل؟.

هنا تبدو براعه الطوسى، فهولاءكو استبقاه لغايه معينه، فراح يقنع هولاءكو بأنه من أجل استمراره فى عمله و الاستفادة من مواهبه لا بد من إنشاء مرصد كبير، فوافق هولاءكو على إنشاء المرصد، و فوض لنصير الدين المباشرة بالعمل. لقد كانت هذه الموافقه الحلم الأكبر الذى حققته الأيام لنصير الدين، و بات بعدها مستريحاً للمستقبل لا يشغله شىء إلا الأعداد الدقيق و التخطيط السليم الموصل إلى الغايه القصوى.

ضحك نصير الدين أمر المرصد لهولاءكو و أقنعه أنه وحده أعجز من أن يرفع حجراً فوق حجر فى ذاك البناء الشامخ، و أنه لا بد

له من مساعدين أكفاء يستند إليهم فى مهمته الشاقه، و أنه لا- مناص من أجل ذلك من أن يجمع عددا من الناس المختارين، سواء فى البلاد المحتله أو فى خارجها، فوافق هولاءكو على ذلك.

و هنا هب نصير الدين إلى اختيار رسول حكيم هو فخر الدين لقمان بن عبد الله المراعى، و عهد إليه بالتطواف فى البلاد الإسلاميه، و تامين العلماء النازحين و دعوتهم للعوده إلى بلادهم، ثم دعوه كل من يراه كفتا فى عمله و عقله من غير النازحين.

مضى العمل منظما دقيقا و انصرف العلماء باشراف الطوسى منفذين مخططا مدروسا، فلم يمض كبير وقت حتى كانت المكتبات تغص بالكتب، و حتى كانت مكتبه مراغه بالذات تضم مجموعه قل أن اجتمع مثلها فى مكتبه اخرى، و حتى كانت المدارس تقام فى كل مكان، و حتى كانت الثقافه الإسلاميه تعود حيه سويه، و حتى كانت النفوس مشبعه بالأمل و القلوب مليئه بالرجاء، و حتى كان الدعاه ينطلقون فى كل صوب و الهداه ينتشرون على كل وجهه...

ثم يموت هولاءكو، و لكن الإسلام الذى أراد له هولاءكو الموت يظل صحيح البنيه، متوهج الفكر، ثم يموت ابن هولاءكو و خليفته (ابقا خان) و الإسلام لا يزال بقياده الطوسى صامدا، يقاتل و يقاوم و يدعو و يهدى.

و ياتى بعد ابقا خان، ابن هولاءكو الآخر (تكودار) فإذا بالإسلام ينفذ إلى قلبه و عقله، و إذا به يعلن إسلامه و تسلم الدوله كلها بعد ذلك.

و كان الطوسى قد مات سنه ٦٧٢ هـ (١٢٧٤ م). مات قرير العين و هو يرى طلائع الظفر مقتحمه الدنيا بموكبها الرائع و بشائر النصر هازجه بارفع صوت و أعلى نبره. مات الطوسى مودعا الأمر إلى تلميذه و أقرب المقربين إليه قطب الدين أبو الثناء محمود بن مسعود الشيرازى، فنهض بالعبء على ما اراده نصير الدين. فلم يجد "تكودار" الذى أصبح اسمه "أحمد تكودار" خيرا من الشيرازى خليفه الطوسى ليكون رسوله إلى العالم العربى و الإسلامى.

يقول الأستاذ عبد المتعال الصعدي: "لم يمت نصير الدين إلا بعد أن جدد ما بلى فى دوله التتار من العلوم الإسلاميه و أحيا ما مات من آمال المسلمين بها".

إلى أن يقول: "...ان الانتصار على التتار لم يكن فى الحقيقه بردهم عن الشام فى موقعه "عين جالوت" و إنما كان بفتح قلوبهم إلى الإسلام و هدايتهم له".

و هذا ما حققه نصير الدين الطوسى.

هكذا استطاع نصير الدين الطوسى أن يهزم بالعقل و العلم الدوله الطاغيه الباغيه، و أن تنجح خططه فى تحويل المغول من وثنيين إلى مسلمين.

(١) بعد أن ألم بعلوم اللغة و الأدب تحول إلى دراسته الفقه و المنطق و الحكمة و الرياضيات... فتعلم الفقه عند والده و حضر مده دروس خاله (نور الدين على بن محمد الشيعي)، أما مقدمات المنطق و الحكمة فيذكر البعض أنه تتلمذ فيها على خاله أيضا، و قد درس مقدمات في الرياضيات بمدينة طوس عند (كمال الدين محمد حاسب). رحل بعد ذلك إلى مدينة نيشابور، التي كانت تعد عهدئذ مركزا علميا هاما و موطننا لجمع من كبار الحكماء و الفقهاء و العلماء و الفضلاء، و مكث فيها مده يختلف إلى مجالسهم و ينهل منها الحكمة و المعرفة، حتى صار في عنفوان شبابه بارعا ضليعا في أكثر الفنون و العلوم.. و يبدو أنه رحل عن تلك الديار قبل أن تتعرض نيشابور لحمله جيش التاتار الذي ألحق بها الهلاك و الدمار. فسافر إلى مدينة (الري) و منها توجه إلى بغداد و الموصل حيث حضر مجالس كبار العلماء، و قد درس في الموصل عند (كمال الدين بن يونس الموصلی) ثم نال إجازة من (سالم بن بدران المصري) الذي كان يعد من كبار فقهاء الشيعة ثم عاد إلى وطنه.

استاذته

١ - وجيه الدين محمد بن الحسن: و هو جد نصير الدين، يعد من فقهاء ذلك العصر و محدثيه، تعلم عنده الفقه و الحديث. و محمد بن الحسن هذا، هو تلميذ السيد فضل الله الراوندي و الذي هو تلميذ المرتضى علم الهدى.(٢)

٢ - نور الدين على بن محمد الشيعي: و هو خال المترجم، كان من العلماء. و يذهب بعض المؤرخين إلى أن المترجم تعلم مقدمات المنطق و الحكمة عند خاله و لكنهم لم يوردوا اسم هذا الخال، إلا أن ابن الفوطي الذي ذكر ذلك أيضا صرح باسم خاله (نور الدين على بن محمد الشيعي).

٣ - نصير الدين أبو طالب عبد الله بن حمزه الطوسي: و هو خال أبيه (محمد بن الحسن)، و كان من كبار علماء الاماميه. سمع المترجم عنده الحديث و حصل منه على إجازة في روايته. أن نصير الدين هذا يروى عن عفيف الدين محمد بن الحسن الشوهاني و هذا يروى عن الشيخ المفيد عبد الجبار المقرئ و الأخير [الأخير] يروى عن شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

و بناء على هذا التسلسل فان الخواجه نصير الدين يتصل بشيخ الطائفة الطوسي عبر أربع وسائط.

٤ - فريد الدين النيشابوري: أبو محمد الحسن بن محمد بن حيدر الفريومدي النيشابوري و هو رجل حكيم و أصولي، عرف ب "الداماد".

يذهب أكثر المؤرخين إلى أن فريد الدين هذا كان تلميذ صدر الدين على بن ناصر السرخسي النيشابوري و الذي هو تلميذ أفضل الدين الجيلاني، و الجيلاني هذا كان تلميذا لابن العباس اللوكري تلميذ بهمنيار الذي تتلمذ بدوره على (أبو على بن سينا). و بناء على التسلسل هذا فان المترجم يعد تلميذ ابن سينا عبر خمس وسائط ثم هو تلميذ الامام الفخر الرازي بعد واسطه واحده. لقد تعلم المترجم كتاب الإشارات للشيخ (ابن سينا) عند فريد الدين كما أخذ عنه في الحكمة أيضا.

٥ - قطب الدين المصرى (المقتول فى ٦١٨ هـ): و هو إبراهيم بن على بن محمد السلمى، أصله من المغرب، و لأنه أقام مده من حياته فى مصر فقد أطلق عليه لقب المصرى عند ما استقر فى خراسان.

و هو من ألمع تلامذه الامام الفخر الرازى. و بعد وفاه الامام الرازى اتسعت دائره نشاطه و إفاداته فى نيشابور حيث كان يقصده الطلاب من مختلف الأمصار و البلدان ليفيدوا من علومه و دروسه. و قد قتل المصرى عند ما غزا المغول مدينه نيشابور. من تأليفاته، شرح ل (قانون) ابن سينا. و يبدو أن المترجم درس عنده فى علوم الحكمة و الطب.

٦ - كمال الدين بن يونس الموصلى (المتوفى ب ١٤ أو ١٥ شعبان سنه ٦٣٩ هـ): هو أبو الفتح موسى بن أبى الفضل يونس بن محمد، كان جامعاً لجميع العلوم و ماهراً ضليعاً فى كل الفنون، خاصه رياضيات أقليدس، الهيئه، المخروطات المتوسطات، (المجسطى)، الحساب، الجبر، المقابله، الموسيقى، الفقه و أصول الفقه، و كان متميزاً قديراً نحريراً لم يبلغ درجته العلميه أى واحد من أقرانه و رفاقه.

أما المترجم فقد استفاد من دروسه - فى بغداد أو الموصل - حيث أخذ عنه شيئاً من علوم الرياضيات و الحكمة.

٧ - معين الدين المصرى: هو أبو الحسن سالم بن بدران المازنى، من كبار فقهاء الشيعة و له عدده مصنفات حول مذهب الاماميه. لقد وصفه صلاح الدين الصفدى فى كتاب (الوافى بالوفيات) بأنه شيعى معتزلى و كذلك فعل محمد بن شاکر فى كتاب (فوات الوفيات).

و هو من تلاميذ ابن إدريس الحللى صاحب كتب (السرائر)، و قد روى عن السيد عز الدين أبو المكارم حمزه بن على بن زهره الحسينى الحللى صاحب كتاب (غنيه النزوع).

كان المترجم الطوسى من تلاميذه فى الفقه و أصول الفقه كما كان مجازاً من قبله، و نقل فيما يلى نص الإجازة.

"قرأ على جميع الجزء الثالث من كتاب "غنيه النزوع إلى علمى الأصول و الفروع" من أوله إلى آخره قراءه تفهم و تبين و تأمل، مستبحت عن غوامضه، عالم بفنون جوامعه، و أكثر الجزء الثانى من هذا الكتاب و هو الكلام فى أصول الفقه. الامام الأجل العالم الأفاضل الأكمل الأورع المثقف المحقق نصير المله و الدين وجيه الإسلام و المسلمين سند الأئمه و الأفاضل مفخر العلماء و الأكابر أفضل أهل خراسان محمد بن محمد بن الحسن الطوسى زاد الله فى علائه و أحسن الدفاع عن حوائه، و أذنت له فى روايه جميعه عنى و عن السيد الأزهر العالم الأوحى الطاهر الزاهر البارع عز الدين أبى المكارم حمزه بن على بن زهره الحسينى قدس الله سره و نور ضريحه و جميع تصانيفه و جميع تصانيفى و مسموعاتى و قراءاتى و اجازاتى عن مشايخى ما أذكر أسانيدى و ما لم أذكر إذا ثبت عنده و ما لعلنى أن أصنفه.

و هذا خط أضعف خلق الله و أفقرهم إلى عفوه سالم بن بدران بن على.

- ١- من هنا إلى آخر البحث مكتوب بقلم: مدرس رضوى، و مؤلفاته و ان ذكرت من قبل فان هنا تفاصيل اخرى عنها.
- ٢- لا يبدو أن الراوندى أدرك زمان المرتضى علم الهدى (المتوفى سنة ٤٢٦ [٤٣٦هـ]) و لهذا السبب يذهب البعض إلى أن السيد فضل الله الحسينى الراوندى من تلامذه شرف السادات أبو تراب المرتضى بن السيد الداعى مؤلف كتاب (تبصره العوام)، و ليس السيد المرتضى علم الهدى.

المازنى المصرى كتبه ثامن عشر جمادى الأخرى سنة تسع عشره و ستمائه حامدا لله مصليا على خير خلقه محمد و آله الطاهرين
(١)."

أما نصير الدين فإنه ينقل عن استاذه معين الدين فى كتاب (الفرائض) و يذكره:

" و لنورد المثال الذى ذكره شيخنا الامام السعيد معين الدين سالم بدران المصرى فى كتابه الموسوم بالتحريير".

٨ - الشيخ أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهانى: لقد استفاد المترجم منه لمدته من الوقت و كان حينها زميلا و شريكا فى الدرس للشيخ ميثم البحرانى و السيد رضى الدين بن طوس.

و لقد ذكر البعض أن المترجم تعلم فى الفقه عند الشيخ ميثم البحرانى كما أن الشيخ ميثم البحرانى كان يأخذ عنه دروسا فى الحكمة. و لهذا فان الشيخ ميثم البحرانى يعد من بين أساتذه المترجم.

٩ - الشيخ برهان الدين محمد بن محمد بن على الحمدانى القزوينى: كان ساكنا فى الرى و كان مجازا للروايه من الشيخ منتخب الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن الرازى القمى صاحب الفهرست. و قد عاش إلى العام (٦١٢ هـ) و سمع المترجم عنه الحديث و كان بعد [يعد] شيخ المترجم فى روايه الحديث.

١٠ - كمال الدين محمد الحاسب: و قد ورد ذكره فقط فى رساله (السير و السلوك) المنسوبه للمترجم و لم يذكر اسمه فى المصادر و النصوص الأخرى.

١١ - سراج الدين القمى: الذى ذكر فى كتاب (دره الأخبار) - فقط - على أنه أستاذ المترجم.

مؤلفاته

يعد المترجم من بين الذين اشتهروا بكثرة التأليف و التصنيف فى مختلف العلوم و الفنون المعروفه فى عصره. كالتاريخ و العلوم و الأدب و الفقه و التفسير و الأخبار و الحكمة و الفلسفه و الأخلاق و الهندسه و الحساب و الجبر و المقابله و الهيئه و النجوم (الفلك) و علم التقويم و (الزيج) و أحكام النجوم و الأسطرلاب و الموسيقى و بقيه العلوم.

و قد عرفت مؤلفاته بسهولة العبارة و الخلو من تعقيداتها و التهذيب و تنقيح المعانى و بعدها عن الحشو و الزوائد الخاليه من المعانى مما جعلها مورد رغبة الطلاب و إقبال العلماء بنحو أصبحت تلك المؤلفات من بين كتب الدراسه على امتداد قرون من الزمن و هذا تناولها كثير من العلماء بالتعليق و التداول و الشرح.

و قد كانت مؤلفاته باللغه العربيه و الفارسيه، كما ترجمت بعض رسائله العلميه من العربيه إلى الفارسيه و بعض كتبه من الفارسيه إلى العربيه كما ترجم قسم من مؤلفاته إلى اللغات الأجنبيه الأخرى.

و قد تناولت تلك المؤلفات علوم الرياضيات و الأجوبه على المسائل المطروحه و كذلك جملة من المقالات و المعالجات

المختصره إلى جانب ترجماته لكتب كثيره...

و فيما يلي ثبت بأسماء مؤلفاته: ١ - تحرير (المجسطى): و أصل هذا الكتاب من بطليموس قلوذيست، و هو يشتمل على ثلاث عشره مقاله و بعض الفصول و ١٩٦ شكلا. و قد حرر المترجم هذا الكتاب لحسام الدين و سيف الناظرين الحسن بن محمد السيواسى.

و انتهى من تحريره فى الخامس من شوال سنة (٦٤٤هـ).

٢ - تحرير أقليدس: (أو تحرير أصول الهندسه) و هذا الكتاب نقله من اليونانيه إلى العربيه ثابت بن قره و قد قام المترجم بتحريره.

كتب المترجم فى مقدمه هذا الكتاب: "كتب هذا الكتاب بعد (تحرير مجسطى) و فرغت من تحريره فى ٢٢ شعبان ٦٤٦هـ".

٣ - تحرير أكر مالوس: و هو من كتب المتوسطات، و المقصود بالمتوسطات الكتب التى كان ينبغى أن تقرأ بعد كتاب أقليدس و قبل (المجسطى) - و قد ورد فى بعض نسخ الكتاب ثلاث مقالات و فى بعض نسخه مقالاتان. و قد فرغ من تحرير هذا الكتاب فى ٢١ شعبان (٦٤٣هـ).

٤ - تحرير أكر تاو ذوسوس: و هو أيضا من بين كتب المتوسطات.

و يتكون من ثلاث مقالات و يشتمل على ٥٩ أو ٥٨ شكلا.

و قد فرغ من تحريره فى جمادى الأولى سنة ٦٥١هـ.

٥ - تحرير المأخوذات: فى أصول الهندسه، و أصل هذا الكتاب من أرشميدس حيث نقله ثابت بن قره إلى اللغه العربيه.

و قد ذكر المترجم فى مقدمته:

عد المتأخرون هذا الكتاب فى كتب المتوسطات و هو يشتمل على مقاله و ٥١ شكلا.

٦ - تحرير كتاب المعطيات فى الهندسه: ان مؤلف هذا الكتاب هو أقليدس، و قد ترجمه من اليونانيه إلى اللغه العربيه إسحاق بن حنين و نقحه و أصلحه ثابت بن قره، و قام المترجم بتحريره و هو يشتمل على ٩٥ شكلا.

٧ - تحرير كتاب (كره متحركه) (الكره المتحركه): ان مؤلف هذا الكتاب (أطولوقس) و قد ترجمه إلى العربيه ثابت بن قره. و قام بتحريره المترجم و هو يشتمل على مقاله و ١٢ شكلا. و قد فرغ من تحريره فى يوم الجمعة ٧ جمادى الأولى سنة ٦٥١هـ.

٨ - تحرير معرفه مساحه الأشكال البسيطه و الكرويه: من تأليف بنى موسى أحمد و حسن و محمد. و قد قام المترجم بتحريره سنة

٦٥٣هـ.

٩ - تحرير كتاب الليل و النهار: أو كتاب الأيام و الليالي. ان مؤلف هذا الكتاب هو ثاوذوسيوس. و يحوى مقالتين و ٣٣ أو ٣٠ شكلا. و قد فرغ المترجم من تحريره فى التاسع من جمادى الأولى سنة ٦٥٣هـ.

١٠ - تحرير كتاب المناظر: ان مؤلف هذا الكتاب هو أفليدس. و قد ترجمه إسحاق بن حنين إلى اللغة العربيه و قام باصلاحه و تنقيحه ثابت بن قره. و انتهى المترجم من تحريره فى شوال ٦٥١هـ.

١١ - تحرير كتاب جرمى النيرين و بعديهما: مؤلف الكتاب ارسطرخس.

و هو يشتمل على ١٧ شكلا. قام بتحريره نصير الدين فى سنة ٦٥٣هـ.

١٢ - تحرير طلوع و غروب (الشروق و الغروب): مؤلف الكتاب هو ك.

ص: ٢٠٠

١- الإجازات: بحار الأنوار، طبع طهران، ص ١٦. و ورد فى كتاب (لؤلؤة البحرين) كذلك.

أطولوقس و قد نقله قسطا بن لوقا من اليونانية إلى العربية و قام ثابت بن قره و الكندي باصلاحه و تنقيحه كما قام المترجم بتحريه سنة ٦٥٣ هـ و الكتاب يحوى مقالاتين و ٣٦ شكلا.

١١ - تحرير مطالع (المطالع): مؤلف الكتاب هو اسقيلاوس. و قد قام بترجمته من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية قسطا بن لوقا. و صححه و نقحه يعقوب بن إسحاق الكندي. كما حرره المترجم. و الكتاب يشتمل على ثلاث مقدمات و شكلين. فرغ من تحريره سنة ٦٥٣ هـ.

١٤ - تحرير كتاب المفروضات: مؤلف الكتاب أرشميدس. ترجمه من اليونانية إلى العربية ثابت بن قره و حرره المترجم، يحوى ٣٦ شكلا و فى بعض النسخ ٣٤ شكلا. فرغ من تحريره سنة ٦٥٣ هـ.

١٥ - تحرير كتاب ظاهرات الفلك: مؤلف هذا الكتاب هو أفليدس و قد ترجمه ثابت بن قره من اليونانية إلى العربية. و حرره المترجم. يتضمن ٢٣ شكلا - كما ورد فى بعض النسخ - أو ٢٥ شكلا كما ورد فى نسخ اخرى. أما فى الحال الحاضر فليس بين أيدينا سوى شكلين مما تضمنه الكتاب. و قد فرغ من تحريره فى ربيع الأول سنة ٦٥٣ هـ.

١٦ - تحرير (كره و استوانه) الكره و الاسطوانه: أو شرح الكره و الاسطوانه.

مؤلف هذا الكتاب هو أرشميدس - و قد نقله من اليونانية إلى العربية ثابت بن قره. و حرره المترجم يحوى هذا الكتاب ٤٨ شكلا و فى بعض النسخ ٤٣ شكلا.

١٧ - مقاله فى تكسير الدائره: و هو من تأليف أرشميدس أيضا حرره المترجم و أضافه إلى آخر كتاب. (تحرير الكره و الاسطوانه).

١٨ - تحرير كتاب المساكن: مؤلف الكتاب تاودوسيوس. و قد نقله إلى العربية قسطا بن لوقا. و حرره المترجم يحوى هذا الكتاب ١٢ شكلا. فرغ من تحريره سنة ٦٥٣ هـ.

١٩ - المخروطات: مؤلف الكتاب هو إبلوثيوس و هو يتضمن سبع مقالات. ترجم المقالات الخمس الأول منها إلى اللغة العربية هلال بن هلال الحمصى، أما المقاله السادس و السابع فقد قام بنقلها إلى العربية ثابت بن قره. كما قام بتصحيحها و تنقيحها أحمد بن موسى و حررها المترجم.

٢٠ - الاسطوانه: ورد اسم هذا الكتاب فى فهرست كتب المترجم التى ذكرها كل من الصفدى و محمد بن شاكرا. الا أن صاحب (الذريعه) احتمل أن يكون هذا الكتاب هو نفس كتاب (تحرير الكره و الاسطوانه) لمؤلفه أرشميدس.

٢١ - كشف القناع عن اسرار شكل القطاع: هذا كتاب الشكل الأول من الأشكال ذات الأبعاد الثلاثه لاكرمانالاوس الذى نقله المترجم إلى الفارسيه أولا ثم إلى العربية. و هو مرتب فى خمس مقالات. و يسمى البعض هذا الكتاب ب (الشكل القطاع).

٢٢ - تريبع الدائره: صنفه أرشميدس و حرره المترجم.

٢٣ - حالات الخطوط المنحنيه: من تأليف الحكيم الرياضى اپلنيوس. يحوى اربع مقالات، ترجم مقاله الأولى أحمد بن موسى الحمصى. و ترجم البقيه ثابت بن قره، ثم راجعه و نقحه حسن و أحمد بن موسى بن شاكر.

و حرره المترجم.

٢٤ - تسطيح الكره و المطالع: من تصنيفات بطليموس قلوذيست. نقله من اليونانيه إلى العربيه ثابت بن قره. و حرره المترجم.

٢٥ - رساله فى انعطاف الأشعه و انعكاسها: أو رساله فى انعكاسات الأشعه.

٢٦ - رساله الشافعيه: أو رساله " فى مصادرات أقليدس فى الهندسه " .

ينقل و ينقد المترجم فى هذه الرساله أقوال على بن هيثم المتبحر فى علوم الرياضيات و أبى الفتح عمر الخيامى و عباس ابن سعيد الجوهري فى باب مصادرات أقليدس و يعرض رأيه فى هذا الباب و يدلل عليه.

٢٧ - كتاب التجريد فى الهندسه: و يشمل سبع مقالات.

٢٨ - كتاب البلاغ: و هو عبارته عن شرح لكتاب أقليدس. من تأليف الخواجه نصير الدين الطوسى.

٢٩ - رساله فى شكل القطاع السطحى: توجد نسخه من هذا الكتاب فى المكتبه الوطنيه بباريس.

٣٠ - مختصر كرات أرشميدس: ترجمه ثابت بن قره و تحرير الخواجه نصير الدين الطوسى.

٣١ - تحرير المائه و الخمس مسائل من أصول الهندسه.

٣٢ - رساله فى باب تعيين قبله تبريز، باللغه العربيه.

٣٣ - جامع الحساب بالنحت و التراب: أو (جوامع الحساب) يشتمل هذا الكتاب على ثلاثه أبواب و بعض الفصول.

٣٤ - رساله الحساب: باللغه الفارسيه، و توجد نسختها فى مكتبه ملك الوطنيه. (طهران).

٣٥ - رساله فى الحساب و الجبر و المقابله: يحوى هذا الكتاب بايين:

الباب الأول فى أصول قواعد الحساب، و الباب الثانى فى كيفيه استخراج مجهولات الأعداد المتناسبه بطريقه الجبر و المقابله. و قد ألفت فى سنه ٦٦٧ هـ.

٣٦ - كتاب الظفر: و هو أيضا فى الجبر و المقابله، و قد نسبه (الحاج خليفه) إلى المترجم.

٣٧ - رساله فى علم المثلثات: ذكر فى (تذكره النوادر) ان نسخه هذا الكتاب بخط قطب الدين العلامه الشيرازى موجوده فى

مكتبه مولانا يعقوب بدوانى فى الهند.

٣٨ - "الرساله المعينيه" أو "المفيد": و هو كتاب فى علم الهيئه، كتب باللغه الفارسيه. مؤلف فى أربع مقالات. كتبه سنه ٦٣٢ هـ فى قهستان باسم أبو الشمس معين الدين بن ناصر الدين المحتشم.

٣٩ - شرح المعينيه: أو (حل مشكلات الرساله المعينيه) و قد كتب هذا الشرح بطلب من نفس معين الدين فى قهستان.

ص: ٢٠١

و يحتوي على ثلاثين فصلا.

٤١ - زبده الإدراك في هيئه الأفلاك: و هي رساله مختصره في علم الهيئه كتبت في مقدمه و مقالتين، باللغه العربيه.

٤٢ - التذكره النصيريه: في علم الهيئه، يعد هذا الكتاب من أهم الكتب في هذا الفن و اجمعها لمسائله. و هو مرتب على أربعة أبواب، و قد ألفه بناء على طلب عز الدين الزنجاني بتاريخ ٦٥٦ هـ. و قد تناوله جمع كبير من اخصائي هذا العلم بالشرح و التوضيح.

٤٣ - رساله في بيان الصبح الكاذب: و هي رساله مختصره جدا في هذا الباب - و توجد نسختها في مكتبه مدرسه سپهسالار بطهران.

٤٤ - رساله في تحقيق قوس قزح: و هي أيضا رساله مختصره جدا و نسختها موجوده في مكتبه ملك الوطنيه.

٤٥ - مختصر في معرفه التقويم: و هو كتاب معروف بأنه يتالف من ثلاثين فصلا، ألفه باللغه الفارسيه سنه ٦٥٨ هـ بعد الشروع في مرصد مراغه.

٤٦ - ثلاثون فصلا في الهيئه و النجوم: توجد نسخه في مكتبه اكسفورد.

٤٧ - (زيج ايلخاني): و هو كتاب ألف باللغه الفارسيه. يحوى أربع مقالات: المقاله الأولى في معرفه التواريخ، و المقاله الثانيه في معرفه حركه الكواكب و مواقعها في خطوط الطول و العرض و توابع ذلك، و المقاله الثالثه في معرفه الأوقات، و المقاله الرابعه في بقيه اعمال النجوم و جداول حركات الكواكب.

٤٨ - مدخل إلى علم النجوم: منظومه في علم النجوم باللغه الفارسيه.

٤٩ - اختيارات مسير القمر: هذا الكتاب أيضا عباره عن منظومه باللغه الفارسيه كتبت على وزن بحر الرمل، المثنى، المحذوف أو المقصور حول اختيارات حركه القمر و أحواله.

٥٠ - رساله في التقويم و حركات الأفلاك: و توجد نسختها في مكتبه (آستان قدس) "مشهد/إيران".

٥١ - كتاب (البارع في علوم التقويم).

٥٢ - تحصيل در علم نجوم (الدراسه في علم النجوم): توجد نسخه هذا الكتاب في مكتبه اكسفورد.

٥٣ - التقويم العلائي: ألف باسم علاء الدين محمد الملك الإسماعيلي.

٥٤ - نهايه الإدراك و درايه الأفلاك: ذكر في كتاب (كشف الحجب و الأستار) ان الخواجه نصير الدين ألف هذا الكتاب في عهد بهاء الدين محمد الجويني بطلب محمد بن عمر بدخشاني.

يرجى ملاحظه أن نسبة الكتب الخمس الأخيره للمترجم غير أكيده.

٥٥ - شرح ثمره بطليموس أو "ترجمه ثمره" (ترجمه الثمره): بناء على تمنى و رغبه حاكم أصفهان الخواجه بهاء الدين محمد بن شمس الدين الوزير فإنه قد ترجم كتاب الثمره لبطليموس و أضيفت إليه مطالب و موضوعات اخرى.

و يتضمن هذا الكتاب مائه عباره و مقوله و لذلك يقرأ باليونانيه انسطوريطا. و قد تمت ترجمه هذا الكتاب و شرحه فى سنه ٦٧٠ هـ.

٥٦ - بيست باب در معرفت اسطرلاب (عشرون بابا فى معرفه الأسطرلاب): رساله صغيره باللغه الفارسيه فى معرفه الأسطرلاب و طريقه عملها.

٥٧ - صد باب در معرفت اسطرلاب (مائه باب فى معرفه الأسطرلاب): يرى صاحب "الذريعه" أن الكتاب الأول "عشرون بابا فى معرفه الأسطرلاب" هو مختصر هذا الكتاب.

٥٨ - مقاله در موسيقى (مقاله فى الموسيقى) توجد نسخه هذا الكتاب فى المكتبه الوطنيه بياريس.

٥٩ - كتاب تحرير المنطق مختصر باللغه العريه يحوى تسعه فصول. توجد نسخه قديمه من هذا الكتاب فى مكتبه ملك الوطنيه بطهران.

٦٠ - أساس الاقتباس: يعد هذا الكتاب أكبر الكتب فى علم المنطق و أهمها بعد كتاب "الشفاء". و قد كتب باللغه الفارسيه. و يحوى تسع مقالات. و قد ألف فى سنه ٦٤٢ هـ.

٦١ - تعديل المعيار فى نقد تنزيل الأفكار: أصل الكتاب ألفه المفضل بن عمر أثير الدين أبهرىست، و قد نقده المترجم و اسماه ب (تعديل المعيار..).

٦٢ - مقولات عشر (المقولات العشر).

٦٣ - كتاب التجريد: أو (تجريد العقائد) أو (تحرير العقائد فى الكلام) و هذا المختصر يعد أول كتاب يصنف بهذه الطريقه وفق معتقدات و عقائد الاماميه - و هو مرتب فى سته مقاصد أو موضوعات.

٦٤ - قواعد العقائد: و هو رساله مختصره فى أصول العقائد - و قد ذكر اسم هذا الكتاب بصور اخرى مثل: "رساله اعتقاديه" و "مقاله نصيريه".

٦٥ - فصول نصيريه: و هو كتاب صغير فى أصول العقائد كتب باللغه الفارسيه. و قد نقله إلى العريه ركن الدين محمد بن على الفارسى الجرجانى.

٦٦ - تلخيص المحصل: أو (نقد المحصل)، و هو فى علم الكلام. و هو عباره عن تهذيب و تنقيح قام به المترجم لكتاب

(محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين) للإمام الرازي، بالاضافه إلى نقود لبعض مواضيع الكتاب. و قد ألفه باسم عطل [عطا] ملك الجويني سنه ٦٦٩ هـ.

٦٧ - آغاز و انجام (البدايه و النهايه): رساله في المبدأ و المعاد و قد ذكرت أيضا باسم: "رساله في المبدأ و المعاد" و قد ذكر المترجم نفسه في مقدمه هذه الرساله اسما آخر هو "تذکره باد".

٦٨ - (رساله اعتقاديه) أو (اعتقادات) أو العقيدته المفیده): مقاله مختصره حول ما يجب أن يعتقد به المسلم الشيعي.

٦٩ - رساله إثبات واجب (رساله إثبات الواجب): و هي رساله مختصره باللغه الفارسيه، أورد فيها أربعة أوجه لاثبات الواجب (الله) (واجب الوجود) على طريقه المتكلمين، و ثلاثه أوجه على طريقه الحكماء.

ص: ٢٠٢

و قد ألفها على طريقه المناظره.

٧١ - (الرساله المقنعه): و هى رساله فى أصول الدين باللغه العربيه.

و قد شرح محمد مؤمن ابن طاهر الدين الكرمانى هذه الرساله و نسبها فى مقدمه - إلى نصير الدين الطوسى.

٧٢ - رساله أصول الدين: و هى رساله فى أصول العقائد مؤلفه باللغه العربيه.

٧٣ - رساله اخرى فى أصول العقائد: و هى رساله كتبت باللغه العربيه تبحث فى التوحيد و العدل و المعاد و الامامه.

٧٤ - رساله امامت (رساله الامامه): و قد ألفها بناء على طلب محمد الدين شهاب الإسلام على بن نام آور.

٧٥ - إثبات الفرقه الناجيه: يرى صاحب (الذريعه) ان هذه الرساله من تأليف الخواجه نصير الدين الطوسى.

٧٦ - رساله جبر و اختيار (رساله الجبر و التفويض): و قد ورد اسمها بنحو آخر و هو (جبر و قدر و قضاء و قدر) أى (الجبر و القدر و القضاء و القدر).

٧٧ - شرح إشارات (شرح الإشارات): و المسمى ب (حل مشكلات إشارات)، لقد طبع أصل هذا الكتاب باسم (الإشارات و التنبهات) للفيلسوف الحكيم الكبير الشيخ أبو على بن سينا. و قد تناوله جمع من كبار العلماء بالشرح و منهم الامام فخر الدين الرازى و الذى أورد كثيرا من الإشكالات على الشيخ ابن سينا. ثم تناوله نصير الدين بالشرح أيضا ورد خلال الشرح على إشكالات الفخر الرازى، و قد استغرق عمله فى هذا الكتاب عشرين عاما حيث فرغ من الشرح فى سنه ٦٤٤ هـ.

٧٨ - مصارع المصارع: كتب تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستانى كتابا اسماء (المصارعات) و ضمن هذا الكتاب اعتراضات و إشكالات كثيره على فلسفه ابن سينا و آرائه. (و ادعى فى كتابه انه يصارع الشيخ). فألف المترجم كتابه (مصارع المصارع) ورد فيه على الاعتراضات و الشبهات التى أوردها تاج الدين فى كتابه.

٧٩ - أقسام الحكمه: رساله مختصره باللغه العربيه. فى بيان أقسام الحكمه بنحو موجز.

٨٠ - شرح مرموز الحكمه: ان كتاب (مرموز الحكمه) مؤلف باللغه العربيه و منسوب ل (أبو على بن سينا). و له شرح باللغه الفارسيه منسوب إلى نصير الدين.

٨١ - شرح رساله العلم: و هى رساله مختصره من تأليف أبو جعفر أحمد بن على بن سعيد بن سعاد. و قد أرسلها تلميذه جمال الدين على بن سليمان البحرانى إلى نصير الدين الطوسى ليقوم بتوضيح موضوعاتها و شرح المسائل التى وردت فيها. و قد قام الطوسى بشرحها و توضيحها بنحو بدیع رائع.

٨٢ - الرساله المنتخبه فى معالم حقيقه النفس و ما يتصل بذلك: رساله مؤلفه باللغه العربيه. فى حقيقه النفس. و تشمل على ثلاثه فصول و خاتمه.

٨٣ - رساله في ماهيه العلم و العالم و المعلوم: و هي رساله مختصره باللغه العربيه منسوبه إلى نصير الدين. و قد طبعت بطهران باسم (العلم اللدني و الكسبي) في حاشيه كتاب (المشاعر) للأخوند ملا صدرا.

٨٤ - لقاء النفس بعد فناء البدن: ألف هذه الرساله بطلب رفيقه في العمل مؤيد الدين العرضي.

٨٥ - رساله در موجودات و أقسام آن (رساله في الموجودات و أقسامها):

رساله مختصره باللغه الفارسيه.

٨٦ - رساله في صدور الخلق من (حضره) الحق: و هي رساله مكتوبه باللغه العربيه يتحدث فيها عن كيفيه صدور الموجودات من المبدأ الفياض، ثم يتبادل آراء الحكماء في باب علم الله تعالى. و قد ألف هذا الكتاب في سنه ٦٦٦ هـ. بناء على طلب قاضي القضاة في هرات (بافغانستان).

٨٧ - رساله إثبات جوهر مفروق (رساله إثبات الجوهر المفروق): و قد ذكر لهذه الرساله اسمان آخران هما (إثبات العقل) و (رساله نصيريه).

٨٨ - رساله در كيفيت صدور كثرات از وحدت (رساله في كيفيه صدور الكثره من الواحد): توجد نسخه هذه الرساله في مكتبه ملك الوطنيه.

٨٩ - رساله در نفى و إثبات (رساله في النفي و الإثبات): و هي رساله مختصره باللغه الفارسيه.

٩٠ - روضه القلوب: رساله حول الحقيقه كتبت باللغه الفارسيه.

٩١ - تحفه (التحفه) رساله باللغه الفارسيه حول معرفه النفس.

٩٢ - ربط الحادث بالقديم: و هي رساله يبحث فيها عن ارتباط و علاقه الموجودات الحادثه بالله الخالق تعالى. و في هذه الرساله يذكر استاذه فريد الدين محمد الداماد النيشابوري.

٩٣ - رساله رد إيراد كاتبي قزويني بر حكما (رساله في رد إشكال الكاتب القزويني على أدله الحكماء): ألف على بن عمر الكاتبي رساله مختصره في إثبات الواجب (الله) و في هذه الرساله عرض إشكالات على أدله الحكماء. فألف المترجم الرساله المذكوره و أبطل إشكالات الكاتبي و أجاب عليها.

٩٤ - رساله إثبات عقل فعال (رساله إثبات العقل الفعال).

٩٥ - رساله در اينكه مفهوم از ادراك تعقل است يا غير آن (رساله في أنه هل المفهوم من الإدراك التعقل أم غير ذلك).

٩٦ - رساله در اتحاد مقول و مقول عليه (رساله في اتحاد المقول و المقول عليه).

٩٧ - رساله در بحث از علل و معلولات مترتبه (رساله في بحث العلل و المعلولات المترتبه).

٩٨ - رساله در كيفيت انتفاع بحس (رساله في كيفيه الانتفاع بالحس).

٩٩ - جام گيتي نما (مرآه العالم): في اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، و قد نسبت إلى الخواجه الطوسي.

ص: ٢٠٣

١٠١ - رساله خلق اعمال (رساله خلق الأعمال): باللغة الفارسيه.

١٠٢ - رساله در نفوس أرضيه و قواى آنها (رساله فى النفوس الأرضيه و قواها).

١٠٣ - (الفوائد الثمانيه): و هى رساله تشتمل على ثمانى فوائده. فى هذه الرساله بحث فى مسائل مختلفه. كلاميه و فلسفيه من قبيل الزمان و المكان و العلل و المعلولات و معنى العصمه و معانى الطبيعه و أفعال العباد و حول ان المبدأ الأول ليس ممكن الوجود.

١٠٤ - المقالات الست: و تشمل هذه الرساله مقالات مختلفه.

١٠٥ - رساله در إشارات به مكان و زمان آخرت (رساله فى الإشارات لمكان و زمان الآخريه): و هى رساله مختصره باللغة الفارسيه.

١٠٦ - قوانين الطب: ذكرها الحاج خليفه و نسبها إلى الخواجه ١٠٧ - حواشى بر كليات قانون أبو على سينا (حواشى على "كليات قانون" أبو على ابن سينا): ذكر شاکر و الصفدى اسمها و عداها من كتب الخواجه.

١٠٨ - حل مشكلات قانون ابن سينا: و هى اجوبه لتساؤلات و إشكالات نجم الدين الكاتبى القزوينى.

١٠٩ - جواب اسئله العلامه قطب الدين الشيرازى حول مشكلات قانون ابن سينا: ذكر العلامه الشيرازى فى مقدمه (التحفه السعيديه) هذين الكتابين و نسبهما إلى الخواجه.

١١٠ - رساله در جواب اسئله سيد ركن الدين أسترآبادى (رساله فى جواب اسئله السيد ركن الدين الأسترآبادى): المذكور قدم عشرين سؤالاً حول المنطق و الحكمه من استاذه فى شهر محرم سنه ٦٧١هـ، و قد أجاب على تلك الأسئله ضمن هذه الرساله.

١١١ - رساله فى جواب ثلاثه اسئله لاثير الدين الابهرى أجاب عليها و أرسلها إلى الحكيم.

١١٢ - رساله فى جواب اسئله شرف الدين محمد بن محمود الرازى: و هى اسئله موجهه إلى الروم أجاب عليها.

١١٣ - رساله فى جواب نجم الدين على بن عمر الكاتبى القزوينى: و التى يسأل فيها حول معنى قول ابن سينا، ان الحراره تنقل فى الرطب سوادا و فى ضده بياضا.. إلخ "ما المقصود من ذلك؟ فأجاب عليها بجوابين.

١١٤ - سأل أحد الحكماء حول التنفس فكتب حول ذلك رساله.

١١٥ - قدم معز الدين سعد بن كمونه إلى الخواجه اسئله حول مغالطات الكاتبى القزوينى، فكتب رساله فى جواب ذلك.

١١٦ - شكك نجم الدين على بن عمر الكاتبى القزوينى فى المسأله المنطقيه: "نقيض العام أخص من نقيض الخاص". فكتب رساله فى الجواب على ذلك التشكيك.

١١٧ - رساله جوابيه بخصوص سؤال أحد العلماء حول مزاج الأعضاء.

١١٨ - رساله فى جواب لسؤال حول خيريه الوجود؟.

١١٩ - رساله فى الأجوبه على اسئله محبى الدين محيجا العباسى الذى كان تلميذا للمترجم و فى سنه ٦٧١ قدم لاستاذه جمله من الأسئلة فأجاب عليها. ١٢٠ - رساله فى أجوبه المسائل الاسبوعيه التى كان يطلبها عز الدوله سعد بن منصور بن كمونه.

١٢١ - أجوبه على اسئله شمس الدين محمد الكيشى فى المنطق و الحكمه.

١٢٢ - رساله فى جواب الكاتبى القزوينى: الذى سال حول معنى مقوله الحكماء: "السالبه أعم من موضوع الموجه".

١٢٣ - رساله فى جواب الامام نجم الدين النخجوانى حول تساؤله عن معنى قول الحكماء: "المجهول المطلق يمتنع الحكم عليه".

١٢٤ - معاوضات (المعاوضات): و هى رساله تتضمن اجوبه على اسئله الشيخ صدر الدين القونوى - و قد ذكر اسم آخر للرساله هو: (اجوبه المسائل).

١٢٥ - رساله اخرى فى الاجابه على نفس العالم العارف المذكور.

١٢٦ - رساله سؤاليه: قدم ثلاثه اسئله فى هذه الرساله إلى عين الزمان الجبلى.

١٢٧ - الأسئلة النصيريه: و هى اسئله قدمها إلى (الفيلسوف الحكيم المتكلم: فيلسوف عصره و متكلمه و حكيمه شمس الدين الخسروشاهى).

الكتب المترجمه من العربيه إلى الفارسيه و التى نسبت اعمال ترجمتها إلى المترجم ١٢٨ - ترجمه كتاب زبده الحقائق - (عين القضاء الهمدانى) بناء على طلب ناصر الدين المحتشم قام بترجمه هذا الكتاب و شرح المسائل الغامضه فيه.

١٢٩ - ترجمه صور الكواكب لأبى الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفى المتوفى سنه ٣٧٦ هـ.

١٣٠ - ترجمه الأدب الصغير لابن المقفع. و قد ترجمه بناء على طلب ناصر الدين المحتشم أيضا.

١٣١ - ترجمه مالک و ممالک (المالک و الممالک): و هو ترجمه صور الأقاليم، و ينسب (فلوكل) فى (فهرسته) الترجمه إلى الطوسى.

١٣٢ - جواهر الفرائض بالفرائض النصيريه: و هى رساله مختصره فى أصول علم الفرائض و الموارث و فى هذه الرساله ينقل الخواجه عن كتاب التحرير لاستاذه معين الدين سالم بن بدران المعرى.

١٣٣ - شرح لأصول الكافى:

١٣٤ - تفسير سورة الإخلاص و المعوذتين: و هو تفسير مختصر جدا، و بلغه عرفانيه فسر هذه السور الثلاث الإخلاص و الخلق [العلق] و الناس، و ينسب هذا التفسير للشيخ ابن سينا أيضا.

١٣٥ - أخلاق ناصري: و هو من الكتب المشهوره فى هذا الفن و قد ألف هذا الكتاب سنه ٦٣٣ بناء على طلب ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور المحتشم القهستاني، فى قصه قاين.

١٣٦ - أوصاف الأشراف: رساله مختصره باللغه الفارسيه حول أخلاق العرفاء و الزهاد (من أهل السير و السلوك)، ألفها بطلب و رغبه شمس الدين محمد الجوينى، و هى مرتبه فى سته أبواب.

ص: ٢٠٤

يعد من علماء الإسماعيليه كتابا في الأخلاق معتمدا على آيات القرآن و الأحاديث الشريفه النبويه و الآثار القيمه. فجمعه عدد من علماء الدين و كبار الإسماعيليين و سلموه للمترجم طالين إياه إكماله و ترجمته. و بناء على طلبهم فقد قام باكماله و ترجمته.

١٣٨ - نصيحت نامه: و هي جمله نصائح باللغه الفارسيه كتبها ل (آباخان) حين جلوسه على كرسى السلطنه.

١٣٩ - ذيل تاريخ جهان گشاي جويني.

١٤٠ - معيار الأشعار: باللغه الفارسيه. كان يسمى قديما ب (رساله العروض) ألف سنه ٦٤٩ هـ أقدم نسخه لهذه الرساله موجوده ضمن مجموعه آثار المترجم في مكتبه الدكتور محمود نجم آبادي.

١٤١ - الوافي في العروض و القوافي.

١٤٢ - رساله آداب المتعلمين: و هي رساله في آداب التعليم و التعلم و أخلاق المتعلمين و المعلمين. و هي معروفه لدى طلاب العلوم القديمه.

١٤٣ - كتاب الجوهر أو تنسيق نامه ايلخاني: و هي رساله في صفات الأحجار الكريمه و المجوهرات و خواصها و قد ألفها بامر من هولاكو.

١٤٤ - آغاز و انجام (المبدأ و المعاد): و هو كتاب باللغه الفارسيه، موزع على أربعة فصول، في الحيوان و النبات، و المعدن و المتفرقات و النوادر، و قد نسبه صاحب الذريعه، إلى المترجم، و يقال أن نسخه هذا الكتاب موجوده في مكتبه شيخ الشريعه الاصفهاني بالنجف الأشرف.

١٤٥ - رساله في سلوك الملوك القدامى و تقاليدهم: و هي تناول وصول الضرائب و الخراج و موارد صرفها.

١٤٦ - رساله في ضروره الموت (و حتميته): و هي باللغه العربيه تتحدث عن حتميه الموت و لا بديته.

١٤٧ - خلافت نامه: أو بتعبير (دولت شاه السمرقندي): خلافت نامه إلهي.

١٤٨ - ساقى نامه: يذهب الحاج خليفه إلى أن هذا الكتاب من آثار المترجم.

١٤٩ - قانون نامه: يقول الحاج خليفه أيضا في كتاب كشف الظنون ان هذه الرساله كتبت باللغه الفارسيه و هي من تأليفات المترجم.

١٥٠ - تبرأنامه مختصر في ذم أعداء النبي محمد ص، و هي رساله في أربعة فصول.

١٥١ - صلوات النصير: أو (الأئمه الاثنا عشر)، أو (إنشاء الصلوات على أشرف البريات و عترته).

١٥٢ - إثبات اللوح المحفوظ: فى كشف الحجب و الأستار نسب للخواجه.

١٥٣ - النقطة القدسيه: و هى رساله ألفها الخواجه فى شرح و بيان

قول الامام أمير المؤمنين على ع: ان العلم نقطه.

١٥٤ - آداب البحث: رساله ينسبها صاحب (الذريعه) إلى الخواجه.

١٥٥ - الرساله النصيريه: رساله فى توضيح أن الحكيم لا يتعلق بلذائذ البدن. ١٥٦ - شريعته الأشر فى إنجاح المقاصد و الملمات: يذكر الخوانسارى فى كتاب روضات الجنات أن هذه الرساله من تأليف المترجم.

١٥٧ - مقامات الخواجه: و هو كتاب فى مقامات العارفين و هو نفس بحث مقامات العارفين ضمن كتاب شرح الإشارات، و لكنه يرى مستقلا أحيانا.

١٥٨ - كتاب خريده العجائب: لقد نسب صاحب (آثار الشيعه) هذا الكتاب إلى المترجم، و لكنه - قطعا - ليس له و انما هو لابن الوردى.

١٥٩ - شرح رساله التنجيم: هذا الكتاب ينسبه صاحب (آثار الشيعه) إلى المترجم أيضا و لكن ثمة شك فى هذه النسبه.

١٦٠ - رساله مختصره تتضمن بعض الفوائد: الفائده الأولى: ان العقل و الجسم ليسا كالجوهر و العرض. توجد نسخه هذه الرساله فى مكتبه الثقافه الوطنيه.

١٦١ - رساله فى بعض المسائل: المسأله الأولى: فى وجوب معرفه الله، المسأله الثانيه: فى وجود البارى. توجد نسخه هذه الرساله فى المكتبه الوطنيه.

١٦٢ - فوائد مجموعه مقالات مختصره.

الأولى: فى تعارف الأرواح بعد مفارقه الأبدان.

الثانيه: فى الفرق بين الجنس و الماده.

١٦٣ - رساله فى الرمل: و هى باللغه الفارسيه كتبها بامر من هولاكو.

١٦٤ - مختصر الرساله المذكوره: و قد ألف هذا المختصر بامر من هولاكو أيضا.

١٦٥ - رساله فى أحكام منازل الرمل الاثنى عشر: و هى باللغه الفارسيه.

١٦٦ - رساله الرمل: و قد كتبها باللغه العربيه. وضح فيها أعمال ملاء الدوائر و يصطلح على ذلك فى هذا العلم ب (تسكين

١٦٧ - رساله اخرى فى الرمل: و قد كتبت بلغات ثلاث هى: العربيه و الفارسيه و التركيه - منسوبه للمترجم.

١٦٨ - رساله استخراج الخبايا: منسوبه أيضا للمترجم.

١٦٩ - رساله اخرى و هى باللغه الفارسيه.

١٧٠ - رساله اخرى فى نفس الموضوع: توجد نسخه منها فى المكتبه الوطنيه بباريس، و يمكن أن تكون نفس الرساله المذكوره أعلاه.

"بعض الكتب و الرسائل المكتوبه وفقا لمذهب الباطنيه و منسوبه للمترجم".

١٧١ - رساله باسم (سير و سلوك): يقال أن هذه الرساله كتبها مضطرا و مجورا عند ما كان فى قلاع الإسماعيليه.

١٧٢ - رساله التولى و التبرى: و هى مكتوبه بنفس و فكر باطنى و يبدو أن هذه الرساله كتبها فى (قهستان) و فى المقدمه يذكر اسم ناصر الدين المحتشم و يلقبه معلم العصر و الملك الكبير.

١٧٣ - رساله فى النعم و المتع و اللذائذ: و هى مكتوبه على الطريقه التعليميه الباطنيه و منسوبه إلى المترجم.

١٧٤ - رساله باسم "مطلوب المؤمنين": و هى مكتوبه فى تأييد مذهب الإسماعيليه و ينسبها المستشرق (ايوانف إلى المترجم. و قد قام هذا المستشرق بطبعها.

المستشرق (ايوانف) بطبعه.

ان نسبه هذه الرسائل للمترجم غير متأكد منها و ان سياق الرسائل الثلاث الأخيره أو طريقه و أسلوب كتابتها ليس كاسلوب المترجم و على الأرجح انها نسبت إليه و ليست له.

١٧٦ - يذكر صلاح الدين الصفدى فى الفهرست، الذى يدرج فيه كتب المترجم بعض الكتب التى تؤيد مذهب النصيريه. الا أن المؤلف نفسه يقول:

"لا اعتقد أنه قد كتب مثل هذا الكتاب".

بالاضافه إلى الكتب المذكوره و الرسائل العلميه فان هناك بعض مراسلاته (و ربما تكون منسوبه اليه) مع العلماء و غيرهم توجد بعضها ضمن كتب التاريخ.

١٧٧ - رساله من جانب هولاءكو بعد فتح بغداد إلى الملك ناصر ملك الشام مكتوبه بإملاء الخواجه باللغه العربيه و صوره هذه الرساله مثبتة فى كتاب (وصاف الحضرة).

١٧٨ - رساله اخرى مكتوبه من جانب ملك المغول إلى الملك ناصر و مثبتة فى كتاب جامع التواريخ.

١٧٩ - رسالتان فى جواب علم الدين قيصر. مدرجتان فى نهايه بعض نسخ (الشافيه).

١٨٠ - رساله إلى الكاتبى القزوينى. باللغه العربيه، و قد ورد فى آخر الرساله رد دليل الحكماء على إثبات الواجب.

١٨١ - رساله اخرى باللغه العربيه مكتوبه إلى جمال الدين على بن سليمان البحرانى، و التى ذكر فى بدايتها شرح رساله العلم.

١٨٢ - رساله اخرى إلى جمال الدين عين الزمان الجلبى، مكتوبه فى بعض المجامع المذكوره.

١٨٣ - رساله اخرى إلى محيى الدين محيا العباسى مكتوبه باللغه العربيه، شوهدت فى بعض المجامع.

١٨٤ - رساله باللغه الفارسيه إلى صدر الدين القونوى.

١٨٥ - رساله باللغه الفارسيه إلى أثير الدين الأبهري.

١٨٦ - رساله باللغه الفارسيه إلى شمس الدين الكيشى.

الشهيد الأول محمد بن مكى

مرت ترجمته فى الصفحه ٥٩ من المجلد العاشر و ذكر فيها أن السلطان على بن المؤيد ملك خراسان و ما والاها طلب إليه التوجه إلى بلاده فاعتذر عن ذلك و ألف له كتاب (اللمعه) إلى آخر ما ذكر. و نزيد عليها هنا ما ياتى:

قال الأستاذ رضا مختارى و هو يتحدث عن المترجم و دعوه على بن المؤيد له:

إن على بن المؤيد هو آخر حاكم فى خراسان من الاسره السربداريه، و ان هذه الأسره قد حكمت خراسان من سنه ٧٣٨ إلى سنه ٧٨٣، و ان عليا هذا كان مهتما بترويج التشيع و نشر المعارف الإسلاميه، و قد توفى سنه ٧٩٥ أى بعد شهاده الشهيد بتسع سنوات. ثم يذكر الأستاذ مختارى نص رساله على بن المؤيد التى يدعو بها الشهيد إلى خراسان و هو التالى: بسم الله الرحمن الرحيم

سلام كنشر العنبر المتضوع يخلف ريح المسك فى كل موضع

سلام يضاهى البدر فى كل منزل سلام يضاهى الشمس فى كل مطلع

على شمس دين الحق دام ظلله يجد سعيد فى نعيم ممتع

ادام الله تعالى مجلس المولى الهمام العالم العامل الفاضل الكامل السالك الناسك رضى الأخلاق و فى الاعراق علامه العالم مرشد الأمم قدوه العلماء الراسخين اسوه الفضلاء و المحققين مفتى الفرق الفارق بالحق حاوى (فنون) الفضائل و المعالى حائز قصب السبق فى حلبه الأعظم و الاعالى وارث علوم الأنبياء و المرسلين محيى مراسم الائمة الطاهرين سر الله فى الأرضين مولانا شمس المله (و الحق) و الدين مد الله أطناب ظلاله بمحمد و آله من دوله راسيه الأوتاد و نعمه متصله الامداد إلى يوم التناد.

و بعد فالمحب المشتاق، مشتاق إلى كريم لقائه غايه الاشتياق، و ان يمن بعد البعد بقرب التلاق.

حرم الطرف من محياك لكن قد حظى القلب من محياك ريا

ينهى إلى ذلك الجناب لا- زال مرجعا لأولى الألباب أن شيعة خراسان صانها الله عن الحدثان متعطشون إلى زلال وصاله و الاعتراف من بحر فضائله و إفضاله و أفاضل هذه الديار قد مزقت شملهم أيدي الأدوار و مزقت جلهم أو كلهم صروف الليل و النهار.

قال أمير المؤمنين ع: ثلثه الدين موت العلماء، و أنا لا نجد فينا من يوثق بعلمه فى فتياه، يهتدى الناس برشده و هداه، فهم يسألون الله تعالى مشرف حضوره، و الاستضاءه باشعه نوره و الاقتداء بعلمه الشريفه و الاهتداء برسومه المنيفه، و اليقين بكرمه العميم و فضله الجسيم أن لا- يخيب رجاءهم و لا يرد دعاءهم، بل يسعف مسئولهم و ينجح ماملهم إذا كان الدعاء لخير محض على أيدي الكريم فلا يرد (امتالا لها) قال الله تعالى: (وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ).

و لا شك اولى الأرحام بصله الرحم الإسلاميه الروحانيه، و أخرى القرابات بالرعايه القرابه الايمانيه، ثم الجسمانيه، مهما عقدتا لا تحملها الأدوار و الأطوار بل ستبقيان لا يهدمهما إعصار الأعصار.

و نحن نخاف غضب الله على هذه البلاد لفقدان الرشد و عدم الإرشاد، و المأمول من العامه الهام و الكرامه التام أن يتفضل علينا و يتوجه إلينا، متوكلا على الله القدير، غير متعلل بنوع من المعاذير، ان شاء الله تعالى. (فانا بحمد الله نعرف قدره و نستعظم امره إن شاء الله تعالى). و المتوقع من مكارم صفاته و محاسن ذاته إسبال ذيل العفو على هذا الهفو و السلام على أهل الإسلام.

أبو عبد الله محمد بن أبي المعز منصور بن جميل أبو عبد الله الجبى

ترجم له الدكتور مصطفى جواد فى (سلوك الناظم) فقال: الكاتب الشاعر ذكره ابن الديبى فى تاريخ بغداد، قال: "محمد بن أبى العز بن جميل أبو عبد الله ولد بقريه تعرف بجبا من نواحي هيت و قدم بغداد صبيا و استوطنها و قرأ بها القرآن الكريم و الأدب و الفرائض و الحساب و سمع الحديث من جماعه منهم أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب و القاضى أبو الفتح

محمد بن أحمد بن المندائي الواسطي لما قدمها وقال الشعر و مدح سيدنا و مولانا الامام المفترض الطاعه على كاهه الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - بقصائد كثيره و كان يوردها في المواسم و الهنات، و خدم في أشغال الديوان العزيز - مجده الله - و نظر في ديوان التركات الحشريه و تولى كتابه المخزن المعمور ثم ولى صدرية المخزن بعد عزل أبي الفتوح بن أبي المظفر في ليله عاشر ذى القعدة سنه خمس و ستمائه مضافا إلى النظر بدجيل و طريق خراسان و الخالص و الخزانة و العقار و غير ذلك من أعمال الحضرة و لم يزل على ذلك إلى أن عزل في يوم السبت الثالث و العشرين من شهر ربيع الأول سنه إحدى عشره و ستمائه. و توفي يوم السبت النصف من شعبان سنه ست [عشره] و ستمائه و دفن بمقابر قریش". و ذكره ياقوت الحموي قال: "محمد بن منصور بن جميل أبو عبد الله (ابن أبي) العز(١) الكاتب، نحوي لغوي أديب من أفاضل العصر. قدم بغداد في صباه و قرأ الأدب و لازم مصدق بن شيب (الواسطي) النحو حتى برع في النحو و اللغه و قرأ الفقه و الفرائض و الحساب و قال الشعر و مدح الناصر فعرف و اشتهر و رتب كتابا في ديوان التركات مده ثم ولى نظره ثم ولى الصدرية بالمخزن ثم عزل و اعتقل و أفرج عنه بعد مده و رتب و كيلا للأمير عده الدين ابن الناصر و كان كاتباً بليغاً مليح الخط، غزير الفضل، متواضعا مليح الصورة، طيب الأخلاق. مات في شعبان سنه ٦١٦" (٢) و ذكره في الكلام على "جبا" من معجم البلدان قال: "و جبا أيضا قريه قرب هيت قال أبو عبد الله الديلمي منها أبو عبد الله محمد بن أبي العز بن جميل" و أختصر ما ذكره ابن الديلمي في تاريخه. و ترجم له المنذري في وفيات سنه ٦١٦ المذكوره قال: "و في النصف من شعبان توفي الشيخ الأجل أبو عبد الله محمد بن أبي العز بن جميل الجبائي المولد البغدادي الدار، ببغداد و دفن بمقابر قریش، قرأ القرآن الكريم و قرأ الأدب و الفرائض و الحساب" إلى أن قال "و تقلب في خدمه الديوان العزيز و هو منسوب إلى جبا قريه من نواحي هيت و هي بضم الجيم و تشديد ألباء الموحده و فتحها و ألف و هي مقصوره". (٣)

و ترجم له القفطي في أحد كتبه قال: "محمد بن جميل - و جميل جده - و هو أشهر من أبيه و لا يعرف إلا به، و أبوه أبو العز بن جميل من أهل جبا قريه (قرب) هيت. دخل إلى بغداد في أول عمره و قرأ على مشايخها المتأخرين، و تولى عده خدم ديوانه في أيام الامام الناصر أحمد بن المستضيء، منها صدرية المخزن، و صرف دفعات، و كان فيه فضل و أدب و له شعر، و كان يظن بنفسه الكثير حتى لا يرى أحدا مثله، و قد كان أنشا مقامات ظهر منها قطعه رأيتها في جملة أجزاء أحضرت من بغداد إلى حلب للبيع و هي بخطه و كان خطأ متوسطا صحيح الوضع، فيه تلبس نقط ثابتة لا تكاد تتغير، و شعره جيد مشهور مصنوع لا مطبوع، و كان ظالم النفس فيما يتولاه، و تولى الترك(٤) الحشريه في أول أمره ثم تولى عداله المخزن (كذا) ثم توصل حتى تولى صاحب مخزن، و قال يوما لبعض العاملين: خف عذابي فإنه أليم شديد. فقال له الرجل:

فاذن أنت الله لا- إله إلا- هو. فخجل و لم يمنعه ذلك و لم يردعه عما أراد من ظلمه و كان ببغداد تاجر يعرف بابن العينبري و كان صديقا له، فلما حضرته الوفاه ساله الحضور إليه، فلما حضر قال له: أنا طيب النفس بموتى في زمان ولايتك ليكون جاهك (على) أطفالى و عيالى. فوعده بهم جميلا، فلما مات حضر إلى تركته و باشرها فرأى فيها... ألف دينار(٥) عينا، فأخذها و حملها إلى الامام الناصر و أصحابها مطالعه منه يقول فيها: مات ابن العينبر - ورث الله الشريعه أعمار الخلائق و قد حمل المملوك (يعنى نفسه) من المال الحلال الصالح للمخزن... ألف دينار و هو في عهده تبعها(٦) دنيا و آخره و ساله بعض التجار و الغرباء العناية بشخص في إيصال حقه إليه من المخزن فوعده و مطله و كان ذلك بعد أن تولى صاحب المخزن و كانت جامكيتته و هو عدل خمسه دنانير في الشهر فلما ولى الصدرية قرر له عشره دنانير، فقال التاجر الشافع - و كان يدل عليه - فدفعت إليه في كل يوم

بدائق. (٧) قال له: كيف؟ قال: لأنك كنت عدلا أقرب منك حالا اليوم. وأشار إلى أنه لما زيد رزقه و رفعت مرتبته بجبر يصير زياده (٨) و هي سدس درهم و هو الدائق أهمل جانب الله و باعه بذلك. و ما بعد عهده و أخجله الله و صرفه عن ذلك و سجن مده ثم بعد ذلك أنعم عليه بان جعل كاتباً في باب دار الأمير عده الدين أبي نصر (محمد) ولى العهد فأقام مده و مات و هو على ذلك (بعد) سته شهور سنه (ست) عشره و ستمائه". (٩)

و ذكره ابن الفوطى فى الملقبين بمجد الدين قال: "مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى العز منصور بن جميل الجبى صاحب المخزن، ذكره محب الدين ابن النجار فى تاريخه و قال: "ولد بالجبه من أعمال هيت و قدم بغداد و قرأ بها الأدب حتى برع فى النحو و اللغة و الحساب، و كان مقبول الشكل. مدح الامام الناصر و رتب كاتباً فى ديوان التركات ثم ولى صدرية المخزن سنه خمس و ستمائه. و كان كاتباً بليغاً مليح الخط، غزير الفضل، كتب شعره فى كتاب (نظم الدرر الناصعه) (١٠) و توفى فى منتصف شعبان سنه ست عشره و ستمائه".

و ذكره أبو شامه و فى ذكره فائده، قال فى وفيات سنه ٦١٦ هـ: "و فيها توفى ببغداد محمد بن جميل صاحب مخزن الخليفه و مولده بهيت و كان فاضلاً بارعاً، و قدم علينا بدمشق ابن ابنته (يعنى سبطه) و هو شاب فاضل يلقب فخر الدين له خط حسن و صوره جميله و نزل عندنا بالمدرسه العزيزيه ثم توجه إلى الحجاز مع جماعه فضلاء". و جاورا". (١١) و أرخه الذهبى فى تاريخه بما هو موجز ما قيل قبله و قال فى إيجازه: "مات كهلاً". (١٢) و لم يخل الجلال السيوطى بغيه الوعاة (١٣) من ذكره بما يشبه ما ذكره به ياقوت.

و قال ابن الساعى فى حوادث سنه ٦٠٥ هـ: "و فى ليله الأربعاء سابع ذى القعدة المذكور عزل عضد الدين أبو الفتوح ابن رئيس الرؤساء عن صدرية المخزن المعمور و حول من الدار التى كان يسكنها، و ولى عوضه مجد الدين".

ص: ٢٠٧

١- ورد تصحيف هذا الاسم إلى "الغر" مع اختلال النص.

٢- مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء "ص ١١٠ طبعه موهليوث.

٣- نسخه بشار "١٠٤٧:٦".

٤- كان القفطى إن صح نقل قوله جمع التركة و هى لغه جائزه فى التركة كالشركه و الشركه على ترك تكسيراً مثل برك.

٥- ورد فى القصة نفسها بعد ذلك "ابن العينير" و لم نهتد إلى الاسم الصحيح لأن صاحبه غير مشهور.

٦- كذا ورد فى الأصل الذى نقلت منه و هو يدل على فقدان العدد قبل الألف.

٧- كلمه غير واضحه و لكنها قريبه مما أثبت.

٨- كذا وردت الحكايه مضطربه الأصل لأن النسخ سقيم.

٩- المحمدون من الشعراء "نسخه دار الكتب الوطنيه بباريس ٣٣٣٥ و ٦٦، ٦٧".

١٠- و ترجم له كمال الدين بن الشعار الموصلى فى كتابه "عقود الجمان فى شعراء الزمان ج ٦ و ١٣٢ نسخه خزانه أسعد أفندى

فى دار الكتب السليمانيه باستانبول".

- ١١- ذيل الروضتين "نسخه باريس ٥٨٥٢ و ١٣١". و طبعه عزه العطار "ص ١٢٠". تاريخ الإسلام "نسخه باريس ١٥٨٢ و ٢٣٠".
- ١٢- البغية "ص ١٠٧".
- ١٣- الجامع المختصر "٩:٢٦٥، ٢٦٦".

أبو عبد الله محمد بن جميل و خلع عليه بالبدرية الشريفة و أنزل بالدار التي كان يسكنها ابن رئيس الرؤساء بالمسعوده و أعطى جميع ما كان وصل إليه من غلمان ابن ناصر و آياته و كرائمه "و من إنشاء مجد الدين بن جميل توقيع كتبه بتفويض التدريس فى مدرسه الامام أبى حنيفه إلى ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الفقيه المدرس الحنفى و النظر فى أوقات المشهد سنه ٦٠٤ قال ابن الساعى: " و كتب توقيع من المخزن المعمور بإنشاء مجد الدين بن جميل كاتب المخزن المعمور يومئذ و من خطه نقلت و هذه نسخته:

" بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المعروف بفنون المعروف و الكرم.

الموصوف بصنوف الإحسان و النعم، المتفرد بالعظمه و الكبرياء و القدم، الذى اختص الدار العزيزه - شيد الله بناها، و أشاد مجددا و علاها، - بالمحل الأعظم، و الشرف الأقدم، و جمع لها شرف البيت العتيق ذى الحرم، إلى شرف بيت هاشم الذى هشم، جاعل هذه الأيام الزاهره الناضره، و الدوله القاهره الناصره، عقدا فى جيد مناقبها، و حليا يجول فى ترائبها، - أدامها الله تعالى ما انحدر لثام الصباح، و برح خفاء براح - أحمدته حمد معترف بتقصيره عن واجب حمدته، مغترف من بحر عجزه مع بذل وسعه و جهده، و أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، و هو الغنى عن شهادته عبده، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، الذى صدع بامرته، و جاء بالحق من عنده، - ص صلاه تتعدى إلى أدنى ولده، و أبعد حده حتى يصل عقبها إلى أقصى قصيه و نزاره و معده - و بعد فلما كان الأجل السيد الأوحى العالم ضياء الدين شمس الإسلام رضى الدوله، عز الشريعه علم الهدى رئيس الفريقين، تاج الملك، فخر العلماء أحمد بن مسعود التركستاني - أدام الله علوه - ممن أعرق فى الدين منسبه، و تحلى بعلوم الشريعه أدبه، و استوى فى الصحه مغيبه و مشهده، و شهد له بالأمانه لسانه و يده، و كشف الاختبار منه عفه و سدادا، و أبت مقاصده إلا أنها و اقتصادا، رضى الإحسان إليه، و التعويل عليه فى التدريس بمشهد أبى حنيفه - رحمه الله عليه - و مدرسته، و أسند إليه النظر فى وقف ذلك أجمع لاستقبال حادى عشرى ذى القعد سنه أربع و ستمائه الهلاليه و ما بعده و بعدها، و أمر بتقوى الله - جلت آلاؤه، و تقدست أسماؤه، التى هى أزكى قربات الأولياء، و أنمى خدمات النصحاء، و أبهى ما استشعره أرباب الولايات، و أدل الأدله على سبل الصالحات، و فاعلها بثبوت القدم خليق، و بالتقدم جدير، قال الله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). و أن يذكر الدرس على أكمل شرائط، و أجمل ضوابط، مواظبا على ذلك، سالكا فيه أوضح المسالك، مقدا عليه تلاوه القرآن المجيد، على عادته الختمات فى التبرك و الغدوات، متبعا ذلك بتمجيد آلاء الله و تعظيمها و الصلاه على نبيه - ص صلاه يوضوع أرج نسيمها، شافعا ذلك بالثناء على الخلفاء الراشدين - صلوات الله عليهم أجمعين - و الإعلان بالدعاء للمواقف الشريفة المقدسه النبويه الاماميه(١) الطاهره الزكيه، المعظمه المكرمه، الممجده الناصره لدين الله تعالى - لا زالت منصوره الكتب و الكتائب، منشوره المناقب مسعوده الكواكب و المواكب مسوده الآهب مبيضه المواهب، ما خطب إلى جموع الأكابر و علا فروع المنابر خطيب و خاطب، و أن يذكر من الأصول فصلا يكون من سهام الشبه جنه، و لنصر اليقين مظنه، متبعا المذهب و مفرداته، و نكته و مشكلاته، ما ينتفع به المتوسط و المبتدى، و يتبينه و يستضىء به المنتهى، و ليذكر من المسائل الخلافيه ما يكون داعيا إلى وفاق المعانى و العبارات، هاديا لشوارد الأفكار إلى موارد المنافسات، ناظما عقود التحقيق فى سلوك المحابقات(٢)، مصوبا أسنه البديهه إلى ثغر الأناه، معتصما فى جميع أمره بخشيه الله و طاعته، مستشعرا ذلك فى علنه و سريرته. و المفروض له عن هذه الخدمه فى كل شهر للاستقبال المقدم ذكره من حاصل الوقف المذكور لسنه تسع و تسعين الخراجيه و ما يجرى معها من هلاليه و ما بعدها أسوه بما كان لعبد اللطيف ابن الكيال من الحنطه كيل البيع ثلاثون قفيزا و من

العين الاماميه (٣) عشره دنانير، يتناول ذلك شهرا فشهرا مع الوجوب و الاستحقاق، للاستقبال المقدم ذكره، من حاصل الوقف المعين للسنة المبينه الخراجيه و ما بعدها بموجب ما استؤمر فيه من المخزن المعمور - أجله الله تعالى - و إذن فليجر على عادته المذكوره، و قاعدته و لتكن صلاته و جماعته فى جامع القصر الشريف فى الصفه التى لأصحاب أبى حنيفه - رحمه الله عليه - و ليصرف حاصل الوقوف المذكوره فى سبلها بمقتضى شرط الواقف المذكور فى كتاب الوقفيه من غير زياده فيها و لا عدول عنها، و لا حذف شىء منها، عالما أنه مسئول فى غده عن يومه و أمسه، و أن أفعال المرء صحيفه له فى رسمه، و ليبدل جهده فى عماره الوقوف و استثمائها و استثمار حاصلها و ارتفاعها، مستخيرا من يستخدمه فيها من الأجلاد الأمانه، ذوى العفه و الفناء، متطلعا إلى حركاتهم و سكناتهم، مؤاخذا لهم على ما لعله يتصل به من فرطاتهم، لتكون الأحوال منسقه النظام و المال محروسا من الاثلام، و ليتدى بعماره المشهد و المدرسه المذكورين، و إصلاح فرشها و مصابيحها، و أخذ القوام بالمواظبه على الخدمه بها و إلزام المتفقهه بملازمه الدروس و تكرارها، و إتقان المحفوظات و أحكامها، و ليثبت ما بخزانه الكتب من المجلدات و غيرها، معارضا ذلك بفهرسته، متطلبا ما عساه قد شذ منها، و ليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها و نفذها فى كل وقت، و مرمه شعثها و أن لا يخرج شيئا منها إلا إلى ذى أمانه، مستظها بالرهن عن ذلك، و ليتلق هذه الموهبه بشكر يرتبطها و يدر أخلافها و اجتهاد يضبطها و يؤمن إخلافها، و ليعمل بالمحدود له فى هذا المثال، من غير توقف فيه بحال، إن شاء الله تعالى، و كتب لتسع بقين من ذى القعده من سنه أربع و ستمائه، و حسبنا الله و نعم الوكيل، و صلى الله على سيدنا محمد نبيه و آله الطاهرين الأكرمين و سلم " (٤).

و قال العالم الفقيه القاضى الشيخ محمد بن طاهر السماوى: " وجدت فى مجموعته شعر فيه مدائح للنبي ص و للأئمه - (ع) - مدائح و مرث و فيها أن مجد الدين ابن جميل صاحب المخزن للناصر غضب عليه فحبسه فضايق صدره فمدح أمير المؤمنين - ع - بقصيده ذات ليله فى المحرم (٥) و هى:

ألمت و هى حاسره لثاما و قد ملأت ذوائبها الظلاما

و أجرت أدمعا كاطل هبت لها (٦) ريح الصبا فجرت تواما

و قالت أقصدتك يد الليالى و كنت لخائف منها عصاما.

ص: ٢٠٨

١- الاماميه نسبه إلى الامام الخليفه الناصر لدين الله.

٢- الصواب " المحاقات " بالإدغام و قد فك الإدغام من أجل الموازنه اللفظيه.

٣- و الصواب أن تكون (ما زالت) و لكن هكذا وردت فى النص.

٤- الجامع المختصر " ٩-٢٣٣-٧ " .

٥- فى الأصل المطبوع فى محرم " و لا أحسبه " إلا كان محلى بال.

٦- فى المطبوع " له " و الهاء تعود إلى الأدمع و هذا لا يجوز.

و أعوزك اليسير و كنت فينا شمالا للأرامل و اليتامى

فقلت لها كذاك الدهر يجنى فقري و ارقبي الشهر الحراما

فانى سوف أدعو الله فيه و أجعل مدح حيدرته اماما

و أبعثها إليه منقحات يفوح الشيخ منها و الخزامى

تزور فتى كان أبا قبيس تسنم منكبيه أو شماما

أغر له إذا ذكرت أباد عطاء وابل يشفى الأواما

و أبلج لو ألم به ابن هند لأوسعه حياء و ابتساما

و لو رمق السماء و ليس فيها حيا لاستمطرت غيثا ركاما

و تلثم من تراب أبى تراب ترابا يبرئ الداء العقاما

فتحظى عنده و تثوب عنه و قد فازت و أدركت المراما

بقصد أخى النبى و من حباه بأوصاف يفوق بها الأناما

و من أعطاه يوم غدير خم صريح المجد و الشرف القدامى

و من ردت ذكاء له فصلى أداءا بعد ما كست الظلاما

و آثر بالطعام و قد توالى ثلاث لم يذق فيها طعاما

بقرص من شعير ليس يرضى سوى الملح الجريش له إداما

فرد عليه ذاك القرص قرصا و زاد عليه فوق القرص جاما

أبا حسن و أنت فتى إذا ما دعاه المستجير حمى و حامى (1)

أزرتك يقظه غر القوافى فزرنى يا ابن فاطمه مناما

و بشرنى بانك لى مجير و أنك ما نعى عن أن أضاما

و كيف يخاف حادثه الليالى فتى يعطيه حيدرته ذماما

سقتك سحائب الرضوان سحا كفيض يديك ينسجم انسجاما

و نام فرأى أمير المؤمنين ع فتلاها عليه، فقال له: الساعه تخرج فانتبه فرحا و جعل يجمع رحله. فسأله من كان معه، فقال: الآن أخرج.

فظنوا به الاختلال و تغيير العقل، فطرق باب السجن و دعى إلى الناصر، فخرج و أخبره (٢) الرسول أنه وجدته متهيئا للخروج فلما مثل بين يديه قال:

أخبرت أنك عند مجيء الرسول إليك كنت متهيئا للخروج. قال: نعم. و من أعلمك بإطلاقك؟ قال: أمير المؤمنين ع. و حكى له القصة. فقال الناصر: صدقت إنى رأيت أمير المؤمنين - ع - فى منامى فامرنى بإطلاقك فى هذه الساعه و توعدننى إن تركتك للصبح. ثم أعطاه ألف دينار و أعاده فى محله من الديوان و رد إليه ما صادره (٣) عليه "قال الشيخ محمد السماوى:" أقول:

و لم أفق على ترجمه مجد الدين هذا و لعلنى أفق عليها فيما بعد " (٤) قال مصطفى جواد: من ذكرت ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت الحموى و بغيه الوعاء للسيوطى فمن السهل الوقوف على ترجمته.

و لشرف الدين محمد بن عنين الشاعر الدمشقى المشهور فى مدح مجد الدين ابن جميل:

و قالوا غدت بغداد خلوا و ما بها جميل و لا من يرتجى لجميل

و كيف استجازوا قول ذاك و قد حوت لنا الفضل شمس الدوله بن جميل

الميرزا محمد هاشم بن محسن الإشكورى

(٥) علم من أعلام طبقه المتأخرين من الفلاسفه و العرفاء. و الذى حدث بعد انتقال رائد الفلاسفه و المتكلمين صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازى المعروف بملا صدرا إلى الرفيق الأعلى سنه ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م)، أن واصل الفكر نشاطه فى حقل العلوم العقلية، فراجت الفلسفه و اتسعت دوائر البحث فى ايران عامه، و فى أصفهان على وجه الخصوص. فكان أن انتقل جماعه من الفلاسفه و مدرسى الفلسفه إلى العاصمه طهران، فى مستهل القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) حيث أنشوا حوزة لتدريس الفلسفه و التصوف العلمى أو العرفان النظرى. و كان من أبرز أساتذه هذه الحوزه: آقا محمد رضا القمشه إى (١٢٤١ - ١٣٠٦ هـ) (١٨١٩ - ١٨٨٩ م) و آقا على المدرس (١٢٣٤ - ١٣٠٧ هـ) (١٨١٩ - ١٨٨٩ م) و الميرزا أبو الحسن جلوه (١٢٣٨ - ١٣١٦ هـ) (١٨٢٣ - ١٨٩٦ م). و إلى هذه المدرسه أو الحوزه الطهرانيه ينتمى علميا الميرزا محمد هاشم الإشكورى.

ولد فى أشكور، احدى قرى مقاطعه جيلان شمالى ايران بالقرب من بحر قزوين، حيث درس المراحل التمهيديه. ثم انتقل إلى طهران لدراسه الفلسفه، فتلقنها من أئمه هذا الفن. و ثم التحق بمجلس آقا محمد رضا القمشه إى و نبغ على يده و صار من ابرز تلامذته. و لم يلبث ان تربع على اريكه الأستاذ خلفا لاستاذه، فى تدريس الفلسفه و التصوف. و ظل يلقى دروسه فى مدرسه سبهبسالار حتى وافاه الأجل عام (١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) و دفن فى مقبره ابن بابويه فى ضواحي طهران.

وقد تخرج على يد الاشكوري تلامذه أصبحوا بدورهم أساتذته حاملين لواء الفلسفه من بعده سدنه أمناء على التراث الفكرى الإسلامى، من أشهرهم، ميرزا محمد على الشاه آبادى الاصفهانى، و آقا سيد حسين الباد كوبى، و ميرزا مهدي الآشتيانى، و الشيخ محمد حسين فاضل التونى، و السيد كاظم العطار، و ميرزا احمد الآشتيانى و السيد أبو الحسن رفيعى القزوينى.

و للاشكورى حواش و شروح على بعض النصوص الفلسفيه كما انه حرر عده رسائل فى مجالات الفلسفه و التصوف. طبع منها حتى الآن:

١ - حاشيه على مفتاح مفاتيح النصوص لصدر الدين القونى. طبعه طبعه حجرىه فى طهران عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) كما طبع أيضا ضمن عده رسائل فلسفيه و صوفيه اخرى من جملتها: تمهيد القواعد لابن تركه (٦) و حاشيه محمد رضا القمشه إى عليها و رساله وحده الوجود لآبى الحسن جلوه.

٢ - حاشيه على مصباح الأنس (٧) طبع على هامش المصباح طبعه حجرىه فى طهران عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).

و له رساله المراتب الخمس التى عثرنا عليها [عليها] و التى كتبها أو استكتبها لنفسه تلميذه الشيخ محمد حسين الشهير بفاضل التونى. (٨) و هى رساله رائقه الصفو شريفه فى موضوعها قيمه فى بابها. و الظاهر أن الاشكورى أراد باستاذيه مستنيره ان يزيد مسأله الوحده الحقيقه وضوحا بازاله ما قد يتوهم من اللبس بين الأحديه و الواحديه فى بعض الأذهان. و ذلك بإلقاء الضوء على المراتب الوجوديه من حيث عددها الذى حدده بخمس مراتب و من حيث جمعها

ص: ٢٠٩

١- كذا ورد و لعله "و حاما" و هو حام يحوم حوما " و معناه معروف.

٢- أى أخبر الخليفه.

٣- فى الأصل " ما صادره منه " و هو خطأ لأن الإنسان هو المصادر و المال مصادر عليه.

٤- ظرافه الأحلام فى النظام المتلو فى المنام لأهل البيت الحرام " ص ٤٢-٤٣، طبعه المطبوعه الحيدريه بالنجف الأشرف سنه ١٣٦٠.

٥- بقلم الدكتور صلاح الصاوى.

٦- صائن الدين على بن محمد التركه الاصفهانى المتوفى ٨٣٦.

٧- مصباح الأنس بين المعقول و المشهود لابن القنارى محمد بن حمزه المتوفى سنه ٨٣٤ " قاضى قضاة إستانبول و هو شرح لكتاب مفتاح غيب الجمع و الوجود لصدر الدين القونى.

٨- كان الشيخ محمد حسين فاضل التونى (١٢٨٨ - ١٣٨٠/١٨٧١ - ١٩٦١ من أكابر أساتذته الفلسفه فى طهران و قد التحق بجامعة طهران بعد انشائها فكان يدرس الفلسفه فى كليه الآداب. و قد ترك عده تأليف فى الفلسفه.

و تفصيلها، كما عمد لنفس الغرض إلى بيان ما اختلف من الاصطلاحات المطلقة على المصداق الواحد، مما يؤدي إلى معاناه فكرية قد ينجم عنها اضطراب في الذهن إذ الواقع أن كل مرتبه تخطى من الأسماء بمقدار ما لها من الاعتبارات و الجهات. و مع ان أقواله جاءت كافيه في الاستدلال بذاتها غنيه عن الاستشهاد بغيرها، الا- أنه عمد إلى تعزيز أقواله بأقوال أكابر المحققين الاعلام بله الآيات القرآنيه و المآثورات النبويه و من ثم أضاف إلى رساله أبعادا اخرى من التمكين و الإفاده.

و مهما يكن، فالحضرات خمساً كانت أو أكثر أو أقل، و الآراء في صدها معروفه لدى أهل الفضل، و لا نرى داعياً لفضول الإشاره إليها، و حتى لا نفسد على القارئ لذه استكشاف الحقائق بنفسه بتكرارنا لها. الا أن الذي ينبغي الا يفوتنا هو أن نشير إلى أن الرساله لم تستوعب الحضرات أو المراتب كلها، الأمر الذي يعدنا به عنوان الرساله.

و الذي حدث أن المؤلف استوفى الكلام في مراتب الغيب و لم يتعرض لمراتب الشهاده. فتكلم عن غيب الهويه و مقام اللاتين، ثم اقتضاء الاسم "الظاهر" للتعين الأول في صوره الوحده البرزخيه الجامعه بين البطون و الظهور بالتساوي، و فيما لهذه الوحده الحقيقه من اعتبارين: أولهما الإطلاق بدون شرط، و سقوط الاعتبارات، حيث تسمى الذات "أحداً". و متعلق هذه الاحديه بطون الذات و إطلاقها و أزليتها و هنا موطن الألوهيه، و الآخر ثبوت الاعتبارات غير المتناهيه و تقيدتها بالإطلاق، حيث تسمى الذات "واحداً" بهذا الاعتبار و متعلق الواحدية ظهور الذات و وجودها و ابديتها. و هذا الاعتبار الثاني هو التعين الثاني أو المرتبه الثانيه للوجود حيث تظهر الأشياء بصفه تميز علمي في الذات، و لهذا سميت هذه المرتبه أو الحضرة بعالم المعاني، و حضره الارتسام، و حضره العلم الأزلي و مرتبه الإمكان. و هي كما عبر الاشكوري أول مراتب الظهور بالنسبه إلى الغيب الذاتى. و هنا موطن الربوبيه، و هنا موطن الأعيان الثابته. اما بالنسبه للمراتب أو الحضرات الاخرى من مرتبه الأرواح التي تعرف أيضا بعالم الأمر و بالعالم العلوى و بعالم الملكوت، و ما ليس له منها تعلق بعالم الأجسام من المهيمين و حجاب سراق العزه و وسائط فيض الربوبيه و ما إلى ذلك، و ما له منها تعلق بالأجسام و هي الروحانيات من أهل الملكوت الأعلى المتصرفين في السماويات، و أهل الملكوت الأسفل المتصرفين في الأرضيات، و اما حضره المثال، هذه الحضرة الوسطيه بين عالم الأرواح و عالم الأجسام، التي يطلق عليها الشرع اسم البرزخ لكونها فاصلاً بين الجسم المادى المركب و الجوهر العقلي المجرد، هذا البرزخ بقسميه، البرزخ الأعلى أو الغيب الإمكانى، لإمكان ظهوره و البرزخ الأسفل أو الغيب المحالى، المحال ظهوره أو عودته، و اما مرتبه الأجسام علوياتها و سفلياتها، و أخيراً، اما مرتبه المظهر الكلى أو حضره الكون الجامع للأمر الالهى، الإنسان الكامل الجامع بين مظهرية الذات المطلقة و بين مظهرية الأسماء و الصفات و الأفعال بما في نشاته الكليه من الجمعيه و الاعتدال و بما في مظهريته من السعه و الكمال، الجامع أيضا بين الحقائق الوجوبيه و نسب الأسماء الالهيه و بين الحقائق الإمكانيه و الصفات الخلقيه، فهو جامع بين مرتبتي الجمع و التفصيل محيط بجميع ما في سلسله الوجود: أما هذه الحضرات، فلم يتعرض لها الاشكوري في رسالته.

و الذي حدث انه عند ما تعرض بالحديث إلى علم الحق، و انه علمان علم علمه ملائكته و رسله و علم استأثر به لنفسه لا يطلع عليه أحد سواه، و ان الاحاطه بجميع ما انطوت عليه الذات من الأمور الكائنه في غيب كنهها مستحيله. و ما قيل من: "انه ربما يكون في الحضرة العلميه الازليه أمور باطنه كليه أو جزئيه لم تتعين بعد لا في المرتبه الثانيه و الحضرة العلميه و القلميه و لا في اللوح المحفوظ"، تطرق الكلام به إلى مسأله "البداء" و بيان حقيقته و الواقع ان ما تطرق إليه لم يكن بأقل أهميه أو لزوماً مما ترك. و لعل المقام كان يقتضى ذلك، فخير الكلام ما جاء في مناسبتة.

مرت ترجمته فى الجزء العاشر الصفحه ٨٥ و نزيد عليها هنا ما ياتى:

إذا كان المدح قد فرض على الشعر العربى فأصبح الشاعر و لا حيله له إلا صوغ المدائح ليستطيع العيش فقد كانت حظوظ الشعراء فى هذا السبيل مختلفه، مختلفه لأن شاعرا قد يوفق لممدوح لا يخجله مدحه لبطوله فيه أو سجايا حميده، و مما لا يبدو معه الشاعر بادى الكذب ظاهر الدجل واضح الاستجداء..

كما قد لا يوفق شاعر آخر لمثل هذا الممدوح، و قد يكون فى مجموعته اولى بالذم و التجريح منه بالثناء و المديح. و مع ذلك فالشاعر مسوق إلى مدحه مدفوع إلى الإشاده به لأن الرزق فى يديه، و المال رهن كلمته.

على أن حظ الشاعر الواحد قد يختلف بين ممدوح و آخر، فحظ [فحظ] المتنبى و هو عند سيف الدوله غير حظه و هو عند كافور. و إذا كانت قصد المتنبى فى سيف الدوله هى فى أصلها مدحا، فإنها أيضا إعجاب ببطوله الرجل العربى الصامد فى وجه الغزو الأجنبى، المكافح عن الحمى الوطنى. و معارك التى شهدتها المتنبى مع سيف الدوله جديره بان توحى إليه بمثل ما أوجت حتى و لو لم يكن المتنبى يقصد المدح أو لو لم يكن الكسب من غاياته.

و الأمر مع المتنبى يجرى على هذا القياس حتى و هو يمدح غير كافور ممن لم يكن يزرى مدحهم فى ذلك العصر مثلما كان يزرى مدح كافور. فالمتنبى و هو يمدح عضد الدوله كان فى موقف غير موقفه و هو يمدح سيف الدوله و إذا كان عضد الدوله من الملوك الذين لا مغمز فيهم، و له من المآتى ما يصح معه أن يكون ممدحا. فهو على كل حال ليس فى وضع يشبه وضع سيف الدوله و هو لم يكن الجندى المقاتل للعدو الخارجى، و لا- وضعت الأحداث فى لهوات الحرب الوطنيه فما يمكن أن يوحى به لشاعر كالمتنبى يستطيع أى أمير أن يوحى بمثله.

و من هنا تراجعت قصائد المتنبى فى مدح عضد الدوله عن قصائده فى مدح سيف الدوله و قد كان هذا التراجع واضحا لكل ذى حس شعرى، و اعترف به المتنبى نفسه.

و الواقع أن ما كان يهز المتنبى و هو يشهد معركة الحدث مثلا مع سيف الدوله فينطقه بهذا القول:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها و تعرف أى الساقين الغمام

سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فأعلى و القنا يقرع القنا و جيش المنايا حوله متلاطم

وقفت و ما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى و هو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمه و وجهك وضاح و ثغرك باسم

و من طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

لم يكن عند عضد الدوله مثله ليهتز له المتنبى، و بالعكس من ذلك، عند ما مست قلب المتنبى عاطفه جيشه فرأى جمال الطبيعه فى شعب بوان، ثم لم يسمع فى تلك المغانى لسانه العربى، عاد متأثرا لما يرى و يسمع، ففاض

ص: ٢١٠

الشعر من حنايا نفسه فابعد ما أبدع.

و من الشعراء الذين وفقوا لممدوح جدير بمدحهم الشاعر محمد بن هانى الأندلسى شاعر المعز لدين الله الفاطمى الذى أطلق عليه معاصروه لقب (متنبى المغرب).

و ربما كان ما يجعل ابن هانى جديرا بهذا اللقب هو أن مواضيع مدح ابن هانى للمعز، هى عين مواضيع مدح المتنبى لسيف الدولة. فقد كانت ظروف كلا الممدوحين متشابهة، و كان كلاهما مندفعاً لمقاومه الخطر الخارجى المهدد للإسلاميه يوم ذاك بل أن مسئوليه المعز كانت أكبر، فهو مسئول عن جبهه طويله ممتده على مدى شواطئ إفريقيا الشماليه كلها، ثم هو مسئول عن الجزر الإسلاميه المهدده و فى طليعتها جزيره صقلية.

و لم يكن الوضع الإسلامى و الوضع العربى يوم ذاك مما يقوى العزائم و يشحذ الهمم، بل كان شمل العرب و المسلمين ممزقا و اختلافاتهم مشتده، لا الهدف يجمعهم و لا الخطر يوحدهم.

و كان الأجنبى الطامع يعرف ذلك كله، و كانت نار الانتقام متاججه فى نفوس البيزنطيين (الروم) الذين لم ينسهم تطاول الأيام ذكريات هزائمهم الماضيه، و جلائهم عن بلاد الشام و غيرها، و كانوا يحنون للعوده إليها من جديد. بل أن نقفور فوقاس الثانى كان يهدد بالاستيلاء حتى على المدينه و مكه و استطاع تحقيق الكثير من أمانيه و فى ذلك يقول ابن هانى:

اسفى على الأحرار قل حفاظهم لو كان يجدى الحر أن يتاسفا

يا ويلكم أفما لكم من صارخ الا بشعر ضاع أو دين عفا

حتى لقد رجفت ديار ربيعه و تزلزلت أرض العراق تخوفا

فمدينه من بعد أخرى تستبى و طريقه من بعد أخرى تقتفى

و الشام قد اودى و اودى أهله إلا قليلا و الحجاز على شفا

هذه صرخه وطنى مناضل يرى بلاده تتساقط أمام ضربات الأعداء، و يرى قومه متخاذلين، هذه صرخه وطنى مناضل أكثر منها نغمه شاعر مداح.

و الواقع أن المعز لدين الله الفاطمى كان فى ذلك العهد أمل العرب و المسلمين و كانوا يتطلعون إليه من كل مكان، حتى من الأرض البعيده عنه غير الخاضعه لسلطانه. فعند ما شعرت مثلاً جزيره (كرت) بالخطر الدايم، و لاحت لها طلائع الغزو مظه من بعيد كان همها أن توصل نداءها إلى الرجل المأمول، و يحدثنا الدكتور حسن إبراهيم حسن و هو يتحدث عن كتاب (المجالس و المسائرات) للنعمان فيقول: "و عرض النعمان غير مره لعلاقه المعز بالدوله البيزنطيه فأوضح اعتماد حاكم الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموى على الروم فى صراعه مع الفاطميين، و صور ما حل بالروم و حلفائهم أمام اساطيل المعز تصويراً رائعاً، و ذكر الرسائل التى بعث بها أباطره الدوله البيزنطيه لاستدرا عطف المعز و مهادنته. و لأول مره نسمع أن مسلمى جزيره قريطش

(كريت) الذى كانوا تحت الحكم العباسى يطلبون النجده من المعز لحرب الروم. و من دراستنا للوثائق التى تولدت بين أهل قريطش و بين المعز لدين الله نرى ما وصلت إليه الدوله الفاطميه من قوه و نفوذ".

و ابن هانى يدرك ذلك و يدرك أن ممدوحه أهل لما علق عليه من آمال فيقول.

لا تيأسوا فالله منجز وعده قد آن للظلماء أن تتكشفا

لقد كان المعز جديرا بالظرف الحرج الذى وضعته فيه الأيام، فلم يدع الوقت يذهب عبثا و أدرك للوهله الأولى أنه امام خطر برى و آخر بحرى قد يكون هو الأشد. لذلك صرف جهده أول ما صرفه إلى إنشاء اسطول ضخم يتناسب مع المهمه الثقيله التى تنتظره و هى حمايه الشواطئ الافريقيه الشماليه من أى غزو متوقع، و بذل لهذا الأسطول أقصى ما يستطيع بذله حتى أصبح اسطوله سيد البحر المتوسط، و حتى صار مهددا للأعداء بعد أن كان الأعداء مهددين، و حتى صاروا يخشونه بعد أن كانت البلاد تخشاهم.

و قد كان هذا الأسطول أعظم ما يمكن أن يصل إليه اسطول فى ذلك العصر مجهزا باحدث الآلات الحربيه و الأدوات الناريه. فاثار هذا الأسطول حماسه الشاعر و رأى فيه المخرج من الأخطار و الحمايه من النوازل، و هاج فيه اعتزازه و حميته، فانطقه ذلك بقصيده هى بحق من فرائد الشعر العربى:

لك البر و البحر العظيم عبا به فسيان أعمار تخاض و بيد

و ما راع ملك الروم الا اطلاعها تنشر أعلام لها و بنود

عليها غمام مكفهر صبيره له بارقات جمه و رعود

مواخر فى طامى العباب كأنه لعزمك بأس أو لكفكك جود

أنافت بها أعلامها و سمالها بناء على غير العراء مشيد

من الراسيات الشم لو لا انتقالها فمنها قنان شمش و ريود

من الطير إلا أنهن جوارح فليس لها إلا النفوس مصيد

من القادحات النار تضرم للصلى فليس لها يوم اللقاء خمود

إذا زفرت غيظا ترامت بمارج كما شب من نار الجحيم وقود

فانفاسهن الحاميات صواعق و أفواههن الزافرات حديد

لها شعل فوق الغمار كأنها دماء تلقته ملاحف سود

تعانق موج البحر حتى كأنه سليط لها فيه الذبال عتيد

ثم يصف وصول وفود الروم متدله تطلب الصلح مخاطبا المعز مشيرا إلى ما كان من تغلغل الروم قبل ذلك في بلاد الشام:

فلا غرو أن أعزرت دين محمد فأنت له دون الأنام عقيد

غضبت له أن ثل في الشام عرشه و عادك من ذكر العواصم عيد

و قلت أناس ذا (الدمستق) شكره إذا جاءه بالعفو منك بريد

تناجيك عنه الكتب و هي ضراعه و يأتيك عنه القول و هو سجد

إذا أنكرت فيها التراجم لفظه فادمعه بين السطور شهود

ليالى تقفو الرسل رسل خواضع و يأتيك من بعد الوفود وفود

و يمضى الأسطول العربى فى أداء رسالته، و تجوب قطعه البحر المتوسط متحديه كل من تحدثه نفسه بالشر، و تعلن سفنه بنفسها عن نفسها، ثم تلتقى على غير موعد بسفن الأعداء فلا تلبث أن تصطدم بها، و يتهاوى الفريقان فى نار الوغى و يتجالدون أعنف جلاد، تحفز الروم ثارات متاصله و أوتار دفينه..

و تحفز العرب اخطار منتظره و شرور مرتقبه و يتطلع العرب بقلوبهم إلى الوطن العربى العزيز و يتخيلون ما ذا سيحل بتلك الأرض الطيبه، إذا هم ترحزحوا عن موقفهم أو تزلزلوا فى حربهم فيندفعون مكبرين و ينطلقون مهليلين فتنجلى المعركه عن نصرهم البحرى الحاسم فى معركه المجاز. و يكون الشاعر معهم

ص: ٢١١

بكل شعوره و كل جوارحه، متلهفا لمعرفة الخبر الأخير و لما يبلغ أذنيه نبا الفوز ينطلق مزهوا متغنيا بالبطولات:

يوم عريض بالفخار طويل لا تنفضى غرر له و حجول

مسحت ثغور الشام أدمعها به و لقد تيل التراب و هي همول

قل للدمستق مورد الجمع الذى ما اصدرته له قنا و نصول

سل رهط (منويل) و أنت غررته فى أى معركة ثوى منويل

منع الجنود من القفول رواجعا تبا له بالمنديات قفول

و بعثت بالاسطول يحمل عده فاثابنا بالعهه الأسطول

أدى إلينا ما جمعت موفرا ثم انثنى باليم و هو جفول

و مضى يخف على الجنائب حملة و لقد يرى بالجيش و هو ثقيل

لم يتركوا فيها بجعجاج الردى إلا النجيع على النجيع يسيل

نحرت بها العرب الأعاجم أنها رمح أمق و لهزم مصقول

ثم ينثنى إلى مدبر ذلك كله و قائد النصر و معد الاسطول و مهيب الجيش، إلى المعز:

لا تعدمنك امه أغنيتها و هديتها تجلو العمى و تنيل

و تتكرر معارك الاسطول العربى و تتكرر انتصاراته فيحرص الشاعر على الإشاده بالاسطول:

و سفن إذا ما خاضت اليم زاخرا جلت عن بياض الصبح و هي غرايب

تشب لها حمراء قان اوارها سبوح لها ذيل على الماء مسحوب

و تلتقى جيوش الروم و اساطيلهم بجيوش الفاطميين البريه و اساطيلهم أكثر من مره و تقع المعارك البريه و البحريه فى أوقات

مقاربه و ينتصر الفاطميون و تحمى بانتصاراتهم ديار الإسلام و العروبه فيقول ابن هانى مشيرا إلى أن الروم كانوا قبل اليوم ساده

البحر المتوسط، تجول فيه اساطيلهم و تصول بلا رقيب و لا منافس، و إلى أن جيوشهم البريه كانت كذلك:

لو كان للروم علم بالذى لقيت ما هنتت أم بطريق بمولود

القى "الدمستق" بالاعلام حين رأى ما أنزل الله من نصر و تأييد

فقال له حال من دون الخليج قنا سمر و أذرع إبطال مناجيد

ثم يخاطب المعز:

ذموا قناك و قد ثارت أسنتها فما تركن وريدا غير مورود

حميته البر و البحر الفضاء معا فما يمر باب غير مسدود

قد كانت الروم محذورا كتائبها تدنى البلاد على شحط و تبعيد

و شاغبوا إليهم ألقى حجه كملا و هم فوارس قارياته السود

فاليوم قد طمست فيه مسالكهم من كل لاجب نهج الفلك مقصود

هيهات راعهم فى كل معترك ملك الملوك و صناديد الصناديد

ابن هانى اشبيلي المولد اندلسى النشأه فقد ولد سنه ٣٢٠ أو ٣٢٦ فى قريه سكون من قري مدينه إشبيليه و كان صديقا لوالى إشبيليه مقربا إليه. و كان الحكام فى الأندلس لا يحبون الدوله الجديده التى أخذت تشب و يقوى ساعدها فى إفريقيا فأخذوا يعملون على زعزعتها. و لم يتورعوا عن التحالف مع الأجنبي للقضاء عليها.(١) و كان هوى ابن هانى مع الفاطميين و قلبه متجها إليهم، و كان كغيره يرى فى شباب دولتهم ما يمكن أن يعيد الشباب إلى الوطن العربى. و يبدو أنه كان لا يتورع عن الجهر بآرائه و الدعوه إليها، مما لم يكن يخفى على الحاكمين، فدبروا له تهمة الأخذ بالفلسفه، و هى تهمة كانت هناك فى ذلك الوقت كافيه لاستحلال الدماء. و يبدو أن صديقه الوالى الإشبيلي قد أحس بما يدبر للشاعر فى الخفاء فنصح به بترك إشبيليه فاخذ الشاعر بالنصيحه و اتجه إلى العدوه الإفريقيه حيث اتصل فى المسيله بجعفر بن على بن حمدون المعروف بابن الأندلسيه و إلى المسيله(٢) فلم يجد جعفر هديه يقدمها لخليفته أئمن من هذا الشاعر، فاوفده إليه. و كان المعز فى أمس الحاجه لمثل ابن هانى ليكون لسانه الناطق فى تطور دولته و تقدمها، و ليكون وسيلته الاعلاميه، و إذاعته القويه، فاحتفى به و قربه إليه و ظل ابن هانى يسجل انتصارات المعز و يعدد وقائعه إلى أن خطا المعز خطوته الحاسمه فأرسل قائده جوهر لضم مصر إلى خلافته و دخل جوهر الإسكندريه متقدما إلى العاصمه فاذا ابن هانى النبا بهذا الشكل:

يقول بنو العباس هل فتحت مصر؟ فقل لبني العباس قد قضى الأمر

و قد جاوز الإسكندريه جوهر تسيير به البشرى و يقدمه النصر

و يتهى المعز للذهاب إلى مصر و إنشاء عاصمته الجديده (القاهره) ثم يمضى إليها على أن يلحقه شاعره ليكون هناك كما كان هنا المذيع البليغ. و كان حكام الأندلس متابعين لخطر الشاعر عالمين بما فعله شعره للدوله المتقدمه و ما يمكن أن يفعله بعد أن تطورت من حال إلى حال. و رأوا فى قلمه خطرا لا- يقل مضاء عن السيف فقرروا حرمان الدوله الحديثه منه فأرسلوا إليه من اغتاله و هو فى الطريق إلى مصر عند برقه سنه ٣٦٢ و هكذا انتهى هذا الشاعر الفريد نهايه أليمه غير متجاوز مراحل الشباب. و لا

شك أنه لو قدر له الوصول إلى مصر لترك في إحدائها وحياتها وطبيعتها الشيء الكثير الثمين.

محمد يوسف مقلد

إشارة

ولد في تبنين (جبل عامل) سنة ١٩١٣ م و توفي ببيروت سنة ١٩٦٥ م.

نشأ فقيراً فهاجر سنة ١٩٣٧ م إلى السنغال في إفريقيا الغربية مع قوافل المهاجرين إليها سعياً وراء الثروة، ولكنه عاد منها بعد سنين كما ذهب.

و هو في هذه الأبيات يصف ارتحاله بعد أن باع أبوه كرم التين ليؤمن له نفقات السفر:

ص: ٢١٢

١- يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن عن كتاب المجالس والمسائرات المخطوط: (... فأوضح اعتماد حاكم الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي على الروم في صراعه مع الفاطميين...)

٢- المسيلة: قاعده المغرب الأوسط، أو ما كان يسمى ببلاد الزاب و يطلق عليه الآن اسم (الجزائر). و هذه المدينة هي إحدى المدن التي أنشأتها الدولة الفاطمية في أول قيامها، اختطها ولي عهد هذه الدولة محمد بن عبد الله المهدي. و كان أبوه قد وجهه إلى إقليم الزاب ليقربه سلطانه و يجمع بعض الفتن الناشبه فيه حتى إذا فرغ من شأنه و تم له ما أراد، اختط هذه المدينة لتكون قاعده هذا الإقليم بدلا من مدينه طبنه، و عهد إلى علي بن حمدون (والد جعفر) الأندلسي ببنائها، ثم أطلق عليها اسم (المحمديه) نسبة إلى ولي على العهد، إلى جانب اسم المسيله، ذلك الاسم الذي يرجع - فيما نحسب - إلى أصل قديم. و لم تلبث هذه المدينة أن نمت و ازدهرت و خاصه في عهد أميرها جعفر بن علي بن حمدون، و قد آلت إليه امارتها بعد أبيه الذي تولى - كما مر - بناءها، و كان معتزاً بها فجعلها مناط همته و وجه إليها طموحه كله حتى استطاع أن يجعل منها مركزاً من أول المراكز الأدبيه في المغرب العربي تحفياً بالأدب و تشجيعاً للدباء و رعايه لهم و استثاره لمواهبهم. و فيها برزت شاعريه ابن هاني.

ركبت مع صحبى متون البحار من بعد ما صلى أبى (و استخار)

نزحت عن دارى إلى غيرها و بعث (كرم التين) دانى الثمار

فيا خيام التين هل رجعه إليك يوما بعد شط المزار

حيث الصبايا من بعيد المدى يحملن للظمان فيك الجرار

يا خيمه (المسطاح) فى التين سلام من وراء البحار

و بعد عودته من المهجر تعاطى بعض الأعمال الصحفيه فى بيروت و دمشق.

و نشر بعض الدراسات.

كان أهمها سلسله مقالات عن ابنه بلدته الاديبه زينب فواز و سلسله مقالات اخرى عن عرب (موريتانيا) و أدبهم و شعرهم بعد أن عرفهم عن كذب أيام إقامته فى السنغال.

و قد اصدر ديوانا شعريا باسم (الأنسام) قال عنه الناقد مارون عبود:

"أقول لصاحب ديوان الأنسام ان اسم ديوان الأنسام يلائم المسمى، أما العنوان الصغير (شعر مهجرى) فلا يصح إلا من حيث الحنين إلى الوطن فما رأيت حيننا صادرا من أعماق الأعماق كحنين مقلد، و لعل الشاعر قاصا أروع منه شاعرا فقد رأيت أجمل ما يكون حين يقص".

من شعره

قال يصف رقصه "الدبكه" العامليه:

"مجوز" ينشد الحنان إلى النفس و "شبابه" تهز المشاعر

حلقات تدور محورها "الدقاق" كدور الرحى و فن ساحر

و حماس يهيب فى أنفوس الحشد و يذكى الغرام فى كل تائر

بين جذب إلى الورا و دفع شائق تبلغ القلوب الحناجر

بشر القرية الوديعه بالعرس فان الأعراس خير البشائر

و افرش الدرب للصبايا و رودا فالصبايا روح الشباب الناضر

و نسيم الصبا و عرف الخزامى هن و الشعر فى ضمير الشاعر

كم تراهن آثبات عن (العين) كسرب من الحمام الطائر

سابلات الشعور مثل الافاعى عاقدات على الجرار الخناصر

تلك فى صدرها ترجرج نهدين و ذى خلفها تدلى الضفائر

عمر "الدبكه" الرشيقه و انظر فالحواشى لكل غاو " شاطر "

لهى الأنس مذ تنادوا إليها لم يحل للرقاد طرف ساهر

و قال و هو فى مهجره يحن إلى بلاده:

يا نسمة الصبح اطوى البعد و انطلقى إلى بلادى و طوفى فى روايبها

خفى إليها بتهيامى مبكره قبل الشروق و حى سفع واديها

هيا فهذا جناحى يستحر جوى طيرى به ثم رفى فى مغانيها

طيرى فعندى لها فى كل جارحه حب يصورها شعرا و يحليها

و يستعيد إلى ذهنى مباحجها حلما لذيذا كانى فى لياليها

فان توغلت فى جناتها فهبى روى إذا أبت عطرا من اقاحيها

و إن عطفت على انغام أنهرها فاسمعينى نشيدا من شواطئها

و ان نزلت خيام التين فاصطحبى قلبى الذى قد عصانى باقيا فيها

و قال بعد تغربه فى السنغال:

أبعد البين هل لى أن أءوبا و انظر فيك يا وطنى الحبيبا

بلادى جنه الدنيا و انى أحب لأجلها الريح (الجنوبا)

الأهل نسمة منها لقلبى تكون إذا دعا الداعى طيبيا

لئن كنا هجرناها فانا تركنا فى مراعها القلوبا

تركنا النهر يجرى سلسيلا تركنا الروض و الغصن الرطيبا

تركنا غيظه الوادى تركنا ربيعا فى روايبها خصيبا

و عينا مثل عين الديك صفوا تعانق جدولا جذلا طروبا

تصف على حوافيها الصبايا جرارا ما شكت يوما نضوبا

و قال يصف حياته فى السنغال:

أ تهدينى على رأى الوجيه لأنجو فيه من سود الوجوه

رأيت العيش فى (السنغال) ضربا من الكدح الذى لا خبر فيه

إذا سلمت حياتك من بلاء فلست بسالم مما يليه

يسبك لست تمتلك اعتراضا ترد به على القذف السفيه

يؤم كمن يريد شراء شىء و ما هو فى الحقيقه مشتريه

و لكن نيه ظهرت و أخفت وراء القصد أمرا يبتغيه

و هبك شكوت أمرك للفرنسى لينصف، يزدريك و يزدريه

أيا وطن العبيد! فقدت فيك الهنا و الأنس و الهزل البديهى

ناى عن أرضك اللطفاء طرا كأنك عندهم صحراء تيه

أ لا نفى يعجل فى رحيلى و يرجع بالغريب إلى ذويه

فلى وطن و إن هو لم يصنى بروحى لو دعانى أفتديه

و قال عند ما ركب الباخره من بيروت متجهه به إلى مهجره سنه ١٩٣٧:

تشق عباب اليم و اليم زاخر و تدفع عنها الموج و الموج لاطم

هموم بقلبى هون الله جمه أبيت اعانيها و ثغرى باسم

فما راعنى يوم النوى غير موقف على (البور) إذ كانت تلوح (المحارم)

و لو قدر لسلسله مقالاته عن موريتانيا و عن زينب فواز أن تجمع في كتابين مستقلين لكانا من الكتب الجيده.

على أنه أساء في أواخر حياته لأدبه و لنفسه بان سخرها لبعض تافهى السياسه.

أبو منصور محمد بن المبارك الكرخي

قال الشيخ محمد رضا الشيبى في الجزء الثانى من كتابه (ابن الفوطى):

جرت العاده من قديم الزمان أن تقرأ قصه مقتل الامام الشهيد أبى عبد الله الحسين يوم عاشوراء في جملة من محافل بغداد و غير بغداد من حواضر العراق، و ذلك في أواخر عصور بنى العباس أو قبل ذلك قليلا، و عرفت و شاعت قراءة هذه القصة في دمشق إذ كان خطباء الدماشقه يقرءونها في جمعه المحرم و ينعون الامام الشهيد على منابر الشام، و الدليل على ذلك أن ابن تيميه أنكره على خطباء جوامع الشام في كتابه (منهاج السنه)، و عرفت قراءة المقتل في القاهره منذ عصور الفاطميين، و في العراق بعد غلبه البويهيين، كانوا يقرءونها في المحافل و المشاهد و في المنازل على ما هي عليه الآن.

ص: ٢١٣

أبو منصور محمد بن المبارك الكرخي "المنشد". ذكره في وفيات سنة ٥٩٨ و وصفه بما يأتي:

" حافظ للقرآن المجيد قرأه بالقراءات، جيد الأداء، طيب الصوت شجي، كان يتشيع و ينشد في المواسم و المشاهد المقدسه، و يعظ في الأعزیه ". (١).

فهذا مثال حسن لهذه الطبقة من القراء المنشدين في المواسم و المشاهد أو الواعظين في الأعزیه، كما نراه في عصرنا هذا.

الدكتور محمد مهدي البصير

اشاره

ولد في الحله سنة ١٣١٣.

فقد بصره صغيرا و من هذا استمد لقبه (البصير). تلقى علومه الأولى في الحله و قرض الشعر و هو ابن أربع عشره سنه، و تولى منذ نشأته الخطابه الحسينيه في الحله ثم في بغداد، ثم ظهر على مسرح الحياه العامه سنه ١٩٢٠ م بإلقاء عشرات الخطب و القصائد في بغداد حثا على القيام بالحركه الوطنيه، و قد سجن و نفى في سبيل مبادئه السياسيه مرارا عديده.

عين محاضرا في الأدب العربي بجامعة آل البيت سنه ١٩٢٥. و في سنه ١٩٣٠ أوفد إلى مصر للقيام بتبغات علميه و أدبيه و اجتماعيه. و في سنه ١٩٣١ سافر إلى فرنسا فمكث فيها سته أعوام نال في نهايتها شهاده الدكتوراه في الأدب الفرنسي. و في سنه ١٩٣٨ عاد إلى بغداد فعين أستاذا للأدب العربي بدار المعلمين العاليه حتى أحيل إلى التقاعد.

مؤلفاته:

تاريخ القضيه العراقيه في جزئين. بعث الشعر الجاهلي. الموشح في الأندلس و في المشرق. البركان و هو مجموع شعره السياسى. زبده الأمواج و هو ديوان يحتوى على ما له في شتى أبواب الشعر و أغراضه. و له باللغه الفرنسيه:

شعر كورنى الغنائى.

شعره:

قال من قصيده:

و لقد وقفت على شواطئ دجله متروحا مما بها أضنانى

ناجيتها و ذكرت سالف مجدها فبكيته و هو الذى أبكاني

و سمعت شكواها بصوت خريها فتزا فوادى أيما نزوان

لم تخفق السمات بين ربوعها إلا و قلبى لج بالخفقان

و تجهمت أمواجها فكأنما شعرت بما أنا في البلاد أعانى
تتنفس الصعداء واجمه معى فإذا كلاتنا فى الجوى سىان
لكنتى نهنت ماء محاجرى من بعد ما غرقت به أجفانى
و مشيت أنتشق النسيم و إنما أمشى بظل ذوائب الأغصان
و قال:

لك يا شمس دوله فى الفضاء يصل الأرض حكمها بالسماء
فوق سطح الغبراء مجدك عال و هو أعلى فى القبه الزرقاء
تبعتك الكرات فاجتذبيها تحت تيار قوه الكهرباء
أنت ألفتها فكانت كشعب يطلب المجد عن طريق الإخاء
فتوسطتها كأنك ملك حف فيه جمع من الكبراء
فى فم الجو من سناك لسان لا تباريه ألسن الخطباء
كم و كم آيه له بهرتنا من بيان الطبيعه الخرساء
طفح النور من جبينك لكن صقلته لنا مجارى الهواء
فابعثى فى عقولنا كل نور ولدى يا ذكاء كل ذكاء
إن فعل القوى ليعلو ظهورا بك مهما تبرقت بالخفاء
لست إلا كما روى العلم نارا هددتها الأيام بالانطفاء
ثم يقول فى هذه القصيده:

نطلب العلم كى تنظم فيه أو لتحمى مصالح الأقوياء
نبتغى المال كى نعذب فيه لا لنبقى لراحه و هناء
ما فتحنا معاهد العلم إلا و خططنا مصارع الشهداء

أيها الساسه الأعظم ميلوا عن طريق الخيال و الخيلاء
أنصفونا منكم و من سلطه النار فقد جار حكمها فى القضاء
خلصوا الأرض من معارف قوم عرضوها بأسرها للعفاء
انظروها فكم جرت من دموع بترها ممزوجه بدماء
فاعصموها و نزهوا العلم مما أوجبه مقاصد الزعماء
نشطوا النار فى المصانع حتى أكلتهم بساحه الهيجاء
سلطوها على العدو فقال الحق يا قوم كلكم أعدائى
فامنعوا الابتكار فيها و إلا ما لنوع الإنسان غير الفناء
ما لمستحدث الوسائط للقتل سوى قتله بها من جزاء
جربوا فعلها به و امحقوها فهو أولى بها من الأبرياء
ذاك صل يستأصل الناس نهشا ما لهم غير قتله من شفاء
جال فى خاطرى اليراع و لكن جاء يمشى به على استحياء
عن لى واجب فناديت فيه طوع رأبى و من يلبى ندائى
أين أين الروح السياسى مما تقتضيه مبادئ الحكماء
ربى من للضعيف رحماك يا رب أعذنا من قسوه الرحماء
ليت شعرى من أين يلتمس الصدق و هذى صداقه الأمانة
لك يا غرب خطه رسمتها نزغات الغرور و الكبرياء
آيستنا من كل ما نتمنى من هناء نروده أو صفاء
فتمهل فما يضيرك إلا ما نرى من تغطرس العظماء
فيك يا غرب عله الشرق عادت بانقسام الأغراض و الأهواء

أيقظونا لغايه ثم قالوا راقبوهم فالقوم فى إغفاء
ذهب الليل أسودا فانتبهنا إذ أتى الصبح باليد البيضاء
فسيشقى شعب و يسعد شعب بانتقال السراء و الضراء
قيل أين السلام قلت لهم مات و ها كم له شجى رثائى
رسمته صحيفه الكون سطرًا فزالته سلطه الرقباء
أ تسير البلاد إلا لحرب بعد حرب مرت بها شعواء
سوف لا تترك الزوابع زهرا فى ربوع الحديقته الغناء
و ستروى منابت الزهره الخضراء لكن بالدمعه الحمراء
طال ما غنت العنادل فيها و ستملى الرثا بعيد الغناء

ص: ٢١٤

و قال:

أعلمت أن سلامه الأوطان هي عين قتل سلامه الإنسان
وطنيه الإنسان سلم مجده إن قوبلت بعواطف و حنان
فيذب دون كيانه لكنه لا يبتغى في الكون هدم كيان
أنا لا أحب سوى السلام أو الردى إن جر حب السلم للإذعان
لا عاش من يسعى ليهلك نوعه لا جد جد العاجز المتوانى
ما الحر إلا من يطهر أرضه أو لا فما هو طاهر الوجدان
و لأنت في ديوان شعبك صفحه فلتفد غره ذلك الديوان
الروح و الجثمان منه فحقه أن يفتدى بالروح و الجثمان
فادراً بموتك عن بلادك موتها لتعيدك الذكرى لعمر ثان
ولدتك تربتها و ضمك جوها و بها نطقت مميزا بلسان
أفبعد ذاك تعاف نفسك نصرها ببيان حر صادق و بنان
ما أنت من أبنائها إن لم تكن عنها تذود بيوم كل طعان
أو ما يروكك أن تعيش بامه قد أعطيت في المجد أى مكان
أ يطل من أوج الحضاره مرتق ترمى له نظر الدليل العانى
و أمامك الطرق التى فيها سعى فعلا م فاز و أبت بالخسران
أ يريد فيك نفوذه و تغض طرفك دونه ما أنت بالإنسان
لا يلبس الشعب حله مجده حتى تطرز بالنجيع القانى
و إذا تتوجت الجماجم بالظبا كانت لهن فخامه التيجان
قضت السياسه أن تعم صروفها أبناء هذا العالم المتفانى

و تطاحت فى الأرض كل شعوبها فاليوم ها هى طعمه النيران

فطغا النجيع بكل واد و الطلا كانت منابع ذلك الطوفان

إن ينفجر فى الأرض بركان الوغى فالكون فى فم ذلك البركان

ساد الفناء على البسيطة كلها و السلم بان مقوض الأركان

و تنبتهت أمم ستملك أمرها و تسلمت أخرى يد الحدثان

فتالفت هذى و تلك تمزقت و هما إلى العلياء يستبقان

فاستخبر التاريخ أيه صفحه للعرب فيه كريمه العنوان

أ و لم يقيموا الفخر مرتفع الذرى حتى أطل بهم على كيوان

ملكوا الرقاب بعدلهم فتحررت و تألف القاصى لهم و الدانى

فتداولوا الدنيا مسخره لهم بين اليراعه و القنا المران

مدوا رواق الارتقاء و فوqe علم السعاده دائب الخفقان

و تسنموا العلياء ثم مضوا بها فمفاخر الآباء فى الأكفان

خلقوا ليبتكروا الفنون و لم نجى إلا لنطريهم بكل لسان

يا أمه بنت الأوائل مجدها هدمت علاك فأين منك البانى

ما كنت أحسب بعد عزك أن أرى مثواك و لهفا بدار هوان

السيد محمود الحبوبى ابن السيد حسين

ولد فى النجف الأشرف سنة ١٣٢٣.

هو ابن شقيق السيد محمد سعيد الحبوبى العالم المجاهد الشاعر الشهير.

درس فى النجف القراءه و الكتابه و مبادئ الحساب ثم ترك المدرسه ليدرس العلوم العربيه و المنطق و مبادئ الفقه و أصوله. انتخب عضوا إداريا فى جمعيه الرابطه العلميه الأديبه فى النجف منذ تأسيسها ثم أصبح سكرتيرها. ثم ترك النجف و أقام فى بغداد.

طبع الجزء الأول من ديوانه سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) و له عدا الديوان مجموعه موشحات و مجموعه رباعيات. و قد عنى بجمع ديوان الشيخ جواد الشيبى و جمع ما لم ينشر من شعر عمه السيد محمد سعيد.

مرت له قصيده رثائه فى الصفحه ٦٩ من المجلد السادس.

قال بعنوان سكان الريف بين عهدين:

خلت المنازل و المرايع فاكفف فليس بهن سامع

ما ذا وقوفك و هى قفرى من أماجدها بلاقع

لم يبق منهم (نهشل) بين البيوت و لا (مجاشع)

من كل من لم يتخذ لعلاه إلا السيف شافع

أو بذل ما يحويه إن بخلت به الأيدى الموانع

يهتز - مثل قناته - للجود لدن القدر فارع

باد عليه لناظريه من الفتوه خير طابع

لم يهنه شبع و بين الحى طاوى الكشح جائع

يقرى الوفود مع القرى كرم الخلائق و الطبائع

فتراه أندى للضيوف يدا من المزن الهوامع

و تراه أجراً من أسامه فى الملاحم و الوقائع

و تراه أفضى من (شريح) يوم تستعصى المنازع

للقوم يكشف عن وجوه غوامض الأمر البراقع

إن يقتنع بالرزق لم يك بازياد المجد قانع

جلد إذا ما الدهر أنذر بالقواصف و القوارع

راسى العقيده و اليقين بما به أتت الشرائع

لم تلفه لإبائه إلا لحكم الله ضارع

يا نادبا شرف العروبه عاد فى الأرياف ضائع

كم رحى تسعى نحوها جدلا فعدت و أنت جازع

أدمى حشاك خلوها من أهلها البيض الصنائع

و تنكرت لك بعدهم حتى مناظرها الروائع

فتكاد تشقيك الحقول بها، و تشجيك السواجع

و تكاد هبات النسيم تشب نارا فى الأضالع

و تكاد تورث غله تلك المناهل و المشارع

و تكاد إذ تجرى السواقى أن تسابقها المدامع

أنى اتجهت رأيت ثمه ما تقض له المضاجع

غرف أعدت للعقار و للقمار و للشنائع

لم تحو إلا كل مخمور هزيل الجسم مائع

تلقاه مضطرب الخطى فى القوم مرتعش الأصابع

و أذل من فقع بقر قره إذا غشى المجامع

لعبت به شهواته فغدا لها كالعبد خاضع

و غدا لأغلى المكرمات بابخس الأثمان بائع

أسراره عند المخادع لو تبوح بها المخادع

مستسلم للمنكرات و للفضائح و الفظائع
يسود ساعه عرضها وجه العروبه و هو ناصع
طف هاهنا أو هاهنا و سل المرابط و المربع
أين الفوارس، و الجياد تزينها الغرر اللوامع
متراقصات بالمغاوير الميامين المطالع
متجاوبات بالصهيل تكاد ترشفه المسامع
أم أين نيران القرى منها السنا العربى ساطع؟
يهدى الألى ضلوا إلى خير المنازل و المواضع
أم أين أنديه العلا ياوى إليها كل فاع؟
لم تلق فيها من يماكر، أو يكابر، أو يصانع
أسمارها أسمار أنديه الأباطح و الأجارع
سل ما تبقى من مائر أهلها، و الجفن داعم
ستريك أن زمانهم ولى، و أمر الله واقع
عصفت بهم فتفرقوا شتى العواصف و الزعازع
و غدت لهم بل للمفاخر هاهنا و هنا مصارع
يا للحماه ألا فتى منهم لهذا الريف راجع
ليجدد العزمات فيه و يوقظ الهمم الهواجع
و يبيت فى غاب الأسود مناظلا عنه مدافع
خفت الزئير و أصبحت أسفا تنق به الضفادع
تركوا ودائع مجدهم للجاهلى قدر الودائع

الساقطين إلى الحضيض من المشارف و المتالع

الذاهبين مع الرياح الساخرين بكل رادع

الجاعلين عقولهم لسواهم بعض البضائع

الواثقين من الولاة بكل محتال مخادع

الواقعين على حبائل ماهر بالصيد بارع

بهم تذرع للمآرب إذ هم أجدى الذرائع

حتى إذا الأمل الجموح أتاه و هو له مطاوع

ثقلوا عليه مثلما ثقلت على الجسم المباح

فإذا الشراب لغيرهم و إذا هم لهم الفواقع

أردت نفوسهم المطامع فارتهم صرعى المطامع

و قال عند جلاء الجيوش الأجنبيه عن سوريا سنه ١٩٤٧:

عاود العين بعد لأى كراها يوم نالت (سوريه) مبتغاها

فاستعادت من غاصبها حياه حره، فقدتها أطال شقاها

خلت الكتب جانبا و استجارت بالمواضى فابلغتها مناها

و غدت أمه لها حكمها الذاتى ، أبناؤها تصون حماها

أنزلت من فضائها علم استعبادها فاعتلى الفضاء لواها

و سما خافقا عليها فباتت تتسامى عزا، و مجدا، و جاها

رفعتة على ذراها ينادى : ارفعى اليوم بالجلاء الجباها

ألف بشرى بنهضه، كل قطر عربى بها ازدهى و تباهى

أرجعت للقلوب ما طلبته حين جاب الشعوب رجوع صداها

فاجعلها - ما عشت - ذكرى صراع بين حق و باطل قد تناهى

و اهتفى يا ابنه البهاليل: ما أطيب هذى الذكرى و ما أحلاها

و عن الأمه التى أنت منها خير جزء لا تستقلى اتجاهها

سانديها فى كل حال تساندك، فليست قواك إلا قواها

و اسلمى، لا رأيت إلا حياه لك لا للجنه حلو جناها

و قال بعنوان (فلسطين المجاهده) سنة ١٩٣٥:

ثباتا و إن جلت بك النكبات فأصدق عون عزمه و ثبات

و دومى (فلسطين) يحوطك منعه حماه من العرب الكرام كماه

رأوا ليس تجدى (الاحتجاجات) جمه و ما لسوى صوت الحديد وعاه

فثاروا يصونون الحمى حسبما اشتهى و شاء الحفاظ المر و العزمات

و أبلغ من ألقى كتاب و خطبه - إذا احمر بأس - صارم و قناه

و قد بذلوا دون البلاد حياتهم و ليس لشعب يستضام حياه

أبوا أن يقيموا فى الديار أذله و تسمو على أعلامها نكرات

و تغتصب الأرض المقدسه التى يقل لها أن تبذل المهجات

فجادوا لنيران الوغى بنفوسهم و كم أرخصت أغلى النفوس أباه

مغاوير، كم من موقف بعد موقف لهم رفعت عزا به الجبهات

و فى السلم إن رقوا طباعا ففى الوغى رأى خصمهم الرقاق قساه

أقام بناء المكرمات جدودهم و هم مثلهم للمكرمات بناه

و ليس عجيبا أن يطيبوا فإنه إذا طاب غصن طابت الثمرات

فلا بعدوا من تأثيرين بمثلهم تصد خصوما، أو ترد عداه

حموا بالدم الزاكي بلادا عزيزه عليهم، فأحيوا ما تريد و ماتوا

قال و قد قدم لها يلي: نظمت بعد ما شاء إنسان أن يلهو و يعبث بتعذيب نمله و إحراقها بنار (لفافته).

عجبت و قد دبت على الأرض (نمله) أتاحت لها الأقدار من قشها طعما

فامعنت تفكيرا بها فرأيتها - و إن صغرت - قد فاقت الهضب الشما

رأيت بها مثلى و مثلك عالما كبيرا، و كونا لا نحيط به علما

تواصل مسراها إلى الغايه التي توخت، و لم تقنع بأرزاقها حلما

خذوا لكم منها دروسا تحثكم لسعي، و لا تشكو الكلال و لا الغما

فليس كلال العيش إلا لمؤثر على الجد في راحاته الفقر و العدا

أتت نحونا تمشى و تحمل رزقها على فمها لما به رضيت قسما

مشت في طريق لم تخف حادثا بها و ما أحدثت سوءا و لا اقترفت إثما

تجد و تسعى فهي لو سئلت إذا لقات: نعم كي لا أجوع و لا أظما

فابصرها مستحقر قدر ذاتها و قد شاء أن يلهو فارهقها ظلما

و سد عليها الدرب من كل وجهه فحارت كما قد سار في مهمه أعمى

و خرق رجليها بنار (لفافه) له فكبت تشكو قساوته العظمى

تزيد انكماشها كلما زاد كيها فتعجب منه و هي ما ارتكبت جرما

و خلفها تبغى النهوض فلم تطق و أعرض عنها، و الذي شاءه تما

و قالت له - و النار تأكل جسمها - و لكنها لم تقو أن تسمع الصما

أغرك يا ابن الماء و الطين أننى دقيقه جسم بعد ما فقتنى جسما

و أنى خرساء، و أنك ناطق و كم ناطق لم يبلغ الخرس و العجما

و أنك وحشى بطبعك ظالم و إن لم تجد بالظلم فى عمل غنما
و أنك إن تنزل بى الموت لم تخف عدوا مغيرا يطلب الثار أو خصما
و أنك ذو حزم، فسل ذا معارف يخبرك أن (النمل) فوقكم حزما
نعيش فلا يطغى على البعض بعضنا غرورا، و لم ندر السباب و لا الشتما
و نحيا جميعا للتعاون بيننا لبنى إذا ما زدتم بينكم هدمنا
و إن ثارت الأطماع فيكم فأنشأت حروبا فانا لم نزل ننشئ السلما
أو امتلأت حقدا و هما صدوركم فانا جهلنا الحقد فى العيش و الهما
و لم يطغنا فرط الغنى و يضلنا فنستخدم البله المساكين و البكما
و سؤنا بكم ظنا ملوكا و سوقه فخفنا ابن داود و أجناده قدما
تأمل قرانا تحتقر مدنكم و ما حوت من لذاذات تفيض و من نعمى
و شاهد نظام النمل فى العيش بينها لتبغض فى الناس القوانين و النظما
ترانا سواء فى الحقوق فما ترى جحودا لحق دون آخر أو هضمنا
يؤلفنا حب التأخى فلا بد تنعمها الأخرى التى كلمها يدمى
و لم تستبد العنجهيات بيننا فهذا لذا يعزى، و هذا لذا ينمى
و هذا أجل الناس قدرا و رتبه و أغزرهم علما، و أرجحهم حلما
و هذا كهذا أوفر القوم ثروه و أشرفهم خالا، و أكرمهم عما
و هذا الذى تخشى المنايا لقاءه و هذا الذى أخزت مواهبه اليما
و هذا ابن من كالنجم يلمع مجده و هذا الذى لو شاء لانتعل النجما
دعاوى تزيد (النمل) هزءا بجنسكم، و هجر كما تهذون إن جدت الحمى
أ من بعد هذا كله أتم الورى أجل، رمى المقدار أخطانا سهما

أغررك إذ عذبتني فتركتني لنارك طعما أن مثلي لا يحمي
و أنك إنسان يصارع نملة كاحقر ما شاهدت ذاتا دنت و اسما
أ حاذرت - لو خليتها لسيلها - منازعه عليك أو ما لك الجمما؟
فاصليتها تحت (اللفافه) نارها على م ترى أصليتها النار أو مما
أ لم تحو قلبا بين جنبيك موجعا لظلم برىء ما أساء و لا هما
أ كنت تراها لا تحس لضعفها أذى أ ترى خص الأذى الهيكل الضخما
أم القوه الخرقاء شاءت، و كم لها جرائم بين الخلق قد بعدت مرمى
أم أنك قد حاولت ساعه قتلها و تعذيبها أن تصبح البطل القرما
سلاحك - إذ جل الحسام - (لفاقه) تميت بها ما دق بينكم جرما
فتزهي كذى بأس يهاجم لبوه باجمتها مذراح يقتحم الأجمما
و تختال مغترا كسار على سنا مهنده للروع فى الليله الظلما
و لو كنت ذا فهم تجنبت (نمله) سعت تتحرى الماء أو تطلب الطعما
فانك إذ أوردتها القتل إنما قتلت الشعور المدعى فيك و ألفهما
أ ليس لها نفس كنفسك تزدهى مع الخير، أو تشكو مع الألم السقما
إذا العقل لم يردعك عن ظلم هذه فقل لى بما ذا الوحش فقت أو البهما
جنيت عليها لا لشيء طلبته سوى اللهو و استحققت فى لهوك الذما
أ ما كان أحرى أن ترى عبره بها فتعلم منها السعى للرزق و العزما
أ لست و إياها و ما هو دونها سواء بحكم الله لو تعرف الحكما
أ لست قبيل الخلق وهما، و هكذا تعود بأحشاء الشرى أبدا وهما
أ لست بهذا الكون أصغر ذره فلست بعين الكون من (نمله) أسمى

و قال يصف ليله إخوانيه على سده الهنديه:

يا ليله (السده) العباقة الأرج عودى بامال قلب فى الحياه شجى

و حلقى للضيوف الغر ما طلبوا و قابلهم بوجه منك مبتهج

لدات لهو وضاء، بيض أوجههم تكاد تغنيك عن وضاءه السرج

لو كان صبحك عينا للزمان إذا لكنت منها مكان السحر و الدعج

أشهى لنا ظلمه الإساء تجمعنا لديك من وضح الإصباح و البلج

يا ليله (السده) الجذلى التى ذهبت بكل لنا فى الصدر معتلج

أوليتنا الفضل حتى بات معترفا بالعجز كل لسان بالثنا لهج

ليست مراثيك إلا السحر تطلبه هذى النفوس بلا إثم و لا حرج

و لا التحايا بها استقبلت موكبنا غير الحفيف و غير العزف و الهزج

حسن الطبيعه أغنانا بروعته عن الغوانى و عن دل و عن غنج

هذا هو النهر هاج الشعر منبجسا كمائه بعد ما استعصى فلم يهج

راق النواظر ما فى ضفتيه زها من النبات، و ما فيه من اللجج

و هذه نفحات الزهر قد حملت طيب الحياه إلى الأرواح و المهج

و فى الزنابق ما نغنى العيون به عن اللمى فى الثنايا الغر و الفلج

و كل ما بيننا حب و عاطفه تفيض عن وله فى القلب ممترج

جلت يد نسقت للناظرين هنا هذى الحقول بلا أمت و لا عوج

لئن نعمنا سويعات بها فلقد نلنا الذى لم تنله النفس فى حجج

و إن أبى الدهر يوما أن يصاحبنا إلا مصاحبه الصمصام للودج

فليحبنا الفضل دون المال مدخرا فرط الغنى لرعاغ الناس و الهمج

و ليق يارج طيبا كلما ذكرت ساعات ليلتنا العباقة الأرج

و قال خلال الحرب العالميه الثانيه سنه ١٩٤٠:

أوقدتها تفرع العالم نارا أمم ما طلبت إلا الدمارا

سرها ما ألقت من جشع أن تحيل الأرض بالحرب غبارا

تتبارى أيها أبعد من غيرها فى كره الظلم مغارا

لا تبالى أن تنل ما أملت فنى الكون أم ازداد ازدهارا

لا تبالى بالذى تنزل فى كل شعب سيم إرهاقا فثارا

لا تبالى بالذى ترهق من أنفس سيقت إلى الموت اضطارا

لا تبالى، خلدت أعمالها شرفا، أم خلدت خزيا و عارا

التحيا أمه واحده يذهب العالم قتلا و انتحارا؟

يا "فتى العذراء" هل أوصيتهم أن يسوقوا للوغى حتى العذارى

أمم باسمك سامت هذه الأرض من بعدك ذلا و صغارا

قسما لو عدت تسعى بينها ساعه لازددت بعدا و نفارا

ما ترى إلا يدا باطشه و خطى تمتد للظلم ابتدارا

كل آن تتلقى غدره بعهود، و على الخلق ائتمارا

أصدق الأبناء إخلاصا لها من إذا ما طلب التصريح مارى

لم تكن - مذ كنت - جبارا، و لا ناكثا عهدا لقوم أو ذمارا

كنت برا تتخذ العدل له سمه، و الرفق بالناس شعارا

أفهذا منتهى رفقهم بشعوب قد أحلوها البوارا؟

أم ترى صار وبالا علمهم بحياه ملثوا فيها اختبارا

لم يك العلم أداه للفنا و لتحطيم الدنى دارا فدارا
بنات الجوق قد سدوا الفضا و بنات الماء قد رجوا البحارا
هاهنا سرب من الآجال طارا و هنا فوج من الأقدار سارا
سادت البحر فاضحى مكمننا لجنود عجا فيه توارى
كم ترى غواصه تحسبها تبتغى القعر لمن فيها قرارا
هى تحت الماء تجرى خلسه ثم لا ترجع أو تلقى انتصارا
راعت الحيتان فى مسبحها حين كاد البحر ينشق انفجارا
و ترى بارجه تلقاءها أختها تعدو لتوليها اندحارا
تلطم الموج حواليتها، و ما لطمت إلا هضابا لا غمارا
و هى بينا تزدهى ماخره إذ بها عادت على الأمواج نارا
سل: إلى أين مضى ربانها و إلى أين بها التاريخ صارا؟
أمم قائدها الأعلى بها ملأ الأبحر جندا و القفارا
قد حداها للردى مدعنه و بها حاد عن القصد و جارا
كلما أرعد من ناحيه مدفع أمطرها الموت انهمارا
و إذا ما زحفت دبابه نحوها لم تهدها حتى الفرارا
و إذا ما قصفتها من عل طائرات هدت الصف انهيارا
و إذا ما حجب الليل الضحى عاد من نيرانها الليل نهارا
فمن المسئول عن مال لها قد تلاشى، و دم ضاع جبارا
أمم غضبى لأخرى مثلها تحمل الموت حديدا و بخارا
أضمروا العزم بحرب بدعه و دعوا للسلم فى الناس جهارا

بعثوها من جديد، أ و ما أبقت الأولى لواعيها اعتباراً؟

إن تسوء تلك فاجدر أن يروا هذه أسوأ غرسا و ثمارا

قال و قد زار بغداد سنة ١٩٤٠:

جئت "دار السلام" أرجو الفرار من أسي لم أجد عليه انتصارا

فإذا بي أضيف للحزن حزنا و كاني أضيف للنار نارا

أين وجهت مقلتي لم تزدني نظراتي إلا جوى و أوارا

لا أرى غير ما يورق جفني من وراء تقذى عيون الغياري

و نفوس لم تدر إلا امتهاننا جنب أخرى لم تدر إلا اغترارا

جمع الياس و الرجاء ببغداد كما تجمع الدجي و النهارا

سر قليلا معي لتبصر ما لم يستطع شاعر عليه اصطبارا

غص من كل شارع جانباه بشيوخ، و صبيه، و عذارى

كلهم يشتكى إلى الله حكما "تتريا" زاد النفوس انفجارا

هم وقوف، و بالكرام بنات النار كالبرق بينهم تتجارى

كل سياره تمر عليهم أتبعوها القلوب و الأبصارا

كاد أن يذهب النهار، و كادوا أن يذوبوا مع النهار انتظارا

أى دور هذا الذى نحن فيه لم يشاهده "أردشير" و "دارا"

ما العصور التى استبدت تضاهى ظلم عصر سام الضعاف احتقارا

ألف سياره تمر بفرد و ألوف على الرصيف حيارى

فته أطلقت لها الحكم فانظر زمر الناس بينها كالأسارى

كل يوم لها نظام جديد لم يحقق إلا لها الأوطارا

أغرّت الشعب بالوعود فمهما رغبت أن يهيج هاج و ثارا
إن تكن هكذا الولاه فجاور فى الشرى الأسد فهى خير جوارا
أو تكن هكذا العدالة فاحذر عن قريب يا ابن البلاد الدمارا
خبث منهم السرائر حتى ما أجنوا لصالح أسرارا
و أمان ما تدخل القلب إلا مثلما تدخل الأفاعى الوجارا
ليتهم حين لم يجيدوا صنيعا لبنى شعبهم أجادوا اعتذارا
و إذا شئت أن ترى الوضع أجلى طف ببغداد و ائت دارا فدارا
و اسأل القوم عن بلاد تمنى أن ترى منهم لها أنصارا
هل أعدوا لها المشاريع تجنى الخير منها، أو تدفع الأضرارا
ستراهم ما هيئوا و أعدوا للعراق المسكين إلا البوارا
ما أروه غير المآسى، كان القوم عند العراق تطلب ثارا
و تأمل بما ترى من نعيم إن يزد زادت البلاد افتقارا
نعم بلدت طباع ذويها فاختبرهم لم تلق إلا حمارا
ليس يدرون غير أن يتهادوا كل آن بين الزوانى سكارى
أيهم زاد فى الملاهى انغماسا زاد إخوانه علا و فخارا
إن أرتنا الآثار مجد ذويها فهم أسوأ الورى آثارا
أيها الكادح المرزأ عيشا خل هذى البلاد و أو القفارا
خلها هازنا بها، و بمن فيها عبيدا تستخدم الأحرارا
خلها و انتزع هوى لك فيها من قديم، و اسدل عليه الستارا
خلها فالكهوف أرحب صدرا لك منها، و الوحش أوفى ذمارا

خلها ساعه ليعلم أهل البذخ أن الثراء عنهم تواری

و أرح ما استطعت يمناك مما أغدقته على الجناه يسارا

أنت إذ تستدر منهم حنانا مثل من بات يستدر جدارا

لست حرا إن ترض أن تلبس القوم حريرا، و تلبس الأطمارا

لست حرا إن ترض أن تجنى الشوك، و يجنوا مما غرست الثمارا

لست حرا إن ترض أن تحسو الرنق، و يحسوا على يديك العقارا

نشر الفجر نوره فتيقظ و أجل عن عينك القذى و الغبارا

ليس في هذه الحياه نصيب لجبان فلا تخف جبارا

لك حق كما لغيرك فادأب بتقاضى حقوقك استمرارا

و أعدّها كما اشتهيت، و إلا فلم العزم، و اعذر الأقدارا

محمود بن على بن الحسن الحمصى

مر ذكره في المجلد العاشر الصفحه ١٠٥ و نزيد هنا ما يلي:

هو سيد الدين محمود بن على الحمصى الرازى الحلبي. قال فيه صاحب لؤلؤه البحرين: كان هذا الشيخ علامه زمانه في الأصولين ورعا ثقه، له تصانيف منها: التعليق القصير و التعليق الكبير، و كتاب المنقذ من التقليد و المرشد إلى التوحيد المسمى بالتعليق العراقي، و كتاب المصادر في الأصول.

و كتاب التبيين و التوضيح في التحسين و التقييح. و كتاب بدايه الهدايه. و كتاب نقض الموجز للنجيب أبي المكارم اه و قال منتجب الدين بن بابويه القمي في فهرسته: حضرت درسه سنين و سمعت أكثر هذه الكتب. اه.

و قال محمد بن إدريس الحلبي في كتابه السرائر في كتاب القضاء: سألني

شيخنا محمود بن علي بن الحسين الحمصي الرازي رحمه الله عن معنى هذا الحديث و كيف القول فيه:

روى محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر يقول: قضى أمير المؤمنين ع برد الحبيس و انفا المواريث، فقلت له: الحبيس معناه الملك المحبوس على بنى آدم من بعضنا على بعض مده حياه الحابس دون حياه المحبوس عليه، فإذا مات الحابس فان الملك المحبوس يكون ميراثا لورثه الحابس و ينحل حبسه على المحبوس عليه، فقضى ع برده إلى ملك الورثه لأنه ملك مورثهم. فاما ان كان الحبيس على مواضع قرب العبادات مثل الكعبه و المساجد فلا يعاد إلى الأملاك و لا ينقد فيه المواريث لأنه بحبسه على هذه المواضع خرج من ملكه عند أصحابنا بلا- خلاف بينهم فيه فأعجبه ذلك. و قال أنت كنت اطلع إلى المقصود فيه و حقيقه معرفته، و كان منصفاً غير مدع لما لم يكن عنده معرفه حقيقته و لا هو من صنعته، و حقا أقول لقد شاهدته على حلق قل ما يوجد فى أمثاله من عوده إلى الحق و انقياده إلى ربقتة و ترك المراء و نصرته كائنا من كان صاحب مقالته وفقه الله و إيانا لمرضاته و طاعته.

و قد تلمذ عليه جماعه منهم الشيخ ورام بن أبي فراس و منتجب الدين القمى و موفق الدين الحسين بن الفتح الواعظ البكرآبادى الجرجانى، و يروى عنه بالاجازة أو القراءه برهان الدين محمد بن محمد بن علي الهمذانى القزوينى المشتهر بنزىل الرى.

و له شعر ينحو فيه منحى أهل العرفان من ذلك قوله:

قد كنت ابكى و دار منك دانيه فحق لى ذاك إذ شطت بك الدار

ابكى لذكرك سرا ثم اعلنه فلى بكاء ان إعلان و اسرار

أما نسبه (الحمصي) فيقال أنها إلى النبات المعروف، و يقال انها نسبه إلى البلد الشهير فى بلاد الشام.

و جاء فى (الكنى و الألقاب) عن خط البهائى أنه قال: وجدت بخط بعضهم ان سيد الدين الحمصي الذى هو من مجتهدى أصحابنا منسوب إلى حمص قريه بالرى.(1)

السيد محمود الشاهرودى ابن على

ولد سنه ١٣٠١ فى قريه من قرى شاهروود و توفى سنه ١٣٩٤ فى النجف الأشرف.

تلقى دراسته الأولى فى شاهروود ثم سافر إلى النجف الأشرف فأقام هناك و لم يعد إلى بلده و استقل فى التدريس و بعد وفاه السيد محسن الحكيم كان من ابرز المراجع.

السيد محمود الطالقانى ابن السيد أبو الحسن

ولد سنه ١٣٢٩ فى قريه من قرى طالقان و توفى فى طهران سنه ١٣٩٩ و دفن فى مقبره جنه الزهراء.

درس فى قم و فى سنه ١٣٥٧ و هو فيها دخل السجن لأول مره دفاعا عن الحريات فى عهد الشاه رضا بهلوى و ظل مسجوناً ستة

أشهر، ثم أفرج عنه. ثم اتهم في عهد الشاه محمد رضا بأنه أخفى نواب صفوى رئيس جمعيه فدائيان إسلام، ثم أفرج عنه بعد شهر، و ظل صامدا في مكافحه الحكم فسجن للمره الثالثه. و بعد الأحداث الدمويه التي عرفت باحداث (١٥ خرداد) (٢) التي كانت انتفاضة شعبيه كبرى حكم عليه بالسجن عشر سنوات.

و في سنه ١٣٩٠ و بعد أن قضى في السجن ثماني سنوات أفرج عنه.

و لما أقيمت الاحتفالات الملكيه بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنه على قيام الامبراطوريه الإيرانيه كان من الناقلين على ما رافقها من بدخ و إسراف بالغين، فنفي إلى مدينه ذابل و مدينه بافت في كرمان، ثم أعيد إلى طهران و ظل ثائرا ناقما لا يهدأ فادخل السجن من جديد، و سجنوا معه بعض أقربائه و أهل بيته، و ظل مسجوناً حتى نجاح الثورة الإسلاميه ففرج عنه مع من أفرج عنهم من ضحايا (السافاك). و لكن لم يلبث إلا قليلا حتى توفي.

له من المؤلفات: ١ - تفسيره للقرآن باسم (أنوار القرآن). ٢ - نسلك الطريق إلى أنفسنا. ٣ - الملكيه و الإسلام.

الشيخ محيي الدين شمس الدين ابن الشيخ محمد حسين

اشاره

ولد في بلده مجدل سلم (جبل عامل) سنه ١٩١١ م و توفي فيها سنه ١٩٨٦ م هو ابن الشيخ محمد حسين شمس الدين شاعر جبل عامل في عصره و سليل اسره علميه ينتهي نسبها بالشهيد الأول محمد بن مكي تسلسل فيها العلم و الأدب حتى العصر الحاضر.

درس في مدرسه القرية ثم اتصل بابن بلدته السيد على طالب بدر الدين و كان شاعرا أديبا فوجهه في طريق النظم و لقنه ما يجب تلقيه للاجاده فكان استاذه الأول.

ثم أنشأ مدرسه اهليه في قرية لتعليم القراءه و الكتابه و تحفيظ القرآن ثم تركها و انتقل إلى بلده شقرا حيث درس علوم اللغه العربيه على السيد محمد حسن الأمين، ثم واصل هذه الدراسه على السيد حسن محمود الأمين في بلده خربه سلم. و في سنه ١٩٤٤ تولى التدريس في مدرسه الامام زين العابدين ع في صالحيه دمشق و هي احدى المدارس الذي كان قد أنشأها مؤلف (أعيان الشيعه). و في سنه ١٩٤٨ عينته وزاره التربيه اللبنانيه معلما في ملاكها الابتدائي فتنقل بين مجدل سلم و قريخا و برعشيت و ميس الجبل. ثم استقال و تولى التعليم الديني و الإرشاد في بعض مدارس ضاحيه بيروت الجنوبيه.

كان جيد السليقه سريع البديهه متوقد الذهن نظم في معظم مواضيع الشعر في عصره فكان له من ذلك ديوان لا يزال مخطوطا. على أنه طبع (علوياته) و سماها (اعلام الفضيله). و قد أكثر من نظم التاريخ الشعري على حساب الجمل مما يؤلف مجموعه مستقلة.

شعره

قال من قصيده يمدح بها صاحب (أعيان الشيعه):

-
- ١- جاء فى مراصد الاطلاع: و حمص بالفتح ثم الكسر و التخفيف: قربه قرب خلخال من اعمال الشارفى طرف آذربايجان من جهة قزوین. و قد كان حيا فى حدود سنه ٦٠٠.
 - ٢- يصادف ٥ حزيران ١٩٦٣.

للشام أنت كما لعامل مفخر تتغير الدنيا و لا يتغير
مثل غدا بين البريه سائر فكأنما هو فى الحقيقه جوهر
و قال من قصيده عنوانها لبنان:

شمم دعاك إلى الظهور فبرزت معدوم النظر
مستأثر بالأفق عن سكناك فى قعر البحور
لبنان و العليا دعتك و أنت سر فى الضمير
حيث الجبال تماسكت ففضت على الباغى القدير
و تناسقت مثل الحروف تناسقا بين السطور
كادت تمس الأفق فى قمم تفوق على الأثير
قسمت لشطرين استقلا بالجلال بلا نكير
قد سطرت فيها الحوادث فهى تقرأ فى الحضور
و تردى ثوب الجمال لدى المساء و فى البكور
فكان كلا منهما ملك أقام على سرير
لبنان يا وطن الجمال و هيبه الشيخ الوقور
و له من قصيده علويه:

مولى البريه قاصيها و دانيها و أول الناس ايماننا بباريها
إليك ارفعها غراء ناصعه لو لا مديحك لم تنظم قوافيها
جهد المقل لقد جاءت و لا عجب ان الهدايا على مقدار مهديها
فاجعل قبولك منى تلك لى صلته ترفع عن النفس أثقالا تعانيها
و كن شفيعى فى يوم الحساب فما الا شفاعتك العليا ارجيها

و قال:

تجلد لو كان التجلد ينفع و كفكف جارى دمه حين يدمع
و أقصر من غلوائه و هو مغرم و اسكت شاديه فليس يرجع
و قد كان فى بحبوحه من حياته له فى رياض الأنس ناد و مربع
إذا سامر منه خلا ازدان سامر به للهناء فيه مصيف و مربع
و قال من قصيده فى رثاء الشيخ على مهدي شمس الدين:
عبرى و الحزم ملء إهابه و طريق الخلود من آدابه
قد تخطى السنين يطلب المجد على الرغم من ثنايا شعابه
صاعدا صاعدا من المهد حتى غيب اللحد وجهه فى ترابه
ذا على و تلك دنيا على و على فما له من مشابه
أدب يجعل النفوس سكارى ذاهلات الحجى على اعتابه
كلما رحى منه تقرأ سطرأ ردك العجب نحو أول ما به
و قال عن ذكريات وادى السلوقى:

سلوا (السلوقى) يبنى عن تلاقينا أيام طال بواديه تناجينا
و سائلوا رنده إذ كان يحجبنا ظلال أغصانه عن عين واشينا
أيام كنا و كان الشمل مجتمعا و للزمان ابتسام من تصافينا
نشكو الأسى و كلانا مغرم و له و نجتى من ثمار الأنس ماشينا
و نشتى و لنا من فعلنا عجب نساجل الطير اسجاعا و تلحيننا
و كم حديث لنا عذب أتاح لنا سكر الغرام و لا خمر بوادينا
أيام انس قضيناها على مهل ما كان أجملها لو لا تنائينا

وقال و أرسلها إلى أحد أقربائه في المهجر سنة ١٤٠١ يصف فيها ما يجرى في بيروت من خطوب بدأت سنة ١٩٧٥ و لا تزال مستمره حتى الآن (سنة ١٩٨٧) و لا يعلم إلا الله متى تنتهي، كما يصف فيها شيخوخته.

ان يفرق ما بيننا شاسع البعد و بانت عن الجسوم الجسوم

فقلبي يا نعمه الله باق لك مأوى فأنت فيه مقيم

و إذا ما الهموم ارهقت العزم و كادت بالصبر تودي الهموم

فلروحي من ذكرك العذب روح و ارتياح و غبطه و نعيم

ذكرك العذب مؤنسى و انيسى و سميرى طول النوى و النديم

لك منى جزيل شكرى و عذرا انما يعذر الكريم الكريم

فتهننا بكل عيد جديد ما تبدت كواكب و نجوم

و انا اليوم فى غيابه سجن مطبق جانباة بؤس و شوم

يتفرى قواى دون انقطاع مستبد من الزمان غشوم

سلبتنى الأيام صفو حياتى فحياتى صفاؤها معدوم

لو تفحصتنى لألفيت شخصا جسمه ليس فيه عضو سليم

ان أردت السير اقعدنى العجز و لم يعدنى الونى إذ أقوم

و وقوفى لو لا العصا مستحيل و قعودى لو لا العصا مستديم

تلك دنياى انها يا حبيبي شر دنيا بها الحياه جحيم

لا رخاء لا صحه لا أمان "فلتان" يحار فيه الحكيم

دائما جو موطنى مستباح طيران العدو فيه يحوم

يحرث الأرض بالقنابل حتى لكان الأخدود فيه رقيم

و كان الدخان من شدة القصف سحب يغشى الفضاء و غيوم

ابدا تفرع المدافع سمعى بمخيف تطيش منه الحلوم

ترجف الأرض إذ يدوى فتغدو كسفين وسط البحار تعوم

قذفتها الأمواج من كل صوب و استخفت بها الرياح السموم

ان تفجر تناثرت فلزات فوق وجه البسيط منا اللحوم

تتحدى الأحياء حيا فحيا شظايا كأنهن رجوم

كان يتردد فى صباه إلى بلده عيئا فقال فيها:

مسارح الأنس فى (عيثا) أحييك و ما حيت فانى لست اسلوك

رأيت فيك البها و العز مزدوجا و راعنى كل مرأى من مرائك

يممت أرضك قدما كى إبل جوى بين الاضالع أذكته غوانيك

من كل هيفاء لم تترك لنا جلدا و لا دما ان تثنت غير مسفوك

ريا الشذا من روايبك مؤرجه يفوح أكرم بما تعطى روايبك

تخيل الناظر الآتى إليك دجى ان الكواكب تبدو من مغانيك

ضحكت إذ عبست كل القرى فغدت منك البشاشه تطفو فى اعاليك

يود كل فتى وافى إليك بان يظل طول المدى مستوطنا فيك

من ذا يدانيك فى قدر و لست ارى من البلاد لعمرى ما يدانيك

الماء يجرى بواديك مسلسله ما أعذب الماء إذ يجرى بواديك

من لى برد ليال فيك قد سلفت ما كان أجملها عندى لياليك

حيث أحبه حولى كالبذور سنا سبحان من بالدور التم يحبوك

الشيخ مرتضى مطهرى ابن محمد حسين

ولد سنة ١٣٣٨ فى بلدة فريمان من توابع مدينة مشهد بخراسان، و اغتيل سنة ١٣٩٩ فى طهران درس على والده ثم فى مدينة مشهد، ثم انتقل إلى مدينة قم حيث أنهى دراسته فى الفقه و الأصول و الفلسفه و المنطق. و بعد ذلك سكن طهران و تولى تدريس الفلسفه فى جامعتها كما أسس حوزة علميه صغيره فى مدرسه (مروى) كان يلقى دروسه فيها، و فى انتفاضه (١٥) خرداد سجن لمدة ٤٣ يوما، و كان عضوا بارزا فى جمعيه (علماء الدين المجاهدين). و فى العام ١٩٧٦ م. قبل انتصار الثورة الإسلاميه بثلاثه أعوام القى خطابا فى الجماهير الإيرانيه حث فيه على مناصره قضيه فلسطين و دعا إلى التبرع المالى لها.

و كان مما قاله: فلنتصور أن الامام الحسين هو اليوم حى بين ظهرانينا فما ذا يمكن أن يقول لنا؟ لا شك أنه كان يوصينا و يصرخ فينا: ليكن شعاركم اليوم هو:

فلسطين. ان شمر هذا العصر (١) هو موشى دايان فاعرفوا أيها الايريانيون شمر عصركم و زمانكم.

ترك من المؤلفات: تعاليق أصول الفلسفه و المذهب الواقعى فى خمس مجلدات، الدوافع نحو الماديه. فى رحاب نهج البلاغه. الإنسان و القضاء و القدر. قصص المخلصين فى جزئين. الإنسان و المصير. نظام حقوق المرأه فى الإسلام. العدل الالهى. الإنسان و الطبيعه، الوحى و النبوه، الإنسان و الايمان و غيرها.

الأمير مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بهاء الدوله المزيدي

هو من آل مزيد أمراء الحله، و كان شاعرا فمن شعره قوله يحن إلى "الجامعين" و هى الحله:

و مراتب بالجامعين عهدتها تزهو بغيلان لها و جاذر

أيام كنت أجز فى روض الصبا ردفى بين رفارف و عبافر

من كل فاتنه اللحاظ إذا رنت يا للرجال من اللحاظ الفاتر

بيضاء كامله المحاسن كاعب تختال بين خلاخل و أساور

أخذت من الضدين ما عرفا به من فاحم جثل و ابيض زاهر

فمن الصباح لها ابيضاض معاصم و من الظلام لها اسوداد غدائر

و قوله:

إلى كم ألوم النفس عند ادكارهم و حتام اخفى ما ألقى و اكنتم

و فى كبدي للبين ناب و مخلب و حولى ذئاب للحوادث حوم

و كم ليله قضيت فيها ماربى اعانق ربات الخدور و أثم

فيا دهر هل بعد التغيب رجعه و هل يشتفى من لاعج هو مغرم

و بسبب بعض الأحداث التى وقعت فى الحله و جوارها فضل المترجم الرحيل عن الحله و قصد إلى بلاد الشام. و يقول صاحب " تاريخ الحله " أنه سكن بلده مصياف و توفى فيها سنه ٥٨٤ و ان ضريحه لا يزال قائما فيها إلى الآن إلى جانب ضريح سنان راشد الدين فى جبل مشهد. و قد كان كثير الحنين فى غربته إلى وطنه الحله فمن ذلك قوله:

ليس موتى بعد الفراق عجيبا عجب كيف لى عليه البقاء

من بشر الفرات هل يسعد الدهر على البين أو يعين القضاء

و يعود الشمل الشتيت كما كان و تنأى الهموم و البرحاء

و يقول صاحب " تاريخ الحله " أيضا: ان الأديب السورى عادل ناصر جمع للمترجم ستين قصيده من مصادر اسماعيليه مخطوطه متفرقه.

الدكتور مصطفى جواد

ولد فى بغداد و توفى فيها ١٩٧٠ م.

تدرج من معلم فى المدارس الابتدائية إلى التخرج من جامعه القاهره ثم من جامعه الصوربون فى باريس بشهاده الدكتوراه فى التاريخ، و قد انصرف منذ وعى الحياه إلى البحث و التنقيب و التتبع حتى أصبح حجه لا يبارى فى اللغه و التاريخ و الخطط كتب عنه عند وفاته عبد القادر البراك فى جريده الجمهوريه البغداديه ما نكتفى به فى وصفه و هو لم يعد فيه الحقيقه. قال:

كما يخر المجاهد شهيدا فى المعركه فيرضى شعبه و ربه، خر الدكتور مصطفى جواد صريعا فى ميدان الجهاد العلمى و الأدبى و التاريخى دون أن تصرفه أوصاب المرض و أوجاعه عن ملازمته البحث و التحقيق بروح الطالب المثابر الدءوب، و بخلق العالم المتواضع الصبور، و بتجرد الصوفى الذى يقدم ذوب نفسه و قلبه للناس و هو قرير العين مستريح الضمير فلا غرو ان يستشعر الجميع عظم الخساره فيه و عدم سهوله التعويض عنه ليس بين زملائه فى القطر العراقى بل فى سائر الأقطار العربيه، مؤرخا ثبتا و محققا دقيقا و لغويا نادر المثل، ملما بكل ضروب المعرفه إمام [الامام] العالم الكامل و لئن وصف (ابن خلدون) الأديب بأنه (الذى يأخذ من كل علم بطرف) فان الفقيه الكبير يعتبر النموذج الفذ الذى تنطبق عليه هذه القاعده.

لقد كان الدكتور مصطفى جواد مثلا عاليا من امثله العصاميه استطاع بكده الدائب و جهده المستفيض أن يبنى شخصيته حجرا حجرا، فلم يثنه الفقر المدقع و الخصاصه المره عن الاستمرار فى الدراسه الابتدائيه و لم يحل فقدان النصير و المعين و المال دون مضيه فى التعليم و التعلم، و النجاح فيهما كأحسن ما يكون الأستاذ و التلميذ، بل لعل ما اكتسبه من العلوم و المعارف فى مختلف

فروع المعرفة لا- يرجع إلى دراسته الجامعيه فى القاهره و السوربون بفرنسا بل إلى جهده الذاتى المحض، الذى بسط بعض فصوله فى السيره الذاتيه التى كتبها عن نفسه فى كتاب (شعراء العراق) للدكتور يوسف عز الدين، فان تفرد به معرفه خطط بغداد القديمه، و مدوناته الكثيره عن بعض الجوانب الخفيه من التاريخ ليست ذات صلح كبيرى بموضوع اطروحتة التى نال بها الدكتوراه، و التى لم تترجم و لم تطبع حتى الآن بل أن هذا التفرد يعود إلى تتبعه الشخصى الذى لم يفتر و لم يكل فى يوم من الأيام.

لقد كان الدكتور مصطفى جواد أغزر علماء عصره انتاجا فى التعقيب و الاستقصاء فى أمهات الكتب العربيه حتى لقد بلغ ما كتبه معقبا على بعض الكتب أكبر من تلك الكتب نفسها، و لكن فقدانه للاستقرار و الدعه حال دون

ص: ٢٢١

١- شمر هو قاتل الحسين ع و لا يكره الايرانيون أحدا كما يكرهونه. و هذا الكلام الذى يلقىة الشيخ المطهرى على الجماهير الايرانيه المؤمنه هو رأى الشيعة و علمائهم فى اليهود و فى قضيه فلسطين، و هو موقفهم الذى ثبتوا عليه و قاتلوا فى سبيله و قتلوا و مع ذلك تتكلم عنهم كتب التاريخ المدرسيه السعوديه و غيرها بما تتكلم.

إكمال العديد من هذه الدراسات كالذى عقب بها على (فوات الوفيات) لابن شاعر الكتبي وغيره من الكتب.

معاذ بن مسلم الهراء

مرت ترجمته فى الصفحه ١٣٠ من المجلد العاشر، و نزيد عليها هنا ما يلى:

جاء فى رجال ابن داود: روى الكشى بإسناده عنه عن أبى عبد الله (ع): بلغنى انك تقعد فى الجامع فتفتى الناس؟.. قلت نعم و أردت ان أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، انى اقعده فى المسجد فيجىء الرجل فيسألنى عن الشىء فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، و يجىء الرجل أعرفه بمحبتكم و مودتكم فأخبره بما جاء عنكم، و يجىء الرجل لا أعرفه و لا أدرى من هو فأقول: جاء عن فلان كذا، فادخل قولكم فيما بين ذلك. فقال (ع): اصنع كذا فانى كذا اصنع.

على ان ابن داود لقبه الفراء لا الهراء. (انتهى).

عمر طويلا - كما ذكر فى ترجمته - و مات أولاد أولاده و هو باق. قال عثمان بن أبى شيبه: رأيت معاذ بن مسلم الهراء و قد شد أسنانه بالذهب من الكبر، و فيه يقول أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى:

إن معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره أمد

قد شاب رأس الزمان و اكنهال الدهر و أثواب عمره جدد

قل لمعاذ إذا مررت به قد ضجج من طول عمرك الأمد

يا بكر حواء كم تعيش و كم تسحب ذيل الحياه يا لبد

قد أصحت [أصبحت] دار آدم خربا و أنت فيها كأنك التوتد

تسأل غربانها إذا نعبث كيف يكون الصداع و الرمدم

مصححا كالظليم ترفل فى بدريك مثل السعير تتقد

صاحبت نوحا و رضت بغله ذى القرنين شيخا لولدك الولدم

فارحل و دعنا لان غايتك الموت و ان شد ركنك الجلد

و حكى بعض كتابه قال: صحبت معاذ بن مسلم زمانا فسأله رجل ذات يوم: كم سنك؟.. فقال: ثلاث و ستون، قال: ثم مكث بعد ذلك سنين و ساله: كم سنك؟ فقال: ثلاث و ستون، فقلت: أنا معك منذ احدى و عشرين سنه، و كلما سالك أحد: كم سنك؟ تقول: ثلاث و ستون، فقال: لو كنت معى احدى و عشرين سنه أخرى ما قلت إلا هذا!.

و لما أراد صديقه الكميت قصد خالد بن عبد الله القسرى أمير العراقيين فى واسط بعد أن بلغه انه أجاز الطرماح بثلاثين ألف درهم، و خلع عليه حلتي و شى لا- قيمه لهما. قال معاذ للكميت: لا- تفعل، فلست كالطرماح، فإنه ابن عمه، و بينكما بون: أنت مضرى و خالد يمنى متعصب على مضر، و أنت شيعى و هو أموى، و أنت عراقى و هو شامى، فلم يقبل إشارته، و ابى الا قصد خالد، فقصدته، فقالت اليمانيه لخالد: قد جاء الكميت و قد هجانا بقصيده نونيه قد خرق فيها علينا، فحبسه خالد، و قال: فى حبسه صلاح، لأنه يهجو الناس و يتاكلهم، فبلغ معاذ فهمه، فقال الأبيات المنشوره فى ترجمته.

و سال شخص معاذ عن مولده، فقال: ولدت فى أيام يزيد بن عبد الملك، أو فى أيام عبد الملك.

و الهراء: منسوب إلى الثياب الهرويه لأنه كان يبيعها.

المقداد بن عبد الله السورى الحلبي

مرت ترجمته فى المجلد العاشر الصفحه ١٣٤ و نزيد عليها هنا ما يلى:

يروى عن الشهيد الأول و يروى عنه تلميذاه: محمد بن شجاع القطار الحلبي و الشيخ زين الدين على بن الحسن بن العلا [العلاء]، اجازته المترجم فى جمادى الآخره سنه ٨٢٢. له عدا ما مر فى ترجمته: رساله فى آداب الحج. تجويد البراعه فى شرح تجريد البلاغه فى علمى المعانى و البيان. شرح الفيه الشهيد.

منهاج السداد فى شرح واجب الاعتقاد للعلامه الحلبي. اللوامع. الأربعون حديثا ألفه لولده عبد الله. كنز العرفان فى فقه القرآن. التنقيح الرائع فى شرح مختصر الشرائع. شرح الباب الحادى عشر للعلامه الحلبي. شرح مبادئ الأصول. نضد القواعد فى الفقه.

توفى بالنجف الأشرف فى ٢٦ جمادى الثانيه سنه ٨٢٦.

مهيار الديلمى

مرت ترجمته فى الصفحه ١٧٠ من المجلد العاشر، و لم ننشر هناك شيئا من شعره، و اننا نقدم هنا دراسه عنه بقلم الدكتور عبد المجيد زراقت، ثم نعقبها بشىء من شعره:

ملامح عامه و مسائل اساسيه

فى تاريخ الأدب العربى أسماء شعراء أعلام لم يتح لنا التعرف إليهم جيدا (١) قد يكون فى حياه هؤلاء، أو فى الظروف التى عاشوها، من الملابس، ما يفسر غياب تلك الأسماء عن دائره الضوء. و قد نفهم، نحن اليوم، مثل تلك الملابس، و إن كنا نعتقد أنها مبررات غير كافيه لطمس عطاءات مبدعين جديرين بالمعرفه و الدراسه و التقدير. قد نفهم تلك الملابس التى تفسر، فى إطارها التاريخى العام، و لكننا لا نرتضى أن تبقى تفعل فعلها، فمن حق مبدعى تراثنا أن يوفوا حقهم، و أن ينظر إليهم بمنظار لا يجحد لأهل الفضل فضلهم.

قد يكون اعتقادنا هذا، أحد دوافعنا للتعرف إلى مهيار الديلمى الذى يدرك حقيقته و يعتب فيخطب أهل زمانه و أهل كل

زمان، و كأنه يعتذر:

إذا كان عزي طاردا عنى الغنى فله فقر لا يجاوره الذل!

على اجتناء الفضل من شجراته و لا ذنب إن لم يجن حظا لى الفضل

يبقى موقف مهيار الذى نلمسه، فى بيته هذين، فى الذهن طويلا، حيث ترسم صورته إنسان فاضل أبى يعانى مشكلات عالمه و يرى إليها بعمق، الأمر الذى يتيح له اتخاذ مواقف إنسانيه و امتلاك ما يحقق الذات و يسهم فى بناء المجتمع.

تبدو هذه الصورة التى أشرنا إلى ملامحها العامه واضحه فى ثنايا ديوان الشاعر الكبير ذى الأجزاء الأربعة.

و نحن و إن كنا نريد تلمس هذه الصورة، فى بعض تفصيلاتها، إلا أننا نرى أن نلم قبل ذلك برؤيه مؤرخى الأدب لهذا الشاعر و أن نتعرف إلى المسائل التى

ص: ٢٢٢

١- و من هؤلاء الشعراء الأعلام الشاعر مهيار الديلمى الذى يقول محرر الهلال بمناسبة صدور دراسه موجزه عنه بقلم الأستاذ إسماعيل حسين: "مهيار الديلمى من نوابغ شعراء العربيه، و ديوانه من ابداع ما نظم فى فنون الشعر العربى... و من الغريب أننا لم نجد قبل الآن أحدا من الأدباء عنى به فى العهد الحديث عنايتهم بغيره من الشعراء. بل إن مدرسى تاريخ الأدب العربى، فى مدارس الحكومه كادوا يتناسونه و لا يذكرون عنه شيئا" (الهلال الجزء ٨، السنه ٣٩، ص ١٢٥٠).

يثيرونها، و ذلك لأن هذا الصنيع يتيح لنا أن نكون موضوعيين و مقدرين لأصحاب الفضل فضلهم في آن.

نقرأ، في كتب الأدب، ما يفيد أن "الشاعر المشهور" أبا الحسين مهيار بن مرزويه، الكاتب الفارسي الديلمي، كان مجوسيا فأسلم سنة ٣٩٤ هـ على يد الشريف الرضى، كما أن هذه الكتب تصفه بقولها: "كان شاعرا جزل القول مقدا على أهل وقته" و له ديوان شعر كبير، و هو رقيق الحاشيه طويل النفس في قصائده... توفي سنة ٤٢٨ هـ.

في ما قرأناه تعريف موجز بالشاعر و شىء من ثناء، غير أن بعض مؤرخى الأدب يورد ما يثير مسائل على درجه من الأهميه جعلت بعضهم يقول مخاطبا الشاعر: "يا مهيار، انتقلت بإسلامك، في النار، من زاويه إلى زاويه".

قد نجد، في هذا القول، ما يلخص رؤيه معينه إلى مهيار و شعره كنا قد أشرنا إليها قبل قليل. و في ما يلي، سوف نسعى إلى تبين مدى صحه هذه الرؤيه، و ذلك في إطار المسائل الكثيره التى تثيرها قراءه ديوان هذا الشاعر قراءه منصفه.

٢ - منابع الرؤيه و توجهها

نلاحظ، في قصائد مهيار، ميزه يتصف بها كل شعر يتخذ الصور وسيله و فيه الأسلوب أداه، و قد رأى القدماء هذه الميزه و عبروا عنها بأسلوبهم، فقال أبو الحسين الباخري في دمي القصر: "هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعر، و كاتب تحت كل كلمه من كلماته كاعب، و ما في قصائده بيت يتحكم عليك بلو و ليت، و هى مصبوه في قوالب القلوب و بمثلها يعتذر المذنب عن الذنوب".

نتجاوز عن سجع أبى الحسن [الحسين] و نتوقف عند ما نفهمه من هذا القول، و بخاصه تركيزه على ما تتصف به الألفاظ من صفات تجعلها شبيهه بالعذارى الجميلات و ما تتميز به القصائد من ميزات تجعلها تعبر عما فى القلوب و كأنها مصبوه فيها.

ثمه سببان، يجعلاننا لا نعجب من وصول مهيار إلى مثل هذه المرتبه من مراتب الإبداع فى لغه ليست لغته الأولى يعود السبب الأول، فى تقديرنا، إلى تتلمذ هذا الشاعر على الشريف الرضى، و يتمثل السبب الثانى فى اطلاعه الوافى على الشعر و التاريخ العربيين و فى فهمه لأسرار اللغه العربيه و تعمقه فى ذلك كله و هذا ما نلمسه فى الديوان من خلال إشارات داله. فالملاحظ أنه كثيرا ما يضمن شعره إشارات إلى فحول الشعر العربى و إلى حوادث من التاريخ العربى و الإسلامى، ففى إحدى قصائده، على سبيل المثال، يرى أن الشعر لم ينبح "الغريب المقرح" و "مستنزى النعمان عن سطوته كما أن الردى لم يخضع لنسيب "عروه" و لم نعط قيسا "مناه" و فى قصيده أخرى يشير إلى استثناء الهجاء فى العصر الأموى عند ما يقول:

بهذا الحكم حين تحالباها نقائض حاز زبدها جرير

كما و أننا نلمس، فى الديوان، إشارات إلى التاريخ العربى نذكر منها، على سبيل المثال:

لئن كانت الزباء عزا و منعه فأنت لها من غير جدع قصيرها

و نقرأ له أيضا:

حديث لو تلوه على زهير غدا من مدحه هرما يتوب

فاردى كليب لحفظ الجوار و رعى الذمار و صون الحریم

و للخوف فى قومه أن يضام ، مات ابن حجر قتيل الكلوم

و خاطر حاجب فى قوسه فخلفها شرفا فى تميم

نكتفى بهذه الأمثلة التى تدل على أن مهيار كان على قدر كبير من المعرفة بالتراث العربى: تاريخا و شعرا و لغه، كما أن هذه الأمثلة تدل، من جهة ثانية، على طبيعته: شخصيه و رؤيه إذ أنه سمي النابغه " مستنزل النعمان عن سطوته "، و رد أسباب قتل كليب إلى " حفظ الجوار و رعى الذمار و صون الحریم " و أعاد أسباب مغامره امرئ القيس التى أدت إلى موته غريبا مقرحا " للخوف فى قومه أن يضام " كما أنه سمي صنيع حاجب الذى رهن قوسه عند كسرى و وفى بذلك شرفا يتوارثه الأبناء عن الأجداد، إن فى اختيار هذه الأحداث و استخدامها إشارات داله موحيه و توظيفها فى سياق معين دلالات عديده أهمها اتساع ثقافه الشاعر و عمقها و ملكه رؤيه خاصه تنظر إلى التاريخ محاوله فهمه و استخلاص الدروس و العبر منه، بغيه الإفاده منه فى فهم الحاضر و الكشف عن الواقع و التأثير فى توجهه.

يقراً مهيار التاريخ و يرقب الحاضر و يحياه، ترتسم حركه التاريخ أمامه و تنكشف علاقات الواقع أمام عينه الثالثه، و تتكون لديه تجربه عميقه يختلط فيها وعى العقل و حدس الشعر و يعبر عن تجربته معادلا- شعريا لها يحمل رؤيه خاصه أشرنا إلى بعض منابعها و إلى توجهها العام و سنحاول فى ما يلي أن نلمس أهم عناصرها المكونه.

٣ - معنى الحياه و قيمه الإنسان

يعتقد مهيار أن الحياه عباره عن رحله يحث فيها الإنسان الخطىء مطاردا من الدهر و يرى أن لهذه الرحله نهايه حتميه هى الموت، أو لعله يرى أنها رحله باتجاه الموت و أثناء الرحله ينشب صراع مع الدهر و طالما كان الأمر على هذه الصوره فلتكن هذه الرحله فى سبيل هدف أسمى و ليكن الإنسان فيها صانعا مجده محققا ذاته مهما كلف ذلك من مخاطر و لنقرأ بعض ما يقوله فى هذا الصدد:

باتت تخوفنى الأخطار مشفقته ترى الإقامه حزما و النوى غلطا

و هل رأيت الذى نجاه مجشمه بعقوه الدار، أو أرداه إن شحطا

و ما نحن إلا قطين الموت يعسف بالوانى و يلحق بالسلاف من فرطا

و طول أيامنا، و الدهر يطلبنا مراحل تنتهى اعدادها و خطى

و يدعوه هذا الاعتقاد إلى تحديد غايته من الحياه و جعل موضوع الصراع مع الدهر " مرمى العز " و إلا فأهلا بالموت، و ليس من

مرتبہ وسط، كما يقول:

... و قم بنا نطلبها عاليه إما لمرمى العز أو للمرمس

و يتخذ الصراع بعدا انسانيا عاما، فهو لا يصارع أياما بعينها و إنما يجالذ " الدهر " بما يعنيه من امتداد للزمان و المكان و مجرى الحياه فيهما و هذا الصراع الذى يخوضه الإنسان ليس مع الطبيعه وحدها أو مع أحداث الحياه فتره معينه فحسب، و إنما مع الدهر فى معناه العام ينطلق من أن للإنسان جوهرًا ينبغى أن يتحقق، و على كل إنسان أن يصنع مصيره و يجسد حقيقته و إلا فقد معناه و قيمته و غدا شيئًا آخر، و لنسمعه يعلن هذه الحقيقه متخذًا السيف و الليث مثالين على ذلك:

ص: ٢٢٣

كما ان الحياه تفقد معناها إن لم يحقق الإنسان ذاته و يصنع مشروعه:

فما الحياه، و إن طالت، بصالحه لمن يعد متاعا باثرا سقطا

ما خطه العجز و الأرزاق معرضه إلا لمن نام تحت الذل أو قنطا

و يدرك مهيار أن تحقيق الذات و صنع مجدها يتطلبان صراعا مع الدهر يقتضى مخاتلته و اقتناص الفرص منه فنسمعه يقول:

لا تفرط جلوسا بانتظار غد خاتل يد الدهر و انصل غيله أبدا

٤ - فى دروب الحياه: وجه يوقد الهم تحته

و يكون صراع مهيار مع الدهر صراعا مريرا، تتكون لديه آمال و يسعى حادا إلى تحقيقها ظانا أن إخوانه يساعدونه، ثم يذهب

هذا كله هباء و تتكرر الخيبة، فيعبر مهيار عن هذا الصراع و نتائجه:

كم يوعد الدهر آمالي و يخلفها أخوا أسر به، و الدهر عرقوب

و تتكرر ذنوب الأيام، فيعجب و يرجو بحسره أن يحيا أياما تعد ذنوبها و ليست الذنوب ذنوب الأيام فحسب و إنما هي ذنوب

الناس أيضا، الذين غدوا صخورا لا تلين، و قد نلتفت إلى نظره مهيار التي رأت تحول الإنسان الذى فقد جوهره أو إنسانيته، إنه لم يعد إنسانا و إنما صخره:

يقولون دار الناس ترطب أكفهم و من ذا يدارى صخره و يذبيها

و الحق ان مهيار ما كان غافلا عن حقيقه الزمان و الناس و طبيعه العلاقات الاجتماعيه، كان يدرك هذا كله تمام الإدراك:

و ما أطمعنى أوجه بابتسامها فيؤيسنى مما لديها قطوبها

و كان يدرك أيضا سبل الوصول و وسائل نيل المطالب فى ظل المجتمع الذى يعيش فيه:

و فى الأرض أوراق الغنى لو جذبتها لرف على أيدى النوال رطبيها

و لكن هذه السبل ليست سبله كما أنه لا يرضى اتباع تلك الوسائل إن فى المرعى لأوراقا خضراء يانعه و لعشبا طريا و لكلاً

خصيبا شهيا و لكن ما نفع هذا كله إن كانت الإبل الجائعه تانف من هذا كله و تمجه إن مهيار الديلمى يرفض سبلا تحقق الذات

و يرتضى سبلا أخرى و شتان ما بين دربى الوصول إلى "مرمى العز"، و لنسمعه يشير إلى هذا فى صورته حسيه مقتلعه من الواقع،

و كأنها تضع الحقيقه أمامك مصوره فتراها و تلمسها:

إذا إبلى أمست تماطل رعيها فهل ينفعنى من بلاد خصيبها

يسعى مهيار إلى المجد، و يجد في سبيل ذلك مصارعا الدهر، و يعى سبل الوصول و لكنه بدلا من أن يمتطى مطايا الركب يشكو الزمان و الناس. فلم الشكوى؟ و لما ذا لا يحقق ما يصبو إليه و بخاصه أنه يرى الحياه القاعه من دون قيمه؟ ليس من شك في أن هذا السؤال الذى تثيره قراءتنا لتجربه مهيار مع الدهر سؤال كبير، و هو لا يخص مهيار وحده، و إنما يعنى الإنسان فى كل زمان و مكان، إذ انه يثير مشكله الإنسان و سلوكه فى هذه الحياه سواء أ كان ذلك من حيث طبيعه هذا السلوك أم من حيث أهدافه و سبل تحقيق هذه الأهداف و تعارض ذلك أو توافقه مع التوجه العام و حقوق الآخرين.

يسمى مهيار ما يصل إليه الناس من مناصب و غنى "حظوظا"، و هو يعرف الطرق إلى هذه الحظوظ، و لكنه يرفض أن يسلكها، و الأمثله التى تؤكد هذا كثيره نذكر منها:

- و يا نبيل الحظوظ، أما إليها بغير مذله منها طريق

- فلو قنن الجبال زحفن جنبى وقعن أخف من منن الرجال

- فما ترانى أبواب الملوك مع الزحام فيها على الأموال و الرتب

- و عابوا على هجر المطامع عفتى و للهجر خير حين يزرى بك الوصل

و يبدو مهيار، فى موقفه هذا، منسجما مع نفسه، فيناقشه مع فتاته وفق مبادئ أساسيه ينطلق منها فى سلوكه، تلومه فتاته فيجيب:

و قد كنت ذا مال مع الليل سارح على، لو أن المال بالفضل يكسب

و لكنه بالعرض يشرى خياره و ينمى على قدر السؤال و يخصب

و ما ماء وجهى لى إذا ما تركته يراق على ذل الطلاب و ينضب

فى ما قرأناه كشف لواقع و رفض له و أنفه عن الانخراط فى جموعه و عن الوقوع فى شباكه، و يندرج هذا الموقف فى إطار رؤيه شامله تنظر إلى الإنسان بوصفه سيد المخلوقات، و قد خلق حرا يجهد لتحقيق غايه كبرى، و هذا كله ليس ملكه و ليس من حقه أن يفرط فيه و يريقه فى غير ما خلق له ينطلق مهيار إذا فى دروب المجد من مفهوم سر الخلق و من ان الله كرم الإنسان و على الإنسان أن يحافظ على ما أودع الله فيه، و انطلاقا من هذا المفهوم يبقى ظمانا، يعرف دروب الرى، و يرفض سلوكها لأن المذله فيها و المذله أشد حراره و أقسى و لنقرأ هذا البيت و لنلاحظ الصوره فيه و التلاعب بالأضداد و فى هذا إضاءات و إيجاءات تسكن الحاله فى القلب حاره الطلوع من تنور المعاناه:

أظمى، و ريبى فى السؤال، و لا يفى حر المذله لى ببرد الماء

و يدرك مهيار نتائج موقفه، و يلمس الواقع الذى توصله إليه خياراته و لكن لا يابه لهذا، إذ ان له مقاييس تختلف عن مقاييس الآخرين، فليس مهما ما يجرى فى الخارج، فالمهم ما يجرى فى داخل الذات الإنسانيه، المهم أن يبقى الجوهر صافيا و أن يبقى

الهم دافعا و مؤرقا:

و إن هوى بى أو حطنى حمق الحظ ، فهمى يسمو و يرتفع ،

... نفسى أحجى من أن تحلم بالوعظ ، و قلبى بالمجد مضطلع ،

و الواضح أن مهيار يعى أن معركته المريره مع الدهر طويله، و أن سبله شاقه، فيختار الصبر الذى يكشف و يحرض و يدل على
الصواب:

ص: ٢٢٤

و تقتضى طبيعه هذا الصراع أن يتحمل الإنسان كل ما يتعرض له، فيسغب و الثرى عمم و يظما و الغيث مسكوب:

- إنى لأسغب زهدا و الثرى عمم نبتا، و أظما و غرب الغيث مسكوب

و إن ليم فى ذلك يجيب منكرا كل ما يعرضونه من إغراءات ليست مكاسب حقيقيه و لا يريد أن يوهم نفسه بها، و إن لم يكن سواها فالجوع أفضل من الشبع فى هذه الحاله، إنه خيار ينطلق من رؤيه عميقه و شامله للحياه و العالم و سبل تحقيق الذات:

أ أشرى بعرضى رفد قوم معوضه و أشعر نفسى أن ذلك مكسب

فاقعد إذا السعى جر مهضمه و جع إذا ما أهانك الشبع

و يكون الصراع مع الدهر أشد مراره و قسوه عند ما يقف الإنسان وحيدا فى دروب الحياه يحس وحشه الغربه فى غياب الصديق و الحبيب.

يفهم مهيار الصداقه اخوه و شد أزر وقت الشده:

قلبي للأخوان شطوا أو دنوا و للهوى ساعف دهر أو نبا

و لكن هؤلاء الأصحاب يكونون وقت الشده كاليد الشليله:

و صاحب كاليد الشليله لا يدفع بها شيئا فيندفع

يتلونون و يتغيرون بتغير الأحوال، أحوالهم و أحوال صديقهم:

كم أخ غيره يومه المقبل عن أمس به الذاهب

كنت و إياه زمان الصدى كالماء و القهوه للشارب

و فرق كبير بين أن يكون حمامه حينا عقربا حينا آخر:

يطير لى حمامه فان رأى خصاصه دب ورائى عقربا

يرفض مهيار هذه الأسس فى التعامل، فلا يكون ذا وجهين، و يتحمل الكثير:

و صاحب كالجرح أعيا سبره و جل عن ضبط العصاب و القمط

حملته لا أتشكى ثقله كى لا تقولوا: طرف أو مشرط

و يعاتب برقه و حنو و طهاره:

أيها العاتب ما ذاك ، و ما أعرف ذنبي؟

أ تظن الدمع دينا تتقاضاه بعثبي..

و يبقى ودودا مخلصا يحرص على الصديق و يتالفه شريطه ألا يؤدي هذا إلى الذل، إذ أن هناك حدودا ينبغي ألا تتجاوزها العلاقة بين الطرفين و إن تجاوزتها يكون لمهيار موقف واضح، فهو يختار البعد الأجمل:

إذا لم يقرب منك إلا التذلل و عز فؤاد فهو للبعد أجمل

سلوناك لما كنت أول غادر و ما راعنا في الحب أنك أول

و قد يختار الهجر إن اقتضى الأمر ذلك، و يدافع عن موقفه قائلا:

أ أنت على هجر اللئام معنفي نعم أنا ثم فارض عنى أو أغضب

توصله هذه التجربة المريره مع الآخرين و الأصدقاء منهم بخاصه إلى القول

طهر خلالك من خل تعاب بهو أسلم وحيدا فما في الناس مصحوب

نلمس في هذا كله شخصيه تكاملت عناصرها و رؤيه شامله عميقه نفاذه تبلورت: منطلقات و أدوات و مفاهيم و توجهها، و نلمس أيضا حرصا على نقاوه هذه الشخصيه و رؤيتها و كأنها جوهر كريم ينبغي أن يسلم فلا يعاب و لا يخذش، و لنسمعه يخاطب من يطلب منه تغيير سلوكه غير المجدى في هذه الحياه، بعد أن كبر و لم يحرز مالا أو منصبا:

قالوا ارتدع إنه البياض و قد كنت بحكم السواد ارتدع

لم ينتقل الشيب لى طباعا و لا دنسنى مثل صقله طبع

ثم يؤكد حقيقه موقفه و طبيعته فيقول:

يا ناقد الناس كشفا عن جواهرها متى تغير عن أعراقه الذهب

و هو يعرف تمام المعرفه الأسباب التى أوصلته إلى ما هو عليه، فيذكر أسباب إخفاقه فى تجربته مع الزمان و الناس قائلا:

أذنبنى الحب و الإخلاص عندكم فان ذنبي إلى أيامى الأدب

و بديهى أن من يمتلك مثل هذه الرؤية و يتخذ مثل هذه المواقف أن يرى إلى الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا تتحدد قيمته بما يملكه من إمكانيات و مؤهلات و بما يطمح إلى تحقيقه و بسبله التي يتبعها لتحقيق ذاته و تحسين مشروعه... بديهى أن ينظر إلى الجوهر الإنساني الذي يبقى ضياء يشع و يضيء في دروب الدنيا مثل الذهب، دون ما أى اهتمام بالمؤثرات الخارجيه كالعرق و النسب و الإقليم، و لكن هذه الرؤية التي تقيم الإنسان باعتباره فردا يملك امكانيات و طموحات و سبلا و مفاهيم كانت تصطدم برؤيه المجتمع الذي كان يعيش فيه مهيار إلى الموضوع.

إن لهذا المجتمع مقاييسه الأخرى في التقييم، و قد اصطدم مهيار بهذه المقاييس في مجالات من الحياه عديده، كانت أفساها تجربته في علاقته بالجنس الآخر، نعى تجربه حبه لفتاه كانت تختلف عنه نسبا.

كانت فتاه مهيار جميله، صعبه القيادة، ذات دلال ياسر، تبخل و لا تفى بالوعود، كاي حبيبه عرفها الشعر العربي من قبل، و لكن مهيار يوظف بعض المفارقات في لعبه فنيه، فهي بخيله و قومها عرفوا بالجود و يريد من قومها الذين عرفوا بحفظ الجوار أيضا أن يؤنسوا فؤاده الذي التجأ إليهم و يردوه إليه، و في هذا إشاره من طرف خفى إلى موقف قومها منه، و كأنه يحثهم في إطار لعبه فنيه على إنصافه و هم الذين اتصفوا بصفات يريد لها الآن أن تفعل فعلها، و لنقرأ بعض ما يقوله مهيار في هذا الصدد:

... من العريبات شمس تعود باحرار فارس مثلى عبيدا

إذا قومها افتخروا بالوفاء و الجود ظلت ترى البخل جودا

و لو أنهم يحفظون الجوار ردوا على فؤادى طريدا

تعجب به الفتاه في نادى قومها، و لكنها تسأل عن نسبه يسرها ما تعلمه عنه و عن أخلاقه غير أنها تريد أن تعلم ما حسبه.

مكانه الجماعه: القبليه أو الشعب و ما يعنيه هذا من علاقات بين القبائل و الشعوب.

و يثير السؤال عن الحسب، فى مثل حاله مهيار، قضيه كبرى كثر الحديث عنها و هى قضيه السيد و المولى، و تثيره اسئلتها فيفخر بنسبه و مجد قومه القديم فيقول:

لا تخالى نسبا يخفضنى أنا من يرضيك عند النسب

قومى استولوا على الدهر فتى و مشوا فوق رؤوس الحقب

مؤكد أن هذا الانتماء القديم لا- يخفضه، و لنلاحظ اختياره لهذه الكلمه التى تركز على المشكله فكأنه يقول إن انتماءه إلى فارس لا ينقص من قدره فقومه قديما فعلوا و فعلوا... ثم يعلن هويته الحقيقيه و انتماءه:

قد قبست المجد من خير أب و قبست الدين من خير نبي

و يكون بهذا قد جمع المجد من أطرافه:

و ضممت الفخر من أطرافه سؤدد الفرس و دين العرب

تعد قضيه الانتماء أو قضيه هويه الإنسان، أهم قضايا الفرد فى كل عصر و قد كانت على قدر من الأهميه كبير فى تلك الفتره من فترات التاريخ العربى - الإسلامى و ذلك لاشتداد الصراع بين العرب و عناصر ذلك المجتمع، هذا الصراع الذى أبرز أشكالاً عديده: سياسيه و اجتماعيه و ثقافيه، و لعل من أهم هذه الأشكال ما عرف باسم "الشعوبيه".

لن ندخل فى مشكلات هذه القضيه التى قيل فيها الكثير و لكننا لن نهمل فيها ما يتعلق بموضوعنا، إذا اننا سنعمد إلى طرح السؤال الذى يعيننا هنا محاولين الاجابه عنه فى مقاربه مباشره لا تهتم باى إسقاطات ذاتيه كانت أم خارجيه و السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: هل كان اعتداد مهيار بنسبه الفارسى يندرج فى إطار الحركه المناهضه للعرب أو أنه كان موقفاً أمله معطيات مرحله تاريخيه كان لمهيار رؤيته المميزه لقضاياها و مسائلها؟ و هل كانت هذه الرؤيه المميزه منبثقه من رؤيه شامله للكون و العالم؟ و ما هى طبيعه هذه الرؤيه الشامله ليس من شك فى أن مهيار يذكر ماضى قومه و مجدهم و يذكر بذلك و يعلنه فضلاً عما أثبتناه له قبل قليل، ثبت هنا مثالا آخر، و هو قوله:

... من بها ليل أنبتوا ريشه الأرض ، و ربوا عظامها و الجلدا،

... بين "جم" و "سابور" أقيال ، يعدون مولد الدهر عدا،

و الملفت أن ذكر مهيار لأجداد قومه و التذكير به يندرج فى إطار التأكيد أن نسبه هذا لا يخفضه كما مر بنا آنفاً، و كأنه يرد على من ينتقصه و يزرى به بسبب من هذا النسب، و الملفت أيضاً فى موقف مهيار أنه يتجاوز هذا التذكير الدفاعى سريعاً لينظر إلى التاريخ: الفارسى و العربى و الإسلامى أيضاً نظره تقويميه فيشيد بما يراه جيداً و يتبناه وفق فهمه لأحداث التاريخ و مجرى

الحياه. إنه يذكر للفرس فضائلهم، و منها، على سبيل المثال، العدل و حسن التنظيم، فيقول:

سير العدل فى ماثرهم تروى و حسن التدبير عنهم يؤدى

و قد مر بنا إعجابه بالعديد من فضائل العرب كالوفاء و حسن الجوار و رفض الظلم و الالباء و نورد هنا، على سبيل المثال، تقديره
مشاعر العرب الإنسانيه و صدق حنينهم فيقول:

و حنت نحوك حنه عربيهيت، و تعذر ناقيه إن حنت

و يبدو مهيار، فى موقفه هذا، إنسانا متجردا عن الأهواء الشعبويه يطل على العالم و ينظر إلى قضاياها و مسائله و يتأملها و يعلن ما
يراه حقا و مصيبا وفق أسس تحدد انتماءه الحقيقى فلنحاول أن نتعرف إلى هذه الأسس مثبتين بعض الأمثله الداله.

يقرأ التاريخ الفارسى، و يتوقف عند صفحات منه ينتصر فيها الحق و يرغم المظلوم أنف الظالم، فمن جدوده:

من فرس الباطل بالحق و من أرغم للمظلوم أنف الظالم

و يقرأ التاريخ العربى، و يشيد بفضائل فيه مشرقه و لكنه ينخرط كليا فى بهاء الفجر الذى أشرق و أبان نهج السبيل و حدد
دروب العيش:

- ما برحت مظلمه دنياكم حتى أضاء كوكب فى هاشم

- أبان الله نهج السبيل ببعثته و أرانا الغيوباً

هنا، تتحدد هويه مهيار الحقيقيه، انه ينتمى إلى هؤلاء الذين فرج الله بهم الضيق فكشفوا اللبس، و حملوا الناس على الصراط و
حطموا "ود" و "هبل" و أيقظوا للرشد أبصار القلوب. و تتجلى هويه مهيار فى موقف لا يدع مجالا للشك، إذ انه ينتمى لفتيه
الذين داسوا تيجان ملوك قومه و حطموا عروشهم و لعبوا بجماجمهم كى يبنوا للإنسان عالما جديدا أبان الله نهجه ببعثه خاتم
الأنبياء و الرسل، و لنقرأ بعض ما يقول فى هذا الصدد:

ديست من الشرك بهم جماجم تراها من عزه لم يدس

ساروا بتيجان الملوك عندنا معقوده على الرماح الدعس

إن هؤلاء الذين داسوا جماجم ملوك قومه و حطموا تيجانهم، كما حطموا "ود" و "هبل" هم الذين فكوا أسرهم و أعطوه قيمته
الإنسانيه، و هم قومه و إليهم ينتمى:

"الأسوه"، معلنا انتماءه للساعين إلى اقامه مثل هذا النظام مهما كلفه هذا الأمر من مشاق و متاعب و تضحيات، فيقول مخاطبا الامام العادل:

ثم قسمت بالسواء بينهم فعظم الخطب عليهم و ثقل

عاديت فيك الناس لم أحفل بهم حتى رموني عن يد إلا الأمل

و لو يشق البحر ثم يلتقى فلقيه فوقى فى هواك لم أبل

و يعود مهيار، فى موقفه هذا، إلى مبادئ الإسلام فيختار شعارا له: "الله أعلى فى الورى"....

فيقول:

يستشعرون "الله أعلى فى الورى" و غيرهم شعاره "اعل هبل"

مشيرا إلى قول أبى سفيان، فى يوم أحد: "اعل هبل" الذى سمعه النبى فأمر عمر بن الخطاب بان يجيبه فيقول: "الله أعلى و أجل".

و يبدو أن انتماء مهيار الصادق للإسلام هو الذى يحدد مفاهيمه و مواقفه و يوجه سلوكه. و فى سبيل استكمال الاجابه عن سؤالنا الذى طرحناه آنفا سنحاول تلمس مفهومه للقرايه و أسسه لاقامه العلاقات الإنسانيه إن مفهوم مهيار للقرايه واضح، و هو يتجلى فى العديد من قصائده و لعلنا لا نجانب الصواب عند ما نقول أنه ينطلق مما يفيد هذا البيت:

و ود "سلمان" أعطاه قرابته يوما، و لم تغن قربي عن "أبى لهب"

ليؤكد:

أحبتكم، و بعد بين دوحتنا فكننت بالحب أى مقرب

فما سرنى فى الحق أنى مع العدا و لا عاب أنى فى المحال على أبى

خلقت رقيق القلب صعبا تقلى أرى لبعيد ما أرى لقريب

أخى فى الود فوق أخى النسب و خلى دون كل هوى حيبى

و مولاي البعيد يقول خيرا قريب قبل مولاي القريب

و ليبنى سلوكه على أسس تنطلق من مفاهيم الحب و الحق و الخير و التجرد فى الرؤيه و الحكم فيقول:

... و رب أخ قصى العرق فيه سلو عن أخيك في الولاد

فلا تغررك ألسنه رطاب بطائهن أكباد صوادى

و عش إما قرين أخ وفي أمين الغيب أو عيش الواحد

و هكذا يبدو واضحا أن مهيار بن مرزويه الديلمي تخلى عن انتماءاته العرقية و الوطنيه و الاقليميه و اختار هويه له تتمثل فى الإسلام سالكا فى الحياه وفق الطرق التى تحددها نظرا إلى الدنيا بمنظارها راجيا من الله أن يثيبه على ذلك:

و إن أك من "كسرى" و أنت لغيره فانى فى حب "الوصى" نسيب

و مهما يثبك الشعر شكرا مخلدا عليها، فان الله قبل يثب

٦ - مسأله خلافه

و فى تفصيل لقضيه الانتماء التى وصلنا فيها إلى إجابته نعتقدها مصيبه تلفتنا مسأله تعلنها عباره

"حب الوصى نسيب"

إذ أن هذه العبارة تشير إلى أن مهيار كان يقف إلى جانب اتجاه فى الإسلام كان يرى أنه المحق، و ذلك انطلاقا من رؤيته الشامله إلى العالم، و بخاصه فى ما يتعلق بطبيعه الحكم و بنيه النظام و تنظيم العلاقات الإنسانيه... إن تطرقنا إلى هذه المسأله يندرج فى إطار مقاربتنا التى قلنا إنها ستكون مباشره، كما أنه يبدو ضروريا لفهم موقف قيل لمهيار بسببه انه انتقل فى النار من زاويه إلى زاويه. و إن يكن فى تطرقنا إثارة لمسأله خلافه فى وقت نحن فيه بأمس الحاجه إلى الوحده، فان إغفالننا لا يلغى الخلاف و قد يكون فى النظر الموضوعى الهادئ قدر كبير من الجدوى على صعيد فهم طبيعه الخلاف و حدوده، الأمر الذى يلغى تأثيره على المستويات الأخرى.

يقراً مهيار التاريخ الإسلامى على ضوء فهمه لمبادئ الإسلام المأخوذه فى مصدره: الكتاب و السنه، و يتخذ موقفا، مستندا إلى حجج يبسطها فى عده قصائد طويله يمدح بها أهل البيت. و حججه تتمثل فى ثلاث: حجه نقيه تقول إن النبى ص أوصى للإمام على ع من بعده بالخلافه و حجه عقليه جدليه تناقش أسس قریش فى اختيارها من اختارت للخلافه و حجه مبدئيه تتعلق بالكفاءه و طبيعه النظام و مفهوم الحكم من جنب علاقته بالله و بعباده. و هذا كله سوف نلم به من خلال عرضنا لنموذجين من قصائد مهيار عرضا موجزا، على سبيل المثال.

يبدأ مهيار قصيدته، على عادته، بمقدمه وجدانيه تمهد للموضوع و ترسم إطاره و تكون مناخه، ثم يذكر مناقب أهل البيت و يجادل قریشا فى مواقفها طالبا منها أن تقر بنعمه النبى ص المرشد و أن تتبع سننه:

... و قل: ما لكم بعد طول الضلال لم تشكروا نعمه المرشد

أناكم على فتره فاستقام بكم جائرين عن المقصد

و ولي حميدا إلى ربه و من سن ما سنه يحمده

و قد جعل الأمر من بعده لحيدر بالخبر المسند

و سماه مولى بإقرار من لو اتبع الحق لم يجحد

ثم يناقش قريشا ادعاءها أن ذلك كان عن إجماع المسلمين، و ينتهي إلى القول أنه لم يكن إجماعا، ثم يشيد بموقف الامام على الذى صبر من أجل انتصار الإسلام، و لكن ما حدث فى ما بعد كان كما يرى:

ارى الدين عن بعد يوم الحسين عليلا له الموت بالمرصد

و ينتهى به هذا العرض و هذا النقاش إلى إعلان موقف طالب فى مطلع القصيده أن يتخذ، و هو الايمان بالحق و الإقرار بالفضل و تأييد ذلك:

و فيكم ودادى و دينى معا و إن كان فى فارس مولدى

خصمت ضلالى بكم فاهتديت و لولاكم لم أكن أهتدى

و جردتمونى و قد كنت فى يد الشرك كالصارم المغمد

و لا زال شعرى من نائح ينقل فيكم إلى منشد

و ما فاتنى نصركم باللسان إذا فاتنى نصركم باليد

و فى قصيده ثانيه، يبدأ مهيار بمقدمه وجدانيه نحس فيها اسى و حزنا عميقين و يسيطر عليها الاحساس بحق مضاع، ينتقل بعدها إلى مناقشه موضوعه فيعرض للواقع:

ما بين ناشر حبل أمس أبرمه تعد مسنونه من بعده البدع

و يتجاوز الكثير من الأمور:

فقلت: كانت هنات لست أذكرها يجزى بها الله أقواما بما صنعوا

بغيه إبلاغ رجال موقفا سياسيا يناقش أسسهم فى اختيار الخليفه

باى حق بنوه يتبعونكمو فخركم أنكم صحب له تبع

... و فيم صيرتم الإجماع حجتكمو الناس ما اتفقوا طوعا و لا اجتمعوا

و يستطرد موضحا حججه، و ينتهى إلى إكبار الامام على و بيان ما يتميز به من صفات و كفاءه:

صبرت تحفظ أمر الله ما اطرحوا ذبا عن الدين فاستيقظت إذ هجعوا

و كان، فى مكان آخر، قد أشار إلى نهج الامام فى الحكم، و من إشاراتة:

- ثم قسمت بالسواء بينهم فعظم الخطب عليهم و ثقل

- و لما امتطاها على، أخوك ، رد إلى الحق فاستثقلا،

و يؤكد تأييده للحق:

جاهدت فيك بقولى يوم تختصم الأبطال ، إذ فات سيفى يوم تمتصع،

هذا الحق الذى يمثل دنياه و آخرته: هواكم هو الدنيا و أعلم أنه

يبيض يوم الحشر سود الصحائف

قيل فى مواقف مهيار الكثير، و قد أشرنا إلى بعض ما قيل، و كان مهيار يعرف ما يقال عنه، فكان يبتسم مشفقا على القائلين، ثم

لا يلبث أن يخاطبهم محددا أسباب غيظهم و دوافعه طالبا من الله أن يكون الحكم فيلعن المداجى و الكاذب و يعذبهما:

... من معشر لما مدحتك غظتهم فتناوشوا عرضى و شانوا شانيا

لما رأوا ما غاظ منى شنعوا حاشاك أنى قلت فيك مداجيا

و الله ينصب لعنه و عذابه من قال فيك و من يقول مرائيا

و يتضح، من خلال هذا كله، ان مهيار لا يناهض العرب، كما أنه لا يناصر الفرس، و إنما يتخذ مواقف تنبثق من رؤيه إنسانيه للعالم و الحياه واضحه و شامله و عميقه، و تركز رؤيته على إيمان عميق بمبادئ الإسلام الذى فك أسره و هداه و جعله إنسانا ذا قيمه و معنى فى هذا الوجود. و كان يريد لشعره أن يعادل هذه الرؤيه فنيا و ينقلها للآخرين، كما بدا لنا من تأكيده على عزمه نصره مبادئه بشعره و لسانه.

و هذا يعنى أن مهيار كان يرى أن للشعر تأثيرا فى القلوب كبيرا قد يفوق تأثير السيوف القواطع:

إن اللسان لوصل إلى طرق فى القلب لا تهديها الذبل الشرع

و طالما كان للشعر مثل هذا التأثير فى التغلغل إلى حنايا النفس الإنسانيه، فان الشاعر كان يجهد فى صوغه شعرا جميلا مؤثرا يصفه بقوله:

و كالشجا قافيه أسغتها لو عارضت حنجره البازل أط

(أط أن).

و يتضح، من خلال قراءه نماذج من قصائد مهيار، أنه يملك مفهوما للشعر يرى إليه بوصفه التعبير الصادق الجميل الذى يجسد الرؤيه و ينقلها مؤثرا أشد تأثير. و انطلاقا من هذا الفهم للشعر كان مهيار يعنى بشعره عنايه فائقه فيقول موجبا العنايه به محددنا مصدره:

و أحن عليه فإنه ولد أبوه قلب و أمه خاطر

و إن يكن الشعر فى مثل هذا الموقع، كانت العنايه به واجبه، و قد يرقى حب صون الشعر و عدم امتهانه إلى مستوى الواجب الدينى:

و الشعر صنه، فالشعر، يحتسب الله، إذا لم يصن على الشاعر

لا تمتهنه فى كل سوق فقد تربع حينا و بيعك الخاسر

و ينسجم مهيار مع فهمه هذا فيصون شعره عن الهجاء و المديح الكاذب و يحصر أغراض شعره فى شئون حياته الخاصه من تهنته و عتاب و شكر و وصف مقدا لهذا كله بمقدمات وجدانيه. و هو إن مدح أحدا فلا يقف على الأبواب و يمدح بما يراه مناقب تستأهل المديح، فيقول، على سبيل المثال فى احدى قصائده المدحيه:

ينصح الله و الخلافه لا يرفع فى شهوه و لا يضع

وزاره مذ أتيها عاشت السنه و ماتت البدع

تشهد لى انها اليقين قضايا الله و المسلمون و الجمع

و قد جعله هذا الفهم للشعر: مصدرا و وظيفه و تأثيرا يتعد عن التقليد و بخاصه عن المقدمات الطليليه فنسمعه يقول فيها:

أجدك بعد أن ضم الكئيب هل الأطلال إن سئلت تجيب

و يبدو مهيار، فى قوله هذا، و كأنه يحث على الانصراف إلى موضوعات الحياه و قضايا الإنسان.

إن اللافت فى شعر مهيار، و قد أشرنا إلى ذلك غير مره، و لعنا لاحظناه فى الأبيات التى كنا نثبتها استشهادا، هو فيه هذا الشعر المتمثله فى الصور و فى فيه الأسلوب و أناقته، نلمس هذه الفنيه التى تبعد عن الصناعه البديعيه و إن كانت تفيد منها صانعه ما يسمى بـ "سحر الألفاظ" المتكون من تضادها و تالفها و تكرارها و تناغمها و تكونها موسيقى داخلية تلحظ فى الكثير من المقاطع و الأبيات.

و الواقع أن الأمثله على ما نذهب إليه كثيره جدا، و نكتفى هنا على سبيل التمثيل فقط، إضافة إلى معظم ما اقتبسناه استشهادا فى ثنايا قراءتنا هذه، بذكر بعض الأبيات المشيره إلى ما نذهب إليه و لنقرأ هذا البيت:

ص: ٢٢٨

لا نريد الاطاله، و إنما هي بعض إحصاءات هذا البيت الذى لم نبحت عنه كى نجده، إذ أن أمثاله كثير فى ديوان مهيار الضخم.

و لنقرأ هذه الأبيات متوقفين لدى "سحر الألفاظ" و روعه الصور و سمو العاطفه و عمقها:

أعير المنادى باسمها السمع كله على علمه أنى بذاك مريب

و كم لى فى ليل الحمى من إصاخه إلى خبر الأحلام و هو كذوب

و ما حب مى غير برد طويته على الكره طى الحرث، و هو قشيب

أ حين عسا غصنى طرحت حبائلى إلى، فهلا ذاك و هو رطيب

و ما كان وجه يوقد الهم تحته لتنكر فيه شيبه و شحوب

كثيره هى خطوط الدهر التى توقد الهم، مر بنا عيش مهيار لبعضها و يضيف إليها، فى هذا المقام، هم جديد، و هو هم الشعر الذى يقول عنه مهيار، مخاطبا أحد الوزراء:

- و تحمون البلاد و فى ذرأكم حريم الشعر منتهك سليب

هم الشعر أو حمايه الشعر من الانتهاك و السل هم مؤرق كبير، و بخاصه لمن يمتلك رؤيه و يلتزم مبادئ و يريد لشعره أن يكشف على أضواء هذه الرؤيه و أن ينبثق عن هذه المبادئ. إن من يحمل هذا الهم يغدو، فى زمن مثل زمن مهيار، مثل هذا الذى يصوره الشاعر بقوله:

أما جنى خيرا له آدابه أعاذكن الله من شر الأدب

هو الذى أخرنى مشارف السبق، فاظما شفتى على القرب،

- تجمع بين الماء و النار يد و ما جمعت الرزق و الأديبا

و لا يرى مهيار هذا امرا عجبا، فيقول و كأنه يعزى نفسه:

لا تحسب الهمه العلياء موجه رزقا على قسمه الأقدار لم يجب

لو كان أفضل من فى الناس اسعدهم ما انحطت الشمس من عال عن الشهب

٨ - غريب فى باب الله

إنه إيمان بالقدر، و مثل هذا الايمان قد يجعل الوحده و الغربه ممكنتين تظماً شفتا مهيار على القرب... تروقنا الصوره الحسيه

المنتزعه من صميم الحياه و نكاد نصرخ ما أروعها، و لكننا ندرک أن ما يمتاز به من مواهب و مناقب و رؤى أوصله إلى هذا الظما، و عند ما يمد يده إلى الخلان يصاب بالخيبه، و يعبر عن خيبته فى صورته رائعه أخرى منتزعه من صميم الحياه أيضا فيقول:

تستحفل الضرع فان لامسته عاد بكينا جلده بلا حلب

إن إنسانا يعيش مثل هذا الواقع يحس إن عادته أحدهم فى مرض أو تفقده كأحمد بن عبد الله الكاتب أن هذا صنيع غريب، فيخطبه عند ما يفعل هذا:

... و لا تعدم الدنيا بقاءك وحده فانك فى هذا الزمان غريب

يسلم الشاعر أمره للدهر، ثم نلحظ فى أبيات كثيره عدم اهتمامه بأمر الدنيا مثل قوله:

تلاعبت بى يا دهر حتى تركتنى و سيات عندى جد خطب و لعبه

و لكننا نلاحظ أيضا أن استسلام مهيار ليس استسلاما عبثيا يائسا، و إنما هو يسير مسلما أمره، فى رحله هذه الحياه ذات الفضاء الواسع لله، كما يقول:

و قلت: باب الإله إن ضقت مفتوح، و هذا الفضاء متسع

٩ - كلمه أخيره

و أعتقد أننا، من خلال هذه القراءه السريعه فى ديوان مهيار الديلمى استطعنا أن نشير إلى مكونات اساسيه فى شخصيته و إلى عناصر مركزيه فى رؤيته، فضلا عن إمامتنا اللثام عن بعض المشكلات و قد يكون فى هذا الصنيع مدخل لدراسات أرحب تحيط و تتعمق، و مهيار بهذا جدير.

رأى فى مهيار الديلمى

يقول حسن الأمين: كان المؤرخ المصرى الدكتور محمود على مكي قد نشر بحثا عن التشيع فى الأندلس، فكتبت إليه بملاحظاتى على ما كتب، فأرسل إلى رساله تعرض فيها لذكر مهيار قال فيها:

"كان موضوع التشيع يستهوينى إذ كنت مشتغلا به من قبل، و ذلك منذ تخرجى من كليه الآداب فى جامعه القاهره كنت متوفرا على دراسه شاعر ما زال فى نفسى حنين إلى العوده إليه، شاعر ما زلت اعتبره أعظم شعراء العربيه على الإطلاق، هو مهيار الديلمى الذى كنت فى ذلك الوقت احفظ معظم ديوان شعره، و لست انفك حتى الآن اردد النظر فى قصائده و لا سيما شيعياته التى اعتبرها من غرر شعر العقائد بما فيها من حراره العاطفه و نصاعه البراهين و المقدره على الحجاج، و ما زلت حتى الآن اترنم فى الأوقات التى أخلو فيها إلى نفسى بعينيته:

هل بعد مفترق الأظعان مجتمع أم هل زمان بهم قد فات يرتجع

أو بداليتته:

بكى الناس سترا على الموقد و غار يغالط فى المنجد

أو بلاميته:

سلا من سلا من بنا استبدلا و كيف محا الآخر الأولا

و ما أشد شوقى إلى أن أعود إلى مهيار و أتوفر عليه مره أخرى بعد أن قطعتنى عنه دراساتى الأندلسيه و اقتحامى ميادين أخرى
بعيده عن ميدان ذلك الأدب الشيعى الذى كان يستهوينى كثيرا من قبل.

من شعره

ص: ٢٢٩

ما زلت - علما بان الهم مخترم عمر الشيبه - أبكيها و لم أشب

وسوم شيب، فان حقت ناظره فإنهن وسوم فى اللوب

ترى نداماى ما بين الرصافه فالبيضاء راوين من خمر و من طرب؟

أو عالمين - و قد بدلت بعدهم - ما دار أنسى و ما كاسى و ما نشبى؟

فارتهم، فكانى - ذاكرا لهم - نضو تلاقت عليه عضتا قتب

سقى رضای عن الأيام بينهم غيث، و بان عليها بعدهم غضبى

إذ نسكب الماء بغضا للمزاج به و نطعم الشهد إبقاء على العنب

يمشى السقاہ علينا بين منتظر بلوغ كاس و وثاب فمستلب

كأنما قولنا للبابلى: أدر حلاوه، قولنا للمزیدى: هب

فدى على جبان الكف مقتصر من الفخار على الموروث بالنسب

يرى أبوه و لا ترضى مكارمه الأرض صحت و أودى الداء بالعشب

و مشبعون من الدنيا و جارهم بادی الطوى ضامر الجنيين بالسغب

قل للأمير، و لو قلت: السماء به مفضوحه الجود، لم تظلم و لم تحب:

أعطيت مالک، حتى رب حادثه أردت فيها الذى تعطى فلم تصب

لو سمت نفسک أن تتراض تجربه بحفظ ذات يد يومين لم تطب

كان مالک داء أنت ضامنہ فما يصحک إلا عله النشب

لو كان ينصفک العافون لاحتشموا بعض السؤال، فكفوا أيسر الطلب

يا بدر عوف، و عوف الشمس فى أسد و أسد شامه بيضاء فى العرب

أنتم أولو البأس و النعماء، طارفه أخبارکم، و على تلد من الحقب

أحلى القديم حديثا جاهليتکم و قص أسلافکم من رتبه الكتب

ما كنتم مذجلا الإسلام صفحته إلا سيوف نبي أو وصى نبي
بكم بصفين سد الدين مسكنه و آل حرب له تحتال فى الحرب
و قام بالبصره الايمان منتصبا و الكفر فى ضبه جاث على الركب
حتى ثقيلتها إرثا، و أفضل ما نقلت دينك شرعا عن أب فآب
إذا رأيت نجيبا صح مذهبه فاقطع بخير على أبنائه النجب
لا ضاع، بل لم يضع يوم انتصرت به و أنت كالورد، و الأعداء كالقرب
و قد أتوك برايات مكرره لم تدر قبلك ما اسم الفر و الهرب
تمشى بهم ضمير، أدمى روادفها غرور فرسانها بالفارس الذرب
لما دعوت عليا بينهم، ضمننت لك الولايه فيهم ساعد العطب
حكمت رؤوس القنا فيه رءوسهم حتى تموهت الأعناق بالعذب
و طامع فى معاليك ارتقى فهوى و هل يصح مكان الرأس للذنب؟
ما كان أحوج فضلا تم فيك إلى عيب يعوزه من أعين النوب
أحببتكم، و بعيد بين دوحتنا فكنت بالحب منكم أى مقترب!
و ود سلمان أعطاه قرابته يوما، و لم تغن قربي عن أبى لهب
و رفع الصون إلا عن مناقبكم أسباب مدحى فى شعرى و فى خطبى
فما ترانى أبواب الملوكة مع الزحام فيها على الأموال و الرتب
قناعه رغبت بى عن زياره مسدول الستور و عن تأميل محتجب
و لى عوائد جود منك لو طرقت تستام ملكك لم تحرم و لم تخب
ملأت بالشكر قلب الحافظ الغزل الفؤاد منها و أذن السامع الطرب
فرأى جودك فى أمثالها لفتى أتاك بالحرمتين الدين و الأدب

و من توسل فى أمر فما سبب إليك أوكد فى الأمرين من سببى

و قال:

و تعجب أن حصت قوادم مفرقيو أكثر أفعال الزمان عجيبها!

و من لم تغيره الليالى بعدهطوال سنيها غيرته خطوبها

إذا سل سيف الدهر و المرء حاسر فأهون ما يلقى الرءوس مشيها

يعدد أقوام ذنوب زمانهم فمن لى بأيام تعد ذنوبها

يقولون: دار الناس ترطب أكفهمو من ذا يدارى صخره و يذبيها؟

و ما أطمعتنى أوجه بابتسامها فيؤسنى مما لديها قطوبها

و فى الأرض أوراق الغنى لو جذبتها لرف على أيدى النوال رطبيها

إذا إبلى أمست تماطل رعيها فهل ينفعنى من بلاد خصبيها؟

عذيرى من باغ يود لنفسه نراه اخلاقى، و يمسى يعيها

إذا قصرت عنى خطاه أدب ليعقارب كيد غير جلدى نسيها

و قال:

كم أدارى عنت الأيام فى غبن حظى و أطاطى للخطوب؟

و أرد الحزم فى أفحوصه و هو هاف يتنزى للوثوب

قاعداء و الجد قد رحل بى و المعالى يتقاضين ركوبى

جلسه الأعزل يلوى يده و سلاحى بين كورى و جنيبى

أمدح المثرين ظنا بهم ربما يقمر بالظن الكذوب

كل وغد الكف منبوذ الحيا طيب المحضر مسبب المغيب

يمنع الرفد و تلقى وفده قحه البخل بادلال الوهوب

يطلب المدح لأن يفضحه و هو قبل المدح مستور العيوب
قلت للآمال فيه - كذبت أمه -: إن كنت آمالي فخيبي
جلب الأرض عريض دونه و سرى العيس و إدمان اللغوب
و غلام آخذ ما طلبت نفسه أو فائت كل طلوب
يقمح الضيم و لو أبصره ليله العشر على الماء الشروب
ما أذل الخصب فى دار الأذى و ألد العز فى دار الجدوب
يا بنى كل نعيم ضاحك فى حمى وجه من اللؤم قطوب
قد مللناكم على شارلكم و يضيق الصدر فى البيت الرحيب
و عسى الدنيا التى أدتكم تصطفينا من بنينا بنجيب
ماجد الشيمه سهل، ليله للقرى، صب إلى الحمد طروب
يكسب المال لأن يتلفه و العلا فى يد متلاف كسوب
تخبث الأيدى و فى راحته من نداه أرج المشتا المطيب
و قال يرثى الشريف الرضى:

أخلق بها مطروده من بعده تشكو على قرب الحياض أوامها
لمن الجياد مع الصباح مغاره تنضى الظلام و ما نضى أجسامها؟
صبغ السواد - و لم تكن مسبوقة - أعرافها ظلما و عم لمامها
من كل ماشيه الهويينا أنكرت شقاتها و استغربت إحجامها
جرداء تسأل ظهرها عن سرجها و تجر حبلا لا يكون لجامها
بكر النعى من الرضى بمالك غاياتها متعود إقدامها
كلح الصباح بموته من ليله نفضت على وجه الصباح ظلامها
صدع الحمام صفاه آل محمد صدع الرداء به و حل نظامها
بالفارس العلوى شق غبارها و الناطق العربى شق كلامها
سلب العشيره يومه مصباحها و رمى الردى عمالها علامها
برهان حجتها الذى بهرت به أعداءها و تقدمت أعمامها
دبرتها كهلا و سدت كهولها ترضى النفوس و كنت بعد غلامها
النص مروى و كنت دلالة مشهوره لما نصبت إمامها
قدمت فضلتها و جئت فبرزت سبقا خطى لك أحرزت إقدامها
كم رضت بالارفاق نخوه عزها و العسف حتى جمعت أحلامها
و لقد تكون مع الفظاظه رحمه و على جفائك واصلا أرحامها
قودتها للحق إذ هي ناشط لا تستطيع يد الزمان خطامها
حتى تصالحت القلوب هوى على إعظامها و تصافحت إجرامها
فلئن مضى بعلاك دهر صانها فلقد أتى برداك يوم ضامها
يوم إذا الأيام كن سوانحا بالصالحات و عد فيها شامها

من حط هضبتك المنيفه بعد ما عيبى الزمان فما استطاع زحامها؟

و رقى إباءك فاستجاب بسحره صماء لم تعط الرقى أفهامها

فض الحمام إليك حلقه هيبه ما خلت حادثه تفض ختامها

و استعجلتك يد المنون بحثها قبل السنين و ما أطلعت تمامها

أ فلا تطاعن دون مبلغك الردى خيل أطلت لحاجه إجمامها؟

و تقوم حولك سمحه بنفوسها عصب على العوجاء كنت قوامها

و بلى وقتك! لو أن قرنك يتقى ما خلفها طعنا و ما قدامها

و لعرضت فى الذب دونك أوجها للضرب أكثرت السيوف لظامها

تلقي الحديد بمثله من صبرها فتخال من أذراعها أجسامها

ما ضرها لما ضفت أعراضها جننا لها أن لم تسربل لامها

تحميك منها كل نفس مره يحلو فداءك أن تذوق حمامها

لكن أصابك عائر من مخلص، لا تضبط الحدق الحسان سهامها

وصلت بلا إذن و أنت محجب و قضت عليك فلم تفت أحكامها

سفرت بك الأخبار حين سالتها دردا فليتني استطلت لثامها

و رأيت ساعتك التى فجئت فخلت الساعه اقتربت بها و قيامها

حل الملوكة لك الحبى و تسلبت قمم عمائمها استنبن كمامها

تستاف تربك تشتفى بشميمه من داء فقدك و هو جر سقامها

و مشت على رمض الهجير أخامص رب النعيم فما شكت أقدامها

أبكىك للذنيا التى طلقته و قد اصطفتك شبابها و عرامها

و رميت غاربها بفضله (معرض) زهدا و قد ألفت إليك زمامها

و الأرض كنت على قفاره ظهرها علما إذا كتم الدجى أعلامها
ولدتك ثم تحولت لك فى أخ و على بنيتها الكثر كنت عقامها
و لقوله عوصاء ارتج بابها ففتحتة لما ولجت خصامها
و قلائد قذفت بحارك درها و قضى لسانك رصفها و نظامها
هى آيه العرب التى انفردت بها راعيت فيها عهدا و ذمامها
كم معجز منها ظهرت بفضله سير الرجال فلم تجد أفهامها
و غريبه مسحت يداك مؤانسا منها النفور و مفصحا إعجامها
حمست حتى قيل: صب دماءها و غزلت حتى قيل: صب مدامها
ماتت بموتك غير ما خلدته فى الصحف إذ أمددته أقلامها
قد كنت ترضانى إذا سومتها تبعا و أرضى أن تسير أمامها
و إذا سمعت حمدت صفوى وحده و ذممت غش القائلين و ذمامها
فتركتنى ترك اليمين شمالها فردا أعالج فاتلا إبراهيمها
حيران أسال: أين منك رفادتي، دهش البنان تفتقدت إبهامها
لا سامع يصغى و لا ذو قوله أصغى له، يا وحدتى و دوامها!
فبرغم أنفى أن أثبك لوعتى و الأرض قد بثت عليك رغامها
و أبى الوفاء - إذا الرجال تخرجت حنث اليمين فحللت أقسامها -،
لأساهرن الليل بعدك حسره إن ليله عابت حزيننا نامها
و لأشرجن عن العذول على الأسى أذنا محرمه على من لامها
و لأبدلن الصبر عنك بقرحه فى الصدر لا يجد الدواء لحامها
أبكى لأطفئها و أعلم أننى بالدمع محتطب أشب ضرامها

عصر الغمام ثراك ثم سقى به أرضا تظلم مذ فقدت غمامها

بك أو بجذك أو أبيك نغاث فى السقيا إذا الشهباء خفنا عامها

فسواك لو كان المقيم بحفره يبس لقلت: سقى السحاب رمامها

قال و قد رثى الشريف الرضى بالقصيده الميميه، و شقت على جماعه ممن كان يحسد الرضى بالفضل فى حياته أن يرثى بمثلها فى وفاته، و نسبه قوم إلى السرف فيما أدعى له و لنفسه من اللحاق به و شده الأانس معه، حبا لأن تضاف بعض المحاسن إليهم، و طعنوا فى غرضه من الإقرار بالتوحيد، و تكلموا فى ذاك، و كان فيهم من رثاه بما ظاهره التأسى، و باطنه الشماته، بشعر لا يسر سامعا، و لا يملك فهما، فأسف لمكان قصوره عما كان يجب أن يقدر على قوله، و عمل هذه القصيده يرثيه، و يلوح بذكرهم، و يزيد فى غيظهم:

ص: ٢٣١

تبعتك عاقده عليك أمورها و عرى تميمك بعد لما تعقد
و رآك طفلا شبيها و كهولها فترحزحوا لك عن مكان السيد
أنفقت عمرك ضائعا فى حفظها و عقت عيشك فى صلاح المفسد
كالنار للسارى الهدايه و القرى من ضوئها و دخانها للموقد
من راكب يسع الهموم فؤاده و تناط منه بقارح متعود؟
ألف التطوح فهو ما هددته يفرى فى اليد غير مهدد
يطوى المياه على الظما و كأنه عنها يضل، و إنه للمهتدى
صلب الحصاه يثور غير مودع عن أهله و يسير غير مزود
عدلت جويته على ابن مفازه مستقرب أمم الطريق الأبعد
يجرى على أثر الدراب كأنه يمشى على صرح بهن ممرد
يغشى الوهاد بمثلها من مهبط و ربا الهضاب بمثلها من مصعد
قرب، قربت التلاع فإنها المناسك مثلها لم يقصد
دأبا به حتى تريح يثرب فتنيخه نقضا بباب المسجد
و أحث التراب على شحوبك حاسرا و أنزل فعز محمدا بمحمد
و قل: انطوى حتى كأنك لم تلد منه الهدى و كأنه لم يولد
نزلت بأمتهك المضاعه فى ابنك المفقود بنت العنقير المؤيد
طرقته تأخذ ما اصطفته و لا ترى مكررا و تقتل من نحته و لا تدى
نشكو إليك و قود جاحمها و إن كانت تخصك بالملظ المكمد
بكت السماء له و ودت أنها فقدت غزالتها و لما يفقد
و الأرض و ابن الحاج سدت سبله و المجد ضيم فما له من منجد

و بكاك يومك إذ جرت أخباره ترحا و سمي بالعبوس الأنكد
صبغت وفاتك فيه أبيض فجره يا للعيون من الصباح الأسود
إن تمس بعد تراحم الغاشين مهجورا بمطرحة الغريب المفرد
فالدهر الأم ما علمت و أهله من أن تروح عشيرهم أو تغتدى
و لئن غمزت من الزمان بلين عن عجم مثلك أو عضضت بادرد
فالسيف يأخذ حكمه من مغفر و طلى و يأخذ منه سن المبرد
لو كان يعقل لم تنلك له يد لكن أصابك منه مجنون اليد
قد كان لى بطريف مجدك سلوه عن سالف من مجد قومك متلد
فكأنكم - و مدى بعيد بينكم - يوم افتقدتك زلتم عن موعد
يا مثكلا أم الفضائل مورثا يتما بنات القاطنات الشرد
خلفتهم بما رضينك ناظما ما بين كل مرجز و مقصد
فتحت بهن - و قد عدمتك ناقدا - أفواه زائفه اللهى لم تنقد
و رثيت حتى لو فرقت مميزا راثيك من هاجيك لم تستبعد
غادرتنى فيهم بما أبغضته أدعو البيوع إلى متاع مكسد
أشكو انفراد الواحد السارى بلا أنس و إن أحرزت سبق الأوحد
و إذا حفظتك باكيا و مؤبنا عابوا عليك تفجعى و تلددى
أحسنت فيك فساءهم تقصيرهم، ذنب المصيب إلى المغير المعضد
كانوا الصديق رددتهم لى حسدا صلى الإله على مكثر حسدى
يغتر فيك الشامتون و إنه يوم هم رهن عليه إلى غد
و سيسبرونى كيف قطع مجردى إن كان حز و لم يعمق مغمدى

و تثير عارمه الرياح سحابتي من مبرق في فضل و صنفك مرعد

فتقت بذكرك فارها فتفاوحت نعمًا تارج لى بطيب المولد

تزداد طولًا ما استرحت فأننى أرثيكَ بعد و حرقتى لم تبرد

ماء الأسى متصبب لى لم يفض فى صحن خد بالبكاء مخدد

لو قد رأيت مع الدموع جدوبه - فرط الزفير - عجت للراوى الصدى

لا غيرتك جنائب تحت البلى و كسائك طيب البيت طيب الملحد

و قربت، لا تبعد، و إن علاله للنفس زورا قولتى لا تبعد

و قال يمدح أهل البيت:

ص: ٢٣٢

فداؤك نفسى و من لى بذاك لو أن مولى بعبد فدى
و ليت دمی ما سقى الأرض منك يقوت الردى و أكون الردى
و ليت سبقت فكنت الشهيد أمامك يا صاحب المشهد
عسى الدهر يشفى غدا من عداك قلب مغيظ بهم مكمد
عسى سطوه الحق تعلقو المحال عسى يغلب النقص بالسؤدد
و قد فعل الله لكننى أرى كبدى بعد لم تبرد
بسمعى لقائمكم دعوه يلبى لها كل مستنجد
أنا العبد والاكم عقده إذا القول بالقلب لم يعقد
و فيكم ودادى و دينى معا و إن كان فى فارس مولدى
خصمت ضلالى بكم فاهتديت و لولاكم لم أكن اهتدى
و جردتمونى و قد كنت فى يد الشرك كالصارم المغمد
و لا زال شعرى من نائح ينقل فيكم إلى منشد
و ما فاتنى نصركم باللسان إذا فاتنى نصركم باليد
و قال يمدح أهل البيت، و هى من أول قوله:

فواقر من كل سهم، تكون به كل جارحه مقتلا
و هلا و نهج طريق النجاه بكم لاح لى بعد ما أشكلا؟
ركبت لكم لقمى فاستنتت و كنت أخابطه مجهلا
و فك من الشرك أسرى و كان غلا على منكبى مقفلا
أوالىكم ما جرت مزنه و ما اصطحب الرعد أو جلجلا
و أبرأ ممن يعادىكم فان البراءه أصل الولا
و مولاكم لا يخاف العقاب فكونوا له فى غد موثلا
قال يمدح الوزير زعيم الدين أبا الحسن فى النيروز:

ص: ٢٣٤

أوزقا الأموات يستحيونها نشرت بالحسن رمات و هاما
فاسمعوها عودا و أبقوا لها وزرا ما صرف الصبح الظلاما
و استماحت روضه ربيع صبحه النيروز و طفا و ركاما
و سعى الوفد يحلون الحبي نحو جمع و يزفون جما ما
كل يوم للتهانى عندكم سوق ربح فى سواكم لن تقاما
و قال و كتب بها إلى صديق له:

دع بين جلدى و العظام مكانا يسع الغرام و يحمل الأحرانا
و استبق طرفى ربما غلط الكرى بطروقه فسلكته و سنانا
ما كان ما حمل الوشاه نصيحه ممن يوثق ناقلا بهتانا
عذلوك فى فغيروك سريره و رأيت شيئا فاستحلت عيانا
عذل يرى عدلا، و جور ذوائب سموه لى عزا فجر هوانا
ما عيرت بالشيب لونا لمتى حتى تغير صاحبي ألوانا
بيضاء سودت الصحففه عنده و استعجلته بوصلها الهجرانا
إن يجتنب منها الهشيم مصوحا فيما اجتنى ريعانها ريعانا
يا من يعير فى الكرى و يلذه: لله أجفانا له أجفانا!!

إن الذين نسوا برامه عهدنا سعدوا و أشقانا به أوفانا
ظعنوا فشببت و ما كبرت و إنما راح الشباب يشيع الأظعانا
أجد الديار كما عهدت و إنما شكواى: أنى أفقد الجيرانا
يا تاركى أنسى العناق فراقه أشكو إليك الريح و الأغصانا
لأن الصفا يوم الوداع لرحمتى لو أن قلب الوداعيه لأنا

يا وحدتى ما أكثر الاخوانا نظرا و أكثر فيهم الخوانا

فى كل مطرح لحظه حولى أخ صفو إذا هز الغنى الأفنانا

راع معى إبلى، فان هى أعجفت إبلى تقلب، أو يعدن سمانا

إن عضنى ريب الزمان أعانه و تراه يابى ما أصبت زمانا

أشريه فى خفض المعيشه غالبا و يبعنى فى ضنكها مجانا

ألقاهم عدد الكواكب كثره حولى و ألقى وحدى الحدثانا

كفر و كن مستثنيا، إلا إذا أقسمت أنك لا ترى إنسانا

كم أسمع الصم البلاغه مفهما و أرى عجائب فضلى العميانا!

فان الزمان صحا و صح لواحد فبطول حملى جهله سكرانا

و قال:

أستنجد الصبر فيكم و هو مغلوب و أسال النوم عنكم و هو مسلوب

و أبتغى عندكم قلبا سمحت به، و كيف يرجع شىء و هو موهوب؟

ما كنت أعرف ما مقدار وصلكم حتى هجرتم، و بعض الهجر تأديب

أستودع الله فى أبياتكم قمرا تراه بالشوق عينى و هو محجوب

أرضى و أسخط أو أرضى تلونه و كل ما يفعل المحبوب محجوب

أما و واشيه مردود بلا ظفر و هل يجاب و بذل النفس مطلوب؟

لو كان ينصف ما قال: انتظر صلته تأتى غدا، و انتظار الشىء تعذيب

و كان فى الحب إسعاد و منعطف منه، كما فيه تعنيف و تأنيب

يا للواتى بغضن الشيب و هو إلى خدودهن من الألوان منسوب

تأبى البياض و تأبى أن أسوده بصبغه و كلا اللونين غريب

ما أنكرت أمس منه ناصلا يققا ما تنكر اليوم منه و هو مخضوب
ليت الهوى صان قلبى عن مطامعه فلم يكن قط يستدنيه مرغوب
إنى لأسغب زهدا و الثرى عمم نبتا، و أظما و غرب الغيث مسكوب
و لا أرق لحرص خاب صاحبه سعيًا، و يعلم أن الرزق مكسوب
عقبى الطماعه فى مال يمن به عصاره لا يغطى خبثها الطيب
طهر خلالك من خل تعاب به و سم وحيدا فما فى الناس مصحوب
إنى بليت بمضطر رفيقهم و الماء يملح وقتا و هو مشروب
كم يوعده الدهر آمالى و يخلفها أخوا أسر به، و الدهر عرقوب
قال فى أمير المؤمنين ع:

ص: ٢٣٥

قول صحيح و نيات بها نغل لا ينفع السيف صقل تحته طبع

انكارهم يا أمير المؤمنين لها بعد اعترافهم عاديه أدرعوا

و نكثهم بك ميلا عن وصيتهم شرع لعمرك ثا بعده شرعوا

تركت امرا و لو طالبته لدرت معاطس راغمته كيف تجتدع

صبرت تحفظ امر الله ما اطرحوا ذبا عن الدين فاستيقظت إذ هجعوا

ليشرقن بحلو اليوم مر غد إذا حصدت لهم فى الحشر ما زرعوا

جاهدت فيك بقولى يوم تختصم الأبطال إذ فات سيفى حين تمتصع

ان اللسان لوصال إلى طرق فى القلب لا تهتديها الذبل الشرع

آبأى فى فارس و الدين دينكم حقا لقد طاب لى أس و مرتبع

ما زلت مذ يفتع سنى ألوذ بكم حتى محا حقكم شكى و انتجع

و قد مضت فرطات ان كفلت بها فرقت عن صحفى البأس الذى جمعوا

(سلمان) فيها شفيعى و هو منك إذا الآباء عندك فى أبنائهم شفعا

فكن بها منقذى من هول مطلعى غدا و أنت من الأعراف مطلع

سولت نفسى غرورا ان ضمننت لها انى بذخر سوى حبيك انتفع

و قال من قصيده:

من عذيرى يوم شرقى الحمى من هوى جد بقلبى مزحا

نظره عادت فعادت حسره قتل الرامى بها من جرحا

قلن يستطردن لى عين النقا رجل جن و قد كان صحا

لا تعدان عدت حيا بعدها طارحا عينيك فينا مطرحا

قد تذوقت الهوى من قبلها و ارى معذبه قد أملحا

سل طريق العيس من وادى الغضا كيف أغسقت لنا رآد الضحى

أ لشيء غير ما جيراننا نفضوا نجدا و حلوا الابطححا

يا نسيم الصبح من كاظمه شد ما هجت الجوى و البرحا

الصبا ان كان لا بد الصبا انها كانت لقلبي اروحا

يا نداماى بسلع هل أرى ذلك المغبق و المصطبحا

اذكرونى مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

و اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع و عاف القدحا

رجع العاذل عنى آيسا من فؤادى فيكم ان يفلحا

لو درى لا حملت ناجيه رحله فيمن لحانى مالحا

قد شربت الصبر عنكم مكرها و تبعت السقم فيكم سمحا

و عرفت الهم من بعدكم فكانى ما عرفت الفرحا

ما لسارى اللهو فى ليل الصبا ضل فى فجر برأسى وضحا

ما سمعنا بالسرى من قبله بابن ليل ساءه ان يصبحا

طارق زار و ما أنذرنا مرغيا بكرا و لا مستنبحا

صوحت ريحانه العيش به فمن الراعى نباتا صوحا

أنكرت تبديل أحوالى و من صحب الدنيا على ما اقترحا

شد ما منى غرورا نفسه تاجر الآداب فى ان يربحا

ابدا تبصر حظا ناقصا حيثما تبصر فضلا رجحا

و المنى و الظن باب ابدا تغلق الايدى إذا ما فتحا

قد خبرت الناس خبرى شيمى بخلاء و تسموا سمحا

و قال فى أمير المؤمنين و ولده الحسين ع من قصيده:

جوى كلما استخفى ليخمد هاجه سنا بارق من ارض كوفان خاطف

يذكرنى مثنوى (على) كأننى سمعت بذاك الرزء صيحه هاتف

ركبت القوافى ردف شوقى مطيه تخب بجارى دمعى المترادف

إلى غايه من مدحه ان بلغتها هزأت بأذيال الرياح العواصف

بنفسى من كانت مع الله نفسه إذا قل يوم الحق من لم يجازف

إذا ما عز وادينا فاخر عابد و ان قسموا دنيا فأول عائف

أبا حسن قد أنكروا الحق واضحا على أنه و الله انكار عارف

سلام على الإسلام بعدك انهم يسومونه بالجور خطه خاسف

و جددها بالطف بابنك عصبه أباحوا لذاك القرف حكه قارف

أيا عاطشا فى مصرع لو شهدته سقيتك فيه من دموعى الذوارف

سقى غلتى بحر بقبرك اننى على غير إمام به غير آسف

و اهدى إليه الزائرون تحيتى لأشرف ان عينى له لم تشارف

و عادوا فذروا بين جنبى تربه شفائى مما استحقبوا فى المخاوف

أسر لمن والاك حب موافق و ابدى لمن عاداك سب مخالف

و كم حاسد لى ود لو لم يعش و لم انابله فى تايينكم و اسايف

تصرفت فى مدحيكم فتركته يعرض على الكف عض الصوارف

هواكم هو الدنيا و اعلم أنه يبيض يوم الحشر سود الصحائف

و قال فى آل البيت ع:

بال على صروف الزمان بسطن لسانى لدم الصروف

مصاىبى على بعد دارى بهم مصاب الألىف بفقد الألىف
و لىس صدىقى غير الحزىن لىوم الحسىن و غير الأسوف
هو الغصن كان كمنىنا فهب لدى كربلاء برىح عصفوف
ىعز على ارتقاء المنون إلى جىل منك عال منىف
و وجهك ذاك الأغر الترىب ىشهر و هو على الشمس موفى
و أنت و ان دافعوك الامام و كان أبوك برغم الأنوف
تفلل سىف به ضر جوك لسود خزىا و جوه السىوف
أمر بفى علىك الزلال و آلم جلدى وقع الشفوف
أ تحمل فقدك ذاك العظىم جوارح جسمى هذا الضعىف
و لهفى علىك مقال الخبىر انك تبرد حر اللهىف
أ نشارك ما حمل الزائرون أم المسك خالط ترب الطفوف
كان ضرىحك زهر الربىع هبت علىه نسىم الخرىف
أحبكم ما سعى طائف و حنت مطوقه فى الهتوف
و قال من قصىده:

تغلسوا من زرود وجه يومهم و حطهم فى ظلال البان تهجير

و جاذبوا الجزع من وادى الأراك و قد تعصبت بالغروب الأحمر القور

و ضمنوا الليل سلعا ان رأوه و قد غنت على قنتى سلع العصافير

و كيف لا يستطيب العشب رائدهم و كل واد لهم بالدمع ممطور

أطبقت جفنى على ضوء الصباح لهم حفظا فما لنهار فيهما نور

موسى الزين شراره

توفى فى بلده بنت جبيل (جبل عامل) سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦) و دفن فيها ترجم نفسه بقلمه فقال فيما قال:

ولدت سنة ١٩٠٢ م فى بلده بنت جبيل و فى سنة ١٩٠٨ توفى المرحوم والدى و هو فى ريعان شبابه و بقيت مع الوالده التى كنت أغفو و أستيقظ على نواحها و بكائها الأمر الذى أرهف حسى و جعلنى أحس مع كل مصاب و أتالم مع كل منكوب و أهب لمساعدته كل مظلوم و لكنى بالرغم من هذا كنت و لا أزال متفائلا مرحا أتلقى ضربات الأحداث مهما قست بالبسمه و الصبر و الثقة بالنفس منشدا:

و لما ان رأيت الدهر بغيا إلى حربى، بلا سبب، تطوع

لبست له متين الصبر درعا و قلت له الا ما شئت فاصنع

فزد يا دهر بالنكبات إنى اقابلها بصدر منك أوسع

و جرد ما استطعت من الرزايا فخصمك من عرين الليث امنع

عجبت لمن يطأطئ للرزايا و من يشكو لدهر ليس يسمع

و من يخشى و يهرب مستبدا و لمن لسوى الذى سواه يركع

الذى أذكره من العهد التركى هو ما كان فى سنة ١٩١٤ السنه التى توفى بها الشيخ عبد الكريم شراره ابن الشيخ موسى شراره العالم الكبير المعروف من الجميع حيث بهذه المناسبه جاءت وفود كثيره لبنت جبيل من شتى القرى و المدن العامليه و كذلك الفلسطينيه المجاوره للمشاركة بتشيع جنازه و تقديم التعزیه و قد حضر بهذه المناسبه أيضا ضابط تركى مع ثله من الجنود للمحافظه على الأمن و هذا الضابط يدعى "عارف بك الحسن" و هو عربى من طرابلس الشام - كما كان يقال فى ذلك الوقت - و بعد تشيع الجنازه استدعى جميع مخاتير القرى التى كانت موجوده و أمرهم بفض التحاریر المغلقه التى كانوا تلقوها من الحكومه و طلبت أن لا تفض إلا بامر منها و قد تبين أن مضمونها دعوه "لسفر برلك" أى التجنيد العام و أنه يجب على جميع

الذكور من سن ١٨ إلى سن ٤٠ أن يكونوا بتاريخ عينه لهم في قاعده القضاء - وقد كان جبل عامل بذاك الوقت ثلاثه أقضيه. قضاء صيدا و صور و مرجعيون - لأجل المعايينه و الإحصاء و إثبات الوجود و قد لبي الجميع الدعوه و بعد المعايينه جندوا منهم "الاسكيه" أى "المدربون" و ساقوهم فورا و سمحوا للباقيين بالعوده لقراهم و أن يكونوا تحت الطلب.

لقد وضعتنى والدتى عند "الشيخ المحلى" سنه ١٩٠٨ و كنت فى السادسة من عمرى فقرأت عليه الأحرف الهجائيه و بعدها القرآن الكريم و بعدها الكتابه على "اللوح" و اللوح هذا من تنك حيث كان السمكرى يجعل من تنكه الكاز أربع ألواح يتاعها منه الطلبة و يكتبون عليها بقلم غزار. و المداد كان من حجر كلسى يسمونه "الفرس" كنا نذيه فى الماء كالكلس و نكتب به و كان الأستاذ أى الشيخ يكتب لنا سطرأ بأعلى اللوح "يسميه القاعده" و التلميذ يكتب مثلها فبعد أن يملأ اللوح يحمله للاستاذ الذى يعاينه فإذا كان الخط جيدا و النقل صحيحا يقول "عفارم" و إلا فعلى كل غلظه ضربه قضيب على يده الصغيره و القاعده هذه غالبا ما تكون بيت شعر.

بعدها انتقلت لمدرسه شيخ إيرانى لاتعلم الخط الذى يسمونه "ديوانى" و أكتبه بالخط الصغير و بالحبر.

ثم دخلت المدرسه الحكوميه التى انشئت سنه ١٩١٣. و لم يكن سوى هذه المدرسه بكل منطقه بنت جيبيل و الذى أذكره أن عدد الطلاب فيها لم يتجاوز المائه طالب أما عدد الاساتذه فهو واحد، و كان عازبا و فى ذلك الوقت كان لا يوجد مطعم فى البلده فيفرض كل يوم على عدد معين من التلامذه تامين طعامه اليومى و بالطبع لم يكن هذا الطعام من نوع واحد فكان عنده طنجره يضع فيها كل ما يأتية من طبيخ و يخلطه و يضعه على النار و يأكله.

و بعد المدرسه كان على من يحب الثقافه أن يتابع تحصيله بنفسه و أن يقصد مجالس رجال الدين حيث كان هؤلاء يتندرون بالشعر و يحفظونه و يروونه و يعنون بالأخبار و يمتحن بعضهم البعض الآخر بقواعد اللغه و يتراسلون بالشعار و قد جذبتنى هذه المجالس إليها خصوصا مجلس الشيخ على شراره الذى كان يرمى نشاتى الأدبيه و القى لديه كل تشجيع.

و قد كانت أول قصيده لى سنه ١٩٢٨ نشرتها فى مجله العرفان و كان عنوانها "العلم" و مطلعها:

العلم نور يهتدى بسنائه لولاه تاه الكون فى ظلماته

و قد ختمتها بعرض حاله الجهل التعيسه فى الجنوب فقلت:

عجبا أراه و قد تالأ نوره و هدى الأنام إلى الهدى بضيائه

و أهاب فيهم داعيا فتجندوا و مشوا لحرب الجهل تحت لوائه

الابنو وطنى إذا اعشاهم فى نوره و ثبوا إلى اطفائه

و المطفئون له هم كبرأوه يا ويح هذا الشعب من كبرائه

قد اوصدوا باب العلوم بوجهه ليظل يخبط في ظلام غبائه

أ رأيت اسوأ حاله من موطن كبرائه و الدهر من أعدائه

و العلم فيه مكافح و مطارد كالفقر أو كالداء من زعمائه

و قد قادنى المشوار الطويل على هذا الطريق إلى مجابهات عديده كان أبرزها مع أحد رجال الدين الذى حكم بكفرى و سفك
دمى عام ١٩٣٣ أما السيد محسن الأمين الذى كان رائدا من رواد الإصلاح فقد رد على الفتوى و صاحبها ردا عنيفا.

و قد قلت فى هذا الحادث قصيده منها.

قالوا كفرت فقلت فى أفعالكم و سخرت من تضليل كل مدجل

يغرى الأنام بعمه نسجت على نول الرياء لصيد كل مفضل

كبرت قماشاً انما صغرت حجبى فبدت كبرج فوق حبه خردل

قسما بقدس ترابها لو أنطقت لتألمت من لمس تلك الأنمل

قد كنت اخشع إن رأيت عمامه كخشوع راهبه أمام الهيكل

و الآن إن لاحت أفر أمامها ذعرا فرار طريده من أجدل

و قد قلت بعد ذلك فى إحدى المناسبات الوطنيه:

بلادى يا جنان الخلد حسنا و يا أرض النبوغ و الابتكار

و يا أم الألى جلوا وصلوا بميدان المكارم و الفخار

ص: ٢٣٧

و يا أم الكماه بكل روع و يا غاب الضياغم و الضواری
فديتك لا تقولى راض شعبى و أسلس للهوان و للصغار
أ ندعن للهوان و نرتضيه و فى ايماننا بيض الشفار
إذن لسنا الاباه و لا نمتنا ليوث الحرب من عليا نزار
و لا نحن لضيعم كربلاء و لا نحن لصاحب ذى الفقار
و لا لأشوس يعزى إليهم إباء الضيم مع حفظ الذمار
شباب لو يقاد بألمعى عربى الشمائل و النجار
لما زلت به قدم و بيعت كرامه شعبه من كل شارى
و لكن الألى قاده كانوا ذبول الانتداب و الاحتكار
و عبدانا أرقاء صغارا لكرسى الوظيفه و النصار
لقد نحروه قربانا سميننا زكاه عنهم للمستشار
و فى الختام قلت:

أفتيان الحمى و شباب قومى و من باتت محبتهم شعارى
أقول لكم و قول الحر و حى و ها أنا ذلك الحر "الشرارى"
بان العهد - عهد الجور - امسى على درب الزوال و الانهيار
و إن ذيو له باتت فلو لا و أشباحا برسم الاحتضار
الا أبلغ طغمه باعت بلادا وضحت بالقرايه و الجوار
مشى ركب الشباب و جئت فيه احاسبكم على ضوء النهار
فويل للعميل إذا التقينا غدا و مشى امام الشعب عارى
و قلت فى احدى المناسبات الاخرى:

نضام و نقدی منهم فی دیارنا و ان نشکی قالوا عصوا و تمردوا

لهم أن یبیدونا و أن یفتکوا بنا لهم أن یقولوا ابعدهم فنبعد

و لكنهم لا یستطیعون أن نرى مظالمهم تترى علينا و نحمد

فقولوا لهم ما شئتم لا یضیرنا سواء لدينا سخطهم و التودد

فان الردی أشهى لنا من معیشه یعلی بها و غد و یخفض سید

و قولوا لمن باعوا البلاد برتبه و شادوا صغارا بالدخیل و مجدوا

لكم دینکم فیما ترون فاننی به و بكم دون البریه ملحد.

أ أعطی یدی للغاصیین و ثائر انادی و ارضی بالهوان و اخلد

خذینی عزیزا یا منون و لا أرى بلادی علی ضیم تبت و ترقد

ینعم فیها و غدها و دخیلها و کل أبی عن حماها مشرد

متی تنتضی اساد "عامل" بیضها متی ینجلی هذا الدجی المتلبد

متی یرجع الحق السلیب لأهله متی "عامل" یهنأ و یرقی و یسعد

و فی عام ۱۹۳۶ حضر إلى المنطقه المطران المعوشی الذی صار فیما بعد کاردینالا و اتفقنا معه علی المطالبه برفع اسعار التبغ و إعطاء مساحات أوسع للمزارعین و قد کتبت مظبطه بهذه المطالب و أودعت منزل الحاج علی بیصون و لكن المستشار الفرنسی علم بأمرها فأوعز للدرك فی بنت جبیل بمصادره المضبطه و اعتقال الحاج علی و كانت ليله عاشوراء، و الناس مجتمعه فی الجامع الکبیر.

جاء من یقول لنا: اعتقلوا الحاج علی فهرع الناس إلى السرای بتظاهره هادره نهتف ضد الانتداب فاخلى رئیس المخفر سراح الحاج بانتظار وصول تعزیزات عسکریه و فعلا وصل البلده لیلا ما یقارب المائتی جندی فطوقوا العدد الکبیر من البیوت و اعتقلوا ما یقارب الثلاثین من شباب و وجهاء البلده و قد کان رد الفعل الشعبی عنیفا فتجمهر الناس أمام السجن و كانوا من أهالی البلده و القرى المجاوره خصوصا من عیناا و قد أخذ بعض الشباب ینقب جدار السجن لیخرج السجناء منه و ما زالت صورته المرحوم حسن بسام من عیناا أمام ناظری و هو یکسر باب السجن و یدعونا للخروج تحت وابل الرصاص الذی کان یطلقه الجنود علی الجمهور و قد استشهد فی هذه الانتفاضه ثلاثه هم: مصطفی العشی من بنت جبیل و محمد جمال و عقیل دعبول من عیناا و عند المساء جرى نقل المساجین إلى صیدا فتجمهر الناس فی صیدا تأییدا لانتفاضه بنت جبیل و فی الیوم الثانی عم الاضراب جمیع مدن و قرى الجنوب. و خوفا من أن یحاصر سجن صیدا كما حوصر سجن بنت جبیل من قبل ارتات سلطات الانتداب نقل

المساجين إلى سجن الرمل في بيروت.

و قد مكثنا في السجن مده شهر تقريبا و قد أفرج عن المساجين لايقاف انتفاضه كبيره كانت قد أخذت تتفاعل على صعيد جبل عامل و لبنان و لدى خروجنا من السجن ذهبنا جميعا إلى النبطيه حيث جرى لنا استقبال حافل و احتفال وطنى كبير و ألقىت هناك قصيده كنت كتبتها في سجن الرمل عنوانها "أنى يكون الليث فهو الغاب" منها:

لا السجن يثينا و لا الإرهاب ما شئت فاصنع ما عليك عتاب

لا يطعمن بنا عميل غره منا السكوت و منكم الألقاب

نحن الليوث فهذه آثارنا إما جهلت و هذه الاحساب

اسجن و شرد ما عليك غضاضه أنى يكون الليث فهو الغاب

و مما قلته فى إحدى المناسبات:

ليس فى قولك معنى ان مضى من غير ضجه

ان صوت الحق يبقى فى فم الأجيال حجه

و رخيص القول يبقى مثل ماء فوق ثلجه

كن على الظالم ذئبا و مع المظلوم نعجه

و اجعل الصدق سفينا ان رأيت الكذب لجه

و قلت بعد الاستقلال اللبناني:

يقول رفاقى ما لصوتك خافتا و كان بعهد الانتداب يلعلع

فما خفت بطش الانتداب و عنده عدا السجن اسطول و تنك و مدفع

و ترهب فى عهد لنا فى بنائه و حرب أعاديه دماء و أدمع

و فى ثوره التحرير من كل غاصب و طاغ لنا باع و كف و إصبع

سل السجن تنبيك الغياهب كم به جرعنا من الآلام ما ليس يجرع

أ لم يكف الاستثثار بالحكم دوننا أ لم يكف مال كدسوه و جمعوا

ألم يكفهم "إبطال تشرين" (١) عنهم مع الناس قلنا و ادعينا كما ادعوا

و قلنا بشامون (٢) عرين و كلهم هصور - إذا ريع العرين - سميدع

فلولا هم الجزار لم يخل أرضنا و لا هي باستقلالها تتمتع

فما بالهم فى عهدهم - ويح عهدهم - عن البث حتى و الشكاية نمنع

فأين قوافيك التى هى ثوره تدك الكراسى تحتهم و تزعزع

رويدك ان السيل قد بلغ الزبى و لم يبق فى قوس التصبر منزعف.

ص: ٢٣٨

١- لقب أطلقه على أنفسهم الذين اعتقلوا سنه ٤٣ فى قلعه راشيا.

٢- قريه فى الشوف.

فقلت رفاقي داؤنا اليوم معضل فلا نظمنا يجدى و لا النثر ينفع
بنا داء خلق باحتياج لمبضع و ما عندنا "للخلق" آس و مبضع
و حكام هذا العهد بالاذن منهم على عدم الإصغاء للقول أجمعوا
أصموا عن الشكوى الجريئه سمعهم فليس سوى المدح المزيف يسمع
فكم شاعر اطراهم لا لأنهم كرام و إبطال و صيد كما ادعوا
و لا هو غر ليس يدرى بأنهم همو دمروا أرض المعاد و ضيعوا
و لكنه هو لرشح اكفهم يموء و فى وصل الوظيفه يطمع
ذليل إذا ما قيل فى الصين ظالم يظأطى فى لبنان هاما و يركع
له الويل من يطرى أبا لقوم نائر أبى تغنيه القوافى فتبدع
فها هو لبنان الحبيب كما يرى على الصحب و الأنصار فىء موزع
غدا ضرع شاه رغم أنف أباته و احاراره فيه المحاسيب ترضع
تقاسمه الاقطاع فهو فريسه تمزقه ذئبانهم و تقطع
أذلوا بنيه بعد عز فكلهم أخو حاجه فى بابهم يتسكع
لقد خدعوننا و الكريم بطبعه و أن كان أذكى الناس بالناس يخدع
فقلنا بهم ما لم يقله فرزدق و دعبل قدما بالكرام و مربع
و سرنا و إياهم نعب من المنى كئوسا كصهباء المدام و نكرع
و نبني علالات الأمانى رفيعه و نغرس آمالا كبارا و نزرع
غداه لنا "الابواق" قالوا بأنهم على سحق أعداء التحرر أجمعوا
و ان طبول الحرب منهم بقدسنا لتطهيرها من غاصبيها ستقرع
فهذى فلسطين - بفضل جهادهم - لاعدائها دار و ربع و مرتع

تشرذ أهلوها و أخلوا مرابعا تبللها منهم دماء و أدمع
فللنار أكل دورها و قصورها فانى أجلت الطرف قفر و بلقع
" و للتائه المنبوذ " بعد حماتها - ربوع العلى - فيها مقيل و مربع
لقد نال منها فوق ما كان يشتهى و يبغي عدو من عدو و يطمع
شفى حقه منها و ها هو نحونا بمقله ذئب جائع يتطلع
و نحن - بحمد الله - ما زال شملنا تهدمه اهواؤنا و تصدع
و حكامنا بالرغم مما أصابنا و ما مثل الأعداء فينا و فظعوا
و بالرغم من عار على الدهر و المدى لبسناه بردا ضافيا ليس ينزع
تواصوا و لكن بالخصام فكلهم لصاحبه أفعى تدب و تلسع
فلم تجمع الشمل المصيبة بينهم و لم يسمعوا أن المصيبة تجمع
و لم يذكروا تلك الوعود و قولهم لمن طوردوا منا و ضيموا و روعوا
و زجوا باعماق السجون كأنهم جناه و عبوا كل صاب و جرعوا
غدا ينجلى هذا الظلام و شمسكم تلوح - كما يهوى الكرام - و تسطع
و يصبح كالفردوس لبنان بهجه و نحن بها الأبرار نجنى و نرتع
فراحت قوافينا تشيد بمدحهم و تهجو الذى يهجوهم و تفرع
و لكنهم لما دنا الحكم منهم و فوق الكراسى فى القصور تربعوا
لوا دوننا جيدا و عن ما يسيئنا و يشمت اعدانا بنا ما تورعوا
فعدنا لعهد الانتداب و أهله نحن و ندعو لو يعود و نضرع
لئن ضاع حر الرأى و القول عنده فها هو فى "عهد الكرامه" أضيع
و إن رفعت فيه الجواسيس للذرى فها هى فى عهد "المجاهد" ارفع

و إن شفعت قدما لديه بخائن فها هي فى احرارنا اليوم تشفع

فلو دام فينا ما تكشف سترنا و لا كثر المهجو بنا و المقرع

و لا أبصر الشعب المغرر أوجها مشوهه كانت به تتفنع

بدونا لدن ولى بانة عيوبنا كوجه دميم كان يخفيه برقع

و مرت له قصيده رثائيه فى الصفحه ٣٠١ من المجلد الخامس من هذا الكتاب.

أمير أمين

ولد فى دهلى و توفى فى كلكتة سنه ١٢١٧.

من أدباء الهند: أديب بارع و كاتب عظيم، له على الأدب الهندى فضل خالد، و كتابه (باغ و بهار) (١٢١٥) لا يزال يقرأ و يدرس و يطبع. منهجه خطابى و حديثى عام، خال من الصناعات البديعيه، و هو قصه و فى ذيل القصه إشارات إلى حياه العامه و تقاليد الاسره و آداب الشيعه، و قد ترجم إلى عدده لغات اورييه.

و من مؤلفاته الكثيره كتاب (گنج خوبى) و هو ترجمه أخلاق محسنى الفارسى.

(مير حسن)، غلام حسن بن مير ضاحك ولد فى حدود سنه ١١٤٠ فى دهلى و توفى سنه ١٢٠١ فى لکنو.

اشتهر بمير حسن لذلك ترجمناه فى حرف الميم لانه لا يعرف بغير هذا اللقب.

من أشهر شعراء الهند و يعتبر شاعر الغزل و القصيده و المثنوى، و لكن لقصته المنظومه رواج خاص و هى مشهوره بسحر البيان و لا مثيل لها فى اللغه الأردويه. و صناعه مير حسن هى فى حسن لفظها و لطافه معناها و بداعه نسجها. انه حكاية عصره المترف، انه يحرك صور ما حوله من المرايا الجميله و حفلات الأعمراء و مهرجانات الملوك و حياه قصور السلاطين، فإذا تطلعت إلى مثنويه رأيت الصور المتحركه الناطقه.

و إذا كان الشاعر مير تقى نسيج وحده فى الغزل و ميرزا (سودا) نسيج وحده فى القصيده فان مير حسين [حسن] نسيج وحده فى المثنوى (راجع ترجمتى مير تقى و مير سودا فى محلهمنا من هذا المجلد).

مير محمد تقى اكبر آبادى

ولد سنه ١١٣٦ و توفى سنه ١٢٢٥ فى لکنو (الهند).

من الاصطلاحات اللغويه الهنديه ما أطلق فى فتره من الفترات على اللغه الهنديه اسم (الريخته) اى المزيج و يعتبر المترجم شاعر الريخته، و شعره من نوع السهل الممتنع، يقرأ و يفهم و يستحسن، و هو شاعر الغزل الرشيق الرقيق. فى شعره أنين المغرمين و

حنين العشاق و مراره العيش و ألم الحياه، يؤثر فى النفس و يفعل فى القلب فيشاركه القارئ أشجانه و آلامه، و لذا يطلقون على هذا الشاعر لقب (شاعر الآه) اى شاعر التأوه.

فى كلياته (اى مجموعه أشعاره) عدا الغزل، مدائح الأئمه و مراثى الحسين ع و كل فنون الشعر.

و له كتاب فى سيرته الذاتيه (ذكر مير). و كتاب الشعر و الشعراء باسم (نكات الشعراء) و هما بالفارسيه.

و قد ترجمناه فى لقبه الذى اشتهر به (مير) و لا يعرف بغيره.

ص: ٢٣٩

ناسخ، امام بخش فيض آبادي

ولد حوالي سنه ١٢٠٢، و توفي بلكهنو سنه ١٢٥٤.

من شعراء الهند، اشتهر بلقبه (ناسخ) لذلك ترجمناه في حرف النون.

هو ناسخ منهج المتقدمين و مؤسس أصول المتأخرين، ناظم لقواعد النظم و قوانين اللهجه.

تعمد التخلص من الكلمات الهندوكيه و الاعتماد على الكلمات العربيه و الفارسيه، له ديوان كبير مطبوع.

ناصر الدين الشيخ راشد

قال في (أنوار البدرين):

الامام اللغوى الفقيه المتكلم الأديب العالم ابن إبراهيم بن إسحاق البحرانى بينه و بين الشيخ أبى جعفر الطوسى كما ذكره شيخنا الشهيد الأول فى الأربعين حديثا فى الحديث الثالث ثلاث وسائط و هم السيد أبو الرضى فضل الله الراوندى الحسينى عن أبى الصمصام ذى الفقار الحسينى عن الشيخ الامام أبى على بن الشيخ أبى جعفر الطوسى عن والده و اثنى عليه كثيرا كما ذكرناه و بين شيخنا الشهيد و بينه اربع وسائط و هم السيد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبى المعالى عن الشيخ الصدوق كمال الدين أبى الحسين على بن الحسين بن حماد الليثى عن الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين أبى جعفر محمد بن محمد بن صالح الواسطى عن والده و جمال الدين احمد بن صالح. و لم أقف على تاريخ ولادته و لا شىء من مصنفاته، قاله شيخنا الشيخ سليمان الماحوزى البحرانى. و هو أول من ذكره من علمائهم فى فضله و ما لم يذكره أيضا كثير و لا ينبئك مثل خبير، و قال تلميذه الصالح الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجى البحرانى فى اجازته الكبرى للعالم الفخر التقى الشيخ ناصر بن محمد الجارودى الخطى التى نقل عنها كثيرا فى هذا الكتاب، و عن محمد بن احمد عن أبيه عن الشيخ راشد البحرانى و كان هذا الشيخ فقيها أديبا متكلم لغويا دينا قرأ على العراق و اقام بها مده و قبره فى جزيره النبى صالح من أوال حرست من الوبال فى الدار الجنوبيه المقابله للشمال من حضره النبى صالح انتهى كلامه، و مثله ما ذكره صاحب اللؤلؤه فيها و فى اجازته للسيد علامه الطباطبائى بحر العلوم إلا انه زاد فيهما و معه فى الدار علامه ابن متوج البحرانى.

قلت: و قد ذكر هذا الشيخ جملة من علماء الرجال فى الإجازات و بلغوا فى الثناء عليه علما و عملا، و جزيره النبى صالح التى ذكرها الشيخ عبد الله و صاحب اللؤلؤههى قريه من قرى البحرين فى وسط البحر ذات عيون و انهار و نخيل و أشجار و فى طرفها الغربى مقام عظيم ينسب للنبى صالح ع و فيها جملة من قبور العلماء و لم نعرف وجه النسبه و تعرف هذه الجزيره أيضا فى بعض الكتب (بجزيره أكمل) بضم الأولين و رأيت فى هذه الجزيره مدرسه كبيره خرابا تسمى مدرسه الشيخ داود و ينقل أهل هذه الجزيره انه قتل فى بعض الوقائع فى تلك المدرسه أربعون أو سبعون عالما و مشتغلا كلهم شهداء و لهذا يسمونها الآن بكربلاء.

شاعر فى زمانه و رئيس هذه الصناعه فى وقته و أوانه أخذ عن الفضلاء و لازم الأدباء حتى صار لأهل هذه الصناعه سيذا و اماما و لكن حوادث الأهوال الواقعه على (أوال) قد فرقت ما نظم و أذهبت منه الجزء الأعظم و انى وقت اشتغاله بالعلوم و الآداب لم

اخرج من الأصلاب فلما من الله على بالابراز من العدم إلى الوجود، و ألهمنى شيئا من معرفه هذه الصناعه تتبعت أشعاره و استقفيت آثاره فلم اعثر بعد تتبع كثير إلا على شىء يسير فمنه قوله:

ضاق النطاق و أحكمت حلقاتها فالنفس لا تختار طول حياتها

بلغ الربا سيل الهموم و لا أريمن يزجر الايام عن نكباتها

فلذاك خاطبت الزمان و أهله بشكايه الشعراء فى أبياتها

قد قلت للزمن المضرب بأهلوه مقلب الدولات عن حالاتها

ان كان عندك يا زمان بقيهما تهين به الكرام فهاتها

أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصرى، المعروف بالخبز أرزى.

قال ابن خلكان أنه توفى سنة ٣١٧ ثم قال: فى تاريخ وفاته نظر لأن الخطيب ذكر فى تاريخه أن أحمد بن منصور النوشرى سمع منه سنة ٣٢٥.

مر شىء من شعره فى الصفحه ٢٠٩ من المجلد العاشر.

كان أميا لا يتهجى و لا يكتب و كان يخبز خبز الأرز بمربد البصره فى دكان، و كان ينشد أشعاره المقصوره على الغزل و الناس يزدحمون عليه و يتطفون باستماع شعره و يتعجبون من حاله و أمره. و كان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر المشهور - مع علو قدره عندهم - ينتاب دكانه لىسمع شعره، و اعتنى به و جمع له ديوانا، و كان نصر المذكور قد وصل بغداد و أقام بها دهرا طويلا.

ذكره الخطيب فى تاريخه، و قال قرأ عليه ديوانه، و روى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الجريمرى و أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشرى، و عد جماعه رووا عنه.

و ذكره الثعالبي فى كتاب اليتيمه، و أورد له مقاطيع، فمن ذلك قوله:

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشى إلى عبد

أتى زائرا من غير وعد و قال لى: أجلك عن تعليق قلبك بالوجد

فما زال نجم الوصل بينى و بينه يدور بافلاك السعاده و السعد

فطورا على تقبيل نرجس ناظر و طورا على تعضيض تفاحه الخد

و أورد له أيضا:

ألم يكفنى ما نالنى من هواكم إلى أن طفقتم بين لاه و ضاحك

شمتاكم بى فوق ما قد أصابنى و ما بى دخول النار فى طرمالك

وله:

كم أناس وفوا لنا حين غابوا و أناس جفوا و هم حضار

عرضوا ثم أعرضوا و استمالوا ثم مالوا و جاوروا ثم جاروا

لا تلمهم على التجنى فلو لم يتجنبوا لم يحسن الاعتذار

وله:

و كان الصديق يزور الصديق لشرب المدام و عزف القيان

فصار الصديق يزور الصديق لبث الهموم و شكوى الزمان

و قال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشرى: أنشدنا أبو القاسم نصر بن أحمد الخبز أرزى لنفسه:

ص: ٢٤٠

شكرا لاحسان الزمان كما يساعدنى عليه

و من شعره:

كم أقاسى لديك قالا و قيلا و عدات تترى و مطلا طويلا

جمعه تنقضى و شهر يولى و أمانيك بكره و أصيلا

إن يفتنى منك الجميل من الفعل تعاطيت عنك صبرا جميلا

و الهوى يستريد حالا فحالا و كذا ينسلى قليلا قليلا

ويك لا تأمنن صروف الليالى إنها تترك العزيز ذليلا

فكأنى بحسن وجهك قد صاحت به اللحية الرحيل الرحيل

فتبدلت حين بدلت بالنور ظلاما، و ساء ذلك بديلا

فكان لم تكن قضيبا رطيبا و كان لم تكن كئيبا مهبلا [مهيبلا]

عندها يشمت الذى لم تصله و يكون الذى وصلت خليلا

وله:

رأيت الهلال و وجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر

فلم أدر من حيرتى فيهما هلال الدجى من هلال البشر

و لو لا التورد فى الوجنتين و ما راعنى من سواد الشعر

لكنت أظن الهلال الحبيب و كنت أظن الحبيب القمر

و ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد، ما مثاله: حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الأصفهاني البصرى، قال: خرجت مع عمى أبى عبد الله الأصفهاني الشاعر، و أبى الحسين بن لنكك، و أبى عبد الله المفجع، و أبى الحسن السماك، فى بطاله عيد، و أنا يومئذ صبي أصحابهم، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبز أرزى، و هو جالس بخبز على طابقه، فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد، و يتعرفون خبره، و هو يوقد السعف تحت الطابق، فزاد فى الوقود، فدخنهم، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان، فقال نصر بن أحمد لأبى الحسين بن لنكك: متى أراك يا أبا الحسن؟ فقال له أبو الحسين: إذا اتسخت ثيابى، و كانت ثيابه يومئذ جددا على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها فى العيد، فمشينا فى سكه بنى سمره، حتى انتهينا إلى دار أبى أحمد بن المثنى، فجلس أبو

الحسين ابن لنكك، و قال: يا أصحابنا إن نصرنا لا يخلى هذا المجلس الذى مضى لنا معه من شىء يقوله فيه، و يجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا، و استدعى دواء و كتب:

لنصر فى فؤادى فرط حب أنيف به على كل الصحاب

أتيناه فبخرنا بخورا من السعف المدخن للثياب

فقت مبادرا و ظنت نصرنا أراد بذاك طردى أو ذهابى

فقال: متى أراك أبا حسين؟ فقلت له: إذا اتسخت ثيابى

و أنفذ الأبيات إلى نصر، فاملى جوابها، فقرأناه فإذا هو قد أجاب:

منحت أبا الحسين صميم ودى فداعبنى بألفاظ عذاب

أتى و ثيابه كقتير شيب فعدن له كريعان الشباب

ظننت جلوسه عندى لعرس فجدت له بتمسيك الثياب

فقلت: متى أراك أبا حسين؟ فجاوبنى: إذا اتسخت ثيابى

فان كان الترفه فيه خير فلم يكنى الوصى أبا تراب

و حكى الخالديان الشاعران المشهوران فى كتاب "الهدايا و التحف" أن الخبز أرزى أهدى إلى ابن بزداد والى البصره فصا، و كتب معه:

أهديت ما لو أن أضعافهم طرح عندك ما بانا

كمثل بلقيس التى لم ييناهداؤها عند سليمانا

هذا امتحان لك إن ترضهبان لنا أنك ترضانا

نصير الدين أبو الحسن ناصر بن مهدي العلوكى الحسنى المازندرانى الوزير

ذكره ابن الطقطقى فى تاريخه قال: هو مازندرانى المولود الأصل، رازى المنشأ، بغدادى التدبير و الوفاء، كان من كفاه الرجال و فضلائهم و أعيانهم، و ذوى الميزه منهم، اشتغل بالآداب فى صباه فحصل منها طرفا صالحا ثم تبصر بأمور الدواوين ففاق فيها.

و كان فى ابتداء أمره ينوب عن النقيب عز الدين المرتضى(١) القمى نقيب بلاد العجم كلها و منه استفاد قوانين الرئاسه. و كان عز الدين النقيب من أمجد العالم و عظماء السادات، فلما قتل النقيب عز الدين، قتله علاء الدين خوارزم شاه(٢) هرب ولده

النقيب شرف الدين محمد و قصد مدينه السلام مستجيرا بالخليفه الناصر، و صحبته نائبه نصير الدين ابن مهدي. و كان (ابن مهدي) من عقلاء الرجال فاخبره الناصر فرآه عاقلا لييبا سديدا فصار يستشيره (كذا) سرا فيما يتعلق بملوك الأطراف فوجد عنده خبره تامه بأحوال السلاطين العجم و معرفه بأمورهم و قواعدهم و أخلاق كل واحد منهم، فكان الناصر كلما استشار به في شيء من ذلك يجده مصيبا عين الصواب فاستخلصه لنفسه و رتبه أولا- نقيب الطالبين ثم فوض إليه أمور وزاره، فمكث فيها مده تجرى أموره على أتم سداد، و كان كريما وصولا عالي الهمه شريف النفس. حدث عنه أنه كان يوما جالسا في دست الوزاره و في يده قطعه عود كبيره، فرأى بعض الصدور الحاضرين و هو يلح بالنظر إليها. فقال: أ تعجبك هذه، فدعا له. فوهبه إياها. و قام الرجل ليخرج، فلما بعد عن مجلس الوزير استدعاه بسرعه و قال له: أ تريد أن تفضحنا و تصدق المثل فينا (بخره عريانا)؟! ثم أمر فخلع عليه و دفع إليه تخت ثياب و قال له: تبخر في هذه الثياب. و مدحه الأبهري الشاعر الأعجمي بقصيده مشهوره في العجم.. و أرسلها الأبهري صحبه بعض التجار مع بعض القفول و قال للتاجر: أوصلها إلى الوزير و إن قدرت أن لا تعلمه من قائلها فافعل فلما عرضت القصيده على الوزير استحسناها و طلب التاجر و دفع إليه ألف دينار ذهباً و قال: هذه تسلمها إلى الأبهري و لا تعلمه ممن هي.

و قبض الناصر عليه كارها لأمر اقتضت ذلك و كان القبض عليه في سنه أربع و ستمائه، و نقل إلى دار الخلافه فأقام بها تحت الاستظهار على حاله الارام و المراعاة إلى أن مات تحت الاستظهار في سنه سبع عشره و ستمائه". و ذكره السيد ابن عنبه في عقب زيد بن الحسن - ع - قال: " و منهم زيد بن حمزه بن محمد". من ولده الوزير أبو الحسن ناصر بن مهدي بن حمزه بن محمد بن حمزه (بن) مهدي بن الناصر بن زيد المذكور، الرازي المنشأ المازندراني المولد. ورد بغداد بعد قتل السيد النقيب عز الدين يحيى بن محمد الذي كان نقيب الري و قم و آمل - و هو من بنى عبد الله الباهر - و كان محمد بن النقيب المذكور معه، و كان الوزير ناصر (٣) فاضلا محتشما حسن الصورة، مهيبا فوضت إليه النقابه الطاهرية ثم فوضت إليه نيابه الوزاره فاستتاب في النقابه محمد بن يحيى النقيب المذكور ثم كملت له الوزاره و هو الأربعة الذين كملت لهم الوزاره في زمن الخليفه الناصر لدين الله، و لم يزل على جلالته في الوزاره و نفاذ أمره و تسلطه

ص: ٢٤١

- ١- هو السيد أبو محمد يحيى بن محمد الحسين ذكره ابن الفوطى في الملقبين بعز الدين و قال: " هو النقيب بقم و مازندران و عراق العجم، و كان كثير الجاه و المال و الحشمه "" التلخيص " ٤: القسم ١ ص ٣٨٤، ٣٨٥."
- ٢- لا بد أن كان سبب قتله النزاع بين الناصر و الملك الأحق الآخر و علاء الدين خوارزم شاه على مدن الجبال، و الظاهر أن النقيب عز الدين كان من أعوان الناصر ففتك به ذلك الملك الخارجي.
- ٣- في طبعه بمبئي " ناصر الدين " و هو خطأ فلقبه نصير الدين و اسمه ناصر كما هو معلوم.

على الساده بالعراق أى أن أحيط بداره ذات ليله، فجزع لذلك و كتب كتابا ثبتا يحتوى على جميع ما يملكه من جميع الأشياء حتى حلى ثيابه و كتب فى ظهره: إن العبد ورد هذا البلد و ليس له شىء يلبسه و يركبه و هذا المثبت فى هذا الثبت إنما استفدته من الصدقات الامامه و التمس أن يسان فى نفسه و أهله. فورد الجواب عليه: إننا لم ننقم عليك بما سترده و قد علمنا ما صار إليك من مالنا و تربيتنا و هو موفر عليك. و ذكر له أمرا اقتضى له أن يعزل. فسأل أن ينقل إلى دار ليأمن من سعى الأعداء و تطرقهم إليه بشىء من الباطل، فنقل إلى هناك و بقى فى داره مصونا إلى حين وفاته. و قد قيل فى سبب عزله أقوال منها أن الخليفه الناصر القى إليه رقعه و لم يعلم صاحبها و فيها هذه الأبيات: (١)

ألا مبلغ عنى الخليفه أحمدا توك و قيت الشر ما أنت صانع

وزيرك هذا بين شيئين فيهما فعالك يا خير البريه ضائع

فان كان حقا من سلاله أحمد فهذا وزير فى الخلافه طامع

و إن كان فيما دعى غير صادق فاضيع ما كانت لديه الصنائع

و منها أنه كان لا يوفى الملك صلاح الدين بن أيوب ما (له) من الألقاب.

و كان صلاح الدين هو الذى أزال الدوله العبيديه (الفاطميه) من مصر و خطب للخليفه الناصر بالخلافه هناك فيقال إن بعض رسله إلى دار الخلافه لما أنهى ما جاء لأجله قال: عندى رساله أمرت أن لا أؤديها إلا مشافهه فى خلوه. فلما خلا به قال: العبد يوسف بن أيوب يقبل الأرض و يقول: تعزل الوزير ابن مهدي و إلا- فعندى باب مقفل خلفه قريب من أربعين رجلا- أخرج واحدا منهم و أدعوه له بالخلافه فى ديار مصر و الشام. فكان هذا سبب عزل الوزير. (٢)

و كان (نصير الدين) جبارا مهيبا وجد ذات يوم رقعه فى دواته و استعبرها و لم يعلم من طرحها فإذا فيها شعر:

لا قاتل الله يزيدا و لا مدت يد السوء إلى نعله

فإنه قد كان ذا قدره على اجتثاث العود من أصله

لكنه أبقى لنا مثلكم أحياء كى يعذر فى فعله

فقامت عليه القيامه، فاجتهد فلم يعرف من ألقاها " (٣) و قال ابن الأثير فى حوادث سنه ٥٩٢هـ: " و فى شوال منها أثبت نصير الدين ناصر بن مهدي العلوى الرازى فى الوزاره " و الصحيح نيابه الوزاره ألا تراه قال فى حوادث سنه ٦٠٤ فى خبر عزله: " كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدي العلوى من أهل الرى من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين ابن القصاب وزير الخليفه الرى و لقي من الخليفه قبولا فجعله نائب الوزاره ثم جعله وزيرا " . ثم إن هذا مخالف للتاريخ قال ابن الساعى فى حوادث سنه ٥٩٧هـ: " و فى تاسع عشر صفر خلع على نصير الدين أبى الحسن ناصر بن مهدي العلوى الرازى و ولى نيابه الوزاره و ركب إلى الديوان العزيز و جلس (٤) به و نفذ المراسم الشريفه الناصريه و وقع إلى الأطراف " و قال فى حوادث السنه المذكوره: " و فى خامس ذى

القعدة خرج نصير الدين ناصر بن مهدي المذكور و خرج معه الأمير طاشتكين لاستعراض العساكر و كان على عزم التوجه إلى اليمن لمحاربه إسماعيل ابن سيف الإسلام طغديكين لأنه ادعى أنه أموي و سمي نفسه خليفه فأغناهم الله عن قصده و قصمه و طهر البلاد منه".

و قال في حوادث سنة ٦٠٢: " و في ثانی عشر جمادی الأولى منها أشهد الامام الناصر لدين الله - رضی الله عنه - على نفسه الشريفة بالوكالة الجامعة للوزير نصير الدين ناصر بن مهدي، العدلين أبا منصور ابن الرزاز و أبا نصر بن زهير " و قال: فيها: " و في ثامن ذى الحجة من السنه خلع على نائب الوزارة نصير الدين ناصر بن مهدي بباب الحجره الشريفة خلع الوزارة و خرج راكبا من هناك و جميع أرباب الدوله بين يديه رجاله و كذلك الأمراء إلى الديوان العزيز و جلس في دست الوزارة و كتب إنهاء و عرضه فبرز الجواب عنه على يد الأستاذ تاج الدين رشيق القادم الخاص فقرأه على الحاضرين و عاد إلى داره " ثم قال في سنه ٦٠٤: " و في يوم السبت ثانی عشرى جمادی الآخرة من سنه أربع و ستمائه المذكوره عزل الوزير نصير الدين أبو الحسن ناصر بن مهدي العلوي، حضر عنده ليلا- من شافهه بالعزل و أغلق بابه و ضرب له الطبل في تلك الليله بالرحبه جريا على عادته و احتيط على داره و أبوابه و كذلك دار ولده ركن الدين محمد المقدم، ذكر عزله (عن صدرية المخزن) ثم نقل هو و أولاده إلى دار بالصاغة من دار الخلافة المعظمه و نقل معه أمواله و أسبابه جميعها و جعل معه غلمان من رجال الدار العزيزه يحفظونه ".

و قال ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٤ تحت عنوان (ذكر عزل الوزير نصير الدين وزير الخليفة) و قد نقلنا بعضه آنفا: " فلما كان في الثاني و العشرين من جمادی الآخرة من هذه السنه عزل و أغلق بابه و كان سبب عزله أنه أساء السيره مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر وجه السبع (٥) فإنه هرب من يديه إلى الشام سنه ثلاث و ستمائه، فارق الحاج بالمرجوم و أرسل يعتذر و يقول: إن الوزير يريد أن لا يبقى في خدمه الخليفة أحد من مماليكه و لا شك أنه يريد أن يدعى الخلفه. و قال الناس في ذلك فأكثروا و قالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم:

ألا مبلغ عنى الخليفة أحما

(٦)... فعزله، و قيل في سبب ذلك غيره و لما عزل أرسل إلى الخليفة يقول: إننى قدمت إلى هاهنا و ليس لى دينار و لا درهم، و قد حصل لى من الأموال و الاعلاق النفيسه و غير ذلك ما يزيد على خمسمائه ألف دينار. (٧) و يسأل أن يؤخذ منه الجميع و يمكن من المقام بالمشهد أسوه ببعض العلويين، فأجابه (الخليفة الناصر: إننا ما أنعمنا عليك بشىء فنوينا إعادته و لو كان ملء الأرض ذهبا، و نفسك فى أمان الله و أماننا و لم يبلغنا عنك ما يستوجب به ذلك، غير أن الأعداء قد أكثروا فيك، فاختر لنفسك موضعا تنتقل إليه موقرا (٨) محترما. فاختر أن يكون تحت الاستظهار منح.

ص: ٢٤٢

١- فى الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ٦٠٤ " قول بعضهم " و فى نسخه ثانيه من الكامل خطيه " الشعر ليعقوب بن صابر ". و جاء فى كتاب الحوادث " ص ١٠ " أنها ليعقوب بن صابر المنجنيقى. قال: " و كان كثير الدخول على الوزير ناصر بن مهدي ثم صار إذا جاء يجلس ظاهر الستر و ذكر له أبياتا و قال: ثم انقطع عنه مده فلما دخل اليه أنكر عليه انقطاعه، و ذكر له بيتين، قال:

ثم هجاه فقال: "خليلي قولاً للخليفة أحمد".

٢- قال مصطفى جواد: لقد عجبت أشد العجب من نقل السيد ابن عنبه هذه القصة المزورة فالسلطان صلاح الدين توفي سنة "٥٨٩" بإجماع المؤرخين الذين ذكروا سيرته، و ناب نصير الدين ناصر بن مهدي في الوزاره سنة ٥٩٧ كما في الجامع المختصر "٩: أى بعد وفاه صلاح الدين بثلاث سنين و كان قرض الدوله الفاطميه على عهد المستضىء والد الناصر لا على عهد الناصر و لم يكن لصلاح الدين من الجراه أن يقول للناصر ذلك القول فضلا عن أنه كان يعتقد قطع خطبه الفاطميين و خلافتهم من الأمور الواجبه لأنه كان شافعيًا.

٣- عمده الطالب "ص ٦٢-٦٤ طبعه النجف و العجب كيف مرت هذه القصة على السيد محمد صادق آل بحر العلوم المشرف على تصحيح الكتاب و لم ينتبه إلى هذا الغلط التاريخي.

٤- من العجيب أن عز الدين ابن الأثير ذكر في حوادث سنة ٥٩٢ تثبيته في الوزاره و ذلك غير صحيح (الكامل في حوادث سنة ٥٩٢).

٥- ذكر ابن الأثير في حوادث سنة "٦٠٣" أنه "فيها فارق أمير الحاج مظفر الدين ستقر [سنقر] مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع الحاج بموضع يقال له المرجوم و مضى في طائفه من أصحابه إلى الشام و سار الحاج و معهم الجند فوصلوا سالمين، و وصل هو إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب فاقطعه إقطاعا كثيرا بمصر و أقام عنده إلى أن عاد إلى بغداد سنة ثمان و ستمائه في جمادى الأولى فإنه لما قبض على الوزير (ناصر بن مهدي) أمن على نفسه و أرسل يطلب العوده فأجيب.. قلنا عزل الوزير بسنه ٦٠٤ فلما ذا تأخر رجوعه؟

٦- ذكرنا الأبيات آنفا من عمده الطالب و أشرنا إلى ورودها في كتاب الحوادث.

٧- في نسخه الكامل المطبوعه المتداوله "خمسه آلاف دينار" و هو غير معقول و لا مقبول فرجعنا إلى النسخه الخطيه الأولى فإذا المبلغ كما ذكرناه.

٨- في النسخه الخطيه "موفورا" و هو الفصيح.

جانب الخليفة لثلا- يتمكن منه العدو فتذهب نفسه، ففعل به ذلك. و كان حسن السيره قريبا إلى الناس حسن اللقاء لهم و الانبساط معهم، عفيفا عن أموالهم، غير ظالم لهم. فلما قبض عاد أمير الحاج سنقر(١) و عاد أيضا قشتمر". (٢).

و قال سبط ابن الجوزى فى حوادث سنه ٦٠٢هـ: " و فيها استوزر الخليفه نصير الدين ناصر بن مهدي العلوى الحسنى و خلع عليه خلعه الوزاره:

القميص و الدرعه و العمامه و خرج من باب الحجره فقدم له فرس من خيل الخليفه و بين يديه دواه فيها ألف مثقال ذهب و وراء المهد الأصفر و ألويه الحمد و طبول النوبه و الكوسات تخفق و العهد منشور بين يديه و جميع أرباب الدوله مشاه بين يديه و ضربت الطبول و البوقات له بالرحبه فى أوقات الصلوات الثلاث: المغرب و العشاء و الفجر. فقال الناس: يا ليت شعرنا ما ذا بقى الخليفه لنفسه".

و كانت صورته خطاب الوزير ابن المهدي الرسميه " المولى الوزير الأ-عظم، الصاحب الكبير المعظم، العادل المؤيد المظفر، المجاهد نصير الدين صدر الإسلام، غرس الامام، شرف الأنام عضد الدوله مغيث الأمه، عماد الملك، اختيار بالخلافه المعظمه، مجتبي الأمه المكرمه، تاج الملوك. سيد صدور العالمين ملك وزراء الشرق و الغرب غياث الورى نصير الدين أبو الحسن نصر بن مهدي، ظهير أمير المؤمنين و وليه المخلص فى طاعته الموثوق به فى صحه عقيدته".

و قال أبو الفضائل محمد بن على الحموى و العهده عليه فى تاريخه فى حوادث سنه ٦١١هـ: "سنه" حادى عشره و ستمائه كان قد تجهز خوارزم شاه إلى العراق و فيها وصلت رسل خوارزم شاه يطلب الدار ببغداد و الخطبه و أن يخاطب بمخاطبه السلجوقيه، و يقال له فى الخطبه (قسيم أمير المؤمنين) فما أجيب إلى ذلك، و أنكر عليه غايه الإنكار، سبب عزل الخليفه لوزيره نصير الدين العلوى أنه كان قد سير ثلاثمائة جمل عليها قواصر التمر و أودع كل جمل ألف دينار، فتعرض لها بعض ولاه الخليفه و طلب شيئا من ذلك التمر يأكله، فامتنعوا عليه من ذلك إلا- أنه ألح عليهم، فاخذ جملين و فتح قوصره تمر ففرقها على الجماعه وجد الذهب، ففتح الثانيه فوجد كذلك فضبط الجميع و طالع به الخليفه، فأنكر ذلك عليه و عزله و نقله إلى دار الخليفه هو و أولاده بعد أن أخذ جميع الذى كان له فما وجد إلا القليل لأنه كان قد نقله إلى العجم و استوفينا قصته فى البيان".

و هذا الخبر مضطرب عليه سيما الكذب و يدل على أن هذا المؤرخ كان عاميا بعيدا عن التعقل، ثم ان الخبر أشبه بأخبار العوام منه بأخبار المؤرخين الإثبات.

ناصر النصار

مرت ترجمته فى المجلد العاشر الصفحه ٢٠٥ و نزيد عليها هنا ما ياتى:

محاولة محمد على باشا قهر الدوله العثمانيه و اكتساح حكمها فى بلاد الشام و إقامه حكم مصرى عربى على أنقاضه. و نجاحه فى ذلك أكثر مما كان يقصد، إذ تعدى فى انتصاراته بلاد الشام و تقدم إلى الأناضول حتى بدا كان انهيار الدوله العثمانيه انهيارا كاملا بات ذا وقت محدود. لو لا تدخل الإنكليز مع مجموعه من الدول الأوروبيه و ارغامهم محمد على على التوقف. و عوده جيوشه المظفره من حيث أتت. هذه المحاوله سبقتها أخرى نجحت أول أمرها كل النجاح لو لا أمر طارئ كما سنفصله:

دخل السلطان سليم القاهره منهايا الحكم المملوكى الذى كان قائما فى مصر. و خطب باسمه فى مساجد القاهره فى ٢٤ كانون الثانى سنه ١٥١٧، و خضعت مصر كلها للسياده العثمانيه، و قام عهد جديد افتتح هو أيضا بالمماليك، فان السلطان غادر مصر فى شهر أيلول من العام نفسه واكلاله الحكم فيها إلى خير بك، من مماليك السلطان الفورى و نائبه فى حلب، و كان تخلى عن سلطانه و انضم إلى السلطان سليم.

و بعد وفاه خير بك سنه ١٥٢٢ كانت الدوله ترسل لحكم مصر (باشا) عثمانيا. لم يكن ينفرد بالحكم الفعلى بل كان يشاطره المماليك الكثير من شؤنه إلى أن استطاع هؤلاء المماليك السيطره سيطره كامله على البلاد فى عهد على بكالكبير الذى دخل فى صراعات عنيفه مع غيره من المماليك إلى أن استطاع الانفراد بالحكم سنه ١٧٤٣ و لكنه غلب على أمره و اضطر إلى الفرار إلى القدس، ثم إلى عكا حيث توطدت الصلات بينه و بين ظاهر العمر الذى ساعده على العوده إلى مصر، ثم انقلبت عليه الأمور ثانيه و اضطر إلى الفرار و ملاقاه ظاهر العمر من جديد، فالعده إلى مصر سنه ١٧٤٤.

و هنا حاول على بك الاستقلال نهائيا فى مصر و قطع صلاته بالآستانه و التخلص من السلطه الاسميه التى كانت للدوله على مصر. فطرد الباشا العثماني و امتنع عن دفع الجزيه للباب العالى، ثم ضرب النقود باسمه سنه ١٧٤٨ و أرسل إلى صديقه ظاهر العمر يخبره بكل ذلك.

و كان ظاهر العمر فى صراع دائم مع العثمانيين إلى أن استأثر بالحكم فى عكا. و هكذا اجتمع للصديقين سيطره كامله على بلديهما فتحت لهما آفاق المطامع الواسعه.

و إلى جانب ظاهر العمر كان يقيم أمير جبل عامل ناصيف النصار، و كان أول الأمر فى خصام مع ظاهر ثم تحالفا على أعدائهما المشتركين. و ناصيف نفسه يتمتع باستقلال فى جبله لا يقل عن مثليه فى القاهره و عكا.

و هنا تم التفاهم بين على بك الكبير و ظاهر العمر على توحيد قواهما بان تزحف قوى مصر إلى بلاد الشام فتضم إليها قوى عكا فتتالف مجموعه تستطيع اكتساح بلاد الشام جميعها. و تم التفاهم بين ظاهر العمر و حليفه ناصيف النصار على توحيد قواهما فى هذا المعترك و مساهمه جبل عامل فى قيام الدوله الجديده.

الواقع أن نصوص هذه الأحداث قليله، و الكثير من الموجود يشير إشارات عابره إلى احداث ضخام. فنحن لا نعلم تفاصيل الخطه التى اعترمت تنفيذها الحلفاء الثلاثه، و لا تفاصيل ترتيبات التدرج من الكلام إلى الثوره. و لكننا نعلم، نحو سنه ١٧٤٨، ان جهر ظاهر العمر بمطالب صريحه لدى الباب العالى أن يكون له حكم عكا مده حياته، ثم لأولاده، و زاد فطالب بحكم الناصره و طبريه و صفد و بلاد الجليل.

و كان يطالب بذلك من مركز قوه بعد انتصاره على عثمان باشا والى دمشق، و كان لهذا الانتصار صدق بالغ عند على بك الكبير.

١- ذكر المؤرخ نفسه أن عودته كانت سنة ٦٠٨ لا سنة ٦٠٤.

٢- ذكر ابن الأثير مفارقتة لخدمه الخليفه سنة ٦٠٣ أيضا.

و يبدو أن على بك لما اطمأن إلى مناعه حليفه في بلاد الشام أراد أن ينطلق في ميدان آخر يضمن له بسطه في الملك و سعه في الحكم فاتجهت أنظاره إلى الحجاز، فوجه إليه في شهر صفر سنة ١١٤٨ هـ (١٧٧٠ م) حمله ناجحه استطاعت الاستيلاء على الحجاز و إقامه شريف في مكه ياتمر بامر حاكم مصر هو الشريف عبد الله، الذي أعطى بما له من سلطه روحيه - لقب " سلطان مصر و خاقان البحرين " لعل على بك الكبير.

و بعد هذا النجاح أخذ على بك يتهياً لحمله بلاد الشام، و جاء في مخطوط هذا النص: " و كان على بك عزم على العصيان للدوله و طمع في تملك بلاد العرب ". مما يدل على ذبوع أهداف على بك و انها عمل يؤدي بالاستقلال في البلاد العربيه.

و فكر في الاستعانه على تحقيق أهدافه بالإمبراطوره كاترينا امبراطوره روسيا على أن ترسل إليه المهندسين لاستخدامهم في الحصار، و الضباط لتنظيم جيشه تنظيمًا حديثًا، و لكن هذه الفكرة لم تسفر عن شيء عملي.

و أراد على بك أن يجد المبرر لحملته فأرسل في آذار سنة ١٧٦٧ إلى الباب العالي يشكو من عثمان باشا والى دمشق محتجا بان بعض المصريين المطرودين استقبلهم عثمان باشا و شجعهم. كما أراد أن يستغل عواطف الشعب الشامى الذى كان يشكو من مظالم عثمان باشا، فاصدر منشورا فى كانون الأول سنة ١٧٧٠ يبشر به الشاميين بسعيه لانقاذهم من الظلم.

و تشابك الروايات هنا فيبدو من المصادر القديمه المخطوطه أن عثمان باشا والى الشام هو الذى بادر إلى تحدى ظاهر العمر، و ربما كان ذلك اتفاقا مع الدوله ردا على مطالب ظاهر العمر التى ذكرناها، و ان عثمان باشا اتفق مع أمراء الشوف فى لبنان و عزموا على غزو ظاهر، و ان هذا أرسل يستجد بعلى بك و أنه انجده بحمله يقودها إسماعيل بك قوامها عشره آلاف مقاتل، طليعه للحمله الكبرى، فأرسل ظاهر أولاده فقدموا مع إسماعيل بك إلى عكا، لكن هذا تباطا فى انجاد ظاهر العمر و تعلق ببعض العليل و كان على بك جهز حمله يقودها محمد أبى الذهب زحفت على الشام عبر الصحراء، كما أرسل سفنا لنقل الميره من دمياط إلى عكا.

و يقول كتاب " الحمله الفرنسيه " بان عدد الجنود المصريين كان أربعين ألفا، و يقول مصدر آخر: " خرجت العساكر المصريه قاصده بلاد الشام يقودها محمد بك أبو الذهب و التقى أولا بالسناجق المرسله (بقياده إسماعيل بك). و جاء أولاد ظاهر العمر و مشايخ المتاوله (العاملين) و انضموا إليه فصار جيشه ينيف على ستين ألفا. و هذا المصدر لم يحدد عدد الجنود المصريين فإذا أخذنا بما جاء فى المصدر الأول يكون عدد المنضمين من جنود فلسطين و جنود جبل عامل عشرين ألفا.

و تقدم محمد أبو الذهب بحملته المصريه العامليه الفلسطينيه طالبا دمشق فاشتبك بقوى عثمان باشا فهزمها، ثم خيم حول دمشق، و أرسل إلى الدمشقيين كتابا أحضره من على بك يتضمن ذما لعثمان باشا و استنصارا بالدين عليه، قائلا أن المذاهب الأربعة أفتت بقتاله و ان الأمم لا تجتمع على الضلاله فاستخرنا الله و سألناه أن ينصر دين محمد بعلى (يعنى نفسه)، فخرج الدمشقيون إلى أبى الذهب مستأمنين فامنهم و دخل دمشق فى نهايه تشرين الثانى سنة ١٧٧١ و تقدم إلى القلعه و كان جنوده يحاصرونها فاستسلمت و فر عثمان باشا إلى حمص.

كان النصر إلى حد ما حاسما، إذ استطاع أبو الذهب أن يهزم قوى الدوله متمثله بعثمان باشا، كما اجتاز فلسطين، و أصبح الطريق

مفتوحا أمامه لاستتفاء بلاد الشام كلها.

و هنا حدثت المفاجاه و كانت و ستظل لغزا من الألغاز، فان محمد أبو الذهب و هو فى قمه انتصاره بدلا من أن يواصل الزحف متوغلا فى سوريا، إذا هو يعلن الانسحاب إلى مصر و إهدار النصر إهدارا كاملا.

و اختلفت الأقوال فى أسباب التراجع فنسبه بعضهم إلى تأثير إسماعيل بك قائد الحمله الأولى الذى رفض من أول الأمر القتال مع ظاهر العمر، و أنه أخذ يخوف أبا الذهب عاقبه الأمر و الخروج على السلطان، و أنه كان يستغل بعض التصرفات و يحذره من ظاهر العمر قائلا له: "انظر كيف يجلس على الظاهر فى مجلسك كأنه فى مجلس بعض الصعايك".

و مهما يكن من أمر فان محمد أبو الذهب انسحب من دمشق و عاد فى طريقه التى جاء منها متجها إلى مصر.

و أسقط فى أيدي الفلسطينيين و العاملين و عاد كل منهم إلى بلاده.

و لسنا الآن فى صدد تدوين الأحداث التى وقعت من بعد بين على بك و أبى الذهب و إنما نكتفى بالقول، ان عوده أبى الذهب إلى مصر بمثل ما عاد به من الخيانه أدت إلى نشوب صراع بينه و بين على بك، كانت نهايته انهزام على بك و لجوءه مع فريق من جنوده إلى حليفه ظاهر العمر و تعاونهما فى فلسطين على قتال العثمانيين. ثم عودته إلى مصر مزود بنجدات من ظاهر العمر، فتلقاه أبو الذهب و هزمه، ثم لم يلبث أن مات فى ١٥ صفر سنه ١١٨٧ هـ (١٧٧٣) متأثرا بجراحه التى أصابته خلال المعركة.

أما أبو الذهب فيبدو أن أحلام على بك الكبير عاودته هو نفسه فطمع بالاستيلاء على بلاد الشام، و لكن لا تحالفا مع ظاهر العمر و ناصيف النصار، بل حربا عليهما. فخرج فى آذار سنه ١٧٧٥ و تقدم إلى فلسطين و انتصر على ظاهر العمر فى يافا و تقدم نحو عكا فانسحب منها ظاهر متحاشيا الاصطدام بأبى الذهب. و لم يجد ظاهر ملجأ له إلا عند حلفائه العاملين فقصده جبل عامل و حل فى قلعه هونين ضيفا على الشيخ قبلان.

و بعد انتصار أبى الذهب على الفلسطينيين بقى أمامه ناصيف النصار حليف ظاهر، و فى روايه عامليه، ان ناصيف قصد إلى عكا متصلا بأبى الذهب و أن أبا الذهب احتفى به و أكرمه. و الواقع أنه بعد هزيمه ظاهر العمر لم يكن للعاملين قبل بمحاربه أبى الذهب فكان لا بد لهم من معالجه الأمر بالوسائل السلميه، و لا ندرى حقيقه ما حدث فى عكا بين ناصيف و أبى الذهب، فان روايه أخرى تقول أن أبا الذهب منع ناصيف من الرجوع إلى أن ياتى جميع الزعماء العاملين.

على أن ما لا شك فيه أن أبا الذهب كان مصمما على الزحف على جبل عامل سالكا إليه طريق الحوله و كان لا بد من أعمال الرويه و الحكمه فاجتمع كبار علماء الجبل كالسيد أبى الحسن جد آل الأمين و السيد فخر الدين العيناتى، هكذا اسماه المؤرخون و يبدو أنه جد آل فضل الله و الشيخ محمد الحانينى و الشيخ

الخاتوني و السيد حيدر نور الدين و تداولوا مع ناصيف النصار الأمر و يظهر أنهم رأوا أن يتظاهروا بالشده و أن يتعاملوا باللين، فاضرموا في الليل النيران في الجبل المطل على معسكر أبي الذهب في الحوله، و امتدت النيران من هونين إلى ديشوم، و أرادوا باضرامها التظاهر بكثافه الجموع المحتشده. ثم اعقبوا ذلك بان توجه ناصيف النصار وحده لا يصحبه إلا رجل واحد من بيت الحاج من قريه شحور إلى مخيم أبي الذهب، و تقدم ناصيف إلى "كاخيه" أبي الذهب، و قال له: أنا ناصيف النصار، و هذا سيفي في عنقي و لا نريد حربا مع أبي الذهب، فخذني إليه.

فقال له الكاخيه: ان الباشا يموت فاذهب فليس عليك بأس، فعاد ناصيف، و مات أبو الذهب، في ليلته تلك، و حنطت جثته و أرسلت إلى القاهره و دفنت في المدرسه التي أنشأها تجاه الأزهر.

و كان العامليون حين علموا بتوجه أبي الذهب إليهم خافوا خوفا شديدا لضاله قوتهم أمام قوى أبي الذهب، و تحسبوا لكل شر و بلاء. و ليس أكثر دلالة على ذلك من أنهم ارخوا تلك السنه و هي سنه ١١٨٩ هجريه، بهذه الكلمات: (سم، هم، غم). كما ان أحد مؤرخيهم قال يصف الواقع:

"أبو الذهب تعب في سطوته جميع العجم و العرب، و ما أحد إلا و نزل به الهم و الكرب، و حل بالناس الويل و العطب، و كل يقول: الهرب ثم الهرب ما دام أبو الذهب لنا بالطلب".

نصر بن علي بن منصور النحوي الحلبي

أبو الفتوح المعروف بالخازن، كان حافظا للقرآن المجيد عارفا بالنحو و اللغه. قدم بغداد و استوطنها مده، و قرأ على ابن عبيده و غيره و سمع الحديث على أبي الفرج بن كليب و غيره و لم يبلغ أوان الروايه.

توفي شابا في الحله في ثالث عشر جمادى الآخره سنه ٦٠٠ و دفن في مشهد الحسين ع. (١).

نصير الدين بن أحمد بن علي المنازي

مرت ترجمته في الجزء العاشر الصفحه ٢٢١ و نزيد عليها هنا ما ياتي:

و من شعره قوله:

و دار خراب قد نزلت بها و لكن نزلت إلى السابعه

فلا فرق بين ان أكون بها أو أكون على القارعه

و أخشى بان أقيم الصلاه فتسجد حيطانها الراكعه

إذا ما قرأت "إذا زلزلت" خشيت بان تقرأ "الواقعه"

نظير، ولي محمد اكبر آبادي

اشتهر بلقبه (نظير) لذلك ترجمناه في حرف النون.

هو شاعر الحياه الشعبيه و لسان العامه يصور مواسمهم و أسواقهم و أشواقهم، و شعره متم إلى أفكار الفقراء و المعوزين و طبقاتهم، لذلك يحبه الناس في الهند و يشدونهم في مهرجاناتهم و احتفالاتهم.

نواب صفوى

اسمه السيد مجتبى نواب صفوى ولد سنة ١٣٤٣ في بلده خانى آباد الواقعه قريبا من طهران و اعدم سنة ١٣٧٥ فى طهران. هذا ما قاله أحد المصادر عن مكان ولادته و لكن مصدرا آخر قال انه ولد فى محله فقيره من محلات طهران نفسها و كان أبوه من طلبه العلم ثم أصبح محاميا سجن أيام الشاه رضا بهلوى كما أن مصدرا آخر قال انه ولد فى قريه من قرى أصفهان.

دخل مدرسه الصناعه بعد إكمال الدراسه الابتدائيه، و كان خلال دراسته هذه يتابع دراسه اللغه العربيه و العلوم الدينيه، و كانت أمنيته ان يدرس فى النجف الأشرف و لكن أحواله الماديه لم تسمح له بذلك، فذهب إلى الأهواز و اشتغل بما تخصص به فى مدرسه الصناعه، و لكن لم تطل إقامته هناك إذ ساهم بمظاهرات و خطب بالمتظاهرين فأرادت السلطات القبض عليه فاستطاع الفرار حتى وصل النجف الأشرف و كان احمد كسروى قد جاهر بدعوته الالحاديه الهدامه فى ايران سواء بأحاديثه أو بمطبوعاته، و وصلت اخباره إلى النجف، فقرر المترجم العوده إلى ايران لمناوأة كسروى و القضاء عليه فاعتقل و أودع السجن، ثم أطلق سراحه فدخل كليه الشريعه، و لكنه لم يلبث أن تركها عائدا إلى النجف بعد أن كان قد دبر اغتيال رئيس الوزراء حسين امامى.

و لبث فى النجف مده يدرس على علمائها ثم عاد إلى ايران.

و يبدو ان دعوه كسروى الالحاديه هى التى أنبتت فى ذهنه وجوب إيجاد تنظيم اسلامى واع يرتكز على جماعات متكاتفه تقاوم الدعوات الهدامه و تدعو إلى الإسلام و تحارب الإلحاد.

فاتصل أول الأمر بأحمد كسروى و التقى به فى عده جلسات يناقشه و يحاوره فلم يزدد كسروى الا عنادا و استرسالا فى دعايته و بثها فى الناس. فصمم المترجم على القضاء عليه، و استطاع الحصول على ثلاثمائه تومان من أحد المؤمنين فاشترى بها مسدسا و ترصد لكسروى فى أحد المنعطفات حتى إذا مر أطلق عليه النار و لكن الرصاصه أصابت رجله، و لما رأى المترجم أن كسروى لم يقتل انهال ضربا بالمسدس على رأسه و وجهه فتجمع عليهما الناس و خلصوه منه، فقبض على نواب صفوى و نقل كسروى إلى المستشفى. و صدف ان زار وفد حكومى إيرانى بعض العلماء فى النجف الأشرف فتوسطوا لإطلاق صفوى فنجحت الوساطه و أطلق.

و مما يذكر أنه قبل أن يتطوع له متطوع بثمان المسدس لم يكن يملك هذا الثمن، و لكنه كان مصمما على اغتيال كسروى فاستطاع إيجاد سيف و ترصد الكسروى ثلاثه أيام و لكن صدف أن مرض كسروى، فكان بعد ذلك ان اشترى المسدس.

و يقول السيد اللواسانى الذى كان عضوا فى منظمه فدائيان إسلام فى حديث له لرساله الثوره الإسلاميه نشرته فى العدد السادس

سنة ١٤٠٢ (١٩٨٢)، و بعض معلوماتنا فى هذه الترجمة تستند إلى ذلك الحديث، يقول السيد اللواسانى بعد أن ذكر الوقائع المتقدمة (من هنا بدأ هذا التنظيم) ثم ينقل عن لسان صفوى: (لقد فكرت عند ما أصدرت أول منشور فتبادر إلى ذهنى اسم (فدائيان إسلام) أى - فدائيو الإسلام - وقد كنت آنذاك وحيدا فريدا، و لكن بعد ذلك التحق بى الاخوه الراغبون المؤمنون الثوريون و ابدوا استعدادهم للتعاون معى فى هذا المجال).

ص: ٢٤٥

١- مختصر ابن الساعى.

و كان أول عمل قام به التنظيم أن نجح في اغتيال احمد كسروي، و اهدت السلطه إلى الفاعلين فاعتقلت (امامى) المنفذ للاغتيال و رفاقا له و سجنتمهم تمهيدا لمحاكمتهم و الحكم عليهم، و صدق ان الشاه محمد رضا أرسل وفدا إلى النجف الأشرف ليعزى الحوزه العلميه بوفاه السيد أبو الحسن الاصفهاني، فأسرع صفوى للاتصال بالسيد حسين القمى الذى كان شبه منفى فى العراق ليحمل العلماء على التوسط لإطلاق المعتقلين و نجحت الوساطه فأطلقوا و ساعد على إطلاقهم ان الشعب الايرانى كان قد ابدى ضروب الابتهاج بقتل احمد كسروي و ابدى تضامنه مع منفذى هذا القتل. فرأت السلطات ان فى إطلاقهم تقريبا بعلماء النجف، و إرضاء لعواطف الشعب.

و يبدو الغموض فيما يذكره السيد اللواسانى هنا: إذ يقول: (و كان الشهيد نواب صفوى فى تلك الفتره فى النجف الأشرف سيدا شابا عرف بين الناس بقاتل كسروي، و كانوا يعظمونه و يجلوونه و يعترفون بصحبته و رفقته) فى حين أنه لم يذكر من قبل أن صفوى انتقل إلى النجف بعد قتل كسروي، و هنا موضع الغموض، فهل تم القتل و المترجم فى طهران ثم انتقل اثر ذلك إلى النجف، أم تم القتل و صفوى فى النجف، جاءها بعد ترتيب امر الاغتيال.

و فى سنه ١٩٥٣ م. و كان أمر التنظيم قد استقر و انتشرت دعوته و عمت شهرته و بدأ يدعو لمبادئه الإسلاميه و ينشط فى مختلف ميادين العمل و يتصل بالدعوات خارج ايران و يعقد معها الصلوات، فى هذه السنه زار نواب صفوى البلاد العربيه لحضور مؤتمر القدس فى مدينه القدس و زار سوريا كما زار مصر بدعوه من الاخوان المسلمين، و كانت الأمور قد تازمت بين الاخوان و حكومه الثوره و أوشك الانفجار بينهما ان يقع، و جاء يوم ١٢ كانون الثانى ١٩٥٤ فاحتشد الاخوان و طلابهم فى حرم جامعه القاهره للاحتفال بذكرى بعض ضحاياهم، كما حضرت جماعات من خصومهم، و اقبل جمهور من طلاب الاخوان على الاجتماع حاملين نواب صفوى على الأكتاف، ثم أوصلوه إلى المنصه حيث خطب فى الجماهير و كان موضوع فلسطين أهم ما فى خطابه، فكان جمهور الاخوان يقابل فقرأت خطابه بهتافهم التقليدى (الله أكبر و لله الحمد) فيرد عليهم خصومهم بهتاف (الله أكبر و العزه لمصر) فهاجمهم جمهور الاخوان و اشتبكوا معهم و عمت الفوضى و كان هذا الحادث مفتاح الوقعه التى وقعت بين حكومه الثوره و الاخوان المسلمين، إذ قبض على زعمائهم و شردهم و أصبح نواب صفوى ضائعا فى القاهره إلى أن تسنى له الخروج منها.

و كان قبل وصوله إلى مصر قد لقي كل الحفاوه فى سوريا و فلسطين أما أهداف (فدائيان إسلام) فقد عبر عنها نواب صفوى نفسه فى حديث له مع مندوب وكالة (أسوشيتيدبرس) الأمريكيه حين ساله المندوب عن الهدف الرئيسى للحركه. فأجاب قائلا: (اننا نعتقد بوجوب نشر العقيده الإسلاميه الصحيحه فى العالم كله و نعتقد بوجوب تطبيق شريعه الإسلام الكامله فى جميع الدول الإسلاميه اننا نعتقد أن التعاليم الإسلاميه الصحيحه هى وحدها يمكن أن تنقذ البشريه من الحروب و الجرائم و فى سبيل هذه العقيده بدأنا العمل لكى نجعل من ايران قدوه للعالم المتمدن).

و ساله مندوب الوكالة عن مدى استعدادة للتضحيه فى سبيل هذا الهدف، فأجاب (اعتقد اننا و اخوانى ان أرحم شىء عندنا فى الحياه هى أرواحنا و نحن نعتقد أننا لا يمكن ان نخدم الإسلام إلا بإعطاء أرواحنا و دماننا فى طريق هذا الهدف المقدس. ان (فدائيو إسلام) هم أناس أقوياء و شجعان لا يخافون أى شىء فى طريق الهدف المقدس الذى يحملونه و اننا جميعا مستعدون للشهاده و نستقبلها بفارغ الصبر إذا كانت من أجل الله و الأمة الإسلاميه. انكم فى المستقبل سوف تعرفون صحه هذا الكلام)

انتهى.

ويمكن اعتبار نواب صفوى أول من كتب برنامجا مفصلا و متكاملًا عن الحكومة الإسلامية و كان عمره إذ ذاك ستة و عشرين عاما. و يبدو من النصوص التي بين أيدينا ان التأسيس الفعلي للحركة كان سنة ١٩٤٥ م و لم يكن في منهج صفوى الاستناد إلى الوسائل السلمية الكلامية في تحقيق اهداف حركته، بل كان يرى التوسل بكل وسيلة مهما كانت ناريه عنيفه، و يعتقد أن اغتيال رموز النظام واحدا بعد واحد يوهن عزائم هذا النظام و يقضى في النهايه عليه. لذلك عمد إلى تدبير اغتيال (هجير) وزير البلاط الشاهاني. و قد قال منفذ الاغتيال (حسين امامي) امام المحكمة التي تحاكمه (لقد أصبح من الواضح لدينا - فدائيان إسلام - ان اعمال هجير وزير البلاط هي اعمال خيانية ضد مصالح الوطن و الشعب و ضد المصالح الإسلامية و على هذا الأساس حكمنا عليه بالاعدام و نفذنا الحكم).

ثم اغتالوا اللواء (رزم آرا) بعد تشكيكه الوزاره لأنهم اعتقدوا أنه أضر بمصالح الأمة بعقده اتفقيه النفط مع الشركه البريطانيه (بى - بي)، و لم يحالفهم الحظ في محاوله اغتيال رئيس الوزراء (حسين علاء) الذى وقع على معاهده الستنو (حلف بغداد) و لكنه حالفهم في اغتيال (حسين على منصور) رئيس الوزاره التي أقرت الحصانه القضائيه للامريكيين في ايران.

و بفضل اتفاقهم مع الجبهه الوطنيه التي كان يرئسها الدكتور مصدق و دعمهم لها استطاع مصدق ان ياتى إلى الحكم و يشكل حكومه وطنيه برئاسته و يقدم على تاميم النفط في ايران. و لكن (الفدائيين) لم يقنعهم تاميم النفط وحده، فقد كان طموحهم أن يقيم الحكومه الإسلامية لذلك اختلفوا معه.

و يقول السيد اللواسانى: ان الخلاف بين المنظمه و الدكتور مصدق نشا نتيجة لخرق مصدق اتفقيه كانت بينه و بينهم بشأن تطبيق أحكام الإسلام، إذ كانت المنظمه قد أخذت عهدا من الجبهه الوطنيه على تطبيق أحكام الإسلام، و كان الوسيط بين الفريقين السيد أبو القاسم الكاشانى حيث لم تكن المنظمه على اتصال وثيق بالجبهه الوطنيه. ثم تم لقاء بين المنظمه و الجبهه و تعهد الجبهويون بالالتزام بوعدهم. و بعد اغتيال (رزم آرا) آخر رئيس حكومه قبل مصدق اضطرت السلطات للالتقاء بنواب صفوى و التشاور معه حول الحكومه الجديده فاوكل ذلك إلى الدكتور مصدق و الجبهه الوطنيه، فقامت حكومه مصدق و لكن كان أكثر وزرائها هم وزراء حكومه (رزم آرا) أنفسهم، و من هنا بدأت الخلافات بين نواب صفوى و الدكتور مصدق ثم اشتدت هذه الخلافات برفض موافقه حكومه مصدق على تطبيق أحكام الإسلام وفقا لما جرى عليه الاتفاق بين الطرفين.

و أدى الأمر إلى أن حكومه مصدق اعتقلت أعضاء في منظمه فدائيان إسلام و نفتهم إلى الأماكن النائيه ثم اعتقلت نواب صفوى نفسه و أودعته السجن.

هذا اللقاء ورفض أى بحث فى هذا الموضوع و قال (ليس لنا هدف مشترك مع أحد، اننا مسلمون و فى جهاد مستمر مع كل معاد للدين و نحارب على عشر جبهات لوحدنا، نحن لا نعترف بالهدف المشترك).

و كان يقول (قد تستفيد روسيا من جهادنا الفعلى فى مقاومه أميركا لكن هذا لا يدل على اننا متفقون مع السوفييت نحن فى جهادنا مع امريكا نسير وفقا لاهدافنا، و نحاول الا يستفيد أعداؤنا الآخرون من هذا الجهاد، إلا أنه شئنا أم أبينا فإنهم يستفيدون و لو بعض الشىء).

و كانت نهايه نواب صفوى و منظمه (فدائيان إسلام) انه بعد انقلاب زاهدى و عوده الشاه إلى طهران، أخذت السيطره العسكريه تبسط سلطانها و أخذ الحكم يشدد قبضته على البلاد مدعوما من القوى الأمريكيه، و أخذت السجون تمتلئ بالناس و الاعدامات تنفذ، فقبض على صفوى فيمن قبض عليهم بتهمة الاعداد لاغتيال رئيس الوزراء (علاء)، و تم القبض عليه بعد فشل عمليه الاغتيال و قدم إلى المحاكمه هو و عدد من أنصاره و استمرت المحاكمه شهرين حكم فى نهايتها عليه و عليهم بالاعدام رميا بالرصاص.

و صودف ان كان يوم اعدامه يوم ذكرى وفاه النبى ص فاعتبرها الايرانيون مكرمه له.

و قالت جريده التايمز البريطانيه و هى تنشر خبر اعدامه و اعدام رفاقه:

(باعدام أعضاء فدائيان إسلام أبعد الغرب عن طريقه اخطر عدو عرض مصالح الغرب للخطر فى السنين الأربعة الماضيه) (انتهى) اننا و نحن نستعرض حركه نواب صفوى (فدائيان إسلام) ليخطر فى ذهننا حركه سبقتها هى حركه حسن البنا (الاخوان المسلمون) فى مصر التى نشأت أول أمرها صغيره فى مدينه الإسماعيليه سنه ١٩٢٨ ثم اتسعت و امتدت حتى انضم إليها فى مصر وحدها مئات الألوف.

و إذا اعتبرنا أن التأسيس الفعلى لفدائيان إسلام يعود تاريخه إلى سنه ١٩٤٥ كانت المده الفاصله بين تأسيس الحركتين سبعة عشر عاما و بالرغم من التشابه و شبه التتابع بين أهداف فدائيان إسلام و الاخوان المسلمين، فلا شك أن نواب صفوى لم يستوح أحدا حين خطط لحركته و اهدافها، و ان هذا التشابه بين الحركتين ناتج من طبيعه الأهداف التى هى واحده لكل من يفكر بالدعوه للرجوع إلى الحكم الإسلامى.

و من التتابع بين خطه كل من الحركتين انهما توسلتا السلاح لتحقيق الأهداف، و صممتا على استعمال القوه لتبديل الحكم. فاغتال الاخوان المسلمون رئيس الوزراء احمد ماهر ثم رئيس الوزراء الآخر محمود فهمى النقراشى كما اغتالوا مدير الشرطه سليم زكى و القاضى احمد الخزندار، و لم ينجحوا فى محاوله اغتيال جمال عبد الناصر.

كذلك فعل فدائيان إسلام فقد اغتالوا أحمد كسروى، و اغتالوا (هجير) وزير البلاط الشاهانى و رزم آرا رئيس الوزراء و لم ينجحوا فى محاوله اغتيال رئيس الوزراء (علاء).

و كانت نهايه كل من رئيس الحركتين رميا بالرصاص، رئيس الاخوان رصاص الاغتيال و رئيس (فدائيان) برصاص الاعدام. و

لكن الشيء الذى اختلفت فيه الحركتان كل الاختلاف هو ان حسن البنا لم يكن مستعجلا فى تحقيق اهدافه فهو لم يقدم على العمل الفعلى الا بعد مضى سنين على تأسيس الحركة و ترسيخ قواعدها و انضمام مئات الألوف إليها.

اما نواب صفوى فقد كان مستعجلا كل الاستعجال، لذلك أقدم على ما أقدم عليه قبل أن يبلغ المتتمين إلى حركته الألوف لا مئات الألوف، و قبل أن تنتشر جذورها فى كل مكان.

و من هنا رأينا أن حركه الاخوان إذا كانت تأثرت تأثرا كبيرا باغتيال مرشدها، لكنها لم تمت لأنها استطاعت أن تجد للمرشد بديلا ثم بديلا ثم بديلا و ظلت تعيش شديده صلبه و إن كانت قد فقدت وهجها السابق.

على العكس من حركه (فدائيان) فقد كان القضاء على رئيسها و بعض مساعديه كافيا للقضاء عليها إلى الأبد، لأنها لم تكن مستطيعه فى المده القصيره التى عاشتها ان تعد من يحلون مكان من يرحلون، و لم تكن قد قدرت فى تلك المده ان تحتوى الجمهور الذى يظل متماسكا عند الشدائد لقله عدد ذلك الجمهور تبعا لقله عدد السنين التى عاشتها قبل الانقراض عليها، و لو لا السرعة فى ذلك الانقراض و السرعة فى الانهيار، و لو تانى نواب صفوى قبل أن يقدم على ما أقدم عليه و لم يتحرك الا بعد ان تكون الأرض قد غدت صلبه تحت قدميه لكان له شان محلى و عالمى باهر الدوى.

النوار ابنه مالك بن عقرب زوجه خولى بن يزيد

بعد ما قتل الحسين سرح عمر بن سعد برأسه من يومه ذلك مع خولى بن يزيد و حميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، فاقبل به خولى فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقا فاتى منزله فوضع الرأس تحت إجانه فى منزله.

و قد حدثت زوجته النوار، قالت: أقبل خولى برأس الحسين فوضعه تحت اجانه فى الدار ثم دخل البيت فاوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر، ما عندك؟ قال: جئتكم بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك فى الدار، فقلت له: ويلك جاء الناس بالذهب و الفضه و جئت برأس ابن رسول الله ص ٤٤ لا و الله لا يجمع رأسى و رأسك بيت أبدا. فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، و نصبت له النوار العداوه من ذلك اليوم، و كانت محبه لأهل البيت ع ٤.٤ فلما سيطر.

المختار على الكوفه و تتبع قتله الحسين ع ٤، ٤ أرسل من أحاط بدار خولى، فاخبتا خولى فى بيت الخلاء و وضع على رأسه قوصره - و هى ما يصنع من ورق النخل ليوضع فيه التمر - قد خلوا الدار ليفتشوا عليه، فخرجت امرأته النوار فقالت ما تريدون؟ فقالوا أين زوجك؟ فقالت: لا أدري أين هو، و أشارت بيدها إلى بيت الخلاء، فوجدوه و قد وضع على رأسه القوصره فأخرجوه و قتلوه.

الشيخ هادى النحوى

مرت ترجمته فى الجزء العاشر الصفحه ٢٣٠ و نزيد عليها هنا ما يلى:

ولد فى الحله و فيها تلقى مبادئ العلوم، و تعاطى نظم الشعر منذ شبابه و له مع أبيه و أخيه الرضا مطارحات. و لما توفى والده انتقل هو و أخوه الرضا إلى النجف على عهد السيد بحر العلوم، ثم رجع إلى الحله بعد وفاته و بقى فيها حتى وفاته على أثر

مرض أَلزَمه الفراش مده طويله و قال في مرضه:

مولاي يا سر الحقائق كم كشفت غطاءها

مولاي يا شمس المعارف كم انرت سناءها

ص: ٢٤٧

مولای یا باب العلوم و أرضها و سماءها

یا قطب دائره الوجود فكم أدرت رحاءها

و بیوم خیبر قد حملت من الإله لواءها

فكشفت عن وجه النبی محمد غمائها

للعبد عندك حاجه یرجو لیدیك قضاءها

اودت بجسمى عله جهل الاساه دواءها

و النفس قد تلفت اسى و أتتك تشكو داءها

و له فى رثاء الحسن من قصیده تبلغ ۶۳ بیتا:

لمن الطعائن فى الیاب المقفر واصلن بین سرى و طول تهجرى

من كل وافرہ الحجاب مصونه للشمس من فرط الحیا لم تسفر

تلك الطعائن من بنات محمد اضحت هدايا للدهى الأكبر

یا ارض من كید الزمان تزلزلى و جدا و یا كبذ السماء تفتطرى

سفها لرأى امیه هلا درت ما ذا أتته من القبیح المنكر

أسرت كرائم أحمد و إمأؤها قد عف عنها أحمد لم یاسر

ما بالها خفرت ذمام نبیها و نبیها لذمامها لم یخفر

تبا لها قد صدعت دین الهدى و إلى القیامه صدعه لم یجبر

جعلت عزیز محمد و حبیبه نهب المواضى و الوشیح السمهرى

فكبت عن النهج القویم ببغیها و تورطت فى المأزق المتوعر

قد قادها للشرخیث نجارها و خسیس مغرسها و لؤم العنصر

هدمت قواعد دین احمد و ابتنت دین الضلاله و الردى و المنكر

كم ترب مجد من سلالة أحمد في الترب متلول الجبين معفر

لله نجدته كآساد الشرى من كل عبل الساعدين حزور

كل يرى من عزمه فى فيلق فكأنه فردا يكر بعسكر

بذلوا نفوسهم بمشجر القنا دون الامام ابن الامام الأطهر

فتخال من فرط الطعان نفوسهم أرضا بها نبت الوشيج السمهرى

و اليه تنمى الأسره المعروفه فى النجف بال الشاعر.

السيد هاشم معروف الحسنى

ولد سنة ١٩١٩ م فى قرية جناثا (جبل عامل) و توفى و دفن فيها سنة ١٩٨٤ م. بدأ دراسته الأولى فى جبل عامل ثم انتقل إلى النجف الأشرف فدرس على علمائه و عاد إلى وطنه. و بعد حين عين قاضيا شرعيا فى مدينه صور ثم مستشارا فى المحكمه الشرعيه الجعفريه العليا حتى وفاته. له من المؤلفات:

١ - عقيدته الشيعه الاماميه. ٢ - الحديث و المحدثون. ٣ - سيره المصطفى.

٤ - سيره الأئمه الاثنى عشر. ٥ - تاريخ الفقه الجعفري. ٦ - المبادئ العامه للفقه الجعفري. ٧ - نظريه العقد فى الفقه الجعفري. ٨ - المسئوليه الجزائيه فى الفقه الجعفري ٩ - الولايه و الشفعه و الاجاره فى الفقه الإسلامى ١٠ - الوصيه و الوقف و الإرث من الأحوال الشخصيه فى الفقه الإسلامى ١١ - الشيعه بين الأشاعره و المعتزله. ١٢ - بين التصوف و التشيع ١٣ - دراسات فى الصحيح للبخارى و الكافى للكلينى ١٤ - أصول التشيع ١٥ - من وحي الثوره الحسينيه ١٦ - صور مشرقه من وحي الإسلام.

و عن كتابه (دراسات فى الصحيح للبخارى و الكافى للكلينى) يقول بعض الباحثين: تعرض المؤلف للمقارنه بين الكتابين و بين أوجه الشبه و الافتراق و الامتيازات التى يمتاز بها كل منهما عن الآخر، فى دراسه تتسم بالصراحه و التجرد و الموضوعيه.

و عن كتابه (الشيعه بين الأشاعره و المعتزله) يقول باحث آخر: دفاع عن استقلاليه الشيعه عن كل من الأشاعره و المعتزله، ردا على خطأ يساوى الشيعه بالمعتزله.

مجد الدين صاحب هبه الله بن على

قال اليافعى فى (مرآه الجنان) و هو يتحدث عن وفيات سنة ٥٨٣: فيها توفى مجد الدين صاحب هبه الله بن على، ولى استاد دار للمستضىء، و لما ولى الناصر رفع منزلته و بسط يده، و كان رافضيا سبابا لما تمكن أحيا شعار الإماميه و اشتهر بأشياء قبيحه فقتل و أخذت حواصله من جملتها ألف ألف دينار (انتهى).

بهذه اللغة يتكلم هذا المؤرخ ويفترى، وليس هو وحيدا في ذلك. و كان قد قال قبل ذلك و هو يتحدث عن أحداث سنه ٥٨٢: قال محمد بن القادسي فرش الرماد في أسواق بغداد و علقت المسوح يوم عاشوراء و ناح أهل الكرخ و تعدى الأمر إلى سب الصحابه، و كانوا يصيحون به ما بقى كتمان. و قال غيره: وقعت فتنه ببغداد بين الرافضه و السنيه قتل فيها خلق كثير، و كان ذلك منسوبا إلى الصاحب الملقب مجد الدين.

ثم يكمل الكلام عن أحداث السنه نفسها قائلا: و فيها قتل ابن الصاحببغداد فذلت الرافضه.

فهل هما رجلان، أحدهما هو الصاحب، و الثاني هو ابن الصاحب، مات الأول كما يدل عليه ظاهر كلام اليافعي؟ أم هما رجل واحد سماه تاره بالصاحب و تاره بابن الصاحب كما قد يتبادر إلى الذهن؟ و لا يمنع من هذا ذكره قتل ابن الصاحب، ثم قتل الصاحب، فله في هذا نظائر في أقواله المتقدمه، إذ أنه اعتاد أن يذكر أخبار القتل ضمن الأخبار المتتابعه، ثم يذكر أسماء من ماتوا خلال ذكره الوفيات على أن الكتاب مشحون بالأغلاط المطبعية فربما كان هذا من تلك الأغلاط.

السيد أبو السعادات هبه الله بن علي بن محمد بن حمزه الحسنى، المعروف بابن الشجرى، البغدادى

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٦٢ من المجلد العاشر و نضيف إليها هنا ما ذكره ابن خلكان:

ص: ٢٤٨

مفيدا جدا، و سمعه عليه الناس، و جمع أيضا كتابا سماه "الحماسه" ضاهى به حماسه أبي تمام الطائي، و هو كتاب غريب مليح أحسن فيه، و له في النحو عدده تصانيف "ما اتفق لفظه و اختلف معناه" و شرح "اللمع" لابن جنى، و شرح "التصريف الملوكي".

و كان حسن الكلام، حلو الألفاظ، فصيحاً، جيد البيان و التفهيم، و قرأ الحديث بنفسه على جماعه من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي، و أبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب و غيرهما.

و ذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب "الذيل"، و قال: اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث، و علقته عنه شيئاً من الشعر في المدرسه، ثم مضيت إليه، و قرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي.

و حكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي، في كتابه الذي سماه "مناقب الأدباء" أن العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زياره شيخنا أبي السعادات بن الشجري، فمضينا معه إليه، فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي:

و أستكثر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم أنشده بعد ذلك:

كانت مسامره الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر

ثم التقينا، فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصرى

قال ابن الأنباري: فخرجنا من عنده و نحن نعجب، كيف يستشهد الشريف بالشعر و الزمخشري بالحديث و هو رجل أعجمي؟.

و له شعر حسن فمن ذلك قصيده يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جهير، و أولها:

هدى السديره و الغدير الطافح فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح

يا سدره الوادي الذي إن ضله الساري هداه نشره المتفاح

هل عائد قبل الممات لمغرم عيش تقضى في ظلالك صالح

ما أنصف الرشا الضنين بنظره لما دعا مصفى الصبايه طامح

شط المزار به و بوى منزلاً بصميم قلبك فهو دان نازح

غصن يعطفه النسيم و فوقه قمر يحف به ظلام جانح

و إذا العيون تساهمته لحاظها لم يرو منه الناظر المتراوح

و لقد مررنا بالعقيق فشاقتنا فيه مراتع للمها و مسارح

ظلنا به نبكى فكم من مضمهر و جدا أذاع هواه دمع سافح

برت السنون رسوما فكاأنا تلك العراض المقفرات نواضح

يا صاحبي تاملا حيتما و سقى ديار كما الملت الرائح

أدمى بدت لعيوننا أم ربرب أم خرد أكفالهن رواجح

أم هذه مقل الصوار رنت لنا خلل البراقع أم قنا و صفائح

لم يبق جارحه و قد واجهنا إلا و هن لها بهن جوارح

كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى و من الشقاوه أن يراض القارح

لو بله من ماء ضارج شربه ما أثرت للوجد فيه لواقع

و من هاهنا يخرج إلى المديح فاضربت عنه خوف الاطاله، و لم يكن المقصود إلا إثبات شىء من نظمه ليستدل به على طريقته فيه.

و من شعره أيضا:

هل الوجد خاف و الدموع شهود و هل مكذب قول الوشاه جحود

و حتى متى تفنى شئونك بالبكا و قد حد حدا للبكاء لييد

و إنى و إن خفت قناتى كبره لذو مره فى النائبات جليد

و كان بين أبى السعادات المذكور [و] بين أبى محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن جكينا البغدادى الحرىمى الشاعر المشهور تنافس جرت العاده بمثله بين أهل الفضائل، فلما وقف على شعره عمل فيه قوله:

يا سيدى و الذى يعيدك من نظم قريض يصداه به الفكر

ما لك من جدك النبى سوى أنك ما ينبغى لك الشعر

و شعره و ماجرياته كثيره و كانت ولادته فى شهر رمضان سنه خمسين و أربعمائ.

(١) أبو الحسين ورام بن أبي فراس عيسى بن أبي النجم بن حمدان بن خولان.

و هو من بيت رفيع من الأكراد الجاوانيين الحلبيين المستعربين. و الجد الأعلى لهذا البيت هو الأمير ورام الكردي الجاواني، و قد أنجب هذا البيت رجالا- تولوا أعمالا- عسكريه و اداريه مثل الأمير أبي الهيج عبد الله بن الحارث بن ورام(٢) ممدوح ابن جيا الشاعر الحلبي، و مثل الأمير ابن مجير الدين جعفر أخى المترجم و ابن أخيه حسام الدين بن جعفر.

ان للورامين مصاهره مع الأمراء المزيديين و مع بعض الأسر العلميه، فقد كان أبو النجم جد المترجم ابن خال الأمير سيف الدوله المزيدي، و كان الشيخ أبو جعفر الطوسي متزوجا بنت مسعود بن ورام، و كانت أم السيد رضى الدين بن طاوس بنت ورام، و هى تنتهى بالنسب من جهة الأم إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي من زوجته بنت مسعود بن ورام، و كذلك أم ابن إدريس الحلبي ينتهى نسبها من قبل الأم إلى الشيخ الطوسي من زوجته بنت مسعود بن ورام.

نشا المترجم أول الأمر على طريقه أهل بيته فتربى تربيته عسكريه، و صار أميرا من الأمراء العسكريين، ثم ترك سلك الجنديه و زهد فى الدنيا و انصرف إلى الدراسه و العلم.

قال ابن الساعى فى المختصر: أبو الحسن ورام بن أبي فراس الحلبي شيخ زاهد متعبد، كان أولا جنديا على طريقه سويه، فهداه الله تعالى إلى التوبه و الإنابه فتحرك جميع ما كان فيه و لزم باب الله عز و جل و انعكف على الخير و العباده و قراءه القرآن المجيد و مداومه الصوم و كثرة الصلاه نافله، معظم فى أعين الناس و صار تقصده الأكارب للتبرك به، توفى يوم الجمعة و حمل إلى الكوفه فدفن فى مشهد على ع.(٣)

ص: ٢٤٩

١- بقلم الشيخ يوسف كركوش فى كتابه (تاريخ الحله).

٢- قال الدكتور مصطفى جواد فى حاشيته على مختصر تاريخ ابن الدينى انه من الأمراء الورايمين الأكراد المستعربين النازلين فى الحله مع بنى أسد.

٣- يوجد فى الحله بمحلله الأكراد قبر يعرف بقبر الشيخ ورام. و قد جدد بناءه الحاج عباس مرجان سنه ١٩٥٢ و كانت العرصه التى فيها القبر مملوكه لأحد الناس فاشتراها بالاشترائك مع الحاج شاکر غزاله أحد تجار الحله و وقفا العرصه على القبر.

و قال فيه منتجب الدين: شاهده بالحلل فوافق الخبر الخبره يروى الشهيد عن محمد بن جعفر المشهدى عنه. له من المؤلفات (تنبيه الخواطر و نزهه الناظر) قال عنه صاحب أمل الآمل ان فيه الغث و السمين. و كتاب (المجموعه) و هو فى الاخلاقيات لطيف مشهور مشتمل على أحاديث جمه وردت فى مراتب الموعظه الحسنه و الحكمه عن أهل بيت العلم و المعرفه لكنها فى الأغلب من المقطوعات و المراسيل، أو من جمله كلمات من ليس عليهم التعويل.(1)

و قال ابن الأثير فى الكامل: توفى سنه ٦٠٥ بالحلل العالم الزاهد ورام بن أبى فراس، و لم يذكر ابن الأثير مكان دفنه.

يحيى بن محمد القرشى

قال الياضى فى الجزء الرابع من كتابه (مرآه الجنان) و هو يتحدث عن وفيات سنه ٦٦٨:

فيها توفى قاضى القضاة أبو الفضل يحيى ابن قاضى القضاة أبى المعالى محمد ابن قاضى القضاة أبى الحسن ابن قاضى القضاة منتجب الدين القرشى الدمشقى الشافعى، تفقه على الفخر ابن عساكر و ولى قضاء دمشق مرتين و كان صدرا معظما معروفا بالفضائل.

و قال الذهبى له فى ابن العربى عقيدته تجاوز حد الوصف. قال و كان يفضل عليا على عثمان ثم نسبه إلى التشيع، و جعل التفضيل المذكور كالعلة لتشييعه قلت و هذا من الذهبى العجب العجاب، أما علم أن جماعه من أكابر أئمتنا المحققين ذهبوا إلى تفضيل على على عثمان، منهم الأئمه الأجله سفيان الثورى و محمد بن إسحاق و الحسين بن الفضل، بل هو منسوب إلى أهل الكوفه قاطبه، و لهذا قال الامام سفيان الثورى لما سئل عن اعتقاده فى ذلك: أنا رجل كوفى. و قد أوضحت رجحان الدليل على هذا فى كتاب (المرهم) فى الأصول و أن عليا رضى الله عنه اجتمع فيه من الفضائل فى آخر عمره ما لم يكن فى أوله، و قد قدمت قصيده ذكرت فيها التفضيل المذكور و الإشاره إلى فضائل الكل منهم رضى الله تعالى عنهم فى ترجمه على كرم الله وجهه. و لكن لو نسب إلى التشيع بسبب ما ذكر عنه فى تاريخه من أنه هو القائل البيتين اللذين ذكرهما فى كتابه و نسبهما إليه كان أنسب إذ فى ذلك التصريح أن عليا رضى الله تعالى عنه هو الوصى حيث قال:

أدين بما دان الوصى و لا أرى سواه و إن كانت أميه محتدى

و لو شهدت صفين خيلى لأعدرت و ساء بنى حرب هنالك مشهدى

يزد بن الأمير القائد التركى

قال ابن الجوزى فى المنتظم: كان من كبار الأمراء و تحكم فى هذه الدوله و تجرد للتعصب فانتشر بسببه الرفض و تاذى أهل السنه، فمرض أياما بقيام الدم و توفى فى ذى الحجه من هذه السنه (٥٦٨) و دفن فى داره بباب العامه ثم نقل إلى مقابر قريش.

و ذكر ابن الأثير فى حوادث سنه ٥٦٢ وفاه قماج المسترشدى والد الأمير يزد بن قال: و هو من أكابر الأمراء ببغداد، كما ذكر وفاه يزد بن، قال: و فيها - يعنى سنه ٥٦٨ - توفى الأمير يزد بن و هو من كبار أمراء بغداد و كان يتشيع، فوقع بسببه فتنه بين السنه و الشيعه بواسط(٢) لأن الشيعه جلسوا للجزاء و أظهر السنه الشماته به قال الأمر إلى القتال، فقتل بينهم جماعه، و لما مات اقطع أخوه

تنامش ما كان لأخيه و هي مدينه واسط و لقب علاء الدين.

و ذكر ابن الأثير حوادث سنه ٥٦٨ خروجه إلى حرب بنى حزن المفسدين بالعراق، و كان له دار مشهوره.

يزيد بن قيس

اقتلت المجنبتان يوم الجمل حين تراحفتا قتالا- شديدا يشبه ما فيه القلبان، و اقتتل أهل اليمن فقتل على رايه أمير المؤمنين من أهل الكوفه عشره كلما أخذ رجل قتل، خمسه من همدان و خمسه من سائر اليمن، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت فى يده و هو يقول:

قد عشت يا نفس و قد غنيت دهرا فقطك اليوم ما بقيت

أطلب طول العمر ما حييت

و أنما تمثلها و هو قول الشاعر قبله.

و قال نمران ابن أبى نمران الهمداني:

جردت سيفى فى رجال الأزد أضرب فى كهولهم و المرء

كل طويل الساعدين نهدي

يزيد بن زياد أبو الشعثاء الكندى

حدثنى فضيل بن خديج الكندى أن يزيد بن زياد و هو أبو الشعثاء الكندى من بنى بهدله جثى على ركبته بين يدى الحسين فرمى بمائه سهم ما سقط منها خمسه أسهم و كان راميا فكان كلما رمى قال أنا ابن بهدله فرسان العرجله و يقول حسين اللهم سدد رميته و أجعل ثوابه الجنة فلما رمى بها قام فقال ما سقط منها إلا خمسه أسهم و لقد تبين لى أنى قد قتلت خمسه نفر و كان فى أول من قتل و كان رجزه يومئذ:

أنا يزيد و أبى مهاصر أشجع من ليث بغيل خادر

يا رب إنى للحسين ناصر و لابن سعد تارك و هاجر

و كان يزيد بن زياد بن المهاصر ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين فلما ردوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قتل.

يزيد بن مفرغ

(٣) نعود، في التاريخ العربي، إلى أوائل النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، إلى عهد يزيد بن معاوية و قد استخلف على عرش بني أمية بعد أبيه، مؤسس النظام الملكي الوراثي.

و ها نحن أولاء، نرى إلى جماهير الشعب العربي، في الأمصار و العواصم و الأقاليم، يحسون ثقل هذا الحكم الجديد الرهيب، و قد زاده يزيد بعد أبيه، ثقلا و ارهابا بما استهل به عهده من أفاعيل أنكرتها هذه الجماهير في سرائرها، و لم تستطع ان تظهر إنكارها جهرا و علانية من فرط ما تستشعر من عوامل الجزع

ص: ٢٥٠

١- روضات الجنات.

٢- هكذا وردت في النسخة الأصلية.

٣- بقلم الدكتور حسين مروه، و يزيد بن مفرغ هذا و قد يطلق عليه اسم يزيد بن ربيعه، هو جد شاعر أهل البيت في عصره إسماعيل بن محمد المعروف باسم (السيد الحميري)، فهو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعه بن مفرغ (ح. أ).

و الرهبة، و على رأسها جلادون من هنا و سفاكون من هنا، و العيون ماثوثة عليها فى كل وجه تحبس انفاسها و تسجل خفقات قلوبها، و أسباب الوشايه و النميمه ترصد الطريق على كل رائح و غاد و متحدث. و هذه البصره يحكمها، من قبل يزيد و ال عرفه أهل هذا المصر بأنه شارك فى مصرع الحسين بن على يوم الطف بكرىلاء، و عرفوه عليهم و اليا مستبدا طاغيا ظالما يقيم الحكم فيهم بالارهاب و السعايه و الوشايه و بالسجن و القتل و التعذيب، ذلك هو عبيد الله بن زياد.

كان ذلك و لآل زياد فى الأمصار كلها، صيت يثير فى نفوس الجماهير صوراً شتى يقترن بكل واحده منها معنى أقل شأنه انه يبعث السخر و الابتسام، أو يبعث الحقد و السخط، أو يبعث الذعر و الهلع.

و كان آل زياد يعرفون هذا كله فى الجماهير، فيخشون نقيمتها أو انفجار نقيمتها، إذ يكتبونها بالارهاب من كل نوع و كل أسلوب.

و كان أخشى ما يخشونه، ألسنه الشعراء، و لا سيما الهجاءين منهم و ذوى الخلاعه و المجان، فان مثل هؤلاء يكشفون للناس من العيوب و المساوى ما كان آل زياد يتحاملون ان ينكشف، أو أن تتحدث به الجماهير فى حين يعلمون أن عند هذه الجماهير أنباء يتناقلونها عن آل زياد، سواء أ صدقت هذه الأنباء أم كانت من الأكاذيب و الأراجيف...

و هنا يبرز فى البصره شاعر يعرف فيه عبيد الله بن زياد قسوه الهجاء، و تعرف فيه جماهير البصريين حقه و سخطه على آل زياد لما شاركوا فيه من هاتيك الأفاعيل فى عهد يزيد، نعى بهذا الشاعر يزيد بن ربيعه بن مفرغ.

و قد جاء لقب "مفرغ" هذا، من أن جد الشاعر راهن على ظرف لبن ان يشربه كله، فشربه حتى فرغ، فلقب "مفرغاً".

و شاعرنا يزيد بن مفرغ يمانى ينتمى إلى حمير، و يحالف قريش، و يبدو أنه كان علوى الهوى، و أن مصرع الحسين بن على كان له أثر فى أسباب حقه على آل زياد، و سنرى من شعره ما يدل على هذا.

و يبدو كذلك أن شاعرنا كان يتربص بال زياد، حتى تحين له الفرصه ان يكشف عوراتهم، و أن يعبر عن سخط الجماهير عليهم بهذا الهجاء الفاضح الذى عرف به.

و قد واتته الفرصه المرتقبه، حين ولى عباد بن زياد، أخو عبيد الله بن زياد، قياده الجيش فى خراسان، و ولى سعيد بن عثمان عهد الولاية من قبل يزيد بن معاويه على خراسان نفسها، فطلب سعيد إلى شاعرنا هذا يزيد بن مفرغ، أن يصحبه، إلى موضع ولايته، فأبى ان يصحبه و آثر ان يصحب عباد بن زياد، و إنك لتعجب أول الأمر كيف يؤثر الشاعر أن يصحب عباداً و هو لم يطلب إليه ذلك، على حين أبى ان يصحب سعيداً، و سعيد هو الذى يطلب إلى الشاعر أن يصحبه؟..

فهل تراه يكره صحبه سعيد بن عثمان، و يهوى صحبه عباد بن زياد؟.

هذا ما نشك فيه كل الشك، فان الظاهر من حال سعيد مع الشاعر أنه يحبه و يخلص له الحب، ثم ان الظاهر مما سياتى من حال الشاعر مع عباد بن زياد أنه ليس محبا لعباد هذا، و ما كانت رغبته فى صحبته إلى خراسان لأمر يعجبه فيه، و لكن لأمر آخر يبيته فى نفسه، و سنعرف، بعد، هذا الأمر.

و يدلنا على ما بين يزيد ابن مفرغ و سعيد بن عثمان من صله الود و الصداقه ان سعيدا حين أعياه ان يقنع ابن مفرغ بصحبته، قال له:

"- اما إذ أبيت أن تصحبنى و آثرت عبادا، فاحفظ ما أوصيك به: ان عبادا رجل لثيم، فإياك و الدلاله(1) عليه، و ان دعاك إليها من نفسه، فإنها خدعه منه لك عن نفسك، و أقلل زيارته فإنه طرف(2) ملول، و لا- تفاخره و إن فاخرك، فإنه لا يحتمل لك ما كنت احتمله".

ثم دعا سعيد بن عثمان بمال - كما يروى فى الأغاني - فدفعه إلى ابن مفرغ، و قال:

"- استعن بهذا المال على سفرك، فان طاب لك مكانك من عباد، و إلا فمكانك عندي ممهد".

و ظاهر من هذا كله، ان سعيد بن عثمان كان خالص النصيحة و الود لشاعرنا بن مفرغ، و ظاهر كذلك أن سعيدا ليس بالبخیل الشحيح حتى نقول ان لعل بن مفرغ إنما رغب عن صحبته، طمعا بان ينال من عباد بن زياد ما لا يناله من سعيد بن عثمان من عطاء، كلاهما راحل إلى خراسان و كلاهما مقبل فيها على منصب رفيع مضافا إلى تحذير سعيد له من لؤم عباد و سرعه ملالته و تغييره على صاحبه، فما ذا الذى يدعو الشاعر إلى إثارة عباد على سعيد إذن؟.

نجد مفتاح الجواب عند عبید الله بن زياد، أخى عباد.

فان عبید الله هذا، ما إن علم أن [ابن] مفرغ سيصحب أخاه عبادا إلى خراسان، حتى أحس الشر فى قراره نفسه، و شق عليه ذلك، و لم يستطع ان يمنع أخاه من صحبه هذا الشاعر، و أسر الأمر فى صدره حتى ساعه السفر، و خرج أخوه و معه الناس يشيعونه إلى خارج البصره، و جعلوا يودعون، فلما أراد عبید الله أن يودع أخاه، دعا إليه الشاعر ابن مفرغ فقال له:

- انك سالت عبادا أن تصحبه، و أجابك إلى ذلك، و قد شق على هذا.

فقال الشاعر: و لم ذاك، أصلحك الله؟..

فقال عبید الله: "لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض، فهو - أى الشاعر - يظن، فيجعل الظن يقينا، و لا يعذر فى موضع العذر، و أن عبادا ليقدم على أرض حرب، فيشتغل بحروبه و خراجه عنك، فلا تعذره أنت، و تكسبنا شرا و عارا!" فقال الشاعر: لست كما ظن الأمير، و أن لمعروفه عندي شكرا، و ان عندي - ان أغفل امرى - عذرا ممهدا.

قال عبید الله: "لا"، و لكن تضمن لى إن أبطا عنك ما تحبه ان لا تعجل عليه حتى تكتب إلى".

قال الشاعر: نعم.

فقال عبید الله: امض - إذن - على الطائر الميمون.

فهل ترى إلى قول عبید الله: "فتكسبنا شرا و عارا؟ و هل ترى إلى عبید الله كيف يبلغ به الذعر و الهلع من صحبه هذا الشاعر

لأخيه عباد؟. و هل تجد فى ذلك كله سوى ذعر الطغاه المستبدىن يحسون هول النقمه فى نفوس الجماهير، و يخشون لسان الشاعر ان يلقى "الفتيل" فى مواطن النقمه من هذه النفوس، فتشتعل و تنفجر؟.

ألا ترى فى هذا القلق بيديه عبىء الله من صحبه الشاعر لأخيه، و فى هذا الاحتياط الشديء للأمر، حتى يأخذ من الشاعر الضمانه بان لا يعجل على أخيه - إن ابطا عنه - قبل أن يكتب الشاعر إليه، أى إلى عبىء الله فى البصره ليدبر هو الأمر - ألا ترى فى هذا القلق و هذا الاحتياط الشديء، ان عبىء الله كان يعرف كيف تنظر الجماهير، فى الأمصار إلى آل زياد، و كى تنطوى صدورها على أسرار من أمورهم تنتظر لسان شاعر أن يثيرها فى غضبه من غضباته و فى هجوهى.

ص: ٢٥١

١- اى إظهار الداله و رفع الكلفه.

٢- الطرف (بفتح الطاء و كسر الراء): من لا يثبت على رأى.

من أهاجيه الفاضحه، فإذا الأسرار تنتشر، و إذا الشاعر "يكسبهم سرا و عارا"؟.

من هذا كله، يمكننا أن نقول أن عبيد الله كان يعلم من أمر الشاعر يزيد بن مفرغ أنه لم يؤثر صحبه أخيه عباد إلى خراسان، لمجرد عطائه و جوائزها، و لكن ليطلع على أخباره و اسوائه، ثم يعود بها إلى الناس أهاجي و فضائح.

و كان الأمر كما توقع عبيد الله. و لم ينفعه الاحتياط شيئا، و لم تغنه الضمانه التي ضمنها له الشاعر، فقد كان شاعرنا يزيد بن مفرغ ينتظر إبطاء عباد عنه في خراسان، حتى يجد في ذلك فرصه لاصلات لسانه فيه، دون أن يكتب إلى عبيد الله يشكوه، لأن العطاء و الجائزه لم يكونا بغيه هذا الشاعر.

فهذه روايه الأغاني تقول ان عبادا ما كاد يصل إلى خراسان، حتى شغل بحربه و خراجه، فاستبطأه الشاعر، و لم يكتب إلى أخيه عبيد الله في ذلك كما ضمن له ساعه وداعه.

و هنا تقول الروايه: "و لكنه - اي ابن مفرغ - بسط لسانه في عباد، فذمه و هجاه، و كان عباد عظيم اللحيه، فسار يزيد ابن مفرغ مع عباد فدخلت الريح لحيته فنفتشتها، فضحك ابن مفرغ، و قال لرجل من بني لخم كان إلى جنبه:

الا ليت اللحا كانت حشيشا فنعلفها خيول المسلمين!

و تمضى الروايه فتقول ان اللخمي هذا، وشى ابن مفرغ إلى عباد، و ان عبادا اغتاط غيظا شديدا، و لكنه كظم غيظه، و أسرها في نفسه معتزما الشر لابن مفرغ، و قال للواشي اللخمي:

- "لا تحمل بي عقوبته بهذه السرعة مع الصحبه لي، و ما أؤخرها الا لاشفى نفسى منه، لأنه كان يشتم أبى في عده مواطن".

و يتبين لنا من هذا القول، ان عبادا ما كان ليجرأ ان يعجل على الشاعر بالعقوبه، خشيه "الشر و العار" و طمعا بان يدارى الأمر قبل ان يفلت زمام الشاعر من يديه، و يتبين لنا من هذا القول أيضا أن ابن مفرغ كان معروفا بعدائه لآل زياد، فقد كان "يشتم أبا عباد في مواطن كثيره"... و هذا يؤيد ما قلناه في المقال السابق من أن رغبه الشاعر في صحبه عباد، و إثارة على سعيد بن عثمان، ليسا حبا بعباد أو طمعا فيه، بل لتكون له الفرصه ان يشفى نفسه منه "بذمه و هجائه".

و يبلغ ابن مفرغ ان اللخمي قد وشى به إلى عباد، و يبلغه وعيد عباد و إساراه الشر له، فيداخله الخوف، و يستعجل الخلاص، فيستأذن عبادا بالرجوع إلى العراق، فيقول له عباد:

- "طلبت الاذن لترجع إلى قومك، فتفضحنى فيهم"؟...

و هذه كلمه اخرى تضح بالذعر و الهلع ان يكسبه الشاعر "سرا و عارا".

و لعلك تتساءل الآن: ترى، كيف لم يكتب ابن مفرغ إلى عبيد الله بن زياد يشكو إليه أخاه عبادا حين ابطا عنه وفاء بوعده؟.

و لكنك عرفت الجواب مما قدمناه منذ قليل، فان الشاعر قد ضمن لعبيد الله ان يكتب إليه و هو معتزم أن لا يفى بضمائنه، وإنما

كانت منه حتى لا يعوقه عبید الله عن صحبه أخيه، و نیل الوطر الذی ینشده من صحبته، أى ان یهجوه و یکسبه "شرا و عارا".

و المسأله الآن هی: کیف یصنع عباد لکی یخفق شبح "الشر و العار" الذی یرأى له من وراء لسان الشاعر، و یکاد من خوفه أن یراه منطلقا فی الجماهير یکسب آل زیاد "شرا و عارا"؟. هنا یتبدئ ماساه هذا الشاعر، و ماساه آل زیاد معا.. انه لا بد لعباد من الانتقام، و لكن آل زیاد یخشون نقمه الجماهير، إذا هم أساءوا إلى الشاعر من غیر ذنب ظاهر تسمع به الجماهير، فتعذرهم على عقوبته.

و تربص عباد بالشاعر حتى جاءت فرصه الانتقام، إذ علم عباد أن لقوم دینا على الشاعر، فسدس إلیهم من یدفعهم أن یشکوا ابن مفرغ إلیه، فلما شکوه، حبسه و أخذ یعذبه، فلا یحتمل الشاعر التعذیب، و یجتهد فی الحيله على عباد حتى یطلقه من سجنه، ثم یجتهد الشاعر - و قد استطاع الخروج من السجن - ان یجد الحيله فی الهروب من خراسان إلى العراق.

و هنا تکبر ماساه آل زیاد أنفسهم، فإذا بالشاعر یربع منهم إربه، و إذا هو یشحذ لسانه فی ذمهم و هجائهم و هو ما یزال فی الطريق إلى العراق، یرسل البیت من الهجاء فیکتابه على حائط هذا الخان فی أحد منازل الطريق، ثم یرسل البیت الآخر فیکتابه على حائط آخر فی هذه المرحله الأخرى من الطريق، و إذا الجماهير فی مراحل الطريق کلها من خراسان إلى العراق، تتناقل أهاجی الشاعر فی آل زیاد فتحفظها بسرعه البرق، ثم تتناقلها بأكثر سرعه من ذلك، حتى تصل هذه الأهاجی إلى جماهير البصره قبل أن یصل إلیها الشاعر، و إذا أهل البصره کلهم یتغنون فی أشعار ابن مفرغ بال زیاد، ینفسون بها عن کربهم، و یمطون بها ألسنتهم یتلمظون بمساوی آل زیاد مستطیین هجاءهم، لانه جاء تمثیلا لما فی صدورهم من الضغینه علیهم و من الحقد على ما یجدون من استبدادهم و طغیان أمرهم فیهم.

و لكن الشاعر ما یکاد یصل البصره، و یرى أهلها قد سبقته أشعاره إلیهم فحفظوها و تغنوا بها فی اسماهم، و انطلقت بها ألسنتهم فی هذا الحقل، و فی هذا البستان، و فی هذا المصنع، فی طول المصر و عرضه، حتى یتجسم له شبح ماساه جدیده....

فقد علم عبید الله بن زیاد، والی البصره، بمقدم الشاعر إلیها من خراسان، و كان قد سمع بما تتغنى به أهل البصره من أهاجیه فی أخیه و آله، فاخذ یبحث عنه بحثا شديدا، حتى کاد یقبض علیه، فهرب إلى بلاد الشام.

و طفق الشاعر ابن مفرغ ینتقل فی قرى الشام و نواحيها - كما تقول روايه الأغانى - یهجو بنى زیاد، و تنتقل أشعاره فیهم من هناك إلى البصره و تنتشر، و تبلغ بنى زیاد على السنه الناس أينما اتجهوا فی المدينه، و یضیق عبید الله ذرعا بهذا الأمر، فکتب إلى یزید بن معاویه یقول له:

- "ان ابن مفرغ هجا زیادا و بنى زیاد بما هتكه فی قبره و فضح بنیه طول الدهر، و تعدى ذلك إلى أبى سفیان، فقدفه بالزنا، و سب ولده، فهرب من خراسان إلى البصره، و طلبته حتى لفظته الأرض فلجا إلى الشام یتمصغ لحومنا بها و یهتك أعراضنا، و قد بعثت إلیک بما هجانا به لتتصف لنا منه".

و بعث عبید الله إلى یزید بجمیع ما حفظته جماهير البصره من أشعار ابن مفرغ فی بنى زیاد، فأمر یزید بطلب الشاعر، فجعل یفلت من أیدی "رجال التحری" منتقلا من بلده إلى بلده، فإذا شاع خبره هنا انتقل إلى موضع آخر، حتى خرج من أرض الشام و

انتهى إلى البصره، و نزل فيها على الأحنف بن قيس مستجيرا فأبى أن يجيره رهبه من بنى زياد، فلجا إلى عدد من وجوه القوم، فلم يجره أحد منهم خشيه و رهبه كذلك، حتى اجاره المنذر بن الجارود العبدى، و كانت ابنه هذا زوجا لعبيد الله بن زياد.

ص: ٢٥٢

و قال لعبيد الله:

- "أذكرك الله أيها الأمير، لا تخفر جوارى، فاني قد أجرته".

فقال له عبيد الله: "يا منذر، ليمدحن أباك و يمدحنك، و لقد هجاني و هجا أبي، ثم تجيره؟.. لا ها [و] الله لا يكون ذلك ابدا و لا أغفرها له".

و يقف الشاعر امام عبيد الله، حين خلا به يعاتبه، موقفا جريئا صريحا لم يضطرب، و لم يتخاذل، و لم يستخذ استخذاء الذليل الجبان، و قال له في آخر حديث طويل له معه:

- "...و قد صرت الآن في يدك، فاصنع بي ما أحببت".

فحبسه عبيد الله، ثم بعث إلى يزيد بن معاوية يسأله ان يأذن له في قتله، فكتب إليه يزيد يقول:

- "إياك و قتله، و لكن عاقبه بما ينكله و يشد سلطانك، و لا تبلغ نفسه (أى لا تزهد روحه)".

فلما ورد كتاب يزيد على عبيد الله، امر بابين مفرغ ان يسقى نبيذا حلوا قد خلط معه ما يسهل معدته، فلما أسهلت، أخذ الشرطه يطوفون به في شوارع البصره، و هو في اسهاله، و قرن بهره و خنزيره، و جعل الصبيه يتبعونه، حتى أضعفه الاسهال، فسقط، و أخبر الشرطه ابن زياد ان ابن مفرغ قد صار من الضعف بحيث لا نأمن أن يموت، فأمر أن يغسل، فلما اغتسل الشاعر قال يخاطب ابن زياد:

يغسل الماء ما فعلت، و قولى راسخ منك في العظام البوالى

فرده عبيد الله إلى الحبس، و أخذ يتفنن السجانون في تعذيبه، و وصلت في هذه الأثناء من عباد بن زياد إلى أخيه عبيد الله جمله من أشعار ابن مفرغ في بنى زياد، فازداد غضبه، و بعث إلى يزيد بن معاوية ثانيه يستأذنه في قتله، فلم يأذن له، و حذره أشد التحذير من ذلك، و أمره أن يعذبه و ينكل به ما شاء و لا يبلغ به إزهاق روحه.

و لكن عبيد الله لم يشف غيظه من الشاعر، على رغم التعذيب و التنكيل، فبعث به إلى أخيه عباد في سجستان من بلاد خراسان، ليشفى هذا غيظه منه أيضا، فلما بلغه، و كل به رجالا أن يسيروا معه إلى كل مكان كتب على جداره شعرا في هجاء بنى زياد، فيجبروه على ان يمحوه بأظافيره، فكانوا إذا دخلوا الخانات التي نزلها يوم هرب من خراسان إلى العراق، ألزموه أن يمحو ما وجدوه مكتوبا من شعره، فكان يفعل ذلك حتى ذهبت اظافره، فاخذ يمحوه بعظام أصابعه و دمه، حتى قطعوا الطريق كله على هذا مرحله مرحله، ثم ردوه إلى عباد فحبسه، و زاد في تعذيبه، إلى أن ضجت عشيرته، و ضجت قبائل اليمن و قریش، و ذهبت وفود إلى يزيد بن معاوية في الشام تنذره أن يطلق الشاعر من سجنه في خراسان.

فاضطر يزيد، ان يستجيب لطلب القوم، فبعث رجلا من بنى أسد يقال له خمخام - وقيل جهنام - إلى عباد، و أمره ان يذهب إلى الحبس، فيخرج بابن مفرغ و يطلقه، قبل ان يعلم عباد، خشيه أن يقتله فى السجن اغتيالاً، فلما خرج الشاعر من سجنه قربت إليه بغله من بغال البريد، فركبها، فلما استوى على ظهرها، قال:

عدس،(١) ما "لعباد" عليك إماره نجوت، و هذا تحملين طليق

فان الذى نجى من الكرب، بعد ما تلاحم فى درب عليك مضيق

أتاك بخمخام، فأنجاك، فالحقى بأرضك، لا تحبس عليك طريق

و لكن القصة تنتهى بان الدائره تدور على بنى زياد أنفسهم، فان الشاعر يختار بعد خلاصه من السجن و التعذيب، أن يقيم فى الموصل، ثم يحدوه الشوق و الحنين إلى البصره، فيعود إليها، و لكنه لا يأمن على نفسه فيها أن يدبر له عبيد الله بن زياد مؤامره ليبطش به، فيرتحل إلى كرمان يستجير شريكاً ابن الأعور، و كان عاملاً عليها، و يبقى الشاعر هناك حتى تقوم ثوره العراق بقياده عبد الله بن الزبير، و تجمع الجماهير فى البصره على قتل عبيد الله بن زياد، فيهرب هذا، و يغلب امر ابن الزبير، فيرجع الشاعر إلى البصره، و يعود إلى هجاء بنى زياد، و ترى فيه الجماهير مناضلاً شارك فى هيج الثوره على الاستبداد و الطغيان، فتزداد إقبالاً على التغنى بهجائه السياسى، و ان كان لا يخلو من الهجاء من فاحش القول، و ها هو ذا يصف هرب عبيد الله من البصره و تركه أمه فيها و يشمت بمصيره:

أ عبيد، هلا كنت أول فارس يوم الهياج دعا بحتفك داع

أسلمت أمك للرماح تنوشها يا ليتنى لك ليله الافزاع

هلا عجوز إذ تمد بئديها و تصيح ان: لا تنزعن قناعى

أنقذت من أيدى العلوج كأنها رمداء مجفله ببطن القاع

فركبت رأسك، ثم قلت: ارى العدا كثروا، و اخلف موعد الأشياع

ليس الكريم بمن يخلف أمه و فتاته فى المنزل الجعجاع

و ها هو ذا الشاعر يذكر عبيد الله أيضاً باستبداده و مظالمه:

بما قدمت كفاك، لا لك مهرب إلى اى قوم، و الدماء تصيب

فكم من كريم قد جررت جريره عليه، فمقبور، و عان(٢) يعذب

و من حره زهراء قامت بسحره لتبكى قتيلاً، أو فتى يتاوب

فصبر، عبيد ابن العبيد، فإنما يقاسى الأمور المستعد المجرب

و ذق كالذى قد ذاق منك معاشر لعبت بهم إذ أنت بالناس تلعب

و ها هو ذا أيضا لا ينفك يستعرض طغيان عبيد الله و جرائمه:

كم يا عبيد الله عندك من دم يسعى ليدركه بقتلك ساع

و معاشر انف،(٣) ابحت حريمهم فرقتهم من بعد طول جماع

و اذكر حسينا(٤) و ابن عروه هانيا و بنى عقيل فارس المربع

و كان يوم آخر فى التاريخ.. فإذا عبيد الله بن زياد فى معركة الزاب بالعراق، و قد ثار أصحاب المختار بن أبى عبيد يثارون من قتله الحسين بن على، و إذا إبراهيم بن الأشتر يحمل فى المعركة على كتفيه عبيد الله، فتنهزم الكتيبه، و يتخلف عبيد الله، فيضربه إبراهيم فيقتله و يرجع إلى أصحابه فيقول:

- انى ضربت رجلا، فقددته نصفين، فشرقت يده، و غربت رجلاه، و فاح منه المسك و أظنه ابن مرجانه.

و أوما إبراهيم للقوم إلى موضعه، فذهبوا إليه، فوجدوه كما ذكر إبراهيم، و إذا هو ابن زياد، و إذا شاعرنا ابن مفرغ يظهر هنا أيضا و يلاحق عبيد الله حتى مصرعه يهجو. (أ)

ص: ٢٥٣

١- عدس: حكاية لصوت البغله.

٢- العانى: الأسير.

٣- اى ذو انفه و إباء.

٤- يقصد الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، و كان عبيد الله هو المنفذ الفعلى لقتله، إذ كان مباشر و القتل ينفذون أوامره، اما هانى فهو هانى بن عروه الذى نزل مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفه فى بيته فقتله عبيد الله، و المقصود بنى عقيلمسلم و اخوته، اما مسلم فقد قتله عبيد الله فى الكوفه، و أما إخوته فقد قتلوا مع الحسينفى كربلاء (ح. أ)

ان الذى عاش ختارا بذمته و عاش عبدا قتيل الله بالزباب

العبد للعبد، لا أصل و لا طرف ألوت به ذات أظفار و أنياب

ان المنايا إذا ما زرن طاغيه هتكن عنه ستورا بين أبواب

هلا جموع نزار إذ لقيتهم كنت امرأ من نزار غير مرتاب

لا أنت عن ملك فتمنعه و لا مددت إلى قوم بأسباب

ما شق جيب و لا ناحتك نائحه و لا بكتك جياذ عند اسلاب

لا يترك الله انفا تعطسون بها بين العبيد شهودا غير غياب

أقول له بعدا و سحقا عند مصرعه لابن الخبيثه و ابن الكودن الكابى

(١) و جاء فى كتاب الأغاني للأصفهاني:

حين سجن عباد بن زياد يزيد بن مفرغ أرسل الشاعر إلى يمانيه الشام رسولا بأبيات يستشير فيها حميتهم و يدعوهم إلى نصرته، فلما تليت عليهم هاجوا و دخلوا على يزيد يهددون و يتوعدون أن لم يطلق سراح شاعرهم فاضطر يزيد إلى إرضائهم و أمر بإطلاق سراح ابن مفرغ.

و كان عبيد الله بن زياد حين ظفر بابن مفرغ هم أن يقتله و كتب إلى يزيد يستأذنه بالأمر فكتب اليه يزيد يحذره من الاقدام على ذلك و كان مما قاله له:

" إياك و قتله، و لكن عاقبه بما ينكله و يشد سلطانك. و لا تبلغ نفسه فان له عشيره هى جندى و بطانتى و لا ترضى بقتله منى و لا تقنع الا بالقود منك فاحذر.

يحيى بن البطريق

مرت ترجمته فى الجزء العاشر الصفحه ٢٨٩ و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال ابن حجر فى لسان الميزان: " يحيى بن الحسن بن الحسين بن على الأسدى الحلى الربعى المعروف بابن البطريق، قرأ على الحمصى [أخص] الرازى الفقه و الكلام على مذهب الاماميه و سكن بغداد مده ثم واسط، و كان يتزهد و يتنسك، و كانت وفاته بالحله فى شعبان سنه ٦٠٠ و له سبع و سبعون سنه ذكره ابن النجار".

و ولده نجم الدين أبو الحسن على بن يحيى كان فقيها فاضلا شاعرا و كاتبا هاجر إلى مصر و كتب فى أحد الدواوين المصريه أيام الدوله الكامليه، و لما اختلت حاله عاد إلى العراق، توفى سنه ٥٤٢ [٦٤٢].

قال عنه فى الفوات: و كان فاضلا أصوليا، قال القوصى أنشدنا ابن البطريق لنفسه بدمشق و كتب بها إلى ابن عنين، و كان به جرب انقطع بسببه فى داره:

مولای لا بت فى همى و لا نصبى و لا لقيت الذى القى من الجرب

هذا زمانى أبو جهل و ذا جربى أبو معيط و ذا قلبى أبو لهب

و انشدنى لنفسه و قد بلغه ان الملك الأشرف أعطى الحللى (راجحا) سيفا محلى فتقلد به و تشبه بالحیص بیص:

تقلد راجح الحللى سيفا محلى و اقتنى سمر الرماح

فقال الناس فيه و قلت كفوا فليس عليه فى ذا من جناح

أ يقدر ان یغیر على القوافى و اموال الملوک بلا سلاح

و له قوله:

لى على الریق كل يوم ركوبى غبار أغص منه بریقى

اقصد القلعه السحوق كانیحجر من حجاره المنجنیق

فدوابى تحفى و جسمى یضنیهذه قلعه على التحقیق

"انتهى الفوات".

و فى سنة ۶۳۱ رجع الحاج إلى الحله من بعض المنازل إذ بلغهم أن العرب الأجاوده طموا الآبار فى منزل السلیمان و عزموا على أخذ الحاج، فأشیر على أمير الحاج بالرجوع فاستفتى بعض من كان معه من الفقهاء فافتوه بالرجوع، و أصیب الحاج بخسائر فادحه فى الأرواح و الأموال. فنظم على بن البطريق قصيده و سيرها إلى الخليفة یحرضه على قتال العرب الذین یعرضون للحاج منها هذه الأبیات:

الكفر فى الترك دون الكفر فى العرب أ لیس منهم إذا عدوا أبو لهب

أ لیس منهم أبو جهل و بنتهم عدوه المصطفى حماله الحطب

فيا امام الهدى یا من نظمت له المدائح یا ابن الساده النجب

یا أيها القائم المنصور أنت إذا حضرت وجه رسول الله لم یغب

فاغز الأعراب بالأتراك منتقما منهم و لا ترع فيهم حرمه النسب

فقد غزاهم رسول الله في حرم الله المنيع باذن الله و هو نبي

و ما رعى فيهم الا و لا نسبا و لم يقل ان امي منهم و أبي

ان ادعوا انهم قد أسلموا فقد ارتدوا بمنعهم للحج عن كتب

يعقوب بن داود

توفى في مكة سنة ١٨٧ و قيل ١٨٢.

كان أبوه داود بن طهمان و اخوته كتابا لنصر بن سيار عامل خراسان للمويعين. و قد نشا ولده يعقوب كما يقول ابن خلكان: أهل أدب و فضل و افتنان في صنوف العلم. و أول ما عرف من تشيعه انه كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن حين خرج على المنصور، ثم انتهى الأمر بمقتل إبراهيم و فوز المنصور. و كان قد بلغ المنصور مكاتبه يعقوب لإبراهيم فقبض على يعقوب و أودعه سجن المطبق. و لا يذكر ابن خلكان شيئا عن مصير يعقوب طيله حياه المنصور سوى قوله: و لما مات المنصور و قام بالأمر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب إليه حتى أدناه و اعتمد عليه و علت منزلته عنده و عظم شأنه، حتى خرج كتابه إلى الدواوين أن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود فقال في ذلك سلم الخاسر:

قل للإمام الذي جاءت خلافته تهدي إليه بحق غير مردود

نعم القرين على التقوى أعنت به أخوك في الله يعقوب بن داود

و من ذلك فاننا لا نعلم هل أن المنصور كان قد أطلقه بعد سجنه أم أنه بقي

ص: ٢٥٤

١- الكودن: البرذون الهجين، اي الدابه المعده للاحمال الثقيله. و الكابى: من كبا يكبو، اي عثر.

سجينا حتى تولى المهدي فاطلقه ثم قربه.

و لما حج المهدي اصطحب معه يعقوب و يقول ابن خلكان: " و فى سنه احدى و ستين تقدم إليه بتوجيه الأمانء إلى العمال فى جميع الآفاق ففعل ذلك، فلم يكن ينفذ شىء من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب إلى أمينه بإنفاذه".

و لم تأت سنه ١٦٣ حتى كان يعقوب قد أصبح وزيرا للمهدي مسيطرا على شئون الدوله سيطره كامله. و على حد قول ابن خلكان: " و غلب يعقوب على أمور المهدي كلها".

و فى ذلك يقول بشار بن برد:

بنى اميه هبوا طال نومكم ان الخليفه يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفه الله بين الزق و العود

و يبدو مما ذكره ابن خلكان أن بشارا لم يكن مبالغا فى هذا القول، فابن خلكان يقول عن المهدي، مشيرا إلى أن يعقوب كان مغريا للمهدي فيما هو فيه: " و لما عزل - أى الوزير السابق - و ولى يعقوب زين له هواه فأنفق الأموال و أكب على اللذات و الشراب و سماع الغناء، و اشتغل يعقوب بالتدبير".

على أن ابن خلكان يناقض نفسه فى هذا الموضوع، و يذكر كلاما يدل على أن يعقوب كان يحاول أن يكبح جماح المهدي فى تصرفاته، فهو يقول: " و أراد المهدي امرا فقال له يعقوب: هذا يا أمير المؤمنين السرف، فقال: ويلك و هل يحسن السرف الا بأهل الشرف".

ثم يذكر ما يدل على أن يعقوب كان متبرما من تلك الأحوال و أنه كان يؤثر التخلى عن منصبه: " و كان يعقوب قد ضجر مما كان فيه، و سال المهدي الاقاله، و هو يمتنع".

و روى أن المهدي حج فى بعض السنين فمر بميل و عليه كتاب، فوقف و قرأه فإذا هو:

لله درك يا مهدي من رجل لو لا اتخاذك يعقوب بن داود

فقال لمن معه: اكتب تحته: على رغم أنف الكاتب لهذا و تعسا لجده.

على أنه لم يمض غير قليل حتى أوقع بيعقوب و نكبه كما ياتى. و كما يحدث لكل نافذ مسيطر من حسد الناس له و وقيعتهم فيه، حدث ذلك ليعقوب، فقد أكثر اعداؤه القول فيه و ذكروا المهدي بتأييده لثوره إبراهيم على أبيه المنصور، فأراد المهدي أن يختبر حقيقه ما فى نفس يعقوب من الميول الشيعيه.

و ندع هنا لابن خلكان أن يصف لنا ما جرى. قال ابن خلكان: " فدعا - اى المهدي - به - أى يعقوب - يوما و هو فى مجلس فرشه مورده و عليه ثياب مورده و على رأسه جاريه على رأسها ثياب مورده و هو مشرف على بستان فيه صنوف الأوراد، فقال له:

يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا؟ قال: على غايه الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به. فقال له: جميع ما فيه لك، و هذه الجاربه لك لیتم سرورک و قد أمرت لك بمائه ألف درهم، فدعا له. فقال له المهدي: و لى إليك حاجه، فقام يعقوب قائما و قال: يا أمير المؤمنين ما هذا القول الا لموجده و أنا أستعید بالله من سخطک، فقال: أحب أن تضمن لى قضاءها، فقال:

السمع و الطاعه، فقال له: و الله، فقال له: و الله فقال له: و الله، فقال له: و الله، ثلثا، فقال له: ضع يدك على رأسى و احلف به، ففعل ذلك، فلما استوثق منه قال له: هذا فلان بن فلان، رجل من العلويه أحب أن تكفينى مؤنته و تريحنى منه فخذة إليك، فحوله إليه و حول إليه الجاربه و ما كان فى المجلس و المال، فلشده سروره بالجاريه جعلها فى مجلس يقرب منه ليصل إليها، و وجه فاحضر العلوى فوجده لبيبا فهما، فقال له: ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمى، و أنا رجل من ولد فاطمه بنت محمد، فقال له يعقوب: يا هذا أفيك خير؟ فقال: أن فعلت معى خيرا شكرت و دعوت لك، فقال له: خذ هذا المال و خذ أى طريق شئت، فقال: طريق كذا و كذا آمن لى. فقال له:

امض مصاحبا. و سمعت الجاربه الكلام كله، فوجهت مع بعض خدمها به، و قالت: قل له: هذا فعل الذى آثرته على نفسك بى و هذا جزاؤك منه، فوجه المهدي فشنح الطريق حتى ظفر بالعلوى و بالمال، ثم وجه إلى يعقوب فأحضره، فلما رآه قال: ما حال الرجل؟ قال: قد اراحك الله منه، قال:

مات؟ قال: نعم، و الله؟ قال: و الله. قال: فضع يدك على رأسى، فوضع يده على رأسه و حلف به، فقال: يا غلام اخرج إلينا من فى هذا البيت، ففتح بابه عن العلوى و المال بعينه، فبقى يعقوب متحيرا، و امتنع الكلام عليه فما درى ما يقول، فقال له المهدي: لقد حل دمك، و لو آثرت إراقتة لأرقتة، و لكن احبسوه فى المطبق، فحبسوه، و أمر بان يطوى عنه خبره و عن كل أحد. و بقى محبوبا طيله حياه المهدي و جميع أيام الهادي موسى بن المهدي و خمس سنين و شهورا من أيام هارون الرشيد. ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكى أمره و شفع فيه، فأمر بإخراجه فاخرج و قد ذهب بصره، فأحسن إليه الرشيد، و رد إليه ماله و خيره المقام حيث يريد فاختر مکه فاذن له فى ذلك، فأقام بها حتى مات. " و قال عبد الله بن يعقوب بن داود: أخبرنى أبى أن المهدي حبسه فى بئر و بنى عليه قبه، فمكث فيها خمس عشره سنه، و كان يدلى له فيها كل يوم.

رغيف خبز و كوز ماء، و يؤذن بأوقات الصلاه.

و قد قال له الرشيد بعد إفراجه عنه: يا يعقوب بن داود و الله ما شفع فيك إلى أحد، غير انى حملت الليله صبيه لى على عنقى فذكرت حملك اياى على عنقك فرثيت لك من المحل الذى كنت به فاخرجتك. و كان يعقوب يحمل الرشيد و هو صغير و يلاعبه.

الشيخ يوسف بن المطهر الحلى والد العلامة الحلى

هو الشيخ سديد الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين على بن المطهر.

كان فاضلا فقيها متبحرا فى العلوم العقلية و النقلية. قال ابن داود فى رجاله:

كان فقيها محققا مدرسا عظيم الشأن. اه و قال صاحب أمل الآمل: فاضل فقيه متبحر، نقل ولده العلامة أقواله في كتبه. اه.

يوسف رجب

ولد في النجف سنة ١٩٠٠ م و درس فيها و اتجه اتجاها أدبيا كاتبا و ناقدبا بصيرا و واكب الحركات الوطنيه في العراق و ساهم فيها بقسط وافر و أصدر سنة ١٩٢٥ م في النجف الأشرف جريده اسبوعيه باسم (النجف) و في سنة ١٩٢٧ م استوطن بغداد و تولى تحرير جريده النهضه لسان حال حزب النهضه، ثم عمل في الوظائف الحكوميه. توفى سنة ١٩٤٧ م

السيد يونس الأردبيلي ابن فتح على

ولد سنة ١٢٩٣ في أردبيل و توفى سنة ١٣٧٧ في مشهد الرضا درس المقدمات في أردبيل ثم في زنجان ثم سافر إلى النجف الأشرف فحضر على اليزدي و الخراساني و غيرهما. و في سنة ١٣٤٦ سافر إلى مدينته أردبيل و لكنه لم يطل الإقامة فيها فغادرها إلى مشهد الرضا و بعد احداث المشهد في عهد الشاه رضا بهلوي التي سجن المترجم بسببها، عاد إلى أردبيل و ظل فيها حوالي ثمانى سنوات حيث سقط البهلوي فعاد إلى المشهد فبقى هناك مرجعا من مراجعه حتى وفاته.

ص: ٢٥٥

إشارة

هذه مقالات لا تدخل في باب التراجم الذي هو موضوع (أعيان الشيعة) و مستدركاته، و لكن لها صلة وثقى بهذا الموضوع لذلك جعلناها ملحقا للمستدركات:

الأمويون و الإسلام و العروبه

إشارة

في الكلمه التي كتبها كاتب في جريده النهار حرص كل الحرص على التنويه بعروبه الدوله الأمويه و أغرق في ذلك ما شاء له الإغراق.

و ليست هذه هي المره الأولى التي يبدي فيها الكاتب هذا الرأي فقد سبق له ان أبداه أكثر من مره، و عاد هنا يكرره و يشيد به... و ليس هو وحده الذي يقول هذا القول، بل هناك غيره ممن سبقوه اليه و نادوا به مجاهرين مفاخرين... فما هي الحقيقه في ذلك؟ نحن نريد أولا ان نسلم - جدلا - بصحه هذا القول، و لكننا نريد ان نسأل هذه الجماعه هل ان النبي محمدا ص المؤسس الأول للدوله انما قصد بتأسيسها ان يحل محل الحكمين البيزنطى و الساسانى الاستبداديين الظالمين المتحكمين بشعبيهما تحكما فرديا لا بيالى بان يستبيح الدماء و الأموال و الكرامات، و لا يهمله استفحال الفقر بالفقراء و استشراف الغنى بالأغنياء، و تميز فئه محدوده بكل الخيرات، و تميز جمهور الشعب بالبؤس و الفاقه و الذل، هل كان قصد النبي محمد ص ان يحل محل هذين الحكمين حكم عربى فيه المفاسد نفسها، و لا يبرره الا انه حكم عربى؟.

أم ان مقصد النبي محمد ص برسائله الإسلاميه و تأسيسه للدوله الجديده ان تكون ثوره عالميه على فساد الحكام و التمييز بين الطبقات، و تطبيق القانون على الناس جميعا، و إحلال الكفاءه و الإخلاص محل الأنساب، و توزيع الثروات على الناس توزيعا عادلا، و إحلال الشورى محل الاستبداد و إلغاء التمييز العنصرى إلى غير ذلك مما ليس هذا مجال تعداده. ان كانت رساله محمد ص تستهدف الأمر الأول، فيحق لنا حينئذ ان نباهى بالعروبه المزعومه للدوله الأمويه... و اما إذا كانت تستهدف الأمر الثانى، فان علينا ان نخجل كل الخجل من المصير الذي صارت اليه الشعوب كلها بما فيها الشعب العربى من الانقلاب على الحكم الذي هدفت اليه رساله محمد ص.

و لكن ما هي حقيقه عروبه الدوله الأمويه؟ أ صحيح انها استهدفت مصلحه العرب؟

الأحداث تجيب

لنترك الأحداث تجيبنا على ذلك فنحن نعلم ان العرب قبل الإسلام كانوا منقسمين على أنفسهم قبائل، لا يرى الواحد منهم من فخر له الا بقبيلته وحدها، و لا شان له ببقية العرب، و ان انتماءه انما هو لهذه القبيله، و انه يستبيح دماء أى فرد من قبيله اخرى إذا حاولت منافسه قبيلته، انهم لا يهمهم الا إعزاز قبائلهم لا إعزاز أمتهم. ان عمرو بن كلثوم صاحب النونيه الافتخاريه الشهيره كان

يباهى القبائل الاخرى و يتحداها بقبيلته، فهو حين يقول مثلاً:

إذا بلغ الفطام لنا صبى تخر له الجابر ساجدنا

أو يقول:

ملأنا البر حتى ضاق عنا و ظهر البحر نملؤه سفينا

انما يقصد بنى تغلب و حدهم و لا علاقه له بالعرب، و هو يريد ان تخر جابره العرب ساجده امام الصبى التغلبى المفطوم؟ و هو يريد ان يملأ البر و البحر لا ليقاتل به أعداء العرب، بل ليقاتل به العرب...

هذه هى الذهنه الجاهليه التى جاء الإسلام ليقتضى عليها، و استطاع ذلك، و صهر العرب كلهم فى امه واحده أرادها ان تحمل الإسلام إلى العالم كله مطبقه فيه مفهومه الجديد للحكم، لا ان يطبق على الشعوب حكم القياصره و الاكاسره نفسه، و ان يحل محل ذلك الحكم بكل شروره و مفساده...

فما ذا كانت نتيجة الحكم الذى يسميه من يسميه بالحكم العربى و يشيدون بتعصبه للعرب و حدهم؟...

كانت النتيجة ان هذا الحكم عاد بالعرب إلى جاهليتهم الأولى من اثاره النعرات القبليه و تحريش القبائل بعضها ببعض لتتشغل بصراعاتها فيما بينها عن التبصر فيما يمارسه الحكم من اضطهاد و بما يتحكم فيه من فساد، و قد نجح الحكم فى ذلك إلى أبعد الحدود.

لقد كان يصنف الناس إلى قبائل فيقدم أحدها و يغدق عليها نعمه ليشير أحقاد القبيله الاخرى لتنسى كل شىء و لا تفكر الا كيف تتقرب من الحكم لتغيط القبيله المنافسه.

و قد استعمل الحكم فى ذلك مختلف الوسائل فكان يحرش بين رؤساء القبائل و يحرش بين شعراء القبائل، فيشير بذلك الفتن بين القبائل و تعود إلى ماضيها الجاهلى البغيض.

و كان الحكام يستغلون التقاء وفود القبائل فى مجالسهم فيحرضونها بعضها على بعض، و يدعون خطباء كل قبيله إلى التفاخر و التباهى حين تفد إليهم وفودهم. لذلك كانت كل قبيله تحرص على ان يكون فى وفدها من يجيد المقارعه و المفاخره.

فقد التقى وفد نزار و وفد اليمن فى مجلس معاويه فما زال بهم حتى قام خطباء نزار و ذهبوا فى خطبهم فى التفاخر كل مذهب فقام صبره بن شيمان سيد الأزدي و اختصر الأمر بان قال: (انا حى فعال و لسنا حى مقال و نحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا).

و انفض المجلس بعد ان بلغ الحكم غايته من اثاره الأحقاد بين القبيلتين الكبيرتين.

و فى يوم آخر كانت عنده مجموعه من رجال القبائل فأراد ان يشير المنافسه بينها جميعها دفعه واحده فقال:

إذا جاءت بنو هاشم بقديمتها و حديثها، و جاءت بنو اميه بأحلامها و سياستها و بنو أسد بن عبد العزى برفادتها و دياتها، و بنو عبد الدار بحجابها و لوائها و بنو مخزوم بأفعالها و أموالها، و بنو تيم بصديقتها و جوادها و بنو عدى بفاروقها و متفكرها و بنو سهم بأرائها و دهائها، و بنو جمح بشرفها و بنو عامر بن لؤى بفارسها و قريعها، فمن ذا يجلى فى مضمارها و يجرى إلى غايتها؟...

و لم يكن شىء أكثر تحريشا بين القبائل و اثاره أحقادها و دعوتها إلى التفاخر و التنايد أكثر من هذا القول ينطق به رأس الحكم...

ص: ٢٥٦

و كذلك فعل عبد الملك بن مروان حين دخل عليه عياش بن الزبرقان و عنده روح بن زنباع فقال عبد الملك: يا عياش، أ ما ترى هذا اليماني يفخر بملوك اليمن؟...

و كان هذا القول كافيا لان يثير ما اثار فى القبيلتين.

و كذلك فعل هشام بن عبد الملك حين حرش بين الأبرش الكلبى و خالد بن صفوان..

و فيما ذكر فى هذا الموضوع ان معاويه و ابنه يزيد بذلوا لقضاعه أموالا جسيمه لتنتفى من اليمن و تنتسب إلى معد فاستجاب نفر من رؤسائها لذلك، و لكن آخرين رفضوا هذا الانتساب و قاموا بمظاهرة صاحبه كان رجالها يرتجزون و هم يقتحمون المسجد:

يا أيها الداعى اد عنا و بشر و كن قضاعيا و لا تنزر

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعه بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر من قال قولاً غير ذا يبصر

و هكذا وقعت الفتنة فى القبيله الواحده، ثم امتدت إلى أوسع من ذلك، بين القبيلتين، ثم إلى العبت بأحاديث الرسول فوضعت نزار حديثا ينسب فيه الرسول قضاعه إلى معد، بل يجعله بكر ولده و وضع أهل اليمن أحاديث تنقض هذا القول و تؤيد نسبه قضاعه إلى حمير.(1)

أ رأيت كيف نجحت اللعبه و بما ذا انشغل الشعب؟...

و هناك قصيده الوليد بن يزيد التى قالها فى تحدى اليمن، مما أثار الفتنة بين النزاريين و اليمانيين.. و هذا الذى نذكره غيضا من فيض، و ليس هو كل ما جرى، بل هو نقطه من بحر ما جرى حتى لقد أدى الأمر إلى ان تكون النزاعات القبليه هى شغل الناس الشاغل اليومي، و لعل ما يصور الأمر على حقيقته ما رواه الجاحظ فى (البيان و التبيان) من أنه: ما كان رجلا من قبيلتين يلتقيان حتى يتذكرا أيام قبيلتيهما فى الجاهليه و يتفاخرا. و هذا ما رمت اليه دوله (القوميه العربيه) من أشغال الناس عنها بنزاعتهم.

القتال الدموى

على ان الأمر تعدى التشاحن باللسان و استثاره الضغائن فى النفوس، إلى القتال الدموى بين القبائل، و هو النتيجة الطبيعيه لشحن العقول بكل ما شحنت به، فرأينا مثلا- الوقائع الداميه بين قبيلتى قيس و تغلب فى بلاد الجزيره. و بعد ان كان المسجد مكان تلاقى الناس على المحبه و الوثام أصبح مكان تلاقيهم على البغضاء و القتال كهذا الذى جرى فى مسجد البصره بين مضر و ربيعه، و بعد ان كان الهتاف فيه: حى على الفلاح، صار يا لتميم... و اقتحم بنو تميم فى احدى المرات مسجد البصره على مسعود بن عمر و أنزلوه عن المنبر و قتلوه.

و عمت الفتنة القبليه جميع الارحاء و حملها و لاه دوله (القوميه العربيه) معهم إلى ما تولوه من بلاد خارج الأرض العربيه، لمن

نزلها هناك من القبائل فكان والى خراسان الجراح الحكمي يصرخ على منبر المسجد(٢): و الله لرجل من (قومي)(٣) أحب إلى من مائه غيرهم، يقول هذا القول على مسمع من ليسوا قومه فتثور حزازاتهم و أضغانهم.

و عمر بن هبيرة والى العراق كان من دواعى فخره انه لم يعرض له أمر رأى فيه منفعه (لقومه) الا فعله.(٤)

و خالد بن عبد الله القسرى كان أشد خلق الله عصبية على نزار(٥) و قد اتهمته المضريه بتعمد إيذاء شعراء مضر و حبسهم(٦) و أخوه أسد بن عبد الله والى خراسان كان ينافس أخاه خالددا فى عصبية على النزاريه(٧) و جاء بعده واليا عليها نصر بن سيار فعمد إلى فعل عكس ما فعله سلفه فأظهر العصبية لمضر، لتزداد الفتنة تأججا فالحكم تاره مع هؤلاء و تاره مع خصومهم.(٨)

و عبيده بن عبد الرحمن السلمى والى إفريقيا أضرب من هناك من الكلبيين و تعصب عليهم.(٩)

و كما قلنا فقد أدى ذلك إلى الاقتتال الدموى حتى بين القبائل العربيه خارج الأرض العربيه كهذا القتال الطويل فى خراسان الذى قاده عبد الله بن خازم السلمى فى الحرب بين قبيلته و بين قبائل ربيعه و الأزدي و الذى استطاع بعده ان يستأثر بالأمر فى خراسان إلى حين(١٠) فتساءلت قبيله بكر: علام يأكل هؤلاء خراسان دوننا؟ و هكذا فالتزاحم لا على المآثر و المكارم، و لا على نشر العدل، بل على (الاكل).(١١)

و لم تقتصر فتنة خراسان هذه على عرب خراسان بل تردد صداها و امتد أثرها إلى العراق حيث حرق مالك بن مسمع دور تميم فى البصره ردا على مذابح ابن خازم فى قبيله ربيعه فى هرات(١٢) و عبد الله بن خازم نفسه لم يقصر فى خراسان بالإيقاع فى بنى تميم حين حصرهم فى حصن (فرتنا) و قتل فرسانهم و إبطالهم مما تردد صداها فى تميم فى العراق.(١٣)

و كذلك لما هاجت العصبية بخراسان بين اليمنيه و المضريه أرسلت يمانيه الشام إلى خراسان نجده عسكريه لنصره قومهم(١٤) و فى (بلخ)(١٥) وقعت معركة البرقان بين المضريه و على راسهم نصر بن سيار و بين الأزدي و بكر و عليهما عمرو بن مسلم(١٦) و لما ثارت الفتنة القبليه فى خراسان بين نصر بن سيار و الكرمانى اجتمعت اليمانيه تحت لواء الكرمانى و اجتمعت مضر إلى نصر.

ص: ٢٥٧

١- ليس هذا. الحادث وحده الذى وضعت فيه الأحاديث النبويه، فان أحد كبار رواه الحديث المشهورين جعل أحاديث الرسول طرفا فى النزاع القبلى، فاخذ يروى: الايمان يمان، آل لخم و جذام صلوات الله على جذام يقاتلون الكفار على رؤوس الشعاف و ينصرون الله و رسوله (الإنباه ص ١٠٤).

٢- الطبرى.

٣- سنرى ما يقصد بكلمه (قومي).

٤- الاغانى.

٥- الطبرى.

٦- طبقات ابن اسلام [سلام].

- ٧- الطبری.
- ٨- الطبری.
- ٩- أنساب الاشراف.
- ١٠- فتوح البلدان.
- ١١- ن. م.
- ١٢- الطبری.
- ١٣- ن. م.
- ١٤- ن. م.
- ١٥- هی الیوم تتبع افغانستان.
- ١٦- الطبری.

على ان اخطر ما انتجته سياسته دوله (القوميه العربيه) فى اثارها النزاع بين قبائل العرب إلى حد الحروب الداميه، هو ان هذه الحروب فاقت بشراستها و فظائعها حروب القبائل فى الجاهليه بل أدت هذه الحروب إلى ما يصم التاريخ العربى بوصمه العار. فقد كانت الحروب القبليه فى الجاهليه انما يثيرها الفقر و طلب المغانم، لذلك كان الظافرون فيها يحرضون على استبقاء الأسرى لمفاداتهم بالمال. اما فى حروب دوله (القوميه العربيه) فقد عادت الحروب القبليه حروب افناء و إباده لا حروب حصول على الأسرى، و ارتكب فيها من الفظائع ما يخجل الإنسانيه كلها لا العرب و حدهم، ففضلا عن قتل الأسرى و ما فيه من شناعه و عار، فقد جاءت هذه الحروب بما لم يعرفه العرب فى تاريخهم من وحشيه و فظاعه، لقد كانت حروب القبائل الجاهليه تتسم دائما بطابع من المروءه العربيه الاصيله التى كانت هى ميزه العربى الأولى لا سيما مع النساء.

اما الحروب القبليه التى اثارها دوله (القوميه العربيه) فقد كان بعض أفعالها بقر بطون النساء الحوامل. ففى وقعه (ماكسين) وحدها بقرت قبيله قيس بطون ألفين من بطون نساء تغلب(1) و افتخر بذلك شاعرهم نفيح بن صفار المحاربى فقال:

بقرنا منهم ألفى بقر فلم نترك لحامله جنينا

و فى معركة الثرثار(2) الأولى بين جموع بنى سليم و جموع ربيعه التى انهزم فيها بنو سليم، بقرت ربيعه بطون ثلاثين امرأه من بنى سليم.

و لما التقت تغلب و قيس يوم الكحيل و انهزمت تغلب و راحت فلولها تحاول عبور دجله، غرق القيسيون من التغلبيين بشرا عظيما فى النهر و قتلوا من وقع فى أيديهم أسيرا و بقروا بطون نساءهم، و فى معارك ابن خازم مع ربيعه فى خراسان التى مرت الإشارة إليها و انتصر فيها ابن خازم، ظل ابن خازم يقتل كل من وقع فى يده من الأسرى حتى غابت الشمس.

و الظاهره الملفته للنظر انه فى المدن المتأثره بسياسه دوله (القوميه العربيه) كانت الفتن تعظم و تشتد و تمتد ففى البصره مثلا حيث كان التجمع القبلى الكبير: مضر و ربيعه و الأزدي كانت الفتن بين القبائل متواصله لا تهدأ و لا تستقر، فى حين ان الكوفه غير المتأثره بسياسه دوله (القوميه العربيه)، كانت قبائلها على كثرتها و تنوع أصولها متماسكه فلم يظهر فيها نزعات قبلية ذات شان كالتى شهدتها البصره. و العجيب فى أمر هذه القبائل المتنازعه المتقاتله انها فى أعماق نفوسها كانت تحس ان الدوله هى التى تؤرث البغضاء بينها فتدفعها إلى الاحتراب و التعادى. و بدافع من هذا الإحساس رأينا هذه القبائل عند ما كانت تلوح لها أول فرصه للثوره على هذه الدوله تنسى كل ما كان بينها من اشتجار و تهاجى و اقتتال، و تهب كلها يمينها و مضرها و ربيعيها و تجتمع على الثوره على دوله (القوميه العربيه) كما حدث فى الثوره على ممثل السلطه الحجاج بن يوسف التى فرضت الظروف ان يقودها عبد الرحمن بن الأشعث سنه ٨١. فسمعنا شاعر تلك الثوره أعشى همدان ينطق باسم العرب جميعا، باسم القبائل الثائره كلها معددا لها قبيله قبيله قائلا:

سار بجمع كالدبى من قحطان و من معد قد أتى ابن عدنان

بجحفل شديد الارنان فقل لحجاج ولى الشيطان

يثبت لجمعى مذحج و همدان و الحى من بكر و قيس عيلان

و كذلك فى ثوره الحارث بن سريج فى خراسان سنه ١١٦ حيث اجتمعت تحت قيادته مضر و اليمن و الأزد و تميم و هى القبائل المتنازعه المتنازعه، و لم يكن أعجب من أن تمشى اليمن وراء زعيم مضرى.

السياسه التطبيقيه

و كانت السياسه التطبيقيه بتاريت العداوه بين القبائل هى خطه الحكم فبعد الملك بن مروان مثلا بعد ان قرب اليمانيه و أغدق عليهم ما أغدق، فاثار العداه بينهم و بين القيسييه و تحققت اهدافه، عاد يقرب القيسييه و يحلهم محل اليمانيه لتزداد الأحقاد و يتاصل النزاع.

و مثل هذا فعل من تقدموه و من تاخروا عنه. فمنهج الحكم قبلى بحث لا عربى قومى، فلا يقدم العربى لانه عربى، بل تقدم القبيله كلها أو تجفى كلها ليظل الصراع مشتعلا بين القبائل.

و هكذا تقسمت الأمه العربيه من جديد إلى قبائل متنازعه متخاصمه، بعد ان صهرها الحكم العربى الصحيح حكم محمد بن عبد الله ص فى وحده متراصه متكاتفه تبرز العربى عربيا لا- يعلن انتماءه الا للعرب، لا إلى قبيله من القبائل، إلى العرب الذين عول عليهم محمد ص فى حمل رسالته العالميه إلى الكون كله.

و كان أعظم أدوات الحكم (العربى) الذى يباهى به الكاتب لتمزيق الصف العربى هم الشعراء الذين كان يغريهم الحكام بالعوده إلى التفاخر بالقبيله لعلمهم بأثر الشعر فى ذلك. و كان الرسول العربى يعرف ما يفعله شعر الشعراء فى اضرام التعادى القبلى لذلك قال فى بعض ما قاله: (من قال فى الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هد). و عماد الهجاء المقذع تفضيل الشاعر احدى القبائل على القبيله المهجوه.

و هكذا انفصمت عروه القوميه العربيه، و عاد (قوم) الفرد لا أمته، بل قبيلته فسمعنا مثلا الفرزدق يقول:

تميم هم (قومى) فلا تعدلنهم بحى إذا اعتر الأمور كبيرها

و سمعنا عبد الله بن خليفه الطائى يقول:

فلا يبعدن (قومى) و ان كنت غائبا و كنت المضاع فيهم و المكفرا

و سمعنا الفرزدق يكرر القول:

انا الضامن الراعى عليهم و انما يدافع عن أحسابهم انا أو مثلى

إذا ما رضوا منى إذا كنت ضامنا باحساب (قومى) فى الجبال و فى السهل

و سمعنا جريرا يقول، و هو و ان لم يذكر كلمه (قومي)، فيكفي انه يعلن ان (الأعداء) في نظره هم أعداء قبيلته لا أعداء العرب:

ألم أك نارا يصطليها (عدوكم) و حرزا لما ألجأتم من ورائيا

كما أعلن الفرزدق بان الاحساب التي يدافع عنها هي احساب القبيله لا احساب العرب.

و إذا كان جرير لم يذكر في البيت المتقدم كلمه (قومي) فقد ذكرها في بيت آخر هو:

ص: ٢٥٨

١- أنساب الاشراف و الاغانى و ماكسين أو ماكس من قرى الخابور قرب رأس العين.

٢- الثرثار: نهر ينزع من هرماس نصيبين و يفرغ في دجله بين الكحيل و رأس العين.

و انى لمن (قوم) بهم تتقى العدى و رآب الثاى و الجانب المتخوف

و هكذا استحالـت الرابـطه بين العرب من الرابـطه القوميه التى تعنى (بالقوم) العرب جميعهم، إلى الرابـطه القبليه التى تعنى (بالقوم) القبيله.

و كثر ذلك فى الشعر العربى. فقال الطرمـاح:

لم يفتنا بالوتر (قوم) و للضيم رجال يرضون بالإغماض

و قال أيضا مفتخرا بمحاماه مذحج و الأزـد عن أهل العراق و مشاركتهم فى قتل قتيبه بن مسلم:

(قوم) هم قتلوا قتيبه عنوه و الخيل جانحه عليها العثير

بالمرج مرج الصين حيث تبينت مضر العراق من الأعز الأكبر

و قال عبد الله بن عمر العبلى:

أولئك (قومي) تداعت بهم نوائب من زمن متعس

و قال عبد الله بن قيس الرقيات:

حبذا العيش حين (قومي) جميع لم تفرق أمورها الأهواء

و هكذا نسى العرب انهم عرب تربطهم امه واحده.

الهوان

و قد أدى تحريش السلطه بين القبائل إلى ان يستهين العرب بعروبـتهم و ان يلجئوا إلى الأمم الاخرى ليفاخروا بانتسابهم إليها، فلما فاخرت القحطانيه بملوكها القدامى و بما كان لهم من سلطان على القبائل المعديه، ادعت العدنانيه ان الفرس الذين دانت لهم بلاد اليمن قديما يرجعون فى نسبهم إلى جدهم الذى ينتمون اليه إذ هم من ولد إسحاق بن إبراهيم. فقال إسحاق بن سويد العدوى:

إذا افتخرت قحطان يوما بسؤدد اتى فخرنا أعلى عليها و اسودا

ملكنا هم بدأ بإسحاق عمنا و كانوا لنا عوناً على الدهر اعبدا

و يجمعنا و الغر أبناء فارس أب لا نبالى بعده من تفردا

و هكذا عاد العرب فى ظل دوله (القوميه العربيه) يفاخرون بان العرب كانوا عبيدا لغيرهم، و يتباهون لا بالعروبه و أنسابها، بل بصله النسب التى زعموا بأنها تربطهم بالفرس (الغر). و الدوله مرتاحه لذلك ما دام فيه شاغل للشعب عن التفكير فى تدبر أموره، و ما دامت هى المسبب لكل ذلك.

و قد بلغ الهوان العربى أقصاه، إذ تعدى الأمر الافتخار بالفرس (الغر) إلى التفاخر باليهود (الغر). فى ظل دوله (القوميه العربيه) فسمعنا جريرا يقول:

أبونا أبو إسحاق يجمع بيننا أب كان مهديا نيبا مطهرا

و منا سليمان النبى الذى دعا فاعطى بنيانا و ملكا مسخرا

و موسى و عيسى و الذى خر ساجدا فأنبت زرعاً دمع عينيه اخضرا

و يعقوب منا زاده الله حكمه و كان ابن يعقوب أمينا مصورا

فيجمعنا و (الغر) أبناء ساره أب لا نبالى بعده من تعذرا

ثم عاد الأمر مهزله من المهازل كانت تضحك لها الدوله بملء اشداقها، ان العدنانيه أرادوا ان يزيدوا إلى فخارهم بالفرس فخارا بأمر اخرى فجمعوا إلى ارتباط نسبهم بالفرس ارتباطه بالاكراذ و الهنود و البربر و الديلم. (١) و لما رأى القحطانيه ذلك جاروهم فى التنصل من النسب العربى فادعوا اتصال نسبهم باليونان، و اختصوا اليونان، لأن العدنانيه انتسبوا إلى الفرس أعداء اليونان، فزعموا ان يونان بن عابر هو أخو قحطان بن عابر. (٢) و لا دعاء النزاريه قرابتهم بالديلم ادعى القحطانيه قرابتهم بالترك. (٣)

و قد أدى هذا الحال إلى ان يصبح العرب فى ظل دوله (القوميه العربيه) مهزأه الأمم و مضحكتها فقال أحد شعراء الأعاجم يخاطب العرب ساخرا منهم:

زعمتم بان الهند أولاد خندف و بينكم قربى و بين البرابر

و ديلم من نسل بن ضبه باسل و برجان من أولاد عمرو بن عامر

فقد صار كل الناس أولاد واحد و صاروا سواء فى أصول العناصر

(٤)

لمن السيادة

يقول الكاتب فيما يقول: (حيث العرب من كل قبيله و فخذ و دين هم الساده و غير العرب و لو هم مسلمون من الموالى).

و نقول له: كلا- لم يكن الأمر كذلك فالسياده و السلطه و الحكم لفئه نفعيه تحسن استعباد الناس و سفك دمائهم و نهب أموالهم، اما بقيه العرب فلهوان و الذل و القتل و النهب و لا تشفع لهم عربيتهم و لا نسبهم العدنانى أو القحطانى العريق.

و نعرض له واحدا ممن كانت لهم السياده. فقد كان سمره بن جندب واليا على البصره بالوكاله، فلما جاء الوالى الأصيل كان سمره قد قتل فى غيابته ثمانيه آلاف رجل، و كان لا بد له من أن يقدم (تقريراً) شفها للوالى الأصيل فذكر له فيما ذكر انه قتل فى هذه المده القصيره ثمانيه آلاف رجل، فكان كل ما علق به الأصيل - و هو زياد بن سميه - ان ساله هل تخاف ان تكون قد قتلت أحدا بريئاً؟ فأجاب سمره: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت.... و انتهى التحقيق و اقل المحضر بهذا الجواب الموجز.

ثمانيه آلاف عربى يقتلهم هذا الوالى الذى كانت له (السياده) فى دوله (القوميه العربيه)، يقتلهم بكلمه واحده يقولها...

فأين (سياده) هؤلاء الآلاف الثمانيه الذين هم من (كل قبيله و فخذ) على حد تعبير الكاتب؟...

و إذا كان هذا ما فعله وال واحد كان واليا (بالوكاله) لمدته قصيره فلك ان تقدر ما فعله الولاه الاصلاء فى المدد الطويله و هذا الوالى بالوكاله خرج يوماً من بيته إلى (مكتبه) بموكبه الرهيب، فلما كان عند دور بنى أسد خرج رجل من بعض ازقتهم ففجا أوائل الخيل فحمل عليه رجل من القوم فاجره الحربه ثم مضت الخيل، فاتى عليه سمره بن جندب و هو متشطح بدمه، فقال ما هذا؟ قيل: أصابته أوائل خيل الأمير، قال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أستتنا...

العرب سكان البصره (من كل قبيله و فخذ) و فيهم بنو أسد: عليهم إذا

ص: ٢٥٩

١- العقد الفريد ٤٠٧/٣.

٢- التنبيه و الاشراف ص ١٠٠.

٣- مروج الذهب.

٤- العقد الفريد ٤٠٧/٣.

سمعوا ان سمره بن جندب قد ركب و سار بموكبه - عليهم ان يخلوا الشوارع و ينخذلوا فى بيوتهم حتى يمر الموكب، و الا أوجرتهم الحراب.

و من سوء حظ العرب سكان البصره (من كل قبيله و فخذ)، انه لم يكن فى البصره يوم ذاك (إذاعه) تعلن ساعه الصفر لموكب الأمير ليتقى أهلها الاسنه.

هذه هى (السياده) التى كانت للعرب (من كل قبيله و فخذ) فى حكم دوله (القوميه العربيه). و نحن نسأل الكاتب - و هو اليسارى العتيق - هل جعلت روسيا الشيوعيه السياده للروس و حدهم فى الاتحاد السيو فيتي، أم جعلتها - و هى صاحبه الدعوه العالميه - لكل من آمن بالدعوه من سكان الاتحاد؟ أ لم يتول أعلى منصب فيها فى وقت من الأوقات رجل ارمنى كان مؤهله انه مؤمن بالدعوه مخلص لها؟ فلما ذا أذن تتبجح بما تتبجح به، فى حين ان الأصل فى قيام الدوله العربيه كان الدعوه الإسلاميه العالميه؟ ان رسول الدعوه و منشئ الدوله محمد بن عبد الله ص قد جعل فى قمم السلطه ثلاثه من غير العرب، كانت مؤهلاتهم هى إيمانهم بالدعوه و إخلاصهم لها. لقد كان سلمان الفارسى و بلال الحبشى و صهيب الرومى من أركان الدوله حامله الرساله الإسلاميه، هذا و الدوله لم تكن تعدت بعد حدود الجزيره العربيه، فكيف بها لو تعدتها فإلى أى حد كان يمكن أن يكون عدد المشاركين من غير العرب فى بناء الدوله و المساهمين فى تسيير دفتها؟؟ يتبجح الكاتب بما صار اليه امر الموالى... و نحن نريد ان نعرض للقراء بعض ما كان عليه امر الموالى الذين آمنوا بالدعوه العالميه الإسلاميه، لنرى ان كان القراء يشاركون الكاتب تبججه.

كان من خلفاء دوله (القوميه العربيه) خليفه واحد يستحق بان يحمل لقب (القومى العربى) بكل ما تحمله هذه القوميه من حب و تسامح و عدل و تكفل بالتزام الدعوه الإسلاميه العالميه. ذاك هو عمر بن عبد العزيز، ففى أول عهده بالحكم أرسل اليه والى خراسان الجراح بن عبد الله وفدا من قبله تملقا له، و كان الوفد مؤلفا من عربيين و من مولى يصفه الطبرى بأنه كان فاضلا فى دينه، فتكلم العريبان عند عمر و المولى ساكت، فقال له عمر: أ ما أنت من الوفد؟ قال: بلى. قال فما يمنعك من الكلام؟ قال: يا أمير المؤمنين، عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا- عطاء و لا رزق... إلى ان يقول: أميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا فيقول: و الله لرجل من قومى أحب إلى من مائه من غيرهم، و هو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم و العدوان...

هال عمر بن عبد العزيز ما سمع، و أكبر هذا المولى (عضو الوفد) على صراحته و جرأته و تقريره الحقيقه الفظيحه، فقال له: إذن مثلك فليوفد...

ما ذا يعنى هذا القول؟ انه يعنى ان عشرين ألف رجل من الموالى يجندون فى الجيش و يساقون إلى الغزو دون ان تدفع لهم دوله (القوميه العربيه) درهما واحدا، و فوق ذلك فإنها لا تقدم لهم الطعام، بل ان عليهم ان يقاتلوا، و عليهم فى الوقت نفسه ان يتكلفوا تدبير امر طعامهم...

عشرون ألفا فى منطقه وال واحد، فإذا حسبت عدد الولاه فكم من عشرين ألف آخرين ستجد؟...

هذا مثال واحد عن معامله دوله (القوميه العربيه) لغير العرب الذين تحكّمهم و هذه هى المعامله التى يتبجح بها الكاتب.

و لن نتعرض إلى ذكر المهانه اليوميه التي كان يعيش فيها الموالي، مثل انهم كانوا ينادونهم بألقابهم لا بأسمائهم كما ينادون الرقيق، و إذا أرادوا الزواج فلم يكن بد من الرجوع إلى (الساده) الذين كان لهم حق المعارضه فى تلك العقود، و كان مفروضا عليهم وحدهم ضريبه الرؤوس. و يفهم مما ذكره الطبرى انهم فى حال الحرب لم يكن مسموحا لهم ان يكون منهم أحد فى صفوف الفرسان، بل كانوا دائما من المشاه...

ما رأى الكاتب - و هو اليسارى العتيق كما قلنا - ما رأى لو ان الروس فى حروبهم للنازيه ساقوا شبان القوميات التابعه لهم إلى حرب الالمان دون ان يدفعوا لهم (روبلا) واحدا و أجبروهم على ان يتكفلوا بأنفسهم إطعام أنفسهم خلال القتال؟؟ ثم ما رأى لو ان الروس اعتبروا أبناء تلك القوميات من (الموالي) مهما أخلصوا فى شيوعيتهم، و اعتبروا أنفسهم وحدهم الساده؟؟.

و ما رأى حين فعلوا العكس فاعتبروا كل شيوعى من الساده لو كان غير روسى، فسلموا حكم القوميات الاخرى للشيوعيين منها؟. ثم ما رأى لو ان الذى خلف لينين فى حكم الاتحاد السوفيتى كان من أعنف من قاوموا ثوره اكتوبر و قاوموا لينين بالذات ثم لم يترك من ثوره اكتوبر الا اسمها و عمد إلى تهديم كل ما إقامته الثوره من قواعد و منها اعتبار كل الشيوعيين من (الساده) لا من (الموالي) مهما اختلفت جنسياتهم؟...

المتعصبون الحرفيون

يسمى الكاتب الذين قاوموا الانقلاب على شعارات و تشريعات الدوله العربيه حامله الدعوه الإسلاميه العالميه، يسميهم (رجال الدين المتعصبين و الحرفيين و الجامدين).

و نحن نسأله و هو - كما قلنا و نكرر القول للمره الثالثه اليسارى العتيق - أ لم يكن من اهدافه هو نفسه ان يثور على النظام القائم، مع ان هذا النظام له دستوره و قوانينه و انظمتة التي يتساوى فيها الناس جميعا، و لم يكن فيه (المحافظ بالوكاله) يأمر بقتل ثمانيه آلاف رجل بلا محاكمه و لم يكن هذا النظام يسوق إلى الجنديه و الحرب عشرات الألوف دون ان يدفع لهم ليره واحده و دون ان يقدم لهم الطعام، و كل عيوب هذا النظام انه يختلف مع الكاتب فى نظره الاقتصاديه. و مع ذلك كان الكاتب يدعو للثوره على هذا النظام و يعمل لهذه الثوره و لا يرى نفسه (من رجال الدين المتعصبين و الحرفيين و الجامدين).

و هل من هؤلاء حتى الشعراء المداحون المتملقون الذين لم يستطيعوا مع ذلك ان يسكتوا على ما ينال الشعب من حرمان و اهتضام، فنرى مثلا- الراعى النميرى - و هو ممن لا- يتهمون فى ولائهم لدوله (القوميه العربيه)، نراه يضطر للخروج على التملق، ليشكوا ما ينال الرعيه من جباه الضرائب الذين ينزلون بها كل صنوف الجور:

قطعوا اليمامه يطردون كأنهم قوم أصابوا ظالمين قتيلا

و أتاهم يحيى فشد عليهم عقدا يراه المسلمون ثقيلًا

كتبنا تركز غنيهم ذا عيله بعد الغنى و فقيرهم مهزولا

ثم يكرز وصف ما ينزل بالشعب فى قصيده اخرى:

اما الفقير الذى كانت حلوبته رفق العيال فلم يترك له سبد

و اختل ذو المال و المثرون قد بقيت على التلاتل من أموالهم عقد

(١) فهل هذا الشاعر الذى يعطينا صوره عن حال الشعب الهضيم فى ظل دوله (القوميه العربيه) هو الآخر من (رجال الدين المتعصبين و الحرفيين و الجامدين).

و هل بلغت الحال بالشعب فى عصر الكاتب إلى حال الشعب فى عهد الراعى النميرى التى رأينا بعض وصفها فى شعره حين كان يدعو الأول إلى الثوره على النظام؟؟.

الشيعة يحمون العالم الإسلامى يردون البيزنطيين عن بلاد الشام و يزودونهم عن القدس

إذا كان العاهل البيزنطى (هرقل) قد وقف بعد معركة اليرموك و ما تلاها - إذا كان قد وقف فوق جبال طوروس و تطلع إلى سوريا التى تمزقت فيها جيوشه، و تنهد تنهد الاسيف و قال: وداعا يا سوريا، وداعا لا لقاء بعده...

إذا كان هرقل قد ايس من العوده إلى سوريا فان الذين تلوه بعد ذلك بقرون لم يأسوا منها و ظلوا متشبثين بها لا سيما بعد ان انفرط نظام الدوله الكبرى، دوله أعدائهم، و عادت دولا-مقسمه تتنازع و تتقاتل، فى حين كانوا هم قد تقفوا و استفحل امر بعضهم استفحالا يرى فيه نفسه جديرا بالعوده إلى سوريا تحت رايات الظفر المؤزر.

فقد جاء قسطنطين ليكابينوس، ثم تلاه الاخوان برداس فوكاس أولا ثم نقفور فوكاس، و كل من هؤلاء الثلاثه كان يجمع إلى المطامح البعيده، القوه التى يركز عليها لتحقيق هذه المطامح، و فى رأس هذه المطامح: أعظمها و هو العوده إلى بلاد الشام (سوريا و لبنان و فلسطين و الأردن) و استرداد السيادة البيزنطيه عليها.

و لكن تشاء المقادير ان تخلق من ذلك التمزق العربى تكتلين، يتماسك كل منهما تماسكا محكما، و يقود كلا منهما قائد يجمع إلى الإخلاص، الكفاءه التى تعوز مواجهه المطامح البيزنطيه.

فقد قامت فى شمال إفريقيا دوله الفاطميين، و قضت هناك على الكيانات الانفصاليه و جمعتها كلها فى كيان واحد متلاحم. كما قامت فى الوقت نفسه فى شمال بلاد الشام دوله الحمدانيين، (٢) و ضمت إليها ما استطاعت ضمه من الاشلاء و مضت تشق طريقها شجاعه طماحه.

فوقت كان يتعاقب على حكم بيزنطيه من عددناهم من قبل، و وقت كان قسطنطين ليكابينوس يعربد مهددا متوعدا، كان يقوم على رأس الدوله الحمدانيه: سيف الدوله فلا ينتظر تقدم عدوه اليه، بل يتحداه فى عقر داره.

ثم ياتى برداس فوكاس و يقود الجيوش مقتحما الأرض العربيه على سيف الدوله، و يصمد له سيف الدوله فلا ينال برداس منه

منالاً، بل يفقد في كل معركة العدد الخطير من جيشه و قواده، حتى يحيق به المصير الرهيب في معركة مرعش سنة ٣٣٢ هـ (٩٥٣ م) فيجرح في وجهه و يقع ابنه قسطنطين أسيراً فيمن يقع من الأسرى.

و يكبر الأمر على برداس و يبلغ به الحزن مداه على أسر ولده، فلا يجد ملاذاً لخيبته و احزانه الا التهرب و دخول الدير.

و ياتي شقيقه نقفور فوكاس الثاني و هو أشرس الثلاثة و أعتاهم، و قد كانت مطامحه متوازيه مع شراسته و عتوه. و قد سبق له قبل توليه الملك ان قهر العرب حين كان قائداً عاماً للقوات البيزنطيه البريه و البحريه في الجبهه الغربيه، فانتزع منهم جزيره كريت سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

ثم ازداد طموحاً و ثقه بالنفس بعد ان تولى الملك سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) بتزوجه ثيوفانو ارمله الامبراطور رومانوس و إعلان نفسه امبراطوراً. و كان شعاره الوصول إلى القدس، و حين تقدم ففتح طرسوس خطب على منبرها قائلاً ان هذه البلده هي التي كان تعوقه عن الوصول إلى القدس.

الاسطول الفاطمي

و في هذا الوقت كان على رأس الدوله الفاطميه خليفه خليق بالمهمه التي أعدتها له المقادير هو المعز لدين الله. و إذا كانت مهمه سيف الدوله الحمداني مقصوره على مقاتله البيزنطيين براً فأكتفى باعداد الجيوش البريه، فان مهمه المعز الفاطمي كانت مزدوجه إذ كان عليه ان يقاتل براً و بحراً، لذلك انصرف أول ما انصرف إلى أعداد اسطول ضخم جعل منه سيد البحر المتوسط، حتى لقد وصف أحد المؤرخين الوضع قائلاً: "استطاع المعز بفضل اسطوله القوي ان يجعل غربي البحر الأبيض المتوسط بحيره فاطميه". و قد خص هذا المؤرخ غربي البحر، لأن الفاطميين لم يتقدموا بعد إلى الشرق و لم يصلوا إلى مصر و بلاد الشام. اما بعد ان وصلوا إليهما فقد أصبح هذا البحر كله بغربيه و شرقيه بحيره فاطميه. كما امتد اسطولهم إلى البحر الأحمر، فكما كانت الإسكندريه و دمياط في مصر و عسقلان و عكا و صور و صيدا في الشام أهم المرافئ تتجمع فيها قطع هذا الاسطول في البحر الأبيض، كانت عيذاب أهم مرافئ البحر الأحمر.

و قد أثار هذا الاسطول شاعريه شاعر المعز، محمد بن هاني الأندلسي فأنطقها بقصيده من عيون الشعر العربي الخالد، تحسب و أنت تقرأها انك امام وصف اسطول حربي معاصر، يقول فيها مخاطباً المعز بعد انتصار الاسطول في احدي معاركه الكبرى مع اسطول البيزنطيين:

لك البر و البحر العظيم عبابه فسيان أعمار تخاض و بيد

و ما راع ملك الروم الا اطلاعها تنشر اعلام لها و بنود

عليها غمام مكفهر صبيره له بارقات جمه و رعود

مواخر في طامى العباب كأنه لغزملك بأس أو لكفكك جود

أنافت بها اعلامها و سمالها بناء على غير العراء مشيد

من الراسيات الشم لولا انتقالها فمنها قنان شمش و ريود

من القادحات النار تضرم للصلى فليس لها يوم اللقاء خمود

إذا زفرت غيظا ترامت بمارج كما شب من نار الجحيم وقود

فانفاسهن الحاميات صواعق و أفواههن الزافرات حديد

لها شعل فوق الغمار كأنها دماء تلققتها ملاحف سود

و لابن هانى فى وصف معارك هذا الاسطول الخالدات من القصائد التى

ص: ٢٦١

١- الحلوبه. الناقه. رفق العيان: أى بها لبن على قدر حاجتهم لا يفيض عنهم. اختل: افتقر. التلاتل: الشدائد. العقد: البقايا القليله.

٢- راجع ترجمه سيف الدوله الحمدانى على بن حمدان فى موضعها من (أعيان الشيعة).

تعتبر من أروع ما خلف الشعراء العرب من تراث شعري ملحمي، و لا يتسع المجال هنا للافاضة في الحديث عنها و لكننا نكتفى بهذه الأبيات من قصيده يخاطب فيها ابن هانى نقفور فوكاس بعد هزيمه اسطوله امام الاسطول الفاطمي:

و بعثت بالاسطول يحمل عده فاثابنا بالعهده الاسطول

أدى إلينا ما جمعت موفرا ثم انثنى باليم و هو جفول

و مضى يخف على الجنائب حمله و لقد يرى بالجيش و هو ثقیل

ثم يموت بطل الحمدانيين بل بطل العرب فى عصره سيف الدوله، فيموت بموته عنفوان الدوله، و لا يكون فى خلفائه من له شىء من صفاته، و تنهار الجبهه الشرقيه امام البيزنطيين، فى حين ظلت الجبهه الغربيه، جبهه الفاطميين قويه عنيفه بتوالى الخلفاء الأقوياء، و كانت قد بلغت فى ذلك كل مبلغ بوصول الفاطميين إلى مصر و الجزيره العربيه و بلاد الشام.

الشعر فى معارك الظفر

من حسن حظ الأدب العربى ان قد رافق معارك الظفر التى قادها سيف الدوله الحمدانى و المعز لدين الله الفاطمى شاعران عبقریان، و لن نقول عن المتنبى شاعر سيف الدوله شيئا، فهو مالى الدنيا و شاغل الناس فى عصره و فى كل العصور حتى هذا العصر. و لكن لا بد لنا من كلمات قصار عن الشاعر الآخر المعز: محمد بن هانى الأندلسى الذى بلغ من تفاخر مواطنيه به سواء فى منبته بالأندلس أو فى مهجره بشمال إفريقيا، ان سموه متنبى المغرب، كما سموا بعد ذلك ابن زيدون: بحترى المغرب، على عادتهم فى محاوله مماشاه المشرق فى كل شىء.

و لقد رأينا فيما تقدم نموذجا من شعر ابن هانى فى وصف الاسطول، و كل قصائده فى وصف المعارك لا سيما البحرىه منها على هذا النسق المتألق المتوثب، حتى لقد كان جديرا بان يحمل اسم (متنبى المغرب)، و الموضوع الذى حلق فيه متنبى المشرق هو الموضوع الذى حلق فيه متنبى المغرب، و هو المعارك الظافره و البطوله العربيه الهادره.

و كانت شهره ابن هانى قد امتدت إلى المشرق حتى وصلت إلى المتنبى نفسه، و قيل ان المتنبى كان عازما بعد فراق سيف الدوله على التوجه إلى المغرب فلما بلغت قصيده لابن هانى مطلعها:

تقدم خطى أو تأخر خطى فان الشباب مشى القهقرى

عدل عن عزمه و قال: لقد سد علينا ابن هانى طريق المغرب. و لم يحدد المؤرخون الذين رووا هذا القول زمن هذا العزم، و لم يوضحوا هل كان قبل ذهابه إلى كافر أو بعد مفارقتة له.

و مهما كان من امر فان القصه تدل على تهيب المتنبى من مجاوره ابن هانى.

و من المؤسف ان الحياه لم تطل بابن هانى. فقد اغتيل و هو لم يتجاوز السادسة و الثلاثين، و كان اغتياله و هو يهيم بالحقاق

بالمعز إلى القاهرة. و لقد خسر الشعر العربي خساره كبرى بموت ابن هانى قبل ان يصل إلى مصر، فلو وصلها و رافق المعز فى حياته المصريه و ما حفلت به من أمجاد لترك تراثا شعريا رائعا.

و لقد تألبت على ابن هانى قوى شتى عملت جاهده على طمس اسمه و تشويه امره و اخمال ذكره، و لقد نجحت فى ذلك إلى حد بعيد، و لست الآن فى صدد الإشاره إلى هذه القوى.

بعد المتنبى و ابن هانى

رأينا فيما تقدم انهيار الدوله الحمدانيه بعد سيف الدوله فتمهد الطريق امام البيزنطيين ليتقدموا فى شمال بلاد الشام و يحتلوا فيه المدن و يسيطروا سيادتهم على اجزاء منه كما سيطروا على كيليكيا، بل لقد غزوا شمال العراق و عبروا نهر دجله. و لم يكن باستطاعه الفاطميين الأقوياء ان يعملوا شيئا على الجبهه المشرقيه، لان بينهم و بينها آمادا واسعه لا سلطه لهم عليها. ثم إذا بهم على أبواب المشرق ثم فى صميم مصر. ثم جاءت الخطوات التاليه فإذا بهم يوغلون فى المشرق ثم يصبحون جزءا منه، و إذا بهم وجها لوجه مع البيزنطيين فى المشرق كما هم معهم فى المغرب، فجعلوا همهم الأول استرجاع ما استولى عليه البيزنطيون من المدن الشاميه. و حاولوا أول الأمر اجلاء البيزنطيين عن انطاكيه التى كان قد استولى عليها نقفور فوكاس سنه ٣٥٨ هـ (٢٩٦٩ م)، و لكن القوى البيزنطيه كانت أكثر كشافه مما قدرت مخابرات الفاطميين و كانت تفوق قواتهم عددا و اعدادا، فان البيزنطيين عرفوا خطوره سقوط انطاكيه فضلا عن انها مدينه البطاركه و القديسين، لذلك اعتبرت منافسه بيزنطيه من الناحيه الدينيه لهذا حشدوا للدفاع عنها قوى لم تكن فى تقدير الفاطميين، ففشل الجيش الفاطمى فى استردادها، و اغتتم الامبراطور البيزنطى حنازيمسكس هذا الفشل و تقدم بجيوشه سنه ٩٧٥ من انطاكيه إلى حمص و منها إلى بعلبك، و خافت دمشق مغبه مقاومتها فخضعت و دفعت له الجزيه، كما سلمت له طبريا و قيساريه، و كان مصمما على الوصول إلى القدس، و هكذا يكون هذا الامبراطور البيزنطى ثانى من يفكر من أباطره بيزنطيه، فى استرجاع القدس من المسلمين، بعد المفكر الأول نقفور فوكاس الثانى، و هكذا تكون بيزنطيه قد سبقت الصليبيين فى التخطيط للنفاذ إلى القدس.

و يبدو جليا من استعراض الأحداث ان الفاطميين أدر كوا نيه حنازيمسكس و صمدوا له فتراجع عن محاوله الوصول إلى القدس و حول هدفه فاتجه إلى الساحل اللبناى مغتتما فرصه حشد الجيوش الفاطميه فى طريق القدس، فاستطاع الاستيلاء على صيدا و بيروت، ثم اتجه إلى طرابلس. و هكذا نرانا و نحن نقص هذا القصص، قد صرنا فى صميم التاريخ اللبناى، و ان ما نقصه هو جزء من تاريخ هذا البلد الجريح.

لم يغفل الفاطميون عن نيات الامبراطور البيزنطى فأسرعوا لصدده عن طرابلس و الوقوف فى طريق زحفه إليها، و عضدوا جيشهم البرى المدافع عنها باسطولهم الحربى، و استطاعوا الحاق الهزيمة بالبيزنطيين و رد حنازيمسكس عن طرابلس و ملاحظته حتى أدخلى بيروت و صيدا و كل ما استولى عليه من مدن الساحل اللبناى. و ظلت الضربات الفاطميه تلاحقه حتى رده إلى انطاكيه.

و لما حاق به الفشل عاد آثبا إلى القسطنطينيه مقهورا حيث توفى فى أوائل سنه ٩٧٦.

هنا نفتقد المتنبى و نفتقد ابن هانى، هنا نفتقد الشاعر العربى الذى يتغنى بالظفر العربى، و نتلفت فلا نجد فى الساحه من يقول فى

حنازيمسكس المهزوم المقهور اللانذ من بطولات الفاطميين بعاصمته ما قاله المتنبي في برداس فوكاس حين فر من المعركة
جريحا في وجهه و ترك ابنه أسيرا فيها ثم لاذ بالدير:

نجوت باحدى مهجتيك جريحه و خلفت احدى مهجتيك تسيل

أ تسلم للخطيه ابنك هاربا و يسكن في الدنيا إليك خليل

بوجهك ما انساكه من مرشه نصيرك منها رنه و عويل

ص: ٢٦٢

أو ما قاله ابن هانئ في نقفور فوكاس بعد معركة المجاز البريه البحريه:

يوم عريض في الفخار طويل لا تنقضى غرر له و حجول

مسحت ثغور الشام أدمعها به و لقد تبل التراب و هو همول

قل للدمستق مورد الجمع الذي ما اصدرته له قنا و نصول

سل رهط (منويل) و أنت غررته في اى معركة ثوى منويل(1)

منع الجنود من القفول رواجعا تبا له بالمنديات قفول

لم يتركوا فيها بجعجاج الردى الا النجيع على النجيع يسيل

نحرت بها العرب الأعاجم انها رمح امق و لهزم مصقول

قلت انا افتقدنا الشاعر العربى الذى يعيش بشعره المعارك العربيه الظافره، فلم نره بعد المتنبى و ابن هانئ، فهل كانت الساحة العربيه خاليه من عباقره الشعر؟ الواقع انها لم تكن خاليه، فقد كان فيها أيام تلك الأحداث شاعر العرب الفريد (أبو العلاء المعرى)، و لكن هل كان باستطاعه أبى العلاء ان يسد فراغ الشعارين الحماسيين؟ انه رهين المحبس، سجين فى سجنين رهيبين، و ما ذا عسى الشاعر الحبيس ان يفعل؟ انه لم يكن مستطيعا ان يمتطى الجواد و يجرى السيف و يمشى إلى جنب القائد فيشارك فى المعركه و يراها عن كثب فينفعل برهجها، كما كان يحدث للمتنبى مع سيف الدوله... و لا كان مستطيعا ان يواكبها فى إحداثها متتبعا لها ساعه فساعه فيضطرم بانباؤها، كما كان يحدث لابن هانئ مع المعز.

انه كان فى محبسيه... و لكن المعرى الذى عاش هموم شعبه، فانطقته هذه الهموم بالشعر الثائر المثير، هل كان يمكن ان يكون بعيدا عما يجرى على حدود الوطن، أو فى قلب الوطن من صراع بين حريه الوطن و استعباده...

بين الاجنبى المنقضى على الوطن، و بين المواطن المنقضى على هذا المنقضى؟ لم يكن هذا من طبعه، لهذا كان و هو فى محبسيه يعيش مع المناضلين فى ميادين الحرب، يعيش معهم بحسه و عواطفه و وطنيته، ان لم يستطع ان يعيش معهم بجسمه و عينيه.

لذلك كان المعرى شاعر النضال العربى المسلح فى تلك الفتره الحرجه من حياه الوطن العربى.

كان الصوت الذى تغنى ببطولات المقاتلين، و تحمس لوقائعهم، و حرض على أعدائهم.

المعرى الهادئ الرقيق القلب الذى يشفق على الحيوان المذبوح فلا يأكل اللحم، هو نفسه الذى يقول و قد سمع بجولات فرسان العرب ذيادة عن وطنهم:

فوارس قوالون للخيال اقدمى و ليس على غير الرءوس مجال

لهم أسف يزداد اثر الذى مضى من الدهر سلما ليس فيه قتال

بأيديهم السمر العوالى كأنما يشب على أطرافهن ذبال

ها هو المعرى ينقلب بعد الرفق و اللين أسدا هصورا يستطيب مرأى الدم الفوار، و يستعذب تخيل الفوارس جواله فوق الرؤوس المضرجه بالنجيع الأحمر! و يأسف على أيام السلم الوادعه التى انطوت بلا قتال تزهق فيه النفوس و تطيح الهامات! هل المعرى هو الذى يتكلم؟ أجل هو المعرى بلسانه الطلق و بيانه الفياض! إذا كانت الإنسانيه هى التى اوحت للمعرى ان يقول للذين ذبحوا له (الفروج) و أنضجوه و قدموه له ليأكله فى مرضه الذى انحله: "استضعفوك فوصفوك... هلا و صفوا شبل الأسد..." ثم يمتنع عن اكله استفظاعا لتخيل دمه المراق! إذا كانت الإنسانيه هى التى رقت قلب المعرى، فان الوطنيه هى التى قست ذلك القلب الرحيم، فجعلت الدم المراق عنده أجمل منظر و أعذب مرأى! دم الأعداء الذين لم يتورعوا عن اقتحام وطنه و استباحه أرضه و ترويع اهله و تشريد سكانه! ثم يشتد فى القول فيخاطب الغزاه مهددا متوعدا بمواصله الحرب:

بنى الغدر هل ألفتيم الحرب مره و هل كف طعن عنكم و نضال

و هل اطلعت سحم الليالى عليكم و ما حان من شمس النهار زوال

و هل طلعت شعث النواصى عوابسا رعال ترامى خلفهن رعال

لها عدد كالرمل المبر على الحصا و لكنها عند اللقاء جبال

فان تسلموا من سوره الحرب مره و تعصمكم شم الأنوف طوال (٢)

خذوا الآن ما يأتيكم بعد هذه و لا تحسبوا ذا العام فهو مثال

ثم يعود إلى ذكر الدماء بعد ان يصف الخيل العربيه واثبه بفرسان العرب، و ان تلك الخيول الظامئات لن يكون الماء موردها، و لن يرويهها الا دماء الروم:

يردن دماء الروم و هى غريضة و يتركن ورد الماء و هو زلال

و فى قصيده اخرى يندد بالانهزاميين الذين يخوفون المواطنين بأس الروم و يحث قومه على الثبات:

أ يوعدنا بالروم ناس و انما هم النبت و البيض الرقاق موام

و يذكر مواطنيه بانتصاراتهم السابقه على الروم و ان ما يوعدهم به الانهزاميون لن يكون مصيره بأفضل:

كان لم يكن بين "المخاض" و "حارم" كتاب يشجين الفلا و خيام

و لم يجلبوها من وراء "ملطيه" تصدع أجبال بها و اكام

كئائب من شرق و غرب تألبت فرادى أتاها الموت و هى توأم

بيوم كان الشمس فيه خريده عليها من النقع الأحم لثام

كأنهم سكرى أريق عليهم بقايا كنوس ملئوهن مدام

فاضحوا حديثا كالمنام و ما انقضى فسيان منه يقظه و منام

و يبدو ان البيزنطيين (الروم) قد أرسلوا يفاوضون على الصلح و انتهاء الحرب مما لم يعجب المعرى لانه يريد اهداف أمتة كامله و لو أدى الأمر إلى ما يمكن ان يؤدي اليه من الضحايا الكثيره: قتلى و جرحى. و هنا نرى المعرى داعيه حرب لا- هواده فيها، حرب تسيل فيها الدماء اى مسيل فهو يخاطب المفاوض العربى بهذا القول الصريح و يحدد له الموقف المطلوب:ل.

ص: ٢٦٣

١- بلغ من اهتمام الامبراطور نقفور فوكاس بمحاربه الفاطميين، انه أعد اسطولا ضخما ملاء بالمؤن و الذخير، و أعد جيشا يقرب من خمسين ألف رجل مجهزين بأحسن آلات الحرب و امر عليه رجلين أحدهما (منويل) و كان يمت اليه بصله القرابه، فانهمز الجيش و الاسطول هزيمه كاسحه.

٢- يقصدها بها الجبال.

وردوا إليك الرسل، و الصلح ممكن و قالوا على غير القتال سلام

فلا قول الا الضرب و الطعن عندنا و لا رسل الا ذابل و حسام

فان عدت، فالمجروح توسى جراحه و ان لم تعد متنا و نحن كرام

فلسنا و ان كان البقاء محببا بأول من اخنى عليه حمام

هذه صفحات من تاريخنا النضالي كان فيها الشعراء مع الفرسان جنبا إلى جنب فى كفاح الغزاه، تاريخنا النضالي الذى أطلق شاعرا وديعا رقيق القلب عطوف النفس من محبسيه و إعادته من الدعوه إلى الهدوء و الحنان و التعاطف، إلى الصخب و القسوه و العنف، من داعيه سلام إلى داعيه حرب عنيف الدعوه صارمها.

و إذا كان إعجابنا بالمعري المسالم الهادئ العطوف عظيما، فان إعجابنا بالمعري المحارب الثائر الحاقد الدموى أعظم.

الحجاج بن يوسف

قال كاتب يصف الحجاج بن يوسف: " نشر الأمن و الأمان و الأمانه و الايمان".

ثم قال: " و كان الحجاج عادلا فى الحكم بالفعل".

و الكاتب فى هذا الكلام يرد - بدون ان يسمى كلامه ردا - على تطرقنا عرضا لذكر الحجاج و مظالمه فى مقال لنا سابق.

و لقد كان شيئا رهيبا ان يخالف كاتب فى هذا العصر ما اجمع عليه خيار الأمة فى عصر الحجاج و بعد عصر الحجاج فيتكلم بهذا الكلام عن رجل يقول عنه خير الدين الزركلى فى كتابه (الاعلام): " و كان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين".

لقد اتفق على ذلك معظم المؤرخين بنص المؤرخ المعاصر صاحب الأعلام. و طبعى ان يوجد من له مثل ذهنيه كاتب المقال فيشذ عن هؤلاء المؤرخين و يخرج على إجماعهم.

و من العجيب ان الكاتب ممن يرون الإجماع حجه فى الشئون الكبرى و الصغرى و يغمزون بمن لا يأخذ بهذا الإجماع، و لكنه هنا لا يبالي ان يكون شاذا عن هذا الإجماع ما دام هذا الشذوذ يوافق هوى فى نفسه! ان الحسن البصرى، و هو من هو فى التاريخ الإسلامى، و الكاتب اعرف الناس به. ان الحسن البصرى هذا يسجد لله شكرا لما مات الحجاج، و يقول: "اللهم كما أمته فامت عنا سنته".

و ان عمر بن عبد العزيز يقول: "الوليد بالشام و الحجاج بالعراق و قره بمصر، و عثمان بن حيان بالحجاز، امتلأت و الله الأرض جورا".

لا يتمالك الحسن البصرى و هو الشيخ الوقور الرزين، الذى يزن القول و الفعل - لا يتمالك نفسه أن يختر ساجدا لله معفرا جبينه

بالأرض شكراً لله تعالى على أن أراح الأمه من السفاح السفاك الطاغية، و أنقذها من المجازر البشريه التي كانت تحدث في كل يوم، و من الجور الفادح الذى كان يحل بها في كل ساعه. ثم يخشى هذا الامام الجليل أن يخلف الحجاج من يسير على سنته، فلا ينسى أن يدعو الله أن يميت سنته كما أماته هو نفسه.

يفعل الحسن البصرى هذا الفعل و يقول هذا القول عن الحجاج، و هو المعاصر له الشاهد على أفاعيله، ثم يأتينا في هذا العصر من يقول: "كان الحجاج عادلاً في الحكم فعلاً".

و نقول لهذا القائل: ان الحسن البصرى أوثق عندنا و عند غيرنا منك، و هذا أضعف ما يمكن ان نقوله! و يرى عمر بن عبد العزيز - و هو أيضا الشاهد المعاصر - ان الأرض امتلأت جوراً في حكم الحجاج و زملاء الحجاج، و يقسم بالله على ذلك، ثم نعيش لنرى من لا يتورع عن القول فى الحجاج: "انه نشر الأمانه و الايمان". و نكرر القول لهذا القائل: ان عمر بن عبد العزيز أوثق عندنا و عند غيرنا منك! و لو أردنا نقل ما قاله خيار المسلمين فى الحجاج لكان علينا ان نملأ مجلدا ضخماً، و لضاقت بانقالنا الصفحات، فهذا مثلاً (اليافعى) فى كتابه (مرآه الجنان) يذكر موت الحجاج بهذا النص: "أراح الله المسلمين من الحجاج بن يوسف الثقفى فى ليله مباركه".

ثم عند ما يضطر لذكره فى مكان آخر يقول: "فقصته السم القاتل و الشؤم العاجل". ثم يقول: "فأراح الله العباد و البلاد من الحجاج و ما كان فيه من الإفساد".

و يقول فى مكان آخر " أراد الحجاج ان يتشبه بزياد فأهلكه الله و دمره".

و لا يمر اليافعى فى كتابه (مرآه الجنان) بذكر الحجاج الا و يصفه بما هو فيه، ثم يقول: " يخبر عن نفسه ان أكبر لذته سفك الدماء".

و قد اخترنا من بين المؤرخين مؤرخاً واحداً ليكون نموذجاً لما اتفق عليه المؤرخون فى وصف الحجاج.

و هذا الامام احمد بن حنبل يقول: "قتل الحجاج سعيد بن جبير و ما على وجه الأرض أحد الا و هو مفتقر إلى علمه و لم يسلطه الله بعده على قتل أحد".

ذلك ان الحجاج لم يعيش الا قليلاً بعد قتله سعيد بن جبير.

و كان تفجع الامام ابن حنبل على قتل سعيد هذا ما هو منصب على علم هذا الشهيد. فالفاجعه بقتل العلماء أعظم الفواجع.

و يزيد فى فظاعه هذا الجرم ان المقتول كان فى التاسعه و التسعين من عمره.

و نحن لا ندرى أ نصدق اليافعى و الامام احمد بن حنبل، أم نصدق كاتب المقال؟ و لكن الحقيقه اننا ندرى! نحن لا نريد ان نحدث الكاتب عن عشرات الألوف البريئه التى قتلها الحجاج صبوا، و لا عن عشرات الألوف من النساء و الرجال التى وجدت فى سجنه بعد موته.

لا- نريد ان نحدثه عن ذلك، لأن هذا امر انساني، و يبدو جليا ان الإنسانيه لا تهتم الكاتب، لذلك سننصرف عن الحديث الإنسانى إلى الحديث الإسلامى:

قال ابن سعد فى كتاب الطبقات: " قال الحجاج هممت ان اضرب عنق ابن عمر " .

ثم لما استدعاه إليه خاطبه شامتا له:

" اسكت فانك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك، يوشك شيخ ان يؤخذ فتضرب عنقه " .

ثم يذكر ابن سعد ان الحجاج أرسل اليه من اغتاله، ثم منع ان يدفن حيث أوصى.

عبد الله بن عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين. عبد الله بقيه صحابه رسول الله: الهادئ الوديع الورع، ينحدر به الزمن إلى أن يقف بين يدي الحجاج ضارعا ذليلا يلتقى الشتيمة صابرا محتسبا.

و الحجاج فى ذلك عند الكاتب " رجل الأمن و الأمان و الأمانه و الايمان " .

و لو وجد الكاتب مشتقات اخرى لكلمه (امن) لأضافها إلى هذه الصفات الرائعه التى أضفاها على الحجاج جزاء ما لقي ابن عمر بن الخطاب منه، و لقاء ما أبداه من احتقار لذكرى الخليفه الراشدى الثانى!

و حقد الحجاج على أصحاب رسول الله لم يقتصر على عبد الله بن عمر، فقد امتدت الحياه بثلاثه من الصحابه إلى أن أدركت عصر الحجاج. و عوضا عن أن يكون هؤلاء الثلاثه فى شيخوختهم الواهنه موضع الإجلال و التكریم، و ان يرى الناس فيهم بقيه ذلك السلف الصالح الذى رأى النبى و عاشره و تعلم منه فيتبركون بهم و يرفعون من شأنهم، عوضا عن ذلك، لم ير فيهم الحجاج إلا موضعا للاذلال، فقد قال فى (أسد الغابه) ما يلى بنصه: " ختم الحجاج فى عنق سهل الساعدى و انس بن مالك و فى يد جابر بن عبد الله يريد إذلالهم"، و هؤلاء الثلاثه كانوا آخر من بقى من أصحاب رسول الله.

فإذا كانت الناحيه الإنسانيه لا- تهتم (الكاتب) فلا تروعه مجازر عشرات الألوف، أ فما كان يقتضى ان تهتمه الناحيه الإسلاميه فيغضب لاهانه عمر بن الخطاب فى شخص ابنه عبد الله، و قبل ذلك لاهانه الرسول فى اشخاص أصحابه؟ و نريد ان نسأل الكاتب عن "الأمن و الايمان و الأمانه و الأمان" فيما سنقصه عليه، و هو صورته عما كان يعانىه الشعب فى ظل الحاكم الذى يعجب به هذا الكاتب.

أحدث الحكام الذين تولوا حكم العرب و المسلمين منذ السنه (٤١) هجرية وظيفه جديده لتثبيت حكمهم هى وظيفه (صاحب العذاب). و يعنى ذكر اسم الوظيفه لمعرفه مهمه متولى أمرها.

و لقد كان لعبيد الله بن زياد بن سمييه (صاحب عذاب)، و من قصصه ما رواه ابن عبد البر فى كتاب (الاستيعاب) و هو يتحدث عن الصحابى قيس بن خرشه القيسى: "أراد عبيد الله بن زياد تعذيبه لأنه كان قوالا بالحق، فلما أعد له العذاب مات قبل ان يصيبه شىء".

و صاحب السيره الحلبيه يقول و هو يروى القصة: "ان عبيد الله بن زياد قال: اتتوني بصاحب العذاب، فمال عند ذلك قيس فمات".

لقد كان مجرد ذكر (صاحب العذاب) كافيا لأن يحدث صدمه فى نفس الصحابى قيس بن خرشه فيموت فى الحال.

و فى عهد الحجاج كان اسم (صاحب العذاب) (معد). و يروى صاحب كتاب (النجوم الزاهره) ما جرى لحطيط الزيات الكوفى مع الحجاج:

و بعد ان يعدد المؤلف بعض صفات حطيط الزيات بقوله: "كان عابدا زاهدا يصدع بالحق"، يروى حوارا جرى بينه و بين الحجاج، كان فيه حطيط شجاعا صريحا لم يحد عن خطه المستقيم. فقال معد (صاحب العذاب): انى أريد أن تدفعه إلى فو الله لأسمعك صياحه، فسلمه إليه فجعل يعذبه ليلته كلها و هو ساكت. فلما كان وقت الصبح كسر ساق حطيط، ثم دخل عليه الحجاج فقال له: ما فعلت بأسيرك، فقال: إن رأى الأمير ان يأخذ منى فقد أفسد على أهل سجنى، فقال الحجاج على به، فعذبه بأنواع العذاب و هو صابر، فكان ياتى بالمسال فيغرزها فى جسمه و هو صابر، ثم لفه فى باريه و القاه حتى مات.

أ هذا هو (الأمن و الأمان و الأمانه و الايمان) التى يصف بها الكاتب صاحبه الحجاج؟ و إذا كان الكاتب لا- تعنيه الناحيه الإنسانيه، و لا يؤثر فيه ذبح عشرات الألوف، أ فلا تؤثر فيه الناحيه الإسلاميه فيرثى لحال المسلم الذى وصف بأنه "عابد زاهد يصدع بالحق" و يتورع عن الثناء على من هذه أفعاله مع المسلمين الزاهدين العابدين الصادعين بالحق.

و من الطريف العجيب المحزن فى الوقت نفسه ان يذكر الكاتب قصه يعلم هو قبل غيره أنها خرافه من الخرافات، لذلك يقرن روايته لها بقوله: (كما تقول الروايه) و بقوله: (و يقال). و القصة تكذب نفسها بنفسها، و خلاصتها ان قائد الحجاج طلب من ملك الهند أن يملأ له قاعه القصر ذهباً ليكون ذلك الذهب غرامه حريه و ان الملك استجاب لذلك فملاً القاعه ذهباً! ان الكاتب نفسه يعلم ان أحدا ذا عقل سليم لا يمكن ان يصدق هذه الروايه، لذلك قرنها - كما ذكرنا من قبل - بقوله (كما تقول الروايه) و (يقال). و مع ذلك فقد انهى القصة بجعله لها حقيقه مسلمه فقال:

"أرسل القائد الشاب ذلك الذهب كله إلى الحجاج حاكم العراق، و أنفق الحجاج هذا المال فى إصلاح العراق و فى حاجات البلاد المفتوحه!"

ليتصور القارئ قاعه قصر امبراطور الهند، و ليتصور سعتها و مساحتها بالأمتار المكعبه. إنها ليست كوخاً، بل قاعه قصر امبراطور الهند، و كفى ذلك و صفا طولها و عرضها و ارتفاعها، ليتصور القارئ ذلك، فإذا تصوره فهل يتصور ان إنسانا ذا عقل سليم يمكن ان يصدق ان أحدا يمكنه ان يملأها ذهباً، و لو كان امبراطور الهند، لا سيما إذا كان هذا الأمر قد تم فى طرفه عين! بمثل هذه الخرافات الساذجه المفضوحه يريدون ان يغطوا فظائع جلادى الشعوب.

كلمه الختام

كما قلت فى مقدمه الكتاب: إذا بقيت فى الحياه بقيه - و انا الآن عند تحرير هذه الكلمات فى السابع من جمادى الثانيه سنه ١٤٠٧ و السادس من شباط سنه ١٩٨٧ على أبواب الثمانين - إذا بقيت فى الحياه بقيه، فانى سأتابع تدوين ما يجب تدوينه و استدراك ما فات و إذا شاءت إرادته الله غير ذلك فلعل وراء الغيب من سيوفقه الله للسير بموسوعه (أعيان الشيعة) مع الزمن جيلا بعد جيل لتظل مؤديه رسالتها، ناهضه بمهمتها، و ليس ذلك على الله بعزيز.

و الآمن - و انا اخط آخر سطر فى هذه المستدركات - أودع القراء الكرام وداع المشوق إليهم، المعتر بهم، الشاكر عطفهم. أودعهم و انا لا أدري ان كان سيقدر لى بعد ان ألقاهم أم لا. فإذا شاء الله ان ألقاهم مره ثانيه فسيطول الحديث بيننا، و إذا لم يشأ ذلك فليذكروا ابدا هذا الذى حرص كل الحرص و جهد كل الجهد على أن يقدم لهم الحقائق ناصعه، و ان يحفظ تاريخ فئه من الناس كان يخشى عليها الضياع.

أقول هذا و انا اعرف ان الكمال لله وحده، و كم يكون متفضلا على من يرشدنى إلى خطا وقعت فيه، أو يدلنى على حقيقه جهلتها.

هذه كلمتى إلى الجيل الذى يعاصرني و اعاصره، أما الأجيال الآتية التى ستقرأ ما دونته لها فى هذه الأوراق، ستقرأ ذلك فى ازمان غير زمننا و أحوال غير حالنا، فلعلها ستجد فيما ستقرؤه بعض الصوره عنا: أدبا و علما و فكرا و نضالا. فإذا وجدت ذلك فحسبى به تعزیه عن كل عناء كابدته فى سبيل إيصال هذه الصوره إليها.

و سلام عليكم أيها القارئون فى هذا الربع الأخير من القرن العشرين، و أيها القارئون فيما بعده من قرون.

حسن الأمين ابن السيد محسن الأمين

ص: ٢٦٥

نظام الملك أبو على الحسن

وردت ترجمته فى المجلد الخامس الصفحه ١٦٥ و فى مقدمتها ما يلى:

ذكرناه فى ج ١ من هذا الكتاب فى عداد وزراء الدوله السلجوقيه الشيعه، و لسنا نعلم الآن مأخذه، و لا بد أن نكون أخذناه من مصدر معتمد مع اننا فتشنا الآن على مأخذه فلم نجده.

هذا ما ذكره المؤلف فى الطبعه الأولى، و حين كنت أعد الكتاب لطبعته الجديده و اقرأ ما علقه المؤلف على بعض تراجمها و ما استدرك عليها، وجدت أنه علق على ترجمه نظام الملك بما يلى: "بعد التحرى تبين لنا أن صاحب هذه الترجمة ليس من موضوع كتابنا و ان ذكره فيه كان خطأ" (انتهى).

و لقد ترددت فيما أفعله فى هذه الترجمة هل أسقطها من الكتاب بعد ان ثبت للمؤلف انه ليس شيعيا، أم افعل شيئا آخر؟ و بعد التردد الطويل قررت أنه ما دام المؤلف قد تعب فى أعداد هذه الترجمة، و ان ذكرها ليس الاعمالا تاريخيا يفيد منه القارئ فى دراسه حياه رجل مسلم كان له شان كبير فى التاريخ الإسلامى، و إن لم يكن شيعيا، و أن فى اسقاطها من الكتاب هدر لجهد قام به المؤلف فى اعدادها، قررت إبقاءها فى الكتاب مع الإشارة إلى ما علقه المؤلف على طبعتها الأولى، و هكذا كان، و لكن هذه الإشارة سقطت خلال الطبع، لذلك فأننى أذكرها هنا.

و كذلك القول فى ولده أبو عبد الله الحسين المنشوره ترجمته فى الصفحه ٤٨٠ من المجلد الخامس.

الفارابى محمد بن أحمد

مرت ترجمته فى الصفحه ١٠٣ من المجلد التاسع. و فى الصفحه ١٠٨ تبدأ بحوث عن فلسفته، أولها (مع الفارابى الفيلسوف الروحى) ثم (مع الفارابى فى المدينه الفاضله). ثم (مع أهل المدينه الفاضله).

و هذه البحوث مكتوبه بقلم: الدكتور محمد مصطفى حلمى. و قد سقط توقيعه خلال الطباعه مما أسفنا له، و نشير إليه هنا

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديدآورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديدآور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم للقراء المجلد الثاني من (مستدركات اعيان الشيعة)، و بذلك أكون قد وفيت بوعدى لهم، شاكرًا لله على أن منّ بتحقيق ذلك، بعد أن منّ بما منّ به من انجاز الكتاب بكامله و إخراجہ بحلته التي خرج بها.

و إذا كانت نعم الله لا تحصى، فإن من تلك النعم ما لا ينسى، بل يظل ماثلاً في الذهن ما طلعت الشمس و توالى الليل و النهار، و يظل مبعث الحمد في كل ساعه.

و من اجلّ تلك النعم علىّ أن وفقني لأن أجعل من تلك المسودات المتراكمه التي تركها والدى مما لم يطبعه من اجزاء (اعيان الشيعة) - أن اجعلها كتباً مطبوعه و أسفاراً سائره كل مسير.

لقد كنت عند ما أبصر تلك المسودات و أجيل ناظرى عليها ماثوثة على الرفوف طبقه فوق طبقه - كنت استغرق في اليأس و الأسى، فمن لى بأن استوعب ما فيها، و اجمع متناثرها و ألم متنافرها، و من لى - إذا استطعت ذلك - بأن اضمهبا بعضها إلى بعض مجلدا بعد مجلد تصل إلى أيدي القراء.

لقد كان مبعث اسأى إنى عاجز عن إخراج مسودات (اعيان الشيعة) و إنى شبه يائس من أن لا تقف مواضعه عند حرف السين في الجزء الخامس و الثلاثين.

لقد كنت أحلم بأن أرى مواد حرف السين، ثم مواد الحروف الأخرى مرسومه رسماً طباعياً بعد أن كنت اقلبها بيديّ مرسومه رسماً كتابياً....

تلك كانت أحلام اليقظه و أحلام الهجوع. تلك كانت مطامعي و مطامحي!...

و من لى بأن يصبح الحلم امراً واقعاً، و من لى بتحقيق المطامع و المطامح!؟.

و لكن الله العلى القدير، الله الرحمن الرحيم، حوّل الحلم إلى حقيقه، و جعل المطامع و المطامح ملء اليد....

فإذا بموسوعه (أعيان الشيعة) تخرج في احد عشر مجلداً هي الغايه في الاناقه و الاتقان، ورقاً و طباعه و تجليداً.

و إذا بها لا تقف عند ذلك... و إذا بالمطامع و المطامح تتسع و تتسع، و إذا بى و أنا القانع اصبح الطامع الذى لا حدود لطمعه، و إذ بالاحد عشر مجلداً لا تسدّ خلتي و لا تشبع نهى، و إذا بى أركض من مكان إلى مكان، و أسعى من إنسان إلى إنسان، ركض الواله و سعى السغب!..

لقد خرج المجلد الأول من (المستدركات)، و ما هو المجلد الثاني يتبعه، فهل هذا الطمع، و هل قرّ النهم!؟.

لا...سيظان مستعرين ما دامت الأنفاس تتردد و القلب ينبض و الجسد يتحرك...و ما دام توفيق الله يرعاني، و رحمته تحوطني...

و إلى اللقاء في المجلد الثالث إن شاء الله.

رمضان ١٤٠٨

نيسان ١٩٨٨

حسن الأمين

ص: ٥

آمنه خاتم بنت الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد الكريم صاحب كتاب نظم الغرر

بن الشيخ محمد يحيى (صاحب ترجمان اللغة) ابن المولى محمد شفيح القزوينى بن محمد رفيع بن فتح الله القزوينيه.

ولدت فى قزوين سنه ١٢٠٢، و توفيت حدود سنه ١٢٦٩.

قرأت على أخيها الشيخ الميرزا عبد الوهاب القزوينى، و فى حدود سنه ١٢١٩ زفوها للشيخ محمد صالح البرغانى، ثم حضرت الفقه و الأصول على زوجها المذكور، و أخذت الحكمة و الفلسفه العاليه من حوزة الشيخ الملا- آغا الحكمى القزوينى فى المدرسه الصالحيه، كما حضرت مجلس درس الشيخ أحمد الأحسائى فى قزوين، حتى بلغت درجه عاليه فى العلم و الفضل، و كان زوجها يأمر النساء بالاعتداء بها و الرجوع إليها فى أحكام الدين، و كانت لها حوزة تدريس لنساء عصرها فى كل من كربلاء و قزوين، و قد أجازها زوجها و أخوها و الشيخ أحمد الأحسائى بإجازات مفصله، و كانت تقيه، عابده، زاهده، متورعه، و هى من أسباط السيد حسين القزوينى المتوفى سنه ١٢٠٨، شيخ السيد مهدي بحر العلوم و أم (قره العين) الشهيره. و من آثارها قصيده طويله فى ٤٨٠ بيتا عن لسان زينب الكبرى س، فى حوادث كربلاء، و لها بعض الرسائل مع أبى الثناء محمود الآلوسى حين نزلت بنتها قره العين فى دار الآلوسى ببغداد. (١).

السيد إبراهيم القطيفى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط: (٢)

له ذكر فى الرجال، و أثنى عليه أهل الكمال. أخذ العلوم الشرعيه عن صاحب البحار، و تصدر بامرہ فى كاشان. و له جملة من المؤلفات منها رساله فى فتح باب العلم فى زمن الغيبه. و رساله فى المحرمات، و كتاب فى الفقه لم يتم مات قدس سره سنه ١١١٢. الثانى عشر بعد المائة و الألف.

الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد النبى القدمى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من فضلاء أوام و المبرزين من أهل الكمال أخذ الفقه عن جدى صاحب الحدائق، و مجاز عنه و له عدہ رسائل، منها كتاب فى الأدب، و رساله فى القبله، و رساله فى الشكيات، و مسأله فى الجوهر و لم يحضرنى تاريخ وفاته.

الشيخ إبراهيم بن الشيخ يوسف الخطى

ذكره الشيخ الأحسائى فعظمه، و نقل عنه صاحب القوانين فائضى عليه، له الرساله المسماه ب "النجفيه" و لم توجد تأليفاته و تاريخ وفاته.

الشيخ أحمد بن حبيب الدندن

ولد في (الأحساء) و بها نشأ و ترعرع، و لا نعلم سنه مولده، و المعروف أنه تلقى كل دروسه العلميه في الأحساء على يد علمائها الأعلام. و كانت الأحساء في عصره مشرقه بالعلم و العلماء، و كان للنشاط العلمى فيها نمو و تفوق قليل النظير. و المترجم كان من تلامذه السيد هاشم السيد أحمد الموسوى الأحسائي، قائد الحركة العلميه في (مدينه المبرز) و وطن المترجم و لعله تتلمذ على غيره، و كان من الملازمين لأستاذه المذكور، و من المقربين لديه، حتى نال رتبه عاليه من العلم و الفضل و أصبح من العلماء الأجلاء، و كان أستاذه يمدحه و يثنى عليه ثناء بالغاً كما قيل.

و بعد وفاه أستاذه المذكور عام (١٣٠٩) هـ كان المترجم يرسل الشيخ محمد بن عبد الله آل عيثان الأحسائي، و يسأله عن مسائل علميه طوال سنه كامله، مما يدل على نشاطه العلمى و شغفه باكتساب المعارف.

توفى حدود عام (١٣١٠)، أى بعد وفاه أستاذه بحوالى عام واحد - كذا أفادنا بعض رجال أسرته - و كانت وفاته في وطنه مدينه (المبرز) من الأحساء و لم يخلف ذريه. و له أخ اسمه الشيخ حسين كان من أهل العلم أيضاً، و من تلامذه السيد هاشم المتقدم، و لا نعلم عن حاله شيئاً.

الشيخ أحمد الصحاف بن على

إشاره

*الشيخ أحمد الصحاف بن على (٣)

توفى سنه ١٣١٩ فى النجف.

آل (الصحاف) من الأسر العلميه الجليله التى أنجبت العديد من العلماء و الشعراء، و يعود نسب هذه الأسره إلى (ربيعه) إحدى القبائل العربيه الشهيره.

ص: ٧

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى

٢- تاريخ البحرين: هو كتاب خطى مؤلفه الشيخ محمد على بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ موسى بن الشيخ يوسف البحرانى صاحب كتاب الحدائق الناضره. و قد عثر على الكتاب فريق من شبان القطيف المناضلين، العاملين على نشر تراث بلادهم و قد لقيتهم فى مهجرهم فى طهران شتاء سنه ١٤٠٨ (١٩٨٨ م)، حيث نجوا بأنفسهم من الجور و الظلم، فتالفوا و اجتمعوا، و خططوا لخدمه موطنهم، الذى كان فى يوم من الأيام مناره من منارات العلم و الشعر و الفكر و الأدب، فكان من مناهج أولئك الشبان المجاهدين جمع ما تشتت من آثار بلادهم و العمل على نشرها و إحيائها، فكان مما عثروا عليه الكتاب المذكور فاستنسخوه بالآله الكاتبه و أعطوني نسخه، فكانت من مصادرى فى هذه المستدركات. و لا شك أن المؤلف قد أدى خدمه جلى لبلاده، و لكنه كان لا يذكر فى بعض من ترجمهم لا تاريخ الولاده و لا تاريخ الوفاه، إما لجهله بها كما قد يصرح، و إما إهمالاً، و قد رأينا أن ننقل نصوصه كما هى، مما سيراه القارئ فى طيات هذا الكتاب. و مؤلف الكتاب ولد سنه ١٢٩٨.

٣- السيد هاشم الشخص من كتابه المخطوط (أعلام هجر).

و كان لآل (الصحاف) وجود مرموق في (الأحساء) و (الكويت)، كما لهم امتداد في كل من (البحرين) و (القطيف) و (سوق الشيوخ) من العراق.

و المترجم واحد من ثلاثه إخوه، كلهم علماء أجلاء، ثانيهم الشيخ حسين الصحاف، و ثالثهم الشيخ كاظم الصحاف الشاعر الكبير المعروف، و آباء المترجم أيضا و أجداده كلهم من العلماء و الشعراء.

و نحن لا نعلم عن مولده شيئا، غير أنه عاش جل حياته في (الكويت)، حيث كان يعيش فيها أبوه و جده، و لعله ولد بها، و في (الكويت) أيضا تلقى جل دروسه العلميه على والده الشيخ علي و جده الشيخ محمد، حتى أصبح في عداد العلماء الفضلاء.

و كان جده الشيخ محمد الصحاف مرشدا دينيا في (الكويت)، و وكيلا من قبل المرجع الديني الشيخ محمد حسين أبو خمسين، فلما توفي الشيخ الصحاف سنة ١٣١٣ انتخب حفيده - صاحب الترجمة - ممثلا و وكيلا في جميع الشئون الدينيه عن الشيخ أبو خمسين المذكور. و بعد برهه يسيره من الزمن قرر المترجم مغادره (الكويت) و التوجه إلى النجف الأشرف، للحصول على رتبه أعلى في العلم، و كان ذلك - على ما يبدو - بعد وفاه المرجع الشيخ محمد حسين أبو خمسين سنة ١٣١٦، و في النجف الأشرف حظ المترجم رحله، و عاد يواصل دراسته العلميه. و لو لا أن الموت عاجله لتقدم وفاق، إذ توفي قبل أن يتجاوز عهد الشباب.

علمه و فضله

و ذكره أخوه الشيخ كاظم الصحاف في كتابه (تذكرة الأشراف) و صرح:

بأنه كان عالما فاضلا مراهقا للاجتهد، و قال في شأنه أيضا: "و كان الشيخ أحمد مع ارتقائه في العلم تقيا، عابدا، زاهدا، متهجدا، و كاتبا ماهرا، و شاعرا باهرا".

له ديوان شعر مخطوط يحتوى على جملة من القصائد في مدح النبي (ص) و أهل بيته الكرام. (١)

مسكويه أحمد بن محمد

مرت ترجمته في الصفحة ١٥٨ من المجلد الثالث، و نشر هنا ما كتبه عنه محمد حسين ظاظا:

نعرض اليوم بايجاز لفيلسوف إسلامي، أخرج للناس دستورا إيجابيا أخلاقيا طريفا قوامه المنطق الصحيح و الذوق السليم، بحيث لو تبعوه في حياتهم لنالوا به السعادة الحق دنيا و آخرة. و نعى به الفيلسوف "أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه" صاحب "كتاب تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق"، و هو الكتاب المعروف الذي نصح الامام "محمد عبده" بتدريسه في الأزهر إلى جانب الأحياء للغزالي، و الذي قام "علي باشا رفاعه" بنشره و تبويبه، و الذي شرع "سعد زغلول" في اختصاره و التعليق عليه دون أن يتمه.

عاش ابن مسكويه (٢) في العصر العباسي، الذي يمتاز بشده ضعف الخلافة العباسيه، و بقيام دويلات لا يعترف أكثرها للخليفه

بغير السلطه الاسميه. و يهنا من هذه الدولات الدوله البويهيه (٣٢٠ - ٤٤٧ هـ) لأن ابن مسكويه عاش و مات فى كنفها. و كان ملوكها يحبون العلم و الأدب و لا يستوزرون أو يستكتبون إلا عظماء الأدباء كالمهلبى و ابن العميد و ابن عباد و غيرهم. و كانت مجالسهم أبدا حافله بكبار الشعراء و العلماء و الفلاسفه و من على شاكلتهم. لذلك لا عجب أن يمتاز هذا العصر بنضج العلم، و تكوين المعاجم اللغويه، و استقرار الإنشاء على أسلوب مثالى. و لا عجب أن تنمو الفلسفه و تزهر، و تستقر قواعد الطبيعيات و الطب، و يتسع خيال الشعراء، و يظهر الشعر الفلسفى، و ينمو فن التاريخ و الجغرافيا، و يظهر النقد الأدبى، و تؤلف القصص المجازيه، و تنتشر المكاتب حاويه لألوف المخطوطات، أجل و لا عجب أن يظهر أمثال ابن سينا، و ابن مسكويه، و الهمذانى، و الخوارزمى، و المتنبى، و أبى فراس، و الأصفهانى، و القالى و الثعالبى، و التوحيدى، و الصابى، و الشريف الرضى، و التنوخى، و الطبرى.

٢ - حياته

و عسير جدا أن نتلمس حياته فيما ترك من كتب أو فيما ذكر عنه الكتاب و المؤرخون. و كل ما قد استطعنا كشفه من المؤلفات و التراجم العديده التى أطلعنا عليها، هو أنه ولد حوالى عام ٣٣٠ هـ و مات فى ٩ صفر سنه ٤٢١ هـ (١٦ فبراير سنه ١٠٣٠ م)، و كان مولده "بالرى" فى أسره فارسىه شريفه. و سرعان ما يترك والده أمه، فيبقى هو راعيا لها حتى تتزوج بغير أبيه، فيتركها و ينزح إلى بغداد شابا. و هناك يتصل بالوزير "المهلبى" حوالى سنه ٣٤٨ هـ و يدخل فى خدمته ككاتم لسره، و يبقى إلى جانبه ينادمه و يسامره حتى عام ٣٥٢ هـ، و هو عام وفاه الوزير، و من ثم يعود إلى الرى حيث يلتحق بخزانه الوزير العظيم "ابن العميد" و ينال ثقته و محبته و صداقته، و يبقى معه حتى عام سنه ٣٦٠ هـ لينتقل بعد وفاته إلى خدمه ولده الوزير "أبى الفتح". و قد بقى فى خدمه هذا الشاب حتى تنكر له الدهر و دخل الوزير السجن سنه ٣٦٦ هـ. ثم التحق بعدئذ بخدمه "عضد الدوله" الذى استولى على بغداد، كما التحق بعده بخدمه صمصام الدوله و شرفها حتى عام ٣٧٩ هـ، و هو العام الذى دخل فيه فى خدمه "بهاء الدوله" و اختص به و عظم قدره عنده. و هكذا انتقل ابن مسكويه من خدمه وزير إلى سلطان، حتى هرم و شعر بدنو الموت، فانتقل كما يقول صاحب "روضات الجنات" إلى "أصبهان" حيث مات عام ٤٢١ هـ.

٣ - ثقافته و أخلاقياته

و قد تثقف ثقافه أدبيه واسعاه، و نهل من مجالس العلم و مكتباته، و عنى عنايه خاصه بالأخلاق فدرس حكمها عند الفرس و العرب و الهنود و الروم، و جمع ما راقه من هذه الحكم و أخرجها فى كتاب لا يزال مخطوطا. هذا إلى أنه قرأ ما قد خلفه أرسطو و أفلاطون و جالينوس فى هذه الناحيه و محصه تمحيصا. و كأنما دفعته تربيته العائليه السليمه، و قلبه الكبير الحى، و تجربته الأليمه فى مجالس السلاطين و الوزراء، إلى إنقاذ عصره و العصور التى تليه من السياسه الخرقاء و الأخلاق المعتهله، فراح يقرأ فى الأخلاق و يؤلف، و يخرج للناس كتبا فيها من المنطق الصحيح ما يهديهم إلى "كمالهم الإنسانى"، و يأخذ بيدهم إلى طريق الفضائل و العلوم لتتم لهم السعاده التى ينشدونها عبثا فى تلك الخيرات الوهميه الخارجيه، خيرات "الكون و الفساد". و قد تجلت هذه النزعه فيما ترك من عهد عاهد فيه نفسه "أن يجاهدوا و يتفقد أمرها ما استطاع، فيعف و يشجع و يحكم، و يقتصد

١- السيد هاشم الشخص من كتابه المخطوط (أعلام هجر).

٢- هو مسكويه لا ابن مسكويه، كما يكرر الكاتب "ح".

فى مارب بانه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته، و يحارب دواعى نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوه قبيحه و لا غضب فى غير موضعه، و يستبصر فى اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شىء من العلوم و المعارف الصالحة، ليصلح أولاً نفسه و يهذبها و يحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التى هى العدالة... (١) إلخ " ...أقول تجلت هذه النزعة فى ذلك العهد الطريف، و تجلت كذلك فى كتابه التاريخى المعروف "تجارب الأمم و عواقب الهمم" و هو الكتاب الذى فضح فيه بجرأه و صراحه الكثير من رذائل السلاطين، الذين خدم أولادهم و أحفادهم (٢) كما تجلت على الخصوص فى كتابه العظيم الذى نحدثك عنه الآن:

٤ - كتاب تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق

و يعتبر هذا الكتاب أهم كتبه الأخلاقية و أطرفها و أكملها، (٣) و نظراً لأن ابن مسكويه كان أديبا شاعرا يحذق العربية و الفارسية على السواء، فان أسلوبه فيه يمتاز بالسلاسه و الرقه و العذوبه على غير عادة الفلاسفه الإسلاميين. و قد أعجب "الطوسى" به كل الاعجاب فترجمه إلى الفارسيه و قال عنه:

بنفسى كتاب حاز كل فضيله و صار لتكميل البريه ضامنا

مؤلفه قد أبرز الحق خالصا بتأليفه من بعد ما كان كامنا

و اسمه باسم الطهاره قاضيا به حق معناه و لم يك ماثنا

لقد بذل المجهود لله دره فما كان فى نصح الخلائق خائنا

و الكتاب بعد هذا ست مقالات، تدور كما قلنا حول الأخلاق الايجابية للإنسان، أى الأخلاق التى تليق به من حيث هو حيوان ناطق. و لذلك نراه يفرق فى مقاله الأولى بين النفس و الجسد تفريقا يثبت به روحانيه الأولى و خلودها، و احتياج قواها المختلفه إلى كمال خاص يتفق و ما فيها من عقل مسيطر و فكر مقدس. و نراه يتناول فى الثانيه خلق الإنسان و قابليته للتغير و التهذيب و مدى أثر المعرفه فى العمل الخلقى، و يتادى من ذلك إلى " المنزله الرفيعه " الجديره بالإنسان و ما ذا عسى أن يعوقنا عنها. أما مقاله الثالثه فلا تتناول غير موضوع السعاده بالبسط و المناقشه و العرض. و أما مقاله الرابعه فتحدد الأعمال الخلقية و تميزها عن غيرها، و تنتهى بنا إلى مقاله الخامسه التى يبسط فيها أنواع المحبه بوجه عام، و محبه الصديق على الخصوص. و أخيرا تأتى مقاله السادسه لتبين لنا طريق حفظ الصحه على النفس و معالجتها إذا مرضت.

و يطول بنا المقام إذا أردنا أن نبين وجه الطرافه و الجمال و الإنساق فى هذه المقالات البعيده فى منهجها عن منهج الدينين - (كالبصرى فى كتاب أدب الدنيا و الدين) - (٤)، و المعتمده فى طريقتها على الاستقراء العلمى الدقيق الذى " يكاد " ينطق [ينطق] بالتطور، و الذى يرسل البصر فى الكون كله و يحدد للإنسان ماهيته و عمله فيه!.

أما مصادره فى ذلك الكتاب فهى تلك الثقافه الخلقية الواسعه التى استمدتها من الأمم الأربع، و التى يلوح فيها القرآن متفقا مع أرسطو و أفلاطون و جالينوس و غيرهم من حكماء اليونان على الخصوص.

و إذا حاولنا أن نعقد مقارنه بين هذا الكتاب و بين كتاب أرسطو " إلى نيكوماخوس ": وجدنا ابن مسكويه ييز المعلم الأول أحيانا فى الوضوح و الانسجام، و يتفوق عليه فى فصول خاصه كفصل الصداقه و الصديق، و يزيد على فصوله فصولا أخرى جوهرية كفصلى " دفع الأحزان " و " حفظ الصحه على النفس السليمه "!!.

لذلك ننصح القارئ العزيز بقراءه هذا الكتاب مره و مره و مره، و يجعله دستورا له فى حياته كإنسان يرنو إلى السعاده الحق دنيا و آخره " و نختم هذا التعريف الموجز بقول ابن مسكويه لابن العميد:

لا يعجبك حسن القصر تنزله فضيله الشمس ليست فى منازلها

لو زيدت الشمس فى أبراجها مائه ما زاد ذلك شيئا فى فضائلها

أو بقوله لعميد الملك:

فانظر إلى سير القوم الذين مضوا و الحظ كتابتهم من باطن الكتب

تجد تفاوتهم فى الفضل مختلفا و إن تقاربت الأحوال فى النسب

هذا كتاج على رأس يعظمه و ذاك كالشعر الجافى على الذنب

!!

مسكويه و تصنيفه تجارب الأمم

و قال الدكتور أبو القاسم إمامى: (٥)

لم يرد فى المصادر القديمه التى وصلت إلينا، ذكر بالتفصيل عن حياه مسكويه يجب على الكثير من الأسئلة المطروحه أمام دارسيه. و كل ما لدينا هو قطع مبعثره فى هذا المصدر أو ذاك، كتبها أصحاب التراجم و مؤرخو الحكمه، و هى نزر قليل للغايه. و من حسن الحظ أن نرى كاتبا حكيمًا من كبار الحكماء المعاصرين لمسكويه، من يعرف مسكويه عن كتب و يقدر القيم التى تنطوى عليها شخصيته، نراه و لم يقنع ما كتبه عن مسكويه فى كتابه بقدر ما كتبه حول الحكماء الآخرين، بالاختصار و التلخيص، بل يعدنا فيه أنه سيخصص رساله بمسكويه، يعالج فيها مزيدا من تفاصيل حياته، و هذا الحكيم هو أبو سليمان المنطقى الذى يعد بدوره من أعظم الحكماء فى تلك الحقبة. ثم نرى - و هذا من سوء الحظ - أن ما وعده أبو سليمان لم يصل إلينا أيضا، سواء لم يوفق فى إنجاز ما وعد، أو لأنه أنجزه، و لكن صروف الدهر هى التى حرمتنا هذه الوثيقه التى كان من شأنها أن تغنينا مما هو مبعثر هنا و هناك، و ليس إلا تردادا لقليل من الكثير اللازم فى التعرف على حياه مسكويه. أما ما وعد به أبو سليمان، فهو ما قاله فى كتابه صوان الحكمه: "... أما ما سمعته من مجارى حياته، و شاهدته من سيره الحسنه، و أخلاقه الطاهره، فسأفرد فيه رساله أقصرها على ذلك، إذ ليس يحتمل هذا الموضوع أكثر مما ذكرته. "م.

- ١- انظر الإرشاد لياقوت، و المقابسات للسندوبي.
- ٢- وقد أعجب المستشرقون بذلك الكتاب و بدقته العلميه فطبعته لجنه جيب التذكاريه، و مجده الأستاذ "مرجليوث" في مقدمه لكتابه الإنجليزى (سقوط الخلافه العباسيه) و فى كتابه "محاضرات فى مؤرخى العرب".
- ٣- و له غير هذا الكتاب كتاب "جاويدان خرد" أى - العقل الأزلى - جمع فيه آداب العرب و الفرس و الهنود و الروم و جعله مصداقا للقوانين الخلقيه التى ذكرها فى "التهذيب"، و له كذلك رساله صغيره فى السعاده كتبها لصديقه ابن العميد لا تخرج فى معناها عما فى التهذيب، و كتاب ثالث يسمى "بالفوز الأصغر" و يعتبر أساسا لفلسفته الخلقيه و إيمانه الدينى الفلسفى. و هذان الأخيران مطبوعان. أما الأول فما يزال مخطوطا بمكاتب أوروبا و لا سيما مكتبه باريس الأهليه
- ٤- انظر على الخصوص كلامه فى دفع الغم و الحزن و وجوب عدم الخوف من الموت، أو كلاما فى خلود النفس، أو رايه فى اختيار الصديق و الاحتفاظ به.
- ٥- مقدمه تجارب الأمم.

و كان ظهور هذا الوعد في الصوان، و مصيره المجهول بعد ذلك، بالنسبة للمعنيين بدراسه مسكويه " غمامه أبرقت - كما قال القائل - قوما عطاشا، فلما رأوها، أقشعت و تجلت " و لم تمطر ما يشفى غليلهم.

و أما تصنيفه تجارب الأمم، الذى ضمنه فى الجزءين الأخيرين منه حوادث عصره، و من خلالها بعض حوادث حياته، فهذا المصدر أيضا، يتوقف عند سنة ٣٦٩ هـ، و هذا يعنى أن مسكويه عاش بعد ذلك حوالى نصف قرن، تاركا كتابه الحوادث المتبقية من عصره، الحوادث التى كان من شأنها أن تلقى مزيدا من الضوء على النصف الثانى من حياته أيضا، و ذلك من خلال اتصاله الوثيق بالشخصيات المشاركة فى تلك الحوادث، حيث كان مسكويه من وجوه أوساطهم.

الفترة التى عاشها

عاش مسكويه حوالى مائه سنة، و وصل إلى أرذل العمر الذى امتد من سنة ٣٢٠ هـ على الأقوى، إلى التاسع من صفر سنة ٤٢١ هـ بالتحديد على ما ذكره ياقوت نقلا عن يحيى بن منده. و يبدو أن مرجوليوث هو أول من حاول تحديد مولد مسكويه، و ذلك فى المقدمة التى قدمها لترجمته الإنجليزية للجزءين الأخيرين من تجارب الأمم (انظر: P., Pref., iitheEcl.)، فنراه و قد حدد مولد مسكويه " مؤقتا " سنة ٣٣٠ هـ، ثم يعود قائلا: " أو أسبق بقليل " ثم يحاول الدكتور عزت (ص ٧٩-٨٠) تقديم هذا التاريخ من ٣٣٠ إلى ٣٢٥ هـ كما يقدمه الدكتور عبد الرحمن بدوى (ص ٢٠-٢١) أكثر من ذلك و يجعله سنة ٣٢٠ قائلا: " إن لم يكن قبل ذلك " و أما الدلائل أو الأمارات الموجودة لتحديد مولد مسكويه فهى:

١ - ما قاله مسكويه نفسه فى تجارب الأمم فى مقدمه حوادث سنة ٣٤٠ فصاعدا، و ذكر مصادره فى تقرير تلك الحوادث. قال: " أكثر ما أحكيه بعد هذه السنه، [أى بعد سنة ٣٤٠ هـ] فهو عن مشاهدته و عيان، أو خبر محصل يجرى عندي خبره مجرى ما عاينته. و ذلك أن مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضى الله عنه - خبرنى عن هذه الواقعة و غيرها بما دبره و ما اتفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة و السكون إلى صدقه، و مثل أبى محمد المهلبى - رحمه الله - خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه، و ذلك بطول الصحبه و كثره المجالسه، و حدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما استفاد منه تجربته و أنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره، و ما شاهدته و تجربته بنفسى فسأحكيه أيضا بمشيئه الله ".

٢ - ما قاله مسكويه فى تجارب الأمم أيضا عن نفسه، (انظر حوادث سنة ٣٤١). و ذلك عند ذكر معز الدوله بالحده و البذاءه، و موقف الوزير المهلبى من أخلاقه. قال مسكويه: " و كان معز الدوله حديدا، سريع الغضب، بذى اللسان، يكثر سب وزرائه و المحتشمين من حشمه، و يفترى عليهم، فكان يلحق المهلبى - رحمه الله - من فحشه و شتمه عرضه ما لا- صبر لأحد عليه، فيحتمل ذلك احتمال من لا- يكثر له و ينصرف إلى منزله، و كنت أنادمه فى الوقت، فلا أرى لما يسمعه فيه أثرا، و يجلس لأنسه نشيطا مسرورا... ".

أما فى الدليل الأول فيحدثنا مسكويه عن " طول الصحبه و كثره المجالسه " التى كانت بينه و بين الوزير المهلبى، و فى الدليل الثانى يقول: " و كنت أنادمه فى الوقت ".

و المعروف أن المهلبى قد تولى الكتابه لمعز الدوله سنة ٣٣٩ هـ و خوطب بالوزاره سنة ٣٤٥ هـ، و توفى فى شعبان سنة ٣٥٢ (انظر

التجارب، حوادث سنوات ٣٣٩، ،)، و الفتره الواقعه بين سنتي و هي التي كانت فيها تلك المنادمه و الصحبه و المجالسه، التي وصفها مسكويه بالكثره و الطول. نعم صحيح أنه "قد صحب الوزير المهلبى فى أيام شببته" - كما صرح به أبو سليمان أيضا فى الصوان (ص ٣٤٦-٣٤٧) - و لكن مسكويه فى هذه الشبب، لا- يمكن أن تكون سنه أقل من ٢٥ سنه، و خاصه بالنظر إلى أنه "كان من خواصه و وجوه المختصين به" - كما أضاف أبو سليمان - و كان من الحنكه و البصيره على مستوى جعل المهلبى يتخذ نديما له و "يخبره بأكثر ما جرى فى أيامه"، كما جعل مسكويه يعد نفسه مصدرا من مصادر تاريخ سنه ٣٤٠ فصاعدا، و ذلك فى قوله: "و أنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره، و ما شاهدته و تجربته بنفسى، فسأحكيه بمشيئه الله". فبذلك لا يصح أن يكون مولده بعد سنه ٣٢٠، كما تكون منادمته و صحبته الطويله و مجالسته الكثيره للوزير المهلبى ابتداء من عام ٣٤٥ أى دون احتساب الخمس السنوات الأولى (٣٣٩ - ٣٤٤ هـ) من وزاره المهلبى و ذلك لبعض الاحتمالات السلبيه التي قد تعترى هذا الافتراض.

٣- و هناك دليل آخر، و هو دليل على طول عمره أكثر من كونه دليلا على تحديد سنواته أو تحديد ميلاده، و هو أن لمسكويه أبياتا يشكو فيها "سوء أثر الهرم و بلوغه أرذل العمر" (انظر الثعالبى التتمه ص ٩٦).

فبهذا لا نستبعد أن يكون مسكويه قد عمر مائه سنه كامله (٣٢٠ - ٤٢١) إن لم نقل أكثر من ذلك، و عاش قرنا كاملا هو ألمع القرون الإسلاميه حضاره، و هو عصر النهضه فى الإسلام كما سماه آدم مترز. و إذا عرفنا أن دوله البويهيين قد بدأت هى أيضا فى سنه ٣٢٠ هـ، فيكون مسكويه و الدوله البويهيه، تربين، أو، لدين، تعاصرا قرنا كاملا. و السنوات المائه هذه كانت قمه ازدهار تلك الدوله. و أما السنوات المتبقيه من عمر الدوله (٢٧-٤٢١ - ٤٤٨ هـ) فهى سنوات تنحدر الأسره البويهيه فيها، إلى الضعف و الاضمحلال. فبذلك، يصبح مسكويه و ثيقه حيه من أوثق و وثائق تلك الحقبة التاريخيه التي لها خصائص و ميزات فى تاريخ الفكر و العلم الإسلاميين، و إن كانت بالنسبه للخلافه العباسيه عصر تفكك و تعدد فى مراكز الحكم، و هذا بالذات، أدى إلى تعدد مراكز العلم أيضا، كما أدى إلى ازدهار تلك المراكز، و نبوغ العلماء المتمين إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامى آنذاك، و ذلك لتنافس الأمراء و تفاخرهم فيما بينهم باجتذاب العلماء و الأدباء إلى بلاطاتهم. فنبغ فى غضون ذلك رجال علم و حكمه و أدب و سياسه عاصرهم مسكويه و عاصروه، و كان مسكويه على اتصال و ثيق بكثير منهم.

مسكويه، لا ابن مسكويه

و اختلفوا لا سيما فى القرون الإسلاميه الأخيره فى أنه: من هو الملقب بمسكويه؟ هو، أو أبوه محمد، أو جده يعقوب؟.

أولاً إلى عدم الانتباه إلى التسميه التي سماها بها معاصروه من أصدقائه و زملائه، و ثانياً، لأن بعض المتأخرين رأوا مسكويه يسمي نفسه بشكل لا- يمكن معه البت، لو لم نستدل بما دعاه معاصروه. فاننا نراه قد يسمي نفسه "الأستاذ أحمد بن محمد مسكويه" (انظر التجارب ١٣٦، ١٣٦، ٣١٠، ٥، جاويدان خرد (الحكمه الخالده): ٣٧٥)، كما قد يسمي "أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه" (أيضا جاويدان خرد ص ٥، و رسالته إلى أبي حيان في ماهيه العدل، ص ١٢).

فوق "مسكويه" تارة بعد اسم أبيه محمد، و تارة بعد اسم جده يعقوب، كان سبب الخطا الذي شاع في ما بعد، في ضبط اسم مسكويه، فأوهم بعض الكتاب أن مسكويه لقب لأبيه، أو جده، فكتبوه: "أحمد بن مسكويه"، أو:

"أحمد بن محمد بن مسكويه" أو بشكل أغرب: "أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه"، بمعنى أن "مسكويه" أصبح لقباً لجد جده (انظر الخوانساري، الروضات ١: ٢٥٤، و الطهراني، الذريعه ٣: ٣٤٧).

و الحقيقة أنه عند ما يقال: "أحمد مسكويه" أو "أحمد بن محمد مسكويه"، أو "أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه"، فالقصد أن يجيء اللقب بعد أحمد أي بعد اسمه، فإذا ذكر الاسم وحده فاللقب يتلوه مباشرة. و لكن إذا ذكر الاسم مخصصاً بذكر اسم الأب، فيجيء اللقب بعد ذكر الأب، و إذا كان هناك تخصيص آخر بذكر اسم الجد فيأتي اللقب بعد ذكر اسم الجد، و هكذا. لأن مسكويه ذاته لم يذكر اسمه متلوا باسم أبيه، أو جده دائماً، بل نراه أحيانا يذكر لقبه بعد كنيته (أبي علي) فقط، و نراه يفعل ذلك بتكرار مشهود يبدد كل الشكوك بهذا الصدد، ففي شوامله على هوامل أبي حيان التي يبلغ عددها ١٧٥ مسأله، نراه يذكر اسمه في مستهل كل جواب بقوله: "قال أبو علي مسكويه" اللهم إلا في الاجابه الأولى، حيث يذكر اسمه متلوا باسم أبيه فيقول: "قال أبو علي أحمد بن محمد مسكويه"، أي لمره واحده فقط، و ذلك لتخصيص اسمه باسم أبيه كما أشرنا إلى ذلك، فاحمد نفسه هو الملقب بمسكويه، و ليس ابنا لمسكويه، أو سبطا له.

و أما المعاصرون لمسكويه (٣٢٠ - ٤٢١) الذين سموه في كتبهم "مسكويه" فهم: أبو سليمان المنطقي (٣١٠ - ٣٩١ هـ) في صوان الحكمه: ص ٣٢١، و أبو حيان التوحيدى (٣٢٠ - ٤١٤ هـ) في الامتاع: ١: ٣٥، ١٣٦، ٢٢٧: ٣، و في الصداقه و الصديق: ٦٧-٦٨، و في مثالب الوزيرين: ١٨-١٩، و في المقابسات: ٢٥-٢٦، و أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) في تتمه اليتيمه ١: ٩٦، و أبو بكر الخوارزمي (... - ٣٨٢ هـ) في رسائله: ١٠٢. و أما بديع الزمان الهمداني (... - ٣٨٩ هـ) فنقل ضبطه ياقوت في معجم الأدباء حيث قال: "و للبديع الهمداني إلى أبي علي مسكويه" على أن هناك طبعه غير محققه من رسائل البديع (ص ١٠٠، ٣٢٣) و ورد فيها اسم مسكويه بصوره خاطئه هكذا:

"أبو علي بن مشكويه" فلو كان ضبط البديع كمصدر لياقوت مخالفا لضبط ياقوت، أو ضبط أبي حيان، أو ضبط ابن منده، من الذين ذكرهم ياقوت في معجمه، لكان ياقوت ذكر الاختلاف.

و أما القدماء من غير معاصري مسكويه الذين سموه "مسكويه" أيضا فهم:

الروذراورى (٤٣٧ - ٤٨٨ هـ) في مقدمته على الذيل (ص ٨)، و ابن أبي أصيبعه (٥٧٩ - ٦١٦ هـ) في عيون الأنباء (الطبعات الثلاث ص ٢٤٥، ص ٢٤٦، ص ٣٣١)، و ياقوت في معجم الأدباء (نشره مرجوليوت ج ٥: ص ٥، ٦، ١٠، ١١)، و الصفدى (٦٩٦ - ٧٦٤

ه) نقل كلام ياقوت بتمامه (انظر مرجوليوت في نشرته لياقوت ٥:٥ الحاشيه). وقد صرح ياقوت بان مسكويه لقب لأحمد حيث ذكره في عنوان كلامه بقوله:

"أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه" (برفع "الملقب") و الحق مع مرجوليوت حيث ضبط "الملقب" بالرفع نعتا لأحمد لا- ليعقوب، و ذلك لأن مرجوليوت شاهد بوضوح أن ياقوت نفسه يكرر ذكر مسكويه في خمس مواضع (ناقلا- عن معاصريه) بلفظ مسكويه، فلم يتردد في ضبط "الملقب" بالرفع إذا كان الضبط منه و ليس من مخطوطه معجم الأدباء، و نحن نعتبر ابن منده أيضا من الذين ذكروا مسكويه، "مسكويه" حيث نرى ياقوت ينقل عنه بنفس الضبط.

و من هؤلاء القدماء القفطي (٥٦٤ - ٦٤٦هـ) في تاريخ الحكماء (ص ٣٣١) و نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢هـ) في أخلاق ناصري (باللغه الفارسيه ص ٣٥، ٣٦)، و حاجي خليفه (المتوفى ١٠٦٧هـ) في كشف الظنون، و السخاوي (القرن التاسع) في التويخ (ص ٣٩).

و أما في الموسوعات و دوائر المعارف، فهو مسكويه أيضا في: دائره المعارف الإسلاميه (الطبعه الجديده، الإنجليزيه و الفرنسيه) انسحابا من الموقف في الطبعه القديمه، ففي تلك الطبعه ورد "ابن مسكويه" كما في الطبعه العربيه و الطبعه الفارسيه (دانشنامه إيران و إسلام)، و هو مسكويه أيضا عند دهخدا في لغت نامه، و كذلك في دائره المعارف للبستاني، كما صرح في أعيان الشيعة بقوله:

"مسكويه لقب أحمد نفسه كما صرح به جماعه...".

أما الدراسات المستقله التي نشرت عن مسكويه، فهو في كلها مسكويه كما رأيت من عناوينها التي سبق أن ذكرناها.

و من بين المستشرقين فان مرجوليوت أيضا صرح بقوله: "إن مسكويه لقب له بالذات لا لأبيه و هذا يظهر بجلاء كثير من كلام معاصريه.. (انظر TheEcl.,preface,ii) و كذلك برجشتر أيسر الذي أورد مواضع جاء فيها "مسكويه" بدون "ابن" (انظر: ZDMG, 65, P. ٦٧٤)، كما أخبرنا الدكتور عزت عن مخطوطات رسائل مسكويه (مجموعه راغب باشا) جاء فيها ضبط "مسكويه" بالصوره الصحيحه.

أما ما ورد في مخطوطه كتاب تاريخ الحكماء لليهقي (انظر عزت: ١٤٦) أو في مخطوطه نزهه الأرواح للشهرزوري حيث جاء "ابن مسكويه" فهو اقتضا محرف خاطئ من صوان الحكمه لأبي سليمان، و نحن عرفنا ضبط أبي سليمان سواء في ما نقله عنه ياقوت، أو في الصوان نفسه في نشره بدوي (ص ٣٢١، ٣٤٦). فهاتان المخطوطتان لا- يمكن الاعتماد عليهما، و لعل أخطاء المتأخرين في ضبط اسم مسكويه إنما نشأ عنهما.

و إما ما جاء في مخطوطه ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ) الذي كتبه بخط يده (المتحف البريطاني، الإضافات، رقم ٢٥٧٣٥، ورقه ١٠ ب) و الذي اعتمد عليه بروكلمن (GAL، الملحق ١: ٥٨٢ رقم ١) و قال "من المحتمل أن يكون مسكويه - و أصله مشكويه - لقب جدّه" كما فعل أيمدروز (Note on the Hist. P. XVI) فمردود ما دام مسكويه و معاصروه الكبار يشهدون بخلافه.

مسكويه (ابن محمد بن يعقوب) أى اللقب له، لا لأبيه، أو لجدّه، أو لجد جده!.

مسكويه: مشكويه

إن الأصل الفارسي لمسكويه هو "مشكويه" كما جاء فى بعض طبعات رسائل الهمذاني، و عند دولت شاه السمرقندى (القرن التاسع الهجرى) فى تذكره الشعراء، (ص ٢٤) و عند يوستى فى الأسماء الإيرانية (بالألمانية، ص ٢١٨)، و عند بروكلمن (الملحق ١: ٥٨٢ الحاشية) و عند جب (Gibb) فى دائره المعارف الإسلاميه، و كذلك عند ليف من الكتاب الايرانيين منهم سعيد نفيسى فى ترجمته لابن سينا (ص ١٣١)، و الدكتور دانش بجوه على ظهر نشرته لجاويدان خرد.

أما فى تاريخ كمبردج فالشكل الفارسي للاسم بالسین: مسكويه: Muskuya (انظر -CambHist.ofIran,vol.٤,P.٤٢٩-٣٠٥). و هذا غريب. لأن النطق الفارسي للكلمه منذ عصر مسكويه، أو أسبق من ذلك، لا يعترف بوجود حرف السین فيها، مهما يكن من أمر أصلها فى اللغات الهند و إيرانيه القديمه.

فالسین هذه علامه وجود شكلين لتعريب هذا الاسم: مسكويه، مسكويه.

و الأول أوفق للنطق العربى، و الثانى أقرب إلى الشكل الفارسي: مشكويه.

إن كلمه مشكويه تركبت من جزءين: مشك + أويه (moshk+uyeh) أما الجزء الأول فهو فى الفارسيه بضم الميم و كسرهما، و أصله فى السنسكريتيه muska (مصغر: Mus بالفارسيه موش: الفأره)، و فى اليونانيه Moskos، و فى اللاتينيه Muskus، و معنى الكلمه: ماده العطره المعروفه المأخوذه من غزال المسك، و لا حاجه إلى القول أنه عرب إلى "مسك" قال الجوهري: المسك من الطيب فارسي معرب. قال: و كانت العرب تسميه "المشموم". أما الجزء الثانى (أويه) فهو لاحقه تلحق بالكلمات لبيان الاتصاف، أو النسبه أو التصغير، أو الاستعطاف. و أما إذا قلنا "مشك" (Mashk) بفتح الميم، فمعناه جلد الغنم مدبوغا و غير مدبوغ، أو الوعاء الذى يصنع منه و يجعل السقاء فيه الماء. و تعريبه "مسك" بالسین المهمله و بنفس المعنى (انظر اللسان، نفس ماده). و هذا الشكل بمعناه ربما يهيم الذين ضبطوا "مسكويه" بفتح الميم، كما نجدّه عند مرجوليوث فى نشرته لمعجم ياقوت (٥: ١٧-٥) مع العلم بأنه ذكره بالكسر فى مقدمته لترجمه تجارب الأمم.

أوصافه و ألقابه الأخرى

لقد وصفه المترجمون له من القدماء و المتأخرين بقولهم: الحكيم، المتكلم، الفيلسوف، الأخلاقى، المؤرخ، الرياضى، المهندس، اللغوى، الأديب، الشاعر، الكاتب، الذكى، الناقد، النافذ الفهم، الكثير الاطلاع على كتب الأقدمين و لغاتهم المتروكه. كما كان من ألقابه، علاوه على لقب مسكويه:

الخازن، و النديم، كما لقب بالمعلم الثالث، مع أن اللقب كان قد ترشح له ابن سينا أيضا. و يقال إن مسكويه لقب بالمعلم الثالث لدوره الفذ الذى لعبه فى إعاده بناء الفلسفه اليونانيه فى فرعها العملى، أى فى فلسفه الأخلاق، و جمع أشتاتها و تمحيصها و ترخيص أركانها، بصوره لم يزد عليها أى مصنف صنف فى فلسفه الأخلاق حتى زماننا هذا. أضف إلى ذلك أن أبرز كتاب فى

الأخلاق، ظهر في اللغة الفارسيه، هو كتاب: أخلاق ناصري، الذى ليس إلا ترجمه لكتاب مسكويه: تهذيب الأخلاق، نقله إلى الفارسيه نصير الدين الطوسى نقلا- يكاد يكون حرفيا، و هو معجب بمسكويه و كتابه إعجابا كبيرا، يعرب عنه بأبياته المعروفه التى نظمها فى زمن سابق لترجمته، و أولها: "بنفسى كتاب حاز كل فضيله..." (انظر أخلاق ناصري: ٣٦).

إن هذه الألقاب و النعوت التى لقب بها مسكويه و نعت، لهى دليل على تعدد أبعاد شخصيته و سعه آفاقه فى العلم و الحكمه، تعززه أدله أخرى تتمثل فى تلك الآثار الكثيره القيمه التى تركها لنا، و التى نوردها و نعرفها هنا باختصار:

آثاره فى حقول المعرفه

١ - ترتيب السعادات و منازل العلوم (-) الترتيب، ترتيب السعادات. انظر التهذيب: زريق: ١٥، ٤٩، ٩١، ١٢٤، - السعاده، طبعه الطبوجى، - ترتيب العادات. انظر أعيان الشيعه. و الكتاب شرح لمراتب السعاده الثلاث، و تحديد دقيق لمراتب العلوم حسب مدرسه أرسطو، و قيمتها فى الرقى بالإنسان نحو السعاده و الكمال الإنسى (التهذيب: ١٥).

٢ - الفوز الأصغر (-) الفوز الصغير. انظر الصوان، بدوى: ٣٤٧، و القفطى: ٣٣٢) و قد يسمى الكتاب باسم آخر هو: كتاب الجواب عن المسائل الثلاث. اختصر إقبال اللاهورى نظام مسكويه الفلسفى من خلال [خلال] الفوز الأصغر، و قال: "إنى أطرح الفلسفه الأولى لمسكويه التى لا شك أنها أكثر انتظاما من فلسفه الفارابى، كما أستبدل الفلسفه الأفلاطونيه الحديثه لابن سينا، بالخدمه الأصيله التى أداها مسكويه تجاه فلسفه بلاده." (انظر: سير فلسفه در إيران: ٣٣).

٣ - الهوامل و الشوامل - و قد استعار أبو حيان التوحيدى كلمه الهوامل لأسئلته المبعثره التى تنتظر الجواب (١٧٥ مسأله) و استعمل مسكويه كلمه الشوامل فى الإجابات التى أجابه بها، فضبط بها هوامل أبى حيان التى كانت كالإبل المسيه، لأن الشوامل هى الحيوانات التى تضبط الإبل الهوامل فتجمعها (انظر أمين، المقدمه ص "ج").

٤ - تهذيب الأخلاق (-) كتاب الطهاره، كتاب طهاره النفس، طهاره الأعراق. انظر نشره زريق: ٩١، ١٠٤) أما تهذيب الأخلاق اسم أطلقه مسكويه أيضا فى كتابه الآخر جاويدان خرد (انظر نشره دانش بجوه: ٢٤).

و قد اتخذ اسم الكتاب أشكالا مختلفه فى مخطوطات الكتاب. نقله نصير الدين الطوسى إلى الفارسيه و سماه: أخلاق ناصري، كما قال فيه و فى مؤلفه أبياته الأربعة المعروفه، إعجابا بهما. و نقله أبو طالب الزنجانى إلى الفارسيه أيضا، كما نقله زريق إلى الإنجليزيه (بيروت ١٩٦٨ م) و أركون (M.Arkoun) إلى الفرنسيه (دمشق، المعهد الفرنسى ١٩٦٩ م). و الكتاب يتالف من ست مقالات هى: الأولى فى مبادئ الأخلاق، و الثانيه فى الخلق و تهذيبه و الكمال الإنسانى و سبيله، و الثالثه فى الخير و أقسامه، و السعاده و مراتبها، و الرابعه فى العدالة، و الخامسه فى المحبه و الصداقه، و السادسه فى صحه النفس و حفظها.

٥ - الفوز الأكبر (-) الكبير) ليس للكتاب أثر فى فهراس الكتب المطبوعه.

بيد أن هناك رأيا قائلا بكون الفوز الأكبر و تهذيب الأخلاق كتابا واحدا، على أن أبى سليمان أورد العنوانين لكتابين مختلفين (انظر الصوان: ٣٤٧).

الشبه القريب بين "فوز" و "نور" قد أدى إلى تصحيف جعل صاحب ريحانه الأدب (٢٠٨:٨) يعدهما عنوانين لكتابين مختلفين و هما كتاب واحد. كما أن موضوع الكتاب يظهر من عنوانه بجلاء.

٧ - رسائل فلسفيه، محفوظه فى مجموعه راغب باشا تحت رقم ١٤٦٣.

و هذه الرسائل مختصره تبلغ صفحاتها ٣٢ صفحه و تتراوح بين صفحه واحده و ١٦ صفحه و عناوينها هي: أ. رساله فى اللذات و الآلام، ب. رساله فى الطبيعه، ج. رساله فى جوهر النفس و البحث عنها، د. رساله فى العقل و المعقول، ه.

رساله فى النفس و العقل، و. رساله فى إثبات الصور الروحانيه التى لا هيولى لها، ز. ما الفصل بين الدهر و الزمان.

٨ - رساله فى ماهيه العدل. العنوان الكامل لها كما جاء فى مستهل المخطوطه الموجوده فى مشهد (١:٤٣، ١٣٧/٤٤) هو: رساله الشيخ أبى على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه إلى على بن محمد أبى حيان الصوفى، فى ماهيه العدل و بيان أقسامه.

٩ - جاويدان خرد. قال مسكويه عنه: "...فهذه جمل نحكمها قبل تفصيلها بالجزئيات، و لو لا أنا قد أحكمنا لك الأصول كلها فى كتابنا الموسوم بتهذيب الأخلاق، لأوجبنا لك إيرادها هاهنا، و لكن هذا كتاب غرضنا فيه إيراد جزئيات الآداب بمواعظ الحكماء من كل أمه و نحلته، و تبعنا فيه صاحب كتاب جاويدان خرد [أحد ملوك الفرس الأقدمين] كما وعدنا به فى أوله، و لأذن موضوع الكتاب الأول كتاب فارسى، و جب أن نبدأ بآداب الفرس و مواعظهم، ثم نتبعها بآداب الأمم الآخرين." فاذن، القسم الأول للكتاب بنى على جاويدان خرد من تأليف قدامى الفرس، و القسم الثانى هو آداب الأمم الأخرى، بدأها بآداب الفرس المتأخرين (إلى ما قبل الإسلام). و أما آداب الأمم الأخرى فهى: آداب الهند، آداب العرب، آداب الروم (منها لغزقابس)، حكم الإسلاميين. (لقد أسهبنا الكلام عن هذا الكتاب و آثار مسكويه الأخرى فى دراستنا المستقله عن مسكويه).

١٠ - آداب الدنيا و الدين. ذكره فى أعيان الشيعة (٣:١٥٨) و صاحب الذريعه (١:٣٨٧) بفارق أن الأخير ضبطه "أدب الدنيا و الدين" و مصدرهما صاحب الروضات الذى نقل بدوره عن النراقى فى الخزائن. كل ما نقله الخوانسارى بشأن هذا الكتاب هو ما أورده فى حاشيه الروضات (١:٢٥٥) و هذا نصه: "و قال المحقق النراقى فى كتابه الخزائن: قال (ابن) مسكويه فى كتاب آداب الدنيا و الدين: الفرق بين السرف و التبذير، أن السرف هو الجهل بمقادير الحقوق، و التبذير هو الجهل بمواقع الحقوق. انتهى" ثم قال صاحب الروضات: "و ظنى أن الغالب على كتابه هذا الذى لم نذكره فى المتن، متون اللغه، و أصول المعرفه مع شىء من مراسم الشريعه و أحاديث العلم و الحكمه، فيلاحظ إن شاء الله منه ره".

١١ - أنس الفريد. هذا هو عنوانه عند أبى سليمان فى الصوان: ٢٤٧، و ياقوت (٥:١٠) و القفطى (٣٣١) و الشهرزورى (انظر عزت: ١٤٤)، و عنوانه: نديم الفريد، عند كل من الخوانسارى (١:٢٥٥) و الأمين (١:١٤٦). قال ياقوت: "و له كتاب أنس الفريد و هو مجموع يتضمن أخبارا و أشعارا و أمثالا- غير مبوب". و قال القفطى: "فمن تصانيفه كتاب أنس الفريد و هو أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار و الفوائد اللطاف". قال آدم متر (١:٤٦٨)، و ذلك بعد أن تحدث عن تطور القصص المسليه و الأسمار الأجنبيه الظاهره فى فن القصه منذ القرن الثالث، قال: "و أخيرا جاء دور مسكويه، و كان أكبر مؤرخى القرن الرابع، فألف كتاب أنس الفريد و هو أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار و الفوائد اللطاف. و هذه القصص الجديده، هى من

نوع يغاير كل المغايره القصص القديمه التي ألفها ابن قتيبه و صاحب العقد، ففيها نجد لأول مره تمام الأسلوب القصصى الإسلامى، أعنى طريقه القصص التي ليست عربيه خالصه".

١٢ - الخواطر (- أنس الخواطر؟). ذكره أبو سليمان فى الصوان باسم الخواطر و نقل منه قطعه تدل على أن الكتاب فى النفس، و أنها جوهر بجبهه و عرض بجبهه، و ما إلى ذلك.

١٣ - حقائق النفوس. هكذا ورد فى أعيان الشيعة و تبعاً له فى ريحانه الأدب (٢٠٨:٨) و هو مجال آخر لدراسات مسكويه النفسيه.

١٤ - كتاب السياسه للملك أعيان الشيعة و الخوانسارى ذكره مسكويه فى التهذيب. ذكر السيد حسن الصدر فى كتابه التأسيس (ص ٣٨٤) كتاباً لمسكويه بعنوان: كتاب السياسه السلطانيه. و نحن نظن أنه ليس غير كتاب السياسه للملك.

١٥ - المستوفى فى الشعر. ذكر هذا الكتاب بنفس العنوان عند كل من أبى سليمان (ص ٢٤٧) و ياقوت (٥:١٠). و ذكره الشهرزورى (ص ٧٦، عزت: ١٤٤)، و أعيان الشيعة (٣:١٥٨). و لكن الخوانسارى ذكره بوصفه لا بعنوانه. فقال عند إحصاء آثار مسكويه ".. كتاب فى مختار الأشعار" فأصبح ذلك عنواناً للكتاب عند صاحب الريحانه (٢٠٨:٨). ذكره أبو سليمان قائلاً: "المستوفى فى الشعر المشتمل على حل المختار منه".

١٦ - الرساله المسعده. ذكره مسكويه فى التهذيب بنفس العنوان كما ذكره أبو سليمان (ص ٢٤) بعنوان "رساله المسعده" دون أى شرح له، و لكن عنوان الرساله ينطق بكونها دراسه فى مسأله السعاده، لا سيما بالنظر إلى ما نعرفه عند مسكويه من الاهتمام بموضوع السعاده.

١٧ - فوز النجاه. ذكر الكتاب عند بعض من درس مسكويه هامشياً بعنوان: فوز النجاه فى الاختلاف (- الأخلاق). يمكن أن يكون عنواناً ثانياً لكتابه الآخر المسمى فوز السعاده، و لكننا لا نستبعد أن يكون عنواناً لكتاب على حده، بالنظر إلى كثره ما كتبه مسكويه خصيصاً فى علم النفس و الأخلاق.

١٨ - كتاب السير. ذكره ياقوت (٥:١٠) كما عرفه باختصار قائلاً:

"... و كتاب السير، جاده، ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه.

مزجه بالأثر، و الآيه، و الحكمه، و الشعر". هذا كل ما أورده ياقوت و نقل عنه أعيان الشيعة بتمامه.

٢٠ - كتاب فى تركيب الباجات من الأَطعمه (كتاب الطيخ. انظر ابن أبى أصيبعه ص ٢٤). قال القفطى (ص ٣٣٢) و ذلك عند إحصائه لكتب مسكويه الطيبه: "و كتاب فى تركيب الباجات من الأَطعمه، أحكمه غايه الأحكام، و أتى فيه من أصول علم الطيخ و فروعه و كل غريب حسن".

٢١ - كتاب الأشربه. ذكره ابن أبى أصيبعه (ص ٢٤٥) بنفس العنوان، كما ذكره فى أعيان الشيعة بقوله: "كتاب الأشربه و ما يتعلق بها من الأحكام الطيبه".

٢٢ - كتاب فى الأدوية المفردة هذا الكتاب تفرد بذكر اسمه القفطى (ص ٣٣٢) فلم يذكره غيره من المترجمين لمسكويه، من أمثال ابن أبى أصيبعه الذى ذكر بعض آثاره فى الطب و العلاج.

٢٣ - مختصر النبض. كتاب فى الطب كتب لعضد الدوله البويهى، و هو متنازع فيه بين ابن سينا و بين أبى على مسكويه، أو أبى على مندويه، أما انتساب الكتاب إلى ابن سينا فمردود، لأنه كان طفلا عمره سنتان عند ما مات عضد الدوله، و لذلك ذهب فيلسوف الدوله صاحب كتاب مطرح الأنظار إلى أن الكتاب لأبى على مسكويه أو لأبى على مندويه (انظر الكود، تاريخ بزشكى إيران ص ٢٨٠).

٢٤ - تفصيل النشأتين و تحصيل السعادتين. قال فى الذريعه: " ذكر هذا العنوان صاحب الريحانه و لم نجده عند غيره. قال صاحب الريحانه (عند ذكره لآثار مسكويه): تفصيل النشأتين و تحصيل السعادتين فى الأخلاق، و للراغب الاصفهانى أيضا كتاب فى معرفه النفس بهذا العنوان".

٢٥ - أحوال الحكماء و صفات الأنبياء السلف. هكذا ورد العنوان عند الخوانسارى (١: ٢٥٦)، و هو فى أعيان الشيعة: "أحوال الحكماء السلف و صفات بعض الأنبياء السالفين".

٢٦ - المختصر فى صناعه العدد. إن أبا سليمان المنطقى (ص ٢٤٧) و بعده الشهرزورى (عزت: ١٤١) يشيران إلى أن له مصنفاً " فى جميع الرياضيات... و الحساب و... مما هو متداول فى الأيدى يقرأ عليه فى أيام مجالسه". دون ذكر لعنوان واحد من عناوين آثاره الرياضيه. بيد أن مسكويه نفسه ذكر فى التهذيب اسم أحدها و هو: المختصر فى صناعه العدد.

٢٧ - فقر أهل الكتب. ذكره الشهرزورى (ص ٧٦، انظر عزت: ١٤١)، و هو كتاب قد يكون طريفا كما نبه عليه عزت. لأن مسكويه ربما يعرض فيه نتائج تجربته الخاصه مع هذه الفئه التى احتكك بها، و التى ينتمى إليها بحكم كونه خازنا لمكتبات الأمراء و الوزراء البويهيين.

٢٨ - رساله فى دفع الغم من الموت. هكذا ورد عند سزكين (٣، ٣٣٦) حققها لويس شيخو و نشرها تحت عنوان رساله فى الخوف من الموت (عام ١٩١١ م)، و نسبها خطأ إلى ابن سينا و هى من مسكويه (انظر أخلاق ناصرى، نشره مينوى ص ٦٠٦) و نسبت مره أخرى إلى ابن سينا عند ما نشرت ضمن رسائل ابن سينا فى الحكمه المشرقيه (ليدن انظر محقق ص ٢٠٩، ٤٣٠)، كما نقلها إلى الفارسيه البرقى القمى فى ٧٣ صفحه تحت عنوان: چرا از مرگ بترسم؟ لما ذا أخاف من الموت؟ (قم، ط ٢، ١٣٢٧ ش - انظر مشار). ٢٩ - تعاليق على الكتب المنطقيه. ذكرها أبو سليمان المنطقى (ص ٢٤٧) بقوله: تعاليق حواشى الكتب

المنطقيه. كما ذكرها الشهرزورى و الخوانسارى و أعيان الشيعة بتغيير طفيف فى الاسم.

٣٠ - وصيه له. أوردها أبو سليمان فى الصوان (ص ٢٤٧-٣٥٢) و مسكويه نفسه فى جاويدان خرد (نشره بدوى ص ٢٨٥-٢٩٢) أولها: "يا طالب الحكمة طهر لها قلبك... " و ختامها: "بلا حاجه إلى تفكير و تمييز و تطلب. " كما أورد أبو سليمان فصلا آخر من كلام مسكويه بعد إيراده الوصيه.

٣١ - وصيه أبى على مسكويه (عهده مع نفسه). أوردها ياقوت (٥:١٧-١٩) و نقل عنه أعيان الشيعة أولها: "هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد و هو يومئذ آمن فى سربه... " و ختامه: "و صرف جميع البال إليه".

٣٢ - مراسله بينه و بين بديع الزمان الهمداني. للبديع رساله اعتذار إلى مسكويه، أجاب عليها مسكويه. تجد الرساله و الجواب عند ياقوت (٥:١١-١٧).

٣٣ - شعر مسكويه. نقل الثعالبي (التمه: ٩٦-١٠٠) و نقل عنه ياقوت (٥:٧-١٧) نماذج من شعره. و أثنى عليه الثعالبي بقوله: "و كان فى الذروه العليا من الفضل و الأدب و البلاغه و الشعر".

٣٤ - نزهت نامه علائى. ذكره فى أعيان الشيعة و صاحب الريحانه (٨:٢٠٨) و نسباه إلى مسكويه. كما ذكره صاحب الذريعه (٢٤:١٣٠) و نسبه إلى شه مردان بن أبى الخير الرازى قائلا: "و قد نسبه إسماعيل باشا (هديه ١:٧٣) خطأ إلى "ابن مسكويه و عنه أخذ فى أعيان الشيعة و كذلك أخطانا نحن فى النابس. فاذن الكتاب ليس لمسكويه.

٣٥ - تجارب الأمم. هذا الكتاب من كتب مسكويه. كتاب جليل من التاريخ، و مصدر لا يستغنى عنه فى الدراسات التاريخيه، لم ينشر حتى الآن - مع الأسف - لا- عندنا فى إيران، و لا فى غيرها من البلدان الإسلاميه أو البلدان الأخرى، إلا بعض أجزاءه، فأخذنا على عاتقنا تحقيق نصه و نشره بكامل أجزاءه، كما عزمنا على ترجمته إلى اللغه الفارسيه، حتى لا يبقى مواطنونا الذين هم مواطنو مسكويه أيضا، محرومين من قراءته، و التمتع بما يتضمنه هذا الأثر العظيم، من الفوائد فى دراسه الماضى، و الاعتبار به.

و لتجارب الأمم - كمصدر كبير لدراسه التاريخ - أهميه بالغه، كما له من حيث عرضه و نشره و الاهتمام به، مصير ملتو غريب، نحاول أن نتناوله هنا بقدر ما يتيح لنا المجال فنقول:

التاريخ كما يراه مسكويه

الإنسان من التاريخ، كأنه تجارب له، باشرها بنفسه، فأصبح خبيراً بالأمر التي لم يجربها فعلاً في حياته، حتى إنه يعرفها بعد ذلك قبل وقوعها، فيستقبلها استقبال الخبير، فيفعل في علاجها الأنسب والأجدي، فيحل مشاكله، وينجح في مشاريعه نجاح الخبير الواعي.

بيد أن مسكويه لاحظ أن تلك الأخبار التاريخية الحقه مغموره بالأسمار، متبدده في الخرافات و الأساطير التي ليست لها فائده إلا استجلاب النوم بها، والتأنس بالمستطرف منها. فأخذها بالنقد و استخراج ذات القيمه منها، و ضرب صفحا عما لم يجد فيها قيمه تاريخيه تجريبية و تركها و هو يرى أن للأحداث التاريخيه الحقه أيضاً أنس السمر الذي يوجد في الخرافات و الأساطير. إن مسكويه لم يثق بروايات ما قبل الطوفان، لفقدانها القيمه التاريخيه التي ينشدها هو، كما لم يجد في المعجزات تجربته إنسيه يستطيع الجمع أن يمارسوا مثلها، أو يعتبروا بها، و هذا لا يعنى أنه ترك ما كان للأنبياء من تدابيرهم البشريه التي ليست مقرونه بالاعجاز، لأن هذا النمط من أخبارهم وارد في صميم ما اهتم به مسكويه في كتابه التاريخ.

مع العلم بان لمسكويه كتابا في صفات الأنبياء السالفين تحت عنوان: أحوال الحكماء و صفات الأنبياء السالفين (انظر التصدير: الآثار). و هذا رد على المستشرق كزادى فو (I; 106) في ما اتهمه به من أنه لم يحترم السنه. و أخيراً، عمد مسكويه إلى أحداث تجرى على البخت و الاتفاق، مما هو خارج عن نطاق تدبير الإنسان و قدرته، حتى تكون في حسابانه، و لا تسقط من ديوان الحوادث عنده، و ما ينتظر وقوع مثله، و إن لم يستطع تحرزا من مكروهه.

إنه لن ينسى ما ضمنه في مقدمه الكتاب، بل نراه يؤكد هنا و هناك، و بمناسبة شتى، على أغراضه و يصر على المضى في النهج الذي نهجه لنفسه في عمله. فحينما نراه يبرر تركه ذكر بعض الأشياء بقوله: "لخروجها عما بنينا عليه غرض هذا الكتاب (١,٢٦٤) و حينما يؤكد على هذا الغرض حتى في عنوان حدث أراد ذكره، ففي عنوان الحديث عن الشورى يقول: "ذكر ما يجب ذكره من حديث الشورى و ما يليق منه بهذا الكتاب". و كذلك و بعد أن ينقل الحوار الذي جرى بين الامام على بن أبى طالب و الزبير: الحوار الذي أثر في الزبير حتى أقسم أن لا يحارب عليا - لولا و سوسه ابنه له و اقتراحه التكفير عن اليمين بعق غلام له، يقال له: مكحول - و بعد إيراد هذا الحدث [الحديث] نراه يقول: "و إنما حكينا هذه الحكايه لأن فيها تجربه تستفاد، و إن ذهب على قوم فانا ننبه عليه، و ذلك أن المحقق ربما سكن بالكلام الصحيح، و الساكن ربما أحق بالزور من الكلام، و ذلك بحسب تأتي من يريد ذلك، و إتيانه من وجهه". (١,٥٥٠) و لا يهمه في ذلك شخصيه القائل أو الفاعل، و لا ينظر إلى من قال أو فعل، بل يهمه مغزى ما قال أو فعل، من حيث تلاؤمه و أغراضه في كتابه تجارب الأمم. فنراه يستحسن موقفا من مواقف الضحاك الشهير بالسفك و القتل و الظلم، و ينقل كلاما منه حيث قال في الاجابه على أمه البذيئه: "فلما هممت بالسطوه بهم (أى: بكابى الأصبهاني و أصحابه عند ما زاروه للتأتى له و استعطافه - (١٥١,١٤) وقف الحق بينى و بينهم كالجبل، فحال بينى و بين ما أردت". ثم يعلق مسكويه على هذا الكلام بقوله: "فهذا ما استحسن من فعل الضحاك و قوله و لا- يعرف له شيء مستحسن غيره". إن هذا الالتزام الواعي الذي يبيده مسكويه تجاه منهجه، هو ما لا نراه عند كثير من المصنفين. فمسكويه، كما قال روزنتال (١٩٦، ١٩٧) يمثل مستوى عاليا في الكتابه التاريخيه، فهو قلما يهتم بالأمر التافهه، بل يدرك كل ما له قيمه تاريخيه جوهريه و يعرض الأحداث الهامه بشكل معقول متماسك.

إن المؤرخين المسلمين - و معظمهم ممن تأخر عن مسكويه و ربما تأثر به بالذات - نظروا إلى التاريخ من حيث هو درس و

عظه و عبره، و لكن مسكويه، السابق في هذا المضممار، هو المؤرخ الوحيد الذي نهج منهج الاستدلال الفلسفي مع ما كان له من نظره أخلاقيه عمليه برغماتيه (pragmatic) إلى حوادث التاريخ (زرياب: ١١٨ - بتصرف). إنك لا تجد بين المؤرخين المسلمين مؤرخا عمد إلى التاريخ عن وعى و جد، نشدانا للفوائد التي تنطوي عليها أحداثه، بالمستوى الذي عمد إليه مسكويه. إنه حكيم أخلاقي، و مصنف كتاب حكيم باسم تجارب الأمم. كما هو رائد في الكتابه العلميه للتاريخ، و أول من شق الطريق إلى فلسفه التاريخ، ليكون أسوه حسنه فيما بعد، لأمثال رشيد الدين فضل الله (٦٤٥ - ٧١٨هـ) في جامع التواريخ، و ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٦هـ) في مقدمته، ثم الكافيجي (القرن التاسع) في كتابه: المختصر في علم التاريخ، و السخاوي (٨٣٠ - ٩٢٠هـ) في كتابه: الإعلان بالتوييخ لمن ذم أهل التاريخ (زرين كوب: ٧١، ٧٤ - بتصرف). و هناك ميزه أخرى أشار إليها كيتاني في مقدمته حيث قال: إن الأثر الذي بقى لنا من مسكويه، بنى على أساس منهج قريب جدا من المبادئ المتبعه عند مؤرخي العالم الغربي و المؤرخين المتأخرين، و مسكويه خلافا لسلفه الشهير الطبري الذي استهدف - أساسا - جمع المواد التاريخيه، و عرضها على ترتيب تاريخي لائق، عزم على أن يصنف تاريخه كبناء عضوي يكون الفكر الأساسي المحدد عنصرا بناء في الكتاب بأسره، رابطا كل أجزاء التصنيف بعضها ببعض. يرى القارئ على صفحات هذا الكتاب عنصرا شخصيا لا يجده في المصنفات التاريخيه الأخرى المؤلفه في تلك الحقبه.

إن تجارب الأمم - و بصوره جليه - عمل فكري نتج عن ذهن استدلالى بناء، يسوده انطباع سام من غرض المؤرخ و واجبه، و بهذا، يبدى مسكويه فضلا كبيرا على من سبقه أو عاصره من المؤرخين الذين كتبوا آثارهم باللغه العربيه. إنه لا يرضيه مجرد جمع الماده التاريخيه و عرضها في ترتيب تاريخي، لأنه [يعتقد] أن أحداث الماضي تترايط في ما بينها بشبكه من المصالح الإنسيه. و في الحقيقه، فان التاريخ - كما يراه مسكويه - ليس غير هذا، كما يرى العاقل في روايه التاريخ ألحقه ينبوعا من العلم الثمين (كيتاني، المقدمه: XI-XII).

إن مسكويه لا يميل إلى أحد في كتابه التاريخ، و لا يحدد به عن المنهج القويم أى انتماء. "لقد كتب تاريخه - كما نبه عليه مرجوليوث أيضا - في حياذ تام، مع أنه عاش في خدمه الأمراء و الوزراء البويهيين، و كان من المتوقع أن يشيد بهم و يمدحهم، و لا يتعرض لنقدهم أبدا، في حين نراه لم يمل إليهم في كتابه التاريخ"، و لم يراع جانبهم في ما كتبه عنهم، بل يؤاخذهم على أشياء في سلوكهم و تدابيرهم.

مصادر مسكويه في كتابه التاريخ

صرح مسكويه بأنه لما قرأ أخبار الأمم، و سير الملوك، و أخبار البلدان، و كتب التواريخ (انظر المقدمه: ص ١) وجد فيها ما تستفاد منه تجربه....

فى متناوله، بحيث لا يمكن عدها و حصرها إلا بعد المصرح منها فى الكتاب، و حصر غير المصرح منها بإرجاع نقول مسكويه إلى أصولها و أصحابها، و هذا بتطلب [يتطلب] دراسه مستقله قد تأخذ وقتا طويلا. فمصادر مسكويه حسب هذه العجالة هى:

١ - تاريخ الطبرى: عول مسكويه، أولا و قبل كل شىء. على الطبرى.

و ذلك بحذف كثير من مواد الطبرى، من مكرره و ما لم يدخل فى إطار منهج مسكويه فى كتابه تاريخه. فمسكويه يوازي الطبرى ابتداء من العصر الفيشداذيو ذكر أو شهنج بالذات، أو مما بعد الطوفان حسب تصريحه، إلى سنه ٢٩٥ هـ، مع العلم بان الطبرى استمر فى تاريخه حتى سنه ٣٠٢ هـ. و مسكويه ليس المؤرخ الوحيد الذى ينهل من مناهل الطبرى و يعول عليه فى تصنيفه. فمن هو الذى لم يعول على الطبرى؟ فها هو ابن الأثير يصرح فى مقدمته (ص ٣) قائلا:

"فابتدأت بالتأريخ الكبير الذى صنفه الامام أبو جعفر الطبرى، إذ هو المعول عند العامه عليه، و المرجوع عند الاختلاف إليه. فأخذت ما فيه من جميع تراجمه، لم أخل بترجمه واحده منها، و قد ذكر هو فى أكثر الحوادث روايات ذات عدد، فقصدت أتم الروايات، و أضفت إليها من غيرها م ليس منها... فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهوره (منها تجارب الأمم) فطالعتها، و أضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبرى ما ليس فيه..."

هذه هى الحاله عند جل المؤرخين منهم ابن خلدون أيضا (العبر ٤: ١١٤٠). إنهم وجدوا تاريخ الطبرى ينبوعا ثرا يتدفق منه ذلك الحجم الهائل من المواد التاريخيه، و الروايات المختلفه الكثيره، التى أوردها فيه، دون نقد، أو تعديل، أو تعليق، واعيا عامدا ما يفعله، كما صرح به فى مقدمته.

و لكن المؤرخين صاغوا ما أخذوه من الطبرى فى قوالب ارتضوها لتصانيفهم، كل على شاكلته. و من هؤلاء مسكويه، الذى أخذ بدوره عن الطبرى أخذ نقد و اختيار و تعديل و تمحيص و حذف و إضافه من مصادر أخرى، وفقا لأغراضه التى تحدث عنها فى مقدمه تجارب الأمم.

و الجدير بالذكر أن هناك مناسبه خاصه بين مسكويه و الطبرى يمتاز بها مسكويه من بين سائر المؤرخين، حيث يعتبر مسكويه تلميذا غير مباشر للطبرى فى استماع تاريخه عن صاحبه، و قراءه كتابه عليه، و الحصول على الإجازة منه. قال مسكويه بهذا الصدد (انظر التجارب ٢٤٣، ٦): "و فيها (أى فى سنه ٣٥٠ هـ) مات أبو بكر أحمد بن كامل القاضى، رحمه الله، و منه سمعت كتاب التاريخ لأبى جعفر الطبرى، و كان صاحب أبى جعفر، قد سمع منه شيئا كثيرا، و لكنى ما سمعت منه عن أبى جعفر غير هذا الكتاب، بعضه قراءه عليه، و بعضه إجازة لى، و كان ينزل فى شارع عبد الصمد، و لى معه اجتماع كثير".

٢ - نفائس المكتبات: لم يكتف مسكويه بالطبرى، حتى بالنسبه إلى القسم الذى قلنا إنه عول فيه عليه تعويلا- كليا (العصر الفيشداذى إلى سنه ٢٩٥)، بل أورد فى تاريخه نصوصا إيرانيه عديمه النظر لا نجد لها عند الطبرى و لا عند غيره من كبار المؤرخين من أمثال المسعودى و ابن الأثير و من إليهما، و نخص بالذكر عهد أردشير الذى يعتبر من أقدم النصوص الإيرانيه المدونه التى وصلت إلينا، و كذلك السيره الذاتيه لأنوشروان، خطبته المشحونه، اللتين نقلهما مسكويه عن كتاب كتبه أنوشروان نفسه فى سيرته.

من أين أتى مسكويه بهذه النصوص و غيرها مما تفرد بنقلها بين المؤرخين؟ إنه كان خازنا لمكتبات البويهيين من أمثال ابن العميد، وابنه أبي الفتح، و عضد الدولة. لقد دامت صحبته أو خزانته سبع سنين لابن العميد فقط (٣٥٠،٦)، و كان لفهرس مكتبه ابن العميد ١٠٥٦ ورقه (- ٤٤ كراسه لكل منها ٢٤ ورقه - متر ٢٩٧:١) و لم يثبت فى هذا الفهرس إلا- أسماء الكتب، و قد اجتمعت فى تلك المكتبه كل أنواع العلوم و الحكم و لآداب [الآداب]، تحمل على مائه وقر [ورق] و زياده (انظر التجارب:

٢٨٦،٦). و عن مكتبه عضد الدولة حكى لنا المقدسى (الذى كان يختلف إليها، فلا جرم أنه زار مسكويه أيضا) حيث قال عند وصفه لدار عضد الدولهبشيراز و غرفها و عجائبها: "... و خزانه الكتب، عليها و كيل و خازن و مشرف من عدول البلد، و لم يبق كتاب صنف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا و حصله فيها، و هى أزج طويل، فى صنفه كبيره، فيه خزائن من كل وجه، و قد ألصق إلى جميع حيطان الأزج و الخزائن بيوتا طولها قامه فى عرض ثلاثه أذرع من الخشب المزوق - عليها أبواب تنحدر من فوق، و الدفاتر منضده على الرفوف لكل نوع بيوت و فهرستات، فيها أسامى الكتب لا يدخلها إلا وجهه..." (المقدسى: ٤٤٩). فلا شك أن مسكويه استفاد من هذه المكتبات كثيرا من علمه و المواد التاريخيه التى أوردتها فى كتابه مما لا يوجد عند سائر المؤرخين سواء ما أضافه فى تاريخ ما قبل الإسلام مستمدا من مصادر إيرانيه قديمه موجوده فى تلك الخزانات، أو ما أضافه إلى تاريخ ما بعد الإسلام آخذا عن مصادر إسلاميه كانت فيها.

٣ - ثابت بن سنان: هناك فتره تاريخيه تبدأ من سنه ٢٩٥ إلى سنه ٣٤٠ هـ يعتمد مسكويه فيها على مصادر مستقله عن الطبرى، منها: تاريخ ثابت بن سنان (المتوفى سنه ٣٦٣ هـ) ابن ثابت بن قره الصابى الحرانى (٢٢١ - ٢٨٨ هـ) خال أبى إسحاق هلال بن محسن الصابى. كتب ثابت بن سنان تاريخه ابتداء من خلافه المقتدر (من سنه مائتين و نيف - القفطى) إلى سنه ٣٦٠ هـ. فكتب أبو إسحاق هلال بن محسن تتمه لتاريخ ثابت بن سنان وصلت إلى سنه ٤٤٧ (كلود كاهن، دانشنامه ایران و إسلام). و من دلائل كونه مصدرا لمسكويه ما جاء فى التجارب (٥،٣٧١) حيث قال: "... و حكى ثابت بن سنان فى كتابه أن... "فهذا تصريح من مسكويه أنه أخذ فى تاريخ هذه الفتره عن ثابت بن سنان أيضا.

تاريخ مسكويه وصل إلى سنة ٣٦٩ هـ، فكيف يمكن أن يكون آخر الكتابين أمدا واحدا. و أما هلال الصابي لو صح نقل مسكويه عنه، فهو يصل بحوادث أوائل كتابه أى من سنة ٣٦٤ (ابتداء تاريخ هلال) إلى سنة ٣٦٩ أى انتهاء تجارب الأمم. بيد أن هذا أيضا، مرفوض. لأن مسكويه فى هذه الفترة، يكتب التاريخ عن مشاهدته و عيان، و يعتبر مصدرا لنفسه.

٤ - مسكويه مصدرا: مهما يكن من أمر الفترة السابقة، أى التى تنتهى إلى سنة ٣٤٠ هـ، فان مسكويه بشهوده و عيانه تاره، و بسماعه من الأصدقاء و الزملاء الساسه المشايخ تاره أخرى، يعتبر مصدرا حيا لكتابه تاريخه. لقد صرح مسكويه بذلك فى بدايه ذكر الحوادث لتلك السنه حيث قال:

"أكثر ما أحكيه بعد هذه السنه (٣٤٠ هـ) فهو مشاهدته و عيان، أو خبر محصل، يجرى عندى خبره مجرى ما عاينته، و ذلك أن مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضى الله عنه - خبرنى عن هذه الواقعة و غيرها بما دبره، و ما اتفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به، و السكون إلى صدقه، و مثل أبى محمد المهلبى - رحمه الله - خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه، و ذلك بطول الصحبه و كثره المجالسه، و حدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما استفاد منه تجربته، و أنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه و ما شاهدته و تجربته بنفسى، فسأحكيه أيضا بمشيئه الله".

و هكذا يصل تاريخه إلى سنة ٣٦٩ هـ مع أنه عاش حتى ٤٢١ هـ أى لمدته نصف قرن، تاركا كتابه تاريخ تلك المده، و بالرغم من ذلك، فان تجارب الأمم عرف كمصدر أساس لا يستغنى عنه لدراسه القرن الرابع الهجرى و العصر البويهى الذى يعتبر ألمع العصور الإسلاميه علما و حضاره.

تجارب الأمم: اسمه

اسم الكتاب هو تجارب الأمم كما سماه مسكويه نفسه فى مقدمته حيث قال:

"فجمعت هذا الكتاب و سميته تجارب الأمم". و قد ذكره بضبط أمين كل من ياقوت ٥: ١٠، و ابن الأثير ٧: ١١٨، ٨: ٨٦، و كذلك الففطى: ٣٣١، و البيهقى: ١٨-١٩، و ابن خلكان ٢: ١٩، و ابن خلدون ٣: ٧٧٢، و الخوانسارى ١: ٢٥٥، و غيرهم. و لكنه ورد بزياده "عواقب الهمم" عند كل من أبى سليمان فى الصوان: ٣٤٧، و الروذراورى فى الذيل: ٥، و السخاوى نقلا عن عمر بن الفهد الهاشمى المكى فى إتحاف الورى (روزنتال: ٤٤١).

و الزيادة عند العاملى ١٠: ١٤٦ هى "تعاقب الهمم" و هى ضبطت عند كيتانى (Caetani) فى مقدمته Taaqib بكسر القاف و هو خطأ. و الزيادة هذه إنما نشأت عن أسلوب السجع فى عنوانه المصنفات، الأسلوب الذى طالما ساد أوساط الكتاب و النساخ طيله القرون ممن لم يرضوا بما سماه المصنفون تصانيفهم، فشفعوا أسماءها بما شاء لهم السجع و الصنعه المتكلفه، بالرغم من تصريح المؤلفين فى ضبط أسماء آثارهم. و لذلك نرى الشطر الثانى: "عواقب (أو: تعاقب) الهمم" موضوعا مختلقا، لأن مسكويه صاحب الكتاب، أثبت اسم كتابه فى مقدمته بقوله: "تجارب الأمم" لا أكثر و لا أقل، حيث قال: "فجمعت هذا الكتاب و سميته تجارب الأمم". و الغريب فى الأمر أن الناسخ الذى نسخ فيما نسخ، هذه المقدمه و تصريح المصنف باسم كتابه، نراه فى عبارات الختام و الفراغ، و قد أضاف على الاسم شطرا ثانيا تاره، و قدم الشطر الثانى على الشطر الأول تاره أخرى، أى كتب

مره: "تجارب الأمم و عواقب الهمم". و مره: "عواقب الهمم و تجارب الأمم"!.

تجزئه تجارب الأمم

إن التجزئه الكامله الوحيده التي وصلت إلينا من تجارب الأمم هي تجزئه مخطوطه أيا صوفيا و هي سته أجزاء. أما مخطوطه ملك (مط) فهي في مجلد واحد كبير، و ليس فيه تجزئه، اللهم إلا إشاره بسيطه في الهامش تدل على أن المخطوطه انتسخت عن نسخه كانت على ثلاثه أجزاء، دون أى إشاره إلى عبارات الافتتاح من البسمله و التحميد و غير ذلك. و هذا التثليث يبدو أيضا مما بقى من مخطوطه ملك الثانيه (مح)، أو مخطوطه آستان قدس (أ)، فهما أيضا كانتا في الأصل ثلاثه أجزاء.

أما تجزئه أيا صوفيا فهي تجزئه كميه، أى لم يعتبر فيها التقسيم التأليفى الذى يبنى عاده على المواضيع الرئيسه، أو الفترات التاريخيه المحدده خاصه في أثر تاريخى مثل تجارب الأمم. لذلك نقلنا ٤٣ صفحه من بدايه الجزء الثانى و أضفناها إلى نهايه الجزء الأول، أولا لإكمال الفصل الأخير من الجزء الأول، ثانيا من أجل إكمال عصر ما قبل الأموى، و سنراعى هذا المبدأ في الأجزاء الباقية أيضا إذا اقتضى الحال.

و من ناحيه أخرى، قسمنا الجزء الأول إلى قسمين: قسم خاص بما قبل الإسلام و هو مفصل بدوره إلى فصول حسب عصور الأسر الحاكمه الإيرانيه مثل: الفيشدازيه، و الكيانيه، و الأشغانيه، و الساسانيه، و قسم آخر خاص بالعصر الراشدى، و فيه فصول حسب أيام الخلفاء.

أما العناوين الفرعيه التي كانت في أصل المخطوطه فلم نجدها كافيه لإرشاد القارئ إلى مواد الكتاب و مواضيعه، و لذلك اخترنا لها عناوين و أثبتناها بين المعقوفتين [] شأنها في ذلك شأن العناوين الرئيسه التي وضعناها للأقسام و الفصول.

مخطوطات تجارب الأمم

لم يصل إلينا من مخطوطات هذا الكتاب إلا القليل، لا سيما إذا كان المراد المخطوط الكامل المشتمل على كل أجزاءه. و هذه المخطوطات بغض النظر عن كمالها و نقصها هي:

الجزء الأول (أيا صوفيا، رقم ٣١١٦، ٢٩٦ ورقة: ٥٩١ صفحته). تاريخ النسخ: ربيع الأول سنة خمس وخمسمائة (٥٠٥). يشتمل هذا الجزء على الحوادث التاريخية منذ العصر الفيشداذى الإيراني حتى سنة ٣٧ هجرية.

الجزء الثاني (أيا صوفيا، رقم ٣١١٧، ٢٩٧ ورقة: ٥٩٣ صفحته، طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢٠ و الصورة رقم ٢٩٠). ويشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٣٨ إلى سنة ١٠٣ هجرية.

الجزء الثالث (أيا صوفيا، رقم ٣١١٨، ٢٩٧ ورقة: ٥٩٣ صفحته، طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢١، و الصورة رقم ٢٤٤).

يتضمن هذا الجزء على حوادث سنة ١٠٤ إلى سنة ١٩١ هجرية.

الجزء الرابع (أيا صوفيا، رقم ٣١١٩، ٢٩٠ ورقة، ٥٨٠ صفحته، طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢٢، و الصورة رقم ٢٩٣).

يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ١٩١ إلى سنة ٢٣٣ هجرية.

الجزء الخامس (أيا صوفيا، رقم ٣١٢٠، ٢٩٣ ورقة: ٥٨٥ صفحته) تاريخ الانتساخ: شهر محرم سنة ست وخمسمائة (٥٠٦). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٢٣٤ إلى ٣٢٦ هجرية.

الجزء السادس (أيا صوفيا، رقم ٣١٢١، ٢٦٠ ورقة: ٥٢٠ صفحته) تاريخ الانتساخ: منتصف شهر ربيع الأول سنة ست وخمسمائة (٥٠٦).

يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٣٢٦ إلى سنة ٣٦٩ هجرية.

ما نشر من هذه المخطوطه: نشر كيتاني (L.Caetani) الجزء الأول، و الجزء الخامس، و الجزء السادس من المخطوطه (ليدن ١٩٠٩، ١٩١٣، ١٩١٧ م) عن مؤسسه جب (GibB) التذكارية، طبعه فتوغرافيه (Facsimile Edition). إنه قدم الجزئين الخامس و السادس على الأجزاء الأخرى (الثاني و الثالث و الرابع) نظرا لكونهما استمرارا لتاريخ الطبرى.

و كان مشروع المؤسسه يقضى بان يعود كيتاني و أعوانه إلى العمل لنشر الأجزاء الوسطى (٢، ٣، ٤) بعد الفراغ من الجزئين الأخيرين (كيتاني، مقدمه الجزء الخامس: XIV) و لكنهم لم يوفقوا فى إنجاز مشروعهم لأسباب قد تكون ظروف الحرب العالميه الأولى منها. فلم تنشر تلك الأجزاء و بقيت بعيدة عن متناول الباحثين.

أما الملاحق التي ألحقت بهذه الطبعه (طبعه كيتاني الفتوغرافيه) فهي فى الجزء الأول: مقدمه لكيتاني (٥ صفحات) و كلمه أيمدروز (Amedroz) عن حياه مسكويه (١٣ صفحته) و ملخص لمضمون الجزء الأول بقلم ملونى (G.Meloni) و فهرس أعلام لملونى أيضا، كما ألقى لى سترنج (G.IE strangE) نظره على الملخص و الفهرس قبل إرسالهما إلى المطبعه. و فى الجزء الخامس، مقدمه لكيتاني أيضا (٤ صفحات) مع ملخص و فهرس. أما الجزء السادس فليس معه غير مقدمه كتبها لى سترنج

(صفحتان).

أما ما نشره أيمدروز فهو الجزء الخامس و السادس من هذه المخطوطه (القاهره شركه التمدن ١٩١٤، ١٩١٥ م) بإسقاط ٥٦ صفحه من أول الجزء الخامس و ضم ٢٨ صفحه من الجزء السادس إلى الجزء الخامس، كما نشر معهما جزءا ثالثا يتالف من ذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين الروذراورى (من سنه ٣٦٩ إلى سنه ٣٨٩ هجرية)، و جزءا رابعا يتشكل من الجزء الثامن من تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى الكاتب (من سنه ٣٨٩ إلى سنه ٣٩٣) و هذان الجزءان صدرا فى مجلد واحد تحت عنوان ذيل تجارب الأمم (القاهره شركه التمدن ١٩١٦ م)، مع العلم بان أيمدروز لم يوفق فى إكمال تحقيق نص الذيل بسبب وفاته، فتابع عمله مرجوليوت، فحقق النصف الباقي منه (مرجليوت، المقدمه:). فكل ما نشره أيمدروز هو مجلدان (٥، ٦) من تجارب الأمم، و مجلد ثالث عرف بذيل تجارب الأمم (- ذيل الروذراورى + الجزء الثامن من تاريخ هلال الصابى).

و الأجزاء الثلاثه هذه (نشره أيمدروز) نشرت بترجمه إنجليزيه ترجمها مرجوليوت بمقدمه (١١ صفحه) و فهرس (١٤٤ صفحه فى مجلد واحد) فى سبعة أجزاء (أكسفورد ١٩٢٠ - ١٩٢١ م) تحت عنوان:

. Caliphate the Eclipses of Ahbbasid

أما مشروعنا، كما أشرنا إليه قبل، فيشمل تحقيق أجزاء تجارب الأمم الستة، و نشر الكتاب بكامله، كما يشمل ترجمته إلى اللغه الفارسيه، لتكون بذلك قد أسهمنا فى سد الفراغ الذى طالما شغل بال الكثيرين من المعنيين بالدراسات التاريخيه الإيرانيه الإسلاميه.

٢ - ملك (مط) برقم ٤١٤٥: نسخه كامله من حيث الكميه، فى مجلد واحد من القطع الكبير. عدد صفحاتها ١٠١٤، فى كل صفحه منها ٢٥ سطرا و لكل سطر ٢١ كلمه. هى مثل أيا صوفيا فى أولها و آخرها. و عباره الفراغ فى الختام هى: "قد تم الفراغ من هذه المسوده فى عشر (- العشر) الأول من شهر ذى الحجه الحرام فى الليله (- ليله) الأضحى منه، من سنه أربع و تسعين و مائتين بعد الألف (١٢٩٤) من الهجره المقدسه، على يد أقل الطلاب و السادات محمود الطباطبائى الأردستاني الأصفهاني". خط النسخه نسخى جميل مقروء، و لكن الهفوات و الأخطاء الناتجه عن قله الثقافه لدى الناسخ، حطت من قيمتها كنسخه. و سيأتى الكلام عنها فى مكانه.

٣ - ملك الثانيه: (مح) برقم ٤٣٢٤، عدد أوراقها ٢٣١ و عدد صفحاتها ٤٦٢، بالقطع المتوسط و فى كل صفحه منها ٢١ سطرا. انتسخه محمد بن داود الحسينى المشهدى فى سنه ١٣٠٧ هجرية. أولها: " و دخلت سنه إحدى و مائه و فيها ولى يزيد بن عبد الملك الخلافه... " و آخرها: " و اتصل خبر انصرافه بالمهتدى، فكتب إليه فى ذلك كتابا (- كتبا) كثيره، فلم يؤثر شيئا فلما نظر... تمت... ". تشمل المخطوطه هذه على حوادث سنه ١٠١ إلى سنه ٢٥٦ هجرية. و هى كما ترى مخطوطه ناقصه.

٤ - آستان قدس: (أ) برقم ٤٠٩٠، طهران، المكتبه المركزيه، الميكروفيلم رقم ١٦٣٨ و الصوره رقم ٦١٨٨/٣ (ثلاثه أقسام) عدد الأوراق ٢٥٧، و عدد الصفحات فى الأقسام الثلاثه ٥١٤ صفحه. أولها بعد البسمله و الحمدله:

"و دخلت سنه إحدى و مائه (١٠١)" و آخرها: "و خرج و اتصل خبر انصرافه بالمهتدي، فكتب إليه كتابا [- كتبا] كثيره، فلم يؤثر شيئا. فلما نظر... " تشبه في أولها و آخرها مخطوطه ملك الثانيه (مح). يعود تاريخ انتساخ المخطوطه إلى شعبان سنه ١٢٩٧ (فهرس مخطوطات مدرسه نواب و آستان قدس) و هذه المخطوطه ناقصه أيضا كمخطوطه ملك الثانيه.

ص: ١٨

٦ - بودلى: (Marsh, ٣٥٧; UrI, No. ٨٠٤). و هذه النسخه تشتمل على حوادث ٣٤٠ - ٣٦٥ هجرية. (كيتانى المقدمه: XIII).

٧ - آمستردام: (Cat. de Jong, ١٠١) مخطوطه ناقصه تشتمل على حوادث سنه ١٩٦ إلى سنه ٢٥١ هجرية (كيتانى، المقدمه: XIII) أولها ناقص بأكثر من سطرين، ثم تبدأ هكذا: "أمر العراه باتخاذ ترأس من البوارى، و بالرمى بالمقاليع و محمد قد أقبل على اللهو و الشرب، و وكل الأمر كله إلى محمد بن عيسى بن نهيك، و إلى الهرش... " و آخره: "و نزل الحسين بالقرب من دمما. نجز الكتاب... و يتلوه فى الجزء السادس: ذكر رأى أشير به عليه صواب. و الحمد لله رب العالمين، و صلواته على محمد النبى و آله الطاهرين و سلم".

نشر المخطوطه دى خويه (DE GoeyE) بترجمه لـ تينيه و مقدمه (بريل ٧١-١٨٦٩ م) تحت عنوان: Fragmenta Historiarum كما نشرت مره ثانيه بالأفست و بحذف الترجمة اللاتينية (بغداد، المثنى، دون تاريخ) تحت عنوان:

العيون و الحداثق، لمؤلف مجهول (من خلفه الوليد بن عبد الملك إلى خلفه المعتصم) و يليه مجلد من تجارب الأمم. و العنوان الخاص بقسم تجارب الأمم هو: تجارب الأمم، تأليف أبى على أحمد بن محمد بن يعقوب "بن" مسكويه، الجزء السادس. فالنشره هذه هى من جزءين: الجزء الأول هو الجزء الثالث المتبقى من كتاب "العيون و الحداثق فى أخبار الحقائق" اشترك (يونج P.dejong) مع دى خويه فى تحقيقه، و الجزء الثانى و هو جزء من تجارب الأمم حققه دى خويه وحده. (من صفحه ٤١١ إلى صفحه ٥٨٣، المجموع: ١٧٢ صفحه مطبوعه).

٨ - اسكوريال: Escorial, No. ١٧٠٤. cat. ١٧٠٩. نسخته ناقصه تشتمل على حوادث سنه ٣٦ إلى سنه ٦٧ هجرية (كيتانى، المقدمه، XIII).

الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم آل عصفور

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٦٣ من المجلد الثانى. و نأخذ هنا ما جاء فى تاريخ البحرين المخطوط:

هذا الشيخ هو والد جدى صاحب الحداثق، قال فى اللؤلؤه:

الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم بن الحاج أحمد بن صالح بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطيه بن شنبه كذا وجدته بخطه فى آخر كتاب قطر الندى المكتوب بخطه فى وقت اشتغاله بالنحو فى أول عمره. و قد طلب له والده رجلا فاضلا يسمى الشيخ أحمد بن إبراهيم المقابى يجيء له فى البيت كل يوم لتدريسه، و عين له وظيفه هذا فى أول اشتغاله بالطلب [بالطب]، ثم لما صارت له قوه فى علم الصرف و النحو انتقل إلى الشيخ محمد بن يوسف المتقدم ذكره إلى شيخه الشيخ سليمان الماحوزى.

و كان قدس سره مجتهدا فاضلا جليلا. و فقيها نبيل لا يجارىه فى البحث مجار و لا يباريه مبار، و كان لا يمل من البحث و لا يغتاظ، و لا يظهر الغضب و الانقباض كما هو عاده جملة من علماء الدين ليس لهم مقدره ملكه البحث، و لقد كان يدرس فى خطبه كتاب الكافى، و كان فى الحلقة جملة من الفضلاء منهم الشيخ على بن عبد الصمد الأصبغى الآتى ذكره و كان فاضلا

دقيق النظر فوقع البحث في قوله: احتجب بغير حجاب محجوب، واستمر البحث من أول الدرس من الصبح إلى وقت الظهر، و هما ينتقلان في البحث من علم إلى علم، و من مسأله إلى أخرى، و انفصل المجلس بدخول وقت الظهر، و افترقا ثم بعد العصر جلسوا للدرس، فعاد الشيخ على في البحث و استمر الكلام إلى المغرب إلى أن قال قدس سره نقلا عن المحدث الشيخ عبد الله السماهيجي في وصفه:

أخي بالمؤاخاه و صديقي بالمصافاه الشيخ العلامة الفهامه الأسعد الأمجد شيخنا الشيخ أحمد بن المقدس الحكيم الشيخ إبراهيم البحراني متع الله المسلمين بوجوده و شمل المتعلمين بافادات جوده.

و هذا الشيخ أعنى الشيخ أحمد المزبور ماهر في أكثر العلوم لا سيما العقليه و الرياضيه، و هو فقيه مجتهد محدث و له شان كبير في بلادنا و اعتبار عظيم، إمام في الجمعه و الجماعه، و لى به اختصاص زائد دون سائر الإخوان و الأقران، و قد فرأت [قرأت] عليه شيئا من النحو في كتاب الرضى و أوائل الخلاصه في طريق السفر، و له لسان طلق و سرعه في الجواب، حسن الإنشاء و العباده، و هو أفضل أهل بلدنا الآن في العلوم العقليه و النقليه و الرياضيه. (انتهى كلامه في اللؤلؤه).

له من التصانيف جملة من الرسائل الرشيقه و التحقيقات الدقيقه، و كانت تصانيفه مهذبه محرره، و عباراته مع دقتها ظاهره مسطره منها:

رساله في بيان القول بحياه الأموات بعد الموت، و رساله في الجوهر و العرض، و رساله في الجزء الذى لا يتجزأ، و قد اختار فيها مذهب الحكماء، و رساله في شرح الحمديه لشيخه الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدم ذكره، و قد مدحه في صدرها و أثنى عليه غايه الثناء. و رساله في بيان ثبوت الولاية على البكر البالغه الرشيد، و رساله في مسأله القرعه حسنه، و رساله في التقيه عجيبه غريبه، إلا أن هاتين الرسالتين ذهبتا فيما وقع علينا في قصبه البحرين مع جملة من الكتب.

و قد كان قدس سره يتلهف عليهما غايه التلهف و يتأسف على عدم حفظهما تمام التأسف، و رساله في شرح عباره شرح اللمعه في مبحث الزوال، و رساله في مسأله موت الزوج أو الزوجه قبل الدخول هل يوجب المهر كاملا أم لا، و رساله في الدعوى على الميت هل تثبت بشاهد و يمين أم لا، و رساله في الصلح، و رساله في تحقيق غساله النجاسه، و رساله في العدول من سوره إلى أخرى، و رساله في أجوبه مسائل الشيخ ناصر الخطى الجارودى، و الرساله العطاريه و هى أجوبه جملة من المسائل للشيخ على بن لطف الله الجد حفصى تتعلق بالعطاره و تنظم في كتاب التجاره، و رساله في أجوبه لمسائل السيد يحيى بن السيد حسين الأحسائي، و رساله في مسأله المتنجنس بعد زوال عين النجاسه هل ينجنس أم لا و هى مسأله المحدث الكاشانى التى تفرد بها قد رد عليه فيها، و رساله في أجوبه مسائل الشيخ عبد الامام الأحسائي، و رساله في دخول الرقبه في الرأس في الغسل.

و قد كان الشيخ عبد الله بن صالح كتب رساله في عدم دخولها إلى أن قال:.. توفى رحمه الله عليه في بلده القطيف بعد أخذ الخوارج البحرين و خروج جميع أعيانها إلى بلاد القطيف و ذلك بضحوه اليوم الثانى و العشرين من شهر صفر سنه الحاديه و الثلاثين بعد المائه و الألف، و دفن في مقبرتها المعروفه بالحناكه و عمره يومئذ مما يقرب من سبع و أربعين سنه.

الشيخ احمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد السلام البحراني

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

قال شيخنا الأمين الشيخ ياسين في رجاله: و أنا لحقت زمانه و وقت تدرسه و كان من فضلاء المعاصرين.

غلبت عليه الحكمة. مات سنة ١٠٧٣ ثلاثه و سبعين بعد الألف.

ص: ١٩

الشيخ أحمد بن حاجي

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من أدباء البحرين و خطبائها، و من أولى المفآخر و نقيبها، جمع مع الشعر بعض العلوم الأدبية، و له ديوان كبير مشتمل على مجلدين، مجلد في حكايات طريفه و أشعار منيفه، و مجلد في القصائد و المراثى و من قصائده:

أطل الوقوف على الديار و ناد يا دار أحمد النبي الهادى

يا دار فاطمه البتول و حيدر و بنيهما و التسعه الأمجاد

يا مهبط الوحي الشريف و منزل التنزيل و الآيات و الإرشاد

يا منبع العلم الغزير و معدن الصلوات و الاذكار و الأوراد

و هذه القصيده مشتمله على سبعين و له أيضا:

أ تصبو لذكرى عافيات المنازل و تسلو عفير الخد فوق الجنادل

و تشرب ماء سائغا غير آسن و مولاك ممنوع ورود المناهل

و تزعم إيمانا فلست بمؤمن إذا لم تنح نوح الحمام الثواكل

و مات قدس سره سنه ١٠١٠ العاشر بعد الألف من الهجره.

الشيخ أحمد بن صالح الدرازى البحرانى

من آل عصفور مرت ترجمته فى الصفحه ٦٠٥ من المجلد الثانى. و نأخذ ما جاء فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال جدى قدس سره:

(كان الشيخ أحمد مقيما فى بلاد الهند إلى أن فتح تلك البلاد الشاه أو تكريت (١) فأمر بإخراج الأصناف منهم كل يقدمه، فكان الشيخ أحمد المذكور مقدا على من فيها من صنف العلماء، فأمر له بالف روييه، و رجع الشيخ أحمد منها إلى ولايه العجم بعد أن حج بيت الله الحرام و استوطن فى بلده جهرم.

و كان قدس سره على غايه من الزهد و الورع و التقوى و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر يؤثر بماله الأضياف، و كان بيته لا ينفك دائما عن جمع من الغرباء الواردين لا سيما من أهل بلاده البحرين.

إماما فى الجمعه و الجماعه و كانت مكاتباته ترد على الوالد فى البحرين لبعض المطالب التى له فيها. "انتهى".

و هذا يدل على هجره علميه من البحرين أشبه بالهجره العامليه.

الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو الفاضل البارع، و الحبر الجامع، حسن الأخلاق، طيب الأعراق، جمع بين العلم و العمل، و أحاط بالفضل المحلل، إذ عنت له العلماء و أقرت بفضله العرفاء، عالما بفنون العلوم لا سيما علم اللغه و سائر علوم الأدب، أخذ الأدب عن أبيه العلامة الشيخ حسن صاحب الأوراد، و الفقه عن جدى صاحب الحدائق، و له من التصانيف رساله فى انتصار ابن أبى عقيل، قال بعد البسمله و الحمد لله الذى جعل الماء طهورا و لم يجعل مطلقه المطلق النجاسه مقهورا، إلى أن قال: و بعد فهذا كلام جليل و بحث نبيل فيه برء العليل و برد الغليل باقامه الدليل على عدم تنجيس ملاقاه النجاسه الماء القليل، كما هو مذهب ابن أبى عقيل و اجوبه مسائل الزنكباريه، و رساله فى الأصول، و رساله فى العروض: و له كتاب الإجازة أعنى إجازات مشايخه من صاحب الحدائق إلى المفيد لم يعمل مثله، مات رحمه الله سنة ١٢٤٠ - و له ديوان فى المدائح [المدائح] و المراثى... و من جمله قصائده:

أصبحت فى كرمان اليوم محبوسا مبرحا فى بحار الغم مغموسا

مبلبل اللب محشو الحشا أسفا موزع البال تثليثا و تسديسا

معكوس موجه الآمال أجمعها عكس النقيض و ليس العكس معكوسا

فى القلب منى هموم لا تطاق و قد جالت بمعترك ضنك كراديسا

فحل كل جزء غير منقسم فكذبت مدعى أرسططاليسا

أنى أقتم بمصر جل قاطنه عباد نار و ضرابوا نواقيسا

لم ألق فى أرضها شيئا أسر به و لا وجدت بها درسا و تدريسا

بلى مدارس منقوشا جوانبها تخالها من أصابيح طواويسا

لقد رمتنى مجانق القضاء بها لأم رأسى تحليقا و تنكيسا

أن أمس ذا غربه فى كرمان فقد أمس غربيا على الطهر فى طوسا

شمس الجلاله مريخ النباله ميزان العدالة قسطا لمس منحوسا

قطب الولايه مفتاح الدرايه مصباح الهدايه نور من مقابيسا

صاح أخبار علم المصطفى جمعت له فكانت لكل العلم قاموسا

توراه موسى و إنجيل المسيح معا فى علمه قطره فى البحر لو قيسا

أحمد بن الحسين المتنبى

مرت ترجمته فى الصفحة ٥١٣ و ما بعدها من المجلد الثانى، و نشر هنا عنه الدراسات الآتية:

قال الدكتور حسين مروه:

المتنبى شاعر الجهاد العربى

ليس يختلف المؤرخون فى عروبه أبى الطيب المتنبى أحمد بن الحسين، شاعر العروبه الأكبر. و إذا كان الدكتور طه حسين قد شكك (٢) فى ما رواه الرواه من أمر أبيه و أمه و من نسبته إلى جعفى من قبل الأب و إلى همدان من قبل الأم، فلم يشكك قط فى أن المتنبى كان عربيا صريحا، لأنه ليس لزاما عند طه حسين أن يكون "العربى الصريح أو العربى الصليبه هو الذى يعرف له نسب صحيح إلى قبيله من قبائل العرب فى الشمال أو فى الجنوب" ..و هو - أى طه حسين - يرى أن ليس ب "العقل العاقل الذى يصدق أن جميع سكان جزيره العرب، منذ العصور الجاهليه الأولى إلى هذا العصر الذى نعيش فيه، قد حفظوا لأنفسهم أنسابا صريحه صحيحه ترفعهم إلى عدنان أو قحطان.. إنما حفظ الأنساب مزيه قد اختصت بها طبقات من أشراف العرب و ساداتهم فى بعض الأوقات، ثم أصبحت سنه موروثه و عاده مالوفه، و مظهرا من مظاهر الأرسقراطيه، ثم فرضت على أصحابها أن يحفظوها و يتوارثوها، و يبتدعوها ابتداعا إذا غلبهم. عليها النسيان" (٣).

و الدكتور طه حسين على صواب كثير فى ما يقرر من أنه لو كان حقا أن العربى لا- يكون عربيا حتى يحفظ لنفسه أو يحفظ الناس له نسبا صحيحا صريحا

ص: ٢٠

١- هكذا كتب الاسم، و الصحيح: أوركك زيب (ح).

٢- " مع المتنبى " - طه حسين - ص ١٢-٢٥.

٣- المصدر السابق ص ١٩

ينتهي إلى قبيله من القبائل، لتغير كثير جدا من القيم التاريخيه(1) المعاصره.

فالممتنبى، إذن، عربى الأصل، لا يشك فى ذلك أحد من المؤرخين و لا الباحثين، قدامى و محدثين، و الممتنبى نفسه قد نفى - من حيث لا يقصد قطعا - أسباب الشك فى أصله العربى، حين قال فى معرض الفخر بنفسه أثناء قصيده من شعر الصبا:

لا بقومى شرفت، بل شرفوا بى و بنفسى فخرت، لا بجدودى

و بهم فخر كل من نطق الضاد و عوذ الجانى، و غوث الطريد

بل هو لا يقتصر هنا على أن يؤكد نسبه و أصله العربى، و إنما هو يغلو بهذا الأمر حتى يرى قومه فى ذؤابه العرب، بهم يفخر كل من نطق لغه العرب..

و نحن إذا فرغنا من هذا الأمر، أى من نسبه الممتنبى إلى العربيه، فقد بقى أن نفرغ الآن للأمر الأهم من ذاك، و هو أمر نزعته العربيه، أو ما نسميه فى لغه العصر بالنزعه القوميه، نقصد بها شعور المرء شعورا عميقا راسخا بان كيانه الشخصى، من نواحيه الإنسانيه و الوجدانيه، مرتبط و جودا و حياه و مصيرا، بهؤلاء القوم، أو بهذا الشعب الذى تنميه إليه و شائج النسب و التاريخ و التراث و اللغه و الثقافه و المفاسر و الوقائع و التقاليد، فضلا عن و شائج الأرض، و مصالح العيش، و بواعث الآمال الكبيره و الأشواق العليا.

و لعل من الدقه أن نقول إن النزعه القوميه فى الفرد، كما نعينها هنا، هى أكثر من مجرد الشعور بهذا الارتباط، فلا بد من إضافه شىء آخر إلى ذلك، و هو أن يكون هذا الشعور من القوه و العمق و الوعى بحيث يرى الفرد أن أحزانه الشخصيه و أفراحه، مناقبه و معايبه، عزته و ذلته، سعادته و بؤسه، منصهره كلها، أو منفعله بالأقل فى كل ما يتاح لقومه أو شعبه من أفراح و أحزان، و من انتصارات و هزائم، و من مناقب و معايب، و من عزه و ذله، و من سعادته و بؤس.

و لعل من الدقه أيضا أن نضيف إلى ذلك أمرا آخر، و هو أن يكون هذا الانصهار أو هذا الانفعال من قوه الأثر بحيث ينعكس تلقائيا، دون تكلف متعمد، فى حياه الفرد، أى فى سلوكه العملى، فى ما يفعل و ما يدع من أمور الحياه العمليه، فى ما يحب و ما يكره، فى ما ياتى من أمر و ما يصدر عنه من فكر أو رأى أو فن أو أدب إذا كان من ذوى الفكر أو الرأى أو الفن أو الأدب.

فما ذا كان الممتنبى من النزعه القوميه هذه؟..

نستطيع أن نجيب عن ذلك بان الممتنبى كان عربى النزعه، بالمعنى الذى قلنا، كما هو عربى النجار عربى النسب.

تحدثنا كتب التاريخ و الأدب العربى عن مولد أبى الطيب و نشاته و بيئته، فنعلم أنه ولد فى الكوفه بالعراق سنه ثلاث و ثلاثمائه للهجره، أى فى ذلك المركز الثقافى الأصيل من مراكز الثقافه العربيه الخالصه، و فى تلك البيئه التى أقلق أمرها و عصفت بأهلها ما كان يقلق يومئذ أمر الدوله العربيه الإسلاميه كلها، و يعصف بأهلها جميعا من اضطراب سياسى و اجتماعى، و فى أوائل ذلك القرن الرابع الهجرى الذى ورث عن سابقه شئونا عجابا من ذلك الاضطراب السياسى و الاجتماعى فى كيان هذه الدوله الوسيعه الرقع المتراميه الجوانب فى ثلاث قارات من الأرض... و قد أضاف هذا القرن الرابع، إلى ذلك، اضطرابا أشد أثرا و أعمق غورا

و أوسع مدى، بحيث شمل طبقات مختلفه، و أمصارا عده، و شئونا كثيره من شئون الحياه، و زاد فى ذلك الاضطراب أنه كان ينبع من الداخل و ياتى من الخارج فى وقت معا:

فى الداخل انقسام و احتراب بين ملوك الأمصار و أمرائها و ولاه أمرها من جانب، ثم بين هؤلاء و بين مركز الخلافه بالعراق من جانب.. و قيام ثورات شعبيه و انتفاضات اجتماعيه تنقم على نظام الحياه و الدوله من جانب آخر.

و فى الخارج، و بالأصح: على حدود الدوله من الشمال، تتوالى الغارات من جانب الروم الطامعين فى الفتح و الاكتساح، لانتقاص أطراف الدوله العربيه شيئا فشيئا حتى يتاح لهم القضاء على سلطانها كله.

و تحدثنا كتب الأدب و التاريخ كذلك أن أبا الطيب ولد و نشأ حين ذاك فى بيت فقر و إعواز، و فى بيئه كدح و رهق، و لكنه - على ذلك - استطاع أن ينال فى الكوفه نصيبا من ثقافه، ثم أن يخرج إلى بعض نواحي الباديه فى العراق، و هو ما يزال فى غراره الصبا، فيفقه هناك بعض ما كان يجب أن يفقه من فصاحه الباديه، و لكن هذا كان أيسر ما أفاده من إقامته بعض الوقت هناك.. ذلك بان الرواه حين يتحدثون عن شأنه فى الباديه يلمحون حيناً و يصرحون حيناً بأنه ربما اتصل فيها بحركه القرامطه، أو ببعض دعواتها، و أن هذه الصله، و إن جاءت و هو فى حدائه السن، ربما أيقظت فيه شيئا من ثوره و نقمه: ثوره أصابت هوى عميقا من نفسه، إذ هاجت فيها مشاعر الفتى المحروم، و نقمه نبهت ذهنه الطرى إلى مساوى هذا الحال الذى يبعد أسباب النعمه و أسباب الثقافه عن فئه عريضه من قومه، بينما هو يدنى هذه الأسباب كلها إلى فئه خاصه منهم، فيغدق عليها النعمه، و يهيا لها أكبر نصيب من الثقافه و المعرفه.

و قد يكون هذا الذى يقوله الرواه، تلميحا أو تصریحا، واحدا من الأسباب التى أوقعت فى نفس المتنبى، و هو صبى، أنه مرجو لأمر خطير من الأمور ربما كان فيه الخير لنفسه و لقومه، و ربما كان فيه الوسيله لتغيير ذاك الحال من الظلم الاجتماعى الذى نبهته إليه الأحداث المضطربه الفاجعه من جهه، و نبهته إليه كذلك ضعه حاله و إعواز أهله و لوعه حرمانه، من جهه ثانيه.

و فى ديوان أبى الطيب أبيات ثلاثه كل ما نعرف عنها من الديوان أنه قالها فى صباه، و نستطيع أن نعرف، استنتاجا، أنه قالها فى الكوفه قبل أن يبرحها إلى بغداد، و بعد أن رجع إليها من الباديه، ذلك لأنه كان فى الخامسة عشره حين وفد إلى بغداد أول مره، فلم يكن صبيا إذن، و أما قبل أن يخرج من الكوفه إلى الباديه، فقد كان فى سن ليس من اليسير التصديق بأنه يقول فيها شعرا فى مستوى هذه الأبيات الثلاثه:

إلى أى حين أنت فى زى محرم و حتى متى فى شقوه، و إلى كم؟

و إن لا تمت تحت السيوف مكرما تمت و تقاسى الذل غير مكرم

فتب واثقا بالله و ثبه ماجد يرى الموت فى الهيجا جنى النحل فى الفم

نحن نرى فى هذه الأبيات أمرا هو أكثر من ثوره تدفعه إلى تغيير حاله و الانتقام لفقره و شقوته، نرى فيها أن الفتى - و قد رجع

إلى الكوفه من رحله الباديه - إنما امتلأت نفسه بامر كبير يدعو أن

"يرى الموت فى الهيجا جنى النحل فى الفم"

أى أن يخوض حربا يستعذب فيها الموت حتى كأنه الشهد فى فمه.٩.

ص: ٢١

١- المصدر السابق ص ١٩.

فلم هذه الحرب؟.. أ هي لمجرد أن يخرج من الفقر إلى الغنى، و من الشقوه إلى السعاده؟.. أ تراه قام في ذهن الفتى يومئذ أنه لا يستطيع أن يفتنى و يسعد إلا بحرب كهذه؟.

نستبعد أن يكون الفتى قد أراد الحرب هذه لنفسه هو بمفرده، بل توحى إلينا هذه الأسباب، بما فيها من حراره اللهجه و حماسه العزم، أنه عاد من الباديه إلى الكوفه و هو يحمل فكره الثوره على الأوضاع العامه، لا على حاله هو بشخصه.

و طبيعى أننا لا نقصد بهذا أن نتجاهل العامل الشخصى عند الفتى البائس الفقير المحروم، الطموح، و لكن نقصد أن الفتى قد أتىح له خلال تجرباتك تلك، فى مناخ اجتماعى ثورى، أن يكتشف - و لو بشكل بدائى - علاقته ما بين بؤسه و فقره و حرمانه. شخصيا، و بين ما يصيب غيره فى مجتمعه العربى من ظلامات و تعاسات، فإذا هو يرى أن أمره الشخصى من أمر قومه، و أن بؤس حاله من بؤس أعم و أشمل، مصدره هذا الاضطراب العام السائد، أوضاع الدوله العربيه كلها، و إذا هو يرى بعد، أنه متصل أوثق اتصال بهذه الأوضاع، و أنه - لذلك - على ارتباط بقضيه قومه، و أنه إذا كان يطمح إلى تغيير حاله فلا بد أن يرتبط طموحه هذا بطموح هذه الفئات الكثيره المظلومه المحرومه فى مجتمعه.

قد يكون فى هذا التفسير شىء كثير أو قليل من المبالغه، و تحميل للفتى و لعصره أكثر مما كان يمكن أن يحتملا من فهم القضييه على هذا الوجه..

و لكن، هل ترانى أقصد أن القضييه كانت واضحه محددده فى ذهن المتنبي على هذا النحو الذى يلائم عصرنا و تفكيرنا العلمى أكثر مما يلائم عصر المتنبيو تفكيره؟.. طبعاً، لا. و إنما الأمر الذى لا شك فيه، على ما يبدو لى، أن المتنبي كان فى ذلك الحين على شعور بأنه يحمل قضييه ما هى أكبر من قضيته الخاصه، و أن هذه القضييه ذات صلته بنظام الحكم أو بالأشخاص الذين يديرون أمر الدوله فى وطنه و قومه.

و لقد خرج المتنبي من الكوفه إلى بغداد أول مره، و هو فى الخامسة عشره، بعد أن انحسرت عن العراق موجة القرامطه، و لم تطل إقامته فى بغداد، و لم يترك فى عاصمه الخلافه أثراً و لا ذكراً، و ليس فى النصوص و الأخبار ما يكفى للكشف عن سبب هذا، و إن كان يمكن أن نربط ذلك بهذه النزعه الثوريه التى ظهرت عليه و هو فى الكوفه، و أن تكون هذه النزعه قد باعدت بينه و بين سراه بغداد و ذوى السلطان و الثراء فيها، فأعجل رحيله عنها إلى بلاد الشام، و لعله كان فى نحو السابعه عشره من عمره حين ذاك.

و من المحقق أن نزعه الثوريه هذه قد صاحبتة إلى بلاد الشام أيضاً، و طوفت معه فى أنحاء الجزيره بشمال سوريه، و فى رحلاته إلى طرابلس و اللاذقيه و فى حمص حيث قيل فى الأخبار أنه سجن لدعوته قوماً من الباديه إلى أمر أنكره عليه أمير حمص لؤلؤ الإخشيدى فسجنه.. و لكن ما هو هذا الأمر؟.. أ حقا أنه ادعاؤه النبوه؟..

ليست النصوص، و الأخبار التى بأيدينا بمفصحه عن حقيقه هذا الأمر، و ليس ادعاؤه النبوه مما تصدقه هذه النصوص و الأخبار، و ما تزال مسأله ادعائه النبوه مما يعد فى باب الخرافه.. فما ذا أحدث المتنبي إذن من أمر استوجب اضطهاده و سجنه فى حمص؟.. أ ليس يمكن أن نستعين هنا بما ذكرناه آنفاً من أن المتنبي قد استشعر، منذ أوائل نشاته و شبابه، بتلك الصله العميقه

الغامضه بين قضيته الخاصه، قضيه بؤسه و فقره و حرمانه، و بين قضيه مجتمعه و قومه، أعنى أنه استشعر بترابط القضيتين معا، و اتصالهما بالأوضاع السياسيه و الاجتماعيه العامه، التى يفرضها نظام دخله الفساد، أو حكام فاسدون مفسدون، و أنه - لذلك - حمل فكره الثوره على هذه الأوضاع، و ظلت هذه الفكره تحيا فى نفسه و تنمو، ثم تتحين كل فرصه تتمكن فيها من التعبير عن ذاتها بأشكال مختلفه من التعبير، و أنه ربما وجد فى بادية حمص فرصه من هذه الفرص التى كان يترصدها طوال ذلك العهد من حياته، فحاول نوعا من الثوره بأوضاع الحكم هناك، و لا سيما أن السلطه فى ذلك الصقع كانت حين ذاك لغير العرب، إذ كانت لدوله الإخشيديين، و هم من الأجانب يحكمون قوما من العرب فى أرض عربيه.؟؟..

فالمتمنبى فتى عربى، و فى قراره ذاته ثوره، و هو منذ وجدت هذه الثوره مكانها فى ذاته يبحث عن ناس من العرب يعينونه على أحداثها، لعل بها خيرا لنفسه و لقومه كما أشرت من قبل، و لعل بها، فى حمص ذاتها، ما يرغم هذه الدوله الأجنبيه على الجلاء عن هذه الأرض العربيه، ليكون الحكم فيها إلى عربى صالح يقيم ميزان العدل فى قومه.

و لقد كانت الأيام تنتظر هذا الشاعر الثائر حتى يقيض له أن يعبر عن ثورته، عن نزعتة العربيه المكبوتة الحائره فى أعماق سريرته، تعبيرا يشبه الانفجار من وجهه، و يشبه - من وجه آخر - روعه النضج فى إبانة و فى أزهى عنفوانه.

و لقد طاولته الأيام كثيرا، و ما طلته كثيرا، و امتحتته بألوان من المحن مقبته ثقيله سمجه.. لقد وقف المتمنبى عند التوخين فى اللاذقيه يهز عروبتهم عسى أن يرجع بهم للعرب سلطانهم، و ينتزعوا من أيدي الأجانب ملكهم و أرضهم:

أحق عاف بدمعك الهمم أحدث شىء عهدا بها القدم(1)

و إنما الناس بالملوك و ما تفلح عرب ملوكها عجم

لا أدب عندها و لا حسب و لا عهود لهم و لا ذمم

بكل أرض و طئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم..

و وقف المتمنبى عند بدر بن عمار فى طبريه، و قد ملك عليه الفرح بلقائه كل نواحيه، فان بدر بن عمار مجاهد عربى، و المتمنبى يبحث فى الملوك و الأمراء و القواد عن عربى يستحق مدائح، و ها قد وجده فقصدته من شمال سوريه إلى جنوبها، و ها هو ذا يلقاه فيهتف من فرح:

أ حلما نرى أم زمانا جديدا أم الخلق فى شخص حى أعيدا

نجلى لنا فاضانا به كانا نجوم لقينا سعودا

و وقف المتمنبى، فى ما بين هذا و هؤلاء، عند ناس كثيرين ينشدهم شعره متكلفا ما ليس عنده لهم من حب و لا إعجاب، متحفظا فى إظهار سريرته و ثورته، متنفسا حيناً ببعض ما يكتن من هم ثقيل و سر خطيره:

١- من قصيده قالها في علي بن ابراهيم التنوخي حوالى سنه ٣٢٣ هجريه، و كان المتنبي في نحو العشرين من عمره

فؤاد ما تسليه المدام و عمر مثل ما تهب اللثام(١)

و دهر ناسه ناس صغار و إن كانت لهم جث ضخام

و ما أنا منهم بالعيش فيهم و لكن معدن الذهب الرغام

أرانب غير أنهم ملوك مفتحه عيونهم نيام

و ظلت الأيام تطاوله و تماطله حتى آذنت بان يجد الشاعر الثائر بطله الفارس المجاهد، و التقيا معا أول مره، عند أبي العشائر في أنطاكيه سنه سبع و ثلاثين و ثلاثمائه هجريه، و حظى شاعر العروبه الأكبر أبو الطيب المتنبى بمجاهد العروبه الأكبر يومئذ، سيف الدوله أبي الحسن على بن عبد الله بن حمدان، أمير حلب و قد كان كلاهما ينتظر صاحبه منذ زمن..

سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه(٢)

مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه و لا حملت فيها الغراب قواده

فأبصرت بدرا لا يرى البدر مثله و خاطبت بحرا لا يرى العبر(٣) عائمه

و الأمر في لقاء المتنبى لسيف الدوله، أنه ظاهره تحول و انتقال في نفسه أبي الطيب و في شعره و في شخصيته جميعا.. و من هذه الظاهره، بعد أن تتضح لنا في ما ياتي، نخلص إلى حقيقه ذات شان كبير في الوصول إلى جانب النزعه القوميه عند المتنبى.

يكفى أن يرجع الناقد الباحث إلى ديوان المتنبى يدرس قصائده بتعمق و تذوق، ليعلم أن شعره في هذه السنوات التسع التي صحب فيها بطله العربي المناضل وحده عن ثغور الدوله العربيه ضد غزوات الروم الطامعين بانتقاص هذه الدوله أطرافها، ليتسنى لهم القضاء على سلطانها كله - أقول: ليعلم أن شعر أبي الطيب في هذه السنوات التسع قد جاء باروع ما كانت تختزن عبقريته من طاقات شعريه و قوى ثوريه.

نحن نحس في قصائد أبي الطيب عند سيف الدوله أنه ينطلق فيها من جانب في نفسه يختلف كثيرا عن تلك الجوانب كلها التي كان يصدر عنها شعره في غير سيف الدوله من جميع ممدوحيه، سواء منهم الذين مدحهم قبل لقائه سيف الدوله، أم الذين مدحهم بعد ذلك، إلى أن لقي حتفه.

و ذلك الجانب الذي نعنى، ليس هو مجرد حبه لشخص سيف الدوله بما أنه سيف الدوله بذاته، و ليس هو مجرد إعجابه بذكاء سيف الدوله أو ببطلته، بما أنه ذكاء و أنها بطوله و كفى، و ليس هو مجرد رضاه نفسه بما لقي في رحاب سيف الدوله من إنجاز في عطائه و تقدير لشعره و رفع لقدره، بل الأمر - كما نحس في جميع قصائده بسيف الدوله - يجاوز هذا كله إلى أن المتنبى وجد في صحبه هذا الأمير الفارس، و في جهاده المتواصل الدائب، و المظفر في أكثر الأحيان، وجد في ذلك إرواء و شبعاً لثورته القديمه المكبوتة، و إرضاء و تجسيدها لنزعه القوميه التي صحبت تلك الثوره و عاشت فيها و نمت نموها و هي تتفاعل معها، حتى تمازجتا تمازج ألفه و وحده. لقد قيل في بعض ما يروى الرواه، أو في بعض ما يشيع في الأذهان، أن المتنبى

كان جبانا، فإذا صح هذا فان الذى كانوا يرونه جبنا فيه، قد ظهر من سيرته عند أمير حلب الحمدانى أنه لم يكن جبنا حقا، و أنا لا أعلم و لا أذكر حادثه واضحه تدل على جنبه، بل كان ذلك - كما يبدو - عزوفا من المتنبي عن إظهار جرأته فى غير موطنها الذى تستحقه.. ونحن لا نعلم فى أخبار ثورته ببيديه حمص ما يكشف بوضوح عن هذه القضية، فما تزال هناك حلقة مفقوده فى أخبار هذه الثورة..

و قد رأينا أبا الطيب يقبل على ممارسه فنون الفروسية و القتال مع سيف الدوله و يخوض معه معارك الجهاد ضد غزوات الروم، و نراه فى المعركه يخرج منها سيف الدوله منكسرا، مثله فى المعركه يخرج منها سيف الدوله منتصرا أى أننا نراه فى الحالين يطلع بعد المعركه بشعر هادر تائر رائع، يطفح فيه الأمل بالنصر بعد الهزيمه، أو يطفح فيه الأمل بالنصر بعد النصر. فهل كان هذا مجرد إعجاب بباس سيف الدوله و شجاعته؟.. أ كان هذا مجرد مدح لأجل المدح ذاته؟.

كان يمكن أن يصح القول هذا لو أن ذلك الشعر لا يختلف فى مستواه الفنى و فى نبضات الحياه فيه عن غيره من الشعر الذى قاله أبو الطيب فى غير سيف الدوله، و لكنه مختلف جدا، فشعره هذا بسيف الدوله يهدر هديرا عجبيا و ينبض بالقوه و الفرح و الصدق و الحراره و الحماسه، فالشاعر هنا يخرج من المعركه و هى تضج فى دمه و مشاعره و أمانيه و أشواقه، يخرج منها و هى تجربه من تجارب نفسه و عقله تملأ- جوانب نفسه و عقله، فلا- يكون الشعر هنا إلا هذه تجربه النفسيه العقلية الشخصيه ذاتها متجاوبه مع أصداء تلك النزعه الكامنه الناميه عنده أبدا، نزعه القوميه.

إن وراء هذا الشعر الهادر التائر الرائع، أمرا حقيقيا هو غير ما نعرف فى سائر شعر المتنبي، و ذلك أن المتنبي كان يدخل المعركه مع سيف الدوله، و هو يمزج عواطفه لشخص سيف الدوله بعواطفه لهذا الجهاد العربى الذى يحمى الثغور و يدفع الأخطار عن دوله العرب و سلطان العرب.

و هنا نذكر ملاحظه دقيقه عميقه لاحظها الدكتور طه حسين فى الفرق بين مدائح المتنبي للفارس العربى سيف الدوله، و بين مدائحه لجماعه من غير العرب، فهو حين يمدح هؤلاء الجماعه يتجنب التعرض لمدح أجناسهم الأجنبيه، و يكتفى بمدح أشخاصهم، فان تجاوز أشخاصهم لم يتجاوز أن يذكر ما لآبائهم من الإسلام و فى ظل الدوله العربيه.(4)

و يلاحظ الدكتور طه حسين، بهذه المناسبه، أن المتنبي قد اتخذ العربيه مذهبا سياسيا و فلسفيا، و لكن يأخذ عليه أنه خرج على مذهبه هذا فى قصيدته التى مدح بها على بن صالح الروذبارى والى دمشق، حين فر من طرابلس إلى دمشق، و هو فى نحو الثالثه و الثلاثين من عمره، و فيها يقول:

ليس كل السراه بالروذبارى و لا كل ما يطير بباز

فارسى له من المجد تاج كان من جوهر على أبرواز

و بآبائك الكرام التأسى و التسلى عن مضى و التعازى

تركوا الأرض بعد ما ذللوها و مشوا تحتهم بلا مهماز ٩.

-
- ١- قالها فى المغيٲ بن على العجلى فى أنطاكيه.
 - ٢- من أول قصيده قالها المتنبى فى سيف الدوله، و مطلعها: وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمهبان تسعدا، و الدمع أشجاه ساجمهمؤيدات: جمع مؤيد، و هو القوى.
 - ٣- عبر البحر: شطه
 - ٤- مع المتنبى - طه حسين ص ٩٥٩.

غير أن هذا المأخذ هل يصح أن نتخذه دليلاً على شعوبيه صريحه من المتنبي كما يتهمه الدكتور طه حسين؟. هل مجرد مدح الفرس أو أى قوم آخرين يعد شعوبيه صريحه؟.. إذا صح مثل هذا فان الدكتور طه حسين مدح أقواما كثيرين كاليونان و الفرنسيين فى كثير من آثاره الأدبيه، فهل يرضى العقل و العلم أن نقول فيه ما يقوله فى المتنبي؟.

نعم، إن للمتنبى هفوه غير هذه ننكرها عليه و لا- نعتفرها له، و نعتقد أنها تناقض نزعته القوميه كل المناقضه، و هى تنحصر فى بيت واحد من مجموع شعره كله، بيت قاله فى إحدى قصائده بمدح [يمدح] كافور:

و أى قبيل يستحقك قدره معد بن عدنان فداك، و يعرب!..

ما ندرى كيف قال المتنبي هذا البيت و باى حال و لأى غرض، و لكن ندرى أنه مهما تكن حاله و مهما تكن الظروف التى أحاطت به، و مهما يكن الغرض الذى قصد إليه، فلا شىء مطلقاً يبرر أن يقول كلاماً من هذا القبيل، و هو الذى ملكت عليه، فى كل شعره، نزعته العريبه، و دخلت هذه النزعه فى كيانه و فى وجدانه، ثم دخلت فى تجربته الشعريه فأنضجت مواهبه و فتقت عبقريته و أخرجت من تجربته هذه، فنا من الأدب القومى يندر نظيره فى أدبنا القديم.

و لكنها هفوه واحده لا- تغير شيئاً من الواقع الذى كأنه المتنبي، أعنى واقع أن أبا الطيب كان أعظم شاعر عربى غنى معارك النضال العربى فى زمن كان هذا النضال يحمل أثقاله فارس بنى حمدان وحده فى أمراء العرب و ملوكهم.

و لقد كان أبو الطيب يشعر بثقل المهمه التى يحملها سيف الدوله، و يشعر مع ذلك بتقصير الآخرين من ذوى السلطان فى الدوله العريبه، بل يشعر فوق ذلك بان هؤلاء لا يكتفون بالعود عن مناصره سيف الدوله فى مناهضه الغزوات الأجنبيه على حدود دولتهم، بل يزيدون فيقلقون على سيف الدوله أمنه الداخلى و يشورون به و يصرفون كثيراً من جهده عن مقاتله الروم إلى مقاتلتهم فى داخل البلاد لاخمد الفتنة أثر الفتنة، و لطالما ألمح المتنبي فى قصائده إلى هذا الأمر، و لطالما عرض بهؤلاء تعريض اللائم العاذل..

نسمعه فى القصيده التى يذكر فيها استنقاذ سيف الدوله لأبى وائل تغلب بن داود بن حمدان العدو من أسر الخارجى، و ذلك سنه ثمانى و ثلاثين و ثلاثمائه، و كان الخارجى يطمع فى الخلافة و الملك(1) و مطلع القصيده:

إلا م طواعيه العاذل و لا رأى فى الحب للعاقل

نسمعه فى هذه القصيده يقول:

أما للخلافه من مشفق على سيف دولتها الفاصل

يقد عداها بلا ضارب و يسرى إليهم بلا حامل

و فى هذا البيت الأخير إشاره إلى أن سيف الدوله ناهض وحده فى ضرب أعداء الخلافه غير محمول بمعاونه أحد من رجال الخلافه.

و فى سنه ثلاث و أربعين و ثلاثمائه هجرىه، أحدث بنو كلاب فتنه ضد سيف الدوله، فسار إليهم و أبو الطيب معه، فأوقع بهم، و قضى على فتنتهم، و أحسن معامله حريمهم، فلما عاد مظفرا قال أبو الطيب قصيدته التى مطلعها: (٢)

بغيرك راعيا عبث الذئب و غيرك صارما تلم الضراب

و فيها يقول:

ترفق، أيها المولى، عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

و إنهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لحادثه أجابوا

و عين المخطئين هم، و ليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا

و أنت حياتهم غضبت عليهم و هجر حياتهم لهم عقاب

و ما جهلت أياديك البوادي و لكن ربما خفى الصواب

ثم يقول:

و أن يك سيف دوله غير قيس فمنه جلود قيس و الثياب

و تحت ربابه نبتوا و أثوا و فى أيامه كنزوا و طابوا (٣)

و تحت لوائه ضربوا الأعادي و ذلك لهم من العرب الصعاب

و لو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

و لاقى دون ثايهم طعانا يلقى عنده الذئب الغراب

(٤) فالمتنبى هنا يدعو سيف الدوله إلى العفو عن بنى كلاب، فهم عرب من قومه، و هم إذن عون له على أعداء العرب إذا

احتفظ بهم، ثم تهزه عروبه فيثنى على شجاعه هؤلاء الثائرين، و هم إذا كانوا قد انهزموا أمام سيف الدوله فلأنه سيف الدوله، و

لو أن غيره جاءهم لثناه عن شموسهم ضباب من غبار فرسانهم و شجعانهم.

و فى سنه أربع و أربعين و ثلاثمائه هجرىه، أحدث بنو عقيل و قشير و بنو العجلان و كلاب فتنه أخرى فى نواحي الدوله

الحمدانيه، فقضى سيف الدوله على فتنتهم، فقال أبو الطيب فى ذلك قصيدته (٥) التى مطلعها:

تذكرت ما بين العذيب و بارق مجر عوالينا و مجرى السوابق

و فيها يقول:

فما حرموا بالركض خيلك راحه و لكن كفاها البر قطع الشواهدق

و لا شغلوا صم القنا بقلوبهم عن الركز، لكن عن قلوب الدماسق

(٤) و هاهنا يبدو المتنبي أكثر صراحة في هذه المسألة، فهو يقول للشائرين إن خيل سيف الدولة حين طاردتهم منهزمين لم يحرمها الركض وراءهم راحتها، بل كفاها مئونه قطع الجبال الشواهدق في مطارده الروم أعداء العرب، و أن رماح سيف الدولة حين أمعنت طعننا في قلوبهم، لم يشغلها هذا الطعن عن أن تكون مركزه في الأرض دون عمل، و إنما شغلها ذلك عن طعان جيش الروم أعداء الدولة العربيه.

و معنى هذا، كما يريد أن يقول المتنبي، أن هؤلاء العابثين في الداخل، قد صرفوا جيش سيف الدولة عن قتال أعدائهم المغيرين عليهم من الخارج، م.

ص: ٢٤

-
- ١- شرح ديوان المتنبي - البرقوقى ج ٢ ص ٣٠.
 - ٢- المصدر السابق ج ١ ص ٥٥.
 - ٣- الرباب: غيم ماطر - و أث النبات: كثر و التف.
 - ٤- الثاى: جمع ثايه، و هى حجاره تجعل حول البيت ياوى إليها الراعى.
 - ٥- المصدر السابق ج ١ ص ٤٦٧.
 - ٦- الدماسق: جمع دمستق، و هو قائد الروم.

أين عن أداء واجبه القومي المقدس، الذى هو - فى الوقت نفسه - واجبه أيضا..

و نكتفى بهذه الأمثلة، دون استقصاء، للدلالة على أن المتنبي كان مشغول الذهن و العاطفه، و هو يمدح سيف الدوله فى هذه المناسبات، بامر هذا الجهاد القومي المقدس الذى كان أميره الحمدانى يحمل نفسه على النهوض باعبائه وحده فى الدوله الواسعه ذات الدويلات العديده.

و التعريض هكذا بخصوص سيف الدوله الداخليين، ليس هو إلا- أيسر الجوانب المعبره عن اهتمام المتنبي بامر ذاك الجهاد القومي، و هناك جوانب المدح الخالص لسيف الدوله فى قصائده الروميات، بل فى كل قصائده التى قالها بهذا الأمير المجاهد، و هى تكاد تزيد عن ثمانين قصيده ظل ينشئها فى مدى تسع سنوات متواليات، و هى بلا شك أعظم شعر المتنبي على الإطلاق، بل من أعظم الشعر القومي فى أدبنا العربى.

فهذه قصيدته التى مدح بها سيف الدوله بعد انتصاره على الروم فى "مرعش" انتصارا تاريخيا رائعا، سنه اثنين و أربعين و ثلاثمائه هجرية، يسرد فيها وقائع عده معارك، و يسمى أمكتتها و أشخاصها، و هى القصيده التى مطلعها:

ليالى بعد الظاعنين شكول طوال، و ليل العاشقين طويل

هذه القصيده تكاد تكون لوحه كبيره متقنه الصنع متكامله الأجزاء، تصف بلاء الأمير الحمدانى فى جيوش الروم، و تصف فنون الكر و الفر، و لكنها ليست وصفا حقيقيا بقدر ما هى غناء وجدانى نحس فيه وهج العاطفه و لهب الحماسه و فرح الانتصار، حتى لكان المتنبي ينشئ فى كل بيت من القصيده معركة، و يحرز فى كل معركة نصرا، و يتذوق مع كل نصر فرحه جديده.

ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتى فتظهر فيه رقه و نحول

لقيت بدر ب "القله" (١) الفجر لقيه شفت كمدى، و الليل فيه قليل

و يوما كان الحسن فيه علامه بعثت بها، و الشمس منك رسول

و ما قبل سيف الدوله اثار عاشق و لا طلبت عند الظلام ذحول [ذحول]

و لكنه ياتى بكل غريبه تروق، على استغرابها، و تهول

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا و ما علموا أن السهام خيول

شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته و سهيل

و ما هى إلا خطره عرضت له بحران لبتها قنا و نصول

(٢) و يقول فيها:

و أنا لنلقى الحادثات بأنفس كثير الرزايا عندهن قليل

يهون علينا أن تصاب جسومنا و تسلم أعراض لنا و عقول

إنه هو المتنبي نفسه فى المعركة، و هو هنا يتحدث بانفعاله و تجربته و اندماجه فى القضية التى تدور لأجلها المعركة.. هو هنا ليس مادحا للمدح ذاته، و ليس مادحا للجائزه ذاتها، و ليس مادحا زلفى و تمليقا لصاحبه.. هو هنا عربى يهتز كيانه و وجدانه بحركة المعركة، و بقضيه المعركة، و بمجد المعركة، ثم بفرح الانتصار فى المعركة.

و فى شهر صفر سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائه هجرية، يدخل على سيف الدولة رسول من قائد الروم يطلب الهدنه، فينبى المتنبي إلى هذه القصيده التى مطلعها:

دروع لملك الروم هذى الرسائل يرد بها عن نفسه و يشاغل

هى الزرد الضافى عليه و لفظها عليك ثناء ساغب و فضائل

لم يبدأ الشاعر القصيده، هذه المره، بالغزل أو النسب كعادته، فقد أعجله عن ذلك أمر خطير هو أحق أن يشغل به نفسه و يحذر به أميره.. إن الأمر عنده ليس مدح سيف الدولة و كفى، و ليس طلب المنزله أو طلب الجائزه و كفى.. بل الأمر الأهم من هذا كله أن يعلم أميره مغزى هذه الهدنه التى يرجوها قائد الروم.. هذه الهدنه ليست سوى خدعه يريد أن يدفع بها ملك الروم عن نفسه و جيشه إحدى الهزائم يوقعها به هذا الأمير العربى، سيف الدولة.

فالمتنبي، إذن، يدرك قصد الهدنه هذه، و هو إذن يسارع إلى أميره أن يرفض الهدنه، حتى لا يفيد منها العدو كسبا عسكريا على حساب الدولة العربيه. و يصاب العرب بالهزيمة، بعد النصر، فى المعركة التى وقعت قرب بحيره الحدث، سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائه، و كان سبب الهزيمة أن أتباع سيف الدولة بعد أن انتصروا على الروم عده انتصارات فى تلك السنه، أبوا عليه أن يتابع غزوه للروم، و ألحوا عليه فى طلب العوده إلى ديارهم، فاستجاب لهم، و عادوا بمغانم النصر و بالأسرى، و بينا هم فى طريق العوده فوجئوا بالعدو و قد أحاط بهم، و سد عليهم كل طريق فأوقع بهم الهزيمة، و كان المتنبي من شهود أحداث النصر و الهزيمة معا، فلما عادوا إلى حلب كانت نفس الشاعر قد امتلأت ألما و حزنا على ما قد أصيب به الجيش العربى فى تلك الحوادث، و سرعان ما أحدث الألم و الحزن هذه القصيده التى مطلعها:

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا، أو حدثوا شجعوا

أهل الحفيظه، إلا أن تجربهم. و فى التجارب، بعد الغى ما يزع (٣)

و ما الحياه و نفسى بعد ما علمت أن الحياه - كما لا تشتهى - طبع (٤).

ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع

(٥) فهذه بداءه القصيده كما ترى، وقد أنشدها سيف الدوله، فهل يبدأ شاعر قصيده مدح على هذا النحو و هو يقصد إلى مجرد المدح أو مجرد الجائزه أو مجرد الزلفى إلى أميره؟..

أنت تحس فى هذه البداءه أن شاعر هذه القصيده امرؤ محزون بالفعل، حاقد حائق أشد الحقد و الحنق على أولئك الذين جنبوا عن متابعه الحرب، فوقعوا الهزيمه بجيشهم و قومهم و أميرهم.. و هو ينطلق من هذا الشعور الصادق ليس واصفا و لا مادحا، بل معبرا عن وجدانه المنفعل المتأذى، بما فيع.

ص: ٢٥

-
- ١- القله: موضع فى بلاد الروم.
 - ٢- حران: بلد كان يعسكر فيها سيف الدوله.
 - ٣- الحفيظه: الحميه و الأنفه، يزع: يردع.
 - ٤- بفتح ألباء: الدنس
 - ٥- المارن: اللين من الأنف. يجتدع: يقطع.

وجدانه من نبض عربي يساير الأحداث و ينفعل بها.. و هو - مع ذلك - يسخر بهؤلاء الذين يجنون عند القتال و لكنهم يشجعون في الحديث عن القتال، و يتظاهرون بالحميه و الأنفه، و لكن التجربه تذهب بحميتهم و أنفتهم..

و هو - إلى ذلك - يسأل في مراره و حرفه: ما الحياه و نفسى، و قد علمت هذه النفس أن الحياه - على غير ما تشتهى - ليست سوى دنس.. ثم هو ينفى الجمال عن وجه يلين أنفه و يخنع و يذل، و يرى أن العزیز كالمقطوع أنفه حين ينقطع عنه عزه..

أ أطرح المجد عن كتفى و أطلبه و أترك الغيث في غمدى و انتجع؟ (١)

و المشرفيه، لا زالت مشرفه، دواء كل كريم أو هي الوجع (٢)

و فارس الخيل من خفت فوقها في الدرب، و الدم في أعطافها دفع

و أوحدته و ما في قلبه قلق و أغضبته و ما في لفظه قذع

(٣) هذا شعر شاعر تضحج النكبه في صدره و في دمه، و تحس أنت، حين تقرأ هذا الشعر، أن النكبه تضحج في صدرك و في دمك كذلك، فالمتنبى إذن صاحب قضيه هنا، و ليس صاحب أمير يزجى إليه القصيد إزاء لينال بره أو ليشير إعجابه.. و هو هنا شاعر أمه لا شاعر أمير..

و تستطيع أنت، بعد هذا، أن ترجع إلى ديوان المتنبى بنفسك، تقرأ قصائده في سيف الدوله كلها، و تتعمق هذه القصائد، و تتأمل أغراضها، و تتذوق فيها الرفيع، ثم ترى: أ كان المتنبى مجرد شاعر يطلب ضيعة أو ولايه أو رفدا كيفما جاءه الرفد و من أى مصدر أتاه، أم كان صاحب نزعه قوميه ثوريه، بالمعنى الذى أوضحناه أول الفصل.. ثم ترى: أ كان المتنبى مجرد صانع كلام مقفى موزون، ماهر الصنعه، أم كان إلى ذلك شاعر ثوره و عاطفه و هدف كبير؟..

و أنت تستطيع - بعد هذا أيضا - أن ترجع إلى قصائد المتنبى في مدح كافور نفسه، بعد أن ألجئ إلى فراق سيف الدوله، تقرأها كذلك و تتعمق روحها و تتأمل أغراضها و تتذوق فيها، ثم ترى: أ كان المتنبى يحن حينه ذاك إلى سيف الدوله، و يعتب عليه عتبه ذاك الناضح دما و حبا و أسى، لمجرد أن سيف الدوله كان يحسن تقديره و بره، أم لأن سيف الدوله قد أروى و أشبع في المتنبى عروبتة و ثوريتة و شاعريته؟..

المرحله المأساه في حياه المتنبى:

المرحله التى انفصل فيها أبو الطيب عن صديقه المفضل، الأمير الحمدانى سيف الدوله، و اتصل فيها بأمر مصر كافور الإخشيدى (عام ٣٤٥ هـ)، هى المرحله المأساه في حياته.

لقد فجع المتنبى، يومئذ، بأعز علاقاته الإنسانيه، و أسمى تجربات حياته، و أنبل قرابه وجدانيه بينه و بين الناس، فضلا عن فجيعة - حين ذاك - بتلك الطمأنينه الروحيه و الماديه التى لم يتذوق مثلها في مراحل عمره جمعا..

و فى الحقيقه أن انفصاله عن سيف الدوله لم يكن يعنى انتهاء مرحله و ابتداء مرحله، بل كان يعنى - فى نفس الشاعر - تحول معنى مرحله نفسها من الطمأنينه إلى القلق العارم، و من الغبطه و السعاده إلى الكدر و الألم و التمزق النفسى..

و معنى ذلك أن المرحلة الأخيره لم تكن مرحله مستقله عن سابقتها. بل هى امتداد لها، و لكن بوجه جديد عابس قاتم مشخن بالجراح..

فالمتمنبى لم يفصل عن سيف الدوله روحيا و وجدانيا حين غادر بلاطه و غادر صحبته فى دولته و معارك جهاده، و إن انفصل عنه ماديا و جسديا..

لقد ظل مرتبطا بمرحلته السابقيه و باميره المفضل، و لكن ارتباط ألم و عتب و حنين و تفجع.. فقد راح إلى دمشق، ثم إلى الرمله، و هو ينظر بقلبه و وجدانه و قضيته الكبرى إلى الورا.. إلى حلب.. إلى رحاب سيف الدوله.. إلى معارك الحدود و الثغور.. إلى هزج الفرسان و صليل السيوف و هدير القتال و عظام الانتصارات و تدارك الهزائم.. بينما ينظر بعينه و بحاجته و مطامحه المحرجه، إلى أمام.. و لكن أين؟..

لقد كان فى نفسه، و هو يغيب عن وجه الأمير الحمدانى الذى خذله و استمع إلى أقاويل حساده و خصومه.. لقد كان فى نفسه حين ذاك أمران اثنان:

الأول: أن يجد المكان الذى يسع مطعمه كطالب "ضيعه أو ولايه" يستريح إليها بعد كفاح طويل، و تغنيه عن "بيع شعره فى سوق الكساد" من جديد...

الثانى: أن يجد وجوده كشاعر يملأ الدنيا و يشغل الناس، بعد أن رأى وجوده هذا قد فقد مكانه المطمئن المفضل الذى وجدته فى ظل الأمير الحمدانى، و هو يطوى فى ضميره رغبه جارفه فى أن يغبط سيف الدوله، و يثير غيرته و حميته و ندمه إذا وجد المكان الجديد الذى يرجو فى ظل أمير جديد ينافس سيف الدوله..

و كان كافور الإخشيدى، حاكم مصر يومئذ و خصم أمير حلب، هو الأمير الذى تطلع إليه المتمنبى، أول ما تطلع، حين أرغمه كيد الكائدين على أن يولى ظهره لسيف الدوله..

كان يتطلع إلى مصر و كافورها، و هو يرجو أن يحقق بذلك كلا الأمرين معا: مكان مطعمه، و مكان شاعريته، ليستريح، و ليغبط أميره الذى فارقه مرغما و ظل متصلا به روحا و وجدانا.

و فى الوقت نفسه كان الإخشيدى كافور هو أيضا يرقب هذه الفرصه ليضع يده على الشاعر الذى ملأ الدنيا و شغل الناس، لكى يملأ به دنياه و يشغل به أعداءه.. و كان سيف الدوله هو الشبح الذى يتجسد فيه كل عداوات كافور، و كان القبض على يد المتمنبى يعنى، فى نفس كافور، القبض على سنان الرمح الذى يطعن به كبرياء سيف الدوله، و يثير حنقه، و يهيج أعرق مشاعر المنافسه فى سويداء قلبه..

هكذا تلاقت الرغبتان: رغبه المتمنبى، و رغبه كافور، و إن اختلفت أسبابهما و أهدافهما..

و فى حىن كان المئنبى ىئئظر الفرصه لبلوغ ماربه، و هو عنء أمىر الرملهفلسطىن جاءئه الدعوه من كافور إى مصر... فخف إىه مسئجىبا لدعوته،ش.

ص: ٢٦

-
- ١- انئجع: طلب العشب.
 - ٢- المشرفىه: السىوف.
 - ٣- القذع: الفحش.

و فى قلبه هزه فرح و أمل تقابلها رعد حنق و عتب و حنين تتجه به إلى حلب، إلى سيف الدوله..

و يتلاقى الشاعر و حاكم مصر، و تتلاقى رغباتهما، و لكن كافور رجل عصامى ماكر حاذق، فلم يعط الشاعر كل ما فى نفسه من مشاعر النصر..

و كان النصر يعنى عند كافور نصرا على المتنبي و نصرا على سيف الدوله معا..

لقد كبح الأمير الماكر الحاذق عواطفه، فما قابل الشاعر بما ينبغى أن يقابله به من فرح بلقائه بعد انتظار طويل صابر، بل واجهه ببروده ماكره، بالرغم مما هيا له من أسباب الراحة و السكن، ليستدر مدائح، مستعجلا إياه بهذه المدائح..

و ما خفى على فطنه الشاعر هذا المظهر البارد الماكر من كافور، فاعتم لذلك و أحس لوعه الجرح من جديد، و أحس الطعنه فى كبريائه تمزق وجدانه... و لكنه أضمرها فى طيات نفسه إلى حين، و شاء أن يقابل المكر بمكر مثله بعض الوقت.. فتأخر عن كافور بالمديح، حتى ينتزع منه المكان الذى جاء مصر من أجله...

و لم يطل الوقت.. فإذا الشاعر يفتتح مدائحه لكافور بأولى قصائده فيه (جمادى الثانيه سنه ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م)، و هى القصيده التى مطلعها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا و حسب المنايا أن يكن أمانيا

و ننظر فى هذه القصيده لا لرى كيف حال أبى الطيب و هو يقول أول قصيده بعد انقطاعه عن سيف الدوله يمدح بها غيره أول مره.. فنرى تلك الحال نفسها التى وصفناها، أى أنه ما يزال يتلفت بقلبه إلى صديقه الذى فجع بصدافته، و لا يزال يرتبط به ارتباط روح و وجدان، رغم القطيعه، و رغم الجرح، و رغم الفجيعة..

فقد وقف نحو اثني عشر بيتا من أبيات هذه القصيده على التغنى بتلك العلاقه المقطوعه الموصوله معا معبرا عن غيظه، و لكن أى غيظ؟.. إنه غيظ المحب الذى فارق من أحبه مرغما جريحا، دون أن تنقطع فى نفسه و شائج الحب..

لقد انتظر كافور طويلا، و هو يتحرق، حتى يرى شاعر سيف الدوله يقف بين يديه منشدا فيه المدائح، فلما وقف فعلا، و تحقق حلم كافور، فوجئ بأولى قصائده تتحدث فى مطلعها حديث شاعر يرى الموت خير دواء يشفيه من دائه، و يرى المنيه أحلى أمانيه.

فهل انتظر كافور كل ذلك الانتظار لسمع مثل هذه اللهجه من شاعره عند أول موقف بين يديه منشدا؟..

و لا يكتفى الشاعر بهذا الاستهلال يجب به ممدوحه الجديد، بل يزيد فى تحديه للموقف، حين يعلن استكباره عن تحمل عيش الذل. و إثارة الدفاع عن عزته و كرامته بحد السيف و سنان الرمح و اختيار كرائم الخيل، كشان الأسود لا يغنيها الحياء فى دفع غائله الجوع، و لا تهاب إلا حين تكون ضاربه...

إذا كنت ترضى أن تعيش بذله فلا تستعدن الحسام اليمانيا

و لا تستطيلن الرماح لغاره و لا تستجیدن العتاق المذاكيا

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى و لا تتقى حتى تكون ضواريا

ما ذا يعنى المتنبي بهذه اللهجه يفتح بها عهده مع كافور؟..

لقد أراد أن يحذره منذ البدء.. أراد أن يقول له: إياك أن تسومنى المذله، فلقد فارقت سيف الدوله مذ رأيتك يريدنى أن أرضى عيش الذل، و لن أرضى أبدا هذا العيش، فكن على حذر..

ثم أراد أن يوحى لكافور أنه لم يفارق سيف الدوله كارها له، بل لا يزال يضمه له الحب.. و إن كان يعبر عن هذا الحب بصورة عتاب و تحذير لقلبه:

حبيتك قلبى قبل حبك من ناى و قد كان غدارا، فكن أنت و افيا

و اعلم أن البين يشكيك بعده فلست فؤادى إن رأيتك شاكيا

فان دموع العين غدر بربها إذا كن أثر الغادرين جواريا

فهل نرى إلى قوله:

" و اعلم أن البين يشكيك بعده "

. أ ليس هذا أصرح تعبير عما يهيج فى قلبه من مشاعر الحنين إلى سيف الدوله؟.. بل، هل أبلغ صراحه فى ذلك من قوله:

أقل اشتياقا أيها القلب ربما رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

خلقت ألوفا، لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

إنه يريد أن يقول لكافور: أنا لست لك.. إن قلبى لا يزال يصفى غيرك وده، و إن لم يكن ذلك "الغير" صافيا..

و لتأمل فى قوله

"خلقت ألوفا .."

فهو يريد أن يوحى لكافور أن المسأله بينى و بين سيف الدوله مسأله ألفه، و الألفه خليقه أصيله بى.. و لذا أرانى " موجع القلب باكيا لفراقه ".

هكذا تبين، منذ القصيده الأولى، بل منذ اللقاء الأول، أن كافور و المتنبى لن يكون أحدهما للآخر مثلما كان الحال بين سيف الدوله و المتنبى.

و لعل كلا من المتنبى و كافور قد أضمرا لصاحبه، منذ ذلك الوقت، أن يكون منه على حذر، و أن يستفيد من صحبته قدر ما يستطيع دون أن يعطيه كل ما يستطيع. فالمتنبى قد عقد النيه على أن يرتضى المصير الذى انتهى به إلى صحبه كافور رغم إرادته، و لكن شرط أن ينال منه مطلباً مادياً يغنيه عن التشرّد فى الآفاق، و يسكن إليه من متاعب التطواف و متاعب التقلب بين ذوى لجاه و السلطان..

لقد أصبح المتنبى، إذن، عائق النظر و الرجاء فى أمر واحد سيصبر من أجله على المكاره كلها عند كافور.. و هذا الأمر هو الحصول على المال، فلقد صار إلى حال لا يرى معها المجد كله شيئاً إذا لم يدعمه المال، أو لم يكن هو المال..

و ذلك ما قد كان يعلنه باشكال مختلفه فى مدائحه بكافور، ففى القصيده التى مطلعها:

أود من الأيام ما لا توده و أشكو إليها بيننا و هى جنده

فى هذه القصيده قال:

ص: ٢٧

إنها ماساه المتنبي.. فقد حرمته القطيعه مع سيف الدوله مجدا يحرك فى ذاته كل طاقات الخلق و الإبداع، هو مجد الصداقه أولا، و مجد الايمان بالبطوله ثانيا، و مجد القضيه التى كان يرى فى سيف الدوله بطلها. ثالثا...

لقد حرمته القطيعه هذا المجد، فلم يبق له الدافع العظيم الذى ينشد المطلب العظيم و يفجر الشعر العظيم، كما كان يوم كان فى صحبه سيف الدوله.

من هنا نراه ينحدر فى مدح رخيص، و فى شعر خممد لهيبه الذى نعرفه يتوقد فى القصائد الحمدانيه، و نرى الصور الملحميه تختفى كليا من القصائد الكافوريه.

و من هنا أيضا لم يطل عهده بكافور، لأن حاكم مصر كان ينوى منذ البدء أن لا يعطى المتنبي ما يرجوه، بل يماطله بالوعيد حتى يستنفد من مدحه قدر ما يمكن.

فلما أيقن الشاعر أن أمواله التى يرجوها من كافور لن تكون سوى "المواعيد" تنكر له، و عزف عن مدحه إلى هجائه، و رأينا لهب الشعر يتسعر من جديد فى أهاجيه اللاذعه بكافور.. و يترقب الفرص للفرار من قبضه حاكم مصر على حال سيئه تقتضيه المسير على قدميه تحت أستار الظلام، و يعود إلى موطنه العراق يائسا تشتعل نار المأساه فى جوانحه، لا يدرى - بعد - أين المصير؟..

و لكن تحدث له أحداث، و هو فى العراق، إذ تموت جدته، و تأتية الأنباء و الوفود من سيف الدوله فتتحرك شاعريته بامر جديد، و يتأجج وجدانه بلهب جديد، فإذا مرثيته لجدته، و مرثيته لأخت سيف الدوله، ترجعان إلى شعره روعه النغم النابع من مصادره الوجدانيه العميقه الصادقه الدافقه..

ثم يختم حياته القلقه بوضع مدائح ليست فى مستوى شعره العظيم، يقولها بابن العميد و عضد الدوله عند تلبيه دعوتهما فى فارس.. و يسدل الستار بمصرعه الفاجع عند عودته إلى موطنه الأول، الكوفه.. يسدل الستار على تلك الحياه المتعبه المتناقضه، و يبقى شعره مجدا باقيا له و للأدب العربى لن ينطفىء و هجه أبدا..

المتنبي فى شعب بوان

قال محمد شراره:

قد تكون وقفه التاريخ مع المتنبي أطول الوقفات التى عرفها مع الأدباء عامه و الشعراء خاصه. و إذا استعرضنا ما قيل فيه و عنه وجدنا سيلا من الأفكار و العواطف المختلفه ينتشر حوله، و يدور حول حياته و أدبه، بينما لم ينل غيره سوى قطرات.

و الإطار العام الذى وضعه التاريخ فيه لا يتعدى "الكبرياء" و "الغطرسة" و "الغرور" و ما أشبه ذلك من المعانى التى توحىها قصائده أو معظم قصائده.

و كان من وراء الإطار المذكور شيوع الصور المتكبره و انطباعها فى النفوس عن الشاعر بحيث أصبح ذكره كافيا لأن ينقل إلى

و إذا شاعت هذه المعانى عن شخص وضعت بينه و بين الناس هوه أو أسلاكاً شائكة يصعب اجتيازها، و أصبح مكروها ممقوتا يثير ذكره معانى الاشمئزاز، لأن الصفات المذكوره تؤدى بصاحبها إلى احتقار الآخرين، و الحط من شأنهم، و الإنسان مهما كان، يرفض احتقار الآخرين، و يرى فيه إهانه لنفسه، و لا يرى موجبا للاتصال بمن يحتقره، و يحاول إهانته إلا إذا كانت كرامته ضئيله، و كان له نفع من وراء الخضوع للاهانه، فإنه - عندئذ - يبلع الاهانه فى سبيل المنفعه الخاصه، و يتحمل كبرياء غيره، و يرضى بالذل.

و لا نعرف للشاعر جوله فى هذا الميدان: ميدان المنافع حتى يتحمل المتصلون به - فى سبيل - ذلك - غطرسته و كبرياءه!.

هذا الإطار الذى خطه التاريخ حول الشاعر هو الخط البارز فى حياته، و فى شعره. و لم يكن التاريخ جانبا و لا ظالما حينما وضع هذا الإطار حوله.. لم يكن جانبا كل الجنايه، و لا- ظالما كل الظلم، و لكن قد يكون فى تخطيطه بعض الجنايه لأن هناك ومضات حلوه سائغه هاربه من ذلك الإطار التاريخى المعروف، هذه الومضات خاليه من الكبرياء و الغطرسة و الغرور و ما أشبه ذلك من المعانى التى توحىها قصائده أو معظم قصائده!

و قد وقف صديقنا الأستاذ حسين مروه فى بحثه القيم عنه على ومضه من تلك الومضات الصافيه، و أخرج الشاعر من الإطار التاريخى المعروف، أخرج منه إلى عالم جميل... عالم مناضل يذيب نفسه فى سبيل العقيدته أو الفكره. و لكن صديقنا كبر الومضه و خلق منها هاله واسعه.. هاله عظيمه تكاد تخرج الشاعر من الإطار الذى وضعه فيه التاريخ، و تضعه فى إطار معارض له. فاعتبار "المتنبى... شاعر الجهاد العربى" شىء كبير تؤاخذ عليه المقاييس العلميه. و نحن الذين أعتدنا - و الأستاذ مروه فى طليعتنا - أن نستشير الفيلسوفه القائمه على العلم فيما نقول أو نكتب، نستكبر أن يكون "المتنبى.. شاعر الجهاد العربى"، و نرى فى هذا الوصف "هاله" أو "وساما" لا يستحقه الشاعر.

و مهما يكن الأمر فالإطار الذى وضعه التاريخ حول الشاعر لم يكن عادلا كل العداله، كما أن "الهاله" الرائعه التى وضعه فيها الأستاذ مروه كانت كبيره عليه، و فوق ما يستحقه. و وضع الأمور فى نصابها يدفعنا إلى محاسبه التاريخ، و محاسبه الأستاذ مروه أيضا و إن اختلفت وجهه الحساب. فالمتنبى لم تكن حياته كلها أنانيه و عجرفه كما يصوره التاريخ، و لا كانت جهادا فى سبيل العرب و العروبه كما حاول أن يصوره الأستاذ مروه.

و المقياس الدقيق الذى وضعه الأستاذ فى تحليل النزعه القوميه هو نفسه يخرج المتنبى من تلك "الهاله" و يبعده عنها مسافه كبيره، و لكنه و إن أخرج منها يبقى فى شعره نبرات منها، و هذه النبرات هى التى أغرت الأستاذ مروه، و زينت له أنها "أكثر من مجرد الشعور" و جذبتة إليها تلك الجاذبيه التى جعلته يحسها نغمات عميقه منبعثه عن فكره موسيقيه مدروسه، صادره عن آلات منسجمه متوافقه تعرف كل آله منها للحن المفروض عليها، و هى فى آخر المطاف نبره... نبره فقط.

اسمه قوم.. اسمه عرب.

على أن الدقه العلميه تقتضينا أن نحتاط كثيرا في وصف هذا الشعور و تحديده، و تفرض علينا الحذر في إخراجها، و في الحجم الذى ينبغى أن يخرج فيه.

و التأمل فى الشعور المذكور، المنظوى وراء تلك النبره يؤدى بنا إلى الحكم بأنه شعور غامض، بعيد عن البلوره. و أبياته التى يقول بها: " لا بقومى شرفت بل شرفوا بى " تدل على أنه لا يزال يفهم من كلمه " القوم " معنى القبيله:

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى و بنفسى فخرت لا بجدودى

و بهم فخر كل من نطق الضاد ، و عوذ الجانى و غوث الطريد

و النطق بالضاد شىء مقصور على العرب - كما هو معروف - فإذا كان جميع الناطقين بالضاد: أى كل عربى على وجه الأرض يفخر بقوم المتنبي قومه خاصه. فما ذا يكون - عندئذ - تفسيره لكلمه " القوم "، و ما ذا يكون قصده منها؟ و هل يعنى غير " القبيله "؟ و لكن موقفه أمام انتصار سيف الدوله على بنى كلاب يطل بنا على شعور عربى أوسع من الشعور القبلى:

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب

و عين المخطئين هم و ليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا

فان المطالبه بالرفق منبثق عن عاطفه عرييه، أو قد يكون - على الأقل - منبثقا عن شعور عربى. و ربما يتأكد ذلك إذا عرفنا أن بنى كلاب ينتمون لقيس، و بنى حمدان يرجعون لتغلب، و بين قيس و تغلب ضغائن قديمه، و أحقاد عميقه، و برغم ذلك يرجو الرفق بهم، و يسمى الرفق " عتابا ".

و اختيار لفظه " العتاب " فى هذا المكان - إذا صح أنها عتاب لا عقاب - تشير إلى عطف عميق. و كأنه يريد أن يقول إنهم لا يستحقون على جنايتهم أكثر من " عتاب " و العتاب يكون للصدى عاده إذا أخطأ و إن استعملها بشار فى غير ذلك:

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

و لكن هذا الاستعمال قائم على التصرف بالكلمه، و التطوير لها، و إن كان هذا التصرف فى منتهى الجمال الفنى.

و مهما يكن فاللفظه فيها حنان، و فيها حب، و فيها إحساس جميل نحو الناس الذين نشير إليهم، و إذا لم يكن هذا الاحساس منبعثا عن عاطفه قوميه فمن الصعب أن نجد له تعليلا آخر.

و إذا قارنا هذا الموقف بموقف آخر مشابه له من حيث الانتصار، مخالف له من حيث " الجناه " وجدناه يختلف اختلافا كبيرا. و نستطيع أن نأخذ مثلا على ذلك معظم القصائد التى قيلت بعد انتصار سيف الدوله على البيزنطيين، فان الشاعر لا يطلب فيها " رفقاً " بالمهزومين، و لا شفقه عليهم، و لا عطفاً.

و سيف الدوله فيها لم يكن ملكا يهزم ملكا، و إنما كان " التوحيد " يصارع " الشرك " و معنى ذلك أن سيف الدوله هنا مبدأ يصارع مبدأ، و عقيدته تصارع عقيدته.

و لست مليكا هازما لنظيره و لكنك التوحيد للشرك هازم

تشرف عدنان به لا ربيعه و تفتخر الدنيا به لا العواصم

فهذه النظره المختلفه إلى " الجناه " على اشتراكهم فى الجنايه - و الجنايه بذاتها لا تتجزأ - تشير على أقل افتراض إلى عاطفه تختلج بحب الجناه إذا كانوا عربا، و تتجرد منها إذا لم يكونوا كذلك. و العاطفه نحو القوم بدايه شعور إنسانى.. بدايه انطلاق من الذات، و انفلات من الأنانيه.

و إذا قيل: إن هذه النظره بدويه أكثر منها قوميه، لأن البدوى لا يخرج عن هذه القاعده فى نظرتة إلى قبيلته. و من هنا قيل:

و هل أنا إلا من غزبه: إن غوت غويت، و إن ترشد غزبه أرشد

فهذا القول صحيح لو كان المتنبي من بنى كلاب، و كانت القبليه [القبيله] هى التى تربطه بهم. و لكن المعروف أنه من جعفى الهابطه من سعد العشيره، بينما تهبط كلاب من عامر بن صعصعه الهابطه بدورها من هوازن و ليس بينها هذه القرابه. و من هنا يمكن أن يعد عطفه على بنى كلاب نوعا من القوميه.

و القوميه - كما قلنا - بدايه شعور إنسانى. و لا شك أن المتنبي يمتلك هذا الشعور. و إذا بدا فى بعض الأحيان ضعيفا، فإنه يبدو فى أحيان أخرى قويا بالغ القوه. و إذا قرأت قوله:

و مراد النفوس أهون من أن نتعادى فيه و أن نتفانى

لمست هذا الشعور، و لمست مدى عمقه و قوته. فالإراده هى مصدر الشقاء، و منها تنبع العداوه فى الحياه، و لكن الإراده أهون من أن تبعث على العداوه، و الروابط الإنسانيه ينبغى أن تكون فوق الإراده و رغباتها.

و المتنبي بهذه النظره يسبق شوبنهاور الذى تلخص فلسفته فى أن " الحياه إراده ". يسبقه فى نظرتة أو " نظريته " و يفوقه فى وصف العلاج. فشوبنهاور يرى " أن فى كل إنسان حوضا من الألم لا محيص له عنه، و هو حوض [يستحيل] أن يظل فارغا كما أنه لا- يمكن أن يسع أكثر مما يملؤه. فإذا ما أزيح عن صدورنا عناء جسيم مضمن حل مكانه عناء آخر. و لقد كانت ماده هذا العناء موجوده فعلا، و لكن منعها أن تجد سبيلها. إلى الشعور بها إن لم يكن هنالك من القوى ما يتفرغ لها.. أما الآن فإنها تندفع و تتبوأ مكانها".

" إن طبيعه الجهاد تبدو لنا فى كل ما تبدو فيه من صور كأنما هى مقصوده و مدبره بحيث تدعونا إلى العقيدته بان ليس فيها البته ما هو جدير منا بالجهاد، و ما طبيبات الحياه كلها إلا عبث، و العالم فى كل ما يقصد إليه فاشل، فهو كالعامل الذى لا يغطى مصاريفه".

و إذا كانت طبيبات الحياه كلها عبثا فقد أصبح بلوغها " كالحسنه التي تقذف بها إلى الفقير فتحفظ حياته اليوم لكي يمتد شقاؤه إلى الغد.. إنه ما دام إدراكنا مغمورا بارادتنا، و ما دمنا خاضعين لمزدحم الرغبات بآمالها و مخاوفها التي لا تنقطع... ما دمنا مدفوعين لاراده هذا الشيء أو ذاك فيستحيل أن نحيا في سعادته كامله أو في سلام دائم".

ص: ٢٩

" إن عمل الإرادة و حركة الجسم ليسا شيئين مختلفين تفرق بينهما تفرقه موضوعيه، و يتحد أحدهما بالآخر برباط السببيه. أى أن ما بينهما من صلته هى صلته بمعلولها. بل هما شىء واحد و لو أنهما يحدثان بطرق مختلفه أتم الخلاف. إن عمل الجسم ليس إلا عمل الإرادة مجسدا. و هذا صحيح فى كل حركة من حركات الحسم [الجسم].. فليس الجسم كله إلا إرادته تجسدت، فيجب لذلك أن تقابل أجزاء الجسم الرغبات الرئيسيه التى تتجلى فيها الإرادة مقابله تامه، و لا بد أن تكون تلك الأجزاء هى التعبير المرئى لهذه الرغبات.

فالأسنان و الحلق و الأمعاء هى الرغبه قد تجسدت، و أعضاء التناسل هى الجنسيه. و يكون الجهاز العصبى فى جملته أداءه الحس التى تشعر بها الإرادة فتمدها لتتحسس بها فى الداخلى و فى الخارج. و كما أن الجنس الإنسانى بصفه عامه يقابل الإراده الإنسانيه بصفه عامه فان البنيه الجسديه للفرد تقابل إرادته الفرد.. أى شخصيته...".

و ما دام الإنسان إرادته فلا بد أن ينتهى الأمر بقائل هذا القول إلى هذه النتيجة: " لشد ما يغيظنى أن نجادل رجلا بالبراهين، و نعانى الآلام، فى إقناعه ثم يتضح لنا آخر الأمر أنه لا يريد أن يفهم، و أنه ينبغى لنا أن نتصل بإرادته.

" من جهه أخرى إن أغبى إنسان ينقلب مرهف الذكاء إذا ما كانت المسأله المطروحه عليه تمس رغباته مساقريبا. و قد يبدو على الناس أنهم مقودون من الإمام، و الواقع أنهم مسوقون من الخلف".

فإذا ربطنا بين هذه الأفكار من "حوض الألم" إلى "سد الرغبات" إلى "جعل الإراده و الحياه شيئا واحدا" بدا لنا الدهليز المرعب، و الغايه المريحه التى تقودنا إليها هذه الفلسفه. بينما تقودنا فكره المتنبى - على بساطتها، و بعدها عن التحليل الفيزيولوجى - إلى واحه هادئه مريحه.

فالشاعر العربى، و الفيلسوف الألمانى يلتقيان فى "هوان" الإراده، و لكن شتان بين اللقاءين. فالفيلسوف يرى الإراده - على هوانها - كل شىء.. إنها الشخصيه.. إنها الإنسان.. و التنازل عنها تنازل عن الوجود، على أن هذا الوجود وجود شقى لا يستحق "الجهاد" ما دامت "طبيات الحياه كلها عبثا" و ما دام "العالم فاشلا فى كل ما يقصد إليه". فاستخفاف الفيلسوف بالإرادته مستمد من استخفافه بالوجود كله، و ما دام الوجود كله تافها - و الإراده هى الوجود - كانت الإراده هينه! فإذا تخلت عنها فى ضوء هذه النظره فلست بخاسر شيئا إن لم تكن رابحا.. و الدعوه إلى تركها دعوه إلى البعد عن الخسائر. بينما الشاعر العربى لا يراها هذه الرؤيا.. إنه يراها شيئا.. و قد تكون "شيئا" مهما. و لكنه - على أهميته - ينبغى التخلّى عنه إذا أدى إلى التصادم... إذا أدى إلى العداوه. فالتأديه إلى العداوه - عند الشاعر - هى التى تلقى الهوان على الإراده فقط، لا وجود الإراده نفسها، و باضافه "التأديه إلى العداوه" يلتقى المتنبى مع شوبنهاور فى قوله:

" ما دمنا مدفوعين لإرادته هذا الشىء أو ذاك فيستحيل أن نحيا فى سعادته كامله، أو فى سلام دائم".

فنظره الشاعر تنتهى - كما رأينا - إلى أن الإراده "شىء" و الدعوه إلى تركها و التخلّى عنها توضحيه.. و لكنها توضحيه فى سبيل التخلص من العداوه.. فى سبيل سلام دائم بين الناس. و وراء هذه النظره عنصر إنسانى يمددها بالجمال و القوه. أما التخلّى عنها بنظر الفيلسوف فليس بعيدا عن التوضحيه فقط! و إنما هو "تخلص" من شر.. تخلص من مرض!.. تخلص من آلام و متاعب! و

وراء هذه النظرة يقف كل ما فى الحياه من خوار و وعوعه.. و ما من شك بان القرن التاسع عشر، و ما تم فيه من رأسماليه شرهه، و استعمار منهوم يمد "نظره" الفيلسوف الألماني بكل ما فيها من سواد و ظلمه.

إن عصر المتنبي و إن كان لا يقل قلعا عن عصر شوبنهاور - مع اختلاف الأسباب الداعيه إلى القلق طبعاً - بيد أن نظره الشاعر فى هذا الموضوع بالذات ظلت أصفى من نظره الفيلسوف، و أدق منها كثيرا. و قد ظل الجوهر الإنسانى حيا فى نفس الشاعر على رغم القلق المريع فى عصره.

على أن الشاعر لا ينسى - و هو فى هذا الصفاء الإنسانى - أن الإنسانى لا نعى التسامح المطلق، أو التضحيه من أحد الجانبين، أو تنازل أحد الطرفين فقط. الإنسانى لا نعى استغلال المؤمن بها لمنفعه الكافرين بالإنسان، و بالقيم العليا، و إنما هى تسامح عام و تنازل مشترك بين الناس. و إذا حولها الكافرون بها إلى استغلال انقلبت عند المؤمنين بها إلى "هوان" و لم تعد "إنسانى" بل ذلاً أو نوما على الذل. و إذا فهمت على أنها نوم أو تغاض كان على المؤمن بها أن يعرف كيف يواجه هذا "الفهم" القدر.. عليه أن يستعد، و يقف للرد و لولاقى فى رده المنايا كالحات:

غير أن الفتى يلقى المنايا كالحات و لا يلقى الهوانا

و كان الشاعر يريد أن يقول: نحن مستعدون للتنازل عن مراد النفوس، لأن مرادها أصغر من أن تكون العداوه ثمنا له. و لكن حذار أن يفهم هذا "التنازل" على أنه جبن أو هزيمة فنحن مستعدون فى سبيل إعادتك إلى الفهم الصحيح أن نلقى المنيه و لو كانت كالحه. و نحن مدركون أن الحياه مقبله على الفناء، و أنها قصيره مهما طالت. و مع ذلك فنحن مستعدون لاختصارها أكثر إذا كنتم تظنون أن تنازلنا عن "مراد النفوس" هزيمة و خوف منكم. و يكاد لشده حرصه على هذا المعنى أن ينقلب عن فكرته الأساسيه إلى مبشر بالنضال:

و لو أن الحياه تبقى لحي لعدنا أضلنا الشجعانا

و إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جباناً

و هكذا يمضى الشاعر فى طرح المسأله: فمراد النفوس صغير، بل و أصغر من أن ندفع العداوه ثمنا له، و لكن حذار أن يفهم ذلك على أنه هزيمة، فان المسأله - عندئذ - تتخذ شكلا آخر.. شكلا فيه كثير من العنف و التحدى.

و طرح المسأله بهذا الشكل يضع النقاط على الحروف، و يديرها فى إطارها الذى يجب أن تدور فيه: فالتسامح شىء جميل، و لكن على شرط أن يتعد عن "الجو الصوفى" ... أن يتعد عن "الحب المطلق" و أن يبقى قريبا من الحكمة القائله:

و قالت لنا قولاً أجبنا بمثله لكل كلام يا بنين [بشين] جواب

و لو كانت بشينه محبوبه إلى حد التقديس!.

من اللحظات الهاربه من الإطار الذى وضعه فيه التاريخ.

و إذا رافقنا المتنبي إلى "شعب بوان" وجدنا لحظه أخرى من حياه الشاعر، يرتفع بها عن المقاييس المألوفه.

و هذا "الشعب" بقعه من البقاع الفاتنه التى مر بها المتنبي فى طريق فارس، و هو آيه من آيات الجمال الطبيعى، فلما وقف عليه أخذ أخذه المسحور، و ذاب فى روعه الجمال، و لا يكاد يفيق من غيبوبته حتى تسيل روحه فى أبيات تدل على قوه الجمال، و قوه تأثيره:

يقول بشعب بوان حصانى: أ عن هذا يسار إلى الطعان؟

أبوكم آدم سن المعاصى و علمكم مفارقه الجنان

فان أداه الاستفهام هنا تنطوى على أدق معانى الإنكار، و يصب فيها الشاعر أعماق ما فى روحه من الحسرات على ماساه الإنسان، و يستغرب حتى حصانه العارى من الفكر، و من الشعور بالجمال مغادره هذه الجنه الفاتنه!

و إلى أين!. إلى الطعن الذى تسيل فيه الدماء، و تتمزق تحته الأشلاء، و تذهب فيه الأرواح إلى واد عميق عميق!

إن الشاعر يرتفع فى هذه اللحظه عن جميع المقاييس المألوفه فى عصره، و لا ينسى تمجيده للحرب، و ترويه رمحه بالدماء فحسب، و إنما ينكر ما كان يمجده، و لا يكاد يذكر قوله:

و من عرف الأيام معرفتى بها و بالناس روى رمحه غير راحم

فما السر فى هذا التباعد العظيم فى المواقف؟ إن البعض يراه من "ازدواج الشخصيه" و البعض الآخر يرى "التناقض" شيئاً اعتيادياً فى حياه الأدباء.

يقول ليتون ستراتشى عن فولتير: "كان أعظم أنانى بين الناس، و كان أبعد الناس عن الأغراض الذاتيه، كان طماعاً بخيلاً، و كان كريماً بافراط، كان طائشاً خبيثاً غداراً، و مع ذلك كان صديقاً، متيناً، و منعماً صادقاً و وقوراً بعمق، و ملهماً بحماس نبيل". (1)

فهل ينطبق على المتنبي ما ينطبق على فولتير؟ و هل يكون الأديب "مجمع متناقضات"؟ إذا أخذنا برأى أرسطو فى التناقض، و اعتبرنا وحده الزمان و المكان و الشخصيه و غيرها من الشروط وجدنا الأديب كغيره واقعا تحت المؤثرات المختلفه، و هذه المؤثرات هى التى تملى عليه خواطره فى الحياه إذا لم يكن وراءها خط فلسفى متين يراقبها، و يراقب تذبذبها بين الأنانيه و إنكار الذات. و المتنبي من هؤلاء الناس الذين تؤثر بهم الظروف التأثير الذى رأيناه، فحينما يرتفع إلى القمه فى إنسانيته، و يتمرد على مقاييس العصر، و حينما يصبح ريشه فى التيار المندفع فى وادى الزمان... زمانه الخاص.

حصان المتنبي..!

و قال محمد شراره:

يقول بشعب بوان حصانى أ عن هذا يسار إلى الطعان؟!!

أبوكم آدم سن المعاصى و علمكم مفارقه الجنان!

هذان البيتان من قصيده طويله نظمها الشاعر بعد مروره ب "شعب بوان"، و هو مرج تتعالى فيه الأشجار، و تغنى البلابل، و تنتشر الأعشاب، و يختلط فيه تغريد البلبل بزقزقه العصفور، و أحاديث الناس بحفيف الأوراق، و تتصاعد فيه لغات لو سمعها النبى سليمان لاحتاج إلى مترجم:

ملاعب جنه لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

و قد وصف الشاعر هذا "الشعب" وصفا دقيقا، و صوره تصويرا فنيا يكاد يرى القارئ من خلاله الظلال و الأفياء، و الأشجار، و المروج، و ما تنطوى عليه من روعه و فتنه، و يرى الطبيعه - و قد لبست ثوبها الساحر الأخضر - فتنه تسبى العيون، و تعشش القلوب.

فى هذين البيتين "إحساس" و "تصوير"، أما التصوير و ما فيه من إبداع و دقه و صدق فلا يهمنا كثيرا فى هذه الكلمه، و إنما الذى يهمنا، و يهم أغلبيه القراء - على ما أظن - هو "الاحساس"، إحساس الشاعر، بالجمال، و الأثر الذى انبثق من هذا الاحساس.

و إحساس الشاعر فى هذه اللحظه الفاتنه - كما يراه القارئ - هو إحساس إنسانى عميق تتفتح به الحياه كما تتفتح الزهره على هبوب النسيم، و أطياف الأشعه، و ترى الوجود و ما فيه من جمال أخاذ، جنه لا- تختلف عن الجنه التى خرج منها آدم - جنه حلوه فاتنه تغرى الأحياء بالحياه، و تجذبهم إليها، و تحبب إليهم "العيش" فى ظلالها و أفيائها الناعمه اللذيذه. و لا يقتصر إحساس الشاعر فى هذه اللحظه على نفسه، و إنما يطغى عليه فيفيض و يفيض كما تفيض الكأس عند امتلائها. و إذا الشاعر يخلع هذا الاحساس الرائع على ما حوله - على حصانه. و إذا الحصان يرى الحياه - و قد ارتدت هذا الثوب المغرى الفاتن - شيئا لذيذا تستحق العناية، و تستحق الحرص... و لا يقف الحصان عند هذا الحد بل ينتقل إلى التفكير بما يهدد هذه الحياه، و بمن يهددها، و إذا بتفكيره - و هو فى قمه الاحساس - يوصله إلى مصدر هذا التهديد الضارى:

إنه الحرب - الحرب التى تأخذ الناس و الخيل، و تختطفهم من هذه الجنه الحلوه السائغه إلى "الطعن" و "الضرب" و "القتل"، و عندئذ يصرخ الحصان صرخه الجريح، و يستفهم استفهما إنكاريا موجعا:

"أ عن هذا يسار إلى الطعان؟!!"

. و لا يلبث أن ينتقل بعد ذلك الاستفهام الموجع - و قد أخذه الغضب - إلى "آدم" الذى علم أولاده مفارقه الجنه!.

فى هذه النهايه يلقي حصان الشاعر تبعه الحروب و إثارتها على الإنسان الأول الذى لم تكفه معصيته الأولى التى سببت طرده من الجنه حتى أتبعها بغيرها من المعاصى - و أكبر معاصيه بعد الخروج من الجنه هى الحروب - و الشاعر يجعل الحيوان فى هذا الاستنتاج أرقى إحساسا و أصح تفكيراً من الإنسان!.

لم يحالف التوفيق شاعرنا في هذه النتيجة التي انتهى إليها. إنه - على عظمته - ضحية في هذه الفكرة المغلوطة للأساس الفلسفي الذي يرى بان الحرب ظاهره طبيعيه من ظواهر الحياه الإنسانيه. شأنها في ذلك شأن العواصف و الأوبئه في الطبيعه. و إذا كانت الحرب ظاهره إنسانيه لازمه كان الإنسان أخط إحساسا، و أدنى تفكيراً من الحيوان - من حصان الشاعر مثلاً!.

لم يكن شاعرنا العظيم وحده ضحية هذا الاحساس الفلسفي المتداعي، بل تعداه إلى كثير من الشعراء و كما سمعت منه:

"أبوكم آدم سن المعاصي"

فقد سمعت من غيره: ٩٠

ص: ٣١

عوى الذئب فاستانست بالذئب إذ عوى و صوت إنسان فكادت أطيرا!

و ما أشبه ذلك في الهذيان العاطفى الذى يرى الذئب عامه أقرب إلى الاستثناس من البشر كافة! إنه أدب الهزيمة العمياء الشارد من تبعات الحياه بعد أن حقن بالسموم!.

و ما قصدت فى هذه الكلمه إلى هذا اللون من التفكير و غربلته. بل لم يجرنى إليه سوى الربط الخاطئ الذى وقع فيه شاعرنا عند ما ربط تأثره العميق من الجمال بأسباب الحرب التى ذكرها على لسان حصانه، هذه الحرب التى تحرم الإنسان من أجمل مناظر الطبيعه كما تحرمه من أعذب مفاتن الحياه.

إن الشئ الذى حرصت عليه، و أحببت أن أوصله إلى القارئ العزيز بهذه الكلمه، هو التأثر العميق الذى أيقظه جمال الطبيعه فى نفس الشاعر، ذلك التأثر الذى أوجد تحويلا - و لو كان التحويل وقتيا - فى روحه و عاطفته.

حيث أحس - و هو أمام الطبيعه الفاتنه - بقيمه الحياه، و أدرك و هو فى نشوه هذا الاحساس العدو اللثيم لهذه الحياه. و إذا الريشه الشعريه تمتد و تصور هذا العدو، و تشن عليه غارتها العنيفه. و تستشرف الهدف و أنت ترافق الشاعر فى غارته، و إذا الحرب هى الهدف الوحيد، إنها - إذن - هى العدو: عدو الحياه، و هى التى تتلقى نغمه الشاعر. و عند ما يشن هذه الغاره على الحرب ينطلق من ذاته المحدوده، و يتحرر منها، و تصبح الحياه كلها معنى من معانى أغنيته. إن الحمله على الحرب، و تصويرها بصورها القبيحه، هى خدمه للانسانيه، و لو كان من بواعثها الاحساس الآنى بجمال الحياه.

هذه اللحظه من حياه الشاعر، و حياه أمثاله، لها وزنها عندنا، و لها قيمتها الكبرى. إننا نعتبر هذه اللحظه بمثابة الثمره الناضجه فى الشجره، و إذا كانت الأشجار تقدر بشمراتها فالحياه أيضا تقدرها فيها من هذه اللحظه الخالده و أمثالها.

إن هذه اللحظه فى حياه شاعرنا تكاد تكون أصفى لحظاته. لقد تجرد فيها من مطامعه، و انطلقت فيها إنسانيته انطلاقه الجواد المكبوت فى الميدان الواسع. و رأى فيها الحياه شيئا جميلا، كما رأى هذا الجمال متعه مشاعه لجميع الناس.

و تبدو ميزه هذه اللحظه إذا قورنت بأمثالها من اللحظات التى مرت بحياه غيره من الشعراء، فإذا سمعت قول المنازى مثلا:

وقانا لفحه الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها و يأذن للنسيم

يروع حصاه حالیه العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

رأيت جمالا، و رأيت تصويرا، و رأيت إحساسا بهذا الجمال، و لكنه إحساس - على رفته - لا يتعدى المشاعر الفرديه.

و إذا سمعت الآخر:

و لما جلسنا مجلسا طله الندى أنيقا و بستانا من الزهر خاليا

أجد لنا طيب المكان و حسنه منى، تمنينا فكنت الأمانيا

أحسست بالجمال أيضا، و أحسست بالعاطفه الرقيقه الناعمه التى تشبه زغب الطائر. و لكن الشاعر لم يستطع التخلص من ذاته إلا إلى ذات أخرى يتمم وجودها - إذا وجدت بجانبه - سروره، و استمتاعه بالحياه استمتاعا أوسع.

فهذان الشاعران تأثرا بالجمال - كما رأيت - و لكن تأثرهما لم يخرجهما من نطاق الذات إلى إنسانيه أوسع. أما شاعرنا الممتنبي فقد كان كما رأينا روحا واثبه عبرت حدود الذات الفرديه إلى الحياه كلها. و رأت فى جمال الطبيعه متعه تحبب الأحياء لجميع الأحياء. و لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حمل على الذين يشوهون الحياه، و يحولونها إلى خرائب ينبع فيها البوم. شىء واحد أخطاه التوفيق فيه، و هو الإشاره الدقيقه إلى الذين يثيرون الحروب. فقد نسب الحرب إلى "المعصيه"، و هذه المعصيه الجديده جزء من المعصيه الكبرى التى وقع فيها الإنسان الأول.

إن الذى يقرأ ديوان الشاعر يرى فيه تمجيذا كبيرا للحرب، و يرى الفخر بالقتل و الاعتزاز به من أظهر أفكاره:

و من عرف الأيام معرفتى بها و بالناس روى رمحه غير راحم

و ما أشبه ذلك من الآراء التى ترى القيم كلها بالقتل و القتال، الأمر الذى جعل بعض الكتاب الرجعيين يعده فى هذه الناحيه بمصاف نيتشه الأديب الألماني المعروف الذى مهد آرائه إلى الفلسفه الهتلريه. فما الذى جعل الشاعر يتحول هذا التحويل فيشن الغاره على الحرب، و يعدها معصيه؟! إنه الاحساس بالجمال - جمال الطبيعه - إن هذا الاحساس جعل الشاعر ينتشى... جعله كالنحله التى تمتص رحيق الأزهار، ثم تحوله إلى عسل حلو لذيد، ثم تقدمه طعاما شهيا لمن يرغب باكله... جعله ينسى كل ما كان يطمح إليه، و يرغب فيه من عجرفه الملك، و عنجهيه السلطه!

لقد هرب فى تلك اللحظه الخالده من "أوهام" الاماره، و جاه السلطه، و ما أشبه ذلك من المثل العليا التى كانت سائده فى عصره، و انطلقت فيه "الذات الإنسانيه" الرفيعه، و تحررت من خرافات الطوائف الحاكمه، و راحت تزقزق كما تزقزق العصافير فى الغابه، و تغنى أغنيه الحب.

و لكن هذه اللحظه لم تطل و لم تمتد، و إنما نامت بنوم ذلك الاحساس الذى أيقظه جمال الطبيعه. بيد أنها ألفت علينا درسا عميقا بالرغم من قصرها. لقد صورت لنا الأعجوبه التى يستطيع أن يصنعها جمال الطبيعه، و جمال الحياه.

الشيخ أحمد آل طعان القطيفي السري البحراني ابن صالح.

مرت ترجمته فى الأعيان و نذكره هنا بتفاصيل أوسع:

ولد فى "ستره" من قرى البحرين عام ١٢٥١ و نشأ فى مدينه المنامه من البحرين.

درس المقدمات من نحو و صرف و علوم عربيه و تجويد و منطق فى البحرين.

ثم توجه إلى النجف الأشرف و أكمل دراساته فى الفقه و الأصول عند كبار علمائها.

عند الشيخ راضى النجفى، كما درس عند الطيب الشيخ على بن ميرزا خليل الطهرانى، و الشيخ محمد حسين الكاظمى.

عصره السياسى:

كان من مواليد البحرين، و لكننا فى ترجمه حياته نجد أنه سكن القطيف و يذكر المؤرخون سبب ذلك فى كلمه مختصره.. لوقوع الفتن فيها" و لو تصفحنا تاريخ المنطقه السياسى لوجدنا أن سبب هجره الشيخ من وطنه الأصلى و اتخاذه القطيف وطنا هو تسلط حكومات الحور [الجور] و الضلال على البحرين، و شده الإرهاب التى تمارسها، و التى اضطرت علماء كثيرين غيره للهجره إلى مناطق الخليج الأخرى مثل بوشهر، و بندر لنجه، و بندر عباس، و عبادان، و الأهواز، و شيراز، و مسقط، و الأحساء، و القطيف.

لذا رأى أن وجوده فى القطيف مهاجرا و عاملا فى سبيل الإسلام أكثر نفعا للإسلام و العلم، و لم يكن السعوديون قد تسلطوا فى ذلك الوقت. و لا- أدل ثم هذا من كثره طلاب العلم حوله، و كثره مؤلفاته و ازدياد مجالس إرشاداته حتى إنه فى أواخر عمره صار يتردد إلى البحرين كثيرا للقيام بواجب الإرشاد بناء على مراسله أهلها و مع الاستقرار النسبى للأوضاع هناك.

أسفاره:

سافر للنجف للدراسه الدينيه و رجع و سكن البحرين ثلاث سنوات ثم سافر إلى العراق لزياره الأئمه (ع)، ثم رجع و سكن القطيف، و سافر كذلك لزياره الامام الرضا (ع) و كذلك للحج.

مؤلفاته:

تنقسم مؤلفاته إلى كتب و رسائل و شعر و أجوبه مسائل:

أولا: الكتب ١ - شرح خطبه اللمعه الدمشقيه (فى مجلد كبير).

٢ - زاد المجتهدين فى شرح بلغه المحدثين (فى علم الرجال - مجلد كبير).

٣ - التحفه الأحمديه (١) (فى الأدعيه - مجلد كبير).

٤ - قبسه العجلان فى وفاه غريب خراسان (فى السيره - مجلد).

٥ - ملاذ العباد فى تتميم السداد (٢) (فى الفقه - فرج منه مسائل الاجتهاد و التقليد).

٦ - كاشفه السجف فى علم الصرف (فى علوم العرييه - مجلد كبير).

٧ - سلم الوصول إلى علم الأصول (فى مجلد و هو غير تام).

٨ - إقامه البرهان على حليه الإربيان (الربيان) (فى تحقيق مسأله فقيهه).

٩ - حواشى (رجال الميرزا الكبير) (فى علم الرجال).

١٠ - حواشى (رجال النجاشى) (فى علم الرجال).

ثانيا: الرسائل:

١ - رساله فى معنى العقل و أقسامه (فى تحقيق مسأله فلسفيه) ٢ - رساله فى ترجمه أستاذه الشيخ الأنصارى.

٣ - رساله فى نقض رساله معاصره الشيخ على السترى البجرانى [البحرانى]. ٤ - ثمان رسائل فى تحقيق ثمان مسائل فقهييه مختلفه منها رساله تسمى منهج السلامه و رساله تسمى قره العين و كذلك مختصرها.

ثالثا: أجوبه المسائل:

١ - الأسئلة الأحمديه (فى التوحيد و أصول الفقه).

٢ - مجموعه أجوبه مسائل سالها بعض العلماء تبلغ سبع رسائل.

٣ - أجوبه مسائل كثيره متفرقه تبلغ مجلدين.

رابعا: الشعر:

١ - ديوان شعر اسمه المراثى الأحمديه (مطبوع فى بمبئى).

٢ - منظومه فى الفقه (تبلغ ٢٥٠٠ بيتا).

٣ - منظومه فى التوحيد تسمى " الدرہ " (تبلغ ٥٠٠ بيتا).

٤ - أرجوزه فى نظم زبده الأصول للشيخ البهائى تسمى "العمده فى نظم الزبده".

٥ - مجموعه كبيره من المنظومات و القصائد فى المدائح و المراثى و التخميس و الألغاز النحويه و الفقهيه تبلغ أكثر من مجلد.

٦ - القصيده البديعيه فى مدح أمير المؤمنين.

و للمترجم كذلك مجموعه من الكتابات المتفرقه تبلغ مجلدين كبيرين.

أولاده

للمترجم ولدان من العلماء، أحدهما الشيخ عبد الله، و له بعض المؤلفات، توفى فى حياه والده ١٢٩٨، و الآخر الشيخ محمد صالح، كذلك له بعض المؤلفات و توفى فى كربلاء ١٣٣٣

توفي في البحرين ليلة عيد الفطر ١٣١٥، ودفن في مقبره الشيخ ميثم البحراني بقرية "هلتا" من قرى "الماحوز" في البحرين. (٣)

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الربيعي الفلاحى

اشاره

*الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الربيعى (٤) الفلاحى.

المحسنى (٥) الأحسائى (٦) الدورقى (٧) (٨) و جاء فى نسبه المدنى (٨) الغريفى (٩).

ورد ذكره فى الصفحه ١٣٥ من المجلد الثالث و نشر له هنا هذه الترجمة و هى بقلم: الشيخ جعفر الهلالى من كتابه المعد للطبع باسم: معجم شعراء الحسين.

لم تشر المصادر التى ترجمت له إلى سنه ولادته، و لا إلى المحل الذى ولد فيه. غير أن السيد هادى باليل الذى تصدى لأحباء [لإحياء] التراث العلمى و الأدبى

ص: ٣٣

١- التحفه الأحمدية يقال لها الصحيفه الصادقيه أيضا "

٢- و يسمى ملاذ العباد فى مسائل التقليد و الاجتهاد.

٣- أحمد العلى.

٤- الربيعى: يراد بذلك النسبه إلى ربيعه القبيله العربيه المعروفه.

٥- المحسنى: نسبه إلى آل محسن و هم بطن من ربيعه. و لأسره المترجم الرئاسه على آل محسن.

٦- الأحسائى: نسبه إلى الأحساء، و قد توطنها المترجم له ثلاث سنوات.

٧- الدورقى: نسبه إلى الدورق، و هى بلد بخوزستان.

٨- المدنى: نسبه إلى المدينه المنوره، فهى مسكن آباءه، و بها كانت ولادته، كما عرف أخيرا.

٩- الغريفى: نسبه إلى قرية الغريفه إحدى قرى البحرين، و عرف بذلك إما لأن أصله من الغريفه فى البحرين، أو لأنه سكنها فتره من الزمن.

لمدينتي (الحويزه) و (الدورق) كما في كتابه المخطوط المسمى ب (الياقوت الأزرق) في تراجم علماء و أدباء الحويزه و الدورق، و كما جاء في المقدمة التي كتبها لديوان المترجم، و قد عثر عليه أخيرا، قال عند ذكره لوفاه المترجم له و ذكر قبره: و كتب على صخر القبر تاريخ ولادته سنة ١١٥٧ في المدينه المنوره، و وفاته سنة ١٢٤٧.

و على هذا فتكون نشاته الأولى في المدينه المنوره مسقط رأسه على يد والده الشيخ محمد.

أما تحصيله العلمي فقد كان في بادئ الأمر في المدينه المنوره على والده و كان من العلماء الأفاضل آنذاك، و يظهر أن أباه قد رحل به إلى البحرين و سكنوا الغريفة، إحدى قرى البحرين كما أسلفنا، و كانت آنذاك زاخره بالعلماء. فآخذ المترجم هناك قراءه بعض السطوح، قال حفيده الشيخ موسى بن الشيخ محمد: إن جدي المترجم له قرأ كتاب اللمعه في ستة أشهر على العلامه الشيخ حسين البحراني(١) و فيه يقول أحد أدباء البحرين مخاطبا أباه الشيخ محمد:

حافظ على أحمد من دون إخوته فإنه غيرهم في كل أسلوب.

و لا عجب إذا ما فاق إخوته فيوسف كان من أولاد يعقوب.

و لا أعلم هل سافر إلى النجف لإكمال تحصيله هناك أم لا؟ إذ لم ينص على ذلك مترجموه. و إن كنت لا أستبعد ذلك، فقد رأيت في بعض المصادر أنه مجاز من قبل بعض علمائها المشهورين آنذاك، كما أشاد البعض الآخر بفضيلته العلميه، و أكد على صلاحه و تقواه.

فمن أجازه السيد محسن الكاظمي البغدادي و الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء و السيد جواد العاملي

هجرته

ذكرنا أن ولاده المترجم كانت في المدينه المنوره حسب ما هو مثبت في الصخره التي على قبره. و قد كانت له أكثر من هجره:

فهجرته الأولى كانت مع والده و إخوته إلى البحرين حيث استوطنها فتره لم تحدد، و هناك أخذ بعض السطوح، كما مر، ثم عاد إلى المدينه المنوره، و بقي إلى سنة ١٢١٠.

أما هجرته الثانيه، فكانت إلى الأحساء، و ذلك عند ما وقعت حادثه عبد العزيز و ولده سعود الوهابي، فقد جار فيها على علماء الشيعه، مما اضطره إلى الهجره إلى الأحساء بطلب من أهلها و أقام فيها ثلاث سنوات تقريبا.

أما هجرته الثالثه فقد كانت من الأحساء إلى بلد (الدورق) و ذلك سنة ١٢١٤.

و كانت الفلاحيه أو الدورق آنذاك حافله بالعلماء و الأدباء و الشعراء، و المحدثين من العصفوريين و الطريحيين، و الجزائريين، و الكعبيين و غيرهم.

و كانت الاماره هناك لآل كعب، و كانوا يجلون العلماء و الأدباء، و يهبونهم الاقطاعات و يملكونهم الاراضى، و كان العلماء و

الشعراء والأدباء من الشيعة يلجئون إلى الدورق عند تضييق الحكام عليهم، و من هنا حظ الشيخ أحمد رحل إقامته فيها. (٢) و قد عاصر الشيخ أحمد جماعه من أعيان الفلاحيه (الدورق) و علمائها فمن أمراء كعب عاصر أميرين هم الشيخ محمد بن بركات بن عثمان بن سلطان بن ناصر الكعبي، و الثاني هو: الشيخ غيث بن غضبان الكعبي.

أما معاصروه من العلماء و الأدباء في الدورق فمنهم الشاعر الشهير الشيخ هاشم بن حردان الكعبي الدورقي المتوفى سنة ١٢٣١، و الشيخ شبيب بن صقر الدورقي، و الشيخ يوسف بن خلف بن عبد علي العصفوري، و الشيخ علي بن محمد بن جلال الدين الطريحي الدورقي، و الشيخ عبد الأمير بن ناصر الكعبي الدورقي، و السيد إسماعيل بن السيد محمود آل باليل الموسوي الدورقي، و ابنه السيد إبراهيم بن السيد إسماعيل آل باليل الموسوي الدورقي المتوفى سنة ١٢٤٣، و السيد محمد الحسيني البحراني الدورقي. (٣)

مكتبته

كانت الفلاحيه تضم كتب العلم و أبوابه من الفقه، و الحديث، و التفسير، و الرجال، و الطب، و الأدب، و التاريخ، و غيرها مما كان معروفا، و متداولاً عند علماء المسلمين، و كانت هذه الكتب موزعه في المكتبات الخاصه، و عند ورود الشيخ أحمد الفلاحيه سنة ١٢١٤ كان أكثر علمائها القدامى قد انقرضوا، أو آذنت البيوتات العلميه أن تخلو من أهل العلم. فانتقل أغلب تلك الكتب إلى مكتبه الشيخ أحمد حتى صارت مكتبه قيمه فيها الكتب الموقوفه و المهده، و المبتاعه من جميع مكتبات الفلاحيه و الدورق القديمه، و بعد الشيخ أحمد أضاف عليها ابنه الشيخ حسن و أحفاده الشيء الكثير، و لكن بعد مرور أكثر من قرن و نصف و في زماننا هذا، تقاسمها أحفاده فتلف بعضها في الحرائق، و راح بعضها طعمه للأرضه و الفئران، و بقي بعضها عرضه للأمطار و الإهمال.

قال السيد هادي باليل: و قد وقفت على بعض مخطوطاتها المخرومه سنة ١٤٠١ في حسينيه الشيخ محمد علي في الفلاحيه و من جملتها ديوان الشاعر المترجم، و هو بخط الناظم فاستأذنت من المحفظ أن استنسخه، فاذن لي بذلك، و الديوان قد سقط منه بعض الأوراق. (٤)

وفاته

توفى في الطاعون الذي ضرب البصره و المناطق المجاوره بما فيها الفلاحيه سنة ١٢٤٧ و دفن في مقبرته التي أعدها لنفسه هناك محاذيه لمسجده، و قد أصبح قبره اليوم داخل مسجده لتجديد بناء المسجد و اتساعه.

أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله.

مرت ترجمته في الصفحه ١٦ من المجلد الثالث كما مرت دراسه عنه في الجزء الأول من (المستدركات) و نشر عنه هنا هذه الدراسه:

شخصيه المعري في "سقط الزند"

يخرج المتبع لهذا الاختلاف القديم المتجدد بشأن أبي العلاء، من حيث فلسفته و معتقده و مذهبه، و من حيث طريقته في العيش و علاقته بمجتمعه و آرائه بالناس و الحياه و الكون - يخرج من يتبع هذا الاختلاف و يتتبع أسبابه

ص: ٣٤

-
- ١- لعله الشيخ حسين الماحوزى البحرانى المتوفى سنه ١١٨١، و يكون عمر المترجم آنذاك ٢٤ سنه. و الله أعلم.
 - ٢- مقدمه الديوان المخطوط للشاعر بقلم السيد هادى باليل.
 - ٣- المصدر السابق.
 - ٤- مقدمه الديوان بقلم السيد هادى باليل.

و مصادره، بظن يقرب من اليقين في أن معظم تلك الآراء المتخالفه المتناقضه إنما استمدها الباحثون، في الأكثر، من مصدر واحد، هو حياه أبي العلاء في عهد كهولته الأخير و شيخوخته، و في "لزوميته" و بعض رسائله التي أنشأها آنئذ، و لم ينظروا إلا قليلا في حياته عهد الحدائه و الشبيبه، و في ما كان له عهد ذاك من شعر و أدب و سيره.

و لست أعنى - طبعا - أنهم لم يتحدثوا عن حياته في طوري الحدائه و الشباب، و لم يفصلوا الحديث فيهما تفصيلا كافيا، فان أكثرهم صنع ذلك، و نخص الدكتور طه حسين بالذكر، لأنه بذل جهدا رائعا في استقصاء حياه أبي العلاء من فجرها إلى مغربها، و في تحقيق أخباره كلها على منهج علمي واضح بكتابه "تجديد ذكرى أبي العلاء". و لكن الأمر الذي أعنيه هو أن حياه المعري و شعره في أيام حدائه و شبابه و قسم من كهولته الأولى، لم يكونا مرجعا للباحثين في دراسته و في تعرف شخصيته من منابعها و أصولها. و لذلك جاءت آراؤهم عنه - في الغالب - متناقضه، لأنها منتزعه من ظواهر سيرته و شعره أيام هو يلتزم سيره متكلفه، و يقسر نفسه و فنه على أشياء قد لا تكون في الأصل من مكونات شخصيته و فنه.

و من الإنصاف للحق أن نذكر الأستاذ مارون عبود في أول من يمكن استثناؤهم في هذا المقام. فقد نظر في كتابه "زوبعه الدهور" إلى أبي العلاء نظره شامله بصيره، فأقام فارقا واضحا بين المعري الإنسان في شبابه و المعري المفكر المتمذهب في أيام عزلته و شيخوخته. لقد تنبه مارون عبود إلى مرد الخطا الذي وقع فيه معظم الذين درسوا أبا العلاء من المحدثين، إذ أسبغوا على حياته كلها ثوب زهده و تعففه و انقباضه عن الناس و مقته إياهم و تغلفه بالأحاجي و الأسرار دونهم، كما يظهر في "اللزوميات"، و أغفلوا أن هذا ثوب أبي العلاء في عهد "اللزوميات"، لا ثوبه في عهد "سقط الزند".

و بهذا الصدد يقول أدينا الناقد الباحث مارون عبود: "فقد توهم الناس، حتى الخواص من الأدباء - هداانا الله و إياهم - أن أبا العلاء خلق منزلها عن الشهوات، بريئا مما يسميه غيرنا الضعف البشري، لا ينقصه شيء من الكمال في نظرهم، حتى كادوا يجعلونه بمعزل من الغرائز، كأنه غير مركب من لحم و دم. إن أبا العلاء. أيها، الفضلاء، - و هذا لا يضير عصمته التي تزعمونها له - قد تغزل كالشعراء لأنه أحب مثلهم - الحب لا يضر يا ساده - و أحس بما أحس به كل مركب من نفس و جسد و له دماغ و قلب".

حين (1) لم يحصر مارون عبود نظره في نطاق "اللزوميات" و سائر ما أنشأه أبو العلاء في "محبيه"، وجد "سقط الزند"، ثم وجد في أشعار هذا الديوان و أغراضه شاعرا إنسانا يحيا كالشعراء، و كالتناس في زمانه، و رأى أبا العلاء لا يقول عبثا، أى لا يصدر عن غير قلب يخفق بالحب، حين يقول:

أيا دارها بالخيف أن مزارها قريب، و لكن دون ذلك أهوال

أو حين يقول:

أيا جاره البيت الممنع جاره غدوت و من لى عندكم بمقيل

لغيرى زكاه من جمال فان تكن زكاه جمال فاذكرى ابن سبيل

و رآه، كذلك، يمدح كالشعراء، و يهنئ بالزفاف و غيره مثلهم، و يغلو و يببالغ حتى لا- يقصر عن صاحبه المتنبى فى الغلو و المبالغه، و يجنى غله الشعر و يذوق بواكير محصوله كما يفعل غيره من شعراء ذاك الزمان، و يرثى كما يرثون، و يهجو مثلهم و لكن دون هجر، و يفتخر و يدعى مثل الشعراء بل أكثر منهم، إذن "فلنثق جيدا أن المعرى إنسان مثلنا، أكل و شرب و تلذذ مثل الناس، و هو لم يكذب حين قال:

تنسكت بعد الأربعين ضروره و لم يبق إلا أن تقوم الصوارخ

فكيف ترجى أن تثاب، و إنما يرى الناس فضل النسك و المرء شارخ

(٢) و إذا كان مارون عبود وقف من أمر أبى العلاء الإنسان الذى يحيا فى "سقط الزند" عند هذه اللمحات، و لم يجاوزها إلى تفصيل كامل يخرج منه "بالحلقة المفقوده" التى تصل المعرى هذا بالمعرى المفكر المتمذهب الزميت بعد أن انطفأت نار شببته.. فان هذا لا يقلل قطعا من شان السابقه التى بدأها صاحب "زوبعه الدهور" باهتدائه إلى شاعر "سقط الزند"، دون أن يخلطه بناظم "اللزوميات" ..

روى الثعالبي فى "تيمه الدهر" عن المصيصى الشاعر أنه قال: "رأيت بمعره النعمان عجا من العجب، رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشطرنج و النرد، و يدخل فى كل فن من الجرد و الهزل، يكنى أبا العلاء، و سمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيرى على البصر".

و أخذ بهذه الروايه كل من أرخ لأبى العلاء بعد ذلك، و لم نجد من يكذبها أو ينكرها عليه، غير أن الدكتور طه حسين شك(٣) فى أن أبا العلاء كان قادرا أن يلعب الشطرنج و النرد، و تأول قوله أنه يحمد الله على العمى كما يحمده غيره على البصر، و تأولا ليس يخلو من تلك النظره التى ينظر بها الباحثون إلى أبى العلاء من خلال حياته فى "اللزوميات" ..

و نحن نأخذ بهذه الروايه من حيث دلالتها العامه، دون تفاصيلها بالدقه. فسواء كان أبو العلاء يلعب الشطرنج و النرد حقا أم لم يكن، و سواء أ كان يعنى حقيقه ما يقول من أنه يحمد الله على العمى كما يحمده غيره على البصر، أم كان يعنى من هذا القول ظاهره و فى نفسه شىء آخر، إما سخرا بالمبصرين، و إما اعتدادا بالنفس و فخرا - فان هذه الروايه بجملتها، تدل - على كل حال - أن شاعر المعره الفتى كان ظريفا مرحا يجالس الظرفاء، و يشارك أهل الهزل هزلهم و أهل الجد جدهم، و يتصل بمواطنيه فى المعره اتصال مواطن إنسان، فهو يحيا حياتهم اليوميه فى غير تحفظ، و يخالطهم فى لهوهم دون تزم، و يحس معهم إحساس المسره و المرح، دون أن تمنعه العاهه شيئا من ذلك، بل تزيده العاهه إقبالا على مثل ما يقبل عليه أترابه المبصرون توكيدا لوجوده و تفوقه.

أقول: نأخذ بالروايه من حيث دلالتها هذه، مع علمنا أنه ليس فى أخبار أبى العلاء ما ينفى شيئا من نصها، فهى من الوجهه التاريخيه المحض ثابتة غير منقوضه، فإذا أضفنا إلى ذلك أن أشعار "سقط الزند" ذاتها تنبئ بان الروايه ليست غريبه عن الواقع الذى كان يحياه أبو العلاء فى عهده الأول.٧.

١- زوبعه الدهور - ص ١٤.

٢- الشارخ: من يكون فى شرح العمر، أى الصبا.

٣- تجديد ذكرى أبى العلاء - ص ١٣٧.

الذى سبق عهد عزلته و تزهده، ازددنا يقينا بان شاعر المعره قد مارس حياته الأولى على امتلاء من علاقاته الإنسانيه بحياه مواطنيه، و انفعال وجدانه الشعاعرى بالكثير من هذه العلاقات، و أنه كان ينظر إلى الناس و الحياه من خلال عواطفه و علاقاته هذه، و أن النظره المتمتمه المتبرمه بالناس و بالحياه لم تكن عهدئذ قد وجدت سبيلها إلى نفسه و تفكيره.

و أول ما يلفت انتباهنا من الدلالات على ذلك فى شعر "سقط الزند"، ما جاء فى قسم "الدرعيات" من أبيات قالها فى لاعب شطرنج:

قل لترب الآداب فى كل فن و حليف الندى و حرب العذول

أيها اللاعب الذى "فرس" الشطرنج همت فى كفه بالصهيل

من يباريك و "البياذق" فى كفكك يغلبن كل "رخ" و "فيل"

نصرع "الشاه" فى المجال و لو جاء مردى بالتاج و الإكليل

لطف رأى يستأسر الملك الأعظم بالواحد الحقيقير الذليل

أنت فوق الصولى فى هذه الخلله ، مزر فى غيرها بالخليل

(1) لسنا ندرى متى نظم المعرى هذه الأبيات، و لكن يكفينا منها دلالتها الصريحه على معرفه أبى العلاء بأدوات الشطرنج و حركاتها معرفه الخبير، ثم دلالتها ضمنا على أن روايه "يتيمه الدهر" عن ظرف أبى العلاء و مشاركته فى لعب الشطرنج زمن شببته، ليست بعيده و لا غريبه عن الصدق و الواقع، حتى فى أضعف فقره منها، و هى الفقره التى شكك فيها الدكتور طه حسين كما تقدم.

و لنقارن الآن أبا العلاء الكاره للزواج و للمرأة و للنسل، المتشدد فى هذه الكراهيه إلى الحد المعروف عنه فى أشعار "اللزوميات"، أو إلى الحد الذى دفعه - كما يخبرنا أكثر المؤرخين له - أن يوصى بان يكتب على قبره ذلك البيت الذى يصف جماع آرائه الصارمه فى النسل و الزواج و الحياه معا:

هذا جناه أبى على ، و ما جنيت على أحد

لنقارن أبا العلاء هذا صاحب "اللزوميات"، بأبى العلاء صاحب "سقط الزند"، فسرى أن هذا الآخر قد أنشا ثلاث قصائد فى تهنته ثلاثه من قومه بزواجهم، و أنشا قصيدتين فى التهنته بمولودين..

ترى، أ يتوافق هذا الاندفاع فى التهنته بالزواج و بالمولود، مع تلك النظره الساخطه إلى المرأه و الزواج و التناسل؟. إن بين الأمرين تناقضا ظاهرا!!.. فإذا قيل لنا إن هذه القصائد كان يدفع إليها المدح و المجامله لبعض الأمراء فى حلب، أكثر مما يدفع إليها الاستبشار بالزواج و بالمولود، أو التهنته بهما لذاتيهما - قلنا أولا: إن هذا أيضا دليل على أن أبا العلاء لم يكن يكره أن

يمدح أمراء زمانه، و لم يخالف طريقه الشعراء فى عهده من هذا الوجه.

و نقول ثانيا: إن شاعر المعره قد ذكر المرأه فى القصائد الثلاث، إلى جانب المدح، ذكرا جميلا تفوح منه رائحه الرجل الإنسان الذى يرى فى المرأه وجه النعمه و النضره و الغبطه و الخير. فى حين هو يرى فى اللزوميات أن:

"بدء السعاده إن لم تخلق امرأه"

و يظهر لنا أنه لم ينظم هذه القصائد فى صباه، لأن جامع الديوان - و أبو العلاء نفسه هو جامع الديوان - عودنا أن ينص عند كل قصيده قالها فى الصبا أنها مما قاله فى ذلك العهد. فإذا رجعنا إلى إحدى هذه القصائد نسمعه يقول لصاحبه الذى يهنئه بزفافه: (٢)

و تهن "النعمى" السنيه و البس حلل المجد و الفعال الخطير

و تمتع "بنضره" العيش، إذ جاء تك فى رونق الزمان النضير

"خير" أيدى الزمان عند بنى الدنيا أتت فى أوان خير الشهور

يا لها "نعمه"، و ليس ببدع أن تحوز الشمس رق البدور

و نرى - استطرادا - أن ثبت هنا أبياتا ثلاثه فى القصيده خص بها أبو العلاء مدينه حلب، قال:

"حلب" للولى جنه عدن و هى للغادرين نار سعير

و العظيم العظيم يكبر فى عينيه منها قدر الصغير الصغير

"فقويق" فى أنفوس القوم بحر و حصاه منها نظير ثبير

(٣) و فى القصيده الثانيه، و أكثرها طراز من المديح العادى المألوف، يخلص الشاعر إلى تهنئه أمير حلب بعرسه، فيقول:

الآن فاله عن الهيجاء "مغتبطا" طال امترأوك خلفى نابها الضببس

(٤) و فى حين نرى المرأه فى اللزوميات، موضع سوء ظنه دائما، لا- يثق بحفاظها على حصانتها، و يرى ضعفها على الإغراء هو الأصل فى سلوكها، بحيث يقول هناك - فى اللزوميات -:

و ما يمنع الخود الحصان حصونها و لو أن أبراج السماء حصونها

نراه - مع ذلك - هنا فى "سقط الزند" يراها أخت الأسد الصعب فى امتناعها على غير المحلل لها من الرجال. و ها هو ذا يقول لأمير حلب الذى يهنئه بعرسه، فى القصيده المتقدمه الذكر، و هو يصف عروسه:

ما ربه الغيل أخت الظبي فزت بها بل ربه الغيل أخت الضيغم الشرس

(٥) يقصد أن هذه العروس ليس ينبغي أن تشبهه - كالعاده - بالطباء، بل هي أشبه باللبوه أخت الأسد في امتناعها و حصانتها و عفافها. ألا ترى أن المرأه هنا - عند أبي العلاء - تناقض المرأه عنده هناك في اللزوميات؟.

و في حين يرى أبو العلاء - في اللزوميات - أن من الخير للإنسان أن لا يولد، و أن الحياه هبه أثيمه يجنى بها الآباء على الأبناء:
فليت وليدا مات ساعه موته و لم يرتضع من أمه النفساء

نجده هنا، في "سقط الزند" يرى نقيض ذلك أيضا.. فها هو ذا يهنئ أبا القاسم بن القاضى التنوخى بمولوده، فكيف يهنئه؟. إنه يرى الوليد المستهل "نعمه" نزلت من السماك الأعلى، فاستحق أن توفى بمولده الندور و أن تساق الهدايا إلى البيت الكريم، أى الكعبه، لأنه يرى المولود الكريم سرا من أسرار المجد لأبيه:..

ص: ٣٦

١- الصولى: هو أبو إسحاق الصولى و قد كان ماهرا بلعب الشطرنج، و الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب علم العروض.

٢- سقط الزند - الطبعة اللبنانيه - ص ١٥.

٣- قويق: نهر صغير معروف فى حلب. و ثبير: اسم لبضعه جبال فى ظاهره مكه..

٤- الهيجاء: الحرب. امترى: استخرج الحليب من ضرع الناقه أو غيرها. الخلف (بكسر الخاء): حلمه الضرع. الناب: الناقه المسنه. الضببس: الشرس العسير..

٥- الغيل: أجمه الأطباء و الأسود. الضيغم: الأسود..

متى نزل السماك فحل مهذا تغذيه بدرتها الثدى (١)

أهل بصوته، فأهل شكرا به الأقسام، و افتخر الندى (٢)

بيوم قدومه وجبت علينا النذور ، و سيق للبيت الهدى (٣)

و سر المعجد مولود كريم أبان وفوده خبر جلى

علو زائد بأبى على أتاك بفضلله الله العلى

و يهنى ثانيه صديقا له بمولوده، و قد كتب له الصديق بنيا ولادته، فإذا النبا عنده - أى أبى العلاء - "بشرى"، و إذا الوليد نفسه هو "النعمى".

و نحس هنا حراره الصديق فى تهنته، و تكاد نبضات قلبه تنتقل إلى صدورنا و نحن نقرأ هذه اللهفه إلى صديقه. و فى ظننا أن هذه التهنته الشعريه كانت فى أوائل عهده بالعزله، و كانت ما تزال فى نفسه صبوات إلى تلك المتع الروحيه بقاء الأصدقاء و الشعراء، و ما يزال يضطرب وجدانه و ينفعل بتجربات حيه باقيه من زمانه الأول:

كتابك جاء "بالنعمى" بشيرا و يعرض فيه عن خبرى سؤال

و حالى خير حال كنت يوما عليها، و هى صبر و اعتزال

فاما أنت، و الآمال شتى ، فلقياك السعاده لو تنال!

بعدنا، غير أنا أن سعدنا بغبطه ساعه، عكف الخيال

و لو صنعاء كنت بها لهزت هواى إليك نوق أو جمال

أرى راح المسره أثلنتى و تلك، لعمرى، الراح الحلال

و قبل اليوم و دعنى مراحي و أنستنيه أيام طوال

هنيئا، و الهناء لنا جميعا يقينا لا يظن، و لا يخال

أهل فبشر الأهلين منه محيا فى أسرته الجمال

ياخوته الذين هم أسود على آثار مقدمه عجال

فان تواتر الفتيان عز يشيد حين تكتهل الرجال

و هل يثق الفتى بنماء وفر إذا لم تتل أيقنه فصال(٤).

سترکز حول قبتک العوالی و تكثر فی کنانتک النبال

فان منای أن یثری حصاکم و یقصر عن زهائکم الرمال

(٥) يستوقفنا من هذه القصيده العاطفيه، أولاً: إحساسها الصادق و صفاؤها النفسى و التعبیری معا، و ثانيا: نظره أبى العلاء إلى التناسل هذه النظرة الطبيعيه السليمه، فإذا الوليد الجديد بشاره بمواليد كثيره تتبعه، و إذا تكاثر الأبناء عز للآباء يشيدونه لهم فى أعمال الكهوله، و إذا هم المال الطيب، و لا- يثق المرء بنمو هذا المال إلا أن يتناسل و يتلو بعضه بعضا، و إذا أبو العلاء يتمنى، أغلى ما يتمنى لصديقه، أن يتكاثر أبناؤه حتى يقصر عدد الرمال عن أعدادهم.. يقول هذا و هو فى عافيه من نفسه و وجدانه، و فى رغبه صادقه أن ينال هذا الصديق ما هو خير و نعمى له، و النسل هنا هو خيره و نعماه.. أين هذا كله من رأى أبى العلاء فى الأبناء و فى التناسل و فى "جنايه" الآباء على أبنائهم حين يهبونهم "نقمه" الحياه؟.. أين هذا الذى ينطق به "سقط الزند" من ذاك الذى تضحج به "اللزوميات"؟...

و ينقم أبو العلاء على الناس، فى اللزوميات، أنهم يفتخرون، و يرى افتخارهم، كالكذب، منشاء الجهل، فعلا م يفتخر الناس و هم تراب و من التراب:

ادفع الشر، إذا جاء، بشر و تواضع، إنما أنت بشر

هذه الأجسام ترب هامده فمن الجهل افتخار و أشر

فكيف شان أبى العلاء إذن فى "سقط الزند"، أ هو يرى الفخر هنا كما هو هناك عنده؟.

الفرق بين حالیه هنا و هناك، هو الفرق بين من يمارس الافتخار بنفسه فعلا- إلى حد الغو و الاغراب، و من يفلسف الافتخار للناس، و ينقمه عليهم، و يعجب منهم أن يجدوا فى إنسانهم [أنسابهم] موضع فخر.. أى أن الفرق بين أبى العلاء فى "سقط الزند" و بينه فى اللزوميات من هذا الوجه، هو أنه فى الأول شاعر، و فى الثانى متفلسف، أو - إذا شئت - فيلسوف، أو فلنقل:

مفكر متمذهب، يجرى فى هذه المسأله على غير ما تقتضيه طبيعه الشاعر الإنسان.

و من منا يجهل بيتيه السائرين فى مطلع قصيدته المعروفه:

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف و إقدام و حزم و نائل

أ عندى، و قد مارست كل خفيه، يصدق واش، أو يخيب سائل!

فى "سقط الزند" قصيدتان موضوعهما الفخر، و لكن قصائد غيرهما جاءت فى الديوان فى مواضيع أخرى، يطالع الفخر أثناء أبياتها، لمناسبه حيناً، و لغير مناسبه حيناً. و فخر أبى العلاء تبدو فيه من الممتنبى نفعه ظاهره، و لعل قصيده

أدل على هذه النفحة المتنبيه، سواء برويها الصاحب و بعروضها المجلجل، أم بكبرياء التحدى ممثله بها أوداج شاعر المعره، تشبها بكبرياء صاحبنا أبى الطيب شاعر الفرسان، و فارس الشعراء..

و إنى و إن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

لقد قال المعرى هذا الكلام و هو فى عنفوان حيويته [حياته]، و فى عز إقباله على الدنيا، و له فى الحياه آمال كبار، و أمامه دنيا بغداد لما تزل يومئذ دنيا أحلامه، فكان طبيعيا أن يزهو هذا الزهو كله، و ليس فى ذاك عاب يعيبه، فقد كان شاعرا، و كان يستشعر فى ذاته أمرا غير عادى، و كانت نفسه أشواق أبكار لما تمتحنها التجربه الكبرى المنتظره، و كانت شهره ذكائه و تفوقه فى الحفظ و الفطنه تكتسح بلاد الشام و تجاوزها إلى العراق و مصر، و تتضخم فى طريقها إلى الناس حتى تبلغ حدود الأساطير، و لعلها كانت و هى تجوب الآفاق، ترجع إلى مسمعه بضجتها و ضخامتها الأسطوريه، فينتشى بها، و يزهى بنفسه، ال

ص: ٣٧

١- السماك: كوكب نير. الثدى (بضم الثاء المشدده و كسر الدال و تشديد الياء): جمع ثدى.

٢- الندى: النادى.

٣- الهدى (بفتح الهاء و كسر الدال): جمع هديه و المقصود بها هنا الأضحيه.

٤- الوفى: المال. الأنيق ناقيه. الفصال: جمع فصيل، ولد الناقه.

٥- يثرى حصاكم: يكثر عددكم. الزهاء: القدر و المثال

فيفخر هذا الفخر الموعغل فى المبالغه.

و ما ندرى، أ هذا النوع من الفخر، و قد كان أمرا مألوفاً فى شعرنا العربى عهد أبى العلاء، يدخل فى باب المين و الصفاقه، كما يرى الدكتور طه حسين، بحيث ينبغى أن ننزه عنه شيخ المعره؟.. هنا أيضا مسأله الخطا التى أشرنا إليها فى مطلع هذا الفصل، الخطا فى إسباغ ثوب الشيخوخه الزاهده المتمزته على حياه أبى العلاء كلها من حدائته و شبابه إلى يوم "محبسيه" ..

و فى المسأله أمر آخر: أ يصح، من الوجهه الفنيه المحض، أن نصف المبالغات الشعريه فى باب الفخر، كذبا و صفاقه، مع أننا نعلم أن أمثال هذه المبالغات لا تقتصد إلى المعانى الحقيقيه الحرفيه التى تنطق بها الألفاظ و العبارات، بل لا تقتصد حتى إلى المعانى المجازيه الجزئيه المباشره التى تدل عليها كل عباره بنفسها منفصله عن علاقتها بالكل الكامل لبناء القصيده و موضعها، و إنما هى تقتصد - بمجموعها و بدلالاتها الكبرى الشامله - إلى التعبير عن مشاعر إنسانيه متمترج بامال الشاعر و مطامحه و أشواقه الكبيره، غير أن خيال الشاعر قد يضخمها فى فوره من فوران العنجهيه الفرديه، و قد يكون الكبت الاجتماعى أو الحرمان أو الشعور بالاضطهاد و الظلم سببا فى هذه الفوره، أو سببا فى جموح الخيال إلى أبعد حدوده تعويضا عن نقص، أو انتقاما لحرمان.. إذا صح أن نصف هذه المبالغات بالكذب و الصفاقه فى باب الفخر، فلما ذا لا نصفها كذلك فى باب المدح، أو فى باب الرثاء، أو فى باب الغزل إلخ...

و مهما يكن، فقد فخر أبو العلاء فعلا، و غلا فى ذلك حتى أنه، و هو الأخير زمانه، قد أتى بما لم تستطعه الأوائل.. فما ذا يجدينا تنزيه أخلاقه عن الفخر؟. أ ترانا نفسره قسرا، بعد ألف عام، على أن لا يقول الشعر افتخارا؟.

أبو العلاء المعرى فى "سقط الزند"

و قال الدكتور حسين مروه، كتب الباحثون كثيرا عن أبى العلاء، و فى التقديم و فى الحديث، و نظروا إلى جوانب عديده من حياته و أدبه و تفكيره و معتقده، و لكن رأيت هؤلاء الباحثين، بالإجمال، لا يعنون العنايه اللازمه بدراسه ديوانه الذى جمع فيه جملة من أشعاره و اختار له هو بنفسه اسمه المعروف "سقط الزند"، قاصدا بهذه التسميه الشعريه المجازيه أن يرمز إلى الحقيقه التى ينطوى عليها هذا الديوان، و إلى الواقع الذى يمثله من حياته و من شخصيته و من أدبه.

فان الزند - لغه - هو العود الذى تقتدح به النار، و سقط الزند هو أول نار تخرج من الزند عند الاقتداح. و قد قصد المعرى هذا المعنى بذاته، لأن "سقط الزند" يجمع الكثير من شعره الذى نظمه فى أوائل حياته، فهو إذن أول تلك النار العبقريه التى اقتدحها زناد ذهنه العبرى.

و لكن الأمر فى هذه الأشعار لا يقتصر على هذا الظاهر السطحى من دلالة التسميه، بل الواقع أن ديوان "سقط الزند" يصح أن يكون المدخل الحقيقى لدراسه أبى العلاء دراسه مستوعبه متوغله فى جوانب شخصيته جميعا، و أعنى أن هذا الديوان جدير بان يكون للباحثين و الناقدين بمنزله ما يسمى "مفتاح الشخصيه" لمن يشاء منهم أن يستجلى شخصيه أبى العلاء على حقيقتها و واقعها الأصيل.

وقد يرجع أكبر السبب في أن أولئك الباحثين لم يهتموا بديوان "سقط الزند" اهتمامهم بغيره من آثار أبي العلاء، إلى ما هو شائع عند الذين أرخوا لحياه أدينا العظيم من القدماء، من أن هذا الديوان إنما يجمع أشعاره التي قالها في صباه.. فقد تمسك الباحثون المحدثون بكلمه "صباه" على حرفيتها، ولم ينظروا إلى هذه الأشعار نفسها بحيث يجدون أن الذي صدر عنه في صباه هو أقل ما يحتويه "سقط الزند"، وأن أكثر هذه الأشعار و أروعها شاعريه و أقواها دلالة عليه إنما صدرت عنه في أعلى مراحل شببته، و في أخصب مراحل شاعريته، و في أدق التجارب التي عاناها في حياته قبل معتزله، بل في أقسى هذه التجارب و أعمقها أثرا في نفسه و وجدانه و تفكيره.

و لقد أبيع لنفسى أن أقول، إن الذين أرخوا لأبى العلاء من القدماء، قد أوهمونا أن صاحب "سقط الزند" نفسه لم يكن راضيا كل الرضا عن أشعاره التي تضمنها هذا الديوان، فقد نقل أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى عن أستاذه أبى العلاء نفسه ما يوهم هذا المعنى، إذ قال:

"لما حضرت أبا العلاء، قرأت عليه كثيرا من كتب اللغه، و شيئا من تصانيفه، فرأيتة يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه، الملقب ب "سقط الزند"، و كان يغير الكلمه بعد الكلمه منه إذا قرئت عليه، و يقول معتذرا عن تايبه و امتناعه من سماع هذا الديوان: مدحت نفسى فيه، فلا أشتهى أن أسمع. و كان يحثنى على الاشتغال بغيره من كتبه. (١)

و فى رساله كمال الدين بن العديم، المسماه "الإنصاف و التحرى فى دفع الظلم و التحرى عن أبى العلاء المعرى" قال مؤلف الرساله و هو يستعرض تواليف أبى العلاء: "من الأشعار التي نظمها: ديوانه المعروف "بسقط الزند" و هو ما قاله فى أيام الصبا فى أول عمره، و هو من أحسن أشعاره، و قد اعتنى به العلماء و شرحوه، مقداره خمس عشره كراسه، تزيد أبياته المنظومه على ثلاثه آلاف بيت، شرحه الخطيب التبريزى و شرحه ابن السيد البطليوسى و أحسن شرحه".

و قال ياقوت فى "معجم الأدباء" (الجزء الثالث ص ١٥٤) فى معرض الكلام على مؤلفات أبى العلاء: "و من غير هذا الجنس كتاب لطيف فيه شعر قيل فى الدهر الأول يعرف بكتاب "سقط الزند" و أبياته ثلاثه آلاف".

هكذا تواترت أقوال القدماء الذين أرخوا لأبى العلاء، حتى استقام فى أذهان المحدثين أن "سقط الزند" ليس ذا شان يؤبه له فى آثار المعرى ما دام من نتاج صباه.. و ما دام المعرى نفسه لم يكن يابه لهذا الديوان، كما توهمنا مقاله أبى زكريا التبريزى.

و الحقيقه أن المعرى كان يحتفل لديوانه هذا احتفالا- ظاهرا. يدل على ذلك أنه عنى بشرح الغريب من ألفاظه و جعل هذا الشرح فى كتاب خاص سماه "ضوء السقط" و قد تحدث ابن العديم عن هذا الكتاب فوصفه بأنه "يشتمل على تفسير ما جاء فى سقط الزند من الغريب، مقداره عشرون كراسه، وضع - أى المعرى - هذا الكتاب لتلميذه أبى عبد الله محمد بن ٢٠

محمد بن عبد الله الأصبهاني، و كان رجلا فاضلا قصده إلى معره النعمان و لازمه مدة حياته يقرأ عليه بعد أن استعفى - أي المعري - من ذلك، ثم أجابه فقرأ عليه الكتب إلى أن مات - يقصد المعري - و قد أشار إلى ذلك في مقدمه "ضوء السقط". و أقام أبو عبد الله الأصبهاني بحلب، و روى عن أبي العلاء كتبا متعددة من تصانيفه، و هو الذي سأله أبو العلاء أن يشرح له "سقط الزند" فشرحه، و وسمه بـ "ضوء السقط".

و من هذا النص، و من أمثاله في تضاعيف عدد من المراجع التاريخيه الأديبيه، يتبين بجلاء و تأكيد أن أبا العلاء كان حفيا بديوانه "سقط الزند" إلى حد أن تلاميذه كانوا يروونه عنه بالاجازه، و كان عدد من طلاب العلوم الوافدين إليه من أقطار مختلفه يدرسون هذا الديوان عليه في جملة ما يدرسون. فقد ذكر السيوطي في "بغية الوعاة" في ترجمه نصر بن صدقه القابسي النحوي أنه "كان ممن يعانى الأديب، فقدم مصر و أخذ عن علمائها، ثم توجه إلى المعره فلزم أبا العلاء، و أخذ عنه ديوانه "سقط الزند" و كتب منه نسخه جيده، و رجع إلى مصر فقدمها للحاكم و قرأها عليه، فأعجبه نظمه، و أرسل إلى عزيز الدوله الوالي بحلب أن يحمله - أي يحمل المعري - إلى مصر. فاعتذر، فكف عنه".

و يروى "أحمد تيمور باشا(1)" هذه الحكايه بصوره أخرى نقلا عن مقدمه رساله للمعري تسمى "الفلاحيه" تقول أن القابسي هذا لما رجع إلى مصر بنسخته "سقط الزند" أهداها للوزير أبي نصر صدقه بن يوسف الفلاحى، فأعجب بها و استدعى كاتب الديوان و أمره أن يكتب إلى عزيز الدوله متولى حلب و أعمالها، في حمل أبي العلاء إلى مصر، لينى له دار علم، و سمح بخراج معره النعمان له في حياته و بعدها، فوصلت الأوامر إلى ديوان الشام بكتب السجل، فكتب و جهز على البريد، فلما وقف عليه عزيز الدوله نهض للوقت حتى دخل معره النعمان، و قرأ السجل على أبي العلاء، فقال:

أمهلنى حتى أكتب جواب السجل إلى مجلس الوزراء، فلعل العفو يسامحنى بالمقام فى بلدى، إذ لا يمكننى الخروج منه. فامهله الأمير، فاحضر الكاتب للوقت، و أملى عليه هذه الرساله - أى "الرساله الفلاحيه" - يعتذر فيها عن عدم الرحيل بعهزه عنه.

و فضلا عما لهذه الحكايه، بوجهيها، من دلالة على احتفال أبي العلاء و تلاميذه بديوان "سقط الزند"، تدل كذلك على احتفال الناس فى عصره بهذا الديوان و بأديب أبي العلاء و بمكانته، كما تدل على إباء المعري نفسه و عزوفه عن عروض المال و الجاه من حكام زمنه، و قد دلت على ذلك روايات عده فى أخبار أبي العلاء.

و أما ما تنبى عنه روايه أبي زكريا التبريزى، المتقدمه الذكر، من أنه رأى أبا العلاء "يكره أن يقرأ عليه شعره فى صباه الملقب بسقط الزند"، فيمكن حمله على بعض أشعار هذا الديوان مما هو منظوم فى صباه حقا. يدلنا على هذا التخرىج للروايه أن أبا العلاء قد جعل حجته فى الامتناع عن سماع هذا الديوان كونه مدح نفسه فيه، و هذه حجه لا تنهض إلا بالنسبه للأبيات التى مدح فيها نفسه، و لم أجد من هذه الأبيات فى النسخه المطبوعه من "سقط الزند" التى درست فيها الديوان، سوى قليل، و هى أقل من أبيات نستشعر فيها تواضعه جاءت فى مراسلاته لأخوانه، فلعل شيئا من النقص أصاب الديوان خلال القرون التى انقضت من عهد أبي العلاء إلى اليوم، أو لعل طابعى هذه النسخه قد أنقصوا الديوان بعض قصائده، و هذا ظاهر بالفعل و سنوضحه بعد.

و مهما يكن من شان روايه التبريزى، فإنها لا- تستطيع أن تعارض ما نقلناه و ما لم نقله من الروايات و الأخبار المستفيضه عن اهتمام أبي العلاء بهذا الديوان.

على أن أديننا العظيم، أبا العلاء، قد ذكر في خطبه "سقط الزند" - أي مقدمته - ما يشبه هذا الذي حكته عنه روايه التبريزي، فقد قال ما نصه:

"أما بعد، فإن الشعراء كافراس تتابعن في مدى، ما قصر منها لحق و ما وقف ذيم(٢) و سبق، و قد كنت في ربان الحدائه(٣) و جن النشاط، مائلا في صغو(٤) القريض، أعتده بعض ماثر الأديب، و من أشرف مراتب البليغ، ثم رفضته رفض السقب(٥) غرسه، و الرأل تريكتته(٦) رغبه عن أدب معظم جيده كذب، و رديئه ينقص و يجذب، و ليس الرى عن التشاف(٧)، و يعلمك بجنى الشجره الواحده من ثمرها، و يدلك على خزامى الأرض النفحه من رائحتها، و لم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، و لا مدحت طالبا للثواب و إنما كان ذلك على معنى الرياضه و امتحان السوس - أى الطبيعه - فالحمد لله الذى ستر بعفه من قوام العيش و رزق شعبه من القناعه أوفت على جزيل الوفر".

هذه قضيه يعيننا أن يجلوها أبو العلاء بمثل هذا الكلام يصدر عنه هو، و لا يتركها لمجرد الاجتهاد و الاستنتاج، و إن كان لنا من أخباره - كما قلت - ما يعين على الاجتهاد و الاستنتاج.

و يبقى الآن أن نعود إلى هذه الدعوى من أبى العلاء و من المؤرخين لحياته و أدبه، من القدماء و المحدثين على السواء، و هى دعوى أن شعر "سقط الزند" هو شعر الحدائه و الصبا.

هذا غير صحيح، ففي شعر هذا الديوان، كما وصل إلينا و كما نراه فى شرح أبى يعقوب يوسف بن طاهر النحوى صاحب "التنوير" - و هو مقارب لعهد أبى العلاء - ما قد نظمه المعرى و هو فى بغداد، و ما قد نظمه بعد رحلته إلى بغداد أثناء اعتزاله الأخير بالمعره. و من ذلك قصيدته فى رثاء أبى أحمد الطاهر و والد الشريفين الرضى و المرتضى، فقد توفى هذا عام ٤٠٣ هـ، و معلوم أن المعرى بدأ عزلته بالمعره عام ٤٠٠ هـ، فكيف تكون هذه القصيده - و هى من شعر "سقط الزند" - مما قاله الشاعر فى صباه؟. و منظر

ص: ٣٩

١- "أبو العلاء المعرى" - تيمور ص ٩٢.

٢- ذيم: أى لحقه الدم.

٣- ربان الحدائه: أول الشباب.

٤- الصغو: الميل إلى الشىء.

٥- السقب: الذكر من ولد الناقه. و الغرس: جلده رقيقه توضع على الولد ساعه يولد.

٦- الرأل: ولد النعام، و الأثنى رأل، و الجمع رئال و رئلان. التريكة: البيضه حين يخرج منها الفرخ و يتركها.

٧- التشاف، كالاتشاف: أن يشرب جميع ما فى الإناء. و معنى الجملة: أنه يمكن أن يرتوى المرء من شرب القليل دون شرب ما فى الإناء كله، أى قد يغنيك القليل الجيد من الشعر عن الكثير الردىء منه، ثم ضرب مثالين على ذلك من أن الواحده من الثمر تدلك على جنى الشجره و أن النفحه من الرائحه تدلك على خزامى الأرض، أى نباته العطر

ذلك قصائد بعث بها من المعره إلى صديقه القاضى أبى القاسم التنوخى، فى بغداد، و فى هذه القصائد أغراض مختلفه أظهرها الحنين إلى أيامه التى قضاها فى بغداد خلال رحلته الشهيره إليها، و هى الرحله التى اتخذ بعدها منزله بالمعره " محبسا " ثانيا له، و من قصائده إلى القاضى التنوخى هذا، القصيده التائيه التى مطلعها:

هات الحديث عن " الزوراء " أو " هيتا " و موقد النار لا تكرى " بتكريتا "

(١) و فى هذه القصيده يصف حنينه إلى العراق و يذكر سبب عودته من بغداد إلى المعره مرغما، فى حين كان يرجو أن لا يفارقها: و لا- مدحت طالبا للثواب، و إنما كان ذلك على معنى الرياضه و امتحان السوس، (٢) فالحمد لله الذى ستر بعفه [بعفه] (٣) من قوام العيش و رزق شعبه من القناعه أوفت (٤) على جزيلى الوفير. و ما أوجد لى من غلو علق فى الظاهر بادمى، و كان مما يحتمله صفات الله عز و جل، فهو مصروف إليه. و ما صلح لمخلوق سلف من قبل، أو غير، أو لم يخلق بعد، فإنه ملحق به. و ما كان محضا من المين (٥) لا جهه له فاستقيل (٦) الله العثره فيه و الشعر للخلد مثل الصوره لليد (٧): يمثل الصانع ما لا حقيقه له، و يقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره، و مطلق فى حكم النظم دعوى الجبان أنه شجاع، و لبس العزهاه ثياب الزير (٨) و تحلى العاجز بحليه الشهم الزميع (٩) و الجيد من قيل الرجال - و إن قل - يغلب على رديئه و إن كثر، ما لم يكن الشعر له صناعه، و لفكره مرنا و عاده. و فى هذه الكلمات جمل يدلن على الغرض، و الله تعالى أستغفر، و إياه أسال التوفيق "

لهذا النص يمليه أبو العلاء نفسه فى مقدمه " سقط الزند " قيمه ذات شان كبير، فهو يلقى ضوءا غامرا على كثير من القضايا التى يختصم الباحثون فيها منذ زمن بشأن أبى العلاء، فى شعره و فلسفته و معتقده الدينى. و إنه لمؤكد أن صاحب " سقط الزند " قد أملى هذا النص أثناء اعتزاله الأخير فى منزله بالمعره بعد الأربعين من عمره، و ذلك هو العهد الذى أنشا فيه خيره أعماله الفكرية و الأدبيه، و أملى فيه " اللزوميات " ذاتها، و هى التى يشتد فيها الجدل بين المفكرين و الباحثين، من حيث أنها تحتوى معظم آرائه فى الكون و الحياه و الناس و المعتقدات.

فنحن نرى فى هذه المقدمه الصريحه أن الرجل يبرئ نفسه من تهمة الزندقه و يصرف ظواهر شعره إلى مقاصد لا تنافى الاعتقاد بالله، ثم يستغفر الله مما قد لا يكون فيه مجال للتأويل. على أننا ننظر فى " سقط الزند " فنرى فيه شعرا كثيرا يدل على الايمان و التدين من مثل قوله فى رثاء أبيه:

جهلنا فلم نعلم على الحرص، ما الذى يراد بنا، و العلم لله ذى المن

و قوله فى قصيده يحن فيها إلى وطنه و هو فى بغداد:

فيا وطنى، إن فاتنى بك سابق من الدهر فلينع لساكنتك البال

فان أستطع فى الحشر آتيك زائرا و هيهات لى يوم القيامه إشغال

و ليس هذا الأمر موضوع بحثنا و إلا- لأتينا من " سقط الزند " بشواهد كثيره على ذلك. و إنما الغرض هنا أن نقف قليلا عند ذلك النص الذى نقلناه من إملاء أبى العلاء، فنرى إليه و هو يقدم لديوانه بهذا الكلام الذى يشبه من بعض وجوهه، روايه

التبريزى عنه بأنه كان يرى فى "سقط الزند" أنه من شعر الحدائنه، و لكن هذا لم يمنعه أن يهتم بامر هذا الديوان، و أن يقدم له، و أن يرويه لتلاميذه و يجيز روايتهم إياه و يتدارسه معهم فى حلقات دروسه.

و ثمة ناحيه أخرى ذات شان فى هذا النص، و هى اعتذار أبى العلاء عما ورد فى "سقط الزند" من مدائح ربما توهم أن الرجل كان كغيره من شعراء لك [تلك] العصور يقف بشعره على أبواب الحكام و ذوى الجاه، إما زلفى و رياء و تمليقا، و إما استجداء للعطايا و الهبات، فى حين نعلم من أخباره أنه تفرد فى شعراء تلك العصور بميزه الترفع بنفسه و خلقه و أدبه عن كل ما هو من قبيل الزلفى و الملق و الرياء، و الاستجداء، بل نعلم من أخباره المستفيضه أنه لقى فى كثير من الحالات أزمه الحاجه و الإعواز، و إنه - إلى ذلك - قد أتيح له مرارا أن يملأ كفيه بالمال و أن يملأ حياته بالرفاهه، غير أنه رفض كل ذاك رغم إقلاله و حرمانه.

و ها هو ذا، فى مقدمه "سقط الزند"، كما رأينا. يرفع ذلك التوهم بنفسه، و يكشف عن حقيقه تلك المدائح فى هذا الديوان، بقوله: "...

و لم أطرق مسامع

أثارنى عنكم أمران: والدهلم ألقها، و ثراء عاد مسفوتا(١٠)

أحياهما الله عصر البين ثم قضيقبل الإياب إلى الذخرين: أن مونا(١١)

لولا رجاء لقائها لما تبتعنسى دليلا كسر الغمد أصليتا(١٢)

و لأصحبت ذئاب الأنس طاويهترقب الجدى فى الخضراء مسبوتا(١٣)

سقيا لدجله، و الدنيا مفرقهحتى يعود اجتماع النجم تشتيتا

و بعدها لا أريد الشرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا

(١٤) و مما بعث به من المعره إلى بغداد بعد رحلته تلك، قصيدته إلى أبى احمد عبد السلام بن الحسن البصرى الذى كان يكثر الإقامه عنده فى بغداد، و هى من شعر "سقط الزند"، و مطلعها:).

ص: ٤٠

١- الزوراء: اسم لبغداد، و هيت و تكريت: بلدتان فى العراق

٢- السوس: الطيبه.

٣- الغفه (بضم الغين): البلغه من العيش.

٤- أوفت: زادت.

٥- المين (بفتح الميم و سكون الياء) الكذب. لا جهه له: أى لا وجه لتأويله.

٦- استقال العثره: طلب إقالتها و المغفره منها.

٧- يقصد أبو العلاء هنا "أن اليد ربما تنقش نقوشا و تخط أشياء أو تمثل تماثيل من الشمع و الطين يفقد مثلها فى الأعيان الموجوده المألوفه، اتفاقا من غير قصد، لتحقيق صوره ما، و المعنى: أنه لا- ينبغى أن تناقش الشعراء فى بعض ما أغربوا به من القول، بل اللائق بمذهبهم المسامحه" (شرح التنوير على سقط الزند - ج ١ ص ١٣).

٨- العزهاه: الرجل الذى لا يحب النساء، و الزير ضده.

٩- الشهم: الحديد الفؤاد و الزميع: النشيط المقدام. و معنى الجمل الثلاث الأخيره أنه لا- إنكار على الشعراء فى أن ينسبوا لأنفسهم ما ليس فيهم، فقد يدعى الجبان الشجاعه، و يدعى الكاره للنساء أنه زير نساء، و يدعى العاجز أنه قوى الجبان نشيط مقدام.

١٠- الثراء: المال. المسفوت: القليل البركه.

١١- يشير إلى أن والدته و بقيه مال له قد خسرهما. قبل وصوله إلى المعره.

١٢- يقصد لقاء أمه. (٢٦) [سيف أصليت: صقيل ماض. العنس: الإبل.

١٣- يقصد بذئاب الأنس: اللصوص و الخضراء: السماء. و الجدى: من بروج السماء. مسبوتا: من السبات، أى النعاس.

١٤- أى بعد مفارقتى دجله عزمت على أن لا أشرب الماء من نهر، وفاء بعهد دجله، حتى كأنى من أصحاب طالوت.. و يشير بذلك إلى الآيه الكريمة: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي). (سوره البقره).

تحية كسرى فى الثناء و تبع لربعك، لا أرضى تحية أربع

و فيها يقول:

ألم يأتكم أنى تفردت بعدكم عن الأئس، من يشرب من العد ينقع (١)

نعم، حبذا قيظ العراق، و إن غدا يبث جمارا فى مقيل و مضجع

و فى "سقط الزند" - فضلا عن ذلك - قصائد كثيره مما قاله و هو فى بغداد، و معلوم أن رحلته إليها كانت فى ما بين عامى ٣٩٨-٣٩٩ هـ، أى حين كان قد جاوز الخامسة و الثلاثين، فأين هو فى هذه السن من زمن الصبا؟..

يضاف إلى ذلك كله أن جملة من قصائده السائره فى الناس منذ أجيال، و المعروفه أنها من ذروات الشعر العلائى، هى من قصائد "سقط الزند"، و هذه يبدو عليها طابع النضج الفكرى و الشعرى الذى عرف به أدينا العربى العظيم. و من ذلك قصيدته المشهوره فى رثاء الفقيه الحنفى أبى الخطاب محمد بن على بن محمد بن إبراهيم الجبلى (٢) الذى توفى سنه ٤٣٩ هـ كما ذكر ياقوت فى "معجم البلدان". و هى القصيده التى مطلعها:

غير مجد فى ملتى و اعتقادى نوح باك، و لا ترنم شاد

ففى "سقط الزند" إذن من شعر أبى العلاء ما قاله و هو فى السادسة و السبعين، فأين هذه السن من زمن الصبا؟..

يثبت من هذا كله أن الفكره الثابته فى الأذهان، بان "سقط الزند" هو شعر أبى العلاء فى صباه، ليست منطبقه على الواقع. و أعنى بالتحديد: واقع هذا الديوان بصورته التى وصلت إلينا، و التى يحكم عليها الباحثون المعاصرون أيضا أنها من شعر أبى العلاء فى صباه. و يبدو لى من مطالعه أخبار أبى العلاء فى مختلف المراجع التى استطعت الوصول إليها، أن "سقط الزند" الذى بين أيدينا الآن، بطبعته: المصرى، و اللبنانى، لا يختلف كثيرا عنه كما عرفته الأجيال المقاربه لعهد المعرى. يدلنا على ذلك - كما ذكرت آنفا - أن صاحب "شرح التنوير" قد أورد جميع القصائد التى أشرت إليها منذ قليل، و منها قصيده:

"غير مجد فى ملتى و اعتقادى"

.. فهل يكون ذكر هذه القصائد كلها فى "سقط الزند" من تحريف المؤرخين و الشارحين بهذا التواطؤ و التواتر؟. إنى أشك بذلك.

ترانى أصر على تحقيق هذه المسأله لغرض أريد أن أنتهى إليه، و هو غرض أدبى له شأنه الخطير فى رأى. و ذلك أن "سقط الزند" إذا اعتبرناه من شعر أبى العلاء فى مراحل صباه و فى شيبته و فى أوائل كهولته، كما هو الواقع الذى عرضنا أدلته فى هذا الفصل، فهو إذن يصح - كما قلت أول الأمر - أن تكون دراسته مدخلا لدراسه جديده لأبى العلاء. فان الذين بحثوا أمر هذا الأديب العربى العظيم، قصروا النظر فى بحثه - غالبا - على عدد من مؤلفاته، و لا سيما "اللزوميات" و "رساله الغفران"، و لم ينظروا إلى "سقط الزند" الذى يمثل أصالته الأديبيه بحقيقتها، و يمثل كذلك أهم أوجه حياته و شخصيته، و أعمق تجاربه

الوجدانيه و انفعالاته الشعريه.

الشيخ أحمد بن الشيخ حسين

من آل عصفور قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من فضلاء البحرين و هو مجاز عن أبيه عن صاحب الحدائق و له من الأولاد الشيخ محمد و كان فاضلا محققا معاصرا مع عمه العلامة الشيخ حسن المتقدم ذكره. و له من الأولاد الحاج شيخ إبراهيم و الشيخ أحمد و الشيخ على، أما الشيخ أحمد فقال صدر الدين الشيرازى فى تاريخ فارس عند ذكره: هذا الشيخ كان عالما عادلا زاهدا متبحرا، و قد مضى من عمره سبعون سنه ١٢١٩، و أما الشيخ إبراهيم فهو من زهاد هذا العصر، تصدر فى البصره للجمعه و الجماعة مده عشر سنين فتوفى سنه ١٢٩١، و له من الأولاد علامه العصر رئيس المذهب الملقب بإمام الجمعه، تصدر للافتاء فى حياه جدى العلامة الشيخ عبد على بن العلامة الشيخ خلف، و مجاز عنه و هو إلى الآن قائم بابعاء الفتوى، مع ما عليه من لباس التقوى، كان حليما كريما دامت أيام إفادته، و للشيخ أحمد من الأولاد الشيخ خلف و هو أيضا عالم فاضل و متبحر كامل أيدهم الله تعالى.

الشيخ أحمد الزاهد البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

إمام وقته فى العلوم العقليه، و أحد الأئمه فى العلوم الشرعيه، صاحب المصنفات المشهوره و الفضائل الغزيره المذكوره.

ولد فى رمضان فى سنه خمس و أربعين بعد الألف، اشتغل أولا على عمه العلامة الشيخ كمال الدين البحرانى، ثم على بعض علماء الحلّه، و أتقن علوما كثيره، و برز فيها و تقدم و ساد، و قصده الطلبه من سائر البلاد، و إنما ذكرته فى حالات الشعراء لأنه ما صنف فى العلوم شيئا إلا كتابا فى المدائح و القصائد و المراثى. مات قدس سره سنه ١١١٢، و قبره فى بهبهان مشهور رحمه الله و بركاته عليه.

الشيخ أحمد بن الشيخ سلمان آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان من أعيان هذه الطائفه و هو مجاز عن عمه الشيخ عبد على بن العلامة الشيخ خلف العصفور، تصدر للافتاء بامر الشيخ فى البحرين، و لم أجد من تأليفه شيئا إلا رساله فى أدوات العموم و حاشيه مليحه على المطول.

مات قدس سره سنه ١٣٠٦.

الشيخ أحمد بن سليمان الخطى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من مشايخ الطريقة أخذ الأدب عن علامه زمانه الشيخ سليمان بن أبي ظبييه، و الفقه عن المحدث البارع الشيخ محمد الحر العاملي و له كتاب فى الحكمه، لم يعمل مثله، و رساله فى قوله تعالى: (ألم أعهد، إليكم يا بنى آدم..) و غير ذلك من الرسائل.

مات قدس سره سنه ١١١٠ العاشر و المائه بعد الألف.

الشيخ أحمد بن صالح البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

فقيه عصره و فريد دهره كان من المتورعين، و لم يتصدر للقضاء لزهده

ص: ٤١

١- الماء العذ: الدائم الذى لا تنقطع مادته. ينقع: يرتوى.

٢- نسبه إلى جبل (بفتح الجيم و تشديد ألباء مع ضم): بلده فى العراق بين واسط و النعمانية (أبو العلاء المعرى) لأحمد تيمور

باشا - ص ٩٥.

و ورعه، و هو يروى عن جماعه من المجتهدين، و له تصانيف رائعه منها:

الصحيحه الرضويه و منها: كتاب الحج و غير ذلك، مات قدس سره فى السنه الخامسه بعد الثلاثمائه و الألف رحمه الله عليه.

السيد أحمد بن السيد عبد الرؤف البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط، و لم يذكر لا تاريخ مولده و لا تاريخ وفاته:

كان من بلغاء عصره و فصحاء مصره، أديبا شاعرا له حاشيه على الفيه ابن مالك، و شرح على ديوان المتنبى، و له قصائد بديعه و من قصائده:

عيون المنايا للأمانى حواجب و دون المنى سهم المنيه صائب

و كل امرئ ييكى سيبكى و هكذا صبابه ماء نحن و الدهر شارب

فكم من لبيب غر منه بموعده فصدقه فى قوله و هو كاذب

هو الدهر طورا للنفائس واهب إليك و طورا للنفسيه ناهب

إلى أن قال:

إليكم و لاه الأمر خير قصيده يهذبها رأى من الفكر صائب

عروس و لكن ليس تجلى لغيركم عليها من الصدر البديع عصائب

إلى أن قال:

فأنتم عصا موسى لا حمد فيكم سليل الفتى عبد الرؤف مارب

السيد أحمد الزنجى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من قريه الزنج إحدى قرى البحرين، كان أديبا شاعرا عارفا بالطب، و له كتاب فى الأنساب، و كتاب فى الأذكار، و كتاب قصائد، و من قصائده:

منازلهم بالخيف من بعدهم قفر ناى ساكنوها ثم غيرها الدهر

وقفت على أرجائها فوجدتها بسكب الحيا خضرا و لكنها صفر

معاهدها سود خلاف معاشر قلوبهم بيض و أسيافهم حمر

مات قدس سره سنه ١١٨٢.

الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن حسن البلادي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من المحققين المبرزين، قال جدى العلامة فى اللؤلؤة: و كان مع ما هو عليه من الفضل فى غاية الإنصاف، و حسن الأوصاف، و الورع، و التقوى، و المسكنه، لم أر مثله من العلماء فى ذلك الوقت. و كانت وفاته يوم الاثنين رابع عشر رمضان للسنة السابعه و الثلاثين بعد المائة و الألف، و قد حضرت درسه و قابلت فى كتاب شرح اللمعه عنده، و الشيخ عبد الله بن الشيخ على بن أحمد البلادى الآتى ذكره. و إلى هؤلاء انتهت رئاسه البلاد بعده كل فى وقته، و كان أشهر هؤلاء والدى و المحدث الصالح المذكور، و قد رأيت الشيخ المذكور و أنا ابن عشر سنين يومئذ تقريبا، و قد كان والدى نزل فى قريه البلاد بتكليف والده، لملازمه التحصيل عند الشيخ المبرور، و كان يدرس يوم الجمعة بعد الصلاه فى الصحيفه الكامله إلى أن قال: و له قدس سره جملة من المصنفات، إلا أن أكثرها رسائل منها ما تم و منها ما لم يتم. (١)

الشيخ أحمد بن محمد العقيرى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من الأدباء، ديوانه معروف بين أرباب المراثى و من قصائده:

خليلى غاب النجم و اتضح الفجر أ مالك بالأحباب مذ رحلوا خبر

الا فاسال الركب اليمانين وقفه على عتبات الكرخ أن عارض الجسر

و إن جزت بالنعمان أنعمه برهه تحيه مشتاق يروعه الهجر

و أن زمت الركبان عيس النوى بهم يجل على الخطب بل يعظم الأمر

إلى أن قال:

ترقوا إلى أوج المعالى فأصبحوا على العرش أشباحا لها ظهر السر

فبعدهم الدنيا على الناس أظلمت و ضاق الفضا حتى كان الفضا شبر

لهم وقعه لو أن معشار عشرها ألم بقلب الصخر لا نصدع الصخر

إلى أن قال:

فتى حيدر يا منتهى غايه الورى و يا من إليه يرجع الخلق و الأمر

فكن للبيد القن أحمد شافعا متى كان لا زيد بمغن و لا عمرو

و له قصائد بديعه و لم يحضرنى تاريخ وفاته قدس الله سره.

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف البحرانى.

مرت ترجمته فى المجلد الثالث و نأخذ هنا عن تاريخ البحرين المخطوط:

الخطى أصلا، و البحرانى المقابى منشا و محصلا، و كان هذا الشيخ علامه فهامه، زاهدا عابدا ورعا كريما، و تصانيفه التى وقفت عليها دليل بعلو كعبه فى المعقول، و المنقول، و الفروع، و الأصول، و دقه النظر، و حده الخواطر، مع مزيد البلاغه و الفصاحه فى التعبير و التحبير و التحرير، و عندى أنه أفضل علماء بلادنا البحرين ممن عاصره و تأخر عنه بل و غيرهم.

و قد ذكر بعض تلامذته فى رساله له: أتى فى سفره إلى أصبهان و كان المولى الفاضل محمد باقر الخراسانى صاحب الكفايه و الذخيره يخلو معه فى الأسبوع يومين للمذاكره معه و الاستفادة منه.

و قد أجازته شيخنا المجلسى فقال فى إجازته له:

(إنه كان من غرائب الزمان، و غلط الدهر الخوان، و من فضل الله على و نعمه البالغه لدى اتفاق صحبه المولى الأولى الفاضل، الكامل، البارع، التقى، الزكى، جامع فنون الفضائل و الكمالات، حائز قصب السبق فى مضامير السعادات ذى الأخلاق الرضيه، و الأعراف الطيبه البهيه، علم التحقيق، و طود التدقيق، العالم التحرير [التحرير]، و الفائق فى التحرير و التقرير، كشاف دقائق المعانى الشيخ أحمد البحرانى دام الله تعالى أيامه و قرن بالسعود شهوره و أعوامه، فوجدته بحرا زاخرا فى العلم لا يساحل.. إلى آخر الإجازة، و شعره قدس سره فى غايه الجوده و الجزاله و من مصنفاته كتاب:

رياض الدلائل، و حياض المسائل، لم توجد منه إلا قطعه من الطهاره، و رساله فى وجوب الجمع عينا، ردا على رساله الشيخ سليمان بن على الشاخورى، كما تقدمت الإشارة إليه، و رساله فى استقلال الأب بولايه البكر البالغه الرشيد، و رساله فى المنطق سماها المشكاه المضيئه، و رساله سماها، الرموز الخفيه فى المسائل المنطقيه، و رساله صغيره فى مسأله البداء.

توفى قدس سره بالطاعون مع إخوته و دفنوا فى جوار

ص: ٤٢

الكاظمين (ع) في السنه الثانيه بعد المائه و الألف و توفي أبوهم سنه ١١٠٣ في قريه مقابا مسكنه و هو قدس سره يروى عن جملته من المشايخ، منهم شيخنا المجلسى، و قد تقدمت الإشاره إليه فى إجازته له، و منهم والده الفقيه الشيخ محمد بن يوسف عن الشيخ على بن سليمان القدمى البحرانى المتقدم ذكره.

الشيخ أحمد بن الفلاح القطيفى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ذكره الشيخ أحمد الأحسائى فى شرح تبصره علامه فى الفقه فى مسأله الجمعه ما لفظه:

(و ممن ادعى الإجماع على الوجوب العينى الفاضل المتبحر الشيخ أحمد بن الفلاح القطيفى و هو منه عجيب).

و توفي فى سنه ١١٨٨.

الشيخ أحمد بن محمد بن آل عصفور البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من أكابر هذه الطائفة أديب، بديع البيان، و نجيب مؤسس البنيان، بيته أحد بيوت العلم باوال و إلى حرم فضله تشد الرحال، مات قدس سره سنه ١٢٣٠، و له من الأولاد الشيخ محمد و هو من أعيان هذه الطريقه - كما ستعلم - و للشيخ أحمد مجموعات المسائل، و رساله فى معنى الكتب، و رساله فى المراثى، و رساله فى وجوب غسل الجمعه، و رساله فى مجازاه الكتاب، و رساله فى المتعه، و رساله فى أدعيه قنوت النوافل، و كتاب مجلاه الالتباس من حديث (إن من أشد الناس) و حاشيه على الكفايه و هى من أعظم تأليفاته و هو مجاز عن أخيه الشيخ حسين. و الشيخ كثيرا ما يعتمد على منقولاته قدس سرهم.

الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد الشائب العمرانى الأحسائى.

ولد فى قريه (العمران الجنوبيه) إحدى قرى مدينه الأحساء عام ١٢٦٣ و توفي فيها سنه ١٣٣٣.

سافر إلى النجف للدراسه، و كان عمره آنذاك ثلاثين سنه. فمكث هناك ثلاث عشره سنه، عاد بعدها إلى بلده الأحساء. و قد امتهن الخطابه الحسينيه، فقرأ فى كل من الأحساء، و البحرين، و مسقط، و الكويت.

و كان بالاضافه إلى خطابته يقوم بالأموال الحسينيه فى بلده.

كان خطيبا بارزا، أديبا شاعرا، ينظم الشعر فى أكثر من مناسبه إلا أن أكثر شعره ضاع مع ما ضاع من شعر (الإحساء)، و لم يعثر منه إلا على النزر اليسير، منه قوله فى رثاء الحسين (ع):

عش ما بدا لك فى سرور فى ظل شاهقه القصور

لا بد تعلم موقنا أن لست إلا في غرور

فاعمل لنفسك إنما حظ المقصر في قصور

فعساك تحظى بالرضا و الفوز في يوم النشور

و الزم محبه من بهم يرجى الخلاص من السعير

أبناء فاطمه البتول و عتره الهادي البشير

أهل الرئاسة و العلى و الفخر و الشرف الخطير

تحیی بذكرهم القلوب و ينجى غسق الصدور

جار الزمان عليهم و رمتهم أيدي الشرور

لا تنس وقعه كربلاء من ذلك الخطب الكبير

حيث الحسين لقي بها عار على تلك الوعور

مترملا بدمائه متوسدا حر الصخور

متدثرا سلب القنا متكفنا نسبح الدبور

و بنو أبيه و صحبه من حوله مثل البدور

أكفانهم سافي الرياح و غسلهم فيض النحور

هذا و أعظم حادث و أجل رزء في الدهور

لما بنات محمد أبرزن من بين الخدور

و العابد السجاد مغلول اليدين على بعير

أضحى أسيرا بينهم وا لهفتاه على الأسير

يا آل طه أنتم غوث الصريخ المستجير

فكوا وثاقى سادتى في يوم حشرى و النشور

ما لى سواكم عاصم فى ذلك اليوم العسير

و إلكم من (أحمد) غررا تفوق على النظر

و عليكم صلى الإله لى الرواح و فى البكور

(١)

أحمد بن يوسف المصرى.

كتبها السيد صالح الشهرستانى بعنوان (أقدم كتاب خطى بالخط العربى) و ذلك سنة ١٣٥٣، و نحن نأخذها هذا العام: عام ١٤٠٨. و المكتبة التى يتحدث عنها الكاتب أوصى صاحبها الحاج ملك أن تضم بعد وفاته لمكتبة الامام الرضا (ع)، و قد تم ذلك، كما أن السيد صالح نفسه كان قد أوصى أن تضم مكتبته - و كانت من كبريات مكتبات طهران - إلى مكتبة الحاج ملك المضمومه إلى مكتبة الرضا (ع).

رحم الله الاثنين و خلد ذكرهما و أثابهما الجنة.

تضم مدن إيران و قراها بين جدران أبنيتها و عماراتها مكتبات قديمه، تحتوى على أنفس الكتب الخطيه الإسلاميه منذ صدر الإسلام. تلك المكتبات التى لم تتمكن أيدى الغربيين لا سيما المستشرقين منهم من التقرب إلى انتشارها [انتشارها] أو نقلها إلى الغرب.

ليست هذه المكتبات - سواء كانت عامه أو خاصه - منحصره بمدينه من مدن إيران، فإنها منتشرة فى أكثرها لا سيما فى طهران، و أصفهان، و مشهد، و همذان، و شیراز، و تبريز، و کرمانشاه، و قم و زنجان و غيرها. كما لم تكن كلها عامه موضوعه تحت تناول عموم الناس و القراء كمكتبة البرلمان الايرانى بطهران و مكتبته وزاره المعارف بطهران أيضا، و مكتبته الامام على بن موسى الرضا (ع) بمشهد. و إنما الأغلب منها شخصيه تتعلق بعلماء و أعيان و وزراء، كمكتبة الحاج ملك التجار فى طهران و مشهد، التى هى الآن موضوع بحثنا، و مكتبته الميرزا محمد على خان تربيت فى تبريز، و مكتبته الميرزا أبو عبد الله الزنجانى فى زنجان، و مكتبته إمام الجمعته فى کرمانشاه التى احترقت و مكتبته الميرزا محمد هاشم ميرزا أفسر، و مكتبته السيد نصر الله

ص: ٤٣

١- الشيخ جعفر الهلالى من كتابه المعد للطبع (معجم شعراء الحسين).

الحائري، و مكتبه الحاج محتشم السلطنة، و غيرها من المكتبات الخاصة الكثيره فى سائر مدن، إيران.

و فى مقدمه هذه المكتبات، من عامه أو خاصه، فى عموم إيران مكتبه الحاج حسين آقا ملك التجار، تلك المكتبه التى تعد أكبر مكتبه على الإطلاق فى إيران. و كان الحاج ملك المشار إليه قد شغف بجمع الكتب العربيه و الفارسيه من خطيه و مطبوعه، و بعض الكتب الأوروبية المهمه. بيد أن المومى إليه غرم بوجه خاص فى اقتناء و جمع الكتب الخطيه النادره التى تؤلف النصف من مكتبته، و يقدر مجموع كتبها بست و أربعين ألف مجلد، هى من أنفس و أثنى الكتب و المصاحف، التى تعد فيها بالف و مائتى مصحف بخطوط مشاهير الكتاب و مذهبه تذهيبا بديعا جدا.

و لقد انفردت هذه المكتبه الخاصه بكثير من النسخ الخطيه، و النفائس البديعه التى لا وجود لها فى جميع أنحاء العالم، علاوه على ما تحويه من خطوط كثير من المؤلفين القدماء المعروفين.

و من أهم الكتب التى تحويها هذه المكتبه كتاب شرح الثمره، الذى كتب عام ٣٧١ هـ و الذى هو موضوع بحثنا فى مقالنا هذا، و كتاب (عين اللغه) للخليل بن أحمد كتب عام ١٠٩١ هـ، و نسخه نادره من القرآن بخط الامام الحسن بن على بن أبى طالب (ع)، و كتاب (رياض العلماء) النادر الوجود جدا، و كتاب (منطق الشفاء) لابن سينا و هو نسخه نادره كامله، و المجلد الأول من كتاب (أمل الآمل) فى أحوال علماء جبل عامل بخط الحر العاملى تاريخه ١٠٩٧ هـ، و كتاب (رياض الجنه) فى تراجم العلماء و أظن أن نسخ هذا الكتاب منحصره بهذه النسخه فقط، و مؤلفه السيد حسن الزوزى من كبار علماء القرن الثالث عشر الهجرى، و كتاب (تقويم التواريخ) باللغه التركيه لمؤلفه الحاج خليفه مؤلف (كشف الظنون)، و كتاب (روضات الجنات) فى أوصاف مدينه هرات، و مجلد واحد من تاريخ أبى الفداء الذى ينتهى بحوادثه فى سنه ٧٢٠ هـ و قد كتبت فى عصر المؤلف المذكور. و ديوان الحر العاملى بخط الناظم و كتاب (حدائق السحر فى دقائق الشعر) لمؤلفه رشيد الدين محمد العمر الكاتب البلخى تاريخ ٧٣٨ هـ، و كتاب الدرر الفاخره فى الأمثال السائره تأليف حمزه الأصفهاني، و المجلد الثالث من (وسائل الشيعه) بخط المؤلف الحر العاملى، و كتاب الوجيز فى الفقه للغزالي مكتوب عام ٥٨٤ هـ، إلى غيرها من الكتب النادره النفيسه، أما كتاب (شرح الثمره) فهو أقدم نسخه خطيه بالخط العربى فى هذه المكتبه بل و فى مكتبات العالم أجمع. (١)

الثمره فى أحكام النجوم: أحد تأليف الحكيم اليونانى بطليموس. ذلك التأليف الذى وضعه لتلميذه (سورس). و الاسم اليونانى الأصلى لهذا [لهذا] الكتاب (انطرومطا) أى مائه كلمه، و قد ترجم إلى اللغه العربيه فى صدر الإسلام و وضع عليه اسم (الثمره). إذ أنه جاء بخلاصه و ثمره أربعة كتب ألفها الحكيم المذكور لتلميذه المومى إليه كما يظهر ذلك من مقدمه هذا الشرح الذى نحن بصدد الآين و هى: -. (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله حمد الشاكرين، و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين. (٢) و بعد فهذا كتاب ثمره بطليموس الحكيم من تمام الكتب الأربعة التى ألفها فى الأحكام لسورس تلميذه. قال بطليموس قد قدمنا لك يا سورس كتبا فيم يؤثر الكواكب فى عالم التركيب كثير المنفعه فى تقدمه المعرفه. و هذا الكتاب ما اشتملت عليه تلك الكتب و ما خلص عن تجربته منها و ليس يصل إلى معرفته من لم يعنى النظر فيما قدمناه (٣) قبله و فى علوم آخر من علوم الرياضه فكن به سعيدا).

و لقد شرح هذا التعريب جماعه كبيره من الشراح و المفسرين منهم أحمد بن يوسف المصرى المهندس كاتب آل طولون بمصر (٤) و هو يعد من أقدم الشروح لهذا الكتاب، و ذكره كثير من المؤرخين كابن النديم و ابن القفطى و غيرهما، كما نقل

عنه كثيرا (أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود المتوفى عام ٣١٧) فى كتابه المسمى بالتسيرات.

يرتقى تاريخ هذه النسخة إلى سنة ٣٧١ هجرية. إذ جاء فى آخر صفحة من الكتاب ما صورته (تم كتاب بطليموس المسمى الثمره و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على خير خلقه محمد المصطفى و آله الأكرمين (٥) كتبه الحسين بن عبد الرحمن بن عمر الصوفى بالرى فى دار ابن الأقال (٦) و فرغ منه للنصف من شعبان لسنة إحدى و سبعين و ثلاثمائة). فيكون قد مر على هذه النسخة ١٠٣٨ (ألف و ثمان و ثلاثين) سنة تقريبا (فى هذا العام:

عام ١٤٠٨).

أما كاتب النسخة أعنى (الحسين بن عبد الرحمن) فهو ولد عبد الرحمن بن.

ص: ٤٤

١- أتذكر أننى قرأت منذ عدة سنوات فى بعض مجلدات المقتطف المصرىه الغراء بان أقدم كتاب خطى بالخط العربى أى خط النسخ المتداول الآن لم يتجاوز تاريخ سنة ٤٠٠ هجرية، و أنه لو وجدت نسخه تاريخها أقدم من هذا التاريخ فهى لا تثمن بثمان
٢- يظهر من كلمتى (و آله الطاهرين) أن الشارح المذكور أحمد بن يوسف المصرى كان من الشيعة.
٣- جاء فى الصفحة ٦٩ من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء لمؤلفه الوزير جمال الدين أبى الحسن على ابن القاضى الأشرف يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ (طبعه مصر) عند ترجمه بطليموس القلوذى ما نصه: - (و مما اشتهر من كتاب بطليموس و خرج إلى العربيه كتاب كتبه إلى سورش تلميذه نقله إبراهيم بن الصلت و أصلحه حنين بن إسحاق، و فسر مقاله الأولى أنطرقوس و جمع مقاله الأولى ثابت، و أخرج معانيها و فسره أيضا عمر بن الفرخان و إبراهيم بن الصلت و التبريزى و البتانى) ١٠٥٠ و لقد وردت عين هذه العبارات فى ص ٣٧٤-٣٧٥ - من فهرست ابن النديم طبعه مصر. و قد ذكر صاحب (كشف الظنون) فى الجزء الأول ص ٣٥٦-٣٥٧ فى باب الثاء ما نصه (الثمره: فى أحكام النجوم لبطليموس القلوذى الحكيم الفلكى و اسمها بالروميه (انظرومطا) أى مائه كلمه. و هى تمام الكتب الأربعة التى ألفها لسورش تلميذه يعنى ثمره تلك الكتب. و لها شروح منها: شرح أبى يوسف الأقليدسى و شرح أبى محمد الشيبانى، و شرح أبى سعيد الشمالى، و شرح ابن الطيب الجائليقى السرخسى، و شرح بعض المنجمين أوله: أحمد الله حمدا لا يبلغ الأفكار حده إلخ ذكر أنه أخذه من الأمير أبى شجاع رستم بن المرزبان سنة ٤٨٥ و جمع فيه بين هذه الشروح المذكوره. و منها شرح العلامة نصير الدين محمد بن محمد - الطوسى المتوفى سنة ٦٧٣، و هو شرح مفيد بالفارسيه ألفه لصاحب ديوان محمد بن شمس الدين) ١٠٥٠. و لقد رأيت هذا الشرح الأخير بالفارسيه فى مكتبة البرلمان الايرانى و هو فى رساله متوسطه القطع، عدد أوراقها ٤٨ ورقه. و هذه النسخة بلا تاريخ غير أنه يظهر من خطها و قرطاسها أنها من مخطوطات القرن الحادى عشر الهجرى. و رقمها الخصوصى فى المكتبه ١٦٩ أما رقمها العمومى فهو (٩٠٨٤).

٤- جاء فى أخبار الحكماء لابن القفطى المذكور ص ٥٦ طبعه مصر ما نصه (أحمد بن يوسف المنجم: رجل مشهور بالعلم فى هذا الشأن. فمن تصانيفه كتاب النسبه و التناسب، و له فى أحكام النجوم كتاب شرح الثمره لبطليموس) ١٠٥٠. و ذكر ابن النديم فى فهرسه ص ٣٧٥ طبعه مصر ضمن ترجمه بطليموس و ذكر تأليفه ما عبارته: (... كتاب الثمره فسره أحمد بن يوسف المصرى

المهندس) إلخ.

٥- يظهر من كلمتي (آله الأكرمين) أن كاتب هذه النسخة الحسين المذكور كان من الشيعة.

٦- أو (دارأت الأقوال) فان الكلمتين غير واضحتين لا سيما و أنهما غير منفصلتين.

عمر الصوفى الرازى المتوفى سنة ٣٧٦ هـ. (١) و كان الحسين المذكور يكنى بأبى على (٢) كما يظهر ذلك من مقدمه نظمه كتاب أبيه المسمى (صور الكواكب) على طريقه الأرجوزه التى يتدى بها بقوله: -

(هذا مثال لأبى علينجل أبى حسين الصوفى)

(فى صنعه النجوم و الأفلاكأنشاه لملك الأملاك)

و ملك الأملاك الوارد هنا فى الشعر هو الملك السعيد عضد الدوله الديلمى الذى كان يلقب حينئذ بهذا اللقب الذى يحتمل أنه معرب من الكلمه الفارسيه (شاهنشاہ) أى ملك الملوك.

هذا وصف موجز لكاتب هذه النسخه. و أما النسخه نفسها فإنها تحتوى على ٥١ ورقه سميكه تميل بلونها إلى الصفرة بقطع ٢٠ سنتيمترا طولاً- و ١٥ سنتيمترا عرضاً. و النسخه كامله ما عدا الصفحه الأولى منها، التى يظهر أنها كانت مفقوده، فكتبها الشيخ لطف على بن محمد كاظم التبريزى (٣) عام ١٣٠٨ بطهران مالك هذه النسخه قبل أن تصل إلى مكتبه الحاج ملك التجار.

أما خط هذه النسخه فقد كتب بحبرين أحمر و أسود، إذ الكلمه الأصلية (أى تعريب كلمه بطليموس) كتبت بالأحمر تحت عنوان (كلمه) و الشرح كتب بالحبر الأسود تحت عنوان (التفسير). و لم تعد الكلمات المذكوره باعداد الحروف الهنديه كالعاده الجاريه الآن، و إنما عدت بواسطه حروف أبجد.

و الظاهر على الخط بأنه أقرب خط للكوفى. إذ أن فيه كثيرا من قواعد الخط الكوفى كالكاف الكوفيه الطويله فى حاله الانفراد، و كذا الطاء، و لا، و عدم التنقيط و ارتفاع رأس الجيم و أخواتها و غير ذلك من مميزات و مختصات الخط الكوفى و قواعد.

هذا و من المتيقن أن كاتب هذه النسخه أبو على الحسين جد كثيرا فى تحسين كتابتها. إذ يظهر أنه قد بذل غاية جهده فى عدم استعمال القواعد الكوفيه مهما أمكنه. فاخرج كتابه الكتاب بالشكل الذى نراه الآن.

و مما يؤيد كون خط هذه النسخه أقرب خط إلى الكوفى، هو اختراع الخط المتداول الآن من قبل الوزير أبى على محمد بن على بن الحسين بن مقله المتوفى عام ٣٢٨ هـ. و قد اخترع هذا الخط حوالى السنوات ٣١٥-٣٢٠ و كان قد نقله من الخطين الكوفى و النسخ اللذين كانا متداولين فى صدر الإسلام بعد أن أدخل عليهما تحسين كبير. فتكون هذه النسخه قد كتبت بالخط العربى المتعارف الآن بعد اختراعه بمدته خمسين سنه تقريبا.

هذا و قبل أن نختم كلمتنا فى وصف هذا الكتاب نقل فيما يلى تفسير الكلمه الأخيره من كلمات بطليموس و هى كلمه (قب).

قال المفسر أحمد بن يوسف المصرى ما عبارته: (قد بنى أرسطوطاليس فى كتاب الآثار العلويه أن الأبخره الجافه إذا بلغت الأثير صارت شهباً و هى النيازك، فليس بمنكر أن يدل ظهورها على الجفاف فى البحار، و لأنه ذكر فى كتاب الآثار العلويه أيضا أن جوهر المريخ صار يابساً دلت (كذا) فى الجهه الواحده على ريح منها و فى تشييعها (كذا) فى كل الجهات على نقصان المياه، لأن اليبس إذا زاد فى الهواء نقصت المياه. و إنى لأذكر فى ليله من سنه تسعين و مائتين أن الشهب انتشرت و عمت الجو بأسره، فارتاع الناس لها و لم تنزل أكثر من أربع ساعات فلم يمض لذلك من السنه يسير حتى ظمى الناس، و بلغ نيل مصر ثلاث عشره

ذراعا، و نقص عن حاجه البلد أربع (كذا) أذرع، و ترعت (كذا) الأسعار، و اضطرب الناس اضطرابا شديدا، و زالت به دوله آل طولون. و أثرت سنه ثلاثمائة (٤) من كل جهه من جهات الجو، فنقص النيل و انفتح على مصر باب المغاربه لحماسه (كذا) و عبد الرحمن بعده، فعظمت به نكايه من معهما. فاما ذوات الذوائب فإنه طلع منها ذو الجمه فى وتد من أوتاد انتهاء القران الذى بدأت فيه دوله بنى العباس لها الله (كذا) فمات أبو أحمد الناصر رحمه الله. و طلع ذو الذوابه فى سنه اثنين و تسعين و مائتين و أقام إحدى عشره ليله، يسير فى كل ليله مسيرا محسوسا، فدخل ابن الجلنحى بعده بمدیده يسيره، و تسلط على مصر و نواحيها، و حدث بمصر جميع ما ذكره بطليموس.

فهذا ما حضرنى من تفسير كلمات هذا الكتاب، و أرجو أن يكون مطيفا (كذا) بمعانيه مستوفيا لشرحه، و الصواب أن تضعه فى مستحقه و تمنعه ممن لا يؤثر منه إلا الكثير بملكه، و ترى أن حصوله فى خزائنه معادل لثباته فى خلدته، فيستقل الارتياض به، و يعتمد فى إحرازه لمكانه من الناس على المهاتره، و لطيف التلييس، فان احتيازه محرم على أمثاله و مؤثم لموصله إليه، و أنا اسأل الله هدايتك و كفايتك و هو حسبى و نعم الوكيل) اه.

و قد نقلت فيما مضى عين عبارته كاتب هذه النسخه الحسين بن عبد الرحمن فلا حاجه لتكرارها هنا.

أحمد بن هبه الله بن الصاحب.

هو أبو منصور أحمد بن على بن هبه الله بن الصاحب الملقب بالريب، أخو

ص: ٤٥

١- و هو أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفى الرازى الذى عاش ٨٥ عاما. و كان من مشاهير الراصدين فى زمانه، قال عنه صاحب الأعلام فى المجلد الثانى: عالم بالفلك من أهل الرى اتصل بعضد الدوله فكان منجمه له (الكواكب الثابته - ط) بناه على كتاب المجسطى لبطليموس و لم يكتف بمتابعته بل رصد النجوم كلها نجما نجما و عين أماكنها و أقدارها. و له مطارح الشعاعات و أرجوزه فى الفلك) ١ ه. و ليست الأرجوزه التى ذكرها هنا صاحب الأعلام لأبى الحسين عبد الرحمن، و إنما هى لابنه الحسين أبى على كما هو فى المتن أعلاه. و فات صاحب الأعلام أن يذكر أيضا أن لأبى الحسين عبد الرحمن (صور الكواكب) الذى جاء ذكره فى كشف الظنون بما يلى: (صور الكواكب للشيخ أبى الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفى المدقق ألفه لعضد الدوله) ١ ه. و قد شاهدت فى بعض مكنتات طهران عده نسخ من هذا الكتاب و هى قديمه كتابه و صوراً.

٢- جاء فى كتاب (سر الأسرار) ما عبارته: (كان فى زمن الملك السعيد عضد الدوله نصر الله وجهه رجل عالم يعرف بأبى على الحسين الصوفى. و كانت له يد طويله فى صناعه النجومهيه و حسابا و أحكاما - و لم يكن من نقصان فى المعرفه و لا- من تقصير فى البضاعه) ١ ه.

٣- الشيخ لطف على بن محمد كاظم التبريزى المتوفى حوالى عام ١٣٥٠ هجرية كان من أجلاء علماء إيران و كان يعرف بصدر العلماء. و قد بحث حول هذه النسخه التى كان هو مالکها أبحاثا مستفيضه كتبها على بعض الأوراق البيضاء التى أرقفها بأول النسخه و آخرها. و مما كتبه باللغه الفارسيه ما مترجمه هنا (.. و أن هذه النسخه التى هى بخط الحسين أصح نسخه موجوده من هذا الكتاب النادر الوجود و يمضى من عمر هذه النسخه فى هذه السنه التى نحن فيها و هى سنه ١٣٠٨ تسعمائه و بضع سنين. و

لا توجد نسخه خطيه أقدم من هذه النسخه على الإطلاق. و حقا ينال الإنسان حفا وافرًا من مشاهدته لخط هذه النسخه الذي هو أقرب خط استخراج من الخط الكوفي.. إلخ.

٤- يظهر من هذه السنه أن شارح الثمره أحمد بن يوسف المصرى كان حيا حتى، سنه ٣٠٠ من الهجره و كان باقيا حتى بعد انقراض سلطان آل طولون بمصر.

أستاذ دار الخليفة أبي الفضل مجد الدين هبه الله بن علي بن هبه الله بن الصاحب، كان من أعيان الشيعة ببغداد، وقد روى شيئاً من الحديث، وتوفي يوم الأحد تاسع المحرم من سنة ٦٠٤هـ، و صلى عليه في جامع القصر، و دفن في مشهد موسى بن جعفر - علي ساكنيه السلام - و كان عمره نحواً من خمسين سنة.

الشيخ أحمد بن يوسف البحراني.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ذكره الشيخ سليمان الماخوزي فاثني عليه، و ذكره صاحب البحار فعظمه حتى قال في وصفه: هو من مجددى المذهب.

قال جدى صاحب الحدائق: هو عالم فاضل، و محقق كامل، له كتاب:

رياض الدلائل و حياض المسائل فى الفقه لم يتم. و رساله سماها المشكاه المضييه فى المنطق. و رساله سماها: الأمور الخفيه فى المسائل المنطقيه. و له شرح جيد على الشرائع قاله الحر فى أمل الأمل.

و توفي سنة ٩٩٩هـ.

الأحوص بن شداد الهمداني.

لما تقابل جيش إبراهيم بن مالك الأشتر مع جيش عبيد الله بن زياد على بعد خمسة فراسخ من الموصل، ثبت أهل العراق مستعدين للموت و هم يقولون: اللهم إننا ما خرجنا إلى حرب هؤلاء القوم إلا شارين بدمائنا و أموالنا الجنه، طالبين بدماء أهل بيت نبيك محمد (ص)، فانصرنا عليهم كيف شئت و أنى شئت، إنك على كل شىء قدير. قال:

فوقف الفريقان بعضهم ينظر إلى بعض، و تقدم رجل من عتاه أهل الشام و مردتهم يقال له عوف بن ضبعان الكلبى حتى وقف بين يدى الجمع على فرس أدهم ثم نادى: ألا يا شيعه أبى تراب! ألا يا شيعه المختار الكذاب! ألا يا شيعه ابن الأشتر المرتاب! من كان منكم يدل بشجاعته و شدته فليبرز إلى إن كان صادقاً، و للقرآن معانقا! ثم جعل يجول فى ميدان الحرب و هو يرتجز و يقول:

أنا ابن ضبعان [ضبعان] الكريم المفضل إنى أنا الليث الكمى الهذلى

من عصبه يبرون من دين على كذاك كانوا فى الزمان الأول

يا رجال! فما لبث أن خرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني و هو يرتجز و يقول:

أنا ابن شداد على دين على لست لمروان ابن ليلى بولى

لأصطليين الحرب فيمن يصطلى أحوص نار الحرب حتى تنجلي

قال: فجعل الشامي يشتم الأحوص بن شداد، فقال له الأحوص: يا هذا لا تشتم إن كنت غريبا، فان الذي بيننا وبينكم أجل من الشتيمة، أنتم تقاتلون عن بنى مروان، ونحن نطالبكم بدم ابن بنت نبي الرحمن، فادفعوا إلينا هذا الفاسق اللعين عبيد الله بن زياد، الذي قتل ابن بنت نبي رب العالمين محمد (ص)، حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلوا مع الحسين بن علي، فاننا لا نراه للحسين كفتنا فنقتله به، فإذا دفعتموه إلينا فقتلناه جعلنا بيننا وبينكم حكما من المسلمين، فقال له الشامي: إننا قد جربناكم في يوم صفين عند ما حكمنا و حكمتم، فغدرتم و لم ترضوا بما حكم عليكم. قال: فقال له الأحوص بن شداد: يا هذا إن الحكمين لم يحكما برضا الجميع، و أحدهما خدع صاحبه الآخر، و الخلافه لا تعقد في الخديعه، و لا يجوز في الدين إلا النصيحه، و لكن ما اسمك أيها الرجل؟ فقال الشامي: اسمي منازل الأقران حلال! فقال له الأحوص بن شداد: ما أقرب الاسمين بعضهم من بعض، أنت منازل الأبطال، و أنا مقرب الآجال! ثم حمل عليه الأحوص و التقيا بضربتين ضربه الأحوص ضربه فسقط الشامي قتيلا، فجال الأحوص في ميدان الحرب و نادى: يا قتله الحسين! هل من مبارز! فخرج إليه داود بن عروه الدمشقي مقنعا في الحديد على كميته له و هو يقول:

أنا ابن من قاتل في صفينا قتال قرم لم يكن غيبنا

بل كان فيها بطلا حرونا مجربا لدى الوغى كميئا

فضمه إليه الأحوص بن شداد الهمداني و جعل يقول:

يا بن الذي قاتل في صفينا و لم يكن في دينه غيبنا

كذبت قد كان بها مغبونا مذبذبا في أمره مفتونا

لا يعرف الحق و لا اليقينا بؤسا له لقد مضى ملعونا

ثم التقيا فضربه الأحوص ضربه ألحقه بصاحبه، ثم رجع إلى صفه. (١)

إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن.

إشارة

مرت ترجمته في الصفحة ٢٢٩ من المجلد الثالث. و نشر هنا عنه دراسته ثانيه:

ولد يوم الاثنين ثالث رجب سنة ١٧٧ و كان والده إدريس بن عبد الله قد توفي مسموما، و هو حمل كما هو مفصل في ترجمه أبيه الآتيه (٢) فكفله راشد مولى أبيه و قام بامره أحسن قيام، فاقرأه القرآن حتى حفظه و هو ابن ثمان سنين، ثم علمه الحديث و السنه و الفقه في الدين و العربيه و رواه الشعر و أمثال العرب و حكمها و أطلععه على سر الملوك، و عرفه أيام الناس، و دربه على ركوب الخيل و الرمي بالسهام و غير ذلك من مكاييد الحرب، فلم يمض له من العمر إحدى عشره سنه حتى كان قد اضطلع بما حمل، و ترشح للأمر، و استحق لأن يبايع، فبايعه البربر و آتوه صفقتهم عن طاعه منهم و إخلاص.

قال ابن خلدون: بايع البربر إدريس الأصغر حملا، ثم رضيعا، ثم فصيلا، إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينه ولىلى سنه ١٨٨ و هو ابن إحدى عشره سنه.

و كان إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقيه قد دس إلى بعض البربر الأموال و استمالهم حتى قتلوا راشدًا مولاه سنه ١٨٦، و حملوا إليه رأسه، و قام بكفاله إدريس من بعده أبو خالد يزيد بن إلياس العيدي، و لم يزل على ذلك إلى أن بايعوا لإدريس فقاموا بامرہ و جددوا لأنفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته.

ص: ٤٦

١- كتاب الفتوح.

٢- و كان راشد قد طلب البربر أن يصبروا حتى تضع زوجته إدريس حملها فان كان ذكرا انتظروا حتى يبلغ مبلغ الرجال فيبايعوه.

و فى القرطاس أن مقتل راشد كان فى السنه التى بوىع فىها إدريس بن إدريس، قال: "و كانت بىعه إدريس يوم الجمعة غره ربىع الأول سنه ١٨٨" بعد مقتل راشد بعشرين يوما و إدريس يومئذ ابن إحدى عشره سنه و خمسه أشهر قاله عبد الملك الوراق فى تاريخه:

و فى قتل راشد يقول إبراهيم بن الأغلب فى بعض ما كتب به إلى الرشيد يعرفه بنصحته و كمال خدمته:

أ لم ترنى بالكيد أرديت راشدا و أنى بأخرى لابن إدريس راصد

تناوله عزمى على بعد داره بمحتومه يحظى به من يكيد

نفاه أخو عك بمقتل راشد و قد كنت فيه شاهدا و هو راقد

يريد باخى عك محمد بن مقاتل العكى والى إفريقيه، فإنه لما حاول ابن الأغلب قتل راشد و تم له ذلك كتب العكى إلى الرشيد يعلمه أنه هو الذى فعل ذلك، فكتب صاحب البريد إلى الرشيد بحقيقه الأمر، و أن ابن الأغلب هو الفاعل لذلك و المتولى له، فثبت عند الرشيد كذب العكى و صدق ابن الأغلب، فعزل الرشيد العكى على بعض كورها، هكذا حكى صاحب القرطاس، و فيه أن عزل العكى أن إفريقيه و توليه ابن الأغلب عليها كان فى سنه أربع و ثمانين قبل وفاه راشد بستين، أو بأربع سنين على الخلاف المتقدم. و قال البكرى و البرنسى: إن راشدا لم يمت حتى أخذ البيعه لإدريس بالمغرب، و أن إدريس لما تم له من العمر إحدى عشره سنه ظهر من وفور عقله و نباهته و فصاحته ما أذهل عقول الخاصه و العامه، فاخذ له راشد البيعه على البربر يوم الجمعة سابع ربىع الأول من السنه المذكوره، فصعد إدريس المنبر و خطب الناس فقال: "الحمد لله أحمده و أستغفره و أستعين به و أتوكل عليه، و أعوذ به من شر نفسى و من شر كل مشر، و أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله المبعوث إلى الثقلين بشيرا و نذيرا و داعيا إلى الله باذنه و سراجا منيرا، (ص)، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهير أيها الناس: إنا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف فيه للمحسن الأجر و على السيئ [المسيء] الوزر، و نحن و الحمد لله على قصد، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فان الذى تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا".

ثم دعا الناس إلى بيعته و حضهم على التمسك بطاعته. فعجب الناس من فصاحته و قوه جاشه على صغر سنه، ثم نزل فتسارع الناس إلى بيعه و ازدحموا عليه يقبلون يده، فبايعه كافة قبائل المغرب من زناته و أوربه و منهاجه و غماره و سائر قبائل البربر فتت له البيعه، و بعد بيعته بقليل توفى مولاه راشد، و الله أعلم.

وفود العرب على إدريس

لما استقام [استقام] أمر المغرب لإدريس بن إدريس و توحد ملكه، و عظم سلطانه، و كثرت جيوشه، و أتباعه وفدت عليه الوفود من البلدان، و قصده الناس من كل مكان فاستمر بقيه سنه ثمان و ثمانين [و مائه] يصل الوفود و يبذل الأموال و يستميل الرؤساء و الأقبال. و لما دخلت سنه تسع و ثمانين و مائه وفدت عليه وفود العرب من إفريقيه و الأندلس نازعين إليه و ملتفين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسمائه فارس من قيس و الأزد و مذحج و يحصب و الصدف و غيرهم فسر إدريس بوفادتهم و أجزل صلتهم و أدنى منزلتهم و جعلهم بطانه دون البربر فاستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي المعروف بالملجوم، من ضربه ضربها فى بعض

حربهم و ستمه على الخرطوم.

و كان عمير من فرسان العرب و سادتها و لأبيه مصعب ماثر بإفريقيه و الأندلس و واقف فى غزو الفرنج و استقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى و كان من أهل الورع و الفقه و الدين، سمع من مالك بن أنس و سفيان الثورى و روى عنهما كثيرا، و كان قد خرج إلى الأندلس مجاهدا، ثم أجاز إلى العدو، فوفد بها على إدريس فيمن وفد عليه من العرب فاستقضاه و استكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى.

و لم تزل الوفود تقدم عليه من العرب و البربر حتى كثر الناس لديه و ضاقت بهم مدينه و ليلى.

و انتهى إلى ابن الأغب ما عليه إدريس من الاستفحال فارهق عزمه للتضريب بين البربر و استفسادهم على إدريس. فكان منهم بهلول بن عبد الله الواحد المضغرى من خاصه إدريس و من أركان دولته، فكاتبه ابن الأغب و استهواه بالمال حتى باع الرشيد و انحرف عن إدريس و اعتزله فى قومه، فصالحه إدريس و كتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله فكف عنه، و كان فيما كتب به إدريس إلى بهلول المذكور قوله:

أ بهلول قد حملت نفسك خطه تبدلت منها ضله برشاد

أضلك إبراهيم مع بعد داره فأصبحت منقادا بغير قياد

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغب و قدما رمى بالكيد كل بلاد

و من دون ما منتك نفسك خاليا و مناك إبراهيم شوك قتاد

ثم أحس إدريس من إسحاق بن محمد الأوربى بانحراف عنه و مواله لابن الأغب فقتله سنة ١٩٠ و صفا له المغرب و تمكن سلطانه به.

بناء مدينه فاس

لما كثرت الوفود من العرب و غيرهم على إدريس و ضاقت بهم مدينه و ليلى أراد أن يبنى لنفسه مدينه يسكنها هو و خاصته و وجوه دولته فركب يوما فى جماعه من حاشيته و خرج يتخير البقاع فوصل إلى جبل هناك فأعجبه ارتفاعه و طيب هوائه و تربته، فاخطت بسنده مدينه مما يلي الجوف، و شرع فى بائها فبنى بعضا من الدور و نحو الثلث من السور، فاتى اسيل من أعلى الجبل فى بعض الليالى، فهدم السور و الدور، و حمل ما حول ذلك من الخيام و الزروع و ألقاها فى نهر سبو، فكف إدريس عن البناء، و استمر الحال على ذلك مده يسيره، ثم خرج ثانيه يتصيد و يرتاد لنفسه موضعا يبنى فيه ما قد عزم عليه، فانتهى إلى نهر سبو حيث هى حمه خولان، فأعجبه الموضع لقربه من الماء و لأهل الحمه التى هناك (١) فعزم إدريس على أن يبنى هناك مدينه و شرع فى حفر الأساس و عمل الجيار و قطع الخشب و ابتداء بالبناء، ثم فكر فى سبو و ما ياتى به من المدود و السيول زمان الشتاء و ما يحصل بذلك من الضرر

١- الحمه كل عين فيها ماء حار ينبع منها و يستشفى به.

العظيم للناس فكف عن البناء ورجع إلى ويلي.

ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد موضعا يبني فيه المدينة التي عزم عليها، فسار عمير في جماعه يقص الجهات و يتخير البقاع و الترب و المياه، حتى انتهى إلى فحص سائس، فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد في مرج أخضر، فتوضأ و صلى الظهر هو و جماعه الذين معه، ثم دعا الله تعالى أن ييسر عليه مطلبه، ثم ركب وحده و أمر الجماعه أن ينتظروه حتى يعود إليهم، فنسب العين اليه من يومئذ و دعيت عين عمير، ثم أوغل في فحص سائس حتى انتهى إلى العيون التي ينبع منها وادي فاس، فرأى مياها تطرد في فسيح من الأرض و حول العيون التي شعراء من شجر الطرفاء و الطخش و العرعار و الكخ و غير ذلك، فشرب من الماء فاستطابه، و نظر إلى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبو فأعجبته، فانحدر مع مسيل الوادي حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم، فنظر فإذا ما بين الجبلين غيضة ملتفه الأشجار مطرده العيون و الأنهار، و في جانب منها خيام من شعر يسكنها قوم من زواغه يعرفون ببني الخير، و قوم من زناته يعرفون ببني يرغش و كان بنو يرغش على دين المجوسيه و بعضهم يهود و بعضهم نصارى.

و كان بنو الخير ينزلون بعدوه القرويين و بنو يرغش ينزلون بعدوه الأندلس، و كان قلما يفترقون عن القتال لاختلاف أهوائهم و تباين أديانهم.

فرجع عمير إلى إدريس و أعلمه بما رأى من الغيضة و ساكنيها و ما وقع عليه اختياره فيها فجاء إدريس لينظر إلى البقعه فالقى بني الخير و بنو يرغش يقتتلون فأصلح بينهم و أسلموا بعد ذلك على يده و اشترى منه الغيضة بسته آلاف درهم، فرضوا بذلك و دفع لهم الثمن.

ثم ضرب أبنيته بكراده و شرع في بناء المدينة فاخط عدوه الأندلس غره ربيع الأول سنه ١٩٢.

و في سنه ثلاث بعدها اختط عدوه القرويين و بنو مساكنه بها و انتقل إليها. و كان أولا أدار السور على عدوه الأندلس و بنو بها الجامع المعروف بجامع الأشياخ، و أقام فيه الخطبه، ثم انتقل ثانيا إلى عدوه القرويين كما قلنا و نزل بالموضوع المعروف بالمقرمه و ضرب فيه قيطونه و أخذ في بناء جامع الشرفاء و أقام فيه الخطبه أيضا، ثم شرع في بناء داره، ثم بنى القيساريه إلى جانب المسجد الجامع، و أدار الأسواق حوله و أمر الناس بالبناء و قال لهم: من بنى موضعا أو اغترسه قبل تمام السور فهو له.

فبنى الناس من ذلك شيئا كثيرا و اغترسوا، و وفد عليه جماعه من الفرس من أرض العراق فأنزلهم بغيضته هناك كانت على العين المعروفه بعين علوان.

ثم أدار السور على عدوه القرويين و كانت من لدن باب السلسله إلى غدير الجوزاء.

قال عبد الملك الوراق: كانت مدينة فاس في القديم بلدين لكل بلد منهما سور يحيط و أبواب تختص به، و النهر فاصل بينهما، و سميت إحدى العدوتين عدوه القرويين لنزول العرب الوافدين إليها من القيروان بها، و سميت الأخرى عدوه الأندلس لنزول العرب الوافدين من الأندلس بها.

و ذكر ابن غالب فى تاريخه أن إدريس لما فرغ من بناء مدينه فاس و حضرت الجمعه الأولى صعد المنبر و خطب الناس ثم رفع يديه فى آخر الخطبه فقال:

" اللهم إنك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينه مباحاه، و لا مفاخره، و لا رياء، و لا سمعه، و لا مكابره، و إنما أردت أن تعبد بها و يتلى بها كتابك و تقام بها حدودك و شرائع دينك، و سنه نبيك محمد (ص) ما بقيت الدنيا. اللهم وفق سكانها و قطانها للخير و أعنهم عليه و أكفهم مؤونه أعدائهم و أدر عليهم الأرزاق و أعمد عنهم سيف الفتنة و الشقاق إنك على كل شىء قدير "

غزو إدريس المغربيين

أقام إدريس بفاس إلى سنه ١٩٧ ثم خرج غازيا بلاد المصامده فانتهى إليها و استولى عليها و دخل مدينه نفيس و مدينه أغمات(١)، و فتح سائر بلاد المصامده، و عاد إلى فاس فأقام بها إلى سنه ١٩٩. فخرج فى المحرم لغزو قبائل نفزه من أهل المغرب الأوسط و من بقى هناك على طريقه الخوارج من البربر، فسار حتى غلب عليهم و دخل مدينه تلمسان، فنظر فى أحوالها و أصلح سورها و جامعها و صنع فيها منبرا. و بقى فى تلمسان ثلاث سنين ثم رجع إلى مدينه فاس.

قال داود بن القاسم الجعفرى: شهدت مع إدريس بن إدريس غزواته مع الخوارج الصفرية من البربر، فلقيناهم و هم ثلاثه أضعافنا فلما تقارب الجمعان نزل إدريس فتوضأ و صلى ركعتين و دعا الله تعالى ثم ركب فرسه و تقدم للقتال، قال: فقاتلناهم قتالا شديدا، فكان إدريس يضرب فى هذا الجانب مره، و يكر فى هذا الجانب الآخر مره، و لم يزل كذلك حتى ارتفع النهار، ثم رجع إلى رايته فوقف بإزائها و الناس يقاتلون بين يديه، فطفقت أتامله [أنامله] و أديم النظر إليه و هو تحت ظلال البنود يحرض الناس و يشجعهم، فاعجبني ما رأيت من ثباته و قوه جاشه: فالتفت نحوى و قال: يا داود ما لى أراك تديم النظر إلى؟. قلت: أيها الامام إنه قد أعجبني منك خصال لم أرها اليوم فى غيرك.

قال و ما هى؟. قلت: أولاها ما أراه من ثبات قلبك و طلاقه وجهك عند لقاء العدو. قال: ذاك ببركه جدنا و دعائه لنا و صلواته علينا، و وراثه من أبى على بن أبى طالب " الخبر " .

وفاه إدريس

قال ابن خلدون: انتظمت لإدريس بن إدريس كلمه البربر و زناته و محا دعوه الخوارج منهم و اقتطع المغربيين عن دعوه العباسيين من لدن السوس الأقصى إلى وادى شلف، (٢) و دافع إبراهيم بن الأغلب عن حماه بعد ما ضايقه بالمكايد و استفساد الأولياء حتى قتلوا راشدا مولاة. و ارتاب إدريس بالبربر فصالح ابن الأغلب و سكن من غربه و ضرب السكه باسمه و عجز الأغلبه بعد ذلك عن مدافعه هؤلاء الأدارسه، و دافعوا خلفاء بنى العباس بالمعاذير الباطله. وصفا ملك المغرب لإدريس و استمر بدار ملكه من فاس ساكنا و ادعا، مقتعدا أريكته، مجتتيا ثمرته إلى أن توفاه الله ثانى جمادى الآخرة سنه ٢١٣، و عمره نحو ست و ثلاثين سنه، و دفن بمسجده بإزاء الحائط الشرقى منه. و قال آخرون: إنه توفى بمدينه و ليلى و دفن إلى جنب أبيه.

و يقال عن سبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بوجه فمات لحينه، و خلف من

- ١- نفيس من المدن المغربيه التي انقرضت و أغمات بقيت قريه صغيره.
- ٢- المقصود بالمغربين: المغرب الأقصى و المغرب الأوسط، أى ما يعرف اليوم بالمغرب و الجزائر.

الولد اثني عشر ولدا، ولي الأمر منه بعده أكبرهم محمد. (١)

إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ع.

إشارة

مرت ترجمته في الصفحة ٢٣٠ من المجلد الثالث و نشر عنه هنا دراسه ثانيه:

إدريس ممن شهد مجزره فخر (٢) فيمن شهدها من العلويين كما شهدها أخوه يحيى. و قد سلمهما الله فنجيا، فاما يحيى فإنه فر إلى الشرق حتى بلغ بلاد الديلم و دعا الناس فبايعوه فجهز إليه الرشيد جيشا بقياده الفضل بن يحيى البرمكي، فكاتبه الفضل و بذل له الأمان فأجاب إلى السلم و لكنه طلب يمين الرشيد و أن يكون بخطه و يشهد فيه الأكارب، ففعل ذلك و حضر يحيى إلى بغداد فأكرمه الرشيد ثم حبسه حتى مات في السجن و في ذلك يقول أبو فراس الحمداني:

يا جاهدا في مساويهم يكتمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم

و أما إدريس فإنه فر و لحق بمصر، و على بريدها واضح مولى صالح بن المنصور، و كان واضح يتشيع لآل البيت، فعلم شان إدريس و أتاه إلى الموضوع الذي كان مستخفيا فيه و لم ير شيئا أخلص له من أن يحمله على البريد إلى المغرب ففعل، و لحق إدريس بالمغرب الأقصى هو و مولاه راشد فنزل بمدينه "وليلي" سنة ١٧٢، و بها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربه من البربر البرانس، فاجاره و أكرمه و جمع البربر على القيام بدعوته، و خلع الطاعة العباسيه، فانتهى الخبر إلى الرشيد بما فعله واضح في شان إدريس فقتله و قال ابن أبي زرع في كتاب القرطاس: إن إدريس لما قتلت عشيرته بفخر مر بنفسه متسترا في البلاد يريد المغرب فسار من مكة حتى وصل إلى مصر و معه مولى له اسمه راشد فدخلها و العامل يومئذ لبنى العباس هو على بن سليمان الهاشمي فبينما إدريس و راشد يمشيان في شوارع مصر إذ مرا بدار حسنه البناء فوقها يتاملانها، و إذا بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما و قال: "ما الذي تنظرانه من هذه الدار" فقال راشد: "أعجبنا حسن بنائها" قال: "و أظنكما غريبين ليسا من هذه البلاد" فقال راشد: "جعلت فداك إن الأمر كما ذكرت" قال: فمن أي الأقاليم أنتما" قال راشد: من الحجاز. قال: فمن أي بلاده؟ قالوا: من مكة. قال: "و إخالكما من شيعه الحسنيين الفارين أرى لك صوره حسنه و قد توسمت فيك الخير أ رأيت إن أخبرناك من نحن أ كنت تستر علينا؟" قال: "نعم و رب الكعبه و أبذل الجهد في صلاح حالكما" فقال راشد "هذا إدريس بن عبد الله بن حسن و أنا مولاه راشد، فررت به خوفا عليه من القتل و نحن قاصدون بلاد المغرب" فقال الرجل:

"لتطمئن نفوسكما فاني من شيعه آل البيت و أول من كتم سرهم فأنتما من الآمنين".

ثم أدخلهما منزله و بالغ في الإحسان إليها فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان صاحب مصر، فبعث إلى الرجل الذي هما عنده فقال له: "إنه قد رفع إلى خبر الرجلين اللذين عندك و إن أمير المؤمنين قد كتب إلى في طلب الحسنيين و البحث عنهم، و قد بث عيونهم على الطرقات و جعل الرصاد على أطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه و حاله، و إنى أكره أن أتعرض لدماء

آل البيت فلك و لهم الأمان فاذهب إليهما و أعلمهما بمقالى و أمرهما بالخروج من عملى و قد أجلتهما ثلاثا".

فسار الرجل فاشترى راحلتين لإدريس و مولاه و اشترى لنفسه أخرى و صنع زادا يبلغهما إلى إفريقيه و قال لراشد: " اخرج أنت مع الرفقه على الجاده و أخرج أنا و إدريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق و موعدنا مدينه برقه".

فخرج راشد مع الرفقه فى زى التجار، و خرج إدريس مع المصرى فسلكا البريه حتى وصلا إلى برقه و أقاما بها حتى لحق بهما راشد، ثم جدد لهما المصرى زادا و ودعهما و انصرف.

و سار إدريس و راشد يجدان السير حتى وصلا إلى القيروان.

فأقاما بها أياما، فلما لم يجد إدريس بها مراده خرج مع مولاه راشد حتى انتهيا إلى مدينه و ليلى قاعده جبل زرهون.

و كانت مدينه متوسطه حصينه كبيره المياه و الغروس و الزيتون، و كان لها سور عظيم من بنيان الأوائل، يقال إنها المسماه اليوم بقصر فرعون. فنزل بها إدريس على صاحبها ابن عبد الحميد الأوربى، فاقبل عليه ابن عبد الحميد و بالغ فى إكرامه و بره، فعرفه إدريس بنفسه و أفضى إليه بسره فوافقه على مراده و أنزله معه فى داره و تولى خدمته و القيام بشئونه.

و كان دخول إدريس المغرب و نزوله على ابن عبد الحميد بمدينه و ليلى غره ربيع الأول سنه اثنين و سبعين و مائه.

بيعه إدريس بن عبد الله

لما استقر إدريس بن عبد الله بمدينه و ليلى عند كبيرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى أقام عنده سته أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنه جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربه و عرفهم بنسب إدريس و قرابته من رسول الله (ص) و قرر لهم فضله و دينه و علمه و اجتماع خصال الخير فيه، فقالوا: الحمد لله الذى أكرمنا به و شرفنا بجواره، و هو سيدنا و نحن العبيد، فما تريد منا؟ قال: "تبايعونه" قالوا: "ما منا من يتوقف عن بيعته فبايعوه بمدينه و ليلى يوم الجمعة رابع رمضان سنه ١٧٢ و كان أول من بايعه قبيله أوربه على السمع و الطاعه و القيام بامرهم، و الافتداء [الافتداء] به فى صلواتهم و غزواتهم و سائر أحكامهم.

و كانت أوربه يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الأقصى و أكثرها عددا و ثلثها فى نصره إدريس و القيام بامرهم كل من مغيله و صدنيه.

و لما بويع إدريس خطب الناس فقال بعد حمد الله و الصلاه على نبيه "أيها الناس لا تمدن الأعناق إلى غيرنا، فان الذى تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا".

ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناته و البربر مثل زواغه و زواوه و سدراته و غياثه و مكناسه و غماره و كافه البربر و تمكن سلطانه و قويت شوكته.

و لحق به من إخوته سليمان بن عبد الله و نزل بأرض زناته من تلمسان

١- الاستقصاء.

٢- راجع تفاصيل هذه المجزرة في ترجمه الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب فى موضعها.

و نواحيها، هذا ما قاله ابن خلدون، و لكن أبا الفداء يقول إن سليمان بن عبد الله قتل بوقعه فخر و جمع رأسه مع رؤوس القتلى.

إدريس يغزو المغرب الأقصى

ثم إن إدريس اتخذ جيشا كثيفا من وجوه زناته و أوربه و صنهاجه و هواره و غيرهم، و خرج غازيا بلاد تامستا، ثم زحف إلى بلاد تأولا ففتح معاقلها و حصونها، و كان أكثر أهل هذه البلاد لم يدخلوا في الإسلام و إنما الإسلام بها قليل، فأسلموا جميعهم على يده.

و رجع إلى مدينه و ليلي مؤيدا منصورا، فدخلها أواخر ذى الحجه سنة ١٧٢، فأقام بها شهر المحرم أول سنة ١٧٣ ريثما استراح الناس، ثم خرج يغزو من كان بقى من قبائل البربر بالمغرب على غير دين الإسلام، و كان قد بقى منهم بقيه متحصنون في المعامل و الجبال و الحصون المنيعه، فلم يزل إدريس يجاهدهم في حصونهم و يستزلهم من معاقلهم حتى دخلوا في الإسلام.

و كانت البلاد التي غزاها هذه المره هي: حصون فندلاوه و حصون مديونه و بهلوله و قلاع غياثه و بلاد فازاز ثم عاد إلى مدينه و ليلي فدخلها في النصف من جمادى الآخره من السنه المذكوره.

إدريس يغزو المغرب الأوسط " الجزائر "

أقام إدريس في و ليلي بقيه جمادى الآخره و نصف رجب التالي لها ريثما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور لغزو مدينه تلمسان و من بها من قبائل مغراوه بنى يفرن فانهى إليها و نزل خارجها فخرج إليه صاحبها محمد بن خزر مستأمنا و مبايعا له فامنه إدريس و قبل بيعته.

و دخل مدينه تلمسان فأمن أهلها ثم أمن سائر زناته و بنى مسجد تلمسان و أتقنه ثم رجع إلى و ليلي. أما الأحداث الأخرى في حياه إدريس فتراجع في ترجمته المتقدمه في المجلد الثالث.

الشاه إسماعيل الأول الصفوى

إشاره

و الصفويون مرت ترجمته في الصفحه ٣٢١ من المجلد الثالث، ثم ذكرنا تفاصيل أخرى عنه في الصفحه ١٦ من المجلد الأول من المستدركات.

و هاهنا تفاصيل أخرى كتبها واحد من معاصري أواخر عهد الصفويين هو السيد حسين بن مرتضى الحسينى الأسترآبادى فى كتاب بعنوان (من الشيخ صفى إلى الشاه صفى) و هذا الكاتب عاش فى عصر الشاه حسين (١١٠٦ -) و كتب ما كتب سنه ١١١٥.

و نحن ننشر مقاله أولا ثم نعلق عليه و المقال مكتوب بالأصل بالفارسيه و قد تركناه بنصه لاعطاء صورته كامله من آراء الكاتب و عن تعبيره عن رجال ذلك العهد و اعتقاده بهم غير متدخلين فى آرائه و تعبيره و اعتقاده، تاركين للقارئ استنتاج ما يشاء من

الحقائق وحدها. قال الكاتب:

الصفويون: من صفى الدين إلى إسماعيل

سلطان الأولياء و برهان الأصفياء، سراج سماء الولاية الأعظم السلطان صفى الدين إسحاق - قدس سره - كان شمسا من مشرق الولاية، شخصيه دينيه نيره، و شمس من مطلع الهدايه، ناشر الشريعه. اسمه الشريف هو حضره السيد إسحاق، و لقبه الكريم هو صفى الدين، و فى بعض الكتب نجيب الدين. و لكن هذا اللقب غير معروف و كنيته الشريفه أبو الفتاح. كان مولده السعيد فى سنه ٦٥١ فى آخر أيام حكومه العباسيين، و بعد وفاه والده الكريم أشرفت والدته المحترمه على تربيته و أحواله، و عمل فتره من الزمن فى كسب الفضائل و الكمالات الصوريه، و قد تغلبت عليه رغبه السير و السلوك و إدراك مشاكل عالم المعنى، و وضع خطاه و سار فى وادى الجهاد و نكران الذات و التصوف، و كان ينوى أن يلزم خدمه مرشد عالم جليل، صاحب مكارم يتلمذ على يديه، و يكسب آداب السلوك، و يبلغ الكمال. فكان يقضى أيامه بجوار مرقد الشيخ فرح الأردبيلي و الشيخ أبى سعيد و هما من مريدى شيخ الطائفين الشيخ جنيد البغدادي، و أحيانا يقضى أيامه بجوار مرقد العارف الربانى الشيخ شهاب الدين محمد الأهرى. حتى وصل صيته إلى أسمع الشيخ نجيب الدين مرعش الشيرازى، فحصل لديه رغبه فى زيارته و لما كان أخوه الأكبر السيد صلاح الدين يقيم فى مدينه شيراز و هو يتمتع بالمال و الجاه و الصيت، و قد تزوج هناك عفيفه من الأشراف النبلاء، فقد استاذن من والدته أن يسافر إلى مدينه شيراز بحجه زياره أخيه، فتوجه بالفعل نحو المقصود، و كان يلتقط من الثمار حيث يحل فى طريقه، و مع كل من كان يجتمع بهم من أصحاب الفكر و المنزله و القدر، و حين وصل إلى شيراز كان الشيخ نجيب الدين مرعش قد انتقل إلى جوار ربه، فالتقى بنجله الشيخ ظهير الدين و التقى بمشايخ تلك الديار. و بدت عليه آثار الكرامه حتى التقى بمولانا رضى الدين و هو من العلماء من أصحاب الشأن، و كان فى خدمته حتى أنهى من التفسير إلى سوره (إذا زلزلت)، و من ثم حصل على ترخيص ندريس [تدريس] التفسير. كما اجتمع بالشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى. و فى بيضاء بولايه فارس التقى بالشيخ ركن الدين البيضاوى، و من ثم التقى بالأمير عبد الله قدس سره - و هو فارس ميدان الهدايه و قدوه أرباب التصوف، فشرح له ما جرى عليه، فتأمل مليا و أجاب أيها الشاب التركى، إن الذى توصلت إليه من الجهاد، و نكران الذات، و عظمه الشأن، لم تبلغه بصيرتنا، و لم يصل إليه طائر همتنا. إن الذى تريده أنت و تتمنى أن تبلغ إليه لا يرشدك إليه سوى عارف المعارف الربانيه الشيخ إبراهيم زاهد الكيسلانى [الكيلىنى]، لا أحد سواه. و هو فى كيلان بالقرب من بلدك، و يعيش هناك قرب البحر فى خلوته، و وصف له جمال بشرته و قال: إنه رجل قصير القامه، أبيض الوجه أسود العينين، عريض الجبين، رأسه أصلع، كث اللحيه.

فلم يلبث صاحبنا أن ودع مشايخ فارس و توجه إلى أردبيل، فوصل إلى صومعه الشيخ زاهد و وقف إلى الصلاه، و كان ذلك فى شهر رمضان المبارك، و كانت من عادات الشيخ زاهد أن لا يجتمع فى هذا الشهر مع أحد، و كان الشيخ صفى الدين إسحاق قد وصل إليها فى ذلك اليوم، فخرج الشيخ زاهد من خلوته و قال لخدمه: لقد حل علينا اليوم ضيف و هو الآن فى الصومعه، مشغول بعباده الله تعالى، آتني به، فجاء إليه الخادم و أخذه إلى الشيخ زاهد.

و الشمس علامتان لظهور ملك قاهر من صلبك و إن هذا الملك سيضىء العالم قريبا. و جاء فى كتاب تاريخ جهان آرا أن أمير جويان سلدوز أمير أمراء إيران خرج يوما للصيد إلى جبال طارم، و كان معه أحد أقاربه و يدعى داش تيمور، و كان داش تيمور يلاحق غزالا- و هو راكب جواده، و إذا بجواده يهيج و يأخذ به إلى قمة الجبل، و من هناك سقط داش تيمور و الجواد إلى الأسفل.

فجاء الأمير نحوهما فرأى الجواد مقتولا و لكن داش تيمور حيا سليما، فسأله عن السبب فقال: بينما كنت قد فقدت أملى شاهدت الشيخ فى الهواء و هو ماسك بثوبى فوضعتنى على الأرض. و هناك الكثير من هذه الأقوال.

و كان الشيخ يتلو الآية الكريمة (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ) اثنى عشر ألف مره يوميا. و لما شاهد الشيخ زاهد آثار الورع و الكرامه فى صاحبنا، زوجه ابنته فاطمه. و كلما أصر عليه فى زمن حياته أن يتولى إرشاد الناس كان يرفض، إلى أن حان أجله، فسلمه سرير الهدايه و كرسى ولايه العهد.

فاتح المعضون على الشيخ زاهد بذلك و قالوا: لما ذا تقلد منصب الإرشاد إلى رجل آخر، بينما نجلتك و ولدك من صلبك و خلفك الصادق الشيخ جمال الدين على موجودا و هو صاحب مكارم و معاجز، فأراد الشيخ زاهد أن يزيل كل التباس و شبهه، و أن يختبر الاثنين، فقال: أين خلوه ابنى؟ قالوا: فى حريم الصومعه. و قال: أين خلوه صفى؟ قالوا: على مسافه نصف فرسخ. فقال: أنادى الاثنين لتشاهدوا مرتبه كل واحد منهما و مقامه. فنادى بصوت عال ثلاث مرات ابنه فلم يسمع جوابا. فنادى الشيخ الجليل فأجابه على الفور و قال: [لييك و سعديك يا شيخى و مرشدى]، و وضع قدمه فى الصومعه، فقال له الشيخ زاهد: أين كنت يا صفى؟ قال: كنت فى خلوتى فسمعت نداء عذبا، فتوجهت نحوكم. فنظر الشيخ إلى القوم و قال: إن ما كنت أريده جمعه الحق سبحانه و تعالى فى صفى، و ليس فى كمال الدين، و إنى لم أحن أمانه ربي، و رددتها إلى صاحبها. و قد انتقل الشيخ زاهد إلى جوار ربه فى سياورود كيلان فى سنه سبعمائه من الهجره النبويه الشريفه و دفن هناك.

إن الشيخ صفى تربع على سرير الهدايه و الأشاد [الإرشاد] فى يوم الخميس غره شهر شعبان، و استمر فى هذه المهمه الخطيره خمسا و ثلاثين عاما، أو أربعين عاما حسب بعض الأقوال، و لما ناهز الرابعه و الثمانين من العمر أصيب بمرض فى المثانه بسبب الضعف و الاعتكاف، و كان و [] هو فى عالم الصوفيه يداوى المرض بمختلف الأساليب الدينيه و كان يفرح بها. إلى أن اضطجع فى فراش الضعف و الخوار، و كلما اشتد به المرض أسرع إلى المكان الذى هو الآن مرقده، و كان يرتاح فيه لبعض الوقت، و تأتى حليلته الجليله و تأخذه إلى منزله، فكان يقول: خذونى إلى بيتى، فيقول له خادموه: إنك فى منزلك، فيقول: إن منزلى الرئيسى هو هناك. و قد تكرر هذا الأمر عدده مرات، و عند ما وافته المنيه أوصى مريديه و أصحابه و أولاده بدوام منهاج الشريعه المطهره، و طريقه المشايخ، و بذل السفره، و إطعام و إكرام الفقراء و المساكين، و فوض أمر إرشاد العباد إلى ولده السيد صدر الدين موسى. و تناول شربه الموت من ساق الأجل عند صلاه الصبح فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر محرم الحرام سنه خمس و ثلاثين و سبعمائه، و انتقل إلى جوار ربه، و كما تضرعت و التمت حليلته الجليله إلى ربها انتقلت إلى جواره بعد ثمانيه عشر يوما. و جاء فى فتوحات الأمينى. أن السيد جمال الدين الأصفهانى تولى تغسيله و تجهيزه حسب الوصيه، و كان السلطان صدر الدين آنذاك فى مدينه السلطانيه، و دفن فى المقام المعين المعروف حاليا (القبه السوداء).

و تصل سلسله إرشاده و هدايته بعد اثنى عشر واسطه إلى الامام الهمام على بن موسى الرضا (ع): الأول أبو العلا الشيخ تاج

الدين إبراهيم زاهد الكيلاني، الثاني السيد جمال الدين التبريزي، الثالث الشيخ شهاب الدين محمد أهرى، الرابع الشيخ قطب الدين الأبهري، الخامس الشيخ أبو نجيب السهروردي، السادس القاضي وجيه الدين، السابع الشيخ محمد الأسود، الثامن الشيخ محمد شاه الدينوري [الدينوري]، التاسع الشيخ أبو القاسم جنيد بن محمد النهاوندي المعروف بالبغدادي، العاشر الشيخ أبو الحسن السقطي. الحادي عشر الشيخ أبو حفص المعروف بفيروز الكرخي، الثاني عشر الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع).

إن أولاده الماجدين من السيده فاطمه خاتون ابنه الشيخ زاهد هما ولدان:

الأول الشيخ صدر الدين موسى، حيث ولد يوم عيد الفطر بعد صلاه الصبح في سنه أربع و ستين و سبعمائه، بعد وفاه الشيخ زاهد بأربع سنوات. و الثاني الشيخ أبو سعيد الذي كانت له هيبه خاصه، و ابنه واحده هي جميله بيگم.

و أولاده من زوجته الأخرى ابنه أخى سليمان الكلخواراني، هما ولدان:

السيد علاء الدين، و السيد شرف الدين على، و ابنه واحده و هي ستي عصمت بيگم، التي تزوجها الشيخ شمس الدين بن الشيخ زاهد، و أن ذريه الشيخ زاهد من هذه البنت. و لم يخلف أولاد السلطان صفى الدين إسحاق الثلاثه أعقابا عدا السيد صدر الدين. و يقول صاحب كتاب بحر الفوائد:

إن السلطان صفى الدين إسحاق كان له ولدان آخران هما: السيد رفيع الدين منصور و السيد محيي الدين محمد من ابنه أخى سليمان الأنف الذكر. و كان وجهه الشريف أبيض يميل للحمرة، طويل القامه، بدين أسود العينين طويل الحاجبين، كث اللحيه.

السلطان صدر الدين موسى:

الهروى : أنه فى الليله التى رأى السيد قاسم أنوار - قدس سره - حلما بأنه واقف بين قبه مسجد جامع أردبيل الكبيره و فى يده شمعته كبيره، و أن الناس بيد كل واحد منهم شمعته يوقدها من شمعته السيد. فقال فى تأويل هذه الرؤيا: إن الطالبين سينالون حصه وافيه من الأنوار التى فاضت عليك من المبدأ الفياض، و إن اسمك سيكون قاسم الأنوار. و قد اعتلى كرسى الإرشاد بعد وفاه والده، و إن أصحابه زادوا و كثروا.

و قدم جاني بيك خان حاكم سهل قيجاق إلى آذربيجان قادما من باب الأبواب فى شيروان للقضاء على الملك أشرف، و تشرف لدى السلطان صدر الدين، و شاهد عن قرب حالاته و مقالاته، و مد إليه يد الإخلاص، و حصص عوائد الأملاك و العقارات و الضياع، التى كانت فى ولايه أردبيل و دار المرز و هفان و غير ذلك مما للسلطان صدر الدين. و لما كثر أصحاب السلطان و مريدوه خصص له بقعه مباركه هى اليوم مطاف طوائف الناس، و بنى قبه مرقد سلطان الأولياء المبارك، و دار الحفاظ و ملحقاتها من ماله و ثروته الخاصه. و بعد أن أمضى تسعين عاما فى الإرشاد و التشريع و معرفه الله، انتقل إلى دار البقاء بجوار ربه، و خلفه ابنه الكريم السلطان خواجه على، الذى كان قد تلقى الفضيله و الكمال على يد والده. و دفن جثمان والده الطاهر تحت قبه سلطان الأولياء.

و كان للسلطان صدر الدين ثلاثه أولاد من الذكور و هم: السلطان خواجه على المعروف ب (سياه پوش) و الشيخ شهاب الدين الذى لم يخلف أحدا، و الشيخ جمال الدين الذى له ابنه اسمها خان زاده باشا، تزوجها، الشيخ إبراهيم المعروف بالشيخ شاه. و يعتقد البعض أن السلطان صدر الدين كان له أربعة أولاد ذكور و هم الثلاثة الأنفو الذكر و الرابع خواجه عبد المحسن.

السلطان خواجه على المعروف ب (سياه پوش [پوش]):

- سلك طريق آباءه فى الجهاد، و نكران الذات و التريكة و تصفيه الباطن، و كان ينظم الأشعار جيدا، و كان تخلصه على. و يذكر أن الملك صاحب قران الأمير تيمور الكوركانى شاهد حالات عجيبه منه، و يتجلى حسن إخلاصه و ولائه و اعتقاده لسيدنا من وثيقه الوقف، التى ختمها بختم آل تمغا، و شاهدتها أنا الكثير التقصير المحتاج إلى الله الودود، مختومه بختم تيمورى و حررت فى سنه ثمانمائه و سته، أضيفت إلى أوقاف عتبه سلطان الأولياء المقدسه: و هذا نصها: الشكر الجزيل لله سبحانه تعالى، جلت عظمته، و علت كلمته، الذى أشرق و أضاء نور الشمس من قلوب أصدقائه الأوفياء، و انتشر فيضه على الأبدال و الأوتاد، ليهدى به العالم و العالمين، و يكشف لهم الحقائق و المعانى: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (السوره ٥٧ الآيه ٢١). و الصلاه و السلام على الروح الطاهره، و العاقبه المحموده، الذى تجتمع فيه جميع كمالات مكارم الأخلاق من البارى الخلاق، من حيث الإطلاق إلى يوم التلاق، و عليه من الصلوات أزكاهها، و من التحيات أنماها، على آله و أولاده الطاهرين أجمعين، و الحمد لله رب العالمين: محمد المصطفى، و على المرتضى، و الحسن و الحسين، نسله الامام زين العابدين، نسله الامام محمد الباقر، نسله الامام جعفر الصادق، نسله الامام موسى الكاظم، نسله سيدنا الحق و الهادى المطلق أبو القاسم حمزه، نسله السيد قاسم، نسله السيد محمد الأعرابى، نسله السيد احمد، نسله السيد عوض الخواص، نسله السيد محمد، نسله السيد جعفر، نسله السيد إبراهيم، نسله السيد محمد، نسله السيد حسن، نسله السيد محمد، نسله السيد شرف شاه، نسله السيد فيروز، نسله السيد إسماعيل، نسله السيد محمد، نسله السيد قطب الدين، نسله السيد صلاح الدين رشيد، نسله السيد صالح، نسله السيد جبرئيل، نسله السيد الحق المعروف بالشيخ صفى الدين، نسله السيد صدر الدين موسى، نسله سلطان العارفين و برهان

السالكين السيد خواجه علي". و يقال: إن سيدنا اجتمع بالأمير تيمور الكوركاني ثلاث مرات نوعيا و مثاليا. الأولى عند ما كان يعبر نهر جيحون للهجوم على خراسان، فقد وقع سوطه في الماء فظهر عليه شخص نير أخرج سوطه من الماء و سلمه إياه، و تفاعل الأمير تيمور بهذا الأمر خيرا، و سال سيدنا عن حاله فقال: موطني في أردبيل، و مكان ظهوري في دزفول، و مدفني سيكون في قدس الخليل. و في المره الثانيه عند ما كان الأمير تيمور يستعد لاحتلال خوزستان قادمًا من بغداد، ظهر عليه شخص نير مرتديا ملابسًا سوداء، فوق جسر نهر دزفول و قال: أنا ذلك الشخص الذي سلمتك السوط على ضفه نهر جيحون. و موعدنا في اللقاء القادم سيكون في مدينه أردبيل.

و بعد مرور عده أعوام و بينما كان الأمير تيمور في طريق عودته من الروم، و كان معه عدد كبير من الأسرى الأتراك حيث وصل إلى دار الإرشاد. سمع أوصاف الشيخ صفى الدين إسحاق فذهب لزياره مرقد الشريف. و بعد الانتهاء من عمله الطواف، قام بتفقد أحوال العاكفين في ذلك المقام، فأبلغوه عن أحوال السلطان خواجه علي، فتوجه إلى ذلك المقام مكان اختلائه، فكان سيدنا جالسا على سجاده العباده. فأخبروه عن مجيء الأمير تيمور، فلم يلتفت إلى ذلك مستمرا في العباده و الدعاء، حتى دخل عليه الأمير تيمور فسلم عليه و رد عليه السلام، و طلب منه الجلوس و أمره بحسن معاملته خلق الله، و وجه له بعض الموعظه و النصيح. و كان الأمير تيمور قد شرط على نفسه ثلاثه أمور، و وعد نفسه بأنه سيمد يد الإخلاص نحو سيدنا إذا عرف هذه الأمور الثلاثه و أبرزها، فكان الحال كذلك. الأول: أن سيدنا لا ينهض من مكانه بعد دخول الأمير تيمور عليه. و الثاني: أن يحضر للأمير تيمور شيئا لم يتعود عليه في حياته. و الثالث: أن يقدم الأمير تيمور لسيدنا كأسا من السم و يشربه دون أى تريث و لا يؤثر فيه، و لما دخل الأمير تيمور على سيدنا أشار سيدنا عليه بالنصح و الموعظه دون أن يلتفت إلى أمور أخرى.

و بعدها أمر بان يسقوه من لبن الغزال و يطعموه الخبز. فلما رأى الأمير تيمور هاتين الحالتين. خجل أن يكلفه بالأمر الثالث. فقال له سيدنا لقد بقى العقد الثالث، فما هو سبب عدم القيام به؟ فاعطى سيدنا الأمير تيمور كأسا، فخجل الملك القدير، و لكن سكب السم في الكأس فتناوله الأسد السعيد، و مصدر الكرامه و الإجلال مره واحده في الحال، فانتابته حاله من السرور، و من ثم عصر من خلال ثوبه جميع ما كان قد شربه في كاس و وضعه على الأرض أمام الأمير تيمور. و هنا مد الأمير تيمور يد الالتماس إلى ساحه سيدنا و استدعى منه أن يطلب منه شيئا، و ما كان يدري و يعلم أن ملوك عالم الفقر و المعنى لا يطلبون من ملوك عالم الصوره و لا يحتاجون إليهم.

و ضواحيها و آذربيجان و العراق قري و مزارع من ماله، و أوقفها على البقعه المباركه حيث كان دخلها السنوي ما يقارب الأربعة الآلاف تومان. و قد اشتهرت "باوقاف الأمير تيمور القديمه" و قد يشرف عليها إلى يوم القيامة السلاطين الصفويه أدام الله إقبالهم. هذا عدا أوقاف السلاطين الصفويه العليين، التي يبلغ دخلها السنوي ألفي تومان مخصصه للاضاءه و رواتب الخدمه و النفقات الأخرى.

و لما بدت علائم الوصول إلى الكعبه المنشوده، أجلس نجله الكريم السيد إبراهيم على كرسى إرشاد و فارق الحياه فى يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنه ثمانمائه و ثلاثين، و دفن فى تلك الأرض المقدسه. و كان له من الأولاد ثلاثه و هم: الشيخ إبراهيم، و الشيخ عبد الرحمن، و السيد جعفر.

السلطان السيد إبراهيم: -

و كان قد اشتهر بين أعوانه و مرديه بالشيخ شاه، و اهتم حسب تعاليم آباءه و أجداده بإرشاد خلق الله و هدايتهم. و لما استولى عليه المرض أمر نجله الكريم السلطان جنيد بإرشاد الناس و هدايتهم، و انتقل إلى جوار رحمه ربه فى يوم السبت من سنه ثمانمائه و واحد و خمسين، و دفن بجوار آباءه العظام. و كان له من الأولاد الذكور ستة و هم: قطب الأبدال و الأوتاد الشيخ جنيد، و الشيخ أبو سعيد، و السيد أحمد، و الشيخ بايزيد، و خواجه جان ميرزا، و الشيخ خواجهكى.

السلطان جنيد: -

و ما أن اعتلى كرسى السيادة و الديانه و إرشاد الناس حتى تداعى عليه أن ينصب نفسه ملكا و سلطانا. فتهاقت إلى عتبه العليه أرباب الإخلاص من كل صوب و حدب. فبلغت أخبار السلطان جنيد و ما يتمتع به من الحشمه و الإمكانيات و عدد الأنصار و الموالين إلى أسماع ميرزا جهان شاه تركمان ملك زمانه و حاكم آذربيجان و العراقين، فخاف على نفسه، و كان يرسل باستمرار أناسا إلى سيدنا و يلمح له بان [] بامكانه أن يسافر إلى أى مكان يرتئيه. فما كان على سيدنا إلا أن يختار مدينه ديار بكر فتوجه إليها. و كان يرافقه فى هذا السفر عدد من الصوفيين و بعض من يؤمن بالأسره الصفويه. و كان يحكم نصف مدينه ديار بكر آنذاك الأمير الكبير أبو النصر حسن بيك آق قوينلو، و لم يكن يخضع لحكم ميرزا جهان شاه. فلما بلغه بشرى وصول موكب السلطان جنيد السعيد غمرته الفرحه و السرور، و رحب بسيدنا خير ترحيب، و زاد فى تكريمه و إعزازه، و عين كلا من الأمراء و الأشراف و الأعيان من الصوفيه بما يليق به من منصب و مكان. و أخيرا انتهت الوحده و الصداقه بينهما إلى المصاهره حيث زوج شقيقته الشريفه خديجه بيگم لسيدنا و بهذا زاد فى صيت دولته.

و أقام السلطان جنيد فى تلك الديار فتره من الزمن و بعد مده اشتاق لوطنه فاستأذن حسن بيك و توجه عائدا إلى دار الإرشاد. و مره أخرى التهبت نار الغيره فى صدر ميرزا جهان شاه و تبادل معه الرسل و الرسائل. فاختر ثواب الجهاد و توجه و معه عشره آلاف من الجنود الصوفيه إلى شيروان لمحاربه الجركس. و على أى تقدير و بتحريض من طغاه طبرسران [طبرستران] حاول والى الولايه السلطان خليل منعه من التوجه نحو الجركس. فوقع حرب بينه و بين السلطان جنيد، فاستشهد سيدنا على أيدي جند شيروان شاه. و جاء فى كتاب فتوحات الأمينى: أن الصوفيه من الصفويين نقلوا جثمان سيدنا الشريف إلى دار الإرشاد فى أردبيل و دفنوه فى الروضه المقدسه. و كتب إسكندر بيك المنشى فى كتاب (تاريخ عالم آرا) أن جمعا من أهالى طبرسران

[طبرستان]الموالين لهذه العائله أخرجوا جثمانه الطاهر من أرض المعركه و دفنوه في (قرية خودمان من ضواحي قبه و ساليان) في مكان مناسب، و هو الآن مهبط أنوار الفيض و الرحمه و مطاف أهالي الولاية. و قد يكون كذلك أى دفنوه أولا في هذا المكان، ثم نقلوا جثمانه بعد ذلك إلى مدينه أردبيل. و الله أعلم. و كان لهذا الأمير الذائع الصيت ولدان: أحدهما السلطان حيدر و هو ابن أخت حسن ملك التركمان، و الآخر، خواجه محمد، و كانت والدته جاريه كان قد جاء بها من غزوه الجركس.

السلطان حيدر: -

كان يسلك حسب تعاليم آبائه و أجداده و أن الملك حسن بن علي باشا بن قرا عثمان باشا الذي تمكن بحسن حظه أن يقضى على ميرزا جهان شاه، و اعتلى كرسى الحكم، عامل سيدنا معامله مخلصه و شعبيه، و لما كان قد عزم على تعزيز و تثبيت علاقته مع القادم الجديد زوجه ابنته حلیمه بيگم المعروفه بعلم شاه بيگم، في يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شهر رجب سنه اثنين و تسعين و ثمانمائه، و كانت عتبه دائما مكان اجتماع الخاص و العام، إلى أن رأى ليله في المنام أنه كلف من عالم الغيب أن يصنع تاجا ذا اثني عشر ضلعا و هى علامه الاثني عشريه، من السقرلاط الأحمر، و أن يأمر أنصاره بوضعه على رؤوسهم.

فلما شاهد السلطان حيدر هذا الحال رمى بقبعته إلى السماء فرحا، و بدل طاقية الأتراك التي كانت متعارفه و معموله في ذلك الزمن إلى تاج حيدري ذى اثني عشر ضلعا، و اشتهروا لذلك بالقرلباش. و ازدادت يوما بعد يوم حشمتهم و صيتهم و سيادتهم، كما زاد توافد أهل الوفاء و الإخلاص نحوهم أكثر من ذى قبل. و تمتع جميع الناس من فوائد فضائلهم و نعمهم. إلى أن جمع بين السلطه الصوريه و المعنويه بايعاز من مشايخ أهل الله فى الباطن، و طلبا لكرسى السيادة حسب الظاهر. و كان الأمير الكبير الملك حسن يعامل جميع أنصار العتبه الحيدريه بالوفاق و الوداد و كان معارضا لكل أمر لا يرتضيه ابن أخته و صهره.

ص: ٥٣

على مدينه شيروان طالبا ثار والده، فما كان عليه إلا أن يدخل مع سيدنا مدخل الكيد و النفاق، فأرسل مندوبا إلى صهره السلطان يعقوب و أعلن أنه بالرغم من أن السلطان حيدر ينوى احتلال الجركس لكن قد يعترم التوجه نحو شيروان إذا وصل إلى حوالى دربند و طبرسران [طبرستران] و لا يحتل أى أرض، فعليك أن تجند جيشا قويا. فلما بلغ هذا الخبر إلى السلطان يعقوب، أرسل سليمان بيجن أوغلى و معه أربعة آلاف فارس من التركمان لمساعدته شيروان شاه، ففرح شيروان شاه من وصول المساعدة التى أرسلها السلطان يعقوب، و كان العسكران من شيروان و التركمان قد شكلا اجتماعا عظيما بالقرب من شماخى إلا أن السلطان حيدر توجه إلى تلك الديار و معه جنده الغزاه عبر طريق شكى مارا بقلعه دربند، إلا أن أهالى تلك المنطقه استخدموا أسلوب العناد و اعتدوا على عسكر السلطان حيدر، مما دفع سيدنا بالايغاز إلى جنده الغزاه باحتلال القلعه و المدينه، و تأديب الأهالى الضالين، ففى مده قصيره اهتزت أركان ذلك الحصن الحصين و اقترب فتحه و احتلاله، و هنا وصل قراييرى قاجار من الخلف على رأس جيشه، و وصلت الأخبار أن فوجا من جيش التركمان عبر النهر، و أن شيروان الملك التحق بهم مع عسكر شيروان لمحاربه عسكر سيدنا المنصور و تواردت الأنباء عن وصول تلك المجموعه، مما اضطر السلطان حيدر للانسحاب من القلعه و الاستعداد لمواجهه تلك الفرقة الخائنه، و قد اشتبك العسكران بالقرب من طبرسران [طبرستران]، و خلال هذه المعركه حاول سليمان بيجن أوغلى مع فوج من أبطال القتال محاربه سيدنا السلطان الغازى. فتولى السلطان حيدر بنفسه قياده الحرب، فضربه بالسهم و ألقاه على الأرض من على ظهر الجواد، و اكتفى بذلك و لم يقتله. فعاد سليمان بيجن أوغلى و ركب حصانه و سال سيدنا عن سبب الامتناع من قتله، فأجاب أن أجله لم يأت بعد، و أن أجلى قد حان و انتهى عمرى و سأستشهد فى هذه المعركه. فخلال المعركه انطلق سهم و أصاب سيدنا و أرداه قتيلا، و دفن جثمانه الشريف فى طبرسران [طبرستران]. و فى المره الثانيه التى توجه فيها الخاقان لتأديب الشيخ شاه إلى شيروان، كان قد مضى على حادث السلطان حيدر اثنان و عشرون سنه، فاخرجوا الجثمان من ذلك المكان و نقلوه إلى دار الإرشاد فى مدينه أردبيل و دفنوه إلى جانب قبور أجداده الكبار المباركه. و كان ذلك فى شهر شعبان اثنان أو ثلاثه و تسعين بعد الثمانمائه.

و يقول كاتب حبيب السير و تاريخ جهان آرا و الفتوحات: كان لسيدنا ثلاثه أولاد من زوجته السمحاء ابنه حسن الملك و هم: السلطان على ميرزا المعروف بالسلطان على بادشاه، و إسماعيل ميرزا، و سيد إبراهيم ميرزا، و يقول حسن بيك صاحب كتاب أحسن التواريخ و كتاب بحر الفوائد: إن السيد محمد ميرزا و السيد سليمان ميرزا و السيد حسن ميرزا و السيد داود ميرزا هم أولاد السلطان حيدر أيضا، و لم يذكر اسم السيد إبراهيم بين أولاده.

ذكر أحوال على بادشاه بن السلطان حيدر: -

الأخ الرشيد للنواب الخاقان صاحب القران الملك إسماعيل عند ما سمع الصوفيون السعداء من أنصار هذه العائله التى يعتبر أفرادها من الفاتحين لدوله الإخلاص و الوفاء، عند ما سمعوا حياه و بقاء أولاد ذلك السلطان العظيم الشأن، أخذوا يتهافتون على دار الإرشاد فى أردبيل يوما بعد يوم، لتجديد البيعه و إعداد وسائل الحرب و الغزو. إلا أن أصحاب العناد و اللجاج أبلغوا السلطان يعقوب بهذا الحدث، و أطلعوه أن نجل السلطان حيدر قد تربع على كرسى الإرشاد بامر من والده، و أن الصوفيه من الصفويه توحدا و تجمعوا، و أن رايه دولته سترتفع شاهقه قريبا.

و تأسف السلطان يعقوب من هذا الحادث و تذكر قرابه و حياء شقيقته المعظمه حليمه بيگم، فأرسل أحد الأمراء البارزين مع

مجموعه من التركمان إلى أردبيل ليقتنعوا سيدنا و يأخذوه إلى قلعه إصطخر في فارس، و يسلموه إلى منصور بيك برناك حاكم تلك الديار.

و لما وصلت الجماعه المذكوره إلى مدينه أردبيل، توكل السلطان على بادشاه على الخالق القدير و توجه إلى إصطخر برفقه والدته المحترمه و إخوته الكرام، و فى أحد الأشهر من سنه ست و تسعين بعد الثمانمائه دخل إلى القلعه و قضى هناك فتره من الزمن، و كان منصور بيك برناك يقوم بواجبه نحو السلطان على و حاشيته خير قيام، إلى أن فارق السلطان يعقوب الحياه، و انقسم أمراء التركمان إلى مجموعتين: اتفقت مجموعته على حكمه أخيه مسيح ميرزا، و اتفقت المجموعه الثانيه على جلوس بايسنقر و استشهد مسيح ميرزا فى هذه المعركه، و جلس ميرزا بايسنقر على العرش.

و قرر أصحاب عم رستم ميرزا بن مقصود ميرزا بن الملك المرحوم حسن بيك - و هم من أنصار مسيح ميرزا - اعتقاله و إرساله إلى قلعه النجق، و تسليمه إلى فرقه السيد على مسئول القلعه. فلما مضى على ذلك بعض الوقت توجه آبيه سلطان إلى قلعه النجق و جمع أفراد السيد حوله و أخرجوا رستم ميرزا من تلك القلعه، و اختاروه ملكا كما تجمع حولهم أناس كثيرون، و اقترحوا التوجه إلى تبريز و محاربه بايسنقر ميرزا، إلى أن وصلوا إلى ضفاف نهر أرس و أقاموا هناك. و خرج ميرزا بايسنقر من تبريز للقضاء على الفتنة، و لما وصل إلى مدينه مرند أرسل بعض أفراده إلى جانب رستم ميرزا للتقصي، و لكنهم لم يكونوا مخلصين فالتحقوا برستم ميرزا، ف وقعت الفرقة بين أفراد جيش ميرزا بايسنقر مما تعذر عليه ضبطهم. و اضطر إلى ترك أعباء و أحمال و أقال الملك، و توجه مع عدد قليل من حاشيته نحو خاله شيروان شاه عبر طريق أهر، قراجه داغ، و كان المنتصر ميرزا رستم فدخل مدينه تبريز مظفرا منصورا و جلس على العرش.

ساحل نهر أرس و نصبوا خيامهم هناك، و أقاموا الجسور على جانبي النهر و أغلقوا الطرق، و لم يكتب لأى من الجانبين النصر و الفوز، فأقام الجانبان فتره من الزمن و أخيرا عاد بايسنقر إلى شيروان، و عاد السلطان على بادشاه و آبيه سلطان إلى تبريز.

فى غضون ذلك تمرد الحاجى بايندر حاكم أصفهان على رستم ميرزا فقراً الخطبه باسم بايسنقر. مما دفع بايسنقر للتوجه إلى آذربيجان مره أخرى على رأس جيش كبير. فأرسل الأمير رستم ميرزا مره أخرى السلطان على ميرزا و معه آبيه سلطان و أفواجا من عساكر الصوفيه و التركمان لمواجهة بايسنقر.

فالتقى الجيشان بالقرب من أهر و مشكين، و دارت الحرب بين الفريقين، فكانت الهزيمة للبايسنقرين و قتل بايسنقر و عاد السلطان على ميرزا مظفرا منصورا إلى مدينه تبريز، فرحب به الأمير رستم خير ترحيب، ثم أرسل سيدنا إلى أردبيل حيث جلس سيدنا على كرسى الهدايه و الإرشاد.

و ما أن سمع رستم ميرزا باجتماع الصوفيين المخلصين حول السلطان على ميرزا حتى اشتعلت نار الحسد فى ضميره و استدعى سيدنا مع إخوته إلى تبريز، و أمر جماعه من حاشيته بمراقبتهم و عدم السماح للصوفيين بالاجتماع بهم، و لكن الاجتماع بهم سرا كان فى ازدياد. فلما علم ميرزا رستم بذلك فكر فى أحوال أولاد السلطان حيدر مليا و انتهى التفكير به إلى القضاء على سيدنا.

و لكن أحد أفراد ميرزا رستم أبلغ سيدنا بما يكيد لهم ميرزا رستم، فأنتهى بهم الأمر لأن يغادروا تبريز فى إحدى الليالى راكبين نحو أردبيل. فلما سمع ميرزا رستم بذلك أرسل آبيه سلطان و معه أربعه آلاف راكب لملاحقه السلطان الجليل، فوصل إلى سيدنا بالقرب من شماسبى و هى منطقه قريبه من أردبيل. و يقال: إن عدد حاشيه السلطان على ميرزا آنذاك كان لا يتجاوز السبعمائنه شخص. و لم يكن بمقدور هذا الفوج القليل الوقوف بوجه تلك الجماعه الكثيره، فما كان عليهم إلا أن يتدبروا الأمر و يبحثوا عن مفر لهم.

و لما كان سيدنا قد أدرك بنور ولايته، موعد استشهاده قرر تعيين أخيه إسماعيل ميرزا - الذى كانت تتلألاً أنوار الملك على ناصيته - وليا للعهد و نائبا عنه، فسلمه رموز و أسرار الأسره فى الإرشاد التى كان قد ورثها عن آبيه العظيم الشأن و أجداده الكرام، و وضع تاجه الكريم على رأس أخيه و سلمه إلى كبار الحاشيه و أوصاهم به و قال: إن سراج الملك فى هذه العائله سيقى مضيئاً بواسطتك.

و بعد هذه الوصيه خاض المعركه و كان أن انتصر المعارضون فى النهايه و وقع سيدنا شهيدا. و بعد هذه الوقعه حصلت الفرقة بين أصحاب الرأى و تناثر كل واحد إلى صوب.

إلا- أن حسين بيك خادم شاملو و خليفه الخلفاء الذى كان قد عرف آنذاك بخادم بيك و معه دده بيك نقلوا جثمانه الطاهر إلى دار الإرشاد فى أردبيل، و دفنوه فى الحظيره المباركه المنوره الصفيه الصفويه. رحمه الله تعالى.

الشاه إسماعيل

إن الأول فى سلسله سلاله السلاطين المشهورين المظفرين هو النواب الخاقان السلیمان الشأن صاحب القران الشاه إسماعيل -

روح الله روحه. و لما كانت العناية الأزليه و إرادته واهب العطايات قد وعدت باستجابته دعاء، و استدعاء سماحه سلطان الأولياء، و برهان الأصفياء فى صومعه عارف المعارف الربانيه الشيخ زاهد الكيلانى، و كان قد طلب من العلى المنان السلطه الدينويه و الأخرويه - كما ذكرنا سابقا - و ما كان مقصوده السلطه الصوريه و الحكم و المال، بل كان مقصوده السلطه المعنويه، و السعاده، و رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر، و كلمه على ولى الله الطيبه، و استخلاص الشيعة الاماميه الناجيه، و أنصار و أصحاب الامام على من بليه التقيه، و لما كانت الحكمه الربانيه البالغه و القدره الالهيه الكامله قد قررت و قدرت ظهور كل مله و دوله فى وقت معين من الزمان، فقد بزغ شمس السلطه العظمى من مطلع المراد، فى أشرف الأوقات و أسعد الساعات، و ولد ذلك الدر الكريم من الصدقه الكريمه علمشاه بيگم ابنه حسن ملك التركمان بتاريخ يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شهر رجب سنه اثنين و تسعين بعد الثمانمائه - و كان قد مضى على وفاه الملك حسن المذكور عشر سنوات - فى طالع العقرب فى دار الإرشاد باردبيل بتأييد من الرب الجليل.

و كانت كنيته الشريفه "أبو المظفر" و اشتهر بعد العروج إلى معارج السلطه و الحكم بصاحب القران، و لما أن بلغ السادسة من العمر، انتخبه أخوه الكريم الشاه سلطان على قبل يوم واحد من استشهاده و ليا للعهد، و سلمه ودائع الإرشاد و أسرار أمانه أجداده الكرام. و فى اليوم الثانى فاز سيدنا بشرف الشهاده، و ما كان على الصوفيين المخلصين الأوفياء إلا أن يخفوا كوكب الولايه عن أنظار الحاقدين، و جاءوا به إلى المدينه و أخفوه. و بعد مرور أربعين يوما رأوا من الأفضل عدم البقاء فى مدينه أردبيل و استشاروا والدته المحترمه ففضلت التوجه نحو كيلان. و فى سنه ثمان و تسعين و ثمانمائه توقف بصحبه أخيه الكريم السيد إبراهيم ميرزا فى بلده رشت، و كان واليها آنذاك الأمير إسحاق، حيث قدم الخدمه اللازمه، و من ثم توجه إلى منطقته لاهيجان حيث قدم واليها كاريا ميرزا على الخدمه اللازمه أيضا. و بعد مده اشتاق السيد إبراهيم لرؤيه والدته الماجده فتوجه إلى مدينه أردبيل، تاركا سيدنا مع جمع من الخواص و الحاشيه هناك منتظرا اللطيفه الغيبيه. و كان سيدنا الشريف يبلغ من العمر آنذاك سبع سنوات. و كانت اقامه سيدنا فى كيلان خمس أو سبع سنوات.

و فى سنه تسعمائه و خمس - و كان سيدنا آنذاك يبلغ من العمر اثنى عشر عاما - توجه إلى مدينه آستارا و أقام فيها فصل الشتاء. و لما أن بلغه خبر التمرد فى ضياع التركمان اقتضت الضروره أن يتوجه نحو آذربيجان. إلا أن كاريا ميرزا على التمس إليه مخلصا بان يمكث هناك أياما معدودات، ليزداد عدد الأصحاب الأوفياء المخلصين. فمكث أياما معدوده. و فى اليوم الأول من شهر جمادى الثانيه سنه تسعمائه و ست و بقوه (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ودع كاريا ميرزا على و توجه مع عدد من أفراد حاشيته إلى دار الإرشاد فى أردبيل.

و العشرين من شهر شعبان من السنه المذكوره فى الكاء من ضواحى مدينه مراغه. و الرابع أبو الفتح بهرام ميرزا الذى ولد بتاريخ يوم الجمعه السابع عشر من شهر شوال سنه تسعمائه و ست و عشرين، و توفى بتاريخ ليله الجمعه التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنه تسعمائه و ست و خمسين، فى قلعه قهقهه، و كان عمره الشريف ثلاثين عاما، و كان له ولدان هما: السلطان إبراهيم ميرزا، و السلطان بدیع الزمان ميرزا. و الخامس القاس ميرزا، و السادس السلطان حسين ميرزا، و لم تتوفر معلومات عن حالهما. و كان لسيدنا ست عشره بنتا و هن: مهر بانو سلطان بيگم التى كانت قد ولدت بتاريخ سنه تسعمائه و خمس و عشرين، بريخان بيگم خانم، و فرح انكيز بيگم خانم، و شاه زينت بيگم خانم، و لم تتوفر معلومات عن أحوالهن، و خانس خانم بيگم التى توفيت بتاريخ التاسع عشر من سنه تسعمائه و واحد و سبعين فى مدينه قزوین. و لم تتوفر أسماء إحدى عشره منهن. أما أحدث الآثار و الأبنیه التى بناها فهى العماره و القبه العالیه و جهاز باغ و العمارات و البساتین الأخرى، و مقبره سيدنا المعظم و المكرم سهل بن على (عليه التحيه و الثناء) و القبه العالیه على مقبره أخيه الكريم السيد نظام الدين أحمد فى قريه أوجان فارس و القريه المذكوره قد وقفها على مقبره أخيه. و أربعة أسواق أطراف الساحة القديمه فى أصفهان و تعريض الساحة المذكوره.

و كان تاريخ ولادته الكريم يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شهر رجب سنه ثمانمائه و اثنين و تسعين. و بدايه حكمه فى سنه تسعمائه و ست، و مده حكمه أربع و عشرون سنه، و كان نقش خاتمه و مسكوكه "غلام شاه مردانست إسماعيل بن حيدر" و قد انتقل إلى عالم البقاء بتاريخ يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رجب سنه تسعمائه و ثلاثين، و كانت أيام عمره الشريف ثمانيه و ثلاثين عاما.

أحداث فتره الحكم

[يونت ثيل تسعمائه و ست]، السنه الأولى للجلوس: (عام الحصان)

يوم النوروز الأربعاء العاشر من شهر شعبان - كان النواب الخاقان صاحب القران قد غادر ديلمان من مدن كيلان مع سبعة من حاشيته و بعد توديع كار كيا ميرزا على نزل فى أرجوان بالقرب من آستارا لقضاء فصل الشتاء و أخذ بتدبير الأمور، و فى بدايه فصل الربيع غادرها إلى أردبيل دار الإرشاد، و حظى بزياره آبائه العظام و والدته و أخوانه ملتصبا العون من بواطنهم القدسيه، و من ثم توجه إلى قراباغ حيث كان فى استقباله السلطان حسين البارانى من أحفاد ميرزا جهان شاه و توجهها معا إلى تشخور سعد.

و انضم إليهما قراجه داغ إلياس روملو مع فوج من أصحاب الإخلاص من الصوفيين و المعتقدين و الموالين، نالوا شرف الاصطحاب، ثم توجهوا جميعا نحو المصيف فى الغابه. و من هناك أوفد حمزه بيك فتح أغلى استاجلو إلى أويماق استاجلو، حيث قدم للترحاب بهم خان محمد خان استاجلو مع جميع أمناء أويماق. و قد أمضى جلالاته فتره من الزمن فى المصيف ثم توجه نحو آذربيجان. و لما أن انتشر خبر قدوم موكبه الميمون بين المخلصين و أصحاب الوفاء، تهافتوا من ديار الروم و الشام و ديار بكر و ذو القدر و بقيه الممدن أفواجا أفواجا لتقبيل قدميه، و الاعراب عن الولاء و الوفاء. و يذكر أن درجه و مدى إخلاص و وفاء و عقيدته صوفى ذى القدر كانت لجلالاته إلى حد أن أحدهم ترك زوجته و عروسه دون أن يدخل عليها و توجه صوب جلالاته، و أن أويماق استاجلو استدعى أن يترك أهله و عشيرته إلى جانب الروم و أن يكون هو و بعض من معه فى خدمه جلالاته. فتمت الموافقه و أصدر السلطان بايزيد خان أمرا فى المحافظه على عشيره أولئك القوم. و بعد أن اجتمع الصوفيون المخلصون توجه المركب الملكى نحو شيروان.

يوم النوروز الخميس الحادى والعشرون من شهر شعبان - توجه النواب الخاقان من آذربيجان إلى شيروان. و كان قد أوفد ببيرام بيك و قلى بيك الملقب بجوش خبر خان فى وقت سابق، و وصل جلالته مع عساكره المنصوره و كان عددهم سبعة آلاف من راكبين و مشاه إلى قلعه گلستان، و جاء فرخ يسار والى شيروان و معه عشرون ألف راكب و ستة آلاف من المشاه لمجابهه جيش القزلباش و بعد معركة عنيفه و بفضل حيدر الكرار كان النصر حليفًا، و قتل فرخ يسار و قاده عسكريه و غنم الغزاه أموالا كثيره.

و يذكر أن فرخ يسار كان قد تسلّم السلطه فى شيروان بعد وفاه أبيه الأمير خليل فى سنه ثمانمائه و ستين، و كانت حكومته سبعة و ثلاثين عاما و عدّه أشهر، و جاء بعده ابنه بهرام بيك ملكا على بعض قطاع شيروان، و توفى بعد سنه واحده، و جلس بعده أخوه غازى بيك على كرسى العرش فى عام تسعمائه و سبعة، و كانت مده حكمه سنه واحده أيضا، و جاء بعده أخوه الآخر الشيخ شاه فى سنه تسعمائه و ثمان و كانت مده حكمه عشرين عاما، و توفى فى يوم السبت الثامن عشر من شهر رجب سنه تسعمائه و ثلاثين، و جاء بعده ابنه السلطان خليل و كانت مده حكمه أحد عشر عاما و ستة أشهر، و تزوج ابنه النواب الخاقان صاحب القران، و انتقل إلى دار العقبى فى يوم الجمعة التاسع من شهر جمادى الثانيه سنه تسعمائه و ثلاث و أربعين.

و خلاصه القول أنه فى ذلك السفر المثمر بلغت أمانه و ديانه عسكر القزلباش إلى حد تركوا أموالهم و أمتعتهم جميعا فى موقع واحد و توجهوا إلى الحرب، و بعد الفراغ من الحرب عاد الجميع و أخذ كل واحد ماله و متاعه دون أن يفقد منها شيئا، و أن النواب الخاقان صاحب القران بعد ثلاثه أيام من المعركه توجه نحو مدينه شماخى، و أرسل خلفا بيك مع فوج من العسكر لاستدعاء الشيخ شاه بن شيروان شاه الذى كان قد هرب من ساحه القتال.

و لما كان الشيخ شاه قد عرف مجىء جلالته فقد أوصل نفسه إلى كيلان و التحق به أهالى كيلان، و لكن النواب الخاقان غضب من هذا الأمر فأوفد خلفا بيك مع بعض العسكر إلى شهر نو، و لما سمع الشيخ شاه بمجىء خلفا بيك هرب من هناك، و احتلت قوات الحكومه القاهره تلك المنطقه و أن جلالته منح ولايتها لخلفا بيك.

[يحيى نيل تسعمائه و ثمان]، السنه الثالثه للجلوس: (عام القرد)

يوم النوروز يوم السبت الثانى من شهر رمضان المبارك - اجتاز النواب الخاقان نهر الكر و توجه إلى جانب نخجوان و أوفد فى وقت سابق ببرى بيك القاجار ليلغ الوند ميرزا خبر ورود الموكب الملكى. كما أرسل حسن آقا شكر أغلى على رأس الطلائع و لكنه عجز عن مقاومه المعارضين، فتراجع و هرب إلى الوند ميرزا فى تبريز، و جاء الوند ميرزا على رأس عساكره و تلاقى العسكران فوقعت المعركه بينهما و قتل فيها قرققاى محمد و لطيف بيك و سيدى آقا من أمراء الوند ميرزا مع ثمانيه آلاف مقاتل. و هرب الوند ميرزا إلى ديار بكر فدخلت رايات العظمه و الجلال إلى تبريز دار السلطنه، و جلس جلالته على العرش. و منح منصب الصداره إلى القاضى شمس الدين الكيلانى الذين كان معلم جلالته و منح منصب أمير الأمراء إلى حسين بيك شاملو، كما منح وزاره الديوان الأعلى إلى الأمير زكريا، كما منح الأمراء و الأمراء كل حسب استطاعته و حاله من العطايا الملكيه و الخلع الفاخره، و ضربت المسكوكات و ألقيت الخطب باسمه الكريم، و أكد و بالغ ثانيه فى رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر الحق، كما توجه فى ذلك الربيع إلى آذربيجان لتأديب علاء الدين ذى القدر، فلما بلغ خبر مغادره النواب الخاقان إلى الوند ميرزا عاد ثانيه، فأرسل النواب الخاقان فوجا من المقاتلين الأشداء. فلم يتمكن من الصمود و المقاومه، فهرب إلى أوجان همدان، و منها إلى بغداد، و بعد ذلك إلى ديار بكر.

[تخاقوى نيل تسعمائه و تسع]،

السنه الرابعه للجلوس: (عام الدجاج) يوم النوروز يوم الأحد الثالث عشر من شهر رمضان المبارك - خبر مجيء السلطان مرد [مراد] بن يعقوب ملك فارس و العراق و كرمان و خوزستان و إعداد النواب الخاقان لذلك، و إرسال قنبر آقا موفدا إلى السلطان مراد و لكنه لم يخضع، فتوجه ذلك الخائب المذنب عن طريق دليجان و همدان مع سبعين ألف من جنود التركمان و المدفعية و عدده عربات من التجهيزات الحربيه فتلقى العسكران فى آلمه بولاغى بالقرب من همدان صباح يوم الاثنى الرابع و العشرين من شهر ذى الحجه الحرام و أخيرا قتل كوزل أحمد بايندر أمير أمراء السلطان مراد مع عشره آلاف من المعارضين بسيوف جيش القزلباش، فلم يقدر السلطان مراد الخائب على الصمود و المقاومه، فهرب إلى شيروان. فغنم جنود القزلباش الفوارس الغنائم الكثيره. و حصل هذا الفتح المبين بقوه الملك القهار و بفضل حيدر الكرار. و توجه الموكب الملكى بعون الملك المنان إلى شيراز بتاريخ شهر ربيع الأول فوصل الخبر إلى السلطان مراد فهرب إلى جانب شوشتر ثم بغداد، فتمكن جلالته من احتلال دول فارس، و منح حكومه كرمان إلى خان محمد خان استاجلو، فتوجه نحو كرمان و معه سته آلاف من الجند، فوصل الخبر إلى محمد بيك التركمان حاكم تلك الديار، فهرب إلى جانب خراسان مع عشيرته و حشمه، فدخل خان محمد خان ولايه كرمان ف ضرب المسكوك و ألقى الخطبه باسم صاحب الجلاله.

[ايت نيل تسعمائه و عشر]، السنه الخامسه للجلوس: (عام الكلب)

يوم النوروز يوم الاثنى الرابع و العشرين من شهر رمضان توجه بعون البركه و الإقبال إلى شيراز، فدخل شيراز دار الملك فى يوم الاثنى.. شهر ربيع الثانى فقتل خطباء كازرون الذين كانوا فى غايه الغنى و الثروه، و كانوا قد تمردوا، فمنح ولايتها إلى الياص بيك ذى القدر. و فى غره شهر جمادى الثانيه توجه من هناك إلى قم لقضاء فصل الشتاء. و أوفد إلباس بيك مع جماعه من أفراد القزلباش إلى الأمير حسين كياجلاوى و إلى خوار و سمنان و فيروز كوه و دماوند و هبلرود.

و فى تلك الحرب لم يتمكن إلباس بيبك من الصمود و تحصن فى قلعه ورامين، فقام الأمير حسين كيا بمحاصره القلعه، و بعد مده ضاق به الأمر و توجه مع جماعته إلى الرى فلقه الأمير حسين كيا و اعتقله فى كبور [كبود] كنبد بالقرب من الرى و قتله، و فى اليوم الثانى عشر من شهر رمضان و بينما كانت الشمس فى ثمانى عشره درجه توجه إلى دير وكاج، و من هناك إلى قلعه گل خندان التى كان يسيطر عليها حسين كيا، و فى اليوم الثانى من شهر شوال كان الانتصار، و بعد ذلك توجهت رايات، العظمه و الجلال إلى فيروز كوه، فوقف الأمير حسين كيا، و معه اثنى عشر ألف من الجنود بوجه العساكر المنصوره، و لكن بعد فتره من الزمن ندم من فعلته فتحصن فى قلعه استا، و وصل النواب الخاقان إلى القلعه و بدأ باقامه التحصينات و حفر نهرا إلى جانب النهر الذى كان يمر من القلعه و يستقى منه أهالى القلعه و حول مياه النهر إلى النهر الجديد، فضاقت الأمر باهالى القلعه عطشا، فاستولى النواب الخاقان على القلعه و سجن حسين كيا فى قفص حديدى و قتل جماعته و بعد مرور عده أيام انتحر حسين كيا فى قفصه الحديدى. فحرقوا جثمانه بامر ملكى. فلما سمع محمد حسين ميرزا والى أسترآباد بالخبر أوصل نفسه إلى الموكب الملكى، و من جانب آخر جاء كار كيا سلطان حسين شقيق كيا ميرزا على من كيلان للاعلان عن ولائه فحصل على الرحمه الملكيه و عاد كل منهما إلى أرضه. و أصدر صاحب الجلاله أمرا بتعيين القاضى محمد كانتى فى منصب الصداره بمشاركه القاضى شمس الدين محمد الكيلانى.

[تنكوزئيل تسعمائه و أحد عشر]، السنه السادسه للجلوس: (عام الخنزير).

يوم النوروز يوم الثلاثاء الخامس من شهر شوال - الخاقان توجه إلى مدينه أصفهان فما أن اطلع الرئيس يوسف شقيق الرئيس بر كه ثانى زمانى على وصول الركب الملكى حتى استقبله بالهدايا الثمينه و قدم لجلالته المجوهرات و اللآلى النادره و ذهب بالنواب الخاقان إلى منزله بالقرب من جسر ماريانان و قام بخدمته خير قيام، و بدأ بالتحصينات مده شهر واحد و أخيرا دخل من بوابه كران و فتح قلعه طبرك و استولى على خزائن الملوك فيها، و جاء نبا فتح قلعه أصفهان فى الكتب بالإجمال. و توفى فى قريه برخوار مولانا علاء الدين محمد الطيب الخاص بداء ذات الجنب. و أمر النواب الخاقان بتعريض ساحه الميدان القديم و أحدث الدكاكين فى أطراف الميدان كما أوجد أربعة أسواق.

و يذكر أن علاء الدوله بن كا كويه ابن خان مجد الدوله كان حاكما و أميرا فى أصفهان، و جاء السلطان محمود سبكتكين و ابنه السلطان مسعود إلى عراق العجم فى سنه أربعمائه و اربع و أربعين و استولى على بعض البلاد هناك، و ترك السلطان محمود ابنه فى أرض الرى و عاد إلى غزنه. فهاجم السلطان مسعود علاء الدوله فى أصفهان فلما تلقى علاء الدوله الخبر هرب من المدينه إلا أن السلطان مسعود اعتقل شقيقته و أخذها معه.

أسماع السلطان مسعود، فكتب إليه بالامتناع عن هذا الأمر و إلا سلم شقيقته إلى الناس الأوباش. فأجابه علاء الدولة، إذا كانت شقيقتي فهي زوجتك و إذا طلقتهما فستكون مطلقتك، و هذا مما يقلل من شان سلطانك. فأنت المختار. فلما تسلم السلطان مسعود هذا الكتاب أعاد شقيقته بعز و احترام تامين. و من ثم توجه السلطان مسعود إلى خراسان، و عين أبو سهل الهمداني نائبا عنه. فوقع حرب بين علاء الدولة و أبي سهل، فكان أبو سهل هو الغالب فاستولى على مدينه أصفهان.

[سيجقان نيل تسعمائه و اثني عشر]، السنه السابعه للجلوس: (عام الفأر)

يوم النوروز يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال - وصل خبر احتلال أصفهان إلى أسمع مراد بيك بانيدري [بايندري] فهرب إلى هرات خوفا، و قام أحمد سلطان وزيره بتدبير أمور البلاد، و نظرا للمصلحه العامه أشفق النواب الخاقان على ممتلكات [ممتلكات] حسين بيك، فبادر حسين بيك بإرسال جومه بيك محافظه إلى تلك الديار لتدبير الأمور، فلما سمع أحمد سلطان بوصول جومه بيك خرج إلى خارج المدينه لاستقباله فعززه و أكرمه و أدخله في منزله و كان له بالمرصاد إلى أن قتله في الحمام في أحد الأيام و أصدر أوامره بتدبير الأمور.

فوصل الخبر إلى الرئيس محمد كره حاكم أبرقوه، فانتهاز الفرصه و هاجم أحمد سلطان و قتله و استولى على القلعه. فما [فلما] أن بلغ الخبر إلى النواب الخاقان حتى توجه من أصفهان في السادس و العشرين من شهر جمادى الثانيه و وصل إلى يزد في أول شهر رجب مع عساكره المنصوره، و فرض الحصار على القلعه حتى شهر رمضان المبارك، و كانت خسائر الجانبين سبعة آلاف قتيل، إلى أن استسلم محمد كره و استولى النواب الخاقان على القلعه و ألقى بالرئيس محمد في القفص الحديدى و بينما هو في ذلك بلغه خبر تمرد جماعه في أرض طبس، فسارع للوصول إلى تلك الحدود، و قتل جميع المتمردين و عاد إلى مدينه يزد.

و أمر بمعاقبه سليمان بيك ذى القدر حاكم شيراز بسبب عصيانه و تمرده، و منح حكومه شيراز لمنصور بيك أفسار، و حكومه يزد إلى حسين بيك لله. و فى يوم الأربعاء السادس و العشرين من شهر شعبان توجه إلى أصفهان و انتهز أحمد سلطان الفرصه فى الطريق فانتحر. فأمر النواب الخاقان بعد وصوله إلى مدينه أصفهان فى شهر شوال بإحراق جثمان أحمد سلطان غضبا، كما أرسل جنودا من ذى القدر إلى أبرقوه فاحتلوها.

و فى نهايه هذا العام قدم مرافق بايزيد باشا من جانب السلطان بايزيد صاحب الروم (العثمانيين) للتهنئه، و قد أمر النواب الخاقان باستدعاء عساكره المنصوره من أطراف فارس و العراق و تجمع الناس فى محله حاله سياه، و ذهب صاحب الجلاله بنفسه مع حارسه الخاص إلى الصيد، ثم أمر الأمراء و أركان الدوله بالتوجه للصيد. و يقال: إن ستين ألف و سبعمائه طريده قتلت فى ذلك اليوم و أصدر جلالته أمرا للأساتذ الماهرين ببناء مناره مرتفعه خارج المدينه تبقى مدى الحياه، و لا تزال قائمه حتى الآن. كما أمر ببناء قبه عاليه و عماره على مقبره أخيه الشيخ نظام الدين أمير أحمد الواقعه فى قريه أوجان فارس و أمر بان تكون القريه المذكوره وقفا على المقبره.

[أودى نيل تسعمائه و ثلاث عشره]، السنه الثامنه للجلوس: (عام الثور)

يوم النوروز يوم الجمعه السابع و العشرون من شهر شوال - توجه النواب الخاقان إلى مصيف همذان بجبال الوند، ثم فى الشتاء

فى خوى و أرومى، و أمر بإرسال العساكر المنصوره إلى تلك الحدود للقضاء على جماعه الأشرار و المتمردين، و أعطى قياده العساكر إلى بيرام خان قرامانلو و خادم بيك خليفه الخلفاء، و نظرا لتمرّد كل من عبدى بيك شاملو شقيق دورمش خان، و ساروا على مهردار تكلوا فقد قتلها. و أمر ببناء قبه عاليه و عماره على ضريح سيدنا سهل بن على (عليه التحيه و الثناء) كما أمر بحفر ينابيع المياه و بناء العمارات و الأحواض و البساتين فى المكان المذكور.

[بارس نيل تسعمائه و أربع عشره]، السنه التاسعه للجلوس: (عام النمر)

يوم النوروز يوم السبت التاسع من ذى القعده الحرام - قرر النواب الخاقان التوجه من همذان للهجوم على صارم الكردى و تحركت حاشيته و وصل خبر توجه النواب الخاقان إلى صارم الكردى فهرب، فلا حقه العساكر المنصوره، و بادرت بالقتل و النهب و السرقة. ثم توجهت القافله المالكه إلى بلده رشت، فوصل الخبر إلى أسماع الأمير حسام الدين والى رشت، فأرسل بواسطه الأمير نجم الدين مسعود الرشتى التحف و الهدايا و اعتذر فعفا عنه النواب الخاقان، ثم سمع جلالته بانباء رجوع صارم الكردى إلى أرومى مع جمع كبير من أنصاره، فسد طريقه كل من بيرام بيك و خادم بيك خليفه الخلفاء مع جمع من أفراد القزلباش، فقتل ابن صارم الكردى مع جماعه من المعارضين و كانت الغنائم كثيره، و فى بلده خوى تشرفوا بجلالته و عوقب أبدال بيك دده قورجى باشى بسبب القصور الذى ظهر منه. و أمضى جلالته الشتاء فى خوى. و فى السادس عشر من شهر ذى الحجه الحرام - انتقل الميرزا سلطان حسين بايقرا والى خراسان إلى جوار ربه و تسلّم السلطه بعده ولده.

[توشقان نيل تسعمائه و خمس عشره]، السنه العاشره للجلوس: (عام الأرنب)

يوم النوروز يوم الأحد التاسع عشر من شهر ذى القعده الحرام - وصلت الأنباء إلى صاحب الجلاله أن السلطان مراد بعث رسولا إلى علاء الدوله حفيد ناصر حاكم بلاد مرعش، و انتخبه صهرا له ليتمكن بمساعدته و بالتعاون مع جماعه ذى القدر و التركمان و تلك المناطق من الاستيلاء على قلاع ولايه ديار بكر و ضواحيها و أن النواب الخاقان قرر القضاء عليهم و لهذا السبب بعث بالرسائل و الأحكام إلى كل البلاد و إلى أمناء الولايات بان يجمعوا أنصارهم بقدر الإمكان و التوجه نحو بلاطه، و بعد ذلك توجهت رايات الفتح إلى آذربيجان و حاول التركمان خلال الليل القيام بهجوم إلا أن قوات جلالته كانت قد استقرت فى سفح الجبل.

و وصل الخبر إلى أمير خان موصلو فتوجه مع جماعته إلى العتبه المباركه، فنال و حظى بالشفقه الملكيه. و أن علاء الدوله لما سمع ذلك النبا الهائل تحصن فى قلعه درنا فحاصرت قوات القزلباش تلك القلعه و أن النواب الخاقان توجه بنفسه فى اليوم الثالث إلى القلعه لاحتلالها و قد هربت جماعه ذى القدر لما شاهدت هيبه و جلال جلالته و أن القزلباش غنموا أموالا كثيره و بفضل حيدر الكرار استولت الحكومه على قلاع تلك الديار. فمنح حكومه تلك الديار إلى خان محمد خان بن يرام [بيرام] بيك استاجلو و أن جلالته أمضى فصل الشتاء فى مدينه خوى و من هناك توجه إلى العراق.

و أوفد علاء الدوله جيشا بقياده ابنه قاسم بيك على محمد خان محمد.

الغالب و اعتقل قاسم بيك و ابنه و بقيه كبار و أعيان ذى القدر و قتلهم و أرسل رءوسهم إلى جلالته. و أن صاحب الجلاله عين الأمير نجم الدين مسعود زرگر الرشتى و كيلا و أن عدد معامل جلالته ارتفعت إلى ثلاثه و ثلاثين معملا و تم تدبيرها و تعيين مشرفين و أمناء عليها. و يذكر أن الأمير نجم الدين مسعود كان معروفا و خيرا في بلده رشت في صياغه المجوهرات و فى تلك الأيام التى كان النواب الخاقان يعيش فى ولايه كيلان كان الأمير نجم الدين يقوم بخدمته سرا، و يقضى أيامه آملا إلى أن ذاع صيت جلالته. و صاغ لجلالته شده اشتياقه و رغبته له خاتما و نقش عليه بيتين من الشعر وصف فيهما حاله و رغبته.

و بعد أن تسلم جلالته الخاتم أمره بالانصراف. و بعد أن عاد جلالته إلى أردبيل أصبح الأمير نجم الدين مسعود من أفراد حاشيته و زاد من مكاتته يوما بعد يوم لحسن سلوكه كما ارتفع مقامه فى فتره قصيره.

[لوى ئيل تسعمائه و ست عشره]، السنه الحاديه عشره للجلوس: (عام الحوت)

يوم النوروز يوم الاثنين آخر أيام شهر ذى القعدة الحرام - مره أخرى جهز علاء الدوله ولديه كور شاه رخ و أحمد بيك و معهما أربعة عشر فارسا و من المشاه و أرسلهم لمحاربه خان محمد خان انتقاما لدم ولده قاسم بيك. و بعد أن تلاقى الفريقان توجه كل جيش إلى صفوفه. فرجع خان محمد خان مع فوج من جنوده و نصبوا كمينا. و تصور جيش ذى القدر أنهم هربوا فبادروا بجمع الأموال، إلا أن أفراد القزلباش خرجوا من كمائنهم فجاء و هجموا على جيش ذى القدر و قتلوا أولاد علاء الدوله و حاشيتهم، و أرسلوا برءوسهم إلى صاحب الجلاله فى مصيف همذان.

و تم حسب الإبراده الملكيه إيفاد خليل بيك فى مهمه إلى باريك ملك بغداد و معه هدايا كثيره و خلع فاخره و تاج مرصع لابلاغه عواطف جلالته، و أن باريك أرسل أبو إسحاق بيك شيره جى إلى جلالته و معه تحف و هدايا فاخره معربا عن إخلاصه و بيعته فرد عليه جلالته إننا قررنا زياره العتبات المقدسه، و أن إخلاص و عقيدة باريك ستظهر عند ما يسارع إلينا و أن أبو إسحاق أبلغ باريك بالرساله و تطلع باريك إلى الأحوال نادما عن فعلته. و قد ألقى التاج و الهدايا جانبا و بدأ بتحسين المواقع و القلاع و اعتقل السيد محمد آل كمونه لولائه لنا و ألقى به فى السجن. و لما بلغ هذا النبا إلى أسمع النواب الخاقان منح حسين بيك لله قياده الجيش المظفر و رفع رايه احتلال تلك البلاد. و لما اطلع باريك على هذا النبا أدرك أنه لا سبيل أمامه سوى الفرار، فهرب.

و تمكن أنصار جلالته من الإفراج عن السيد محمد كمونه و ضربوا المسكوكات و ألقوا الخطبه باسم جلالته صاحب القران، و توافدوا لاستقبال جلالته، و بذلك دخل جلالته الولايه فى يوم الجمعه الخامس و العشرين من شهر جمادى الثانيه، و نزل فى بستان ميرزا بيربوداق و من هناك توجه الموكب الملكى لزياره العتبات العليه، و أمر بتعمير و إعادة بناء الأضرحة فى العتبات المقدسه و منح حكومه تلك الديار إلى خادم بيك طالش أمير الديوان و لقبه بخليفه الخلفاء كما عين السيد محمد كمونه سادنا على العتبات المقدسه.

و من هناك توجه لاحتلال خوزستان و القضاء على آل مشعشع كما أمر الأمير نجم الدين مسعود و معه لله بيك و بيرام بيك بالقضاء على أوس شاه رستم عباسى و رفع رايه الفتح نحو بلده الحويه و تمكن من احتلالها بعون خالق الأرض و السماء. ثم عاد الموكب الملكى إلى شيراز عن طريق كوه كيلويه و أمضى الشتاء فى ذلك الإقليم و عين الملا شمس الدين محمد

الأصفهاني في منصب استيفاء الديوان الأعلى كما عين أمير بيك موصلو بمنصب صاحب الختم و أمر لهما بالخلع الفاخره.

[ثيلان نيل، تسعمائه و سبع عشره]، السنه الثانيه عشره للجلوس: (عام الحيه)

يوم النوروز يوم الأربعاء الحادى عشر من ذى الحجه الحرام - توجه النواب الخاقان من شيراز إلى آذربيجان و فى طريقه إلى آذربيجان عين القاضى محمد كاشى صدر الأبواب حاكما على يزد و كاشان و شيراز و الأمير نجم الدين مسعود و كيلا، و قال أن فى ذمته مبلغا مقداره ثمانيه آلاف تومان من أموال الديوان، يجب على الأمير نجم الدين مسعود أن يستردها منه و يسلمها إلى الخزانة العامه. و أعد الأمير نجم الدين مسعود تقريرا عن أعمال القاضى محمد و عرضه على النواب الخاقان و ما كان إلا أن قتلوا القاضى محمد فى أقبح حال، و بعد مرور أيام تم عزل أبدال بيك دده ذى القدر حاكم قزوین و ساوخبلاغ و خواری بسبب أعماله الدينئه، و ثم تسليم أراضيه إلى زنيل [زينل] بيك شاملو و منح منصب الصداره إلى المير سيد شريف بن مير تاج الدين على ابن مير مرتضى بن مير تاج الدين على بن مير مرتضى بن تاج الدين على الأسترآبادى الذى كان من أحفاد الداعى الصغیر محمد بن زيد والى طبرستان، من جانب أبيه و من أبناء المير سيد شريف الجرجانى العلامه من جانب والدته و منذ ذلك اليوم فان منصب الصداره تفوض إلى السادات العظام.

و وصل الموكب الملكى إلى آذربيجان و توقف بعض الوقت فى تبريز دار السلطنه. و هنا تم عزل حسين بيك لله شاملو الذى كان من أمراء الديوان من منصبه و إحاله منصبه إلى محمد بيك سفره جى باشى استاجلو. و توفى الأمير نجم الدين مسعود بداء ذات الجنب فى بدايه شهر رجب، و تم إحاله منصبه إلى الأمير يارأحمد خوزانى و لقب بالنجم الثانى، و قضى صاحب الجلاله فصل الشتاء فى تلك السنه فى مدينه خوى. و فى فصل الشتاء بدأ الهجوم على شيروان، فتوافدت الأفواج تلوا الأفواج على شيروان، و لما بلغ نبا وصول الموكب الملكى إلى أسماع الشيخ شاه والى شيروان، لجا إلى القلعه، و ما كان على حراس القلاع فى بادكوبه و المناطق الأخرى إلا المجيء إلى صاحب الجلاله و حظى كل واحد منهم بهديه فاخره، فتمكنت قوات جلالته من احتلال القلاع المذكوره و سارت الرايه الملكيه نحو دربند و تم اعتقال يارأحمد آقا و محمد بيك حارسا لتلك القلاع، و تسليم حكومه تلك المنطقه إلى منصور بيك، و تسليم بقيه المناطق إلى حسين بيك لله.

و فى هذه السنه تم نقل جثمان السلطان حيدر من تبريز دار السلطنه إلى أردبيل دار الإرشاد، حيث كان قد دفن فى تبريز قبل اثنين و عشرين عاما.

من الذهب و الفضة، و كانت حاجتهم من التوابل فى تلك الدير ما يعادل سبعة عشر منا يوميا.

[يونت نيل تسعمائه و ثمان عشره]، السنه الثالثه عشره للجلوس: (عام الحصان)

يوم النوروز يوم الخميس الثانى و العشرين من شهر ذى الحجه الحرام - توجه النواب الخاقان إلى مصيف خرقان و وصلت الأنباء إلى جلالته أن جماعه من الأوزبىك أغاروا على ولايه كرمان و أن جلالته أوفد القاضى نور الدين شقيق الشيخ زاده اللاهجى مندوبا إلى شيبىك خان لمنعه من عمله الدنىء و أن شيبىك خان بعث بالأمر كمال الدين حسين أيبوردى إلى جلالته معلنا عن غروره و تمرده على السلطه فاستاء جلالته من هذا الأمر و توجه فى الحال من مصيفه إلى خراسان. و لما وصل إلى مدينه دامغان هرب منها كل من أحمد سلطان صهر شيبىك خان و خواجه أحمد حاكم أسترآباد و بعض حكام الولايات الأخرى. و أن النواب الخاقان عين بعض الحكام و المحافظين.

و بعد زياره الروضه الرضويه المقدسه المنوره المباركه على صاحبها و على آبائه التحيه و الثناء، توجه إلى حدود سرخس و زورآباد و كان شيبىك خان بعد تسلمه نبا مجىء النواب الخاقان قد توجه من مدينه هرات دار السلطنه إلى حصار مرو فى شهر رجب. و أن النواب الخاقان صاحب القران أرسل محمد خان أفشار مع جيش جرار فى مقدمه الموكب، و دارت بينه و بين فوج من الأوزبىك حرب بالقرب من طاهرآباد قتل فيها خان محمد خان، و أن أفراد الجيش المظفر ألحقوا الهزيمة بالاوزبىك، و هربوا إلى القرب من مدينه مرو، فلحقهم الموكب حتى حاصر المدينه و دارت الحرب عده أيام دون أیه نتیجه، فعبر النواب الخاقان نهر محمدى فى يوم الأربعاء السادس و العشرين من شهر شعبان، و يبعد النهر ثلاثه فراسخ عن المدينه، و بقى جلالته هناك يومى الخميس و الجمعه.

و فى يوم الجمعه بعث جلالته قورى بيك إلى شيبىك خان معاتباً، و توجه جلالته خلفه حتى وصل إلى جسر محمودآباد فترك أمير خان موصلو صاحب الختم مع ثلاثمائه فارس هناك، و أمره بان ينسحب من هناك بمجرد أن يشاهد جيش شيبىك قادما و التوجه إلى الموكب الملكى.

و ذهب قورى بيك إلى شيبىك خان و سلمه الرساله الملكيه، فثارت حميه شيبىك خان فخرج من حصار المدينه و توجه مع خمسه عشر ألفا من أفراده نحو أمير خان. و ما أن شاهد أمير خان عسكر شيبىك خان قادما حتى انسحب و توجه نحو الموكب الملكى حسب ما أمر به النواب الخاقان، فلحقه شيبىك خان، و لما عبر جميع أفراد شيبىك خان الجسر، أرسل النواب الخاقان مجموعه من أفراده لتدمير الجسر، و استمر القتال من الصباح حتى غروب الشمس.

و فى النهايه عجز شيبىك خان عن الصمود و قرر الهرب مع خمسمائه من فرسانه. فلما وصلوا إلى الجسر رأوا أن الجسر مدمر فلجئوا إلى خربه قريه لا يدرون ما ذا يفعلون، و هنا لحق بهم القزلباش و قتلوا شيبىك خان، و جاءوا برأسه و رؤوس أعوانه إلى صاحب الجلاله. و أن الخواجه محمود وزير شيبىك خان و هو رجل شيعى من شيعه حيدر الكرار جاء بمفتاح القلعه و قدمه لصاحب الجلاله فأكرم الملك وفادته. و أن هذا الانتصار مسجل فى التاريخ باسم (فتح الملك المنتصر للدين). و دخلت راميات الظفر فى الثامن من شهر رمضان المبارك إلى المدينه و منح حكومه الولايه إلى لله بيك، و أرض مرو إلى دده بيك. و أصدر جلالته أمرا حسب استدعاء السلطان محمد بابر ميرزا بان يمتلك كل جزء من بلاد ما وراء النهر الذى ينتصر فيها.

و توجه من كابل إلى ما وراء النهر، و أخذ معه في بدخشان خان ميرزا و حارب جمشيد سلطان الأوزبك و حكام ولايه حصار فقتلهم جميعا، و استولى على بلادهم و ضرب النقود و ألقيت الخطبه باسمه.

و في هذه السنه قتل صاحب الجلاله سيف الدين أحمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازانى، شيخ إسلام خراسان بسبب معارضته. و تشرف بمقابله جلالته ميرزا سلطان أويس بن ميرزا سلطان محمود أبو سعيد المعروف بخان ميرزا و حظى بالعطف الملكى.

و جاءه من كل من مصر و الشام و الروم الرسل للتهنئه بسبب هذا الانتصار، كما جاء مير عبد الكريم و آقا محمد من مازندران و أقيمت حفله ساهره. حضرها أركان الدوله. و سلخوا رأس شيبك خان و أرسلوه إلى السلطان بايزيد بن السلطان محمد الغازى كما أرسل كل عضو من جسده إلى أحد السلاطين فى البلدان المختلفه، و صنعوا من جمجمته كأسا من الذهب (؟) و استدعى لتلك الحفله الخواجه كمال الدين الشاعر الخاص لشيبك خان و قالوا له: هل تعرف هذا الرأس؟ قال: نعم إنه رأس لا زال الحكم فيه طالما هو بين يديك. فعينه الملك بسبب كلامه الواضح هذا وزيرا للديوان الأعلى، كما أنعم على مير عبد الكريم و آقا محمد بخلع فاخره و أرسلهما إلى أوطانهما و قد احتلت جيوش جلالته جميع الأراضى حتى نهر جيحون، و قضى صاحب الجلاله الشتاء فيها.

[قوى ثيل تسعمائه و تسع عشره]، السنه الرابعه عشره للجلوس: (عام الخروف)

يوم النوروز يوم الجمعه الثالث من شهر محرم الحرام - توجه النواب الخاقان إلى مصيف تخت سليمان، و أرسل الأمير نجم مع جمع من قوات القزلباش إلى ما وراء النهر. و دخل الأمير نجم مدينه بلخ، و توقف فيها عشرين يوما، و أرسل الأمير محمد يوسف الخراسانى إلى بابر ميرزا للمساعده، جاء بابر ميرزا مع أفراده إلى تنك جكجك، و ذهبوا جميعا إلى خوارزم، و علم فولاد سلطان حاكم تلك الديار بمجيئهم فجاء إليهم طالبا الأمان. و لكن هلقوتو بهادر اوزبك و هو أحد قاداته رفض الاطاعه و بقى فى القلعه و أخيرا قتل مع جماعته.

و توجه الأمير نجم من هناك إلى قرشى، فكان أمير شيخم ميرزا حاكمها معارضا، و بعد ثلاثه أيام وقعت الحرب فقتل حوالى خمسه عشر ألفا، و لم يتمكن مير نجم من الصمود فذهب إلى بخارا و نزل على مسافه فرسخين منها، فوصلت إليه أنباء عن مجيء محمد تيمور شيبك خان و أبى سعيد و عبيد خان.

بدأ ثانيه يستعد للهجوم على خراسان، فجاءهم نبا وفاه بايزيد خان و استلام السلطان سليم ابنه للسلطه و مجيء السلطان مراد عم السلطان سليم.

[بيجي ئيل تسعمائه و عشرين]، السنه الخامسه عشره للجلوس: (عام القرد)

يوم النوروز يوم الأحد الرابع عشر من شهر محرم الحرام - لقد أبلغ جلالته قبل هذا أن محمد تيمور خان بن شيبك خان و معه عبيد خان توجهوا إلى مرغاب، و منها إلى مشهد المقدسه و احتلا أراضي مرو حتى أسفرائين، و لما كانت المعونه الغذائيه قد شحت في هرات دار السلطنه بسبب القحط و الغلاء، فان حسين بيك لله و أحمد سلطان صوفى أعلى لم يجيزا الوقوف و المكوث، فتوجهوا إلى العراق (1) عن طريق طبس و سيستان. و قد علم تيمور سلطان عن هذا الأمر فوصل إلى هرات و نزل في بستان جهان آرا و قتل جمعا كبيرا من أهالي تلك البلاد من الشيعة.

لقد غضب النواب الخاقان مما جرى، فأرسل السلطان خليل حاكم شيراز و وصل جلالته مكرما معززا إلى منطقه الري. و هناك أصدر أمرا بتعيين الأمير عبد الباقي أميرا للأمرء و مير سيد شريف لمنصب الصداره كما زوج ابنه مير عبد الباقي إلى مير سيد شريف. فلما سمع عبيد خان في مدينه مشهد خبر توجه النواب الخاقان هرب و ذهب إلى بخارا، و كذلك فان محمد تيمور و قاده غادروا هرات إلى سمرقند. و انتهز أبو القاسم بخشى الفرصه و بادر مع جمع من أنصاره بالتحصن، و كان أبو القاسم هذا قد كسب بعض الصيت في عهد السلطان حسين ميرزا.

و أصدر النواب الخاقان أمرا بتعيين زينل خان شاملو حاكما على تلك البلاد، كما عطف على ديو سلطان روملو و عينه حاكما على بلخ و ملحقاتها، و عين الأمير سلطان موصولو حاكما على قاين. كما أوفد شاه رخ خان أفشار لاحتلال أراضي قندهار و كرمسيرات. و لما وصل شاه رخ خان إلى ضواحي قندهار، أسرع شجاع بيك حاكمها للتشرف بجلالته حاملا معه الهدايا الثمينه، و حظى بعطف صاحب الجلاله. و لما كان دده بيك حاكم مدينه مرو قد غادر قلعه مرو خوفا من محمد تيمور خان و لجا إلى بلاط جلالته، فان صاحب الجلاله غضب من هذا الأمر و أمر بالباسه ملابس النساء و أركبه على الحمار، و أمر بان يجال به في محلات المدينه ليكون عبره للآخرين.

و أرسل مير عبد الباقي و معه جاين سلطان إلى نساء أبيورد لدفع جمع من الأشرار الذين كانوا قد هاجموا السلطان محمد بايقرا بن أبو الحسن ميرزا بن السلطان حسين و أنجز هذان مهمتهما بأحسن حال و عادا إلى أصفهان. كما عاد موكب جلالته كذلك إلى أصفهان.

[تخاقوى ئيل تسعمائه و إحدى و عشرين]، السنه السادسه عشره للجلوس:(عام الدجاج)

يوم النوروز يوم الاثنين الخامس و العشرون من شهر محرم الحرام - علم النواب الخاقان أن السلطان سليم حاكم الروم توجه نحو آذربيجان على رأس عشرين ألفا من الجند فتوجه النواب الخاقان مع عساكره المظفره إلى تلك البلاد، كما انضم إلى الموكب الملكى بالقرب من جورس، خان محمد خان حاكم تلك الديار و معه جمع كبير من أفراد القزلباش و عساكر آذربيجان.

و قد تلاقى الفريقان في صحراء جالدران في يوم الأربعاء الثانى من شهر رجب. فاصطف الجيش، فكان على اليمينه كل من

خان محمد خان حاكم ديار بكر، و سارو بيره قورجى باشى استاجلو و أخوه و دورمش خان شاملو و نور على خليفه روملو و خلفا بيك و حسن بيك لله و خليل سلطان ذو القدر. و على الميسره خان سلطان استاجلو ولد بابا الياس جاوشلو و جمع آخر. و كان السيد محمد كمونه و مير عبد الباقي و كيل و مير سيد شريف الصدر مع النواب الخاقان فى القلب. و قد تقرر بين السلطان صاحب القران و السلطان سليم بان لا يستخدم الجانبان مدفيعتهما. و كان أفراد القزلباش يقومون بواجبهم خير قيام إلى أن ضاق الأمر فى النهايه على جيش الروم، فأمر السلطان سليم باستخدام المدفيعه بعد أن خدع جماعته، فكان أن ذهب من جيش القزلباش خمسه آلاف قتيل، فثارت حميه النواب صاحب القران و برزت رجولته فسل السيف معتمدا على قوه ذراعه و عز من قائل (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) فتوكل على الله مستمدا من حيدر الكرار، و خاض المعركه و هو ينادى يا على، و ضرب بسيفه ضربه حطم أغلال المدفيعه، و توجه نحو السلطان سليم فوقف مالمقوج أغلى و هو أحد كبار عساكر الروم و معه فوج من الروم على طريق النواب الخاقان و لكن جلالته و بعون حيدر الكرار أنزل ضربه بسيفه على رأس ذلك الخائن ففلق خوذته و رأسه و درعه حتى خاصرته فوق من فوق جواده، كما قتل جلالته جمعا كثيرا من أفراد الروم، فوصل إليه جمع كبير من حاشيته من الصفويين و أحاطوا بجواده و أعادوه، و هنا استغل جماعه الروميين المشؤمين الفرصه و هاجموا قلب العسكر و قتلوا خان محمد خان استاجلو و أولاده و بابا إلياس جاوشلو و السلطان ميرزا أفشار و السيد محمد كمونه و مير عبد الباقي الوكيل و مير سيد شريف الصدر و سارو بيره قورجى باشى و حسين بيك لله و خان محمد خان حاكم ديار بكر و جمعا كبيرا آخر.

و لما علم النواب الخاقان بهذا الحادث عاد إلى العراق و توجه نحو أراضي درجزين و دخل السلطان سليم مدينه تبريز دار السلطنه، و بقى فيها أياما و قد تأسف النواب الخاقان لما وقع و أخذ يفكر فى تدبير الأمور. و منح جلالته الصداره إلى السيد عبد الله و الاشراف على الديوان إلى ميرزا شاه حسين الأصفهاني و أمير الأمراء إلى جاين سلطان و حكومه ديار بكر إلى قرا خان سلطان شقيق خان محمد خان استاجلو. و بعد أيام فوض الصداره إلى مير جمال الدين محمد الأسترآبادى. و فى هذه السنه لما سمع الأوزبك بانشغال الموكب الملكى فى آذربيجان، هاجموا مدينه هرات و نهبوها.

[آيت نيل تسعمائه و اثنين و عشرين]، السنه السابعه عشره للجلوس: (عام الكلب)

يوم النوروز يوم الثلاثاء السادس من شهر صفر - توجه النواب الخاقان إلى مدينه أردبيل لزياره آباءه العظام طالبا منهم العون و المساعدة ثم نزل فى مصيف سهند. و تشرف بمقابله الأمير سلطان حاكم قائن و عرض على جلالته تقريراً عن سوء الأحوال فى ولايه خراسان. و قدم ديو سلطان من مدينه بلخ تقريراً مماثلاً. و عطف النواب الخاقان على الأمير سلطان و منحه منصب اللكى [الملكى] و لقبه بالخان. ثم توجه مع جمع من القوات إلى خراسان. ففوض حكومه تلك البلاد إلى ولده الأكبر طهماسب ميرزا و أعطى الصداره إلى مير غياث الدين محمدى.

ص: ٤١

ولد الأمير يوسف الرازي الذي كان قد ترعرع في مدينه هرات. ثم أمضى الشتاء في تلك السنه في مدينه تبريز دار السلطنه.

[تلكوزيل تسعمائه و ثلاث و عشرين]، السنه الثامنه عشره للجلوس: (عام الخنزير)

يوم النوروز يوم الأربعاء السابع عشر من شهر صفر - في هذه السنه أمضى النواب الخاقان أيامه في تبريز دار السلطنه و نخجوان لتدبير أمور الملك.

[سيجقان ئيل تسعمائه و اربع و عشرين]، السنه التاسعه عشره للجلوس: (عام الفأر)

يوم النوروز يوم الخميس الثامن و العشرين من شهر صفر - عاد النواب الخاقان من المشتى إلى تبريز دار السلطنه و نزل بالقرب من نهر تلوار حيث أمضى ما يقارب من الشهر الواحد في صيد السمك. و من هنا أرسل الميرزا شاه حسين الوزير الأعظم إلى مدينه قم دار المؤمنين. و توجه جلالته إلى مدينه جمجمال في همذان، و هو في حاله صيد و أمضى فصل الشتاء و شهر رمضان المبارك في مدينه قم دار المؤمنين. و من هنا أرسل دورمش خان و زينل خان شاملو إلى مازندران. و في شهر ذى الحجه تمت محاصره قلاع تلك الولايه و في الخامس عشر من الشهر المذكور و بعون حيدر الكرار تم الاستيلاء عليها.

و تشرف حكام مازندران و رستمدار و هزار جريب بقاء جلالته بالقرب من أصفهان، فعفا عن ذنوبهم بكرمه العميم الذي هو من صفات هذه العائله.

[اود] [اودى ئيل تسعمائه و خمس و عشرين]، السنه العشرون للجلوس: (عام البقره).

يوم النوروز يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول - أمضى النواب الخاقان فصل الشتاء في مدينه أصفهان و لم يغادرها. و يقال إن مولانا علاء الدين أحمد بن مولانا صدر الدين على الشيرازى و هو من الأطباء الحاذقين توفى بداء ذات الجنب في مدينه كاشان دار المؤمنين عائدا من أصفهان. و أن جلالته عاقب السلطان خليل حاكم مدينه شيراز و عطف على على سلطان قورجى باشى السابق، و عينه حاكما على ولايه شيراز و فسا. كما تلقى جلالته في هذه السنه خبر وفاه السلطان سليم بن بايزيد حاكم الروم، و جلوس ابنه السلطان سليمان على العرش كما أوفد جلالته دورمش خان إلى خراسان لمساعدته أمير خان. و قد توجه الموكب الملكى السامى في نهايه السنه إلى مدينه سلطانيه.

[يارس] [بارس ئيل تسعمائه و ست و عشرين]، السنه الحاديه و العشرين للجلوس: (عام النمر)

يوم النوروز يوم الأحد الحادى و العشرين من شهر ربيع الأول - أمضى جلالته الشتاء في هذه السنه في نخجوان، و أرسل ديو سلطان مع فوج من القزلباش إلى كرجستان. كما تم في هذه السنه اعتقال لوند ميرزا و داود ميرزا و مثولهما أمام جلالته. كما وافق حكام مازندران و رستمدار و هزار جريب على الضرائب المرسومه عليهم. و عادوا جميعا موقفين إلى بلادهم، و هرب آقا محمد روزافزون إلى مازندران، و أصدر جلالته أمرا إلى جوهه سلطان باعتقاله، فاعتقله في مازندران و جاء به إلى جلالته.

و في يوم الأحد التاسع عشر من شهر جمادى الثانيه - جاء عبيد خان لمحاصره مدينه هرات، و في يوم الجمعة الثاني من شهر رجب لم يستقم فهرب ثانيه إلى ما وراء النهر و أن الأمير خان حاكم خراسان أمر باعتقال الأمير محمد يوسف، و هو من ساده

ذلك العصر و أفاضلهم، و ذلك فى يوم الثلاثاء السادس من شهر رجب و قتله فى اليوم الثانى بسبب التهمه التى وجهها إلى جماعه من المتمردىن و الأشرار، فاغضب هذا الأمر النواب الخاقان فعزله من منصبه و جعل مكانه دورمش خان. و فى بدايه فصل الربيع توجه الموكب الملكى إلى منطقه سهند و مراغه. و فى نهايه شهر رمضان المبارك تشرف الشيخ شاه والى شيروان بمقابله جلالته و أكرمه و أهده الخلع الفاخره الثمينه، و عاد الشيخ شاه بعد فتره إلى بلاده محظوظا سعيدا.

[توشقان ئيل تسعمائه و سبع و عشرين]، السنه الثانيه و العشرين للجلوس: (عام الأرنب)

يوم النوروز يوم الاثنيين الثانى من ربيع الثانى - أمضى النواب الخاقان شتاء هذه السنه فى مدينه تبريز دار السلطنه - و حظى السلطان خليل بن الشيخ شاه بمقابله جلالته و عطفه الكريم. كما التحق أمير خان بالركب الملكى فى سهند أوجان فى شهر جمادى الثانيه و توفى فى ليله الأحد الثانى عشر من شهر شعبان.

[لوى ئيل تسعمائه و ثمان و عشرين]، السنه الثالثه و العشرين للجلوس: (عام الحوت)

يوم النوروز يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ربيع الثانى - أمضى النواب الخاقان فصل الشتاء فى مدينه تبريز دار السلطنه، و فى نهايه يوم الثلاثاء الثامن و العشرين من شهر جمادى الثانيه طعن مهتر شاه قلى عربكبرلو، بسبب العداوه التى كانت بينه و بين ميرزا شاه حسين الأصفهانى وزير الديوان الأعلى، فطعنه هذا بالخنجر و أرداه قتيلا و ما أن سمع النواب الخاقان بالحوادث حتى عاقب مهتر شاه قلى عربكبرلو، و أرسل جثمان ميرزا شاه حسين الأصفهانى إلى أرض الكاظمين المقدسه و دفنه هناك.

و فى هذه السنه توفى جايان سلطان استاجلو و كيل الديوان الأعلى و دفن فى مدينه بغداد، و عطف جلالته على ميرزا جلال الدين محمد و منحه منصب وزاره الديوان الأعلى، و أمضى النواب الخاقان فصل الصيف فى سهند أوجان.

[ئيلان ئيل تسعمائه و تسع و عشرين]، العام الرابع و العشرين للجلوس: (عام الحيه).

يوم النوروز يوم الخميس الرابع و العشرين من شهر ربيع الثانى - أمضى جلالته فصل الشتاء لهذه السنه فى تومان نخجوان و حظى الشيخ شاه والى شيروان بمقابله جلالته و ترك ابنته لدى جلالته و عاد سعيدا مظفرا. و توجه الموكب الملكى إلى مدينه أردبيل لزياره آباءه العظام. و من هناك توجه إلى مدينه سراب. و حظى بايزيد سلطان بن جايان سلطان بمقابله النواب الخاقان، و انتقل بعد أيام إلى جوار ربه فجعل جلالته [جلاله] منصبه إلى ديو سلطان.

رجب المرجب صعد طائر روحه إلى رياض (جَنَاتٍ عَيْدِنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أسكنه الله في غرفات الجنان، و أفاض عليه رشحات الغفران.

تعليقنا على ما تقدم

و يرى القارئ فيما تقدم كيفيه نشوء الأسره الصفويه و تدرجها في تأسيس ملكها، كما يرى دقائق تحركات الشاه إسماعيل في معاركه، و مسراه في توطيد سلطته خطوه خطوه، كما يلحظ حرج الكاتب و هو يذكر معركة (جالديران) الذي انهزم فيها الشاه إسماعيل أمام السلطان سليم، و كيف يبرر الهزيمة بمحاوله المبالغه في عدد جنود السلطان و قله عدد جنود الشاه، كما أنه يركز على البطوله الشخصيه للشاه في المعركة ليزيل أثر الهزيمة من النفوس.

و كنا تطرقنا فيما كتبناه في المجلد الأول من (المستدركات) إلى ما ذكره النهروالي عن الأسره الصفويه من أنها لم تكن أسره شيعيه و أن المتشيع الأول فيها هو الشاه إسماعيل و ناقشنا هذا القول بعض المناقشه. و الكاتب هنا لا يشير إلى شىء من ذلك مما يدل على أنه ليس من رأى النهروالي في هذا الموضوع، و لكنه يؤكد تصوف الصفويين الأوائل تصوفا عريقا عميقا، و ينسب إلى بعضهم من الكشف الغيبى و أمثاله ما لا يصح، كما أن نزعه الكاتب الصفويه تبدو فيما يكتب و فيما يعرض من مصطلحات في التعبير و الأداء و تبنيه لأساليبهم في السعى و الوصول و غير ذلك. على أن ما يلفت هو ما نقله عن الأمير عبد الله الذى التقاه صفى الدين فى (بيضاء) بولاية فارس، من مخاطبته لصفى الدين بقوله (أيها الشاب التركى) فمن أين جاءت هذه الصفه لصفى الدين، و ما هى أصول تركيته [تركيته هذه و ما حدودها..، و ما هى نتائج معرفتنا بها؟].

ثم إن الكاتب يقول قبل ذلك عن صفى الدين: "و قد تغلب عليه رغبه السير و السلوك و إدراك مشاكل عالم المعنى، و وضع خطاه و سار فى واد الجهاد و نكران الذات و التصوف". ثم يضيف إلى ذلك قوله: "و كان ينوى أن يلزم خدمه مرشد عالم جليل صاحب مكارم يتتلمذ على يديه و يكسب آداب السلوك....".

و هذا يدل - كما هو معروف - على أن المتصوف الأول فى هذه الأسره هو رأسها المنسوبه إليه: (صفى الدين)، و على أنه لم يرث التصوف عن آباءه، بل هو الذى بدأه فى قومه.

و مما يرشد إلى ذلك قول الكاتب عن رحيل صفى الدين إلى شيراز للاتصال بالشيخ الصوفى الشيخ نجيب الدين مرعشى الشيرازى.

أنه كان لصفى الدين أخ ثرى و جيه معروف فى شيراز، و أنه اتخذ من وجود أخيه فيها ذريعه لاستئذان والدته بالسفر إلى شيراز، و معنى ذلك أن أخاه لم يكن صوفيا، بل هو فى ثرائه و وجاهته بعيد عن التصوف و لو كان أبوه و جده صوفيين لبان أثر ذلك عليه، و أن كل ما كان من شان للأسره قبل صفى الدين هو أنها لا تتميز بشىء عن كل الأسر البسيطه، و أن تميزها بدأ بصفى الدين لذلك سميت به و نسبت إليه.

و أما عن تشيع صفى الدين فاننا لا يمكن أن نستدل عليه من تتبعنا لسيره المشايخ الذين قصدهم و تتلمذ عليهم كالشيخ ظهير الدين مرعش، و الشيخ ركن الدين البيضاوى، و الأمير عبد الله، و الشيخ إبراهيم زاهد، و الكيلانى الذى تزوج صفى الدين ابنته

و ورث مقامه و صار بعد موته رأسا صوفيا طيله خمس و ثلاثين أو أربعين سنه على اختلاف الأقوال، ثم توالى رئاسه التصوف بعده فى أحفاده ابتداء من ولده صدر الدين موسى.

فليس لدى أنا حتى الآن ما يدل على تشيع هؤلاء المشايخ، بل إن ما يبدو فى أحوالهم و تصرفاتهم الصوفيه ما يمكن أن يدل على العكس، فهذا الانحراف فى التصوف لا يعرفه الشيع، و متصوفو الشيعة كان تصوفهم معتدلا مقبولا لا بتعدى [يتعدى] نوعا من الزهد الذى لا يدفع إلى الشطحات و ادعاء الغيبات و ما إلى ذلك.

و اتصال صفى الدين بمن اتصل بهم، و أخذه بطريقتهم و انكبابه على تعاليمهم قد لا يدل على تشيعه، و يبقى علينا إذا صح هذا الرأى أن نصل إلى المتشيع الأول فيهم بعد أن عرفنا المتصوف الأول. على أننا لا نسلم مع النهروالى (١) بان المتشيع الأول هو الشاه إسماعيل بعد أن أثبت هو نفسه أن حيدر الجد الأعلى للشاه إسماعيل هو الذى صنع التاج ذا الاثنى عشر ضلعا أحمر (و هو إشاره إلى الأئمه الاثنى عشر) و أمر أتباعه أن يلبسوا نظيره فعرفوا باسم (القرلباش) و هو اسم لا يطلق إلا على الشيعة، و لا يزال بعضهم حتى اليوم معروفين به.

على أن رأى الكاتب حسين بن مرتضى يتنافى مع استنتاجنا عن الشك بتشيع صفى الدين، فهو يرى تشيعه و يرى أنه هو أول من فكر بتأسيس دوله شيعيه، و أن ما حققه حفيده إسماعيل كان تحقيقا لأحلام جده الأعلى صفى الدين و وصولا إلى رغباته و استجابته لدعائه.

فالكاتب يفتح حديثه عن الشاه إسماعيل بهذا النص: " و لما كانت العناية الأزليه و إرادته واهب العظيات قد وعدت باستجابته دعاء و استدعاء سماحه سلطان الأولياء و برهان الأصفياء فى صومعه عارف المعارف الربانيه الشيخ زاهد الكيلانى، و كان قد طلب من العلى المنان السلطه الدنيويه و الأخروييه و ما كان مقصوده من السلطه الحكم و المال، بل كان مقصوده السلطه المعنويه و السعاده و رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر و كلمه على ولى الله الطيبه و استخلاص الشيعة الاماميه الناجيه و أنصار و أصحاب الامام على من بليه التقيه... ".

و نظل نحن عند استنتاجنا - مجرد استنتاج - و يظل للكاتب رأيه، و نحن فى الوقت نفسه نعترف بأنه لا يمكن أن يرسل قوله هذا جزافا فلا بد أن يكون مستندا إلى حقائق وصل إليها و لم تصل إلينا، و يبقى للقارئ حكمه على ما

ص: ٦٣

١- هو محمد بن أحمد النهروالى، نسبه إلى نهرواله، بلده فى الهند تسمى الآن بتن، و إليها تنسب أسرته، أما هو فقد ولد فى مدينه لاهور سنه ٩١٧ ثم هاجر إلى الحجاز [الحجاز]. ثم رحل إلى مصر. ثم ذهب إلى اسطنبول مارا ببلاد الشام، ثم عاد إلى مكه. و لاه الأتراك مناصب فى التدريس و الإفتاء و غيرهما، و قرروا له مرتبا شهريا كبيرا، و نال عند الأتراك جاها عظيما فكانوا يعطونه العطاء الواسع، لذلك نجده يبالغ فى الثناء على سلاطين الأتراك و رجال دولتهم و يتحامل على غيرهم من العرب و غير العرب. توفى سنه ٩٩٠. و صفه المؤرخ على التاجر فى الصفحه ٥٤١ من المجلد الخامس من مجله العرب بعد أن نقل وصفه لبعض الأحداث: لست بحاجه بعد كل هذا إلى تفصيل ما فى حديث النهروالى من تخليط و تخبط، فذلك أوضح من أن يحتاج

إلى بيان. ثم يقول عن روايه النهروالى: بغض النظر عما فى هذه الأسطوره من خلط و تشويش و اضطراب و أخطاء تاريخيه و جغرافيه.... و يقول فى الصفحه ٤٦٠: و النهروالى قليل الاهتمام بتحرى الحقيقه عديم العنايه بصحه ما يكتب و خاصه بالنسبه إلى التاريخ. و يقول فى الصفحه ٦٣٨: الواقع أن النهروالى كان يتحدث عن موضوع يجهل ملابساته كلها جهلا تاما، فلفق و خلط كما هى عادته.

يرى أمامه من نصوص و تحقيقات و استنتاجات.

و إذا صح تشيع صفى الدين و صح رأى الكاتب و لم يصح استنتاجنا، فمعنى ذلك أن صفى الدين متسلسل من أصول شيعيه، و لا يبقى بعد هذا من مجال للبحث عن المتشيع الصفوى الأول، ما دام التشيع فى الأسره قد سبق عصر صفى الدين، و لم يعد صفى الدين أن كان واحدا ممن تسلسلوا من الأصول الشيعيه البعيده.

و سواء كان صاحب فكره قيام الدوله الشيعيه هو صفى الدين نفسه - كما يرى الكاتب - أو كان صاحب الفكره، أو أصحاب الفكره هم من جاءوا بعده من أحفاده، فان عباره الكاتب التى أتت خلال حديثه عن صفى الدين و هى قوله: "... كان مقصوده السلطه المعنويه و السعاده و رواج مذهب الأئمه الاثنى عشر و كلمه على ولى الله الطيبه و استخلاص الشيعه الاماميه الناجيه و أصحاب الامام على من بليه التقيه..."

إن عبارته هذه تدل على اللهفه التى كانت فى نفوس الشيعه لأن يجدوا المكان الذى يأمنون فيه على أنفسهم و حرياتهم، بعد أن طال اضطهادهم و سفك دمائهم و نهب أموالهم و مطاردتهم فى كل مكان، مما ألجأهم إلى الأخذ بالتقيه صونا لحياتهم و كرامتهم...

كما تدل على ما كان فى نفوسهم من الأسى، و ما يشعرون به من الكرب لاضطرارهم للتستر بهذه التقيه، الذى سماه الكاتب (بليه التقيه)، و حسبك بهذه التسميه دلالة على محنه المتقين النفسيه.

كما تدل على توقيهم الشديد لأن يتحدثوا عن على بن أبى طالب، و على نقتهم من اضطرارهم للسكوت عن ذكره أو للتهامس به.

لذلك عند ما تحققت الأمنيه و قامت الدوله المنشوده على يد الشاه إسماعيل، كانت رده الفعل عنيفه منطلقه من ذلك الكبت الطويل، و منبعثه من تلك المصائب التى عاناها الشيعه، فرأينا أن أول ما فعله الشاه إسماعيل أن أضاف إلى الآذان: (أشهد أن عليا ولى الله)، و أن انطلقت بعض الأقوال المبالغه المتحديه، كما يحدثنا الكاتب و لم نجد لزوما لنشرها هنا، مما نراه نحن أمرا لا داعى له، و كان يجب أن لا يحدث و لا يستمر.

و لكن إذا نحن قلنا هذا فى هذا العصر، فان علينا و على غيرنا أن يقدر الظروف التى انفجرت فيها النفوس و الألسن بما انفجرت به بعد تلك القرون فى العنت و العسف و الارهاق و الاذلال، و أن الذين أطلقوا تلك الأقوال لم يكن من السهل عليهم أن ينسوا أن على بن أبى طالب كان يشتم على المنابر الإسلاميه من عهد معاويه إلى عهد عمر بن عبد العزيز. و إذا كان من لوم فليس على الذين شاءوا أن يفرجوا عن كربهم بأسلوب يتفق كل الاتفاق مع أسلوب مضطهديهم العنيف، بل على الذين ألجأهم إلى ذلك.

على أن أول إشاره تشيع تبدو فى السلسله الصفويه - أول إشاره بالنسبه إلينا - هى ما ذكره عرضا الكاتب (حسن بن مرتضى الحسينى الأسترآبادى) نفسه و هو يتحدث عن أحد أفراد السلسله (على) المعروف ب (بسيه پوش):

فهو يذكر أن الأمير تيمور الكوركاني التقى بسياه پوش و أعجب به و كتب له وثيقه وقف شاهدها الكاتب نفسه مختومه بخاتم تيمورى محرره سنة ٨٠٦ و فيها هذا النص الموجه من تيمور إلى سياه پوش:

"...و عليه من الصلوات أزكاها و من التحيات أنحاهها، على آله و أولاده الطاهرين أجمعين..." ثم يذكر بعض هؤلاء الآباء: "...محمد المصطفى، و على المرتضى، و الحسن، و الحسين، نسله الامام زين العابدين، نسله الامام محمد الباقر، نسله الامام جعفر الصادق، نسله الامام موسى الكاظم..".

ثم ينتقل إلى الجد الذي تسلسل منه الصفويون من الامام موسى الكاظم: أبو القاسم حمزه و هكذا وصولا إلى على سياه پوش. و لا شك أن تعبير هذا النص لا تصدر إلا من شيعي إلى شيعي و إذا كان ما جاء في الحديث عن سياه پوش هو إشارة تشيع، فان التشيع الواضح هو ما جاء في سيره (حيدر) من إيجاده التاج ذا الاثنى عشر ضلعا الرامز إلى الأئمة الاثنى عشر.

على أن اللافت للنظر هنا أن حيدرا هذا المخترع للتاج الاثنى عشرى، و الذى ابتداء منه لقب القزلباش الشيعي - أن حيدرا هذا لم يكن من أم شيعيه، فان والده جنيد كان قد تزوج أخت حسن أمير قبيله آق قوينلو (القطيع الأبيض) التركمانيه و هى قبيله سنيه و كان يقابلها قبيله قره قوينلو (القطيع الأسود) الشيعيه.

و من هذا الزواج جاء حيدر بن جنيد، ثم إن الأمير حسن زوج ابن أخته حيدر من ابنته حليمه بيگم التى اشتهرت بعلم شاه بيگم، و من هذا الزواج جاء على بن حيدر، و إسماعيل بن حيدر، و هو الذى قامت على يديه الدوله الشيعيه الأولى التى جهرت بالدعوه إلى التشيع و اتخذت ذلك شعارا لها و طبقته عمليا.

فى حين أننا لا نرى فى حركه الصفويين قبل إسماعيل: من سياه پوش إلى جنيد إلى حيدر إلى على بن حيدر الظاهر تشيعهم - لا- نرى فى حركتهم أیه دعوه شيعيه علنيه أو قصد لنشر التشيع، اللهم إلا إذا اعتبرنا ما فعله حيدر بن جنيد من إيجاده التاج ذا الاثنى عشر ضلعا الرامزه إلى الأئمة الاثنى عشر، و أمره [امر] أنصاره بوضعه على رءوسهم - إذا اعتبرنا ذلك دعوه شيعيه و تصديا لنشر التشيع. و فيما عدا ذلك فإنما بدا هذا أول ما بدا علنا عند الشاه إسماعيل خليفه أخيه على بن حيدر.

فهل فى هذا ما يؤيد دعوى النهروالى بان إسماعيل هو المتشيع الأول؟ أم أن سبب ذلك أنهم كانوا منصرفين أول الأمر إلى تركيز أمرهم، فلما تركز بإسماعيل أعلن الدعوه الشيعيه و صمم على نشرها؟ هذا ما نعتقد أنه الصحيح، فقد تجنبوا أول الأمر الظهور بمظهر حمله الدعوه الشيعيه لئلا يؤلبوا الناس عليهم حتى إذا تمكن إسماعيل أعلن ذلك واضحا حازما.

و قد رأينا فيما تقدم فى الجزء الأول من (المستدركات) عند الحديث عن إسماعيل ما ذكره النهروالى صراحه بان سبب غزو السلطان سليم للشاه إسماعيل هو الحثول دون قيام دوله شيعيه فى العالم...

و لكن هل يمكن أن يكون للزوجه غير الشيعيه، و للخال غير الشيعي من تأثير فى ذلك على جنيد، ثم للأُم غير الشيعيه الأولى على الابن حيدر بن

جنيّد، و للأّم غير الشيعيه الثانيه على الابن على بن حيدر، ثم لم يكن لذلك من تأثير على إسماعيل بن حيدر، لأنه نشأ في غير رعايتها و بعيدا عن تأثيرها، بل في محيط شيعي في مدينه لاهيجان، حيث نقل إليها و هو في السادسة من عمره بعد مقتل أخيه على، الذي عهد إليه بولايه العهد، فانتقل به أنصاره خوفا عليه إلى لاهيجان، و بقيت والدته بعيده عنه في أردبيل؟ و أن يكون هذا ما حمل النهروالي على القول بان إسماعيل هو المتشيع الأول في الصفويين، و أن سبب تشيعه نشأته في لاهيجان. على أنه إذا انطبق قولنا على جنيد و حيدر و على، فإنه لا ينطبق على سياه پوش.

و هنا لا بد لنا من وقفه عند ما ذكره الكاتب حسين بن مرتضى علوى عن وثيقه الوقف، و ما جاء فيها عن ربط نسب السلسله الصفويه بالإمام موسى الكاظم. فان ذلك يجرنا إلى الحديث عما قيل في صححه هذا النسب، و ما أثير حوله من شكوك. فالكتاب مسلم بصحه هذا النسب، و يبدو أن معاصريه مسلمون، و أن من قبلهم في عصر تيمور مسلمون أيضا، و أول ما اشتهر من الطعن في نسب الصفويين في هذا العصر، هو ما كتبه أحمد كسروي من نفى النسبه العلويه الموسويه إلى الصفويين.

و نحن حين نرى أن الأقدمين - و هم الأقرب إلى الأصول الصفويه و الأكثر تتبعاً لها - لم يتطرقوا إلى التشكيك في نسبهم، و اعتبروه صحيحاً سليماً حين نرى ذلك لا نستطيع إلا التسليم بصحه النسب.

و لعل النزعه التهديميه التي سيطرت على كسروي في الشطر الأخير من حياته هي من عوامل إنكاره النسب الصفوي العلوي الموسوي، لأن في هذا الإنكار تهديماً لحقيقه قائمه. على أن من الإنصاف أن نترك للذين قرءوا كتاب كسروي أن يحكموا عليه، و أن يناقشوا أدلته، و أن يكونوا - في هذا الموضوع - معه أو عليه. فانا لم أقرأ ما كتب لأنني أجهل الفارسيه، و من هنا ليس من حقي أن أحكم، و إن كان من حقي أن استنتج.

صدي قيام الدوله الصفويه عند الآخرين

بعد نشرنا ما كتبه مؤرخ قديم عاش أواخر عهود الدوله الصفويه، و رأينا فيما كتبه صدي قيام هذه الدوله في نفوس الشيعه بعد ما عانوه في كل مكان من اضطهاد و ترويع و قتل، و بعد ما اضطروا إلى تحمل (بليه الثقيه) كما سماها الكاتب المؤرخ. و هي بليه أي بليه...

بعد نشرنا ذلك و تعليقنا عليه نرى أن ننشر ما كتبه الآخرون المعاصرون لنشوء تلك الدوله، لأن فيما كتبه هو أيضا صدي لما في نفوسهم.

و أفضل ما نأخذه هنا هو ما كتبه قطب الدين النهروالي المتقدم ذكره و هو مؤرخ عاصر الأحداث و شاهدها، و كان لسان الآخرين المتوجسين من الدوله الجديده الناقلين على قيامها.

و ما نأخذه هو ما نشره في كتابه (الاعلام باعلام بيت الله الحرام). قال و هو يتحدث عن عهد السلطان العثماني بايزيد الثاني بن محمد الفاتح الذي تولى الملك سنه ٨٨٦ ما نصه:

و ظهر في بلاد العجم في أيامه شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد الصفوي في سنه ٩٠٥، و كان له ظهور عجيب و

استيلاء على ملوك العجم يعد من الأعاجيب، فتك في البلاد، و سفك دماء العباد، و أظهر مذهب الرفض و الإلحاد، و غير اعتقاد العجم إلى الانحلال و الفساد بعد الصلاح و السداد، و أخرج ممالك العجم، و أزال من أهلها حسن الاعتقاد، و الله يفعل في ملكه ما أراد، و تلك الفتنة باقية إلى الآن في جميع تلك البلاد.

و شرح ذلك يحتاج إلى تاريخ مستقل و لا أعلم أحد تعرض له من العلماء الأمجاد.

و ظهر من أتباع شاه إسماعيل المذكور في بلاد الروم (١) شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولي، أهلك الحرث و النسل، و عم بالفساد و القتل، و تبعه غواه لا تعد و لا تحصى، و قويت شوكتة و عظم به على المسلمين في ذلك القطر الفتنة و البلاء. فأرسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم على باشا بعسكر كبير لقتل هذا الباغي و أمده بجيش عظيم لقطع جادره هذا الطاغى، فاستشهد على باشا في ذلك القتال، و قدم بأكفان شهادته إلى الله المتعال، و انكسر شيطان قولي المفسد التعيس، و عسكره من جنود إبليس، و قتل مع طائفه من أعوانه الأباليس، و أسكن الله هذه الفتنة بعد ما طمت، و كفى الله تعالى شر أولئك الأشرار بعد أن عظمت فتنهم و عمت، و ذلك في سنة ٩١٥ (٢) (انتهى).

ثم يروى النهروالى ظهور الدوله الصفويه على الشكل التالى، فإنه بعد أن يذكر ظهور صفى الدين ثم يستمر في ذكر أحداث خلفائه حتى يصل إلى الشيخ جنيد فيقول ما نصه: (٣)

فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية باردبيل كثر مریدوه و أتباعه في أردبيل فتوهم منهم صاحب آذربيجان يومئذ و هو السلطان جهان شاه بن قرا يوسف التركمانى من طائفه (قره قوينلو) فاخرجوهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مریديه إلى ديار بكر و تفرق عنه الباكون. و كان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بيك بن قتلق بيك بن على بيك من طائفه من (آق قوينلو) جد أوزون حسن بك البابندرى [البابندرى] و هو أول من تسلطن من طائفه آق قوينلو، و ولى السلطنه منهم تسعه أنفس و مده ملكهم اثنتان و أربعون سنه و أخذوا ملك فارس من طائفه قره قوينلو، و أول سلاطينهم قره يوسف بن قره محمد التركمانى و مده سلطنتهم ثلاث و ستون سنه، و انقرض ملكهم على يد أوزون حسن بيك المذكور (٤) في شوال سنه ٨٧٣، و كان أوزون حسن بيك ملكا شجاعا مقداما مطاعا مظفرا في حروبه، ميمونا في نزوله و ركوبه، إلا أنه وقع بينه و بين السلطان محمد بن السلطان مراد خان حرب عظيم في بايرت فانكسر أوزون حسن بيك و قتل ولده زينل [زينل] بيك، و هرب هو و سلم من القتل و عاد إلى آذربيجان و ملك فارس و العراقين، فلما التجأ الشيخ جنيد إلى طائفه آق قوينلو صاهره أوزون حسن بيك و زوجه بنته خديجه بيگم فولدت له الشيخ حيدر، و لما استولى أوزون حسن بيك على البلاد و طرد عنها ملوك قره قوينلو و أضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر إلى أردبيل و كثر مریدوه و أتباعه و تقوى

ص: ٦٥

١- المقصود ببلاد الروم هنا: الأناضول و ما إليها من البلاد التركييه.

٢- الصفحه ٢٥٩.

٣- الصفحه ٢٧١.

٤- يلاحظ هنا قوله: إن عثمان بيك من طائفه آق قوينلو و أنه جد أوزون حسن، ثم قوله: إن انقرض ملك آق قوينلو كان على

باوزون حسن بيك لأنه صهره، فلما توفى أوزون حسن بيك ولي موضعه ولده السلطان خليل سته أشهر، ثم ولده الثانى السلطان يعقوب فزوج بنته حليمه بيك من الشيخ حيدر، فولدت له شاه إسماعيل فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة ٨٩٢ و كان على يديه هلاك ملوك العجم طائفه آق قوينلو و قره قوينلو و غيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور.

و كان الشيخ جنيد جمع طائفه من مرديه و قصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين فى سبيل الله (١) فتوهم منه سلطان شروان أمير خليل الله شروان شاه فخرج إلى قتاله فانكسر الشيخ جنيد و قتل و تفرق مريدوه، ثم اجتمعوا بعد مده على الشيخ حيدر و حسنوا له الجهاد و الغزو فى حدود كرجستان، و جعلوا لهم رماحا من أعواد الشجر و ركبوا فى كل عود سنانا من حديد، و تسلحوا بذلك، و ألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسامهم الناس قزلباش، و هو أول من ألبس التاج الأحمر لأتباعه. و اجتمع عليه خلق كثير، فأرسل شروان شاه إلى السلطان يعقوب بن أوزون حسن يخوفه من خروج الشيخ حيدر على هذه الصفه، فأرسل له أميرا من أمرائه اسمه سليمان بك باربعه آلاف نفر من العسكر، و أمره أن يمنعهم من هذه الجمعيه فان لم يمتنعوا أذن له أن يقاتلهم، فمضى إلى الشيخ حيدر و منعه من هذه الجمعيه فما أطاعه، فاتفق مع شروان شاه فقاتلاه و من معه، فقتل الشيخ حيدر و أسر ولده شاه إسماعيل و هو طفل، و أسر معه أخواله و جماعته، و جاء بهم سليمان بك إلى السلطان يعقوب فأرسل بهم إلى قاسم بك الفرناك و كان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب، و أمره أن يحبسهم فى قلعه إصطخر فحبسهم بها و استمروا محبوسين فيها إلى أن توفى السلطان يعقوب فى سنة ٨٩٩، و تولى بعده السلطان رستم، و نازعه فى السلطنه أخوانه و تفرقت المملكه و استقل فى كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب. فهرب أولاد الشيخ حيدر إلى لاهيجان من بلاد كيلان، و خرج من أخوان شاه إسماعيل خواجه شاه على بن الشيخ جنيد و جمع عسكرا من مریدی والده و قاتل بهم فقتل فى أيام السلطان رستم بن السلطان يعقوب ثم توفى السلطان رستم و ولي مكانه السلطان مراد بن يعقوب و ألوند بيك ابن عمه، و كان شاه إسماعيل فى لاهيجان فى بيت صائغ يقال له نجم زرگر، و بلاد لاهيجان فيها كثير من الفرق الضاله كالرافضه و الحروفيه و الزيديه و غيرهم، فتعلم منهم شاه إسماعيل فى صغره مذهب الرفض، فان آباءه كان شعارهم مذهب السنه السنيه، و كانوا مطيعين متقادين لسنه رسول الله (ص) و لم يظهر الرفض غير شاه إسماعيل. فطلبه من أمراء ألوند بيك جماعه، و طلبوه من سلطان لاهيجان فأبى أن يسلمه لهم فأنكر و حلف لهم أنه ما هو عندى و ورى فى يمينه، و كان مختفيا فى بيت نجم زرگر، و كان يأتیه مریدو والده خفيه و يأتونه بالنذور و يعتقدون فيه و يطوفون بالبيت الذى هو ساكن فيه إلى أن أراد الله ما أراد و كثرت داعيه الفساد، و اختلفت أحوال البلاد باختلاف السلاطين و كثره العناد بين العباد، و لو كان فيها آلهه إلا الله لفسدت.

و حينئذ كثر أتباع شاه إسماعيل فخرج هو و من معه من لاهيجان و أظهر الخروج لأخذ ثار والده و جده فى أواخر سنة ٩٠٥، و عمره يومئذ ثلاث عشره سنه، و قصد مملكه الشروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه و جده، و كلما سار منزلا كثر عليه داعيه الفساد، و اجتمع عليه عسكر كثير إلى أن وصل إلى بلاد شروان، فخرج لمقاتلته شروان شاه بعساكره و قاتلوه و قاتلهم فانهزم عسكر الشروان، و أسر شروان شاه فأتوا به إلى شاه إسماعيل أسيرا، فأمر أن يضعوه فى قدر كبير و يطبخوه و يأكلوه، ففعلوا كما أمر و أكلوه (٢) و كان ذلك أول فتوحاته.

ثم توجه إلى قتال ألوند بيك فقاتله و انهزم منه و استولى على خزائنه و قسمها فى عسكره، و صار يقتل كل من ظفر به قتلا ذريعا (٣) و لا- يمسك شيئا من الخزائن بل يفرقها فى الحال. ثم قاتل مراد بيك بن السلطان يعقوب فهزمه فى الحال، و أخذ خزائنه و فرقها على عسكره، ثم صار لا- يتوجه إلى بلاد إلا فتحها و يقتل جميع من فيها (٤) و ينهب أموالهم و يفرقها إلى أن

ملك تبريز و آذربيجان و بغداد و عراق العرب و عراق العجم و خراسان و كاد أن يدعى الربوبية(٥) و كان يسجد له عسكريه و يأترون بامرهم، و قتل خلقا لا- يحصون ينوف على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الإسلام و لا في الجاهليه و لا في الأمم السابقيه من قتل من النفوس ما قتله شاه إسماعيل(٦) و قتل عده من أعظم العلماء(٧)، بحيث لم يبق أحدا من أهل العلم في بلاد العجم، و أحرقت جميع كتبهم و مصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنه،(٨) و كلما مر بقبور المشايخ نبشها و أخرج عظامهم و أحرقت(٩)، و إذا قتل أميرا من الأمراء أباح زوجته و أمواله لشخص آخر. و من جمله مضحكاته أنه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا و رتب له ترتيب الأمراء من الخدم، و الكواخي، و السماط، و الليلو، و الأوطاق، و الفرش الحرير و نحو ذلك، و جعل له سلاسل من ذهب و مرتبه و مسنده يجلس عليها كالأمراء(١٠). و سقط مره مندبل من يده إلى البحر و كان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المندبل من عسكريه فوق ألف نفس تحطموا و تكسروا و غرقوا(١١) و كانوا يعتقدون فيه الألوهيه(١٢) و يعتقدون أنه لا ينكسر و لا ينهزم إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسده.

ص: ٦٦

- ١- الكرج ليسوا مسلمين.
- ٢- الباعث على هذه الافتراءات هو حقد المؤلف على قيام الدوله الصفويه و غيظه من انتصارات الشاه إسماعيل.
- ٣- يضاف هذا إلى افتراءاته المتقدمه. و إسماعيل على كل حال لم يقتل أخاه خنقا بالوتر كما فعل السلطان سليم العثماني. و لا خنق في ليله واحده سته من أقربائه، و خنق معهم في نفس الليله سبعة من الأولاد من أقربائه أيضا كلهم رضع في المهده، كما فعل السلطان سليم نفسه كما يروى الكاتب نفسه.
- ٤- عطفا على افتراءاته السابقيه.
- ٥- كلما ازدادت فتوحات الشاه إسماعيل ازداد غيظ المؤلف فتزداد افتراءاته و تتعاضم.
- ٦- و أخيرا استقر حكم الشاه إسماعيل و قامت دولته الشيعيه فلم يجد المؤلف شفاء لغيظه إلا هذا الافتراء الضخم المتناسب مع نجاح الشاه إسماعيل.
- ٧- لو كان صادقا لذكر أسماء هؤلاء العلماء.
- ٨- و هنا يفضح نفسه و يبرز مفتريا لا حدود لافتراءاته، فالمصحف هو مصحف واحد للسنه و للشيعه.
- ٩- الذي احترق هو قلب النهروالي من قيام الدوله الصفويه و أما عظام الموتى فلم يحرقها أحد.
- ١٠- المضحك هو ذكر النهروالي لهذه الفريه و حسابانه أن الناس يمكن أن تصدقها.
- ١١- حبذا لو ذكر لنا اسم البحر و اسم الجبل لنصدق، فمعلوماته الجغرافيه لا أصل لها كتدويناته التاريخيه.
- ١٢- بلغت الدوله الصفويه ذروتها فبلغت افتراءات النهروالي ذروتها، أنه بهذا البهتان و أمثاله يحاول التفريغ عن كرتبه.

إذا كان ما ذكره النهروالي هو تعبير عما كان يعتلج في قلوب الآخريين من قيام الدولة الشيعيه، و هو كلام مجرد كلام، فان السلطان سليم قد صمم على أن يحيل هذا الكلام إلى فعل، فالتفجع لوقوع هذا الحدث الخطير لا يعنى شيئاً في حين أن المطلوب هو العمل المجدى الذى يحول دون استفحال أمر هذه الدولة، ثم القضاء عليها فى مهدها. و هذا ما صمم عليه السلطان سليم و قرر تنفيذه.

و يقول صاحب كتاب (تاريخ العرب الحديث) فى الصفحه ١٦ ما يلى:

"دخل إسماعيل مدينه تبريز عام ٩٠٨ (١٥٠٢ م) حيث أعلن نفسه ملكاً و حامياً للمذهب الشيعى الذى جعله المذهب الرسمى للبلاد" إلى أن يقول بعد أن يردد و يخترع ما يردده و يخترعه من اتهامات هى وليده النقمه على قيام الدوله الجديده ليس إلا، و إن كنت لا- تعجب من نقمه الماضيين، فانك لتعجب و تأسف أن يكون لأساتذته الجامعات و مؤلفى التاريخ الحديث فى هذا العصر نفس الذهنيه التى كانت للنهروالى و أمثاله قبل قرون و قرون.

يقول صاحب تاريخ العرب الحديث متابعاً كلامه السابق: "و شعر المسئولون فى إستانبول بعظم الخطر الجديد، فأجبر سليم أباه المسالم بايزيد الثانى على التنازل عن العرش، و أهمل سليم جبهه البلقان و ركز اهتمامه بشئون دار الإسلام".

لقد رأى - بل رأوا - الخطر فى قيام دوله شيعيه تكف الأذى عن الشيعه، و ليس الخطر - بل عظم الخطر -، و لم ير - بل لم يروا - عظم الخطر فى صليبيه البلقانيين بل رأوه فى إسلام الصفويين. فاهمل سليم جبهه البلقان و ركز اهتمامه بشئون دار الإسلام، على حد تعبير صاحب تاريخ العرب الحديث.

و لنعد الآن إلى بقيه حديث النهروالى المعاصر للأحداث. يقول النهروالى متحدثاً عن السلطان سليم:

" فلما وصلت أخباره (الشاه إسماعيل) إلى السلطان سليم خان تحركت فيه قوه العصبيه، و أقدم على نصره السنه الشريفه السنيه، و عد هذا القتال من أعظم الجهاد، و قصد أن يمحو من العالم هذه الفتنة و هذا الفساد، و ينصر مذهب أهل السنه الحنيفيه على مذهب أهل البدع و الإلحاد، و يأبى الله إلا ما أراه، فتهياً السلطان سليم بخيله و رجله و عساكره المنصوره و رحله و سافر لقتاله، و أقدم جلاده و جداله، و هو يجز الخميس العرمم و يصول بسيف عزمه و يقدم و يتقدم، إلى أن تلاقى العسكران فى قرب تبريز، و رتب السلطان سليم عسكره، و تنزل من عند الله الفتح القريب و النصر العزيز، فتجالد الفريقان بجالدوران و تطارد الفرسان و تعانق الشجعان يهدرون كاليخاتى الفوالج فوق البحور الموائج، و تصادمت فرسان الزحف و الصيال، تصادم أطواد الجبال، و صارت نجوم الأبطال رجوم البطش و القتال، فزلزلت الأرض زلزالها، و أخرجت الأهوال أثقالها، و حيلت المعركه سماء غمامها و القسطل، و صواعقها بروق البيض من بريق الصيقل، و رعوها صليل السيوف فى أعتاق الجحفل، و غيوثها صيب الدم من أوداج رؤوس تحز و تفصل، و أحجار المدافع كجلمود صخر حطه السيل من عل، إلى أن طارت قلوب الأعداء هواء و ذهبت قواهم هباء، و ولوا على أدبارهم إداراً، و انهزم شاه إسماعيل و ولى فراراً، و لم يجد له من دون الله أنصاراً".

هذا هو الوصف المجلجل الذى خطه قلم النهروالى لمعركه جالديران و لا عجب فى ذلك و هو يتحدث بلسان المنتصرين. و إذا

قارناه بالوصف المتقدم للمعركة بقلم مؤرخ الصفويين نرى كم كان هذا الأخير مجمما متلجلجا يريد أن يخلق من الضعف قوه، و لا عجب فهو ينطق بلسان المنهزمين. المنتصرون لا الانتصار العسكري فحسب بل الانتصار العقائدى المذهبي الذى يرى فى الآخرين ضلالا، و فى قيام دولتهم الهول كل الهول!..

و المنهزمون لا الانهزام العسكري فحسب بل انهزام الحلم الجميل الذى عاشوه قرونا و قرونا حتى إذا تحقق رأوه يكاد ينطوى فى طيات الزمن!..

و قد كان يمكن أن تكون معركة جالديران حاسمه بكل معانى الحسم، و أن تقضى على الدوله الصفويه، القضاء المبرم، و لكنها لم تكن كذلك، بل مرت مرورا عابرا عاودت بعده الدوله الجديده مسيرتها المظفره، فكان لا انهزاما ضاريا أصابها، و لا انتصارا كاسحا ناله عليها أعداؤها، فالجيش تمزق فى جالديران، و العاصمه احتلت، و أصبحت البلاد كلها عرضه للاحتلال و الاغتصاب دون مدافع و لا دائد و لا مانع. فإذا بإسماعيل ينهض من بين الأنقاض و ينفض عنه غبار الهزيمة و يعاود النصر بعد النصر حتى يصل إلى بغداد و الموصل و البصره!..

أما السبب فى ذلك فيحدثنا عنه النهروالى:

و لكننا قبل أن ننقل وصف ما جرى بعد الهزيمة لا بد لنا من أن ننقل الجملة التى ختم بها النهروالى وصفه للمعركة حيث قال:

" فوطئت حوافر خيله (السلطان سليم) أرض تبريز فنهى فيها و أمر، و قتل من أراد و أسر، و أعطى الرعيه تمام الأمن و الأمان، و نشر فيها أعلام أهل الايمان "

و لا- يبالى النهروالى بان يقع فى التناقض ما دام قد شفى غيظه بهزيمة الشاه إسماعيل، فكيف يجتمع الأمن و الأمان مع القتل و الأسر.

و المهم فى هذا الكلام هو قوله: " و نشر فيها (تبريز) أعلام أهل الايمان " فأعلام الصفويين أعلام أهل الكفر، و أعلام العثمانيين أعلام أهل الايمان!..

بهذه الذهنيه التى ليست هى ذهنيه النهروالى وحده - بهذه الذهنيه تخلى السلطان سليم عن مقارعه صليبيه البلقانيين و نهد إلى مقارعه إسلام الصفويين!..

و التناقض الذى يقع فيه النهروالى و الذى أشرنا إليه من قبل ليس هو التناقض الوحيد. بل إن النهروالى الذى زعم فيما تقدم من القول أن الشاه إسماعيل قتل العلماء حتى لم يبق منهم أحد، يقول الآن إن السلطان سليم حين رحل رحيله عن تبريز: " أخذ منها من أراد من الفضلاء الأفاضل، و المتميزين فى الصنائع و الفضائل، و الشعراء الأماثل و ساقهم إلى اسطنبول "

إذن فتبريز كانت مملوءه بالفضلاء الأفاضل و الشعراء الأماثل، و إذن فان الشاه إسماعيل لم يقتلهم!..

يقول النهروالى بعد ذلك متحدثا عن سبب انكفاء السلطان سليم عن تبريز و تخليه عن النصر العظيم الذى أحرزه: " و أراد أن يقيم فى تبريز للاستيلاء على إقليم العجم، و التمكن من تلك البلاد على الوجه الإثم [الأتيم]، فما أمكنه ذلك لكثرة القحط و استيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقه بمائتى درهم، و بيع الرغيف الخبز بمائه درهم. و سبب ذلك أن القوافل التى كان أعضها السلطان سليم لأن تتبعه بالميره و العليق و المؤمن تخلفت عنه فى محل الاحتياج إليها، و ما وجدوا فى تبريز شيئا من المأكولات و الحبوب، لأن شاه إسماعيل عند انكساره أمر بإحراق أجران الحب و الشعير و غير ذلك فاضطر السلطان سليم خان إلى العود من تبريز إلى بلاد الروم (تركيا) و تركها خاليه خاويه على عروشها، ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه فأخبر أن سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى، فإنه كان بينه و بين شاه إسماعيل محبه و موده و مراسلات، بحيث إن السلطان قانصوه الغورى كان يتهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك... " (انتهى).

و لم تكن محاوله السلطان سليم القضاء على الدوله الصفويه التى مر ذكرها هى المحاوله الوحيدة، بل كانت المحاوله الأولى، فإنه بعد انتصاره على قانصوه الغورى فى حلب و على طومان باى فى مصر، حاول العوده إلى تبريز، و كانت آخر محاوله له هى التى يتحدث عنها النهروالى قائلا: " فلما أراد سفرا ثالثا إلى بلاد العجم لقطع جاذره طائفه القزلباش (1) رأى أن ما بقى من خزائنه لا يفى بتلك المصاريف، فتأخر ليجتمع فى خزائنه مما يجمع له من خراج البلاد قدر ما يفى له بالمراد، و يأبى الله إلا ما أراد " .

و لم يلبث السلطان سليم أن مرض و مات سنة ٩٣٣.

و جاء ابنه سليمان و فى نفسه التصميم نفسه على القضاء على الدوله الناشئه للسبب نفسه، و نترك للنهروالى أن يحدثنا عن ذلك:

" أرسل (السلطان سليمان) قبل سفره الميمون الوزير الأعظم إبراهيم باشا بعسكر عظيم، و جيش كالبهر الغمطم، و فيه كبيره كالخميس العرمم، لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول سنة ٩٤١ و وصل إلى حلب و شتى بها هو و من معه من العساكر المنصوره السليمانيه و الجيوش المؤيده الخاقانيه.

و برز عقبه الوطاق الشريف السلطاني و المخيم المكرم الخاقاني العثماني إلى أسكودر آخر شهر ذى القعدة الحرام سنة ٩٤١ و استمر متوجها لنصره السنه الشريفه السنيه و قطع طوائف الراضه البليه إلى أن وصل مخيمه الشريف العالى إلى يبلان أوجان قريب تبريز، و جاء إلى استقباله الوزير المعظم إبراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور و توجه بجميع العساكر المنصوره إلى أخذ سلطانيه من مملكه العجم " .

ثم يذكر النهروالى أن الثلوج حالت دون تقدم السلطان سليمان قائلا:

" و استولى البرد الشديد على العسكر المنصور و نزل الثلج كأنه الجبال " .

فعند ذلك قرر السلطان سليمان الرجوع عن تبريز و التوجه إلى بغداد و الاستعاضه بفتحها عن فتح تبريز.

و فى ذلك يقول النهروالى:

" فنزل بعسكره المنصور فى بغداد ". ثم يقول:

" وأمرت الحضرة السلطانية بتحسين قلعه بغداد و حفظها و صونها من الإلحاد " ثم كانت للسلطان سليمان محاوله ثانيه يعبر عنها النهروالى بقوله:

" بادرت الحضرة السلطانية بجيوشها المنصوره العثمانيه إلى أن تشتى فى مدينه حلب و بعد انقضاء الشتاء يتوجه إلى أخذ بلاد قزلباش ".
ثم يواصل كلامه بعد استطرادات قائلًا:

" فلما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطاني إلى نخجوان من بلاد العجم ثانياً ".
و انتهى أمر هذه الحمله بالعوده إلى استنبول دون أن تحقق غايتها. و يقول النهروالى عن ذلك دون أن يدخل فى التفاصيل:

" فجاءت رسل الشاه و طرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفه السلطانيه إجابته الشاه إلى سؤاله ترويحاً للعساكر السلطانيه و صونا لدماء الرعيه فأنعمت على الشاه بما يتمناه ".
و إذا كان النهروالى لم يذكر التفاصيل و لا الأسباب التى حملت السلطان سليمان على قبول الصلح و العوده من حيث أتى دون الوصول إلى هدفه، و اكتفى بالقول بأنه فعل ذلك (ترويحاً للعساكر السلطانيه و صونا لدماء الرعيه). فاننا نستطيع أن نتبين السبب الحقيقى، و هو أن السلطان سليمان بعد دراسته الموقف عن قرب عرف استحاله هزيمة الجيش الصفوى لمنعته و استعداده و تحوطه فأثر العوده.

أما (ترويح العساكر السلطانيه و صون دماء الرعيه) فلو كانت هى السبب - كما يزعم النهروالى - لما أقدم السلطان أصلاً على إقحام العساكر السلطانيه بما ينافى الترويح عنها، و لا ساق الرعيه إلى ما يؤدي إلى سفك دمائها.

أم كلثوم بنت الشهيد الشيخ محمد تقى القزوينيه البرغانيه.

ولدت حدود سنه ١٢٢٤ و توفيت بعد سنه ١٢٦٨ كانت من فواضل نساء عصرها. قرأت المقدمات و العلوم العربيه و الأدب على عمه والدها ماه شرف، ثم أخذت الفقه و الأصول عن والدها الشهيد و عمها الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى، و حضرت فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ ملا آغا الحكمى القزوينى، ثم زفوها لابن عمها الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى القزوينى و هو الابن الأرشد لعمها الشيخ محمد صالح. تصدرت التدريس فى قزوين و طهران و كربلاء، للنساء. و أوقفت مكتبتها سنه ١٢٦٨ على كافه طلاب العلوم الدينيه و جعلت التوليه بيد زوجها، ثم بعد وفاته بيد شقيق زوجها الشيخ حسن.

و من مؤلفاتها تفسير سوره فاتحه الكتاب. (٢)

الاسم الشعري للشاعر الهندي السيد آغا حسن المولود سنة ١٢٣١ و المتوفى سنة ١٢٧٥.

له مرات في الحسين (ع) ابتداءً بها شعره. ثم نظم في الغزل،

ص: ٦٨

١- يقصد بهم اتباع الشاه إسماعيل من الشيعة. راجع ما مر عن سبب هذه التسمية.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فكان له مجموعتان شعريتان: عرفت إحداهما باسم: (كلدسته امانت) والثانيه (الديوان) الذي عرف أيضا باسم: (خزائن الفصاحه) وقد نشر لأول مره سنه ١٢٨٥ فى لكهنؤ.

و اشتهرت له مسرحيه (إندارسبها) و هى مسرحيه فكاهيه أتمها سنه ١٢٧٠ و نشرها مشروحه فى العام التالى، و قد أولع الجمهور الهندى بها، و سارت فى أوساطه كل مسير. و لشهرتها هذا حذوها العديد من الكتاب الهنود.

أويس الأول.

مرت ترجمته فى الصفحه ٥١٢ من المجلد الثالث. و نزيد عليها هنا ما يلى:

أجمع المؤرخون على الإشاده بشفقتة و عدله و شجاعته، و قد كان إلى ذلك يرعى الأدب و الأدباء. و أهم من مدحه من الشعراء: سلمان الساوجى الذى خلف لنا عده مقطوعات بها فيها بأعظم ما وقع فى عهدة من حوادث. و كان المترجم جميل الخط رساما شاعرا.

ضربت السكه باسمه فى بغداد و تبريز و غيرها، و كان على السكه التى ضربت باسمه فى بغداد سنه ٧٥٨ لقب: (السلطان العالم العادل). و التى ضربت فيها سنه ٧٦٢ لقب: (السلطان الأعظم شيخ أويس بهادر). و التى ضربت عام ٧٦٦ كانت تحمل الاسم بالغه المغوليه. و على السكه التى ضربت فى شيراز سنه ٧٦٦ لقب: (الواثق بالملك الريان).

و هناك أويس الثانى بن سلطان ولد بن على بن أويس الأول المترجم، و هو سابع السلاطين الجلائريه، حكم خوزستان و البصره و واسط من عام ٨١٨ إلى ٨٢٤ و قتله شاه محمد التركمانى، و أمه (تاندو) ابنه حسين بن أويس الأول، و هى امرأه قديره، كانت فى أوائل عهد ابنها فى الحكم، و هو صغير السن بمثابة الوزير له.

و فى (أعيان الشيعه) يعتبر المترجم ايلخانيا، أما فى دائره المعارف الإسلاميه فيعتبره (مينورسكى) جلائريا و يعبر عنه بشانى السلاطين من أسره جلائر. على أن (بارتولو) فى دائره المعارف الإسلاميه نفسها يقول: "يجعل بعض المؤرخين الجلائريه من الايلخانيه، و الحق أنهم لا ينتسبون إليهم إلا عن طريق النساء، فإن حسنا مؤسس هذه الأسره كان حفيدا لأرغون من ناحيه أمه".

الشيخ أيوب بن عبد الباقي البورى البحرانى.

هو من أعيان العلماء و فى السنه التاسعه بعد الألف رحل من البحرين لضيق المعيشه و قطن فى الديار المصريه و صار مدرسا للشافعيه حتى فهموا منه التشيع و قتل فى حجرته فى السنه العاشره بعد الألف و لم يوجد من تأليفاته شىء.

قاله صاحب السلافه "رحمه الله عليه".

هذا ما قاله صاحب كتاب (تاريخ البحرين) المخطوط. و يبدو جليا أن الرجل كان من أفاضل علماء البحرين، و أنه لم يكتف بدراسه الفقه الشيعى، بل درس المذاهب الفقهيه الأخرى حتى استطاع أن يتولى تدريس الفقه الشافعى فى مصر.

و الظاهر أن رحلته إلى مصر كانت للاستزاده من العلم درسا و تدريسا، فاكشفوا من بعض أقواله تشيعه فلم يمهله حتى قتلوه...

و فى هذه الترجمة الموجزه الكثير مما يثير الاهتمام و التفكير: من ذلك كون البحرين فى أوائل القرن الحادى عشر منبتا للعلماء و دارا للعلم. ثم اتقاد جذوه التعصب الأعمى فى كل عصر و مصر.

لقد هجموا على الشيخ العالم المدرس فى حجرته فقتلوه فيها بمجرد أن استنتجوا تشيعه.

و بعد ذلك يتساءلون لما ذا أخذ الشيعة بالتقيه، و يعيرونهم بها...

بابر ظهير الدين محمد.

مؤسس الإمبراطوريه المغوليه فى الهند.

نذكر أولا تلخيصا لسيرته، ثم نعقبه ببعض التفاصيل و إن لزم التكرار:

ظهير الدين محمد بن عمر، و حفيد ميران شاه بن تيمور لنك، و يتصل نسبه من ناحيه أمه بجنكيز خان. هو مؤسس الأسره المغوليه التى حكمت الهند، و كانت من أعظم الإمبراطوريات الإسلاميه. و خلف أباه عمر شيخ فى منصب ميرزا فرغانه سنه ٨٩٩ (١٤٩٤) و فى سنه ٩٠٣ (١٤٩٨ م) استولى على سمرقند فى صراع مع أقاربه و لكنه اضطر للتخلى عنها. و بعد صراعات و معارك أفقدته ملكه قرر عبور جبال هندوكش فاستولى على كابل سنه ٩٠٩ (١٥٤٠ م) و فى سنه ٩١٧ (١٥١١) استطاع بمساعده الشاه إسماعيل الصفوى أن يهزم الأزابكه و أن يحتل بخارى و سمرقند، و لكنه، اضطر بعد عام للانسحاب إلى كابل. و قرر هذه المره أن يعدل خطه فيتجه إلى الهند بعد أن كان قد حاول ذلك فى احتلاله الأول لكابل.

و بعد احتلاله لقتدهار سنه ٩٢٨ (١٥٢٢ م) اغتتم فرصه نشوب نزاع بين إبراهيم لودى ملك دهلئ و بين الزعماء الأفاغنه فاستولى على لاهور سنه ٩٣٠ (١٥٢٤) ثم انتصر على إبراهيم سنه ٩٣٢ (١٥٢٤) فى حرب قتل فيها إبراهيم. و مضى بابر فى الهند متخذًا من مدينه (اكرا) عاصمه له، و اضطر لخوض عدّه معارك، و امتدت امبراطوريته من أفغانستان غربا إلى البنغال، و من هملايا إلى جواليار جنوبا.

كان بابر مقداما شجاعا لم تضعف عزمه قله الأنصار الذين لم يتجاوزوا أحيانا ٢٤٠ رجلا. و كان عبوره جبال هندوكش المغطاه بالثلوج شتاء من أقوى مغامراته. و كان إلى ذلك شاعرا أدبيا ترك ديوانا شعريا باللغه التركيه و بعضه بالفارسيه، و مجموعه من المثنويات تسمى (مبين). كما ترك مذكرات تعرف باسم (با برنامه) و تعتبر من أهم ما سجل من تاريخ المغول فى الهند. كتبها باللغه الجغتائيه إحدى لهجات اللغه التركيه الشرقيه.

و هنا بعض التفاصيل:

ولد سنه ٨٨٨ (١٤٨٣ م) و توفى سنه ٩٣٧ (١٥٣٠ م) فى آكرا و دفن فيها، ثم نقل جثمانه بعد عدّه سنوات إلى قبره الحالئ فى كابول اشتهر باسم بابر و لم يعرف باسم محمد، و هو من جهه أبيه ينحدر فى الجيل الخامس من صلب

تيمور، و من جهه أمه فى الدرجه الخامسه عشره من جنكيز.

خلف أباه فى حكم فرغانه سنه ٨٩٩ و فى سنه ٩٠٣ ضم سمرقند و غيرها إلى ملكه، و لكنها لم تدم له طويلا، إذ استطاع الخان شيبانى الأوزبكى أن يخرج من كل ذلك، و بعد معارك دارت أحيانا سجالات اضطر بابر إلى اللجوء إلى خاله فى طشقند. و أخيرا قر قراره على أن يعبر جبال هندوكش إلى أفغانستان فاستولى على كابل سنه ٩٠٩. و فى سنه ٩١١ وصل إلى هرات مليا طلب السلطان حسين ميرزا بايقرا لمناصرته على الأوزبكيين، و لكن الأمر لم يتم إذ توفى السلطان و لم يكن فى أولاده من له كفاءته، فاستولى شيبانى خان على معظم خراسان. على أن بابر استولى سنه ٩١٣ على قندهار مترعا إياها من بنى أرغون، و لكن شيبانى طارده فى ملكه الجديد، فصمم بابر على النفاذ إلى الهند. و فى أثناء ذلك وقع الصراع بين شيبانى و الشاه إسماعيل الصفوى فانتصر إسماعيل و قتل شيبانى بمرور سنه ٩١٦، فعاد بابر إلى سمرقند سنه ٩١٧ مؤيدا من الشاه إسماعيل مقرا بتبعيته له على أن الأمور لم تصف له فعاد إلى كابول بعد سنتين متخذًا منها نقطه انطلاق لما يحاول من ملك عريض، و استطاع سنه ٩٢٨ الاستيلاء على قندهار. و هنا صمم على العبور إلى الهند بعد أن كان منذ سنه ٩٢٢ قد أنفذ إليها حملات استطلاعيه صغيره، أفادته فى التعرف على مواطن الضعف و القوه فيها ثم قام نزاع بين إبراهيم لودى و بين الأفغانيين فاهتبل بابر الفرصه و تقدم فى الهند و استولى على لاهور سنه ٩٣٠ ثم أباد قوات إبراهيم لودى فى بانيتسنه ٩٣٢ و احتل دلهى و آكرا و تقدم حتى جونبور و غازيبور. و بانتصاره على الأفغانيين الشرقيين سنه ٩٣٥ وصل حتى البنغال.

و كان بابر أديبا شاعرا، كتب باللغه التركيه الجغتايه كتاب (با برنامه) و هى سيره ذاتيه له ذكر فيها، قصه حياته و طفولته إلى آخر سنوات عمره، كان فيها صريحا كل الصراحه فتحدث عن ضعفه و أخطائه و هزائمهم، فكان فيها واقعا بعيدا عن الانفعالات النفسيه، و لم يكن القصد منها الدفاع عن النفس.

و قد اعتبرها بعض الدارسين بما فيها من قوه الملاحظه و القدره على التحليل و الفهم لنفسيه الشعوب و الافراد. و ما فى لغتها من صفاء و بساطه و وصف حافل بالألوان الجياشه بالحياه - اعتبرها من روائع النثر التركى.

و لباير ديوان شعر معظمه باللغه التركيه، و بعضه باللغه الفارسيه، يشتمل على الغزل و المثنوى و الرباعى و القطعه و المعمى و المفرد. و يدل هذا الديوان على أن بابر لم يكن دون أى من الشعراء الجغتائيين فى القرن الخامس عشر. و فى الديوان نقرأ أغاني الحب الصوفى و الخمريات إلى جانب موضوعات الحياه اليوميه. عدا عن أن قصائد الديوان هى فى الأصل باللغه التركيه، فان فيه ما يزيد على عشرين قصيده باللغه الفارسيه.

و يجهر فى الديوان بأنه تركى مشيدا بشجاعه الأتراك، و إذا عد بابر فى التاريخ السياسى بين الملوك المظفرين المؤسسين الناجحين، فإنه يعد و لا شك فى التاريخ الأدبى فى أول الشعراء الأتراك، و لا يسبقه إلا الشاعر نوائى.

و لباير رساله فى العروض اكتشفت سنه ١٩٢٣ مخطوطه فى ملحق المكتبه الأهليه فى باريس.

السيد باقر الدمستاني البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أول فاضل تصدر للافتاء في قريه الدمستان، كان حليما حكيما، و عالما عاملا و شاعرا كريما، له كتاب نفيس مسمى بالأمالى و هو مشحون من أدبه و سوانحه. قال طاب ثراه في أول مقدمات كتابه: إن للشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفيه. و إن كانت في الأصل مجازا، لكثره دورها في كلامهم و تعاطيهم استعمالها، لأنهم الفوا ذلك من تداولها و تكرارها في مسامعهم، و من ذلك الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام، و الكثيب إذا أطلقوه فهموا منه الردف، و الورد إذا أطلقوه فهموا منه الوجنه، و الأفاحى إذا أطلقوه فهموا منه الثغر، و الراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق، و النرجس، إذا أطلقوه فهموا منه العيون، كل هذه الأشياء انتقلت عن وضعها الأصلي و صارت حقائق عرفيه نقلها الاصطلاح إلى هذه الأشياء، ثم ذكر أشعارا من نفسه و من غيره لاثبات مقدمته، و بالجمله مات قدس سره سنه ١١٢١.

بيرم خان خانان.

وردت له ترجمه موجزه فى الصفحه ٦١٦ من المجلد الثالث و لكن وقع فيها خطان مطبعيان لم يصححا، إذ ورد اسمه (برام) بدل (بيرم) و (جان خانان) بدل (خان خانان).

و نذكر من ترجمته هنا ما يلى:

قتل سنه ٩٦٣ و معنى خان خانان: أمير الأمراء هو من كبار رجال الشيعة التاريخيين فى الهند، و من المؤسسين الفاعلين فى قيام الإمبراطوريه الإسلاميه المغولييه فيها، إذا لم نقل إنه الفاعل الأول.

و هو من أصل تركمانى ينتمى إلى قبيله (بهارلو) المتفرعه من (القره قويونلو)^(١) و هو ابن سيف على بك، و من أحفاد على شكر، و على شكر هذا هو والد أو جد شير على الذى كان من أعوان جهان شاه برنى، ثم من أعوان السلطان محمود ميرزا ثم صهره على ابنته. ثم التحق ابنه جان على بكيبابو. ثم خلفه فى ذلك ابنه سيف على والد المترجم فى أوائل شبابه، و هو الذى صار واليا على غزنه. و بعد وفاه بابر التحق بهمايون.^(٢) أما ولاده بيرم فيقال إنها كانت فى (بدخشان)، أو فى (غزنه)، و قد فقد والده فى سن مبكره، و لم يلبث أن هاجر إلى (بلخ)، و فيها عكف على الدراسه، و كانت دراسته جديه مثمره جعلت منه رجلا واسع الاطلاع، و كان إلى جانب ذلك شاعرا.

و قد التحق و هو فى السادسة عشره من عمره بهمايون، و عند ما كان همايون فى كابل و عزم على الانتقال إلى الهند صحبه بيرم، و شارك معه فى معركة: (تشوسه) سنه ٩٤٦، و معركة (قنوج) سنه ٩٤٧، اللتين انتهتا بهزيمة همايون، و لما طارده الأعداء احتفى مع زميندار بسمسبيل التى كانت إقطاعا لهمايون. و لما اكتشف رجال شير شاه سور مكانه و أبلغوا ذلك إلى أمير الأفغان الذى خيره بين أن يكون من رجاله أو يترك (سمبيل) ففر إلى كجرات إلى

ص: ٧٠

١- القره قويونلو: القطيع الأسود، مقابل آق قويونلى: القطيع الأبيض.

٢- من أباطره المغول فى الهند، و هو ابن بابر و والد محمد أكبر. حكم الهند (١٥٣٠-١٥٤٠).

بلاط ملكها محمود فحماء و ألحقه بخدمته، و ظل طامحا إلى ما هو أبعد من ذلك، مترقبا الفرص المؤاتيه، فاستأذن محمودا بالسفر إلى الحج، و لما أذن له قصد إلى (راجبوتانه) عابرا صحراء السند وصولا إلى همايون فلقبه سنة ٩٥٠ (١٥٤٣ م) في بلده (جون) التي كانت في ذلك الوقت عباره عن أطلال. و كان همايون الإمبراطور المشرد حين ذاك يكافح مستيئسا لاسترداد ملكه.

و قد رافقه بيرم في ذهابه إلى قندهار السنه ٩٥٠ (١٥٤٣ م) مستنجا بأخيه ميرزا عسكري.

و لكنه لم يجد منجدا، بل اضطر للنجاه بنفسه مع رفيقه بيرم ملتجئين إلى الشاه طهماسب ملك إيران الذي استنصره همايون فنصره، و لما طلب الشاه طهماسب إلى بيرم أن ينضم إليه و يعمل معه، اعتذر بأدب عن تلبية طلب الشاه و آثر ملازمه همايون مواسيا له بنفسه مرافقا له في الكفاح المرير لاسترداد العرش المفقود، و قد قاد بيرم بعد ذلك جيش همايون في معارك ناجحه السنه ٩٦١ (١٥٥٤ م)، ثم توج ذلك بانتصاره الحاسم على سكندر سور السنه ٩٦٣ (١٥٥٥ م) في (ماتشهيوار)، و قد أبدى في انتصاره هذا من النبيل و الشهامه ما لم يكن مألوفاً في أخلاق المنتصرين في تلك العهود في معاملة المقهورين.

و كانت نتيجة هذه المعركه ضمان مستقبل همايون في التربع على عرش الهند، و كان الفضل في ذلك لبيرم خان.

و في السنه ٩٦٢ (١٥٥٥ م) عهد إلى بيرم تقديرا لجهوده بان يكون (أتالقي) لمحمد أكبر الذي كان لا يزال يوم ذاك في الثالثه عشره من عمره، و صار يلقب بلقب (خان بابا) أي والد الخان، و أصبح بمكان الأب لمحمد أكبر. ثم رافقه بعد ذلك إلى البنجاب التي عين أكبر واليا عليها.

و لما فوجئ الناس بوفاه همايون كان بيرم يطارد فلول جيش سكندر سور في كلانور فبادر في الحال للسيطره على الوضع و أعلن حلول أكبر محل أبيه.

و لم يلبث (هيمو) قائد جيش (سور) أن هاجم دهلي ففر منها الوالي المغولي (تردى بك) بدون مقاومه، فأمر بيرم باعدامه ليكون عبره للآخرين، و يبدو أن بيرم لم ينس له أنه عند ما لجا همايون إلى قندهار العام ٩٥٠ - كما مر - و طلب من تردى بك أن يعيره جواده لتمطيته زوجته حميده بانو بيگم أم الطفل (أكبر) عند اضطراره مع بيرم للتزوج عن المدينه التي خابا فيها - لم ينس بيرم أن تردى بك رفض أن يعيره الجواد و عامله بغلظه، فجاءت الفرصه المناسبه الآن ليعاقبه بيرم على تخليه عن الدفاع عن المدينه فارا منها بدون مقاومه، متذكرا غلظته في رفضه إعاره الجواد و معاملة همايون و بيرم معاملة مهينه أيام المحنه...

و في العام ٩٦٤ (١٥٥٦ م) التقى بيرم و هو قائد قوات الإمبراطوريه المغوليه بقوات (هيمو) في موقعه (بانيست)، فانتصر بيرم انتصارا كاسحا، و أسر هيمو بعد ما جرح، فأمر بيرم بقتله بموافقه ضمنيه من همايون، و قد ليم بيرم على قتله أسيرا جريحا، و لكن الظرف كان فيما يرى المدافعون عنه يسمح بمثل هذه المعامله لثائر متمرذ على الدوله يريد أن ينتزع تاج ملكها لنفسه.

و بهذا النصر الذي شتت الجيش الأفغاني وضع بيرم حدا لعدم الاستقرار، و تم أمر الهند لمحمد أكبر أمبراطورا غير منازع، يحكم وصيه بيرم الهند باسمه. و بذلك بلغ بيرم أوج سلطانه. ثم ازداد تالقه بزواجه سنه ٩٦٥ (١٥٥٧ م) من سليمه سلطان بيگم، و هي ابنه عم أكبر و ابنه (كل رخ) شقيقه همايون، حيث صار جزءا من الأسره المالكة.

على أن إنصاف بيرم للشيعة، و رفعه الاضطهاد عنهم، و مراعاة كفاءه أصحاب الكفاءات منهم، لا سيما فى مناصب الدوله، و من ذلك تعيينه الشيخ كدائى كمبوه الدهلوى صدرا للصدور السنه ٩٦٦ (١٥٥٨-١٥٥٩)، قد أثار عليه نقمه المتعصين.

على أن أكبر نفسه كان يضايقه تدخل بيرم فى (متع الصبيانه) - كما يعبر عنها أحد المؤرخين - ثم بعد ذلك عدم إغداق المال عليه و على الأسره المالكة، فترعمت (ماهم أتكه) مرضعه أكبر جماعه من رجال القصر للذس على بيرم و إفساد ما بينه و بين أكبر و تفاقمت الأمور على بيرم و شعر أن الأحوال تسير فى غير ما يهواه، و بعد أن سلم بالأمر الواقع و تخلى عن الكثير من سلطاته عاد معلنا التمرد، و لكنه لم ينجح فى تمرده، فتغاضى أكبر عن تمرده و لم يؤاخذه عليه، ذاكرا له حسن بلائه مع أبيه فى قيام الإمبراطوريه المغوليّه.

و عزم بيرم على الحج إلى بيت الله الحرام، و بوصوله إلى (بتن) فى الرابع عشر من جمادى الأولى السنه ٩٦٨ (١٥٦١ م) اغتاله هناك رجل أفغانى كان أبوه قد قتل فى معركة (ماتشهيواره) و نهب مخيم بيرم و تشردت أسرته، و فيها ولده الطفل عبد الرحيم، و لجات معدمه إلى أحمدآباد، و نقل جثمانه إلى دهلى حيث دفن مؤقتا، و فى السنه ١٧٩ [٩٧١] (١٥٦٣ -) نقل إلى جوار الامام الرضا (ع) فى (مشهد)، و قبره ذو القبه العاليه معروف هناك.

و إذا كانت هذه حياه بيرم السياسيه، فان له حياه أخرى مقرونه بالعلم و الشعر، فقد كان عالما فى العلماء، شاعرا فى الشعراء، ينظم بالفارسيه و التركيه. و قد لقى العلماء و الأدباء و الفنانون و الصناع منه كل الرعايه و العطف. و لم يستطع متعصب شديد التعصب مثل (البدادونى) أن يتجاهل مزايا بيرم فاضطر للثناء عليه، و هو الذى لم يسلم من ثلبه أحد.

و فى السنه ١٩١٠ برز بيرم (الشاعر) بنشر ديوانه فى كلكته.

و قد أدرك أكبر المدين هو و أبوه من قبله بعرشيهما لبيرم مقدار الجحود فيما فعله ببيرم، فاحتضن ولده اليتيم ميرزا عبد الرحيم خان، الذى أصبح بعد ذلك يحمل لقب أبيه (خان خانان) (راجع: باير).

جاريه بن قدامه السعدى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٥٨ من المجلد الرابع. و لما كان هو القامع لحركه ابن الحضرمى فى البصره رأينا أن ننشر هنا تفاصيل تلك الحركه و دور جاريه فى قمعها، و إننا نعتد فى ذلك على كتاب (الغارات) لابن هلال الثقفى:

عثمان، و احذر ربيعه و أنزل في مضر و تودد الأزدي، فان الأزدي كلهم جميعا معك إلا قليلا منهم فإنهم غير مخالفين، و احذر من تقدم عليه.

فقال له عبد الله بن عامر: أنا سهمك في كنانتك: و أنا من قد جربت و عدو أهل حربك و ظهيرك على قتله عثمان فوجهني إليهم متى شئت، فقال له: اخرج غدا إن شاء الله، فودعه و أخذ بيده و خرج من عنده.

فلما كان الليل جلس معاويه و أصحابه يتحدثون، فقال لهم معاويه: في أي منزل ينزل القمر الليلة؟ فقالوا: بسعد الذابح فكره معاويه ذلك و أرسل إليه أن: لا تبرح حتى يأتيك رسولي، فأقام.

و رأى معاويه أن يكتب إلى عمرو بن العاص، و كان عامله يومئذ على مصر يستطلع رأيه في ذلك فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاويه أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص - و قد كان يسمى بأمر المؤمنين بعد صفين و بعد تحكيم الحكيم :-

سلام عليك.

أما بعد، فاني قد رأيت رأيا هممت بامضائه و لم يخذلني عنه إلا استطلاع رأيك، فان توافقني أحمد الله و أمضيه، و إن تخالفني فاستجير بالله و أستهديه، إنى نظرت في أمر أهل البصره فوجدت عظم أهلها لنا و لعلنا و شيعته عدوا، و قد أوقع بهم على الوقعه التي علمت، فاحقاد تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تبرح و لا تريم، و قد علمت أن قتلنا ابن أبي بكر و وقعتنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب على في الآفاق، و رفعت رؤوس أشياعنا أينما كانوا من البلاد.

و قد بلغ من كان بالبصره على مثل رأينا من ذلك ما بلغ الناس، و أحد ممن يرى رأينا أكثر عددا و لا أضر خلافا ليس على من أولئك، فقد رأيت أن إليهم عبد الله بن عامر الحضرمي فينزل في أبعث مضر، و يتودد الأزدي، و يحذر ربيعه، و نعي دم عثمان بن عفان و يذكرهم وقعه على بهم التي أهلكت صالحى إخوانهم و إبنائهم، فقد رجوت عند ذلك أن يفسدوا على على و شيعته ذلك الفرج (1) من الأرض، و متى يؤتوا من خلفهم و أمامهم يضل سعيهم و يبطل كيدهم، فهذا رأيتي فما رأيك؟. فلا تحبس رسولى إلا- قدر مضى الساعه التي ينتظر فيها جواب كتابي هذا، أرشدنا الله و إياك، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته.

فكتب عمرو بن العاص إلى معاويه، أما بعد فقد بلغنى كتابك، فقرأته و فهمت:

رأيك الذى رأيت فعجبت له، و الذى ألقاه فى روعك و جعله فى نفسك هو قلت: إن الثائر لابن عفان و الطالب بدمه، و إنه لم يك منك و لا منا منذ نهضنا فى هذه الحروب و نادينا أهلها و لا رأى الناس رأيا أضر على عدوك و لا أسر لوليك من هذا الأمر الذى ألهمته، فامض رأيك مسددا فقد وجهت الصليب الأديب الأريب الناصح غير الظنين و السلام.

فلما جاءه كتاب عمرو، دعا ابن الحضرمي - و قد كان ظن حين تركه معاويه أياما لا يأمره بالشخص أن معاويه قد رجع عن إشخاصه إلى ذلك الوجه فقال لمعاويه: يا ابن الحضرمي سر على بركة الله إلى هل البصره فانزل فى مضر، و احذر ربيعه و

أتودد الأزد، و انع عثمان بن عفان، و ذكرهم الوقعه التي أهلكتهم، و من (٢) لمن سمع و أطاع دنيا لا تفنى و أثره (٣) لا يفقدها حتى يفقدنا أو نفقده، فودعه! ثم خرج من عنده و قد دفع إليه كتابا و أمره إذا قدم أن يقرأه على الناس.

قال عمرو بن محسن: و كنت معه حين خرج.

قال: فلما خرجنا فسرنا ما شاء الله أن نسير، سرح لنا ظبي أعضب (٤) عن شمائلنا - قال: فنظرت إليه فو الله لرأيت الكراهية في وجهه. ثم مضينا حتى نزلنا البصره في بني تميم فسمع بقدمونا أهل البصره فجاءنا كل من يرى رأى عثمان بن عفان (٥) فاجتمع إلينا رؤوس أهلها، فحمد الله ابن عامر الحضرمي و أثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس فان عثمان إمامكم إمام الهدى قتله على بن أبي طالب ظلما، فطلبتم بدمه، و قاتلتم من قتله، فجزاكم من أهل مصر خيرا، و قد أصيب منكم الملاء الأخيار و قد جاءكم الله باخوان لكم، لهم بأس شديد يتقى، و عدد لا يحصى فلقوا عدوكم الذين قتلوكم فبلغوا الغايه التي أرادوا صابرين، فرجعوا و قد نالوا ما طلبوا، فمالئوهم و ساعدوهم و تذكروا تارككم تشفوا صدوركم من عدوكم.

فقام إليه الضحاك بن عبد الله الهلالي (٦) فقال: قبح الله ما جئنا و دعوتنا إليه جئنا و الله بمثل ما جاء به صاحبك طلحه و الزبير، أتينا و قد بايعنا عليا (ع) و اجتمعنا له، و كلمتنا واحده، و نحن على سبيل مستقيم فدعوانا إلى الفرقة و قاما فينا بزخرف القول، حتى ضربنا بعضنا ببعض عدوانا و ظلما فاقتلنا على ذلك، و ايم الله ما سلمنا من عظيم و بال ذلك و نحن الآن مجتمعون على بيعه ذا العبد الصالح الذي قد أقال العثره و عفا عن المسيء و أخذ بيعه غائبا و شاهدنا أفتأمرنا الآن أن نختلع أسيافنا من أغمادها ثم يضرب بعضنا بعضا ليكون معاويه أميرا و تكون له وزيراء، و نعدل بهذا الأمر عن علي (ع)؟! و الله ليوم من أيام علي (ع) مع النبي (ص) خير من بلاء معاويه و آل معاويه لو بقوا في الدنيا ما الدنيا باقيه.

فقام عبد الله بن خازم السلمى (٧) فقال للضحاك: اسكت فلست بأهل أن تتكلم في أمر العامه ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال: نحن يدك و أنصارك، و القول ما قلت، قد فهمنا ما ذكرت فادعنا إلى أى شىء شئت و، ن.

ص: ٧٢

١- الفرج: الثغر و قال ابن الأثير في النهايه ماده (فرج): "في حديث عمر: قدم رجل من بعض الفروج أى الثغور، واحدها فرج".

٢- و منه: عده بما يتمناه من الدنيا.

٣- الأثره - بفتحيتين - هنا الإيثار على الغير.

٤- سرح: عرض، و الأعضب من الشاء [الشاه] و الأطباء: مكسور القرن، و من الإبل: مشقوق الأذن

٥- لعلها" يرى رأينا في عثمان بن عفان".

٦- الضحاك بن قيس الهلالي من أحوال عبد الله بن عباس (انظر تاريخ الطبرى ١٤٢/٥ حوادث سنه ٤٠).

٧- عبد الله بن خازم - بمعجمتين - السلمى، أبو صالح. قال ابن الأثير في أسد الغابه ١٤٨/٣: "أمير خراسان شجاع مشهور، و بطل مذكور قيل: له صحبه، و كان أميرا على خراسان أيام فتنه ابن الزبير،" قال: و قد استقصينا أخباره فى كتاب الكامل فى التاريخ و قتل سنه إحدى و سبعين فى الفتنه. يعنى الفتنه التى حدثت بخراسان.

فقال له الضحاك بن عبد الله يا بن السوداء(١) والله لا يعز من نصرت ولا:

يذل من خذلت، فتشامتاً.

و الضحاك هو الذى يقول:

يا أيهذا السائلى عن نسبى بين ثقيف و هلال منصبى

أمى أسماء و ضحاك أبى وسيط منى المجد من معتبى

و هو القائل فى بنى العباس:

ما ولدت من ناقه لفحل بجبل نعلمه و سهل

كسته من بطن أم الفضل(٢) أكرم بها من كهله و كهل

عم النبى المصطفى ذى الفضل و خاتم الأنبياء بعد الرسل

(٣) فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثم التيمى(٤) فقال: عباد الله إنا لم ندعكم إلى الاختلاف و الفرقه، و لا نريد أن تقتتلوا و لا- نريد أن تتنابدوا، و لكننا إنما ندعوكم لجمع كلمتكم و توازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم، و أن تلموا شعثكم(٥) و تصلحوا ذات بينكم بينكم]، [، فمهلا- مهلا- - رحمكم الله - اسمعوا لهذا الكتاب الذى يقرأ عليكم، ففضوا كتاب معاويه و إذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاويه أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من المؤمنين و المسلمين من أهل البصره، سلام عليكم، أما بعد، فان سفك الدماء بغير حلها، و قتل النفس التى حرم الله قتلها هلاك موبق و خسران مبین، لا يقبل الله ممن سفكها صرفا و لا عدلا(٦) و قد رأيتم - رحمكم الله - آثار ابن عفان و سيرته و حبه للعافيه و معدلته و سده للثغور، و إعطاءه بالحقوق، و إنصافه للمظلوم، و حبه للضعيف، حتى و ثب الواثبون عليه، و تظاهر عليه الظالمون فقتلوه مسلما محرما ظمان صائما، لم يسفك فيهم دما و لم يقتل منهم أحدا، و لا يطلبونه بضربه سيف و لا سوط، و إنما ندعوكم أيها المسلمون إلى الطلب بدمه و إلى قتال من قتله، فانا و إياكم على أمر هدى واضح، و سبيل مستقيم، إنكم إن جامعتمونا طفئت النائرة،(٧) و اجتمعت الكلمه، و استقام أمر هذه الأمه، و أقر الظالمون المتوثبون الذين قتلوا إمامهم بغير حق، فأخذوا بجرائرهم(٨) و ما قدمت أيديهم، إن لكم على أن أعمل فيكم بالكتاب و أن أعطيكم فى السنه عطاءين، و لا أحتمل فضلا من فيثكم عنكم أبدا، فنازعوا إلى ما تدعون إليه - رحمكم الله - و قد بعثت إليكم رجلا- من الناصحين و كان من أمناء خليفتم المظلوم ابن عفان و عماله و أعوانه على الهدى و الحق، جعلنا الله و إياكم ممن يجيب إلى الحق و يعرفه، و ينكر الباطل و يجحده، (و السلام عليكم) و رحمه الله.

فلما قرئ عليهم الكتاب قال عظامؤهم: سمعنا و أطعنا.

عن أبي منقر الشيباني قال: قال الأحنف بن قيس لما قرئ عليهم الكتاب: أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل و اعتزل أمرهم ذلك.

وقال عمرو بن مرجوم (٩) من عبد قيس: أيها الناس الزموا طاعتكم، ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم واقعه و تصيبكم قارعه، و لا تكن لكم بعدها بقيه، ألا أنى قد نصحت لكم و لكن لا تحبون الناصحين.

حدثنا ثعلبه بن عباد (١٠) أن الذى كان سدد لمعاويه رأيه فى إرسال ابن الحضرمى كتاب كتبه إليه صحار بن عباس العبدى (١١) و هو ممن كان يرى رأى عثمان و يخالف قومه فى حبهم عليا (ع) و نصرتهم إياه.

قال: فكتب إلى معاويه: أما بعد، فقد بلغنا وقعتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم و قتلوا خليفتهم ظلما و بغيا، فقرت بذلك العيون و شفيت بذلك النفوس، و ثلجت أفئده أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين، و لعدوه مفارقين، و لكم موالين، و بكم راضين، فان رأيت أن تبعث إلينا أميرا طيبا زاكيا، ذا عفاف و دين يدعو إلى الطلب بدم عثمان فعلت، فانى لا إخال الناس إلا مجمعين عليك فان ابن عباس غائب عن الناس، و السلام.

فلما قرأ معاويه كتابه قال: لا- عزمت رأيا سوى ما كتب به إلى هذا، و كتب إليه جوابه: أما بعد، فقد قرأت كتابك فعرفت نصيحتك، و قبلت مشورتك، فرحمك الله و سددك، اثبت - هداك الله - على رأيك الرشيد، فكأنك بالرجل الذين سالت قد أتاك، و كأنك بالجيش قد أطل عليك، فسررت و حييت و قبلت، و السلام.ه.

ص: ٧٣

١- السوداء أم عبد الله بن خازم و اسمها عجلى و قد ورث السواد عنها فكأنها يعد من الغربان العرب (و انظر تاج العروس فى غرب) ٠

٢- أم الفضل بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب و اسمها لبابه، و هى أم الفضل و عبد الله و معبد و عبيد الله و قثم و عبد الرحمن أبناء العباس بن عبد المطلب، و يقال لها لبابه الكبرى تفريقا بينها و بين أختها لبابه الصغرى أم خالد بن الوليد المخزومى، و هى أخت ميمونه بنت الحارث زوج النبى (ص)، و أخت أسماء و سلمى و سلامه بنات عميس الخثعميات لأمه، و أمهن جميعا هند بنت عوف الكنانيه و قيل: الحضرميه التى قيل فيها: إنها أكرم الناس أصهارا لأن رسول الله (ص) زوج ميمونه و العباس زوج لبابه، و جعفر بن أبى طالب و أبو بكر و على أزواج أسماء و حمزه بن عبد المطلب زوج سلمى (انظر الاصابه بترجمه لبابه كتاب النساء حرف اللام ق ١، و أسد الغابه ٥/٥٤٠).

٣- ش " و خاتم الأنبياء بعد الرسل " و لا يستقيم وزن البيت و فى أسد الغابه " و خاتم الرسل و خير الرسل " و هو أوجه.

٤- عبد الرحمن بن عمير و قيل: عميره و قيل: ابن أبى عميره قال ابن الأثير فى أسد الغابه ٣/٣١٣: " حديثه مضطرب لا يثبت فى الصحابه " روى عن النبى (ص) أنه قال لمعاويه: " اللهم اجعله هاديا مهديا و اهد به " ثم نقل عن أبى عمر صاحب الاستيعاب أنه " لا تصح أحاديثه و لا تثبت صحبته ".

٥- الشعث - بالتحريك - التفرق.

٦- الصرف: التوبه، و العدل: الفديه.

٧- النائره: الهيجان، و يريد هيجان الفتنة

٨- الجرير: الذنب و الجنايه.

٩- عمرو بن المرجوم العبدى العصرى صحابى وفد على رسول الله (ص) فى وفد عبد القيس كان أبوه المرجوم و اسمه عامر بن مر من أشرف عبد القيس فى الجاهليه و ابنه عمرو من أشرفهم فى الإسلام ساق يوم الجمل فى أربعه آلاف فكان مع على (ع) (انظر الاصابه حرف العين ق ١ بترجمته، و تاج العروس فى رجم و عصر).

١٠- ش " روى محمد بن عبد الله عن ابن أبى سيف عن الأسود بن قيس عن ثعلبه بن عباد إلخ " و ثعلبه بن عباد - بكسر المهمله و تخفيف الموحده - العبدى البصرى قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٢/٢٤ " ذكره ابن حبان فى الثقات " و قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ١/٣٧: " تابعى يروى عن مجاهيل ".

١١- صحار - كغراب - ابن عباس العبدى ذكره ابن سعد فى الطبقات ٦١/٧ فىمن نزل البصره من الصحابه و وصفه ابن عبد البر فى الاستيعاب ١/١٣٢ بقول: " له صحبه و روايه و كان بليغا لسنا " و قال ابن النديم فى الفهرست ص ١٣٢ " كان خارجيا أحد النسابين و الخطباء فى أيام معاويه و له مع دغفل أخبار و قال فى ص ١٣١ كان عثمانيا من بنى عبد القيس، روى عن النبى (ص) حديثين أو ثلاثه، و له من الكتب كتاب الأمثال " و يظهر من كلامه هذا أنه انتقل من الخوارج إلى العثمانيه و يؤيد هذا كلام ابن سعد: " كان ممن طلب بدم عثمان " توفى صحار بالبصره.

قال: لما نزل ابن الحضرمي بيني تميم أرسل إلى الرءوس فأتوه، فقال لهم: أجيوني إلى الحق و انصروني على هذا الأمر، و إن الأمير بالبصره - يومئذ - زياد بن عبيد قد استخلفه عبد الله بن عباس و قدم على علي (ع) إلى الكوفه يعزيه عن محمد بن أبي بكر قال: فقام إليه صحار فقال: إي و الذي له أسعى، و إياه أخشى لنصرتك بأسيافنا و أيدينا.

و قام المثنى بن مخربه العبدى (١) فقال: لا، و الذي لا إله إلا هو لئن لم ترجع إلى مكانك الذي أقبلت منه لناخذنك بأسيافنا و أيدينا و نبالنا و أسنه رماحنا، أنحن ندع ابن عم نبينا و سيد المسلمين و ندخل في طاعه حزب من الأحزاب طاغ! و الله لا يكون ذلك أبدا حتى نسير كتيبه إلى كتيبه و نفلق الهام بالسيوف.

قال: فاقبل ابن الحضرمي على صبره بن شيمان الأزدي (٢) فقال: يا صبره أنت رأس قومك و عظيم من عظماء العرب و أحد الطلبة بدم عثمان، رأينا رأيك، و رأيك رأينا، و بلاء القوم عندك في نفسك و عشيرتك ما قد ذقت و رأيت، فانصرتني و كن من دوني، فقال له: إن أنت أتيت فنزلت في داري نصرتك و منعتك، فقال: إن أمير المؤمنين معاويه أمرني أن أنزل في قومه من مضر، فقال: اتبع ما أمرك به. و انصرف من عنده.

و أقبل الناس إلى ابن الحضرمي فكثر تبعه ففزع لذلك زياد و هاله و هو في دار الاماره فبعث إلى الحضين بن المنذر (٣) و مالك بن مسمع (٤) فدعاهما فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنكم أنصار أمير المؤمنين و شيعته و ثقته و قد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم فاجيروني حتى ياتيني أمر أمير المؤمنين و رأيي، فاما مالك بن مسمع فقال: هذا أمر لي فيه نظر، فارجع إلى من ورائي و انظر و أستشير في ذلك و ألقاك، و أما الحضين بن المنذر فقال: نعم، نحن فاعلون و لن نخذلك و لن نسلمك، فلم ير زياد من القوم ما يطمئن إليه.

فبعث إلى صبره بن شيمان الأزدي فقال: يا ابن شيمان أنت سيد قومك و أحد عظماء هذا المصر فان يكن فيه أحد هو أعظم أهله فأنت، أفلا تجيرني و تمنعني؟ و تمنع بيت مال المسلمين؟ - فإنما أنا أمين عليه، فقال: بلى، إن أنت تحملت حتى تنزل في داري منعتك، فقال له: إني فاعل فحمله ثم ارتحل ليلا حتى نزل دار صبره بن شيمان و كتب إلى عبد الله بن عباس، و لم يكن معاويه ادعى زيادا بعد لأنه إنما ادعاه بعد وفاه علي (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم للأمير عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد (سلام عليك)، أما بعد، فان عبد الله بن عامر الحضرمي أقبل من قبل معاويه حتى نزل في بني تميم، و نعى ابن عفان، و دعا إلى الحرب فبايعه جل أهل البصره فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبره بن شيمان و قومه لنفسى و لبيت مال المسلمين، فرحلت من قصر الاماره فنزلت فيهم و أن الأزد معي، و شيعة أمير المؤمنين من سائر القبائل تختلف إلى، و شيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمي، و القصر خال منا و منهم، فارفع ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه و يعجل على بالذى يرى أن يكون فيه منه، و السلام. قال: فرفع ذلك ابن عباس إلى علي (ع) فشاع في الناس بالكوفه ما كان من ذلك، و كانت بنو تميم و قيس و من يرى رأى عثمان قد أمروا ابن الحضرمي أن يسير إلى قصر الاماره حين خلاه زياد، فلما تهيأ لذلك و دعا له أصحابه ركب الأزد و بعثت إليه و إليهم: إنا و الله لا ندعكم تأتون القصر، فتتزلون به من لا نرضى و من نحن له كارهون حتى ياتي رجل لنا و لكم رضى، فأبى أصحاب ابن الحضرمي إلا أن يسيروا إلى القصر و أبث [ابعث] الأزد إلا أن يمنعوهم، فركب الأحنف فقال لأصحاب ابن الحضرمي: إنكم و الله ما أنتم بأحق بقصر الاماره من القوم، و ما لكم أن تؤمروا عليهم من يكرهونه، فانصرفوا عنهم، ثم جاء إلى الأزد فقال: إنه لم يكن ما تكرهون و لن يؤتى

إلا ما تحبون فانصرفوا - رحمكم الله -، ففعلوا.

و عن الكلبي أن ابن الحضرمي لما أتى البصره و دخلها نزل في بني تميم في دار سنبل (٥) و دعا بني تميم و أخلاط مضر، فقال زياد لأبي الأسود الدئلي:

أ ما ترى ما صنع أهل البصره إلى معاويه و ما في الأزدي مطمع، فقال: إن كنت تركتهم لم ينصروك و إن أصبحت فيهم منعوك، فخرج زياد من ليلته و أتى الأزدي و نزل على صبره بن شيمان فاجاره فبات ليلته فلما أصبح قال له صبره: يا زياد ليس حسنا بنا أن تقوم فينا مختفيا أكثر من يومك هذا، فاتخذ له منبرا و سريرا في مسجد الحدان (٦) و جعل له شرطا و صلى بهم الجمعة في مسجد الحدان.

و غلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصره و جباها، و اجتمعت الأزدي على زياد فصعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا معشر الأزدي أنتم كنتم أعدائي فأصبحتم أوليائي و أولى الناس بي، و إنى لو كنت في بني تميم و ابن الحضرمي فيكم نازلا لم أطمع فيه أبدا و أنتم دونه، فلا يطمع ابن الحضرمي في و أنتم دوني، و ليس ابن اكله الأكباد في بقيه الأحزاب و أولياء الشيطان بأدنى إلى الغلبه من أمير المؤمنين على في المهاجرين و الأنصار، و قد أصبحت فيكم مضمونا، و أمانه مؤداه، و قد رأينا وقعكم يوم الجمل فاصبروا مع الحق كصبركم مع الباطل فإنكم لا تحمدون إلا على النجده، و لا تعذرون على الجبن.

فقام شيمان أبو صبره و لم يكن شهد يوم الجمل، و كان غائبا، فقال: يا معشر الأزدي ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر، و قد كنتم أمس على على (ع) فكونوا اليوم له و اعلموا أن إسلامكم جاركم ذلب.

ص: ٧٤

١- المثنى بن مخربه - كمرحله - العبدى من التوايين الذين خرجوا مع سليمان بن صرد في ثلاثمائة من أهل البصره ثم رجع بعد ذلك و دعا لبيعه المختار بن أبي عبيد في البصره و خرج معه (انظر تاريخ الطبرى ٦٦/٦ حوادث سنه ٦٦).

٢- صبره - بفتح الصاد المهمله و كسر ألباء - ابن شيمان الأزدي: كان رأس الأزدي يوم الجمل مع عائشه (الاصابه حرف الشين ق ٣ بترجمه شيمان بن عكيف).

٣- حضين - بضاد معجمه مصغرا - ابن المنذر الرقاشى - بتخفيف القاف - أبو محمد، و أبو ساسان حامل رايه أمير المؤمنين (ع) يوم صفين، دفعها إليه و هو ابن تسع عشره سنه مات على رأس المائة (انظر تقريب التهذيب و كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٢٥ و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد م ١/٤٩٥).

٤- مالك بن مسمع كان رايه مائلا إلى بنى أميه، و كان مروان لجا إليه يوم الجمل، و كان يأمر الناس بعد واقعه الطف بتجديد البيعه ليزيد بن معاويه (انظر تاريخ الطبرى ٥/١١٠ حوادث سنه ٣٨).

٥- فى الأصلين "سنبل" تصحيف قال فى تاج العروس فى ابن سنبل - بالكسر - و يقال بالصاد أيضا أحرق جاريه بن قدامه و هو من أصحاب على رضى الله تعالى عنه و خمسين رجلا من أهل البصره فى داره."

٦- الحدان - بالضم - إحدى محال البصره القديمه نسبه إلى حدان حى من العرب.

و خذلكم إياه عار، و أنتم حى مضماركم (١) الصبر و عاقبتكم الوفاء، فان سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم، و إن استمدوا معاويه فاستمدوا عليا، و إن وادعوكم فوادعوههم.

ثم قام صبره بن شيمان فقال: يا معشر الأزدي إنا قلنا يوم الجمل: نمنع مصرنا، و نطيع أمنا، و نصر خليفتنا المظلوم، فانعمنا القتال و أقمنا بعد انهزام الناس حتى قتل منا من لا خير فينا بعده، و هذا زياد جاركم اليوم و الجار مضمون، و لسنا نخاف من على (ع) ما نخاف من معاويه، فهبوا لنا أنفسكم، و امنعوا جاركم، أو فأبلغوه مأمنه، فقالت الأزدي: إنما نحن لكم تبع فأجبروه، فضحك زياد، و قال: يا صبره أ تخشون أ لا- تقوموا لبنى تميم؟ فقال صبره: إن جاءونا بالأ- حنف جئناهم بأبى صبره (٢)، و إن جاءونا بالحثات (٣) جئتهم أنا، و ان كان فيهم شباب ففينا شباب كثير فقال زياد: انما كنت مازحا.

فلما رأت بنو تميم أن الأزدي قد قاموا دون زياد بعثت إليهم: أخرجوا صاحبكم و نحن نخرج صاحبنا فإى الأميرين غلب، على أو معاويه دخلنا فى طاعته و لم نهلك عامتنا، فبعث إليهم أبو صبره: إنما كان هذا يرجى عندنا قبل أن نجيره، و لعمرى ما قتل زياد و إخراجة إلا سواء، و إنكم لتعلمون أنا لم نجره إلا تكرما، فالهوا عن هذا.

عن أبى الكنود (٤) أن شيبث بن ربيعى قال لعلى (ع): يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذا الحى من تميم فادعهم إلى طاعتك و لزوم بيعتك، و لا- تسلط عليهم أزد عمان البعداء البغضاء فان واحدا من قومك خير لك من عشرة من غيرهم، فقال له مخنف بن سليم الأزدي (٥): إن البعيد البغيض من عصى الله، و خالف أمير المؤمنين و هم قومك، و إن الحبيب القريب من أطاع الله و نصر أمير المؤمنين و هم قومى واحدهم لأمر المؤمنين خير من عشرة من قومك، فقال أمير المؤمنين (ع): مه، تناهوا أيها الناس و ليردعكم الإسلام و وقاره عن التباغى و التهاذى (٦)، و لتجتمع كلمتكم، و الزموا دين الله الذى لا- يقبل من أحد غيره، و كلمه الإخلاص التى هى قوام الدين، و حجه الله على الكافرين، و اذكروا إذ كنتم قليلا- مشركين متفرقين متباغضين فألف بينكم بالإسلام فكثرتم و اجتمعتم و تحاببتم، فلا تفرقوا بعد إذا اجتمعتم، و لا تباغضوا بعد أن تحاببتم، فإذا انفصل الناس و كانت بينهم الثائره (٧) فتداعوا إلى العشائر و القبائل فاقصدوا لهمهم (٨) و وجوههم بالسيوف، حتى يفرعوا إلى الله و كتابه و سنه نبيه، فاما تلك الحميه حين تكون فى المسلمين من خطرات الشيطان (٩) فانتهوا عنها - لا أبا لكم - تفلحوا و تنجحوا ثم إنه (ع) دعا أعين بن ضبيعه المجاشعى (١٠) فقال: يا أعين ما بلغك أن قومك وثبوا على عاملى مع ابن الحضرمى بالبصره يدعون إلى فراقى و شقاقى و يساعدون الضلال الفاسقين على؟! فقال: لا تستأ يا أمير المؤمنين و لا يكن ما تكره، ابعثنى إليهم فانا لك زعيم (١١) بطاعتهم و تفريق جماعتهم و نفى ابن الحضرمى من البصره أو قتله، قال: فاخرج الساعة، فخرج من عنده و مضى حتى قدم البصره، ثم دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له على (ع) و بما رد عليه، و ما الذى عليه رأيه قال: فو الله إنه ليكلمه و إذا بكتاب من أمير المؤمنين (ع) إلى زياد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد: سلام عليك، أما بعد، فانى قد بعثت أعين بن ضبيعه ليفرق قومه عن ابن الحضرمى، فارقب ما يكون منه، فان فعل و بلغ من ذلك ما يظن به و كان فى ذلك تفريق تلك الأوباش (١٢) فهو ما تحب، و إن ترامت الأمور (١٣) بالقوم إلى الشقاق و العصيان فانفض بمن أطاعك إلى من عصاك، فجاهدهم فان ظفرت فهو ما ظننت، و إلا- فطاوعهم، و ما طلهم ثم تسمع بهم و أبصر (١٤) فكان كتائب المسلمين قد أظلت عليك فقتل الله المفسدين الظالمين، و نصر المؤمنين المحقين، و السلام.

فلما قرأه زياد، أقرأه أعين بن ضبيعه، فقال له أعين: إني لأرجوه أن تكفى هذا الأمر إن شاء الله، ثم خرج من عنده فاتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا قوم على م تقتلون أنفسكم و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار؟! و أنى و الله ما جئتكم حتى عبيت إليكم الجنود، فان تنيبوا إلى الحق يقبل منكم، و يكف عنكم، و إن أبيتم فهو و الله استئصالكم و بواركم.

فقالوا: بل نسمع و نطيع، فقال: انهضوا الآن على بركة الله، فنهض بهم إلى جماعه ابن الحضرمى، فخرجوا إليه مع ابن الحضرمى فصافوه (١٥) و واقفهم عامه يومه يناشدهم الله و يقول: يا قوم لا- تنكثوا بيعتكم و لا- تخالفوا إمامكم، و لا تجعلوا على أنفسكم سيلا فقد رأيتم و جربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم فكفوا عنه و لم يكن بينه و بينهم قتال و هم فى ذلك يشتمونه و ينالون منه، فانصرف عنهم و هو منهم منتصم.

ص: ٧٥

- ١- المضمار - هنا -: الغايه فى السباق.
- ٢- يقصد أباه.
- ٣- الحتات - بالضم - ابن زيد بن علقمه التميمى صحابى قال فى الاصابه فى حرف الحاء المهمله ق ١: " ذكره ابن إسحاق و ابن الكلبي و ابن هشام فيمن وفد من بنى تميم على النبي (ص).
- ٤- يمكن أن يكون أبا الكنود الوائلى الذى عدّه الشيخ فى رجاله فى باب الكنى من أصحاب أمير المؤمنين (ع) و سيأتى أبو الكنود الأزدي و لعله هو المراد هنا.
- ٥- مخنف - بكسر الميم و فتح النون - ابن سليم بن الحارث الأزدي الغامدى صحابى نزل الكوفه، و كان نقيب الأزدي بالكوفه، و استعمله على (ع) على مدينه أصفهان و شهد معه صفين، و كانت معه رايه الأزدي، و استشهد بعين الورد سنة ٦٥ مع التوابين، و هو جد أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم صاحب الأخبار و السير المشهور (انظر أسد الغابه ٣/٣٣٩).
- ٦- التباغى: ظلم بعضهم بعضا، و التهاذى: التكلم بغير المعقول لمرض و نحوه.
- ٧- الثائره: الضججه و الشغب، و فى ش "الثائره" و هى هيجان الشر.
- ٨- الهام - جمع هامه -: رأس كل شىء.
- ٩- الحميه: الأنفه و النخوه أى إذا كانت لغير الحق تكون من خطرات الشيطان.
- ١٠- أعين - بفتح الهمزه و الياء و السكون بينهما - ابن ضبيعه - بضم الضاد كجهينه - عدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب أمير المؤمنين (ع) انتدبه أمير المؤمنين (ع) لقتال ابن الحضرمى لما دخل البصره فقتل غيله فأرسل مكانه جاريه بن قدامه السعدى (انظر الطبرى ١١١/٥ حوادث سنة ٣٨ و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد م ١/٣٥١).
- ١١- الزعيم: الكفيل.
- ١٢- الأوباش: سفله الناس و أخلاطهم.
- ١٣- ترامت - هنا -: بلغت.
- ١٤- أى ستمع و تبصر ما ذا يكون.

١٥- صافوه وقفوا أمامه صفا صفا، وواقفهم وقف أمامهم.

فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن أنهم خوارج فضربوه بأسيا فهم وهو على فراشه، ولا يظن أن الذى كان يكون، فخرج يشد عريانا فلحقوه فى الطريق فقتلوه، فأراد زياد أن يناهض (١) ابن الحضرمى حين قتل أعين بجماعه من معه من الأزد وغيرهم من شيعه على (ع) فأرسلت بنو تميم إلى الأزد: والله ما عرضنا لجاركم إذ أجزتموه ولا لمال هو له ولا لأحد ليس على رأينا، فما تريدون إلى حربنا وإلى جارنا؟ - فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم، فكتب زياد إلى على (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فان أعين بن ضبيعه قدم علينا من قبلك بجد و مناقحه و صدق و يقين فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثهم على الطاعة و الجماعه، و حذرهم الفرقة و الخلاف، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فوافقهم عامه النهار، فهال أهل الضلال مقدمه و تصدع عن ابن الحضرمى كثير ممن كان معه يريد نصرته فكان كذلك حتى أمسى فاتى رحله فبيته نفر من هذه الخراجة المارقه فأصيب - رحمه الله - فأردت أن أناهض ابن الحضرمى عند ذلك فحدث أمر قد أمرت صاحب كتابى هذا أن يذكره لأمر المؤمنين، و قد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جاريه بن قدامه فإنه نافذ البصيره، مطاع فى العشيره، شديد على عدو أمير المؤمنين، فان يقدم يفرق بينهم باذن الله، و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته.

فلما جاء الكتاب و قرأه على (ع) دعا جاريه بن قدامه فقال: يا ابن قدامه تمنع الأزد عاملى و بيت مالى و تشاقنى مضر و تناذنى، (٢) و بنا ابتدأها الله بالكرامه، و عرفها الهدى، و تدعو إلى المعشر الذين حادوا (٣) الله و رسوله، و أرادوا إطفاء نور الله حتى علت كلمه الله و هلك الكافرون.

قال: يا أمير المؤمنين ابغثنى إليهم و استعن بالله عليهم، قال: قد بعثتك إليهم و استعنت بالله عليهم. قال كعب بن قعين: فخرجت مع جاريه من الكوفه إلى البصره فى خمسين رجلا- من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى، و كنت شديد التشيع قال: فقلت لجاريه: إن شئت سرت معك، و إن شئت ملت إلى قومى؟ فقال: بل سر معى و انزل منزلى، فوالله لوددت أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا من الإنس.

و عن كعب بن قعين أن عليا (ع) كتب مع جاريه بن قدامه كتابا فقال: اقرأه على أصحابك قال: فمضينا معه فلما دخلنا البصره بدأ بزياد فرحب به و أجلسه إلى جانبه، و ناجاه ساعه و ساء له، ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: احذر على نفسك و اتق أن تلقى مالقى صاحبك القادم قبلك، و خرج جاريه من عنده فقام فى الأزد، فقال: - جزاكم الله من حى خيرا - ما أعظم عناءكم و أحسن بلاءكم، و أطوعكم لأمركم، و قد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره، و دعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه، ثم قرأ عليهم و على من كان معه من شيعه على (ع) و غيرهم كتاب علفاذا فيه: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصره من المؤمنين و المسلمين: سلام عليكم، أما بعد، فان الله حلیم ذو أناه لا يعجل بالعقوبه قبل البيئه، و لا يأخذ المذنب عند أول وهله، و لكنه يقبل التوبه و يستديم الأناه و يرضى بالانابه ليكون أعظم للحجه و أبلغ فى المعذره، و قد كان من شقاق جلكم - أيها الناس - ما استحققتم أن تعاقبوا عليه فغفوت عن مجرمكم، و رفعت السيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم، و أخذت بيعتكم، فان تفوا ببيعتى و تقبلوا نصيحتى، و تستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب و السنه و قصد الحق و أقم فيكم سبيل الهدى، فوالله ما أعلم أن واليا بعد محمد (ص) - أعلم بذلك منى و لا أعمل، أقول قولى هذا صادقا غير ذام لمن مضى و لا متقصا لأعمالهم، فان خطت بكم الأهواء المرديه و سفه الرأى الجائر (٤) إلى منابذتى تريدون خلافى، فهذا أنا

ذا قربت جيادى، و رحلت ركابى، (٥) و ايم الله لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعه لا يكون يوم الجمل عندها إلا كلعقه لاعتق، و إنى لظان أن لا تجعلوا - إن شاء الله على أنفسكم سيلا، و قد قدمت هذا الكتاب حجه عليكم، و لن أكتب إليكم من بعده كتابا إن أنتم استغششتم نصيحتى و نابذتم رسولى حتى أكون أنا الشاخص (٦) نحوكم إن شاء الله، و السلام.

فلما قرئ الكتاب على الناس قام صبره بن شيمان فقال: سمعنا و أطعنا، و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم أمير المؤمنين سلم، إن كفيت يا جاريه قومك بقومك فذاك، و أن أحببت أن ننصرك نصرناك، و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه و مضى نحو بنى تميم.

فقام زياد فى الأزدي فقال: يا معشر الأزدي إن هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا حربا، و إنكم كنتم حربا فأصبحتم اليوم سلما، و إنى و الله ما اخترتكم إلا على التجربه، و لا أقمت فيكم إلا على التأمل، فما رضيتم أن أجزتمونى حتى نصبتم لى منبرا و سريرا، و جعلتم لى شرطا و أعوانا، و مناديا و جمعه، فما فقدت بحضرتكم شيئا إلا هذا الدرهم لا أجبيه، فان لم أجبه اليوم أجبه غدا إن شاء الله، و اعلموا أن حربكم اليوم معاويه أيسر عليكم فى الدين و الدنيا من حربكم أمس عليا، و قد قدم عليكم جاريه بن قدامه و إنما أرسله على (ع) ليصدع أمر (٧) قومه، و الله ما هو بالأمير المطاع و لا المغلوب المستغيث، و لو أدرك أمله فى قومه لرجع إلى أمير المؤمنين أو لكان لى تبعا و أنتم الهامه العظمى و الجمره الحاميه فقدموه إلى قومه فان اضطر إلى نصركم فسيروا إليه إن رأيتم ذلك.

فقام أبو صبره بن شيمان فقال: يا زياد إنى و الله لو شهدت قومى يوم الجمل رجوت أن لا يقاتلوا عليا و قد مضى الأمر بما فيه، و هو يوم بيوم، و أمر بامر، و الله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسيئ، و التوبه معه.

ص: ٧٦

- ١- يناهض: أى ينهض لحربهم.
- ٢- المشاقه: المخالفه و المعاداه، و المنايذه: المفارقه عن عدواه.
- ٣- المحاده: المعاداه و المغاضبه.
- ٤- خطت: تجاوزت، و المرديه: المهلكه، و سفه: ضعف و الجائر: المائل عن الحق.
- ٥- الجياد: الخيل، و الركاب: قربتها: أدنيتها، و رحلتها، شددت الرحال عليها، و الكلام كناية عن الاستعداد و التهيؤ.
- ٦- شخص إلى البلد: ذهب إليه.
- ٧- صدع الأمر: كشفه و بينه.

الحق و العفو مع الندم، و لو كانت هذه فتنه لدعونا القوم إلى إبطال الدماء، و استئناف الأمور و لكنها جماعه دماؤها حرام و جروحها قصاص، و نحن معك فقدم هواك نحب لك ما أحببت.

فعجب زياد من كلامه و قال: ما أظن في الناس مثل هذا.

ثم قام صبره ابنه فقال: إنا و الله ما أصبنا بمصيبة في دين و لا- دنيا كما أصبنا أمس يوم الجمل، و إنا لنرجو اليوم أن نمحص ذلك بطاعه الله و طاعه أمير المؤمنين، و أما أنت يا زياد فو الله ما أدركت أملكك فينا و لا أدركنا أملنا فيك دون ردك إلى دارك، و نحن رادوك إليها غدا إن شاء الله تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا، فانك إن لم تفعل تأت ما لا يشبهك، و إنا و الله نخاف من حرب على في الآخرة ما لا نخاف من حرب معاويه في الدنيا، فقدم هواك و أخر هوانا، فنحن معك و طوعك.

ثم قام جيفر العماني و كان لسان القوم فقال: أيها الأمير إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا لم نرض لك ذلك من أنفسنا، و لو رضينا لك كنا قد خناك لأن لنا عقدا مقدما و حمدا مذكورا، سر بنا إلى القوم إن شئت، و ايم الله ما لقينا يوما قط إلا اكتفينا بعفونا دون جهدنا إلا ما كان أمس.

فلما أصبحوا أشارت الأزدي إلى جاريه أن سر بمن معك، و مضت الأزديزياد حتى أدخلوه دار الاماره. و أما جاريه فإنه كلم قومه و صاح فيهم فلم يجيبوه و خرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه و أسمعوه، فأرسل إلى زياد و الأزدي يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه ثم ساروا إلى ابن الحضرمي و خرج إليهم ابن الحضرمي و على خيله عبد الله بن خازم السلمى فاقتلوا ساعه فاقبل شريك بن الأعور الحارثي و كان من شيعه على (ع) و صديقا لجاريه بن قدامه و على رأى على (ع) فقال: أ لا أقاتل معك عدوك؟ فقال: بلى.

قال: فما لبثت بنو تميم أن هزموهم، و اضطروهم إلى دار سنبل السعدى فحصرهم ذلك اليوم إلى العشى في دار ابن الحضرمي، و كان ابن خازم معه فجاءت أمه و هى سوداء حبشيه اسمها عجلي فنادته فأشرف عليها، فقالت:

يا بنى انزل إلى، فأبى، فكشفت رأسها و أبدت قناعها، و سألته النزول، فقالت: و الله لئن لم تنزل لأتعرين، و أهوت بيدها على ثيابها، فلما رأى ذلك نزل فذهبت به، و أحاط جاريه و زياد بالدار، و قال جاريه: على بالنار، فقالت الأزدي: لسنا من الحريق بالنار في شىء و هم قومك و أنت أعلم، فحرق جاريه الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلا أحدهما عبد الرحمن بن عمير ابن عثمان القرشى ثم التيمي، و سمى جاريه منذ ذلك اليوم: محرقا، فلما أحرق ابن الحضرمي و سارت الأزدي زياد حتى أوطنوه قصر الاماره و معه بيت المال قالت له: هل بقى علينا من جوارك شىء؟ - قال:

لا، قالوا: فبرئنا من جوارك؟ - قال: نعم، فانصرفوا عنه إلى ديارهم، و استقام لزياد أمر البصره، و ارتحل بيت المال حتى رجع إلى القصر.

و قال أبو العرنديس العوذى(1) في زياد و تحريق ابن الحضرمي:

رددنا زيادا إلى داره و جار تميم ينادى الشجب(٢)

. لحا الله قوما شووا جارهم و للشاء بالدرهمين الشصب

(٣)

ينادى الحباق و حمانها و قد حرقوا رأسه فالتهب

(٤) عن محمد بن قيس(٥) عن ظبيان بن عماره(٦)، قال: دعاني زياد فكتب معي إلى علي (ع): أما بعد فإن جاريه بن قدامه العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره و أعانه من الأزد ففضه و اضطره إلى دار من دور البصره في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله بينهما، فقتل الحضرمي و أصحابه! منهم من أحرق بالنار، و منهم من ألقى عليه الجدار، و منهم من هدم عليه البيت من أعلاه، و منهم من قتل بالسيف و سلم منهم نفر أنابوا و تابوا فصفح عنهم. بعدا لمن عصي و غوى، و السلام على أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته.

فلما وصل كتاب زياد قرأه علي (ع) على الناس فسر بذلك و سر أصحابه و أثنى على جاريه و علي الأزد.

جعفر بن محمد القطاع.

هو أبو الحسن جعفر بن محمد القطاع المعروف بالسديد البغدادي، سكن محله قراح ظفر ببغداد المعروفه اليوم بمحله الطوب، و كانت له معرفه تامه بالكلام على رأى المعتزله و المنطق و الهندسه، و اطلاع على علوم الأوائل و أقوالهم و مذاهبهم، و له يد طويله فى قسمه الدور و عماراتها، و يناظر فى الكلام، رتب مهندسا فى ديوان الأبنيه للقسمه و الهندسه، و كان متظاهرا بالتشيع، توفى يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر سنه ٦٠٢ ببغداد و دفن فى داره بمحله قراح ظفر و قد جاوز السبعين.

الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال جدى فى اللؤلؤه: لم أقف للشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى على شىء من المصنفات. و قد توفى فى حيدرآباد فى السنه الثامنه بعد الألف، و كان منهلا عذبا للوارد، لا يرجع القاصد إليه إلا بالمطلوب و المراد.

و للشيخ عيسى بن صالح عم جدى الشيخ إبراهيم قصيده فى مدحه. إلى أن قال: و بعد موته كان القائم مقامه فى تلك البلاد الشيخ الزاهد العادل الشيخ أحمد بن صالح الدرازى من آل عصفور.

و نحن نقل هذه الترجمة لثؤكده على استمرار الهجره العلميه من البحرين،

١- العوذى - بالذال المعجمه - نسبه إلى العوذ بطن من الأزد و اسم العوذى هذا عمرو بن العرندس - كما فى تاريخ الطبرى ١١٢/٥ حوادث سنه ٣٨.

٢- الشجب: الهلاك

٣- لحاهم الله: لعنهم و قبحهم، و الشصب: السلخ، و فى ش "لعمرى لبئس الشواء الشصب".

٤- الحباق - بكسر الحاء المهمله لقب قوم من بنى تميم، و حمان - بالكسر - و التشديد -: قبيله من تميم و روى الطبرى تتمه لهذه الأبيات: و نحن أناس لنا عادهنحامى عن الجار أن يغتصب حميناه إذ حل أبياتناو لا يمنع الجار إلا الحسب و لم يعرفوا حرمه للجوار إذ أعظم الجار قوم نجب كما فعلوا قبلنا بالزبير عشيه إذ بره يسلب

٥- محمد بن قيس مردد بين محمد بن قيس الهمدانى الكوفى و محمد بن قيس اليشكرى البصرى (انظر ميزان الاعتدال ١٦/٤ و ١٧).

٦- ظبيان بن عماره عدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب أمير المؤمنين (ع) و هو من الرواه عنه (ع) - كما فى ميزان الاعتدال ٣٤٨/٢، و لهذا الرجل مواقف مشهوره يوم صفين (انظر صفين لنصر بن مزاحم ص ١٧٢ و ص ١٩٢).

كما من جيل عامل. و ليرى القارئ أن من يموت مهاجرا لا بد أن يحل محله مهاجر آخر.

الدكتور جواد على.

ولد في الكاظميه (العراق) سنة ١٩٠٧ م و توفي سنة ١٩٨٧ م (١٤٠٨ هـ) بعد مرض عضال:

تلقى تعليمه في بغداد ثم في ألمانيا حيث حصل على الدكتوراه في التاريخ العربي سنة ١٩٣٨ م من جامعه همبورغ.

تولى أمانه لجنة التأليف و الترجمة و النشر التي كانت نواه المجمع العلمي العراقي الذي أنشئ سنة ١٩٤٧ فأصبح عضوا فيه و أميناً له.

و قد نعاه الجمع بهذا النص: إنه بوفاه الدكتور جواد على خسر البحث العلمي علما كرس حياته للبحث المتعمق و العمل في كشف المجهول و إجلاء الغوامض و الإنتاج العلمي الرصين في ميدان التاريخ العربي، و فقد المجمع ركيزه من دعائمه بما أسهم فيه من أعمال علميه، و ما تحلى به من جديه و اتزان و حرص على أداء الواجب، و خلق رضى اتسم بحب الخير و التعاون، و الأسهام المخلص بكل عمل علمي بناء.

و يعد الدكتور جواد على أحد أبرز المؤرخين في العصر الحديث الذين أثروا المكتبة العربية بمجموعه قيمه من البحوث و الدراسات الأدبيه و التاريخيه الرصينه و منها: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، التاريخ العام، تاريخ العرب في الإسلام، موارد تاريخ الطبري، موارد تاريخ المسعودي، الحمادون، الشعر الجاهلي و لغه القرآن الكريم، سلسله بحوث عن التاريخ في اليمن القديم، سلسله بحوث عن تطور العربية.

و قد ركز جهوده على تاريخ العرب قبل الإسلام، فاستوعب مصادره و ما كتب فيه في العربية و غيرها، و نظر فيه نظرات ثاقبه، و كانت ثمره ذلك تاريخه الشهير الذي جاء في عشر مجلدات ضخمة تعد مرجعا أساسيا لكل باحث.

كما أولى اهتماما خاصا للعربية القديمه و تاريخ اليمن قبل الإسلام، و استوعب في ذلك النقوش و الكتابات القديمه، و أعد معجما للغه السبئيه.

و من مؤلفاته التي كانت معدة للطبع عند وفاته: معجم ألفاظ المسانيد.

جويزيه أم حكيم ابنه خالد بن قارظ الكنانيه:

أرسل معاويه إلى الحجاز و اليمن بسر بن أرطاه و كان مما أوصاه به: اقتل شيعه على حيث كانوا. و اطرده الناس، و أخف من مررت به، و انهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن يدخل في طاعتنا، و أرهب الناس منك فيما بين المدينه و مكه.

إلى آخر ما أوصاه.

و كان عبيد الله بن العباس والي على اليمن قد هرب من صنعاء لما بلغه قدوم بسر، و جعل ابنه عند رجل من بني كنانه، و

أمهما جويريه أم حكيم ابنه خالد بن قارظ الكنانية، فمر بسر ببني كنانة فلما انتهى إليهما أراد أن يقتلتهما، فلما رأى ذلك الكناني دخل بيته وأخذ السيف وخرج إليه، فقال بسر: ثكلتك أمك، والله ما كنا أردنا قتلك، فلم عرضت نفسك للقتل؟ فقال: نعم أقتل دون جاري أعذر لي عند الله والناس، ثم شد عليهم بالسيف حاسرا وهو يقول:

آليت لا يمنع حافات الدارو لا يموت مصلتا دون الجار

إلا فتى روع غير غدار

فضارب بسيفه حتى قتل وقدم بسر الغلامين فذبجهما، فخرج نسوه من بني كنانة، فقالت امرأه منهن: هذه الرجال تقتلها فعلام تقتل الولدان؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية ولا في الإسلام، والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الضرع الضعيف والمدرهم الكبير (١) لسلطان سوء.

وقالت جويريه أم الغلامين:

ها من أحس بابني الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

ها من أحس بابني الذين هما سمعى وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ها من أحس بابني الذين هما مخ العظام فمخى اليوم مزدهف (٢)

نبئت بسرا و ما صدقت ما زعموا من قتلهم و من الإفك الذى اقترفوا

أودى على ودجى ابني مرهفه مشحوذه و كذاك الإثم يقترف

من دل واله حرى مسلبه على صبيين ضلا إذ مضى السلف

و كان الذى قتل بسر فى وجهه ذاهبا و راجعا ثلاثين ألفا. و حرق قوما بالنار. و فى ذلك يقول الشاعر يزيد بن مفرغ من أبيات:

إلى حيث سار المرء بسر بجيشه فقتل بسر ما استطاع و حرقا

الشيخ حبيب بن قرين:

كان أحد مراجع التقليد فى الأحساء فى عصره، و هو الشيخ حبيب بن صالح بن على بن صالح بن محمد بن محسن بن على القرينى الأحسائى المعروف - (الشيخ حبيب بن قرين)، أصله من قرية (القرين) - إحدى قرى (الأحساء) الشماليه - و لهذا يقال له (القرينى) و (ابن قرين).

كان آباؤه و أجداده جلهم من العلماء الفضلاء، و بيته بيت علم و شرف، و جده الثالث الشيخ محمد بن الشيخ محسن القرينى، كان أحد كبار العلماء فى عصره و هو من أساتذة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى كما جاء فى (جوامع الكلم) ج ٢، ص

و من تلك السلالة الطيبه ولد الشيخ حبيب، و كانت ولادته فى قريه (كردلان) من نواحي (البصره) حدود سنه ١٢٧٥ هـ، و فى تلك القريه تربى و قضى أيامه الأولى تحت رعايه والديه و أسرته الكريمه.

و كانت دراسته العلميه فى النجف الأشرف على يد علمائها آنذاك أمثال شيخ الشريعه الأصفهاني و غيره، و قد أجزى من عدد من أولئك الأعلام درايه و روايه منهم: أستاذه شيخ الشريعه الأصفهاني و الشيخ محمد عبد الله آل عيثان و السيد ناصر السيد هاشم الأحسائي و غيرهم.

و حين أكمل دراسته العلميه فى النجف الأشرف، عاد إلى مسقط رأسه (كردلان) و أصبح فى تلك النواحي مرجع تقليد لعدد كبير من المؤمنين لا- سيما الأحسائيين المقيمين هناك و بقى فى (كردلان) حتى توفى فى الأحساء السيد ناصر السيد هاشم الأحسائي سنه ١٣٥٨ هـ، فرجع معظم أهل الأحساء فى

ص: ٧٨

١- الضرع بفتح الضاد و كسر الراء: الواهن الضعيف. و المدرهم: الذى تساقط من الكبر.

٢- مزدهف: ذهب به.

تقليدهم إلى الشيخ حبيب حتى وافاه الأجل المحتوم في الأحساء سنة ١٣٦٣ هـ.

رحلته إلى الأحساء

تعد رحله الشيخ إلى الأحساء رحله مهمه لها آثارها في نفوس المؤمنين هناك و لا يزال يتذكرها كبار السن ممن عاصروها.

لقد عاشت الأحساء بعد رحيل السيد ناصر الأحسائي فراغا كبيرا في الزعامه الدينيه و المحور القيادي رغم وجود عدد من العلماء هناك، لكن المؤمنين و الأفاضل من أهالي الأحساء لم يجدوا من يسد ذلك الفراغ الكبير سوى الشيخ (ابن قرين) فوقع اختيارهم عليه و كان السيد ناصر في حياته كثيرا ما يرجع مقلديه في المسائل الاحتياطيه إليه - على ما نقل -.

و طلبه أهل الأحساء و بعد ثلاث سنوات من الانتظار وافق على تلبيه الطلب، و غادر البصره متوجها إلى الأحساء بقصد التوطن فيها، و وصل إلى الأحساء في أوائل عام ١٣٦١ و احتفى الأحسائيون بمقدمه. و لم يطل الأمر أكثر من سستين إذ وافاه الأجل سنة ١٣٦٣ فدفن في مدينه الهفوف، و رثاه الشعراء بقصائدهم فمن ذلك قصيده للشيخ فرج آل عمران منها:

لبس العلم الأسي بردا قشيبا و تجلى كاسف اللون كثيبا

راقيا في متدى الحزن على منبر التابين يدعو (وا حيبيا)

وا حيبيا كان لى نورا به اكشف الجهل إذا غطى القلوبا

و قصيده للشاعر ياسين الرمضان منها:

شمس الشريعه و المنير بافقتها و هو الدليل لمن أراد دليلا

مصدق معنى الاجتهاد و سره يستنبط الأحكام و التنزيلا

إيها حبيب الله يا مولى الورى سيدوم حزنك فى الزمان طويلا

و لا بد أن نشير هنا إلى الاختلاف الواقع فى تاريخ وفاه المترجم ففى (الذريعه) ج ٢٤ ص ٢٣٤ ذكر أنه توفى سنة ١٣٦٤ هـ، و فى (دائرته المعارف الإسلاميه الشيعيه) ج ٣ ص ١٠٢ قال الدكتور الفضلى إنه توفى عام ١٣٦٧ هـ و الصحيح أن وفاته كانت سنة ١٣٦٣ هـ - كما أثبتناه - نص على ذلك المتتبع الثبت الشيخ فرج العمران - أحد المعاصرين للشيخ حبيب - فى (الأزهار الأرجيه) ج ٢ - ص ٧، كما نص على ذلك أيضا المؤرخ الحاج محمد على التاجر البحرانى فى (منتظم الدرین) المخطوط.

له من المؤلفات:

١ - نعم الزاد ليوم المعاد، رساله عمليه طبعت فى النجف.

٢ - حواشى متفرقه على بعض الكتب.

الشيخ حرز بن على بن حسين محمود العسكري السهراني الأوالي:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

المعتصم بربه العلي العالى، هكذا وجدت في كتاب صنفه في مقتل الامام على بن أبى طالب (ع)، و هو من فضلاء أوال و من بقيه أهل الكمال، نحوى بيانى متكلم ربانى، أخذ الفقه عن علماء عصره و تصدر للافتاء في مصره و له مناقب عظيمه و فضائل كريمه، و هو من شيوخ الإجازات و له بعض الرسائل، مات قدس سره سنه ١١١١.

الشيخ حسن بن الشيخ حسين

من آل عصفور قال في تاريخ البحرين:

قال صدر الدين الحسينى فى تاريخ فارس فى ذكر علماء هذه الطائفة الذين سكنوا فى خليج فارس: و منها علامه الدهر و ناموس العصر و هو من أعيان علمائنا و مشاهير فضلائنا، متقنا لعلم الحديث النبوى و ما يتعلق به، عارفا بالنحو و اللغة، برع فى الفقه و الأصول، جمع بين المعقول و المنقول، تفقه على أبيه الشيخ حسين العلامه فى البحرين، ثم انتقل إلى بلدتنا بوشهر، و بوجوده نظمت بلاد العجم، قال العلامه ميرزا محمد النيشابورى فى كتاب إجازات مشايخه: و قد أجازنى لسان العصر سيد الوقت المنسلخ عن الهياكل الناسوتيه، و المتوصل إلى السبحات اللاهوتيه، العارف الربانى، و العالم الصمدانى الشيخ حسن البحرانى نجل المرحوم المبرور، أمين الشريعه و مفتخر الشيعه سيدنا و أستاذنا الشيخ حسين العلامه من آل عصفور، و هو يروى عن أبيه، و هو عن عمه صاحب الحدائق، إلى أن قال: و من نظر فى كتبهم و كثره مصنفااتهم و تحقيق مقالاتهم عرف مقدارهم و استحسنت آثارهم. و تشرفت بخدمته فى أصبهان (انتهى كلامه). و قال العارف الربانى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى و ممن أجازنى من علماء البحرين الشيخ حسن البحرانى نجل المقدس المبرور الشيخ حسين الدرازى من آل عصفور، كان إماما عالما، يلتقط الدرر من كلمه، و يتناثر الجواهر من حكمه، يصلح المذنب القاصى عند ما يلفظ، و يتوب الفاسق العاصى حين ما يعظ، يصدع القلب بخطابه، و يجمع العظام النخره بجنابه، لو استمع له الصخر لانفلق، و الكافر الجحود لآمن و صدق، و كان طلق الوجه، دائم البشر، و حسن المجالسه مليح المحاوره، و لم يزل على قوه حاله حتى انتفع به الناس على اختلاف طبقاتهم، و انتشر صيته و كثر أتباعه فى أقطار الأرض، و شهد له علماء وقته بأنه الامام المفرد كحجه الإسلام السيد محمد باقر الأصفهانى فقال قدس سره: إنى لأعلم أن لكل وقت صمدا، و إنك و الله صمد هذا الوقت، فتوفى قدس سره سنه ١٢٦١ و له من التصانيف رساله فى الفقه، و شرح لطيف على أرجوزه أبيه فى علم الكلام و أجوبه مسائل البلدان، و غير ذلك ممن شاع و داع ثم ضاع، و ضريحه الشريف فى بيته المشهور بالمجلس يزار و يتبرك به، و لأهل بوشهر بقبره اعتقاد عظيم، و له من الأولاد الشيخ أحمد و هو لم يكن من العلماء و لذا لم أذكره.

و نحن كما قلنا من قبل نلتزم نقل نصوص (تاريخ البحرين) كما هى لتكون صورته واضحه عن ذاك العصر و أساليب كتابه و طريقه تفكيرهم و اتجاه آرائهم.

ولد سنه ١٢٧٨ في مدينه النجف الأشرف، حيث تربى في ظل والده، ثم توفي عنه والده الذي كان يتولى أمره (في مدينه النجف الأشرف)، و هو في بدايه عمر الشباب فعاد إلى بلده: القطيف.

و أكمل دراسته العلميه على يد الشيخ محمد النمر، المتوفى سنه ١٣٤٨،

ص: ٧٩

١- السيد هاشم الشخص. .

و الشيخ عبد الله بن الشيخ ناصر أبو السعود المتوفى سنة ١٣٤١.

و ينقل الشيخ فرج فى كتابه (الأزهار الأرجيه): (أن الشيخ أصيب فى أول دور من أدوار حياته - الشباب - بكوارث و رزايا، و لكن بالرغم من صغر سنه آنئذ، فهى لم تؤثر على عزمته الماضيه.

و على الرغم من الظروف المعيشيه القاهره فى ذلك الوقت، إلا- أن فكره العوده إلى النجف ظلت تراوده، و هناك قطع شوطا علميا طويلا فطالبه عمه بالعوده إلى الوطن. و عاد فتره و جيزه تزوج بعدها و سافر إلى حج بيت الله الحرام، و من هناك توجه مره أخرى إلى النجف ليواصل طلب العلم، فدرس لدى كبار العلماء، منهم: المحقق الخراسانى، و الشيخ محمد طه نجف، و الشيخ ملا هادى الطهرانى.

استمر فتره يتولى التدريس و أجز من كل من: الشيخ فتح الله، المعروف بشيخ الشريعه الأصفهانى، و الشيخ المازندرانى و الشيخ محمد تقى آل أسدآبادى. و الشيخ محمد كاظم الخراسانى. و الشيخ عبد الله [و] الشيخ محمد تقى أسد الله الدزفولى.

و من تلاميذه: الشيخ حسين الشيخ على القديحى و الشيخ منصور على المرهون و غيرهم.

ثم سافر إلى الهند لعلاج عينه، و أقام بها بضعه شهر فى مدينه (حيدرآباد)، و (لكنو) و هناك حاول بعض المسيئين حينها التعرض بسوء للشيخ، فعاد إلى النجف و فى سنه ١٣٢٩ (١٩١٢ م) هاجمت القوات الايطاليهطرابلس الغرب فى ليبيا فبادر إلى الإعلان عن سخطه لهذا الانتهاك لحرمت المسلمين، و طبع رساله على شكل كتاب تحت عنوان: (دعوه الموحدين إلى حمايه الدين)، دعا فيها إلى الجهاد، و حمل السلاح ضد الغزاه، و قد فرغ من تصنيفها كما جاء فى كتاب (الأزهار الأرجيه) فى ٢٥ شوال من نفس العام و طبعت بتاريخ ٢٨ ذى القعدة من العام ذاته.

مؤلفاته:

١ - وسيله المبتدئين إلى فهم عبار المنطقيين.

٢ - حاشيه على تهذيب المنطق.

٣ - شرح مبسوط غير تام.

٤ - حاشيه على فرائد الأصول، و هى تحليل رسائل الشيخ الأنصارى.

٥ - حاشيه على كفايه الأصول، و هى تحمل غوامض الكفايه للمحقق الخراسانى.

٦ - رساله و جيزه فى مسأله أصوليه.

٧ - رساله فى أحكام المكاسب و التجاره، وفق آراء أستاذه الخراسانى.

٩ - روح النجاه و عين الحياه، و هى رسالته لمقلديه على ضوء فتاوى الشيخ محمد كاظم الخراسانى طبعت سنه ١٣٢٧.

١٠ - ذكرى الشيخ محمد بن ناصر آل نمر القطيفى العوامى. و غير ذلك من الرسائل.

شعره:

له قصائد كثيره فى رثاء أهل البيت (ع) فمن قصيده مطلعها:

و من ينظر إلى الدنيا بعين بصيره يجدها أغاليطا و أضغاث حالم

و يوقظه نسيان ما قبل يومه إلى أنها مهما تكن طيف نائم

و لكنها سحاره تظهر الفنا بصوره موجود بقالب دائم

و لا فرق فى التحقيق بين مريرها و ما يدعى حلوا سوى وهم واهم

فكيف بنعماها تغر أبا حجي فيقرع إن فانت لها سن [من] نادم

و هل ينبغى للعارفين ندامه على فانت غير اكتساب المكارم

على قدر بعد المرء منها ابتعاده عن الروح و اللذات ضربه لازم

إلى أن يقول بعد أن يصف المصبيه فى واقعه كربلاء:

فما بال قومي لاعدمت انعطافهم و كانوا أباه الضيم ماضى العزائم

أعارونى الصما فلم يسمعوا النداء و قروا ألم يدروا بانى بلا حمى

أعيدكم أن لا يغاث صريخكم بغير قطع السوط من كف ظالم

أعيدكم أن لا يجاب دعاء من دعاكم بغير السب أو لطم لاطم

أعيدكم أن يستباح حريمكم و تسبى نساكم [نساءكم] فوق عجب الرواسم

أعيدكم أن يستنصام نزيلكم فتغضون ما ذا شان أبناء هاشم

أيرضى إباكم أن يروم مبيعنا يزيد و لم يعطب بقطع الغلاصم

أ يرضى إياكم أنها كلما دعت بكم روعت بالسوط فوق المعاصم

وفاته:

توفى فى مدينه الكاظميه بالعراق سنه ١٣٣٤ هـ، بعد الاحتلال البريطانى للعراق.

و لم تكن وفاته طبيعيه، بل كانت فى موقف تاريخى. فبعد الاحتلال البريطانى للبصره و الزحف نحو بغداد سنه ١٩١٤ م، نادى علماء الدين و المراجع الكبار بوجوب القيام ضد الاحتلال الأجنبى، و وقعت معارك ضاربه و لأن الشيخ كان حينها من العلماء البارزين فخطب فى محفل من الناس خطبه حماسيه ملؤها الأسف و الحزن على أمته.

و لم ينته من كلامه.. حتى لفظ نفسه الأخير،.

و دفن فى روضه الإمامين الكاظم و الجواد فى مدينه الكاظميه.

تأبينه:

و قد ابنه عدد من العلماء و الشعراء بعد سنوات من وفاته.

فقد ذكره الشاعر الملا على بن رمضان فى قصيدته المشهوره التى مطلعها:

يا خط يا وطن الكرام ألا اسمعى ما ذا يقول فتاك ذاك الألمعى

كم قد شرفت بساده و أماجد من حجه للمسلمين و مرجع

إلى أن يقول فى الشيخ:

و الحججه الحسن العلمى البشر رب الفقه و الشعر، الهزير اللوذعى

و ابنه الشيخ عبد الحميد الخطى فى قصيده طويله، بعنوان (ذكرى فقيد العلم و الحق) جاء فيها:

و دعوتك (١) العصماء أس بنائه و لولاك لم ترفع إليه المناير

قضيتها شبت بحجر ك يافعا و أنت لها حام و أنت مناصر

و لما رأيت الخصم أوغل في الحمى دوى صوتك العالى كأنك خادر

ترقص أضلاع المناير داعيا (٢) و تبعثهم و العزم فى القوم خائر

و مت شهيد الحق تحت لوائه و إن لم توزعك القنا و البواتر

و كل فتى يجزى على قدر [قدر] صنعه ستشكر ك الأجيال و الدكر عاطر

كما ابنه الشيخ على بن الشيخ منصور المرهون فى عام ١٣٦٢ هـ، فى قصيده بعنوان (تدور عليك رحي الكائنات) جاء فيها:

بكاك الهدى يا حسام الهدى و كنت على حفظه تسهر

و عج لفقذك دين النبى و زمزم و البيت و المشعر

عليك تدور رحي الكائنات و أنت لها القطب و المحور

فهذى المحاريب تبكى أسى و هذى طروسك و المزير

و ابنه أيضا الشيخ فرج العمران بقصيده تحت عنوان (دمعه الشرق) جاء فيها:

أيها البدرى و البدر الذى مد تسامى الغرب (٣) قد أبدى غروبا

من بأفق العلم يبدو كوكبا و ظلام الجور قد عم الشعوبا

من باوج العلم يسمو شرفا و حجاب الجهل قد غطى القلوبا

و بنو التوحيد من يحفظهم و أفاعى الشرك قد دب ديبا

غبت يا بدر سما العلم و ما فى ضمير العلم يوما أن تغيبا

الحسن بن محمد الوزير المهلبى

مرت ترجمته فى الصفحة ٢٢١ من المجلد الخامس و نشر هنا دراسه عنه بقلم: جابر عبد الحميد الخاقانى:

الاسم و النسب

هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب (القائد العربي) بن أبي صفرة.

و يستمر هذا النسب حتى يصله بمازن بن الأزد العتكي، أو أزرد (دبا) كما يسميهم ابن خلكان.

و قد انسابت شخصيه المهلب بن أبي صفرة فيمن أنجب من أبناء ثم من أحفاد.. و هكذا. و لذا أنت واجد غير واحد ممن تلقب بالمهلبى و انتسب إلى ابن أبي صفرة قد دخل التاريخ من أكثر من باب، و بين يديك كتب التاريخ شهيده على ذلك.

ولادته:

فى بصره المهلب من سنه إحدى و تسعين و مائتين، ولد أبو محمد، حسب ما يذكر جل من أرخ له باستثناء ابن الجوزى إذ أنه يفهم من كلامه - حين يقدر عمره بأنه عاش أربعاً و ستين سنه، و حين ذاك، تكون ولادته سنه ثمان و ثمانين و مائتين فى رأى الجمهور و سبع و ثمانين و مائتين فى رأى ابن الجوزى.

نشاته و تعلمه:

لا نملك ما يحدثنا عن تلك النشأه، كما أننا لم نستطع معرفه الاساتذه الذين تلمذ لهم، غير أن متناثر شعره، و أخباره، تكشف عن أنه كان ملماً إماماً حسناً بمعارف عصره، و كان مزيداً إلى ذلك، يتقن الفارسيه و يفصح بها. و قد أعانته كثيراً فى الاطلاع على رسوم الفرس فى الشؤون التنظيميه المتعدده.

حياه الحرمان:

فى شعر المهلبى قطعه قوامها أربعة أبيات، أخذها الناس و حاكوا حولها ما وسعهم الخيال، و الأبيات هى:

ألا موت يباع فاشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موت لذيد الطعم ياتى يخلصنى من العيش الكريه

إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت أو أننى مما يليه

ألا زحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاه على أخيه

و ذكروا فى سبب نظمها أن المهلبى مر بالبصره، و اشتهى (لحماً) و لما لم يقدر على دفع ثمنه، تمنى ما تمنى..

و قد صور الحرمان الذى عاشه، اعتماداً على هذا النص.

و الحقيقه أن هذا التفسير غير مقبول، لأن المهلبى اشتغل عاملاً للحكم العباسى سنه خمس و عشرين و ثلاثمائة، و هو قبل هذا التاريخ كان متصلاً بالحكم من قريب أو بعيد.

و الزمن المناسب لمثل تلك الحاجه هو قبل التاريخ المذكور، ففي شعره ما يؤكد أنه كان يستعين على تمشييه أمورهِ بالقرض من أعيان أهل البصره.

و لكن الذى يجد من يقرضه فى مدينه كل أهلها يحترمون به أسرته، و يقدرون له مكانته، لا يمكن أن نتصوره بالشكل الذى صورهُ لنا هذا المؤرخ.

لا سيما أنه كان - فى فتره إقامته بالبصره، و قبل الاتصال بالحكم - مقصد الطالبين. جاءه رجل - مره - و هو فى البصره، و قد تعذر عليه أن يمد له يد العون، فكتب له رقعهُ فيها:

الجود طبعى، و لكن ليس لى مال و كيف يصنع من بالقرض يحتال

فهاك خطى فخذهُ منك تذكرهُ إلى اتساع فلى فى الغيب آمال

إذن، الحرمان الذى عاشهُ، ليس هو - كله - الفقر، و إنما - فقر - بسبب تعطيل مواهبهِ، و كفاياته و نشدان آماله التى كان يدأب لتحقيقها.

حياه الترف

و كما أفرط المؤرخون، فيما نسبوه إليه من حاجه بلغت به حد الشره، فى أيامه الأولى، نسبوا له - أيضا - عكس ذلك فى أيام مجده و سيطرته.

فقد قالوا: إنه حين بلغ من السلطان ما بلغ كان لا يأكل وحده. و هى عاده الرجال. و لا يتناول طعامه إلا بملاعق ذهبية، ثم حلا لهؤلاء المؤرخين -

ص: ٨١

١- فيه إشاره إلى رسالته (دعوه الموحدين) إلى حمايه الدين.

٢- يشير إلى رسالته دعوه الموحدين [الموحدين]

٣- فيه إشاره إلى سبب موته إثر دخول الإنكليز العراق.

تلوين هذه الصورة، فقالوا: كان يقف عن يمينه خادم و عن شماله خادم يناوله الأول ملعقه فيتناول بها لقمه و يرميها إلى الخادم الذى عن يساره، كل ذلك كراهه أن يعيد الملعقه إلى فمه.

و لكن الشخص الذى كان بهذا المستوى، كان أولى به أن لا ينادم مثل أبى الفرج الأصفهاني، و أمره على المائده معروف.

أقول كان أولى به - ثانيا - أن يتنى قصرا أو يتخذ دارا تناسب مقامه - و هو وزير بغداد - فقد كانت داره - على الرغم مما نعتها الناعتون - دارا عاديه لا متانه تميزها، و لا زخرف يبهجها، كانت تتداعى جوانبها أو جوانب منها و لا يملك الوزير إلا أن يرمم ما تساقط.

ثم - أخيرا - كان بذلك يمكن لمعز الدوله أن يسجل عليه - أزمه -، إذ كان معز الدوله يتحين بالمهلبى الفرص. و تكون حينئذ مسوغا لكى يجدد له الانتقام.

حياته السياسيه

عرف التاريخ المهلبى وكيلا لعامل من عمال البريدين على مدينه السوس إحدى مدن الأهواز سنه خمس و عشرين و ثلاثمائه للهجره. و قد كانت الدوله العباسيه قد تقاسمها القواد و الأمراء، فكانت واسط و البصره و الأهواز فى أيدى البريدين، و كرمان فى يد أبى على بن إلياس، و فارس و الجبل و الرى و أصفهان فى يد ابنى بويه.

و اتسعت مطامح بنى بويه، و تحرك أحمد معز الدوله - فيما بعد - نحو بلاد الأهواز غازيا، عام ست و عشرين و ثلاثمائه ليضمها إلى سلطانهم فى الرى..

ثم ليجعلها طريقه إلى وصول بغداد. و هكذا الأمر فيما بعد..

و التقى طموح أحمد بن بويه بكبيراء المهلبى و هو الأمير على مدينه السوس، فقطع المهلبى على معز الدوله الطريق، و سيطر على مدن كثيره، و حاصره فى مدينه عسكر مكرم، حتى اضطرب رجال معز الدوله، و كادوا أن يتركوا عنه.

و كانت إحدى المواقف العسكريه التى خاضها المهلبى و نجح فيها نجاحا جيدا، لو لا مسانده بنى بويه بعضهم لبعض، و ما حصل من إمداد عسكرى أنقذ موقف معز الدوله.

و بدأت كفايات الرجل تنفس عن نفسها، و قد وجهها و صقلها تلك الأعمال الاداريه و العسكريه التى أنيط به أمر تديرها. و رأى أن مستقبل الأهواز و البصره و واسط بيد بنى بويه - و لا ضير من ذلك - و لعله أهون الخطرين. فالدوله العباسيه فى تفكك و الإمبراطوريه المتراميه يتوزعها زعماء ليكونوا منها نواه دويلات.. فلتكن بغداد و البصره و الأهواز و الرى و فارس و أصفهان بيد قائد قوى.. و ليكن بعد ذلك ما يكون.

و استقر أحمد بن بويه فى عسكر مكرم له قصبته دون ما سواها ينتظر النصره من أخيه. و يتم بينه و بين المهلبى لقاء.. أسفر - بعد سنوات - عن عبء يحمله المهلبى ليسكن روع الخليفه العباسى المستكفى بالله فى مخباه و الأمير ابن شيرزاد وزيره فى

مكان استتاره ثم يتم الأمر لأحمد بن بويه. ويتخذ بغداد عاصمه دولته و أبا جعفر الصيمري وزيره و يستكتب المهلبى و يكون موطن سره و مؤتمن مشورته، و يجعله يخلف الصيمرى على الوزاره حين تستدعى الأمور أن يكون الصيمرى بعيدا عن بغداد.

و يبدو أن المنافس الوحيد للمهلبى - يوم ذاك - هو أبو جعفر الصيمرى، و لذا فإنه، حين يلبى الصيمرى نداء ربه سنه تسع و ثلاثين و ثلاثمائه يكون قد اتسع المجال أمام المهلبى، ليأخذ مكانه الجدير به، إذ لا منافس - حينئذ - مع قدراته و قابلياته على أن يكون وزير بغداد و مدبر شؤونها، قال أحمد بن مسكويه " و سبب ذلك - يعنى اختيار معز الدوله للمهلبى - أنه وجده جامعا لأدوات الرئاسه، و كان لا- يجمعها غيره، و إن كان فيهم من هو أرجح كتابه.. و أيضا فقد أنس به على طول الزمان.. و إنه - يعنى المهلبى - عرف غوامض الأمور و أسرار المملكه " فالتزم الأمر فكان خير من أنيط به، و أصلح كثيرا مما أفسدته الأيام.

و لكن - فيما يبدو - لم يسم بالوزاره، إلا بعد ست سنوات من هذا التاريخ، أعنى سنه خمس و أربعين و ثلاثمائه إذ فيها - كما يقول مسكويه - خوطب أبو محمد لمهلبى [المهلبى] بالوزاره بامر معز الدوله، و خلع عليه و زاد فى إقطاعه.

كما حظى بخلعه الخليفه العباسى - و هو يومئذ المطيع - فيلقبه بالوزاره، و تجتمع له - كما يقولون - وزاره الخليفه و وزاره السلطان، فيلقب بذى الوزارتين.

نكبه المهلبى

يقول ابن الأثير فى حوادث سنه ٣٤١: فى هذه السنه فى ربيع الأول ضرب معز الدوله وزيره أبا محمد المهلبى بالمقارع مائه و خمسين مقرعه، و وكل به فى داره، و لم يعزله من وزارته و كان نقم عليه أمورا ضربه بسببها.

و لم يوضح ابن الأثير شيئا من تلك الأمور التى سببت هذه العقوبه الفاسيه [القاسيه] للمهلبى.

و يرى بعضهم أن من تلك الأمور معارضه المهلبى لمعز الدوله أن الثانى أراد نقل العاصمه من بغداد و أن الأول عارض فى ذلك فأكتفى معز الدوله بنقل مقره إلى أعلى بغداد من الجانب الشرقى فى البستان المعروف بالصيمرى، فهوأوه نقى، و ماؤه أصح و إذا كان لا بد من بناء فيبنى قصر فى جوار باب الشماسيه و ان معارضه المهلبى هذه تركت أثرا سيئا فى نفس المعز، فقد شاب العلاقه بينهما صراع خفى بدأ ينفس عن نفسه حين طلب المعز إلى المهلبى أن يوجه وجوه الأموال إلى بناء هذا القصر فاخذ يحتج عليه بقصر الدخل عن المصروف، و كان يلقى منه عنتا حتى اضطره آخر الأمر إلى أن يتولى الأمر بنفسه على أن يكون فى هذا تخلص من المأزق.

بسبب مقامه ببغداد، و ظن أنه إن عاد إلى الأهواز عاوده ما كان فيه من الصحة، و نسي الكبر و الشباب. فلما انحدر إلى كلواذى ليتوجه إلى الأهواز أشار عليه أصحابه بالمقام و ان يفكر فى هذه الحركة و لا يعجل، فأقام بها، و لم يؤثر أحد من أصحابه انتقاله لمفارقة أوطانهم و أسفا على بغداد كيف تخرب بانتقال دار الملك عنها، فأشاروا بالعود إلى بغداد و ان يبنى بها له دارا فى أعلى بغداد لتكون أرق هواء و أصفى ماء ففعل و شرع فى بناء داره فى موضع المسناه المعزیه (انتهى).

فى مثل ذلك الظرف، و مثل تلك العلاقه كانت حياه المهلبى مع المعز، و أخذت الحساسيات تنمو و الأخطاء ترصد لكى تكون مسوغا - شكليا - للانتقام.

و جاءت مرحله، أشرف المهلبى فيها بنفسه على بناء الدار المعزیه.

و وجدت هفوات - لعلها مقصوده - فسعى ساعى النفاق إلى معز الدوله، بأنه لم يحكم البناء، و أحضر المهلبى و أوقفه المعز على بعض ما رآه من التسنيف (ساف لبن و ساف أجر)، و لذت ساعه الانتقام، فأمر به - بالمهلبى - فبطح و ضرب مقارع كثيره قال ابن الأثير " مائه و خمسين مقرعه ".

و جمد - بعدها - المهلبى من ممارسه أعماله، و بقى قعيد داره.

العوده إلى أعمال الوزاره

لا- نملك ما يؤيد عوده المهلبى إلى ممارسه أعماله الوزاريه بعد نكبته، إلا- نصا شعريا - نرجح - أنه بعث به صاحبه بهذه المناسبه، و إن ذكر ياقوت بان هذا النص بعث به أبو محمد الخلاذى حين تسلم الوزير أمور الوزاره، و الترجيح مبنى على ما فى النص من إشاره إلى العوده بعد الغياب، قال القاضى أبو محمد الخلاذى:

الآن حين تعاطى القوس باريها و أبصر السمى فى الظلماء ساريها

الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الخلافه بل مصباح داجيها

أضحى الوزاره تزهى فى مواكبها زهو الرياض إذا جادت غواديهها

تاهت علينا بميمون نقيته قلت لمقداره الدنيا و ما فيها

موفق الرأى مقرون بغرته نجم السعاده يرعاها و يحميها

معز دولتها هنتها فلقد أيدتها بوثق من رواسيها

و الأبيات هذه بما تحمل من دفع فى بعض ما استخدمت من أساليب، لعله أراد بها إبراز معانى القوه

(عاد مهلبها)

أكثر مما أراد بها لونا بلاغيا معروفا، أقول: إن الأبيات هذه لم تثر حماسه المهلبى كثيرا، و كل ما دفعته إليه هو أنه أجاب مهنته بأبيات أملاها الذوق و دعا إليها العرف، مع رساله يستشف منها أن الياس ما يزال مخيما عليه، و إنه لم يستطع اجتياز المحنه بشجاعه.

و استمر بعد ذلك وزيرا دون أن نحس لشخصيته القويه بأثر يذكر من الناحيه السياسيه.

أعماله:

كانت الوزاره فى القرن الرابع الهجرى تعنى أمورا مثيره، فالوزير، هو الذى يدبر أمور السلطه من الناحيه الاداريه، و هو الذى ينظم شئونها من الناحيه الماليه و هو الذى يقود الجيش فى غزواتها و الدفاع عن أراضيها. لذلك كان على المهلبى أن يساهم فى هذه الأمور كلها.

فهو ما إن تسلم زمام الأمر حتى كان عليه أن يسافر إلى البصره ليخمد نار ثورتها التى أشعلتها سياسه البريديين الرعناء، بفرض ضرائب قاسيه كان القصد منها إضعاف قوى الناس. بان تؤخذ ضريبه العشر - من الحنطه و الشعير - مضروبه فى أربعة مسعره عليهم بسعر يرتضيه العامل. و حين دخل المهلبى البصره شكوا إليه أهلها ذلك التعسف فوعدهم بكل ما أنسوا به و طلب إليهم العوده إلى رسمهم القديم فى أخذ العشر حبا بعينه من غير تربيع و لا تسعير و سويت المشكله بينهم و بين معز الدوله.

و أثمر عدله هذا فى نفوس البصريين فحضروا إلى بغداد شاكرين هذه المكرمه للمهلبى أمام المعز، و أشهدوا - أمام الخليفه العباسى - على التزامهم له و تنقل بين البصره و الأهواز ليقف على تصرف العمال بنفسه و ليرد كل مظلمه.

و قد بلغه و هو فى الأهواز - خبر عامل عمان يوسف بن وجيه، ممن آثر الخروج على حكم معز الدوله، و قد أغرى هذا العامل ما سمعه من نفوذ القرامطه فى البصره و استيحا شهم من معز الدوله، و ما درى أن الأمر - فى البصره - قد سوى بحزم وزير ذكى.

و سار المهلبى فى جيش قوى إلى البصره و دخلها قبل وصول يوسف إليها، و شحنها بالرجال، و حين وصل يوسف إلى البصره دخل هو و المهلبى فى معركه دامت أياما، كان النصر فى النهايه حليف الوزير، و عاد بكل ممتلكات [ممتلكات] ابن وجيه من سلاح و متاع.

و استمرت حياته حربا لعمر بن شاهين مره و التهيئه لفتح عمان أخرى، و لكنه لم يوفق فى الموقفين.

أما الأول، فلاضطراره من قبل معز الدوله على التهور و ترك سياسته الحازمه، و خطته الناجحه فى الحرب الطويله مما أدى إلى انهزام جيشه، و اعتقال قواده.

و أما الثانى، فلأنه، قد اعتل قبل وصوله هدفه، فأعيد إلى بغداد فى السنه التى توفى فيها.

صلته بادباء عصره:

قال الثعالبي: كان المهلبى من ارتفاع القدر و اتساع الصدر و نبل الهمه و فيض الكف و كرم الشيمه على ما هو مذكور مشهور.

ص: ٨٣

الأصفهاني، و أبي سعيد السيرافي و علي بن عيسى الرماني، و أضرابهم من العلماء و الأدباء و القضاة.

قد يكون هذا.. و قد يكون ما وجده بعض هؤلاء في الاتجاه السياسي الذي سار عليه الوزير و الآمال التي كانت تعقد عليه، و الأمانى التي كان يعتقد أنه خير من يستطيع تحقيقها سببا آخر في ذلك الالتفاف.

و لكن المهلبى لم يكن يندفع - فى علاقته تلك - وراء العواطف ليقينه أن العاطفه سرعان ما تذهب، و تبقى وراءها حسره لا تردا آهات السنين.

و لذلك فانك تجده بينى معاملته على أساس من النفع العام، فإى من هؤلاء أكثر خدمه للناس فهو المقدم عنده و الأثير لديه.

سأله - مره - القاضى أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه عن سبب تفصيله لابن عبد الواحد على أبى تمام الزينبى (عامليه على مناطق بالبصره) فقال المهلبى: يا أبا الحسين شتان بين الرجلين؟ دخل على ابن عبد الواحد فرأيت أن أقصيه، بما عاملته من قله الرفع و التقرب، فعرض على أول رقعته، فاعتقدت أن أردھا فلما قرأتھا وجدتها لحاجه غيره، فاستحييت أن يكون أكرم منى، و قد بذل جاهه لمن سأله سؤالى مع ما يعلمه بماله عندى..

ثم توالى رقاعه، فوجدت جميعها فى حوائج الناس. و قد دخل هذا يعنى أبا تمام الزينبى، فعاملته من الإكرام بما رأيت لما بينى و بينه، فعرض رقاعه، فوجدت أولها فى شىء يخصه، فوقع له، و كلما عرض رقعته تطلبت أن يكون فيها شىء لغيره، فأقضيه له، و أجعل له محمده عليه فما وجدت الجميع إلا له، و فيما يخصه فكرهت ذلك منه و انحط من عينى.

نقلنا النص - على طوله - لما فيه من دلالة على الأساس الذى يعامل به الوزير معاصريه.

و تبعا لذلك، فإنه لم يقتصر فى علاقته بالنابيين من الأدباء و الشعراء فقط، و إنما امتد تفقده إلى أولئك الذين لم يطمحوا بالوصول إلى الوزراء. فكان يكتب إلى أمثال هؤلاء شعرا أو نثرا بما يرفع نفسياتهم، و يعيد إلى اطمئنانهم أن مقاييس الرجال - عنده - ليست نباهه الذكر و علو المنزله، قال التنوخى وجدت بخط أبى محمد المهلبى، كتابا إلى أبى القاسم بن ببل، و هو صغير الحال، و فيه:

طلع الفجر من كتابك عندى فمتى باللقاء يبدو الصباح

ذاك إن تم لى فقد عذب العيش و نيل المنى و ريش الجناح

و قد احتل فى نفوس هؤلاء الأدباء جميعا مكانا عليا و حظى بتقديرهم حتى إن منهم من أفرغ لمديحه و أخباره صدرا من كتبه، كالتنوخى فى نشوار المحاضره، و الصاحب بن عباد فى (الروزنامه) و أبى إسحاق الصابى و أبى الفرج الأصفهاني، فيما كتبنا عنه.

و قد كانت موجه الاعجاب به تدفع بعض الشعراء إلى السرقة من غيرهم، فيما إذا قلت بضاعتهم أ و لم تأت بالجوده المطلوبه، كما حدث للسرى الرفاء مع الخالدين فى ادعائه أنهما (يعنى الخالدين) كانا يسرقان شعره ليمدحا به المهلبى.

و مثلها موجه الوفاء التي جعلت الحسين بن حجاج يرثيه، بعد وفاته في أحلك الظروف، إذ كان معز الدولة قد ألقى القبض على كل أتباع المهلبى و سجن زوجته و ولده.

وفاته:

في سنه اثنتين و خمسين و ثلاثمائه، يقود المهلبى - عن غير رغبه - جيشا كثيفا يريد به فتح عمان، و لما يبلغ القائد هدفه، إذ أنه أصيب بمرض أقعده عن مواصلة الزحف و اشتدت علته فأعيد إلى بغداد، و في جمادى الآخرة من السنه نفسها، توفى في طريقه إلى بغداد، و حمل جثمانه إليها، و دفن في مقابر قريش.

أدبه النثرى و الشعرى:

لست متحدثا كثيرا عن نشاطه الأدبى، باستثناء هاتين الملاحظتين:

أولاً: - فيما يخص رسائله - يبدو أنها لم تخرج عن الخط العام للرسائل فى القرن الرابع الهجرى، من حيث العناية بالسجع و الازدواج، و مع أن الصفه الغالبه عليه هى الكتابه، فإنه لم يستطع أن يجدد فى هذا الفن.

ثانيا: - فيما يتعلق بشعره - أقول: إن شعره كان قليلا، كما وصفه ابن النديم و لعله لا يزيد عما جمعناه له إلا قليلا.

و قد وصفه الناس و صنفين متباينين، فقد كان بعض الأدباء إذا سمع قوله:

يا من له رتب ممكنه القواعد فى فؤادى.

قال: هذا يصلح أن يكون شعر بناء.

فى حين نجد آخرين ينعته بالجوده و البهاء.

و قد يكون فى هذا المدح أو ذاك التعريض ما فيه من التحيز له أو عليه.

و لكنه شان أى إنسان امتلك ناصيه القريض، ياتى بالغث مره و السمين أخرى، و مهما يكن من أمر، فقد تمثلت فى كل تلك المقطعات حياته التى عاش فيها الحرمان مره و النعيم و الترف أخرى.

ديوان شعره:

لم نجد فيما بين أيدينا من مصادر دراسته ما يشير إلى ديوانه باستثناء إشاره ابن النديم و لعل قله شعره، و ما اتسم به - غالبه - من جفاف، قد صرفت الأدباء عن العناية به، و من ثم الإشاره إليه، على الرغم من عناية أهل ذلك العصر بتدوين الدواوين و جمع ما تناثر من شعر السابقين.

و لعل تلك - كانت - خاتمه النكبات التى منى بها المهلبى - حيا و ميتا - و هى، أن لا يعثر له على أثر أدبى ليأخذ مكانه فى

و لذلك فقد صح العزم على جمع ما تفرق، و تتبع ما تشتت من شعره عسى أن يكون - في ذلك - مساهمه [مسامهه] منى فى خدمه تراث أمتنا، أن وفقت فيها، فذلك بليغ رجائى. و إلا فحسبى ما انتفعت به من جهد، و الله أسأل أن يأخذ بيد العاملين.

ينأى فاشتط و أنوى لهتنقص الدانى على النائى(١)

٢ - حتى إذا أبصرته ذبت فيديه ذوب الملح فى الماء

حرف الألف المقصوره [٣] قال لما تقلد الوزاره لمعز الدوله:

- ١

لقد ظفرت - و الحمد لله - منيتيما كنت أهوى فى الجهاره و النجوى

٢ - و شارفت مجرى الشمس فيما ملكتهم الأرض و استقررت فى الرتب العليا

(٢)

٣ - و عاينت من شعر العينى حلتهعاون فيها الطبع و المهجه الحرا(٣)

٤ - فحركنى عرق الوشيجه و الهويلعمى و أملت بى إلى الرحم القربى

(٤)

٥ - فيا حسرتا أن فات وقتى و قتهو يا حسره تمضى و تتبعها أخرى

(٥)

٦ - و يا فوز نفسى لو بلغت زمانهو بغيته (دنيا) و فى يدى الدنيا

٧ - فمكنته من أهل (دنيا) و أرضها ففاز بما يهوى و فوق الذى يهوى(٤)

[٤]

١ - يا من يسر بلذه الدنيا و يظنها خلقت لما يهوى

٢ - لا تكذبن فإنها خلقت(٧) لينال زاهدها بها الأخرى

حرف ألباء [٥] قال فى بعض غلمانه:

١ - خطط مقومه و مفرق طره(٨) فكان سنه وجهه محراب

٢ - وريت فى كشف الذى ألقى به فتعطل المنام (٩) و المقتاب

[٦]

١ - لقد واظبت نفسى على الحب فى الهويبانسانه ترعى الهوى و تواظب

٢ - صفا لى منها العيش و الشيب شاملكما كان يصفو و الشباب مصاحب

[٧]

١ - الشمس فى مشرقها قد بدتمنيه لى لها حاجب (١٠)

٢ - كأنها بوتقه أحميتيجول فيها ذهب ذائب (١١)

[٨]

١ - و ريح تضل الروح عن مستقرهو تستلب الركبان فوق الركائب

(١٢)

٢ - فلو أنها ريح الفرزدق لم يكنلها تره من جذبها بالعصائب

٣ - نصبت لها وجهى و أنصبت صاحبيالى أن حللنا فى محل الحباب

[٩] (١٣)

لو توسطت إذا لم تتركو كفت القلب عن بعض الأدب

(١٤)

كان أرجى لك فى العقبى من أن (١٥) تملأ الدلو إلى عقد الكرب

[١٠]

ما لابن هم سوى شرب ابنه العنقفهاتها قوه فواجه الكرب

[١١]

يا منى نفسى و يا حسيمن حسن و طيب

(١٤)

فهو للفتيان فى الدنيا بمرصاد قريب

[١٢]

فشمت فيها اختلاس لحظو خلت فيها وجيب قلب

(١٧)[١٣] قال فى غلام له جرب:

يا صروف الدهر حسبى أى ذنب كان ذنبى

عله عمت و خصت فى حبيب و محب

دب فى كفيك يا من حبه ربي بقلبي

فهو يشكو حر حب و اشتكائى حر حب

(١٨)[١٤] و قال ياقوت - فيما يروى - قال أبو الحسن بن عبيد الله بن سكره الهاشمى (١٩) - و كان ابن سكره قد مدح المهلبى

بأبيات - فلما كان من الغد٧.

ص: ٨٥

١- اشتط - أبعد..

٢- فى اليتيمه: فى الرتبه العليا.

٣- عينى: رأى بعض الصرفيين. أما الأكثر و الأفصح فالنسبه إليه عينى، بحذف الياء الثانيه، ياء فعليه.

٤- فى اليتيمه: و أطيب بى إلى الرحم.

٥- فى اليتيمه: فيا حسرتى.. و فى نزهه الجليس.. و يا محنه تمضى و تتبعها أخرى..

٦- فى نزهه الجليس.. فملكته..

٧- فى شعر الدعوه الإسلاميه: فإنما خلقت لينال..

٨- الطره: الجبهه. الناصيه.

٩- النمام: صيغه مبالغه لنام. و جمع نام: نمام بضم النون. و النمام: الذى يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه.

١٠- فى أسرار البلاغه و مباحج الفكر و الغيث المسجم و أنوار الربيع و التحفه الناصريه: مشرقها. فى حله الكميت: (مسفره لها

ليس..) و هو سهو طباعى. و فى التحفه الناصريه: مشرقه

- ١١- فى حلبه الكميت: يحل فيها..
- ١٢- فى نشوار المحاضره: و ريح تضييم الحر مما تثيرهو تستلب الركبان دون العصائبقال مرجليوث: لعله: تغييم الجو.
- ١٣- فى نشوار المحاضره: إلى أن نزلنا فى ديار الحباب. و فى الأبيات إشاره إلى أبيات الفرزدق التى ألقاها على سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافه، و أبيات الفرزدق هى: و ركب كان الريح تطلب عندهم لها تره من جذبهم بالعصائب سرورا يركبون الريح و هى تلفهمعلى شعب الأكوار فى كل جانب إذا استوضحوا نارا يقولون ليتهاو قد خصرت أيديهم نار غالب
- ١٤- فى التمثيل و المحاضره: و كفت النفس عن بعد الأدب.
- ١٥- فى التمثيل و المحاضره: فى العتبى.
- ١٦- فى التمثيل و المحاضره: سابقى بالوصل حولياً و مغيبى أو مشيبى
- ١٧- روايه البيت فى النشوار مضطربه، فقد كانت على الصوره التاليه: رأيت من الهوا فسمت بها اختلاس لحظ و خلت فيها وجيب قلب و لعل (رأيت..) جز [جزء] من بيت سقط فى نشوار المحاضره.
- ١٨- لعله: فهو يشكو حر جرب.
- ١٩- ابن سكره: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى من ولد على بن المهدي العباسى شاعر مجيد كبير من شعراء بغداد فى القرن الرابع، له ديوان شعر فى أربعة مجلدات يزيد على خمسين ألف بيت، توفى سنه ٣٨٥ هـ، اقرأ عنه اليتيمه ١٨٨/٢ - ٢١١ - تاريخ بغداد ٤٦٥/٥، وفيات الأعيان ٥٢٦/١، الوافى بالوفيات ٣٠٨/٣، الاعلام ٣٩/٧.

استدعاني - يعني المهلبى - و قال:

اسمع و أنشدنى لنفسه:

أتانى فى قميص اللاذ يسعى عدو لى يلقب بالحبيب(١)

فقلت له: فديتك كيف هذا؟ بلا واش أتيت و لا رقيب(٢)

فقال: الشمس أهدت لى قميصا كلون الشمس فى شفق الغروب(٣)

فتوبى و المدام و لون خدى قريب من قريب من قريب

[٥]

إنى ليعصمنى هواك عن الهويحتى كان على منك رقىا

و أجول فى غمرات حبك جاهدا طورا فيحسبنى الجليس رهيا

ما إن هممت بشم نحرك ساعها لا ملأت من الدموع جيوبا

[٦]

وجدوا عود أبى الصقر على الغمز صليا

كلما زادوا عذابا زادهم صبرا عجيا

و كذا المسك إذا مازاد سحقا زاد طيبا

[٧]

يجير على سلطانه حكم دينهو يبعد فى حق البعيد أقاربه

[١٨]

قد قصر الليل عند ألفتنا كان حادى الصباح صاح به

حرف التاء [١٩]

فديت أخوا يواصلنى بكتبأسر من البشاره حتى تأتى

أخ لم يرض لى بالوصل حتيجبانى بالبقية من حياتى

[٢٠] (٤)

و إن جاءك القوم فى حاجتفطرت حولين فى العله

(٥)

و تلقاهم أبدا كالحاكان قد عضضت على مصله

حرف الثاء [٢١]

فان عصير الثمار التجير(٤)و إن نفى الحديد الخبث

حرف الجيم [٢٢]

عزمى و عزم عصابه ركاضه(٧)موصوله الإلجام بالإسراج

كالنبل عامده إلى أهدافهاو الطير قاصده إلى الأبراج

[٢٣]

يا شادنا جدد حبى لهمن بعد حب سالف ساجى

بلحيه قد أوصلت جمهمثل اتصال الطرق بالتاج

[٢٤]

الورد بين مضمخ و مضرجو الزهر بين مكلل و متوج

و الثلج يسقط كالنصار فقم بنالنتذ بابنه كرمه لم تمزج

(٨)

طلع البهار و لاح نور شقائقو بدت سطور الورد بين بنفسج

(٩)

فكان يومك فى غلاله فضهو النبات من ذهب على فيروزج

(١٠) حرف الحاء [٢٥]

طلع الفجر من كتابك عنديفمتى باللقاء يبدو الصباح

(١١)

ذاك إن تم لي فقد عذبالعيش و نيل المنى و ريش الجناح

[٢٦]

بعثت إلى رب البرايا رسالهتوسل لي منها دعاء مناصح

فجاء جوابي بالاجابه و انجلتبهها كرب ضاقت بهن الجوانح

[٢٧]

تطوى بأوتارها الهموم كمايطوى دجى الليل بالمصايح

(١٢)

ثم غنت فخلتها سمحتبروحها خلعه على روحى

(١٣) حرف الدال [٢٨]

ورد الكتاب فديته من واردفله بقلبي من حياتى مورد

(١٤)

فرأيت درا عقده منتظمى كل فصل منه فصل مفرد

(١٥)[٢٩]

إن العبيد إذا ذللتهم صلحوا على الهوان و إن أكرمتهم فسدوا

(١٦)ى.

ص: ٨٦

- ٢- فى اليتيمه روايه البيت: فقلت له: لم استحللت هذا فقد أصبحت فى زى عجيب
- ٣- فى اليتيمه: غريب اللون فى شفق المغيب. و هو فى معجم الأدباء: رقيق الجسم من شفق الغروب. و قد نسب الثعالبي هذه الأبيات الأربعة إلى محمد بن عباس البصرى، المعروف بصاحب الراقيه.
- ٤- فى طبعه مرجليوث بالتحية.. و قد فسر التحية بالبقاء...
- ٥- قال محقق كتاب التشبيهات: لعلها: تفكرت. و نقول: و لعلها: تنظرت.
- ٦- الثجير: ثفل كل شىء يعصر. و تقول: أخذ سلافه العصير و ترك حثاله الثجير.
- ٧- ارتكض فى أمره: تقلب فيه و حاوله..
- ٨- فى اليتيمه و شرح المقامات و التحفه الناصريه: الثلج يهبط. و فى شرح المقامات: نصبحك بابنه.. و موقع البيت الثالث فيها.
- ٩- فى اليتيمه.. سطور الورد تلو بنفسج و فى شرح المقامات.. فلاح..
- ١٠- فى من غاب عنه المطرب.. و النور من ذهب.. و فى التحفه الناصريه و كان.. و الفيروزج، أو الفيروزج: حجر من الأحجار الكريمة.
- ١١- فى اليتيمه: فمتى للقاء.
- ١٢- فى فوات الوفيات: تطوى دجى.
- ١٣- فى فوات الوفيات، و ديوان الشعر العربى: ثم تغت..
- ١٤- فى نشوار المحاضره و المنتحل: فيه لقلبي..
- ١٥- فى نزاهه الجليس: منتظما.. و روايه البيت فى نشوار المحاضره: فرأيته كالدرد نضد عقدهفى كل فصل منه فصل مفرد
- ١٦- نسبه الثعالبي فى التمثيل و المحاضره، و تبعه القرطبي فى بهجه المجالس: ليزيد المهلبى.

ما عند عبد لمن رجاه محتمل و لا على العبد عند الحرب معتمد

فاجعل عبيدك أو تادا مشججه لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد

(١) [٣٠]

يا من له رتب ممكنها القواعد فى الفؤاد

(٢)

أ يحل أخذ الماء منمتهب الأحشاء صادى؟

[٣١]

لئن قعدت بى قله المال قعد هفما أنا عن كسب المعالى بقاعد

و لا أنا بالساعى إلى الجهل و الخناو لا عن مكافاه الصديق براقد

أ كافي أخى بالود أضعاف ودهو أبذل للمولى طريفى و تالدى

و ما صاحبى عند الرخاء بصاحبا إذا لم يكن عند الأمور الشدائد

[٣٢]

إذا اختصر المعنى فشربه حائمو إن رام إسهابا أتى الفيض بالمد

(٣) [٣٣] قال فى غلام اسمه غريب:

رعى الرحمن قوما ملكونى رشا قصر بلغت به المرادا

و سموه مع القربى غريبا كنور العين سموه سوادا

(٤) [٣٤]

و آن لميت من معاد معادهو غصن جفاه الشرب أن يتعهدا

(٥) [٣٥]

اشتهى الآن أن أصلى على نعش (نعم) محب قد مات فى الحب وجدا

[٣٦] قال فى غلام تركى لمعز الدوله:

ظبى ىرق الماء فى وجناته و ىرق عوده

(٤)

و يكاد من شبه العذارى فىه أن تبدو نهوده

ناطوا بمعقد خصره سىفا و منطقته تتوده

جعلوه قائد عسكر ضاع الرعىل و من يقوده

حرف الراء [٣٧]

رب يوم قطعت فىه خمارىبىغزال كأنه مخمور

(٧)

و مصاد سرحت فىه و نصر بازىازى مظفر منصور(٨)

بصقور مثل النجوم إذا انقضتو عصف كأنهن صقور

(٩)قال ىصف كتابا ورده من ابن العمىد:(١٠)

ورد الكتاب مبشرا قلبى بأضعاف السرور

(١١)

و فضضته فوجدته لىلا على صفحات نور

(١٢)

مثل السوالف و الخدود البىض زىنت بالشعور

(١٣)

بنظام لفظ كالثغور و كالعقود على النحور

(١٤)

أنزلته منى بمنزله القلوب من الصدور

[٣٩] (١٥)

منيه سابقته ورود البشيرة مواف أوفى على التقدير

يا عروسا زفت إلى فأهديتا ليها رقى مكان المهور

بالتملى و بالرجا و السرور يا حياتى و المنزل المعمور

قد لعمري وفيت لى و سأجزيكوفاء بالشرط بعد النذور

[٤٠]

و قالوا للطيب أشر فاناعدك للعظيم من الأمور

فقال شفاؤه الرمان مما تضمنه حشاه من السعير

فقلت لهم أصاب بغير قصدو لكن ذاك رمان الصدور

[٤١]

أرانى الله وجهك كل يوم صباحا للتيمن و السرور

و أمتع ناظرى بصفحتيها أقرأ الحسن من تلك السطور

[٤٢] (١٦)

و الشمس حيرى خلف غيم عارضو كأننا فى ضوء ليل مقمر

..(١٧)

ص: ٨٧

١- فى المنتحل و التمثيل و المحاضرة، و بهجه المجالس، و فصل المقال ورد: أوتادا مشمخه، و هو تصحيف ظاهر.

٢- فى سر الفصاحة: من فؤادى. و فى منهاج البلغاء: فى فؤادى.

٣- يقال رجل حائم: أى عطشان.

٤- فى الغيث المسجم: فسموه مع القربى.

- ٥- ورد البيت مضطربا في اليتيمه، و روايته: و إن لمست منه بعاد معادهو عصر جفاه الشرب أن يتعهدا
- ٦- و في وفيات الأعيان طفل يرق.. و يرف عوده. و كان هذا الغلام قد أنيط به قياده سريه من الجند لمحاربه بعض بنى حمدان، و قد صحت نبوه الوزير فقد ضاع الرعيل، و عاد من يقوده منكسرا.
- ٧- في اليتيمه.. رب ليل..و في خاص الخاص: بغلام كأنه..و في من غاب عنه المطرب بغزال كأننى مخمور
- ٨- كذا ورد.. و لم نهتد لمعناه..
- ٩- كذا ورد، و لم نهتد لمعناه، مع أن ماده عصف في اللسان تعنى: العصف، و العصفه، و العصيفه و العصافه: عن اللحياني: ما كان على ساق الزرع من الورق الذى يبس فيتفتت، و قيل هو ورقه من غير أن يعين ببس و لا- غيره، و قيل ورقه، و ما لا يؤكل..و مهما يكن من شىء، فهى لا توضح معنى البيت.
- ١٠- ابن العميد: هو، أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد العميد وزير من أئمه الكتاب، واسع المعرفه متبحرا في الفلسفه و النجوم و لقب بالجاحظ الثانى. ولى الوزاره لركن الدوله البويهى فكان حسن السياسه، خبيرا بتدبير الملك، و أمور الحرب و السلم، و دام فى الوزاره لبنى بويه أربعاً و عشرين سنه و عاش نيفا و ستين عاما. مات بهمدان سنه ٣٦٠ هـ و قد ترك ذخيرتين: - ولده أبو الفتح بن العميد. ب - مجموع رسائله. فى مجلد ضخم، و ديوان شعره. اقرأ عنه: الامتاع و المؤانسه ٦٦/١ - اليتيمه ٢/٣ - الكامل حوادث سنه ٣٥٩ هـ - ابن العميد لخليل مردم - الأعلام ٣٢٨/٦.
- ١١- فى المنتحل: نفسى بأنواع..
- ١٢- فى اليتيمه ففضضته..
- ١٣- فى حماسه ابن الشجرى.. مثل السوالف و الجباه..و السالفه: ناحيه مقدم العنق..
- ١٤- فى حماسه ابن الشجرى و كنظم در كالثغور..و فى نشوار المحاضره: أو اللآلى على..
- ١٥- فى نشوار المحاضره و اليتيمه و التحفه الناصريه: أنزلته فى القلب منزله..
- ١٦- فى المنتحل: أمتع مقلتى.. و فى اليتيمه، و الإعجاز و الإيجاز، و خاص الخاص: بصحيفتيه، و هو تصحف ظاهر.
- ١٧- فى الغيث المسجم فكأننا فى ضوء..

[٤٣]

أما ترى الشمس و هي طالعهم منع منا إدامه النظر
حمراء صفراء في تلونها كأنها تشتكي من السهر
مثل عروس غداه ليلتها تمسك مرآتها من القمر

[٤٤]

ألا يا منى نفسى و إن كنت حثفتها (١) و معنای فى سرى و مغزای فى جهرى

تصارمت الأجفان لما حرمتنى (٢) فما نلتقى إلا على دمه تجرى

انا فى حجره تجل عن الوصف (م) و يعمى البصير فيها نهارا

هى فى الصبح كالظلام و فيالليل يولى الأنام عنها فرارا

أنا منها كأنى جرف بثرأتقى عقربا و أحذر فارا

و إذا ما الرياح هبت رخاء خلت حيطانها تميدا انهيارا

رب عجل خرابها و أرحنمين حذارى فقد مللت الحذارا

[٤٥]

و قصر يوم الصيف عندى و ليله (م) الشتاء سرور منه رفرط طائره

حرف الزاى [٤٧]

فللرجل الوافى جميل و فاء هو للناصح إليها فى جميل التجاوز

(٣) حرف السين [٤٨]

جاءت بمعموله من جنس قامتها لينا و فى كفها من خدها قبس (٤)

حتى إذا قربت من ذيل صاحبها أصغى إلى سرها و الرأس منتكس

فمن بينهما ما كان مكتتما ما نمه اللفظ لكن نمه النفس

[٤٩]

و غدا ابن دأيه [\(٥\)](#) عندهم كمهاو أبتز سوق صياحه خرس

[٥٠]

شربنا غبوقا و النجوم كأنهانتار دنانير على أرض سندس

كان الثريا بينها حين أعرضتياقيت تاج أو تحيه نرجس

[\(٦\)](#) حرف الشين [٥١]

يوم كان سماءهمثل الحصان الأبرش [\(٧\)](#)

و كان زهره أرضهفرشت بأحسن مفرش [\(٨\)](#)

و الشمس تظهر مرهو تغيب كالمستوحش [\(٩\)](#)

فسمأوه دكن الخزوزو أرضه خضر الوشى [\(١٠\)](#)

شبهت حمرة وجههابحمار عين المنتشى [\(١١\)](#)

[٥٢]

إذا غناني القرشيدعوت الله بالطرش

و إن أبصرت طلعتهنفوا لهفى على العمش

حرف الضاد [٥٣]

الله يدفع عن نفس الوزير بناو كلنا للمنايا دونه غرض

ففى الأنام له من غيرنا عوضو ليس فى غيره منه لنا عوض

حرف الطاء [٥٤]

كلوا من التوت و انشطوافإنه على الأرى مسلط [\(١٢\)](#)

كأنما التوت على أطباقهالآلى بعندم منقط

حرف العين [٥٥]

الراح تريقاق(١٣) لسم الهم فيحكم من المعقول و المسموع

و الهم يلسعنى فهل من مسلميسخو بتريقاق على الملسوع

[٥٦]

قليل مجال الرأى فيما ينوبهنزول على حكم النوى و التودع

[٥٧]

لئن عرفت جريراأو اعتمدت قطيعا(١٤)

فلا ظفرت بعاصو لا أطعت المطيعا

حرف الفاء [٥٨]

و لى حبيب ألوذ فيه بأوصافو فحواه فوق ما أصف

كالبدر يعلو و الشمس تشرقو الغزال يعطر و الغضن ينعف

[٥٩]

و قلب شديد لا يلين لخلهو لا يتلافاه الرقى و التلطف

[١٥] [٦٠]

تركوا المكيدو و الكمين لجهدهمو النبل و الأرماح للأسياف..

ص: ٨٨

١- فى الإعجاز و الإيجاز: خنقها: و هو تصحيف..

٢- فى اليتيمه، و الإعجاز و الإيجاز، و الإرشاد، و أنوار الربيع منذ حرمتنى.. و على عبره تجرى فى اليتيمه و وفيات الأعيان و العكبرى و أنوار الربيع... و فى الإعجاز و الإيجاز إلا إلى عبره تجرى. و قد تردد ابن جنى فنسبه له و لأبى الفرج الأصفهانى..

٣- فى اليتيمه. فللرجل الوافى جميل جزائه..

٤- يعنى المجره

٥- ابن دأيه: الغراب.

- ٦- يبدو أن البيتين من قطعه واحده.. و الثريا: تصغير، ثرى، مشتق من الشروه فى العدد، و هى أنثى ثروان، و لا- يتكلمون بها مكبره. و يقال للثريا: اليه الحمل و هى سته كواكب.. انظر: المخصص، لابن سيده.
- ٧- فى اليتيمه فى موضعين: كان سماء شبه.. و فى نثار الأزهار و التحفه الناصريه: شبه.
- ٨- فى اليتيمه: و كان زهره روضه..
- ٩- فى نثار الأزهار: كالمتوحش.
- ١٠- الخزوز، جمع خز، و هو الحرير، إما نسج من الصوف.
- ١١- فى نثار الأزهار: شبهت حمرة عينها كحماره ابن المنتشى..
- ١٢- كذا.. و لعله.. من التوت كثيرا.. أو طباقا و انشطوا.. و الأرى: لعلها الأذى.
- ١٣- الترياق: - بكسر التاء - دواء للسموم فارسى معرب.
- ١٤- فى الروزنامجه: إن الوزير عملهما لساعتها و غنى بهما. قال الثعالبي: المراد، بالجريز: جريزه. و القطيع: القطيعه.
- ١٥- أو: و لا تتلافاه الرقى..

[٦١]

أ تحسب العين أنها طرحتعلى فؤادى ثقلا من الشغف

(١)

ما أبله العين فى توهمها بأنها عريت من التلف

[٦٢](٢)

أت رقعہ القاضى الجليل فكشفتوساوس محزون الفؤاد ملهف(٣)

فأهدت نظاما من قريض كأنه نظام لآل أو كوشى مفوف

تكامل فيه الظرف و الشكل مثل ماتكامل فى مهديه كل النظرف

حوى منتهى الحسنى بأول خاطر يكلفه فى الشعر ترك التكلف

[٦٣]

يدبره ملك ماهر بهضما لقوى و جبر الضعيف

[٦٤]

ذات غنى فى الغناء من نغمتنفق فى الصوت منه إسرافا

كأنها فارس على فرسينظر فى الجرى منه أعطافا

حرف القاف [٦٥]

لى صديق فى وده لى صدوقو برعى الحقوق منى حقيق

يا (تجننى)، كتمت ثم بدا ليأنت ذاك الصديق لى و الرفيق

كلما سرت من فراقك ميلا مال من مهجتي إليك فريق

(٤)

فحياتى مصروفه فى طريق للمنايا على فيها طروق

[٦٦]

يا من شكا عبثا إلينا شوقه فعل المشوق و ليس بالمشواق

لو كنت مشتاقا إلى تريدنيما طبت نفسا ساعه بفراق

و حفظتني حفظ الخليل خليلهو وفيت لي بالعهد و الميثاق

[٦٧]

أ مثلى يا أخى و قسيم نفسييفارق عهده عند الفراق (٥)

و يسلو سلوه من بعد بعدو ينسبه الشقيق إلى الشقاق

و أقسم بالعناق و تلك أشفيو أوفى من يمينى بالعتاق (٦)

لقد ألصقت بي ظنا ظنيناتجافى جانباه عن اللصاق

[٦٨](٧)

لو لا تسلى بارتكاضى (٨) فى البعد و القرب و التلاقى

و دفعى الهم بالأمانيفارقت روى مع الفراق

[٦٩]

أحن إلى بغداد شوقا و إنما أحن إلى إلف بها لى شائق

مقيم بأرض غبت عنها و بدعها إقامة معشوق و رحله عاشق

[٧٠]

يا هلالا يبدو لتحتاج نفسيو هزارا يشدو فيزداد شوقى (٩)

زعم الناس أن رقك ملكيكذب الناس أنت مالك رقى

[٧١](١٠)

قال لى من أحب و البين قد جدو فى مهجتى لهيب الحريق (١١)

ما الذى فى الطريق تصنع بعدى؟ قلت: أبكى عليك طول الطريق

[٧٢]

رق الزمان لفاقتيو رثى لطول تحرقى (١٢)

و أنالنى ما أرتجيو أجاد مما أتقى (١٣)

فلأصفحن عما أتاهمن الذنوب السبق (١٤)

حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقى

(١٥) [٧٣]

و صبا ذووه إلى جناب عدوهو تقطعت أقرانه و علائقه

حرف الكاف [٧٤]

لو لا شغيل عاقنى، بالقربحاول، عن مزارك (١٦)

لأتيت نحوك مسرعوا لصرت من غلمان دارك..

ص: ٨٩

١- فى تحقيق مرجليوث: يحسب العين..

٢- فى تحقيق مرجليوث: ما أبله العين فى توهمها.... ضرب من التلف.

٣- والقاضى المعنى: هو أبو على المحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم التنوخى البصرى، عالم أديب ولد بالبصره سنه ٣٢٧، أو ٣٢٩، و نشا فيها و ولى القضاء فى جزيره ابن عمر و عسكر مكرم، ثم سكن بغداد، و توفى فيها سنه ٣٨٤ هـ و قد ترك آثارا قيمه فى الأدب، منها كتاب الفرج بعد الشده. و كتاب نشوار المحاضره، و كتاب المستجاد من فعلات الأجواد، و ديوان شعر، اقرأ عنه: اليتيمه ١١٥/٢، و تاريخ بغداد ١٥٥/٣، و إرشاد الأريب ٢٥١/٦-٢٦٧، و الأعلام ١٧٦/٦.

٤- نحسبه: كلما سرت فى فراقك..

٥- فى نشوار المحاضره: و شقيق روحى..

٦- فى معجم الأدباء: فأقسم بالعناق.. و فى نشوار المحاضره: و تلك أوفيو أشفى.

٧- فى معجم الأدباء: ألصقت بى طلبا قبيحا.. عن التصاق. و فى نشوار المحاضره/الشالجي.. عن التصاقى..

٨- ارتكض الرجل فى أمره: تقلب فيه و حاوله.

٩- فى اليتيمه و الإعجاز و الإيجاز.. فيزداد عشقى و فى معجم الأدباء: فيشتد عشقى. فى نزهه الجليس: يا هلالا بيدو فيزداد شوقيو

هزارا يشد و فيزداد عشقى

١٠- فى نزهه الجليس.. يكذب الناس أنت.

١١- فى اليتيمه: قد بدد دمعى مواصلا للشهيق و قد اضطربت روايه أنوار الربيع لهما: أ - و البين قد حدر دمعى مواصلا لشهيق.

ب - و البين قد جد و دمعى مواصل لشهيقى.

١٢- فى فوات الوفيات: لطول تقلقى..

١٣- فى وفيات الأعيان و فوات الوفيات: فانالنى ما أرتجيهو حاد عما.. فى جمع الجواهر: فانالنى.. فى نزهه الجليس.. و أذل مما أتقى..

١٤- فى زهر الآداب: فلاغفرن له الكثير.. فى جمع الجواهر: فلاغفرن له القديم. فى نزهه الجليس: عما جناهمن الذنوب.

١٥- فى زهر الآداب: إلا- جنايته التى فعل.. و فى جمع الجواهر.... جنايتهلما. و فى وفيات الأعيان: حتى جنايته بماصنع الزمان بمغرفى.

١٦- الجار و المجرور (بالقرب) متعلقان ب حاول..

فيحق طرفك و افتنانك و المهذب من نجارك

إلا مننت و قلت لي: إني وهبتك لاعتذارك

[٧٥]

و يوم كان الشمس و الغيم دونها حجاب به صنت فما يتهتك

عروس بدت في زرقه من ثيابها يجللها فيها رداء ممسك

(١) حرف اللام [٧٦]

الجود طبعي و لكن ليس لي مالو كيف يصنع من بالقرض يحتال

فهاك خطي فخذه منك تذكرها لي اتساع فلي في الغيب آمال

[٧٧]

برد مصيفك و افرشه بمثيره (٢) فأنني لمقام الخل أرتحل

الذكرى و إن أضحي و يعجبني أن تستريح و أن تكتنك الظل

[٧٨]

فهبك طعامك استوثقت منه فما بال الكنيف (٣) عليه قفل

[٧٩]

نهض العليل، فقلت حينبدا كغصن مائل

طلع الهلال لليلهبضياء بدر كامل

[٨٠]

وصل الكتاب طليعه الوصلبغرائب الإفضال و الفضل

فشكرته شكر و الفقير إذا أغناه رب الجود بالبدل (٤)

و حفظته حفظ الأسير و قدورد الأمان له من القتل

[٥١](٥)

إن كنت أزمعت الرحيل (٤) فإن عزمى فى الرحيل

أو كنت قاطنه أقمتمو إن منعت لذيد سولى (٧)

كالنجم يصحب فى المسير ولا يزول لدى النزول

[٨٢](٨)

جاد لى بالعتاق من صرف دهريكتاب يسرنى أو رسول (٩)

فعلى قدر ما تكلف من وصليلعلمى بقطه للوصول

أشكر البذل من جواد و إن زاد إلى البذل جاءنى من بخيل

[٨٣] ٩٠

و أصلاه حر جحيم الحديد تحت دخان من القسطل

[٨٤](١٠) و أنشدنى المهلبى لنفسه (١١):

ألبس أخاك على ما كان من خلق و احفظ مودته بالغيب ما وصلا

فأطول الناس غما من يريد أخا ذا خله لا يرى فى وده خلا

[٨٥]

و غزاهم بسوابع من فضلهم جعلت جماجمهم بطائن نعله

[٨٦]

و فات مداواه التلافى فى فسادهو أعتت دلالات الخير بكاهله

[٨٧] كتب بها إلى الصحاب [الصاحب] إسماعيل بن عباد:

لما وضعت صحيفتى فى بطن كف رسولها

قبلتها لتمسها يمينك عند وصولها

و تود عيني أنها اقتربت ببعض فصولها

حتى ترى من وجهك الميمون غايه سؤالها

حرف الميم [٨٨]

و من خاف أن ألهم يملك نفسهاولى به ترك العلا و الجسائم

[٨٩]

الناس أتباع من دامت له النعمو الويل للمرء إن زلت به القدم

ما لى رأيت أخلائي و حاصلهماثنان مستكبر عنى و محتشم

لما رأيت الذى يجفون قلت لهماذنبت ذنبا؟ فقالوا ذنبك العدم

[٩٠]

و هل يباعد عذب الماء ذو غصصأو ينثنى عن لذيد الزاد منهوم

[٩١]

إنما الطيف الملمفرح يتلوه هم

قلما يحمد أمرليس فيه ما يذم

[٩٢]

قضيت نجبي فسر قومحمقى لهم غفله و نوم

كان يومى على حتمو ليس للشامتين يوم٦.

ص: ٩٠

١- يقال: مسك الثوب و مسكه: طيبه بالمسك، و ثوب ممسك و ممسوك..

٢- يقال: فراش وثير: وطى.

٣- الكنيف فى اللغه الساتر.. و هو هنا مفهوم..

٤- فى اليتيمه رب المجد..و فى نشوار المحاضره: رب المال. و فى التحفه الناصريه: و قد أغناه رب المال.

٥- و فى نشوار المحاضره: الأسير إذا ورد..

٦- فى محاضرات الأدباء: فان رأى.

٧- فى محاضرات الأدباء: دنو سولى..

٨- فى محاضرات الأدباء: ولا يزور..

٩- فى تحقيق مرجليوث: جاد لى بالكتاب، و قد رجح أن تكون.. بالعناق..

١٠- القسطل: الغبار الساطع فى الحرب، و يجمع على قساطل. و يقال فيه: القسطل. و القسطول، و القسطلان..

١١- المنشد: هو الوشاء أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، عالم بالأدب من أهل بغداد، كان يحترف التعليم، توفى

عام ٣٢٥هـ، و قد ترك آثارا أدبيه و نحويه منها: كتاب الجامع فى النحو. كتاب خلق الإنسان كتاب المتظرفات كتاب الموشى، و

غيرها. اقرأ عنه: تاريخ بغداد ٢٥٣/١. و الإرشاد ٢٧٧/٦ و بغيه الوعاه ٧، و الأعلام ١٩٩/٦.

[٩٣]

و نفسا تفيض كفيض الغمامو ظرفا يناسب صفو المدام

[٩٤](١)

هب البعث لم يأتنا نذر هو جاحمه النار لم تضرم

(٢)

أليس بكاف لذى فكره حياء المسىء من المنعم

[٩٥](٣)

أو فى كلا وقتى: قسط تالهو قسط هوى لا يستمر لمحرم(٤)

ولذو وجدى من لذاذه مطرباً أسر إلى نفسى و أعذب فى فمى

[٩٦]

يا شقيق النفس من خدميلم ينم ليلى و لم أنم

(٥)

غنى من شعر ذى حكما شقيق النفس من حكم

[٩٧] و أنشدنى - أيضا - (٦)

أقسمت بالله لا ينفك مغتفرا ذنب الصديق و إن عفا و إن صرما

و العمر يقصر عن هجر و عن صلوه عن تجن و عتب يورث السقما

[٩٨]

إذا غنى لنا أمما حشوت مسامعى صمما

و أن أبصرت طلعتك حلت نواظرى بعمى

[٩٩]

و حمدا لمولى استمد بحمدهله الرتبه العلياء و العز دائما

و أن يسخط الأيام بالجمع بينا و يرضى المنى حتى يرينه سالما

حرف النون [١٠٠]

و من أن تلافاه رضاك أعاشهو من موته أن دام سخطك حائن

[١٠١]

و أرحام ود دونها الرحم التيتدانت و جلت أن يطول بها الظن

(٧)[١٠٢]

و كان فطنته شهاب ثاقبو كان نقد الحس منه يقين

(٨)[١٠٣]

إذا تكامل لى ما قد ظفرت بهمن طيب مسمعه أو صوت مرنان

(٩)

و قهوه لو تراها خلت رقتها دينيو من حافر إن شئت أغنانى

(١٠)

فما أبالى بما لاقى الخليفه منبغى الخصى و عصيان ابن حمدان

[١٠٤]

و ذى حسد لو حل بى ما يريد هالأصبح مفجوعا بفيض بنانى

و لم أعطه جهلا و لكن سحائيتعم ذوى الإخلاص و الشنآن

[١٠٥]

أشكو إلى الله أحداثا من الزمبيرينى مثل برى القدح بالسفن

(١١)

لم يبق في العيش لى إلا مرارته إذا تذوقته و الحلو منه فنى

[\(١٢\)](#)

يا نفس صبيرا و إلا فاهلكى جزعا إن الزمان على ما تكرهين بنى

لا تحسبى نعما سرتك صحبتها إلا مفاتيح أبواب إلى الحزن

[\(١٣\)](#)[١٠٦]

خرسنوه و ما درى ما خراسان بلبس القباء و الموزجين

[\(١٤\)](#)[١٠٧]

رب ليل لبست فيه التصايو خلعت العذار و العدل عنى

فى محل تحله لذه العيشو يجنى سروره من. (تجنى)

[\(١٥\)](#)[١٠٨]

ما ذا لقينا من القاطول لا هطلتفيه السحاب و لا سقته تهتنا [\(١٦\)](#)

فقد سددها و ارتدت غواديه حسرى و لم نال أحكاما و إتقانا

و قد دعمنا له سكرما سما و طماحتى توهمه راءوه ثهلانا

[\(١٧\)](#)

و استفرغ الوسع حتى طم خادما كالمهلبى و قاسى فيه أشجانا

نجاه منه بآراء مثقفهتخالها فى ظلام الليل نيرانا

رميت بحرا بطود فاستكان لهكرها و أيقظت فيما بات يقظانا

و ما تقابل بالإقبال ممتعا إلا تبدل بالعصيان إذعانا

[١٠٩]

و دارت عليه رضى وقعتهظل الحجاره فيها طحيناه.

- ١- وردت كلمه (نفسا) منصوبه، دليل على أن البيت ليس يتيما، وإنما هو بعض من أبيات..
- ٢- فى المدهش: لم تأتتا رسله.. و تأتتا تقتضيها الصحه.
- ٣- البيت فى المدهش. و روايته (بدون غرو). أ ليس من الواجب المستحقحياء العباد من المنعم
- ٤- أحرم الحاج فهو حرام، و هم حرم. و لبس المحرم، و هو لباس الإحرام، و أحرمنا: دخلنا فى الشهر الحرام أو البلد الحرام.
- ٥- انشدهما ردا على سلاف المغنى، إذ غنى له سلاف بيت أبى نواس: يا شقيق النفس من حكمنمت عن ليلى و لم أنم
- ٦- المنشد، هو الوشاء. و قد سبقت ترجمته.
- ٧- فى اليتيمه: يطول. غير واضحه.
- ٨- فى اليتيمه نقد الحدس..
- ٩- فى الإرشاد: و ظرف رمان. و فى معجم الأدباء: أو صوت رنان.
- ١٠- فى الإرشاد: و حافظ من إن شئت غنانى و فى معجم الأدباء: و من حاجز ان شئت.. و حافظ: هو اسم حاجبه.
- ١١- السفن: مبراه السهام، قال الأعشى: و فى كل عام له غزوه تحك الدوابر حك السفن
- ١٢- فى شرح نهج البلاغه: لم يبق بالعيش..
- ١٣- فى شرح نهج البلاغه: لا تحسبن.. من الحزن.
- ١٤- الموزجان: مثنى موزج، و هو الخف: فارسى معرب.
- ١٥- فى اليتيمه: يحله - بالياء.. و تجنى: هى جاريته المعروفه، و أم ولده.
- ١٦- القاطول، أو قاطول كلواذا، أحد الفروع المتفرعه عن دجله - انظر دليل خارطه بغداد / ١٢٠. و القطل: هو القطع - معجم البلدان ٤/ ماده قطل.
- ١٧- عمنا [دعمنا] له سكر.. لعلها سدا.. و ثهلان: بالفتح: هو جبل ضخيم بالعاليه.

و صرنا فى محبتنا حد يثايهجن شرحه قيسا و لبنى

حرف الياء [١١١]

مرت فلم تشن طرفها تيهايحسدها الغصن فى تشنيها

تلك (تجنى) التى جنتت بها أعاذنى الله من تجنيها

(١)[١١٢]

إنى وصلت مفاخرى بابحاز الفخار و طاول العليا

و أجاب داعيه و خلفنيو حديثه، فكأنما يحيا

و تلوت عمى فى تغزلهو شربت ربا من هوى ربا

(٢)(٣)[١١٣] كتبها ردا على أبيات بعث بها القاضى أبو محمد الخلادى.(٣)

و قد ترك آثارا قيمه فى الأدب و الحديث منها: ربيع المتيم فى أخبار العشاق، و أدب الناطق (و المحدث الفاصل بين الراوى و الواعى) فى علوم الحديث، لم ندر مصيرها بعد. اقرأ عنه:

اليتيمه ٣٣٣/٣ - و الإرشاد ١٤٠/٣ و ما بعدها. الأعلام ٢٠٩/٢.

مواهب الله عندى لا يوازيها سعى و مجهود و سعى لا يدانيها

لكن أقصى المدى شكرى لأنعمه و تلك أفضل قربى عند مؤتيها

و الله أسأل توفيقا لطاعته حتى يوافق فعلى أمره فيها

و قد أتتني أبيات مهذبه ظريفه خجله رقت حواشيها

ضممتها حسن أوصاف و تهنته أنت المهنا بياديها و تاليها

و دعوه صدرت عن نيه خلصت لا شك فيها أجاب الله داعيها

و أنت أوثق موثوق بنيته و أقرب الناس من حال نرجيها

فثق بنيل المنى فى كل منزله أصبحت تعمرها عندى و تنيها

[١١٤]

ألا موت يباع فاشترىهفهذا العيش ما لا خير فيه

(٤)

ألا موت لذيد الطعم ياتيخلصنى من العيش الكريه

(٥)

إذا أبصرت قبرا من بعيدوددت لو أننى مما يليه

(٦)

ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاه على أخيه

[١١٥]

من ذا ألوم أنا جنتيفراق من أبكى عليه

مما نسب إلى المهلبى [١١٦]

فديتك ما شبت من كبرهو هذى سنى و هذا الحساب

و لكن هجرت فحل المشيو لو قد وصلت لعاد الشباب

خليلى إنى للتريا لحاسدو إنى على ريب الزمان لواجد

أبقى جميعا شملها و هو ستهو أفقد من أحببت و هو واحد

كذلك من لم تخترمه منيهيرى عجا فيما يرى و يشاهد

[١١٨]

و لو أنى استزدتك فوق ما بيمن البلوى لأعوزك المزيد

و لو عرضت على الموتى حياهبعيش مثل عيشى لم يريدوا

إن العرائن تلقاها محسدهو لن ترى للثام الناس حساد

دموعى فيك انهار غزارو قلبى ما يقر له قرار

و كل فتى علاه ثوب سقمفذاك الثوب منى مستعار

أ لست ترى استراق الدهر حظيو كيف يفيت فى أدب الخمول

أ أبغى العون منه و هو خصمى؟ كما استبكت ضرائرها الثكول

الشيخ حسن الدمستانى البحرانى

صاحب الأورادقال فى تاريخ البحرين المخطوط:

انتهت إليه رئاسه المذهب فى بلدتنا البحرين فى قريه الدمستان، تشد الرحال إلى لقائه و يستنشق الفضل من تلقائه، منه تقببس أنوار أنواع الفنون و عنه تؤخذ أحكام المفروض و المسنون، خطيب البحرين نثار العرب، سيد أهل الأدب ختم به الشعراء و النثارين و من تتبع كتابه المسمى باوراد الأبرار علم صدق مقالى.

و له قصائد فى المدح و الرثاء لم يسبق إلى مثلها سابق و لا يلحقها لاحق، و له تأليفات رائعه، و تصنيفات فائقه، منها كتاب فى الفقه، و رساله فى الحج، و رساله فى الزكاه، و كتاب الأجوبه للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى، و رساله فى العروض، و اجوبه الزنكباريه، و رساله فى الكلام، و كتاب فى المنطق، و كتاب سلاسل النور، و كتاب فى الهيئه، و أرجوزه فى علم الكلام شرحها شيخنا العلامة الشيخ محمد المدعو بإمام الجمع، و رساله فى الأعداد، و رساله فى قوله (ص) "ستدفن بضعه منى بخراسان" و رساله التنبيه فى أوصاف الفقيه و غير ذلك من الرسائل (انتهى).

نكرر ما قلناه من أننا نلتزم نقل نصوص صاحب التاريخ بحذافيرها مع كل مبالغاتها و قد نقل له أبياتا من الشعر فى مدح الأئمه لم نر نقلها، فان كان شعره الذى وصفه بأنه لم يلحقه به لاحق، و لم يسبقه به سابق، هو على مستوى هذه الأبيات فهو بقوله هذا فى بحر المبالغات غارق.

١- تجنى: هى جاريتة، و أم ولده، و قد سبق ذكرها.

٢- يقصد: ابن أبى عيينه، و هو: أبو عيينه بن محمد بن المنجاب بن أبى عيينه بن المهلب بن أبى صفره أقرأ عنه: فى الأغاني، مواطن كثيره. ٢٠/٢٣-٢٤. و للاستاذ صلاح الفرطوسى دراسه مسجله فى جامعه القاهره عن ابن أبى عيينه، شعره و حياته. فكاننى

هو فى صبابتهو كأنه - فى حسنها - دنيا

٣- هو القاضى: الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى من أدباء القضاء، و محدث العجم فى زمانه، و قد اختص بابن العميد و اتصل بالوزير المهلبى اتصالا- وثيقا، و قد بعث تهنئته للوزير حين عاد إلى الوزاره، فقال فى تلك الأبيات: الآن حين تعاطى القوس باريهاو أبصر السمى فى الظلماء ساريها الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الخلافه بل مصباح داجيها إلخ الأبيات فى

الإرشاد ١٤١/٣

٤- فى المنتحل فهذا عيش من لا خير فيه.

٥- فى فوات الوفيات و صبح الأعشى: يخلصنى من الموت الكريه.. و قد جاء فى فوات الوفيات الثانى مكان الثالث.

٦- فى ثمرات الأوراق: لو أننى فيما يليه..

الشيخ المعمر مسند العراق أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالى البغدادي الحمامي،

الحافظ يعنى يحفظ ثياب الحمام و غلته.

هكذا ذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء). ثم قال: أسمع جده من أبي عمر بن مهدي و آخرين عددهم.

ثم ذكر من حدث عنه و هم كثيرون. ثم قال: قال أبو علي بن سكره: هو رجل أمي له سماع صحيح عال، و كان فقيرا عفيفا من بيت علم، يخدم حماما في الكرخ. قال شجاع الذهلي: هو صحيح السماع، خال من الفهم و العلم، سمعت منه.

و قال أبو عامر العبدري: هو عامي أمي رافضي، لا يحل أن يحمل عنه حرف، لا يدرى ما يقرأ عليه.

قال السمعاني: سألت إسماعيل الحافظ بأصبهان، فقال: هو من أولاد المحدثين سمع الكثير. و سألت إبراهيم بن سليمان عنه، فقال: لا أخذت عنه، كان لا يعرف ما يقرأ عليه. و سمعت عبد الوهاب الأنماطي يقول: دلنا عليه أبو الغنائم بن أبي عثمان فمضينا إليه فقرأت عليه جزءا فيه اسمه و سألته:

هل عندك شيء من الأصول؟ فقال: كان عندي شدة (1) بعثها لأبي الحسين ابن الطيوري ما أدري ما فيها، فمضينا إلى ابن الطيوري فأخرجها فيها سماع من الحاليني و غيره فقرأناها عليه.

قلت: مات الحافظ أبو عبد الله هذا في صفر سنة ثلاث و تسعين و أربع مائه عن أرجح من تسعين سنة، و قد روى عنه السلفي بالاجازة و وقع لنا من عواليه جماعه أجزاء (انتهى).

الشيخ حسين معتوق

مرت ترجمته في الصفحة ٢٩ من المجلد الأول من المستدركات و نزيد عليها هنا ما يلي: ولد سنة ١٣٢٠ في بلدة العباسيه من جبل عامل. بدأ دراسته في كتاب البلده عند الشيخ إبراهيم ياسين، ثم في مدرسه بلده طيردبا القريه من قريته عند الشيخ عبد الله دهيني. ثم درس العلوم التي تعده للدراسه النجفيه على الشيخ حسين مغنيه، ثم سافر إلى النجف الأشرف فكان من أساتذته هناك كل من السيد حسين الحمامي و السيد محسن الحكيم.

الشيخ حسين بن الشيخ محمد البحراني

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط: و نحن ننقل هذه الترجمة بنصها على طولها و مبالغاتها تقيدا منا بما ذكرناه من أننا نلتزم نصوص المؤلف لأنها تصور بعض جوانب الأساليب الفكرية و الكتابية في ذلك العصر فهي جزء من تاريخه:

هو أحد أولئك الأجله، و واحد تلك البدور و الأهل، ناشر لواء التحقيق، جامع معاني التصور و التصديق، سيد المشايخ و المحققين، و سند المجتهدين و المحدثين، الشيخ الأكبر و مجدد المذهب في القرن الثاني عشر، كما هو اعتقاد جماعه منهم

المحقق النيشابورى فى قلع الأساس، و الشيخ الأمجد الشيخ أحمد الأحسائى فى جوامع الكلم و هو علامه البشر، و إليه انتهت رئاسه المذهب فى هجر، و ذكره شيخ الجواهر فى كتابه و سماه بالبحر الزاخر، و فوضت إليه أمور الشريعه فى سنه ألف و مائتين بعد أخذه عن الجهابذه من علماء عصره، فصير بيت العلم مصره، و حضره جمع من العلماء و استفادوا منه فى علوم شتى، أكثرهم حفظا بالأحاديث الشريفة، و أشدهم اطلاعا بفتاوى أرباب المذاهب، خصوصا الشيعه و من المشهورات أنه قدس سره كان يحفظ اثنى عشر ألفا من الأحاديث المعنونه، و على أنه قدس سره كان يرتكب فى مجلس واحد أمورا متناقضه مثل التدريس، و الإفتاء، و التصنيف، و التأليف، و القضاء، و ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم. قال العلامة النيشابورى فى إجازته لابنه بعد جمل من أوصافه و محاسنه و هو معدن المعارف و كثر الإفاده و كعبه الفضائل تصانيفه فى سماء الشريعه كواكب، و تاليفه لجمع الفوائد مواكب، مجدد آثار الشريعه، و الحافظ لنا موس الشيعه، ابن علامه الأوحى الشيخ حسين بن الشيخ محمد آل عصفور، و له قدس سره كتب كثيره، قال قدس سره فى إجازته بعض تلامذته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى نصب سرادقات الدراريه على مخيم أهل الروايه، و ربط أطنا بها بأوتاد أسانيدھا فى البدايه و النهايه، و حث على اتباعها و تقليد حملها للإرشاد و الهدايه، و الصلوات و السلام على محمد و آله الأعلام المزيحه لظلمه الجهل و الغوايه.. و بعد فان الله عز و جل قد أوجب على عباده النفر لتحصيل الأحكام و بلوغ المرام و الغايه، و جعلهم فى عذر إلى ان يرجعوا إلى من يندرون كما هو صريح الآيه، فاقنضت المصلحه الربانيه و العنايه السبحانيه الإجازته لحمله تلك الأخبار بنشر ما تحملوه من تلك الآثار، ليكون عليه المدار فى الإيراد و الإصدار، و كان ممن حملته تلك الحميه العليه، و حثته تلك النفحه القدسيه، الولد الأعز المحفوظ، و من هو لا زال بين العنايه الحفيظ المحفوظ الشيخ الأجل الصدوق مرزوق بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن محمد بن حسين بن محمد الشويكى مولدا، و النعيمى البحرانى أصلا، و الأصعبى مسكنا لتحصيل تشييد معالم الدين و نظم أحاديث سيد المرسلين فاستجازنى وفقه الله تعالى فى سلوك جاده التحمل و النقل لتلك الأخبار الصادره من ينابيع عين الحياه و المطهره لأسرار أنوار رساله إلى يوم المحشر الوفاء، بعد ما قرأ على نبذه من علوم المبادئ الفقهييه و أطلعتة على درر مزايا لأخبار و تلك الدرر العليه، و جملة المسائل الأحكاميه، فأجزت له تيما و تبركا بدخوله فى طريقه العلماء الاثنى عشرية، و حثته على جاده المتفقيين فى تلك المسائل الحفيه و الجليه على أن يرد لى عنى جميع ما روته عن مشايخى الذين تدخلوا فى منازل أهل التقديس، و نصبوا أعلام الدرس و التدريس، و استخرجوا من لجج بحار العلم كل در نفيس، و هم آباءى الأقطاب الأبرار الذين درات عليهم رحى الأخبار و نوروا رحى الأحاديث بتلك الأنوار البارقه من أهل العصمه الذين هم المدار. فأولهم والدى الروحانى، أخو والدى لأبييه، المحدث المحقق المنصف من مكن له فى الأرض و علمه تأويل الأحاديث فى الطول و العرض، فأثمرت عنه حدائق تلك العلوم الربانيه، و استخرج من صدف التحقيق درر التحف المسنده إلى يعسوب الدين، و الأئمه الأطهار الربانيه، العلامة الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم الدرازى البحرانى، و منهم العالم العلى الفائز بالرقيب، و العلى من قداح علوم النبى

(ص)، و الوصى الكاشف لكل مشكل خفى فى المقام الواضح الجلى، عمى لأبوى الشيخ عبد على ثم عن والدى الجسمانى و الروحانى و من أشربنى رحيق التحقيقات، و قرب إلى القاصى كالدانى، والدى الأمد الأوحى الشيخ محمد أفاض الله عليهم فيوض الرحمه و الرضوان، و حمل منازلهم فى الجنان أعلى مكان بمحمد و آله قرناء القرآن بما رووه جميعا، و أخبروا به عن شيخهم الأعدل الأعلم، الخالى من ريبه الدنس و المين المقدس الشيخ حسين بن المرحوم الشيخ محمد لاجتماع هذه الثلاثه على مشيخته المثاليه، و الاجتماع على إجازته الساميه لحق روايته عن شيخه علامه البشر، و العقيل الحادى عشر مسقط البيان بالبرهان، و مشيد أركان ذلك البيان، أغلوطه الزمان و أعجوبه الأوان جدى لأبى علامه الربانى السبحانى الشيخ سليمان عبد الله الماحوزى البحرانى عن شيخه الأعظمين الجليلين النبيلين الشيخ سليمان بن الشيخ على بن الشيخ سليمان بن أبى ظبيه البحرانى الأصبغى أصلا الشاخورى مسكنا، و الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف الخطى أصلا و البحرانى المقابى تحصيلا و مسكنا، بحق روايته الأول عن شيخه علامه الشيخ على بن سليمان بن حسن بن سليمان بن درويش بن حاتم البحرانى القدمى الملقب بزین الدين، عن شيخه النبيه المعتمد الأمين بهاء المله و الحق و الدين الشيخ الأمد، الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ عبد الصمد الحارثى العاملى عن والده المحقق الغايه المدقق علامه الشيخ عز الدين الشيخ حسين بن عبد الصمد بن الشيخ محمد الحارثى العاملى المدفون بأرض البحرين، برؤيا يراها بمكه المشرفه عن شيخه الجليل النبيل الأمين الشيخ زين الدين بن على بن أحمد بن محمد بن جمال المشهور بالشهيد الثانى، روح الله روحه و تابع فتوحه عن شيخه السيد بدر البحرانى بن السيد حسين بن السيد جعفر بن السيد فخر الدين بن السيد حسين الأعرج الحسينى، عن شيخه الجليل نور الدين الشيخ على بن الشيخ عبد العالى، الملقب بالمحقق الثانى عن شيخه الامام الأعظم نور الدين الشيخ على بن الشيخ هلال الجزائرى عن شيخه جمال الدين بن فهد عن الشيخ على بن خازن العاملى، عن الشهيد السعيد الموفق الرشيد، الشيخ شمس الدين الشيخ محمد بن الشيخ مكى قدس الله روحه، عن شيخه فخر المتفقيين بن آيه الله فى العالمين عن أبيه الشيخ جمال المحققين و نور المجتهدين الشيخ علامه الحسن بن يوسف المطهر الحلى عن والده الفخر الحلى، و عن شيخه نجم الدين أبى القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلى الملقب بالمحقق، عن شيخه العالم المحقق نجيب الدين ابن نما، عن شيخه الشيخ محمد بن إدريس الحلى العجلى عن شيخه سديد الدين الخمصى [الخمصى]، عن خاله الشيخ أبى على الطوسى، عن أبيه الشيخ شيخ الطائفة المحقه الشيخ محمد بن الحسن الطوسى، عن شيخه السعيد السديد الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان أبى عبد الله المشهور بابن المعلم، عن شيخه أبى القاسم جعفر بن قولون [قولويه]، عن شيخه ثقه الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى، و عن شيخه الآخر الامام الصدوق على بن الحسين بن بابويه القمى، بأسانيدهم المتصله إلى الأئمه الميامين و الساده المعصومين المنصوص عليهم فى كتب الرجال و فى كتب الإجازات فليرو عنى وفقه الله تعالى و فتح له أبواب الخيرات، و جنبه ارتكاب المحرمات و المشتبهات، جميع كتب هؤلاء المشايخ المعتمده فى علم الحديث و الروايه و الدرايه، لا سيما كتب الأربعة التى صارت عليها العمده و المداره فى جميع السنين و الأعصار، و اشتهرت كاشتهار الشمس فى رابعه النهار، و هى كتاب الكافى لثقه الإسلام، و كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق، و كتاب التهذيب، و كتاب الاستبصار للشيخ الطوسى، و كتاب الوافى للكاشانى، و كتاب البحار للمجلسى، و كتاب الوسائل للحر العاملى حيث احتوت تلك الكتب على جل أحاديث أصحابنا الصحيحه المعتمده و النقيه، الأسانيد الثابته عن الخيره، و كذلك جميع ما صنفته مشايخى المذكورين من الكتب و الرسائل المبسوطه و المختصره ككتاب الحدائق لشيخنا المتقدم ذكره، و كتاب الأحياء العمى الشيخ عبد على، و كتاب مرآه الأخبار فى أحكام الأسفار، و جملة ما لهم من الكتب و الرسائل المعتمده المنصوص عليها فى تلك الإجازات، و ما سمحت به قريحتى الفاتره، و جرت به أقلام يدي الدائر من الكتب المبسوطه ككتاب الرواشح الربانيه فى شرح الكفايه الخراسانيه، خرج منها ثلاثه

مجلدات، و كتاب السوائح - النظرية في شرح البدايه الحريه سبعة مجلدات، و كتاب الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع ١٤ مجلد، و كتاب متممات الحدائق المسمى بالحدق الناظره مجلدين، و كتاب القول الشارح و الحجه في علم العقائد لثمرات المهجه - ٢ مجلد -، و كتاب الحدق النواظر في متممات كتاب النوادر برز منه مجلد واحد في كتاب الطهاره و النوادر للملا كاشى بلغ فيه إلى كمال علم الأصول و العقائد، ميرهننا عليه في أخبار ليست من الكتب الأربعة، فجزيت على منواله فيما برز منه نسأل الله إكماله، و كتاب رسائل أهل الرساله و دلائل أهل الدلاله، جمعت فيه رسائل متعدده موزعه على كتب الفقه قد انتهت فيه إلى أثناء الرساله الحجيه، و كان مبدأ الرسائل الرساله المسماه بالنفحة القدسيه في الصلوات اليوميه و هي أصغر الرسائل، و كتاب سداد العباد و رشاد العباد في الفقه الكامل بلغنا فيه كتاب المكاسب و البيوع مجلدين، و كتاب المحاسن النفسانيه في أجوبه المسائل الخراسانيه، و كتاب الأنوار الضويه في شرح الأحكام الرضويه و هو ما اشتمل عليه حديث شرائع الدين الذي كتبه على بن موسى الرضا (ع) إلى المأموم [المأمون] و قد رتبه أصولاً - و فروعاً، و أتمته بما يناسب حاله من الكلام المتروك، و كتاب كشف اللثام في شرح إفهام الأفهام في عقائد الإسلام و المتن لجدي لأمى الشيخ سليمان الماحوزى، و قد شرحته شرحاً وافياً مع إيجاز عبارته، و كتاب البراهين النظرية في أجوبه المسائل البصريه، و كتاب القوادح الحسينيه و القوادح البينيه جمعته ليقرأ في ماتم أبى عبد الله (ع) ليقرأ مده العشر، و قد أودعته من الخطب و الأخبار ما يجدد على القلوب الغافله حرائر تلك الخطوب و الأخطار، مرتباً ترتيب المنتخب، و كتاب سحائب النوائب في ماتم على بن أبى طالب مده الخمسه الأيام على كلا الروايتين المختلفتين في مقتله و وفاته، و كتاب اشتمل على ثلاثين مجلساً لكل ليله من الشهر مجلس يقرأ فيها، و كتاب اشتمل على سبعة مجالس يقرأ في كل ليله من الأسبوع مجلس، و كذلك الكتب المجموعه في وفايات الأئمه و وفاه الزهراء و وفاه الرسول، و كتاب الانتهاج في مناسك القرآن، و هو كتاب جليل قد اشتمل على مناسك الحاج بالاستدلال. و كذلك المناسك الثلاثه الأخر الكبير و الصغير و كذلك ما ألفناه من الرسائل المتفرقه في الفروع، و الأصول، و الرساله المنظومه في فقه الصلوات لم تكمل، و المنظومه الأخرى كامله بلغت مائه و ثمانين بيتاً مسماه بشارحه الصدور، و وضعتها في علم العقائد، و ديوان شعر كبير كله في رثاء أبى عبد الله الحسين (ع)، قد اشتمل على ما يزيد على سبعة آلاف بيت،

سوى أشعارنا المتفرقة، و الرسائل الموسومه بالجنه الوقيه فى أحكام التقيه، و رساله موسومه بياهره العقول فى نسب آل الرسول إلى آدم، و منظومه فى علم النحو بلغت لظننت و أخوانها مرتبه ترتيب الألفيه، و الرساله الدهلكيه الخطيه، و رساله فى الكلام على هذه الفقره من دعاء كميل و توجيه إعرابها و هى ما كانت لأحد فيها مقرا و لا مقاما، و رساله فى عوامل النحو القياسيه و السماعيه، و كتاب شرح رسالتنا النفخه القدسيه فى مجلدين كل منهما مجلد واحد، و رساله فى الحيوه و ما يختص به الولد الأكبر، و رساله جلاء الضمائر فى أجوبه الشيخ باقر، و رساله فى تركيب سبحان ربي العظيم و بحمده إلى غير ذلك من الرسائل، التى قد ذهبت فى البلدان و تشعبت عن حوادث الزمان، و لم يكن فى أيدينا ما نعتمد عليه و نرجع إليه و قد شرطت عليه وفقه الله تعالى للترقى فى مراقى أهل العلم و العمل و جنبه الخطاء و شبهات الزلل سلوك جاده الاحتياط و أن أكون على باله الشريف عند تاديه الفروض و النوافل فى كل زمن منيف، و قد قصدت فى هذه الإجازة الاختصار لما فى الإتيان على طرقي و إجازاتي من الشعب و الانتشار مع وجود الموانع من هذا الدهر الخوان الغدار، المانع عما يقتضيه التفقه فى الإيراد و الإصدار، و جرى ذلك باليوم الثامن و العشرين من شهر ربيع الأول أحد شهور السنه ١٢١٤ - الرابعه عشر بعد المائين و الألف من الهجره على مهاجرها أفضل التحيه و الإكرام، و كتب المتفقيين و المتعلمين الراجى فضل ربه، المجازى حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازى البحرانى من آل عصفور.

و كانت وفاته ليله الأحد قريب الفجر من شهر شوال سنه ١٢٢٤.

و للحاج هاشم بن حردان الكعبى فى رثاء هذا الشيخ قصائد مشهوره منها:

أطيلي البكاء فالرزه أضحي مجددا إذا غبنا فى اليوم باكرنا غدا

و لا تسامى فرط النياحه و اهتفى بخطب عرا شمل الهدى فتبددا

و خلى التعزى للخليين و اندبى فما كل صبر بابنه القوم أحمدا

ألم تعلمى الخطب الذى هد و قعه نظام الهدى و انهد منه ذرى الهدى

إلى أن قال:

أهاب باخوان الصفا فاصطفاهم و ثنى بأرباب العلا متفردا

قفوا بى على أطلالهم نبك ساعه و إن لم يكن فيها مجيب سوى الصدا

نساثلها أى المنازل يمموا و أى مقام أعجلوا نحوه الحدا

خلا منهم الوادى فصوح نبته و بانوا عن النادى فأصبح أسودا

تضم الثرى منهم صدورا تضمنت من العلم معروف الروايه مسندا

إلى أن قال:

تناقل أعداءه أحاديث فضله فلم تستطع منهم جحودا فتجهدا

تؤيدها بالرغم منها و لو رأَت سبيلا إلى إنكارها لن يؤيدا

السيد حسن الحيدري بن السيد أحمد

ولد في سامراء سنة ١٣٣٢، و كان بصحبه والده في النجف الأشرف، يدرس عليه و على غيره و لما عاد والده إلى الكاظميه عاد معه، و انصرف إلى الدراسه و التحصيل و حضر دروس علمائها كالسيد احمد الكشوان، و الميرزا على الزنجاني و غيرهما ثم انتقل إلى بغداد و صار إماما للجماعه في مسجد "عثمان بن سعيد" ظهرا، و في مسجد الجعيفر ليلا.

له كتابات متفرقه منها كتاب "أحوال الامام الرضا" و كتاب "جوامع الكلم" في خطب الرسول الأعظم (ص)، و رساله في " القواعد القرآنيه ".

الشيخ حسن بن محسن البلادي

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ملك العلوم زماما و تقدم في مقام الفضل إماما تصدر للافتاء سنة ١٢٠٩.

ثم هجر عن البحرين، و استوطن الهند و قطن في حيدرآباد إلى أن مات رحمه الله عليه و له رساله في القبله. و كتاب في المراثي، و له نظم و نثر و رساله في الخطب.

هذا هو الإيجاز المخل الذي يقع فيه صاحب (تاريخ البحرين)، فلم يفصل سبب تهجيره، و لم يذكر من هجره، و لا نقل شيئا من شعره، و لو فعل لأفادنا جزيل الفائد.

و كما قلت من قبل فقد كان لهذه المنطقه هجره علميه تشبه الهجره العامليه، و هي على كل حال هجره سواء هجرهم غيرهم أو هجروا هم أنفسهم بأنفسهم. (١)

الشيخ حسين علامه

من آل عصفورقال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من علماء البحرين و عبادها، و فضلاء زوال و زهادها، الكاشف لحقائق كتاب الله بالتدوين، و الواقف على دقائق خطابات سيد المرسلين، ذو الجنب الأطهر الأفر ابن علامه البشر، تصدر الإفتاء في زمان أبيه الشيخ حسين علامه، و لم يبلغنى تاريخ وفاته، و له حاشيه على التجريد تدل على طول باعه و كثره اطلاعه، و له من الأولاد جدى علامه الشيخ خلف و قبره الشريف في المقبره المعروفه بالمصلى عند آبائه الكرام عطر الله مراقدهم.

مرت ترجمته فى الصفحه ٤١٩ من المجلد الخامس و نشر هنا بحثا عن رسالته فى أسماء الریح مكتوبا بقلم حاتم صالح الضامن:

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، من أهل همذان.

دخل بغداد طالبا للعلم سنة ٣١٤ هـ، وقرأ القرآن على ابن مجاهد، و النحو [و]

ص: ٩٥

١- هو و الذى قبله اخرا عن مكانهما سهوا.

الأدب على ابن دريد و أبي بكر بن الأنباري و نفطويه، و أخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، و سمع من محمد بن مخلد العطار. و قرأ على أبي سعيد السيرافي و كان منتصرا له على أبي علي الفارسي. انتقل إلى الشام، ثم إلى حلب فاستوطنها، و تقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره، و كانت الرحلة إليه من الآفاق، و اختص بسيف الدوله بن حمدان و بنيه، و قرأ عليه آل حمدان و كانوا يجولونه و يكرمونه فانتشر علمه و فضله و ذاع صيته. و له مع أبي الطيب المتنبى مناظرات. توفي بحلب في سنة ٣٧٠ هـ.

مصنفاته

و هي كثيره طبع منها: إعراب ثلاثين سوره من القرآن. الحجه في القراءات السبع (١). رساله في أسماء الرياح. الشجر (٢). شرح ديوان أبي فراس الحمداني. العشرات. (٣) ليس في كلام العرب. (٤) مختصر في شواذ القرآن. و من كتبه المخطوطه: شرح المقصوره الدردييه و كتاب القراءات. (٥)

موضوع الرسائل

لم يكن ابن خالويه أول من ألف في الرياح، فقد سبقه أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزياى المتوفى سنة ٢٤٩ هـ في كتابه: أسماء السحاب و الرياح و الأمطار (٦) و أبو بكر بن السراج المتوفى ٣١٦ هـ في كتابه: الرياح و الهواء و النار (٧). و قد أفرد أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ بابا للرياح في كتابه الغريب المصنف و كان ابن خالويه عيالا عليه إذ نقل معظم ما أورده أبو عبيد دون إشاره لذلك.

و قد اهتم المؤلفون بالرياح فافردوا لها أبوابا من كتبهم منهم:

١ - ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ في: تهذيب الألفاظ.

٢ - الهمداني المتوفى سنة ٣٢٠ هـ في: الألفاظ الكتابيه.

٣ - ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ هـ في: متخير الألفاظ.

٤ - أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في: التلخيص في معرفه أسماء الأشياء.

٥ - الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في: فقه اللغة.

٦ - ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ في: المخصص.

٧ - الربعي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ في: نظام الغريب. ٨ - ابن الأجدابي المتوفى بعد سنة ٤٨٠ هـ في: الأزمنه و الأنواء.

و قد نشر رساله الرياح المستشرق الروسي كراتشكوفسكى (٨) في مجله إسلاميكا سنة ١٩٢٧. و لقد حفزني على إعادة نشرها صعوبه الحصول عليها لقدم العهد بنشرتها الأولى، ثم إنى ألحقت بالرساله ذبيلا يشتمل على فوائت من أسماء و صفات الرياح لم يشر إليها ابن خالويه في رسالته. و الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه و أن يسدد أعمالى لما فيه الخير، إنه نعم المولى

و نعم النصير.

هذه رساله في أسماء الريح

للشيخ ابن خالويه النحوى بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوى: الحمد لله رب العالمين، و صلى الله و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

و بعد، فان الريح اسم مؤنثه(٩) و تصغيرها رويحه، قال الله جل و عز:

(كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) (١٠) أى البرد، و من ذلك الحديث:

(لا بأس بأكل الجراد إذا قتلته الصر (١١) أى البرد، و قال جل و عز: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) (١٢). فاما قوله: (رِيحٌ عاصِفٌ) (١٣) ففيه قولان: أحدهما أنه مثل قولهم: امرأه حائض و طامث، و قيل معناه:

ريح ذات عصف. فاما (الرَّيْحُ الْعَقِيمُ) (١٤) فان الهاء ساقطه منها، لأن العرب تقول: رجل عقيم و امرأه عقيم، لا يولد لهما ولد، و ريح عقيم، لا تفتح الأشجار. و الريح الدوله، (١٥) قال الله تبارك و تعالى: (وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (١٦) أى دولتكم (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) (١٧)، قال: الدوله.

و الياء التى فى الريح منقلبه من واو و الأصل روح(١٨)، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. و أدنى العدد أرواح مثل حوض و أحواض. و أنشدنا ابن دريد. (١٩)

ليت تخفق الأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف

ص: ٩٦

١- و فى نسبتها إليه خلاف. ينظر مقال محمد العابد الفاسى فى مجله اللسان العربى (الجزء الأول من المجلد الثامن ١٩٧١). و ينظر (نسبه الحجه إلى ابن خالويه افتراء عليه) للاستاذ صبحى عبد المنعم سعيد فى مجله مجمع اللغة العربيه بدمشق (الجزء الثالث من المجلد الثامن و الأربعين ١٩٧٣).

٢- نشره ناجلبرج فى سنة ١٩٠٩ اعتمادا على نسخه وحيده تحمل اسم ابن خالويه، غير أنه عاد فاثبت فى مقدمته أن الكتاب لأبى زيد الأنصارى. (ينظر: المستشرقون ص ٨٩٩ و فصول فى فقه اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص ٢١١).

٣- الكتاب لأبى عمر الزاهد (ينظر: أبو عمر الزاهد ص ١٨٧). و فات الزميل محمد جبار المعيد أن المستشرق برونله قد نشر العشرات منسوباً لابن خالويه، و طبع فى ليدن سنة ١٩٠٠. (ينظر: المستشرقون ص ٨٠١ و روايه اللغة ص ٣٦٦).

٤- نشره ديرنبورج فى سنة ١٨٩٤ و الشنقيطى فى سنة ١٣٢٧ هـ، و أحمد عبد الغفور عطار فى سنة ١٩٥٧. و جميع هذه الطبعات ناقصه. (ينظر: لحن العامه و التطور اللغوى ص ١٨٤).

٥- تاريخ الأدب العربى لبروكلمن ١٧٩/٢، ٢٤١.

٦- معجم الأدياء ١٦١/١، أنباه الرواه ١٦٧/١.

٧- وفيات الأعيان ٣٣٩/٤، معجم الأدياء ٢٠٠/١٨ و سماه حاجى خليفه فى الكشف ١٤٢١: كتاب الرياح.

٨- هو أغناطيوس يوليانيوفتش كراتشكوفسكى، ولد سنه ١٨٨٣ و توفى سنه ١٩٥١ و هو من كبار المستشرقين الروس نشر كثيرا من الكتب العربيه منها: الأخبار الطوال لأبى حنيفه الدينورى، و كتاب البديع لابن المعتز، و ديوان الوأواء الدمشقى و غيرها. و قد ترجم من كتبه: تاريخ الأدب الجغرافى العربى و مع المخطوطات العربيه... (ينظر: الأعلام ٣٤٠/١، مقدمه تاريخ الأدب الجغرافى العربى).

٩- ينظر: المذكر و المؤنث للفراء ٢٧، البلغه فى الفرق بين المذكر و المؤنث ٦٨، مختصر المذكر و المؤنث للمفضل بن سلمه ٣٣٦.

١٠- آل عمران ١١٧.

١١- فى تفسير القرطبى ١٧٨/٤: "و فى الحديث أنه نهى عن الجراد الذى قتله الصر". و فى اللسان (صرر): "و فى الحديث أنه نهى عما قتله الصر من الجراد".

١٢- يونس ٢٢.

١٣- يونس ٢٢.

١٤- الذاريات ٤١.

١٥- اللسان (روح).

١٦- الأنفال ٤٦.

١٧- الأسراء ٦.

١٨- هو عند سيبويه فعل (بفتح الفاء و سكون العين). و عند الأخفش فعل (بكسر الفاء و سكون العين) و فعل (بضم الفاء و سكون العين). ينظر اللسان (روح) و المخصص ٨٣/٩.

١٩- أبو بكر محمد بن الحسن، عالم باللغه، توفى سنه ٣٢١ هـ (ينظر: مراتب النحويين ٨٤، نور القبس ٣٤٢ الوفيات ٣٢٣/٤، نزهة الألباء ٢٥٦).

و لبس عباءه و تفر عيني أحب إلى من لبس الشفوف

(١) و ذكر اللحياني (٢) في نوادره: أرياح، و ذلك شاذ مثل حوض و حياض.

فاما الريحان بالنون فحدثني ابن مجاهد (٣) عن السمرى (٤) عن الفراء (٥) قال: الريحان جمع روح مثل كوز و كيزان و نون و نينان يعنى السمك.

و الريح سبب لانزال القطر و الودق و الغيث اللواتى أسماها الله جل و عز رحمه فقال: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) ، (٦) أى بين يدي المطر، و الريح و المطر سببان لانزال الغيث و ذهاب المحول و رفع الجذب و محيا الخصب و الحيا و الحبا (٧) ، و الخصب أماره لقبول الله تبارك و تعالى أعمال عباده ألم تسمع قوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنِينَ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا) (٨). قال ابن خالويه: يقال أمددته فى الخير و مددته فى الشر، قال الله تبارك و تعالى: (وَ يُمِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) . (٩)

و العرب تقول: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرضون، (١٠) يعنى بالمؤتفكات الرياح لأنها تأفك الأرض أى تقشرها و تقلبها، و إنما سمي الكذب إفكا لأنه مقلوب عن الصدق. و إذا كان النشىء (١١) يعنى السحابه من قبل العين يعنى من قبل القبله ثم ألقحته الجنوب و أدرته الشمال و أنسبت به الصبا فذلك أجود ما يكون من المطر. و أمات الرياح، يعنى أمهات الرياح، غير أن الأمات فى البهائم و الأمهات فى الناس، أربع: الشمال و هى للروح و النسيم عند العرب، و الجنوب للأمطار و الأنداء، و اللثق و الغمق [يعنى] (١٢) الندى و الصبا لإلحاق الأشجار، فاما قول الشاعر:

لعمري لئن ريح الموده أصبحت شمالا لقد بدلت و هى جنوب

(١٣) فان المتحابين إذا اجتمعا قيل ريحهما جنوب، و إذا تفرقا قيل ريحهما شمال، لأن الشمال تفرق السحاب و الجنوب تجمع، قال الآخر (١٤)

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضاو تصدع قلبى أن تهب جنوبها

قريبه عهد بالحبيب و إنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

و قال الآخر:

يا ريح ويحك بلغى تسليما من ليس يأتينا له تسليم

مرى به فتعلقى بثيابه ليكون فيك من الحبيب نسيم

و الدبور العذاب و البلاء نعوذ بالله منهما، و أهون الدبور أن تكون عاصفا تقذى العين، فلذلك

كان رسول الله (ص) إذا هبت الرياح يقول: (اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا) (١٥) و تلك الأخرى و كل واحده تأتى بنوع

من الخير إلا كثيرا (١٤) فإنه ذم الشمال فقال:

و هبت بسفساف التراب عقيمها

(١٧) أراد بالعقيم هاهنا الشمال، و لذلك اختار أبو عمرو بن العلاء (١٨) و عاصم (١٩) أفراد كل ما فى الكتاب الله عز و جل من ريح العذاب، و جمع كل ما كان من رياح الرحمه، و أنشد سيبويه: (٢٠)

و ما له من مجد تليد و ما له من الريح فضل لا الجنوب و لا الصبا

(٢١) يهجو رجلا أى ما له خير، فان قال قائل قد قال الله عز و جل:

(وَلِسِيَّيْمَانَ الرَّيْحِ) (٢٢) فأفرد. فالجواب عن ذلك أن سليمان سخر الله له الصبا فقط (رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ) (٢٣) أى طيبه لينه حيث أراد فكانت تحمل سريره من كابل إلى قزوين فى نصف يوم و هى مسره [مسيره] شهر. و

قال (ص): (نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور). (٢٤) و أنشدنى ابن عرفه نفظويه (٢٥) لشاعر يمدح رسول الله (ص):

له دعوه ميمونه ريحها الصبا بها ينبت الله الحصيده و الإيا

٩. (٢٤)

ص: ٩٧

١- البيتان لميسون بنت بحدل زوج معاويه، و الثانى من شواهد سيبويه ٤٢٦/١ و هو فى الأ-صول ٢٤/٢، و المقتضب ٢٧/٢، و الإيضاح العضوى ٣١٢، و الصباحى ١١٢، و سر صناعه الاعراب ٢٧٥/١، و الجمل ١٩٩، و شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف ٢٩٤ و إعراب القرآن للنحاس ق ٦٠، ٢٠٦ و مشكل إعراب القرآن ١٥٤، و الروايه فيها جميعا: للبس. و نسب فى بلاغات النساء ١١٨ لزوج يزيد بن هبيرة المحاربى أمير اليمامه على عهد عبد الملك بن مروان.

٢- أبو الحسن على بن حازم، عالم باللغه عاصر الفراء و أخذ عن الكسائى (ينظر: أنباه الرواه ٢٥٥/٢، طبقات النحويين ٢١٣، معجم الأدباء ١٠٦/١٤، نزهه الألباء ١٧٦). و ينظر: الخصائص ٣٥٦/١.

٣- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمى عالم بالقراءات، توفى سنة ٣٢٤ هـ. (ينظر: غايه النهايه ١٣٩/١، الفهرست ٥٣، النشر فى القراءات العشر ١٢٢/١).

٤- أبو عبد الله محمد بن الجهم، أحد تلاميذ الفراء، توفى سنة ٣٧٧ هـ. (ينظر: أنباه الرواه ٨٨/٣، تاريخ بغداد ١٦١/٢، معجم الأدباء ١٠٩/١٨، الوافى بالوفيات ٣١٣/٢).

٥- أبو زكريا يحيى بن زياد، توفى سنة ٢٠٧ هـ (ينظر: أبو زكريا الفراء للدكتور أحمد مكى الأنصارى و ما فيه من مصادر).

٦- الأعراف ٥٧.

٧- الحبا: السحاب و كذلك الحبى (اللسان: حبا).

- ٨- نوح ١٠-١٢.
- ٩- البقره ١٥.
- ١٠- اللسان (أفك).
- ١١- ينظر اللسان و التاج (نشا).
- ١٢- يقتضيها السياق.
- ١٣- اللسان و التاج (جنب).
- ١٤- هو مجنون ليلى قيس بن الملوح. و البيتان فى ديوانه ٦٩، و ذيل الأمالى ٩٢، و الأغانى ٨٥/٢ و تزيين الأسواق ٦٢، و الأول فى السمط ٦٤١. و هما بلا عزو فى الزهره ٢٢ - و الروايه فى جميعها: هوبها بدل جنوبها.
- ١٥- المخصص ٩١/٩، اللسان (روح). و ينظر الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ٥٩/١.
- ١٦- كثير بن عبد الرحمن صاحب عزه، توفى سنة ١٠٥ هـ. (ينظر: ابن سلام ١٢٢، الشعر و الشعراء ٥٠٣، الأغانى ٣/٩، معجم الشعراء ٢٤٢، خزانه الأدب ٣٨١/٢).
- ١٧- أساس البلاغه (ثوب) و صدره: إذا مستتابات الرياح تنسمتو مر.. (و ينظر ديوانه ١٥٠، و الأنواء ١٦٣)
- ١٨- زبان بن العلاء البصرى، أحد القراء السبعة، عالم باللغه و الأدب، توفى سنة ١٥٤ هـ. (ينظر: أخبار النحويين البصريين ٢٢، طبقات النحويين ٢٨، ١٧٦، نور القبس ٢٥، التيسير فى القراءات السبع ٥، السبعه فى القراءات ٨٠).
- ١٩- عاصم بن أبى النجود، أحد القراء السبعة، توفى سنة ١٢٧ هـ (ينظر: وفيات الأعيان ٩/٣، غايه النهايه ٣٤٦/١، ميزان الاعتدال ٣٥٧/٢، السبعه فى القراءات ٧٠).
- ٢٠- الكتاب ١٢/١. (و ينظر عن سيبويه: سيبويه إمام النحاه لعلى النجدى ناصف).
- ٢١- البيت للأعشى فى ديوانه ١١٥ و فيه: و ما عنده مجد تليد و لا له...
- ٢٢- الأنبياء ٨١ و سبا ١٢.
- ٢٣- سوره ص ٣٦.
- ٢٤- الجامع الصغير ١٨٧/٢. و ينظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى و ما فيه من مصادر.
- ٢٥- إبراهيم بن محمد، أخذ عن ثعلب و المبرد، توفى سنة ٣٢٣ هـ. (ينظر: وفيات الأعيان ٤٧/١، زهه الألباء ٢٦٠، أنباه الرواه ١٧٦/١، معجم الأدباء ٢٥٤/١).
- ٢٦- تفسير القرطبى ٢٢٢/١٩.

الأب (١) المرعى، أنشدنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد:

جذمنا قيس و نجد دارنا و لنا الأب بها و المكرع

(٢) و حدثنا أبو عبد الله القاضي قال: حدثنا الدورقي (٣) قال: حدثنا عبيد الله الأشجعي (٤) قال: سمعت هارون بن عنترة (٥) يروى عن أبيه عن ابن عباس (٦) فى قوله: "فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ" (٧) قال ربح فيها سموم.

و حدثنى أبو حفص بن الشحام عن أبى عروبه (٨) عن الأشج (٩) عن حفص بن غياث (١٠) عن داود بن هند (١١) عن عكرمه (١٢) عن ابن عباس قال: أتت الصبا الشمال فقالت: مرى حتى نصر رسول الله... (١٣)

و الهبوه (١٤) و النضيضه و الحواشك و العريه و الهلاب ربح معها مطر، و البوارح هى الشمال تكون فى الصيف حاره (١٥)، قال ابن خالويه يقال يوم راح كثير الرياح و ليله راحه، و ليله ساكره لا ربح فيها و يوم ربح طيب الريح. و النافجه أول كل ربح (١٦). و الهجوم التى يشتد هبوبها حتى تطلع الثمام و البيوت. و الثوج الشديده المر. و الدروج يدرج مؤخرها حتى يرى لها مثل ذيل الرسن (١٧). و النسيم التى تأتى بنفس ضعيف. نسمت تنسم نسيما و نسمانا. (١٨) و عجت الريح و أسنفت كل ذلك فى شدتها و سوقها التراب.

و ربح خارم بارده. و المعصرات التى تأتى بالمطر. و الحواشك و المشتكره المختلفه (١٩). و قال الصغانى فى الأضداد ٢٢٧:

الرياح الحواشك الشديده و الضعيفه. . و العريه البارده. و الاعصار التى تستطيل (٢٠) فى السماء.

و الحرجف القره (٢١) تمت الرساله بحمد الله و عونته و حسن توفيقه و الحمد لله أولا و آخرا، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم و ذلك بعد العشاء فى الليله التى يسفر صباحها عن سابع شهر ربيع الثانى من شهور سنه ١٠٠٣ أحسن ختامها تم.

السيد حسين الغريفي البحراني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو الامام العالم العلامة شيخ الإسلام، سراج المله، برع فى الفقه و الأصول، و انتهت له رئاسه المعقول و المنقول، و صنف كتبا نفيسه انتشرت فى حياته، و أفتى و ألف و هو فى حدود العشرين.

و من تصانيفه كتاب: الغنيه المعموله فى طريقه الاحتياط. مات فى سابع ذى الحجه سنه إحدى و سبعين بعد الألف.

الشيخ حسين بن عبد الغفور الغريفي البحراني

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فقيها أديبا خطيبا عالما بالتفسير، خبيرا بأيام الجاهلية، و ما وقع فيها و مع غزاره علمه ما صنف كتابا و لا ألف، مات قدس سره سنه ١١٣٤.

الشيخ حسين بن الشيخ على البحراني

من آل عصفورقال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من المشايخ الكبار و الحامل للواء الأخبار، فقيها، عالما، عارفا، متكلما، أخذ الفقه عن عمه صاحب الحدائق. و تصدر للافتاء في الفلاحيه. و توفي قدس سره سنه ١٢١٢.

الشيخ حسين بن الشيخ على بن سليمان البحراني

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

قال العلامة الحلبي في إجازته لبني زهره: إنه يروى عنه عن أبيه الشيخ على المذكور جميع كتب أبيه. و أما أبوه الشيخ على الملقب بجمال الدين إلى أن قال:.. إن الشيخ حسين المزبور كان عالما بالعلوم العقلية و النقلية عارفا بقواعد الحكماء. له مصنفات حسنه (انتهى).

و قال الشيخ حسين بن الشهيد الثاني في إجازته: و أنا رأيت من مصنفاته كتاب: مفتاح الخير في شرح ديباجه رساله الطير للشيخ [أبي] على بن سينا. و شرح قصيده ابن سينا في النفس، و فيهما دلالة واضحة على ما وصفه العلامة. (انتهى).

و له الرساله المشهوره التي شرحها المحقق الطوسي بالتماس تلميذه الشيخ ميثم البحراني، و قبره الشريف الآن في قرية ستره من قرى بلادنا البحرين إلى جنب قبر شيخه أبي سعاده رحمه الله عليهم.

الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزي البحراني

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

أعلم من قضى و أفتى، أفضل من باشر التدريس و الإفتاء، أكثر العلماء علما، أرفع أهل النصوص رايه، أبرع أولى الخصوص آيه. قال جدى العلامة في كتابه المسمى بلؤلؤه البحرين: و عن طريقى إلى المشايخ الأعلام و مصنفاتهم المشار إليها في المقام قراءه و سماعا و إجازة شيخنا الفاضل و أستاذنا الكامل، جامع المعقول و المنقول، و مستنبط الفروع من الأصول الشيخ الأجل الأوحى الأفخر الشيخ حسين بن المرحوم الشيخ محمد بن جعفر البحراني الماحوزي، و هى ثلاث قرى (الدونج) (بالجيم بعد النون)، و هى مسكن الشيخ المذكور، (و هلتا) بالتاء المثناه من فوق بعد

- ١- جمع الزركشى فى البرهان ٢٩٦/١ أقوال المفسرين فى معنى (الأب) و حصرها فى سبعة أقوال. و ينظر أيضا تفسير القرطبي ٢٢٢/١٩ و كتاب الغريين ٧/١.
- ٢- اللسان و التاج (أب).
- ٣- يعقوب الدورقي، توفى سنة ٢٥٢ هـ (ينظر الأعلام ٢٥٣/٩ و ما فيه من مصادر).
- ٤- توفى سنة ١٨٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٢٨٦/١).
- ٥- ينظر الأنساب للسمعاني ٣٩.
- ٦- عبد الله بن عباس، صحابي توفى سنة ٦٨ هـ (ينظر: حليه الأولياء ٣١٤/١، نكت الهميان ١٨٠، وفيات الأعيان ٦٢/٣، غايه النهايه ٤٢٥/١).
- ٧- البقره ٢٦٦.
- ٨- الحسين بن محمد السلمى الحراني، توفى سنة ٣١٨ هـ (الأعلام ٢٧٧/٢ و ما فيه من مصادر).
- ٩- عبد الله بن سعيد، توفى سنة ٢٥٧ هـ (ينظر: الفهرست ٥٧ و تذكره الحفاظ ٧٧/٢).
- ١٠- توفى سنة ١٩٤ هـ (ينظر: الأعلام ٢٩١/٢ و ما فيه من مصادر).
- ١١- ينظر الفهرست ٥٧.
- ١٢- عكرمه بن عبد الله، تابعي، توفى سنة ١٠٥ هـ (ينظر: حليه الأولياء ٣٢٦/٣، الوفيات ٢٦٥/٣، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧، المعارف ٤٥٥).
- ١٣- غير واضح فى الأصل الذى اعتمده كراتشوفسكى.
- ١٤- من هنا إلى آخر الرسالة نقله ابن خالويه من الغريب المصنف ٢٨٠-٢٨١.
- ١٥- و هو قول أبى زيد كما فى الغريب المصنف ٢٨١.
- ١٦- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨٠: تبدأ بشده.
- ١٧- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨٠: فى الرمل.
- ١٨- و هو قول أبى زيد الأنصارى كما فى الغريب المصنف ٢٨٠.
- ١٩- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨١: و يقال الشديده.
- ٢٠- فى الغريب المصنف ٢٨٠: تسطع.
- ٢١- بعدها فى الغريب المصنف ٢٨٠: و هى الصرصر.

اللام، و بها قبر المحقق الفيلسوف الشيخ ميثم البحراني صاحب الشروح الثلاثة على كتاب نهج البلاغه. (و الغريفه) بالغين المعجمه ثم الراء ثم الياء المثناه من تحت ثم الفاء مصغره، و قد عاش شيخنا المذكور و بلغ من العمر ما يقارب تسعين سنه، و مع ذلك لم يتغير ذهنه و لا شىء من حواسه سوى ما لحقه من الضعف الناشئ من كبر السن، و من العجب أنه قدس سره مع غايه فضله لم تكن له ملكه التصنيف و لم يبرز شيئاً فى قالب التأليف و كان تلميذى على الشيخ المبرور فى بلاد القطيف بعد موت الوالد فى البلاد المذكوره، و بعد استيلاء الخوارج على بلادنا البحرين.

مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي

مرت ترجمته فى الصفحه ١٢٧ من المجلد السادس و نشر هنا بحثاً عن رسالته (ذات الفوائد) مكتوباً بقلم الدكتور رزوق فرج رزوق:

المؤلف

هو مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الدؤلى، الأصفهاني، المنشئ، الطغرائي.

ولد باصفهان سنه ٤٥٣ هـ فى أسرهِ عربيهِ ينتهى نسبها إلى أبى الأسود الدؤلى. و درس فى صباه و شبابه علوم عصره الشرعيه و الحكيمه، و حين بلغ أشده بدأ يشق دربه بعلمه و أدبه و مواهبه إلى المناصب السلجوقيه العاليه، فصار منشئاً و طغرائياً و مستوفياً و وزيراً.

و قتل سنه ٥١٥ هـ بعد معركة نشبت بين السلطان محمود و أخيه الملك مسعود الذى كان الطغرائي وزيره.

برز الطغرائي فى العصر السلجوقى فى أربعة من الميادين هى الشعر و الكتابه و الكيمياء و السياسه، فقد كان شاعراً مجيداً، و منشئاً بليغاً، و كيمياوياً عالماً، و سياسياً قديراً.

و لكن الطغرائي المعروف عند الأدباء و الباحثين بوصفه أديباً، أو وزيراً لا يعرفه كيمياوياً أو يعبا بكيميائه إلا قله منهم. و الحق أن الطغرائي مبرز فى كيميائه تبريزه فى الأدب و السياسه، فقد كان (جابر) عصره، و كان اسمه ألمع أسماء أهل الصنعه فى زمانه.

و لقد وصل إلينا من مؤلفاته فى الكيمياء كتب و رسائل و أشعار هذا ثبتها:

١ - مفاتيح الرحمه.

٢ - مصابيح الحكمه.

٣ - جامع الأسرار.

٤ - تراكيب الأنوار.

٥ - حقائق الاستشهاد (في الرد على ابن سينا).

٦ - سر الحكمة في شرح كتاب الرحمة.

٧ - الإرشاد إلى الأولاد.

٨ - أسرار الحكمة.

٩ - الرسالة الخاتمة.

١٠ - الأسرار في صحة صناعه الكيمياء.

١١ - رساله في الطبيعه.

١٢ - المقاطيع في الصنعه (شعر تعليمي في الكيمياء). ١٣ - وصيه الطغرائي من تدابير جابر.

١٤ - ذات الفوائد.

الرساله

ورد ذكر هذه الرساله في طائفة من المصادر و المراجع العربيه، مع سواها من مؤلفات مؤيد الدين أبي إسماعيل الطغرائي في الصنعه (علم الكيمياء القديم).

ذكرها ياقوت الحموي، و صلاح الدين الصفدي، و حاجي خليفة، و طاشكبري زاده، و إسماعيل باشا البغدادي (١)، و آقا بزرگ (٢).

و قد تبين لي بعد مراجعه طائفه كبيره من فهارس المكتبات، و من الكتب و المراجع أنه لا توجد من هذه الرساله إلا نسخه خطيه فريده هي التي تمتلجها دار الكتب المصريه بالقاهره.

و هذه الرساله قسم من أقسام مجموع خطي كبير رقمه ٧٣١ طبيعيات.

و هي تتالف من خمس صفحات (ق ١٨٥ أ - ق ١٨٧ أ). في الصفحه الواحده ٢٥ سطرا. مكتوبه سنه ١٠٨٨ هـ. بقلم نسخ فارسي (٣).

أولها: "رساله ذوات الفرائد من كلام الأستاذ مؤيد الدين أبي إسماعيل رحمه الله عليه. قال: من الأسرار الكبار قول هرقل: إن في التبييض أحد عشر سرا".

و آخرها: "فهذه الأوزان التي أكثروا فيها الإلباس قد شرحناها بغايه البيان. و الحمد لله وحده و صلواته على عبده سيدنا محمد و

أما موضوعها فهو (الأوزان)، و هي التي أشار إليها الطغرائي في آخر رسالته و قال إنه شرحها بغايه البيان. و هذه الأوزان لا علاقه لها في الرسالة بالوزن بمعناه المعجمي المعروف، و إنما هي من مفاهيم علم الصنعه. و قد كان يطلق على علم الكيمياء نفسه اسم علم الميزان أو علم الموازين. و ثمه كتاب لجابر بن حيان عنوانه "الحاصل في علم الميزان" (٤) و كتاب ثان عنوانه "ترتيب الأوزان" (٥). و هناك كتاب لأبي مسلمه محمد بن إبراهيم المجريطي عنوانه "الأوزان في علم الميزان" (٦) و بين الطغرائي في رسالته ما يعنيه أهل الصنعه بالأوزان فيقول: "و اعلم أن ما ذكروه من الأوزان فإنما هو المقايسه بين أرواح الأجساد و أنقالها. و هذه الأوزان و إن تميزت في العمل فلا حاجه إلى وزنها. و إنما قالوا ذلك تضليلا و تحييرا للجهال...".

و يقول البحاثه فيدمان في هذا الصدد: "إن الكيمياء لا تتسمى بهذا الاسم [علم الميزان] بسبب استعمال موازين فيها. و لكن لما يجرى البحث عنه فيها من المقاييس الصحيحه و النسب المتوازنه التي ينتج عنها الحصول على

١- هديه العارفين ١: ٣١١. سماها: ذات الفوائد.

٢- الذريعه. ١: ٢. سماها: ذات الفوائد.

٣- العنوان الراجح: ذات الفوائد. و هو ما نص عليه معظم المصادر.

٤- منه نسخه خطيه في مكتبه جار الله باستانبول ١٦٤١.

٥- منه نسخه خطيه في مكتبه الفاتح باستانبول ٥٣٠٩.

٦- منه نسخه خطيه في دار الكتب المصريه ٤ طبيعيات.

الوسط الصحيح الملائم لتحقيق الغايه الكيماويه المرتجاه " (١) ١٢٤-١٢٥.

و المنهج الذى اتبعه الطغرائى فى تأليف رسالته هو أن يذكر طائفه من أقوال العلماء و الحكماء القدماء ممن اشتغلوا بالصنعه، أو ألفوا الكتب و الرسائل فى مواضيعها. و هذه الأقوال و جيزه غالبا. و هو يتلوها بشروح لها أو تعليقات عليها تكاد تحكيها قصرا.

يبدأ الطغرائى رسالته باقتباس قول كيماوى لهرقل هو: "إن فى التبييض أحد عشر سرا" ثم يعقبه بقول آخر شبيه به لجابر بن حيان هو: "تحتاج الأرض من الماء إلى عشره أضعافه" و يشرحه ثم يمضى فى اقتباساته لأقوال كيماويه أخرى عديده و فى شرحها و التعليق عليها. و من الموضوعات و الاصطلاحات الكيماويه التى تتردد فى هذه الأقوال: العمل و التدبير و الخلط و التبييض و التحمير و التعفين. و من الرموز: أرض مصر و أرض فارس و السماء و الأرض و السبعه المتحيره و الماء الورقى و الماء الخالد و إكليل الغلبه و الحجر.

أما العلماء و الحكماء الذين يقتبس أقوالهم فى هذه الرساله فهم هرقل و آرس و أغاثوذيمون و بليناس و زوسيموس و جاماسف و ماريه و جابر بن حيان و خالد بن يزيد. و ما يقتبسه من أقوال بليناس ثم آرس أكثر مما يقتبسه من أقوال الآخرين. و فى الرساله أقوال حكماء غير هؤلاء لا يسميهم. (٢)

و لا بد من الإشارة إلى أن هذه الرساله - و إن كان هدفها الشرح و البيان - لا تخلو من الغموض، و إنها كسواها من المؤلفات الكيماويه القديمه تتحدث عن موضوعات علم صعب أعزه أهله و كتموه من غيرهم فاستخدموا فى مؤلفاتهم الرموز و تعمدوا التعميه و الإبهام. و لا بد من الإشارة أيضا إلى أن اعتمادى فى تحقيق هذه الرساله على نسخه خطيه وحيدته لم ييسر لى فى تقويم نصها و تصويب بعض جملها ما كان ممكنا أن ييسره تعدد النسخ الخطيه.

منهج تحقيق الرساله:

١ - صححت فى متن الرساله أخطاء التصحيف و التحريف و أشرت فى الحواشى إلى الأخطاء.

٢ - شرحت بعض الألفاظ و الرموز الكيماويه.

٣ - أرفقت الرساله بملحقين تضمن أولهما تعريفا بالحكماء و العلماء الذين ورد ذكرهم فى الرساله. و تضمن ثانيهما فهرسا لما جاء فيها من ألفاظ و رموز كيماويه.

٤ - استعملت الرموز الآتية:

م: للمجموع الخطى ٧٣١ طبيعيات (ق ١٨٥ - أ ١٨٧) بدار الكتب المصريه.

لندن: للمجموع الخطى ٨٢٢٩ شرقيه بمكتبه المتحف البريطانى بلندن.

ق: لكلمه ورقه. بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على محمد و آله رساله ذات الفوائد من كلام الأستاذ مؤيد الدين أبى

إسماعيل رحمه الله عليه قال: من الأسرار الكبار قول هرقل: "إن في التبييض أحد عشر سرا." وهو مثل قول جابر "تحتاج الأرض من الماء إلى عشره أضعافه." وإنما يريد جابر بالماء الماء الورقي، ويريد بالأرض الثفل الباقي منه. وقال آرس: "و من أجل هذا الماء قال الحكيم: ماؤك من طبقه سماويه صانعه للطباع".

و العشره الأشياء التي ذكروها في الكتب أشاروا بها إلى كون الماء الورقي عند تمامه عشره أضعاف الجسد. و سمو كل واحد من العشره باسم على حده.

و قال جابر في بعض كتبه: "إن الكلس يدبر إلى أن ينقى عسره، و يحترق ما سواه." أقول: إذا انتهى إلى هذا الحد اختلط النحاس المعفن بالصفحة التي لم تعفن. و تمسك الأصباغ بعضها بعضا خلایا [خالیا] من النحاس المعفن. الذي لم يعفن هو الماء الورقي، و الصفیحه [الصفیحه] التي لم تعفن هي الجسد الباقي و هو إكليل الغلبه لأنه به يتم التدبير و يصير الأجساد بکلیتها أرواحا لم تبق فيها أرضیه تخالفها هاهنا تقوى على قتال النار.

و ما ذكروه من الأربعة الأجساد، و الستة الأجساد، و السبعة الأجساد، إنما هو كميته ما يروح من الجسد بالقياس إلى العشره الأجزاء التي هي تمام، و العمل الأجزاء.

اعلم أن الماء المفرد عند التدبير يستخرج أرواح الأجساد فيجنها في جوفه. و إنما يستجن اليسير منه في أول الأمر ثم لا يزال يتزايد إلى أن يصير الروح و الثفل سواء، ثم يتزايد الروح فتختلف نسبه أحدهما إلى أن يصير الروح و الثفل سواء، ثم يتزايد الروح فتختلف نسبه أحدهما إلى الآخر من أول التدبير إلى آخره، أما ما رمزه من الأعداد في سائر المواضع فعلى هذا القياس، و لهم فيها مجال واسع.

و قال آرس في الأوزان: "هذه الأشياء إنما تركيبها من كثير و قليل ثم يصيران بالسواء." أقول ثم بعد ذلك يستمد أحدهما من الآخر حتى ٣.

ص: ١٠٠

١- دائره المعارف الإسلاميه، ماده "الكيمياء" (بالانكليزيه) ٢: ١٠١٠. أقول: إن وجود هذا المعنى الكيماوى لكلمه وزن لا ينفي وجود الكلمه بمعناها الحقيقي في العمليات الكيماويه التي كان يقوم بها الكيماويون العرب و المسلمون. و نحن نجد في كتب جابر بن حيان و أبي بكر الرازي و غيرهما عنايه بذكر أوزان المواد المتفاعله التي تستخدم في التجارب العمليه، و لا شك أن اهتمامهم بالوزن هو الذي هداهم إلى استنباط القانون الذي ذكره الجلدكي، و هو أن المواد تتفاعل بمقادير معينه من حيث الوزن. و لقد استعملوا من الأوزان الرطل و الأوقيه و المثقال و الدرهم و الدائق [الدائق] و القيراط و الحبه، و استخدموا موازين حساسه دقيقه. انظر جابر بن حيان و خلفاؤه لمحمد ص محمد فياض

٢- دراسات في مؤلفات الطغرائي (بالانكليزيه) ص ٢١٠-٢١٣.

يصير ما كان قليلا في الأول كثيرا في الثاني.

و ما ذكروا من الأوزان وإنما هو الماء الخالد، و هو الذى قال فيه أغاثوذيمون:(١) "إن الماء الخالد إذا أصيبت حقيقه وزنه جعل خطأ الذى لم يعرف وزنه صوابا."

و يسمون الثفل الذى يبقى بعد طلوع الماء الخالد بالزبل.(٢)

قول الحكيم: "إن حجرنا مثلث الكيان، مربع الكيفيه." يعنى بالتثليث الماء المفرد و الماء المركب و الأرض، و بالتربيع البياض و الخضره و الحمره و السواد.

قول الحكيم: "فى أرض فارس و أرض مصر." أرض فارس هو(٣) الطافى فوق لاشرافه(٤) و علوه، و أرض مصر هو الراسب لظلمته.

قول بليناس(٥): "تلك الحركات كانت فى وسطه(٦) أقوى منها فى أطرافه و حدوده." يريد بذلك أن ما صعد فى وسط التدبير من التركيب أكثر مما يصعد أولا و آخرا. أما أولا فلصلايه الجوهر، و لأنه معدنى لم ينضج، و أما آخرا فلقله الباقي و لكثره ما صعد منه الماء. و لما قسموا الجوهر قسمين أعلى و أسفل سموا الأعلى و الأسفل سوادا، الأعلى إن تم بياضا و سوادا كما سموهما سماء و أرضا، و روحا و جسدا، و ماء و دهنا.

قول بليناس: "فلما جاءت الحركات و اختلفت الطبائع دخل بعضها فى بعض، و قبل بعضها بعضا فى بعض على قدر قوتها و انحلال بعضها فى بعض، و ازدواج بعضها لبعض، و لذلك أسرع بعضها فى ولادته و أبطا بعضها." أراد بذلك انحلال النفس من الجسد، و سمي المنحل طبائع، لأنها تنحل شيئا فشيئا، ثم ذكر فى هذا الفصل ازدواج هذه الطبائع المنحله و عله سرعه بعضها و إبطاء بعضها، و ذكر المواليد المولده منها أولا فأولا، فيقال أخيرا لاجتماع الطبائع الثلاث عليه فى تحليله و تعفينه أسرع هذه الثلاث فى الحركة لللطافتها و تمت ولادتها قبل ولاده الأرض، فلما تم ما تولد من الماء و الهواء و طلع(٧) على وجه الأرض طلع على أثره ما تولد من الأرض بمعونه هذه الثلاث لها، و كان الشجر الذى لا ثمر له لشده يبسه، فدل بهذا القول لكره(٨) على كيفيه انحلال الطبائع من الجواهر الأول، و تدرجها حالا فحالا، و شبهها فى كل درجه بعنصر من العناصر البسيطه، أو نوع من الأنواع المركبه عنها، و ابتداء بالشجر الذى لا ثمر له، حتى صار إلى الإنسان الذى هو أشرف المركبات،(٩) و ذلك قوله و إنما طلع فى آخره ما طلع من النبات، لأن القوى الأربع اجتمعت عليه و دفع كل واحد ضد منها ضده عن نفسه إلى أن أسلفوا ولد، و الآن(١٠) هذه الطبائع الأربع أصدقاء، فلما اجتمعت(١١) دفع كل ضد ضده فأبطأت فى اجتماعها لدفع بعضها بعضا، فلما تمت و طلعت طلع بإزائها من الحيوان و الإنسان و كل دابه تامه القوه طويله الولاده مثل الفرس و البقر و الأسد و غير ذلك، و صار الإنسان قائما فى الهواء لاعتدال الطبائع الأربع فيه لأنه أتم المواليد كلها. هكذا تمت المواليد من الحيوان و النبات من الطبائع فى ابتداء الخلقه من جميع الخلقه، فقد دل بهذا القول على كيفيه الانحلال أولا، و الامتراج ثانيا، و طول المده فى تمام ذلك، و عسر الاجتماع و الاتحاد فى بدء الأمر.

قول القائل: "الرطوبه مثلها، و بها تصبغ الأجساد." ليس يعنى بها الرطوبه المائيه، و إنما يعنى بها الرطوبه المستخرجه من الأجساد

التي هي أرواحها.

قول بليناس(١٢): "المكان الذي كانت فيه الحركة معتدله و السكون معتدلا أيضا مثل الحركة جزءين مستويين كان هناك خلق الإنسان، الذي هو أوسط الخلائق. " يدل على أن المركب إذا صار روحه و جسده سواء فقد صار كثيرا. و هو الحملان الذي ذكره خال [خالد] [بن يزيد بن معاوية] في شعره.

(١٣) و كلما زاد الروح ازداد لطافه إلى أن يصير تسعه على واحد، و هي التسعه الأحرف التي ذكرها زوسيموس(١٤) في عده مواضع، و ذكر أن أربعه منها لا صوت لها، و خمسه لها صوت. و إنما أراد بالصوت الصبح، و لذلك قال آرس: " كان الأمد في أول الأمر السواء بالسواء و هو قولهم آبار(١٥) نحاس اجعلها بالسواء. " و الآبار نحاس هو الخلط كله، و هو الذي قال [فيه] الحكيم: "إننا لم نلق شدة في العمل أشد من المزاج حتى تراوجت الطبائع و اختلطت و صارت شيئا واحدا، فهو كلما دبر انقلب من لون إلى لون، و لكل لون طبيعه و قوه و لطف، و قد أفادته النار لأن يكون أولا- دوده ثم حيه تنينا، و كلما طبع بالرطوبة ازدادت ألوانه ازدهارا. "

و اعلم أن كل ما ذكره من الأوزان فإنما هو المقايسه بين أرواح الأجساد و أثقالها، و هذه الأوزان إن تميزت في العمل فلا حاجه إلى وزنها، و إنما قالوا ذلك تضليلا و تحييرا للجهاال كما قال جاماسب الحكيم في رسالته إلى بهمن بن أردشير: " و اعلم أن المركب لا يحمر حتى ينشف ماؤه و يجف ". و يدل على ٤٨

ص: ١٠١

١- م: أغاذيمون.

٢- م: بارزيل.

٣- م: و هو.

٤- م: لاشراقه.

٥- م: ليناس.

٦- م: وسطها.

٧- م: و طلوع.

٨- م: كذا في الأصل.

٩- هنا ينتهي ما ورد من هذه الرسالة في "دراسات في مؤلفات الطغرائي" ص ٢٨٨-٢٩٠.

١٠- م: كذا في الأصل.

١١- م: اجتمع.

١٢- م: قوبلينا.

١٣- الحملان: الخميره. جاء في كتاب تراكيب الأنوار للطغرائي (لندن ق ١٨١ أ): "قال خالد بن يزيد في أبيات كثيره يذكر فيها العمل و الأجساد الأربعه ثم ذكر الحملان و هو الخميره، فقال: و علمنى حملان شىء معجلجزاه إلهى خير ما كان جازيا انظر

أيضا ديوان خالد بن يزيد بن معاوية (مخطوطه مكتبه المتحف العراقي ببغداد ٢١٢٣) ص ٢٢٣.

١٤- م: ريسموس.

١٥- قال د. كامل مراد: "أخذ العرب معلوماتهم في الكيمياء على الأكثر من البلاد التي دخلوها، و كان المؤلفون أو النقلة على الأغلب من أصل فارسي أو سرياني، و لهذا لا غرابه في أن نراهم يستخدمون بعض الألفاظ الفارسيه أو السريانيه للدلاله على عنصر من العناصر. و قد وردت في كتبهم اللفظه الأكديه (آنك) للرصاص أو القصدير عوضا عن قلعي أو قصدير أو رصاصي. كما نجد استعمال الكلمه الآراميه (أبار) للرصاص... " انظر "الرمز في الكيمياء عند العرب" ص ٤٨

ذلك قول زوسيموس: "إن الأثالي اليابس يكون إذا طبخ بمائه حتى يجف و تذهب رطوبته و يتغير من البياض إلى الحمرة. و هو الذى يسميه الحكيم زئبقا و كبريتا."

و قول بليناس و هو يصف انقلاب الفضه فى معدنها ذهباً: "ثم يلح عليه الطباخ بحرارته و يقطع عنه الغذاء من الرطوبه و يصير يابسا(١) بحراره النار، فإذا ألح عليه النار فى طباعها اتصلت الحراره الطباخ بالجزء الذى هو فى باطنها فقويا جميعا و ظهرها على(٢) الفضه و انعدم(٣) البرد منها و بطن البياض فى باطنها و ظهرت(٤) الحمرة فى استعلاء النار فصارت ذهباً."

اعلم أن المركب إذا صار ذهباً بعد ما كان ورقاً فقد بقى فيه عمل كثير إلى أن يصير فرفيراً. و كذلك

قال زوسيموس(٥) فى حكاية عن موسى (ع) (٦): "خذ الحجر المعروف بالنسطريس(٧)، و هو العشره الأنواع التى ذكرها(٨) الحكيم، و اجعلها خميراً لذهب الذهب الذى سموه الصدى قد اختلط بالصمغ إلى أن ينعقد و يتحد(٩) طبخها و إلى أن نجدها فرفيراً." اعلم أنهم حين قسموا المركب عشره أقسام سموها هذه الأقسام أجساداً(١٠) و إنما سموها الثفل الباقى أجساداً.

و يدل على ذلك قول آرس: "إنهم خلطوا الأجساد بعضها ببعض فامتزجت(١١) فاسمك بعضها بعضاً بالماء المخلوط بها، ثم دبرت فصارت كلها زئبقاً واحداً فسمتها الحسده(١٢) ماء الكبريت، و سموها كباريت استخرجت من الأجساد. و إنما هذا كله استخراج روح الأجساد حتى يصير زئبقاً واحداً فى رأى العين."

قال آرس: "و معنى قوله ألقوا(١٣) الزئبق بجسد المغنيسيا و بعبارة أخرى خذوا الزئبق فألقوه بالكباريت. قال: إنما أمرم أن تأخذوا الزئبق المركب المدبر فتلصقوه بالجسد النقى، و ذلك بعد ذهاب السواد، فيصير الذهب حجراً و رقيقاً، ثم يصير زعفراناً، ثم يصير فرفيراً. اعلم أنهم يريدون بالسواد الأرضيه، و ذلك أن للأجساد ظلمه و سواداً. و ذلك السواد و الغلظ من أرضيتها، و إنما يذهب بالتدبير الذى به يبيض النحاس و به يحرق، و به يذهب ظله، و ذلك بالزئبق و النار. و قال فى موضع آخر: "إن العمل التام لا يخرج إلا بالرفق و حسن التدبير، و إن النار و الزئبق لا يقدران أن يصيرا الأجساد غير أجساد حتى يذهب رجرجته و بريقه و يلصق بالأجساد رطباً [و] حتى يصير تراباً شبيهاً من الأجساد، لأن الزئبق إن لصق بالأجساد خرج ما أعلمتكم، و هناك يسمونه ماء الكبريت النقى."

و قال أيضاً: "إن الأرواح إذا جسدت تالفها(١٤) الأجساد فى التقلب و التبييض و التحمير."

و قال: "هذه العشره الأشياء تسمى إذا تمت الأصباغ و هى من ألغام الزئبق الخرثقلا(١٥). و هذه الكبريته البيضاء تسمى إكليل الغلبه". أقول إنما تسمى إكليلاً لأن الركن الثابت يسمونه ملكاً، و هذه الكبريته تطفو فوقه فتصير إكليلاً له، و يسمونه سماً لأنه يفتت الجسد و ينشف رطوبته، كما يفعل السم بأجساد الحيوان.

و هذه الأصباغ ربما قسموها سبعة أقسام و سموها بأسماء السبعه المتحيره(١٦).

و قول الحكيم: "إنه يواتيك على رأى الأوزان شئت إلا أن تدخل(١٧) عليه غريباً أو تجعله(١٨) ناقصاً من نجومه". يعنى إن لم يستخرج منه تمام الأصباغ التى شبهت بالنجوم السبعه. و أقوال إن هذه السبعه هى آخر العمل بعد البياض. و لذلك قال خالد

[بن يزيد بن معاويه]:

و عليك بالتعفين(١٩) بعد بياضه في فارس سبعا من السبعات

(٢٠) وقبلها أربعة للبياض، و هي التي قالوا فيها ببيض النحاس و يلين الحديد و يذهب بصريير القلعي و رطوبه الآبار.

و باجتماع الأربعة و السبعه يتم قول هرقل: "إن في البياض أحد عشر سرا".

و ربما قسموا المركب التام ثلاثه أقسام و سموه هرمس المثلث بالنعمة(٢١)ه.

ص: ١٠٢

١- م: يابسه.

٢- م: و اظهرا.

٣- م: و انعدام.

٤- م: و ظهره.

٥- م: اديسموس.

٦- قال ابن النديم: "... و قالت طائفة أخرى من أهل صناعه الكيمياء إن ذلك كان بوحي من الله جل اسمه إلى جماعه من أهل هذه الصناعه، و قال آخرون: كان هذا بوحي من الله تعالى إلى موسى بن عمران و إلى أخيه هارون (ع)... " انظر الفهرست ص

٥٠٨. و انظر أيضا ديوان خالد بن يزيد في الصنعه ص ٢٠١-٢٠٢.

٧- أو النسطرس، و هو البورق. انظر سيكل ص ١٤.

٨- م: فذكر.

٩- م: و يتحدا.

١٠- م: أجساد.

١١- م: فترجت.

١٢- م: بالحده.

١٣- م: و معنى قولهم ألصق...

١٤- م: مجلدات يالفها.

١٥- م: الحرشقلى. و الخرشقلا من أصل يونانى و معناه الملبس ذهباً. انظر الكرملى: "الكلم اليونانيه فى اللغه العربيه" مجله

المشرق، بيروت ج ٧ ص ٣١٨. أو: الخرشقلا من اليونانيه خروسو كولا- أى الذهب الرصاص، و هو أحد الرموز التى رمز بها

الكيمياويون القدماء إلى النحاس. انظر "الرمز فى الكيمياء عند العرب" ص ٥٢. انظر أيضا سيكل ص ١٦، ١٧، ٣٣.

١٦- هى الكواكب السبعه المتحيره: زحل و المشتري و المريخ و الشمس و الزهره و عطارد و القمر. و قد تقتصر صفه التحير

على خمسها منها هى: زحل و المشتري و المريخ و الزهره و عطارد. و سميت هذه الكواكب بالمتحيره لأنها ترجع أحيانا عن

سمت مسيرها بالحركه الشرقيه و تتبع الغريبه، فهذا الارتداد فيها يشبه التحير. انظر نهايه الإرب ١: ٥٨.

١٧- م: يدخل.

١٨- م: يجعله.

١٩- م: التقفين.

٢٠- ذكر الطغرائي هذا البيت وبيتا تاليا له، في كتابه تراكيب الأنوار (لندن ق ١٧٥ ب) و هذان البيتان هما: فادفنه في التعفين بعد بياضهفي فارس سبعا من السبعات فإذا تكامل وقتهن، فإنهمسر، و ذلك غاية الغايات و ورد البيتان في "ديوان خالد بن يزيد بن معاوية" (مخطوطه المتحف العراقي رقم ٢١٢٣ ص ٧٣-٧٤) من قصيده مطلعها: طرد الظلام تتابع الغسلاتفي كل واحده من الجمعات و عدد آياتها ١٣ بيتا. و هذان البيتان هما المرقمان ١٢، ١٣. و هذا نصهما في الديوان: و عليك بالتعفين عند بياضهفي فارس سبعه [كذا] من السبعات فإذا تكامل وقتهن، فإنهمسر و تلك [كذا] غاية الغايات

٢١- م: بالنغمه.

[و الحكمه و النبوه] (١) و ربما قسموه أربعة أقسام فسموها ماء و هواء و نارا و أرضا.

و إنما اختلفت الأقوال لاحتمال الانقسام إلى أى عدد فرض لها.

و قد غلطوا بذكرها و اختلاف أوضاعها، و إنما هو عمل واحد و تدبير واحد، آخره شبيه بأوله.

قول الحكيم: اجعلوا النورين القرينين بالسواء و من الباقي مثل جميعهم إنما هو فى بعض درجات المركب. فالنوران القرينان هما الماء المركب بالسواء:

ثلثان و ثلث و الباقي ثلثان.

و أقول إن السبعة الأشياء كلها هو التصديق الأول لأن القوم قالوا الثلث للبياض سمتها الحسده شيئا واحدا، و جعلوا من ماء الكبريت مثل الأشياء كلها هو التصديق الأول لأن القوم قالوا: الثلث للبياض و الثلثان للحمره.

و قد قلنا إن السبعة (٢) للحمره فقد صح ما قلناه. و غايه البيان فى ذلك أن الحكماء قسموا حجرهم دفعه قسمين و دفعه ثلاثه أقسام و سموها نحاسا و حديدا و قصديرا و آبارا. و سموها الأربعة الأجساد، و ربما جعلوا هذه الأربعة اثنين فسموا النحاس و الحديد نحاسا و القصدير و الآبار قصديرا. و ربما جعلوا هذه الأربعة عشره. و لذلك قالوا: العشره موجوده فى الأربعة و جعلوا القسم الآخر سبعة، فصار الجميع إما أحد عشر على رأى هرقل و إما سبعة عشر على رأى جابر. و مصداق ذلك قول هرمس: "أثمال الذهب سبع ثملان" فإنهم يسمون القسم الأول من العمل البياض و عمل الورق، و القسم الثانى الحمره و عمل الذهب. و يسمونه أيضا ذهبا و معدن ذهب و حجاره ذهب و رمل ذهب و كبريتا أحمر و ما شاكل ذلك من الأسماء.

و أما من قسمها ثلاثه أقسام فقد سماها ثلاثه تراكيب لانقسام كل واحد منها إلى ثلاثه أقسام [و] و تسعه أقسام بعدد الشهور.

و شبهوها بالفصول الأربعة. و سموها القسم الأول من الثلاثه نحاسا لبيسه، و القسم الثانى رصاصا لينه، و القسم الثالث حجر أطسوس لألوانه.

و هو قول ماريه: "آبار نحاس حجر مكرم ثم أذيبوها بالسواء". و قولها فى موضع آخر: "نحاس رصاص أطسوس بالسواء".

فهذه الأوزان التى أكثروا فيها الإلباس قد شرحناها بغايه البيان، و الحمد لله وحده و صلواته على عبده سيدنا محمد و آله أجمعين.

ملحق ١ تعريف بالحكماء و العلماء الذين ورد ذكرهم فى الرساله

آرس:

قال الأب الكرملى: آرس إله الحرب عند اليونان، من أصل عربى من حرش)، و هو الآرث أيضا (المساعد ١: ١٨٣). و آرس أيضا من الحكماء الذين الفوا كتباً و رسائل فى الصنعه، منها "كتاب آرس الأكبر" و "كتاب آرس الأصغر" و قد ذكرهما ابن النديم

فى الفهرست ص ٥١٢. و منها "مصحف الحياه" و "مساءلات آرس الحكيم" و "كتاب الأمثال". و قد تردد ذكر هذه الكتب و تعدد الاقتباس منها فى مؤلفات الطغرائى الكيمياويه.

أغاثوذيمون:

قال ابن أبى أصيبعة: كان أغاثوذيمون أحد أنبياء اليونانيين و المصريين، و تفسيره السعيد الحظ (عيون الأنباء ص ٣١).

و قال الأب الكرملى: أغاثوذيمون - و هو بالفرنسيه Agathodemon و باليونانيه Agathos Daimon - معناها فى اليونانيه: المبدأ الحسن. و هو الاسم الذى سُمى به اليونان خوفيس من أشهر آلهه المصريين. و يظهر اسم أغاثوذيمون فى المصنفات العربيه باشكال شتى منها أغاثوذيمون و غاثوذيمون و أغاذيمون و غارميون و عاديمون و عادميون.. (المساعد ٢٥١:١).

و قال ابن النديم: إنه واحد من الفلاسفه الذين تكلموا فى الصنعه. و لم يذكر له كتابا (الفهرست ص ٥١١).

و فى مكتبه الفاتح باستانبول نسخه خطيه من رساله له عنوانها "مقالات أغاذيمون لتلاميذه" و رقمها ١/٣٢٢٧.

بليناس:

قال الأب الكرملى معرفا بابولونيوس: إن هذا العلم جاء بصوره بلينوس و بليناس و بليس و سائر مصحفاتها لا للعالم Plinius بل للعالم Apollonius، و إن ثمة اثنين من العلماء القدماء يحملان هذا الاسم هما أبولونيوس الطوانى - Nius De Tyane و أبولونيوس البرجى Apollonius de Perge (المساعد ١).

٩٣). و قال هولميارد: إن أول هذين العالمين هو الذى يعنيه المسلمون فى كتب الصنعه Alchemy.

و ذكره ابن أبى أصيبعة باسم "بليناس الحكيم صاحب الطلسمات (عيون الأنباء ٧٣:١).

و ذكر حاجى خليفه فى كشف الظنون ص ١٤٠٢ "كتاب بليناس".

و أغلب الظن أن هذا الكتاب هو الكتاب المسمى "كتاب العلل" أو "كتاب سر الخليفه" الذى توجد منه عدده نسخ خطيه فى مكاتب القاهره و ليدن و البنغال و غيرها.

الطغرائى الشاعر

و عن شعر الطغرائى يقول إسماعيل مظهر:

هو من أفذاذ الشعراء، و من أهل البيان الذين يشار إليهم بالبنان. أنكره أهل زمانه على القاعده السائده فى هذه الدنيا. و ليس فى ذلك عجب، ذلك بان نكران الأفذاذ فى زمانهم سنه أهل الشرق منذ أقدم عصورهم. و هذا الطغرائى على جلاله قدره يقول:

مالى و للحاسدين؟ لا برحت تذوب أكبادهم و تنفطر

يغتابنى عند غيبتى نفر جباههم إن حضرت تنعفر

ألسنه فى إساءتى ذلق يقتادها من مهابتى حصر

أنام عنهم ملء الجفون إذا أثارهم فى المضاجع الأبر

يكفيهم ما بهم إذا نظروا إلى ملء العيون لا نظروا

تغيظهم رتبتي و يكمدهم جاهى فصقوى عليهم كدر

فنعمة الله و هى سابغه عندى من الحاسدين تنتصرع.

ص: ١٠٣

١- زياده تردد فى كثير من المصادر.

٢- م: السبع.

يعجبني أنهم إذا كثروا قلوا غناء و إن هم كثروا

و ليس من عجب في أن يحقد جماعه على الطغرائي في زمانه، و ليس من عجب في أن يقول فيهم الطغرائي هذه الأبيات و أكثر منها مما يتضمن ديوانه.

و لكن العجب في أن يهمل الطغرائي في زماننا فلا يتناوله كاتب بنقد، و لا يذكره أديب ببحث، كان هذا الشاعر العظيم من مطويات الأدب، تلك التي تطوى فلا تنشر، و تنسى فلا تذكر. ذلك في حين أن المتأمل في شعر هذا الرجل الفذ يدرك فيه سرا قلما تقع عليه في غيره من الشعراء: لا في شعراء عصره و لا في الشعراء الذين تقدموه، و لا في الشعراء الذين تلوه. و عندي أن هذا السر لا يشاركه فيه إلا شاعر واحد هو أبو العلاء المعري. أما ذلك السر فهو الجمع بين قوه الشعريه و دقه الاحساس و صدق الوجدان و بين هدوء الطبع. أما إن ذلك سر من أسرار العظمه في الطغرائي، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه سر عظمته، فذلك بان الشعر عاطفه و خيال و حركه نفسيه جياشه دافقه سياله، فإذا حكم هذه الصفات هدوء نفس طبيعي، صفا الشعر و رق و أنساب انسياب الجدول المترقق الهادئ، و لكنه في ترققه و هدوئه حاد كالسيف قاطع كالفاس الباتره المحدوده.

و أبو العلاء المعري إن شارك الطغرائي هذا السر، فلا شك في أنه في نفسيه الطغرائي و أذهب في الوجدان. فان أبا العلاء شاعر حكيم بطبعه متشائم بفطرته. حمل على المرأه و طغى على الإنسانيه، حتى لقد أراد أن يهدم كل قائم من غير أن يعرف كيف يقيم غيره، و أن يدك كل أساس عملي في الحياه من غير أن يرسم للحياه طريقا جديدا. ذلك على العكس من الطغرائي فإنه عاش مع المرأه و اندفع في غمرات الحياه و شرب من أفوايقها حلوه و مره، فكان من صميم أهل الدنيا. فإذا لازم أبا العلاء شيء من هدوء الطبع ظهر أثره في شعره فذلك طبيعي بمقتضى النشأه و الاتجاه الفكرى. أما أن يلانزم الطغرائي ذلك الهدوء و تحكمه تلك الطمأنينه، و هو بعد مغمور في الحياه محب لها، هائم بمباهجها، لماح لما فيها من مغريات و مفاتن، فذلك سر من العظمه لا تالفه في الشعراء.

و لقد يظهر أثر هذا السر في مراثيه [مراثيه]، و هى أبعد الأشياء عن أن يلزم فيها شاعر هدوء نفسه و طبعه، فلا يغلب عليه خيال جماح إلى غايات من الشعر يسبح من خلالها الشاعر في عالم من الخيال البعيد المعلق بأفاق الوهم القصيه.

و له في ارتاء مقطوعه رثى بها عزيزه عليه، تلمح من خلالها مقدار ما لاقى في فراقها من لوعه عميقه الأثر بالغه الخطر، و لكنك تلمح فيها أيضا ذلك الهدوء النفسى الذى يبلغ من قراره نفسك مبلغا لا تبلغه ثوره الشعر:

و لم أنسها و الموت يقبض كفها و يبسطها و العين ترنو و تطرق

و قد دمعت أجفانها فوق خدها جنى نرجس فيه الندى يترقق

و حل من المقذور ما كنت أتقى و حم من المحذور ما كنت أفرق

و قيل فراق لا تلاقى بعده و لا زاد إلا حسره و تحرق

فلو أن نفسا قبل محتوم يومها قضت حسرات كانت الروح تزهب

هلال ثوى من قبل أن تم نوره و غصن ذوى فينانه و هو مورق

فوا عجباً أنى أحم اجتماعنا و يا حسرتى من أين حل التفرق

أحن إليها إن تراخى مزارها و أبكى عليها إن تدانى و أشهق

و أبلس حتى ما أبين كأنما تدور بى الأرض الفضاء و أصعق

و ألقىها طورا بصدري فاشتفى و أمسحها حيناً بكفى فتعقب

و ما زرتها إلا توهمت أنها بثوبى من وجدى بها تتعلق

و أحسبها و الحجب بينى و بينها تعى من وراء التراب قولى فتنتطق

و أشعر قلبى الياس عنها تصبراً فيرجع مراتبا به لا يصدق

هذا شعر صادق الدلالة على الحقائق التى أحاطت بالشاعر، و على الإحساسات التى اختلجت بها نفسه. قد تكون فيه لمحات من شعر الرثاء فى شعر غيره من الشعراء، و لكن فيه إلى جانب هذا سر جديد عليك. ذلك ما تدرك من هدوء هذه النفس الثائرة كأنما ترى أرضاً انبسطت و نما فوقها العشب و غشتها الأزاهير، و أنت تسمع من تحتها دوى البراكين و همهمه الزلازل تغلى فى باطنها.

و لقد حاولت أن أطلق على هذه الظاهره العجيبه فى شعر الطغرائى اسماً أميزها به، فلم أجد اسماً أطلقه عليها أجدر بها من أن ندعوها "الواقعيه الشعريه" فإنها و الحق يقال أقرب الأشياء فهما مما ندعوه "الواقعيه فى الفلسفه" على أن المقارنه بين واقعيه الشعر و واقعيه الفلسفه يحتاج إلى فراغ ليس هذا مكانه، أما إذا أردت أن تقف على طرف مما ذكرت فاقراً له المقطوعه الآتيه:

أقول لنضوى و هو من شجنى خلو حنانيك قد أدميت كلمى يا نضو

تعالى أقاسمك الهموم لتعلمى بانك مما تشتكى كبدى خلو

تريدين مرعى الريف و البدو أبتغى و ما يستوى الريف العراقى و البدو

هناك نسيم الريح مثلك لاغب و مثلى ماء المزن مورده صفو

و محجوبه لو هبت الريح أرفلت إليها الغيارى بالعوالى و لم يلووا

صبوت إليها و هى ممنوعه الحمى فحتى م أصبو نحو من لا له نحو

هوى ليس يسلى القرب عنه و لا النوى و شجو قديم ليس يشبهه شجو

فأسر ولا فك، و وجد ولا أسى و سقم ولا برء، و سكر ولا صحو

عناء معنى و هو عندى راحه و سم زعاف طعمه فى فمى حلو

و لو لا الهوى ما شاقنى لمح بارق و لا هدنى شجو و لا هزنى شدو

إن فى هذا الشعر لثوره يخيم عليها هدوء نفسى قلما تانسه فى شاعر غيره.

و عندى أن هذه الصفه لم تتجل فى شعر الطغرائى بقدر ما تجلت فى لاميته المعروفه، و إن لنا لعوده إليها نحلل فيها هذا الشاعر الكبير على ضوء هذه الحقيقه الملموسه فى شعره. و لقد يحفزنا إلى درس الطغرائى أنه شاعر فسيح الجوانب مديد الغايات و فى شعره تعلق بأسباب الأدب العالى، و ما أحوجنا إلى هذه الأسباب.

الشرىف حسين بن داود بن يعقوب الفوعى:

قال أبو الفداء فى تاريخه و هو يتحدث عن حوادث سنه ٧٣٩:

ففى فى أوائل رجب توفى بمعره النعمان ابن شيخنا العابد إبراهيم ابن عيسى...

و بعد أن يصفه بأوصاف كثيره يقول: و هو من أصحاب الشيخ القدوه مهنا الفوعى نفعنا الله ببركتهما، و كان داعيا إلى السنه بتلك البلاد و توفى بعده بأيام الشرىف حسين بن داود بن يعقوب الفوعى بالفوعه و كان داعيا إلى التشيع بتلك البلاد، قلت:

و قام بنصر مذهب عظيم و حدد ظفره و أطال نابه

تبارك من أراح الدين منه و خلص منه أعراض الصحابه

السيد حسين بن السيد رضى بن السيد مقتدى الحسينى القزوينى

الملقب بمعين الإسلام و المشهور باللامع.

ولد فى قزوين ليله الجمعه ٢٠ جمادى الأولى سنه ١٣١٦ و توفى بها سنه

١٣٨٦ نشأ في قزوین علی حب العلم، ثم هاجر فی أوائل عمره إلى أصفهان، وقرأ الصرف و النحو و المنطق هناك علی جماعه من أفاضل أصفهان، ثم عاد إلى قزوین، و أكمل السطوح بها، و تخرج فی الفقه و الأصول علی الحاج ملا علی أكبر سیاه دهنی و الشیخ عیسی البرغانی و غیرهم و مال إلى الخطابه فأقننها و نبغ بها، فكان من أكابر خطباء المنبر الحسینی فی ایران. و فی إحدى رحلاته إلى مدینه أرومیة اجتمع مع محمد حسن المعروف بمحبوب علی الشاه فی مراغه و هو من أقطاب الصوفیه، فتأثر بافكاره و اعتنق طریقته و أصبح خلیفته فی قزوین.

من آثاره المطبوعه: دیوان شعر یحتوی علی مجموعه من الغزلیات و الرباعیات و له قصیده باسم جغد بلبل عرفانی، و له أيضا بعض المؤلفات لم تخرج إلى المبیضه. (١)

السید حسین بن علی نور الدین

ولد عام ١٨٩٦ م فی قریه "خریه سلم" من جبل عامل و توفی فیها سنه ١٩٧٨ م و تعلم مبادئ القراءه و الكتابه فی "الكتاب" ثم تتقف علی نفسه.

قال من قصیده عام ١٩٤٨، و هو عام تقسیم فلسطین، و ما ارتکبه اليهود فی جبل عامل من الآثام:

قری الحدود و أهلوها قد اندثرت تداس فی سوحها الأشلاء و الرمم

جاس اليهود خلال الدور و اندلعت من المدافع نیران بها اعتصموا

لما أناخوا علی "حولا" بكلکلهم و استعملوا الفتک ما رقوا و ما رحموا(٢)

فالطفل من فرق قد شاب مفرقه و الأم أذهلها عن طفلها الألم

أین الصنادید یوم الروح من شهدت لباسها فی الوغی الهندیه الخدم

أین البواسل من قحطان تنجدنا أین الحماء أباه الضیم أین هم

أین المذاوید هل خارت عزائمها بل أین أین الحفاظ المر و الشمم

أین الذین إذا اهترت صوارمهم تساقطت قلل للأرض تصطدم

ما مجلس الأمن من خوف یؤمننا فلینصف السیف إن لم ینصف الحکم

ما بالکم یح صوت المستجیر بکم أین الحمیه و الاقدام و الهمم

عهدی بکم لا یضیع الدهر و ترکم و لا یطل لکم بین الطلول دم

هبوا سراعا و فى أحشائنا رمق فنوم مثلكم عن مثلنا يصم
ألا ترانا و قد ضاق الفضاء بنا و ما لنا منهم منجى و معتصم
قد أمطرونا رصاصا من بنادقهم فارغونا على استسلامنا لهم
و قال:

يخاتلنا ذا الدهر فى من يخاتل يسالنا طورا و طورا يقاتل
و أبناءه فى الغدر يحذون حدوه فمن ذا نصافى منهم و نجامل
أيرجى وفاء منهم و صفاتهم على شكلهم فاللؤام للكل شامل
فلا يطمع الأعداء فىنا سكوتنا فان الليالى فى الورى تتداول
فلا بد من يوم يؤرخ فعله و أخباره بين الملا تتناقل
ألا أيها الساعى ليطفى نورنا رويدك لا يغررك منا التغافل
ألا تتقى الحرب العوان و تنتهى فان الليالى فى الخطوب حوامل

ابن سينا الحسين بن عبد الله بن على

اشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٦٩ من المجلد السادس ثم مر بحث عنه فى الصفحه ٢٣٠ من المجلد الأول من المستدرجات. و قد كانت الدراسات عنه فى معظمها فيلسوفا و فى هذا البحث الذى كتبه الدكتور داود مزيان الثامرى عن رساله مخطوطه لابن سينا يبرزه لنا طبيبا و البحث الذى يليه يبرزه لنا عالما طبيعيا:

التعريف بابن سينا

شهدت خراسان فى القرن الرابع للهجره حركه فلسفيه قويه تحت حكم الدوله السامانيه و نبع فيها النشاط العلمى بدرجة كبيره كان لها الأثر الفعال فى ازدهار الثقافه و العلوم العقلية فى تلك العصور، و قد توجت هذه الحركه بظهور الفيلسوف الكبير ابن سينا الذى يعد بحق دره الدوله السامانيه و مفخره الأمة الإسلاميه.

هو حجه الحق و شرف الملك الشيخ الرئيس الحكيم الوزير الدستور أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا.

لقد اشتهر فى كتب الفلاسفه المتأخرين من هذه الألقاب و الكنى و الأسماء، ما يوحى بمهامته العلميه و السياسيه، و من

المؤسف حقا أننا لا نجد في نسبة أكثر من هذه الأسماء، وقد علق ابن أبي أصيبعة على شهرته فقال:

"و هو و إن كان أشهر من أن يذكر و فضائله أظهر من أن تسطر".

و ابن سينا من الفلاسفة القلائل الذين دونوا سيره حياتهم، و كتبوا أخبارهم، و يعود الفضل إلى أحد تلامذته المعروف بأبي عبيد الجوزجاني، الذى سطر حياه ابن سينا و جاءت فى مصادرنا التاريخيه. و قد أخذ ابن أبي أصيبعة روايه الجوزجاني هذه فقال الشيخ عن نفسه: " كان والدى رجلا من أهل بلخ و انتقل منها إلى بخارى فى أيام الأمير نوح بن منصور(٣) فولاه الأمير نوح إداره قريه من ضواحي بخارى تسمى خرميثن ". و هذا دليل على أن عبد الله والد ابن سينا كان على شىء من راحه العيش. ثم تزوج عبد الله امرأه اسمها (ستاره) من قريه أفشنة فرزقا الحسين عام ٣٧٠هـ، فأصبح فى الأسره غلامان. على و هو الأ-كبر و الحسين و هو الثانى، و بعد خمس سنين رزقت الأسره غلاما ثالثا و هو محمود.

انتقلت الأسره إلى بخارى فاستقرت بها، و أحضر لابن سينا معلم القرآن و الأدب، فلم يكد يكمل العشر من العمر حتى حفظ جميع القرآن و كثيرا من الأدب و حتى "كان يقضى منه العجب ". و صحبت هذه الذاكره القويه العجيبه ابن سينا طوال حياته، فهو يروى أنه حفظ كتاب الطبيعه لأرسطو عن ظهر قلب دون أن يفهمه، حتى اشترى كتاب الفارابى فى أغراض ما بعد الطبيعه فانفتح على: "فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه قد صار لى محفوظا على ظهر قلب".

و قد برزت شهرته العلميه و نبوغه العقلى عند ما تولاه الأمير نوح بن منصور السامانى بالرعايه و الاهتمام. و يذكر أن الأمير نوحا قد ذكر عنده فى مرضه الأخير فأحضره و عالجه حتى برئ، و اتصل به و قربه منه و فتح له دار كتبه، و كانت هذه المكتبه من خيره مكتبات ما وراء النهر و المشرق الإسلامى، و قد وصفها ابن خلكان بقوله: "و كانت عديمه المثل فيها من كل فن من الكتب المشهوره بايدى الناس و غيرها مما لا يوجد فى سواها و لا سمع باسمه فضلا عن معرفته ". فكانت فرصه ابن سينا أن يتزود من هذه المكتبه لكثره علومها، و لم يستكمل ثمانى عشره سنه من عمره إلا- و قد فرغ من تحصيل العلوم التى عاناها بأسرها.

ص: ١٠٥

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- حولاً: قريه عامليه على حدود فلسطين أجرى اليهود فيها مجزره رهيبه.

٣- هو أحد أمراء البيت السامانى الذى ترعرع فى كنفه ابن سينا و نبغ فى علمه: ابن خلكان - وفيات الأعيان ١/٤٢٠ السامانى

و هكذا كان لاهتمام السامانيين بآبن سينا و رعايتهم له أثر فى تفوقه العلمى و شهرته العلميه و ذبوع صيته. و يستمر آبن سينا فى الحديث عن نفسه. فبعد أن أتم حفظ القرآن و الأدب العربى أرسله أبوه إلى بقال يسمى "محمود المساح" ليتعلم منه حساب الهند و مبادئ الهندسه، كما تعلم الفقه على يد إسماعيل الزاهد. و صادف أن وفد إلى بخارى الفيلسوف أبو عبد الله الناتلى و كان تلميذا لأبى فرج بن الطيب، من علماء القرن الرابع الهجرى، فأنزله والده فى داره حتى يتعلم منه آبن سينا الفلسفه، و بدأ يقرأ عليه كتاب إيساغوجى لفرفيوس الصورى(1) و برز التلميذ على يد أستاذة حتى كان يتصور مسائل المنطق أفضل منه، و عندئذ أخذ آبن سينا يقرأ الكتب و يطالع الشروح بنفسه حتى أحكم علم المنطق و الهندسه و الطب. و من فرط ذكائه أنه برز فى الطب و هو فى السادسة عشره دون معلم و أخذ يتعهد المرضى، و لا غرابه فى ذلك من شفاؤه للأمير نوح بن منصور السامانى فى هذا العمر المبكر، و بذلك نجح نجاحا باهرا و اشتهر أمره.

إن هذه السيره قد قرأها على تلميذه عبد الواحد الجوزجانى عند اتصاله به، و كان آبن سينا فى الثانیه و الثلاثين من عمره، و أكمل الجوزجانى الحديث عن سيره أستاذة بعد ذلك، و دون أخباره بما يعادل ربع قرن، حيث نضج فيها آبن سينا و تطور و اكتسب الكثير من التجارب و ألف كثيرا من الكتب الجليه الشأن.

لقد وصفه آبن خلکان بقوله: "كان نادره عصره فى علمه و ذكائه و تصانيفه" و صنف كتاب الشفاء فى الحكمة و النجاه و الإشارات و القانون و غير ذلك مما يقارب مائه مصنف ما بين مطول و مختصر. و لا غرابه فى أن يتخذ كتابه القانون مرجعا لطلبه الطب فى جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر.

و أخذ القديس توما الاكوينى الفلسفه السينويه لآبن سينا فكانت بذلك الفلسفه الغربيه التى تمتد جذورها إلى ثمره جهود آبن سينا، و هذا ما يفسر لنا كيف استمد الغرب ثقافته من العرب.

و يسجل الجوزجانى تاريخ ولادته سنه ٣٧٠ هـ فى شهر صفر من تلك السنه، أما وفاته فكانت بمدينه همذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنه ٤٢٨ هـ و دفن بها.

ذكر آبن أبى أصيبعه كتاب "القولنج" هذا، و أشار إلى أن تأليفه قد وقع أيام سجنه فى قلعه فردجان من أعمال همذان - لم يكن تاما على حد تعبيره.

و يبدو أن ظروف السجن و معاناه العيش آنذاك حالت دون استكماله.

و لعل آبن سينا قد أكمل الكتاب بعد ذلك أو أيام كونه فى السجن. و لكن يد الإهمال حالت دون وصوله إلينا كاملا.

و مهما يكن فان النسخ التى بين أيدينا تعبر بوضوح عن قيمه آبن سينا العلميه و أهميته فى الطب فى حالتى التشخيص و العلاج، و هو ما بين الداء و الدواء يبرز كطبيب عصره و قدرته فى العلوم الطبيه.

التراث الطبى الإسلامى

إن أهميه دراسه التراث العلمى الطبى الإسلامى تنبع من جوانب عدة:

فدراسه التراث الطبى تمكنا من تبيان الحقائق الطبيه التى نقلها أجدادنا فى عصر الترجمة من الأمم الأخرى مثل اليونان و الاغريق و الفرس و الهنود التى أضافوها إلى جهودهم الشخصيه و مكتشفاتهم التى توصلوا إليها عن طريق الملاحظه و المتابعه و التحرى و قوه التفسير و التعليل المنطقى الذى يقبله العقل مخالفين بالرأى غيرهم إن لم يكن حقيقه مقبوله. فاختلوا مع جالينوس فى كثير من الأمور الطبيه و لم يقبلوا كل شىء على علاقته كما يدعى البعض. إن ذلك سوف يعرف أبناء اليوم بجهود أجدادهم كما أن ذلك سوف يرد به على المغرضين و الحاقدين الذين يحاولون طمس الحقيقه و حجب نورها و إعطاء المسلمين دور الناقل و المترجم و البعض يعطيهم فضل أمين المكتبه.

إن طبيعه الأمراض لم تختلف عما كانت عليه فى الأزمان الماضيه عنها فى الوقت الحاضر، و لكن الذى اختلف هو ظهور البحث العلمى الذى توصل إلى معرفه مسببات تلك الأمراض. و كثيرا من الوصف الطبى الذى قام به أطباؤنا الأوائل لا يختلف كثيرا عما نعرفه اليوم، و قد برز المسلمون فى علم الصيدله و التداوى و هم أول من ألف الكتب فى ذلك. و من دراسه التراث العلمى لهم نستطيع الكشف عن العلاج الذى اتبعوه، و نحاول دراسته علميا و نخضعه للتجربه العلميه لتبيان مدى فعاليته. و قد قامت جهود مشكوره و لكنها محدوده لدراسه بعض النباتات الدوائيه التى استعملها العرب فى مداواه بعض الأمراض و أثبتت نتائجها كما فعل الدكتور محمود رجائى و جماعته فى دراستهم السريره على استعمال المسواك^(٢) حيث أثبتوا احتواء المسواك على المواد الطبيعيه النافعه.

إن الأدوية التى استعملها أطباء المسلمين كثيره و متعدده و قد يكون الرجوع إليها مخرجا من القيود و التحددات التى وصل إليها العلم فى الزمن الحالى و قد يجد عالم اليوم جوابا علاجيا لبعض الأمراض المستعصيه خاصه إذا علمنا أن كثيرا من أدويه هذا العصر سبق أن استعملت و لكنها طورت و استخلصت بصوره جيده و على نطاق تجارى واسع، أو قد صنعت بعد معرفه مكوناتها الأساسيه، و كتب الصيدله تزرخ بالمثات منها.

إن تحقيق التراث سوف يرفد المكتبه الإسلاميه بالمصطلحات و الأسماء الطبيه التى عرفها أجدادنا و سموا بها الكثير من أعضاء الجسم و الأدوية و الأمراض، و يساعد فى عمليه التعريب، و يثبت أن لغه العرب غير قاصره عن خدمه العلم، و ليست محدوده بحيث لا تسمح لتعريب الطب أن يجرى و أن يواكب الحركه العلميه فى كافه المجالات.

و التحقيق كذلك يساعدنا على معرفه أماكن مخطوطاتنا التى تنتشر فى أنحاء المعموره كافه، و طمور كثير منها فى رفوف المكتبات، و هى تراث علمى نفتخر به، و يجب أن نظهره للعالم أجمع، و قد قامت كثير من الدول العربيه و الجامعه العربيه بإنشاء مراكز تعنى بالتراث و تحقيقه و عدم الاكتفاء بالمبادرات الشخصيه المشكوره حيث إن العمليه مجهده و متعبه و هى بحاجة إلى جهود جمه متجمعه و ليست متفرقه.

موارد ابن سينا التى تآثر بها فى الطب

كما وردت فى المخطوطه - ج - ١ - جالينوس^(٣)!

١- إيساغوجى لفظه يونانيه معناها المقدمه أو المدخل

٢- د. محمد رجائي المصطبهى و جماعته، استعمال المسواك لنظافه الفم و صحته، كتاب الطب الإسلامى. الأبحاث المقدمه للمؤتمر العالمى الأول - الكويت، ربيع الأول ١٤٠١ هجرية.

٣- جالينوس - ولد سنه ١٣٠ م فى مدينه بيرغاموم شمالى أزمير فى تركيا و توفى سنه ٢٠٠ م عن عمر يبلغ السبعين، له مصنفات كثيره فى الطب و لم يسبقه أحد إلى علم التشريح و ألف فى تشريح الأحياء كتابا و شرح كتب أبقرات كلها.

٢ - الاسرائيلي: - كتاب مبحث أمراض الرحم.

- كتاب الحميات.

٣ - ابن زهر) ابن زهر - أبو مروان عبد الملك بن زهر ولد في إشبيلية سنة ١٠٩١ أو ١٠٩٤ ميلاديه و توفي في إشبيلية عام ١١٦٢ ميلاديه بعد إتمام كتابه - التيسير - التي ترجم للعبريه و اللاتينيه و طبع باللاتينيه عدده مرات بين عام ١٤٩٠ و ١٥٥٤ ميلاديه. صاحب التيسير ٤ - محيي الطب (١) أبي قراط.

اعتمدنا مخطوطه معهد إحياء المخطوطات العرييه رقم ٣١٦٧ جامعه الدول العرييه للتحقيق و رمزنا إليها بالحرف - آ - و هي عباره عن مايكرو فيلم برقم من ٥٣٢ - المكتبه الآصفيه بحيدرآباد، و رقم المخطوط فيها ٤١ (١٩) مجاميع من صفحه ٤٨٤-٥٦٤، اسم الكتاب "رساله في القولنج" و اسم المؤلف ابن سينا. تاريخ النسخ القرن الثاني عشر بخط تعليق حسن، عدد الأوراق (٣٧) بالعلم) الصفحه ١٧ سطرا، المقاس ١٦٠.٩٠ ملمترا.

بالنسخه آثار أرضه و ترقيع بسيط. و قد تم مقارنتها بمخطوطه جامعه الدول العرييه - معهد إحياء المخطوطات العرييه رقم ٣٠٦١ و قد رمز لها برقم - ب - و هي من مكتبه رضا رامبور، و رقم الفيلم من ٢٦٧/٢٢٩، و رقم المخطوط فيها ٤٠٣ (٥)، وسط اسم الكتاب (رساله في القولنج و تعديل أصنافه و أسبابه و علاماته) اسم المؤلف ابن سينا، و تاريخ النسخ القرن الحادى عشر، و هي بخط تعليق حسن، عدد الأوراق فيها ٧٤ صفحه، و الأسطر ١٥ بمقاس ٢٢٢.١٣٠ ملمترا.

أولها: و بعد فقد خاطبني مبتديا بالأمير الجليل نصره الدوله عن الملك كفاه الله من جميع متصرفاته.

كما تم مقارنتها بمخطوطه معهد و لكم للتاريخ الطبى فى لندن برقم:

٦٨ Wmsor و قد رمز لها بالرقم - ج -، و هي ٢٢ ورقه (١٤٥.٢١٢)، ملم ١٨ سطرا طلق معاده الكتابه (رساله في القولنج - القولنج).

و أولها: و بعد فقد خاطبني سيدنا الأمير الجليل نصره الدوله عن الملك كفاه الله جميع متصرفاته الإنجاح و الظفر).

اعتاد الباحثون عند تحقيقهم لأى مخطوط (٢) مقارنته بأكثر من نسخه واحده يشيرون إليها بالأرقام (أ، ب، ج) ثم يثبتون بعد ذلك فى الهوامش الاختلافات و هذا مطلوب علميا و لكنه مرهق و رأيت أن أكتب و أذكر ما ذكر فى اثنين من المخطوطات لأسهل للقارئ الصوره و لا- أشغله كثيرا بان الكلمه وردت فى (أ) كذا و فى (ب) و فى (ج) كذا، و أظن أن ذلك هو سبب عزوف كثير من الأساتذه عن التحقيق و الأفضل أن يظهر كتاب ابن سينا و يصرف الوقت عليه لتبيان الحقائق الطبيه من ضياع الوقت باعتماد الطريقه المتبعه سابقا علما بان ذلك قد لا يقبل من كثير من الأساتذه الأفاضل الذين يتبعون الطريقه الأولى. لقد حصرت الكلمه بين قوسين عند ورودها فى مخطوط واحد فقط و كتابه المتفق عليه فى المتن. لقد وردت كلمات كثيره فى المخطوطه (ج) غير منقطه فهتمت من سياق العبارات و المعانى للكلمات و المقارنه بالمخطوطتين (أ و ب). استعمل ابن سينا الفيشات فى هوامش صفحاته لتوضيح بعض الكلمات و النقل للصفحه الثانيه لم يكن عدد الأسطر متساويا فى كل الصفحات و

قد جاءت بعضها كتابات كبيرة و واضحة و بعضها صغيره ملمومه، و ذكر أسماء الفصول في الصفحه نفسها دون أن يضع لها عنوانا.

الدراسه و التعليق

من خلال دراستنا للحقائق الطبيه في رساله الشيخ الرئيس ابن سينا في القولنج و مدى مطابقتها و اختلافها لعلم الطب الحديث يتضح لنا عمق التراث العلمى الذى دونه أسلافنا في مجالات المعرفة العلميه و تأثيرها في ما هو وارد لدينا في الطب الحديث فقد ذكر:

١ - وجود الهدف الواضح في مقدمه الرساله حيث بين أسباب كتابه الرساله بقوله: " ان أجمع بخزائنه - عمره الله - كتابا يشتمل على ما ينبغى من حال القولنج أقسامه و أسبابه و أعراضه و دلائله و وجوه معالجاته و نهج السبيل إلى التحرز منه غير قاصر عن واجب البيان و لا خارج إلى حد الحشو و التطويل (١/أ).

٢ - إن هذه المقدمه تبين أن الرساله هي أول كتاب تخصصى في أمراض الجهاز الهضمى و بجزء واحد منه و هو أمراض القولون - القولنج.

٣ - كما أنها تبين التتابع العلمى و التسلسل المتبع حديثا في كتابه الأمراض في الكتب فقوله: " أقسامه "Classification" و أسبابه "Aetiology" أعراضه و دلائله "Symptoms" أو ما يعرف بالعرض الطبى للمرض "Clinical Presentation" و وجوه معالجاته "Treatment" و ينهاها "نهج السبيل إلى التحرز منه" و هو ما يعرف حديثا بالوقايه "Prevention" ثم يضيف: إنها يجب أن لا تكون مقصره في مضمونها و ليست خارجه عنه بالحشو و التطويل.

٤ - اتبع نفس الفهرسه و التبيوب الحديث و أشار إلى ذلك في المقدمه فهو يقول: "المقاله الأولى في تشريح الأمعاء و منافعها، و المقاله الثانيه في تعريف ماهيه القولنج في أقسامه و أسبابه و علاماته، و المقاله الثالثه في تدبير أصحاب القولنج و علاجهم و حفظهم (١/أ).

و من ثم يستمر في توضيح كل فصل من فصول المقاله معددا كل ما تشتمل عليه ليسهل للقارئ أن يعرف عند ما يطلب شيئا خاصا يجد مقابله بما هو موجود في الكتب الحديثه التى تسهل للقارئ ذلك. فمثلا تأخذ فصول المقاله الأولى فهى تسعه فصول: الفصل الأول في ذكر التجاويف الكبار التى في بدن الإنسان، الفصل الثانى في ذكر منافع الأعضاء " (١/ب).

و يستمر على هذا المنوال حتى ينهى جميع فصول المقالات. قائلا: " فهذا ٣١.

ص: ١٠٧

١- محيى الطب - أبى قراط. يعده البعض أبا الطب، عاش ٩٥ سنه، و هو يشتهر بطبه و قسمه و ألف العديد من الكتب في الطب.
٢- هنالك نسختان، نسخه مشهد، و نسخه وهبى، اللتين نوه بهما الأب جورج شحاته فنواتى، في كتابه "مؤلفات ابن سينا":

٥ - إن الشيخ الرئيس يحاول أن يشرح فلسفه الجسم و المراكز و المسئوله عن وظائف الأعضاء فهو يقول: " اعلم أن الأفعال الضرورية من قوام الحيوان فعل تغذيه البدن و يصدر عن القوه الطبيعيه، و فعل تغذيه الروح و تعديلها و يصدر عن القوه الحيوانيه، و فعل الحركه و يصدر عن القوه النفسانيه " (٢/ أ).

إن هذا التفصيل يشبه ما نعرفه اليوم من الفلسفه فالتغذيه تفصلها عن التنفس و هما منفصلان عن الحس و الحركه.

٦ - كما إنه شرح موضع كل من الأعضاء فى الجسم مشيراً إلى سيطره كل عضو على العضو الآخر قائلاً: " وقد أعد الخالق لكل واحد من تلك الأعضاء التى تخص فعلاً منها تجويفاً و خزانه تحويه، فأعضاء التغذيه للبدن هى المعده و الكبد و يدخل معها الكبد الطحالى و المراره و الكليتان و الأمعاء و التجويف الذى يحويها هو الفضاء الذى يبطن و يحيط به المراق و الصلب من الأسفل و من الخلف و الحجاب الحاجز المسمى ذيفر عما من فوق " (٢/ أ).

٧ - إن أعضاء التغذيه لدى الشيخ الرئيس لا- تختلف عما نعرفه اليوم ما عدا الكبد الطحالى الذى لا يدخل فى التغذيه، أما الكليتان فهما تشتركان بالهضم و بطرح الفضلات الممتصه و الزائده بعد عمليه التمثيل، كما أن ربط الكبد بالعمليه الغذائيه مفخره فى وقت لا يعرف فيه اختصاص الكيمياء الحيويه.

٨ - إن الحجاب التشريحي فى وصف مكان الأعضاء يدل على أن التشريح معروف لدى الشيخ الرئيس و ليست أقواله مجرد حدس و تخمين، فقله: " أعضاء تربيه الروح و تغذيه القلب و الرئتين و قصبتهما و التجويف الذى يحويها هو الفضاء الذى تحده، أما من قدام فالقفص و أضلاع الصدر، و من خلف الظهر الأعلى و من فوق الترقوه و العنق و من تحت الحجاب الحاجز " (٢/ ب). و هو ما نعرفه اليوم تشريحياً و وظيفياً.

٩ - و يستمر على هذا المنوال فى الوصف التشريحي للدماغ و النخاع مبيناً أنهما أساس الحياه و كل ما عدا ذلك توابع لها بقوله: " هذه الأعضاء التى تحيط بها هذه التجاويف هى الأعضاء الضرورية فى قوام الحياه و سائر الأعضاء أطراف لها و هى غير ضرورية " (٢/ ب) و هو ما توصل إليه العلم الحديث الذى يعلن الوفاه بتوقف الدماغ لا القلب.

١٠ - يعترف ابن سينا بان رطوبه الماء هى قوام الحياه فهو يقول:

" و جعل قوام جوهره من الرطوبه " (٣/ أ) هو أساس الفلسفه فى العصر الحديث حيث تعتبر الماء العنصر الأساسى فى التكوين الحيوانى كما أن الفعاليات الحياتيه: (METABOLISM) معروفه له فهو يصفها بقوله: " و كان الحار الذى فيه و الحار المحيط به يحلل جوهره " (٣/ أ) و هى العمليات الحياتيه الوظيفيه المعروفه لدينا بالتأيض و التمثيل.

١١ - إن الإنسان يتغذى و يعيش على ما يتحلل من جوهر مشابه لجوهره و هو يحلل فى بدنه هذا الجوهر المعوض بما يحضره من الأغذيه. و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله: " و جب أن يدبر بالحكمه لبدنه تدبيراً يحصل له بدل ما يتحلل عنه فهياً له مما يحضره أجساماً من شأنها أن يستحيل إلى مشاكله جوهره فيسد مسد التحلل منه و هذا هو الغذاء و أعد له أعضاء فيها ينضح

هذا الشيء الذى هو الغذاء (أ/ ٣).

١٢ - إن الغذاء الذى يتناوله الكائن الحى لا يستحيل بكامله لجوهر الكائن بل يبقى منه فضلات غذائيه، وهذا أيضا معروف لدى ابن سينا فهو يعرف أن بعض الغذاء يبقى و يجب لفظه خارج الجسم فهو يقول: "و يبقى منه فضل مؤذيا باحتباسه خلق له آليات دفع الفضول" (أ/ ٣). كما يعترف أن الفضلات إن بقيت فى الجسم فهى تؤذيه و هو ما معروف طبيا الآن باعراض الإمساك و الذى يجهد الطبيب نفسه بمعالجتها.

١٣ - إن الوصف الوظيفى للعضو فى الجسم مهم من الناحيه الفيزيولوجيه و بخاصه إذا جمع معه الوصف التشريحي للعضو و هذا ما يتبعه الشيخ الرئيس فهو يبين أسباب خلق الأمعاء بصورتها الحاليه و ما ذا يحدث لو أن الخالق سبحانه و تعالى جعلها بصوره غير صورتها الحاليه، فهو يقول فى خلق الأمعاء: "صلبه بالقياس إلى سائر الأمعاء لينه بالقياس إلى الباسط الماد، و لو خلقها عظميه لما أطاعت الانبساط عند الامتلاء و الانتفاخ من الرياح و لكنت ثقيله مؤذيه عند الحركه و لو خلقها لحميه لكنت تعرض للانخراق عند تمديد الأثقال و الرياح" (ب/ ٣).

١٤ - كما إن الجانب الوظيفى فى الأمعاء هو سبب خلقها بطبقتين فهو يقول: "و خلقها من طبقتين لتكون أمتن و أثخن و أصبر على ما يزاحمها من الأثقال المنعقده و اليابسه و يلذعها من الأخلاط الحاده" (ب/ ٣). و هو ما معروف لدينا من ناحيه دراسه الأنسجه أن هنالك طبقتين فى الأمعاء فى الوقت الذى لم يعرف فيه الميكروسكوب فى ذلك الوقت.

١٥ - أثبت العلم الحديث أن الغذاء يهضم فى الأمعاء ثم تمتصه الأمعاء ليحال بواسطه الدوره الدمويه إلى الكبد حيث يعمل عليه ليحيله إلى مواد أخرى صالحه للتايض و التمثيل.

و لإكمال تلك العمليه احتاجت الأمعاء لطول كبير و وقت يبقى الغذاء فيها ملامسا للشعيرات المعويه يكفى للامتصاص و كانت حكمه الخالق هى أن يفرق الإنسان من الحيوان فلم يجعله بهيمه تهتم بالأكل و التبرز و لم يخلقه حيوانا مجترا. إن ذلك هو ما جاء بالنص فى كلام الشيخ الرئيس فى الصفحه (أ/ ٤) من أولها إلى آخرها.

١٦ - إن حقيقه طول الأمعاء التى أكدها ابن سينا أثبت العلم أهميتها من الناحيه العلاجيّه، فالجراح اليوم يسرع بمعالجه التواء الأمعاء مخافه أن يضطر إلى قص و إزاله بعض منها نتيجة لموتها باحتباس الدم و الدوره الدمويه أثناء الالتواء، و السبب معروف اليوم: حيث إن قصر الأمعاء سوف يؤدي إلى الاسهال و فقدان السوائل و الوفاه، كما أن العلم الحديث بين أهميه مكث الغذاء فى تلافيف الأمعاء لغرض الامتصاص، فالاسراع المعوى حاله مرضيه تحتاج و تتطلب المعالجه. يبدو أن ذلك الوصف هو نتيجة للتحكيم المنطقى، و لكن هذا يدل على تفهم وظيفى للعضو البشرى نتيجة لدقه الملاحظه و ضبط المشاهده و الربط الفكرى و التتبع المرضى و العلاجي.

لما هو معروف عليه اليوم، مما يدل على أن التشريح كان معروفا و جاريا، كما أنها جميعا مربوطه بالظهر فهو يقول: " و هذه الأمعاء كلها مربوطه بالصلب و رباطات تشدها على واجب أوضاعها" (٤/ب).

كما أنه يفرق بينها تشريحا و وظيفيا فهو يقول: " و خلقت العليا منها رقيقه بجوهرها لأن حاجه ما فيها إلى الإنضاج و نفوذ قوه الكبد إليه أكثر من الحاجه فى الأمعاء السفلى و لأن ما يتضمنه لطيف لا يخشى فسخه لجوهر الأمعاء نفوذه فيه و مراره به" (٤/ب).

١٨ - إن الأمعاء السفلى لدى الشيخ الرئيس تبدأ من الأعور و هى تختلف تشريحا من العليا فيقول: " و السفلى مبتدئه من الأعور غليظه ثخينه متشحمه الباطن فيكون مقاومه للثفل الذى إنما يصلب و يكتف أكثره هناك" (٤/ب).

و لكنه لا ينسى أن يذكر أن الأمعاء العليا لم ينس الخالق أهميه مقاومتها إذ يقول: " و لكن لم ينحل فى الخلقه من تعريه سطحها الداخلى برطوبه لزجه مخاطيه تقوم له مقام التشحيم" (٤/ب).

و لا أحد ينكر أهميه ماده المخاطيه: "Mucus" من الناحيه الدفاعيه للأمعاء فى عصرنا هذا.

١٩ - إن حقيقه تصلب و تكتف الثفل فى الأمعاء الغلاظ معروفه للشيخ الرئيس و هى الجانب الوظيفى، الذى نحدده اليوم للأمعاء الغليظه و لم نزد عليه سوى امتصاص بعض من كميه الماء الذى لم يتجاوزها الشيخ الرئيس أيضا".

٢٠ - إن الشيخ الرئيس يتبع الأسلوب العلمى فى التشريح الوظيفى متبعا أجزاء الجهاز الهضمى فى الصفحه ٤/ب و ٥/أ، من المخطوط و بأسلوب لا يختلف عما يجرى عليه اليوم و لكنه يضيف على الأمعاء وجود قوتين جاذبه و دافعه و هو ما لا يقره العلم الحديث الذى اكتفى بقوه دافعه هى الحركه المساريقيه.

٢١ - إن العلم الحديث أثبت أن للصفراء تأثيرا على الحركه الساريقيه إضافه إلى وظيفتها فى الهضم. و إشاره الشيخ الرئيس إلى ذلك تعد مفخره كبيره و هو يقول: " و هى خالصه غير مشوبه فتكون قويه الغسل تهيج القوه الدافعه باللذع فيما يغسل و يعين على الدفع إلى أسفل" (٥/أ).

٢٢ - يعتقد الشيخ الرئيس خطأ " أن الديدان تفيد الإنسان عند ما تتولد فى أمعائه فهو يقول: " و فى تولدها أيضا منافع إذا كانت قليلة العدد" (٦/أ) حيث نعرف أن الديدان مضره للجسم و تسبب الأمراض له.

٢٣ - إن الوصف التشريحي الدقيق للأمعاء الغلاظ ينم عن معرفه جيده بالتشريح فالشيخ الرئيس يقول: " كما يبعد من الأعور يميل عنه ذات اليمين ميلا جيدا ليقرب من الكبد ثم يأخذ ذات اليسار منحدرًا فإذا حاذى الجانب الأيسر مال إلى اليمين و إلى الخلف (٦/أ)، و هو ما ندرسه اليوم لطلبه الطب فى قسم التشريح و نلزم الجراح بمعرفته فى الامتحان للتخصص.

٢٤ - إن الشيخ الرئيس يضيف إلى وظيفه الأمعاء الغلاظ المعروفه لدينا وظيفه أخرى نعرفها اليوم و هى استقصاء بعض بقايا الغذاء فهو يقول: " بعد استقصاء فضوله من الغذاء الكائن فيه" (٦/أ). ٢٥ - يحدد صاحبنا أن مرض القولنج يحدث عند تعرض قسم الأمعاء الغلاظ المعروف بالقولون للمرض فهو يقول: " و فى هذا المعاء التعرض من عله القولنج و منه اشتق اسمه" (٦/أ).

٢٦ - إن محاوله ابن سينا للوصف التشريحي الوظيفي الدقيق للشرح مفخره أخرى في معرفه التشريح و وظائف العضلات و هو ما يحاول المعلم اليوم تدريسه لطلاب الطب في التشريح، فهو يصف الشرح تشريحيًا و يصف وظائف العضلات المحيطة به و المرض الذي ينتج عن رخاوه قد تصيب هذه العضلات فهو يقول: " و منفعه هذا المعاء قذف الثفل إلى خارج، و قد خلق الخالق و مده أربع عضلات لتغمده و تمسكه واحده مشتمله على فم المعاء المستقيم عند المقعده " (٦/أ). ثم يكمل قوله عن بقيه العضلات الأخرى قائلا: " و هي معينه لتلك من القبض و العصر و طرفيها بين العضلتين يتصلان بأسفل العصب و فوق هاتين العضلتين زوج - يتورب باشماله على المعاء المستقيم و منفعته إشاله المقعده إلى فوق و عند استرخاء هاتين يعرض للدبر أن يبرز " (٦/ب).

٢٧ - تبدأ الكتب الطبيه اليوم عند وصف المرض بتعريفه في البدايه و هذا ما يتبعه فيلسوفنا فيقول في تحديد القولنج: " القولنج مرض آلى يعرض من الأمعاء الغلاظ لاحتباس غير طبيعي فيتوجع " (٦/ب).

و يعود ليشرح أسباب التسميه و يحدد الغرض من ذلك و هو تسهيل مهمه الطبيب الممارس في التشخيص و التفريق عن الأمراض الأخرى فهو يقول:

" فالمرض جنس للقولنج و الآلى فصل له عن الأمراض يسمى متشابهه الأجزاء و هي المزاجيه فإنه و إن كان القولنج يعرض عن المرض المزاجي، فلا يكون المرض المزاجي في نفس القولنج بل سبب القولنج " (٦/ب).

٢٨ - إن المدارس للطب و المتخصص فيه لا يمر على هذه الكلمات مر الكرام فهي كبيره المغزى و الأهميه من الناحيه الطبيه، و خاصه إذا علمنا أن ذلك حدث قبل ألف عام و قبل أن يعرف فرويد و نظرياته، فالشيخ الرئيس سبق الجميع و أشار إلى حقيقه علميه و هي أن الأمراض المزاجيه (النفسيه) قد تسبب أمراض الجهاز الهضمي فهو يقول: " و ليس إذا كان المرض مزاجيا يجب أن يكون المرض مزاجيا " (٦/ب).

٢٩ - نحن نسمى اليوم مرض الأمعاء الدقاق (Ileitis) و هي لفظه مقاربه للفظه الشيخ الرئيس: " إيلوس " (٦/ب) الذي يستعيز بالله منه "أى مستعاذ بالله منه فإنها تكون في الأمعاء الدقاق و ليست هي القولنج " (٦/ب). و نحن نعرف اليوم أن مرض الأمعاء الدقاق أخطر على الحياه من مرض الأمعاء الغلاظ و ذلك لكميه السوائل التي يفقدها المريض و تسبب وفاته.

٣٠ - إنه يستمر في التفريق بين الاحتباس غير الطبيعي في القولنج و بين غيره من الأمراض التي قد تشبه القولنج فهو يقول: " و قولنا لاحتباس غير طبيعي فرق بين القولنج و بين السحج و المغص و الزحير و أمراض آليه في الأمعاء لا يسمى شيئا منها باسم القولنج فإذا عرض فحينئذ يسمى الاحتباس دون القولنج و تكون هي أسبابا بالذات و بالعرض للقولنج " (٧/أ).

حسب أسبابه و هو ما يتبع اليوم فى الكتب الطبيه. إنه يعطى أهميه لما فى الأمعاء الغلاظ من ماده لها تأثير على المرض و نوعه فهو يقول: " و المحتبس فى التجويف إما جوهر لطيف و إما جوهر غليظ و الجوهر البخارى الريحي و الجوهر الغليظ إما حيوانى أو غير حيوانى " (٧/أ).

ثم يبين أسباب كل واحد منها، فقد تكون للغذاء أو تكون ديدانا و يفصلها عن الصفراء أو السوداء، بينما يعترف أن الدم قد ينفجر فى الأمعاء و يؤدى إلى القولنج فهو يقول: " ثم الدم فى الأوقات إذا انفجر فى الأمعاء و جمد الدم (جمد البلغم فى نسختين) قد يعرض منه القولنج (٧/ب). و لكنه يعود لينصح باستعمال كلمه المغص لمثل هذه الحالات ليفرقها عن القولنج كما يقول: " و تلك العله أولى باسم المغص منها باسم القولنج " (٧/ب).

٣٢ - إن مرض القولنج اليوم يختلف عما يصفه الشيخ الرئيس و لكن أسباب مرض الإمساك التى قد يسميها القولنج هى نفس الأسباب المعروفه لدينا اليوم فقولته: " إن أول أقسام القولنج البسيط خمسه، احتباس ريحي و خلطى و دودى و ثقلى و ورمى ثم تشعب هذه الأقسام " (٧/ب). يضيف عليها دقه علميه و وصفا مرضيا حين يصف أن القولنج قد يحدث بسبب موجود فى المعاء، أو بسبب عضو مجاور له، فهو يقول: " السبب الذى يعرض منه القولنج ربما كان فى نفس المعاء و ربما كان بحسب المجاوره " (٧/ب). كما قد يكون مرض القولنج بالنسبه للشيخ الرئيس ما نعرفه اليوم بالانفتال - (Volvu Lus) أو انسداد الأمعاء. (Intestinal Obstruction)، و هذا وارد حينما نقرأ قوله: " أن يكون من انضغاطه من عضو مجاور، و هذا على أقسام ثلاثه، لأن الانضغاط إما أن يكون لورم فى ذلك العضو مثل القولنج بسبب ورم فى المثانه و الرحم، أو لزوال ذلك العضو من وضعه مثل القولنج لدخول حرز الظهر داخلا- " لضربه أو سقطه أو لزوال ذلك العضو و اتصاله كالفتق يعرض فى الصفاق فيقع فيها المعاء فينطبق و يحتبس الثفل " (٨/أ) و هذه الأسباب معروفه اليوم لدينا كمسببات للانفتال أو انسداد الأمعاء.

٣٣ - يعطى ابن سينا للكبد و الطحال بعض الوظائف الأخرى المؤثره على الثفل، و لكن ليست كما نعرفها اليوم علميا فهو يقول: " لمشاركه عضو من سوء مزاجه مثل تخفيف الكبد للثفل بفرط برودته " (٨/أ)، أو ذكر "النوازل الدماغيه " (٨/أ)، و لكنه يستعمل الإشاره الطبيه لغيره فى نفى أو تفسير بعض الحقائق فهو يقول: " انصباب المراره و قد أنكر بعضهم أن يكون ذلك سببا للقولنج " (٨/أ).

٣٤ - يربط الشيخ الرئيس العلاقه بين الكليتين و إدرارها و سيوله الثفل، فهو يعرف أن كثره الإدرار تؤدى إلى التيبس فيقول: " و إدرار كثير يعرض معه فيجف الثفل لميل المائيه إلى جهه الكليه " . (٨/أ)، و هو ما يعود و يؤكد من أهميه التعرق و تأثيرها على الثفل يقول: " و كذلك العرق الشديد للرياضه الكثيره و القلب فى الحر الشديد " (٨/ب).

٣٥ - إنه يركز على الناحيه الفلسجيه فى وظائف الأمعاء و يعطى لها أهميه كبيره فى تغيير الطعام و دفعه و أى اختلال فى هاتين الوظيفتين يؤدى إلى ناحيه مرضيه فهو يقول: " و الذى يكون فى جرم المعاء فإنه يكون لأن قوته الدافعه ضعيفه أو لأن قوته المغيره ضعيفه فلا تحيل الغذاء إحاله جيده بل يبقى طعما لزجا كثيفا فيحتبس الثفل بلزوجته و غلظه " (٨/ب). و يربط بين الحاله النفسيه و درجه القوى فهو يقول: " على أن سوء المزاج يتبعه ضعف القوى " (٨/ب).

٣٦ - يشرح الشيخ الرئيس فى الفصل الثالث (٩/أ)، تفصيل أصناف القولنج الكائن بالمشاركه و فيه بعض الحقائق التى لا تتفق

مع العلم الحديث مثلا- قوله: "أما الدماغ فيكون سببا للقولنج البلغمي فقط بسبب النوازل التي تنزل عنه" (أ/ ٩). وهذا ما لا يعترف به العلم الحديث، ولكن عند ما يتكلم عن المراره فهو يصيب كبد الحقيقة، فالיום نعرف أن نقص المراره و عدم إفرازها يؤدي إلى الأعراض نفسها التي ذكرها الشيخ الرئيس بقوله: "و ثانيهما ما ينصب منها إلى الأمعاء من المراره فيكون ذلك سببا لاحتباس الثفل و لاحتقان الرياح الغليظه و استعصائها على التحلل لأن المراره يعين في دفع الفضول من وجهين الفسل و التنبيه للقه الدافعه للذع" (أ/ ٩).

٣٧- إن شرح الشيخ الرئيس للكليه و طرق تسببها في الاصابه بالقولون ذات مدلول طبي كبير فهو يشير إلى ما نعرفه اليوم ب (REFerredPain) و هو الألم الذى يصيب عضوا عند مرض عضو آخر و تؤكد في الحياه العمليه و الحياه التدريسيه فالام المراره قد تظهر على الكتف، و نحن نعرف اليوم أن أمراض الكلى كالحصاه قد تسبب القىء و المغص المعوى و هو ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله: "و أما الكليه فيكون سببا للقولنج من وجوه ثلاثه، إما لورم فيها فيضغط، و إما لحصاه فيها فيوجع القولون بالمشاركه فيضعف من فعلها فيحتبس الثفل، و إما لكثرة إدرارها البول. و القسمان الأولان يتولد منها جميع أصناف القولنج" (أ/ ٩).

٣٨- نحن نعرف اليوم أن أورام المثانه قد تسبب اضطرابا في الأمعاء الغليظه و حتى انسدادها و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس قائلا: "أما المثانه فتحدث القولنج، إما لورم يحدث فيها فيضغط و يحبس الثفل و الرياح و الأخلاط، و إما بالإدرار أيضا نحو ما قيل في الكليه" (ب/ ٩).

٣٩- و لكنه يعود فيعطى الطحال وظيفه لا نعترف بصحتها اليوم في تسبب مرض القولنج فهو يقول أسباب ثلاثه: أحدها لتبريد القولون و المعاء كله و المعده، و الثانى بسبب كثره انصباب السوداء منه فيحتبس و تولد الرياح و لضعف، قوه المعاء و أما الورم و هذا أقل " (ب/ ٩) و لكنه يعود ليؤكد حقيقه علميه معروفه لدينا و هى أن تضخم الطحال يجرى على وجه الأمعاء و لا يضغطها، و هذا يعد مفخره في الفحص الطبى السريرى، و هو ما تؤكد عليه اليوم عند تدريس طلبه الطب، فهو يشير إلى هذه الحقيقه قائلا: "ورم الطحال فى الأكثر يجرى على وجه الأمعاء و قلما يعرض أن يضغطها" (ب/ ٩).

لانتهاك رابطة عن المعاء العلوى فيلتوى " (٩/ب).

٤١ - لا يعطى ابن سينا فى الفصل الرابع (١٠/أ) ما نسميه تفسيراً علمياً مقبولاً لأسباب القولنج بذاته فهو يركز كثيراً على الرطوبة والحرارة و يعزو إلى سوء المزاج و تأثيرهما على الحرارة و الرطوبة، و لكنه يعود للحقائق العلمية مره أخرى عند ما يتكلم عن المرض الآلى فهو يقول: " و أما المرض الآلى الذى يقع فى نفس المعاء يكون سبباً للقولنج هو الورم و أكثر ما يعرض فيه من الورم هو الورم الحار " (١٠/أ).

٤٢ - إن الطرق و الحقائق العلمية فى كتاب الرئيس مبعثره حسب تسلسل الكتاب فهو عند ما يقول: " إما حصاه كما قيل فى النادر ربما عرض قولنج عن الحصاه فقد شوهد إنسان - عرض له قولنج بسبب سد حصاه محتبسه فى المعاء للمسلك و إنها لما أبرحت اندفعت إلى خارج انطلقت إلى الطبيعه و أخلت القولنج " (١٠/ب).

إن هذه الكلمات تشير إلى نقطتين: أولهما: ما نسميه بتسجيل حاله مرضيه (CaseReport) بقوله: " شوهد إنسان " و ثانيهما: احتمالات إيجاد تلك الحاله المرضيه (Incidence) بقوله " فى النادر " و تلك إنجازات تضاف إلى الحقائق الأخرى أيضاً.

٤٣ - يفرق ابن سينا بين الكمية و النوعيه التى نعطيها أهميه كبيره فى عالمنا الطبى اليوم فهو يقول: " إما لكيفيه الغذاء و إما لكميته و إما لتركيبه و إما لترتيبه " (١٠/ب).

و يستمر بذكر الأمثله لكل واحد منها فهو يقول: " فان يكون الغذاء فى جوهره يابساً قابضاً مثل الذره و الجاورس و الجين " (١٠/أ)، أو حتى بطرق التحضير قائلاً ضاراً كذلك بالصنعه مثل المشوى تشويه بالغه من اللحوم و البيض " (١٠/أ). و هذا يتبعه اليوم الطبيب عند وصفه للأغذيه و طرق تحضيرها، و لما له من أهميه لا تقل عن الدواء، و لم يغفلها الشيخ الرئيس، ثم يعود ليناقدش الكمية بعد أن فرغ من النوعيه قائلاً: " فاما كثرته إذا كان كثيراً لا تهضمه الطبيعه و لا يقدر على دفعه " (١٠/ب). و هذا ما نسميه اليوم التخمة و عسر الهضم، و أما قلته فان الغذاء إذا كان قليلاً و الجوع شديداً أقلت الطبيعه على استقصاء المرض فيجفف الثفل " (١٠/ب). و هذا ما نشاهده فى الجوع.

٤٤ - يعطى ابن سينا أهميه كبرى للغذاء فى أن يكون سبباً للقولنج قائلاً: و خصوصاً القرع، فان له خاصيه فى إحداث القولنج، و أن يكون كثيره فلا- ينهضم تمام الانهضام، و كل غذاء لم ينهضم تمام الانهضام فهو بلغم. (١١/أ). و هو مصيب عند ما يصف الأغذيه التى لا تهضم قائلاً:

" و الأغذيه التى لا تهضم يكون من حقها أن تندفع عن الطبيعه، فان كانت معتدله المقدار و اندفعت بسهولة، و إن لم تكن معتدله بل مفرطه الكثره فلا- يخلو، أما أن يقوى عليها الحركه العنيفه من الطبيعه فيدفعها دفعا بعنف فيعرض إن تتبعها رطوبات أخرى من البدن فيكون إما استطلاق و ذرب، و إما هيضه، فان عجزت القوه الدافعه عنها حدث القولنج " (١١/أ).

٤٥ - نحن اليوم نوصى المريض بعدم نسيان نفسه عند ما تدعو الحاجه إلى التبرز فهذا مضر و قد يؤدي إلى الإمساك الشديد المرضى، و هذا ما لم يغفله الشيخ الرئيس فهو يقول: " أو ضعف عضل البطن من تشنج أو استرخاء أو كثره الصبر على مدافعه الحاجه " (١١/ب).

و هنا يوضح نقطتين: أنه يعلم أن الإنسان يحتاج إلى عضلات بطنه للتبرز بزيادة الضغط، فالعصر و هذا يفقد متى ما كان العضل ضعيفا نتيجة تشنج و استرخاء، و ثانيهما: ركز على أهميه تلبيه نداء القولنج ColonicCall الذى يسميه مدافعه الحاجه و الذى له أهميه كبيره فى أمراض القولون و معالجاتها فى عصرنا هذا.

٤٦ - نعرف اليوم طبيا أن الماء البارد على الريق قد يسبب المغص المعوى و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس قائلا: " و شرب الماء البارد كثيرا أو خصوصا على الريق و تناول الأغذية الكثيره دفعه أو التناول على التخم و قله الرياضه " (١١/ب).

٤٧ - إن الشيخ الرئيس عند وصفه لعلامات القولنج المرضيه لا يختلف عن أى كتاب طبى اليوم، فالتسلسل و التتابع و الوصف الشامل موجود عنده فيقول:

" علامات القولنج جملته و تفصيلا بتدئى أولا- بتقلب نفس و بعض الطعام و فوات شهوه له و وجع الأطراف و خصوصا فى الساق، و يظهر وجع ناخس فى البطن يبتدئ أكثره من اليمين ثم يصير إلى اليسار، و كذلك يظهر عند ابتدائه فى الأكثر خرز من أصل القضيب و تنجذب إحدى الخصيتين إلى فوق ثم يشتد الوجع دفعه و يعرض قىء و كرب لاحتباس البطن و الريح، و ربما أدى لشده الوجع أن يحدث غشى و عرق بارد " (١٢/أ). و هو يفرق بين الأسباب الظاهرية و المخفيه و يدل على ذلك بالعلامات الناتجه من الخفيه فهو يشير إلى ذلك بقوله: " مثل احتباس ما ينصب إلى المعاء من المراره و علامه ذلك بياض ما كان يبرز و حدوث اليرقان و كون البول زعفرانيا إلى السواد و انصبغ زبد البول بالصفرة " (١٢/ب).

إن هذه الأعراض المربوطه منطقيا و طبيا تدل على حقائق كثيره لوحدها، فانصبغ زبد البول بالصفرة هو ما يفتش عليه طبيب اليوم عند محاولته البحث عن الصفراء فى البول و هذا إنجاز طبى لوحده.

٤٨ - يتطرق الشيخ الرئيس فى الصفحه (١٢/ب) من المخطوطه شارحا علامه كل نوع من أنواع القولنج، و هو ما نتبعه فى الوصف الطبى اليوم، و يشير إلى اختلاف الأعراض تفصيلا دقيقا. ففى الريحى يقول مثلا: " و أما الريحى فعلامته ثفلا و تمددا و مغصا فى المعاء، و قراقر تقدمت ثم سكنت و احتباس الثفل معه أو قله خروجه و كون ما يخرج شبيها بأخشاء البقر و إذا ألقى على الماء طفا و لم يرسب " (١٢/ب).

و الناظر إلى هذا التشبيه بأخشاء البقر تسهила للممارس الطبى و حقيقه الإلقاء فى الماء الذى هو نوع من الفحص الطبى، بحد ذاته، يدل على طول باع فى الممارسه الطبيه و قوه الملاحظه و الاستفاده منها فى التشخيص التفريقى بين مختلف أنواع القولنج.

٥٠ - إنه يربط بين أعراض المرض و أسبابه و الاستفاده من تاريخ المرض بالتوصل إلى نوع العله فيقول: "فاما الكائن من الديدان فيعرف من بروز الديدان و سقوط حب القرع و العلاقه التي يكون مع ذلك من تغيير اللون و نهوك البدن و تحلب الريق و غير ذلك، فإذا كانت هذه العلامات موجوده ثم احتبست الديدان فلم تسقط البته، عرف أن القولنج منها" (١٣/ أ). فما ذا نزيد نحن اليوم عند ما نريد أن نعرف أن الديدان هي سبب الانسداد سوى اتباع هذا الأسلوب في التحرى و الفحص.

٥١ - أما العلامات التي يعطيها للنزف و فقدان الدم فهي نفسها اليوم و التي تؤكد على طالب الطب التفتيش عنها، بقوله: "و أما الكائن بسبب دم منصب جمد في المعاء فعلامته أن يكون وجع ثقيل مع خروج الدم فيما سلف و مع ضعف قوته و غشى و عرق بارد" (١٣/ أ).

٥٢ - يفرق صاحبنا بين الأنواع المختلفه للقولنج في الوصف الدقيق، فقوله: "و علامه ما يكون من الورم، أما الحار فان يكون هنالك حمى و وجع مع ثقل و هذيان و تلهب و تمدد و عطش و تهيج العينين و حمرة اللون و اشتداد الوجع عند استفراغ الغائط و قد يحتبس معه البول أو يعسر" (١٣/ ب).

و يفرقه عن البارد بقوله: "و أما البارد و الرطب شهوه رصاصيه اللون و ثقل في المعاء مع ترهل في المراق و عنان من غير وجود الصلابه اللينه في اللمس" (١٣/ ب). فما ذا يريد الطبيب الذي يدرس هذا الكتاب أكثر عند ما يريد التفريق بين الأنواع، و هذا ما هو متبع اليوم في التدريس الطبي.

٥٣ - إنه يركز على كل صفة خاصه بنوع القولنج فهو يقول: "و أقربها أصنافا" من الخطر هو الورمى، و أشدها وجعا هو الريحي. (١٣/ ب).

و هذا ما نشاهده اليوم في الممارسه العمليه اليوميه.

٥٤ - يستعمل الفيلسوف ابن سينا التشخيص التفريقي - Differential di agnosis بصوره لا-تختلف عما يجرى اليوم في الحياه الطبيه و يسهل للطبيب الممارس ذلك و يعطى نقاط التشابه و الاختلاف، و يخصص فصلا كاملا لذلك فهو يقول: "الفصل السابع بين القولنج و أمراض تشابهه، أمراض تشبه القولنج و ليست به، و أمراض يشبهها القولنج، فيظن أنها هي فمن ذلك وجع الكليه و المغص و هما أشد الأشياء شبهها، ثم السحج و وجع المعده إذا انحدر إلى الأمعاء، و وجع المثانه و وجع الرحم و وجع الديدان و الحياه".

(١٣/ ب) ثم يفرق بين كل واحده منها و بين القولنج و يفصل ذلك تسهيلا للعمل الطبي فهو يقول: "و الفرق بين القولنج و بين الحصاه في الكليه و يعرف من هذه الأشياء أن البول في حصاه الكليه يكون في ابتداء الأمر صافيا رقيقا ثم يجرى معه في آخر الأمر رمل و ورم، و في القولنج يكون كدرا في الابتداء" (١٤/ أ).

و يفرقهما بالعلاج أيضا فهو يشير إلى ذلك بقوله: "و الحقنه تفيد الراحة بما يستفرغ من الرطوبات و لا يظهر ذلك في الحصاه بل ربما ظهر ضرر بل إنما ينفع بالأشياء المفتته للحصاه". (١٤/ أ) فهو يبين أن الحصاه يمكن أن تفتت و أن الطبيب يجب أن يأخذ حذره من الحقنه في المغص الكلوى الذي قد تضره الحقنه. و هو يعود ليشير إلى أن حصاه الكليه قد تؤثر على الأمعاء و

تسبب الاسهال فهو يقول: " و ربما انحلت طبيعه فى حصاه الكليه بذاتها إذ لا يكون الاحتباس هنالك كما فى القولنج ". (١٤ / أ).

و ينبه الطبيب إلى أعراض أخرى فى حصاه الكليه قائلا: و يكون فى الفخذ و الخصيتين اللتين تليان الكليه عليه خدر فى أكثر الأمر (١٤ / أ). و هو ما نسميه اليوم الألم الرجيع (REFFERD PAIN) و تؤكده فى الفحص الطبى.

٥٥ - و يؤكد للطبيب أهميه التشخيص التفريقى لأنه يعرف أن خطأ الطبيب قد يؤدى إلى وفاه المريض فهو يقول: "فيخطئ الطبيب و يمعن باستعمال القوابض و المقريات فىكون ذلك هلاك العليل ". (١٤ / ب) و يبين الحاله التشخيصيه الصعبه التى قد يختلط فيها الأمر على الطبيب و يخطئ أو يقع فى الخطأ فهو يقول: " و أصعب ما يشكل هذا إذا اجتمع زحير و قولنج ". (١٤ / ب).

٥٦ - إن الشيخ الرئيس يقوى حجته بالاشارة إلى الثقات فى الطب و المشهورين كما نفع اليوم فهو يقول: " و قال جالينوس إن كل وجع شديد فى البطن فهو قولونج لأن الكبد و الطحال و غير ذلك من الأعضاء المنطبقه بالأمعاء لا يبلغ وجعها وجع قولون ثم معاء قولون يبلغ جهات البطن ". (١٤ / ب).

٥٧ - إن الشيخ الرئيس لا يكتفى بالقولنج كمرض منفصل بل يذكر الأمراض التى ينتقل إليها و هو يخصص الفصل الثامن فى ذكر الأمراض التى من شأن القولنج أن ينتقل إليها: " إن القولنج ينتقل إلى الصرع و إلى الفالج و إلى أوجاع المفاصل و إلى السحج و اليرقان و إلى الخفقان و إلى الاستسقاء و عسر البول و استرخاء المعده و الزحير و البواسير ". (١٥ / أ) و هى مضاعفات معروف كثير منها فى أمراض القولنج. و لكن تعليقاته لها لا تتفق و ما نعرفه علميا اليوم فهو يقول: " تلك الأخلاط إلى الأعضاء الأخرى فان تصعدت إلى الدماغ و كانت رطبه أحدثت الفالج و السكته و الصرع، و إذا انصب إلى بعض الأعصاب أحدثت الاسترخاء، و إذا قبلها المفاصل حدث أوجاع المفاصل البارده، فان مالت إلى ناحيه الكليه و المثانه أحدثت عسر البول، و إن كانت حراريه و مالت إلى الدماغ أحدثت السراسم و هذا نادر، فان أكثر ما يتفق للأخلاط الحراريه المحتبسه بسبب القولنج أن ما ينصب إلى الجلد فيحدث اليرقان ". (١٥ / أ).

٥٨ - إن ابن سينا يشرح سبب الخفقان كما نشرحه اليوم فهو يقول:

" و أما الخفقان فيحدث لميل المواد إلى فم المعده من ناحيه القلب ". (١٥ / أ).

٥٩ - إن الشيخ الرئيس لا ينسى مضاعفات استعمال الحقنه فى المعالجه و يصف تأثير ذلك على المريض قائلا: " و أما السحج إما لاستتباع الاستفراغ بالحقن أخلاطا حاده أو لأجل أن الحقنه الحاده يخرط المعاء و يجرده، و أما الزحير فىكون لضعف المعاء المستقيم و نكايه الحقن به و استرخاء المقعده أيضا بمثل ذينك فى عضل المقعده ". (١٥ / ب). و يعطى نفس التفسير غير العلمى للبواسير قائلا: " و أما البواسير فلقبول المعاء فى نفسه أخلاطا رديه يحدث البواسير و يضعف المقعده فيقبل المواد المنصبه إليه ". (١٥ / ب).

من تشخيصه للمرض قبل بدء المعالجة فهو يقول: "و أول ما يجب عليك أن تتفقدته في كل قولنج تفقدنا صالحا أنه: هل العله قولنج أو مغص"؟ (١٥/ب) لأنها إذا كانت مغصا ما ذا يحدث للمريض؟ فإذا كانت العله مغصا و كانت الطبيعه مستعده لينه أو خلفه فحقت أو سقيت ما يستفرغ كان في ذلك خطر عظيم ". (١٥/ب) و هو يعود لينبه الطبيب المعالج بأنه قد يخلط هذا المرض مع الورم قائلا: "و كذلك إمكان ابتداء ورم محتبسه قولنجا باردا أو ريحيا أو نوعا آخر فحقت و سقيت مستفرغا أوقعت العلى من أمر مخوف" (١٦/ب).

٦١ - يؤكد العلامة ابن سينا على التمهل فى العلاج و اختبار العلاج الذى لا يؤدى إلى مضاعفات لا يستطيع الجسم ردها فهو يقول: "و إذا علمت أن العله شديده للماده غليظه فإياك و المدافعه و الاشتغال برقيق العلاج و ضعيفه فان القوه إذا سقطت لم ينجح الدواء القوى و لا الضعيف ". (١٦/أ).

و هل يجد الطبيب نصيحه من أستاذه أحسن من قول الشيخ الرئيس؟ "و يجب أن تزن الدواء بقدر الداء ". (١٦/أ) و الكل يعلم اليوم أن كثيرا من الأمراض يسببها الطبيب لمريضه بالمعالجه الخاطئه التى ينبهنا لها الشيخ الرئيس قبل ألف عام.

٦٢ - إن الشيخ الرئيس يعود لينصح الطبيب من مغبه الإدمان الذى قد يسببه للمريض بالمعالجه فهو يقول: "و الآبزن يجب ألا يكب على استعماله كل وقت و خصوصا مع الغشى، لأنه إذا كان هناك غشى ضر ضرارا عظيما و إذا أدمن كمن البرد من الأمعاء ". (١٦/أ).

٦٣ - إن التجربة العلاجيه مسموح بها للطبيب المعالج فى عصرنا هذا، و هو ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله: "و أما التكميد فيعتمد من تجربه، فان كان يهيج الوجع ترك أصلا" (١٦/أ).

٦٤ - إن الشيخ ابن سينا يؤكد على أهميه الغذاء فى المعالجه لكل نوع من أنواع القولنج، كما يتناول بالتفصيل طريقه إعداد الغذاء و المواد الواجب إضافتها لكل نوع، ففى الصفحه (١٧/أ) من المخطوطه يؤكد على هذا فهو يقول: "فليقتصر تحسى شورباجه مطبوخا فيه الحمص و مطيبه بالشبت و الدارسين و يتناول فى وقت لا يؤذى فيه الغشى ". (١٧/أ). و هو يحدد وقت تناول أيضا.

٦٥ - إنه يؤكد على الطبيب بعدم الخطا فى التشخيص لأن ذلك يؤدى إلى وصف الغذاء المغلوط أيضا و هذا ما يشير إليه بقوله: "و من الخطا الذى يقع للأطباء فى هذا الباب أن يحسبوا العله ثفليه فتناولوا مثل البنفسج و الشيرخشت خاصه فيفسد مزاج المعده و برودها ". (١٧/ب).

٦٦ - إنه لا- يكتفى بوصف الغذاء فقط و لكن يصف ما يجب على الطبيب أن يجنب مريضه من تناوله و هو ما نطلق عليه اليوم بالنواهى - (Contraindication) فهو يقول مثلا: "و يجب أن يجتنبوا البقول حتى الحاره فإنها لا- تخلو من نفخ ما خلا السذاب و الهليون و روس الكراث النبى و القرطم و ينفعهم جدا" و قد مدح لهم السمسم: "و إما أن للمشده مضرته بالمعده و يهيج الغثيان" (١٧/ب). و هو يحاول أن يشرح أسباب النواهى حسب التركيب الغذائى فهو يقول: "و إما أن للمشده مضرته بالمعده و يهيج الغثيان و لأن جوهر مادته لهذه العله اللزوجه و إن كانت قوته جلاءه و فيه تلين فلست أحبه فى هذه العلم، و اعلم

أنه ينفع أولا ثم يضر". (١٧/ب).

٦٧- إن الشيخ الرئيس لا يترك المريض دون أن يكمل له علاجه فهو يعلق على الماء ولا ينسى خواصه الفيزيائية، وهو يعرف أن الماء قد يؤدي إلى الإمساك و يجب معالجته قبل تناوله في بعض الحالات فهو يقول: "وأما شرب الماء فيجب أن يقللوا منه ما قدروا و خصوصا من الماء البارد المثلج، وأن لا يستوفوا الرى دفعه بل يتجرعوه قليلا قليلا و يتجنبوا ما فيه قوه قابضه مثل المياه الشبيهه، و أما الكبريتيه فإنها لا تضر ضرر الشبيه بل ربما كانت خيرا من العذبه، و يجب أن يكون الماء الذى تشربونه ماء خفيفا جدا فان أعوز فيجب أن يصعر و يخلط بمدر مشموصه من طين حر و يحمض تمحيض اللبن شيئا كثيرا ثم يصفى و يشرب". (١٨/أ).

إننا نمارس شرب الماء جرعا جرعا فى الحالات المرضيه لأن الامتلاء المفاجئ للمعده قد يسبب الغثيان و القيء و هذا ما يريد الشيخ الرئيس أن يجنب مريضه منه فى ذلك الوقت.

٦٨- إن طبيب اليوم يذكر أوزان الأدوية فى الوصفه حسب تأثير الأدوية التى يطلبها كما أن يبدل فيها عند ما ينشد مفعولا خاصا حسب نوع المرض و هذا ما يتبعه الشيخ الرئيس بالتفصيل فقولته: "الفصل الثانى فى تدبير الأدوية التى يشربها أصحاب القولنج البارد، و أما الخفيف اللطيف الذى يجب أن يسقى فى الابتداء كما يتبدئ النخس قبل أن تتمكن العله و الأرياح نحو مثقال و معه نصف درهم تبرد أو صبر مثقال و سكبنج نصف مثقال أو أيارج درهم و سقمونيا دائق و تبرد نصف درهم و ثماريقون دانقان فان أريد أن يكون أسرع إسهالا و كانت الماده كثيره ركب هذا بايارج مثقال شحم الحنظل ربع درهم ملح نبطى و سقمونيا مكد دائق و دانقين و دقوا". (١٨/ب). فما ذا يريد الصيدلى أكثر من توضيح هذه الوصفه بصوره عموديه متسلسله لتصبح و صفه موصوفه اليوم؟.

إن الأوزان المذكوره معروفه للصيدلى و إلا- لما ركز عليها الشيخ الرئيس، و هذا ما يدل عليه وصفه للعلاج و تغيير تراكيبه، فالطبيب لا يكتب و صفه لنفسه بل لصيدلى عارف يقوم بتحضيرها له.

٦٩- من الصعب التعليق طبيا على فعاليه المواد المذكوره فى الكتاب و لمختلف الأمراض، و ذلك لأن أسماء الكثير من المواد لا نعرفها بالضبط و يجوز أن قسما منها مستعمل فعلا فى تراكيب الأدوية الحديثه، أما فعاليه الطبيه فلا تطلق جزافا دون التجربه و البحث الطبى لتقصى تلك الحقائق و معرفه مدى فعاليه هذه الأدوية التى سبق و أن جربت و أعطت فعاليه علاجيه و هى مجال واسع رحب يغطى أحد أسباب البحث فى إبراز المخطوطات الطبيه و معرفه محتوياتها إكمالا للفائده الإنسانيه و إظهار الحق فى مدى مساهمه الفكر العربى و الإسلامى فى الحقول الطبيه التى يحاول الغرب طمسها.

٧٠- إن الشيخ الرئيس يكمل وصفه للوصفه الطبيه بالإشاره إلى ما نسميه اليوم الجرعه: DOSE فهو يقول: "و الشر به نصف مثقال". (١٨/ب).

٧١ - إن الشيخ الرئيس يشير إلى أن مفعول الأدويه قد يختلف من بلد لآخر بسبب الجو و المناخ فهو يقول: " و معجون الأسقف نافع للمشايخ و فى البلدان الباردة الصخرية موافقه عجيبه ". (١٩/أ). و هذا ما نعرفه اليوم.

٧٢ - ينه الشيخ الرئيس الطبيب لحقيقه التداخل العلاجي DRU GINTER ACTION الذى قد يذهب بفعاليه الدواء، و المعروف لدينا اليوم، فهو يقول: " و إذا سقوا الأيارج بعد دهن الخروج أذهب بقابليته و استفرغ من الخلط ما بقى ". (١٩/أ).

٧٣ - إن الشيخ الرئيس ينه الطبيب لنتائج المعالجه الطبيه و يستعملها داعيه لاستمرار المعالجه (INDICATION) الطبيه فهو يقول: "فان خرج ثفل و بقى الوجع فأعد و أعد حتى يخرج سفل رقيق مرى أو شىء شبيه بمسح البيض عفن منتن، و ينكل فى تكرار الحقنه حتى يستفرغ الماده بكليتها و يسكن الوجع ". (١٩/ب) و هو ينهه لما يجب عليه أن يفتش عليه ليعرف نتيجه المعالجه الطبيه و وجوب تبديلها إذا فشل العلاج الطبى.

٧٤ - إن بعض الوصفات الطبيه التى يستعملها الشيخ الرئيس تحتوى على بعض المواد التى لا يتقبلها العلم الحديث، و نطلق عليها بعض الأحيان خرافات علاجيه، و لكن العذر الذى نعطيه لطبيب تلك الأوقات هو عدم وجود التصنيع الدوائى المعروف فى الوقت الحاضر، فاستعمال خراء الذيب الأبيض لا نقبله علميا اليوم و لكنه يصفه بقوله: "خراء الذيب الأبيض درهمين يطبخ مثل الأولى ". (٢٠/أ).

٧٥ - إن الشيخ الرئيس يستعمل الحقنه فى المعالجه الطبيه و لكنه يبدل تركيب الأدويه التى يستعملها فيها للحصول على النتيجه المرجوه من المعالجه الطبيه فى مختلف الحالات المرضيه، فهو يبدل الحقنه إذا كانت العله أصعب، أو أن النتيجه لم تكن مرضيه، أو إذا احتيج إلى تأثير أقوى، أو أن الحقنه الفلانيه مجربه، فهو مثلا يذكر بان يحقن به، و هذا مجرب غايته، فان أعوزت الخطاطيف استعمل هذه الحقنه ". (٢٠/أ).

٧٦ - يشير صاحبنا إلى مده بقاء الحقنه فى الأمعاء أثناء المعالجه و يعطيها الأهميه فى التأثير العلاجي و هو ما يمارسه طبيب اليوم حينما يريد تأثيرا خاصا للحقنه المحتبسه (Retention Enema) فهو يقول مثلا: " و يتركها حتى تبقى هذه فى الجوف فيفعل فعلها ". (٢١/أ).

٧٧ - إنه يفرق بين المرضى و الحالات المرضيه و مدى استفادتهم من العلاج فهو يقول مثلا: " و الذين يعترتهم هذه العله دائما، و غير شديد ينتفعون منفعه عجيبه بهذه الحقنه ". (٢١/ب).

و يذكر مثلا- طبيا (Case Report) ليؤكد قوله قائلا: " و قد عالجت بهذا وحده فقيها ببخارى فانقطعت عنه هذه العله و أذابت غده عظيمه كانت فى معائه ". (٢١/ب).

٧٨ - لم يكن باستطاعه الشيخ الرئيس استعمال وسائل الفحص الحديث مثل التشخيص بالأشعه و المختبر. لذا فهو يستعمل موضع الألم كدليل للعلاج و ينصح الطبيب بترك الحقنه إن هى آلمت المريض فهو يقول: " استعمال الحقنه بتأمل موضع الوجع وجهه ميله، فان كان الميل إلى الظهر فيجب أن تستعمل مستلقيا، و إن كان إلى قدام استعمل مبركا، و إن مال إلى جانب فعلى ذلك الجانب، و على كل حال فإى نص استعمل عليه الحقنه فأدت إلى نالمة و جلبت عليه مشقه، تركت و استعمل على ما سهل

عليه، فيجب أن يجرب أسباب حقنه فأیما أخف عليه أخذ به " (٢٢/أ).

٧٩ - إن الشيخ الرئيس يستعيز بالحقنه باستعمال الحمولات و هي إحدى وسائل المعالجه المتبعه اليوم فهو يقول مثلاً: " و يشيف حملات قويه يخرج الثفل الكثير مع البلغم اللزج يجعل طولها ست أصابع " (٢٢/أ).

٨٠ - فى الفصل الرابع المخصص لمعالجه القولنج الثفلى يبدأه الشيخ الرئيس بالقول: " إن التكميد من أضر الأشياء لهذه العله ". (٢٢/ب) ناصحا الطيب و منبها إياه للنواهي (Contrain dication) و يلزمه بالتفتيش عن السبب الأصلى للمرض فهو يقول: " و قبل هذا فيجب أن يبحث عن السبب ". (٢٢/ب)، لأن معرفه الطيب للسبب سوف تثير طريقه فى المعالجه، كما يقول: " فان كان السبب هو بيس الأغذيه فيجب أن يستعمل الأغذيه المرطبه اللينه المزلقه ". (٢٢/ب).

٨١ - إن الاستشهاد بالحالات المرضيه و وصف حالات خاصه تعزز التشخيص، و تفيد فى تذكير الطيب الممارس إلى ذلك، فيه أهميه تعليميه كبرى و هذا ما يمارسه الشيخ الرئيس بقوله " و قد ذكر بعض المتطببين أن رجلا أصابه القولنج بسبب تغذيته بأربعين بيضه مشويه و كان من علاجه أن أشار عليه باستفاف ثلاثه راحات من ملح ثم يتجرع الماء الكثير فلما عملت بذلك انطلقت طبيعته ". (٢٢/ب).

٨٢ - يخصص ابن سينا فى الصفحه (٢٣/أ و ٢٣/ب) وصف الأغذيه التى يجب أن تستعمل لكل نوع من أنواع القولنج و يركز على جانب النتائج لتبديل تلك الأغذيه و يترك مجالاً للتجربه فى الحصول على نتائج أفضل، كما يخصص الفصل الخامس (٢٢/أ و ٢٢/ب) للحقن و الشياقات التى تصلح لهم مينا تركيب كل حقنه بالتفصيل و طريقه تحضيرها كما نتبعه اليوم فهو يقول مثلاً:

" عمله حقنه يؤخذ من السلق قبضه و من النخاله حفته [حقنه] و من التين عشره أعداد و خطمى أبيض عشره دراهم يطبخ فى سبعة أرتال ماء حتى يبقى رطل و يلقي عليه من السكر الأحمر عشره دراهم، و من البورق مثقال، و من المرء نصف أوقيه و يحقن به و يعاد مثل الحقنه بعينها حتى يخرج جميع البنادق ". (٢٤/أ).

و فيه وصف لطريقه صنع الحقنه أيضا.

٨٣ - إن الشيخ الرئيس ينبه الطيب إلى مضاعفات العلاج و طرق المعالجه إن حدثت تلك المضاعفات فقد خصص فصلاً كاملاً قائلاً: " الفصل السادس فى تدارك أحوال تعقب الحقن (Treatment of complication) قد يعقب بعض الحقن فى القولنج إذا استعملت بمقدار أكثر و كانت أغلظ قواماً أو أقل سخونه بالقوه أو بالفعل. أما للتوقى على عضو تجاور الأمعاء.. ". (٢٥/أ).

السليقه بماء السماق يذويه بدهن الورد " (٢٦/أ). أما المضاعفات الأخرى فلا يتركها دون أن يفسر للطبيب الطرق الصحيحه فى معالجتها دون الإضرار بالمريض فهو يقول مثلا: " وربما أعقت الحقنه الكبيره مع ما ذكرناه أولا تقطير البول و علاجه الأبن و المروحات بالأدهان المرخيه على القطن و العانه و المدررات شربا، إلا- أن يكون ثفليا مانعا لادرار كثير فلا يستعمل حينئذ المدررات بل المرخيات و الأبن، و ترك الحقنه بكفى فيه " (٢٦/أ).

٨٥- من الحقائق العلميه الطبيه التى نركز عليها فى تدريس طلبه الطب، أن العلاج يجب أن يكون سبب علاج جذرى RADICAL لأعراضه، كما أن الطبيب يجب ألا يعطى المخدرات - و المسكنات للمريض، إذ أن ذلك قد يخفى الأعراض و يزيد من صعوبه التشخيص أو يبدل الأعراض و يجعل التشخيص صعبا، و الطبيب الحاذق هو الذى يحاول أن يفتش عن سبب المرض ليعالجه، و هذا ما نجده فى قول الشيخ الرئيس حرفيا: " الفصل السابع فى كيفيه استعمال المخدرات فى القولنج: إن المبادرين إلى تسكين الوجع بالمخدرات يرتكبون أمرا عظيما من الخطر، فاستعمال المخدرات ليس بعلاج حقيقى هو قطع السبب، و التخدير يمكن السبب و إبطال الاحساس به " (٢٦/أ). و لكنه يلزم الطبيب المعالج فى الحالات الاضطراريه قائلا:

" فلا يجب أن يستعمل به ما أمكن و ما وجد عنه مندوحه بل يستعمل مبعده السبب و تقطيعه و تحليله و توسيع مسام ما احتبس فيه بارخائه، و أكثر ما يمكن هذا بادويه ملطفه " (٢٦/أ).

٨٦- إن الشيخ ينصح الطبيب بإجراء موازنه بين ضرر المرض و ضرر استعمال المخدر و هذا يمارسه طبيب اليوم عند ما يعطى الأدوية المضاده للسرطان، و هو يعرف أنها لا تقل إضرارا بالمريض من المرض نفسه، و لكن ليست باليد حيله، فهى الطريقه المتوفره لديه و إلا فقد المريض، فهو يقول:

" متى كان قدح الألم من القوه أضر من زياده المخدر فى العله، فإذا استعمل المخدر فى هذا الوقت رجبى له أن يكون الحاصل لهجوم القوه و توفرها بالنوم على الإنضاج و عوز الروح بزوال الألم الذى كان يحلله، و فعل القوه يزيد نفعه على نفع المعاونه التى كان يتعاطاه بقوه قد أعجزها الألم و أشرف بها الاضمحلال، فحينئذ ترجح استعمال المخدر، و كان عقد هدنه مع المرض تريخ القوه عاجلا- و إن زادت فى المرض " (٢٦/ب). إننا نطلق اليوم على القوه المقاومه الجسديه التى تعرف أنها تتحسن و تزيد عنه هدوء أعصاب المريض و خلوده إلى الراحة التى لا يلقاها إلا الشخص الذى لا يتألم، و هذا ما يحاول الشيخ الرئيس توفيره للمريض مع سابق علمه بان المخدر قد يزيد من المرض و لكنه يعدها هدنه بين المرض و المقاومه التى سوف تزيد بعد انتهاء فتره الهدنه و تقضى على المرض، و هذا ما يمارسه طبيب اليوم عمليا.

٨٧- إن الشيخ الرئيس لا- يدع مجالا لتساؤل الطبيب من الناحيه العلاجيه فى الحالات المرضيه الخاصه فهو يشرح له المداواه (THERAPY) فى بعض أنواع القولنج قائلا: " و المخدرات أوفق على علاج القولنج الصفراوى لأنها مع تسكين الوجع فيخدر الحس و يسكن حده ماده الفاعله للوجع و لما ذكر أولا صار الأطباء يستعملون المخدرات فى القولنج البارد " (٢٧/أ).

٨٨- إن الشيخ الرئيس يشير إلى أن المريض قد يدمن على العلاج و لذلك وجب الانتباه لتلك الحقيقه و الحذر من استعمال المواد التى تؤدى إلى الإدمان فهو يقول: " كما عليه تركيب معجون فيلن و هو القولنبا الرومى يدمنون استعمال (Addiction) و يحذرونها حذرا كثيرا فى الأمزاج و الاشتان ".

٨٩- إن الشيخ الرئيس يفرق بين المواد الغذائية و تأثيرها على المرض و المريض فهو يقول: " ما ينفع القولنج بالخاصيه للثوم خاصيه جيده فى تسكين القولنج، مع أنه ليس له تعطيش، كما للبصل و ربما تناول منه القولنجى عند إحساسه بابتداء القولنج و هجر الطعام أصلا، و أمعن على الرياضه ".
 (٢٧/ب).

٩٠- بالرغم من كل التحكيم المنطقى و العقلى فى الممارسات الطبيه لهذا الكتاب فان الشيخ الرئيس لا يترك استعمال التمام من عظم وجد فى خرى الذئب و يستشهد بجالينوس فهو يقول: " و إن وجد فى خرىه عظم كما هو و هو عجيب أيضا، و يدعى أن تعليقها نافع من شربها و يأملون أن تعلق بجلد سامورا أو أيل أو كبش تعلق به الذئب فانفلت منه، و جالينوس يشهد بنفعه تعليقا و لو فى فضه، و قيل إن جرم معاء الذئب إذا جفف، أبلغ فى النفع من زبله سقيا و حقنه ". (٢٧/ب).

٩١- سبق و أن ذكرت أن الكتاب لا يخلو من بعض الأشياء التى لا نقبلها علميا اليوم بل نطلق عليها خرافات، فمثلا قول الشيخ الرئيس: " و مما يجرى فى هذا المجرى العقارب المشويه فإنها شديده المنفعه للقولنج و يجب أن يجرب على القولنج الصحيح لئلا يكون مجربوها قد جربوها على قولنج كاذب هو تابع لحصاه الكلى فينفع بحصاه الكلى بالذات و من القولنج بالفحص ".
 (٢٨/أ). إن فى تلك الخرافه الطبيه حقيقه تعليميه للطبيب الممارس و هو ما نطلق عليه التحذير من النتائج الكاذبه
 (Precaution of False result).

٩٢- إن الفصل التاسع (٢٨/أ) قد خصص لعلاج الديدان. و من الحقائق الطبيه فى هذا الفصل أن الشيخ الرئيس يذكر أن الأدوية هى سموم بالنسبه للديدان و هذا ما يعرفه طبيب اليوم كما أنه يوصى بتحضير المريض و إعداده للدواء قبل المباشرة بالعلاج و هو يذكر استعمال المسهل بعد أدويه الديدان و الذى نمارسه اليوم فى العلاج الطبى و بخاصه إذا لم تنطلق الطبيعه أو انطلقت فى بعض الحالات. إنه ينبه إلى أن موت الديدان فى الأمعاء قد يؤدي إلى مضاعفات، و هذا ما نعرفه اليوم، و هذه الحقائق المذكوره بقول الشيخ الرئيس: " ينبغى أن ينقى البلاغم المجتمعه فى المعاء التى يتولد فيها الديدان و أن يغسل الديدان بادويه هى بالقياس إلى الديدان سموم لها، و هى المره الطعم، فمنها حاره دفعها بارده، سندكرها، و منها ما يفعل بالخاصيه، ثم يسهلوا، بعد قتل الديدان (PURGATION AFTER TREATMENT) - إن لم تدفعها الطبيعه نفسها - فان بعض أصحاب الديدان يعترتهم إسهال فيتبرز معه الديدان من غير حاجه إلى مسهل " (٢٨/أ). و ثم يقول: " و إذا قتلت بالأدويه فلا ينبغى أن يترك لطول بقائها فى البطن بعد موتها و ننتها فيصير بخارها ضررا "كليا" (سميا) و يضعف النبض " (Complication of dead worms).

يقول: "فهى أولا بان يخرج من أن يقتل إلا ما كان فى المستقيم من صغار الديدان، على أن هذا النوع من الديدان (٢٨/أ). إنما يحدث زحيرا و لا يكاد يبلغ إلى إحداث أوجاع قولنجيه" (٢٨/ب). إنه يذكر بعض الأمور التى لا نقرها اليوم مثل ميل الديدان إلى بعض الأغذية و تأثرها برائحتها، كما يقول:

"ثم بعد ذلك فى اللبن دواء قتالا للديدان مع سكر، فربما مص قبل تناوله الكباب فشبت لرائحته من مكانها و أقبلت على المص لما ينحدر إليها فإذا اتبع ذلك هذه الأدوية القاتله لها فى اللبن بغته كان أقتل لها (٢٨/ب) أو ينصح بسد المنخرين خوفا من روائح الديدان كما يقول:" و إذا شربت الأدوية الدودية فيجب أن يسد المنخران سدا شديدا لا يكثر من إخراج النفس و إدخاله إن أمكن فان الأصوب أن لا يختلط فى النفس شيئا من روائحها" (٢٨/ب).

٩٤ - و من الحقائق الطبيه المعروفه لدينا هى أن حال المريض قد لا تسمح بإعطائه أدويه الديدان و يجب أن تحسن حالته و ترفع مقاومته قبل البدء بالمعالجه، و هذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله:" و فى العلاج المتصل بعلاج الديدان إصلاح الشهوه إذا سقطت" (٢٩/أ). كما أنه يعدد أنواع الديدان قائلا:" و الأدوية التى تقتل حب القرع و المستديره، و يقتل أيضا الطوال و السيب" (٢٩/أ).

و هو يخصص الصفحه (٢٩/أ و ٢٩/ب) لمعالجه مختلف أنواع الديدان و لكنه يعود ليذكر أن شعر الحيوان المسمى آخريمون له فعاليه دوائيه بقوله:

"من الأدوية العجيبه فى جميع ضروب الديدان شعر الحيوان المسمى آخريمون فيما يذكر" (٣٠/أ). إن الشيخ الرئيس يشير إلى طريق المعالجه عن طريق الشرج (Rectal treatment)، فهو يقول:" و أما أدويه الديدان الصغار فقل ما يعرض منها آلام قولنجيه كما بينا إلا- أنه يقتلها احتمال الملح و الاحتقان بالماء الحار و يقلع مادتها، و أقوى من ذلك حقنه يقع فيها القنطوريون و القرطم و الزوفا" (٣٠/أ). إنه يصف أيضا طريقه أخرى لإخراج الديدان الشرجيه التى نسميها (Pin worms) قائلا:" و مما يلفظ هذه الصغار أن يدس فى المقعد لحم سمين مملوح و قد شد عليه مجذب من خليط، فإنها تجتمع عليه بحرص، ثم يجذب بعد صبر عليها ساعه، إن أمكن، فيخرجها و يعادوا إلى أن يستنفى" (٣١/أ).

٩٥ - يتطرق صاحبنا إلى أغذيه المصابين بالديدان و ينصح بعدم تعرضهم للجوع، إذ أن ذلك قد يسبب أعراضا لهيجان الديدان، و نحن نعرف اليوم أن الديدان يجب أن لا تتعرض للآثاره: (Irritation) لأن ذلك قد يؤدى إلى مضاعفات، و هذا ما يقوله الشيخ الرئيس أيضا." و أما الوقت و الترتيب فيجب أن لا يجاع فتهيج هى و يلذع المعده و ربما أسقطت الشهوه بل يجب أن يغذوا قبل حركتها فى وقت الراحة و أن يفرق غذاءهم فيقطعوا كل قليل إلا فى نوبه القولنج" (٣١/أ).

٩٦ - إن طبيب اليوم لا- يمارس الفصد لمعالجه الأورام أو أى قولنج إلا- فى بعض أمراض القلب و لكن الشيخ الرئيس ينبه الطبيب إلى حاله المريض قبل فصده و إلى سنه و الوضع العام، و هو ما يشير إليه بقوله:" الفصل العاشر فى علاج القولنج الورمى: أما الكائن عن ورم حار فيجب أن يستفرغ منه الدم بالفصد من الباسليق إن كان السن و الحال و القوه و سائر الموجبات يخصص فيه و يوجهه" (٣٢/أ). و هو يخصص الصفحه (٣٢/أ و ٣٢/ب) لمختلف الأغذيه و الوصفات الخاصه بالقولنج الورمى الحار. أما الصفحه (٣٣/أ) فيخصصها إلى القولنج الكائن من الورم البارد. إن محاوله شرح نوعى القولنج الورمى الحار و البارد

بما نعرفه اليوم لا- ينطبق إلا على التهاب الزائدة المصحوب بالكتله - (A ppen dicular mass) التي قد تكون حاره أو بارده، و هو ما يسميه الشيخ الرئيس الورمى الحار و الورمى البارد.

٩٧ - إن الشيخ يولى أهميه خاصه للوقايه من مرض القولنج و هو يخصص الفصل الأخير من كتابه لذلك واصفا كل ما يجب على الشخص اتباعه فهو يقول: "الفصل الحادى عشر فى وجه احتراز المستعد للقولنج عن القولنج (٣٣/أ) و هو يصف أسباب الاستعداد و طرق الوقايه قائلا: الاستعداد لهذه العله يكون لضعف الأمعاء عن المزاج الردىء الذى ينفعل معه عن الأسباب الضعيفه بسرعه، و تدبيره تقويه الأمعاء بتعديل مزاجها " (٣٣/أ). و يشترط عدم معونه الأدوية عند تعريف الحاله الصحيه الجيده قائلا: " و يعتبر عوده إلى المزاج الفاضل و تمام قوته بتمام أفعاله (٣٣/أ) من غير معونه الأدوية و غير انفعاله و مقاومته للأسباب المرضه " (٣٣/ب). و هو يؤكد على أهميه الأغذيه و طبيعتها الهضميه و الأشربه قائلا: و جميع القولنجيين يحتاجون إلى غذاء مزلق ملين و قد يحتاجون إلى التقويه فيكون ذلك أولا- بمياه اللحم البالغ فى طبخه، و لباب الخبز المذوب " (٣٣/أ). و يبين الأغذيه التى تضرهم بقوله: " و الأشياء التى تضر القولنج منها أغذيه و منها أفعال، أما الأغذيه فكل غليظ كلحم البقر و لحم الجزور و لحم الوحشى حتى الأرنب و الطبى، و السمك الكبار خاصه، طريا كان أو ملوحا و كل مقلو من اللحمان و مشوى كيف كان، و جميع بطون الحيوان و أجرام اللحوم " (٣٣/أ).

٩٨ - من النصائح الطبيه التى نعطيها للمريض المصاب بالإمساك أن يلبي الحاجه إلى البراز و هو ما نسميه طيبا بنداء القولون (CalloftheColon) الذى نوليه أهميه علاجيه، و نستعمله فى معالجه الإمساك و كثير من الكلام الذى نقوله للمريض يوجزه لنا الشيخ الرئيس قائلا: "أما الأفعال التى يجب أن يحذروا فمثل حبس الريح و حبس البراز و النوم على البراز و النوم على براز فى البطن و خصوصا يابس، بل يجب أن يعرضوا أنفسهم عند كل نوم على الخلاء. و اعلم أن حبس الريح كثيرا ما يحدث القولنج باصعاده الثفل و حصره إياه حتى يجتمع شيئا واحدا كثيرا و يحدث ضعفا فى الأمعاء، و ربما أحدث ظلمه فى البصر و صداعا و دوارا " (٣٤/أ).

و لا ينسى أن يحذر من التخمه التى يعدها أساس هذه العله قائلا:

" و يحذر القولنجيون التخمه كل الحذر فيكاد أن يكون جميع أسباب هذه العله يرجع إليها و ليحذروا باسرههم الاستكثار من الجماع " (٣٤/أ). و لا ينسى أهميه امتلاء المعده و أثره على الشخص فى حالات خاصه مثل الرياضه و الاستحمام و الجماع، و هذا ما نمارسه طيبا اليوم فهو يقول: " و يمنعون الاستحمام بعد الأكل و الجماع على الامتلاء (٣٤) (Full Stomach / ب).

المستعد لكل صنف هو اجتناب أسبابه و استعمال الخفيف من علاجه مع الأغذية الموافقه " (٣٥ / أ).

١٠٠ - و هكذا تتضح أهميه ابن سينا الطبيه و العلاجيّه، فقد تبين كثير من الحقائق الطبيه التي بينها: و هي عباره عن خلاصه لأهميه ابن سينا الطبيه و العلاجيّه و مدى مطابقه علومه في الوقت الحاضر.

ابن سينا عالما طبيعيا:

و هنا بحث عن ابن سينا عالما من علماء الطبيعيات و هو بقلم الدكتور منعم مفلح الراوى:

" المعادن و الآثار العلويه " هي الفن الخامس من موسوعه ابن سينا الشهيره في العلوم و الفلسفه (الشفاء، جزء الطبيعيات).

" تحتوى المعادن و الآثار العلويه " على مقالتين:

المقاله الأولى: في الجيولوجيا (علم الأرض) و تشتمل على ما يحدث من ذلك بناحيه الأرض، و هي ستة فصول.

و المقاله الثانيه: في المتيورولوجيا (علم الطقس)، و هي تشتمل على الأحداث، و الكائنات التي لا- نفس لها مما يكون فوق الأرض، و هي ستة فصول.

يشمل هذا المقال دراسه الفصل الأول من المقاله الأولى في الجيولوجيا المتعلق بالجبال و تكوينها مقارنة باسس الجيولوجيا الحديثه، و يستخلص من هذه الدراسه أن لابن سينا سبق في " المعادن و الآثار العلويه " في وضع مفاهيم أساسيه في الجيولوجيا منذ ستة قرون قبل معرفتها و تطورها في أوروبا على مدى خمسه قرون. و من هذه المفاهيم:

مفهوم استمراريه أو انتظام العوامل الجيولوجيه و تتابعها، قانون تتابع الطبقات، أهميه الأحافير، الزمن الجيولوجي الطويل اللازم لعمل الظواهر الجيولوجيه، و مفهوم الكوارث الجيولوجيه. هذا إضافة إلى تعليقه الصحيح لتكوين الصخور و الجبال و أسباب الزلازل، و تشخيصه لعدم التوافق الطبقي. و قد اعتمد ابن سينا في دراسته على مشاهداته العلميه بنفسه و بالنقل عن رواه ثقافت. و بهذا يكون ابن سينا قد سلك النهج العلمى الصحيح في الدراسات الجيولوجيه، و بذلك يعد ابن سينا و بدون غلو رائد الجيولوجيا الحديثه.

المقدمه

هذا المقال مقتطف من بحث قدم إلى الندوه العالميه الثانيه لتاريخ العلوم عند العرب الذى عقد في جامعه حلب في ٥-١٢ نيسان ١٩٧٩ بعنوان:

" المعادن و الآثار العلويه " لابن سينا و علاقتها باسس الجيولوجيا الحديثه.

نقدر ما كتب عن ابن سينا (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٧ م)، و عن مؤلفاته الكثيره في مختلف العلوم و الفنون، لا نرى شرحا حديثا لأعماله في العلوم الطبيعيه من قبل العلماء العرب و المسلمين، علما بان تلك العلوم بقيت لفترة طويله الجسر العلمى بين الحضارتين

القديمه و الحديثه.

لقد تم تحقيق و نشر كتاب "الشفاء" لابن سينا (و هو الموسوعه الشهيره فى الفلسفه و العلوم) على أجزاء، و منها: الفن الخامس من جزء الطبيعيات. و هذا الفن يشتمل على "المعادن و الآثار العلويه" و قد حقق و نشر عام ١٩٦٥ عن المخطوطات التاليه:

- مخطوطه الأزهر.

- مخطوطه دار الكتب.

- مخطوطه داماد الجديده.

- مخطوطه المتحف البريطانى.

- نسخه طهران (المطبوعه) و هامشها.

و قد عثرت على نسخه أخرى من مخطوطه "الشفاء"، لعلها كانت معروفه لمحقيقى النسخه المنشوره السابقه الذكر. و لكن للأهميه نذكر هنا شيئاً عنها:

وجدت مخطوطه الشفاء فى مكتبه تشستريتي فى دبلن - إيرلنده، برقم ٣٩٨٣، و يرجع تاريخ كتابتها إلى سنه ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) فى الوقت الذى عاشت فيه الحضاره العربيه الإسلاميه عصر الانحطاط. و مكتبه تشستريتي غنيه عن الذكر فهى تحتوى على عدد كبير من نفائس المخطوطات الإسلاميه باللغات العربيه و غيرها علاوه على الرسوم الإسلاميه الرائعه. و قد أجرى البحث بدراسه الفصل الأول من مقاله الأولى: "فى الجبال و تكوينها من المعادن و الآثار العلويه" من المخطوطه و النسخه المحققه و المنشوره مقارنة باسس الجيولوجيا الحديثه و المعروفه. و فصول مقاله الأولى - الخمسه الأخرى - هى: الفصل الثانى فى منافع الجبال و تكوين السحب و الأنداء، و الفصل الثالث فى منافع المياه، و الفصل الرابع فى الزلازل، و الفصل الخامس فى تكوين المعدنيات، و الفصل السادس فى أحوال المسكونه (أى الأرض) و أمزجه البلاد.

لقد سبق و أوجزت فى تاريخ الجيولوجيا عند العرب و بينت عدد العلماء و المشاهير فى الحضاره العربيه الإسلاميه ممن فكروا و بحثوا فى طبيعه كوكب الأرض الذى يسكنون فيه. و قد لا يخلو عصر من العصور من عدد من العلماء المعاصرين الذين حفظوا العلم و أعطوه للأجيال التى تلتهم. و قد كان ذلك منذ عصر الترجمة (القرن الثالث الهجرى) إلى عهود متاخره عاصرت النهضه الأوروبيه الحديثه.

لقد عرف مقام ابن سينا كأحد العلماء المسلمين فى علوم الأرض (الجيولوجيا) و ذلك من قبل كتاب عرب و غيرهم من أمثال: السكرى، و يكتز Wickens، صبره Sabra، عبد الرحمن، و العشرى. و لكن من مؤرخى الجيولوجيا الغربيين لم نجد من يذكر فضل ابن سينا فى علوم الأرض سوى القليل و نذكر منهم: دنس Dennis، و كمل Kummel، و قد ذكر كمل ابن سينا كمؤرخ و معلق لعلوم الاغريق، بالرغم من أن ما جاء به فى المعادن و الآثار العلويه لم يذكر فى تاريخ علوم الأرض عند الاغريق.

إن تطور الجيولوجيا فى أوروبا كعلم نتج عن تطور مفاهيم و أسس علميه خلال خمس مراحل: الأولى: مرحله العصور القديمه المسيحيه - و الثانيه:

مرحله التكوين التى استمرت من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر الميلادى.

ص: ١١٧

والعشرين. ويمكن تلخيص تلك المفاهيم و الأسس العلميه التي كان النقاش يدور حولها طيله تلك الفترات الزمنيه كالآتي:

١ - معنى و أهميه الأحافير.

٢ - استمراريه العوامل الجيولوجيه أو قاعده الانتظام.

٣ - قانون تتابع الطبقات.

٤ - الزمن الجيولوجي الطويل.

٥ - مفهوم الكوارث الجيولوجيه.

إن الاضطراب في الاكتشافات الجيولوجيه المتأخره و المتعمده على التكنولوجيا يجب أن لا تغفلنا عن الماضي، فالجيولوجيون المحدثون ليسوا بأكثر ذكاء من السابقين، كما أن الإنجازات الحداثه تنبع من التطور التاريخي للأفكار و الطرق العلميه. إن التاريخ الطويل للجيولوجيا في أوروبا يحمل تفاوتاً كبيراً في وجهات النظر بين العلماء في المسائل الجيولوجيه على اختلاف مذاهبهم العلميه.

و أهميه ابن سينا في تاريخ الجيولوجيا تنبع من شهرته الواسعه الناتجه من ترجمه كتبه في أوروبا بالرغم من وجود علماء مسلمين آخرين كانوا قد خاضوا هذا المضمار العلمى، و من أولئك العلماء من عاصر ابن سينا، و ربما يكون قد أخذ عنهم.

و تأتى شهره كتب ابن سينا من أنها شامله المحتوى كالموسوعات العلميه التي احتوت على أعماله و غيرها المعتمده على سرد الحقائق دون التركيز على أقوال الأفراد. لذا فإن كتبه الشهيره كالقانون في الطب قد استعملت ككتب مقرره في الجامعات الغربيه لفترات زمنيه طويله.

و كلمه أخيره في هذه المقدمه هي أن تاريخ أى علم يجب أن لا يكون بسرد أسماء العلماء و الكتب، فليس كل مخطوط نتاجاً علمياً ثميناً، بل يجب التركيز في العمل العلمى التاريخى على تطور المفاهيم العلميه زمنياً، إذ أنها تعكس التطور الفكرى الإنسانى عبر العصور، و هذا يكون في غايه الأهميه في مجال تاريخ الجيولوجيا، إذا أنها تعبر عن علاقه الإنسان بالأرض و الكون و مدى شعور و تفكير الإنسان فيهما.

إنه لظلم للإنسانيه إذا فرضنا - كما هو مفروض في أوروبا - أن الإنسان حصر كل ما أوتى من تفكير علمى و رياضى و فلكى في الأرض و ما حوله بعصور الاغريق و العصور الأوروبيه الحديثه فقط. فالخطأ ليس في الإنسانيه التي لم تفكر في الأرض خلال العصور الأوروبيه المظلمه، و إنما الخطأ في العلماء و المؤرخين الغربيين الذين تناسوا ذكر الأعمال الجليله التي قام بها العلماء العرب و المسلمون في مجال علوم الأرض، هذه العلوم التي لولاها لما كان علم جيولوجيا حديث، و لا اكتشافات معدنيه و نفطيه ثمينه، و لبقيت أوروبا و العالم بعد انحطاط الحضاره العربيه الإسلاميه في دياجير الظلام التي كانت تعيشها في القرون الوسطى.

أسس الجيولوجيا في المعادن و الآثار العلويه

عند دراسته هذا الفصل بصورة دقيقة فاننا نلمس عمق التفكير العلمى لدى ابن سينا المبني على المشاهده و التأمل للظواهر الجيولوجيه المختلفه للوصول إلى التعليل العلمى المعقول لها. هذا فضلا عن الكتابه العلميه السهله. فيبدأ الفصل بقوله:

"لنبتدئ أولا- و لنحقق حال تكون الجبال ". و المباحث التى يجب أن تعلم فى ذلك. أولها: حال تكون الحجاره، و الثانى: حال تكون الحجاره الكبيره أو الكثيره، و الثالث: حال تكون ما يكون له ارتفاع و سمو".

فهذا يقرر ابن سينا الحقيقه الثابته و هى: أنه لتكون الجبال يجب أن يعرف أولا حال تكون الحجاره، و من ثم الحجر الكبير أو الكثير و الذى بعد الارتفاع يكون الجبال. هذه الحقيقه شغلت العلماء لقرون عديده فى أوروبا للوصول إلى نفس النتيجة التى وصل إليها ابن سينا فى بحثه عن تكون الجبال. و هذا ما سنشرحه تباعا فى هذا البحث.

١ - تكون الحجاره:

لتكون الحجاره، يقرر ابن سينا ثلاثه أصول، و هى: الطين أو الماء أو النار. و هذه الأصول تعرف الآن بالأصل الرسوبى (الطين أو الماء) و الأصل النارى. أما الأصل الآخر الذى لم يعرفه ابن سينا و اكتشف فى القرون المتأخره فهو الأصل المتحول من الصخور الرسوبيه و الناريه. فعن النوع الأول الذى يتكون من أصل الطين يقول ابن سينا:

" فكثير من الطين يجف و يستحيل أولا شيئا من الحجر و الطين، و هو حجر رخو، ثم يستحيل حجرا، و أولى الطينات بذلك ما كان لزجا، فان لم يكن لزجا فإنه يتفتت فى أكثر الأمر قبل أن يتحجر".

و قد استدل لكل نوع من أنواع الحجاره بأمثله، فيقول:

" و قد شاهدنا فى طفولتنا فى مواضع كان فيها الطين و ذلك فى شط جيحون، ثم شاهدناه قد تحجر تحجرا رخوا و المده قريبه من ثلاث و عشرين سنه ". (و شط جيحون يسمى حاليا بنهر أمور [آمو] داريا [دريا] أو الأقصص، و يقع فى الحدود بين أفغانستان و الاتحاد السوفيتى، و قد كرر ابن سينا ذكر هذا النهر فى مرات لاحقه، كما أوضح الإصطخرى [الإصطخرى] (ت ٣٤٠ هـ - ٩٥١ م) بخريطه مشابهه موقع هذا النهر. و هذا النوع من الحجاره الرسوبيه يعرف الآن بالصخور التفتيه Detrital or clastic .

أما عن النوع الثانى الذى يتكون من أصل الماء فيقول ابن سينا:

" و قد تتكون الحجاره من الماء السيل على وجهين: أحدهما أن يجمد الماء كما يقطر أو كما يسيل برمته. و الثانى يرسب منه من سيلانه شىء يلزم وجه مسيله و يتحجر. و قد شوهدت مياه تسيل، فما يقطر منها على موضع معلوم ينعقد حجرا أو حصى مختلفه الألوان ". و هذا النوع يعرف الآن بالصخور الكيمياءيه Chemical rocks أو التبخريه Evaporites .

و عن النوع الثالث من الحجاره، يقول ابن سينا:

" و قد تتكون أنواع من الحجاره من النار إذا أطفئت، و كثيرا ما يحدث فى الصواعق أجسام حديديه و حجرية بسبب ما يعرض

للناريه أن تطفأ فتصير بارده يابسه".

ص: ١١٨

العرب قد وصفوا ذلك في شعرهم. و هذا النوع من الحجارة يعرف الآن بالنيازك Meteorites ، و هي صخور حديدية ثقيله جدا.

و يجدر بالذكر أن ابن سينا لم يذكر الحجر الناري الذي يتكون من حمم البراكين، و لعله لم يشاهد البراكين بنفسه. كذلك لم يكن قد عرف الحجر المتحول بسبب الضغط و الحرارة من الأصلين الرسوبي و الناري. و هذا متوقع، إذ إن هذا النوع من الصخور لم يعرف إلا في فترة متأخرة (في القرن التاسع عشر). و يمكن تلخيص أنواع الحجارة و علاقتها بتكون الجبال.

و أثناء التكلم عن أنواع الحجارة، يذكر ابن سينا وجود الأحافير Fossils في الحجارة و يعلل عملية التحفر Fossilization فيقول: "و إن كان ما يحكى من تحجر حيوانات و نباتات صحيحا فالسبب فيه شدة قوه معدنيه محجره تحدث في بعض البقاع الحجرية، أو تنفصل دفعه من الأرض في الزلزال و الخسوف، فتحجر ما تلقاه، فإنه ليس استحاله الأجسام النباتيه و الحيوانيه إلى الحجرية أبعد من استحاله المياه و لا من الممتنع في المركبات أن تغلب عليها قوه عنصر واحد يستحيل إليه، لأن كل واحد من العناصر التي فيها مما ليس من جنس ذلك العنصر، من شأنه أن يستحيل إلى ذلك العنصر، و لهذا تستحيل الأجسام الواقعه في الملاحات إلى الملح، و الأجسام الواقعه في الحريق إلى النار"، و نلاحظ أن ابن سينا لم يدخل في جدل طويل في تعليل تحجر الحيوانات كما حدث في أوروبا، بل كانت لديه المسأله بديهيه.

٢ - تكون الحجارة الكبيره أو الكثيره:

و هذا ما يسمى الآن بالتتابع الطبقي الصخري Straigraphic sequence فيقول ابن سينا: " و أما تكون حجر كبير فيكون إما دفعه، و ذلك بسبب حر عظيم يعاصف طينا لزجا، و إما أن يكون قليلا على تواتر الأيام".

و بالمعنى تكون الحجر بالصوره الكبيره أو الكثيره يحدث عند جفاف أو تحجر الرسوبيات الطينيه و غيرها بسبب الحرارة أو الجفاف، أو التحجر البطيء المتواصل في مده طويله. و هنا في جمله "على تواتر الأيام" يقرر ابن سينا أهميه الزمن الطويل في عمليه تكوين الصخور بالكميات الكبيره أو الكثيره تلك الأهميه التي لم يعرفها العلماء الأقدمون بالصوره التي أوضحها ابن سينا، و التي عرفت بعد ذلك في القرن الثامن عشر.

٣ - تكوين الجبال، أو ما له ارتفاع و سمو:

ينتقل ابن سينا في المرحله التاليه بعد أن شرح كيفيه تكون الحجارة و كيفيه تكون الحجارة بكميات كثيره إلى عمليه تكوين الجبال بارتفاع الحجارة الكثيره و نحت السيول لها تاركة الوديان و الجبال العاليه. فيقول: " و أما الارتفاع فقد يقع لذلك سبب بالذات، و قد يقع له سبب بالعرض (أى سبب داخلى و سبب خارجى - المؤلف)، أما السبب بالذات، فكما يتفق عن كثير من الزلازل القويه أن ترفع الريح الفاعله للزلزله طائفه من الأرض، و تحدث راييه من الروابي دفعه، و أما الذى بالعرض فان يعرض لبعض الأجزاء من الأرض انحفار دون بعض، بان تكون رياح نسافه أو مياه حفاره تتفق لها حركه على جزء من الأرض دون جزء، فيتحفر ما تسيل عليه و يبقى ما لا تسيل عليه راييا، ثم لا تزال السيول تغوص في الحفر الأول إلى أن تغور غورا شديدا، و يبقى ما انحرف عنه شاهقا. و هذا كالمحقق من أمور الجبال و ما بينها من الحفر و المسالك".

و هنا يقرر ابن سينا ببساطه عمليتين لرفع الأحجار أو الصخور التي تكونت بالوسائل السابقه، و ذلك بواسطه قوى داخلية أو موضوعيه (بالذات)، و هذا الارتفاع يحدث أثناء الزلازل أو ما يسمى بالكوارث.

و بواسطه قوى خارجيه (بالعرض)، و هذه هي عوامل التجويه بواسطه المياه و الرياح **Weathering** و نحت المياه أثناء السيول **Stream erosion** فى مناطق من الأرض دون الاخرى. فالمكان الذى تسيل عليه الأمطار يتحفر و ينتج عنه الأدويه، و تبقى المناطق العاليه جبالا.

و يعود ابن سينا ليشرح و يؤكد ما ذكر سابقا مبينا أهميه الزمن الطويل فى إجراء العمليات الجيولوجيه، فيقول: " و ربما كان الماء أو الرياح متفق الفيضان، إلا- أن أجزاء الأرض تكون مختلفه، فيكون بعضها لينه و بعضها حجرية فينحفر الترابى اللين، و يبقى الحجرى مرتفعا. ثم لا يزال ذلك المسيل ينحفر على الأيام، و يتسع و يبقى التواء، و كلما انحفر عنه الأرض كان شهوقه أكثر".
و يلخص ابن سينا بشيء من التوضيح أحوال تكون الجبال فيقول:

" فهذه هي الأسباب الأكثرية لهذه الأحوال الثلاثه. فالجبال تكونها من أحد أسباب تكون الحجاره، و الغالب أن تكونها من طين لزج على طول الزمان، تحجر فى مدد لا- تضبط فيشبه أن تكون هذه المعموره (أى الأرض) قد كانت فى سالف الأيام غير معموره بل معموره فى البحار، فتحجرت، إما بعد الانكشاف قليلا قليلا فى مدد لا تفى التاريخات بحفظ أطرافها. و إما تحت المياه لشده الحراره المحترقه تحت البحر".

" و هنا يؤكد ابن سينا أهميه الزمن الجيولوجى الطويل جدا و الذى لا يحصى فى مقاييسهم آنذاك، و أيضا أهميه الحراره الداخليه للأرض و التى عرفها جيمس هتون لأول مره فى اسكوتلنده فى القرن الثامن عشر.

و يستمر ابن سينا قائلا: " و الأولى أن يكون بعد الانكشاف، و أن تكون طينتها تعينها على التحجر، إذ تكون طينتها لزجه. و هذا ما يوجد فى كثير من الأحجار، إذا كسرت أجزاء الحيوانات المائيه كالأصداف و غيرها. و لا يبعد أن تكون القوه المعدنيه قد تولدت هناك فاعانت أيضا أى فى داخل الصخور بواسطه الحراره فتبلور المعادن **Recrystallization** و أن تكون مياه قد استحالت أيضا حجاره **Secondary solution**، لكن الأولى أن تكون الجبال على هذه الجمله، و لكثرة ما فيها من الحجر لكثرة ما يشتمل على البحر من الطين، ثم ينكشف عنه، و ارتفاعها لما حفرته من السيول و الرياح فيما بينها".

و لم يكتف ابن سينا فى الشرح و التلخيص لكى يثبت فكره تكون الجبال التى تولدت لديه من التأمل و المشاهده، فيعيد صياغته أفكاره ليصل إلى التعليل العلمى لتلك العوامل الطبيعيه اللازمه لعمل الانحفرات فى الجبال من جراء الاستمراريه فى العمل الطبيعى و الزمن الطويل.

إلى آخره، كان يحدث سابقا، فيقول ابن سينا:

" فانك إذا تأملت أكثر الجبال، رأيت الانحفار الفاصل فيما بينهما متولدا من السيول. و لكن ذلك أمر إنما تم و كان فى مدد كثيره، فلم يبق لكل سيل أثره، بل إنما يرى الأقرب منها عهدا. و أكثر الجبال الآن إنما هى فى الارضاض و التفتت، و ذلك لأن عهد نشوئها و تكونها إنما كان مع انكشاف المياه عنها يسيرا يسيرا، و الآن فإنها فى سلطان التفتت، إلا ما شاء الله من جبال و إن كانت تتزايد بسبب مياه تتحجر فيها، أو سيول تؤدي إليها طينا كثيرا فيتحجر فيها".

و يتبع ابن سينا ذلك بدلائل من مشاهداته الشخصيه و مشاهدات غيره فيقول: " فقد بلغنى أنه قد شوهد فى بعض الجبال، و أما ما شاهدته أنا فهو فى شط جيحون، و ليس ذلك الموضع مما يستحق أن يسمى جبلا. فما كان من هذه المنكشافات أصلب طينه و أقوى تحجرا و أعظم حجما، فإنه إذا انهار ما دونه، بقى أرفع و أعلى".

ينتقل ابن سينا بعد ذلك إلى تعليل تكوين " الرسوبيات فى الوديان " التى بين الجبال، و يصفها بأنها ليست من الماده الأصلية للجبال و إنما هى منقوله بعد تفتت الجبال، و هذا ما هو معروف الآن برسوبيات بين الجبال **Inter mountain deposits** ، فيقول:

" و أما عروق الطين الموجوده فى الجبال فيجوز أن تكون تلك العروق ليست من صميم ماده التحجر، لكنها من جمله ما تفتت من الجبال و ترسب و امتلأ- فى الأودية و الفجاج، و سالت عليه المياه، و رطبته و غشيتها أرهاص الجبال، أو خلطت به طبيعتها الجيده. و يجوز أن يكون القديم أيضا من طين البحر غير متفق الجوهر (أى الماده)، فيكون من تربته ما يتحجر تحجرا قويا، و منه ما لا يتحجر و منه ما يسترخى تحجره لكيفيه ما غالبه فيه، أو لسبب من الأسباب التى لا تعد".

و يعلل ابن سينا الرسوبيات الحديثه أيضا بأنها رسوبيات بحر قد طفى على اليابسه و عند انكشافه فإنها تتحجر، و لكن صخور الجبل القديمه تكون قابله للتفتت أكثر، فيقول:

" و يجوز أن يعرض للبحر أيضا أن يفيض قليلا- قليلا- على بر مختلط من سهل و جبل، ثم ينضب عنه، فيعرض للسهل منه أن يستحيل طينا، و لا يعرض ذلك للجبل. و إذا استحال طينا كان مستعدا لأن يتحجر عند الانكشاف (أى ظهور الحجاره) و يكون تحجره تحجرا سافيا قويا. و إذا وقع الانكشاف على ما تحجر، فربما يكون المتحجر القديم فى حد ما استعداد للتفتت. و يجوز أن يكون ذلك يعرض له عكس ما عرض للتربه، من أن هذا يربط و يلين و يعود ترابا، و ذلك يستعد للحجره".

و يشبه ابن سينا التفتت **Disintegration** بتجارب قد عملها فيقول:

" كما إذا نعت آجره و ترابا و طينا فى الماء، ثم عرضت الآجره و الطير و التراب على النار، عرض للآجره أن زادها الاستنقاغ استعدادا للتفتت بالنار ثانيا، و التراب و الطين استعدادا للاستحجار أقوى".

و يختم ابن سينا فصله الشيق عن الجبال فيعرض فلسفه علميه قد عرفت فى الجيولوجيا الحديثه بما يسمى بقانون تتابع الطبقات:

(**Law of Superposition of Strata**) و هو أن الطبقات التى ترسب أولا هى الأقدم، و التى تليها هى الأحدث إذا لم

يحدث ميل، فيقول:

" و يجوز أن ينكشف البر عن البحر و كل بعد طبقه، و قد يرى بعض الجبال كأنه منضود سافا سافا، فيشبهه أن يكون ذلك قد كانت طينتها في وقت ما كذلك سافا سافا، بان كان ساف ارتكم أولا ثم حدث بعده في مده أخرى ساف آخر فارتكم، و كان قد سال على كل ساف جسم من خلاف جوهره، فصار حائلا- بينه و بين الساف الآخر، (هذا ما يسمى الآن بعدم التوافق (Unconformity) ، فلما تحجرت المادة عرض للحائل أن انشق و اثره ما بين السافين. و أن حائلا بين أرض البحر قد تكون طينته رسوبيه، و قد تكون طينه قديمه ليست رسوبيه و يشبه أن يكون ما عرض له انفصال الإرهاص من الجبال رسوبيا. فهكذا تتكون الجبال".

و بهذا يكون ابن سينا قد جاء بكل المستلزمات الأساسية لنشوء علم الأرض (الجيولوجيا) بالمعنى الحديث الذي نعرفه الآن، فقد أكمل ملاحظات الأقدمين و زادها بملاحظاته، و نظمها و أخرج منها غير المعقول و صاغها الصياغه العلميه الصحيحه الجيده. و ما جاء به العلماء الغربيون من بعده بعده قرون لم يكن سوى زياده المشاهدته بعد ما قرءوا علومه، و أعطوه الاصطلاح العلمى الأوروبى، و نسبوا تلك المفاهيم و القوانين لهم، و نسوا أو تناسوا ما صنع هذا العالم الجليل.

حمد البيك بن محمد بن محمود بن نصار

اشاره

اشتهر باسمين معا: فبعض يطلق عليه اسم: حمد المحمود، و بعض اسم حمد البيك.

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٣٠ من المجلد السادس، و نزيد عليها هنا ما يلى:

مما تميز به عهد حمد البيك بروز نهضه شعريه فى جبل عامل اجتمع فيها ثله من الشعراء حول حمد فكانوا شيئا متميزا فى الحياه الشعريه فى جبل عامل على امتداد هذه الحياه قبلهم و بعدهم.

و لا بد لنا قبل الدخول فى التفاصيل من أن نلم إماما موجزا بتلك الحياه التى تسلسل فيها الشعر العاملى منذ صدر الإسلام حتى عهد أولئك الشعراء:

فى العهد الأموى

لقد ماشت الحياه الشعريه فى جبل عامل أزهى العهود العربيه ثم لما ابتدأت تلك العهود بالانحدار ظلت هى فى طريقها السليم لم تتعسف و لم تتدهور. ففى العهد الأموى مثلا عند ما تالق جرير و الفرزدق و الأخطل، و توارى الشعراء من طريقهم فخلت الساحه لهم و حدهم يصلون و يجولون، تصدى لهم شاعر عاملى فنازلهم و ثبت لهم، و استطاع ان يظفر ببعضهم ظفرا مرموقا، و لم يجرؤ غيره على أن ينزل من البلاط الحاكم منزلتهم، هذا الشاعر هو عدى بن الرقاع العاملى، و ليد هذا الجبل و ربيبه و

خريجه. و من المؤلم أن مدرسى الأدب عندنا و دارسيه يجهلون كل شيء عنه، في حين أنه كان شيئاً مدوى الأثر حتى إن شاعرا
فحلا مثل أبي تمام لا يأنف عن التمدح به و الاستشهاد بذكره فيقول:

ص: ١٢٠

يشير عجاجه فى كل ثغر يهيم به عدى بن الرقاع

و حتى إن الشريف الرضى و هو من هو يقول:

و يعجبني البعاد كان قلبى يحدث عن عدى بن الرقاع

و حتى إن شاعرا آخر من أكبر شعراء العرب هو على بن المقرب الأحسائي يشير إليه فى قوله:

أهم بهجوم فأرى ضللا هجائى دون رهط ابن الرقاع

و يصعب جدا إيجاز الحديث عن هذا الشاعر العاملى، لأن الحديث عنه متعدد الجوانب متشعب النواحي، و لكن لا بد من ذكر معركة مع جرير لنرى منها كفاءته و قوته.

معركة الشاعر العاملى مع جرير

لقد كان جرير هو السائد فى بلاط الأمويين، و كان لسانه جمره من الجمرات، بل شفره من إحدى الشفرات التى تحز فى المفاصل فتقطع قطعاً ذريعا.

و كانت المعركة الشعرية تحتدم بينه و بين الفرزدق فلا يستطيع أحدهما التغلب على الآخر، و لا يقدر أى منهما أن يحمل صاحبه على الانسحاب مقهوراً مغلوباً.

و لكن الشاعر العاملى استطاع و ظفر من جرير بما لم يظفر به لا الفرزدق و لا الأخطل و لا غيرهما. و من غيرهما عند ما يذكر هذان البطلان؟..

إذا استطاع الفرزدق أن يقول:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

كان جرير مستطيعاً أن يقول:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامه يا مربع

فإذا أفحش جرير كان الفرزدق مستعداً لأن يكون أكثر إفحاشاً.

و لم نعرف أن معركة انتهت بينهما على غالب و مغلوب، بل ظللا أبداً لا غالباً و لا مغلوباً، أو غالباً و مغلوباً، أو مغلوباً و مغلوباً.

و لكن عدى بن الرقاع العاملى استطاع ما لم يستطعه غيره، استطاع أن يهزم جريراً و أن يضطره إلى الاعتراف بالهزيمه.

و يبدو أن جريرا استهان به أول الأمر فأراد السخريه من هذا الشاعر الوافد من الجبل إلى دمشق يريد أن يزاحم الفحول على أبواب الملوك، فرماه بيت من الشعر تقضى الكياسه بان لا نذكر إلا صدره و هو:

"يقصر باع العاملى عن العلى"

. و قد ظن جرير أنه قد أخجله و أسكته، و لكن عديا انبرى له بالبيت الذى تقضى الكياسه أيضا أن لا نذكر إلا عجزه و هو:

"أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول"

. فبهت جرير و أدرك أنه هزم هزيمة شنعاء - و هو الذى لم يهزم من قبل - و خاف مغبه الاسترسال مع هذا الشاعر القوى فأثر الانسحاب من المعركة و الاعتراف بالهزيمة لأول مره فى حياته، فأجابه:

"بل أنا امرؤ لم أدر كيف أقول"

و يروى الفرزدق لقاءه الأول هو و جرير لعدى بهذا النص: كنت فى المجلس و جرير إلى جانبى، فلما ابتدأ عدى فى قصيدته:

عرف الديار توهما فاعتادها من بعد ما درس البلى إبلادها

قلت لجرير مشيرا إلى عدى: هلم نسخر من هذا الشامى، فلما ذقنا كلامه يتسنا منه.

بعض شعره

و إذا كان المجال يضيق فى هذه المقاله عن تعداد شعره و دراسته دراسه موضحه، فاننا نذكر له أبياتا غزليه من أرق الشعر العربى كقوله:

و كأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم

و سنان أقصده النعاس فرنقت فى جفنه سنه و ليس بنائم

و كقوله:

لو ثوى لا يريمها ألف حول لم يطل عندها عليه الثواء

أهواها شفه أم أعيرت منظرا غير ما أعير النساء

و يروى المؤرخون أنه لما وصل فى إنشاد قصيدته الداليه إلى هذا البيت:

تزجى أغن كان إبره روقه قلم أصاب من الدواء مدادها

و سمعه الشعراء سجدوا له، فلما استغرب الناس أن يسجد الشعراء لبيت من الشعر، قال الشعراء: "إنا نعرف مواضع السجود فى الشعر كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن".

و من الإبداع فى شعره فى غير الغزل قوله:

و الناس أشباه و بين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء

بل ما رأيت جبال أرض تستوى فيما عسيت و لا نجوم سماء

و المجد يورثه امرؤ أشباهه و يموت آخر و هو فى الأحياء

و ساظم عدى بن الرقاع أن قلت أن ما ذكرته عنه و ما استشهدت به من شعره يمثله تمثيلا صحيحا و يعطينا الصورة التى نريدها عنه، فهذا العاملى النابغ لا تقوم بحقه مثل هذه السطور القليلة.

فى العهد العباسى فى العصر العباسى عند ما برز أبو تمام و البخترى و المتنبى و المعرى و الرضى و الحمدانى و غيرهم برز من جيل عامل شاعر جارى الفحول فكان فى الطليعه منهم، ذاك هو عبد المحسن الصورى المتوفى سنة ٤١٩ هجرية،

و إذا كان عدى بن الرقاع سليل القمم العاملية فان عبد المحسن سليل الشواطئ منها، فهو من مدينه صور بالذات و منها استمد لقبه.

و مع أنه كان لهذا الشاعر شهره مدويه بين معاصريه فان ديوانه لم يطبع حتى اليوم و كانت توجد منه نسخه مخطوطه فى خزانه المرحوم الشيخ محمد رضا الشيبى نسخها والده الشيخ جواد على نسخه قديمه من مخطوطات أوائل القرن السادس الهجرى.

و من الظواهر فى شعره ما يدل على مدى ترابط البلدان العربيه فى عهده، فان وفاه تحدث فى بغداد تستجيش شاعرا فى صور فيرثى الميت و يبكيه باحر الدموع، فقد توفى العالم الكبير المفكر محمد بن محمد النعمان الذى اشتهر

يلقب " الشيخ المفيد " توفى فى بغداد فتجاوبت بصدى و فاته ديار العرب فقال عبد المحسن يرثيه من قصيده طويله:

يطلب المفيد بعدك و الأسماء تمضى فكيف تبقى المعانى

فجعه أصبحت تبلغ أهل الشام صوت العويل من بغداد

و من شعره الدال على ظروف حياته ما جاء فى مدحه لعلى بن الحسين المغربى والد الوزير أبى القاسم. فان هذا الشاعر الصورى كان كغيره من الشعراء يتصدى للمدح كسبا للعيش و لم تكن ظروفه كلها مواتيه، فكانت تكسد بضاعته عند من لا يعرف قيمتها فيعيش فى كآبه وهم و فقر فقال يصف هذه الحاله:

و نوائب أظهرن أيامى إلى بصورتين

سودنها و أظننها فرأيت يوما ليلتين

ثم يقول ذاكرا أنه لطول عهده بالنقود صار لا يميز الذهب من الفضة و لا يعرف حقيقتهما:

هل بعد ذلك من يعرفنى النضار من اللجين

فلقد جهلتها بعد العهد بينهما و بينى

متكسبا بالشعر يا بئس الصناعه باليدين

لم تنطفئ جذوه الشعر

و لم تنطفئ جذوه الشعر العاملى حتى فى عهد الاحتلال الصليبي فان قصيده ابن الحسام العاملى فى رثاء أبى القاسم بن الحسين العود الأسدى المتوفى سنة ٦٧٩ نظمت خلال الاحتلال.

طلائع النهضه الشعريه بعد الاحتلال

أما بعد الجلاء فيمكننا أن نعتبر أن الشهيد الأول محمد بن مكى هو مؤسس النهضتين العلميه و الأدبيه، و لقد كان إلى جانب مكانته العلميه على شاعريه حسنه ينظم الأبيات و البيتين. فنحن نستطيع أن نعد شعره من أوائل النتاج العاملى الذى وصلنا بعد جلاء الصليبيين، فمن ذلك قوله:

كنت قبل الهوى حليف المعالى و لأعلامها على خفوق

نقصنتى زياده الحب حتى أدركانى المريخ و العيوق

و ينسب إليه قوله:

شغلنا بكسب العلم عن طلب الغنى كما شغلوا عن مطلب العلم بالوفر

فصار لهم حظ من الجهل والغنى و صار لنا حظ من العلم والفقر

و قوله:

غنيا بنا عن كل من لا يريدنا و إن كثرت أوصافه و نعوته

و من صد عنا حسبه الصد و الجفا و من فاتنا يكفيه أنا نفوته

و يمكننا اعتبار هذا الشعر و أمثاله من شعر الشهيد طلائع نهضة شعره أخذت تنمو و تتقدم بتقدم المدارس و تكاثر العلماء و الطلاب.

فضل الشهيد الأول

و الواقع أن هذا الرجل كان له من الفضل على الجبل ما لا يحد بحد، فقد خرجت البلاد من وطاه الاحتلال مهيبه الجناح مهشمه القوى، و لئن استطاعت أن تحتفظ بعروبته و إسلامها و مقوماتها و استمرار التعليم فيها، فإنها لم تستطع أن تصل بذلك إلى ما كانت تطمح إليه. لهذا رأينا أن الأربع و الأربعين سنة التي سبقت ولاده الشهيد، لم تستطع أن تخرج عالما كبيرا مشهورا، بل كانت هذه السنون سنين إعداد و تجهيز و قضاء على مخلفات الماضي البغيض. حتى إذا شب محمد بن مكي و درس على شيوخ بلاده ما أمكن أن يدرس. و رأى أن هؤلاء الشيوخ قد استفدوا في تلقيه كل ما عندهم، و رأى أن هذا الذي تلقنه لا غناء فيه إذا هو أراد أن يكون شيئا مذكورا في العلم، حتى إذا رأى ذلك، عزم على الهجره العلميه إلى العراق و هو في غضاره السن و طراوه العمر. فقصده مدينه الحله حيث كانت مدرسه الشيعه الكبرى قبل النجف و هناك انكب على التحصيل، ثم عاد إلى بلاده مجازا من أساتيده. مبرزا بمعلوماته، و شرع بتركيز قواعد التدريس و نشر العلم فاستطاع أن ينهض بالجبل نهضة جباره كان هو رأسها و أساسها.

و هكذا يمكننا اعتبار سنة ٧٥٥ هجرية و هي سنة عوده الشهيد من العراق مبدأ البعث العلمى و الأدبى فى جبل عامل.

نكبه جبل عامل بالجزار

كانت نكبه جبل عامل بأحمد باشا الجزار من النكبات القاصمه فقد فوجئت البلاد بزحفه عليها و هي على غير استعداد، فاستطاع التغلب عليها و على من لقيهم من أبنائها ثم أطلق جنوده يعملون التخريب و التقتيل و السلب. و كان من أفجع ما لقيه جبل عامل فى تلك المحنه نهب مكتباته نهبا عاما و حمل كتبها إلى عكا. و كان يمكن أن يكون الأمر سهلا لو أن تلك الكتب أريد لها فى عكا الجمع و الحفظ. لكن الجزار و أعوانه و هم الجهلاء رأوا زياده فى الانتقام أن يببداوا تلك الكتب فيسلموها إلى أصحاب الأفران يوقدون بها أفرانهم، و يكاد يجمع المؤرخون العامليون على أن تلك الكتب ظلت تغذى الأفران فى عكا أسبوعا كاملا.

على أن بعض الفلسطينيين من أهل المعرفة استطاعوا إنقاذ القليل منها، كما أن بعض من وقعت في أيديهم باعوا ما حصلوا عليه، وقد وصل قسم منها إلى مكتبة الأمير بشير الشهابي في بيت الدين، كما شوهد بعضها بعد ذلك في بعض البيوت البيروتية.

حصيلة خمسة قرون

كانت تلك الكتب حصيلة خمسة قرون فإذا اعتبرنا بدء التجديد في جبل عامل هو عوده الشهيد الأول من العراق عام ٧٥٥ هجرية يكون بين هذا التاريخ و نكبه البلاد بالجزار سنة ١١٩٥ أربعمائه و أربعون سنة.

أجل أربعمائه و أربعون سنة كان فيها جبل عامل مقرا للعلماء و الشعراء الذين ألفوا و صنفوا و توارثوا الكتب جيلا بعد جيل، حتى قضت على ذلك أفران عكا.

فقدان النماذج المنوعة

من هنا لا نستطيع أن نجد أماننا ما كان يجب أن نجده من نماذج منوعة للشعر العاملي طيله تلك القرون. و لكن ما وجدناه يرينا الواقع و يعطينا الصورة الصحيحة لاستمرار الشعر في هذه الديار قوى الدياجه شديد الأسر متين اللفظ جميل المعنى صادق الشعور.

ص: ١٢٢

و لا بد من القول أن نهضه الشعر العاملى كانت قد بلغت مقاما رفيعا حين حلول النكبه و قبيل حلولها، فقد شهدت البلاد عددا من الشعراء الفحول رافقوا أحداثها و عاشوا انتصاراتها و هزائمها فنظموا فى ذلك شعرا عاليا، و عاش بعضهم حتى شهد النكبه و ناله منها الترويع و التشريد، و رأى الفواجع تحل بمواطنيه فنظم فى كل ذلك أحسن الشعر. و لحسن الحظ فان هذا الفريق الناجى قد استطاع بفراره أن يحفظ شعره من الضياع، فحفظته مجاميع بعلبك و دمشق و النجف، و استطعنا بذلك أن نراه أمامنا و نرى فيه صوره الشعر العربى الأصيل الصادق.

نماذج من القرن التاسع

سنعرض نماذج مما سلم من الشعر العاملى فى مختلف عصوره ترينا صدق ما قلناه من أن الشعر ظل هنا سليما قويا على مدى الأيام.

فمن ذلك أن قريه (عيناثا) كانت فى أواسط القرن التاسع الهجرى أى منذ خمسمائه و خمسين سنه مقرا لأعلى الدراسات الإسلاميه و العربيه و كان الطلاب يفتدون إليها لا- من الجبل وحده، بل من أقصى البلاد العربيه، فجاءها فيمن جاء ناصر بن إبراهيم البويهى، و عكف على تلقى العلم فيها، و حدث يوما أن حصل من أستاذه العاملى ظهير الدين بن الحسام ما ظنه الطالب إهمالا له فقال متظلما من أبيات: (1)

أشاقك ربع بالمشقر عاطل فظلت تهاداك الهموم النوازل

فأصبحت تستمرى من العين ماءها و هيهات قد عزت عليك الوسائل

تذكرت من تهوى فابكاك ذكره و أنت "بعيناثا" على الكره نازل

و يبدو أن أستاذه لم يكن شاعرا، أو أنه لم يشأ أن يجيبه بنفسه، فتولى الجواب الشيخ حسن أخو الأستاذ فقال:

لعمرك ما عزت عليك الوسائل و لا أجذبت منا لديك المناهل

و لا زلت منظورا بعين جميله و لو نظرت شزرا إليك القبائل

فنحن أناس لا يضام نزيلنا عزيز علينا أن تطانا الجحافل

ندافع عن أحسابنا و مضيفنا و لو نهلت منا الطبى و الذوابل

لنا منهل جم الفضائل ورده تقل لديه فى الزمان المناهل

تخوض إليه الناس فى كل مجلس إذا أشكلت بين الرجال المسائل

لئن ضنت الدنيا علينا بثروه تفاضلها أشرارها و الفواضل

هذه القطعه الصغيره الجميله خير مثال على نضاره الشعر العاملى فى ذلك العصر، فهى فى صدقها و صفائها و تفرق ألفاظها و جمال أسلوبها، و ما اشتملت عليه من تمدح متواضع بالفضائل الأصيله من عزه و كرم و إباء و شجاعه و حفظ للجوار مع اعتراف بالفقر هى فى كل ما تضمنته ترفع الشعر العاملى بنظرنا و تحببه إلينا.

و الشيخ حسن ناظمها هو واحد من عشرات أمثاله كانت تغص بهم شعاب عينائا و دروبها و منازلها و مدارسها، و لكن آثارهم ضاعت و أشعارهم فقدت و بقيت هذه القطعه دليلا- على دوام الأصاله فى الشعر العاملى. و يجب أن لا ننسى أن شعر ناصر البويهى نفسه هو حصيله عامليه، فإذا علمنا أنه هبط عينائا شابا حدثا، و أن مواهبه تفتحت فى جبل عامل على أيدي أساتذه عاملين أدركنا أن شعره هو أيضا شعر عاملى بحت.

و من القرن العاشر

و فى القرن العاشر الهجرى خرج الشيخ محمد الحيانى (٢) من قريه (بنى حيان) القريه البسيطه الصغيره، ذات البيوت المحدوده و العدد القليل، و القابعه فوق تله مشرفه على الثنايا و العقاب و الأوديه هناك فى أقصى جنوب جبل عامل.

إن قريه (بنى حيان) التى ظلت حتى اليوم غير معروفه لجمهوره العامليين أنفسهم فكيف لغير العاملين، و التى لا- بد لك من الوصول إليها من أن تمتطى دابه أو أن تسير على قدميك إن كنت لا تزال ممن يستطيعون صعود الجبال مشيا على الأقدام.

من هذه القريه التى لا تزال اليوم كما كانت فى القرن العاشر لم يتحسن فيها شىء. من هذه القريه خرج الشيخ محمد الحيانى إلى النجف إما طلبا للعلم على الأرجح، أو ضجرا من حياه القريه الرتيبه الممله.. و هناك فى النجف ملكه الحنين إلى (بنى حيان) إلى مراتع صباه و مدارج شبابه، إلى مغارس السنديان و منابت الملول، فاخذ يرسل الشعر رقيقا عذبا قائلا أمثال هذا القول:

إذا ما بدا من جانب الشام معرق عساه لقلبي بالوصل يبشر

و إن هب من أرض "النحارير" نسمة تنسمت روح الوصل فيها فاذا

رعى الله أياما تقضت و أعصرا مضت فى (بنى حيان) و الغصن أخضر

و إذا كنا قد عرفنا (بنى حيان) لأنها لا تزال قائمه، فان (النحارير) حيرت كل من قرأ هذه القصيده، فما هى هذه النحارير التى يتمنى الحيانى أن تهب عليه نسمة من نسمااتها؟ يقول بعضهم إنها ربما كانت (وادي الشحارير) القريب من بنى حيان، و يقول آخرون: إنها أرض موقوفه على العلماء النحارير و يقول غيرهم غير ذلك و إنها قريه (طلوسه) القريه من بنى حيان.

و أيا كانت النحارير فحسبها أنها كانت ملء خاطر هذا الشاعر النازح.

و بنى حيان المتواضعه البسيطه ظلت موضع اعتزاز هذا العاملى الوفى فقال فى نهايه إحدى قصائده واصفا للقصيده:

عربيه الألفاظ "حيانيه" يعنو لمعنى حسنهما حسان

و حسب القصيده فخرا عنده أن تكون عربيه الألفاظ عروبه صافيه لم تخالطها عجمه، و لم تشنها لکنه، و إن تكون إلى ذلك (حيانيه) منبتها بنى حيان.

و يظل خيال (بنى حيان) يفعم نفس هذا الشاعر العالم، و تظل صورته (النحارير) أمام عينيه فيكرر ذكرهما و يعيد التغنى بهما فيقول من قصيده أخرى مادحا على بن أبي طالب (ع) مؤكدا أن جواره وحده هو الذى يحمله على البقاء بعيدا عنهما:

ص: ١٢٣

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٠٢ من المجلد العاشر.

٢- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٦٩ من المجلد التاسع.

و لو لا ضريح أنت فيه موسد لما اخترت غير الشام أرضى من بدل

و لا كنت عن أرض (النحارير) نائيا و لا عن "بنى حيان" ما ساعد الأجل

و يظل فى حنينه و وجده لا- إلى جبل عامل وحده، و لا إلى بنى حيان وحدها، بل إلى بلاد الشام كلها، فهو يحييها من ذلك المنتأى البعيد، و لكن التحية الكبرى لبنى حيان تاره و للنحارير تاره أخرى.

حييت يا شام من شام و من سكن و لا تعداك جون المزن يا وطنى

و إن أكن قاطنا أرض العراق ففى أرض النحارير لى قلب بلا بدن

و يقول فى ختام قصيده معتزا بالشام كلها و بالنحارير منها بخاصه:

محمد الحيان ناظم درها لها الشام ورد و النحارير مصدر

و من حق بنى حيان أن نقول إنها لم تخرج الشيخ محمد الحيانى وحده، بل أخرجت فى أوائل القرن الحادى عشر عالما شاعرا آخر اسمه أيضا الشيخ محمد، و لكنه لم ينأ بعيدا عن بنى حيان، و كان أقصى مكان رحل إليه فى اغترابه هو بعلبك لذلك لم ينظم شيئا فى نى [بنى] حيان، بل حفظت له بعض المجاميع مثل قوله:

آل بيت النبى يا عنصر المجد و شمس الفخار و الأنساب يا كرام النفوس و الأصل و الفرع و بيض الوجوه و الأحساب

و من القرن الحادى عشر

و فى القرن الحادى عشر يطلع جبل عامل شاعرا عبقرىا محلقا، لا عيب فيه إلا أن شعره فقد فلم يصلنا منه إلا بقايا، هذا الشاعر هو محمد محمود المشغرى(1) المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ هذا الذى لو أدرك عصور العرب الزاهيه لكان فى تاريخها نظيرا لأكفأ الشعراء و أكثرهم إجاده و تفوقا.

و قد اضطر هذا الشاعر لأن يهجر الجبل بحثا عن العيش، فمضى حتى حط به السير فى رباع الحجاز فى ظلال البيت العتيق بمكه حيث احتضنه أشربها فعاش فيهم و سكن بينهم بعيدا عن أهله و وطنه.

من القرن الثانى عشر إلى القرن الثالث عشر

و فى أواخر القرن الثانى عشر إلى أوائل القرن الثالث عشر تكون النهضه الشعريه فى جبل عامل قد تكاملت فتفتحت عن مجموعه من الشعراء الأفاذ عاشوا أحداث بلادهم بشعرهم و شعورهم فكانوا لسانها الناطق و ضميرها الحى و ذهنها الوقاد.

الشيخ إبراهيم الحاريسى

(2) و حسبنا منهم ابن قريه حاريص، الشيخ إبراهيم الحاريسى المتوفى سنة ١١٨٥ هـ و الذى كان أحد أعلام ذلك العهد، و قد

أصر في إحدى قصائده على أن يشير إلى قريته الحبيبه و إلى القرية الأخرى التي درس فيها فقال هذا البيت من قصيده:

فتى (حاريس) مغناه و لكن تلقى العلم وفرا من (جوبا)

للقائع العسكريه التي خاضها العاملون كقوله:

شوس تمد من السيوف قصارها يوم الوغى و من الرماح طوالها

تجفو لدى كسب الثنا أرواحها و تعاف في نيل المنى أموالها

تهوى بها نحو الطراد سوابقتخذت غبار الدارعين جلالها

ما أطلقت في غاره ثم انشئتلا و بلغت المنى أبطالها

وافى بها في يوم (تريخا) و قد جاست خيول الدارعين خلالها

طافوا عليها بالصوارم و القنفاكأنهم قطع الغمام حبالها

جافت جفون كمانتا طيب الكريفيها و عافت عذبتها و زلالها

ألقت على (ابن العظم) كل عظيمهفرأى أشد نكايه ما نالها

و من هذه الوقائع و من تلك الروح العسكريه التي كانت تهيمن على البلاد في تلك العهود يستمد حكمته الآتيه:

بالسيف يفتح كل باب موصد و به من العليا بلوغ المقصد

من لم يكن بين الورى ذا صارم فهو البعيد عن الفخار السرمد

فإذا بدت لك حاجه فاستقضها بغير ماضى الشفرتين مهند

و من ذلك قوله في مطلع قصيده:

جرد من العزم سيفا و اركب الحذرا و اجعل فؤادك في يوم الوغى حجرا

و يمضى على هذا النحو في قصيدته غير رفيق و لا مشفق، داعيا إلى القوه مبشرا بالسلاح محذرا من الضعف و اللين:

و غالب الخصم لا تشفق عليه و لا تركن إليه فلا يعفو إذا قدرا

من لا حسام له لا يرتقى شرفا و ليس يدرك في حاجاته وطرا

و نحن حين ندرس الظرف التى نظم فيه هذا الشعر ندرك العوامل التى اوحى للشاعر بما أوحى، فقد كان العاملون فى ذلك الحين على سلاحهم ليلاً و نهارهم، لا- يعرفون متى تدهمهم النوازل و تحدى بهم الكوارث و لقد خاضوا يوم ذاك أشد معاركهم عنفاً و أروعها نتائج. و هكذا رأينا الشيخ إبراهيم الحاريسى يخرج عما ألفه الشعراء التقليديون من افتتاح قصائدهم دائماً بالغزل، يخرج فى الكثير من قصائده على ذلك الأسلوب ويفتح بمثل ما رأينا فى قصيدته الدالية المتقدم بعضها، و فى قصيدته الرائية هذه، و كذلك فى غيرهما.

و من خصائصه ما نظمه فى بعض مواقع بلاده كقلعه الشقيف التى كان يحكمها ممدوحه الشيخ على الفارس:

ما الشقيف الصلدا إلا جنه و لنا قصر بأعلاه استنار

ليس يدنو منه فى عظم البنا قصر غمدان و لا عظم الجدار

تنظر المرآه فيه فترى فوقك النهر تراءى بانحدار

ما رأينا قبل هذا جدولاً فوق قصر شامخ فى الجو طار

الشيخ إبراهيم يحيى

(٣) و ياتى بعده بين أواخر القرن الثانى عشر و أوائل الثالث عشر الشيخ إبراهيم يحيى (١١٥٤ هـ ١٢١٤) ابن قرية الطيبه و تكون البلاد على ما هى عليه من روح عسكريه حماسيه و يكون هو كما كان الحاريسى وثيق الصله بامراء البلاد و له كالحاريسى فيهم المدائح العديده، و لكننا لا نلمح فى أكثر مطالع

ص: ١٢٤

- ١- راجع ترجمته فى الصفحه ٥٢ و ما بعدها من المجلد العاشر.
- ٢- راجع ترجمته فى الصفحه ١١٦ من المجلد الثانى.
- ٣- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٣٧ و ما بعدها من المجلد الثانى.

قصائده ما لمحنه فى شعر الحاريسى من العنقوان العسكرى الصلب، على أن مدائحه تنصب فى مضمونها على ما لمدوحيه من معارك و وقائع:

فلست ترى إلا سلاحا على الثرى و خيلا بها فقر إلى كل راكب

و أعجب شىء أن خمسين فارسا تمزق ألفى فارس بالقواضب

و هكذا يقول أيضا:

فثار إليه الجيش من كل جانب فلست ترى إلا سيوفا عواريا

و لست ترى إلا قتيلا و هاربا و منجدلا يشكو الجراح وعانيا

و بينما هو على هذه الحال إذ تقع المحنة الكبرى بمباغته أحمد باشا الجزائر لـجبل عامل و أخذه على حين غره قبل أن تجتمع جموعه فيكون بذلك القضاء المبرم على قوه الجبل و حيويته و هنا يعود الشيخ إبراهيم يحيى شاعر تلك النكبه، نكبه البلاد بعامه، و نكبته هو بخاصه فنسمع منه شعر الرثاء و الحنين و التوجع:

غرام و تشتيت و شوق مبرح فله ما يلقي الفؤاد المقرح

فيا أيها الناءون عنى عليكم سلام يمسى حيكم و يصبح

تحيه مشتاق يكنى عن الهوى حياء و لكن الدموع تصرح

و يقول:

سقى الله هاتيك البلاد و أهلها ملث الغوادى من لجين و عسجد

و رد إلى أوطانه كل شاسع يكابد ذلا بعد عز موطن

و يقول و هو فى العراق:

أشيم بروق الشام شوقا إليكم و هيهات من (دار السلام) سام

و يقول:

أكفكف دمع العين و هو غزير و أكتم نار القلب و هى تفور

و أنتشق الأرواح من نحو (عامل) و فيها لمثلى سلوه و سرور

منازل أحباب إذا ما ذكرتهم شرقت بماء المزن و هو نمير

خليلى أن الظلم طال ظلامه فهل من تباشير الصباح بشير

و يقول:

مضى ما مضى و الدهر بؤس و أنعم و صبر الفتى أن مسه الضر أحزم

يعز علينا أن نروح و مصرنا لفرعون مغنى يصطفيه و مغنم

و يقول:

غريب يمد الطرف نحو بلاده فيرجع بالحرمان و هو همول

و هكذا يقدر للشيخ إبراهيم يحيى أن يكون شعره صورته الحياه العامليه فى تلك الأيام بكل ما فيها من أرزاء و فواجع و دموع.

الشيخ محمد على خاتون

(1) و من شعراء أواخر القرن الثالث عشر نذكر ابن قريه جوياء الشيخ محمد على خاتون، و يكفى هذا الشاعر أنه استوحى طبيعه بلاده فى قصيده جاءت كما نعبّر عنه فى هذا العصر و نطلبه من الشعراء و هو (ذات وحده فى الموضوع). و الواقع أننا نلمس تقصيرا بارزا فى الشعراء العاملين فى مختلف العصور، هذا التقصير هو أن طبيعه الجبل لم تكن مصدرا لالهامهم فلم يخص واحد منهم واديا من الأودية الجميله و لا ذروه من الذروات السامقه و لا ثنيه من الثنايا البديعه، و لا شيئا فى هذا الجبل من زهر و شجر و ورد و نبع و نهر، لم يخص واحد منهم شيئا من هذا بقصيده أو مقطوعه. و الذين وصفوا قلعه الشقيف مثلا- إنما وصفوها عرضا و هم يمدحون أمراءها.

و لكن الشيخ محمد على خاتون تميز بان وادى الحجير الجميل و نبعه و جدول له أوحى له بقطعه شعرية لم يدخل فيها إلا وصف وادى الحجير و نبعه و جدول فقال:

هذا (الحجير) فرو منه غليلا و احبس ركابك فى ربا طويلا

نهر يزول صدى القلوب بمائه فاق الفرات محاسنا و النيل

واد غدت فوق الغصون بدوحه تشدو البلابل بكره و أصيلا

إن ضل قاصده الغداه طريقه كان الأريج به عليه دليلا

واد سفته المعصرات و أمطرت فيه الهتان المرزمات سيولا

فلکم أقمنا للشباب بظله أودا و کم فيه اتخذت مقبلا

و الروض باسمه هناك ثغوره جر النداء من فوقهن ذيولا

إننا نرى في هذه الأبيات دليلا على تحسس الشاعر بما حبا الله بلاده من جمال طبيعي، و إذا عرفنا أن نهر الحجير هو جدول يجرى شتاء و يستمر حتى أواخر الربيع ثم ينضب، إذا عرفنا ذلك عرفنا شغف الشاعر ببلاده إلى حد جعل عنده شبه النهر فيها يفوق بمحاسنه الفرات و النيل.

على أن من أصدق ما في هذه الأبيات، قوله:

واد سقته المعصرات و أمطرت فيه الهتان المرزمات سيولا

فتدفق وادي الحجير إنما يكون إذا سقته المعصرات، و أمطرت فيه المرزمات.

و الشيخ محمد على خاتون هو مع غيره حصيله النهضة الشعريه الجديده التي تمخضت عنها البلاد بعد انجلاء غمه الجزار و زوال ذاك الكابوس المخيف الذي لم يبق و لم يذر، و الذي قضى على المدارس و المعاهد و عطل فيما عطل الدراسات و شرد العلماء و غير العلماء.

الشيخ صليبي الواكد

(٢) و في هذا القرن يبرز الشيخ صليبي الواكد المعروف بأبي واكد الذي ينتمي إلى أسرته حمد نفسها و الذي كان يسكن في قرية قانا.

و من المؤسف أنه لم يصلنا من شعر أبي واكد إلا القليل، بل ما دون القليل، و هو كل ما عثر عليه في بعض المجاميع الخطيه القديمه، و لا شك أن لهذا الشاعر شعرا كثيرا ذهبت به الأيام. و ما وصلنا من شعره يمثل فنا لطيفا من فنون الشعر هو فن (الإخوانيات) و لكنه إلى ذلك يدلنا على الكثير من العادات و الأوضاع و الصلوات التي كانت تسود المجتمع العاملي.

عاش هذا الشاعر في عصر حمد المحمود المعروف بحمد البيك (٣) و المكنى بأبي فدم و الذي كانت تبين له مقرا. و أرسل حمد البيك في أحد الأيام إلى قريبه أبي واكد أجراس أسبر ليضعها عند الصائغ (مخول) في قانا فلما تمت

ص: ١٢٥

١- راجع ترجمته في الصفحه ١٠ من المجلد العاشر.

٢- راجع ترجمته في الصفحه ٣٩٠ من المجلد السابع.

٣- هو حفيد الشيخ محمود النصار المعروف بأبي حمد، الذي كان تابعا لأخيه الشيخ ناصيف النصار و قد قتل في حياته و من أجله.

و أرسلها إلى حمد البيك لم يستحسنها لضعف أصواتها و خمود حسها فارجعها إليه ثانيا ليعطيها إلى الصائغ و يحسن أصواتها.
فلما تمت كما أراد حمد البيك أرسلها إليه و أرسل معها هذه الأبيات:

أفدى أبا فدمع إذ ظل يعذلنى من حيث أحمد حظى صوت أجراسى

لا تعجبن لذا و أعجب لثانيه أن ليس يلحق بالأجراس أنفاسى

هل ينكر (البيك) أعلى الله رتبته سواد حظى و ما يأتيه أنحاسى

لو أن فى جرسى القانون يردفه "مخارق" بفنون الأوج و الراسى

بنغمه الناي و السنطير ملحقه به النواقيس و الصهباء فى الكاسى

لأسمع الحظ منى كل مستمع صوت الذبابه قد طنت على الرأس

فكيف بى و هو حظى كلما رفعت يدى بشأن تولاهما بانكاسى

فالآن وافتك أجراس مطنطنه تحكى النواقيس فى راحات شماس

قد أتقن الصنع منها عارف فطن بصنعه خير حداد و نحاس

فان تجدها كما تبغى صناعتها فذاك من طالع الحداد فى الناس

و إن تكن تشبه الأولى فذلك من حظى الذى قد رمى دوما باتعاسى

فالمدح فى صنعها أمسى لصانعه و الدم لى و الكلام القارس القاسى

يقول لله "مخول" و صنعه كأنها ذهب قد صبغ فى ماس

أو لا يقال (صليبي) تهاون فى حسن الصياغه فهو الطاعم الكاسى

ينال "مخول" فيها المدح إن حسنت أو لا "أبو واكد" فى الدم و الياس

و الدلاله البارزه فى هذا الشاعر هو أن الثقافه الأديبه كانت فى جبل عامل شامله أناسا من جميع الطبقات، و إذا كنا قد رأينا أن من مروا معنا فيما تقدم و من سياتون، هم من خريجى الدراسات الفقهييه فى المدارس المنتشره فى الجبل، أو ممن طمحووا إلى الأفضل فانتقلوا إلى النجف، فان ما يبدو من مظاهر ثقافه هذا الشاعر يدل على أن هذه الثقافه ليست فطريه بل هى نتيجة اطلاع و درس و تتبع و فى ذلك ما يرشدنا إلى ما فعلته تلك المدارس من اجتذاب رجال من مختلف الطبقات، و إعدادهم إما للعلم أو للشعر و الأدب، و فى الشيخ صليبي الواكد أفضل مثال.

و إذا كان لكل واحد من الشعراء العاملين مواضيعه و أسلوبه، فاننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك أن هناك قاسما مشتركا كان يجمع بينهم جميعا، هو أنه مهما كانت اتجاهات الشاعر، فإنه سيلتقى حتما مع غيره من شعراء عصره و ما قبل عصره و ما بعد عصره في نقطه معينه هي مدح على بن أبي طالب و أهل البيت (ع). و هذا ما نراه هنا في شعر صليبي الواكد الذي أقام في قريه قانا لم يبرحها، و إذا كان قد برحها فربما إلى تبين أو صور ليس إلا.

و هكذا فإنه لا يتخلف عن النظم في هذا الموضوع لا الشاعر الفقيه سليل الفقهاء و لا الشاعر الوجيه سليل الوجهاء، و ها هو أبو واكد يقول من أبيات:

يا آل بيت محمد لى فيكم أمل إذا نصب الصراط أجوز

أنتم نجاتي فى المعاد و عدتى و بكم إذا وضع الحساب أفوز

و هكذا يلتقى فى (آل بيت محمد) كل الشعراء العاملين على اختلاف ميولهم و مواضيعهم.

و لا يفوتنا أن نشير هنا إلى أنه إذا كان لقب الشيخ قد أطلق على من رأينا من الشعراء كما أطلق على الشيخ صليبي الواكد، فان هذا اللقب لا يدل على صفه واحده فيهما، فان الأولين قد نالوه لأنهم رجال فقه و دين. أما أبو واكد فلأن أسرته الوجيه كانت حتى ذلك الوقت تلقب بهذا اللقب تدليلا على وجاهتها، و أول تحول فى اللقب جرى فى هذه الأسره كان ما جرى على عهد حمد المحمود قريب شاعرنا الواكد و معاصره. فهو أول من استبدل لقب البيك بلقب الشيخ، و ظل غيره من أقاربه المعاصرين يحملون اللقب القديم، و لذلك كان يطلق عليه أكثر الأحيان اسم (حمد البيك) كما أنه أول من اقتدى بالسلطان محمود فخلع الملابس القديمه و فى مقدمتها العمامه و لبس الطربوش و الملابس الأورويه الحديثه.

و فى شعر الشيخ صليبي ما يدل على بعض الأحداث فى زمانه، فقد أدركنا نحن فى مطالع حياتنا الصله الوثيقه بين جبل عامل و حوران، فقد كان إدبار المواسم الزراعيه فى جبل عامل يحمل العاملين على النزوح خلال الصيف إلى حوران، كما أن إدبارها فى حوران كان يحمل الحورانيين على النزوح إلى جبل عامل. و الفرق بين النزوحين كان فى أن العاملين كانوا ينزحون أفرادا للعمل فى موسم الحصاد. أما الحورانيون فكانوا ينزحون بأسرهم و أنعامهم، لأن فى إدبار الموسم الشتوى فى جبل عامل تبقى المواسم الصيفيه و كرم التين و العنب، أما فى حوران فقد كان الادبار معناه فقدان كل شىء لأنه لا أشجار مثمره فى حوران. و بالرغم من أن هذا التبادل فى الادبار و الإقبال كان يقتضى المؤاخاه و رفع الأضغان فقد كان على العكس من ذلك كثيرا ما يؤدى إلى التصارع و التقاتل. و يبدو أن شيئا من هذا قد حدث فى عصر أبى واكد و أن حدوثه كان فى حوران خلال النزوح العاملى فاغاظ ذلك شاعرنا فقال هاجيا حوران مشاركا فى المعركه بشعره من بعيد، مستغلا الصفه البركانيه السوداء لأحجار بيوت حوران:

أسائلهم لمن (حوران) تعزى فقالوا للذئاب و للكلاب

مرابعهم كلون القار سود و دورهم على جرف الخراب

فلم تسمع بها إلا نباحا و لم تبصر بها غير الذباب

و لا تلقى بها إلا كلابا و لا تلقى بها غير التراب

و كم آوى لنا منها جياح فتقرى بالطعام و بالشراب

و يغفر الله لشاعرنا هذا الهجاء المرير، و إذا كنا نجيز لأنفسنا نقله اليوم فلأن الماضي قد مضى بكل أحداثه فلا نزوح عاملى إلى حوران، و لا نزوح حورانى إلى جبل عامل، و قد تبدلت الدنيا، لذلك فنحن حين ننقل هذا الشعر لن نهيج شرا و لن نثير حدثا. و إنما نبسط لونا طريفا من ألوان الحياه فى هذه البلاد، و قد كان يستطيع أى حورانى أن يرد على الشيخ صليبي هجاءه و يقول له: و نحن أيضا كم آوينا منكم غربيا، و كم أعملنا عاطلا، و كم قرينا نازحا... و أن الذباب فى دياركم ليموج موجه فى ديارنا، و التراب بين بيوتكم يتراكم مثله بين بيوتنا، و الذئاب تعوى بدياركم عويها فى برارينا، و الكلاب الشارده تسرح خلال منازلكم سرحها خلال منازلنا. و الفرق بيننا و بينكم أن بلادكم أنجبت شاعرا استطاع أن يهجوننا، و بلادنا لم تصل إلى ذلك.

و لعل فى هذا الشعر ما يمكن أن يكون استمرارا للتهاجى العربى القديم بين القبائل مما كان يجعل الشاعر لسان قبيلته، و يجعل القبيله معتزه بشاعرها حفيه به، و ما يعيد إلى أذهاننا أمثال:

فغض الطرف أنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

فلو وضعت ثياب بنى نمير على خبث الحديد إذا لذابا

و أمثال:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا و لو سلكت سبل المكارم ضلت

السياسة من حال إلى حال

فى هذه الفترات كانت الأحوال السياسيه فى الجبل تتحول من حال إلى حال، ثم من هذا الحال إلى حال آخر، كانت جيوش إبراهيم باشا قد دخلت البلاد، و كان الأمير بشير حليف الفاتحين، فضماموا إليه فيما ضموا (جبل عامل) و كانت له ثارات على العاملين و كان يحقد عليهم كل الحقد فزال عن الجبل ما كان له من تميز خاص و غدا تابعا لا سلطه لأمرائه، و لا سياده لأهله، و تطور الحكم الجديد فغدا قاسيا عنيفا حاقدًا، و مضى بلا خبره له فى حقائق الأمور فلم يحسن معالجتها، و قامت ثوره حسين بك الشيب، و أخوه محمد على بك الشيب سنة ١٨٣٦ م متحديه الحكم البشيري و من ورائه الحكم الابراهيمى و استطاعت أن تحقق نجاحا أول الأمر، ثم توارى زعيمها و انتهى أمرها على أسوأ حال. فعانت البلاد ضغطا فظيعا، و قاست بلاء شديدا. و كان فيها مجموعه من الشعراء المجيدين، و لكننا لا نسمع لهم صوتا يدل على أنهم تبنا شكوى الجبل و حملوا أحاسيسه.

موقف الشعراء؟

ما ذا؟.. اخلوا رسالتهم الشعريه و انفضوا عن مجتمعهم الجريح غير مبالين بما يتعالى من أنين فيه، و غير مساهمين بما يتلظى فيه من حماسه مكبوتة؟ الواقع أنه ليس فى أيدينا من شعر تلك الفترة ما يدل على أن شعراءها قد شاركوا فى شىء من شجون الجبل، أو أنهم كانوا صدى لما يعتمل فى نفوس أبنائه.. فما ذا يعنى ذلك؟ أن أول ما يتبادر إلى الذهن أن الشعراء ليسوا من رجال الشدائد، و لا هم ممن يجازف فى نغمه عارمه ربما عادت على أصحابها بالشر العميم. و لذلك آثروا السكوت و الانزواء.

و لكننا نلاحظ فى نفس الوقت أن لا شعر لهم فى الحكام الجدد، و أن ليس فى أيدينا ما يدل على نوع الصله التى كانت تربط هؤلاء بهؤلاء، و يكفى ذلك لأن نحمد للشعراء موقفهم، فهم إذا كانوا لم يساهموا فى النغمه بشعرهم فإنهم لم يتملقوا الحاكمين ليكسبوا المال على حساب ظلم شعبهم و اهتضام جبلهم، ليس فى أيدينا شعر يدل على مدائح سطرت فى الثناء على السلطات الجديده.

و هكذا نجد أننا نفتقد كلا النوعين من الشعر شعر الثوره و شعر الخنوع..

فعلى أى شىء يدل ذلك..

لعل الشعراء قد شاركوا فى النغمه بشعرهم، و لكن ظل هذا الشعر همسا لا يتعدى الجدران الخصوصيه، ثم تمزق لطول ما استخفى.

و لكي نكون منصفين نقول أيضا: و لعل الشعراء لم يكونوا ثائرين، بل كانوا في الصف الآخر يتملقون الحاكمين، ثم لما انطوى علم هؤلاء و فاز خصومهم أخفى الشعراء شعرهم و أضاعوه.

من المؤسف أن لا يصلنا شعر يرجح أحد الرأيين، و من الأكثر أسفا أن لا تحوى مجاميعنا شعرا كان يمكن أن يكون - لو وجد - من أغنى الشعر و أكثره لذه و جدوى.

حمد المحمود

(١) كان زعيم الجبل يوم ذاك حمد البيك أو حمد المحمود و هو رجل من أنبغ من أنجبت أسرته. كان فارسا مقداما، و كان أديبا شاعرا. و تلقى حمد الحكم الابراهيمى الجديد باسى عميق، لقد أفقده سلطته، و غدا ظلا لا حول له و لا طول. و رأى فشل ثوره الشيبين فأثر الصبر، و لما لاحت له الفرصه ذهب يغتمها، فقد أقبلت الجيوش العثمانيه تطارد المصريين و وصلت طلائعها إلى حلب، و تحرك الأسطول الانكليزى بجبروته فى البحر المتوسط، فاستصرخ حمد قومه فلبوه و زحف بهم ليلاقى الأمير مجيد الشهابى على جسر القاقعيه فيهزمه و يمضى حيث يلتقى بالجيوش العثمانيه فى حمص و يخوض معها معاركها كلها على المصريين، و يعجب به القائد التركى عزت باشا فيعيه حاكما على جبل عامل و يطلب إليه أن يطارد المصريين فى قلب الجبل و أن يتقدم إلى فلسطين، و يمضى حمد لما أودع إليه، فيلتقى بجهوش إبراهيم باشا فى سهل رميش ثم فى وادى الحبيس ثم فى صميم فلسطين فى شفا عمرو، ثم يحتل صفد و يمضى فيستولى بعدها على طبريه و عكه و الناصره و غيرها.

هنا فى ساعات النصر يبرز الشعراء ملتفين حول حمد، مندفعين فى تهنئته و الإشاده بانتصاراته و التغنى بامجاد الجبل. و حمد - كما قلنا - إلى جانب مكانته، كان شاعرا. فاجتمع للشعراء: أمير تشوقه المدائح، و شاعر يفهم ما يقولون، و أمجاد مغريه بالمدح. فالتقى فى قصر حمد مجموعه من الشعراء لم يلتق مثلها إلا فى قصور الملوك السالفين.

و يخيل إليك و أنت تراجع شعر تلك الفتره أن حياه مصغره لسيف الدوله الحمدانى قد انبعثت فى الجبل.. و إذا كانت مدائح شعراء سيف الدوله تظل غير ممجوجه لأنها فى جوهرها إشاده بانتصاراته على الروم، و تغن بالوقائع العسكريه العربيه، و ملاحم شعريه رائعه فكذلك هى مدائح شعراء حمد المحمود الوائلى، و كما كان سيف الدوله شاعرا ذواقه فكذلك كان حمد، و كما كان الأول فارسا مقداما فكذلك كان الثانى... و إذا كان ما بقى من أوراق تلك الفتره لم يسجل لنا مقادير العطايا، كما سجلها عصر سيف الدوله، فلا شك أن عطايا حمد كانت غير قليله، لا سيما و قد أصبح الحاكم المطلق فى البلاد، منصوبا من الدوله التى قدرت له موقفه فأطلقت يده فى الجبل، و ككل حاكم مطلق ينطلق فى اجتناء أكثر ما يستطيع من المكاسب، انطلق حمد، فكان المال موفورا، و اليد مبسوطه. فازدهر الشعر ازدهارا يعز مثيله و شهد جبل عامل عصرا ذهبيا للشعر.

و إذا كنا قد عرفنا الكثير من وقائع حمد، فاننا لم نعرف الكثير من شعره، فلم يكن يعنى - على ما يبدو - بتدوين شعره، لأنه كان فى شاغل عنه، شأنه فى ذلك شأن سيف الدوله الذى لم يصلنا إلا القليل من شعره.

و كل ما لدى الآن و أنا أكتب هذا الكلام من شعر حمد هذان البيتان الغزليان اللذان قالت مجله العرفان إن محمود باشا الشلبى رواهما لشيب باشا الأسعد و أنه وجدهما فى مجموع مخطوط: (٢)

- ١- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٣٠ و ما بعدها من المجلد السادس.
- ٢- الجزء الأول من المجلد الثامن من مجله العرفان الصفحه ٦٧.

حضرت فكننت فى بصرى مقيما و غبت فكننت فى وسط الفؤاد

و ما شطت بنا دار و لكن نقلت من السواد إلى السواد

و حسبهما دلالة على شاعريه صاحبهما.

تبين

و كانت (تبين) قاعده حكمه، و فيها ملتمى وفاده، و كان قد جدد بناء قلعتها، هذه القلعه التى شهدت أزهى أمجادها أيام سلفه الشيخ ناصيف النصر، ثم حال الزمن بعد استشهاد ناصيف و زالت عن مكانتها حتى أتاها حمد فأعلى بنيانها و أعاد رونقها و جعلها قصرا منيفا هو أشبه ما يكون بالبلاط الملكى برجاله و شعرائه و بطشه و اعتداده.

و كان للشعر نصيب فى تجديد القلعه إذ أشار الشعر إلى ماضيها و أرخ تجديدها فى أبيات وجدت فى بعض المخطوطات العامليه دون أن يعرف ناظمها، و هى مثال لشعر التاريخ فى ذلك العصر، جاء فيها:

حصن تبين رفيع شامخ شاده بالعز غوث المسلمين

ذاك ناصيف ملاذ الملتجى مأمن الخائف غيث المعتمين

و به نالت فخارا عامل ذكره باق لها فى الآخرين

ما الذى حل بها من بعده و دهاها من فعال الجائرين

جدد اليوم لها الفخر فتى عود السيف على قطع الوتين

داره البدر لقد جددتها (حمد) القوم لأمن الخائفين

مربعا للعز قد شاد لنا ناصر الإسلام غوث العالمين

يا لها من قلعه "تاريخها تبين برج السعد حصن المؤمنين"

لون من الشعر

و شعر التاريخ هو فى الأغلب متكلف غير مطبوع، و قد زاد على ذلك بيت التاريخ فى هذه القطعه أنه جاء خارجا عن الوزن بزياده "ألباء و النون" فى كلمه (تبين)، و ذلك ليستقيم التاريخ فىأتى مطابقا لسنة البناء ١٢٥٨ هجرية. و نحن حين ننشر هذه القطعه إنما ندل على فن من فنون الشعر كان مما تعاطاه شعراء حمد، و نقدم نموذجا من اللون الشعرى فى ذلك العهد كما نستخلص منه المراره التى ظل يحسها العامليون طوال العهود مما جناه أحمد باشا الجزائر على بلادهم، و كان منه تهديم القلعه و استشهاد صاحبها، على يد من وصفهم الشاعر "بالجائرين". و لذلك لم يستطع الشاعر المؤرخ، و هو يبتهج بتجديد القلعه و

يهنى مجددها إلا أن يتذكر ما نال بلاده و منها القلعه من الجور، و إلا أن يشير إلى ما كانت عليه بلاده من المنعه و الاعتزاز قبل ذلك، فأصر على أن يقرن إشاده ناصيف لها بكلمه " العز " ثم على أن يشير إلى الصفه البارزه فى حمد و هى " قطع الوتين بالسيف " .

و الأبيات بمجموعها ترينا الروح التى كانت سائده فى " بلاط " حمد من تباه بالماضى. تباه ممزوج بالحسره على ما عاد إليه ذلك الماضى، ثم عوده إلى التباهى بالحاضر الذى يجدد ما انهدم من الحصون، و يجرى ما انعمد من السيوف.

طرائق الشعر فى هذا العصر

و ليست هذه الأبيات وحدها هى التى ترينا ذلك بل أن الكثير من الشعر الذى نظم يوم ذاك يرينا عين الأمر، و يرينا كيف أصبحت تبين مرمى الأبصار، و منتج الآمال، فهذا الشيخ صليبي الواكد شاعرنا الذى مر ذكره يرسل إلى حمد أبياتا هى فى الواقع الصورة الواضحه لاحساس الناس و مظاهر الحياه، بعد أن امتشق الجبل السيف و خاض المعارك و انتصر، و بنى حاكمه أمره على القوه العسكريه و السلاح الحربى، فغدا ذلك هو موضوع المدح، و هو المآثر التى تذكر للممدوح.

جد المسير إلى (تبين) تلق بها شهما إلى ذروه العيوق مرقاه

قد أصبحت من نداء روضه و غدت حصنا مكينا و عين الله ترعاه

ربيعها (حمد) المنهل من يده غيث لو الزمن استسقاءه رواه

مولى له خضعت هام الملوك و قد ساس الأمور فاضحت طوع يميناه

ليث برائنه البيض الرقاق و من يلقي الألوف فتخشى هول لقياه

فأسلم بعز و مجد غير منقطع مليك فضل و شكر من رعاياه

فالحديث فى هذا الشعر هو عن (الحصن المكين) و (خضوع هام الملوك) و (البيض الرقاق) و (لقيام الألوف) و (إقامه عمود المجد).

مضافا إلى الحديث عن (الندى) الذى لا بد منه لمن كانت له مثل هذه المواقف. ثم ذكر كلمه (مليك) فى آخر الأبيات موصوفا بها (حمد).

هذى هى روح شعر المدح فى معظم شعراء حمد كما سنرى فيما بعد، و هذه مظاهر الشعور فى ذلك العهد.

على أننا لا بد لنا من التساؤل عن الحقيقه فيما جاء فى البيت الأخير من (شكر الرعايا) لهذا المليك.

و الحقيقه التى لا شك فيها أن حمدا قد استحق أول الأمر شكر (الرعايا) فعلا، بما حققه لهم من إزاحه ذلك الكابوس الذى

سامهم من الضيم ما لم يتعودوا... و لكن إلى متى استمر ذلك الشكر..؟

حركة شعبية

هذا ما تجيب عليه الأحداث التي توالى بعد ذلك، فيبدو أن حمدا، وقد انتصر فيما أقدم عليه، ثم تعزز بتعيين الدوله له حاكما مطلقا على الجبل ووقوفها من ورائه تسنده و تؤيده ثم بالتفاف الناس حوله و ابتهاجهم بما فعل.

يبدو أن حمدا و قد حاز كل ذلك، راح ينطلق فيما يجر إليه هذا التفرد بالسلطه و التملك للقوه، فمال إلى الطغيان و الاستهتار بالشعب و العبث فيه. و يبدو أن الشعب أو (الرعايا) كما عبر عنهم أبو واكد لم يتحملوا ذلك، كما يبدو أن الحمله المصريه بما رافقها من تنبه الشعور العام و ما صاحبها من تغلغل أفكار جديده و أساليب حديثه لم يكن للبلاد عهد بها من قبل، يبدو أن ذلك قد ساعد على عدم التحمل، فقامت حركة شعبيه هي الأولى من نوعها فى جبل عامل تنادى بالتخلص مما يجرى، و تجمع الناس بقياده الحاج قاسم الزين و ألفوا وفدا ضخما قصد إلى بيروت و حملوا معهم دلائل من الزروع المتلوفه بفعل إقدام الصيادين من الحكام و قابلوا والى ولايه الشام الذى كان قد حضر إلى بيروت و شكوا له ما يلقي الناس من المتسلطين. و يورد أحد المؤرخين العاملين شكواهم بهذه العبارات: "شكوا لوالى الشام حينما حضر إلى بيروت من حمد البيك و قالوا إن العشائر و على رأسهم حمد البيك فضلا عن ظلمهم و تعديهم على الفقراء و الفلاحين قد أتلفوا المزروعات بالصيد و القنص. و حملوا معهم شيئا من الزرع المتلف و أروا الوالى إياه".

ص: ١٢٨

نجاح الحركة

هذه العبارة التي أوردها المؤرخ العاملي ترينا الموقف على حقيقته، و يبدو أن الوالى كان على شىء من الخير و الإنصاف، أو أن الدولة قد أرادت كبح جماح حمد بعد أن رأت إدلاله عليها، أو أن الأمرين اجتماعا معا، فاصدر الوالى أمرا بعزل حمد من حاكميه جبل عامل. و اختير لها رجل من الشعب من بلده النبطيه هو الشيخ حسين مروه، و لكن يبدو أن الاختيار لم يكن موفقا، إما لأن الرجل لم يكن كفتا فطغى رجاله بدون علمه كما طغى السابقون، أو لأن السلطه مغريه للجميع حامله لهم على الطغيان فطغى هو نفسه، فلم تتحقق أمانى الشعب.

و لم يصبر حمد على الأمر طويلا و استطاع العوده إلى منصبه بعد ستة شهور من عزله و رجع إلى البلاد بموكب حافل زاخر.

و يبدو أن من عوامل نجاح هذه الحركة هو تدخل الحاج قاسم الزين و توليه التحريض ثم قياده المحتجين إلى مقابله الوالى. و قد يظهر غريبا أن يشارك الحاج قاسم الزين فى مثل هذا التحريض فى حين أنه ليس ممن يمكن أن ينالهم أذى حمد، بل يمكن عده من المتسلطين. و لكن الغرابه تزول إذا عرفنا أن ذلك إنما كان لأن نزاعا قام بين آل الزين و بين حمد بسبب الشيخ على زيدان، و يروى صاحب (جواهر الحكم) قصه هذا النزاع بما يلى: "إن هذا الشيخ - على زيدان - كانت بينه و بين بيت الزين اختلافات على أراضى و أملاك و اتصلت لولاه الأمر و حصل التشكى على أمير جبل عامل حمد البيك بسبب أنه منع بيت الزين عن الشيخ".

موقف الشعراء

هذه الحركة الشعبيه التى استطاعت أن ترزعزع زعيما عريقا و حاكما مستطيلا. و التى كان باعثها التوق إلى الحريه و العدل، و النقمه على الاستبداد و الظلم، و التى نظمت تنظيميا دقيقا بحيث تجرأت على التجمع و إعلان السخط، ثم على تأليف الوفد و إحكام الخطه، ثم الفوز بما أرادت. هذه الحركة الشعبيه لا نجد فيها للشعراء أى موقف. فقد غابوا عنها و صمتوا صمتا كاملا. و ليس فيما وصلنا من الشعر أى شىء يدل على أن الشعراء شاركوا الشعب نقمته، و ساهموا فى احتجاجه. و هذا غير عجيب ما داموا هم فى الأصل شعراء حمد لا شعراء الشعب.

على أننا نجد فى شعر أحدهم الشيخ حبيب الكاظمى الذى كان من أكثرهم التصاقا بحمد، و من أعظمهم موده عنده - نجد فى شعره قصيده تدل على أن حمدا كان غاضبا عليه، و إنه نظمها استرضاء له و استعطافا، بل طلبا للعفو:

إن كانت العتبي تقدم لى بها ذنب فان العفو عين ورود

فما هو الذنب الذى أذى ارتكابه إلى أن يستحق غضبا يطالب بعده بالعفو.

و نحن نعلم أن صله الكاظمى بحمد تعود إلى أيام خمولى الأخير على حد تعبير الشيخ محمد مغنيه فى كتابه (جواهر الحكم)، و أنه لذلك قربه كل تقريب بعد نباهه أمره و انتصاراته و توليه الحكم فلما ذا غضب عليه بعد هذا؟ أ يمكن أن يكون ذلك لأن الشاعر ماشى خصوم حمد؟ إن صح هذا الأمر فاننا لا نحسب أن الكاظمى قد غامر بمماشاه الحركة الشعبيه، بل ربما كان قد اعتقد بأقول نجم حمد أفولا نهائيا فماشى الحاكم الجديد، ثم انتهى الأمر على غير ما اعتقد.

و عدا هذه اللمحه فى شعر الكاظمى فانا لا نلمح أى شىء فى شعر غيره و سنتحدث بعد عن الكاظمى حديثا آخر.

الشيخ على مروه

(١) من شعراء عصر حمد المحمود، الشيخ على مروه. و هو من الشعراء الذين كان لهم بحمد المحمود أوثق الصلات و ممن ساهم فى الحديث عن انتصاراته و وقائعه و سجل ذلك فى ديوانه المخطوط. و قدم لإحدى قصائده بقوله: "قلت أمدح الشيخ حمد سنه ١٢٥٦ حين توجه إلى فتح بلاد صنفد و عكا و محاربه الدوله المصريه". فهو يحدد لنا بذلك تاريخ القصيده و سبب نظمها. ثم إن فى تلقيبه حمدا بلقب الشيخ دون لقب "البيك" دليلا على أن العامليين لم يكونوا قد استساغوا بعد اللقب الأعجمى الجديد و أنهم ظلوا يؤثرون عليه اللقب العربى القديم. و يبدأ قصيدته بالحديث عن راحلته التى أقلته إلى ممدوحه:

باتت على مضض السرى سهدا مشغوفه فى سيرها أمددا

و بعد أن يسترسل بذلك فى أربعة أبيات يصف فيها الراحله و الجو و الأفق يقول:

حتى أتت أم القرى و رأته فى ربعها ليث الثرى حمدا

و أم القرى المقصوده هنا هى (تبنين).

و بعد أن يتحدث عن أسلاف حمد و أنه ورث عنهم (العليا) يعود إلى مخاطبه حمد نفسه:

و أقمت من أمر (النظام) بها ما كان من معوجه فسدا

يا من بنى المجد الأثيل على رغم العدى فاستظهروا حسدا

فخرت بك الشامات و ابتهجت لما جلوت عن القلوب صدا

فهو هنا يسير على النهج الذى غلب على شعراء حمد المحمود، و الذى شقته لهم الظروف العسكريه و العوامل الحربيه التى رافقت حياه حمد. فحمد فى هذا الشعر ليس مفخرا لجبل عامل وحده، و لا الجبل وحده هو الذى بتهج [يتهج] بما فعل حمد، بل إن الشامات كلها هى الفخوره المبتهجه. و من الطبيعى أن يقول الشاعر هذا القول لأن الذى عمله حمد لم تكن نتائجه مقتصره على الجبل وحده، فالثوره على الحكم "الابراهيمى" كانت عامه و النقمه كانت شامله. ثم يحدد الشاعر العوامل التى أدت إلى هذا الافتخار و الابتهاج بأنها كانت فى تقويم اعوجاج النظام الذى كان قد فسد.

النظام

و نحن مضطرون للوقوف عند كلمه (النظام) وقفه قصيره فقد وردت هذه الكلمه فى شعر شاعر آخر من شعراء حمد و هو يتحدث عن نفس الأحداث - وردت بمعنى الجيش النظامى تمييزا له عن الجيش الشعبى و المتطوعين.

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٢٠٢ و ما بعدها من المجلد الثامن.

فقد قال الشيخ حبيب الكاظمي في حمد نفسه:

برميش كيف أوطات العدى ضمير الخيل فنكست (النظاما)

فهل "النظام" الذى كان قد أعوج وفسد فى رأى الشيخ على مروه ثم أصلحه و قومه حمد المحمود هو الجيش النظامى كما قصد بذلك الشاعر الكاظمى أم هو النظام العام للحكم؟ الأ-غلب أن المقصود هنا هو نظام الحكم، و أن كلا- من الشعارين استعمل كلمه (النظام) فى معنى غير الذى استعمله فيه الآخر.

و أيا كان مقصود الشاعر فاننا نلمح هنا شيئا جديدا فى شعر شعراء هذه الفتره من التحدث عن الأمور العامه فى معرض المدح و ربط مصائر جبلهم بمصائر البلاد الشاميه، و الإشاره إلى "الفساد" و تقويم الاعوجاج مما لا عهد لنا به فى شعر الفترات السابقه.

و لا- شك أن هذا كله ناتج عن تنبه الأذهان بما حركته الحمله المصريه فى النفوس و ما أتت به من آراء جديده و تصرفات حديثه لم تكن معهوده من قبل.

و سواء كانت الثوره على الحكم الابراهيمى ثوره ظالمه أو كانت محقه، فاننا لا نستطيع أن نسلم مع الشاعر بان "النظام" كان قبل الحمله المصريه صالحا، و إنه عاد بعدها أكثر صلاحا.

صوره عن البلاط الحمدانى

و بعد الأبيات المتقدمه يخص الشاعر ممدوحه بيتين من الثناء الشخصى التقليدى فلا حاتم مثله و لا الأحنف، ثم ينتقل إلى اللون الجديد من المدح المرتكز على العمل العسكري و الانتصارات الحربيه:

لم يبغه أحد ينازله إلا موارد حتفه وردا

فهنا منازلته تنتهى بموت العدو، و قد انتهت بذلك فعلا و لا بد من تعداد المعارك التى خاضها حمد، و نازل فيها عدوه:

فاسال (رمىشا) حين باكرها بالغاره الشعوا و سل (صفدا)

و اسال بروجاً زلزلت و هوت من (عكه) لما أن احتشدا

خرت له فى الحال ساجده و السور تعظيما له سجدا

و النصر و افاه (بناصره) و انحل ما القاضى بها عقدا

خابت مساعيه و مامله إذ لم يصب من أمره رشدا

أمست أنوف القوم مرغمه مذ أنجز الإقبال ما وعدا

نحن نحس هنا أننا أمام شاعر من شعراء سيف الدولة يتحدث عن معاركه و منازلها و وقائعه و أماكنها. و يتمدح بانتصاراته و هزيمه عدوه. و يحدد لنا خطه سير البطل. فمن سهل (رميش) حيث وقعت وقعه جلى ثبتت إقدام الممدوح، إلى اجتياز حدود الجبل نحو فلسطين حيث سلمت (صفد) ثم مواصلة الزحف إلى (عكه) حيث استقبلت الزاحفين ببروجها و لكن البروج زلزلت و هوت أمام الحشد العاملى المتقدم، و سجدت و سجد معها السور الشهير الذى رد نابليون خاسرا، سجدت مع سورها تعظيما للمنتصرين و يا له من سجود ذليل..

ثم التقدم من (عكه) إلى مدينة الناصره، فمن نصر إلى نصر.. و هنا يشير الشاعر إلى حديث نجهل تفاصيله، و لا بد أن قاضى الناصره قد دبر أمرا للإفساد تقدم الفاتحين، و لكن الفاتحين حلوا ما عقده، و أكملوا خطواتهم إلى الإمام. و هنا تكون المهمه المعهود تنفيذها إلى حمد قد تمت كلها فليس بعد فلسطين غير الانسحاب (الابراهيمى) التام و عوده الجيوش من حيث أتت. و بذلك تكون أنوف القوم قد رغمت و هل بعد هذا من حديث؟..

هذه صورته مصغره لمشهد من مشاهد البلاط الحمدانى - كما قلت من قبل - تتمثل هنا فى هذا البلاط الصغير، يعرضها لنا، لا شاعر حمد الأول، لا متنبى البلاط الوائلى، بل واحد من شعراء الصف الثانى الذين رأينا أشباههم فى بلاط سيف الدولة. أما متنبى هذا البلاط فلنا أن نقول إنه الشيخ حبيب الكاظمى، و يمكن أن يقال أيضا إنه الشيخ على سببى، و هما ممن سيرد ذكرهما فى الآتى من القول.

الشيخ حبيب الكاظمى

(1) لم يكن هذا الشاعر عاملى الأصل، بل هو من أصل عراقى كاظمى وفد إلى جبل عامل و فيه تفتحت شاعريته و نضجت موهبته و صار واحدا من شعراء عهد حمد المحمود. و كانت حياته ترتكز على الشعر فقد يمدح الأضداد حين يرى أن ذلك أكثر فائده له. و قد تقدم القول أن صلته بحمد كانت قبل أن يتالق نجم حمد، لذلك، رأينا حمدا يدينه إليه بعد أن صار أمره إلى ما صار من التفرد بحكم جبل عامل و السيطرة عليه. و لكن حاله هذه لم تكن دائما مستقره، بل كان يمازجها نفور بينهما يعاتب فيه الشاعر حمدا أحيانا، و يستعطفه أحيانا، و إذا جاز لنا أن نقول إنه كان فى بلاط حمد أشبه بالمتنبى فى بلاط سيف الدولة، جاز لنا أن نقول إن قصيدته النونية فى عتاب حمد تكاد تشبه قصيده المتنبى الميميه فى عتاب سيف الدولة. فيبدو أن نبوه حدثت بينهما سببها كما نفهم من القصيده ما اعتقده الشاعر من إهمال حمد له و عدم تحقيق رغباته، فلم يتورع عن مهاجمه حمد و الثناء على خصمه و قريبه حسين بك السلطان يقول فى مطلعها:

يا (بيك) عند للعتاب لسان فيه لغيرك صارم و سنان

و بعد التعريض بالشعراء الآخرين الذين يفدون إلى حمد فيحسن عطاءهم دون أن يحسنوا الشعر - بزعمه - و كيف أن نصيبه الحرمان:

لهم الغباوه و الفسالة و العطا و الفضل لى و المدح و الحرمان

و بعد أن يسترسل فى ذلك قائلا أمثال هذا:

فأصح ما ألفيت أن وعودكم مثل السراب و مثلى الظمان

تغرى بنا الأوهام فى أطماعها حرصا على الموهوم و هو عيان

فالله يجزى عنكم أوها منا خيرا و جاد شبابها الريعان

ثم يعترف بما فى المدح من غضاضه:

لكم بها حسن الثناء مؤبدا و لنا بهن مذله و هو ان

ثم يلمح إلى ما يبدو أن حمدا قد اعتذر به من اضطراره لمسايره الآخرين معتمدا على صداقه الكاظمى:

و رسمت أن تقربى لك باعث قطعى صدقت و فى النوى الرجحان

فليشكر الرحمن من هو عنكم ناء و يغنى عنكم السلوان

ص: ١٣٠

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٥٤١ من المجلد الرابع.

و هذا كله نلمح فيه مشابهه مما حوته قصيده المتنبي الميميه فى عتاب سيف الدوله - على بعد ما بين الشاعريتين - و نلمح فيه مشابهه من تزامم الشعراء هنا كتراحمهم هناك و يسترسل الكاظمى بهذا و أمثاله إلى أن يصل إلى هذا الاعتراف الطريف:

بعناكم دينا لنشرى منكم دنيا فلا الدنيا و لا الايمان

ثم يوغل فى الاعتراف مقرا أن فيما كان فيه من نظم المديح هو خيانه:

ها جزاء الطامعين بأنهم خانت بهم أو هامهم إذ خانوا

ثم يتعجب من ضياع مثله عند مثل حمد:

و يضيع مثلى عند مثلك إن ذا أمر تضل بمثله الأذهان

و بعد أن يصل إلى هذا الحد يوقن أنه لا- يستطيع أن يعيش دون ممدوح جديد، فيتلفت إلى خصم حمد مشيرا إليه إشاره صريحه، معلنا أن أمله سيتحقق به وحده:

ما شد ضبعى فى الورى إلا الذى قد شق نبعه دوحه سلمان

و كنا قد أشرنا من قبل إلى القصيده التى استعطف بها شاعرنا ممدوحه حمد و طلب عفوه و قلنا أ يمكن أن يكون غضب حمد عليه لأن الشاعر قد ناصر الحركه الشعبيه التى استهدفت حمدا، أو ناصر الحاكم الجديد الذى خلف حمدا؟ و إننا نتساءل هنا: هل كانت قصيده الاستعطف التى أشرنا إليها، نتيجه لغضب حمد من هذه القصيده النونيه؟ أم أن تلك القصيده كانت نتيجه حادث آخر؟..

أكبر الظن أن القصيده الداليه بعيده عن موضوع هذه القصيده و أن تلك كانت نتيجه غضب شديد من حمد على شاعره، غضب مبعثه شىء أهم من هذا العتاب فى هذه القصيده.

و قد جاء فى ترجمه الكاظمى فى (أعيان الشيعه) أبيات ذكر فى تقديمها أنه يمدح بها بعض الأمراء و يعرض بدم غيره. و قد جاء هذا الذم قاسيا عنيفا يدل على قطيعه كامله من الشاعر لهذا الأمير المذموم:

إن كنت و الناس فى الناسوت متحدا فالعود و العود ذا ند و ذا حطب

و بعد عده أبيات فى المدح و التعريض يقول:

لا قرب الله رذلا كله حمق و باعد الله نذلا كله كذب

و هكذا نرى أن الهجاء عاد شتما فظيعا، فمن هو الأمير الذى قيل فيه هذا القول؟ إن الذين رووا هذا الشعر لم يذكروا اسم الأمير المعرض به، فهل يمكن أن يكون هو حمد؟ أ يمكن أن يكون الأمر قد وصل بين حمد و بين شاعره إلى هذا الحد؟.

إن القرائن تدل على ذلك، و إذا صح هذا فإنه لأمر مؤسف حقا أن تصل العلائق بين الرجلين إلى أن يصبح الممدوح القديم مذموما بمثل هذا الدم القبيح، و بذلك تتباعد الفرجه بين متنبى [و] سيف الدولة الذى ظل مقدرًا لأميره ذاكرًا له بالخير، و كل ما وصل إليه معه هو عتاب بسيط و تعريض طفيف، و بين متنبى [و] حمد الذى عاد الآن حمد على لسانه عودًا من الحطب أحرق نذلا كذابا، بعد أن كان:

فى عدل كسرى فى شجاعه رستم فى جود حاتم فى ذكاء لبيد

و هذا البيت من القصيده الداليه التى أشرنا إليها من قبل و التى قالها مستعظفا لحمد مستشفعا لديه بالسيد على الأمين:

و شفيع ذنبى عين آل محمد أعنى عليا كهف كل طريد

فهل يمكن أن تكون الوساطه قد فشلت و لم يفد الاعتذار و الاستعطاف فيئس الشاعر و اشتط بالهجاء و غالى؟.

و فى هذه القصيده يبدو واضحا ما ذكرناه من قبل من أن جوهر المدح فى عصر حمد كان ذكر الوقائع و الحروب و التغنى بالانتصارات و الفتوح:

لمديح من عقد اللواء على الولاء له الزمان و قد مشى بجنود

فى بيض مرهفه و سود وقائع و نفوذ رأى فى الزمان سديد

لم تثنه نار الكفاح عن الندى كلا و لا عن عزمه بصدود

يعطى و يلقى و العداه كأنها وفد العفاه و لات حين وفود

متبسما عند الكفاح و سيفه يذرى العقيق على حدود البيد

فالقصب تر كع بالحنى على الشوى و الهام خاضعه له بسجود

على أنه و بعد وفاه حمد رأينا الشاعر يصبح شاعر ابن أخيه و خليفته على بك الأسعد فيهنئه بتوليه بعد عمه.

الكاظمى و جبل عامل

قلنا إن الكاظمى عراقى الأصل و لكنه استقر فى جبل عامل و تفتحت شاعريته فيه و لا تزال سلالته فيه حتى اليوم كما أن له نسلا فى مصر، و قد كانت تتنابه نوبات قلق و ملل فيصب جام غضبه على جبل عامل هاجيا ناقما فإذا هدا عاد مادحا مثنيا. ثم هو أحيانا بين بين لا يهجو و لا يمدح بل يتشوق إلى العراق و يحن إليه:

أهيل الكرخ لى قلب معنى أسير فى يد الأشواق عانى

أمن حق المروءه أن جعلتم من الأحلام أيام التدانى

أما فى نغمته و غضبه فىنسى كل ما ناله فى جبل عامل من خير و لا يرى إلا الشر فىنطلق فى هجائه صاحبا عنيفا فهو أولا يذم الهجره و يرى أن تركه العراق كان بطرا:

أشكو إلى الله ما لاقيت من زمنى حالا تفرق بين الجفن و الوسن

لفظت عزمى بأطراف النوى بطرا فرحت أطم وجه الريح بالغبن

ثم يشير إلى أن أسوأ ما كان فى تلك الهجره أنها أقرته فى جبل عامل:

حتى استقر النوى فى أرض "عامله" فخيرتنى بين الذل و الشجن

ثم يسترسل فى الغضب و النقمه معددا بعض القرى العامليه التى حل بها متهمكما ساخرا:

كأنما حين قام العيس يصدع بى نشز الآكام و طى المهمه الحزن

كنت المشوق "لقانا" أم "جويه" أم "لدير قانون" لا حيا بها سكنى

ثم يسترسل بالتهكم و السخرية مختارا أبسط المآكل القرويه العامليه لتكون مثلا عن شطف العيش الذى هو فيه:

أ كنت قبل النوى أشتاق "ترمسها" أم قادنى الشوق "للبلوط" و الشعن

أم "للبليه" لا بلت لها غلل أم "بقله الفول" عنها كنت غير غنى

أم كان قد مر بى دهر فعودنى "بربوره" طبخت بالماء و اللبن

أم "للسميد" بلحم النى منجبالا و رب واضع زيت فيه يكرمنى

فهو هنا يسخر من هذه الأفعمه الشعبيه العامليه و يخص بالسخرية (الكبه النيه) متهكما على هذا الذى يرى أن فى وضع الزيت على الكبه إكراما للضيف.

و لعل فى الجيل [الجيل] الحاضر من يجهل بعض هذه المأكولات التى انقرضت فيما انقرض فى القرى، و التى أدركناها نحن و تذوقناها و استطبنا بعضها.

و إذا كنا نسامح شاعرنا على ما فرط فى حق الجيل مقدرين الظروف التى قد تكون هى التى أثارته فانفلت لسانه بما انفلت به. فاننا نود لو استطعنا أن نذكره بان هذه الأفعمه التى تحدث عنها لم تكن حتما هى كل ما تناوله على موائد الجيل، بل نحن على يقين بأنها لم تمر عليه إلا لماما، و إنه إنما تذوقها مستطعلا، و إلا فأين هى موائد حمد البيك و حسين السلطان و تامر السلطان و على الأسعد و السيد محمد الأمين التى كانت و لا شك هى الموائد التى عرفها أكثر مما عرف غيرها، و التى لم تشهد لا الترمس و لا البلوط و لا البليله و لا بقله الفول و لا البربوره.

على أن شاعرنا الذى قال ما قال فى ساعه غضب و نغمه هو نفسه الذى قال غير هذا القول فى غير ساعات الغضب و ساعات النغمه، و هو نفسه الذى يقول عن جباع و مواقعها و مياها:

أبا الفردوس وجدك أم (جباع) و فى كليهما تهوى الخلودا

و لو كنت المخير فى خلودى فعن (جبع) و حقك لن أحيدا

أ أعدل "بالمشارع" ما سواها و قد أخذت على الصفو العهودا

و قد شهدت (برأس العين) عيني غصونا خلقتها حملت عقودا

و بعد أن يثنى على المكان ما شاء له الثناء، يتمم ثناءه ليشمل السكان:

و لا برحت بال (الحر) تسمو دعائم للمكارم لن تميدا

و إننا و نحن ممن يأخذون

بالقول المأثور: الحسنات يذهبن السيئات، نرى أن بيتا واحدا من أبيات هذه القصيده يمحو كل سيئات القصيده السابقه فكيف بحسنات قصيده الأخرى الحائيه الفائقه التى أبرزته على حقيقته حين أرسل نفسه على سجيتها فاطنب ما شاء له الاطناب فى الحنين إلى جبل عامل بعد فراقه له و الثناء على أهله و التغنى ببلبان مما لم يلحقه فيه لاحق. و إننا نورد القصيده كلها كما هى فهى خير دليل على ما طبعت عليه نفس هذا الشاعر من وفاء أصيل و نفس كريمه:

(سامر يلحو و أشواق تلح) هاجها من ظن أن العذل نصح

نهب الصبر ادكارى سرحه عند (لبنان) لها فى القلب سرح

لست أنساها ليال سلفت ألف صبح لى بها و الدهر صلح

و شمس الراح تجلى كلما غاب صبح قام يجلو الكأس صبح

و مغان نقلت عنها الصبا خبر الند و فيه طال شرح

فضضت جيد الربى أزهارها و عليه من سقيط الطل رشح

نقط الطل على أوراقها و له فى الرمل أسقاط و طرح

يغمز الدهر علينا طرفه و بعينه لعين النجم طمح

نحن و الورق اقتسمنا لهونا فلنا شطح و للورقاء صدح

كلنا فى الغصن إلا أننا ما علينا لو نروم الوصل جنح

فإلى كم و منائى عهدا يثبت العزم و كف الحظ تمحو

ليث [ليت] شعرى، و الأمانى سلوه هل لها وصل و هل اللهم نرح

يا أوداى بسفحى "عامل" إن شوقى عامل و الدمع سفح

هل وفى بالعهد من بعدكم مدمع سح و قلب لا يصح

هاكم دمعى فقد أشهدته و له من الخد تعديل و جرح

من لمشتاق لكم من بعدكم (بات ساهى الطرف و الشوق يلح)

فكره تمضى و تأتى فكره (و الدجى إن يمض جنح يأت جنح)

حارب الجفن الكرى ليتهما عرفانى هل يرى للسلم جنح

لا رعانى المجد إن لم يرنى و لخيلى فى ربي (لبنان) سبح

و من (القبلى) من شاطئه خبر المجد و عندى فيه شرح

برجال لم يثنهم لو و لا فيهم يلقى بغير العرض شح

آل (همدان) هم لا غيرهم و كفاهم من أمير النحل مدح

قد أبت إلا المعالي مسلكا و لهم فى متجر الايمان ربح

كم لهم فى الدين من سابقه ساقها أيد من الله و نجح

كلما استنصرها داعى الهدى جاءه نصر من الله و فتح

بين حمد و سيف الدوله

قلت إن بلاط حمد كان أقرب إلى أن يكون بلاطا حمدانيا. و قلت إن متنبى هذا البلاط هو الشيخ حبيب الكاظمى و يمكن أن يقال إنه الشيخ على سببى.

و لكن إذا أخذنا ما كان بين الكاظمى و حمد من ود عريق ثم من عتاب شديد ثم من تنافر عنيف، كانت حياه الكاظمى عند حمد هى الأقرب إلى الشبه بحياه المتنبى عند سيف الدوله. و قد رأينا فيما تقدم صورا من التواصل و التقاطع، و سنرى هنا صوره أوضح للصله الوثيقه بين الرجلين: الأمير و الشاعر، هذه الصوره التى تعيد علينا بعض مشاهد الماضى بين سيف الدوله و شاعره المتغنى بوقائعه، الواصف لمعاركه.

فقد ساق الأقدار حمدا ليكون من بين أسرته مشاركا فى أضخم أحداث عرفها عصره، أحداث مصيريه فى حياه الدوله، و أن تكون مشاركته مشاركه عمليه فعاله، قاد فيها الجيوش و حمل السلاح و قاتل و انتصر.

و هنا يبرز الشبه من جديد بين الأميرين الحمدانى و الوائلى، بعد أن برز الشبه بينهما فى الشاعريه و احتضان الشعراء. ثم يبدو الشبه أكثر بروزا فى تبارى شعراء حمد بوصف معاركه، كتبارى شعراء سيف الدوله فى وصف معاركه. و هنا يبرز متنبى حمد بقصيدته الميميه، التى لا- تطاولها فى قصائد شعراء حمد إلا- قصيده السببى الميميه أيضا. و من هنا كانت حيرتنا فى أى من الشعارين يمكن أن يكون متنبى هذه البلاط.

يبتدى الكاظمى قصيدته ابتداء ضاحكا ممتلئا حورا، و لا بدع فان الفوز كان جديرا بان يوحى بذلك، و يجيء الاستهلال لا مجيئا غزليا، بل مجيئا مستلهما من طبيعه الحياه الجليله العامليه التى لا تشكو شيئا كما تشكو فقدان الماء النابع، و التى لا تبشر بشىء أحلى عندها من أن تبشر بهطول المطر بعد الانجاس. و يختصر الشاعر هذه البشرى بشطر واحد ينتقل بعده رأسا إلى الدعوه للأخذ بما تقتضيه البشرى من البهجه و الانشراح:

بشرت بالمزن أرواح النعامى فأجل لى الكأس على أيدي الندامى

و ليس من الضروري أن تكون هذه الكأس من الراح، و الشاعر ممن لا يشربونها لا هو و لا نداماه، بل يكفي أن تكون كأسا من الشاي في مجلس أتيق. و لا يطيل الشاعر في ذلك بل يمضى مسرعا إلى التمدح بحمد:

و طوى البشر الأمانى إذ وطا (حمد البيك) من الظهر السناما

قد شكا السيف الظما حتى ارتوى و انحنى عود القنا حتى استقاما

واطئ الهام احتكم فيها بما تنصف الحكمة فى البين احتكاما

و دع الحكمة تعطى قسمها للظبي هاما و للتيجان هاما

(برميش) كيف أوطات العدى ضمير الخيل فنكست (النظاما)

إذ لوى "مير اللوا" عنه اللوا و التوى كالظبي يحتل الآجاما

بفلسطين جيوش حشدت قدت بالحزم لها جيشا لهاما

و على الأردن منك انتفضت ردن الموت هجوما و اقتحاما

كم شفى سيفك قلبا موجعا فى (شفا عمرو) و أحيت رماما

و يمضى فى قصيدته على هذا المنوال حتى يختمها بنفس الشطر الذى افتتحها به:

لم يزل ذكرك يعلو كلما بشرت بالمزن أرواح النعامى

الشيخ على سببتي

(1) هذا الرجل من أفذاذ جبل عامل المتميزين. و لم يكن الشعر صفتة الغالبه عليه، بل كان إلى جانب شاعريته على مشاركة طيبه بعلوم اللغة و بالتأريخ.

و وصف فى كتاب (أعيان الشيعة) بأنه: "نحوى بيانى لغوى شاعر كاتب مؤرخ". كما وصف بصفات خلقه أخرى منها أنه مصارع بالحق غير مداهن، و أنه حسن النادره ظريف المعاشره.

لقد كان اتصال السببتي بحمد المحمود ثم بعده بابن أخيه على الأسعد اتصالا وثيقا.

على أن المؤسف أن ليس بين أيدينا من شعره إلا النزر اليسير مما لا يتعدى قطعه من قصيده نظمها استجابة لطلب حمد المحمود فى مدح السلطان عبد المجيد، و أرسلت إليه. نظمت عن لسان حمد نفسه و أدت باسمه لا باسم ناظمها و يمكن أن تكون قد نظمت بعد عزل حمد، و كان نظمها و إرسالها من الوسائل التى توسلها حمد للتقرب من الدوله ليعود إلى ما كان عليه من

الحكم و التسلط كما أنه يمكن أن تكون قد نظمت بعد الانتصار على جند إبراهيم باشا، و قدمت للسلطان تدليلاً على ما قام به حمد و إشاره إلى بلائه في تلك الوقائع. فمما حفظ من تلك القصيده:

لنا يوم "الحبيس" و أى يوم منعنا شوس مصر أن تناما

و قبلا يوم "حمص" لو ترانا أثرنا نقع حرب قد أظاما

نصبنا المجد حتى أن قوما بظل فخارنا ضربوا الخياما

و كم يوم عبوس قمطير عقدنا فوق هامتهم قتاما

سننا كل نعمى فى البرايا باعناق الملوك غدت و ساما

و غبرنا لكسرى أى وجه بعدل مليكنا فسما و سامى

قضى دين المفاجر و المعالى و أيقظ عدله قوما نياما

و لا شك أن هذا الشعر هو من مظاهر الشعر (العسكرى) العاملى الذى بلغ ذروته فى عهد حمد.

على أن الشعر (العسكرى) العاملى قد انتهى بانتهاء شعراء عصر حمد.

و كانت معارك حمد آخر المعارك التى يخوضها العامليون دفاعا عن جبلهم و صيانه لوجودهم. إذ أن الدنيا كانت قد تبدلت.

السيد موسى عباسى

(٢) و على العكس من الشيخ حبيب الكاظمى، الشاعر العراقى الذى عاش فى جبل عامل، فان السيد موسى عباسى شاعر عاملى نشا و عاش فى العراق و توفى بالنجف. و يبدو مما ذكره صاحب (جواهر الحكم) أنه كان يكثر القدوم من العراق إلى الجبل ثم يعود إلى مقره، على ما كان فى هذا الترحال من مشاق. و أن من عوامل تروده إلى الجبل هو ما كان يلقاه فى (بلاط) حمد المحمود من إكرام تعززه مدائحه فى حمد. فقد قال صاحب (جواهر الحكم) ما نصه: "نشا فى العراق و قرأ الدرر و لكن تغلب عليه الشعر. زار أمراء جبل عامل مرارا و رجع إلى العراق و مدحهم باشعار كثيره، و ما قصرورا عن نصرته".

على أنه ليس بأيدينا من مدائحه فيهم إلا ما مدح به حمد المحمود فى قصيده أشرك معه فيها بالمدح أخاه أسعد. و قصيده أخرى، أشرك معه فيها ابن أخيه على الأسعد. و القصيده الأولى نظمها بعد وفاه أسعد، فلم يرد ذكره فيها إلا فى بيت واحد منها، انتقل بعده إلى ذكر ولده على فى بيت آخر، ثم أجمل ذكر الآباء و الأجداد فى عدة أبيات، ثم استرسل فى مدح حمد.

و ماده المدح هنا هى كما قلنا من قبل، و كما ساد فى شعر شعراء عصر حمد - هى: ذكر الحروب و الوقائع و التغنى بالبطولة:

هو ابن أبى الهيجاء مردى كماتها و فارسها المعروف عند التصادم

و لا بد من استناره سجيته الكرم فى الممدوح:

هو الغيث قد عم الأنام مواهبا هو البحر من جدواه فيض الغمام

على أنه يعطى نضارا و عسجدا و ذاك بغير الماء ليس بساجم

و بعد الإشاره إلى العطاء و التصريح بالنضار و العسجد، يعود إلى ما صار الأصل فى موضوع المدائح العامليه، يعود إلى المعارك و ذكر الأبطال و نهب الأرواح و حومه الوغى:

و يا مورد الأبطال فى هوه الردى و يا تارك الأموال غنما لغانم

و يا ناهب الأرواح فى حومه الوغى و يا تارك الأجساد طعم القشاعم

و كم وقع مشهوره لك فى العدى سرى ذكرها فى عربها و الأعاجم

تركت بها الأبطال صرعى على الثرى خواشع أشلاء بغير جماجم

و كما أشرنا فيها تقدم فقد أصبح حمد حاكما على الجبل باراده حكوميه، و أصبح ممثل الدوله فيه، مما لم يكن معروفا من قبل.

و هنا نجد فى هذا الشعر تعريفًا جديدًا لحمد، لم يكن يذكر فى مدائح أسلافه، هو وصفه بالحاكم:

و يا "حاكما" بين الأنام بعدله و يا منصف المظلوم من كل ظالم

ص: ١٣٣

١- راجع ترجمته فى الصفحه ٣٠٣ من المجلد الثامن.

٢- راجع ترجمته فى الصفحه ١٩٠ من المجلد العاشر.

أما "العدل" و أما "إنصاف المظلوم من الظالم"، فترك الحكم عليه لمعاصري حمد، فهم أدري منا بالحقيقه، و هل كان الشاعر حين نظم هذا البيت ينطق بلسانهم، أم كان ينطق بلسانهم أولئك الذين مشوا بقياده قاسم الزين للتظلم من حمد؟!.

و الشاعر لا يخفى بعد ذلك، الغرض من قدومه من العراق و تجشمه العناء و نظمه الشعر، فهو يقول لحمد:

إليك أت تطوى الفيافي ركائبى من النجف الأعلى إلى دير قاسم

براهما السرى لم يبق غير إهابها يقوم على أضلاعها و القوائم

و ها هي فى مثواك ألفت رحالها و أنت لها دون الورى خير راحم

على أن هذا الشاعر كان إذا عجز عن القدوم إلى الجبل و إنشاد الشعر فى (البلاط الوائلى)، و إذا حالت الأحوال دون أن يقدم مدائحه بنفسه بين يدي حمد يرسل القصائد من العراق، فتحقق غايتها و كانت قصائده المرسله من العراق تتميز عن القصائد الأخرى بحراره العاطفه و بما تتضمنه من شوق إلى جبل عامل و حنين لمرابعه.

و كما رأينا فان ما أوردناه من أبيات القصيده الأولى إنما يمثل شعرا جافا لا رواء فيه، و كل القصيده على نفس النمط. و أما القصيده المرسله من العراق فإنها مفتحة بشعر عاطفى تنفجر فيه لواعج الشوق إلى الديار الأولى و الأحبه النائين:

إلى عامل شوقى و فى القلب عامل فيا ويح قلبى ما به الشوق عامل

يحملنى ما لا أطيق و إنه ليثقل رضوى بعض ما أنا حامل

فراق و وجد و اشتياق و لوعه و حزن و إن طال المدى متناول

و ذكر حبيب نازح و منازل بعدن و فى قلبى لهن منازل

و أجفان عين لا تجف دموعها و نار لها بين الضلوع مشاعل

فما أنسى لا أنسى الزمان الذى مضى "بعامله" و الدهر عنى غافل

و يا حبذا (لبنان) من سفح (عامل) و يا حبذا أجياله و السواحل

و يمضى بعد ذلك فى المديح مشيرا هذه المره فيما يشير - إلى ما عرف به حمد من الشعر و الأدب:

فيا حبذا ذاك اليراع و حبذا بنان غدت تجرى به و تساجل

ثم يعود إلى وقائع حمد و معاركة قائلا فيما يقول:

حميت بلاد المسلمين و صنتها و أنت لدين الله كاف و كافل

و جمعت شمل العدل و هو مبدد و فرقت شمل الجور و الجور شامل

فهو يريد أن يسبغ على تلك الحروب غلاله دينيه و يظهرها بمظهر من حمت بلاد المسلمين و صانتها!.. ثم من أشاعت العدل و مزقت الجور!..

و لا ندري العلاقة بين حمايه بلاد المسلمين و بين هذه الحروب، و المتقاتلون جميعا مسلمون. و لو كان فى مقاتله إبراهيم باشا حمايه لبلاد المسلمين و كفاله لدين الله، لما ألبت انكلترا العالم الغربى على محمد على و ولده إبراهيم!..

أما العدل و أما الجور فلا نظن أن قد اختلف وقعهما على الشعب فى كلا الموقفين.. و لكن الشاعر يريد أن يبرر حركه (حمد) و يعطى حروبه صفه ترفعها إلى المواقف الملتزمه، و بالتالى يريد أن يبرر إشادته هو نفسه بتلك الحروب!.

ثم يسترسل الشاعر فى الحديث عن القتال و المقاتل الأول حمد فى أبيات عديده:

و كم لك فى يوم الحروب مواقف ثبت لها و الجو بالنقع حائل

و يمعن فى المبالغات:

فلولاك ما ثارت جياذ إلى الوغى و لولاك لم تعقد لسيف حمائل

و هو الشاعر الوحيد فى شعراء حمد الذى ذكر فى شعره (إبراهيم باشا) باسمه صريحا:

رمى الله (إبراهيم) منك و جيشه بغائله فاغتالهم منك غائل

ثبت لهم و الحرب فاغره اللهى فما حلتهم فيها و أنت المماحل

فلا زلت للهيجاء يا بن زعيمها زعيما تحييك القنا و القنابل

و بعد أبيات طويله تصف فى مبالغات ساحات الوغى و القتال و الثواكل و النادبات و الرياح السافيات و العقبان و الذئاب، بعد ذلك يشير إلى وقعه يسميها (يوم الجسر):

و كم لك من أمثالها يا بن قطبها كفاك بيوم الجسر ما أنت فاعل

فمزقتهم بالبيض كل ممزق و ألبستهم ثوب الردى و هو شامل

الشيخ خلف بن الشيخ عبد على بن الشيخ حسين

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ص: ١٣٤

و كانت وفاته فى قريه الدهلكى وقبره الشريف مشهور يزار و يتبرك به، و سبب خروجه من بلدتنا بوشهر و توقفه فى القريه المزبوره هو واقعه الإفرنج و غلبتهم على بوشهر و كانت سنه ١٢٧٣ - ثلاث و سبعين و مائتين بعد الألف - و وفاته قدس سره وقعت فى هذه السنه و على قبره الشريف مكتوب هذين البيتين:

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات و القلب السليم

و نقل الزاد أقبح كل شىء إذا كان الوفود على الكريم

الشيخ خلف بن الشيخ عبد على

من آل عصفور صاحب الأحياء.

قال فى تاريخ البحرين على عادته فى المبالغات:

أعلم من قضى و أفتى، و أفضل من باشر التدريس و الإفتاء، و هو مجاز عن عمه صاحب الحدائق، و كتب له و للشيخ حسين العلامه إجازة طويله مسماه ب "لؤلؤة البحرين فى إجازة قرتى العينين خلف و حسين".

و على الجملة له يد فى الأصوليين، تصدر للافتاء فى حياه أبيه فى الفلاحيه ثم رحل إلى المحمره و له من المصنفات: رساله فى صلاحه الجمع، و رساله فى الرضاع، و رساله فى السلام، و رساله فى الاستصحاب و رساله فى أن الفرقه الناجيه هى الاماميه. و رساله فى الحج، و كتاب فى الفقر، و كتاب فى الرجال، و حاشيه على الحدائق، و حاشيه على المدارك، و حاشيه على الكافى، و حاشيه على الكافيه الحاجيه [الحاجيه]، و رساله فى العداله، و رساله فى حديث الصلاه خير موضوع، و رساله فى الميراث، و رساله فى التسبيح، و مجموعه فى مسائل متفرقه.

هذا ما حضرنى من مؤلفاته و لم يحضرنى تاريخ وفاته.

الخليل بن أحمد الفراهيدى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٣٧ من المجلد السادس و مر فيها البحث عن كتابه (العين). و فيما يلى بحث عن مخطوطات كتاب: (مختصر العين) الذى ألفه أبو بكر الزبيدى كتبه الدكتور صلاح مهدى القرطوسى:

لا- يختلف اثنان فى أن القرن الرابع الهجرى هو أزهى عصور الحضاره العربيه الإسلاميه، إذ بلغت فيه العلوم درجه من الرقى لم تبلغها من قبل فى مغرب الأمه و مشرقها.

و قد كان لدخول أبى على القالى الأندلسى أعماق الأثر فى الحركه اللغويه التى شهدتها فى هذا القرن، إذ كانت أماليه و مروياته و تاليفه اللغويه موردا لطلاب العربيه و علمائها، و قد شارك تلاميذه الذين تفرقوا فى الفردوس المفقود فى إذكاء تلك الحركه.

و كان أبو بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) أبرز تلاميذ القالى، و أبعدهم أثرا، إذ تميز بغزاره عمله، و قوه حافظته، و كثره إنتاجه، و

تنوعه. و قد درسه المستشرق لاثارو فى رساله قدمها إلى جامعه مدريد سنه ١٩٦٨ بعنوان "أبو بكر الزبيدى نحوى أندلسى من القرن الرابع" و درسه الدكتور نعمه رحيم العزاوى فى رساله قدمها إلى جامعه بغداد بعنوان: "أبو بكر الزبيدى و آثاره فى النحو و اللغه" و قد طبع فى مطبعه الآداب فى النجف الأشرف سنه ١٩٧٥.

و طبع من آثاره: لحن العامه، و الواضح فى النحو، و طبقات النحويين و اللغويين، و الاستدراك على سيبويه فى كتاب الأبنيه، و مقدمه كتاب استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين. و لعل أبرز مؤلفات الزبيدى و أعمقها أثرا كتابه "مختصر العين"، و قد حقق علال الفاسى و محمد بن تاويت الطنجى فصله منه معتمدين على نسختين خطيتين منه. الأولى: فى خزانه القرويين بفاس، و الثانيه: فى خزانه علال الفاسى - و أمر عرض هذه الفصله يحتاج إلى وقفه أخرى - وفد نوهت بقيمه مختصر العين و أهميته و أثره فى أكثر من بحث، إذ تبين لى أن الكتاب ليس اختصارا بالمعنى الذى يوحيه عنوانه و مقدمته و خاتمته، و إنما هو معجم متميز، اعتمد على ماده فى أصل هو (العين) و هى ماده التى اعتمدت عليها المعجمات التى سارت على منواله: كالتهديب، و المحيط، و المحكم.

و قد تجمعت لدى فى السنوات الخمسه الماضيه معلومات عن مخطوطاته رأيت من المناسب أن أنوه بها بسبب أهميه الكتاب.

أ - ألمانيا:

ذكر بروكلمان أن فى برلين نسخه برقم ٦٩٥٠-٦٩٥٢، و أخرى برقم دحداح ١٥٩، و ذكر فى معرض تعليقه على نسخه دحداح: (انظر أيضا ١٩٣ فى المكتبه نفسها). و قد بذلت جهدا كبيرا لكى أحصل على هذه النسخ، و خاصه نسخه دحداح، إذ علق بروكلمان بشأنها: (وقيل: إن هذه النسخه هى الكتاب الأصيلى للخليل، و هى فى ثلاثه أجزاء). و تعليقه جدير بالاهتمام فقد تكون نسخه جديده من كتاب العين، و قد تكون أيضا النسخه الكبرى من مختصر العين الذى لم أعثر له على نسخه فى ما رجعت إليه من مصادر.

و مما يؤسف له أن مكتبه الدوله ببرلين أفادت بان هذه النسخه لا وجود لها فى المكتبه على الرغم من وجود إشاره فى فهرسها إليها، و قد تكون احترقت فى ما احترق من الآثار خلال الحرب العالميه الثانيه. و المكتبه لا علم لها بمصيرها.

أما المخطوط رقم ٦٩٥٠، فقد تم نسخه عام ٦٠٠هـ، و هو يحتوى على النصف الثانى من الكتاب، و هو فى ١٥٤ ورقه، ذكر ذلك المستشرق لاثارو فى رسالته التى سبق التنويه بها، و قد استقى معلوماته عن هذه النسخه من:

AHLWARDT, W.V. erreichnis der arabischen Handschriften der Koniglichen Bibliothek.

Zu Berlin, Berlin ١٨٨٧-١٨٩٩. No ٦٩٥٠ و قد تكرم السيد لاثارو فأرسل لى ما جاء فى رسالته من معلومات بشأن مخطوطات المختصر التى عثر على أخبار عنها، و بلغ عدد المخطوطات التى ذكرها فى رسالته تسع عشره مخطوطه.

ب - فرنسا:

أشار بروكلمان إلى وجود نسخه فى المكتبه الوطنيه بباريس برقم ٥٣٤٧، و قد تكرم أحد الزملاء الأفاضل فصور لى الصفحه

الأخيره منها على أمل تصويرها كامله، إن كانت ذات فائده، و قد تبين لى أنها نسخه حديثه بخط مغربى سقيم منقوله عن نسخه
كتبت فى القرن العاشر.

ص: ١٣٥

VAJDA,G.Index general der manuscrits arabes musulmans de laBib -liothèque. Nationale de paris,paris,١٩٥٣,P.٢٧٨ .BLOCHET,E.Catalogue desmanuscrits arabes des nouvelles acquisitions(١٨٨٤-١٩٢٤),- paris,١٩٢٥,p.٩٤ و ذكر السيد لاثارو أن في المكتبة نفسها نسخه أخرى برقم ٥٣٩١، تم نسخها في القرن الثالث عشر، أقدم من النسخة السابقة، و هي بخط نسخي سوداني تقع في ١٤٩ ورقه تعود إلى المجموعه السابقه نفسها، و قد استقى معلوماته من المصدرين السابقين، و لا بد أن تكون هذه النسخه هي النسخه التي ذكرتها، و قد وقع فيها لبس لا أتذكر سببه.

ج - أسبانيا:

ذكر السيد لاثارو أن في مجموعته المخطوطات العربيه المحفوظه في معهد ميغيل أسين (المجلس الأعلى للأبحاث العلميه) في مدريد نسخه من المختصر برقم ٣٥، تم نسخها سنه ٤٣٥هـ، عثر عليها في مدينه (Almonacid)، تبدأ بحرف الغين، و تقع في ١٤٥ ورقه، و هي بخط مغربي مجهول النسخ، و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من:

RIBERA,J.YASIN,M.Manuscritor arabesy alijamiados de laBib- .liote-ca de la Junta- Nolicias Yextractos de los alumnos de lac- seccionara bebajo la direccion de..Madrid,١٩١٢.p.١٣٤-١٣٥ أشار بروكلمان إلى وجود نسخه برقم ٤٩ في مدريد ثالث. و ذكر السيد لاثارو أن المخطوط المذكور من مجموعته المخطوطات العربيه المحفوظه في معهد ميغل أسين، تم نسخه حوالي عام ٧٤٠هـ، عثر عليه في مدينه - (d Almonaci) تنقصه بعض الورقات في أوله، و هو بخط مغربي، و ناسخه فرج بن عبد الله بن فرج بن عبد العزيز، و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من المصدرين السابقين.

- أشار بروكلمان أيضا إلى نسخه مخطوطه من المختصر في الاسكوريال، ثاني برقم ٥٦٩. و قد تم نسخ المخطوط المذكور في التاسع و العشرين من شهر رمضان سنه ٨٣٣هـ، يقع في ١٠٦ ورقات بخط مغرب، مجهول النسخ، ذكر ذلك السيد لاثارو في رسالته السابقه اعتمادا على:

. DERENBOURG,H.Les manuscrits arabes de L,Escurial,T.L,Paris ١٨٨٤,n.٥٧٠ - و أشار بروكلمان إلى نسخه ثانيه في مكتبه الاسكوريال برقم ٥٧٠ و المخطوط المذكور تم نسخه سنه ٨٤٥هـ، و هو بخط مغربي، مجهول النسخ، و قد ذكر ذلك السيد لاثارو، اعتمادا على المصدر السابق.

- و أشار بروكلمان إلى نسخه ثالثه في الاسكوريال برقم ٥٧١، نسخت في السادس و العشرين من شهر شوال عام ٩٧٥هـ، تقع في ١٦٥ ورقه، و هي بخط مغربي، مجهول النسخ. ذكر ذلك السيد لاثارو في رسالته السابقه الذكر.

- ذكر السيد لاثارو أن في دير السكرمونييه في غرناطه نسخه برقم (٢)، تم نسخها سنه ٣٩٩هـ، ناقصه من الأول، تبدأ بالورقه ١٩ و تقع في ١٩٩ ورقه، و هي بخط مغربي، مجهول النسخ. و لعل هذه النسخه هي عين النسخه التي أشار بروكلمان إلى وجودها في غرناطه، و قد خبرني السيد لاثارو أنه يتعذر تصوير هذه النسخه أو الاطلاع عليها بسبب موقف العاملين بالدير المذكور، و هي

أقدم نسخه من المختصر تردنا أخبار عنها.

- و ذكر السيد لاثارو أن في المكتبه الوطنيه بمدريد نسخه من المختصر برقم ٥، نسخت في مدينه ثيريرا الاسبانيه، في ٢٤ من شهر شوال سنه ٧٤٧ هـ عن نسخه موسى بن هارون بن موسى بن خلف بن عيسى بن أبي درهم التجيبي الأندلسي الذي نقلها عن نسخه أخرى تم نسخها في شهر ربيع الأول سنه ٣٦٨ هـ، و كان الزبيدي قد راجعها. و هي بخط مغربي في جزءين، ناسخها أحمد بن عبد الرحمن بن سالم بن محمد الأعمالي و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من:

GUIIENROBLES,F.Cataloge de los mauscritos arabes existentes en la Bibateca. Nacional de Madrid, Madrid, ١٨٨٧, p.٤-٥. DERENBOURG, H. Notes Gitiques eur les Manuscrits arabes de la .Bib-liotheque Nationale de Madrid, opud "Homenaje a D.F.Rancirco Cordera" Zaragoza, ١٩٠٤ p.٥٧٤-١٩٠٤. و ذكر السيد لاثارو أن في مكتبه جامعه سالامانكا الاسبانيه مخطوطا من المختصر برقم ٢٩٤، نسخ سنه ٦٥٢ هـ، في مدينه سرقسطه. و من اللافت للنظر أن السيد لاثارو ذكر أيضا أن النسخه قد كتبت بحروف عبريه ناسخها مجهول. و قد استقى السيد لاثارو معلوماته من:

LLAMAS, J. Los manuscritos hebroos de la Universidad de Salamanca apud "SEFARAD". ٢٧٩-٢٧٨, p. ١٢٥٠ X وهو مخطوط جدير بالدراسه، و قد راسلت بعض الأصدقاء لتيسير تصويره، إذ إن كتابه معجم عربي بحروف عبريه أمر يدعو إلى التأمل.

د - تركيا:

- أشار بروكلمان إلى وجود نسخه من المختصر في مكتبه كوبريلي برقم ١٠٧٤.

- و في مكتبه فيض الله نسخه برقم ٢٠٩٨، توجد مصوره منها في معهد المخطوطات برقم ٢٤٦ ذكر الأستاذ فؤاد السيد في فهرس المخطوطات العربيه المصوره في معهد المخطوطات ٣٧١/١ أنها بقلم نسخ جميل بخط محمد بن حسن بن علي الحائكي، و قد كتبت برسم الجنا ب العالي أمير حسن، عدد أوراقها ٤٢٠ ورقه.

ه - مصر:

- توجد في دار الكتب المصريه (الخانزه التيموريه) نسخه من المختصر برقم (١) لغه. توجد مصوره منها في معهد المخطوطات برقم ٤٧، قال الأستاذ فؤاد السيد: إن الموجود منها النصف الأخير، و هو بخط قديم، و قد أكمل النسخه العلامه برهان الدين إبراهيم البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) سنه ٨٦٥ هـ، تقع في ٣٣٨ ورقه (ينظر فهرس المخطوطات المصوره ٣٧١/١).

ص: ١٣٦

الناسخ و تاريخ النسخ. توجد مصوره منها فى المكتبه المركزيه بجامعة بغداد برقم (م خ ١٦-١٧) (ينظر فهرس دار الكتب المصريه ٣٦/٢).

- و توجد فى الدار نسخه أخرى برقم ٤٠٦ ناقصه تبدأ بحرف الفاء، و تنتهى بآخر الكتاب، و هى بخط مغربى، نسخها محمد بن ياسين بن محمد التوم البعيلى، و كان الفراغ من نسخها فى يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر سنه ٦٣٥ هـ. (فهرس دار الكتب المصريه ٣٦/٢).

- توجد فى الدار نسخه أخرى برقم ٥٩٧، و هى فى ثلاثه أجزاء، الموجود منها الجزء الثانى، كتبت سنه ٥٧٦ هـ بهامشها تقييدات تبدأ من باب المضاعف من الهاء و الخاء، و تنتهى إلى الباب الثانى المضاعف من حرف الجيم و السين.

و - تونس:

- توجد فى خزانه جامع الزيتونه نسخه برقم ٣٩٤٤، بخط مغربى، نسخها محمد بن صالح بن محمد المعطى الشرفى سنه ١١٣٦ هـ تقع فى ١٤٨ ورقه، (فهرس مخطوطات المكتبه الأحمديه بتونس ص ١٥٣).

ز - المغرب:

- توجد فى المغرب نسخ كثيره من المختصر تيسر لى الاطلاع على قسم كبير منها لم تذكر فى أى فهرس من فهارس المخطوطات أو الكتب التى اهتمت بوصف المخطوطات العرييه، و يهمنى هنا أن ألفت النظر إلى أن بروكلمان أشار إلى وجود نسخه فى خزانه القرويين بفاس برقم ١٢٤٦-١٢٤٧، اعتمادا على ما جاء فى مجله المجمع العلمى العربى: ٥٦/١٢، و لا-وجود لنسخه بهذا الرقم فى الخزانه.

و أشار السيد لاثارو فى رسالته إلى نسخه فى الخزانه نفسها برقم ٧١ اعتمادا على ما جاء فى فهرس خزانه القرويين و نوادرها ص ١٥، و لا وجود لمخطوط بهذا الرقم فى الخزانه.

١ - الخزانه العامه بالرباط، و فيها النسخ الآتیه:

- نسخه الأوقاف برقم ١/٢٨ و هى نسخه قديمه جدا متاكله الأطراف بفعل الآفات، مكتوبه بخط مغربى قديم، كتبت أبوابها و موادها اللغويه بخط متميز. قسمها الناسخ على قسمين.

ينتهى القسم الأول بقوله: (الغين و اللام: البلغم: خلط من أخلاط الجسد. انقضى الرباعى و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد خاتم النبيين، و بانقضائه تم السفر الأول من كتاب العين يتلوه فى الثانى إن شاء الله أوائل حرف القاف، و الله المستعان و المعين).

و ينتهى الجزء الثانى فى حرف ألباء (باب الثنائى المضاعف ألباء و الميم:

بم العود: معروف).

الأوراق الثلاثة الأولى منها كتبت بخط مغاير، و الصفحات من ١٤٠ إلى نهايه ص ١٤٨، كتبت بخط مغاير أيضا، و هي نسخه غير صالحه بسبب الضرر الذى أصابها بفعل الرطوبه و الآفات و الترميم السيئ، و قد عرضت بعض فصولها على النسخه التطوانييه رقم ٦٤٢ الآتى وصفها فوجدتها مطابقه لها. و يلاحظ أن ناسخها أخطا فى خاتمه الجزء الأول فقال: "تم السفر الأول من كتاب العين".

- نسخه الأوقاف برقم ١/٦، و هي نسخه قديمه متاكله الأطراف بفعل الآفات، فيها صفحات كثيره مطموسه بفعل الرطوبه لا تصلح للتصوير، بسبب تلاشى أغلب صفحاتها، و بسبب الضرر الذى لحقها بسبب الترميم السيئ، و هي نسخه ناقصه، الباقي منها القسم الأول بحسب تقسيم ناسخها. قال فى خاتمتها: "تم حرف الخاء و بتمامه كمل السفر الأول من مختصر كتاب العين، و الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على محمد خاتم النبيين و المرسلين و على آله الطيبين فى يوم السبت من غره ذى القعدة سنه أربع و عشرين و خمسمائه). عدد صفحاتها ٢٥٩، و قد قابلت بعض أبوابها بنسخه خزانه القرويين رقم ١٢٣٨، فوجدتها مطابقه لها.

- نسخه الخزانه الكتانيه برقم ١٦٦٢، و هي نسخه حديثه كتبت بخط مغربى فى (يوم الخميس عند انسلاخ صفر عام ١٢٦٣ هـ، رديئه الخط كثيره التصحيف، جاء فى خاتمتها: "نجز و كمل بحمد الله (و صلى الله على محمد و آله) على يد الفقير الذليل لمولاه عبيد الله تعالى إبراهيم بن الحاج مبارك الطبيي الهشتوى، عفا الله عنه كله لرفيقه سى محمد بن عبد الله ألماسى الخربد، فى غره يوم الخميس، عند انسلاخ صفر ١٢٦٣ هـ".

٢ - الخزانه الحسنيه:

- توجد فيها أربع نسخ من المختصر أرقامها (٤، ١٩، ٣٦٣٣، ٧٨١، ٢٣٦).

و قد اخترت النسخه رقم ٢٣٦، و هي بخط مغربى تتفرد بزيادات غير موجوده فى النسخ التى اطلعت عليها، و قد تكرم الأستاذ محمد العربى الخطابى بتصويرها لى و إهدائها.

٣ - خزانه البلديه بتطوان:

و توجد فيها نسختان:

- الأولى برقم ٦٤٢ و هي نسخه عتيقه جدا كتبت بخط أندلسى يغلب على الظن أنه من خطوط القرن الخامس أو السادس، مقابله على أصول عده، و هي غايه فى الإتقان و الضبط، غير أنها لم تسلم من الأرضه و الرطوبه، و قد رمت حواشيه ترميما قديما، لم يسلم من الأرضه أيضا.

فى صحيفه العنوان: "كتاب مختصر كتاب العين، اختصار أبى بكر محمد بن حسن... الزبيدى رحمه الله تعالى..". و فى الصحيفه نفسها تمليكات عده لعلى بن قاسم البياض، و محمد بن أحمد، و عبد السلام بن عبد الله بن العباس بن أحمد الحسنى الصقلى

الكاظمى، اشتراه الأخير من كتب الفقيد ابن عزوق بمراكش الحمراء فى أواسط رمضان المعظم عام ١٣٠٨ هـ.

جاء فى أحد حواشيها: " و وقع فى النسخ التى قابلت بها هذا المختصر، و ثعت و لم أجد فى الكبير إلا قوله: الشع... و كذلك رأيت فى شرح الحديث لأبى عبيد". و فى هذه النسخه زيادات تتفرد بها، و أخرى موجوده فى حواشى نسخه القرويين رقم ١٢٣٨، الآتى وصفها. و قد تكرم الزميل الأستاذ محمد مفتاح بتصويرها لى و إهدائها.

ص: ١٣٧

عليها محمد بو خبزه أمين قسم المخطوطات في الخزانة، و يسر لي تصويرها، و قد ساعدتني كثيرا في قراءه الكلمات المطموسه في النسخه السابقه، و هي لا تقل أهميه عن النسخه السابقه، غير أن فيها سقطا بمقدار ملزمتين في أولها و آخرها، و قد أكملت بخط مغربي حديث، كما أنها تتفرد ببعض الزيادات، جاء في خاتمتها: "انقضى حرف الياء و بتمامه كمل جميع الديوان و الحمد لله كثيرا كما هو أهله و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم". الصفحات من ١ و حتى نهايه الصحيفة ١٠، مكتوبه بخط حديث، و كذلك الصفحات من ٣٨١ و حتى نهايه المخطوط، و فيها سقط في مواضع عده.

٤ - خزانه القرويين بفاس:

توجد في خزانه القرويين نسخ عده هي:

- نسخه برقم ١٢٣٩ و هي نسخه عتيقه كتبت بخط مغربي قديم يعود في الغالب إلى القرن السادس الهجري، و في صحيفه العنوان تحيس على ترميم قديم نصه: "هذا السفر مما حبسه مولانا سيدى محمد بن مولانا عبد الله أمير المسلمين الحسينى العلوى على طلبه العلم في حضره فاس ينتفع به هناك..."

جمادى الثانيه عام ١١٧٤" و في صحيفه العنوان تمليكات أخرى لم أتبينها بسبب الترقيع.

و في صحيفه العنوان كتب: "كتاب مختصر العين تأليف: أبى بكر محمد بن حسين الزبيدى رحمه الله عليه" و كتب فيها أيضا قول لأرسطو، و أبيات من الشعر لمحمد بن أبى خيثمه في ترتيب حروف الهجاء.

و المخطوط مرمر ترميما قديما، غير أنه لم يسلم من الآفات التى أتلفته تقريبا على الرغم من الترميم.

عدد صفحاته ٣٠٣ صفحات، كتبت الصفحات ٢٥٣-٣٠٣ بخط حديث، و لم تسلم هذه الصفحات من الآفات أيضا.

جاء في خاتمتها: "تم مختصر العين من النسخه الكبرى من تأليف أبى محمد بن حسين الزبيدى رحمه الله بحمد الله تعالى و حسن عونه و توفيقا بجميله و يمنه، و صلى الله على سيدنا محمد نبيه و عبده و على آله و صحبه الذين قاموا بنصره الدين بعده". و يلاحظ أن الناسخ أخطا، فهو أبو بكر محمد بن حسن.

و هي في الغالب منقوله عن النسخه رقم ١٢٣٨ الموجوده في الخزانه نفسها بسبب مطابقتها لها في الرسم و الشكل، و مشاركتها بالزيادات التى تتفرد بها.

- توجد في الخزانه نسخه أخرى برقم ٥٣٧، و هي نسخه مكتوبه بخطوط مختلفه، تبدأ بحرف القاف. الصفحات ٢٥-٣٢ كتبت بخط حديث و كذلك الصفحات ١٩١-١٩٩، بخط ناسخ مجهول، و لا يعرف تاريخ نسخها.

في صحيفه العنوان اسم الكتاب و اسم مؤلفه و عده تمليكات، و أبيات شعريه في ترتيب الحروف، و تحيس على مكتبه القرويين نصه: "الحمد لله، هذا كتاب حبسه مولانا المنصور بالله سيدى محمد بن مولانا عبد الله على طلبه فاس ليتنفعوا به".

و توجد فى قسم الخروم فى الخزانه أوراق من نسخ عده تكرم الأستاذ محافظ الخزانه السيد محمد بن عبد العزيز الدباغ فاطلبنى عليها بعد أن بذل جهدا كبيرا فى استخراجها، جزاه الله خير الجزاء، و هى تالفه تماما، و هى:

- أوراق من نسخه مكتوبه بخط أندلسى جميل جدا الباقى منها أوراق من حرف العين و اللام و النون و ألباء و الميم و الياء.

يتعذر معرفه عدد أوراقها، بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته.

- أوراق من نسخه أخرى، بخط مغربى، ردىء للغاية، الباقى منها أوراق من حرف العين و الحاء و الهاء و الغين.

يتعذر معرفه عدد أوراقها، بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته.

- أوراق من نسخه. أخرى وضعت بملفين مستقلين، بخط مغربى جيد، و قد اختلطت أوراقها، و يتعذر ترتيبها بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته، الباقى فى أحد الملفين قسم من حرف الحاء، و الباقى فى الملف الآخر أوراق من حرف الجيم و الراء و التاء و الذال و الزاى و الظاء و الطاء و التاء و الدال.

- أوراق من نسخه أخرى تالفه تماما، بخط مغربى دقيق يصعب ترتيب أوراقها بسبب ما أصابها من عوادى الزمن و آفاته، الباقى منها أوراق من حرف الكاف و القاف و الهاء و الحاء و الخاء.

- توجد فى خزانه القرويين نسخه برقم ١٢٣٨، و هى أوثق نسخه معروفه فى العالم للكتاب، و من أندر النسخ الخطيه.

- توجد فى خزانه علال الفاسى نسخه سبق وصفها فى الفصله التى طبعت من المختصر، و قد رمز لها بالرمز (ب).

بقيت عندى كلمه بشأن مخطوطات المختصر، و هى أن الأستاذ محمد العربى الخطابى كتب لى مشكورا بشأن مخطوطه أندلسيه قديمه للمختصر ما نصه: " هذا و حينما وجهنا مخطوطه مختصر العين لأبى بكر الزبيدى الإشبلى إلى المكتبه العامه قصد تصويرها لكم، تذكرت أن أحد أصدقائى العلماء فى شمال المغرب يملك نسخه أندلسيه قديمه من هذا الكتاب مكتوبه على الرق ترجع إلى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى، فهى لا تبعد عن عصر المؤلف إلا بأقل من مائه عام، و لا أدرى كيف انصرف ذهنى عن هذه النسخه حينما كنتم بمكتبى حتى اختلط على أمر مختصر العين بكتاب آخر، و ها أنا قد كتبت رساله إلى صديقى بمدينة شفشاون، راجيا أن يتحفنا بصوره من النسخه التى عنده من المختصر لتكون سندا لكم من بين النسخ الأخرى... ".

غير أن مالك هذه النسخه لم يشأ أن ي كاتب الأستاذ الخطابى بشأنها، و أستاذنا العربى الخطابى شاء بما عرف به من دماثة و خلق علمى رفيع عدم اطلاعى على اسم مالك هذه النسخه، و قد حاولت فى أثناء إقامتى فى المغرب أن أعرف شيئا عن أخبار هذه النسخه بوساطه أصدقائى فى مدينة الشفشاون المغريه فلم أوفق.

الشيخ داود بن أبى شافير البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط ناقلا عن السلافه، و هو و صاحب السلافه فى المبالغه فرسا رهان:

المهاج، رتبته في الآفاق شهيره و رفعته أسمى من شمس الظهيرة، و لم يكن في عصره و مصره من يدانيه من مده و قصره، و هو في العلم فاضل لا يسامى، و في الأدب فاضل لم يكل الدهر له حساما، إن شهر طبق و إن نشر عبق، و شعره أبهى من شف البرود و أشهى من رشف الثغر و البرود..) إلى أن قال قدس سره: و من شعره قوله:

قل لأهل العذل لو وجدوا من رسيس الحب ما نجد

أوقدوا في كل جارحه زفره في القلب تتقد

ثم ذكر تمام القصيده و بعض قصائده الفائقة فتوفى قدس سره سنة ١٠١٧.

السيد درويش الغريفي البجراي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط و نرجو من القراء أن يتحملوا المبالغات كما تحملنا:

سيد العلماء المحققين، سند الفضلاء المدققين، جامع المعقول و المنقول، مستنبط الفروع من الأصول، قطب دوائر التحقيق، صدر صدور المدرسين، كان من أدباء زمانه، عارفا بالعلوم الأدبيه، عالما بالفنون الرياضيه، و هو مجاز عن شيخه صاحب الحدائق، و له تأليفات منها كتاب شرح القواعد، و كتاب جواهر الحروف، و كتاب القصائد، و رساله في الامامه، و كتاب في تفسير الأسماء الحسنی و غير ذلك، مات في شيراز سنة ١٢٠٤ - الرابعه و المائين و الألف و قبره في شيراز في السعديه.

رقيه بنت الشيخ الميرزا علامه بن الشيخ الحسن بن الشيخ محمد صالح الحائريه.

ولدت في كربلاء سنة ١٣٠٧ هجريه، و توفيت في ٥ رجب سنة ١٣٩٩، و دفنت في مقبره أسرتها البرغانيين خلف الشاه زاده حسين بقزوين.

قرأت المقدمات و العلوم العربيه على رجال أسرتها في كربلاء، كما حفظت القرآن الكريم قبل التاسعه من عمرها، و أخذت الفقه و الأصول عن الشيخ صدر الدين المعروف بعماد الإسلام ابن الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانی و الشيخ الميرزا أحمد البرغانی، فنبغت في علوم القرآن و التفسير، و كانت من فواضل نساء عصرها، و تصدرت للتدريس في كربلاء للنساء أكثر من نصف قرن، و قد تزوجت بابن عمها الشيخ حسن بن الشيخ الميرزا علي نقی، و كان زوجها مع فضله يستفسر منها في حل بعض المسائل العلميه و الفقهيه. كما كانت من مراجع الأمور الشرعيه للنساء في كربلاء. و من مؤلفاتها رساله في خواص السور القرآنيه و بعض الآيات، رساله في غريب القرآن.

هاجرت من كربلاء إلى قزوين بعد طغيان النظام البعثي العراقي.(١)

رويه بن وبر البجلي.

عند ما أصر الخوارج يوم النهروان على ضلالهم دعا على (ع)برجل من أصحابه يقال له رويه بن وبر البجلي فدفع إليه اللواء و أمره بالتقدم إلى القوم، قال: فتقدم إلى القوم و هو يقول:

لقد عقد الامام لنا لواء و قدمنا إمام المؤمنين

بأيدينا مثقفه طوال و بيض المرهفات إذا حلينا

نكر على الأعدى كل يوم و نشهد حربهم متوارينا

و نضرب فى العجاج رؤوس قوم تراهم جاحدين و عابدين

قال: فحمل فجعل يقاتل حتى استشهد.

السائب بن مالك الأشعري.

مرت كلمه عنه فى الصفحه ١٨٢ من المجلد السابع، و نضيف إليها هنا ما يلى:

لما خرج المختار فى الكوفه طلبا بنار الحسين (ع) انضم إليه السائب، و لما اصطدمت قوى المختار بقوى عبد الله بن مطيع والى ابن الزبير على الكوفه، أقبل المختار فى عساكره حتى وقف على أفواه السكك و أمر أصحابه بالقتال، فاقتتلوا قتالا لم يسمع به و لا بمثله. قال: و جعل السائب بن مالك الأشعري ينادى: ويحكم يا شيعه آل رسول الله إنكم قد كنتم تقتلون قبل اليوم، و تقطع أيديكم و أرجلكم من خلاف، و تسمل أعينكم، و تصلبون أحياء على جذوع النخل، و أنتم إذ ذاك فى منازلكم لا تقاتلون أحدا، فما ظنكم اليوم بهؤلاء القوم إن هم ظهوروا عليكم! فالله الله فى أنفسكم و أهاليكم و أموالكم و أولادكم! قاتلوا أعداء الله المحلين، فإنه لا- ينجيكم اليوم إلا- الصدق و اليقين، و الطعن الشزر، و الضرب الهبر، و لا- يهولنكم ما ترون من عساكر هؤلاء القوم فان النصر مع الصبر. فعندها رمت الناس بأنفسهم عن دوابهم، ثم جثوا على الركب و شرعوا الرماح و جردوا الصفاح و فوقوا السهام، و اصطفقا بالصفوف اصطفاقا، و تشابك القوم اعتناقا، فصبر القوم بعضهم لبعض ساعه، و قتل من الفريقين جماعه، و انهزم أصحاب عبد الله بن مطيع، و اقتحم المختار و أصحابه الكوفه.

السيد سعد صالح

مرت كلمه عنه فى الجزء الأول من المستدركات، و كتبناها يوم ذاك مما كان فى الذاكره من موافقه، و كنا نفتقر إلى الوثائق و المصادر التى كانت بعيده عنا يوم كتابه تلك الكلمه.

و قد وقع فى أيدينا بعد ذلك بعض ما كتبه عنه جعفر الخليلي مما نأخذه هنا، قال و هو يتحدث عن بدء ممارسته للمحاماه فى النجف.

عرف الناس فى سعد شخصيه ممتازه من حيث رعايتها للحقوق، و التزامها بواجب المحامى الذاب عن حقوق موكله بكل معنى الذب، و بدأت تحوط اسمه هاله من الإجلال و الاحترام، و كانت النجف قد شرعت تدب فيها الاختلافات فسعى إلى إزالتها و وفق بين النزاعات المختلفه، فإذا به بين ليله و ضحاها يصبح شخصيه لها شىء من الوجاهه. ثم بدأ يزيد نفوذه على مر الأيام و

يكبر فى العيون يوما بعد آخر.

وقد صار لسعد شان آخر فوق الشأن الذى أكسبته إياه المحاماه، و صا [صار] لأخذ رأيه من لدن رجال اللواء و القضاء قيمه فى المهمات و الطوارئ.

لقد عرفته صادقاً و هو يقدر الصدق و يفضله على جميع الصفات و عرفته جريئاً، و هو يعطى الجراه كل ما ينبغى أن تعطى لتكون جراً محموده.

و سعد شاعر و خطيب، و له شعر كثير أغلبه يصدر نزعاته الوطنيه و قليل منه فى النواحي الأخرى.

ص: ١٣٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و لقد رثى نفسه قبل أن يموت بأسبوعين بقصيده فى نحو ستين بيتا سماها (الأشباح) و لما كان لا يستطيع أن يمسك القلم بيده فقد كان ينظم الأبيات و يحفظها ثم يتلوها على من يحضر ليكتبها عنه. و هذه أبيات منها:

أ بوارق الآمال و الآلام لوحى لعلك تكسفين ظلامى

فلقد بدا شبح الهموم على الدجى ملكا ركاما قام فوق ركام

يوحى إلى نفس الكئيب كآبه خرساء تخلع مهجه الضرغام

متوسطا شبحين ذاك لمحنه الوطن الأسير و ذا لفرط سقام

فلعلتى شبح رهيب كالردى و لموطنى شبح جريح دام

و قال مداعبا صديقا له اسمه نافع:

أجهدت نفسك لاعبا لكن لعبك كان ضائع

و الضر طبعك دائما كذب الذى سماك نافع

و سعد زعيم من زعماء السياسه المحنكين دون أقل شبهه، و مقامه السياسى معروف لدى الجميع، و قد طغت السياسه عليه حتى لم يعد لمن يعرف سعدا عن كذب أن يتبين فيه شيئا غير السياسه، و هو رجل كان من القابليه و اللياقه بحيث يستشف كثيرا من الحوادث و يتكهن بكثير من العواقب قبل حدوثها، و له آراء جد صائبه، ينفرد بها بين مئات السياسيين فى هذا البلد، و يقدرها له الذين عالجوا المشاكل السياسيه عند ما خبروا بواطنها، فقد أوتى حظا كبيرا من الذكاء و الفطنه، و أن لاصابته الهدف و حسن قيامه بما يعهد به إلى نفسه فى أشد الأوقات حراجه الأثر الكامل الملموس. و لعل ذكاه كان أبرز خصله من خصاله الغريزيه.

و سعد حين يرسل الرأى السياسى يرسله مدعوما بالأدله التى لا تقبل التشكيك فهو يعتمد المنطق فى جميع تفكيره و من طريق المنطق يسعى للظفر.

و كم رأيته و هو متحمس لرأى، ثم لا يلبث أن يعود لينقضه من أساسه حين يبدو له رأى آخر سواء كان هذا الرأى له أو لغيره ممن يسمع به ما دام يلمس فيه الحجه الصائبه، لذلك كان سعد أبعد ما يكون عن العناد فى آرائه السياسيه، و كانت سلبيته فى القضايا الوطنيه منطقيه معقوله، و لعل لجرأه سعد أثرا كبيرا أيضا فى شخصيه لا تقل عن مواهبه و قابليه السياسيه و الأدبيه.

و صادق سعدا كثير من الرجال على اختلاف نزعاتهم من حزيين و غير حزيين، و بالإمكان القول أن كثيرا من أصدقائه قد صادفوه تحسسا بمنزلته و حبا بروحه و إعجابا برجاحه عقله و تعلقا بمبادئه القوميه العرييه.

و قلما زرته و لم أجد عددا منهم يخوضون و إياه مختلف الشئون كأنهم فى ناد لا يؤمونه إلا ليغذوا أنفسهم بما يطيب، و ما ينبغى أن تتغذى به النفوس الحره التى لا يقيدوها أى قيد و لا يمنعها مانع من أن تقول ما تحس به.

لقد كان سعد بارزا في حياته، و الذين برزوا و ماتوا كثيرين و لكن أمثال سعد كانوا أقل من القليل فهو نسيج وحده من حيث مواهبه الخاصه و من حيث وطنيته و توفر ملكات الزعامه السياسيه في نفسه، تلك المواهب التي استدرت دموع أصدقائه و غير أصدقائه على حد سواء حزنا عليه و شعورا بالخساره الفادحه، فكانت فاجعه البلاد به عامه و راح و لم يكسب من دنياه غير هذا الشعور و هو كل ثروه الذين يعيشون للناس، و توفي قبل أوانه في الوقت الذي أوشكت الزعامه الوطنيه و السياسيه أن تنحصر فيه. و مما يذكر في سيره سعد صالح أنه عند ما كان متصرفا في لواء المنتفك هدد الفيضان المنطقه بكارثه ماحقه و قد عمل هو بحكم منصبه على الحثول دون وقوع هذه الكارثه، و استطاع بما اتخذه من تدابير و ما بذله من جهود أن ينجح في ذلك و نجت المنطقه من الكارثه الفيضانيه المدمره. فرأى فريق من أبناء بلده سوق الشيوخ أن يقدموا له هديه رمزيه هي عبارته عن قنطره فضيه ضمن إطار فيه صورتها و تحت الصوره هذه الأبيات من نظم الشيخ محمد حسن حيدر أحد أفاضل سوق الشيوخ:

عليك (لواء) الحمد شكرا يرفرف لأنك في دنيا العلي (متصرف)

بحزمك كافحت الحوادث و انجلى عن الشعب ليل بالكوارث مسدوف

وقفت أمام الخطب سدا ممنعا و ذا موقف أنى يحاكيه موقف

فله أيام عليك عصيبه تهدد آمالا لنا و تخوف

طغي الماء فيها و السدود ضعيفه و همه أرباب المزارع أضعف

فقاومته حتى تشنى عناته و كافحته حتى انتهى و هو أعجف

فيا سعد ما زالت خطاك سديده و ما زالت الآمال باسمك تهتف

بك الزرع لاقى من يرق لحاله و لم يرقبلا من يرق و يعطف

إلى (سوق الشيوخ) مكرما جهادك في رمز عن الحب يكسف

يفدمه ذكرى لموقفك الذي سيقى مدى الأجيال و هو مشرف

سعيد حيدر.

إشارة

ولد في بعلبك و تلقى دراسته الثانويه في دمشق، و تخرج من معهد الحقوق في استنبول، و كان خلال دراسته فيها من بين الشبان العرب الذين أدركوا نوايا الأتراك الطورانيين في سيطره العنصر التركي سيطره كامله على الدوله العثمانيه و السعي في تترك العرب بكل وسيله، و قد باشروا ذلك فعلا، و أخذوا يمهدون لتطبيق خططهم تمهيدا عمليا. لذلك انضم المترجم إلى أخوانه الشبان العرب العاملين على مقاومه الطورانيين و إنقاذ البلاد العربيه من شرهم، فكان عنصرا فعلا في التكتلات العربيه

الثوريه المتالبه فى استنبول.

و لما أنهى دراسته و عاد إلى بلاده عين فى سلك القضاء، ثم لم تلبث الحرب العالميه الأولى أن أعلنت، ثم حلت الهزيمه بالدوله العثمانيه، و احتل الفرنسيون الساحل السورى اللبناى، و الإنكليز فلسطين، و بقى بيد العرب القسم الداخلى من سوريه، و هو ما اصطلح على تسميته بالمدن الأربع:

(دمشق و حلب و حمص و حماه و ما يتبعها).

ثم تجلت نوايا الفرنسيين فى السيطرة على هذا القطاع الذى بقى وحده مستقلا استقلالاً تاماً، و كان أن تكتل الاستقاليون العرب فى دمشق يخططون لدفع شر الفرنسيين عن بلاد الشام، فكان سعيد حيدر فى الطليعه من هؤلاء عاملاً نشيطاً.

ثم كان ما كان من احتلال الفرنسيين لدمشق بعد معركة ميسلون و قضائهم على الاستقلال العربى الناشئ، فكان سعيد حيدر ممن اضطروا للتزوح عن البلاد مع من نزع من القاده الذين كان الفرنسيون قد حكموا عليهم باحكام غيايبه قاسيه بينها الاعدام و هو ما حكم به المترجم.

و بعد أن استقر الفرنسيون فى سوريه بدءوا بتقليص هذه الأحكام و إسقاطها تدريجياً عن المحكومين و أخذ هؤلاء يعودون واحداً بعد واحد،

ص: ١٤٠

و كان بين العائدين سعيد حيدر.

وقصه سعيد حيدر هي قصه القضية العرييه منذ انبثاق هذه القضية و تبلورها بعد سنه ١٩٠٨، سنه إعلان الدستور العثماني، و استيلاء حزب (الاتحاد و الترقى) على السلطه و فوران الدعوه الطورانيه المبنيه على سياده العنصر التركي، و العمل على تتركب العرب. و لا بد لنا قبل التوغل في هذا الموضوع من عرض إجمالي لموقف العرب من الحكم التركي الذي سمي عثمانيا و امتد طيله ٤٠٠ عام

المسأله القوميه

و قبل ذلك فاننا ننشر دراسه للدكتور وجيه كوثراني هي بحث شامل عن الصراع بين الفكر القومي الذي نما في تلك الفتره التي نتحدث عنها، و بين التوجه الإسلامي الذي ظل متمسكا به من يرون في الفكر القومي تناقضا مع توجههم.

قال الدكتور كوثراني:

برز الاشكال القومي في العصر الحديث(١) و لا سيما في القسم الواسع من العالم الإسلامي المرتبط آنذاك بالسلطنه العثمانيه، في سياق تفاعل أزمه السلطنه أمام ضغط بنيتها الداخليه الآخذة بالتفكك و أمام تعثر مشاريع الإصلاح الاداري و السياسي فيها و أمام ضغط التدخلات الأجنبيه الهادفه إلى إحداث مزيد من الخلل و التفكيك في بنيه الاجتماع الإسلامي و وحده دولته الأساسيه. و كان اتجاه التريك و العثمينه و هو أحد الاتجاهات الايديولوجيه - السياسيه التي حاولت أن تتصدى لاجتراح حلول لتلك الأزمه قد استطاع عبر انقلابي و ١٩٠٩ أن يهيمن على السياسه العثمانيه و أن يوجهها في مسار استحداث دوله مركزيه عثمانيه مرتكزه إلى غلبه القوميه التركي في اجهزه الدوله و مراكز القرار السياسي و الاقتصادي و الثقافي.

و كان من نتائج انتصار هذا الاتجاه و غلبته في أجهزه الدوله و مؤسساتها أن استنفرت القوميات المبعده عن مراكز القرار و الممتهنه في لغتها و ثقافتها و دورها الفكري و الحضاري. و كان الاصلاحيون العرب الذين وقفوا إلى جانب الانقلابيين الأتراك في مواجهه الاستبداد الفردي و من أجل تطبيق الدستور في طليعه المبعدين. و كانت اللغه العرييه التي هي لغه القرآن الكريم و لغه الشريعه و الحضاره الإسلاميه معا هدفا للتجريح و الامتهان و التشويه. فجاء الوعي القومي العري في حينه و في جزء كبير من استجابته لهذا التحدي و عيا لهذا الاشكال الداخلي الذي عبر عنه آنذاك بازمه العلاقات بين العرب و الترك. و في هذا الجانب بالذات حمل الوعي العري مضمونا إسلاميا يتجلى في دفاع بعض المفكرين العرب عن اللغه العرييه بصفتها لغه للشريعه و عن ضروره وحده العرب و الترك و بقائهم في دوله واحده بسبب الحرص على الارتباط بالإسلام و الحفاظ على ما تبقى من دولته. و مع ذلك فإنه لا بد من ذكر جوانب أخرى اندمجت في هذا الاشكال القومي و أعطته طابعا انفصاليا عن الدوله العثمانيه أو طابعا معاديا للإسلام. من هذه الجوانب:

- تقاطع الدعوات الانفصاليه مع مشاريع التقسيم الاستعماريه التي حملتها سياسات الدول الكبرى آنذاك.

- اندماج بعض الداعين للاستقلال عن الدوله العثمانيه باسم العروبه في سياسات السفارات و القنصليات و الوزارات الأجنبيه. و كان من بين هؤلاء أعضاء بارزون في الجمعيات السياسيه العرييه و في المؤتمر العري الأول (١٩١٣).

- جاذبيه الفكر الليبرالى القومى الغربى للنخب المحليه فى وقت رزح فيه العالم الإسلامى تحت نير حكومات استبداديه تسترت بالإسلام و قدمت نفسها "حاميه للدين".

هذه الجوانب شكلت فى لحظه انتصار الغرب الاستعمارى فى الحرب العالميه الأولى العوامل المرافقه لعملية تقرير المصير للعديد من مناطق العالم الإسلامى.

و لذلك التبس أمر هذا التيار القومى و بدا عاملا مساعدا فى التجزئه و التفكيك حين ذاك.

و الواقع أنه إذا كانت هذه الصوره صحيحه إلى حد كبير آنذاك، فان دعوه العروبه لم تلبث أن اكتسبت بعد الحرب العالميه الأولى - و لا سيما فى المشرق العربى - بعدا و حدودا معاديا لسياسه التجزئه الاقليميه و الطائفيه و المذهبيه التى سارت عليها السياسات الغربيه منذ ذلك الحين و حتى آخر المرحله الناصريه، و لم تنفصل العروبه على المستوى الشعبى و الجماهيرى عن بعدها الإسلامى آنذاك.

السؤال كيف واجهت التيارات الإسلاميه المعاصره هذا الاشكال القومى فى عهديه العثمانى و الغربى؟ لقد تشكل فى سياق تفاقم أزمه السلطنه العثمانيه فى أواخر القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين، تيار فكرى إسلامى نجد فى مواقف أعلامه و نصوص كتابه أجوبه إسلاميه واضحه على هذا الاشكال. منذ صدور "العروه الوثقى" بقلمى جمال الدين الأفغانى و محمد عبده إلى كتابه عبد الرحمن الكواكبي طبائع الاستبداد.

و أمام هذا الاشكال المزدوج للحاله القوميه المعاشه فى مطلع القرن العشرين كان التيار الإسلامى المعبر عنه عبر المفكرين و الفقهاء الذين أشرنا لهم يقدم إجابات واضحه عن السؤال: كيف نتجنب استخدام الوعى القومى اداه للتجزئه و مطيه لشيوع الأفكار المعاديه للإسلام؟ و كيف يمكن للحاله القوميه أن تندرج فى وعى إسلامى أشمل و أكمل؟ لقد تطرق جمال الدين الأفغانى إلى هذه المسأله فى العديد من مقالاته و خاطراته. و هو إذ يجعل من الرابطة الإسلاميه الرابطة الأشمل و الاسمى و الأعدل و الأقدس، لا يغفل أهميه رابطة الجنس (و يعنى بها الرابطة القوميه) فى مسار التشكل التاريخى للشعوب و الأمم. و لكنه - مع ذلك - لا يعتبرها مندرجه فى حقائق "الوجدانيات الطبيعيه"، بل من "الملكات العارضه على الأنفس ترسمها على ألواحها الضرورات". و الضرورات(2) هذه تكمن فى وحده

ص: ١٤١

١- يقتصر كلامنا هنا على بروز الاشكال القومى فى التاريخ الإسلامى المعاصر و لا سيما فى المناطق التى كانت اجزاء من ولايات الدوله العثمانيه. و لا يعنى ذلك أن هذا الاشكال لم يكن موجودا فى المراحل الأولى من التاريخ الإسلامى. بل أن ما يميز الاشكال القومى الحديث هو فى تمثله و عيا سياسيا هادفا إلى إنشاء دوله قوميه محدده على أساس الانتماء الاثنى أو العرقى و على أساس الحدود الجغرافيه - السياسيه الثابته. فى حين أن الاشكال القومى فى مراحل التاريخ الإسلامى القديم اقتصر على بروز عصبيات قوميه تتصارع من أجل احتلال مواقع فى الدوله القائمه أو إقامه دوله حادثه. و لا يتحدد نطاق الدوله وفقا للانتماء الاثنى أو القومى لأهل الدوله أو عصبيتها.

٢- جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عماره، ص ٣٤-٣٥.

المصالح الاقتصادية لجماعه أو فى الدفاع الذاتى و صيانه الحقوق... "فإذا زالت الضروره لهذا النوع من العصبية تبع هو الضروره فى الزوال كما تبعها فى الحدوث بلا ريب" (١). و المزيل لهذه الضروره هو معتقد التوحيد الالهى فى الإسلام.

يقول: " و تبطل الضروره بالاعتماد على حاكم تتصاغر لديه القوى و تتضاءل لعظمته القدره، و تخضع لسلطته النفوس بالطبع، و تكون بالنسبه إليه متساويه الأقدام، و هو مبدأ الكل و قهار السموات و الأرض " (٢).

و إن التدرج فى سلم التوحيد و على أساس المبدأ الوظيفى للروابط الصغرى التى تتسع فى حقولها التوحيديه إلى وحده العالمين - وفقا للمفهوم القرآنى للدعوه الإسلاميه - يستوعب هنا رابطه العروبه كحامله دعوه و لسان شريعته و لغه قرآن، لا كرابطه دم و عصبية نسب.

يقول: " أن زحف العرب و وفودهم على البلاد إنما كان لتعميم الدعوه الدينيه أولاً " .إن وفود العرب حملت معها أخلاقاً فاضله ظهرت أفضليتها باجلى المظاهر مثل الأنفه من الكذب، و الوفاء بالعهد، و مطلق العدل، و كمال الحريه و المساواه... و إغاثه الملهوف و الكرم و الشجاعه... لذلك انعطفت قلوب الأمم على استحسان الوافدين من العرب لبلادهم سواء فيه البلاد التى فتحت عنوه و وضعت فيها الحرب أوزارها، أو صلحا، و أول مقدمات العاده الاستحسان ثم المزاوله حتى ترسخ ملكه...

" نعم أن أكبر حامل و افعال عامل على تعرب أولئك الأقوام هو الفضائل الأخلاقية و الصفات العاليه التى كانت تأتى بها العرب مع بأسهم و شجاعه أبطالهم " (٣).

تلك هى العروبه المقترنه بالرساله و بالأخلاق و الشجاعه و التى يراها جمال الدين حلقه ممهده للرابطه الإسلاميه غير متعارضه معها أو معيقه لها. و هو بذلك يدعو الأقوام الإسلاميه الأخرى إلى تعلم العريه لتعميق إسلامها و ترسيخه. يقول: " أن لكل دين لسانا و لسان دين الإسلام العربى ".

فالعروبه بهذا المعنى تشد العرب إلى غيرهم من الشعوب الإسلاميه و تشد الشعوب الإسلاميه غير العربيه إلى العرب. أنها حلقه جذب لا حلقه تناوب (٤) و فى المرحله التى كتب فيها الأفغانى هذه الكلمات و المخاطرات كان الخطر الاستعمارى يهدد الشعوب الإسلاميه بأسرها كما يهددها اليوم، و كان المستهدف فى عمليه المواجهه على الجبهه الثقافيه و على مستوى الاجتماع السياسى فى الشرق هو الإسلام بما هو إمكانيه جمع و توحيد و تفجير طاقه ثوريه للشعوب. فإذا اقترن الإسلام فى هذا السياق بوطنيات هذه الشعوب و قومياتها فى مواجهتها لقوى الاحتلال و الاستعمار فإنه يتوج بذلك الروابط الجمعيه على اختلافها و أوليات الدفاع الاجتماعى الذاتى فى حركه جديله تصاعديه ترقى بالرابطه إلى الأعلى و الاسمى و الأشمل.

و الأفغانى وفقا لهذا المفهوم الإسلامى يقيم خطأ للتمييز بين هذا النوع من القوميات أو الوطنيات التى يستوعبها الإسلام و بين النوع الغربى من القوميات التى تتصارع و تتقاتل من أجل التوسع و السيطرة و التى تتناقض مع الدين وفقا لنسق تجربته التاريخيه الأوروبيه التى أفرزت العلمانيه كصيغه حل للصراع بين اللاهوتى و الدنيوى، بين الكهنوتى و المدنى، بين الدين و العلم. و هذا ما يبرز فى رد الأفغانى على ارنست رينان الذى اتهم الإسلام بمناهضته للعلم، و الأمة العربيه بعدم صلاحية طبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعه و الفلسفه (٥). و فى السجال بين المفكرين يبرز بوضوح اختلاف المفهومين اللذين يتناولان معنى " الأمة " .

فثمه مفهوم غربى مشحون بعقده التفوق و التمييز و التصنيف العرقى - عند رينان - و ثمه مفهوم إسلامى مرن و منفتح و متدرج و متداخل (عند الأفغانى).

و فى مجال الممارسه السياسيه كان الأفغانى نموذجاً فعالاً فى تأكيد مصداقيه هذا الفكر. و من يتابع نشاطه السياسى و الدعوى فى العالم الإسلامى يندهش لتلك القدره الخارقه على الحركه و التأثير و المتابعه التفصيليه لأحداث كل بلد و صياغه الموقف المناسب من كل وضعيه و القدره على الانتقال السريع من قطر إلى قطر.

و الأمر الذى يستوقف فى كل هذا رؤيته الاستراتيجيه الإسلاميه الشامله التى يتكامل فيها الحس التاريخى مع الوعى السياسى و التى تتجلى فى تركيزه على دوائر ثلاث كانت قد انطلقت منها مشاريع الدول المركزيه فى التاريخ الإسلامى و من خلالها يتم رصد احتمالات مواجهه مع الغرب. و هذه الدوائر هى: مصر، و إيران و مركز السلطنه العثمانيه (تركيا).

و يتكامل هذا التيار الفكرى الإسلامى فى أدراجه الأشكال القومى داخل المنطق الإسلامى فى نظريه الكواكبى فى الجامعه الإسلاميه. فإذا كان الأفغانى قد اقترح أن تبقى السلطنه العثمانيه فى قلب هذه الجامعه و إطارها فان الكواكبى يقترح أن تنتقل الخلافه إلى إمام عربى قرشى (٤) و أن تتشكل جامعته إسلاميه يتصور مؤتمرها التحضيرى فى "أم القرى"، كما يتصور توزيع وظائفها وفقاً لأهليات و خصال الأقسام المسلمين. إذ يقترح الكواكبى وظائف معينه فى الجامعه الإسلاميه تناط بكل شعب من شعوبها.

(٧) و إذا كان التصور هذا، يشكو من طوباويته على صعيد الواقع السياسى فإنه على الأقل و على صعيد المنهج يدعو إلى اعتماد نظره وظائفيه فى التعامل مع خصوصيات الأقسام الإسلاميه، نظره تهدف إلى تحقيق نوع من التوازن فى وحده الجامعه الإسلاميه حيث لا تطغى عصبية على عصبية و إن تسترت بالإسلام "كصبغه دينيه" كما كان يقول ابن خلدون.

و ستزداد معاناه هذا التيار الإسلامى فى مواجهته لحل هذا الاشكال القومى مع تفاقم أزمه الدوله العثمانيه و تحولها التدريجى إلى دوله قوميه تركيه.

فهو يراهن على احتمال الإصلاح الدستورى كصيغه متلائمه مع الشورى فى الإسلام و لا- يلبث أن تصدمه حركه التتريك و سياسه جمال باشا الدمويه فيراهن على احتمال لإحياء الإسلام من الحجاز ثم تحبطه اتفاقيه سايكس - بيكو و وعد بلفور.. و يعود ليتوجه بالأنظار إلى تركيا و بالتحديد إلى حركه مصطفى كمال فيتوسم فى هذا الأخير أملاً فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه. و يدفعه الأمل بان يتصل بالترك لتريميم العلاقات العربيه - التركيه و حتى لاقتراح أن تبقى الخلافه فيهم، بل و حتى أن يعود مصطفى كمال إلى الإسلام ليبيع سلطانا على المسلمين.٦.

ص: ١٤٢

١- المصدر نفسه، ص ٣٤.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٤.

٣- المصدر نفسه، ص ٣١٦.

٤- يقول مرتضى مطهري أن الفرس " لم يكونوا يعدون العرييه لغة العرب فحسب بل لغة الإسلام و المسلمين عامه " فهى "لغة إسلاميه أمميه عالميه". الإسلام و إيران، ص ٦٦.

٥- الأعمال الكامله ص ٣٢٢.

٦- ينطلق بعض الباحثين من هذا الاقتراح ليرى فى الكواكبي داعيه للقوميه العرييه على طريقه نجيب عازورى فى دعوته عام ١٩٠٥. و فى هذا التأويل بعد عن الحقيقه التاريخيه و تشويه لآراء الكواكبي.

٧- الكواكبي، أم القرى، ص ٣٥٥-٣٦٦.

غير أن مصطفى كمال كان يرسم طريقا مغايرا لكل هذه الرهانات. و لن تلبث معاهده لوزان أن تقطع الطريق على كل هذه الاحتمالات لفتح طريقا واحدا أمام تركيا هي طريق القومية العلمانية. و بذلك يتلقى التيار الإسلامى فى بلاد العرب كما فى غيرها من البلدان الإسلاميه ضربه قاسيه و يصاب الفكر الإسلامى حينها بحاله من القلق و التساؤل و التردد بالرغم من "مؤتمرات الخلافه" التى عقدت و التى انتهت بتأجيل البت بمساله الخلافه. كما تشهد الساحات السياسيه تحركات مشبوهه من السلاطين و الملوك و من الدوائر الدبلوماسيه الغريبه لتتطف ثمار هذا الفراغ السياسى.

ثم أن ما ينبغى التنبه له هو أن العامل الحاسم فى إضعاف التيار الإسلامى لم ينحصر فى قرار إلغاء الخلافه الذى اتخذه مصطفى كمال. ذلك أن المؤسس السلطانيه كانت قد أضحت عمليا بلا حول و لا طول و كانت قد فقدت شرعيتها الإسلاميه بعد عجزها عن المقاومه و استسلامها للأجانب و قبولها بمشاريعهم.

إن ما يغفل عنه الباحثون هو أن سلسله من الثورات الشعبيه التى ارتكزت إلى منطلقات إيمانيه و إسلاميه كانت قد ضربت بوحشيه بالآله العسكريه الأوروبيه المتطورة: فمن ثوره عبد الكريم الخطابى إلى ثوره عمر المختار، إلى الانتفاضه الشعبيه المدينه فى مصر، إلى ثوره العراق بقياده علماء النجف، إلى الثوره السوريه الكبرى... ارتسمت معالم مقاومه إسلاميه مفرقه و موزعه، و لكن يجمعها المنطلق الإسلامى الواحد (الجهاد) و الحافز الوطنى الأهلى (الدفاع عن الديار و الأهل)، و العدو المشترك (المشروع الاستعمارى و ان تلونت اقطاره و قومياته).

إن انتصار القوى المستعمره على هذه الثورات بالأسلوب الوحشى الذى تحدث عنه و نائق التاريخ و تحمله الذاكره الشعبيه أفسح المجال أمام منهج فى العمل السياسى النخبوى كانت قدوته بشكل عام و بدرجات متفاوتة: صوره نظام آتاتورك فى تركيا.

و هكذا و مع ضرب تعبيرات المقاومه فى المجتمعات الإسلاميه و بروز نموذج آتاتورك بدأت تتشكل تيارات سياسيه قوميه علمانيه تبتعد عن الإسلام، بل و قد يعزو بعض أجنحتها و مفكريها إلى الإسلام أسباب الهزيمة و التأخر.

هذا الطرح كان من شأنه أن يزيد من عقده الاشكال القومى و ذلك من خلال تعميق الفجوه بين الموقف الإسلامى و الصيغه القوميه المقتبسه من تجارب أوروبا و منظرها.

و هكذا ارتسمت صوره للقوميه منفصله عن الإسلام لا سيما فى بلاد الشام حيث كانت التجربه مع التتريك العثمانى قاسيه و حيث اتسم المجتمع الأهلى بتعدد دينيه استدعت استخدام خطاب سياسى يتحدث عن وحده وطنيه لا دينيه.

و لكن هذا الاشكال نفسه لم يكن ليطرح خارج هذه الخصوصيه الجغرافيه - التاريخيه.

فى شمالى إفريقيا اندمج الوعى القومى بالإسلام بل ارتكز إليه. و لم تكن الدوله العثمانيه و لا سيما فى مرحله التتريك فيها و قد تركت هناك ذكرى الحصار و المجاعه أو التجنيد الالزامى و أعواد المشانق كما حصل فى كل من دمشق و بيروت، بل كانت ذكراها هي ذكرى الدوله الإسلاميه التى تحاول أن تدافع عن ثغور الجنوب الإسلامى للمتوسط و كانت هذه الذكرى محفوظه فى "الذاكره الشعبيه" و الكتاب التاريخى منذ القرن السادس عشر. و هكذا لم تجد التيارات الإسلاميه نفسها فى شمالى إفريقيا فى مواجهه مع القوميه. بل أن التعبير الإسلامى كان أحيانا جزءا من التعبير القومى، و فى الغالب كان التعبيران مندمجين

فى حاله سياسيه و ثقافيه واحده هى حاله التمايز عن المستعمر و حاله الدفاع عن هويات وطنيه و ثقافيه معا. و هو الأمر الذى كان قد لاحظته (فانون) بشكل واضح و لا سيما فى دراسته لثوره الجزائر.

و الذى يستعرض التيارات الفكرية الإسلاميه عبر نصوصها و أعلامها فى شمالي إفريقيا (أمثال ابن باديس و حسن البنا) لا يجد مكانا للاشكال القومى كاشكال مثير للتعارض أو الرفض من موقع المعتقد الإسلامى. إذ تجرى مصطلحات الوطن و الوطنيه و الوحده العربيه و الوحده الإسلاميه كمفاهيم متدرجه فى إطار التكاملية الوظائفيه المؤديه إلى التوحيد.^(١)

إذن كيف و متى و أين كانت تشار الإشكالات بصيغه التعارض بين حالات الوعى الإسلامى و حالات الوعى القومى؟ قلنا أن التعارض كان يحصل عند ما كان الوعى القومى يعبر عن نفسه عبر بعض النخب المحليه المتغربه تماثلا- فكريا و منهجا مع العقائد القوميه الأوروبية التى اتخذت لنفسها و لأممها صفه التفوق و الاستثثار و حملت معها مشاريع للتوسع و السيطرة كما حملت معها فلسفه سلوكيه معاديه للدين أو مهشمه له.

هذا على صعيد المنهج. و لكن يبقى أن نشير إلى عوامل أخرى ارتبطت بخصائص جغرافيه سكانيه تاريخيه فى مناطق معينه من العالم الإسلامى.

فكما أن لبلاد الشام مثلا وضعيه سكانيه معينه و تجربه تاريخيه خاصه مع مرحله المركزيه و التتريك، فان لايران و الهند (و لا سيما فى قطاعها الباكستانى) تجربه تاريخيه معينه فى حقل العلاقه بين القوميه و الإسلام.^(٢)

و هذه تجربه اتسمت فى قطاعات منها بمعاداه حاده بين الفكر القومى و الفكر الإسلامى.

فهذا هو أبو الأعلى المودودى يعتبر الفكر القومى "فكرا شيطانيا" ابتليت به أوروبا و النخب المحليه المقلده لها.^(٣) و المودودى فى هذا الموقف الصارم لا يعبر فحسب عن معيار منهجى و عقائدى فى التمييز بين الفكر القومى الأوروبى التجزيئى و بين الفكر الإسلامى التوحيدى، بل أنه يعبر أيضا فى المجال السياسى و الوجهه الواقعيه العمليه عن الاحتمال التاريخى التجزيئى و الانشاقى للوجهه الوظيفيه للقوميات المحليه فى الهند و الباكستان.^(٤)

و لعل هذه الوجهه التفسيريه لوظيفه القوميه هناك هى ما استوقفت مفكرا إسلاميا هو كليم صديقى و دفعته أن يعمم النظره المعاديه للقوميه فى كل مستويات الطرح دون اعتبار للخصوصيات الاقليميه فى التجارب التاريخيه. فهو يجعل من القوميه على طول الخط صنيعه للاستعمار و أداه لسياسات التفسير فى الأمه الإسلاميه.^(٥)

ص: ١٤٣

١- راجع وثيقه لحسن البنا حول الموقف من الوحده العربيه و الوحده الإسلاميه فى مجله الحوار، صيف ١٩٨٦، ص ١٦٨-١٦٩.

٢- راجع مقاله: طارق البشرى، بين الإسلام و العروبه، الحوار، صيف ١٩٨٦، ص ١٥-٣٢.

٣- أبو الأعلى المودودى، نحن و الحضاره الغربيه، ص ٧٧

٤- انظر: طارق البشرى، بين الإسلام و العروبه، مجله الحوار، صيف ١٩٨٦، ص ٢١-٢٢.

٥- قارن كللم صديقى؁ التوحيد و التفسيف بين سياسات الإسلام و الكفر. المعهد الإسلامى - لندن. ١٩٨٤؁ ص ٢٧-٣٤.

و إذا كان هذا الأمر صحيحا بالنسبة لتيار الرباطه الإسلاميه فى الهند البريطانيه الذى تزعمه محمد على جناح و الذى أدى إلى انفصال باكستان فان هذه التجربه الباكستانيه (و إن حملت عنوان الإسلام شكلا و القوميه مضمونا) لا يمكن تعميمها على البلاد العربيه. فالرباطه العربيه هنا و التى يعبر أحيانا عنها بالعروب و أحيانا أخرى بالقوميه العربيه (دون استدعاء المعانى الغربيه لها) هى دعوه لرباطه توحيد ورد على سياسه التفسير و التجزئه التى استخدمها المستعمرون منذ الحرب العالميه الأولى و حتى الآن و كرسوها كأمر واقع مفروض أو كمشاريع تذهب نحو مزيد من التجزى و التفكيك كما نلاحظ الآن على الساحة اللبنانيه. (١)

و فى إيران و تركيا كان التيار الإسلامى يواجه الفكر القومى الأخرى انطلاقا من الاختلاف فى تعيين مرجعيه الأفكار و تعيين أصولها و مصادر استلهامها.

فالفكر القومى الأخرى ارتبط بمرجعتين متعارضتين مع العمل الإسلامى. فهو من جهه يتماهى مع الحضاره الآريه التى تستحضر فى الصوره التاريخيه زمنا تركيا أو إيرانيا ساد فى مرحله ما قبل الإسلام، و هو من جهه أخرى ينجذب نحو تقليد أنموذج حضارى غربى حديث ساد فى مرحله السيطره الاستعماريه على الشعوب الإسلاميه. و كان أهم هذين النموذجين: نظام الشاه فى إيران، و نظام آتاتورك فى تركيا.

و لذلك كان من الطبيعى أن يتخذ العمل الإسلامى فى كل من إيران و تركيا وجهه معاديه للفكر القومى باعتباره فكرا أوروبا و آريا معاديا للإسلام.

يقول مرتضى المطهرى، أحد كبار مفكرى الثوره الإسلاميه فى إيران معبرا عن إشكاليه الموقف الإسلامى الايرانى فى التصور القومى هناك: "إذا تقرر أن يكون الأساس فى تعيين حدود الأمه الإيرانيه هو العنصر الأخرى، كانت النتيجة فى نهايه الشوط الاقتراب من العالم الغربى. و كان لهذا الاقتراب فى سيرتنا القوميه و السياسيه تبعات و آثار اخطرها الانقطاع عن الأمم المسلمه المجاوره غير الآريه و الارتباط بأوروبا و الغرب... و على العكس من ذلك تماما فيما إذا جعلنا ملاك أمتنا نظامنا الفكرى و السلوكى و الاجتماعى لهذه القرون الأربعه عشر الأخيره، إذ يكون لنا آنذاك سيره و تكاليف أخرى مغايره لما سبق - و يصبح حين ذاك العرب و الترك و الهند و الأندونيسيون و الصينيون المسلمون بالنسبه إلينا أصدقاء بل أقرباء". (٢)

و يمكن أن نخلص إلى القول أن الوعى القومى المتشكل لدى الأقوام الإسلاميه غير العربيه بدءا من تركيا إلى الهند مرورا بإيران كان يتخذ صيغا فكريه و سياسيه معاديه للإسلام أو بعيده عنه. كان ذلك شأن الحاله الفارسيه الآريه و الحاله الطورانيه التركيه، أو حتى شأن الحاله الانفصاليه الباكستانيه التى حصرت الإسلام فى مفهوم سوسولوجى - إقليمى فبدت انشقاقيه و بعيده عن المفهوم الوحده الإسلامى للدعوه.

و من هنا فان تمايز هذه الحالات ليدعو إلى التمييز أيضا فى الحالات العربيه.

إن الحالتين الطورانيه التركيه و الفارسيه الآريه تتشابهان على المستوى العربى مع الحالات الاقليميه العربيه كالحاله المصريه - الفرعونييه، و الحاله اللبنانيه - الفينيقيه و الحاله السوريه - الآشوريه مع اختلاف العمق فى التمثيل و اختلاف أهميه كل من هذه الحضارات فى التاريخ.

أما فيما يخص حاله العروبه¹¹ و إذا استثنينا التعبيرات الجزئية القومية التي سعت إلى الابتعاد عن الإسلام في بعض المناطق ولدى بعض النخب) فان العروبه كانت مندمجه دائما في الإسلام - بل كانت هي حضور الإسلام المتجدد في اللسان و القرآن و التراث. و من هنا فان التيارات الإسلاميه العربيه المعاصره لا تجد في العروبه المسلمه خصما. ذلك أن العروبيين إذا ما انفصلوا عن الإسلام لن يجدوا في انفصالهم مبررا أو مرجعا إلا عودتهم إلى عروبه جاهليه قبله أو تماهيمهم مع أنموذج قومي عنصري يستلهمون منهجه من نظريات أوروبية درست.

إن المعركه التي تفتعل اليوم بين العروبه و الإسلام أو بالأحرى بين التيارات القومية و بين التيارات الإسلاميه في بلاد العرب إنما تعود إلى التباسات في الفهم النظرى و إلى أخطاء في استراتيجيات العمل السياسى و خططه.

- التباسات تعود إلى أن أنظمه دعت نفسها إسلاميه، استتبعت إلى الغرب و كانت جزءا من استراتيجيته في مواجهه حركات التحرر الوطنى تحت غطاء محاربه الشيوعيه، و إلى أن أنظمه دعت نفسها قومية و كانت قطريه في توجهها و استبداديه في علاقتها بجماهيرها و عاجزه عن خوض المعركه القومية التي ادعت القيام باعبائها.

- و أخطاء في استراتيجيات العمل السياسى تعود إلى ردود فعل متسرعه يلجا إليها كل طرف و قد يخترقها العدو أو يوظفها باتجاه الدفع بالصراع نحو مزيد من التفكيك و التجزى.

و هكذا و بسبب الالتباس و الخطا و الفعل ورد الفعل تقوم تيارات قومية و إسلاميه بتبادل التهم و تحميل وزر الخطا إلى بعضها البعض. فيحمل الإسلام وزر أخطاء قوى اجتماعيه سياسيه في مرحله تاريخيه ماضيه، و تحمل العروبه وزر أخطاء نظام سياسى معين و قوى سياسيه عربيه معينه.

و هكذا أيضا تتعمق المفارقة الحاده بين الفكر الوجدوى الذى يرفده الإسلام و العروبه معا و بين العمل السياسى الحزبى بشقيه الإسلامى و القومى. فالحزبيه سواء كانت قومية أو إسلاميه توظف الفكر فى مشاريعها التكتيكيه السياسيه و السلطويه الخاصه. فان اختلفت هذه المشاريع أخضع الفكر للاختلاف و الانشقاق و التجزى. و يبقى مع ذلك للفكر و الوجدوى الذى يستلهم التوازن و العدل من المفهوم القرآنى¹² للأمه الوسط¹³ حيز من الاستقلاله الذى يمتنع عن الإخضاع لمنطق العمل الحزبى و السلطوى.

و لنا من جمال الدين الأفغانى عبره فى القدره على تجاوز الاختلاف فى الانتماءات القومية فى العالم الإسلامى. فلم ينحصر تأثير جمال الدين الفكرى فى نطاق قومى معين. لقد أثر فى العرب بقدر ما أثر فى الايرانيين و الأتراك و الأفغان و غيرهم. و قد قيل¹⁴ إن جمال الدين لم يكن يرغب فى أن يعرف نفسه إلى الناس منتميا إلى أمه معينه من المسلمين، مخافه أن يعطى بذلك حجه بيد المستعمرين¹⁵.

١- من هنا تأتى ردود الفعل من قبل القوميين العرب الذين لا يفصلون بين العروبه و الإسلام على هذه الاطروحات اللاتاريخيه

التي يعممها كليم صديقي في مؤتمراته الخاصه في لندن.

٢- مرتضى المطهري، الإسلام و إيران، ص ٢٢ و هنا لا بد من الاستدراك أن ثمة تعبيرات قومية - إسلاميه إيرانيه موجوده على الساحة الإيرانيه لا ترى تناقضا بين الإيرانيه و الإسلاميه. و لا نكون بعيدين عن الواقع إذا قلنا أن التيار الإسلامى نفسه فى إيران ملئ بالتعبيرات القوميه الإيرانيه. كالأصرار مثلا- على وصف بعض المعالم الجغرافيه - التاريخيه بالفارسيه، و كالأعتزاز بدور الايرانيين فى خدمه الإسلام. و كتاب الشهيد مرتضى مطهري (الإسلام و ايران)، يظهر جهدا علميا كبيرا لاثبات هذه الفرضيه اثباتا يدفع بالمؤلف للحديث "بان الأمه الإيرانيه قدمت خدمات للإسلام أكثر من أيه أمه أخرى و أن الحضاره الإيرانيه القديمه و العريقه قدمت للحضاره الإسلاميه الحديثه خدمه كبرى". الإسلام و إيران، ص ٢٥٧.

كى يثيروا بذلك شعور سائر القوميات المسلمه ضده "(1).

هذا التوجه الوجودى فى التعامل مع قوميات العالم الإسلامى يملك دلالات كبرى على امكانيات الفكر الإسلامى فى أن يمارس تأثيرا إيجابيا و توحيدا إذا استطاع أن يفلت من فخاخ التوظيف السياسى للأحزاب و العصبيات و شباك السلاطين و الملوكة و الحكومات و الدول. و لعل علاقه جمال الدين بالسلطان عبد الحميد تعبر عن المأزق الكامن بين الفكر و السلطه و عن عمق المعاناه عند ما يطمح المفكر أن يكون مرشدا للسياسى لا خادما له. (انتهى بحث الدكتور كوثرانى).

و نعود بعد هذا إلى التساؤل عن سبب سكوت العرب عن الحكم العثمانى:

لما ذا سكت العرب

؟ إن سكوت العرب على الحكم العثمانى طيله أربعة قرون هو موضع تساؤلات عديده طرحها الباحثون فى مختلف المناسبات، و فى هذا الموضوع نقول:

لما ذا سكت العرب طوال أربعة قرون على الحكم التركى الذى تستر باسم العثمانىه ليعبد عن نفسه تهمه العنصرىه؟.

لما ذا سكت العرب هذا السكوت الطويل و لم يتكلموا إلا قبيل زوال الدوله العثمانىه، فتهامسوا أولا، ثم بدأت الأصوات ترتفع قليلا- قليلا- حتى تحولت إلى الجهر، جهرا لا- باللسان بل بالسنان، جهرا يتلظى بنيران البنادق و لهيب المدافع، و أين هذا الجهر المدوى من ذاك الصمت المطبق؟ و كل ما قيل من تعليل ذلك هو إما اتهام للعرب بأنهم استكانوا للأجنبى الفاتح لمجرد كونه مسلما مشاركا لهم فى الدين. و إما دفاع هو فى حقيقته إقرار لهذا الاتهام.

و نحن نحاول فى هذه الكلمات أن نرى أين هى الحقيقه. و لا نزعم أننا جننا بالقول الفصل، بل نزعم أننا من بعض العرب الذين تجرى على أجدادهم هذه الأحكام، و أننا من خلال سير هؤلاء الأجداد رأينا بصيصا من الحقيقه علينا أن نكشف عنه، فى السنه ١٤٩٨ واجهت البلاد العربيه خطرا فادحا هو سيطره الأسطول البرتغالى على المياه العربيه و فرضه حصارا على مدخلى البحر الأحمر و الخليج، فقال مؤرخ عربى يصف ذلك: " و صاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا و نهبا ". و قال مؤرخ آخر: "البرتغال... ظهروا فى البحر و أوسعوه نهبا و صاروا يأخذون كل سفينه غصبا".

و فى السنه ١٥٠٠ أحرقت البرتغاليون عشر سفن مصرىه فى الموانئ الهنديه. و فى السنه ١٥٠٢ هاجموا عدن و نهبوا و أحرقوا سفنا عربيه فى مينائها، و فى السنه التاليه وصلوا إلى مدخل البحر الأحمر، ثم بعد سنتين تغلغلوا حتى ميناء جدده. و فى السنه ١٥٠٦ أحكموا السيطره على باب المندب و مدخل البحر الأحمر، ثم التفتوا فى السنه التاليه إلى مداخل الخليج.

و بعد ذلك قاد (البوكرك) قائد الأسطول البرتغالى، حملة إرهاب و عنف و حرق و تخريب على السواحل العربيه الجنوبيه الشرقيه، و أحرقت مسقط و شرد سكانها. ثم احتل البرتغاليون ما اختلوه من البلاد.

و إذا كانت الأمور العربيه على هذه الحال المفجعاه فى المشرق، فإنما كانت أسوأ منها فى المغرب، إذ تمكنت إيزابيلا ملكه قشتاله من احتلال غرناطهالسنه ١٤٩٢ فانتهت آخر حكم عربى فى الأندلس. ثم كان حفيدها شارل ملك اسبانيا يهدد العرب فى

شمال إفريقيا و يعمل على الحلول محلهم فى مياه البحر المتوسط و أصبح فى إمكانه أن يهددهم من الشمال وقت كان يضربهم البرتغاليون من الجنوب.

و أخذت المصائب تتوالى فاحتلت قوات أراغون: وهران السنه ١٥١٠، و بوجيه السنه ١٥١٢، و أجبر زعماء الجزائر على توقيع معاهده و اعترفوا بسياده أراغون. و كان أسطول أراغون احتل تونس و طرابلس أوائل ١٥١٠، و احتل البرتغاليون طنجه. و هدد فرسان القديس يوحنا من رودس و طرابلس و مالطه السفن العربيه بمثل ما يهددها به البرتغاليون فى المحيط الهندى.

و قد كان (البوكر ك) صريحا حين قاد فى شباط ١٥١٥ أسطولا فى اتجاه السواحل العربيه و أعلم ملك البرتغال بان هدفه الرئيسى هو الاستيلاء على عدن و جعل مصوع ميناء حريبا و مركزا للأسطول البرتغالى فى البحر الأحمر ليتمكن من القضاء على الترك و تخريب مكه.

و فى ٢٦ آب السنه ١٥١٦، كان السلطان سليم العثمانى يدخل حلب، ثم فى التاسع من تشرين الأول يدخل دمشق. ثم يتتابع احتلال العثمانيين بعد ذلك للبلاد العربيه بلدا بعد بلد. غير أن العثمانيين لم يستطيعوا الاحتفاظ بأكثر أجزاء الجزيره، فسيطروا على مكه و جدّه، و قامت فى وجههم ثورات فى اليمن، و كانت سلطتهم اسميه فى حضر موت و نجد.

أما فى إفريقيا الشماليه فخضعت لهم ليبيا و تونس و الجزائر و فشلوا فى الاستيلاء على مراکش.

لقد رأينا فيما تقدم أن احتلال السلطان سليم لحلب جاء بعد إعلان (آلبوكر ك) بأنه عازم على تخريب مكه، و بعد أن تساقطت البلاد العربيه فى المشرق و المغرب بيد البرتغاليين و الإسبان، و لم يكن هؤلاء الفاتحون يكتفون أن حربهم هى حرب صليبيه، لذلك لم يكن غريبا أن لا ينظر العرب للعثمانيين نظره عدايه بحته.

و مع أن السلطان سليم و من كان قبله و من جاء بعده لم يتعرضوا للبرتغاليين و لا- دافعوهم عن البلاد العربيه، و لم يفعلوا قبل ذلك شيئا لحمايه مسلمى الأندلس فقد سلم العرب لهم.

ثم إنه لم يكن هناك حكم تركى مباشر، بل إن البلاد العربيه كانت تتمتع بما يمكن أن نسميه بالحكم الذاتى، و لكن لا بمستوى هذا العصر، بل بمستوى ذلك العصر. و من هنا كان حكام البلاد الحقيقيون هم أهلها، فقد أبقت الدوله فى سوريه و لبنان على سبع عشره أسره حاكمه إقطاعيه. و كذلك الحال فى العراق، اعترفت الدوله بشيوخ العشائر حكاما على عشائرتهم.

أما فى ليبيا و تونس و الجزائر فلم يكن هناك حكم تركى بالمعنى الصحيح، بل لقد تقلص هذا الحكم فى وقت مبكر جدا، و كانت هذه البلاد تتمتع بما هو أوسع من الاستقلال الذاتى. و أما فى الحجاز فقد كان الحكم الحقيقى بيد شريف مكه، و أما اليمن فقد كان هو الثائر أبدا، و كان يعيش بين حالين، استقلال تام أو ثوره عارمه.

ص: ١٤٥

و فى مصر سلم السلطان سليم الحكم إلى خير بك من مماليك السلطان الغورى و نائبه فى حلب و كان قد تخلى عن سلطانه و انضم إلى السلطان سليم. و بعد وفاه خير بك سنة ١٥٢٢ كانت الدوله ترسل لحكم مصر باشا عثمانيا، لم يكن ينفرد بالحكم الفعلى، بل كان المماليك يشاطرونه الكثير من شئونه إلى أن استطاع هؤلاء المماليك السيطرة كامله على البلاد. و يجب أن لا ننسى أنهم كانوا قد تمصروا و أصبحوا من أبناء البلاد.

هذه الأوضاع لم تشعر العرب بأنهم محكومون فعليا من غيرهم، لذلك كانوا يرون أنفسهم أسياد أنفسهم، فلم الثورة؟.

و يجب أن لا ننسى أن اللغة العربيه التى هى من أبرز مظاهر السيادة كانت مصنونه كل الصون، بل يبدو أن الأمر كان أكثر من ذلك، ففى كثير من النصوص ما يشعر بأنها كانت هى المقدمه على اللغة التركيه. و أنى لأورد مثلا: ففى عشر الخمسين كنت فى سياحه فى اليونان و زرت فيما زرت مدينه سلاينيك فإذا بى أمام ظاهره عجيبيه، فقد رأيت فيها حماما أثريا هو من بقايا العثمانيين أيام حكمهم لها، و تطلعت إلى مدخله فإذا على بابه منقوش على الحجر كتابه حسبته لأول وهله كتابه تركيه، و لما تأملتها إذا بها كتابه عربيه فصيححه هذا نصها: "أمر ببنائه إمام المسلمين و سلطان الغزاه و المجاهدين السلطان مراد بن محمد بن بايزيد خلد الله ملكه". ثم تحتها بلا فاصل الكلمه العربيه العذبه "أهلا و سهلا" و عليها تاريخ سنة ٨٤٦هـ.

و لو كانت هذه الكتابه فى بلد عربى محكوم من الأتراك لكان لها كل المبررات. أما أن تكون فى البلد البعيد و فى قوم هم من غير العرب، فمعنى ذلك أن اللغة العربيه هى الأصل فى الدوله العثمانيه.

و يزيد فى العجب أن السلطان مراد بن محمد هذا لم يكن يحكم البلاد العربيه، فقد تولى الملك سنة ٨٢٤هـ، و هو والد محمد الفاتح، أى أن هذه الكتابه العربيه قد كتبت قبل فتح القسطنطينيه سنة ٨٧٥هـ و قبل فتح حلب الذى كان سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦).

فإذا كانت اللغة العربيه هى اللغة السائده فى حكم العثمانيين قبل فتحهم البلاد العربيه بست و سبعين سنه، فكيف بها حين فتحوا تلك البلاد؟.

ثم إن هناك دليلا آخر على سياده اللغة العربيه فى الدوله العثمانيه حتى فى البلاط السلطاني، فان السلطان أحمد الثالث و هو السلطان الرابع عشر من آل عثمان، و الذى تولى الحكم السنه ١٠١٢هـ (١٦٠٣م) كان شاعرا باللغة العربيه و هو صاحب القصيده الغزليه التى مطلعها:

طى يصول و لا وصول إليه جرح الفؤاد بصارمى لحظيه

و حتى يكون رأس الدوله شاعرا عربيا فلا بد أن يكون لا للغة العربيه وحدها السيادة فى الدوله، بل لشعرها و أدبها أيضا.

ثم هناك المؤلفون الأتراك باللغة العربيه فمن مدينه أنقره وحدها خرج أربعه فقهاء كانت مؤلفاتهم باللغة العربيه، هم جلال الدين الأنقروى المولود سنة ٦٥١ (١٢٥٣) مؤلف كتاب شرح الزيارات للعتابى و كتاب الفرائض.

و محمد بن الحسن الأنقروى المتوفى سنة ١٠٩٨ (١٦٨٦) صاحب فتاوى الأنقروى. و شجاع بن نور الله الأنقروى المتوفى سنة ٩٦٤ (١٥٥٦) صاحب كتاب حل المشكلات. و إسماعيل بن احمد الأنقروى المتوفى سنة ١٠٤١ (١٦٣١) صاحب كتاب منهاج

هذا فى بلده واحده، و نستطيع أن نعدد ممن كتبوا باللغه العربيه، نعددهم كنماذج كلا من الشاعر أحمد برهان الدين ٧٤٥ - ٧٩٩ (١٣٤٤ - ١٣٩٧) الذى نظم الشعر بالعربيه و التركيه و ألف بالعربيه فى الفقه (ترجيح التوضيح) و (إكسير السعادات فى أسرار العبادات). و حاجى خليفه الموسوعى الكبير ١٠١٧ - ١٠٦٧ (١٦٠٩ - ١٦٥٧) صاحب كتاب (كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون) و هو معجم أسماء المؤلفات العربيه.

و كتاب (تحفه الكبار فى أسفار البحار) و كتاب (الوصول إلى طبقات الفحول). و حسين بن محمد الديار بكرى صاحب كتاب (تاريخ الخميس فى أنفس نفيس) و هو يشمل السيره النبويه و ما بعدها حتى السلطان مراد الرابع توفى سنه ٩٦٦ (١٥٥٨). و طاشكبرى زاده ٩٠١ - ٩٦٨ (١٤٩٥ - ١٥٦١) من أشهر كتاب السير و الموسوعيين. وضع موسوعه باللغه العربيه فى العلوم و الآداب. و له كتاب (شقائق النعمان) يتضمن سيره ٥٢٢ من العلماء و شيوخ الطرق. و عارف حكمت (١٧٨٦ - ١٨٥٩) شيخ الإسلام كان شاعرا باللغه العربيه. و نامق كمال (١٨٤٠ - ١٨٨٨) كان إلى شاعريته باللغه التركيه شاعرا باللغه العربيه. و نحن هنا لا نريد الاستقصاء و إنما هى امثله تمثل مختلف العصور و تدل على حقيقه الحال.

و أكثر من ذلك، فقد كان الملوك العثمانيون يمدحون بالشعر العربى فيجيزون عليه، و يقصدهم الشعراء العرب بمدائحهم فيرجعون بجوائزهم.

حتى إن أحدهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين العليف، من شعراء الحجاز، و يلقبه (النهروالى) بشاعر البطحاء، نظم ديوانا كاملا فى السلطان بايزيد الثانى بن السلطان محمد الفاتح الذى تولى الملك سنه ٨٨٦.

و من شعره فيه قوله من قصيده:

فيا راكبا يجرى على ظهر ضامر إلى الروم يهدى نحوها طيب النشر

لك الخير إن وافيت (برسا) فسر بها رويدا لاسطنبول ساميه الذكر

لدى ملك لا يبلغ الوصف كنهه شريف المساعى نافذ النهى و الأمر

إلى بايزيد الخبر و الملك الذى حمى بيضه الإسلام بالبيض و السمر

فيا ملكا فاق الملوك مكارما فكل إلى أدنى مكارمه يجرى

لئن فقتهم فى رتبه الملك و العلا فان الليالى بعضها ليله القدر

و إنى لصوان لدر قلائدى عن المدح إلا فيك يا ملك العصر

فقابل رعاك الله شكرى بمثله فانك للمعروف من أكرم الذخر

و كانت جائزته من السلطان على القصيده ألف دينار ذهباً. و راتب سنوى مائه دينار ذهباً. و ظل الراتب يجرى على أولاده بعد موته. و كذلك فقد كان الشعراء يرثون موتاهم بشعر عربى، فعند ما مات السلطان سليمان (القانونى) رثاه فى اسطنبول الشيخ أبو السعود العمادى بقصيده قال فيها:

أ صوت صاعقه أم نفخه الصور فالأرض قد ملئت من نقر ناقور

أم ذاك نعى سليمان الزمان و من قضت أوامره فى كل مأمور

مجاهد فى سبيل الله مجتهد مؤيد من جناب القدس منصور

بلهذى إلى الأعداء منعطف و مشرفى على الكفار مشهور

ص: ١٤٦

و رايه رفعت للمجد خافقه تحوى على علم بالنصر منشور

و عسكر ملاً الآفاق محتشد من كل قطر من الأقطار محشور

و هكذا نرى أن العرب كانوا فى الدوله العثمانيه يتمتعون بما يمكن أن نسميه بالاستقلال الذاتى، و أن للغتهم المكانه التى تستحقها، و أن تلك الدوله ردت عنهم الهجمه الصليبيه، و إنها تحميهم من مثيلاتها، فلا عجب إذن أن يرتضوها.

أما حين تبدل الحال و بدأت تنمو فى الأتراك الروح الطورانيه، و بعد أن قام فى الأتراك مثل عبيد الله من يدعو إلى طمس أسماء الخلفاء الراشدين المكتوبه على قباب المساجد التركيه لأنها أسماء عربيه و إبدالها بأسماء الخلفاء الأتراك. و بعد أن ألقت جمعيه (تورك ياوردى) دعاء ليتلى فى المساجد التركيه جاء فيه: "و أنت يا مملكه توران الجميله المحبوه أرشدنا إلى الطريق المؤديه إليك لأن جدنا أوغوز الكبير ينادينا".

أما حين صار الأمر إلى هذا الحال بعد أن كان فى الأتراك مثل نامق كمال الذى يقول مخاطبا الوطن: "اذهب أيها الوطن و تدرثر بالسواد فى الكعبه ثم ابسط إحدى ذراعيك إلى روضه النبى و مد الثانيه إلى المشهد فى كربلاء ثم افتح صدرك و اخرج منه شهداءك و انثرهم على الملاء و قل: يا رب هؤلاء هم الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيلك، بينهم من استشهد ببدر و من استشهد فى حنين".

أما حين حل عبيد الله محل نامق كمال، و حين فقد العرب كل حقائق الاستقلال الذاتى، و حين أصبح الحكم التركى حكما مركزيا متسلطا على العرب، و حين صارت اللغه العربيه غريبه حتى فى بلاد العرب، أما حين حل كل هذا و ما هو شر من هذا، فقد بدأ التهامس العربى، ثم بدأت الأصوات ترتفع قليلا- قليلا- حتى تحولت إلى الجهر لا- جهرا باللسان - كما قلنا فى مفتتح القول - بل جهرا باللسان، جهرا يتلظى بنيران البنادق و لهيب المدافع..

و من الحقائق التى ليست معروفه أن الذين بدءوا بهذا التهامس، ثم أتبعوه بشىء من ارتفاع الصوت، هم الفقهاء. فالفقيه الفلسطينى الشيخ يوسف النبهانى زار استنبول باعتبارها عاصمه الخلافه الإسلاميه، و باعتباره من كبار الفقهاء المسلمين، فأحس فيها التحول الجديد و شعر بما يبيت للعرب فتركها عائدا إلى بلاده قائلا:

و يمتت دار الملك أحسب أنها إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سلما

فألفت فيها أمه عربيه يرى الترك منها أمه الزنج أكرما

و ما نقموا منا بنى العرب خله سوى أن خير الخلق لم يك أعجما

بنى الترك أنى تكلمت هاجيا و لكن قلبى من جفاكم تكلما

و سبقه إلى ذلك فقيه آخر من كبار الفقهاء اللبنانيين هو السيد نجيب فضل الله، أحس هو أيضا بما أحس به الفقيه النبهانى. و هو و إن لم يزر استنبول كان يلح فى الأفق انحرافا و إن كان لا يبدو شاملا فهو ينذر بالكثير.

فقصد إلى مكة حاجا و اتصل بالشريف عون محرضا إياه على الثورة و إعادة الخلافة عربييه.

و كما كان الشيخ يوسف النبهاني شاعرا فعبر عن نعمته بالشعر كذلك كان السيد نجيب فضل الله شاعرا هو الآخر فعبر عن ثورته بالشعر أيضا، فقال من قصيده يخاطب بها الشريف عون:

إني وجدتك يا بن بنت محمد أرج الخلافة من ثيابك يعبق

لو قمت فينا ملهبا نار الوغى خفت إليك بنا الجياد سبق

يحملن منا كل أشوس أقعس بحسامه هام الكماه تفلق

و ما دمننا في حديث الشعر فان شعرا سبق شعر هذين الفقيهين في هذا الموضوع، و كان هذا الشعر عراقيا، هو شعر الشاعر احمد الشاوي الذي قال:

الا ليت شعري و الامانى ضله و عمر الفتى ان عاش ما عاش للهلك

أ مخترمي ريب المنون و لم أكن لأدرك للإسلام تارا من الشرك

و أبرد من صهب العثانين غلتي و أشفى و استشفى غليلي من الترك

على أن التحرك العربي الفعال كان بعد سنة ١٩٠٨، سنة إعلان الدستور العثماني، فالذين أسقطوا السلطان عبد الحميد و أعلنوا الدستور إعلانا نهائيا كانوا جماعه حزب الاتحاد و الترقى. و قد هلل العرب للعهد الجديد و أنشئوا للحزب فروعا في بلادهم، و حسبوا أن الحريه ستشملهم. و شيئا فشيئا بدأت تتكشف نوايا (الاتحاديين) و أخذت الدعوه (الطورانيه)^(١) بالتظاهر و أطل التريكة واضحا.

و كان وراء حزب الاتحاد و الترقى جمعيه (تركيه القناه)، التي كانت هي الموجه الفعلية للاتحاد و الترقى، و كان الحزب وجهها العلني، بينما كانت هي قاعدته السريه.

و بالمقابل عمل الشبان العرب على إنشاء جمعيه (العربيه الفتاه)، و كان منشئوها طلابا يدرسون في باريس، و كانوا يدرسون نوايا الاتحاديين، فقاموا سنة ١٩١١ بتأليف جمعيتهم. و كان هدفها كما قالت: "النهضة بالعرب و إيصالهم إلى مصاف الأمم الحيه". و لم تذكر الجمعيه كلمه الاستقلال، و لكنها في الحقيقه كانت تعمل من أجله بعد أن بدا من الاتحاديين ما بدا..

و في صيف سنة ١٩١٣ أنهى أكثر أعضاء الهيئه الاداريه للجمعيه دراستهم في باريس و عادوا إلى بلدانهم، و لما كان بعضهم من بيروت فقد أعيد تأليف الهيئه فيها، و بدأت الجمعيه نشاطها السري و أنشأت جريده (المفيد) مظهرها علنيا لها. كما أنها وضعت تصميم العلم العربي بألوانه الثلاثه: الأخضر فالأبيض فالاسود، الذي أضيف إليه عند إعلان الثورة في الحجاز اللون الأحمر.

و لما اشتركت الدوله العثمانيه في الحرب العامه الأولى (١ تشرين الثاني ١٩١٤) أصبحت دمشق مقر قياده الجيش الرابع و مركز

العمل فى سوريه، فانتقلت لهيئه الاداريه لجمعيه العربيه الفتاه إلى دمشق و واصلت عملها السرى، ثم اتصلت بجمعيه العهد العسكريه لتوحيد الجهود العربيه.

و حتى هذا الوقت لم تشا الجمعيتان معاداه الأتراك أو عرقله مجهودهمى.

ص: ١٤٧

١- نسبه إلى طوران، و هى البلاد الواقعه شمال شرقى ايران، و يقصد بها موطن الترك القدامى، و منها اخذ [أخذ] ما عرف باسم (الحركه الطورانيه) التى نادى بها فى العصر المتأخر غلاه الترك داعين إلى الرابطه الطورانيه و سياده العنصر التركى.

الحربي، بل قروا العمل معهم جنباً إلى جنب في الدفاع عن الأقطار العربيه، و لكنهم كما يقول أحد الباحثين: "كانوا في الوقت نفسه يريدون تجميع قواهم (العرب) و توحيد كلمتهم استعداداً للاحتتمالات التي قد تتمخض عنها الحرب".

على أنه بعد أن بطش جمال باشا بطشسته الكبرى بزعماء العرب و شتق منهم من شتق تحول الأمر و وقعت الواقعة بين الأمتين. و لم يستطع جمال باشا كشف سر (العربيه الفتاه) بالرغم من كل ما جرى من تعذيب، و إن كان قد أعدم فريقاً من أعضائها مع من أعدم دون أن تظهر حقيقه الجمعيه، حتى أن بعض أعضائها برءوا بعد الاعتقال، و لو علم أمر انتمائهم إليها لكان مصيرهم الاعدام.

و كان ممن انتمى إلى (العربيه الفتاه) فيصل بن الحسين، لذلك كان جل اعتماده بعد دخول دمشق في نهايه الحرب العالميه الأولى على أعضائها الذين ظهروا باسم حزب (الاستقلال) ليساهموا بالأعمال العلنيه في الحكم الجديد.

و نحن نعلم أن سعيد حيدر كان عضواً بارزاً في حزب الاستقلال و عاملاً نشطاً في تلك الفتره، و من ذوى الرأى المسموع.

فتره الاستقلال

أقبل قاده العرب من كل مكان إلى دمشق بعد الجلاء التركي، فبعضهم جاء مع فيصل كالضباط العراقيين، و البعض الآخر توافد إليها لأنها أصبحت مقر العمل العربى و مطمح آمال العرب و قاعده أول بقعه مستقله في بلاد الشام و غير بلاد الشام بعد الحكم غير العربى الطويل.

فكان فيها رجال العراق و رجال لبنان و رجال الساحل و رجال فلسطين، كما كان فيها بعض من نرح إلى مصر من السوريين، و التقى الجميع بامال ضخمه و أمانى بعيده يحسبون أن ساعه الدوله العربيه الكبرى قد دنت و أنهم مؤسسوها و باعثو رفاتها.

كيف لا- و جيشهم العربى الزاحف من قلب الحجاز هو المنتصر حليف المنتصرين، و ملء حقائبهم و عوداً مؤكده و مواثيق وثيقه.

كان العرب يعيشون تلك الأيام التي بدأت عام ١٩١٨ ثم انتهت يوم الرابع و العشرين من تموز ١٩٢٠ أزهى يامهم [أيامهم] و أعذب أحلامهم. و كانوا في غمره هذا الفرح لا ينظرون إلى البعيد و لا يحسبون حساباً للغدر و الختل.

ثم بدأت الحقائق تتجلى قليلاً- قليلاً فالحاكم العربى الذى ذهب إلى بيروت و رفع علمه على صروحها عاد مطروداً من الفرنسيين، و أنزل العلم ذليلاً!

و الحكام الوطنيون الذين عينوا أنفسهم فى مناطقهم الساحليه معلنين الاستقلال لم يلبثوا أياماً بل و لا ساعات، بل دحرجوا عن كراسيهم.

و تقلص حجم الرقعته المستقله حتى انحصر فيما عرف باسم المنطقه الشرقيه، و هى لا تعدو دمشق و حمص و حماه و حلب و ما يتبعها و ينضوى إليها!..

و لكننا إذا نظرنا إلى العرب يوم ذاك نراهم فى واقع هو أفضل ألف مره مما صار إليه واقعهم المعنوى بعد ذلك.

كان الحديث يوم ذاك عن العرب و عن القضييه العربيه، و التوق كله إلى الوحده الشامله، و لم يكن للاقليميه مكان!.

فهذه بقعه صغيره من بلاد الشام أميرها ثم ملكها حجازى(١) و رئيس برلمانها لبنانى متمصر(٢) و قائد جيشها عراقى(٣) و وزير داخليتها لبنانى(٤) و وزير خارجيتها فلسطينى(٥) و حكام مناطقها و ضباط جيشها مزيج من كل أرض عربيه، لا يدور بخلد أحد أن يسأل أحدا عن بلده أو أن يجد فى ذلك موضعا لاستغراب و مكانا لتساؤل! أ ليس الجميع عربا؟ أ ليسوا كلهم رجال قضييه واحده، فهم جميعا فى أرضهم و جزء من وطنهم.

ثم هذا الترفع عن الطائفيات و عدم النظر إلى دين الشخص و مذهبه.

فهذه أول حكومه عربيه تقوم فى البلد الإسلامى العريق دمشق و تشمل.

سيادتها الأرض السوريه الداخليه التى لا يبلغ فيها المسيحيون (١) من (١٢) فتتكون من حاكم عسكرى مسلم دمشقى هو رضا الركابى و رئيس للشورى الحريه مسلم بغدادى هو ياسين الهاشمى، و رئيس للعدليه مسيحى لبنانى من دير القمر هو إسكندر عمون، و رئيس للماليه مسيحى لبنانى من الشويفات هو سعيد شقير، و رئيس للأمن العام مسيحى من طرابلس هو جبرائيل حداد، و رئيس للخارجيه مسيحى دمشقى هو توفيق شاميه، و رئيس للصحه مسيحى لبنانى من مواليد عبيه هو موصلى باشا.

خمس رئاسات أو بالأحرى خمس وزارات(٤) من سبع يشغلها مسيحيون، أربعة منهم من لبنان و واحد من دمشق.

و محكمه الاستئناف المدنيه التى تطبق مجله الأحكام العدليه المستمده من الشريعه الإسلاميه، محكمه الاستئناف هذه تتالف من ثلاثه قضاة كلهم مسيحيون بينهم اثنان من لبنان هم: نجيب الأميونى من حاصبيا رئيسا و أسعد أبو شعر من دمشق عضوا و فائز الخورى من الكفير (لبنان) عضوا.

كان سعيد حيدر فى صميم هذا المعترك الاستقلالى العربى، و من أكثر العاملين فيه نشاطا و حماسه، لذلك كان موضع غضب الفرنسيين و نعمتهم بعد دخولهم دمشق فحكموا عليه بالاعدام فاضطر للتوارى زمنا، ثم عاد مع العائدين كما قدمنا فى أول البحث.

عاد و لكنه لم يعد ساكنا بل عاد حاملا معه ثورته، مخططا للنضال المستقبلى كما سنرى فيما يلى من القول.

و بدأ كفاحه فى جريده المفيد ثم فى حزب الشعب، ثم فى إشعال الثوره السوريه، و هذا ما نستعرضه بايجاز فى البحث الآتى:

ص: ١٤٨

١- فيصل بن الحسين.

٢- رشيد رضا.

٣- ياسين الهاشمى.

٤- رضا الصلح.

٥- سعيد الحسينى.

٦- فور انسحاب الأتراك و دخول الجيش العربى بقياده فيصل إلى دمشق تألفت أول حكومه عربيه لم يسم أعضاؤها بالوزراء بل بالرؤساء. و بعد تتويج فيصل تألفت الحكومه الدستوريه و أطلق على أعضائها اسم الوزراء. و كان وزير العدله فيها مسيحيا تتبعه المحاكم الشرعيه الإسلاميه.

لقد حقق الجنرال غورو حلمه فدخل دمشق فاتحا بعد معركة ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠)، وقضى على الاستقلال فيها و تشرذم الوطنيون في كل مكان، و حكم الفرنسيون سوريا بالحديد و النار و قسموها إلى دويلات: دولة دمشق، و دولة حلب، و دولة جبل الدروز، و دولة العلويين، و لواء الاسكندرون. و خفت الصوت الوطني عند تشتت قادته و همدت الحركة.

و لاعطاء فكره واضحہ عما كان عليه الحال من الهوان و الهمود، و للتدليل على ما كان للرجال الذين تألف منهم حزب الشعب بعد ذلك من فضل في تحويل الأمر من هوان و همود إلى عنفوان و ثوره، نقول إن دخول الجنرال غورو إلى دمشق لم يكن دخولا هينا، بل كان نقطه سوداء، إن لم نقل صفحه سوداء في تاريخ البلاد في تلك الحقبه.

لم تكن دماء البطل يوسف العظيمه و دماء رفاقه شهداء ميسلون قد جفت بعد، حين استطاع عملاء الاستعمار أن يحملوا جماهير دمشق على أن تخرج بقضها و قضيضها و عراضاتها و اهازيجها إلى مدخل دمشق في المنشيه لاستقبال فاتح دمشق الجنرال غورو.

هذه الجماهير نفسها كانت قد خرجت قبل بضعه عشر يوما (بقضها و قضيضها و عراضاتها و اهازيجها) لتودع الذاهيين لقتال جيش الجنرال غورو الزاحف لفتح دمشق، و الكثير منها كان من بين الذين ذهبوا للقتال و شاركوا فيه.

و نزل الجنرال من سيارته التي أقلته من بيروت إلى باب دمشق، و صعد المركبه المجروره بالخييل ليدخل دمشق متأنيا، مستمتعا بهذا الاستقبال الشعبى الباهر أطول وقت.

و هنا تقدم أبو شكرى الطباع و رفاق له ففكوا حصانى المركبه و ربطوا أنفسهم مكانهما و جروا مركبه الجنرال غورو، فدخل فاتح دمشق إليها مجروره عربته بأبناء دمشق..

و لم تنكر الجماهير الحاشده هذا، بل ظلت اهازيجها مدويه، و هتافاتھا متعالیه، و ربما كان المنظر قد زاد في دويھا و تعالیها..

و قد كان أبو شكرى الطباع بعد ذلك يعتذر عن فعلته بان قريبا له كان محكوما من الفرنسيين بالاعدام، و أنه رجا بما فعل أن يناله عفو من الجنرال.

على أن دمشق الحقيقه لم تكن هي التي تمشى هذه المشيه لاستقبال غورو، و لا- كان أبو شكرى الطباع و رفاقه هم الذين يمثلونها، بل إن دمشق الحقيقه كانت مكبوته وراء جدران منازلها الضاويه، و في حنايا أزقتها الخاويه، هي التي كان يمثلها شاعرھا الشاب أديب التقي(١) فيهتف بشعره قائلا:

أ أهل دمشق كيف سالمتم العدى و كيف رضيتم بالمذله و الأسر

و نتمم على شوك الهوان و تلکم ضحاياکم في ميسلون قرى النسر

بلادكم اجتاحت و تلک رجالکم موزعه الأشلاء في مهمه قفر

أ تغفون و الأقداء ملء جفونكم و لم تثاروا بالهالكين بلا و زر

ألا هل دريتم أنكم إذ خرجتم تلاقون (غورو) قد صباتم إلى الكفر

و من عجب أن تخرجوا للقائه و تلکم دماکم فی الربی لم تزل تجری

ثم بدأ فريق من القياديين النازحين يتسللون إلى دمشق، و لكن ظلوا فيها مشتتين متفردين، قد يلتقون و لكن بتحفظ و قد يتكلمون و لكن بتهامس حتى كان شهر نيسان من السنه ١٩٢٢ فإذا بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر يتلقى - لاعتباره من خريجي الجامعه الأميركيه في بيروت - رساله من رئيس الجامعه و فيها عزم المستر كراين على زياره دمشق. و المستر كراين هو الذى كان سنه ١٩١٩ رئيسا للجنه الاستفتاء التى قدمت سوريا و لبنان لاستفتاء أهلها حول ما يريدون فى شان الاستقلال و الانتداب و ما إلى ذلك و بدا المستر كراين يوم ذاك. بمظهر الصديق للاستقلاليين العرب و ترك فى نفوسهم أثرا طيبا.

و وصل كراين إلى دمشق، و فى ٢ نيسان ١٩٢٢ أى بعد ٢١ شهرا. من معركة ميسلون و زوال الاستقلال العربى السورى، و فى جو من الاستسلام الوطنى الكامل - التقى الشهبندر المستر كراين فى فندقه فى دمشق، فطلب إليه كراين أن يجمعه بأرباب الرأى فى البلاد، فلبى رغبته، و عقدت اجتماعات فى المنازل الدمشقيه، كان رجالها يشكون من الاستعمار مر الشكوى، و يخطب الخطباء متحمسين حتى كان يوم سفر المستر كراين، فاحتشد لوداعه جمهور يهتف للاستقلال. و خطب الشهبندر و غيره، و ما أن انطلقت السياره بالمستر كراين و مضت حتى انقلب الأمر إلى مظاهره كانت الأولى من نوعها بعد ذاك الكبت الطويل، و مشت الجموع فى الشوارع هاتفه هازجه متحمسه.

و انتهى الأمر عند هذا الحد.

كانت المظاهره مفتاح النضال الوطنى الذى انفتح بابه على الفرنسيين فى بلاد الشام كلها فاقض مضاجعهم طيله احتلالهم لهذه البلاد.

و مؤرخ الأحداث العربيه المعاصره يجب أن يقف طويلا أمام هذا اليوم الدمشقى الأصيل، و أن يتحدث كثيرا عن رجاله، لأنه يوم كان له ما بعده، كما كان يقول الأقدمون.

إذا كان أمر المظاهره الحماسيه قد انتهى عند حد تفرق جمهورها و انصرافه إلى المنازل و الدور، و إذا كان لم يبق له من مفعول إلا الذكرى الجميله العذبه فى أذهان المتظاهرين، فإنه لم يكن كذلك عند الجنرال غورو، فقد محت هذه الانتفاضه اللاهيه من ذاكرته ذلك الاستقبال المصنوع عند باب دمشق، و لم يعد فى ذاكرته إلا اللهب المتوهج من يوم دمشق الحماسى، و أيقن أن دمشق ليست هى التى بدت له حول (المنشيه)، و لا رجالها هم الذين جروا عربته بأجسادهم. بل إن دمشق هى التى بدت له عند روابى ميسلون، و إن رجالها هم الذين تساقطوا برصاص جنوده على قمم تلك الروابى، و فى أجزاءها و سفوحها، و إن بقايا السيوف إن كانوا قد قبعوا إلى حين، فإنهم قد وثبوا فى هذا الحين.

لذلك حزم أمره و تذكر أنه القائد العسكرى الصارم الذى لا يقع له بالشنان - كما كان يعبر الأسلاف -، ففى السابع من

نيسان القت السلطات الفرنسيه تنفيذاً لأوامره القبض على كل من الدكتور عبد الرحمن شهنندر و سعيد حيدر و حسن الحكيم، و زجتهم فى سجن القلعه مع المجرمين العاديين.

ص: ١٤٩

١- راجع ترجمه أديب التقى فى مكانها من (أعيان الشيعة).

كان هؤلاء الثلاثة في الواقع قادة الموقف من أوله إلى آخره، و سيكونون بعد حين نواه حزب الشعب.

و سرى نبا القبض على الثلاثة في دمشق مسرى النار في الهشيم فتحفزت النفوس، و في يوم الجمعة خطب الخطباء في المسجد الأموى محرضين مثيرين فخرجت المظاهرات متحدية طالبه الإفراج عنهم، فقبضت السلطه على مجموعه من الشبان، فلم تتوقف المظاهرات و أطلق عليها الرصاص و اشترك فيها النساء. ثم أعلن ما يشبه الأحكام العرفيه و منع التجول و احتل الجند المدينه في كل مكان و سيق المعتقلون إلى محكمه عسكريه فرنسيه حكمت على الشهبندر بالسجن عشرين سنه، و على سعيد حيدر بالسجن خمس عشره سنه، و على حسن الحكيم بالسجن عشر سنوات، و على معتقلين آخرين باحكام مختلفه أقلها خمس سنوات و سيق الجميع إلى جزيره أرواد ليقضوا مدته السجن في سجنها.

و كان بين المسجونين نجيب الريس الذى كان يوم ذاك في مطلع شبابه، ثم أصبح أبرز صحافى سورى باصداره جريده "القبس" و كانت افتتاحياته فيها لا تبارى بلاغه و فكره و عمقا، و كان يحرص دائما على أن يختمها بيت من الشعر المأثور.

و فى خلال وجوده فى سجن أرواد نظم قصيده كانت شهيره فى سوريه يخاطب بها جزيره أرواد يقول فيها:

بنت الخضم و كم فى الشام من شفه هتافه باسم شاطيك و من فيه

و نظم النشيد الذى سار على كل شفه و لسان، و تجاوز حدود سوريه إلى لبنان و فلسطين و العراق و غيرها و مطلعها:

يا ظلام السجن خيم إننا نهوى الظلاما

ليس بعد الليل إلا فجر مجد يتسامى

و فى ٢٥ تشرين الثانى سنه ١٩٢٢ سافر الجنرال غورو إلى باريس، ثم لم يعد، و فى ١٩ أيار سنه ١٩٢٣ وصل مفوض سام جديد هو الجنرال ويغان، و فى ١٨ تشرين الأول سنه ١٩٢٣ أطلق سجناء أرواد. و فى ٢٢ كانون الأول سنه ١٩٢٤ وصل الجنرال ساراي ليحل محل الجنرال ويغان، و قد لاح من تصرفاته أنه أقرب إلى التفاهم من سلفيه، و لكن سوء الحظ رافقه فقامت الثورة الكبرى فى عهده و ليس هنا مكان الحديث المفصل عن الثورة.

و كان المفوض السامى الجديد قد أعلن قبل الثورة أنه مستعد لسماع الشكاوى و النظر فيها. و حتى هذا الوقت لم يكن فى جميع البلاد السوريه أى حزب أو تنظيم أو تكتل سياسى يجتمع حوله الوطنيون و يقود النضال فى وجه الفرنسيين، و كل ما كان موجودا هو أحاديث يتداولها الناس فى بيوتهم أو مكاتبهم كلما التقى اثنان أو أكثر: و كان الثلاثى الأروادى: الشهبندر و حيدر و الحكيم يكثر اللقاء فيما بينه و مع غيره.

ثم صدرت جريده "المفيد" يوميه باسم يوسف حيدر شقيق سعيد الأ-كبر، و كان الكاتب الأول فيها و المشرف فعليا على توجيهها هو سعيد، فكان مكتبها ملتقى يوميا للمفكرين الوطنيين الذين انبثق منهم حزب الشعب كما سنرى.

و كانت الصوت الوطنى المتعالى، و التف حولها شيوخ الكفاح و كهوله و شبانه، فكانت لسانهم الناطق. بل كانت المدرسه

لقد كانت مقالات سعيد حيدر نبراسا وهاجا ينير السبيل أمام التائهين، و كان قلمه المحرك المثير للعزائم.

و لم تكن (المفيد) بمستطيعه أن تقول كل شيء، و لا كانت قادره على أن تصرح بجميع ما يجب التصريح به، و الدعوه إلى كل ما تريد أن تدعو إليه، لأن سيف التعطيل الإداري كان مسلطا فوق رأسها يهددها عند أول بادره.

لذلك كانت تلجأ إلى الرمز، و ما كان أوضح هذا الرمز عند النفوس المتعطشه إلى كل كلمه وطنيه.

و لن أنسى أبدا ما كتبه سعيد حيدر بتوقيع (س) و ما صور به في المفيد بقلمه في صباح الثامن من آذار.

و ما صباح اليوم الثامن من آذار؟ إنه صباح اليوم الذي أعلنت فيه سوريه استقلالها التام الناجز و صرخت بوجه الدنيا متحدية قوى الاستعمار بأنها تريد أن تعيش حره سيده نفسها.

و لم يلبث الحلم السعيد أن عاش بضعه شهور فقط، و لم يلبث أن هوى في يوم ميسلون...

و جاءت ذكرى الثامن من آذار و الاستعمار الفرنسي يجثم بكل شرسته على صدر الوطن الجريح.

جاءت الذكرى العظيمه فكان لا بد لجريده المفيد و سعيد حيدر من أن يحتفلا بها احتفالا يليق بجلالها، احتفالا يوقظ النفوس و يلمس القلوب، و يوقظ الغافى و يهز الهامد، بل يثير و يستفز.

يفعل كل ذلك دون أن يثير ريبه المستعمرين أو يلفت أنظارهم لما يريد فيبطشوا بالمفيد.

و لقد كان للمفيد و لسعيد حيدر ما أرادوا و خرج مقاله في صباح ٨ آذار قطعه أدبيه رائعه و جذوه وطنيه لاهبه ملهبه.

و كرمت دمشق بلسان سعيد حيدر و قلمه، كرمت ذكرى ٨ آذار أنضر تكريم و أزكاه، أعنف تكريم و أقساه، كرمت هذه الذكرى لأول مره بعد دخول الفرنسيين دمشق و سيطرتهم على الوطن.

و ختم سعيد حيدر مقاله بأبيات مهيار الديلمي:

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

و اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع و عاف القدحا

قد عرفت الحزن مذ فارقتكم فكانى ما عرفت الفرحا

و من مكتب "المفيد" خرجت فكره إرسال وفد وطنى يقابل المفوض السامى الجديد و يبسط له المطالب الوطنيه فى الحريه و الاستقلال، على ما بدا من حسن نوياه فى تصريحاته. و تألف الوفد خليطا من المحامين و الأطباء و التجار و الشبان. و ذهب و

قابل الجنرال ساراي في بيروت فلقى منه ترحيبا، و لكنه لم يناقش في المطالب، بل قال لهم قولا جديدا لم يألفه الناس من قبل:
اذهبوا و ألفوا أحزابا سياسيه لها برامج محددة و على أسس هذه البرامج يناقش كل مطلب.

ص: ١٥٠

و وقع هذا القول أحسن الوقع فى نفوس الوطنيين فاجتمعوا و قرروا تأليف حزب وطنى باسم حزب الشعب و كان فى الطليعه: الشهبندر و سعيد حيدر و حسن الحكيم مع من انضم إليهم مثل فارس الخورى و فوزى الغزى و لطفى الحفار و غيرهم.

و اختير الشهبندر رئيسا للحزب و فارس الخورى نائبا للرئيس، و أجزى الحزب فى الحال ما أن طلب الإجازة، و احتفل الحزب بانطلاقه فى شهر حزيران سنة ١٩٢٥ و خطب فى الحفله عبد الرحمن الشهبندر و فارس الخورى و إحسان الشريف، و كان خطاب فارس الخورى - و هو واضع نظام الحزب - محمدا لمنهج الحزب فى سته بنود يهمننا منها فى بحثنا هذا بند واحد يعطينا صورته التفكير السورى الوطنى فى تلك الأيام و هو الذى ينص على ما يلى: "وحده البلاد السورىه بحدودها الطبيعیه. و السياسه الحاضره قضت على سوریه بالتقسيم و التجزئه، و شطرت منها جزءا كبيرا فى الجنوب و (يقصد فلسطين) وضعت فى أيد أخرى، كما بترت منها أقساما فى سائر الجهات و قطعت أوصال الوطن الواحد (يقصد ما ألحق بلبنان).. فحزب الشعب يعتقد أن البلاد السورىه ضمن حدودها الطبيعیه ماهوله بشعب واحد تجمعه روابط الجنس و اللغه و العادات و الأخلاق".

و مضى الحزب يرص الصفوف و ينظم الأمور. ثم فوجئ بتازم الموقف فى جبل الدروز بين الفرنسيين و أهل الجبل. ثم وقعت الوقعه الأولى بين الفريقين فى ٢٢ تموز سنة ١٩٢٥ التى أبید فيها الفرنسيون بقيادة الكابتن نورمان قرب قريه الكفر، و عدد الفرنسيين لم يتجاوز المائه و التسعين جنديا، إلا أنها اعتبرت وقعه كبرى لنتائجها الخطيره، و لأنها كانت فاتحه الصدام الكبير.

و هنا تنبه حزب الشعب لما يمكن أن يفعله من تحويل هذه الحركه من حركه محليه جليله، إلى حركه سوریه عامه، فبدأ رجاله اتصالات سرية برجال الجبل، و عقدت فى بعض المنازل الدمشقيه اجتماعات طويله بين الجانبين و نوقشت المواقف بوضوح و صراحه.

و هنا كان لسعيد حيدر دوره الحاسم فى الموضوع، فقد كان الدروز يخشون فى أعماق نفوسهم من هيمنه الأكثرية التى لا ينتمون إليها، ففاتحوا بهذا الأمر سعيد حيدر باعتباره لا ينتمى لتلك الأكثرية، فطمأنهم و قال لهم إن الفكر الاستقلالى يترفع عما يتوهمون، و ضرب لهم مثلا- نفسه و كيف أنه فى موقعه من الحركه الوطنيه لا- يحس بغبن و لا- انتقاص لحقه، و إنه بين أخوانه فى المكانه التى يستحقها. فاقنعهم بذلك.

و هنا كان الفرنسيون أعدوا حمله قويه للانتقام من معركة الكفر و تأديب الثائرين، فانصرف عند ذلك رجال الجبل إلى جبلهم لمواجهة الموقف.

و زحف الجنرال ميشو بحملته المؤلفه من سبعة آلاف جندى فتلقاها الثوار الدروز فى أوائل آب سنة ١٩٢٥ فكانت هزيمتها هذيمه ماحقه.

فأدرك الجنرال ساراي أن الأمر جد، و أنه كان مخطئا باستخفافه بما يقع فلجا إلى اللين و أرسل وفدا درزيا لبنانيا لمعالجه الموقف و التوصل إلى صلح شريف.

و بينما هذا الوفد على وشك النجاح فى مهمته، و كانت آراء الميالىين إلى المصالحه هى التى تكاد تتغلب على آراء المصريين على الاستمرار بالثوره و فى طليعتهم سلطان الأطرش، وصل وفد من حزب الشعب للتحريض على مواصلة الثوره و الوعد بدعمها

من دمشق ثم تعميمها في سورية كلها، فرجحت كفه سلطان باشا و استقوى بالوفد الشعبى و تعهداته.

و كانت السلطه الفرنسيه أدركت تحركات حزب الشعب، فاصدر الجنرال ساراى فى ٢٦ آب أمرا باعتقال هيئته الإداريه. و لكن رئيسه الدكتور الشهبندر كان التحق بالثوار فى الجبل، كما أن سعيد حيدر و حسن الحكيم كانا تمكنا من الخروج من سورية و الانضمام إلى الثوره.

و استطاعت السلطه اعتقال فارس الخورى و فوزى الغزى و يوسف حيدر و آخرين فأرسلت بعضهم إلى ارواد و البعض الآخر إلى الحسكه.

و هكذا انتهى حزب الشعب انتهاء سريعا و لم يعمر طويلا، و لكنه كان بهذا العمر القصير ذا أثر من أعظم ما تتركه الأحزاب من آثار، و حسبه إطلاق الثوره السوريه الكبرى.

و بعد خمود الثوره أطلق معتقلو ارواد و فيهم - كما قلنا - فارس الخورى و فوزى الغزى، ثم مات الغزى ميتته الرهيبه فى الخامس من شهر تموز سنه ١٩٢٩ بعد أن أصبح الرجل الأول فى دمشق فرثاه رفيقه فى سجن ارواد فارس الخورى بقصيده عاطفيه يقول فيها:

سلوا القبور عن الصحب الألى ذهبوا فخر العروبه و الصيابه النجب

عاشوا و للحق فى أفواههم رسل ماتوا و للعهد فى إيمانهم كتب

قالوا قضى المدره المحبوب طالعه قضى الزعيم الجرىء الفيصل الإرب

يا راحلا و قلوب الناس تتبعه و كل قلب له فى سعيه أرب

بيكيك أحرار سوريا و أنت أخ بيكيك دستور سوريا و أنت أب

عرفت فيك سجايا كلها شمم عرفت فيك حديثا كله أدب

كهوف ارواد) مدت بيننا نسايا حبذا السجن بل يا حبذا النسب

أخا السجنون أخا المنفى أخا و صبا قد فرق الموت ما قد ألفت الوصب

إن أدركت سيدا منا منيته فما علينا و نحن الساده العرب

لنا من الصبر درع لا ينهنه ريب المنون و لا السيف الذى خضبوا

أما الشهبندر و حيدر و الحكيم فلم يعودوا إلى دمشق إلا سنه ١٩٣٧ عند قيام الحكم الوطنى الأول. و قد سماهم نجيب الرئيس فى جريدته "القبس" فى مقال افتتاحى عند عودتهم: "أصحاب الصيحه الأولى".

و لم يكن من لقب يطلق عليهم أصدق من هذا اللقب.

فقد كانوا فعلاً أصحاب الصيحه الأولى التي حركت الجامد و أثارت الهامد و أطلقت المارد

الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبيه الأصبعى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان هذا الشيخ مجتهداً فى المعقول و المنقول توفى فى السنه الحاديه بعد المائه و الألف و رثاه السيد الأجل السيد عبد الرؤوف الجد حفصى و كان خصيصاً به بقصيده منها ما يتضمن تاريخ وفاته:

ص: ١٥١

الأوحد الشيخ أحمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف البحراني، و رساله في تحليل التن و القهوة رادا على بعض علماء العجم العاملين بتحريمها و رساله في علم الكلام في أصول الدين و رساله في تحريم السمك.

و هذا الشيخ يروى عن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن علي المقشاعي أصلا و الأصبعي منزلا قاله جدى في اللؤلؤه و عن تلميذه العلامة الشيخ سليمان الماحوزى طيب الله مضجعه قال في أزهار الأنظار:

(و كان أستاذنا العلامة الشيخ سليمان بن علي مجتهدا صرفا و له من المصنفات كتاب: العمده و رساله في استقلال البكر، و رساله في الأوامر و النواهي، و كتاب في مناسك الحج، و رساله في قوله (ع): "من لا تقيه له لا دين له".

و هو يروى عن الشيخ أحمد و الشيخ علي بن سليمان.

شبيب بن عامر.

وجه معاويه برجل من أهل الشام يقال له عبد الرحمن بن أشيم في خيل من أهل الشام إلى بلاد الجزيرة، و بالجزيره يومئذ شبيب بن عامر، و هو جد الكرمانى الذى كان بخراسان و كان بينه و بين نصر بن سيار ما كان، و كان شبيب مقيما بنصيبين فى ستمائه رجل من أصحاب علي فكتب إلى كميل بن زياد و إلى علي بن علي هيت: أما بعد، فاني أخبرك أن عبد الرحمن بن أشيم قد وصل إلى من الشام فى خيل عظيمه، و لست أدري أين يريد، فكن على حذر، و السلام.

قال: فكتب إليه كميل: أما بعد، فقد فهمت كتابك و أنا سائر إليك بمن معى من الخيل، و السلام.

قال: ثم استخلف كميل بن زياد رجلا- يقال له عبد الله بن وهب الراسبي، و خرج [خرج] من هيت فى أربعمائه فارس كلهم أصحاب بيض و دروع، حتى صار إلى شبيب بنصيبين، و خرج شبيب من نصيبين فى ستمائه رجل، فساروا جميعا فى ألف فارس يريدون عبد الرحمن، و عبد الرحمن يومئذ بمدينه يقال لها كفرتوثا فى جيش لجب من أهل الشام، فأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام. و جعل كميل بن زياد يرتجز و يقول:

يا خير من جر له خير القدر فالله ذو الآلاء أعلى و أبر

يخذل من شاء و من شاء نصر

قال: و جعل شبيب يرتجز و يقول:

تجنبوا شدات ليث ضيغم جهم محيا عقربان شدقم

يغادر القرن صريعا للفم بكل غضب صارم مصمم

قال. و اختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من أصحاب كميل رجلان عبد الله بن قيس القابسى و مدرك بن بشر الغنوى، و من أصحاب شبيب أربعة نفر، و وقعت الهزيمة على أهل الشام فقتل منهم بشر كثير، فولوا الأدبار منهزمين نحو الشام.

فقال كميل لأصحابه: لا تتبعوهم فقد أنكينا فيهم، و إن تبعناهم فلعلهم أن يرجعوا علينا و لا ندرى كيف يكون الأمر.

قال: ثم رجع شبيب بن عامر إلى نصيبين، و رجع كميل بن زياد إلى هيت، و بلغ ذلك عليا،

فكتب إلى كميل بن زياد: أما بعد، فالحمد لله الذى يصنع للمرء كيف يشاء، و ينزل النصر على من يشاء إذا شاء، فنعم المولى ربنا و نعم النصير، و قد أحسنت النظر للمسلمين و نصحت إمامك، و قدما كان ظنى بك ذلك فجزيت و العصابة التى نهضت بهم إلى حرب عدوك خير ما جزى الصابرون و المجاهدون، فانظر لا تغزون غزوه و لا تجلون إلى حرب عدوك خطوه بعد هذا حتى تستاذنى فى ذلك، كفانا الله و إياك تظاهر الظالمين، إنه عزيز حكيم، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته.

ثم كتب إلى شبيب بن عامر بمثل هذه النسخه ليس فيها زياده غير هذه الكلمات:

و اعلم يا شبيب إن الله ناصر من نصره و جاهد فى سبيله، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته.

الشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكانى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان هذا الشيخ فاضلا ورعا فقيها شديدا فى ذات الله سبحانه انتهت إليه رئاسه شيراز و قام بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيها أحسن قيام و انقادت إليه حكامها فضلا عن رعيته لورعه و تقواه، و نشر العلم و التدريس فيها، و لا يكاد يوجد فى جميع الفنون فى شيراز إلا و عليه تليغه و المقابله عليه.

تولى القضاء بامر الشاه السلطان سليمان و لما أتته خلعه القضاء من السلطان المزبور و رقم القضاء امتنع من لبس الخلعه المذكوره و بعد الالتماس و التخويف من سطوه السلطان و غضبه لبسها.

و له من المصنفات رساله فى تفسير أسماء الله الحسنى، و الرساله الخمريه، و رساله فى الجائر و غير ذلك من الفوائد. و قبره الشريف معروف بجوار بقعه الشاه جراج.

صخير بن حذيفه بن هلال المزنى،

و بعضهم يسميه صخر.

لما عسكر سليمان بن صرد الخزاعى فى النخيله فى نيه الخروج بطلب ثار الحسين (ع) خطب الناس فقال:

أيها الناس، إنه من كان إنما أخرجته معنا إرادة الله ثواب الآخرة فذاك منا و نحن منه و رحمه الله عليه حيا و ميتا، و من كان يريد متاع الدنيا و حرثها فلا و الله ما معنا فضه و لا ذهب، و لسنا نمضى إلى شىء نحوزه و لا إلى غنيمه نأخذها، و ما هى إلا سيوفنا فى رقابنا و رماحنا فى أكفنا، و معنا زاد بقدر البلغه إلى لقاء عدو الله عبيد الله بن زياد، فمن كان ينوى غير هذا فلا يصحبنا.

فقال له صخير بن حذيفه بن هلال المزني: صدقت رحمك الله، و الله ما لنا خير في صحبه من الدنيا همته و نيته، و ما أخرجنا إلا التوبه من ذنوبنا و الطلب بدماء أهل بيت نبينا، و قد علمنا أنا إنما نقدم على حد السيوف و أطراف الرماح.

ص: ١٥٢

خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم و لا تزهّدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فان ما عند الله خير لكم، يا بني عمى! إن هؤلاء الذين تقاتلونهم هم الذين قتلوا ابن بنت رسول الله الحسين بن على و ساروا برأسه إلى يزيد بن معاوية يريدون بذلك الزلفى و المرتبه و الجائزه، ثم تقدم و هو يرتجز و يقول:

بؤسا لقوم قتلوا حسيناً بؤسا و تعسا لهم و حيناً

أرضوا يزيد ثم لاقوا شينا و لم يخافوا بغيهم علينا

ثم حمل و حمل معه قومه و عشيرته، ثم جعل يرتجز و يقول:

إنى إلى الله من الذنب أفر أنوى ثواب الله فيمن قد أسر

و أضرب القرن بمصقول بتر و لا أبالى كلما كان قدر

فلم يزل يقاتل حتى قتل هو و بنو عمه.

السيد صدر الدين الصدر.

مرت ترجمته فى مكانها من المستدركات، و قد عثرنا له على قصيده ننشرها فيما يلى:

يا خليلي احبسا الجرد المهارا و ابكيا دارا عليها الدهر جارا

و ربوعا أقفرت من أهلها و غدت بعدهم قفرا بارا

حكم الدهر على تلك الربى فانمحت و الدهر لا يرعى زمارا

كيف يرجى السلم من دهر على أهل بيت الوحي قد شن المغارا

لم يخلف أحمد إلا ابنه و لكم أوصى إلى القوم مرارا

كابدت بعد أبيها المصطفى غصصا لو مست الطور لمارا

هل تراهم أدركوا من أحمد بعده فى آله الأطهار نارا

غصبوها حقها جهرا و من عجب أن تغصب الزهراء جهارا

من سعى فى ظلمها من راعها من على فاطمه الزهراء جارا

من غدا ظلما على الدار التى اتخذتها الأنس و الجن مزارا

طالما الأملاك فيها أصبحت تلمم الأعتاب فيها و الجدارا

و من النار بها ينجو الورى من على أعتابها أضرم نارا

و النبي المصطفى كم جاءها يطلب الإذن من الزهراء مرارا

و عليها هجم القوم و لم تك لائت لا و عليها الخمارا

لست أنساها و يا لهفى لها إذ وراء الباب لاذت كى توارى

طاشتكين المستجدى الأمير أبو المكارم.

قال الدكتور مصطفى جواد:

هو مجير الدين طاشتكين المستجدى أمير الحاج، و زعيم بلاد خوزستان، كان شيخا خيرا حسن السيره كثير العباده مظهرا لتشيعة، حج بأهل العراق و موالى الدوله العباسيه سنه ٥٦٦ و ما بعدها و فى سنه ٥٧١ حدثت بينه و بين الأمير مكث بن عيسى أمير مكه حرب و كان الخليفه المستضىء قد أمره بعزل مكث عن الاماره و إقامه أخيه داود بن عيسى، و سبب ذلك أنه كان قد بنى قلعه على جبل أبى قبيس فلما سار الحاج عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفه و إنما اجتازوا بها فلم يرموا الجمار إلا بعضهم فإنهم رموها و هم سائرون، ثم نزلوا الأبطح فخرج إليهم ناس من أهل مكه فحاربوهم و قتل من الفريقين جماعه و صاح الناس: الغزاه إلى مكه، فهجموا عليها، فهرب أمير مكه مكث و صعد إلى القلعه التى كان قد بناها على جبل أبى قبيس، فحصره بها، ففارقها و سار عن مكه، و ولى أخوه داود الاماره، و جرى فى مكه ما يستكر حينما يذكر، و فى سنه ٥٩٢ خرج الأمير طاشتكين مع الوزير عضد الدين أبى الفرج محمد بن عبد الله بن رئيس الرؤساء و الأمير غرغلى لحرب أحد الملوك و هو ابن ملك شاه بن محمود فإنه وصل فى هذه السنه إلى خوزستان و صاحبها (شمله) فخر بها و نهبها و فتك فى الناس و سبى حريمهم و فعل كل قبيح، فوصل الخبر إلى بغداد و خرج الوزير عضد الدين و عرض العسكر و وصل عسكر الحله و واسط مع الأمير طاشتكين، فساروا جميعا نحو العدو فلما سمع بوصولهم فارق مكانه و عاد و كان معه من التركمان جمع كثير، فنهبتهم العساكر البغداديه و لكنهم رجعوا من غير استثمار فى العود، فأنكر الخليفه عليهم ذلك و أمرهم بالعوده إلى موافقهم، فعادوا لأوائل شهر رمضان من السنه، و كان ابن ملك شاه قد رجع فنهب البندنجين المعروفه اليوم بمندلى، و أخذ منها ما كان سلم فى الأول من النهب و وقعت بين الجيشين وقيعه ثم افترقوا و غادر ابن ملك شاه ولايه العراق و كان ابن جبير الرحاله قد اتفق حجه البيت الحرام سنه ٥٧٩ و أمير الحاج طاشتكين قال (و كانت محله هذا الأمير العراقى جميله المنظر بهيه العده راتقه المضارب و الأبنيه عجيبه القباب و الأروقه على هيئات لم نر أبداع منها منظرًا، فأعظمها مضرب الأمير و ذلك أنه أحدق به سرادق كالسور من كتان كأنه حديقه بستان أو زخرفه بنيان و فى داخله القباب المضروبه و هى كلها سواد فى بياض مرقشه ملونه كأنها أزاهير الرياض و قد جللت صفحات ذلك السرادق من جوانبه الأربعة كلها أشكال درقيه من ذلك السواد المنزل فى البياض، يستشعر الناظر إليها مهابه يتخيلها درقا لمطيه قد جللتها مزخرفات الأغشيه، و لهذا السرادق الذى هو كالسور المضروب أبواب مرتفعه كأنها أبواب القصور المشيده، يدخل منها إلى دهاليز و تعاريج ثم يفضى منها إلى الفضاء الذى فيه القباب و كان هذا الأمير ساكن فى مدينه قد أحدق بها سورها تنتقل بانتقاله و تنزل بنزوله و هى من الأبهاث الملوكيه المعهوده التى لم يعهد مثلها عند ملوك المغرب، ثم قال فى خبر

بنت الأمير مسعود السلجوقي: (و هي إحدى الخواتين الثلاث اللاتي وصلن للحج مع أمير الحاج أبي المكارم طاشتكين مولى أمير المؤمنين الموجه كل عام من قبل الخليفة و له يتولى هذه الخطه نحو الثمانيه أعوام أو أزيد ثم قال: و الأمير طاشتكين المتقدم الذكر يقيم بالحله ثلاثه أيام إلى أن يتقدم جميع الحاج ثم يتوجه إلى حضره خليفته، و هذه الحله المذكوره طاعه بيده للخليفه (كذا) و سيره هذا الأمير في الرفق بالحاج و الاحتياط عليهم و الاحتراس لمقدمتهم و ساقتهم و ضم نشر ميمنتهم و ميسرتهم سيره محموده و طريقتة في الحزم و حسن النظر طريقه سديده و هو من التواضع و لين الجانب و قرب المكان على وتيره سعيده، نفعه الله و نفع المسلمين به).

ص: ١٥٣

إلى زعامه خوزستان و توفي بتستر المعروفه اليوم بششتر فى ثانى جمادى الآخره من سنه ٦٠٢ و حمل تابوته إلى الكوفه فدفن بمشهد على (ع) بوصيه منه

الشيخ عبد الامام الاحسائى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فقيها مفسرا تصدر للافتاء بامر الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى فى قريه الأحساء و له رساله فى شرح الأسماء الحسنى. و كتاب فى وجوب غسل الجمعة. و رساله فى العدالة.

توفى سنه ١٢٠٩.

الشيخ عبد الباقي بن الشيخ أحمد العقيرى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان عالما بأنساب العرب، مشهورا بين فضلاء الأدب، له كتاب فى تاريخ المولدين من الشعراء لم يسبق مثله سابق و من قصائده البديعه:

هذا اللوى فأحبس مطيک فاعقل و اساله عن قلبى و إن لم يعقل

و لم يحضرنى الآن تاريخ وفاته و له من الأولاد الشيخ أحمد كان من العلماء.

الشيخ عبد الجبار الرفاعى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

من أجلاء المتأخرين و كان من شيوخ الإجازة، كما يعلم من إجازة الشيخ الأمجد الشيخ أحمد الأحسائى و له تأليفات رائعه منها شرح التذکره و كتاب شرح التبصره، و رساله فى الإجماع، و رساله فى الامامه، و رساله فى القرعه و الأجوبه الخراسانيه و غير ذلك، مات قدس سره سنه ١٢٠٥.

السيد عبد الرؤف الجد حفصى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان عالما، شاعرا، نحويا، عروضيا، أدبيا، خطيبا، له كتاب نفيس فى خطب الجمعة، و كتاب فى تاريخ الشعراء، و كتاب فى القصائد و المراثى و من قصائده الفاخره:

إلى كم تطيل النوح حول المراع و تدرى على الدارات در المدامع

و تندب رسما قد محته يد البلاد و تشجيك آثار الطلول البلاع

و تقضى غراما عند تذكار دمنه لأرام أنس فى القلوب رواتع

إلى أن قال:

فهم أمنا الله فى هل أتى أتى مديحهم بالنص غير مدافع

براهين فضل قد جلت عن معارض و آيات فصل قد علت عن مضارع

بهم أشرق الدين الحنيفى غب ما دجى و تجلب مبهمات الشرائع

إلى أن قال:

فحبكم فى الحشر أقوى وسيله و عقد لاكم ثم أوجه شافع

و هذه القصيده تقارب المائتى بيتا و لم يحضرنى تاريخ وفاته فاما قبره الشريف فى جد حفص فهو مشهور رحمه الله عليه و له من الأولاد السيد أحمد.

السيد عبد الرضا السيد صالح بن السيد محمد الأحسانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هذا هو الفاضل الذى كتب شيخنا العلامة الشيخ سليمان الماحوزى، له المسائل الجهرميه و هو ذو التصانيف البديعه، له كتاب فى القصائد و الرثاء و كتاب فى وجوب الجمع عينا، سكن فى جهرم و مات قدس سره سنه ١٢٠٠.

الشيخ عبد الحسين القمى

المعروف بابن الدين.

ولد فى قم سنه ١٣٢١ و توفى فى طهران سنه ١٣٩٠.

كانت دراسته فى قم فاخذ اللغه العربيه عن الشيخ محمد حسين الأردستانى و الفقه و السطوح على الشيخ محمد حسين النجار و الأصول عن الشيخ مهدي حكى و الفلسفه عن الشيخ محمد على شاه آبادى، ثم قوى لغته العربيه عند السيد محمد جواد القمى. ثم تفرغ للتخصص فى الفقه و الأصول على مؤسس حوزة قم الشيخ عبد الكريم، فظل فى تلك الحوزه اثنتى عشره سنه يتلقى الدروس و يلقها، و بعد وفاه الشيخ عبد الكريم انتقل إلى طهران و تولى التدريس فى مدرسه مروى، ثم فى مدرسه

سيهساللا [سيهسالار] حيث كان أستاذ الفقه و التفسير. كما تولى تدريس اللغة العربية في كلية الالهيات و المعارف الإسلاميه. و في خلال ذلك ترجم إلى اللغة الفارسيه كتاب إعجاز القرآن للرافعي و كتب له مقدمه و علق عليه، كما ألف بالفارسيه كتاب الأصول الاجتماعيه في الإسلام، و كتاب المحاضرات الدينيه، و قد طبعت هذه الكتب الثلاثه.

و له من المؤلفات غير المطبوعه: أصول فن الخطابه، و أصول المعارف الإسلاميه و تراجم شعراء العرب و كلها بالفارسيه.

و قد كان كاتباً أديباً باللغة العربية كتب بها كثيراً من البحوث، نشرتها المجلات العربيه لا سيما العرفان و المرشد و رساله الإسلام.

و قد اشتهر باسم (ابن الدين) لأنه كان يوقع به مقالاته، و ظل مثابراً على ذلك حتى عرف بهذا الاسم و لم يشتهر له غيره طيله حياته.

الشيخ عبد الحسين بن رقيه.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من بقيه أهل الكمال، جمع مع الشعر علم الرجال، له كتاب في علم الدرايه، و كتاب في علم الرجال مبسوط، و له ديوان معروف و من قصائده البديعه:

ص: ١٥٤

تعود لمشتاق تزايد وجدته و ما قد مضى فى الدهر ليس بمرجع

إلى أن قال:

و خطب بكت منه السماء و صدعت له الأرض و الأطواد أى تصدع

فديت حسينا حين ودع راحلا لأكرم جد و هو خير مودع

فأمسى يجد السير لم يك وانيا غداه دعوه طالبا ما له دعى

على أنه ذاك الامام و لم يكن بما رامه فى ذلك الأمر مدعى

عبد الرحمن بن عبيد الهمداني.

لما قام المختار يطلب بثار الحسين (ع) فى الكوفة دعا بسلام له أسود يقال له رزين، و كان فارسا بطلا، فقال: ويلك يا رزين! قد بلغنى عن الشمير بن ذى الجوشن أنه قد خرج عن الكوفة هاربا فى نفر من غلمانه و من اتبعه، فاخرج فى طلبه فلعلك تأتيني به أو برأسه، فانى ما أعرف من قاتل الحسين بن على أعتى منه و لا أشد بغضا لأهل بيت رسول الله (ص).

فاستوى رزين على فرسه و خرج فى طلب الشمير بن ذى الجوشن فجعل يسير مسيرا عنيفا، و هو فى ذلك يسال عنه فيقال له: نعم إنه قد مر بنا آنفا، فلم يزل كذلك حتى نظر إليه من بعيد، قال: و حانت من الشمير التفاته فنظر إلى رزين غلام المختار فقال لغلمانه: سيروا أنتم فان الكذاب قد بعث بهذا الفارس فى طلبى! قال: ثم عطف الشمير على غلام المختار و تطاعنوا برمحيهم، طعنه الشمير طعنه قتله ثم مضى.

و بلغ ذلك المختار فاغتم لذلك غما شديدا، ثم دعا برجل يقال له عبد الرحمن بن عبيد الهمداني، فضم إليه عشره من أبطال أصحابه ثم قال: يا عبد الرحمن! إن الشمير قد قتل غلامى رزيانا و مر على وجهه، و لست أدري أى طريق سلك، و لكنى أنشدك بالله يا أخا همدان ألا قررت عيني أنت و من معك بقتله إن قدرتم على ذلك.

فخرج عبد الرحمن بن عبيد فى عشره من أصحاب المختار فى طلب الشمير بن ذى الجوشن، فجعلوا يسيرون و هم يسألون عنه و يمضون على الصفه، قال: و الشمير قد نزل إلى جانب قريه على شاطئ الفرات يقال لها الكلتانيه و هو جالس فى غلمانه، و معه قوم قد صحبوه من أهل الكوفة من قتله الحسين بن على رضى الله عنهما، و هم آمنون مطمئنون، و الشمير قد نزع درعه، ورمى به ورمى ثيابه و اتزر بمئزر و جلس، و دوابه بين يديه ترعى، فقال له بعض أصحابه ممن كان معه: إنك لو رحلت بنا عن هذا المكان لكان الصواب، فانك قد قتلت غلام المختار، و لا نأمن أن يكون قد وجه فى طلبنا! قال: فغضب الشمير من ذلك و قال: ويلكم أكل هذا خوفا و جزعا من الكذاب، و الله لا- برحت من مكاني هذا إلى ثلاثه أيام و لو جاءنى الكذاب فى جميع أصحابه! قال: فو الله ما فرغ من كلامه حينما حتى أشرفت عليه خيل المختار، فلما نظر إليهم وثب قائما فتاملهم، قال: و نظروا إليه و كان أبرص، و البرص على بطنه و سائر بدنه كأنه ثوب ملمع. قال: ثم ضرب بيده إلى رمحه ثم دنا من أصحاب المختار و هو يومئذ متر بمنديل و هو يرتجز و يقول:

تيمموا ليثا هزبرا باسلا جهما محياه يدق الكاهلا

لم يك يومنا من عدونا كلا إلا كذا مقاتلا أو قاتلا

يمنحك طعنا و موتا عاجلا

قال: فقصده عبد الرحمن بن عبيد و هو يرتجز و يقول:

يا أيها الكلب العوى العامرى أبشر بخزى و بموت حاضر

من عصبه لدى الوغى مساعر شم الأنوف ساده مغاور

يا قاتل الشيخ الكريم الطاهر أعنى حسين الخير ذى المفاخر

و ابن النبى الصادق المهاجر و ابن الذى كان لدى التشاجر

أشجع من ليث عرين خادر ذاك على ذو النوال الغامر

ثم حنق عليه الهمدانى فطعنه فى نحره طعنه فسقط عدو الله قتيلًا، و نزل إليه الهمدانى فاحتز رأسه، و قتل أصحابه عن آخرهم، و أخذت أموالهم و أسلحتهم و دوابهم، و أقبل الهمدانى برأسه و رؤوس أصحابه إلى المختار حتى وضعها بين يديه، فلما نظر المختار إلى ذلك خر ساجدا لله، ثم أمر برأس الشمر و أصحابه فنصبت بالكوفه فى وجه الحدادين حذاء المسجد الجامع، ثم أمر لهذا الهمدانى بعشره آلاف درهم و ولاه أرض حلوان.

عبد الرحمن بن عبيد.

كان الضحاک بن قيس واليا على الكوفه لمعاويه بن أبى سفيان. و كان قبل ذلك أيام أمير المؤمنين (ع) قد أغار على الحيره، فأرسل إليه أمير المؤمنين جيشا بقياده حجر بن عدى الكندى فما زال مغذا فى أثر الضحاک حتى لقيه بتدمر فواقفه فاقتلوا ساعه، و حجز بينهم الليل فمضى الضحاک، فلما أصبحوا لم يجدوا له و لا لأصحابه أثرا.

عن محمد بن مخنف (١) قال: إني لأسمع الضحاک بن قيس بعد ذلك بزمان على منبر الكوفه يخطبنا و هو يقول: أنا ابن قيس، و أنا أبو أنيس، و أنا قاتل عمرو بن عميس، قال: و كان الذى ظاهره على ذلك أنه أخبر أن رجالا من الكوفه يظهرن شتم عثمان و البراء منه قال: فسمعتة و هو يقول:

بلغنى أن رجالا منكم ضلالا يشتمون أئمة الهدى و يعيبون أسلافنا الصالحين، أما و الذى ليس له ند و لا شريك لئن لم تنتهوا عما بلغنى عنكم لأضعن فيكم سيف زياد ثم لا تجدوننى ضعيف السوره، و لا كليلى الشفره (٢)، أما و الله إني لصاحبكم الذى أغرت على بلادكم فكنت أول من غزاها فى الإسلام فسرت ما بين الثعلبيه و شاطئ الفرات، أعاقب من شئت و أعفو عن شئت، لقد ذعرت المخبتات فى خدورهن، و إن كانت المرأه ليبيكى ابنها. فلا- ترهبه و لا تسكتة إلا بذكر اسمى، فاتقوا الله يا أهل

فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد فقال: صدق الأمير و أحسن القول ما أعرفنا و الله بما ذكرت..! و لقد أتيناك بغربى تدمر فوجدناك شجاعا صبورا مجربا، ثم جلس فقال: أ يفتخر علينا بما صنع فى بلادنا أول ما قدم؟! و ايم الله لأذكرنه أبغض مواطنه تلك إليه، قال: فسكت الضحاك قليلا فكأنه خزى و استحيا ثم قال: نعم كان ذلك اليوم باخره (٣) بكلام ثقيل ثم نزل.

ص: ١٥٥

-
- ١- هو محمد بن مخنف بن سليم بن الحارث الغامدى، أبوه صحابى و قد رأى عليا (ع) عند مقدمه البصره و قد بلغ الحلم و روى عنه (انظر صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠ و ميزان الاعتدال ٣٢/٤) و قد تجاهله الذهبى.
 - ٢- السوره: السطوه، و الشفزه: السكين العظيم
 - ٣- باخره: أخيرا، و قوله: " بكلام ثقيل " أى جاء به متثاقلا كأنه يجره جرا من شده الخجل.

فقلت لعبد الرحمن بن عبيد أو قيل له: لقد اجترأت حين تذكره ذلك اليوم و تخبره أنك كنت فيمن لقيه، فقال: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) .

قال: و حدثني ابن أخي (١) محمد بن مخنف، عن أبيه عن عمه قال الضحاك لعبد الرحمن بن مخنف حين قدم الكوفه: لقد رأيت منكم بغربي تدمر رجلا- ما كنت أرى في الناس مثله رجلا، حمل علينا فما كذب حتى ضرب الكتيبه التي أنا فيها، فلما ذهب ليولى حملت عليه فطعنته في قمته فوقع ثم قام فلم يضره شيئا فذهب، ثم لم يلبث أن حمل علينا في الكتيبه التي أنا فيها فصرع رجلا ثم ذهب لينصرف فحملت عليه فضرته على رأسه بالسيف فخيلى إلى أن سيفى قد ثبت في عظم رأسه قال: فضررتني، فوالله ما صنع سيفه شيئا ثم ذهب! فظننت أنه لن يعود، فوالله ما راعنى إلا- وقد عصب رأسه بعمامه ثم أقبل نحونا، فقلت: ثكلتك أمك أ ما نهتك الأوليان عن الاقدام علينا؟ قال: و ما تنهينى و أنا أحتسب هذا فى سبيل الله؟! ثم حمل علينا فطعننى و طعنته فحمل أصحابه علينا فانفصلنا و حال الليل بيننا. فقال له عبد الرحمن بن مخنف: هذا يوم شهده هذا يعنى ربيعه بن ناجد (٢) و هو فارس الحى و ما أظن هذا الرجل يخفى عليه فقال له: أ تعرفه؟ قال: نعم، قال:

من هو؟ قال: أنا! قال: فارنى الضربه التي برأسك. قال: فأراه فإذا هى ضربه قد برت العظم منكره. فقال له: ما رأيك اليوم فينا؟ أ هو كرايك يومئذ؟ - قال: رأى اليوم رأى الجماعه، قال: فما عليكم اليوم من بأس، أنتم آمنون ما لم تظهروا خلافا، و لكن العجب كيف نجوت من زياد؟ لم يقتلك فيمن قتل؟ أ و لم يسيرك فيمن سير؟ قال: أما التسيير فقد سيرنى و أما القتل فقد عافانا الله منه. و الأرجح اتحاده مع الذى مر.

عبد الرحمن بن الحسين النعماني القاضى.

هو أبو منصور عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله النعماني النيلي المعروف بشريح، قدم بغداد و استوطنها و شهد بها عند قاضى القضاة أبى الحسن محمد بن جعفر الهاشمى العباسى فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة من سنه خمس و ثمانين و خمسمائه، و زكاه العدلان أبو الحسن على بن المبارك بن جابر و أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المأمون، و كان يتولى قضاء بلده "النعمانيه" أيضا و التحق بأمر الحاج طاشتكين المستنجدى الشيعى و خدمه متوليا لإشغاله، و هو الذى قرأ عهد قاضى القضاة ضياء الدين أبى الفضائل القاسم بن يحيى الشهرزورى سنه ٥٩٥ بجامع القصر المعروف اليوم بعضه بجامع سوق الغزل، و كان فاضلا، متميزا، مترسلا، و له رسائل قال الحافظ محمد بن سعيد بن يحيى الواسطى أنشدنى أبو منصور المعروف بشريحللصاحب إسماعيل بن عباد فى الاعتزال:

قلت يوما و ذاك مما دهانى ما احتيالى فى ما مضى ما احتيالى؟

فجفانى و قال: ما وصل من قال بخلق الأفعال من أفعالى

كان لى فى هواك رأى فلما قلت فى الجبر فى هواى بدا لى

و قال أنشدنى مذاكره من حفظه:

كم قلت للخاطر أنجدني بنادره فقال يومك منى نصره خرق

ما دمت أجنى ولا أسقى فلا ثمر يبقى لجانى فى عودى ولا ورق

توفى القاضى عبد الرحمن هذا ليله الأربعاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول من سنه ٦٠٣ و دفن فى داره بالقيبيات بالقرب من محله قراح أبى الشحم بشرقى بغداد.

ديك الجن عبد السلام بن رغبان.

إشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ١٢ من المجلد الثامن، و نضيف إليها هنا ما يلى:

ديوانه

صدر ديوانه سنه ١٣٨٦ (١٩٦٦ م) و قد حققه و أعد تكملته كل من أحمد مطلوب و عبد الله الجبورى، و كان قد سبق أن صدر له ديوان من قبل، جمعه و شرحه كل من عبد المعين الملوحي و يحيى الدين الدرويش الذين جمعه من بطون الكتب لعدم العثور على ديوان له.

و الديوان الذى جمعه مطلوب و الجبورى حاولا فيه تكمله الديوان الأول و زادا عليه ما يتعلق بشعر الشاعر فى آل البيت (ع)، و هى ثمانى قصائد فى ١٥٦ بيتا، و قصائد أخرى عثرا عليها فى المجموعه التى جمعها الشيخ محمد السماوى و أضافا إليها ما لم يذكره. كما جاء بقصائد و أبيات لم تذكر فى ديوانيه المطبوع و المخطوط. و عن ديوانه كتب هلال ناجى ما يلى:

نشر الأستاذان عبد المعين الملوحي و محيى الدين الدرويش، مجموعته من شعر ديك الجن الحمصى فى حمص بسوريا سنه ١٩٦٠ و قد ضم المجموع فى دفتيه (٤١٧) بيتا جمعها من شتيت المظان.

و قد استطاع الأديبان العراقيان الدكتور أحمد مطلوب و عبد الله الجبورى أن يعيدا نشر المجموع بعد أن أضافا إليه إضافات مهمه أبرزها زياده (٢٢) - قصيده و قطعه تقع فى (٢٢٤) بيتا، أضافاها إلى مطبوعه الملوحي و الدرويش.

و عملهما العلمى هذا جدير بكل تقدير، و يمثل فى رأينا إضافه قيمه للتراث العربى المنشور.

و قد أحببنا أن ندلى بدلونا بين الدلاء فنستدرك على الجبورى و مطلوب بعض ما فاتهما من شعر ديك الجن آملين أن ينتفع بها المحققان الفاضلان فى طبعه قابله. و أجمل هذه المستدركات فى الآتى:

١ - قال ديك الجن:

لا مت قبلك بل أحيأ و أنت معا و لا بقيت إلى يوم تموتينا

لكن نعيش كما نهوى و نامله و يرغم الله فينا أنف و اشينا
حتى إذا ما انقضت أيام مدتنا و حان من يومنا ما كان يعدونا
متنا كلانا كغصنى بانه ذبلا من بعد ما استورقا و استنضرا حيننا
انظر " الحماسه البصريه " ١-٢٦٥.

٢ - و قال ديك الجن:

ليس يخشى جيش الحوادث من جنده و فدا صبابه و دموع

ص: ١٥٦

١- لمحمد بن مخنف عده اخوه منهم عامر بن مخنف و يكنى أبا رمله، و سعيد بن مخنف جد أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأخبارى المشهور و عبد الله بن مخنف فالراوى ابن لواحد من هؤلاء و لا ريب أن بعض السند قد سقط لبعده روايه صاحب الكتاب عن ابن أخى محمد المذكور.

٢- ربيعه بن ناجد - بالبدال المهمله - الاسدى عده الشيخ فى رجاله من أصحاب على (ع)

قمر حين رام أن يتجلى سار فيه المحاق قبل الطلوع

فلذه من صميم قلبى و جزء من فؤادى و قطعه من ضلوعى

لصغير أعار رزء كبير و فريد أذاق فقد جميع

إن تكن فى التراب خير ضجيع كنت لى فى المعاد خير شفيح

انظر " الحماسه البصريه " ١-٢٧٢.

٣- و قال ديك الجن:

و ليس المرء ذو العزمات إلا فتى تلقاه كل غد بلاد

فتى ينصب فى صدر الفيافى كما ينصب فى المقل الرقاد

انظر " الحماسه البصريه " ج ١ هامش الصفحه ١١٥ و " حماسه ابن الشجرى " ص ٢٦٩ و فيها:

(فتى ينصب فى ثغر الليالى)

و قد ورد البيت الثانى منهما فقط فى الديوان و روايته:

فتى ينصب فى ثغر الليالى كما ينصب فى المقل السواد

٤- و قال ديك الجن:

غراء جاءت و أفواه الثرى يبس لكنها انصرفت و النور منغمس

تسرى و للريح فى حافاتها زجل يريك ذهنك أن الرزق ينبجس

فى ماتم للحيا ما انهل عارضه إلا و فيه لأبكار الثرى عرس

انظر " الحماسه البصريه " ٢-٣٤٩-٣٥٠.

٥- و قال ديك الجن:

و كم قربت من دار عبه عبه كجندله السور المقابل تشرفه

فيرعى الفلا ما قد رعته من الفلا و ينحفها المرت القفار و تنحفه

انظر " الحماسه البصريه " ٢-٣٦٠ و " الأشباه و النظائر " للخالد بين ٢-٢٨١.

٦- و قال ديك الجن و هو من أطف أنواع التخير، (و هو أن ياتي الشاعر بيت يسوغ أن يقف بقواف متعدده فيختار منها قافيه مرجحه على سائرهما، تدل على حسن اختياره):

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى عند المنام

عند الرقاد - عند الهجوع - عند الوجود - عند الوسن

فعسى أنام فتنظى نار تأجج فى عظامى

فى فوادى - فى ضلوعى - فى كبودى - فى البدن

جسد تقلبه الأكف على فراش من سقام

من القتاد - من الدموع - من الوقود - من الحزن

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

من معاد - من رجوع - من وجود - من ثمن

انظر " أنوار الربيع " ٢-١٥٠ و " خزانه الأدب و غايه الإرب " لابن حجه الحموى ص ٧٨.

٧- و كتب ديك الجن إلى بعض أخوانه:

لك عندى من طيب الورد أطباق ملاح تدنى بعيد سرورك

و شراب كطيب نشرك يلقى فوق أيدى السقاء نورا كنورك

فبحقى، أهد السرور إلى من لا يلد الدنيا بغير حضورك

انظر - " قطب السرور " ص ٣٥١. ٨- و قال ديك الجن:

و ليله بات ظل الغيث ينسجها حتى إذا كملت أضحى يدبجها

يبكى عليها بكاء الصب فارقه إلف و يضحكها طورا و يبهجها

إذا يضحك فيها الورد نرجسها باهى زكى خزامها بنفسجها

فقلت فيها لساقينا و في يده كاس كشعله نار بات يوهجها

لا تمزجها بغير الماء منك فان تبخل يداك فدمعى سوف يمزجها

أقل ما بي من حبيك أن يدي إذا سمت نحو قلبي كاد ينضجها

انظر "قطب السرور" ص ٥٤٨.

٩ - و قال ديك الجن:

خليلى هبا عللانى مدامه معتقه مما تخير نوح

فما العيش إلا أن أفوز بسكره و ما الغبن إلا أن يقال صحيح

سأجمع فى حب البطاله و الصبا و إن لام فيه عاذل و نصيح

انظر "قطب السرور" ص ٥٦٠.

١٠ - و قال ديك الجن:

وقنان زواهر هن بالشمس من الشمس بالقلائد أحكى

يتبسمن قائمات صوفا فإذا ما ركعن قهقههن ضحكا

قلت: خذها و عاطنيها سلافا ذهباً فى الزجاج يسبك سبكا

انظر "قطب السرور" ص ٦٥٨.

١١ - و مما يستدرك على الفائيه المشوره فى الصفحات ١٧٧-١٧٩ البيتان التاليان:

كأنما التف من هداى راهبه يستوحش الأنس إلا يبعه أنفا

فكان فى ضوءها إذ قام مصطبحا و ضوء و جنته ما عمنا و كفى

انظر "قطب السرور" ص ٦٤٧-٦٤٨.

١٢ - و فى الديوان ورد البيت الثالث ص ١٨٩ بالروايه التاليه.

صفراء (....) فاصفرت فأنت ترى ذوبا من التبر رسوا فوقه الشرفا

و صواب الروايه:

صفراء أو قل ما اصفرت فأنت ترى ذوبا من الدر رسوا فوقه صدفا

انظر "قطب السرور" ص ٤٤٨:

١٣ - و مما يستدرک علی البيتين المنشورين في الصفحة ١٨١ من الديوان قوله:

و من عرف الأيام لم يغترر بها و بادر باللذات قبل العوائق

انظر "قطب السرور" ص ٤٥١.

١٤ - و في مواضع غير قليلة لاحظت عدم دقه في التحقيق. فالغرض الأول من ذكر مراجع القصيده و مصادرها هو إثبات الاختلاف في الروايات أو في النسبه - إن وجدت -، لكن المحققين الفاضلين أغفلا ذلك في مواضع عديده. من ذلك مثلا القطعه المنشوره في ص ١٠٧-١٠٨، فالبيت الثاني منها روايته في الديوان:

و قم أنت فاحث كاسها غير صاغر و لا تسق إلا خمرها و عقارها

و ذكر المحققان في الهامش رقم (٣) ص ١٠٧ ما نصه: "شرح المقامات - فقم" فهذا هامش مبتور و غير علمي، مبتور لأن النص الوارد في "شرح المقامات" ج ٤ ص ٢٣٦ يختلف عجزه اختلافا كلياً عن النص الوارد في

ص: ١٥٧

الديوان، فراويه العجز في شرح المقامات كالاتي:

ولا تسق مطبوخا و اسق عقارها

فالهامش مبتور إذن، وهو غير علمي إذ لم يذكر رقم الجزء و الصفحة من شرح المقامات. و هناك أيضا نقص في تخريج القطعه فالأبيات ٢ و ٣ و ٤ و ٥ منها وردت أيضا في "التشبيهاً لابن أبي عون ص ١٨١، ثم إن القطعه كامله مع اختلاف جوهرى فى الروايه مثبتة فى "قطب السرور" ص ٦٢٣-٦٢٤ و هى أيضا فى "أنوار الربيع" ٦٣/٤ و الأول و الرابع منها فى "خزانه الأدب" لابن حجه الحموى ص ٢١٠ و كلها مراجع لم يقف عليها المحققان الفاضلان.

مثال آخر على عدم الدقه يتجلى فى القطعه رقم ٢٣ المنشوره فى الصفحتين ١١٦-١١٧ فمن مطالعه الهامش رقم (١) ص (١١٦) نجد أن هذه القطعه قد وردت فى المصادر التاليه - الأصل: "نهايه الإرب" ١٥٩/٤ و الديوان المطبوع ١٠٩، "و المصون" ١٥٩، و يتبادر إلى الذهن أن المحققين سيشيران إلى اختلاف الروايات بين هذه المصادر فى الهامش حتما. و من الأمانه أن نقول أنهما أثبتا بعضها فعلا، و من الأمانه أن نقول أيضا: أنهما أهملتا أبرزها. من ذلك أنك تقرأ البيت الثانى و روايته:

قامت مذكره و قام مؤنثا فتناهما الألاحظ بالنظرين

و ذكر فى الهامش رقم (٢) ما نصه: (فى الأصل و "نهايه الإرب"):

قامت مؤنثه

، و التصحيح من الديوان و المصون). و لكن هل هذه روايه "المصون" حقا؟؟؟ دعنا نرجع إلى المصون للعسكرى ص ١٥٩ فما ذا نجد؟ نجد العجز بروايه أخرى تماما هى:

فتنازعا المهجات باللحظين

بل و نجد بيتا آخر يليه لا وجود له عند المحققين و نصه:

لا زال من بغض الصيام مبغضا يوم الخميس إلى و الاثنين

أكثر من ذلك أن الأبيات الأول و الثانى و السابع من هذه القطعه موجوده فى "قطب السرور" ص ٧٠٣ بروايه أخرى لم يقف عليها المحققان الفاضلان. و من ذلك ما أثبتته فى الهامش رقم (١) ص (١٧٥) و نصه:

(البيتان فى "سحر البيان" ١٦٤ و نهايه الإرب ٩٨/٣ و الديوان ٦٧. و الأول فى "خاص الخاص" ١٠٢).

ثم إن القطعه (٧) المنشوره فى ص ٩٠-٩١ موجوده فى مراجع أخرى غير التى ذكرها المحققان الفاضلان هـ: "أنوار الربيع" ٦٣-٦٢/٤ و "أمالى الزجاجى" ١٠٢-١٠٣ منسوبه لديك الجن و "ذم الهوى" لابن الجوزى ٤٦٩-٤٧١ مع اختلاف فى الروايه و لعل فى الرجوع إليها فائده، ثم إن الكلام حول هذه النقطه كثير لا تتسع له مثل هذه الكلمه المقتضبه.

١٥ - فى المقدمه التى عقدها المحققان الفاضلان للحديث عن "ديك الجن. حياته و ديوانه" ذكرا فى الصفحه التاسعه ما قاله النواجى فى "حلبه الكميت" من أمر لقاء أبى تمام مع ديك الجن فى حمص، و قالوا: (و هذه روايه انفراد بها الشيخ النواجى، و قد لا تكون صحيحه، لأن أبى تمام كان يختلف إلى ديك الجن فى حمص إبان نشأته الشعريه و يستفيد منه، فكيف يتخفى عنه؟). يبدو لى من هذا الكلام أنه قد فاتهما الاطلاع على نص بالغ الأهميه ذكره ابن ظافر الأزدى فى "بدائع البداءه" ص ٦٨ و نصه: (أن أبى تمام لقي ديك الجن و هو طفل يلعب، و يدعى قول الشعر، فقال: إن كنت شاعرا كما تقول، فاجز: فرقوا بين من أحب و بينى).

فقال: أ بعد أم قرب؟ فقال أبو تمام: بعد، فقال:

مثل بعد السماك و الفرقدين.

فقال له: قرب، فقال:

مثل ما بين حاجبى و عينى).

و على أية حال فبين هذا النص و نصوص أخرى ذكرت أستاذه ديك الجن لأبى تمام تعارض ظاهر. و هو تعارض كان يستوجب التدقيق و التحقيق.

أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل الحلبي

- المعروف بابن الجلى.

قال السيد عبد العزيز الطباطبائى و بيت الجلى - بكسر الجيم المعجمه و تشديد اللام - من البيوت العلميه العريقه الشيعيه فى حلب، أنجبت أعلاما فى الفقه، و الحديث، و الأدب فى القرنين الرابع و الخامس، منهم أبو الفتح هذا، و أبوه، و جده.

ترجم ابن العديم فى بغية الطلب فى تاريخ حلب لأبيه إسماعيل بن أحمد، و قال: حدث بحلب، عن أبيه... و روى عنه ابنه أبو الفتح...

و أخرج من طريقه

حديث على (ع): "نزلت النبوه يوم الاثنين، و صليت مع النبى (ص) يوم الثلاثاء".

و ترجم له أيضا ابن حجر فى لسان الميزان ٣٩٢/١، ناقلا- عن تاريخ ابن أبى طى أنه قال: إمام فاضل فى الحديث، و فقه أهل البيت، روى عن أبيه و... توفى سنة ٤٤٧، و لإسماعيل أسفار فى فنون شتى، (انتهى).

و أما ابنه أبو الفتح، فقد روى عن أبيه سنة ٤٠٧، فتقدر ولادته حدود سنة ٣٩٠، و روى أيضا عن أبى نمير الأسدى عبد الرزاق بن عبد السلام، و روى عنه على عبد الله بن أبى جراده العقيلى الحلبى، و نظام الملك الطوسى الوزير، و أبو بكر الخطيب البغدادى.

له ترجمه فى أنساب السمعانى "الجلى"، و وهم فسماه أحمد، و المشتبه ١/١٦٨، و تبصير المنتبه ١/٣٤٢، و تاج العروس ٧/٢٦٢. له تذييل على نهج البلاغه.

قال ابن أبى الحديد فى شرحه ١٨/٢٢٥، فى حديث ضرار بن ضميره:

فان الرياشى روى خبره، و نقلته أنا من كتاب عبد الله بن إسماعيل بن أحمد الحلبى، فى التذييل على نهج البلاغه.

الشيخ عبد على بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم البحرانى

من آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ص: ١٥٨

قال الشيخ أحمد الأحسائي: إنه أحد فضلائنا في البحرين.

وقال العلامة النيسابوري بعد ذكر جمل من أوصافه أنه من فقهاء أهل البيت (ع) و كان أخباريا و له كتاب كبير مسمى ب "إحياء الشريعة" و هو كتاب لم يسبقه سابق إلى أن قال: و هو العلامة و ابن العلامة و أخو العلامة و ابنه العلامة و من مصنفاته كتاب (الأحياء) و رساله في التقيه، و رساله في حديث لا ضرر و لا ضرار، و كتاب في المسائل المتفرقه. و مناسك الحج، و رساله في عدم حجيه الإجماع كما هو اعتقاد مشايخه، و كتاب في رد من قال: بحجيه البراءه الأصلية، و كتاب في حديث (العبودية جوهره كنهها الربوبية) و رساله في منجزات المريض، و رساله في حجيه خبر الآحاد، و رساله في عدم جواز نقل الأموات إلى المشاهد المشرفه و الرد على أخيه صاحب الحدائق حيث جوز ذلك، و رساله في وجوب غسل الجمعة. و أجوبه المسائل البصريه و غير ذلك من الأجوبه قال ابنه الشيخ خلف: إن أبي طاب ثراه هجر مع من هجر سنه تسعين و المائه بعد الألف و نزل في الفلاحيه و تصدر للافتاء في تلك الناحيه، و مات في السنه العاشره بعد المائتين و الألف سنه ١٢١٠ من الهجره النبويه.

الشيخ عبد على القطيفي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

أحد الأئمه و فاضل الأمه، جمع بين المعقول و المنقول الحاوي بين الفروع و الأصول، و كان معاصرا مع جدنا الشيخ حسين العلامة و مجاز عنه، له كتاب في الفقه لم يكمل، و رساله في حرمه الظن، و رساله في جواز تقليد الموتى، مات سنه ١٢٣٠، و له من الأولاد الشيخ محمد، و هو مجاز عن شيخه الشيخ أحمد الأحسائي مات سنه ١٢٤٥.

الملا عبد العلى البيرجندى بن محمد بن الحسين

الملقب نظام الدين.

توفى سنه ٩٣٤ قال الدكتور جلال الدين همائي:

من أكابر العلماء و المؤلفين فى الهيئه و النجوم و الرياضيات فى القرنين ٩ و ١٠. و قد راجت مؤلفاته بين خيره أهل العلم. و لم يبلغ أحد مبلغه فى كثره المؤلفات الرياضيه و الهيئه و النجوم بعد الخواجه نصير الدين الطوسى و الملا قطب الشيرازى، و آثاره مفيده و محققه. و قد كان تلميذ معين الدين الكاشانى فى الرياضيات و الهيئه و النجوم، و قد كان معين الدين ابن أخت غياث الدين جمشيد الكاشانى و تلميذه البارز. كما درس العلوم النقلية على شيخ الإسلام سيف الدين التفتازانى. و قد علق كثيرا من الحواشى و التعليقات على كتب الهيئه و الرياضيات، كما له مؤلفات مستقله كثيره، منها:

(أ) شرح زيج ألغ بيك، و قد أتمه سنه ٩٢٩.

(ب) شرح التذكرة لخواجه نصير الدين فى الهيئه الاستدلاليه المبسوطه، و تاريخ إتمامه ربيع الأول من سنه ٩١٣.

(ج) شرح تحرير المجسطى، و نصه من الخواجه الطوسى كذلك.

(د) شرح عشرين بابا للأسطرلاب بالفارسي، تأليف جمادى الآخره ٨٨٩، و كذلك نصه من الخواجه الطوسى. و قد استنسخته أيام التلمذه من نسخه خاصه بال الملاباشى يا قلعه، و ما زالت فى حوزتى.

(ه) رساله الأبعاد و الأجرام، ألفت سنه ٩٣٠. (و) عشرون بابا فى معرفه التقويم، بالفارسيه. ألفت سنه ٨٨٣.

الحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدوله.

أشاره

قال الدكتور جلال الدين همائى:

كان هو و الملا على أحمد الأصفهانى المتوفى سنه ١٢٩٣ من مفاخر عهد ناصر الدين شاه القاجارى. و يجب أن يعدا خاتمه العلماء العظام فى الرياضيات و الهيئه و النجوم، لانتمائهما إلى مدرسه العلماء القدماء كالخواجه نصير الدين الطوسى و غياث الدين جمشيد الكاشانى. أما علماء الرياضيات اليرانيون فقد تبعوا الغرب فى طريقه علمائه تماما، أو أنهم مزجوا بين الطريقتين، و ألفوا كتبهم.

و كان نجم الدوله (ميرزا عبد الغفار الأصفهانى) خاتمه هذه المجموعه.

إذ بعد أن أتم دراسته على والده تعلم إلى اللغه الفرنسيه و العلوم الغربيه.

و بدت على مؤلفاته آثار ثقافته المزدوجه، القديمه و الحديثه بشكل واضح.

فى أحد أسفار ناصر الدين شاه (١٢٦٤ - ١٣١٣ هـ) الأولى إلى أصفهان رافقه العالم الفاضل على قلى خان اعتضاد السلطنه، فأشرق بريق ذلك الجوهر بعد خمول، و نقله إلى طهران. و اهتبل نادر [ناصر] شاه فرصه وجوده فاستفاد منه فى التشكيلات العلميه لدار الفنون. و قد استمر ازدهار العلوم الرياضيه فى تلك المدرسه مده حياه الملا على محمد، حيث أحسن إدارتها، و أشرف فيها على امتحانات القسم. و يعتبر الملا على محمد مخترع اللوغاريتم فى إيران، من قبل أن تقرأ هذه القاعده فى الكتب الأجنبيه، أو أن يطلع عليها أحد. فقد اكتشفه بقوه ذكائه و ألمعيته فى الرياضيات. حتى إن المعلمين الأجانب الذين يعملون فى دار الفنون حين سمعوا باختراعه عجبوا كثيرا و أثنوا على عمله.

و لقد شرح المرحوم معتمد الدوله فرهاد ميرزا شاه زاده القاجارى "خلاصه الحساب" للشيخ البهائى شرحا جيدا، و حققته. و يبدو من فحوى خاتمه الكتاب أنه صحح من قبل عبد الوهاب المنجم باشى و باشراف أبيه الملا على محمد. و الحقيقه أن العمل كله تم بالمعلومات التى صبها الملا على محمد.

و يعتبر ابنه الميرزا عبد الوهاب المنجم باشى و الحاج ميرزا عبد الغفار من كبار علماء الرياضيات و الهيئه و النجوم فى إيران فى القرنين ١٣ و ١٤ هـ. ق.

و لقد تعادلت معلوماتها القديمه مع دراستهما الحديثه فى هذه العلوم. و كان الميرزا عبد الوهاب رئيس المنجمين الخاص لمهد عليا (المتوفاه ١٢٩٠ هـ) أم ناصر الدين شاه، و أمضى فتره فى عمل استخراج التقويم الرسمى لايران.

و كان الابن الأكبر للملا علي محمد، و لهذا فإنه كان المساعد و المعاضد لأعمال الملا علي محمد.

نموذج لمؤلفات ميرزا عبد الغفار نجم الدوله الأصفهاني

مؤلفات المرحوم نجم الدوله كثيره فى فنون الجغرافيه و الهيئه و النجوم و الجبر و المقابله و الهندسه. و لما كان أغلبها من جمله الكتب المدرسيه الجديده فقد تكرر طبعها، و هى تشمل المراحل الابتدائيه و المتوسطه و العالیه. فمثلا كتب ثلاثه كتب فى علم الحساب، و أسماؤها: "بدايه الحساب" و "كفايه الحساب" و "نهايه الحساب". كما أنه ألف عدده كتب فى الهندسه، أسماؤها: "بدايه الهندسه" و "كفايه الهندسه" و "نهايه الهندسه"، و هى

ص: ١٥٩

للمراحل الثلاث: الابتدائية و المتوسطة و العاليه.

و بشكل عام نستطيع أن نقول إن الدراسه فى المدارس الجديده بدأت منذ أوائل تأسيس دار الفنون سنه ١٢٤٨ هـ. ق باشراف الميرزا تقى خان أمير كبير. و منذ ذلك التاريخ حتى الآن و كتب نجم الدوله المدرسيه هى المعتمده.

و كانت أحيانا تدرس هذه الكتب كما هى، و أحيانا يبدل المدرسون المؤلفون من بعض عباراتها، لتكون جزءا من الكتب المدرسيه.

و ما دام نجم الدوله حيا كان التقويم الرسمى موكلا إليه، حيث كان يطبع تقويمين: "الرقومى" و "الفارسى" و ينشرهما. و لو أن مجموعته حفظت كلها لعدت من نفائس آثاره. و على أى حال فان مؤلفات المرحوم نجم الدوله جزء من الكتب المدرسيه، الشامله لجميع شعب الأ-صول و الفروع للرياضيات و الجغرافيه، و التى كتبت و طبعت لدار الفنون. و له كتب أخرى رياضيه مفصله، و أغلبها مترجم عن الفارسيه. و له مؤلفات مستقله فى الرياضيات و الهيئه و النجوم، أعلى مستوى من الكتب الدراسيه. و ذكرنا فى قسم الرياضيات القديمه أن له آثارا متفرقه أخرى كتصحيحه و تحشيثه و طبعه لكتاب "الكشكول" للشيخ البهائى، و الذى دعى باسم "طبعه نجم الدوله" و اشتهر به، و كان خير طبعه للكتاب.

و كنت ذكرت أن استخراج التقويم الرسمى كان منحصرأ به لسنين عديده، و الذى كان يدعى بنوعيه "الرقومى" و "الفارسى" تقويم البهاء، و كان يطبعهما و ينشرهما. و كانت تقويماته تنتشر فى أكثر الدول الإسلاميه كالعراق و الهند و أفغانستان و لبنان و سوريه و مصر و الحجاز، و يهتم لها أهل العلم. و أسماء مؤلفات نجم الدوله فهى:

١ - بدايه الحساب.

٢ - كفايه الحساب.

٣ - نهايه الحساب.

٤ - بدايه الهندسه.

٥ - كفايه الهندسه.

٦ - نهايه الهندسه.

٧ - بدايه النجوم.

٨ - كفايه الجغرافى.

٩ - بدايه الجبر.

و لقد طبعت الكتب الخمسه (بدايه الحساب، بدايه النجوم، بدايه الهندسه، كفايه الجغرافيه، بدايه الجبر) من ضمن سلسله الكتب المدرسيه لدار الفنون سنه ١٣١٩ هـ. ق.

١٠ - هندسه المقالات السبع، و كان قد ألفها فى دار الفنون، و طبعت مرات، و غدت من كتب المراحل المتوسطه. و اقتبست فيما بعد، و أظهرها باشكال مختلفه، و كانوا فى كل اقتباس يسقطون بعض فوائد الكتاب، حتى غدا بشكله الناقص اليوم.

١١ - المثلثات الكرويه.

١٢ - الجبر و المقابله و المفصل، و كان بمنزله "كفايه الجبر" أو "نهايه الجبر". و غدا هذا الكتاب كذلك من جمله الكتب المدرسيه فى المدارس الجديده.

١٣ - تطبيق السنوات القمريه و الشمسيه و الهجريه و الميلاديه حتى ٥٠٠٠ سنه، رساله مفيده جدا، و الحاجه إلى طبعها ماسه.

١٤ - كتاب "قانون ناصرى" فى الهيئه الاستدلاليه. كتبه بالفارسيه على جزءين، و يضم سته آلاف بيت. ألفه سنه ١٢٨٤ باسم ناصر الدين شاه، و هو على نسق "قانون المسعودى" الذى كتبه أبو الريحان البيرونى باسم السلطان مسعود الغزنوى.

و مما يؤسف له أن هذا الكتاب لما يطبع. و لقد بيض من هذا الكتاب نسختان فقط، واحده من أجل مكتبه السلطنه، و أخرى حفظت فى حوزة السلطان مسعود ميرزا، و أعترف باننى رأيت كليهما، و أمضيت مده فى مطالعتهما. و الكتاب مفيد جدا، و بالإمكان طبعه على الأفت.

١٥ - كتاب "آسمان: السماء": و هو أكثر كتب الهيئه الاستدلاليه الجديده تفصيلا كتبه بالفارسيه بحدود ٢٠ ألف بيت (البيت باصطلاح الكتاب خمسون حرفا، و هو بسطر واحد عاده). و يقول المرحوم نجم الدوله فى مقدمه "بدايه النجوم" عن هذا الكتاب:

فى رحله ناصر الدين شاه إلى بلاد الفرنجه أحضر معه كتابا مفصلا و فخما بالفرنسيه حول النجوم طبع حديثا، و أمرنى أن أترجمه. و كنت أعرض على الملك معلوماته شفاها. أى أن ناصر الدين شاه كان يقرأ على نجم الدوله الهيئه و النجوم. و كان مقررا أن يطبع الكتاب، لكن ظروفنا حالت دون ذلك. كما أنه دون نسخه لتبقى فى حوزة السلطان مسعود ميرزا. و نسخوا كذلك عده نسخ عن الأصل (الترجم).

مخطط كامل ل طهران و ولايات أخرى:

و من جمله أعمال نجم الدوله العلميه رسم بعض المخططات، منها مخطط كامل عن طهران، و مخطط الطريق بين طهران حتى بوشهر، و مخطط طريق طهران حتى خرمشهر، و رابع مخططات قم و كاشان، و خامس مخططات مدن إيران، و قد ذكر نجم الدوله أسماءها فى مقدمه كتابه الجغرافيه.

إحصاء طهران:

قام نجم الدوله بعملية إحصاء لمدينه طهران بامر ناصر الدين شاه سنه ١٢٨٤ هـ. ق. و لو أننا حصلنا على هذا الإحصاء لاستطعنا مقارنتها بطهران اليوم التي تعد عدده ملايين.

الشيخ عبد الكريم الممتن.

قال الشيخ جعفر الهلالي:

كان من الشعراء المتأخرين في الأحساء الذين عاشوا في هذا القرن (الرابع عشر) و لا نجازف إذا قلنا: إنه ياتي في الطبقة الأولى من شعراء الأحساء بل إنه بشاعريته يحاكي أدباء و شعراء النجف أو الحله في هذا القرن، و لا عجب فقد كان للمده التي قضاها بين شعراء العراق في النجف الأشرف الأثر الكبير في صياغته الأدبيه هذه، و قد كانت النجف و لا تزال المنبع الصافي الذي ورد منه شعراء هذه الحقبة الزمنيه.

ص: ١٦٠

نشأ الشاعر في الجيل - مسقط رأسه و مسكن أسرته -، و فيها أخذ أوائل تحصيله العلمى على يد والده الشيخ حسين، ثم انتقل إلى النجف الأشرف و هناك حضر بحث السيد ناصر الأحسائي.

كان المترجم أحد فضلاء الأحساء، و هو بالاضافه إلى فضيلته العلميه كان شاعرا متفوقا كما ذكرنا، و يمتاز أيضا بقوه الجدل و المناظره، خصوصا فى علمى النحو و المنطق، كما أن له يدا فى علم الفلك.

وافى شاعرنا الأجل فى الأحساء ليله الجمعه فى ١٢ رجب سنه ١٣٧٥ هـ، و قد رثاه جماعه من الأدباء الشعراء، منهم الشيخ ملا كاظم بن مطر، قال:

جر ما بدا لك أيها الزمن فالأمر يدرك سره الفطن

نمسي و نصبح منك فى دجن الارهاق ما برحت بنا الدجن

لين الأفاعى منك نلمسه و لأنت أنت المركب الخشن

صوب الكوارث منك عارضه أبدا على أحرارها هتن

لو كنت تنطق أيها الزمن لأجبت من فى حبك افتتوا

و الظرف يكرم إن يكن حسنا مظروفه و العكس يمتهن

و على الكرام أغرت مقتنصا عبد الكريم فطرفهم سخن

أهل (الجيل) ثكلتم جبلا فى ظلّه العافون كم قطنوا

بمعينه و راده نهلوا و بكهفه رواده أمنوا

و انهار عنكم لا فحسب فقد جزعت قري و تزعزعت مدن

إن أوحشت منه مساجده فله حشى عمارها وطن

لقد ضاع أكثر شعره شأنه شان غيره من شعراء هذه المنطقه للظروف القاسيه التى مرت بها، و لعدم وجود من يهتم لمثل هذا التراث إلا ما قل، و الذى وقفنا عليه من شعره هو ما جمعه أحد أقرباء الشاعر و هو الحاج الملا طاهر البحرانى، و كان الدافع له هو تذوقه للشعر باعتبار وظيفته و هى الخطابه الحسينيه، حيث اعتاد خطباء المنبر الحسينى على حفظ الشعر فقد تيسر للخطيب الملا طاهر البحرانى أن يجمع بعض ما وصل إليه أو وقف عليه من شعر الشاعر، و هو مصدرنا الوحيد فى ما سنذكره من شواهد شعريه للشاعر، فهذه قصيده يرثى بها الشاعر الامام الحسين (ع) و يشيد فيها بمواقف أصحابه من شهداء كربلاء، و يظهر أنه قد ضاع أكثرها، قال:

سل غالبا ما بال غلب كماتها ذلت و ليس الذل من عاداتها
ما للضياغم من بنى عمر و العلى قعدت ففاح الضيم فى ساحاتها
هل كيف تضرع خدها لطليقها و هى التى ما أضرعت لعداتها
أ ترى عراها الجبن حاشا عصبه ما عصبت بسوى اللوا جبهاتها
ما عذرهم لا شب منهم ناشئ إن لم يشبوا فى الوغى شعلاتها
وسمت أميه أنفها فى مرفق سمه العبيد به على ساداتها
حشدت به أبناء حرب جندها و على ابن أحمد ضيقت فلواتها
فهناك صاح بصحبه فتنادبت و توائبت كالأسد من غاباتها
و تمايلت شوقا إلى ورد الردى بحشاشه أورى الظما قبساتها
صفقت لهم سمر الرماح و غنت البيض الصفاح فرجعت نغماتها
عشقت نفوسهم الهياج كأنما هى غاده تختال فى جلواتها
عقدت على البين النكاح و طلقت دون ابن بنت محمد لذاتها
من فوق خيل كالنعام تخالهم أسد العرين تسنموا صهواتها
غلب كماه لو يغالبها القضا لقضى عليه الحتف لدن قناتها

و قال مشطرا هذين البيتين لغيره فى وقوف نساء الحسين (ع) أمام يزيد بن معاوية فى مجلسه:

(أ ترضى و أنت الثاقب العزم غيره) حرائر كم تستامهن عبيد

مربقه الأعناق فى مجلس به (يلاحظها حسرى القناع يزيد)

(يسب أبوها عند سلب قناعها) (و يبتز منها أسور و عقود)

يطاف بها الآفاق فوق هوازل (و لا ستر إلا ساعد و زنود)

و قال أيضا مشطرا و الأصل لغيره:

(همت لتقضى من توديعه وطرا) غداه أمت بها الأظعان مصرعه

فمذ رأته على جثمانه وقعت (و قد أبى سوط شمر أن تودعه)

(ففارقتة و لكن رأسه معها) كالبدر كان القنا الخطى مطلعها

بالرغم منها سرت عنه مفارقه (و غاب عنها و لكن قلبها معه)

و قال هذه القصيدة يذكر فيها أهل البيت - (ع) - و يختمها بمصيبة الزهراء - س - منها قوله:

أيها الغافل لا نلت نجاحا خالف النفس و دع عنك الملاحا

و أفق من سكره الغى و لا تحسبن الجد من قولى مزاحا

كم تمادى فى الهوى لا ترعوى و غراب البين يدعوك الرواحا

كيف لا تقلع عن معصيه و نذير الشيب فى المفرق لاحا

أذنت فيك الليالى بالفنا و دنا الموت مساء أو صباحا

أنت من فوق مطى الأيام و الفلك الأطلس يحدوك لحاحا

فاتخذ زادا من التقوى و كن خافضا لله من ذل جناحا

معرضا عن زهره الدنيا فهل لفتى يغتر فى الدنيا فلاحا(1)

إنها دار غرور طبعها الغدر و المكر فبعدا و انتزاحا

أ و لم تسمع بما قد صنعت بنى أحمد لم تخش افتضاحا

شتتهم فرقا و اجترحت سيئات تملأ القلب جراحا

صوبت فيهم سهاما لم تصب غير قلب الدين و استلت صفاحا

أظهرت أبناؤها ما أضمرت و استباحوا كل ما ليس مباحا

و قال مؤرخا هدم قبور البقيع لأئمه أهل البيت (ع):

لعمرك ما شاقنى ربرب طفقت لتذكاره أنحب

و لا سح من مقلتي العقيق... على جيره فيه قد طنبا
و لكن شجاني وفت الحشا أعاجيب دهر بنا يلعب
و حسبك من ذاك هدم القباب فذلك عن جوره يعرب
قبا برغم العلى هدمت و هيهات ثاراتها تذهب
إلى م معاشر أهل الابا يصول على الأسد الثعلب
لئن صعب الأمر فى دركها فترك الطلاب بها أصعب
أليس كما قال تاريخه (بتهديمها انهدم المذهب)رى

ص: ١٦١

١- هكذا جاءت القافيه فى الأصل الذى نقلنا عنه، و هى ملحنه كما ترى

الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن المقابى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ولد بقرية المقابا سنة سبعة و ثلاثين بعد الألف، و نشأ بها و تادب على الشيخ عبد الغفور الشافعى. ثم دخل شيراز فاخذ الفقه عن السيد نعمه الله الجزائرى و أخذ الكلام عن الشيخ إبراهيم الدرأى العصفورى، ثم دخل بهبهان و صار عالما بين من فيها من الأعيان، و له رساله (زاد المسافرين) و كتاب: الوافيه فى شرح الكافيه. و كتاب: المقاصد العليه فى فقه الاماميه، و رساله فى الألغاز. و كتاب: القصائد و المراثى. و كتاب: أعمال الجمعة.

و كتاب: نتيجته التقوى. مات قدس سره سنة ١٢٣٠.

الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الحجرى البحرانى.

قال فى كتاب تاريخ البحرين المخطوط:

هو من علماء المتورعين أخذ الفقه عن علامه عصره الشيخ حسين العلامة و مجاز [مجاز] عنه، و له من التأليف كتاب الذخيره و كتاب الوافى على الكافى [مات] سنة ١٢٣٥ -.

الشيخ عبد الله القطيفى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

و هو من أكابر علماء القطيف، مجاز عن شيخه الشيخ أحمد الأحسائى، و له رسائل فى علوم شتى، منها كتاب فى تفسير أول ما خلق الله العقل، و منها رساله فى وجوب الجمعة عينيا، و منها رساله فى آداب المفتى، مات سنة ١٢٢٥.

الشيخ عبد الله بن على أحمد البحرانى البلادى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فاضلا لا سيما فى الحكمة و المعقولات إلا أنه قليل الرغبة فى التدريس و المطالعه فى وقتنا الذى رأينا فيه.

له رساله فى علم الكلام. و رساله أخرى فى علم الكلام أيضا كتبها للشيخ أحمد بن شيخ الإسلام. و رساله فى نفى الجزء الذى لا يتجزأ.

و رساله فى تقسيم الكلمه إلى اسم و فعل و حرف. و شرح رساله شيخه [شيخه] الشيخ سليمان فى المنطق إلا أنه لم يتمها. و رساله فى وجوب جهاد العدو فى زمن الغيبه. و رساله فى عدم ثبوت الدعوى على الميت بالشاهد و اليمين.

و للوالد رساله فى الرد عليه فى ذلك. و قد اختار ثبوت الدعوى المذكور بالشاهد و اليمين كالدعوى على الحى.

توفى فى شيراز فى عام جلوس نادر شاه و دعواه السلطنه إلى أن قال:

و دفن فى قبه السيد أحمد بن مولانا الكاظم (ع) المشهور بشاه جراغ، و أنا كنت يومئذ فى شيراز إمام جمعيتها و جماعتها رحمه الله عليه، قاله جدى.

عبد الله بن عزيز الكناني.

كان مع التوابين الذين خرجوا بقيادة سليمان بن صرر [صرد] الخزاعى للطلب بثار الحسين، و عند ما رأى رفاعه بن شداد البجلي أن ينسحب بمن بقى من الناس عائدا إلى الكوفه، أصر جماعه على الاستشهاد و عدم العوده، و كان منهم عبد الله بن عزيز الكناني و كان معه ولده محمد و هو صغير، فنادى بنى كنانه من أهل الشام و سلم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفه، فعرضوا عليه الأمان فأبى، و أخذ ابنه يبكى فى أثر أبيه و بكى الشاميون رقه له و لا يبنه. فقال يا بنى لو كان شىء آثر عندى من طاعه ربي لكنت أنت، ثم اعتزل ذلك الجانب و قاتل حتى قتل.

عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي.

كان مع التوابين الذين [الذين] خرجوا للطلب بثار الحسين (ع)، فلما قتل سليمان بن صرد ثم قتل المسيب بن نجيه أخذ الرايه عبد الله بن سعد بن نفيل، و ترحم على سليمان و المسيب ثم قرأ: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا يَدُلُّوا تَبْدِيلًا) . ثم حمل على القوم و جعل يرتجز و يقول:

ارحم إلهى عبدك التوابا و لا تؤاخذه فقد أنابا

و فارق الأهلين و الأحبابا يرجو بذاك الفوز و الثوابا

و حف به من كان معه من الأزد، فبينما هم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثه و هم: عبد الله بن الخضل الطائى، و كثير بن عمرو المزنى، و سعر بن أبى سعر الحنفى، و قد أرسلهم سعد بن أبى حذيفه فأخبروا بمسيره من المدائن فى سبعين و مائه من أهل المدائن، و أخبروا بمسير أهل البصره مع المثنى بن مخرمه العبدى فى ثلاثمائه، فسر الناس بذلك. فقال عبد الله بن سعد: ذلك لو جاءونا و نحن أحياء. فلما نظر الرسل إلى مصارع أخوانهم ساءهم ذلك و استرجعوا و قاتلوا معهم، فكان أول من استشهاد فى ذلك الوقت من الثلاثه كثير بن عمرو المزنى و طعن الحنفى فوقه بين القتلى ثم برئ بعد ذلك. و كان الطائى فارسا شاعرا فجعل يقول:

قد علمت ذات الرود أن لست بالوانى و لا الرعيد

يوما و لا بالفرق الحيود

و قاتل قتالا شديدا و طعن فقطع أنفه.

و قاتل عبد الله بن سعد بن نفيل حتى قتل.

كان من رؤساء التوابين الذين خرجوا بقياده سليمان بن صرد الخزاعي للطلب بثار الحسين (ع)، و لما قتل عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، نادوا عبد الله بن وال ليأخذ الرايه مكانه، فإذا هو يحارب في جانب آخر في عصابه معه، فحمل رفاعه بن شداد البجلي فكشف أهل الشام عنه، فاتى و أخذ الرايه و قاتل مليا حتى قطعت يده اليسرى، ثم استند إلى أصحابه و يده تشخب ثم كر عليهم و هو يقول:

نفسى فداكم اذكروا الميثاقا و صابروهم و احذروا و النفاقا

لا كوفه نبغى و لا عراقا لا بل نريد الموت و العنفا

فقاتل حتى قتل.

و كان من الفقهاء العباد.

عبد الله بن خازم الأزدي.

لما عزم سليمان بن صرد على الخروج على رأس التوابين، نادى في أصحابه، فجعلوا يخرجون من منازلهم على خيولهم و قد أظهروا الآله و السلاح، فجعلوا يسيرون في أسواق الكوفه و الناس يدعون لهم بالنصر

ص: ١٦٢

و الظفر، حتى إذا صاروا إلى النخيله عسكروا بها.

و خرج سليمان من الكوفة فى نفر من أصحابه، حتى إذا أشرف على أصحابه و عسكره لم يعجبه ما رأى من قله الناس، فدعا برجلين من أصحابه: حكيم بن منقذ الكندى و الوليد بن غضين الكنانى، فقال لهما:

اركبا فمرا بالكوفة و ناديا فى الناس: من أراد الجنة و رضاء الله و التوبه فليلحق بسليمان بن صرد إلى النخيله.

ففعلا- ما أمرهما به و ناديا بالكوفة، فسمع ذلك رجل من الأزد يقال له عبد الله بن خازم، و له امرأه يقال بها [لها] سهله بنت بسره، فلما سمع النداء و ثب إلى ثيابه فلبسها، و أفرغ عليه سلاحه و أمر بأسراج فرسه، فقالت له ابنته ما لى أراك متأهبا؟ فقال لها: إن أباك يريد أن يفر من ذنوبه. فقالت له امرأته:

ما شانك و يحكك؟ خبرنى قضيتك، فقال: و يحكك أيتها المرأه، إنى سمعت الداعى فأحببت أن أجيبه، و أنا أطلب بدم الحسين بن على و إخوته و أهل بيته حتى أموت أو يقضى الله فى ذلك من أمره ما يحب و يرضى، فقالت له امرأته: و يحكك على من تخلف أهلك و ولدك؟! فقال: على الله وحده. ثم رفع طرفه نحو السماء فقال: اللهم إنى أستودعك أهلى و ولدى فاحفظنى فيهم، و تب على مما فرطت فى نصر ابن بنت نبيك، ثم خرج حتى لحق بسليمان بن صرد.

عبد الله بن عمرو النهدى.

لما التقى جيش المختار بجيش مصعب بن الزبير، كان عبد الله بن عمرو النهدى فى جيش المختار، و كان محمد بن الأشعث فى جيش مصعب فقال عبد الله: و يحكم أرونى الموضع الذى فيه محمد بن الأشعث فإنه ممن قاتل الحسين بن على و شارك فى دمه فقالوا: ألا ترى هو فى الكتيبه الحمراء على الفرس الأدهم؟ فقال: بلى قد رأيته، فدعونى و إياه. ثم رفع رأسه إلى السماء، و قال: اللهم. إننى على ما كنت عليه بصفين، اللهم و إنى أبرأ إليك ممن قتل أهل البيت بيت نبيك محمد (ص)، أو شارك فى دمائهم. قال: ثم حمل حتى خالط أصحاب مصعب بن الزبير، فجعل يضرب فيهم ضربا منكرا و هو فى ذلك يلاحظ محمد بن الأشعث، حتى إذا أمكنته الفرصه و حمل عليه، ضربه ضربه على رأسه جدله صريعا.

و اختلط الناس من أصحاب ابن الزبير بعبد الله بن عمرو هذا فقتلوه.

عبد الله بن عوف الأحمر.

لما تهيأ التوابون للمسير للطلب بثار الحسين (ع) و عزموا على ذلك، جعل عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى يحرض الناس على ذلك و يذكر ما كان منه، فبدأ ذلك فى أيام صفين و حروبها، فأنشأ يقول:

صحوت و ودعت الصبا و الغوانيا و قلت لأصحابى أجيوا المناديا

و قولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى و قتل العدى لبيك لبيك داعيا

و شدوا له إذ سحر، الحرب أزره ليجزى امرؤ يوما بما كان ساعيا

و قودوا إلى الأعداء كل طمره و قودوا إليكم سانحات المذاكيا
و سيروا إلى القوم المحلين جنه و هزوا حرابا نحوهم و عواليا
ألسنا باصحاب (الحزبيه) و الأولى قتلنا بها من كان حيران باغيا
و نحن شمرنا لابن هند بجحفل كركن حوى يزجى إليه الدواهيا
الا و انع خير الناس جدا و والدا حسينا لأهل الدين إن كنت ناعيا
لييك حسينا من رعى الدين و التقى و كان غياثا للضعيف و كافيا
و ييك حسينا ذو أمان و حفظه عديم و أيتام عد من المواليا
و أضحى حسين للرماح دريئه و غودر مسلوبا لدى الطف ثاويا
فيا ليتنى إذ ذاك كنت شهدته و ضاربت عنه السائين الأعاديا
و دافعت عنه ما استطعت مجاهدا و أعملت سيفى فيهم و سنانيا
و لكن قعدنا فى معاشر ثبطوا و كان قعودى ضيله من ضلاليا
فيا ليتنى غودرت فيمن أجابه و كنت له من مقطع القتل واديا
و يا ليتنى أخطرت عنه باسرتى و أهلى و خلانى جميعا و ماليا
سقى الله قبرا ضمن المجد و التقى بغريه الطف الغمام الغواديا
و لكن مضى لا يملأ الروع نحره فبورك مهديا شهيدا و هاديا
فصلى عليه الله ما هبت الصبا و ما لاح نجم أو تحدر هاويا

و لما انتهى التوابون من زياره قبر الحسين (ع) و لزموا الطريق الأعظم كان عبد الله بن عوف يسير معهم على فرس كमित يتأكل
تأكلا و هو يقول:

خرجن يلمعن بنا أرسالا عوابسا قد تحمل الأبطالا

نريد أن نلقى بها الأقبالا الفاسقين الغدر و الضلالا

و قد رفضنا الأهل و الأموال و الخفريات البيض و الحجالا

الشيخ عبد المحسن بن محمد بن مبارك اللويىى البلادى الأحسائى

المتوفى حدود سنه (١٢٥٠ هـ).

عاش فى قريه (البطاليه) من قرى الأحساء، و كانت تعرف آنذاك ب (البلاد)، و إليها نسبته، و كان له فيها مسجد خاص روى عن أكثر من عالم من أعلام العلماء، منهم:

السيد محمد مهدي بحر العلوم.

و الشيخ حسين آل عصفور.

و السيد مهدي الشهرستاني الحائرى.

و الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني.

و روى عنه جماعه من العلماء، منهم:

الشيخ سليمان آل عبد الجبار البحرانى القطيفى.

و الشيخ على الشيخ مبارك آل حميدان الخطى الجارودى.

و كان فقيها مجتهدا، و قد وقفت فى مكتبتنا الخاصه بمدينه البصره على إحدى رسائله الاستدلاليه فى الصلاه، فرأيتة ذا أصاله فى الرأى، و عمق فى النظره، و دقه فى مناقشه الأدله، و استقامه فى استنطاق النصوص.

و له عدده مؤلفات ذكرها فى إجازته للمشايخ المذكورين، منها:

١ - التحفه الفاخره، فرغ من تاليفه فى سنه ١٢١٨ هـ.

٢ - جامع الأصول عن أهل الوصول.

٣ - الرساله الصغرى فى الصلاه.

٤ - الرساله الوسطى فى الصلاه.

٥ - الرساله الكبرى فى الصلاه.

٧ - شرح العوامل الجرجانية في النحو.

٨ - كفاية الطالب المودعه بدائع علم الأعراب، نظماً و شرحاً.

٩ - مشكاة الأنوار في فقه الصلاة عن الأئمة الأطهار.

١٠ - النهج القويم و الصراط المستقيم.

١١ - وفاه النبي يحيى.

١٢ - وفاه الامام الحسن.

١٣ - وفاه الامام الكاظم.

١٤ - بدايه الهدايه (١).

الشيخ عبد النبي بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم الدرازي البحراني

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من إخوان جدي صاحب الحدائق، و هو من أعيان فضلائنا، قرأ على أخيه صاحب الأحياء، و هو من أحب أخوانه لديه لزهده و ورعه، و له تحقيقات رائقه على كتب الأخبار، و حاشيه مليحه على كتاب أخيه الحدائق المسمى ب (الحديقه). و توفي يوم الجمعة سنه ١١٧٢ و قبره الشريف في المصلى.

عبد الله بن سنان بن طريف - و قيل ظريف - الكوفي

مولى قريش.

من أصحاب الإمامين الصادق و الكاظم (ع)، جليل القدر ثقه، لا يطعن عليه بشيء، كان على الخزانة من قبل المنصور و المهدي و الهادي و الرشيد العباسيين، له كتاب، روى عنه ابن أبي عمير، و محمد بن علي الهمداني، و الحسن بن الحسين السكوني، و عبد الله بن جبله، و غيرهم.

عبيد الله بن الحر الجعفي.

أشير إليه في (الأعيان) باسم (عبد الله) كما وردت عنه كلمه في الجزء الأول من (المستدركات) بالاسم نفسه. و نحن هنا نذكر تفصيل أحواله باسمه الصحيح (عبيد الله)، ماخوذه بنصها من كتاب (الفتوح) لابن أعثم الذي قال بأنه حدثه بما يروى (غير واحد

ممن جمع هذه العلوم).

فالعهد في الكلمه الآتيه على (ابن أعثم) الذي لا بد أن يكون قد تحقق ممن روى عنهم.

قال ابن أعثم:

قال أهل العلم كما حدثني به غير واحد ممن جمع هذه العلوم أن عبيد الله بن الحر كان رجلا من سادات أهل الكوفه، و بها ولد و بها نشأ، و هو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن كعب بن عوف بن حريم بن جعفى، و كان مقيما بالكوفه فى خلافه عثمان بن عفان، فلما قتل عثمان و كان من أمر الجمل ما كان، خرج عبيد الله بن الحر إلى معاويه بالشام فالتجأ إليه، و لم يشاهد حرب الجمل، حتى إذا قدم على بن أبى طالب من البصره إلى الكوفه و خرج إلى الشام فحاربه معاويه فدعاه ثم قال: يا بن الحر إننا احتجنا إلى معاونتك و لك عندنا بالرضا، فقال له ابن الحر: إنى لا يتهاى لى ذلك لأننى رجل من الكوفه و هؤلاء الذين مع على بن أبى طالب أكثرهم قومى و عشائرى، و لم أخرج من عندهم مكرها، و لم يقتل على عثمان بن عفان فاقاتله، فان رأيت أن تعفينى من قتال على فافعل أنت، فإذا انصرف عنك على فأقاتل من شئت من بعده. قال: فغضب عليه معاويه و جفاه، فلزم ابن الحر منزله فلم يشهد مشهدا من حروب صفين (٢)، و لم يزل كذلك إلى أن كان من أمر الحكيم ما كان، و رجع على إلى الكوفه فنزلها، و أرسل معاويه إلى عبيد الله بن الحر فدعاه ثم قال: يا بن الحر! دعوناك بالأمس إلى قتال رجل قد سار إلينا يريد بوارنا و استئصالنا فلم تجبنا و لم تقاتل معنا، و الآن فقد كفانا الله تبارك و تعالى أمر على و صار إلى الكوفه، غير أنه بلغنى أن جماعه من العرب يصيرون إليك فى جوف الليل فيكونون عندك، فإذا أصبحوا تفرقوا، فمن هؤلاء بابن الحر؟ فقال: هؤلاء أصحابى الذين قدموا معى من بلدى فيشاورونى فى أمورهم و أشاورهم فى أمرى و مقامى بأرض الشام! فقال له معاويه: أ تظن نفسك قد تطلعت إلى الكوفه و الكينونه مع على بن أبى طالب؟ فقال ابن الحر: إنه و الله لعلى ما ظننت، و إن بلدى أحب إلى من غيره، و إنه لقبىح بى أن أترك قومى و عشيرتى و أقيم بالشام غريبا فى غير دارى و وطنى، و أما ما ذكرت من على فو الله ما أشك أنه على الحق و أنه إمام هدى.

فقال رجل من جلساء معاويه: كذبت يا بن الحر بل نحن على الحق و من أو مات إليه على الباطل، و ما قاتلناه إلا ديانه. فقال ابن الحر: أنت و الله أكذب و أألم و لقد قاتلت أخوا رسول الله (ص) و ابن عمه ظلما و عدوانا. ثم وثب ابن الحر فخرج من عند معاويه مغضبا حتى صار إلى منزله، و التفت معاويه إلى ذلك الرجل فقال: بس ما صنعت، نحن أحوج إلى أن ترضى رجلا مثل هذا من أن تسخطه.

قال: و أرسل ابن الحر فى جوف الليل إلى أصحابه و بنى عمه فأمرهم بالخروج معه فى وقتهم ذلك، فخرج نحو الكوفه فى أصحابه هؤلاء و بنى عمه و هم خمسه و ثلاثون نفرا، فجعل يسير حتى إذا أصبح مر ببعض مشايخ معاويه فقاموا إليه و قالوا: من أنت أيها الرجل؟ فقال أنا عبيد الله بن الحر، قالوا:

فأين تريد؟ قال: فى حاجه، قالوا: فاننا نخاف أن تكون مخالفا لأمر المؤمنين و تريد الخروج عليه، و لسنا بتاركيك أو يأتينا فيك الخبر من عند أمير المؤمنين، فالتفت ابن الحر إلى أصحابه فقال: دونكم القوم، فهذه أول الغنيمه، فشد أصحاب عبيد الله بن الحر على هؤلاء القوم، فقتلوا منهم من قتلوا، و هرب الباقين على وجوههم، و أخذت دوابهم و أسلحتهم.

و سار ابن الحر فجعل لا يمر بقريه من قرى الشام إلا أغار عليها هو و أصحابه، فلم يزل كذلك حتى قدم الكوفه، و بها يومئذ على بن أبى طالب، فصار ابن الحر إلى منزله فإذا قد زوجت امرأته برجل من العرب، فهم ابن الحر أن يخاصم أولياء المرأه إلى على بن أبى طالب، فقال له بعض بنى عمه:

أ تخاصم إلى رجل كنت بالأمس عليه مع معاويه؟ فقال ابن الحر: و الله ما كنت عليه ساعه قط، و لو كنت عليه ما خفت أن يجور على فى الحكم. ثم اختصم ابن الحر مع أولياء المرأه إلى على بن أبى طالب ففضى على بالمرأه لابن الحر، فانترعت المرأه من ذلك الرجل و ردت إلى ابن الحر. و أقام ابن الحربالكوفه مع على بن أبى طالب يغدو إليه و يروح. فلم يزل كذلك إلى أن قتل

ص: ١٦٤

١- الدكتور عبد الهادى الفضلى.

٢- على أن ناشرى الكتاب يقولون: إنه ورد فى الطبرى و ابن الأثير و جمهره أنساب العرب: إنه شهد مع معاويه فى صفين. و لم يتيسر لنا الآن مراجعه تلك الكتب، لذلك فاننا نحيل القارئ عليها (ح).

علي، و مات الحسن بن علي، و مات زياد بن أبيه، و ولي عبيد الله بن زياد البصره و الكوفه من قبل يزيد بن معاويه، فانف عبيد الله بن الحر أن يناله القوم بسوء، فخرج عن الكوفه فنزل بقصر بنى مقاتل بن سليمان الحميري، فلم يزل هنالك مقيما إلى أن قتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب، و إلى أن وافى الحسين بن علي فنزل بقصر بنى مقاتل ثم بعث إلى ابن الحر يسأله نصره فأبى عليه، فتركه الحسين و مضى إلى كربلاء فقتل هنالك، و بلغ ذلك ابن الحر فندم على تركه الحسين ندامه شديده، و قال في ذلك أبياتا. (1)

ثم أقبل ابن الحر حتى دخل الكوفه بعد مقتل الحسين بثلاثة أيام، و بها يومئذ عبيد الله بن زياد فهو يفتقد أشرف الناس إذا دخلوا عليه فلا يرى فيهم عبيد الله بن الحر، فلما دخل و نظر إليه ابن زياد و قال: أين كنت يا بن الحر؟ قال: كنت مريضا أصلح الله الأمير، فقال: مريض القلب أم مريض الجسد، فقال ابن الحر: أما قلبي فإنه لم يمرض قط و الحمد لله، و أما جسدي فقد كان مريضا و قد من الله علي بالعافيه فقال: أبطلت يا بن الحر! ما كنت مع عدونا الحسين بن علي؟ فقال: إنني لو كنت مع الحسين لم يخف عليك مكانى أيها الأمير! فقال ابن زياد: أما معنا فلم تكن، فقال: صدقت أيها الأمير لا أكون معك و لا عليك. قال ابن زياد: و ما منعك من نصره أمير المؤمنين يزيد؟ فقال منعه من ذلك قول الله تعالى: (وَ لَا تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ) . فغضب ابن زياد و هم بقتل عبيد الله بن الحر في ذلك الوقت، ثم إنه خاف أن يشوش عليه أهل الكوفه فسكت، و خرج عبيد الله بن الحر فصار إلى منزله ثم جمع أصحابه و خرج من الكوفه ليلا و معه أصحابه و بنو عمه، و طلبه عبيد الله بن زياد لكي يرضيه و يعتذر إليه فلم يظفر به.

و مضى عبيد الله بن الحر نحو السواد، و جعل يقول أبياتا مطلعها:

يقول أمير غادر و ابن غادر أ لا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمه

(2) إلى آخرها. ثم جعل عبيد الله بن الحر يغير على أطراف السواد و أصحابه، و يفعل ما يفعل، و ليس أحد يطلبه إلى أن مات معاويه، و إلى أن مات مروان بن الحكم، و إلى أن مات عبد الملك بن مروان، و إلى أن قتل سليمان بن صرد و أصحابه بعين الورد، و إلى أن صار المختار بن أبي عبيد إلى الكوفه و بايعه من أهلها من بايع، و بلغ ذلك ابن الحر فاقبل حتى دخل الكوفه، ثم صار إلى المختار فبايعه و نصره في حروبه: الأول، و في جبانة السبيع، ثم خرج مع إبراهيم بن الأشتر، فلما صار معه إلى تكريت و كان منه إليه ما كان عزم على مخالفته و مخالفه المختار، فهذا أول خبره.

ثم أرسل إلى وجوه أهل العسكر فاختدعهم ثم مناهم و وعدهم الغنائم، ثم قال: ما تصنعون بمحاربه عبيد الله بن زياد و أنتم لا تدرون ما يكون الأمر غدا، اتبعوني فاني أغنيكم و أغني عاقبتكم من بعدكم. فأجابوه إلى ذلك.

فخرج بهم من العسكر في جوف الليل، الواحد بعد الواحد، و الاثنين بعد الاثنين، و الثلاثاء بعد الثلاثاء، حتى اجتمع ثلاثمائة رجل، فسار بهم عبيد الله بن الحر، فما أصبح إلا على عشرين فرسخا من تكريت، ثم أنشا يقول أبياتا مطلعها:

عجبت سليمي أن رأنتي ساحبخلق القميص بساعدي خدوش

إلى آخرها. و أصبح ابن الأشتر و قد فقد عبيد الله بن الحر، فاعتم لذلك و لم يدر أى طريق سلك و ظن أنه قد مضى مستأمنا

إلى عبيد الله بن زياد.

و جعل ابن الحر لا يمر ببلد إلا أغار على أهله حتى جمع مالا عظيما، قال لأصحابه: أقسموا هذا المال بينكم، فلا حاجة لى إلى شىء منه. فاقتموا ذلك المال بقلنسوه رجل منهم، فأنشأ ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

أنا الحر و ابن الحر يحمل منكبي طوال الهوادى مشرفات الحوارك

إلى آخرها. قال: و جعل كل من كان مبغضا للمختار يصير إلى عبيد الله بن الحر، حتى صار ابن الحر فى خمسمائه فارس، و بلغ ذلك إبراهيم بن الأشتر فكتب إلى المختار يعلمه بذلك و قد كان ابن الأشتر أعرف به منى، و لكنى لم أقبل منه.

و أقبل ابن الحر حتى صار إلى هيت و بها يومئذ نائب المختار، فكبسها ابن الحر و قتل نائبها و أخذ أموالها. ثم سار إلى الأنبار و بها يومئذ نائب للمختار، فكبسها و قتل نائبها، و احتوى على بيت المال فأصاب فيه مالا جزيلا. فقال لأصحابه: اقسّموا هذا المال بينكم! قال: فاقتموه ثم أنشأ ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

أنا الحر و ابن الحر يحمل منكبي شديد القصيرى فى العباد رحيل

إلى آخرها. و بلغ ذلك المختار فضاقت عليه الأرض بما رحبت، و لم يدر ما يصنع، و المختار يومئذ بين جمرتين: جمره عن يمينه مصعب بن الزبير يومئذ بالبصره، و الجمره العظمى عبيد الله بن زياد بالموصل فى ثلاث و ثمانين ألفا.

قال: فدعا المختار برجل من ثقاته يقال له عبيد الله بن كامل الهمداني، فقال له: اركب الساعة فى مائه رجل من أصحابك، و صر إلى دار عبيد الله بن الحر فاهدمها، و خذ امرأته فضعها فى السجن. فسار عبيد الله بن كامل إلى دار ابن الحر فهدمها، و لم يمنعها مانع خوفا من المختار، و أخذ امرأته - و يقال لها أم توبه، و اسمها سلمى بنت خالد الجعفيه - فحبسها. و بلغ ذلك عبيد الله بن الحر، فقال لأصحابه: أبلغكم ما صنع المختار، إنه هدم دارى و حبس أهلى فى السجن، فقالوا: قد بلغنا فأمرنا بأمرك فقال: لا تعجلوا و أنشأ يقول:

ألم تعلمى يا أم توبه أننى على حدثان الدهر غير بليد

أشد حيازيمى لكل كريهه و أنى على ما نالنى لجليد

هم هدموا دارى و ساقوا حليلتى إلى سجنهم و المسلمون شهودى

و هم أعجلوها أن تشد خمارها فى عجا على الزمان مقيدى

فلست بابن الحر إن لم أرعهم تعادى بالكماه اسود

و إن لم أصبح شاكرا بكتيبه فعالجت بالكفين غل حديدى

ثم جمع أصحابه و سار بهم نحو الكوفه حتى كيسها غلسا و الناس فى الصلاه، فلم يكذب أن أقبل إلى باب السجن فكسره و أخرج امرأته عنوه و كل من كان فى السجن من النساء.

و وقعت الضجه فى الكوفه بان عبيد الله بن الحر قد كبس السجن و أخرج امرأته، ففزع الناس و بلغ ذلك المختار فوجه إليه بعبد الله بن كامل الهمدانى .

ص: ١٦٥

١- مرت هذه الأبيات فيما ذكر عنه فى (الأعيان) و (المستدركات) فلا نعيدها هنا "ح" .

٢- مرت الأبيات فيما ذكر عنه فيما تقدم من ذكره من قبل "ح" .

و أحمر بن شميظ البجلي. و نظر إليهم عبيد الله بن الحر فحمل عليهم بأصحابه، فجعل يقاتلهم و يسوق امرأته بين يديه و لم يتبعه أحد من أصحاب المختار، فأنشأ يقول أبياتا مطلعها:

ألم تعلمي يا أم توبه أننى أنا الفارس الحامى حقيقه مذحج

إلى آخرها.

ثم نزل عبيد الله بن الحر على ميلين من الكوفة، و المختار يظن أنه قد رحل و مضى، حتى إذا كان الليل عبا أصحابه و أقبل رويدا حتى كبس الكوفة من ناحيه قبائل همدان، فوقع بحى منهم يقال لهم بنو شبام. فقاتلهم و قاتلوه ساعه، ثم قصده مولى لهم يقال له الأحمق، و التقيا بضربتين بادره عبيد الله بن الحر بضربه أبدى عن دماغه فسقط قتيلًا، ثم حمل عليهم ففرقهم يمنه و يسره، ثم قال لأصحابه: انصرفوا عنهم الآن فقد أدركت من حى شبام ما أردت ليلتى هذه. ثم أنشأ عبيد الله بن الحر يقول أبياتا مطلعها:

صبحت شباما غاره مشمعله و أخرى نشاهدها صباحا لشاكر

إلى آخرها. و أرسل المختار إلى قبائل همدان من أرحب و شبام و شاكر و السبيع و يام، فقال: شوه لكم يا معشر همدان! أن يكون رجل منكم ياتى فى نفر من هؤلاء المتلصصه فيكبس دياركم، ثم يقتل و يفعل و يخرج عنكم سالما، أما لكم أنفه؟ أما فيكم من يخاف أن يعير بهذا آخر الدهر؟ فقال القوم: كفيت أيها الأمير! و إن ذلك لعار علينا كما ذكرت، غير أننا عزمنا على المسير إليه حيث كان، و ليس نرجع إليك إلا برأسه، فأبشر لذلك و قر عينًا.

ثم اجتمعت قبائل همدان فى ثلاثمائه فارس، حتى وافوا الكوفة فى روتق الضحى، و همدان يومئذ فى ثلاثمائه من قبائلهم و ثلاثمائه من أصحاب المختار، فلم يشعروا إلا و عبيد الله بن الحر قد وافاهم حاسر الرأس و هو يرتجز و يقول:

إنى أنا الحر و ابن الحر ذو حسب مذحج و فخر

و قادح لكم غداه الذعر بالضرب أحيانا و طعن شزر

و تنادت همدان من كل ناحيه، و حملوا عليه و حمل عليه السبيع، و يقول له عمرو بن نفيل: إلى يا بن الحر! ودع الناس جانبا! فحمل عليه ابن الحر، و التقيا بضربتين ضربه ألزمته الحضيض، ثم ولى و لى القوم الأدبار، فكف عنهم ابن الحر و قال لأصحابه: لا تتبعوهم! فحسبهم ما نالهم عارا، و كفاهم ما نالهم به ذلا و شنارا، إنهم أصبحوا فى ديارهم فما حموا كريما، و لا منعوا حريما.

قال: ثم خشى عبيد الله بن الحر أن تدهمه خيل المختار بأجمعها أو تجتمع عليه أهل الكوفة فلا- يكون له بهم طاقه، فصاح بأصحابه و مضى حتى خرج من الكوفة، فأنشأ يقول أبياتا مطلعها:

لقيت (شباما) عند مسجد مخنف و قبل شبام (شاكرا) و (سبيعا)

إلى آخرها ثم جعل عبيد الله بن الحر يغير على سواد الكوفه، و يقتل نواب المختار، و يمثل بهم، و يكبس المدن و القرى، و يأخذ الأموال حتى إذا علم أنه قد استقل بالأموال و اكتفى من الرجال و الآله و السلاح سار إلى البصره، و بها يومئذ مصعب بن الزبير فى وجوه الأزارقه، فاستامن إليه عبيد الله بن الحر.

قال: فقربه مصعب و أدناه و أجلسه معه على سريره و أكرمه كرامه لم يكرم مثلها أحدا قبله ممن قصده، و جعل ابن الحر يحدث مصعبا بما كان من أمره و أمر المختار و إبراهيم بن الأشتر و بلغ ذلك المختار، فكأنه سر بمسير عبيد الله بن الحر إلى مصعب بن الزبير.

و كان مصعب قد ولى رجلا سخيا يقال له زحر بن قيس الجعفى جميع سواد الكوفه، و كان زحر بن قيس هذا رجلا سخيا، لا يبقى على شىء، فأتلف مال السواد، حتى كسر على مصعب سبعون ألف درهم، فأخذه مصعب فحبسه، فلم يكن عنده ما يؤدى.

و جاء عبيد الله بن الحر حتى دخل على مصعب بن الزبير و ساله فى زحر بن قيس، فأبى عليه أن يشفعه فيه، فقال ابن الحر: أيها الأمير! المال على من دونه! فاطلقه. فلما كان بعد ذلك بمدته يسيره بعث مصعب إلى عبيد الله بن الحر يقتضيه المال، فقال ابن الحر للرسول: ارجع إلى الأمير فقل له: يقول لك عبيد الله بن الحر: أيها الأمير! أما ما كان لك علينا فانك تقتضيه منا، و ما كان لنا عليك فلا تؤديه! أيها الأمير! إنما سرت إليك إلى البصره معونه و تقويه لك! و قدمت معك إلى بلدى فاعتتك بنفسى و عشائرى حتى قتلت المختار و ظفرت بما تريد، لنصير منك إلى ما صار غيرنا من الولايه و الحبا و الكرامه، و كان ما وعدتنا قديما و رجونا هباء منثورا. فسار الرسول إلى مصعب بن الزبير فأخبره بذلك، فأمسك عنه مصعب و فى قلبه منه ما فى قلبه، فأنشأ عبيد الله بن الحر فى ذلك يقول:

سيف بن هانئ إلى مصعب فأخبره بذلك، فأنشأ عبيد الله بن الحر يقول في ذلك أبياتا مطلعها:

أرجوا ابن الزبير اليوم نصرى لعاقبه و لم أنصر حسينا

إلى آخرها.

فأرسل مصعب بن الزبير إلى وجوه أهل الكوفة فأحضرهم إلى مجلسه و أخبرهم بقصه عبيد الله بن الحر، فقال له رجل منهم: أصلح الله الأمير، إنى أخبرك عنه بامر! فقال مصعب: و ما ذلك؟ فقال: إنه جاء يوما من الأيام فاستأذن عليكم فلم يأذن له الحاجب، و جاء مسلم بن عمرو الباهلى فدخل، و جاء المهلب بن أبى صفره فدخل، و جاء إليك الناس واحدا بعد واحد، ثم دخل بعد ذلك عبيد الله بن الحر، فلما خرج سمعته يقول أبياتا حفظتها(1) منه و هى هذه الأبيات:

باى بلاء أم بايه نعمه بمسلم قبلى يبتدى و المهلب

و يدعى ابن منجوف أمامى كأنه يطاعن قلبى بالوشيح المغلب

بسوء بلاء أم لقتل عشيرتى أذل و أقصى عن حجابات مصعب

(2) فقال له مصعب: دع هذا! هذا شىء ما لنا به علم، و لكن هاتوا آراءكم و أشيروا على بمشوره يعم صلاحها! فقال له بعض جلسائه: أصلح الله الأمير! إن عبيد الله بن الحر رجل صعلوك يأكل خبزه بسيفه، و هو مع ذلك رجل مطاع فى قومه و عشيرته لما يعلمون من بأسه و شدته، و لقد كان خالف على المختار بن أبى عبيد و قاتله غير مره، و قد خالف أيضا على معاويه بن أبى سفيان و ابنه يزيد و عبيد الله بن زياد، و هو رجل لا يرى لأحد عليه طاعه، و يوشك أن يثور فى هذا السواد، فيقتل و يفسد و يجلب الأموال كما فعل من قبل، و الرأى فى ذلك أن يبعث إليه الأمير بالبر و الألفاف و يعده و يمينه حتى يقع فى يده، ثم يخلده السجن، فقال مصعب: هذا هين يسير إن قبل ذلك منا.

قال: ثم جعل مصعب يتلطف له و يعرض عليه الولايه و يهدى إليه الهدايا. فلم يزل كذلك حتى رجع إلى الكوفه، فلما دخل و سلم على مصعب لم يرد عليه السلام ثم قال: يا بن الحر! كيف صنعت؟ فقال: صنعت ما قد علمت و كذا يصنع الرجال الذين فيهم خير إذا لم يعطوا الرضا. قال مصعب! فأين أصحابك الذين معك؟ قال: خلفتهم ورائى و جئتك وحدى، فان كان منك ما أريد و ما ضمنته لهم فذاك، و إن أسأت إلى و خالفت ما قرأت عنك فى كتابك كان أصحابى من ورائى يفعلون ما أمر. ثم أمر به مصعب فقيد بقيد ثقيل، و دعا بسجان يقال له واصل، فقال له: خذ هذا إليك و ضيق عليه فى السجن ما استطعت.

فدعا واصل السجن باعوانه و أمرهم فحملوا عبيد الله بن الحر من بين يدى مصعب حملا حتى انطلقوا به إلى السجن، فلما رآه أهل السجن كبروا و شتموا. و أقبل السجن فاخذ رداء كان على عاتق عبيد الله بن الحر و قال له:

يا بن الحر! أريد أن تكسونى هذا الرداء فإنه رداء نفيس و قلما رأيت مثله! فتبسم ابن الحر و قال: و الله إن هذا ما أنت له بأهل، و لكن خذه و لا تلبسه، و بعه لغيرك و انتفع بثمانه فاخذ واصل السجن رداء عبيد الله بن الحر فتردى به، و جعل يخطر فيه ليغيظه ذلك، فأنشأ عبيد الله بن الحر يقول فى ذلك أبياتا مطلعها:

فلم أر يوماً مثل يوم شهادته أبت شمسه مع غيمه أن تغيباً

إلى آخرها. قال: فأقام ابن الحر في السجن شهراً كاملاً، ثم كتب بعد ذلك إلى مصعب بكتاب يتهدده فيه بقومه و عشيرته و يخوفه من نفسه إن هو انفلت من السجن أن تجتمع إليه الجموع فيناويه في عزه و سلطانه، ثم كتب في كتابه أبياتاً مطلعها:

لنعم ابن أخت المرء يسجن مصعب لطارق ليل خائف أو لنائل

إلى آخرها.

قال: فلما نظر مصعب بن الزبير في كتاب ابن الحر و شعره غضب لذلك و زبد و تمعر، ثم أرسل إلى وجوه أهل الكوفة فدعاهم، ثم قال: هذا ابن عمكم عبيد الله بن الحر يتوعدني بالقتال إن هو أفلت من يدي، و الله لأطيلن حبسه و لأزيدن في حديده، و لأذيقنه طعم الذل و الهوان. ثم أمر مصعب فزيد في حديده، و أمر فضيق عليه في السجن أشد الضيق.

فلما بلغ ابن الحر ما هو فيه من ثقل الحديد و ضيق الحبس كتب إلى بنى عمه يشكو إليهم و يقول أبياتاً مطلعها:

و من مبلغ الفتیان أن ابن عمهم أتى دونهم باب منيع و حاجبه

(٣) إلى آخرها. قال: فلما وصلت هذه القصيدة إلى بنى عمه كأنهم تحركوا لذلك، و قال بعضهم لبعض: لا و الله ما هذا بحسن أن يكون أخونا و ابن عمنا محبوساً يقاسى ثقل الحديد و ضيق السجن و نحن آمنون. ثم وثب رجل منهم يقال له عطية بن عمر الجعفي فقال: يا هؤلاء! قوموا بنا إلى هذا الأمير حتى نكلمه في صاحبنا، فان هو شفّعنا فيه و إلا ثرنا عليه فقاتلناه، فما هو أعز علينا و لا أعظم في عيوننا من المختار بن أبي عبيد الذي قتلناه في ساعه من النهار.

و بلغ ذلك مصعب بن الزبير، فسكت عن القوم كأنه لم يعلم بشيء من ذلك، فلما كان الليل بعث إلى عطية بن عمر الجعفي فأتى به في منزله، ثم أمر به مصعب فبطح بين يديه فضربه ثلاثمائة قضيب، ثم أمر به فقيد و حمل إلى السجن، فحبس مع عبيد الله بن الحر. و أصبحت قبائل الأزدي و مذحج الكوفة و قد بلغهم ذلك، فكأنهم هموا بالمصعب، ثم إنهم كفوا يومهم ذلك.

و نظر عبيد الله بن الحر إلى عطية بن عمر و جزعه من ذلك الضرب و الحبس، فقال: لا- تجزع يا عطية! فان الدهر يومان: يوم نعيم و يوم بؤس، و الله يا عطية لأخرجن أنا و أنت من هذا السجن، و لأنغصن عليك.

ص: ١٦٧

- ١- في الطبري ١٧٣/٧ أن ابن الحر قال الأبيات الآتية يعاتب مصعباً في ذلك و يذكر له تقريره سويد بن منجوف.
- ٢- بدل البيت في الطبري: و شيخ تميم كالثغامه رأسه عيلان عنا خائف مترقب جعلت قصور الأزدي ما بين منبج إلى الغاف من وادي عمان تصوب بلاد نفى عنها العدو سيوفنا و صفره عنها نازح الدار أجنب
- ٣- وردت الأبيات في الطبري و ابن الأثير.

مصعب بن الزبير عيشه، و لأدعون أهل السواد و الناحيتين إلى المشمرخ(١) و لأحتوين على الفرات إلى هيت و عانات، و لآخذن خراج الشوش و ما يليها من الرساتيق و القرى، و لأكرمن من جاءنى من الفتيان و الصعاليك بالأموال و الخيل و الأثاث الفاخر إن شاء الله و لا قوه إلا بالله العلى العظيم، فلا تجزع يا بن عمر، فما أقرب الفرج لأنه لم تكن شدة قط إلا جعل الله من بعدها فرجا و رخاء، ثم أنشا فى ذلك يقول أبياتا مطلعها:

أقول له صبرا عطى فإنما هو السجن حتى يجعل الله مخرجا

إلى آخرها.(٢)

فلما بلغ قومه هذه القصيده كأنها حركتهم، و قال بعضهم لبعض: إن كان غدا فاجتمعوا بنا حتى ندخل على هذا الأمير نكلمه فى صاحبنا، فان هو شفعا فيه و أخرجه من سجنه و إلا عاودناه فى ذلك. ثم بعثوا إلى عبيد الله بن الحر إننا عزمنا على أننا نسير إليه و نكلمه فى أمرك، و قد أحببنا أن يكون معنا أبو النعمان إبراهيم بن الأشر، فلا عليك أن تبعث إليه رسولا و تسأله أن يركب معنا، فإنه عظيم القدر عند الأمير، و لعله أن يستحى منه فيشفعه فيك. فكتب عبيد الله بن الحر إلى إبراهيم بن الأشر، ثم أثبت فى رقعة هذه الأبيات:

بان الملامه لا تبقى و لا تدع و لا يزيدك إلا أنها جزع

لم يبق معذره سعد فاعذرهما و لا مزاد و كانوا بئس ما صنعوا

و الحارثيون لم أرض الذى نطقوا عند الأمير و شر المنطق الشنع

تبادروا أنهم ناتى أميرهم و للمذله فى أعناقهم خضعوا

فقد وردتم فذوقوا غب مصدركم لا يهنكم بعده رى و لا شع

ما ذا يقولون و ابن الحر محتبس همت به مذحج و الأنف مجتدع

قد جللت مذحج ما ليس يغسله ماء الفرات لأن لم يشهد النجع

الضاربون من الأقوام هامهم بحيث يقرع عن هاماتها الصلع

شم العرائن سادات كأنهم بيض السيوف التى لم يعلها الطبع

أرجو قيام أبى النعمان إذ وهبوا و مثله بجسيم الأمر يضطلع

فان يفك عبيد الله من كبل فليس بعدك فى إخراج طمع

فاجهد فدى لك و الأقوام كلهم ما بعدها من مساعى الخير متبع

فأبسط يديك فان الخير مبتدر عليكاه و جدود القوم تصطرع

قد قدمت لك مسعاه و ماثره من مالك و كذاك الخير منتجع

و الأمن و الخوف أيام مداوله بين الرجاء و بين الضيق متسع

فلما وردت هذه الأبيات على إبراهيم بن الأشتر كأنه تحرك لذلك، ثم بعث إلى قومه و عشيرته فجمعهم. قال: و اجتمعت أيضا وجوه اليمن، و أقبل بهم حتى دخل على مصعب بن الزبير، فلما قضى التسليم قال: أعز الله الأمير! إنه لو وجد أحد على عبيد الله بن الحر كوجدى عليه لما كلمه أبدا من أجل الفعل الذى فعله بى فى أيام المختار، و أما فى وقته هذا فلا أعلم ذنبا يجب عليه الحبس، و و الله أعز الله الأمير! لقد وجهت إليه و أنت بالبصره، فقدم عليك فى أربعمائه فارس لا يرى منهم إلا الحدق فى تعبيه حسنه من الآله و السلاح الكامل، و لقد بلغنى أنه تجهز إليك يوم تجهز بنيف على مائتى ألف درهم، ثم قدم معك هذه البلده فقاتل المختار قتالا عجيبا فعجب منه أهل بلده و لن يروك إلى هذه الغايه، و ليس يجب على الأمير أصلحه الله أن يجمع عليه أمرين: ذهاب مال و ضيق حبس - و السلام.

قال: فلما سمع مصعب بن الزبير كلام إبراهيم بن الأشتر و رأى من معه من بنى عمه و عشيرته كأنه استحى و لم يجب أن يردهم بغير قضاء حاجه، فقال: إنى قد سمعت كلامك و مقاتتك أبا النعمان، و أنا نازل عند ما تحب.

قال: فجزاه ابن الأشتر و من معه خيرا و أثنوا عليه جميلا، و انصرفوا إلى منازلهم. ثم بعثوا إلى عبيد الله بن الحر أن قد صرنا إلى الأمير - أصلحه الله، و كلمناه فى أمرك، فأجابنا إلى كل ما نحب و لكن لا عليك أن تكتب إليه كتابا لطيفا تعتذر إليه فيه مما فرقت به عنده و السلام. قال: فعندها كتب عبيد الله بن الحر إلى مصعب بن الزبير هذه الأبيات:

تذكرت قبل اليوم أيه خله أضرت بحقى عندكم و هو واجب

و ما فى قناتى من وصوم تعييبها و لاذم رحلى فيكم من أصحاب

و تعلم إن كاتمته الناس أننى عليك و لم أظلم بذلك عاتب

و ما أنا راض بالذى غيره الرضا فلا تكذبنك ابن الزبير الكواذب

رأيتك تعصينى و تشمت شانيا كانى بما لم اجترم لك رائب

فان كان من عندى فيين فانى لصرمكم يا بن الزبير لهائب

و إن كان من غيرى فلا تشمت العدى بنا و تدارك دفع ما أنت قارب

و إن كان هذا الصرم منك لعله فصرح و لا تخفى الذى أنت رابك

ففى كل مصر قاسط تعلمونه حريص على ما سرنى لك راهب

أرى الحرب قد درت عليك و فتنه تضرم فى الحافات منها المحاطب

فحسبك قد جربتنى و بلوتنى و قد ينفع المرء الكريم التجارب

ألم تعلموا أنى عدو عدوكم و تشفى بنا فى حربكم من تحارب

أناضل عنكم فى المغيب عشيرتى و أما بنفسى دونكم فأضارب

لكم بارد الدنيا و يصلى بحرهما إذا اعصى بالهباب السيوف القواضب

فلسنا كراما إن رضينا بذاكم و لم تتأهب فى الحديد الكتائب

و لو لا أمير المؤمنين و بيعتى لقد كثرت حولى عليك الجلائب

قال: فلما وصلت هذه الأبيات إلى مصعب بن الزبير و نظر فيها، أرسل إلى عبيد الله بن الحر فأخرجه من محبسه و خلع عليه و حملة على فرس، و أمر له بمال. و سأل ابن الحر فى ابن عمه عطيه فاطلقه. قال: فصار ابن الحر إلى منزله.

فلما كان من الغد بعث إليه مصعب أنى قد جعلت لك خراج بادوريا و نواحيها فهو لك و لمن أحببت من أهل بيتك أبدا ما دام لآل الزبير سلطان بالعراق. قال: ثم أرسل مصعب إلى عماله فصرفهم عن بادوريا، فآخذ(٣)خراجها و قسمه فى أصحابه و بنى عمه، ثم قال: انظروا لا- أذعو بأحد منكم فى وقت من الأوقات إلا جاءنى على فرس فاره و سلاح شاك، فانى قد عزمت على الخروج على مصعب بن الزبير، و على الغاره على البلاد، و لا أموت إلا كريما.ر.

ص: ١٦٨

١- كذا فى الأصل، و لم نجده فى المراجع التى بين أيدينا.

٢- وردت الأبيات فى الطبرى.

٣- أى أخذ عبيد الله بن الحر.

ثم خرج من الكوفة ليلاً- فلحق به الناس من كل ناحيه حتى صار في خمسمائه رجل ما فيهم أحد إلا و عليه درع سابغ و بيضه محكمه. فعندها عزم عبيد الله بن الحر على الغاره، ثم كتب إلى مصعب بن الزبير بهذه الأبيات:

فلا كوفه أُمى و لا بصره أبى و لا أنا يثينى عن الرحله الكسل

فلا تحسبنى ابن الزبير كناعس إذا حل أغفى أو يقال له ارتحل

فان لم أزررك الخيل تردى عوابسا بفرسانها حولى فما أنا بالبطل

و إن لم تر الغارات من كل جانب عليك و تندم عاجلا أيها الرجل

فلا وضعت عندى حصان قناعها و لا عشت إلا بالأمانى و العلل

فانك لو أعطيتنى خرج فارس و أرض سواد كلها و قرى الجبل

و جدك لم أقبل و لم آت خطه تسرك فأيس من رجوعى لك الهبل

بل الدهر أو تأتيك خيل عوابس شواذب قب تحمل البيض و الأسل

بفتيان صدق لا ضغائن بينهم يواسون من أقوى و يعطون من سال

أ لم يأتكم يوم العذيب تجالدى به شيعه المختار بالمفصل الأقل

و بالقصر قد جربتمنى فلم أحم و لم أك وقافا و لا طائشا فشل

و يا رزأ أقوام بقصر مقاتل و ضاربت فرسانا و نازلت من نزل

ثم سار عبيد الله بن الحر فى أصحابه حتى صار إلى موضع يقال له نفر، فأغار على البلاد و أخذ الأموال ففرقها على أصحابه، ثم سار إلى موضع يقال له كسكر ففعل مثل ذلك. قال: فلم يزل ابن الحر على ذلك من شأنه يغير على البلاد و يقتل الرجال و يحوى الأموال، و بلغ ذلك مصعب بن الزبير فأرسل إلى إبراهيم بن الأشتر و وجوه أهل الكوفه فدعاهم، ثم قال: هذا عبيد الله بن الحر الذى كلمتمونى فيه حتى أخرجته من السجن و أكرمته بغايه الإكرام، فخرج من الكوفه سرا و اجتمع إليه من اجتمع، فالآن هو يفعل ما يفعل. فقال القوم: أصلح الله الأمير! نحن إنما كلمناك فى أمره لأننا رأينا أهل المصر قد فسدت قلوبهم عليك من أجله، و لم نعلم الذى فى قلبه، و الآن فالأمير - أصلحه الله - أعلى به عينا.

فعندها دعا مصعب بن الزبير برجل من فرسانه يقال له كريب بن زيد المازنى، فضم إليه ألف رجل من فرسان أهل الكوفه و البصره، و وجه بهم نحو عبيد الله بن الحر.

فخرجت الخيل من الكوفه، و بلغ ذلك ابن الحر، فسار إليهم فى أصحابه، حتى إذا هو وافى بهم بموضع يقال له الزنين، فقاتلهم

هنالك قتالا شديدا، فقتل من أصحابه نفر يسير، و قتل من أصحاب مصعب بن الزبير جماعه، و ولى الباقر أديارهم هرابا نحو الكوفه، فأنشأ ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

أقول لفتيانى الصعاليك أخرجوا عنا جريح أذنى سيرهن وجيف

إلى آخرها.

ثم أقبل عبيد الله بن الحر على أصحابه فقال: أخبرونى عنكم يا معاشر العرب لما ذا نعقد لآل الزبير بيعه فى أعناقنا؟ فوالله ما هو بأشجع منا لقاء، و لا- أعظم منا غنى، و لقد عهد رسول الله (ص) إلى آبائنا من قبل بان الأئمه من قريش، فاستقيموا لهم ما استقاموا لكم، فإذا نكثوا أو غدروا فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم سيروا إليهم قدما قدما حتى تبيدوا خضراءهم، و بعد فان هذا الأمر لا يصلح إلا لمثل خلفائكم الماضين مثل أبى بكر و عمر و عثمان و على، فوالله لا نرى لهؤلاء فينا يدا فنكافتهم عليها، و لا نبذل لهم نصحا، و لا نلقى إليهم أزممتنا، لأننا ما رأينا بعد الأئمه الماضين إلى وقتنا هذا إماما صالحا، و قد علمتم أن قوى الدنيا ضعيف الآخره، و نحن أصحاب القادسيه و المدائن و جلولاء و حلوان و نهاوند، و ما كان بعد ذلك نلقى الأسنه بنحورنا، و السهام بصدورنا [بصدورنا]، و السيوف بجباهنا، و حر و جوهنا، و إلا فليس يعرف لنا فضل و لا يعطى حقنا، و لا يلتفت إلينا، فقاتلوا عن حريمكم و ذودوا عن فيئكم، فان ظفرنا بما نريد فذاك حتى يرجع الحق إلى أهله، و إن قتلنا شهداء دون حريمنا و أموالنا و أهالينا، فإى الأمرين كان لكم فيه الفضل؟ ألا! إنى قد أظهرت لهؤلاء العداوه و الشحناء و قلبت لهم ظهر المجن، و قد أتيتهم بمكه و البصره ناصرا و معينا، فما شكروا و لا حفظوا و لا رعوا إلى حقا، لكنهم سجنونى و قيدونى فضيقوا على جهدهم و طاقتهم - و السلام. قال ثم أنشأ يقول:

و قدما أبيننا أن يقر ظلومه و قدما رتقنا كل فتق من الأمر

و كم من أبى قد سلبناه و قره بأسيفنا حتى أقام على العسر

بضرب يزيل الهام عن سكناته و طعن بأطراف المثقفه السمر

و من شيعه المختار قبل سقيتها بضرب على هاماتهم مبطل السحر

ثم سار ابن الحر إلى موضع يقال له عين التمر، و عين التمر يومئذ رجل يقال له بسطام بن مصقله بن هبيرة الشيبانى فى خمسمائه فارس، فلما علم أن ابن الحر قد وافاه خرج إليه فى أصحابه و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعه، فقتل من أصحاب بسطام ثلاثون رجلا و انهزم بسطام فى باقى أصحابه، و دخل عبيد الله بن الحر إلى عين التمر فاخذ أموالها و قسمها فى أصحابه. و بلغ ذلك بسطام بن مصقله فرجع إلى حرب ابن الحر ثانيه، فلما توافى الجيشان و دنا بعضهم من بعض نادى بسطام بأعلى صوته: يا بن الحر! هل لك فى مبارزتى؟ قال: فتبسم ابن الحر ثم قال: شر دهرك آخره، و الله ما ظننت أن مثلك يسالنى المبارزه أيام حياتى. ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فاعتنقا جميعا و خرا عن فرسيهما إلى الأرض، فاستوى عبيد الله بن الحر على صدر بسطام فأخذه أسيرا، و ولى أصحاب بسطام منهزمين و قد قتل منهم جماعه، و أسر منهم جماعه و هى مائه و عشرون رجلا، فنظر إليهم ابن الحر فإذا عامتهم من بنى عمه من الأنزد و مذحج و قبائل اليمن، فقال: سواء لكم يا معشر اليمن! إذ كنتم قومي و

عشيرتى و تضربون فى وجهى بالسيف مع مصعب بن الزبير، أما و الله لو لا أن أخشى العرب أن تحدث عنى أنى قتلت قومى و عشائرى صبرا لما نجا منكم أحد، و لكن امضوا إلى قومكم فانى قد مننت عليكم بأرواحكم. فاطلقهم عبيد الله بن الحر عن آخرهم، و لم يقتل منهم أحدا إلا من قتل فى المعركة، ثم أنشا يقول أبياتا مطلعها:

ألا هل أتى الفتیان بالمصر إننى أسرت بعين التمر أروع ماجدا

إلى آخرها.

ص: ١٦٩

يفعلها. فقال له بعضهم: أيها الأمير! إن الله عز وجل يقول (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) فإن كان عبيد الله ابن الحر فعل ما فعل، فما ذنب القرباب و ما ذنب النساء أن يحبسن بلا جرم كان منهن؟ ثم تكلم إبراهيم بن الأشتر فقال: أصلح الله الأمير! إنه وإن كان عبيد الله بن الحر قد فعل هذا الفعل فقد فعل كذلك بالمختار، وذلك أن المختار عمد إلى امرأته أم تويه الجعفيه فحبسها في السجن، فلعله قد بلغك ما كان منه أنه كبس الكوفه صباحا في أصحابه و كسر باب السجن و أخرج امرأته قسرا، ثم لم يرض بذلك حتى أخرج كل من كان في السجن من النساء و هو في ذلك يقاتل أصحاب المختار، حتى تخلص سالما هو و أصحابه. فقال ابن الزبير: قاتله الله من رجل فما أشجع قلبه، و الله! ما رأيت و لا سمعت برجل في دهرنا هذا اجتمع فيه ما في ابن الحر، من كرم نفس و شجاعه قلب و صباحه وجه و عفه فرج، غير أنه لا يحتمل على هذه الأفاعيل التي يفعلها.

و عزم مصعب على أن يوجه إليه بجيش كثير من الكوفه، و علمت بذلك بنو عمه فكتبوا إليه، فلما نظر في كتب بنى عمه تبسم لذلك و أنشأ يقول:

يخوفنى بالقتل قومي و إنما أموت إذا حان الكتاب المؤجل

لعل القنا تدنى بأطرافها الغنى فتحيا كراما أو نكر فنقتل

ألم تر أن الفقر يزرى بأهله و أن الغنى فيه العلى و التجمل

إذا كنت ذا رمح و سيف مصمم على سابح أدناك مما تؤمل

و إنك إن لم تركب الهول لم تنل من المال ما يرضى الصديق و يفضل

إذا المرء لاقانى و مل حياته فلست أبالي أينا كان أول

ثم إن مصعبا كتب إليه كتابا: أما بعد، يا بن الحر! فان حلمى هو الذى يردعنى من أن أعجل عليك، و لو أردت ذلك لما عظم على أمرك و لو كنت فى جيش بعدد خوص العراقين، فالله الله فى نفسك انظر لها غيرك، و اقبل إلى العاقبه، و اكفف عما أنت عليه، و سلنى أى عمل شئت و أحببت حتى أوليك إياه، لا يعترض عليك معترض، و إن أبيت سرت إليك بنفسى و خيلى و رجلى، و استعنت الله عليه - و السلام.

قال: فكتب إليه ابن الحر: أما بعد، يا بن الزبير! فان كتابك ورد على فقرأته، و فهمت ما فيه و ما دعوتنى إليه من طاعتك و الكف عن محاربتك، و و الله لقد دعانى إلى نصره من هو خير منك أما و أبا و أصلا و حسبا و فرعا و حسبا الحسين بن على و فاطمه الزهراء فلم أنصره، و إنى على ذلك لمن النادمين، و أظن أنى لمن الخاسرين، إلا أن تداركنى رحمه رب العالمين، و أما وعيدك إياى المسير إلى بخيلك و رجلك فأنت و أصحابك أهون على من جرامقه الجزيره على عرب الحجاز - و السلام. ثم أثبت فى أسفل كتابه أبياتا مطلعها:

أتانى وعيد ابن الزبير فلم أرع و ما مثل قلبى بالوعيد مروع

إلى آخرها.

ثم مضى عبيد الله بن الحر فجعل يغير على السواد يمنه و يسره، فيهزم الرجال و يحوى الأموال فيقسمها فى أصحابه، ثم أمر فجعل يقطع البلاد، حتى صار إلى مدينه يقال لها تكريت على شاطئ الدجله، و بها يومئذ عامل المهلب بن أبى صفره فأخذه عبيد الله بن الحر فضرب عنقه صبراً،(1) ثم دخل إلى مدينه تكريت فاحتوى على أموالها. ثم سار منها يريد الموصل، و بها يومئذ المهلب بن أبى صفره من قبل مصعب بن الزبير، فلما بلغه خبر عبيد الله بن الحر سار إليه فى أربعة آلاف فارس. و بلغ ذلك عبيد الله بن الحر، فرجع إلى تكريت فنزلها، ثم أرسل إلى من كان مع المهلب من بنى عمه أن اكفونى أمركم و دعونى و المهلب، فانى أقوم به و بحربه إن شاء الله تعالى.

ثم يذكر ابن أعثم وقعه لعبيد الله مع المهلب بن أبى صفره، لم يذكرها أحد غيره من المؤرخين اكتفينا بالاشارة إليها.

ثم يقول ابن أعثم:

ثم أقبل راجعا نحو الكوفه و هو يقول:

و أبيض قد نبهته بعد هجعه فقام يشد السرج و المرء ناعس

عليه دلاص كالاضاه و بيضه تضىء كما يذكى من النار قابس

ثم أقبل حتى نزل قريبا من الكوفه، و بلغ ذلك مصعب بن الزبير فدعا بحجار بن أبجر العجلي فضم إليه خمسه آلاف فارس و وجه بهم نحو عبيد الله بن الحر، فسارت الخيل من الكوفه حتى وافته بموضع يقال له دير الأعور، و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا، فقتل من أصحاب عبيد الله بن الحر جماعه و فشت فيهم الجراحات، و ذلك فى أول النهار، ثم وقعت الهزيمة بعد ذلك على أصحاب مصعب بن الزبير، فانهزموا حتى تقاربوا من الكوفه و قد قتل منهم من قتل، و احتوى عبيد الله بن الحر على ما قدر عليه من دواب القوم و أسلحتهم و أسلابهم.

ثم أقبل ابن الحر حتى نزل بموضع يقال له صرصر فعسكر هنالك، و جعل مصعب بن الزبير يجمع له الجموع حتى اجتمع إليه نيف عن سبعة آلاف فارس، فضمهم مصعب بن الزبير إلى مسلم بن عمرو الباهلى و الحجاج بن حارثه الخثعمى. و سارت العساكر من الكوفه نحو عبيد الله بن الحر حتى وافوه على نهر صرصر، و قد التام إليه الناس فصار فى ألف و ثلاثمائة فارس ما منهم إلا فارس مذكور. و دنا القوم بعضهم من بعض، و استامن قوم من أصحاب مصعب بن الزبير إلى عبيد الله بن الحر، فلما رأى أصحاب مصعب ذلك وقع فيهم الفشل، فانهزموا متفرقين فى البلاد، و غنم ابن الحر و أصحابه ما كان لهم من مال و دواب و سلاح، ثم أنشا و جعل يقول أبياتا مطلعها:

نفيت لصوص الأرض ما بين عانه إلى جازر حتى مدينه دسترا

إلى آخرها.

ثم كتب مصعب بن الزبير إلى يزيد بن رؤيم الشيباني يأمره بالمسير إلى عبيد الله بن الحر، و كان يزيد بن رؤيم يومئذ بالمدائن من قبل مصعب بن الزبير، فلما ورد عليه كتاب مصعب سار إلى عبيد الله بن الحر حتى وافاه في موضع يقال له باجسرى و التقى القوم هنالك، فاقتتلوا ساعه، فقتل من أصحاب يزيد بن رؤيم جماعه، و انهزم الباقون، و أتبعه عبيد الله بن الحر حتى وافاه بالمدائن. و تحصن يزيد بن رؤيم في قصر المدائن، و أحرق عبيد الله بن الحر و أصحابه بالقصر حتى أصبحوا، ثم إنهم استمدوا بأهل مدينه الروميه فاجتمع أهل المدينتين جميعا على عبيد الله بن الحر و أصحابه، فقاتلهم ساعه فعلم أنه لا طاقة له بهم، فجعل يقاتلهم هو و أصحابه حتى تخلص من المدائن سالمات.

ص: ١٧٠

١- و فى الطبرى و ابن الأثير: فهرب عامل المهلب عن تكريت.

ثم تقدم إلى سورا و بها يومئذ عبد الرحمن العجلي من قبل مصعب بن الزبير، فخرج إلى محاربه عبيد الله بن الحر و أصحابه، فقال ابن الحر لأصحابه: فداكم أبى و أمى! احملوا عليهم حملة صادقه، فلعلى أن أغنمكم مال سورا! قال: فصر القوم بعضهم لبعض ساعه، ثم انهزم أهل سورا حتى دخلوا إلى المدينه، و احتوى ابن الحر و أصحابه على أسلابهم و أموالهم و دوابهم، ثم أنشا ابن الحر يقول أبياتا مطلعها:

سل ابن رؤيم عن جلادى و موقفى بياوان كسرى لا أوليهم ظهري

إلى آخرها.(1)

ثم سار عبيد الله بن الحر حتى نزل مدينه الأنبار، فلما رآه أهلها كأنهم اتقوه و هموا بالهرب من المدينه، فنادى فيهم ابن الحر: ليس عليكم من بأس! أقيموا بمدينتكم أنتم آمنون! فتراجع القوم إلى منازلهم و أسواقهم، ثم أنهم حملوا إليه الميره و الهدايا، فقبلها منهم و قال: إن كانت لكم حاجه فاسالونى إياها! قال: فتقدم إليه جماعه منهم من أهل الأنبار فقالوا: نعم، أيها الأمير! إن حاجتنا إليك حاجه لله فيما يرضى الله، و لك فيها ثواب عظيم. قال: و ما ذاك؟ قالوا: هاهنا حبشى يقال له الغداف يقطع الطريق وحده ما بين مدينتنا هذه إلى مدينه هيت، ثم إنه ياتى مدينتنا هذه ليلا و نهارا، فلا يقدم عليه أحد لما يعلمون من بأسه و شدته، فإذا بلغه أن امرأه حسناء فى موضع من المواضع هجم على تلك الدار فيأخذ المرأه و يكتف زوجها ثم يفجر بها، فان تكلم زوجها قتله ثم يخرج، فلا يقدر أحد عليه، فان رأيت أن تريحنا منه و أهل هذه البلده يقرون لك بالعبوديه إلى آخر الدهر! قال: فتغير وجه عبيد الله بن الحر و أدركته الغيره و الأنفه، ثم أقبل على أهل الأنبار فقال: و أين يكون هذا الأسود؟ فقالوا: فى وادى كذا و كذا قريبا من شاطئ الفرات. فدعا عبيد الله بن الحر بفرسه فاستوى عليه و أخذ سيفه و تقلد رمحه، ثم أقسم على أصحابه أنه لا يتبعه أحد منهم، ثم خرج من الأنبار فى جوف الليل و هو يقول:

و أبيض قد نبهته بعد هجمه و قد لبس الليل القميص الأرنديجا(2)

وجدت عليه مغرما فقبضته و فرجت ما يرجا به أن يفرجا

و كنت إذا قومي دعونى لنجده شددت نطاقى حيث أدمى و أسرجا

فاكشف غماها و أكسب مغنما و أطفى الذى قد كان فيها مؤججا

ثم سار حتى صبح الوادى الذى فيه الغداف، فنزل عن فرسه إلى ماء يجرى فى أول الوادى، فتوضأ ثم وثب فصلى الفجر و عنان فرسه فى يده. ثم وثب فاستوى على فرسه و جعل يتلفت يمنه و يسره فلا يرى أحدا حتى إذا بزغت الشمس و إذا هو بالغداف و قد خرج من شعب من شعاب ذلك الوادى على فرس له أدهم أغر محجل، و فى يده رمح له طويل، و على رأسه عمامه له حمراء، و إذا هو أسود آدم، مشرف عظيم من الرجال. فوقف له ابن الحر حتى حاذاه و صار قبالتة، فقال له الغداف أيها الرجل! من أين أقبلت؟ قال: من الأنبار، قال: فأين تريد؟ قال: أريد إلى هيت، قال الغداف:

بلغنى أن عبيد الله بن الحر قد نزل بالأنبار، فأين يريده؟ قال: لا علم لى بذلك، فقال الغداف: لقد بلغنى عنه شده و فروسيه و

إقدام على الرجال، و لعله ما نازل بطلا، و لقد كنت أحب أن أزوره و أراه، و انظر إلى جلادته و منازلته للرجال! قال: ثم جعل يساير عبيد الله و يسأله عن حاله، حتى إذا أصحر عن الوادى قال له الغداف: انزل عن فرسك و انج! فقال له ابن الحر أ و تعرفنى؟ قال: لا، قال: فانا ابن الحر و إياك أردت يا كلب! ثم حمل عليه و اختلفا بطعتين، فطعنه ابن الحر طعنه نكسه عن فرسه، ثم نزل إليه فذبحه و احتز رأسه و وضعه فى مخلاه، و أخذ سلاحه و أقبل يريد الأنبار، و أنشا يقول:

إنى رأيت بواد غابر رجلا مثل الهزبر إذا ما ساور البطلا

ضحم الفريسه لو أبصرت قامته وسط الرجال إذا شبهته جملا

سايرته ساعه ما بى مخافته إلا التلفت حولى هل أرى دغلا

أنشا يسائلنى عنه و أطعنه فخر يهوى على الخيشوم منجدلا

دهدهته بين أحجار و أوديه لا يعلم الناس غيرى علم ما فعلا

يدعى الغداف و قد مالت علاوته إن الغداف و ربه وافق الأجلا

ثم وافى عبيد الله حتى دخل الأنبار و أمر برأس الغداف فنصب على باب المدينة. و فرح أهل الأنبار بذلك فرحا شديدا ثم حملوا إليه هدايا كثيره من الأطمعه و الأشربه و غير ذلك، فقبلها منهم.

و أقبل رجل من الأنبار و قال: أيها الأمير هل تعلم بالعراق من يدانيك أو يقوم مقامك؟ فقال: نعم، رجلا واحدا يقال له جرير بن مشجعه الجعفى، و هو اليوم مع بنى عمه بالكوفه، و لو أنه معى أو فى أصحابه أربعه مثله لكبست الكوفه فقتلت مصعبا و احتويت على ماله، و عسى أن يكون ذلك إن شاء الله. ثم جعل يقول:

لو أن لى مثل جرير أربعه صبحت بيت المال حتى أجمعه

و لم يهلنى مصعب و من معه نعم الفتى ذلكم ابن مشجعه

ثم أقبل عبيد الله بن الحر على أصحابه و قال: تهيئوا الآن! فانى قد عزمت أن أسير بكم إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان و أسأله المعونه على مصعب بن الزبير، فلعلى أشفى بنفسى منه و من أصحابه قبل الموت. ثم نادى فى أصحابه و ترحل نحو الشام، و أنشا يقول أبياتا مطلعها:

و بالشام إخوانى و جل عشيرتى و قد جعلت نفسى إليك تطلع

إلى آخرها.

ثم سار حتى صار إلى دمشق و بها يومئذ عبد الملك بن مروان، فوقف ببابه ثم استأذن له، و دخل فسلم، فرد عليه عبد الملك

السلام، ثم أدناه و أقعده معه على سريريه، ثم دعا بالخلع فخلع عليه، و أمر له بمائه ألف درهم، فقال له عبيد الله: يا أمير المؤمنين! لم أزرک للمال، إنما أريد أن توجه معى رجلا أقاتل بهم مصعب بن الزبير، فلست بآيس من أخذ العراق لك يا أمير المؤمنين! فأجابه عبد الملك بن مروان إلى ذلك، ثم أمر له بمائه ألف درهم أخرى، و أمر له ولأصحابه بالمنازل و الأنزال، و أجرى عليهم الأرزاق. ثم أمر له باربعه آلاف رجل من أهل الشام، فأعطاهم الأرزاق و ضمهم إليه و أمرهم بالمسير معه.

فسار القوم مع عبيد الله حتى صاروا إلى الرقة، ثم انحدروا على الفراتد.

ص: ١٧١

١- انظر الأبيات فى الطبرى، و ليست فى ابن الأثير.

٢- الأرنجد هو السواد.

حتى صاروا إلى الأنبار. فنزل عبيد الله بن الحر و من معه من الأنبار يوما ثانيا، ثم إنهم تذاكروا شيئا من أمر صفيين و ما كان من محاربه أهل العراق لهم، فوثب بعضهم على بعض فاقتتلوا هنالك حتى تفانى الفريقان جميعا من أهل الشام و أصحاب عبيد الله بن الحر على غير شىء. قال: و انفلت نفر من أهل الشام، ففروا هاربين على وجوههم، و بقى عبيد الله بن الحر فى نفر يسير من أصحابه.

و كان مصعب بن الزبير يومئذ بالبصره و خليفته الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعه بالكوفه. فلما بلغه ما فيه عبيد الله بن الحر من قله أصحابه اغتنم ذلك، فدعا برجل من بنى سليم يقال له عبيد بن العباس، فضم إليه خمسمائه فارس و أمره بالمسير إلى عبيد الله بن الحر.

فسارت الخيل نحو عبيد الله بن الحر، فلما نظر الخيل و قد وافته التفت إلى من بقى من أصحابه فقال: يا بنى الأحرار! اركبوا خيولكم و موتوا كراما! و إلا أخذتم أسارى فعرضتم على السيف كما عرض أصحاب المختار من قبلكم. فركب أصحابه و هم يومئذ أقل من خمسين رجلا، و ركب عبيد الله و جعل يقول:

يا لك يوما قل فيه ثقتى و غاب عنى معشرى و أسرته

و مذحج طرا و جل إخوتى و صحبتى الحامون لى فى كرتى

يا قيس غيلان أصبتم فرصتى و ما أبالى إن أت منيتى

ثم حمل عليهم فى أصحابه على قلتهم، فقاتل ساعه فقتل من أصحابه نيف على ثلاثين رجلا و بقى فى بضعه عشر رجلا، فقاتل حتى بقى خمسه، فجعل يرتجز و يقول:

لو أن لى من شيعتى رجلا مساعرا أعرفهم أبطالا

لأحسنوا من دونى القتالا و لم يهابوا فى الوغى الآجالا

و قتل أصحابه الخمسه فبقى عبيد الله بن الحر يقاتل وحده و أحاطت به الخيل من كل جانب، فطعنه رجل من بنى محارب يكنى أبا كديه، فصرعه عن فرسه على شاطئ الفرات و غار فرسه، فوثب قائما و بقى يقاتلهم راجلا فى جوف الماء، و القوم يرمونه بالسهم، و لا يدنو أحد منه غير أنهم يقولون:

كيف ترى هذه السهام يا بن الحر! فقال لهم: إن كنتم رجلا كما تزعمون فابرزوا إلى واحدا بعد واحد حتى تعلموا أينا بن الحر! و أثنى بالجراحات فلم يستطع أن يقاتل القوم، فعمد إلى زورق من تلك الزوارق، فجلس فيه و قال لصاحبه: عبرنى إلى ذلك الجانب من الفرات و سلبنى لك! قال: فجعل صاحب الزورق يقذف به حتى صار إلى نصف الفرات و أصحاب مصعب ينادون صاحب الزورق: ويحك أيها الملاح! إن الذى معك هو طلب أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير و طلب مصعب بن الزبير، فاحذر على نفسك و رد الزورق إلينا و لك عشره آلاف درهم! فهم الملاح أن يرده إليهم. فلما حول رأس الزورق قام إليه عبيد الله بن الحر ليمنعه من ذلك، فقبض عليه الملاح و كان قويا فى بدنه فاعتنقا جميعا و اضطربا فى الزورق ثم سقطا جميعا فى الفرات

فغرقا.

ثم دعا أصحاب مصعب بن الزبير بالغواصين، فغاصوا في الفرات حتى أخرجوا عبيد الله بن الحر من الماء، فاحتزوا رأسه و صلبوه على شاطئ لفرات، ثم بعثوا برأسه إلى أمير الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، فوجه الحارث بالرأس إلى مصعب بن الزبير بالبصرة، و وجه مصعب بالرأس إلى أخيه عبد الله بن الزبير.

قال: و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فجزع عليه جزعا شديدا، ثم قال: لله درك يا بن الحر! قد كنت فارس حرب، و كاشف كرب و فارس همه، و سداد ثغر، فلأسعدنك الله حيا و ميتا، فلعمري لقد بلوك فما وجدوك خوارا و لا فرارا، لكنهم ألفوك كرارا نفاعا ضرارا، و بالله يحلف عبد الملك ليأخذن بئارك و ثار غيرك إن شاء الله و لا قوه إلا بالله. قال: فأنشأ أنس بن معاوية البكري يقول أبياتا مطلعها:

يا عين ابكى عبيد الله ما طلعت شمس النهار و أذرى الدمع تسكابا

إلى آخرها. (انتهى ما ذكره ابن أعمش).

و قد نقلنا قصه عبيد الله - على طولها - لما فيها من العبر و الرجل على كل حال مشوش الفكره، مضطرب العقيدة، و لا يمكن اعتباره حتما من موضوع هذا الكتاب، و لكن له صله بموضوعه تبرر ذكره فيه.

و لا بد لاستكمال قصته من مراجعه ما مر عنها في الجزء الأول من (المستدركات)، و قبل ذلك في (الأعيان) نفسه.

عبيده بن سفيان.

كان ممن خرج مع التوابين للطلب بثار الحسين (ع)، فلما عاد رفاعه بن شداد بمن بقي حيا في معركة عين الورد، كان عبد الله هذا ممن عاد معه، و ساروا ليلتهم تلك حتى الصباح، فلما أصبحوا إذا عبد الله في نحو عشرين رجلا قد أرادوا الرجوع إلى العدو مستقتلين، فجاء رفاعه و أصحابه و ناشدوهم الله أن يفعلوا، فلم يزالوا يناشدونهم حتى ردوهم إلا رجلا من مزينه يسمى عبيده بن سفيان، فإنه انسل من بين الناس و رجع بدون أن يعلم به أحد، حتى لقي أهل الشام فشد عليهم بسيفه يضاربهم حتى عقر فرسه فجعل يقاتل راجلا و هو يقول:

إني من الله إلى الله أفر رضوانك اللهم أبدى و أسر

فقيل له: من أنت؟ فقال: من بنى آدم لا- أحب أن أعرفكم و لا- أن تعرفوني يا مخربى البيت الحرام، و شد الناس عليه من كل جانب فقتلوه.

السيد عدنان الغريفي.

(١) ولد سنة ١٢٨٣ في مدينة المحمرة و توفي في الكاظميه بالعراق سنة ١٣٤٠ و دفن في النجف. نشا و ترعرع في المحمرة، توفي عنه والده و هو صغير ثم أرسل إلى النجف الأشرف للدراسة فيها على نفقه أحد التجار، فحضر في دراسه السطوح على ابن

عمه السيد على بن السيد محمد الغريفي المتوفى سنة ١٣٠٢ هـ، وفي درس الخارج على الميرزا حبيب الله الرشتي، و الشيخ محمد طه نجف، و هبط سامراء فحضر على السيد الشيرازي حتى نال درجة الاجتهاد فقد أجاز بالاجتهاد من الثلاثة المذكورين.

ص: ١٧٢

١- غريفه بالتصغير قريه من قرى البحرين قد اندثرت آثارها و امحت رسومها، ينسب إليها آل الغريفي المعروفون في الأوساط العلميه. و هذه الترجمة بقلم السيد على العدناني الغريفي حفيد المترجم. و قد مرت للمترجم ترجمه في (الأعيان) و نعيد ذكره هنا لبعض التصحيحات.

ثم بعد ذلك عاد إلى مدينته المحمره بامر السيد الشيرازى، وبقى فيها مرجعا لنواحي الجنوب و البصره و بعض مناطق الخليج إلى أن اعتراه مرض شديد نقل على أثره إلى مدينته الكاظميه فى العراق للمعالجه، فأدركه أجله هناك. كان فقيها أصوليا نسابه أديبا شاعرا له من الآثار: مناسك الحج، كتاب أنساب العرب مخطوط، ميزان المقادير، كتاب فى علم الجفر، حاشيه على العروه الوثقى مطبوع، حاشيه على القوانين، منظومه فى الحج و أسرارته تقرب من ألف بيت، شرح شواهد المغنى، أجوبه المسائل و هى جواب لمسائل بعثها إليه استاذه الميرزا حبيب الله الرشتى، شرحان على منظومه الهيئه لأستاذه السيد على الغريفى، رسالته العمليه المسماه بقبسه العجلان و غيرها من الحواشى و الرسائل. و قد وقع اشتباه فى ترجمته فى أعيان الشيعة إذ ذكر أنه يروى عنه ابنه السيد على والد السيد رضا النسابه الصائغ البحرانى النجفى و الحال أن السيد على و الذى هو ابنه غير السيد على والد السيد رضا، لأن السيد على النسابه هو ابن السيد محمد بن السيد على الغريفى بن السيد إسماعيل، و هو أخو السيد على جد المرحوم السيد عدنان، فبين السيد على المذكور و السيد عدنان عمومه لا بنوه، و إن كان صح القول إن السيد على النسابه هو تلميذ السيد عدنان.

ثم ذكر فى أعيان الشيعة أيضا أنه رأى السيد عدنان فى حجه الثانى سنه ١٣٤٣ هـ فى مكه المكرمه، و الحال أن السيد عدنان توفى سنه ١٣٤٠ و لعله من سهو القلم.

هذا و يروى المرحوم السيد عدنان عن الشيخ محمد رضا المعزى التستري، و عن الميرزا حسن الشيرازى، و عن الشيخ محمد طه نجف، و عن الميرزا حبيب الله الرشتى، و عن الشيخ على البهبهانى، كما يروى عنه كثيرون من العلماء و الفضلاء.

الشيخ على الأحسائى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

و هو من تلامذه الشيخ أحمد الأحسائى، و مجاز عنه، و له كتاب فى الخطب و الأشعار. مات قدس سره سنه ١٢١١ الحادى و العشرين بعد المائتين و الألف.

الشيخ على بن الشيخ حسن بن يوسف البحرانى البلادى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال فى اللؤلؤه:

(كان الشيخ على المذكور فاضلا جليلا لا سيما فى العريه و المعقولات، مدرسا إماما فى الجمعه و الجماعة إلى أن قال:.. و كان الوالد الشيخ على المذكور فاضلا أيضا. و كذلك جده الشيخ يوسف قد ذكره فى كتاب أمل الآمل فقال الشيخ يوسف بن حسن البلادى فاضل متبحر شاعر أديب من المعاصرين.) انتهى.

و حكى والدى قدس سره: إنه لما توفى الشيخ يوسف المذكور و دفن فى مقبره المشهد اتفق أن إحدى منارتى المشهد انهدم رأسها فسقط على قبر الشيخ المذكور.

و كان الشيخ عيسى بن صالح أحد أعمام جدى الشيخ إبراهيم متوجها إلى قرية البلاد لتعزيه الشيخ بموت أبيه الشيخ يوسف، فمر بامرأه عجوز جالسه عند رأس المناره تتعجب من سقوطها و انهدامها، فلما وصل إلى بيت الشيخ حسن فى مجلس التعزيه أخبرهم بذلك فأنشأ فى ذلك فقال:

مررت بامرأه قاعده تحولق فى صوره العابده

و تسترجع الله فى ذا المنار فما بالها فى الثرى راقده

فقلت لها يا ابنه الأكرمين رأيت أمورا بلا فائده

ثوى تحتها يوسفى الكمال فخرت لهيئته ساجده

فقال له الشيخ حسن ما جزاء هذه الأبيات إلا أن يملأ فمك لؤلؤا. هذا آخر ما نقلناه من كلام الجد.

السيد على بن السيد محسن المقابى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

سيد المشايخ و المحققين، و سند المجتهدين و المحدثين، أخذ العلوم عن معدنه و لم يوجد من تحقيقاته شىء سوى رساله فى حجيئه الظن فى نفس الأحكام.

و توفى قدس سره سنه ١١٣٥ و دفن فى المصلى إحدى قرى البحرين عند قبور الزهاد.

الشيخ على بن سليمان بن درويش بن حاتم القدمى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أول من نشر الحديث فى البحرين و قد كان قبله لا أثر له و لا عين، و روجه و هذبه و كتب الحواشى و القيود على كتابى التهذيب و الاستبصار لشده ملازمته الحديث و ممارسته، اشتهر فى ديار العجم بام الحديث و كان رئيسا فى بلاد البحرين و مشارا إليه.

تولى الأمور الحسينيه، و قام بها أحسن القيام، و قمع أيدي الحكام، و بسط بساط العدل بين الأنام، و كانت وفاته فى السنه الرابعه و الستين بعد الألف.

الشيخ على بن الشيخ جعفر.

قال فى كتاب تاريخ البحرين المخطوط:

قال جدى فى اللؤلؤة:

كان زاهدا ورعا شديد التصلب فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا تأخذه فى الله لومه لائم، غير مدهن للأمرء و الكبراء. و قد تولى الأمور الحسينيه فى بلاد البحرين مده، إلا- أنه لما هو عليه مما ذكرناه حسده بعض أمرائها، فكاتبوا عليه السلطان سليمان و رموه بما هو برىء منه، فأرسل له من أخرجه مقيدا إلى أن وصل إلى كازران فحصل من بلغ حقيقه الأمر إلى السلطان و أخبروه بحقيقه حال الشيخ المزبور، فأرسل عاجلا أن يخلى عنه و يطلق، فجلس فى كازران و توطن بها مده مديده، و ربما رجع إلى البحرين بعض الأوقات بعد مضى مده مديده من تلك الواقعه المتقدمه ثم رجع إلى العجم.

و توفى فى كازران فى السنه الحاديه و الثلاثين بعد المائه و الألف.

الشيخ على الدمستاني البحراني.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

ص: ١٧٣

كان من علماء البحرين و فضلائها، فقيها، متكلماً، و عبره علماء عصره في مصره بشيخ المتكلمين، له كتاب في الجواهر و الأعراض، و كتاب في وجوب غسل الجمعة، و كتاب في تحليل التتن، و رساله في البرزخ و غير ذلك مات سنه ١١٥٥.

الشيخ علي بن محمد بن علي بن يوسف الصالحى البحرانى.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هكذا وجدت بخطه، كان محدثاً أصولياً، نحويًا، عروضياً، له رساله لطيفه في إثبات أن الإضافه المحضه إما بمعنى اللام التى تفيد الاختصاص الكامل، أو بمعنى من البيانىه فورودها على خلاف ذلك على ضرب من المجاز، و كتاب في رد على من قال بحجيه القياس حتى بطريق الأولويه، مات سنه ١٢٤٧.

ابن الشرفيه كافى الدين – أو فخر الدين – أبو الحسن على بن محمد بن الحسن بن أبى نزار الليثى الواسطى.

قال السيد عبد العزيز الطباطبائى:

من أعلام الاماميه فى أواخر القرن السادس، و لعله أدرك السابع أيضا، و هو يلقب عندهم كافى الدين، و ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٥٩/٣ رقم ٢٢٤٩ بلقبه فخر الدين، فقال: أبو الحسن على بن محمد بن نزار الواسطى الأديب، أنشد... فأورد له أبياتا.

و فى ترجمه ابن أبى طى الحلبي يحيى بن حميده، المتوفى سنه ٦٣٠، فى إنسان العيون فى شعراء سادس القرون، قال: قرأ يحيى بن حميده المذكور على الشيخ شمس الدين يحيى بن الحسن بن البطريق، و على الشريف جمال الدين أبى القاسم عبد الله بن زهره الحسينى الحلبي، و على الشيخ فخر الدين على بن محمد بن نزار ابن الشرفيه الواسطى...

أقول: و ممن يروى عن ابن الشرفيه السيد علاء الدين حسين بن على بن مهدي الحسينى السبزوارى، (١)روى عنه بمدينه الموصل فى ١٧ شوال سنه ٥٩٣.

و يروى ابن الشرفيه عن الشيخ رشيد الدين أبى الفضل شاذان بن جبرائيل القمى، و يعرف عند أصحابنا بعلى بن محمد الليثى الواسطى، ترجم له ميرزا عبد الله أفندى فى رياض العلماء، فقال فى ٢٥١/٤: الشيخ على بن محمد الليثى الواسطى، فاضل جليل، و عالم كبير نبيل، و هو من عظماء علماء الاماميه، و له كتاب عيون الحكم و المواعظ...

و ترجم له فى ج ٤ ص ١٨٦ فقال: "الشيخ كافى الدين أبو الحسن على بن محمد بن أبى نزار [ابن] الشرفيه الواسطى.

كان من أكابر العلماء...، و هذا الشيخ كافى الدين المذكور يروى عن الشيخ الفقيه رشيد الدين أبى الفضل شاذان بن جبرائيل القمى، كما يظهر من مطاوى كتاب مناهج النهج (٢)لقطب الدين المذكور، و قد قال قطب الدين المذكور فى الكتاب المزبور، عند ذكر اسم هذا الشيخ فى مدحه هكذا: الشيخ الأجل العالم، كافى الدين أبو الحسن على بن محمد بن أبى نزار [ابن] الشرفيه الواسطى "...

و لابن الشرفيه هذا قصه مثبتة فى نهايه مخطوطه مناقب أمير المؤمنين (ع): لابن المغازلى، و هى:

قال أبو الحسن على بن محمد بن الشرفيه: حضر عندى فى دكانى بالوراقين بواسطه، يوم الجمعة خامس ذى القعدة، من سنه ثمانين و خمسمائه، القاضى العدل، جمال الدين نعمه الله بن على بن أحمد بن العطار، و حضر أيضا شرف الدين أبو شجاع بن العنبرى الشاعر، فسأل شرف الدين القاضى جمال الدين أن يسمعه المناقب، فابتدأ بالقراءه عليه من نسختى، التى بخطى، فى دكانى يومئذ، و هو يرويها عن جده لأمه العدل المعمر محمد بن على المغازلى، عن أبيه المصنف فهما فى القراءه، و قد اجتمع عليهما جماعه إذ اجتاز أبو نصر قاضى العراق، و أبو العباس بن زنبقه، و هما ينبزان بالعداله، فوقفا يغوغان و ينكران عليه قراءه المناقب، و أظن أبو نصر قاضى العراق فى التهزى و المجون...، فعجز القاضى نعمه الله بن العطار، و قال بمحضر جماعه كانوا و قوفًا: اللهم إن كان لأهل بيت نبيك عندك حرمه و منزله، فاحسف به داره و عجل نكايته، فبات ليلته تلك، و فى صبيحه يوم السبت، سادس ذى القعدة، من سنه ثمانين و خمسمائه، خسف الله تعالى بداره، فوقعت هى و القنطره و جميع المسناه إلى دجله، و تلف منه فيها جميع ما كان يملكك، من مال و أثاث و قماش.

فكانت هذه المنقبه من أطرف ما شوهد يومئذ من مناقب آل محمد صلوات الله عليهم.

فقال على بن محمد بن الشرفيه: و قلت فى ذلك اليوم فى هذا المعنى:

يا أيها العدل الذى هو عن طريق الحق عادل

متجنبًا سبل الهدى و إلى سبيل الغى مائل

أ بمثل أهل البيت يا مغرور ويحك أنت هازل!

بالأمس حين جحدت من إفضالهم بعض الفضائل

و جريت فى سنن التمرد لست تسمع عدل عادل

نزل القضاء على ديارك فى صباحك شر نازل

أضحت ديارك سائحات فى الشرى خسف الزلازل

قال على بن محمد بن الشرفيه: و قرأت المناقب التى صنفها ابن المغازلى، بمسجد الجامع بواسطه، الذى بناه الحجاج بن يوسف الثقفى فى مجالس سته أولها الأحد رابع صفر، و آخرهن عاشر صفر من سنه ثلاث و ثمانين

ص: ١٧٤

٢- الصحيح فيه: مباحج المهج في مباحج الحجج لقطب الدين الكيدري، و هو أبو الحسن محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري، من أعلام القرن السادس، له شرح نهج البلاغه سماه حدائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق، فرغ منه سنه ٥٧٦، طبع في الهند في ثلاث مجلدات، بتحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي، و له الحديقه الأنيقه، و أنوار العقول في أشعار وصي الرسول، جمع فيهما أشعار أمير المؤمنين (ع). و مباحج المهج فارسي في سير النبي و الأئمه من عترته ص، منه نسخه في مكتبه آيه الله الكلبيكاني في قم، ٢١٢٥، ذكرت في فهرسها ١٦٩/٣، و نسخه في مكتبه المسجد الأعظم في قم، رقم ٢، ذكرت في فهرسها ص ٣٨٦، و قد لخصه و زاد عليه أبو سعيد الحسن بن الحسين الشيعي السبزواري، من أعلام القرن الثامن، و سماه بهجه المباحج، و نسخه شاعه منها نسخه في جامعه طهران، رقم ٩٦٨، كتبت سنه ٩٣٥، و منها في بوهار، و كمبريج، و بودليان، و المكتب الهندي في لندن، و غيرها، راجع فهرس المنزوي للمخطوطات الفارسيه ج ٦ ص ٤٤٢٠.

و خمسائه، فى أمم لا يحصى عديدهم، و كانت مجالس ينبغى أن تؤرخ.

و كتب قارئوها بالمسجد الجامع: على بن محمد بن الشريفه.

و ربما خلطه بعضهم بسميه و بلديه ابن المغازلى، مؤلف كتاب مناقب أمير المؤمنين (ع)، المتوفى سنه ٤٨٣، فإنه أيضا أبو الحسن على بن محمد، و من أهل واسط فاشتبه الأمر على بعضهم، ففى رياض العلماء ٢٠٩/٤: "على بن محمد بن شاعر المؤدب، من أهل واسط، من أصحابنا، و له كتاب فى الأخبار فى فضائل أهل البيت (ع)، و تاريخ تليفه سنه سبع و خمسين و أربعمائمه..." فلاحظ فإنه من بعض الاشتباهات.

و فى تأسيس الشيعه ص ٤٢٠: الشيخ الربانى على بن محمد بن شاعر المؤدب الليثى الواسطى، صاحب كتاب عيون الحكم و المواعظ و ذخيره المتعظ و الواعظ، كان فراغه من تأليف الكتاب سنه ٤٥٧.

و هو من أصحابنا بنص صاحب الرياض، و له كتاب فى فضائل أهل البيت (ع)...

بقى هنا شىء: و هو أن الشريفه فيما وجدناه على الأكثر بالفاء، و لكن بالقاف اسم محله فى واسط، و هو واسطى، فلعل الصحيح ابن الشرقيه بالقاف، و لكن أكثر ما وجدناه بالفاء، و أكثر ما وجدناه الشريفه بدون ابن.

و أما كتابه عيون الحكم و المواعظ فهو أوسع و أجمع كتاب لحكم أمير المؤمنين (ع)، يشتمل على ١٣٦٢٨ كلمه، قال المؤلف:

الحمد لله فائق الحبه بارئ النسم... أما بعد، فان الذى حدانى على جمع فوائد هذا الكتاب، من حكم أمير المؤمنين أبى تراب، ما بلغنى من افتخار أبى عثمان الجاحظ، حين جمع المائه حكمه الشارده عن الأسماع الجامعه، أنواع الانتفاع... فكثر تعجبى منه... كيف رضى لنفسه أن يقنع من البحر بالوشل... فألزمت نفسى أن أجمع قليلا من حكمه... و سميته بكتاب عيون الحكم و المواعظ و ذخيره المتعظ و الواعظ، اقتضبه من كتب متبده... مثل كتاب نهج البلاغه جمع الرضى... و ما كان جمعه أبو عثمان الجاحظ، و من كتاب دستور الحكم... و من كتاب غرر الحكم و درر الكلم جمع القاضى أبى الفتح... و من كتاب مناقب الخطيب (الموفق بن) أحمد... و من كتاب منثور الحكم، و من كتاب الفرائد و القلائد تأليف القاضى أبى يوسف يعقوب بن سليمان الأستفراينى، و من كتاب الخصال... و قد وضعته ثلاثين بابا، واحد و تسعين فصلا، ثلاثه عشر ألفا و ستمائه و ثمانيه و عشرين حكمه، منها على حروف المعجم تسعه و عشرون بابا، و الباب الثلاثون أوردت فيه مختصرات من التوحيد، و الوصايا...

أقول: و كل مخطوطات الكتاب فاقده للباب الثلاثين، حتى المخطوطات التى رآها صاحب رياض العلماء فى القرن الحادى عشر كانت ناقصه، قال فى ترجمته فى الرياض ٢٥٣/٤: و اعلم أن كتابه هذا مشتمل على ثلاثين بابا، و لكن الموجود فى النسخ التى رأيناها تسعه و عشرون بابا، على ترتيب حروف التهجى، و قد سقط من آخره الباب الثلاثون...

أقول: و هذا الكتاب من مصادر علامه المجلسى - رحمه الله - فى موسوعته الحديثيه القيمه "بحار الأنوار" و إن سماه بادئ الأمر بالعيون و المحاسن، فقد ذكر عند عد المصادر فى ج ١ ص ١٦ قائلا: و كتاب العيون و المحاسن للشيخ على بن محمد الواسطى.

وقال عنه في ج ١ ص ٣٤: و عندنا منه نسخه مصححه قديمه، ثم وقع على اسمه الصحيح، فقال في ج ٧٣ ص ١٠٨: من كتاب عيون الحكم و المواعظ لعلی بن محمد الواسطی كتبناه من أصل قديم.

و ذكره - رحمه الله - أيضا في ج ٧٨ ص ٣٦ في باب (ما جمع من جوامع كلم أمير المؤمنين صلى الله عليه و على ذريته) فعدد جملة ممن دونوا كلامه (ع)، و بدأ بالجاحظ، إلى أن قال: و كذا الشيخ علی بن محمد الليثي الواسطی في كتاب عيون الحكم و المواعظ و ذخيره المتعظ و الواعظ، الذي قد سميناه بكتاب العيون و المحاسن.

و يبدو أنه - رحمه الله - عثر على نسخه قديمه تامه تحوى الباب الثلاثين، الذي هو في الخطب و الوصايا، حيث أورد الخطبه الأولى من نهج البلاغه عن النهج، و عن هذا الكتاب، فقال في ج ٧٧ ص ٣٠٠: نهج البلاغه، و من كتاب عيون الحكمه و المواعظ لعلی بن محمد الواسطی، من خطبه صلوات الله عليه: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون...

و للكتاب تلخيص لأحمد بن محمد بن خلف سماه: المحكم المنتخب من عيون الحكم، أوله: الحمد لله الملك القادر، العزيز الفاطر.

توجد نسخه منه في مكتبه جامعه القرويين في فاس، كتبت سنة ١١٥٢ كما في فهرسها ج ٢ ص ٤٠٥.

و راجع عن كتاب عيون الحكم [و فهرست مكتبه سبها سالار ٢٨٣/١ و ٧٤/٢ و ٧٦ و ١٤٦ و ٣٤٥/٥، و الذريعه ٣٧٩/١٥، و كشف الحجب، و فهرست المكتبه المركزيه لجامعه طهران للمنزوي ١٥٨/٢، و قد ذكر فيه ص ١٦٠. (١)] أن مخطوطه جامعه طهران مكتوبه سنة ١٢٧٩، عن نسخه كتبت سنة ٨٦٧، عن نسخه كتبت سنة ٧٠٩، عن نسخه كتبت سنة ٦١٤، و قد جاء في مقدمه عيون الحكم النقل عن ابن الجوزي، فيظهر أن تاليفه كان بين التاريخين (٦١٤ -)، أي بين تاريخي وفاه ابن الجوزي، و تاريخ تلك النسخه.

أقول: و قد أوردت نص المقدمه ليعلم أنه ليس فيه عن ابن الجوزي أثر! نعم ذكر المؤلف من جمله مصادر كتاب منشور الحكم، و لم يذكر مؤلفه فتخيل أنه لابن الجوزي، و ليس له. فقد ذكر حاجي خليفه كتاب منشور الحكم، في كشف الظنون ١٨٥٨، و لم يذكر مؤلفه، و لم يسمه، بل قال: مختصر على ثمانية أبواب في الكلمات الحكيمه... فأورد فهرس أبوابه.

و ذكر قبله بفاصل كتاب آخر، كتاب ابن الجوزي باسم (المنثور) فقال:

المنثور لأبي الفرج بن الجوزي، مختصر أوله...

و ذكر في هديه العارفين، و كتاب مؤلفات ابن الجوزي ص ١٨٥، أيضا باسم "المنثور"، و فيه: إن منه نسخه مخطوطه في جامع الفاتح، برقم ٥٥٢٩٥.

ص: ١٧٥

علي بن المؤيد.

هو الذي ارتبط اسمه باسم الشهيد الأول محمد بن مكي، إذ استدعاه إلى خراسان ليقوم فيها هاديا و مرشدا، و لكن الشهيد اعتذر و لم يجب الدعوه، بل ألف له كتاب (اللمعه) في الفقه لتكون دليلا للناس هناك.

ثم كان من أمر الشهيد بعد ذلك ما كان من استشهاده على أيدي الطغاه بسعي فقهاء السوء. و ظل مصير (اللمعه) مجهولا، كما أن شخصيه علي بن المؤيد و موقعه كانا غامضين، فلم يعرف الناس عنه سوى أنه ملك خراسان، و فيما يلي تفاصيل مكتوبه بقلم الشيخ علي الدواني منقوله من الفارسيه إلى العربية:

السريداريون

هم سلاله من قاده الشيعة حكمت منطقته خراسان ما يقارب السبعين سنه.

فقد توفي آخر قائد من المغول من سلاله جنكيز كان يحكم إيران و هو أبو سعيد بن محمد خدابنده في سنه ٧٣٦ هجرية. و لم يخلف أحدا بعده، فاجتاحت الفوضى جميع أنحاء إيران و انقسمت إلى دويلات صغيره و أخذت كل أسره من أسر القاده المغول الايلخانيين تحكم جانبا من إيران و العراق و أرمينيا. و بالرغم من أنهم كانوا مسلمين فقد كان تأثير الشرائع المغوليه بارزا فيهم. ففي سنه ٧٤١ كانت الدويلات التاليه قائمه في أمبراطوريه المغول السابقه:

١ - دوله الرعا (جويانيان) في أراك و آذربيجان و أرمينيا.

٢ - دوله الجلائريين في العراق. و قد سيطرت هذه الدوله فيما بعد على دوله الرعا.

٣ - دوله طوغاي تيمور في خراسان الغربيه و جرجان التي كانت تدار في الحقيقه من جانب أمراء طائفه جاني قرباني.

٤ - دوله ملوك كرت (أو كرت) في هرات و خراسان الشرقيه و أفغانستان.

٥ - دوله ملك سيستان في منطقه نهر هامون.

٦ - دوله آل مظفر في كرمان و يزد.

٧ - دوله الأنجويين في فارس و أصفهان. ثم في الفتره من سنه ٧٥٤ هجرية إلى ٧٥٩ هجرية استولت دوله آل مظفر على أراضيهم.

٨ - أراضي الأتابكيين اللر.

٩ - ما لا يقل عن عشر دويلات صغيره مستقله محليه في كيلان و مازندران.

١٠ - دوله البحر في هرمز.

و عدا هذه الأجهزة الحكوميه الكبيره و المحليه فكان هناك الكثير من الأمراء و الملوك الصغار و الكبار قد أعلنوا استقلالهم و حاولوا الاستيلاء على المزيد من القلاع و المدن و الولايات و إلحاقها بحكوماتهم.

و من الجدير بالذكر أن اضمحلال حكمه سلاله هولوكو المغوليه سياسيا (و كانت آخر حكمه من هذه السلاله هي حكمه طوغاي تيمور خان قد حكمت حتى عام ٧٥٤ في كركان) لم يسفر عن اضمحلال سلطه المغول في إيران و الأراضي المجاوره نهائيا، بل إن كبار قاده الجيش و المغول و الأتراك الذين كانوا يعيشون في الباديه قد حافظوا على سلطتهم السياسيه، و إن هيمنه الشريعه المغوليه و أساليب إداره البلاد و الأساليب الإقطاعيه الجريئه بقيت و استمرت ساريه المفعول لا في الدول التي كانت تحكمها السلالات المغوليه العنصر (كدوله الرعا و الجلائريين و طوغاي تيمور) فحسب بل إنها كانت ساريه المفعول في الدول التي كان يهيمن فيها الكبار من الإقطاعيين من إيرانيين و تاجيك (آل مظفر و ملوك كرت). و خلال هذه السنوات و نتيجة لتمرّد أهالي خراسان الغربيه و انتفاضتهم فقد وضعت أسس حكمه (السربداريين)^(١).

ميزات حركه السربداريين

كانت انتفاضه السربداريين في خراسان في القرن الرابع عشر الميلادي أكبر و أهم انتفاضه تحريره في الشرق الأوسط من الناحيتين الاقليميه و التاريخيه و كان لها و لا شك الدور الكبير في الحركات و الانتفاضات الأخرى.

ففي المرحله الأولى من حركات التحرر في القرن الرابع عشر كانت عامه طبقات الشعب و معهم الإقطاعيون الايرانيون و التاجيك يخوضون أرض معركة.

و أن سبب مشاركته الإقطاعيين الأنفي الذكر هو أنهم كانوا قد ضاقوا بسرقات و اعتداءات و أنانيات كبار قاده الجيش و المغول و الأتراك الذين كانوا يعيشون في الباديه خاصه و أنهم كانوا متالمين من كبار المغول الذين كانوا قد استولوا على أراضي و أملاك صغار الملاكين المحليين. و لهذا السبب فإنهم شاركوا المضطهدين أي القرويين و أصحاب المهن الايرانيين في نضالهم. و أن الهدف المشترك الذي كان يجمع شمل هذه العناصر المتناثره و غير المتجانسه هو الاطاحه بهيمنه المغول و القضاء على سلطه هؤلاء الفاتحين و معهم كبار قاده الجيش من المغول و الأتراك الذين كانوا يعيشون في الباديه و إلغاء الشريعه المغوليه و جميع أنظمه المغول الحكوميه و لا- شك أن حقد المنتفضين و استيائهم لم يقتصر على المغول و الأتراك فحسب، بل شمل هذا الحقد القاده و الكبار الايرانيين المستوطنين و الجباه و علماء الدين غير الشيعه و غيرهم الذين كانوا يخدمون المنتصرين و كانوا قد التحموا معهم بشده، و كانوا قد استسلموا للأنظمه المغوليه و تألفوا معها.

فأينما انتصرت حركات التحرر، ظهرت حكومات جديده، و أكثر هذه الحركات أهميه هي انتفاضه السربداريين، و على غرارها كانت بقيه الحكومات الجديده فعلى سبيل المثال فان حكومات السربداريين في خراسان الغربيه (٧٨٣ -) و حكومات سادات مازندران (٧٩٥ -) و كيلان (من سنه ٧٧٢) و حكومات السربداريين في سمرقند (لفترة قصيره) و في كرمان () كانت من هذا الطراز. و ربما كانت الدوله التي تأسست فيما بعد على أيدي أنصار محمد المشعشع في خوزستان (حوالي سنه ٨٤٤) من هذا الطراز أيضا.

و كان السربداريون، يعتبرون الشريعة الإسلاميه القطب المضاد للشريعة المغوليه المنبوذه منهم و يعتبرونها هي الهدف المقصود.
ففي الحكومات التي

ص: ١٧٤

١- كتاب حركة السربداريه في خراسان تأليف أي - ب - بتروشفسكى "المستشرق و المحقق الروسى المعاصر. و يعتبر هذا الكتاب أول تأليف كامل حول حركة السربداريه. كما أشار هذا العالم المستشرق إلى حركة السربداريه في كتابه الثانى (الإسلام فى إيران) و يبدو أن هذا الكتاب قد ألفه بعد كتابه الأول.

كانت على طراز السربداريين لا محل للبلاطات الملكيه و ما تمتاز به من عظمه و جلال و أبهه

التشيع، الحجر الأساس للحركات الشيعيه

لقد كتب العالم المستشرق الروسى فى فصل " عقائد هذه الحركات " قائلا: " إن و. و بارتولد " يؤكد أن مذهب الشيعه كان عاما بين القرويين فى القرون الوسطى فى إيران، و كان فى الكثير من الحالات يشكل أساس عقائد الحركات الشيعيه " ثم يقول العالم الروسى: " إن الحركات القرويه فى إيران فى القرون الوسطى توسعت و تنامت مرارا و تكرارا تحت رايه الشيعه الخضراء. حيث أن بعض عقائد الشيعه و أفكارهم كانت متناسقه مع نفسه القرويين المعارضه. أولا لأن مذهب السنه كان هو الحاكم تقريبا على جميع الحكومات الإقطاعيه فى إيران فى القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين، و أن الشيعه كانوا هم المطاردين و هم الذين يعانون العذاب و التعذيب.

إن احترام الشهداء (على و الحسين و بقيه الأئمه الشهداء) كان يحتل مكانه بارزه و مهمه فى عقائد الشيعه، و هذا الأمر كان يريح القرويين المضطهدين. و لكن الأمر الذى كان يلائم عامه طبقات الشعب أكثر من أى شىء آخر هو عقيدتهم بظهور المهدي الذى سيعيد الدين الإسلامى إلى ما كان عليه فى صدر الإسلام و سيقضى بالسيف على الشريعه المغوليه و الأنظمه الظالمه التى تداولها السنه و المغول المنتصرون و لهذا السبب فان "انتظار المهدي" يحتل مركزا مرموقا و هاما فى عقائد الشعوب التى قامت بالانتفاضات فى إيران فى القرن الثالث عشر. كما ازداد ذلك رسوخا فى القرنين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين.

الشيخ خليفه العالم الدينى الشيعى مؤسس حركه السربداريين الفكرية

لقد بلغ الاستياء من الطغيان فى رأى العام و مختلف طبقات الشعب فى قرى و مدن خراسان ذروته فى السنوات الأخيره من حكمه الايلخان أبى سعيد.

كما ظهر آنذاك واعظ دينى حاول التنظيم فى حركه المضطهدين و انتفاضتهم و قياده الحركه و الانتفاضه بنفسه من الناحيه الفكرية. و يعتقد المؤرخون فى القرن الخامس عشر الميلادى المعاصرون لتاريخ " السربداريين " المفقود، أن الواعظ المذكور كان من كبار الصوفيه و من أهالى مازندران و يدعى الشيخ خليفه لقد درس العلم فى أيام شبابه و حفظ القرآن و تعلم المنطق و علم الفراسه (1) ثم درس مبادئ التصوف و أصبح من مريدى " بالو الزاهد " من شيوخ الدراويش الذى كان يعيش فى مدينه آمل بمازندران و لكن خليفه لم يجد فى كلام الشيخ الاجابه على القضايا و المسائل التى كانت قد أزعجته و لهذا سافر إلى سمنان عند علاء الدوله السمنانى الذى كان فى عصره من أشهر الشيوخ الدراويش فى إيران.

فسأله الشيخ يوما عن اعتقاده باى واحد من مذاهب السنه الأربعة الحقه؟ فأجابه خليفه قائلا: بان الذى أسعى إليه و أبحث عنه أعلى من هذه المذاهب، و لما كان الشيخ المؤمن لا يقدر أن يسمع كلام الكفر من هذا الملحد، فقد حطم دواته على رأس خليفه. و من هنا توجه خليفه إلى بحرآباد عند شيخ الإسلام غياث الدين عبد الله الحموى، و لكنه لم يحصل هناك أيضا على مراده فانفصل عنه. و لكن عن ما ذا كان يبحث خليفه؟ هل كانت ضالته القضايا و الأمور الخاصه بالعداله الاجتماعيه و مكافحه الظلم و الجور - التى مارسها فيما بعد؟ لقد سكت المؤرخون حول هذا الموضوع و ربما كان هذا الصمت متعمدا. و لكن ثبت

أن خليفه لم يكن راضيا و مقتنعا بتعليمات و إرشادات أكبر شيوخ الصوفيه و كان يختلف معهم فى وجهات النظر. و لم يمض على ذلك وقت طويل حتى سافر إلى سبزوار و سمى نفسه شيخا. و يبدو أن خليفه لم يكن صوفيا بمعناه الحقيقى. و ربما كان يستخدم عبارات و مصطلحات الصوفيين و جماعه إخوان الصفا للدعايه و التمهد للتمرد ضد الظالمين. و كانت مدينه سبزوار و ناحيه بيهق الواقعه غرب مدينه نيسابور التى اختارها للدعايه، خير مكان لهذا الأمر حيث كان القرويون فى منطقته سبزوار و الفئه الدنيا من أهالى المدينه هم من الشيعه المتعصبين و من المعارضين للسلطه القائمه.

كانت سبزوار من أهم مراكز الشيعه فى إيران، و فى نفس الوقت كانت فى مراكز القوميه فى البلاد. فعلى سبيل المثال كان فى ساحه المدينه مكان تقول الأساطير القديمه جدا عنه بأنه مكان الصراع بين رستم و سهراب (من أبطال ملحمة الشاهنامه). و يقول المؤرخون أن الشيخ خليفه أقام فى المسجد الجامع فى مدينه سبزوار بعد دخوله إلى هذه المدينه و كان يتلو القرآن بصوت عال و يعظ الناس و كان يلتفت حوله عدد كبير من الطلبة و المريدين و لم تمض فتره من الزمن حتى أصبحت أغلبيه القرويين فى تلك المنطقه من مريدى الشيخ خليفه. و بعدها كما يروى "حافظابرو" فى كتابه: كانت جماعه من فقهاء (السنه) تمنعه من الإقامة فى المسجد، و لكنه لم يهتم بكلامهم، و قد استفتى هؤلاء بما يلى: "شخص أقام فى المسجد لينشر فيه البدع و لما منع من ذلك رفض، و أصر على ما هو عليه، و لم يغضب هل مثل هذا الشخص يجب قتله أم لا؟".

و جاء فى كتب مير خواند و خواند مير (روضه الصفا و حبيب السير) و لكن بصوره غامضه: أن الشيخ كان يدعو الناس إلى الأمور "الدنيويه".

و المقصود من كلمه "الأمور الدنيويه" حسب ما صرح به تلاميذه و أنصاره فيما بعد، العداله العامه و الصمود أمام الظلم و الجور. و يقول "حافظابرو" فى كتابه حول هذه الفتوى ما يلى: "كتب الكثير من الفقهاء (فقهاء السنه) أن هذا الأمر غير مشروع و لما كان يصر على اللامشروع و لا- يغضب للنصح فيجب قتله، و أرسلوا هذا الجواب مع كتاب إلى السلطان سعيد أنار الله برهانه..".

و لما كان هذا السلطان المغولى رجلا خرافيا و بعيدا عن المنطق، و يخاف من الدراويش: "... أجاب على الكتاب قائلا: أنا لا أعترض على دم الدراويش، فعلى حكام خراسان أن يفصحوا عن هذا الموضوع و يعملوا حسب الشريعه النبويه الطاهره على صاحبها أفضل الصلوات. فلما وصلت هذه الاجابه من السلطان، أخذ الفقهاء يسعون لسفك دم الشيخ خليفه و كانوا يقولون إنه مبدع و يجب قتله... " و حاول فقهاء سبزوار بعد استلامهم لجواب السلطان أن يعتقلوا الشيخ خليفه، و لكن سعيهم ذهب هباء فى "؟"

ص: ١٧٧

معركتهم مع أنصار الشيخ. إلا أن أعداء الشيخ خليفه قرروا اغتياله سرا.

و فى صباح أحد الأيام حين دخل تلاميذ الشيخ خليفه إلى المسجد الجامع شاهدوا أستاذهم مشنوقا على أحد أعمده ساحه المسجد. و لا شك أن الشيخ كان قد قتل. إلا أن المسئولين المحليين أشاعوا أن الشيخ قد انتحر. و كان تاريخ هذا الحادث فى الثانى و العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٧٣٦.

الشيخ حسن الجورى تلميذ الشيخ خليفه يسير فى نهجه

يستفاد من الأقوال المذكوره، أن الشيخ خليفه مؤسس فكره حركه السربداريين كان عالما دينيا شيعيا متفتح الضمير، مدافعا عن حقوق الطبقة المضطهده المظلومه و مجاهدا ضد الاضطهاد و التمييز. و لم يكن صوفيا، بل إنه اتخذ التصوف لتسيير أموره و كان يريد أن يستغل حاله القائمه لصالح برنامجه الرئيسى و هو الانتفاضه ضد النظام الطاغوتى المغولى الحاكم، و ضد التمييز الطبقي. و بالرغم من أنه استشهد قبل أن يبلغ هدفه و قبل أن يجد ضالته، إلا أن البذره التى زرعها أعطت ثمارها بعده.

و كان أحد تلاميذ الشيخ خليفه المسمى حسن جورى يمتاز بالقدره و العقل و الدهاء. كان شابا قرويا من قريه جور(١) أنهى دراسته بنجاح و حظى بلقب (المدرس). و كان مولعا بمواعظ الشيخ خليفه و ترك الألقاب و التعليمات السنيه. و كان الشيخ خليفه قد انتخبه خليفه له. و بعد وفاه الأستاذ الأليمه ذهب حسن جورى إلى مدينه نيسابور و بادر بنشر تعاليم الشيخ. و نال تقدما كبيرا، و كما يقول ير [مير] خواند فى كتابه: "فان أغلبيه سكان منطقته نيسابور الجبلية انخرطوا فى صفوف أنصاره".

نقل الكثيرون من المؤرخين (حافظابرو، ير [مير] خواند، ظهير الدين المرعشى) نص الرساله التى بعث بها الشيخ حسن الجورى إلى الأمير محمد بك بن أرغون شاه. و أشار الشيخ حسن فى رسالته إلى أسماء المدن و المناطق التى تفقدها و نشر فيها تعاليم أستاذه.

لقد هرب الشيخ حسن الجورى غداه يوم وفاه أستاذه (٢٢ ربيع الأول سنة ٧٣٦) من سبزوار إلى مدينه نيسابور و اختفى عن الأنظار مده شهرين.

و بعد أن كشفوا محل إقامته سافر إلى مشهد الامام على بن موسى الرضا، و منها إلى أبيورد و خبوشان. و كان ينتقل من مكان إلى آخر طوال خمسه أشهر. و لكن و كما يقول بنفسه " و مع ذلك فأينما كان يقيم أسبوعا واحدا كان يبدأ توافد الأهالى عليه إلى درجه الازدحام ". و فى اليوم الأول من شهر شوال سنة ٧٣٦ غادر الشيخ حسن الجورى إقليم خراسان و انتقل إلى إقليم أراك. و بقى فيها عاما و نصف عام، ثم عاد إلى خراسان. و كان قد لحقه بعض تلاميذه إلى أراك. و عادوا من هناك إلى خراسان، و أقام حسن الجورى فى خراسان مده شهرين، و لكن و بسبب كثره ازدحام الخاص و العام حوله فى ولايتين أو ثلاث ولايات لم يتمكن من الإقامة فيها.

و فى شهر محرم سنة ٧٣٩ توجه الشيخ حسن الجورى إلى مدينه بلخ، و منها إلى مدينه ترمذ (على ساحل نهر جيحون) و من ثم إلى هرات و قهستان، و منها توجه إلى مدينه كرمان " و لكن الطريق كان محفوف بالمخاطر ". مرض الشيخ حسن و عاد ثانيه إلى مدينه مشهد، و منها إلى نيسابور، و اختفى فى الجبال المجاوره ما يقارب الشهرين. و كان يختار مكانا جديدا بين الحين و

الآخر. ولكنه يقول " و خلال هذه المده التف حولى الكثير من الناس. "

مما لا شك فيه أن الشيخ حسن الجورى كان شيعيا و لكن كونه شيعيا لا يكفى بان يطالب الشيوخ و الفقهاء السنه بموته. و يظهر من نص الرساله المذكوره أن علماء الدين و أعيان (السنه) طالبوا عده مرات و بإلحاح بقتل الشيخ حسن الجورى. و كان ذنب الشيخ حسن الجورى إضافه إلى كونه شيعيا، عقائده الثوريه التى كانت تجمع حوله المضطهدين و المحرومين و الكادحين أينما يذهب، و كان يستنفرهم و يحرضهم ضد مظالم الاقطاعيين و الهيمنه المغوليه، حتى يحين الوقت المناسب للانتفاضه فيحطموا أغلال الذل و العبوديه و يتحرروا من هيمنه المغول و الإقطاعيين الكافرين كليا.

" و اضطر الشيخ حسن الجورى أن يهاجر إلى أراك (عراق العجم) عبر طريق قهستان، و أن يقيم فى دستجردان. و لم يكن الشيخ وحيدا فى هذه الرحله بل رافقه جمع كبير من مرديه، و كما يقول هو: "كانت جمعيه كبيره معى". تعرضنا إلى المخاطر فى الطريق " و كانت الصحراء غير آمنه. " و عاد الشيخ إلى مشهد. و أقام فيها أياما معدوده، و لكن الأعداء وجدوه..

فبعث أرغون شاه جاني قرباني، رسولا إلى مدينه مشهد لاعتقال الشيخ حسن و لكن و لاسباب مجهوله فقد دخل الرسول فى مفاوضات مع الشيخ.

و بعد شهرين تم اعتقال الشيخ حسن الجورى بامر من أرغون شاه و هو فى طريقه من نيسابور إلى قهستان و سجن فى أحد القلاع. "

إن تصريحات الشيخ حسن الجورى هذه تؤكد أنه قام برحله فى أقاليم واسعه، و مما لا شك فيه أنه نشر دعوته فى هذه الأقاليم. و أغلب الظن حسب ما جاء فى الرساله أن الشيخ حسن لم يعتقل قبل منتصف سنه ٧٣٩. و كان قد تجول قبل اعتقاله فى جميع أنحاء إيران لمدته ثلاث سنوات، و هذا أمر ملفت للنظر. علما بان حركه أنصاره بدأت فى ولايه بيهق فى سنه ٧٣٧ أو .

و قد تم فيما بعد الإفراج عن الشيخ حسن الجورى و استأنف أعماله و نشاطاته.

بدء حركه السربداريين انتفاضه فى ولايه بيهق

لقد ذكرنا أن الانتفاضه فى خراسان الغربيه بدأت من تلقاء نفسها و دون أن يشير بها الشيخ حسن الجورى. فان حادثا بسيطا عبرا فى منطقته القاده الأتراك و المغول، و هو أن أسلوبا غير لائق بدر من أحد المغول فى إحدى القرى قد أدى إلى نفاذ صبر القرويين و أثار عاصفه كان قد مهد لها منذ مده.

و يختلف المؤرخون الذين ينقلون أبناء هذه الحركه فى المبادئ، و لكنهم يتفقون فى الرأى و القول: بان الحركه بدأت من قريه باشتين من قرى بيهق بالقرب من سبزوار.

و يروى "المجمل الفصيحي" حادث قريه باشتين أكثر تفصيلا من المصادر الأخرى و يقول: إن خمسه من أفراد طائفه المغول نزلوا فى دار حسين حمزه و حسن حمزه - من أهالى قريه باشتين - و طلبوا منهما الخمر و الوجه الحسن، و أصروا على طلبهم و أساءوا إليهما. فجاء أحد الأخوين بكميه من الخمر و بعدر.

١- جور - محله من أعمال مدينه نيسابور.

أن شرب المغول الخمر سكروا و طلبوا الوجه الحسن، و بلغت الفضيحة إلى درجة أن طلبوا عورتيهما. فقال الإخوان: يكفى ما تحملناه من العار، فلترفع رءوسنا فوق المشنقه فسلا سيفهما و قتلنا- المغول الخمسه و خرجا من البيت و قالوا إننا نسلم رأسينا للمشنقه و هكذا بدأت الانتفاضه.(1)

و يقول حافظابرو في كتابه... كان الأغلبيه من الأهالى فى قريه باشتين من أعمال ولايه بيهق قد أصبحوا من مريدى الشيخ حسن، و لهذا كانوا منذ مده قد استعدوا للانتفاضه... و من أجل أن نعرف مدى أهميه عمله هذين الأخوين الشيعيين مريدى الشيخ حسن الجورى فى قتل الأفراد المغول الفاسدين الظالمين، و خروجهما من البيت بفخر و اعتزاز، و الإعلان بصوت عال " أننا نسلم رأسينا للمشنقه "، يحسن بنا أن نقرأ الأسطر أدناه الذى أشار إليها العالم الروسى فى ذيل كتابه: " يشير رشيد الدين فى كتابه جامع التواريخ إلى اعتداءات أفراد المغول المتكرره (الذين كانوا يدخلون القرى و يقيمون فيها) على نواميس و أعراض النساء، و يقول على لسان عمده إحدى القرى " إنه بعد مرور عده أعوام سوف لا نجد طفلا حلالا و إن ما سيبقى سيكون من اللقطاء و أبناء الحرام أولاد الأتراك و الهجناء.

أول أمير فى سلالة السربداريينعبد الرزاق العلوى السبزوارى

تلقى الخواجه علاء الدين هندو وزير حاكم خراسان نبا مقتل خمسه من أفراد طائفه المغول على أيدي شقيقين من مدينه سبزواري، بتلك البساله و الجرأه اللتين لا مثيل لهما فى ذلك العصر و فى هذه الأيام وصل إلى قريه باشتين المدعو عبد الرزاق و هو نجل أحد الملاكين المحليين، و قد تزامن مجيئه مع قدوم رسول من جانب الخواجه علاء الدين هندو، لاستدعاء حسن حمزه و حسين حمزه.

فطلب الموفد المذكور الأخوين المذكورين لمعاقبتهما بسبب قتلها خمسه من المغول. فرد عليه عبد الرزاق عمده القريه قائلا: قل للخواجه إن أفراد طائفه المغول قتلوا لأنهم ارتكبوا الفضائح.

فلما عاد الرسول إلى علاء الدين هندو و أبلغه بالجواب، غضب علاء الدين و أرسل مائه من أفراده لاستدعاء الشقيقين و اعتقالهما. فراجعوا عبد الرزاق لهذا الأمر، فخرج عبد الرزاق من القريه و حارب أفراد علاء الدين و هزمهم ثم أخذ يستعد للحرب فجمع أهالى قريه باشتين و ثار بهم.

كما شوهد مرارا فى القرون الوسطى، فان هذه الانتفاضه التى قام بها القرويون لم يكن يتزعمها أو يقودها زعيم وطنى حقيقى، بل تزعم الحركه شاب كان ابن ملاك القريه - الخواجه جلال الدين فضل الله الباشتينى - كان من عائله غنيه عريقه و يصل نسبه الأبوى إلى الامام الحسين بن على. فى القرن الرابع عشر الميلادى لم يتم ساده باشتين إلى طبقه الإقطاعيين و لكن كانت لهم مكانتهم بين أعيان المنطقه فى ولايه بيهق.

و يقول دولت شاه فى كتابه حول عبد الرزاق ما يلى:

" كان عبد الرزاق فى البدايه من جماعه السربداريين و هو ابن الخواجه فضل الله الباشتينى الذى كان فى الحقيقه من حاشيه ملك جوين. و باشتين قريه من أعمال مدينه سبزواري.. و كان عبد الرزاق شابا شجاعا طويل القامه حسن المنظر".

و على هذا فان سلالة جماعه السربداريين هي من سلالة الامام الحسين (ع).. فانضم عبد الرزاق إلى جانب القرويين بعزم راسخ بعد أن اطلع على الأحداث التي مرت على مسقط رأسه و دعاهم إلى الانتفاضه على رجال المغول. إن هذا القرار كان هينا و بسيطاً على عبد الرزاق، لأنه لم تكن تربطه بعد هذا مع الايلخان أيه صله، و لم يكن يفقد شيئاً. إن هذا الشاب كان يأمل أن يقوم بحركته بالتعاون مع القرويين فيستولى على إقليم واسع.

و يقول المؤرخون: إن جماعه من القرويين الأبطال المسلمين اختاروا عبد الرزاق قائدا عليهم بسبب قدرته البدنيه و شجاعته اللتين اشتهر بهما. و قد اختار المنتفضون كلمه "السربداريين" لأنفسهم، إن روايه المؤرخين التي تشير إلى تاريخ جماعه السربداريين تقول إن هذه العبارة تعنى "المحكومين عليهم بالشنق"، "اليائسين" "غير المعفو عنهم" (٢) و يبررون ذلك بقولهم: إن المنتفضين كانوا يقولون: "إن جماعه من المفسدين الذين سيطروا على الناس يظلمون الأهالي، فإذا وفقنا الله فسنتضى على الظالمين و ظلمهم، و فى غير هذه الحاله نفضل أن نشنق لأننا لا نتحمل الظلم و العدوان أكثر من هذا".

و تعتقد أغلبه المصادر الموجوده أن انتفاضه باشتين قامت فى الثانى عشر من شهر شعبان سنه ٧٣٧. و أن علاء الدين محمد هندو وزير حاكم خراسان أرسل ألفا من فرسانه المسلحين للقضاء على الانتفاضه إلا أن القرويين سحقوا قوات علاء الدين و أرغموها على الهزيمه، و أن المنتفضين قرروا القضاء على علاء الدين محمد هندو نفسه.

فهرب مع ثلاثمائة من رجاله من "فريومد" إلى أسترآباد التي كانت مقر الأمير الشيخ على حاكم خراسان، إلا- أن جماعه السربداريين لا-حقوه و وصلوا إليه و اعتقلوه و قتلوه بالقرب من منطقه كبود جامه الجبلية فى كركان. ثم استولت جماعه السربداريين على أموال و خزائن علاء الدين محمد هندو و تقاسموها بينهم. و كانت قوات جماعه السربداريين تتألف آنذاك من سبعمائه رجل مسلح. و يقول ظهير الدين المرعشى فى كتابه: إن جميع الأحرار انخرطوا فى جماعه السربداريين و كانت نشاطات هذه الجماعه تقتصر فى البدايه على حروب غير نظاميه ضد الإقطاعيين المغول الكبار أو أنصارهم. و يقول ابن بطوطه الذى كان قد سمع الكثير من الحكايات عن جماعه السربداريين من معارضيههم، كان سبعة قادة أبطال على رأس جماعه السربداريين فى البدايه:

مسعود (وجه الدين مسعود، شقيق عبد الرزاق) محمد (ربما المقصود هو أى تيمور محمد، مملوك مسعود) و خمسة من رفاقهما.

و كانت وجهه نظر ابن بطوطه حول جماعه السربداريين الشيعه غير طبيعيه بسبب تعصبه للسنه إلا أنه يقول عنهم "إن نظام العداله كان ساريا عندهم إلى درجه كانت النقود الذهبيه و الفضييه ملقاه على الأرض فى مخيماتهم و لا يمد أحد منهم يده لالتقاطها حتى ياتى صاحبها و يلتقطها...".

إن جماعه السربداريين سيطرت على بقية المدن المجاوره أيضا، و يقول خواند مير لم يكن فى جميع أنحاء ولايه بيهق من يجرؤ على الوقوف بوجه جماعهم.

١- من هنا أطلق اسم (السربداريين)، و معناه: المشنوقون.

٢- أى المستضعفين حسب ما جاء فى القرآن الكريم.

السربداريين. لقد سيطرت الجماعه على مدينه سيزوار دون أن تواجهه أيه مقاومه. و يقول مير خواند في كتابه: إن قاده الجيش في سيزوار سلموا أنفسهم إلى جماعه السربداريين، و كان في مدينه سيزوار حصن منيع اتخذته هذه الجماعه مركزا لقيادتها و قاعده لدولتها الجديده، لقد سيطرت الجماعه على مدن جوين و أسفراين و جاجرم و بيارجمند. و أطلق عبد الرزاق كلمه الأمير على نفسه. و كما يقول خواند مير في كتابه "تربيع على كرسى الحكم و قرئت الخطبه باسمه و ضربت له النقود". و ساد مذهب الشيعه.

وجيه الدين مسعود

توفى عبد الرزاق أول أمراء السربداريين سنه ٧٣٨ و خلفه شقيقه وجيه الدين مسعود أميراً على الجماعه. فتمكنت الجماعه بقياده وجيه الدين مسعود من القضاء على عساكر كبار قاده المغول و الأتراك و أقطاب الإقطاعيين المحليين، الذين كانوا قد التحقوا بالمغول و ذلك في الفتره من سنه ٧٣٩ إلى سنه ٧٤٥، فعقد أمراء خراسان الذين كان يترأسهم أرغون شاه جاني قرباني اجتماعاً أقنعهم فيه أرغون شاه بضروره القضاء على جماعه السربداريين، و في غير هذه الحاله فان الحياه ستكون محرمه عليهم، خاصه و أن مريدى و أنصار الشيخ حسن الجورى قد ازدادوا كثيراً. و قد قرر الأمراء إرسال ثلاث فرق من العسكر إلى ضواحي مدينه نيسابور على أن تصل هذه الفرق الثلاث في اليوم و الساعه المحددتين إلى هناك و تتلاحق معاً، و تهاجم أفراد جماعه السربداريين و لكنهم لم يطبقوا هذا القرار نظراً للغيره الموجوده بينهم و بالرغم من أن هذه الفرق وصلت في يوم واحد إلى نيسابور، إلا أن ساعات وصولها كانت مختلفه مما سهل على جماعه السربداريين القضاء عليهم، و الحصول على غنائم كثيره.

لقد حاول الأمير أرغون شاه عبثاً أن يخرج الخوف و الرعب من جيوشه، و يمنعهم من الهزيمه. و لكن في النهايه اضطر هو أيضاً إلى الهرب. و تعتبر المصادر الإيرانيه هذا اليوم، بيوم انتصار الايرانيين على الأتراك، يعنى سكان الباديه من المغول و الأتراك.

يبدو أن رئيسين كانا يحكمان في حكومه جماعه السربداريين: أحدهم عالم ديني أى الشيخ حسن الجورى، و الآخر سياسى أى السلطان وجيه الدين مسعود. و لا شك أن هذا الأمر كان بسبب صيت الشيخ و اشتهاره.

و كان الشيخ حسن الجورى و وجيه الدين مسعود يعملان معاً في البدايه و لكن سرعان ما حصل الخلاف بينهما كما كان متوقعاً... و لم يخف الخلاف الداخلى على أعدائهم. فأرسل الأمير محمد بيك بن الأمير أرغون شاه رساله إلى الشيخ حسن الجورى تنبأ فيها بسقوط الأمير مسعود العاجل، و طلب من الشيخ عدم مساعدته جماعه السربداريين.. إلا أن الخلافات الداخليه في هذه الجماعه لم تمنعهم من العمل المشترك. و أرسل طوغاى تيمور آخر رؤساء المغول موفداً إلى الشيخ حسن و وجيه الدين مسعود و أمرهم بالانقياد إليه..

فبعث الشيخ رساله إلى طوغاى تيمور جاء فيها:

"يجب على الملك و علينا أن نطيع الله عز و علا- و أن نعمل حسب آيات القرآن المجيد. و كل من يخالف هذا الأمر يكون متمرداً و عاصياً، و يجب على الآخرين محاربتة و القضاء عليه. إذا عاش الملك حسب ما أمره الله و رسوله (ص) فاننا سنتبعه و في غير هذه الحاله فالسيف يكون الفاصل بيننا و بينه..." و لا ننسى أن جماعه السربداريين كانت تعتبر أمراء المغول و رؤساءهم

ظالمين بالرغم من قبولهم الإسلام. لأن الشريعة المغولية كانت لا تزال سارية المفعول بينهم ولأنهم كانوا يقومون بجباية الضرائب و الرسوم خلافا للقرآن و الشريعة الإسلامية، و أن هؤلاء كانوا قد غضبوا رئاسه المجتمع الإسلامى بغير حق.

و أن مقاومه هؤلاء كانت جائزه حسب قوانين الشرع الإسلامى.

توجه طوغاى تيمور خان مع عساكره من مغول الباديه لمحاربه جماعه السربداريين و ذكر مير خواند فى كتابه أن عدد عسكر طوغاى تيمور كان يقدر بسبعين ألف رجل، و يبدو أن هذا العدد كان مبالغا فيه.

"توجه الشيخ حسن و الأمير مسعود على رأس جيش من ثلاثه آلاف و سبعمائه رجل، و كل واحد منهم يعتبر نفسه بطلا أسطوريا، توجهوا إلى مازندران و جعلوا من ضفاف نهر كر كان مخيما لعسكرهم. و أرسلوا مبعوثا مؤكدا ل طوغاى تيمور ضروره العمل بما أمر الله سبحانه و تعالى، لانهاء الحرب و حقن الدماء، و من تمرد و طغى فسيرى نتيجة سوء عمله.."

فأجاب طوغاى تيمور قائلا:

"...أنتم جماعه من القرويين تريدون التامر علينا و خداع الشعب.. و انتهت الحرب بانتصار السربداريين الكامل.. فتشتت عساكر المغول، و هزموا مع طوغاى تيمور نفسه.. و قد ذكر المؤرخون تاريخ هذا الانتصار سنه ٧٤٢ أو سنه ٧٤٣ و بعد هذا الانتصار الباهر حاولت جماعه السربداريين بسط هيمنتها على جميع أنحاء خراسان.

كان المفروض على الشيخ حسن و الأمير مسعود تلبية طلبات عامه الشعب و الدخول فى الحرب مع أكبر أمراء الاقطاع فى خراسان و هو معز الدين حسين كرت ملك هرات. و كان معز الدين آنذاك مستقلا و حليفا و صديقا ل طوغاى تيمور خان المغولى. فجهزت جماعه السربداريين جيشا مؤلفا من عشره آلاف مقاتل. و كان هذا الهجوم مهما جدا لمستقبل الجماعه إذ كان الهدف منه تحرير جميع أنحاء خراسان من هيمنه المغول.

استشهاد الشيخ حسن الجورى

إلا أن آمال السربداريين لم تتحقق ففى الثالث عشر من شهر صفر سنه ٧٤٣ و على مسافه فرسخين من مدينه "زاوه" اندلعت الحرب بينهم و بين عسكر الملك معز الدين حسين كرت. و كان ملك هرات قد جهز جيشا يقدر بثلاثين ألف مقاتل من التاجيك و الغور و المغول و الخلج و البلوش.

و كان الانتصار حليف السربداريين فى بدايه الحرب، إلا أن الشيخ حسن الجورى قتل فى الحرب فجاه. فألقت وفاته الرعب بين الجماعه و تناثرت صفوفهم و فشلوا و انهزموا. فأسر رجال ملك هرات عددا من أفراد جماعه السربداريين و أمر بقتلهم جميعا عدا الشاعر ابن يمين. و يبدو أن عدد الأسرى كان أربعه آلاف رجل. و يقول ابن بطوطه: إن السمنانيين، أى أمير سمنان قد هاجم جماعه السربداريين من الغرب مما سهل انتصار ملك هرات عليهم.

و يقول حافظابرو: إن الدراويش و أنصار الشيخ حسن يعتقدون أن الأمير مسعود كان له الضلع فى اغتيال الشيخ حسن الجورى و كان هذا الأمر بتأييد منه.

١" و فى تلك الحرب بينهم و بين الملك، استشهد الشيخ حسن بامر من الأمير مسعود و بسيف أحد أفراد جماعه السربداريين".

و يقول دولت شاه فى كتابه: "إن الخواجه مسعود أمر شخصا بانزال ضربه على الشيخ حسن" و فى كتاب - نكارستان غفارى - الذى تم تأليفه بعد مده طويله من اغتيال الشيخ حسن، جاءت هذه الروايه و أن مؤلف الكتاب ادعى بان الرجل الذى أنزل ضربه على الشيخ حسن هو من جماعه السربداريين و يدعى نصر الله الجونى...

يعترف المؤرخون جميعهم بان جماعه السربداريين كانوا هم المنتصرين، إلا أن وفاه الشيخ حسن أسفرت عن ارتباكهم و بالتالى هزيمتهم. و تعذر على السربداريين بعد هذه الهزيمه جمع شملهم فى خراسان الشرقيه فكانوا دائما فى خوف و ارتباك من عدو قادر و هو ملك هرات من سلاله كرت، فى شرق أراضيهم.

و وقع الشاعر الايرانى المعروف ابن يمين الذى كان قد انخرط فى جماعه السربداريين أسيرا بايدى ملك هرات.. و لكنه انتهز بعض الفرص و هرب من السجن و التحق ثانيه بجماعه السربداريين.. و توفى فى الثامن من جمادى الثانيه سنه ٧٦٩. ثم جهز وجيه الدين مسعود فى الأيام الأخيره من حكومته جيشا لغزو مازندران.. و تمكنت جماعه السربداريين من احتلال مدينه آمل أكبر مدن مازندران. إلا أن أحد الأمراء الإقطاعيين فى منطقه رستمدار نصب لهم كمينا داخل غابات المنطقه و حاصرهم و قتل عددا منهم و اعتقل عددا آخر بما فيهم وجيه الدين مسعود. ثم أمر حاكم ولايه رستمدار بقتل وجيه الدين مسعود. و كانت هذه الهزيمه فى شهر ربيع الثانى سنه ٧٤٥. إلا- أن هاتين الهزيمتين العسكريتين لم تقضيا على حكومه السربداريين. و استلم زمام الحكم بعد موت وجيه الدين مسعود عشره من كبار الجماعه واحدا تلو الآخر كان بعضهم ينتسب إلى الجناح الاعتدالى و البعض الآخر إلى الجناح المتطرف.

شمس الدين على

هو أول حاكم يتزعم السربداريين بعد وفاه وجيه الدين مسعود و لا يحمل لقب السلطان لأن لطف الله بن وجيه الدين مسعود الذى كان صغيرا حين وفاه والده هو الذى يجب أن يخلف أباه، و كانوا يعرفونه بأنه ولى العهد و كانوا يلقبونه ب - ميرزا.. و كان الخواجه شمس الدين على أكبر و أبرز الحكام فى جماعه السربداريين.. يقول دولت شاه فى كتابه: "... إن الناس كانوا مرفهين و كانوا يعيشون بسعاده و كفاف.. و يقال إنه كان يدفع الديون نقدا و فى الحال..." كانت حياته بسيطه جدا.. و كان يسير فى الطرقات و معه واحد أو اثنين من الملازمين له، و كان بإمكان جميع الناس الاجتماع به و مقابلته.

و بالرغم من الأوهام التى كانت موجوده بين الايرانيين، فإنه لم يكن يستنكف من الجلوس مع غسالى الأموات و معاشرتهم، و هم كانوا من طبقه البؤساء و المحرومين و البائسين فى المدن. كان يلاحق الذين كانوا يعيشون بالبذخ و يبدو أن هذا الأمر كان من أجل الدراويش. لقد منع شرب الخمر و استعمال الأفيون. بحيث أصبح فى مدينه سبزوار: "لا يجزئ أحد أن يذكر كلمه الخمر و الأفيون..."

و كانت حكومه السربداريين فى عهد شمس الدين على فى غايه من القوه بحيث اكتفت حكومه طوغاى تيمور باقليمها فى كركان و مازندران، و كان الملك معز الدين حسين كرت فى هرات يخاف منهم.

خاضت جماعه السربداريين حربا مع أرغون شاه جاني قرباني في عهد الخواجه شمس الدين على و حاصرت مدينه طوس و كانت على وشك الاستيلاء على المدينه، إلا أن هذه الجماعه عدلت عن محاصره طوس من أجل مواجهه الهجوم الذى كان قد عزم الملك معز الدين حسين كرت ملك هرات عليه: قتل الخواجه شمس الدين على بعد حكم دام خمسه أعوام على أيدي خادمه المدعو حيدر القصاب، و كان جابيا للضرائب.

يحيى الكرابى و انهيار سلاله طائفه هولاکو

كان يحيى الكرابى من أهالى قريه كراب من أعمال بيهق و هو خادم وجيه الدين مسعود و من ملازميه الأقربين.. و لكنه كان أكثر حزما و احتياطا من وجيه الدين مسعود. و كان يجلس حول بساط كرمه الغنى و الفقير معا، و لما كانت منطقه طوس و مشهد و ضواحيهما قد دمرت تماما بسبب الاجراءات الوحشيه التى كان قد مارسها أمراء جاني قرباني، فقد قامت جماعه السربداريين بمشاريع عمرانيه فى تلك المناطق بعد تحريرها.

و يقول دولت شاه فى كتابه: "بدأت جماعه السربداريين باعاده بناء ما كان قد دمره عسكر جاني قرباني فى طوس و أعادت تعمير القنوات فى ولايتى طوس و مشهد..".

إن من أهم الخدمات التاريخيه التى قامت بها جماعه السربداريين و التى لا تنكر: هى القضاء على ما تبقى من حكمه سلاله طائفه هولاکو، و كان ذلك فى عهد حكمه يحيى الكرابى.. بتاريخ السادس عشر من شهر ذى القعدة سنه ٧٥٤ و بذلك ثم القضاء على آخر معقل لحكمه المغول سلاله طائفه هولاکو و ذلك على أيدي هذه الجماعه و مما لا شك فيه أن السربداريين بتدميرهم و كسر الوحوش و معقل قطاع الطرق و السارقين قد قاموا بعمل بطولى كبير بارز. فقد أصبحت ولايه كركان و مدينه أسترآباد فى حيازتهم، و امتدت دولتهم من سواحل جنوب شرق بحر الخزر حتى مدينتى طوس و مشهد.

إلا- أن انهيار حكمه الايلخان لم يؤد إلى انهيار سلطه المغول فى جميع أنحاء إيران و الدول المجاوره، حيث كانت الآداب و أساليب الاداره المغوليه ما زالت قائمه فى الحكومات الاقطاعيه فى الشرق الأوسط.

على بن المؤيد

استمرت حكمه على بن المؤيد أكثر من غيره من أمراء جماعه السربداريين و يقول عنه دولت شاه فى كتابه " كان متعصبا فى مذهب الشيعه أكثر من أسلافه.. " و قد أمر بضرب النقود " باسم أئمه الشيعه الاثنى عشر. و كان يحترم الساده و رجال الدين احتراما خاصا.. و يقول دولت شاه فى كتابه أيضا:

"كان الناس مرتاحين فى عصره و كانت الضرائب التى يأخذها من الناس لا تزيد عن ثلاثه فى العشره و كان يعتبر نفسه عمده القرية و كانت ملابسه التى يلبسها بسيطه كان يجلس حول بساطه الخاص و العام متساويين و كان يوزع ما فى داره فى رأس كل سنه جديده، و كان يتجول فى الليالى فى الأزقه و المحلات و يعطى النساء الأرامل المال و الطعام.

منتصرا و قد استقبله على المؤيد فابقاه تيمور، في بلاطه و أكرمه، و اعترف بسطانه و لكن لم يسمح له بالعودة إلى سبزوار، إلى أن أمر بقتله سنة ٧٨٨.

و بعد وفاه على بن المؤيد قام أهالي مدينه سبزوار الأبطال الذين صعب عليهم قبول سلطه الملك و الأتراك بدلا من حكمه أمراء جماعه السربداريين، فقاموا في سنة ٧٨٥ بانتفاضه عامه بقياده الشيخ داود السبزوارى لإحياء حكمه جماعه السربداريين، إلا أن تيمور توجه إلى سبزوار حالا و حاصر المدينه، و تعذر على الأهالي مجابهه حكمه تيمور المقترده، و انتهت الانتفاضه بالفشل و الهزيمه.

و بالرغم من الدفاع البطولى عن المدينه، إلا أن مدينه سبزوار استسلمت فى بدايه شهر رمضان سنة ٧٨٥ و دخلت عساكر تيمور إلى المدينه. و قام تيمور بمذبحه رهيبه و أمر بدفن ما يقارب من ألفين من المشاركين فى الانتفاضه أحياء فى جدار أحد الأبراج.. إلا أن هذه المذبحه لم تؤثر فى معنويه أهالي مدينه سبزوار، و لم تقلل من عزيمه هؤلاء الناس، الذين كانوا يطالبون بالاستقلال، و كانوا مفعمين بمعنويه ممتازه عليه.

و بعد وفاه تيمور (ينه [سنه] ٨٠٧) ثارت جماعه السربداريين فى سبزوار و ضواحيها ضد السلطان شاه رخ بن تيمور، و انتخبت أحد أحفاد وجيه الدين مسعود سلطانا لها. و لكن تمكنت عساكر شاه رخ بصعوبه من القضاء على هذه الثوره.

إن انتفاضات و ثورات جماعه السربداريين ضد تيمور و أولاده قد تكون مواضع لدراسات منفصله لا مجال للبحث فيها هنا.

نتيجه حركه السربداريين و خلفيات هذه الحركه

كانت حركه السربداريين أول ثوره أو انتفاضه سياسيه و عسكريه شيعيه فى نطاق حكمه الايلخان المغول و أتراك البادية.

و الأمر الآخر هو أن جماعه السربداريين أرادوا استغلال [استقلال] نفوذ الصوفيه لتمشيه أمورهم. و هذا ما فعله الشيخ خليفه و الشيخ حسن الجورى و بعض قاده الجماعه ذلك الأمر الذى فعله الصفويون فيما بعد إن على بن المؤيد بعد تثبيت دعائم حكومته. وجد أن الصوفيين و الدراويش يريدون السيطرة على الأمور، و أن هذا العمل قد يزعزع أسس المدرسه الشيعيه، و من أجل ذلك فقد أراد الاستفاده من فقهاء الشيعه لقياده الشيعه و إرشادهم فى بلاده و توسيع نطاق التشيع الحقيقى الذى كان مذهب أبناء الإقليم.

حول رساله على بن المؤيد

لم يعرف متى حرر على بن المؤيد رسالته و متى أرسلها إلى الشهيد الأول، فقد تسلم على بن المؤيد السلطه فى سنة ٧٦٦ و عزل سنة ٧٨٣ بامر من تيمور.. و كانت مده حكمه سبعة عشر عاما.

إن الشهيد الأول رفض دعوه على بن المؤيد، و ربما كان الرفض بسبب عدم رغبته فى ملازمه البلاط و الجهاز الحكومى. (١) و لكنه و كما سنشرح فقد ألف كتاب (اللمعه) و هو من أشهر كتب الفقه لدى الشيعه، و أرسله إلى على بن المؤيد إلى سبزوار ليعمل به أهل العلم من الشيعه و يدرسون على أساسه و يفتون بموجبه و يربون شيعه خراسان على أساس نظريه التشيع الأصيله و

المدرسه الجعفریه العریقه لقد استشهد الشہید الأول سنه ٧٨٦، و كان علی بن المؤید ما زال حیا حیث قتل سنه ٧٨٨ بامر من تیمور. و یقول الشہید فی بدایه کتاب (اللمعه) فی سبب تألیفه "لقد کتبه تللیه لطلب أحد المتدینین".

و بعد مرور مائه و خمسین سنه علی تألیف کتاب " (اللمعه) ألف زین الدین علی بن أحمد العاملی الجعی مواطن الشہید الأول و المعروف بالشہید الثانی کتابا فی شرح کتاب اللمعه أسماء "شرح اللمعه" یدرس منذ ذلك التاريخ و حتی یومنا هذا فی جمیع حوزات الشیعہ العلمیه. و هو کتاب یحتوی علی دوره کامله من فقه الشیعہ. تم تألیفه من قبل اثنین من فقهاء الشیعہ الکبار و هما من أهالی جبل عامل و استشهدا بتهمه التشیع و فی سبیل اعتقادهما.

أما الشہید الثانی المقتول فی سنه ٩٦٦ فیقول فی شرح کلمه الشہید الأول: "کتبه تللیه لطلب من أحد المتدینین" أن المقصود بذلك هو شمس الدین محمد الآوی من أصحاب السلطان علی بن المؤید سلطان خراسان و ضواحيها آنذاك. إلى أن استولى تیمور لنک علی دوله علی بن المؤید فأخذه معه قسرا إلى أن توفي حوالی سنه ٧٩٥ أى بعد تسع سنوات من استشهاده الشہید الأول.

كانت الصداقه و المراسله قائمه بین شمس الدین محمد الآوی و المصنف (الشہید الأول) و كان شمس الدین محمد الآوی یرسل الرسائل و الطرود أولا إلى العراق، ثم من هناک ترسل إلى الشہید فی بلاد الشام.

و قد احتفظ شمس الدین محمد الآوی بالنسخه الأصلیه لکتاب "اللمعه" لأنها كانت بخط الشہید نفسه و بما أن أحدا لم یر کتاب و لم یعرضه شمس الدین محمد الآوی علی أحد، لم یتمکن أحد من أن یستنسخ نسخه منه.

و لكن أحد الطلاب (و کتب علی هامش اللمعه أن هذا الشخص اسمه شمس الدین الزابلی) أخذ الکتاب من حامله فی الطريق و استنسخ منه نسخه. و لما علم بأنه کتاب ثمین، لم تکن لده (أی لدى شمس الدین الزابلی) الفرصه الکافیه لمطابقته مع النسخه الأصلیه، حیث كان علی سفر. و لهذا السبب توجد فی بعض الأغلاط. و لما كان شمس الدین الزابلی قد سافر إلى جانب المؤلف (الشہید الأول)، فان الشہید صحح الأغلاط الموجوده. و لهذا السبب قد تكون النسخه الثانیه تختلف فی عباراتها مع النسخه الأصلیه التي كانت عند شمس الدین محمد الآوی.

كان تألیف الکتاب و إرساله إلى محمد الآوی فی سنه ٧٨٢.

بعض الملاحظات:

نستنتج بعض الملاحظات مما کتبه الشہید الثانی.. و هی: ی.

ص: ١٨٢

١- یقول حسن الأمين تعلیقا علی ما کتبه الکاتب عن سبب امتناع الشہید عن تللیه دعوه علی بن المؤید: إن السبب الأساسی هو أن بلاده نفسها كانت باشد الحاجه إلیه، إذ لم تکن بعیده العهد عن الاحتلال الصلیبی، و لم یکن قد مضى زمن طویل علی

جلاء الصليبيين عن جبل عامل، بالرغم من ان العاملين خلال الاحتلال الصليبي لبلادهم لم يتقطعوا عن طلب العلم، بل كان لهم
تدريسهم، ولكنه كان تدريسا محدودا لا يمكن أن يخرج علماء. فكان على الشهيد أن ينصرف أولا للعنايه بوطنه، و لم يكن
يستطيع أن يترك وطنه المحتاج إليه ليذهب إلى المكان القصي.

١ - من المحتمل جدا أن رساله علي بن المؤيد كانت بخط شمس الدين محمد الآوى، و هو من رجال الدين و من أدباء الشيعة، و كانت له منزلته لدى علي بن المؤيد.

٢ - إن الشهيد كان مولعا بشمس الدين محمد الآوى، أكثر مما كان عليه بالنسبه لعلي بن المؤيد، لأن شمس الدين الآوى كان رجلا عالما و متقيا و لم يكن كذلك علي بن المؤيد الذى كان أميرا، لأن الأمراء مهما كانوا مسلمين و مؤمنين، فإنهم فى النهايه حكام. و أن الحاكم يفعل أعمالا بعيدة عن الالتزام الدينى.

٣ - الحقيقه هى أن الشهيد ألف كتاب (اللمعه) من أجل شمس الدين محمد الآوى، ليستنسخ منه و يقوم بتدريسه و يوزعه بين أبناء الشيعة فى منطقه خراسان و لم يؤلفه من أجل علي بن المؤيد.

٥ - بالرغم من أن علي بن المؤيد هو الذى وقع ذيل الرساله المرسله إلى الشهيد، إلا أنه يبدو أن الدافع لارسالها و كتابتها هو شمس الدين محمد الآوى، لأنه كان يريد أن يأتى بأكبر فقهاء الشيعة فى ذلك العصر إلى خراسان لنشر المذهب الشيعى بعلمه و ثقافته و تقواه و فضيلته فى دوله جماعه السربداريين.

٦ - إن السبب فى عدم الاستنساخ من كتاب "اللمعه" من قبل شمس الدين محمد الآوى أو علي بن المؤيد و توزيعه فى منطقه خراسان و دوله جماعه السربداريين هو أن الكتاب وصل إلى علي بن المؤيد عشيه انهيار حكومته و لم تمض أيام حتى استولى تيمور لنگ علي دولته و تغير كل شىء، حيث قلنا عن لسان الشهيد الثانى، إن تأليف كتاب "اللمعه" كان فى سنه ٧٨٢ و إن انهيار دوله جماعه السربداريين على أيدي تيمور كان فى سنه ٧٨٣، أى بعد سنه واحده. و لسنا ندرى كم شهرا و كم يوما استغرق وصول الكتاب إلى شمس الدين الآوى و علي بن المؤيد، و كم من الزمن بقى الكتاب عندهما.

السيد علي باليل الحسينى الجزائرى الدورق.

اشاره

(١) قال حفيده السيد هادى بن السيد ياسين:

توفى سنه ١١٠٠ و نيف: كان الأمير باليل والد السيد علي من أجل أمراء السيد مبارك بن السيد مطلب الحويزى المشعشى حاكم الحويزه المتوفى (١٠٢٦ هـ)، و له مواقف مشهوره فى أحداث و وقائع حكومه السيد مبارك. و بعد وفاه السيد مبارك اضطربت الأحوال فى الحويزه و اختلت الأمور و تفرق الساده و الأمراء و المشعشعون، فأم حسن آغا حاكم العرجه و الجوازر (٢) سبعين فارسا من مشعشى الحويزه أحدهم الأمير باليل. (نقلا عن كتاب الرحله الحجازيه مع التلخيص).

و هكذا انتقل الأمير باليل والد السيد علي من الحويزه إلى منطقه العرجه و الجوازر فى عشره الثلاثين بعد الألف للهجره و علي هذا يكون السيد علي قد نشأ فى تلك المنطقه (الجوازر و الجزائر) ثم إننا نجده مقيما أيام كهولته فى الجزائر معاصرا للسيد أبى معتوق شهاب الدين الموسوى الحويزى، و من أعيان حكومه حسين باشا بن علي باشا الديرى حاكم البصره و الجزائر (١٠٧٨ - ١٠٥٧ هـ)، و فى سنه ألف و ست و سبعين هجره لما تظاهر حسين باشا المذكور بالعصيان على الدوله العثمانيه سيروا عليه جيشا

قوامه ثمانون ألف مقاتل بقيادة إبراهيم باشا، فحاصروا البصره و الجزائر ستة أشهر، و كان حسين باشا صامدا حتى ضاق صدر إبراهيم باشا، و أخذ يوجه المدافع إلى القلعه المتحصن بها حسين باشا، و شرع بالرمى من طلوع الشمس إلى وقت الزوال فلم تعمل فى تلك القلعه فرأى إبراهيم باشا المصلحه بالصلح فأرسل إلى حسين باشا بذلك، فوجه حسين باشا جماعه من أعيانه و فى جملتهم السيد على بن باليل إلى إبراهيم باشا للمذاركه [للمذاكره] فى الصلح، و انتهى الأمر بفك الحصار و عوده الجيش العثمانى إلى اسطنبول، و فى سنه (١٠٧٨ هـ) حاصر الجيش العثمانى البصره و الجزائر مره أخرى و أدى الحصار إلى هزيمه حسين باشا و فرار الأهالى. (عن كتاب الرحله الحجازيه للمولى على خان بن عبد الله

ص: ١٨٣

١- الجزائرى نسبه إلى الجزائر بالجيم و الزاء المعجمتين المفتوحتين ثم الألف ثم الراء المهمله، كانت تسمى فى صدر الإسلام البطائح و هو جمع - بطيح و بطحاء، قال الحموى: يقال تبطح السيل إذا اتسع فى الأرض و بذلك سميت بطائح واسط، لأن الماء تبطحت فيها أى سالت و اتسعت و هى أرض واسعته بين البصره و واسط كانت قديما قرى متصله و أرضا واسعته. قال العلامة الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى القبانى فى كتابه (شرح زاد المسافر و المقيم) الخطى الموجود فى مكتبه سبها لار بطهران قال فى تعريف الجزائر: هى علم لمواضع كثيره منها قريه بنى منصور و بئر حميد و نهر عنتر و هو أكبر مواضعها و قيل يشتمل على ثلاثمائه نهر، و منها نهر صالح و ديار بنى أسد و الفتحيه و القلاع و نهر السبع و الباطنه و المنصوريه و الإسكندريه و مواضع أخرى غير ما ذكرنا، و تنتهى شمالا إلى كوت معمر. و الجزائر تشتمل على عدده طوائف و قرى معمره، و كان أهلها ممن حارب دوله سلطان الروم فانتصروا عليه (فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى) و عصى حاكم البصره و حاكم الحويه فاستقلوا بأنفسهم لوعوره مسالكها و كثره مياهها و شكوه أهلها و الدورقى نسبه إلى الدورق، و هو أحد بلاد خوزستان كان يعرف قديما بدورق الفرس، و هو بفتح أوله و سكون ثانيه و راء مفتوحه بعدها قاف، و فى اللغه (الدورق) إبرىق كبير له عروتان و لا بلبله له، و هو مكيال للشراب، و هى فارسىه معربه) و النسبه هنا إلى الأول قال مسعر بن المهلهل فى رسالته و من رامهرمز إلى الدورق تمر على بيوت نار فى مغازه مقفره، فيها أبنيه عجيبه، و المعادن فى أعمالها كثيره و بدورق آثار قديمه لقباد بن دارا، و بها صيد كثير إلا أنه يتجنب الرعى فى أماكن منها، لا يدخلها بوجه و لا بسبب، و فيه هوام قتاله لا يبرأ سليمها، و بها الكبريت الأصفر و هو يسرج الليل كله، و إذا أوتى بالنار من غير دورق و اشتعل فى ذلك المكان أحرقتة أصلا. و أما نارها فإنها لا تحرقه و هذا من ظرائف الأشياء و عجيبها و قد نسب إليها جماعه من الرواه منهم: أبو الفضل الدورقى و أخوه أبو على الدورقى، و أبو عقيل الدورقى و اسمه بشر بن عقبه (معجم البلدان بالاختصار). أقول و قد اشتهر عن ابن السكيت العالم المنطقى الشهير أنه دورقى أيضا. و الدورق القديم هذا يعرف اليوم ب (شادكان) و يقع على بعد عدده أميال من (شادكان) الذى يعرف بالفلاحيه أيضا.

٢- الجوازى يطلق على ما انحسر عنه المد و الجزر و منها بطيحه الغراف التى تسمى اليوم بلاد الجوازى. و فى (الرحله الحجازيه) أن الجوازى - المسماه بالجواهر هى أرض واسعته و قرى عامره و عربان عظيمه، يحدها من ناحيه البصره الدكه و الحمار. أما العرجه فهى من أراضى المنتفق، و السماوه وحدها (الدراجى) و تعد من العرجه. و العرجه هى أرض واسعته بين المنتفق و السماوه، و تعد من قضاء السماوه. (عشائر العراق للزاوى). و حسن آغا حاكم العرجه و الجوازى قال عنه فى (الرحله الحجازيه) هو المعروف برجل جوخه و هو رومى الأصل بلغ من الحاليتين غايتهن و نهايتهن، و هو السخاء الذى لا يقاس و الشجاعه التى لا توصف، تملكك من الديار من حد الباطنه إلى باب الحل و الجوازى بأجمعها، و كان عنده ثلاثمائه خيال منهم من مشعشى

الحويزه سبعون خيالاً- أحدهم الأمير باليل. و من مراجله أنه ركب عليه كخيه بغداد بعشره آلاف و على باشا (حاكم البصره و الجزائر) بجمع عساكره و السيد منصور خان (حاكم الحويزه) مددا لعلى باشا و حاصروه بالعرجه أربعين يوماً فلم يبلغوا منه شيئاً و بعدها قتلته الروم خديعه عام (١٠٤٩هـ).

الحويزي حاكم الحويزه ١١٢٥ - ١١٢٨ هـ).

و بعد تفرق أهل الجزائر أثر الهجوم الذي مر ذكره نجد السيد على بن باليل يسكن الدورق القديمه، فهي وطنه الثاني و ظل يقطنها حتى توفي. و ظنه السيد شهاب الدين النجفي المرعشي معاصرا لفتيه الشيعه غارس الحدائق الناضره في فقه العتره الطاهره الشيخ يوسف البحراني، و لكنه توفي قبل أن يولد الشيخ يوسف البحراني رحمهما الله. فهو من علماء القرن الحادي عشر لا القرن الثاني عشر.

آثاره العلميه و الأدبيه

له آثار علميه و أدبيه كثيره منها ما لم نعر عليه في الكتب و منها ما لم يطبع.

فمن آثاره الخطيه الموجوده نذكر بعضها:

١ - كتاب المستطاب. قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في (ج ٢١ صفحه ١٠ تحت رقم ٣٦٩١) من موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه كما يلي:

المستطاب (أو شرح كتاب سيويه) الملقب بالكتاب المستطاب في علم النحو مبسوطا للسيد على بن باليل الحسيني الجزائري المتوفى حدود نيف و مائه بعد الألف للهجره فرغ منه قبل سنه ١٠٩٥ هـ و النسخه موجوده في خزانه كتب السيد الحسن الصدر بخط عبد الرضا بن أحمد الجزائري إلى آخر ما ذكره المحقق الطهراني.

٢ - نبذه بنود. تحتوى هذه المنظومه على مائه و ثلاثه و خمسين بنداً (١)، و توجد لدى عدده نسخ خطيه منها، كما طبعت برمتها في كشكول الشيخ يوسف البحراني المتوفى ١١٨٦ هـ.

٣ - قصيده في الحكم اسمها (القلاده):

ذكر المحقق آقا بزرك الطهراني في موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه في جزء ١٧ صفحه ١٦٠ تحت رقم ٨٤٢ ما يلي:

(القلاده) قصيده في الحكم للسيد على بن باليل الحسيني الجزائري - الدورقي مطلعها:

ردى على رقادى أيها الرود على أراك به و البين مفقود

شرحها معاصره الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي القبانى (٢) فسمى شرحها (الاجاده في شرح القلاده) سلك فيه مسلك الصفدى في شرح لاميه العجم للطغرائى.

٤ - قلاند الغيد:

و قد أشار إليه السيد محمد الجزائري في كتابه (نابغه فقه و حديث) الذي مر ذكره، و لعله أول من عرف قراء كتابه المذكور عن

قلائد الغيد للسيد على بن باليل، لأنه ما كان أحد من أعقاب الناظم يعلم شيئا عن هذه القصائد، و حتى الشيخ آقا بزرك الطهراني الذي بذل جهدا كبيرا في سبيل التعرف على مؤلفات الشيعة و آثارهم، فاته أن يذكر شيئا عن هذه القلائد في موسوعته (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) بينما أشار إلى القصيدة الموسومة بالقلاده التي مر ذكرها، و كنت منهمكا في التفتيش عن آثار علمائنا السلف، و خاصة آثار أولئك الذين يمتون إلينا بصله في النسب، فكاتبته أكثر خزائن الكتب الحديثه و القديمه مستفسرا عن تأليف السيد على بن باليل فلم أعثر لها على أثر، و بعد أن حصل لي الياس في شان العثور عليها اتفق لي أن زرت السيد محمد الجزائري في جمادى الثانيه عام ١٣٩٢ في بيته في الأهواز و سألته عما إذا كان قد عثر على قصيده القلاده للسيد بن باليل، فعبّر عن أسفه لعدم عثوره عليها. لكنه أخبرني أنه يحتفظ بكتاب من آثار السيد بن باليل اسمه (قلائد الغيد) و ما إن سمعت منه هذا حتى كدت أطير فرحا لشده اشتياقي إلى مطالعته و تصفحه، فحمدت الله و شكرته على أني كنت أبحث عن قلاده واحده، فمحنني الله سبع قلائد.

نموذج من قلائد الغيد

إلى متى أنت باللذات في شغل أ ما سمعت بفعل الدهر بالأول

أين النجاء من الأرزاء فاغره و الموت يفتر عن أنيابها العصل

ما بال سعيك للدنيا على عجل ملأ الفروج و للأخرى على مهل

قم سابق الموت و اعكس ما منيت به و انهض إلى عمل الأخرى على عجل

ما أعجل النائم المضحى انتباهته و الدهر عجلان قد يدعو على عجل

و ما تصاحي نزييف الجهل من سفه و ما تناهض رب العجز من كسل

و ما أفاق بنو الأيام يوم علا رأس الحسين على الخطيه الذبل

و سار ذو الثغفات الحبر يتبعه مكبلا عمته من على البزل

ما كر أشام من يوم تخوض به بنات أحمد منه في دم هطل

أضحى عيالا عيال السبط بارزه على عيال يزيد في ذرى الكلل

و ما رحلن بامر من يزيد إلى نادى يزيد على قتب و لا رحل

ما كان أقوى أعالي الدهر حين سطى بالطاهرين و لم يرجع على فشل

و كيف ينسى صريع الطف منجدلا تعلقو عليه عواتي الخيل و الذلل

أو كيف يسلى شريف النعل منعفرا بين الخمين شلوا غير منتعل

و تسعه من على حوله ذبحوا و خمسه من عقيل ذبحه الإبل

وا ضيعه الدين و الدنيا بما صنعت بنو أميه بابنى خيره الرسل

ص: ١٨٤

١- البند نوع من الشعر بين النظم و النثر. قال فى (معادن الجواهر و نزهه الخواطر) الجزء الثالث صفحه ٥٨٥ فى تعريف البند: و هو منوال غريب قد يخرج عن أوزان الشعر و قد يوافقها. اخترعه أهل الحويه و فيه قصائد. و فى ما يخص بنود السيد على بن باليل قال الأستاذ عبد الكريم الدجيلى فى كتابه (البند فى الأدب العربى) المطبوع عام ١٣٧٨ هجرى فى بغداد قال: هذه البنود جاءت على وزن مخالف لأكثره البنود التى جاءت على وزن الهزج، و هى من الأدب العرفانى الذى يقل نظيره، و لم أقف مع تتبعى و استقرائى على مثلها جوده و صناعه و عمقا، كما لم أقف على ترجمه صاحبها مع إحصائى السؤال، و أغلب الظن أن ناظمها من أدباء القرن الثانى عشر و قد يكون قبل هذا الزمن.

٢- الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى الدورقى القبانى أحد علماء القرن الحادى عشر، كان معاصرا للسيد على بن باليل، ترجم له جماعه من العلماء و فى كتابه (شرح زاد المسافر و المقيم) الموجود خطيا فى مكتبه سبها سالار بطهران: هو فتح الله بن علوان بن بشاره بن محمد بن عبد الحسين الكعبى نسبا و القبانى مولدا و منشا، ولد سنه (١٠٥٣) و توفى سنه (١١٣٠)، قال السيد عبد الله الجزائرى فى الإجازات الكبيره فى ترجمه الشيخ الكعبى: هو ذو باع فى الأدب مديد، و نظر فى إدراك اللطائف حديد، و فهم من موارد النكات سديد، و كد فى اقتناص المعارف شديد، و يد تلعب بالمعانى لعب الراح بالعقول، و ذهن انطبع فيه فنون المعقول و المنقول، له كتب منها كتاب زاد المسافر و المقيم. (و هذا الكتاب وضعه [وضعه] كمقامه فى شرح الأحداث التى جرت على حسين باشا عام ١٠٧٨ هـ، فأدت إلى هزيمه حسين باشا). و منها كتاب الاجاده فى شرح القلاده، و له الفتوحات فى المنطق و غيرها. و كان الشيخ الكعبى قد ولى قضاء البصره فتره.

لم تال جهدا إلى أن كل لهدمها و نازعتها بنو الدنيا على الدول
و ما لمروان ما حالت كياسته من دونه عند ركض الخيل بالأجل
قد أغفل الحزم مروان و عصبته و حازم الدهر لم يغفل عن الغفل
يا خاتم الأمويين الذين غدا في المجد يتلو خطأها كل منتحل
قد حاق مكركم فيكم على غرر منكم و ربك لم يهمل على المهمل
و فيها يقول:

حد في سراك و لا تشغل حشى شغلت يا أيها البرق أنى عنك فى شغل
بى من ظباء نجيل أعين فنيث منها الحشاشه بين النجل و النجل
أغرى الهوى بى و أغريت الفؤاد به و لم أضق عنه لو ضاقت به سبلى
و الطرف جار على ضعفى بقوته و رب ذى كسل يقوى على الكسل
و بدل الدهر منى فاحما سبطا تعنو له نظرات الأعين النجل
و ما يريد الهوى منى و ذى حججى فى الرأس بيض و لا أقوى على الجدل
و ليس لى حاجه فى دار عاتكه كلا و لا ناقتى فيها و لا جملى
و أن عندى أحاديث الهوى كملا فان وجدت محلا للسؤال سل
و لى على الخبر عند الدهر مسأله عن حال سلمى على الأحوال و الحول
و فيها يقول:

و مستطيلا على وهم البقاء سفها قم و اقصدن الفنا المحتوم و انتقل
و أنت يا طالب الدنيا لغرته دع عنك خوانه أن تصفها تحل
هذى بحار المنايا بالردى اعترضت فاسيح إلى ساحل الأخرى على العمل
عمر الشيبه ولى فاغتنم عملا ينجيك فى الشيب عند الله من زلل

خطو الحمام بوخط الشيب متفق مثل اتفاق غرور القلب بالأمل
إذا أتاك نذير الموت منك و لم تشعر به فاتركن العقل للخطل
وإفاك خطبك منقادا إليك ضحى بشعره فأعد الزاد و ارتحل
و ليتعظ رب شيب بالشباب فقد ولى الشباب من الدنيا على وجل
لا بارك الله بالآمال تطمعنا طول الحياه فنسى عاجل الأجل
و ندحض العمل المنجى نسوفه إلى غد و غد ياتى بلا عمل
و لا يزال غد لو قلت بعد غد أو قلت قبل غد فاعمل و لا تقل
كآلآل يحسبه الرائي على غرر ماء فيهريق ماء بارد النهل
شكى الزمان أناس قبلنا درجوا و الشمس فى الأوج لا كالشمس فى الطفل
يا جهلنا كم وجدنا منزلا خربا لم يخل من قبل فى حين عن النزول
و ما اعتبرنا بمعمور و لا خرب و لا بفقدان أهلى منزل نزل
ناديت دهرى بما طال النداء به من الشباب إلى أن شبت فى قذلى
فلم يجبنى و لكن الصدى بدلا منه أجاب بصوت أيما صحل
تأتى النوائب كالأمواج تضربها هوج الرياح و كالأرياح و الطفل
و الخير يمشى الهوينا لو دعوت به يوما كان به قيدى من وثل
و الدهر ان جاء باليسرى أتاك على العسرى كان به ضربا من القزل
و إن أتاك بشر جاء يقدم ما ياتى به و يحث السير فى عجل
يا ويح نفسى كفانى الله صولتها قد ضيقت بى إلى إرشادها سبلى
بذلت نصحى و ما قصدى سوى به و النفس أولى بلوم النفس و العدل
و خذ إليك عروس الشعر ما عرفت بحسنها كيف تجلى خله العطل

تميس و العالم التحرير ملبسها قلائد الدر لفظا غير مبتذل
و كلما أنشدت للسمع صيرها للعين بثنه تحت الحلى و الحلل
نظمت سبع قواف و هى واحده و رب واحده عن سبعها الطول
كررت فيها قوافيها لقلتها كالمسك لو كررته ربه الكل
سميتها عند ما نظمتها دررا (قلائد الغيد) فأعرفها و لا تسل
كأنها الكوكب الدرى منقسما لسبعه هزأت بالسرج و الشعل
زان القريض بخود منه جاء بها للمجتلين لها بالسمع فكر (على)
أنى و أنى (ابن باليل) برزت بها كالرود لو أبرزت بالحجل من حجل
و ليغلون بها غرا محجله و ليزهدن بذات الحجل و الحجل
و ليقبلن إليها السمع مرتشفا و قبله القلب بعد الضم بالقبل
و لم يشنها بما عندى منظمه فى بعضها جعل ذى فعل على فعل
خذها إليك يهز التيه قامتها كالرمح و الغصن أن يهزز و أن يمل
و ليكف قائلها فخرا و منشدها من كل مستمع قولان (زد) و (قبل)

على بن حمدان سيف الدوله الحمدانى.

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان)، و مرت كلمه عنه فى المستدركات.

و ننشر هنا عنه هذه المكرمه التى تدل على مدى عطفه على الضعفاء و استجابته لاستغاثه المعوزين، و على انه كان ملجا أبناء الشعب فى محنهم حتى و هم بعيدون عنه فى بغداد:

قال الذهبى فى كتابه (سير اعلام النبلاء) و هو يترجم للفقيه الحنفى عبيد الله بن الحسن البغدادى الكرخى:

لما أصاب أبا الحسن الكرخى الفالج فى آخر عمره، حضر أصحابه: أبو بكر الدامغانى، و أبو على الشاشى، و أبو عبد الله البصرى، فقالوا: هذا مرض يحتاج إلى نفقه و علاج، و الشيخ مقل و لا ينبغى أن نبذله للناس، فكتبوا إلى سيف الدوله بن حمدان، فأحس الشيخ بما هم فيه، فبكى، و قال: اللهم لا تجعل رزقى إلا من حيث عودتنى، فمات قبل أن يحمل إليه شىء. ثم جاء من سيف الدوله عشره آلاف درهم، فتصدق بها عنه.

منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن بابويه

صاحب الفهرست.

مرت ترجمته في الصفحة ٢٨٦ من المجلد الثامن و ننشر هنا تفصيلات أخرى مكتوبه بقلم السيد عبد العزيز الطباطبائي:

مولده و وفاته:

أما ولادته فقد أرخها تلميذه الرافعي في التدوين بسنه ٥٠٤، و أما وفاته فلم أر من أرخها و ضبطها غير أنه كان حيا إلى سنه ستمائه، ففي تلخيص مجمع الآداب في ترجمه منتجب الدين نقل عن كتاب الجمع المبارك و النفع المشارك لابن الغزال الأصفهاني في ترجمته لمنتجب الدين أنه أجازته سنه ٦٠٠.

فيظهر أنه كان حيا إلى هذا التاريخ و أنه توفي في مطلع القرن السابع.

أسرته:

و أسره "آل بابويه" أسره علميه عريقه في قم و الري، أنجبت كثيرا من العلماء و مشاهير الحفاظ و الفقهاء و المحدثين.

ص: ١٨٥

فأول من نبغ منهم و اشتهر صيته هو أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه المتوفى سنة ٣٢٩، و آخرهم ممن برز و نبغ و اشتهر منهم هو منتجب الدين. و لم نعرف بعده أحدا ظهر و اشتهر من هذه الأسره.

و لكن فى خلال هذه الفتره فىهم كثره مرموقه من أعلام نابيين و فقهاء و محدثين قل نظيرها فى سائر الأسر العلميه، فىهم يضرب المثل فى كثره الأعلام، فترى الشهيد الثانى مثل بهم فى كتاب "الرعايه فى شرح الدرايه" ص ١٢٥ للروايه عن خمس آباء بروايه الشيخ الجليل بابويه بن سعد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن على بن الحسين بن بابويه عن أبيه سعد عن أبيه محمد عن أبيه الحسن عن أبيه الحسين.

و حكى ابن حجر فى ترجمته من لسان الميزان قال، عن ابن أبى طى أنه قال عن أسرته: كان بيته بيت العلم و الجلاله، و مثل أيضا للروايه عن سته آباء بروايه الشيخ منتجب الدين عن سته من آباءه يروى كل منهم عن أبيه نسقا إلى سته آباء، ثم قال:

و هذا الشيخ منتجب الدين كثير الروايه واسع الطرق عن آباءه و أقاربه و أسلافه، و يروى عن ابن عمه الشيخ بابويه المتقدم بغير واسطه، و أنا لى الروايه عن الشيخ منتجب الدين بعده طرق مذكوره فيما صنعته من الطرق و الإجازات.

و قال ميرزا عبد الله أفندى فى رياض العلماء ١٤٠/٤ فى ترجمه الحسين بن على بن بابويه، الجد الأعلى لمنتجب الدين: و هو و أخوه و ابن هذا الشيخ و سبطه و أحفاده نازلا إلى زمن الشيخ منتجب الدين كلهم كانوا من أكابر العلماء.

و قال السيد محمد صادق بحر العلوم النجفى فى دليل القضاء الشرعى ١٥٧/٣: يظهر من فهارس الشيوخ و معاجم التراجم فضل آل بابويه بين أعلام الطائفه و مشايخ الأصحاب، حيث كانوا من سدنه العلم، و حملة الحديث، و أعيان فقهاء الاماميه، و قد خدموا كثيرا و ساهموا فى حفظ آثار أهل البيت (ع) بمؤلفاتهم و مروياتهم.

و لكثره رجالات الأسره (بنى بابويه) و توفر العلماء فيها ألف الشيخ سليمان البحرانى رساله مفرده فى تراجم أعلام آل بابويه نقل عنه الشيخ أبو على الحائرى فى منتهى المقال فى ترجمه منتجب الدين.

و الأسره أصلها من قم ثم نرح كثير منهم إلى الرى و استوطنوها و لا-ندرى متى كان ذلك و لا الأول منهم، فترى أن الشيخ منتجب الدين ينسبونه رازيا و لا ينسبونه قميا، و قد وصف هو فى الفهرست: جده شمس الإسلام حسكا فقال: القمى نزيل الرى. و يبدو أن انتقالهم إلى الرى كان أسبق من هذا، و ربما كان منذ عهد الشيخ أبى جعفر الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ و هو عم جد جد منتجب الدين، فلعله هو أول من انتقل منهم إلى الرى. لصلاته الوثيقه بحاكمها ركن الدوله البويهى، و هو قد توفى بالرى و قبره بها يزار.

نشاته:

نشا فى أسره علميه دينيه و فى أحضان أبيه موفق الدين و سائر أعلام أسرته، ففتح عينه على طلب العلم و استماع الحديث و إملائه، فولع بذلك منذ نعومه أظفاره و أولاه والده رعايه خاصه و عنايه بالغه، فلا غرو أن ينشأ حريصا على الطلب جادا فيه دأبا عليه.

طلب الحديث منذ سن مبكرة في بلده الري على مشايخها و الطارئين عليها، فقد كانت الري في طريق قاصدي خراسان، كما كانت في طريق حاج خراسان، فإنهم كانوا يذهبون إلى الحج من العراق على طريق الكوفة، فأدرك المنتجب مشايخ كثيرين و سمع الحديث الكثير، و كان حريصا على ذلك أشد الحرص. قال عنه تلميذه الرافعي في التدوين:

و لم يزل كان يتربص بالري و يسمع ممن دب و درج و دخل و خرج و جمع الجموع... و قال قبل ذلك كما ياتي نصه: يكتب ما يجد و يسمع ممن يجد، و يقل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع و السماع و الشيوخ الذين سمع منهم و أجازوا له..

الثناء عليه:

تجد الإطراء له و الثناء البالغ عليه في كتب الطبقات و معاجم الرجال، و في غضون الإجازات منذ عصره حتى الآن من أعلام الخاصة و العامه يذكرونه بكل تبجيل و يصفونه بالحفظ و الامامه [الامانه] و الوثاقه. و إليك نماذج من كلمات الفريقين فمن الفريق الأول:

١ - تلميذه برهان الدين محمد بن محمد بن علي الحمداني و هو أول من نسخ كتاب الفهرست و رواه عن مؤلفه، فكتب في وصف أستاذه المؤلف:

الشيخ الامام الحافظ السعيد موفق الإسلام سيد الحفاظ رئيس النقلة سيد الأئمه و المشايخ خادم حديث رسول الله (ص).

٢ - الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي المستشهد سنة ٩٦٦، قال في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي:

و أجزت له - أدام الله تعالى معاليه - أن يروى عنى جميع ما رواه الشيخ الامام الحافظ منتجب الدين... و كان هذا الرجل حسن الضبط كثير الروايه عن مشايخ عديده..

٣ - و قال المجلسي:

و الشيخ منتجب الدين من مشاهير الثقات و المحدثين، و فهرسته في غايه الشهره... فحكى كلام الشهيد الثاني.

٤ - ميرزا عبد الله أفندي الأصفهاني، قال في كتابه رياض العلماء و حياض الفضلاء في ترجمه منتجب الدين ١٤٠/٤: كان قدس الله روحه بحرا من العلوم لا ينزف، و هو الشيخ السعيد الفاضل العالم الفقيه المحدث الكامل شيخ الأصحاب.

٥ - و قال الشيخ سليمان البحراني في رسالته التي أفردها لتراجم آل بابويه في ترجمه منتجب الدين: قدس الله روحه من مشاهير الثقات و فحول المحدثين.

٧- وقال الشيخ أسد الله الدزفولي في مقابس الأنوار ص ١٦ في ترجمه منتجب الدين:

الشيخ الفاضل الكامل العلامة الصدوق المحدث الحفظه الثقة الروايه منتجب الدين..

و أما الفريق الثاني:

فإليك نماذج مما ظفرنا به من ثناء أعلام غير الشيعة عليه:

١ - فأولهم معاصره الحافظ بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ قال:

قرأت بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه الرازي شاب كان يسمع معنا الحديث بالرى سنة ٥٢٩. (١)

٢ - و ترجم له ابن الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠ في تكمله إكمال الإكمال ص ١٧ و وصفه بالإمام أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه الرازي، و ذكر من مؤلفاته كتاب الأربعين.

٣ - و ترجم له ابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ (٢) في تلخيص مجمع الآداب ٧٧٥/٥ في حرف الميم بلقبه منتجب الدين و قال: أبو الحسن علي... ابن بابويه القمي الرازي المحدث المقرئ..

٤ - و ترجم له تلميذه أبو القاسم الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣ في كتاب التدوين في ذكر أهل العلم بقروين، و أثنى عليه ثناء بالغاً، و إليك نصه قال:

علي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه، أبو الحسن بن أبي القاسم بن أبي الحسين الرازي الحافظ.

شيخ ريان من علم الحديث سماعاً و ضبطاً و حفظاً و جمعاً، يكتب ما يجد و يسمع ممن يجد، و يقل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع و السماع و الشيوخ الذين سمع منهم و أجازوا له، و ذلك على قله رحلته و سفره.

أجاز له من أئمه بغداد: محمد بن ناصر بن محمد البغدادي، و هبه الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الشيباني، و أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي، و أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى بن سعدون، و محمد ابن إبراهيم بن محمد بن سعدويه أبو سهل، و محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء، و محمد بن الحسن بن علي الماوردي، و أحمد بن عبد الله بن أحمد بن رضوان، و أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب النحوي البارع، و محمد بن أحمد بن يحيى الدياجي العثماني، و محمد عبد الباقي بن محمد بن عبد الله، و أحمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الله السكن، و هبه الله بن أحمد بن عمر الحريري، و ثعلب بن جعفر بن أحمد السراج، و عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، و أبو محمد عبد الله بن محمد بن نجا بن محمد بن علي المعروف بابن شاتيل، و علي بن عبيد الله بن الزاغوني، و أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي.

أجازوا له مسموعاتهم و إجازاتهم فى سنه اثنتين و ثلاث و عشرين و خمسمائه.

و أجاز له المسموعات وحدها منصور بن محمد بن الحسن أبو المظفر الطالقانى، و هبه الله بن عبد الله الواسطى، و عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى.

و من غيرهم (٣) أبو القاسم زاهر بن طاهر بن الشحامى - أجاز له روايته سماعا و إجازة - و أخوه وجيه بن طاهر، و القاضى عبد الكريم بن إسحاق بن سهلويه، و أبو جعفر محمد بن زيد بن محمد الهارونى الحسنى، و أبو نصر الفضل بن محمد النصرى مسموعاتهم.

و إسماعيل بن أبى الفضل الناصحى، و أبو القاسم سعد بن أميرك بن عبد الملك، و أبو ثابت صالح بن الخليل الرويانى، و أبو الحسين بن ذكوان بن أحمد بن الحسن الخطيب، و أبو هاشم أحمد بن أبى مسلم بن أبى هاشم الأنصارى، و ملكه بنت الامام أبى الفرج محمد بن محمود القزوينى، و أبو بكر لاحق بن بندار بن أبى بكر الخياط، و أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأخبارى، و على بن أبى صادق السعدى، و سعد بن الحسن بن محمد الخطيب. (٤)

و ضعفا من سمينا من شيوخ طبرستان مسموعاتهم و إجازاتهم.

و كذلك محمد بن على بن محمد بن ياسر الجناتى، و الحافظ أبو جعفر محمد بن أبى على الحسن بن محمد بن الحسن الحمدانى المرودى، و عبد الخلاق بن عبد الواسع بن عبد الهادى الأنصارى، و عبد الغفار بن محمد بن عثمان القومسانى، و الحسن بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن بيدان، و محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الخطيب الكشميهنى، و عبد الله بن أحمد بن محمد البراز، و محمد بن أبى نصر شجاع بن أبى بكر اللفتوانى الحافظ.

و أجاز له المسموع و المجاز (٥) محمد بن حمد بن عبد الله الكبريتى الفواكهى، و أم إبراهيم فاطمه بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانيه، و إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ، و أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم، و أبو الوفاء أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبى ذر الصالحانى، و الحسن بن الفضل بن الحسن الأدمى، ثم الخلق الجم من الطبقة الذين بعدهم من أئمه أصبهان، كإسماعيل الحمامى، و محمد بن الهيثم، و أبى عاصم قيس بن محمد المؤذن و أقرانهم.

و قس بالمذكورين أئمه سائر البلاد الذين أدرك زمانهم.

و سمع الكثير بأصبهان و قزوين، و ممن سمع منه بقزوين أبو المحاسن عبد الرحيم بن الشافعى الرعوى و أبو الفضل الكرجى و غيرهما.

و لم يزل كان يترقب بالرى و يسمع ممن دب و درج و دخل و خرج، و جمع الجموع، و كان يسود تاريخا كبيرا للرى فلم يقض له نقله إلى البياض و أظن أن مسودته ضاعت بموته.

و من مجموعته كتاب الأربعين الذى بناه على حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه المترجم لأربعين حديثا، و قد قرأته عليه بالرى لسنه أربع و ثمانين و خمسمائه...

و قرأت عليه الأربعةين بتمامه و أيضا الغيلانيات بروايته عن الحافظن.

ص: ١٨٧

١- نقله عنه الحافظ المزي في تهذيب الكمال ١/١٧٣.

٢- ابن الفوطى من الشيعة.

٣- أى غير البغداديين، فإلى هنا كلهم كانوا مشايخ بغداد.

٤- هؤلاء مشايخه فى طبرستان.

٥- هؤلاء من مشايخه الأصهبانيين.

محمد بن علي بن ياسر عن ابن الحصين و إجازته عن ابن الحصين، و فضائل الخلفاء الراشدين للحافظ علي بن شجاع المصقلی بروايته عن عبد الكريم بن سهلويه، إجازته عن القاضي أبي معمر الوزان عن المصقلی.

و بطرق آخر الأربعين المنخرجه من مسموعات الرئيس أبي عبد الله الثقفی(1) المتوفى سنة ٤٨٩. بروايته عن محمد بن الهيثم، و أبي المظفر الصيدلانی، و أبي عمرو الخليلی البصير بروايتهم عن الرئيس.

و جزء محمد بن سليمان المصيصی لوين بروايته عن عبد المنعم بن سعدويه و أبي الوفاء المميز، و بنيمان بن الحسن بن ميله، و أم الشمس مباركه بنت أبي الفضل بن ماشاذه، و أم الضياء لامعه بنت الحسن بن أحمد الوراق بروايتهم عن أبي بكر محمد بن أحمد بن ماجه، عن أبي جعفر بن المرزبان عن الحروري عن لوين.

و كان ابن بابويه ينسب إلى التشيع، و قد كان ذلك في آباءه و أصلهم من قم، لكنی وجدت الشيخ بعيدا منه... و قد قرأت عليه في شوال سنة ٥٨٥: أخبركم السيد أبو تراب المرتضى بن الداعي بن القاسم الحسنی و أبو علي بنيمان بن حيدر بن الحسن الكاتب، و أبو الفتوح أحمد بن عبد الوهاب بن الحسن الصراف قالوا أنبا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين الحافظ، ثنا قاضي القضاة الكافي أبو خلف منصور بن أحمد بن القاسم... فذكر حديثا.

و سمع منه الحديث بالرى أهلها و الطارئون عليها، و رأيت الحافظ أبا موسى المديني روى عنه حديثا.

و كانت ولادته سنة أربع و خمسمائه، و توفي بعد سنه خمس و ثمانين و خمسمائه.

و لئن أطلت عند ذكره بعض الاطاله فقد كثر انتفاعى بمكتوباته و تعاليقه، فقضيت بعض حقه باشاعه ذكره و أحواله رحمه الله تعالى.

رحلاته العلميه

و الشيخ منتجب الدين و إن وصفه الرافعي بقله الرحله إلا أن الذى علمنا به من رحلاته إلى العواصم الدينيه و الحواضر العلميه و بلدان كانت يوم ذاك مراكز الثقافه الإسلاميه هو عدد لا يستهان به، و لعل الذى خفى علينا أكثر و أكثر، و ها نحن نذكر البلاد التى رحل إليها على ما بلغه علمنا حسب الحروف الهجائيه:

١ - أصبهان.

صرح الرافعي فى التدوين فى ترجمه المنتجب: أنه سمع الكثير بأصبهان و قزوین، ثم عدد جماعه من شيوخه الأصبهانيين. و صرح هو فى كتاب الأربعين فى عده من شيوخه الأصبهانيين أنه سمع منهم بأصبهان.

٢ - بغداد صرح الرافعي أنه أجيز من علماء بغداد فى سنتي و ، و عدد جماعه كثيره من شيوخه البغداديين، و لو لم يصرح الرافعي بالتأريخ المتقدم لعلمنا ذلك من وفيات شيوخه، فان بعضهم ممن توفى سنة ٥٢٣ و بعضهم من المتوفين عام ٥٢٤ كما ياتى عند عد شيوخه، فكنا نعلم أن رحلته إليهم كانت قبل ذلك التاريخ.

ثم نقرأ في كتابه الفهرست في ترجمه محمد بن إدريس الحلبي أنه قال:

شاهدته بحله.

و حيث نعلم أن ابن إدريس ولد عام ٥٤٣ دلنا ذلك على اجتماعه به في الحلبي، لا بد و أن يكون في عشر السنين بعد الخمسمائه حيث كان بلغ ابن إدريس مبلغ الرجال المرموقين و الفقهاء المعروفين.

و على ذلك فلا- بد أن يكون قد رحل إلى العراق مرتين مره في عام ٥٢٢ و أخرى حيث التقى بابن إدريس، أو نقول إنه لم يرحل إلى بغداد سوى هذه الرحله الأخيره، و إن إجازته مشايخ بغداد له في عامي و كانت بالمكاتبه و هو خلاف الظاهر.

٣- الحلبي تقدم أنه اجتمع بالحله بابن إدريس المولود ٥٤٣ و المتوفى ٥٩٨، و كذلك صرح المنتجب في الفهرست في ترجمه الأمير الزاهد ورام بن أبي فراس أنه التقى به في الحلبي.

و الحلبي يومئذ من الحواضر العلميه الكبرى للشيعة و من مراكز الثقافه لها تزخر باعلام العلماء من فقهاء و أدباء و شعراء، فلا بد أن يكون قد اجتمع بكثير منهم أو أكثرهم و أفاد و استفاد، و لكن لم يسجل لنا التاريخ أكثر مما قدمناه.

و ذكر المنتجب في ترجمه سديد الدين الحمصي بعد عد كتبه أنه قرأ عليه أكثر هذه الكتب، و لا ندرى أقرأها عليه في الحلبي، أم في الري، أم في كليهما، فان الحمصي كان في البلدين جميعا.

و ليس من شك في أن منتجب الدين قد ذهب في النوبتين إلى الكوفه و اجتمع باعلامها و محدثيها، و هي يومئذ مدرسه حديث و فقه للشيعة إماميه و زيديه، و كانت الكوفه يومئذ يقصدها الرحالون في طلب العلم لسماح الحديث حتى من غير الشيعة كالحافظ بن عساكر و أبي سعد السمعاني و الحافظ أبي طاهر السلفي، فكان من رحل إلى العراق من البلدان النائية في طلب الحديث يقصد الكوفه و يقرأ على مشايخها.

و قد ظلت الكوفه من البلدان المقصوده بالرحله في طلب الحديث، فهذا الحافظ الصوري قصد الكوفه و سمع بها من أربعمائيه شيخ. و هذا أبو سعد السمعاني قد دخل الكوفه ثلاث مرات، و سمع بها الحديث، و قرأ على مشايخها، و زار مشهد أمير المؤمنين (ع) في النجف الأشرف و سمع الحديث بها. (٢).

فمما لا- شك فيه أن منتجب الدين دخل الكوفه و اجتمع باعلامها و أفاد و استفاد، كما أنه مما لا شك فيه أنه قصد النجف الأشرف و كربلاء، و زار المشهدين الشريفين مشهد أمير المؤمنين و ابنه الحسين سيد الشهداء (ع). ٢.

ص: ١٨٨

١- القاسم بن الفضل الثقفى الأصبهاني

٢- التحبير ٣٦١/٢، ٣٦٢.

فلا- يحتمل أن يكون المنتجب وصل إلى الحله و لم يزر الإمامين (ع)، فمن المقطوع به أنه ذهب إلى كربلاء و إلى النجف الأشرف، و اجتمع بمن فيهما من أعلام الطائفة و النجف الأشرف يوم ذاك عاصمه العلم للطائفة، و بها أبو نصر محمد بن الحسن الطوسي حفيد شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠، و عدد لا يستهان بهم من تلامذه أبيه أبي علي الطوسي.

٤ - خوارزم علمنا من ترجمه شيخه منير الدين الأصبهاني نزيل خوارزم أنه رحل إليها و سماع الحديث بها و قرأ علي مشايخها، حيث يقول في ترجمه المذكور: شاهده بخوارزم و قرأت عليه.

و الظاهر أنه في طريقه من الري إلى خوارزم قد تجول في كل مدن خراسان الزاخره بالأعلام و المحدثين، فقد كانت مدن خراسان في تلك المرحله من الزمن تقصد من البلاد النائية لطلب العلم يقصدها الرحالون و المحدثون من خارج إيران لاستماع الحديث بها، فلا بد أن يكون المنتجب قد دخل سبزوار و قومن و بسطام، و لعله قرأ علي شيخه الطبرسي في سبزوار أو في مشهد، و كذلك شيخ أبو البركات المشهدي فالظاهر أنه قرأ عليه في مشهد و زار الامام الرضا (ع) بها، و كذلك هراه و مرو و بخارا و بلخ و نحوها من المدن التي يمر بها أو يقصدها و القرى المجاوره لها. و أما نيسابور فقد صرح بقراءته بها و سذكرها.

٥ - طبرستان قد عدد الرافي في التدوين في ترجمه منتجب الدين - كما تقدم - عده من شيوخه الطبريين ثم قال: و ضعفا من سمينا من شيوخ طبرستان مسموعاتهم و إجازاتهم.

و كلامه ظاهر في أنه رحل إلى طبرستان لطلب العلم، و تجول في مدنها و قراها، و قرأ علي مشايخها، و سماع من أعلامها، و أجازوا له في الروايه عنهم، و هم من الكثره بحيث لم يحصهم الرافعين بل عدد بعضا و ترك أضعافا.

٦ - قزوين تقدم في أصبهان قول الرافي أنه سمع الكثير بأصبهان و قزوين، و ممن سمع منه بقزوين أبو المحاسن عبد الرحيم بن الشافعي الرعوي، و أبو الفضل الكرجي...

٧ - كاشان صرح المنتجب في ترجمه ضياء الدين أبي الرضا الراوندي أنه قرأ عليه.

و السيد أبو الرضا يومئذ زعيم كاشان و فقيها و مفتيها، يقصده الرحالون لطلب العلم و سماع الحديث، و قد قصده أبو سعد السمعاني و رحل إليه و قرأ عليه كما ياتي في التعليق علي ترجمته.

٨ - نيسابور صرح المنتجب في ترجمه السيد لطف الله النيسابوري أنه قرأ عليه كتب نيسابور.

و نيسابور يومئذ (قبل غزو التتر لها) حاضره كبيره من حواضر دنيا الإسلام، و عاصمه لها أهميتها من بين عواصم العلم و الحديث و الثقافات الإسلاميه، و لكن لا نعلم تاريخ رحلته إليها و لا مده بقائه بها، و الظاهر أنه كان ذلك في أثناء رحلته إلى خوارزم و في طريقه إليها.

و مهما كان فهي لا تبعد كثيرا من الري، فربما دخلها أكثر من مره.

هذا ما توصلنا إليه من بلاد رحل إليها في سبيل العلم، وابتغاء سماع الحديث، وربما كان الذي خفى علينا أكثر مما ذكرنا.

مشايخه:

قال الرافعي في ترجمه المنتجب: الحافظ، شيخ ريان من علم الحديث سماعا و ضبطا و حفظا و جمعا، يكتب ما يجد، و يسمع ممن يجد، و يقل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع و السماع، و الشيوخ الذين سمع منهم و أجازوا له...

ثم سمى بعض مشايخه البغداديين و الخراسانيين و الطبريين و الأصبهانيين (كما تقدم نصه الكامل) و قال: ثم الخلق الجم من الطبقة الذين بعدهم من أئمه أصبهان كإسماعيل الحمامي... و أقرانهم، و قس بالمذكورين أئمه سائر البلاد الذين أدرك زمانهم، و سمع الكثير بأصبهان و قزوين... و لم يزل كان يترقب بالرى و يسمع ممن دب و درج و دخل و خرج و جمع الجموع...

و قول: قل من يدانيه في هذه الأعصار في كثره الجمع... شهادة عظيمه من مثل الرافعي في شان المنتجب، فان تلك الأعصار هي فتره كان فيها مثل الحافظ ابن عساكر، و أبي سعد السمعاني، و الحافظ أبي طاهر السلفي و أضرابهم.

و قال ميرزا عبد الله أفندي في رياض العلماء ١٤٧/٤ في ترجمه منتجب الدين: و اعلم أن هذا الشيخ كثير الروايه عن المشايخ جدا، بحيث يزيد على مائه شيخ، بل يعسر حصرهم و جمعهم و إيرادهم...

و ها و نحن نذكر من ظفرنا به من شيوخه و ما خفى علينا منهم و لم تتمكن من الحصول عليهم أكثر:

١ - أحمد بن إبراهيم أبو العباس الأخباري.

٢ - أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبي ذر، أبو الوفاء الصالحاني الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٥، من أولاد المحدثين. ترجم السمعاني في الأنساب ٢٥٥/٨ لجده أبي ذر و غير واحد من أسرته، و ترجم ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد له و لابنه أبي طاهر عبد المنعم، و ترجم له الصفدي في الوافي بالوفيات.

٣ - أحمد بن الحسين بن بابا الأذوني، روى عنه المنتجب الحديث السابع من الأربعين قراءه عليه. ترجم له في مطلع البدور و قال: أحمد بن الحسن بن أبي القاسم بابا الأذوني من تلامذه الامام المرشد بالله و هو شيخ الكنى المتقدم.

أقول: روى عنه في كتاب الأربعين في الحديث السابع، و روى هو عن أبي الحسين.

ص: ١٨٩

قراها، و كان شيخا من مشايخ الزيديه صالحا... و كان مولده باذون سنه ٤٩٥، روى عنه السمعانى باذون.

و ذكره فى (أذون) موجزا و فيه اسم أبيه فى كلا الموضوعين "الحسين".

٤ - أحمد بن عبد الصمد، أبو عبد الرحمن بن حمويه الحموى الجوينى روى فى كتاب الأربعين فى الحديث ٢١ عنه قراءه عليه قدم علينا الرى.

٥ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن رضوان، أبو نصر الرضوانى البغدادى المتوفى سنه ٥٢٤، من شيوخ ابن عساكر.

٦ - أحمد بن عبد الوهاب بن الحسن الصراف أبو الفتوح البردينى، روى عنه فى الحديث ٢٨ من كتاب الأربعين قراءه عليه فى داره.

٧ - أحمد بن على بن أميركا القوسينى، مترجم فى الفهرست.

٨ - أحمد بن على بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكن (السبكى)؟ ٩ - أحمد بن محمد بن أحمد القمى الشاهد الفقيه العدل من تلامذه ابن الوراق الطرابلسى المترجم فى الفهرست، روى المنتجب عنه عن ابن الوراق.

١٠ - أحمد بن محمد بن عبد العزيز أبو جعفر العباسى نقيب العباسيينمكه (٤٦٨ - ٥٥٤).

١١ - أحمد بن محمد بن عبد القاهر أبو نصر الطوسى سنه ٥٢٥، روى عنه فى كتاب الأربعين الحديث.

١٢ - أحمد بن أبى مسلم بن أبى هاشم، أبو هاشم الأنصارى.

١٣ - إسماعيل بن على بن الحسين النيسابورى ثم الأصبهانى أبو القاسم الحماوى نزيل أصبهان المتوفى سنه ٥٥١ عن أكثر من مائه سنه، من شيوخ ابن عساكر و السمعانى و السلفى، قرأ عليه المنتجب فى داره بأصبهان كما فى الحديث ٣٥ من كتاب الأربعين.

١٤ - إسماعيل بن أبى الفضل بن محمد الناصحى أبو القاسم التميمى.

١٥ - إسماعيل بن محمد بن الفضل، الحافظ أبو القاسم التيمى الطلحى الأصبهانى (٤٥٧ - ٥٣٥)، من شيوخ السمعانى و ابن عساكر.

١٦ - بابويه بن سعد بن محمد بن الحسن بن بابويه المترجم فى الفهرست.

١٧ - بدر بن سيف بن بدر العربى المترجم فى الفهرست.

١٨ - بينمان بن الحسن بن ميله.

- ١٩ - توران شاه بن خسرو شاه أبو الفوارس الجيلي الزيدى الميلاقجى العراقى. ترجم له فى مطلع البدور و قال: هو شيخ الزيديه حافظ علوم الأئمه مرجع الاسناد، و هو شيخ أبى العباس الكنى.
- ٢٠ - تيمان بن حيدر بن الحسن بن أبى عدى الكاتب أبو على البيع، من تلامذه الحافظ عبد الرحمن النيسابورى، روى عنه المنتجب قراءه عليه فى الحديث ١١ من كتاب الأربعين و الحكاياه الأولى منه و الرابعه.
- ٢١ - ثعلب بن جعفر بن أحمد بن الحسين، أبو المعالى السراج المتوفى سنه ٥٢٤، من شيوخ ابن عساكر.
- ٢٢ - جعفر بن إسحاق بن الحسن بن أبى طالب بن حربويه أبو الفضل المعلم، قرأ عليه المنتجب و روى عنه كما فى الحديث ٢٠ من كتاب الأربعين.
- ٢٣ - الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد، صدر الحفاظ أبو العلاء العطار الهمدانى (٤٨٨ - ٥٦٩) مترجم فى الفهرست. قرأ عليه ابن عساكر بهمدان كما فى معجم شيوخه.
- ٢٤ - الحسن بن العباس بن على، أبو عبد الله الرستمى الأصبهانى (٤٧٨ - ٥٦١) روى عنه قراءه عليه فى أصبهان.
- ٢٥ - الحسن بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن بندار.
- ٢٦ - الحسن بن على بن أبى طالب إسحاق، أبو على الفرزادى الزيدى المعروف بهاموسه (هموسه) ترجم له فى مطلع البدور و وصفه بالعلامه الكبير و الامام الخطير... و هو الذى صلى على المرشد بالله يحيى بن الموفق.
- أقول: روى عنه المنتجب فى الحديث ٢٣ من كتاب الأربعين، و ابنه على بن الحسن الفرزادى أيضا من شيوخ المنتجب ياتى.
- ٢٧ - الحسن بن على بن أحمد أفضل الدين المهابادى، مترجم فى الفهرست، روى عنه المنتجب فى ترجمه جده أحمد المهابادى.
- ٢٨ - الحسن بن الفضل بن الحسن بن الفضل أبو على الأدمى.
- ٢٩ - الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو نصير اليونارتى الأصبهانى (٤٦٦ - ٥٢٧) و يونارت قريه بباب أصفهان.
- ٣٠ - الحسن بن محمد بن أحمد بن على قاضى القضاة عماد الدين، أبو محمد الأسترآبادى، الفقيه الحنفى، قاضى الرى كما فى معجم شيوخ ابن عساكر، روى عنه المنتجب الحديث ٣١ من كتاب الأربعين.
- ٣١ - الحسن بن محمد بن الحسن، السيد نجيب الساده و نجيب الدين أبو محمد العلوى الموسوى.
- ٣٢ - الحسين بن على جمال الدين أبو الفتوح الخزاعى المفسر الرازى ترجم له فى الفهرست.
- ٣٣ - الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، أبو عبد الله البارع الدباس المقرئ الأديب النحوى البغدادى (٤٤٣ - ٥٢٤) من شيوخ

ابن الجوزى و ابن عساكر.

٣٤ - خمارتاش بن عبد الله الرومى أبو منصور العمادى، ترجم السمعاني لخمارتاش بن عبد الله الرومى فى التحبير ٢٧٢/١، و قال: توفى بنيسابور بعد سنه ٥٣١، و أظنه هو هذا و إن كناه أبا حفص و لقبه بالكاغذى. معجم شيوخ ابن عساكر، قرأ عليه ابن عساكر بنيسابور.

٣٥ - ذو الفقار بن محمد بن معبد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن حميدان الحسنى، عماد الدين أبو الصمصام العلوى الحسنى المروزى المتوفى ٥٦٣.

ص: ١٩٠

٣٦ - زاهر بن طاهر الشحامى أبو القاسم المستملى النيسابورى الشروطى مسند خراسان المتوفى سنة ٥٣٣.

٣٧ - زيد بن الحسن بن محمد أبو الحسين البيهقى الزيدى فخر الدين البروقنى، لعله توفى سنة ٥٥١. مترجم فى الفهرست.

٣٨ - زيد بن على بن منصور بن على أبو العلى (أبو العلاء) الأديب المعدل الراوندى الرازى (٤٧٢ - ٥٢٩).

روى عنه المنتجب قراءه عليه فى الحديث الرابع و الحكاية الخامسة من كتاب الأربعين.

من شيوخ السمعانى.

٣٩ - سعد بن أمير بن عبد الملك أبو القاسم.

٤٠ - سعد بن الحسن بن محمد الخطيب.

٤١ - سعد بن سعيد بن مسعود أبو الفتوح البزاز الحنفى الرازى.

روى عنه المنتجب فى الحديث الثالث من كتابه الأربعين.

٤٢ - سعد بن محمد بن محمود بن محمد بن أحمد أبو الفضائل المشاط الرازى (٤٧٩ - ٥٤٦).

ترجم له أبو سعد السمعانى فى التحيير ٢٩٠/١ و قال: كانت له يد باسطه فى علم الكلام، و معرفه تامه بذاك النوع من العلم...
سمع أباه أبا جعفر المشاط.. لقيته بالرى يوما بالطريق.. و سمعت أن طريقته ليست بمرضىيه، و لما دخلت داره لم أر به سمت
الصالحين!.. و دفن فى مدرسته بالرى.

و ترجم له السبكى فى طبقات الشافعية ٩٠/٧ و قال: ذكره على بن عبيد الله بن الحسن منتجب الدين صاحب تاريخ الرى فى
كتابه، و ذكر أنه سمع القاضى أبا المحاسن الرويانى، و أباه أبا جعفر محمد بن محمود المشاط، و أبا الفرج محمد بن محمود بن
الحسن القزوينى الطبرى و غيرهم، قال: و توفى ليله الثلاثاء رابع عشر رمضان سنة ٥٤٦ و روى عنه حديثا قرأه عليه.

و لابنه أبى جعفر محمد بن سعد المولود سنة ٥٠٦ ترجمه فى ذيل تاريخ بغداد ٢٧٧/١، و المختصر المحتاج إليه ٢٨٩/٢، و فى
طبقات السبكى ١٠٤/٦.

و عنه يقول ابن الجوزى فى المنتظم فى حوادث سنة ٥٥٥ (١٩٤/١٠):

و ظهر أقوام يتكلمون بالبدع و يتعصبون فى المذاهب... و أذن لرجل يقال له أبو جعفر بن سعيد (كذا) ابن المشاط فجلس فى
الجامع فكان يسأل فيقال له: (الم ذلك الكتاب) كلام الله؟ فيقول: لا! و يقول فى القصص: هذا كلام موسى و هذا كلام النملة،
فأفسد عقائد الناس و خرج فمات عن قريب.

و قال أيضا فى حوادث سنة ٥٦١ (ص ٢١٨): و كان ابن المشاط فى بغداد و كان يجلس فى الجامع فيقال له: ألم كلام الله؟

يقول: لا. فليل له: التين و الزيتون؟ فقال: التين فى الریحانيين و الزيتون یباع فى الأسواق.

و نقل فى تعليقه عن كتاب مرآه الزمان فى حوادث سنه ٥٦٠: و فيها عاد المشاط الواعظ إلى بغداد و تعصبوا له بجامع القصر، و أظهر البدع و كثرت الفتن بین الحنابلة و الأشاعره، و كان يقول هذا كلام الهدهد، هذا كلام بلقيس.. ما قال الله هذا...

أقول: و لا أدرى أى بنى المشاط یلقب بشهاب الدين صاحب كتاب زله الأنبياء! أ هو أبو الفضائل، أو أبوه، أو ابنه، فتراهم كلهم من هذا النمط و نسأل الله العصمه.

٤٣ - سعيد بن محمد بن أبى بكر أبو النجيب الحمامى الرازى، روى عنه قراءه عليه المنتجب فى الحديث ٥ من كتاب الأربعين.

من شیوخ السمعانى ترجم له فى التحيير ٣٠٩/١ و قال: فقيه صالح دين خير... و هو ثقة صدوق.. توفى بعد سنه ٥٣٧.

٤٤ - سعيد بن هبه الله أبو الحسين قطب الدين الراوندى المتوفى ٥٧٣.

٤٥ - سهل بن عبد الرحمن بن محمد أبو محمد السراج النيسابورى الزاهد المتوفى سنه ٥٤٧.

روى عنه منتجب الدين فى الحديث ١٦ من الأحاديث الأربعين قراءه عليه حين قدم الرى.

٤٦ - شرف بن عبد المطلب بن جعفر، أبو على الحسينى الأفضسى الأصبهانى، مترجم فى الفهرست.

حدث عنه ابن عساكر فى معجم شیوخه و سرد نسبه بأصبهان عن خال أبيه أبى الحسين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر الذكوانى بإسناده عن أبى هريره: أن فاطمه (ع) جاءت إلى أبى بكر و عمر تطلب ميراثها.

٤٧ - شمس الشرف بن على بن عبيد الله، أبو محمد الحسينى السيلقى، مترجم فى الفهرست روى عنه الحديث ٢٤ من الأربعين.

٤٨ - شميله بن محمد بن أبى هاشم فخر الدين الحسنى، مترجم فى الفهرست.

٤٩ - صالح بن الخليل أبو ثابت الرويانى.

٥٠ - طاهر بن أحمد بهاء الدين أبو محمد القزوينى النحوى.

روى عنه المنتجب فى الفهرست.

٥١ - طاهر بن محمد النحوى القزوينى.

ترجم ابن حجر فى لسان الميزان ١٠٦/١ فى ترجمه إبراهيم بن محمد بن على أبو المعالى الأنصارى و قال: هكذا قرأت فى تاريخ الرى لأبى الحسن بن بابويه و قال: روى لنا عنه عمر بن على بن الحسن البلخى و طاهر بن محمد النحوى القزوينى و غيرهما..

أقول: و لعله الذى قبله فصحف أحمد فى لسان الميزان إلى محمد.

٥٢ - عبد الباقي بن عبد الجبار بن عبد الملك القزوينى أبو نصر الجرجانى ترجم له الرافعى فى التدوين ثم روى عن منتجب الدين عنه بإسناده حديثاً.

٥٣ - عبد الجبار بن عبد الباقي بن عبد الجبار بن عبد الملك الجرجانى أبو الفرج بن أبى نصر القزوينى.

ص: ١٩١

بابويه مسموعاته و إجازاته، توفي سنة ٥٤٥.

٥٤ - عبد الجليل بن مسعود بن عيسى، الشيخ رشيد الدين أبو سعيد بن أبي الفتح الرازي المتكلم المحقق.

٥٥ - عبد الخلاق بن عبد الواسع بن عبد الهادي أبو الفتوح بن أبي رفاعه الأنصاري المتوفى سنة ٥٢٨.

٥٦ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد أبو سعد الحصري البصير الرازي، المتوفى سنة ٥٤٦ من شيوخ السمعاني و ابن عساكر.

روى عنه المنتجب قراءه عليه في الحديث ٥ و ٢٦ و ٢٧ من أحاديث كتابه الأربعين، و قرأ عليه ابن عساكر بالرى كما في معجم شيوخه.

٥٧ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن منازل أبو منصور بن زريق القزاز الشيباني البغدادي المتوفى سنة ٥٣٥، من شيوخ ابن عساكر و ابن الجوزى و السمعاني.

٥٨ - عبد الرحيم بن الشافعي بن محمد أبو المحاسن الرعوى القزوينى ترجم له الرافعى فى التدوين و أرخ ولادته بسنه ٤٥٨، و ذكر أنه أجاز لأحمد بن إسماعيل سنة ٥٤٨ و هو مستقل على فراشه لكبر سنه. و قال الرافعى: قرأت على بن عبيد الله منتجب الدين أنبا أبو المحاسن عبد الرحيم بن الشافعى سنة ٥٤٧ بقزوين، حدثنا القاضى أبو عبد الله حمد بن محمد بن الزبيرى قراءه عليه سنة ٤٦٨.

٥٩ - عبد الرحيم بن المظفر بن عبد الرحيم بن على، أبو منصور بن أبى سعد الحمدونى الرازى الحنيفى المعدل الشروطى، قرأ عليه ابن عساكر بالرى كما فى معجم شيوخه.

روى عنه منتجب الدين قراءه عليه الحديث ٣٨ من كتاب الأربعين.

و ترجم له الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة فقال: عبد الرحيم بن أبى سعد المظفر بن عبد الرحيم القاضى أبو منصور الحمدونى الراوى لصحيفه الرضا عن شيخه الذى قرأها عليه القاضى أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرويانى الشهيد فى سنة ٥٠٢.

ترجم السمعاني فى التحبير ٢١٤/١ لأخيه أبى طاهر الحسن و قال: كان من بيت الحديث سمع الكثير من أبيه أبى سعد... و أبى الفضل ظفر بن الداعى ابن مهدي العلوى.. و ترجم ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤٤٧/٤ لأبيهما قوام الدين المظفر الحمدونى..

٦٠ - عبد الغفار بن محمد بن عثمان القومسانى.

٦١ - عبد الكريم بن إسحاق بن سهلويه أبو زرعه.

روى عنه الحديث ١٩ من كتاب الأربعين قراءه عليه.

٦٢ - عبد الله بن أحمد بن محمد البزاز.

٦٣ - عبد الله بن علي بن عبد الله أبو محمد الطامذي المقرئ الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٣.

قرأ عليه الشيخ منتجب الدين بأصبهان، وروى عنه كما في كتاب الأربعين في الحديث ١٢ - و طامذ من قرى أصبهان. ٦٤ - عبد الله بن محمد بن نجا بن محمد بن علي بن محمد بن شاتيل الدباس أبو محمد الضرير.

٦٥ - عبد الملك بن أحمد بن سعد، وجيه الدين الداودي الزيدى روى عنه في الفهرست.

٦٦ - عبد المنعم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد أبو الفتوح بن سعدويه الأصبهاني المعدل المتوفى سنة ٥٥٦.

من شيوخ السمعاني، ترجم له في التجميع ١/٤٩٠ و ياتى أبوه أبو سهل أيضا، وقرأ عليه ابن عساكر في أصبهان كما في معجم شيوخه ٦٧ - عبد الوهاب بن المبارك، الحافظ أبو البركات الأنماطي البغدادي (٤٦٢ - ٥٣٨)، من شيوخ ابن عساكر و ابن الجوزي.

٦٨ - عبيد الله بن الحسن بن الحسين، موفق الدين أبو القاسم بن بابويه ولد المنتجب. مترجم في الفهرست.

٦٩ - علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن اللباد الأصبهاني المتوفى ٥٦٠، قرأ عليه بأصبهان في داره، وروى عنه في كتاب الأربعين، الحديث ٣٤، وقرأ عليه أبو سعد السمعاني أيضا.

٧٠ - علي بن أحمد بن محمود أبو الحسن الصحف الأصفهاني، ذكره صاحب الروضات ٤/٣٢٠.

٧١ - علي بن الحسين بن علي أبو الحسن الحاستي.

مترجم في الفهرست، روى في كتاب الأربعين في الحديث ٢٢ و الحكاياه العاشره و وصفه فيها بقوله: شيخنا الفقيه الدين.

٧٢ - علي بن أبي صادق السعدي.

٧٣ - علي بن أبي طالب أبو الحسن هموسه الفرزادي، روى الحكاياه الأخيره في كتاب الأربعين.

٧٤ - علي بن عبد الجليل زين الدين البياضي.

مترجم في الفهرست.

٧٥ - علي بن عبيد الله أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي البغدادي (٤٥٥ - ٥٢٧).

٧٦ - على بن القاسم بن الرضا أبو الحسين العلوي الحسنى، روى عنه الحديث الثامن و الحكاية ١١ من كتاب الأربعين قراءه عليه، و وصفه بالسيد الزاهد ترجم له فى الفهرست.

٧٧ - على بن محمد زين الدين أبو الحسن الرازى، ترجم له فى الفهرست.

٧٨ - على بن مسعود بن محمود بن الحكم أبو سعيد بن الفرخان، ترجم له فى الفهرست.

٧٩ - عمر بن أحمد بن منصور أبو حفص الصفار النيسابورى المتوفى سنه ٥٣٥. قرأ عليه و روى عنه حين قدم الرى كما فى كتاب الأربعين فى الحديث ١٥.

ص: ١٩٢

محمد بن محمود بن الحسن أبي الفرج الأنصاري عن منتجب الدين عنه.

٨١ - عمر بن علي بن الحسين البلخي القاضي أبو سعد المحمودي المتوفى سنة ٥٤٦هـ.

٨٢ - عمر بن الفضل بن أحمد بن عبد الله أبو الوفاء المميز الأصبهاني من شيوخ الحافظ ابن عساكر.

٨٣ - الفضل بن الحسن بن الفضل أبو علي أمين الدين الطبرسي المتوفى ٥٤٨هـ.

ترجم له في الفهرست.

٨٤ - فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسنی، السيد ضياء الدين أبو الرضا الراوندي، ترجم له في الفهرست.

٨٥ - الفضل بن محمد، أبو نصر النصري الحسنی.

٨٦ - القاسم بن الفضل بن عبد الواحد أبو المطهر الصيدلاني الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٧هـ.

قرأ عليه بأصبهان، وروى عنه في الحديث ٣٩ و ٤٠ من كتاب الأربعين، وروى عنه السمعاني أيضا.

٨٧ - قيس بن محمد، أبو عاصم المؤذن السويقي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ.

٨٨ - كيكاووس بن دشمن زيار الديلمي الطبري الأمير الشهيد.

٨٩ - لاحق بن بندار بن أبي بكر، أبو بكر الخياط.

٩٠ - لاحق بن الحبيب بن محمد بن علي أبو غالب الصيدلاني الكاغدي الأصبهاني. روى عنه الحديث الأربعين من كتابه

الأربعين ٩١ - لطف الله بن عطاء الله بن أحمد الحسنی الشجري النيسابوري.

٩٢ - أبو اللطيف بن أحمد بن أحمد بن أبي اللطيف رزقويه الأصبهاني نزيل خوارزم. ترجم له في الفهرست قرأ عليه بخوارزم.

٩٣ - مبشر بن أحمد بن محمود أبو الفتوح الصحافي الأصبهاني قرأ عليه بأصبهان وروى عنه في الحديث ٢٧ من كتاب

الأربعين.

٩٤ - المجتبي بن الداعي بن القاسم، السيد أصيل الدين أبو حرب الحسنی الرازي. ترجم له في الفهرست، روى عنه الحديث ١٨

و الحكايه الثانيه من كتاب الأربعين.

٩٥ - محمد بن إبراهيم أبو البركات الخليلي.

٩٦ - محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو سهل بن سعدويه المزكي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

٩٧ - محمد بن أحمد بن رجاء بن إبراهيم بن عمر بن يونس، أبو الحسين (أبو الخير خ ل) الأصبهاني. روى عنه في الحديث ٣٧ من كتاب الأربعين قراءه عليه بأصبهان.

٩٨ - محمد بن أحمد بن محمد بن عمر، أبو بكر بن الباغبان الأصبهاني المتوفى سنة ٥٤٠. قرأ عليه المنتجب و روى عنه في الحديث ٣٦ من كتاب الأربعين. ٩٩ - محمد بن أحمد بن يحيى، أبو عبد الله الديباجي العثماني المقدسي النابلسي المتوفى ببغداد في سنة ٥٢٧.

١٠٠ - محمد بن إسماعيل، أبو البركات المشهدى. ترجم له في الفهرست و روى عنه.

١٠١ - محمد بن حامد بن أبي القاسم الطويل القصاب الأصبهاني، قرأ عليه بأصبهان، و روى عنه في الحديث ١٣ من كتاب الأربعين.

١٠٢ - محمد بن الحسن بن علي، أبو غالب الماوردي (٤٥٠ - ٥٢٥).

١٠٣ - محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن، أبو جعفر بن أبي علي الهمداني المرودى.

١٠٤ - محمد بن الحسين الدينارى الآبى ترجمته فى الفهرست.

١٠٥ - محمد بن الحسين المحتسب ترجمته فى الفهرست.

١٠٦ - محمد بن حمد بن عبد الله، أبو شكر الصفار المستوفى الأصبهاني، قرأ عليه فى داره بأصبهان، و روى عنه فى الحديث ٢٥ من كتاب الأربعين.

١٠٧ - محمد بن حمد بن عبد الله، أبو نصر الكبريتى الفواكهى الوزان الأصبهاني. من شيوخ ابن عساكر.

١٠٨ - محمد بن حمويه بن محمد الجوينى الحموى الصوفى البحير آبادى المتوفى سنة ٥٣٠. روى عنه مكاتبه كما فى الحديث ٢١ من الأربعين.

١٠٩ - محمد بن رجاء بن إبراهيم بن عمر بن يونس، أبو الحسين، أبو الخير الأصبهاني، قرأ عليه فى أصبهان، و روى عنه فى الحديث ٣٧ من كتاب الأربعين.

١١٠ - محمد بن زيد بن محمد، أبو جعفر الهارونى الحسنى.

١١١ - محمد بن سعدون بن مرجى بن سعدون، أبو عامر العبدري الميورقى الفقيه الظاهرى نزيل بغداد سنة ٥٢٤. من شيوخ ابن عساكر و قال: أحفظ شيخ لقيته.

١١٢ - محمد بن شجاع بن أحمد، أبو بكر بن أبي نصر اللفتوانى الأصبهاني، من شيوخ السمعانى و ابن عساكر. و لفتوان إحدى

قراها.

١١٣ - محمد بن عبد الباقي، أبو بكر الأنصاري، قاضي المارستان، البزاز البغدادي مسند العراق و مسند الدنيا، ابن صهر هبه الحنبلي (٤٤٢ - ٥٣٥).

١١٤ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب، أبو الفتح الكشميهني المروزي (٤٦١ - ٥٤٨).

١١٥ - محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بحاطر (كذا) أبو حاتم الساوي. قرأ عليه و روى عنه في الحديث ٣٣ من كتاب الأربعين.

١١٦ - محمد بن عبد الكريم بن محمد، أبو بكر القلانسي العدل، روى عنه إجازة الحكاياه ١٢ من كتاب الأربعين.

ص: ١٩٣

١١٨ - محمد بن عبيد الله الحنفى، أبو جعفر القزوينى.

ترجم له الرافعى فى التدوين و قال: روى عن القاضى أبى المعالى أحمد بن قدامه كتاب الغرر و الدرر للمرتضى المعروف بعلم الهدى، بروايته عن المصنف. و رواه عن أبى جعفر على بن عبيد الله بن بابويه الرازى الحافظ.

١١٩ - محمد بن على بن محمد بن المطهر شرف الدين أبو الفضل العلوى الأجل المرتضى النقيب. ترجم له فى الفهرست و روى عنه فى الحكاياه ١٣ من الحكايات الملحقه بكتابه الأربعين.

١٢٠ - محمد بن على الموصلى،.

ترجم ابن حجر فى لسان الميزان ج ٢ ص ١٢٤ لجعفر بن محمد بن المظفر المترجم ناقلا عن فهرست ابن بابويه (منتجب الدين) و حكى عنه أنه قال:

حدثنى عنه الشيخ محمد بن على الموصلى. و كرهه فى ص ١٢٥ و إن أخطأ فى الأول فقال: ذكره أبو جعفر بن بابويه فى مصنفى الشيعة، و الصحيح أبو الحسن.

١٢١ - محمد بن على بن ياسر الجناتى.

١٢٢ - محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء، أبو الحسين بن أبى يعلى البغدادى الحنبلى (٤٥١ - ٥٢٦).

١٢٣ - محمد بن محمد بن محمد، أبو عبد الله العوفى البلخى.

ترجم له الرافعين [الرافعى] فى التدوين و روى عن المنتخب عنه.

١٢٤ - محمد بن ناصر بن محمد البغدادى، أبو الفضل السلامى الدار، الفارسى الأصل (٤٦٧ - ٥٥٠).

١٢٥ - محمد بن الهيثم بن محمد، أبو سعد الأصبهانى.

قرأ عليه فى داره بأصبهان، و روى عنه فى الحديث ١٧ و ٢٥ من كتاب الأربعين.

١٢٦ - محمود بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد، أبو الفتح الطالقانى الشاهد روى عنه الحديث الأول من كتاب الأربعين قراءه عليه.

١٢٧ - محمود بن على بن الحسن، سديد الدين الحمصى الرازى ترجم له فى الفهرست.

١٢٨ - محمود بن محمد بن عبد الجبار، أبو الفتوح المذكر الهرمزديارى السروى ثم الجرجانى. روى عنه الحديث الثانى من كتاب الأربعين قراءه عليه و قال: قدم علينا الرى.

١٢٩ - المرتضى بن الداعي بن القاسم، السيد صفى الدين أبو تراب الحسنى، روى عنه الحديث ١٤ فى الأربعين و الحكايه الثالثه منه و الخامسه.

١٣٠ - المرتضى بن المجتبى بن محمد السيد أصيل الدين العلوى العمري روى عنه فى الفهرست.

١٣١ - المرتضى بن المنتهى بن الحسين السيد كمال الدين الحسينى المرعشى ترجم له فى الفهرست.

١٣٢ - مسعود بن على بن منصور، أبو المحاسن الأديب روى عنه فى الحديث ٢٩ من كتابه الأربعين.

١٣٣ - منصور بن محمد بن الحسن، أبو المظفر الطالقانى.

١٣٤ - هبه الله بن أحمد بن عمر الحريرى البغدادى، المعروف بان [بابن] الطبر أبو القاسم المقرئ (٤٣٥ - ٥٣١).

١٣٥ - هبه الله بن جعفر بن أحمد السراج.

١٣٦ - هبه الله بن داود بن محمد، أبو المكارم تقى الدين، أو ثقه الدين الأصبهانى روى عنه فى الفهرست.

١٣٧ - هبه الله بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسم الشروطى الواسطى المتوفى سنه ٥٢٨.

١٣٨ - هبه الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد، أبو القاسم بن الحصين الشيبانى البغدادى (٤٣٢ - ٥٢٥).

١٣٩ - يحيى بن طاهر بن الحسين، أبو سعد الأديب السمان المؤدب الرازى توفى بعد سنه ٥٣٧.

و هو ابن أخى أبى سعد السمان الرازى المترجم فى الفهرست.

روى عنه المنتجب فى أربعينه، الحديث العاشر منه قراءه عليه، و الحكايه السادسه و السابعه و الثامنه و التاسعه.

١٤٠ - أبو الحسن بن سعدويه القمى، روى عنه فى الفهرست.

١٤١ - أبو الحسين بن ذكوان بن أحمد بن الحسن الخطيب.

١٤٢ - أبو عمرو الخليلى البصير.

أبو الفضل الكرجى: محمد بن عبد الكريم.

١٤٣ - أم إبراهيم فاطمه بنت عبد الله الجوزدانيه الأصفهانيه توفيت سنه ٥٢٤.

١٤٤ - أم الضياء لامعه بنت الحسن بن أحمد الوراق.

١٤٥ - أم الشمس مباركة بنت أبي الفضل بن ماشاده.

١٤٦ - ملكة بنت الامام أبي الفرج محمد بن محمود القزويني.

تلامذته:

قال تلميذه الرافي في ترجمته من التدوين: وسمع منه الحديث بالرى أهلها و الطارئون عليها، و رأيت الحافظ أبا موسى المدني روى عنه حديثا...

و هذا التصريح من الرافي مع كثره شيوخ منتجب الدين و رحلاته العلميه، و جده في الطلب، و طول عمره كل ذلك يوجب أن تكون في تلامذته، و الراوين عنه، و القارئين عليه، و مستجيزيه، و المجازين منه كثره هائله و عدد لا يحصون، و لكن التاريخ أهمل ضبط ذلك كله، و لم يلق الضوء على كثير منه و لا قليل، و ها نحن نذكر من عرفناه من تلامذته كنموذج لذلك، لثلا يبقى العنوان بغير معنون، و عسى في المستقبل يكشف لنا عن أسامى كثير ممن نهلوا من نميره، و اغترفوا من بحر فضله:

١ - أبو موسى المدني، و هو الحافظ محمد بن عمر الأصبهاني المتوفى سنه ٥٨١.

ص: ١٩٤

القزوينى المتوفى بالموصل فى شعبان سنة ٦٢٢.

٣ - الرافعى أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزوينى المولود سنة ٥٥٧ و المتوفى سنة ٦٢٣.

٤ - برهان الدين محمد بن محمد بن على بن ظفر الحمدانى القزوينى الذى روى الفهرست و الأربعين عن مؤلفهما استاذه منتجب الدين و كتبهما سنة ٦١٣، و هو مترجم فى الفهرست.

مؤلفاته

١ - كتاب الأربعين عن الأربعين من الأربعين:

جمع فيه أربعين حديثا فى فضائل أمير المؤمنين (ع)، عن أربعين شيئا من مشايخه باسنادهم عن أربعين صحابيا، و بدأ بالخلفاء ثم سعد بن أبى وقاص، ثم عبد الرحمن بن عوف، ثم سائر الصحابة.

ألفه بعد ما عرض عليه النقيب عز الدين يحيى الشهيد عام ٥٩١ بالرى كتاب "الأربعين عن الأربعين" للشيخ أبى سعيد محمد بن أحمد بن الحسين النيسابورى، فعزم على جمع ما يشبهه و يزيد عليه، فألف هذا الأربعين، و صدره باسم النقيب عز الدين يحيى و ألحق بآخره أربع عشرة حكاية غريبة فى شأنه و فضله (ع)، كل ذلك بالاسناد يرويه عن مشايخه. (١)

و قرأه عليه فيما نعلم ثلاثة من تلامذته:

أحدهم: الرافعى، قال فى ترجمته فى التدوين: و من مجموعته كتاب الأربعين الذى بناه على حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه المترجم لأربعين حديثا، و قد قرأته عليه بالرى لسنة أربع و ثمانين و خمسمائة... و قرأت عليه الأربعين بتمامه.

و ثانيهم: مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزوينى المتوفى ٦٢٢، قال ابن الصابونى المتوفى سنة ٦٨٠ فى تكمله إكمال الإكمال ص ١٧ فى ترجمه ابن بابويه منتجب الدين: روى لنا عنه الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزوينى الصوفى أربعين حديثا فى الرباعى عن الأربعين من تخريجه بسماعه منه.

و ذكره ابن ناصر الدين المتوفى ٨٤٢، فى كتاب التوضيح و هو شرح على مشتبه الذهبى، فى ترجمه ابن بابويه منتجب الدين قال: و الامام أبو الحسن على بن الحسين بن بابويه الرازى خرج لنفسه أربعين حديثا، رواها عنه أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزوينى. (٢)

و قال ابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ فى تلخيص مجمع الآداب فى ترجمه الشيخ منتجب الدين: ذكره الشيخ الحافظ صائن الدين أبو رشيد محمد بن أبى القاسم بن الغزال الأصبهانى فى كتاب الجمع المبارك و النفع المشارك من تصنيفه و قال: أجاز عامه سنة ٦٠٠، و له كتاب الأربعين عن الأربعين رواه عنه مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزوينى. و قوله: "و له كتاب الأربعين... مردد بين أن يكون من تتمه كلام ابن الغزال، أو من كلام ابن الفوطى نفسه.

و ثالث من روى كتاب الأربيعين عن المؤلف من تلامذته هو برهان الدين محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني كما ذكره شيخنا الطهراني في الأنوار الساطعه ص ١٧١، و كما هو موجود على نسخ الأربيعين، و ذكر أنه نسخه لنفسه سنه ٦١٣ عن نسخه الأصل بخط شيخه المؤلف.

و قال ميرزا عبد الله أفندي في ترجمه المنتجب من رياض العلماء ١٤٦/٤ عند الكلام على أربيعينه: قد روى كتابه جماعه من العلماء، و قد وجد بخط جماعه من العلماء أيضا... و في هذا المورد بالهامش بخطه:

ثم قد رأيت في أول كتاب الأربيعين المذكور له نقلا عن خطوط العلماء..

روايه المفتقر إلى عفو ربه محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني عنه.

أقول: و الأسف أنه لم يصل إلينا حرف الميم من كتاب رياض العلماء سهل الله السبيل إليه.

و وعد في آخر الأربيعين أن يؤلف أربيعينا آخر، و لا- ندرى هل تيسر له إنجازه أم لا، فقد عمر بعد فراغه من الأربيعين نحو العشرين عاما.

٢ - تاريخ الري:

قال الرافعي في ترجمه المنتجب في التدوين: و كان يسود تاريخا كبيرا للري فلم يقض له نقله إلى اليباض، و أظن مسودته ضاعت بموته؟.

أقول: بل، لم تضع بموته و لا- بعد موته، و لعله بيضه أيضا و كان موجودا في القرن الثامن، فقد نقل عنه السبكي المتوفى سنه ٧٧١ في طبقات الشافعيه الكبرى ج ٧ ص ٩٠ ترجمه أبي الفضائل سعد بن محمد المشاط كما ذكرناه في شيوخه.

و بقي أيضا إلى القرن التاسع، و حصل عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنه ٨٥٢، و نقل عنه في لسان الميزان كثيرا من تراجم أعلام السنه و الشيعة، بل نقل عنه من تراجم أعلام الشيعة جماعه لم يذكرهم المنتجب في فهرسته، كما نقل ابن حجر في لسان الميزان عن فهرست المنتجب أيضا كثيرا، و ربما أطلق و قال: ذكره ابن بابويه.

قال: ذكره ابن بابويه في تاريخ الري، مما يظهر أن النسخه التي ظفر بها ابن حجر كانت ناقصه الآخر و الموجود فيها إلى حرف الميم، و إن كان المنتجب قد بدأ في تاريخه بالمحمدين كالخطيب و غيره، فنسخته كانت إلى أواخر حرف العين، حيث أن آخر ترجمه نقل منها ابن حجر ما عدا المحمدين هو عمر بن محمد بن إسحاق العطار الرازي و لم ينقل عن تاريخ الري فيما بعده شيئا.

و الأسف إننا إلى الآن لم نظفر بتاريخ الري لابن بابويه، و لا بتاريخ الريلابي سعد منصور بن الحسين الآبي المتوفى سنه ٤٢١.

و يبدو أن تلميذه الرافعي تبع أثر شيخه المنتجب و اقتدى فألف هو أيضا تاريخا كبيرا لوطنه قزوین و سماه " التدوين " .

هي رساله في المواسعه و المضايقه في وقت قضاء الصلاه الفائته، أو الصلوات الفائته، ذكرها شيخنا الطهراني في الذريعه ٢٧١/١٥ و قال: إنهه.

ص: ١٩٥

-
- ١- نسخه من أربعين منتجب الدين من نسخ القرن العاشر ضمن مجموعه رقم ٩٣٨٤ في مكتبه المجلس بطهران.
 - ٢- نسخه من كتاب التوضيح لابن ناصر الدين في دار الكتب الظاهريه بدمشق. و لكنى نقلت عنه من تعليقات الإكمال لابن مأكولا ج ١ ص ١٦٥ فقد أورده المعلق هناك عنه.

صدره باسم السيد عز الدين يحيى الذى صدر الفهرس باسمه أيضا...

و ذكر أنه يوجد عند السيد شهاب الدين و عليها شهاده صاحب رياض العلماء و ذكره لجمع آخر من المؤلفين فى المسأله...

و يظهر أن هذه المسأله كانت موضع نقاش و أخذ ورد فى أواخر القرن السادس، حيث أن ابن إدريس المتوفى سنه ٥٩٨ كان يذهب إلى التضييق فى وقت الفائته، و ألف فيه رساله سماها "خلاصه الاستدلال"، و ألف ورام بن أبى فراس المتوفى ٦٠٥ رساله فى الموضوع و انتصر فيها لابن إدريس، و منهم الشيخ على بن منصور بن تقى الدين الحلبي حفيد أبى الصلاح، ألف رساله فى ذلك و اختار التضييق و رد فيها على معاصره القائل بالتوسعه، أبى على الحسن بن طاهر الصورى و منهم السيد عبد الكريم بن طاوس ألف فى ذلك أكثر من رساله.

و لكن الشيخ أسد الله المحقق الدزفولى شكك فى صحه نسبه هذه الرساله لمنتجب الدين، قال فى المقابس ص ١٦ فى ترجمه منتجب الدين: و ربما يعزى إليه الرساله الموسومه بالعصره فى أحكام صلاه القضاء، و لعلها ليست كذلك كما بيناه فى منهج التحقيق.

أقول: منهج التحقيق فى التوسعه و التضييق ألفه المحقق الكاظمى فى الموضوع نفسه.

٤ - فهرست أسامى علماء الشيعة و مصنفاتهم.

هكذا وجد اسم هذا الكتاب بخط الحمدانى تلميذ المؤلف، و راويه عنه فيما كتبه من نسخته عن نسخه الأصل بخط المؤلف، و فرغ منه أواسط رجب سنه ٦١٣، و كل الروايات تنتهى إلى الحمدانى، و كل النسخ تنتهى فى النقل إلى نسخته.

و عبر المؤلف فى أول كتابه الأربعين عن كتابه هذا بقوله: فلما فرغت من جمع ما عندى من (أسامى علماء الشيعة و مصنفيهم)، و عبر عنه باسمه الكامل مع إضافه كلمه "الفهرست" حيث كرر ذكره فى نهايه كتاب الأربعين فقال: و لو سهل الله تعالى و أعطانى المهل و آخر الأجل أضفت إلى كتابى (فهرست أسماء علماء الشيعة) ما شذ عنى بحيث يصير مجلدا ضخما.

سبب تاليفه:

أما السبب المحفز له على تصدى جمع الفهرست فقد ذكره هو فى خطبه الكتاب، و أنه كان يوما عند السيد عز الدين يحيى النقيب الشهيد سنه ٥٩٢، فذكر فى خلال حديثه أن شيخ الطائفه أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى ٤٦٠ رحمه الله قد صنف كتابا فى أسامى مشايخ الشيعة و مصنفيهم، و لم يصنف بعده شىء، كالأسف المتألم من ذلك، ففهم منه المنتجب أنه يعرض عليه التصدى له و يطلب منه القيام به، فلبى طلبته و أجابه إلى رغبته و قال: لو أخر الله أجلي أضفت إليه ما عندى من أسماء مشايخ الشيعة و مصنفيهم...

تاريخ تاليفه:

و بصدد تحديد الفتره التى ألف فيها هذا الفهرست (حيث لم يؤرخ المنتجب فراغه من تاليفه) نقول: إنا قد علمنا من جهه أن

تأليف الفهرست كان قبل تأليف الأربعين حديثا، وهذا شيء مصرح به في خطبه كل من الكتائبين، و علمنا من جهة أخرى أن الرافعي قرأ على المنتجب كتابه الأربعين حديثا بالرى في سنة ٥٨٤، فيلزم أن يكون الفهرست قد أُلّف قبل هذا التاريخ.

و العجب أن يتصدى رجلان في عصر واحد لتتيمم فهرست شيخ الطائفة تأليف ذيل له، و كلا المتعاصرين من كبار رجالات الطائفة و عمد أعلامها، أحدهما الشيخ منتجب الدين في الرى، و الآخر الحافظ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المتوفى ٥٨٨ في حلب، و لم يعلم كل منهما بعمل الآخر و لا ذكر أحدهما الآخر في كتابه.

و كان المنتجب أنجحهما في عمله حيث كان في إيران و تجول في ربوعها، و كان ذا صلة بأبناء الطائفة في أرجائها، فسجل أسماء، و أحيا ذكر رجال تفرد هو بتدوينهم، و لو لا أنه سجل ذكرهم لم نهتد إلى شيء من ذلك، فأصحاب التراجم و المعاجم الذين ألفوا في هذا المعنى آخذون منه ناقلون عنه، كالشيخ المحدث الحر العاملي، و ميرزا عبد الله أفندي في رياض العلماء، و الخوانساري في الروضات، و المحدث النوري في المستدرک على الوسائل، و المحدث القمي في الكنى و الألقاب، و سيد الأعيان السيد الأمين، و شيخ الأعلام شيخنا العلامة الطهراني في أعلام الشيعة قدس الله أرواحهم الزكية و حشرهم مع مواليتهم أئمة العتره الطاهره (ع)، تراهم عبر القرون و اردين منهلته و ناسكين منهجه مقتصرين في التراجم التي نقلوها عن فهرست المنتجب على ما ورد في الفهرست و لم يضيفوا إلى كثير منها كثير معلومات، و هذا يدلنا على أهميه هذا الفهرست و أصالته فيما سجل و قيد و جمع و خلد بحيث لو لم يتصد لها لحرمتنا منها.

السيد علي الغريفي بن السيد عدنان.

إشاره

ولد في اليوم التاسع و العشرين من شهر ذى الحجه الحرام من سنة ١٣٢٦ هـ في مدينه المحمره، و توفي فيها سنة ١٣٥٩ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيه.

نشا و ترعرع في بيت زاخر بالمجد و الشرف و المعارف الالهيه، فأبوه السيد عدنان كان مرجعا لتلك الأطراف و مدرسا لجمع من الطلاب. حيث كان منزله ملتقى للضيوف و ذوى الحاجات.

تعلم القرآن الكريم و القراءه و الكتابه في المكتب على الطريقه القديمه المرسومه حين ذاك، فاخذ بالحضور على الملا حسين المؤذن، الذي كان من المعلمين المشهورين في ذلك الوقت في بلدته المحمره، ثم بعد ذلك حضر في المقدمات (العلوم اللسانيه) على أبيه السيد عدنان، و بعد وفاه أبيه سنة ١٣٤٠ هـ و كان عمره أربع عشره سنة أخذ بالحضور على الشيخ عيسى بن صالح الجزائري، الذي كان وصى أبيه، و القيم على أطفاله القصر، حيث بقى يواصل الدرس عنده إلى أن توفي الشيخ عيسى سنة ١٣٥١ هـ.

مؤلفاته:

ترك ديوانا شعريا ضاع أكثره، و طبع بعد وفاته ما بقى منه. و له الرضى من شعر المرتضى، و هو كتاب يضم مختارات من شعر الشريف المرتضى في أكثر من ٣٠٠ صفحه من القطع الصغير، و له: حواشى على دواوين كثيره، من جملتها ديوان الشريف

الرضى، و ديوان المتنبي يبين فيها السرقات أو يفسر

ص: ١٩٦

بعض أبياتها أو يبين معاني بعض لغاتها و بعض التعليقات على منظومه السبزواری فی الفلسفه.

و مختارات كثيره من شعراء جاهليين و إسلاميين تبلغ عده دفاتر.

و منظومه فصيح ثعلب، فقد نظم هذا الكتاب بكامله على شكل أرجوزه تبلغ أبيات المنظومه (١٣١١) بيتا و أبحاث و فوائد في علم الهيئه.

و كتابه عده دفاتر في اللغة و صيغها و مشتقاتها.

شعره:

قال مادحا أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين (ع):

تظن غصونا بالأراك موائلا تزر على شمس النهار الغلائلا

إذا عطفتها روعه الدل رنحت معاطف يدعوها الجهول ذوابلا

تدافع كالمخمور مالت به الصبا و قد كافحت فيه الجنوب الشمائلا

إذا نظرت خلت اللواظ أمطرت سهامها و كل العالمين مقاتلا

عرفت بها صدق الغرام و بطله و ما كنت أدري أن في الحب باطلا

عسى دوله الأيام تجمع نائيا و تسعف مشتاقا و تسعد واصلا

فقد تصحب الدنيا و تعطى قيادها أوانا و إن كانت غريما مماطلا

ألم تر أن الدهر قلد جيده بمولد (عباس) و قد كان عاطلا

فتى دب في حجر النبي محمد و أورثه عاداته و الشمائلا

تفرع مجدا من ذؤابه هاشم أثيلا و معروفًا و بأسا و نائلا

إذا ابتدر الرءون من حر وجهه سناه رأوا منه عليه دلائلا

لقد ولدت أم العلي منه أروعا جوادا على العلات شهما حلاحلا

لعمرى لنعم النجل عنه تمخضت جنينا و كانت قبل جداء حائلا

غلام يعد الأتحميات خثره ثلاث عليه و القمط حمائلا

يهش إذا هلهلن بشرا كأنه يخال صليل المرهفات الهلاهلا

و ما يرتضى بالمهد إلا و خاله سناما إلى أوج الفخار و كاهلا

يسود الورى - و هو ابن عامين - جمعا إذا ساد عمروا لقييل بكر و وائلا

أ أحمد يا بن الأكرمين و من به غدا مجمع الإحسان و الفضل شاملا

ليهنيك مولود به الأرض نورت كان قد همت يمناه طلا و وابل

فعاش حميدا فى الأنام مؤملا قتولا لدى النادى و فى الأزم فاعلا

و قال مادحا سيد الشهداء أبا عبد الله الحسين ع:

عصر الشباب كبرت عن أضلاله و نجوت حر الجيد من أغلاله

كان الصبا بردا خلعت جديده قبل المشيب و رحى فى أسماه

و المرء يرشده بياض فؤاده بسنا الهدايه لا بياض قذاله

أرخت حين بدا بخدى برقه ستر العذار مخافه أستر ساه

ضحكت إلى مباسم من فجره فدفعت مختارا إلى آصاله

عقلى الذى يزن الجبال فهل ترى يضحى غريق الكأس من جرياله

و لقد رمانى الشيب لكن جاوزت رأسى إلى قلبى سهام نضاله

أنا من حملت فتى تكاليف الحجى و لقد يضح الشيب من أحماه

تشكو الصبا ثقل الغبار و باطل أن تشكى رضوى من استثقاله

لا غرو أن أخط الغنى فالدر قد سكن الأجاج و عاف عذب زلاله

و لربما هان الفتى فى حيه كهوان قدر المسك عند غزاله

و الحظ قد يشتط ثمه يرعوى مثل الغريم يثيب بعد مطاله

لقى الهوان السيف أذهو زيره لكن أفاد العز يوم صقاله
كالدهر بالأشباح عز و إنما ولد (الحسين) فنال سن كماله
يوم كان الدهر - و هو أمامه - سلك الدياجى يهتدى بذباله
يوم على خد الزمان كبارق لو لا سناه لقلت كان كخاله
زان العصور كان يمنى الله قد عقدته إكليلا على أجياله
و جرى بميدان الدهور فمذ أتى شعبان كان به انتهاء مجاله
فليهنى الزهراء أن سليلها فى بحر هذا الكون من سلساله
من صفو نور محمد و وصيه فيمينه فى مجده كشماله
سر المهيمن روحه متجسدا فى لفظ كن فيكون لا صلصاله
هو من فيوضات الإله رضاعه أبدا فليس يحين يوم فصاله
و الله قلده بصارم بطشه نبلا و جليبه بيرد جلاله
من كان رأس الكون موطئ رجله أ ترى الهلال يكون شسع نعاله
أ و لا ترى الأفلاك لما تابعت حرركاتها طلبا لنيل نواله
و كان مرآه السما صقلت له فنجومها من عكس ظل خصاله
قد مد رضوان الإله رواقه فى الحشر تاوى الرسل برد ظلاله
سعد الهدى الأعلى فكل الأنبياء نالت سعادتها من استقباله
حكم القضاء مكنم حتى أتى فأبان سر مقاله بفعاله
أومى إليه بفجعه لو قالها علنا لدك الكون من زلاله
ركب البروق إلى العلى لم تعتلق كف من الأوهام فى أذياله
رامت أميه أن تحول بزعمها ما بين مطلبه و بين مناله

أو هل يبالي الليث أن قد جمعت زمر العناكب نسجها لعقاله

يهدى إلى الأذان بأس زئيره فيذكر الأكباد بأس صياله

لا تعط خدك للحسام إذا ابتغى تقبيله و احذر بياض جماله

ما للقريض و نعته من بعد ما صلى الإله على النبي و آله

و ارتجل هذه الأبيات فى رثاء أستاذه و مربيه الشيخ عيسى بن صالح عند ما ذهب إلى زياره قبره:

أبا صالح جئنا نؤدى زياره بها الكل من لقيا المزور على يأس

و ما كان بدعا أن ترد سلامنا علينا و لكن ليس يدرك بالحس

أتيناك نشفى الهم باللم ساعه لقبرك أو نستدفع الحزن باللمس

و ما كنت أدرى قبلها أن كوكبا يزار و روح القدس تودع فى رسم

على جسد فيه صلاه و رحمه و قدست من روح على و من نفس

و قال يريته:

أبا صالح أى نحب بقى و أى جديديك لم يخلق

أبتك زفره وجد متى يفض مدمعى أثرها يحرق

و عبره شجو متى يختلس من الجفن كامنها أشرق

أضل إذا جار دمعى على أعارضه بحشى مشفق

و أضرب فيك حنايا الضلوع بقلب إلى الحزن لم يسبق

أقيس على الياس منك الرجا قياسا بعقباك لم يصدق

و أنطق عن حكمه الله فى شفاك إذا هى لم تنطق

و أزجى الظنون بان ينجلى دجى الليل عن صبحه المشرق

و أستنجد الصبر و الحادثات تكرر على الصبر فى فيلق

و كم أتقى فيك ريب المنون فقد جاء من حيث لا أتقى

فليتك خلدت عمر الزمان أو ليت ذا الدهر لم يخلق

أفق فالمواكب ترنو إليك بطرف من الدمع لم يرمق

و تلك المآثم في مغرب تعج نواحا و في مشرق

يد قد لظمت وجوه الضلال بها تستجد من المرفق

و سيف رفعت به ساعدا هوى فأصابك في المفرق

أ تشكو إلى الله من داءك العضال و من جوره المطبق

و تترك ابناك و المسلمين ضياعا بلماعه سملق

و مما يهون وجدى عليك أنى ملاقى الذى تلتقى

و أن دموى تذيب الفؤاد و أن زفيرى غدا محرقى

سيجزيك ربك في موقف يميز الخدوع من الملقى

و عذرا إذا نضب الشعر فيك فذا جهد ذى مقول موثق

و قال مراسلا صديقه السيد عباس شبر بتاريخ السابع من شهر شوال سنة ١٣٤٥:

تحن إلى نجد و قد يمتت نجدا ذمول أبت إلا السراب لها وردا

إذا استبقت للسير تحسب صارما يسلم على متن الربى و الدجى غمدا

إذا هبت النكباء كانت لها ردا و إن أرخت الظلماء كانت لها بردا

تخال هلالا ما ترى من نحولها و نجم الثريا فى مقلدها عقدا

تؤلف بين الشرق و الغرب إن سرت ذميلا فلا غورا تعانى و لا نجدا

تؤم رشا بالبيض و السمر خادر و ليس هما إلا اللواظ و القدا

أصادقه ودا فيعقبني جفا و أساله وصلا فيجبهني ردا

خليلي عوجا بارك الله فيكما على طلل عشنا به زمنا رغدا

أناخ بمغناه بكلكله البلا و ألبسه الأعصار ضافيه حصدا

و عهدى به للغير ملهى و للدمى مراح و لم يلو الزمان له وعدا

فما باله و الوحش فى عرصاته عكوف و قد أبدى له الدهر ما أبدى

و أسحم غريب الجبين كأنما أعارته طولاً من ذوائبها سعدى

كان به الشهب الدرارى أسنه تمزق من جسم الدجى بالسنا جلدا

كان به يصف الهلال مهند يسل على جيش الدجى مرهف حدا

كان سهيلاً حين يبدو و يختفى غريق ببحر الليل حيث طمى مدا

كان الثريا كف عاف يمدّها إلى كرم (العباس) مستجدياً رفدا

فتى أخرجلت غر السحائب كفه كما قد غدا حر الكلام له عبدا

فتى شاد بيت المجد بعد انهدامه و شد من العلياء حيث انثنت زندا

نماه إلى المجد المؤثل هاشم فأكرم به نسلا و أكرم به جدا

إذا ما شكى العافون محلاً فكفه تجود ندى كالقطر حاشاه بل أندى

و أما دجا ليل الضلال فرأيه يضىء هدى كالبدر حاشاه بل أهدى

همام لو البدر استضاء بنوره لما ناله خسف و لا فارق السعدا

له خلق كالروض باكره الحيا تضوع مسكا لا خزامى و لا رندا

فيهدى لنا فى كل يوم شقائقا سقاها من الآداب ماء و لا صدا

فتى عاقر العلياء قد نتجت به و قد عقت عن أن تجىء له ندا

فيا أيها البحر العباب الذى طمى على الخلق إلا أنه سائغ وردا

ألا فاعذرن صبا يروم ثناء كم و هيهات أن يحصى ثناء كم عبدا

فدم رافلا فى ملبس العز ما شدا هزار و ما هام الفؤاد بكم وجدا

قال و قد أرسلها إلى أخيه السيد حسن يتشكى فيها من الزمان و يظهر ملله من الحياه:

ألا أبلغ أبا عدنان أنى بعثت القلب ينتشط القلاصا

عداك الهم أن أخاك أمسى أسير الهم لا يجد الخلاصا

بقلبي للزمان جراح ضيم و لم أملك من الجانى قصاصا

و كنت قنعت منه بنزر عيش فأصبح لا ينى إلا اعتياصا

و فضله مهجه فيها أغالى و يأبى جهده إلا ارتخاصا

ترامقنى الخطوب و قد دهنتى و أحسبها على رمقى توامى

ملالا للحياه لو أن حتفا يصاد لكنت آخذه اقتناصا

دعوت لقبض ملك الموت روحى فعاصى أو دعا أجلي فعاصى

و لما أن رأيت العقل دائى لبست الجهل سابغه دلاصا

فمن يرنى يجد ظهرا ثقيلًا من البلوى و أحشاء خماصا

إذا طرق البلاء فما سؤالى أعم سواى أم كان اختصاصا

و قال و أرسلها إلى أخيه السيد حسن يتشوق فيها إليه، و ذلك بتاريخ اليوم الثالث من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٨:

بقايا دموع أسارتها العواذل يرقرق مسراها الصبا و الشمائل

يجاذبها الوجد الملح فتنكفى سراعًا كما يهوى حصى متخاذل

تبين ما أخفى من الشوق و الهوى بتهماله حتى كانى بأقل

أدارى الهوى كيلا يروح بعزتى و إن وضحت منه على المخائل

إذا خطرت منه على القلب خطره تقاعس حتى شخصه متخاذل

على بان يلقى من الدهر صرفه و ليس عليه أن تغول الغوائل

عسى زمن أودى بريعان لذتى و غادر نجمى و هو خزيان آفل
يقرب دارى من علا حسن العلى فينعم مشتاق و يسعد واصل
أخو الفضل محبوب إلى كل عاقل لبيب و محسود لمن يتعاقل
سميع و لو أن النداء رسائل قنول و لو أن اللسان الأنامل
شمائل لو أن الشمال تعطرت بارواحها لاستنشقتها الأصائل
خليلى أن ضن الخليل بوده و خدنى أيا قلته فهو فاعل
و قد يلتقى القلبان و الدار غربه و يجتمع الشمالان و البعد حائل
و قال:

أ نسيت عند هواكم التبريحا فظللت أرقب من سناه لموحا
أم أثقلتني فى المآقى دمعه لم أرفعها فسفحتها ترويحيا
أ أطعت فيك من العيون كواشحا و عصيت فيك من الفؤاد نصوحا
إن ضقت ذرعا فى العزاء فقد غدا أمد البكاء على العزاء فسيحا
و نفضت كفى من سلوى إذ بدا و لهى و ضوحا و الجبين و ضوحا
ما أنذرتنيه المحاسن مضمرا قد أنذرتنيه العيون صريحا
أعلمت لحظك إذ يفاجئ لحظتى أدنى قضاء بالحمام أتيحا
أ يظنه ربح السلو بزعمه هيهات بل وجد الهيام ربيحا

ما ضر طرفى أن طرفك ينثنى منى قريرا إذ يعود قريحا

خفض شجونك يا فؤاد فلن ترى من بعدها نحو الحسان طموحا

تركتك تعدو إثرها فى غايه يغدو بها الأمل القموص طليحا(١)

قلبي كعهدك يا جميله لا يرى إلا التجمل فى الغرام قبيحا

و قال سنه ١٣٤٦:

يوم أنس عددته بدهور نلت فى لهوه أتم سرورى

يوم سرنا إلى رياض تجلت فى ثياب من سندس و حرير

جمعت بين زنبق و أقاح كخدود دنت للثم ثغور

دبجتها يد الربيع بوشى خلعت فوقه غلائل نور

و كان الغمام قد ألبس الجو رداء يزر من كافور

و ترى الغيم فى الشقيق يبكى بدموع المقيم المهجور

كحباب على صفيحه راح فى كتوس أو لؤلؤ منشور

فقضينا بين لهو و قصف و نعيم صفا بلا تكدير

ثم سرنا على ظهور مطايا عائمات فى ليج ماء نمير

من بنات المياه لا وردها الثمد و لا رعيها لعاع البريد

تتهادى مع النسيم اختيالا كاختيال النشوان و المخمور

فقطعنا تلك الغمار بجهد و مسير تعسا له من مسير

و إذا بالأمها تبدت علينا فحمدنا عواقب التأخير

سافرات كأنهن بدور تتجلى فى جناح ليل الشعور

فيهم غاده تغشى سنا الطرف بجسم قد صيغ من بلور

إن في ذلك المحيا لمعنى عز عن كل ذى نهى و شعور

وجهها جنه المحاسن حفت من لماها بسلسبيل غدِير

نظرت عن كمثل مقله ريم و عطت عن سوائف اليعفور

هى إن أقبلت فغصن نضير و هى إن أدبرت فطود ثبير

حار ماء الشباب فى صحن خد يتلظى به ضرام السعير

و كان الأصداع فى الوجنات البيض ليل على جوانب نور

لو رأى بابك بن ساسان خديها فداها بنجله أردشير

لم تغيب شمس النهار و لكن كسفت من جمال شمس القصور

و قال:

إذا بت أستدنيكم بالتذكر علق بصدق الوصل عن قول مفتر

سقى الله دهرأ أن سریت على المنى سریت إلى اللذات غير معذر

تحسيت كاس الحب غير مصدر على و صفو اللهو غير مكدر

إذا أنا باغت الحسان بنظره مشى بيننا حب طويل التحير

و إذا أنا من دل الثريا بمسمع و من فتن فى مقلتيها بمنظر

إذا أمكنت من رقبه الهجر غره تجلى التصابى عن غريم و معسر

و شكوى متى يوكل إلى اللفظ بثها يطل و متى يوكل إلى اللحظ يقصر

و ما أنصفت جارت على القلب فانبرى يجور على دمعى لها المتحدر

أفانين وجد كل يوم يثيرها على مدمعى من خلقه المتنكر

لعمرك ما حب الثريا بنافعى فتبلا و لا وجدى عليها بمقصر

و ما نافعى إن قدر الحب بيننا إذا كان يوم الوصل غير مقدر

أزجى الظنون الحائمت فتشنى بأمثالها من مطمع أثر محذر
و ما أنكر الدمع الهتون و إنه لشاهد صدق عن جوى فيك مضمّر
سلى غير الأيام عنى لتخبرى مقيما على الأيام لم يتغير
ألفت الرزايا بل توهمت أن من عدته دعى فى نصابى و عنصرى
و ما ربحت لى صفقه بعد صفقه بها بعث روح القلب و الدهر مشترى
عثرت بامالى فأسرت فانبرت لتمسك أذيالى فشمريت مثرى
و منها:

و لله قلب إن أطلت عظيمه رسا و متى يعرض له الدم يذعر
و منها:

فيكذب فى ثلبى العدو بغيبتى و يصدق فى مدحى الحسود بمحضرى
أبيت على الحادى و قد عن موردى على القرب لما لم يضح لى مصدرى (٢)
و ما أنا بالساعى لأزجى ركائبى إلى منهج عنه تنكب معشرى
و قال من قصيده:

شرف لحبك يا نوار ظلم النفوس به تنار
أ يضل نهج الحب من ضوء الجبين له منار
وجه لو البدر اجتلاه غدا عليه له مدار
تنزو لمرآه القلوب كان نور الحسن نار
شكر اللسان مصرحا و القلب شكواه سرار
يا نظره خفت وراء الحسن دعوتها اغترار
شردت و لم يقصر خطأها عنه من حزم أسار

ظنوا الهوى طوع النهى ينقاد و الحب اضطرار

و قال أيضا:

صوره حسن أن تغب عن ناظري فلم تغب بالفكر عن تصوري

أ تدعوني عاشقا و إنما عرفت كنه الحسن بالتدبر

إن قلت لو لم تنظري أين الهوى تقول أين الحب لو لم تنظر

و قال:

ساهمت في الجمال أعيننا إنها أثرت به حمرة

ضل من أعمد الفؤاد و من عن فنون الهوى زوى فكره

لذه الدهر ثم لوعته عنونها بفعلها نظره

حرقه طي فتره أخذت منه لله درها فتره

و قال من قصيده:

غضبي نزا ألق الجمال الثائر في لحظها فاهتز قلب الناظر

نور الجمال طغت عليه ناره موجا عواصفه وراء سرائر

شبت لوامعه فخلت وميضها شرارا تطاير من خضم زاخر

في نضره الفردوس لون جحيمه كالبؤس يسطع في محيا الشاكر

سحر الهوى الغافى وراء جفونها يقظان ثار يمد خطوه عاثر

و منى جرت و النور في نظراتها عكست وعيدا حام حول محاجر

و تموج النشوات في أعطافها خمدت باسر دم الشباب الغائر

و ترنم سطع الضمير بعطره فضفا الخلود على نهى و ضمائر.

١- القموص: الدابه التي قمص بصاحبها أى تثب و تنفر. الطليح: التعب و المعيب.

٢- يضح: ينكشف. عن: ظهر.

خنقت بمكظوم الشجى أوتاره فتبدلت نبضاته بزوافر

ضحكاته كيف استحلن صواعقا تجتث أفنان الرجاء الناظر

و منها:

صاح الأسى فتبددت ألاحظها كالخمر أنت تحت ضغط العاصر

شفق عبوس قد تنفس من دم فى القلب يمشى فى ظلام داجر

يا قوه ريح الفناء شممتها منها تفوح من الحراك الفاتر

و قال:

أودعت آخره الحمول بمسمعى ثم انثيت أودع التوديعا

قال:

لا تنكرى وجدى و لا لهفى فهواك أسلمنى إلى حتفى

ما زال يدعونى لبيعتته حتى مددت له بها كفى

ناهيك من دمعى و من حرقى إن الفؤاد على شفا جرف

أ ما ترينى خاشعا أبدا لك فالهوى قد غض من طرف

أنا و الهوى إلفان ما افترقا و الالف قد بناى عن الالف

لكننى بالرفق أصبحبه و يسومنى التعذيب بالعنف

لا تطلبى منى سوى خلقى إن الذى أبدى الذى أخفى

أهوى الملاح و كل مخطفه ترنو إلى بمقلتى خشف

تبدو فتختطف العيون سنا و تعيب تحت الشعر فى سجعف

تجلو محاسنها فتحسبها قمرا على غصن على حقف

ويلى على أصداعها فلقد رويت من التقييل و الرشف

بيضاء ما ناطت قلائدها في جيدها حذرا من القرف

و تروقنى الحسناء تملكنى بدلالها و بعطفه العطف

تفتقر فى قرب و فى بعد و تعن فى ملل و فى عطف

لا تنجز الوعد الذى وعدت إلا إذا وعدتك بالخلف

ترتاح بالهجران لاهيه و تفر من جور إلى عسف

قد كنت أستشفى بذكركم لو أن غير وصالكم يشفى

و قال:

هذا الغليل و ذا مناط شفافية ينحاز عنه القلب كالمتمجافى

أنذرت قلبى أن حبا غازيا لك من ثنانيا طرفى العراف

إنى و لى قلب يرى ما حجبت سجف العواقب من وراء سجاف

و قال:

تخالين بالإعراض عنى و بالنوى دواما لأسباب الهوى و هو لى هلك

أرى الناس كل الناس لى من هواهم يقين و أما من هواك فلى شك

بكيتهك إشفافا من البين مره و أخرى له حين استقرت بك الفلك

و يوما لعيش عز عنى مناله و آخر من نار على كبدى تذكو

أقول و قالوا آخر القرب أول السلو مقالا فيك زوره الافك

أ أجمع سلوانى بها و تولهى عليها ألا أن السلو هو الشرك

و قال:

قامت عليه منادب العذال يسقونه السلوى و ليس بسال

عفرت جباههم لأن يتخالسوا منه علاله حبه المتغالى

تستجلب الأنواء و هي بكيه أن يدع يا للغيث للأطلال
ما دعوه العذال و هي نصيحه معنى بأهون من شماته قال
لو كان يبصر موطننا فى شاهق للحب واطن فيه أم رئال
عزت على أشياعه أمنيته حلت بحيث معاقد الأوجال
من دون أن يرمى لها حل الحبي و مهب عاديه و لفتح نصال
يا ليل جيرون أضاءك شارق حتى مناخك كله متلالى
قصرت من نومى فعندك بالهنا و بحاجر بالشجو و الإعوال
يا للأفيكه إنها معديه زعمت هواها لا يمر ببالي
ما كان عرقوب يضمن بوعدده و ضننت أن تعدى و لو بمحال
أولى لقلبك لو يصاب بلفحه لعلمت كيف تعارض الأحوال
و عذوله تستن فى مرح الصبا مشبويه بنضاره و جمال
أمست تغالطنى و تهتف ماله لا تزدهيه قوارع الأتوال
فأجبت هاتا أربه ممذوقه لا تقتضى إلا بطيف خيال(1)
يا هذه إن المرافق منهل خص المقيم منه بالأوشال
و الحب فوضى حكمه لكنه قد يتبع الحرمان بالأفضال
لانت أعاليه فهن مخاصر و عصت أسافله فهن الآلى
تقوى على حر المصاب حشاشه قويت على الاعراض و الإقبال
و قال:

ردى على من الوصال خيالا إن لم تنل منك العيون منالا
و دعى الحشا يلعب بها مكذوبه إن كان كذب الوعد منك نوالا

أما و قد حجبوا جمالك فاجعلى فى النوم من صور الخيال جمالا

أشكو إلى طيف الكرى طول الجفا شكوى الخضوع و ما شكوت ملالا

دلى فؤادى كيف يرسم خاطرى صوراً تمر على الضمير عجالى

لما تفلت من جفونى حاولت إمساكه كفى ففر و زالاً

قال:

لعمر أيبها بين باك و باسم لقد بعثت منى صبابه عارم

ترقت إلى صعب المقاده مقرم أبى على مستحصدات الشكائم

أ هيفاء ما يدريك ما عله الجوى إذا اضطرمت بين الحشا و الحيازم

أ عرضت بالسقيا لمن ليس ظامئاً و أ عرضت عن ظام على الورد حائم

كعراضه مرت على المحل معرضاً و حلت عزاليها بغمر الخضارم(٢)

رميت و لما تعلمى من أصبته و أقتل رام صائب غير عالم

و يوم تجاذبنا الهوى لنت جانبا فاعرض و استخذى إلى ضبع حازم

و خف فؤادى يسال النصف ضله فصار إلى جزل من اللهف جاحم(٣)

و نظره لاه أرسلتها غراره فما نزعته إلا بعض الأباهم

و موقف لهو لو نحاه ابن عاصم شرى حلمه بالجهل قيس بن عاصم

كلا طريفه بين ناه و أمر بوصل الهوى أو بين بو و رائم

يصد الفتى قصد التقى فيرده إلى الحب ومض من بروق المباسم

على أياذ للقناع كريمه يبرح بى تقليدها آل هاشم

تزرخ عن رسل الغدائر وارد أثيث الأعالى واضح الفرق فاحم

أ هيفاء لم تلو البنان لحاجه و لكن لنشدان الدموع السواجمحر

١- أربه: حاجه.

٢- العراصه: السحابه ذات الرعد و البرق. عزاليها: يقال أنزلت السماء عزاليها إشاره إلى شده وقع المطر. الغمر: الماء الكثير.

الخضارم: جمع الخضرم، البحر الخضم.

٣- الجزل: الكثير. جاحم: يقال نار جاحمه أى شديده الحر

أ هيفاء ليت القلب ألفى طريقه فمر على الأصداع مر النعائم (١)
أ هيفاء لو خلّيت عقلى فى يدى نزعّت عن البيض النحور النواعم
أ هجرا و قد نم الوشاه بوصلنا فىا ليت حقا قول أهل النمائم
لأن كان حكم الدهر أعلقنى بكم بقصد فان الدهر أعدل حاكم
وقال:

أ زائر مثنوى حيدر و هو ناصب و من ذا لأعمال النواصب يقبل
أبى الله أن يهدى سواء سبيله عتلا متى يهلك فللنار يعتل
أ تحسبنى أذعوك شيخ ضلاله فعقلك عن فهم الضلاله يسفل
فدونك فاخذع تابعيك فكلهم حمار عليه حملة متوحل
رحلت إلى كوفان لا الأجر تبتغى و هل راغب فى الأجر من يتسول
و لكن لسر قد عرفنا خفيه و يدرك بعض الغيب من كان يعقل
و ما ذاك إلا أن ربح موائد من الغرب أهدتها لأنفك شمال
فطرت إليها راكبا كل صعبه تقود خميسا حيث تحمل يحمل
إذا ما هبطتم قريه فثعالب تعادى على أثر الدجاج و تعسل
عجبت لأجلاف عليك تطفلوا مع العلم منهم أنك المتطفل
أ لم يكف أن تلقى إلى الكلب كسره فىأكلها حتى لأهليه يحمل

السيد على نقى الحيدرى بن السيد أحمد:

ولد فى الكاظميه سنه ١٣٢٥، و نشا فى بيت العلم و الصلاح، و سار على سنن آباءه و أجداده، و ترعرع فى ظل والده، و تتلمذ عليه، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، و درس على أبيه أيضا، و على الشيخ حسين الرشتى، و حضر أبحاث، الميرزا حسين النائنى، و السيد أبى الحسن الأصفهانى، و الشيخ عبد الله المامقانى، و الميرزا أبى الحسن المشكينى، و السيد محمود الشاهرودى و غيرهم.

ثم أقام في بغداد فكان من أبرز علمائها.

له من المؤلفات المطبوعه: أصول الاستنباط، و قد ترجم إلى الفارسيه، مذهب أهل البيت.

و من المخطوط: الدوحه الحيدريه. الأمثال القرآنيه.

و من أحفاده: الشهيد السيد فائز الذي أعده النظام العراقي سنة ١٩٨٧ و عمره عشرون سنة.

علي بن أسباط بن سالم الكندي، بياع الزطى،

كوفى من أصحاب الإمامين الرضا و الجواد (ع)، يروى عنهما، كان فطحيا ثم رجع بعد مراسلات جرت بينه و بين علي بن مهزيار، كان ثقه صادق اللهجه، له كتاب الدلائل، و التفسير، و المزار، و النوادر و غيرها، روى عنه جمع منهم موسى بن جعفر البغدادي، و محمد بن الحسن بن أبي الخطاب، و محمد بن أيوب الدهاق، و ابن فضال، و أحمد بن محمد بن عيسى و غيرهم.

الشيخ علي الصحاف بن الشيخ محمد.

توفى في مدينه قم بايران سنة ١٣٢١. قال الشيخ جعفر الهلالي:

آل الصحاف من الأسر العلميه و الأديبه في مدينه الأحساء، توطن بعض أفرادها في العراق في كل من البصره و سوق الشيوخ. كما توطن قسم منها الكويت، و لا يزال فيها. و تقطن غالبية هذه الأسره في الأحساء ووطنهم الأصلي.

ولد المترجم في مدينه الهفوف عاصمه الأحساء آنذاك، و لم نقف على تاريخ ولادته. و نشأ في مدينه الهفوف مسقط رأسه، و بها أخذ دراسته العلميه على يد رجال من أسرته، منهم والده الشيخ محمد الصحاف، كما أخذ عن غيره من علماء بلده، و لم ندر هل سافر إلى النجف للدراسة العلميه أم لا، و إن كان الغالب من علماء بلده [بلده] قد درسوا فيها.

له ديوان شعر في مختلف الأغراض و المناسبات، و هو يشتمل على القصائد و التخاميس، و هو الآن عند بعض أحفاده في مدينه الأحساء أو الكويت، و قد ذكر ولد المترجم الشيخ كاظم الصحاف (٢) في ترجمته لوالده ديوانه هذا، و لكننا لم يتسن لنا الاطلاع عليه، و ما ننقله من شعره هنا فقد نقلناه عن بعض المجاميع الخطيه في الأحساء، و قد ذكر بعض أشعار المترجم له السيد هاشم الشخص في مؤلفه عن علماء و أدباء الأحساء.

و يظهر أن الظروف القاسيه التي مرت بها بلاد الشاعر دعتة إلى مغادره وطنه و الهجره إلى إيران، و هناك الكثير من علماء هذه المنطقه و ما يجاورها قد تركوا أوطانهم و هاجروا بعد أن تعرضوا إلى الامتهان و الخوف من كيد الأعداء المتربصين، يجد ذلك كل من تتبع تراجم مجموعه من علماء الأحساء و القطيف و البحرين، الذين عاشوا هذه الظروف القاسيه.

و قد خلف أربعه من الأولاد، و هم: الشيخ أحمد، و الشيخ حسين، و الشيخ كاظم، و الملا ناصر، و قد امتهن هذا الأخير الأعمال

الحره، ثم تفرغ أخيرا للخطابه عن طريق المنبر الحسينى.

شعره

قال يستنهض الامام المهدي و يرثى الحسين.

ما بال ثارك عن مشارك نازح و لكم شجاه من الصبايه صادق

و إلى م لم تنهض به متطلبا و السيف فى كف انتصارك لائح

و شباه يقذف بالشواظ إذا انجلى كالصبح إلا أنه هو ذابح

يا من له الشرف الذى لا يرتقى من دونه انحط السماك الراح

هلا دريت بان أوج قبابكم هدمت و قوض من علاها الصالح

و شرائع الايمان غير حكمها مع محكم القرآن جل الفادح

فلئن تطل فى الغيب غيبتك التى كبرت و أنت بها خفى واضح

فالحق ما فى الدار غيرك مطلباً للطالين له يد و منائح (٣)

أنت الرجا و المرتجى و الغوث إذ عز النصير و قل فيه الناصح

حتى م حتى م النوى ابن العسكرى فمتى يلوح لك اللواء اللائح

ص: ٢٠١

١- النعائم: مفردة النعامى، ربح الجنوب.

٢- الشيخ كاظم الصحاف هو أيضا أحد شعراء الأحساء.

٣- المنائح جمع منحه: العطيه.

ضاق الخناق أبا الفتوح فلم نجد إلاك فاتحها فأنت الفاتح
أ و لم تهجك من الحوادث أسهم لم يخط عن أوتارها لك سانح
حتى فرت من جسم جدك مهجه بصفاحها، الله كيف تصافح
و تقاسمت أعضائه شفر الظبا فتضعضعت من جانبيه جوانح
يا صاحب الأمر القديم إغاره فيها الذوابل و الصقال لوايح
أصقالكم أكدت سواعد غربها أو عربكم ضئلت و هن ضوايح
أم غلبكم وهنت و أنت مشيمها أم ضاع و ترك و هو عندك واضح
أ تغض طرفك عن طلابك طرفه كلا و منهم ساده و ججاجح
و السبط جدك في الطفوف ضريبه و به هنالك فاجاتك جوانح
و بعين ربات الحجال محاميا دون الحجال و للصفاح يصفاح
فكأنه و السيف في لجج الوغى رعد و برق في السحاب قادح
لو لا القضا ما اعتاق في شرك الردى يوما و لا صاحت عليه صوائح
و حموله الأرزاء عمته التي لا غاب عنها في الحياه الفادح
هى فى النوى مقرونه بفوادح تدعو وقانى الدمع هام سانح
و تقول عاتبه و تردد الأسى بين الجوارح و الجوانح جائح
يا راكبا يطوى السباسب مرقلا فى كور هيما للرياح تراوح
عج بالغرى على مليك عنده علم المنايا و البلايا طافح
هو من حوى علم الكتاب و حكمه نعم الخبير و من حوته ضرائح
و متى تجئه مفردا و يلوح من آيات مثواه المعظم لائح
فعليه سلم بل و قل: حلال كلل المشكلات و من لهن الفاتح

يا أيها اللَّيْلُ الْعَظِيمُ و من به الرحمن فى السبع المئانى مادح
يا ليت عينك و الحسين بنينوى و عليه ضاق من الفسيح الفاسح
يحمى الحرىم و مهره فى لجه الهيجا على مجرى المهند سابح
ما زال فى مهج العريكه موقدا لهب الوطيس و فى الكفاح يكافح
و الروس تحت شباه تهوى سجدا و عليهم أجسادهن طوائح
فى معرك حاذى به فللك السما حيث استقامت بالجسوم صحاصح
و بنات أحمد بعد فقد عزيزها أضحى يعنفها العدو الكاشح
و ضلوعهن من الأسى محنيه كالقوس أنحلها المسير النازح
يقتادها فى التير أسر مثقل لكنه هو للجوارح جارح
و بكل حى شهرت و مدينه فبذاك تمسى ثم ذاك تصابح
حتى أتين الشام يا لك ساعه فيها لهن صوائح و نوائح
و الكوكب الدرى من عم الورى من راحتيه مواهب و مصالح
بسلاسل الأقياد مطوى الحشا و من الضنى أوهى قواه الفادح
و هو الذى لو لا بقاه لما بقى للساجدين مساجد و مصابح
علام أسرار النبوه من له عقد الولايه زينته و شائع
أنتم لعمرى آل بيت محمد حجى و نسكى و الوجود الراجح
و بجاهكم فى الله آمل أنه عن سيئاتى و الخطايا صافح
و تقبلوا منى و شيحا زانه و شى الثناء و عن (على) سامحوا
بل فاشفعوا للوالدين بيوم إذ تنشق عنهم للمعاد ضرائح
هذى (صحافيه) بصحفى أثبتت و بها المتاجر فى الولايه رابح

صلى الإله عليكم ما هب من نفحات قدسكم نسيم فائح

و له قصيده يرثى بها الحسين - ع - منها قوله:

أ فهل أضنا نجم بثاقب فجلى ضياه دجى الغياهب

أم نور قبه كربلاء القدس قد فاقت بجانب

و سما بها بسما العلى سام كبت عنه الكواكب

و علت بها فوق الجنان مراتبا أعلى المراتب

و جاء فيها:

فاخضع لرفع مقامها و اسجد و قبل كل جانب

و اقرا سلاما للشهيد بكر بلا مثوى الكواكب

الحججه الكبرى على كل الأعاجم و الأعراب

و يقول فى آخرها:

لهفى عليه بكر بلا لما قضى عطشان ساغب

و بكت له الأفلاك و الأملاك ضجت فى المحارب

و بكت عليه الكائنات بادمع منها سواكب

و له من قصيده مطلعها:

أ لم يان للبتار لا يألف الغمدا يروى شباه من دما مهج الأعدا

و منها:

سراه بنى عدنان من لوليهم حسين بأرض الطف صاروا له جندا

و باعوا على الله العلى نفوسهم لكى يحفظوه فاشتراها له نقدا

رجال لعمرى لا يضام نزيلها و إن نزلوا يوم الحروب تخل سدا

هم الصادقون الراشدون لأنهم قضوا ما عليهم فى سجل القضا رشدا
و حيث اجتباهم ذو الجلال و خصهم بمن كان خير المرسلين له جدا
قد اتخذوا السمر الرماح معارجا إلى الله حتى أنهم قارنوا السعدا
و زانوا جنان الخلد حين حوتهم و نالوا بها الرضوان و الفوز و الخلدا
فصار حسين يستغيث و لا يرى مغيثا سوى رن الحسام على الأعدا
يديهم فى دوائر من الردى دواهى لا تنتج إلا لهم وردا
و منها:

تروح عليه العاديات و تغتدى ترضض منه الظهر و الصدر و الزندا
باهلى و بى من جسمه عطر الثرى ففاق شذاها المسك و الند و الورد
و من عجب الأشياء أن كريمه على رأس رمح يكثر الشكر و الحمدا
و زينب ما بين النساء من الأسى تكابد ما أوهى حشاها و ما أودى
فله من خطب دهى قلب زينب تكاد تخر الشم من عظمه هدا

على بن محمد الحمانى.

مرت ترجمته فى الصفحة ٣١٦ من المجلد الثامن و نشر هنا هذه الدراسة عنه مكتوبه بقلم محمد حسين الأعرجى:

ص: ٢٠٢

و كان لهذين السببين أن يحبياه إلى أكثر فأكثر، فليس أعز على من أن أجد - و أدبنا العربي زاخر في أغلبه بالتلون و التملق - شاعرا يلتزم خطأ واضحا لا يكاد يحيد عنه، و ليس أقرب إلى نفسى من أن أجد شاعرا يخرج عن دائره الكذب على نفسه و على عصره فلا يمدح هذا الخليفه أملا بصلته، و لا يهجو ذاك الأمير ياسا من نواله.

و إزاء هذا وجدت في نفسى رغبه جامحه في جمع شعر هذا الشاعر و محاوله التعريف به، و الإشاره إلى مفاتيح دراسته قدر الإمكان، لأنى قد درستة دراسه مفصله في ثنايا رساله المذكوره و لا أريد هنا أن أكرر ما قلته هناك.

- ١

اسمه و نسبه و مولده:

هو على بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع) (١). يكنى أبا الحسن و ربما الحسين، و لكن ليس في ولده من اسمه الحسن أو الحسين، و يلقب بالعلوى الكوفى، و الأفوه، و الحمانى، و الأخير من أشهر ألقابه، و إنما عرف به لأنه "كان ينزل بالكوفه في بنى حمان فنسب إليهم..." (٢).

و أغلب الظن أن الشاعر ولد في الكوفه في سنه لم تؤرخها المصادر التى بين أيدينا و لم تورد ما يعين على تحديدها. و رغم هذا فمن المعاصرين من يرى أنه "كان من المعمرين أدرك القرن الثالث من أوله إلى آخره" و هو وهم مرده إلى أن الأمينى يرى أن وفاه أبيه كان سنه ٢٠٦ هـ، و إلى ما شع بين المتأخرين من خلط بين شاعرنا و بين على بن محمد بن جعفر الصادق المعروف بالدياجه. (٣)

و إزاء هذا فالإشاره الوحيدة التى وصلت إلينا إلى عمره قوله:

أعد سبعين و لو جملت نعمائها عادت إلى عام

و إذا أخذنا بأنه أدرك آخر القرن الثالث أخذ ترجيح، قلنا إنه ولد في العقد الثانى أو الثالث من القرن الثالث.

- ٢

نشاته و منزلته و وفاته:

نشا الحمانى في بيت معرق في الشعر فقد كان يقول: "أنا شاعر، و أبى شاعر، و جدى شاعر، و أبو جدى شاعر إلى أبى طالب" و ليس في قوله ادعاء أو مبالغه فقد وصل إلينا من شعر أبيه محمد بن جعفر مقاطيع، و عرف جده جعفر بالشاعر. و لكن هذه البيئه لم تدفعه إلى أن يأخذ علم العرييه في صباه عمن يعرفه في الكوفه، إذ ظل يشكو ضعف ملكته في النحو و اللغه و حتى الخط فاضطره هذا الضعف أحيانا إلى أن يهجر معانى مليحه تجيئه لأنه يشك في لغتها و فى اعرابها. و لا بد أن يكون في أسباب جهله هذا فقد الكوفه الحلقات العلميه في هذا القرن فنحن لا نعرف عالما كبيرا عاش فيها خلاله.

حظى محمد بن جعفر بمنزله كبيره فى الكوفه ورثها عنه - فيما يبدو - ابنه على الحماني، إذ كان - كما يقول المسعودى عن مكانته بين العلويين فى الكوفه -: "نقييهم... و شاعرهم، و مدرسههم، و لسانهم، و لم يكن أحد بالكوفه من آل على بن أبى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت". و مما يدلنا على هذه المكانه الرفيعه أن صاحب الجيش الذى لقي يحيى بن عمر العلوى الثائر بالكوفه فقتله، قعد الحماني عن السلام عليه و لم يلقه على حين "لم يتخلف عن سلامه أحد من آل على بن أبى طالب... فتفقدته الحسن (صاحب الجيش) و سال عنه و بعث بجماعه فاحضروه، فأنكر الحسن تخلفه عن سلامه، فأجابه على بن محمد بجواب آيس من الحياه فقال: أردت أن آتيك مهنتا بالفتح، و داعيا بالظفر؟ و أنشد شعرا لا يقوم على مثله من يرغب فى الحياه...". و لعل الموفق قد أدرك أن هذه المنزله مما يؤهله لأن يجمع الأنصار و أن يثور بهم، فحبسه مده طويله "لأمر شنع به عليه من أنه يريد الظهور" فلم يطلقه حتى كتب إليه:

قد كان جدك عبد الله خير أب لابنى على حسين الخير و الحسن

فالكف يوهن منها كل أنمله ما كان من أختها الأخرى من الوهن

فعاد إلى الكوفه و ظل بها إلى أن توفى فى سنه ٣٠١ هـ على ما يرجح الأمينى.

- ٣

شعره:

كان شعر الحماني مجموعا فى ديوان حتى القرن التاسع، فقد قال ابن عنبه المتوفى سنه ٨٢٨ هـ: "له ديوان مشهور و شعر مذكور" و ذكر إسماعيل البغدادي هذا الديوان و لكننا اليوم لا نعرف من أمره شيئا.

و شعر الحماني الذى وصل إلينا موزع على أغراض عديده منها:

الشكوى، و الفخر، و الغزل، و الرثاء، و الإخوانيات، و السياسه، و العقيده. و الاتجاهان الأخيران أغلب على شعره، بل إنك لتجد العقيده غالبه حتى على بعض إخوانياته. و من هنا رأينا العلويين يعتزون بشعره فيقول فيه الامام على الهادى (ع) إنه أشعر العرب، و يقول فيه الناصر الأطروش:

"لو جاز قراءه شعر فى الصلاه لكان شعر الحماني". و لا بد أن يكون فى أسباب اتجاه الحماني إلى السياسه و العقيده، منزلته الكبيره، و نسبه العلوى، و تشييعه. زد على ذلك ما اضطلعت به الكوفه من دور سياسى بارز فى هذا القرن و قبله، فقد شهدت خلال القرن الثالث وحده ما يقرب من خمس ثورات كان آخرها ثوره القرامطه.

و شعر الحماني صدى أمين لعصره من الناحيه الفنيه فضلا عن الناحيه التاريخيه. فهو حافل - على غير إسراف - بمذهب البديع، ابتداء بالتشخيص و انتهاء بحسن التعليل. كما أن ما شاع فى عصره من تحلل من بعض قيود العربيه موجود فى شعره ابتداء برفع الحال و انتهاء بتصريف الأفعال.

و الثقافة الشعريه و الأثريه التي حفل بها شعر القرن الثالث كان لها صدى فى شعره أيضا، ففي بعضه تضمين لأبيات مشهوره، و اقتباسات من الحديث النبوى الشريف. أما شيوع استعمال البحور النادره و القصيره فى شعر هذا القرن، فقد وجد له مكانا فى شعره أيضا فنظم فى مجازئ البحور و البحور القصيره.ق.

ص: ٢٠٣

١- تكرر بعض المصادر اسم جده محمد فتقول: على بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن زيد... ينظر عمده الطالب: ٣٠٠، الغدير ٣: ٥٧.

٢- سمط اللآلى ١: ٤٣٩ و ينظر بشأن قبيله "حمان" الأنساب ٤: ٢٣٥-٢٣٦.

٣- خلط بينهما نفر من المعاصرين فأحالوا فى ترجمه الحمانى على حوادث سنه ٢٠٠ هـ فى تاريخ الطبرى، و هذه الحوادث تخص الديباجه و ليس الحمانى. و نذكر من هؤلاء على سبيل المثال المرحوم الدكتور مصطفى جواد فى تلخيص مجمع الآداب ١٠٤: ٤ حاشيه، و المستشرق يوهان فك فى كتابه العربيه: ١٣٧ إذ قال عنه: "لقد كان حفيدا لجعفر الصادق، و ابنا لمحمد الديباجه، الذى دعا لنفسه بالخلافه فى مكه سنه ٢٠٠ هـ..." و ليس الحمانى بحفيد لجعفر الصادق.

و بعد، فقد جمعت من شعر الحماني ما وقعت عيني عليه، و رتبته على القوافي، مقسما إياه إلى قسمين: أحدهما في شعر الحماني الذي لم يشاركه أحد في نسبته، و ثانيها في المنسوب. ثم قسمت هذا المنسوب إلى قسمين: أحدهما في الشعر الذي رجحت نسبته إليه، و ثانيها في الذي لم ترجح نسبته إليه. و قد كان الترجيح مبنيًا على دواعٍ عديدة منها: قدم المصدر، و تيره الشعر (نفس الشاعر)، و ما يشبه الإجماع. و إذ رتبت المقاطيع أثبت اختلاف الروايات في الحاشية، و دافعي إلى ذلك أنني أرى في عزلها آخر الديوان ما يشق على الباحث، و قد أكون مخطئًا في هذا إلا أنني توخيت السهولة التي أرجوها لنفسى - على الأقل - فيما أقرأه من دواوين. و إزاء كل هذا لا أدعى أنني قمت بكل ما يجب أن أقوم به، و أنني أتيت بكل ما ينبغي أن يؤتى به، فقد تكون هناك أبيات فاتتني، أو تصحيفات في أبيات لم أهدئ إليها، أو آراء جانبية الصواب في إثباتها، أو ترجيحات لم يقدّم الدليل المقنع عليها. فعسى أن يقوم المعنيون من أمر هذا العمل ما أعوج خدمه للتراث و حبا بالعلم.

(١) - الهمزة

عصيت الهوى و هجرت النساء و كنت دواء فأصبحت داء

و ما أنس لا أنس حتى المما تزيب الظباء تجيب الظباء

دعيني و صبرى على النائبات (٢) فبالصبر نلت الثراء (٣) و الثواء

و إن يك دهرى لوى رأسه فقد لقي الدهر منى الثواء

ليالى أروى صدور القناو أروى بهن الصدور الظماء

و نحن إذا كان شرب المدام شربنا على الصافنات الدماء

بلغنا السماء بانسابناو لو لا السماء لجزنا السماء

فحسبك من سؤدد أتنا بحسن البلاء كشفنا البلاء

يطيب الثناء لآبائناو ذكر " على " يزين الثناء

إذا ذكر الناس كنا ملوكا و كانوا عبيدا و كانوا إماء

هجانى قوم و لم أهجمأبى الله لى أن أقول الهجاء

ساع بكأس بين ندما نيكالغصن المنعصر الماء

كأنما يسعى لوجدى بهما بينهم فى ثنى أحشائى

أغار من وقفته كلما قال لحاسى الكأس: مولائى

حتى لقد صاروا و هم اخوتيمن شده الغيره أعدائى

لنا من هاشم هضبات عزمطنبه بابراج السماء

تطيف بنا الملائك كل يومو نكفل فى حجور الأنبياء

و يهتر المقام لنا ارتياحاو يلقانا صفاه بالصفاء

(٤) - ألباء

ابن الذى ردت عليهاشمس فى يوم الحجاب

و ابن القسم النار فيوم المواقف و الحساب

مولاهم يوم الغديربرغم مرتاب و أبى

(٥)

و ليل مثل خافيه الغرابعى مذاهب و خفى باب

دلقت له بأسود مستمر كما نظر الغضاب إلى الغضاب

أجش كأنما قابلت منتهبىق(٤) لجه و حريق غاب

تراه كان عينك لا تراها إذا وصل الوثاب إلى الوثاب

كان لدى مغابنه(٤) التماعاتهارش(٥) عنده بقع الكلاب

يخالس بينها رفعا و وضعاكما خفقت بنانك بالحساب

هبنى حننت إلى الشباب(٦) فطمست شيبى باختصابى

و نفقت عند الغانيا تبحيلتى و جهاز مابى

من لى بما وقف المشيبعليه من ذل الخضاب؟

و لقد تاملت الحياهبعيد فقدان التصابى

فإذا المصبيه بالحياههى المصبيه بالشباب

بكى للشيب ثم بكى عليه فكان أعز من فقد الشباب

٢ - فقل للشيب لا تبرح حميدا إذا نادى شبابك بالذهاب

بأبى فم شهد الضمير له قبل المذاق بأنه عذب

٢ - كشهادتى لله خالصه قبل العيان بأنه الرب

٣ - والعين لا تغنى بنظرتها حتى يكون دليلها القلب

سقيا لمنزله و طيبين الخورنق و الكثيب

بمدافع الجرعات من أكناف قصر أبى الخصيب

دار تخيرها الملو كفهتكت رأى اللبيب

واها لأيام الشبا بعدن عن عهد قريب

أيام غصن شيبتي ريان معتدل القضيبي

أيام كنت من الطروب بهلصبا و من الطروب

أيام كنت من الغواني فى السواد من القلوب

لو يستطعن خباننبيين المخاتق و الجيوب

أيام كنت و كن لامتخرجين من الذنوب

غرين يشتكيان ما يجدان بالدمع السروب

لم يعرفا نكدا سويصد الحبيب عن الحبيب

قالوا [قالوا] له: ما ذا رزقتا؟ فاصاخ، ثمه قال: بنتا

و أجل من ولد النساء أبو البنات فلم جزعتا؟

إن الذين تود منبين الخلائق ما استطعتا

نالوا بفضل البنت ما كتبوا به الأعداء كبتا).

ص: ٢٠٤

١- المغابن: الآباط.

٢- في الأصل: نائبات.

٣- في الأصل: الثرى.

٤- في الأصل: نهادس.

٥- إشاره إلى النبي محمد (ص).

٦- التبعق: الاندفاع فجاه.

أن صدر النهار أنضر شطريهكما نضره الفتى فى فتاته
 لعمر ك للمشيب على مما فقدت من الشباب أشد فوتا
 تمليت الشباب فصار شيبا و أبلت المشيب فكان موتا

الحاء (١٢) ١ -

فيا أسفى على النجف المعربو أوديه منوره الأقاح

٢ - و ما بسط الخورنق من رياضمفجره بافنيه فساح

٣ - و وا أسفا على القناص تغدوخرائطها على مجرى الوشاح

(١٣)

و إذ بيتى على رغم الملاحيهو البيت المقابل للضراح(١)

و والدى المشار به(٢) إذا مادعا الداعى ب "حى على الفلاح"

(١٤)

مررت بدور بنى مصعبيدور السرور و دور الفرخ

٢ - فشبته سرعه أيامهمبسرعه قوس يسمى قزح

٣ - تلون معترضا فى السماء فلما تمكن منها نزع

(١٥) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

يا بقايا السلف الصالح و التجر الرياح

نحن للأيام ما بين قتيل و جريح

خاب وجه الأرض كم غيب من وجه صبيح

آه من يومك ما أوداه للقلب القريح

الدال (١٦) قال يرثى أخاه لأمه إسماعيل:

هذا ابن أمى عدیل الروح فى جسدی شق الزمان به قلبى إلى كبدى

فاليوم لم يبق شيء أستريح به إلا تفتت أعضائى من الكمد

أو مقله بخفى الهم باكيه أو بيت مرثيه تبقى على الأبد

ترى أناجيك فيها بالدموع وقد نام الخلى و لم أهجع و لم أكد

من لى بمثلک يا نور الحياه و يا يمنى يدى التى شلت من العضد؟

من لى بمثلک أدعوه لحادثه يشكى إليه و لا يشكو إلى أحد؟

قد ذقت أنواع تكل كنت أبلغها على القلوب و أجناها على كبدى

قل للردى: لا تغادر بعده أحدا و للمنيه: من أحببت فاعتمدى

إن الزمان تقضى بعد فرقته و العيش آذن بالتفريق و النكد

(١٧)

هبنى بقيت على الأيام و الأبدو نلت ما شئت من مال و من ولد

من لى برؤيه من كنت آلفهو بالشباب الذى ولى و لم يعد

لا فارق الحزن قلبى بعد فرقتهمحتى يفرق بين الروح و الجسد

(١٨) ١ -

قالوا: تمن ما هيوت و اجتهد ٢ - فقلت قول المتشكى المقتصد:

٣ - لقاء من غاب و فقد من شهد

(١٩)

فلما ورد الشيبينوعين من الورد

تصديت فصدت خلوهمن ألم الصد

كما صدت عن الشمس سراعا أعين الرمد

رفعناه على أعمدهم من قضب الهند

على حقف نقا مثلتد اريج قفا جعد

(٢٠)

و بيت قد بنينا فارد كالكوكب الفرد

رفعناه على أعمدهم من قضب الهند

على حقف نقا مثلتد اريج قفا جعد

(٢١)

و من سلم جبريل عليه ليله الجد

(٢٢)

كان هموم الناس فى الأرض كلها كلى و قلبى بينهم قلب واحد

و لى شاهدا عدل: سهاد و عبر هو كم مدع للحق من غير شاهد؟

(٢٣)

فان تسالينى ما الخضاب فانيليبست على فقد الشباب حدادا

(٢٤)

إذا كنت، لم أفقد الغائبينو إن غبت كنت فريدا وحيدا

تباعد نفسى إذا ما بعدتفليست تعاود حتى تعاودا

[و] أشبهك البدر حسنا فماتناقص حسنك حتى يزيدا

محا حسن وجهك عنى الملامو أسكت طرفك عنى الحسودا

(٢٥) قال يطعن فى نسب الشاعر على بن الجهم مخاطبا إياه:

لو اكتنفت النضر أو معدا أو اتخذت البيت كهفا و مهدا

و زمزما شريعا و وردا و الأخشيين(٣) محضرا و مبدا

ما ازددت إلا من قریش بعدا أو كنت إلا مصقليا(٤) و غدا

(٢٤)

أجالس معشرا لا شكل فيهمو أشكالي قد اعتنقوا اللجودا

(٢٧)

أعاده من عقابيل الصبا عيدو عاد للوم فيه اليوم تفنيد؟!

ص: ٢٠٥

١- الضراح: بيت في السماء.

٢- ربما هي: المشار له، أو المشار به، من الإشاده، و يبدو أن المقطوعتين من قصيده واحده.

٣- الأخشبان: جبلان بمكه، أبو قبيس و الأحمر و جبلا منى.

٤- ربما هي صقليا.

هذا و حرف إذا ماتت مفاصله عن راكب وصلت أكفاله بيد

يهماء لا يتخطاها الدليل سرى إلا و ناظره بالنجم معقود

جاوزتها و الردى رحب معالمه فيها و مسلكتها بالخوف مسدود

(٢٨)

حسب العواذل أن الوجد أو حشهمن نومه فكان النوم تسهيد

أبقى الهوى منه جسما كالهواء ضنيتنسم الريح فيه و هو مفقود

كان مدمعه تجرى أوائلهكما يفيض على أخراه مردود

أنست بالذكر منها و السهاد لهاعجب به من مسيء و هو مورود(١)

أبتعتها نفسا تدمى مسالكهكأنه من حمى الأحشاء مقودود

ما زلت أعرف أيامى و أنكرهاحتى انبرت و هى لا بيض و لا سود

خاضت بى الشك حتى قال قائلها: لا القرب قرب و لا التباعد تباعد

(٢٩)

دان مسف فى كل ناحيهمن قطره طنب فى الأرض مشدود

ظلت مناكبه فى الأرض لاصقهكأنه بتلاع الأرض مصفود

(٣٠)(٢)

بين الوصى و بين المصطفى نسبتختال فيه المعالى و المحاميد

كانا كشمس نهار فى البروج كما أدارها ثم أحكام و تجويد

كسيراها انتقلا من طاهر علمالى مطهره آباؤها صيد

تفرقا عند عبد الله و اقترنا بعد النبوه، توفيق و تسديد

و ذر ذو العرش ذرا طاب بينهما فانبت نور له فى الأرض تخليد

نور تفرع عند البعث و انشعبتمنه شعوب لها فى الدين تمهيد

هم فتيه كسيوف الهند طال بهمعلى المطاول آباء مناجيد

قوم لماء المعالى فى وجوههمعند التكرم تصويب و تصعيد

يدعون أحمد أن عد الفخار أبوا العود ينبت فى أفنانه العود

المنعمون إذا ما لم تكن نعمو الذائدون إذا قل المذاويد

أوفوا من المجد و العلياء فى قللشم قواعدهن البأس و الجود

ما سود الناس إلا من تمكن فىأحشائه لهم ود و تسويد

سبط الأكف إذا شيمت مخايلهماسد اللقاء إذا صد الصناديد

يزهى المطاف إذا طافوا بكعبتهو تشرئب لهم منها القواعد

فى كل يوم لهم بأس يعاش بهو للمكارم من أفعالهم عيد

محسدون و من يعقد بحبهمجبل الموده يضحى (كذا) و هو محسود

لا ينكر الدهر أن ألوى بحقهمفالدهر - مذ كان - مذموم و محمود

(٣١) قال يخاطب صاحب الزنج و قد ادعى أنه علوى:

يقول لك ابن عمك من بعيد لتبت(٣٢) أو لنوح أو لهود؟

لهجت بنا بلا نسب إلينا و لو نسب اليهود إلى القروذ

لحقت بنا على عجل كانا على وطن و أنت على بريد

فهنا قد رضيناك ابن عم فمن يرضى بافعال اليهود؟

الراء (٣٢)

و قائله و السكب منها مبادرو قد قرحت بالدمع منها المحاجر

و قد أبصرت "حمان" من بعد أنسها بنا و هى منا مقفرات دواثر

" كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكه سامر "

فقلت لها و القلب منى كأنما تخلبه بين الجناحين طائر

" بلى نحن كنا أهلها فالناصر وف الليالى، و الجدود العواثر "

أرقت، و ما ليل المضام بنائموا قد ترقد العينان و القلب ساهر

فيا نفس لا تفنى أسى و اذكرى الأسيفيوشك يوما أن تدور الدوائر

(٣٣) - ١

إنما الدار بالحلول فان همفارقوها، فحيث حلوا الديار

(٣٤) قال يجيب الوضاح الكوفى و قد اعتذر إليه.

ليس جود الربيع راشف وجه الأرض عن مبسم من الأنوار

لا و لا العاشقان ضمهما الشوق على غايه الضنى فى إزار

فهما ملصقان كالساعد البيضاء عضضتها بضيق السوار

كاخ عهدده و هدى فى الود كعهد الأنواء و الأمطار

رق معناهما فلم يلبسا الأيام إلا على اقتراب المزار

لج فى الاعتذار من شفق الوجد و أجلته عن الاعتذار

(٣٥)

ليالى يالفك الغانياتو كن و كنت صغيرا صغارا

و قد كنت تملك الحاظهنفصرت يعرنك لحظا معارا

فاصبحن أعقبن بعد الودادبعادا و بعد السكون النفارا

فلا غرنى غرر الحادثانو قد كنت أوسعهن اغترارا

(٣٦)

كم نظره منها شجيت لهاقامت مقام الفقد للنظر

ولى (٤) باوطارى و لست أريعيشا يهش له بلا وطر

(٣٧) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

قد كان حين بدا الشباب به يقق السوالف حالك الشعر

و كأنه قمر تمنطق فى أفق السماء بداره البدر (كذا؟)

يا بن الذى جعلت فضائله فللك العلا و قلائد السور

من أسره جعلت مخايلهم للعالمين مخايل النظر

تتهيب الأقدار قدرهم فكأنهم قدر على قدر

و الموت لا تشوى رميته فللك العلا و مواضع الغرلت

ص: ٢٠٦

١- ربما هي: مردود.

٢- يبدو أن المقطوعات ٢٨، ٢٩، ٣٠، من قصيده واحده.

٣- ربما هي إشاره إلى الآيه الكريمه: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّتْ)، و كان الحمانى يريد أن يقول له ساخرا: إذا صحت نسبتك إلينا فانت من أبى لهب.

٤- ربما هي: و لت

و أنزله منه على رغبة العديكهارون من موسى على قدم الدهر(١)
 فمن كان فى أصحاب موسى و قومهمكهارون؟ لا زلتم على زلل الكفر
 و آخاهم مثلاً لمثل فأصبحتأخوته كالشمس ضمت إلى البدر
 فاخى عليا دونكم و أصارهلكم علما بين الهدايه و الكفر
 و أنزله منه النبى كنفسهروايه أبرار تادت إلى البر
 فمن نفسه منكم كنفس محمد؟ ألا بأبى نفس المطهر و الطهر

(٣٩) ١ -

و نحن سننا الصبر فى كل موطنو حطت مساعينا على خطط الفخر

(٤٠) ١ -

الفاصل الخطب الذى باسمهيمتحن الايمان و الكفر

(٤١)

لا تكتسى النور الرياض إذالم يروهن مخايل المطر

و الغيث لا يجدى إذا ذرفتآماق مدمعه على حجر

و كذاك لو نيل الغنى بيدلم تجتذب بسواعد القدر

(٤٢)

كان نجوم الليل سارت نهارهاو وافت عشاء و هى أنضاء أسفار

فخيمن حتى يستريح ركبها فلا فلك جار و لا كوكب سارى

(٤٣)

و ركب ثلاث كالأثافي تعاودوا دجى الليل حتى أومضت سنه البدر

إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحدو إن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

(٤٤)

وجه هو البدر إلا أن بينهما فضلا تلاً عن حافته النور

فى وجه ذاك أخاطيط مسودهو فى مضاحك هذا الدر منثور

(٤٥) قال يصف سرعه فرس:

١ -

يبادر الناظر و هو بيدرهكان من يبصره لا يبصره

(٢)السين (٤٦) ١ -

ليس لبس الطيالسمن لباس الفوارس

٢ - لا و لا حومه الوغيكصدور المجالس

الضاد (٤٧)

يا شادنا أفرغ من فضهفى خده تفاحه عضه

كأنما القبله فى خدهللحسن من رفته عضه

يهتز أعلاه إذا ما مشيو كله فى لينه قبضه

ارحم فتى لما تملكتهأقر بالرق فلم ترضه

العين (٤٨)

لقد فاخرتنا من قريش عصابهيمط خدود و امتداد أصابع

فلما تنازعنا الفخار قضى لناعليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتا و الشهيد بفضلناعليهم جهير لصوت فى كل جامع

بان رسول الله لا شكك جدناو نحن بنوه كالنجوم الطوالع

(٤٩)

و ليل تراه و أقطارهما أدرع الشملة الأسفع
كان الفجاج على سالكيهسدت فليس لها مطلع

(٥٠)

ترى ضبها مطلعاً رأسه كما مد ساعده الأقطع
له ظاهر مثل برد الوشيو بطن كما حسر الأصلع
هو الضب ما مد سكانهو إن ضمه فهو الضفدع

(٥١)

تضوع مسكا جانب القبر أن ثويو ما كان لو لا شلوه يتضوع
مصارع أقوام كرام أعزها يبح ليحيى الخير فى القوم مصرع

الفاء (٥٢)

كم وقفه لك بالخورنقما توازى بالمواقف

بين الغدير إلى السدير إلى ديارات الأساقف

فمواقف الرهبان فيأطمار خائفه و خائف

دمن كان رياضها يكسين أعلام المطارف

و كأنما غدرانها فيها عشور فى المصاحف

تلقى أوائلها أو اخرها بألوان الرفارف

بحريه شتواتها بربه فيها المصايف

دريه الحصباء كافوريه منها المشارف

باتت سواريتها تمخضفى رواعدها القواصف

و كان لمع بروقها فى الجو أسياف المثاقف

ثم انبرت سحا كباكيهباربعه ذوارف

فإنما أنوارها تهتز فى الدرج العواصف

طرر الوصائف يلتقينها إلى طرر الوصائف

دافعتها عن دجها بالقلب البيض الغطارف

- ١٥

يعقب (٣) يوم البأسشرايين فى يوم المتارفل.

ص: ٢٠٧

١- فى البيت إشاره إلى حديث النبى الكريم (ص) يخاطب الامام عليا (ع): " أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى من بعدى "

٢- اكتفى صاحب المحاضرات بقوله إنها للعلوى، و إنما أثبتناها هنا لأنه يفرق بينه و بين الرضى بان يسمى الرضى: الموسوى، و بينه و بين ابن طباطبا العلوى بان يسميه: ابن طباطبا، و معنى هذا أنه لا- يصف بالعلوى غير الحمانى، و اطلعت مؤخرا - و أنا أصحح تجارب الطبع - على ديوان أبى سعد المخزومى صنعه الدكتور رزوق فرج رزوق فوجدتها له، و على هذا فهى مما ينسب للحمانى.

٣- كذا هى، و يرى الدكتور مصطفى جواد أنها: " تثقين " و التثق: الممتلى غيضا، و تصويبه معقول.

سمح بحر المال وقافون فى يوم المتالف
واها لأيام الشباب و ما لبسن من الزخارف
و زوالهن بما عرفت من المناكر و المعارف
أيام ذكرك فى دواوين الصبا صدر الصحائف
واها لأيامى و أيام النقيات المراشف
و الغارسات البان قضباننا على كذب الروادف
و الجاعلات البدر ما بين الحواجب و السوالف
أيام يظهرن الخلاف بغير نيات المخالف
وقف النعيم على الصبا و زللت عن تلك المواقف

(٥٣)

بنا يستثار العز عن مستقرهو عن سخطنا تدمى أنوف المخالف
تقول قريش و هى تفخر: إنناخلائف أشبهنا كرام الخلائف
و هل خلفوا إلا أبانا ففخرهمعلينا به نكراء من وجه عارف
بنو هاشم سادوكم جاهليهو جاءوكم عند الهدى بالجوارف
لها دونكم سقى الحجيج و ندرهاالندى و أموكم غداه المواقف
هم الثقلان الداعيان إلى الهدىمقام(١) وصى أو بيان مصاحف
فان تشكروا لله نعماه فيكمو إلا أتتكم حمير بالعجارف
بتبعها و سيفها و ذوينها(٢)و كل ابن مجد تالد غير طارف
و جاستكم عليا ربيعه بالقناو ساقى لكم قيس متون المراهف
فهل لكم من ذائد عن فخارهمسوى أسره الزاكى الكرام الغطارف

إني و قومي من أنساب قومهمكمسجد الخيف من بجوحه الخيف

ما علق السيف منا بابتن عاشرهاإلا و همته أمضى من السيف

(٥٥) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

لعمرى لئن سرت قرىش بهلكه لما كان وقافا غداه التوقف

فان مات تلقاء الرماح فإنه لمن معشر يشنون موت التترف

فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم على سنن منهم مقام المخلف

لهم معكم أ ما جدعتم أنوفكم مقامات ما بين الصفا و المعرف

تراث لهم من آدم و محمد إلى الثقلين من وصايا و مصحف

فجازوا أباهم عنهم كيف شئتم تلاقوا لديه النصف من خير منصف

إنى سالتك باختلاساللحظ من تحت السيوف

و بما جنت تلك العيونعلى القلوب من الحتوف

و بسطوه المولى إذازرى على العبد الضعيف

لا تجمعى ضن البخيلو سطوه المولى العسوف

يا آل أحمد أنتم خير مشتملبالمكرمات و أنتم خير معترف

خلافه الله فيكم غير خافيهيفضى بها سلف منكم إلى خلف

طبتم فطاب مواليكم لطيبتكمو باء أعداؤكم بالخبث فى النطف

رأيت نفعى و ضرى عندكم فإذاما كان ذاك فعنك أين منصرفى؟

قد ألبس الليل حتى يثنى خلقوا أركب الهول بالغر الغرائق

و أنتحى لنعام الدو ملههكأنها بعض أحجار المجانيق

تسدى الرياح لها ثوبا و تلحمهكما تلبس من نسج الخداريق (٣)

كأنما ريشها و الريح تفرقها أسمال راهبه شيبت بتشقيق

كأنها حين مدت رءوسها فرقاسود الرجال تعادى (٤) بالمزاريق

كان أعناقها و هنا إذا خفقتبها البلاقع أدقال (٥) الزواريق

فما استلذ بلحظ العين ناظرهاحتى تغصص أعلاهن بالريق

اللام (٥٩)

سادتى عدتى عمادى ملاذخمسه عندهم تحط رحال

سادتى ساده بهم ينزل الغيشعلينا و تقبل الأعمال

ساده جهم يحط الخطاياو لديهم تصدق الآمال

ساده قاده إليهم إذا ما ذكر الفضل تضرب الأمثال

و بهم تدفع المكاره و الخيفهعنا و تكشف الأهوال

و بهم طابت المواليد و امتازلنا الحق و الهدى و الضلال

و بهم حرم الحرام و زال الشكفى ديننا و حل الحلال

(٦٠)

سائلا عنا قريشاو ليالينا الأول

نحن أصحاب حنينو المنايا تنتضل

و يبدر حين ولو اقللا بعد قلل

و لنا يوم بصفينو يوم بجمل

هبلت أم قريشجين تدعون الهبل

حين ناطوا بكتابالله أطراف الأسل

(٦١) - ١

اعدد ثلاث خلال قد جمعن لههل سب من أحد أم سب أو بخلا

(٦٢)

من قصر الليل إذا زرتنبأبكي و تبكين من الطول

عدو عينيك و شانيهما أصبح مشغولا بمشغول

(٦٣)

كأنما الطرف يرمى في جوانبهعن العمى و كان النجم قنديلع.

ص: ٢٠٨

-
- ١- ربما هي: مقال. و في قوله: (هم الثقلان) إشاره إلى قول النبي (ص): إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا.
 - ٢- في صدر البيت زحاف واضح.
 - ٣- الخداريق: العناكب.
 - ٤- تعادى: تتعادى من العدو.
 - ٥- أدقال: جمع دقل بالتحريك، و هو خشبه طويله تشد وسط السفينه، يمد عليها الشراع.

و لقد نظرت إلى الفراق فلم أجد للموت لو فقد الفراق سيلا

إن المصائب لو تصور ما عدت مسترحلا بالبين أو مرحولا

يا ساعه البين انبرى فكأنما واصلت ساعات القيامه طولا

(٦٤) - ١

لم تشك خيلهم الوجى من روحهالا انتعلن من الدماء قتيلا

(٦٥)

يا آل حم الذين بحبهمحكم الكتاب منزل تنزيلا

كان المديح حلى الملوك و كنتمحلل المدائح غره و حجولا

بيت إذا عد المآثر أهلعدوا النبي و ثانيا جبريلا

قوم إذا اعتدلوا الحمائل أصبحوامتقسمين خليفه و رسولا

نشأوا بآيات الكتاب فما اثنواحتى صدرن كهوله و كهولا

ثقلان لن يتفرقا أو يطفئنا بالحوض من ظما الصدور غليلا

و خليفتان على الأنام بقولهاالحق أصدق من تكلم قيلا

فأتوا أكف الآيسين فأصبحواما يعدلون سوى الكتاب عديلا

(٦٦) - ١

هم صفوه الله التى ليس مثلهاو ما مثلهم فى العالمين بديل

٢ - خيار خيار الناس من لا يحبهمفليس له إلا الجحيم مقيل

الميم (٦٧)

قالت: عييت عن الشكوى. فقلت لها: جهد الشكاية أن أعيأ عن الكلم

أشكو إلى الله قلبا لو كحلت بهعينيك لاختضبت من حره بدم

لا ترمى فاقد الدنيا و بهجتهاو ما يسر به منها، بلا و لم

(٦٨) و قال يطعن فى نسب على بن الجهم معرضا باضطراب الناس فى عقب سامه بن لؤى بن غالب الذى يزعم ابن الجهم أنه منه:

و سامه منا فاما بنوه فأمرهم عندنا مظلم

أناس أتونا بانسابهم خرافه مضطجع يحلم

و قلت لهم مثل قول النبى و كل أفاويله محكم:

إذا ما سئلت و لم تدر ما تقول، فقل: ربنا أعلم

(٦٩)

لا و الذى عاذ بإحرامهركب يلبون بإحرام

أعد سبعين و لو جملتنعماؤها عادت إلى عام

(٧٠) قال يخاطب صاحب الجيش الذى قضى على ثوره يحيى بن عمر العلوى و قتله:

قتلت أعز من ركب المطايا و جئتك أستلينك فى الكلام

و عز على أن ألقاك إلا و فيما بيننا حد الحسام

و لكن الجناح إذا أهيضت قواده يرف على الآكام

(٧١) قال يرثى يحيى بن عمر العلوى:

فان يك يحيى أدرك الحتف يومه فما مات حتى مات و هو كريم

و ما مات حتى قال طلاب نفسه: سقى الله يحيى أنه لصميم

فتى آنست بالروع و البأس نفسه و ليس كمن لاقاه و هو سنوم

فتى غره لليوم و هو بهيم و وجه لوجه الجمع و هو عظيم

لعمرو ابنه الطيار إذ نتجت به له شيم لا تجتوى و نسيم

لقد بيضت وجه الزمان بوجهه و سرت به الإسلام و هو كظيم

فما انتجت من مثله هاشميه و لا قلبته الكف و هو فطيم

النون (٧٢)

شاك الزمان بكر الزمانو أفناك من كره كل فان

اساءه دهر ك محفوفههما لم يكن للصبأ فى ضمان

ليالى لا يشبع الناظرانما قابلاك و لا يرويان

ليالى لم يكتس العارضانشيا و لم يقصص الشاربان

فان يك هذا الزمان انقضيو بدلت أخباره بالعيان

فلا بالقلى تتناسى الصباو لا بالرضا رضى العاذلان

و نازله كنت من حدهاعلى غرر مثل حد السنان

و من نكبات خطوب الزمانألا حظها بجنان الجبان

ألا هل سبيل إلى نظرهبكوفان يحيى بها الناظران

يقلبها الصب دون السدير حيث أقام بها القائمان(١)

و حيث أناف بأرواقهمحل الخورنق و الماديان

و هل ابكرن و كئبانها تلوح كاوديه الشاه جان

و أنوارها مثل برد النبى(٢)ردع بالمسك و الزعفران

و هل أدنون من وجوه ناتو هن من النفس دون الدوانى

أناس هم الأنس دون الأيسو جنات عيشك دون الجنان

(٧٣)

شجاك الوميض و لذع المضيضبنار الهوى و ببرق يمانى

كان تالقه فى السماء رجح حساب خفيف البنان
كانى لهم أدر أن الرديلهتك ستور الضنى قد رآنى
أخلاى أحفيكم طائعاو أنتم منى النفس دون الأمانى
٥ - و لكن يد الدهر رهن بماسيرمى باسهمه الفرقدان
٦ - عسى الدهر أن يثنى لى عطفهبعطف الهوى و بعيش ليان

(٧٤)

و هيفاء تلحظ عن شادنو تبسم عن زهر الأتحوان
و كالغصن بان و جدل العنانو مياده القضب الخيزان
ترى الشمس و البدر، معناهما بها واحدا، و هما معنيان
إذا أطلعت وجهها أشرقا بطلعتها، و هما آفلانى.

ص: ٢٠٩

١- القائمان: هما قائما الغرى.

٢- ربما هى الوشى.

(٧٥)

هواك هو الدنيا و نيلك ملكهاو هجر ك مقرون بكل هوان
كذبتك، ما قلت الذى أنت أهلهلى، لم يجد ما فوق ذاك لسانى

(٧٦)

فى مجلس جعل السرور جناهظلالنا من طارق الحدثان
لا تسمع الآذان فى جنباؤها لا ترنم ألسن العيدان
أو صوت تصفيق الجليس و نقرهو بكاء راووق و ضحك قنانى

(٧٧) - ١

كان يبكىنى الغناء سرورافارانى أبكى له اليوم حزنا
قد مضى ما مضى فليس يرجيو بقى ما بقى فما فيه معنى
آه من خطره الكبير إذا ماخطر الياس دون ما يتمنى

(٧٨)

ربما سرنى صدودك عنيو تنائيك و امتناعك عنى
ذاك ألا أكون مفتاح غيريو إذا ما خلوت كنت التمنى

(٧٩)

إذا رضيت فما ألقى أخوا سخطو أن سخطت فكل الناس ذو دمن(٨٠)

لييك، دعوه من أن شئت عز و أنأبديت سخطك لم يجتن بالجنن

(٨٠) و كتب إلى الموفق بالله حين حبسه:

- ١

قد كان جدك عبد الله(٢) خير أبلابنى على حسين الخير و الحسن

٢ - فالكف يوهن منها كل أنملهما كان من أختها الأخرى من الوهن

(٨١)

أشكو إلى الله خطأ لا يبلغني خط البليغ و لا خط المرجينا

إذا هممت بامر لى أزخر فهسدت سماحته عنى التحاسينا

و يوم قد ظللت قرير عينه فى مثل نعمه ذى رعين

تفكهنى أحاديث النداميو تطربنى مثقفه اليدين

فلو لا خوف ما تجنى الليالي قبضت على الفتوه باليدين (٣)

(٨٢)

لقد أبقى مكانك فى لؤيو آل محمد خلا مينا

و ليل قد دأبت له بايمن الفرقان بين الساجدنا

فانس شخصك الجدث المعفيو أوحش قبرك المتهدجنا

(٨٣)

يا بن من بيته من الدين و الإسلاميين المقام و المنبرين

لك خير البيتين من مسجدى جدكو المنشأين و المسكنين

و المساعى من لدن جدك إسماعيلحتى أدرجت فى الريطتين

حين نيطت بك التمام ذات الريشمن جبرئيل فى المنكبين

(٨٤)

أنتما سيدا شباب جنان الخلد يوم الفوزين و الروعتين (٤)

يا عديل القرآن من بين ذى الخلقو يا واحدا من الثقلين

أنتما و القرآن فى الأرض مذ أنزل مثل السماء و الفرقدين

قمتما من خلافه الله فى الأرض بحق مقام مستخلفين

قاله الصادق الحديث و لنيفترقا دون حوضه واردين

(٨٥)

و أوقع يوم أحد بهم جلاد ايزايل بين أعضاء الشئون

فلم يترك لعبد الدار قدما (٥) يقيم لواء طاغيه لعين

فأفضوا باللواء إلى صواب (٢) [فعانقه معانقه الوضين

فخدمه أبو حسن فأهوى صريعا للدين و للجين

و نودوا: لا فتى إلا عليو ليس لذى الفقار حثا جفون

(كذا) (٤) الهاء (٨٤)

قالوا: أبو بكر له فضلنا لهم: هياه الله

نسيتم خطه خم و هليشتبه العبد بمولاه

إن عليا كان مولى لمنكان رسول الله مولاه

الشعر المنسوب - أ - [ما رجحت نسبه للحمانى - أ -

ألباء (١)

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا إذا كان جانيه على طبيبي

و لى عائدات صفتهن فجنن فيلباس سواد (٧) فى الظلام قشيب

نجوم أراعى طول ليلى بروجها و هن لبعده السير ذات لغوب

خوافق فى جنح الظلام كأنها قلوب معناه بطول و جيب

ترى حوتها فى الشرق ذات سباحه و عقربها فى الغرب ذات ديب

إذا ما هوى الإكليل منها حسبت تهدل غصن فى الرياض رطيب

كان التي حول المجره أوردتلكرع فى ماء هناك صيب

كان رسول الصبح يخلط فى الدجيشجاعه مقدم بجن هيب

كان اخضرار البحر صرح ممردو فيه لآل لم تش بثقوب

كان سواد الليل فى ضوء صبحهسواد شباب فى بياض مشيب

كان نذير الشمس يحكى ببشرهعلى بن داود أذى و نسيبى

و لو لا اتقائى عته قلت: سيديو لكن يراها من أجل ذنوبيق.

ص: ٢١٠

١-الدمن: جمع دمنه، و الدمنه: الحقد.

٢- عبد الله هو الخليفه المأمون، و يريد الشاعر بالبيت تذكير الموفق بحسن معامله المأمون للعلويين.

٣- فى البيت إطاء.

٤- فى البيت إشاره إلى الحديث الشريف: "الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة".

٥- هكذا هى و لا يستقيم المعنى، و لعل الأنسب أن تكون كفا.

٦- لم اهد إلى ما صحفت عنه الكلمه، و لعل البيت يستقيم على هذه الصوره: و نودوا.. و ليس لذى الفقار من قرين.

٧- ربما هى: بياض إذ هى أنسب للسياق.

جواد بما تحوى يده مهذب أديب غدا خلا لكل أديب

نسيب إحاء و هو غير مناسب قريب صفاء و هو غير قريب

و نسبه ما بين الأقارب وحشه إذا لم يؤلفها انتساب قلوب

الفاء (٢)

يسترسل الضيف فى أبياتنا أنسافليس يعلم خلق أينا الضيف

و السيف أن قسته يوما بنا شهافى الروع، لم تدر عزما أينا السيف

الكاف (٣)

و إنا لتصبح أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سفوك

منابرهن بطون الأكفو أعمادهن رؤوس الملوك

و ما لى فى الخلق من مشبهو لا فى اكتساب العلى من شريك

ما لم ترجح نسبه إليه

الباء (٤)

بكيث على الشباب بدمع عينيفلم يغن البكاء و لا النحيب

فيا أسفا أسفت على شابنعاه الشيب و الرأس الخضيب

عريت من الشباب و كان غضا كما يعرى من الورق القضيب

فيا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما صنع المشيب

الحاء (٥)

عندكن الفؤاد و القلب رهنفى يدى ذات دملج و وشاح

ذات خدين ناعمين ضنينينما فيهما من التفاح

و ثنايا و ريقه كغدير من مدام و روضه من أفاح

فمساويكها بها كل يومفى رياض من اصطباح الراح

الراء (٤)

كم قد نمانى من رئيس قسوردامى الأنامل من خميس ممطر

خلقت أنامله لقائم مرهفو لدفع معضله و ذروه منبر

ما أن يريد إذا الرماح شجرنهدرعا سوى سربال طيب العنصر

يلقى السيوف بنحره و بوجههو يقيم هامته مقام المغفر

و يقول للطرف اصطبر لشبا القنافهدمت ركن المجد أن لم تعقر

و إذا تأمل شخص ضيف مقبلمتسربل سربال ليل أغبر

أومى إلى الكوماء هذا طارقنحرتنى الأعداء أن لم تنحرى

اللام (٧) ١ -

لا تبك إثر مول عنك منحرفتحت السماء و فوق الأرض أبدال

٢ - الناس أكثر من أن لا ترى خلفامن زوى وجهه عن وجهك المال

٣ - ما أقبح الود يدينه و يبعدهيين الصديقين إكثار و إقلال

أبو الحسن على بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات

ولد سنة ٢٤١ و قتل سنة ٣١٢ و بنو الفرات اسره شيعيه.

قال فى وفيات الأعيان:

وزير المقتدر بالله بن المعتضد بالله، وزر له ثلاث دفعات، فالأولى منهن لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وقيل: لسبع بقين منه، سنة ست و تسعين و مائتين، و لم يزل وزيره إلى أن قبض عليه لأربع خلون من ذى الحجة سنة تسع و تسعين و مائتين، و نكبه و نهب داره و أمواله، و استغل من أملاكه إلى أن عاد إلى الوزاره الثانيه سبعة آلاف ألف دينار، و ذكروا عنه أنه كتب إلى الأعراب أن يكبسوا بغداد، و الله أعلم، ثم عاد إلى الوزاره يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع و ثلاثمائه، و خلع عليه سبع خلع، و حمل إليه ثلاثمائه ألف درهم لغلمانه و خمسون بغلا لثقله و عشرون خادما و غير ذلك من الآلات، و زاد فى ذلك اليوم فى ثمن الشمع فى كل من قيراط ذهب لكثرة استعماله إياه، و كان ذلك النهار شديد الحر، فسقى فى ذلك اليوم و

تلك الليلة في داره أربعون ألف رطل من الثلج، و لم يزل على وزارته إلى أن قبض عليه يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ست و ثلاثمائة، ثم عاد إلى الوزارة يوم الخميس لسبع ليال بقين من ربيع الآخر سنة إحدى عشرة و ثلاثمائة، و كان يوم خرج من الحبس مغتاضا، فصادر الناس، و أطلق يد ابنه المحسن فقتل حامد بن العباس الوزير الذي كان قبل أبيه، و سفك الدماء، و لم يزل على وزارته إلى أن قبض عليه لتسع ليال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة و ثلاثمائة، و قيل: قبض عليه يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول.

و كان يملك أموالا كثيرة تزيد على عشرة آلاف ألف دينار، و كان يستغل من ضياعه في كل سنة ألفي ألف دينار، و ينفقها، قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: مدحته بقصيده، فحصل لي في ذلك اليوم ستمائة دينار.

و كان كاتبا كافيا خبيرا، قال المعتضد بالله لعبيد الله بن سليمان: قد دفعت إلى ملك مختل و بلاد خراب، و مال قليل و أريد أن أعرف ارتفاع الدنيا لتجري النفقات عليه، فطلب ذلك عبيد الله من جماعه من الكتاب، فاستمهلوه أشهر، و كان أبو الحسن بن الفرات و أخوه العباس محبوسين منكوبين، فاعلما بذلك، فعملاه في يومين و أنفذه، فعلم عبيد الله أن ذلك لا يخفى عن المعتضد، فكلمه فيهما، و وصفهما، فاصطنعهما.

و كانت في دار أبي الحسن بن الفرات حجره شراب يوجه الناس على اختلاف طبقاتهم إليها غلمانهم يأخذون منها الأشربه و الفقاع و الجلاب إلى دورهم.

و كان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم و الدين و البيوت و الفقراء أكثرهم مائة دينار في الشهر، و أقلهم خمسة دراهم، و ما بين ذلك.

قال الصولي: قام من مرضه - وقد اجتمعت الكتب و الرقاع عنده - فنظر في ألف كتاب، و وقع على ألف رقعته، فقلنا: بالله لا يسمع بهذا أحد، خوفا من العين عليه.

قال الصولي: و رأيت من أدبه أنه دعا خاتم الخليفه ليختم به كتابا، فلما رآه قام على رجله تعظيما للخلافه، قال: و رأيتته جالسا للمظالم، فتقدم إليه خصمان في دكاكين بالكرخ، فقال لأحدهما: رفعت إلى قصه في سنه اثنتين و ثمانين و مائتين في هذه الدكاكين، ثم قال: سنك يقصر عن هذا، فقال له: ذاك كان أبي، قال: نعم وقعت له على قصه رفعتها.

و كان إذا مشى الناس بين يديه غضب و قال: أنا لا أكلف هذا غلmani فكيف أكلف أحرارا لا إحسان لي عليهم.

و قتل نازوك صاحب الشرطه أبا الحسن بن الفرات المذكور و ابنه المحسن يوم الاثنين لثلاث عشره ليله خلت من شهر ربيع الآخر، سنه اثنتي عشره و ثلاثمائه.

و كان عمر ابنه المحسن يوم قتل ثلاثا و ثلاثين سنه.

قال صاحب أبو القاسم بن عباد: أنشدني أبو الحسن بن أبي بكر العلاف قصائد أبيه أبي بكر في الهر و قال: إنما كنى بالهر عن المحسن بن أبي الحسن بن الفرات أيام محتتهم، لأنه لم يجسر أن يذكره و يرثيه.

و كان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أخو أبي الحسن المذكور أكتب أهل زمانه، و أضبطهم للعلوم و الأدب، و للبحترى فيه القصيده المشهوره التي أولها:

بت أبدى وجدا و أكرم وجدا لخيال قد بات لي منك يهدى

و توفي أبو العباس المذكور ليله السبت منتصف شهر رمضان سنه إحدى و تسعين و مائتين.

و أما أخوه أبو الخطاب جعفر بن محمد فإنه عرضت عليه الوزاره، فاباها، و تولاه ابنه أبو الفتح الفضل بن جعفر، و كان كاتبا مجودا، و هو المعروف بابن حنزابه، و هي أمه، و كانت جاريه روميه، قلده المقتدر بالله الوزاره يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الآخر سنه عشرين و ثلاثمائه، و قيل:

خلع عليه في أول شهر ربيع الآخر سنه عشرين و ثلاثمائه، و الله أعلم، و لم يزل وزيره إلى أن قتل المقتدر لأربع بقين من شوال سنه عشرين و ثلاثمائه، و تولى الخلافه أخوه القاهر بالله، فاستتر أبو الفتح بن حنزابه، فولى القاهر أبا على محمد بن على بن مقله الكاتب الوزاره، ثم تولى أبو الفتح الدواوين في أيام القاهر أيضا، و خلع القاهر و سملت عيناه في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنه اثنتين و عشرين و ثلاثمائه.

و ولى الخلافه الراضى بالله بن المقتدر بالله المقدم ذكره، فقلد أبا الفتح بن حنزابه الشام، فتوجه إليها، ثم إن الراضى بالله ولاه الوزاره، و هو يومئذ مقيم بحلب، و عقده له الأمر فيها يوم الأحد لثلاث عشره ليله خلت من شعبان من سنه خمس و عشرين و ثلاثمائه، و كوتب بالمسير إلى الحضرة، فوصل إلى بغداد يوم الخميس لست خلون من شوال من السنه، فأقام ببغداد قليلا، فرأى

الأمر مضطربه، و قد استولى الأمير أبو بكر محمد بن رائق على الحضرة، فتحدث أبو الفتح مع ابن رائق في أنه يعود إلى الشام، و أطمعه في حمل الأموال إليه من مصر و الشام، فعاد إليها في الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ست و عشرين، فأدركه أجله بغزه، و قيل: بالرملة، و جاءت الكتب إلى الحضرة بموته في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة، و كان مولده في ليلة السبت لسبع ليال بقين من شعبان سنة تسع و سبعين و مائتين (1)، و كانت الكتب تصدر باسمه في الشام.

و ترجمه ابن الفرات تترتب على قضيه ابن المعتز فلا بد من ذكر شيء من أحوالها، و أصح التواريخ نقلا تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فنذكر ما قاله في حوادث سنة ست و تسعين و مائتين: إن القواد و الكتاب اجتمعوا على خلع الخليفة المقتدر، و تناظروا فيمن يجعلونه موضعه، فاجتمع رأيهم على عبد الله بن المعتز، و ناظروه في ذلك، فأجابهم إليه أنه لا- يكون في ذلك سفك دم و لا- حرب، فأخبروه أن الأمر يسلم إليه عفوا، و أن جميع من وراءهم من الجند و القواد و الكتاب قد رضوا، فبايعهم. على ذلك، و كان الرأس في ذلك محمد بن داود بن الجراح و أبا المثنى أحمد بن يعقوب القاضي، و واطا محمد بن داود جماعه من القواد على الفتك بالمقتدر و العباس بن الحسن.

قلت: و كان وزير المقتدر يومئذ - قال الطبري: و كان العباس بن الحسن على ذلك قد واطا جماعه من القواد على خلع المقتدر و البيعه لعبد الله بن المعتز، فلما رأى أمره مستوثقا له مع المقتدر على ما يحب بدا له فيما كان عزم عليه من ذاك، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه، يعنى الوزير المذكور، قال الطبري: و كان الذى تولى قتله الحسين بن حمدان و وصيف بن صوارتكين، و ذلك يوم السبت لإحدى عشره ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، و لما كان من غد هذا اليوم، و ذلك يوم الأحد، خلع المقتدر الكتاب و القواد و قضاه بغداد، و بايعوا عبد الله بن المعتز، و لقبوه بالراضى بالله، و كان الذى يأخذ البيعه له على القواد و يلى استحلافهم و الدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش، و فى هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان و بين غلمان الدار حرب شديده من غدوه إلى انتصاف النهار، و فى هذا اليوم انفضت الجموع التى كان قد جمعها محمد بن داود لبيعه ابن المعتز عنه، و ذلك أن الخادم الذى يدعى مؤنسا حمل غلمانا من غلمان الدار فى الشذوات - قلت: و هى عندهم المراكب - قال: فصاعد بها و هم فيها فى دجله، فلما جاوزوا الدار التى فيها ابن المعتز و محمد بن داود صاحوا بهم و رشقوهم بالنشاب، فترفقا و هرب من كان فى الدار من الجند و القواد و الكتاب و هرب ابن المعتز، و لحق بعض الذين بايعوا ابن المعتز بالمقتدر، فاعتذروا إليه بأنه منع من المصير إليه، و استخفى بعضهم، فطلبوا و أخذوا و قتلوا، و انتهت العامه دور ابن داود، و أخذ ابن المعتز فيمن أخذ، (انتهى ما ذكره الطبري فى ذلك).

فنذكر ما قاله غيره، جمعت من مواضع متفرقه، حاصله أن عبد الله بن المعتز رتب للوزاره فى ذلك اليوم محمد بن داود المذكور، و للقضاء أبا المثنى المذكور، فلما انتقض أمره و أخذ ابن المعتز استتر ابن داود، و كان من فضلاء.

ص: ٢١٢

أهل عصره و له عدة تصانيف منها كتاب "الورقه فى أخبار الشعراء" و كتاب "الوزراء" و غير ذلك، ثم ظهر لمؤنس الخادم المذكور، و خافه أبو الحسن على بن الفرات المذكور، فأشار على مؤنس بقتله، فقتل و أخرج و طرح فى سقايه عند المأمونيه، فحمل إلى منزله، و كان قتله فى شهر ربيع الآخر من السنه، و مولده فى سنه ثلاث و أربعين و مائتين فى الليله التى توفى فيها إبراهيم بن العباس الصولى المقدم ذكره.

و لما عاد أمر المقتدر إلى ما كان عليه، و قد قتل وزيره العباس بن الحسن فى التاريخ الذى ذكره الطبرى، استوزر أبا الحسن على بن الفرات المذكور، فأول ما ظهر للناس من محاسنه أنه حمل إليه من دار ابن المعتز صندوقان عظيمان، فقال: أ علمتم ما فيهما؟ قيل: نعم، جرائد بأسماء من بايعه، فقال: لا تفتحوهما، و دعا بنار فطرح الصندوقين فيها، فلما احترقا قال: لو فتحتهما و قرأت ما فيهما فسدت نيات الناس بأجمعهم علينا، و استشعروا منا، و مع ما فعلناه قد هدأت القلوب و سكنت النفوس.

و مما يتعلق بهذه الترجمة أن القاهر بالله لما خلع و سملت عيناه كما ذكرناه آل به الحال إلى أن خرج إلى جامع المنصور ببغداد، فعرف الناس بنفسه، و سالهم التصديق عليه، فقام إليه ابن أبى موسى الهاشمى فأعطاه ألف درهم، و فى ذلك عبره لأولى الألباب.

و نقلت من كتاب "الأعيان و الأماثل" تأليف الرئيس أبى الحسن هلال بن المحسن بن أبى إسحاق إبراهيم الصابى: و حدث القاضى أبو الحسين عبيد الله بن عباس أن رجلا اتصلت عطلته، و انقطعت مادته، فزور كتابا من أبى الحسن بن الفرات إلى أبى زنبور الماردانى عامل مصر فى معناه يتضمن الوصاه به و التأكيد فى الإقبال عليه و الإحسان إليه، و خرج إلى مصر، فلقبه به، فارتاب أبو زنبور فى أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العاده و كون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله، فراعاه مراعاة قريبه، و وصله بصله قليله، و احتبسه عنده على وعد وعده به، و كتب إلى أبى الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه، و أنفذه بعينه إليه، و استتبته فيه، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور، فوجد فيه ذكر الرجل، و أنه من ذوى الحرمات و الحقوق الواجبه عليه، و ما يقال فى ذلك مما قد استوفى الخطاب فيه، و عرضه على كتابه، و عرفهم الصوره فيه، و عجب إليهم منها، و مما أقدم عليه الرجل، و قال لهم: ما رأى فى أمر هذا الرجل عندكم؟ فقال بعضهم: تأديبه أو حبسه، و قال آخر: قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا و لئلا يقتدى به غيره فيما هو أكثر من هذا، و قال أجملهم محضرا: يكشف لأبى زنبور قصته و يرسم له طرده و حرمانه، فقال ابن الفرات: ما أبعدكم من الحريره و الخيريه و أنفر طباعكم عنها! رجل توسل بنا، و تحمل المشقه إلى مصر فى تأميل الصلاح بجاهنا، و استمداد صنع الله عز و جل بالانتساب إلينا، و يكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضرا تكذيب ظنه و تخيب سعيه، و الله لا كان هذا أبدا، ثم إنه أخذ القلم من دواته و وقع على الكتاب المزور "هذا كتابى، و لست أعلم لم أنكرت أمره، و اعترضتكم شبهه فيه، و ليس كل من خدمنا و أوجب حقا علينا تعرفه، و هذا رجل خدمنى فى أيام نكبتى، و ما أعتقده فى قضاء حقه أكثر مما كلفتك فى أمره من القيام به، فأحسن تفقده، و وفر رفته، و صرفه فيما يعود عليه نفعه، و يصل إلينا فيما تحقق ظنه و تبين موقعه" و رده إلى أبى زنبور من يومه، فلما مضت على ذلك مدته طويله دخل على أبى الحسن بن الفرات رجل ذو هيئه مقبوله و بزه جميله، و أقبل يدعوه له، و يثنى عليه، و يبكى، و يقبل الأرض، فقال له ابن الفرات: من أنت بارك الله فيك؟! و كانت هذه كلمته، فقال: صاحب الكتاب المزور إلى أبى زنبور الذى صححه كرم الوزير و تفضله، فعل الله به و صنع، فضحك ابن الفرات و قال: كم وصل إليك منه؟ قال: وصل إلى من ماله و تقسط قسطه على عماله و معامليه و عمل صرفنى فيه عشرون ألف دينار، فقال ابن الفرات: الحمد لله، الزمناء، فانا نعرضك لما يزداد به صلاح حالك، ثم اختره فوجده كاتباً شديداً،

فاستخدمه و أكسبه مالا جزيلا، رحمه الله تعالى و رضى عنه!.

أبو الحسن على بن محمد التهامي.

ذكره في (تكملة أمل الآمل) باعتباره شيعيا و أضاف إلى اسمه لقب العاملى الشامى. ثم قال: ذكره في أمل الآمل و ذكره في كتاب (نسمه السحر فيمن تشيع و شعر).

و نحن لا- ندرى هل إن إضافه (العاملى) من صاحب التكملة أم من صاحب الأمل. و سواء أ كانت من الأول أم الثانى فلا شك أنها خطأ، فليس الرجل عامليا. كما أننا لا ندرى على ما ذا استند صاحب الأمل فى نسبته إلى التشيع و كذلك لا ندرى على ما ذا استند صاحب (نسمه السحر) فى هذه النسبه إليه.

و يبدو أن صاحب (التكملة) استند فى ذلك إلى ما ورد فى (الأمل) و (نسمه السحر)،.

أما صاحب (وفيات الأعيان) فلم يشر إلى ذلك، مع أنه قد يذكر تشيع من اشتهر بالتشيع.

و المترجم هو صاحب القصيده الرائيه فى رثاء ولده التى مطلعها:

حكم المنيه فى البريه جارى ما هذه الدنيا بدار قرار

و يقول ابن خلكان: إنه وصل إلى الديار المصريه مستخفيا و معه كتب كثيره من حسان بن مفرج، و هو متوجه إلى بنى قره، فظفروا به، فقال: أنا من تميم، فلما انكشف حاله عرف أنه التهامى الشاعر، فاعتقل فى خزانه البنود، و هو سجن بالقاهره و ذلك لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنه ست عشره و أربعمائنه، ثم قتل سرا فى سجنه فى تاسع جمادى الأولى من السنه المذكوره (انتهى).

و حسان بن مفرج الطائى هو صاحب (الرملة) فى فلسطين الذى تحالف مع صالح بن مرداس و سنان بن عليان على اقتسام الشام و الجزيره فيما بينهم، و الانفصال عن الدوله الفاطميه، على أن تكون حلب إلى عانه لصالح بن مرداس، و الرملة إلى مصر لحسان بن مفرج الطائى، و دمشق و أعمالها إلى سنان بن عليان.

و لم يسكت الخليفه الفاطمى (الظاهر) على ذلك فأرسل جيشا لقمع الحركه الانفصاليه، فأسرع صالح بن مرداس لانجاد حسان بن مفرج فالتقى بالجيش الفاطمى فى الخامس و العشرين من ربيع الآخر سنه ٤٢٠ فى الأقحوانه

قريبا من بحيره طبريا بفلسطين، و جرى من الأحداث مما ليس هنا مكان تفصيله.

و لكن لا بد من القول أن حسان بن مفرج قد توسل بعد ذلك لتحقيق ماره الانفصاليه، بالاستنجد بالبيزنطيين على الفاطميين.

و يبدو جليا أن التهامي حين اعتقل في القاهره كان يحمل رسائل من حسان لتحريض بنى قره على مشاركته في الثوره، كما يبدو من وصف ابن خلكان للرسائل بأنها كثيره، أن تلك الرسائل كانت موجهه إلى غير بنى قره أيضا ممن يأمل حسان بن مفرج مشاركتهم و بالرغم من استخفاء التهامي فقد كشفت عيون الانفصاليه، بالاستنجد بالبيزنطيين على الفاطميين.

و (التهامي) منسوب إلى تهامه الواقعه بين الحجاز و اليمن، و تطلق أيضا على مكه، و يتساءل ابن خلكان عما إذا كان الشاعر منسوبا إلى المكان الأول أم إلى المكان الثاني.

و نحن حين ننشر ترجمته هنا، فلأمن صاحب (الأمل) و صاحب (نسمه السحر) ذكرا تشيعه، و تبعهما صاحب تكمله الأمل، و عليهم و حدهم العهده في ذلك.

و فيما يلي ما كتبه عنه الدكتور عمر تدمري:

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) قام "أبو الحسن على بن محمد بن فهد التهامي" من أهل تهامه الواقعه بين الحجاز و اليمن، برحله زار فيها الشام و العراق و فارس، و نزل فلسطين مدته حيث ولى الخطابه في المسجد الجامع بمدينة الرمله، ثم دخل في آخر رحلته مصر مستخفيا و هو يحمل كتبا كثيره من "حسان بن مفرج بن دغفل" أمير بنى طيب الخارج على الدوله الفاطميه إلى بنى قره، فظفر به الفاطميون و أودعوه السجن "خزانه البنود" بتهمه التامر و العمل على طلب الملك لنفسه، ثم قتل سرا داخل سجنه في التاسع من جمادى الأولى سنه ٤١٦ هـ. (١٠٢٥ م) (١) و يكاد "التهامي" أن يكون الشاعر الحجازي الوحيد الذى قام برحله من بلاده و طوف في العراق و الشام و فارس و غيرها، و تكسب بشعره، فمدح الأمراء و الأعيان المعاصرين له في المدن التى دخلها، على طريقه غيره من غالب شعراء العصر الوسيط.

و نحن في هذه الدراره للشاعر التهامي لا تستوقفنا حياته و لا أغراض شعره، و لا إظهار محاسنه أو مواطن ضعفه، فهذا لا يدخل في اختصاصنا، فقد كفانا الباحثون مئونه هذا النوع من الدراره. و لكن الذى يعيننا هو المعلومات التاريخيه التى تتوفر، و لو في نقاط موجزه، أو إشارات عابره، في دواوين الشعراء، و غالبا ما تكون تلك المعلومات نادره المثال، و خاصه ما يتعلق منها بتاريخ ساحل الشام في العصر الإسلامى. و هذه حقيقه يجب على كل باحث لتاريخ هذه المنطقه أن يأخذها باعتبارها، فلا يسقط من مصادره الأساسيه دواوين الشعراء، خصوصا إذا كان أولئك الشعراء من الرحاله، حيث يوضع شعرهم في خدمه التاريخ. فالشاعر "التهامي" تنقل في رحلته بين مكه، و دمشق، و بغداد، و الرى، و الموصل، و آمد، و ميافارقين، و الكوفه، و الأنبار، و حلب، و طرابلس الشام، و صور، و الرمله، و القاهره، في وقت كان فيه الشرق العربى يخضع لنفوذ دولتين هما: الدوله الفاطميه في مصر، و الدوله السلجوقيه في العراق، و هما تتجاذبان السيطره و النفوذ على بلاد الشام، فيما الدوله البيزنطيه تتحين الفرص للوثوب على سواحل الشام و أطرافها الشماليه المتاخمه لممتلكاتها في آسيه الصغرى، حيث دوله بنى حمدان.

كان هذا هو الواقع السياسى "العام" في المشرق العربى. أما الواقع السياسى "الخاص" في ساحل الشام، و بشكل أخص ما يطلق

عليه الآن اسم "لبنان"، فقد كان بكل مدنه و قراه الساحليه خاضعا للخلافه الفاطميه، بينما كانت دمشق و المناطق الداخليه خاضعه للنفوذ السلجوقي.

و كان البيزنطيون يعملون على استغلال ذلك الصراع بين الدولتين ليمدوا نفوذهم إلى بلاد الشام الشماليه، و بعض المدن الساحليه، و يؤلبوا أمراءها و ولايتها على الخلافه الفاطميه، و هذا ما فعلته مع كل من مدن: حلب، و طرابلس، و صور.

و فى "ديوان أبى الحسن التهامى" إشارات و لمحات يمكن أن تخدم بعض المعلومات التاريخيه و غيرها، أو تؤكدها. و بما أن دراستنا تقتصر على نطاق "ساحل الشام" الذى يشتمل "جغرافيا" على "لبنان"، فاننا يمكن أن نضع تاريخا تقريبا لدخول التهامى مدينه طرابلس، و هو يقع فى الفتره بين سنتى ٣٨٥ - ٤٠٢ هـ. ٩٩٥/ - ١٠١١ م. و هى الفتره التى برز فيها على مسرح الأحداث دور قاض من أهل مدينه طرابلس يدعى "أبو الحسين على بن عبد الواحد بن حيدر"، و كان هذا القاضى من أهم شخصيات المدينه الذين التقاهم التهامى و مدحهم بشعره.

ففى الديوان:

- قصيدتان فى مدح القاضى أبى الحسن على بن حيدر (صفحه ١٠).

- و قصيده واحده فى مدح أبى يحيى محمد بن حيدر (صفحه ١٥).

- و قصيده واحده فى مدح أبى محمد حسين بن حيدر (صفحه ١١١).

- و ثلاث قصائد فى مدح أبى القاسم هبه الله بن حيدر (صفحه ١٦٠ و ١٧٥ و ١٨٣).

و من الواضح أن القصائد اقتصرت فقط على بعض أفراد أسرته بنى حيدر الطرابلسيين، و ليس فى الديوان أى قصيده أخرى بحق غيرهم من أهل طرابلس.

و هناك قصيده واحده بحق أحد الشخصيات فى مدينه صور، هو "محمد بن سلامه"، حتى أن هذه المعلومه كاد يعتريها الشك، لو لا ما جاء فى أبيات القصيده. فقد جاء فى الديوان (صفحه ١١١٥) هذا العنوان:

"و قال يمدح أبا محمد بن الحسن بن الجواد فى الكوفه، و يقال فى محمد بن سلامه بصور".

و جاء فى بعض أبيات القصيده (صفحه ١١٧):

حسن الشمائل أوحد فى حسنه كمحمد بن سلامه فى جوده

البحر بعض حدوده و الفضل بعض شهوده و النصر بعض جنوده).

١- لم يكن يطلب الملك لنفسه، بل هو رسول حسان بن مفرج، كما يذكر الكاتب نفسه (ح).

تبدو أمارات الكريم بوجهه من بشره و حياؤه و سجوده

فالقصيده تؤكد أن الممدوح هو "محمد بن سلامه"، و لكن الديوان لا يعرف به، و هو غير وارد فى "ديوان عبد المحسن الصورى" المعاصر للتهامى.

فمن هو إذا؟ - للجواب على ذلك، نقول:

هناك شخص واحد يحتمل أن يكون المقصود فى الديوان هو "محمد بن سلامه بن جعفر.. أبو عبد الله القاضى القضاعى المصرى" الفقيه الشافعى، قاضى الديار المصريه فى الدوله الفاطميه، و كان قد نزل صور و طرابلس، فسمع بطرابلس من أبى القاسم حمزه بن عبد الله الشامى الأذربلسى. و أبى الحسن لبيب بن عبد الله الأذربلسى. و جلس هو للحديث، فحدث بكتاب "الشهاب" من تصنيفه، فسمعه بها شيخ من أهل جيبيل هو "مكى بن الحسن المعافى السلمى الجيبلى".

و كان القاضى القضاعى قد ذهب رسولا إلى القسطنطينيه من قبل الخليفه الفاطمى، و جاء فى "تاريخ دمشق" لابن عساكر ما نصه:

" و قال أبو الفتح نصر الله بن محمد الفقيه: سمعت أبا الفتح نصر بن إبراهيم الزاهد يقول: قدم علينا القاضى أبو عبد الله القضاعى صور رسولا للمصريين إلى الروم، فذهب و لم أسمع منه، ثم إنى رويت عنه بالاجازة، يعنى أنه لم يرضه فى أول الأمر لدخوله فى الولاية من قبل المصريين...".

فلعل "التهامى" التقى بالقضاعى فى صور و هو فى رحلته رسولا إلى القسطنطينيه، و هذا ما نرجحه.

و نعود مع "التهامى" إلى طرابلس حيث يمدح قاضيهما أبا الحسين بن عبد الواحد، و يعطينا - من خلال شعره - بعض المعلومات التى يمكن أن نضيفها إلى ما نعرفه عن سيرته من المصادر التاريخيه الأخرى.

فمن هو قاضى طرابلس؟.

- هو: "أبو الحسين على بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الحر (حيدره) بن سليمان بن هزان بن سليمان بن حيان بن وبره المرى الطرابلسى الكتامى" و هو مغربى من قبيله كتامه، أشهر القبائل المغربيه التى قامت على أكتافها الدعوه الفاطميه. و كان محدثا، أخذ عن محدث طرابلس و مسندها الكبير "خيثمه بن سليمان بن حيدره" و هو من بنى حيدره، و غيره. و له كتاب روى فيه عن أبيه عبد الواحد. و أسره حيدره من الأسر المشهوره بطرابلس فى ذلك العصر، و منها أبناء حيدره الذين كانوا فيها حين نزلها "أبو الطيب المتنبى" حول سنه ٣٣٦ هـ.

و قد لعب القاضى أبو الحسين دورا مهما فى تاريخ طرابلس، و أسهم فى هزيمة الامبراطور البيزنطى "باسيل الثانى" مرتين، و كان هو "المستولى على النظر فى طرابلس و فى سائر الحصون"، من نواحي جونه و جبال العاقوره و المنيطره فى الجنوب، حتى نواحي مدينه حلب و إعزاز فى الشمال. كما كان له دوره فى القضاء على حركه "العلاقه" فى مدينه صور، و تشييت النفوذ الفاطمى فى سواحل الشام. كما أن منصبه الدينى كقاض، و هو بمثابة داعيه فاطمى، كان يجعله متمتعا بصلاحيات واسعاه، بحيث

تفوق صلاحيات والى المدينه، و قائد جيشها.

و تبدأ المصادر التاريخيه بذكره فى معرض الحمله الأولى للإمبراطور "باسيل" إلى بلاد الشام، فى سنه ٣٨٥ هـ. (٩٩٥ م) فقد أخرج الخليفه الفاطمى "العزیز" قائده منجوتكين" إلى حلب لينتزعها من "سعيد الدوله"، فأرسل سعيد الدوله يستنجد بالإمبراطور قائلًا فى رسالته إليه: "متى أخذت حلب أخذت أنطاكيه، و متى أخذت أنطاكيه أخذت قسطنطينيه".

و على الرغم من أنه كان مشغولًا بالقتال فى الجبهه البلغاريه فقد قرر "باسيل" المضى بنفسه إلى حلب، فعاد إلى عاصمته القسطنطينيه و خرج منها على رأس جيش ضخم قوامه ٤٠ ألفًا، عبر به إقليم الثغور، حيث انضمت إليه مجموعات كبيره من عساكرها، و وصل إلى أنطاكيه، فصحبه "ميخائيل البرجى" بعساكره، و معه قائده "مليسينوس".

و لما وصل "باسيل" إلى حلب، خرج إليه "سعيد الدوله" و جدد معه معاهده التحالف بين القسطنطينيه و حلب، التى تضمنت شروطًا فى صالح التجار المسيحيين المقيمين فى حلب. و أقام "باسيل" يومين عند حلب، ثم رحل فى اليوم الثالث، فنزل على شيزر و استولى على حصنها بعد مقاومه صاحبه "منصور بن كراديس"، التى لم تدم سوى يوم واحد. و قرر له مالا و ثيابا مقابل تسليم الحصن، و وضع فيه نوابه و ثقاته. و تحول بعد ذلك إلى حمص ففتحها، و كذلك رفيه. و نهب و سبى منها سببا كثيرا، و أحرق و غنم. و فى طريقه إلى طرابلس أغار على عسكره جماعه من العرب، فأسر عددا منهم، و واصل سيره حتى نزل على طرابلس و حاصرها. فراسله و إليها "ابن نزال" فى جمع من أهلها لابرام الاتفاق مع الإمبراطور.

و هنا يبرز دور قاضى طرابلس "ابن حيدر" على مسرح الأحداث، فيتزعم حركه الصمود فى وجه البيزنطيين، و يقود حمله مناهضه ضد والى المدينه و من معه، و ينضم إليه العسكر و الأهالى منادين بالجهاد و قتال العدو، و طرد و إليهم المتخاذل من بين ظهرايهم. و اتخذوا قرارا بتعيين آخر مكانه، و لما أراد الوالى العوده إلى البلد، أغلق أهلها الباب فى وجهه و منعه من دخولها، ثم أخرجوا أفراد أسرته إليه، و استعدادا للقتال. فأقام "باسيل" محاصرا لطرابلس "نيفا و أربعين يوما". و بذل قسارى جهده لفتحها، و لكنه واجه مقاومه عنيده من المدافعين عنها، و لم يستطع أن ينقب ثغره فى أسوارها أو ينل من تحصيناتها. و وصف المؤرخ "ابن القلانسى" مناعه ثغر طرابلس بقوله: "و هو برى بحرى، متين القوه و الحصانه، شديد الامتناع على منازل..".

" و كبسها ليلا، و أخذ ربضها، و أسر كثيرا ". ثم غزاها ثانيه بعد ثلاثه أشهر فوصل إلى عرقه و سبى منها جماعه، و عاد في السنه التاليه فغزاها للمره الثالثه و سبى من بلادها كثيرا. و إزاء هذا، عزم الخليفه الفاطمي " العزيز " أن يخرج بنفسه لقتال البيزنطيين، و أمر بتجهيز حملته بريه بقياده " جيش بن الصمصامه " فدخلت طرابلس، كما أمر بإنشاء أسطول بحري ليسير معه بحرا إلى طرابلس. و فيما كان " العزيز " يحشد العساكر في القاهره، ورد عليه رسول " سعيد الدوله بن حمدان " يطلب الصفح، فأجيب إلى ذلك، و اعترف ابن حمدان بخلافه العزيز.

و بعد طرد " ابن نزال " من طرابلس، عين " جيش بن الصمصامه " واليا عليها في سنه ٣٨٥ هـ. و بضعه أشهر من سنه ٣٨٦ هـ. ثم " على بن جعفر بن فلاح "، ثم الأمير " تميم التنوخي "، ثم " ميسور الصقلبي "، فيما كان " ابن حيدر " يتولى قضاءها و حكمها. و ظل دوره بارزا أكثر من خمسة عشر عاما.

و حدث في سنه ٣٨٧ هـ. (٩٩٧ م) أن ثار أهل دمشق ضد القائد " سليمان بن جعفر " و الحكم الفاطمي، و تغلب الأحداث عليها برئاسه رجل منهم يعرف ب " الدهيقين ". و قامت في السنه ذاتها ثوره في مدينه صور، و عصى أحداثها و راعها على " الحاكم بامر الله "، و أمروا عليهم رجلا - ملاحا من رجال البحرية يعرف ب " العلاقه " و قتلوا أصحاب الخليفه و موظفيه. و قام " العلاقه " بضرب السكه باسمه، و نقش عليها: " عز بعد فاقه، و شطاره بلباقه، للأمير علاقه ".

و اتفق أن " المفرج بن دغفل بن الجراح " الذي كان متواطئا مع " هفتكين " السلجوقي المتولى على دمشق نزل في ذلك الوقت على مدينه الرمله، و نهب ما كان في السواد، و أطلق يد العيث في البلاد. فاستغل الامبراطور " باسيل " هذه الاضطرابات التي تشهدها الشام، و انحسار النفوذ الفاطمي، لتحقيق أطماعه التوسعيه، و راح يبذل جهده لتأليب أصحاب مدن الشام على الخليفه الفاطمي ليث الفرقة بين القوى الإسلاميه، و أمر قائده على أنطاكيه " داميانوس " ليقوم بالغاره على أراضي المسلمين. إلا أن أطماع " باسيل " لم تتحقق، إذ غادر " الدهيقين " دمشق إلى مصر طائعا، و عادت دمشق للفاطميين، و سحقت حركه العلاقه في صور، و استسلم ابن الجراح للقوات الفاطميه، و لقي " داميانوس " - أخيرا - مصرعه، و انهزمت قواته.

و قد أسهم القاضي " ابن حيدر " بشكل مباشر في:

١ - القضاء على حركه العلاقه بصور في شهر جمادى الآخره سنه ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م.

٢ - مقاتله " داميانوس " عند " أفاميه "، و إلحاق الهزيمة بالبيزنطيين بعد مصرع قائدهم، في السنه نفسها.

٣ - هزيمه الامبراطور " باسيل " للمره الثانيه عند أسوار طرابلس في أول سنه ٣٩٠ هـ. (٩٩٩ م).

فعلى جبهه صور، خرج " ابن حيدر " بأسطول طرابلس البحري و تصدى لمراكب البيزنطيين التي أتت لمساعدته " العلاقه " في ثورته ضد الفاطميين، كما خرج أسطول فاطمي من صيدا، و تمكنت المراكب الإسلاميه من الانتصار على الأسطول البيزنطي، و استولى المسلمون على مركب من مراكبهم، و قتلوا جميع رجاله، و عدتهم ١٥٠ رجلا، و قيل ٢٠٠ رجل.

و على جبهه " أفاميه " عند نهر العاصي، خرج " ابن حيدر " بجند طرابلس و المتطوعه من عامتها، و معه و إليها " ميسور

الصقلبي"، و انضموا إلى "جيش بن الصمصامه" الذي كان يقود جيش الشام، فقاتلوا "داميانوس" و هزموا قواته بعد أن كاد يهزمهم، و صرعه أحد المقاتلين الأكراد.

و إزاء خيبة آمال "باسيل" في إضعاف النفوذ الفاطمي، و لما كان مشغولا في ذلك الوقت بمقاتله البلغار، فقد حرص على تأمين حدود امبراطوريته الشرقية، و لذا أرسل يطلب عقد هدنه مع الحاكم بامر الله، و لكن الخليفة لم يجبه إلى رغبته بعد أن أحرزت عساكره الانتصارات المتتاليه، فعقد "باسيل" العزم على الخروج بحمله جديده إلى الشام لاسترداد هيئته بعد مقتل قائده و هزيمة قواته.

خرج الامبراطور إلى الشام، بعد أن عين قائدا لقواته في بلغاريا، و نزل بجسر الجديد في شوال سنه ٣٨٩ هـ. (٩٩٩ م) و سار إلى أفاميه فمر بسهولة حيث قتل "داميانوس"، و أمر بتشيد كنيسه هناك تخليدا لذاكره. ثم توجه إلى شيزر فحاصرها حتى اضطر صاحبها "ابن كراديس" لتسليمها له - للمره الثانيه - بعد أن قطع عن حصنها الماء، و خرج منها بعساكره، و صحبه عدد كبير من سكانها، و توجهوا إلى حماه و حلب و بعلبك، فشحنها "باسيل" بالأرمن و انتقل منها إلى حصن أبي قبيس، فأخذه بالأمان، ثم راح بعد ذلك يخرّب و يحرق و يدمر، فخرّب حصن مصياف و نزل على رفيه فأحرقها و سبي أهلها، و استمر يحرق و يسبي و يخرّب، إلى أن بلغ حمص فنزلها، و أحرق جنوده جماعه من أهلها اعتصموا بكنيسه "مار قسطنطين". ثم انحدر إلى الساحل، فهاجم عرقه و أحرقها، و هدم حصنها، ثم نزل على طرابلس في شهر ذي الحجه آخر سنه ٣٨٩ هـ. /كانون الأول آخر سنه ٩٩٩ م. و زحف عسكره على حصنها في اليوم الثالث لتزوله، فكانوا كناطح صخره.

و يبدو أن الامبراطور طلب أثناء زحفه من أسطوله البحري أن يأتيه بالمدد، و يساعده على حصار طرابلس، حيث وصل إليه في البحر و هو نازل على طرابلس "شلنديان" يحملان لدوابه المؤن و العلف، فتقوى بها عسكره، إذ كانت دواب عسكره قد مات أكثرها في الطريق من حمص لشده البرد، و قام بيث بعض سراياه على طول الساحل، فاتجه بعضها إلى جبله في الشمال، و بعضها إلى جيبيل و بيروت في الجنوب، فوقع في أيديها كثير من السبي و الأسرى المسلمين، و جرى بهم إلى الامبراطور فشحنهم في الشلنديان، و سيرهما إلى بلاده لبيعهم رقيقا في أسواق إزمير، و سالونيك و القسطنطينيه.

و يرحل يوم السبت فى الخامس من المحرم ٣٩٠هـ. / ٢٢ كانون الأول ٩٩٩م. منكنفنا إلى بلادده.

و حول دور "ابن حيدر" فى النكايه بالبيزنطيين، و توليه قياده طرابلس، يقول "التهامى" فى قصيده مدحه بها:

و إلى ابن عبد الواحد القاضى ارتمت بلدا كساحه صدره فيساحا..

ما زال هذا الثغر ليلا دامسا حتى طلعت ليله إصباحا

فجلت له الأيام بعد عبوسها وجها كوجهك مشرقا وضاحا

و حكمت فى مهج العدو بحكمه قرنت برأيك غدوه و رواحا

فسفكت ما كان الصلاح بسفكه و حقنت بعض دمائه استصلاحا

فوفود شكر المسلمين و غيرهم تأتى إليك أعاجما و فصاحا

و فى هذه القصيده إشاره إلى أن "ابن حيدر" قام بحمله أحمد فيها حركه لبني كلاب، و هى إحدى أهم القبائل المناوئه

للدوله الفاطميه فى فلسطين و جنوب "لبنان"، و هذه معلومه لم نجدها فى المصادر التاريخيه البحتة، حيث يقول "التهامى":

غادرت أسد بنى كلاب أكلبا إذ زرتهم و زيرهن نباحا

ففسوا النساء و دمروا ما دبروا و رأوا بقا أرواحهم أرباحا

يتلو هزيمهم السنان كأنه حران يطلب فى قراه قراحا

و السمر قد لفتهم أطرافها لفا كما اكتنف البنان الراحا

فمعفر حسد الحياه و هارب حسد الرفات القبر و الصفاحا

حتى إذا اقتنت القنا أرواحهم قتلا و فرقت الصفاح صفاحا

رفعوا أصابعهم إليك و نكسوا أرماحهم فثنين منك جماحا

و تركت أعينهم ب "صور" فى الوغى صورا و قد جاح الورى ما جاحا

إلى أن يقول:

أنى تروم الروم حربك بعد ما صليت بحربك محربا ملحاحا

لم يرم قط بك الامام مراده إلا جلوت عن الفلاح فلاحا

و لقد غدوت أبا الحسين لجيشه للقلب قلبا و الجناح جناحا..

و يبرز دور "ابن حيدر" مجددا في تثبيت النفوذ الفاطمي في بلاد الشام الشماليه، حين يلجا "أبو الهيجاء الحمداني" إلى الامبراطور "باسيل" فيما يستنجد مرتضى الدوله منصور بن لؤلؤ الجراحي بالخليفه الحاكم بامر الله، و يتعهد بان يقيم على حلب واليا فاطميا من قبله. فرأى الحاكم في ذلك فرصه مناسبه لتدعيم نفوذه في حلب. و كان يرى أن عوده "أبي الهيجاء" إليها بمثابة عوده النفوذ البيزنطي إلى أهم مدن الشام الشماليه، و لذا سارع فأنفذ إلى قاضي طرابلس "ابن حيدر" و واليه القائد "أبي سعاده" بالتوجه نحو حلب، فخرجا في عسكر كثيف إليها، فاتفقت موافاه عسكر طرابلس إلى حلب مع نزول أبي الهيجاء بالقرب منها، و فتح "مرتضى الدوله" باب حلب للقاضي "ابن حيدر" و أطلعه إلى القلعه، و سأله أن يكتب إلى الحاكم بواقع الحال بوساطه الحمام الزاجل، و لكن القاضي بادر فورا إلى الخروج للقاء أبي الهيجاء و من معه من العرب، و وافاهم و قد عولوا على الجلوس إلى الطعام، ففاجأهم بالهجوم، و ما لبث القبائل العربيه أن تخلت عن أبي الهيجاء، بعد أن كان "مرتضى الدوله" قد بذل لهم الوعود، فانهمز أبو الهيجاء راجعا إلى بلاد الروم، و نهب جميع ما كان معه.

و كان في قلعه "إعزاز" غلام من غلمان مرتضى الدوله، متهم بأنه كان يميل إلى أبي الهيجاء، فطلب منه مرتضى الدوله التنازل عن القلعه، فلم يجبه الغلام إلى ذلك، و تملكه الخوف منه، و لما شدد مرتضى الدوله طلبه، أجابه الغلام بأنه لا يسلم القلعه إلا إلى قاضي طرابلس. و لما كان "ابن حيدر" ما يزال عند حلب فقد ذهب إلى القلعه و تسلمها من الغلام، ثم قام بتسليمها إلى مرتضى الدوله. و كتب إلى الخليفه الحاكم يطلعه على ذلك. و عاد إلى مرتضى الدوله يطلب منه إنجاز وعده الذي قطعه للخليفه باقامه وال فاطمي على حلب، و لكن مرتضى الدوله دافعه و لم يبر بوعده. و اضطر "ابن حيدر" أن يعود إلى طرابلس دون أن يحقق ما كان يرغب به الخليفه.

و في هذه الأثناء - أي سنه ٤٠٠ هـ. (١٠٠٩ م) - كان "التهامي" بطرابلس، فقال يذكر خروج "ابن حيدر" إلى حلب و عودته منها في القصيده التي مر بعض أبياتها:

شاء المهيمن أن تسير مشرفا حلبا فقيض ما جرى و أتاحا

و أردت إصلاح الأمور فافسدت فنهضت حتى استحكمت إصلاحا

كانوا يرونك مفردا في جحفل و وراء سور إن نزلت براحا

و لا شك أن هذه القصيده و أخرى غيرها، كانتا قبل مقتل "ابن حيدر" بوقت قصير، حيث نقم الخليفه الحاكم على القاضي لكونه سلم قلعه إعزاز لمرتضى الدوله، فبعث إلى طرابلس قائدا و خادمين له فقطعوا رأسه و حملوه إلى مصر في أول سنه ٤٠٢ هـ.

و هكذا خسرت طرابلس قاضيا من أعظم قضاتها الذين أثبتوا صدق ولائهم للخلافه الفاطميه، و كان مثالا- للقضاء العلماء العاملين، و المجاهدين المنافحين عن كرامه طرابلس الإسلاميه ضد الغزاه الطامعين، و الخونه المستسلمين.

و فى قصيده ثانيه للتهامى بحق القاضى "ابن حيدر" نكف على معلومه مفادها أن نفوذها كان يصل إلى مدينه صور، و أنه كان يحسن لأهلها رغم أنهم كانوا يتمرّدون على الخلافه من حين لآخر، و لعله كان ينتدب من طرابلس من يتولى تصريف أمورها حين تكون خاليه من الولاة، حيث يقول "التهامى":

ص: ٢١٧

المصادر الأخرى، و يكنيه "أبا القاسم"، و يتضح أنه أوسط أبناء القاضي، و أن التهامي مدحه بعد وفاه أبيه، أى بعد سنه ٤٠٢ هـ.
(١٠١١ م.) فيقول من قصيده (صفحه ١٩):

فتى يفعل المكرمات الجسام و يسترهن كستر الريب
توسط مجد بنى المغربى كما وسط القلب بين الحجب
هم أورثوا الفضل أبناءهم و غابوا و فضلهم لم يغب
.. أبا قاسم حزت صفو الكلام و غادرت ما بعده للعرب
فليس كلامك إلا النجوم علوت فناثرتها من كذب

كما يؤكد "التهامى" معرفتنا بآبنا آخر لقاضى طرابلس، هو "أبو محمد الحسين بن على بن حيدر"، و نحن لا نعرف عنه شيئا من المصادر الأخرى، حتى أن "ابن عساكر" الذى يترجم لجيمع الشاميين فى عصره و ما قبله لم يورد عنه شيئا، بل ذكره فى معرض ترجمه أبيه فحسب، دون ترجمه، و نتيين من قصيده "التهامى" بحقه أنه كان رئيسا لطرابلس، فلعله خلف أباه فى منصبه، حيث يقول:

يا صاح إن الدهر قدم بالغنى وعدا فما أدناك من ميعاده
هذى طرابلس و ما دون الغنى إلا نداؤك بالحسين فناده
شفع ابن حيدر على ثانيه فى هذا الزمان و كان من أفراد
بأبى محمد الذى تاوى العلى ما بين قائم سيفه و نجاده
.. متجللا ثوب الرئاسه معلما ببهائه و وفائه و سداده
حاز العلاء بجده و بجده فاختال بين طريفه و تلاده
لم يجعل الآباء متكلا و لا آباؤه اتكلوا على أجداده
و منها:

كم جحفل غادرت فيه وديعه قصبنا من الخطى فى أجساده
أما الامام (١) فشاكر لك أنعمت جميع عبادته و بلاده

كم طرزت أرض العدو دما إذا طرزت طرسك نحوهم بمداده

خففت بالأقلام عن أرماحه و بمحكم الآراء عن أجناده

لما علوت الناس جدت عليهم و الطود يقذف ماءه لوهاده

حياك من ذى سؤدد و رعاك من أحيائك و استرعاك أمر عباده

و أخيراً، يؤكد "التهامى" معرفتنا بأبى القاسم هبة الله بن على بن حيدر، و هو أيضاً من أبناء قاضى طرابلس، و لم يرد ذكره فى المصادر التاريخيه، بل ورد فقط فى ديوان عبد المحسن الصورى، و فى ديوان التهامى. و قد أنشد فيه "الصورى" قصيده واحده، و لم نعرف منه المنصب الذى كان يشغله "هبة الله" أما "التهامى" فينشد فيه ثلاث قصائد، نفهم من بعض أبياتها أنه كان يتولى الحكم و القضاء فى عهد الحاكم بامر الله مثل أبيه و أخيه، فيقول من قصيده (صفحه ١٧٥):

ما بال طرفك لا تنجو رميته كأنما هو رام من بنى ثعل

صدت بنجد و زارت فى طرابلس و بيننا عنق للسفن و الإبل

تنقاد نحو هواهن القلوب كما إذ قادت إلى هبة الله العلى بن على

يزين الدوله الغراء موضعه إذا تزينت الأملاك بالدول

يقضى بحكم الهدى فى المشكلات كما يقضى بحكم الطبى فى ساعه الوهل

قد حالف الفضل فى أحكامه أبدا و العدل خير اقتناء الفارس البطل

قد أحكم الحاكم المنصور دولته بال حيدر فى السهل و الجبل

تاهت بهم دوله الإسلام و اعتدلت بعزمهم كاعتدال الشمس فى الحمل

شادوا و سادوا بما بينون من كرم أساس مجدهم المستحکم الأزلى

تشابهوا فى اختلاف من زمانهم عند اللهى و النهى و القول و العمل

و يفهم من بقيه أبيات القصيده أن "التهامى" أنشدها قبل مقتل القاضى "ابن حيدر"، حيث يقول فى ابنه "هبة الله":

تبع فى الجود و العلى أباك و لم تكذب كما تبع الوسمى صوب ولى

حليتما الدين و الدنيا بعز كما فلا أذلهما الرحمن بالعطل

و لا رأينا بعيني دهرنا رمدا فأنتما في ماقية من الكحل

و "عشتما" أبدا في ظل مملكه قد استعادت من التغيير و الدول

و يختصر "التهامي" الأنعام التي أنعم بها عليه "هبه الله" بهذا البيت من قصيده (صفحه ١٦٠):

منه مالي و رحلتى و عدادى و جوادى و حلتى و سلاحى

السيد علوى بن إسماعيل البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال السيد الصدر فى سلافه العصر ما لفظه:

(فاضل فى النسب و الأدب معرق و كامل، تهدل فرع مجده و أعرق، و هو اليوم شاعر هجر و منطيقها الذى واصله المنطق الفضل و ما هجر يفسح للبيان مجالاً- و يوضح منه غرارا و احجالا- و يطلع فى آفاقه بدورا و شموسا، و يروض من صعابه جموحا و شموسا، و يشتر من جناه عسلا، و يهز من قناه أسلا) ثم ذكر ما سنح له من القصائد و ما خرج عنه من الفوائد.

كمال الدين عمر بن العديم.

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٧٧ من المجلد الثامن و نشر هنا كلمه عن كتاب له خطى، مكتوبه بقلم دريه الخطيب:

كتاب "الوصله إلى الحبيب فى وصف الطيبات و الطيب" لكمال الدين عمر بن العديم واحد من أهم الكتب المؤلفه فى الفن المطبخى فى العصر الوسيط، إنه كتاب فى الأَطعمه و الأغذيه و طريقه صناعتها، و فى الطب و العطور و المياه و الصابون، و بعض الاستعمالات الطبيه للأطعمه و غيرها، و كيفيه تركيب بعض الأدوية منها.

و تأتى أهميه الكتاب:

أولاً: من غزاره مادته و تنوعها، و شموله على أكبر قدر من الوصفات. (٢)

ثانياً: ذكر المؤلف بعض الفوائد الصحيه و الاستطباعات الدوائيه لبعض

ص: ٢١٨

١- يقصد به الخليفه الفاطمى.

٢- آثرنا استعمال كلمه " و صفه " على كلمه " طبق " التى تستعمل فى مثل هذه الحالات لأن ما فى الكتاب ليس أطباقا تقدم فحسب، و إنما فيه من الأشربه و المخللات و البخور و المياه مما لا ينطبق عليه كلمه " طبق " .

الأطعمه و المواد الغذائيه، و أهميتها فى شفاء بعض الأمراض، و هذه ظاهره جديره باهتمامنا، و لا سيما أن الطب الحديث اليوم يتجه إلى التراث، و يعود إلى الأغذيه و الأعشاب لمعرفة خواصها، و فوائدها، و طرق الاستفاده منها للمعالجه بها، على أنها وسائل طبيعيه بديله تستغنى عن العقاقير، التى إن أفادت فى شفاء مرض ما، فإنها تترك أثرها السام فى أعضاء أخرى من الجسم.

ثالثا: يعطى الاطلاع على الأطعمه و الأغذيه و أنواعها، و مدى اهتمام الناس بها فى فتره زمنيها ما، و فى عصر معين صورها عن الحياه الاجتماعيه لهذا العصر، و الكتاب يكشف لنا عن تفنن أهل القرنين السادس و السابع الهجريين، و لا سيما فى مدينه حلب، فى فن الطهى، و أفانين الطعام، ما كان منه أساسيا كالحبز و المعجنات، و ما كان كماليا كالمخللات و المقبلات و غيرها، و يصور مطبخا عربيا غنيا مسرفا فى البذخ و الإنفاق، و تناول المطيبات من المأكولات و التعطر بالفاخر من الطيب، و لا شك أن المطبخ الذى يصفه المؤلف أو ذلك المعمل الذى كان ينتج تلك الأنواع من اللحوم و الأطعمه المعجونه بالفستق و اللوز، و القطائف التى تتسائل جوذاباتها سمنا و عسلا، ليس معملا عاما لفئات الشعب كاه بل هو لفئه خاصه ثريه مما يدل على سمه من سمات ذاك المجتمع.

رابعا: يشير الكتاب إلى الأدوات المستعمله فى الطهى و المواد الداخله فى تركيب أصناف الأغذيه و العطور و الصابون، و غير ذلك، مما يمكن أن يعطينا لمحه عن تاريخ التكنولوجيا فى ذلك العصر، و قد تكون لها فائده غير مباشره لدراسه تاريخ التكنولوجيا فى العصر الوسيط فى بعض المجالات التى لم تصلنا فيها المعلومات الوافيه.

خامسا: يتيح الكتاب للمرأه المعاصره خصوصا و للقارئ عموما أن يطلع على مهاره المرأه العربيه فى هذا المجال و مدى تفننها فى إعداد أنواع من الأغذيه و الأطعمه، و توصلها إلى أجدى الطرق الصحيحه و الصحيه فى حفظ أنواعها و ادخارها و خاصه خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، و يمثل هذا خلاصه القرون السابقه لها فى مجالها.

إذن فهذا الكتاب فى الفن المطبخى يشمل لمحات من الطب و الصيدله و الصناعه و الفن.

مخطوطاته:

المخطوطات المعروفه لهذا الكتاب حتى الآن عشر و هى:

١ - الأحمديه (فى مدينه حلب).

٢ - الظاهريه (فى مدينه دمشق).

٣ - المتحف البريطانى (فى لندن).

٤ - إستانبول (فى تركيا، مكتبه أحمد الثالث).

٥ - برلين (فى ألمانيا).

٦ - بتنه (في الهند).

٧ - بنكيور (في الهند).

٨ - القاهره (في مصر).

٩ - الموصل (في العراق). ٢١٩ - ١٠ - حسين جلبي (في بروسه أو بروسه في تركيا).

و ذكر الدكتور محمد عيسى صالحيه في رساله خاصه وجود مخطوطه أخرى برقم / ٤٤٥ معهد الدراسات الشرقيه!؟ /.

ورد ذكر هذا الكتاب عند حاجي خليفه في كتابه "كشف الظنون" (١) مكتبه المثنى - بغداد عن طبعه إستانبول ١٩٤١ م.، دون ذكر اسم المؤلف، و عرفه بأنه: "مختصر في المعاجين"، ثم أورد فاتحته و قسما من المقدمة، على طريقته في ذكر الكتب، حيث قال: "أوله الحمد لله الواحد القهار... إلى آخره. (٢) قال صاحبه و لم أضع فيه شيئا إلا بعد أن ركبته مرارا و تناولته مدارا، بدأ فيه بالطيب لشرف قدره".

و ذكره بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" في الأصل (٣) (الطبعه الألمانية).، و في الذيل:

فأورده أولا في الأصل باسم "الوسيله إلى الحبيب في وصف الطبيات و الطيب"، و وضع بين قوسين اسم "الوصله" و نسبه إلى ابن العديم الحلبي، و ذكر مخطوطتي برلين و بتنه، و أشار إلى وروده عند حاجي خليفه.

ثم ذكره ثانيه (٤) باسم "وصله الحبيب في وصف الطبيات و الطيب" و نسبه إلى من اسمه كمال الدين أبو القاسم عبد الدائم العقيلي الحبيب، و ذكر مخطوطه بروسه و عاد فذكر مخطوطه بتنه.

و قد أضاف في الذيل (٥) إلى مخطوطاته المذكوره عند ابن العديم مخطوطات المتحف البريطاني و بنكيور و الموصل، و ذكر أن مخطوطه الموصل تنسبه إلى يحيى بن العظيم بن الجزار المتوفى سنة (٦٧٩ هـ / ١٢٨١ م).

و ذكره ككتاب مستقل (٦) آخر منسوب إلى ابن أخ مجهول للملك الأشرف المملوكي (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٤ م)، استنادا إلى مخطوطه القاهره الوحيدده (٧)، و لم يذكر مخطوطه حلب و لا مخطوطتي دمشق و إستانبول.

و تحدث الدكتور سامي الدهان عن مخطوطاته فقال (٨): "رأيناه في مكتبه برلين برقم ٥٤٦٣ و تاريخ ١٠٠٠ للهجره سنة ١٩٤٦... و رأينا نسخه منه كذلك في القاهره و دار الكتب المصريه (رقم ٧٤ علوم صناعيه و تاريخه ٥٧٠٣ هـ)، وضعه المفهرس في باب العلوم الصناعيه. و من هذا الكتاب نسخه في المكتبه الظاهريه بدمشق و منه نسخه في الآستانه... كما أننا لم نجد على نسخه دار الكتب المصريه و نسخه الظاهريه نسبه إلى أحد".

يتالف الكتاب من مقدمه صغيره و عشره أبواب، و يبين المؤلف في مقدمه).

١- ج ٢٠١٤/٢

٢- لم ترد كلمه "القهار" فى أى من مخطوطات الكتاب، و لو لا أن ما ورد بعدها يطابق ما فى الكتاب لقلنا إنها مقدمه كتاب لأبى محمد المظفر بن نصر بن ستار الوراق (كان موجودا سنه ٦٩٦ هـ) اسمه: "الوصله إلى الحبيب ليغتنى به عن جهل الطيب". فهرس المخطوطات المصوره لمعهد المخطوطات العربيه التابع لجامعه الدول العربيه، تصنيف فؤاد سيد، المعارف العامه و الفنون المتنوعه ج ٤ ص ١٧٧، القاهره ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

٣- ج ٤٠٥/١

٤- ج ٦٥٢/١ رقم ٦ (الطبعه - الألمانيه).

٥- ذيل ٥٦٩/١ (الطبعه الألمانيه).

٦- ذيل ٩٠٤/١ رقم ٩ (الطبعه الألمانيه).

٧- "أبحاث حول الوثائق العربيه المتعلقه بالطبخ" للمستشرق رودنسون فى مجله الدراسات الإسلاميه / ١٩٤٩ / ص ١٢٢.

٨- "زبده الحلب من تاريخ حلب" تحقيق، الدكتور سامى الدهان، منشورات المعهد الفرنسى بدمشق ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م مقدمه الناشر ص (م ٤٨، ٤٩).

سبب تأليفه للكتاب و سبب تسميته فيقول: (١) " فإنه لما كان معظم اللذات الدنيوية والأخروية في تناول شهى المآكل و المشارب، و كان تطيب البدن و الثياب مما يقرب إلى الأحباب و الحباب.. و في تناول الطيبات تقويه على العبادة للعبد، و هي تستخرج من القلب خالصه الحمد.. فلهذا جمعت هذا الكتاب و سميته كتاب الوصله إلى الحبيب في وصف الطيبات و الطيب.. " ثم يقول: إنه اعتمد فيه على تجربته الشخصيه، و إنه لم يضع فيه شيئاً " إلا بعد أن ركبته مرارا و ناولته مدارارا، و استخلصته لنفسه و باشرته بذوقه و لمسى " . و يبدأ فيه بالطيب " لشرف قدره و طيب عرفه و انتشار ذكره " . ثم يورد أبواب الكتاب العشره و هي:

١ - باب الطيب.

٢ - الباب الثاني: في الأشربه.

٣ - الباب الثالث: في المياه و صفتها و كيفية العمل بها و الخل و استقطاره.

٤ - الباب الرابع: في صفه سلى الأليه.

٥ - الباب الخامس: في أنواع الدجاج المحلى و الممتزج و ما يجرى مجراها.

٦ - الباب السادس: في الأطعمه المنشفات و السنوسك و ما يجرى مجراها.

٧ - الباب السابع: في الحلوات و المخبوزات و ما يجرى مجراها.

٨ - الباب الثامن: في المخلاتات و الملوحات و صفه صنعتها.

٩ - الباب التاسع: في أنواع الأشنان و الصابون المطيب.

١٠ - الباب العاشر: في تصعيد المياه و تطيب رائحه الفم.

و هناك قسم آخر أضيف إلى الكتاب بعنوان: " زيادات ليست من الكتاب " و ردت في ثنايا الباب السابع.

الشيخ عيسى بن صالح آل عصفور الدرأزي البحرأني.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

كان فاضلا صالحا عارفا بالتواريخ و السير له كتاب ضخم في حاله الشعراء من المتقدمين و المتأخرين و له كتاب قصائد منها قصيده بديعه يمدح بها الشيخ العلامة الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرأني يوم كان في الهند و قد وفد عليه فأجازه جائزه سنيه.

قيس بن عمرو بن مالك

المعروف بالنجاشي.

مرت ترجمته في الصفحة ٤٥٧ من المجلد الثامن و مرت إشاره إليه في الجزء الأول من المستدركات و نضيف على ذلك ما ياتي عن كتاب الغارات لابن هلال الثقفي:

كان شاعر علي (ع) بصفين فشرب الخمر في الكوفة فحده أمير المؤمنين (ع) فغضب و لحق بمعاويه و هجا عليا (ع).

خرج النجاشي في أول يوم من رمضان فمر بأبي سمال الأسدي(٢) و هو قاعد بفناء داره، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد الكناسه. قال: هل لك في رؤوس و أليات(٣) قد وضعت في التنور من أول الليل فأصبحت قد أينعت و تهرأت؟ قال: ويحك في أول يوم من رمضان؟! قال: دعنا مما لا نعرف قال: ثم مه؟ قال: ثم أسقيك من شراب كالورس،(٤) يطيب النفس، و يجرى في العرق، و يزيد في الطرق(٥)، يهضم الطعام و يسهل للقدم(٦) الكلام، فنزل فتغديا ثم أتاه بنبيذ فشرباه، فلما كان من آخر النهار علت أصواتهما. و لهما جار يتشيع من أصحاب علي (ع)، فاتي عليا (ع) فأخبره بقصتهما، فأرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار، فاما أبو سمال فوثب إلى دور بني أسد فأفلت، و أما النجاشي فاتي به عليا (ع)، فلما أصبح أقامه في سراويل فضربه ثمانين ثم زاده عشرين سوطا، فقال: يا أمير المؤمنين أما الحد فقد عرفته فما هذه العلاوه التي لا نعرف؟ قال: لجرأتك علي ربك و إفطارك في شهر رمضان، ثم أقامه في سراويله للناس فجعل الصبيان يصيحون به: فجعل يقول: كلا و الله إنها يمانيه و كاؤها شعر(٧) فمر به هند بن عاصم السلولي فطرح عليه مطرفا(٨) ثم جعل الناس يمرون به فيطرحون عليه المطارف حتى اجتمعت عليه مطارف كثيره ثم أنشا يقول:

إذا الله حيا صالحا من عباده تقيا فحيا الله هند بن عاصم

و كل سلولى إذا ما دعوته سريع إلى داعى العلى و المكارم

ثم لحق بمعاويه و هجا عليا (ع) فقال:

ألا من مبلغ عنى عليا بانى قد أمنت فلا أخاف

عمدت لمستقر الحق لما رأيت قضيه فيها اختلاف

(٩) عن أبى الزناد(١٠) قال: دخل النجاشي على معاويه و قد أذن معاويه للناس عامه فقال لحاجبه: ادع النجاشي، قال: و النجاشي بين يديه، و لكن اقتحمته عينه(١١) و لعل معاويه تعمد ذلك، فقال: ها أنا ذا النجاشي بين يديك يا أمير المؤمنين، إن الرجال ليست بأجسامها إنما لك من الرجل أصغراه قلبه و لسانه، قال: ويحك أنت القائل:

و نجى ابن حرب سابح ذو علاله أجش هزيم و الرماح دوان

ص: ٢٢٠

١- ص ٣ من مخطوطه إستانبول.

٢- هو سمعان بن هبيرة الأسدي الشاعر، قال ابن حجر: "له إدراك و نزل الكوفه... عاش مائه و سبعا و ستين سنه.. و كان مع

- طليحه فى الرده... كان لا يغلق باب داره و كان له مناد ينادى من ليس له خطه فمترله على أبى السمال، شرب الخمر فى رمضان مع النجاشى الحارثى فأقام على الحد على النجاشى و هرب أبو السمال (انظر الاصابه حرف السين ق ٣).
- ٣- أليات جمع أليه - بالفتح - أى أليه الشاه و لا يقال إليه بالكسر و لا ليه بدون همزه.
- ٤- الورس: نبت أصفر يكون باليمن و مراده الصفاء.
- ٥- الطرق - بالكسر -: القوه و الشحم، و إذا كان بالفتح فالمراد الإتيان بالليل كناية عن الملامسه.
- ٦- القدم: العيبى.
- ٧- وكاؤها شعر: كناية عن القوه و عدم الانفلات فهو استعاره كالأستعاره فى الحديث (العين وكاء السه).
- ٨- المطرف - بتثليث الميم و سكون الطاء - ثوب من خز مربع فى طرفيه علمان.
- ٩- جاء فى نسخه الظاهرية هكذا: ألا من مبلغ عنى عليابانى قد أخذت على رواف عمدت لمستقر الحق لمارأيت قضيه فيها اختلافى
- ١٠- أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، قال الذهبي: "الامام الثبت... كان سفيان يسمى أبا الزناد: أمير المؤمنين فى الحديث" كان كاتباً لبني أميه، و كان ربيعه الرأى قال فيه "ليس بثقه و لا رضى" و هو الذى روى الحديث: (إن الله خلق آدم على صورته) توفى فجاه فى شهر رمضان سنه ١٣٠ (انظر المعارف لابن قتيبه ص ٢٠٤ و ميزان الاعتدال ٤/٤١٨).
- ١١- أى احتقرته

إذا قلت: أطراف الرماح تنوشه مرثه له الساقان و القدمان

(١) ثم ضرب بيده إلى ثديه و قال: ويحك إنما مثلى لا تعدو به الخيل، فقال:

إني لم أقل هذا لك إنما قلته لعتبه بن أبي سفيان.

و لما حد علي (ع) النجاشي غضب لذلك من كان مع علي من اليمانيه و كان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب بن أسامه النهدي فدخل علي أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين ما كنا نرى أن أهل المعصيه و الطاعه، و أهل الفرقة و الجماعه عند ولاه العدل، و معادن الفضل سيان في الجزاء، حتى رأيت ما كان من صنيعك باخي الحارث، فأوغرت صدورنا، (٢) و شتت أمورنا، و حملتنا على الجاده التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار، فقال علي (ع): (إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) يا أخا بني نهدي، و هل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حدا كان كفارته، يا أخا بني نهدي إن الله تعالى يقول: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ).

فخرج طارق من عند علي و هو مظهر بعذره قابل له، فلقيه الأشر النخعي فقال له: يا طارق أنت القائل لأمير المؤمنين: إنك أوغرت صدورنا و شتت أمورنا؟ - قال طارق: نعم، أنا قائلها. قال له الأشر: و الله ما ذاك كما قلت، و إن صدورنا له لسامعه، و إن أمورنا له لجامعه. قال: فغضب طارق، و قال: ستعلم يا أشر أنه غير ما قلت، فلما جنه الليل همس (٣) هو و النجاشي إلى معاويه، فلما قدما عليه دخل آذنه فأخبره بقدمهما و عنده و جوه أهل الشام منهم عمرو بن مره الجهني (٤) و عمرو بن صيفي (٥) و غيرهما، قال:

فدخلنا عليه، فلما نظر معاويه إليه قال: مرحبا بالمورق غصنه، المعرق أصله، المسود غير المسود، في أرومه (٦) لا- ترام، و محل يقصر عنه الرامي، من رجل كانت منه هفوه و نبوه (٧) باتباعه صاحب الفتنة، و رأس الضلاله و الشبهه، التي اغترز (٨) في ركاب الفتنة حتى استوى على رحلها ثم أوجف في عشوه ظلمتها و تيه ضلالتها، (٩) و اتبعه رجرجه من الناس، (١٠) و هنون من الحثاله (١١)، أما و الله ما لهم أفئده (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا). فقام طارق فقال: يا معاويه إني متكلم فلا يسخطك أول دون آخر، ثم قال و هو متكئ على سيفه: إن المحمود على كل حال رب علا فوق عبادته فهم منه بمنظر و مسمع، بعث فيهم رسولا- منهم لم يكن يتلو من قبله كتابا و لا يخطه يمينه إذا لارتاب المبطلون، فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برا رحيمًا.

أما بعد فانا كنا نوضع (١٢) فيما أوضعنا فيه بين يدي إمام تقى عادل في رجال من أصحاب رسول الله (ص) أتقياء مرشدين، ما زالوا منارا للهدى و معالم (١٣) الدين خلفا عن سلف مهتدين، أهل دين لا- دنيا، و أهل الآخرة كل الخير فيهم، و اتبعهم من الناس ملوك و أقيال، و أهل بيوتات و شرف، ليسوا بناكتين و لا قاسطين، فلم تك رغبه من رغب عنهم و عن صحبتهم إلا لمراره الحق حيث جرعوها، و لو عورته حيث سلوكها، و غلبت عليهم دنيا مؤثره، و هوى متبع (وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا) و قد فارق الإسلام قبلنا جبله بن الأيهم (١٤) فرارا من الضيم و أنفا من الذله فلا تفخرن يا معاويه أن قد شددنا إليك الرحال و أوضعنا نحوك الركاب، فتعلم و تنكر. أقول قولى هذا و أستغفر الله العظيم لى و لجميع المسلمين.

ثم التفت إلى النجاشي وقال: ليس بعشك فادرجي (١٥) فشق على معاوية ذلك و غضب و لكنه أمسك فقال: يا عبد الله ما أردنا أن نوردك مشرع ظما، و لا أن نصدرك عن مكرع رواء، و لكن القول قد يجري بصاحبه إلى غير الذي ينطوى عليه من الفعل، ثم أجلسه معه على سريره، و دعا له بمقطعات (١٦) و برود فصبها عليه، ثم أقبل عليه بوجهه يحدثه حتى قام.

فلما قام طارق خرج و خرج معه عمرو بن مره، و عمرو بن صيفي الجهنيان فأقبلا- عليه يلومانه في خطبته إياه و فيما عرض لمعاوية.

فقال طارق لهما: و الله ما قمت بما سمعتماه حتى خيل لي أن بطن الأرض أحب إلى من ظهرها عند إظهاره ما أظهر من البغي و العيب و النقص لأصحاب محمد (ص) و لمن هو خير منه في العاجله و الآجله و ما زهت به نفسه، و ملكه عجبه و عاب أصحاب رسول الله (ص) و استنقصهم و لقد قمت مقاما عنده أوجب الله على فيه أن لا أقول إلا حقا، و أى خير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا؟! و أنشا يتمثل بشعر لبيد بن عطار التميمي:

لا تكونوا على الخطيب مع الدهر فاني فيما مضى لخطيبه.

ص: ٢٢١

١- هذان البيتان من قصيده للنجاشي يهجو بها معاوية يوم صفين من قصيده روى منها نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٦٠١ واحدا و ثلاثين بيتا و كان معاوية يعير بها بعد ذلك و يعرض بها، و السابح الجواد و جمعه سوابح، و الأجدش: الغليظ الصوت من الإنسان و الخيل، و الهزيم: الفرس الشديد الصوت و مرثه - بالمثلثه -: حر كته.

٢- أوغرت صدورنا: جعلتها تتوقد من شدة الغيظ.

٣- الهمس - هنا -: السير ليلا بلا فتور.

٤- عمرو بن مره الجهني صحابي يكنى أبا مريم شهد مع النبي (ص) أكثر المشاهد مات في أيام معاوية و قيل أيام عبد الملك (انظر الاستيعاب ٥١٩/٢ و الاصابه حرف العين ق ١).

٥- عمرو بن صيفي، قال السيد المحدث رحمه الله: "لم أجد ذكره في كتب التراجم".

٦- الأرومه - بفتح الهمزة و بضمها -: الأصل.

٧- الهفوه: الزله، و النبوه - هنا -: التقصير كأنها ماخوذه من قولهم نبا السهم إذا قصر عن الهدف، و نبا السيف إذا كل عن الضريبه.

٨- اغترز: وضع رجله في الغرز و هو ركاب من جلد.

٩- أوجف: أسرع، و العشوه - بتثيئ العين المهمله -: ركوب الأمر على غير بيان، و التيه - بكسر التاء هنا - الضلال.

١٠- الرجرجه من الناس: الأراذل و من لا عقول لهم.

١١- هنون جمع هين و هو الحقير المهان، و الحثاله: الردىء من كل شىء.

١٢- وضع و أوضع: أسرع في سيره و منه قوله تعالى: (لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ).

١٣- المعالم جمع معلم و هو الأثر الذي يستدل به على الطريق.

- ١٤- جبله بن الأيهم آخر ملوك غسان، أسلم فى زمن عمر و قدم المدينه فى أهبه الملك و فرح المسلمون فى قدومه و إسلامه و حضر الموسم من عامه فىنما هو يطوف فى البيت إذ وطئ على إزاره رجل من بنى فزاره فحلّه فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزارى عمر و طلب إليه عمر أن يرضى الفزارى أو يقيدّه فأخذته العزه بالإثم و اجتمع قوم جبله و بنو فزاره، فكادت تكون فتنه، فقال جبله: امهلنى إلى غد يا أمير المؤمنين، قال: ذاك لك فلما كان جنح الليل خرج هو و أصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينيه على هرقل فتنصر و أعظم هرقل قدومه و سر به انظر تفصيل القصة فى العقد الفريد لابن عبد ربه ٥٦/٢.
- ١٥- مثل يضرب و معناه ليس هذا مكانك فاتركه و عش الطائر موضعه و هو الذى يكون فى أفنان الأشجار يجمعه من دقاق العيدان و غيرها فإذا كان فى جبل أو جدار أو نحوهما فهو و كر و كن، و الدرج: المشى بتقارب خطو.
- ١٦- المقطعات برود قصار موشاه و لا واحدا له من لفظه.

أصدع الناس فى المحافل بالخطبه يعبى بها الخطيب الأريب

و إذا قالت الملووك من الحاسم للداء؟ قيل: ذاك الطيب

غير أنى إذ قمت كاربنى الكربه لا يستطيعها المكروب

و كذاك الفجور يصرعه البغى و فى الناس مخطئ و مصيب

و خطيب النبى أقول بالحق و ما فى مقاله عرقوب(١)

إن من جرب الأمور من الناس و قد ينفع الفتى التجريب

لحقيق بان يكون هواه و تقاه فيما إليه يثوب

فبلغ عليا (ع) مقاله طارق و ما قال لمعاويه فقال: لو قتل أخو بنى نهد يومئذ لقتل شهيدا.

و زعم بعض الناس أن طارق بن عبد الله رجع إلى علي (ع) و معه النجاشى.

و عمل معاويه فى إطراء طارق و تعظيم أمره حتى تسلل ما كان فى نفسه.

و طارق هو القائل:

هل الدهر إلا ليله و صباحها و إلا طلوع الشمس ثم رواحها

يقرب ما ينأى و يبعد ما دنا إلى أجل يقضى إليه انسراحها

و يسعى الفتى فيها و ليس بمدرك هواه سوى ما ضر نفسا طماحها(٢)

و من يسع منا فى هوى النفس يلقتها سرىعا إلى الغى المقيم جماحها(٣)

و عاذله قامت تلوم مدله على فلم يرجع قتيلا صياحها(٤)

و تزعم أن اللوم منها نصيحه و حرم فى الدنيا على انتصاحها

إذا كان أمر العاذلات ملامه فاولى أمور العاذلات اطراحها(٥)

و قد حنكتنى السن و اشتد حنكتى و جانبى لهو الغوانى و راحها(٦)

و قد كنت ذا نفس تراح إلى الصبا فاضحت إلى غير التصابى ارتياحها(٧)

، و الصبا: جهل الفتوه، و التصابي: تعاطى الصبا.

و إني لمن قوم بنى المجد فيهم بيوتا فأمست ما تنال براحها(٨)

مطاعيم في القحط الجديب زمانهم إذا أقوت الأنواء هاجت رياحها(٩)

و أخلف إيماض البروق و عطلت بها الشول و استولت و قل فصاحها(١٠)

و قر قرار الأرض إما ملوكهم و ساداتهم ما بل عشا نصاحها

(١١)

كريب بن زيد الحميري

خرج مع التوايين الذين خرجوا بقياده سليمان بن صرد الخزاعي للطلب بشار الحسين، و لما علم كريب ما عزم عليه رفاعه بن شداد من الرجوع جمع إليه رجالا من حمير و همدان و قال: عباد الله روحوا إلي ربكم و الله ما في شيء من الدنيا خلف من رضا الله و قد بلغني أن طائفه منكم يريدون الرجوع فاما أنا فو الله لا أولى هذا العدو ظهري حتى أرد مورد أخواني، فأجابوه و قالوا:

رأينا مثل رأيك، فتقدم عند المساء في مائه من أصحابه فقاتلهم أشد القتال، فعرض ابن ذى الكلاع الحميري عليه و على أصحابه الأمان، فقال: قد كنا آمنين في الدنيا و إنما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوهم حتى قتلوا.

الشيخ كمال الدين بن سعادة الستري البحراني.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من مشايخ زين المله و الدين الشيخ على بن سليمان الستري البحراني.

قال الشيخ ميثم البحراني في كتابه: النجاه في القيامه في تحقيق الامامه:

و لاثبات ذلك - أي الامامه - دليل عقلي لمولانا كمال الدين بن سعادة البحراني. و ذكره العلامة فائني عليه. و توفي قدس سره سنه ٥٥٥ الخامس و الخمسين و الخمسمائه.

السيد مال الله بن السيد محمد الخطي.

قال في تاريخ البحرين المخطوط بمبالغات:

زيد الأوائل و الأواخر الذي لا يكون لعلمه أول و آخر، فخر المحققين و زيده المجتهدين سيد العلماء المتأخرين، انتهت إليه رئاسه الخط و الأحساء، و الأمر باحكام الشريعة في الصباح و المساء و هو مجاز عن شيخه الشيخ أحمد الأحسائي و له معه أجوبه

مات سنة ١٢٢٢ و قبره الشريف فى القطيف يزار و يتبرك به.

ماه شرف خانم بنت الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم الطالقانيه القزوينيه.

عالمه فاضله، أديبه، شاعره، خطيبه، متكلمه، عارفه.

قرأت على أخيها الشيخ محمد البرغانى، ثم هاجرت إلى أصفهان، و أخذت من أجلاء علمائها و منها نزلت إلى كربلاء و النجف ثم استقرت فى قزوین فاخترها فتح على الشاه القاجارى لمنصب كبير فى البلاط الشاهنشاهى و كان لها خط جميل للغايه و أسلوب أدبى رائع فى الإنشاء و كانت ترسل عن لسان البلاط علماء الإسلام و تجيب على رسائلهم. قال الأمير عضد الدوله سلطان أحمد الميرزا فى كتابه (تاريخ عضدى) (... ماه شرف عمه المرحوم الحاج الملا محمد صالح المجتهد البرغانى الملقبه بمنشيه (سكرتيره) كان لها خط جميل لا سيما فى خط الشكسته بشكل رائع للغايه و كانت مسئوله عن الرسائل

ص: ٢٢٢

- ١- عرقوب: أى ليس فيه التواء.
- ٢- الطماح: هنا كالجماح و زنا و معنى.
- ٣- الجماح: ركوب الهوى.
- ٤- المدله: التى ترى زوجها جراه فى تغنج و تشكل كأنها تخالفه و ما بها من خلاف، و احتمال السيد المحدث أنه ربما كان "فلم ينجع فتيلاً" و ذلك أن يقال: "ما أغنى عنك فتيلاً أى شيئاً بقدر الفتيل" و الفتيل ما يكون فى شق النواه.
- ٥- الإطراح: الابعاد.
- ٦- حنكته السن: أحكمته التجارب، و الحنكه: التجربه و الفهم، و الغوانى جمع غانيه و هى المرأه التى تطلب و لا- تطلب لأنها استغنت بحسنها، و قيل: هى الشابه العفيفه ذات زوج أولاً، و الراح: الخمر، أو يريد الارتفاع بلهوه معهن.
- ٧- يراح: تأخذه خفه و أريحيه
- ٨- البراح: المتسع من الأرض و يريد أفنيته.
- ٩- مطاعيم جمع مطعام و هو كثير الإطعام و القرى، و القحط: الجذب، و الجديب: بين الجدوبه، و أقوت: خلت، و الأنواء جمع نوء و هو النجم الذى يستمطرون به، و هاجت رياحها: هبت و هو كناية عن الكرم.
- ١٠- البروق جمع برق و إيماضها: لمعانها، و الشول جمع شائله و هى الناقه التى يجف لبنها و عطلت: لا- راعى لها لأن الرعاه تركوها لهزلها و عدم فائدتها" استولت" نقص لبنها من ولت يلت، أو هو تصحيف. و الفصاح جمع فصيح و المراد هنا اللبن الخالص يقال: أفصح اللبن أى ذهب رغوته و انقطع اللبا عنه و اشولت أى جفت ألبانها و لحقت بطونها بظهورها من الهزال.
- ١١- النصاح: السقى يقال: نصحه الغيث أى سقاه حتى اتصل نبتة فلم يكن فيه فضاء.

و الإنشاء فى البلاط الايرانى...)(١) و كانت مشاوره للشاه القاجارى فتح على شاه فى أمور إداره البلاد و كان يأخذ الشاه برأىها.(٢)

الشيخ محسن بن الشيخ محمد بن الشيخ يوسف صاحب الحدائق

من آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

و هذا الشيخ من فضلاء هذه الطائفة و أعيانها أخذ عن أخيه الشيخ موسى المتقدم ذكره و برز فى الفنون و كان إماما بعد أخيه الشيخ موسى.

يضرب به المثل فى الفقه، عارفا بالأصولين و النحو و القرآن، زكيا فصيحاً، ولد فى فسا سنة ثمانى عشره و مائتين بعد الألف. و مات قدس سره سنة تسع و خمسين و مائتين بعد الألف، و له كتاب الأربعين فى فضائل أمير المؤمنين. و شرح المغنى و كتاب الإجازات. و حاشيه على المطول. و رساله فى الشكيات. و رساله فى معنى قوله (ص): "الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة". و رساله فى قوله (ص): (ستدفن بضعه منى بخراسان).

و حاشيه على الشرائع. و رساله المحاكمه بين من قال باستحباب فصل الشهاده لعلى بالولاية فى الأذان و من قال بعدمه.

و غير ذلك من الرسائل و له من الأولاد الشيخ موسى و هو الآن من أكابر علماء فسا. و له من المصنفات كتاب العمده.

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدى.

إشاره

كتب الشيخ محمد حسن آل ياسين ما يلى:

عثرت فى المكتبه الرضويه بمدينة "مشهد" الإيرانية على مخطوط نفيس قيم يعنى بالحديث عن مكه المكرمه، و الطرق الموصله إليها من جهه المدينه المنوره و الكوفه و البصره و سائر الحواضر الإسلاميه المشهوره يوم ذاك مع تتبع بالغ، و وصف دقيق لما تضمنته تلك الطرق من بواد و قفار، و برك و آبار، و أبنيه و قصور، و أميال و آثار، و زروع و علامات بريد، بحيث لم يغادر صغيره و لا كبيره إلا أحصاها. و بهذا كان الكتاب مثيراً للاعجاب جالبا للاهتمام قمينا بالبحث و الدراسه و النشر.

و أهم ما يبعث على الأسف عند مطالعه هذه النسخه نقصانها من أولها بمقدار لا نستطيع تحديده، و إن كان نورا يسيرا على الأ-كثر، و لكنه - على قلته المحتمل - أفقدنا اسم هذا العالم الجغرافى المحقق فبقى مجهولا خلال هذه الأعوام المتماديه التى مرت على الكتاب و هو ناقص مبتور.

ثم أشكل الأمر ثانيه بواسطه المجلد الذى قدم و آخر بعض الأوراق أثناء التجليد فتداخل فيه الحديث عن هذا المكان بالحديث

عن ذاك، فالتبست بعض مطالبه على أكثر مطالعيه.

و النسخه التي نحن بصددھا قديمه النسخ كثيره التصحيف و التحريف قليله النقط، تتالف من ١١٦ ورقه بحجم ١٨.٢٣ سم، و رقمھا العام في المكتبه ٥٧٥١، و الواقف لها علامه عصره الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنه ١٠٣١ هـ، و في أولھا ختم باسم "حسن بن علي بن عبد العالی" مؤرخ سنه ٩٥٧ هـ.

أما آخر الكتاب فتام، و جاء في ختامه ما نصه:

"تم الكتاب بعون الله و حسن توفيقه، و الحمد لله حق حمده، و صلواته على خير خلقه سيدنا محمد النبي و عترته الطاهرين و سلم، و حسبنا الله و نعم الوكيل".

ثم ورد في ذيل الصفحه الأخيره ما لفظه:

"من عواری الزمن علی يد أضعف عباد الله... في تاريخ غره محرم الحرام سنه ٨٩٩" و قد اعتدت يد جاهله علی هذا التملك فحكت اسم المالك فلم نعرفه.

و بالنظر إلى أهميه موضوع الكتاب و نفاسه معلوماته فقد بذلت جهدا كبيرا في سبيل معرفه مؤلفه و في تنظيم أوراقه حسب تسلسلھا الواقعي، فانكشف الغطاء، و اتضح الحقيقه، و الحمد لله رب العالمين.

إن أول حقيقه تسوقنا إليها روايات الكتاب أن مؤلفه من رجال القرن الثالث الهجري، لأن كل الرواه الذين يروى عنهم المؤلف هم من أعلام هذا القرن و مشاهيره، و نذكر في أدناه طائفه منهم علی سبيل التمثيل:

١ - أحمد بن إسماعيل السهمي المدني، أبو حذافه، المتوفى ببغداد سنه ٢٥٩ هـ.

٢ - أحمد بن عبد الجبار العطاردي الكوفي، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٢ هـ.

٣ - أحمد بن منصور بن سيار الرمادي، أبو بكر، المتوفى ببغداد سنه ٢٦٥ هـ.

٤ - جعفر بن محمد بن شاكر الصايغ، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٩ هـ.

٥ - الحرث بن محمد بن أبي أسامه التميمي البغدادي، أبو محمد، المتوفى ببغداد سنه ٢٨٢ هـ.

٦ - الحسن بن مكرم بن حسان، أبو علي، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٤ هـ.

٧ - عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال، أبو محمد الأنصاري الوراق البلخي، المعروف بابن أبي سعد، المتوفى ببغداد سنه ٢٧٤ هـ و يعبر عنه المؤلف تاره ب "عبد الله بن عمرو" و تاره ب "عبد الله بن أبي سعد" و أخرى ب "أبي محمد الوراق".

٨ - عبد الملك بن محمد الرقاشى البصرى، أبو قلابه، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٦ هـ.

٩ - محمد بن الجهم بن هارون السمرى الكاتب النحوى، أبو عبد الله، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٧ هـ.

١٠ - محمد بن خلف بن عبد السلام الأعور المروزى، أبو عبد الله، المتوفى ببغداد سنة ٢٨١ هـ.

١١ - محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى الحافظ، أبو جعفر، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٤ هـ.

١٢ - محمد بن عبد الملك بن زنجويه البغدادى، أبو بكر، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٨ هـ.

ص: ٢٢٣

١- الأمير عضد الدوله سلطان أحمد ميرزا: تاريخ عضدى ص ١٩: تحقيق الدكتور عبد الحسين النوائى طهران منشورات بابك.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

١٣ - محمد بن علي بن حمزه العلوي، المتوفى سنة ٢٨٧ هـ.

١٤ - محمد بن يزيد المبرد الشمالي، المتوفى ببغداد سنة ٢٨٥ هـ.

١٥ - يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله العلوي، أبو الحسين، المتوفى سنة ٢٧٧ هـ.

و هكذا يتضح من معرفه حال المذكورين في أعلاه أن الراوى عنهم من رجال المائة الثالثة بلا شك، و أنه ممن سكن بغداد فتره غير قصيره، استطاع خلالها أن يحضر مجالس عدد كبير من المحدثين و الرواه فيتحدث معهم و يروى عنهم.

أما تعيين اسم المؤلف فقد بقى عندى مجهولا إلى حين، و على الرغم من أن صديقى الباحث الدكتور حسين على محفوظ قد افترضه ابن الكوفى (٢٥٤ - ٣٤٨ هـ) و رجح نسبه المخطوط إليه، فانى لم أقتنع بذلك بل كنت قاطعا بأنه غيره، لأن مؤلف المخطوط يروى عن أشخاص لم يكن باستطاعه ابن الكوفى الروايه عنهم مشافهه كمحمد بن عبد الله المخرمى المتوفى سنه ولاده ابن الكوفى ٢٥٤ هـ و محمد بن عبد الملك بن زنجويه المتوفى سنه ٢٥٨ هـ أى بعد ولاده ابن الكوفى باربعه أعوام و أحمد بن إسماعيل السهمى المتوفى بعد ولاده ابن الكوفى بخمسه أعوام ٢٥٩ هـ.

ثم اطلعت في أثناء كتاب "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" للسمهودى المتوفى سنه ٩١١ هـ على نقول عن كتاب - لم يسمه - يعنى بذكر منازل مكه و الطرق الموصله إليها، و المناسك التى ينتفع بها الحاج، و ذكر السمهودى أن هذا الكتاب تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد الأسدى، كما ذكر أن هذا المؤلف من المتقدمين، و يؤخذ من كلامه أنه كان فى المائة الثالثه. فرجح فى ظنى أن يكون هذا الأسدى ضالتي المنشوده و أن يكون المخطوط - موضوع البحث - هو كتابه الذى ينقل عنه السمهودى.

و بعد القيام بمقارنه النصوص التى وردت فى "وفاء الوفا" منقوله عن كتاب الأسدى بما تضمنه المخطوط كانت النتيجة المؤكده أن هذا المخطوط للأسدى، و أنه هو كتابه الذى كان يقطع كثير من الباحثين بفقدانه و ضياعه.

و المستفاد من الكتب العربيه الباحثه فى الشئون البلدانيه - على كثرتها و وفرتها و فى طليعتها معجم البلدان - أن كتاب الأسدى كان نادر النسخه على مر القرون فلم يره هؤلاء المؤلفون و لم يطلعوا عليه، و لذلك لم يذكروه و لم يشيروا إليه، بل ربما يخيل لى أن النسخه التى وقف عليها السمهودى و نقل عنها هى بعينها هذه النسخه الفريده الباقية إلى اليوم، من دون أن يكون لها - فى الأمس و اليوم - أخت ثانيه فى الدنيا مطلقا.

كذلك يستفاد من المصادر الضخمه الكثيره التى عنيت بالتأريخ و التراجم أن أبى عبد الله الأسدى رجل مجهول الحال كامل الذكر غير معروف لأحد، و لذلك لم يذكر و لم يترجم على الرغم من علمه و فضله و سعه اطلاعه و غزاره معلوماته.

و على أى حال، فهذا هو الأسدى و كتابه على وجه القطع و اليقين، و أرجو أن أوفق فى الأعداد القادمه إلى نشر النصوص التى وردت فى مخطوطنا هذا و ورد مثلها فى نقول السمهودى عنه لتتجلى الحقيقه أكثر و أكثر، فإلى اللقاء إن شاء الله.

تعليق الدكتور محفوظ.

و قد علق الدكتور حسين على محفوظ على هذه الكلمه بما يلي:

اطلعت في (دار الكتب الرضويه) بمدينة مشهد مركز خراسان في إيران، أوائل خريف سنة ١٩٥٧ على نسخه خطيه قديمه نادره، لعلها وحيده، كان خازن المخطوطات الفاضل يظن أنها كتاب "أخبار مكه" للأزرقي. وقد استطلع رأيي فيها، لأنه لم يطلع عليه.

فأعجبت بالكتاب، و نبهت طائفه من أفاضل الباحثين إلى الاستفاده منه، و صورته و أعلنت نبا عثوري عليه، و ظللت مستمرا على تصفحه و تحقيقه.

رقم هذا المخطوط "٥٧٥١/تاريخ) و عدده أوراقه ١١٦، طول كل ورقه ٢٣ سنتيمترا، في عرض ١٨ سم. و في كل صفحه ١٩ سطرا، مكتوبه بخط نسخي قديم.

و هو ناقص من أوله بضع أوراق، و المظنون أنه تام الآخر.

و النسخه غير مؤرخه، و لكن يخيل إلى أنها اكتتبت في أوائل القرن السادس الهجري تقريبا، أي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي. و على ظهرها ختم مؤرخ في ٩٥٧ هـ/١٥٥٠ م. و كانت ملك بعضهم في القرن التاسع، فقد ملكتها يده سنة ٨٩٩ هـ/١٤٩٤ م.

اهتمت منذ سبع سنين بهذا المخطوط القيم، و فضلته على كثير من النوادر، التي كنت أطلعت عليها - حينئذ - في إيران، و منها كتب و رسائل بخط حنين بن إسحاق، المتوفى سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٤ م، و منظومه في صور الكواكب لابن (ابن الصوفي) المعروف، المتوفى سنة ٣٧٦ هـ/٩٨٦ م.

ثم أتيح لي الاطلاع على أوراق بخط شيخنا علامه الفهرسي "البيلغرافي" الكبير (آقا بزرك الطهراني) نزيل النجف، مصنف كتاب (الذريعه إلى تصانيف الشيعه) دون فيها أسماء بعض الكتب كمسوده لكتاب الذريعه المذكور. و منها كتاب (منازل مكه).

و كان الشيخ آقا بزرك الطهراني عشر على هذا الاسم، في كتاب (المنقذ من التقليد و المرشد إلى التوحيد) المعروف ب (التعليق العراقي)، تأليف سديد الدين أبي الثناء محمود بن علي بن الحسن الرازي الحمصي، المتوفى في حدود سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٤ م، الذي فرغ من تأليفه سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م، فقد نقل الحمصي من كتاب (غرر الأدله) تأليف أبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ//١٠٤٤، أنه قال: "قرأت بخط ابن الكوفي في كتاب منازل مكه" و هذه الكلمه، هي التي دعت (آقا بزرك) أن يثبت اسم كتاب منازل مكه، و ينسبه إلى ابن الكوفي، في كتابه (الذريعه) - فقلت: ربما كان هذا المخطوط "منازل مكه" و لعل مؤلفه "ابن الكوفي".

و قد أشرت إلى ذلك في فهرست تأليفااتي المطبوع على ظهر كتابي "تاريخ الشيعه المنشور سنة ١٩٥٧" و وضعت تجاه اسم الكتاب و المؤلف حرف (ظ) علامه الظن.

سيرته ظهرت في سلسلة مطبوعات كلية الآداب، بجامعة بغداد سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م. كما دعوت إلى إحياء (ذكرى ابن الكوفي) الألفية، و أعلننا مهرجانه الألفي، في كلية الآداب بجامعة بغداد، في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٦٠، و عرفت به في راديو بغداد، عشية ٢٢ حزيران سنة ١٩٦٠، و وصفت النسخة الخطية في مؤتمر المستشرقين الخامس و العشرين بموسكو في صيف العام المذكور، و في (الندوة الثقافية) بتلفزيون بغداد عشية ٣ تشرين الأول سنة ١٩٦٤، و عرفت بابن الكوفي - أيضا - في العدد ال ١٤ و ١٥ من مجله بغداد.

أما ابن الكوفي - و هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد بن الزبير، الأسدي، القرشي، المعروف بابن الكوفي، و ابن الزبير، فقد ولد بمدينة الكوفة سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، و استوطن بغداد، و توفي بها سنة ٣٤٨هـ/٩٦٠م، فاكتفى - الآن - بالإشارة إلى أنني أكاد أعد هذا النابغه العراقي من أوائل المحققين العرب، الذين اتبعوا الطريقة العلمية الصحيحة في التأليف و الكتابه، و النقل و الجمع. و كان خطه معروفا بالصحة و الجوده، و الإتقان و الضبط. و كانت تأليفاته غايه في الدقه. و قد رتب خزائنه على العلوم ترتيبا خاصا بارعا، مع تعيين أمكتتها. كما أنه سبقنا إلى استعمال البطاقات و الجزازات - و هي الرقاع و الوريقات التي تعلق فيها الفوائد، التي نسميها اليوم (Fiche فيش) - في التأليف و الجمع.

و قد بيعت رقاعه - بعد وفاته - كل بطاقه بدرهم. و الدرهم يساوي ٢١٥ فلسا عراقيا، بحسب عملتنا، وفق تكسير سعر الدينار الذهب العراقي القديم، في زمن ابن الكوفي، على عشره دراهم.

و قد اعتمد ابن النديم على مباحث ابن الكوفي. و لقد أحصيت ماخذ ابن النديم في كتابه (الفهرست) من خط ابن الكوفي، فوجدته نقل فصولا طويلا في ٢٩ موضعا من الكتاب، ربما أوشكت أن تبلغ مقدار عشر الفهرست تقريبا.

و مما يزيد أهميه ابن الكوفي، أنه كان واسطه نقل التراث العلمي، الذي تم طوال القرون الأربعة الأولى من تاريخ الثقافه الإسلاميه. و قد حسبت ما وصلت إلينا أسماؤه، مما رواه عنه واحد من تلاميذه فقط، و هو أبو عبد الله أحمد بن عبدون المعروف ب (ابن الحاشر)، المتوفى سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م فوجدته ٦٠٠ كتاب في اللغه، و الأدب، و الخطب، و التاريخ، و الأنساب، و التفسير، و الفقه، و الشعر، و سائر العلوم الإسلاميه. فقد أوصل إلينا ٤٠٠ أصل من كتب الحديث، كما أوصل إلينا آثار ١٩ عالما من رجال الفكر الإسلامى، و الثقافه الفقيهيه.

أما هذا الكتاب، الذي أتكلم عليه، فأكاد لا أشك أن اسمه "منازل مكه" فان مؤلفه صنفه في صفه منازل مكه. و قد صرح بالاسم عدة مرات.

و لقد وصف الطريق غايه في الدقه من الكوفه إلى مكه، ثم طريق المدينه. ثم ذكر مسجد النبي - ص - الذي بناه حين قدم من مكه، و المسجد الذي بناه لما قدم من خيبر. و قد وصف مسجده في المدينه، و بين زيادات الخلفاء، و ذكر القبر، و اختلاف الناس فيه، و أشار إلى مساحته. و ذكر - أيضا - الكتابه التي حول المسجد، و زينته، و توسيعه أيام الخلفاء و الولاه. ثم ذكر حد جدار النبي، و مسجده في المدينه، و مساحتها، و ذكر المنبر.

ثم بين حد المدينه، و جبالها، و مياهاها، و ما حولها من الجبال، و أقسامها، و قبور الشهداء بأحد و أسماءهم.

ثم ذكر طريق بدر، و الطريق بين المدينة و مكة، و وصف المنازل إلى مكة، و ذكر آداب الحج.

و ذكر - من بعد - مكة، و أسماءها، و سبب تسميتها. و المسجد الحرام، و الصفا، و المروه، و الكعبة، و بنيانها، و زمزم، و مساحه المسجد الحرام و الكعبة.

و ذكر الطريق إلى منى، و المشاعر، و مسافاتها، و الطريق القديمه بين خيبر و المدينة، و مسافاتها، و طريق سلمان.

و أفرد فصلا جغرافيا لوصف الحجاز، و جزيره العرب، و نجد، و تهامه.

ثم أثبت منظومه طويله فى ذكر المنازل على طريق مكة لأحمد بن عمرو - الذى كان مع أم جعفر سنه حجها، و وصف سفرها من بغداد إلى الكوفه. ثم إلى مكة، ثم الخروج فى الطريق الأول إلى مدينة السلام بغداد. و منظومه أخرى فى وصف الطريق - أيضا - و منظومه ثالثه، أنشدها أبو جعفر، أحمد بن محمد بن الضحاك بن عمر، الجمانى الكوفى.

و منظومه رابعه للمؤلف فى وصف طريق العوده إلى الكوفه.

ثم ذكر طريق البصره و مياها، و الطريق التى يسلكها الناس فى عصره، و طريق البحرين.

و أثبت قصيده وهب بن جرير بن حازم الجهضمى فى الطريق و المناسك.

و أورد أخيرا الطريق إلى مكة من اليمن، و تهامه، و حضرموت، و مصر، و الساحل، و الشام، و الطائف، و جده.

و هو يروى كل ما ياتى به، عن الرواه الثقات باسنادهم. و يصف الأمكنه و المنازل، و من ينزلها من القبائل، و أسماءها، و أسباب تسميتها و يعين مسافاتها، و بعدها عن البقاع المحيطة بها، و ما فيها من قصور و مساجد، و برك، و أحواض، و مشارب، و مصافى، و مسایل، و مجارى، و آبار.

و كذلك الهضاب، و العقبات، و الرمال، و الرياض، و البساتين و الحدائق. و يعين أنواع الأرضين، و ارتفاعها، و الآبار المظموه، و المعطله و العذبه، و المالحه. و لم ينس إثبات ما قيل فى ذلك كله من الشعر، و ما ورد فيه من الأخبار.

فالكتاب - إذن - مجموع أدبى، تاريخى، نسبى، جغرافى، طبغرافى، فقهى. و قد روى المؤلف فى كتابه هذا عن جماعه زادوا على مائه من العلماء و الأخباريين، كلهم ممن كان يعيش فى بغداد [بغداد] فى أواسط القرن الثالث و أواخره، و أوائل القرن الرابع الهجرى (٩ و ١٠ م) و هو عصر ابن الكوفى.

مفصلاً، وقد أوجز في الكلام على الطرق الأخرى، و اكتفى أحياناً بالأسماء.

كما نستطيع أن نقول: إنه عاش في القرنين الثالث و الرابع (٩ و ١٠ م) لأنه روى عن رجال من أهل ذينك القرنين. و ربما صح أن نقول أيضاً: إنه كوفي، لأنه اهتم بالكوفة و خصها بكثير من العناية و الكلام في قصيدته التي وصف بها الطريق، و كانت آخر مراحل سفره، و هو بغدادى المنزل (ظ) لأنه روى عن علماء كانوا جميعاً ببغداد.

و لا- أدرى كيف دلت كلمتى - التى تلى هذه الأسطر - بعض الأفاضل على "افتراض المؤلف ابن الكوفى، و ترجيح نسبه المخطوط إليه" فقد نسب ذلك إلى - مثلاً - بلدنا الأخ الشيخ الجليل محمد حسن آل ياسين (أطال الله بقاءه و أدام تأييده).

لقد قلت فى ص ٢٠ ع ٣ من مجله كلية الآداب: "... و ظننتها [أى النسخه الخطيه] [منازل مكه] و لكن نسبتها إلى ابن الكوفى أمر ما أزال أتظناه. فالرجل كثير الاستنساخ، و النقل من منتسخاته شىء معروف.

و مهما يكن من شىء، فان مصنف منازل مكه هذا؟ رجل كوفى، قريب من عهد ابن الكوفى - ان لا يكنه - فأكثر الرواه الذين روى عنهم من طبقه مشايخه، و ممن يوافق زمانهم عصره."

و أنا أشكر لمجله الأعلام استطلاع رأيى، و لا أنسى الثناء على الشيخ الفاضل الذى رأى أن ينعم على فيذكرنى - استطراداً - فى مقاله النفيس، و هو عجاب من أهل العصر فقد تعودت أن يغمطنى حتى كثير ممن نقل عنى، و استفاد من آثارى. و إليه (حفظه الله) يعود فضل دلالتى على مقاله الدكتور صالح أحمد العلى - فى مجله المجمع العلمى العراقى - التى هدته إلى إضافه الكتاب إلى أبى عبد الله محمد بن أحمد الأسدى و هو أمر أوسعته بحثاً و تبعاً فى مقالتي "أثر جغرافى طبغرافى قديم فى صفه بلاد العرب لمؤلف عراقى قبل عشره قرون، فى العدد القابل من مجله كلية الآداب - إن شاء الله -".

محمد بن أحمد بن جعفر الكنانى المصرى

المعروف بابن الحداد.

ولد سنه ٢٦٤.

ترجم الله الذهبى فى سير اعلام النبلاء و وصفه بالشافعى و قال:

سمع أبا الزنباع روح بن الفرج، و أبا يزيد يوسف بن يزيد القراطيسى، و محمد بن عقيل الفريابى، و محمد بن جعفر بن الامام، و أبا عبد الرحمن النسائى، و أبا يعقوب المنجنيقى، و خلقاً سواهم.

و لازم النسائى كثيراً، و تخرج به، و عول عليه، و اكتفى به، و قال:

جعلته حجه فيما بينى و بين الله تعالى، و كان فى العلم بحراً لا- تكدره الدلاء، و له لسن و بلاغه و بصر بالحديث و رجاله، و عربيه متقنه، و باع مديد فى الفقه لا يجارى فيه مع التأله و العباده و النوافل، و بعد الصيت، و العظمه فى النفوس.

ذكره ابن زولاق - و كان من أصحابه - فقال: كان تقيا متعبدا، يحسن علوما كثيرة: علم القرآن و علم الحديث، و الرجال، و الكنى، و اختلاف العلماء و النحو و اللغة و الشعر، و أيام الناس، و يختم القرآن فى كل يوم، و يصوم يوما و يفطر يوما. كان من محاسن مصر. إلى أن قال: و كان طويل اللسان، حسن الثياب و المركوب، غير مطعون عليه فى لفظ و لا فعل، و كان حاذقا بالقضاء. صنف كتاب "أدب القاضى" (1) فى أربعين جزءا، و كتاب "الفرائض" فى نحو من مائه جزء.

نقلت فى "تاريخ الإسلام": أن مولد ابن الحداد يوم موت المزنى، و أنه جالس أبا إسحاق المروزى لما قدم عليهم، و ناظره. و كتابه فى "الفروع" مختصر دقيق مسائله، شرحه القفال، و القاضى أبو الطيب، و أبو على السنجى، و هو صاحب وجه فى المذهب.

قال أبو عبد الرحمن السلمى: سمعت الدارقطنى، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد النسوى المعدل بمصر، يقول: سمعت أبا بكر بن الحداد، يقول: أخذت نفسى بما رواه الربيع عن الشافعى، أنه كان يختم فى رمضان ستين ختمه، سوى ما يقرأ فى الصلاة، فأكثر ما قدرت عليه تسعا و خمسين ختمه، و أتيت فى غير رمضان بثلاثين ختمه.

قال الدارقطنى: كان ابن الحداد كثير الحديث، لم يحدث عن غير النسائى، و قال: رضيت به حجه بينى و بين الله.

و قال ابن يونس: كان ابن الحداد يحسن النحو و الفرائض، و يدخل على السلاطين، و كان حافظا للفقهاء على مذهب الشافعى و كان كثير الصلاة متعبدا، ولى القضاء بمصر نيابه لابن هروان الرملى.

و قال المسبحى: كان فقيها عالما كثير الصلاة و الصيام، يصوم يوما، و يفطر يوما، و يختم القرآن فى كل يوم و ليله قائما مصليا.

قال: و مات و صلى عليه يوم الأربعاء، و دفن بسفح المقطم عند قبر والدته، و حضر جنازته الملك أبو القاسم بن الاخشيد، و أبو المسك كافور، و الأعيان، و كان نسيج وحده فى حفظ القرآن و اللغة، و التوسع فى علم الفقه. و كانت له حلقة من سنين كثيرة يغشاها المسلمون. و كان جدا كله رحمه الله. فما خلف بمصر بعده مثله.

قال: و كان عالما أيضا بالحديث و الأسماء و الرجال و التاريخ.

و قال ابن زولاق فى "قضاء مصر": فى سنة أربع و عشرين سلم الاخشيد قضاء مصر إلى ابن الحداد، و كان أيضا ينظر فى المظالم، و يوقع فيها، فنظر فى الحكم خلافة عن الحسين بن محمد بن أبى زرعه الدمشقى، و كان يجلس فى الجامع، و فى داره، و كان فقيها متعبدا، يحسن علوما كثيرة، منها علم القرآن، و قول الشافعى، و علم الحديث، و الأسماء و الكنى و النحو و اللغة، و اختلاف العلماء، و أيام الناس، و سير الجاهليه، و النسب و الشعر، و يحفظ شعرا كثيرا، و يجيد الشعر، و يختم فى كل يوم و ليله، و يصوم يوما و يفطر يوما، و يختم يوم الجمعة ختمه أخرى فى ركعتين فى الجامع قبل صلاة الجمعة، حسن الثياب رفيفها، حسن المركوب، فصيح غير مطعون عليه فى لفظ و لا فصل [فعل] ثقه فى اليد و الفرج و اللسان، مجموعا على صيانتته و طهارته حاذقا بعلم القضاء. أخذ ذلك عن أبى عبيد القاضى.

و أخذ علم الحديث عن النسائى، و الفقه عن محمد بن عقيل الفريابى،

و عن بشر بن نصر، و عن منصور بن إسماعيل، و ابن بحر، و أخذ العريبي عن ابن ولاد، و كان لوجه الحديث لا يدع المذاكره، و كان يلزمه محمد بن سعد الباوردي الحافظ، فأكثر عنه من مصنفاته، فذاكره يوما بأحاديث، فاستحسنها ابن الحداد، و قال: أكتبها لي، فكتبها له، فجلس بين يديه، و سمعها منه و قال: هكذا يؤخذ العلم، فاستحسن الناس ذلك منه، و كان تتبع ألفاظه، و تجمع أحكامه. و له كتاب "الباهر"، في الفقه نحو مائه جزء، و "كتاب الجامع".

و في ابن الحداد، يقول أحمد بن محمد الكحال:

الشافعي تفقها و الأصمعي تفننا و التابعين تزهدا

قال ابن زولاق: حدثنا ابن الحداد بكتاب "خصائص علي" رضي الله عنه، عن النسائي، فبلغه عن بعضهم شيء في علي، فقال: لقد هممت أن أملئ الكتاب في الجامع.

قال ابن زولاق: و حدثني علي بن حسن، قال: سمعت ابن الحداد، يقول: كنت في مجلس ابن الاخشيد، يعني: ملك مصر، فلما قمنا أمسكني وحدثني، فقال: أيما أفضل أبو بكر، و عمر، أو علي؟ فقلت: اثنين حذاء واحد، قال: فأيما أفضل أبو بكر، أو علي؟ قلت: إن كان عندك فعلي، و إن كان برا (1) فابو بكر، فضحك.

قال: و هذا يشبه ما بلغني عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنه سأل رجل: أيما أفضل أبو بكر، أو علي؟ فقال: عد إلى بعد ثلاث، فجاءه، فقال: تقدمني إلى مؤخر الجامع، فتقدمه، فنهض إليه، و استعفاه، فأبى، فقال: علي، و تالله لئن أخبرت بهذا أحدا عنى لأقولن للأمير أحمد بن طولون، فيضربك بالسياط.

و قد ولي القضاء من قبل ابن الاخشيد ثم بعد ستة أشهر، ورد العهد بالقضاء من قاضي العراق ابن أبي الشوارب لابن أبي زرعه، فركب بالسواد.

و لم يزل ابن الحداد يخلفه إلى آخر أيامه.

و كان ابن أبي زرعه يتأدب معه، و يعظمه، و لا يخالفه في شيء، ثم عزل عن بغداد ابن أبي الشوارب بأبي نصر يوسف بن عمر، فبعث بالعهد إلى ابن أبي زرعه.

قال ابن خلكان: صنف أبو بكر بن الحداد كتاب "الفروع" في المذهب، و هو صغير الحجم، دقق مسأله، و شرحه جماعه من الأئمه. منهم: القفال المروزي، و القاضي أبو الطيب، و أبو علي السنجي إلى أن قال: أخذ عن أبي إسحاق المروزي.

و مولده يوم مات المزنبي. و كان غواصا على المعاني محققا.

توفي سنه خمس و أربعين و ثلاث مائه. و قيل: سنه أربع.

قلت: حج، و مرض في رجوعه، فأدركه الأجل عند البئر و الجميزه يوم الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنه أربع، و هو يوم دخول

الركب إلى مصر، و عاش تسعا و سبعين سنه و أشهر، و دفن يوم الأربعاء عند قبر أمه. أرخه المسيحي. (انتهى).

هذا ما ذكره الذهبي في كتابه. و في هذه الترجمة أمور تلفت النظر و تبث على التفكير.

١: - يبدو جليا أن صاحب هذه الترجمة كان شيعيا في حقيقته، و هل اصرح في تشيعه من تصريحه بتفضيل على من فضله.

٢: - يبدو كذلك أن ملك مصر أبا القاسم بن الإخشيد كان كذلك شيعيا، و هل من شيء أدل على تشيعه من أنه لما سال المترجم أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فأجابه المترجم أما عندك فعلى، و إن كان برا فابو بكر.

و هذا يستدعي دراسه واسعه عن الدوله الاخشديه بعامه و عن أبي القاسم بخاصه، كذلك دراسه الوسط المصرى فى ذلك الوقت الذى جعل عالما كبيرا كالمترجم يتبنى الفكر الشيعى بهذه الصوره، و يجهر بهذا الفكر أمام صاحب السلطه الموافق له فيه، ثم يتجنب الجهر به خارج أبواب صاحب السلطه.

ثم عنايته هذه العنايه بكتاب (خصائص على) للنسائي، و ارتباطه بشخص النسائي هذا الارتباط الوثيق و تتلمذه عليه. ثم غضبه لما بلغه عن بعضهم شيء فى على (ع) حتى لقد هم أن يخرج عن تحفظه و يملئ الكتاب فى الجامع.

ثم لا ننسى له هذا الظرف الذى يشاركه فيه ابن الإخشيد، حين قال الأول للثانى إن كان عندك فعلى و إن كان برا فابو بكر.

٣: - القول نفسه يقال عن الرجل الآخر الذى ورد اسمه فى هذه الترجمة: محمد بن عبد الله بن الحكم.

أبو نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان.

مرت ترجمته فى الصفحه ١٠٣ من المجلد التاسع. و قد حقق الدكتور جعفر آل ياسين كتابه التنبيه على سبيل السعاده، فكتب عنه ما يلى:

١ - التعريف العام بالكتاب و غاياته:

إن المصطلح السائر لدلاله (التنبيه) هو كون الشيء الذى لا يحتاج إلى برهان زائد على ما تقدم عليه من إيضاحات - و المتقدم هنا هو كتاب (تحصيل السعاده) كما أوضحنا فى تحقيقنا له.

أما فى هذا الكتاب فاننا نجد أن الفارابى (ت ٣٣٩ هـ). يقرر أن الكمال هو الغايه الأصيله التى يتشوقها الإنسان فى تطلعه نحو حياه أكثر سعاده و سلامه، لأن السعاده الحقيقه هى آثر الخيرات طرا، باعتبار أنها تطلب لذاتها لا لشيء آخر يتوسل به إليها.

و هذه السعاده - فى ضوء تطبيقاتها العمليه - تتصف أفعالها بحالين: إما حال مذمه، أو حال محمده، و هى فى الحالين لا تتعدى كونها أحد ثلاثه:

(أ) - أفعال يحتاج الإنسان فيها إلى استعمال أعضاء بدنه و آلاته، كالقيام و القعود و النظر و السماع.

(ب) - أفعال مصدرها عوارض النفس، كاللذة و الغضب و الشوق و الفرح و الخوف.

ص: ٢٢٧

١- برا: كلمه مولده بمعنى علانيه، و منه: "من أصلح جوانيه، أصلح الله برانيه" أى: من أصلح سريره أصلح الله علانيته.

(ج) - أفعال تخضع فى قيامها لعامل التمييز الذهنى عند الإنسان.

و جميع هذه الأفعال - إذا قيست من وجهه نظر أخلاقيه - تخضع لما يسميه الفيلسوف الفارابى بوجوده التمييز أو رداءته. و لكن من أين لنا قنيه هذه الجوده فى التمييز؟ - ذلك هو الأصل و هو الغايه فى مبحث التنبيه على سبيل السعاده التى قصدها الحكيم.

فنحن لا- ننال السعاده بالأفعال الجميله ما لم تكن تلك الأفعال قاصده هادفه من جهه، و متحققه بصناعه معينه من جهه أخرى، بحيث يعود الكائن الناطق يمتلك قدره على التمييز فى أفعاله المختاره طيله حياته بأسرها. و ذلك لأنه فى فطرته يمتلك استعدادا لها يستطيع - فى حال التطبيق الذاتى و التعلم - أن يميز بين الصواب و الخطأ، و بين الجميل و القبيح، فى تعادل تفرضه أحيانا إمكانيه أحدهما على الآخر، أو غلبه أحدهما على الآخر.

و على الرغم من هذا، فان القوه التى يفطر عليها الإنسان غير مكتسبه، بينما حال التمييز تتصف بالاكتساب. و الأخيره منهما تنقسم إلى صنفين:

أحدهما به يكون التمييز، إما جيدا و إما رديئا... و الآخر به تكون الأفعال و عوارض النفس إما جميله و إما قبيحه. و الأخير من الصنفين يدعوه الفيلسوف بالخلق - و يحده "بأنه الذى تصدر به عن الإنسان الأفعال القبيحه و الحسنه" على أن تخضع الأفعال و يخضع التمييز للثواب التى تلزم الإنسان بان تكون أفعاله و تمييزه فى كل شىء، كى يمكن عندئذ إدامه فعل الجميل و جودته معا، بحيث تصير "لنا قوه الذهن ملكه لا يمكن زوالها" باعتبار أن "الخلق الجميل و قوه الذهن هما الفضيله الإنسانيه".

و فى سبيل تحقيق هذه الغايه التى قصدها الفيلسوف، ينبغى أن نسلك طريقين لنقف منهما على مقاصد أبى نصر بالذات.

الأول: محاوله أن تصير الأخلاق الجميله ملكه لنا، بحيث لا يمكن للصواب أن يزول إلا بعسر و مشقه.

الثانى: أن تكون لدينا القدره على إدراك الصواب إدراكا سليما لا عوج فيه و لا ضلال.

فما هى الوسيله التى تحقق لنا الوصول إلى المهيع الأول من هذين الطريقين؟ إنها، و قبل كل شىء، وسيله الاعتياذ، و المقصود به "تكرير فعل الشىء الواحد مرارا كثيره زمانا طويلا فى أوقات متقاربه" من حيث أن الفعل الجميل هو ممكن للإنسان بالقوه قبل حصوله، و ممكن بالفعل بعد حصوله، فهو إذن بالتعود يتحقق، و بالتطبيق يظهر و ينمو.

و لكن ما هى الآله التى ينبغى أن نستعين بها كى تقودنا إلى الفعل الجميل حقا؟.. يؤكد الفيلسوف هنا إنها آله "الوسط الأخلاقى" - فالأفعال متى كانت متوسطه حصل الخلق الجميل.. و ما يقوله الفارابى عن "الوسط الأخلاقى" هو ذاته الذى تبناه من قبل المعلم الأول أرسطوطاليس فى كتابه المعروف (الأخلاق إلى نيقوماخوس).

فنحن حين نهدف إلى الوقوف على الوسط فى الأفعال الخلقيه، علينا أولا التعرف على زمان الفعل و مكانه "و من منه الفعل، و من إليه الفعل، و ما منه الفعل، و ما به الفعل، و ما من أجله و له الفعل، و جعلنا الفعل على مقدا [مقدار] كل واحد من هذه. فحينئذ نكون قد أصبنا الفعل المتوسط". و نظر لاختلاف مستويات الأفعال الخلقيه، لذا نجد أن الوسط الأخلاقى يختلف قوه و ضعفا، سلبا و إيجابا، حسب أفعاله و غاياتها.

و يحاول الفارابي هاهنا سوق نماذج لأفعال الوسط الأخلاقي، محتذيا بها إلى حد كبير حذو أرسطوطاليس في كتابه المشار إليه سابقا... فمثلا: "إن الشجاعه خلق جميل يحصل بتوسط في الاقدام على الأشياء المفزعه و الاحجام عنها. و الزيادة في الاقدام تكسب التهور، و النقصان في الاقدام يكسب الجبن، و هو خلق قبيح... و السخاء يحدث بتوسط في حفظ التقتير، و هو قبيح. و الزيادة في الإنفاق و النقصان في الحفظ يكسب التبذير". و من ثمة يشير إلى أوساط أفعال أخرى كالعهه و الظرف و الهزل و المجون و التودد و غيرها، منتهيا إلى أن "تحديد هذه الأشياء على الاستقصاء ليس يحتمله هذا الكتاب، و قد أستقصى في موضع آخر" - لعل الفارابي يعنى في هذا الاستقصاء كتابه الذى ألفه شرحا على كتاب أرسطوطاليس "الأخلاق إلى نيقوماخوس" الذى أشار إليه فى مؤلفه: "الجمع بين رأبى الحكيمين أفلاطون و أرسطوطاليس".

و الميزان الحق فى الحكم على الفعل الخلقى هو أن "نحصى الأخلاق خلقا خلقا، و نحصى الأفعال الكائنه عن خلق خلق، و من بعد ذلك ينبغى أن نتامل و ننظر أى خلق نجد أنفسنا عليه" بحيث يكون للإنسان السوى آله يسبر بها غور أفعاله، فما وجده منها يتصف بأنه جميل و ملذ و غير مؤذ، اعتبره خلقا سليما، و العكس بالعكس. فكان مراقبه النفس لكل فعل تقوم به و اختيار الوسط من تلك الأفعال، هى عمليه يتميز بها الإنسان فى تطبيقاته الخلقيه، بموازنه دقيقه بين إفراط و تفريط، أو نقصان و زياده، و تجنب الوقوع فى أحد طرفى المعادله، لأن الحدين المستقطبين يتصفان معا بالذيله. بينا الفضيله منهما وسط، لا يميل إلى هذه و لا إلى تلك - بل هو صراط مستقيم لا عوج فيه و لا التواء، ينبغى أن لا تزل قدم الإنسان عنه، فيهوى عندئذ فى ضلال الغى و الفعل السيئ الذى يتصف بالقبح و السلب و الفدامه!...

و على الرغم مما يراه الفارابي فى قضيه الوسط الأخلاقي و ضروره الأخذ به، فهو - فى الوقت ذاته - لا يخفى عنا صعوبه عمليه الكشف عنه، لأن الوقوف على الوسط، كما يقول الفيلسوف، "عسير جدا" - و لكن الحكيم يبقى مؤكدا أن (التعود) سبيل لا حب فى اقتناص هذا الوسط حيثما كان، سلبا أو إيجابا... و تلك شنشنه تمسك بها المعلم الأول، و حذا حذوه جميع الذين ساروا على الطريق ذاته من أنصار الأخلاق المعياريه ذات "الحكم" الذى لا يخضع للتغير الوضعى فى كل زمان و فى كل مكان!...

بأحدهما و لا تناذى بالآخر، أو كان الأذى عنه يسيرا جدا، علمنا أنهما فى السهولة على السواء و متقاربين - و لما كان الوسط بين طرفين، و كان قد يمكن أن يوجد فى الأطراف ما هو شبيه بالوسط، و جب أن نتحرز من الوقوع فى الطرف الشبيه بالوسط".

و فات الفارابى أن الأحكام العقليه هنا، سواء على الفعل أو وسطه الأخلاقى، قد لا تستوى لدى جميع الأفراد فى إشكالاتهم على الوسط مهما تفاوتت درجاته و تباينت أوضاعه. و من هنا فليس للإنسان، من الناحية النظرية على أقل تقدير، إلا أن يحسم القول بان الوسط فعل اختيارى، و كل فعل اختيارى لا يتم - فى ظل المدرسه المعيارية فى علم الأخلاق - إلا بسبيل العقل، بعيدا عن تأثيرات المحسوسات و ما تقود إليه من ضلالات! و ليس فى موقف الفارابى هذا ما يصاد الرأى الذى نراه، و لكننا نعود لنؤكد ثانياه أن الإنسان لا يمكن له أن يستحيل إلى عقل خالص فحسب، دون أن تحتويه تكاملية النفسانية فى اختيار الفعل الذى يريد - و تلك مشكله قامت فى الأخلاق و الفلسفه، تنازعتها التكاملية من جهه، و الثنائيه من جهه أخرى، و بقيت حتى عصرنا الحاضر تمثل " موقفا " من مواقف الفكر الإنسانى بكل صورته و مفارقاته.. و نحن أميل إلى التكاملية منا إلى الرأى الآخر!...

و عود على بدء، فالناس - فى رأى الحكيم - يختلفون فيما بينهم: فهناك من له جوده الرويه و قوه العزيمه، و يمثل هذا الجانب الإنسان الحر. أما من افتقر إليهما أو إلى العزيمه بالذات، فهو الإنسان العبد بطبعه!... و يتميز الأحرار هنا بأنهم: " متى أرادوا أن يسهلوا على أنفسهم فعل الجميل - و ترك القبيح باستعمال اللذه و الأذى، فان الأخرى منها و الأظهر عندهم بمنزله واحده " باعتبار أن بعض اللذات أعرف لنا، و نحن أشد إدراكا لها، و بعضها الآخر أخفى و نحن أقل إدراكا لها، سواء فى الطبع أو العاقبه.

و جوده التمييز تتفرع فى هذه المرحله إلى صنفين: صنف ينبغى أن يعلم و ليس شأنه أن يفعل إنسان فى الوجود، و صنف شأنه أن يعلم و يفعل مع تلازم فيه بين العلم و العمل معا - و هذا الأخير يحصل لنا بصنائع تكسبه علم ما يعمل و القوه على عمله، و يتصف بان له قصده الإنسانى الذى يتمثل بثلاث شعب هى: اللذيد و النافع و الجميل - و النافع، إما ينفع فى اللذه و إما ينفع فى الجميل. فالصنائع إذن صنفان أيضا: صنف مقصوده تحصيل الجميل، و صنف مقصوده تحصيل النافع.

و يقرر الفارابى هنا أن الصناعات التى مقصودها تحصيل الجميل فقط هى التى تسمى (الفلسفه) أو الحكمه على الإطلاق - و أن الجميل هذا يتفرع إلى قسمين:

(أ) - علم فقط، و هو الفلسفه النظرية و تشمل موضوعات التعاليم و الطبيعه و ما بعد الطبيعه.

(ب) - علم و عمل، و هو الفلسفه العمليه و المدنيه و السياسيه.

و يمسك الفيلسوف، فى ضوء هذا التقسيم، بالصنف الذى تصدر عنه الأفعال الجميله و القدره على أسبابها، بحيث تعود هى قنيه لنا، و ينعته الفارابى بـ " الصناعات الخلقية " مؤكدا أن الطريق إليها يمر عبر الفلسفه، و الفلسفه تحصل بوجوده التمييز، و جوده التمييز تحصل بقوه الذهن على إدراك الصواب. و لا- يتحقق الأمر الأخير إلا بوسيله أخرى تتخذ آله لهذا الغرض، و تسمى صناعات المنطق.

فعلم المنطق، فى هذا التنظير، صناعاته تتقدم على غيرها من العلوم بالأولويه، لأنها سلاح للتمييز بين ما هو صادق و كاذب. و

العقل الإنسانى آلتها و سبيلها، و بها ينال كماله المطلوب و المرغوب فيه، باعتبار " أنها تفيد الحكم بصواب ما يعقل، و قدره على اقتناء الصواب فيما يعقل " .

و المنهج السالك هنا يفرض على دارس الفلسفه (أعنى الباحث عن سعاده الحقه) أن يتسلم مقدمات قبل البدء بصناعه المنطق، لأن بين هذه المقدمات و علم المنطق علاقه شبهه. و يقصد الفيلسوف بهذه المقدمات صناعه النحو من حيث " أنه يفيد العلم بصواب ما يلفظ به، و القوه على الصواب منه بحسب عاده أهل لسان ما " .لذا يجب أن تتحقق فى المنهج الكفايه من التنبيه على أوائل هذه الصناعه، و من ثمه الولوج إلى دراسه هذا العلم الذى يقوم الذهن، و يقود فى النهايه إلى اقتناء الفلسفه الصادقه التى هى الهدف الأصيل للإنسان السعيد!..

يقول الفارابى: " و لما كانت صناعه المنطق هى أول شىء يشرع فيه بطريق صناعى، لزم أن تكون الأوائل التى يشرع فيها أمورا معلومه سبقت معرفتها للإنسان، فلا يعرى من معرفتها أحد، و هى أشياء كثيره. و ليس أى شىء اتفق منها يستعمل فى أى شىء اتفق من الصنائع، لكن صنف منها يستعمل فى صناعه، و صنف آخر فى صناعه أخرى - فلذلك ينبغى أن نحصل من تلك الأشياء ما يصلح لصناعه المنطق فقط " .و الذى يصلح لهذه الصناعه، فى رأى الفيلسوف، هو "الألفاظ المنطقيه الداله " .لذا و جب أن نأخذ من صناعه النحو مقدار الكفايه لغرض الإفاده من تلك الصناعه فحسب.

و فى مثل هذه المرحله نكون قد بلغنا السبيل التى ستقودنا إلى السعاده المرغوبه التى " من أول مراتبها تحصيل صناعه المنطق " و آخر غاياتها بلوغ القدره على تأمل الخير المطلق، و تلك هى نهايه شوط العقول فى اقتناصها المعرفه العرفانيه التى تريد!.

٢ - هويه الكتاب:

فى تحقيق هويه (التنبيه على سبيل السعاده) نحو من الاطمئنان، حيث أشار إليه ابن أبى أصيبعه (ت ٦٦٨ هـ) فى كتابه الموسوم عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحت عنوان: (رساله فى التنبيه على أسباب السعاده)...

و يذكره صلاح الدين الصفدى (ت ٧٦٤ هـ) فى كتابه الوافى بالوفيات تحت عنوان (التنبيه على أسباب السعاده). و أقدم إشاره إليه أوردها عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) فى إملاء سيرته الموسوم (الإفاده و الاعتبار) حيث نعت ب (التنبيه على سبيل السعاده)... و أورد القفطى (ت ٦٤٦ هـ) فى كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء اسم كتاب (فى السعاده الموجوده) لعل المقصود منه كتاب "التنبيه " - و يرد بذات الاسم كذلك فى فهرست مكتبه الأسكوريال باسبانيا.

ص: ٢٢٩

الفارابي)، من جهه أخرى. و أنه ليلفت النظر حقا ما وجدنا عليه أكثر مخطوطاته في التزامها بلفظه (سبيل) بدل (أسباب) رغم أنها غير متاخره النسخ و التدوين!...

أما وضعنا لفظه (كتاب) في بدء عنوان (التنبيه)، فقد اعتمدنا في ذلك على تنظير المؤلف بالذات الذى يقول فيه: " بحسب الوسط المحدود في هذا الكتاب " - لذا أجزنا لأنفسنا هذه الإضافه، بدل لفظه (رساله) التى اصطنعها بعض الناسخين.

و أعود ثانيه إلى ما سبق لنا تقريره عند تحقيقنا لكتاب (تحصيل السعاده) للفارابي حيث قلنا " إن (التحصيل) يعتبر مفتاحا لما يجب أن يسلكه طالب الفلسفه كفرد أو عضو في مجتمع متكامل، و تكافله و تكامله هذا لا يتم إلا بشكل مرحلى يتدرج فيه من الأعم إلى الأخص، و عندئذ يتلو كتاب (تحصيل السعاده) كتاب (التنبيه على سبيل السعاده)، لأن الغرض منه - كما بسطنا من قبل - هو أن تتقوم النفوس بسلوك جميل نافع ينهض على أساس من الإدراك المعرفى عند الإنسان، كى تتحقق لديه قوه إدراك الوسط الأخلاقى " ...و في هذا المجال تسير الفلسفه العمليه اقتناء الفعل الجميل، و ذلك بارتباطها بالتطبيق المدنى لهذه الأفعال، أو بالأحرى بالسياسه، خاصه في مفهومها الأخلاقى.. و في حال التقاء المرحله الأولى مع المرحله الثانيه و التحامهما معا، تتحقق لهذا الإنسان و لهذا المجتمع سعاده التى يتطلع إليها.

و الذى نريد التأكيد عليه هو أن كتاب تحصيل السعاده يعتبر في رأينا الأول في البناء السياسى و الاجتماعى، و كتاب التنبيه على سبيل السعاده - الذى بين أيدينا - هو الثانى. و لعل في دراستنا و تحقيقنا لبعض رسائل الفارابي الفلسفيه التى نعدها للنشر قريبا، ما يوضح للقارئ هذا الموقف الذى اخترنا.

و جدير بالذكر هاهنا، أننا نميل، كما ذكرنا في نشرتنا لكتاب تحصيل السعاده، إلى أن مؤلفات الفارابي السياسيه و الاجتماعيه تأتي بعد مجموعته المنطقيه المعروفه (أعنى شروحه المطوله) - فهى إذن لا تبدأ بظهوره الفلسفى، بل هى متاخره، فى تصورنا، عن بواكيره الأولى، و قد يرتفع بعضها إلى مرحله شموخه الفلسفى... و رأينا هذا متات من أننا نبتنى أصلا الفكره التى ترى أن محاوله الفارابي فى الإصلاح السياسى و الاجتماعى ظهرت عند ما لمس الفيلسوف انهيار القاعده الإسلاميه و وسائل الحكم فيها، مما جعله يربط بين تأثيراته العامه بالانجاز الأفلاطونى و الأرسطوطالى فى هذا السياق، و قيم التعاليم الإسلاميه التى لم يسبق تطبيقها فعلا، و إنما احتواها الحكام من الناحيه النظرية فحسب.

و أيا ما كان، فحذار أن نقع بما وقع فيه بعض الباحثين العرب من أمثال د. محسن مهدى - حين اعتبر كتاب التنبيه على سبيل السعاده هو الجزء الأول من مجموعه ثلاثيه هى:

١ - التنبيه على سبيل السعاده.

٢ - الألفاظ المستعمله فى المنطق.

٣ - كتاب المقولات.

و جميع هذه الكتب تكون ما يسمى ب (الأوسط الكبير) أو (المختصر الكبير)!... و كان السبب الرئيس فى الانزلاق إلى هذا

الرأى هو أن الفارابى فى الربع الأخير من كتابه (التنبيه) يتحدث عن الوسيله التى ينبغى أن يميز فيها الإنسان بين الحق و الباطل، و الخطا و الصواب (كما أوضحنا ذلك فى فقره سابقه)، و يعنى بها صناعه المنطق و ألفاظه التى تسبقها صناعه النحو - كدليل يسوقه لتحديد طرائق المنهج التى تسبق الشروع بدراسه الفلسفه و موضوعاتها، لذا عد هذا وسيله لتلك... بينا نجد الفيلسوف فى تنظيره المعرفى يؤكد، و بوضوح تام، أن المنطق الحق هو (البرهان) لأنه السبيل الحقيقى لهذه الصناعه، الذى يقود إلى التصديق اليقينى من حيث أنه يؤدى إلى قوانين ثابتة يمكن الاستعانه بها فى جميع موضوعات الفلسفه.

فى ضوء هذا الذى ذكرنا، لا نجد ما يبرر صحه الرأى الذى يذهب إلى أن كتاب التنبيه على سبيل السعاده هو الجزء الأول من مجموعته الفارابى المنطقيه، لأن الكتاب المذكور - كما نرى - لا يعد وسيله لصناعه المنطق، باعتبار أنه ينهض أساسا على محاوله تحقيق السعاده الإنسانيه المرغوبه فى ظل دراسه الفلسفه كمنظومه قائمه على منهج محدد. و أن كثيرا من فقراته ترتبط أصلا فى البحث عن مفاهيم و أصول أخلاقيه و اجتماعيه.

فهل يصح - بعد الذى قلناه - اعتبار التنبيه على سبيل السعاده كأنه (المقدمه) التى قدمها الفارابى لكتاب الألفاظ المستعمله فى المنطق؟... إنه أمر لا يمكن الركون إليه، و لا يحسن الأخذ به منهجيا، على أقل تقدير!...

فما المقصود إذن بعباره الفارابى التى يقول فيها " و نجعل ما لنا لهذا الكتاب " التى قرأها د. مهدى " و نجعله <تاليا> " - حسب ما ورد فى بعض نسخ (التنبيه).

و فات د. محسن مهدى أن مخطوطه المكتبه البريطانيه المرقمه ٧٥١٨. ADD Rich ترد فيها النهايه واضحه كما ذكرنا فى أعلاه، أى " و نجعل ما لنا لهذا الكتاب " - و يعنى بذلك كتاب التنبيه. و من هنا فان القراءه الخاطئه لمحسن مهدى أوقعته، من حيث يعلم أو لا يعلم، فى الحكم المبتسر حول كتاب (التنبيه)!

إننى لا أتردد فى أن أبا نصر الفارابى قصد بعبارته تلك الإشاره إلى أن السعاده لا تتم للإنسان إلا بوسائلها العقلانيه المتميزه، و لا بد لنا من دراسه ما يؤدى إلى اقتناء هذه الملكه المتميزه - فاذن ينبغى أن "نفتح كتابا من كتب الأوائل" متخذين إياه مدخلا إلى دراسه ألفاظ المنطق و موضوعاته، كما يقول الفيلسوف... و ليس فى هذا ما يدعو إلى اعتبار (التنبيه على سبيل السعاده) هو الجزء الأول الذى يسبق كتاب الألفاظ المستعمله فى المنطق، كما بسطنا من قبل... إن (التنبيه) كتاب يرتبط، من حيث التنظيم، بدلاله المفهوم الذى يصح به الفارابى دائما و هو (تحصيل السعاده).

أما الإشاره الوارده فى كتاب (الألفاظ المستعمله فى المنطق) و التى تقول: " و قد قيل فى الكتاب الذى قدم على هذا الكتاب أى قوه يفيدها صناعه المنطق و أى كمال يكسبه الإنسان بها... و بالجمله فإنها تكسب القوه أو الكمال الذى ذكرناه فى الكتاب الذى قبل هذا " و التى اعتبرها د. محسن مهدى تأكيدا لما ذهب إليه بخصوص كتاب التنبيه على سبيل السعاده!...

الذى يرد فى كتاب الألفاظ المستعمله فى المنطق، حيث لا- مجال للقول بان المقصود هو كتاب التنبيه، لأن الأخير يخلو من ذلك تماما، فالمقصود إذن كتاب إحصاء العلوم.

يضاف إلى هذا أن الفارابى حين أشار إلى فكره تقسيم العلوم و طرائق مناهجها الفلسفيه فى كتاب التنبيه على سبيل السعاده، جاءت إشارته مرسله بدون تفصيل، لذا لم نجد لها تطبيقا عمليا إلا فى كتابه إحصاء العلوم، فلا مشاحه إذن فى القول إن كتاب إحصاء العلوم يأتى فى الترتيب الزمنى بعد كتاب التنبيه من ناحيه التأليف.

و نعود إلى ما بدأنا به، لنقرر أن كتاب التنبيه على سبيل السعاده يتميز باستقلاليته عن منظومه كتب المنطق الفارابيه، و نقترح فى هذا المجال ضمه إلى مجموعه مؤلفات الفيلسوف الأخلاقيه و السياسيه و الاجتماعيه.

٣ - منهج التحقيق:

أحسبني على حق حين أوكد هنا السبيل ذاته الذى سلكناه فى تحقيقنا لكتاب "تحصيل السعاده" - حيث انصب اهتمامنا على أمرين فى منهجيه التحقيق النقدى:

أولهما، الحرص الشديد على اختيار القراءات التى فى تصورنا تعكس نحوا من القرابه مع النسخه الأم Archetype و محاوله التغيير التى يستدعيها النص عند الضروره لبعض كلماته التى قد تكون من هنات الناسخين، و ما أكثرها خاصه فى المخطوطات المتأخره. متجاوزين طريقتهم فى النسخ الخاطئ لبعض كلمات اللغه العريبه التى ينبغى الأخذ بما هو متفق عليه منها، لأننا لسنا من دعاه الأخذ بطرائق النسخ القديم، كما فعل مثلا الأب بويج اليسوعى فى تحقيقاته لكتب ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) حيث نجد فى الصفحه الواحده: (حتى، حتى.. إلى، إلى.. مبدأ، مبدأ.. عصا، عصى..

و هكذا) لأن الغرض من التحقيق فى رأينا هو إيجاد وسيله سليمة تقرب إلى روح النص بدلالته التى ترتفع أحيانا إلى حد المطابقه مع الأصل، دون الإخلال بالأمانه العلميه التى يفرضها الجهاز النقدى. و هذا بحد ذاته مما يجعل المحقق يعمل على اعتبار نسخه المؤلف مثلا خاضعه لهذا الجهاز أيضا، لأن المؤلف هنا - من الناحيه الشكليه - ناسخ فحسب على أقل تقدير!...

فإذا دون لفظه (حتى) مع نقطتين تحت الألف المقصوره، أبحنا لأنفسنا إصلاحها، بشرط أن لا نغير من المضمون شيئا - تلك هى الطريقه التى سلكناها، و للباحثين حريه الاختيار فيما يحققون!...

و ثانيهما، إننا لم نعتمد نصا معينا من المخطوطتين، بل تم تحقيق النص على قاعده (التكامل) بينهما، حيث يساعد بعضها بعضا فى كشف الشكل الحقيقى الذى أراده الفيلسوف - مع بذل البصيره الاجتهاديه، قدر المستطاع، فى تنقيه النص من الشوائب الأخرى.

و قد أجزنا لأنفسنا، فى ضوء ما ذكرنا فى أعلاه، أن نعيد المختصرات إلى أصولها فى الرسم السليم للكلمه، فمثلا (مح محال، ح حينئذ، فح فحينئذ، أيض أيضا، مط مطلوب، ظ ظاهرا، كك كذلك، يق يقال، ثلثه ثلاثه، مهيه ماهيه). و كذلك أصلحنا إملاء بعض الكلمات، فمثلا: (مبدا مبدأ، حياته حياته، الجزء الجزء، جزويه جزئيه) - و أصلحنا أمر التنقيط، حيث يلتزم الناسخ (خاصه

فى نسله م) بوضف النقطه أو النقطتين ففء الحرف؁ سواء كانت فاء أو فاء أو نونا ابتداءيه أو وسطيه دون مراعاة لقواعد الإملاء؁ مع الوقوع فى أخطاء التأنيث و التذكير؁ و ذلك حسب أمزجه الناسخين!...

و كذلك فان النسختين خاليه من حركات الضم و الفتح و الكسر؁ و غير ملتزمه بقواعد النص؁ باستثناء النسخه المطبوعه فى حيدرآباد. و من هنا فان علامات الوقف و تقسيم النص إلى فقر هو من عملنا الخاص؁ و فى ضوء فهمنا للنص المحقق.

و قد اعتبرنا نشره حيدرآباد لكتاب التنبيه على سبيل السعاده رقما ثالثا يضاف إلى المخطوطتين اللتين استعملتا فى التحقيق؁ على الرغم من أن نشره الهند مفتقره إلى التحقيق العلمى الدقيق.

و مما تجدر الإشارة إليه أن كتاب التنبيه على سبيل السعاده ترجم إلى عده لغات أجنبية كاللأ-تينية و الألمانية و الروسيه و الفارسيه و التركيّه؁ و لا يخلو بعضها من التعليق و التحقيق.

و فى أدناه وصف للمخطوطتين؁ مع اجراء مقارنه بينهما؁ كما أوردناهما فى تحقيقنا لكتاب (تحصيل السعاده).

٤ - المخطوطتان:

(أ) - نسخه المكتبه البريطانيه (المتحف البريطاني سابقا):

يقع كتاب (التنبيه على سبيل السعاده) ضمن المجموع المرقم ٧٥١٨. Add Rich و تسلسله العاشر بين الرسائل الفاراييه؁ و يبدأ من ورقه ١٢٥ ظ - ١٣٦ و... و يحتوى المخطوط على الرسائل الفلسفيه التاليه:

١ - مقاله فى معانى العقل؁ تبدأ من ورقه (١ ظ - ٥ ظ).

٢ - مقاله فى أغراض ما بعد الطبيعه؁ تبدأ من ورقه (٦ و - ١٠ ظ).

٣ - كتاب فى مبادئ آراء أهل المدينه الفاضله؁ يبدأ من ورقه (١٠ و - ٥٣ و).

٤ - كتاب فصوص الحكم؁ يبدأ من ورقه (٥٣ ظ - ٦٢ ظ).

٥ - مقاله فى الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون و أرسطو؁ تبدأ من (٦٣ و - ٨١ و).

٦ - رساله فيما يصح و ما لا يصح من أحكام النجوم؁ تبدأ من ورقه (٨١ ظ - ٨٧ ظ).

٧ - كتاب تحصيل السعاده؁ يبدأ من ورقه (٨٨ ظ - ١١٠ ظ).

٨ - فى جواب مسائل سئل عنها؁ تبدأ من ورقه (١١١ و - ١٢٢ و).

٩ - رساله فى إثبات المفارقات؁ تبدأ من ورقه (١٢٢ و - ١٢٥ و).

١٠ - كتاب التنبيه على سبيل السعاده، يبدأ من ورقه (١٢٥ ظ - ١٣٦ و).

١١ - كتاب السياسه المدنيه، يبدأ من ورقه (١٣٦ ظ - ١٧١ ظ).

و مجموع أوراق المخطوط يبلغ (١٧١) ورقه، و حجمه ١٢.٢١ سم (٣.١٥، ٦ سم)، و مسطرتة (١٩) سطرا في الصفحه الواحده.

ص: ٢٣١

" تم فى يوم الاثنين من أواخر شهر الشوال (كذا) فى بلده أصفهان صينت عن الحدثان، فى السنه الخامسه من العشر الأول من المائه الثانيه (كتب الناسخ لفظه الأولى، ثم أصلحها إلى الثانيه) من الألف الثاني من الهجره النبويه على هاجرها ألف ألف تحيه و على آله خير الورى تحيه، على يدى العبد محمد يوسف بن محمد على، عفى عنهما بالنجاه الرضى".

فتاريخ نسخ المخطوط إذن هو ١١٠٥ للهجره. أما كتاب التنبيه على سبيل السعاده فى هذه النسخه ففيه استدراقات على الهامش، و تصحيحات قليله على السطور، و لا يخلو من أخطاء إملائييه. و يستعمل الناسخ طريقه الاختصار لبعض الكلمات، كما أشرنا من قبل.

(ب) - نسخه مكتبه مشكاه:

و هى المجموعه التى أهديت إلى المكتبه المركزيه لجامعه طهران. و كتاب (التنبيه على سبيل السعاده) يقع ضمن المجموع المرقم (٢٤٠ - كتابخانه مشكاه) و يبدأ من الورقه (٧٣ ظ - ٨٠ ظ). و لأهميه المخطوط يستحسن تقديم وصف كامل له.

يضم المجموع (٢٠٠ ورقه) يرد فى الورقه الأولى منه (١ ظ) برنامج ما فى المخطوط من رسائل تحت عنوان: (مجموعه الرسائل لأبى نصر الفارابى) - و كتب هذا العنوان بخط مخالف لخط البرنامج، و يبدو أنه أحدث منه، و تحت العنوان رقم (٢٣) و المقصود به عدد الرسائل و فى أدناه ذكر لهذه الرسائل.

١ - أغراض أرسطو فى مقالات كتابه الموسوم بالحروف: هو تحقيق غرضه فى كتاب ما بعد الطبيعه.

٢ - أسماء العقل حسب ما ذكره أرسطو.

٣ - فى إثبات المفارقات.

٤ - الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون و أرسطو.

٥ - عيون المسائل على رأى أرسطو، و هى ١٦٠ مسأله (كذا).

٦ - كتاب الفصوص.

٧ - جوابات لمسائل متفرقه، و هى ٤١ مسأله (كذا).

٨ - نكت فيما يصح و ما لا يصح من أحكام النجوم.

٩ - المبادئ التى بها قوام الأجسام و الأغراض (أصلحتها يد متأخره إلى: السياسه المدنيه).

١٠ - فضائل الإنسانيه (أصلحتها يد متأخره إلى: تحصيل السعاده).

١١ - التنبيه على أسباب السعاده.

١٢ - إحصاء الأبواب التي في مختصر كتاب المدني.

١٣ - مبادئ آراء أهل المدينة الفاضله.

١٤ - فصول تشتمل على ما يضطر إلى معرفته من أراد الشروع في صناعه المنطق.

١٥ - المختصر الصغير في المنطق على طريقه المتكلمين.

١٦ - مقاله صدر بها كتابه المنطق.

١٧ - مقاله في الكليات الخمس.

١٨ - كتاب الأوسط الكبير في المنطق (سته أجزاء).

و نجد في الورقه التاليه ذكر لهذا الأوسط الكبير على الوجه الآتي: " مقاله الفارابي صدر بها كتابه في المنطق، مع مقاله في الكليات الخمس. و المقالتان مع ما يليهما هو كتاب الأوسط الكبير في المنطق لأبي نصر.

تفصيل ما اشتمل عليه هذا الكتاب:

الأول: إيساغوجي، و هو المدخل <إحصاء الأشياء التي عنها تأتلف القضايا>. و الثاني: قاطيغورياس و هو المقولات. الثالث: بارمنياس و هو العبارة. الرابع: أنولوطيقا الأول و هو القياس. الخامس: أنولوطيقا الثانيه و هو البرهان. السادس: طوبيقا و هو الجدل. السابع: سوفسطيقا و هو المغالطه. الثامن: ريطوريقا و هو الخطابه. التاسع: بيطوريقى و هو الشعر.

و كما أشار مدون البرنامج عند ما ذكر أن كتاب (الأوسط الكبير) سته أجزاء، فان المجموع يقف عند السادس و هو الجدل.

و عود إلى وصف المخطوط، ففي الصفحه (٢ و) من الجبهه العليا عباره حديثه الخط تقول: "رساله جمع بين الرأيين" - و في وسط الصفحه ترد أسماء الأشهر الهجريه، و تحت كل شهر ترد عباره باللغه الفارسيه تدل على أرقام معينه!. و الخط بالنسبه لهذه المدونات فارسي دقيق متأخر. و في أسفل الصفحه نجد عباره بخط نسخ حديث تقول: "أشترت في النسي و أنا الراجي (كلمه غير مقروءه) عفو ربه الغنى... عبد الغفار عبد الوهاب الرضوى عفى عنهما".

و هناك تعليقات و تصحيحات على هوامش بعض الرسائل بخط الناسخ، بعضها يتكون من عبارات، و بعضها الآخر كلمات مفرده. و يبدو أن النسخه مقارنه مع أخرى، و تم التصحيح في ضوءها.

أما كتاب التنبيه على سبيل السعاده، فيقع في (٧) ورقات، و تسلسله الحادى عشر، و حجمه (٥، ٥.٢٢، ١٣ سم) و مسطرتة (٢١) سطرا (٨.١٥ سم) و خطه نستعليق حديث كسائر خط المجموع، و تاريخ نسخه الحادى عشر للهجره (ظاهرا).

و تتصف نسخه (التنبيه على سبيل السعاده) هنا بنفس الصفات تقريبا التي مرت من حيث الإملاء و المختصرات و التنقيط و

خلوها من التقطيع الجملى. و هناك بعض التصحيحات القليله على الهامش مدونه بخط الناسخ، و لعلها قورنت مع نسخه أخرى، لأن الناسخ يضع علامه (ص) فى نهايه الكلمه أو الجملة.

فى ضوء هذه الصوره التى وصفنا فيها المخطوطتين، يمكن القول أن هناك وشائج قبرى بينهما - و لكن ليس من السهل أبدا الادعاء بان أحدا منهما نقل عن الآخر، فدرجه القربى تظهر أكثر وضوحا فى مخطوط دون آخر.

محمد بن أحمد البيرونى

مرت ترجمته فى الصفحه ٦٥ من المجلد التاسع و نشر عنه هنا هذا البحث بصفته عالما من علماء التاريخ الطبيعى، و هو بقلم سامى خلف حمارنه نشره فى إحدى المجالات.

ص: ٢٣٢

يعجبه ذلك، فقال عن سارتون أنه أخطأ بظنه أن البيروني كان شيعيا معاديا للعرب والعروبه فقد كان بعكس ذلك!! ونحن لا ندري من أى شىء نعجب، أ من تصور (الحمارنه) بأنه مجرد أن ينفى حقيقه واقعيه، فهى ستنتفى، أم من فهمه للتشيع هذا الفهم (الحمارنى) و قوله عنه بأنه معاده للعرييه و العروبه!! إننا نقول للحمارنه إن التشيع هو العربى الأصيل الذى نشأ فى ظلال العرب و فى رعايتهم و استماتوا فى حمايته و الدفاع عنه، و لكن عرب التشيع الاصلاء فى عروبتهم لا يفهمون العروبه (نازيه) عنصريه اعتدائيه تحتقر غيرها من الشعوب و تستعدها و لا تحترم إسلامها و لا تراعى إيمانها، بل يفهمون العروبه حبا و تسامحا و تقديرا لغيرها من الشعوب التى تستحق التقدير.

و إذا كانت الأمثال العرييه قد قالت بان لكل مسمى نصيبا من اسمه فلا شك بان رأى (الحمارنه) فى التشيع هو من نصيبه فى لقبه...

من أكثر العلماء المسلمين أصاله و إنتاجا فى زمنه بلغه القرآن فى العلوم و المعارف كان أبو الريحان البيرونى (٣٦٢ - ٤٤٣ هـ/٩٧٣ - ١٠٥١ م) (١) و هو معاصر الشيخ الرئيس ابن سينا بايران و الحسن بن الهيثم فى العراق و مصر. و من بين كتب البيرونى فى التاريخ الطبيعى اثنان فى غايه الأهميه:

أولهما الصيدنه فى الطب (٢) و الثانى كتاب الجماهر فى معرفه الجواهر ألفهما فى السنين الأخيره فى حياته فاحتويا على الكثير من غنى خبرته فى العلوم الحياتيه و البحتة و التقنيه و الاجتماعيه. (٣) و فى هذه مقاله يهمننا كتابه هذا فى الجواهر و بالذات مقدمته للكتاب الذى يعتبر من أهم تصانيفه و أكثرها أصاله (٤) و يتبين من هذه المقدمه أن البيرونى قد نسق مقالاته و أتمها زمن السلطان مودود بن مسعود بن محمود الغزنوى (٤٣٢ - ٤٤١ هـ/١٠٤٠ - ١٠٤٨ م) و ربما فى مطلع ملكه (حوالى سنه ١٠٤٤ م) و عمر المؤلف آنذاك سبعون عاما و نيف، و يقول فيها: "نريد الآن نخوض فى تعديد الجواهر و الأعلاق النفيسه المذخوره فى الخزائن و نفردها لها مقاله تتلوها ثانيه فى أثمان المثمانات و ما يجانسها من الفلزات فكلاهما رضيعا لبان فى بطن الأم و فرسا رهان فى الزينه و النفع (٥) و يكون مجموعها تذكره لى فى خزانة الملك الأجل المعظم شهاب الدوله أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود قرن الله بشبابه اغتباطا و زاد يده بالنصر تطاولا- و انبساطا فإنه لما فوض لله تعالى أمره تولى إعزازه و نصره و حين نصب حب الله بين عينيه عفا عن من استغاث باسمه و أمن من استامن بذكره و أخفى صدقاته بعد صلاته الباديه ليفوز بما هو خير له فى السر و العلانيه". ثم إن النصوص و المقدمه نفسها تفيدنا بان تأليف الكتاب قد تم أيضا فى مدينه غزنه حاضره السلطنه (فى جمهوريه افغانستان اليوم). (٦)

يستهل المؤلف كتابه الجماهر فى معرفه الجواهر فى مقدمه مستفيضه تحتوى على فصلين قصيرين و افتتاحيه ثم خمس عشره ترويحه كأنها مراحل توقف للتفكير و التأمل الروحى و الاستجمام الفكرى و الإيحاء (٧) و فى هذه المقدمه يستودع البيرونى خلاصه تفكيره فى أمور فلسفيه و علميه و اقتصاديه و دينيه و اجتماعيه فى غايه الأهميه و الأصاله و الروعه. و ما هذه مقاله إلا محاوله متواضعه و جديه لتقييم ما أراد البيرونى أو ما كان يجول بخاطره لنقله إلى القارئ من أفكار و آراء و توجيهات من خلال مقدمه الكتاب و التى تثير فى النفس تساؤلات عديده نبينها و نشرها باختصار بالطريقه التاليه:

١ - هل كانت المناقشات و الأفكار و المبادئ التى خطتها يد الشيخ العالم أبى الريحان البيرونى و هو يدب بخطى وئيده إلى نهايه مسيره هذه الحياه الدنيا أفكارا عابره متفرقه و خواطر ثائره أو شارده لا تربط بينها أوصال و لا تنتظم منها رؤيه واضحه أو

١- هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ١٠٥١/٤٤٣) من أعظم علماء المسلمين وأكثرهم أصالة، كتب في علوم الفلك و التنجيم و الرياضيات و العلوم الطبيعيه و الجغرافيا و التاريخ و الأنساب و الفلسفه الاجتماعيه و قد ولد في ٣ ذى الحجه ٣٦٢ هـ / ٤-١٠-٩٧٣ م في (Khivaorkath) مدينه خوارزم أو ضواحيها على الأرجح (كان في دلتا آمو داريا السوفياتيه اليوم على الشاطئ الجنوبي لبحر خزر أو قزوين آرال)، ثم تتلمذ على أبي نصر الجيلاني و كانت له علاقته صداقه و مراسلات مع معاصريه ابن سينا و عيسى المسيحي و خدم السلطان منصور بن نوح الساماني (٣٨٧ - ٣٨٩ هـ / ٩٩٧ - ٩٩٩ م) ثم أبي الحسن قابوس شمس المعالي في جرجان، و السلطان أبي الحسن علي بن مأمون و أخيه الخوارزمشاه أبي العباس مأمون قبل أن ينخرط في خدمه الغزنويين و معهم زار الهند و سكن غزنه (في الأفغانستان اليوم) حيث بقى يؤلف و يكتب حتى وفاته و عمره حوالي ٧٨ سنه مملوءه بالانتاج القيم و الخدمه للعلم و تقدم الإنسانيه الفكرية:

٢- إن كتاب البيروني، الصيدنه في الطب قد تم تحقيقه و نشره مع تقديم و تقييم مختصر في كراتشي - الباكستان تحت إشراف مؤسسه همدرد الوطنيه و رئيسها الحكيم محمد سعيد، في جزئين سنه ١٩٧٣ م، و قد ترجم إلى الروسيه مع شرح و تعليقات بقلم عبيد الله كريموف، طشقند، ١٩٧٤ م. هذا آخر كتاب للبيروني و قد توفي قبل أن تتاح له فرصه تبيض المسوده التي أعدها للمقارنه بين صيدنه البيروني و مفردات الطب للغافقي.

٣- مقدمتا كتابي البيروني في الصيدنه و في الجواهر يمكن اعتبارهما من أروع ما كتب بالعربيه في العصر الوسيط في موضوعهما فهما حافظتان بالأفكار الجديده النيره عن حياه المؤلف الشخصي و آرائه الأصليه في العلوم و الاجتماع و الاقتصاد حتى أن إدورد سخاو يعتبره أعظم عقليه عرفها التاريخ.

٤- كتاب الجماهر في معرفه الجواهر للبيروني تم طبعه و تحقيقه في حيدرآباد، دائره المعارف العثمانيه، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م بواسطه المستشرق فريتز كرنكو و قد اعتمد في عمله على ثلاث نسخ: الأستانه بمكتبه طوب كاباي و الآن مكتبه أحمد الثالث تحت رقم طب ٢٠٤٧ في ١٩٣ ق تم نقلها سنه ١٩٢٦ هـ و هي أصح النسخ بخط أحمد بن صديق بن محمد الطيب و نسخه راشد بالقيصريه و نسخه الاسكوريال رقم ٩٠٥ عربي (الطبعه جيده ما - خلا أخطاء قليله). أما كاتب هذه المقاله فقد اعتمد بالاضافه لهذا على نسخه جامعه هارفارد و التي ربما هي نسخه عن مخطوط الأستانه السابق ذكره كما و قد فحص نسخه في مكتبه البودليان بجامعه أكسفورد بانكلترا (ناقصه) ذكرها أيضا E.B.Puscy في فهرست مخطوطات بودليان العربيه الشرقيه طبع أكسفورد، ١٨٣٥، ص ١٢٦، و توجد نسخه بالقاهره، المكتبه التيموريه، رقم ١٥٣ طبيعيات.

٥- الجواهر في العربيه هو كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به و هنا أطلق على الأعلاق النفيسه من الجواهر (المجوهرات)، و الجوهري هو صانع و بائع الجواهر. و الفلز بكسر الفاء و اللام و شد الزاي هو أصلا نوع من النحاس الأبيض تجعل منه القدور المفرغه أو خبث الحديد أو الحجاره أو جواهر الأرض كلها أو ما ينقيه الكير من كل ما يذاب منها و هنا يشتمل على الذهب و الفضة و الحديد و النحاس و الرصاص و إن نفعها بالتداول و ليس بالخرن في باطن الأرض إذ لم تكن آنذاك متاحف عامه بعد لعرضها على الجماهير. انظر القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعه الثانيه، القاهره، البابي الحلبي، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م، ج ١: ٤١٠ و مجلد ٢: ٥١٩٣.

٦- البيروني، في الجواهر، طبعه ١٩٣٦ م السابق ذكرها ص ٣١، ٤٩. بلغت مدينه غزنه زمن المؤلف أعلى درجات الأهميه و العظمه و النفوذ و امتدت سلطه ملوكها من أواسط الهند إلى إيران و في ذلك الباكستان و الأفغانستان و البلاد المجاوره لهما و يعتبر الأمير محمود الغزنوي مؤسسها الحقيقي انظر محمد ناظم، حياه السلطان محمود الغزنوي و زمنه، كمبردج إنكلترا، ١٩٣١ م.

٧- كلمه الترويحہ استعملت في شهر رمضان المبارك لاستراحه العابدين بعد كل أربع ركعات فسميت صلاه التراويح لأنهم كانوا يستريحون بين كل تسليمتين (مفردها ترويحہ) ثم أطلقت على الجلسه مطلقا للترويح عن النفس. انظر لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري بن منظور، طبعه القاهره، بولاق، ج ٣: ٢٨٧-٢٨٩.

٢ - أو كانت تعابير روح ثائره على مجتمع مادي يعتوره الفساد و الظلم و التكالب و الأنانيه و انتقادا ساخرا لأنظمه باليه فيزيح بقلمه الغطاء عن عوراتها و يكشف أستار محتوياتها و مكنوناتها سافره أمام نور الحقيقه و جمال الفضيله و مكارم الأخلاق و مجد الخلود.(١)

٣ - أو أنه يقدم فيها نظاما اجتماعيا شاملا و صالحا يتماشى مع روح عصر سداته الايمان و المروءه و لحمته الدين الصحيح الحنيف كاشفا فيه عن أهداف و آراء اقتصاديه و أخلاقيه بناءه شافيه لأسقامه الكثيره؟.

٤ - أو هل هي تصدير مبدئي و تقديم مقصود و تمهيد متسلسل ليرينا علاقته هذه الأحجار الكريمة و الفلزات النفيسه و الأعلاق المفضله التي هي موضوع الكتاب نفسه بما لها من صلوات و تأثيرات و ملابسات في مجتمع مشعب الأهداف متباين في ماربه و مشاربه معقد في أطماعه و أحلامه و معاملاتة، كثيره تياراته الفكرية و الماديه؟ أو هل هذه هي الأسئلة الأربعة مجتمعه مترابطه؟ و أن هناك خيطا غير منظور يجمع هذه الدرر المتناثره في قلاده أو عقد متصل الحلقات جميل الرونق نادر الثمن؟.

في مقدمه الجماهر هنا الأول و هله نجد أمانا أفكارا جديده نقاده في الفقه(٢) و التشريع و العلوم العامه و التاريخ الطبيعى و الأدب و الاجتماع و التجاره و العمران متبعثره حينا و حينا في اتساق و تخطيط مرسوم ربما يراد الوصول به إلى غايه الكتاب نفسه و مادته أو إنها طفره مقصوده تعبر عن تبرم المؤلف من المجتمع البشرى كليه أو تأسفه على أحلام و أمان رفيه لم تتحقق فانطلقت هنا معبره عن إرادتها بحريه رفيه و بساطه جريئه.

للاجابه بوضوح و دقه لا بد من تقييم هذه الفصول و تعيين اتجاهاتها واحدا واحدا مع تحليل مقتضب لمحتوياتها و مقاصدها و أسبابها القريبه و البعيده و لا بد لنا من القول قبل البدء في التعليق و الشرح بان هذه المقدمه بجملتها تقدم لنا حقا قطعه أدبيه رائعه و درسا اجتماعيا قيما و نبذه علميه نادره و شرحا موضوعيا بديعا لأحوال الدين و الدنيا للمجتمع الإسلامى فى العصر الوسيط و كل ذلك فى نظر ثاقب رصين مؤمن بالحياه و يهزأ بالاخفاق و الانهزاميه و الإذعان. الافتتاحيه:

يهمل البيرونى فى افتتاحيه كتاب الجماهر هذا ذكر اسم الكتاب و عنوانه من ناحيه أو مقصده و أهدافه و أغراضه من ناحيه أخرى كما نجد فى كثير غيره من تأليف هذا العصر الهامه فى شتى العلوم(٣)، فلعل المؤلف اكتفى بذكر تصدير مقتضب معبر بكلتا الحالتين عن فاتحه قصيره فيها يحمد رب العالمين "الذى لما توحد بالأزل و الأبد و تفرد بالدوام و السرمد جعل البقاء فى الدنيا عله الفناء و السلامه و الصحه داعيه الآفات و الأدواء"، كل هذا - فى لهجه فلسفيه - يوضح بان خوف الإنسان من الفناء يدفعه للتمسك أكثر بالحياه الدنيا و تلهفه على طلب السلامه مهما كلف الأمر مع تأييد بعزم و ثبات أمر محاربه الأسقام و الآلام و الطريق لاستعادته العافيه و لكن هذا لا يكون إلا بذاك و أما نوال السعاده فهو رهين القبول و الرضى بحقيقه هذا التضاد فى الحالتين.

و يشير البيرونى إلى أهميه قبول قضاء الله و قدره الذى "قسم الأرزاق و وفق الآجال و صير سببها الاشاحه فى الأعمال"، مؤكدا ضروره الجهد و الاجتهاد لنيل المراد، ثم يتحول المؤلف للإشاره إلى ظاهره طبيعه هامه من عمل الخالق الذى "سخر الشمس و القمر دائبين على رفع الماء إلى السحاب حتى إذا أقلت الثقال ساقطتها الرياح إلى ميت التراب و أنزلت إلى الأرض ماء مباركا فأخرجت به خيرا متداركا متاعا للأنام و الأنعام إلى أن يعود بحريته إلى البحار و الاستقرار" موضحا بذلك ما للقمر و الشمس

من تأثير في تبخر المياه و تكون السحب و تراكمها في الجو ثم نزول الأمطار و استقبالها مما يؤول إلى ارتواء الأرض المتلفه العطشى و إعطائها الخصب و الحياه فتزهر البريه و تبتهج و تسقى الأرض و تكتسى المراعى فيفرح قلب الإنسان بجود النبات و الحيوان فيعود النمو و الازدهار للبريه بأسرها ثم تعود زياده الماء مره أخرى إلى البحار و الأنهار من حيث جاءت أولا و هلم دواليك. " يَعلَمُ ما يَلتَجُ في الأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها " و في ذلك إشارة إلى ما في باطن الأرض من خير و كنوز من أحجار كريمه و معادن تخرج بالكشف و الحرث و التعدين و الزرع و ما تهبه السماء من ريح و شمس و مطر و من جاذبيه و إشعاع و دفء لازدهار المسكونه و ظهورها في حاله جديده قشيبه فنرى أنه حتى في هذه الافتتاحيه المقتضبه حقا إشاره واضحه إلى الجواهر و الفلزات المخزونه و المدخره في باطن الأرض رهينه الكشف لنفع الإنسان.(٤)

و يستغرب القارئ أن يرى مصادر هذا الكتاب قليله جدا و محصوره لأن المؤلف يذكر اسم كاتبين فقط نقل عنهما إذ يقول: " و لم يقع إلى من هذا الفن غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي في الجواهر و الأشباه و قد .

ص: ٢٣٤

١- المقدمه لكتاب البيروني في الجواهر تتضمن مبادئ و خواطر و اتجاهات لا بد أنها كانت تحوم في فكر هذا العالم القدير و الباحث المدقق و الاجتماعى الخبير العارف بأحوال الطبيعه البشريه و الآن قد حانت له الفرصه للمشاركة بل و المساهمه بها و الكشف عنها كافكار متواتره في كتاب علمى لا ينتظر أن تثير أيه ضجه أو معارضه من أعدائه و أولئك الذين يحاربون كل اكتشاف و يناوئون كل فكر جديد محدث انظر مقدمه أ. م. بلنسكى، في علم المعدينيات، موسكو، ١٩٦٣ م، و الجمعيه الإيرانيه، كتاب تذكاري البيروني (٣٦٢ - ١٣٦٢ هـ) كلكتا الهند، ١٩٥١ م، بول كراوس، "البيروني عالم القرون الوسطى الايراني"، مجله الإسلام الألمانيه، ٢٦ (١٩٤٠ م) ص ١٥، و ما كتبه أيلهارد فيديمان في أعمال البيروني في العلوم الطبيعه، ارلانجن، ألمانيا، و بنوع خاص أطروحه صديقنا المرحوم الدكتور محمد يحيى الهاشمي في كتاب البيروني في الجواهر، بون، ألمانيا، ١٩٣٥ م (بالألمانيه).

٢- عبقرية البيروني تبدو أيضا في سعه اطلاعه و قوه ملاحظته فهو يتكلم في العلوم الطبيعه و الاقتصاديه و الدين و الاجتماع و السياسه بهدوء و ثقه العارف بموضوع بحثه و باصاله الباحث فيما يعرفه عن اختبار شخصى بدون تكلف أو مراوغه لذا يطلع علينا بنظريات مقبوله و آراء هامه و تعقيبات تلقى ضوءا كاشفا لنا الكثير عن تلك الحقبه التى عاش بها في تاريخ الأمه الإسلاميه لذلك نجد جورج سارتون في مقدمته لتاريخ العلوم، المجلد الأول ص ٦٩٣-٧٣٧ يطلق على النصف الأول من القرن الحادى عشر، م، عصر البيرونيو لكنه أخطأ بظنه أنه شيعى معاد للعربيه و العربيه فقد كان بعكس ذلك.

٣- كان أبو زيد حنين بن إسحاق العبادى (٨٠٩ - ٨٧٣ هـ)، و على بن العباس المجوسى (ت ٩٩٤ هـ) و غيرهما بعدهما قد ذكرا حول ثمانيه رؤوس ينبغى أن تعلم قبل قراءه كل كتاب كغرضه و منفعتيه و سمعته و جهه تعليمه و مرتبته و اسم الواضع و صحه و قسمه الكتاب. و قد تبع نصحهم كثير من مؤلفي هذه الحقبه انظر كامل الصناعه الطبيه للمجوسى، طبع بولاق ج ٩:١-١٢، و الخطط المقريزيه، بولاق ج ٣:١، و المسائل فى الطب للمتعلمين لحنين بن إسحاق العبادى، تحقيق محمد أبو ريان و مرسى عرب و جلال موسى، دار الجامعه المصريه، ١٩٧٨.

٤- كتاب الجماهر، انظر طبعه ١٩٣٦ م، ص ٢، و أيضا ايلهارد فيديمان، حول حركات الشمس و القمر، مجله الإسلام، ج ٤

(١٩١٣) ص ٥-١٣، وفاضل الطائي، "مع البيروني في كتابه الجماهر في معرفه الجواهر، مجله المجمع العلمي العراقي، ج ٢٤-٢٥
(١٩٧٤ م) ص ٥٢-٥٨، و محمد جمال فندی [أفندی] و إمام إبراهيم أحمد، البيروني، دار الكتاب العربي، .

اقترع فيها عذرتة و أظهر ذروته كاختراع البدائع فى كل ما وصلت يده من سائر الفنون فهو إمام المجتهدين و أسوه الباقيين.(١)

ثم مقاله لنصر بن يعقوب الدينورى الكاتب عملها بالفارسيه لمن لم يهتد لغيرها و هو تابع للكندى فى أكثرها و سأجتهد فى أن لا- يشذ عنى شىء مما فى مقالتيهما مع مسموع لى من غيرهما". فالبيرونى إذا يشير إلى أنه استفاد كثيرا من كتاب الكندى المذكور أعلاه أولا، و قليلا من مقاله الدينورى بالاضافه إلى ما كان قد سمعه و خبره البيرونى نفسه من متعاطى مهنة العمل و الاحتراف و التجاره فى الجواهر و أشباهها مع أنه يشك فى ثقتهم و ينتقد ساخرا من نزاهتهم و صدق نيتهم فيما يعملون و يقولون،" و إن كانت طبقه الجوهريين فى أخبارهم المتداوله بينهم غير بعيده عن طبقه القناص و البازياريين (صيادى الجوارح و أنواع الطير) فى أكاذيبهم و كبائرهم التى لو انفطرت السموات و الأرض لشىء غير أمر الله لكائته. و لنا بيطليموس أسوه فى تألمه من تخريصات التجار الذين لم يكن يجد بدا من الاستماع منهم لتصحيح أطوال البلاد و عروضها من أخبارهم بالمسافات و العلامات".

لذلك لا- بد أن البيرونى قد اعتمد فى الكثير من المعلومات التى قدمها فى كتابه حول الجواهر على مشاهداته الشخصيه و تجاربه و اختباراتة و تقييم الأمور التى سمعها و نقلها حسب ما رآه فتكون أكثر قبولا و واقعيه و نقدر أن نتحقق صدق هذا من الأفكار الأصلية الهامه النيره و الصبر و النظريات التى احتماها كتابه هذا.(٢)

فصل ١: يقدم لنا هنا البيرونى بحثا ذا أهميه قصوى فى تاريخ طريقه نمو النبات و الحيوان و تطور هذه الطريقه و ما تتميز به كل من هاتين المملكتين الطبيعيتين و كيف بذلك أزاح لنا الله الغطاء لمعرفة" علل جميع المخلوقات بكنه حاجاتها و بقدر، لا إسراف فيه و لا تقتير، و جعل النمو الذى هو زياده فى جميع أقطار القابلى له طارئه عليه و مستحيله إليه سببا هو الاغذاء و صير النبات مكتفيا بالقليل من الغذاء ماسكا له، لا ينهضم بسرعه، فافتتحت و ثبت مكانه يأتيه رزقه من كل مكان فيجذبه بعروق دقاق فى دقه الماء ساريا إلى جرتومته". فالغذاء ياتى إلى النبات و هو فى مكانه ثابت فتجذبه الجذور الممتده فى عمق الأرض و تهضمه ثم كيفيه تغذى النبات بمرور النسغ ببطء من الجذور صاعدا إلى فوق من خلال الجذع و الأغصان فإلى أجزائه العالیه مقدا نظريه طريقه هامه إذ فيها يبين بوضوح فيقول:" و ترفع سخونه الجو بالشمس من أغصانه رطوباته" الأمر الذى من أجله يحدث فراغ و الذى لا بد من ملئه" فينجذب ما حصل (من الجذور) فى الأسافل إلى أعالي أفنانه و ينمو به".

و غايه هذا التطور و النمو ليبلغ ذروته لاستمرار الجنس" ثم يجرى إلى ما خلق له بالايراق و الازهار و الاثمار".(٣)

و بعد ذلك يشير البيرونى إلى الفارق الواقع بين طريقه نمو النباتات و بين كيفيه تغذى الحيوان و سرعه الانهضام و أهميته، و ضروره تنقل الحيوان بالآلات الحركه لطلبه و احتياجه" إلى القضم و الخضم" و للتقوت من هنا و هناك. من أجل ذلك أعطى الحيوان بالطبيعه موهبه الحواس الخمسه ليميز بها بين ما يضر و ما ينفع و بين الممكن و غير الممكن معبرا عنها فى النقاط التاليه:

١ - " من بصر يدرك به المرغوب فيه من بعيد فيسرع إلى اقتنائه و المرهوب حتى يهرب منه و يستعد لاجتنابه و اتقائه".

٢ - " و من سمع يدرك به الأصوات من حيث لا يدركها البصر فيتأهب لها".

٣ - " و من شم يدل عليها من خواص فيها" فيقتفيها أو يتقيها.

٤ - و من ذوق يظهر له به الموافق من الغذاء و غير الموافق منه فينجو بذلك مما هو سام و يتعد عما هو تافه أو غير مستحب.

٥ - و أخيرا من لمس يميز به بين الحار و البارد و الرطب و اليابس و الصلب و اللدن و الخشن و اللين " فينتظم بها في الدنيا معاشه و يدوم انتعاشه "، و هي ميزه للحيوان فوق النبات، أحسن المؤلف توضيحها و تبيانها بدقه و حذاقه و صدق. (٤)

ترويحه ١: يتابع البيروني في الترويحه الأولى حديثه عن الحواس التي تنفعل بمحسوساتها أعضاء البدن الحيوانى و أفعاله و قواه فيعطينا أفكارا أخرى هامه و أصيله بالاستمرار في تعريف الحواس و كيفية أدائها أفعالها بالنسبه لعلمى التشريح و وظائف الأعضاء فيضيف قائلا:

" فالبصر محسوسه النور الحامل في الهواء ألوان الأجسام خاصه و إن حمل أيضا غيرها من الأشكال و الهيئات حتى يعرف بها كميّه المعدودات (و المرثياتص).

ص: ٢٣٥

١- لقد استفاد البيروني مما كتبه فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى (ت حوالى سنه ٨٧١ م فى العاصمه العباسيه) حول خواص الجواهر و نعوت الأحجار و وصفها و لكننى شخصيا لم أجد أية نسخ مخطوطه بعد للتأكد و للتعريف بالكندى و أعماله فى هذا الباب، انظر الكندى فيلسوف العرب الأول لمحمد كاظم الطريحي، بغداد، مكتبه المعارف، ١٩٦٢ م، و فؤاد سيد، فهرس المخطوطات المصوره، القاهره، معهد المخطوطات العربيه، ١٩٦٣ م، ص ٢-٣، و الأب ج. مكارثى، التصانيف المنسوبه إلى فيلسوف العرب، بغداد، ١٩٦٣، و يذكر ابن النديم فى الفهرست (طبعه القاهره، ١٩٢٩ م) ص ٣٧١-٧٩ رسالتين للكندى فى أنواع الجواهر الثمينه و فى أنواع الحجاره المعدنيه (الفلزات).

٢- البيرونى، فى الجواهر، طبعه ١٩٣٦ م ص ٣١-٣٢، ٤٠٩ و نسخه هارفارد ص ٤٤-٤٦، و إننا نجد فى الواقع اقتباسات و إشارات إلى كتب و مؤلفين آخر كارسطوطاليس و جالينوس و جابر بن حيان و الرازى و أحمد بن على و ابن الحسن الترنجى و المسالكللجيهانى و المالك و المسالك للمسعودى و منافع الأحجار لعطارد بن محمد و الموازنه لأبى القاسم الآمدى و النبات لأبى حنيفه الدينورى و أسفار مختلفه من التوراه تبحث فى هذا المجال.

٣- البيرونى قدم آراء أصيله فى العلوم الطبيعیه و نظرات صائبه فى مظاهر و طبائع الممالك الطبيعیه الثلاثه كما نجد هنا فى نظريته فى تغذى النبات و صعود النسغ من جذوره إلى بقيه أجزائه العالیه. يان ولكزنسكى فى استنتاجاته حول نظريات البيرونى فى انتخاب الأنواع و فكره التطور: يعتبر البيرونى بأنها أفكار عابره غير مقصوده، مع أن هذا المفكر المسلم العبرى حاول أن يضع أعظم آرائه أصله و جديده بهذا الأسلوب، كما نجد فى مقدمته لكتاب الجواهر و ذلك حتى لا يثير ضجه حوله ممن لا يقيمون وزنا للتفكير الحر و الذين يحاربون التجديد و الأصاله فى البحث العلمى و الملاحظات الشخصيه المتحرره. و هنا مثلا نجد تعليقا هاما بالنسبه لتاريخ علم النبات يثبت مقدره البيرونى فى العلوم الطبيعیه. انظر فى تحقيق معالم الهند، حيدرآباد، العثمانيه، المجلدان ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م و تحقيق إدورد ساخو، لندن، ١٨٨٥ م (و طبع ١٩١٠ م)، ج ١: ص ٤٠٠ بالانكليزيه (ص ٢٠٠ النص العربى).

٤- يعطينا البيرونى تحليلا علميا لأحوال الحواس الخمس و وظائفها و نفعها للجسم، ككل و قد تكلم فى ذلك علماء الاغريق

مثل ثيوفراستس و كتب عنه الكثيرون في العصر العربي الإسلامي كالمجوسى الأنف الذكر و غيره، انظر عبد اللطيف موفق الدين البغدادى، مقالتان في الحواس و مسائل طبيعیه دراسه و تحقيق بقلم بول غليونجى و سعيد عبده، الكويت، وزاره الاعلام، ١٩٧٢ م فى ٢٠٥ ص.

إلى الشبكيه فالعصب البصرى فإلى الدماغ للحصول على الرؤيه الكامله).

و أما السمع فمحسوسه الأصوات، و الهواء حاملها إليه، و الشم محسوسه الروائح، و الهواء يوصل حواملها إلى الخياشيم إذا انفصلت من المشموم كإفصال البخار من الماء باختلاط أجزائه المتبدده فى الهواء.

و الذوق محسوسه الطعوم و الرطوبه تحملها و توصلها إلى الذائق و تولجها فى خلله. فان آلاته من اللسان و الحنك و اللهوات متى كانت يابسه لم تحس بشىء من الطعوم و هذه الحواس الأربع متفرقه فى البدن مختصه باماكن لها لا تعدوها ^(١) و نستطيع فى عصرنا الحاضر أن نشير لتلك الأماكن المعينه التى هى المراكز الأساسيه لهذه الحواس فى الدماغ و خلافه.

و البيرونى من ثم يتطرق إلى الحاسه الخامسه و الأخيره و التى تتميز عن الأربع السابقه فيقول: " و أما خامسها ألا و هى حاسه اللمس فإنها بعكس الأربع الأخرى عمت جميع البدن فى أعضائه و فى آلات سائر حواسه و لم تنفرد بها دونها. و أول ما نلاقى من ذلك محسوساته بواسطه الكيفيات التى هى فى ظاهر البدن و لهذا كان الجلد بحس اللمس أولى و إليه أسبق ثم ما وراءه أولا- فأولا- و طبقه طبقه بحسب اللين و اللطف إلى أن يبلغ الأغلظ الأ- كثف من دعائم البدن فيزول به حس اللمس عند العظام ". فواضح برأى المؤلف إذا أن حاسه اللمس أقوى ما تكون فى سطح الجلد ثم بعد ذلك تضعف تدريجيا اتجاها إلى العمق حتى وصول العظام حيث حاسه اللمس تكاد تكون معدومه. ^(٢)

ترويحه ٢: ينتقل البيرونى هنا للحديث حول تفوق العنصر البشرى على سائر المخلوقات لأن الله منحه شيئا آخر بالاضافه إلى الحواس الحيوانيه الخمس و هى " بما شرف به من قوه العقل " الذى تسلط به على المخلوقات و قدر على سياسته الأرض و تعميرها و تفهم أسرار الكون و تدبيره (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاءٍ عَمَلْتَ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يُأْكُلُونَ وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ مَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ) سوره يس ٧٠-٧٢.

و لو لا هذا الإحسان الإلهى لما استطاع الإنسان مقاومه الحيوانات و هو بالنسبه لها فى القوه الجسمانيه أضعف من الكثير منها و لا يملك ما تملكه " من آلات الدفاع و النزاع ". و البيرونى هنا أيضا يقتبس ما جاء فى سوره الزخرف: ١٢ (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ). فنعمه العقل و التمييز للتسلط على سائر المخلوقات ما هى إلا إكرام سماوى و التى يأمل المرء من خلالها خير الجزاء بعد المنيه. و يضيف المؤلف قوله: " إذ الرغائب بالمتاعب و نيل البر بالإنفاق من الجباب " إذ لا بد من " احتمال قرص النحل حتى يجتنى العسل " و ليكن العطاء مما يخترنه الإنسان لعمل الخير و الإحسان للآخرين أجرا و احتسابا.

و يضيف المؤلف و هنا أيضا حول أهميه ذكر حاستى السمع و البصر حيث " جعلتا لهما مراقى من المحسوسات إلى المعقولات. أما البصر فلاعتبار بما يشاهد آثار الحكمه فى المخلوقات و الاستدلال على (عظمه) الصانع من المصنوعات " و يستشهد بسوره فصلت: ٥٢ (سَيُنزِلهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ). هذا ما يختص فى أمر البصر " و أما السمع فليسمع به كلام الله بأوامره و نواهيه و يعتصم فيها بحبله فيصل إلى جواره " و يستشهد بقول أعشى بنى أبى ربيعه إذ يقول:

كان فؤادى بين جنبى عالم بما أبصرت عينى و ما سمعت أذنى

فالبيروني إذا يؤكد بان هناك مصدرا أكيدا للحصول على العلم ألا و هو هاتان الحاستان، البصر و السمع و يضيف إليهما الفؤاد (و ليس الدماغ) مشيرا إلى آيه من سوره الأسرائ: ١٠٤ (إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) . موضحا بأنه من فضله القلب يتكلم اللسان مقتبسا قول أبى تمام:

و مما قالت الحكماء طرا لسان المرء من خدم الفؤاد

لأن السمع و البصر حسب رأى البيرونى و باسلوبه البليغ الرفيع يعتبرهما " آلتا الرقيب " بهما يكتشف المرء نفسه و بيئته و يرى ما هو خفى عنه غير ظاهر له و لا يعرف أبدا حق قدرهما إلا عند فقدهما لكل ما يخصهما فى الحياه من متعه و سلوى و جمال و أنس.

أما الحواس الأخرى فإنها برأى المؤلف أليق بالبدن منها بالنفس من مذاق و تحسس و استنشاق ما حولها. و هى أقرب إلى الحيوانيه الجسديه منها إلى الإنسانيه الفضلى بالرغم من أنها مبدئيا تتطور و ترقى و تهذب من منطلق أوضاع الإنسان الفكرية و أحلامه و تفاعله و استنباطاته حتى تبلغ بهذه المشاعر و الأحاسيس إلى أقصى غايتها البشريه النافعه. (٤)

ترويحه ٣: هنا يتكلم البيرونى عن الاستئناس كنتيجته إلى التجانس مقتبسا المثل القائل " إن الشكل إلى الشكل ينزع و الطير مع الألفها تقع " أو كالتقول الشائع فى يومنا هذا " إن الطيور على أشكالها تقع ". و المؤلف مثلا يشبه كيف أن الأخرس ينجذب و يستأنس بالأخرس نظيره يخاطبه بالإشارات التى يفهمها كل منهما أو بالإيماء بالأعضاء مقتبسا سوره الروم: ٢٠ (وَمِنْ م.

ص: ٢٣٦

١- يوضح البيرونى كمعاصره ابن الهيثم أن البصر يحدث بضوء ترسله الأجسام فى الهواء إلى العين فترى الأشكال و الهيئات و كيف أن الهواء أيضا يحمل الأصوات إلى الآذان و أن الهواء يحمل كذلك حوامل الروائح و يوصلها إلى الأنف حيث تنفصل مثل انفصال البخار عن الماء الغالى. و ما أصدق قوله إن الرطوبه من لعاب الفهم هى التى توصل طعم ما نأكل أو نشرب لحاسه الذوق من مسام فى فجوات الفم و اللسان و اللهاة و إنه بدون هذه الرطوبه لا تحس الطعوم. و جدير بالذكر أن المؤلف يشير إلى مراكز لهذه الحواس و إن تفرقت مواضعها فى البدن و يستنتج أنه كان يشير إلى مراكز فى الدماغ لبعض الحواس كالبصر و السمع. انظر عبد اللطيف البغدادى، مقالاتان فى الحواس، تحقيق غليونجى، ١٩٧٢ م، ص ٧٧-٨٨.

٢- فى الجواهر طبعه ١٩٣٦ م ص ٤، يؤكد البيرونى بان العظام (و ليس الطعام كما فى النص خطأ) لا حس لها فى حين يوجد حس فى الأسنان بسبب وجود عروق دمويه فيها و أن الجلد أكثر الأعضاء حسا و تعرضا للاحساس. أبو بكر الرازى، الحاوى، مطبعه العثمانيه، حيدرآباد - الهند، (١٩٥٥ م) ص ٣-٤.

٣- يقتبس المؤلف آيات من القرآن الكريم حول إدراك عظمه الخالق من مصنوعاته، و هذا يتفق مع سفر المزمير فى الآيه ١٩:١ " السموات تحدث بمجد الله و الفلك يخبر بعمل يديه " و كذا رساله روميه ١:٢ " لأن أمور الله غير المنظوره ترى منذ خلق العالم مدركه بالمصنوعات قدرته السرمديه و لاهوته " انظر. كمال اليازجى معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط، طبعه رابعه منقحه، بيروت، ص، ٣٢٢-٣٣٠.

٤- تدل هذه المناقشات على إنسانيه البيرونى و سمو نفسه، فحواس الشم و الذوق و اللمس برأيه تخدم نمو الجسد و لذاته و

رغائبه لذا بالإمكان السمو بها إلى درجات عالية و مثاليه بواسطه ضبط النفس و قمع رغبات الجسد و بالتفكير بالأمر الجليله الطاهره و العيشه النقيه، و كان أبو بكر الرازي في كتابه الطب الروحاني ينزع هذه النزعه ذاتها، حقق الكتاب و له ترجمه بالانكليزيه أيضا عام ١٩٥٠ م.

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) و من هنا يستدل على إمكانيه و دواعي التقارب بين الناس للتعارف و التأخي من جهة واحده و السعى في طلب الأمان من الشر و الخطر و التفرق و الدمار من جهة أخرى حتى يتضاعف الأُنس و يزول النفار بين الشعوب و يعتبر المؤلف أن فضيله الاستئناس هذا إن هي إلا أسباب تدفع بالناس إلى التعاون و التقارب الواحد من الآخر و الاجتماع لتأسيس القرى و نشوء المدن و الدساكر و تطورها. (1)

ترويحه ٤: و مع كون الإنسان اجتماعيا بطبعه إلا أن المؤلف هنا يعالج أمور الناس بالنسبة لبنيه أبدانهم و جبلتهم الجسمانيه و ما تتركب منه من أمشاج و أخلاط متضاده و شهوات متعارضه و أمزجه مختلفه فتباين نتيجه لذلك أخلاقهم و طبائعهم و أهوائهم حتى أن يقهر أحدهم الآخر و يظلمه و يغمط حقه فينتج عن ذلك أن الشخص المظلوم يصبح دائم النزوح لازاله القهر عنه فينشأ عنده حب الافتراق و الابتعاد طالبا للهجره إلى أوطان أخرى و حتى مع هذا نجد في غربته عرضه للأخطار الخارجيه و مداهمه البلايا و المحن أضف إلى ذلك ضعفه و عجزه مما يجعل المرء دوما في حالة القلق و في حاجه للعون و الاسعاف و الأمان و من هنا جاءت رغبته الملحه و الأكيده ينشد حياه الوئام و التمدن و السعى للتجمع في القرى و المدن العامره ليقترب من أخيه الإنسان و يستقر.

و في تجمع الناس ضمن المدن نجد أنهم لو تساواوا بالاختبار و الهمم، حسب رأى المؤلف، لضاعت عليهم منافع كثيره و أدى تساويهم في نهايه الأمر إلى هلاكهم جميعا. فلا بد إذا من اختلاف المقاصد و الإرادات و المواهب و الكفاءات و بذلك تتعدد أنواع الحرف و الصناعات و تزداد المآرب و تتعقد الخدمات و يصير الإنسان في حاجه لأخيه الإنسان على المستويات و الكفاءات أو أن ذلك يؤول به لطلب و استخدام لمقايضه أو مقابل سلعه أو أجره يتفق عليها و يتقاضاها الواحد من الآخر إما لحاجته الضروريه أو لاستغنائه عنه كان تقدم سكه معينه أو أثمان عامه و عمله تقدر بدل خدمات معينه، "فاختاروا لها ما راق منظره و رواؤه و عز وجوده و طال بقاؤه"، من أنواع العملات و المسكوكات و المعادن و حتى الجواهر الثمينه التي كثر انتشارها و ازداد و تأيد تداولها بين الناس في المبيعات و لأن استخدامها يصبح سببا لبقائها و ندرتها و عظم قيمتها. و من أجل ذلك نرى أن المؤلف يبحث في فلسفه قيام العملات و السكه بأنواعها و تاريخها و ما آل إليه الأمر من انقياد الناس لتعظيمها و تقييمها " بالتوحيد و التصغير بالتجزئه و التبديد و التختم بالتنقيش و التصوير مترددا بين صنوف الهيئات و الصور مع ثبات هيولاه و مادته" من نفيس الجواهر و العملات و ما إليها. (٢) إن هذه الجواهر المتداوله بين الناس و المخزونه في باطن الأرض و ما هو مستور منها عن الأعين إن هي إلا-ودائع صالحه أعدها الله تعالى مزوده بالآلات التي بها أزاح علل الخلق و مجريات الكون و تقييم آثارها و قد هدى الإنسان بالعقل المنبه إلى الآيات الكريمة بواسطه الرسل و الأنبياء المرشدين إلى صلاح العقبي و قد وكل الأمر في الورى للملوك خلفائهم ليعملوا على نشر العدل و إعلاء الحق لما هو في صالح الناس جميعا و رأفه بهم و إحسانا إليهم و منفعه لهم قد سبق مخبا لهم قبل خلقه إياهم جميعا الموزونات في أرحام الأرضين تحت الرواسى الشامخات للانتفاع بها في الاجتلاب و الدفاع الصيانه و الاعتدال كما جاء في سورة الحجر: ١٨ (وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أُنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) (٣) و يعتقد البيروني أن الترتيب الإلهي قدر بان تكون مصالح الناس و معاملاتهم التجاريه الاقتصاديه و الخدمات التي يقوم بها أحدهم تجاه الآخر يجب أن تكون على حساب التقييد و المعامله بالفضه و الذهب و تقدير قيمها نقديا و معنويا و على مقتضاه إذ هو أيضا هدى الإنسان لاستخراجها من معادنها التي اخترنت في أعماق الأرض ألوف السنين و قد منح هؤلاء الملوك الخلفاء السلطه و الرئاسة و وكل لهم السياسه و الأمر و النهى لاستخراج هذه المعادن الثمينه و ليصنعوا منها العمله

و النقود و يحفظوها من تمويه الخونه الخادعين و تزييفهم أولئك الذين يروجون أشباه الفضة و الذهب المغايره لهما فى الجوده و النقاء و الدقه و يهدبونهما عن الأدناس و الغش و ذلك بالسبك الأصيل و الطبع فى السكه المضمونه لاحقاق الحق و إزهاق الباطل و تامين مصالح العباد و للحيلولة دون ترويح ما هو مغشوش مزيف من معدنهما، " و هذا و أمثاله هو المحوج لولى الرئاسة إلى مراعاة شروط السياسه ليستحقوا اسم الخلافه فى الخلق و سمه الظل فى الأرض عند التقبل بأفعاله سبحانه فى التعديل بين الرفيع و الوضع و التسويه بين الشريف و الضعيف من خلائقه و وفق الله للخير كل مستوثق به " (٤).

ترويحه ٥: يتابع البيرونى فى حديثه هنا حول أهميه الذهب و الفضة فى اقتصاد الشعوب و اتجاهاتها السياسيه و حياتها الاجتماعيه و ما يتبع ذلك من أمر ٧.

ص: ٢٣٧

١- يرى البيرونى ميل الإنسان لانشاء مجتمع كأمر طبيعى تمليه الغريزه و الحاجه للأمن و توفير أسباب العيش المختلفه، و من قبل تكلم ابن خلدون فى مقدمته عن العمران و النظم الاجتماعيه و الاقتصاد.

٢- لقد عالج البيرونى تاريخ استعمال النقود و المسكوكات و صناعه الأختام و أسباب انتشارها و أوزانها و أشكالها و ندره الأحجار الكريمه و المقايضه بها و أثمانها معادن الذهب و السكه فى الإسلام و المعاملات التجاريه. ثم إن الدكتور محمد يحيى الهاشمى فى "نظريات الاقتصاد عند البيرونى" فى مجله المجمع العلمى العربى، دمشق، مطبعه ابن زيدون، ١٩٣٧ م، ج ١٥، ص ٤٥٦-٤٦٥، و فى مجلد العالم أبو ريحان البيرونى، أسبوع العلم الرابع عشر، دمشق، مطبعه الجامعه، ١٩٧٤ م، ص ١٨١-١٨٩، يعتبر البيرونى رائدا فى علم الاقتصاد و إن "الأزمات مهما تراءت لنا بمظهر مادى هى فى الحقيقه أزمه روحيه" انظر السكه فى الإسلام لعبد الرحمن محمد، القاهره، مطبعه المكتبه المصريه، ١٩٥٧ م، و أيضا صبح الأعشى، لأبى العباس أحمد القلقشندى، القاهره، ٣: ٤٣٦-٤١، ٤٦١-٤٦٣ و قد اكتشف هذه النظرية الاقتصاديه فى مقدمه البيرونى فى شرحها.

٣- اعتبر البيرونى التطور و نظريه النمو ضمن إطار إيمانه بالله كخالق العالمين و رأى أن كل ما خلقه الله كان حسنا و كاملا و مع تمجيده لقوه العقل و المنطق إلا- أنه كمؤمن رأى أن أهميه العقل أولا- هى فى فهم كلمه الحق و الإصغاء لقول الأنبياء و المرسلين، و بقى أمينا فى اعتقاده بشرعيه الحكم للخلفاء العباسيين مدافعا عن كيانهم ضد المقاومين و الفاتنين عليهم معترفا بولائته لهم حتى الرmq الأخير من حياته، فهم الأصل و لهم الاختيار و الشرع ليجروا عدلا كامراء المؤمنين و قد منحهم الله حتى الكنوز فى باطن الأرض و تحت الجبال الثوابت و من كل بمقدار و بكل حكمه و فطنه. انظر جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، القاهره، ج ١: ص ١٤٠-١٤٦.

٤- كما كانت الأدوية و العطور و الأطايب تغش بما هو دون من مفردات الطب كذلك كانت الجواهر تغش بالنحاس و غيره. انظر أحمد القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٢: ٩٧-١١٨: و حول المعاملات بالسكه انظر مقاله صالح الحمارنه، "العمله العربيه الإسلاميه فى بلاد شمال و شرقى أوربا و دلالتها فى العلاقات التجاريه"، دراسات (عمان، الجامعه الأردنيه)، ج ٢ (أيار ١٩٧٥ م) ص ٣٩-٥٧.

الجشع البشرى و تكالب الناس على الماديه لتعلقهم بهديها فيقول، "لما سهل الله على الناس تكاليف الحياه و تصارييف المعاش بالصفراء و البيضاء (يعنى الذهب و الفضة) انطوت الأفئده على حبهما و مالت القلوب إليهما كميلهما فى الأيدى من يد واحده إلى أخرى و اشتداد الحرص و الشح على ادخارهما و الطمع و الاستكثار منهما و جل محلهما من الشرف و الأبهى وضعاً لا طبعا و اصطلاحاً فيما بين الناس لا شرعاً بل اتفاقاً لأنهما ما هما إلا حجران لا يشبعان بذاتهما من جوع و لا يرويان من صدق و لا يدفعان بأساً و لا يقيان من أذى"، و ما أصدق هذا منذ زمن المؤلف و حتى وقتنا الحاضر أو أكثر.

و يتابع البيرونى المنطق ذاته فيقول: "و كل ما لم ينتفع به من غذاء يقيم الشخص و يبقى النوع، و من ملبوس يدفع بأس البائس و يقى أذى الحر و البرد و من كن (مسكن) يعين على ذلك و يقبض يد الشر فليس بمحمود طبعا".

فالبيرونى يؤكد الناحيه العمليه فى المجتمع البشرى فيرى أن الذهب و الفضة بحد ذاتهما ليس فيهما غنى فى قضاء حاجه من ماكل أو ملبس أو مأوى و إنما هما ممدوحان بالعرض وضعاً إذ بهما يمكن الحصول على سد حاجات الناس و تأمين أعوازهم لذلك هم سموا المال خيراً و كذا من وجود الدرهم فإنه جائد بجميع الخير لأنه و إن لم يكن ذلك فى طبعه فإنما يكون فى ضمنه لاحتوائه على المناهج و القدره فى نيل المآرب و الوصول إلى ميناء السلامه و غبطه العيش. (1)

و لاعطاء مثل من الأمثال حول هذا الموضوع ما يرويه المؤلف فى قالب قصصى كالاتى:

"إن قوما أرسى بهم السفينه فى جزيره منعزله عن الطرق التجاريه البحريه الهامه، فخطر على بال أحدهم إذ أراد شراء حاجه عرضت له (فلنقل إنها من ماكل أو ملبس) و بمقابل ذلك فإنه دفع ديناراً (على سبيل المثال) كثمان جيد لرجل من أهل تلك الجزيره و ما كان من أمر هذا الرجل (من سكان تلك الجزيره) أن أخذ هذا الدينار يقبله و يشمه و يذوقه فلما لم يؤثر منه شيئاً فى هذه الحواس أثر نفع أو لذه رده إليه إذ لم يستجز دفع ما ينتفع به بما لا نفع فيه" فى عرفه و عادته. هكذا فان العبره فى هذه المثال أو تلك القصة أن المقايضه الصحيحه هى التى ينتفع منها لكلا الطرفين و أن المعامله الطبيعه المباشره بين النظراء هى التى تتم من حيث المبدأ فى إبرام الصفقات التجاريه المتبادله و التى تصبح حقيقه و أسساً و منبعاً لنظام المعيشه و لمداولاته بين الناس فى الحضارات الإنسانيه و بين الشعوب الراقيه المتحضره و التى يمكن الاستفاده منها فى النظم و الخدمات الاداريه العصريه (2) أما المعامله الوضعيه المحليه فقد جاءت على الأعم حسبما ورد ذكره من الشعوب المتمدنه الماضيه و الأعم المعاصره، فى أمر ما تسمى بالفلزات (و هى كلمه تطلق على جواهر الأرض كلها من معدن و حجاره كريمه) و تعريفها و أهميتها و اصطلاحاتها و استعمالاتها. و بسبب انتشارها و شيوعها فقد كانت و ما زالت تزدان و تزدهى فى أعين البشر حتى شغفت بها الأفئده و صارت متعارفه بين غنى أو فقير متداوله بين ذوى الجاه و المتواضعى السمعه ليس من أجل قيمه حقيقه بها ذاتها و إنما بما هو متعارف به مصطلح عليه حتى صارت مرغوباً فيها لدى الجميع و يحلو لهم امتلاكها. و قد أبان القرآن الكريم كيف أنه قد زين للناس صلاح المعيشه بالنساء و قره العين بالأولاد و قوه القلب و بهجته و ميوله باحتكار الأموال و كنز قناطر الذهب و الفضة غريزه عزيزه لديهم. (3)

إنه حقا من سخره القدر ليس فى عصر البيرونى فحسب بل و حتى فى زماننا الحاضر الواقعى أن نرى وجود طبقتين من الناس هما الصعالكه و رجال السلطنه شغلها الشاغل كمأرب رئيسى فى الحياه إنما هو تكديس الأموال باى شكل ثم إن ظروفهما الخاصه كما يبدو تقودهما إلى مثل هذا التصرف الشاذ و كل من هاتين الطبقتين قد أساء استعمال ما لديه من الثراء من ذهب و

فضه و ذلك بكثرهما بدلا من إنفاقهما ليتسنى تداولهما فى أيدى الناس و يتحقق من أجل النفع الأعم و الأفضل. و يخيل إلى بان كثر الأموال و حبسها هكذا مسأله تدعو للاستهجان و أمر مخالف لقصد الله تعالى الذى من فضل نعمته و حسن مشيئته سمح باكتشافها و استعمالها و إبدال أثمانها لمصالح عباده و خيرهم و قضاء حاجاتهم فى المعاملات التجاربه المشروعه.(٤)

و بطريقه فلسفيه مفحمه يوضح البيرونى كيف أن الله خلق الجواهر و المعادن النفيسه و بحكمته قد خزنها فى باطن الأرض أجيالا طويله و أتاح للناس اكتشافها و استخراجها و إعدادها تسهيلا للمعامله و المداوله بين جميع الناس و فى كل مرافق الحياه. فأمر اكتنازها إذا إنما هو مخالف لاراده الله و مشيئته فى مقدرات الناس و غمط لمنتته و إحسانه بردها إلى باطن الأرض إلى مثل حالتها الأولى التى كانت فيها قبلا- و هذا أمر يتنافى مع غاياته الفضلى و حسن تدبيره فى الكون فى هذه النظرية الاقتصاديه المبدئيه و الاجتماعيه البناء و التى هى فى غايه الأهميه حتى فى عصرنا هذا، حتى أن البيرونى يشبه كون خزن الذهب و الفضه و حجزها عن التداول مثلا بمفهوم رد الأجنه إلى الأرحام التى فيها تكونت و منها خرجت ما هى إلا رجعه عقيمه و عود يائس لا نفع منه ٥.

ص: ٢٣٨

١- يوضح البيرونى أن الذهب و الفضه و الأعللق النفيسه الأخرى هى هبات إلهيه أعطيت لسد إعواز الناس للمتاجر و لكن الإنسان مفطور على الطمع و محبه المال التى هى أصل لكل الشرور فراغ من غباوته عن الايمان و طعن نفسه باوجاع كثيره، مع ذلك يعظم الناس و يبجلون مالكها حتى تعاطيها باليد له جاذبيه خاصه فكنزها الكثيرون للمتع و طلبا فى تامين عيش رغيد. أما قيمه المال الحقيقه فهى وضع لا طبع، لم تمدح بالشرع بل اصطلح عليها فى المعاملات التجاربه فيه لا تروى من ظما و لا تدفع أذى إنما "دعى المال خيرا" لأن من وجود به يؤمن حاجات الناس الضروربه مع أن هذا ليس من طبعه، فى الجواهر، طبعه ١٩٣٦ م ص ٧-٩، و يحيى الهاشمى "نظريات الاقتصاد" ص ١٨٦-١٨٩.

٢- لويس معلوف، المنجد فى اللغه، طبعه ١٥ بيروت، المطبعه الكاثوليكيه، ١٩٥٦ م ص ٦٢٥، و انظر على أحمد الشحات، أبو الريحان البيرونى، القايره، دار المعارف، ١٩٦٨ م ص ١٣٥-١٤٥.

٣- لقد اقتبس المؤلف الآيات التاليه: سوره الحديد: ١٩ (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)، و من سوره آل عمران: ١٣ (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ النَّبِينِ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) و للتفسير اعتمدنا كتاب الشيخ حسين محمد مخلوف، كلمات القرآن تفسير و بيان، القايره، البابى الحلبي، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

٤- فى سوره التوبه: ٣٣ نجد أيضا كشفا لحاله روحه كئيبه حول أحبار اليهود و رهبان النصارى الذين كانوا يتكالبون على جمع الأموال و كثر الدرهم طامعين فى عطايا الفقراء و المساكين مع أنه كان يجدر بهم الإنفاق و تقديم يد العون لهؤلاء الناس (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فصاروا بذلك عثره بدل أن يكونوا بركة انظر سفر ارميا، فصل ٢٣: ١-٤ و إنجيل متى، فصل ٦: ٢٤-٣٥.

و لا بركه فيه و لا سداد.

لذلك يضيف المؤلف مفسرا بقوله إن الذهب و الفضة إذا أخرجا من معادنهما الأصليه فى جوف الأعماق تصبح آنذاك كالزروع المحصوره فى الفلاحه و الأنعام المذبوحه لمربى المواشى لا يسوغ غير جنيها و أكلها و إنفاقها و الاستعاضه منها حيث يهيا المعدن بامر ذى سلطان كما تصنع نقود العمله فى السكه بعد سبكها و طبعها دراهم و سواها "عينا و ورقا (لأجل) ترديده فى الأيدى على حسبه تجاره أو إيتاء فى حقوقه". (١).

ترويحه ٦: ينتقل المؤلف هنا للحديث فى موضوع طريف ذى شقين الأ- و هو التعريف بالمروءه و الفتوه و معناهما الحقيقى ضمن النظام و العرف الاجتماعيين. و هنا نقول إن المروءه تقتصر فقط فى مفهومها على الرجل فى نفسه و ذويه و حاله فالمرء مبدئيا لا يملك غير نفسه و قنيتة و أملاكه لا ينازعه فيها أحد فهى لذلك تدفع به لأن يظهر السعه لدى الآخرين و يخفى الضيق على نفسه ما أمكن فيصدق فى ذلك القول: "المروءه الظاهره فى الثياب الطاهره" و هى ما يمكن تأويله "بان لا يعمل المرء سرا ما يستحى منه فى العلن"، و أن يكون فى ذلك شعاره هو أن نفس الإنسان أقرب قريب منه و أولى ما تقدم فى طلبه إنما هو للخير لها أولا ثم ما هو دان منها و هكذا. أما الفتوه فتتعدى الحدود المرسومه فى المروءه و تتخطاها إذ بها يحتمل المرء مغارم الآخرين و سائر المشاق لتأمين إراحه و إسعاد الغير فلا يضمن بما أحل الله له و حرمه على سواه ليجود به طبعاً، فهو الفتى الذى اشتهر بعدم تمسكه بالماده و عرف بالحلم و العفو و الرزانه و الاحتمال صابرا نائلا تعظيم الناس فى تواضعه فرقى بذلك إلى أعلى المراتب رغم اعترافه بعدم استحقاقه نائلا نتيجة لذلك خير الثواب.

فهى إذا "بشر مقبول و نائل مبذول و عفاف معروف و أذى مكفوف". فالمرءه كل هذا من حسن الوفاء و كرم المحتد.

و يروى المؤلف قصه رجل كان يلبس كل يوم أحسن الثياب و يركب أفره الدواب و يسعى فى تلبيه حاجات الناس و شيكا فليل له لتعليل السبب فى ذلك فأجاب بأنه قبلا كان قد انغمس فى جميع شهوات الحياه و ملاذها من سكر و بطر و منكر و لكن هذه كلها لم تشبع نفسه بل تركته تعيسا، و أما الآن فليس أدعى لنفسه من مسره و لا أكثر متعه و بهجه من رؤيه إنسان أنعم إليه و أسعفه فشكره ممتنا عند الاخوان. من أجل هذا فهو فى نشوه روحيه دائمه و غبطه لا توصف حتى أن المؤلف يسترسل فى توجيه أطيب الثناء فى مدح النفس العصاميه التى لا تنهمك بمتاع الدنيا و ملذاتها و شهواتها فتخسر الآخره بل ينصرف نحو المنطلق الأفضل بالقناعه و كرم الأخلاق لسعاده الروح فى الدنيا و الآخره.

و من وجهه أخرى يوصى المؤلف بان يكون فضل الإنسان مرهونا بأعماله الشخصيه و ليس بالافتخار بالأجداد و جاه الآباء و الأقرباء السالفين و إلا "فهو الميت و هم الأحياء كما قال الشاعر:

إذا المرء لم ينهض بنفس إلى العلا فليس العظام الباليات بمفخر

" و ربما أفرط الفتى فتجاوز "لذا ينبه المؤلف من مغبه الإفراط فى إثثار الغير على النفس ببذلها" أنفه من تحمل العار أو دفعا للظلم و حفظا لحق الجوار"، أو فى سبيل إكرام الضيف و الحفاظ على الأمانه كما يروى عن سيره الشاعر الجاهلى حاتم الطائى الذى اشتهر بشجاعته و سخائه حتى قيل عنه "أجود من حاتم" (توفى سنة ٦٠٥ م) و كعب بن مامه الايدى الذى يضرب المثل

فى جوده لأنه فى ساعه العطش الشديده سقى صاحبه مما لديه من الماء و مات عطشان فاعطيا كل ما تملك اليد من دون مقابل (فالجود بالنفس أقصى غايه الجود).

إذا لا يتمكن المرء من تحقيق الفتوه إلا متى نال هانىء العيش و رغيده و اتساع النعمه ليقوى بذلك على مساعده الآخرين بالكد و الاجتهاد و لا- ملامه على من لم تساعده الأقدار على الوفاء بالغرض، ما دام قد كرس نفسه لإيذاء العدو و نفع الصديق و إشراك غيره فى رزقه.

ثم أنه لا يرائى لغرض تافه مذموم بل يقوم بواجبه احتساباً.

ترويحه ٧: هنا يقارن البيرونى بين العاقل الحكيم الذى يجد لذته فى الأمور النفسانيه الروحانيه و المثل العليا التى يلاحظها بعين البصيره و الاعتبار و بين الجاهل الغبى المنغمس فى اللذات الحسيه و المنجذب إلى صنوف الزينه (بما فيها المجوهرات) و زخارف الحياه التى تستهوى الغريزه الحيوانيه فترقص أضلاعه لها طرباً و لكن ما هذه برأى المؤلف، إلا لذائذ سريعاً ما تزول و تعقب بعدها الحسره و الندم و تبدل نضاره الشباب و جماله إلى حطام الانحلال و فناء القوه و ذبول القوام. "لكن هذه التذاكير لما كانت أعراضاً محموله فى أشخاص محدوده الأعمار باليه على تعاود الليل و النهار لم تخلد فهى من عالم الفساد و العناء فأقيم لهم بدلها من الجواهر المخزونه تحت الثرى فى الأحجار المنعده و فى المكنونه المصونه فى أعماق البحار المسحوره ما كان أبقى على قرون تمضى و أحقاب تمر و تنقضى و كانت منه عليهم"، من خالق الكون الذى هو عالم بما لا نعلمه و قد أودع و جعل هذه الكنوز جاهزه فى حينها من صنوف الأحجار الكريمه مثل اللؤلؤ و المرجان و الياقوت و الزبرجد و الماس و ما إليها. (٢)

و لو لا- أهميه الزينه فى عداد المجوهرات و الأعلاق النفيسه لما انفصلت مبدئياً عن الذهب و الفضة فان سبيلها كلها فى عدم الفناء و عند الضرورات سبيلهما إذ برأى المؤلف لا منفعه مباشره تجنى منها فى قضاء الحاجات الضروريه المنشوده لذا و إن كانت مختلفه عن نفيس المعادن فى تامين الحوائج و مستلزمات العيش، "فإنها كذلك مثمته بهما و ربما كانت على وجه التعويض مزيجه العليل و هى جواهر جسمانيه (يعمم بهذا على الياقوت و المرجان و اللؤلؤ و الزبرجد و غيرها من الأحجار الكريمه) و نفاستها بما يحس الحس منها (فحاسه البصر ترى ألوانها الرائعه و جمالها البديع و تنسيقها و انعكاس الضوء عليها) فيمدح بحسب ذلك ما دامت مستبده به (لأنه ما دامت أهواء الناظر مغرمه و منجذبه نحو المظاهر الجسديه الخلابه و المغريه) فإذا قورنت بالجواهر النفسانيه انكشفت (حقيقتها) ٤.

ص: ٢٣٩

١- العين هو الذهب المضروب للمعامله التجاريه و هو النقد المتداول بين الناس و العتيد من المال و العينه هى خيار المال فى حين أن الورق (ج أوراق) هى الدراهم المضروبه انظر معلوف، المنجد فى اللغه. و حول الصعاليك انظر العصر الجاهلى لشوقى ضيف، القاهره، دار المعارف، ط ٥، ١٩٧١ م ص، ٣٧٥-٣٨٥.

٢- سورة الرحمن: ٢٠:٢١ (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) و سورة النحل: ١٣ و فاطر: ١١ (وَ تَرَى الْمُلْكَ مَيَّوَّاحٍ فِيهِ وَ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ تَسِيءُ تَخْرُجُونَ عَلَيْهِ تَلْبَسُونَهَا) سورة الرحمن: ٥٦-٥٧ أيضاً (كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ) انظر

حمارنه، فهرس الظاهريه الطب و الصيدله، دمشق، مجمع اللغه العربيه، ١٩٦٩ م ص ١١٠-١١٤.

و ذم منها ما كان يحمد على مثال وصف أبي بكر الخوارزمي: إن رجلا (قيل فيه) إنه دره من درر الشرف لا من درر الصدف و ياقوته من يواقيت الأحرار لا من يواقيت الأحجار". (١)

ترويحه ٨: هنا يقابل البيروني بين لذة الروح الساميه و لذة الجسد الأرضيه مقررًا أن اللذة بالحقيقه إنما هي مسأله مرهونه بلزوم ما ازداد الحرص عليه إذا دام اقتناؤه له، و هذه هي حاله النفس الإنسانيه التي تستمتع بحياتها للمعرفه النافعه و التعمق و الغوص في المجهول و كشف أسراره و غوامضه " إلى أن يغلبها عند طلب الراحة من تعب المساعي و يلهيها عما كانت فيه بسبب العجز عن الاستمتاع "، بما يشتهي من رغبات أو فيما تطلبه من الحكمه و الفهم.

و أما اللذات البدنيه فإنها على النقيض إذ هي معقبه للألام و جالبه للأسقام و الأحزان تنبذ و تمل إذا دامت و تودى إذا أسىء أو أفرط في استعمالها الأمر الذي يؤدي بها إلى العبوديه و الشقاء و الانحطاط عقليا و روحيا و جسديا مثلها كمثل الطعام الذي يحلو للجائع ثم تقل لذته بمقدار ما يؤخذ منه حتى إذا أكثر المرء منه و أتخم " أدى إلى الغثيان و التهوع و القذف " فاطاب الدنيا كلها خبائث و محاسنها قبائح فهي لا- تشبع قلب الإنسان من جوع إنما تغريه فينقاد إليها فتأسره ليعود إلى طلبها مجبورا فاقد الإراده. و الأمر الطريف حقا، و هو من الأهميه بمكان في تاريخ الطب و المعالجات، أن المؤلف يشبه الشخص المسترسل و المستهتر في شهواته الجسديه " كمثل المخمور في العقارات " المسببه للهوسه و الاعتیاد و التي بعد فقدان تأثيراتها يعود مره أخرى راجعا إليها و يالحاح يطلبها. و في هذا نجد أيضا دليلا آخرًا على تمكن استعمال مثل هذه الأدوية المخدره و انتشارها و علائم و مجريات الاعتیاد عليها في عصره و الذي كان شاهد عيان لأثرها و ما تورث متعاطيها من سلب الإراده للمقاومه و الانصياع (٢) و لا- يغفل المؤلف عن الجزم بان في وجود اللذة الجسديه و نشاطها و طلبها يكون دوام النوع و إبقاء للشخصيه البشريه و مميزاتها في تعمير الكون حتى أن بني الإنسان ينمون و يكثرون و يملئون الأرض و لتكن خشيتهم و رهبتهم على كل حيوانات الأرض و كل طيور السماء. (٣)

ترويحه ٩: يشرح البيروني هنا كيف أن للناس أحوالا مختلفه في دنياهم يتقبلون فيها و يتعايشون معها فبعض منها يمرح و بعضها الآخر يذم و يرذل لا سيما ما هو مخالف للخلق القويم و النظافه و كرم النفس فالمحامد المشكوره فقطبها المروءه، و إن مدار النظافه روحا و جسدا هو على الطهاره و النقاء و إنه مغبوط و سعيد حقا لذلك الشخص الذي له صديق مخلص ينفر مما لا يرضاه لصديقه و يحب له ما يريده لنفسه. ثم إن البيروني بالرغم من تقديره للصدافه و حسن العشره إلا أنه يحذر من كثره الأصدقاء و بلا- حدود و الذين يكثرون مع اتساع الحال و الغنى و ما أقلهم حين تشح ذات اليد مع أن في تكاثرهم الرقى إلى مراتب الرئاسه و الملك فيمن تعلق بهم الهمم و من يطلبون الخير للجميع لا- سيما لمن حولهم " تمنيا عند العجز و فعلا- لدى القدره " يوم تتول إليهم الرئاسه، و طبعي أن الجمال في الصوره و حسن الخلق محبوبان مرغوب فيهما " و لكن الصور عطايا في الأرحام لا سبيل إلى تغييرها لأحد من الأنام " إنما نراه النفس و الدماثه هي في الأخلاق و حسن السيره و مالك هواه هو القادر على نقلها من المذام و العار إلى المحامد و أعلى الرتب و ما هذا إلا بمقدار ما يعمل المرء على تهذيب نفسه بالحسن و صالح الأفعال و معالجه أسقامها بالطب الروحاني للتحلى بالفضائل و التقى و الابتعاد عن الغضب و الهموم. في هذا المجال أيضا يذكر البيروني بعض الأمور العمليه التي بها المرء يستطيع أن يحسن خلقه و إن عجز عن تبديل صورته وجهه مع الإشاره لما هو معروف و بديهي أن الاهتمام إنما هو في المرتبه الأولى بالبشره و التي هي أول ما يلقى من جسم الإنسان فينبغي إذا تنظيفها بالماء الطهور و ليس ذلك أديبا و حسب العرف و العاده فحسب و لكن دينيا أيضا (٤)، حتى أن السنانيير الأهليه هي أحسن مثال في

عالم الطيور فى طلبها و سعيها فى مراعاة نظافه جسمها و البيئه التى فيها تعيش على خير منهج.

ثم إن المؤلف يحدد بعض ما أوصى به رجال العرب و نساؤهم بناتهم من وجوب المحافظه على نظافه أجسادهن و بيوتهن طلبا فى الإبقاء على السعاده الزوجيه و اعتبارهم بان الماء وحده هو أصل الطيب و رأسه. (٥)

لذلك بعد الاغتسال بالماء الطهور يوصى المؤلف أولا التزين بالأصبغه و الألوان و التى بمعونه الضياء سرعان ما تلتف إليها الأنظار بواسطه حاسه البصر. فمثلا فان تبيض البشره و توريدها بالغمر ثم تسويك الأسنان و تنظيفها و تنقيه الاشجار و تكحيل العين و صبغ الشعر و تمشيته و قص ما يحتاج إلى القص و نتف بعضها و تقليم الأظفار و تسويتها كل ذلك لأجل تحسين مظهر الإنسان و تجميل منظره مع النظافه و الذوق السليم. يتبع ذلك ذكر الثياب الملاصقه و المحيطه بالبدن لا سيما الماسه للجلد و التى يجب تنظيفها ليبدو لونها الأبيض المحمود زاها مصقولا و لامعا للتخلص من الغبار و الدخان و ما يعلق بها من الشوائب أو ما يعكر صفو لونها. و من البداهه أن من ينظف ثيابه لا بد أنه.

ص: ٢٤٠

١- هو أبو بكر الخوارزمى (٣٢٥ - ٣٨٣ هـ / ٩٣٥ - ٩٩٣ م) و يبدو أن البيرونى لم ينجذب كثيرا لزيه الجواهر و رونقها و لم يحسبها صالحه للسكه و المقايضات إذ كان يرى جمالا أخرى فى جواهر الأخلاق و درر الحكمه التى انجذبت نفسه إليها.

٢- كان البيرونى قد لاحظ سوء استعمال العقاقير المخدره و التى تسبب اعتيادا يصعب التخلص منه إذ أن الكثيرين من الصوفيه و من عامه الشعب أخذوا بتعاطى الأفيون و الحشيش ليس لأجل المداواه و الشفاء فحسب بل كمخدرات.

٣- هى الحكمه القديمه فى قوله تعالى (أثمروا و أكثروا و املثوا الأرض و أخضعوها و تسلطوا على سمك البحر و على طير السماء و على كل حيوان يدب على الأرض) سفر التكوين ١: ٢٨ و أيضا ٩: ٢ و لكن البيرونى فجاء ينتقل للحديث عن أهميه نظافه الفم و البدن اجتماعيا و صحيا و يشرح كيف أن التعرق يزدحم قليلا قليلا لسد مسام الجلد لذا وجبت النظافه و الاستحمام مشبها بريح النفس الطيب بالمسك و العنبر.

٤- يقتبس المؤلف سوره المائده: ٥ (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) و فى الحديث الشريف: "النظافه من الايمان".

٥- يقتبس المؤلف هنا عده روايات نقل بعضا منها لطرافتها و أهميتها فى علمى الاجتماع و النفس كقول أم توصى ابنتها عند زواجها: "إياك و غيرهه فإنها مفتاح الطلاق و أنهاك من إكثار العتاب فإنه يورث البغضاء و عليك بالزينه و أزينها الكحل و بالطيب و أطيبه الماء". و قول أخرى "كونى لزوجك أمه يكن لك عبدا و عليك باللطف فإنه أبلغ من السحر و الماء فإنه رأس الطيب". و أخرى أيضا "كونى لزوجك فراشا يكن [لك] معاشا و كوني له وطاء يكن لك غطاء و إياك و الاكتئاب إذا كان فرحا و الفرح إذا كان مكتتبا و لا يطلعن منك على قبيح و لا يشمن منك إلا أطيّب الريح و لا تفشين له سرا لثلا تسقطين من عينيه و عليك بالماء و الدهن و الكحل فإنه أطيّب الطيب". و مع أننا لا نعرف شيئا يذكر عن حياه البيرونى الخاصه إلا أننا من هذا نميل للظن بأنه كان متزوجا فما ألهمته علومه و أبحاثه عن التأمل بما يجعل الحياه الزوجيه طيبه هنيئه.

يبدأ أولاً بتنظيف بدنه لئلا يندس وسخ البدن و درنه هذه الثياب البيضاء النقيه التي يتدثر بها، و من بعد ذلك لا بد له أن يهتم بنظافته البيت الذى يسكنه و المجلس الذى ياوى إليه ليحافظ على نظافته ثيابه و هندامه من الداخل و الخارج فيتم بذلك المراد. و طالما عبر الناس فى الماضى عن طهاره النفس و القلب معا و شبهوها بنقاء الثوب و بياض الإزار و الحبيب و غير هذه الأمثله و العبر التي تدلنا على الاهتمام بنقاوه الإنسان و بيئته و حفظه جسديا و روحيا و رفع مستواه أخلاقيا و اجتماعيا.(1)

ثم إن الجواهر تتلو الثياب رتبه من جهه الاهتمام حسب العاده فى أكثر البلدان فيتحلّى الذكور بالخواتم و التيجان " و ما رصع من الوشم (الوشح) و المناطق و القلائس و القفازات و القضبان و الأعمده لهم و لمن مثل بين أيديهم و للإناث ما لهن من المدارى و الأكاليل و الأسوره و الخلاخيل و الجبيرات و المعاضد و العقود و القلائد ". و هناك من هم فى طبقه المسرفين المبذرين و المترفين حتى إنهم يتعدون استعمال الحلى و المجوهرات بالامتداد و التطاول إلى تزيين ما هو خارج عن البدن نفسه إلى تزيين الحيطان و سقوف الدور و أبوابها و رواشنها قصد إظهار التفاخر و العظمه الإنسانيه مع أن هذا الاقتدار يكون غالبا " بالتمويه لا بالتحقيق " مع العلم أنه بلا شك يستحب للإنسان أن يعنى على الدوام بامر النظافه و الكياسه خارجا و داخلا.

ترويحه ١٠: يتابع المؤلف حديثه مشيدا هنا باهميه الرياحين فى التجميل و الصحه العامه و روعه البيئه و لربما ترينا فكره هذا الانسجام و الشغف بجمال الطبيعه بعض تعلق البيرونى بها كما قد تبين أيضا فى كتابه الصيدنه فى الطب، و مع أنه ليس لدينا أى برهان أو حتى حدس قطعى و لكن ربما كان هنا مجال للتكهن بان تسميه المؤلف بأبى الريحان كانت وليده هذا الاهتمام الذى لاحظه معاصروه فيه و شجعوه عليه فأعطوه هذا اللقب المميز لذلك نسمعه هنا يقول:

" إن من أظهر الأدله على كمال المروءه (و قد مر التعريف بها و الحديث عنها) تكميل النظافه بالأرائح الأرجه التي تتعدى إلى الغير فتلذه و ترغبه فى الاقتراب إليه و المناسمه (معه) و تخفى ما فى الإنسان من العوار و الوصمه ". و أن المروءه اجتناب المحرمات و الكف عن أذى الناس و من ثم فهى الاعتصام بأصول الدين الحنيف الذى يوجب العدل و المساواه و قمع الظلم و إعانه المظلوم و البائس و من ثم على خلاف من قيل فيه " إنه يمنع رفده و يأكل وحده و يضرب عبده و أن من حسن خلقه بتحسين خلقه و هيا مطعمه بالطيب من الحلال و أشرك فيه غيره بالتسويه " فهو العاقل و الجواد و صاحب الفضل كما أنه يكون قد حافظ على النظافه و الكياسه و قد زاد على ذلك باستعمال الطيب الممدوح العطر " فقد سر أكيهه و آنس جليسه و أكرم نديمه و كف أذاه " و بذلك فعل لغيره ما أراد أن يفعله له غيره.(2)

ترويحه ١١: هنا يصل البيرونى الذروه فى تقدير القيم الإنسانيه الرفيعه و طلب الخير و المساواه للجميع و دفاعه عن الخلافه الإسلاميه كما أنه يقترب رويدا رويدا، كما نطن إلى صلب الموضوع، فى بحثه عن الجواهر معنى و مبنى فى نطاق تاريخى و علمى و منطقى فيقول، " الناس كلهم بنو أب (واحد) و أشباه فى الصوره (لا سيما من ناحيه علمى التشريح و وظائف الأعضاء) و لا يخلون فيما بينهم عن التنافس و التحاسد الذى فى غرائزهم بتضاد أمشاجهم و أمزجتهم و طبائعهم (بالاضافه إلى) الاشتمال على ما تعين منذ عهد ابني آدم (هابيل و قابيل) المقدمين قربانين مقبولا من أحدهما مردودا على الآخر "، لأنه عصى صوت الله و ثار ضد أخيه و مع ذلك صرخ فاجرا ناكرا للجميل و عديم الود: " أحارس أنا لأخى " و لما لا حتى صار هذا البلاء الموثس منذ فجر تاريخ البشرىه و عم هذا الويل المرير. و إن مما يحد من طمع الإنسان و شره هو، " خوف آجل من الله أو عاجل من السلطان و ما لم يكن السلطان قويا نافذ الأمر صادق الوعد و الوعيد لم تتم له سياسه من تحت يده. فكل واحد منهم يرى أنه مثله و أنه

أحق بماله و مكانه و لهذا قصر الملك على قبيله لتتقبض أيدي سائر القبائل عنها ثم على شخص أفضل أشخاصها ثم على نسل له (يكون) ولي عهده فصار الحكم ملكا لهم".

نرى هنا تحليلا فلسفيا علميا لنزعات النفس البشرية إلى السلطه الحكم، كما يراها المؤلف، بدافع أنانيه قهاره مخيفه لذا يجب التحكم بها و ضبطها ثم تسييرها في أقيه خاصه مع وجوب الحزم و الارتباط العائلي و الحق الوراثي لذلك يقول المؤلف شارحا: " ثم أضيف إلى ذلك حال معجز بلغ في غايه القوه (و هو التأييد السماوي و الأمر الالهي) بالنص على نسب لا يتعدى عموده كما كانت عليه الفرس زمن الأكاسره و كما كان عليه الأمر في الإسلام من قصور الامامه على قريش و من وجبت له الموده لهم بالقربي و كما اعتقد أهل التبت في خاقانهم الأول بأنه "ابن الشمس الذي نزل من السماء" و أهل كابل أيام الجاهليه في برهمكين أول ملوكهم من الأتراك و أنه خلق في غار هناك يسمى بغره (و لعله بغرا خان أحد سلاطينهم) فخرج منه متقلسيا و أمثال ذلك من أساطير الأمم الصادره عن حكمه تجمع الناس طوعا على الطواعيه و تحسم الأطماع في نيل كل واحد رتبه الملك"، مبعثه عنصر تقليدي ديني حسب البلاد و جغرافيتها و التاريخ. (٣) ثم يشير البيروني إلى ظاهره اجتماعيه و سياسيه هامه موضحا فيها كيف أن الملوك يلجئون إلى بناء القصور و القلاع و تزيين مجالسهم و إظهار الأبهه و الأمجاد لاكساب مركزهم و تزويده بهالات من التعظيم و الإكبار في عيون الرعايا و الأتباع، فيضيف: " و كما يميز الملوك عن غيرهم بهذه الخصال كذلك تمموا التمييز بإعلاء الايوانات و توسيع القصور و ترحيب الرحب و الميادين و رفع المجالس على السرر، كل ذلك سموا إلى السماء و إشرافا على الخاص و العام من المأ و إليه "ذهب البحترى في قوله:

و ليس للبدر إلا ما حبيت به أن يستنير و أن تعلق منازل

و لم تكن للزيادة في قدره حيله فجعلوها بالتيجان و القلانس و استطالوا بالأيدى حتى وصفت ببلوغ الركب كما سمي أهل الهند أحد ملوكهم مهاباها أي طويل العضد و الفرس بهمن أردشير ريونردشت لأن ريونرد هو أصل نبات الرياس.

و ما لم يبلغ الماء في العمق لم ينبت و إن كان رأسه في ذرى الجبال"، و هذه.

ص: ٢٤١

١- من المواضيع الهامه في عصرنا هذا بالنسبه للصحه العامه هي تامين بيئه صالحه صحيا مع نظافه الجسم و الثياب للمحافظه على الصحه البدنيه و النفسيه.

٢- و برأى البيروني فان نظافه الهندام تعنى أيضا حسن الطويه الداعيه للطاعه و عز القناعه و الأخذ بالأصوب لخير الإنسان في الحياتين العاجله و الآجله و نرى في ذلك اهتمام علماء المسلمين بالطيوب و أدويه الزينه.

٣- في غايه الأهميه ما يذكره البيروني عن الحكم في الأفغانستان قبل انتشار الدين الإسلامي فيها و لعل العاصمه كانت آنذاك كابل (ربما هي كابل عاصمه البلاد الحاليه) معبرا عن الأسباب التقليديه و الدينيه في قيام نظم الحكم و استمرار الملكيه.

تصف بدقه المغالاه فى تزيين القصور و إظهار الأبئه و العجاه عند الملوك ذوى لأمجاد [الأمجاد] إلى حد فاق الحسان.(1)

و كعالم اجتماعى و اقتصادى و كمؤرخ عارف بالأحداث و الأزمان، يعود البيرونى مره أخرى ليوضح بثاقب بصره اهتمام الناس بالأحجار و الأعلاق النفيسه و أثرها فى كسب الوجاهه و تأييد السلطان مع العوامل السلوكيه و الاجتماعيه و أسبابها المنوه إليها فى هذا الباب فاسمعه مثلا موصيا و ناصحا:

"كل ذلك علامات لعلو الهمة و انبساط اليد بالقدره. ثم تترينوا بصنوف الزينه المثمنه لتحلوا فى القلوب و جلاله الأموال فى العيون فتتوجه إليهم الأطماع و تناط بهم الآمال"، و الأحلام مشيرا هنا إلى الدور الذى تلعبه الجواهر فى التأثير بآراء الناس و طرقهم المنهجيه. و إن الأمر لا يقف عند هذا الحد فى طلب الأمجاد و السلطان بل يتعداها إلى المخبرات الجاسوسيه و حيل السياسيه و أحابيلها إذ يضيف قائلا: "و احتالوا بحيل تفاضلت فى البدعه و الحسن و الغرابه للغوص على سرائر الخاص من البطانه و أفعال العام من الرعيه و مقابلتها بواجبها و فى إسراع ذلك على تنازح الديار بالفتوح المتناقله و البرد المرتبه و السفن المطيره و الحمامات الهاديه الطاويه للمسافات حامله للأوامر و الأمثله فى المدد اليسيره حتى خيفوا فى السر و العلن و اجتنبت خيانتهم فيها و توقف على ذلك من أخبار دهاه الملوك و جبايرتهم"، و فى هذا ذكر لاستخدام الحمام الزاجل من نقل البريد المستعجل آنذاك بين بلد و آخر و غيرها من وسائل التنقلات و الرحلات فى العالم الإسلامى قاطبه.

ترويحه ١٢: و مما سبق الإشاره إليه من تأكيد أهميه الغنى الماديه بالذهب أو الفضة و الجواهر و أثرها فى المجتمع يستنتج المؤلف مدى القوه الخفيه للمال فى تسيير سياسه الملوك و سلطان الرؤساء كما يرى الدور الهام الذى يلعبه فى تأييد الحكومات و تنفيذ ماربها مع تبرير مثل هذه التصرفات حيث يضيف:

"الملوك أحوج الناس إلى جمع الأموال لأنهم بها يملكون الأزمه و يسيرون بمكانها الأعنه". و قد أوضح السبب الذى من أجله مثلا- كان الخليفه أبو جعفر المنصور العباسى يجمع الأموال و يخزنها حتى وصمه الناس بالبخل و هو براء من ذلك لعدم إدراكهم لما كان يهدف من هذه النقود المخزونه و ما يعمل من أجلها و قد شرح أمره لحاجبه مره مفسرا كيف أنه بالمال يستطيع السلطان التحكم بمقدرات الناس لأنهم جميعا بحاجه إليه و يتشوقون لاقتنائه فمن معه المال معه السلطان و له اليد الطولى فى الحكم. ثم يقول المؤلف فى الأمير يمين الدوله محمود الغزنوى (٣٨٩ - ٤٢١هـ/٩٩٩ - ١٠٣٠ م) إنه ما كان "يفرغ من فريسه قصدها و ظفر بها إلا و يجيل بصره بعدها لأخرى يزحف إليها و يحوزها"، حتى لا يكون مجال للتوقف أو التغيير ثم إنه إذ كان قد وكل أمره للمنجمين سنه و هو عائد منصرفا من مدينه خوارزم حيث أخبروه بامتداد حكمه لما ينيف على عشره سنين أنه عندها أجاب: "إن قلاعى مشحونه من الأموال بما لو قسم على أيام تلك الأعوام لحاجتها بما لا يعجزه إنفاق مرتب أو مسرف فيه".

و عند سماع ذلك حملت البيرونى المشوه، و كانت لا- تزال بينهما بعض جفوه لقسوه السلطان و تفاخره و شده بطشه، على الاجابه قائلا: "اشكر ربك و أساله و استحفظه رأس المال و هو الدوله و الإقبال فما اجتمعت تلك الذخائر إلا بهما و لن تقاوم بأسرها خرج يوم واحد غير منتظم بزوالها"، فأمسك الأمير لأنه رأى فى نصيحه البيرونى بالاهتمام فى رعيته و الإنفاق على مصالحهم و توفير السعاده لهم و المساواه بينهم لما فيه بقاء الملك يكون ذلك أبقى مآثره و أخلد ثروه.(2) و تستمر علاقته البيرونى بامراء غزنه بعد وفاه محمود فيخدم أيضا الأمير مسعود (٤٢١ - ٤٣٣هـ/١٠٣٠ - ١٠٤١ م) ابنه الأكبر و يغدق عليه النصح

فلم يعتبر حتى مات شهيدا و تبذرت أمواله الدثره، المكتسبه منها و الموروثة عن أبيه في يوم واحدا [واحد]. (٣) و قد تلاشت كما يتلاشى الدخان في مهب الريح و ذهبت هباء منثورا، " و لم يكشف عن غادر به مقرا و لم يظهر في كسير جبرا "، لأن قاتله لم يعرف و كان نصيبه الهلاك و بئس المصير لكثرة غروره و إثمه.

ترويحه ١٣: يعطينا البيروني في هذه الترويحه خلاصه فلسفته في الاقتصاد و الحياه الاجتماعيه و يركز حديثه مره أخرى على طبقه الصعاليكه و طبقه الحكام و هما في طرفي النقيض و القاسم المشترك بينهما اجتماعهما على جمع المال المستخلص من باطن الأرض بسبب أحوالهم الخاصه و حاجاتهم الملحه إليه فيقول، "الدفائن الباقية تحت الثرى ضائعه في بطن الأرض و هي تكون في الأغلب الطبقتين من الناس شديدي التباين متباعدتين في الطرفين الأقصين و هما أهل السلطنه و أهل المسكنه نصفهما على النحو التالي:

أولا- المساكين أو الصعاليكه، " فإنهم تعودوا الاستماحه (و التسول) و اعتمدوها في تحصيل القوت علما منهم بأنها هي رأس المال لا- ينقص (منه شيء) و خاصه مع الالحاف في السؤال و الإلحاح في الطلب (فالشحاذ لا يضع رأس مال غير الشحذه و الاستعطاء و كلام التوسل لاستجداء المحسنين فمهما حصل في يومه فهو مربحه لذلك اليوم). فإذا استغنوا بها عن شراء مطعم أو مشرب (لأنهم يحصلون على هذه في الغالب بطريقه الاستجداء أيضا) أخذوا في جمع الفلوس و الحبات و القراريط ذودا إلى ذود يصرفون الفلوس بالدرهم و الدرهم بالدنانير و ليس لهم أمين غير الأرض لأنها تؤدي ما تستودع و بامانتها، جرى المثل فقيل آمن من الأرض (فهذا كان بنك الاستيداع لهم آنذاك). ثم يموت أكثرهم إما فجاه من خشونه التدبير و إفراط التقدير (و السكته القلبيه) و إما من سوء حال لا ييأس فيه مع الحرص من الإقبال و الابلال و لا تسمح نفسه فيما شقى في جمعه أن يكون لغيره حتى يتفوه بالإيصاء به فيبقى مدفونا (في الأعماق) قل أو كثر " و بذلك مع الأسف عاشوا آنذاك أخساء و ماتوا غير ما سوف عليهم و لا على مالهم الرخيص..

ص: ٢٤٢

١- في سخرية لاذعه يقارن البيروني بين نفع الماء للأرض و النبت و نفع الجواهر للزينة و في معاملات الناس التجاريه فمهما علا مصدر الماء لا بد أن يصل الأرض الواطئه ليسقى البذور و ينبت النبات و هكذا يوضح المؤلف أهميه الإصلاح الاجتماعى حتى تحظى طبقات الشعب الكادحه بقسطها من ثراء الدوله لتأمين رفاه العيش و هي نظره إصلاحيه إنسانيه تدل على مشاعر المؤلف تجاه طبقات الشعب الفقيره و وجوب الاهتمام برخائها أكثر من الاهتمام بالزينة و الأببه الملكيه الخارجيه، و التيجان المرصعه بالجواهر، انظر الوصف في كتاب الخطط لتقى الدين أحمد المقريزى، طبعه بولاق، القايره، ١٢٧٠ هـ، ج ١: ٤١٣-٤١٦: و الذخائر و التحف، للقاضى الرشيد بن الزبير، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، وزاره الاعلام، ١٩٥٩ م، و جرجى زيدان تاريخ التمدن الإسلامى، ج ٥، القايره، بدون تاريخ، ص ١٢٨-١٣٤.

٢- يمين الدوله محمود الغزنوى (٣٨٨ - ٤٢١ هـ / ٩٩٨ - ١٠٣٠ م) غزا الهند و أسقط الدوله السامانيه و خطب للخليفه القادر، و لما استولى على مدينه خوارزم قبض على البيروني و أستاذه عبد الصمد فقتل الآخر و استبقى البيروني لمعرفة بعلم النجوم.

٣- لقد هزم السلاجقه مسعوا [مسعودا] سنه ٤٣١ هـ هزيمه منكره و بعد أن أفلت من الأسر ثار مواليه عليه و نهبوا خزائنه و ناصروا أخاه محمدا الذى قتل أنصاره مسعودا في حرب أهليه سنه ٤٣٢ هـ.

ثانيا: "فان الملوك فلكثره نوابئهم يعدون الذخائر للعدد و يحصنون (و يكتزون) الأموال فى القلاع و المعازل و أن يكون حمل ذلك إليها مستورا لتوسط النقله و الحفظه بينهم و بينها فيحتاجون معها إلى خبايا (مخابئ و مستودعات) لا يطلع عليها غيرهم فمنهم من لا- يراقب الله تعالى فى الإتيان على ناقلها إلى المدافن (فيتخلص منهم)، و منهم من يحتاط فى ذلك و يحتال بإبداع الفعله (ضمن) صناديق فارغه و يتولى سوق البغال معهم إلى الموضع فإذا أخرج القوم بالليل من تلك الصناديق لم يعرفوا أثرهم من العالم و إذا فرغوا من الدفن أعيدوا إليها و ردوا فحصل المرام و بعد عنه الآثام و لهذا شريطه هى أن لا تحمل منهم نفرا مرتين (و قد أهملها بعضهم و أحتاط لها بعضهم الآخر) إذ قد جعل (أحدهم) فى أسفل الصندوق ثقبه و أعد مع نفسه كيسا من أرز أخذ ينثرها قليلا قليلا و اقتفاها بالغد ففازوا بالمدخور و لم يقف صاحبه على الحال إلا بعد عشرين سنه لما احتاج إليها و لم يجد فى المدافن غير حساب بهلول.(1)

ثم أخذ بعدها يتابع المؤلف تحليله لمثل هذه الحالات و الأحداث السياسيه و الاجتماعيه و التى معها طالما تتعرض مثل هذه المدخرات للدفن فى باطن الأرض مره أخرى كما كانت فى طى النسيان فلا تكتشف إلا اتفاقا أو نتيجته طوفانات و سيول عارمه تكشف عنها و تدل عليها. فكم من غنى مدخر للأموال توفى تاركا من بعده كنوزه دون أن يعرف بوجودها أو مكانها أحد غيره فتفقد، أو ملكك يخزنها لحين الحاجه فيهرب أمام عدو مهاجم و يتركها خلفه مدفونه فى الأرض و ليس من يجمع أو يحصى عليه ما أودع.(2)

ترويحه ١٤: و يستمر البيرونى فى توضيح نظريته فى الأمه و سياسه الاقتصاد بين الناس فى المعاملات و استحسان استعمال النقود الورقيه أو المعدنيه و من بينها الجواهر فيقول: "لما احتاج الملوك فى حركاتهم و انتقالا-تهم الاختياريه و الاضطراريه إلى أصحاب أموال تصحبهم من أجلها خدمهم و يتزاح بهم العلل فى إخراجاتهم و عوارضهم و كان الورق أخف محملا من المثلثن به فى المصالح (كالفلوس و الدراهم و الدنانير مثلا) نظروا إلى الفاضل عليه فى ذلك فوجدوه العين (خيار الشىء و نفيسه و ما ضرب نقدا من الدنانير) فان المثلثن من المطالب (الأخرى) يكون عشره أضعاف ما يحصل بالورق على الأصل القديم المعين فى الديات و الزكوات و إن تغير بعد ذلك لعزازه الوجود و نزارته فى بعض الأحيان دون بعض أو لفساد النقود (و صدئها) و إما فى أصل الجبله فى كل عالم". ثم إن البيرونى يعمل مقارنه بين ما سبق ذكره من أهميه العمله الورقيه و بين الجواهر و الأعلاق النفيسه و ما لها من القيم و إمكانيه وجودها و محتوياتها و أفضليه استعمالها بالنسبه لأوزانها و أثمانها. بعد ذلك يأخذ بيد القار بصوره غير مباشره إلى صلب موضوع بحثه فى أصل الجواهر الكريمه و نفعها و علو قدرها ماديا و معنويا و النواحي النفسيه و الاجتماعيه التى أدت إلى انتشارها و أهميه تداولها و سهولته و خفته ثم يصرح قائلا: "فان الذهب أعز وجودا من الفضة و الفضة أقل وجودا من النحاس و يناسبها صغر الحجم و عظمه و رجحان الوزن و نقصانه". و هو يذكر أحد المناجم الذى يعطى من بين معادنه، "هذه الأجناس الثلاثه بتفاضل مقارب لهذه النسبه و ذلك أن عطيه الوقر فيه من الذهب عشره دراهم و من الفضة وزن خمسون (إلى خمسه أضعاف) و من النحاس خمسه عشر منا (أكثر من مائه ضعف) فلهذا آثروا العين على الورق فى الاصطحاب مما خف عليهم حملة و حين لم يأمنوا الواقعات النائبه سجالا و قد عرف أن النجاء فيها بالقله و الخفه مالوا إلى الجواهر إذ كان حجمها عند حجم الذهب أقل قدرا من حجم الذهب عند الفضة و حجم الفضة عند ما يشتري بها من المصالح فاصطحبوها معهم و قرنوها بأنفسهم"، و إن هذه الجواهر نفسها التى يعتر و يتباهى باقتنائها الملوك و العظماء تكون وبالا عليهم إن شاءوا التنكر و الاختفاء عن عيون المراقبين و فى يد العامه تصبح سببا فى اتهامهم بسرقتها أو بالشك فى أمانتهم إذ ليس من المنتظر

أن أمثالهم يملكون مثل هذه الجواهر النفيسة الثمن فيصرح قائلاً: " و لكنها عند إلقاء تلك الحوادث إلى التنكر ربما صارت ساعيه (فتكتشف بسرعه) داله عليهم كما نم بفتيه الكهف عتق السكه في الورق حتى اتجهت عليهم التهمه بوجود ذخيرته عتيقه "، ثم يضيف المؤلف قائلاً: " إن الجواهر خاصه من آلات الملوك (و هذا مدار حديثه) فإذا كانت عند غيرهم ممن لا يليق بحاله تلونت الظنون فيه بأنها إما مسروقه (و هذا منطق اجتماعي و قانوني متبع حتى في عصرنا هذا) و السارق (حينئذ) مطلوب، و إما ممتلكه حقاً لمتنكر من الكبار و مثله مرصود "، و في كليهما خساره.

ثم يعبر البيروني عن التطورات الاجتماعيه و الأخلاقيه و العمرانيه المترتبه على جمع الكنوز الأرضيه كالجواهر فيقول: " و قد كان فضلاء الملوك يجمعون الأموال في بيوتها و في المساجد و يجلبونها من أجمل و جوهها ثم يكتزونها بالتفرقه في أيدي حماه الحريم ثم المدافعين مضار العدو عن الحوذة إذ كانت أول فكرتهم آخر عملهم و هم كالخلفاء الراشدين و من يشبه بهم مقتديا مثل الخليفه عمر بن عبد العزيز و الكثير من المروانيه و القليل من العباسيه إذ كانوا يرون ما قلدهه عبثاً ثقيلاً- قد حملوه و يحتسبونه محنه ابتلوا بها فكانوا يجتهدون في نقص إصرها و يتخرجون عن التردى في وزرها "، فهؤلاء الخلفاء الصالحون إذا لمسوا أهميه المسئوليه الواقعه على عواتقهم تجاه رعاياهم لم يستبدلوها بطلب القوه في المال و الجواهر و الممتلكات بل بإجراء العدل و المساواه و الحفاظ على مصالح الشعب و رفايته بالرفق و حسم الظلم و عون البائس.

و يروي هنا المؤلف خبراً تاريخياً مفاده أن قاطني إحدى النواحي في بلاد المغرب كانت الاماره تدور فيما بين أعيانها و شاتهم على نوب يقوم بها من يأتيه دوره لمدته ثلاثه أشهر ثم ينزل عنها بنفسه عند انقضاء أمدها فيقدم الهبات و الصدقات شكراً على عمل قام به و انتهى حتى تتاح له فرصه العوده إلى أهله مسروراً كأنما قد حل من عقاب حتى ينصرف لشؤنه و يزاول أعماله الخاصه بينما يأخذ وظيفته آخر لثلاثه أشهر و هكذا.

و في هذا نرى صورته رائعه لتطبيق مبدأ العدل في الحكم مع النزاهه و التضحيه في خدمه البلد و التفاني في المبادئ الإنسانيه و الديمقراطيه الحقيقيه فأين هذا في عصرنا حيث نجد التكالب على الكراسي و الحرص على حفظ الألقاب و المراكز. و يفسر المؤلف هذا التصرف على الوجه التالي: " و ذلك لأن حقيقه الاماره و الرئاسه هي هجر الراحه لراحه المسوسين في إنصاف مظلومهم من ظالمهم و إعتاب البدن في الذود عنهم و حمايتهم في أهليهم و أموالهم و دمائهم.

ص: ٢٤٣

١- البهلول " السيد الجامع لكل خير أو الضحاك " و لكن صار مثلاً لما لا نفع مما جمعه من الخيرات.

٢- يروي لنا البيروني قصص بعض من دفنوا كنوزهم في الأرض ففقدت.

و إنصاب النفس فى إنشاء التدابير "، لأنه بذلك يوقف نفسه على خدمة البلد و الدفاع عن حياضه و تأمين مصالح أفراد الرعيه بكل ما أوتى من قوه و حكمه التدبير و حب العدالة و كرم الأخلاق و رفع الضيم و صيانه الكرامه فى الأمه. (1)

ترويه 15: هذه آخر التراويح التى تخطها يد المؤلف فى هذه المقدمه لكتابه الجماهر فى معرفه الجواهر، و هنا نجد مره أخرى معالجه جذريه لقضايا اقتصاديه و اجتماعيه خاصه بالمعادن المتداوله كالعمله فى أيدي الناس و وجوب وقايتها من الغش و حكم الشرع فى ذلك فيقول: "إنما حرم شرب الماء فى أوانى الذهب و الفضة لما تقدم ذكره من انقطاع النفع العام بها و اتجاه قول الشيطان عليه (سوره النساء: ١١٩) وَ لَمَّا مَرَّتْهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ) و لنكته ربما قصدت فيه و هى أن هذه الأوانى لا تكون إلا للملوك دون السوقه و للأنام بين الأيام من الضيق و السعه دول تدول و أحوال تحول و تجول فإذا صرف ما حقه أن يبيث فى الأوعوان إلى تلك الأوانى اتكالا على كثره القنيه أيام الرخاء (من دون أن يهتم بالإنفاق على أتباعه) ثم دار الزمان و أتى بعده (فافتقر)، أحوج إلى سكبها و طبعها دراهم و دنانير ففترت النيات بظهور الضيقه و طمع الأعداء بانتشار خبر الضعف و الإفلاس بين الناس، فهم عبيد الطمع و مانعو الحقوق إذا أمكن، و هو المعنى المظنون به أنه محشو تحت التحريم فلن يخلو السرح من مصلحه عامه أو خاصه دنياويه أو آخرايه". هذه دروس و مواظب من الماضى البعيد يدرجها المؤلف مع إيضاح و ثاقب بصيره لينقل لقارئه موعظه فى معنى القناعه و الفطنه و ينصح القارئ من مغبه الشر و الانحراف و السير فى طريق السلامه "من الغاشين و الدعار" مما يؤدى إلى الخيبه و الدمار.

و ينهى البيرونى مقدمته فى فصل أخير يعبر فيه عن محاولته لبحث "الجواهر و الأعلاق النفيسه المذخوره فى الخزائن" عند الملوك و النبلاء و يبدي رغبته فى دراسه كل جوهر أو معدن فى فصل مستقل به متسلسلا من مقاله إلى أخرى ذاكرة أصل الجواهر أو المعدن و منبته فى الأرض و أشكاله و ألوانه و أحواله و كثافته النوعيه و أوصافه الظاهره و الخفيه و أثمانه المعروفه أو المنسوبه و إقبال الورى فى طلبها للزينه و لقيمتها الماديه أيضا.

هذه هى مساقات و مواد الكتاب فى مقالتي: مقاله الأولى فى الجواهر:

الياقوت مع أشباهه من الجواهر كاللعل البدخشى و البيجاذى، و الألماس، و السنباذج و اللؤلؤ، و المرجان، و الزمرد و أشباهه، و الفيروزج، و العقيق، و الجزع، و البلور، و البسد و الجمشت، و اللازورد، و الدهنج، و اليشم، و السبج، و البادزهر و حجر التيس (الترياق الفارسى أو البادزهر) و المومياء، و خرز الحيات، و الختق، و الكهرباء، و المغناطيس، و حجر الخماهن و الكرك، و الشاذنج، و الزجاج، و المينا و القصاع الصينيه، و الأذرك. و مقاله الثانيه فى الفلزات: الزئبق، و الذهب و الفضة و النحاس و الحديد، و الأسرب، و الخارصينى و أشباهه، و الطاليقون. فهذا التقسيم يعطينا فكره عن كيفيه نظر البيرونى إلى هذه المواد الطبيعيه و تمييز الجواهر و الأحجار منها بالوانها و صفاتها الطبيعيه عن المعادن المستخرجه من المناجم بما فى ذلك أنواع الأتربه و الطباشير و سواها. (2)

استنتاجات ختاميه:

بعد مراجعه قول البيرونى فى مقدمه كتاب الجماهر يميل كاتب هذه المقاله إلى ترجيح الاستنتاجات و الاقتراحات و التعليقات الآتيه:

١ - كانت لدى البيروني، بشاقب نظره و عمق اختباره و سعه اطلاعه، نظرات و آراء فى الدين و الاجتماع و الاقتصاد و العمران وجد فى هذه المقدمه لها مخرجا لتسجيلها و معالجتها و شرحها فجاءت سهله المأخذ ضمن فكره تأملاته الهادئه العميقه.

٢ - كانت فى نفس البيروني ثوره جديده واعيه ضد الانحراف الاجتماعى و المظالم و الانخداع بمظاهر الأبهى و التسلط الزائف فأراد محاربتها و كشف خداعها بأسلوبه الواقعى المقنع اللطيف دون إثارة النعرات و الضوضاء حوله.

٣ - كان مدار حديثه من بعيد و حتى من قريب، أن يقود القارئ إلى تركيز نظره و فكره فى القيمه الحقيقيه و التقليديه للجواهر و الأعلاق النفيسه و كان البيروني نفسه يود أن يعث الطمأنينه و الثقه إلى نفس القارئ و الإتيان بالقيمه الحقيقيه لهذه المنتجات الطبيعيه و أنه يعطيها حقا من الاهتمام بلا- زياده و لا- نقصان لثلاثى المرء بالوانها الزاهيه البراقه و ما يتبع ذلك من تهالك الناس على اقتناء الذهب و المجوهرات فيهمل أهميه ما يمكن تحقيقه بواسطتها فى الصناعه و الحيل و المعاملات التجاريه بين الناس من خدمه جلى لسهوله تداولها و جمال تكوينها و بديع صنعها سواء أ كانت فى باطن الأرض أم بعد اكتشافها و استعمالاتها المتباينه.

٤ - يقدم المؤلف أيضا آراء أصيله فى غايه الأهميه بما يختص بتاريخ الاقتصاد و السياسه و المجتمع الإنسانى مشيرا إلى ما للناحيه الدينيه من الأثر البعيد فى إشاده بناء صرح متين من الخلق الحسن و الفضائل بالتمسك باهداب الدين الحنيف بإخلاص و إيمان قويم صادق بعيد عن المظاهر الزائفه و الرياء الكاذب الذى أصبح كسوس ينخر فى جسم الأمه كلها حتى صار التدين ثوبا خارجيا ليس إلا.

٥ - بأسلوب رائع منهجى صحيح و واقعى يعطى البيروني رصيذا و افرا فى الاصطلاحات اللغويه القيمه فى العلوم و الحيل و الفنون و الآداب مؤكدا بذلك مره أخرى غنى لغه القرآن الكريم و مقدرتها على استيعاب العلوم و المعارف كلها فى عصره و مسيره التقدم فيها فأجاد بذلك أيما إجاده مما يجعل هذه المقدمه آيه فى الإبداع و الاعجاز و فريده أدبيا و علميا من نوعها فى الحضاره الإنسانيه.

٦ - كان المؤلف نفسه من ناحيه عالما بانتشار طرق الغش و الخداع من قبل عدد كبير من جواهرى (جواهرجى) عصره و مهارتهم فى أساليبهم الكاذبه،ه.

ص: ٢٤٤

١- يعطينا البيروني هنا آراء جديده فى صلاح الحكم العادل و الشورى مع أنها تحمل معانى مثاليه غير متوفره فى العالم السياسى على حقيقته، و لا شك أن المبادئ الدينيه كان لها الأثر الكبير فى ذلك الاتجاه عند المؤلف.

٢- قسم البيروني كتابه فى الجواهر إلى مقدمه عرفناها مع تعليقات و شرح باختصار ثم مقاليتين فصل فيهما بين الجواهر ذات الألوان البراقه و الصفات الطبيعيه الجذابه كالياقوت و اللؤلؤ و بين المعادن ذات الوزن النوعى و الصفات الخاصه بها و منها الصلب كالنحاس و الفضة و منها اللين الرجراج كالزئبق و الهش كالتاليقون مما له أهميه فى تاريخ علمى الكيمياء غير العضويه و الطبيعيه.

و من ناحيه أخرى بحقيقه ندره ما كتب حول موضوع الجواهر و الفلزات لا سيما من يعين على تعريف أصلها و منابعها و معرفه الجيد منها و الردىء و أوزانها النوعيه و ألوانها و صفاتها الطبيعيه و الكيمياءيه فأراد بتأليف هذا الكتاب أن يملأ فراغا في هذا الموضوع الهام فآثرى بذلك الخزانة العربيه الإسلاميه التراثيه بسفر نفيس في بابيه و نسيج وحده في فصوله و أبوابه فحق له تخليد الذكر.

٧- و أخيرا يؤكد المؤلف في حراره الفردى و مناقشته و مناظراته الشخصيه بان مشكله الإنسان الحقيقه ليست هي في أساسها اقتصاديه أو سياسيه فحسب إنما هي معضله روحيه أخلاقيه و أن المال و الثراء و الجواهر التي يعتبرها الأغلبه الساحقه بأنها هي زينته الحياه الدنيا إنما هي في الواقع ليست كذلك و لا هي شرطا لتكون عوننا في رغد الحياه الأخرى و أن هذا الإغراء و التكالب إن هو إلا- مظاهر خلابه تبهر العيون لطلب القوه و السؤدد و الغنى الفانى و لكن الغنى الحقيقى الباقي هو غنى النفس بالفضائل الإنسانيه و مكارم الأخلاق و القناعه مع التواضع في العيش و العمل للغير ما يريد المرء لنفسه و بذلك السعاده المنشوده.

الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هذا الشيخ كان فقيها أصوليا جليلا له مقام بين علماء البحرين و لم أجد من تأليفه إلا رساله في كشف الآيات قال قدس سره في عنوانها الحمد لله الذى من علينا بكشف ديجور الضلال بنور الحق من آيات الكتاب و عرفنا كيفيه استنباطها برموز تستحسن و تستطاب إلى أن قال أما بعد فيقول العبد الخاطئ الجانى محمد بن أحمد بن حسن الدمستاني البحرانى أنه غير خفى على ذوى الافهام و التميز كثره احتياج الناس إلى معرفه تفسير كل آيه من كتاب الله العزيز و أن الكثير منهم لا يكادون يحيطون بحفظ كل الآيات و أنى لهم ذلك هيهات هيهات لذلك غاص نفر من العلماء الأخيار ذلك البحر الخضم الزخار إلى أن قال و سميته بالجواهر العاليات في كشف الآيات و قال في آخر رساله و كان إتمامه عند زوال الشمس يوم الأحد الثالث من شهر رمضان المبارك سنه ١٢٠٢ الثانيه و المائتين بعد الألف، و مات قدس سره سنه ١٢٠٩.

الشيخ محمد بن حسين السبعى البحرانى:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

ذكره العلامة الشيخ ياسين البحرانى في كشكوله فعظمه و اثنى عليه و نظمه في سلك العلماء و أما الشيخ سليمان الماحورى [الماحوزى] فذكره في رسالته المعموله في وجوب الجمعه و نظمه في سلك الشعراء و بالجمله كان قدس سره فاضلا مدققا له كتاب في وجوب الجمعه تخيرا بل استحبابا و رساله في شرح الأحاديث النبويه و له ديوان كبير مشتمل على خطب و أشعار منه قدس سره و توفى سنه ١٠١١ من الهجره.

الشيخ محمد بن حسين السبعى البحرانى.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو أفضل شعراء المولدين جمع مع الشعر بعض العلوم الادبيه له رساله فى غرائب اللغات و رساله فى العروض و له كتاب فى المسائل المتفرقه و هذه رساله تدل على طول باعه و كثره اطلاعه و كتاب فى القصائد و من قصائده البديعه:

اهاجك فى جنح من الليل فاحمحمام بكى فوق الغصون النواعم

تذكر ألفا نازحا فبكى لهو اسهر جفنى و هو ليس بنائم

بكى شجوه فوق الغصون و إنما بكيت لشجوى لا لشجو الحمائم

إلى أن قال:

وسما بنى طه نظام فريده يدين لها فى سبكها كل ناظم

و لا عيب فيها غير انى لم أجد لها من ذوى الافهام اصفاء فاهم

و لو شاهد الفحل الفرزدق نظمها لعاف الذى قد قال فى مدح دارم

إلى أن قال:

يحاكى بها السبعى ما قال جده سليم الحشا من لذعه غير سالم

و صلى إله العرش ما لاح بارق عليكم و ما سحت عيون الغمائم

الشيخ محمد بن الشيخ حسين الشويكى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو الامام الفاضل و التحرير الكامل اشتغل بالفنون و أقبل على الفقه و صار فريد زمانه فى استحضرار النصوص و سمع من شيوخ عصره و دخل المصر، و مات فيه سنه ١١١١ و لم أجد من تصانيفه الا رساله فى مناسك الحج و هو من شيوخ الإجازة كما يعلم من إجازة شيخنا العلامة صاحب الإحياء و ذكره الشيخ أحمد فائضى عليه.

الشيخ محمد بن عبد الله أبو عزيز الخطى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من أكابر المشايخ و له تأليفات فائقه منها كتاب النوادر و منها كتاب الفوائد و منها كتاب فى مقتل إمامنا أبى محمد الحسن بن على العسكرى (ع) و منها رساله فى علم العروض و له ديوان معروف، مات سنه ١١٨٦.

السيد محمد تقى السبزواري الباشتىنى القشتنى.

توفى سنه ١٣١٢ فى شاهرود و دفن فيها و له مزار معروف، و ذلك عند رجوعه من زياره العتبات المقدسه فى العراق. (السبزواری): نسبه إلى مدینه سبزواری و (الباشتینی) نسبه إلى قریه باشتین من قرى سبزواری، و هی المشهوره سابقا باسم: السربداریه. و (الفشتنقی) نسبه إلى فشتنق من قرى سبزواری.

كان من تلاميذ الشيخ الأنصارى مده طويله كتب فيها أربع مجلدات من تقارير بحثه فقها و أصولا ففى الأصول مجلد تام فى مباحث الألفاظ و الاجتهاد و التقليد و بعض حجیه الظن و الاستصحاب و فى الفقه ثلاث مجلدات أولها الصلاه إلى آخر السجود و صلاه الجماعه و الصوم إلى كفاراته و ثانيها خلل الصلاه و صلاه المسافر و الوقف و الاجاره و الرهن و ثالثها أحياء الموات و التجاره كلها عند ولده الميرزا حسين كوجك السبزواری. و أكبر أولاده: السيد محمد على كان - كما يعبر عنه الشيخ آغا بزرگ:

من الأجلاء و أعلام الفضل شارك فى المعقول و المنقول، برع فى الفقه و الأصول و الطب و الرياضيات و الحكمه و غيرها، و كان على جانب كبير من التقوى و الزهد و الاحتياط و الصلاح، و بلغ من ورعه أنه اتخذ بيع الكتب مهنة يعتاش بها للاستغناء عن الحقوق الشرعيه. و ألف فى الفقه كتابا جمع فيه

ص: ٢٤٥

الفروع التي استنبطها خلال المذاكرات في كتاب (الوسائل) وقد احترق مع غيره من كتب ولده [والده] السيد محمد تقى في ناصريه الأهواز.

ولد السيد محمد على سنة ١٢٩٠ و جاء مع والده في صغره إلى سبزوار و في سنة ١٣١٠ سافر إلى العراق و تلمذ على شيخ الشريعة الاصفهاني و الشيخ محمد كاظم الخراساني و في سنة ١٣١٩ عاد إلى سبزوار و ظل فيها حتى سنة ١٣٢٥ حيث عاد إلى العراق و اقام في الكاظميه و فيها توفي سنة ١٣٣٨ و خلف ثلاثة أولاد صلحاء أتقياء: أكبرهم السيد محمد تقى ولد في النجف سنة ١٣١٥ و توفي سنة ١٣٨٣ في طهران و هو عائد من زياره الرضا (ع) و نقل جثمانه بالطائره إلى العراق حيث دفن في الكاظميه.(١)

و الثاني السيد هاشم ولد في سبزوار سنة ١٣٢١ و له كتاب منتخب من تاريخ بغداد اسمه (انتخاب الأمجاد من تاريخ بغداد) توفي حدود سنة ١٣٩٦ بالكاظميه. و الثالث منهم السيد محمد سعيد من أهل الفضل ولد في الكاظميه سنة ١٣٣٣ و تلمذ في النجف على الشيخ باقر الزنجاني و السيد أبي القاسم الخوئي ثم سكن طهران سنة ١٣٦٥ و فيها توفي سنة ١٣٩٢ و دفن في قم.

و الثاني من أولاد السيد محمد تقى هو السيد محمد حسين ولد سنة ١٢٩٦ في سبزوار. ثم هاجر مع أخيه الأكبر إلى النجف و فيها تلمذ على الشيخ علي المازندراني و شيخ الشريعة الاصفهاني و الشيخ كاظم الخراساني و في سنة ١٣٤٤ رجع إلى سبزوار فكان من أئمه الجماعة و مرجعا للترافع إلى أن توفي سنة ١٣٦٨ في سبزوار و دفن فيها في مكان معروف باسم يحيى ابن الامام الكاظم (ع).

و هو معروف في سبزوار بالصغير لان له سميا عرف بالكبير، كان من تلاميذ الميرزا الشيرازي و الشيخ هادي السبزواري.

و الثالث من أولاد السيد محمد تقى هو السيد محمد كاظم و يعرف بالسيد الميرزا محمد ولد سنة ١٣٠٨ و كان من علماء سبزوار و أئمه الجماعة فيها و مشرفا على المدرسه الفخرية فيها، المنسوبه إلى فخر الدوله الديلمي و هي من أقدم مدارس سبزوار. و يبدو أنه كان تلميذا لأخيه السيد حسين. توفي في سبزوار سنة ١٣٥٢.

أبو علي، محمد بن الحسن بن علي القتال النيسابوري الفارسي.

متكلم جليل القدر، فقيه ثقة ثقته، عالم زاهد، حافظ ورع، له روضه الواعظين، و التنوير في معاني التفسير.

روى عن أبيه الشيخ حسن، و الشيخ الطوسي، و الشيخ عبد الجبار بن عبد [الله المقرئ]، و السيد المرتضى. و روى عنه الحافظ بن شهر آشوب، و علي بن الحسن النيسابوري.

استشهد على يد أبي المحاسن عبد الرزاق وزير سنجر و الملقب بشهاب الإسلام، سنة ٥٠٨هـ، و مرقده بنيسابور يتبرك به.

محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، أبو جعفر الأعرج.

مولي عيسى بن موسى الأشعري، يعد من أصحاب الامام العسكري، و من وجوه الأصحاب، عظيم الشأن كبير المنزله، وثقه كل

من ترجم له، له أكثر من ٣٠ كتاباً، منها: مسائله للإمام العسكري، الزهد، المناقب، المثالب، بصائر الدرجات، روى عن أكثر من مائه وخمسين شيخاً، وعنه روى جمع كثير منهم ابن بابويه، والأشعري وابن الوليد والكليني وغيرهم مات سنة ٢٩٠.

الشريف الرضى محمد بن الحسين.

إشارة

مرت ترجمته فى الصفحه ٢١٦ من المجلد التاسع و نشر عنه هنا دراسه بعنوان: (الاغتراب فى حياه الشريف الرضى و شعره) بقلم: عزيز السيد جاسم:

الشعر و الاغتراب

إن فهم ثنائيه الاغتراب فى شعر الشريف الرضى يرتبط - بالضروره - بالتشخيص القرآنى للشعر و الشعراء، و الذى كان فى جوهره حسماً إسلامياً واضحاً لحقيقه الشعر بوجه الجاهليه و الوثنيات الشائعه منذ عصور ما قبل الإسلام.

و قد كانت الاتجاهات الجاهليه ثقيله الوطأه فى التصدى للدعوه المحمديه العظيمة، و كان فى مقدمه الافتراءات الجاهليه إنكار النبوه و الرساله المحمديه، و الادعاء أن الآى الكريم شعر أو نوع من الشعر، و أن النبى الكريم شاعر.

و حيث أن المحيط العربى كان محيط شعر و شعراء فان مجرد القول بشاعريه النبى العظيم كان يعنى تخفيض قداسه الرساله إلى مستوى الشعر الذائع فى المحيط العربى، و لذلك كان رد القرآن الكريم حازماً و صارماً: (وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ، وَ مَا يَتَّبِعِ لَهُ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ).

و (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ).

و (وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ).

و فى سوره "الشعراء" عرض القرآن الكريم فهماً صائباً، عميقاً، شاملاً- عن الشعراء، محمداً مكانه الشاعر فى الهدايه، أو فى الغوايه، و قيمته فى الحالىن، ذاكرًا (وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً، وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا).

إن القرآن الكريم فى دفاعه التام عن النبوه، و الرساله الالهيه، و التغيير الاجتماعى الشامل القائم على الايمان الالهى و العدل، قدم إدانته واضحاً للشعراء الغواه، و المتقلبين، و المداحين، و المتكسبين، و الثرثارين، و الذين يقولون ما لا يفعلون، منها صورته الشاعر الجاهلى، القبلى، المتأله، المغرور، و داعياً إلى تبني الصوره الحقيقه للشاعر، و التى استثنائها بقوله:

(... إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً، وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...).

من هذا المنطلق القرآنى تأكدت الفكره الجوهرية التى تنص على علاقته

١- هو والد الشقيقين التقيين البارين السيد صادق و السيد محمد على المقيمين اليوم فى طهران و الذين عملا بمنطوق قول أمير المؤمنين (ع): اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدًا، و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا فكانا نصيرى كل خير و معينى كل حق.

الشعر بالايمان، و التى يمكن إدراك مدى صدق الشاعر، و جديته، أو حقيقته بتعبير أدق.

و فى واقع الأمر أن العوده إلى المنطلق القرآنى ضروريه تماما، و خاصه بالنسبه إلى شاعر هو الشريف الرضى، المسلم أولا، و من سلاله النبى الكريم ثانيا إضافة إلى ذلك، أن المنطلق القرآنى يقدم تصورا شاملا عن اغتراب الشاعر و معاناته العجيبه، التى لا حل لها إلا فى الايمان، و الالتزام، و النظر بعين الحق.

فحيث يرتبط الشاعر بأسباب الحياه و المعيشه و العلاقات الاجتماعيه، و هى أسباب ماديه فإنه، شان أى إنسان آخر، يخضع لقوانين الحياه، و متطلبات العيش، و الضرورات الاجتماعيه، و حيث ينتمى الشاعر إلى الشعر فإنه يحلق فى فضاءات الأخيله و الرؤى بعيدا عن القوانين و العلل الماديه للحياه.

و ما من ضروره، فى أن يؤدى ذلك التناقض بين أسباب الحياه و دواعى الشعر و سياحاته إلى الازدواجيه، ما دام الشاعر متمسكا بيقينه الفكرى، و هداه الروحى، إلا أن من المؤكد أن اغتراب الشاعر هو حقيقه كل شاعر بالنهايه.

إن مسار القدمين شىء، و هوى رأس الشاعر شىء آخر.

فهوى رأس الشاعر هو الذى يستصفى واقع الحياه على النحو الذى يتخيله. فهو يعيد رسم العالم بصوره شفافه، متنبئا بالمستقبل، أو حالما بالجديد، و ذلك - بالتحديد - هو ميدان تعريفه، و لقبه، و شهرته.

إثر ذلك، يبدو من الصعب رد الشاعر إلى الواقع المادى، بكل متشابكاته الأرضيه التى لا تفسح المجال أمام الأخيله و الأحلام، إلا من خلال برزخ واحد، هو برزخ "القضيه" التى يؤمن بها إن كان مؤمنا.

و فيما عدا القضيه التى ينتسب إليها الشاعر، و يؤمن بها، فان هواه هو الذى يقوده فى عشرات الطرق، و شيطان شعره أقوى من عقله.

و قد انتبه أفلاطون إلى قداسه الشعر لدى الشاعر الحقيقى، فالشاعر كائن مقدس، مثير للاعجاب، يخلب الألباب، إلا أنه لا مكان له فى جمهوريه أفلاطون، و لا بد من إرساله إلى دوله أخرى مكرما، معززا.

و يذكر أفلاطون ذلك قائلا فى المحاورات: ".الأمر الذى تختص به دولتنا أن الإسكافى فيها إسكافى و ليس ملاحا و إسكافيا فى الوقت نفسه، و الفلاح فلاح و ليس قاضيا و فلاحا فى الوقت نفسه، و رجل الحرب رجل حرب، و ليس تاجرا و رجل حرب فى الوقت نفسه. و ذلك هو شان الجميع.

قال: هذا صحيح!

يبدو إذن أنه إذا مثل فى دولتنا رجل بارع فى اتخاذ جميع القوالب، و تقليد جميع المظاهر لينتج قصائده و ينشدها للجمهور، فلنا أن نشنى عليه كما نفعل مع كائن مقدس، مثير للاعجاب، يخلب الألباب، و لكننا نقول له: ليس فى دولتنا من يشبهه، و لا يمكن أن يكون فيها. ثم نرسله إلى دوله أخرى، بعد أن ننثر العطور على رأسه و نضفر له الأكاليل...".

لكن أفلاطون و هو يقصى الشاعر عن جمهوريته، يبعد فى الوقت ذاته أنصاره، فالشعراء فى حالات الوجد الشعرى و الانخراط، هم أقرب الناس إلى عالم المثل، و إلى المثاليه الأفلاطونيه. إلا أن خشيته من الشعراء ليست فلسفيه بالدرجه الأولى، بل هى خشيه تتصل بتنظيم المدينه الأفلاطونيه، التى تحتاج إلى تلاحم العقول المفكره مع الأيدى العامله و المحاربه.

و رغم أن الشاعر يغتنى من الحياه، و تتعمق تجربته فى الصراع السياسى و الاجتماعى و الحياتى بعامه، إلا أن عالمه ليس العالم المادى للناس الآخرين، عند ما يستولى عليه الشعر. بعبارة ثانيه إن عالم الرؤى، و الأخيله، و الأحلام، و التأملات، هو غير العالم الواقعى المعاش.

و فى العلاقه بين العالمين: المادى و الرؤوى، يبدأ اغتراب الشاعر الذى لا يستطيع الشاعر - ذاته - التحكم بحدوده، مهما نضجت تجربته الشعريه، و مهما امتدت به خبره الزمن. لأن أخيله الشاعر الفتيه، و المتجدده لا تعترف بالزمن. و بطبيعته الحال إن الاغتراب الشعرى و الحياتى للشاعر يعود إلى عوامل ذاتيه و موضوعيه، و عوامل روحيه و ماديه متداخله، كما أن قهر الاغتراب، كإمكانيه، يرتبط - أيضا - بسلسله من العوامل الذاتيه و الاجتماعيه و الاقتصاديه و الثقافيه.

و يمكن إجمال عوامل الاغتراب فى عاملين متميزين:

الأول: الاغتراب الناجم عن طبيعته الشعر، لأن كل شعر هو تدفقات صوريه، لا محدوده، و تخليقات شعوريه و لا شعوريه تأتى فى لحظه غياب الشاعر عن واقعه الحسى.

فكل شعر - إذن - نوع من (العلو) المغترب فى وقت الخلق الشعرى.

أما العامل الثانى فهو يوجد جميع الظروف الماديه و الأسباب الشخصيه و العامه المؤديه إلى الغربه و المعاناه الدائمه، و بلا شك، إن هذه الظروف و الأسباب تلعب دورا كبيرا فى تغذيه مضامين الشعر، و تحديد اتجاه الشعر، أو تغييره و تتداخل العوامل تداخلا معقدا، إلى الحد الذى تصبح فيه عمليه فرز الأسباب الرئيسيه عن الثانويه فى تحديد نوع المؤثرات (المغربه) من أشق العمليات التحليليه. لأن نفس الشاعر المرهفه، و الشديده الحساسيه، تكبر فيها الانفعالات أو تصغر، خارج إمكانات القياس الاعتياديه. فاستجابات الشاعر، و ردود فعله، ليست بالأمر الذى يسهل تعيين حدوده.

لذلك يمكن القول إن ثمة عوامل صغيره جدا، أو غير معروفه، أو لا شعوريه (غير معروفه حتى من قبل الشاعر نفسه) قد تكون محرزا فعلا فى تقرير اختيارات الشاعر، و انتهاجته السريعه أو طويله الأمد.

و من الثابت أن الأسباب اللاشعوريه تسهم إسهاما كبيرا فى تكوين جانب كبير من جوانب العالم الشعرى، سواء أ كان ذلك فى المضمون أو فى الشكل.

و مع أن (الشعر) يأتى من (الشعور)، إلا أن (اللاشعور) يتعهد بصياغه أهم ما فى الشعر، إذا ما فهمنا الشعر بمعناه الحقيقى كشعر.

و يعتبر منطلق الاغتراب، و أساسه العميق فى نفسه و حياه و شعر السيد الرضى ثنائى المجد و الفجيعه، الذى اكتسب بعده التاريخى فى قطاع طويل من المسلمين، هو قطاع الطالبين، و الذى أصبح بامتداده عبر الحقب الزمنيه ذا سمات ايديولوجيه، و اجتماعيه راسخه.

و يقوم الثنائى المذكور على حقيقتين تنطويان على مفارقة ما ساويه: الحقيقه الأولى مجد الشريف الرضى، و أسرته الذى ينطلق فى الحسب و النسب من الامام على بن أبى طالب (ع) و أهل بيت النبى (ص).

أما الحقيقه الثانيه فهى مقاتل الطالبين، و الفجيعه الحسينيه الكبرى.

و تكمن المفارقة الداميه فى أن النسب المجد، بدلا من أن يقود إلى احتياز مكانه الحق و القياده و تصريف أمور الناس من قبل سلاله أهل بيت النبى، فإنه قادهم إلى حتوفهم، و إلى مواضع الاضطهاد العاتى.

و شعر الشريف الرضى ملئ بافتخار الحسب و النسب، فالنبى جده، و الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب والده.

فمن قوله يفتخر و يذم الزمان فى قصيده مطلعها:

أ تذكراى طلب الطوائل أ يقظتما منى غير غافل

قوما فقد مللت من إقامتى و البيد أولى بى من المعائل

إن أمير المؤمنين والدى حز الرقاب بالقضاء الفاصل

و جدى النبى فى آبائه علا ذرى العلياء و الكواهل

فمن كاجدادى إذا نسبتنى أم من كاحيائى أو قبائلى

من هاشم أكرم من حج و من جلال بيت الله بالوصائل

قوم لا يديهم على كل يد فضل سجال من ردى و نائل

فوارس الغارات لا يطربهم إلا نوازى نغم الصواهل

أرى ملوكا كالبهام غفله فى مثل طيش النعم الجوافل

و قال و هو يفتخر بآبائه عموما:

لنا الدوله الغراء ما زال عندها من الجور واق أو من الظلم منصف

بعيده صوت فى العلى غير رافع بها صوته المظلوم و المتحيف

و نحن أعز الناس شرقا و مغربا و أكرم أبصار على الأرض تطرف

و كل محيا بالسلام معظم كثير إليه الناظر المتشوف

و أبيض بسام كان جبينه سنا قمر أو بارق متكشف

حيى فان سيم الهوان رأيته يشد و لا ماضى الغرارين مرهف

بنا الجبهات المستنيرات فى العلى إذا التثم الأقسام زلا و أغدفوا

و من قبل ما أبلى بيدر و غيرها و لا موقف إلا له فيه موقف

ورثنا رسول الله علوى مجده و معظم ما ضم الصفا و المعرف

و عند رجال أن جل تراثه قضيب محلى أو رداء مفوف

يريدون أن نلقى إليهم أكفنا و من دمنا أيديهم الدهر تنطف

فله ما أقسى ضمائنا قومنا لقد جاوزوا حد الحقوق و أسرفوا

و رغم أن القصيده تصل إلى هدف محدد يتعلق بوالده السيد (أبى أحمد الموسوى)، إلا أن الابتداء الفخارى بالحسب و النسب و اللقب و بالتاج النبوى الأكبر، سرعان ما يتدرج إلى لازمته الضرورىه التى لا مناص منها، و هى التفجع، و مراره التأسى و من الناحيه التاريخيه، إن الطعنه الغادره التى أنهت حياه الدنيا لعلى ابن أبى طالب كانت قد وضعت أهل البيت فى نقطه المفترق، فى حين جاء استشهاد الحسين بن على يوم الجمعه العاشر من المحرم سنه إحدى و ستين ذروه المأساه، التى تتردد صيحتها بين جنبات العالم الإسلامى بهدير لم يهدأ أبدا بل هو فى ازدياد.

و إذا ما كان التفجع لاستشهاد الحسين تظاهرة تاريخيه كبرى يشترك فيها ملايين المسلمين، و يشاركهم العزاء العديده من غير المسلمين، فكيف الحال و الشريف الرضى من أحفاد الحسين، و هو: أبو الحسن، الشريف الأجل، الملقب بالرضى، ذو الحسين، محمد بن الحسين (أو محمد بن أبى أحمد) بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب.

لقد جاء اغتراب الشريف الرضى و غربته من الفجيعة الأليمه، و المأساه التى لا-مثل لها، من تلك البدايه الجليله، فى يوم عاشوراء، حينما استشهاد الحسين، و معه الكوكبه الطاهره من شهداء أهل البيت: العباس، و جعفر، و عثمان، و محمد، و أبو بكر (أولاد على بن أبى طالب)، و على، و عبد الله (ولدا الحسين)، و أبو بكر، و عبد الله، و القاسم (أولاد الحسن)، و عون الأكبر و محمد (ولدا عبد الله بن جعفر)، و جعفر و عبد الرحمن، و عبد الله، و مسلم (أولاد عقيل بن أبى طالب)، و عبد الله بن مسلم بن

عقيل، و محمد بن أبى سعيد بن عقيل.

لقد جرى قتل أهل بيت الرسول بايدي أناس كانوا يدعون الإسلام، و هذا ما أعطى للماساه بعدا فجائعا لم يتكرر فى التاريخ.
فلم يرو أحد فى جميع مراحل التاريخ أن بشرا يقتلون أهل بيت نبيهم، و باسم خلافه الدين (!) إلا فى مناسبة واحده هى ملحمة
عاشوراء.

كان النبي يقول: " استوصوا بأهل بيتى خيرا، فانى أخاصمكم عنهم غدا، و من أكن خصمه أخصمه، و من أخصمه دخل النار".

و كان

يقول: " أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن ياتى رسول ربي فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله: فيه
الهدى و النور. فخذوا بكتاب الله، و استمسكوا به. ثم أهل بيتى... أذكركم الله فى أهل بيتى.. أذكركم الله فى أهل بيتى..
أذكركم فى أهل بيتى "

و كانت أحداث عاشوراء أكبر من خيانه (نبي)، لأنها كانت محاوله لامحاء ذريه النبي، لكن الله أحبط مساعى الظالمين، فجعل
البلاء الذى مر به أهل البيت قوه للدين، و نصره لأفكار الشهداء الخالدين، و إنما البلاء على قدر صدق الصادقين. و فى

حديث نبوى: " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على حسب دينه، فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه، و إن
كان فى دينه رقه ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض و ما عليه خطيئه "

ص: ٢٤٨

راحل أنت و الليالى تزول و مضر بك البقاء الطويل
لا شجاع يبقى فيعتق البيض و لا أمل و لا مأمول
غايه الناس فى الزمان فناء و كذا غايه الغصون الذبول
إنما المرء للمنيه مخبوء و للطعن تستجم الخيول
من مقيل بين الضلوع إلى طول عناء و فى التراب مقيل
فهو كالغيم أفته جنوب يوم دجن و مزقته قبول
عاده للزمان فى كل يوم يتناهى خل و تبكى طول
فالليالى عون عليك مع البين كما ساعد الذوابل طول
ربما وافق الفتى من زمان فرح غيره به متبول
هى دنيا إن واصلت ذا جفت هذا ملالا كأنها عطبول
كل باك يبكى عليه و إن طال بقاء و الثاكل المشكول
و الأمانى حسره و عناء للذى ظن أنها تعليل
ما يبالى الحمام أين ترقى بعد ما غالت ابن فاطم غول
أى يوم أدمى المدامع فيه حادث رائع و خطب جليل
يوم عاشوراء الذى لا أعان الصحب فيه و لا أجار القبيل
يا ابن بنت الرسول ضيعت العهد رجال و الحافظون قليل
ما أطاعوا النبى فيك و قد مالت بارماهم إليك الذحول
و أحالوا على المقادير فى حربك لو أن عذرهم مقبول
و استقالوا من بعد ما أجلبوا فيها أ الآن أيها المستقيل
إن أمر قنعت من دونه السيف لمن حازه لمرعى وييل

يا حساما فلت مضاربه الهام و قد فله الحسام الصقيل

يا جوادا أدمى الجواد من الطعن و ولى و نحره مبلول

حجل الخيل من دماء الأعادى يوم يبدو ظعن و تخفى حجول

يوم طاحت أيدى السوابق فى النقع و فاض الونى و غاض الصهيل

أ ترانى أغير وجهى صونا و على وجهه تجول الخيول

أ ترانى أذماء و لما يرو من مهجه الامام الغليل

قبلته الرماح و انتضلت فيه المنايا و عانقته الفصول

و السبايا على النجائب تستاق و قد نالت الجيوب الذبول

من قلوب يدمى بها ناظر الوجد و من أدمع مراها الهمول

قد سلبن القناع عن كل وجه فيه للصوص من قناع بديل

و تنقبن بالأنامل و الدمع على كل ذى نقاب دليل

و تشاكين و الشكاه بكاء و تنادين و النداء عويل

يا غريب الديار صبرى غريب و قتيل الأعداء نومي ثقيل

بى نزاع يطغى إليك و شوق و غرام و زفره و عويل

ليت أنى ضجيع قبرك أو أن ثراه بمدمعى مطلول

لا أغب الطفوف فى كل يوم من طراق الأنواء غيث هطول

مطر ناعم و ريح شمال و نسيم غض و ظل ظليل

يا بنى أحمد إلى كم سنانى غائب عن طعانه ممطول

و جيادى مربوطه و المطايا و مقامى يروع عنه الدخيل

كم إلى كم تعلقو الطغاه و كم يحكم فى كل فاضل مفضول

إن نداء الشريف الرضى الذى امتد حرف النداء فيه (يا) مع المنادى (الغريب) إلى ما لا محطه له، ولا نهايه، عبر الزمن، هو الصوت الذى يسكن أعماقه الموحشه، ويركب لسانه الذى لا يكف عن اللهج و التحسس، فتظل المناداه الصارخه:

يا غريب الديار صبرى عجيب

مدخلا لتفسير اغتراب الشاعر و غربته التى تتجاوز فى المعنى كل شقاء.

ذو التعاستين

ورث الشريف الرضى فى روحه و دمه روح الفجيعة الحسينيه، لكن الدهر لم يترفق به فى حدود ذلك، بل ادخر له أمرا عظيما و تعاستين بالغتين:

الأولى سجن أبيه الذى كان سنده الكبير و الشخصيه العظيمه التى حملت قبسا من نور أهل البيت و حكمتهم و عدالتهم.

لقد: " كان أبوه النقيب أبو أحمد، جليل القدر، عظيم المنزله فى دوله بنى العباس و دوله بنى بويه، و لقب بالظاهر ذى المناقب، و خاطبه بهاء الدوله أبو نصر بن بويه بالظاهر الأوحده، و ولى نقابه الطالبين خمس دفعات، كما ولى النظر فى المظالم، و حج بالناس مرارا. أميرا على الموسم ". لقد كان الشريف الرضى فى العاشره من عمره، حينما سجنه عضد الدوله، ففقد بذلك ولى الأمر، و السند، و النصير، و لم يكن أبوه مجرد أب، بل كان يرى فيه تجسيدا لموضوع فخاره و افتخاره، و كان يعلق الآمال على أن يحتاز أبوه المكانه التى يستحقها، و التى لا تقل شانا عن الخلافه. و قد كانت آمال الصبا كبيره و ملونه، حينما كان أبوه سيدا مطاعا، و مصلحا كبيرا، و بسجنه تطايرت الآمال و خيمت ظلمه الأسى على روح الشريف الرضى.

لقد كان الاغتراب التاريخى الذى ورثه الشاعر يحث على الثوره، و قبل أن يبلغ الشباب كان يحتاج إلى حمايه و رعايه و جداهما فى أبيه، و فى لحظه واحده وجد الشاعر نفسه أمام الحقيقه القاسيه، سجن أبيه و عمه، و تهدم بناء الحمايه و العز فى لحظه غريبه.

و فى ذلك يقول زكى مبارك: " و ما ظنكم بطفل يتوقد غيره و حماسه، و يقبل على الدرس إقبال الرجال، فيصل النهار بالليل فى درس العلوم العقلية و النقلية، و يأوى إلى بيت عامر بالكرم و الجود تعج أرجاؤه بأصوات الخدم و الحاشيه، و يرى أباه فى الصباح و المساء و هو عماد المكرويين، و غياث الملهوفين، و يرى أساتذته يبالغون فى إكرامه لأنه ابن النقيب، ما ظنكم بطفل هذه أحواله يمسى بعافيه ثم يصبح فيرى ذاهل العقل أن أباه جرد من الحول و الطول و ألقى به فى غياهب الاعتقال ".

و يضيف: " إن من العسير أن تتصوروا النبوغ الشعرى فى طفل غرير، لأنكم تعيشون فى أزمان لا تعرف الشقاء، أزمان يكون فيها من النبوغ أن يحفظ الطفل قصيده و هو ابن عشر سنين، و لكن يسهل عليكم تخيل ذلك حين تتذكرون كيف كان حال الشريف الرضى حين نقل أبوه منفيا إلى فارس، حين تتصورون كيف أمسى ذلك الطفل فقيرا ذليلا بعد الغنى و العزه، حتى صح لبعض أساتذته أن يهبه دارا يسكنها!.

من حق أبيك، لأنى حفظتك كتاب الله تعالى، فقبلها".

إن فتره سجن السيد أبى أحمد الموسوى فى قلعه فارس امتدت من سنة ٣٦٩ إلى سنة ٣٧٦ و كانت التعاسه الأولى التى أوجت كل ما هو كامن من شعور فجائعى، و تمردى فى نفس الرضى، و أضيف إليها التعاسه الثانيه و هى مصادره أملاك والده و تعريض العائله للعوز و الحرمان.

و لعل إهداء الدار إليه من قبل أستاذة إبراهيم بن أحمد الطبرى خير بلاغ عن الفاقه التى آل إليها الشريف الرضى، على ما عرف عليه الشاعر من إباء، و ترفع، و كبرياء رافقته منذ الصغر، و لم تخنه على الكبر. و فى ذلك يقول ابن أبى الحديد: "أما ترفع الشريف و أنفته و ارتفاعه فوق المطامح الماديه فمشهور، و قد عرف عنه أنه لم يقبل هديه من أحد". و لم ينس الشريف الرضى استفزاز المطهر بن عبد الله وزير عضد الدوله لوالده حين القبض عليه، إذ قال له: "كم تدل علينا بالعظام النخره" مستهينا بذلك بالسلاله الطاهره الشريفه، و أصلها الكريم. و قد كان للافاهه طعم خارق، لاذع، لم يتمكن الشاعر من نسيانه أبدا.

و تفعل المأساه فعلها الكبير فى نفس الشاعر، و سنه فوق العاشره بقليل، فيذكر أباه فى قصيده يقول فيها:

نصافى المعالى و الزمان معاند و ننهض بالآمال و الجد قاعد

تمر بنا الأيام غير رواجع كما صافحت مر السيول الجلامد

و تمكنا من مائها كل مزنه و تمنعنا فضل السحاب المزود

و ما مرضت لى فى المطالب همه و أحداثه فى كل يوم عوائد

عوائد هم لا يحيين غبطه بهن و لا تلقى لهن الوسائد

و لله ليل يملأ القلب هول و قد قلقت بالنائمين المراقد

و تعز فما كل المصائب قادم عليك و لا كل النوائب عائد

ينال الفتى من دهره قدر نفسه و تأتى على قدر الرجال المكاييد

فدى لك يا مجد المعالى و بأسها فعال جبان شجعته الحقايد

فما تركت منك الصوارم و القنا و لا أخذت منك الحسان الخرائد

عزلت و لكن ما عزلت عن الندى وجودك فى جيد العلى لك شاهد

بوجهك ماء العز فى العزل ذائب و وجه الذى ولى من الماء جامد

فأنت ترجى الملك و هو زواله بغير جلال فيه و هو مجالد

فلا يفرح الأعداء فالعزل معرض إذا راح عنه صادر جاء وارد

و ما كنت إلا السيف يمضى ذبابه و لا ينصر العلياء من لا يجالد

ثم يحمل على المستفز الشاتم وزير عضد الدوله:

يدل بغير الله عضدا و ناصرا و ناصر ك الرحمن و المجد عاضد

تعير رب الخير بالى عظامه ألا نزهت تلك العظام البوائد

و لكن رأى سب النبي غنيمه و ما حوله إلا مريب و جاحد

و لو كان بين الفاطميين رفرقت عليه العوالى و الظبى و السواعد

إن جرح الالهانه أثار فيه سخطا على الدوله و وزيرها، و لذلك انطلق التحدى شعرا، و "عرض بالخليفه العباسى، و لوح له بعظمه

الفاطميين فى مصر، و كان ذلك يومئذ من المحظورات".

و أضاف فى قصيدته:

و ما والد مثل ابن موسى لمولدقريب تجافاه الرجال الأبعاد

حمى الحج و احتل المظالم رتبهعلى أن ريعان النقابه زائد

فاقبل و الدنيا مشوق و شايقو أعرض و الدنيا طريد و طارد

و ساعده يوم استقل ركابهاخوه و قال البين نعم المساعد

هما صبورا و الحق يركب رأسهعشيه زالت بالفروع القواعد

تفرد بالعلياء عن أهل بيتهو كل يهاديه إلى المجد والد

و تختلف الآمال فى ثمراتهاإذا أشرقت بالرى و الماء واحد

إن حب الشاعر لأبيه تجسيد مكثف لعدده أشكال و درجات من الحب، فهو حب الابن للأب، و حب التلميذ للأستاذ، و حب

المؤمن بزعامه الزعيم للزعيم، و حب الذات للأنموذج الذى تسعى إلى أن تسير على هدايه و تكون بصورته. ففى قراره نفس

الشريف الرضى ترعرع طموح مشروع فى أن يكون زعيما كايه. فتفتق الحب عن أكثر من أربعين قصيده مدح لأبيه.

و يشير زكى مبارك إلى أن أشعار الشريف الرضى فى مدح أبيه تنقسم إلى ثلاث طوائف: "الطائفة الأولى فى التوجع لأبيه و هو سجين، و الطائفة الثانية فى تهنئه بأبيه بالخلاص و رد أملاكه إليه، و الطائفة الثالثة فى تهنئته بالأعياد بعد أن لان الزمان. و لكل طائفة من هذه الأشعار خصائص: فالطائفة الأولى تصور الحزن و الجزع و التفجع، و الثانية يغلب عليها الابتسام و لكنها تفيض بالسلم الزعاف فى الثوره على الناس، و الثالثة تخلع على أبيه رداء الملوكة. فهو يدخل عليه فى كل عيد بقصيده كما يصنع الشعراء فى تحية الخلفاء و الملوكة".

إن حب الشريف الرضى لوالده كان انتماء عظيمًا للأب و للقضية و للنفس فى آن واحد.

و حينما أطلق سراح والده (و معه عمه)، و قدم من فارس إلى بغداد، فإن روح الشاعر كانت ترافق الوالد فى عودته مرحله مرحله، و لكل مرحله كان يعد لها شعرا و كلمات. و ذلك يدل على الغصص التى حبست فى صدره، و التى أخذ يطلقها حينًا بعد حين، مع مسيره عوده أبيه من المنفى و السجن.

فمثلا هناك قصيده وجهها إلى أبيه و أنفذها إليه قبل دخوله بغداد بأيام يسيره على يد بعض أصحابه، "فهو كان يعرف معنى التحية، تحية الراجع إلى وطنه و هو فى الطريق، كما نرسل برقيات التحية فى هذه الأيام ليفرح بها القادمون و هم على متون البواخر، و هذه القصيده ليست من الطوال، و لكنها على قصرها تصور شوقه إلى أبيه و هو نبت ضعيف، و يشير إلى ما صنعت به الأيام، فيقول فى آخر القصيده:

ص: ٢٥٠

العملاق، لكن بآيه صورته؟!.

" رآه شاحب اللون، هزيل الجسم، قد نالت ظلمات الاعتقال منه"، و" لا يعلم إلا الله كيف خفق قلب ذلك الفتى حين رأى أباه، فقد كان لا يزال طفلا، و كانت المعانى السود و البيض تلذع قلبه لدعا عنيفا، و العواطف العاصفه لا يعرفها غير الأطفال".

فكانت قصيده الاستقبال مشوبه بكل الانفعالات المتعارضه:

طلوع هداه إلينا المغيب و يوم تمزق عنه الخطوب

لقيتك فى صدره شاحبا و من جليه العربى الشحوب

إليه تحج النفوس الصدور و فيه تهنى العيون القلوب

تعزيت مستأنسا بالعباد و الليث فى كل أرض غريب

و أحرزت صبرك للنائبات و للداء يوما يراذ الطيب

لحا الله يوما أرانا الديار يندب فيها البعيد القريب

و ما كان موتا و لكنه فراق تشق عليه الجيوب

لئن كنت لم تسترب بالزمان فقد كان من فعله ما يريب

رمى بك و الأمر ذاوى النبات فال و غصن المعالى رطيب

و لما جذبت زمام الزمان أطاع و لكن عصاك الحبيب

و لما استطال عليك الزمام و ذلل فيك المطى اللغوب

رجوت البعاد على أنه كفيل طلوع البدور الغروب

رحلت و فى كل جفن دم عليك و فى كل قلب وجيب

و لا نطق إلا و من دونه عزاء يغور و دمع ريب

و أنت تعلقنا بالإياب و الصبر مرتحل لا يثوب

و سر العدا فيك نقص العقول و أعلم أن لا يسر الليب

أما علم الحاسد المستغر أن الزمان عليه رقيب

قدمت قدوم رفاق السحاب تخطر و الربع ربع جديب

فما ضحك الدهر إلا إليك مذ بان في حاجبيه القطوب

إن الألم في حياه الرضى، و الذى يعكسه شعره بجلاء تام، أصبح أكثر من حالات نفسيه حزينه، بسبب حوادث مؤلمه، لقد أصبح خبره متميزه، لها خطوطها الطويله و العريضه، و جذورها العميقه، و آثارها البارزه.

و رغم الأوقات السعيده التى كانت تعقب فترات العناء و الشده و الحزن الممض، فقد أصبحت للألم فى حياه الشريف الرضى فلسفه متناثره فى شعره.

و لم تكن أوقات الفرح بقادره على خداعه، مع أنه لا يخفى سعادته، و كانت فرصه رد الأعمال القديمه إلى والده و هى النقابه و إماره الحج و النظر فى المظالم، و ذلك فى جمادى الأولى سنه ٣٨٠ مناسبه لتهنئه والده و إبداء الفرحه، فقال:

انظر إلى الأيام كيف تعود و إلى المعالى الغر كيف تزيد

و إلى الزمان نبا و عاود عطفه فارتاح ظمآن و أورق عود

قد عاود الأيام ماء شبابها فالعيش غض و الليالى غيد

لكن الحكمه المبنوثة فى أبيات القصيده، هى نتاج الألم و خبرته، و هى التعبير عن النهج النقدى المرير الذى لازم شعر الشريف الرضى، و زوده بعناصر الثوره، لذلك فهو يذكر:

ما السؤدد المطلوب إلا دون ما يرمى إليه السؤدد المولود

فإذا هما اتفقا تكسرت القنا إن غالبا و تضعض الجلمود

و أجل ما ضرب الرجال بحده الأعداء مجد طارف و تليد

و بلا- شك أن طريق السؤدد المولود ملئ بالأحزان، و المتاعب، و هى أكبر بكثير من مشقات و تضحيات السؤدد المطلوب، بمعنى أن الآلام القادمه و التى تنتظر حياه الشاعر هى قدره المحتوم، و ما دام غير قانع بالمكاسب المحدوده، فهو مقتنع بالعذاب الذى لا بد منه.

إن التعاسات أفضت بالشريف الرضى إلى اغتراب يتفجر حكمه و بعد نظر.

الاغتراب الروحى فى حياه و شعر الشريف الرضى

إن العناصر الأساسية المكونه للاغتراب الروحي في التجربه الحياتيه و الشعريه للشريف الرضى هي أولاً: الأصل الفجائعي للسلاله الهاشميه، و أهل بيت النبي بالذات، و الذى يشكل خلفيه تاريخيه ماساويه تهطل منها معطيات أدبيه و فلسفيه فى البلاء، و العزاء، و الإصرار الدائم على تلمس الجذور الداميه للماساه.

و تشاء الخلفيه التاريخيه هذه أن تكون تأثيراتها قبل الولاده، لأنها تجرى فى الدم و فى حركه الأعصاب، و فى الموروثات العضويه، قبل التوارث الروحي و الثقافى الذى تنقله الطقوس و التقاليد الدينيه و الاجتماعيه.

ثانياً: الزهد و المعرفه الدينيه، و هما من سمات السلاله و من إرثهما المنقول من الآباء إلى الأبناء.

و قد بينت صحف التاريخ الإسلامى أن آباء و أجداد الشريف الرضى كانوا أوعيه للعلم و المعرفه الربانيه، و كانوا زهاداً، عابدين، قانتين، شغلتهم مناجاه الله عن المطامع الدنيويه الرخيصه، و لم يكن لأحدهم إعراضاً عن حقهم فى السعى من أجل نشر العدل فى الحياه الدنيا، بل هو تعبير عن وحده ذلك الحق مع الفقر، لأن العدل لا ينشأ إلا من القاع الاجتماعى، و البساطه، و التواضع، و رفض الثراء و الجاه و الغرور الزائف.

و مما زاد و يزيد فى زهد العارفين، القانتين، و الأئمه الأعلام، الطهورين، تفاقم الفساد و الاحتيال و الغدر، و هدر الأخلاق، و سياده منطق القوه و القهر و الابتزاز و الارشاء، و كل المبادل التى تهوى بالمجتمع إلى الحضيض. فكلما تزداد كفه الميزان ميلان لصالح الفساد، فان العلماء يزدادون زهداً و احتفاءً بالدين و القيم الروحيه.

كل ذلك ساعد على الانحلال الاجتماعي، بحيث صارت محلات القيان والغلمان أمرا معتادا يتردد عليها الناس، و يرتادها الكثيرون، و تطرح فيها الحشمه. و كانت مجالس الأشراف و الوزراء "تألف هذا النوع من الحياه التي أصبح فيها المجون و الخلاعه نوعا من الترف الحضارى، و التظرف الاجتماعى".

و كان الوجه الآخر للترف و المجون انتشار البؤس و الفاقه، فى القاعده الاجتماعيه العريضه، و عيش العلماء البعيدين عن السلطه فى حرمان و فاقه.

فكان أن هجر بغداد - مثلا - عبد الوهاب المالكي، و قذف فى وجه عصره باشنع و صمه، و هو يقول لمودعيه: "لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداه و عشيه، ما عدلت عن بلدكم لبلوغ أمنيّه".

إن اجتماع الفقر و الفساد الأخلاقى و الثراء الفاحش خلق وسطا صالحا للتاثيرات المنافيه للدين الإسلامى و للتقاليد العربيه الإسلاميه.

فكان الزهد موقف الرفض التام للانحرافات الشاذه التى طعنت الإسلام و العروبه فى الصميم. و كان على مراتب و درجات. و هى فى مجموعها تهتدى بسلوك النبى الكريم المعروف بزهده و تقشفه. و قد كان الحديث النبوى:

"اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا" هو المقياس الذى حدده الإسلام، و هو "التقوى على أساس العمل للدارين لا تقوى المترهين المستغرقين فى التأمل و العباده. و قد استطاع الإسلام أن يحقق المثل الأعلى الذى صوره نظريا للشخصيه المسلمه. فتجلى فى كثير من صحابه رسول الله (ص) ذلك الطراز العامل لدنياه و آخرته، المتعاون فى سبيل خلق الحياه الصالحه لأفراد مجتمعه".

و قد استلهم الشريف الرضى نظرتة إلى الدنيا من القرآن الكريم: (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَ أَحْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالْتِدَّ عَنْ وَلَدِهِ، وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا. إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ).

فقال الرضى فى شعره

ما لى إلى الدنيا الغروره حاجهفليخز ساحر كيدها النفاث

طلقتها ألفا لأحسم داءها و طلاق من عزم الطلاق ثلاث

سكناتها محذوره و عهودها منقوضه و حبالها أنكاث

أم المصائب لا يزال يرو عنانها ذكور نواب و إناث

إنى لأعجب من رجال أمسكوا بجبال الدنيا و هن رثاث

كنزوا الكنوز و أغفلوا شهواتهم فالأرض تشيع و البطون غراث

أ تراهم لم يعلموا أن التقيا زوادنا و ديارنا الأجداث

أما ثالث العناصر المكونه للاغتراب الروحي للشريف الرضى فهو تفوقه العقلى، و تمتعه بمؤهلات و مزايا شخصيه كبيره تتناسب مع دوره الطليعى و رسالته الدينيه و الاجتماعيه.

و قد تجلت الجدارات العقليه و الأدبيه، و رهافه الشعور، و شجاعه الطبع فى الشريف الرضى منذ طفولته، فكانت غربه الذكاء النادر من سماته الأولى، فقد قال من أحسن الشعر و هو فى العاشره من عمره، و كانت غربه الاحساس الصقيل، الانفعالى المرهف قد بكرت معه منذ طفولته، فلا عجب أن زار الشيب شعر رأسه فى العشرين، و

"شيب الرأس من شيب الفؤاد"

فإذا ما جاز تشبيه الناس بالمعادن، فان الشريف الرضى كان من أكرمها و أغناها،

و فى حديث نبوى: "الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة، فخيرهم فى الجاهليه، خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا".

و قد توفرت فى الشريف الرضى صفات "ذهبيه" متكامله من ذكاء، و شجاعه، و كرم و سخاء و رهافه حس، و حب للناس، و قد شملته عاطفه غامره، كان وجود بها على الأصدقاء و الأقربين ففاض بها شعره مثلما فاضت بها نفسه.

و كما فى كل العصور فان الشخص المتفوق، المرهف، المبدع، يجد نفسه غريبا بين أوساط من الناس الذين تتجاذبهم الأطماع و الأهواء، الذين ينعمون مع كل ناعق، و لا يعرفون للحق سبيلا.

و يشهد التاريخ أن العوام الذين لم تشملهم الهدايه و عوامل التغيير الثقافى الإنسانى، هم الذين حاربوا و طاردوا الرسل و الأنبياء و الصالحين و ذوى الكرامات و المتقدمين المبرزين على طريق الفلاح.

و لم يكن الشريف الرضى فى غربته الروحيه أقل بلاء من الذين امتحنهم البلاء فما ازدادوا إلا صلابه و إيمانا.

و أول غربه فى طريق الاغتراب الروحي الطويل كانت غربه النفس، و التى قال فيها الشاعر الرضى:

النفس أدنى عدو أنت حاذره و القلب أعظم ما يبلى به الرجل

و كانت قصيده هذا البيت تدم الزمان، الذى لم تنقض فيه الحاجات فى حين كان الشباب يولى مسرعا:

ولى الشباب و هذا الشيب يطرده يفدى الطريده ذاك الطارد العجل

ما غازل الشيب في رأسى بمرتحل عنى و أعلم أنى عنه مرتحل
من لم يعظه بياض الشعر أدركه فى غره حتفه المقدور و الأجل
من أخطاته سهام الموت قيده طول السنين فلا لهو و لا جدل
و ضاق من نفسه ما كان متسعا حتى الرجاء و حتى العزم و الأمل
إن نفس الشريف الرضى المشدوده بالأيام الأولى التى لا عوده لها، لم تجد فى بقاء الحياه أى أمل:

و كيف نامل أن تبقى الحياه لنا و غير راجعه أيامنا الأول

و تبعاً لثقافته الشريف الرضى فان أفكاره عن " النفس " متصله اتصالاً وثيقاً بثقافته القرآنيه، أولاً، و بتجربته الشخصيه ثانياً.

و يعد

قول الرسول: " أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك " هى المؤشر الرئيسى الذى تلقفه الثقات، الذين وضعوا نصب أعينهم هدفاً كبيراً و هو تطهير النفس، و تحريرها من كل الموبقات و الشوائب و السلييات. فالتطهير هو الطريق إلى معرفه النفس، و أن الجهل بالنفس هو - فى واقعه - اتباع هواها و الانخداع برغباتها.

ص: ٢٥٢

أروم انتصافي من رجال أباعد و نفسى أعدى لى من الناس أجمعا

إذا لم تكن نفس الفتى من صديقه فلا يحدثن فى خله الدهر مطمعا

و لا ينخدع الشريف الرضى بما يصيب النفس من حالات صفاء مؤقتة، لأن نظراته كانت تتردد إلى أغوار النفس البعيدة، مدركا صلتها بالزمن و بالموت.

فعلى هاتين الصلتين انبت أفكاره عن النفس. و هو يختلف فى نظرتة إلى الزمن عن نظره (أبى العلاء المعرى)، فقد كان المعرى ذا نظره وجوديه، و عقليه، مشتركه، لا تلقى باللاتهام على الزمن، و إنما على البشر الذين حق على الزمان أن يشكوهم لو استطاع تكلمًا.

قال المعرى:

نبكى و نضحك و القضاء مسلط ما الدهر أضحكنا و لا أبكنا

نشكو الزمان و ما أتى بجنايه و لو استطاع تكلمًا لشكنا

و تنطلق نظرات المعرى الوجوديه و العقليه من إيمانه بقضاء الله الذى لا راد له، و بقدره، فهو يقول:

قضى الله فينا بالذى هو كائن فتم و ضاعت حكمه الحكماء

و هل يابق الإنسان من ملك ربه فيخرج من أرض له و سماء

و يقول:

رددت إلى مليك الحق أمرى فلم أسال متى يقع الكسوف

لكم سلم الجهول من المنايا و عوجل بالحمام الفيلسوف

أما الشريف الرضى فقد كان يرى فى الزمن خصما لدودًا..

لأنه الزمن الذى آل إلى فجيعة أهل البيت و شهد دماءهم المتناثره على أرض كرب و بلاء، و هو الزمن الذى شهد سجن و نفى أبيه، و مصادره أملاكه، و هو الزمن الذى يسوس فيه الأمور العلوج و السفهاء، فيما يتعرض فيه أهل الرئاسه الحقيقيه إلى المحن و المصائد.

و رغم أن الزمن مزدوج تاره، كما يقول:

كل شىء من الزمان طريف و الليالى مغانم و حتوف

إلا أن لعبه الزمن ثابتته:

عاده للزمان فى كل يوم يتناهى خل و تبكى طول

فالىالى عون عليك مع البين كما ساعد الذوابل طول

و هو فى هذه اللعبة مغترب كبير مهدور الطموحات، كثير الشقاء، شديد التحسس بالماضى، بذهاب أقوام، و بحتميه ذهاب آخرين. و هو يرى الدهر وسط الاغتراب، فهو لم ينصره يوما ما، بل أحاطه بالخذلان، فقال:

فما لى طول الدهر أمشى كأنتى لفضلى فى هذا الزمان غريب

إذا قلت علقت كفى بصاحب تعود عواد بيننا و خطوط

و يقول:

يقولون نم فى هدنه الدهر آمنة فقلت و من لى أن يهادنى الدهر

هل الحرب إلا ما ترون نقيصه من العمر أو عدم من المال أو عسر

فلا صلح حتى لا يكون لواجد ثراء و لا يبقى على وافر وفر

و يستجيب الشاعر - أحيانا - إلى دعوه العقلاء الداعين إلى مسيره الدنيا، و لكنه يرى أن الدنيا، مهما دخل فى مداراتها، فإنها مخادعه، حتى فى زخرفها العلنى، و متاعها اللذيد، و هو يشد على عدم الانخداع بها ف:

هيهات يا دنيا و برقك صادق أرجو فكيف إذا و برقك كاذب

و مهما أوتى من قوه لارغام نفسه على مسالمة تصارييف الزمان، فان النجاحات لم تكن بمستوى المأمول، بل دون ذلك بكثير.

و كثيرا ما حمل شعره ردا على نفسه، و هو فى مونولوج الحوار الداخلى، و تذكير نفسه بضروره توفر الناصر و المعين، فيما لا يجنى من محاربه الزمان شيئا، لأنه فى تلك المحاربه يبقى قليل الناصر، فيقول:

سالم تصارييف الزمان فمن يرم حرب الزمان يعد قليل الناصر

كذلك حمل شعره ردودا على الذين قالوا له بضروره مماشاه الدهر، لخصها قوله:

يقولون ماش الدهر من حيث ما مشى فكيف بماش يستقيم و أطلع

و ما واثق بالدهر إلا كراقد على فضل ثوب الظل و الظل يسرع

وقالوا تعلق إنما العيش نومه يقض و يمضى طارق الهم أجمع

و لو كان نوما ساكنا لحمدته و لكنه نوم مروع مفزع

إن الوطيس الحامى بينه و بين الدهر، قد عززه سوء الحظ الذى حالفه، مثلما حالف ذوى الفضل الذين أوزرت بهم الدنيا. و لم يستطع الشاعر أن يتوقف عن مهاجمه سوء الحظ و نكد الدنيا، محملا الدنيا، نفسها - مسئوليه سوء الحظ الذى انتظمه الزمان له و لأسرته خرزته، خرزته، حتى صار تراثا ماساويا ضخما، قال الشاعر:

و من عجب صدود الحظ عنا إلى المتعممين على الخزايا

أسف بمن يطير إلى المعالى و طار بمن يسف إلى الدنيايا

و يرن سوء الحظ فى شعر الشاعر كثيرا ف:

ما الذنب للمزن جازتنى مواطره و إنما الذنب للأرزاق و القسم

لكنه يخلص - دوما - إلى النتيجة المعلومه، إلى عهر الدنيا و ابتدالها، و انعدام العدالة فيها:

و خلائق الدنيا خلائق مومس للمنع آونه و للاعطاء

طورا تبادلك الصفاء و تاره تلقاك تنكرها من البغضاء

و تداول الأيام يبلينا كما يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء

و ترتبط أفكار الشريف الرضى عن (الزمن) و ما ساويته ارتباطا قويا بافكاره عن (الموت).

غنى الحياه، شخصوا الحياه كحقيقه، لكنهم بالعقل و الاحساس شخصوا الموت كحقيقه الحقائق.

و قد استخلص الأنبياء من الموت تصورات عظيمه عن الحياه و البعث، و أعطوا لوائح خالده فى الوعظ و التريه و رسم صور مثاليه للسلوك الإنسانى، للفرد و الجماعه.

و لم يهرب الشعراء من حقيقه الحقائق: الموت، بل واجهوه بمستويات مختلفه من النظر و الرؤيه.

على أن حكمه الموت الأساسيه هى: ما دام الموت حتما محتوما، و قدرا ثابتا، إذن على المرء أن يكون حقيقيا مع نفسه و مع سواه. و عليه أن يحسم تناقضه الداخلى باتجاه التحرر من أى نفاق فكرى و سياسى و اجتماعى، لأنه لا يعلم متى يحين أجله.

فالموت يدعو إلى التطابق مع النفس، و يدعو إلى الشجاعه أمام ما هو دون الموت. بمعنى آخر أن الموت هذا السيد المطاع الذى لا يدع مجالاً لأى إنسان للركوع أمام سلطان آخر دونه.

و قد أمد الموت الشعراء بأصناف رفيعه من الحكمه، لأنهم و هم يفتحون عيونهم عليه كانوا يرون التفاهات الدنيويه الصغيره، و يقفون عندها باستهانته مثلما وقف الخليفه بأصحابه يوما على مزبله.. فأطال الوقوف حتى أضجرهم فقالوا: ما لك حبستنا هنا فقال: هذه دنياكم التى تتنافسون عليها.

و إن كل الممارسات و الأساليب التى يلجا إليها الإنسان فى تهالكه على السلطه و المال و المطاعم الدنيويه، من قتل، و غدر، و نفاق، و وشايه، و تشويه، و إذلال، و كذب، تبدو إزاء حقيقه الموت الحاتمه مجرد نذالات صغيره، تدمغ صاحبها بالتفاهه و الخسران المبين.

و لقد رأى الشاعر العربى القديم حكمه الموت فى بطلان النعيم الباطل لأنه زائل لا محاله، و ليس البقاء إلا لوجه الله تعالى.

فقال لبيد بن ربيعه فى البقاء الالهى:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل و كل نعيم لا محاله زائل

و الموت - أصلا - يدفع الإنسان إلى تعزيز اتجاهاته الأصيله، و سماته الحقيقه، فى التمسك بالحق، فقال زهير بن أبى سلمى:

بدا لى أن الله حق فزادنى إلى الحق تقوى الله ما قد بدا ليا

و مثلما رأى الشعراء بقاء الله و أزليته، فقد رأوا أيضا بقاء البلاد بجمالها و وديانها و أنهارها، بأرضها و بسمائها، فادخلوا الحس الوطنى فى شعرهم، من خلال حكمه الموت و دلالاته فى الفناء و البقاء.

و فى ذلك قال زهير بن أبى سلمى:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا و لا خالدا إلا الجبال الرواسيا

و ألا السماء و البلاد و ربنا و أيامنا معدوده و الليالي

و أضاف الشعراء إلى البقاء الإلهي الأزلي، و بقاء البلاد، و قيمه العمل الصالح منطلقا نظريا و دليل عمل و سلوك لدى الشعراء المؤمنين بوجود الله تعالى.

و أغنت الثقافه الإسلاميه تصورات الشعراء، و خاصه فى مجال الأفكار الأساسيه التى شرحت البعث و الحساب، و البدء و المعاد. فتطورات تصورات الشعر العربى القديم بعد نشوء الإسلام، و أصبحت الآيات القرآنيه ملهما أساسيا فى التأكيد على الدلالات الروحيه و الأخلاقيه فى البعث و النشور و أصبحت للعمل الصالح أهميه استثنائيه مرموقه فى تحديد هويه المسلم المؤمن.

و من الآيات البينات التى تذكر الإنسان بالمعاد:

(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعِدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ).

(إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ).

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ).

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ).

(إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ).

و أصبحت هدايه الشعراء متمثله بمعرفه حكمه الموت، فيقول أبو نواس:

الموت ضيف فاستعد له قبل النزول بأفضل العدد

و اعمل لدار أنت جاعلها دار المقامه آخر الأمد

يا نفس موردك الصراط غدا فتاهبى من قبل أن تردى

و قال:

إن للموت لسهما واقعا دونك أو بك

فعلى الله توكل و بتقواه تمسك

و حيث إن الشريف الرضى عالم ضليع فى الديانه الإسلاميه و الروحانيات، جمع العلم الوهيبى بالعلم الكسبى، فقد كانت له من المفاهيم الإسلاميه عده كبيره لتقويم شعره بأفكار ثريه بالحكمه و المعرفه و الموعظه و السداد. و كانت للشاعر المتنبى تأثيراته

الواضحه فى بدايه التجربه الشعريه للشريف الرضى، سواء أ كان ذلك فى أغراض الشعر، أو فى تركيبه.

و قد كان للمتنبى مع الموت حوار ناب، صارخ، غنى بالتصورات و المفاهيم الراسخه.

و كان وصف المتنبى للموت مزيجا من الذكاء و الطرافه فى التشبيه. فهو يقول:

و ما الموت إلا سارق دق شخصه يصول بلا كف و يسعى بلا رجل

و يشير المتنبى إلى أن الموت معروف الطباع بالصفات، لا بالتجربه الشخصيه، لأن ليس هناك من آب بعد موت، حتى يشرح ما لاقى و ما رأى، فيقول:

ص: ٢٥٤

و تقترن حتميه الموت لدى المتنبي بالشجاعه و ضروره الموقف الحازم الحاسم، فهو يقول:

نحن بنو الموتى فما بالننا نعانف ما لا بد من شربه

تبخل أيدينا بارواحننا على زمان هي من كسبه

يموت راعى الضأن فى جهله ميته جالينوس فى طبه

فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

و يقول أيضا:

و إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

أما الشريف الرضى فقد أودع فكره الموت و حكمته فى العديد من قصائده منطلقا من عذاب الروح الذى ساقه فى دروب الاغترب الطويل، فاغترب الروح هو الاغترب الأكبر، الذى كان الشاعر ينظر - من داخله - إلى وضعه الشخصى، و حياته، و مماته.

فلقد رأى فى سجن الروح فى جسده السجن الذى تتضاءل دونه العذابات الأخرى. فقال الشريف الرضى:

كل حبس يهون عند الليالى بعد حبس الأرواح فى الأجساد

و هو بيت شعر من قصيده جاء فيها:

كل حى يغالط العيش بالدهر و كل تعدو عليه العوادى

لو رجعنا إلى العقول يقينا لرأينا الممات فى الميلاد

كيف لا يطلب الحمام عليل حكم الدهر فيه رأى المعاد

و يسمو الرضى فى ذكر الموت، و فى وعظ الناس، و التذكر بالقيم الإنسانيه المجيده (الحرية، و الشجاعه، و رفض الذل، إلخ)، و يأخذ الرثاء عنده مهمه توجيه العزاء بواسطه الحكمه.

فقال يرثى بنت صديق له:

عجزنا عن مراغمه الحمام و داء الموت مغرى بالأنام

و ما جزع الجزوع و إن تناهى بمنتصف من الداء العقام

و أين نحور عن طرق المنايا و فى أيدى الردى طرف الزمام

هى الأيام تأكل كل حى و تعصف بالكرام و باللثام

و كل مفارق للعيش يلقي كما لقي الرضيع من الفطام

و كم ليد النوائب من صريع بداء السيف أو داء السقام

و ما يغتر بالدنيا لبيب يفر من الحياه إلى الحمام

تنافر ثم ترجع بعد وهن رجوع القوس ترمح بالسهام

خطوب لا أجم لها جوادى و عزم لا أحط له لثامى

رأيت الموت يبلغ كل نفس على بعد المسافه و المرام

سواء إن شددت له حزيمى زماعا أو حلت له حزامى

عزاءك ما استطعت فكل حزن يؤول به الغلو إلى الآثام

و عمر المرء ينقص كل يوم و لا عمر يقر على التمام

و تختلف فلسفه الشريف الرضى فى الموت، عن فلسفه أبى العلاء المعرى، و ذلك فى قضيه رئيسيه و هى أن الشريف الرضى صاحب رساله، و كانت الرساله لا تمثل طموحه فقط، بل و تمثل طموح نسبه كبيره من الموالين و الأشياع. كان قائدا له أتباع أوفياء رغم قتلهم.

و من موقعه ذاك، كانت رؤيته للموت مليئه بالأفكار الايجابيه التى كانت تعبر أفضل تعبير عن (الموقف) فى حياه الشريف الرضى.

فى حين كانت رؤيه أبى العلاء المعرى للموت تشاؤميه، بالغه التشاؤم، كما نرى فى هذه المقطفات من شعره:

أنا صائم طول الحياه و إنما فطرى الحمام و يوم ذاك أعيد

و:

نصحتك فاعمل له دائما و إن جاء موت فقل مرحبا

و:

ما أوسع الموت يستريح به الجسم المعنى و يخفت اللجب

و:

يدل على فضل الممات و كونه إراحه جسم أن مسلكه صعب

و:

إذا غدوت ببطن الأرض مضطجعا فثم أفقد أوصابي و أمراضى

و:

الموت جنس ما تميز واحد كتل الجسوم إلى التراب تنسب

و ترتفع نزعته التشاؤم بقوله:

يحطمنا ريب الزمان كأننا زجاج و لكن لا يعاد له سبك

و إذا كانت القضية التي رفع لواءها الشريف و هي (قضية سياسيه و إيديولوجيه و أخلاقيه)، هي التي عصمتها من الوقوع في تشاؤميه مفرطه، فإنها لم تفلح - من جانب آخر - في إخفاء الحزن العتيد، حزن الشريف.

و تشهد بكائيات و رثائيات الشريف الرضى على مدى تغلغل الحزن في أعماقه، و كذلك مدى تجاوبه مع الحزاني و المنكوبين.

و يذكر د. زكى مبارك " أن الرضى كان يجد من نوائبه الوجدانيه ينابيع للحزن لا تنضب و لا تغيض " و عن بكائه يقول: " و ما كان الشريف يبكى أحبابه مره واحده ثم يلوذ بالصمت. لا، و إنما كان يصل أحبابه بالذكرى و الحنين فلا يفقد منهم غير الوجود الملموس. فطريق الحج على طوله في تلك العهود كان يمثل للشريف دائما أمما كثيره من عوالم الأحياء و الأموات. و لعل ظهور الخيل لم تعرف فتى أقوى شاعريه من ذلك الفتى البكاء. و الفرح و الترح يفيضان من ينبوع واحد لو تعلمون".

من ناحيه سيكولوجيه إن البكائين الاصلاء هم - غالبا - من الذين تجمعت في نفوسهم شمائل جمه هي شده الحب، و شده الصدق، و قوه رهافه الاحساس.

و من المظاهر السلبيه للثقافات الشائعه في عصور الاستبداد و التحجر، أنها صورت البكاء تعبيراً عن الضعف البشرى، و الحال أنه تعبير عن عاطفه بشريه حقيقه لا يستطيع كبتها إلا أكثر الناس قساوه و تجبرا.

و كان الشريف الرضى الإنسان، و الرائد المصلح، شديد العبره، قوى التعاطف مع المشكولين. و هو فى ذلك يشبه آباءه الأولين الذين كانوا يكون الليل من خشيه الله حتى ذبلت عيونهم.

و يقول د. زكى مبارك: " و من عجائب ما وقفت عليه أن الناس كانوا يسألون الشريف أن يبكى موتاهم فيجيب: و الشجى يبعث الشجى، و الدنيا عند الحزين كلها " قبر مالک " أليس من العجيب أن يسأل الشريف بكاء ميت لا يعنيه فيقول:

ألا مخبر فيما يقول جليه يزيل بها الشك المريب يقين

اسائله عن غائب كيف حاله و من نزل الغبراء كيف يكون

و ما كنت أخشى من زمانى أننى أرق على ضرائه و ألين

إلى أن رمانى بالتى لا شوى لها فاعقب من بعد الرنين أنين

و إن أحق المجهشين بعبره و وجد قرين بان عنه قرين

و ما تنفع المرء الشمال وحيدته إذا فارقتها بالمنون يمين

تجرم عام لم أنل منك نظره و حان و لم يقدر لقاؤك حين

أمر بقبر قد طواك جديده فأبلس حتى ما أكاد أبين

و تنفض بالوجد الأليم أضالع و ترفض بالدمع الغزير شئون

و معاذ الأدب أن يكون الشريف فى هذه القصيده كالنائحه المستأجره، و هل كانت النائحه المستأجره تعنى حقا من دعيت للبكاء عليه؟ إنها تبكى ودائعها فى التراب فهى نائحه ثكلى مفطوره الفؤاد".

و يضيف: " فالشريف يجسم معانى الأخوه و هو يبكى أصدقاءه المجهولين و هو أيضا يشرح للناس مذاهب الوفاء".

و من شواهد شعره فى بكاء المغمورين ما قاله:

ما لى أودع كل يوم ظاعنا لو كنت آمل للوداع لقاء

و أروح أذكر ما أكون لعهدته فكاننى استودعته الأحشاءا

فرغت يدي منه و قد رجعت به أيدي النوائب و الخطوب ملاء

أحبابى الأذنين كم ألقى بكم داء يمض فلا أداوى الداء

أحيا إخاءكم الممات و غيركم جربتكم فثكلتكم أحياءا

إلا يكن جسدى أصيب فأننى فرقتة فدفنته أعضاء

و قال فى قصيده ثانيه:

أقول و قد قالوا مضى لسبيله مضى غير رعديد الجنان و لا نكس

كان حداد الليل زاد سواده عليك ورد الضوء من مطلع الشمس

أرى كل رزء دون رزئك قدره فليس يلاقينى ليومك ما ينسى

و قال من قصيده ثالثه و هى فى رجل كانت له شخصيه، و لا نعرف السبب فى طى اسمه عن الناس:

ما بعد يومك ما يسلو به السالى و مثل يومك لم يخطر على بالى

و كيف يسلو فؤاد هاض جانبه قوارع من جوى هم و بلبال

يا قلب صبيرا فان الصبر منزله بعد الغلو إليها يرجع الغالى

نقص الجديدين من عمرى يزيد على ما ينقصان على الأيام من حالى

مضى الذى كنت فى الأيام آمله من الرجال فيا بعدا لآمالى

قد كان شغلى من الدنيا فمذ فرغت منه يدى زاد طول الوجد أشغالى

تركته لذبول الريح مدرجه و رحت أسحب عنه فضل أذبالى

ما بالى اليوم لم ألحق به كمدا أو أنزع الصبر و السلوان من بالى

و يربط د. زكى مبارك الطبيعه البكائيه للشريف الرضى بظاهره هى من غرائب الوفاء عند الشريف و هى بكاء النساء قائلا: "و

هناك جانب من غرائب الوفاء عند الشريف هو بكاء النساء، و هذا أغرب الجوانب، و هو يحتاج إلى تأمل و درس، و لا نعرف

بالضبط كيف نشأ الاحساس عند الشريف، فقد كان المؤلف فى التقاليد العربيه أن لا يبكى من النساء غير المعشوقات، و بكاء

الأمهات و الحلائل باب من النبل، و لكنه فى شعر العرب قليل، فقد لا يساوى واحدا من خمسين إذا أحصينا ما قيل فى الرثاء،

فكيف اتفق للشريف الرضى أن يكتر من تعزیه الناس فى أمهاتهم، و بناتهم، و أخواتهم؟. إن هذه الظاهره ليس لها عندى غير

تعليل واحد، هو أن الشريف الرضى كان (ابن أمه) كما يعبر المصريون حين يداعبون من يغضبون لامهاتهم من الأطفال.

و نحن نعرف أن أيام البؤس فى حياه الشريف مضت و هو فى رعايه أمه الرءوم التى باعت أملاكها و حليها لتقيه و تقى أخاه ذل

و الأم الرءوم لم تجد من يؤرخ فضلها فى اللغة العربيه. و يندر بين كتاب العرب من يقول حدثنى امى و أنباتنى اختى و أخبرتنى حليلتى، و إن كان فى شعرائهم من يقبل النعال فى أقدام الملاح.

و ما أريد أن أطيل القول فيما أثر عن العرب و الهنود من بغض البنات، فذلك معروف، و انما أريد أن أقف عند هذه النزعه النبيله من نزعات الشريف، و أنا أجزم بأنه كان يرى المرأه فى صوره أمه تلك الأم التى وقته مكاره الحياه فى السنين العجاف يوم أودع أبوه غياهب الاعتقال.

و ما يهم من ذكر استطراد د. زكى مبارك، هنا، هو أن بكائيه الشريف الرضى كانت تسع الأصدقاء المعروفين و المجهولين، و الأحبه المفقودين، و الناس المحزونين، لأنه فى ذلك كان يجسد طبيعته البكاء، و ما لم يعطه د.

زكى حقه فى تحليل الظاهره البكائيه للرضى مغزى العلاقه بين الزهد و البكاء، و فيض تلك العلاقه على جوانب الحزن و التأسى و التفجع لكل محزون أو مفجوع.

و يمتد جذر العلاقه بين الزهد و البكاء فى حياه الشريف الرضى إلى آباءه الزهاد المعروفين بكثره البكاء، و بخاصه زين العابدين بن الحسين، الباقر بن زين العابدين و سواهما.

و قد أورد لنا أبو نعيم نصابا بين فيه جوهر زهد على بن الحسين (زين العابدين)،

و ذلك أنه سئل عن كثره بكائه فقال: " لا تلومونى فان يعقوب فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه و لم يعلم أنه مات. و قد نظرت إلى أربعه عشر رجلا من أهل بيتى يقتلون فى غزاه واحده. أفترون حزنهم يذهب من قلبى ".

بل إن محمدا الباقر (ع) يقسم البكاء كما قسم المعرفة (وقد حفل أبوه كذلك من قبل)

فقال: "فإن سألت على الخدين لم يرهق وجهه قطر ولا ذله، وما من شيء إلا له جزاء إلا الدمعه، فإن الله يكفر بها بحور الخطايا، ولو أن باكيا بكى في أمه لحرم الله تلك الأمه على النار".

وقد ربط محمد الباقر (ع) البكاء بالذكر صراحه

فقال:

"الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكِر".

أى أن البكاء هو علامه متميزه من علامات الزهد، وهو يصفى القلوب، و يطهر النفس من الذنوب، وهو فى إطلاق عنانه فى المناسبات الإنسانيه، الفجائعيه فيض رحمه.

وهكذا كان الشريف الرضى تفيض نفسه عطا و رقه و حنانا فى كل مشهد انساني ماساوى، و فى كل ذكرى مؤلمه. لقد سمت نفسه بالتفجع، و تحررت من الغلظه و القساوه، فأصبحت تطير و تحط عند كل ذكرى، و قرب كل طلل.

و لم تكن روحه المتفجعه، لتستغرق فى الانفعال الحزين المجرد، و الذى قد يصيب البسطاء الطيبين من الناس، رقيقى الاحساس، بل كانت تغتذى من الحس التاريخى، لأن كل ظاهره مرثيه تحت بصر الشريف الرضى كانت تثير فيه الذكريات، و الحدثان، و ما جرى للناس، و للحواضر، و للأمكنه، من تغيير.

لقد انتبه بعمق إلى حركة الزمن فى جدليه البقاء و الزوال، مكتنها تلك الجدليه من أعمق أعماقها، و من أول نقطه فيها، فعظمت نفسه، و تغربت، لأن الأمكنه ما بين نشوء و زوال، لم تكن قادره على أن تستوعب جسمه الذى حمل روحا تطير - دوما - نحو العلى و الأعلى، لكنها تسكب الدموع عطا و رحمه، حتى محيت العيون من البكاء، كما قال:

محا بعدكم تلك العيون بكاؤها و غال بكم تلك الأضالع غولها

فمن ناظر لم تبق إلا دموعه و من مهجه لم يبق إلا غليلها

دعوا لى قلبا بالغرام أذيبه عليكم و عينا فى الطلول أجيلها

الاغتراب السياسى:

وسط الأحداث المروعاه عاش الشريف الرضى، و شهد النزاع الدامى الطويل و امتلأت نفسه بالصور المرعبه، فمن خليفه يخلع و يسمل، إلى أمير يحتز رأسه، و من والد تصادر أملاكه و يسجن، إلى صديق ينكب.

فما هى ردود فعل الشريف الرضى، و هو ما عليه من حسب و نسب؟.

فالشريف الرضى المولود فى جانب الكرخ من بغداد، و الذى ينتمى إلى أسره عريقه فى الحسب و النسب، و فى المجد. كان يرقب السلطه، و هو يحمل على هامه مجدا عتيدا راسخا. كما أنه كان يرقب البلبله بعين انتمائه العربى الأصيل.

إنما بسبب مجده التاريخى، و عروبه نشا اغترابه السياسى، و هو اغتراب الثورى الذى سئم الزمان المخادع، و أحابيله و غرائبه، محتفظا بروح التحدى و المقارعه، على ما هو عليه من قلق، و قد أبان عن ذلك مبكرا فى قوله:

سئمت زمانا تنتحينى صروفه و ثوب الأفاعى أو ديب العقارب

مقام الفتى عجز على ما يضيّمه و ذل الجرىء القلب إحدى العجائب

سأركبها بزلاء إما لمادح يعدد أفعالى و إما لنادب

إذا قل عزم المرء قل انتصاره و أفلح عنه الضيم دامى المخالب

و ما بلغ المرمى البعيد سوى امرئ يروح و يغدو عرضه للجواذب

و ما جر ذلا مثل نفس جزوعه و لا عاق عزما مثل خوف العواقب

ألا ليت شعرى هل تسالمنى النوى و تخبو همومى من قراع المصائب

إلى كم أذود العين أن يستفزها و مبيض الأمانى و الظنون الكواذب

حسدت على أنى قنعت فكيف بى إذا ما رمى عزمى مجال الكواكب

و ما زال للإنسان حاسد نعمه على ظاهر منها قليل رغائب

و أبقت لى الأيام حزما و فطنه و وقرن جاشى بالأموال الغرائب

توزع لحمى فى عواجم جمه و بان على جنبى و سم التجارب

إن تطلع الشريف الرضى إلى مجال الكواكب يعبر عن آماله الكبرى، التى لم تكن مجرد كشف حال بسموه و عزه، بل كانت تطلعا سياسيا خدمه بكل طاقاته الروحيه و الشعريه، و بكل مزاياه السياسيه و الاجتماعيه.

فى البدء ثمه حقيقه شاخصه فى شعر الرضى و هى اعتزازه بعلو مكانته و شرفه، و ما المصائب و الهموم التى حلت به إلا الثمن الذى لا بد للشرف [للشريف] من تقديمه، و قال فى أبدع تعبير:

و ضيوف الهموم مذ كن لا ينزلن إلا على العظيم الشريف

و لم تكن افتخارات الشريف الرضى معزوله على الأخلاقيات الاجتماعيه، بمعنى أنه لم يتناول افتخاره على نحو شخصى فقط، بل هو يقرنه دوما بالقضيه السياسيه و الأخلاقيه التي استحوذت على ذهنه و نفسه استحوذا تاما.

فهو إذ يعتز بكرامته و كبريائه و حرите و عزته، يعلم الآخريين - أيضا - الاعتزاز بالكرامه، و رفض الذل. و تأخذ أشعاره فى ميدان مكافحه الذل و عاره مكانه الحكم و المآثورات الغاليه.

فهو يقول:

و موت الفتى خير له من حياته إذا جاور الأيام و هو ذليل

و كذلك يقول:

و كل فتى لا يطلب المجد أعزل و كل عزيز لا يوجد ذليل

و:

لا تخلدن إلى أرض تهون بها بالدار دار و بالجيران جيران

و:

ص: ٢٥٧

ما مقامى على الجداول أرجوها لنيل و قد رأيت البحارا

و كان يشدد على نفسه الحساب، عند ما يتذكر علو رسالته، و قداسه هدفه. و إذا ما كانت للشريف الرضى فى الشعر صبوات هائله لكونه شاعرا عظيما، فان مطالب رسالته السياسيه كانت أهم لديه من الشعر، بل إنه أخبر عن أنه قال الشعر ذريعه إلى أمل كبير، ما إن يتحقق حتى يهجر الشعر:

و ما قولى الأشعار إلا ذريعه إلى أمل قد آن قود جنبيه

و إنى إذا ما بلغ الله غايه ضمنت له هجر القريض و حوبه

و إن يستصغر أحيانا حرفه الشعر، بسبب قداسه رسالته، و طموحه الدينى و السياسى الكبير فيقول:

و ما الشعر فخرى و لكنما أطول به همه الفاخر

أنزهه عن لقاء الرجال و أجعله تحفه الزائر

فما يتهدى إليه الملوك إلا من المثل السائر

و إنى و إن كنت من أهله لتنكرنى حرفه الشاعر

و كذلك قال:

ما لك ترضى أن يقال شاعر بعدا لها من عدد الفضائل

كفاك ما أورك من أغصانه و طال من أعلامه الأطاول

فكم تكون ناظما و قائلا و أنت غب القول غير فاعل

و لم يعلن - فقط - اعتذاره عن حرفه الشعر و استعداده لهجر نظم القصائد، و هو شاعر الحب و الهوى لأن شعاره هو:

من يعشق العز لا يرنو لغانيه فى رونق الصنفو ما يغنى عن الكدر

و هو فى انتمائه لقضيته الكبرى، كان يشدد على حاجته إلى الحزم، و الحزم يستبعد الهوى:

أضعت الهوى حفظا لحزمى و إنما يصاب الهوى فى قلب من ضاع حزمه

ترى، أيه قضيه تلك التى تتمحور حولها أفكار و أشعار الشريف الرضى، و التى يدور حولها مسار حياته؟ أيه قضيه تلك التى يعلن أن الشعر و الحب دونها بكثير، و أنه مستعد للإضراب عن الشعر و الحب من أجل تحقيقها؟.

هل هي المنصب الذى يتولى من خلاله تاديه مسئوليته معينه، فى زمن البويهيين الذين استمالوا عددا من الشعراء و الكتاب و استوزروهم أو قلدوهم بعض المناصب العاليه؟.

فى الواقع كان للشريف الرضى منصبه المرموق فقد شغل منصب نقابه الطالبين، و نظر فى المظالم، و حج بالناس مرارا، و أنه تسلم هذه الأعمال فى أوقات مختلفه نائبا عن والده أبى أحمد الموسوى أو مستقلا بالمنصب.

أما إماره الحج فكانت هى الأخرى من المناصب التى تدل على نفوذ الشريف الرضى و قوه شخصيته، فقد كانت تحتاج إلى رجل يفرض زعامته و هيئته و احترامه على جمهور المسلمين، و يستطيع حمايتهم فى صحراء واسعة يتعدون فيها عن مركز السلطه، و يتعرضون لمخاطر الغزو و السلب، و قد حج الشريف بالناس مرارا، و خالط البدو، و عاش حياه الصحراء، و عانى متاعبها و مخاطرها، فأثرت فى نفسه، و حمل منها ذكريات.

ففى سنه (٣٨٩هـ) حج الشريف بركب العراق مع أخيه المرتضى و اعتقلهما ابن الجراح فاقتديا نفسيهما بتسعه آلاف دينار.

و فى سنه (٣٩٦هـ) تولى نقابه الطالبين بالعراق، و ذكر البعض أنه تقلد النقابه و إماره الحج، و لكن فى السنه التى تلت.

أما فى سنه (٤٠٣هـ) فقد قلد الشريف نقابه الطالبين فى سائر الممالك، و قرئ تقليده فى دار الوزير فخر الملك، و خلع عليه السواد، و قيل إنه أول طالبى يخلع عليه السواد.

و لم يكن الشريف الرضى يرى فى (النقابه) هدفه النهائى، غير أنه كان يراها حقا موروثا، فقال:

قل للعدا موتوا بغيطكم فان الغيظ مردى

و دعوا على أحرزتها يا وادعين بطول جهد

كم بين أيديكم و بين النجم من قرب و بعد

ولى النقابه خال أمى قبل ثم أبى و جدى

وليتها طفلا فهل مجد يعدد مثل مجدى

و أظن نفسى سوف تحملنى على الأمر الأشد

حتى أرى متملكا شرق العلى و الغرب وحدى

و فى قصيده أخرى يرد فيها على قلق بعض أعدائه من تقلده النقابه، أفصح فيها عن هدفه الأكبر فقال:

قلق العدو و قد حظيت برتبه تعلقو عن النظراء و الأمثال

لو كنت أقنع بالنقابه وحدها لغضضت حين بلغتها آمالي

(لكن لي نفسا) تتوق إلى التي ما بعد أعلاها مقام عال

إن الشاعر الهادر الذي ينطوى صدره على شرف رفيع و كرامه عظيمه، كان يعرف مقامه جيدا، و كان يسير في الزمن و كأنه يخفى مقامه الحقيقي عنه، لأنه متوجه نحو غايته الكبرى، و رسالته التي لا يستطيع نسيانها.

فقال:

تعرفني بأنفسها الليالي و آنف أن أعرفها مكاني

لكن مكانه ليس في منصب، أو وظيفه، بل في العلى الذي لم يكن بالنسبه إليه ترجمه عاديه للتباهي، بل كان العلى بمعنى قياده السلطه، فقد كان الرضى يرى نفسه جديرا بالخلافه.

و في غالبه شعر الشريف يبدو ذلك الاحساس الغامر الذي يستولى عليه، و هو الاحساس بأنه منذور للسلطه، و مهيا لدور قيادي عظيم، لا بد أن ياتي حينه.

و منذ حدثته عبر عن ذلك، لا بالتلميح، بل بالجهر المدوى:

ص: ٢٥٨

أحصل من عزمى على التمنى و ليتنى أفعل أو لو أنى

راض بما يضوى الفتى و يضنى أسس آبائى و سوف أبنى

قد عز أصلى و يعز غصنى غنيت بالوجود و لم أستغن

إن الغنى مجلبه للضن و للعود و الرضا بالوهن

الفقر ينثى و التراء يدنى و الحرص يشقى و القنوع يغنى

إن كنت غير قارح فانى أبذ جرى القارح المسن

تشهد لى أن الزمان قرنى سوف ترى غبارها كالدجن

و يواصل:

من قبل أن يغلق يوما رهنى متى ترانى و الجواد خدنى

و النصل عينى و السنان أذنى و أمى الدرع و لم تلدنى

و كان و هو يرنو إلى المعالى، يعلم جيدا و عوره الطريق و كثره الأعداء و قله الناصرين، لكنه هتف فى داخله الهاتف فأصغى

إليه، فقال و هو فى السادسة عشره:

أ من شوق تعانقنى الأمانى و عن ود يخادعنى زمانى

و ما أهوى مصافحه الغوانى إذا اشتغلت بنانى بالعنان

عدمتم الدهر كيف يصون وجهها يعرض للضراب و للطعان

و يقول:

نشرت على الزمان و شاح عز ترنح دونه المقل الروانى

ساطلع من ثنايا الدهر عزما يسيل بهمه الحرب العوان

و لا أنسى المسير إلى المعالى و لو نسيته أخفاف الحوانى

و كنا لا يروعنا زمان بما يعدى البعاد على التدانى

و ليس هناك اغتراب سياسى، مثل اغتراب الشريف الرضى فى نضاله من أجل تحقيق غايته و تنفيذ رسالته، فقد كانت بمواجهته ظروف قاسيه، و شروط سياسيه أقسى.

و تطلب هدفه السامى منه إبداء المرونه فى علاقاته مع الخلفاء و الملووك و الوزراء، بالقدر الذى رآه مجديا لتمشيه أمور المسلمين، و تحقيق غايات محدده، ترتبط بغايته الكبرى التى أنشد لها و دعا إليها بلا توقف.

لكن مرونته تلك سرعان ما تتحول إلى غضب عات، عند حصول أى استفزاز صغير أو تعريض به، أو بواحد من أهله، أو عند حصول أى إهمال أو تجاوز أو تطاول عليه من أى سلطان كان.

و عند ما يغضب، يدع المرونه جانبا، و يعلو صوت حماسته و هو يذكر أصله و معدنه الكريمين، فينتفض كملك، أو كخليفه، و يكتسب التحدى فى شعره طعم التقرع، تقرع الخليفه الذى يخاطبه، دون ما خشيه منه.

و فى تلك الفرص النادره التى يغضبه الخليفه تبرز روح الشريف الرضى، الغنيه بكل معانى السيادة العربيه، و الحق، و الكبرياء التى لا تنحنى أمام السلطان مهما كانت قوه سطوته و شده بطشه.

و رغم أن الخليفه الطائع لله كانت بينه و بين الرضى موده، إلا أن إثارته له عند ما قرب بعض أعدائه إليه، جعلته يزمجر غيظا فى قصيده، مطلعها:

و نمى إلى من العجائب أنه لعبت بعقلك حيله الخوان

و تملككتك خديعه من قوله غراره الأقسام و الأيمان

حقا سمعت و رب عيني ناظر يقظ تقوم مقامها الأذنان

أين الذى أضمرته من بغضه و عقدته بالسر و الإعلان

أم أين ذاك الرأى فى إبعاده حنقا و أين حميه الغضبان

سبحان خالق كل شىء معجب ما فيكم من كثره الألوان

يوم لذا و غد لذاك و هذه شيم مقطعه قوى الأقران

فالآن منك الياس ينقع غلتى و الياس يقطع غله الظمان

ثم يبلغ فى نقده الذروه فيصيح:

لى مثل ملكك لو أظعت تقنعى و ذوو العمائم من ذوى التيجان

و لعل حالى أن يصير إلى على فالدوح منبتها من القضان

فاحذر عواقب ما جنيت فربما رمت الجنايه عرض قلب الجانى

أعطيتك الرأى الصريح و غيره تنساب رغوته بغير بيان

و عرضت نصحى و القبول إجازة فإذا أبيت لويت عنك عنانى

و لقد يطول عليك أن أصغى إلى ذكراك أو يثنى عليك لسانى

و يعد افتخاره بنفسه و هو يمدح الخليفه القادر بالله خير بيان عن اغترابه السياسى من موقع المجد، فقد ختم قصيدته التى كان مطلعها:

لمن الحدوج تهزهن الأينق و الركب يطفو فى السراب و يغرق

بثلاثه أبيات تلخص عظمه نفس الشاعر الرضى و شاعريته المجيده، و هى:

عطفاً أمير المؤمنين فاننا فى دوحه العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كالانا فى المعالى معرق

إلا الخلافه ميزتك فاننى أنا عاطل منها و أنت مطوق

و توضح العلاقة بين الشاعر الشريف الرضى و أبى إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى الكاتب و الشاعر عن مدى تمكن هدف الخلافه من نفس الشاعر الرضى، و من نفوس المريدين و الموالىن و الأنصار.

فالخلافه لم تكن مجرد رغبه، أو نزوه، أو حلم عابر لشاعر ذى صبوات و رغبات و آمال، بل كانت دعوه علنيه و سريه، شغلت اهتمام الشاعر طوال حياته، و شغلت العديد من الأتباع و المؤيدين.

و كان تأييد أبى إسحاق الصابى، لخلافه الشريف الرضى، رغم التباين فى الديانه، دليلاً على رسوخ حق الشريف الرضى فى الخلافه و اقتناع بعض الناس بهذا الحق، لا سيما المرموقين منهم.

و لم يكن إعجاب الشريف الرضى بأبى إسحاق الصابى، ناجماً عن تجاوب عاطفى لدعوه الصابى إلى حقه فى الخلافه، بل هو إعجاب متصل بروح الدعوه، و بمراحل انطلاقتها، و تطورها، و استمرارها، و تغلغلها فى نفوس الأنصار.

أبا حسن لى فى الرجال فراسه تعودت منها أن تقول فتصدقا
و قد خبرتنى عنك أنك ماجد سترقى من العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه و قلت أطال الله للسيد البقاء
و أضمرت منه لفظ لم أبح بها إلى أن أرى إطلاقها لى مطلقا
فان عشت أو إن مت فاذكر بشارتى و أوجب بها حقا عليك محققا
و كن لى فى الأولاد و الأهل حافظا إذا ما اطمأن الجنب فى موضع النقا
و كان جواب الشريف الرضى:

سنت لهذا الرمح غربا مذلقا و أجريت فى ذا الهندوانى رونقا
و سومت ذا الطرف الجواد و إنما شرعت له نهجا فخب و أعنقا
فليس بساق قبل ربعك مربعا و ليس براق قبل جرك مرتقى
و إن صدقت منه اللىالى مخيله تكن بجديد الماء أول من سقى
إلى أن يقول:

فان راشنى دهرى أكن لك بازيا يسرك محصورا و يرضيك مطلقا
أشاطرك العز الذى أستفيدة بصفقه راض إن غنيت و أملقا
فتذهب بالشرط الذى كله غنى و أذهب بالشرط الذى كله شقا
و تأخذ منه ما أنام و ما حلا و آخذ منه ما أمر و أرقا

...

إلخ.

إن الحقيقه الماثله فى بشاره الصابى تشير إلى ما هو أبعد من حق الشريف الرضى، من حيث الجداره و التأهيل للخلافه
الإسلاميه، أى أنها تشير إلى حق الشريف الرضى الموروث، و الثابت، إضافة إلى الأهليه و الجداره.

بكلمه أخرى أن الصابى و هو شيخ الكتاب، و الشاعر المعروف، كان يؤمن بحق اسره الشريف الرضى، (أبا عن جد) فى الخلافه، و إن هذا الايمان يمتد فى حياه الصابى، و فى تاريخ علاقته بوالد الشريف الرضى، السيد الموسوى، بجذور قديمه.

فالبشاره لم تكن وليده التفرس، كما يرى البعض، بل كانت وليده الايمان بالحق الموروث سواء أ كان الرضى طفلا (فى عمره) أو مراهقا، أو فى ما بعد العقد الثانى من العمر.

إن تحليل البشاره بالايمان بحق الشريف الرضى فى الخلافه، حتى قبل أن يكون الرضى نفسه شخصا مرموقا، أكثر دقه من تحليل البشاره بالفراسه، و بخاصه من قبل شخص صابئى لا تشغله أمور الخلافه الإسلاميه، كثيرا.

و يتصل ذلك بقضيه أخرى ذات أهميه، و هى أن كرامات الأبرار من أهل البيت، كثيرا ما فعلت الأعاجيب فى تغيير أفكار و عواطف أناس غير مسلمين، بعد الاحتكاك بهم، و الاطلاع على صفاتهم الشريفه، فانتقلوا إلى حظيره الإسلام بسبب التأثر بالقدوه الصالحه. و أصبح انتماؤهم الإسلامى ضربا من الايمان الكبير بامامه الأئمه الأبرار و الولاء لهم.

و مع أن الدكتور زكى مبارك يرجع بالعلاقه إلى بدايتها، و هى صداقه الصابى لأبى أحمد الموسوى والد الشريف، و قبل أن يولد الشريف بأكثر من أربع سنوات، إلا أنه لم يعرض العمق الروحى للعلاقه. فظهرت و كأنها صداقه قويه، أثرت على عواطف الشريف الرضى و تعززت أكثر بسبب اعتقال الصابى مثلما اعتقل والده من قبله أيضا.

فالصداقه و المأساه المشتركه و الرابطه الأديهى هى جملته العوامل التى وقف عندها د. زكى مبارك فى تفسير الرابطه بين الصابى و الرضى. إلا- أن هذه العوامل ليست قويه التأثير إلى الدرجه التى يندفع فيها شيخ صابئى مهم الشخصيه، حاد الموهبه، إلى الانحياز التام إلى الشريف الرضى، و الدعوه إلى حقه فى الخلافه الإسلاميه مع صعوبه هذه الدعوه بالنسبه إلى الصابئى [الصابى] فى وسط إسلامى يمور بالصراعات المذهبيه.

و فى الحق، أن دعوه الصابى إلى خلافه الشريف كان يمكن أن تكون عبئا على الرضى نفسه بسبب مكانته الخاصه بين المسلمين، و حساسيه موقفه و دعوته إلى الخلافه، كما أنها كانت عبئا على الصابئى الذى كان يمكن أن يكتفى بإبداء الود و المحبه، دون المجاهره بحق الشريف الرضى فى الخلافه الإسلاميه، ذلك الحق الذى كان يناصبه العدا، الخليفه و السلطه و أناس آخرون. غير أن الايمان إلى درجه الولاء هو الذى قاد الصابى إلى المجاهره، و هو الذى أفاض أعماق الشريف الرضى بالعرفان و الحب الشديد لأبى إسحاق الصابئى [الصابئى]، دون حذر أو تحسب.

و كانت قصيده الشريف الرضى فى رثاء أبى إسحاق الصابى من روائع المراثى المشحونه بالمغازى:

أعلمت من حملوا على الأعواد أ رأيت كيف خبا ضياء النادى

جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى من وقعه متتابع الأرباد

ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى أن الثرى يعلو على الأطواد

بعدا ليومك فى الزمان فإنه أقذى العيون وفت فى الأعضاء

لا ينفد الدمع الذى يبكى به إن القلوب له من الامداد

كيف انمحي ذاك الجناب و عطلت تلك الفجاج و ظل ذاك الهادى

طاحت بتلك المكرمات طوائح و عدت على ذاك الجواد عوادى

قالوا أطاع و قيد فى شطن الردى أيدى المنون ملكت أى قياد

من مصعب لو لم يقده إلهه بقضائه ما كان بالمنقاد

و يقول:

اعزز على بان يفارق ناظرى لمعان ذاك الكوكب الوقاد

اعزز على بان نزلت بمنزل متشابه الأمجاد و الأوغاد

و يقول:

ص: ٢٦٠

ما ذا الذى فجع الهمام بوثبه و عدا على دمه و كان العادى

قل للنوائب عددى أيامه يغنى عن التعديد بالتعداد

حمال ألويه العلاء بنجده كالسيف يغنى عن مناط نجاد

لقضى لسانك مذ ذوت ثمراته أن لا دوام لنصره الأعواد

و قضى جنانك مذ قضت وقداته أن لا بقاء لقدح كل زناد

بقيت أعيجاز يضل تبعها و مضت هواد للرجال هواد

يا ليت أنى ما اقتنيتك صاحباً كم قنيه جلبت أسى لفؤادى

برد القلوب لمن تحب بقاءه مما يجر حراره الأكباد

ليس الفجائع بالذخائر مثلها باماجد الأعيان و الأفراد

و يقول من لم يدر كنهك أنهم نقصوا به عددا من الأعداد

هيهات أدرج بين برديك الردى رجل الرجال و أوحده الآحاد

لا تطلبى يا نفس خلا بعده فلمثله أعياء على المرتاد

فقدت ملاءمه الشكول بفقده و بقيت بين تباين الأضداد

ما مطعم الدنيا بحلو بعده أبدا و لا ماء الحيا ببراد

الفضل ناسب بيننا إن لم يكن شرفى مناسبه و لا ميلادى

إن لم تكن من أسرتى و عشيرتى فلأنت أعلقهم يدا بودادى

لو لم يكن عالى الأصول فقد وفى شرف الجدود بسؤدد الأجداد

لا در درى إن مطلتك ذمه فى باطن متغيب أو باد

إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن حيا إذن ما كنت بالمزداد

ليس التنافث بيننا بمعاود أبدا و ليس زماننا بمعاد

ضاقَت على الأرض بعدك كلها و تركت أضيقتها على بلادى

لك في الحشا قبر و إن لم تاوه و من الدموع روائح و غواد

سلوا من الإبراد جسمك و انثنى جسمى يسل عليك في الإبراد

كم من طويل العمر بعد وفاته بالذكر يصحب حاضرا أو بادی

ما مات من جعل الزمان لسانه يتلو مناقب عودا و بوادى

فاذهب كما ذهب الربيع و اثره باق بكل خمائل و نجاد

لا تبعدن و أين قربك بعدها إن المنايا غايه الأبعاد

صفح الثرى عن حر وجهك إنه مغرى بطى محاسن الأمجاد

و تماسكت تلك البنان فطالما عبث البلى بانامل الأجواد

و سقاك فضلك أنه أروى حيا من رائح متعرس أو غاد

جدث على أن لا نبات بأرضه وقفت عليه مطالب الرواد

فى هذه القصيده يتفرد الشريف الرضى فى طبيعته النجيبه العالیه، فهو يوجه أصدق الرثاء (و هو ما تطفح به القصيده) إلى أبى إسحاق الصابى، رغم المكانه الإسلاميه المرموقه للشاعر الرضى، و التى تجعله فى موضع النقد و اللوم، و بالأخص من قبل الغرما و الحاقدين و حاسدى الشريف الرضى على مكانه و سمعته.

و لم تكن الرثايه على هذا المستوى من التأسى و التفطر ألما و حسره، لو لم تكن لأبى إسحاق فى نفس الشاعر الرضى مكانه خاصه، هى مكانه المريده، و الموالى، و المخلص، و الداعيه الذى لم تقعه ديانته المعروف بها، و ظروفه المحرجه عن الإفصاح عن دعوته و الجهر بها، و العمل على إذاعتها.

و ظل الشريف الرضى يذكر ولاء أبى إسحاق الصابى لاسرته و له، فظل يوافيه بالشعر الرثائى، كلما رأى قبره، معبرا بذلك عن أصاله الطبع، و علو النفس التى كانت فواره بالآمال و الأمانى. و ثمه ما يضاف إلى الأصاله و النجابه فى طبيعه الشريف الرضى و هو يرثى أبا إسحاق الصابى، و هو صفته القياديه غير الملموسه فى رثائاته، و لكنها مستشفه من خلال رعايته لأشخاص معينين، لم يذكر أسماء بعضهم، و هى رعايه القائد للجندى، و تعاطفه معه، و حذبه عليه، و ترحمه على ذكره.

و قد أصاب الصابى من رثاء الشريف الرضى من صدق الوجد ما يحمل أكثر من دلالة على قوه الآصره و مضمون الروحى و السياسى.

و بعد أعوام من موت الصابى، مر الرضى على قبره، فقال:

أ يعلم قبر بالجنينه أننا أقمنا به ننعى الندى و المعاليا

مررنا به فاستشرفتنا رسومه كما استشرف الروض الطباء الجوازيا

و ما لاح ذاك الترب حتى تحلبت من الدمع أو شال ملأن الأماقيا

نزلنا إليه عن ظهور جياذنا نكفكف بالأيدى الدموع الجواريا

و لما تجاهشنا البكاء و لم نطق عن الوجد إقلاعا عذرنا البواكيا

أقول لركب رائحين تعرجوا أريكم به فرعا من المجد ذاويا

ألما عليه عاقرين فاننا إذا لم نجد عقرا عقرا القوافيا

و لو أنصفوا شقوا عليه ضمائرا و جزوا رقابا بالظبا لا نواصيا

وقفنا فارخصنا الدموع و ربما تكون على سوم الغرام غواليا

ألا أيها القبر الذى ضم لحده قضيبا على هام النوائب ماضيا

هل ابن هلال منذ أودى كعهدنا هلالا على ضوء المطالع باقيا

و تلك البنان المورقات من الندى نواضب ماء أم بواق كما هيا

و ما كنت أبى طول لبث بقبره لو انى إذا استعديته كان عاديا

و أضاف:

خلا بعدك الوادى الذى كنت أنسه و أصبح تعرفه النوائب واديا

أراحت علينا ثله الوجد ترتعى ضمائرا أيامها و اللياليا

رضيت بحكم الدهر فيك ضروره و من ذا الذى يغدو بما ساء راضيا

و طاوعت من رام انتزاعك من يدى و لو أجد الأعوان أصبحت عاصيا

و طامت كيما يعبر الخطب جانبى فالقى على ظهري و جر زاميا

رثيتك كى أسلوبك فإزددت لوعه لأن المراثى لا تسد المرأى

و أعلم أن لىس البكاء بنافع عليك و لكنى أمنى الأمانى

و ترد المعانى الوافره للحب و التقدير، و هى ترعى للصابى مجدا، لم يكن مقصودا، لو لم يكن للصابى من أكثر الدعاه تحمسا
لحق الشرف الرضى فى الخلافه.

و بعد موت الصابى بنحو تسع سنين مر الشرف الرضى على قبره فقال:

ص: ٢٤١

إن تمض فالمجد المرجب خالد أو تفن فالكلم العظام بواقى

حذور الاغتراب

ارتكز الاغتراب السياسى للشريف الرضى على أصل قومى إسلامى للاغتراب فهو من حيث الهويه القوميه عربى الأصل و النشأه، و كذلك عربى النزعه و الاتجاه، و هو ابن أرومه عربيه قحّه، حملت لواء المجد العربى. أى أن عروبه الشريف ليست انتماء قوميا تقليديا، بل هو انتماء إسلامى ثورى، متجذر فى أرضيه عربيه متينه، و فى تاريخ عربى إسلامى مجيد و عريق.

و هو فى أغلب شعره الافتخارى كان ييئ أفكاره، لا بصوره افتخار شخصى منعزل، و إنما فى موقف موحد: فردى و قومى. فهو إذ يفتخر بنفسه و بأهله، فإنما يرمى بكل ثقله التاريخى لصالح أمته، كما أنه فى الوقت عينه يذكر مجد العشائر العربيه و بطولاتها فى معرض الافتخار الذاتى.

فقصائد شعره التى تتضمن أفكاره، و نداءاته، و استطراداته التاريخيه، و أمانيه تربط الذاتى و القومى ربطا محكما، و طبيعيا تماما.

فترد أشعاره عن شجاعه قبائل عربيه بالقوه الافتخاريه نفسها التى يرد فيها ذكر شجاعته، و شجاعه قومه، أو بالاسترسال نفسه. و غالبا ما تنمو القصيده و هى تنتقل من شجاعه الأهل و القوم إلى شجاعته الشخصيه، أو بالعكس، لأن الرابطه بين الذات و الأهل و العروبه، هى رابطه موحد، تشكل ركيزه عضويه واحده فى حياه الشريف الرضى. و يأخذ الافتخار، فى هذا المنظور، قيمته الخاصه منزها عن تمجيد الذات المرضى، الذى وقع صرعى فيه، و به، شعراء تياهون بأنفسهم عجا، أصابهم مس من جنون العظمه، فأطار صوابهم، و أضلهم، و أفقدهم القضيه الجوهريه للانتماء إلى شعوبهم و أوطانهم.

إن روح التحدى التى ترعرعت فى جسده، كانت تأخذ من حقه فى المسئوليه قوه متتاميه، فكان شعره يزداد حماسه و فخرا و شعورا بالرئاسه، فيقول و هو فى العشرين تقريبا:

و عن قرب سيشغلنى زمانى برعى الناس عن رعى القروم

و ما لى من لقاء الموت بد فما لى لا أشد له حزيمى

و يقول:

ما أنا للعلياء إن لم يكن من ولدى ما كان من والدى

و لا مشت بى الخيل إن لم أطا سرير هذا الأغلب الماجد

و "يلاحظ فى البيت الأخير أنه يعرض بالخليفه.."

إن حقيقه العربى، فى تصورات الشريف الرضى، عميقه المعنى، قويه الدلاله، و راسخه الحضور، مما يمكن الاستنتاج منه، و بسهولة تامه، أن تعامل الشاعر مع هذه الحقيقه، ليس مرحليا أو مرهونا بازمانات شخصيه تتصل بالمطامح، و إنما هى ركن

جوهرى فى منظومه أفكاره، كما أنها موجه و منظم لسلوكه و لكثير من الأفعال التى أقدم عليها، أو كان فى نيته الاقدام عليها. و بالنسبه لكثير من الشعراء قد ترد النزعه العربيه الإسلاميه بصوره كلمات مفرده، أو أبيات شعر محدوده، لمناسبه معينه، لكنها عند الشريف الرضى ذات أولويه فكريه و مصيريه تكتسح كثيرا من الأحيان الاهتمامات العاطفيه الأخرى، لتظل سيده الموقف فى القصيده.

و يقود التطابق مع القضييه إلى إبداعه متقنه، تقوم على وحده المعنى و المبنى. فالصدق الفكرى و النفسى يؤدى إلى الصدق الفنى، و كل صدق لأكثر جديه يولد صدقا آخر، و هكذا تفتح الطرق سلسله الولادات الجديده، و المتاخييه.

و كيف يستطيع الشاعر (و الفنان عموما) ضبط العلاقه بين الموصوف و الصفه، إذا لم يكن هو موصوفا بصفه؟!.

و بما لا يقبل الشك، إن التوصل إلى معرفه صفات الأشياء هو من ثمرات الواقعيه، أى قدره الرئى على استنتاج المرئى بمجموع أو ببعض صفاته.

غير أن الوصول إلى التشبيهات و الاستعارات يدل على ما هو أبعد و أهم من الواقعيه الالتقاطيه التى تأخذ بجماع المنظورات، و تعيد طرحها فى الفن و الأدب. ذلك لأن التشبيهات تنبثق من الأصاله الحقيقيه للشاعر و الفنان.

و على صعيد السياسه (فى الشعر و الأدب و الفن) لا يتأتى للسطحيين و الانتهازيين، و التوفيقيين، و صيادى الفرص النفعيه، أن يقدموا تشبيهات و استعارات رشيقه، أمينه، عذراء، باهره الاختصار، و الصياغه و التدليل. قد يقدرّون على تنميق أكاذيب معسوله، لكنهم هيهات، هيهات، أن يستطيعوا التشبيه و الاستعاره بنقاوه اشعاعات الشمس الفجرية و هى تعانق الأرض التى أنعمت على الشمس بفضيله الشروق و الغروب، فمنح الناس الجمالين فى الفجر و المساء للشمس و نسوا أن فدائيه الأرض الدائرته وراء كل ذلك.

تتصل إذن - نقاوه التشبيه و الاستعاره، بنقاوه القائل و صفاء انتساباته إلى نفسه و إلى مجتمعه، و إلى قضيته.

هكذا يمكن أن نفهم بيت شعر واحد، يساوى أكثر من عشرات المقالات و الأشعار، و حتى الدواوين. قاله الشريف الرضى و هو يجسد عروبتة الإسلاميه، و المضمون الذى يجب أن تكون عليه:

إذا عربى لم يكن مثل سيفه مضاء على الأعداء أنكره الجد

فى هذا البيت تضمين أكبر من المطابقه بين العربى و السيف، و هو ليس اختراعا، إنما هو من وحى الفطره العجيبه، فطره عربيه الشريف الرضى الإسلاميه المزكاه بالعرفانيه التاريخيه و السياسيه.

ثمه التصاقات جميله لو قلنا إن العربى كالسيف، و أجمل منها لو قلنا إن السيف كالعربى، لكن قوله الشريف الرضى: "إذا عربى لم يكن مثل سيفه" خرجت عن نطاق البلاغه الشعريه، الوصفيه، أو الاستعاريه، خرجت من المعرفه المتدبره، و دخلت فى عظمه الفطره النبيله، التى هى المصدر الأول لكل معرفه منزّهه.

و بالصوره الواحده، و بالأجل الواحد الذى لا مبدل له.

فالعربى سيف، و السيف عربى، و هما منذ الأزل العربى كائن واحد، لا يصلح هذا بغير (ذا) و لا (ذا) بغير هذا. و ان مجرد القول ب (هذا) و (ذاك) يعنى المباعده التى لا تقبل.

و إنها لحقيقه تاريخيه مؤكده أن العرب حينما (و كلما) نسوا و تناسوا معنى القوه فى هذه المطابقه بين العربى و سيفه، كان السقوط مصيرهم المدهم.

ففترة الازدهار العربى هى فترة تطبيق المقوله التى جلجل بها الشاعر الشريف ابن الشريف. أما فترات الانحطاط، و الانهيار، فهى التى افترق فيها العربى عن سيفه، فى تياه الغفله.

أما: ما ذا قالت القصيده قبل أن تصل إلى حكمه البيت المذكور، فذلك ما يعنيه التدرج العزيز لمرفى الحب المفجوع الذى يبتدئ بقوه حكمه المطلع، فتاتى الأبيات المتلاحقه و كأنها مطالع و خواتيم زاهره و مضربه حيثما توصلت مظنه العبقرية للشاعر الملهوف الذى وضعه (العز) الطرب و الخذلان مثل زيت يحترق:

لأى حبيب يحسن الرأى و الود و أكثر هذا الناس ليس له عهد

أرى ذمى الأيام ما لا يضرها فهل دافع عنى نوائبها الحمد

و ما هذه الدنيا لنا بمطيعه و ليس لخلق من مداراتها بد

تحوز المعالى و العبيد لعاجز و يخدم فيها نفسه البطل الفرد

أكل غريب لى بعيد بوده و كل صديق بين أضلعه حقد

و لله قلب لا يبيل غليله و صال و لا يلبيه عن خله وعد

يكلفنى أن أطلب العز بالمنى و أين العلى إن لم يساعدنى الجد

أحن و ما أهواه رمح و صارم و سابغه زغف و ذو ميعه نهد

و ليس فتى من عاق عن حمل سيفه أسار و حلاه عن الطلب القد

إذا كان لا يمضى الحسام بنفسه فللضارب الماضى بقائمه الحد

و حولى من هذا الأنام عصابه توددها يخفى و أضغانها تبدو

يسر الفتى دهر و قد كان ساءه و تخدمه الأيام و هو لها عبد

و لا مال إلا ما كسبت بنيله ثناء و لا مال لمن لا له مجد
و ما العيش إلا أن تصاحب فتيه طواعن لا يعينهم النحس و السعد
إذا طربوا يوما إلى العز شمروا و إن ندبوا يوما إلى غاره جدوا
و كم لى فى يوم الثويه رقهه يضاجعنى فيها المهند و الغمد
و لو شاء رمحى سد كل ثنيه تطالعنى فيها المغاوير و الجرد
ألا ليت شعرى هل تبلغنى المنى و تلقى بى الأعداء أحسنه جرد
جواد و قد سد الغبار فوجهها تروح إلى طعن القبائل أو تغدو
خفاف على إثر الطريده فى الفلا إذا ماجت الرمضاء و اختلط الطرد
كان نجوم الليل تحت سروجها تهاوى على الظلماء و الليل مسود
يعيد عليها الطعن كل ابن همه كان دم الأعداء فى فمه شهد
يضارب حتى ما لصارمه قوى و يطعن حتى ما لذابله جهد
تقرب لا مستحقبا غير قوته و لا قائلا إلا لما يهب المجد
و لا خائفا إلا جريره رمحه و لا طالبا إلا الذى تطلب الأسد
إذا عربى لم يكن مثل سيفه مضاء على الأعداء أنكره الجد
و يأخذ التصعيد مداه فى البيت الأخير، و يلحقه بصوره ثانيه:

و ما ضاق عنه كل شرق و مغرب من الأرض إلا ضاق عن نفسه الجلد

ثم يبدأ ذكر الإحباط، و تترد الصور الشعريه إلى الحزن الشخصى، و الغربه التى لا تفارق:

إذا قل مال المرء قل صديقه و فارقه ذاك التحنن و الود

و أصبح يغضى الطرف عن كل منظر أنيق و يلهيه التغرب و البعد

فما لى و للأيام أرضى بجورها و تعلم أنى لا جبان و لا وغد

تغاضى عيون الناس عنى مهابه كما تتقى شمس الضحى الأعين الرمد

فائده: (المال ماده الشهوات)

إن قضيه الخلافه التى سيرت الشريف الرضى فى دروب الاغتراب، و الاحباطات القويه، تختلف - من حيث المطالبه بها أو الاعتقاد بالحق فيها - من راغب إلى طالب، و من شخص إلى آخر. فهى قد تكون لدى البعض نمطا من شهوه السلطه التى تحرك المطالبه بها بقوه الدوافع و التطلعات السياسيه الذاتيه، و هى - فى الغالب - تجمع عدده شهوات و رغبات تسلطيه و تملكه متعدده، تكون بؤرتها الكبرى و الأساسيه شهوه السلطه، و الرغبه بالاماره، و ترافقها شهوه تملك المال و الثروات الماديه بأنواعها لكى تخدم الأموال و الأملاك مشروع الاماره، و تجسد الرغبات الذاتيه السرطانيه المتمثله فى الاحتياز و السيطرة و تملك الرقاب و الأموال على حدى سواء.

و بلا- شك إن الموقف من المال يعكس إلى درجه كبيره طبيعه السياسيه و الأخلاقيه لدعاه السلطه، و الاماره. لأن فهم فائده المال و مكانته و حدوده يكشف عن طبيعه الشخص و مواقفه، و آرائه، و نوع علاقاته بالبشر و بالحياء.

و بتعبير عام إن الأفكار التى تتعلق بالمال و سبل اقتنائه و زيادته، و سبل استخدامه و توظيفه أصبحت تشكل منذ القدم نظريه محدده. لذلك حفلت الكتب المقدسه و أحاديث الأنبياء و المصلحين بمفاهيم و تحليلات و تعليمات عديده حول المال.

و الخلافه فى فكر و تطلب الشريف الرضى، رغم تكتمه الشديد فى موضوع المناداه بها، و رغم أنها أخذت أسلوب (التوريه) أكثر من الإفصاح، هى أقرب إلى الرساله منها إلى رغبه الحكم، و ذلك لأنها متجرده - إلى حد بعيد - من شهوه السلطه. و يدعم الرأى المذكور موقف الشريف الرضى من المال و المنافع الماديه، و هو موقف تعلن عنه قصائده فى العديد من المرات، مما يوحي بوجود رؤيه محدده ثابتة للشريف الرضى فى هذا الخصوص. و تتوحد مع الرؤيه ممارسه تطبيقه تعلن عن تجرد الشريف الرضى من كثير من الشهوات التسلطيه و التملكه، النابغه - حكما - من أنانيه مفرطه التضخم و العدواني.

و تستلهم أفكار الشريف الرضى، الوارده فى شعره، عن المال، الكثير من أفكار (على بن أبى طالب)، إن لم تكن كلها فى هذا الميدان.

و تأخذ حكمه

ص: ٢٦٣

فى تشكيله الآراء و الحكم الأخرى، لأنها تربط ربطا دقيقا بين ضغط المال من أجل المراكمه و زياده الثراء، و بين الاستثثار التملكى المتفاقم، الذى تتضخم فيه الأثره، و يضع الإيثار.

و ما أرادہ

(على بن أبى طالب) فى قوله: "فما جاع فقير إلا- بما متع به غنى" إيجاد رابطه عدل و شراكه فى الحق، لأن المال مال الله و العيال عيال الله بالنتيجه، و كل مال ليس محمودا إذا لم يكن فيه حق للفقير و المحتاج و المحروم و السائل.

و لا يتوقف الشريف الرضى عن الإعلان بان الفقر ليس عيبا، و إنما العار فى المال غير المحمود.

فيقول:

ما الفقر عار و إن كشفت عورته و إنما العار مال غير محمود

و يكرر الشريف الرضى قناعته بان المال وجد للسخاء و الجود، و أن الشجاعه التى لا تعنى غير الجود بالنفس ترتبط بصفه الجود بالمال، و بذلك يتحلى المرء بأحسن الصفات و أجملها.

و هو يقول:

لقد عاف أمواله من وجود و قد طلق النفس من يشجع

و هو يدين الشخص الثرى الذى لا يجود:

وجدوا و ما جادوا و محتقب للوم من أثرى و لم يجد

و يستوحى الشاعر من حكمه

على بن أبى طالب القائله:

"لكل امرئ فى ماله شريكان: الوارث و الحوادث"، ما يتوصل به إلى إدانته جمع المال خارج الشرط الإنسانى الصحيح، فالمال وسيله و ليس غايه، أو صنما يسجد له الإنسان و يخدمه، و هو يرتبط بحق الإنسان فى العمل، و بحريته، و بحق الرزق المكفول من الله تعالى لابن آدم، فيقول:

و ما جمعى الأموال إلا غنيمه لمن عاش بعدى و اتهم لرازقى

و ما يمنع الشرفاء و الكرام من جمع المال إلا- التعفف، و الحق، فإذا جاءت الأموال بين أيديهم، فإنهم يخرجون سلطانها من أفئدتهم، و يجرون تصريحها بما فيه الخير و الفائدة. و هم يعلمون خطر المال أكثر من سواهم، مهتدين

بكلمه على بن أبى طالب: " المال مادته الشهوات"، لكن سلطانه بعيد الشأو، و كما قال الرضى:

قد يبلغ الرجل الجبان بماله ما ليس يبلغه الشجاع المعدم

لا تخدعن عنه فرب ضريبه ينبو الحسام بها و يمضى الدرهم

و لا تغيب عن الشاعر الحكمة التليده:

إذا قل مالى قل صحبى و إن نما فلى من جميع الناس أهل و مرحب

و خاتمه الأمر إن ذم المال لا يعنى امتداح الفقر، فالفقر هو الموت الأكبر و "الفقر فى الوطن غربه".

و إنما يعنى رفض توثيق المال و حسبانته غايه الغايات، فما هو إلا وسيله، و أداءه، تصليح إن وضعت فى موضع خدمه الناس، و تفسد إن وضعت فى موضع إذلال الناس، و خلق العداوات، و تاجيح الإحن و المحن.

الغربه الاجتماعيه غربه الناس أولا

تحسب الغربه الاجتماعيه وجها مباشرا من وجوه الاغتراب السياسى، لأنها تتصل اتصالا- وثيقا بالظروف السياسيه، و تقلبات الأحداث، و مصائر الأشخاص الفعالين فى جهاز الدوله أو فى صفوف المجتمع. و تسهم العوامل الموضوعيه، و النفسيه، فى إبراز الجوانب الاجتماعيه للظاهره السياسيه، و الوجوه السياسيه للظاهره الاجتماعيه.

و فى جميع الحالات المتغيره، تكون الوضعيات و العلاقات الاجتماعيه، من نتائج الأمر السياسى، و لكنها - فى الوقت ذاته - تصبح من أسبابه، و عوامله المحركه، سلبا أو إيجابا.

و تتعرض سيكولوجيه الجماعات إلى تغييرات مهمه، تبعا لنوع المراحل السياسيه التى تجتازها، و كذلك، تبعا لمدى جثوم التاريخ القريب على زمنها لمدته أطول أو أقصر. لأن اعتياد الجماعه البشريه على العيش فى ظل مرحله معينه لفته طويله، (بالقوه أو بإرادتها) يؤدى إلى تعودها على صفات جماعيه، أو شبه جماعيه، قد لا تكون من خصائصها الثابته، و إن كانت - بالنتيجه - تقرب منها.

و تختلف الجماعات البشريه فيما بينها من الناحيه السيكلوجيه، و كذلك تختلف الجماعه البشريه الواحده فى ما يسمى ب " السمات و الخصائص " باختلاف مراحلها التاريخيه، حيث لا توجد سمات و خصائص نهائيه، و أبديه. و أن قانون (التفاعل) لا يسمح بوجود خصائص مطلقه. لكن بعض الخصائص النسبيه تبدو و كأنها خصائص مطلقه من طول استمراريتها.

و من هنا يقال فى بعض التحليلات السياسيه و الانطباعات الثقافيه عن بعض المجتمعات و الشعوب إنها غافله، أو كسوله، و عن بعضها الآخر إنها متمرده، وثابه.

و أول خذلان فاجا الشريف الرضى، هو خذلان العوام، الذين ورد ذكرهم فى شعره باسم (الناس). إنهم - أصلا - مستلبون، و

هم فى حالتهم تلك غير قادرين على إعانه بطل متفحم فى كفاحه العادل. و تبلغ الغرابه مبلغا مدهشا، فى سيكولوجيه الجماعات، إنها - أى الجماعات - تندفع - أحيانا - بهوجائيه عمياء ضد أبنائها و مفكريها و أبطالها، استجابته لأوامر سياسيه صادرة عن السلطه، فتتكلم بهم، ثم تندم متأخرا.

يمكن أن نعثر على مثل هذا السلوك، فى مراحل عديده من أزمته الانحطاط فى التاريخ العربى، بعد أن عفا الزمن على عصر الازدهار العربى الإسلامى.

فأول غربه، و اغتراب، بالمعنى الاجتماعى، عند ما وجد الشريف الرضى انعدام (الناصر) بالدلاله الاجتماعيه.

ص: ٢٦٤

انعدام العهد فى أكثرىه الناس، منذ البيت الأول، و هو القائل:

لأى حبيب يحسن الرأى و الود و أكثر هذا الناس ليس له عهد

ثم:

أكل قريب لى بعيد بوده و كل صديق بين أضلعه حقد

و تصعد عنده حده التشخيص و الادانه، درجه عاليه فيعلن:

الناس حولك غريان على جيف بله عن المجد إن طاروا و إن وقعوا

فما لنا فيهم إن أقبلوا طمع و لا عليهم إذا ما أدبروا جزع

و يرى بنفسه أن الناس هم الداء، و أن الصراع بين العاقر و المعقور، صراع المفترس و الفريسه، هو الذى يطغى على ما عداه، فىا لضيعه من يرنو إلى القضيه: فقال:

يطيب النفس عن قطعى علائقها إنى أفارق من فارقت معذورا

كن فى الأنام بلا عين و لا أذن أو لا فعش أبد الأيام مصدورا

غيب الرجال ظنون قبل مبحثه فما طلابك أن تلقاه موفورا

فما نلائم إلا عاد منصدعا و لا نثقف إلا عاد ماطورا

محل البلاد و لا جار تغص به يضوى الفتى و يكون العام ممطورا

و الناس أسد تحامى عن فرائسها إما عقرت و إما كنت معقورا

كم وحده هى خير من مصاحبه ينسى الجميع و يغدو الفذ مذكورا

من كشف الناس لم يسلم له أحد الناس داء فخل الداء مستورا

و لقد كان ما ناله من الناس أسوأ جزاء، و هو الذى جبل على حب الناس، فهو فى شجاعته، و كرمه، و كفاحه، و فى مسئولياته التى تولاهها، و صارع، و ضحى فيها، لم يكن إلا منافحا عن الناس.

و كان ذلك، من قبله، قضيه و مسئوليه و واجبا، و ليس مجرد عواطف إيجابيه بسيطه، لكن كم هم أولئك الذين يقرون بشجاعه الشجاع، و توضحيه المضحى، و جود السخى، و هو يفعل ما يفعل من أجل الناس.

لا شك إن العدد لضئيل، لأن غالبية الناس فيما إذا خيم عليها الجهل، و غشت ضمائرهما غشاوات الكذب و التدليس، و أجبنت عن قول الحق، فإنها تسمى الشجاعه تهورا، و الكرم تذييرا و سذاجه، و التضحيه خبالا.

و رغم أنها تعلم فى قراره النفس، ما هو الصحيح، إلا أن الجبن الطاغى، الذى لا تعترف به (و متى اعترف إنسان بجنبه؟! يسوغ لها اتهام الغريب عنها، فتضيف إلى السهام و الرماح التى تتناوشه رماحا جديده.

فيصبح أكله السهام، و أكله المغتاب... فالذى شكا تبذل الشاعر صحا به، و الناس الذين أبعد الهوى من أجلهم، فقال:

أنا أكله المغتاب إن لم أجنها شعواء يحضرها العقاب الغائب

و كأنما فيها الرماح أراقم و كأنما فيها القسى عقارب

قد عز من ضنت يدها بوجهه إن الذليل من الرجال الطالب

إن كان فقر فالقريب مباعد أو كان مال فالبعيد مقارب

و أرى الغنى مطاعنا بثرائه أعدائه و المال قرن غالب

يشكو تبذلى الصحاب و عاذر أن ينبذ الماء المرنق شارب

من أجل هذا الناس أبعدت الهوى و رضيت أن أبقى و ما لى صاحب

و أى الليالى إن غدرن فإنه ما سن أحباب لنا و حباب

غربه الأصدقاء ثانيا

و يرتفع مستوى الغربه الاجتماعيه فى نفس الشريف الرضى، إلى حاله اغترابيه أكثر ما ساويه، من تلك التى لفها به خذلان أكثر الناس، و هى خذلان الأصدقاء، و هى الحال الثانيه من الاغتراب الخائق الذى يسد أبواب التضامن الأخوى و الروحى بوجهه.

إن الصديق هو قوه المسانده فى السراء و الضراء، فى الفرح و الترح، و هو الحبيب الذى تشترك نبضات قلبه مع نبضات قلب صديقه، و "الغريب من لم يكن له حبيب" كما قال على بن أبى طالب (ع)، و أناس مثل الشريف الرضى الذى يتسمون بالسخاء و السماحه و طهاره النفس، يجدون أصدقاء كثيرا، و هم يحمون الصداقه، و يسهرون عليها، لكنهم سيئو الحظ، لأن أصدقاءهم (يضيعون) صداقتهم. و ليس أكثر عذابا للنفس الشريفه الحساسه من هجر الصديق، أو ابتعاده، أو نسيانه حق الصداقه، و حق الصداقه هو التلازم، و التذاكر بالموده، و التشارك أمام تصارييف الزمان.

و الإنسان مثل طيف عابر، و كذلك زمنه، فلا غنى له - و الحال هذه - عن معاضده الصديق، الذى يحفظه فى غيبته، و نكبتة، و وفاته.

قاله على بن أبى طالب: (ع) "أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، و أعجز منه من ضيع من ظفر به منهم". لكن الشريف الرضى و هو (الأشجع)، كسب الاخوان، فخره، و كم ضيع أناس خيره الناس، و أفضل الصداقات لأسباب تافهه، لا يعدو بعضها الغرور، أو لسمع القال و القيل، أو قبول مصاحبه أهل السوء أو سوى ذلك، لكن الذين هجروا الشريف الرضى، كانوا يتهيبون من علو همته، و عظمه مسعاه، و لا يحلق مع الباز إلا الباز، فأشفقوا على أنفسهم من طول الرحله، و أشفق عليهم الرضى أيضا، لكنه ظل يشكو غدر الخلان و الأصدقاء، و هذا أسوأ ما يناله امرؤ فى حياته.

و يحار الإنسان فى تفسير ظاهره تعرض الشرفاء لغدر و خيانه الأصدقاء، هل هو سوء الحظ أم البلاء؟ و هو - كما ذكرنا - بدرجات، و باشكال؟ و هل الشريف يغرى الصديق بخيانه، بسبب شرف طبعه، و نبل نفسيته، و ترفعه عن العقاب؟ أم أن الحسد يحرك ذيله فى نفس الصديق؟ الذى يبر بنفسه علو مكانه صديقه الشريف، فيغار، و يحقد، و ينتقم؟ قد تكون الصوره هنا أكثر وضوحا. فالصديق يرى صفات صاحبه النبيله، مثلما فى مرآه، يرى تفوقه، و جدارته، و نفاسه معدنه، و هو يرى نفسه - أيضا - يرى عجزه عن اللحاق بتلك السمات الساميه، و لأن نوازع الشر موجوده فى الصدر، فإنه بدلا من أن يعتبر تلك السمات قدوه يهتدى بها، فان نوازع الضحاله تخبط خبطتها، فتخلق الحسد و الغيره، و الكراهيه المتدرجه، ثم الانتقام اللثيم.

و أبدأ، ظلت خيانات الأصدقاء مروعه، و مهينه و إنسان مثل الشريف الرضى يعرف الناس، و يعرف اختياراته جيدا، لأنه القائل:

لا- يمكن أن لا يعرف وجوه أصدقائه، و أكفهم، لكن هل يكفي ذلك لمعرفة ما وراء الدخائل؟ و أيا ما كانت معرفه الشريف الرضى بالأصدقاء و الخلان، فان غدرهم يجرحه جرحا لا مثيل له، دائم النزف، لأن معرفته المخدوله تطرق أوتار نفسه الحساسه المرهفه، فيكون الأنين مثل صوت ريح الباديه: حزينا، حزينا، حزينا، كروح مسمره فى النكبه! هل كانت معادله الشريف الرضى، معادله الناس الذين هم مثله فى صفاء الاحساس و الذكاء النادر؟ و لعل سمات المحب العظيم، غير هذه السمات: الحب الخارق للأم، و الحب العنيف للأصدقاء، و حب البشر، و الحياه، و السمو بالنفس نحو المثل و المبادئ و نحو أخلاقيات الشرف؟ و هل مى [هى] غير الرهافه، و السخاء، و الشجاعه، و الموهبه، فلما ذا، إذا تجمعت لدى امرئ تعرض لغدر الصديق، غدر الجبان، فينام الجبان على وساده جنبه، و يظل هو شاكيا للزمان اغترابه؟ و يربط الشريف الرضى، كل شىء بالأصول، فان أوضح ذلك، فى شعره بالسبييه، فقد فعل، و إن أوضح ذلك بالتجاوز فقد أوما، و قد قال:

و أول لؤم المرء لؤم أصوله و أول غدر المرء غدر خليل

فالله، الله، لمن توحدت فى نفسه أيكه الأصل الشريف، و محبه الخلان! و لله، ما يلقي من غدر من لؤمت أصوله، و من يضع السم فى كاس صاحبه و صديقه و خليله! فطارت شكوى الرضى إلى الجوزاء، و إلى جميع محطات ذاكره الزمن، فتشاكل الشجو و الشجن و الشكر فى ناموس البلاء، و الله الحى الشاهد:

أشكو النوائب ثم أشكر فعلها لعظيم ما ألقى من الخلان

و إذا أمنت من الزمان فلا تكن إلا على حذر من الاخوان

و كذلك قال عن معاناته من نفاق الأصحاب:

فكم صاحب تدمى على بنانه و يظهر أن العز لثم بنانى

يضم حشا البغضاء عند تغيبي و يجلو جبين الود حين يرانى

مسحت بحلمى ضغنه عن جناه فلما أبى مسحته بسنانى

سبقت برمى قلبه فأصبته و لو لم أصبه عاجلا لرمانى

و قال:

لحا الله دهرا خاننى فيه أهله و أحشمنى حتى احتشمت الأعاديا

فلست أرى إلا عدوا مكاشفا و لست أرى إلا صديقا مداجيا

و فى وحشه الوحده، و هو يحتاج الأرض بهمهته و مجده و علو شانته، و آماله الكبيره، يصدحه الخذلان فيرى نفسه وحيدا ليس له صديق، إذن ليس له منزل أو سكن! لكن: متى كانت لكبار النفوس مساكن؟ و ظل الشريف الرضى، شاعر القلب و الحكمه،

يحل ثنائه التفجع بين حاجته إلى الصديق، و بين حرمانه من وفاء الأصدقاء (إلا- من قلبه نابهيين أجلاء) في شكوى الدهر و الزمان، و كان يتساهل في فجائع و أزمات كثيرة، لكن انعدام وفاء الأصدقاء كان ينقله فورا إلى مخاطبه الدهر الخائن، لأن الصداقه حلت في قلبه و عقله محلا لا أعلى منه و لا أرقى، فان قل الصديق كان الدهر مسئولا عن ذلك:

توقعي أن يقال قد ظعنا ما أنت لى منزلا و لا سكنا

يا دار قل الصديق فيك فما أحس ودا و لا أرى سكنا

ما لى مثل المذود عن أربى و لى عرام يجرنى الرسنا

ألين عن ذله و مثلى من و لى المقادير جانبا خشنا

معطلا بعد طول ملبته منازللا قد عمرتها زما

تلعب بين النائبات واغله كما تهز الزعازع الغصنا

أيقظن منى مهندا ذكرا إلى المعالى و سائقا أرنا

كيف يهاب الحمام منصلت مذخاف غدر الزمان ما أمتنا

لم يلبث الثوب من توقعه للأمر إلا و ظنه كفنا

أعطشه الدهر من مطالبه فراح يستمطر القنا اللدنا

لى مهجه لا أرى لها عوضا غير بلوغ العلى و لا ثمتنا

و كيف ترجو البقاء نفس فتى و دأبها أن تضعضع البدنا

أكر طرفى فلا أرى أحدا إلا مغیظا على مضطغنا

ينبض لى من لسانه أبدا نصال ذم تمزق الجننا

إن الصراع يشتد، و تضاف إلى أسبابه أسباب جديدة.

و سيرى الشريف الرضى نفسه شاردا فى البلاد دائما، منكورا، محروما، جريحا لأن جبل الوفاء، أنى ذهب و توجه، يتصرم كاللعنه:

أنه يذكر عن نفسه أنه تحفه للصدى قائلًا:

على أنى تحفه للصدى يروح بنجوى أو يفتدى

و إنى لىأنس بى الزائرون أنس النواظر بالائتمد

تغمض لى أعين الحاسدين كالشمس فى ناظر الأرمد

فلا دخل البعد ما بيننا و لا فكك منا يدا عن يد

و طول أيامنا بالمقام فى ظل عيش رقيق ندى

لكن قدره أنه و هو الصدى و الصادق لى له صدى، فىقول:

كفى حزنا أنى صدى و صادق و ما لى من بين الأنام صدى

فكيف أرىغ الأبعدين لخله و هذا قريب غادر و شقى

و ظلت حسرتة على الصدى تنتهى دوما بمقاله حكيمه:

من لى بغيره صاحب لا يستطيل عليه عاب

ما حار الأيام إلا كان لى و له الغلاب

هيهات أطلب ما يطول به بعاد و اقتراب

قل الصحاب فان ظفرت بنعمه كثر الصحاب

من لى به سمحا إذا صفرت من القوم الوطاب

من لى به يا دهر و الأيام كالحه غضاب

غربه المتفرد

لا- يمكن قصر الاغتراب على شروط الموضوعيه، من حيث كونه تغريبا سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا، إذ أن العوامل الذاتيه للاغتراب تشكل أساسا قويا لفعاليه الثروه و المؤثرات الموضوعيه. و بالنسبه إلى الشريف الرضى لعبت طبيعته الشخصيه دورا كبيرا فى اغترابه المأساوى. و استنادا إلى أشعار الشاعر، و إلى المعروف عن حياته، فان طبيعته تتسم بمزيتين واضحتين تماما:

الأولى قوه طبعه، و حديثه التى لا يستطيع حياها الأقدام على أيه مراوغه شخصيه. و لعل وضوحه القاسى كان سببا كبيرا لكثير

من المتاعب التي مر بها، و كثيرا تحدث عن السيف، بل هو يرى أن السيف لا معنى له، (و ليس سيفاً) إذا ظل مغمداً، فهو سيف في وظيفه الاستعمال، و ليس في إطار الغمد و الحفظ فقال:

"أنا السيف إلا أننى فى معاشر أرى كل سيف عندهم لا يجرب"

و مثلما بدأ جلياً فى العديد من الاستشهادات الشعريه المذكوره، و سواها مما لم نذكره - و هو أكثر! - كان الشاعر متجها صوب أهدافه التي اجملتها كلمه (المعالي) تعبيراً عن قضيه سياسيه و إيديولوجيه، و طموح متحصن بدلاله دينيه و تاريخيه.

و أكسبته طبيعته الشخصيه العنيد، واقعيه مباشره، و تعاملها حسياً مع الأحداث بالمستوى الذي حتمه كفاحه من أجل تحقيق بعض أهدافه.

و إن (العلى) الذي كان يتوق إلى الوصول إليه باستمرار، لم يكن مقطوعاً عن تلك الطبيعه نفسها، لأنها بالذات، طبيعه تحمل فى داخلها شعوراً بالعلو لم يفارقه لحظه. و إنسان، هو الشريف الرضى، ذو نفس عاليه، لا يمكن إلا أن يكون صادقاً فى حياته، حقيقياً، واضحاً، مباشراً، مفصلاً عن أهدافه، و أغراضه، و عواطفه، بشاعريه صافيه.

و من موقع العلو النفسى، يأنف الشاعر و أى إنسان مشابه له، من التدنى، و التلوث، و الارتباط بالشبهات و من باب أولى، فإنه يترفع عن الكذب، و الالتواء، و الاحتيال، و التخابث، و سنرى - فيما بعد - كيف أن هذه الصفه من صفات الشريف الرضى متعلقه بخوض غمار حرب صعبه مع الناس و الأقرباء و الأصدقاء بسبب صدقه فى عشقه، و تعففه عن النفاق، باسم دواعى نقابته و إمارته بالحج.

و إذا كانت صفه القوه الطاغيه فى طبيعه الشريف الرضى قد برزت فى مضامين كثيره من شعره، و الشعر ترجمان الأفكار و الأحوال، فإن الصفه الثانيه برزت فى حياته الواقعيه، و فى شعره أيضاً، هى صفه السماحه، التي يمكن حسابها نوعاً من الديموقراطيه الفطريه، و المناقبه الإنسانيه السمحاء. و هى - أيضاً - الوجه الآخر لعظمه الروح. فالقوه الحقيقيه للشخصيه هى التي توفر أوسع الإمكانيات، و الاستعدادات لخوض الحوار الديمقراطى، و التعايش مع المذاهب و الأفكار بثقه.

إن الضعفاء، حين ذاك، و فى أى وقت آخر، فى ميدان السياسه و الفكر هم الذين يخشون الحوار و التعايش مع الآخرين من مختلف المستويات المذهبيه و الايديولوجيه، ذلك لأن التزعزع الذي يلم بنفس الضعيف فكراً و أخلاقياً يعجزه عن المعايضه، و المجابهه المشروعه، و مقارعه الحجه بالحجه.

و على امتداد حقب التاريخ كان المتعصبون، المتطرفون أضعف الناس، لذلك فقد استخدموا النار و الحديد للإجهاز على اجتهادات الفكر و السياسه و لم تكن ظاهره قوه بعض رؤوس التعصب، التي لا يمكن إنكار وجودها فى مراحل تاريخيه معينه و فى بلدان مختلفه، داله على قوه حقيقيه، بالمعنى الإنساني، بل هى نوع من شذوذ القوه، أو القوه الشاذه.

و حينما تحاول ماكينه السياسه طى السجلات و الأوراق، و كم الأفواه، و التكتم على الأخبار و الاختباء فى ليل السريه، فإن قوه التاريخ تفتح كل ما طوته السياسه، و تسلط الضوء على مخفياتها و طلاسمها.

و لأن السياسه (بنت) التاريخ، فإنها تسلّم الأحكام النهائيه إلى التاريخ الذى يقرر مدى الضعف و القوه، و الكذب و الصدق فى حيوات البشر الفعالين، من سياسيين و مفكرين، و شعراء و مقاتلين.. إلخ.

و قد انتصر التاريخ للقيم السمحاء، و أدار ظهره للتعصب، و بذلك أصبح تاريخا.

و يبدو أن الشريف الرضى و رث سماحه الأخلاق و ديمقراطيه الرأى و رفضه للتحجر و التعصب و الانغزاليه و تصنيف البشر باسم المعتقدات و سواها، من أبيه السيد أبى أحمد الموسوى، الذى كان الرجل الهمام، و الرأس المقدم، فى حل مشكلات الصراع الذى كان يؤججه الطامعون و عملاؤهم المنتفعون.

و قد تشرب الشريف الرضى من أخلاق أبيه كل السماحه النجيبه التى جعلته ينظر إلى البشر بمنظار المحبه، لا بمنظار التعصب الضيق، الذى يصطنع الفوارق بين البشر، بعنصريه مقبته، ذات منحى مذهبي، ادعائى، شكلى بالنتيجه.

ص: ٢٦٧

إلى كم الرحم البلهاء شاكيه لها من النعى إعوالم و إرنان
حيرى يضلونها ما بيننا و لها و نا على عدواء الداء نشوان
النجر متفق و الرأى مختلف فالدار واحده و الدين أديان
و ثم أوعيه الإحسان مكفأه فوارغ و وعاء الشر ملثان
إننا نجرهم أعراضنا طمعا فى أن يعودوا إلى البقيا كما كانوا
أنى يتاه بكم فى كل مظلمه و للرشاد امارات و عنوان
ميلوا إلى السلم أن السلم واسعه و استوضحوا الحق أن الحق عريان
ثم قال:

يا قوم إن طويل الحلم مفسده و ربما ضر إبقاء و إحسان
ما لى أرى حوضكم تعفو نضائبه و ذودكم ليله الأوراد ظمان
مدفعين عن الأحواض من ضرع ينضوا بهامكم ظلم و عدوان
لا يرهب المرء منكم عند حفظته و لا يراقب يوما و هو غضبان
إن الأولى لا يعز الجار بينهم و لا تهان عواليهم لذلان
كم اصطبار على ضيم و منقصه و كم على الذل إقرار و إذعان
و فيكم الحامل الهمهام مسرحه داج و من حلق الماذى أبدان
و الخيل مخطفه الأوساط ضافره كأنهن ععلى [على] الأطواد ذؤبان
الله الله أن يبتز أمركم راع رعيتيه المعزى و الضأن

ثوروا لها و لتهن فيها نفوسكم إن المناقب للأرواح أثمان

و لعب أساتذه الشريف الرضى دورا كبيرا فى تعزيز سماحه روحه، و أصاله نظرتة الاصلاحيه الإنسانيه، فهو لم يتلمذ على
أساتذه من مدرسه مذهبيه واحده، بل كانوا من مذاهب و طوائف فكريه مختلفه، فخلق ذلك انسجاما و افرا بين طبيعته الحره و
بين حريه الفكر التى كانت رائده و مناخه الذى ترعرع فيه.

و كان أشهر من أخذ عنهم الشريف الرضى هم:

١ - أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ): وقد ذكره الرضى فى كتابه (المجازات النبويه) و هو أستاذة الأكبر فى علم النحو، صاحبه كثيرا، و أعجب الرضى بأرائه، و أعجب هو بشعر الرضى، فشرح بعض قصائده، و مدحه الرضى بقصيده يشكره فيها و يصفه الأنبارى بأنه كان من حذاق أهل الأدب و أعلمهم بعلم النحو و التصريف، فصنف فى النحو و التصريف كتبا ابداع فيها كالخصائص و المنصف، و سر الصناعات و صنف كتاب [كتابا] فى شرح القوافى و فى العروض، و فى الذكر و المؤنث.

٢ - أبو الحسن على بن عيسى الربعى (ت ٤٢٠ هـ): و هو أستاذ فى النحو قبل ابن جنى، قرأ عليه مختصر الجرمى و قطعه من كتاب الإيضاح لأبى على، و العروض للزجاج و القوافى للأخفش... و ذكر عنه القفطى أنه صاحب (أبا على) و درس عليه و كان يقول له "لو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحى منك".

٣ - قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد الشافعى المعتزلى (ت ٤١٥ هـ):

ذكره الشريف فى المجازات أيضا. و قرأ عليه (تقريب الأصول) و كتاب (العمده) فى أصول الفقه.

٤ - أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى (ت ٤٠٣ هـ): ذكره الشريف فى المجازات و درس أبوابا فى الفقه، و يعد شيخ الحنفية و فقيههم.

٥ - أبو عبد الله بن عمران المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ):

و كان أديبا فذا و راويه بارعا. قرأ عليه الشريف الفقه و الحديث. و كان يقال عنه فى زمنه إنه أحسن تصنيفا من الجاحظ. و هو معتزلى صنف كتابا فى أخبار المعتزله كبيراً.

٦ - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى (ت ٣٩٣ هـ):

و كان فقيها مالكيا، و يعد شيخ القراءات. تتلمذ عليه الشريف فى عنفوان شبابه و قرأ عليه القرآن.

٧ - الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان قرأ عليه الشريف مع أخيه المترضى [المترضى] و قد انتهت إليه رئاسه الاماميه فى وقته، و كان مقدا فى العلم و صناعاته الكلام و الفقه، و له ما يقرب من مائتى مصنف.

٨ - أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود بن الجراح (ت ٣٩١ هـ):

و هو شيخه فى الحديث، ذكره فى المجازات، و ترجم له ابن الجوزى، و وصفه بأنه كان عارفا بالمنطق و الحديث، روى عنه الأزهري و الصيمرى، و كان بالاضافه إلى ذلك شاعرا.

٩ - أبو حفص عمر بن إبراهيم الكنانى (ت ٣٩٠هـ):

يروى عنه الحديث، وقد ذكره فى المجازات، أثناء حديثه عن (الخمير أم الخبائث)، وهو الكنانى (بنونين) كما ورد فى المجازات لا (الكتانى) بالتاء كما ورد فى المنتظم والشذرات.

١٠ - أبو سعيد السيرافى (ت ٣٦٨هـ):

الحسن بن عبد الله بن المرزبان، كان عالماً فى الفقه واللغة والنحو والفرائض والعروض. تتلمذ عليه الشريف فى التاسعة من عمره.

١١ - أبو على الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧هـ):

وهو أحد أئمة العربية، أجازته فى كتابه (الإيضاح) و كان من تلامذته المشهورين عثمان بن جنى، و على بن عيسى الشيرازى، و قد تقدم عند عضد الدولة الذى كان يقول: أنا غلام أبى على النحوى فى النحو، كما أقام بحلب عند سيف الدولة مده، و جرت بينه و بين أبى الطيب المتنبى مجالس.

١٢ - أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدى الأصفهاني (ت ٤٠٥هـ):

يذكره صاحب الغدير، و كان عالماً، ولى قضاء مدينه المنصور و باب الطاق، ثم جمع له قضاء بغداد.

١٣ - أبو محمد هارون بن موسى التلعكبرى (ت ٣٨٥هـ):

ذكره الأمينى فى الغدير، و لن تسعفى مصادرى فى العثور عليه.

١٤ - سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجى (ت ٣٨٥هـ):

ص: ٢٦٨

إن انطواء شخصيه الشريف الرضى على قوه الطبع، و على السماحه، أضفى عليها تفردا متميزا، و من خلال ذلك كان التفرد العقلى و الأدبى و السياسى ينمو نموا طبيعيا من تربه النفس الغنيه بالانفعال الصادق. ففي ميزه قوه الطبع ترعرعت قوه الإراده، و المطلبية السياسيه، و القدره الكفاحيه و فن قياده الناس (سواء فى نقابه الطالبين، أو فى مواسم الحج، أو فى النظر فى المظالم).

و فى ميزه السماحه، نمت النزعه الديمقراطيه، و روح التعايش المذهبى و أخذت ذهنيه الشاعر المتفتحه مداها الوافر فى المعرفه، و الحوار، و الإبداع، و الإنتاج الأدبى و العلمى، إضافة إلى الشعر.

و من وحده المصدرين اللذين شكلا أساس النفس و تربتها، تكونت للقريحه الشعريه بصمات قويه لا تخص أحدا غير الشريف الرضى. كما أن العشق الذى كان رحله طويله فى حياه الشاعر الرضى، استقى من ذينك المصدرين العلامات المميزه فى تجربته الخاصه فجانب السماحه، و هو الجانب العاطفى، و الإنسانى كان يستقبل (الهوى) بسرعه، فيما كان جانب قوه الطبع يجعله متشبثا بالعلاقه العاطفيه بقوه، و هكذا كان، الأمر - و سيظل دوما - يبتدئ الحب بنظره خاطفه، أو بلمسه يد غير مقصوده، أو بتبادل بضع كلمات فى فرصه غير متوقعه ثم ينيخ بركابه على النفس إناخه المستقر الذى لا يريم.

و امتدت شجره المعرفه فى نفس الشريف الرضى بجذرين متوحدين كضفيره واحده (قوه الطبع، و السماحه) فكانت ثمار الشجره منوعه فى الشعر و الأدب و العلم و السياسه، لأن نبوغ الشاعر وجد فى السمات المتفرده للشخصيه امدادات قويه: عقليه و عاطفيه.

أى أن اتحاد العقل و القلب فى السفر الطويل للشريف الرضى كان قد أوجد الاغتراب الكبير فى وسط بشرى اتخذ ازدواجيه العقل و القلب مصطلحا له، و إذا ما حصل أن توفر أنموذج بشرى يعطى للقلب حقه، مثلما يعطى للعقل صلاحيته، فإن ذاك الأنموذج - فى أحسن الأحوال - يعطى للقلب بعض حقه، و للعقل بعض صلاحيته لكنما الشريف الرضى فتح بوابات الجسد أمام الشهبه التامه للقلب، و أمام طلقات العقل التى لم تنقطع.

لقد رفع الحجاب بين العقل و القلب، فى داخل نفسه، فكانت لهما رياضه مشتركه، و رفع الحاجب خارج نفسه، أمام الناس، فكان للقلب و العقل مهرجان كبير لم يشترك فيه أحد سواه هو! أليس هو واحدا متكثرا بما حباه الله به من موهبه و نبوغ و مؤهلات؟ و رغم تناقض السمات عند سواه، فإنها تضايقت فيه، فكانت فيه خياليه الشاعر، و واقعيه السياسى، و موسوعيه العقلانى و جديه العالم و رقه العاشق، و عناد المغامر.

و كان فيه طبع الرئاسه، و نزعه الجواب، و هكذا ولد فى الشريف الرضى أنموذج العالم إلى جانب أنموذج الشاعر، و كانت مؤلفاته العلميه فى الأدب و النحو و الفقه لا تقل شهره عن شاعريته الرفيعه.

إن العلم و هو يتعامل مع الوقائع و مع التواريخ، و مع خلاصه الخبرات البشريه، يتطلب نقيض ما يتطلبه الشعر فحيث يعنى الشعر الهجره وراء الخيال و الرؤيا، فإن العلم يعنى المكوث ندا لمختبر، و فى داره البحث و المواصله، و التسجيل، و الجرد، و تثبيت الحقائق.

إن الحقيقه العلميه، و هى غير الحقيقه الشعريه تحتاج إلى مجهود بشرى مكرس لها، فى انقطاع العالم و مكوثه فى ميدان العمل

العلمى، فكيف استطاع الشاعر الحر الشريف الرضى أن يفى بمستلزمات الحقيقه العلميه، و هو بطبيعته الشاعرىه، الغراميه، المتجوله؟ إن جواب ذلك وارد فى فراده طبعه و طبيعته، فكان العالم الوجه الثانى لشخصيه الشريف الرضى الشاعر المجيد، فاستطاع أن يكون مبرزاً فى ميادين العلوم اللغويه و الشرعيه، و فى الدراسات الأدبيه، فصدرت له مؤلفات ثمينه من بينها: "المجازات النبويه" و "حقائق التأويل" و "أخبار قضاه بغداد" و "انتخاب الحسن من شعر الحسن" و "انتخاب شعر ابن الحجاج" و "تعليق خلاف الفقهاء" و "طيف الخيال" و "المتشابه فى القرآن" و "مجاز القرآن" و "خصائص الأمه" و "انشرح الصدر فى مختارات من الشعر" و "انشرح الصدور" و "سيره الوالد الطاهر" و "مختصر أمثال الشريف الرضى" و قدم المختارات من عبقرىه على بن أبى طالب ممثله فى الكتاب النادر: "نهج البلاغه" إضافه إلى العديد من المؤلفات و الرسائل التى تفصح، أيما إفصاح، عن توقد الذهن، و غنى التجربه، و اتساع الأفق عند الشريف الرضى.

و كان الجانب العلمى - الدراسى - من حياه الشريف الرضى مناسباً لمكانته الدينيه، و مسئوليته فى اماره الحج، بعكسه الشعر الذى كان يثير حفيظه الخصوم، و يؤلم المريدين الذين راهنوا على السياسه فقط.

لكن الشخصيه الفذه، شخصيه الشريف الرضى، سارت مشتمله بكل جوانب الإبداع فى الشعر و فى علوم الأدب و الفقه و الشرع، مثلما سارت مشتمله برداء الرئاسه الذى اكتساه بفضل تاريخه العربى الأشم و إمكاناته النادره، و علو محتده.

غير أن ما من ضروره تجعل تفرد شخصيه الشريف الرضى نوعاً من التغرب المثير لو لا الجانب المهم فى حياته، فقد شاءت الدنيا، دنياه، و دنيا منطقته العربيه و دائرته الاجتماعيه، أن يكون أميراً فى العشق، مثلما هو أمير فى موسم الحج، و فى السياسه.

و كثيره هى الفعاليات النظرية التى قد لا- ترتبط بفعاليات عمليه، لأنها مجرد أفكار و تصورات، و أخيله، و قد يتخيل الإنسان ما شاء له الخيال، فى الشعر، و فى السياسه لكن العشق هو واقع كالخيال، صله بين عاشق و معشوق ضمن مناخ اجتماعى، و طبيعى. فهى حسيه رغم كل جوانبها اللاحسيه، و هى مفضوحه، رغم كل السريه، و هى ابدية رغم (الأنيه).

قومه و أهله، يدخل عصره و بانتظاره المريدون الذين يريدونه متشقا سيفه فقط، إلا أنه يقتحم العصر بابتسامه القلب، عاشقا كبيرا، ظل في الحب غلاما تتقصاه الجميلات.

كان للشريف الرضى مذهب في العشق، و في أنشطه سياسيه و فكريه كثيره تتوفر إمكانيه صياغه المذهب، أما في العشق، فان صياغه مذهب للعشق عمل مذهل.

و قد توصل الشريف الرضى إلى رسم مذهبه في العشق من خلال تجربته الواقعيه المثيره. و يبدو أن ثراء شخصيته كان يدفع به في كل اهتمام إلى أقصاه ففي الشعر يصبح أشعر قريش و من أشهر شعراء العرب، و في السياسه يصبح نائب الخليفه، أمير الحج، نقيب الطالبين، و في الأدب و الفقه و النحو يصبح عالما لا يشق له غبار، ثم في العشق يصبح أمير العشاق، و معجم العشق.

لقد برز عمر بن أبى ربيعه في الغرام فكان شعره ديوان حياته و غرامياته إلا أنه لم يطرح مذهباً، لأنه كان يتبع إحساساته اللذيه، و برز الشعراء العرب الذين أعطى كل واحد منهم قلبه لفاتنه واحده، (قيس ليلى، و جميل لبثينه، و كثير لعزه... إلى آخره) فابدعوا و أجادوا، لكنهم أعطوا طرازا من الحب، رائعاً، و متميزاً، إنما لم يصل إلى مستوى المذهب في العشق.

كان الشريف الرضى لوحده تجربه متكامله، فقد اندفع في العشق إلى النقطة البعيده، إلى حبه القلب، و ما أبعداها! فأى واحد ذلك الذى استطاع أن يصل إلى حبه قلبه، (و من الحبه، حبه القلب، جاء الحب!) فيناغيها، و يشاورها، و يستجيب لهفتتها! و أى واحد ذلك الذى يستطيع الوصول إلى حبه قلب محبوبه، فيقدم لها صلاه الروح، و أذعان الولاء، و مناجاه التدليل، و واجب الحراسه العشق هو جسر الغيب ما بين حبات القلوب المتألفه.

و في ملكوت العشق، كان الشريف الرضى عذريا في عالم الرغبه، و راغبا في عالم العذراويه، و مزيجا رائقا من الزهد، و الرغبه، مع كائنات بشريه جميله، مترعه بفيض الجمال، المطل من العيون و الخدود، و الشفاه، و فى مواسم الحج، التى يحضرها أميرا و شهيرا كان كل شىء يلتمع بسرعه، مثل برق. عين البدويه التى تومض إيماضه الدنف، و خدها الذى يتضرج بحمره الاشتهاه الخجول، و ينشق الهوى من صندوق الجسم كزلزال، لا يتجاوز عمره عمر موسم الحج، ثم ينقضى كل شىء، و كان نبضه القلب التى يتعلق بها مصير حياه باكملها، ليست إلا نغمه، حائره، تائهه، غريبه، سرعان ما يرميها اعصار الكون فى وديان العدم.

كان الشعراء العشاق يطاردون نساءهم الفاتنات، و الشعر فضيحه.

و حتى لو لم تكن للشاعر قصه غراميه، فإنه يتناول قصه الآخر محيلا إياها فى شعره إلى موضوع، و تجربه، فكيف إذا كان الشاعر يكتوى بنار الحب إنه يستصرخ الزمان، و يستنطق الموتى، و يشهد الأحياء و الأموات و الأشياء و الكتبان و الجداول و الأباقر على فرحه أو على حزنه.

و لقد شهدت جزيره العرب عشرات الشعراء، الذين كانوا فى الغرام مثل "دون جوان" و "كازانوف" لكن اماره العشق ظلت معقوده من نواصيها، إلى الشريف الرضى. ففي صلب طبعه كان جماليا كبيرا. يقتنص سرحات الإشراق الفاتن على الوجوه، لأنه كان يراها بعين القلب التى لا تخطئ. فكان غير محتاج إلى مقاييس الاحساس، لادراك جمال الجميل، لأن الوتر واحد بين (الناظر) و (المنظور)، فرنه (هنا) تنشى ألقتها النغميه (هناك)! الشعور بالجمال كان لدى الشريف الرضى أكبر من شعور الشعراء

الآخرين، الذين وصلوا إلى الحب من خلال جذبات الاحساس. لقد عشقوا من خلال تأثير العيون الحوراء، و الحواجب الزجاء، و الشفاه اللمياء، و الأعناق المسبوكة، و الصدور الناهده، و غير ذلك مما نطقت بهم قصائد الغزل، أى أنهم عشقوا الحسى، و الجزئى، ثم استوطنوا الحسى و الجزئى أيضا، و عجزوا - بسبب الطبيعه البشريه و الثقافيه، طبيعتهم - عن رفع الحسى إلى مستوى الأبدى، و الجزئى إلى مستوى الكلى، فجاءت قصائد الغزل متشابهه إلا من فروق بسيطه، فهذا شاعر يحب امرأه سمراء، و ذاك يحب امرأه شقراء. هذا يحب امرأه قصيره، و ذاك يحب امرأه طويله، و اخضعوا تسميه (القلب) إن جاءت فى أشعارهم، إلى سيطره الرغبه و نداء اللذه، فكان القلب بريد الشهوه، أو قناعها المحترم الذى تستخدمه للتضليل، و التخلص من الفضائح و التعفيف الشعر من الاستخدامات العضويه الأخرى المحرجه غير ذلك، تماما، كان الشريف الرضى، لأن مفاهيمه عن الجمال كانت من معطيات نفسه الشريفه، المتساميه.. فهو فى علاقته بالناس، و بالطبيعه، و كان يتصل بالأعمال المشتركه، مبرهنا بتجربته الحياتيه. إنه و الناس و الطبيعه من عمق واحد و ينبوع واحد.

و حين كان الناس لا يرون إلا الظواهر الخارجيه، كان هو مدركا أن فى داخله تضطرم دفعات ينباع الجوفيه للطبيعه و الكون، فكان يصغى إليها أتم إصغاء، و كانت هى التى تهديه، و تقوده، و تجعله صادقا مع نفسه و مع سواه، فالذى يدرك حركه الأعماق فى الكون الهائل و يصيخ سمعا لإيقاعها المستضاف فى جسده، هو - وحده - الذى لا تغره المظاهر و هو وحده الذى تتفتح عينه متعرفه على المدى الأ-كبر، فيعود يرى ما لا يراه الآخرون، و يبتدئ بالكلى مترحلا من خلاله إلى ملاحظه الجزئى، فالعين، عين المرأه الفاتنه، أو عين الغزال، ليست جميله بذاتها، بل هى جميله فى علاقتها ب (كليه) الطيف الشمسى للجمال.

فالشعور بالجمال، هو تصور بالكليه، و الأبدية الجماليه، هو انتساب إلى جلال الكون المتوحد فى الجمالات التى يهرع إليها المتولهون، هرع العطشان إلى الماء الزلال.

و فى كل عشق تمثل العين مركز التأثير الذى يسرع بإرسال برقيته إلى القلب، و لم يفت المفكرين و الشعراء تشبيه العين بالشمس، فى تأثيرها على الأحياء، فيما تعطى و فيما تميت، و كذلك فى شكلها.

و كما سترى، فان الشريف الرضى أعطى للعين رساله كونه، لأن العيون المقدسه هى التى تريح الحجب السميكه، فترى ما ليس يرى، و تقرب ما هو متباعد و تدمج ما هو متعارض، و تلغى اضطراب الأشكال الخارجيه فى فنيه و جماليه النسق.

هى شرط العشق الصحيح، و الوله الذى تقضى الأيام و لا ينقضى.

و الشاعر الجمالى، و أى جمالى آخر، شاعرا كان أو غير شاعر، يحمل فى داخله معزوفات الكون الجميله التى يستدل بها على كل جميل. و من ذلك (العلو) الذى تتوحد فيه كليات الجمال و الجلال و الخير، يعاين النظر كل ما هو جميل فيفرد له مكانه الخصوص، و فى وحده الأفق الجمالى الكونى تتضاييف و تتجاوز الأشياء الجميله مثلما تتضاييف و تتعايش و تتكامل مويجات و أمواج البحر فى الإيقاع الأزلى لها فى الصخب و فى الهدوء.

لقد أتاحت الرؤيه الجماليه الشموليه للشاعر الشريف الرضى استيعاب الجميل بدلالات الجلال خلافا لما حصل لدى الشعراء الغزليين، الحسينيين الذين اطنبوا فى ذكر المفاتن الجسديه.

إن عين الشريف الرضى، هى عين الجمال التى رأت بروح الجلال، لذلك ما كان له كبير مغنم فى الأوصاف الحسيه المباشره، و حسبه أنه كان عفيفا قوى المروءه.

و هو القائل:

و يمعنى العفاف كان بينى و بين ماربى منه هضابا

و القائل أيضا:

أرى برد العفاف أغض حسنا على رجل من البرد القشيب

و مذهب الشريف الرضى فى العشق، يرقى بتغرد السمات الشخصيه له إلى مستوى غربه و اغتراب المحبين الكبار، الذين عصفت بحيواتهم تنهيده الشوق فى كونه سريعه التبديل لأجزائها المعطوبه، أو المقطوعه، أو التى حان أو يحين أجلها.

اغتراب الحب

إن الرؤيه الشموليه للشريف الرضى فى الحب و الجمال هى لسان حاله، و صفته المائله فى طبيعته، و طبعه.

و لمعرفه خصوصيه تجربه الشريف الرضى فى العشق، ينبغى إحاله العشق إلى الحب و هو الدائره الكبرى للقلب.

و سبب الإقرار بشموليه الحب على العشق، فذلك لأن العشق مرتبه من مراتب الحب، التى أولها الهوى، ثم العلاقه، ثم الكلف، ثم العشق، ثم الشغف، ثم التتميم، ثم الشوق.

و إذا كانت تلك هى مراتب الحب و درجته فان الحب يتسع و يتنوع بعده أنواع، فهناك حب الأهل، و حب الأصدقاء، و حب المرأه، و حب الأشياء، و حب الطبيعه، و هناك الحب الروحى، إلخ..

و أحسن عشق العاشقين إذا كانوا محبين، تطهرت نفوسهم من البغضاء، و تسامت بالحنان و الموده و الحب.

و يظهر فى مجمل شعر الشريف الرضى أنه محب كبير يخفق قلبه بحب الأهل و الأصدقاء و الناس و الأماكن، أى أن حبه للمرأه كان من نور جنس مشع بالحب، ممتلىء بالعاطفه. و البشر فى طبائعهم، يتباينون، فبعضهم خلق أوفى، محبا، و البعض الآخر خلق مبعضا، لئىما، و البعض الثالث موزع بين الاثنين يحب حيناً، و يبغض حيناً، تسوقه دواعى المصلحه و الرغبه فلا يستجيب لغيرها. أى أن عقله و قلبه يخدمان تيار غريزته غير المشدبه.

و كانت نفس الشريف الرضى المتطهره بالشرف و الاستقامه و السخاء، قد ألفت الحب، فلا عجب إن كان ذلك عاملا مهما من عوامل غربته، بل فى المقدمه منها. و لا بد من الإشارة إلى عام تغريبي كبير، كان له أثره البالغ فى نفس الشاعر الحساسه، و تجربته فى الحب، ذلك هو وفاه الأم.

فكما كانت نكبه الشاعر بسجن والده نكبه الحب الأولى، فان نكبه الكبرى حلت بموت أمه كانت بعد سجن أبيه التعويض العاطفى الكبير له.

لقد اهتزت أركان حياته اهتزازا عنيفا، حين فقد محبوبته المقدسه أمه (فاطمه بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الأصم) التى أسبغت عليه نعم الحب، و الرعايه، و الحمايه، فكانت له خيمه، و سندا، و أى سندا! فكانت أول غربه هى فقدانه لها، و قبل ذلك قال جده

(زين العابدين): "فقد الأ-حبه غربه!" و تبوح قصائد الرثاء - عاده - بتلك الغربه بوحا بعيدا، عند موت الأم خاصه، فكانت قصيده (المتنبى) فى رثاء جدته التى أحبها حبا شديدا، لأنها كانت له أما و أباً، تفجيعا كبيرا، فصاح طعينا، و هو يحن إلى الكأس التى شربت بها، و يهوى لمثواها التراب:

ألا لا أرى الأحداث حمدا و لا ذما فما بطشها جهلا و لا كفها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدى و يكرى كما أرمى

لك الله من مفجوعه بحبيبها قتيله شوق غير ملحقها و صما

أحن إلى الكأس التى شربت بها و أهوى لمثواها التراب و ما ضما

و يقول:

و ما انسدت الدنيا على لضيقها و لكن طرفا لا أراك به أعمى

كذلك كانت رثائيه أبى العلاء (المعرى) حينما دهسته مصيبه أمه، فى سنه ٤٠٠ و كان فى السابعة و الثلاثين من عمره:

دعا الله أما ليت أنى أمامها دعيت و لو أن الهواجر آصال

مضت و كانى مرضع و قد ارتقت بى السن حتى أشكل الفود أشكال

و قال أيضا:

مضت و قد اكنهلت فخلت أنى رضيع ما بلغت مدى الفطام

كما كان يقول فى رساله له إلى خاله:

" و حزنى لفقدها كنعيم أهل الجنة، كلما نفذ جدد".

فكيف يكون الرثاء، و كيف تكون الغربه، و الشريف الرضى تطوح به الفادحه الفدحاء، بموت الأم التى تجسدت فيها كل ضروب المحبه، و العون، و الحنان، فكان له فى "همزيتة" جئير، يتناوح فيه كل الباكين الذين فقدوا فى أنفسهم شيئا لا يسترجع بعد فقد الأم:

ص: ٢٧١

أبدى التجلد للعدو و لو درى بتلملى لقد اشتفى أعدائى

ما كنت أذخر فى فداك رغيه لو كان يرجع ميت بفداء

فارقت فيك تماسكى و تجملى و نسيت فيك تعزى و إباى

و صنعت ما ثلم الوقار صنيعه مما عراني من جوى البرحاء

كم زفره ضعفت فصارت أنه تممتها بتنفس الصعداء

لهفان أنزو فى حبال كبه ملكت على جلادتى و غنائى

و جرى الزمان على عوائد كيده فى قلب آمالى و عكس رجائى

قد كنت آمل أن أكون لك الفدا مما ألم فكنت أنت فدائى

لو كان مثلك كل أم بره غنى البنون بها عن الآباء

كيف السلو و كل موقع لحظه أثر لفضلك خالد بازائى

فعلات معروف تقر نواظرى فتكون أجلب جالب لبكائى

و يختم القصيده:

صلى عليك و ما فقدت صلاته قبل الردى و جزاك أى جزاء

لو كان يبلغك الصفيح رسائلى أو كن يسمعك التراب ندائى

لسمعت طول تاوهى و تفجعى و علمت حسن رعايتى و وفائى

كان ارتكاضى فى حشاك مسببا ركض الغليل عليك فى أحشائى

و فى جميع قلوب الشريفة الرضى، تدور العين، فيستشعر الشريف الرضى الجمال فيراه بميزان العين ثم يختمه بختم القلب، فما

كان يدرى الحب إلا بعد أن تعرضت العين إلى العين فقال:

و ما كنت أدرى الحب حتى تعرضت عيون طباء بالمدينه عين

فو الله ما أدرى الغداه رميننا عن النبع أم عن أعين و جفون

بكل حشى منا رميه نابل قوى على الأحشاء غير أمين
فررت بطرفى من سهام لحاظها و هل تتلقى أسهم بعيون
و قالوا انتجع رعى الهوى من بلاده فهذا معاذ من جوى و حنين
جلون الحداق النجل و هى سقامنا و وارين أجيادا و سود قرون
و لو لا العيون النجل ما قادنا الهوى لكل لبان واضح و جبين
يلجلجن قضبان البشام عشيته على ثغب من ريقهن معين
ترى بردا يعدى إلى القلب برده فينقع من قبل المذاق بحين
تماسكت لما خالط اللب لحظها و قد جن منه القلب أى جنون
و ما كان إلا وقفه ثم لم تدع دواعى الهوى منهن غير ظنوني
نصصت المطايا أبتغى رشد مذهبي فاقلعت عنى و الغوايه دونى
و قوله فى واحده من لواحق الحجازيات، ذاكرا فعل اللحظ:
يا رفيقى قفا نضويكما بين أعلام النقا و المنحنى
و انشدا قلبى فقد ضيعته باختيارى بين جمع و منى
عارضضا السرب فان كان فتى بالعيون النجل يقضى فانا
إن من شاط على ألاحظها ضعف من شاط على طول القنا
و قوله:

يا صاحبي تروحا بمطيتى إن الظباء بذى الأراك سلبنى
سيرا فقد وقف الطعين لما به مستسلما و نجا الذى لم يطعن
ما سرنى وقنا اللحاظ تنوشنى أنى هناك قتيل غير الأعين

و قد كان عشق الشريف الرضى معاشه رضيه بين الحب و الزهد.. ورث الزهد وراثه روحيه، كما ورثه وراثه ثقافيه. و فى تاريخ

الشعر العربي، كان الشعراء الزهاد موجودين منذ القرون الهجرية الأولى، و هم أسبق من الشعراء العذريين، و منهم عبد الرحمن بن أبي عمار الشهير بالتعس، و عروه بن أذينة، و يحيى بن مالك و غيرهم.

بعبارة أخرى إن الشعر العربي نقل خطأ بيانياً لأفكار الزهد من خلال الشعراء الأتقياء، ثم تطورت المؤثرات الزهدية فى الشعر فأخذت تعبير العشق القلبى الذى عرف به الشعراء العذريون، فكان الشريف الرضى امتداداً أصيلاً للزاهدين و مستوعباً استيعاباً عميقاً لحكمه الموت التى نبع منها كل زهد إسلامى أو غير إسلامى.

و قد قال:

قد آن أن يسمعك الصوت أ نائم قلبك أم ميت

يا بانى البيت على غره أمامك المنزل و البيت

أ يجزع المرء لما فاته و كل ما يدركه فوت

و إنما الدنيا على طولها ثنيه مطلعها الموت

و لكن زهديه الشريف الرضى ليست تنسكا و رهبانية، بل هى معرفه بالموت من خلال الحياه، فكانت روحه المشدوده بين قطبى الحياه و الموت، تنبض بالحياه، بأعلى أصواتها الحره، و تستجيب لحكمه الموت، بصوره مبادئ أخلاقيه صارمه، و القلب هو القادر على تلبية نداءات الحياه الحره، و التعرى أمام الموت بقانون الحره.

فالقلب هو ال (أنا) بكل علنيته و استبطاناتها. و هو - بالنتيجه - يصطفى الروحى و الحسى اصطفاً شفافاً فيؤلفهما خير مؤالفه.

و القلب، قلب الشريف الرضى، كالميزان العادل الذى يتحسس بأوزان الجمال، فهو يلهب التهاباً شديداً، و يضيق، عند ما يدرك أنه لا يتحمل الحبس الطويل فى داخل صدره، و المحبوب خارج أسوار الصدر يتلألاً، و لكن كنجم قطبى ما أبعد، و إن ذلك التناقض الذى كان يتجرعه القلب، يظل - دائماً - عنوان تجربه الزهد و العشق، فالقلب فى بسط و قبض، فى عطاء و أخذ، فى امتلاء و فروغ، فى جذب و طرد، إنه مشدود بين العلوى و الأرضى، و بين الروحى و الحسى انشداداً لا تفلت منه.

إن هجرات الروح ليس لها مستودع غير القلب، الذى يضيف عند الامتلاء بالحب و الحسره فيتسع اللسان بالعبارة.

و تلك المناوبه، و المبادله التى لجأ إليها للتعبير عن أشواقهم و مكابدهم، وجدت عند الشريف الرضى واحداً من أمثلتها المهمه، و هو القائل عن صدق شعره:

ص: ٢٧٢

الرمز المقدس في جبههم و في علاقاتهم.

و ربما استعار العديد من المتصوفه و شعراء الغزل من الشريف الرضى "قلبياته" التي ازدان بها شعره، فلطالما كان (القلب) ملهمه، و مرشده، و منبع إحساسه. و قد شكّا إلى الله ذلك القلب (قلبه!) الذي كان يناضل من أجل الوصال، فإذا ما وصل كان انقطاعا. لقد كان قلبه مشنوقا بين قطبي التوتر، و كانت نفسه تعرج بين الارتواء و العطش، بين البرد و الهجير، بين الخميلاه و الرمضاء، فصرخت:

أشكو إلى الله قلبا لا قرار له قامت قيامته و الناس أحياء

إن نال منكم وصالا زاده سقما كان كل دواء عنده داء

كان قلبي يوم البين طار به من الرفاع نجيب الساق عداء

إن سلطان القلب على الجسم و النفس يقوم عند ما تتحقق العبوديه.

فحينما يكون القلب مملوكا للمحجوب، فإنه مستعبد له - بفتح ألباء - لكنه مستعبد - بكسر ألباء - لجسم صاحبه، فيفقد العقل سلطته، و تصبح وظيفه الحواس مبهمه خارج نطاق المحجوب.

و مسأله القلب، إنه معذب في الوصل و في الهجر، إنه يحمل وجهي المرآه اللذين يرى فيهما الحاضر و الغائب، الممكن و المستحيل، البهجه و الخوف.

و سواء أ كان الحبيب قريبا أو بعيدا فان الشوق يحجز قلب الشاعر كما ذكر:

أقول و قد أرسلت أول نظره و لم أر من أهوى قريبا إلى جنبى

لئن كنت أخليت المكان الذى أرى فتهيأت أن يخلو مكانك من قلبى

و كنت أظن الشوق للبعد وحده و لم أدر أن الشوق للبعد و القرب

خلا منك طرفى و امتلا منك خاطرى كأنك من عيني نقلت إلى قلبى

إن صله العين بالقلب، أعقد من أن يدرك بعدها الحقيقى، و "طوبى لمن كان له عين فى قلبه" كما أورد (الشبلى).

فعين المحجوب تسكر قلب المحب، و يحار المحب بين سكره قلبه و انكسار عينه أمام سطوه جمال المحجوب، فيصبح قابلا للعبوديه، مكتشفا بذلك أسرار الحريه، فقال فى بعض قلبياته:

هل ناشد لى بعقيق الحمى غزيبلا مر على الركب

أفلت من قانصه غره و عاد بالقلب إلى السرب

و أظماً القلب إلى مالك لا يحسن العدل على القلب

يعجب من عجبى به فى الهوى وا عجبى منه و من عجبى

أقرب بالود و ينأى به و يلى على بعدك من قرب

منعم يعطف منه الصبا لعب الصبا بالغصن الرطب

بلاده النعمه فى طبعه و ربما ناقش فى الحب

أما اتقى الله على ضعفه معذب القلب بلا ذنب

يا ماطلا لى بديون الهوى من دل عينيك على قلبى

و يختار القلب عبوديه الحب، فيقلد المحبوب و سام الاماره، و يمنحه حق التصرف، واجدا فى الطاعه سعاده الكبيره. إن العبوديه فى حضره المحبوب هى حريه المحب، أو طريقه لاكتشاف حريته التى معنى لها بحروفها ككلمه، بل هى معروفه بمضمونها، بمقدار ما يتهيأ للقلب من استبشار، و رضا، و سرور، فقال فى بعض غزله:

رمانى كالعذو يريد قتلى فغالطنى و قال أنا الحبيب

و أنكرنى فعرفى إليه لظى الأنفاس و النظر المريب

و قالوا أطعت [أطعت] و كيف أعصى أميرا من رعيته القلوب

و لأن الهموم الطائله تناوشت نفس الشريف الرضى، فان قلبه أضحى مثل طير كريم أضناه العطش، يبحث عن عين ماء، ما أن يريد الارتواء منها حتى يغيض ماؤها، أو تجف، أو تطمرها الكتبان الهائجه.

و لم يحظ تساؤل بتلك النبره الطولانيه التاسعه مثل تساؤل الشريف الرضى عن هموم قلبه، و هو يتخاطب:

ما للهموم كأنها نار على قلبى تشب

أ لأجل ما حمل القلب من الحب، أصبح وجيبه شعرا؟ و أصبحت ناره أكبر من نار الغضا حتى أضحت الاستعاره بين القلب و النار إشعارا بان الجسم - كله! - فى حاله احتراق، و حكم بالإعدام ينفذ يوما بعد يوم، ترى أى قلب ذاك الذى كان يطلب الاقتراح به بدل الزناد:

يا قادحا بالزناد مر فاقتدح بفؤادى

نار الغضا دون نار القلوب و الأكباد

و قال الشريف الرضى العديد من القصائد المشبعه بالاغتراب المكنى المرافق للاشتياق الباكي و منها هذه القصيده التى قالها فى شهر ربيع الآخر سنه ٣٩٢ هـ:

ص: ٢٧٣

المنع، القيظ، التجرع، الغصص، الملام، التقرع، البكاء، الدجى، الخضوع، التوديع، الفراق، الهون، اللسع، الصدود، الكمد.. وها هو المثال:

يا صاحب القلب الصحيح أما اشتفى ألم الجوى من قلبى المصدوع

أ أسأت بالمشتااق حين ملكته و جزيت فرط نزاعه بنزوع

هيهات لا تتكلفن لى الهوى فضح التطبع شيمه المطبوع

كم قد نصبت لك الجبائل طامعا فنجوت بعد تعرض لوقوع

و تركنتى ظمان أشرب غلتى أسفا على ذاك اللمى الممنوع

قلبى و طرفى منك هذا فى حمى قيظ و هذا فى رياض ربيع

كم ليله جرعته فى طولها غصص الملام و مؤلم التقرع

أبكى و يبسم و الدجى ما بيننا حتى أضاء بثغره و دموعى

تفلى أنامله التراب تعللا و أناملى فى سنى المقروع

قمر إذا استخجلته بعبابه لبس الغروب و لم يعد لطلوع

لو حيث يستمع السرار و قفتما لعجبتما من عزه و خضوعى

أبغى هواه بشافع من غيره شرى الهوى ما نلته بشفيح

ما كان إلا قبله التسليم أرفها الفراق بضمه التوديع

كمدى قديم فى هواك و إنما تاريخ و صلك كان مذ أسبوع

أهون عليك إذا امتلأت من الكرى أنى أبيت بليله الملسوع

قد كنت أجزيك الصدود بمثله لو أن قلبك كان بين ضلوعى

و من مفعول (ذكرى الذكرى)، كان الشريف الرضى ينظر إلى الآثار و الأمكنه بجذليه الرغبه و الإشفاق، الرغبه فى أن يرى الطلول، و الإشفاق على نفسه من الأسى، فهو مسوق بدعوه المرور على آثار الأحباب، و حذر - فى الوقت نفسه - من المرور عليها، إنه مقسوم بين نداءين متعارضين، هما نداء القلب، الأبديان، و لا خلاص له من ضغطها إلا بالشهقه التى يسجد لها البكاء،

و كل حزن:

أ من ذكر دار بالمصلى إلى منى تعاد كما عيد السليم المؤرق

حيننا إليها و التواء من الجوى كأنك فى الحى الولود المطرق

أ الله أنى إن مررت بأرضها فؤادى مأسور و دمعى مطلق

أكر إليها الطرف ثم أرده بإنسان عينى فى صرى الدمع يغرق

هواى يمان كيف لا كيف نلتقى و ركبى منقاد القرينه معرق

فواها من الربع الذى غير البلى و آها على القوم الذين تفرقوا

أصون تراب الأرض كانوا حلولها و أحذر من مرى عليها و أشفق

و لم يبق عندى للهوى غير أننى إذا الركب مروا بى على الدار أشهق

لكن ما ذا تستطيع الأمكنه أن تفعل للقلب المدمى؟ و ما ذا تستطيع اللقاءات المتواتره، أو العابره، فى القرب، أو فى البعد، أن توفر لنفس متساميه فى مذهب الحب؟ لا شىء، لأن مذهب الحب الذى اعتنقته روح الشريف الرضى كان يأخذ زيتة و وقوده من (الجوى)، و العذاب الطويل، فقال:

علق القلب من أطال عذابى و رواحى على الجوى و غدوى

و افترقنا فى مذهب الحب شتى بين تقصيره و بين غلوى

كان عندى أن الحبيب شقيقى فى التصافى فكان عين عدوى

ساءنى مذ نابت نسيان ذكرى فاذكرونى و لو ذكرت بسوء

إن التستر هو ملمح مميز من ملامح شخصيه الشريف الرضى على شدة ما تنطوى عليه شاعريته من انتهاك للصمت الكبير بعباره الشعر، إنه تستر العفه و الاستقامه.

و فى متقابلات الثنائيه المريره، كان عشقه آليه ضوئيه تومض و تنطفئ، تقترب و تبتعد، و على نار الجوى كان يحرق فؤاده، و الحبيب قريب، فكيف إذا ما تنائى؟! و هكذا ارتكز عشق الشريف الرضى على اندفاعه الشوق، التى كان يسلبها قوتها، و يردها على عقبها أعراض المتستر، فتنتال الذكريات فيقول:

يقر بعينى أن أرى لك منزلا بنعمان يزكو تربه و يطيب

و أرضا بنوار الأفاحى صقيله تردد فيها شمال و جنوب
و أى حبيب غيب النأى شخصه و حال زمان دونه و خطوب
تطاولت الأعلام بينى و بينه و أصبح نأى الدار و هو قريب
لك الله من مطلوله القلب بالهوى قتيله شوق و الحبيب غريب
أقل سلامى إن رأيتك خيفه و أعرض كيما لا يقال مريب
و أطرق و العينان يومض لحظها إليك و ما بين الضلوع و جيب
يقولون مشغوف الفؤاد مروع و مشغوفه تدعو به فيجيب
و ما علموا أنا إلى غير ريبه يقاء الليالى نغتندى و نثوب
عفاى من دون التقيه زاجر و صونك من دون الرقيب رقيب
عشقت و ما لى يعلم الله حاجه سوى نظرى و العاشقون ضروب
و ما لى يا لمياء بالشعر طائل سوى أن أشعارى عليك نسيب
أحبك حبا لو جزيت ببعضه أطاعك منى قائد و جنيب
و فى القلب داء فى يديك دواؤه ألا رب داء لا يراه طيب

إن عفه الشريف الرضى، هى عفه رجل اختار التحريم اختيار المؤمن الثابت، فلم يصل إلا إلى التسليم برغبه اللثم، فى تقليد شعرى، و رغم التأوهات التى انشق عنا صدره بين (اللقاء) و (الفراق) فان أقصى ما تسعفه به حكمه الزمن، هو لثم القرينه، فكأنه فى مذهبه العشقى يرى الجمال فى تناسخ دائم، أو فى حلوليه متوزعه بين الفتيات و الغزلان، فقال فى واحده من حجازياته و هو يذكر أيامه بمنى:

إن العفه رفعت الشريف الرضى الزاهد إلى مكانه الرجل المحرم لا فى مناسبات (الحرام) وحدها، بل فى جميع عشقياته التى سىح فيها للجمال مستنبطاً منه الأزليه الالهيه و أناشيد الشوق الكونيه، و كيف لا و هو القائل:

"أنا مولى لشهوتى و سواى عبد لها"

و يلعب (الرقيب) الأخلاقى، الذى لم يكن إلا- "ضمير" الشريف الرضى، دوراً حاسماً فى تقرير شكل العلاقه المتبادله مع المحبوب. و التى تحتويها - أصلاً و ابتداء - روحيه جماليه مفرطه التناقض.

كان الشريف الرضى، بدافع رقيه الداخلى يتعفف، و كان بدافع عين الرقيب الخارجى المتلصص، يختار التجنب و الصدود، رغم اللوعه، فكان يقول:

ألا أيها الركب اليمانون عهدكم على ما أرى بالأبرقين قريب

و إن غزالاً جزتم بكناسه على الناي عندى و المطال حبيب

و لما التقينا دل قلبى على الجوى دليلاً حسن فى العيون و طيب

و لى نظره لا تملك العين أختها مخافه يثنوها على رقيب

و هل ينفعنى اليوم دعوى براءه لقلبي و لحظى يا أميم مريب

و ما يراه جمهور الوشاه، و المنافقين، و الصغار، من معايب فى الكبار السامقين، المعاميد فى العشق و الحكمه و الحياه، يتضخم، لأن الشخص الكبير بعقله، و شجاعته، و كرمه، حيث يكون مرموقاً، فإنه يكون محط افتراء المفترين و تشويه المشوهين، فيكثر الاختلاق، و تناوشه سهام المتعرض، فيلجأ الشاعر إلى سلاحه، و هو القصيده، فيوجه الهجو إلى من ينتقص منه، أما السياسى فيلجأ إلى سلاح الحكمه، و تختلف الأسلحه عند الشعراء، و السياسيين، و الحكماء، و الفرسان، غير أنها تنوع و تتلازم عند الشريف الرضى، لأنه الشاعر، و السياسى، و الحكيم، و الفارس، فقال حكيماً:

نزل المسيل و بات يشكو سيله إلا علوت فبت غير مراقب

جمع المثالب ثم جاء تعرضاً بالمخزيات يدق باب الثالب

و إذا اجتمعت على معايب جمه ففتح جهدك عن طريق العايب

أو يكيل الصاع صاعين بالحكمه نفسها، و من مقامه الرفيع قائلاً:

و إن مقام مثلى فى الأعادى مقام البدر تنبجه الكلاب

رمونى بالعيوب ملفقات و قد علموا بانى لا أعاب

و أنى لا تدنسى المخازى و أنى لا يروعنى السباب

و لما لم يلاقوا فى عيبا كسونى من عيوبهم و عابوا

و كذلك:

و جاهل نال من عرضى بلا سبب أمسكت عنه بلا عى و لا حصر

حمته عنى المخازى أن أعاقبه كذاك تحمى لحوم الذود بالدبر

و كان إذا انفعل فيه روح الشاعر شديد الهجاء، قوى التعرض، يهجم هجمه الفارس، الأنوف، المتعالى على الأردياء، كقوله:

لعل الدهر أمضى منك غربا و أقوى فى الأمور يدا و قلبا

و مقلته إذا لحظت حسامى تغض مهابه و تفيض رعبا

فكيف و أنت أعمى عن مقالى و لو عاينته لرأيت شهبأ

عذرتك أنت أردى الناس أصلا و أخبث منصبا و أذل جنبا

و أنت أقل فى عينى من أن أروعك أو أشن عليك حربا

أ أعجب من خصامك لى و جدى رسول الله يوسع منك سبا

و من رجم السماء فلا عجيب يقال حثا بوجه البدر تربا

فانك إن هجوت ليثا و إنى هجوت هجوت كلبا

السيرافيان

إشارة

و قال الشيخ محمد رضا الجعفرى معلقا على بعض ما نشر عن الشريف الرضى:

من هو ابن السيرافى هذا؟ و السيرافيان اللذان عاصرهما الشريف، هما:

(الأب): الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد السيرافى، ثم البغدادى، المعتزلى، الحنفى (٢٨٤/٨٩٧ - ٣٤٨/٩٧٩) أحد أعلام العلم و الأدب و اللغه.

كان أبوه مجوسيا اسمه (بهزاد) فأسلم و سماه أبو سعيد (عبد الله). ولد أبو سعيد بسيراف، وفيها نشأ، ثم هاجر إلى بغداد فسكنها حتى توفي عن أربع وثمانين سنة، كان يدرس - كما قال عنه المترجمون له - القرآن، وعلومه، و القراءات، و النحو، و اللغة، و الفقه، و الفرائض و الكلام، و الشعر، و العروض، و الحساب، و كان من أعلم الناس بنحو البصريين، معتزلى العقيدة، حنفي المذهب، ولى قضاء بغداد و كان نزيها، عفيفا، جميل الأمر، حسن الأخلاق، لم يأكل إلا من كسب يده، ينسخ و يأكل منه، حتى أيام قضائه، و له كتب كثيرة في القراءات، و النحو، و غيرها.(١)

و (الابن): يوسف بن الحسن، أبو محمد، بن السيرافي، البغدادي (٣٣٠/٩٤١ - ٣٨٥/٩٩٥) و كان عالما بالنحو، و الأدب، و اللغة، أخذ عن والده، فخلفه في جميع علومه، و تصدر مجلسه بعد موته، و أكمل كتبه التي مات و لم يكملها، و ألف كتبا عدة، و كان يرجع إلى علم و دين، رأسا في العربية.(٢)

فأيهما الذى حضر عليه الشريف؟ يقول الدكتور الحلو أنه الأب، أبو سعيد نفسه، لا ابنه أبو محمد، ابن السيرافي(٣) ثم يتناوله بتفصيل أكثر فيقول:

و يرى الدكتور إحسان عباس أنه: (ربما كان من الوهم أن نعد أبا سعيد السيرافي واحدا من أساتذته الرضى (...)) لأن السيرافي أبا سعيد توفي و عمر الرضى يقل عن ثمان سنوات (...)) و ابن السيرافي المشار إليه - فيما أعتقد هو: ابن أبي سعيد يوسف و قد توفي (...)) و رثاه الرضى (...)) و قد خلف يوسف أباه في علومه(٤) و قد رد الأستاذ محمد عبد الغنى حسن هذا الرأى،

ص: ٢٧٥

-
- ١- تاريخ بغداد: ٣٤١/٧-٣٤٢، (ابن) النديم/ ٦٨، المنتظم: ٩٥/٧، الأنساب: ٣٣٩/٧-٣٤٠، إنباه الرواه: ٣١٣/١-٣١٥، ابن خلكان: ٧٨/٢ - ٧٩، ياقوت: ٨٤/٣-١٢٥، سير أعلام النبلاء: ٢٤٧/١٦-٢٤٨ و مصادر كثيرة أخرى.
 - ٢- المنتظم: ١٨٧/٧، إنباه الرواه: ٦١/٤-٦٣، ياقوت: ٣٠٧/٧، ابن خلكان: ٧٢/٧-٧٤، سير أعلام النبلاء: ٢٤٨/١٦-٢٤٩، و غيرها.
 - ٣- ديوان الشريف الرضى: ٨٢/١.
 - ٤- الدكتور إحسان عباس، الشريف الرضى / ٣٩-٤٠.

و قال: أنه (لا حاجة للإنكار، و لا موضع للغرابه، لأن الشريف كان شديد الذكاء، و إذا ذهبنا مع الدكتور إحسان عباس إلى أن المراد هو ابن أبي سعيد السيرافي، لا أبو سعيد نفسه، فهل يحل هذه القضية و ينفى تعلمه النحو، و هو دون العاشره؟!)(1).

و لست أرى مجالاً للخلاف في هذه القضية، فان ابن جنى يذكر أن الرضى أحضر إلى مجلس ابن السيرافي، و واضح أن المراد هنا أبو سعيد، لا ولده، فهو الذي كان صاحب المجلس و أستاذا لابن جنى، و كان ابن جنى يتلقى عنه، فهو شاهد عيان، و لم تذكر الروايه أن الرضى قرأ عليه شيئاً، و إنما لقنه النحو في جملة من يلقن من حضور الحلقة، ثم ذاكه بشيء من الاعراب ليختبر تقدمه، و قد كان يوسف ولده يفيد الطلبة في حياه أبيه - كما يذكر ابن خلكان - و لعله كان يعنى بالمبتدئين في العلم من حضور حلقة والده كالرضى.

فالرضى إذا حضر حلقة أبي سعيد، و هو صاحب القصه معه، و هذا لا يدفع أنه ربما استفاد من علم ولده يوسف الذي كان يفيد الطلبة في حياه أبيه، و إن كان لا يشعر نحوه بما يشعر به الطالب نحو أستاذه، فقصيدته في رثائه لا تدل على أنه يرثى أستاذا له، و لم يقلها الرضى فيه إلا ليحافظ على ما ضيعه الناس من الوفاء و ما هكذا يفعل الرضى في رثاء أساتذته.(2)

و قد سبقه إلى عد أبي سعيد السيرافي نفسه أستاذا للشريف، السيد الأميني في الغدير: ١٨٣/٤، و سبقهما السيد الخوانساري في روضات الجنات في ترجمه (أبي سعيد السيرافي): ٧٣/٣، و ذكر: أن الثعالبي ذكر في ترجمه الشريف: أنه له في أبي سعيد مرثيه - و ذكر ثلاثه أبيات منها - ثم ترجم لابنه يوسف، و تبعه في هذا الشيخ عباس القمي في الكنى و الألقاب: ٣٤٠/٢ و لا أدري كيف وقع له مثل هذا مع أن الثعالبي يصرح بان المرثي هو أبو محمد بن أبي سعيد(3) و هكذا صدرت القصيده في ديوان الشريف.

(4) و هذه إحدى المشكلتين. و هناك مشكله أخرى، و هي أن الشريف قد ذكر من قرأ عليهم و هم:

١ - علي بن عيسى بن الفرّج، أبو الحسن الربيعي، الشيرازي، ثم البغدادي (٣٢٨/٩٤٠ - ٤٢٠/١٠٢٩) و توفي الشريف، و الربيعي كان لا يزال حيا.

٢ - أبو الفتح عثمان بن جنى، الموصلي، ثم البغدادي (ح ٣٢٧/٩٣٩ - ٣٩٢/١٠٠٢).

و قال الشريف نفسه: (و قال لي شيخنا أبو الحسن علي بن عيسى النحوي، صاحب أبي علي الفارسي، و هذا الشيخ كنت بدأت بقراءه النحو عليه قبل شيخنا أبي الفتح عثمان بن جنى، فقرأت عليه (مختصر الجرمي) و قطعه من (كتاب الإيضاح) لأبي علي الفارسي، و (مقدمه) أملاها علي كالمدخل إلى النحو...)(5).

و وجه المشكله أن الشريف إن كان قد قرأ علي السيرافي، الأب، أو الابن، أيا كان، فلما ذا لم يشر إليه؟ و قال شيخنا النوري: (و ظاهره أنه لم يقرأ علي السيرافي، و إلا لأشار إليه، مع أنه عند وفاه السيرافي [الأب، و هكذا فسره بالأب] كان ابن تسع سنين، كما يظهر من تاريخ ولاده الأول و وفاه الثاني) ثم حكى ما حكاه ابن خلكان، فقال: (و في قوله: فلقنه النحو مسامحه)(6).

و الذي أراه في حل المشكله الأولى التأكيد على مدلول (ابن) السيرافي! فان إضافه (ابن) إنما جىء بها للتعريف، و التعريف

بالإضافة إلى الأب (السيرافي) لا يصح إلا إذا كان الأب قد بلغ من الشهره المبلغ الذي يعد أشهر من يحمل العنوان، فيعرف به من يضاف إليه (ابنا) كان أو (أخا) أو غيرهما، وهذا يعني: أن المشتهر يوم ذاك بالسيرافي كان هو الأب، لا الابن الذي حضر الشريف مجلسه، وهذا لا يصح إلا إذا كان الأب أبو سعيد السيرافي نفسه، لا أبوه بهزاد المجوسى الذي عاش فى سيراف، و الذى أسلم و سماه ابنه عبد الله، عاش مغمورا و مات مغمورا، و لو لم يبلغ ابنه أبو سعيد ما بلغه لم يسمع بذكره أحد. و بهذا يكون الذى حضر عنده الشريف ابن أبى سعيد السيرافي أبا محمد، لا هو نفسه. و ليست المشكله تدور حول قصر السن أو قله الذكاء، فإنه لا مناقشه فى شدة ذكاء الشريف و حده فطنته، و قصر سنه لم يمنعه من الحضور على الشيخ المفيد - كما سيأتى - و سيأتى أن عمره كان يوم ذاك فى حدود السادسة.

و لم أجد فيما أملك من المصادر قراءه ابن جنى على أبى سعيد السيرافي، و إنما الذى تتفق المصادر كلها عليه أنه قرأ على أبى على الفارسى، فى صحبه دامت أربعين سنه، صحبه فى أسفاره، و خلا به فى مقامه (٧)، و يذكر ابن مأكولا أن ابن جنى (سمع جماعه من المواصله و البغداديين) (٨)، إلا أن أحدا لم يذكر أنه كان فيهم أبو سعيد السيرافي.

و لا نملك أى حجه تدلنا على قراءه الشريف على السيرافي، سواء أ كان الأب أم الابن، سوى ما تدل عليه النادره المرويّه عنه فى علامه النصب فى كلمه عمر، و هى لا- تدل إلا على أنه حضر مجلس الابن دون الأب، و بهذا لا أجد أى مبرر لما أحتاط الدكتور الحلو فى رأيه حينما ارتأى أن الشريف قرأ على الأب، و أضاف: (و هذا لا يدفع أنه ربما استفاد من علم ولده يوسف).

و لا- يلزم أن تكون القراءه على الابن أنها كانت بعد وفاه الأب بل أرجح أنها وقعت فى حياه الأب، و فيما يقرب من تاريخ حضوره على شيخنا المفيد - كما سيأتى - و إنما اختير له الابن (و كان يفيد الطلبه فى حياه أبيه) (٩)، أن الأب يوم ذاك كان قد بلغ من العمر عتيا، و من الشخصيه العلميه ما ارتفع بها .

ص: ٢٧٦

- ١- محمد عبد الغنى حسن، الشريف الرضى / ٢٤.
- ٢- الشريف الرضى، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، معهد المخطوطات العربيه، جامعه الدول العربيه، القاهره، ١٩٧٦/١٣٩٦.
- ٣- يتيمه الدهر: ١٤٩/٣.
- ٤- ط. بيروت: ١/٤٩٠-٤٩١.
- ٥- حقائق التأويل: ٨٧-٨٨.
- ٦- مستدرک الوسائل: ٣/٥١٤.
- ٧- إنباه الرواه: ٣٣٦/٢، ياقوت: ١٨/٥-١٩، ابن خلكان: ٢٤٦/٣ البلغه فى تاريخ أئمه اللغه / ١٣٧، نزهه الألباء / ٣١٥، ٣٣٣، سير أعلام النبلاء: ٣٨٨٠/١٦، ١٨/١٧، بغيه الوعاة: ١٣٢/٢، روضات الجنات: ١٧٦/٥، ١٧٧، ١٨٠.
- ٨- الإكمال: ٢/٢٨٥، الأنساب: ٣/٣٦١.
- ٩- إنباه الرواه: ٤/٦١، ابن خلكان: ٧٢/٧، اليافعى: ٢/٤٢٩-٤٣٠.

عن الاشتغال بمبادئ النحو و العربية، و تلقين الصغار تلك المبادئ، دون الابن و خاصة فى حياه الأب، و هو بعد لم يشغل مجلس أبيه.

و الذى كان من ابن السيرافى أنه لقن الشريف النحو، و يقصد منه التعليم الشفهى، و التحفيظ و تقويم اللسان، و لا تدل القصه على أن الشريف قرأ عليه شيئاً من الكتب الموضوعه فى النحو، لا- صغيرها و لا- كبيرها، بل و أن (مختصر الجرمى) و ما كان كالمدخل إلى النحو قرأهما على الربعى فيما بعد.

و لعل لهذه الجبهه، و لأن التلقين انتهى بتلك النادره سبب ذلك انقطاع الشريف عن أبى محمد السيرافى، بعد أن لقنه أوليات النحو.

و أرى أن ما ذكرته كاف لتعليل تلك الظاهره التى أشار إليها الدكتور الحلو، و التى تبدو من رثاء الشريف لأبى محمد السيرافى، و أظن قويا أن موقف أبى محمد السيرافى من نادره الشريف كان موقف غضب و امتعاض، و لعل ذلك الموقف، أو ما تعقبه من ملاحظات و تعليقات خلف ذلك كله فى نفس التلميذ الصغير و خاصة إن كان يمثل الشريف الرضى آثار سوء ظلت حيه، حتى و بعد أن مات أبو محمد.

و أرى أيضا أن هذا كاف لتفسير تغافل الشريف عن الأيام المعدودات التى حضر فيها عند ابن السيرافى، و عدم الاهتمام بتلك الأيام و تغافلها، عند ما ذكر الشريف من قرأ عليه النحو و الأدب.

المقصوره الحسينيه

و قال الشيخ محمد رضا الجعفرى معلقا على حذف المقصوره الحسينيه الشهيره

(كربلاء لا زلت كربا و بلا)

من الطبعه التى صدرت فى بغداد باشراف الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو زاعما أنها ليست للشريف الرضى:

إن مقصوره الشريف الرضى:

(كربلاء لا زلت كربا و بلا)

لأشهر ما نظمه على الإطلاق، فان كان شعره على كثرته، و سعه أغراضه، و سمو معانيه، و رفعه منزلته الأديبه، معروفًا عند الأدباء، معنيين بها، فان مقصورته تداولتها الأجيال الواسعه قراءه و سماعا منذ عصره إلى عصرنا الحاضر، بل و أن الكثير منهم قرءوها أو سمعوها و إن لم يعرفوا القائل.

إن ما قاله الدكتور الحلو حول المقصوره يرجع إلى مصدرين:

١ - ما وجده من التعليقات حول المقصوره فى بعض مخطوطات الديوان التى استعرض الكثير منها و وصفه فى تصديره للديوان.

٢ - ما ارتاه هو، و إن كان من الطبيعي أنه كان بوحي من تلك التعاليق.

فقد حكى الدكتور (التصدير/ ١٦٤) أنه جاء فى الأصل و (ك) (يقال: أنها آخر ما قاله من الشعر، و أنها ربما كانت منحوله) و يقصد بالأصل: مخطوطه دار الكتب المصريه و هى انتساخ لديوان الشريف الرضيصنعه أبى حكيم الخبرى، و قد وصفها الدكتور فى التصدر [التصدير/ ١٣١-١٣٣، و من (ك): نسخه كوبريلى (التصدير/ ١٤٧-١٤٨)، و جاء فى (س):

(لم توجد فى ديوانه، بل هى منحوله، لكونها لينه لا- تشبه شعره، و هو الصحيح) و (س) رمز لمخطوطه فى المكتبه الأهليه بباريس (التصدير/ ١٥٧ - ١٥٨) و جاء فى هامش (ى): (إن هذه القصيده لا يمكن أن تكون من شعره، و إنما دسها عليه أغمات الاماميه، لما فيها من العقائد، و الليونه التى لا تلائم نفس الشريف) و علق الدكتور: (و واضح أن كاتب هذه الحاشيه زيدى يجتوى الاماميه) و (ى) رمز للنسخه اليمنيه، و هى نسخه كتبها زيدى، و تداولتها أيد زيديه كثيره (التصدير/ ١٣٣-١٣٨).

و من هذه التعاليق يظهر أن التشكيك، أو النفي يعتمد على أمرين:

١ - أنها لينه لا تشبه شعر الرضى.

٢ - ما فيها من العقائد (و يقصدون بها: التصريح بالأئمه الاثنى عشر) التى لا يعتقد بها المعلق فلم يستسغها للشريف! يضاف إليهما ثالث، و هو ما ارتاه الدكتور نفسه حول المقصوره، و أنها تختلف عن منهج الشريف فى حسنياته الأربع الأخرى! و قبل الدخول فى مناقشه هذه النقاط الثلاثه لا بد لى من أن أقدم تاريخا موجزا لهذه المقصوره، بل لشعر الشريف، و أنه كيف جمع، و ما موقع المقصوره من ديوانه، و أكتفى هنا بما قاله الدكتور الحلو نفسه فى التصدير، و ملخصه:

إن شعر الشريف كان مجموعا - بصوره أو بأخرى - فى حياته، و أنه هو كان يتولى ذلك بنفسه، و قد اهتم عدنان ابنه بشعر أبيه بعده، فاخرج من مسوداته أوراقا قليله نحو كراسه، زادها على شعر أبيه، ثم جاء أبو حكيم الخبرى فاخذ هذه الكراسه، و ضم إليها الأقطاع و الأبيات التى وجدها، و صنع من ذلك كله بابا ألحقه بالديوان سماه باب الزيادات، و قد ذكر فى خاتمه الباب أن ما اجتمع له أضعاف ما جمعه ابنه عدنان.

(و باب الزيادات الذى صنعه أبو حكيم الخبرى يضم خمس و ثلاثين و تسعمائه بيت، زادها على صنعه الرضى لديوانه، و ليس كل هذا الشعر من قبيل الأبيات المفرده، أو المقطوعه ذات البيتين، أو الثلاثه، أو الخمسه، و إنما بعض هذا الشعر قصائد، منها قصيدته التى تضم الأبيات (٥٧٧-٦٠٧) و هى التى خاطب فيها سلطان الدوله و عرض بدم أعدائه، و منها قصيدته التى تضم الأبيات (١-٦٢) و هى فى رثاء الحسين بن على) (١) و لم يرقمها الدكتور متسلسله لأنه تفضل فحذفها! و لا بد من بعض التعريف بأبى حكيم الخبرى هذا، فهو: أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن الخبرى، البغدادى، الشافعى (- ١٠٨٤/٤٧٦).

إمام الفرضيين، علامه - كما بقول [يقول] الذهبى و عامه المترجمين له - كانت له معرفه تامه بالحساب و الفرائض، و له معرفه بالأدب و اللغه، و كان متمكنا من علم العرييه. تفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى، الفقيه الشافعى الشهير، و سمع الحديث الكثير من جماعه. و كان مرضى الطريقه، خيرا، دينا صدوقا، انتهت إليه الامامه فى الفرائض، و الأدب، و كان يكتب الحظ [الخط] الحسن، و يضبط [الضبط] الصحيح. شرح الحماسه، و ديوان البحترى، و المتنبى، و الرضى، و كان ينسخ المصحف

الكريم، و مات و هو ينسخ مصحفا، و كانت له بنتان، الكبرى رابعه، و أم الخير فاطمه، و كانتا من رواه الحديث و الأدب. و
(الخبري) نسبه إلى (خبر)، و كانت قريه بنواحي

ص: ٢٧٧

١- التصدير / ١٢٧-١٣٠.

شيراز، بها قبر سعيد أخى الحسن بن أبى الحسن البصرى، كان أصله منها. (١)

و قد عنى بجمع ديوان الشريف الرضى جماعه، و أجود ما جمع الذى جمعه أبو حكيم الخبرى. (٢)

و مما تقدم يبدو بوضوح: أن الخبرى لم يكن بالجاهل الذى لا يميز الأصيل من المنحول، و لا بالغر الذى ينخدع بقول هذا أو ذاك، و لا يتفق مع الشريف فى المذهب أو العاطفه حتى ينساق مذهبياً أو عاطفياً، و هو عند المترجمين له - و كلهم ممن تثق بهم الأمومه، و يطمئن إليهم الاعلام الصدامى - من الثقه و الصدق و الأمانه فى المحل الذى يأبى عن الكذب و الافتعال، و لم يبعد به الزمن عن عصر الشريف، حتى يحول بينهما عبث الأيام! و أنا لا أملك صورته من الأصل الذى اعتمد عليه الدكتور، و لا النسخ التى جعلها مراجع لتحقيق الديوان، لكن اختلاف التعبير فى تلك التعاليق من جهه، و اختلاف الحجج فيها من جهه أخرى يدل على [على] أنها ليست من جامع الديوان (الخبرى) نفسه، بل هى كلها إما من النساخ أو القراء، لم يقلها الخبرى، حتى الذى جاء فى الأصل و نسخه (ك) منها. و لم يفصح الدكتور الحلو: أن ما جاء فى (الأصل) أو (ك) إنما جاء فى الهامش أم فى المتن، كما أفصح فيما جاء فى (ى)، و إن أحسنت الظن بالدكتور، أو بالاعلام الصدامى، فأرى أن هذا الإبهام قد يكون متعمدا مقصودا، كى يوحى إلى القارئ أن التعليق إنما هو من صلب الديوان! و لى مما تقدم شواهد تؤكد لى حسن ظنى هذا! بل و إن كلام الدكتور نفسه عند ما بحث حول الزيادات التى أفردها الخبرى، و تساءل: فما الذى صرف الرضى عنها فلم يدعها فيما أذاعه من شعره؟ ذكر أن الخبرى قدم توجيهها لها، و مدلول ذلك: أن الخبرى نفسه كان جازما بصحة انتسابها إلى الرضى! و إن لم يقبل الدكتور بتوجيه الخبرى فى بعضها و فى المقدمه المقصوره الحسينيه! (التصدير / ١٦٣-١٦٤) و هذا كله.

يدلنا دلالة قاطعه على أن هذه التعاليق ليست، و لا واحده منها من الخبرى نفسه! و نعود إلى النقاط الثلاث التى قلت أنها هى الأساس للتشكيك أو النفى:

١ - فالليونه التى قيل أنها توجد فى المقصوره بما لا يتناسب و شعر الشريف، فقد قال عنها الدكتور الحلو نفسه:

أما بناء القصيده فان وصف جميعه بالليونه أمر مبالغ فيه، و لكن بعض أبياتها لين لا يشبه شعر الرضى - مثل قوله:

يا رسول الله فاطمه يا أمير المؤمنين المرتضى

كيف لم يستعجل الله لهم بانقلاب الأرض أو رجم السما

لو بسبى قيصر أو هرقل فعلوا فعل يزيد ما عدا

و قوله:

ميت تبكى له فاطمه و أبوها و على ذو العلا

لو رسول الله يحيا بعده قعد اليوم عليه للعزا

إن هؤلاء النقاد غفلوا - أو تغافلوا عامدين - عن أمر يختص به أدب الرثاء الحسيني، و هو: أن الرثاء الحسيني ينقسم إلى قسمين: رثاء فني أدبي، و هذا ما يشترك فيه الرثاء الحسيني و أى رثاء آخر - و رثاء ماتمى شعبي. و لكل منهما خصائصه و ميزاته، قد تجتمع و قد تفترق. و ليست قصائد الشريف الأربع (٤) شعر المآتم، و إن كانت رثاء أدبيا! و من عاش المآتم الحسينيه [الحسينيه] - و مع الأسف أن الدكتور الحلو لم يعيشها و إن حضرها لا أثق بأنه يفعل نفسيا بها، و السر واضح - علم أن شعر المآتم لا بد و أن يكون شعرا و صفا ماساويا، يصف المأساه و صفا شعريا يمزج الحقيقه بالعاطفه، و الواقع بالاحساس النفسى، كى يكسب فى نفوس السامعين - و هم عامه الناس، أى مختلف طبقاتهم، الأدباء و غير الأدباء، و ذو الثقافه العالیه، و السواد الأعظم - الرقه و الخشوع، و يستدر منهم الدموع، بل و أكثر من الدموع! و لا تكفى هنا الإشاره العابره، و الكنايه الأدبيه، و اللغه الفنيه.

و يكفى فى هذا الرجوع إلى "الدر النضيد" تأليف سيدنا الأمين، رحمه الله، و إلى المقاطع التى حشى بها الشيخ ابن شهر آشوب كتابه (مناقب آل أبى طالب) و التى هى نماذج لأدب الرثاء يوم ذاك، و منها مقصوره الشريف، دون غيرها من حسينياته.

و من هذا أقول بكل تأكيد: إن الشريف لم ينظم حسينياته الأربع تلك كى تقرأ فى المآتم، و ينوح بها النائحون و النائحات، و هو من أعلم الناس بشعر المآتم، شعر دعبيل، و العونى، و الناشئ، و أضرابهم مما كان يناح به يوم ذاك، نعم، إن مقصورته تمتاز عنها بأنه قالها فى كربلاء و يوم عاشوراء، و قالها ارتجالا، و من المحتمل الراجح أنه قالها و هو يحضر المآتم هناك، و فى ذلك اليوم، و لا- يمكن لأحد أن يلمس جو كربلاء، و جو عاشوراء، و جوهما معا إن اتفقا، و جو المآتم الحسينى، و خاصه إن كان يوم عاشوراء، و فى كربلاء، فى الحائر الحسنى، إلا إذا كان شيعيا حسينيا، و خاصه إن كان علويا - نسبا و روحا - كالشريف! فمقصوره الشريف شعر المآتم هناك، يوم ذاك، لا- شعر المهرجانات أو المباريات الأدبيه! شعر البكاء و الدموع، لا شعر الاعجاب الأدبى، و المقدره الفنيه، شعر النوح و اللطم، لا شعر (أمسيات الشعر)! و هذا هو الفارق الأساس بين روح المقصوره و بين طابع حسينياته الأخرى، فطابعها أدبى فنى، و طابع المقصوره حسينى، و هى فن شعرى، و المقصوره ولاء حسينى، كربلائى عاشورائى! و سم هذا ما شئت! سمه ليونه، أو سمه مطابقه لمقتضى الحال! ٦.

ص: ٢٧٨

١- المنتظم: ٩٩/٩-١٠٠، معجم الأدباء: ٢٨٥/٤، الإكمال: ٥١/٣، الأنساب: ٣٨/٥-٤٠، اللباب: ٤١٨٨/١-٤١٩، معجم البلدان: ٣٤٤/٢، إنباه الرواه: ٩٨/٢، سير أعلام النبلاء: ٥٥٨/١٨، ابن كثير: ١٥٣/١٢ - و قد أخطا فى تعيين سنه الوفاه، فذكر فى غير محله - الأسنوى، طبقات الشافعيه: ٤٧١/١-٤٧٢، ابن هدايه الله، طبقات الشافعيه / ١٧٢-١٧٣ السبكي، طبقات الشافعيه: ٦٢/٥-٦٣، بغيه الوعا: ٢٩/٢، شذرات الذهب: ٣٥٣/٣.

٢- إنباه الرواه: ١١٥/٣، ابن خلكان: ٤١٦/٤، شذرات الذهب: ١٨٣/٣.

٣- التصدير / ١٧١-١٧٢.

٤- راجع (الأولى) الديوان - ط بيروت ٢٧٨/١-٢٨١، و (الثانيه) ٢٨١/١-٢٨٣، و (الثالثه) ٣٧٦/١-٣٧٨، و (الرابعه) ٦٥٨/٢-٦٦١، و قارن بالمقصوره و هى فى ط بيروت، ٣٣/١، ٣٦.

و الحق أقول: إن الشريف وفق في مقصوره هذه قدر ما وفق في حسنياته تلك، بل و لعله برز في المقصوره ما لم يبرز في غيرها! و بعد، فالقصيده التي تبلغ اثنين و ستين بيتا، إن وجد فيها أبيات معدوده لم ترتفع إلى المستوى العام للقصيده نفسها، أم لم تبلغ المستوى التام لشعر شاعرنا، متى كان هذا دليلا يعتمد عليه على نفي القصيده و حذفها بتمامها، إلا بالنسبه إلى الرضى، و في مقصوره الحسينيه خاصه، و عند الاعلام الصدامي!!.

فمن من الشعراء، من تقدم على الشريف منهم، من جاهليين، و مخضرمين، و إسلاميين، من أمويين أو عباسيين، أو الذين عاصروه أو جاءوا بعده، و إلى عصرنا الحاضر، لا- في الأدب العربي فحسب بل في الآداب الإنسانيه كلها بمختلف عصورها و لغاتها من أمكنه أن يحتفظ بمستوى واحد لا يقصر عنه أبدا، في كل ما نظم أو كتب؟! و لا أجدنى بحاجه إلى إيراد الأمثله، فالتهديب و الانتفاء سمه عامه لكل شاعر و أديب، و شعر المناسبات يختلف عن الآثار الأديبه المقصود منها التبرز و الظهور، و بعد التهديب و الانتفاء لا يزال هناك فارق كبير في شعر أى شاعر، و فى أدب أى أديب، بين هذا الشعر و ذاك و بين هذا القول و ذاك! و الرضى نفسه كان يعمد إلى مثل هذا، و تجد مثلا لذلك فى ديوان الرضى: ٨١٦/٢، و للدكتور الحلو إشارات إلى هذا الأمر، و لعل الشريف أراد لمقصوره أن يعيد النظر فيها و يهدبها أو ينتقى منها، و لكن المنيه لم تمهله - فى سن مبكر نسبيا - و هى من آخر ما قاله، و أمانه الخبرى لم تسمح له أن يصنع شيئا لم يفعله الشاعر نفسه.

و بهذا أكون قد ناقشت ما قرره الدكتور الحلو: (و لعل أفضل وسيله للحكم عليها (أى المقصوره) هى الرجوع إلى قصائد الرضى الأخرى فى رثاء الحسين بن على (س) على قله شعره فى هذا الباب بالقياس إلى شعراء الشيعة فيه) ثم يستعرض سماتها العامه و يميزها عما جاء فى المقصوره فيقول: (و قد استبان من هذا العرض للمعانى التي وردت فى القصائد الأربع الأولى، و القصيده الأخيره: أنه لا نسب بين هذه الأربع و بينها، فهذه الشكاه التي تنضح بها القصيده الأخيره، و الاستغاثه بالرسول (ص) و خصومته لبنى أميه فى الدار الآخره، و وقوفه موقف المظلوم، و تعداد الأئمه، و اعتبارهم الشافين من العمى، و الشفعا مع الرسول يوم القيامه) (و التأكيد على مقاطع معينه، إنما هو منا، لا من الدكتور نفسه) كل هذا لم نعهده من الرضى فى رثائه لأبى عبد الله الحسين، و إنما عهدناه ثائرا تلمع نصول السيوف فى شعره، و تتناول لها ذم الأسنه، مهددا بيوم يجرد فيه الخيل للوغى، لا بالعقاب و الحساب فى يوم القيامه). (١)

و تتلخص المناقشه: نعم هناك فارق و لكن، لا بين شخصين، و لكن بين روحين: فان ما نلمسه فى تلك القصائد الأربع، إنما هو روح الشريف نفسه، و ما نلمسه فى المقصوره إنما هو الوجدان الشيعى المتمثل فى الشيعة و منهم الشريف، فالشريف فى تلك يكشف عن نفسه و نفسياته الخاصه به، و فيها يعبر عن روح الولاء الذى يحمله كل شيعى حسينى! ٢ - و أما الزيديه و الاماميه و عقيدته الشريف، فأرى أن البحث فيه من لغو القول! فلم يكن الشريف بالرجل المغمور الذى يجهل أصله، و أهله، و الوسط الذى كان يعيش فيه، و الذين كان يتصل بهم، أو يتصلون به، حتى يجهل مذهبه، و يكون مجال شك، ثم مجال بحث و استدلال! فهو إمامى معروف، معروف بأسرته و أهله، و من يتصل بهم من الاماميه، لم يشك فى ذلك أهله و لا أصحابه الاماميه! و لكن لاعتبارات لا تخفى، أحكى كلاما لأحد علماء الزيديه حول الموضوع:

قال يوسف بن يحيى بن الحسين بن (الامام المؤيد بالله) محمد بن (الامام المنصور بالله) القاسم بن محمد بن على الحسنى الصنعانى الزيدى (١٠٧٨/١٦٦٧ - ١١٢١/١٧٠٩) بعد أن ذكر جملة من قصيده الرضى البائيه فى الأئمه الاثنى عشر (ع)، و منها:

سقى الله المدينة من محل لباب الماء و النطف العذاب

و جاد على البقيع و ساكنيه رخی الذيل ملثان الوطاب

و أعلام الغرى و ما استباحت معالمها من الحسب اللباب

و قبرا بالطوف يضم شلوا قضى ظما إلى برد الشراب

و سامراء و بغدادا و طوسا هطول الودق منخرق العباب

(٢) قال: هذه الأبيات من القصيدة أردت بإيرادها تبين معتقد الرضى، رحمه الله تعالى، فان جماعه ممن قصر فهمهم من المؤلفين يتهمونونه أنه على مذهب الامام أبى الحسين زيد بن زين العابدين، قدس الله روحه، و نعم ذلك المذهب الفاضل! و من العجب أن منهم القاضى أحمد بن سعد الدين، مع وفور علمه و اطلاعه، و يحتجون بأنه كان يريد الأمر الذى كان فى يد الخليفه ذلك الزمان، بدليل أبياته القافيه الشهيره، التى كتبها إلى الطائع، و لأن ابن عنبه قال فى عمده الطالب: و قيل: أن الرضى كان زيديا. و لم يعلموا أنه أراد الملك لأنه أحق به، و لو أراد الخلافه لم تنتقض عقيدته على مذهب الاماميه، و يلزم من هذا أن المرتضى أخاه، حيث كان أول من بايع الخليفه هو، كان عباسيا، و ليس كل من شهر السيف دعى زيديا! و إلا لكان الخوارج زيديه! و هذا شعر الرضى و روايات العلماء عنه تأبى ذلك، و كل تابع لأهل البيت البرره الأتقياء موفق، إن شاء الله تعالى، و تابع جعفر الصادق و زيد بن على لم يتبع إلا البر التقى المجمع على فضله.(٣)

٣ - و أما ما ذكره الدكتور الحلو أخيرا: (و ظنى الغالب أن هذه القصيده مصنوعه و منسوبه إلى الشريف الرضى، أراد صاحبها لها الذيوع و الانتشار فى محافل عاشوراء، فاجتهد ما وسعه الاجتهاد فى أن يضع عليها ميسم الرضى، و خانه التوفيق فى بناء بعض أبياتها، كما فضحه حشو القصيده بعقائد لم يمرن).

ص: ٢٧٩

١- التصدير / ١٧٠-١٧١.

٢- ديوان الرضى: ٩١/١.

٣- نسمة السحر فى ذكر من تشيع و شعر، ترجمه الشريف الرضى، مخطوط - المصوره التى أملكها، ج ٢، الورقه (٤٦١) ب - (٤٦٢) أ).

عليها الرضى شعره و لم ينضح بها قريضه). (١)

و أقول:

إن الشريف قد جعل من شعره وسيله للتعريف بنفسه، خاصة فيما يريد له الاذاعه و الظهور، و لأجل هذا لا نجد فى شعره ما نجده فى شعر كثير من شعراء الشيعة الذين وقفوا شعرهم لبيان عواطفهم و أحاسيسهم المذهبيه - أو جعلوا ذلك أحد أهدافهم الرئيسه، و لم يكتفوا بالافصاح عن ذاتياتهم الخاصه - فلا نجد فى شعره مديحا خالصا لرسول الله (ص)، و لا لأبيه أمير المؤمنين، و أمه الصديقه الطاهره (ع)، و هو فى هذا يختلف عن العونى، و ابن حماد، و الناشئ، و قبلهم الكميت، و دعلج، و أضرابهم، فنجد شعرهم شيعيا بل و يختلف عن أخيه الشريف المرتضى أيضا، فهؤلاء شيعة، و التزموا أن يكشف شعرهم عن عقيدتهم، و أن يكون معبرا عن تشيعهم، فى حين أن الشريف كان شاعرا شيعيا، كأبى تمام، و ابن الرومى، و أمثالهما.

و لم يشتهر الشريف بالأدب المذهبى، و خاصة فى أدب الرثاء الحسينى، الشهره التى تجعل المغمورين يحاولون أن يلصقوا آثارهم به فينحلون شعر غيره إياه، كى يرتضيه السامعون إذا تلى عليهم منسوبا إلى الرضى فيروج عندهم! و النائحون و النائحات، و قراء المآتم، و منشد و مجالس العزاء الحسينى إنما يهتمون بمضمون الشعر و مدى تأثيره على السامع أكثر ما يهتمهم الشاعر نفسه، بل إن الشاعر يغفل عنه غالبا عندهم و عند السامعين على سواء، فلا يسمونه إلا نادرا، و لأغراض خارجه عن إطار القراءه و إقامة المآتم.

و لا يسعنى أن أتجاوز هذا الموضوع إلا و أن أذكر واحدا من هؤلاء، و قد أدرك عصره الشريف، و سمع الكثير من شعره، و هو الناشئ البغدادى، على بن عبد الله بن وصيف (٢٧١/٨٨٤ - ٣٦٦/٩٧٦) (صاحب المراثى الكثيره فى أهل البيت) (٢) قال معاصره و صديقه و حاكى سيرته و قضاياه، الحسين بن محمد الخالع، الأموى نسبا، البغدادى، (٣٣٣/٩٤٥ - ٤٢٢/١٠٣١): (و كان الناشئ قنوما بالكلام و الجدل، يعتقد الامامه و يناظر عليها بأجود عباره، فاستنفد عمره فى مديح أهل البيت حتى عرف بهم، و أشعاره فيهم لا تحصى كثره) (٣) و راجع قضاياه، بل و كراماته فى النوح بشعره فى ياقوت: ٢٤٠/٥ - ٢٤١، لسان الميزان:

٢٤٠/٢٣٩/٤، و إذا أردت نموذجا لما كان يناح به يوم ذاك فى المآتم، بل و إلى قرابه قرنين بعد ذلك العصر، و هو عصر الخطيب الخوارزمى، الموفق بن أحمد الحنفى (٤٨٤/١٠٩١ - ٥٦٨/١١٧٢)، و نموذجا أيضا لشعر الناشئ، فارجع إلى ما حكاه الخطيب الخوارزمى من شعره فى مقتل الحسين (ع): (١٤٥/٢ - ١٤٧ صدره بقوله: (و للناشئ على بن وصيف، مما يناح به فى المآتم).

و أنا أعجب من الدكتور أنه يعمد إلى أبعد الاحتمالات من الواقع، و أقربها إلى عالم الخيال و الوهم، فيختاره، و يغلب ظنه عليه، و هو أن شاعرا مغمورا له القدره على مجاراه الشريف الرضى، و لكنه ينسى نفسه و لا يشيد بمقدرته الشخصيه، بل يتقمص الشريف الرضى، و يقلده فى قصيده عدد أبياتها اثنان و ستون بيتا، يوفق فى ذلك، إلا فى عده أبيات!! فلم لم يسلم الدكتور بان الرضى نفسه هو القائل، و أنه هو الذى خانه التوفيق - إن كان الدكتور مصرا على هذه الخيانه!!.

و لا تفسير لهذا الاختيار الشاذ عندى سوى أن الاعلام الصدامى يرضيه هذا الاختيار، مهما كان بعيدا متكلفا فيه، و يغضبه إذاعه

الواقع، و إن دلت عليه الحجج، و كان هو التفسير الطبيعي و المعقول المقبول.

و أنا أعجب أكثر من قوله: (و فضحه حشو القصيده بعقائد لم يمرن عليها الرضى...) كيف لم يمرن عليها الشريف، و قد مر قبيل هذا نموذج من قول الشريف، و لا أظن أن الدكتور لم يقرأ بائيه الشريف التي حكينا أبياتا منها قبيل! و الدكتور نفسه قد قرأ ما قاله صاحب نسمة السحر، و يحكى عنه جمله من قوله فى هامش / ٥١-٥٢ من التصدير.

و آخر ما أقوله: إن الاعلام الصدامى لم يرد لنفسه أن يكون ناشرا للمقصوره، و لا للشريف أن يعرف بأنه القائل لها، فحذفها من الديوان ثم أوحى إلى من أوحى بان يضع المعاذير لذلك!! (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ). (٤)

و الكلمه الأخيره: أنا إن سلمنا جدلا بان ما قاله الدكتور الحلو حول المقصوره كله صحيح لا مطعن فيه لطاعن، و لكنه بحذفه المقصوره قد فتح الباب لنوع من التحريف السافر، و التلاعب المعلن به بالكتب و الآثار، لم يسبق أن فتحه قبله أحد! فان القاعده الأساسيه المتبعه فى نشر النصوص - و الدكتور نفسه من أمس من يتصل بها و يعرفها، بحكم عمله فى قسم المخطوطات فى جامعه الدول العربيه - الاحتفاظ بالنص فى صورته الأصلية التى أرادها المؤلف له، و عمل المحقق و الناشر لا يعدو تقويم النص و إعطاء أقرب صورته و أوثقها إلى التى اختارها المؤلف.

و الدكتور قد تولى نشر ديوان الرضى لا على أساس أنه هو الذى جمعه، فله أن يختار ما وثق بنسبته إلى الشريف، و يحذف ما كان على ريب من ذلك، بل على أساس أنه ناشر لعمل جامع آخر، و هو الخبرى الذى تولى الجمع، و الطبعه نفسها تحمل هذا العنوان: (صنعه أبى حكيم الخبرى)، و التزاما منه بالأمانه العلميه احتفظ الدكتور بنظام الخبرى القائم على أساس الأغراض، لا التنظيم على أساس حروف القوافى، الذى حول الديوان إليه فى كثير من مخطوطاته - كما يذكر الدكتور فى التصدير - و هكذا فى طبعاته السابقه، و منها الطبعه البيروتية الأولى. و لا شك أن الخبرى - و يسلم بذلك الدكتور - قد أثبت المقصوره فى الزيادات التى ألحقها بالديوان.

فاقصى ما هو المسموح به للدكتور أن يبدى ريبه من نسبه المقصوره إلى الشريف، فى التصدير أو عند ما تأتى فى صلب الديوان، كما صنعه بعض النساخ أو القراء، و حكى الدكتور صنيعهم فى التصدير. و صنيع الدكتور قد تجاوز كل هذه الاعتبارات، و خرق السنه المتبعه فى الاحتفاظ بالنصوص - على ١٥

ص: ٢٨٠

١- التصدير / ٧٢.

٢- ابن الأثير: ٦٨٨/٨، ابن خلكان: ٣٦٩/٣، لسان الميزان: ٢٣٨/٤.

٣- معجم الأدباء: ٢٣٥/٥.

٤- القيامه ٧٥:١٤-١٥

ما هي عليه، و كما هي - و ليس لنا إلا الحكم بأنه خيانه واضح للأمانه العلميه، و نقض فاضح لقواعد نشر النصوص، و سنه سيئه قد سنهها الدكتور لتبرير التحريف و التلاعب، فعليه وزرها و وزر من عمل بها (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) (النحل، ٢٥/١٦) - نسأل الله سبحانه أن يجنبنا و يجنب الناشرين الاستئان بها -.

الرضى المؤلف

قال السيد صدر الدين شرف الدين:

عالج "الشريف" الحظ في بعض شعره، و رآه "يمشى بأقوام و أن وقفوا" و لكنه ما ارتضاه - و أن تمناه أحيانا - لنفسه التي شداها شدا واعيا إلى الحقائق و القيم رغم تكيلها إياه بالمقاييس، و تقديمها عليه فاقدتها من الجهال المحظوظين.

هو - إذن - يقحم نفسه المعركة الرهيبة ببطوله ترفض (الجبر) و تتحمل مسئوليته الحريه و الاختيار في كفاح لا- تزيده مظاهر النجاحات المصطنعه إلا تمسكا بحقائق الأمور، و احتمالا لهموم الواقع الثقال.

و مهما تكن هذه المشكله في ذاتها، و مهما يكن موقف "الشريف" منها، فالشريف ممتحن بها امتحانا يسلكه في عداد الكبار من ضحاياها، و ما نهتم به في هذه الكلمه هو العبور من هذه الحكايه إلى إبراز محتته في جوهرها، و تشخيصها في كيفها و نوعها، معنيين بالبرمجيه و التنهيج، لا بالنصوص و الأحداث.

يحسب الكثيرون امتحان الشريف بالنقاد و المقيمين امتحانا بسيطا لا يعدو إهماله و إعطاء غيره عناية أشد، و اهتماما أكبر.

هذا خطأ فامتحانه مركب يتعدى أمر إهماله المجل إلى إزاحته عما به يكون، إلى التحدث عن أضعف ما به كان، في تفصيل إليك بيانه:

باحثو الشريف و المتحدثون عنه لا يحفلون منه بغير "الشاعر" فان تجاوزوا تقييم فنه، أو ضعفت مقاييسهم عن تحديده، ضاعفوا القول فيه بخصال من خصائصه، كطموحه و إباءه و ترفعه.

و البحث يقول لنا شيئا كثيرا عن جوانبه هذه، و لكنه يقول لنا شيئا أكثر و أمق عن عمل المؤسس في الشريف و محاولاته المجديه في تطويع الحضاره للثقافه القرآنيه و الفكر الإسلامى.

نستطيع أن نفهم الشريف على حقيقته لا في ديوانه، و لا في طموحه فقط، بل في أعماله التاليه:

١ - حقائق التنزيل و دقائق التأويل.

٢ - تلخيص البيان في مجاز القرآن.

٣ - معانى القرآن.

٤ - مجازات الآثار النبويه.

٥ - نهج البلاغه.

٦ - خصائص الأئمه.

٧ - تعليق خلاف الفقهاء.

ودع غيرها من أعماله الأدبيه فى رسائله و مختاراته.

نحن نرى فى اعماله هذه تطبيقا لمخطط رسمه غب دراسه و تأمل، و نراه فيها مخططا يطبق منهجه لحمايه الإسلام و العربيه، فى إيمان بهما و اندماج أعاناه على الوصول إلى ما فيهما من قوى الثبات و التكيف، فهو إذ يفتح للثقافات المختلفه يجد موضع الأمان بالقياده القرآنيه القادره على الاستيعاب و التكيف بوسائل نظامها العالمى الخالد، و إمكانات لغتها الواسعه المرنه، و واضح أن أعماله هذه تركز (الثبات) فى القرآن و الحديث و كلام على و الأئمه من بنيه، ثم تترك التطور للاجتهد يؤدلجه حسب التغيرات بفلسفه الإسلام و ثقافته.

و يلاحظ بتقدير و إكبار أن عمل الشريف الضخم هذا موضوعى لا أثر فيه للعصبيات التى كانت تمزق العالم آنذاك.

لا- يدخل فى منهج هذه الكلمه نقد مؤلفات الشريف هذه، كما لا- يدخل فى منهجها عقد مقارنه بينه و بين من كتب فى موضوعاتها من معاصريه أو ممن سبقهم، فما نريد قوله هو بالضبط: أن الفن الشعري أصغر ما يقاس به بقاء الشريف، و أن لا محيد لقادر الشريف حق قدره عن الرجوع فيه إلى شخصيه المؤسس، فمؤلفاته المنهجيه تربط ما قبلها بما بعدها ربطا يمنحه درجه قياده مستمره، و ذلك ما لا يحققه ديوانه و لا رسائله كيفما كان تقدير موهبته و فنه.

فمؤلفاته المنهجيه أنشأتها حاجه مرحله قوى فيها العقل و ضعف الحكم، و خيف من خلال التوازن بينهما أن يختل منهج التاريخ، ثم هى فى صميم هذا الظرف، تربط ما قبلها بما بعدها ربطا يمنح الشريف درجه قياده مستمره.

و ذلك ما لا يحققه ديوانه و لا رسائله كيفما كان تقدير موهبته و فنه.

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكرزكانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان فقيها عالما بصيرا عارفا شاعرا له كتاب اليواقيت و ديوان فى الغزليات مات فى المدينه الطيبه سنه ١٢٣٠.

الشيخ محمد بن الشيخ على بن الشيخ عبد النبى بن محمد بن سليمان المقابى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هكذا قرر شيخنا الأمام الشيخ أحمد فى جوامع الكلم و هو فقيه عصره و متكلم مصره و له من المؤلفات كتاب: العمده فى الفقه. مات سنه ١١١٤.

الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحرانى.

قال فى كتاب تاريخ البحرين المخطوط نقلا عن اللؤلؤه، و نحن نأخذها عنه لأن فىها صورته عن الحياه فى تلك الأزمنه:

كان فقيها مجتهدا محققا مدققا دقيق النظر من أعيان علماء البحرين، إماما فى الجمعه و الجماعه، و له الرساله المسماه بالصفويه و رساله فى الصلاه صنفها فى شيراز للسيد البهى ميرزا صفى بن الميرزا محمد مهدي النسابه و سماها الروضه الصفويه فى فقه الصلاه اليوميه، و الميرزا محمد مهدي المذكور كان شيخ الإسلام فى شيراز بعد الشيخ صالح بن عبد الكريم الآتى ذكره، و له أيضا: شكل فى مسائل المنطق، قال شيخنا المحدث الصالح الآتى ذكره:

ص: ٢٨١

و ادعى الشيخ المذكور أنه غير جزء و أن الاستمرار كاف و ادعى عليه الإجماع و خالفه الأستاذ و قال: بل يجب عليه الرفع ثم الوضع.

و وقعت بينهما مشاجره عظيمه فانتهى أمرهما إلى أن قال: شيخنا (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ) ..

يريد أن هذا اعتقادك لأنك مجتهد لا يجوز لك تقليدي و هذا اعتقادي لأنني مجتهد أيضا لا يجوز لي تقليدك، فقال الشيخ بكلام فيه نفره و هنا كلام جهل لأنه التفت إلى أصل ورود الآية فإنها خطاب النبي (ص) للمشركين فقال شيخنا إنما هو بالحجج لا بالتشنيع و لم يمكنه أن يرد عليه أكثر من ذلك لأن الشيخ كان مشارا إليه و شيخنا بعد لم يشتهر و افترقا و انقضى المجلس و كل منهما مملوء غيظا على الآخر فبقى لمدته قليله تقرب من أربعين يوما و صنف شيخنا رساله في الرد عليه و عرض للشيخ محمد مرض عظيم و عاده شيخنا في مرضه و توفي في ذلك المرض رحمه الله و سنه يقارب من سبعين سنه في حدود السنه الخامسة و المائه و الألف و هو عام جلوس الملك الأعظم سلطان عصرنا اليوم السلطان حسين بن الشاه سليمان و قبره في مقبره المشهد و بنى على قبره فانتهد رئاسه البلد بعده إلى السيد هاشم التوبلى... (انتهى).

أقول: قد كانت هذه الرساله التي صنفها شيخنا الأستاذ الشيخ سليمان في هذه المسأله عندي ثم ذهبت فيما وقع على كتيبي من حوادث الأيام و التي لا تنيم و لا تنام، و لما مات الشيخ محمد المذكور رثاه الشيخ سليمان المذكور بقصيده جيده أطراه فيها و مدحه.

الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي:

اشاره

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن الشيخ حسام الدين إبراهيم بن حسن بن إبراهيم (٢)...".
بن أبي جمهور الشيباني الأحسائي، من مشاهير علماء الاماميه، فقيه مجتهد و راويه شهير و فيلسوف كبير و أديب شاعر.

والده و جده

أما والده الشيخ علي - المتوفى قبل عام ٨٩٥ هـ - فقد كان من كبار العلماء، و هو أستاذ ابنه و شيخه في الروايه، و يروى عن قاضى قضاة الإسلام ناصر الدين الشيخ إبراهيم بن نزار الأحسائي عن الشيخ حسن المطوع الأحسائي عن ابن فهد الأحسائي عن ابن المتوج البحراني - كما هو مذكور في أول "عوالي اللثالي" -.

و جده الشيخ إبراهيم ابن أبي جمهور أيضا كان من كبار علمائنا، و قد ذكرهما العلماء في كتب التراجم و أثنوا عليهما ثناء جميلا.

قال الشيخ عبد الله الأفندي في "رياض العلماء": "الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن الشيخ حسام الدين إبراهيم بن... أبي جمهور الأحساوي، الفاضل العالم الجليل والد الشيخ محمد... المعروف بابن أبي جمهور الأحساوي، و كان "قده" - يعنى على ابن أبي جمهور - و والده الشيخ حسام الدين إبراهيم المذكور و ولده الشيخ محمد المذكور من مشاهير علماء الاماميه...". (٣)

وقال الشيخ عباس القمي في "الفوائد الرضويه": "على بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي... فاضل أديب عالم زاهد عابد...".^(٤)

وقال الشيخ علي البحراني في "أنوار البدرين" - بعد أن ترجم المصنف -: "وكان والده الشيخ علي و جده الشيخ إبراهيم من العلماء الفضلاء...".^(٥)

وقال الشيخ محمد بن أبي جمهور - صاحب الترجمة - في الثناء على والده و جده: "الشيخ الزاهد العابد الكامل زين المله و الدين أبو الحسن علي بن الشيخ المولى الفاضل المتقى من بين أنسابه و أضرابه حسام الدين إبراهيم بن... أبي جمهور الأحساوى...".^(٦)

وقال أيضا: "حدثني أبي و أستاذي الشيخ العالم الزاهد الورع زين الدين أبو الحسن علي بن الشيخ العلامة المحقق حسام الدين إبراهيم بن أبي جمهور الأحساوى.

مولده و نشأته

ولد المترجم في "الأحساء" حدود سنة ٨٤٠ هـ، يظهر ذاك من مناظرته مع العالم الهروي - التي جرت في "مشهد خراسان" سنة ٨٧٨ هـ - حيث قال في آخر المجلس الثاني من المناظره: "فان عمري اليوم يقارب الأربعين سنة...".^(٧)

و في بلده "الأحساء" نشأ و ترعرع، و كان محل سكناه فيها قريه "التيمة"^(٨) و مسجده فيها كان قائما إلى عهد قريب.

ص: ٢٨٢

١- بقلم السيد هاشم الشخص الموسوي. و هي منتزعه من كتاب له مخطوط اسمه أعلام هجر.

٢- كذا ذكر المصنف نسبه في "العوالي" و في "ريحانه الأدب" أضاف إلى ما ذكرنا: "بن حسين بن إبراهيم بن أبي جمهور

٣- رياض العلماء: ج ٣ ص ٣٢٦.

٤- الفوائد الرضويه: ص ٢٦٤.

٥- أنوار البدرين: ص ٣٩٩.

٦- عوالي اللآلي: ج ١ ص ٥-٦ و ٢١، باختصار.

٧- المناظره: ص ٤٣.

٨- قال الشيخ فرج العمران القطيفي في "الأزهار الأريج" ج ١٤ ص ٢١١ ما ملخصه: "التيمة من قري "الأحساء" كانت في

القديم تضم طائفه من الفقهاء و المجتهدين و ثله من الحكماء الراسخين مما يبلغ عددهم أربعين عالما - كما قيل - منهم

الفيلسوف الشهير الشيخ محمد بن أبي جمهور و الشيخ محمد البويهى قدس الله أسرارهم... ثم أنشأ القطيفي أبياتا في مدح

هذه البلده الطيبه فقال: قدسوها مدينه "التيمة" فهى من خيره القرى الهجرية قد سوا تلکم الربوع اللواتيهى بالأمس مشرقات

مضيه هى بالأمس مشرقات زواهابالتقى و المعارف الدينيه مشرقات بالحكمتين تسميتلك علميه و ذى عمليه جمعت أربعين من

علماء الدينمن نالوا المراقى العليه منهم الفيلسوف "ابن أبي جمهور" رب اللطيفه القدسيه هو ذا كاتب "العوالي اللآلي" و

"المجلى" فى الحكمة النظرية منهم العالم البويهى من أدركأسمى المراتب العلميه هؤلاء الأعلام كانوا مصايحيهم قد أضاءت
"التيمة" فعليهم من ربهم رحمتأبد الدهر بكره و عشيه

درسته و أساتيدہ

تلقى العلوم الأوليه فى بلده "الأحساء" على يد علمائها الأعلام، و فى مده قليله تفوق على جمع أقرانه و نال قصب السبق فى كثير من العلوم و الفنون.

ثم هاجر إلى العراق و حل عاصمه العلم و العلماء "النجف الأشرف" و راح يواصل دراسته على علمائها العظام خصوصا استاذہ الكبير الشيخ عبد الكريم الفتال.

و بعد مده طويله قضاها فى النجف للترود من العلم عزم على حج بيت الله الحرام و ذلك سنه ٨٧٧ ه فتوجه إلى الحجاز عن طريق الشام و نزل مدينه "كرک نوح" و فيها التقى بالشيخ الجليل على بن هلال الجزائرى و أقام عنده شهرا كاملا مستفيدا من علومه.

و أما أساتيدہ فقد ذكر المصنف أربعة منهم فى مقدمه كتابه "العوالى" و هم:

١ - والده الشيخ زين الدين على بن أبى جمهور الأحسائى.

٢ - السيد شمس الدين محمد بن كمال الدين موسى الموسوى الحسينى الأحسائى^(١)، و الظاهر أنه تلمذ عليهما فى "الأحساء".

٣ - الشيخ حسن بن عبد الكريم الفتال.

٤ - الشيخ على بن هلال الجزائرى.

مشايخه فى الروايه

و يروى عن جماعه من العلماء الأعلام ذكرهم المصنف فى مقدمه هذا الكتاب و هم:

١-٤ - أساتيدہ الأربعة المتقدم ذكرهم.

٥ - الشيخ حرز الدين الأوائلى (الأوالى) البحرانى.

٦ - السيد شمس الدين محمد بن السيد أحمد الموسوى الحسينى.

٧ - الشيخ عبد الله بن فتح الله بن عبد الملك الفتاحن الواعظ القمى القاسانى.

تلاميذہ و الراوون عنه

يروى عن المصنف جماعه من العلماء و فيهم من كان من تلاميذته [تلاميذته] و هم:

١ - تلميذہ المقرب إليه السيد محسن بن السيد محمد الرضوى القمى و تاريخ الإجازة له "منتصف ذى القعدة ٨٩٧ ه".

٢ - تلميذه الشيخ ربيعه (ربيع) بن جمعه العبري العبادي الجزائري.

٣ - السيد شرف الدين محمود بن السيد علاء الدين الطالقاني.

٤ - الشيخ محمد صالح الغروي الحلبي أجازه بثلاث إجازات:

الأولى: مختصره تاريخها "٢٤ ربيع الثاني ٨٩٦هـ".

الثانية: مبسوطه ذكر فيها المجيز "٢٤ كتابا" من تصانيفه، و تاريخها "أول جمادى الأولى ٨٩٦هـ".

الثالثة: متوسطه كتبها في قريه "فلقان" بأسترآباد و تاريخها "منتصف جمادى الأولى ٨٩٨هـ". ٥ - الشيخ علي بن عبد العالى المشتهر بالمحقق الكركي الثاني، ذكر ذلك في "روضات الجنات" (٢).

أسفاره

بعد الحج عاد إلى وطنه "الأحساء" و أقام بها قليلا ثم غادرها إلى زياره أئمه العراق (ع)، و بعد الزياره قصد "خراسان" لزياره الامام الرضا (ع) و فى الطريق ألف كتابه "زاد المسافرين فى أصول الدين".

و لما نزل المشهد الرضوى تعرف عليه السيد محسن بن السيد محمد الرضوى - من وجهاء "مشهد" و فضلائها - و حل المصنف ضيفا عنده، و أصبح السيد من تلاميذه و المصاحبين له، و ذلك سنه "٨٧٨هـ"، و فى هذا العام حدثت المناظره العلميه المعروفه بين ابن ابي جمهور و العالم الهروى - من أهل السنه - فى ثلاث مجالس خرج فيها ابن ابي جمهور منتصرا.

ثم عزم على الإقامة فى "مشهد" مجاورا للإمام الرضا (ع)، و فى حوالى سنه "٨٩٣هـ" عزم على الحج مره ثانيه، و بعد أداء المناسك توجه إلى العراق للمره الثالثه و ذلك فى أوائل سنه "٨٩٤هـ" و نزل "النجف الأشرف" للاشتغال بالعلم و التأليف و بها ألف كتابه "المجلى لمرآه المنجى".

و فى أواخر سنه "٨٩٥هـ" غادر النجف عائدا إلى وطنه الثانى "مشهد خراسان".

و الظاهر أنه بقى مجاورا للرضا (ع) حتى وافاه الأجل المحتوم.

مناظرته مع العالم الهروى

و لما استقر ابن ابي جمهور فى مدينه "مشهد" اشتهر أمره و عظم صيته فقصدته عالم سننى من أهل "هرات" - إحدى مدن "أفغانستان" - و طلب منه المناظره فى أمر الخلافه و بعض المسائل الخلافيه فأجابه المصنف إلى ذلك.

فعقدت الجلسه الأولى للمناظره فى منزل السيد محسن الرضوى و حضرها جمع من العلماء و الفضلاء.

ثم عقدت جلسه أخرى فى إحدى المدارس العلميه و بحضور جماعه من أهل السنه، و بعدها عقدت جلسه ثالثه فى مكان آخر

و دار فيها الحوار حول موارد من المسائل الخلافية. و ازداد بذلك صيتا و سمعه، و أعجب به علماء "خراسان"، و طلب منه تسجيل ما حدث فى كتاب مستقل، فأجابهم إلى ذلك فكان كتابه المعروف "مناظره بين الغروى و الهروى".

و من أراد تفاصيل هذه المناظرات فليرجع إلى الكتاب المذكور المطبوع مرارا.

أقوال العلماء فيه

قال فى "مجالس المؤمنين" - ما ترجمته -: "الشيخ محمد بن على... بن أبى جمهور، صيت فضائله بين الجمهور مشهور و فى سلك مجتهدى الاماميه المذكور، مولده الشريف "لحصا" - الأحساء -، و فنون كمالاته خارج عن حد الإحصاء".

ص: ٢٨٣

١- قرأ عليه فى الفقه كما فى "العوالى".

٢- ج ٧ ص ٣٣-٣٤.

وقال في "روضات الجنات": "الشيخ الفاضل المحقق و الحبر الكامل المدقق خلاصه المتأخرين محمد بن... أبي جمهور الأحسائي".

وقال الشيخ عباس القمي في "الفوائد الرضويه": "محمد بن أبي جمهور الأحسائي... عالم عارف حكيم متكلم محقق مدقق فاضل محدث خبير متجر ماهر...". (١).

وقال في موضع آخر من "الفوائد الرضويه": "الشيخ الممجد و الفاضل المسدد قدوه العلماء الراسخين و فخر الحكماء و المتكلمين الشيخ محمد بن...".

أبي جمهور الأحسائي". (٢).

وقال أيضا في "الكنى و الألقاب": "محمد بن... أبي جمهور الأحسائي... العالم الفاضل الحكيم المتكلم المحقق المحدث الماهر...".

وقال في "لؤلؤة البحرين": "و الشيخ محمد بن أبي جمهور المذكور كان فاضلا مجتهدا متكلمًا...".

وقال في "أمل الآمل": "الشيخ محمد بن جمهور الأحسائي كان عالما فاضلا راويه".

وقال في موضع آخر من "الآمل": "الشيخ محمد بن علي... بن أبي جمهور الأحسائي فاضل محدث...".

وقال المحدث النيسابوري - في رجاله -: "محمد بن علي... بن أبي جمهور الأحسائي متكلم فقيه محدث عارف...". (٣).

وقال السيد حسين القزويني في مقدمات "شرح الشرائع":

"محمد بن... أبي جمهور الأحساوي فاضل جامع بين المعقول و المنقول راويه للأخبار...".

وقال المحقق الكاظمي في أول كتاب "المقاييس": "العالم العلم الفقيه النبيل المحدث الحكيم المتكلم الجليل محمد بن... أبي جمهور سقاه الله يوم النشور من الشراب الطهور...". (٤).

وقال السيد نعمه الله الجزائري في شرحه على "العوالي": "العالم الرباني و العلامة الثاني محمد بن... أبي جمهور الأحسائي أسكنه الله تعالى غرف الجنان و أفاض على تربته سجال الرضوان".

وقال الجزائري أيضا - معللا رجوع شيخه إلى الرغبة في "عوالي اللآلي": "لأن جماعه من متأخري أهل الرجال و غيرهم من ثقات أصحابنا و ثقوه و أطنبوا في الثناء عليه - ابن أبي جمهور - و نصوا على احاطه علمه بالمعقول و المنقول...".

وقال في "ريحانة الأدب": "محمد بن... أبي جمهور الأحسائي الهجري من أكابر علماء الاماميه في القرن العاشر للهجرة عالم عارف رباني محقق مدقق حكيم كامل متكلم فاضل محدث متجر ماهر...". (٥) و قال الشيخ علي البحراني في "أنوار

البدرين": "الشيخ الفاضل المحقق الكامل المشهور الشيخ محمد بن... أبي جمهور الأحسائي و هو من العلماء المشهورين و الفقهاء المتبحرين المذكورين - إلى أن قال - فهو من العلماء الفضلاء الأتقياء النبلاء...".

مؤلفاته

- ١ - (أسرار الحج)، فرغ من تبيضه "٩٠١هـ" و طبع عام "١٣٢٤هـ" ضمن كتاب "المجلى" للمصنف أيضا.
 - ٢ - (الأقطاب الفقيهيه و الوظائف الدينيه على مذهب الاماميه)، شرح فيه قواعد الأحكام الفقيهيه نظير قواعد الشهيد ألا أنه أوجز منه.
 - ٣ - (الأنوار المشهديه فى شرح "الرساله البرمكيه")، فى فقه الصلاه اليوميه.
 - ٤ - (بدايه النهايه)، فى الحكمه الاشراقية.
 - ٥ - (التحفة الحسينيه) فى شرح "الرساله الألفيه")، التى ألفها الشهيد الأول فى الفقه.
 - ٦ - (تحفه القاصدين فى معرفه اصطلاح المحدثين).
 - ٧ - (التعليقه) على "أصول الكافى".
 - ٨ - (التعليقه) على "من لا يحضره الفقيه"، ذكرهما المرعشى فى مقدمه (العوالى).
 - ٩ - (جمع الجمع) نسبه إلى المصنف فى "مجالس المؤمنين".
 - ١٠ - (الحاشيه) على "تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول" للعلامه الحللى.
 - ١١ - (الحاشيه) على كتابه "عوالى اللآلى" و هى كبيره. (٤)
 - ١٢ - الدرره المستخرجه من "اللمعه فى الحكمه"، قال فى "الذريعه":
" و لعل المراد من (اللمعه فى الحكمه) هو (اللمعه الجوينيه) فى الحكمه تأليف ابن كمونه المتوفى ٦٨٣هـ... و عليه يكون هذا الكتاب تلخيصا و زبده لكتاب "اللمعه الجوينيه".
 - ١٣ - (درر اللآلى العماديه فى الأحاديث الفقيهيه)، فرغ من تاليه "٨٩٩هـ" و فرغ من تبيضه "٩٠١هـ"، رتبه على مقدمه فى أخبار الترغيب على العبادات و خاتمه فى الأخلاقيات بينهما ثلاثه أقسام فى أبواب الفقه كلها.
- و جاء اسم هذا الكتاب فى "أمل الآمل" (الأحاديث الفقيهيه) و فى "البحار" و "الرياض" و "المقاييس" (نثر اللآلى) و فى "الروضات" (اللآلى العزيزيه) و الكل كتاب واحد.

١٤ - (الرساله الابراهيميه فى المعارف الالهيه).

١٥ - (الرساله البرمكيه فى فقه الصلاه اليوميه)، و مر شرحه "الأنوار المشهديه".

١٦ - (الرساله الجمهوريه).

١٧ - (زاد المسافرين فى أصول الدين) كتبه فى طريقه إلى زياره الرضا (ع) بعد أداء فريضه الحج عام "١٨٧٧ه".

ص: ٢٨٤

١- الفوائد الرضويه: ص ٣٨٢.

٢- روضات الجنات: ج ٧ ص ٣٢.

٣- مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٦٢ و ٣٦٤

٤- ريحانه الأدب: ج ٧ ص ٣٣١.

٥- مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٦٢ و ٣٦٤

٦- فرغ منها فى مدينه مشهد بخراسان ٢٣ صفر أو ٢٦ شوال سنه ١٨٩٧ ه و طبع بعضها أخيرا مع (عوالى اللآلى).

١٨ - (الطوالع المحسنه فى شرح "الرساله الجمهوريه") المذكوره قريبا، سمي "الرساله" باسم نفسه ابن أبى جمهور و سمي الشرح باسم تلميذه السيد محسن الرضوى.

١٩ - (عوالى اللآلى العزيزيه فى الأحاديث الدينيه) و قد يقال له "عوالى اللآلى" - بالغين المعجمه - و لا أصل له، ألفه فى أربعه أشهر مده إقامته فى دار السيد محسن الرضوى فى "مشهد خراسان" و فرغ منه ليله الأحد ٢٣ صفر و قد شرح هذا الكتاب شرحا مبسطا السيد نعمه الله الموسوى الجزائرى و سمي شرحه "الجواهر الغوالى فى شرح عوالى اللآلى".

٢٠ - (الفصول الموسويه فى العبادات الشرعيه).

٢١ - (قبس الاقتداء - أو الاهتداء - فى شرائط الإفتاء و الاستفتاء)، قال فى "الذريعه": "فيه مباحث الاجتهاد و التقليد... و هو كتاب كبير مفيد".

٢٢ - (كاشفه الحال عن أحوال الاستدلال)، فى بيان طريق الاستدلال على التكاليف الشرعيه و كيفيه أخذها من الأصول الدينيه، فرغ منه فى "مشهد خراسان" ضحى يوم الجمعه ٣ ذو القعده ٨٨٨ هـ و هو من كتب أصول الفقه مرتب على مقدمه و خمسسه فصول و خاتمه. و قد يسمى "رساله فى طريق الاستدلال" أو "رساله فى لزوم العمل بأخبار الأصحاب فى هذا الزمان" و الكل كتاب واحد.

٢٣ - (كشف البراهين فى شرح "زاد المسافرين" فى أصول الدين، ألفه ب "مشهد خراسان" بالتماس تلميذه السيد محسن الرضوى فى عام "٨٧٨ هـ").

٢٤ - (المجلى لمرآه المنجى)، هو شرح لكتابه "مسالك الأفهام فى علم الكلام" و لحاشيته على "المسالك" المسماه ب "النور المنجى من الظلام" لأن المصنف كتب أولا "مسالك الأفهام" ثم علق عليه حواشى سماها "النور المنجى من الظلام" و بعد رجوعه إلى "النجف الأشرف" عام "٨٩٤ هـ" ألف كتابه "المجلى" كشرح ل "مسالك الأفهام" و حاشيته و فرغ من تأليف "المجلى" فى "النجف" أو آخر جمادى الثانيه ٨٩٥ هـ و طبع "١٣٢٤ هـ".

٢٥ - (مجموعه الأخبار و المسائل)، التى جمعها من كتب شتى.

٢٦ - (مجموعه المواعظ و النصائح و الحكم)، و فيه أغاز و مرثى و مدائح و مراسلات شعريه بينه و بين الشعراء، ذكر هذين الكتابين فى "الذريعه".

٢٧ - (مدخل الطالبين فى أصول الدين).

٢٨ - (مسالك الأفهام فى علم الكلام)، ألفه قبل عام "٨٩٤ هـ" و طبع - كما تقدم - ضمن كتاب "المجلى" عام "١٣٢٤ هـ".

٢٩ - (المسالك الجامعيه) فى شرح "الرساله الألفيه" فى الفقه للشهيد الأول، و هو غير "التحفه الحسينيه" المتقدم، و قد كتبه المصنف أيام اعتكافه فى "جامع الكوفه" سنه "٨٩٥ هـ" و طبع فى إيران مع "شرح الشهيد" و "شرح صاحب المدارك" و

شرح الكركي "سنة ١٣١٢ هـ".

٣٠ - (المعالم السنابسيه) في شرح "الرساله الجوينيه" في أصول الفقه.

٣١ - (معين الفكر) في شرح "الباب الحادى عشر".

٣٢ - (معين المعين فى أصول الدين)، و هو شرح ل "معين الفكر" - المتقدم -، قال صاحب "رياض العلماء": "كبير جدا رأيته فى بلده (مازندران)...". (١).

٣٣ - (مفتاح الفكر) لفتح "الباب الحادى عشر". و هو غير "معين الفكر" - المتقدم -.

٣٤ - (كتاب المقتل)، قال فى "الروضات": "وقد ينسب إليه - ابن أبى جمهور - رحمه الله أيضا كتاب فى "المقتل" كبير، مشتمل من الأخبار الغريبه على كثير...".

٣٥ - مناظره بين الغروى و الهروى، طبع للمره الثالثه سنة ١٣٩٧، و طبع أيضا بعنوان "المناظرات مع العالم الهروى"، و هى ثلاث مناظرات وقعت بين المصنف و عالم سنى من أهل "هرات" - و قد سبق الحديث عنها -.

و قد ترجمت هذه "المناظرات" إلى الفارسى عده مرات، منها ترجمه الكامله المدرجه ضمن كتاب "فردوس التواريخ" المطبوع ١٣١٥ هـ، و أدرجت ترجمه كامله أيضا فى "نامه دانشوران" المطبوع ١٣١٨ هـ، كما أدرج قسم كبير منها ضمن "مجالس المؤمنين".

٣٦ - (موضح الدرأيه لشرح باب "البدايه"، فى الحكمه، و لعله شرح لكتابه المتقدم "بدايه النهايه فى الحكمه الاشراقىه".

٣٧ - (موضح المشكلات لأوائل الاجتهادات) فى الفقه.

٣٨ - (النور المنجى من الظلام)، فى حاشيه "مسالك الأفهام" طبع - كما تقدم - ضمن كتاب "المجلى" عام "١٣٢٤ هـ".

وفاته

توفى المصنف فى حوالى العشر الأولى من القرن العاشر الهجرى و له من العمر قرابه سبعين عاما، و الظاهر أن وفاته كانت فى مدينه "مشهد" بخراسان لأنها المقر الأخير لسكانه.

و لم يعلم له مزار، كما لم ينص أحد ممن ترجمه على تاريخ وفاته غير أنه كان حيا عام "٩٠١ هـ" حيث فرغ من بعض كتبه فى هذا التاريخ و لم يعهد له بعد التاريخ المزبور أى كتاب أو خط أو إجازة، و معلوم أنه لو بقى كثيرا بعد عام "٩٠١" لألف و كتب و لذكره المؤرخون لأن مثله لا يهمل، و مما ذكر يعلم أن ابن أبى جمهور مات بعد التاريخ المذكور بقليل و قد أشار إلى ذلك فى "الذريع" حيث قال: "ابن أبى جمهور الشيبانى الأحسانى المتوفى أوائل القرن العاشر". (٢).

و جاء فى " ربحانه الأءب" (٣) و غيره أن المصنف كان معاصرا للمحقق الكركى - الذى توفى عام " ٩٤٠ هـ -". و قد اشتبه الأمر على السيد المرعى النجفى حيث جعل هذا التاريخ - " ٩٤٠" - عام وفاه المصنف - كما ذكر ذلك فى مقدمه الجزء الأول من (عوالى الآلى) - و هو خطأ واضح.

أءبه و شعره

لقد كان المترجم أءببا شاعرا إلى جانب كونه عالما فقيها مجتهدا، و قد جمع هو بعض أءبه و شعره فى كتابه "مجموعه المواعظ و النصائح و الحكم" - المذكور آنفا -، و ليس بأءبنا الآن هذا الكتاب كما لم نعثر على شىء من شعره سوى

ص: ٢٨٥

١- رياض العلماء: ج ٥ ص ٥٠.

٢- الذريعة: ج ١٦ ص ٧١.

٣- ج ٧ ص ٣٣١.

الآيات التي ذكرها هو في مقدمه كتابه (العوالي) و التي مدح بها تلميذه السيد محسن الرضوى، و نكتفى هنا بنقل هذه الآيات كـانـمـوـذـج لـشـاعـرـيـتـه:

يا فريدا في الفضل غير مشارك عز باريك في الورى و تبارك

يا هلال الأنام قد كتب الأيام (١) في دفتر العلى آثارك

و لسان الزمان يدرس في كل مكان على الورى أخبارك

سیدی أنت من يشق غبارك بأبى أنت من يروم فخارك

ما نرى في مناسب لك إلا دائب صار دأبه تذكارك

شوقته إليك أوصافك الغر فجاب البلاد حتى زارك

يا كريما خفت عليه المعالى فادرعها فاشدد بها آزارك

و اسحب الفخر و امض في الخير قدما و اقض في طاعه الندى أوطارك

شبه و مؤاخذات

رغم عظمه المصنف و سمو مكاتته فقد دارت حوله بعض الشبه و وجه إليه القدح و الانتقاد فاتهم بالتصوف المفرط و قالوا إنه أخبارى و نسب إليه الغلو، و شاع عنه أنه غير مثبت في نقل الأخبار و متساهل في روايتها، و زاد في "الروضات" حيث قال: "بل الكلام في توثيق نفس الرجل - يعنى ابن أبى جمهور - و التعويل على رواياته و مؤلفاته". (٢)

و لسنا الآن بحاجة إلى البحث عن مدى صحه هذه التهم أو بطلانها بعد ما ردها و أجاب عنها بالتفصيل الشيخ النورى في "مستدرک الوسائل" و السيد المرعشى النجفى في مقدمه الجزء الأول من (عوالى اللآلى).

و نظره واحده فيما قاله جمله من خيره علمائنا فى مدح هذا العالم الجليل و تعظيمه - و قد مر نقلها - تكفى ردا لهذه الشبه و جوابا عنها.. و الذى نقوله هنا أن مثل هذه التهم و جهت إلى كثير من كبار علمائنا كالشيخ الصدوق و الملا صدرا الشيرازى و تلميذه الفيض الكاشانى و السيد حيدر الأملى و غيرهم من علمائنا الأعلام الذين لا يشك أحد فى نزاهتهم و علو شأنهم و مع ذلك رموهم بالإلحاد و التصوف و الغلو و غير ذلك مما هم منه براء.

السيد محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبى شبابه الحسينى البحرانى.

قال فى سلافه العصر على عادته فى الاسجاع و المبالغات: علم العلم و مناره و مقبس الفضل و مستناره فرع دوحه الشرف الناصر المقر بسمو قدره كل مناضل و مناظر أضاءت أنوار مجده ماثرو مناقب إلى أن قال: و كان قد دخل الديار الهنديه فاجتمع

بالوالد و مدحه بمدائح نقضت عزل الحارث بن خالد فعرف له حقه و قابله من الإكرام بما استوجبه و استحفه و ذكره عند مولانا السلطان بما قدمه لديه و ملأ من المواهب الجليلة يديه و لما قضى آماله من مطالبتها ارتحل إلى الديار العجميه و قطن بها فلقى بها تحيه و سلاما و تنقل فى المراتب حتى ولى شيخ الإسلام و هو اليوم نازل بأصبهان و رافع من قدر الأدب. و من نشره ما كتبه إلى من ديار العجم سنه سبعين و ألف (و لم نر ضروره لنقل الرساله): ثم قال: و من شعره قوله مادحا الوالد و هى من فرائد القصائد:

أرى علما ما زال يخفق بالنصر به فوق أوج المجد تعلق يد الفخر

مضى العمر لا دنيا بلغت بها المنى و لا عمل أرجو به الفوز فى الحشر

و لا كسب علم فى القيامة نافع و لا ظفرت كفى بمغن من الوفير

فأصبحت بعد الدرس فى الهند تاجرا و أن لم أفر منها بفائده التجر

طويت دواوين الفضائل و التقى و صرت إلى طى الأمانى و النشر

و بعث نفيس العمر و الدين صفقه فى ليت شعرى ما الذى بهما أشرى

إذا جننى الليل البهيم تفجرت على عيون الهم فيها إلى الفجر

إلى أن قال:

مضت فى حروب الدهر غايه قوتى فأصبحت ذا ضعف عن الكر و الفر

إلى أن قال:

إذا لم تكن فى (الهند) أصناف نعمه ففى (هجر) أحظى بنصف من التمر

على أن لى فيها حماه عهدتهم بناه المعالى بالمتقفه السمر

إذا ما أصاب الدهر أكنان عزهم رأيت لهم غارات تغلب فى بكر

و لى والد فيها إذا ما رأيت به الخنساء تبكى على صخر

و لكننى أنسيت فى الهند ذكرهم بإحسان من يسلى عن الوالد البر

إذا دعرتنى فى الزمان صروفه وجدت لديه الأمن من ذلك الذعر

و فى بيته فى كل يوم و ليله ارى العيد مقرونا إلى ليله القدر
و لا يدرك المطرى نهايه مدحه و لو أنه قد مد من عمر النسر
و فى كل مضمار أرى كل غايه من الشرف الأوفى له سائق يجرى
إذا ما بدت فى أول الصبح نعمه ترى فرجا قد جاء فى آخر العصر
إلى أن قال:

و أنى لأرجو من جميلك عزمه تبلغنى الأوطان فى آخر العمر
إلى أن قال:

و ما زلت مشتاقا إليهم و عاجزا كما أشتاق الجناح إلى الوكر
و لكنما حسبى وجودك سالما و لو أننى أصبحت فى بلد قفر
فمن كان موصولا بحبل ولانكم فليس بمحتاج إلى صلته البر

الشيخ محمد الشهير بالملائكة البرغانى ابن الشيخ محمد تقى الشهير بالفرشته ابن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم

أخذ الفقه و الأصول عن والده الشيخ محمد تقى الطالقانى القزوينى و السيد نصر الله الحائرى الشهيد فى اسطنبول سنة ١١٥٨ و
تخرج فى الحكمة و الكلام على الشيخ إسماعيل المعروف بالخواجوى المتوفى سنة ١١٧٣، و غيرهم، و كان يلقب بالملائكة
لشده ورعه و قداسه نفسه و تقواه تولى التدريس فى كربلاء، ثم هاجر إلى قزوین فرأس فيها، و هو الذى ناظر الشيخ يوسف
البحرانى صاحب الحدائق المتوفى سنة ١١٨٤ بقزوین بمحضر علماء الفريقين فأفحمه و أدى هذا النقاش إلى عدول صاحب
الحدائق عن رأيه و أصبح من العلماء الأخباريين المعتدلين بعد ما كان من الأخباريين المتطرفين و انتهت هذه المناظره إلى بلبه
عظيمه فى قزوین و أخذ يتوسع مداها و يتصاعد حتى عمت سواد الناس من الطائفتين و انتهت إلى هجوم الفرقة الأخباريه على
دار المترجم له لاغتياله فلم يظفروا به و أحرقوا داره و مكتبته النفيسه ثم تدخل رجال الحكومه و حكموا بتسفير المترجم له عن
مدينه

ص: ٢٨٦

١- فى الجزء الأول من "العوالى" المطبوع و ردت فقره الأولى من هذا البيت هكذا يا هلال الأيام قد كتب الأنام... و الصحيح
ما أثبتناه.

قزوين إلى برغان و هو أول من اشتهر من رجال هذه الأسره بالبرغانى و له آثار و ماثر خالده حتى اليوم و من آثاره فى برغان توسيع و تجديد بناء المسجد الجامع فى برغان و كان يقيم فيه صلاه الجمعة. و قد دون تاريخ هذا الجامع من القرن السابع الهجرى و ما أضيف إليه من التعميرات و التوسيع حتى العصر الحاضر فى كتيبه من القاشانى بخط جميل عند مدخل الباب الرئيسيه ما ترجمته (... تم بناء و توسيع عماره الجامع بحكم و فتوى سماحه العلامة الفقيه آقا محمد الطالقانى نزيل برغان المشهور بالملائكه والد الشهيد الثالث أعلى الله مقامه و ذلك لأقامه صلاه الجمعة و ازدياد عدد مصلى هذه الفريضة الدينيه فى عصره). و تم البناء بفن معمارى أنيق و نصب له شباييك مزينه بالزجاج الملون و كان سقف الجامع من الخشب المنبت المصنوع من الخاتم و هو من الأبنيه الضخمه العظيمه التى لا مثيل لها...

توفى المترجم له فى برغان سنه ١٢٠٠ و قبره مزار معروف يتبرك به أهالى تلك النواحي و المصطافون و الزائرون.

من مؤلفاته تحفه الأبرار فى تفسير القرآن فى مجلدين كبيرين، كتاب الدار الثمين فى الامامه(١)

الشيخ محمد تقى الفشندى بن الشيخ محمد على بن الشيخ حمزه بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.

ولد حدود سنه ١٢٤٢ فى قريه فشند(٢) و توفى حدود سنه ٣٢٨ هجرية.

تخرج على الشيخ محمد صالح البرغانى و الشيخ حسن البرغانى و الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى و غيرهم. صرح فى آخر كتابه إرشاد العاملين الذى انتهى من تاليفه فى سنه ١٣٢١ أنه بلغ من العمر ٧٨ عاما.

و صرح فى كتابه الآخر المسمى بصراط العارفين و نجاه العاشقين الذى ألفه فى سنه ١٢٩٣ أنه بلغ من العمر نحو ثمانى و أربعين سنه.

و على الرغم من مؤلفاته الكثيره فهو من علمائنا المنسيين و لم أر له ذكرا فى الفهارس و كتب التراجم.

من مؤلفاته موسوعه كبيره مسماه بذخائر المحبين فى شرح ديوان أمير المؤمنين فى واحد و عشرين مجلدا ضخما و جعل لكل مجلد منها اسما خاصا و جميع المجلدات بخط المؤلف من مخطوطات مكتبه كاتب هذه السطور فى قزوين عبد الحسين الصالحى.

و هو والد الشيخ حمزه المعروف باسم جده الشيخ محمد على أو حمزه على(٣)

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم

من آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط: هو الامام العلامة الهمام الفهامة شيخ الإسلام، ملجا الأنام كشاف مشكلات العلوم حلال معضلات المفهوم أمام الفقه و الحديث و كان من أعيان هذه الطائفة و انتهت إليه رئاسه البحرين بعد رحله أبيه و مهاجره أخيه

صاحب الحدائق إلى الديار العجميه.

ثم اشتغل بالتدريس و التأليف إلى أن قام باعباء الفتوى فله فى الفقه كتاب فى أحكام المسافرين و آدابهم كامل فى الفن المذكور المسمى بمرآة الأخبار و له رساله فى صلاه الجمعة و أعمال ليلها و يومها و له أجوبه مسائل متفرقه. و له فى المراثى كتاب الضرام الثاقب فى مقتل سيدنا و إمامنا على بن أبى طالب.

و خصائص الجمعة. و له ديوان شعر فى الرثاء و له من الأولاد الشيخ على و الشيخ أحمد و الشيخ حسين و أعلم أولاده الشيخ حسين طيب الله مضجعهم.

مات قدس سره الشريف سنه ١١٨٢.

الشيخ محمد بن الشيخ غوث الحجرى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو من مشايخ البحرين و أعلامها. و إمام العلوم العربيه و علامها صوفى المشرب له كتاب فى الأذكار لم يكمل. مات سنه ١٢٠٥.

السيد محمد جمال الهاشمى

إشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ١٥٥ من المجلد الأول من المستدركات و نعيدها هنا بتفصيل أكثر مع نشر شىء من شعره مضافا إلى ما نشر من قبل:

ولد عام ١٣٣٢ فى مدينه النجف الأشرف و توفى فيها عام ١٣٩٧.

درس الفقه و الأصول و غيرهما من العلوم المتداوله فى حوزة النجف الأشرف، على يد علماء كبار، من أمثال والده، و الشيخ ضياء الدين العراقى، و السيد أبو الحسن الأصفهانى و غيرهم.

و قد طبع من مؤلفاته الكتب الآتيه:

١ - الزهراء (ع). ٢ - أصول الدين الإسلامى. ٣ - الأدب الجديد. ٤ - مشكله الامام الغائب. ٥ - هكذا عرفت نفسى. ٦ - المرأه و حقوق الإنسان. ٧ - الإسلام فى صلاته و زكاته.

و قد شارك فى عضويه جمعيه منتدى النشر.

كما ألقى الكثير من المحاضرات التوجيهيه و رعى العديد من الاجتماعات.

شعره

قال ينجى ربه:

مبدأ الكون، لك الكون و ما فيه يعود

أنت ما أنت وجود منه قد فاض الوجود

تنطوى فى رسم معناك، رسوم و حدود

و لالأوك فى العالم أطف وجود

حيث لولاها لما أخضر من التكوين عود

و لما قام لهذا الفلك السامى عمود

منهل ما زال بالرحمه و اللطف وجود

و نظام فيه روح الحق و العدل يسود

أيها السرمد.. من تاه بمعناه الخلود

ص: ٢٨٧

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- فشد قريه من ضواحي مدينه كرج التابعه للعاصمه طهران و تقع على الشرق من الطريق العام لطهران - قزوين.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فى سماواتك للفكر نزول و نهود
و لألحانك فى الذكر اضطراب و همود
نورك الظاهر عن ظاهره النور يذود
هو معنى جل أن يدركه الفكر الشرود
أنك الله.. و ما لله غيب و شهود
صمد فرد قديم لا وليد لا ولود
و ثب العلم لنجواك فأعياه الجمود
و سما الدين لدنياك فعاقته القيود
فنأى آدم بالوصل و أدناه الصدود
و التوى (صالح) بالناقه مذ زاغت (ثمود)
و انزوى (يونس) فى اللج، و مل الناس (هود)
و لإبراهيم فى النار.. هدوء و صمود
و إلى الطور سعى موسى تزجيه اليهود
و لروح الله فى المههد بروق و رعود
و لظه فى السماوات عروج و صعود
ها هو الماضى و ثوب و اضطراب و ركود
و من الحاضر لا يفزعنى إلا الجحود
و لروحي فى شواطيك صدور و ورود
فسالقاك، و ان خابت بمسعاها الجدود
لى من روحي و عود سالفات و عهود

و قال فى المولد النبوى:

عادت الذكرى لنا فاحتفلى و اعرضى الماضى على المستقبل

و أعيدي باسم طه موسما للتهانى حافلا بالجدل

و اسالى التاريخ عن معجزه فهو عنوان كتاب الأزل

هبت الصحراء من رقدتها و تهادت فى الصراط الأمثل

ولدت للحق ناموس الهدى و هى غير الظلم لم تحتمل

مولد الثوره ما أقدمه أنه تاريخ و عى الممل

سائلى البطحاء ما ذا راعها و هى فى عالمها المنعزل

و اسالى الأصنام من عليائها من رماها للحضيض الأسفل

و اسالى فارس كيف انخمدت نارها، هل جف زيت المشعل؟

و ادخلى البيت ففى جانبه امه مجموعه فى رجل

شبيه الحمد و ما أعظمه قائدا حاز و سام البطل

كم له دون العلا من موقف سار فى الدهر مسير المثل

و انظرى الوفاة تسعى حوله و تحيى كفه بالقبل

و اسمعى الشاعر يشدو راويا فنه عن نغمات البلبل

يلفظ المعنى بما ينشده و المعانى معجزات الجمل

ينثر الدمعه فى بسمته هل تذوقت الرثا فى الغزل؟

ثمل المحفل من ألحانه و انتشى من شعره المرتجل

انظريه ثوره هادئه و أمانا باعنا للوجل

يبعث الأفراح فى أنغامه هاتفا باسم الوليد المقبل

فمشت فى الحفل من ذكر اسمه نشوه هزت وقار المحفل

ليت شعرى هل وعى باطنه أن هذا اسم النبى المرسل

ترك الأمه فى عاداتها و انزوى فى غاره المنعزل

برمق الأجواء فى منظاره خارقا حجب الظلام المسدل

ما هى الأصنام ما تأثيرها فى نظام العالم المكتمل؟

لم يسرى الفكر فى منحرف عن صراط الواقع المعتدل؟

هذه العادات امضى فتكه بالورى من فتكات الأسل

يزل الوحى عليه فانبرى يمحق الياس بنور الأمل

يحمل المشعل باليمنى و قد خص يسراه لحمل المعول

فى سبيل الحق كم من مشكل حله درسا و كم من معضل

جاهد الأطماع حتى انهزمت تستر العار بذيل الفشل

فإذا الدنيا بصبح مشرق بعد ما باتت بليل أليل

و قال متحدثا عن القرآن:

يا نشيدا صاغه الله و غناه الرسول

فيك أكوان بها تاهت قلوب و عقول

و معان يقف العلم بها و هو جهول

عالم لم يحوه عرض و لم يسبره طول

واضح المنهج ما ضل بمجراها الدليل

مشرق الغايه ما فيها قشور و فضول

غامض الاعجاز عن إدراكه الفكر كليل

أ تراه و هو فى منطقہ اللفظ يجول؟

و لدنيا اللفظ أبواب نعيها و فصول

أم تراه و هو فى منطقہ المعنى نزيل؟

و من الفكر إلى المعنى و أن دق سبيل

أيها اللحن الذى هلهل فيه جبرئيل

فإذا نغمته خمر بها الدنيا تميل

و إذا الأفق شمس و إذا الأرض حقول

و إذا التاريخ يستقبله عهد جميل

فيه تنزاح عن الفكر سجون و كبول

هجم الفجر على الآفاق بالنور يصول

و أبل البث جيلا زاره و هو عليل

أوجز البحث به و اختصر الدرب الطويل

و مشى الإنسان فى درب إلى الحق يؤول

ما يقول الشعر فى حقك قل لى: ما يقول؟

أنت بحر يتقى موجك فعل و فعول

و قال مناجيا يوم غدير خم:

يحتفى الخلد فيك مجدا و فخرا فتناول على السماكين قدرا

و اقتحم ساحه الحياه بعزم يهرب الموت منه خوفا و ذعرا

لك من روحك العظيمه جيش يهزم الحادثات كرا و فرا
و الذى يغمر الليالى أظافا سيحيى فى صفحه الأفق فجرا
يا نجوم الظلام فيضى هناء و املئى الأرض و السماوات سحرا
و اسكبى النور خمرة تسكر الحب فتصحو به العواطف سكرى
و اقبضى دفة النسيم ليجرى هادئا يغمر العوالم بشرا
و ابعثى فى السكون روحا رقيقا يتندى و حيا و ينطف شعرا
و احمليها لمن أعارك من معناه مجدا على الشمس اشمخرا
حلقت نفسه الكبيره تبغى فى مجاليك عالما مستقرا
عشقت و جهك الضحوك فباتت عينه فى الهوى كعينيك سهري
فاستراحت فى ظل صمتك لما وجدته للفكر أهنى و أمرى
و مضت توقظ الخيال بلحن ذهبي يحيى به الميت نشرا
حفزتها إلى النضال دروس تستثير الأحرار علما و خبرا
انفت أن تثور كالوحش بالسيف فألقته للمجانين سحرا
و انبرت ترهف اليراع و تبرى حده للجهاد بحثا و سبرا
و إذا صلصل اليراع حماسا اين منه الحسام جارا و زارا
قلم ينثر النجوم لتهدى موكب الفكر و هو يجتاز وعرا
يخرق الحجب فى البيان فيبدو منه سر الحياه للعين جهرا
و يشق العصور بطنا و جهرا و يذوق الظروف حلوا و مرا
فيحيل الضباب فى العين نورا تجتليه، و الشوك فى الكف زهرا
الغدير الغدير ذاك نشيد رددته العصور سجعا و زمرا

لحنته قيثاره الله صخابا فهاجت منه الكوامن حرى
هددهته السماء للأرض روحا ملكيا يفيض قدسا و طهرا
فاحتسته الآذان خمرا، و إن السمع قد يغتدى بدنياه ثغرا
صور تسحر الخيال فيسمو صاعدا فى معارج النور سكرا
و إلى أين حيث ينبثق الفجر ليكسو الوجود نورا و عطرا
فهناك الوحي الالهى يبدى منه شطرا يرى، و يضم شطرا
تترامى من حوله عبقریات مشت تطلب الخلود مقرا
ذاك سر هيهات يدركه الوعى و إن غاب منه دهرا و دهرا
الغدیر الغدير، لحن تلاشى فى خضم الحياه مدا و جزرا
لم يطقه الزمان هضمًا فأمسى خبرا فى ضميره مستسرا
الزمان الحقود هيهات يرضى أن يرى الحب فيه ينثر بذرا
فأحال الشعاع منه ضبابا و أعاد الروض المنمنم قفرا
و الذى يدرس الحوادث يلقي الشر خيرا هناك و الخير شرا
كم هزار تفنى لتحيى غرابا و هزير تضوى لتنفخ هرا
منهج تقصر الموازين عنه فاترك البحث فيه، فالترك أحرى
الغدیر الغدير، ذلك طيف ساحر داعب الخيال وفرا
فانتشى الحب من ملامحه الزهر و ماس الجمال تيهها و كبرا
حاول الفن أن يصوره فى لوحه تبهر الأخاييل بهرا
فاستعار الألوان من وضح الشمس و خط الضحى على اللوح طغرا
و مضى يرسم المناظر حتى أجهده قوى و أضنته صهرا

كلما قاس سحره بسواه لاح اسمى معنى و أبعد سرا
فرمى الريشه الكليله أسوان و عاف الألوان غيظا و قهرا
و ارتمى ساهما يحدق فى الأفق كطير أضاع فى الأفق و كرا
الغددير، الغدير، ذلك يوم خلدته العصور للحق ذكرى
صرع الحقد منه غيظا، و رفت رايه الحب فيه فتحا و نصرا
نحن فى ضحوه النهار، و نور الشمس قد طبق المفاوز طرا
دفقات الرياح يلهبها الصيف فتصلى السماء و الأرض حرا
و الرمال الحمراء موجها النور فلاحت نهرا له الأفق مجرى
و السكون العميق يبعث فى الصحراء روحا منها الفضاء اقشعرا
يتعالى الغبار من كبد البر تماويج تجعل البر بحرا
إنه من قوافل تقطع الصحراء فيها لم ترع حرا و قرا
إنه مشهد الحجيج إلى الأوطان يسعى فى سيره مستمرا
إنه موكب النبوه يجتاز الصحارى فتحتفى فيه فخرا
هذه هاله الجلال و هذا خاتم الرسل لاح فى الركب بدرا
هؤلاء الأصحاب كالشهب حفت و استدارت عليه يمنى و يسرى
منظر يغمر الصحارى جلالا و يحيل الرمال فى العين تبرأ
لم تشاهد هذى الفدافد ركبا عربيا يعنو لعلياه كسرى
يقف الموقف العظيم، فما ذا عاقه عن مسيره فاستقرا؟
الثغاء الرنان يخترق السمع فيمسى به من الضغط و قرا
و نداء الحداه موجه الجو نشيدا يلذ للروح نبرا

و يعم السكوت حتى على النبي فمنها لم تصغ جعرا و نعرا
من حدوج النياق قد نصب المنبر فى الشمس و هى تنفث سعرا
جلست حوله الجماهير، و الصمت عليها القى من السحر سترا
ها هو القائد العظيم على المنبر عنه العيون ترجع حسرى
يتعالى خطابه و هو إعجاز يهز العصور عصرا فعصرا
و ارتقى نحوه فتى، فحسبت النجم فى المنبر المشرف خرا
آه، هذا ابن عمه، بطل الإسلام من يرجف الميادين ذعرا
و يمد النبي يمينه للصهر فيعلو على الجماهير طرا
أفتدرى ما رام من فعله هذا و إن كان فيه ربي أدرى
إنه شاء أن يبين أن المرتضى من سواه ارفع قدرا
مهد الوضع فيه للوحى حتى لا يرى الناس أمره فيه إمرا
ثم نادى: من كنت مولاه حقا فعلى مولاه، دنيا و أخرى
موقف أزعج الزمان فأمسى و هو ينوى شرا و يضمم غدرا
بايعته الأيام بالحكم لكن نقضت عهده المقدس كفرا
هكذا تتمحى الحقائق حتى يصبح العرف فى الشرائع نكرا
و قال فى مولد على أمير المؤمنين (ع):

يحتفل التاريخ باليوم الأغر يا شعر أبدع فى المعانى أو فذر

هذا مجال يعثر الفكر به و يخفق القلب و يحسر النظر

صف كلما تشاء، و اترك صوره علقها بالعرش بارئ الصور

ما ذا تقول فى هيولى نقطه تضيق فى عالمها دنيا الفكر

: إن قلت هذا بشر، قال الحجى : استغفر الوجدان، ما هذا بشر

أو قلت فيها: ملك، أجانى : هل ملك يحكيه عينا و أثر

حارت به الشعوب، شعب منكر له، و شعب فيه غالى فكفر

هذا مقام يقف العقل به مرددا بين الورود و الصدر

قدمت قلبى لكم فى يومه و العقل أزويه لأيام آخر

يا قلب هذا مسرح الحب فنل جائزه الخلد بدورك الأغر

و اختصر الحديث فيه إنما رساله الشوق حديث مختصر

وسائل الكعبه عن وليدها : من شرف البيت و قدس الحجر

و استرق السمع بنادى مضر فالخبر الموثوق فى نادى مضر

و انظر أبا طالب فى مجلسه يمتلك القلب، و يملأ النظر

و حوله من هاشم عصابه ينمى لها المجد و ينسب الخطر

تصغى إلى أسماره مرتاحه فى الليله القمرء ما أحلى السمر

قد سحر الأسماع فى حديثه فلم تفق حتى تجاوز السحر

لا غرو إن اسكره منطقته فمنطق الشاعر شهد و سكر

يدور فى الحديث حول حادث قد حير البدو و أذهل الحضرم

فى البيت حيث الطير لا يعبره قدسا، و حيث الوحش لا يرعى الحذر

قد وضعت فاطمه وليدها منزها من كل رجس و كدر

و أقبلت به إلينا باسمه و قبله لم نر بسمه القمر

أنى أرى لابنى شانا تنطوى فيه شئون غيره إذا انتشر

سيدهش التاريخ فى أعماله و يملأ الدنيا عظه و عبر

يهنى أبو طالب فيه، إنه معجزه الدهر و آيه القدر

لولاه ما قام لدين أحمد ركن، و ما أنهد الضلال و اندثر

لا غرو إما احتفل الإسلام فى ميلاده، فإنه ذكرى الظفر

و يا وليد البيت هذى نفحه فاض بها القلب سرورا و انهمر

جئت بها مبتكرا طريقه فى المدح، فامنحنى عطاء مبتكر

و انظر لدنيا الدين و العلم فقد امست تعالج الخطوب و الغير

و انصر رجالا جاهدوا دون الحمى و هاجموا الخطب و قاوموا الخطر

مولاي و اغفر لى ما زل بى شعرى، فزلات الأديب تغتفر

و قال فى على أمير المؤمنين (ع) و ألقى فى احتفال بذكره أقيم فى مدينه كربلاء:

تبقى و تفنى حولك الآثار مجدا به تتفاخر الأحرار

بك يرفع الحق المضام لواءه و يرف باسمك للجهاد شعار

و لأنت للنهضات فجر تمنحى بشعاعه الآثام و الأوزار

عبدت للتاريخ نهجا لا حبا يجرى به الإيمان و الإيثار

و أريته كيف العقيدة إن طغت و هت الخطوب و هانت الأخطار

فرد يناضل دوله، و سلاحه فى وجهها ايمانها القهار

كيف الاباء إذا تشظى جمره منه تطاير للخلود شرار

كيف الشهاده تغتدى أمثوله بجلالها تستشهد الأعصار

تحبى أبا الأبرار أنك جنه فى ظلها تتنعم الأبرار

وفدت يسوق بها الولاء مواكب لك ملؤها الإعظام و الإكبار

فى ليله تحكى النهار وضاءه و ترق فى أطرافها الأسمار

و تقدمت بالتهنيات بمحفل بهر العيون جماله السحار

حفل أقيم على اسم أكرم مولد فيه ازدهى فهر و طال نزار

فى البيت أشرق فجره فتلاآت فيه المناسك فهى منه تنار

ولد الوصى أخو النبى و صهره و لسانه و حسامه البتار

و أبو النجوم الغر من لسماهم تنمى الشموس و تنسب الأقمار

و فتى المواقف ماج منها خير نورا، و رف على حنين الغار

من فى مناقبه و غر صفاته تتجاوب الأبرار و الأشرار

الله قد صلى عليه، فما ترى تضى عليه بحمدها الأشعار

فاهنا أبا الشهداء فى عيد به لأبيك طال على الخلود منار

و قد احتفى الإسلام باسمك ناشرا لك صفحه ماجت بها الأنوار

فلكربلاء مكانه قدسيه بك لا تراحم مجدها الأمصار

ها هم بنوك بنو المفاخر يزدهى بهم الندى و يعمر المضممار

الكابحون السيل فى عزم له خشع الأبي و أذعن التيار

و المؤمنون الصادقون بموقف ينهار فيه الفارس المغوار

وقفوا و بركان الحوادث نائر هز الزمان دويه الهدار

و قال فى حفل افتتاح الباب الذهبى لمقام أمير المؤمنين (ع) فى شعبان سنه ١٣٧٣:

عجت ببابك تحتفى الأفراح و شدت بحمدك تزدهى أرواح

و تماوجت تلك الألوف كأنها بحر تلاطم موجه المجتاح

ما ذا أثار شعورها فاحاله و هجا يفح زيره اللفاح

هل كان ألا من ولاك هياجه و ولاك روح للنضال و راح
تحى العقيده، فالعقیده لم تزل يمحو الظلام شعاعها اللماح

قل للعصور المنتنات ألا ارقبى عصرا تماوج عطره الفواح
جرفت حوادثك الضخام بموجه غمر الحياه هجومها المكساح
إن الذين تعاهدوك، و أذعنت لقضائها الأفراح و الأتراح
و تكفلوا التاريخ حيث بوحيمهم يتنزل الإبهام و الإيضاح
فمحوا كما شاء المرام و اثبتوا و بنوا نظاما للزمان و راحوا
و جرت على ما خططته حوادث نحر الضمير نظامها السفاح
حتى إذا صهر الثقافه منهج يحكى الضحى أسلوبه الوضاح
أدب الحياه، و قد تغلغل جذره فى النفس منه حجابها ينزاح
فترى الملامح رغم كل تغير أجراه فى تشريحها الجراح
فضح المدائح ضوؤه، فإذا بها عار عليه من الخنوع وشاح
و إذا السفينه فى الخضم تلفها لجيج و قد أعيأ بها الملاح
و إذا بتاريخ الحياه روايه مكذوبه عنها تجل سجاج

ص: ٢٩٠

و إذا العمالقه الضخام هياكل و إذا بابطال الوغى أشباح
عصفت ببابك يا على عواطف هز الزمان دويها الصداح
زحفت كما ثار الخضم بموكب جرف المبادئ سيله الطواح
هى ثوره الايمان تنشر نورها روح لها بين النجوم مراح
رامت تلوثها فخابت عصبه عمياء، شائمه الوجوه وقاح
عاشت بحبك يا على، و من يعيش فى ظل حبك ما عليه جناح
قد حفزتها وثبه - لمقدم - فى الفضل مسرحه علا و طماح
الفارس الجحجاح فى امجاده للدين عاش الفارس الجحجاح
وافاك يعرب عن ولاه بآيه عصماء يسكر وحيها المسماح
فى عصبه كالورد يارج حبها لك ملء برديها تقى و صلاح
و - محمد - رام الخلود بسيره فسعت به قدم و طار جناح
قوم فنوا فى حب آل محمد فزكا بهم قصد و طاب كفاح
لاذوا ببابك يطلبون القرب من حرم تلوذ بقدسه الأرواح
حرم به للأنبياء حفاوه و الروح من بركاته يمتاح
و قال فى رثاء أمير المؤمنين (ع):

ذكرى لها نفس الشريعة تجزع واسى له عين الهدايه تدمع
تتقادم الأعوام و هى جديده تمضى مع الأبد الفتى و ترجع
كالشهب لم تذهب نضارتها و ان كانت علينا بالمصائب تطلع
تأتى فتندبها قلوب روعت حزنا و تربيها عيون همع
نكراء أدهشت العصور بهولها نكباء منها كل جيل يجزع

رزة له الإسلام ضجج، و حادث من وقعه قلب الهدى يتصدع

الله أكبر، أى جرم، ذكره يدمى القلوب فتستهل الأدمع

يا ليله القدر اذهبى مفجوعه فلقد قضى فيك الامام الأنزع

ما كان لو لا سره لك حرمة روحه منها العواطف تخشع

هو كنه ذاك القدر، والمعنى الذى يخفى، و أفق ظهوره متشعشع

عودى لنا ليلاء لا يبدو لها نور، و لا فيها شهاب يسطع

قد غاب نور الله فيك فلا زها من بعده أفق و أشرق مطلع

أدرى ابن ملجم حين سل حسامه للفتك بالايمان، ما ذا يصنع؟

أردى به التوحيد فى ملكوته فالعرش مما قد جنى متفجع

أردى به الإسلام فى توجيهه فشعاعه بدمائه متبرقع

يا فتكه جباره لم تندمل أبدا، و غله واجد لا تنقع

الدين من جرائها متزلزل و الحق من نكباتها مترزع

صمت لها أذن الحوادث دهشه و تلجلج التاريخ و هو المصقع

جرح أصاب الطهر فى محرابه من وقعه قلب الهدى يتوجع

لاقى الإله و ذكره بلسانه و مضى إليه ساجدا يتضرع

بين الصلاة، و تلك أرفع شاره يقضى شهيدا بالدماء يلفع

سر التقرب فى الصلاة، و من به تسمو العباده للاله و ترفع

قد كان ما بين الأنام وديعه رجعت، و أى وديعه لا ترجع

و نعاه للملا المقدس صارخا جبريل: قد مات الامام الأورع

و تهدمت فى الأرض أركان الهدى فكيانه من بعده متضعع

قد فل سيف للحقيقه صارم و انهد حصن للشريعه أمنع
سهم الضلاله لا برحت مسددا لم يبق فى قوس الهدايه منزع
لو لا الزكى لقلت قد سدت به طرق إلى الرحمن كانت تشرع
لا زالت الذكرى تحز قلوبنا ما عاودت، و تفيض منها الأدمع
يا حضره قد شرفت برقاته أعلمت إنك للهدى مستودع
لا غرو إن طاولت فى عليائه هام السما فبك الامام الأرفع
و قال برثيه [يرثيه]

طبق الأفق ظلام أتمخمدت فى ضفتيه الأنجم
ظلمه موحشه قاتله محممت أمواجهها تلتطم
يتحامى الذئب من أشباحها فهو فى مكنه مكنتم
و يخاف اللص منها، فهو عنغزوات الليل ذعرا يحجم
أيها الليل الذى أوصافه فوق ما يرسم منا القلم
ما الذى تخفيه يا ليل ففيو جهك الكالغ رعب مؤلم
و إذا الصرخه تعلقو بغتهو إذا المحراب يغشاه دم
أيها المجرم هل تعلم ما ارتكبت نفسك أو لا تعلم
هل درى سيفك فى ضربتههدم الطود الذى لا يهدم
وجم الايمان منها فزعاو تلاشى فى لهاه النغم
و هوى الإسلام منها خائرا و انبرى موكبه يستسلم
و الصلاه انهدمت أركانها بعد ما طاح العماد الأعظم
و الجهاد انغلقت أبوابه بعد ما فل الحسام المخدم

و الكتاب التبت آياتهبعد ما جف البيان المحكم
و الضمير انهار لما سقطتقيم فيها تقوم الشيم
أيها الفجر الذى آلاؤهلهم تزل فى كل جو تبسم
عميت عنك عيون كحلتضوؤها فى مروديه الظلم
زحفت أوغارها ناقمهو من الفجر انبرت تنتقم
أطفات شعلته فى ضربهفى ضمير الحق منها ضرم
سفكت فيها دما لما يزلماثرا تياره محتدم
صرعت تاريخ جيل ركبهبفرتة للصعود القمم
ضربه المجرم رمز ملهيو شعار فيه رف العلم
أيها الدمع انسجم فى ليلهمدمع الحق بها منسجم
فالإمام المرتضى محرابهمائج فى دمه ملتطم
و أمين الله فى لاهوتهنادب يقطر منه الألم
هدمت و الله أركان الهديو عرى الحق غدت تنفصم
و قال يرثيه:

راح و الليل رهيب مرعب ضيع المسرح فيه الكوكب
يتخطى الدرب روحا هائما شبح كالليل داج مرهب
يتخطاه و فى أحشائه ثوره كان بها يلتهب

و له تمتمه حاله روحه كانت بها تنسكب
يرمق الأفق بعين نورها يخرق الحجب به إذ يرقب
هل ترى قد غار في الأفق له كوكب، أو هاله تحتجب
هائم يعبر لم تعثر به هوه في دربه تنسرب
هذه الظلمه كالنور فلا فارق بينهما يحتسب
هل له من مارب في السير أو ما له في السير هذا مارب
حارت الكوفه ما ذا يتغى رجل في سيره مستغرب
من يك السائر هذا أنه لغز تحليله مستصعب
و مشى التاريخ في آثاره فهو عن مسلكه لا يعزب
و إذا السالك و التاريخ من خلفه، و الليل ساج معجب
يقصد المسجد، إذ في جوه عالم من كل كون أرحب
عالم يوصل بالأرض السما فله كل بعيد يقرب
يعرج الإنسان لله به في قوى عنها تماط الحجب
يصهر الجسم بروحانيه كل ما فيها لذيد عذب
فصلاه الجسم شكر خاشع و صلاه الروح لحن مطرب
لغه يفهمها الذوق، فلا عجب لو لم يذقها الأدب
أدب الفردوس ذوق و هوى لا تعابير حوتها الكتب
و طريق الله لا يسلكه غير نجم للسما ينتسب
دخل المسجد نشوانا له نغمه ترقص منها الشهب
يوقظ النور و في جانحه أى أفق شمسه لا تغرب

ينفض النوم بلمس مسكر عن جفون الكرى تعتصب
و تجلى الفجر خيطا أبيضاً في فضاء بالدجى ينتقب
و تعالى صوته فاضطربت شهب الليل و ماج الغيـهب
و أذان الفجر، كالفجر له كل حس نابض يستعذب
جلجل الصوت رهيباً فالفضا منه أمسى خاشعاً يرتهب
و جرى اسم الله مجرى الروح في عالم من فيضه يكتسب
و استفاق البشر الغافى، و من نومه الجافى كسيح متعب
و إلى المسجد وافى خاشعاً كى تؤدي روحه ما يجب
و صلاه الصبح نور و شذى لهما دنيا الهدى تنجذب
و على غمرت اجواءه بالسنا طاعاته و القرب
رجف المحراب من خشعته فهو من أذكاره منقلب
عرج الحق به عن عالم باطل قد لوثته الريب
و أقام الفرض فائتم به مجمع فيه أقيم الموكب
و هوى يسجد، فاهتز به من مراد مجرم يرتقب
رفع السيف و أهواه على عالم آلاؤه لا تنضب
و أراق الكفر للدين دما كان فيه رمزته ينتصب
و هوى فيه على قائلًا (فزت) و انسقت إلى الارب
في سجودى رحمت لله، و لى أزر من رأسى قشب
و قال فى الزهراء (ع):

مولد الزهراء للايمان عيد كل شيعى بذكراه سعيد

ذكريات الفجر فى مطلعته تتجلى، و لنا فيه عهد
يوم كان الدين فى منهاجه نغمه كل معانيها جديد
يتوخى السير بالتأريخ فى أبحر مرفاها الأذنى بعيد
و الفضاضا معصوب، و الأرض قد زلزلتها عاصفات و رعود
التقاليد و ما أفتكها وقفت من دونه فهى سدود
و المرامى و هى فى أطماعها كالغفاريت ترامت و هى سود
و رسول الله فى دعوته يفرع الأحلام و الناس هجود
يقظه الفطره و حى رائع صاغه الله لنا فهو نشيد
مولد الزهراء فى موكبه يتهادى، و به الماضى يعود
يهزم الأوهام فى الطافه فالنفاى من معانيه ورود
و رمال البيد سالت عسجدا و الحصى فيه لثال و عقود
و استطالت قمم المجد بها فهى فى الشرق رواب و نجوم
ولد الإنسان فى أكنافها فهى أم للكرامات ولود
لم يكن من قبلها فى ظلها للهدى عين، و للحق وجود
عجبا للصخر كيف انبثقت جانباه، فهما فضل و جود
قدس الإسلام فى دستوره يورق الصخر و ينشق الحديد
مولد الزهراء هذا فابسمى أيها الشيعه، فالموسم عيد
و دعى عنك الأسى و احتفلى فيه، فالعيد به الحزن يبيد
و اتركى الأمر إلى رب السما فهو بالوضع خبير و شهيد
سوف ينجاب الدجى منهزما من سنا الفجر، فللفجر جنود

فإذا وجهها الله إلى أفق باد به الليل المبيد

و قال فى الحسين (ع)

أعنى بوحى منك إن خاننى الشعرو هيهات أن يسمو إلى سرى الفكر

تحجبت حتى قيل أنك غامضو أسفرت حتى انجاب عن لبه القشر

تطوف حواليك القرائح خشعاو تسعى لك الأفلام يكبو بها الذعر

أعنى عسى أن المس السر فالحجيتعصى عليه الرأى و التبس الأمر

يناجيك غيرى بالدموع، و إننيأراك تناجينى متى ابتسم الثغر

عليك سلام الله أى روايهعلى مسرح التاريخ يعرضها الدهر

أعدها على الجيل الجديد رسالهتثع على الايمان آياتها الغر

أعدها على دنيا الزوابع نسمهترقق فيها الحب و انتشر العطر

أعدها أعدها نغمه سرمديهتجمد منها البحر و انفلق الصخر

أعدها دماء يسكر المجد لونها أعدها إباء باسمه يهتف الفخر

أبا الشهداء الأصفياء تحيهيقدمها عن روجه شاعر حر

هو الشعر لا يرضى بمقياس غير هفلى فيه إما زل بى مقولى عذر

نظرتك ما بين السيوف فراعنيجلال عليه رفرى الحزن و البشر

تقدست من فرد يهاجم دولهسلطانها قد أذعن البر و البحر

فيا وقفه الايمان فى ساحه الوغيتضعضع منها الشرك و انخذل الكفر

على رسلكم يا عاذلين فلهويمقاييس يابى فهمها الماجن الغر

فلا تلحقوها بالمواقف إنها لأنشوده غنى بها الأدب البكر

هى الثورة الحمراء عن فكر مصلح ترفع أن يهتاجه النفع و الضر
أراد لكى تحيى الحقيقه فانبرى إلى الموت لا يلوى به السهل و الوعر
كذاك حياه المصلحين شهاده يجد بها عصر، و يبلى بها عصر
إذا الروض لم تنفح أزاهره الشذى و لم تبهج الأرواح أدواحه الخضر
و إن عجز الصداح عن وحى لحنه و غاض و لم يلعب بأواجه النهر
و إن فقد الوجه الجميل فتونه و لم يكشف الظلماء فى نوره البدر
فكل عناوين الحياه ضلاله و كل ثراء فى متاجرها فقر
و ما الدين إلا قائد العقل للهدى له النهى فى دنيا العقائد و الأمر
إذا هجرت أحكامه أو تغيرت فكل حديث حول تأثيره هجر
أ يغدو ابن ميسون خليفه أحمد و فى عرفه ما قاله أحمد نكر
و يحرم شرب الخمر فى أمه لها إمام به يمسى و يصطبغ الخمر
و تؤمن فى يوم الحساب و لم يرع خليفتها يوما حساب و لا حشر
و تسكت عن هذى المهازل أنفس يلوذ الحمى فيها و يعتصم الثغر
ألا. لا. فان الحق يأنف أن يرى مواكبه يقتادها الغى و الغدر
و أن لم تساعده الحياه على المنى فلا بد أن ياتى بها الموت و القبر
سلام على يوم الحسين، فإنه أرى عالم الظلماء ما يصنع الفجر
و سجل للأحرار منهجه الذى تهيج دم الثوار أسطره الحمر
تموت و تنسى الذكريات، و ذكره سيبقى مع الأحقاب ما بقى الذكر
أحاول أن لا اسكب الدمع غيره بان لا يقولوا شاعر خانه الصبر
و لكننى لا أملك النفس حينما أراه و قد حفت به البيض و السممر

بنفسى أفيديه، و قد هذه الظما و أجهده فقد الأحبه و الكر
و لم يبق من أصحابه غير نسوه تراءى لها فى قتله الشكل و الأسر
يطالعهها من برقع الدمع حسره و فى قلبه من فقد أحبابه جمر
فتطغى عليه سوره علويه بها يتساوى عنده الحلو و المر
و فى حضنه طفل يطوق نحره من الظلم سهم ناء عن مثله النحر
و حاشاه لم تلو الحوادث عزمه و لا راعه فى زحفه العسكر المجر
ففى ذمه الايمان أقدس موقف له تخشع الدنيا و يرتجف الدهر
و يطعن قلب الدين بالرمح مالک - و يخمد نور الله فى سيفه - شمر -
إلى أن قضى فى ساحه المجد فانقضى بذلك عهد للهدى، و انطوى سفر
لئن قام شطر الدين فى صبر حيدر فقد قام فى قتل ابنه بعده شطر
و لم أر من قبل الحسين مجاهدا لمصرعه وافى يشيعه النصر
و قال فى نساء الحسين (ع) مسوقات من كربلاء إلى الكوفه:
فى رمال يموج فيها السراب و فضاء يمتد فيه الضباب
و لعاب كالجمر ترسله الشمس ليغلى كالموج منه التراب
و على الأرض يحفر الدم نهرا يلهب الروح موجه الصخاب
و ترامت حول الدماء انتشارا جثث كورت عليها الحراب
و تراءت من البعيد خيام يبعث الحزن ظلها المنساب
جلست تحتها نساء و أطفال و قد سادها أذى و اكتئاب
نظر الأفق و هى ترسل دمعا صاحبه مناخه و انتحاب
إنها الثاكلات من آل طه من بالائها أهاب الكتاب

نزلت فى الطفوف فى منعه قد سورت عزها أسود غضاب
و استدار الزمان فابتز منها مجدها، و أستبيح منها الجناب
حينما استشهد الجميع، و لم يبق لديها أهل، و لا أحباب
و غدت فى الخيام و هى حيارى لا حمى تلتجى به لا حجاب
و علت ضججه فهبت من الخوف و قد هز جانحها اضطراب
فإذا الجيش جاء للسلب و النهب كما تنهب الخراف الذئب
فتراكضن فى البوادي، و للعين انسكاب، و للفؤاد التهاب
و وراها الذئب تعدو، فللحلى انتهاب، و للبرود استلاب
أين يلجان، و الحماه على الأرض عليها من الدماء ثياب
فى محيط تموج فيه الأعادى ما لها جيره به أو صحاب
رجعت للخيام، و النار فيها تتهاوى من وقدها الأطناب
و الكفيل العليل يرقب وضعا مؤسفا منه تلتظى الأعصاب
و أته أم المصائب تستوضح منه وضعا عراه ارتياب
و هناك الامام قال: (عليكن) فلاح الهدى، و بان الجواب
فترامت ثواكل الطف فى البيداء تعدو و قد دهاها المصاب
بقيت زينب لترعى عليلا صرعته الأوجاع و الأوصاب
أقبلوا بالنياق كى يركب الأسرى عليها، و ما لها أقتاب
أ بنات الهدى على النيب ما بين الأعادى، و لا يقيها النقاب
حادث يقرح القلوب، و خطب منه تبكى الأجيال و الأحقاب
يشتكى الشعر حين يعرض لمحا منه و صفا، و يستحير الخطاب

هكذا ركبت بنات على و إلى الكوفة استحث الخطاب

ليراها في مجلس ابن زياد شامت قوله شجى و سباب

يا سماء أكسفى نجومك حزنا و اخسفى الأرض رجفه يا هضاب

و قال في العباس (ع):

أبا الفضل باسمك غنى الإخاء و هلهل قيثاره المبدع

فموقفك الفذ يوم الطفوف به كل مكرمه تنبع

غداه استفزت بك الحادثات فرحت لأواجها تصرع

و هزلواك أنين الصغار يصعده عطش موجه

فخضت الفرات و جيش الطغاه به غص شاطئه الممرع

و كظ الظما قلبك المستشيط و قد ضمك المنهل المترع

و حاولت عبا و لكنما أصاب بك المنظر المنفجع

نساء تلوب و قد رفرفت باحضانها كالقطا رضع

تطوف به و تراعى الحسين بعين تغص بها الأدمع

هنالك فى عذبات الخيام عطاشى بحر الثرى صرع

فأوحى لوعيك موج الفرات : كما جئتنى ظامنا ترجع

فكانت رسالتك المنتقاه سقاء رجعت بها تسرع

تخب بها، و جيوش الطغاه ذباب تمزقها زرع

و راحت تلوذ بظل النخيل سيوف بها ترجف الأذرع

لتقطع منك اليمين التى لها السيف من كفها أطوع

و تبتز منك الشمال التى لها كل ذى حاجه يضرع

و یخسف بدر بنی هاشم عمود بأجرامها یصدع

ص: ۲۹۳

فتهوى و تندب أدرك أخاك فيهرع كالليث إذ يهرع

رآك و جسمك نهب السيوف فما شذ عنها به موضع

فراحت تعبر عنه الدموع بلحن يضيق به المصقع

و عاد ليستقبل الطاهرات بقلب به ضاقت الأضلع

و لم يبق روح بهذى الحياه فكل عناوينها تخدع

فلا الشمس تبهج ألوانها و لا البدر يزهو له مطلع

و لا الفجر تحلو به يقظه و لا الليل يهنى به المضجع

فقد كنت روح حياه الحسين فبعدك واحاتها بلقع

و قال أيضا فى العباس (ع):

يطلب الاذن و الصراع رهيب و صليل السيوف لحن طروب

بطل تعرف الميادين مرماه ففيها له مجال رحيب

كسر الجفن كى يغطى دمعا نثه الحزم، و الاباء المهيب

سائلا من أخيه فى الصمت أذنا للوغى، و هو مطرق مستريب

رفع الطرف نحوه السبط إشفاقا و فى القلب وجده مشوب

ثم مرت عليهما فتره يقصر عن وصفها الأديب الأريب

و أجاب الحسين و الألم القاتل معنى فى لفظه مصبوب

كيف تمضى عنى، و هذا لوائى بك قد رف مجده المرهوب

أن جيشى إذا مضيت سينهار عليه رواقه المطنوب

أنت للنصر رمزه، فإذا فارقتنى زال رمزه المحبوب

أنت سيفى يوم الجهاد، فان بنت سنبو حسامى المخضوب

كيف أحيا من بعد موتك، و النور إذا غبت عن حياتي يغيب

فأجاب العباس و الألم الصارخ قبل الجواب كان يجب

: كيف أحیی و من دمء أحبائی عفر الثرى ندى خضيب

إخوتى كلهم على الأرض أشلاء عليهم عصف الرياح هبوب

أفبقى فى العمد سيفى، و هذى زعقات الوغى بسيفى تهب

أنت بين العدا غريب، و أبقى ساكنا، أن ذاك و هم غريب

لك رمز الفداء عشت لأفدى لك نفسا إلى الفداء تثوب

يا أخى منك أطلب الاذن للموت و بالحرب يدرك المطلوب

و تعالى من العطاشى نشيد مستثير تذوب منه القلوب

و هناك الحسين قال، و فى عينه دمع من الفؤاد صيب

يا أخى هدنى بكاء اليتامى و بكاء اليتيم لحن مذب

فأنت بالماء للصغار فقد أذواهم الحزن، و الظما، و اللهب

منع الماء عن حریم رسول الله رهط لدينه منسوب

عطش قاتل، و ضغط مييد و هتاف مرد، و فتك عجيب

و الذى حز فى فؤادى صراخ لرضيع فؤاده مشعوب

فابغ نهر الفرات، و املاً سقاء فعسى فيه للصغار نصيب

و مضى يحمل السقاء إلى النهر و للجيش فى الشواطئ و ثوب

و دع السبط صنوه ببكاء منه حتى صم الصخور تذوب

كلما هم أن يفارقه نازعه فيه قلبه المجذوب

كيف يبقى حيا، و يمضى أبو الفضل إلى الموت إن ذاك غريب

و رأى الجيش صوله الحب فى الحرب فليسيف ثوره و هبوب
تتلاشى الصفوف، ذاك شمال يتهاوى ضعفا، و ذاك جنوب
فيبيد الحسين صفا، و صفا بأبى الفضل ضائع منكوب
طاقه ترجف الجبال، و زحف كل جيش أمامه مغلوب
فراى نغل سعد أن يرجع السبط و يبقى العباس و هو حريب
أمر الجيش أن يؤم خباء فيه يعلو للثاكلات نحيب
و رآه الحسين فارتد كى يحمى حريم الإله و هو كئيب
و مضى يهزم الجموع أبو الفضل وحيدا و قلبه ملهوب
قاصدا شاطئ الفرات بعزم تتلاشى من شفرتيه الخطوب
فيبيد الألوف لا سيفه ينبو و لا وعى عزمه مخلوب
عنده الضرب عاده، و لقاء الموت عيد به الفؤاد طروب
سيفه ثوره على البغى منه أخذت درسها العتيد الشعوب
علم المستضام كيف يرد الضيم و هو المظفر الموهوب
بطل عن قواه تعبى البطولات و ينهار حدها المضروب
ورث السيف عن أب، باسمه السيف تسامى له جلال رهيب
أخلق الوضع عهد حيدر، لكن بأبى الفضل عاد و هو قشيب
بطل يزحم الفيالق كالليث يلاقى الأغنام و هو غضوب
زاحف يقصد المسناه، و الجيش عليها لواؤه منصوب
فأباد الجموع عنها، و باتت و هى ملك لسيفه مكسوب
قحم الماء فارسا بفؤاد لاهب، كظه الظما و الوجيب

ملاً الكف، كى يبل شفاها جف حرا منها الأديم الرطيب
فتراى له الحسين و أطفال ظماء، حول الحسين تلوب
فرمى الماء من يديه، و قد شاطره فى الوفا الجواد النجيب
و مضى يملأ السقاء لتروى منه أم قد جف منها الحليب
و انثنى للخيام يزحف، و الجيش به سدت الربى و السهوب
فظواه بسيفه، و هو غيران و قد فاض غيظه المحجوب
هزم الجانبين فانخذل القلب و ضاع النظام و الترتيب
و توارت فلوله و هى تخفى نفسها، و هو كالعفرنى و ثوب
فضلال النخيل أضحت مكننا لوجوه، فيها تعيث العيوب
بينها - ابن الطفيل - و هو شقى كل جرم منه إليه يثوب
شهر السيف يرقب الليث، و الليث بعيد عما يروم الرقيب
جذ منه اليمين، فالتقط السيف يسراه، و الدماء تصوب
منشدا: أن يكن قطعتم يمينى فهو أمر مقدر مكتوب
سوف أحمى دين الهدى بيسارى فيسارى لها الجهاد يطيب
و إذا باليسار يجتذها نذل فيهوى منها الحسام الخضيب
و رمى عينه لعين، فغطى نورها الجرح و الدم المسكوب
لم يرعه الذى جرى، حيث أن الماء ما زال يحتويه الذنوب
لهف نفسى عليه، لما رأى الماء على الأرض من سقاه يسيب
هزه منظر السقاء، و فيه مزق من سهامهم و ثقوب
غار فى الرمل مأؤه، فانتظار الطفل للماء منه حلم كذوب

أيها الموت أين أنت؟ فما لى بعده فى الحياه عيش رغب

و إذا بالعمود يفلق منه رأسه، و هو ساهم مكروب

فهوى للثرى، و نادى أخاه : الوداع الوداع، حان المغيب

فعدا نحوه الحسين، و فى العين اندفاق، و فى الفؤاد شوب

ص: ٢٩٤

و رمى نفسه عليه، و للجيش اضطراب من وضعه و وجيب

ساعه توقف الزمان عن السير و يوم على الحياه عصيب

ذاك سبط النبی يحضن صنوا وزعت جسمه الطبا و الكعوب

يا سماء اصعقى.. فهذا مصاب فيه أودى الإسلام سهم مصيب

ثم كانت مناظر لوداع من شجاها وجه الزمان قطوب

و رثاء من الحسين، و وضع من أبي الفضل عنه يعبى الخطيب

مصراع الليث فى الطفوف سيبقى مدهشا حوله تطوف الحقوب

و قال فى رثاء زينب (ع):

يا ابنه الفجر أرسلى آيه النور فى الظلم

روضه أنت أنبتتها يد الله فى الرمم

إيه روح الزهراء صونى الاباء و اجعلى الأرض فى علاك سماء

و أطللى كالفجر فى ظلم الأجيال كى تنشرى بها الأضواء

و تحدى يزيد فى بؤره الظلم بعدل يعطر الأجواء

و اغمرى المجلس الخليع جلالا يغمر الحفل عفه و حياء

و انشرى روحك النديه فى طى خطاب يحفز الضعفاء

و أريهم أن الحياه أفانين و كم أعقب الصباح مساء

و ابعثى فى السجون من عزمك الجبار روحا يهدد الأقوياء

و احملى رايه الشهيد بجو مظلم كى تفيض فى ضياء

و أشيرى لنا من الغيب كى نجرى فى ساحه الوغى شهداء

نحن عدنا إلى يزيد فعودى بيننا، و انشرى علينا اللواء

فعى أن تجف منا دموع سوف تجرى على السيوف دماء

و عسى أن نرد عهدا تقضى فطوى الحب و الصفا و الوفاء

أبعثى نغمه بها يبعث المجد و الشمم

و أهيبى بعالم يهضم الذل و الألم

يا ابنه المرتضى أبى القمم الشم تقدست رفعة و اعتلاء

قمت و السبط فى جهاد تهاوى دونه الفكر رجفه و عياء

ذاك بالنفس قد فدى الحق، أما أنت بالصبر قد رفعت النداء

أن ما شدتما به من كيان قد تعالى على السماء علاء

تتهاوى القرون حول مبانيه و ما زال مشمخرا بناء

لك فى كربلاء أى مقام رفع الحق باسمه كربلاء

فعلى كل قطره من دم خلدت للمجد دمعه حمراء

أن يك السبط بالشهادة قد عاش، فقد عشت بالإسار بقاء

ذاك أذى شطرا، و أديت شطرا من نشيد، هز القرون غناء

لم يكن قتله بأكثر من سبيك فى نظره الخلود جزاء

بكما بثت الرسالة روح العزم فى أمه تضيع احتذاء

و أبادت و كر الفساد لتعلى فوقه للصالح أفقا مضاء

طاولى الشمس بالسنا و اطردي الموت بالعظم

نغمه الحق أنت عطرت بالنور كل فم

أطلى الفجر فى دمشق ابنه الظلماء، كى تمحقى به الظلماء

و ارفعى الحق قبه تصدع الأفق جلالا و روعه و بهاء

و ضريح للحق حام عليه حلم الشرق عزه و ازدهاء

ضم منك الرفاه رمز جهاد يتباهى به الهدى خيلاء

تخذ الدين منه كعبه إيمان تحج الدنيا إليه ولاء

معبد للعواطف الخرس تشدو باسمه العذب لذه و انتشاء

صهرت فيه كل آمالها حتى أحالته فتنه غراء

تتباهى إيران فيه، ففيه قد تجلى إيمانها و تراءى

بقعه لم تزل توالى عليا منذ كانت، و آله الأصفياء

كشفت في دمشق منه جلالا يكسف الشمس بهجه و سناء

فاتته تسعى و مقصدها الحق وضحت له الحياه افتداء

و قال في أنصار الحسين (ع)

أرسل الدمع هذه كربلاء ترتعى في رمالها الشهداء

فهنا يضرب الحسين خباء ترتعى الأرض تحته و السماء

في نجوم من آله، و نجوم من رجال تزهو بها العلياء

بايعوه على الشهاده كيما تحتفى في دمائها الأجواء

عارضوا البغى و هو كالليل قد مدرواقا، دجت به الأرجاء

و تنادوا باسم العقيدة فاهترت بها الروح حين ماج النداء

تركوا عالم الفناء، و راحوا الوجود يشف منه البقاء

ركضوا للفداء مذ طلب الدينو كل يقول: أنى الفداء

صفوه الله في الوجود، و للهو وجود تحيي به الأصفياء

هم من الله كالشعاع من البدر فهم في سمائه أحياء

منهم الأنبياء، قد أنزل الوحي عليهم، و منهم الأولياء
و من الأولياء من ينصر الحقا مثالا لم تغره الأهواء
و سيوف الطفوف سلت لأمر أصدرته الشريعة الغراء
فحسين سبط النبي، إمام العصر يعنو، لما يريد، القضاء
يصدر الحكم بالجهاد لتمحيصلته تعتلى بها الأدياء
سمعوا دعوه الحسين فلبوها و ماجت بركبها الصحراء
و تهادوا فى كربلاء كبرياء فتهاذت بمجدها الكبرياء
فته فى الحساب تبلغ سبعينو فى الروح أمه شماء
هاجمت بالسيوف حكم ابن ميسونو قد سلها عليه الآباء
سائلوا كربلاء عنها، ففى كلمكان، منها بها أبناء
جهزوا عسكريا يقود (حبيب) رتله يزدهى به الخيلاء
أى شيخ فات الثمانين، لكنروحه، يستشيط منها الفتاء
هاجم الجيش مفردا بحسامأرهفته الأحداث و الأرزاء
و قضى بعد ما قضى واجب السيفو غنت بياسه الهيجاء
و أتاه (زهير) و هو صريعفى الثرى عنه سائلا: ما يشاء
قال: أوصيك بالحسين، فدافعنه، فهو الوديعه العصماء
هكذا كان كل فرد يرى قمتها تسيل منه الدماء
و انظروا عابسا و قد هاجم الجيشففرت أمامه الأكفاء
فهو ليث، و الحرب غاب، و أبطالالوغى حينما يهاجم، شاء
فلذا عنه أحجمت فرق الجيشو طاشت غاراته الشعواء

وقف القرم ينزع الدرع كى ترجعشوقا لقتله الأعداء

و هنا صاح فيه من عسكر القومجبان، هاجت به السوداء

ص: ٢٩٥

: عابس جن، قال: حب حسين منه جنت أنصاره الأوفياء

فاتته السيوف تخمد نورا لم يزل، و هو لاهب لألاء

شهداء عاشوا مع الخلد، كى تنشر منها الظلال و الأنداء

تتهادى الأحرار فى طرق قد رف منهم على الحياه اللواء

فعلهم تحيه الروح، تندى من شعور يفيض منه الولاء

و قال فيهم أيضا:

نهضه شع نورها مستطيلا يرجع الطرف عن سناها كليلا

شرعت منهج الخلود، و سنت فى خطأها إلى الرشاد سيلا

ضربت للاباء أبعد مقياس يهز القرون جيلا فجيلا

آيه للولاء رتلها الدين افتخارا بذكرها ترتيلا

خرجت للخلود قافله الايمان تطوى على الحزون السهولا

ودعت بالدموع عاصمه الدين و سارت عنها تجد الرحيا

حضنتها الصحراء أما رءوما و احتوتها الرمال ضيفا جليلا

قدستها الوحوش فابتعدت عن طرق قد سرت بها تبجيلا

و عليها الطيور ألقى عن الشمس بمد الجناح ظلا ظليلا

درجت فى القفار تبغى مقرا تبغيه لركبها و مقيلا

لم تجد موطننا سوى بقعه الطف لأسد الكفاح يصلح غيلا

موكب الحق حط فاهزت الأرض تعيد التكبير و التهليلا

نزلت صفوه الوجود لتعلو شرفا باذخا، و مجدا أثيلا

تركت ذله الحياه، و عنها اتخذت عزه الخلود بديلا

شرف النفس قد أبى أن يعيش الحر فى موطن اللثام ذليلا

فنه قادهما الحسين إماما سحبت فى ذرى النجوم ذيولا

لبست لامه الثياب، و سلت صارما من إباؤها مصقولا

و مضت تطلب الممات أو العيش كما تبتغيه غضا جميلا

وقفت، و هى عده تبلغ السبعين ليثا من الكماه صئولا

دون جيش كأنه السيل قد صب فسد القفار عرضا و طولا

ظامئات نفوسها فهى تذكو من لظاها حماسه و غليلا

وقفت موقفا سيبقى إلى الحشر على مفرق الابا إكليلا

فنه بايعت على الموت لما وجدت مر طعمه سلسيلا

كل حر يأبى الخضوع لغير الله قرم يرضى الحسام الصقيلا

يقلق الجيش ذكره حيث كان الموت ظلا بذكره موصولا

يتحامى ماضيه عن كل نذل فلذا يطلب الشجاع المهولا

تلقى الرقاب ضربته إذ أصبحت للفتى الكمى دليلا

و قضت بعد ما قضت واجب السيف و أرضت عنها القنا و النصولا

شهداء الابا لمصرعها التاريخ قد عاد واجما مذهولا

و قال فيهم أيضا:

أحدثوا فى منهج الحرب انقلابا حينما خفوا إلى الموت غضا

هتف الدين بهم فابتدروا يتهادون شيوخا و شبابا

أفرغوا الإيمان درعا دونه يرجف السيف ارتياعا و ارتيابا

عقدوا الحق لواء خافقا و مشوا فى ظله أسدا غلابا

لم ترعهم سلطه البغى التى تملأ الدنيا حروبا و حرابا
زحفوا و الجيش فى أفواجه مائج تحسبه بحرا عابا
أسكرتهم فكره النصر فلم يبصروا آلافة إلا ذابا
حولوا الأرض سماء حينما عقدوا منها على الأفق سحابا
كل فرد أمه فى بأسه يهزم الجيش إذا صال ارتهابا
أن تانى فهو ليث رابض و إذا ما انقض ينقض عقابا
أيها التاريخ حدث عنهم و أغمر الحفل بذكرهم ملابا
شهداء الحق قد شاد لهم بأسهم فى أفق المجد قبابا
وثبوا للخلد أحرارا فما وهنوا جبنا، و لا خاروا اضطرابا
نزعوا الأدرع شوقا للردى و اكتسوا من حلل المجد ثيابا
و جروا فى حلبة الطف إلى جنبه المأوى ذهابا و إيابا
بايعوا السبط حسينا و اشتروا منه تاريخا له الدهر أنابا
قاوموا الطغيان إيمانا إلى أن ذوى كابوسه العاتى و ذابا
هكذا المبدأ فى طاقاته يكسب النصر و أن عز اكتسابا
وقفت دون ابن طه موقفا وجد الدهر به شيئا عجبا
فته بايعت الله فما راعها الموت و قد كشر نابا
قابلت عشرين ألفا، و هى لم تبرح السبعين عدا و حسابا
هجمت باسمه فى معرك قطبت فيه المغاوير ارتعابا
هزت الجيش و قد ضاقت به عرصه الطف سهولا و هضابا
زحفت ظامئه، و الشمس من حرها تلتهب الأرض التهابا

ما لواها الموقف الدامى و ما صدها الجيش ابتعادا و اقترابا

سائل الميدان عنها، سترى كيف أرضته طعانا و ضربا

كيف حامت حرم الله فما خدشت عزاء، و لا ذلت جنابا

كيف دون السبط راحت تدرى بهواديهها سهامها و كعابا

فى جحيم الحرب حيث اشتبكت أسيف الشوس اصطداما و اصطخابا

وقف السبط يصلى، و اقتدت بصلاه السبط حبا و انجذابا

أ صلاه الخوف، حاشاها فما روعت، و الموت منها كان قابا

عرجت لله حتى لم تدع رتبه إلا و جازتها وثابا

رشقتها أسهم البغى فكم من صريع واجه الموت احتسابا

صور فى معرض الخلد بها جاوز الفن من السحر النصابا

تلك أم وقفت ترعى ابنها و هو ينصب على الموت انصبابا

و فتى يهتر بشرا بينما عرسه تبكى شجوننا و اكتئابا

و عجوز كافح الدهر إلى أن ذوى عودا، كما ذاب اهابا

رفرفت رايته، و اختال فى ظلها تحسبه ليثا مهايا

و كمى روع الجيش فما زال يدعوه، و لم يسمع جوابا

فرمى الدرع، و ابدى صدره للعدا، و أنساب للموت انسيابا

صور حار بها الفن فما رام أن يرسمها إلا و خابا

بدر الدين محمد بن زهره الحسينى.

قال أبو الفداء فى تاريخه و هو يتحدث عن احداث سنه ٧٣٩:

فيها فى العشر الأوسط من ربيع الآخر توفى السيد الشريف بدر الدين محمد بن زهره الحسينى نقيب الاشراف وكيل بيت المال بحلب. و من الاتفاق أنه مات يوم ورود الخبر بعزل ملك الأمراء علماء الدين الطنبغا عن نيابه حلب و كان بينهما شحناء فى الباطن. كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمه معظما عند الناس شهما ذكيا. و جده الشريف أبو إبراهيم هو ممدوح أبو العلاء المعرى. كتب إلى أبى العلاء القصيده التى أولها:

غير مستحسن وصال الغوانى بعد ستين حجه و ثمان

و منها:

كل علم مفرق فى البرايا جمعته معره النعمان

فأجابه أبو العلاء بالقصيده التى أولها:

علانى فان بيض الأمانى فنىت و الظلام ليس بفانى

و منها:

يا أبا إبراهيم قصر عنك الشعر لما وصفت بالقرآن

محمد جواد دبوق ابن الحاج حسن.

ولد فى صور سنه ١٨٩٩ م و توفى فى بيروت و دفن فيها سنه ١٩٧٦ م كان من ضباط الدرك اللبنانى و بلغ فيه رتبه عميد و كان ينظم الشعر فمن ذلك قوله:

من للمحب ناى حبيبه و اشتد من وجد نحيبه

هل للدموع مكفكف و القلب هل يطفى لهيبه

قلب يقلبه الأسى و الشوق من حر يذيبه

يمسى و يصبح و الجوى و الهم و البلوى نصيبه

عز الدواء لدائه هيهات يسعفه طبيبه

و قوله:

إذا عضدك الدهر الخئون بنابه و ضاقت بك الدنيا و فاتك ما ترجو

فاحمد المبعوث و الليث حيدر و فاطم و ابناها تمسك بهم تنج

الشيخ محمد بن محسن المقابى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان هذا الشيخ فاضلا فقيها، إماما فى الجمعه و الجماعه و هو أول من صلى الجمعه فى البحرين بعد افتتاحها فى الدوله الصفويه، و له كتاب فى الخطب لم يعمل مثله، قاله الحر فى أمل الآمل.

الشيخ محمد بن سعيد المقابى البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

أصلا و منشا و الخطى فرعا و مولدا كان من المتكلمين له كتاب فى المنطقكبير لم يعمل مثله و له شرح على دعاء الصباح و له حاشيه على التجريد و غير ذلك من الرسائل أخذ العلم عن شيخنا نوح بن هاشل و عن الشيخ الكامل صلاح الدين الشيخ ياسين البحرانى مات سنه ١١٢٥.

الشيخ محمد بن يوسف البحرانى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط: قال جدى فى اللؤلؤه عند ذكر هذا الشيخ ما نصه:

ماهر فى العلوم العقلية و الفلكية و الرياضيه و الهيئه و الهندسه و الحساب و العربية و عليه قرأ والدى أكثر العلوم العربية و الرياضيه و قرأ عليه خلاصه الحساب و أكثر شرح المطالع و تمم الباقي من المطالع بعد الشيخ المزبور على أستاذه الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدم ذكره ثم لانزم بقيه عمره فى باقى العلوم من الحكمه و الفقه و الحديث و الرجال و لم ينقل الشيخ محمد المذكور شيئا من المصنفات، توفى ٧٥٨ هـ.

الشيخ محمد بن الحاج يوسف الأمير زيدى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

و كان من أدباء البحرين و شعرائها له رساله فى البديع و رساله فى العروضو له كتب فى القصائد و المراثى و من قصائده الفاخره فى وفاه على (ع):

مدامع عينى سكبها لا يفتر و أحزان قلبى نارها تتسعر

و حزنى طويل دائم و مؤيد و دمعى مدى الأيام يهمى و يقطر

فلا مدمعى يطفى لنيران لوعتى و لا حزنى يفنى و لا الوجد يفتر

بكيت و أحييت البكاء لا لمعشر أصابهم للبين سهم يدمر

و لكن بكت عينى لمولاي حيدر و مصرعه منه الجبال تفتطر

إلى أن قال:

فها أنا ارثيه و أبكى لشجوه و قلبى حليف الحزن و العين تسهر

و أنى بتوفيق ألا له منظم لمقتله و هو الحلیم المدبر

و بالجمله فمدائحه كثيره و أشعاره بين أرباب المراثى شهيره و لا يحضرنى الآن تاريخ وفاته (رحمه الله عليه).

الشيخ محمد بن الشيخ يوسف صاحب الحدائق

من آل عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

قال صدر الدين الحسينى فى تاريخ فارس فى حالات علماء آل عصفور الذين جاوزوا "الفسا" و "شيراز" قال: و منهم العلامة الأوحى الشيخ محمد البحرانى من آل عصفور نجل المرحوم المبرور الشيخ يوسف صاحب الحدائق و هو أحد المجتهدين فى علوم الدين و غيرها من فنون العلوم خصوصا فى الفقه و الأصولين حتى لقبه علماء عصره بابن الفقيه.

و كان تولده فى البحرين. و مات قدس سره سنة ١٢٢٠.

فأقول: و هذا الشيخ كان من أعيان هذه الطائفة و فضلائها أخذ عن أبيه صاحب الحدائق ثم رحل من البحرين إلى (فسا) مع أبيه بعد الوقعة التى قد ذكرناها آنفا و وصل فيها إلى درجة الاجتهاد و انتهت إليه رئاسه العلم فى زمانه فى تلك النواحي و شددت إليه الرحال و كان أعجوبه زمانه فى استحضار النصوص و كلام الأصحاب و له المصنفات الفائقة التى حقها أن تكتب بماء الذهب لما فيها من النفائس البديعه و التدقيقات النفيسه. و له فتاوى كثيره جمعها ولده الشيخ محسن فى ثلاثه مجلدات. و من تأليفاته كتاب: السر المكتوم و كتاب شرح البلغه فى الرجال و خائص [خصائص] الجمع و رساله فى معنى قوله (ع): الحقيقة نور أشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره. و رساله فى بيان: أن الأعمال بالنيات. و رساله فى العدالة. و رساله

فى الجرح و التعديل. و رساله فى عدد الكبائر. و كتاب الرعايه فى علم الدرايه. قاله الميرزا محمد النيشابورى فى حاشيه قلع الأساس و رثاه الكامل الأديب و العالم الأريب و حيد عصره و الأوان شيخنا الحاج هاشم بن حردان (الكعبى):

كيف تبقى لنا و أنت العماد و توفى و تكمد الحساد

أو يعود الزمان مغتبط العيش و تقضى بغیظها الأصداد

و سجایا زمانك النقص فمن أين يرجى من عنده الازدياد

تبتغى فى الزمان ذخرا و فخرا و القصارى القبور و الإلحاد

لم يعطى النداء و تسعى المساعى و يؤم العلا بها و يساد

لم تبني القصور محكمه الأركان يعلى لها البنا و يساد

إلى أن قال:

لم ينتاب ماجد لعطاء لم تحيى برفده الوقاد

لم يستنكف الأبى من الذل و تأبى الدناءه الأمجاد

إلى أن قال:

كل يوم يخر للأرض طود لا تدانى جلاله الأطواد

طال حمل الثرى بأهل المعالى ليت شعرى متى يكون الولاد

إلى أن قال:

زين أهل التقى و ركن المعالى و عماد الورى و نعم العماد

إلى أن قال:

أن تكن فى الثرى غربت فلم يغرب عن الكون نورك المستفاد

إلى أن قال:

أو طواك الردى ففى كل يوم لك من فعلك الجميل معاد

كنت شمسا للمساكين و بدرا بك يجلى العمى و يهدى الرشد

فملأت الهدى سرورا كما قد بات يطوى بحزنه الإلحاد

لبكتك العلوم تغرق فيها شههم فكر لم يخط منه المراد

و المباني تجيدها بمقال زانه الانتقاد و الافتقاد

و فروع شريفه و أصول قررتها أدله و اعتقاد

و قضايا قد أشكل الحكم فيها و أبى طرف ناظرها الرقاد

يا لقومى لحادث عم دين الله فانهد ركنه و العماد

لرزايا حلت بدار المعالى فالمعالى لباسهن سواد

كيف قرت شقائق الفحل قسرا و هو ذاك المزمجر المرعاد

و على الحمله فهذه القصيده طويله أخذنا منها موضع الحاجه.

السيد محمد عباس الموسوى الجزائرى اللكهنوى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٤١١ من المجلد السابع و نزيد عليها ما يلى مكتوبا بقلم حفيده السيد طيب آقا الموسوى الجزائرى:
خلف سبعة أولادهم:

السيد محمد، السيد حسن، السيد حسين، السيد أمير حسين، السيد نور الدين، السيد محمد على، السيد أحمد على. و توفى السيد أمير حسين شابا بلا عقب، و كان السيد محمد أكبرهم و هو عالم شاعر، كان أولا إمام الجمعه و الجماعه فى أكبر آباد (آكره) ثم انتقل إلى عظيم آباد (بتنه) مشغلا فى ترويج الدين و إمامه جماعه المؤمنين و كان له خبره فى الطب أيضا. له من المؤلفات:

١ - الشريعه السهله (عربى). ٢ - رساله راحت رسا. ٣ - زاد عقبى، مثنوى فارسى. ٤ - باغ مؤمنين، مثنوى. ٥ - رقعات فارسى. ٦ - نان و كباب، مثنوى. ٧ - شمس الضحى، مثنوى. ٨ - حالات أنبياء. ٩ - مجموعته القصائد. ١٠ - كتاب المسائل. ١١ - جوهر شب جراغ، مثنوى.

١٢ - رشك بوستان، مثنوى. ١٣ - گلشن هدايت، مثنوى. توفى فيعظيم آباد (بهار) عام ١٣١٣ هـ.

و خلف ولده زين العابدين. و كان عالما، أدبيا فاضلا، ولد عام ١٢٨٠.

تلمذ لأبيه، و لتاج العلماء السيد على محمد، و ألف كتبها منها: منابع الإفاضات فى الجهر و الإخفات، فقه استدلالى توفى شابا بعد

مدته من وفاه أبيه.

و السيد حسن هو الولد الثاني، تولى منصب إمامه الجماعة من راجه أمير حسن خان، توفى سنه ١٣٣٠ فى مدينه فتح پور بسوان (الهند).

و السيد حسين صابر نور العلماء هو الولد الثالث ولد فى كبر سن أبيه ففرح بميلاده و قال:

بشرت على كبر سنى بوليد أنسى الأحزانا

فأقر الله به عينى إذ كنت هجرت الأوطانا

أرخت له فى مصراع هو مولود فى رمضان

توفى غريقا قرب مدينه "كلكته" سنه ١٣٠٦ و بعد شهور من وفاته توفى أبوه محزوناً عليه.

و السيد نور الدين هو الولد الرابع. كان عالماً شاعراً أقام مدته فى مدينه "حيدرآباد الهند" له عقب فيها - توفى بمدينه لكهنؤ " عام ١٣٣٠.

و السيد محمد على الجزائرى هو الولد السادس ولد يوم ١٣ رجب سنه ١٢٩٨ هـ كان عالماً، فقيهاً، شاعراً، أديباً. درس المقدمات فى مدرسه مشارع الشرائع فى لكهنؤ، و حضر مجالس درس أساتيد و علماء وقته كالسيد نجم الحسن، و جعفر حسين، و رضا حسين، و محمد مهدي، حتى فرغ من السطوح و هو فى السادسة و العشرين. ثم سافر إلى العراق فبقى هناك ست سنين و حضر دروس العلمين الكاظمين الخراسانى، و اليزدى، و أبى القاسم التبريزى بن محمد رضا، و الشيخ حسين، و السيد محمد باقر حجه الإسلام، و الشيخ على المازندراني، و الشيخ ضياء الدين العراقى، ثم رجع إلى لكهنؤ (الهند) و صار فيها مرجعاً للتقليد، و اشتغل فى التدريس أعواماً حتى خرج من حوزة درسه أعلام، منهم:

١ - السيد على نقى النقوى. ٢ - السيد مجتبى حسن الكامون فورى.

٣ - السيد أصغر حسين مؤلف "نقد الشعر". ٤ - الشيخ محمد بشير الأنصارى. ٥ - الميرزا يوسف حسين. ٦ - السيد ثمر حسن. و من تاليفه رساله فى الأصول الفها فى النجف الأشرف، و التحفه الرضويه فى الأدب.

كانت له قريحه فى نظم الشعر العربى و الفارسى و الأردوى (مرت له ترجمه مستقلة فى المجلد الأول).

ص: ٢٩٨

و السيد أحمد على هو الولد السابع ولد سنة ١٣٠٣ و سافر إلى العراق سنة ١٣١٨ درس السطوح على الشيخ ضياء الدين العراقي و حضر الدروس الخارجيه للميرزا محمد حسين الخليلي، و العلمين الكاظمين الخراساني و اليزدي، ثم رجع إلى الهند فكان مرجعا للتقليد و رئيسا لمدرسه "مشارع الشرائع" التي تخرج منها و كان شاعرا بالعريه كوالده.

طبعت له: موعظه فاخره و رساله عمليه. توفي سنة ١٣٨٨ في لكهنؤ و لم يخلف غير بنت و ترك تلامذه كثيرين منتشرين في البلاد.

هذا ما كتبه لنا حفيد المترجم و نضيف نحن إليه ما يلي:

أن أشهر أحفاد المفتي محمد عباس اليوم هو: السيد طيب بن محمد على بن محمد عباس.

ولد عام ١٣٤٤. درس العلوم العربيه و الفارسيه على أبيه و عمه ثم سافر إلى العراق عام ١٣٦٧، فدرس السطوح على السيد أبي القاسم الرشتي و الشيخ محمد الأردبيلي و السيد محمد جعفر الجزائري و حضر خارجا عند السيد حسين الحمامي و الميرزا عبد الهادي الشيرازي و السيد محسن الحكيم و السيد أبي القاسم الخوئي و السيد محمود الشاهرودي و السيد محمد جواد التبريزي.

و في النجف الأشرف ألف كتاب "اللمعه الساطعه في تحقيق صلاه الجمعه الجامعه" طبع هناك سنة ١٣٧٤، و اشتغل في النجف الأشرف بتدريس الطلاب سطحا و خارجا فتخرجوا عليه فقها و أدبا و هم ما بين عرب و فرس و باكستانيين. ثم سافر إلى "كراتشي" سنة ١٣٦٨ و أنشأ هناك "مدرسه الواعظين" ثم سافر إلى "لاهور" و صار هناك "إمام الجمعه" و أسس مؤسسات كثيره في أنحاء البلاد، منها:

"مؤسسه داعيان الخير" في كراتشي، و "مؤسسه علوم آل محمد" في لاهور ثم انتقل إلى مدينه قم في إيران فتوطنها و لا يزال فيها. و زرنه هناك سنة ١٤٠٨، كما كنا زرنه في مدينه لاهور.

له من المؤلفات:

١ - إسلام كى آواز (اردو). ٢ - اللمعه الساطعه في تحقيق صلاه الجمعه الجامعه، (عربي). ٣ - أبو تراب در نظر أم المؤمنين و أصحاب (اردو). ٤ - أبو تراب بر مسند قضا و فصل خطاب (اردو). ٥ - آفتاب شهادت (اردو). ٦ - تاريخ كربلاء و نجف (اردو). ٧ - ميراث بيوه (اردو). ٨ - خطبه معاويه بن يزيد (عربي و اردو). ٩ - زينت جا نماز (عربي و اردو). ١٠ - ترجمه بحار الأنوار (سوانح كربلاء - اردو). ١١ - ترجمه بحار الأنوار (سوانح الشام - اردو). ١٢ - ترجمه بحار الأنوار (سوانح الزهراء - اردو). ١٣ - خدائي تلوار در حالات مختار (اردو). ١٤ - ترجمه منتخب الرسائل (اردو). ١٥ - تحفه الأطفال (اردو). ١٦ - مقصد حسين (اردو). ١٧ - سفير حسيني (اردو). ١٨ - وجوب اجتهاد (اردو). ١٩ - صحابيت كا صحيح تصور (اردو). ٢٠ - المقدمه و الحواشي على تفسير القمي (عربي).

أما غير المطبوعه فهى: ٢١ - دروس النهايه في شرح الكفايه (عربي).

٢٢ - عمدته المطالب في شرح المكاسب (عربي). ٢٣ - قانون إسلام (اردو). ٢٤ - تفسير القرآن (عربي). ٢٥ - تفسير القرآن

(اردو). ۲۶ - تفسير القرآن (فارسی). ۲۷ - آداب أكل و شرب (اردو). ۲۸ - حکمت کی موتی (اردو). ۲۹ - شمس المشرقین در شهاده إمام حسین (اردو).

۳۰ - أحسن المقالات (اردو). ۳۱ - أحكام شریعت (اردو). ۳۲ - الكشکول (عربی فارسی). ۳۳ - شهاب ثاقب، فی رد " القادیانیة " (اردو). ۳۴ - کتاب انجلیسی اسمه: - ALI-THE GREATEST JUSTICE OF THE WORLD مشایخه فی الإجازة: السيد محسن الحكيم، السيد أبو القاسم الخوئي، السيد أحمد علی، السيد شهاب الدين المرعشي.

الشيخ محمد علی الشهير بالملإ علی البرغانی بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم.

عالم حکيم متکلم شاعر مؤلف مكثر، ولد فی برغان سنه ۱۱۷۵ و توفي فيما بين الطلوعين من يوم الأحد ۱۲ ربيع الثاني أدرك الآغا باقر البهبهانی ثم تخرج علی الشيخ جعفر النجفی صاحب كشف الغطاء و الشيخ الميرزا أبو القاسم القمي صاحب القوانين و الشيخ أحمد الأحسائي، و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند ملا علی النوري المتوفى سنه ۱۲۴۶ و أخذ الحديث و العلوم الغريبه من الميرزا محمد الأخباری و لازم استاذه الأحسائي سنين و أجز منه بإجازة مفصله و الإجازة، بخط المجيز موجوده عندنا.

ثم تولع بالفلسفه و العرفان فجد فيها و أتقنها و تولى التدريس و الفتوى فى كل من كربلاء و النجف و کرمانشاه و قزوین و رأس.

و قد ترك مؤلفات أشار إلى بعض منها شيخنا الأستاذ فى أبواب الذريعه و ذكر الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار ص ۱۴۴ الطبعه الحجرية معبرا عنه بأنه من أعظم علماء الشيعة فى العصر القاجارى.

مؤلفاته:

- ۱ - أسرار الحج. ۲ - أسرار الصلاة. ۳ - الاعتقادات. ۴ - تذکره العارفين. ۵ - الحق اليقين. ۶ - حياه الايمان فى العرفان. ۷ - رموزات العارفين. ۸ - روضه الأصول. ۹ - رياض الأحزان فى ۱۲ مجلدا. ۱۰ - رياض الكونين. ۱۱ - الصراط المستقيم. ۱۲ - صوت الايمان. ۱۳ - ضوابط الأصول. ۱۴ - طور سینا. ۱۵ - عدم جواز تقليد الميت. ۱۶ - غرائب الأسرار. ۱۷ - غنائم العارفين فى تفسير القرآن المبين. ۱۸ - فردوس العارفين فى بيان أسرار آل طاها و ياسين. ۱۹ - لسان العارفين مطبوع. ۲۰ - گلزار أسرار. ۲۱ - مشکاه العارفين فى معرفه أصول الدين. ۲۲ - معراج العارفين. ۲۳ - منهج السالكين. ۲۴ - إشارات عبد الله. ۲۵ - جنه الرضوان: و هو ثامن مجلدات الكتاب رياض الأحزان. ۲۶ - زاد العابدين ليوم الدين. ۲۷ - مصباح السالكين و مرقاه المتقين. ۲۸ - مصباح المؤمنین فى سنن أهل البيت الطاهرين. ۲۹ - هموم العارفين و إكسير الصادقين. ۳۰ - مجمع المسائل فى شرح المختصر النافع (۱).

الشيخ محمد الفاضل القائینی.

ولد فى قرية من أعمال مدينه (قائن) حوالى عام ۱۳۰۵ و توفي فى مدينه

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

قم سنه ١٤٠٥ و كان والده الشيخ عبد الكريم من أهل العلم و الفضل. و بعد أن أكمل الدروس الابتدائية في قريته، و تعلم القرآن و بعض ما لا بد منه حضر عند أحد العلماء في قريه مجاوره لقريته.

ثم سافر إلى مدينه قائن حيث كان يوجد فيها مدرسه علميه تسمى المدرسه الجعفريه فانتمى إليها و في هذه الأثناء كان الحاكم لتلك المنطقه يتصرف في الأوقات [الأوقاف] على غير وجهها المشروع فاعترض عليه علماء البلده و منهم المترجم، فأمر الحاكم بجلبه إلى مدينه بيرجند حيث يسكن الحاكم، و عند ما واجهه و عرف أن الاستنكار كان بفعل إيمان الشيخ اعتذر إليه و قدم له مبلغا و هديه رفضهما.

و بعد هذا لم يستقر في بلده قائن فسافر إلى مشهد الرضا (ع) و بقي مده قليله ثم سافر منها إلى مدينه طهران و حل فيها عده أشهر. ثم هاجر إلى النجف الأشرف.

و في النجف حضر لدى عده من أعلامها منهم: الميرزا حسين النائيني و السيد أبو الحسن الأصفهاني.

و حضر السطوح العاليه لدى السيد إبراهيم الشهير بميرزا آغا الإصطهباناتي الشيرازي (١٢٩٧ - ١٣٧٨ هـ) كما أنه حضر لديه خارجا في الفقه و الأصول، ثم استقل بالتدريس فكان من مدرسي النجف البارزين و تخرج عليه من تولوا بعد ذلك التدريس في النجف و قم. و ترك مؤلفات منها:

الدرر النجفيه، و الوجيزه، و كتاب في المتاجر من البيع إلى أحكام الربا، و كتاب في الحج، و كتاب في الوصيه، و كتاب النكاح، و كتاب في القضاء و الشهادات، و رساله في الرضاع، و رساله في الإرث، و شرح استدلالی مختصر على العروه الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي و شرح استدلالی مختصر على تبصره العلامة الحلّي و كتاب جامع في علم الأصول يقع في أربع مجلدات و هذه لا تزال مخطوطه.

أما مؤلفاته المطبوعه فوجيزه في علم الأصول في مسأله الترتب، و كتاب الدرر النجفيه في الخمس و الزكاه، و حاشيه على تبصره المتعلمين للعلامه الحلّي، و مختصر الدر الثمين في معرفه أصول الدين و غيرها.

تخلف بولده الشيخ على المقيم في قم و قد درس في النجف ثم في قم. له كتاب معجم مؤلفي الشيعه، و كتاب علم الأصول تاريخا و تطورا، و هما باللغه العربيه، و كتاب تدوين القرآن و الحديث باللغه الفارسيه و غيرها من الكتب المطبوعه. و له بعض المؤلفات المخطوطه.

الشيخ محمد صالح البرغاني.

(١) ولد في ٢٥ ذى القعدة سنه ١١٦٧ في مدينه برغان بايران و توفي سنه ١٢٧١ في كربلاء و دفن في مقبره خاصه في الرواق الغربي من الروضه الحسينيه جنب الشباك المحاذي للرأس.

هو ابن الشيخ محمد الشهير بملائكه ابن الشيخ محمد تقى بن الشيخ جعفر الطالقاني الموصوف بفرشته ابن الشيخ محمد كاظم الطالقاني.

هم من أقدم الأسر العلمية و أشهرها. نبغ منهم العديد من العلماء و الفضلاء في مختلف العلوم الإسلامية. و يقال أنهم فرع من آل بويه.

و اشتهر هذا البيت في القرن العاشر و حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بال الطالقاني، و قد زار أحد أفاضل أحفادهم الأستاذ عبد الحسين الصالحى طالقان منذ عهد قريب فوجد على ألواح قبور رجال هذا البيت. و علمائهم منقوش (... البويهى الطالقاني)، و قد هدم قسم من هذه القبور في قزوین و طالقان، و لا يزال بعضها و موقوفاتهم في طالقان و ديلمان موجودا، و عند أحفادهم بعض صكوك هذه الأوقاف. و ينتشر أفراد هذا البيت اليوم في كل من العراق و إيران و أوروبا و أمريكا.

و اشتهرت هذه الأسره بال البرغاني في أواخر القرن الثاني عشر و مطلع القرن الثالث عشر الهجري، و أول من اشتهر منهم بالبرغاني هو الشيخ محمد المعروف بالملائكة المتوفى سنة ١٢٠٠، بعد تسفيره إلى قريه برغان و فرض الإقامة الاجباريه عليه فيها ثم أصبح هذا الاسم عنوانا للأسره و اشتهروا به حين ذاعت أسماء الأشقاء الثلاثة: الشيخ محمد تقى و الشيخ محمد صالح و الشيخ ملا على البرغانيين في المحافل الأدبيه العلميه في العراق و إيران.

و في عام ١٢٦٣ عند ما استشهد الشيخ محمد تقى البرغاني، و هو أكبر الإخوه في المحراب أثناء أداء صلاه الصبح اشتهر هذا البيت بال الشهيد و آل شهيدى، ثم تفرعت هذه الأسره إلى الفروع الثلاثة: آل الصالحى انتسابا إلى المترجم الشيخ محمد صالح، و آل الشهيدى انتسابا إلى الشيخ محمد تقى، و آل العلوى انتسابا إلى الأخ الثالث على، و احتفظ بعضهم إلى جانب لقبه الشهيدى بالشهيدى الصالحى، و الشهيدى العلوى تفاخرا بعمهم الشهيد.

و قد قال عنهم الشيخ آغا بزرك في كتابه (طبقات أعلام الشيعه):

(... و هذه الأسره من أشرف بيوت العلم، و من السلاسل الذهبية،...

التي ظهر فيها غير واحد من أعظم الفقهاء و أساطين الدين... في العلم و الزعامه و الورع و القداسه...)(٢)

و قال الدكتور حسين على محفوظ في كتابه مجموعه تراجم العلماء، عن هذه الأسره: (آل البرغاني من البيوت العلميه العظيمه القديمه في العراق و إيران، التي خدمت العلم و الدين اثني عشر جيلا، و هم ينتسبون إلى آل بويه). أ. ه.

و قد أنجبت فروع هذا البيت الثلاثة: آل صالحى، و آل الشهيدى، و آل العلوى، في كربلاء و قزوین عددا من العلماء، فصلت تراجمهم كتب الرجال المطبوعه و المخطوطه.

و قد أحصى جمعا من أعلام هذا البيت بقيتهم الأستاذ عبد الحسين الصالحى و ذكرهم في كتابه المسمى (الشموس المضيئه). و أشار إلى أكثر من

١- تقدمت ترجمته فى الصفحه ٢٦٩ من المجلد التاسع و نعيدها هنا بتفاصيل أخرى ملخصه عما كتبه أحد أحفاد المترجم الأستاذ عبد الحسين الصالحى، و هو الذى حقق كتاب جده المترجم فى الفقه و أخرجه باسم (موسوعه البرغانى فى فقه الشيعة) فى عدة مجلدات. كذلك نذكر هنا موجزا لتاريخ الأسره العلمى بذكر أشهر رجالها، ملخصا ذلك كله عما كتبه الأستاذ الصالحى.

٢- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: نباء البشر: ج ٢ ص ٨٦٥ و الكرام البرره: ج ٢ ص ٦٦ و ج ١ ص ٣٢٧.

خمسين منهم شيخ الذريعه فى كتابه (الظليله). و نعرض هنا لبعض مشاهيرهم:

١ - الشيخ محمد كاظم الطالقانى، تخرج على فحول علماء عصره منهم الشيخ البهائى، و المير باقر الداماد، و المير فندرسكى، ثم انتهى إليه التدريس و الفتوى فى قزوین و له آثار باقيه حتى اليوم منها تأسيس و بناء مدرسه النواب الواقعه فى شارع بيغمبريه و يعرف فى العصر الحاضر بمدرسه الامام الصادق (ع) و من مؤلفاته التكميل فى بيان الترتيل، و تفسير كبير.

عاصر الشيخ محمد تقى المجلسى الأول و الشيخ الحر العاملى كما صرح بذلك فى كتابه (أمل الآمل) قائلا: (مولانا محمد كاظم الطالقانى أصلا القزوينى مسكنا من الأفاضل المعاصرين، كان مدرسا فى مدرسه نواب فى قزوین، مات فى المحرم سنه ١٠٩٤) و استدرک صاحب الذريعه فى كتابه سيره آل البرغانى المخطوط قائلا: (... أقول أن لفت النظر إلى سيره الشيخ الحر المولود (١٠٣٣) و المتوفى (١١٠٤) فى القسم الثانى من كتابه (أمل الآمل) الذى ألفه (١٠٩٧) عند ترجمته للأشخاص المعاصرين له، يرشدنا إلى أنه لا يصف أحدا منهم بكلمه (مولانا) إلا من كان أكبر سنا منه، و أعظم شانا و أجل قدرا، و أشهر سمعه، مثل المولى محمد تقى المجلسى، و المولى محمد باقر السبزواری، و المولى خليل القزوينى، و أخاه المولى محمد باقر القزوينى، و الآقا رضى القزوينى، و المولى محمد أمين الأسترآبادى، و المولى حسن على التستري، و غير هؤلاء فأول ما علمنا من حال المولى محمد كاظم من توصيفه بمولانا أنه كان واحد تلك الخصوصيات و كان فى طبقه هؤلاء الذين أدركوا عصر الشيخ البهائى الذى توفى (١٠٣٠) و كانوا معاصرين للمولى محمد تقى المجلسى المتوفى (١٠٧٠) و لعله كان مجازا منه كما أن ولده المولى محمد جعفر كان مجازا من ولده المجلسى الصغير ثم أنه صرح بأنه طالقانى الأصل من طرف آباءه و أنه أول من نزل منهم إلى قزوین و لم يصفه بأنه فاضل بل صرح بأنه كان من الأفاضل و كان مشغولا بالتدريس و تربيته الطلاب فى مدرسه النواب إلى آخر عمره و وفاته فى (١٠٩٤). (١)

و ذكره الميرزا عبد الله افندى فى كتابه رياض العلماء، الجزء الخامس صفحه ١٥٣، و الشيخ الطهرانى فى كتابه الروضه النضره فى علماء المائة الحاديه عشر و كتابه الظليله المخطوطين.

٢ - الشيخ محمد جعفر المعروف بالفرشته بن الشيخ محمد كاظم الطالقانى.

تخرج على العلامة محمد باقر المجلسى و حاز منه إجازة مؤرخه فى جمادى الآخره سنه ١٠٩٥ و أشار إلى الإجازة المذكوره فى الذريعه و عبر عنه فى كتابه الآخر سيره آل البرغانى قائلا: (... و أما جده الثانى فهو المولى محمد جعفر الطالقانى بن المولى محمد كاظم صرح به العلامة المجلسى المتوفى (١١١٠) فيما كتب له من الإجازة المتوسطه التى ذكر فيها جملة من تصانيفه بقلمه الشريف، كما ذكرناها فى ج ١ من الذريعه ص ١٥٠.

و قد نقل صورتها عن خط المجلسى الشيخ الميرزا محمد بن رجب على الطهرانى العسكرى، و أدرجها فى كتابه مستدرک إجازات البحار.

و يظهر من بعض القرائن أن صدور تلك الإجازة كان فى أوائل أمر المولى محمد جعفر.

و أنه بقى بعد هذا التاريخ سنين كثيره حتى ولد له ابنه المولى محمد تقى الآتى ذكره فإنه توفى (١١٦١) و كان يلقب المولى

محمد جعفر (بالفرشته) و هو دفين طالقان يزوره و يتبرك به أهلها... (٢) له مؤلفات و منها: كتاب فقه استدلالى معروف بفقهِ الفرشته، و كتاب اشتراط الحس فى الشهاده.

٣- و منهم الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر.

تخرج على والده، و أخذ الحكمة و الكلام عن الميرزا حسن بن المولى عبد الرزاق اللاهيجى القمى المتوفى سنة ١١٢١. و غيرهما من الأعلام ثم هاجر إلى العراق، و سكن النجف الأشرف.

ثم انتقل إلى الكاظمين و منها إلى كربلاء، و سكنها مدة تصدى خلالها للتدريس.

ثم اتخذ قزوین موطناً له، و قام بالوظائف الشرعيه من الامامه و التحكيم، و قد حضر مؤتمر النجف الذى عقده نادر شاه الأفشارى لتحقيق مشروعه فى التأليف بين المذاهب الإسلاميه ذكره شيخ الذريعه فى كتابه سيره آل البرغانى قاتلاً.

(... أما جده الأول فهو المولى محمد تقى بن المولى محمد جعفر بن المولى محمد كاظم الطالقانى البرغانى القزوینى المتوفى (١١٦١) (٣) و خلف ولدين أحدهما المولى محمد الملائكه، و الآخر هو الذى سماه باسم والده محمد جعفر (٤) و لم نظفر بآثار علميه لهذا الولد لكننا ظفرنا بأثر باق لولده محمد على المذكور فى حرف الميم من الذريعه هكذا (مصباح المؤمنین) فى سنن أهل البيت الطاهرين، و بيان أسرار العبادات الشرعيه.

و الولد الآخر للشيخ محمد تقى، هو الشيخ محمد الملقب بالملائكه.... (٥)

٤- و منهم الشيخ محمد نعيم - الشهير بملا نعيما - بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر.

قرأ على والده فى قزوین ثم هاجر إلى أصفهان و التحق بالحوزه العلميه هناك و حضر على أكابر أساتيدها منهم الملا محمد صادق الأردستانى المتوفى سنة ١١٣٤ و بهاء الدين محمد المعروف بالفاضل الهندى المتوفى سنة ١١٣٧ و مال إلى الحكمة و العرفان فبرع فى ذلك.

هاجر فى فتنه الأفاغنه إلى قم، ثم رجع إلى أصفهان و منها انتقل إلى قزوین فرأس فيها).

ص: ٣٠١

١- الشيخ آغا بزرگ الطهرانى سيره آل البرغانى المخطوطه.

٢- الشيخ آغا بزرگ الطهرانى سيره آل البرغانى المخطوطه.

٣- يقول الأستاذ الصالحى: عند عودتى من سفر الحج راجعت مرقده الشريف فى موقوفات الصدر بقزوین خلف الشاه زاده حسين فلاحظت أن صخره قبره المطهر القديمه كان منقوشاً عليها سنه وفاته هكذا (رمضان ١١٨٦) هجرية و لا- أدرى من أين نقل شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى عام وفاته.

٤- و له ولده ثالث باسم محمد نعيم المعروف بملا نعيما و سياتى ذكره.

٥- راجع له ترجمه مستقله في (المستدرک).

و وصف حاله في فتنه الأفاغنه في مقدمه كتابه أصل الأصول قائلا (... هذا مع تشتت الحال و توزع البال إذ قد وقع هذا السؤال حين جرد الزمان على أهاليه سيف العدوان، و ذلك بغلبه عساكر الأفغان على بلده أصفهان، و إهلاك من كان فيها من معظم المتوطنين و السكان، و إباده ما كان فيها و في حوايلها من البلدان، و إفناء أكثر المؤمنين، و لا سيما العشائر و الأقارب و الإخوان، و فرارى منها إلى بلده قم بلده أمن و أمان - حماها الله تعالى من طوارق الحدثان و آفات الأفغان، و اغترابي فيها، و بعدى عن الأهل و الأوطان...) و توفى بعد سنه ١١٨٠.

و له مؤلفات منها: كتاب أصل الأصول الطبعة الأولى ضمن المجلد الثالث من كتاب (منتخباتي از آثار حكماء الهى إيران) سنه ١٩٧٦ م، و الطبعة الثانيه في كتاب مستقل يقع في ١٧٨ صفحه (العروه الوثقى في امامه أئمه الهدى) في مجلد كبير في الكلام منها، حاشيه على الحاشيه الجليله الجلاليه و على الحاشيه الشريفه و على شرح المطالع، الجبر و التفويض، كتاب القضاء و القدر، رساله في قاعده الواحد، تعليقات على شرح جديد التجريد، كتاب شرح الإشارات، شرح أصول الكافي، رساله في تشكيك الوجود.

قال عنه السيد جلال الأشتياني في مقدمه أصل الأصول أنه من مشاهير المدرسين في الحوزه العلميه باصفهان في القرن الثاني عشر من الهجره النبويه الشريفه...

و ذكر في أعيان الشيعة و في الذريعه و طبقات أعلام الشيعة.

٥ - و منهم الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد تقى.

تخرج على والده و على السيد نصر الله الحائرى الشهيد في القسطنطينيه سنه ١١٥٨ و يروى عنه، ثم استقر في قزوین و رأس فيها.

٦ - و منهم الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد نعيم الشهير بملا نعيما ابن الشيخ محمد تقى.

تخرج على والده ملا نعيما، و انتهى إليه تدريس الفلسفه في قزوین.

٧ - و منهم الشيخ يوسف الحكمى ابن المولى الشيخ محمد تقى بن المولى ملا نعيما.

تخرج على والده و الشيخ محمد البيدآبادى المتوفى سنه ١١٩٧، و الشيخ على النورى المتوفى سنه ١٢٤٦ و غيرهم، ثم رجع إلى موطنه قزوین و قام بتدريس الفلسفه بالمدرسه الصالحيه في قزوین.

ترك مؤلفات و تحقیقات منها: حواشى على الأسفار، رساله في حدود العالم، رساله في القضاء و القدر، حواشى على العرشيه، حواشى على المشاعر و غيرها، توفى حدود سنه ١٢٧٦ عن عمر طويل.

٨ - و منهم الشيخ الحكمى القزوينى ابن الشيخ جعفر بن المولى الشيخ محمد تقى.

تخرج في الحكمه و الفلسفه على الشيخ على النورى و الشيخ إسماعيل الأصفهاني و أخذ العرفان من السيد رضى و غيرهم، ثم

رجع إلى موطنه قزوین و قام بتدريس الفلسفه، بالمدرسه الصالحیه لأكثر من نصف قرن. و هو الذى ناقش الشيخ أحمد الأحسائى فى المسائل العقلیه فى المجلس الذى حضره جمع من علماء الفريقين و هو المجلس الذى انتهى بتكفير الشيخ أحمد الأحسائى.

و ذكره السيد جلال الدين الآشتياني قائلا أنه كان من المتبحرين فى أفكار مدرسه ملا صدرا الشيرازى، و أن الأستاذين الآقا على و الآقا محمد رضا كانا يرجحانه على الحاج ملا هادى السبزواری. و سكن قزوین و كف بصره فى أواخر عمره. توفي سنة ١٢٨٥ عن عمر يقارب المائة العام، و ترك حواشى مهمه على الاسفار و له رساله فى العرفان و حواشى على العرشيه و غيرها.

و كان ولده الشيخ أحمد آل الحكمى من خواص الشيخ ميرزا حسين الخليلى فى النجف.

ثم استقر فى قزوین، و كان من أئمه الجماعه فى مسجد الشاه، و شارك فى الانقلاب الدستورى فى إيران.

٩ - و منهم الشيخ على أصغر بن الشيخ محمد يوسف القزوینى و هو ابن أخ الشيخ محمد كاظم الطالقانى.

تخرج على الشيخ خليلا القزوینى و أخيه الشيخ محمد باقر القزوینى و آقا رضى القزوینى ثم تصدى للتدريس، له مؤلفات منها شرح (عده الأصول) لأستاذه ملا خليلا. و حواشى على نهج البلاغه و كتاب سفينه النجاه فى الأدعيه، و رموزا التفاسير، و تنقيح المرام. ذكره الحر العاملى فى كتابه أمل الآمل توفي سنة ١١١٧.

خلف ولدين هما: الشيخ محمد مهدى صاحب المؤلفات منها شرح مغنى اللبيب و غنيه الطالب، و عين الحياه فى الأدعيه و غيرها.

و الثانى الشيخ محمد مؤمن، له مؤلفات منها شرح الزبده للشيخ البهائى.

١٠ - و منهم الشيخ محمد بن الشيخ محمد تقى.

أخذ الفقه و الأصول من والده الشيخ محمد تقى و عمه الشيخ محمد صالح و شريف العلماء و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و غيرهم.

و تخرج فى الفلسفه على ملا آغا و ملا يوسف الحكميين القزوینيين.

و هو صهر عمه الشيخ محمد صالح البرغانى المترجم على ابنته (قره العين). و رزق منها ثلاثه أولاد ذكور هم الشيخ إسماعيل و الشيخ إبراهيم و الشيخ إسحاق.

١١ - و منهم الشيخ إسماعيل بن الشيخ آقا محمد بن الشيخ محمد تقى آل قره العين كان عالما أديبا شاعرا متكلمًا.

تخرج على والده و والدته قره العين، و جده لأبيه، و جده لأمه الشيخ محمد صالح البرغانى، و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و الشيخ مرتضى الأنصارى، و السيد حسين الكوه كمره إى.

و أخذ الحكمة و الفلسفه من ملا آغا و ملا يوسف الحكيمين القزوينيين، و الميرزا عبد الوهاب البرغانى.

استقر فى قزوين و سكن زمانا فى طهران.

ص: ٣٠٢

١٣٠٢ و مر ذكره فى محله من (أعيان الشيعة).

١٢ - و منهم الشيخ إبراهيم بن الآقا محمد ابن الشيخ محمد تقى آل قره العين.

تخرج على الشيخ مرتضى الأنصارى و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند ملا- آقا الحكمى و ميرزا عبد الوهاب البرغانى، تصدى للتدريس فى كربلاء، و سكن فى أواخر عمره فى قزوین و من مؤلفاته مفتاح الفقاهه.

١٣ - و منهم الشيخ عبد الحسين بن الشيخ ملا على بن الشيخ محمد البرغانى القزوینى الحائرى آل العلوى الشهيدى.

أخذ الفقه و الأصول و التفسير عن والده و عمه الشيخ محمد تقى و الشيخ محمد صالح البرغانى و السيد على الطباطبائى صاحب الرياض، و السيد محمد المجاهد و شريف العلماء.

و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ ملا- آغا الحكمى و الملا- يوسف الحكمى القزوینى و تولى التدريس فى كربلاء و النجف الأشرف، و استقر فى قزوین.

و تصدى فيها لتدريس الفقه و الأصول و الحكمة و الفلسفه فى المدرسه الصالحيه، حتى توفى بها سنه ١٢٩٢ و له مؤلفات منها نفحات الإلهام فى شرح شرايع الإسلام، و شرح القواعد و غيرها.

١٤ - و منهم الشيخ محمد تقى الفشندى ابن الشيخ محمد على (١).

١٥ - المولى الشيخ حمزه على بن الشيخ محمد تقى الفشندى.

ولد فى قريه فشند سنه ١٢٦٧، و قرأ على والده.

و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ علامه آل الصالحى، و الشيخ على نقى الصالحى، و الميرزا حسين الخليلى، و الآخوند محمد كاظم الخراسانى و السيد محمد كاظم اليزدى.

و أخذ الفلسفه و الحكمة عن الميرزا عبد الوهاب البرغانى.

و فى سنه ١٣٢٥ رجع من النجف إلى موطنه قزوین و رأس هناك.

له مؤلفات منها، كتاب (وقائع الأيام و حوادث الإسلام)، و رساله فى النظام الدستورى الإسلامى، و تقريرات درسه فى الفقه و الأصول، و ديوان شعر و غيرها.

و هو والد الشيخ حسن و الشيخ حسين، و كانت لهم مكتبه ضخمة فى قزوین، ثم تبعثرت و من نوادر مخطوطاتها الشاهنامه المصوره المؤرخه سنه ٥٠٠.

١٦ - و منهم الشيخ أبو القاسم بن الشيخ محمد تقى.

تخرج على والده و عمه المترجم، ثم سافر إلى النجف الأشرف و قرأ على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و غيره.

و أخذ الحكمة و الفلسفه عن ملا آقا الحكمی، و استقر في قزوین. من مؤلفاته الحق المبين، و شرح على الشرائع في مجلدين كبيرين و كانت وفاته سنة ١٣١٠، و مر ذكره في أعيان الشيعة.

١٧ - و منهم الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد تقی.

تخرج في الفقه و الأصول و الحديث على والده و عمه المترجم، و الشيخ أحمد الأحسائي، و أخذ الحكمة و الفلسفه على الآخوند الملا آغا الحكمی القزوينی، و هو من مشايخ محمد خان بن كريم خان الكرمانی من أقطاب الشيخيه الابراهيميه في كرمان، و يروى عنه، كما صرح في أول (الكتاب المبين).

من مؤلفاته تعديل العقيدة و القراءه في القراءات السبع و أسماء القراء، ميزان التلاوه فارسی ملخص كتابه تعديل العقيدة و القراءه ألفه بعد سنة ١٢٤٣.

توفي في كربلاء سنة ١٣٠٦ و دفن بها.

و كان مولده في قرية برغان سنة ١١٦٧. (٢)

و بعد هذا الاستعراض لأبرز رجال الأسره نعود إلى مواصله مسيره المترجم الشيخ محمد صالح.

دراسته

درس أولاً في برغان ثم في قزوین ثم في أصفهان فكان من اساتذته في أصفهان: كل من الشيخ محمد البيدآبادی و الشيخ على النورى و السيد محمد مهدى الأصفهانی. ثم انتقل إلى كربلاء و النجف و الكاظميه فكان من أساتذته فيها: الشيخ باقر البهبهانی [البهبهانی] و السيد حسين المعصومى و السيد مهدى بحر العلوم و الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء و الشيخ عبد الغنى القزوينى و السيد مهدى الشهرستانى و السيد على الطباطبائى صاحب الرياض و السيد عبد الله شبر و السيد محمد المجاهد و النراقى.

استقراره في كربلاء

تنقل بين كربلاء و النجف و قم و خراسان و طهران. ثم نفاه فتح على شاه من إيران إلى العراق، و منه قصد الحج فسكن الحجاز سنين ثم رجع إلى العراق فأقام في النجف ثم رافق الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء إلى إيران حيث تشفع له الشيخ عند الشاه فوافق على بقاءه في إيران على أن لا يسكن طهران فأقام في قزوین. و على أثر أحداث سنة ١٢٤٣ عاد إلى كربلاء و استقر فيها حتى وفاته.

قزوین بين الأخباريين و الأصوليين

و بمناسبة الحديث عن المترجم و ذكر مدينة قزوین نشیر هنا إلى ما ورد فی سیره المترجم فی کتاب (موسوعه البرغانی الفقهیه) عن الخلاف بینن.

ص: ۳۰۳

۱- راجع له ترجمه مستقله.

۲- برغان: قصبه من ضواحي مدينة كرج التابعه للعاصمه طهران و لها طريق خاص من كرج عبر كمال آباد حوالی ۱۷ كيلومتر و من الطريق العام لطهران قزوین ۲۴۴ كيلو مترا من جهه الشرق للشارع العام و تقع فی سفح جبال سلسله ألبرز الشامخه، و هی مركز لأربعه عشر قريه و عدد سكان برغان ۲۰۰۰ عائله أي حوالی عشره آلاف نسمة تقريبا و يزداد عدد سكانها فی الصيف إلى أكثر من ثلاثه و أربعه أضعاف هذا العدد، و تعتبر من أحسن مصایف العاصمه طهران.

الأخباريين و الأصوليين فى قزوين، فقد ذكر محقق الكتاب أن قزوين فى القرن الثانى عشر كانت منقسمه إلى فريقين: اخباريين و أصوليين و أنه كانت للأخباريين قوتهم، و كان يفصل بين الفريقين نهر السوق (رودخانه يازار)، فالقسم الغربى من المدينه كان للأخباريين، و القسم الشرقى كان للأصوليين.

و أن الصراع بين الفريقين كان عنيفا حتى أن الطالب الأخبارى كان لا يحمل مؤلفات الأصوليين إلا بمنديل حتى لا تتنجس يده من ملامسه جلد الكتاب اليابس. و أن الأخباريين كانوا من تلامذه و أنصار الشيخ خليل القزوينى المتوفى سنه ١٠٨٩ و كان أخباريا متطرفا.

و يرى الكاتب أن رجوع الشيخ يوسف البحرانى عن اخباريته، أو على الأقل اعتداله فيها يعود إلى أنه زار قزوين و جرى بينه و بين الشيخ محمد الملائكه والد المترجم مناظره فى اجتماع كبير بمحضر من علماء الفريقين اشترك فيها الجميع. و أنه كان من نتيجة هذا الاجتماع و ما جرى فيه حدوث بلبله عظيمه فى قزوين، أخذت تتوسع و تتصاعد حتى عمت سواد الناس من الفريقين. و قد أدت إلى هجوم الأخباريين على دار الشيخ محمد الملائكه لاغتياله فلم يظفروا به، و لكن احترقت داره و فيها مكتبته، و أدى الأمر إلى أن نفت الحكومه الشيخ محمد من قزوين إلى برغان. و كان البرد قارسا فى الطريق فمات أطفال الشيخ دنقا، ثم رزقه الله غيرهم فى برغان كان منهم المترجم الشيخ محمد صالح.

و أن انقسام آخر حصل فى قزوين بعد ذلك بين أنصار الشيخ أحمد الأحسائى و خصومه انشطرت فيه المدينه شطرين و حاول المترجم فى أول الأمر أن يكون محايدا و أن يصلح بين الفريقين، و لكن جرفه التيار أثر انعقاد اجتماع عام فى منزل شقيقه الشيخ محمد تقى، تكلم فيه باسم الأحسائيينالشيخ أحمد نفسه، و باسم خصومهم الشيخ آغا الحكمى و الشيخ يوسف الحكمى، و انتهى الاجتماع بتكفير الشيخ أحمد.

أولاده

ترك من الأولاد ١: - الشيخ محمد ولد فى كربلاء حدود سنه ١٢٠٥، و تخرج على والده و عمه الشيخ محمد تقى، و السيد على الطباطبائى الحائرى، صاحب (الرياض)، و السيد محمد المجاهد، و شريف العلماء، و قتل فى ساحات القتال، فى أوائل الحرب الإيرانية الروسية سنه ١٢٤٠، و نقل جثمانه إلى قزوين، و دفن فيها.

و هو غير شقيقه و سميه الشيخ محمد الملقب بكاشف الأسرار الآتى ذكره.

٢: - الشيخ عبد الوهاب تخرج فى الفقه و الأصول على والده، و عمه الشيخ محمد تقى، و قرأ أيضا على السيد محمد المجاهد، و شريف العلماء، و صاحب (الجواهر). و حضر فى الحكمة و الفلسفه درس الملا على النورى المتوفى سنه ١٢٤٦ و بعد وفاته التحق بحوزه الملا آقا الحكمى القزوينى و يعد من الطبقة الأولى من تلامذته.

توفى فى ٢٥ ذى الحجه الحرام سنه ١٢٩٤، و دفن فى المقبره العائليه قرب والده.

له مؤلفات منها: ١ - (خصائص الأعلام فى شرح شرائع الإسلام): فى خمس عشره جزءا ضخما.

٢ - مخازن الأصول: فى عشرين مجلدا ضخما فى علم أصول الفقه.

٣ - ديوان شعر.

٤ - شرح على (العرشيه) لصدر المتألهين الشيرازى.

هبط طهران فى الأواخر فكان من كبار المراجع إلى أن توفى فيها.

٣: - الشيخ حسن تخرج فى العقلیات على المولى على النورى، و المولى ملا آقا الحكمى القزوينى، و حضر فى الفقه و الأصول على والده، و عمه الشيخ محمد تقى و صاحب الجواهر، و اختص بالشيخ مرتضى الأنصارى، ثم هاجر إلى الحجاز، و بعد مناظره بينه و بين بعض الشيوخ فى المدينه، فاجاه من ضربه على رأسه ليلا فتوفى فى اليوم الثانى، و ذلك سنة ١٢٨١.

له مؤلفات فى الفقه و الأصول، و مناسك الحج، و حاشيه على رسائل و مكاسب استاذه، فى أربع مجلدات ضخمه.

٤: - الشيخ حسين تخرج فى الفقه و الأصول على والده، و عمه، و حضر فى كربلاء على السيد إبراهيم القزوينى، صاحب (الضوابط)، و فى النجف على صاحب (الجواهر)، و الشيخ مرتضى الأنصارى، و تتلمذ فى الحكمة و الفلسفه على ملا آقا الحكمى القزوينى، ثم استقر فى قزوین و تصدى للتدريس فى المدرسه الصالحيه، له مؤلفات فى الفقه و الأصول، منها: منهج الرشاد فى شرح الإرشاد.

٥: - الشيخ رضا: تخرج على والده، و عمه، و صاحب (الضوابط)، و صاحب (الجواهر)، و الشيخ مرتضى الأنصارى.

من مؤلفاته: مصباح الأصول، رساله فى الرضاع، رساله فى النذر، روح النجاه فى الكلام و الامامه. توفى بكرىلاء سنة ١٣٠٨.

٦: - الشيخ محمد الملقب بكاشف الأسرار.

ولد فى قزوین سنة ١٢٤٠ و توفى حدود سنة ١٢٩٤.

تخرج على والده و عمه الشيخ محمد تقى و هاجر إلى العراق فالتحق فى كربلاء بحوزه السيد إبراهيم صاحب (الضوابط) و فى النجف بحوزه الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) و غيرهم، و أخذ الحكمة و الفلسفه من الملا آغا الحكمى القزوينى.

له رسائل فى الفلسفه، و تفسير آيه الكرسي.

٧: - الشيخ موسى: تخرج فى الفقه و الأصول على والده، و عمه الشيخ محمد تقى و الشيخ مرتضى الأنصارى فى النجف، و تتلمذ فى الحكمة و الفلسفه على المولى ملا آقا الحكمى القزوينى و تولى التدريس فى المدرسه الصالحيه فى قزوین.

من مؤلفاته: أسرار التنزيل فى تفسير القرآن فى مجلدين ضخمين. توفى سنة ١٢٩٨.

الأسدآبادى المعروف بالأفغانى، فى المدرسه الصالحيه، و كان بينهما علاقات وثيقه، ثم التحق بالأفغانى حينما كان فى الهند.

من مؤلفاته: أصول الفقه فى مجلد واحد. توفى سنه ١٣١٥.

هؤلاء أولاد المترجم المذكور، أما بناته فاشتهرت منهن:

زرين تاج المكناه بام سلمه و الشهيره ب (قره العين) و هذه تحتاج إلى دراسه مستقله مستفيضه لما كان من شأنها فى حوادث البايه و علاقتها بدعوتهم و انتسابها إليهم. و يصفها الأستاذ عبد الحسين الصالحى أحد أحفاد المترجم بأنها كانت عالمه فاضله، محدثه فقيهه أديبه كبيره، حافظه للقرآن عالمه بتفسيره و تأويله متكلمه خطيبه. و نقول: انها اضاعت ذلك كله بانتسابها إلى البايه.

تزوجها ابن عمها الشيخ محمد إمام الجمعه، و رزقت منه ثلاثه أولاد ذكور كلهم من العلماء و هم الشيخ إبراهيم، الشيخ إسماعيل، الشيخ إسحاق.

و يقول الأستاذ الصالحى عن بقيه بناته الأخريات:

الحاجه نركس: فقيهه محدثه حافظه للقرآن، أديبه شاعره.

و الحاجه زهراء: محدثه، حافظه للقرآن أديبه شاعره فقيهه مفسره.

و الحاجه فاطمه: مفسره محدثه حافظه للقرآن فقيهه أديبه كبيره.

الشيخ محمد قاسم الحسينى العاملى.

قال فى تكمله أمل الآمل: عالم فاضل جليل من المعاصرين للسيد نصر الله الحائرى الشهيد، و يوجد فى ديوان السيد المذكور قصيده فى مدح صاحب الترجمة يذكر ما أصابه فى وقعه ذهب فيها ماله و كلم وجهه و ساءت أحواله.

ثم يقول صاحب التكملة أنه ربما كان ذلك فى فتنه الجزائر.

الشيخ محمد بن على البغلى.

(١) أحد شعراء القرن الثالث عشر الذين نبغوا فى الأحساء، و كان عالما فاضلا أديبا شاعرا، كما أن له يدا فى الطب، و كانت له به شهره.

ولد فى مدينه الهفوف عاصمه الأحساء، و لم نقف على تاريخ لولادته كما لم يؤرخ لوفاته، و المستفاد من شعره أنه كان حيا سنه ١٢٤٥، فقد حملت بعض قصائده هذا التاريخ لسنه النظم كما هو مثبت فى ديوانه المخطوط الذى عثرنا عليه فى الأحساء. كانت دراسته الأولى فى الأحساء و فى شعره ما يدل على إقامته فى النجف الأشرف فلا بد أنه قصد لها للدراسه، و لكن ليس

لدينا تفاصيل عن ذلك.

قال و هو يشير إلى توجهه إلى زياره الامام أمير المؤمنين (ع):

أمير المؤمنين إليك أشكو و ليس عليك يخفى ما عراني

أنتيك أقطع البيداء ركضا و حاشي أن يخيب لديك عاني

فكن لي سيدي غوثا و عوننا و خذ بيدي من نوب الزمان

و له أبيات أخرى يشير بها إلى تغربه عن وطنه و قصده زياره الامام (ع)، قال:

لقد تغربت عن أهلي و عن وطنيالي زياره مولانا أبي حسن

لعله عند رب العرش يشفع ليوم الحساب و عند الموت يحضرني

هذا اعتقادي في سرى و في علمي إن رجوت فشيء لست عنه وني

و له قصيده يخاطب بها الامام أمير المؤمنين (ع) و يذكر زيارته له، فمنها قوله:

عبيدك المذنب جاء زائرا و لاثدا و مستجيرا بالنجف

فامن عليه سيدي بعطفه فأنت خير من عفا و من عطف

كما صرح في بعض قصائده أنه نظمها و هو واقف على قبر الامام الحسين (ع).

و صرح أيضا في قصيده أخرى في رثاء العباس بن أمير المؤمنين (ع) أنه نظمها في كربلاء، جاء في مستهلها قوله:

لمن الطلول خواشعا أعلامها قفراء كالحه الوجوه إكامها

و يقول في آخرها:

و إليكما يا ابن الوصي خريده مثل الدراري لا يرام نظامها

جاءتك باسطه إليك يد الرجا و على جنابك واجب إكرامها

ألبيتها حلل الكمال و لم أقل (أمن المعرف مکه فمقامها)

و نظمتها في كربلاء فأصبحت أذكي من المسك الفتيق ختامها

(٢) و كانت له علاقات وديه و مساجلات شعريه مع بعض العلماء و الأدباء فى النجف، فقد وردت له فى ديوانه قصيده يقرظ بها أرجوزه الشيخ عبد الله الحويزى المسماه بـ "الكوكب الدرى" قال:

لقد جل هذا النظم عن صفه الشعر و لكنه الحلو الحلال من السحر

و يقول فى آخرها:

فلا زال عبد الله شيخا مهذبا و همته تعلقو على هامه النسر

و لا زال شمسا يستضاء بنوره و بدر علا يجلى به حندس الكفر

و لا برحت أرض العراق بذكره معطره الآفاق باسمه الثغر

و هذه أبيات جاءت فى ديوانه أيضا يمدح بها أحد شعراء النجف، و هو الشيخ عبد الحسين الأعسم، بما يؤكد وجود علاقته وديه بينهما، قال:

ملكتم قلوب أرباب الكمال بتعريض من السحر الحلال

أتيت بكل بكر ذات حسن على أعطافها شبه اللالكى

لأنت و إن جعلت الأرض مثوى فشانك فى سماء المجد عالى

شهرته الأديبه:

لقد اكتسب شاعرنا البغلى شهره أديبه، فبالرغم من منزلته العلميه فقد كان الجانب الأدبى فى حياته هو الأبرز ظهورا، ذكره جملة من العلماء و الأدباء الذين عاصروه و أطروا أدبه، منهم الشيخ على آل الرضا، المتولد سنة ١٢٥٣ هـ، و المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ، و كان أحد علماء الأحساء و شعرائها، له ديوان شعر لا يزال موجودا عند بعض أحفاده فى الأحساء، فقد كانت لشاعرنا

ص: ٣٠٥

١- كتبها الشيخ جعفر الهاللى.

٢- ديوان الشاعر - مخطوط -، و قد جارى فيها قصيده الشيخ محمد رضا الأزرى فى رثاء العباس بن أمير المؤمنين (ع).

البغلي معه علاقة وديه و أدبيه، فهذه أبيات للشيخ على المذكور - كما في ديوانه - أرسلها إلى البغلي يذكر فيها ما بينه و بينه من صله و موده:

سلام جلا محض الوداد و أغربا و بين صدق الاتحاد و أعربا

و فاح بساحات الصداقه عنبرا و لاح بأفاق العلاقه كو كبا

محمد البغلي من شاع ذكره باقطار أرض الله شرقا و مغربا

كما ورد ذكره في غير موضع من ديوان الشيخ على حيث قال: كان لمحمد بن على البغلي مرات، فترك القراء قراءتها، فنظم أبياتا يشكو فيها و طلب منى نصرته فقلت:

يا من أتى من شعره بعزائم سجدت لهن مفالق الشعراء

و تيقنوا أن لا سواك فوحدوا لك مخلصين بغير شوب رياء

قسما بنظمك ذلك النظم الذى ضاعت لديه كواكب الجوزاء

(١) و قد كانت لشاعرنا البغلي علاقه أدبيه مع آخرين من شعراء قطره - الأحساء - منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان الأحسائي، و هما بدورهما كانت تربطهما علاقه وديه مع شاعر آخر من أهل العراق فى مدينه البصره، هو السيد عبد الجليل البصرى، و لم نتأكد من أسباب هذه العلاقه التى ربطت بينهما و بين الشاعر البصرى، فهل زار هو بدوره الأحساء و تعرف على الشعارين؟ أم أنه كان قد سكن الأحساء؟ أم أنهما زارا الشاعر فى مدينه البصره فتعرفا عليه...؟ و السيد عبد الجليل البصرى من مواليد سنه ١٧٧٦ م، و توفى سنه ١٨٢٧ م، و قد وردت فى ديوان البصرى قصيده أرسلها إلى كل من الشيخ البغلي و الشيخ عبد الله الأحسائي جوابا عن رسائل شعريه وردت منهما إليه و هى تؤكد تلك الصله بين هؤلاء الشعراء الثلاثة، قال:

إلى طيب ملهى للعذارى و ملعب يحن فؤاد المستهام المعذب

و قد امتدح كلا منهما و أشاد بمواهبهما، فبعد أن ذكر الشيخ عبد الله قال يذكر الشيخ محمدا البغلي:

ففاق بنظم لا يباريه شاعر سوى ما أتى من نظم واف مهذب

كسمط من العقيان و الدر فصلت فرائده من كل غال مثقب

نظام فريد فى القريض مبرز فلم يرض من بكر المعانى بشيب

و هو هنا يشير إلى ما اشتهر به شاعرنا البغلي من امتهان الطب باستعمال العقاقير، كما يشير إلى ظاهره الولاء لأهل البيت (ع) عند البغلي فيقول:

ذكى به علم العقاقير نير فأصبح جالينوس فى جنبه غبى

هو ابن على ذو الوفاء محمد محب لآل المصطفى عتره النبى

غدا نظمه وشى الربيع و كافلا بصدق و داد بالولاء مطنب

كما أرسل السيد عبد الجليل الجواب نثرا لكل من الشعارين المذكورين، فقال فى جوابه للشيخ البغلى:

إن ألطف ما اكتحلت به الأحداق، رسائل الأشواق، إذا تكفلت بما رق و راق، مما تتحلى به الأوراق، كرساله وردت إلينا آنفا، غدوت منها لأنوار الربيع قاطفا، رساله من نسجت البلاغه مطارف نظامه، و تقاطرت شآبيب البراعه من شق أعلامه، صاحبنا صادق الوعد الجلى، محمد بن على، لا زال ربيع الآداب به أهلا عامرا، يقتطف من أفنان فنونه ثمرات أفكار الأكابر...[\(٢\)](#)

كما جاء ذكر شاعرنا البغلى فى كل من كشكول [\(٣\)](#) الصائغ الأحسائىو كتاب محمد [\(٤\)](#) بن عبد المحسن الغريب، فقد وردت له فى الكتابين أبيات قالها فى القهوه و الغليون، قال فى البن:

بزغت شמוש البن ذات تشعشع كدم الغزال تضىء فى الأقداح

قتلت فاحيت ميت كل مسره بشميم طيب عرفها النفاح

جليت كما تجلى العروس لزوجها و يديرها ذو عفه و سماح

و سعى بها كالبدر فى غلس الدجى و الصبح مستغن عن المصباح

كتب الجمال بخده من حبرها كالمسك خالا ما له من ماح

فاشرب كتوس البن أنى شئت إن البن للشهوات كالمفتاح

و منها فى الغليون:

و عليك بالنتن الندى فإنه معها لعمر ك راحه الأرواح

طرقتك بعد الكأس لامعه الطلا كالزند تقدح فى يد القداح

عجميه تركيه عرييه خود خدلجه و أى رداح

مالت لنشوتها النفوس لأنها حلت هناك محله الأرواح

منها ١ - أبيات يجمع فيها أحكام المبتدأ والخبر، و يظهر أنها من أرجوزه له ضاعت، قال:

مذهب سيبويه رفع المبتدأ مجردا يعمل فيه الابتدا

و بعضهم يرفعه مع الخبر به و بعض للذى قال حضر

و بعضهم قال هما ترافعا و الأول المختار عند من دعا

و هذه أبيات أخرى فى الطب، و يظهر أنها من أرجوزه له فى هذا الفن، قال:

اجعل على الحزاز أنى أجهدك حنا و صبرا يعجزان بالودك

و المر و الترياق مع دهن البقر للبطن و الزحير و الدم أن قطر

أما آثاره الأدبيه: فهى ديوانه الذى عثر عليه مؤخرا، و أغلبه فى أهل البيت (ع)، و الباقي منه فى مواضيع أخرى، و يبلغ عدد أبياته ١٠٣٥ بيتا الشعر العمودى و المربعات، و التخاميس، و الرجز، و وجدت فى ديوانه ما يشبه البند قاله مستسقيا، و ها أنا أعرض أمام القارى بعض النماذج من قصائده، فهذه قصيده قالها فى الغزل، و تخلص فيها إلى مدح النبيح.

ص: ٣٠٦

١- ديوان الشيخ على الرمضان.

٢- ديوان السيد عبد الجليل البصرى: ٢٢٨ ط دمشق (المكتب الإسلامى) الطبعة الثانية.

٣- هذا الكشكول شاهدت ما بقى منه فى الأحساء و هو عده أوراق مبعثره، قد تلف أكثره.

٤- هو الشيخ محمد بن عبد المحسن بن محمد بن خلف الغريب الهمدانى العاملى الأحسائى، كذا جاء اسمه فى الكتاب، و الكتاب المذكور رأيتَه أيضا فى الأحساء عند بعض عشاق الأدب و الحريصين على جمعه هناك، و هو كالكتاب السابق لم يبق منه إلا أوراق امتدت إليه يد التلف، و يظهر أنه كتاب تاريخى أدبى مزين بكثير من الشواهد الأدبيه، و تتخلله تراجم جماعه من العلماء و الأدباء.

٥- الأرواح هنا جمع روح: و هو نسيم الريح.

(ص) و أمير المؤمنين (ع) و أهل البيت (ع) قال:

سكرنا بكأس الراح فى روضه غنا بها بلبل الأفراح و الورق قد غنى

و مهما سرت بين الخمائل نسمة و هزت غصون البان و الآس هزتنا

و ساق كمثل الطيبى فينا يديرها و يسعى بها صرفا مشعشه دكنا

سقانا و غنانا فهمنا بحبه غراما و خلى القلب فى يده رهنا

فبت مع الأحباب ما بين بأنها فاطربنى المعنى و طاب لى المغنى

و أحور معسول المراشف لو رنا بمقلته رضوى لذاق كما ذقنا

يسل علينا من لحاظ جفونه سيوفا أماتتنا و إن شاء أحيتنا

و شاد لو أن الراسيات سمعنه لخرت على الأذقان شوقا لما اشتقنا

يميل بنا فى كل واد من الهوى فيتر كنا نشوى و لا غرو لو متنا

و يتلو علينا و الغرام يهزنا أحاديث لهو أضحككتنا و أبكتنا

و ينشد مهما إن رأى الركب منجدا (قفوا قبل وشكك البين يبعدكم عنا)

فيا حبذا لو نالنا فيهم الأذى من الضد لو أنا شرقنا بما ذقنا

تعيرنا قوم بحب هداتنا و لو لا رسول الله و الآل ما كنا

بنى الوحى يا من بالقلوب لهم جوى مدى الدهر باق لا يبيد و لا يفنى

يمينا بكم انا نحب محبكم و نبغض قاليكم و إن غبتم عنا

و إن ضلت الأقوام عن منهج الهدى فانا بكم و الحمد لله أرشدنا

و إن عدلت عنكم أناس فانا على العهد كنا لا عدلنا و لا ملنا

و إن خاب من عاداكم يوم حشره فنحن بكم دون البريه قد فزنا

و إن نكثوا أيمانهم بعد عهدهم فنحن على العهد القديم كما كنا

فقل لرسول الله و الحق أبلج و برهانه أسنى من القمر الأسنى

محمد يا من جاء للناس رحمه و علمنا من دينه فتعلمنا

أغثنى و أنجز سيدي ما وعدتني و خذ بيدي يا ذا الكرامه و الحسنى

رويدا و لو لوث الإزار لعنا نودعكم فالقلب من أجلكم مضنى

تراه إذا ما قام فى القوم منشدا يدير كئوس اللفظ مملوءه معنى

و بتنا على فرش المسره و الهنا إلى أن قطعنا من ليلتنا و هنا

و حوراء تصطاد القلوب بمقله هى السحر إلا أنها لم تزل و سنا

إذا أقبلت تمشى الهوينا تعطفت كما الغصن من هنا تميل و من هنا

أتت تسحب الأذيال و الفجر ظاهر فتمشى فرادى و هو من خلفها مثنى

بدت من خلال السجف بيضاء طفله و من لحظها سيفا و من قدها لدنا

مهاه أعارت ظيه البان جيدها و علمت الميل المثقف و الغصنا

تعلقها قلبى فخالط حبها دمي فجرى دمعى عليها دما أقى

فيا عاذلى لو ذقت بعض صبايتى عذرت و ما خلو الحشاشه كالمضنى

و لكننى أرجو الخلاص من الهوى بمدح رسول الله شمس الهدى الأسنى

و مدح أمير المؤمنين وزيره و أبنائهم أكرم بهم ساده أبنا

فيا سائق الوجناء تعنق فى البرى رويدا - رعاك الله - يا سائق الوجنا

على قبر خير الرسل قف بى لعلى أعلل قلبا بالجوى و النوى معنى

و ما ذا على ريح الصبا لو تحملت رساله مشتاق إلى ذلك المغنى

لأكرم مبعوث إلى خير أمه بخير كتاب واضح اللفظ و المعنى

إلى المرسل الهادى البشير محمد أجل الورى شاننا و أثبتها ركنا

إلى خير خلق الله أحمدها و من دنا فتدلى قاب قوسين أو أدنى

نبى الورى الأمى أفضل من مشى و أشرف من لى و طاف و من... (1)

فتى جاء بالقرآن من عند ربه إلينا فأمنا هناك و صدقنا

و علمنا خير الورى أمر ديننا و أدبنا حبا لنا فتادبنا

و لما مضى عنا تخلف بعده علينا على و هو أولى بنا منا

على أمير المؤمنين و سيد الوصيين و الساقى على الكوثر الأهنى

إمام هدى تحيى القلوب بذكره و يجلى العمى عنا بأسمائه الحسنى

فتى لم تزل من زهده و عفافه سجيته فى الله لینه خشنا

فتى لم يخف فى الله لومه لائم و جاهد حتى قاتل الإنس و الجن

يمينا به لولاه لم ندر ما الهدى و لكن دعانا للرشاد فأمنا

فطرت على حب النبى و آله فألفيته فرضا و ألفتيه حصنا

جزى الله بالخيرات آباءنا على محبتهم من حيث أوصت بها الابنا

و من أمهات طاهرات من الخنا تؤدبنا فى حبههم فتادبنا

و إنى لمشتاق لتقبيل ترابه حوت منك ذاك النور أو يدك اليمنى

و قال يمدح أمير المؤمنين (ع):

لله صب بات ساهر و الدمع من عينيه هامر

لعبت بمهيجته الصبابه و الهوى الداء المخامر

ما جن فى معشوقه كجنونه مجنون عامر

كتم الغرام و دمه مبد لما تخفى السرائر

من لى باغيد لؤلؤى الثغر مسكى الغدائر

و مطرز الوجنات بالنعيمات مكحول النواظر

ذى غره مثل النهار و طره كالليل عاكر

و مجرد من لحظه ماضى المضارب و هو فاتر

قمر على غصن يميمس مهفهف الأعطاف ناضر

و نحيل خصر يشتكى من ردفه و الردف وافر

رام النهوض فعاقه و العجز بين الناس ظاهر

ظبى مراتعه مدى الأيام أوديه الخواطر

ألف التوحش و النفور و لا يزال الظبى نافر

و جفا فما هو مانحى وصلا و لا أنا عنه صابر

أخذ الفؤاد وليته أخذ البقيه و هو قادر

يا قلب صادق جؤذر يا حبذا صيد الجاذر

يا أيها الليث المدرع لا تلاق الظبى حاسر

سطواته لم تغن عنهن الدروع و لا المغافر

يا قاعه الوعساء ما فعلت ظباؤك بالقساور

تركتهم صرعى و ما لهم بحكم الحب ناصر

هذى سجيته كل معشوق و رب العشق صاغر

جاروا على و لم يزل قاضى الهوى فى الحكم جائر

قسما بكاظمه و رامة و العذيب و بطن حاجر

ما مال قلبى عنهم أبدا إلى باد و حاضر

إلا لحب أبى تراب قطب دائره المفاجر

نور النبوه و الامامه و الهدايه و البصائر.

ص: ٣٠٧

١- سقطت القافيه: كذا في الأصل.

و منزله الأعراض و الأمثال عن شبه الجواهر
قل لابن مكه و ابن زمزم و الصفا و ابن المشاعر
و ابن الهداه الأولياء المصطفين من العشائر
و ابن المصونات النقيات النقيات الحرائر
من آل عبد مناف أطهرهم و أطيبهم عناصر
و أخى المساجد و المدارس و المحابر و المنابر
و فتى الفضائل و المعاجز و الدلالات البواهر
زوج البتول أخو رسول الله أصفاهم سرائر
التارك الأسد ابن ود فاحصا فى الترب عافر
و مقصر خطو النمارده الفراعنه القياصر
و مكسر أيدي الغطارفه الجبابره الأكاسر
يا صاحب الأعراف و الأنفال و الشورى و غافر
أنت السفينه و الصراط المستقيم لكل عابر
لولاك دارت فى الوغى بالمسلمين رحى الدوائر
أيام أسد قريش جاءت و العتاه من العشائر
حتى إذا بلغت قلوب المسلمين إلى الحناجر
و تقدمت أسد العريكة بالأسنه و البواتر
و غدا الجبان مشمرا نحو الهزيمة ذيل صاغر
و غدا النبى مناديا و الدمع من عينيه هامر
أين الفوارس و الضراغم من لدين الله ناصر

و دعا بمقداد و سلمان و عمار بن ياسر
قال أدر كوني بالوصى فجاء حيدر مبادر
قال امض منصورا إلى الميدان و اقتل كل كافر
فمضى يهز حسامه شغفا و نقع الحرب نائر
فتراه و الهيجاء شب لهيها كالبحر زاخر
و كأنه أسد الفريسه لم يزل دامى الأظافر
يلقى الأسنه باسم طربا و ناب الموت كاشر
أسد يمر به جواد من جياذ الخيل ضامر
فكأنه من تحته فلكك من الأفلاك دائر
فهناك كم من دارع من بأسه قد ظل حاسر
و كتيبه منكوسه الأعلام كالبقر النوافر
و أتى إلى نحو النبي محمد بالفتح ظافر
خذها أمير المؤمنين هديه من كف شاعر
و إذا قبلت فان حظ (محمد) لا شك وافر
صلى الإله عليك ما سار الحجيج إلى المشاعر

الميرزا محمد على الحسينى الأصفهاني.

توفي سنه ١٣٠٢، و دفن في طهران، و هو ابن الميرزا محمد إسماعيل الأصفهاني القائني الأصل. و هو أحد العلماء و كبار الرياضيين في عهد ناصر الدين شاه، و من تلاميذ الملا على محمد الأصفهاني البارزين. و كان متمكنا في مجال الرياضيات القديمه و الحديثه، كما كان مجيدا لخط التعليق، و بارعا في رسم الأشكال الهندسيه. و لقد تتلمذ على يديه كثير من الفضلاء و الأمراء في زمانه في الرياضيات. و في مكتبه مجلس الشورى الوطنى عدد من كتبه بخط يده.

كان أهله من ساده قايين الأجلاء، و هاجروا إلى أصفهان و توطنوا هناك، و مهروا في الطب. كما عرف في أسرته الشاعر و الأديب و الخطاط. و قد ترجم له - باختصار - الميرزا على محمد صاحب (المآثر و الآثار). و من مؤلفاته الخطيه الموجوده:

١ - رساله الصبح و الشفق، بالفارسيه.

٢ - نهايه الإيضاح فى شرح باب المساحه من المفتاح، و المقصود هو (مفتاح الحساب) لغياث الدين جمشيد الكاشانى، بالعريه.

٣ - مشارق الأضواء، فى الهيئه. و قد كتبه بالعريه فى ثمانيه أبواب.

٤ - رساله الجيب و الظل.

٥ - رساله المسئولات، و تشتمل على ١٦٣ مسأله صعبه من المسائل الرياضيه. و يروى أن أغلبها من اسئله تلامذته.

٦ - استخراج أعمال الليل و النهار.

و كان من بين تلامذته النابهن الميرزا عبد الله الرياضى، و هو ابن الميرزا محمد، و الذى كان كذلك من أساتذه الرياضيات، و قد توفى سنه ١٣١١.

و كان للميرزا عبد الله كذلك تلميذ ممتاز هو الميرزا أسد الله المنجم الهزارجربى، و كان خطاطا حسن الخط بالاضافه إلى براعته فى فنون الرياضيات و استخراج التقويم.

الشيخ محمد كاظم بن عبد العلى التنكابنى

الملقب بعبد الكاظم.

ولد فى تنكابن، و درس فى أصفهان على كبار العلماء، و اختص بالشيخ البهائى و درس عليه بعض الكتب (كما سيأتى فى الإجازاتين).

له مباحثات علميه مع السيد مير الداماد، ذكرها بعض المؤلفين.

زار العتبات المقدسه قبل سنه ١٠٠٨ هـ، ثم سكن مشهد الرضا (ع) و توفى بعد ١٠٣٣ هـ.

له من المؤلفات:

١ - اللوح المحفوظ لأسرار كتاب الله المفوظ - فى الكلام. ٢ - اثنا عشره - فى معضلات العلوم. ٣ - العشره الكامله. ٤ - قانون الإدراك أو برهان الإدراك فى شرح تشريح الأفلاك. ٥ - الحاشيه على كتاب المحصوللفخر الدين الرازى. ٦ - شرح تذكره نظام الدين. ٧ - شبه الطفره. ٨ - حاشيه على تفسير فخر الدين الرازى. ٩ - رساله فى حقائق سوره الفتح.

١٠ - رساله فى أصول الدين.

و كتب له أستاذه الشيخ البهائى - فى نهايه "رساله فى أصول الدين" و "رساله فى حقائق سوره الفتح" إجازاتين: الأولى مؤرخه

فى سنة ١٠٠٨ هـ، و الثانى فى ١٠١٠ هـ، و حررت الرسالتان فى مشهد الرضا (ع).

و النسخه فى مكتبه السيد المرعى العامه فى قم، مذكوره فى فهرسها ٢٤٨/١١ ضمن مجموعته برقم ٤٢٥٠.

محمد محسن بن مرتضى بن محمود الملقب بالفىض الكاشانى

ولد عام ١٠٠٧، و نشأ أول أمره فى مدينه قم، ثم انتقل إلى مدينه

ص: ٣٠٨

كاشان، ثم إلى شيراز حيث درس على السيد ماجد البحراني و الملا صدرا الشيرازي صاحب الأسفار، و تزوج ابنته. و عاد إلى كاشان و بقي فيها إلى أن توفي سنة ١٠٩١.

افترق الناس في مدحه و قدحه و التعصب له و عليه فرقا.

يصفه صاحب المقابس بقوله: "الشيخ المحدث الأديب، و المفسر الباهر، و الحكيم المتبحر الماهر، الجامع لشتات المفاخر و المآثر".

و يصفه صاحب جامع الرواه بقوله: المحقق المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزله، فاضل كامل، أديب متبحر في جميع العلوم.

الشيخ محمد محسن بن الشيخ علي العاملي.

قال عنه في تكمله أمل الآمل:

عالم عامل فاضل محدث رجالي فقيه. عندي من مؤلفاته كتاب (مجمع الإجازات) جمع فيه ثلاث عشره إجازة من إجازات الكبار المشهوره، كإجازة العلامة لبي زهره الكبرى و إجازة الشيخ الشهيد الثاني لابن الخازن و إجازة الشهيد الثاني الكبرى للشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي و إجازة الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم الكبرى للسيد نجم الدين، و أمثال هذه الإجازات. جزاه الله خير جزاء المحسنين، و قد فرغ من تأليفه سنة ١١٢٥ في النجف الأشرف، و هي بخطه الشريف، و هو خط في غاية الحسن و الجوده و لا أعرف باقي تأليفاته و وفاته. (انتهى).

و هو كما ترى واحد من متقدمي العلماء العاملين الذين ضاعت آثارهم و فقدت أخبارهم، و ما أكثر أمثاله من الضائعين المفقودين... و لا ندري إلى أيه قريه من قري هذا الجبل ينتمي هذا العاملي.

الدكتور محمد مهدي البصير.

مرت ترجمته في موضعها من الجزء الأول من المستدركات و نزيد عليها هنا شيئا من شعره:

قال من قصيده:

يا صاحبي و هذي الضاد قد جمعت أبناءها و العلي فيهم علي كتب

أ يقدمون و هم أحمى الرجال حمى أم يحجمون و هذا أكبر العجب

فلا صغار إذا هم دونها ثبتوا و لا فخار إذا ألوا علي رغب

و لن يسان ليلث الغاب مريضه من الذئاب لو أن الليث لم يثب

و لا ألوم قويا فى تنكره إن قال لا حكم إلا فى يد الغلب

لكنما كل ذمى للضعيف إذا رام الحياه بلا كد و لا تعب

و لا حياه لنفس لا يحركها إلى الحماسه يوما باعث الغضب

لا حق للمرء فى مجد يحاوله إن شح بالنفس أو إن ضن بالنشب

و قال فى أعقاب مظاهرات عراقيه تحدث الإنكليز سنه ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) و أطلق فيها الإنكليز الرصاص على المتظاهرين:

غضبنا فتهنا نأثرين لغايه تهون المنافى عندها و المشانق

و رددت الأجواء قصف زئيرنا فردت عليه يا لدوى البنادق

فهل تنطق الزوراء و هى أسيره و تسكت عما تبتغيه المناطق

أ تمنع أبناء العمومه نصرها و ها هى كادت أن تضيق المخائق

أ ما لهم من حكمه الرأى قائد و ما لهم من قوه العزم سائق

و قال من قصيده:

كذبتك أقطاب السياسه عهدها فلتضمنن لك الحياه ظباكا

نقضت مطامعهم صداقتك التى من أجلها عقدت لهم اعداكا

لو أنصفوك وفوا بعهدك أنهم ربحوا قضيتهم بظل لواكا

أ فيطلبون لك الوصايه ضله ما كان أقصرهم و ما أحجاكا

و قال من قصيده:

خطب تهز الشعب هاتفه به ليهب هبه ناهض سباق

و يثور مشبوب العزيمه معلما و النصر فوق لوائه الخفاق

متطلعا للحق مفتديا له أزكى النفوس و أنفس الأغلاق

مستبسلا و الهام تحصدها الظبا حصد الخريف ذوابل الأوراق

يبغى الحياه بثوره فى ظلها يلقي الحمام بفرحه المشتاق

متكاتفاً رغم المكاييد واثقا بعزيز نصر الواحد الخلاق

و قال من قصيده يصف بها الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠:

بين الأسنه و القواضب شرف المبادئ و العواقب

فاض الفرات جحافلا و جرى (ديالى) بالمقانب

و احتلت المدن العديده فهى فى حكم المضارب

أهلا بخافقه البنود تظل زاحفه المواكب

أهلا بلامعه السيوف كأنها الشهب الثواقب

أهلا بابطال البلاد حماتها عند النوايب

دوا لنا الحق الذى ما أن نزال به نطالب

ردوه أن سيوفكم عوذ له من كل غاضب

ظنوا العراق فريسه و قد التقت فيها المخالب

و رأوه حر الرأى عف القصد محترم المذاهب

فتسلحوا لرجاله بمكائد الخصم الموارد

و سعوا لشق صفوفه مكرافكان السعى خائب

حتى إذا ما جاش كالتيار ملتطم الغوارب

كانوا كناكصه الذئاب يشلها الأسد المغاضب

و تراجعوا من بين مقتول و مأسور و هارب

و قال من قصيده:

بكيث لما انتاب البلاد و راعها من الشكل إذ فات أحرارها النصر

أ ما كنت تدري أن ذلك واقع إذا فشلت في قومك الوثبه البكر
فكفكف دموعا لست ممن يزيلها لتطفئ أشجانا يضيق بها الصدر
و عد بجميل الصبر أنك أهله فما لك من شكوى يتوج بها عذر
و إن أنت لم تملك دموعك صابرا فما أنت عندي ذلك الباسله الحر
و قال:

هون عليك فلا تفزعك إن طرقت دهم الخطوب و إن جل الذي دهما
فما استطالت إلى المجد الأثيل يد لا تنتضى السيف أو لا تحمل القلما

الشيخ محمد النمر بن ناصر.

اشاره

ولد سنه ١٢٧٧ في مدينه العواميه و توفي فيها سنه ١٣٤٨.

هو الشيخ محمد بن الحاج ناصر المتوفى سنه ١٣١٣ ابن الحاج على بن

ص: ٣٠٩

علي بن أحمد بن علي بن حسين بن عبد الله بن نمر بن عائد آل عفيصان من سكنه الأسلميه من قرى الخرج من نجد بالجزيره العربيه.

و أسرته هي إحدى الأسر الثلاث المنتميه إلى الإخوه الثلاثه نمر و فرج و زاهر أبناء نمر بن عائد بن عفيصان و كان جدهم عائد يتردد كثيرا بين نجد و الأحساء و القطيف و اتفق أنه ورد العواميه من قرى القطيف فطلب من أهالي العواميه أن يزوجه بامرأه منهم و أخبرهم أنه كان شيعيا متكتما فزوجه الشيخ محمد العرجان بنتا له فأولدها ولدا سماه نمر ثم أولد نمر هذا ثلاثه أولاد و هم نمر و فرج و زاهر و إليهم انتسبت الأسر الثلاث المشهوره هناك حتى اليوم و قد نبغ من هذه الأسر علماء و فضلاء أعلمهم و أشهرهم الشيخ محمد النمر و منهم أخوه الشيخ حسن المتوفى في شهر ذى الحجه الحرام سنه (١٣٢٧) و دفن في البحرين و منهم ابن أخيه الأديب محمد بن الشيخ حسن آل نمر نزيل مدينه الكاظميه المتوفى (١٣٩٧) " و هو أول رائد قطيفي للقصه أصدر جريده سياسيه (بهلول) في العراق و نشر له مجموعات قصصيه " و منهم الشيخ سعود بن محمد بن سلمان بن محمد بن حسين بن صالح آل فرج المتوفى سنه (١٣٣٥) و منهم الشيخ محمد بن أحمد بن محسن آل فرج كان قد تتلمذ عند الشيخ النمر أيضا مده من الزمن توفى سنه (١٣٦٦) و منهم الشيخ عبد الكريم بن حسين بن علي بن فرج بن نمر.

بلدته

تقع العواميه على بعد (٤) كم شمال غربى مدينه القطيف و تجاورها كل من القديح جنوبا و صفوى شمالا و الأوجام غربا و يحدها البحر من جهه الشرق حيث تفصل منطقه الرامس الزراعيه بين البحر و البلده. و يقدر عدد سكانها ب (٣٥٠٠٠) نسمة.

و أشهر أحيائها التاريخيه هو فريق الزاره الواقع في الجنوب الشرقي من البلاد و هو فريق مشهور في التاريخ الإسلامى و الجاهلى و قد أحرقها أبو سعيد الجنابى القرمطى عام (٢٨٣) في بدايه حركته حينما استعصت عليه.

و يذكر الشيخ البلادى في كتابه أنوار البدرين ص ٢٧٧:

أن القرامطه أغاروا على الزاره التى فيها ملك البلاد و حاصروها و غادوها الحرب صباحا و مساء و قد ضعف حاكم البلد عن قتالهم خارج البلد فحاصروها أربعة أشهر حتى افتتحوها عنوه فاشعلوا فيها النار جميعا فخربت البلد و هجمت بيوتها و تملكوا البلاد، و كان حاكمها من قبل من بنى عبد القيس من تميم و هم أهل البحرين (أعنى الأحساء و القطيف و أوال) فعمدت القرامطه إلى فريق من بنى عبد القيس فحرقوهم بالنار و صارت الزاره خرابا ثم حدثت بعد خرابها القرية المعروفة بالعواميه أول من سكنها و عمرها أبو بهلول العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج أحد بنى عبد القيس و هو الذى أخذ جزيره أوال من القرامطه و استولى عليها بعد ضعفهم و أدبار دولتهم فنسبت إليه و بقيت الزاره خرابا، ثم صارت نخيلا و أشجارا و أنهارا تبعا للعواميه.

و يذكر صاحب كتاب (ساحل الذهب الأسود ص ٥٢) أن أول من عمر العواميه (بهذا الاسم) هو العوام بن محمد بن يوسف الزجاج فى أوائل القرن الخامس الهجرى فنسبت إليه، أو لعلها نسبت فى الأصل إلى أبى الحسن بن العوام زعيم الأزدي و أمير

الزاره. و يحدثنا (المسعودى) عن كيفية إسلام هذه المنطقه و يذكر (الزاره) فيقول أن (رباب السبتى) و (بحيره الراهب) من بنى عبد القيس كانا على دين النصرانيه، و قد لقي المنذر بن ساوى رباب السبتى بسوق الزاره فأخبره عن قرب موعد خروج نبي من العرب بمكه المكرمه و أخبره بالعلامات الوارده فى الكتب المقدسه، فلما سمع بمبعث الرسول (ص) بعث ابن أخته إلى مكه للتأكد من صحه هذه العلامات... فأسلم ابن أخته و عاد إلى خاله و أخبره فأسلم هو الآخر، ثم عمل الاثنان على استماله قومهما إلى الدخول فى الإسلام حتى ورد إليها العلاء بن الحضرمى مبعوث الرسول (ص) سنة (٦) فدخل أهلها فى الإسلام و كان على رأسهم المنذر بن ساوى ملك العرب، ثم أوفد أهلها وفدا التقى برسول الله (ص) و دعا لهم و وجههم فى أمور دينهم.

و لهذه البلده تاريخ من البطوله و التحدى فلقد رضع ابناؤها حليب الرفض للظلم السعودى و كانت و ما زالت قلعه الرفض لطغيان آل سعود.

و يمكن القول أن ثوره العواميه التى قادها الشيخ النمر من أبرز الأحداث السياسيه التى ترجمت عمليا الرفض المقدس.

و حادثه اخرى حدثت فى محرم (١٣٩٩) حينما منع الأهالى سيارات الإرهاب السعودى من الدخول إلى البلده و هاجموا كل السيارات التى دخلت بالعصى و الحجاره. فكان أن اعتقل أكثر من (٦٠) شخصا لمدته تزيد عن الأربعة أشهر.

و تكررت المواقف البطوليه فى محرم (١٤٠٠ هـ) حيث كانت انتفاضة المنطقه الشرقيه البطله فسيطر المتظاهرون على مركز الشرطه الموجود فى منطقه الرامس (شرق البلاد). و قطعوا الامدادات و التموين العسكري للنظام عن مدينه صفوى. و العواميه هى المدينه التى لم يتجرأ جندى من جنود الحرس الدخول إليها أيام الانتفاضة إلا بعد الاستعانه بالطائرات الهليكوبتر العسكريه.

نشأته العلميه

تربى الشيخ النمر فى حجر والده الذى غرس فى نفس ولده الالتزام بالدين و التحلى بالأخلاق الحميده الفاضله و الملكات الرشيده و قد زارهم ذات مره الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طعان البحرانى (المتوفى يوم عيد الفطر سنة ١٣١٥ هـ). فتوسم فيه الصلاح و النجاح و اللياقه لتحصيل العلوم و الاستعداد التام لادراك المعارف الدينيه فأشار على والده أن يفرغه لطلب العلم الدينى و قد كان هذا الشيخ المذكور نازلا فى قريه القديح بجوار قريه العواميه (التى يسكنها الشيخ نمر و أبوه) فهياً له أبوه دابه و خادما يصحبه لأنه كان مكفوف البصر من صغره.

و لعل الجزء الأكبر من الفضل يعود إلى أبيه الذى شجعه على طلب العلم و قبله يعود إلى الشيخ آل طعان.

و هكذا أخذ يحضر كل يوم عند ذلك الشيخ الجليل و يتلقى على يديه مقدمات للعلوم الدينيه فقرأ عنده النحو و الصرف و المنطق و البيان كما تلقى بعض هذه الدروس أيضا عند الشيخ على بن الشيخ حسن آل الشيخ سليمان

البحراني و بعد أن انهى هذه الدروس. شد الرحال من وطنه إلى النجف الأشرف.

و بقى فى النجف الأشرف قرابه خمسہ عشر عاما يطلب العلم على يد كبار العلماء و اجلائهم، منهم الشيخ محمد طه نجف النجفى، الذى أجاز له روايه الحديث و الشيخ محمود ذهب و الشيخ ملا هادى الطهرانى، و له إجازة فى روايه الحديث - أيضا - من السيد محمد الهندى النجفى المتوفى سنه (١٣٢٢).

و غيره من العلماء.

كما درس الفقه و الأصول و الحكمه و الكلام و سائر العلوم الرياضيه و منها علم الهندسه على يد الشيخ أبى المجد المعروف بآغا رضا الأصفهاني و قد ألف الشيخ بعدها كتاب التعليقات الكافيه على القوانين و الكفايه. و تعليق على كتاب الإشارات لابن سينا فى مقام الاستدلال على بطلان وجود ما لا يتناهى من الامتداد الجسماني.

و قد درس الطب القديم أيضا عند الميرزا محمد باقر بن الميرزا خليل بن الميرزا حبيب الله الطهرانى النجفى طيله المده التى كان متواجدا فيها فى النجف و هى خمسہ عشر عاما.

ثم عاد إلى البلاد فافتتح مدرسه للعلوم الإسلاميه أخذ يدرس فيها البحث الخارج، انضم إليها الكثير من الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد من أرباب العلم و الفضيله، فيهم الخطيب و الكاتب و الطالب. (١)

و قد أوقف أكثر الأموال التى بين يديه لطلاب العلم من أهل بلاده و قد اختلست ظلما بعد وفاته من قبل سلطات الجور الباغيه و لا يزال أهالى العواميه يعرفون و يذكرون بعضا من ذلك. و قد قاوم الاضطهاد السعودى لأهل القطيف مقاومه عنيفه.

تلاميذه

إشاره

تتلمذ على يديه الكثيرون منهم:

١ - الشيخ حسن على بن الشيخ عبد الله البدر (المتوفى سنه ١٣٣٤) فى الكاظميه.

٢ - الشيخ منصور ابن الحاج على المرهون (المولود سنه ١٢٩٤ هـ - المتوفى ١٣٦٢).

درس عند الشيخ النمر و الشيخ البدر ثم هاجر إلى النجف الأشرف و بقى (١٥) سنه ثم عاد إلى القطيف و هو أحد الخطباء المشهورين فى ذلك الوقت.

له الكثير من القصائد فى رثاء الرسول (ص).

٣ - الخطيب الشيخ عيسى بن الحاج محمد السنى التاروتى (المولود سنه ١٣٠٥ هـ و المتوفى سنه ١٣٥٥).

٤ - الشيخ الملا حسن بن الحاج عبد الله بن حسن ربيع الخطي توفي سنة ١٣٦٢.

له ديوان مطبوع بعنوان الزهور الربيعيه فيه قصائد فى رثاء آل البيت.

٥ - الشيخ محمد حسين بن الشيخ حسين آل عبد الجبار البحرانى القطيفى (المولود سنة ١٣٠٠ و المتوفى سنة ١٣٨١).

درس فى القطيف لدى الشيخ ناصر نصر الله و الشيخ أحمد بن على بن عطيه و الشيخ النمر ثم درس فى النجف على يد السيد مهدي آل بحر العلوم و الشيخ جعفر السودانى و السيد رضا الهندى و الشيخ الأنصارى و الشيخ عبد الهادى كاشف الغطاء و الشيخ ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه.

له شرح واسع على أصول الكافى فى (١٤) مجلدا.

٦ - الشيخ حسين بن الشيخ على بن الشيخ حسين القديحى البحرانى (المولود ١٣٠٢ و المتوفى سنة ١٣٨٧).

ولد فى النجف الأشرف و هو ابن الشيخ على صاحب كتاب أنوار البدرين فى تراجم علماء القطيف و الأحساء و البحرين.

درس العلوم الدينيه على يد والده و الشيخ النمر و علماء آخرين.

له مؤلفات منها: كنز الدرر - رياض المدح - الرثاء - نزهه الناظر - معاده الدارين فى أحوال مولانا الحسين - المجموعه الحسينيه - مجمع الفؤاد - و مؤلفات دينيه أخرى.

و له شعر فى رثاء أهل البيت عليهم الصلاه و السلام.

له إجازات من كبار العلماء منهم:

السيد أبو تراب الخوانسارى النجفى، السيد حسن الصدر الكاظمى، الشيخ محسن الطهرانى المعروف بآغا بزرگ الطهرانى و إجازات أخرى عديده.

دفن فى مقبره بلاده القديح.

٧ - الشيخ سعود بن محمد سلمان الفرج المتوفى فى سنة ١٣٣٥.

درس عند الشيخ النمر بعد ما تجاوز عمره الثلاثين ثم هاجر إلى النجف و مكث قرابه العشرين عاما، توفى و دفن فى مقبره بلاده العواميه.

٨ - الشيخ محمد أحمد الفرج المتوفى سنة ١٣٦٦ من خطباء المنبر الحسينى. و كان يعرف بالشيخ محمد المؤمن.

قال من قصيده في رثاء الامام الحسين (ع):

لهاشم يوم الطف ثار مضيع و في أرضه للمجد جسم موزع
هجمت فلا ثار لك اليوم مدرك و نمت فلا مجد لك اليوم يرفع
و هذى بنو حرب أدارت لك الردى كنوسا و لا كاس بك اليوم تجرع
و تلك الظبا اللاتي شحذت حدادها لأنف الإبا من مجدك اليوم تجدع
و تلك القنا اللاتي أقمت كعابها بصدر العلى من عزك اليوم تفرع
فنهضا فان العز أن تنهضوا لها و إلا فان الكف للنفس أنفع
سنتم بيوم الفتح صفحا فأصبحت نساء بنى حرب من السبى تمنع
فتلك بها اللاتي أشادت بها الظبا مضارب من هام السماكين أرفع
برغم الهدى أمست و لا دون خدرها قريع و غى عنها يذب و يدفع
لقد هجمت حرب عليها خباءها فكم برقع عنها يماط و يرفع
و كم حره كالشمس تدمى بوكزها و كم طفله كالبدن بالضرب توجع
و كم تاكل عزت ثكولا و رضع لها انتحبت عن بله الثدى أدمع
و كم من خبا أمسى إلى النار موقدا بحيث غدت فى وجه عزك تسفع

ص: ٣١١

١- فى تلك الفترة كانت القطيف تسمى "النجف الصغرى" لكثرة من فيها من علماء و مجتهدين و مراجع كبار.

بقفر به لم يحجب الشمس حاجب فوجه الثرى كالشمس ما الشمس تطلع

و عاطشه وددت بان دموعها تبل بها حر الغليل و تنقع

و مدهشه بالخطب حتى عن البكاء أذيب به منها فؤاد موزع

و مزعجه من هجمه الخيل خدرها تضم الحشا بالراحتين و تجمع

و موحشه باتت على فقد قومها تنوح كما ناح الحمام و تسجع

"ملخصه عن دراسته لمحمد العوامى"

محمود بن الحسين المعروف بكشاجم.

مرت ترجمته فى الصفحه ١٠٣ و ما بعدها من المجلد العاشر. و نزيد عليها هنا الدراسات الآتية مكتوبه بقلم الدكتور ثريا ملحس، و هى بعض ما كتبه عنه فى رسالتها الجامعيه النفيسه التى نالت بها شهاده الدكتوراه فى الآداب و التى كانت من أفضل ما صدر من دراسات ادبيه.

اسمه، و كنيته و لقبه

لقد اتفق جميع نساخ ديوان كشاجم و مؤلفاته التى استطعنا أن نطلع عليها، من أقدمها نسخا إلى أحدثها، على أن اسم كشاجم هو محمود بن الحسين، و أن كنيته هى أبو الفتح، و أنه الكاتب المعروف بلقبه كشاجم الذى أصبح علما له، و أنه، كما تبين لنا، منتسب إلى السندى بن شاهك.

كذلك اتفق جميع الذين التقاهم من الأصدقاء الشعراء و الأدباء و المؤرخين على اسمه و كنيته و لقبه العلم المعروف به. و لعل الشاعر الأنطاكى الحلبي الصنوبرى الذى قامت بينه و بين كشاجم المطارحات، و المساجلات، و المعارضات، و المعاتبات، و المهادات، هو أول من عرفنا بكنيته "أبى الفتح"، فى إحدى معاتباته الشعريه، كذلك بلقبه كشاجم. و قد يكون المسعودى المؤرخ أقدم من عرفنا بكشاجم، ممن التقوه، تعريفا حسنا، فقال: هو "أبو الفتح، محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك، الكاتب المعروف بكشاجم، و كان من أهل العلم و الروايه و المعرفه و الأدب"، و قد أخذ عنه الروايه. كما روى له من لطائفه الشعريه مما يناسب المقال. و قد تبين لنا أن أبا محمد المظفر بن نصر بن سيار الوراق، روى لكشاجم نحو ١٣٣ بيتا فى كتابه الطبخ مما يناسب المطبوعات، و المأكولات، ذاكر كنيته و اسمه، و أحيانا لقبه، و أن بعض المرويات سمعها من كشاجم نفسه. أما أبو بكر الزبيدى فقد سمع منه خبرا عن أبى الحسن الأَخفش النحوى، أستاذ كشاجم، فرواه فى طبقاته. و نرجح أنه التقى السرى الرفاء الموصلى الشاعر بالموصل، أو ببغداد، أو بحلب. و كان السرى أحد المعجبين بشعر كشاجم، إنما لم يشر السرى الرفاء فى ديوانه إلى ما يوحى بذلك، غير أن روايه الثعالبي فى يتيمة، عن علاقه السرى الرفاء بكشاجم، قد تناقلها الرواه، و المؤرخون، و كتاب السير حين كانوا يكتبون عن السرى، فكان السرى فى طريق كشاجم يذهب، و على قلبه يضرب، على حد قول الثعالبي، كما نرجح أن السرى الرفاء، بعد موت كشاجم، راح ينسخ ديوانه، و يورقه، و يرتزق به،" و هو إذ ذاك ريحان

أهل الأدب بتلك البلاد". أما لقاء الثعالبي كشاجم فقد تبين لنا عدم صحته. و لعل الناسخ أضاف حرفي " النون و الياء "في" أنشدني"، أو لعله أسقط لفظه " ابن"، فالمعروف أن ابن أبي الفتح كشاجم، أبا الفرج، كان يروي أشعار أبيه و ينشدها. أما الأدباء و النقاد و المؤرخون القدماء الذين عاشوا في أواسط القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)، حتى أواخره، ممن لم يلتقوا كشاجم، فقد اتفقوا جميعا كذلك على كنيته، أبي الفتح، و على اسمه، محمود بن الحسين، و على لقبه العلم، كشاجم. و قد ذكره في سياق ما روه له من شعره. و لعل أقدمهم الناقد أبو الحسن الجرجاني في وساطته، و قد أشار إلى بعض استعارات كشاجم الحسنه، مفضلا إياها على استعارات المتنبي في مثلها، في صفه السحاب، و في وصف الكمال، و قد اتهم الجرجاني المتنبي بسرقة معناه.

ثم روى شعر كشاجم أبو الحسن الشمشاطي في أنواره، و أبو عبد الله الحسن بن الحسين بازيار العزيز الفاطمي (ظنا) في بيزرته، و أبو علي الحاتمي في رسالته، و الشابشتي في دياراته، و أبو هلال العسكري في معانيه.

أما أبو بكر الخوارزمي فكان من المعجبين بشعر كشاجم و لطائفه، و كان يرى أنه لا بد للمتخرج في الشعر من معرفه " لطائف كشاجم"، و قد جعله أحد الفحول الشعراء، حين عددهم، بجملته المشهوره التي شاعت بين الرواه، و هي: "إن من روى حوليات زهير. و اعتذارات النابغه، و أهاجي الحطيئه، و هاشميات الكميت، و نقائض جرير و الفرزدق، و خمريات أبي نواس، و تشبيهات ابن المعتز، و زهديات أبي العتاهيه، و مراثي أبي تمام، و مدائح البحترى، و روضيات الصنوبرى، و لطائف كشاجم، و قلائد المتنبي، و لم يتخرج في الشعر، فلا أشب الله قرنه!" أما النديم(1) في فهرسته فترجم له باختصار شديد، مشيرا إلى بعض مؤلفاته، بقوله: أن كشاجم " هو أبو الفتح، محمود بن الحسين، و أدبه و شعره مشهور، و هو من ولد السندي بن شاهك".

تحدثوا عن كشاجم

أما الأدباء و المؤرخون و الباحثون، من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، إلى القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، فقد لهجوا بذكر كشاجم الشاعر، و تناقلوا شعره، و روه في مؤلفاتهم مما يناسب المقال، فبلغ أشده، كما تجاوز عند بعضهم المئات. فالعمرى، على سبيل المثل، جمع شعرا لكشاجم في مسالكة نحو ٣٤٣ بيتا، و قد قال: و هي "من جيد ما وقع لى من صالح أشعاره". أما الحصرى القيرواني في زهره و ذيله، فبلغ ما رواه نحو ٣٤٠ بيتا، كما بلغ في كتب الثعالبي المختلفه ما يقارب ١٨٧ بيتا، و في قطب السرور للرقيق النديم ما يقارب ١٠٩ أبيات، و في محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ما يقارب ١١٤ بيتا.

و قد راح الرواه يتناقلون شعر كشاجم، مشيدين بوصفه و بلطائفه، و جميعهم اتفقوا كذلك على أنه محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك، المعروف بأبي الفتح كشاجم، و أنه من أكابر الشعراء المحدثين.

فإذا كان النديم أقدم مترجم لكشاجم في القرن الرابع الهجري، فلما ذا لم يترجم له الثعالبي؟ و بناء عليه نرجح أن ترجمته قد سقطت من اليتيمه

١- من المفيد أن نذكر أن بيار دودج قد صوب الخطأ الشائع في حقيقه اسم صاحب الفهرست بعد أن عشر على مخطوط بيتي (Beatty) للفهرست، و الصحيح هو النديم، و ليس ابن النديم.

المنشوره. و لعل سقوط ترجمه كشاجم من مخطوط (بيتي) للفهرست، و ثبوتها في المخطوط الذي اعتمده (فلو غل)، ما يعزز قولنا. كذلك يعزز قولنا موقف الثعالبي من كشاجم في كتبه الكثيره، و إعجابه الشديد به، و استحسان معانيه و أوصافه و لطائفه، و كثره استشهاده بشعره. و لم يستدرك ترجمته بعد الثعالبي أحد من المؤرخين القدماء، و كتاب السير في أمهات كتبهم، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، و معجم الأدباء لياقوت الحموي، و وفيات الأعيان لابن خلكان، و فوات الوفيات للكتبي، و الوافي بالوفيات للصفدي.

و نرجح أن الترجمة قد سقطت في القرن الخامس أو السادس، قبل معجمي الخطيب البغدادي و ياقوت الحموي، لذلك لم يصف كتاب القرن الخامس كثيرا إلى ما عرفناه من قبل. و ظل الرواه يروون شعره، و يذكرون لقبه، و يعرفون ذلك اللقب بقولهم، كما قال الحصري القيرواني في جواهره:

" هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندی"، "الكاتب المعروف بكشاجم".

و في القرن السابع، حيث ألف ياقوت الحموي، و ابن خلكان معجميهما في سير المشاهير، لم يدون له أحد سيره، و لم ينتبه أحد إلى إسقاط ترجمته من اليتيمه، إنما حين أشار ياقوت في معجم الأدباء إلى كشاجم في سياق حديثه عن السرى الرفاء، نقل ما قاله الثعالبي في اليتيمه. أما في معجم البلدان فروى لكشاجم شعرا في حلب، و مصر، و في بعض أديره بلاد الشام و العراق و مصر. أما ابن خلكان فنقل كذلك روايه صاحب اليتيمه، أو ياقوت الحموي، في سياق حديثهما عن السرى الرفاء، كذلك نقل ابن خلكان في وفياته أخبار الصيد عن كشاجم في مصايده.

بهذا راح المؤرخون يرددون ما قاله كل من صاحب اليتيمه، أو صاحب معجم الأدباء أو صاحب الوفيات، أو صاحب [صاحب] شذرات الذهب منذ القرن الثامن الهجري حتى الحادي عشر الهجري.

فالذهبي اكتفى في عبره بقوله أنه أحد فحول الشعراء، و أن اسمه محمود بن الحسين، كما أن الكتبي لم يستدرك في فواته على ما فات ابن خلكان في وفياته.

أما ابن خلدون في تاريخه، فقد قلب اسم كشاجم، و جعله الحسين بن محمود المعروف بأبي الفتح كشاجم، و لم يشر أحد إلى تصويبه.

و لعل الجملة التي أطلقها الغزولي في القرن التاسع الهجري قد شغلت الباحثين، و الكتاب، فتناقلها المؤرخون لسيف الدوله، و لبلاطه، و اشتهرت عبر القرون، و ذاعت، مما جعل الكثيرين يتوهمون أن كشاجم كان طباح سيف الدوله! قال الغزولي في بدوره، أنه اجتمع لسيف الدوله " ما لم يجتمع لغيره من الملوك، فكان خطيبه ابن نباته الفارقي، و معلمه ابن خالويه، و مطربه الفارابي، و طباحه كشاجم، و خزان كتبه الخالديان، و الصنوبري، و مداحه المتنبى و السلامي، و الوأواء الدمشقي، و الببغاء، و النامي، و ابن نباته السعدي، و الصنوبري، إلى غير ذلك".

أما السيوطي فهو أول من كنى كشاجم أبا نصر، نقلا عن روايه التيفاشي في هديله. و لعل التيفاشي توهم ذلك، فالمعروف عن كنيه كشاجم أنها أبو الفتح، و أن كنيه جده الأكبر، و جده، و ابنه، أبو نصر، مما جعل بعض الباحثين المحدثين يقفون في حيره،

و يشيرون إلى غير كنيه لكشاجم، أما الصواب فكان لكشاجم كنيه واحده، و هي أبو الفتح. و السيوطى كذلك أول من نسب كشاجم إلى محمد، و جعله والده، نقلاً عن روايه التيفاشى، فقال: كشاجم هو محمود بن محمد بن الحسين بن السندى بن شاهك، يكنى أبا نصر"، أو لعل التيفاشى أشار إلى كنيه السندى بن شاهك، فنقله السيوطى، و وضع لفظه "يكنى"، و لم نطلع على سجع الهديل، لعدم وجوده، مرجحين أنه لا يزال مخطوطاً.

أما حاجى خليفه فى كشفه، فذكر لكشاجم مؤلفاته مكرراً كنيته، و اسمه، و لقبه كالاتى: "هو أبو الفتح، محمود بن الحسين المعروف بكشاجم".

و لعل ابن العماد شاء أن يروى ما قاله جميع الرواه فى سيره كشاجم، دون حسم أى خبر أو روايه. و لعله أول من أشار إلى كنيه أخرى له و هي أبو الحسين، فأضافها إلى أبى الفتح المعروفه، إنما بقى اسمه محمود بن الحسين بن السندى، أحد فحول الشعراء. و فى حديثه عن السرى الرفاء نقل، كغيره، ما قاله الثعالبي فى يتيمة، أو ياقوت الحموى فى معجمه، أو ابن خلكان فى وفياته، بان السرى كان مغرى بنسخ ديوان كشاجم الشاعر المشهور، ريحان الأدب بتلك البلاد.

و أول من كناه أبا الفتوح (بالجمع)، هو محمد بن الحسن الحر العاملى فى أمله، و لعله تكريم لتشيع الشاعر كشاجم! و لم ينقله عنه فيما بعد سوى مصدر شيعى آخر هو السيد حسن الصدر فى تأسيسه.

و لم نستطع أن نعرف عن كشاجم من المصادر التى أطلعنا عليها، التاريخيه، منها، و الموسوعيه، و المعجميه، و الأدبيه، من القرن الرابع الهجرى حتى الثانى عشر الهجرى، سوى ما حسمنا حوله الخلاف فى اسمه، و هو محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك، و أن كنيته هي أبو الفتح، و أن لقبه العلم هو كشاجم، بالاضافه إلى ما عرفناه فى الفصل السابق بان شاهك هو ابن زادن بن شهريار الرازى الفارسى الساسانى.

و لعل أول من أشار إلى مهاراته و عددها هو الحصرى القيروانى فى جواهره، و ابن مكى فى تثقيفه(١). ١١٧٤٤ - ١١٧٨ و لعل ابن مكى أول من أشار إلى أن كشاجم طلب علم الطب بعد ذلك، حتى مهر فيه، و "صار أكبر علمه، فزيد فى اسمه طاء من طيب. و قدمت على سائر الحروف (من كاتب، شاعر، أديب، منجم، مغن)، لغبه الطب عليه، فقيل طكشاجم، و لكنه لم يسر كما سار كشاجم". أما أول من أشار إلى أنه كان مجاهرا فى شيعيته فهو ابن شهر آشوب فى معالمه، و أول من روى أن ديوان كشاجم كان مصدر ارتزاق لدى النساخ هو الثعالبي فى يتيمة، كما كان شعره مصدرا للتعزیه و الترفيه(٢)! عن النفس، حسب ما قاله أحد أهل العصر، و قد يكون الثعالبي أول من أخرج من شعره ما نسب إلى الخالدين الشعراء..

و لعل الثعالبي كذلك كان أول من أشار إلى أنه كان لكشاجم ولدان أبو نصر، و أبو الفتح.

أما أول من ذكر مؤلفات كشاجم فكان النديم فى فهرسته، و قد أشار إلى الديوان الذى بلغ مائه ورقه، و كتاب أدب النديم، و كتاب الرسائل، و أول من أشار إلى كتاب كشاجم فى الغناء و الطرب هو الحصرى القيروانى فى جواهره، بقوله: "و له فى الغناء كتاب مليح". و لعل ابن خلكان أول من أشار إلى كتابه المصايد و المطارد حين روى عنه. أما القلقشندى فهو أول من أشار إلى كتاب "كنز الكتاب"، و فى القرن الحادى عشر الهجرى جمع حاجى خليفه لكشاجم مؤلفاته المعروفه فى عصره، و ذكرها جميعا، ما عدا كتاب الرسائل، و كنز الكتاب، مضيفا إلى مؤلفاته كتاب خصائص الطرب، كتاب الطيخ (الذى ورد مصحفا بالصحيح)؛ كتاب الطرديات فى القصائد و الأشعار.

مولده و وفاته

و تبين لنا بعد التنقيب، و البحث، و التحقيق، أن كشاجم ولد ببغداد فى حدود سنة ٢٨٠ هـ، و توفى فى حدود سنة ٣٤٨ هـ بمصر، حيث استقر فى أواخر حياته.

و من المفيد أن نشير إلى أن كشاجم ظل يرحل متنقلا بين بلاد العراق و الشام و مصر، يستقر فى إحداها مده من الزمن، ثم يتركها، ليعود إليها مره أخرى. إنما من الواضح أن كشاجم كان قد انطلق من بغداد، حاضره الخلافه، حيث كانت له دار، على شط دجله، على حد تعبيره(٣)، و يبدو أنه كان يعيش ببغداد فى الجانب الشرقى حيث دور الخلافه، و دور رجالها(٤). و من المفيد أن نشير إلى تفرد سامى الدهان بتحديد سنة ٣٤٠ هـ، تاريخا لوفاته، و بتحديد مكانها بحلب، حيث استقر. أما محمد أسعد طلس فقد تفرد كذلك بتعيين تاريخ لولاده كشاجم، و أخرى لوفاته، فذكر فى ابحاثه أن كشاجم ولد فى حدود سنة ٢٩٥ هـ، دون أن يدلى بالأسباب المقنعه، و أنه توفى سنة ٣٥٨ هـ، أو ما بعدها، كذلك دون أن يقنعنا بالسبب الذى اعتمده، ففى رأيه أن كشاجم هجا كافورا، و أن كافورا لم يتول السلطه المطلقه إلا قبل وفاته بقليل، و قد توهم الكاتب حين أشار إلى هجاء كافور الإخشيدى، أما الصواب فهو هجاء لأحد غلمان كشاجم، و كان يدعى كافورا، و يبقى سؤالنا قائما: أ فلا يستطيع كشاجم أن يهجو كافورا قبل استقلاله المطلق بالملك سنة ٣٥٥ هـ؟! على أننا نعلم أن الإخشيد محمد بن طغج قد عهد إلى كافور بالوصايه على ولديه أنوجور (محمود)، و على، لأنهما كانا قاصرين، و كان كافور، كما يخبرنا التاريخ، قد استأثر بالملك منذ موت الإخشيد سنة ٣٣٤ هـ! و من المفيد كذلك أن نذكر أن المؤرخين و الباحثين، ممن اختاروا سنة ٣٦٠ هـ تاريخا لوفاته، إنما فعلوا ذلك توهمًا منهم أن ابن كشاجم هو كشاجم، فاختلط عليهم الأب و ابنه، و قد ذكر الثعالبي أبا نصر بن أبى الفتح كشاجم، و روى له ما يقارب ٦٦ بيتا، كما روى أخباره أبو على التنوخى فى نشواره فى الستين بعد الثلاث مائه، حين كان كاتبًا لأبى على

الأعصم القرمطى فى بلاد الشام، و فى رمله فلسطين خاصه.

و أخيراً، نشير إلى إعجاب كشاجم بحلب، حيث بنى فيها داراً، و امتلك أرضاً و بستاناً، كما جاء فى شعره (٥) و كان كشاجم يصف طبيعه حلب (٦) فى جميع فصولها، و يصف ربيعها، و هو فى غايه من الفرح و الانشراح النفسى، و يصف نهرها قويق، و يتغنى بجمال طبيعتها، مما جعل بعض المؤرخين يرددون قصيدته فى حلب، و يعتبرون ما قاله فيها و فى طبيعتها من أروع ما قيل فى حلب. فلو عاش كشاجم حتى الخمسين بعد الثلاث مائه، و علم بخراب حلب حين دخل إليها نقفور فوكاس الرومانى سنه ٣٥١هـ، و دمر قصورها، و نهب محتويات خزائنها، و أثاثها، و تحفها، و ذخائرها، و استباحها، بحيث لم ينج منها إلا من صعد القلعه، ثم تركها ركاما من خراب، أما كان قد ناح كشاجم على البلده التى أحب، و التى غنى بساكنها و أشجارها، و نهرها، و زهورها، و ربيعها، أو رثاها باكيا، و هو الذى رثى و بكى قمريه الذى مات، و طاوسه الذى هلك، و منديله الذى سرق! فانى له أن يسكت عن دمار حلب الحبيبه، عاصمه الشعراء و الأدباء!!؟

ص: ٣١٤

١- ابن مكى، تثقيف اللسان و تليح الجنان (ط القاهره، ١٩٦٦ م)، ١٣٨ (قال أن كشاجم " لقب له، جمعت أحرفه من صناعته، أخذ الكاف من كاتب، و الشين من الشاعر، و الألف من أديب، و الجيم من منجم، و الميم من مغن". كذلك كان أول من صوب أقوال الرواه فى حركه الكاف، فقال إن الصواب فتح الكاف، لا ضمه.

٢- قال بعضهم: يا بؤس من يمنى بدمع ساجميهى على حجب الفؤاد الواجم لو لا تغلله بكأس مدامهو رسائل الصابى و شعر كشاجم

٣- ديوان كشاجم (ط بغداد)، قط ٣٨٨، البيت ٦٧، يخاطب فيه الوزير ابن مقله: و قيل كن جار بحر أو قنا ملكو أنت جارى و مثوانا على دجله

٤- ابن حوقل، كتاب صوره الأرض، ٢١٦، قال أن الجانب الغربى من بغداد كان لأهل اليسار، و معظم مساكن التجار، أما الجانب الشرقى فكان لدور الخلافه، و لمن بيده حال من اسم المملكه. (م. ن، ٢١٦ و ٢١٧).

٥- ديوان كشاجم (ط بغداد)، قط ٢٢١ (٢٦ بيتاً)، يمدح صديقه أبا بكر الصنوبرى و هو بحلب، و فيها يقول: و لى أرض و بستانو نهر فيه ما يجرى

٦- م. ن، قط ١٧٨ (١٧ بيتاً)، يصف مدينه حلب بالمطلع: أرتك يد الغيث آثارها و أعلنت الأرض أسرارها و فى البيتين ١٠ و ١١، قال: و ما أمتعت جارها بلدهكما أمتعت حلب جارها هى الخلد تجمع ما تشتهىفزرها فطوبى لمن زارها!

ولدا كشاجم أبو الفرج و أبو نصر

لم يذكر كشاجم فى شعره من أولاده مباشرة سوى ولد واحد دون أن يسميه، لعله أبو الفرج، و لعله كان بكره. و من المفيد أن نذكر أن كشاجم أشار إلى "أصبيه كزغب الأفرخ" كانوا سببا عائقا فى طلابه المجد و الرتب، و الارتحال فى سبيلها. و قد تبين لنا أنه لم يبق منهم سوى اثنين، و قد شكوا الزمان، و ندب حظه، و عدم وصوله إلى الرتب العاليه التى يستحقها، إذ فضل أن يبقى مع صغاره مشفقاً عليهم، حدبا بهم:

و عاقنى عن طلابها أصيبه أبى فراقهم الإشفاق و الحذب

و لى قوادم لو أنى خدمت بها لأنهضتنى و لكن أفرخى زغب

! على أن كشاجم مدرك أنه استعجل الأولد قبل المال، و كان عليه أن يوفر لهم المال و الجاه قبل أن يروا النور، و يرى فى ذلك خروجاً و مخالفه لما جاء نصه فى القرآن الكريم، و قد بدئ بالمال قبل البنين: و إنما "أَلْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا".

و نرجح أن كشاجم رزق بأبى الفرج أولاً، و قد تبين لنا أن المقطوعه التى شاء النساخ أن يسموها فى مدح بعض أصدقائه، هى فى الحقيقه فى ولده أبى الفرج، من هذه المقطوعه اتضح لنا أيضاً أنه أول ولد، إذ فرج كربه، و جعله يستقر مده من الزمن، لولاه لظل كشاجم يرتحل من مكان إلى آخر، لكنه اختار أن ينعم بمجىء الولد الجديد، و كان بوده لو يجول الآفاق، و يجمع الأموال قبل مجىء الولد، لكنه تعجله، فخالف بذلك نص الكتاب كما مر بنا:

لولا أبو الفرج الذى فرجت به كبرى لما جفت لبود جيادى

و لجلت آفاق البلاد و جبتها حتى أكثر بالغنى حسادى

لكن سبقت به الثراء ففانتى و عجلت قبل المال بالأولاد!

خالفت ما جاء الكتاب بنصه فلذاك قد ملك الزمان قيادى

! و لعل ما فى البيت الثالث لدليل قاطع على أن أبا الفرج هذا هو ابنه المولود، و ليس صديقا كما ادعى النساخ! ثم يكبر أبو الفرج، و يرعاه أبوه، كما يرعى الأب الحنون الصالح ولده، و يرييه أحسن تربيته، متوسما فيه ما كان أبوه من قبل قد توسم فيه. و قد اختار لابنه أما حره، فاضله، كريمه الحسب، "ابنه النجباء"، فتقبله قبولاً حسناً، و شكر الله على عطيته الكبيره، و رزقه العظيم، و نعمه الكثيره:

ربيته متوسما فى وجهه ما قبل، فى توسمت آبائى

و رزفته حسن القبول مهنيا فيه عطاء الله ذى الآلاء

و غدوت مقتنيا له من أمه و هى النجبيه و ابنه النجباء

و قد وضع كشاجم لابنه منهجا يسير عليه، فكان له المربي، و المرشد، و المعلم، و قد عمرت مجالسه به، فكان يبهج به نهارا، و يريه أسباب العلياء، و كيف يصلها المرء، و يحدثه، ثم يزيه العلماء ليأخذ عنهم، فيتفوق على جميع طلاب العلم، حتى إذا أجن الليل، راح يسامر، و يحاوره، و حين ينتهيان من برنامجهما اليومي يعودان إلى البيت، فيدنيه إليه و يضمه، فكأنه يدني مهجته إلى مهجته، و احشائه إلى أحشائه، فيصبح كلاهما واحدا:

و عمرت منه مجالسي و مسالكي و جمعت فيه ماري و هوائي

فأظل أبهج في النهار بقربه و أريه كيف تناقل العلياء

و أزيه العلماء يأخذ عنهم فيبذ من يغدو إلى العلماء

و إذا أجن الليل بات مسامري و محاورى و ممثلا بازائي

فأبيت أدنى مهجتي من مهجتي و أضم أحشائي إلى أحشائي

و خوفا من أن يؤخذ عليه إعجابه بولده، و افتتانه به، أسرع ليقول أن إعجابه به مثل إعجابه بشعره، إذ كلاهما بعض منه. و ما الاعجاب هذا إلا صادر عن تعقل، و رزانه، لا عن خفه أو تهور:

و المرء يفتن بابنه و بشعره لكن هذا فتنه العقلاء!

و الوالد كشاجم يعتبر وجود ولده شفاء لما يصيبه من الجروح و الأسي، آملا أن يكون قربه في شدته و في رخائه:

روحي الفداء لمن إذا جرح الأسي قلبي أسوت به جروح أسائي

كبدى و تامورى (1) و حبه ناظري و مؤملى في شدتي و رخائي

على أن كشاجم، كما أشرنا إليه سابقا، لم يذكر في شعره سوى ولد واحد، إنما ذكر له الثعالبي في يتيمة، و هي أقدم نص، ابنين، هما أبو نصر و أبو الفرج، و كان الثعالبي يروي شعرا لمحمد بن هارون بن الأ-كتمي المصري فقال: " و له يهجو ابني كشاجم أبا النصر، و أبا الفرج"، و نرجح أنهما كانا بمصر بعد موت أبيهما، و لم ترقهما الأ-حوال، فرحل أبو الفرج إلى الرى (2) حيث التقى أبا بكر الحمدوني جامع ديوان والده، فأنشده لأبيه ٩٩ بيتا، ألحقها الجامع فيما بعد بالديوان، أما أبو نصر فرحل إلى الشام، و أصبح كاتب الأعصم أبي على القرمطي بالرمله.

أما المقرئ في مخطوطه المقفى فقد عرفنا بأبي الفرج الذي تحدث عنه كشاجم في شعره، كما ذكرنا سابقا، و قال أنه أحمد بن محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك بن زادن بن شهريار أبو الفرج بن أبي الفتح كشاجم. و ليس هناك ما يدعو إلى الشك في أن أبا الفرج هو أحمد بن أبي الفتح كشاجم. و كان أبو الفرج هذا بمصر أيام كافور، و أيام القاضي محمد بن عبد الله بن الخصيب و والده، و حين عرف أبو الفرج ما يتمتع به القاضي محمد من قوة الاحساس باللمس، و كان إذا صفع عرف من

يصفعه بوقع يده على رقبته، من غير أن يبصره، عمل فيه شعرا ليقول له أنه أيضا "يقرأ نقش فص الخاتم باللمس خاصة دون الرؤية"، فاتفق الاثنان في قضيه "بهرت عقول العالم" وقام بينهما نسب في تلك القضيه، فقال:

إني إلى القاضى أمت بحرمه هي بيننا نسب كفرض لازم

حس لطيف في قفاه و في يدي هو آيه بهرت عقول العالم!

فقفاه يفتقد الأكف بحسه و يداى تقرأ نقش فص الخاتم!

فإذا أخذنا بتلك الروايه، أخرجنا المقطوعتين اللتين نسبتا إلى كشاجم خطأ و سهوا، إذ إنهما لأحد ابنيه، لعله أبو نصر، و نرجح أن أبا الفرج الذين.

ص: ٣١٥

١- تامور لفظه فارسيه معربه معناها: روح، أو نفس، أو دم (ستانغس، فرهنك جامع، ٢٧٧ أ). و في الكنز المدفون، قال السيوطي: "يقال حرف في تامورك خير من عشره في وعائك". التامور القلب" (ص ٣٦٠). أما الخفاجي فقال أن لفظه تامور معناها "صبغ أحمر، و دم القلب، و أصل معناه موضع السر"، و هي لفظه غير عربيه.. (ص ٥١).

٢- هي في موقع طهران الآن.

افتخر بنسبه إلى محمد بن عبد الله القاضى، لا يهجو والده القاضى عبد الله، و أن أبا الفرج هذا هو أحمد بن محمود بن الحسين ولد كشاجم البكر.

أبو نصر بن أبى الفتح كشاجم، أو أبو النصر

ذكرنا سابقا أن كشاجم لم يذكر فى ديوانه سوى ولد واحد، و إن أشار إلى أنه كان له "أصيبه". و نرجح أنه لم يعيش منهم سوى اثنين أبى الفرج بكره، و أبى نصر. و أول مصدر ورد فيه ذكر أبى نصر هو نشوار المحاضره لأبى على التنوخى، و هو أيضا أقدم نص جاء على ذكره فيما عرفناه، و كان أبو نصر بن كشاجم، كاتب أبى على الحسن بن أحمد القرمطى المعروف بالأعصم(1). و حين عاد الأعصم إلى دمشق غازيا سنة ٣٦٠ هـ استولى عليها، و قتل نائبها الفاطمى جعفر بن فلاح، ثم توجه إلى مصر سنة ٣٦١ هـ. ثم عاد إلى بلاد الشام حيث استقر بالرملة حتى وافته المنيه سنة ٣٦٦ هـ. و نرجح أن الأعصم الذى كان شاعرا، محبا للأدباء و الشعراء، كان يقيم فى داره بالرملة مجالس أدبيه، و كان الشعراء يجيزون ما يقول، و كان ابن كشاجم، أبو نصر قد التحق به، فقربه و أدناه، و جعله كاتبه منذ عاد إلى بلاد الشام. ففى سنة ٣٦٥ هـ حسب روايه أبى على التنوخى، كان أبو نصر بالرملة، يلازم الأعصم، كاتبه و نديمه أيضا. و كان للأعصم مجالس أدب يحضرها الأدباء و الفقهاء و الشعراء. و كان أبو نصر شاعرا، و كاتبا للأعصم، مما جعل بعض المؤرخين يخلطون بينه و بين أبيه كشاجم، فجعلوا كشاجم من وفيات عشر السنين، كما جعلوه كاتبا للقرمطى! و لأهميه روايه أبى على التنوخى (٣٨٤ هـ)، و قربها من العصر الذى عاش فيه أبو نصر بن كشاجم، نقلها كما وردت على لسان محمد بن عثمان الخرقى الفارقى الذى رواها بنفسه لأبى على التنوخى فى احدى زياراته. قال محمد بن عثمان:

"كنت بالرملة سنة ثلاثمائه و خمس و ستين، و قد ورد إليها القرمطى أبو على القصير الثياب، فاستدانى منه، و قربنى إلى خدمته. فكنت ليله عنده إذ حضر الفراشون بالشموع. فقال لأبى نصر بن كشاجم، و كان كاتبه: يا أبا نصر، ما يحضرك فى صفه هذه الشموع؟، فقال: إنما نحضر مجلس السيد، لنسمع كلامه، و نستفيد من أدبه، فقال أبو على القرمطى فى الحال بديها:

و مجدوله مثل صدر القنا تعرت، و باطنها مكنسى

لها مقله هى روح لها و تاج على الرأس كالبرنس

إذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الأملس

و إن رنقت لنعاس عرا و قطت من الرأس لم تنعس

و تنتج فى وقت تلقيحها ضياء يجلى دجى الحندس

فنحن من النور فى أسعد و تلك من النار فى أنحس

"فقام أبو نصر بن كشاجم، و قبل الأرض بين يديه، و ساله أن يأذن له فى إجازة الأبيات، فاذن له فقال:

و ليلتنا هذه ليله تشاكل أشكال أقليدس

فيا ربه العود غنى لنا و يا حامل الكأس لا تجلس

" فتقدم بان يخلع عليه، و حملت إليه صله سنه، و إلى كل الحاضرين "

و تناقل المؤرخون و الباحثون القدماء هذه الروايه، فرواها ابن عساكر فى تاريخه الكبير، و ابن ظافر الأزدى فى بدائع، و الكتبى فى فواته، و المقرئى فى نحلته. أما ابن خلدون فقد أشار فى تاريخه إلى أن كشاجم كان كاتباً للأعصم القرمطى، و قد اشتهر بخدمته للقرامطه، و قد خلط بينه و بين أبيه.

لعل أقدم من ذكر ولدى كشاجم، أو ذكر أن له ولدين هو الثعالبى فى يتيمة الدهر كما ذكرنا سابقاً.

و كان أبو نصر، مثل أبيه كشاجم، يرتحل فى ربوع الشام و مصر، و لعل أبو نصر و أبو الفرج كانا مع والدهما كشاجم بمصر أيام القاضى عبد الله بن محمد بن الخصب، قاضى الإخشيديه و كافور. و قد روى ابن حجر العسقلانى فى كتابه " رفع الإصر عن قضاه مصر "، مقطوعتين لابن كشاجم، دون أن يسميه فى هجاء القاضى عبد الله بن محمد بن الخصب. و قد رجعنا سابقاً أن يكون أبو نصر هو الذى هجا القاضى، لا أخوه أبو الفرج، إذ كان أبو الفرج معجبا بابن عبد الله محمد القاضى بعد أبيه، و كان بينهما تشابه سماه أبو الفرج نسباً. أما الجامع المشترك بينهما، أو النسب فهو فى شدة الاحساس فى اللمس لذلك استبعدنا هجاءه لأبى زميله.

و فى مصر، التقى أبو نصر وزير كافور أبا الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابه، و حين علم أن أبا الفضل يهجم فى الخروج إلى متزهاه بالمقس(٢)، كتب إليه بيتين بماء الذهب على تفاحه حمراء! و أنفذها إلى الوزير المذكور، جاء فيهما:

إذا الوزير تجلى للنيل فى الأوقات

فقد أتاه سمياه جعفر بن الفرات

و تبين لنا أن الوالد كشاجم مات بمصر، و لما مات هجاه محمد بن هارون بن الأكتمى المصرى، كما هجا ابنه أبو نصر و أبا الفرج، بقوله:

يا ابنى كشاجم أنتما مستعملان مجربان!

مات المشوم أبو كما فخلفتماه على المكان

و قرنتما فى عصرنا ففعلتما فعل القران

لغلاء أسعار الطعام و ميتة الملك الهجان! ين

١- هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، أبو علي، وقيل أبو محمد، المعروف بالأعصم، ولد بالأحساء، و توفي بالرملة سنة ٣٦٦ هـ. تغلب على الشام سنة ٣٥٧ هـ، ثم عاد إلى الأحساء. و في سنة ٣٦٠ عاد إلى دمشق، و كسر جيش جعفر بن فلاح، أول نائب فاطمي بالشام، و قتله. ثم توجه إلى مصر، فحاصرها سنة ٣٦١ هـ. ثم عاد إلى الأحساء، ثم رحل إلى الرملة حيث توفي سنة ٣٦٦ هـ. و كان يظهر الطاعة للطائع لله العباسي ببغداد، و كان شاعرا، فصيحاً على حد قول ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة، ١٢٨:٤). و كان شعره من أفحل الشعراء، على حد تعبير ابن كثير (البدايه و النهايه، ٢٨٧:١١). و كان أبو نصر، ابن كشاجم، كاتبه بالرملة.

٢- المقس قريه قرب الفسطاط (القاهره)، تقع على النيل، كان اسمها قبل الإسلام أم دنين

و كان لا بد لابنى كشاجم من مغادره مصر بعد وفاه الوالد، و تهجم الشاعر عليهما. و قد اتجه أبو نصر إلى بلاد الشام حيث التقى على بن محمد الشاشى "بصيداء الشام"^(١)، فأنشده من شعره. و حين التقى الشاشى الثعالبيميافارقين أنشده شعر أبى نصر، إذ كان الثعالبي حين ذاك يجمع شعر الشعراء الذين لا دواوين لهم من شعراء الشام.

و تبين لنا أيضا أن أبا نصر التقى الطيب عيسى الرقى ببلاد الشام، بحلب أو غيرها، ببلاط سيف الدوله أو خارجه. و كان عيسى الرقى أحد الأطباء المقربين فى بلاط سيف الدوله، إنما كان على خلاف مع أبى نصر، و لم يكن أبو نصر معجبا به، و لا بطبه، فذمه، و هجاه، إما عن تجربه أو سماع، فقال يهجو، مقارنة بينه و بين عيسى المسيح، لاشترائه بالاسم، فقال:

عيسى الطيب ترفق فأنت طوفان نوح

يأبى علاجك إلا فراق جسم لروح!

شتان ما بين عيسى و بين عيسى المسيح

فذاك محبى موات و ذا مميت صحيح!

شعر أبى نصر بن كشاجم

و من المفيد أن نثبت شعر أبى نصر كما جمعه له الثعالبي. فابو نصر كان مثل أبيه كشاجم شاعرا، متأثرا بمنهجه، منهج المدرسه الشاميه، متظرفا بظرفه، متانقا فى خطه بتانقه. و لم يذكره النديم فى فهرسته. و قد قال الثعالبي أنه جمع أشعاره و أشعار غيره ممن لم يجد لأصحابها دوواين [دواوين]، فأثبت كل ما رواه له المنشدون من جلسائه. و قد أنشدوا له من شعر أبى نصر فى وصف الكتاب، و الشمعه، و الصديق البخيل، و كان قد دعاه إلى الطعام، فجاء وصفه له وصفا بارعا، مضحكا، و فى الطيب عيسى الذى يعجل فى تفريق الروح عن الجسد، و فى جونه الطعام، القصيده الطويله المزدوجه، و فى الخط، و فصد إسحاق بن كيغلق. أما تظرفه فقد بلغ مداه حين كتب شعره على تفاحه حمراء بالذهب، و أنفذها إلى وزير كافور، ابن حنزابه! أما العسقلانى فقد روى له مقطوعتين فى هجاء القاضى عبد الله بن الخصيب، قاضى الإخشيد و كافور. و ارتائنا أن نجمع للشاعر أبى نصر، ابن أبى الفتح كشاجم ما جاء فى اليتيمه، و فى غيرها، على ترتيب الحروف. لعلنا بذلك نشير إلى ما نسب إلى أبيه كشاجم من شعره، و لتأثره مذهب أبيه الشعرى فى لطائفه.

و لأبى نصر، ابن أبى الفتح كشاجم فى شمعته:

بركه صفر عمودها شمع تفيض نارا من موضع الماء

تبكى إذا ما المقصص خممشها فرط حياء من الأخلاء

كأنها عاشق مخايله فيه بواد لمقله الرائي

صفرة لون و ذوب معنبه و دفع حزن، و نار أحشاء

و له فى الكتابه:

غبط الناس بالكتابه قوما حرموا حظهم بحسن الكتابه

و إذا أخطا الكتابه خط سقطت تاؤها فصارت كابه

" و كتب على تفاحه حمراء بالذهب إلى الوزير أبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات و أنفذاها إليه، و قد خرج إلى متزهه بالمقس:

إذا الوزير تجلى للنيل فى الأوقات

فقد أتاه سمياه جعفر بن الفرات

و له فى وصف الكتاب:

و صاحب مؤنس إذا حضرا جالسنى بالملوك و الكبرا

جسم موات تحيا النفوس به يجلى معنى و إن دنا خطرا

ملكته منه كترا غنيت به فما أبالى ما قل أو كترا

أظلم منه فى مجلس حفل بالناس طرا و لا أرى بشرا

و إن أظلم به فى لك من مستحسن منظرا و مختبرا

أعجب به جامعا و لو جعلت عليه كف المجلس لاستترا

و له يهجو القاضى عبد الله بن محمد بن الخصب:

قبح الله الخصيبى فما أقبح أمره!

اشترى الدار التى كانت قديما لابن شعره

و هى الدار التى يبتى فيها الله عمره

لا يتم الحول حتى يجعل المجلس قبره

و له أيضا فيه:

اشترى الدار الكبيره و دعا فيها الوكيره

صغر الباب و فى تصغيره أشام طيره

قبره لا شك فيه بعد أيام يسيره [يسيره]

و له فى فصد إسحاق بن كيغلغ:

يا فاصدا شق عرق إسحاق أى دم لو علمت مهراق؟

سفكته من يد معوده لنيل مال و ضرب أعناق

لو يوم حرب أصبت من دمه إذا أقام الدنيا على ساق

و له فى صديق بخيل:

صديق لنا من أبرع الناس فى البخل و أفضلهم فيه، و ليس بنى فضل

دعانى كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما ياتى إلى مثله مثلى

فلما جلسنا للطعام رأيتته يرى أنه من بعض أعضائه أكلى

و يغتاظ أحيانا، و يشتم عبده و أعلم أن الغيظ و الشتم من أجلى!

فأقبلت أستل الغذاء مخافه و ألحاظ عينيه رقيب على فعلى

أمد يدي سرا لأسرق لقمه فيلحظنى شزرا فاعبث بالبقل!

إلى أن جنت كفى لحتفى جنايه و ذلك أن الجوع أعدمنى عقلى

فجرت يدي للحين رجل دجاجه فجرت، كما جرت يدي رجلها، رجلى

و قدم من بعد الطعام حلاوه فلم أستطع فيها أمر و لا أحلى

و قمت لو أنى كنت بيت نيه ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

و له فى جونه الطعام، قصيده مزدوجه:

و جاءنا فيها بباذنجان مثل قدود أكر الميدان ١.

ص: ٣١٧

١- الثعالبي، يتيمه الدهر، ٣٠١:١.

قد قارن الهليون بالممازجه تقارن الكرات بالصوالجه

ثم أتت سكارج الكوامخ كمثل أنوار من اللخالخ

ما بين طرخون و بين صعتر و فيجن غض و بين كزبر

و بين بن عده المشطور كأنه تعليه البخور

ثم أتى براضع لم يعتلف كان فى جنبه قطنا قد ندف

و حمل مبرز مشبر كأنه مضمخ بعنبر

يتلوه جدى فارس بخل كأنه بالزعفران مطلى

تخاله فى خله المزعفر مركبا تحت عقيق أحمر

قد عملت أطرافه سلاقه عجيبه الصنعه و المذاقه

زيدت من الخردل و الصباغ و كشفت القحف عن الدماغ

وصف فيه فلق الرمان مثل رصيغ خرز المرجان

ثم أتى بناطق هياج بحر طبع البارد المزاج

كأنه فى العين و القياس سبائكك جاءت من الروباس

و جونه موصوفه من الجون قد جمع الطباخ فيها كل فن

من كل سخن منضج و بارد ما بين ألوان إلى بوارد

فمن رفاق ناعم رفاق يحمد فى المنظر و المذاق

و أرغف تشف للصفاء كما تشف أوجه المرأى

و من مصوص من مخاليف الحجل كأنما كانت ترف فى الحبل

و من فراريح بماء الحصرم تصلح للمخمور أو للمحتمى

قد شوشت أكبادها بيض فهى كمثل نرجس فى روض

و جاءنا فيها بيض أحمر كأنه العقيق ما لم يقشر
حتى إذا قدمه مقشرا أبرز من تحت عقيق دررا
حتى إذا ما قطع البيض فلق رأيت منه ذهبا تحت ورق
يخال أن الشطر منه من لمح أعاره تلوينه قوس قزح
ما بين أوساط لطاف القد مقدوده كمثل قد الند
من صدر دراج و صدر حجله بملحها و بقلها متبله
فيها جبن صادق الحرافه مقطع باللطف و النظافه
قد ألبست قضبان طلع غضه كأنها سلاسل من فضه
ثم أتانا بعده لوزينج كأنه من الأتحى مدرج
تنسله من دهنه العميق كما أخذت بيد الغريق
و جاءنا الغلمه بالمدام و نحن لم ننهض من الطعام
بغير ترتيب و لا صوانى و غير أنقال و لا ريحان
لأن فى الجونه أنواع الإرب و عوضا من كل شىء يطلب
هذا هو النوع الذى أختاره ليس الذى عذبنا انتظاره

نتائج

و هكذا فان (كشاجم) اسم مرتجل، مبتكر (مخترع) للعلميه، شاء صاحبه أن يركبه، أو يؤلفه، أو يجمع أحرفا من أوائل كلمات
خمس، تشير إلى صناعاته أو مهاراته أو صفاته، فكان له (كشاجم) اسما علما، عرف به و اشتهر. و تبين لنا كذلك أن كشاجم
علم بوزن مفاعل مفتوح الكاف، و مكسور الجيم، شبيه بصيغه منتهى الجموع، ممنوع من الصرف. و تبين لنا أن حركة الكاف
الفتحه، بالرغم من الأكثرية التى شاءت أن تضم الكاف فى مؤلفاتها منذ القرن التاسع الهجرى حتى أواخر السبعينات من القرن
العشرين، و لا سيما المستغربون الذين ذكروا كشاجم فى تحقيقاتهم، أو ترجماتهم، أو أبحاثهم.

و تبين لنا أن كشاجم كان كاتباً، و له مذهب فى الكتابه يحتذى، و قد ألف كتاب "كنز الكتاب"، و جعله القلقشندى أحد
الكتب الثلاثة التى لا يستغنى عنها الكاتب. و كان شاعرا، و له ديوان شعر مشهور و معروف، كان مصدرا لارتزاق النساخ، كما

كان عامرا باللطائف التي تميز بها على زملائه، و كان أدبيا، و له كتاب الرسائل، و كتاب أدب النديم، و كتاب الطرديات في القصائد و الأشعار، و كان منجما، و له كتاب المصايد و المطارد، فيه ما يدل على ثقافته الفلكية، كذلك في شعره حيث وصف النجوم، و آلاتها. و كان مغنيا بالأوتار(١)، على حد تعبيره، و له كتاب خصائص الطرب، و قد أجاد الضرب على العود، و في شعره قصائد كثيرة تشير إلى ذلك، و إلى وصف آلات الطرب.

و كان يجيد بعض أصناف الطبخ، و يصفها شعرا، كما كان يجيده بعض الخلفاء، و الأمراء، و الأدباء في ذلك العصر.

فبالرغم من كثره طبائخه، على حد قوله، كان يباكر الطبخ حين يشاء(٢)، و كان طبيبا، يهتم بالطب البشري، و الحيواني، كما اتضح لنا من كتابيه المصايد و المطارد، و البزيره.

و تبين لنا أن المصادر الشيعيه أشارت إلى أن حرف الجيم مستل من "جامع أو جدلي"، و أن حرف الميم مستل من "منجم أو متكلم".

و قد اعتمدت هذه المصادر على روايتي ابن شهر آشوب في معالمه، و ابن طاوس في كتابه علماء النجوم. أما السيد محسن الأمين، فقد انفرد بلفظه معارف، فجعل الميم مستلا منها.

و إذا كان لنا أن ندلى برأينا نقول أن الحروف في "كشاجم"، مستله من كاتب، و شاعر، و أديب، و منجم و ملحن (مغن بالأوتار)، أو لعل الحرفين الجيم و الميم مستلان من جواد، و كان لكشاجم مذهب معروف في الجود، يضرب به المثل، و من منجم أو ملحن.

اختلاط كنى الوالد و ابنه على المؤرخين و الباحثين

لعل أول من اختلط عليه كنى الثلاثه، الوالد و ابنه، هو السيوطي في محاضراته، بقوله: أن "محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك، يكنى أبا نصر". فنقل عنه يوسف اليان سر كيس في معجمه، مضيفا إليه كنيته أبا الفتح و حين نسب محمد كامل حسين هجاء القاضي عبد الله بن محمد بن الخصيب إلى كشاجم، اعتبر أبا نصر أحد كنى كشاجم! أما محمد أسعد طلس فخلط بين الأخوين و جعلهما واحدا، معتبرا أن كشاجم لم يخلف سوى ولد واحد، بارع في الأدب كايه، و هو "أبو نصر (أبو الفرج)"، ثم أضاف كنيته

ص: ٣١٨

١- ديوان كشاجم (ط بغداد)، قط ١٧، البيت ٤، و هو: فغنيت بالأوتار حتى لم أدعنغما، و لم أغفل لهن حساب

٢- م. ن. قط ٦٤، البيت ٩، و هو: طعام إذا ما شئت باكرت طبخه على كثره من غلتمى و طهاتى

ثالثه لهذا الولد، و هي أبو الفتح، مستشهدا بالثعالبي. فكيف أصبح ابن كشاجم "أبا النصر و أبا الفرج و أبا الفتح؟! فان اعتمد الثعالبي، كما ادعى، فقد أخطأ الروايه فى قراءه النصوص، أما الشيخ عبد الحسين الأمينى فذكر ولدى كشاجم أبا الفرج و أبا نصر أحمد، و عقب على ذلك بقوله أن كشاجم كان يكنى نفسه بالثانى. و فى معجم المؤلفين، قال عمر رضا كحاله أن لكشاجم كنيته:

"أبا الفتح و أبا النصر!"

أحواله

ولد ببغداد و نشأ، و تلقى علومه الأولى الأديبه، و اللغويه، و العلميه، على كبار أساتذه الفقه و الأدب و الروايه و الطب و التنجيم، منهم الفقيهان المروزيان موسى بن إبراهيم، و إبراهيم بن أحمد، و على بن سليمان الأخفش النحوى، و المنجم يحيى بن على، و الشطرنجى الأخبارى أبو بكر الصولى، و الطبيبان إسحاق بن حنين و ثابت بن سنان و غيرهم. كما تأكد لنا أن خروجه الأول من بغداد إلى بلاد الشام كان فى حدود سنه ٣٠٠هـ، كما أنه كان يتردد إلى العراق عائدا إلى مسكنه و أملاكه ببغداد، ثم ينطلق منها ليزور مدن العراق، و قراها، و أمكنتها النزهه، و يرتاد أديرتها، منها الأكيراح، و الأهواز، و البصره، و الكوفه، و الموصل و غيرها، كذلك تبين لنا أن كشاجم قد شهد ما حل من نكبات بالقهرمانتين فاطمه و أم موسى الهاشميه (٢٩٩هـ، ٣١٠هـ)، كما شهد محنه أستاذه الأخفش (٣١٥هـ)، و مقتل أميره أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان (٣١٧هـ)، و محنه ابن مقله، و قد امتدت من ٣١٨هـ، ٣٢٨هـ.

و قد مدح شاعرنا بعض الوزراء، و الرؤساء، و الأشراف، و الأمراء، و السلاطين، كابن مقله، و أحمد بن إسماعيل الإسكافى، و إبراهيم بن عيسى الهاشمى، و أبى القاسم التنوخى، و معز الدوله البويهى و غيرهم.

و جملة القول أن كشاجم قد سكن حلب مده من الزمن، قد تكون فى حدود سنه ٣٠٠هـ حتى سنه ٣١٣هـ، و تعرف فيها إلى الشاعر الصنوبرى، فتأثر شعره الشامى، و حذا حذو مدرسته فى الروضيات. ثم عاد إليها مرات قبل مجيء سيف الدوله إليها سنه ٣٣٣هـ، و فى أيامه، و كان لكشاجم فى حلب دار و أملاك، و قد تغنى شعرا بحلب، و بنهرها قويق، و بساتينها النضره، و أزهارها الرائعه، و أشجارها الباسقه. و كان يزور ضواحيها المعروفه بمتنزهاتها، فيزور بانقوس، و بطياس، و دير البريج. ثم يغرب منها إلى أنطاكيه، فينعم بنهرها الأرند، و إلى اللاذقيه حيث أصدقاؤه الأمراء التنوخيون، ثم ينحدر من حلب إلى دمشق، فيزور حمص، و ينعم بنهرها الميماس، و ديرها على شط النهر. ثم يزور (قاره)، مصطفى الهاشميين، و دمشق حيث التقى صديقه الهاشمى على بن حمزه، و ينعم بغوطه دمشق، و بديرها مران فى سفح جبل قاسيون.

و تبين لنا أن كشاجم كان يقوم بتلك الرحلات النزهه، و الزيارات للقرى و البلدان مع جماعه من الأصدقاء، و الندماء، على رأسهم الصنوبرى الشاعر، الأنطاكى الحلبي، الذى نمت بينهما صداقه و ود عميقان، نعم كشاجم بهما مده طويله من الزمن، فكان إذا أحس بالفتور يدب فى قلب الصديق، أسرع، فكتب له معاتبا، متسائلا، معتذرا، باذلا نفسه عن ود و أحب. و تبين لنا أن الصديقين كانا يصفان الأمكنه نفسها، و يمدحان الشخصيات نفسها، كالهاشميين على بن حمزه، و عبد الملك بن محمد، و محمد بن أحمد الرشيدى. على أن كشاجم التقى فى حلب بعض الذين أخذ عنهم الشعر، و اللغه، و الفقه، كالصنوبرى، و أبى

بكر الدقيشى، و إبراهيم بن جابر. و التقى بعض الرواه الذين أخذوا عنه كالمسعودى، و أبى بكر الزبيدى، و المظفر بن نصر بن سيار الوراق، و السرى الرفاء.

و التقى كشاجم بعض الأمراء القاده فمدحهم كالحسن بن الحسن بن رجاء، و على بن أحمد بن بسطام. و التقى من الأمراء التنوخيين عبيد الله بن إبراهيم، و الحسين بن على، فمدحهما، كذلك التقى بعض الأشراف الهاشميين و مدحهم كعبد الملك بن محمد، و على بن حمزه، و محمد بن أحمد الرشيدى.

و لعله التقى كذلك سيف الدوله فى الموصل و بغداد، قبل أن يلتقيه فى حلب، حيث انضم إلى رجال الفكر، و الأدب، و الشعر، مجتمعين فى بلاط سيف الدوله الحمدانى، مؤلفين عصبه امتازت بشعرها الشامى الذى عده الثعالبى أكثر تفوقا من أى شعر آخر. و أصبح كشاجم أحد كبار شعراء المدرسه الشاميه الوافده إلى بلاد الشام، يحتذيه الشعراء، و يضربون على قلبه.

و نرجح أن كشاجم بقى فى بلاط سيف الدوله مده قصيره، حيث نادمه، و كتب له، و ألف، ثم انسحب من البلاط الذى كان يعج بكبار الشعراء، و المفكرين، و المداحين، فانسحب متنقلا كعادته، مشرقا إلى العراق، و مغربا إلى مصر، حيث أكب على لذاذات الحياه، و هو يقول:

و ما اللذاذات إلا لمن صبا و تمردا!

و يقول أيضا:

و لا تك ألفا إلا أديبا و بستانا و ماخورا و دير

كان ينتقل بين الشام و مصر، كما كان ينتقل أيضا بين الشام و العراق. و قد سكن بغداد حيث ولد، و امتلك فيها دارا على شط دجله، لعله ورثها عن آبائه، كما سكن حلب، و يخيل لنا أنه استقر فى أواخر عمره بمصر حيث امتلك دارا بالفسطاط. و من الفسطاط كان ينتقل بين ربوع مصر، فيزور مدنها، و قراها، و أمكنتها، و محلاتها، و متنزهاتها العامره بالبساتين و الزهور، و كان ينعم بالنيل، فينتقل بواسطته من قريه إلى أخرى، فتاره يركب الخيول المضممرات، و أخرى يركب البحر، حيث يجمع بين صيد البر و صيد البحر.

ص: ٣١٩

و القصف، و لعل المرض بدأ يدب فى أعضائه و عظامه، مما جعل ابن مرحب الطيب ينصحه فى أن يكف عن العبث، و كان قد شكأ أمره إلى الطيب. و قد انتهى كشاجم بعلل كثيره، و أسقام مضنيه، عبر عنها بقوله ناديا:

حان أن تستحى الأسقام من جسمى و تخزى!

لم تدع لى منه ما فى مثله لى متعزى

حزت الأعضاء منه كلها بالضر حزا

فانا الجزء الذى من لطفه لا يتجزا

و تبين لنا أن كشاجم ندم على شبابه الذى ضاع بين العبث و القصف، فقال ناصحا الشباب:

حلل الشبيه مستعاره فدع الصبا و اهجر دياره!

لا يشغلنك عن العلى خود تمنيك الزياره

ما الفخر أن يغدو الفتى متشبعاً ضخم الجزاره

كلفا بشرب الراح، مشغوفا بغزلان الستاره!

الفخر أن يشجى الفتى أعداءه و يعز جاره!

و يروح إما للاماره سعيه، أو للوزاره!

آثار كشاجم

اتفق المؤرخون و كتاب السير، و جامعو الأشعار و الأخبار على أنه كان كاتباً يجيد الكتابه و أصولها، و الخط و أصوله. و قد ترك وراءه منهجا للكتاب يحتذى كما قال:

و لقد سنت من الكتابه للورى طرقا فسيحه

و فضضت من عذر المعانى الغر فى اللغه الفصيحه

و جعلت من كفى نصيباً لليراعه و الصفيحه

و قال أيضا:

و كم سنت رسوما غير مشكله كانت لمن أمها مسترشدا قبله

و كان شاعرا، مفتخرا بشعره:

على أنى نبى الشعر قد جئت على فتره!

فلو أنصف حسادى رأونى فوقهم قطره!

بغوا شاوى فى الشعر فما أن قطعوا شعره

و قال أيضا:

فاستمع لى - بقيت - شاميه الألفاظ حسنا، نجديه الأعراب بنت فكر كسوتها حلل الصدق فكادت تكون أم الكتاب! و كان يقول الشعر، لأنه يجد فيه ترجمه فصيحه عن النفس، و لا يقوله تكسبا، و لا تعمدا:

و لئن شعرت لما تعمدت الهجاء و لا المديحه لكن وجدت الشعر للآداب ترجمه فصيحه و ترك كشاجم وراءه كتاب ديوان شعر بمائه ورقه، كما حسبه النديم فى فهرسته، و كان أديبا باحثا، فألف كتاب أدب النديم، و كتاب خصائص الطرب و كتاب الرسائل، و كتاب الطرديات فى القصائد و الأشعار، و كتاب كنز الكتاب.

و كان عالما باحثا، فترك وراءه كتبا منها كتاب البزيره المعروف بكتاب النزه، و كتاب الطيخ، و كتاب المصايد و المطارده. و كان جامعا، راويا، كثير الحفظ و الروايه، أخذنا بتلابيب الجدل و علم الكلام. و قد ظهر راويه جدليا فى كل مؤلفاته المذكوره. و كان منجما، كثير الاهتمام بالنجوم، و طواعها، و أبراجها، و آلاتها المستحدثه، و قياساتها، و طبائعها. ففى معرض أبحاثه و أشعاره جاء على ذكرها، فوصفها، و تحدث عنها. و كان موسيقيا، مرهف الحس، يضرب على العود، و يجيد اللحن، و قد ألف فى الطرب كتابا كما أشرنا إليه سابقا، و كان يلحن أشعاره ليغنيها المغنون و القيان، فمن قوله:

و نظمنا شعرا مليحا فغناه بلحن يحيى به الأمواتا

و قوله:

فغنيت بالأوتار حتى لم أذع نغما و لم أغفل لهن حسابا

و ألفتها فأغار ذاك على يدي قلمى، و عاتبها عليه عتابا

و قوله أيضا:

ثم استهلت فغنت و هى محسنه فى بعض أبيات قلته فيها

و لم أزل دون ندمانى مقترحا شعرى عليها، تغينى و أسقيها

و جمله القول كان كشاجم واسع المعرفه، كثير الاطلاع على علوم متعدده، أجاد التأليف فى بعضها، و كان قد تعلم العرييه على

على بن سليمان الأـخفش الصغير النحوى، و أخذ الغريب عن أبى بكر الدقيشى، و الفقه على الشافعيين الابراهيميين ابن أحمد المروزى، و ابن جابر، و تآثر بالمدرسه الغنائيه الحجازيه، فأخذ لحن معبد، و ابن سريج، و الغريض، و جالس المنجمين، و نادمهم كيحيى بن على المنجم، و تآثر بمذهب النوبختيين فى التنجيم، فأخذ عن أبى سهل إسماعيل بن على النوبختى، و اهتم بآلات النجوم، و أبراجها، و درس علم الطيخ، و التغذيه و فوائدها و مضارها، متأثرا بالأطباء الذين ألفوا فيهما.

و أخذ الطب البشرى عمن جالس من الأطباء المعروفين كإسحاق بن حنين، و ثابت بن سنان و غيرهما من غير المشهورين كابن مرحب. و قرأ كتبهم الطبيه، و كتب غيرهم ككتب بقراط، و يوحنا بن ماسويه، و ابن الجزار و لا-سيما زاد المسافر. على أن اهتمام كشاجم بالصيد و الجوارح و الحيوان، جعله يعنى بالطب الحيوانى، فكتب فى البيطره، و أشار إلى أمراض الطيور و علاجها، و غير ذلك.

و قد جمع كشاجم علومه المتعدده، و مهاراته الكثيره فى كتب، منها معروف منشور، و منها مجهول أو مفقود. أما الكتب المنشوره التى فى حوزتنا فهى كتاب ديوان شعره(١)، كتاب المصايد و المطارد(٢)، كتاب أدب النديم. (٣) و فى حوزتنا نسخه مصوره من مخطوط كتاب البزيره المعروف بكتاب النزه(٤).١.

ص: ٣٢٠

١- نشر الديوان مرتين، سنه ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ م، فى المطبعه الإنسيه ببيروت، و سنه ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، فى مطبعه دار الجمهوريه ببغداد.

٢- نشر كتاب المصايد و المطارد سنه ١٩٥٤ م، فى مطبعه دار المعرفه ببغداد، تحقيق محمد أسعد طلس.

٣- نشر كتاب أدب النديم سنه ١٢٩٨ هـ/ ١٨٨٠ م، فى المطبعه [المطبعه] الأميريه ببولاق.

٤- مخطوطه غوطا، رقم ٢٠٩.١.

أما الكتب الباقية، المجهولة أو المفقودة، فهي: كتاب الرسائل، وقد ذكره النديم في فهرسته، كتاب كنز الكتاب، وقد ذكره القلقشندی في صبحه.

أما حاجي خليفة فقد ذكر في كشفه بالاضافه إلى أدب النديم، و الديوان، و المصايد و المطارد، كتاب خصائص الطرب، و كتاب الطبخ، و كتاب الطرديات في القصائد و الأشعار.

كتاب ديوان شعره

أن أول من أشار إليه من المؤرخين هو النديم في فهرسته، ثم الثعالبي في يتيمة، و ياقوت الحموي في معجمه، و ابن خلكان في وفياته، و حاجي خليفة في كشفه، ثم تناقله المؤرخون القدماء و المحدثون. و قد غلب على كشاجم الشعر، فلهج المؤرخون، و الباحثون، و الرواه في الأخذ من شعره في مواضع شتى.

أما المخطوط الذي اعتمده النديم فيقع في مائه ورقه. و قد حصلنا على مخطوطات مصوره للديوان، فوجدنا أن مخطوط برنستون (١) (نسخ ٥١٤هـ)، يقع في ١١٧ ورقه، و عدده أبياته (٢) ٢٧٦٢، و مخطوط دار الكتب المصريه (٣) (نسخ ١٦٠٣هـ)، عن أقدم مخطوط، جمعه أبو بكر الحمدوني في القرن الرابع الهجري، أيام ابن كشاجم، أبي الفرج أحمد، يقع في ١٧٥ ورقه، و عدده أبياته ٣٣٢٢، و مخطوط بكرى شيخ أمين (نسخ القرن السادس أو السابع هـ ظنا)، و هو مخطوط نادر، غير مسجل في أى دار أو مكتبه، يقع في ١٥٦ ورقه، و عدده أبياته ٣١٦٣، و مخطوط المتحف البريطاني (نسخ ١٠٥٤هـ)، يقع في ٩٤ ورقه، و عدده أبياته ٣٠٦٣، و مخطوط لينغراد (نسخ ١٠٥٥هـ)، يقع في ٨٠ ورقه، و عدده على أن النديم و الثعالبي و من بعدهما تنبهوا لما دخل ديوان كشاجم من شعر غيره، و لا سيما الخالديين.

كان السرى الرفاء مغرى بنسخ ديوان أستاذه كشاجم، لإعجابه به، و للارتقاق أيضا، فكان يدس فيه ما حسن من شعر الخالديين ليكبر حجمه، و يغلى سعره من ناحيه، و من ناحيه أخرى ليثبت ما كان شائعا عن الخالديين بأنهما كانا إذا استحسنا شيئا غصبا صاحبه حيا أو ميتا، لا عجزا منهما عن قول الشعر، و لكن كذا كانت طباعهما! على حد قول النديم.

كتاب أدب النديم

و قد ذكر النديم في فهرسته كتاب أدب النديم، و ذكره حاجي خليفة أيضا في كشفه، ثم تناقله المؤرخون و الكتاب.

نشر هذا الكتاب مرتين، مره ببولاق سنة ١٢٩٨ هـ، و ثانيه بالاسكندريه سنة ١٣٢٩ هـ بعنوان "آداب الندماء و لطائف الظرفاء". و نرجح أن الطبعين هما للمخطوط نفسه، لكن ناشر الطبعه الثانيه ألحق به قصيده لأبى فراس الحمدانى. على أن بروكلمان حين أشار إلى كتاب أدب النديم، لم يذكر أنه طبع، إنما ذكره مخطوطا ببرلين و القاهره، و قال عنه أنه "مجموعه من الحكايات و الأشعار"، يوجد "في برلين، ١٠٩٤، و فى القاهره أول ٢٠:٤، القاهره ثانى: ٩:٣".

ثم ذكر بروكلمان كتاب آداب الندماء و لطائف الظرفاء المنشور بالاسكندريه، كأنه كتاب آخر، يختلف عن كتاب أدب النديم. أما أبو ذؤيب و لفسون فقد أشار إلى أن أدب النديم طبع مرتين، مره ببولاق، و مره أخرى بالاسكندريه بعنوان أدب الندماء و

لطائف الظرفاء، و أشار بروكلمان إلى أن عدده صفحاته ٦٢، و يليه قصيده لأبي فراس الحمداني.

و كتاب أدب النديم يحتوي على مقدمه، و ثلاثه عشر بابا، و هي: "باب مدح النديم و ذكر فضائله، باب أخلاق النديم و صفاته، باب التداوى للمنادمه، باب الشرب و كثرتهم و قلتهم، باب السماع، باب المحادثه، باب غسل اليد، باب إداره الكأس، باب الإكثار و الإقلال، باب طلب الحاجه و الاستماحه على النبيذ، باب هيئه النديم و ما يلزم لرئيسه، باب ما يلزم الرئيس لنديمه، باب الأدب فى الشطرنج".

كتاب المصايد و المطارد

لم يذكر النديم فى فهرسته كتاب المصايد و المطارد، و لم يذكره بين الكتب التى أشار إليها فى البيطره و الجوارح.

و نرجح أن النساخ خلطوا كثيرا بين مؤلفات كشاجم التى تناولت موضوع الصيد و الطرد، كما ادعى بعض الكتاب لأنفسهم بعضها. فالكتب: المصايد و المطارد، و البيزره، و البزيره المعروف بكتاب النزه، و نزهه الملوك (الصيد و الطرد عند العرب)، و الطرديات، جميعها تدور حول موضوع واحد و هو الصيد و الطرد، و ما يتبعهما. و من المحتمل أن يكون النساخ قد غيروا عناوينها أو استبدلوا فى سياق نسخهم لها، أو تلخيصها. و من المحتمل أيضا أن الذين ادعوا بعض كتبه، أو اختلسوها، هم الذين غيروا عناوينها و مقدماتها! على أن الغموض لا يزال قائما، و الظنون لا تزال أيضا حائمه حول بعضها، و ستبقى حتى يتبين ما يعيدها إلى مؤلفها كشاجم، أو يعيد بعضها.

إن أقدم من أشار إلى كتاب المصايد و المطارد هو ابن خلكان فى وفياته.

حيث نقل عنه فى مواضع مختلفه.

و أول من اهتم بمراجعته مخطوط المصايد و المطارد هو ولفنسون، و كان قد عهد إليه الأمير عبد الله بن الحسين بمراجعته من نسخه مصوره فى جامع الفاتح بالآستانه، ففعل.ف.

ص: ٣٢١

١- رقم مخ برنستون [(٢٣ (١٧ H)، نسخ ابن المقرون، الخط نسخى كبير واضح مشكول جزئيا. فى ورقه العنوان أما يلى: "ديوان أبى الفتح محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم" .. و فى آخر المخطوط ما يلى: "تم جميع شعر كشاجم و الحمد لله، و صلواته على سيدنا محمد النبى، و آله الطاهرين الأخيار، وقع الفراغ منه فى يوم السبت، تاسع عشر من صفر، من أربع عشر و خمسمائه، كتبه ابن المقرون" (ورقه ١١٧ أ - ب).. القصائد غير مرتبه على الحروف.

٢- خيريه محفوظ، محققه ديوان كشاجم، م ١٤، ناجى هلال، هوامش تراثيه ١١٦.

٣- رقم مخطوطه دار، الكتب المصريه، ٤٥٧٩ أدب، الناسخ مجهول، نسخه عن أبى بكر محمد بن عبد الله الحمدونى، معاصر أبى الفرج، ابن كشاجم. الخط نسخى، واضح، مشكول. ورقه العنوان غير موجوده. فى آخر المخطوط "قال أبو بكر محمد بن عبد الله الحمدونى: هذا جميع ما وقع إلينا من شعر أبى الفتح محمود بن الحسين، الكاتب المعروف بكشاجم، و ما صح عنه قد

جمعتة، و ألفته على حروف المعجم ليكون أقرب مأخذا، و أنجح مطلباً لمن رامه. و بعد ما اتفق تأليفه على هذا الحد لقيت (ورقه ١٦٨٨ ب)، أبا الفرج بن كشاجم بالرى فانشدنى لوالده ". (ورقه ١٦٩ أ). ثم روى له ٩٩ بيتاً.. و فى آخر المخطوط ما يلى: " آخر ما وجدنا من شعر أبى الفتح كشاجم الحمد لله على نعمه، و صلى الله على سيدنا محمد النبى و على آله و سلم، و حسبنا الله و نعم الوكيل. فرغ كاتبه من نقله فى الحادى و العشرين من ربيع الأول سنة ثلث و ستمائة بحلب المحروسه " (ورقه ١٧٥ أ). قصائده مرتبه على الحروف.

و نرجح أن كتاب نزهه الملوك، الذى نشره محققه بعنوان "كتاب الصيد و الطرد عند العرب"، ما هو إلا- تلخيص ذكى، و اختصار مفيد، و تفرغ مقصود من الشعر لكتاب المصايد و المطارد، و كتاب البزيره المعروف بكتاب النزه!

الكتب المفقوده أو المخطوطه

أما المؤلفات الأخرى فلا نعرف عنها كثيرا، و لا نعرف هل هى مخطوطات، أو مفقودات، منها كتاب خصائص الطرب، و كتاب الرسائل، و كتاب الطرديات فى القصائد و الأشعار، و كتاب كنز الكتاب، و كتاب الطيخ.

السيد مرتضى العلوى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

كان شاعرا بليغا فصيحاً و كان أروع فضلاء زمانه و له كتاب (القصائد و المراثى) مات سنه ١١١١ و من جمله قصائده الفاخره فى رثاء أهل البيت منها:

إذا لم يكن بد من الحزن و البكاء فلا تجزعن الا لآل محمد

أصابتهم أيدي المصائب فاغتموا بأسوا حال فى الزمان و انكد

رمتهم بنبل الحقد آل أميه فمن بين مسموم و بين مشرد

إلى أن قال:

بكم آل طه همتى و مدائحى و حزنى و تذكارى و حسن توددى

أنا العلوى المرتضى عبد عبدكم و أنتم حماتى فى حياتى و فى غد

الشيخ مغاس الحجرى البحرانى

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أحد الأدباء، و واحد النجباء جمع مع الأدب علوما كثيرا و له ديوان معروف فى الرثاء مشتمل على أشعاره البديعه و عباراته المنيعه و من قصائده:

تذكر ما احصى الكتاب فتابا و حاذره من مس العذاب فدابا

بكى ذنبه و استغفر الله ربه و نادى منادى رشده فأجابا

تذكر أوزارا جناها بجهله و أشفق من أوزاره فانابا

رأى السعى فى الدنيا خلا سعى بلغه ضلالا و للأخرى نراه صوابا

فلأم على التفریط فى السعى نفسه فقال لها عدلا لها و عتابا

إذا كانت الدنيا غرورا لطالب فكيف تخيرت الغرور طلابا

إلا فاستقيلى و ارجعى مطمئنه إذا شئت فوزا أو خشيت عقابا

إلى أن قال:

و لو دام عيش فى الزمان لأهله لدام لأولاد النبى و طابا

أ ما سمعت أذناك ما قد جرى لهم غداه أناخوا فى الطفوف ركابا

لقد ضربوا فى جانب الكرب و البلا و قد ضربوا فى كربلاء قبابا

إلى أن قال:

و حاشا و كلاً أن يخيب مغامس و قد شب فى مدح الهداه و شابا

الدكتور مصطفى جواد

مرت كلمه عنه فى الجزء الأول من المستدركات و نضيف إليها هنا ترجمه ماخوذه مما كتبه هو بنفسه:

ولد فى العقد الأول من القرن العشرين فى محله القشله من الرصافه فى بغداد من والد خياط كان دكانه فى سوق الخياطين قرب خان مرجان الذى أصبح الآن متحف الآثار العربيه فى شارع السموأل من محله باب الآغا، و لفقد والده بصره غادر بغداد محل عمله و مقر سكنه إلى دلتاوه التى تعرف الآن بالخالص حيث اشترى بساتين يعيش من غلتها.

و لما بلغ سن المدرس سلمه والده إلى معلمه أطفال لقتته بعض القرآن الكريم، ثم نقله والده إلى مدرسه دلتاوه الابتدائيه، و من معلميه فيها عبد المجيد الأعظمى الذى تدرّب عليه فى خط الرقع، و فى هذه المدرسه نجح إلى الصف الثالث، و فى شتاء السنه الدراسيه فى هذا الصف، أى فى سنه ١٩١٧، احتل الجيش الانكليزى دلتاوه معقبا الجيش العثمانى المنسحب نحو الشمال، و كان والده قد توفى قبل ذلك بقليل فلم يتسن له الاستمرار على الدراسه و انصرف إلى العنايه بالبساتين التى خلفها والده له ولأخيه

الأكبر ولأخواته الست من زوجي أبيه: أمه وضررتها، ثم حدث نزاع بين والدته وأخيه من أجل الوصيه عليه والاشراف على أموره، لأنه كان حينئذ قاصرا، فنقله أخوه إلى بغداد وأدخله المدرسه الجعفرية الأهليه، و لتلكؤ أخيه عن تسديد أجره المدرسه ضنا بالنفقه عليه انتقل إلى مدرسه باب الشيخ الابتدائيه، ثم ترك هذه المدرسه و التحق بوالدته بعد أن حصلت على حكم الوصايه عليه، وقد قاسى من الفقر و الحرمان و الضنك و شطف العيش ما يحزن و يؤلم.

ص: ٣٢٢

هجومها، و وضع الإنكليز شرذمه من الرجال بأيديهم آلات من الخشب تدار فتحدث أصواتا كأصوات الرصاص المنطلق من الأسلحة النارية، فلما خرج الثوار إلى مكان الأصوات كان الجيش الانكليزي يترصدهم و قد كمن لهم في طريقهم وراء أشجار الصفصاف القائمه على ضفاف الأنهار، فلما صار الثوار على مقربة من الجيش الانكليزي أمطروهم بوابل من الرصاص، فقتل من قتل و جرح من جرح و تشتت الباقون، و دخل الجيش الانكليزي دلتاوه و فعل بأهلها الأفاعيل من قتل الرجال و تشريد العيال و قطع الأشجار و حرق الديار، و كان هو فيمن خرج لمشاهده الطياره التي قيل أنها أسقطت فلم يجد سوى الخراطيش الفارغه، و لما رأى دلتاوه قد صارت في قبضه الجيش الانكليزي يصنع بها ما يشاء أشفق من الرجوع إلى داره و لاذ هو و صبيه آخرون بالبساتين التي قضوا فيها ليله ليلاء ثقيله السحاب ماطره شديده الريح.. و بعد أن عادت الأمور إلى مجاريها و استتب الأمن في دلتاوه أمر الإنكليز بفتح مدارسها، أما هو فقد انصرف إلى العمل في بساينه عاقدا العزم على المضى في عمله هذا، و لكن ذات يوم رآه ابن مدير المدرسه الذي حبب إليه دخول المدرسه فدخلها على قله ما يصيبه من الغله و ضيق ذات يده و شدة حاجته حتى أنه لم يكن في وسعه أن يشتري حذاء له بدلا من حذائه القديم البالي المتهرى، و لما صار في الصف الخامس علم أن في بغداد " دار المعلمين الابتدائية " تقبل الطلاب فيها بعد الامتحان، فغادر دلتاوه إلى بغداد و بعد أن نجح في الامتحان قبل في هذه المدرسه التي قوى فيها ميله إلى دراسه العرييه و ظهرت رغبته في نظم الشعر حتى أنه أخذ يكتب مواضع الإنشاء نظما و نثرا مما جعل مدرس الإنشاء يعجب به و يثنى عليه، و عند تخرجه من هذه المدرسه عين معلما في مدرسه الناصريه الابتدائية التي بعد أن قضى فيها نحو سنه و نصف السنه نقل إلى مدرسه السيف الابتدائية في البصره، و منها إلى مدرسه الكاظميه الابتدائية، و منها إلى مدرسه دلتاوه الابتدائية، ثم اختير للتحرير في وزاره التربيه و التعليم التي كانت تدعى حينئذ وزاره المعارف، ثم أصبح معلم اللغه العرييه في المدرسه المأمونيه الابتدائية. و عند ما كان معلما في هذه المدرسه نشر كتاب (الحوادث الجامعه) و بحوثا علميه في مجله (لغه العرب)، و في سنه ١٩٣٢ صار مدرس اللغه العرييه في المدرسه المتوسطة الشرقيه، و استمر على نشر آثاره نثرا و شعرا و نظما في مجله (لغه العرب) و مساعده صاحبها اللغوي الشهير الأب انستاس ماري الكرملى في تحريرها مجانا.

و في سنه ١٩٣٤ سافر إلى باريس و دخل كليه السوربون لنيل شهاده (الدكتوراه) في الأدب في موضوع (سياسه الدوله العباسيه في أواخر عصورها)، فظفر بما أراد، و بعد رجوعه إلى العراق في سنه ١٩٣٩ عين أستاذا في دار المعلمين العاليه، ثم نقل منها إلى مديريه الآثار القديمه العامه التي عين ملاحظا فنيا فيها، ثم رجع إلى التدريس في دار المعلمين العاليه التي صارت تسمى كليه التربيه بعد إنشاء جامعته بغداد، و في عمله هذا بقي إلى آخر أيامه و أن أقعده المرض العضال في داره و حال بينه و بين النهوض بعمله الرسمي.

و قد انتخب عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي في دمشق، ثم عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي، و نشر كثيرا من شعره في المجلات و الصحف، و نقل إلى العرييه رباعيات الشاعر الرياضى الفيلسوف عمر الخيام و رباعيات الأديب الايراني حسين قدسى نخعى، و ترجم و شارك في ترجمه الكثير من الكتب و التعقيب عليها، و له فصول مستفيضه في التراث الشعبى العراقي و معلومات واسععه عن المقام العراقي و أشهر الذين أتقنوه و برعوا فيه. و قد جمع شعره بخطه (الرقعه) في دفتر أراد أن يخرجه ديوانا يسمى (الشعور المنسجم في الكلام المنتظم)، بيد أن المنيه أدركته قبل أن يحقق أمنيته، فما زال هذا الديوان مخطوطا و من شعره قصيدته (باريس قبل الحرب) التي نظمها سنه ١٩٣٩ و فيها يقول:

رمت حسره بالفجر فارتعب الفجر و آهت لآتى البين فاضطرب الصدر

وددت لو الدنيا يزول انتظامها و بالليله الليلاء يستنفد العمر
تجلدت حتى حطم الكظم أضلعي و كاد من العينين ينثر الجمر
فيا حسره طال اكتتابي بذكرها و يا آهه ما زال يعقبها البهر
لئن مزقت قلبي و أوهت حشاشتي لقد تركت عزما يدين له الدهر
أرى بارق الآمال يدعو عزيمتي إلى خطه خشناء يعقبها النصر
حللت بباريس و بباريس جنه على غير حكم الله يجرى بها الأمر
حدائقها غلب تناهى جمالها ففاح بها روح الطبيعه و العطر
و فيها ذوات الحسن من كل كاعب بهاله شعر و المحيا هو البدر
تكلكها سود الشعور و شقرها فاسودها و حف و أشقرها تبر
يكاد يطير القلب أما تباغمت بانغام صوت حشوه السحر و الشعر
فمن شاء حسنا فهو فيها موفر و من شاء علما فهي فى علمها بحر
و من شاء آدابا رأى خيرها بها فان الفرنسيين ما فيهم كبر
و من شاء إيمانا فللدين حرمه و من شاء إلحادا فما عدم الكفر
و قصيدته (ولدى):

يقول: بابا، إذا ما مضه الألم أو يذرف الدمع و هو الشاهد العلم

بابا و ماما و لا منطوق غيرهما هما لعمرى لديه المنطق الخدم

بابا فدى لك يا روحى و عاقبتى إذا بقيت و أفنى جسمى العدم

لا تحرجوه فبابا عنده وزر أو تؤلموه فدمع العين يحتدم

كان بابا هو الدنيا بأجمعها و أن ماما اله رازق لهم

يقولها راضيا أو غاضبا حرذا فالخير بالشر فى باباه ملتئم

يقول: بابا و يومئ لى فاحمله كما يشاء فانا عنده خدم

و أن خرجت ينادينى بلهجتة بابا فتثبت من تلقائها القدم

أن يحتكم فهو حكم لا يعقبه نقض و إنفاذه فرض و ملتزم

يجمع الصوت فى تبيان ماره من غير ميز و لكنا له فهم

و طالما كنت استصبى فارقصه فإنما أنسه الترقيص و الرنم

و قصيدته (الشاعر) التى منها:

من بنى الأرض و اصطفته السماء فتجلى فيما يقول البهاء

عاشق للكمال صب برشد ضاق عن بعض ما يريد الفضاء

يتحرى الجمال فى كل ليلى فهو مجنونها و ليلى الشفاء

كان أحرى بان يكون نبيا فى سجاياه ما يرى الأنبياء

و من آخر شعره البيتان الحزينان المؤلمان التاليان اللذان يفيضان أسى و لوعه لطول ما عانى من الآلام و فرط ما تجرع من

العذاب و الأحزان و ليقينه بدنو منيته و قرب نهايته:

ص: ٣٢٣

و أننا لننشر مع هذه الترجمة مقالا له بعنوان (اللغة العربية و العصر) لنعطى صورته عن تفكيره و أسلوبه، مما يكمل ترجمته:

بدأ عصر يقظه اللغة العربية الأخيره فى أواسط القرن الثالث عشر للهجره النبويه الجليله، و كان عصر يقظه هذه موافقا للثلاث الأول من القرن التاسع عشر للميلاد، بدأ ذلكم العصر فى مصر بترجمه الكتب الإفرنجيه العلميه و التاريخيه و الاجتماعيه و الفلسفيه إلى اللغة العربيه ككتاب "منتهى الأغراض فى علم شفاء الأمراض" من تأليف بروسيه و سانسون الطبيين الفرنسيين الكبيرين، و ترجمه يوحنا عنحورى، و قد طبع ببولاق سنه ١٢٥٠ هـ ، ١٨٣٥ م. و كتاب "ضياء النيرين فى مداواه العينين" من تأليف لورانس أحد أطباء العيون الإنكليز، و ترجمه أحمد حسن الرشيدى، و كتاب "مطلع شمس السير فى كرلوس الثانى عشر" من تأليف فولتير الكاتب الفرنسى الكبير الشهير و ترجمه محمد أفندى مصطفى البياع أحد خريجي مدرسه الألسن، و قد طبع ببولاق سنه ١٢٥٧ هـ ١٨٤٢ م و هو تاريخ كرلوس الثانى عشر ملك السويد "١٦٩٧ - ١٧١٨" و كتاب "الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر" تأليف فولتير أيضا، و نقل أحمد عبيد الطهطاوى، و "تحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوروبا" من تأليف روبرتسون أحد المؤرخين الإنكليز، نقله من الفرنسيه إلى العربيه خليفه محمود، أحد خريجي مدرسه الألسن أيضا، و "الدراسه الأوليه فى الجغرافيه الطبيعيه" من تأليف فيلكس لامروس، أحد العلماء الفرنسيين، نقله من الفرنسيه إلى العربيه أحمد حسن الرشيدى المقدم ذكره آنفا، و "الجغرافيه العموميه" من تأليف مالت برن من العلماء الفرنسيين، نقله من الفرنسيه إلى العربيه رفاعه رافع الطهطاوى، و "تنوير المشرق بعلم المنطق" من تصنيف دومارسيه، و نقل خليفه محمود المذكور فى الكلام على اتحاف الملوك.

و لا أود أن أرسل عنان القلم لذكر أسماء الكتب المترجمه غير التى ذكرت خشيه الاسام و الإملا، ففى كتاب تاريخ ترجمه و الحركه الثقافيه "تبيان لها و لموضوعاتها المختلفه(١)، فقد شمل النقل عامه العلوم حتى الطب البيطرى، و قد سماه المترجم "علم البيطريه". و كان المترجمون من الشاميين و المصريين، و لم تكن الثقه بعباراتهم كامله، فندب لتصحيح ترجمتهم و تحريرها، شيوخ أزهريون، و لم نعلم كيف كان هؤلاء الشيوخ الفضلاء يزاولون التصحيح و التحرير، فان الإصلاح اللغوى لترجمه الكتب العلميه و الكتب الفنيه ينبغى له أن يكون مبنا على حفظ مقاصد المؤلف و معانيه، قبل كل شىء، يقول الشيخ مصطفى حسن كساب محرر الكتب المترجمه فى مدرسه الطب البيطرى، فى تصدير أحدها: "و قد سميت هذا الكتاب روضه الأذكيا فى علم الفسيولوجيا". و يقول فى تقديم كتاب آخر فى هذا العلم: "فجاءت - يعنى رساله - بعون الله مرتبه المباني، مهذبه المعانى و سميتها بهجه السنيه فى أعمار الحيوانات الأهليه".(٢)

و منذ ذلكم العصر اتصل الغرب بالشرق، اتصلا- علميا و كانت النهضه العلميه الغربيه قويه كالغاره الشعواء، و التقدم العلمى كالسيل الجارف، فكثرت المخترعات كثره هائله، و وفرت المبتدعات و فاره طائله(٣)، و تنوع نتاج العقول، و اختلفت ألوان المعقول، و تفتقت الأذهان عن علوم و فنون عجيبه غريبه، نظريه و علميه، و الشرقيون و خاصه العرب غارون غافلون عنها، و مشغولون بما مناهم الدهر به من سلطان جائر، و جد عاثر، و تشتت و تفرقت، و ارتكاس و انتكاس فى العلم و الفن و الأدب و الثقافه عامه، ما عدا الذى أشرنا إليه من نهضه الترجمة فى مصر، و نضيف إليه استيقاظا فى لبنان، لا يعيننا ذكر مصدره.

و كانت الدوله العثمانيه هى المهيمنه على عامه أصقاع العرب و أقطارهم و بلدانهم حتى الحرمين الشريفين مكه و المدينه، و كانت أقرب الدول الشرقيه إلى أوروبا، فقد امتدت فتوحها إلى أواسط أوروبا، و لكنها بقيت متخلفه فى الحضاره و العلوم

الفنون سوى الخط و الرسم، و لما بهرتها النهضه العلميه الأورويه و النهضه الفنيه لم تجد في لغتها التركيه ما يوازيها فعمدت إلى اللغه العربيه كما عمدت قديما إلى الإسلام و فقهه و حديثه و آدابه فاختارت منها أسماء للمسميات الأورويه على حسب إدراكها لمعاني تلكم الأسماء، و على نحو ما فهمته من استعمالها قديما عند العرب، فاختارت "التفتيش" و المفتش و المدير و الاداره و المباشر و المستنطق و الضابط و الملازم و قائم المقام و المتصرف و اللواء و مير لواء "أمير اللواء" و الفريق و الصنف و للمدرسه و الجيش، و المراتب و السفاره، و الممتاز و الافتخار و المرصع و المشير و المشيريه و المستشار، و العزه و الرفعه و السعاده و الفخامه و الفضيله و الخزينه بدلا من "الخزانه"، و الوكاله للمحاماه، و الوكيل للمحامى، و التمايز من الرتب، و المدعى العمومى، و العضو و معاون، و المقيد و القيد، و الواردات و المصرف و المصارفات، و الأوراق و التحريرات و المعارف، و المعلومات و الإملاء، و اللسان "لغه" و الإعلام، و الإعلانات، و الإخطار و الإخطارات، و الطبع، و المرتب و الترتيب للحروف، و الاستئناف و التمييز، و البدايه، و الجزء و الاجراء، و الضبط "لكتابه المحكمه"، و المنحل "للشاعر"، و الكشف، و المخابره أى المناباه، و الشعبه، و المكتب "لمدرسه الصبيان و الصبايا"، و الموزع، و الرسوم و الرسومات، و التحقيقات، و المركز، و الصحه، و الولايه و القضاء و الناحيه، و الهيئه و الضابطه "و النفر" للواحد"، و يكون "لحساب"، و القلم و الدائره "للكتابه ديوانها"، و الاعدادى "للدرس"، و الرؤساء الروحانيون، و علم الثروه "للاقتصاد" و الأدبيات "لعلم الأدب"، و المبصر "لمرشد المدرسه"، و الإناث "للطالبات"، و الذكور "لطلاب" - أعنى البنات و البنين -، و الشهاده، و أركان الحرب و الرديف و الاحتياط و اللوازم، و الجراح، و البيطر "لخيل الجيش"، و الفرقة "لعدد معين من الجند"، و الصندوق "ليت المال" فى مدينه أو بلد، و أمين "لخازن بيت المال"، و النفوس "لإحصاء السكان"، و البحريه، و الموازنه "بين الواردات و المصروفات"، و الحاصلات للجبايه، و المعاش، و غيرها.

و اشتقوا "المحكمه" و الأمر و المحاسب و المحاسبه و المطبعه و اللياقه و المتحيز للمتميز و ابتدعوا الابتدائيه و الرشديه و الألفيه و البلديه و الداخليه و الخارجيه و الماليه و العدليه و الضبطيه و الرسميه و القرطاسيه و اليوميه و الأمريه و المأموريه، "؟

ص: ٣٢٤

١- تاريخ الترجمة و الحركة الثقافيه، تأليف جمال الدين الشيال " ص ٤٩ و ما بعدها "نشرته دار الفكر العربى سنه ١٩٥١ و طبع فى مطبعه الاعتماد بالقاهره.

٢- المرجع المذكور.

٣- اشترط اللغويون فى استعمال " الطائل " للكثيره و الفائده أن يكون فى منفيه كان يقال: هذا لا طائل فيه و لم يحل منه لطائل. و مع ذلك لم يلتزم المولدون قولهم، فكيف نلتزم ذلك من " الطائله "؟

و الجزائيه و غيرها، و ما لم يهتدوا إلى اسم له فى العربيه نقلوه بلفظه كالتلغراف و لغزته "للجريده" و الفابريقه "للمعمل" و المداليه "للوسام" و القنال (١) "للنهر الصغير غير الطبيعى" و الماكنه و الماكنيست "لصاحبها"، و الجاندرمه و الشيفره "للمترجم"، و البوسته و القونسل و الجناسيتيق و الاستاتيسيتيق "للاحصاء" و البانق "للمصرف" و الترامواى و القوزموغرافيا و القرانته "لدار العزل الصحى" و غيرها مما لا يحضرنا الآن.

أن التعليم و الترجمه و ما سمي "الصحافه" نهضت فى البلاد العربيه فى نصف القرن الأخير نهوضا سريعا، فترجمت الكتب العلميه و الكتب الفنيه و الكتب الأدبيه للتعليم و التدريس، و انتشرت الصحافه فى البلدان العربيه بجرائدها و مجلاتها و نشراتها الأخرى، فنقلت ألوان المعارف، و مختلف الفنون حتى الشئون العسكريه و البلاغات الحريه، فضلا عن الأخبار السياسيه و الأنباء العالميه و الحوادث البشريه، و كان من غريب ما حدث فى هذا الأمر أن كثيرا من النقله و المترجمين اغتروا بمعرفتهم اللغات الأعمجيه كالفرنسيه و الإنكليزيه و الألمانيه و الايطاليه، و لم يتقنوا اللغه العربيه و لا- تبجروا فى علم مصطلحاتها و مولدها، فترجموا الكلمات العلميه و الألفاظ الفنيه كيفما اتفق لهم، إلا أفرادا أفلأء كجمعهم (٢)، لا- يجوز لنا أن ننكر إحسانهم للنقل و فضلهم فيه، و كان واجبا على المسيئين للترجمه و النقل أن يتقنوا العربيه كما أتقنوا اللغه الأعمجيه، و لكنهم استهانوا بالعربيه - قاتلهم الله - مع اعتماد شطر من أرزاقهم عليها، فجاءت ترجمتهم شوهاء و رهاء مرهء.

و تسمح أهل الصحافه و تساهلوا فى كثير مما ينشرونه، فى نحو العربيه و صرفها و بيانها، لأن من عادتهم السرعة، فضلا عن إسراعهم النقل و ترجمه، فشاعت تراكيب ركيكه و مصطلحات فجه، ان جاز أن تسمى مصطلحات (٣) و فشا الفساد فى العربيه، و خصوصا ما ترجم إليها مما يسمى "الروايات" أى القصص و الحكايات، و شاع استعمال الناشئه للفساد من التراكيب و المساء استعماله من الكلم، كقولهم "كم هو جميل و كم هى جميله؟" بدلا من "ما أجمله و أجمل به و ما أجملها و أجمل بها، و ما كان أجملها!" و "الرتل الخامس" بدلا من "الرسل الخامس" و "هدف إلى الغايه" بدلا من "رمى إليها و استهدفها" (٤) و توخاها و قصد إليها" و "استهتر بالقانون" بدلا من استهان و تهاون به، و خالفه و خرج عنه و تعدى حدوده، مع أن الاستهتار بالقانون هو العنايه به و التمسك به كل العنايه و التمسك، و لا يزال هذا الفساد مستداما، حتى أصبحنا نسمع من يقول "فلأن يسافر أمس و فلان يجتمع أمس هو و فلان" أو يقول عصرا "الرئيس يؤدى صلاه الجمعه فى المسجد الفلانى" مع أن صلاه الجمعه تصلى قبل العصر، باستعمال المضارع الذى لا صلح له بالماضى، للزمن الماضى البحت، كان المضارع إذا جاز استعماله لهذا المعنى فى لغه أعمجيه و جب أن يستعمل كذلك فى العربيه، و كذلك القول فى "عكس رغبات الشعب" و يراد به "أعرب عنها و صورها و مثلها و أبانها و أوضحها و حكاها" مع أن العكس هو القلب و النكس و رد الأول على الآخر و الجذب يضغظ إلى الأرض و الصرف، فهذا من التعابير الإفرنجيه التى لا نسيغها و لا تسوغها العربيه، أ رأيت لو تعلم الناشئ أن "عكس مقصده" يعنى أعرب عنه و صوره ثم قرأ قول جمال الدين محمد بن سالم الحموى القاضى الفيلسوف: "و فى المحرم من هذه السنه (٥٧٢هـ) توفى القاضى كمال الدين الشهرزورى و عمره ثمانون سنه، و كان فى الأيام النوريه إليه قضاء القضاء و التحكم فى الدوله، و كان السلطان الملك الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) متولى الشحنيه بدمشق أيام نور الدين (فكان كمال الدين يعكس مقاصده و يكسر أغراضه و يعترض عليه فى أموره) لتوخى كمال الدين الأحكام الشرعيه فلما صار الملك الناصر إلى ما صار إليه من الملك و افتتح دمشق صار كمال الدين أحد قضاء بلاده، و لم يؤاخذ على ما صدر منه فى حقه بل أكرمه و أحترمه، و استشاره و عظمه". (٥) فإنه يفهم من قوله "يعكس مقاصده و يكسر أغراضه" عكس ما أرادوا، و ضد ما قصدوا، فما

ذا يفعل؟ و من ذلك قولهم، "كان يحارب ضد العدو" يريد أنه "كان يحارب العدو" فاستعملوا كلمة "ضد" التي ظنوها جائزه في اللغة الأعجميه، فأدت الجمله ضد معناها، لأن من معانى الضد "العدو" فإذا حارب عدو العدو، صار مصافيا و مسالما للعدو و موافقا و موائما لا مقاوما له. و ما من أحد ينكر أن "باب المجاز و الاستعاره" مفتوح في اللغة العربيه قديما و حديثا، و لا يضيرها أن تستعير من اللغات الأخرى مجازات جليله و استعارات جميله، على شريطه أن لا تكون نايه منافيه لطبيعتها، مباينه لأذواق أهلها، عسيره على مداركهم. و لقد اقتبست عربيه العصر جمله مجازات و استعارات من عدو لغات، و شاعت فيها لكونها سائغه، جميله الخيال، رشيقة المعنى.

و في أثناء ركود العربيه و ضمورها و تخلف العرب في العلوم و الفنون و الآداب، استحدثت في الغرب ألوف آلايت و مئات أدوات و آلاف اختراعات، و عشرات ابتداعات، و بعثت الغربيين على وجدان أسماء لطائفه منها و اشتقاق أسماء لطائفه أخرى أو تركيبها، و من الواجب أن يذكر هنا أن اللغات الأعجميه تركيب و شبهه و هو النحت، و النحت هو أخذ اسم واحد من كلمتين بعد المستحدثات الغربيه الأخرى يغلب على أسمائها التركيب و شبهه و هو النحت، و النحت هو أخذ اسم واحد من كلمتين بعد طرح ما يمكن طرحه منهما للتخفيف، و ما وجد من النحت في العربيه نزر جدالا يتعدى ما ورد في النسب و قلما يخرج عن الشعر كقولهم

"فلان العبشمي و فلان العبسقي"

نسبه إلى عبد شمس و عبد القيس، و قد جاء العبشمي في قول الشاعر:

و تضحك مني شيخه عبشميه كان لم ترى قبلي أسيرا يمانيا!

و من الباحثين من لم يعلم أن اللغة العربيه اشتقاقيه فيلوى بلسانه، و يتشدد ببيانه، هازئا بمن لا يعد النحت من خصائص العربيه، و إنما حملة على هزئه جهله لطبيعه اللغة العربيه(٤)، و كل ما ثبت عندنا من النحت عدو رموز".

ص: ٣٢٥

- ١- فاتهم أن يضعوا له كلمة "القناه" العربيه فإنها جاء في أحد معانيها بمعنى القنال الفرنجيه.
- ٢- الأفراد جمع قله للفرد، و إن كان مخالفا للقياس الذي وضعوه، من كون "فعل" الصحيح الأحرف لا يجمع على أفعال، إلا ما شذ كفرخ و أفراخ [أفراخ] و زند و أزناد، إلا أن واقع الاستعمال و كثره الأمثال نقضا هذه القاعده.
- ٣- يشترط في المصطلح أن يتفق عليه عارفان أو أكثر منهما، و لا يجوز للواحد وحده أن يسمى ما يستعمله هو نفسه مصطلحا
- ٤- ورد "استهدفه" في نهج البلاغه على روايه قياسا على وجود "مستهدف" اسم مفعول، في الكتاب المذكور، راجع مجمع البحرين للطريحي.
- ٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب "٤٩:٢-٥٠" نشر الدكتور جمال الدين الشيال بالمطبعه الأميريه المصريه بالقاهره سنه ١٩٥٧.
- ٦- راجع كتاب "دراسات في فقه اللغة العربيه ص ٣٠٧".

جمليه مستحدثه ترمز إلى العبارات كرمز الحروف إلى المواد الكيمائية كقولهم "سبحل فلان أى قال سبحان الله، و حوقل: قال لا- حول و لا- قوه إلا- بالله، و طلبق: قال أطال الله بقاءه، و دمعز: قال أدام الله عزك"، و لو لا أن هذه الجمل الرمزيه كانت من الشهره و التكرار بالمكان المعلوم ما استجازوا لها هذا الاختصار، فالنحت من خصائص اللغات الآريه الهنديه - الأوروييه، و مخترعه فى العرييه هو ابن فارس العالم اللغوى المشهور مؤلف كتاب مقاييس اللغه العرييه و المجمل فى اللغه و الصحابى فى فقه اللغه، و غيرهن، و هو فارسى الأصل، و اللغه الفارسيه نحتيه تركيبيه كسائر اللغات الآريه، و قد حدثه لغته الأصلية على أن يلصق أهم خصائصها باللغه العرييه، من غير أن يعلم أن اللغات فى العالمين أجناس، متباينه كتابين أهليها، فاصل الفرس غير أصل العرب، و اللغه العرييه من جمهره اللغات الساميه لا- من جمهره اللغات الهنديه الأوروييه، و لكل جمهره خصائص و صفات، و نعوت و علامات، و حروف و أصوات خاصه بها.

و هذا ابن جنى أبو الفتح عالم الدنيا فى الصرف و غيره من علوم العرييه قد ألف كتاب الخصائص فى خصائص العرييه و تكلم على عامه أحوالها و مجالاتها و نحوها و إعرابها و أدواتها و مناحيها و دقائقها و نكتها و بداعتها و براعتها و أسرارها و عجائبها و صفاتها و نزعاتها الطبيعيه، و لم يذكر أن "النحت" و التركيب من أصولها و لا- من خصائصها، و كان معاصرا لابن فارس الفارسى حق المعاصره و كلاهما من أهل القرن الرابع للهجره، ابن جنى فى بلاد العرب و ابن فارس فى بلاد الفرس.

و لو كان التركيب المزجى و النحت من خصائص اللغه العرييه ما ألفينا التنزيل العزيز يميل بالمركب المزجى إلى أوزان عرييه رشيقه فاصار "ميكائيل" إلى ميكال، و "جبرائيل" إلى "جبريل" و حمل الزنجيل على السلسيل، و السجيل على الشريب، و هى من المركبات المزجيه فى لغاتها، و الخصيصه فى اللغه تعنى قاعده عامه مطرده فى كثير من مفردات اللغه و تراكيبيها و لا تعنى كلمات معدوده أو تسميات محدوده أو مستعاره مقصوده، و ينبغى لنا أن نذكر فى هذا المقام أن للعرييه خصيصه الكسع و إضافه الكواسع و هى الحاق حرف أو حرفين أو ثلاثه بآخر الكلمه، كالفعم و الفعل، و الحلق و الحلقوم، و الضيف و الضيفن و الابن و الابنم، و العندليب و الزمهير، و الشقحطب(1)، و هو كما فى القاموس للفيروزآبادى "كسفرجل (فى الوزن): الكبش له قرنان أو أربعة كل منها كشق حطب جمعه شقحاط و شقاطب". و جاء فى لسان العرب "شقحطب: كبش شقحطب ذو قرنين منكرين كأنه شق حطب. أبو عمرو:

الشقحطب: الكبش الذى له أربعة قرون. الأزهرى: هذا حرف صحيح"، و أصله فى الصحاح للجوهري "كبش شقحطب أى ذو قرنين منكرين كأنه شق حطب". فهذا التأويل البعيد هو الذى أطمعهم فى اعتداد النحت موجودا فى اللغه العرييه، أعجبهم التأويل "شق حطب" و لم تعنهم سخافه المعنى، كان الحطب مألوف الشق و كان الشق يشبه القرن دائما مع أن الحطب هو ما أعد من الشجر شبوبا للنار و وقودا، و منه الشوك على اختلاف أنواعه، فمن الحطب ما يجوز أن يشبه القرن، فلما ذا لم يقولوا "قرن شقحطب" و "قرون شقاطب أو شقحاط"؟ بل قالوا: "كبش شقحطب" فوصفوا الكبش لا القرن؟ لا شك فى أن تأويلهم و تحليلهم متهافتان، فيجوز أن تكون كلمه شقحطب مكسوعه بحرف أو أكثر كما كسع لفظ "العندليب" و "العندليل" بمعنى واحد، جاء فى لسان العرب "و العندليل: طائر يصوت ألوانا، و البليل يعندل أى يصوت، و عندل الهدهد: إذا صوت عندله.. العندليب: طائر أصغر من العصفور، قال ابن الأعرابى: هو البليل، و قال الجوهري: هو الهزار(2)، و روى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: عليكم بشعر الأعشى فإنه بمنزله البازى يصيد ما بين الكركى و العندليب، و هو طائر أصغر من العصفور، و قال الليث: هو طائر يصوت ألوانا. قال الأزهرى: و جعلته رباعيا لأن أصله (العندل) ثم مد بياء و كسعت بلام مكرره ثم قلبت باء، و أنشد لبعض

و العندليل إذا زقا في جنه خير و أحسن من زقاء الدخل

و الجمع العنادل " فان لم يكن الشقحطب مكسوعا كالعندليل و العندليب فهو مأخوذ من لغه أخرى و كان كلمتين فجعله العرب كلمه واحده كالسلحفاه و الزمرده و الزغرده و البرنسا و البرنساء(٣)، ورد في لسان العرب " و البرنسا و البرنساء: ابن آدم، يقال: ما أدري أى البرنساء هو؟ و يقال: ما أدري أى برنساء هو و أى برنساء هو و أى البرنساء هو؟ معناه: ما أدري أى الناس هو؟ و البرنساء: الناس... و الولد بالنبطيه برونسا " فاللغويون العرب اعتدوا " البرنسا " و " البرنساء " كلمه واحده مع أنها فى الأصل كلمتان هما " بر " السريانيه الآراميه بمعنى " الابن " و " ناشا " السريانيه الآراميه بمعنى الناس،(٤) فالمعنى " ابن الناس " أو ابن الإنسان. و الحمد لله على أنهم لم يجعلوها منحوته من " بر النساء " أى أحسن إلهن و رعاهن على تأويل أن الرجل يرفع المرأه فى الغالب فهو بار النساء!!.

و إنما بسطنا الكلام هنا على " النحت " تمهيدا لكلامنا على مشكلات لغه العصر المحتاجه إلى التوسع و التحرر و الانطلاق لتقوم بما عليها من مصطلحات فى العلوم و الفنون و الآداب لا تحصى كثره، و لا تستقصى، لأن الحضاره الغربيه لا تزال تسرع الخطا و تطوى مسافات الاختراع و الإبداع و الابتداع طيا، فمئات الكتب العلميه و عشرات الكتب الفنيه على اختلاف العلوم و الفنون قد أوجب التعليم الحديث و التحضر و التمدن دراستها و تعلم ما فيها و تدريسها و تعليم ما بين

ص: ٣٢٦

١- ممن أخذ بمذهب ابن جنى فى وجود النحت فى الكلم العربى ظهير الدين أبو على الحسن بن الحظير الفارسى المتوفى بالقاهره سنه ٥٩٨ و هو فارسى الأصل أيضا و إن ادعى أنه من ولد النعمان بن المنذر، سأل البلبى عما وقع فى ألفاظ العرب على مثال شقحطب فقال: هذا يسمى فى كلام العرب " المنحوت " و معناه أن الكلمه منحوته من كلمتين كما ينحب النجار خشبتين و يجعلها واحدا، فشقحطب منحوت من (شق) و (حطب). فسأله البلبى أن يثبت له ما وقع له على هذا مثال إليه، ليعول فى معرفتها عليه، فأملاها عليه فى نحو عشرين ورقه من حفظه و سماها (كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب). "معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٦".

٢- البلب مثل العصفور فى الحجم و يختلف عنه فى اللون و طول الذيل، و الهزار معروف فى العراق و هو أكبر من العصفور و لا يختلف عنه فى اللون و يصوت ألوانا و ألحانا شبيه إلى السمع.

٣- فى المعرب لابن الجوالقى طائفه من المركبات المزجيه الأعجميه، كالإبريق و السكرجه و الإصطفيلينه و البرسام و البستان و البندرقه و البرطله و البارحاه و البازيار و التجفاف.

٤- المعرب " ص ٤٥ " و غيره. و جاء فى الصفحه ٦٨ من المعرب " قال أبو حاتم قال الأصمعى: بر: ابن

فيها، في الكليات و المعاهد و المدارس في جميع الأقطار العربية، و عامتها ذوات مصطلحات جديدته بالنسبه إلى مسمياتها، و كان المعلمون و المدرسون و الأساتذه يترجمون تلك المصطلحات كل على حده و بتفرد و استقلال، و كان قليل منهم يرى صعوبه الترجمة لاستلزامها إتقان اللغه العربية و العلم بمفرداتها، و هو ما لا يطيقونه فكانوا يعربون المصطلحات العلميه و المصطلحات الفنيه، و المصطلحات الأدبيه أيضا، و يتهمون العربيه بالعجز و التقصير، و التخلف في المسير، فحدثت من كل ذلك بلبه في المصطلحات و الآراء و في مستقبل اللغه العربيه، و نشأت فكره أن اللغه العربيه عاجزه عن القيام بما يستوجبه العصر العلمى الحديث من الآراء و الأسماء و كثر في اللغه العربيه السقط و الغلط لما ذكرنا آنفا من أن المتقنين للغات الأعجميه للشعوب المتمدنه لم يلزموا أنفسهم إتقان اللغه العربيه تهاونا بها و استهانته بأهلها مع أنها كانت - و لا تزال كذلك - مرآه الحضاره و سناد الأمم العربيه، و عماد القوميه، و حفاظ التراث العلمى القديم و الآداب العربيه على تباين موضوعاتها، و ضروبها و أنواعها، و ظهرت في الصحف و المجلات و كتب القصص " و الروايات " لغه عربيه جديدته، فيها مجاز مقتبس جديد، و استعاره مقتبسه جديدته، و ألوان من التعابير، كان فيها الغث و السمين، و الخطا و الصحيح، و الجميل و القبيح، فضلا عن المصطلحات التى اتحدت معانيها و مقاصدها و اختلفت ألفاظها و الدلالات عليها في اللغه العربيه.

و حملت الغيره على الأمم العربيه و لغتها آحادا من العلماء و الأدباء الفوقه على نقد المصطلحات الركيكه و المعربه و اقتراح الاستبدال بها مع ذكر البدل، و على نقد التعابير الفاسده، و الكلمات المستعمله في غير مواضعها، و الاشتقاقات [الاشتقاقات] المبانينه لطبيعه اللغه العربيه و نشرت في ذلك مقالات في الصحف و المجلات و ألفت رسائل و كتب، و نشأ جدال بين العلماء و الأدباء أنفسهم في الموضوع بعينه، و رأى أولو الأمر في الدول العربيه أن إنشاء مجامع للغه العربيه قد أصبح ضروره و حاجه ماسه لا بد منها، و لا ندحه عن قضائها، فأنشئ المجمع العلمى العربى بدمشق، ثم أنشئ المجمع العلمى العراقى، و نشر كل مجمع لنفسه مجله تعالج مشكلات اللغه، و تقترح مصطلحات جديدته، و تقوم ما فسد من التعابير، و تدعو إلى أن اللغه العربيه مليئته (١) بما يراد منها في أداء المعانى الحديثه على اختلافها، و كثرتها، و تسميه ما تحتويه الحضاره الجديده و الاختراعات و الابتداعات من ألوف أسماء، في مختلف العلوم و الفنون و الآداب، و قد ألفت و نشرت كتب في ذلك و رسائل مشهوره متداوله، و كانت أقطار من البلاد العربيه متخلفه كثيرا عن هذه النهضه اللغويه لشده و طاه الاستعباد المسمى خداعا بالاستعمار (٢) الذى هو شبيه بالاستثمار في أصل اللغه، و من تلك الأقطار "المغرب"، و ما كادت تشم رائحه الاستقلال السياسى حتى أخذت تنشئ مراكز للتعريب و تريد بها جعل المصطلحات الأعجميه عربيه الألفاظ، و عقدت مؤتمرات له، و نشرت معجمات للمصطلحات منها معجم الكيمياء و معجم الفيزياء و معجم الرياضياتو "الأصول العربيه و الأجنبيه للعاميه المغربيه"، و قد نشرت فيما نشرته بالطبع "المستدرک في التعريب" و هو معجم فرنسى عربى، للكلمه المستعمله في مختلف الأمور و الشئون، و قد كتبت عليه "مصلحه التعريب التابعه للمكتب المغربى للمراقبه و التصدير" بالدار البيضاء.

و أطرف ما ألفت في معالجه اللغه العربيه العصريه كتاب فرنسى اللغه جامع شامل، ألفة الأستاذ فنسنت مونتى VincintMonteil الفرنسى و نشره سنه "١٩٦٠" و سماه "العربيه الحديثه" Larabemodrne و قد رجع في تاليفه إلى مائه (٣) و ثلاثه و ستين مرجعا عربيا و مائه و واحد و ستين مرجعا أعجمى اللغه فجاء الكتاب في ثلاث مائه و ست و ثمانين صفحه من القطع الوسط، فهو أوسع كتاب في هذا الباب منذ ظهور مشكله اللغه العربيه العصريه حتى اليوم، و قد تكلم فيه على الكلمات المولده و الانبعث اللغوى و القوميه العربيه و صعوبه الكتابه العربيه بحروفها المعلومه و الطباعه و التجديد و التيسير، و

الأصوات العربية و أحرف العله و الاعراب و النطق و المستعار و الأغلاط و الأوهام و النصوص اللغويه و تأثير اللهجات و الأدب الشعبي و السبيل الأقوم، و الثقافه العربيه المزدوجه و النقل و الترجمة و التعليم و التدريس للعرب و باللغه العربيه و الاشتقاق و مجاله، و تخصيص الهيكل اللغوى فى العبارة و الصفات الناشئه عن النسبه و التأنيث و الازدواج و الجمع و النحت و الأصول و الحدود و الدواخل و الكواسع و التعريب أى نقل الكلمات الأَعْجَمِيه إلى أوزان عربيه فى الغالب و الدلالات و المعانى و الإصلاح اللغوى و الرمزيه و الإيماء، و الكواسع اللاتينيه " اللطينيه " للمصطلحات و خاصه الكيمياء، و الوضع و التسجيل و المجامع العلميه و المجامع اللغويه العربيه و المؤسسات الثقافيه و " الصحافه "، و المؤتمرات العلميه العربيه، و المعجمات، و اضطراب الدلالات، و إحصاء الحدود و اعتبار التحديد، و الترادف، و التعدد المعنوى و أسماء الألوان و تأليف الكلام و تركيبه، و التصريح و التلميح و التعريض و الجواز و الحدس و التساهل و الاتساع و النفى و الحصر و الزمان و الصوره و المظهر، إلى غير ذلك مما يطول تعدادة و خصوصاً الأساليب و منها أسلوب الخطابه و أسلوب " المحاضرات " و أسلوب الصحافه و أسلوب النشر و أسلوب القضاء، و أسلوب الاقتصاد و أسلوب الجدل و أسلوب التأديب و التهذيب و أسلوب النقد الأدبى و الأسلوب العلمى و الأسلوب الفلسفى و أسلوب الاقتصاد و أسلوب الخطاب و الأسلوب الفنى و الأسلوب الحكائى و الأسلوب الشعرى.

و لعل أن أهتبل فرصه لاقتباس شىء من الكتاب و نشره مع التعليل أو التعقيب، فان هذا الموضوع المهم الخاص بمستقبل العربيه لا يعالج بمقاله واحده، و من الله تعالى التوفيق.

الشيخ معتوق بن الشيخ عمران الأحسانى

قال الشيخ جعفر الهاللى:

ولد فى مدينه الأحساء سنه ١٣١٥ و توفى فيها سنه ١٣٧٨ كان أحد علماء

ص: ٣٢٧

١- المليه: القديره و المستطيعه و الوافيه الكافيه، و مذكرها الملىء، فليس معناها " الملىء " كما يستعمله كتاب العصر، و كذلك " الملىء " فليس معناها " الملىء ".

٢- الاستعمار كلمه قرآنيه فى فعلها و قد دنس استعمالها هؤلاء الغرييون فوضعوها فى غير موضعها، قال تعالى فى سوره هود (وَ إِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسِيءْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) الآيه ٦١.

٣- دأبت مجله المجمع العلمى العراقى على كتابه المائه بهذه الصوره أخذنا بالتجديد المفيد و نبذا للقديم الباعث على اللبس فى القراءه مع خلوه من الفائده.

الأحساء المشهورين، كما كان من ادبائها، يقيم في قريه (العمران الشماليه).

أخذ مبادئ دراسته في مدينه المبرز احدى مدن الأحساء، ثم رحل بعدها إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته هناك، و كان عمره حين ذاك ٢٥ سنه، و أقام في النجف ما يزيد على ٢٠ سنه، رجع بعدها إلى الأحساء، و كانت له عدده مؤلفات إلا أنها تلفت.

لم نعثر من شعره إلا على هذه الأبيات الأربعة في مدح الإمام أمير المؤمنين (ع):

حسد دب في النفوس و همس و عيون في حيره و ازورار

لعلى الفخار زين المعانى أسد الله حيدر الكرار

حسدوه و أظهروا النقص فيه و عصوا أمر أحمد المختار

و أساءوا إلى نبيه فاضحوا نهب أيدي الطغاه في كل دار

النقيب معد الموسوى

قال الدكتور مصطفى جواد:

هو شرف الدين أبو تميم معد بن الحسين الموسوى النقيب، كان قد تولى سنة ٦٠٥ إشراف المخزن و ذلك في يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة، و خلع عليه بالبدرية المعروف اليوم انه منها درب الرواق و جامع مرجان، و ركب من هناك إلى المخزن ثم تولى بلاد واسط، و في سنة ٦١٦ امره الخليفة الناصر لدين الله ان يسير إلى قتال بنى معروف فى البطائح فتجهز و جمع معه من الرجاله من تكريت و هيت و الحديثه و الأنبار و الحله و الكوفه و واسط و البصره و غيرها خلقا كثيرا و سار إليهم و مقدمهم حينئذ معلى بن معروف و هم قوم من ربيعه، و كانت بيوتهم غربى الفرات تحت سورا و ما يتصل بذلك من البطائح، و كان قد كثر فسادهم و أذاهم لما قاربهم من القرى، و قطعوا الطريق و أفسدوا فى النواحي المقاربه لبطيحه الغراف، فشكا أهل تلك البلاد إلى الديوان منهم فأمر الخليفه معدا ان يسير إليهم فى الجموع - كما قدمنا - فسار إليهم فاستعد بنو معروف لقتاله، فاقتلوا بموضع يعرف بالمقير و لا يزال معروفا بذلك و هو عند المدينه الأزليه المسماه (أور) و فيها اليوم مستشار للآثار، و المقير تل كبير بالبطيحه بقرب الغراف و كثر القتل بين الفريقين ثم انهزم بنو معروف و كثر فيهم القتل و الأسر و الغرق و أخذت أموالهم و حملت رؤوس كثيره من القتلى إلى بغداد فى ذى الحجه من سنه ٦١٦ المذكوره، و كان شمس الدين أبو المظفر باتكين بن عبد الله الرومى والى البصره حاضرا هذه الوقعه مع عسكر البصره و فى ذلك قال:

يا وقعه شفت النفوس و غادرت تل المقير ما به من غابر

و سقت بنى المجهول(١) كأسا مره تركت مواردهم بغير مصادر

جحدوا أيادى للخليفه جمه فأراهم عقبى الجحود الكافر

و توهموا ان المقير معقل متمنع من كل ليث خادر

فرماهم القدر المتاح بأسهم تركت ربوعهم كرسم دائر

و كان ينوب عن الشريف أبى تميم معد فى أشراف المخزن ابنه أبو على الحسن، و توفى هو بعد وقعه المقير المذكور بسنه واحده أى سنه ٦١٧هـ، و مضى موكب الديوان إليه فى جمع من الحجاب و الدعاه و فى صدرهم عارض الجيش سعيد بن عسكر الأنبارى إلى داره بالمحله المقتديه و كان ما فى شرقى محله قنبر على اليوم يعرف بالمحله المقتديه نسبه إلى المقتدى بالله العباسى، و الدار تعرف بدار معد الموسوى و هى التى انزل المستنصر فيها الملك الناصر داود بن المعظم عيسى فى وفوده عليه سنه ٦٣٣هـ لفخامتها، و كان مضى الموكب فى اليوم الثالث من وفاه الشريف معد، فأقاموه من العزاء و عرفوه ان الخليفه الناصر لدين الله قلده ما كان أبوه قد تقلده من النقابه و أشراف المخزن، فركب إلى دار الوزاره و خلع عليه خلعه نقابه الطالبين و كان عمره يومئذ خمساً و عشرين سنه.

و من أبناء الشريف أبى تميم معد هذا فخار الموسوى العلامه المشهور المتوفى سنه ٦٣٠هـ.

معقل بن قيس الرياحى

مر ذكره فى الصفحه ١٣١ من المجلد العاشر، و نضيف هنا ما يلى:

كان على (ع) استخلف رجلا يقال له الخريت بن راشد على بلاد الأهواز قبل خروجه إلى صفين، فلما كان بعد رجوع على من صفين خالف عليه هذا الخريت و جعل يجمع الجنود و يدعو إلى خلع على و البراءه منه، حتى أجابه إلى ذلك خلق كثير، ثم إنه احتوى على البلاد و جبى الأموال، و بلغ ذلك عليا فدعا معقل بن قيس الرياحى، فضم إليه أربعة آلاف رجل و وجهه إلى الخريت.

فسار الخريت فى عشره آلاف رجل من أهل الأهواز و من بنى ناجيه و مواليهم.

و دنا القوم بعضهم من بعض، فقال معقل بن قيس:

أيها الناس! أين الخريت بن راشد؟ فليخرج إلى فانى أريد كلامه، قال: فخرج إليه الخريت حتى واقفه، ثم قال: أنا الخريت فهات ما الذى تريد! فقال له معقل: ويحك لم خرجت على أمير المؤمنين و دعوت الناس إلى خلعه و البراءه منه و قد كنت من خيار أصحابه و أوثق الناس عنده؟ فقال:

لأنه حكم فى حق هو له، فقال له معقل: ويحك! أ من أهل الإسلام أنت؟ قال: نعم، أنا من أهل الإسلام، فقل ما بدا لك فقال له معقل: خبرنى لو أنك خرجت حاجا فقتلت شيئا من الصيد مما قد نهى الله عز و جل عنه، ثم أتيت عليا فاستفتيته فى ذلك فافتاك، هل كان عندك رضى؟ فقال: بلى، لعمرى إنه عندى لرضى،

و قد قال النبى (ص):

أقضاكم على، فقال له معقل بن قيس: فكيف ترضى به فى علمه و لا- ترضى فيما حكم؟ فقال: لأنى لا أعلم أحدا من الناس حكم فى شىء هو له.

فقال: يا هذا! إن الذى لا تعلمه أنت هو أكثر من الذى علمته، إنا وجدنا عليا يحكم فى جميع ما اختلفنا فيه و قد رضينا بحكمه، فائق الله و إياك و شق العصا! و ارجع إلى ما كنت عليه من السمع و الطاعة، فأمر المؤمنين أعلم بما ياتى و يذر، فقال الخريت: لا و الله لا يكون ذلك و لا تحدثت العرب به أبدا، و ما لكم عندى و لصاحبكم إلا السيف.

ثم صاح بأصحابه و حمل على معقل بن قيس، و حمل عليهم معقل فى

ص: ٣٢٨

١- ذمهم بتعكيس اسمهم لأنه بنو معروف فصاروا بين المجهول.

أصحابه و اختلط القوم بعضهم من بعض فقصدته معقل من بين أصحابه، فضربه ضربه على أم رأسه فجذله قتيلا. و حمل أهل الكوفة على أهل الأهواز من بنى ناجيه، فقتل منهم من قتل و هرب من هرب و أسر من أسر من بنى ناجيه، و أمر معقل بن قيس بهؤلاء الأسارى فجمعوا ثم أمر برأس الخريت ابن راشد فاخذ و احتوى على أمواله، و سار إلى على بالأسارى و الأموال.

و كان مصقله بن هبيرة الشيباني أيضا عاملا لعلی بن أبى طالب (ع) على بلد من بلاد الأهواز، فنظر إلى هؤلاء الأسارى الذين قد أتى بهم معقل بن قيس، كأنه اتقى عليهم أن يقتلوا، فقال لمعقل:

ويحك يا معقل! هل لك أن تبيعنى هؤلاء الأسارى و لا تمضى بهم إلى أمير المؤمنين؟ فانى خائف أن يعجل عليهم بالقتل. قال معقل: قد فعلت فاشترهم منى إذا حتى أبيعك. قال له مصقله: قد اشتريتهم منك بخمسمائه ألف درهم، قال: قد بعتك فهات المال! فقال مصقله: غدا أعطيك المال، فسلم إليه معقل بن قيس الأسارى، فأعتقهم مصقله بأجمعهم، فمضوا حتى لحقوا ببلادهم.

فلما كان الليل هرب مصقله إلى البصره إلى عبد الله بن العباس، و كتب معقل بن قيس إلى عبد الله بن عباس يخبره بخبر مصقله و ما فعل. فدعا ابن عباس مصقله فقال: هات المال! فقال: نعم و كرامه، إن معقل بن قيس أراد أن يأخذ المال منى و أنا فلم أحب أن أعطيه ذلك، و لكن أدفع هذا المال إليك لأنك ابن عم أمير المؤمنين و عامله على البلاد، قال ابن عباس: فقد أحسنت إذا و أصبت فهات المال.

و انصرف مصقله إلى منزله، فلما كان الليل هرب إلى الكوفة إلى على بن أبى طالب، قال: و كتب معقل بن قيس إلى على يخبره بذلك، و كتب أيضا عبد الله بن عباس إلى على بذلك. قال: فدعا به على و قال: هات المال يا مصقله! فقال: نعم يا أمير المؤمنين! إن معقل بن قيس و عبد الله بن عباس أرادا منى أن أدفع المال إليهما و أنت أولى بحقك منهما، قال على: قد أحسنت إذا و أصبت فهات المال! فقال: وجه من يحمل المال، فدفع إليه فى ذلك اليوم مائه ألف درهم و بقيت عليه أربعمائه ألف درهم.

فلما كان الليل هرب إلى معاويه، و طلبه على فلم يقدر عليه، و كان نعيم بن هبيرة أخو مصقله عند على بن أبى طالب و من خيار أصحابه، فكتب إلى أخيه مصقله بهذين البيتين يقول:

تركت نساء الحى بكر بن وائل و أعتقت سببا من لؤى بن غالب

و فارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محاله ذاهب

و لم يبق بالعراق أحد من ربيعه إلا و ذكر مصقله بن هبيرة بكل قبيح إذ فارق عليا و صار إلى معاويه.

فلما فرغ نعيم من شعره أقبل إلى جماعه من بنى عمه من بنى بكر بن وائل فقال: إنه قد وردت على أبيات من عند أخى مصقله، و قد علمت أنه يحب الرجوع إلى العراق، و أنا و الله مستح من أمير المؤمنين أن أكلمه فيه، و لكن أحب أن تكتبوا إليه كتابا عن جميعكم، و ليكن ذلك عن رأى أمير المؤمنين.

فاجتمع نفر من ربيعه إلى على فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن نعيم بن هبيرة مستح منك لما فعل مصقله أخوه، وقد أتانا الخبر اليقين بان مصقله ليس يمنعه من الرجوع إلى العراق إلا الحياء، و لم يبسط منذ خرج من العراق علينا لسانا و لا يدا، و لا نحب أن يكون رجلا منا مثل مصقله عند معاويه، فان أذنت لنا كتبنا إليه كتابا من جماعتنا و بعثنا إليه رسولا فلعله أن يرجع! فقال على:

اكتبوا ما بدا لكم و ما أراكم تنتفعون بالكتاب. فقال الحضيض بن منذر السدوسي: يا معشر بنى بكر بن وائل! إن أمير المؤمنين قد أذن لكم فى الكتاب فقلدونى كتابكم، فقالوا: قد فعلنا ذلك فاكتب ما بدا لك.

فكتب إليه الحضيض بن المنذر: أما بعد، يا مصقله! فان كتابنا هذا إليك من جماعه بنى بكر بن وائل، و قد علمنا بانك لم تلحق بمعاويه رضى منك بدينه و لا رغبه فى دنياه، و لم يقطعك عن على طعن فيه و لا رغبه عنه، و لكنك توسطت أمرا قويت فيه بديا ثم ضعفت عنه أخيرا، و كان أول أمرك أنك قلت أفوز بالمال و ألحق بمعاويه، و لعمرى ما استبدلت الشام بالعراق، و لا السكاسك بريعه، و لا- معاويه بعلى، و لا- أصبت دنيا بهما، و إن أبعد ما يكون من الله أقرب ما يكون من معاويه، فارجع إلى مصرك فقد غفر لك الذنب و حمل عنك الثقل، و اعلم بان رجعتك اليوم خير منها غدا، و كانت أمس خير منها اليوم، و إن كان قد غلب عليك الحياء من أمير المؤمنين فما أنت فيه أعظم من الحياء، فقبح الله امرأ ليس فيه دنيا و لا آخره - و السلام.

قال: ثم أثبت فى أسفل الكتاب هذه الأبيات:

أ مصقل لا تعدم من الله مرشدا و لا زلت فى خفض من العيش أرغدا

و إن كنت قد فارقت قومك خزيه يمد بها الشانئ إلى رهطك اليدا

و كنت إذا ما ناب أمر كفيته ربيعه طرا غائبين و شهدا

تدافع عنها كل يوم كريبه صدور العوالى و الصفيح المهندا

يناديك للعلياء بكر بن وائل فتثنى لها فى كل جارحه يدا

فكنت أقل الناس فى الناس لائما و أكثرهم فى الناس خيرا معددا

تحف إلى صعلو كنا فتجيبه فكنت بهذا فى ربيعه سيدا

ففارقت من قد يحسر الطرف دونه جهارا و عاديت النبى محمدا

فان تكن الأيام لاقتك غيره قم الآن فارجع لا تقولن غدا غدا

و لا ترض بالأمر الذى هو صائر فقد جعل الله القيامه موعدا

فلما ورد هذا الكتاب على مصقله بن هبيرة و قرأه و نظر فى الشعر، أقبل على الرسول فقال: هذا كلام الحضيض بن المنذر، و شعره

لم يشبه كلام أحد من الناس، فقال له الرسول: صدقت هذا كلام الحضين، فاتق الله يا مصقله! وانظر فيما خرجت منه و فيما صرت إليه، وانظر من تركت و من أخذت، ثم اقض بعد ذلك على هواك، أين الشام من العراق! و أين معاويه من على! و أين المهاجرون و الأنصار من أبناء الطلقاء و الأحزاب! و أنت بالعراق تتبع و أنت بالشام تتبع.

فسكت مصقله عن الرسول فلم يجبه بشيء، ثم أخذ الكتاب فأتى به معاويه و أسمعه الشعر، فقال له معاويه: يا مصقله! أنت عندي غير ظنين، فإذا أتاك شيء من هذا فاخفه عن أهل الشام، فقال: أفعل ذلك إن شاء الله.

ثم رجع مصقله و أقبل على الرسول فقال له: يا أخا بني بكر! إنى إنما هربت بنفسى من على خوفا منه، و لا و الله ما ينطق لسانى بعيبه و لا ذمه و لا قلت قط فيه حرفا أعلم أنه يسوءه ذلك، و قد أتيتنى بهذا الكتاب فخذ الجواب

إلى قومك. فقال الرسول: أفعل ذلك و اكتب ما بدا لك، فكتب أما بعد، فقد جاءني كتابكم فقرأته و فهمته، فأخبركم أنه من لم ينفعه القليل يضره الأ-كث، و إن الذى قطعنى من على و أمالنى إلى معاويه ليس يخفى عليكم، و قد علمت أنى لو رجعت إليكم لكان ذنبى مغفورا و ثقلى محمولا- و لكنى أذنبت إلى على ذنبا و صحبت معاويه، فلو رجعت إلى على لأبديت غير و احتملت عارا، و كنت بين لومتين أولها خيانه و آخرها غدر، و لكنى قلت أقيم بالشام، فان غلب معاويه و استوى له هذا الأمر فدارى العراق، و إن غلب على فدارى الروم، و فراقى عليا على بعض العذر أحب إلى من فراق معاويه و لا عذر لى، و القلب منى إليكم طائر و السلام، ثم كتب فى أسفل الكتاب بهذه الأبيات:

أ يا راكب الأدماء أسلم خفها و غاربها حتى تردد ارض بابل

ألكنى إلى أهل العراق رساله و خص بها حيتت بكر بن وائل

و عم بها عليا ربيعه اننى تركت عليا خير حاف و ناعل

على عمد غير عائب ذنبه و لا سامع فيه مقاله قائل

و لا طالبا بالشام أدنى معيشه و ما الجوع من جوع العراق بقاتل

فكيف بقائى بعد سبعين حجه و ما ذا عسى غير الليالى القلائل

أقول إذا أهدى له الله نعمه بدا الدهر زده من مزيد الفضائل

و لكننى كنت امرأ من ثقاته أقدم فى الشورى و أهل الوسائل

فاذنبت ذنبا لم يكن ليقيله بعلمى و قلت الليث لا شك آجلى

و لم أدر ما قدر العقوبه عنده سوى القتل قد أيقنت ان ليس قاتلى

و أفردت محزونا و خليت مفردا و قد خمدت نارى و رثت حبانلى

و لم يك إلا الشام دار و انه لموطئها بالخيل من دون قابل

فسرت إليه هاربا بحشاشه من النفس مغموما كثير البلايل

و لم يسمع السامون [السامعون] منى نقيصه و لا فشلت من يمن يمنى أناملى

ثم دفع الكتاب إلى الرسول و قال: عليك يا ابن أخ أن تسأل أهل الشام عن قولى فى على، فقال له الرسول: نعم - إنى قد سألت عن ذلك فما حكموا إلا جميلا، فقال مصقله: فانى و الله على ذلك حتى أموت.

ثم رجع الرسول بالكتاب إلى الكوفه فدفعه إلى الحضين بن المنذر فقرأه ثم أتى به عليا فقرأه إياه، فقال علي: كفوا عن صاحبكم فإنه ليس براجع إليكم أبدا حتى يموت، فقال الحضين: يا أمير المؤمنين! والله ما به الحياء و لكن الرجوع، قد كفنا عنه و أبعد الله (راجع: نعيم بن هبيرة)

السيد مهدي الحكيم

مرت ترجمته في الصفحة ١٥٢ من المجلد العاشر و قد ترجم له الشيخ محمد حرز الدين صاحب كتاب (معارف الرجال)، و كان صديقه و رفيقه، و قال أنه حدثه عن أهل جبل عامل قائلا: "و كان يحدثنا عن أنه لم يكن يعجبه أخلاق تلك النواحي و لا عاداتهم، و يقول: أن فيهم غلظه و جفافا في الأخلاق...".

و يعقب الشيخ محمد علي ذلك قائلا: "و لا- لوم عليه حيث تربي في بلد العلم و الأخلاق النجف الأشرف التي هي موطن الصفات الجميله و العادات الطيبه...". نقول: ولده السيد هاشم كان فاضلا تقيا ورعا محبوبا ظل بعد أبيه في بنت جيل و توفي فيها فكان منه فرع لآل الحكيم في جبل عامل، أنجب عددا من العاملين في الخير العام ابرزهم ولده السيد علي الذي هو اليوم خطيب جبل عامل و الذي أصبح منبره الحسيني مدرسه سياره يعم نفعها الجماهير و الأفراد في كل مكان تصل إليه. و للسيد علي أولاد نجباء جمع بعضهم إلى الدراسات الإسلاميه العريقه، الدراسات الحديثه العاليه فكانوا في مقدمه المثقفين العاملين المفيدين.

السيد مهدي بحر العلوم

مرت ترجمته في الصفحة ١٥٨ من المجلد العاشر و مما لم ينشر له هناك هذه القصيده:

قال يرد علي مروان بن أبي حفصه شاعر الرشيد حيث يقول في قصيدته اللاميه التي أولها:

سلام علي جمل و هيهات من جمل و يا حبذا جمل و إن صرمت جبلي

و منها:

علي أبوكم كان أفضل منكم أباه ذوو الشورى و كانوا ذوى فضل

و ساء رسول الله إذ ساء بنته بخطبته بنت اللعين أبي جهل

فدم رسول الله صهر أبيكم علي منبر بالمنطق الصادع الفصل

و حكم فيها حاكمين أبوكم هما خلعاہ خلع ذى النعل للنعل
و قد باعها من بعده الحسن ابنه فقد أبطلا دعواكم الرثه الجبل
و ضيعتموها و هى فى غير أهلها و طالبتموها حين صارت إلى الأهل
فقال السيد مهدي یرد علیه:

الا عد عن ذكرى بثينه أو جمل فما ذكرها عندى يمر و لا يحلى
و لا اطربتنى البيض غير صحائف محبره بالفضل ما برحت شغلى
و عوج يقيم الاعوجاج انسلالها إذا حان منها الحين حنت إلى السل
و عد للأولى هم أصل كل فضيله و يمم منار الفضل من ربه الأصلى
و عرج على الأطهار من آل هاشم فهم شرفى و الفخر فيهم و هم اصلى
و سلم على خير الأنام محمد و عترته الغر الكرام أولى الفضل
و خص عليا ذا المناقب و العلى وصى النبى المرتضى خيره الأهل
و بث لهم بثى فانى فيهم أكابر أقواما مراجلهم تغلى
و قل للذى خاض الضلاله و العمى و من خبط العشواء فى ظلمه الجهل
و من باع بالأثمان جوهره الهدى كما باع بالخسران جوهره العقل
هجوت أناسا فى الكتاب مديحهم و فى العقل بان الفضل منهم و فى النقل
و لفقت ذورا كادت السبع تنطوى له و الجبال الشم تهوى إلى السفلى
علوا حسبا من أن يصابوا بوصمه فيدفع عن أحسابهم أنا أو مثلى
و لكن أبت صبيرا نفوس ابيه و أنف حمى لا يقر على الذل
فاصغ إلى قولى و هل أنا مسمع غداه أنادى الهائمين مع الوعل
على أبونا كان كالطهر جدنا له ما له إلا النبوه من فضل

و ذو الفضل محسود لدى الجهل و العمى لذا حسد الهادى النبى أبو جهل

و عادى عليا كل أرذل أسفل و ضولع مدخول الهوى ذاهب العقل

لئن كانت الشورى أبته و قبلها سقيفتهم أصل المفسد و الختل

فقد أنكرت خير البريه ندوه و ضلت رجال الرحلتين عن السبل

و حاربه أهل الكتاب ببغيهم و كانوا يستفتحون لدى الوهل

ص: ٣٣٠

و أصحاب موسى السامري أضلهم بعجل فظلوا عاكفين على العجل
و قد كذب الرسل الكرام و قوتلوا فما ضرهم خذلان قوم ذوى جهل
و لو كانت الشورى لقوم ذوى فضل لما عدلوا بالأمر يوماً إلى الرذل
أبوا حيدرا إذ لم يكونوا كمثلته و ما الناس إلا مائلون إلى المثل
أبوه و يأبى الله إلا الذى أبوا و هل بعد حكم الله حكم لذى عدل
له فى العقود العاقدات له الولا من الله عقد مبرم غير منحل
و كم فى كتاب الله من حجه له و آيات فضل شاهدات على الفضل
كشاهد هود ثم يتلوه شاهد من الرعد و الأحزاب و النمل و النحل
أمام أتى فيه من الله ما أتى و هل قد أتى فى غيره هل أتى قل لى
و بلغ فيه المصطفى أمر ربه على منبر بالمنطق الصادع الفصل
فقال أ لستم تعلمون باننى أحق و أولى الناس بالناس فى الكل
فقالوا بلى قال النبى فأنت يا أبا حسن أولى الورى بالورى مثلى
و أنزله منه بمنزله مضت لهارون من موسى بن عمران من قبل
و شبهه بالأنبياء لجمعه جميع الذى فيهم من الفخر و النبيل
له حكم داود و زهد ابن مريم و مجد خليل الله ذى الفضل و البذل
و تسليم إسماعيل عند ميته و عزم كلیم الله فى شدة الأزل
و حكمه إدريس و أسماء آدم و شكر نجى الله فى عهد ذى الكفل
و خطب شعيب فى خطابه قومه و خشيه يحيى البر فى هيبه المحل
و كان عدیل المصطفى و مثله و هل لعدیل الطهر أحمد بن مثل
و كان الأخ البر المواسى بنفسه و من لم يخالفه بقول و لا فعل

و أول من صلى و آمن و اتقى و أعلم خلق الله بالفرض و النقل
و أشجعهم قلبا و أبسطهم يدا و أرحاهم عهدا و أحفظ للال
و أكرمهم نفسا و أعظمهم تقى و أسخاهم كفا و إن كان ذا قل
حبيب حبيب الله نفس رسوله و نور مجلى النور فى العلو و السفلى
رقى فارتقى فى القدس مرقى ممنعا تجاوز فيه الوهم عن مبلغ العقل
تحيرت الألباب فى ذات ممكن تعالى عن الإمكان فى الوصف و الفعل
تجمعت الأضداد فيه من العلى فعز عن الأنداد و الشبه و المثل
أ ذلك أم من للمعائب عيبه تفرع كل العيب عن كفره الأصلى
تطأ من للات الخبيثه اعصرا و زاد نفاقا حين أسلم عن ختل
و مصطنع ربا بكفيه لأكه بفكيه لما جاع و اضطر للأكل
و من جهل الأب الذى كل سائم به غارف راع فصيل إلى عجل
و من كل عن فهم الكلاله فهمه مقرا بكل العجز عن ذاك و الكل
أ من هو باب للعلوم كمن غدا يفضل ربات الحجال من الجهل
و من هو أقضاهم كمن جد جده ليقضى فى جد قضيه ذى فصل
فاحصوا قضاياه ثمانين وجهه تلون ألوانا و أخطأ فى الكل
و كم بين من قال اسالونى جهره و من يستقبل الناس فى المحفل الحفل
و من هو كرار إلى الحرب يصطلى بنيرانها حتى تبوخ بما يصلى
له الرايه العظمى يطير بها إلى قلوب اطيرت منه بالرعب و النصل
و من لا يرى فى الحرب إلا مشمرا بذل ذبول الفر فى المعشر الفل
أبو حسن ليث الوغى أسد الشرى مقدمها عند الهزاهز و الوهل

أقام عماد الدين من بعد ميله و ثل عروش المشركين أولى المحل
و قاتل فى التأويل من بعد من بغى كما كان فى التنزيل قاتل من قبل
فروى من الكفار بالدم سيفه و ثنى به الباغين علا على نهل
و زوجه المختار بضعته و ما لها غيره فى الناس من كفو عدل
و قال لها زوجتك اليوم سيدا تقيا نقيا طاهر الفرع و الأصل
و أنت أحب الناس عندى و أنه أعز و أولى الكل بعدى بالكل
و أن إله العرش رب العلى قضى بذنا و تولى الأمر و العقد من قبلى
فأبدت رضاها و استجابت لربها و والدها رب المكارم و الفضل
و كم خاطب قد رد فيها و لم يجب و كم طالب صهرا و ما كان بالأهل
و لو لا على ما استجيب لخاطب و لا كانت الزهراء ترف إلى بعل
و أكرم بمن يعلى النبى بشأنها و اسمع بما قد قال من قوله الفصل
الافاطم منى و من هى بضعه و من قطعها قطعى و من وصلها وصلى
و من لرضاها الله يرضى و سخطها له سخط أعظم بذلك من فضل
لذا اختارها المختار للمرتضى الذى رضاها رضاه فى العزيمه و الفعل
و من لا يزال الحق معه و لم يزل مع الحق لا ينفك كل عن الكل
فأعظم بزوجين الاله ارتضاها جليلين جلا عن شبيهه و عن مثل
فكل لكل صالح غير صالح له غيره و الشكل يأبى سوى الشكل
لذلك ما هم الوصى بخطبه حياه البتول الطهر فاقده المثل
بذا خبر المختار و الصدق قوله أبو حسن ذاك المصدق فى النقل
فاضحى بريئا و الرسول مبرئا (و قد أبطلا دعوا كما الرثه الحبل)

بذلك فاعلم جهل قوم تحدثوا (بخطبته بنت اللعين أبى جهل)
نعم رغبت مخزوم فيه و حاولت بذلك فضلا لو أجيت إلى الفضل
فلما أبى الظهر الوصى و لم يجب رتمه بما رامت و مالت إلى العذل
فبرأه المختار مما تحدثت و ما أظهر الرجسان من كامن الغل
و قد طوقا إذ ذاك منه بلعنه فسامتهما خسفا و ذلا على ذل
و قد جاء تحريم النكاح لحيدر على فاطم فيما الرواه له تملى
فان كان حقا فالوصى أحق من تجنب محظورا من القول و الفعل
و كيف يظن السوء بالظهر حيدر و رب العلى فى ذكره فضله يعلى
و كيف يحوم الوهم حول مطهر من الرجس فى فصل من القول لا هزل
و مثل على هل يروم دينه كفى حاجزا عن مثلها حاجز العقل
و ليس يشاء المستحيل الذى شأى جميع الورى فى العقل و الفضل و النبيل
و إن لم يكن حقا و كان محللا له كل ما قد حل من ذاك للكل
فما كانت الزهراء ليسخطها الذى به الله راض حاكم فيه بالعدل
و لا كان خير الخلق من لا يهيجه سوى غضب لله يغضب من جهل
و ليس على حاش لله بالذى يسوء أخاه أو يسىء إلى الأهل
و هل ساء نفسا نفسها و سرورها إذا سرها مر المساءه من محل
و ما ساء خير الناس غير شرارهم كعجل بنى (شر) و صاحبه الرذل
بهم سيئت الزهراء و أودى أحمد و صنو النبى المصطفى خاتم الرسل
و ما ضر مجد المرتضى ظلمهم له و لا فلتة منهم و شورى ذوى خذل
و لا ضره جهل ابن قيس و قد هوى و دللاه جرو العاص فى المدحض الزل

وقد بان عجز الأشعري وعزه وما كان بالمرضى والحكم العدل

ص: ٣٣١

نهاهم عن التحكيم و الحكم بالهوى فلم ينتهوا حتى رأوا سبه الجهل
و حاولت نقصا من على و انما نقصت العلى فى ذاك إن كنت ذا عقل
فما علت العلياء إلا بمجده و لو خلع العلياء خرت إلى السفلى
و أما التى قد خصه ربه بها فليست برغم منك تدفع بالعزل
أ يعزل منصوب الإله بعزلهم إذا فلهم عزل النبيين و الرسل
و قست العلى بالنعل و هى بقلبها مواقعها جيد اللعينين و العجل
فبشراكم بالنعل تتبع لعنه مضاعفه من تابعى خاصف النعل
و ما شان شان المجتبى سبط أحمد مصالحه الباغى الغوى على دخل
فقد صالح المختار من صالح ابنه و صد عن البيت الحرام إلى الحل
و قال خطيبا فيه ابنى سيد يكف به الله الأكف عن القتل
كما كف أيديكم بمكه عنهم لما كان فى الأصلاب من طيب النسل
و قد قال فى السبطين قولاً جهلتم معانيه لكن قد وعاه ذوو العقل
امامان إن قاما و إن قعدا فما يضرهما خذلان من هم بالخذل
فصيرتموا صلح الزكى مسبه و أكثر فيه العاذلون من العذل
و تلك شكاه ظاهر عنه عارها و ما هى إلا عصمه رثه الحبل
لئن كنتم أنكرتم حسن ما أتى به الحسن الأخلاق و الخيم و الفعل
لفى مثلها لام الذى لام احمدا على صلحه كفار مكه من قبل
إلى أن يقول:

هما أسسا ظلم الهداه و قد بنى غواتهم بغيا على ذلك الأصل
و لولاهم ما كان شورى و نعثل و لا جمل و القاسطون ذوو الدخل

و لا كان تحكيم و لا كان مارق و لا رمى الإسلام بالحادث الجبل
و لا كان مخضوبا على بضربه لأشقى الأنام الكافر الفاجر الوغل
و لا سيئت الزهراء و لا ابتز حقها و لا دفنت سرا بمحلوكك الطفل
و لا عمى القبر الشريف و قرب البعيد إلى الهادى و بوعد بالأهل
و لا جنح السبط الزكى ابن أحمد لسلم ابن حرب حرب كل أخى فضل
و لا كان فى الطف الحسين مجدلا و لا رأسه للشام يهدى إلى النذل
و لا سييت يوما بنات محمد و لا آله أضحت أضاحى على الرمل
و لا طمعت فيها علوج أميه و لا حكمت أبناء مثله فى النسل
جعلتم تراث الأقربين لمن ناى و أدنيتم الأقصين عدلا عن العدل
و أخرتم من قد علا كعبهم على حدود الأولى مالوا و ملتتم إلى المثل
على أننى مستغفر من مقاتلى و ذكرى شرودا سار فى مثل قبلى
فما خد من قسم به صالحا لأن يكون لعمرى موطئ الرجل و النعل
و أين سماء المجد من مهبط الثرى و أين سنام العلم من مدحض الجهل
و أين السهى من بهجه الشمس فى الضحى و أين العلى من منتهى البعد فى السفلى
زعمتم بنى العباس عقده أمرها و ما صلحوا للعقد يوما و لا الحل
و جدتهم قد كان أفضل منهم و ما أدخل الشورى و لا عد للفضل
و قد قدموا اليتيمى قدما لسنه و ما قدموا الشيخ الشريف أبا الفضل
لقد ظلموا العباس إن كان أهلها و إن لم يكن أهلا فما الولد بالأهل
فما بالكم صيرتموها لولده و أثبتموا للفرع ما ليس للأصل
و قد بذل العباس نصره حيدر و بيعته بعد النبى بلا فصل

و كان بحق الطهر كالحبر نجله عليما و أكرم بابن عباس من نجل
و لكن ابى الأحفاد سيره جدهم فجدوا بظلم الطيبين من النسل
و غرهم الملك العقيم و عزهم فبعدا لعز عاد بالخزى و الذل
و قد قطعوا الأرحام بعد قيامهم بظلم مقام الأقربين من الأهل
بحبس و تشريد و بغى و غيلة و حرب و إرضاء و خذل إلى قتل
لأن قتلت آل النبى أميه فقتلاهم أوفى عديدا من الرمل
و إن منعتها الماء تشفى غليلها فقد أرسلوه للقبور من الغل
و إن حبست عنها الفرات فإنهم باجرائه اجرى فقبح من فعل
و قد حيل فيما بين ذاك و بينهم فحاروا و حار العقل من كل ذى عقل
و حاولت الأرجاس إطفاء نورهم بأفواههم و النور يسمو و يستعلى
فعلمهم المنشور فى كل مشهد و حكمهم المشهور بالنصف و العدل
و اسمائهم تلو لأسماء ربهم و جدهم خير الورى سيد الرسل
و يرفعهم فى وقت كل فريضه نداء صلاه و الصلاه من الكل
مشاهدتهم مشهوده و بيوتهم تراها كبيت الله شارع السبل
تشد الورى من كل فج رحالها إليها و تطوى البيد حزنا إلى سهل
على كل عداء من السير ضامر يغول الفلا فى كل هاجرته تغلى
تؤم التى فيها النجاه و عندها مناخ ذوى الحاجات للفوز بالسؤل
بيوت باذن الله قد رفعت فما لها غير بيت الله فى الفضل من مثل
و فيها رجال ليس يلهيهم بها عن الله بيع أو سوى البيع من شغل
أولئك أهلوها و أهلا بأهلها و لا مرحبا بالغير إذ ليس بالأهل

أولئك لا نوكى أميه و التي قفتها فزادت فى الضلاله و الجهل
أساءت إلى الأهلين فاجتث أصلها و بادت كما بادت أميه من قبل
فسل عنهم الزوراء كم باد أهلها فأمست لفقد الأهل باديه الشكل
أبيدت بها خضراء ذات سوادها فاضحت بها حمراء من حلب النصل
و إن شئت سل أبناء يافث عنهم فعندهم أبناء صدق عن الكل
فكم ترك الأتراك كل خليفه ببغداد خلفا لا يمر و لا يحلى
و كم قلبوا ظهر المجن لهم بها و كم خلعواهم خلع ذى النعل للنعل
و كم قطع الجبار دابر ظالمى أو لى عدله و الحمد لله ذى العدل
و قلمت أضاعوها كذبتهم و إنما أضيعت بكم لما انطويتم على الغل
و هل يطلبون الأمر من غير ناصر أو النصر ممن لا يقيم على إل
كنصره أنصار النبى ابن عمه فلم يبق منهم غير ذى عدد قل
و نصر عبيد الله فى يوم مسكن لسبط رسول الله ذى الشرف الأصل
إذا انسل من جند عليهم مؤمر بجنح ظلام و الدجى ستر منسل
و لم يرع حق المصطفى و وصيه و لا حرمة القربى الحريه بالوصل
و نصره كوفان حسينا على العدى فلما أتاهم حل ما حل بالنسل
و بيعه أشراف القبائل مسلما و قد أسلموه بعد ذلك للقتل
و نصرتهم زيدا و اعطائهم يدا و تركهم إياه فردا لدى الوهل
و لو قام فى نصر الوصى و ولده حماه مصاديق اللقا صادقوا الفعل
لقام بنصر الدين من هو أهله و زيد بهم من ليس للأمر بالأهل
و لو كان فى يوم السقيفه جعفر أو الحمزه الليث الصئول أو شبل

لما وجدت (أخرى) سبيلا إلى العلى و لا هبط الأمر العلى إلى السفلى
و لكن قضى فيما قضى الله عنده و ما خطت الأقلام فى اللوح من قبل

ص: ٣٣٢

بإمهالهم حتى يميز به الذى يطبع من العاصى المكب على الجهل

إلى أن يقوم القائم المرتجى الذى يقوم بأمر الله يطلب بالذحل

و يشفى صدور المؤمنين بنصره و يملأ وجه الأرض بالقسط و العدل

و يسقى العدى كأساً مصبره إذا بها نهلوا علوا بيحوم و المهل

فمهلاً فان الله منجز وعده و موهن كيد الكافرين على مهل

و خاذل جمع الماردين و من سعى لإطفاء نور الله بالخيل و الرجل

فديتك يا ابن العسكرى إلى متى نعانى العنا من كل ذى تره رذل

فقم يا ولى الله و انهض بعزمه من الله منصوراً على كل مستعلى

لأن ظن بالنصر المؤزر معشر فانى معد النصر من عالم الظل

ولائى دليلى و المهيمن شاهدى و علمك بى حسبى من القول و الفعل

فدونك نصرى باللسان طليعه لنصرى إذا طالعت نورك يستعلى

أت من عبيد مت اسما و نسبه له منك جبل غير منقطع الوصل

فمن علينا بالقبول فإنها أشق على الأعدا من الرشق بالنبل

عليك سلام الله مبلغ فضله و ما لك من فضل على كل ذى فضل

الشيخ محمد مهدى بن الشيخ عبد الهادى بن الشيخ أبى الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادى المازندرانى الهزارجربى الحائرى

ولد فى كربلاء سنة ١٢٩٣ و توفى سنة ١٣٨٤، و دفن فى مقبرته الخاصه الواقعه فى حسينيه المازندرانى.

أسرته

و آل المازندرانى من بيوتات العلم المعروفه فى كربلاء و كان نبوغ هذه الأسره فى كربلاء فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى حين هاجر جدهم الشيخ أبو الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادى الهزارجربى المازندرانى المتوفى سنة ١٣٠٦ من طهران مع زميله الشيخ مرتضى الأنصارى إلى كربلاء و استوطن بها.

مؤسس هذه الأسره الشيخ أبو الحسن بن شاه محمد بن عبد الهادى الهزارجربى المازندراني من اجلاء علماء الشيعة و قد مر ذكره فى محله من (الأعيان) فى المجلد الثانى. و قد نبع من هذه الأسره علماء، و خطباء مشاهير.

منهم الشيخ عبد الجواد بن الشيخ أبو الحسن من فقهاء كربلاء كان يقيم الجماعه فى الحرم الحسينى المطهر من جانب الرأس الشريف و قد كف بصره فى أواخر عمره، و هو أحد نماذج السلف الصالح فى تبحره فى الفقه و خشونته فى ذات الله، عابد زاهد كان ارشد إخوانه توفى فى ليله الجمعة ثالث من شهر رجب سنه ١٣٦١ و أعقب ولده الشيخ على.

اساتذته

أخذ الفقه و الأصول عن والده، ثم تخرج على الشيخ ميرزا على نقى البرغانى الصالحى المتوفى سنه ١٣١٠ ثم تخصص فى الخطابه و نبغ بها و كان من أكابر خطباء المنبر الحسينى فى العراق، و كان يرقى السيد حتى فى أواخر أيام عمره على رغم الضعف المفرط فى مزاجه و كبر سنه.

مؤلفاته

١ - شجره طوبى يقع فى جزئين أولهما فى سبعة و ستين مجلسا فى أحوال بعض الصحابه و التابعين و بعض الملوك، و الجزء الثانى فى أحوال الخمسه الطاهرين و بعض المواعظ و الأخلاق فى ثلاثه و خمسين مجلسا.

٢ - الكوكب الدرى فى ثلاثه اجزاء كل منها ذو مجالس ذكر فيها أحوال النبى و البتول و الوصى.

٣ - معالى السبطين فى أحوال السيدين الإمامين الحسن و الحسين (ع).

٤ - نور الابصار فى أحوال الائمة التسعه الأبرار.

٥ - هديه الأبرار.

٧ - تقريرات استاذة الشيخ ميرزا على نقى البرغانى الصالحى فى الفقه و الأصول.(١)

السيد مهدى الحيدرى:

مرت ترجمته فى الصفحه ١٤٣ من المجلد العاشر و أشير هناك إلى موقفه الجهادى مع إخوانه العلماء خلال الحرب العالميه الأولى. و نضيف هنا بعض المعلومات عن احداث تلك الفتره:

فى الحرب العالميه الأولى، سنه ١٣٣٢، داهمت الجيوش الإنكليزيهالعراق من جهه البصره، فأرسل بعض البصريين برقيات إلى مختلف أنحاء العراق يستنجدون لدفع الإنكليز عن البصره. و كان نص البرقيه التى وصلت إلى علماء الكاظميه كما يلى:

"نغر البصره، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقى بلاد الإسلام، ساعدونا بامر العشائر بالدفاع".

و جاء على الأثر من علماء النجف إلى الكاظميه - قبل سفره بيوم واحد :-

شيخ الشريعه الاصفهاني، و السيد مصطفى الكاشاني، و السيد علي الداماد - و غيرهم من العلماء و المجاهدين.

ثم تواردت على الكاظميه وفود العلماء الزاحفين نحو المعركه من النجف الأشرف و كربلاء، و كانت البلدّه تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب و التكريم، و تودعه بمثل ذلك".

أما الميرزا محمد تقى الشيرازى فإنه لما بلغه الأمر و هو فى سامراء أرسل ولده الأكبر.

و لما عزم السيد مهدي على المسير إلى "القرنه" أبرق إلى جميع زعماء القبائل و رؤساء العشائر الواقعه على ضفتى نهر دجله يخبرهم بتوجهه إلى ساحه الحرب، و أمرهم بالتعبئه و الاستعداد ليكونوا فى صفوف المجاهدين.

و فى عصر يوم الثلاثاء، الثانى عشر من محرم الحرام سنه ١٣٣٣، تحرك من الكاظميه و معه الشيخ مهدي الخالصى و الشيخ عبد الحميد الكليدار و جماعه من المجاهدين، و خرجت الكاظميه بأسرها لتشيع ركب الجهاد الزاحف.

و وصل الموكب الكبير إلى ساحل النهر فى بغداد، حيث أعدت لهم هناك السفن و المراكب، ثم سارت بهم متجهه - نحو "العماره". و كان كلما يصل

ص: ٣٣٣

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الموكب احدى المدن أو القبائل العربية التي تنزل على ضفاف النهر يأمر بالوقوف، و ينزل هو و أصحابه، و يجمع الناس، و يحثهم على الجهاد، حتى وصلوا العماره. و هناك أمر بالاجتماع العام فى مسجدھا الجامع و ألقى الخطب الحماسيه من قبل بعض المجاهدين. ثم قام بنفسه و رقى المنبر و حث الناس على الجهاد، و حرضهم على التضحيه و الثبات، و أمرهم برص الصفوف، و توحيد الجهود أمام العدو المتربص و رغبتهم فى الشهاده و السعاده، و حذرهم مغبه الفرقه و التخاذل، و شوقهم إلى ثواب الله و رضاه، فاستجابوا للنداء، و التحق به خلق كثير.

ثم سار مع جموع المجاهدين إلى منطقہ "العزيز" و اجتمع هناك بالقائد العسكري "جاويد باشا"، و تفاوض معه حول القضايا الهامه التي تتعلق بخطط الحرب و شئون القتال.

و كانت الحرب فى ذلك الوقت قائمه فى "القرنه" و هى القلب، فقصد بمن معه ساحه الحرب، و فى أثناء الطريق صادف اندحار الجيش العثماني و انسحابه من منطقہ القتال، و رجوع بعض القبائل التي كانت تحارب معه، و سقوط القرنه بيد العدو. فأشار بعضهم عليه بالرجوع إلى العماره لأنها مركز القوه و موطن العشائر، فوافق على ذلك و عاد إلى العماره.

و بقى فى العماره يكتاب القبائل، و يحرض العشائر، و يبعث الرسل و الدعاه إلى سائر الأطراف يأمرون الناس بالخروج، فكان الناس يقدون على العماره زرافات و وحدانا مليون نداء الواجب، و عازمين على لقاء العدو، ثم يتوجهون إلى الميدان.

و بعد أن أعد العده، و هيا الجو، أبرق إلى العلماء: شيخ الشريعه و الكاشاني و الداماد و غيرهم و كانوا حتى هذا الوقت مقيمين فى الكاظميه - و طلب منهم التوجه إلى العماره مع أصحابهم المجاهدين، كما أبرق إلى أهالي بغداد و علمائها - الذين تاخروا عنه بسبب انشغالهم بفيضان دجله و انكسار بعض سدودها - يحثهم على التوجه إلى سوح الجهاد.

و بعد اثني عشر يوما من قدومه العماره ورد العلماء و من معهم إليها.

و فى تلك الآونه عزل القائد الأول "جاويد باشا" و عين مكانه القائد "سليمان عسكري بك".

و لما تكاملت جموع المجاهدين فى العماره، و عبثت القبائل تحرك إلى ساحه الحرب - و كانت قريبه من القرنه قبل بقيه العلماء، و نزل فى مقر القيادة العسكريه.

ثم أبرق إلى العلماء الذين تركهم فى العماره، و طلب منهم اللحق به فلبوا طلبه.

و قد توزع المجاهدون بقيادة العلماء على الجبهات المتعدده:

أما القلب و هو "القرنه" فقد رابط فيه السيد مهدي مع العلماء: شيخ الشريعه الاصفهاني، و السيد مصطفى الكاشاني، و السيد على الداماد، و السيد عبد الرزاق الحلو و غيرهم، و معهم جموع غفيره من المجاهدين و القبائل المرابطه.

و أما الجناح الأيمن و هو "الشعيه" فقد رابط فيه السيد محمد سعيد الجوبى، و الشيخ باقر حيدر، و السيد محسن الحكيم و غيرهم و معهم خلق كثير من المجاهدين و القبائل المقاتله.

و أما الجناح الأيسر و هو "الحويزه" فقد رابط فيه الشيخ مهدي الخالصي، و معه ولده الكبير الشيخ محمد، و الشيخ جعفر [و الشيخ راضي، و السيد محمد نجل السيد كاظم اليزدي، و السيد عيسى كمال الدين و غيرهم، و معهم عدد غفير من المجاهدين. ثم قرر ان يتقدم إلى الخطوط الأولى فركب سفينه أعدت لذلك، و سارت معه بعض القبائل كربيعة و بنى لام بسفنهم، و تخلفت عنه بعض القبائل الأخرى ريثما تتهياً للسفر ثم تلتحق به في اليوم الثاني.

و لما أدركهم الليل رست السفينه، على الساحل، و أمر أصحابه بالنزول، في ارض تسمى "حريه" و هي من الاراضي الوعره. فنزلوا فيها، و ضربوا خيامهم على حافه النهر من جانب القرنه، و باتوا تلك الليله و هم لا يعلمون موقعهم من الجيش العثماني، هل أنهم متاخرون عنه أم متقدمون عليه، و أما قبيلتا "ربيعة و بنى لام" فإنهم قد حطوا رحالهم قبل أرض "حريه" حيث أدركهم الليل هناك.

و لما أسفر الصبح خرج ولداه السيد أسد الله و السيد أحمد ليستكشفوا حقيقه المكان. فبينما هما كذلك إذ لاحت لهما طلائع العدو، و ظهرت لهما بواخره النهريه و مدافعه و معداته الحريه، و قد بدأ - بقوه هائله - بهجوم عنيف مفاجئ على بشكل رهيب لا قبل للجيش العثماني بصدده.

ثم اشتبك الجيشان، و احتدم القتال من قبل طلوع الشمس إلى ما بعد زوالها. و قد رست بواخر الإنكليز بإزاء سد كان قد صنعه القائد السابق "جاويد باشا" و قطع به نهر دجله.

و كانت خيام السيد مهدي و أصحابه متقدمه على الجيش العثماني بنصف فرسخ بحيث كانت قريه من العدو، و بمراى منه و مشهد و صمد و من معه و اشتبكوا مع الإنكليز و صدوهم في ٥ ربيع الثاني سنه ١٣٣٣ في المعركه التي عرفت باسم معركه (نهر الروطه).

و بقي السيد مهدي و باقي العلماء و جموع القبائل مرابطين في تلك الجبهات مده أشهر و كان الإنكليز في هذه المده يعدون العده للهجوم ثانيا على تلك المراكز في جميع الجبهات، بقوه هائله لا قبل لهم بها.

فركزوا هجومهم أولاً على الجناح الأيمن في الشعيه و انتصروا فيه.

ثم وجه الإنكليز قوتهم الكبيره إلى الجناح الأيسر في الحويزه و انتصروا هناك.

و لما فرغوا من الجناحين توجهوا إلى القلب، حيث يربط السيد مهدي، و جماعه من العلماء، و جموع من المجاهدين، و معهم القوات العسكريه العثمانيه، فهاجمهم الإنكليز و انتصروا عليهم ثم انسحب القائد العثماني العام نور الدين بك بجيشه.

و أعدت للسيد مهدي و بقيه العلماء و أصحابهم باخره خاصه من بواخر الجيش، و قد ضم إليها مركبان، أحدهما في اليمين و الآخر في اليسار و لم يكن فيها من الوقود ما يكفي لمثل هذه الرحله الشاقه، و ما يوصلهم إلى مأمنهم،

لذلك كانت تقف كثيرا و تسير قليلا. فكان ذلك كله سببا في ادراك العدو لهم و هم في النهر، و قد صوب نحوهم قذائفه، و حلقت فوقهم طائراته. فأوا أن يتفرقوا في الباخره و المركبين و لا يجتمعوا في مكان واحد، لئلا يرموا رمية واحده فيستشهدوا جميعا في وقت واحد. فنزل السيد مهدي و أنجاله الثلاثة، و ابن أخيه السيد عبد الكريم، و ابن عمه السيد عبد الحسين في مركب اليمين، و نزل السيد مصطفى الكاشاني و من معه في مركب اليسار، و بقي شيخ الشريعة و من معه في الباخره نفسها.

و لما علم زعماء القبائل الواقعه على ضفاف النهر بوجود السيد مهدي في المركب و رأوا العدو قد قارب منه، أرسلوا زورقا صغيرا ليقله إلى الساحل، و بعد التردد الطويل نزل في الزورق مع أولاده و ابن عمه. و قد طرحوا في المراكب جل أسلحتهم إلا السيد عبد الحسين الحيدري فبقى على أهبتة و استعدادة و قد لبس لأمه حرب كامله، فلما استقر بهم الزورق، و هم بالسير، رمى اثنان من الجنود و واحد من المجاهدين بأنفسهم إلى ذلك الزورق من شده خوفهم و فرعهم، لينجوا من الموت، فانقلب الزورق بمن فيه و بينهم السيد مهدي نفسه و بعد جهد جهيد أمكن إنقاذه و من معه و الخروج بهم إلى الشاطئ قبيل المغرب.

و أما السيد عبد الحسين الحيدري و قد كان مدججا بالسلاح فعاص في الماء و لم يجدوا له أثرا.

أما السيد مهدي و انجاله فإنهم بعد أن استراحوا قليلا من عناء هذه المشقات و الأهوال، دخلوا في قلعه هناك و أقاموا فيها صلاه المغرب و العشاء، ثم رأوا أن المصلحه في مواصلة السير لأن العدو يجد السرى في طلبهم، و يأسر كل من يصادفه منهم.

و كان الطريق وعرا موحلا، و كله مياه و جداول، و السيد مهدي شيخ كبير، و قد هدت الحرب قواه، و انهكت الأحداث جسمه. و كان معهم في ساحه الحرب "السيد هاشم الشوشتري النجفي" و عنده زورق جاء به مع أصحابه حين الانسحاب فمر زورقه بتلك القلعه في ذلك الوقت، فأخبره رجل من الاعراب بما جرى على السيد و من معه في النهر، و نزوله في هذا الساحل، و دخوله في القلعه. و أنه الآن فيها مع انجاله يريدون السير، و يمنعهم من ذلك شدة الوحل و كثرة المياه، فوصل إلى السيد و اركبه و انجاله في زورقه، ثم أخبرهم بان السيد مصطفى الكاشاني قد انفصل مركبه من الباخره و انحدر به مع الماء إلى جهة العدو، و التقى زورقي به عن طريق الصدفة، فنقلته إلى احدى السفن التي تقل [نقل] عددا كبيرا من المجاهدين. فقال له السيد راضى " ان هذه البواخر معرضه للاسر لأنها بطيئه السير، و العدو جاد في طلبها و لكن الرأى أن ناتي به معنا في هذا الزورق، فإنه أقرب إلى النجاه لخفته و سرعته " فاستصوبوا هذا الرأى و ذهبوا إلى السفينه و نقلوا السيد الكاشاني معهم، و جدوا في السير حتى وصلوا إلى منطقته اسمها "أبو روبه" قبيل الفجر، و هي تبعد عن "قلعه صالح" ثلاثه فراسخ.

اما شيخ الشريعة الاصفهاني - فإنه بقي في الباخره مع أصحابه إلى الساعه الرابعه - غرويه - من الليل، و هي بطيئه السير، كثيره الوقوف، فخافوا أن يدر كههم العدو، فانتقلوا منها إلى الساحل، و ساروا على حافه النهر إلى قريب الفجر، فمروا بأحد الأهوار فأرادوا عبور النهر إلى الجانب الآخر حيث يوجد السيد مهدي و أصحابه، فصادفوا زورقا صغيرا لا يسعهم مره واحده، فقرروا التناوب في العبور، فاركبوا - في النوبه الأولى - شيخ الشريعة، و الميرزا محمد رضا نجل الشيرازي و رجلين آخرين من أهل العلم. و بينما هو يسير بهم و قد قاربوا الجانب الآخر إذ نفذ فيه الماء و غرق بمن فيه. و من المصادفات العجيبه ان يكون السيد راضى نجل السيد مهدي واقفا هناك في تلك اللحظه و قد سبق أصحابه إلى هذا المكان ليستريح فيه هنيهه، فلما رأى الحادث بعينه، و علم ان فيه شيخ الشريعة، القى بنفسه في الماء و استنقذ الشيخ و أصحابه و جاء بهم إلى الساحل، و كان الشيخ يلقيه بعد هذه الحادثه بمحبي الشريعة. و بينما هو كذلك إذ وصل إليه والده و اخوته، فلما رأوه بهذه الحال ظنوا أنه سقط في الماء مره

ثانيه، فأخبرهم بالخبر فشكروا الله على السلامه. و هناك اجتمع الاقطاب الثلاثة: "السيد المهدي، و شيخ الشريعه، و السيد الكاشاني" و جلسوا جميعا للاستراحه برهه من الزمن، ثم ركبوا زورقهم و ساروا حتى طلعت الشمس و أسفر الصباح، فرأوا العدو قريبا منهم، و أنه سيدخل "قلعه صالح" و شيكا، فعدلوا عن مواصله السير إلى القلعه - و كانوا على مقربه منها - و جعلوا سيرهم على منازل القبائل فى الاهوار يتنقلون بين شيوخها و رؤسائها، من "خريبط بن فالح الصيهود" إلى "عبد الكريم بن صيهود" و منه إلى "مطلق الخليفه" ثم إلى "مجيد الخليفه" ثم إلى أخيه "حمود الخليفه" و منه إلى "محمد وشواى" و هما من شيوخ "آل ازيرج". و ما زالوا يتنقلون بين تلك المنازل و القبائل حتى وصلوا إلى "آل دراج"، ثم دخلوا فى "الجزيره" التى تفصل بينهم و بين "مياح" و هى قبيله "محمد الياسين" و قد اجتازوها ليلا بكل مشقه، و طولها يقارب الاثنى عشر فرسخا. و قد التحق بالسيد مهدي عند اجتيازه هذا الطريق كثير من المجاهدين، و بعض الضباط و الجنود العثمانيين الذين لاذوا بالسيد خوفا من القتل و الأسر و السلب، و بينهم قائم مقام "قلعه صالح" مع عائلته. و كانت سيره السيد مهدي فى هذه المسيره و لا سيما فى تلك الجزيره أن يركب ساعه و ينزل اخرى حتى يتلاحق به المجاهدون.

و هكذا قطع و صحبه ذلك الطريق الوعر حتى وصلوا إلى أول قبيله "مياح" بعد طلوع الشمس بساعتين، و نزلوا وقت العصر عند "كريم" أحد رجال هذه القبيله، و باتوا عنده تلك الليله. و فى الصباح الباكر ساروا حتى وصلوا إلى "محمد الياسين" شيخ مياح، و تاخروا عنده ذلك النهار و تلك الليله.

أما باقى العلماء الذين كانوا مع السيد مهدي فقد توجهوا إلى "قضاء الحى" و يبعد عن منطقه مياح نصف فرسخ تقريبا، و قد كان - حتى ذلك الوقت - تحت تصرف الحكومه العثمانيه.

و لما علم محمد صالح شكاره أحد وجهاء الحى بنزول السيد مهدي و أصحابه عند محمد الياسين جاء من الحى و زار السيد، و طلب منه أن يرحل معه إلى الحى، و ينزل عنده فى ضيافته، فأجابته إلى ذلك بشرط أن يمهل ذلك اليوم ليستقر و يستريح ثم يأتيه فى اليوم الثانى.

و فى اليوم الثانى مضوا، و معهم الميرزا محمد رضا الشيرازى و بقوا فى الحى عنده سبعة أيام.

و كان من نيه السيد و عزمه أن يذهب بعد ذلك إلى "الكوت" ليرابط فيها مع الجيش العثماني.

و فى عصر اليوم الثالث من شعبان سنة ١٣٣٣ تحرك، و أصحابه و معهم السيد مصطفى الكاشانى و ساروا إلى "الكوت" و وصلوا ليله الخامس منه إلى منطقته "وادي الحبيب" أحد أمراء ربيعه، و باتوا ليلتهم عنده. و فى صبيحه اليوم الخامس منه دخلوا الكوت و نزل السيد مهدي و أولاده و أصحابه عند "الحاج حسن الحاج جودى السعيدى" بطلب منه. و نزل السيد الكاشانى و من معه فى مكان آخر، و بقى الكاشانى هناك أياما ثم عاد إلى وطنه.

أما شيخ الشريعة فقد عاد إلى وطنه من قضاء الحى، و لم يصل إلى الكوت.

و أما السيد مهدي فقد لبث فى الكوت مرابطا مده أربعة أشهر كامله، مع أولاده و جمع من العلماء و المجاهدين. و قد أصابه هناك مرض شديد.

و رابط فى الكوت معه أيضا من العلماء الشيخ مهدي الخالصى و السيد عبد الرزاق الحلو.

و كان مركز الجيش العثماني الذى جمعه القائد العام "نور الدين بك" فى شرق الكوت فى منطقتين (الفلاحيه) و (السن) و هما استحكامات طبيعیه فى طرفى دجله. و كان العدو قد أعد العده للهجوم على هذه القوه العسكريه الكبيره. و فى أوائل ذى الحجه هجم بقوه هائله على مراكز الجيش العثماني، فاضطره إلى الانسحاب ليلا من الكوت بعد مقاومه عنيفه. فأرسل السيد مهدي إلى الشيخ الخالصى و السيد الحلو و أشار عليهما بلزوم الانسحاب قبل مدهامه العدو، و ان يكون الخروج عن طريق البر فى نفس الليله التى يخرج فيها الجيش. و بدءوا فعلا- بالانسحاب فى الساعه السابعه غروبىه من الليل، و عبروا إلى الجانب الآخر حتى لا يدركهم العدو. و فى تلك الليله أصاب السيد مهدي رمد شديد فى عينه، فاضطر إلى البقاء ليلتين عند قبيله ربيعه، و فى اليوم الثانى مرت عليهم بواخر العدو قاصده مدينه (النعمانيه) و هى تبعد عن الكوت بمقدار سته فراسخ تقريبا، فاضطر السيد مهدي و أصحابه إلى السفر عن طريق (عفك و الدغار) و قد أحضرت له و لأصحابه الخيول و هناك كان لا بد من أن يقطع - على شيخوخته و ضعفه و مرضه - جزيره عفك الطويله راكبا على فرس و هو مشدود العينين، و معه رجل من ربيعه يقود الفرس.

و فى الليله الثانيه من ركوبه بلغ أول عفك، فنزل عند (مناحى آل الحاج طرفه)، ثم واصل السير إلى محل (الحاج مهدي الفاضل) و أخيه (الحاج صلال)، ثم واصل السير إلى محل (الحاج مخيف) و أقام عنده تلك الليله، و أمر بإحضار سفينه له و لأصحابه عند الصباح للتوجه إلى وطنه.

و فى الصباح تحرك موكبه و قطعت السفينه ليلتين حتى وصلت إلى محل (السيد حسين) نجل الشاعر الكبير السيد حيدر الحلى فأقام السيد عنده ليله واحده، ثم توجه فى صبيحتها إلى (الحله) و وصلها عصرا، و حل ضيفا مكرما عند (الحاج حمزه الشهربانلى) و بقى عنده ليله واحده.

و فى الصباح توجه بأصحابه إلى وطنه، فوصل الكاظميه فى اليوم الثامن و العشرين من شهر ذى الحجه سنة ١٣٣٣. و قد دامت رحلته سنه كامله الا- أياما قليله. و نحن نروى هذه التفاصيل التى رواها من شاهدوها لنعطى القارئ ملامح عما عاناه أولئك الشيوخ و هم فى أسنانهم العاليه من البلاء دفاعا عن الإسلام فى ظل [الدوله العثمانيه التى كانت لا ترحمهم فى حكمها

لهم.

و مع ذلك فعند ما رأوها تواجه اخطار الاحتلال الأجنبي وقفوا إلى جانبها باسم الإسلام لأنها كانت فى نظرهم تمثله فى ذلك العصر.

هذا هو التاريخ الشيعى الناصع و هذه هى مواقف رحاله و قاداته.

السيد منصور كمونه النجفى

قال الشيخ محمد هادى الأمينى:

الشيء الكثير من تراث النجف الفكرى ضاع و لفه التلف و النسيان و الإهمال بحيث لم يحفظ التاريخ لنا منه أى ذكر. و من هؤلاء شاعر نجفى عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى، و خرج من عند أسرته و لم يعد إليها إلى أن توفى، حتى أن أسرته لم تعرف وجود شاعر كهذا فى أبنائها هو السيد منصور كمونه الحسينى النجفى.

أما ولادته و نشأته و دراسته و عام وفاته و آثاره الادبيه فلم تعرف و كل هذا مجهول و مبهم و المعروف انه من اسره آل كمونه النجفيه الشهيره بالفضل و الأدب.. و ديوانه يدل على شاعريه و قاده و عبقرية فذه و تضلع بالغ فى فنون الشعر و أبوابه.

لقد عاش الشاعر فى القرن الحادى عشر و مات و لم يعرف عنه أى أثر و مضت السنون و القرون إلى أن ظهرت فى إحدى مكتبات ايران مخطوطه شعرية كتب عليها ما يلى: هذا الديوان للسيد منصور كمونه الحسينى النجفى سلمه الله تعالى.

يقع فى جزئين صغيرين بقطع الربع ١٨.١٣ ورق خشن كتابه واضحه مجموع صفحاتها ١٥٤ و قد رتب الجزء الأول على حروف الهجاء من الالف إلى الياء و يحتوى على قصائد فيها المدح و الحماسه و البث و الشكوى و الوصف و المثل و الرثاء.. اما الجزء الثانى فيشتمل على مواليات و عددها ٢٥٠ مواليه مرتبه أيضا على الحروف و سماها الشاعر بالحسينيه و لقبها بابكار الأفكار و أنوار الأنوار و فيها الحمد و الحماسه و التشبيب و الرثاء و الوصف و الوعظ و الشكوى و المثل.

جاء فى أوله بعد الحمد: أما بعد فيقول العبد المذنب السيد منصور كمونه الحسينى النجفى على ساكنه ألف تحيه و سلام لما ساقنى القضاء و القدر من الوطن المألوف و المنشأ الذى كنت به مشغوف و كان سفرى فى أول عنفوان شبابى قطعت القفار و خضت البحار شرقا و غربا و صحبت كل ذى عقل و لما أمعنت نظرى و صرفت فكرى فى تتبع إشهار [أشعار] العرب و عن لى بان انشد ما تيسر لى به عن مفارقه الأهل و الأوطان..

الجزء الثاني منه جاء فى الهامش: لمالكه سليمان بن داود الحسينى.

هذه الصورة مصغره عن ديوان السيد منصور كمونه النجفى و لعل التاريخ يكشف لنا صفحات مشرقه من حياته الاجتماعيه و الأديبيه.. و اسال المولى سبحانه أن يوفقنى فى تحقيق الديوان و إخراجة للناس و الله ولى التوفيق.

الشيخ مهدي الكلكاوى

آل الكلكاوى: - من الأسر المشهوره فى كربلاء و هم ينتسبون إلى قبيله زبيد نبغ منهم اعلام فى الفقه و الأصول و الأدب و الشعر. و لهم تراجم فى كتب السيره و معاجم الرجال.. و قد انجبوا فروعاً كثيره و بطون متعدده. أما آل الكلكاوى الذين نزحوا إلى كربلاء من احدى قرى الحله المسماه (قليح)(١) و (قناقيه)(٢) و هم أهل علم و فضل و تقوى و صلاح فلم يبق فيهم من يشتغل بالعلوم الدينيه فى الوقت الحاضر حيث انصرفوا جميعاً إلى الدراسات الحديثه و التجاره و السياسه كما انهم شاركوا فى الحركات السياسيه منها ثوره العشرين حيث انهم بذلوا كل غال و نفيس لاجل توطيد أركان الثوره و حملوا السلاح بوجه المستعمرين.

و من أشهر رجال هذا البيت فى كربلاء.

١ - الشيخ مهدي بن تعب بن حمدان بن مسعود الكلكاوى الحائرى من رجال العلم و أرباب الفضيله اصولى محقق، خطاط مبدع. ولد فى كربلاء، حدود سنه ١٠٩٦ هجرية و نشأ نشأه صالحه فتلقى مبادئ العلوم على جملة من الأفاضل و أدرك السيد نصر الله الحائرى المستشهد فى القسطنطينيه سنه ١١٦٨ هجرية.

و قد اجمع علماء عصره على انتخابه للاشراف على صنع ضريح العباس (ع) سنه ١١٨٠ و قد خط بقلمه آيات من القرآن الحكيم على جوانب الضريح غايه الإبداع بالفن الإسلامى و التراث الفكرى الحضارى و قد انتهى صنعه سنه ١١٨٣ و هو الآن موجود فى خزانه الروضه العباسيه المقدسه.

توفى المترجم له بعد سنه ١١٨٥ هجرية و دفن فى الروضه الحسينيه المطهره فى الرواق الشرقى.

٢ - الشيخ صالح بن الشيخ مهدي الكلكاوى الحائرى من علماء كربلاء الاجلاء فقيه جليل اصولى بارع. ولد فى كربلاء سنه ١١٦٣ فتلقى أوليات العلوم على والده و جملة من العلماء و أدرك الوحيد الآغا باقر البهبهانى المتوفى سنه ١٢٠٥ و نبغ فى الخط العربى. و قد كتب بخط الثلث سوره الدهر على الصندوق الخاتم الذى هو الآن على مرقد الامام الحسين (ع) و هو يدل على براعته فى فنه و يده الطولى فى هذا الباب.

و للمترجم بعض الحواشى على الكتب الفقيهيه و النحويه لم يخرج من السواد إلى البياض كما حدثنى أحد أحفاده. توفى بعد سنه ١٢٢٥ و دفن عند والده فى الرواق الشرقى من الحرم الحسينى المطهر(٣).

السيد محمد ظاهر الحيدري ابن السيد احمد:

ولد في الكاظميه سنة ١٣٢٧، و نشأ في ظل أبيه و هاجر معه إلى النجف الأشرف، ثم هاجر إليها مره أخرى بعد رجوع والده إلى الكاظميه، فحضر أبحاث السيد أبي الحسن الاصفهاني، و السيد حسين الحمامي و السيد أبي القاسم الخوئي، و السيد حيدر الصدر و غيرهم.

و هاجر إلى سامراء، و انصرف إلى المدرس و التدريس، و تتلمذ فيها على الميرزا محمود الشيرازي و الميرزا حبيب الله، ثم عاد إلى الكاظميه، فحضر درس السيد احمد الكشوان و الميرزا على الزنجاني.

ثم انتقل إلى بغداد اماما للجماعه في جامع المصلوب.

له كتاب في الأصول، و كتاب في مناسك الحج، و كتاب في أحكام و آداب الزواج.

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القريشي الزهري، أبو بكر

الحافظ الفقيه، عالم الحجاز و الشام، من أصحاب الامام زين العابدين، و روى عنه، و عن علي بن عبد الله بن عباس، و عبد الله بن جعفر، و عبد الله بن عمر، و ربيعه بن عباد، و المسور بن مخرمه، و خلق كثير، و عنه روى عطاء، و أبو الزبير المكي، و عمر بن عبد العزيز، و كثير [خلق] كثير، يعد من أوائل من دون الحديث مات بشعب سنة ١٢٤.

الشيخ محمد مؤمن أسد الله

الشهير بابن خاتون:

الساكن في (المشهد). رأيت في مكتبه الامام الرضاع مخطوطه لكتاب سيبويه موقوفه منه سنة ١٠٦٧.

و على الجزء الثاني خطه و توقيعه، اما على الجزء الأول فيوجد ختم ينص على الوقف.

و لما تحدثت عن ذلك خارج المكتبه قال لي أحد الحضور ان هناك كتبا أخرى من موقوفاته، كما قيل لي ان موقوفاته من الكتب كانت هي نواه مكتبه الرضا التي توسعت بعد ذلك و صارت إلى ما صارت إليه.

معمر بن خلاد البغدادي:

من أصحاب الامام الرضا (ع)، ثق له كتاب الزهد، روى عن الامام، و معاويه بن وهب، و عنه روى الصفار، و محمد بن عيسى، و أحمد بن أبي عبد الله، و موسى بن عمر، و علي بن الحسن بن فضال، و إبراهيم بن هاشم، و سهل بن زياد و غيرهم.

الشيخ محسن بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب كتاب جواهر الكلام:

ولد فى النجف الأشرف سنة ١٢٩٥ و نشأ بها، توفى عنه والده و هو فى

ص: ٣٣٧

١- قليح: قريه كانت فى ضواحي الحله ثم اتصلت بها

٢- قناقيه: احدى قرى الحله.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

التاسعة عشره من عمره: و أصل دراسته على الميرزا النائيني و شيخ الشريعة الاصفهاني و غيرهما ثم رحل إلى البحرين ثم إلى الدورق (الفلاحيه) في مقاطعه خوزستان.

اشترك في الحرب العالميه الأولى مع السيد محمد سعيد الجبوبي [الجبوبي] في محاربه الإنكليز ثم انتقل إلى الأهواز بعد حدوث اختلاف بين عشائر كعب في الدورق و بقى في الأهواز سبع سنين و على أثر مرض عضال ألم به صمم على العوده إلى النجف الأشرف و في طريقه إليها توفي في البصره ليله الخميس ١٥ من شهر ذى القعدة سنه ١٣٥٥.

الشيخ ناصر الخطي الجارودي:

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

كان من علماء البحرين و فضلائها صالحا عابدا أخذ الفقه عن علامه عصره الشيخ احمد والد صاحب الحدائق، و أخذ الحديث و الرجال عن شيخنا الشيخ عبد الله السماهيجي و مجاز عنه.

مات قدس سره سنه ١١٦٤. و قبره ببهبهان مشهور إلى الآن.

السيد ناصر حسين:

مرت ترجمته في الصفحه ٢٠٠ من المجلد العاشر و نزيد عليها هنا ما يلي:

١: - كتابه: نفحات الأزهار عدد مجلداته ١٦.

٢: - كتابه: إسباغ النائل عدد مجلداته ٩.

٣: - يضاف إلى مؤلفاته كتاب سبائك الذهبان في أسماء الرجال و النسوان عدد مجلداته ٤٨.

٤: - من تلاميذه الزعيم الهندي الشهير أبو الكلام آزاد الذي كان فتره طويله رئيسا لحزب المؤتمر الهندي و كان أحد الرجال الثلاثه الذي يؤلفون لجنة القمه لتحرير الهند و هم (جواهر لآل نهرو) و (ديلبه باتيل) و أبو الكلام آزاد.

ثم كان بعد استقلال الهند وزيرا للمعارف. فقد درس عليه كتاب نهج البلاغه في سنتين كاملتين.

و من هنا تشيع [تشيع] أبو الكلام بالروح الشيعيه الصحيحه التي برزت في كثير من مؤلفاته مثل كتابه (على بن أبي طالب القرآن الناطق) و غيره، كما برزت في أعداد مجلته (الهلال) التي كان يصدرها في كلكتا و التي لم يخل عدد من اعدادها من ذكر الأئمه لا سيما الحسين بن علي (ع) الذي له فيه أقوال خالده.

و قد تخلف المترجم بكل من السيد محمد نصير و هو أكبر أولاده و قد انهى دراسته في النجف الأشرف و عاد إلى لكهنو و السيد محمد سعيد و قد انهى دراسته في النجف أيضا و هو كان القائم مقام والده في كل شئونه لا سيما في الاشراف على

مكتبته الكبرى.

و من مزايا المترجم محاربتة للروايات غير الموثوقه التي كان يتلوها الخطباء و الواعظون على المنابر استهواء للعامه. فكان هو يحارب ذلك فلا يحضر مجلسا لا يثق بخطيبه. و بهذا اقتدى به جيل من الخطباء فتحروا جهدهم صحة الأحاديث.

و من مآثره انه أول من فكر بتأسيس معهد (شيعه كالج) فى لكهنو ليجمع شباب الشيعة بين الدراسات الحديثه و الروح الإسلاميه و عاونه فى ذلك زميله السيد نجم الحسن فاستطاعا بتوحيد جهودهما أن يقيما ذاك المعهد الكبير بعد أن جمعا له مالا يقل عن مليون ربيه.

نصر بن على الحلى النحوى:

هو أبو الفتوح نصر بن على بن منصور النحوى الحلى المعروف بابن الخازن، كان حافظا للقرآن المجيد، عارفا بالنحو و اللغه العربيه، قدم بغداد و استوطنها مده و قرأ على ابن عبيده و غيره، و سمع الحديث على أبى الفرج بن كليب و غيره و لم يبلغ أوان الروايه، توفى شابا بالحله فى الثالث و العشرين من جمادى الآخره من سنه ٦٠٠ و دفن فى مشهد الحسين بن على (ع).

نصر بن ناصر المدائنى

هو قوام الدين أبو الفوارس نصر بن ناصر بن ليث بن مكى الكاتب المدائنى، انتقل من المدائن إلى بغداد و أقام بها و استوطنها و تقدم فى خدمه الديوان و علت منزلته و رتب مشرف "دار التشرىفات" للناصر لدين الله، ثم مشرفا بالديوان المفرد، ثم تولى صدرية المخزن و خلع عليه فى دار الوزير ناصر بن مهدي العلوى و أضيف إليه النظر فى اعمال السواد سواد بغداد و وكله الخليفه الناصر عنه و أشهد له عدلين كبيرين بالوكاله، و لم يزل فى علو من شأنه و إقبال من سلطانه إلى أن اخترمه المنيه شابا، و كان فاضلا كاتبا أديبا يقول الشعر و يورد فى الهناءات مع الشعراء مدائحه للخليفه الناصر و ذلك قبل توليه الولايات المذكوره، و من شعره قوله فى رثاء زمرد خاتون أم الناصر.

قلبي لوقع النأى و اليبين يضطرب و غايه اليبين ان الدمع ينسكب

دعه عسى دمعه يطفى لحرقته فمله الماء منها يخمد اللهب

و المرثيه طويله - على ما قاله المؤرخ الثقه، كانت وفاته فى ليله الأربعاء تاسع شعبان من سنه ٦٠٥ عن مرض أيام قلائل و صلى عليه بجامع القصر المعروف اليوم بعضه بجامع سوق الغزل ببغداد، و حضر جنازته جميع أرباب الدوله و وجوه الناس كافه و دفن فى حضره موسى بن جعفر - (ع).

القاضى أبو حنيفه النعمان بن محمد

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٢٣ من المجلد العاشر. و نقل المؤلف هناك قول ابن خلكان انه كان مالكيا ثم عاد إلى مذهب الاماميه و بذلك استدلل المؤلف على أنه اثنا عشرى لا اسماعيلى، إذ أن كلمه (الاماميه) تعنى الشيعة الاثنى عشرية.

و لكننا لم نجد فى سيره المترجم و لا فى كتبه ما يدل على انه اثنا عشرى.

و ربما كان ما عنى به ابن خلكان من كلمه (الاماميه) هو مطلق الشيعه.

و ننشر فيما يلى بحثا للدكتور محمد كامل حسين عن النعمان و بنيه و فيه تفصيل لما أجمل فى الترجمة:

- ١

بنو النعمان

ص: ٣٣٨

لدى طائفه البهره الإسماعيليه، هذا الرجل هو القاضى أبو حنيفه النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن حيون التميمى المغربى، و يعرف فى تاريخ الدعوه الفاطميه باسم القاضى النعمان تميزا له عن سميّه أبى حنيفه النعمان صاحب المذهب السنّى المعروف. اختلف الناس فى تاريخ مولده فذهب بعضهم مثل الأستاذ جوثيل إلى أنه ولد سنه ٢٥٩ و تبعه الأستاذ ماسينيون فى ذلك الرأى، و لكن الأستاذ آصف فيضى خالفهما و ذهب إلى أنه ولد فى العشر الأخير من القرن الثالث و ليس لدينا ما يرجح أحد الرأىين. بل نصرح بأنه لم يصلنا شىء عن نشاته الأولى و لا عن آبائه و أسرته إلا ما رواه ابن خلكان: أن والده أبى عبد الله محمد قد عمر طويلا، و أنه كان يحكى أخبارا كثيره نفيسه حفظها فى كبره، و توفى فى رجب سنه ٣٥١ و صلى عليه ولده أبو حنيفه النعمان و دفن بأحد أبواب القيروان فحياه الأسره غامضه أشد الغموض و لم يحفظ التاريخ شيئا عنها، و لا أدرى من أين استقى الأستاذ جوثيل ما رواه من أن والد النعمان كان من رجال الأدب، إلا إذا كان قد فهم من نص ابن خلكان ذلك.

و ليس لدينا شىء عن حياه النعمان قبل قيام الدوله الفاطميه سنه ٢٩٦ هـ و قبل اتصاله بعبيد الله المهدي الفاطمى مؤسس الدوله الفاطميه، إلا أنه كان مالكي المذهب و تحول إلى المذهب الفاطمى، و لكن مؤرخى الشيعة الاثنى عشرية قالوا إن النعمان كان مالكي المذهب ثم تحول إلى الشيعة الاثنى عشرية ثم انتقل إلى الإسماعيليه الفاطميه و يذهب أبو المحاسن إلى أنه كان حنفى المذهب قبل أن يعتنق المذهب الفاطمى. و لكن إذا أمعنا النظر فى هذه الخلافات وجدنا أن الأرجح هو ما رواه ابن خلكان، فالمذهب المالكي هو المذهب الذى كان يسود شمال إفريقيا و الأندلس، على أن المذهب الحنفى كان قليل الانتشار بين المسلمين فى إفريقيا و فى مصر أيضا، و أن خلاصه تلاميذ مالك كانوا مصريين، و عن مصر انتقل هذا المذهب المالكي إلى شمال إفريقيا و الأندلس و ساد هذه البلاد حتى قل أن نجد فيها مذهبا آخر من مذاهب أهل السنه، فمن المرجح أن النعمان كان على مذهب أهل بلاده، أما ما يدعيه الأستاذ آصف فيضى أن النعمان كان إسماعيلى المذهب منذ نعومه أظفاره و أنه اتخذ التقيه و الستر خوفا على نفسه و على مذهبه فهو كلام يحتاج إلى ما يؤيده، و كذلك لم يتحدث أحد من المؤرخين الذين ذكروا النعمان عن إسماعيليته إلا بعد صلته بالمهدى سنه ٣١٣ هـ أى بعد أن أظهر المهدي نفسه فى المغرب و هزم الأغالبه و احتل ديارهم. دخل النعمان فى خدمه المهدي و اتصل به، و لا ندرى نوع الخدمه التى كان يؤديها و لا الصله التى اتصلها به، و لكن بعد وفاه المهدي اتصل النعمان بالقائم بامر الله طوال مده حكمه.

و فى أواخر أيام القائم ولى النعمان قضاء مدينه طرابلس الغرب، أما قبل ولايته قضاء طرابلس فلا نكاد نعرف عنه شيئا. و لما بنى المنصور مدينه المنصوريه كان النعمان أول من ولى قضاءها بل و لاه المنصور القضاء على سائر مدن إفريقيا.

و أصبح النعمان شديد الصله بالإمام الفاطمى مقربا منه، و ظل قاضى قضاء هذه المدن و من تحته قضاتها، إلى أن ولى المعز لدين الله الامامه فاشتدت صله النعمان به حتى إنه كان يجالسه و يسايره و قل أن يفارقه بعد أن كان مستوحشا منه عقب ولايته. و لكن المعز طلب إليه أن يكون فى عهده كما كان فى عهد أبيه المنصور بالله، ثم قربت الصله بين المعز و النعمان حتى أصبح النعمان جليسه و مسايره، و وضع النعمان كتابه المجالس و المسائرات جمع فيه كل ما رآه و ما سمعه من إمامه المعز. و لما رحل المعز من إفريقيا إلى مصر سنه ٣٦٢ هـ اصطحب معه بنى النعمان، و كان النعمان إذ ذاك قاضى الجيش، و كان من الطبيعى أن يقلد النعمان قضاء مصر، و لكن المعز بعد أن استقر بمصر ترك القضاء لآبى طاهر الذهلى محمد بن أحمد الذى كان على قضاء مصر منذ سنه ٣٤٨ هـ و طلب إلى أبى طاهر أن يحكم بفقهِه الفاطميين، فكان لا بد للقاضى من أن يسترشد فى أحكامه بالقاضى النعمان، و ما زال كذلك حتى توفى النعمان سنه ٣٦٣ هـ.

و يقول ابن حجر: إن النعمان كان يسكن مصر أى الفسطاط و يغدو منها إلى القاهره فى كل يوم و يروى ابن خلكان عن المسيحي أن النعمان كان من أهل العلم و الفقه و الدين و النبيل ما لا مزيد عليه، و نقل ابن خلكان عن ابن زولاق أن النعمان بن محمد القاضى كان فى غايه الفضل من أهل القرآن و العلم بمعانيه. و عالما بوجوه الفقه و علم اختلاف الفقهاء و اللغه و الشعر الفحل و المعرفه بأيام الناس مع عقل و إنصاف. و كل من تحدث عن النعمان من المؤرخين يذكر فضله و علمه و سعه ثقافته، فلا غرابه إذن أن نرى هذه الكتب الكثيره التى ألفها النعمان و التى أصبحت عمده كل باحث فى المذهب الفاطمى بل أصبحت الأصل الذى يستقى منه علماء المذهب: فلا أكاد أعرف عالما من علماء..... الدعوه الفاطميه لم ينهج نهج النعمان فى فقهه أو اختلف معه فى رأى فى المسائل الفقيهيه، و قد يكون ذلك لأن النعمان قال فى كتابه المجالس و المسائرات: إن الامام المعز لدين الله طلب إليه أن يلقي على الناس شيئا من علم أهل البيت، فألف النعمان كتبه، و كان يعرضها على المعز فضلا فضلا و بابا بابا حتى أتمها، فهو يقول مثلا:

أمرنى المعز لدين الله (صلى الله عليه وسلم) بجمع شىء لخصه لى و جمعه و فتح لى معانيه و بسط لى جملته فابتدأت منه شيئا ثم رفعتة إليه، و اعتذرت من الإبطاء فيه لما أردته من إحكامه و رجوته من وقوع ما جمعتة منه بموافقته (ص) فطالعتة فى مقداره، فوقع إلى: يا نعمان لا- تبال كيف كان القدر مع إشباع فى إيجاز، فكلما أوجزت فى القول و استقصيت المعنى فهو أوفق و أحسن، و الذى خشيت من أن يستبظاً فى تاليفه فو الله لو لا توفيق الله عز و جل إياك و عونك لك لما تعتقده من النيه و محض الولاية لما كنت تستطيع أن تأتى على باب منه فى أيام كثيره، و لكن النيه يصحبها التوفيق.

المؤلفين و الكتب الإسماعيلية، و أمامي فهرست ابن النديم، و مجموعه خطيه قديمه لمؤلف مجهول جمع فيها أسماء الكتب التي ألفت منذ أوائل الدعوه الإسماعيليه، فلم أعثر فى هذه الكتب كلها على كتاب واحد فى الفقه الإسماعيلى قبل القاضى النعمان بن محمد. فلا غرو أن يعرف المعز فضل هذا العالم و أن يرفعه إلى أعلى الدرجات، و لا سيما أن النعمان ذكر فى كتبه أنه اقتبس هذه العلوم عن الامام و يحدثنا المؤيد فى الدين فى سيرته أن الوزير اليازورى قال له: إن النعمان بنى هذا الأمر و إن أحق الناس بمكانه أبناؤه فالنعمان إذن قد أدى للدعوه الفاطميه هذا الفضل الذى عرفوه له، إذ لا يزال علماء الدعوه يعيشون على الفقه الذى وضعه لهم النعمان، و ربما على التأويل الذى ذكره فى كتبه.

لننظر الآن إلى هذه الكتب التى وضعها النعمان لأهل الدعوه، فيقول ابن خلكان: إن النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف و أملىح سجع، و عمل فى المناقب و المثالب كتابا حسنا، و له ردود على المخالفين، له رد على أبى حنيفه و على مالك و الشافعى و على ابن سريج، و كتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت، و له القصيده الفقيهيه التى لقبها بالمنتخبه و سرد الأستاذ إيفانوف مؤلفات القاضى النعمان فإذا بها نحو أربعة و أربعين كتابا بعضها لا يزال يحتفظ به أتباع المذهب و هم طائفه البهره.

و منها كتب عثر على بعض أجزاءها، و منها ما فقد و لم يعرف إلا أسماؤه، و لا تعرف مكتبات أوربه إلا سته كتب من كتب النعمان و هى:

(١) جزء من كتاب شرح الأخبار بمكتبه برلين، و أحضرت دار الكتب المصريه صورته فتوغرافيه منه.

(٢) كتاب دعائم الإسلام بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن، و فى دار الكتب المصريه صورته فتوغرافيه منه.

(٣) تأويل دعائم الإسلام بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن، و فى مكتبه جامعه القاهره صورته فتوغرافيه منه.

(٤) أساس التأويل بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن.

(٥) جزء من كتاب المجالس و المسائرات بمكتبه مدرسه اللغات الشرقيه بلندن، و فى مكتبه جامعه القاهره.

(٦) كتاب الهمه فى اتباع الأئمه بمكتبه مكتب الهند بلندن، و عندى نسخه خطيه منه.

و يحتفظ أصحاب الدعوه الآن فى مكتباتهم الخاصه بالكتب الآتية:

(١) إفتاح الدعوه، و عندى نسخه خطيه منه كما تحتفظ مكتبه جامعه القاهره بصوره منه (٢) كتاب الإيضاح (٣) كتاب الينوع

(٤) مختصر الآثار (٥) كتاب الطهاره (٦) القصيده المختاره (٧) القصيده المنتخبه (٨) منهج الفرائض (٩) الرساله ذات البيان فى

الرد على ابن قتيبه (١٠) اختلاف أصول المذاهب (١١) كتاب التوحيد و الامامه (١٢) مناقب بنى هاشم (١٣) تأويل الرؤيا (١٤)

مفاتيح النعمه.

أما كتبه التى لم يعثر عليها و عرفت أسماؤها فهى:

(١) مختصر الإيضاح (٢) كتاب الأخبار (٣) كتاب الاقتصار (٤) كتاب الانفاق و الافتراق (٥) كتاب المقتصر (٦) كتاب يوم و ليله (٧) كتاب كيفية الصلاة (٨) الرسالة المصرية فى الرد على الشافعى (٩) كتاب فى الرد على أحمد بن سريج البغدادى (١٠) دامغ الموجز فى الرد على العتكى (١١) نهج السبيل إلى معرفه علم التأويل (١٢) حدود المعرفه فى تفسير القرآن و التنبيه على التأويل (١٣) كتاب إثبات الحقائق فى معرفه توحيد الخالق (١٤) كتاب فى الامامه فى أربعة أجزاء (١٥) كتاب التعاقب و الانتقاد (١٦) كتاب الدعاه (١٧) كتاب الحلى و الثياب (١٨) كتاب الشروط (١٩) أرجوزه ذات المتن و هى فى سيره الامام المعز (٢٠) أرجوزه ذات المحن و هى فى تاريخ ثوره أبى يزيد مخلد بن كيداد (٢١) كتاب معالم المهدي (٢٢) كتاب منامات الأئمه (٢٣) كتاب التفرير و التعنيف.

هذه هى الكتب التى تركها النعمان بن محمد، و لعل أهم كتاب خالد له هو كتاب "دعائم الإسلام، فى ذكر الحلال و الحرام، و القضايا و الأحكام" و هو الكتاب الذى أمر الظاهر بان يحفظه الناس، و جعل لمن يحفظه مالا جزيلا، و يشتمل هذا الكتاب على جميع فقه الفاطميين. فدعائم الإسلام عندهم الولايه و الطهاره و الصلاه و الزكاه و الصوم و الحج و الجهاد، و كل فريضه من هذه الفرائض لها أصولها و فروعها و آدابها فهو يتحدث عن ذلك كله بشىء من الاطناب، و يروى عن كل فريضه ما ورد عنها فى القرآن الكريم و فى الأحاديث النبويه و ما جاء عن الأئمه، و من يقرأ هذا الكتاب و يقارن بين الفقه فيه و بين فقه مالك لا يكاد يجد اختلافا إلا فى بعض أمور لا تمس الدين فى شىء، اللهم ما ورد فى القسم الخاص بالولايه.

و الفصل الخاص الذى فى أول الكتاب تحدث فيه عن الايمان و جعل الولايه شرطا أساسيا للمؤمن، أما ما سوى ذلك من أحكام فرائض الدين و سنته و المعاملات و غيرها فلا تختلف عن الأحكام الشرعيه عند المالكيه.

و تظهر قيمه هذا الكتاب عند علماء المذهب - منذ عرف هذا الكتاب - إذا عرفنا أن عالمين من أكبر علمائهم ذكراه فى كتبهما و اعتمدا عليه و نوها به، أما العالم الأول فهو أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكرمانى المتوفى سنه ٤١٢ هـ فقد ذكر فى مقدمه كتابه "راحه العقل" الكتب التى يجب أن تقرأ قبل قراءه راحه العقل، و من هذه الكتب كتاب "دعائم الإسلام"، و أما العالم الثانى فهو المؤيد فى الدين هبه الله بن موسى الشيرازى المتوفى سنه ٤٧٠ هـ فقد ذكر فى السيره المؤيديه " أنه كان يعقد مجلسا خاصا كل يوم خميس يقرأ فيه على السلطان أبى كاليجار البويهى فصول كتاب دعائم الإسلام، و يعتبر هذا الكتاب الآن من كتب الإسماعيليه على الرغم من أنه فى علم الظاهر، و يعد من كتبهم السريه التى لا يقر بها إلا علماء المذهب فقط.

و قد أتبعه القاضى النعمان بكتاب تأويل دعائم الإسلام و اسمه الكامل:

كتاب تربيه المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين فى تأويل دعائم الإسلام، و هو فى ذكر التأويل الباطنى للأحكام و الفرائض التى وردت فى كتاب دعائم الإسلام، و هو من أهم كتب التأويل عند الإسماعيليه، و عليه اعتمد الدعاه بعد النعمان، و قد توفى النعمان قبل أن يتم هذا الكتاب.

و مهما يكن من شىء فالقاضى النعمان يعد من أكبر علماء الدعوه و فقيهاها الأعظم، و توفى هذا الرجل بمصر سنه ٣٦٣ هـ.

٢ - ولد ابنه الأكبر أبو الحسين علي بن النعمان بالقيروان في رجب سنة ٣٢٨ هـ و قدم مصر مع باقى أفراد الأسره فى صحبه المعز لدين الله، و لما مات النعمان اشترك على بن النعمان فى قضاء مصر مع أبى طاهر الذهلى فظلا يقضيان حتى توفى المعز و ولى العزيز و عرض لأبى طاهر القاضى مرض الفالج، ففوض العزيز الحكم إلى على بن النعمان و ذلك فى صفر سنة ٣٦٦. و ظل منفردا بالقضاء وافر الحرمة عند الامام العزيز حتى أصابته الحمى و هو بالجامع يقضى بين الناس. فقام من وقته و مضى إلى داره و أقام عليلا. أربعة عشر يوما، و توفى يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة ٣٧٤ هـ و صلى عليه العزيز، و هو أول من لقب بقاضى القضاء فى مصر، و كان عالما فقيها مثل أبيه، و كان شاعرا أورد له الثعالبى شيئا من شعره، مثل قوله:

و لى صديق ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدمى

أغنى و أفى فما يكلفنى تقيل كف له و لا قدم

قام بأمرى لما قعدت به و نمت عن حاجتى و لم ينم

و من شعره، و قيل بل من شعر أخيه محمد بن النعمان:

رب خود عرفت فى عرفات سلبتنى بحسنها حسناتى

حرمت حين أحرمت نوم عينى و استباححت دمى بذى اللحظات

و أفاضت مع الحجيج ففاضت من جفونى سوابق العبرات

لم أنل من منى منى النفس حتى خفت بالخيف أن تكون وفاتى

و من شعره أيضا:

صديق لى له أدب صداقه مثله نسب

رعى لى فوق ما يرعى و أوجب فوق ما يجب

فلو نقدت خلانقه لبهرج عندها الذهب

و من سوء الحظ أن شعره لم يصل إلينا كاملا حتى نستطيع أن نكون رأيا دقيقا فى شاعريته.

و لا أدرى أيضا من أين استقى الأستاذ آصف فيضى أن أبا الحسن على بن النعمان كان فى مرتبه داعى الدعاه، فليس لدى من النصوص ما يؤيد ذلك، بل الذى ذكره المؤرخون أن أول من أضيفت إليه الدعوه من قضاة الفاطميين هو ولده الحسين بن على بن النعمان على نحو ما سندكره بعد.

٣ - و لما توفى على بن النعمان أرسل الامام العزيز بالله إلى أبى عبد الله محمد بن النعمان يقول، إن القضاء لك من بعد أخيك

و لا نخرجه عن هذا البيت و هكذا ولى مرتبه قاضى القضاء بعد أخيه، و كان فى حياه أخيه ينوب عنه فى القضاء. فإنه لما سافر العزيز بالله إلى حرب القرامطه سنة ٣٦٨ و سار على فى صحبته استخلف أخاه محمدا فى القضاء: ولد محمد بالمغرب سنة ٣٤٥ هـ و قدم القاهره مع أفراد الأسره، و ما زال بها حتى ولى القضاء و كان جيد المعرفه بالأحكام، متفننا فى علوم كثيره، حسن الأدب و الدرايه بالأخبار و الشعر و أيام الناس. و قد مدحه الشاعر عبد الله بن الحسن الجعفرى السمرقندى بقوله:

تعادلت القضاء على أما أبو عبد الإله فلا عديل

و حيد فى فضائله غريب خطير فى مفاخره جليل

تالت بهجه و مضى اعتزما كما يتالت السيف الصقيل

و يقضى و السداد له حليف و يعطى و الغمام له زميل

لو اختبرت قضاياه لقالوا يؤيده عليها جبرئيل

إذا رقى المنابر فهو قس و إن حضر المشاهد فالخليل

فلما قرأ محمد بن النعمان هذه القصيده كتب إلى الشاعر:

قرأنا من قريضك ما يروق بدائع حاكها طبع رقيق

كان سطورها روض أنيق تزوع بينها مسك فتيق

إذا ما أنشدت أرجت و طابت منازلها بها حتى الطريق

و إنا تائقون إليك فاعلم و أنت إلى زيارتنا تتوق

فواصلنا بها فى كل يوم فأنت بكل مكرمه حقيق

و مما يروى له أيضا قوله:

أيا مشبه البدر بدر السماء لسبع و خمس مضت و اثنتين

و يا كامل الحسن فى نعته شغلت فؤادى و أسهرت عيني

فهل لى من مطمع أرتجيه و إلا انصرفت بخفى حنين

و يشمت بى شامت فى هواك و يفصح لى ظلت صفر اليدين

و فى سنة ٣٧٥ عقد لابنه عبد العزيز بن محمد بن النعمان على ابنه القائد جوهر الصقلى فى مجلس العزيز، ثم قرر ابنه هذا فى نيابته عنه فى الأحكام بالقاهرة و مصر.

و علت منزله محمد بن النعمان عند الامام العزيز بالله حتى إنه كان يصعد معه على المنبر و كان مهيبا محترما. حتى إن أحدا لم يكن يخاطبه إلا بسيدنا و يروى ابن خلكان عن ابن زولاق المؤرخ المصرى: " و لم نشاهد بمصر لقاض من القضاء من الرئاسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان و لا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق و وافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم و الصيانة و التحفظ و إقامة الحق و الهيبة فكانت هذه المكانة التى حظى بها هذا القاضى سببا فى أن ينقم عليه الوزير يعقوب بن كلس، و يخيل إلى أن الوزير كان يخشى اتساع نفوذ بنى النعمان فحاول ما استطاع أن يكسر شوكتهم و ينقص من قدرهم، فكان يعمد إلى أن ينقض أحكام القاضى، و يروى ابن حجر العسقلانى عن المسبحى أن الوزير ابن كلس كان كثير المعارضه لبنى النعمان فى أحكامهم، و روى قصه تدل على مدى خوف الوزير من اتساع سلطانهم و نفوذهم و ما كان يضمه لهم، و بعد أن توفى العزيز بالله سنة ٣٨٥ و ولى الحاكم بامر الله، أقر القاضى محمد بن النعمان على ما بيده من القضاء. و زادت منزلته عنده رفعة، و لكن محمدا تزاحمت عليه العلل، فتوفى ليله الثلاثاء رابع صفر سنة ٣٩٩ و صلى عليه الحاكم و وقف على دفنه، و حزن الحاكم لوفاته فلم يول أحدا مرتبه القضاء إلا بعد شهر، فقلد القضاء أبا عبد الله الحسين بن على بن النعمان.

رأسه و وجهه، فحمل القاضى جريحا إلى داره، و ظل حتى اندمل جرحه، فصار من ذلك اليوم يحرسه عشرون رجلا بالسلاح، و كان إذا صلى وقف خلفه الحرس بالسيوف حتى يفرغ من الصلاة ثم يصلى حرسه، و لا تكاد نسمع أن قاضيا من قضاة المسلمين فى التاريخ الإسلامى كله كان يصلى و الشرطه تحرسه غير الحسين بن على بن النعمان، و زاد الحاكم فى إكرامه حتى أمر أن يضاف له أرزاق عمه و صلاته و إقطاعاته، و فوض إليه الخطابه و الامامه بالمساجد الجامعه، و ولاه الدعوه و قراءه مجالس الحكمه التأويليه بالقصر و كتابتها، و هو أول قاض أضيفت إليه الدعوه من قضاة الفاطميين و يظهر أنه فى ذلك الوقت دب ديب الشقاق بين أبناء هذه الأسره فهذا القاضى طالب ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان ببعض ودائع كانت فى الديوان أيام ولايه محمد بن النعمان على القضاء، و تشدد القاضى فى مطالبه ابن عمه بهذه الودائع حتى ألزمه أن يبيع كل ما خلفه أبوه سدا لهذه المطالبه، و لست فى مركز يسمح لى أن أقول: أ كان تشدد القاضى عن ورع و دين أم عن حسد و غيره و شقاق بين بنى الأعمام. و مهما يكن من شىء فقد صرف هذا القاضى عن رتبه القضاء و الدعوه فى رمضان سنه ٣٩٤هـ، و أمر الحاكم بحبسه ثم ضربت عنقه فى مطلع سنه ٣٩٥هـ و هكذا لقي حتفه بيد الحاكم، بعد أن كان مكرما لديه مقربا إليه.

٥- و ولى القضاء بعده ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان المولود فى أوائل ربيع الأول سنه ٣٥٥هـ و هو الذى كان ينوب عن أبيه فى القضاء، و كان عالما من علماء الدعوه الفاطميه ينسب إليه كتاب البلاغ الأكبر و الناموس الأعظم فى أصول الدين، و هو الكتاب الذى رد عليه القاضى أبو بكر الباقلانى و قيل: إن هذا الكتاب من تصنيف عمه على بن النعمان، و مهما يكن من شىء فالقاضى عبد العزيز بن محمد هو أول من ولى النظر على دار العلم و كان يجلس فى الجامع و يقرأ على الناس كتاب جده النعمان "اختلاف أصول المذاهب" و على الرغم من أنه خص بمجالسه الحاكم و مسيرته فإنه لم ينج من نزوات الحاكم و تقلباته، فعزله عن القضاء سنه ٣٩٨هـ ثم اعتقله فى السنه التاليه ثم عفا عنه و أعاد إليه النظر فى المظالم و خلع عليه، و فى سنه ٤٠١ اضطر هذا القاضى إلى أن يهرب من وجه الحاكم هو و القائد الحسين بن جوهر الصقلى، فصادر الحاكم بيوتهما و حمل كل ما كان فيها، ثم كتب الحاكم لهما بالأمان و خلع عليهما، و لكنه أمر بعد ذلك بقتلهما فى ثانى عشر جمادى الآخره سنه ٤٠١هـ.

و بعد هذه المأساه ضعف أمر بنى النعمان و ساءت حالهم. و لم تبق لهم تلك السطوه و لا ذلك النفوذ، حتى إن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان ولى القضاء سنه ٤١٨هـ و لكنه لم يمكث فى هذه المرتبه سوى عام و شهرين، و أعيد مره أخرى إلى القضاء سنه ٤٢٧هـ و أضيفت إليه الدعوه، و يقول عنه المؤيد فى الدين: "و توجهت إلى الموسوم بالقضاء و الدعوه، و هو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمه الله و إيانا، فرأيت رجلا يصول بلسان نسبه فى الصناعه التى و سم بها دون لسان سبيه، فارغا مثل فؤاد أم موسى (ع)، و فيه جنون يلوح من حركاته و سكناته(١)" و عزل القاسم عن هذه المراتب سنه ٤٤١هـ و يحدثنا المؤيد أن نساء بنى النعمان تشفعن للقاسم عند أم المستنصر و ألحفن عليها بالسؤال لإعادته، فعينه الوزير اليازورى سنه ٤٤٢هـ نائبا له فى الدعوه، فقبل القاسم أن يكون تابعا لداعى الدعاه بعد أن كان أصلا فى هذه الخدمه، و استمر القاسم بن عبد العزيز نائبا لليازورى فى مرتبه الدعوه حتى أقعده المرض، فأنا ابنه محمد بن القاسم فى الدعوه بدله، و استمر محمد، نائبا عن والده فى نيابه الدعوه حتى سنه ٤٥٠هـ ثم لم نعد نسمع شيئا عن هذه الأسره التى ظلت زهاء قرن فى مكانه رفيعه عاليه و فى اتصال بالأئمه الفاطميين، كما كان لهذه الأسره أثرها فى بعث العقائد الفاطميه فى نفوس الناس بما ألفوه من كتب و ما ألفوه من مجالس الدعوه و بما كانوا يحكمون به فى القضايا على حسب فقه المذهب الفاطمى الذى وضعه لهم النعمان بن محمد مؤسس

هذه الأسره.

السيد نعمه الله الجزائري ابن السيد محمد جعفر

المتصل نسبه بالسيد نعمه الله صاحب الأنوار النعمانيه.

ولد في كربلاء سنه ١٣٢٦ و توفي سنه ١٣٦٢ في شوشتر أثناء سفره إلى ايران صحب والده إلى الأهواز و اقام فيها، ثم حضر عند الأنصارى فاخذ عنه علوم اللغه العربيه، ثم ذهب إلى دزفول و أخذ الفقه و أصوله عن الشيخ محمد رضا الدزفولى و لازمه. و بعد وفاه استاذه سنه ١٣٥٢ هاجر إلى النجف الأشرف و حضر دروس الميرزا أبى الحسن المشكينى و الشيخ ضياء الدين الاراكى و السيد أبو الحسن الاصفانى [الاصفهانى] و غيرهم.

ترك آثارا بقيت في المسودات، و نظما بالفارسيه و العربيه، فقد أكثرها.

منها: كتاب في النحو. شرح التهذيب في المنطق للتفتازانى، رساله في حقيه اخبار الآحاد. منتخب الاخبار فى الاخبار الصحيحه فى مختلف المواضيع.

و كان والده و أجداده من العلماء. و ولده السيد محمد المولود سنه ١٣٥٠ اشتغل بالعلم فى النجف الأشرف و هاجر إلى الأهواز سنه ١٣٧٧ و هو اليوم يسكن طهران و له مؤلفات مطبوعه و مخطوطه، فمن المطبوع: نابغه فقه و حديث و هو ترجمه جده الأعلى المحدث الجزائري. شجره مباركه فى تراجم آل السيد نعمه الله الجزائري و هو عده مجلدات طبع منها المجلد الأول.

و من المخطوط: حاشيه على شرح التجريد للعلامه الحلى الموسوم بكشف المراد. بقيه مجلدات (شجره مباركه).

كما ان له عده دراسات عن مؤلفين نشرت مقدمات لكتبهم. و مصادر ترجمه الشيخ الطوسى نشرت مع أبحاث ذكرى الطوسى الألفيه.

نعيم بن هبيرة الشيباني.

التحق مصقله بن هبيرة الشيباني بمعاويه بعد ان كتب إليه أمير المؤمنين على (ع) - و كان عامله على أردشيرخره - بهذا الكتاب:

أما بعد فان من أعظم الخيانه خيانه الأمه و أعظم الغش على أهل المصر غش الامام، و عندك من حق المسلمين خمسمائه ألف درهم فابعث بها إلى حين يأتيك رسولى و الا- فاقبل إلى حين تنظر فى كتابى فانى قد تقدمت إلى رسولى الا يدعك ساعه واحده تقيم بعد قدومه عليك الا ان تبعث بالمال، و السلام.

مع تفاصيل اخرى ليس هنا مكان ذكرها (راجع: معقل بن قيس).

و كان أخوه نعيم شيعيا و لعلى (ع) مناصحا، فكتب إليه

مصقله من الشام مع رجل يقال له: حلوان اما بعد فاني كلمت معاويه فيك فوعدك الكرامه و مناك الاماره فاقبل ساعه تلقى رسولى إن شاء الله و السلام.

فكتب نعيم إلى أخيه مصقله جواب كتابه شعرا:

لا ترميني هداك الله معترضا بالظن منك فما بالي و حلوانا

ذاك الحريص على ما نال من طمع و هو البعيد فلا يورثك أحزانا

ما ذا أردت إلى إرساله سفها ترجو سقاط امرئ لم يلف و سنانا

عرضته لعلى انه أسد يمشى العرضنه من آساد خفانا

قد كنت فى منظر عن ذا و مستمع تحمى العراق و تدعى خير شيبانا

حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه للراكيين له سرا و إعلانا

لو كنت أديت مال الله مصطبرا للحق أحييت أحيانا و موتانا

لكن لحقت بأهل الشام ملتتمسا فضل ابن هند و ذاك الرأى أشجانا

فاليوم تفرع سن العجز من ندم ما ذا تقول و قد كان الذى كانا

أصبحت تبغضك الأحياء قاطبه لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

الشيخ نوح بن الشيخ هاشل بن الشيخ أحمد بن صالح بن عصفور.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

هو أحد أجداد المشايخ رحمه الله عليه و لم يذكره جدى فى اللؤلؤه بالبحرين لأنه لم يكن من مشايخ الإجازة أخذ بالأدب عن فخر المشايخ سليمان الماحوزى البحرانى و عن تلميذه الشيخ عبد الله السماهيجى و عن جد جدى الشيخ أحمد والد صاحب الحدائق و هو شيخ النحاه و سيد المعانى و له كتاب الجامع و كتاب التبيان و هو شرح كبير على كتابين كتاب الحدود و كتاب الحروف كلاهما تصنيف أبى الحسن على، بن عيسى بن على الرمانى و من مؤلفاته كتاب الاعراب و كتاب الأسماء و كتاب الألقاب و هو فى علم الرجال توفى قدس سره سنه ١١٥٠.

الشيخ نور الدين بن الشيخ عبد الجبار القطيفى.

قال فى تاريخ البحرين المخطوط:

تتلمذ على يد العلامة المجلسي و مجاز منه تصدر للافتاء في كيلان مده ثم استوطن تبريز فصار من العلماء الاعلام و فوض إليه زمام الكلام.

و له مباحثات مع الملا خليل القزويني جمعها الشهيد الثالث في كتاب تحفه الحبيب.

مات سنه ١١٠٥

هبه الله بن علي

المعروف بابن الشجري.

مرت ترجمته في. الصفحه ٢٦٢ من المجلد العاشر، و نشر هنا كلمه عن كتابه (الأمالي) بقلم حاتم صالح الضامن:

مقدمه

الامالي الشجريه من الكتب المهمه التي جمعت أقوال كثير من النحاه و اللغويين و الأدباء، و قد املاها ابن الشجري في أربعة و ثمانين مجلسا الا ان طبعه حيدرآباد لا تضم الا ثمانية و سبعين مجلسا، و يجدر بي هنا ان أشير إلى بعض الملاحظات التي عنت لى أثناء تحقيقي لهذه المجالس و هي:

١ - كان ابن الشجري عيالا على الهروي إذ نقل فصلين كاملين من كتابه: الازهيه في علم الحروف، و لا بأس في أن يتاثره ابن الشجري أو يتابعه أو ينقل نصوصا كامله من كتابه الا أن عرض هذه الأقوال غفلا و عدم نسبتها إليه مما لا يقره العلم.

٢ - و نقل أيضا عن ثعلب في شرحه لديوان زهير و عن الجرجاني في الوساطه و عن ابن جني و الواحدى و أبى القاسم الاصفهاني و ابن فورجه في شروحهم لشعر المتنبي و لم يشر لذلك.

٣ - خص ابن الشجري المجلس الموفى الثمانين و معظم المجلس الحادى و الثمانين في ذكر زلايت مكى بن أبى طالب المغربى(١) في كتابه (مشكل اعراب القرآن) و قد اهتم ابن الشجري بهذا الكتاب و نقل عنه كثيرا في أماليه و تابعه في بعض أوهامه إلا- أن الذى يلفت النظر هو اهتمامه البالغ بذكر زلايته و سقطاته. و يغلب على الظن ان هجوم مكى على المعتزله و وصمهم بالإلحاد في كتابه كان هو الدافع الذى حفز ابن الشجري إلى تتبع زلاته إذ نرى ابن الشجري قد استشهد كثيرا بأراء الرماني المعتزلى. و إذا لم يكن هذا هو الدافع، فلم هذا الاهتمام بكتاب مكى و التحامل عليه بدون مبرر؟ و لم لم يرد على أبى جعفر النحاس الذى تابعه مكى في نقله لهذه الأقوال؟ و لم لم يرد على أبى عبيده صاحب الرأى الذى نقله مكى؟ و ربما أثار ابن الشجري أيضا أن مكيا كان ناشرا للمالكيه في الأندلس.

٤ - يبدو لى ان ابن الشجري كانت تنقصه الدقه فقد تعقبه ابن هشام في عده مواضع من كتابه المغنى مغلطا له و مثبتا عليه عدم التحرى في نقل آراء سيويه و الكسائى و الأخفش و أبى على الفارسى.

مخطوطتا الكتاب:

١ - مخطوطه مكتبه الدراسات العليا ببغداد المرقمه ٢٦٩، و هي نسخه جيده كتبت سنه ٦١٤ هـ و الموجود منها الجزء الثالث فقط و يبدأ من المجلس السادس و الخمسين إلى آخر الكتاب.

٢ - مخطوطه الخزانة التيموريه المرقمه ٦٧٢ (أدب تيمور) و قد كتبت سنه ١٩٢٠ بخط واضح مقروء و في أولها فهرس مفصل لمجالس الكتاب.

وهيب بن زمعه الجعفي

لما سار التوابون بقياده سليمان بن صرد الخزاعي للطلب بثار الحسين، وصلوا إلى كربلاء و زاروا قبر الحسين (ع). و كان فيهم وهيب بن زمعه و هو من خيار أهل الكوفه فوقف على القبر باكيا، ثم قال: و الله لقد جعله الأعداء للنبل عرضا و للسباع مطعما! فله حسين و لله يوم حسين! لقد غادروا منه يوم وافوه ذا وفاء و صبر و عفاف و بأس و شده و أمانه و نجده ابن أول المؤمنين و ابن بنت نبى رب العالمين، قلت حماته و كثرت عداته، فويل للقاتل، و ملامه للخاذل! إن الله تبارك و تعالى لم يجعل للقاتل حجه و لا للخاذل معذره، إلا أن يناصح الله فى التوبه فيجاهد الفاسقين، فعسى الله عند ذلك يقبل التوبه و يقبل العثره، ثم أنشا يقول:

ص: ٣٤٣

١- ولد سنه ٣٥٥ هـ و توفى سنه ٤٣٧ هـ. كان محبا للعلم يكثر السعى و الرحله فى سبيله، واسع الاطلاع و تظهر لنا سعه ثقافته فى مؤلفاته الكثيره و ما تتصف به من تنوع، و كان عالما بالقراءات ساعيا فى نشرها فى الأندلس، طبع من كتبه: الابانه عن معانى القراءات و الوقف على كلا و بلى فى القرآن.

تبيت نساء من أميه نوما و بالطف قتلى ما ينام حميمها
و ما ضيع الإسلام إلا قبيله بامر فزكاها و دام نعيمها
و عادت قناه الدين فى كف ظالم إذا مال منها جانب لا يقيمها
فأقسم لا تنفك نفسى حزينه و عيني سفوحا لا يجف سجومها
حياتى أو تلقى أميه وقعه ينال بها حتى الممات قرومها
لقد كان فى أم الكتاب و فى الهدى و فى الوحي لم ينسخ لقوم علومها
فرائض فى الميراث قد تعلمونها يلوح لذى اللب البصير أرومها
بها دان من قبل المسيح بن مريم و من بعده لما أمر بريمها
فاما لكل غير آل محمد فيقضى بها حكامها و زعيمها
و أما لميراث الرسول و أهله فكل براهم رمها و جسيمها
فكيف و ضلوا بعد خمسين حجه يلام على هلك الشراه أديمها

أبو محمد هشام بن سالم الجواليقي الجعفي، العلاف الكوفي

مولى بشر بن مروان، كان من سبى الجوزجان، عد من أصحاب الامام الصادق و الامام الكاظم، و روى عنهما (ع)، له كتاب الحج، التفسير، المعراج، وثقه كل من ترجم له. روى عنه جمع منهم ابن أبي عمير، صفوان بن يحيى، على بن الحكم، النضر بن سويد، و غيرهم روى الكشى فى مدحه روايات.

و مر فى الصفحه ٢٦٦ من المجلد العاشر: هاشم بن سالم من أصحاب الصادق، و لعلهما واحد.

يحيى بن زياد الفراء

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٢٠ من المجلد العاشر و نشر هنا هذه الدراسه عنه مكتوبه بقلم: عبد المنعم محمد جاسم:

من هو الفراء؟.

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء عالم لغوى فذ، نحوى بارع، تقى ورع، مفسر للقرآن عظيم، تلميذ على بن حمزه الكسائي، أستاذ

احمد بن يحيى ثعلب.

كوفى النشأه، معتزلى المذهب، كوفى الرأى - فى الغالب - بصرى - فى النادر -، يأخذ من وجوه الاعراب أقربها للعقل، و أحلاها للذوق، و أسلمها للغة. لا يلجا إلى التأويل و التعيير و التعقيد و الالتواء - الا نادرا - و لعل هذا النادر ناتج عن تأثره - بعض الشىء - بمنهج أصحاب الكلام.

لم يعرف التاريخ عن صباه شيئا سوى ابن خالته القاضى الفقيه محمد بن الحسن الشيبانى بالولاء صاحب الامام الأعظم أبى حنيفه النعمان، و ولده الشاطر صاحب السكاكين الذى لم يخلد به ذكر أبية، انما خلد بكتبه التى لا تحصى، و فيض علمه الذى لم ينضب، و شغفه بتفسير القرآن الكتاب السماوى البلاغى العظيم، و غزاره لغته التى حوتها بطون الكتب و حفظها أمات المصادر، و خلدتها ضخام المجلدات على صفحاتها الطويلة.

تضاربت الروايات فى مولده فروايه تؤرخه بعام (١٤٠ هـ) و اخرى تلمح له بعام (١٤٤ هـ) و ثالثة تشير له بعام (١٤٥ هـ) و رابعة تثبته بعام (١٢٤ هـ).

كما اختلفت فى وفاته - زمانا و مكانا - فروايه تقول انه توفى فى عام (٢٠٧) و اخرى تذكر انه عام (٢٠٩) و ثالثة تنص على انه (٢٠٤) و رابعه تصرح بأنه عام (١٨٧). و لقد رجح الدكتور احمد مكى الأنصارى عام (١٤٤ هـ) ميلادا له، و عام (٢٠٧) وفاه و على هذا يكون عمره ثلاثا و ستين سنه. و هو رأى لا يتعدى الصواب.

تجواله فى البلدان طويل سريع، فقد نشا فى الكوفه، و ذهب إلى البصره للعلم، و سافر إلى بغداد للمال، و رحل إلى مكه للحج. ناظر و حاجج و ناقش. ناظر سيبويه فى البصره فبزه و فاقه، و ناقش الكسائى فى بغداد فغلبه. و هذا هو الذى ميزه عن شيخه الكسائى كما قال له أبو جعفر الرواسى العالم اللغوى الكوفى الكبير "خرج الكسائى إلى بغداد و أنت أميز منه".

اتخذ من الاعتزال مذهبا قربه إلى المأمون فى وقت كان للمعتزله الباع الأطول و الشأن الأعظم و المكان الأسمى. فدعاه إلى تأليف كتابه العظيم الذى اسماه "الحدود" دون لنا فيه حدود النحو جميعا. (١)

و يتمثل النحو الكوفى - فى أغلبه - بكتب الفراء كما يتمثل النحو البصرى ب (كتاب) سيبويه، إذ لم نكد نعر على كتاب جامع مفصل يدون فى طياته النحو الكوفى كما قام سيبويه بعمله الجليل حين جمع نحو البصره فى (كتابه)، و هذا هو الاختلاف الحقيقى بين المدرستين، الا أن الفراء يمثل لقطه نادره من النحو الكوفى بعد شيخه الكسائى و يتمثل ذلك فيما وصل إلينا من آثاره الموجوده، و فيما يتحدث لنا عن آثاره المفقوده. فكتبه (معانى القرآن) و (الأيام و الليالى و الشهور) و (المذكر و المؤنث) و (المقصود و الممدود) تمثل لنا فيضا غزيرا من الدراسات اللغويه و النحويه و القرآنيه يقدم للقارئ دررا من فرائد العربيه الغوالى، و أنماطا من كلام مرصع بالماس و اللآلى تغنيه عن حوشى اللغة و غريبها و فاسد الألفاظ و رديئها تلك التى تجعل ذوق القارئ ينبو عنها، و ذهنه ينفر منها.

و اعترافا منا بفضل سبق البحث للباحثين المتقدمين و تفضيلا لعرض الحقيقه على نصاعتها يجدر بنا القول ان هذا الموضوع قد درسه و بحث فيه - تفصيلا لا- اجمالا - باحثون فضلاء و علماء اكفاء و أساتذه ثقات لا يرتقى الشك إليهم و منهم الدكتور

مهدي المخزومي و الدكتور احمد مكى الأنصارى و الدكتور إبراهيم السامرائى، غير أن للفراء آراء اخرى مختلفه لم يتحدثوا فيها بل اكتفوا بذكر المصادر التي تجمعها، و قد جمعت منها هذه الماده الطويله مستعينا ببعض المصادر هي من أمات كتب النحو و اللغه، متوخيا الدقه و الامانه فى البحث، راجيا إرضاء القارئ الكريم باضافه بعض من آراء هذا النحوى الشهير مما لم يطلع عليه.

ما هي آراء الفراء فى النحو

؟.

(باب المبتدأ و الخبر)

ذهب الفراء إلى أن العائد المنصوب يجوز حذفه بشرط أن يكون المبتدأ لفظ " كل " و ان يكون ناصبه فعلا نحو قوله تعالى (وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى) فى قراءه من رفع " كل و تقديره: و كل وعده الله الحسنى.

كما ذهب إلى ان الاسم المرفوع بعد لو لا ارتفع بها نفسها أصاله، لا لأنها نائبه عن الفعل، و علل ذلك بان (لو لا) حرف مختص بالأسماء و الحرف المختص يعمل.

ص: ٣٤٤

١- بسبب موافقه الشيعه للمعتزله فى بعض الأمور كان الكثيرون ينسبون بعض كبار رجال الشيعه إلى الاعتزال كالسيد المرتضى و الصاحب بن عباد و غيرهما. و من ذلك نسبه الفراء إلى الاعتزال (ح).

و يجيز الفراء اقتران الخبر بالفاء إذا كان الخبر أمرا أو نهيا سواء أ كان المبتدأ عاما أم لم يكن بدليل وروده في فصيح الكلام نثرا و شعرا فمن ذلك قوله تعالى (هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَّاقٌ) و قوله سبحانه: (وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) و قوله: (الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) و قول الشاعر عدى بن زيد: -

أرواح مودع أم بكور؟ أنت فانظر لاي ذاك تصير

و منع الفراء وقوع الحال فعلا مضارعا في قوله:

و رأى عيني الفتى أبابا يعطى الجزيل فعليك ذاكا

ف (يعطى) ذهب الفراء إلى عدم جواز كونها حالا ساد مسد الخبر جملة فعلية.

(باب كان و أخواتها)

يرى الفراء انه لا- يجوز تقديم خبر كان و أخواتها عليها إذا كان النفي بغير (ما) فلا يجوز ان يقال (قائما لم يزل زيد، منطلقا لم يكن عمرو).

(باب الحال)

أجاز الفراء تقديم الحال على عاملها مطلقا سواء كان صفة نحو (مسرعا ذا راحل) و (مجردا زيد مضروب) و (هذا تحمليين طليق) فتحمليين في موضع نصب على الحال و عاملها طليق و هو صفة مشبهة أو كان عاملها فعلا- نحو (مخلصا زيد دعا) و (خشعا أبصارهم يخرجون) و الظرف و المجرور الخبر بهما نحو (تلك هند مجردة) و (ليت زيدا أميرا أخوك) و أما نحو (أما علما فعالم) في هذه الامثلة كلها يجيز الفراء تقديم الحال على عاملها.

و يقول الفراء بأنه لا بد في ربط الجملة الاسمية إذا وقعت حالا من الواو اما وحدها و اما مع الضمير و لا يجوز أن يكون الرابط هو الضمير وحده. و أما بيت الشاهد

(ثم راحوا عقب المسك بهم)

فيعتبره شاذا لا يقاس عليه. إذ أن الشاهد في هذا البيت هو مجيء الجملة الاسمية المكونه من المبتدأ و الخبر

(عقب المسك بهم)

حالا من الواو في (راحوا) و الضمير (هم) هو الرابط فقط و لم تربط بالواو. و يعتبر الفراء ذلك شاذا.

(باب التمييز)

يجيز الفراء تقديم عامل التمييز مطلقا لأن الغالب في التمييز المنصوب بفعل متصرف كونه فاعلا في الأصل و قد حول الاسناد

عنه إلى غيره لقصد المبالغه فلا يغير عما كان يستحقه من وجوب التأخير لما فيه من الإخلال بالأصل.

(باب الإضافة)

يرى الفراء كغيره من النحاه انه قد تحذف تاء التأنيث للاضافه عند امن من اللبس، و جعل منه "وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ" "وَأَقَامَ الصَّلَاةَ" بناء على أنه لا يقال دون إضافه في الإقامه: اقام و لا فى الغلبه: غلب.

كما يرى أنه يجوز إضافه اسم الفاعل المحلى بال إلى المعارف مطلقا نحو:

الضارب زيد، و الضارب هذا، بخلاف: الضارب رجل.

كما أجاز إضافه الشيء إلى ما بمعناه لاختلاف اللفظين نحو "وَلَمَدَارُ الْمَآخِرِ" و "حَيُّ الْقِيَمِ" و "حَبِيلِ الْوَرِيدِ" و "حَبِّ الْخَصِيدِ". و يرى كذلك - خلافا لسيوييه و المبرد - فى قولهم "قطع الله يد و رجل من قالها" ان الاسمين مضافان إلى "من قالها" و لا حذف فى الكلام.

كما يرى أن ياء المتكلم المدغم فيها تكسر كما فى قراءه حمزه "مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِيَّ" و قد فسرها بان الياء من مصرخى منصوبه لان الياء من المتكلم تسكن إذا تحرك ما قبلها، و تنصب إرادته الهاء، كما قرئ (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ) بنصب الياء و جزمها. فإذا سكن ما قبلها ما قبلها ردت إلى الفتح الذى كان لها، فالياء من مصرخى ساكنه و الياء بعدها من المتكلم ساكنه، فحركت إلى حركه قد كانت لها فهذا مطرد فى الكلام.

(باب الفاعل)

ذهب الفراء إلى أن الفاعل المحصور بالا يمتنع تقديمه فلا يجوز "ما ضرب الا زيد عمرا" و هو مذهب أكثر البصريين و ابن الأنبارى.

(باب نائب الفاعل)

إذا كان نائب الفاعل مجرورا بحرف جر غير زائد نحو سير يزيد أو مر بعمرو فذهب الفراء إلى أن الناصب حرف الجر وحده فى محل رفع، كما يقول: انه وحده بعد الفعل المبنى للفاعل - (الفعل المبنى للمعلوم) - فى محل نصب.

(باب الأسماء الخمسه)

الفراء يقول: من أتم الأب فقال هذا أبوك فأضاف إلى نفسه قال: هذا أبى، خفف. قال: و القياس قول العرب: هذا أبوك و هذا أبى فاعلم و هو الاختيار و انشد: -.

فلا و أبى لا آتيك حتى ينسى الواله الصب الحزينا

(باب ان النافيه المشبهه بليس)

ذهب الفراء إلى منع اعمال ان النافيه عمل ليس من رفع للاسم و نصب للخبر.

(باب التعجب)

يرى الفراء فى "ما" التعجبيه انها استفهاميه و ليست تعجبيه. كما قال فى صيغه التعجب (افعل به): لفظه و معناه الأمر و فيه ضمير و ألباء للتعديه.

(باب افعل التفضيل)

يرى الفراء أن صيغه افعل لا تخلو قط من الدلاله على التفضيل فإذا كانت الصيغه مجردة من آل و الإضافه فاما أن تذكر معها "من" الجاره للمفضول عليه، و اما أن تكون مقدره كما فى بيت الشاعر: -

ان الذى سمك السماء بنى لنايتا دعائمه أعز و أطول

و كأنه قال: بيتا عز الدعائم و أطولها أو أعز و أطول من بيتك.

(باب المفعول به)

قال الفراء بان الناصب للمفعول به هو الفعل و الفاعل كلاهما بحجه أن الفعل و الفاعل كالشئ الواحد و لا يعمل بعض الكلمه دون بعضها الآخر.

(باب النداء)

ص: ٣٤٥

(باب الترقيم)

أجاز الفراء حذف الياء و الالف مع الآخر من نحو سعيد و عماد فى كل لغه و حذف الواو مع الآخر فى نحو ثمود فى لغه من يجعله اسما برأسه و لا- ينتظر المحذوف فيقول يا سع و يا عم و يا ثم و اما على لغه من ينتظر فيوجب حذف الواو و الدال و لا يجيز يا ثمو بحذف الدال فقط لأن بقاء الواو يستلزم عدم النظير إذ ليس فى العربيه اسم متمكن فى آخره واو لازمه قبلها ضمه.

كما انه لا- يشترط المجانسه فيجيز حذف اللين و ان كان قبله فتحه فيقول يا فرع و يا غرن فى فرعون و غرنيق لبقاء الاسم المتمكن على ثلاثه أحرف.

كما منع الفراء ترقيم المركب من العدد إذا سمي به.

(باب حذف الفعل)

قال الفراء فى قوله تعالى: (انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ) : الكلام جمله واحده و خيرا نعت لمصدر محذوف أى انتهاء خيرا. و فى قوله تعالى (وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى و اعتقدوا الايمان من قبل هجرتهم.

(مفسر ضمير الشأن)

أجاز الفراء أن يفسر [يفسر] ضمير الشأن مفرد مؤول بالجمله نحو كان قائما زيد و كان قائما الزيدان أو الزيدون على أن قائما فى جميعها خبر عن ذلك الضمير و ما بعده مرتفع به. و أجاز أيضا نحو ظننته قائما زيدا أو الزيدان أو الزيدون و كذا ليس بقائم اخواك و ما هو بذاهب الزيدان.

(باب ظن و أخواتها)

جواز [جوز] الفراء قيام الضمير و اسم الإشارة مقام مفعولى ظن و دلل على ذلك بانك تقول لمن قال أظن زيدا قائما أنا أيضا أظنه أو أظن هذا و كذا باقى أفعال القلوب.

(باب النعت)

إذا تعددت النعوت مع تفریق المنعوت فان اختلف العمل و اختلفت نسبه العامل إليهما نحو ضرب زيد عمرا الظريفين فاتباع الأخير عند الفراء.

كما يرى بأنه قد يعامل الوصف الرافع ضمير المنعوت معامله رافع السببى إذا كان معناه له فيقال: مررت برجل حسنه العين كما يقال حسنت عينه.

(باب التوكيد)

زعم الفراء أن أجمعين تفيد اتحاد الوقت. كما أجاز حذف الضمير استغناءً بنيه الإضافة كما في قوله تعالى: (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وقراءه بعضهم "أنا كلا فيها" على ان المعنى: جميعه و كلنا. كما أجاز الفصل بين المؤكد و المؤكد ياما فأجاز "مررت بالقوم اما أجمعين و اما بعضهم".

(باب عطف البيان)

جوز الفراء إضافه الوصف المفرد المقترن بال إلى العلم و بهذا أعرب كلمه (بشر) في قول الشاعر: -.

انا ابن التارك البكرى بشر عليه الطير ترقبه وقوعا

بدلا من (البكرى) و ليس عطف بيان كما عند جمهور العلماء.

(باب عطف النسق)

منع الفراء إفاده الفاء للترتيب منعا مطلقا. كما زعم أن الواو تفيد الترتيب و التعبير بمطلق الجمع مساو التعبير بالجمع المطلق من حيث المعنى و لا التفات لمن غير بينهما بالإطلاق و التقييد. كما قال في معنى "أو" في الآية الكريمة "وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" أنها بمعنى بل يزيدون.

كما انه يقيس حذف اما إذا عطفت على كلام سابق تقدمته في الأصل "أما" ثم حذف لأن في ذكر الثانيه المسبوقه بواو العطف إيماء إليها و إشاره لها فيجيز "زيد يقوم و أما يقعد" كما يجيز "أو يقعد" فهو يقول بالنص "و لا تدخل أو على أما، و لا أما على أو، و ربما فعلت العرب ذلك لتأخيرهما في المعنى على التوهم فيقولون: عبد الله أما جالس أو ناهض، و يقولون: عبد الله يقوم و أما يقعد، و في قراءه أبي: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فوضع "أم" في موضع "أما" و قال الشاعر: -.

فقليل لهن امشين اما نلاقه كما قال أو نشف النفوس فنعدرا

و قال آخر: -.

تلم بدار قد تقادم عهدها و اما بأموات الم خيالها

فوضع "أما" في موضع "أو" على التوهم و ذلك إذا طالت الكلمه بعض الطول أو فرقت بينهما بشيء هنالك" انتهى كلام الفراء في "أما".

و أجاز الفراء كذلك العطف ب "لا" على اسم لعل كما يعطف بها على اسم ان نحو "لعل زيدا لا عمرا قائم".

(الضمير)

مذهب الفراء ان المجيء بالنون مع ليت ليس بلازم، و تركه ليس ضروره و لا شاذا فيجوز أن تقول: ليتي في سعه الكلام كما

تقول: ليتنى و ان كان ذكر النون أكثر من تركها.

(اسم الإشارة)

حكى ابن منظور عن الفراء دخول (ها) التنبيه على اسم الإشارة المختص بالبعيد نحو (هناك أو هنالك) و القريب نحو هنا، فيجوز أن يقال: هاهنا بهاء التنبيه مع تشديد النون أما (هاء) (هنا) فالفراء يرويها مكسوره و مفتوحه.

(الاسم الموصول)

قال الفراء: "العرب قد تذهب ب "ذا" و "هذا" إلى معنى "الذى" فيقولون: من ذا يقول ذاك، فى معنى: من الذى يقول، و قال يزيد بن مفرغ:

عدس ما لعباد عليك اماره نجوت و هذا تحمليين طليق

كأنه قال: و الذى تحمليين طليق انتهى كلام الفراء.

(باب النكره)

قال ابن الأنبارى فى (الزاهر) ان الفراء و هشاما قالوا: نسيج وحده و عيبر وحده، و واحده، و واحد امه، نكرات و الدليل على هذا أن العرب تقول:

رب نسيج وحده قد رأيت، و رب واحد امه قد أجزت.

(باب الاشتغال)

ص: ٣٤٦

غلامه و زيدا حبست عليه لا ينتصب الاسم بفعل يفسره ما بعده أى ضربت و جاوزت و أهنت و لا بست بل أن ناصبه لفظ الفعل المتأخر عنه اما لذاته أن صح المعنى و اللفظ بتسليطه عليه نحو زيدا ضربته فضربت عامل فى زيد كما انه عامل فى ضميره و اما غيره ان اختل المعنى بتسليطه عليه فالعامل فى زيدا هو قولك مررت به لسده مسد جاوزت و فى عمرا ضربت أخاه لسده مسد أهنت و ليس قبل الاسم فى الموضعين فعل مضمّر ناصب عنده.

(باب التنازع)

يرى الفراء بأنه إذا اتفق العاملان فى طلب المرفوع فالفعل لهما و لا إضمار نحو يحسن و يسيء ابناكا و لا تقول يحسان و يسيء ابناك. هذا عند توجه العاملين إلى الاسم الظاهر، و ان اختلفا أضمرته مؤخرا، نحو: ضربنى و ضربت زيدا هو.

(مبحث المضمرات)

قال الفراء فى قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ان (هو) ضمير اسم الله تعالى و جاز ذلك و ان لم يجر [يجز] له ذكر لما فى النفوس من ذكره، و كان يجيز: كان قائما زيد و كان قائما الزيدان و الزيدون فيكون قائما خبرا لذلك الضمير و ما بعده مرتفع به. كما أجاز ان تقول: الضارب زيد نظرا إلى الاسميه و ان الإضافة لفظيه لم يحصل بها تعريف فيكون مانعا من الإضافة.

(باب نعم و بئس)

ذهب الفراء و جماعه من الكوفيين إلى أن "نعم و بئس" اسمان و استدلوا على ذلك بدخول حرف الجر عليهما فى قول بعضهم - و قد بشر بنت -

"و الله ما هى بنعم الولد"

و قول آخر - و قد سار إلى محبوبته على حمار بطيء السير -

"نعم السير على بئس العير"

. و اعرابه على مذهب الفراء و من وافقه من الكوفيين هكذا: "نعم" مبتدأ، و هو اسم بمعنى الممدوح مبنى على الفتح فى محل رفع. "الرجل" يدل من نعم أو عطف بيان عليه مرفوع بالضمه الظاهره "زيد" خبر المبتدأ مرفوع بالضمه الظاهره.

(باب الاستثناء)

يرى الفراء ان (الا) مركبه من (ان) و (لا) ثم خففت ان و أدغمت فى اللام فإذا انتصب ما بعدها فعلى تغليب حكم ان و إذا لم ينتصب فعلى تغليب حكم لا لأنها عاطفه.

كما قال فى الصحاح عن بعض بنى أسد و قضاة انهم ينصبون (غير) إذا كانت فى معنى الا، تم الكلام قبلها أم لم يتم. يقولون ما جاءنى غيرك و ما جاءنى أحد غيرك.

١ - يرى الفراء و الكوفيون عامه ان الـاعراب فى الفعل يفرق بين المعانى فكان أصلا كاعراب الأسماء كقولك: أريد أن أزورك فيمنعنى البواب. إذا رفعت كان له معنى و إذا نصبت كان له معنى، و كذلك قولك: لا يسعنى شىء و يعجز عنك إذا نصبت كان له معنى، و إذا رفعت كان له معنى آخر، و كذلك باب الجواب بالفاء أو الواو، نحو: لا تأكل السمك و تشرب اللبن.

و هو فى ذلك كالأسم، إذا رفعت كان له معنى، و إذا نصبت أو جررت كان له معنى آخر. ٢ - يرى الفراء ان المراد بزياده التنوين فى الاسم الفرق بين المتصرف و غير المتصرف. بينما يرى آخرون بان المراد به الفرق بين الاسم و الفعل. و نسبة الزجاجى [الزجاج] للفراء أيضا.

٣ - ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع "أن" قبل تمام الخبر. و اختلفوا بعد ذلك فالكسائى جوز ذلك على كل حال سواء يظهر فيه عمل "ان" أو لم يظهر، و ذلك نحو قولك "ان زيدا و عمرو قائمان، و انك و بكر منطلقان" و ذهب الفراء إلى أنه لا يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل أن. و ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر على كل حال.

٤ - ذهب الكوفيون إلى أن "عليك، و دونك، و عندك" فى الإغراء يجوز تقديم معمولاتها عليها نحو "زيدا عليك، و عمرا عندك، و بكرا دونك" و ذهب البصريون و الفراء إلى أنه لا يجوز تقديم معمولاتها عليها.

٥ - ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المنادى المعرف المفرد معرب مرفوع بغير تنوين و ذهب الفراء من الكوفيين إلى أنه مبنى على الضم و ليس بفاعل و لا مفعول.

٦ - يرى الفراء بان حرف القسم يعمل محذوفا بغير عوض مستدلا على ذلك بسماعه عن العرب يقولون "الله لتفعلن" فيقول المجيب "الله لأفعلن" بالف واحده مقصوره فى الثانية فيخفض بتقدير حرف الخفض و ان كان محذوفا.

٧ - ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسم المرفوع فى جواب الشرط فإنه لا يجوز فيه الجزم و وجب الرفع، نحو "أن تاتنى زيد يكرمك" و اختلفوا فى تقديم المنصوب فى جواب الشرط نحو "أن تاتنى زيدا أكرم" فاباه الفراء و اجازه الكسائى.

٨ - ذهب الكوفيون إلى انه يجوز تقديم المفعول بالجزء على حرف الشرط نحو "زيدا أن تضرب اضرب" و اختلفوا فى جواز نصبه بالشرط فأجازه الكسائى و منعه الفراء. و ذهب البصريون إلى انه لا يجوز أن ينصب بالشرط و لا بالجزء.

(باب الحروف)

١ - الالف المفردة: - يرى الفراء ان الهمزة فى قراءه الحرمين (أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ) للنداء إذ أنه سليم من دعوى المجاز إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته و من دعوى كثره الحذف لأن التقدير عند من جعلها للاستفهام: أ من هو قانت خير أم هذا الكافر أى المخاطب بقوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) فحذف شيئا: تعادل الهمزة و الخبر.

٢ - إذن: يرى الفراء أنها إذا عملت كتبت بالألف و الا كتبت بالنون للفرق بينها و بين إذا.

٣ - ان المكسوره الخفيفه عند سيويه و الفراء لا تعمل عمل ليس إذا دخلت على الجملة الاسميه.

ص: ٣٤٧

الدار فان زيدا جالس" و لا يكون العامل ما بعد الفاء لأن خبر أن لا يتقدم عليها فكذلك معموله هذا قول سيبويه و المازنى و الجمهور، و خالفهم المبرد و ابن درستويه و الفراء فجعلوا العامل نفس الخبر، و توسع الفراء فجوزه فى بقيه أخوات (ان)، فان قلت "اما اليوم فانا جالس" احتمال كون العامل "اما" و كونه الخبر لعدم المانع، و ان قلت "أما زيدا فانى ضارب" لم يجز أن يكون العامل واحدا منهما.

٥ - أو: قال الفراء فى معنى (أو) فى قوله تعالى: (وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) : بل يزيدون.

٦ - الا: ذكر الأخفش و الفراء و أبو عبيده أن من أحد معانيها أن تكون عاطفه بمنزله الواو فى التشريك فى اللفظ و المعنى، و جعلوا منه قوله تعالى:

(لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَىكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) ، (لا يَخَافُ لَمَدَى الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ يَدَّلَ حِسِينًا بَعْدَ سُوءٍ) أى و لا الذين ظلموا، و لا من ظلم.

٧ - إلى: - اثبت الفراء ان من معانيها التوكيد، و هى الزائده، و استدل بقراءه بعضهم (أَفْنِدَّةٌ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ) بفتح الواو، و خرجت على تضمين تهوى معنى تميل، أو أن الأصل تهوى بالكسر فقلبت الكسره فتحه و الياء ألفا كما يقال فى رضى رضا، و فى ناصيه ناصاه يقول الفراء: قال ذلك ابن مالك، و فيه نظر، لان شرط هذه اللغه تحرك الياء فى الأصل.

٨ - ثم: - يرى الفراء أن (ثم) المهمله قد تتخلف بدليل قولك:

"اعجبني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب" لأن ثم فى ذلك لترتيب الاخبار، و لا تراخى بين الاخبارين.

٩ - عن: - حكى الفراء عن العرب قولهم رميت عن القوس و رميت بالقوس ف (عن) تفيد الاستعانه فى أحد معانيها، و فيه رد على الحريرى فى إنكاره ان يقال ذلك الا إذا كانت القوس هى المرميه، و حكى أيضا "رميت على القوس".

١٠ - حرف الفاء المفردة: - قال الفراء: انها لا- تفيد الترتيب مطلقا و احتج بقوله تعالى: (أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا، أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) . و من معانيها ان تكون زائده بشرط ان يكون الخبر امرا و نهيا. و مثل للأمر بقول الشاعر: - و قائله:

خولان فانكح فئاتهم....

و مثل للنهى بنحو "زيد فلا فلا تضربه".

١١ - حرف الكاف: - قال الفراء فى قوله تعالى (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) : التاء حرف خطاب، و الكاف فاعل لكونها المطابقه للمسند إليه.

١٢ - كم: - أجاز الفراء و الزجاج و ابن السراج و آخرون ان يكون تمييزكم الاستفهاميه مجرورا.

١٣ - كلا: - و يرى الفراء انها تكون حرف جواب بمنزله أى و نعم، و حمل عليه "كَلَّا وَ الْقَمَرِ" معناه أى و القمر.

١٤ - كل: - أجاز الفراء أن تقطع (كل) المؤكد بها عن الإضافه لفظ متمسكا بقراءه بعضهم (إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) . ١٥ - اللام المفرده:
- ويرى الفراء ان الشرط قد يجاب بها مع تقدم القسم عليه.

١٦ - لا: مثل لا رجل - عند الفراء - "لا جرم" نحو "لا جرم ان لهم النار" والمعنى عنده لا بد من كذا أو لا محاله فى كذا
فحذفت من أو فى.

١٧ - لات: - زعم الفراء انها تستعمل حرفا جاريا لأسماء الزمان خاصه كما أن مذ و منذ كذلك، و أنشد: -

طلبوا صلحنا و لات أو ان....

البيت. و استدل على ذلك بقراءه (و لَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ) بخفض الحين.

١٨ - لو: أثبت الفراء ورودها مصدرية استشهادا بقراءه بعضهم (وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ) بحذف النون فعطف يدهنوا بالنصب
على تدهن لما كان معناه أن تدهن.

١٩ - لولا: - و تأتي للتوبيخ كما يتضح من تفسير الفراء قوله تعالى:

(فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ) أى فهلا كانت قريه من القرى المهلكه ثابت عن الكفر قبل مجيء العذاب
فنفعتها ذلك.

٢٠ - لن: يرى الفراء ان أصلها و أصل (لم): (لا) فأبدلت الالف نونا فى لن و ميما فى لم.

٢١ - ليت: - و حكمه ان ينصب الاسم و يرفع الخبر و يرى الفراء انه قد ينصبهما كما فى قول الراجز:

يا ليت أيام الصبا رواجعا

٢٢ - لعل: - حرف ينصب الاسم و يرفع الخبر و أجاز الفراء نصبهما كما فى بعض لغات العرب "لعل أباك منطلقا".

٢٣ - لكن: - قال الفراء بان أصلها لكن ان، فطرح الهمزه للتخفيف، و نون لكن للساكنين، كقول الشاعر: -

..... ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل

فحذف نون (لكن) فى قوله (ولاك).

٢٤ - هل: من معانيها انها تأتي بمعنى (قد) و ذلك مع الفعل. و بذلك فسر الفراء قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ
الدَّهْرِ) قال: انها بمعنى (قد أتى).

٢٥ - الواو المفردة: - وقال الفراء و قطرب و الربيعى و ثعلب و أبو عمرو الزاهد و هشام و الشافعى بأفادتها معنى الترتيب.

(باب فى مسائل متفرقة)

١ - نقل أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب قول الفراء فى (لدى غدوه) حيث قال فى (غدوه) انها تنصب و ترفع و تخفض. فتأويل الرفع لى كان غدوه، و ينصب بخبر كان، و يخفض بعند، أى عند غدوه.

٢ - كلمه (سبحان) عند الفراء تأويلها الإضافة و هى تنزیه وضعت موضع المصدر، فى الأصل سبحت تسيحاً و سبحاناً، فإذا أسقطت الكاف فتحت، و انشد: - سبحان من علقمه الفاخر... فقال الفراء: طلب الكاف ففتح.

ص: ٣٤٨

و قال: هي من صله: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ). قال: و معنى (لإيلاف قريش) إيلافهم: يجعل مثل أنبتكم نباتا، رده إلى الأصل.

٤ - قال الفراء فى نحو (ان عبد الله قام أقم): ان أضمر مجهولا رفع لا غير، و إذا أضمر غير مجهول رفع و نصب.

قال: و الشروط كلها يتقدمها المستقبل و الماضى و الدائم، و "ان" لا يتقدمها الا مستقبلها.

٥ - و قال الفراء فى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) : انما عد أصناف الكفرة، فهم اليهود. قال: و خبر "ان" فى قوله: (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) و هو جزاء.

٦ - و قال الفراء فى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ) : اما الصابئون فان رفعه على انه عطف على الذين، و الذين:

حرف على وجه واحده فى رفعه و نصبه و خفضه فلما كان اعرابه واحدا و كان نصب ن ضعيفا - و ضعفه انه يقع على الاسم و لا يقع على خبره - جاز رفع الصابئين. و لا استحباب ان أقول: إن عبد الله و زيد قائمان، لتبين الاعراب فى عبد الله.

٧ - و قال الفراء: الاعداد لا يبنى عنها ثانيه، فلا أقول: عندى الخمسه الدراهم و الستتها، و أقول: عندى الحسن الوجه الجميله، فاكنى عنه، فكل ما كنى عنه كان مفعولا، و كل ما لم أكن عنه لم يكن مفعولا.

٨ - و قال الفراء فى قوله تعالى: (فَامَنُوا خَيْرٌ لَّكُمْ) : فامنوا إيمانا خيرا لكم.

و قال أيضا فى قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا) : هو جزاء، و فيه شيء من الحكايه.

١٠ - و قال أيضا فى نحو قولهم (أنت رجل قائم) يكون صله و لا يكون صله، و يكون حالا و لا يكون حالا. و أنت، هو الرجل، و الرجل هو أنت.

١١ - كل ما كان مثل عباس و العباس، و حسن و الحسن، فادخال الالف و اللام و إخراجهما و الاسم لا يحتاج إلى الالف و اللام، لأنك تقول: هذا زيد الساعه و غدا و أمس، فتكون له الحالات، فإذا قلت الحسن فنزلت الالف و اللام فيه فهو للمعهود، فقد خرج إذا سميت به من ذلك الطريق.

١٢ - يجوز الفراء نحو "قائم أخوك" و هو يريد "من قائم فأخوك".

١٣ - قال الفراء فى قوله تعالى: (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) ان اطهر نصبت على التقريب، و هو يسمى: هذا زيد القائم، تقريبا أى قرب الفعل به.

١٤ - و قال فى نحو: نحن بنى، و معشر، و رهط: هو مثل "جميعا" فكان العرب حينما تقول: نحن بنى فلان أو معشر فلان أو رهط فلان نقول ذاك، معناه: نحن جميعا نقول ذلك.

- ١٥ - وقال في (ما) في قوله تعالى: (وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) انها على ضربين، تكون مصدرا، و تكون عائد الالف و اللام.
١٦ - وقال أيضا: الايمان ترتفع بجواباتها، و هذا موضع هذا و انشد: -

لعمر أبي الواشين لا عمر غيرهم لقد كلفوني خطه لا أريدها

فتنصب "عمر" إذا سقط اللام.

- ١٧ - يجوز عند الفراء ترخيم المندوب و انشد: -

يا فقعسا و أين منى فقعسا أبلى يأكلها كروس

و أصله: "يا فقعساه".

- ١٨ - إذا قالوا (من ذا ناته) فالفراء يرفع من بذا و ذا بمن، و ناته جواب الجزاء. كأنه قال من يكن هذا ناته. و إذا أراد الاستفهام قال من ذا فنأتيه؟ كأنه قال، من هذا فنأتيه.

- ١٩ - "حيث" على مذهب الفراء يرفع بها شيان، لأنها تقوم مقام صفتين، إذ قالوا: حيث زيد عمرو، فالتأويل: مكان يكون فيه زيد يكون فيه عمرو. فضمت لأنها تدل على محذوف مثل قبل و بعد.

- ٢٠ - وقال في قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً) : تكون أمرا. و قال: و سمعت أعرابيا يقول: هل أنت ساكت. مثله (هل أنتم متتهون). هذا استعراض لآراء الفراء في النحو عسى ان ينتفع القارئ الكريم بما قدمته بين يديه، و من الله التوفيق.

الشيخ يحيى بن محمد الكتكاني

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من اعلام فقهاء هجر و المنبى عن حقائق البشر له كتاب في التاريخ و السير و كانت له عند شاه عباس الصفوى المنزله العليا و المكانه التي تنافست فيها الدنيا.

مات قدس سره الشريف سنة ٩٩٩ التاسعه و التسعين و تسعمائه من الهجره.

يعقوب بن إسحاق الكندي

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٠٧ من المجلد العاشر، و نشر هنا بحثا عنه بعنوان (الله و العالم عند الكندى) بقلم الدكتور عثمان عيسى شاهين:

ص: ٣٤٩

لا يقبل أرسطاطاليس أن يكون هذا المحرك الابدى الأول متكثرا، بل انه واحد و عله لما عداه من المتحركات الأخرى. يختلف هذا المحرك عن الموجودات التي تتكون من الاحجام و الأجزاء و الإعظام، أنه، و هو يتصف بالوحده، و يعتبر مبدأ جميع الأشياء عله الوجود و العدم و التغير فى الكائنات، و لكن من غير أن ينعت باى من هذه فى وجه من الوجوه. و حينما يرى أرسطاطاليس أن الأشياء المتغيره لا- يمكن أن تكون عله حقيقه للحركه، فإنه يفرق، و فى أصاله، بين حركات الاجرام العليا، التي تتحرك بواسطه محرك أزلى لا يتحرك، و إن تغيرها يكون أزليا كذلك، و حركات الأشياء الطبيعیه السفلى التي تتحرك عن طريق شىء متغير متبدل، و إنها تكون بذاتها متغيره كذلك. و لكن هذا المحرك القديم، الذى يطلق عليه الكندى لفظه الله، و الذى يقبل أن يكون عنده عله الأشياء جميعها بتوسط و بغير توسط، هو عند أرسطاطاليس ابدى بسيط، إنه، و باستمرار، فى حاله واحده لا تتبدل، أنه يحرك حركه واحده و بسيطه.

إن الله الابدى، و الذى هو العله الأولى، لا يقبل أن يوصف عند الكندى بالعدم، أنه لا موضوع له، و لا محمول، و لا فاعل و لا سبب.

يبرهن الكندى هنا، و كما يفعل الغزالي و ابن سينا، على أن الله الأزلى لا تحده التعريفات المنطقيه، يعنى أنه لا جنس له، لأنه إن كان له جنس فهو نوع، و النوع مركب من جنسه العام له و لغيره و من فصل ليس فى غيره، فله موضوع هو الجنس القابل لصورته و صورته غيره، و محمول هو الصورة الخاصه له دون غيره، فله موضوع و محمول.

و لكن قد ظهر أن الله الأبدى ليس له عند الكندى موضوع و لا محمول و لا جنس... أن الله عند الكندى، و هو الذى أوجد العالم المحدث، تام و كامل و موجود، لا يقبل التبدل و الفساد و الانتقال من النقص إلى التمام، لأن الانتقال استحاله ما، أنه لا يمكن أن يكون ناقصا فيصير إلى حال يكون بها فاضلا و كاملا، إنه لا يمكن أن يستحيل إلى أفضل منه و لا إلى انقص منه بته، إن الله الابدى، - و كما يبرهن أرسطاطاليس فى طبيعه المحرك الأول الذى لا يقبل الامتداد، - لا جنس له عند الكندى، لا يمكن أن يكون جرما ذا كميّه أو كفيّه، لأنه سيصنف بحدود الزمان و المكان و التناهى، و الله الذى خلق العالم و أمسكه و أبدعه، هو الفاعل، الحق الأول، الأزلى، إنه يعلو على كل ما يتصوره عقل الإنسان...

يحاول ان يربط الكندى فى كثير من رسائله، و فى أصاله ظاهره بين الحركه و الجرم و الزمان، و يدعم بهذا الربط نظريته فى تناهى و حدوث العالم.

إذا قال الكندى فى بادئ الأمر أن الزمان مده تعدها الحركه، و إنه إذا لم تكن حركه لم يكن زمان، فإنه يوحد بينها حينما يقول: إن كان زمان فحركه، و إن كانت حركه فجرم. أن الحركه ملازمه للجرم بوجه عام، و إن الجرم فى زمان حتى كم متصل. أن الحركه و الجرم و الزمان لا يسبق بعضها بعضا فى الآنيه، انها، - و تختلف فى هذا عن الذات الالهيه، - ذات بدايه و نهايه. و الجرم، كالزمان موجود معناه، أنه يقبل الكون و الفساد، و أنه، من حيث أنه شىء حادث، لا يمكن أن يكون لا نهايه له بالفعل.

و يرى الكندى، فى نظريته عن الله و العالم، أن الحركه موجوده ما دام هنالك جرم، و قد قيل أن الحركه لا- تكون، إذا كان الجرم موجودا، و هذا محال حسب رأيه، لأنه إذا كان هنالك جرم كانت حركه اضطرارا، إذا افترض وجود الجرم بدون الحركه، فاما ألا- تكون حركه بته، و أما أن تقبل ألا تكون فى وقت ما، و أن تكون فى آخر، يعنى الكندى أن تقبل هذه الحركه حالتى

الوجود و العدم. و من الطبيعي أنه إذا كانت الحركة ليست موجودة، و إن الجرم موجود، فسيحدث تناقض واضح حسب مذهب الكندي العام، لأننا عرفنا أن الحركة و الجرم و الزمان عنده لا يسبق بعضها بعضا في الآنيه فهي معا.

و لتفهم رأى الكندي في عدم قبول انتساب اللاتناهي إلى الجرم و العالم، لا بد لنا أن نناقش، و في اقتضاب، آراء أرسطاطاليس في هذا السبيل تلك الآراء التي ستوضح لنا طبيعه ادراك التناهي و اللاتناهي بوجه عام. يقول أرسطاطاليس في الكتاب الثالث من الطبيعيات: أن الفيثاغورسيين و أفلاطون قد اعتبروا اللامتناهي جوهرًا و شيئًا قائمًا بذاته، و أن تصور العناصر الأربعة في الفلسفتين الأيونيه و الطبيعيه قد أشار إلى وجود هذا اللامتناهي، - و هو مبدأ لا يقبل الفناء، - عن متصل ملموس.

لا ينكر أرسطاطاليس أننا سنكون أمام صعوبات جمه حينما نحاول امتحان نظريه اللامتناهي. يظهر أرسطو هنا أمام نظرتين قد لا تبدو ان متعارضتين إلى حد كبير، نظره أوحث بها إليه دراساته الطبيعيه التي تعتبر الجسم المكاني متناهيًا، و نظره ثانيه أسعفته بها الدراسات المتقدمه عليه حينما اعتبر ماده العالم القديمه أزلية غير محدوده. أن الكندي لم يقف كثيرا أمام هذه الناحيه كما سيفعل ابن رشد فيما بعد، أنه لم يفكر في المشاكل الذهنيه البعيده المدى، تلك المشاكل التي قد تعترض الباحث حينما يتصور فكره اللامتناهي عند الأقدمين، و فكره الحدوث أو التناهي عند المسلمين. و إذا لم تستوقف الكندي هذه النظره العويصه بعض الوقت، فان استاذة أرسطاطاليس قد أخذ يتساءل عن طبيعه هذا اللامتناهي: هل هو جوهر، أم هو محمول ذاتي على طبيعه ما، أم هو لا- هذا و لا- ذاك؟ لا- يمكن أن يوجد اللامتناهي بالفعل... تلك هي حكمه قال بها أرسطاطاليس حينما نظر إلى الجسم المحسوس المحدود، و أكدها عن طيب خاطر تلميذه الكندي، لا يتصور أرسطاطاليس أن يوجد اللامتناهي بالفعل كجوهر، أو كمبدأ، أو كقدر أو كعدد، لأنه سيقبل إذن القسمه و التجزئه و التناهي و الزيادة و النقصان. أن الجسم المحسوس الذي يتكون من عناصر متناهيه العدد، و الذي يوجد بطبيعته في مكان ما لا يقبل أن ينتسب إليه كما يقول أرسطاطاليس، و كما يتضح هذا بجلاء عند تلميذه الكندي، فكره اللاتناهي بآيه حال من الأحوال.

و لكن إذا حاول أرسطاطاليس أن ينكر فكره انتساب اللاتناهي إلى الجسم المحسوس الموجود في المكان، فإنه قد يقبل وجود جوهر اللامتناهي بوجه ما. لأننا إذا أنكرنا، و كما تقول نصوص الطبيعيات فكره اللامتناهي إنكارًا مطلقًا و ابدية، فستكون إذن للزمان و لهذا العالم بدايه و نهايه. و كانا بارسطاطاليس يعبر عن هذا في أسلوب شعري جميل، و ذلك حينما يقول:

فى وضع يختلف عما هو عليه فى الواقع، و من هنا فان فكره الجوهر اللامتناهى قد تتحقق عند أرسطاطاليس و إلى حد ما، فى جو يقرب من المثل الافلاطونيه، على حين أن الكندى لم يلجا إلى هذا التصور الجزئى المثالى، و أمن بعالم الأجسام المتناهيه و ارتباطها بالحركه و الزمان و المكان...

و لكن كيف يوضح الكندى، فى نظريته عن الله و العالم، أنه لا يمكن أن يكون جرم لا نهايه له. يبرهن على هذا بنصه: أنه إن أمكن أن يكون جرم لا- نهايه له، فقد يمكن أن يتوهم منه جرم محدود الشكل متناه، و إذا توهم من الجرم اللامتناهى آخر محدودا، فقد يقال: هل هذا الجسم المحدود هو متناه أم لا متناه، فان كان هذا الجسم المحدود متناه فان الجملة ستكون متناهيه، ذلك لأن الإعظام التى يعتبر كل واحد منها متناه تكون جملة متناهيه، و من المستحيل، حسب برهنه الكندى، أن يكون الجرم لا متناهيًا و متناهيًا.

لم يشن الكندى، حينما يقول بتناهى الجرم، أن يثبت فى نظريته عن الله و العالم، كيف أن الله، و هو الفاعل الحق، و غايه كل عله، يستطيع وحده إيجاد الموجودات عن عدم. أنه المبدع الذى لا- يتأثر بجنس من أجناس التأثر، أنه و هو الفاعل لا يقبل، ك مخلوقاته، أن يفعل بته. و قد يقرب الكندى، حينما يناقش طبيعه الفعل و الانفعال، من الغزالي. يقول الكندى: " أن الفاعل الحق الأول لا- يفعل بته و أما ما دونه أعنى جميع خلقه، فإنها تسمى فاعلات بالمجاز، لا- بالحقيقه أعنى انها كلها منفعله بالحقيقه. " و هو يقدر بهذا أن الفلك الأعلى هو المفعول الأول، و أنه باختلاف حركات ما فيه من أجرام متحركه على أنحاء معينه، يفعل فيما دونه، و يعتبر هذا الفلك مبدعا، أبدعه خالقه و منشئه، أى أبدعه الله الذى هو العله المباشره أو غير المباشره لكل ما يقع فى الكون. يرى الكندى أن الأول يفعل عن البارئ و يفعل عن هذا ثان، و هكذا حتى ينتهى الأمر إلى المنفعل الأخير منها. أن المنفعل الأول يسمى فاعلا- بالمجاز للمنفعل عنه، لأنه عله انفعاله القريبه، و كذلك الثانى، إذ هو عله الثالث القريبه فى انفعاله حتى ينتهى إلى آخر المفعولات. و يختم الكندى هذه البرهنه التى قد توهم بتأثير افلوطنى [افلاطونى]، و التى قد تبدو واضحه عند الفارابى فيما بعد، إلى أن الله، أى البارئ تعالى هو " العله الأولى لجميع المفعولات التى بتوسط، و التى بغير توسط، بالحقيقه، لأنه فاعل لا منفعل بته، إلا أنه عله قريبه للمنفعل الأول، و عله بتوسط لما بعد المنفعل الأول من مفعولاته.

ان الظواهر المحسوسه لتدل، كما يرى الكندى، أوضح دلالة على وجود هذا الفاعل الحق المدير، هذا الموجود الذى لم يكتسب وجوده من شىء خارجى عنه، و الذى يعده الكندى الواحد العى، و العله الأولى التى لا تقبل التكثر بحال من الأحوال. أنه كما يقول فى نصه: " العله الفاعله التى لا فاعل لها، المتممه التى لا تتم لها "، و انه هو الذى يجعل الأشياء تقبل العلل و الأسباب. و قد رمزت الطبيعه فى جميع الأشياء بان عله الكل واحد حق، هذا الواحد المحجوبه عنه الأعين الجثمانيه، الذى هو تام و كامل، لا يلحقه النقص و الانفصال بوجه من الجهات.

و الكندى الذى يرى، فى نظريته عن الله و العالم، أن الواحد الحق تام و كامل، يبرهن على أن الجرم و كل محمول فيه هو متناه، أنه يقبل الحركه و الكم و المكان و الزمان. و العلاقه كائنه عند الكندى بين الجرم، - الذى يحده بأنه جوهر طويل عريض عميق، ذو ابعاد ثلاثه. مركب من هوى و صوره، - و بين الإعظام المتجانسه. يرى الكندى أن الإعظام المتجانسه التى كل واحد منها متناه هى فى جملة متناهيه. أنه لا- يمكن أن يكون جرم لا نهايه له أعظم من جرم لا نهايه له، على حين أن كل عظيمين متجانسين، - ليس أحدهما أعظم من الآخر، - متساويان. و يخلص الكندى من هذا إلى أن جرم الكل، أى العالم، ليس يمكن

أن يكون لا نهايه له بل هو متناه.

و إذ يحاول الكندي اقامه الدليل على فكره التناهي يقول: قد يظن أنه يمكن أن يكون جرم الكل كان ساكنا أولا و كان ممكنا أن يتحرك ثم تحرك، وهذا ظن كاذب بالضرورة، لأن جرم الكل، أى العالم، إن كان ساكنا أولا ثم تحرك، فلا يخلو أن يكون جرم الكل موجودا بعد عدم، أى كما جاء فى نص الكندي، كونا عن ليس، أو يكون قديما. فان كونا عن ليس، فان وجوده قد اكتسب إذن الكون عن طريق الحركة، و إذا لم يسبق الجرم الكون كان الكون ذاته، فاذن لم يسبق كون الجرم الحركة به. و قد قيل أن جرم الكل كان أولا و لا حركه، و هذا ما لا يقبله الكندي، لأنه إن كان جرم الكل موجودا عن عدم، كونا عن ليس، فإنه ليس يمكن أن يسبق الحركة. و إذا كان الجرم لم يزل ساكنا، أى قديما، ثم تحرك لأنه كان ممكنا له أن يتحرك، فقد استحال إذن جرم الكل القديم من السكون بالفعل إلى الحركة بالفعل، و القديم، كما نعرف، لا يقبل أن ينعت بلفظه الاستحاله، فهو إذن مستحيل لا مستحيل، و هذا خلف لا يمكن. و يخلص الكندي من هذه البرهنه الاصيله على أنه ليس يمكن أن يكون جرم الكل قديما أى لم يزل ساكنا بالفعل، ثم قبل أن يتحرك بالفعل، لأنه إذا كانت الحركة فيه موجوده، فهو لم يسبق الحركة به. و يختم الكندي هذه البرهنه فى نص مشرق جميل: "إن كانت حركه كان جرم اضطرارا، و إن كان جرم كانت حركه اضطرارا، فمده الجرم اللازمه للجرم ابدا تعدها حركه الجرم اللازمه للجرم ابدا، فالجرم لا يسبق الزمان ابدا، فالجرم و الحركة و الزمان لا يسبق بعضها ابدا". و فكره التناهي هذه فى الجرم هى التى تميز نظريه الحدوث عند الكندي، بالاصاله، و تجعلها ذات طابع يختلف عن الفلسفه الايونيه و الطبيعيه، و عن استاذه أرسطاطاليس.

أن الجرم المتناهي الذى يقبل التبدل، عن طريق الحركة المكانية، بالقرب من مركزه أو البعد منه، يوصف عند الكندي بأنه مركب، لا- يمكن تصويره منفصلا عن الحركة و الزمان، لا- يقبل الازليه بحال من الأحوال، أنه محدث له خالقه و محدثه. أن الجرم و الحركة و الزمان، كما يؤكد الكندي فى كل نص و مناسبه، لا يسبق بعضها بعضا فى الآنيه، فهى معا، فإذا كان الجرم لا يسبق مده تعدها الحركة، و إذا كان الزمان ذا نهايه بالفعل، فانيه الجرم ذات نهايه بالفعل اضطرارا. و من هنا فقد أثبتت نظريه الله و العالم عند الكندي، حدوث العالم، زواله و نهايته، كما إنها أكدت خلود الله المحدث، لا نهايته و أبديته...

بأنه ماضٍ إلا إذا أحسسنا بالتقدم والتأخر في الحركة. و أرسطاطاليس الذى يقول أن الحركة انما تعرف بالمتحرك، و أن النقلة انما تعرف بالمتقل، و الذى يقبل انه لا يمكن تصور الزمان من غير الآن، كما لا يمكن تصور الآن من غير الزمان، يعطينا تعريفاً خالداً، و جامعاً مانعاً، تعريفاً قبلته منه الفلاسفات المسيحيه و الإسلاميه، و ذلك حينما يذكر: أن الزمان هو مقدار الحركة بحسب المتقدم و المتأخر، انه متصل و ينتسب إلى متصل...

و إذا كان زمان الموجودات الأبدية الخالده لا يحويها، لا يقيس مقدار وجودها و ليس له تأثير عليها فان زمان الكائنات الحسيه يعتبر، عند الفيلسوف اليونانى و فى لحظه تشاؤم، سبب هدم لا بناء، لأنه مقدار الحركة، و الحركة تضعف و تفنى ما هو موجود. و لكن هل يمكن تصور الزمان من غير النفس؟ سؤال ممتع و جميل سبق أرسطاطاليس الكندى إليه، جاء ديكارت و إقامه نظريه دفعته إلى معرفه الله و العالم و جاء برجسون و إقامه فلسفه انبنى عليها فهم الحريه و الشعور و الحدس و الوجدان. يرتأى أرسطاطاليس انه ليس من هناك شىء يمكن أن يعد خارج النفس و العقل، و إذا كان الزمان هو مقدار الحركة، - بصفه عامه و كليه و ليست حركة ما، - بحسب المتقدم و المتأخر، و إذا كانت الحركة المعدوده لا- تقوم إلا بالزمان، فان الزمان يوجد فى داخل النفس.

و الكندى الذى قد تاثر كغيره من فلاسفه المسلمين باستاذه أرسطاطاليس، لا يستطيع أن يتصور، فى نظريه الله و العالم، جرماً بلا زمان. يرى أن الزمان و الجرم متناهين، أن الحركة هى حركة الجرم، فان كان جرم كانت حركه، و ان لم يكن جرم لم تكن حركه. و إذا كانت الحركة هى تبدل الأحوال، و ان كل تبدل هو عاد كما يقول فى نصه، مدته المتبدل، فان التبدل سيسرى كذلك على الزمان، هذا الزمان الذى لا يمكن أن يتصور بالفعل لا نهايه له.

و ليبرهن الكندى على أنه لا يمكن أن يكون زمان لا نهايه له بالفعل فى ماضيه و لا آتية يقول: اننا إذا قسمنا الزمان إلى أجزاء فيجب أن نقف عند فصل متناه لا يكون قبله فصل، أنا إذا افترضنا خلف كل فصل من الزمان فصلاً و لم نقدر أن نقف، و لو فى حاله التوهم، عند حد ما، فسنكون إذن امام لا متناه، و سينتج فى ذهننا زمان معلوم محدود، و زمان غير معلوم: أى سنقف أمام لا متناه متناه، و هذا خلف لا يمكن. ان ما لا نهايه له لا تقطع مسافته و لا يؤتى على آخرها، فإنه لا يقطع ما لا نهايه له من الزمان، حتى ينتهى إلى زمن محدود، و الانتهاء إلى زمن محدود، موجود به، فليس الزمان فصلاً من لا نهايه، بل من نهايه اضطراراً... و لكل زمان محدود نهايتان:

نهايه أولى و نهايه آخره، فان اتصل زمانان محدودان بنهايه واحده مشتركه لهما، فان نهايه كل واحد منهما الباقية محدوده معلومه، و إذا فرض أن جمله الزمانين و هى محدوده تصير، عن طريق هذا الاتصال لا محدوده النهايات، فسنكون إذن أمام زمان محدود و لا محدود، و هذا ما لا تقبله نظريه حدوث العالم عند الكندى بحال لأنه كما زيد على الزمان المحدود زمان محدود، فكله محدود النهايه من آخره، و لا يمكن أن يكون الزمان الآتى و على هذا الأساس لا نهايه له بالفعل.

تجمع مصنفات الكندى، حينما يحاول أن يفهم تصور الله و العالم على أن الزمان من الكميّه المتصله، و هى تتفق فى هذا مع تعريف أرسطاطاليس. تنفرد الفلاسفه الأولى و تضيف على هذا التعريف بان العدد و القول لا يمكن أن يقال عليه و فى ذاته طويل أو قصير، بل ينصب عليه هذا من جهه الزمان الذى هو فيه. يقال عدد طويل، أى فى زمان طويل، و قول طويل أى فى زمان طويل، و لا يمكن أن يحتمل أى واحد من القول و العدد اسم الطول و اسم القصر بذاته أى انه ليس هنالك للأشياء وجود

مطلق في ذاتها بل في الزمان. صحيح، و كما تتفق على هذا المصادر الكنديه، ان افتراض زمان لا نهايه لأوله قد يؤدي إلى تناقض لأننا إذا قلنا أن الزمان مكون من انات مفعوله، و هو من الكم المتصل عنده، فسنصل إلى حد متناه نقف عنده، و افتراضنا نظره اللاتناهي ستناقض التناهي، و سيكون الزمان متناهيًا و لا متناهيًا في نفس الوقت، و هذا غير معقول و لا مقبول. و نظره ثانيه بان اللامتناهي لا تقطع مسافته و لا يوتى على آخرها، و بأنه ليس متصلًا من لا نهايه اضطرارا.

و الله، الذي خلق العالم و الزمان، يتصف عند الكندي بالوحدانيه، لا تعجز قدرته عن شيء، أنه يستطيع إخراج المعاني إلى الكون، خلق العالم في اتقن و أكمل و أفضل وجهه، خلق المعاني البسيطة مثل العنصر و الصوره، و إبداع الأشياء المركبه. و قد صير الله الجوهر النفساني أما ناطقا و أما لا ناطقا، الناطق مثل الأشخاص العالیه و الإنسان، و الذي لا ناطق هو الحرث و النسل، و أنه هو الذي جعل للحركه كينونتها و بقاءها. و يتساءل الكندي، مع كل ذهن يعرض له هذا، و كما فعل أرسطاطاليس بوضوح في الطبيعيات، عن خالق هذا العالم و محركه، هو واحد أم كثير، هل هو بسيط أم مركب؟ أن الأشياء المركبه لا بد أن تقبل القسمه و التجزئه، و المتكثره لا بد أن تقبل انفصال بعض أجزائها عن بعض. و الله، الواحد، الفاعل، الأول، لا يقبل من حيث أنه يتسم بالبساطه، الكثره و التركيب، و كما يقول الكندي في نص له: "أن الكثره في كل الخلق موجوده، و ليست فيه بتة، و لأنه مبدع و هم مبدعون، و لأنه دائم و هم غير دائمين، لأن ما تبدل تبدلت أحواله، و ما تبدل فهو غير دائم".

يحاول أن يبرهن أرسطاطاليس في الطبيعيات، كما يفعل في ما وراء الطبيعه، على وجود محرك أول قديم دائم غير متكثر، و غير قابل للحركه.

و إذا كان انكسا جوارس قد قال، كما يذكر عنه أرسطاطاليس، بان العقل منزه عن الاختلاط بشيء، أنه مبدأ للحركه، فان هذا الأخير قد قال بان المحرك الأول، الذي لا يقبل التحريك بواسطه شيء سابق عليه يحرك ذاته.

أن هذا المحرك هو دائما، كالله عند الكندي، بالفعل أنه لا- يمكن أن يكون فيه جانبان: أحدهما يحرك و الثاني يقبل أن يتحرك، لأنه إذا صح هذا فسيكون التحرك بينهما بالتناوب، و سوف لا يكون هنالك محرك أول قديم أنه لا بد من أن تقف سلسله الأشياء المتحركه بالغير عند حد، و إن هذا الأخير لا بد أن يحرك ذاته بذاته، و لا بد من أن يتسم بصفه القدم و الابدیه و الخلود.

تكون ذاته معدومه. لا يقبل الشيء أن يوصف بأنه عله و معلول إلا إذا وصف بالوجود، و أنه من المستحيل أن يكون عله كون ذاته إذا كان معدوما. إذا كانت ذات الشيء هي غيره، و المتغايرات يمكن أن يعرض لأحدها ما لا يعرض للآخر، و قد عرض له أن يكون موجودا و عرض لذاته أن تكون معدومه، فستكون ذاته إذن هي لا هو، و كل شيء فذاته هي هو فهو لا هو، و هو هو، و هذا خلف لا- يمكن. إذا كان الشيء موجودا و ذاته موجوده، أى حسب تعبير الكندي: إن كان أيسا و ذاته أيس، فهو عله و معلول. يعنى أن يكون عله ذاته، و عرض لذاته أن تكون معلولته، فذاته هي لا هو، و كل شيء فذاته هي هو، فهو لا هو، و هو هو، و هذا خلف لا- يمكن.. يخلص الكندي من هذه البرهنه الاصيله إلى أنه من المستحيل أن يكون الشيء عله ذاته بل هو معلول دائما. أن الله و هو الفاعل الحقيقى، و العله القريبه و البعيده لهذا الشيء، يعطى للمعلولات جميعها وجودها و كمالتها و بقاءها.

يعرف الكندي الحركة، فى بحثه عن الله و العالم، بأنها تبدل أما بمكان، و أما بكم، و أما بكيف و أما بجوهر، و كل تبدل فإلى غير يرى الكندي أن كل حركه إما أن تكون ذاتيه و إما أن تكون عرضيه، و يعنى بالذاتيه هي ما تكون من ذات الشيء، و لا تفارق الشيء الذى هي فيه إلا بفساد جوهره، و يضرب لهذا مثلا بحياء الحى التى لا تفارق الحى إلا بفساد جوهره و انتقاله إلى لا- حى، على حين أن الحركة العرضيه هي عنده تلك التى ليست من ذات الشيء، و يعنى بما ليس من ذات الشيء ما يفارق الشيء و لا يفسد جوهره، كالحياه فى الجرم، فان الجرم الحى قد تفارقه الحياه و أن الجرميه ثابتة فيه على حالها لم تفسد.

و يكاد الكندي ينقل، و لكن فى شيء من الأصاله، ما قاله أرسطاطاليس فى تصور الزمان فى داخل النفس. يقول الكندي: أن الحركة موجوده فى النفس، أعنى أن الفكر ينتقل من بعض صور الأشياء إلى بعض، و من أخلاق لازمه للنفس شتى مثل الفرح و الحزن و ما كان كذلك، فالفكر متكثره و متوحده، إذ لكل كثره كل و جزء، إذ هي معدوده، و هذه أعراض النفس، فهى متكثره أيضا و متوحده، بهذا النوع. و من هنا يتضح لنا كيف يصور الكندي ارتباط الزمان، و هو فى داخل النفس، بالحركه و الجرم، و لكن هل يمكن تصور جرم من غير مكان؟ هذا ما ستجيب عليه فلسفه أرسطاطاليس و براهين الكندي...

و إذا كان الجرم لا يمكن أن يتصور إلا فى المكان، فان الكندي لم يناقش، فى نظريته عن الله و العالم، علاقه الحركة و الجرم و الزمان و المكان، و كل ما فعله فى هذا السبيل هو إشاره عابره إلى آراء الفلاسفه الذين لم يتعرض لاسمائهم، إلى أفلاطون، ثم إلى أرسطاطاليس الذى يقول أن المكان موجود و بين. لا يقبل الكندي أن يكون المكان جسما، و لعله يفترض يختل خلاء، لأن الخلاء الخالى، كما يقول أرسطو و ابن سينا و الكندي، لا وجود له.

يرفض الكندي أن يكون المكان جسما، لأن الجسم يقبل إذن الجسم، و الجسم يقبل و يقبل، و هكذا ابدا بلا نهايه، و فكره اللاتناهى هذه، و كما نعرف مرفوضه عنده فى نظريه حدوث العالم. يرى الكندي إذن أن المكان ليس جسما، بل هو السطح الذى هو خارج الجسم الذى يحويه المكان ينظر الخوارزمى إلى مكان الشيء بأنه سطح تعقير الهواء الذى فيه الجسم، أو سطح تعقير الجسم الذى يحويه هواء يعرف الكندي المكان بأنه نهايات الجسم، و بأنه بتكثر بقدر أبعاد المتمكن و نهاياته... لا يقبل الكندي أن يكون للخلاء المطلق وجود، و ليبرهن على هذا الرفض يقول أن معنى الخلاء هو مكان لا متمكن فيه. لا يصح و بأنه حال من الأحوال، تصور مكان من غير أن تتبعه إضافه متمكن، إذا كان متمكن كان مكان اضطرارا، إذا كان مكان و فيه متمكن، فان وجود الخلاء المطلق إذن عند الكندي، كما هو عند أرسطاطاليس، مستحيل. و إذا لم يكن ثمة خلاء مطلق فلا بد

إذن من الملائ، و حيث أن هذا يكون جسما، فلا بد من أن يكون متناهيا، لأنه ليس يمكن، حسب المذهب العام لنظريه الحدوث عند الكندي، أن يكون شيء لا نهايه له بالفعل.

و الكندي الذى يعرف الهيولى أى المادة، فى نظريته عن الله و العالم، بأنها موضوعه لحمل الصور، و بأنها منفعله، يرى أن الهيولى هى ما يقبل و لا يقبل، أنها ما يمسك و لا يمسك.

يعنى بهذا انها تحفظ الصوره. و المادة التى يتكون منها كل شيء، و التى نقبل الاضداد دون فساد، تعطينا تمثلات كليه فى النفس، بحيث تكون هذه التمثلات القائمه فى المصوره أشبه بالمحسوسه. و هو لا ينسى أن يفرق، فى نظريته إلى المادة، بين نوعين من المعرفه، أى الوجود. ينقسم الوجود عنده إلى حس يتصل بطبيعه الأشياء الجزئيه الهيولانيه، و عقلى ينتسب إلى الكليات و الأجناس و العقل الإنسانى. و الكندي الذى يعرف الصور فى رسالته عن الحدود بأنها الشيء الذى به الشيء هو ما هو، يراها تنقسم إلى قسمين:

أحدهما يقع تحت الحس و الثانى تحت الجنس. و إذا كانت الصوره الحسيه تميز، و عن طريق البصر، الشيء من حيث الجوهر و الكيف و الكم و بقيه الأجناس العشره، فان الكندي يرى أن الصوره فى النفس هى و النفس شيء واحد، لا يتغايران تغايرا مصدره غيريه المحمولات، يعنى بهذا ما تحمله النفس فى ذاتها و ليس المحمولات المنطقيه.

يتضح لنا من فهم المادة و الصوره من ادراك المحمولات و الأجناس العشره فى نظريه الله و العالم عند الكندي، ان القول أولا بوجود الواحد الحق المبدع، و القول ثانيا بالحدوث، يحل مشكله رئيسه تبدو فى صميم العلاقه الكائنه بين الفيلسوفه و الدين. يظهر لنا بجلاء من هذه الصله أن تدبير العالم المرئى لا يمكن أن يكون الا بعالم لا يرى، و أن آثار العالم، و ما فيه من التناسق و النظام، تدل على موجدته و مدبره، هذا المدبر الابدى الذى وهب العالم الحركه و الزمان و الإبداع، الذى خلق المحدثات المنفعلات من لا شيء، و الذى أعطى الوجود أصالته و تمامه و كماله..

رساله للكندى

و ننشر فيما يلى كلمه عن رساله له مخطوطه فى موضوع (قلع الآثار من الثياب) و هى مكتوبه بقلم الدكتور محمد عيسى صالحيه:

ص: ٣٥٣

سأحاول في مقدمه دراستي هذه أن أعاود تأكيد بعض الحقائق الهامه عن حياته و التي تظل مطلبا رئيسا لكل باحث عند العناية بتراث الكندي.

إن ما أورده إسماعيل حقي الأزميرلي في كتابه عن فيلسوف العرب الكندي المنشور بالتركيه و الذي نقله إلى العربيه عباس العزاوي يظل رأيا له تقديره عندي على الأقل، فقد قرن الأزميرلي اتخاذ بغداد غداه بنائها من قبل أبي جعفر المنصور كقاعده حضاربه، بظهور الكندي كبان لأسس العلم و الفلسفه و الطب عند العرب. (1) فبناء بغداد الحضاربه و نبوغ الكندي العلمى كانا معلمين يكمل بعضهما بعضا: فالكندى هو أبو الحكماء و فيلسوف العرب و المسلمين، عربى من قبيله كنده، كان والده أمير الكوفه أيام المهدي و هارون الرشيد، و أما الكندي فقد كان منكباً على العلوم و الفنون بلا هواده، ألف فى المنطق و الفلسفه و الهندسه و الحساب و الأرثماتيقي و الموسيقى و النجوم، و إن مراجعه إحصائيه لمؤلفاته و فروعها تسجل منها قوائم رقميه نجملها بما يلى:

الفلسفيات: ٢٧ مؤلفا.

المنطق: ٩ مؤلفات.

الحساب و ما يتعلق به: ٢١ مؤلفا.

الكريات: ٩ مؤلفات.

الموسيقى: ٧ مؤلفات.

النجوميات: ٣٨ مؤلفا.

الهندسه: ٢٤ مؤلفا.

الطب: ٣١ مؤلفا.

الفلك: ١٧ مؤلفا.

الجدليات: ١٩ مؤلفا.

علم النفس: ٧ مؤلفات.

السياسه: ١٢ مؤلفا.

الأحداثيات: ١٦ مؤلفا.

الابعاديات: ١٠ مؤلفات.

الأنواعيات: ٢٩ مؤلفا.

الأحكاميات: ١٠ مؤلفات.

التقدمات: ٨ مؤلفات. (٢)

ولا غرابه من كثره مؤلفاته و تنوعها و تشعب اختصاصاتها، فالكندى كما تؤكد كافة المراجع التى عنيت به أنه كان مطلعاً على علوم اليونان و الهنود و الفرس، و تلكم مراكز الحضاره الرئيسيه فى عصره، هذا بالاضافه إلى إمامه بالسريانيه و اليونانيه و الهنديه و الفارسيه. و قد أصاب الشهرزورى حين قال عنه: "كان مهندساً خائضاً غمرات العلوم". (٣)

قلع الآثار و الطبوعات من الثياب و غيرها فى التراث العربى

يجد الباحث صعوبه فى العثور على عناوين مستقله لهذا الفن فى التراث العربى، و يبدو أن العناية بهذا الفن كانت مسأله معروفه لا تحتاج إلى تدوين عند العرب، كما هو حالهم فى تدوين هندسه البناء و نسج الثياب و غزل بيوت الشعر و صناعه الخيم و الحياكه و التطريز و الوشى و غيرها من الأمور الحياتيه، و ما عدا إشارات ترد عن صناعه الصابون و الصباغه فلا تكاد تعثر على عناوين تخص قلع الآثار و الطبوعات من الثياب حتى منتصف القرن الثالث الهجرى.

لقد أعملنا جهدنا درسا فى التراث العربى علنا ننجح فى تاثير هذا الفن تاريخيا و كانت حصيله اشتغالنا ما يلى:

- ورد فى كتاب فردوس الحكمه لعلى بن ربن الطبرى (ت ٢٤٧ هـ)، ذكر ما يقلع الآثار من الثياب فى النوع السابع من مقاله الثانيه، الباب الثالث، بين الصفحات ٥٣٠-٥٣٢، و تناول قلع الآثار و الطبوعات من ثياب الطيلسان و الوشى و الفراش، و الآثار التى أشار إليها، هى قلع آثار النفط و الموز و البسر و قشور الرمان و الحبر و الدم و الودك و الزعفران و دهن البزر و السواد و القير و العنب و القطران و الخلوق و الدهن و الدسم المغره و المداد بالاضافه إلى صباغه الثوب و الشراب.

- رساله فى الصباغه الكيماويه لابن وحشيه (ت حوالى ٢٩١ هـ)، و هى الرساله التى كتبها لابنه و جاء بأولها: "فأول ما أعملك يا بنى من ذلك ما أشاهده و تشاهدون من عمل الصباغين بالبقم و العصفرو، و كيفيه استخراج الأصباغ من هذين الجسدين". (٤)

و لعل من معترض، يرى بان هذا باب الصباغه، فما بال إزاله الآثار، و عندى أن الصباغه تتطلب بدايه إزاله أى آثار أو طبوعات تكون فى الثوب أو القماش، مهما كان نوعه، قبل الشروع فى الصباغه. غير أن الجانب الطلسمى فى الرساله يبدو واضحا، و هذا المنهج يفقد الرساله مصداقيه النهج العلمى، و تلك الصفه الطلسميه برزت أيضا فى العديد من مؤلفات ابن وحشيه، و خاصه الفلاحة النبويه، و كتاب أسرار التعافين، و خواص النبات، و كنا قد ناقشنا هذه المسأله و أسبابها عند تحقيقنا لكتاب مفتاح الراحه لأهل الفلاحة، لمجهول من القرن ٨ هـ، فى درسنا للمقدمه.

- فوائد فى قلع الآثار من الثياب لمؤلف مجهول، لا تزال محفوظه فى خزانه شهيد على، بالمكتبه السليمانيه، رقم ٢٠٩٢ ضمن مجموع، بين الصفحات (٤٧ أ - ٤٨ ب)، و هو نفس المجموع المحفوظه فيه رساله الكندى التى نشرها، و تاريخ نسخ المخطوط يرجع إلى سنه ٧٥٧ هـ (٥)، و قد شملت تلك الفوائد قلع الآثار و الطبوعات للحبر و النطفه و الدم و المداد و القير و الموز و

الرمان و الزعفران و القلقاس و العنب الأسود و القطران و الزفت و المغره و الأثقال و الورد و الدهن بالاضافه إلى غسل الجلود و المصاحف من الحبر.

- الباب التاسع من كتاب المخترع فى فنون من الصنع المنسوب للملك المظفر يوسف الرسولى (ت ٦٩٤هـ)، و المحفوظ فى الخزانة الأصفيه بالهند تحت رقم ٢٢١ متفرقات، و فيه إشارات لقلع آثار الرمان و الموز و التوت الأسود و الحديد، و النفط الأسود و النفط الطيار و الزعفران و المداد و الحبر و أثر الشمع و الخمر و الياسمين و الشقائق و العفونات و الفواكه و الجوز و الدم و السفرجله.

ص: ٣٥٤

١- الأزميرلى: فيلسوف العرب (يعقوب بن إسحاق الكندى)، ص ٥.

٢- ابن النديم، الفهرست، ٣١٥-٣٢٠.

٣- الشهرزورى: نزهه الأرواح و روضه الأفراح فى تاريخ الحكماء و الفلاسفه: ٢٢/٢، ط حيدرآباد، ١٩٧٦.

٤- الأزميرلى: فيلسوف العرب، ١٧.

٥- مخطوط محفوظ فى دار الكتب القوميه بالقاهره تحت رقم ٧٣١ طبيعه.

و الكحل و المنى و الريحان و القراصيا و السمن و الودك و البلح و العصفور و البان و التفاح و الإجاص و الزنجار و السوسن و الدهن و الزفت و الأشكلاط و طبع الورد و القراصيا و الخوخ و العفص.

و أورد كذلك وسائل لقلع الأصباغ من الثياب و السواد من الخف، و رد ألوان الثياب بما فيها الأطلس و العتابى و قلع الدهن، و تنظيف الشياشيات الحريرية من أوساخها و بقعها و غيرها.

الرساله

يبدو أن الكندى كان قد تلقى رساله من أحدهم يسأله فيها عن قلع الآثار و الطبوعات من الثياب و غيرها، فكتب إليه هذه الرساله التعليميه الخفيفه المثنونه، السريعه التعلم و السهله على الطالب. و التى فيها منفعه للخاصه و العامه.

و الرساله بكل بساطه تعرض لكل ما يقلع الأثر من الثياب الفاخره و الثياب البضاء و الخز و الوشى و الطيالس الطرازيه و القرمزيه و الفراء، و كذا المصبوغ من الثياب أما الآثار التى قد تلحق بما ذكر عاليه فهى آثار و طبوعات كل من: المداد و الحبر و الدبق و الشمع و النفط و البزر و السمن و الودك من اللحم و الرءوس و السمك و المرق و النطفه و الدم و قشور الرمان و أثرها و المغره و الأسرنج و السواد.

إن القراءه المتانيه للرساله تفيدنا فى تسجيل الحقائق التاليه:

- كانت أكثر المواد استعمالا لقلع الآثار و الطبوعات هى الماء و الحرض (الأشنان) و الصابون.

- تظهر الرساله أن العلماء العرب المسلمين قد عرفوا التدخين كطريقه للتنظيف، و خاصه تدخين القماش أو الثياب بالكبريت، فالسواد من الثياب المصبوغه يدللك بحماض الأترج المرضوض ثم يدخن بالكبريت و هو رطب، و الثوب الأحمر يغسل بالحرض و يدخن بالكبريت، و لازاله أثر الزعفران يغسل بالبورق و يدخن بالكبريت، و كذا آثار و طبوعات الأسرنج و المغره تطفى بالماذريون المدقوق و تدلك بماء الحمض و تدخن بالكبريت، و الثوب الوشى إذا بان فيه أثر البزر، بخر بالكبريت و غسل بالصابون.

و فى تقديرى أن هذه المسأله من أهم ما عرفه العلماء العرب فى مجال تنظيف الثياب ففى عصرنا نرى أن التنظيف بالبخار إنجاز علمى متقدم، و عندى أن التنظيف بالبخار قد عرفه العرب منذ منتصف القرن الثالث الهجرى، و قد وردت إشاره صريحه إلى ذلك فى مخطوطه "فوائد فى قلع الآثار من الثياب و غيرها" و الذى يعود تاريخ نسخه إلى منتصف القرن الثامن الهجرى، و نص العبارة:

"إذا أردت أن يذهب صبغ الثوب فدخنه و هو رطب بالكبريت، و أى صبغ لا يذهب بالغسل يذهب بالتبخير". فالتبخير يعلو الغسل مرتبه فى التنظيف، و تلك نظريه العصر فى زماننا.

- كانت المواد المستعمله فى إزاله الآثار و الطبوعات مما يسهل الحصول عليه من البيئه و لا تحتاج إلى كثير عناء لا فى التحضير أو التجهيز مثل الخل و الحرض و الصابون و الأشنان و اللبن و الملح و الخردل و الشعير و الماذريون و الكبريت و السمسم و

الصعتر و الرماد و الطين الحر و الرمان و البورق و الخطمي و القرطم و القلى و النوره و التين و الكتان و التمر و غيرها من المواد المذكوره فى الرساله، و هى فى مجملها مواد متوفره فى البيئه المحليه.

- اتسمت الرساله بالاختصار الشديد فلم تفصل فى كيفيه استعمال المواد أو طرق استخدامها و الكميات التى يجب خلطها بعضها مع بعض، و لعل الكندى كان مدركا لذلك و لكنه تركها ثقه منه بفظنه من يخاطبه فى عصره، بل إن فصل على بن ربن الطبرى يبدو أشد اختصارا من رساله الكندى، و كذا الفوائد فى قلع الآثار، أما الفصل التاسع من المخترع فإنه يفصل و يوضح و يشرح كيفيه استعمال المواد و كمياتها النسبيه و معالجتها عند وضعها على الثياب و غيره. و معلوم أن صاحب المخترع قد عاش فى منتصف القرن الثامن الهجرى تقريبا، و طبيعه الحياه فى عصره تختلف عن نظيرتها فى منتصف القرن الثالث الهجرى.

- و بالإجمال، فان الرساله تطرح موضوعا جديدا فى بابها لا- علم لمحققها إن كان أحد من الباحثين و المحققين فى التراث العربى أو الدارسين لتاريخ العلوم عند العرب قد أشاروا لهذا الفن - فن قلع الآثار و الطبوعات من الثياب و غيرها - فى أبحاثهم أو دراساتهم.

يوسف بن قزأوغلى بن عبد الله التركى العونى الهبيرى البغدادى

سبط أبى الفرج بن الجوزى.

هكذا ذكره الذهبى فى الصفحه ٢٩٧ من الجزء ٢٣ من كتابه (سير أعلام النبلاء). و وصفه: بالشيخ العالم المتفنن الواعظ البليغ المؤرخ الأخبارى واعظ الشام. و كان قد أضاف إلى ألقابه لقب الحنفى. ثم قال فى ترجمته:

ولد سنه نيف و ثمانين و خمس مائه. و سمع من جده و من عبد المنعم بن كليب و عبد الله بن أبى المجد الحربى، و بالموصل من أحمد و عبد المحسن بن ابنى الخطيب الطوسى، و بدمشق من أبى حفص بن طبرزد و أبى اليمن الكندى و طائفه.

حدث عنه الدمياطى و عبد الحافظ الشروطى و الزين عبد الرحمن بن عبيد و النجم الشقراوى و العز أبو بكر من [بن] الشائب و أبو عبد الله بن الزراد و العماد بن البالىسى، و آخرون.

انتهت إليه رئاسه الوعظ و حسن التذكير و معرفه التاريخ، و كان حلو الإيراد، لطيف الشمائل، مليح الهيئه، وافر الحرمة، له قبول زائد و سوق نافذ بدمشق. أقبل عليه أولاد الملك العادل و أحبوه، و صنف (تاريخ الزمان) و أشياء، و رأيت له مصنفا يدل على تشيعه. و كان العامه يبالغون فى التغالى فى مجلسه.

سكن دمشق من الشيبه و أفتى و درس. توفى بمنزله بسفح قاسيون، و شيعه السلطان و القضاء، و كان كيسا ظريفا متواضعا، كثير المحفوظ، طيب النغمه، عديم المثل.

له "تفسير" كبير فى تسعه و عشرين مجلدا.

توفى فى ذى الحجه سنه أربع و خمسين و ست مائه (انتهى).

و يبدو أن الكتاب الذى ذكر الذهبى انه يدل على تشيع المترجم هو كتاب (رياض الافهام) و هو فى مناقب أهل البيت، و

فيه قول النبى (ص) لعلى:

من كنت مولاه فعلى مولاه.

ص: ٣٥٥

الشيخ يوسف بن الشيخ خلف بن الشيخ عبد علي صاحب الأحباء

من آل عصفور.

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

هو من فقهاء عصره كان عالما فاضلا ذكيا سخيا جمع بين العلم والعمل و أخذ الفنون على الوجه الأكمل. تصدر للافتاء و الجمعة و الجماعه في الفلاحيه و المحمره و هو مجاز عن أبيه عن صاحب الحدائق و لم أجد من تصنيفاته شيئا سوى بعض الحواشى على كتب الحديث. مات قدس سره سنه خمس و خمسين و مائتين بعد الألف، و له من الأولاد: الشيخ خلف و هو من العلماء المتورعين تشرفت بخدمته في سنه ١٣١٢ و كان سخيا ورعا تقيا و بيته محل حاجات الطالبين و له من المصنفات ارجوزه في علم الهيئه، و رساله في الإجماع و غير ذلك من الفوائد.

و توفي في سنه ١٣١٧ و له من العمر عشرون سنه طيب الله مضجعه.

الشيخ يوسف بن علي المقابى البحرانى

قال في تاريخ البحرين المخطوط:

صاحب تصانيف البديعه، و كان من أذكىء زمانه و أجزهم بلاغه و بيان [بيانا] و له تصانيف كثيره منها كتاب الجواهر الثمينه و منها كتاب في إثبات العقول مات آخر المحرم سنه ١٢٦٠.

ملحق بالمستدركات

هذه بحوث إذا لم تكن داخله في باب التراجم فان لها علاقه وثيقه به لذلك جعلناها ملحقا للمستدركات.

صلاح الدين الأيوبي

اشاره

بعد معركة حطين تقام في بعض العواصم العربيه احتفالات مرور ٨٠٠ سنه على وقعه حطين التي كانت في ٤ تموز ١١٨٧ (١٥ ربيع الآخر سنه ٥٨٣هـ) و التي انتهت بهزيمة الصليبيين و استرداد المسلمين للقدس، و التي قاد فيها المسلمين صلاح الدين الأيوبي.

و هذه الوقعه جديره بكل هذه الاحتفالات، و لكن المغالاه و الزعم أنها كانت المعركه الفاصله في الحرب مع الصليبيين هما ما يتنافى مع حقائق التاريخ.

أ صحيح أنه كان لمعركة حطين هذه النتائج التي ينوه بها من ينوه؟ و هل صحيح أنها كانت المعركة الحاسمه فى تاريخ الحروب الصليبيه؟ أنا سنسبسط هنا أمام القارئ هذه الحقائق التاريخيه، و نترك له أن يحكم:

لا- شك أن النصر فى حطين كان نصرا مؤزرا، و لا شك أن ما أسفرت عنه المعركة من استرداد القدس كان إنجازا عظيما. و لكن إلى أى مدى أمكن استغلال هذا النصر، و إلى أى نتيجة عمليه وصل؟ اننا نقول مستندين إلى ما سجله مؤرخو تلك الأحداث، و معتمدين على الوقائع المسلم بها: لقد أضاعت التصرفات التي تلت معركة حطين ما كان يمكن استغلاله من هذا النصر، و أضاعت أية نتيجة عمليه حقيقه له! و يجب أن لا- يصرفنا التحمس للمعركة، و لا التصفيق المتواصل لمن قادوها عن التبصر فيما أدت إليه تلك التصرفات من عواقب وخيمه لكل ثمرات النصر. و لا- أن ننزلق فى تهويمات خياليه، و تفكيرات سطحيه تبعدنا عن النظر البعيد فى تقلاب صفحات تاريخنا. فما ذا جرى بعد معركة حطين؟ كان المفروض مواصله الكفاح لاجلاء الصليبيين عن البلاد، فإذا كان استرداد القدس أمنيه غالبه تحققت بعد النصر، فليست القدس هى كل الوطن، و أهميتها من حيث الواقع لا- تختلف عن أهميه أية مدينه تسترد من الأعداء، و لكن أهميتها تفوق هذا الواقع بما تحتوى من مقدسات إسلاميه، و بما ترمز إليه أنها أولى القبلتين و ثالث الحرمين، لذلك كان لاستردادها ذاك الصدى العاطفى البعيد. و يبدو أن ذلك الصدى قد خدر تفكير الناس فألهاهم عن التبصر فى العواقب.

خدر تفكير الناس يوم ذاك، و ما زال يخدر تفكير معظم الناس حتى اليوم.

جرى بعد حطين: أن صلاح الدين الأيوبي و هو المنتصر فى حطين، المعقوده عليه الآمال فى مواصله الزحف لانهاء الاحتلال الأجنبى، و اقتلاع آخر جذوره فيها.

أن صلاح الدين هذا بطل حطين، لم يكد يطمئن إلى النصر الرائع فى تلك المعركة حتى أسرع إلى القيام بعمل لا يكاد الإنسان يصدقه، لو لا أنه يقرأ بعينيه تفاصيله الواضحه فيما سجله مؤرخو تلك الحقبه! المؤرخون الذين خدرت عقولهم روائع استرداد القدس فذهلوا عما بعده، لم تتخدر أقدامهم فسجلوا الحقائق كما هى. و ظل تخدير العقول متواصلا من جيل إلى جيل، تتعمى حتى عما هو كالشمس الطالع! حصل بعد حطين أن صلاح الدين الأيوبي آثر الراحة بعد العناء و التسليم بعد التمرد فأسرع يطلب إلى الفرنج إنهاء حاله الحرب و إحلال السلام.

إنهاء حاله الحرب و إحلال السلام، و ما وراء ذلك من اعتراف بوجودهم و إقرار لاحتلالهم و دولتهم و سمي ذلك (هدنه). و يبدو جليا أن الصليبيين قد استغلوا هذا الطلب أحسن الاستغلال فاشترطوا للقبول بالهدنه أن يعاد إليهم الكثير مما كان قد أخذه صلاح الدين منهم بعد النصر فى حطين، و لم تكن القدس بين ما طالبوا به و لا كان من الممكن أن يجيبهم صلاح الدين إلى ذلك لو فعلوا، لأنه لو أجاب لبطل مفعول المخدر و تنبته العقول.

و وافق الصليبيون على إنهاء حاله الحرب و إحلال السلام، و عقدت الهدنه فى ٢١ شعبان سنه ٥٨٨ هـ و قبض الصليبيون الثمن الباهظ الذى دفعه صلاح الدين لهم لقاء قبولهم بالمهادنه، فأعاد إليهم حيفا و يافا و قيساريه و نصف اللد و نصف الرمله و غير ذلك، حتى لقد صار لهم من يافا إلى قيساريه إلى عكا إلى صور، بل صارت لهم فلسطين إلا أقل القليل و لم يكن لهم ذلك من قبل.

يقول ابن شداد فى كتابه "الأعلاق الخطيره فى أمراء الشام و الجزيره " و هو يتحدث عن حيفا (ص ١٧٧-١٧٨): "لم تزل فى أيدي الفرنج إلى أن فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاثه و ثمانين، فلم تزل فى يده إلى أن نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم فى المهادنه التى وقعت بينه و بينهم، و ذلك سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه، ثم لم تزل بعد فى أيديهم".

و قال هو يتحدث عن الرمله و اللد (ص ١٧٣-١٨٤): "لم تزل فى أيديهم إلى أن ملكها و ملك معها (لد) الملك الناصر صلاح الدين يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائه.

و لم تزل فى يده إلى أن وقعت الهدنه بينه و بين الفرنج سنة ثمان و ثمانين، فنزل لهم عن البلاد و جعل (لد) و (الرمله) بينه و بينهم مناصفه".

ص: ٣٥٦

أخيه العادل و خربها و بقيت خرابا إلى أن تقرر الهدنه بين الملك الناصر (صلاح الدين) و بين الفرنج و شرطوا عليه إبقاءها في أيديهم " .

و لنلاحظ هنا كلمه (شرطوا عليه) و دلالتها المؤلمه التي توضح لنا أن صلاح الدين هو المتوسل لطلب الهدنه و أن الفرنج هم واضعو الشروط.

ليس ما ذكرناه هنا كل النصوص لهذه الحقائق، و لم نخترها اختيارا، و إنما عمدنا إلى أول كتاب وقع عليه نظرنا في خزانه الكتب فتناولناه فكان كتاب (الأعلاق الخطيره).

و تلا- هذا التسليم للصليبيين فعل أنهى كل تفكير في مقاومتهم و أجلائهم عن البلاد في المستقبل، بل أدى إلى ما هو شر من ذلك أدى إلى توسيع رقعه احتلالهم، و تمكينهم في مناطق أخرى غير التي مكنهم منها صلاح الدين نفسه.

كان ورثه صلاح الدين من أخ و أولاد كثيرين فرأى أن يقسم البلاد بينهم، و أن يقطع كل واحد منهم جزءا من الوطن يستقل به عن غيره، و هكذا فلم يكدموت صلاح الدين حتى انفرد كل واحد من إخوته و أولاده بالرقعه التي خصصت به، فعاد الوطن مزقا بين الورثه، و نسي هو و نسي ورثته أن الاحتلال الصليبي لا يزال جاثما على صدر الوطن، و أن ذلك لا يستدعى تمزيق الوطن و تشتيت شمل حكامه، بل يستدعى تماسك وحدته و تضافر أمرائه، و لم يقنع كل واحد من هؤلاء الورثه بما تحت يده من مخلفات صلاح الدين بل راحوا يتنازعون و يتقاتلون، و يستنصرون في هذا التنازع و التقاتل بالصليبيين مغرين إياهم باعطائهم ما يشاءون من بلاد و عباد! و لن نسترسل في تفاصيل تلك النزاعات و تلك الأعطيات، بل سنكتفى بذكر واحده منها هي الطامه الكبرى التي قضت على كل ثمره من ثمرات معركة حطين، و أضاعت كل نتيجته من نتائجها، و جعلتها كأنها لم تكن.

فإذا كان استرداد القدس على يد صلاح الدين قد اكسب ذلك الزمن كل ذلك التالق و أعطاه كل ذلك الوهج، ثم خدر الأفكار و العقول و أعماها عن التبصر في الحقائق، فان تصرف صلاح الدين نفسه قد أطفأ ذلك الألق و محا ذلك الوهج، و إن لم يبطل مفعول المخدر، فكان من تقسيمه البلاد بين أقربائه و ما نتج من تنازعهم و تشاكسهم و استنصارهم بعضهم على بعض بالصليبيين، أن ولدى أخيه العادل و هما الكامل و الأشرف سلما إلى الصليبيين القدس نفسها و أعاداهم إليها.

و هكذا إذا كان الانتصار في معركة حطين يثير في النفس البهجه، فان البهجه لا تلبث أن تتلاشى حين نتذكر التصرفات التي أعقبت المعركة و ذهبت معها دماء المقاتلين هدرا و في سبيل لا شيء.

و قد رد على راد فرددت عليه بما يلي:

الواقع أنى كنت رفيقا كل الرفق بصلاح الدين الأيوبي، و تعمدت أن لا أصدم (المخدرين) صدمات قويه فاجعه، لا ترك لهم منفذا و لو كسم الخياط يتعللون به في مرور ٨٠٠ سنه على معركة حطين.

يقول هاشم الأيوبي: " فهذه السنوات القصيره بين حطين و وفاه صلاح الدين كانت جهادا متواصلا أكملها من جاءوا بعده حتى تسنى لهم طرد الصليبيين نهائيا".

و نقول له: كلا، أنها كانت استسلاما متواصلا، و نتحدها أن يذكر لنا معركة واحده جرت بعد استسلام صلاح الدين و تسليمه البلاد للصليبيين. نعم نتحدها و نقول له: إن تلك السنوات كانت استسلاما في استسلام و هوانا في هوان، و أن سهما واحدا لم يرم، و رمحا واحدا لم يشرع، و سيفا واحدا لم يجرى في تلك المده في وجه الصليبيين... نقول هذا في تحد صارم لا هواده فيه.

و قد كنت أحسب أنه بقى للخجل مكان فيمتنع سليل الأيوبيين - إن صح أنه من سلالتهم - عن القول أن الجهاد المتواصل أكمله من جاءوا بعد صلاح الدين حتى تسنى لهم طرد الصليبيين.

ان الذين جاءوا بعد صلاح الدين من أسلافك قد واصلوا المهمه، و لكن لا مهمه الجهاد بل مهمه الاستسلام و الذل، مهمه تسليم البلاد للصليبيين:

و لن نعدد كل أفعالهم بل سنورد له أمرين اثنين فقط.

أن الذى فعله صلاح الدين هو أنه سلم فلسطين كلها للصليبيين ما عدا القدس، و أعاد إليهم ما كان قد أخذه منهم بعد معركة حطين كما بيناه فى مقال سابق. و لم يبق فى يده إلا بعض ما يعرف اليوم بالجمهوريه اللبنانيه ما عدا صور التى ظل الصليبيون متمسكين بها. أما الذين جاءوا بعد صلاح الدين فقد تنازلوا للصليبيين حتى عن هذا الذى بقى بيد صلاح الدين من لبنان و السواحل السوريه.

فالكامل و الأشرف مثلا سلما القدس للملك الصليبي فريديريك الثانى و هل يعتبر هاشم الأيوبي تسليم القدس للصليبيين جهادا متواصلا؟ و قد مر تسليم خلفاء صلاح الدين القدس للصليبيين بالأدوار التاليه:

١: - بعد تسليم الكامل و الأشرف القدس للملك الصليبي فريديريك الثانى سنه ٦٥٥ هـ (١٢٢٨ م) ظلت فى يد الصليبيين حتى استردها منهم الناصر صاحب الكرك سنه ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م).

٢: - استنجد الصالح إسماعيل صاحب دمشق بالصليبيين ليساعده على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر، و على الناصر داود صاحب الكرك (مسترد القدس). و أعاد إليهم لقاء ذلك القدس ٦٤١ ١٢٤٤ م، كما سلمهم صفد و عسقلان و طبريه و أعمال كل منهما، و جميع جبل عامل بما منه قلاع هونين و تبينين و الشقيق و مدينه صيدا أو سائر بلاد الساحل، و هكذا عادت القدس مره ثانيه إلى الصليبيين.

و وعد الصالح إسماعيل الصليبيين أيضا بأنه إذا ملك مصر أعطاهم بعضها. فاستعد الصليبيون لمهاجمه مصر و زحفوا إلى غزه، فى حين كون الصالح إسماعيل حلفا من بعض الملوك الأيوبيين فى شمال الشام و زحفوا جميعا إلى حلفائهم الفرنج عند غزه.

أما الصالح نجم الدين أيوب فقد تقدم من مصر إلى غزه لمواجهة هذا الهجوم. و لما بين لعساكر الشام حقيقه الموقف تمردوا على قوادهم و مالوا على الفرنج مع الصالح أيوب فالتزم الفرنج و انسحبوا إلى عسقلان، و فاوضوا الصالح أيوب سنه ٦٣٨ ١٢٤٠ م فاعترف لهم بحقهم فى ملكيه الشقيق و نهر الموجب (أرنون) و إقليم الجليل بالاضافه إلى القدس و بيت لحم و مجدل بابا و عسقلان.

و هكذا فلم يكن الصالح أيوب خيرا من الصالح إسماعيل.

و هنا تحالف الصالح إسماعيل مع الناصر داود و استنجدا من جديد بالصلبيين مقابل جعل سيطرتهم على القدس كامله، بمعنى أن يستولى الصليبيون على الحرم الشريف بما فيه المسجد الأقصى و قبه الصخره، و هى الأماكن التى طلت، و لو نظريا فى حوزة المسلمين عند ما سلم الكامل و لأشرفالقدس للصلبيين سنه ٦٢٥ ١٢٢٨ م.

و هنا تقدم الصالح أيوب إلى الصليبيين طالبا مساعدتهم مقابل الثمن نفسه

ص: ٣٥٧

الذى عرضه منافسائه. و بذلك يكون الملوك الأيوبيون الثلاثة: الصالح أيوب و الصالح إسماعيل و الناصر داود قد أقرؤا مبدأ استيلاء الصليبيين على الحرم الشريف - على حد تعبير بعض المؤرخين.

على أن الصليبيين اختاروا الوقوف إلى جانب الصالح إسماعيل صاحب دمشق لأنه أقرب إليهم من صاحب [صاحب] مصر. و بالتالى فهو أكثر قدره على التحكم فى مصائرهم. فشرع الصالح إسماعيل فى غزو مصر بمساعدة حليفه الناصر داود صاحب الكرك و المنصور إبراهيم ملك حمص، مع الصليبيين، و تقرر أن تجتمع قوات الحلفاء جميعا عند غزه.

فاستنجد الصالح أيوب (1) بالخوارزميه فانجدوه بعشره آلاف منهم ساروا من إقليم الجزيره فمروا بدمشق، ثم استولوا على طبريه و نابلس ثم القدس سنه ٦٤٢ ١٦٤٤ م فعادت القدس نهائيا إلى المسلمين.

و العادل: أعاد للصليبيين سنه ١٢٠٤ ما كان قد ورثه عن صلاح الدين من المواقع الساحليه، ما عدا الشقه المحصوره فى اللاذقيه. هذا هو الجهاد المتواصل الذى أكمله من جاءوا بعد صلاح الدين من ورثته.

يقول هاشم الأيوبى عن مقالنا: أنه لا يحمل أيه قيمه تاريخيه أو علميه.

و نقول له - و لا فخر - أن كل العلم و كل التاريخ فى هذا المقال. ذلك أنه استند إلى مصادر كبرى و وقائع معينه، حدد مكانها و زمانها، ما لم يستطع معه الأيوبى أن ينكر شيئا منها، بل عمد إلى مثل هذه التهويشات التى يلجا إليها العاجزون حين تفحمهم الحقائق الناصعه، فلا يرون غير الشتائم ملاذا يعوذون به...

التهويشات التى لا تستطيع أن تجعل من الحق باطلا و من الباطل حقا.

و من أطرف الطرائف و أضحك المضحكات أن دليل الأيوبى على أن المقال لا يحمل قيمه علميه أو تاريخيه، هو أنى صرحت بانى عمدت إلى أول كتاب وقع عليه نظرى فتناولته.

نعم: أن أول كتاب وقع عليه نظرى كان كتاب (الأعلاق الخطيره فى أمراء الشام و الجزيره) لابن شداد، و حسب المقال ليكون حاملا للعلم و التاريخ أن يكون مستندا إلى ابن شداد صاحب (الأعلاق الخطيره).

و قد عمدت الآن مره ثانيه إلى أول كتاب وقع عليه نظرى فكان كتاب (الكامل) لابن الأثير فإذا بى أقرأ فيه ما يلى:

" كان المانع لصلاح الدين من غزو الفرنج الخوف من نور الدين، فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه فكان يحتمى بهم عليه و لا يؤثر استئصالهم، و كان نور الدين لا يرى إلا الجدد فى غزوهم بجهد و طاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو و علم غرضه تجهز بالمسير إليه، فأتاه أمر الله الذى لا يرد".

و مع أن هذا الكلام واضح كل الوضوح، نحب أن نزيده لهاشم الأيوبى وضوحا فنقول: كان وضع مصر و بلاد الشام يوم ذاك يشبه الوضع الذى كانت عليه مصر و سوريه أيام قيام الوحده بينهما باسم الجمهوريه العربيه المتحده. فكما أن كيان العدو

اليهودى كان الفاصل بين سوريه و مصر المتحدتين كان الكيان الصليبي يفصل بين مصر و بلاد الشام المتحدتين، و الفرق بين الحاليين: هو أن العاصمه أيام الصليبيين كانت دمشق، و أنها فى أيام الصهاينه كانت القاهره، فكان صلاح الدين معتبرا تابعا لنور الدين و واليا من ولاته. فقرر نور الدين استئصال الصليبيين بان يحصرهم بين جبهتين: جبهه مصر، و جبهه بلاد الشام، فيزحف هو من دمشق، و يزحف صلاح الدين من القاهره فيضطر الصليبيون للقتال على جبهتين، لذلك أوعز إلى صلاح الدين أن يتقدم بالجيش المصرى ليتقدم هو بالجيش الشامى، و لكن صلاح الدين رفض الامتثال لأوامر نور الدين، أى أنه أعلن إيقاف حال الحرب بين مصر و الصليبيين (و التاريخ - كما يقال - يعيد نفسه دائما).

و ابن الأثير كان واضحا فى تبيان السبب الذى دعا صلاح الدين لإخراج مصر من الحرب مع الصليبيين، ذلك أن الاحتلال الصليبي لفلسطين كان يعطى صلاح الدين انفصالا كاملا عن المملكه المتحدده، و تبقى تبعيته لها اسميه فقط، فإذا زال الكيان الصليبي من فلسطين تم الاتصال بين بلاد الشام (سوريه و فلسطين و لبنان و الأردن) و بين مصر و تصبح مملكه واحده يكون لصلاح الدين المكان الثانى فيها بعد نور الدين، بل يصبح مجرد حاكم لمصر تابع فعليا لا اسميا لنور الدين، و هذا ما لا يرضى مطامع صلاح الدين الشخصيه، لذلك آثر التمرد على نور الدين و إخراج مصر من الحرب المأموله لاستئصال الصليبيين.

و غضب نور الدين لذلك، و صمم على التفرغ لصلاح الدين أولا و تسليم حكم مصر لمن يعيد مصر إلى حال الحرب مع الصليبيين، و لما أعد عدته للزحف على مصر و إزاحه صلاح الدين فاجاه الموت.

و كما ساء هاشم الأيوبي مبادرتنا فى المره الأولى إلى أول كتاب وقع عليه نظرنا فى خزانه الكتب فكان كتاب (الأعلاق الخطيره)، فسيسوؤه - و لا شك - إن كان أول كتاب وقع عليه نظرنا هذه المره هو كتاب (الكامل) لابن الأثير، فيقول عن قولنا المعتمد على كتاب (الكامل) أنه قول لا يحمل قيمه علميه أو تاريخيه.

و يوم يكون (الكامل) و (الأعلاق الخطيره) لا قيمه علميه أو تاريخيه لهما، فاننا يسرنا أن نكون فى زمره ابن الأثير و ابن شداد، و أن تكون لنا القيمه العلميه و التاريخيه التى لهما.

و نرجو أن لا يضطرنا هاشم الأيوبي لأن نخرج من خزانه الكتب أول كتاب يقع عليه نظرنا للمره الثالثه فنريه ما هو أدهى و أمر.

ورد مره ثانيه فأجبت به بما يلي:

لقد كنا نحسب أننا ناقش بحثا تاريخيا محضا أدلينا منه بأحاديث دونتها أمهات كتب التاريخ، و كنا نفترض أن نلقى من يناقش هذه الأحاديث فيدحضها أو يثبتها، فإذا بنا أمام بؤره سفاهه تعجز عن رد الحجج بالحجه و لا تستطيع نقض ما أبرمنا و إنكار ما أوردنا فتلجأ إلى ما تفيض به من سفاهه.

أما الدرکه التى انحدر إليها فى حديثه عن الأفاعى الشعوبيه، فاننا أرفع رءوسا و أكرم نفوسا و أشمخ أنوفا و أنصع صفحات و أروع وقفات من أن يصلى إلى كعوب أحذيتنا مثله من حشرات.

أما تعريضاته الأخرى التى جمجت بها كلماته و تلجلجت فلن تروعا فى شىء.

و أما ما لجا إليه مما كان يلجا إليه أمثاله في ماضى الأزمان من التهويل على المعتقدات و لمزها و التخويف بها، فاننا نقول له أنه ينسى أن الزمن تبدل و أننا نعيش الآن في أواخر القرن العشرين و يقصر معه لسانه عما كانت تطول به ألسنه الغابرين من سيئ القول و فحش الوصف و فظيح الشر.

لقد حددنا الوقائع و عينا زمانها و مكانها و كان يستطيع هذا الرجل أن ينهى

ص: ٣٥٨

١- هم من نزحوا عن بلادهم (خوارزم) بعد غزو و [] جنكيز فنزلوا العراق و حدود سوريا.

الأمر كله بسطر واحد يقول فيه: أن ما تدعيه غير صحيح و أن صلاح الدين لم يسلم حيفا و يافا و قيساريه بل فلسطين كلها ما عدا القدس للصليبيين بعد أن استردها منهم.

و لكنه لم يستطع أن ينكر ذلك و راح يهوش و يشتم و يحرض و يثير الضغائن و يملأ أعمده الجريده بكلام فارغ.

لم يكتب السطر الذى ينهى الأمر - كما قلنا - و أنى له أن يكتب هذا السطر و صحف التاريخ أمامه تصفعه و تصفع أمثاله.

ثم عدنا نقول له كلاما نقلناه بنصه من كتاب الكامل لابن الأثير و فيه يقول حرفيا بان صلاح الدين كان يحتمى من نور الدين بالصليبيين.

و كان يكفيه هنا أيضا أن يكتب سطرا واحدا، و لكن كيف يستطيع كتابه هذا السطر و صفعات التاريخ تنهال عليه صفعه وراء صفعه.

لقد فر من كتابه هذا السطر و لجا إلى عشرات السطور يتخبط بها ما شاء له التخبط و يحاول الوصول و لو إلى (قشه) يتمسك بها و هو يرى نفسه غريقا فى بحر الضلال فلم يستطع أن يصل حتى إلى هذه (القشه).

لقد استرسل فى هذيان لا يعيننا أن نلتفت إليه، و لكننا نريد أن ندل القارئ على ثلاثة أشياء نفرزها من ذلك الهذيان:

١ - لقد عدد هذا الرجل المدن و القرى التى دخلتها القوى الإسلاميه بقياده صلاح الدين.

لقد عددها كأننا ننكر ذلك، مع أننا قلناه و نقوله و نكرر الآن قوله.

و لكن هل كان هذا موضوع كلامنا، أن ما جرى من دخول تلك المدن هو نتيجة حتميه للنصر فى معركة حطين و هو جزء من تلك المعركة. نحن لم نعرض له بشىء. و لكننا عرضنا لما جرى بعده و قلنا بملء الفم قولاً واضحاً صريحاً. أن أعمال صلاح الدين بعد هذا الذى جرى قد أبطلت نتائج كل ما جرى.

لم يخجل من أن يذكر فيما عدده من المدن و القرى أسماء حيفا و قيساريه و الرمله، و هى من البلدان التى ذكرنا أن صلاح الدين أعادها للصليبيين.

٢ - يقول هذا الرجل ما نصه بالحرف: "كما يبدو وفاء صلاح الدينلنور الدين عميقا بعد وفاه نور الدين".

و نقول له: أن هذا الوفاء تجلى كل التجلى فى المعامله التى عامل بها صلاح الدين ابن ولى نعمته نور الدين.

لقد كان هذا مقيما فى حلب و كان على صغر سنه محاطا برعايه الحلبيين لاعتباره ملكهم المقبل - وفاء لنور الدين - فكان أول ما فعله صلاح الدين أن قصد إلى حلب ليقضى عليه. و نترك الكلام هنا لابن الأثير: "لما ملك صلاح الدين حماه سار إلى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخره فقاتله أهلها و ركب الملك الصالح (ابن نور الدين) و هو صبى و عمره اثنتا عشره سنه و جمع أهل الحلب و قال لهم: قد عرفتم إحسان أبى إليكم و محبته لكم و سيرته فيكم و أنا يتيمكم و قد جاء هذا الظالم الجاحد

إحسان والدى إليه يأخذ بلدى ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق، وقال من هذا كثيرا وبكى وأبكى الناس فبذلوا له الأموال والأفئس واتفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده" إلى آخر ما قال ابن الأثير.

هذا هو وفاء صلاح الدين لنور الدين: فى حياته، يحتمى منه بالصليبيين و بعد موته يحاول القضاء على ولده ذى الاثنى عشره سنه.

ليس ما يحركنا إلى كتابه ما نكتب هو ما يريد أن يوهم القراء به استدرارا لعطفهم واستثاره للشروع. بل أن الذى يحركنا هو الحقيقه وحدها.

تدخل شخص آخر و تدخل آخر فرد على ردى، فرددت عليه بما يلي:

الصدیق المتوارى وراء طلال المنجد نبعث له قبل البدء بمناقشه أقواله بتحيه صداقه عاطره، و نقول له: أن تسميه رأى تاريخى برجل تاريخى تحاملا هو التحامل الذى ما بعده تحامل.

إننا نطرح قضيه تاريخيه محضه و على من لا يرى رأينا أن يدحض هذا الرأى بالحجه لا بترديد ألفاظ التحامل و أمثال التحامل، مما هو سلاح العاجزين.

ولما ذا يعتبر نقد صلاح الدين " من الأمور المألوفه فى بعض الكتابات انطلاقا من دوافع و خلفيات و غايات " و لا يكون التحمس لطمس الحقائق التاريخيه الواضحه التى تلتصق بشخص صلاح الدين من الأمور المألوفه فى كل الكتابات لا فى بعضها انطلاقا من دوافع و خلفيات و غايات. و إذا كان الصدیق المتوارى يدعو إلى الدقه و الرصانه و العلميه و الموضوعيه فى الأبحاث التاريخيه، فاننا نقول له: لقد كنا فيما كتبناه فى أعلى درجات الدقه و الرصانه و العلميه و الموضوعيه لأننا لم نختلق شيئا و لأننا اعتمدنا على مؤرخين هم وحدهم المصدر الأساس لكل من يكتب فى التاريخ و فيهم من هو ألصق الناس بصلاح الدين و من عاشوا فى نعمه و كانوا من موظفيه المنافحين عنه.

و يروغ (الكاتب المتوارى) عن هذه الحقيقه و يدور و يلف ثم لا يستطيع إلا أن يعترف بها، ولكنه يحاول تغليف اعترافه بقوله عن بهاء الدين ابن شداد:

" سيره صلاح الدين التى وضعها ابن شداد ابتداء من عام التحق ابن شداد بصلاح الدين كقاض للجيش الأيوبي. و قبل ذلك العام كان بهاء الدين ملازما الموصل و لم يكن يستطيع الروايه إلا بطريقه غير مباشره و غالبا ما أثبتت الدراسات المقارنه وقوعه فى أخطاء التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى"، إلى آخر ما قال من مثل هذا اللف و الدوران. و نقول له:

أن الوقائع التى لم يستطع ابن شداد إلا أن يذكرها كانت و هو صفى لصلاح الدين، و كذلك لا ينطبق عليها قولك: "و غالبا ما أثبتت الدراسات المقارنه وقوعه فى اخطاء التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى".

فهو عند ما يقول مثلا عن تسليم صلاح الدين مدينه (حيفا) للصليبيين:

"لم تزل فى أيدى الفرنج إلى أن فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاث وثمانين فلم تزل فى يده إلى أن نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم فى المهادنة التى وقعت بينه وبينهم و ذلك سنة ثمان وثمانين و خمس مائه، و لم تزل بعد فى أيديهم".

و عند ما يقول عن تسليمه مدينه (يافا): " و شرطوا (الصليبيون) عليه إبقاءها فى أيديهم". عند ما يقول ابن شداد هذه الأقوال الواضحه الصريحه الداله على أن الموقف كان هوانا فى هوان و استسلاما فى استسلام، و أن الصليبيين كانوا يشترطون و صلاح الدين يخضع لشروطهم. عند ما يقول ذلك لم يقله و هو فى الموصل، لم يقله و هو بعيد عن الأحداث، بل كان فى صميمها، و لم يروه بطريقه غير مباشره، بل بطريقه مباشره، طريقه شاهد العيان. و ليس فى هذا القول وقوع فى اخطاء التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى.

و ما شان التفصيلات الوثائقيه و التسلسل الزمنى فى تسليم حيفا و يافا للصليبيين و النزول على شروطهم؟ و أى تفصيلات و أى وثائق و أى تسلسل زمنى فى أمر تم فى غايه البساطه و السهوله؟ و هو أمر باد ظاهر يراه كل الناس، و لا يستطيع ابن شداد تجاهله و تاليا لا- تستطيع أنت إنكاره، و لكن يصعب عليك الاعتراف به فرحت تدور و تلف، ثم تدور و تلف و لكن بلا جدوى.

و يقول عنى: إننى لا أبالى أن أقع فيما وقع فيه من قبل المؤرخ ابن الأثير فى تحامله على صلاح الدين. إلى آخر ما قال من مثل اتهامه لابن الأثير بتبديله للوقائع و تحريفه للتواريخ و تغليبه للأهواء و الغايات.

ثم يقول عنى: إننى أعلنت على رؤوس الأرماع انتسابى إلى زمره ابن الأثير مهما تكن القيمه العلميه و التاريخيه له.

أجل يا صديقى إننى لا أبالى بان أقع فيما وقع فيه ابن الأثير، و أنه ليشرفنى أن انتسب إلى زمره ابن الأثير، و إننى لعالم بقيمته العلميه و التاريخيه.

أن ابن الأثير هو إحدى الصخرتين اللتين يقوم عليهما التاريخ الإسلامى:

الطبرى أولا- و ابن الأثير ثانيا، و إذا كانت أقوال ابن الأثير لا- توافق أهواءك، و لا- تؤيد ما لديك "من دوافع و خلفيات و غايات" فانك لن تستطيع أن تحطم الصخره بكلمه جوفاء تنشرها على صفحات الجريده، و قد جرب ذلك قبلك (الوعل) فأدمى قرنيه و لم يضر الصخره.

و أنك تصر دائما على أن كل من يخالف آراءك هو (متحامل) فابن الأثير متحامل و ابن شداد متحامل و حسن الأمين متحامل، و على هذا المنوال لن تستطيع إحصاء (المتحاملين).

أنك تتهم ابن الأثير بالباطل، فابن الأثير يثنى على صلاح الدين فيما يوجب الثناء، و لم يقل كلمه واحده تمس صلاح الدين. و لكنه و هو المؤرخ الثقة الأمين لا يستطيع أن لا يذكر فى كتابه رفض صلاح الدين أن يفتح جبهه قتال للصليبيين تبدأ من حدود مصر بينما يفتح نور الدين جبهه تبدأ من حدود بلاد الشام، و لا أن لا يسجل احتماء صلاح الدين من نور الدين بالصليبيين و تفضيله الاحتلال الصليبي على أن يكون تابعا لنور الدين. و طبعى أن لا يستطيع ذلك و هو مؤرخ العصر المفروض فيه تسجيل كل وقائعه، و ضاقت بك الدنيا لهذه الحقائق المره فلم تجد للخروج من مازقك سوى الشتيمة و سوى سب ابن الأثير ثم سب ابن شداد.

و ليس ابن الأثير وحده الذى ذكر ذلك، بل ذكره كل المؤرخين و منهم صنيعه صلاح الدين و عميله (أبو شامه)، فهل هو الآخر له ضغينه على صلاح الدين و متحامل عليه؟ و لن ننقل هنا أقواله لأنها لا تختلف كثيرا عن أقوال ابن الأثير، بل سننقل أقوال مؤرخ آخر هو ابن العديم، قال ابن العديم:

"سار الملك الناصر (صلاح الدين) من مصر غازيا فنازل حصن الشوبك و حصره، فطلبوا الأمان و استمهلوه عشره أيام، فلما سمع نور الدين بذلك سار عن دمشق فدخل بلاد الإفرنج من الجبهه الأخرى، فقبل للملك الناصر (صلاح الدين): أن دخل نور الدين من جانب و أنت من هذا الجانب ملك بلاد الإفرنج، فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، و إن جاء و أنت هاهنا فلا بد من الاجتماع به و يبقى هو المتحكم فيك بما يشاء، و المصلحه الرجوع إلى مصر فرحل عن الشوبك إلى مصر".

إذن فقد بدت طلائع النصر و قرر صليبو (الشوبك) التسليم، و اقتحم نور الدين الحدود من الجبهه الأخرى و انحصر الصليبيون بين الجبهتين.

و فجاء ينسحب صلاح الدين من المعركة و يعود إلى مصر، فيضطر نور الدين للانسحاب و تضع الفرصه العظيمة، و لما ذا؟ لأن صلاح الدين يرفض أن يحكم البلاد نور الدين و يفضل تركها بيد الصليبيين على أن يحكمها نور الدين و هو تابع له.

هذا يا صديقي العزيز بعض ما أنكرناه على صلاح الدين، و لم نكن نحب لك أن تقف مدافعا عن هذا الموقف " انطلاقا من دوافع و خلفيات و غايات"، و أن يصل بك الأمر إلى النيل من المؤرخ العظيم ابن الأثير لأنه لا ينطلق من الدوافع و الخلفيات و الغايات التي تنطلق منها أنت و أمثالك.

و يوم تحاول، عبثا، تحطيم سمعه ابن الأثير فهل تظن أنه سيقى حرمه للتاريخ الإسلامى؟ و ها أنت ترى أن ليس ابن الأثير وحده هو الذى يروى ذلك، فهل كل هؤلاء المؤرخين مفترون مزورون، لأنهم لا ينطلقون مما تنطلق منه أنت و أمثالك؟ نقول نحن قال ابن الأثير، فيرد علينا: قال (هاملتون جب) لا يا صديقي العزيز، أن تاريخنا لا نأخذه من المستشرق الانكليزى هاملتون جب، إننا نأخذه من ابن الأثير و ابن شداد و ابن العديم و أمثالهم و لن تبلغ بنا الضعه أن تدع للانكليز أن يدونوا تاريخنا، و لن يكونوا هم مصدر هذا التاريخ. إننا نحن الذين نسجل تاريخنا، و لن يكون مصدرنا ما يكتبه هاملتون جب، بل ما هو مدون فى الكامل. و الأغلاق الخطيره و أمثالهما.

و إذا كنت اليوم تعتمد فى التاريخ الإسلامى هاملتون جب، فقد اعتمدته قبل اليوم فى العقائد الإسلاميه، و لعلك لم تنس ذلك.

و نحن لم نقول ابن الأثير ما لم يقله كما تزعم، بل نقلنا قوله بنصه، و لم نطرح احتمالات غامضه و ملتبسه كما تدعى، بل طرحنا حقائق واضحه صريحه لا غموض فيها و لا التباس، و لا تستطيع أن (تغطى السماوات بالقبوات)، بإرسال جمل متكلفه لا محصل لها، فالقبوات أضيق من أن تتسع لتغطيه السماوات. و ما قلناه لم يكن اجتهادا كما تقول، بل كان نصوصا و أى نصوص، نصوصا أنت أعجز من أن تقف لها. و قد بان عجزك.

و ما شان الظاهر بيبرس فى موضوعنا لتحاول أن تغطى به، أما قولك: أن الواقع يكذب الاحتمال و إلا لاستمرت ممالك الصليبيين حتى يومنا، ففرد عليه باننا لم نحتمل احتمالا بل قرنا واقعا، و الذين أزالوا ممالك الصليبيين و لم تبق بسببهم حتى اليوم ليسوا صلاح الدين و ورثه صلاح الدين. و نحن لم نقل أن الحرب لم تقم بعد زوال صلاح الدين و ورثته، بل قلنا و سنظل نقول: أن صلاح الدين أعاد للصليبيين ما استرده منهم، أعاد لهم فلسطين عدا القدس، و أدت تصرفاته الشخصيه لأن يعيد القدس نفسها للصليبيين أولاد أخيه، و أنه هو نفسه عقد الصلح مع الصليبيين و أنهى معهم حاله الحرب و ما يستتبع ذلك من اعتراف بوجودهم و سلطتهم و أنه بعد معركة حطين و بعد هذا الاستسلام لم يشرع صلاح الدين و لا ورثته رمحا و لا جردوا سيفا و لا أطلقوا سهما على الصليبيين و أن الأمر عاد هوانا فى هوان.

و أنك فى كل ما درت به و لففت، و فى كل ما نمقته من عبارات و زخرفته من كلمات، و لوحات من تهويلات، لم تستطع أن تنفى حرفا واحدا مما قرنا، و كل ما فعلته أنك سببت ابن الأثير و ألحقت به فى السبب ابن شداد صديق صلاح الدين، و صديق صديقك هو صديقك - كما يقولون - و هكذا حملك التخبط على أن تتناول بالسباب اصدقاءك و أعداءك على السواء.

و يؤسفنا يا صديقنا العزيز أننا كنا السبب فى إيصالك إلى هذه النتيجة المؤلمه المخزيه.

صلاح الدين مقلوبه مثل عمليه البصر المعكوسه و غير المتصله بعصب تصحيح البصر فالتوحيد عنده تقسيم و الانتصار استسلام
"إلى آخر ما قلت من مثل هذا الكلام الفارغ. أن التهويل بمثل هذه الجمل و نقل الأمر من علم التاريخ إلى علم البصريات لا
يستطيعان أن يطمسا الحقائق.

نعم، لقد قسم صلاح الدين الوطن بتوزيعه على الإخوه و الأولاد و تحويله إلى دويلات متناحره متقاتله تستسلم فى النهايه
للأعداء و تسلمهم حتى القدس.

و الانتصار عاد استسلاما بالخضوع لشروط الصليبيين و إعادته فلسطين إليهم.

هذا القول قاله كل مؤرخى ذاك الزمن، و كل ما عملناه نحن أن نقلنا أقوالهم بنصها، فان كان لك من كلام فلتوجهه إلى
أولئك المؤرخين لا إلينا.

عليك أن تكذب ابن الأثير و ابن شداد و أبا شامه و ابن العديم و أضرابهم، و لا شغل لك معنا و لا كلام لك و لا لغيرك
لدينا. و لكن من العيب أن يكون جزاؤهم على تسجيل الحقائق سبك لهم، و أننا لنعذر لهم فى قبورهم لأننا كنا سبب هذا
السب، و مما سيدعوهم لقبول عذرنا أننا نالنا نصيب من هذا السب لأننا نقلنا حقائقهم للناس كافة، و فى سبيل حمل الحقيقه و
نقلها يهون كل شىء.

أما حديثك عن دائره المعارف فانا كنا نحب لك حفاظا عليك أن لا تذكره، أن دائره المعارف ينطبق اسمها على مسماها
تماما، و هى تصحح أغلط المستشرقين مما لم يصححه المترجمون المصريون. و أما قولك: يا جبذا لو يبدأ السيد حسن الأمين
بتصحيح أغلطه المتعمده و غير المتعمده، فهو قول نترفع عن الرد عليه. هذا هو سلاحكم حين تواجهون بالحقائق: السباب و
الشتائم.

و كل ما نقوله لك فى هذا الموضوع: إننا لا نلومك فان الزمن قد أضعف ذاكرتك فأنساك أنك كنت فى أول المرشحين
بدائره المعارف هذه يوم صدور طبعها الأولى، و أنك كنت تطلب المجموعه بعد المجموعه لتتاجر بها، و أنك لم تجد فيها أيه
أغلط و لا كان لك أيه ملاحظات، بل كنت تقابلها بالقبول و الاستحسان و التشجيع و ترى ضروره وجودها.

لقد طال الزمن فاضعف ذاكرتك، فلم تعد تذكر شيئا من هذا، و كل ما بقى لديك: "دوافع و خلفيات و غايات" انطلقت منها
هذا الانطلاق غير الموفق.

أما ما ختمت به مقالك من قولك: "يخشى المرء فى تحامل السيد حسن الأمين على صلاح الدين أن يكون الدافع إليه هو
الغيظ من شىء ما، من حقيقه تاريخيه لتلك الحقبه من الزمن المضىء و مؤداها أن شرف القدس أبى ألا أن تحرر على يدى
صلاح الدين و أن القضاء نهائيا على الصليبيين أبى أن يتحقق إلا على أيدي خلفائه الصالحين". فنجيبك: أن شرف استرداد
القدس قد محاه خزي عقد الصلح مع الصليبيين و التصرفات التى أدت إلى إعادتها للصليبيين. و أن خلفاء صلاح الدين لم
يكونوا صالحين لأنهم سلموا للصليبيين ما لم يسلمه لهم صلاح الدين، و إذا كان صلاح الدين قد سلم فلسطين كلها للصليبيين،
فان خلفاءه سلموا مع القدس ما كان قد بقى فى أيديهم مما هو داخل اليوم فيما سمي بالجمهوريه اللبنانيه.

و أن القضاء نهائيا على الصليبيين لم يتحقق على أيدي خلفائه، بل تحقق على أيدي من جاءوا بعدهم، على يد الظاهر بيبرس و يد قلاوون و ابنه خليل.

على أيدي هؤلاء تم القضاء نهائيا على الصليبيين، و هم الذين غسلوا العار الذي جلل العرب و المسلمين بعقد الصلح مع الصليبيين و الاعتراف بسلطتهم و تسليمهم فلسطين و إعادة القدس إليهم على يد الأيوبيين ابتداء من صلاح الدين و انتهاء بخلفائه الذين جاءوا بعده.

الخراسانية و المتشيعه

صدر للدكتور حسن منيمنه كتاب (الدوله البويهيه) فعلق عليه الدكتور وضاح شراره في جريده النهار، فقرأت التعليق، و لم يصل إلى الكتاب فتناولت التعليق بالكلمه التاليه:

يقول الدكتور منيمنه فيما يقول: " فغلب المأمون على الحكم و الخلافه عن طريق الخراسانيه الذين امتدت أيديهم إلى الأعمال و الدواوين و الولايات و الجند فحوروها و أخذوها و توارثوها".

من هم الخراسانيه الذين تردد ذكرهم كثيرا في الثورة العباسيه و ظل يتردد حتى وصل إلى الدكتور حسن منيمنه؟ و طبعي أن الدكتور منيمنه إنما يقصد بهم ما قصده غيره أنهم الفرس.

و بهذا التفسير لهم و صفت الثورة العباسيه بأنها ثوره الفرس على الحكم العربى، حتى أن كاتبها مصريا لم يتورع عن القول بان معركة (الزاب) الحاسمه كانت ردا على معركة القادسيه الحاسمه، و ذلك لمجرد كون قسم من الجيش الذى حسم الأمر على ضفه نهر الزاب لمصلحه العباسيين كان قادما من خراسان.

و نحن نقول أن القوى التى زحفت من خراسان كانت قوى عربيه بقياده عربيه على رأسها قحطبه بن شبيب الطائى (1) يعاونه القاده العرب: أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي و مقاتل بن حكيم العكى، و خازم بن خزيمه، و المنذر بن عبد الرحمن، و عثمان بن نهيك، و جهور بن مراد العجلي، و عبد الله بن عثمان الطائى و سلمه بن محمد و أبو غانم عبد الحميد بن ربيعى، و أبو حميد، و أبو الجهم، و عامر بن إسماعيل. و ألحق بهم واحد فقط من أصل فارسي هو خالد بن برمك.

و لما مات قحطبه قبل الوصول إلى الزاب عين مكانه فى القيادة العامه ابنه الحسن بن قحطبه.

هذا فى الجيش الزاحف من خراسان، أما فى القوى التى أرسلت إلى انجاده من الكوفه فكانت على دفعات يقودها فى دفعاتها المتتابعه: عيينه بن موسى، و المنهال بن فتان، و إسحاق بن طلحه، و سلمه بن محمد، و عبد الله الطائى ثم أصبح القائد العام للقوى سواء منها القادم من خراسان أم المتجه من الكوفه، عبد الله بن على العباسى.

فما شان الثار من معركة القادسيه بين جيشين عربيين يقود أحدهما قائد قرشى هو مروان بن محمد و يقود الثانى قائد قرشى آخر

هو عبد الله بن علي؟ و بذلك نرد علي من يتساءل: هل المقصود بكلمه (الخراسانيه) الوارده في كتب الأقدمين هو الفرس؟ نرد عليه: كلا.

أن المقصود بها هو القبائل العربيه المقيمه بخراسان، و حين يقال في كتب الأقدمين: (أهل خراسان)، فإنما يراد بهم أصحاب خراسان من العرب، و دليلنا على ذلك: خطب الولاة و الأمراء و أقوال المؤرخين: فمن خطب الولاة خطبه نصر بن سيار التي يقول فيها: "يا أهل خراسان أنكم غمطتم الجماعه و ركتم إلى الفرقة، السلطان المجهول تريدون و تنظرون؟ أن فيه لهلاككم معشر العرب".

و عند ما استخلف يزيد بن المهلب ابنه مخلد على (جرجان) أوصاه بسكانها العرب من اليمن و ربيعه و قيس.

و صاحب كتاب الامامه و السياسه يقول في إحدى المناسبات متحدثا عن

ص: ٣٦١

١- كان قحطبه يقارن بأبي مسلم.

الجيش: بان تعداده كان ١٢ ألفا من أهل خراسان سوى الأعاجم.

و لن نكثر من الاستشهاد، بل نحيل القارئ للدلالة على عروبه زعماء خراسان على تاريخ الطبرى و تاريخ اليعقوبى و مروج الذهب للمسعودى و الكامل لابن الأثير. و عن القبائل العربيه الخراسانيه من تميم و ربيعه و اليمن على كتاب الوزراء للجهمشيارى، و عن احياء العرب فى خراسان على كلمه لقتيبه بن مسلم فى البيان و التبيين. و عن بنى تميم فى خراسان على كلمه خاطب بها الأحنف بن قيس قبيلته فى البيان و التبيين نفسه. و عن طعائن العرب تخرج من (مرو) إلى (سمرقند) بدون جواز على خطبه لقتيبه بن مسلم فى العقد الفريد... إلى غير ذلك.

لقد كان العرب و قد نزلت قبائلهم فى خراسان ينسبون إلى المدن المقيمين فيها، فهذا (الكرمانى) و هو من أشهر رؤساء خراسان فى أواخر عصر بنى أميهمنسوب إلى مدينه (كرمان) الخراسانيه، و هو جديد بن على شيخ قبائل الأزد و قد كان يقال له (شيخ خراسان و فارسها) و هو العربى القح الأصيل.

و هذا أبو الفرج الأصفهانى ينسب إلى أصفهان و هو العربى الأموى النسب.

و ترى فى كتاب (فتوح البلدان) للبلاذرى ذكرا لخطط العرب و منازلهم فى خراسان و غير خراسان. و كثير من المؤرخين العرب يقولون عن فلان (عربى خراسانى)، و أكثر ما ورد ذلك فى رساله الجاحظ المسماه (مناقب الأتراك).^(١)

و هذا أبو مسلم يخاطب العرب الخراسانيين قائلا: "أمرنى الامام (إبراهيم) أن انزل فى أهل اليمن و أتالف ربيعه و لا أدع نصيبى من صالحى مضر".

و هذا الامام محمد العباسى يوصى رسوله قائلا: "فإذا قدمت (مرو) فاحلل فى اليمن و تألف ربيعه و توق مضر و خذ نصيبك من ثقاتهم".

و قد حاول نصر بن سيار أن يفرق بين العرب من أنصار العباسيين فأشار إلى أحد قواده قائلا: "ما أهون هؤلاء إن كفت عنهم اليمن و ربيعه".

و عند ما يتحدث المنصور بعد قيام الدوله العباسيه يؤكد أن اليمانيين كانوا عماد الثوره فيقول عنهم: "فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا و قيامهم بدعوتنا و نهوضهم بدولتنا".

إذن فالخراسانيه فى أقوال المؤرخين و غير المؤرخين لا تعنى الفرس، بل تعنى فى الأصل سكان خراسان من العرب.

أما القول بان هؤلاء الخراسانيه امتدت أيديهم إلى الأعمال و الدواوين و الولايات و الجند فحوروها و أخذوها و توارثوها، فقول يحتاج إلى إيضاح و تفسير. فنحن نريد أن نفهم ما المقصود بالتحويل و الأخذ، و ما الذى جرى فى عهد المأمون مما لم يجر مثله فى عهد الرشيد مثلا؟ أما عن التوريث للولايات فان كان المقصود ما جرى من الطاهريين فانا نقول بان ذلك لم يكن المسئول عنه لا المأمون و لا الخراسانيه. فان الرشيد ولى إبراهيم بن الأغلب على تونس على أن تكون الولايه مستمره فى عقبه، فى حين أن المأمون ولى طاهرا بن الحسين كما يولى كل الولاه و لم يقطعه و أسرته خراسان، كما اقطع الرشيد (ابن الأغلب) تونس و إذا

كانت الأمور قد تطورت بعد ذلك إلى ما تطورت إليه فذلك كان حكم التاريخ واطراد سير الزمان.

و يقول الدكتور حسن منيمه فيما يقول: " فانقلب البدو ماده لكل الحركات الغاليه من خارجيه و قرمطيه و زنجيه و متشيعه " .

و لقد كنا نحب للدكتور منيمه أن لا يغرق فيما غرق فيه بعض الناس فى العصور المظلمه، بل حتى فى هذا العصر، فيحشر من سماهم (بالمشيعه) مع من ذكرهم و سماهم بالحركات الغاليه و نسبهم إلى البدو.

أن من سماهم (متشيعه) لم يكونوا بدوا و ليسوا من الحركات الغاليه، و ليسوا من صنف من ذكرهم معهم.

و يقول الدكتور منيمه: " و توسل بعضها الآخر إلى الغرض نفسه بتنصيب دعاه علويين طالبين بلورت [تبلورت] دعواتهم حركات محليه و برزت صبغتها المحليه فى أفكارها و فقهها و فى طاقمها الحاكم من قاده حرب و قضاة و كتاب و عمال دواوين.

فاستتب الأمر لعبيد الله المهدي فى إفريقيا و للحسن بن زيد فى طبرستان " .

ما دام الدكتور منيمه قد خص بالذكر من سماه عبيد الله المهدي (٢) و الحسن بن زيد، فاننا لنستغرب كل الاستغراب أن يقول أن هناك من توسلوا لتنصيبهما، أن أحدا لم يتوسل لتنصيب واحد من هذين الاثنين، و لم يكن واحد منهما ألعوبه لأحد، بل أن كلا منهما كان هو صاحب دعوه صريحه سليمه نجحت على يد صاحبها و كان فيها كل الخير للعرب و للمسلمين.

أما أن الدعاه العلويين الطالبين قد تبلورت دعواتهم بحركات محليه و أن تلك الحركات برزت صبغتها المحليه فى أفكارها و فقهها إلى آخر ما ذكر فما دام قد خص بالذكر عبد الله المهدي و الحسن بن زيد فان المقصود بكل ذلك هذين الاثنين.

من المؤلم أن يذكر الدكتور منيمه قيام الدوله الفاطميه، و قيام دوله الحسن بن زيد فى طبرستان بمثل هذه الخفه و بمثل هذا الإزراء و التميع.

لقد كان قيام الدوله الفاطميه حدثا ضخما فى العالم الإسلامى استطاعت معه تلك الدوله أن تنهض بذلك العالم و أن تجمع شتاته المتمزق فى بقاع من أخطر بقاعه، و أن تقف سدا منيعا فى وجه الخطر الدايم الذى كان يهدده من الروم و الإفرنج. و كان شمال إفريقيا هو المنطقه المعرضه أكثر من غيرها لذلك الخطر، و كانت متمزقه مقسومه إلى أربع دويلات هى: الأدارسه، و الأغالبه، و بنو مدرار، و الرستميون. فاستطاع الفاطميون أن يوحدوا ذلك الشتات و أن يجعلوا منه دوله واحده متماسكه ضمت إلى تونس كلا من المغرب الأوسط (الجزائر) و المغرب الأقصى (المملكه المغربيه) و المغرب الأدنى (ليبيا)، فتحقق يوم ذاك ما لا يزال العرب عاجزين عنه مما يسمونه (وحده المغرب العربى).

ثم خطوا الخطوه الثانيه فضموا إلى هذه الوحده القطر العربى الأكبر (مصر)، ثم بلاد الشام (سوريا و لبنان و فلسطين و الأردن)، ثم الجزيره العربيه، و لم يبق خارجا عنها إلا العراق.

و تحقق لأول مره فى التاريخ بعد التشتت و التمزق و الانفصال قيام الوحده العربيه و دولتها الكبرى التى استمرت ما يزيد على

ثم عجز العرب بعد زوال الدوله الفاطميه عن أن يحققوا مثل هذه.

ص: ٣٤٢

-
- ١- يذكرنى هذا بما كان يقوله بعض الفرنسيين الذين لقيتهم مره مصادفه فى باريس: (أنا فرنسى جزائرى).
 - ٢- أن اسمه الحقيقى عبد الله لا عبيد الله كما هو الشائع - و رب شائع لا أصل له - فاتباعه الذين هم أعرف الناس بحقيقه اسمه يفكرون تسميته عبيد الله. كما تبين من نقوش الدراهم و الدنانير و الصنوج و الأوزان المحفوظه فى متحف القيروان أن اسمه عبد الله لا عبيد الله.

الوحده، و لا يزالون عاجزين.

و ينبه المؤرخان المصريان الدكتور حسن إبراهيم حسن و الدكتور طه أحمد شرف في كتابهما (المعز لدين الله) إلى أمر مهم جدا، و هو: "أن الفاطميين رفضوا أن يقيموا دولتهم في غير البلاد العربيه و لم يفكروا في إقامة دولتهم المنشوده في غيرها برغم كثره أشياعهم فيها و إنما عولوا على إقامتها في اليمن و لما استحال عليهم ذلك قصدوا المغرب فأقاموا دولتهم فيه".

و لسنا الآن في صدد تاريخ للدولة الفاطميه، و إنما نكتفي بالقول: أنهم بهذه الوحده العربيه الكبرى التي أقاموها استطاعوا التصدي للبيزنطيين في البر و البحر و ردهم أولا- عن شمال إفريقيا، ثم عن بلاد الشام و إحباط محاولتهم المتكرره للوصول إلى القدس مما ليس هنا مكان تفصيله.

و دوله بمثل هذا الشأن الخطير لا يصح لمؤرخ أن يذكرها - كما قلنا - بمثل هذه الخفه و الإزرء و التميع.

و دوله طبرستان الطالبية العلوية الزيدية إذا لم يكن لها من الشأن ما كان للدولة الفاطميه فقد كان لها شأن أى شأن في ميدان عظيم، هو ميدان تعميم الإسلام في منطقته طبرستان(1). و برغم وصول الفتح الإسلامى إليها ما قبل السنه الثانيه و العشرين للهجره إذ يستفاد مما ذكره الطبرى و يعقوبى و البلاذرى أنها في هذه السنه كانت تابعه للحكم الإسلامى، فليس ما يدل على استقرار المسلمين فيها، و لم يكن الأمر يعدو غارات تشن عليها، و ظلت خاضعه عمليا لملوكها الذين كانوا ما بين مزدكى و زرداشى و عابد نار.

و فى سنه ٢٥٠ هجرية استطاع الحسن بن زيد من أحفاد الحسن بن على الملقب بالداعى الكبير أو الداعى الأول أن يستولى على طبرستان و ذلك فى خلافه المستعين العباسى و أن يقيم فيها دوله امتدت حوالى مائتى سنه كان من أكبر منجزاتها أنها أحالت تلك البلاد بلادا إسلاميه خالصه.

أما القول عن هاتين الدولتين و عن رجالهما (العلويين الطالبين) بأنهم " بلورت دعواتهم حركات محليه و برزت صبغتها المحليه فى أفكارها و فقهها و فى طاقمها الحاكم من قاده حرب و قضاء و كتاب و عمال دواوين"، فهو قول كنت اربا بالدكتور حسن منيمه أن يقوله، فالعلويون الطالبيون فى طبرستان هم الذين بلوروا طبرستان إسلاميا، و ليست هى التى بلورت دعواتهم، و هم الذين صبغوها بصبغتهم الإسلاميه و ليست هى التى صبغتهم بصبغتها المحليه. و أكثر من ذلك، فقد غدت طبرستان بفضلهم مهبط العلماء و مقصد الشعراء تتجاوب فى أنديتها أصداء الشعر العربى الأصيل كاي انديه عربيه فى العالم العربى.

و قصه الشاعر الأعمى أبى مقاتل، قصه مشهوره فى كتب التاريخ السياسى و الأدبى، و ذلك أنه أنشد الداعى قصيده مطلعها:

لا تقل بشرى و لكن بشريان غره الداعى و يوم المهرجان

فقال له الداعى: " أن الشعراء لا يبدءون الشعر بحرف النفى - لا - لئلا يتشاءم المستمع، أ لم يكن الأحسن أن تقرأ هذا البيت بتقديم عجزه على صدره فتقول:

غره الداعى و يوم المهرجانلا تقل بشرى و لكن بشريان

فقال أبو مقاتل: كلا يا مولاي، فان أحسن ما يذكر به (الله) يبتدىء ب (لا) و هي كلمه لا إله إلا الله.

فقال الحسن: أحسنت، فأنت في هذا الأمر أكثر معرفه مني.

و قد حفل تاريخ طبرستان في تلك العهود بعدد كبير من اعلام الفقه و اللغه و الأدب لا يتسع المجال الآن للاشاره إلى بعضهم.

أما عن الدوله الفاطميه فيكفي أن أنقل جملة واحده لمؤرخ مصرى هو الدكتور محمد كامل حسين، و هي قوله: " فالقاهره الفاطميه أصبحت مطمح أنظار العلماء و محط رحال الطلاب و في العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامه العالم الإسلامي في الحياه العلميه ".

و من أعجب العجب حشر الدكتور منيمنه (الفقه) مع ما حشره من الشئون التي أذعى اصطبأها بالصباغ المحلي.

و تلك زله أنا على يقين بان الدكتور الحضيف سيحاسب نفسه عليها.

أما قاده الحرب و القضاء و الكتاب و عمال الدواوين فليت المجال يتسع لنعدد له منهم ما ينفي قوله.

و يقول الدكتور منيمنه عن الحكام الشيعه في ذلك العصر كالحمدانيين و البويهيين: " و لم يحمل التشيع هؤلاء المتشيعين على استخلاف أحد أهل البيت ". ثم يعلل ذلك بالتعليل المنسوب إلى أحد الذين استشاره أحد الحكام في هذا الشأن.

و الذى يعرف حقيقه العقيد الشيعيه في أمر الخلافه يدرك أن تلك القصه منحوله و أن تبني الدكتور منيمنه لها في غير محله. فالشيعه لم يعد لهم بعد السنه ٢٦٠ هجرية مرشح للخلافه، و أصبحوا لا يهتمون بمن يتولاها، و سيان عندهم أن تولاها أحد ممن يتصلون بالنسب بال البيت أو لا. فإذا كان الحكام الذين ذكرهم لم يولوا الخلافه أحد ممن يتحدرون من آل البيت فليس ذلك للسبب الذى ذكره و نقله عن غيره، بل لأنه ليس في مذهبهم ما يحملهم على ذلك.

على أنه هو نفسه يذكر ذلك بعد قليل و يؤكد دون أن ينتبه للتناقض بين القولين.

و يستهين الدكتور منيمنه بعقيدته البويهيين و يرى أن اختيارهم لما اختاروه كان لمنافع دنيويه بحته فيقول: " و اختاروا الاماميه من فرق الشيعه لأن الزيديه تلزم أصحابها بتأمير واحد من أهل البيت و لا تقبل بغير ذلك ".

بهذا القول يؤيد ما قلناه أنه ليس في مذهب البويهيين ما يوجب عليهم تأمير واحد من سلاله أهل البيت للخلافه. أما أنهم اختاروا ما اختاروه للسبب الذى ذكره فهو مخطئ في ذلك.

ليس عماد الدوله أبو الحسن على، و ركن الدوله أبو على الحسن، و معز الدوله أبو الحسين أحمد هم الذين اختاروا مذهب الاماميه، بل أن الذين كانوا على هذا المذهب هم آباؤهم الأولون الذين كانوا فقراء بسطاء لا يفكرون في ملك و لا سلطه. و هؤلاء الملوك الثلاثه نشاوا في بيتهم الفقير على هذه العقيد و شبوا عليها ثم سادوا و هي في قلوبهم و عقولهم.

و من أوهام الدكتور منيمنه و أوهام غيره أيضا قوله: " و صبغ البويهيونر.

١- هي القسم الشمالي من إيران تعرف اليوم بـمازندران، بلاد جبليه و عره المسالك، و قسم منها ساحلى يقع على شاطئ بحر مازندران الذى اشتهر باسم بحر الخزر.

التشيع الشعبى بصبغه لم تمنح فسونا سنه الاحتفال بعاشوراء على مثال بكائهم أمواتهم و انتحابهم عليهم فى منتصف القرن الرابع، و جعلوا عيد غدیر خم عيدا شعبيا كعيد الربيع".

ليس البويهيون هم الذين سنوا سنه الاحتفال بعاشوراء، بل أن الاحتفال بها كان متصلا قبلهم بأبعد الأزمان، و لم يكن يجرى بشكل جماهيرى، لأن السلطات كانت تمنع ذلك، و كان يجرى ضمن البيوت الرحبه الواسعه و يضم من الناس ما يتسع له كل بيت، و كانت تنشد فى هذه الاحتفالات الأشعار الرقيقه التى تبكى الناس و تشجيعهم. و كل ما فعله معز الدوله هو أنه أباح الاحتفالات الجماهيريه، و منح أصحابها حريتهم فأخرجوها من دائرتها الضيقه إلى الدائره الأوسع.

و ليس البويهيون وحدهم هم الذين يبكون على أمواتهم و ينتحبون عليهم، ليكونوا مثلا- للباكين المنتحيين، فكل الناس تبكى على أمواتها و تنتحب عليهم.

و أما عن عيد غدیر خم و أن البويهيين اخترعوه و جعلوه عيدا شعبيا شبيها بعيد الربيع، فهو أيضا داخل فى باب الأوهام، فعيد غدیر خم الذى يطلق عليه اسم (عيد الغدير) كان يحتفل به قبل البويهيين. و ما فعله البويهيون هنا هو عين ما فعلوه فى احتفالات عاشوراء و هو أنهم أطلقوا الحريه للناس فخرجوا به من النطاق الضيق إلى النطاق الواسع.

و لم تقتصر هذه الاحتفالات الواسعه على مناطق نفوذ البويهيين، ففى مصرالفاطميه كان يوم الغدير من الأيام المشهوده فى تاريخها، و لا يزال عيد الغدير فى اليمن العيد الشعبى الأول.

و أبو العلاء المعرى نفسه كان يحتفل بعيد الغدير مع المحتفلين به فى بلاد الشام فهو القائل:

لعمرك ما أسر بيوم فطر و لا أضحى و لا بغدير خم

فما دخل البويهيين فى احتفالات مصر و اليمن و بلاد الشام.

أما قول الدكتور منيمه بان البويهيين " حكموا العراق حين الناس فرق و أهواء و شيع فسلطوا عليها الخلاف".

فنقول له: ما دام الناس فرقا و أهواء و شيعا، فليسوا فى حاجه لمن يسلط عليهم الخلاف.

نعم أن البويهيين حين حكموا وجدوا أن فريقا من الشعب محروم من أبسط حرياتهم، و مضطهد مطارد، فمنحوه حريته و رفعوا عنه الاضطهاد و المطارده، حتى إذا حاول أحد من هذا الفريق أن يستغل ما منحوه ذره من الاستغلال، أو يتجاوز شعره من الحدود المرسومه للجميع أوقفوه حتى إنهم لم يتوانوا فى أن ينفوا عن بغداد لفته رجلا كالشيخ المفيد هو الرجل الأول و العالم الأكبر. و هكذا فهم لم يتحيزوا لأحد.

العرب و المأمون ثم البويهيون

إشارة

و رد الدكتور حسن منيمنه على مقالنا فرددنا عليه بما يلي:

بعد أن يسلم الدكتور منيمنه معنا بان كلمه (الخراسانيه) فى الأيام الأولى للحركه العباسيه لا تعنى الفرس بل تعنى فى الأصل عرب خراسان، يقول بان الأمر لم يكن كذلك فى عهد المأمون، و يسألنى هل كنت أريد أن أطبق هذه النتيجة على كلمه خراسانيين المستعمله زمن المأمون.

و أنى لأجيبه بكل وضوح: نعم.

و ما الذى حصل فى تلك المده المنقضيه بين نشوء الدوله العباسيه و خلافه المأمون من أحداث أزاله العرب من خراسان لنبدل الرأى فى (الخراسانيه)؟ أين ذهبت تلك القبائل العرييه من تيمم و ربيعه و اليمن و كانت تنزل خراسان كما يخبرنا الجهشيارى؟ و ما الذى جرى على احياء العرب فى خراسان كما حدثنا عنها (البيان و التبيين)؟ و أين مضت طعائن العرب التى كانت تخرج من مرو إلى سمرقند كما أخبرنا (العقد الفريد)؟ و أين صارت جمهره بنى تميم فى خراسان التى قرأنا عنها فى (البيان و التبيين)؟ و أين انتهت جموع اليمن و ربيعه و قيس فى جرجان، و أوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلد بهم؟ و ما ذا كان مصير الجماهير العرييه التى خاطبها نصر بن سباز قائلاً: يا أهل خراسان؟ و ما ذا كانت نهايه خطط العرب و منازلهم فى خراسان و غير خراسان و قص قصتها علينا البلاذرى؟ أين انطوى ذلك كله لنقول أن كلمه (الخراسانيه) فى الزمن العباسى الأول لا تعنى ما تعنيه أيام المأمون؟ يقول الدكتور منيمنه أن المؤرخين استعملوا كلمه الخراسانيين أو أهل خراسان للتدليل على الكتله الفارسيه التى وقفت إلى جانب المأمون فى وجه الكتله العرييه التى ساندت الأمين. و قد اختارت الكتله خراسان مقراً و منطلقاً لإيصال المأمون إلى الخلافه.

و نقول له: و ما الدليل على ذلك؟ أنه يستشهد بان الفضل بن سهل حذر المأمون من الهاشمين و العرب الساعين لخلافه الأمين. ثم يورد عبارته المسعودى التى جاء فيها على لسان الفضل مخاطباً المأمون أنه يخشى: "أن يثب عليك أخوك فيخلعك و أمه زييده و أخواله من بنى هاشم".

و نقول: ليس فى هذا القول تحذير من العرب، بل فيه تحذير من زييده أم الأمين و اقربائها. و من الطبيعى أن يكون هوى زييده و اقربائها الأذنين مع الأمين، و ليس المأمون فى حاجه لنصيحه الفضل ليدرك هذا ثم يستشهد بقول الطبرى و ابن الأثير بان أهل خراسان قالوا عن المأمون: ابن أختنا و ابن عم نينا، لأن أمه كانت فارسيه.

و نقول له: إننا لا ننكر أن للمأمون أخوالاً و أقرباء فى خراسان و إنه يمكن أن يقولوا هذا القول. و لكن هل هؤلاء كل خراسان؟ و هنا نعود فنكرر اسئلتنا السابقه عن مصير الشعب العربى الذى كانت تتمثل به خراسان، و هل انقرض بهذه السرعه؟ أو هل يمكن أن يكون بعيداً عن هذه الأحداث المصيريه؟ كان من اصطلاحات المؤرخين يوم ذاك أن يقولوا: "فى خراسان جميعه العرب و فرسانها".

فهل من المعقول أن تكون تلك الجمجمه قد تحطمت، و أن يكون أولئك الفرسان قد تبددوا فى مشارق الأرض و مغاربها؟ و أن يكون ذلك قد جرى فى (غمضه عين و انتباهتها) بالنسبه لحياه الشعوب؟ ثم أ ليس عجيبا من الدكتور منيمنه الحصيف أن يقول: أن الكتله التى ساندت المأمون قد اختارت خراسان مقرها و منطلقا لإيصال المأمون إلى الخلافة؟ و أين رأى أن هذه الكتله هى التى اختارت خراسان؟ و هل كان فى يد المأمون و كتلته أن يختاروا مقرهم و منطلقهم؟ أ ليس الرشيد هو الذى اختار المقر، و الأمين هو الذى اختار المنطلق؟ هل المأمون و كتلته هم الذين قسموا المملكه إلى قسمين: غربى يحكمه الأمين و مقره فى بغداد. و شرقى يحكمه المأمون و مقره فى مرو عاصمه خراسان، أو الرشيد هو الذى فعل ذلك؟ و هل المأمون و كتلته كانوا مختارين فى إيصال المأمون إلى الخلافة فانطلقوا من مرو، أو الأمين هو الذى خلع أخاه المأمون من ولايه العهد و جعله ينطلق مع كتلته من خراسان للوصول إلى الخلافة؟ نحن لا ننكر أنه كان بين من ناصروا المأمون فرس، و يكفى فى ذلك أخواله، كما أننا لا ننكر أنه كان بين من ناصروا الثورة العباسيه فرس، و لكن العرب كانوا يشكلون القوه الضاربه فى كلا الموقفين.

و كما كان بين أنصار العباسيين أيام الثورة فرس كذلك كان بين أنصار خصومهم فرس، فقد انضم الفرسان إلى الجانبين العباسى و الأموى، فرأينا مثلا أهل نيسابور و بلخ الفرسان ينحازون إلى نصر بن سيار.

و هذا طبيعى ما دام فى الناس اختلاف المشارب و الأهواء و الأغراض.

و كذلك الحال فى الخلاف بين الأمين و المأمون، و إذا كنا لم نر اسما فارسيا بارزا بين أنصار الأمين، فلأن أصحاب مثل هذه الأسماء كانوا تحت سيطره المأمون فلا يستطيعون التحرك كما يريدون.

على أننا ننكر القضييه من أصلها، و هى الزعم أن العرب كانوا مع الأمين، فنحن نقول بان العرب حتى فى الجزيره العربيه عش العرب و منبتهم كانوا مع المأمون. فان والى مكه داود بن عيسى لما بلغه خلع الأمين لأخيه المأمون من ولايه العهد، دعا أهل مكه و أعلن أنه يبايع المأمون بالخلافه و سالهم ما هم فاعلون؟ فاستجاب له وجوه القوم و بايعوا المأمون، ثم استجابت له جماهير الشعب كلها. و يصف الطبرى بعض ما جرى قائلا: و جعل الناس يبايعونه جماعه بعد جماعه، ففعل ذلك أياما. و مثل الذى جرى فى مكه جرى فى المدينه، حيث بايعت جماهير الشعب المأمون و خلعت الأمين.

و جرى مثل ذلك فى اليمن أيضا، و يصف الطبرى بيعه أهل اليمن بقوله:

فأجاب أهل اليمن إلى بيعه المأمون و استبشروا بذلك و بايعوا للمأمون و خلعوا الأمين.

و إذا كانت الجزيره العربيه قد خلعت الأمين و بايعت المأمون و أمره لا يزال متارجحا بين النجاح و الفشل، بل أنه كان إلى الفشل أقرب، و إذا كان عرب الحجاز و اليمن قد أعلنوا أنهم مع المأمون على الأمين و هم يبعدون عنه عشرات آلاف الأميال.

و إذا كانت مكه و المدينه و صنعاء و هى عواصم العرب الأولى قد أيدت المأمون، فهل يصح القول بان العرب لم يكونوا مع المأمون؟ و إذا كان للمأمون أخوال فى خراسان، فما أكثر أعمامه فى الحجاز و اليمن، و لن يكون الأخوال - مهما أشفقوا - أكثر إشفاقا من الأعمام.

على أن مما يجب ذكره أن عرب الجزيرة قد أعلنوا المأمون خليفه و بايعوه، من قبل أن يعلن هو ذلك، إذ أنه كان لا يزال مجرد متمرّد على خليفه بغداد، و لا يعلم إلى أى مصير سيصير.

و جاء موسم الحج و حال المأمون هو الحال نفسه، و لكن موقف أهل مكه المؤيد جعل طاهر بن الحسين قائد المأمون المتقدم لحصار بغداد - يرسل العباس بن موسى ليحج بالناس باسم المأمون، و هو أول موسم دعى فيه للمأمون بالخلافه فى مكه و المدينه.

و هكذا أعلنت خلافه المأمون فى صميم بلاد العرب قبل أن تعلن فى خراسان، و غير خراسان، أعلنتها العرب فى أقدس مكان عند المسلمين و العرب. و يقول الدكتور منيمنه أن الجيش الخراسانى الذى خرج هذه المره من خراسان ليحمل المأمون إلى سده الخلافه كان معظم قاداته و عناصره من أهل خراسان الفرس. و نقول له: لا دليل على هذا القول بل أن الأمر على العكس ما دام لم يثبت بل ليس من المعقول أن يكون العرب قد أزيلوا من خراسان.

و أننا نستطيع أن نعدد من أسماء قاده ذلك الجيش من العرب كلا من: محمد بن طالوت، و محمد بن العلاء، و الحارث بن هشام، و داود بن موسى، و هادى بن حفص، و قریش بن شبل، و الحسن بن على المأمونى. و هذه الأسماء وحدها كافيه لتدل على أن القيادة كانت عربيه.

و ما رأيه إذا قلنا أن فرقه عسكريه يبلغ عدد رجالها نحو خمسه آلاف رجل نص الطبرى على أنهم من أهل خراسان انسلخت عن جيش المأمون المحاصر لبغداد و انضمت إلى الأمين.

فإذا كان هؤلاء الرجال فرسا فان خئوله الفرس للمأمون لم تنفعه بشىء، و أن كانوا عربا فان الطبرى قد نص على أنهم من أهل خراسان، إذن فان كلمه (أهل خراسان) فى أيام المأمون لا تعنى الفرس، كما يقول الدكتور منيمنه، بل تعنى العرب و أن الجيش لم يكن فارسيا.

و ما رأيه فى أن بغداد العربيه نفسها كان فيها الناقعون على الأمين، و لم يمنعهم من الجهر بنقمتهم إلا خوف السلطه. و قد عبر عن هذه النقمه شاعر بغدادى ظل اسمه مجهولا بسبب الخوف فقال يخاطب الأمين و جيوش المأمون مشرفه على حصار بغداد:

بخلعه لأخيه المأمون من ولايه العهد، و عواطف الناس هي دائما مع المعتدى عليه.

و لقد أدهشني قول الدكتور منيمنه: "سترداد شكوك الخليفة المنتصر في العرب الذين أخذوا جانب الأمين، و سيتعاضم دور الجند الخراسانيين و اعتماد الخليفة عليهم و ستظهر نتائج ذلك واضحة في توليه قادتهم آل طاهر و إطلاق يدهم في خراسان و جوارها أمراء شبه مستقلين".

إذن يعتبر آل طاهر فرسا، مع أنهم من صميم العرب، و كون طاهر بن الحسين قائدا للجيش الذي بعثه المأمون لاسترداد بغداد من أخيه الأمين و إنهاء خلافته هو الذي يؤيد قولنا أن القوه الضاربه في جيش المأمون كانت عربيه.

فطاهر بن الحسين عربي من قبيله خزاعه، و ما دام قائد الجيش خزاعيا فمن الطبيعي أن تكون (خزاعه) ركنا من أركان القوه الضاربه في هذا الجيش.

و إلى ذلك يشير الشاعر دعبل الخزاعي حين هدد المأمون قائلا:

أنى من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك و شرفتك بمقعد

و على هذا فالجند الخراسانيون الذين "تعاضم دورهم و اعتماد الخليفة عليهم" هم عرب و من خزاعه بالذات.

ثم يردف قوله هذا بهذا القول: "و ستظهر نتائج ذلك واضحة في توليه قادتهم آل طاهر و إطلاق يدهم في خراسان و جوارها أمراء شبه مستقلين".

و قد عرف القارئ أن آل طاهر هم عرب خزاعيون فإذا صح أن المأمون أطلق يدهم في خراسان، فإنه يكون بذلك قد أطلق فيها يدا عربيه أصيله.

على أننا نحن ننكر أن توليه المأمون لآل طاهر كانت توليه استثنائية، و أنه أطلق يدهم أمراء شبه مستقلين. و نقول أن الذي فعل ذلك هو غير المأمون و في غير خراسان.

لقد فعل ذلك الرشيد حين ولي إبراهيم بن الأغلب على تونس على أن تكون الولاية وراثيه في أعقابه، و على أن يكونوا أكثر من شبه مستقلين.

أما المأمون فلم يكن في نيته ابدا توليه طاهر بن الحسين على خراسان، بل أن ظرفا عاطفيا طارئا أدى إلى ذلك، و هذا ما ينفي ما ذكره الدكتور منيمنه في قوله: "و سيتعاضم دور الجند الخراسانيين و اعتماد الخليفة عليهم و ستظهر نتائج ذلك واضحة في توليه قادتهم آل طاهر"، إلى آخر ما قال:

أما سبب توليه طاهر بن الحسين فهو أنه دخل على المأمون و هو في مجلس انس و انشراح، فلما رآه المأمون بكى و تغرغرت عيناه. فاستغرب طاهر ذلك و سال المأمون لم يبكك و قد دانت له البلاد و أذعن له العباد و صار إلى المحبه في كل أمره.

فقال المأمون: أبكى لأمر ذكره ذل و ستره حزن و لن يخلو أحد من شجن.

و انشغل بال طاهر لبكاء المأمون في غير ساعه بكاء، فأغرى أحد خواص المأمون بمبلغ من المال لسأله عن سبب بكائه، و استطاع الرجل أن يسأل المأمون. فقال المأمون: أنى ذكرت أخى محمدا (الأمين) و ما ناله من الذله فخنقتنى العبره فاسترحت إلى الإفاضه، و لن يفوت طاهرا منى ما يكره.

لقد قلق طاهر كل القلق لما جرى، فإذا كان المأمون قد اكتفى هذه المره بمجرد البكاء لرؤيه طاهر مذل أخيه و قاتله، فما يدريه ما يمكن أن يصيبه من المأمون فى مره أخرى، أ لا يمكن أن تبلغ ثوره العاطفه فى المأمون فى مره من المرات إلى الحد الذى يأمر فيه بقتل طاهر الذى تذكره رؤيته فى كل مره بذل أخيه و قتله؟ أ ليس من المريح للمأمون أن لا يرى طاهرا ابدا فيتخلص من الأشجان الذى تبعثها فى نفسه مشاهده طاهر، و قتل طاهر هو الذى يريح.

فذهب طاهر إلى أحمد بن أبى خالد و قص عليه ما جرى، و قال له غيبنى عن عينى المأمون.

فذهب أحمد إلى المأمون، فلما دخل عليه، قال: ما نمت البارحه...

فقال المأمون: و لم ويحك؟ فقال لأنك وليت غسان خراسان و هو و من معه أكله رأس و أخاف أن يخرج عليه خارجه من الترك فتصطلمه. فقال له: لقد فكرت فيما فكرت فيه، فمن ترى؟ قال: طاهر بن الحسين. و قد تردد المأمون و ذلك و أبدى ما يخشاه من محاذيره فى توليه طاهر.

و بعد حوار قصير دعا المأمون بطاهر من ساعته فعقد له على خراسان.

هذه هى قصه توليه طاهر بن الحسين التى وصفها الدكتور منيمنه بأنها "توليه قاده الخراسانيين آل طاهر و إطلاق يدهم فى خراسان" إلى آخر ما قال.

و من الطبيعى أن تتطور الأمور فى زمن كان زمن التطورات المتعاقبه، و أن يأخذ التاريخ مسراه فى التحول و التبديل.

البويهيون

وقت يقرن الدكتور منيمنه حديثه عن عقيدة البويهيين مره بكلمه (احتمال) و مره بكلمه (فالأرجح) فيدل على التشكيك و عدم الجزم، يعود فى النهايه فيجزم فيما لا- يصح فيه الجزم. و عند ما قلنا أن ليس الملوك البويهيون هم الذين أخذوا بالمذهب الجعفرى ليصح اتهامهم بأنهم كانوا على المذهب الزيدى، ثم انتقلوا إلى المذهب الجعفرى تحقيقا لمآرب سياسيه. بل أن الذين كانوا على هذا المذهب هم آباؤهم الأولون، و ساروا هم على ما كان عليه آباؤهم.

عند ما قلنا ذلك حكم الدكتور منيمنه بان آباءهم لم يكونوا على الإسلام ليقال أنهم كانوا على مذهب من مذاهبه، و دليله على ذلك أن الإسلام لم يعم الديلم إلا على يد الأطروش (٢٩٠ - ٣٤٠) و أن (الأرجح) أن هذه الأسره دخلت الإسلام على يد الأطروش.

و نقول: لما ذا يكون هذا هو (الأرجح)، و لا يكون (الأرجح) أن آباء هذه الأسره دخلوا الإسلام قبل السنه الثانيه و العشرين للهجره، و هو الزمن الذى ثبت أن الإسلام قد وصل فيه إلى تلك البلاد، و إذا كان تعميم الإسلام فيها قد تم على يد الأطروش، فلما ذا لا يكون هؤلاء فيمن أسلم قبل عهد الأطروش؟، و حتى قبل السنه الثانيه و العشرين؟ و أن كون مذهب دوله طبرستان زيديا لا-يمنع أن يكون بين رعاياها من هو غير زيدي، بل نحن نعرف أسماء لعلماء غير زيديين نشاوا فى ظلال تلك الدوله مثل: ابن هندو المكنى بأبى الفرج و أبى العباس بن سعد بن أحمد الطبرى. و أبى هشام العلوى الطبرى و غيرهم. هذا فى العلماء و أما فى جمهور الشعب فمن ذا يمكنه احصاؤهم، و منهم آباء الملوك البويهيين.

و يستدل بتقلباتهم السياسيه على عدم استقرارهم المذهبى، و يعيب عليهم تلك التقلبات كأنهم وحدهم المتقلبون فى السياسه، المنتقلون فيها من ولاء إلى

ولاء حسبما تقتضيه المصلحه.

و إذا كان الإنكليز يقولون فى هذا العصر: بان لا صداقه دائمه و لا عداوه فى السياسه، فقد كان هذا هو التطبيق العملى للناس جميعا منذ وجدت السياسه حتى اليوم. و لما ذا يريد الدكتور منيمنه أن ينفرد البويهيون من بين سياسى العالم بفضيله الثبات على الصداقه مهما تعارض هذا الثبات مع المصلحه؟ فإذا لم ينفردوا بها كان ذلك عنده دليلا على التشكيك فى ولائهم الدينى..

ثم يتساءل عن مقدار تدينهم، كأنما المطلوب أن يكونوا أئمه جمعه و جماعه.

و يذكر أن ابن الجوزى نقل ما يدل على جهل معز الدوله بأمر الدين، كأننا نقول أن معز الدوله فقيه الأمه و مرجعها فى الفتيا.

و يقول أن ابن الجوزى نقل أيضا ما يدل على جهل معز الدوله نفسه حتى بسيره حياه الامام على، كأننا نقول أن معز الدوله كان استاذا للتاريخ فى الجامعه على اننا لا نبرئ ابن الجوزى من الافتراء على البويهيين.

و نحن نسأل الدكتور منيمنه هل بين الملوك السلاجقه من كان أعلى درجه من البويهيين سواء فى مقدار التدين أم فى الفقه و فى التاريخ، و هل يقدر ذلك عنده فى أيمانهم؟ ثم يقول: أن مسكويه قال أن لعلى بن بويه مجلس شراب، و أن هذا كان حال أخيه معز الدوله...

و نقول: إذا كان لمن كانوا يحملون لقب (أمير المؤمنين) مجالس شراب، فهل نستغرب أن يكون لمن دونهم مثل هذه المجالس؟ و لا يرى الدكتور منيمنه إيذاء الرجل بان يدفن فى بعض الضرائح ما يدل على التدين. و نقول له: أن هذا أكبر دليل [دليل] على التدين، فغير المتدين لا يهمله أين يدفن.

و عن ركن الدوله البويهى يقول ابن الأثير: كان حليما كريما واسع الكرم كثير البذل، حسن السياسه لرعاياه و جنده. رءوفا بهم عادلا- فى الحكم بينهم، متحرجا من الظلم، مانعا لأصحابه منه، عفيفا عن الدماء يرى حقنها واجبا و كان يحامى على أهل البيوتات و كان يجرى عليهم الأرزاق و يصونهم عن التبذل، و كان يقصد المساجد الجامعه فى أشهر الصيام للصلاه و ينتصب للمظالم، و يتعهد العلويين بالأموال الكثيره، و يتصدق بالأموال الجليله على ذوى الحاجات و يلين جانبه للخاص و العام.

ثم يختم ابن الأثير وصفه له بقوله: رضى الله عنه و أرضاه.

هذه صورته و ضاءه عن الحكم البويهى جلاها لنا ابن الأثير، و إذا لم تكن هذه صفات المؤمن المتدين الثابت على العقيده، فكيف تكون صفاته؟ و حين يدعو ابن الأثير لركن الدوله البويهى بقوله: رضى الله عنه، فهو يقرنه بكبار الصحابه الذين يدعى لهم و حدهم بهذا الدعاء.

و إذا كان هذا رأى المؤرخين القدماء فى واحد من أحكام البويهيين فلنستمع إلى رأى مؤرخين حديثين فى حكم البويهيين:

يرى الأستاذ حسن أحمد محمود الشريف فى كتابه (العالم الإسلامى فى العصر العباسى) أن العصر البويهى هو عصر "حرية

المذاهب" و يستند إلى أقوال الصاحب بن عباد في رسائله حيث يقول: "و قد كتبت في ذلك كتابا أرجوه أن يجمع على الألفه و يحرس من الفرقه و ينظم على ترك المنازعه و الجنوح إلى الموادعه، فان المهادنه تجمل بين الملتين فكيف بين النحلتين".

و يعلق على ذلك الدكتور فاروق عمر و هو ينقل هذا الكلام في كتابه (الخلافه العباسيه في عصر الفوضى العسكريه) قائلا: "على أن لهذه السياسه جانبها الايجابي حيث لجات المذاهب المتنازعه إلى المنطق و الفلسفه و علم الكلام لتأييد آرائها، فحدثت نهضه علميه و كثرت التصانيف في المناظرات و أسست دور العلم".

استدراك على المستدركات

السيد سعيد صالح

مر بحث عنه في المجلد الأول من المستدركات ثم بحث ثان في هذا المجلد، و قد عثرنا بعد ذلك على كلمه كان قد نشرها عبد القادر البراك بعد وفاه سعد تتضمن قصيده من قصائده هي التاليه:

كان من جنابه السياسه على الأدب في حياه السيد سعد صالح أن حجت خطبه و مقالاته السياسيه و تقاريره المعتمده عن مشاكل (المحافظات) التي تولى ادارتها، موهبته كشاعر مطبوع كان بمقدوره لو انقطع للشعر أن يقف كتفا إلى كتف بجانب كبار شعراء العراق في مطلع القرن العشرين.

فلقد هيات بيئه النجف الشعريه (سعدا) لأن يكون في عداد شداه الشعر، كما أن ملكاته المتعدده قد جعلته قادرا على أن يودع عواطفه الجياشه، و معانيه الرائعه، و تطلعاته الوطنيه و القومييه في قوالب من الشعر، تميزه عن سواه من شعراء الفتره التي لمع فيها اسمه بين رواد الآداب، فلقد قصد القصائد المطوله فكانت ديباجته فيها معيده للأسماع و القلوب الديباجه العباسيه التي تلت مدرسه (الشريف الرضي)، و نظم الموشحات و الأناشيد في مختلف الأغراض الوطنيه و الوجدانيه فكان خاتمه أمثاله بين كبار الوشاحين على قله ما هو ميسور مما نظمه و نشره.

و لقد سبق لي نشر فصل ضاف عن شاعريه (سعد صالح) في جريده الحريه في الخمسينات، و لقد صح عزمي على الإفاضه فيما كتبت مستعينا بما وقفت عليه من قصائده و أناشيد، و ما استقر في ذهني من آراء و أحكام به و بآرائه.

و إلى أن يحين الوقت لظهور هذه الدراسه لا بد لي من أن أطرف القراء بقصيده هي واحده من آثار عراقيه كثيره حفلت بها خزانه الأستاذ مصطفى علي، و قد بعث بها إليه سعد صالح من الكويت، أثر مهاجرته إليها بعد أن أجهض الاستعمار البريطاني و أعوانه ثوره ١٩٢٠ الخالده و شرعوا بمطارده الأحرار الذين ساهموا فيها و كان الشاعر في الطليعه منهم.

ذلك أن السيد سعد صالح كان طالبا في دار المعلمين، فلما اندلعت الثوره غادر مقاعد الدراسه ليحتل موقعه في خنادقها، صادحا بشعره باهدافها و مقاصدها التحرريه، و مساهما بالكفاح الفعلي مع صفوف المجاهدين، و قد أدى دوره كاملا، و لكن ملاحقه السلطات له و لإخوانه المناجيد المساعير اضطرتة إلى الفرار مما كان ينتظره من انتقام تعرض له الكثير من أمثاله.

حممه و شواظه فى قصائد متاججه نشر بعضها فى الصحف الناطقه بلسان القوى الوطنيه و لم يكتب بعضها الآخر أن يأخذ طريقه إلى النشر. و هذه القصيده يغنى نصها عن التعريف بها و عما اشتملت عليه من مميزات و خصائص الشاعر الوطنى المطبوع: الذى عانى التجربه شعورا و عملا، و أداها أحسن ما يكون الأداء فى شعر صادق التعبير و الدلاله و الايجاء، هو شعر سعد صالح:

فؤاد كله كمد و عين كلها سهد

و آلام مبرحه و عيش ما به رغد

و آمال مضيعه و عمر كله نكد

و دمع هاتن وحشا يكاد لظاه تتقد

جوى ييكى الجماد دما فكيف تطيقه كبد

و أشجان يكابدها غريب الدار مبتعد

فتى تقتاده الأسفار حتى مله القتد

إذا ما شاقه بلد دعاه إلى الشقا بلد

تحير اين حل الرحل حل الطالع النكد

فليس يفيده جزع و ليس يفيده جلد

فكم من مهمه قذف يضل بعرضه الرشد

تروح به مطيته تخب و تاره تخذ

يفتش هل يرى أحدا و ليس لعينه أحد

فلا عين و لا أثر و لا عير و لا وتد

و لا شاء و لا نعم و لا طنب و لا عمد

و كيف العيش تقربه و عنه الوحش يبتعد

فلا كلاء به ترعى و لا ماء به ترد

فدافد لا أنيس بها يشيب لهولها الولد

يهاب الوحش وحشتها و يجزع عندها الجلد

و نعم الأرض تلك لو انه أثرا بها يجد

و يرعى الوحش فيها و هو مفترق و متحد

فيبغم فى الكناس رشا و يزأر فى الشرى أسد

و ليل طال حتى خلت ليس لطوله أمد

و قد وقفت كواكبه و ملء عيونها رمد

و حار دليل انجمه فضل العلم و الرصد

كان الليل تيار و شهب نجومه زبد

كان سحابه سفن تعوم و أهلها رقدوا

بواخر فى بواطنها لظى للبرق تتقد

إذا عصفت بها ريح تروح و شملها بدد

و ان زفرت بصوت الرعد خلت الأفق يرتعد

فخضت عباب لجمته و قلبى خانه الجلد

على زيافه من سيرها تجد الذى أجد

قتاد الأرض يؤلمها و يؤلم جسمى القتد

كلانا فى السرى دنف يغالب سقمه الجسد

تخاطبنى إلى كم أنت فى الظلماء منفرد

أ نقضى العمر بالسير الحثيث و ليس تتد

ترى لا تنتهى الاسفار حتى ينتهى الأبد

غدا يا سعد قلت و هل لليل البائسين غد

أراحلتى و فى كبدى تعيث من الهموم يد

و لى أمل غدا ألما له فى اضلعى و قد

دعى فندى فحسب الصب من عداله الفند

ساقضى فى الفلا عمرى فليس يروقنى بلد

سئمت العيش فى وطن يضام، يذل، يضطهد

محته يد القضاء فراح لا روح و لا جسد

عفت تلك الربوع فلا قديمات و لا جدد

رياض صوحت و مها ذعرن و مجمع بدد

مرابض فى الحمى لم يبق من آساده أسد

ربوع غير سرح الوحش لا ياوى لها أحد

دموع تستفيض على دماء ما لها قود

خطوب لو دعت أحدا لساخ بعثها أحد

(١)

صلاح الدين و خلفاؤه

يقول الباحث المصرى الدكتور حسين مؤنس عن تمزيق الوطن العربى على يدى صلاح الدين و توزيعه على أقربائه ما يلى:

قسم الامبراطوريه ممالك بين اولاده و إخوته و أبناء أخويه، كأنها ضيعه يملكها لا و طنا عربيا اسلاميا ضخما يملكه مواطنوه و

يقول أيضا عن خلفاء صلاح الدين:

عملوا أثناء تنافسهم بعضهم مع بعض - على منح بقايا الصليبيين فى انطاكيه و طرابلس و عكا امتيازات جديده، فتنازل لهم

السلطان (العادل) عن يافا و الناصره، و كانت بقيه من أهل مملكه بيت المقدس الزائله قد أقامت فى عكا و استمسكت بلقب

ملوك بيت المقدس فاعترف لهم به هذا (العادل) فى ثلاث معاهدات.

و حاول الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب ان يتحالف مع الصليبيين على عمه العادل.

و عند ما نزلت الحمله الصليبيه الخامسه شاطى دمياط يقودها الفارس الفرنسى جان دى بريين JeandeBrienne و استولى على دمياط سنه ١٢١٨ استنجد العادل بأقاربه ملوك الشام و الجزيره فلم يسعفه أحد منهم، و لو لم ينهض المتطوعون من نواحي الدلتا و يتصدوا للصليبيين و يكسروا سدود النيل لما أمكن الانتصار على المغيرين على المنصوره.

و عند ما أقبل الامبراطور فردريك الثانى يقود الحمله الصليبيه السادسه و نزل عكا سنه ١٢٢٧ أسرع الملك الكامل سلطان مصر و تنازل له عن بيت المقدس و يافا و جزء من أرض فلسطين يمتد من الساحل إلى البلد المقدس، و وقع معاهده بذلك فى ١٨ شباط ١٢٢٩.

و فى سنه ١٢٤٤ تقدم ايوبى آخر هو الصالح إسماعيل صاحب دمشق فجعل للصليبيين الملكيه الكامله لبيت المقدس و سلم لهم قبه الصخره.

ص: ٣٤٨

١- تاريخ نظم القصيده ١٤ ربيع الثانى / ١٣٣٩ هـ.

مر الحديث عنه فى مكانه من هذا المجلد، و نضيف هنا إلى ذلك ما يلى:

بعد الحرب العسكرىه الشرسه التى شنت على الشاه إسماعيل الأول الصفوى دون أن تنال من دولته منالا، بل أن تلك الدوله ثبتت أقدامها و شقت طريقها بين الدول الكبرى، رأى الذين غاظهم قيامها أن يشنوا عليها حربا من نوع آخر: هى الحرب الكلاميه لتشويه سمعتها مما رأينا مثيلا له فى كلام النهر والى المتقدم.

و من المؤسف أن يتبنى هذه الحرب خريجو الجامعات و أساتذتها فى هذا العصر المفروض برجاله أن يعالجوا الأمور التاريخيه معالجات موضوعيه غير متأثره بما كانت تتأثر به معالجات الأقدمين.

فصاحب كتاب (مقدمه تاريخ العرب الحديث) يقول فى الصفه ٢٠ ما يلى:

" و قصد أسطول برتغالى المياه العربيه فى الصيف. و لكن هذا الأسطول لم يحقق أية انتصارات و اكتفى بالقرصنه على السفن العربيه، ثم جاء الأسطول (هرمز) مطالبا بالجزيه السنويه و لكن ملك هرمز كان قد دان بالولاء للشاه فلم يدفع للبرتغاليين شيئا".

إذن باعتراف الكاتب أن استناد صاحب هرمز إلى دعم الشاه الصفوى جعله يتمرد على البرتغاليين، و إذن فان الشاه الصفوى ببسطه حمايته على أرض إسلاميه قد حماها من ذل دفع الجزيه للمستعمرين المعتدين الأوربيين.

و تلك منقبه كبرى كان على الكاتب أن يشيد بها و يسجلها فى سجل حسنات الشاه الصفوى، و لكنه لم يفعل، بل أراد أن يحولها إلى سيئه لأن قلمه لا يطاوعه على تسجيل حسنات شاه صفوى أقام دوله جديده لا يجب هذا الكاتب أن تقوم، لا لشيء إلا لنعرات نحليه سيطرت عليه.

لذلك أضاف إلى كلامه السابق ما يلى:

" و لم يكن البرتغاليون على استعداد لاغضاب الشاه الذى وصل سفيره إلى جوا فى ذلك العام لوضع أسس حلف برتغالى إيرانى ضد العثمانيين".

و نحن نسأل الكاتب هذا السؤال: من هو المعتدى؟ هل أن الشاه إسماعيل هو الذى جيش الجيوش و آثار الحروب لغزو السلطان سليم فى دياره و دخول عاصمته و القضاء على دولته، أم أن الأمر بالعكس، و أن السلطان سليم هو الذى فعل ذلك؟!.

فإذا صح - و هو ما لم يصح - أقول: إذا صح أن سفير الشاه وصل إلى جوا لوضع أسس حلف برتغالى إيرانى ضد العثمانيين، فان هدف هذا الحلف هو حمايه إيران من هجمات أعدائها المحاولين القضاء عليها و وأد دولتها الفتيه فى مهدها. و هذا ما لا تلام عليه أى دوله ترى نفسها مهدده بمثل ما هددت به إيران.

و لما ذا يباح للعثمانيين أن يسفكوا دماء المسلمين و يغزوهم فى ديارهم و يحتلوا عاصمتهم و يقضوا على دولتهم، و لا يباح لهؤلاء المسلمين الدفاع عن أنفسهم بكل وسيله؟.

لو أن الشاه الصفوى أراد حلفا إيرانيا برتغاليا ليغزوا به العثمانيين المسلمين، لجاز لنا لومه و التنديد به، و لكنه كان يعمل على صون بلاد إسلاميه من شر يراد بها، و بذلك لا يستطيع أى منصف أن يلومه.

ثم إننا نسأل الكاتب و غيره من أمثاله - و ما أكثرهم نسأله ما ذا فعل سلطانك العثمانى أمام الغزو البرتغالى الماحق التى تسلط على البلاد الإسلاميه يوم ذاك يحتل و يحرق و ينهب و يقتل و يستبيح و يمتلك البلاد و بذلها؟!.

لقد وقف يتفرج على ذلك و لا تهمة دماء المسلمين المطلوله و ديارهم المستعبده و سلطانهم الزائل، و لم يجد فى ذلك أىه غضاظه و لم يتقدم بقوته الجباره لحمايتهم و الذود عنهم، و لكن استثاره و استفزه قيام الدوله الصفويه فوجه إليها الجيوش و قصدها بالحديد و النار.

و أنت نفسك تعترف فتقول فى كتابك: "...و شعر المسئولون فى استنبول بعظم الخطر الجديد (قيام الدوله الصفويه)، فأخبر سليم أباه المسالم بايزيد الثانى على التنازل عن العرش. و أهمل سليم جبهه البلقان و ركز اهتمامه بشئون دار الإسلام. فأجرى مذابح كثيره بين الشيعيين فى شرق الأناضول...".

لم تكن سيطره البرتغاليين عند السلطان سليم خطرا، و لم تكن جبهه البلقان الصليبيه المتحفزه كذلك خطرا، و لكن كان الخطر عند المسئولين فى أستنبول و عند مؤلف كتاب (مقدمه تاريخ العرب الحديث) هو قيام الدوله الصفويه، فأجرى السلطان سليم مذابح الأناضول و تقدم إلى تبريز لمجابهه الخطر بالمذابح بعد المذابح.

ثم أن الكاتب و غير الكاتب من الزاعمين مزاعمه لم يحدثونا شيئا عن أثر (حلفهم) المزعوم، و لا عن المعارك التى خاضها معا الجيشان المتحالفان الايرانى و البرتغالى فى مواجهه العثمانيين!..

إنهم لم يفعلوا ذلك لأنه لا حلف و لا متحالفين... و هل كانت أيام أشد حرجا على الشاه الصفوى من أيام (جالديران) ليسعفه فيها حلفاؤه لو كان له حلفاء.

لقد كان العامل الأول فى هزيمه الشاه إسماعيل فى معركة جالديران أمام السلطان سليم هو أن الجيش العثمانى كان مزودا بمدفعيه قويه كان يفتقد مثلها الجيش الصفوى إذ لم تكن يده قد وصلت بعد إلى شىء من ذلك. فلو كان هناك تفاهم بينه و بين البرتغاليين لزودوه على الأقل بالمدافع التى تحمى جيوشه.

ثم أننا نسأل هؤلاء الناس، ما ذا فعل السلطان سليم و غيره لاجلاء البرتغاليين عما كانوا يحتلونه من بلاد إسلاميه؟ و إذا كان السلطان سليم قد هزم الشاه إسماعيل فى جالديران، فلما ذا لم يتفرغ للبرتغاليين و يجليهم عن البلاد الإسلاميه؟!.

على أن الحقيقه هى ان السلطان سليم هو الذى استعان بالاجانب أعداء الإسلام على الدوله الإسلاميه الصفويه و على الملك المسلم الشاه إسماعيل و على دوله المماليك الإسلاميه و عمل على إفقار الشعب الايرانى المسلم:

جاء فى كتاب (أصول التاريخ العثمانى) الصفحه ٨٤ عن عهد السلطان سليم و حروبه مع الشاه إسماعيل:

ص: ٣٦٩

الذين فروا من اسبانيا. كما ساعدتهم المرتزقه الايطاليون على استعمال المدفعيه بمهاره.

و يقول (ص ٨٥) عن السلطان سليم: لم يمنح الأبرمن الجورجين وضعاً مستقلاً إلا- في مقابل مساعدتهم للعثمانيين ضد المماليك.

نقول: في هذا الوقت كان سلطان المماليك قانصوه الغوري ينجد السلطان مظفر شاه سلطان كجرات (الهند) الذي استعان به على البرتغاليين، كما كان ينجد عامر بن عبد الله ملك اليمن على البرتغاليين أنفسهم.

و يقول (ص ٨٠) عن السلطان سليم: وقد أدت هذه الأعمال الحربيه في شرق الأناضول إلى سيطره السلطان (سليم) على الممرات الاستراتيجيه المفضيه من الأناضول إلى القوقاز و سوريا و إيران. كما حصلت الخزانة العثمانيه نتيجة لسيطره سليم على طرق التجاره الدوليه التي كان ينقل عبرها حرير إيران و غيره من منتجات الشرق من تبريز إلى حلب و بروسه على مصادر هامه من الدخل، مما مكّنه من عرقله تجاره الحرير الفارسيه مع الغرب (انتهى).

ثم أن صاحب كتاب (تاريخ العرب الحديث) ينسى ان العثمانيين - و هم في شده قوتهم - وقفوا وقفه المتفرج امام نكبه المسلمين في الأندلس و استئصال الإسلام فيها.

مواقف ايرانيه

و ما دمنا في هذا الموضوع فاننا لنعطى القارئ نماذج عن المواقف الإيرانيه المشرفه التي تغلبت فيها حميه الايرانيين الإسلاميه على مصلحتهم الخاصه و التي آثروا فيها نصره المسلمين و خذلان أعداء الإسلام و لو تعارض ذلك مع منافعهم. فقد جاء في كتاب (داود باشا والى بغداد) الصفحه ٦٢ ما يلي:

"..... و كان عبد الله باشا و سعيد باشا أضعف من أن يقفا موقفاً حازماً من إيران و كانت سياسه داود مناهضه منذ البدايه لايران فتحالف داود مع محمود الباباني ضد سعيد على أساس تخلي محمود عن الايرانيين. و منذ ان تولى داود باشا الحكم لم يحضر في ايه مناسبة يحتفل بها معتمد الشاه في بغداد. و كانت أسس حلفه مع محمود بابان مضيعة للنفوذ الايراني في كردستان و قد منحه داود كوى و حرير مكافاه له على تخليه عن إيران(١) و كانت إيران قد تلقت منذ وقت وجيز صفعه معاهده گلستان المهينه حتى أصبحت كتابعه لسانبترسبرج(٢) و هذا العامل الجديد الذي ظهر في المشكله العراقيه الإيرانيه و أعنى به مؤامرات عملاء روسيا في إيران لاآثارها ضد الدوله العثمانيه.

ففى سنه ١٨١٧ م لم يكن هناك أمل للايرانيين في ان يستردوا شيئاً من ممتلكاتهم المفقوده بمساعدته حلفائهم القداماء (الإنكليز). بينما أرسل القيصر الجنرال (يارمولوق) الحاكم الجبار و القائد العام للقوقاز على رأس بعثه دبلوماسيه مهيبه إلى طهران، و بدل ان يتنازل الجنرال عن شبر من الممتلكات التي استولت عليها روسيا من إيران قدم اقتراحاً بعقد - حلف برانى [ايراني] - روسى ضد الدوله العثمانيه. و طالب في هذا الحلف بان تمنح القوات الروسيه ممراً عبر الأراضى الإيرانيه في أستراآباد و خراسان لتصل هذه القوات إلى خيوه، كما اقترح امداد الجيش الايراني بالضباط و بالقياده الروسيه. و لكن كل هذه المقترحات رفضت في هدوء و عادت البعثه الروسيه إلى بطرسبرج محمله بالهدايا و ان كانت ممثله غيظاً من ايران.(٣)

فى جبل عامل رب كلمه من مؤرخ أرسلها إرسالاً فكان منها للأجيال بعده نبع معرفه، و رب سانحه من كاتب نديها قلمه فاغنت الباحثين أيما غناء.

و هذا ما كان من الرحاله العربى ابن جبير الذى لم تكن الرحله لمجرد الرحله غايته، بل كان متعبدا طالبا للثواب حين عزم على الترحل وجوب الأرض. انه كان يقصد الحج إلى مكه كغيره من مئات الألوف و من الملايين الذين سبقوه أو تاخروا عنه، و لكنه كان ذا ذهن متفتح و فكر منطلق، فاتخذ من السفر إلى الحج وسيله للكتابه و تصوير الوقائع، فدون رحله جميله كتبها بعقل العالم و عين الفنان و ذهن المؤرخ و قلم الأديب، فكانت مصدرا من أهم مصادر تاريخنا السياسى و الاقتصادى و الاجتماعى.

و لقد مر ابن جبير فى لبنان، أو الأحرى فى (جبل عامل) من لبنان، فوصف بعض مشاهده الطبيعیه، كما تحدث عن بعض شئونه العمرانيه و الاقتصاديه، فكان ما كتبه كنزا من كنوز المعرفه.

و الواقع أن ابن جبير بالرغم من عظيم ما خلف لنا، كان يمكن أن يخلف أكثر مما خلف لو أنه تنبه لخطر ما يدون، و لكنه كان يرى نفسه مسافرا بسيطا يحب أن لا تضيع مشاهداته فكان يكتب بعض ما يعن له كتابه الحضيف الكيس الدقيق الملاحظه، دون أن يسترسل فى التفاصيل. فهو مثلا- يتحدث عن رحيله عن بلده (تبين) قائلا: "و رحلنا عن تبين دمرها الله و طريقنا كله على ضياع متصله و عمائر منتظمه سكانها كلهم مسلمون".

و الدعاء على تبين بالدمار لأنها كانت حين مر، حصننا من أمنع حصون الصليبيين. أما نحن اليوم فاننا نقول: "زادها الله عمرانا" و لو قدر لابن جبير أن يعلم من أخرجت تبين بعده من العلماء و الكتاب و الشعراء و الزهاد و العباد، لردد معنا دعاءنا و تراجع عن دعائه.

لقد اكتفى بهذا القدر، و لم يحدد لنا أسماء تلك الضياع و لا حقيقه تلك العمائر، بل اقتصر على أن قال عن الأولى بأنها متصله، و عن الثانيه أنها منتظمه، ما يدلنا على انتشار العمران انتشارا واسعا يكاد يجعل القرى متصلا بعضها ببعض، و على أن بنیان تلك القرى لم يكن أكواخا، بل كان أشبه ما يكون بالدارات، لأن كلمه (عمائر منتظمه) تعنى الشىء الكثير.

و نحن إذا لاحظنا الزمن الذى مر فيه ابن جبير فى بلادنا و لاحظنا كذلك أحداث ذلك الزمن أدركنا حالا أن هذا الذى دونه هو أهم كل شىء فيما رآه.

و ربما خيل لمن لم يقرأ من الرحله الأمثل هذه الفقرات، أن هذا الذى يذكره ابن جبير شىء تافه لا يستحق التدوين، إذ لم يقترن بتفاصيل، و لكن الأمر على العكس لمن قرأ الرحله كوحده كامله و هو يعرف زمنها و ظروفها.

فالزمن الذى مر فيه ابن جبير بلبنان كان سنه ٥٨٠ هجرية، و فى هذه السنه كان الصليبيون يحتلون البلاد. و الذين دونوا تاريخ هذه الفتره أشاروا إلى حاله المدن و لم يسيروا إلى حاله القرى و الأرياف، فنحن مثلا نعرف أن سكان صور نزحوا عنها و لم يبق

فيها إلا العاجز و الضعيف، و نعرف أن سكان صيدا و بيروت

ص: ٣٧٠

١- جودت: ج ١١: ٣٠.

٢- Hoskins: British routes to india, London, ١٩٢٦P, ١٣٧

٣- Ileid .

و طرابلس أصابهم ما يشبه ما أصاب سكان صور، و لكننا لا نعلم ما حل بالقرى و الأرياف، و إذا باين جبير وحده دون سائر المؤرخين يترك معلومات عنها لا تقدر.

لقد كان يجهل حقيقه الحال فيما سيمر به من بلدان، أ هي عامره أم خراب؟ أ بقي سكانها فيها أم نزحوا عنها؟ لذلك نرى طبيعه المفاجاه فى هذا الكلام: "...ضياح متصله و عمائر منتظمه..." ثم المفاجاه تلو المفاجاه: "...سكانها كلهم مسلمون".

و لقد أذهل تتابع المفاجئات ابن جبير عن أن يتعرف أسماء الضياح، فلم يحاول أن يسأل عنها، فأكتفى بذلك الإجمال و هو فى عقيدته أوسع التفصيل! أ ليس يكفى بان يخبر بان الأرياف بالرغم من الاحتلال الصليبي هي "ضياح متصله و عمائر منتظمه". ثم أ ليس هذا خبرا يكفى لكل تساؤل و استطلاع: "سكانها كلهم مسلمون".

و الحقيقه أن الأمر كما قدر ابن جبير، و لكن ليته جمع المهم إلى الأهم، ففصل لنا أسماء ما رآه من قرى و وصفها بعض الوصف.

و تتابع المفاجئات على ابن جبير، فبعد أن علم ما علم و اطمأن إلى ما اطمأن إليه، و عرف ما كان يود أن يعرفه من حال تلك الضياح و العمائر، و حال أهلها المسلمين، قال أن أولئك السكان المسلمين "يؤدون للفرنج نصف الغله و جزيه عن كل رأس ديناراً و خمسه قراريط و لهم على ثمر الشجر ضريبه خفيفه".

هذا النص مضافا إلى النص السابق هو من أعظم ما كتب المؤرخون فى تعريف حال المواطنين القرويين خلال الاحتلال الصليبي، فانى لا أحسب أن مؤرخا عربيا عنى بتتبع حياه الأرياف خلال تلك الحقبة المؤلمه. و لو لا ابن جبير لجهلنا حاله كانت معرفتها ضروريه.

و يتلخص الموقف استنتاجا من نصوص الرحله بما يلي: الزخوف الفرنجيه بخيلها و رجلها نزلت المدن فأعملت السيف و النهب فى بعضها، كما جرى فى طرابلس و بيروت، و اكتفت من مدن أخرى بجلاء أهلها و فرض الأموال الباهظه عليهم كما فى صيدا و صور. و هذا التمييز تبعاً للحاله التى دخل بها الصليبيون إلى تلك المدن، فالمدن التى رفضت الاستسلام و ظلت تقاوم حتى دخلوها منتصرين عاملوها بالقتل و النهب، و المدن التى فاوضت على التسليم بشروط، طبقوا فيها تلك الشروط.

و أعقب جلاء العرب يوقتلهم [و قتلهم] حلول الصليبيين محلهم، فعاتت المدن فرنجيه بسكانها ما عدا قله قليله ظلت فى بعض المدن، و كانت هذه القله أعجز من أن تؤثر فى مصائر المدن و مجرى حياتها.

و الفرنج النازلون فى هذه المدن كان منهم حكامها كما كان منهم الجنود المحاربون، ثم كان من الطبيعى أن تنشأ طبقه تجاريه تؤمن احتياجات المدن و تتسلم زمام الاقتصاد و توجهه و تسيطر عليه.

و لكن إذا استطاع الفرنج أن يكونوا الحكام و الجنود و التجار و الصناع، فهل يستطيعون أن يكونوا الفلاحين؟ هذا ما لم يكن مستطاعاً لهم لأن إعمار القرى و تسيير الزراعه فيها و تأمين الأقوات منها ذلك محتاج إلى عشرات الألوف من البشر المعتادين على طبيعه الأرض العارفين بدخائل استنباتها. و لم يكن فى مقدور الفرنج تأمين هذا العدد من الناس القادمين معهم، لأن

القادمين كانوا في الأصل جنودا للقتال، و يمكن أن يكون منهم التجار و الصناع، و لكن لا يمكن أن يكون منهم الفلاحون لا كما و لا- كيفا. و إذا حل القادمون محل النازحين في القرى و عادوا زراعا يلازمون الأرض، فمن يقاتل، و البلاد الإسلاميه محيطه بالفرنح من كل ناحيه؟ و إذا لم تزرع الأرض و لم يقم أحد عليها فكيف يستطيع الفرنج ضمان الأقوات؟ هذا الوضع الذى لا بد منه حفظ للقرويين وجودهم أولا، ثم عقائدهم و حرياتهم. و أن اضطرار الفرنج لعدم إغصاب الفلاحين، و حرصهم على أن يتمسك الفلاحون بأرضهم كانا العامل الوحيد لأن يرى ابن جبير الضياع المتصله و العمائر المنتظمه و أن يكون جميع سكانها مسلمين.

و نستطيع القول بان مشاطره القرويين غلاتهم، و أخذ ضريبه أخرى على الرءوس و على الثمر لم يكونا شيئا عادا. و مهما كان فهما عند القرويين أفضل من الشرد و النزوح عن الأوطان.

و إذا كنا عرفنا هذا المقدار عن الحياه الاجتماعيه و الاقتصاديه، فقد كان لا بد لنا من أن نعرف شيئا عن الحياه العلميه فى تلك الأرياف.

عنانى فى هذا البحث هو المنطقه التى عرفت اسم (جبل عامل)، و التى جنوا على اسمها التاريخى الجميل فى هذا العصر فاستبدلوا به اسم (الجنوب).

ذلك لأننى أعلم بأنه كان لهذه المنطقه ماض زاهر بالعلم و الأدب قبل الصليبيين، ثم كان لها الماضى نفسه بعد الصليبيين، فحسبها مثلا أن تكون قد أخرجت قبلهم شاعرا مثل عبد المحسن الصورى، و أن تكون قد أخرجت بعدهم عالما مثل الشهيد محمد بن مكى. فهل يمكن أن تكون قد أجدبت بعد أن احتلوها؟ لقد كان البحث شاقا فى الوصول إلى الحقيقه، و لكن كان لا بد من الوصول إليها و هكذا كان: فقد تبين بعد طول التنقيب أنه كان هم هؤلاء العرب الحفاظ على تتابع الدرس و التدريس، و إيصال العلوم الإسلاميه و الآداب العربيه من جيل إلى جيل لئلا تضيع الشخصيه الإسلاميه و تزول الروح العربيه، و هو ما وفقوا فيه كل التوفيق.

لقد كانت المقاومه العسكريه عبثا، ميثوسا من النصر فيها، إذن فلا بد من المقاومه الفكرية، و هذا ما اختطه أولئك الناس.

فمن أقدم من وصلتنا أخباره من علماء العاملين الشيخ جمال الدين إبراهيم بن الحسام أبى الغيث العاملى الذى كان حيا سنه ٦٦٩ هـ و هو الذى رثى أبا القاسم بن الحسين العود الأسدى المتوفى سنه ٦٧٩ هـ، و أبو القاسم هذا عراقى حلى الأصل جاء إلى حلب فى عهد النقيب عز الدين مرتضى فاسىء إليه إساءات همجيه مبعثها التعصب الذمى مما اضطره للنزوح إلى بلده جزين اللبنانيه حيث مات سنه ٦٧٩ هجرية و رثاه ابن الحسام بقصيده مطلعها:

عرج بجزين يا مستبعد النجف ففضل من حلها يا صاح غير خفى

و لكى نعلم ما كان عليه أمر جزين فى ذلك الحين نضطر لنقل ما ذكره الذهبى فى مختصر تاريخ الإسلام بعبارة النايه التى اعتادها هو و أمثاله من ذوى الأفكار السوداء، قال و هو يصف حادث حلب الفطوح و اضطرار ابن العود للذهاب إلى جزين: "... و تسحب ابن العود من حلب ثم أنه أقام بقرية جزين مأوى الرافضه فاقبلوا عليه".

و يمكن تحديد زمن انتقال ابن العود من حلب إلى جزين بما ذكره أبو ذر في

ص: ٣٧١

كتابه (كنوز الذهب فى تاريخ حلب) الذى جاء فيه و هو يتحدث عن هذه القصة: "و قال القاضى شهاب الدين محمود: و أنا أذكر هذه الواقعة و أنا بحلب فى الكتاب بعد".

إذن فان جزين كانت حافله بحمله العلم بعد سنه ٦٥٠ هـ و هذا يدل على أنها كانت حافله بهم قبل هذا التاريخ.

و نحن نعلم أن جلاء الصليبيين النهائى عن جبل عامل كان سنه ٦٦٦ هـ و كانوا قد جلوا قبل ذلك سنه ٥٨٣ ثم عادوا. هذا باستثناء مدينه صور التى لميجلوا [لم يجلوا] عنها إلا سنه ٦٩٠ هـ.

و من القدامى الذين وصلت إلينا أخبارهم من علماء العاملين الشيخ نجم الدين طومان بن أحمد المنارى. و الأخبار الواصله إلينا عن هذا العالم العاملى ليست كثيره و لكنها ذات أهميه كبرى، فالذين ذكروه قالوا أنه توفى سنه ٧٢٨ و أنه رحل إلى العراق لطلب العلم و أنه من أساتذه الشيخ مكى والد الشهيد محمد بن مكى.

و بين وفاه الشيخ طومان و بين جلاء الصليبيين اثنتان و ستون سنه، و لم يشر المؤرخون إلى سنه مولد (طومان)، و لكن مهما افترضنا قصر حياته (و لعلها لم تكن قصيره بل طويله) فاننا نستطيع أن نستنتج أن رحله طومان إلى العراق كانت خلال الاحتلال الصليبي، و ليس من المعقول أن يرحل لطلب العلم جاهلا، فلا بد أنه كان على مقدار من التحصيل مهما كان شأنه، فهو يدل على أن دراسه كانت قائمه فى جبل عامل خلال الاحتلال، و أن هذه الدراسه أمكنها أن تعد طلابا لمتابعه الدراسه العليا فى العراق و كان (طومان) واحدا منهم.

و يمكن أن نضيف إلى ذلك أن الذين ترجموا للشهيد محمد بن مكى ذكروا أنه ابن الشيخ جمال الدين مكى بن الشيخ شمس الدين [شمس الدين] محمد بن حامد. فقد وصف كل من أبيه و جده (بالشيخ) و لقب الأول (بجمال الدين) و الثانى (بشمس الدين) و هذه الأوصاف لا تطلق إلا على أهل العلم، بينما لم يوصف أبو جده و لم يلقب مما دل على أنه لم يكن منهم.

و قد رأينا أن والد الشهيد هو تلميذ طومان الذى عاش فى الاحتلال الصليبي، فيكون جد الشهيد قد درس فى جبل عامل خلال الاحتلال.

و هكذا نستطيع القول بان العاملين تغلوا على محنه الاحتلال و على ما حملتهم إياه تلك المحنه من ضيق و تضيق، و قدروا أن يؤسسوا مدارسهم و أن يحتفظوا بوجودهم كاملا-لا-ينقصه الجهل المؤدى إلى الذوبان و الانحلال، و أن يظلوا أمناء على رسالتهم الفكرية الأصيلة، فحرسوا اللغة العربية و صانوا علومها فى ذاك البحر الفرنجى الطامى و حرسوا علوم الشريعة و حفظوها و أورثوا ذلك للأجيال التاليه أمانه خالده.

جبل عامل

و العالميون بعد نشر مقالى بعنوان (ابن جبير فى جبل عامل) انهالت على التساؤلات الهاتفيه من الأصدقاء: لما ذا تعد اسم الجنوب بدلا من اسم جبل عامل جنابه على هذا الاسم؟ و كنت قد قلت فى ذلك المقال: "المنطقه التى عرفت باسم جبل عامل، و التى جنوا على اسمها التاريخى الجميل فى هذا العصر فاستبدلوا به اسم الجنوب...".

و إذا كانت تساؤلات الأصدقاء هي بهذه الكثرة. فاني أحسب أن القراء الذين لم يتصلوا بي، و كان تساؤلهم بينهم و بين أنفسهم، هم عدد وافر. و لقد كان جوابي عن تساؤل المتسائلين: إن الكلام في هذا الموضوع لا تتسع له آله الهاتف، لذلك سأجيب على صفحات "النهار". و ها أنا برا بوعدى أكتب هذه الكلمه عسى مقنع أن يكون فيها للجميع:

لم يحمل هذا الجبل اسمه (جبل عامل) دفعه واحده، بل لقد تدرجت هذه التسميه تدرجا حتى استقرت على ما استقرت عليه. فقد أطلق عليه أولا اسم (جبال بنى عامله)، ثم اختصر إلى (جبال عامله) ثم زيد اختصارا إلى (جبل عامله)، ثم استقر على (جبل عامل).

و قد لحقته التسميه الأولى لأن قبيله عربيه يمانيه هاجرت إليه فيمن هاجر من قبائل اليمن فاستقرت فيه، و كان اسم القبيله (بنى عامله).

و هذه الهجره اليمانيه إليه لم تكن هجره فريده، بل هي واحده من تلك الموجات العربيه التي تدفقت في التاريخ البعيد من اليمن إلى شتى بلاد العرب، فهاجر بنو قبيله إلى الحجاز و استقروا في (المدينه) حيث عرفوا بعد ذلك باسم (الأوس) و (الخزرج)، ثم تحول اسمهم في أول الإسلام إلى (الأنصار).

و هاجر الغساسنه إلى غوطه دمشق و حوران و الجولان. و هاجر اللخميون إلى الحيره في العراق حيث عرف متأخروهم باسم المناذره.

و كنا نتساءل إلى أي تاريخ تعود هذه الهجره، و منذ متى حمل هذا الجبل اسم العامليين؟ و لم يكن في المصادر التاريخيه التي كانت بين أيدينا ما يجيب عن هذا السؤال، إلى أن طلع علينا الدكتور أسد رستم بمقال له في مجله "العرفان" يقول فيه: "و الإسكندر البير [الكبير] إذ تحدثه صور و صمدت في وجهه و اضطر أن يحاصرها حصارا طويلا أحب في يوم من أيام الحصار أن يروح عن النفس برحله صيد قصيره، فقام من ضواحي صور ممتطيا جواده و اتجه شرقا متسلقا جويا و تبين، فوجد نفسه فجاه بين قوم من العرب، هكذا يقول أريانوس أقدم من ارخ للإسكندر و أقربهم إليه زما " (انتهى كلام الدكتور أسد رستم).

و من هم هؤلاء العرب الذين لقيهم الإسكندر في جويا و تبين؟ من هم إن لم يكونوا (بنى عامله)؟ و قد كان كلام الدكتور أسد رستم هذا حافزا على تتبع هذا الأمر تتبعا متصلا، و قد استعنت في ذلك بالمؤرخ الصوري الأستاذ معن عرب الذي كان مشغولا بكتابه تاريخ مفصل لمدينه صور، فاستفدت من معاونته استفاده كبرى، و تبين أن ليس أريانوس وحده هو الذي يذكر لقاء الإسكندر لبنى عامله، بل لقد جاء ذلك في الصفحه ٥٤١ من مجله (ريفو بيبليك) في بحث عن الإسكندر الكبير في سوريا و فلسطين بقلم الأب ف. م. إبل: " خلال حصار الإسكندر لصور و بينما كان يسلح أسطوله و يصنع آلات القذف و الهجوم إذا به يعلم أن ثلاثين من رجاله قتلهم عرب من لبنان بغته "

كما تبين أن كنتوس كورتيوس المؤرخ الروماني الذي كتب في عهد الإمبراطور كلاوديوس تاريخ الإسكندر الكبير (٤١ - ٤٥ ب. م) في عشره كتب قد ذكر ما يلي: " حدث أن هاجم المكدونيين بعض الفلاحين العرب على جبل لبنان

فقتلوا حوالي ثلاثين منهم و أسروا بعضهم " ثم يقول: " و عهد - أى الإسكندر - الاشراف على الأعمال إلى اثنين من قواده و زحف بقسم من الجيش إلى بلاد العرب ".

و كلام هذا المؤرخ يؤيد ما ورد من قبل من قتل العاملين ثلاثين رجلا من جيش الإسكندر، و يزيد على ذلك أنهم أسروا بعض الأسرى.

إذن فان بنى عامله لم يقفوا متفرجين على حصار الإسكندر لصور بل تحدوا الفاتح الكبير، و كانت حصيلة هذا التحدى قتلا فى رجاله و أسرا لهم.

و كان من الطبيعى أن لا يسكت الإسكندر، لهذا نراه يقود حملة على العاملين انتقاما لقتلاه و أسراه. و يدلنا على عظم خطر بنى عامله يوم ذاك أن الإسكندر لم يعهد فى قياده تلك الحملة إلى بعض قواده بل قادها بنفسه.

و هكذا تبين أن هجره بنى عامله إلى هذا الجبل تعود إلى ما قبل سنه ٣٣٢ قبل الميلاد، إذ أن حصار الإسكندر لصور كان فى هذه السنه، و كانوا هم موجودين فى جبلهم فى هذا التاريخ. و لكن لم يتبين لنا و سنظل نجهل: إلى أى مدى من الزمن يمتد تاريخ هذه الهجره قبل سنه ٣٣٢.

قلت فيما تقدم أن هجره بنى عامله من اليمن لم تكن الهجره الوحيدة، بل كانت معها هجرات لقبائل أخرى و عددت منهم بنى قبيله و اللخمين و الغساسنه، و أقول الآن أنه كان لكل من هذه القبائل الثلاث ذكر متواصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، فقد سيطر بنو قبيله (الأوس و الخزرج) على المدينه ثم دخلوا فى صراع مع اليهود المتحكمين اقتصاديا فيها، ثم كانوا أول المجبيين للدعوه الإسلاميه، و برجالهم قامت معركة بدر الحاسمه فى تاريخ الإسلام. كما قام فى اللخمين ملوك يخضعون للسيطره الفارسيه، كان لهم شعراؤهم الوافدون عليهم. و كذلك الحال فى الغساسنه الذين خضع ملوكهم للسيطره الروميه و وفد عليهم الشعراء، و حسب الأولين النابغه الذيبانى و اعتذارياته للنعمان، و حسب الآخرين حسان بن ثابت الذى يقول فيهم:

لله در عصابه نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الأول

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

أبناء جفنه حول قبر أبيهم قبر ابن ماريه المعم المخول

أما بنو عامله فقد انقطعت أخبارهم قبل الإسلام، لو لا هذا الذى ذكره السمعانى فى كتاب (الأنساب) عن الظرب بن حسان بن أذينه العاملى: أنه كان ملك العرب وقت كان ملك الفرس سابور.

و هذا يدل على أنه كان للعاملين ملوك مما كان للمناذره، و الغساسنه، و أن ملوكهم انوا يسمون ملوك العرب. و يبدو أن قرب الغساسنه من دمشق و قرب المناذره من المدائن عاصمه الفرس حفظا أخبار القبيلتين، و ان انقطاع العاملين فى جبالهم أضاع أخبارهم.

و ورد ذكر بنى عامله عرضا فى الحديث عن غزوه تبوك حين جمع الروم جموعهم بقياده هرقل، إذ ذكر المؤرخون أن هرقل أجلب معه لخم و جذام و عامله و غسان.

و جاء الإسلام و قامت الدوله الأمويه فى دمشق فإذا بشاعر عاملى ينحدر من تلك القرى الجبلية البعيده - ينحدر إلى دمشق فيقتحم بلاط الأمويين مستعدا لمنافسه الثلاثى المخيف: جرير و الفرزدق و الأخطل، فيشير هذا الاقتحام الشاعر جريرا فيهزأ بهذا القروى الجبلى و يصمم على أن يضربه من أول لقاء ضربه قاضيه ترده إلى قريته فى جبال بنى عامله فلا- يجرؤ على منافسه المتفوقين، فصرخ جرير فى وجه عدى بن الرقاع العاملى بيت من الشعر تقضى الكياسه بان لا نذكر إلا صدره. صرخ جرير قائلا:
(يقصر باع العاملى عن العلى)

، فإذا بالعاملى يصرخ فى وجه جرير بصوت أعلى بيت من الشعر تقضى الكياسه أيضا بان لا نذكر إلا عجزه:
(أنت امرؤ لم تدر كيف تقول)

فبيهت جرير و يعترف بالهزيمه فيجيب: بل أنا امرؤ لم أدر كيف أقول.

و منذ تلك الساعه يصبح عدى بن الرقاع العاملى المنافس الخطير للذين ظنوا أن لا منافس لهم.

و تتالى الأسماء العامليه فى العصور الإسلاميه المختلفه فى شتى ميادين السياسه و العلم و الأدب و الشعر و الحكمه، فنسمع بأسماء بكار بن هلال العاملى و شهاب بن إبراهيم العاملى و همامه بن معقل العاملى و قبيس العاملى و أبو سلمه الحكم العاملى إلى عشرات أمثالهم فى كل عصر. ثم نسمع أسماء أخرى منسوبه لا إلى الجبل وحده بل إلى قرى فيه مثل: على الصائغ الجزينى العاملى و أبو معن الصرندى العاملى و طومان المنارى العاملى و الشيخ حسين التبنينى العاملى و الشيخ إبراهيم البازورى العاملى و غيرهم.

و تظل العصور تتوالى و تظل كلمه (العاملى) تتوالى حتى تجيء السنه ١٥٠١ فإذا بهبه (عامليه) كبرى تهب على الدنيا، فقد دعى (العامليون) إلى المعاونه فى تأسيس الدوله الصفويه الناشئه فى ايران، إذ أن تلك الدوله قامت أول ما قامت على السيطره العسكريه البحتة و كانت فى أمس الحاجه إلى رجال العلم و الفكر يدعمون قيامها و ينشرون دعوتها، فوجدت بغيتها فى جبل عامل الذى كان يغص بمثل هؤلاء الرجال فاستدعتهم واحدا بعد الآخر فاقبلوا إليها مغتبطين بهذا الاستدعاء و ذهب بعضهم بدون استدعاء لأن مجال العمل العلمى الثقافى فى جبلهم كان محدودا، و لأنهم أحيانا كانوا يعيشون فى خوف لا ينتهى بعد أن استشهد اثنان من أكابرهم فى فترتين متباعدتين. و كانوا حيث حلوا لا يتخلون عن الانتساب إلى جبلهم، فكان اسم الواحد منهم يقرن دائما بلقب (العاملى)، فإذا بكلمه (العاملى) تتوج فيما تتوج اسم (شيخ الإسلام) فى العاصمه (قزوین)، و هذا المنصب هو أرفع منصب علمى فى المملكه. و إذا بكلمه (العاملى) أيضا تتوج اسم (شيخ الإسلام) فى (هرات) بافغانستان.

و إذا بكلمه العاملى فوق هذا فى مرسوم يصدره الملك لتعيين هذا (العاملى) فى منصب يجعله الرجل الثانى فى الدوله بعد الملك، و يشير فى هذا المرسوم إلى صلاحياته الواسعه و منها: "أن منصوبه لا يعزل و معزوله لا ينصب".

و إذا بكلمه (العاملى) تتلقاك حيث اتجهت: فى حلقات التدريس، فى منابر المساجد، فى صوامع المعابد، تحت عناوين الكتب، فى إجابات المستفتين، فى مجالس المتقاضين.

و إذا بهؤلاء (العاملين) النازحين من (جبل عامل) يقلبون الدنيا هناك رأسا على عقب و يحولون مجرى التاريخ و يحولون أمه بكاملها من رأى إلى رأى فتنقاد إليهم الجماهير آخذة بفكرتهم متمسكة بطريقتهم.

ص: ٣٧٣

و اليوم إذا ذهبت إلى مدينة أصفهان مثلاً فانك تجد كلمة (العاملى) تطلق مقرونه باسم الشيخ لطف الله على مسجد من أفخم مساجد الدنيا، و تطلق مقرونه باسم الشيخ البهائى العاملى على شارع من أزهى الشوارع. و إذا ذهبت إلى حيدرآباد فانك تجد كلمة (العاملى) تطلق على صاحب قبر بين قبور العلماء قرب قصر (قدير جنك بهادر). و لا يعرف الزائرون اسم أحد من أصحاب تلك القبور، و لكنهم يعرفون اسم هذا (العاملى). على أن أكثر ما كانت كلمة (العاملى) خلوداً، و أعظم ما كانت أثراً هو ما سطر منها تحت أسماء الكتب التى لا تزال حيه خالده تتداولها أيدي العلماء و المتعلمين من جيل إلى جيل.

أعرفتم الآن لما ذا قلت: "إنهم فى هذا العصر جنوا على هذا الاسم التاريخى الجميل و استبدلوا به اسم الجنوب؟ و عرفتم ما ذا تعنى كلمة (جبل عامل) و ما ذا تعنى كلمة (العاملى)؟

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديدآورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديدآور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

ابش خاتون بنت الأتابك سعد بن أبي بكر الزنكي

توفيت سنة ٦٨٥ في تبريز ثم نقلت رفاتها إلى شيراز و دفنت في مدرسه (آبش خاتون) المعروفه باسمها.

ملكه جليله نشات و ترعرعت في بلاط أبيها و كانت ذات عقل راجح و رأى صائب ذات دين و صلاح و شجاعه و هي آخر ملكات آل الأتابك السلغرى في شيراز و بها انتهت حكومتهم في إيران و في سنة ٦٦٢ هجرية و بعد وفاه سلجوق شاه استولت على حكومه فارس و كانت عاصمتها مدينة شيراز كانت عالمه فاضله من ربات الفصاحه و البلاغه تلقت من العلم و الثقافه ما جعلها من أندر و أعلم نساء عصرها و كانت محبه للعلم، و تجالس العلماء كما أنها نشرت التشيع في ربوع حكومتها و يظهر انها كانت متأثره بأفكار السيد شرف الدين إبراهيم الذي ادعى بعد ذلك المهدويه و قام بسببه بعض الاضطرابات في ناحيه فارس و لم تقف آبش خاتون موقفا حازما أمامه فأثارت غضب أرغون خان فأمر بنفيها من شيراز إلى تبريز حتى توفيت سنة ٦٨٥ ه في تبريز و دفنت في مقابر (جرنداب) و بعد مده من الزمن نقلت بنتها (کردوجين) رفاتها إلى شيراز و دفنت في مدرستها التي تعرف باسمها (مدرسه آبش خاتون) أو مدرسه خاتون قيامه و قد وقفت جميع أموالها و ثروتها على أن يصرف ريعها في سبيل الإسلام و نشر العلم: ذكرها أكثر المؤرخين و الكتاب منهم رشيد الدين فضل الله في جامع التواريخ و الآيتي في تاريخ الوصاف و حمد الله المستوفى في تاريخ كزیده و خواند مير في تاريخ حبيب السير و الفسائي في فارسنامه ناصري ج ١ ص ١٠٥ و ج ٢ ص ١١٩٢ و دانشنامه ایران و إسلام.(١)

المولى آتشي المراغى

من الفقهاء المجتهدين في القرن الثالث عشر الهجرى شاعر أديب مؤلف محقق لم أقف على اسمه قال صاحب (حديقه الشعراء) كان شيخ الإسلام في عصر فتح على الشاه القاجارى بمراغه و من فحول الشعراء المشاهير في عصره له مؤلفات كثيره و لم يذكر اسماءها و اكتفى بذكر ديوان شعره و كان ينظم باللغتين التركيه و الفارسيه و معظم أشعار ديوانه باللغه التركيه، ذكره محمد على تربيت في كتابه (دانشمندان آذربايجان) و نقل عنه شيخنا آغا بزرك الطهراني في الذريعه.(٢)

آتوني حياه الهروي

أديبه فاضله من ربات الفصاحه و البلاغه و شاعره من شواعر هرات و خراسان في القرن العاشر الهجرى.

نشات في هرات و خراسان احدى المراكز العلميه آنذاك و تزوجها العالم الشاعر ملا بقائى و كانا من المقربين إلى الوزير الأمير نظام الدين على شير الجغتائى الهروي المتوفى سنة ٩٠٦ ه و كان يستشيرها الوزير المذكور في إداره شئون المملكه و كانت ذات سلطه و نفوذ و عقل راجح و رأى صائب ذكرها معظم كتب التراجم و وصفوها بأنها من ربات الجمال البارع و الحسن الباهر لها اليد الطولى في الأدب و الشعر، بديعه النظم ذات لسان فصيح و منطق مبين سريعه البديهه خفيفه الروح حسنه الحديث جميله الصحبه كانت تجالس العلماء و الشعراء و تمازحهم في شعر الغزل. و صفها المير على شيرلودى في كتابه (مرآه الخيال) ص ٣٣٦ قال إنها مشهوره باتونى و لم يذكر اسمها و أدرج قسما من شعرها و قال صاحب كتاب (جواهر العجائب) اسمها حياه و

هى من مدينه هرات و زوجه الشاعر ملا- بقائى ثم ذكر عن حياتها و نقل قسما من شعرها و أما الميرزا محمد ملك الكتاب الشيرازى فذكرها فى كتابه (تذكره الخواتين) ص ٧٦، و لم يذكر اسمها و قال كانت تتخلص فى شعرها ب تونى ثم ترجم لها و ذكر قسما من شعرها و وصفها شيخنا الآغا بزرگ الطهرانى فى الذريعه ج ٩ قسم الأول ص ٢ بالفاضله الشاعره و نقل الأستاذ على أكبر المشير عن مجموعته مخطوطه فى مكتبه ملك الوطنيه بطهران أن اسمها بى بى آتونى ثم ترجم لها و ذكر أكثر أقوال المؤرخين. (٣)

السيد المير آزاد بن السيد المير عبد الباقي بن السيد المير محمد صالح

ابن السيد المير محمد زمان الطالقانى القزوينى

من أعلام القرن الثالث عشر فقيه أصولى حكيم متأله أديب شاعر.

تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى القزوينى الحائرى و شقيقه الشهيد و أخذ الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا آغا الحكيمى القزوينى ثم هاجر إلى الهند و سكن هناك و انقطعت أخباره و هو من سادات طالقان و تعرف أسرته اليوم فى قزوين ب آل الرفيعى من الأسر العلميه المشهوره نبغ منها أعلام و كان المترجم له ينظم باللغتين العربيه و الفارسيه ذكره المولى محمد مظفر حسين فى كتابه (روز روشن) ص ٧ و أدرج قسما من شعره. (٤)

الأميره آغا بيگم الملقبه بآغاباجى:

المتخلصه فى شعرها ب طوطى بنت إبراهيم خان بن بناه خان شير عالمه فاضله أديبه شاعره عابده زاهده توفيت فى قم سنه ١٢٤٨ هـ و دفنت فيها.

قرأت على أكابر علماء آذربايجان و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى السلطان فتح على الشاه القاجارى و تحركت من آذربايجان نحو طهران مع موكب مهيب بلغ فيه عدد أفراد حاشيتها أكثر من مائتى شخص من خدم و جوارى، من جملتهم ملك بيك الذى كان مرافقها الخاص و قيل انها لم تعتن بالسلطان زوجها. و لها قصيده فى هجائه و كانت تكره الأمراء القاجاريين و تناهض البلاط. ثم هاجرت إلى مدينه قم و اعتكفت هناك و انصرفت إلى العباده و التبتل. كانت ذات طبع سليم و ذوق أدبى رائع و من ربات الفصاحه و البلاغه متكلمه خطيبه و لها ديوان شعر ذكرها الوزير محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه خيرات حسان ج ١ ص ١١ و صاحب تذكره الخواتين من ص ١١-١٢ و الأستاذ محمد على تربيت فى (دانشمندان آذربايجان) ص ٨ و غيرهم. (٥)

آزروئى خانم السمرقنديه:

أديبه فاضله شاعره متكلمه من ربات الفصاحه و البلاغه فى القرن الحادى عشر للهجره فى سمرقند توفيت بعد سنه ١٠٥٢ هـ.

ذكرها صاحب تذكره صبح گلشن و مير على شيرلودى فى كتابه مرآه الخيال ص ٣٣٧ و وصفها بأنها صاحبه جمال بارع و حسن باهر، و ان لها طبعاً موزوناً، وصلت إلى أعلى مراتب الكمال و المجد الأدبى، ذكرها شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

سنة ١١٠٢ و ذكر شعرها و كذا في تذكره الخواتين ص ٥٩).

و ذكرها جمع من المؤرخين في مؤلفاتهم و أدرجوا شعرها منهم صاحب ریحانه الأدب ج ١ ص ٤٧ و الأستاذ علی أكبر مشیر السلیمی فی (زنان سخنور) ج ١ ص ٣ و غیرهم.(١)

آسیه أم فتح علی الشاه القاجاری:

من أهل البر و الإحسان عابده زاهده توفیت سنة ١٢١٧ ه و نقل جثمانها إلى العراق و دفنت فی الروضة الحیدریه بالنجف الأشرف.

كانت ملكه سیده ذات عقل و رأى و حکمه و معرفه و خبره فی الأمور لها صدقات جاریه تحب العلم و تسعى فی ترویجه و تجالس العلماء. من آثارها الباقیه حتى الیوم مدرسه دینیه فی طهران تعرف باسم مدرسه (مادر شاه) أى مدرسه (أم الشاه) جمعت فیها فحول العلماء للتدریس و كانت تدفع لهم رواتب شهریه و أسست دورا خاصه للسكن و أوقفتها علی المدرسین الذین یدرسون فی هذه المدرسه و من أشهر المدرسین فیها الشیخ محمد جعفر الأسترآبادی المتوفى سنة ١٢٦٣ ه قال شیخنا آغا بزرك الطهرانی (.. فاجتمع (فتح علی الشاه) بالمرجم و عرف فضله فطلب منه المجيء إلى طهران فأجابه و لما حلها عين له السلطان دارا متصله بدور السلطنه فی جنب (مدرسه الحكيم هاشم) التي عمرتها أم السلطان و تعرف تلك المدرسه من أجل ذلك ب (مدرسه مادر شاه..). (٢)

و وصفها الوزير الایرانی المیرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فی كتابه (خیرات حسان) (.. صرفت جمیع عمرها فی بث الخیرات و الصدقات و قضاء حوائج الناس و العبادات..). (٣)

آشوبی النطنزی

المتوفى قبل سنة ١٠٠٢ ه.

كان أحد خطاطی الخط نستعلیق و شاعرا بلیغا فی القرن العاشر للهجرة فی أوائل حکومه الشاه عباس الأول الصفوی. و من آثاره دیوان شعر ذكره شیخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانی فی الذریعه إلى تصانیف الشیعه الجزء التاسع من القسم الأول ص ٧ عن كتاب گلشن ص ٦ و ذكره أيضا الدكتور مهدي البیانی فی كتابه (أحوال و آثار خوشنویسان) ج ١ ص ١ و لم أقف علی اسمه و سایر خصوصياته إلا أنه كان يعيش فی قزوین العاصمه فی العصر الصفوی قبل انتقال العاصمه إلى أصفهان(٤)

الأمیره آغا کوجک بنت الأمير سیف الله میرزا سردار مفخم القاجاری

من ربات الفصاحه و البلاغه فی القرن الثالث عشر للهجرة. أديبه فاضله شاعره متكلمه ولدت فی البلاط القاجاری و ترعرعت فی سرادقات السلاطین و أخذت العلم علی جملة من أفاضل عصرها و نبغت فی الأدب و الشعر و كانت أمها الأمیره آغا بكم بنت المیرزا عبد الکریم من الأميرات الصفویات لذا ينتهی نسبها من جهة الأب إلى السلطان فتح علی شاه القاجاری و من جهة الأم إلى السلاطین الصفویه، و معتمد الدوله میرزا عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٤٤ ه من أعظم شعراء العصر القاجاری و مؤسس

جميعه نهضة التجدد الأدبي و احياء السبك الخراساني في الشعر الفارسي في أصفهان من أقرباء أمها، "ترجم لها الوزير ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنة في كتابه (خيرات حسان) ج ١ ص ١١ و ذكرها الأستاذ علي أكبر مشير سليمي في (زنان سخور) ج ١ ص ٨ و المحلاتي في (رياحين الشريعة) ج ٣ ص ٣٢٢. (٥)

آغنه دوست و يقال آغا دوست بنت درويش قيام السبزواريه:

وصفها صاحب مرآه الخيال في ص ٣٣٧ بأنها كانت عالمه فاضله، نابغه عصرها في علم العروض و القوافي و لها أشعار جيده ذكر ديوانها شيخنا آغا بزرگ الطهراني في الذريعة قال (ديوان آغنه دوست بنت درويش قيام السبزواري الفاضله الشاعره العالمه بالعروض و الشعر...) و ذكرها الأستاذ علي أكبر مشير سليمي في كتابه (زنان سخور) ج ١ ص ٨. و قد اعتبر الوزير الايراني ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنة في كتابه (خيرات حسان) آغا دوست و آغنه دوست اثنتين حيث ترجم لآغا دوست في ج ١ ص ١٢ و ترجم لآغنه دوست في ج ١ ص ١٥٣ من كتابه (خيرات حسان) و أما الأشعار المذكوره في ترجمه كل منهما فواحد، فالصحيح اتحادهما كما ذكرنا. (٦)

السيد آفات حسين ابن السيد مقصود حسين الرضوي:

ولد سنة ١٣١٢ و توفي في مدينه (بهاولنكر) في سنة ١٣٨٤ هـ و دفن بجوار المسجد الجامع بها.

ولد في مدينه بجنور التابعه للواء أوترپرداش في الهند ثم هاجر إلى العاصمه دهلي و أخذ العلوم الإسلاميه من الفقه و الأصول على علماء الشيعه هناك و منها توجه إلى لکنهو إحدى المراكز الشيعيه في الهند و تخرج في مدارسها الدينيه و أخذ الطب على الطبيب الشهير مني آغا ثم توجه إلى مدينه ملتان و استقر هناك و قام بالوظائف الشرعيه من الوعظ و التبليغ و الإرشاد فانتهت هناك إليه المرجعيه الدينيه. هذا و كان عمده وارداته من مهنته الطبيه (٧)

آمنه الصدر المعروفه ب بنت الهدى بنت السيد حيدر بن السيد إسماعيل

الصدر:

ولدت في الكاظميه سنة ١٣٥٦ هـ و استشهدت مع أخيها السيد محمد باقر الصدر في بغداد ١٩ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ.

فقدت والدها في أوائل عمرها و أخذت العلوم الإسلاميه عن أخيها و شريكها في النضال و الجهاد ضد الطغمه الفاسده في العراق السيد محمد باقر الصدر حتى حصلت من العلم و الثقافه العاليه ما جعلها من أندر و أعلم نساء عصرها و قد اشتغلت في مدارس الزهراء الأهليه للبنات فتره من الزمن و كانت تقود النساء المسلمات في العراق و لها نشاط إسلامي و علمي عظيم كتبت و نشرت في الصحف العراقيه مقالات بتوقيع - بنت الهدى - لها مؤلفات عديده مخطوطه و مطبوعه من كتبها المطبوعه أمنيه و دعوه للمرأة المسلمه، بطوله المرأة المسلمه، الفضيله تنتصر، كلمه و دعوه، المرأة مع النبي، المرأة و حديث المفاهيم الإسلاميه (طبع بتوقيع أم الولاء)، صراع و هو مجموعه قصصيه نشرتها بتوقيع - بنت الهدى - في النجف ١٩٧٠ م، و غير ذلك.

في يوم الثلاثاء ١٧ رجب سنة ١٣٩٩ هـ دخل ما يقارب المائتي مسلح من جماعه النظام بيت أخيها و القوا القبض عليها و على

أخيها السيد محمد باقر الصدر ثم أطلق سراحهما بعد مدة من الزمن و في جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ألقى القبض عليهما ثانيه و
استشهدت مع أخيها. (٨)

ص: ٤

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- آغا بزرك الطهرانى الكرام البرهه ج ١ ص ٢٥٤ الطبعة الأولى.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٤- الصالحى.
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٧- الصالحى.
 - ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

السيد إبراهيم بن محسن بن زين العابدين الحسيني الجورسري الرامسري.

توفي في سنة ١٢٧٣ في رامسر.

ولد في رامسر(١) و تعلم المبادئ بها ثم ذهب إلى أصفهان و اشتغل بتحصيل الطب و برع في هذا العلم ثم رجع إلى موطنه و اشتهر بالحكيم له مؤلفات في الطب توجد عند أحفاده(٢).

الشيخ إبراهيم بن المولى الشيخ عبد الرسول الحموزي النجفي

ولد في النجف سنة ١٣١٥ هـ و توفي في خارج مركز مدينة الناصرية ١٣٧٠ هـ فحمل إلى النجف الأشرف و دفن بها.

خطيب، فقيه، أديب، شاعر ولد في النجف و نشأ بها و درس على أبيه و على جملة من أكابر العلماء في النجف.

من شعره قوله يرثي الحسين (ع) من قصيده:

ظلماته عصابه الشرك ظلما و سقته الردى يد العدوان

منعوه من الورود لماء و بكفيه يلتقى البحران

و أثاروا عليه حربا عوانا و استثاروا كوامن الأضغان

حر قلبى له و روحى فداه من وحيد يجول فى الميدان

الشيخ إبراهيم بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد أطميش النجفي:

ولد في الشطره سنة ١٢٩٢ هـ و توفي في النجف الأشرف سنة ١٣٦٠ هـ.

آل أطميش من الأسر النجفيه المعروفه نبغ منها غير واحد من العلماء و الشعراء هاجر من لواء المتفكك بعض رجالها إلى النجف لطلب العلم و ترجم بنسبها إلى قبيله ربيعه احدى القبائل العراقيه الكبيره المتعدده الفروع و هم من أحد أفخاذها المعروفين ب (اليسارجه) و كان أول من هاجر إلى النجف و غرس بذره العلم فى هذه الأسره الشيخ أحمد أطميش فى النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجره و يقال فى سبب تسميه هذه الأسره ب (أطميش) انه كان أشهب اللون شديد البياض على خلاف ما كان عليه أفراد قبيلته من سمره اللون فعرف باطميش على اللغه الشعبيه و وصف هذه الأسره الشيخ جعفر محبوبه فى كتابه ماضى النجف و حاضرها (.. كانت هجره بعض أولاده إلى النجف و كانوا موضع احترام و تبجيل بين الطبقات النجفيه من أهل العلم و الأدب و لهم علاقته أكيدة و مصاهره مع آل الشيبى و بعض البيوت العلميه الأخرى و لا تزال دورهم فى محله البراق معروفه و

مشهوره و فيها بعض قبورهم و قد انتقل بعض دورهم إلى آل الشيبى بالإرث و لا تزال بأيديهم حتى اليوم و خلت النجف اليوم من آل أطمش و لهم بقيه فى الشطره و بعض الأنحاء العراقيه الأخرى(٣) و من اعلام هذه الأسره المترجم له كان من حمله العلم و أهل الفضل و الأدب و من الشعراء المجيدين ولد فى مدينه الشطره و فيها أخذ الأوليات فى العلوم من تعليم القرآن و الكتابه إلى غير ذلك ثم هاجر إلى النجف الأشرف و هو ابن خمس عشره سنه أخذ المقدمات و السطوح و الأدب على جملة من أفاضل النجف منهم الشيخ عبد الكريم الجزائرى و الشيخ جواد البلاغى و السيد محمد حسين القزوينى و تخرج فى الفقه و الأصول على الفاضل الإيروانى و الشيخ محمد الشريانى و الشيخ حسن المامقانى و السيد كاظم اليزدى و اختص أخيرا باستاذة الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء فكان من الملازمين له برز و كان من شعراء النجف فى عصره أليفا لجمع من الأدباء كانوا يأنسون به و يأنس بهم.

و هناك شعر كثير نظمته فى المناسبات المختلفه منه قوله مؤرخا الضريح الذى وضع فى سنه ١٣٥٥ هـ على مرقد السيد أحمد بن هاشم الغريفى المشهور بالحمزه الشرقى:

مقامك يا بن حيدر مقام به الأملاك تنزل ثم تصعد

تبين به المعاجز كل يوم و ضوء الشمس باد ليس يجحد

عكوبا حوله الزوار تتلو و خير الذكر " صل على محمد "

رقدت من النعيم بخير دار و أفضل بقعه و أجل مرقد

أضف عدد الأئمه ثم أرخ على أوج السماك ضريح أحمد

و له شعر راثيا الشيخ محمد طه نجف المتوفى سنه ١٣٢٣ هـ من قصيده:

لا تأمنن غدر الزمان العادى من بعد نازله بخير عماد

هيهات أن يصفو الزمان و خلقه سقم الكرام و صحه الأوغاد

شلت يد الدهر الخئون فإنها ذهبت من العلياء بالأمجاد

و انجاب عن أفق الهدايه بدرها الموفى السنا فخبيا ضياء النادى

يا ناعى الشرع الشريف و معدن الدين الحنيف و مقصد الوفاد

أوحشت ريع العلم حتى لم يكن من رائح فيه و لا من غاد

و نعت للأفق الرفيع كواكب الشرف المنيع و كل بدر هاد

من بعده يولى الندى لبنى الرجا كرما و ينقع من غليل الصادى

فهو الذى كانت مواهب فضله للناس كالأطواق فى الأجياد

ما خص فادحك الغرى و إنما سارت نوادبه بكل بلاد

و من نظمه مادحا الشيخ أحمد كاشف الغطاء:

رقت من الدهر يا بشرى أوقات للأنس فيها إعادات و عادات

و قد تجلت رياض البشر ناضره تجلى لخمير الصبا فيهن كاسات

ص: ٥

١- رامسر تقع على ساحل بحر الخزر (بحر قزوين) و كانت تسمى قبل حكمه رضا البهلوى ب (سخت سر) و هى من مدن تنكابن الواقعه بين مازندران و جيلان.

٢- الشيخ محمد السماوى من كتابه (بزرگان رامسر).

٣- الشيخ جعفر محبوبه ماضى النجف و حاضرها ج ٢ ص ١ المطبعه العلميه النجف سنه ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

و الورق تقصح عن لحن له رقصت من الحسان غداه اللهو قينات
و الروض تضحك عن زهر خمائله مطلوله فوقها تبكى الغمامات
يا حبذا زمن اللذات: إن به وافت إلى مع البرق البشارات
مسره ترقص الأغصان بهجتها شوقا فكيف إذا وافت مسرات
و الراح يسعى بها للصب ذو هيف و ما سوى ثغره المعسول راحات
كان راحته فى راحه جهلت فما تبين لها فى الشرب جامات
نعيم وجته كالنار ملتهب فأعجب لخد به نار وجنات
يا بدر طالعت فى خديك لى شبعا كان خديك للراءين مرآه
عليك أقسم فى لام العذار أما للصب منك بواو الصدغ عطفات
أديم خدك مصقول أخال به عكسا بان خيال الهدب خالات
بالله يا حكمى عطفنا على فلى إن جرت أحمد تخشاه الحكومات
كأنه البدر فى أفق الفخار و قد دارت عليه من الطلاب هالات
أنى يضل سبيل الرشده طالبهم و ذا محياه مصباح و مشكاه
أجاب داعى الهدى لما أثناب به و للكرام إذا تدعى إجابات
قرت بطلعته عين الكمال و كم له من الله عن نقص عنايات
يفرق المال و التفريق سيئه لله كم أحسنت تلك الاساءات
للفضل و الجود و التقوى أضيف فكم تتابعت منه فى العليا إضافات
لا تعجبوا إن طغت كالبحر راحته فتلك أيدى نداء جعفریات
علائم العلم شعت فى أسرته و للعلوم كما قالوا: علامات
بالمسك يكتب فى طرس الهوى قلم سطورها حين تملى عنبریات

علامه العصر و الأحكام شاهده و ليس تنكر منهن الشهادات

سمعا أبا الفتح فالفتح المبين أبا تنمى لغيرك فى الدنيا الفتوحات

رايات فضلك يوم الفخر خافقه عنها نكصن من الحساد رايات

راموا سباقك للعليا و أذرعههم عن قيد فترك لو قيست قصيرات

يا آل جعفر هذا عهد جدكم جدتموه و ذى تلك الزعامات

كشف الغطاء لكم ينمى فعلمكم فى الدين و حى مبين و انكشافات

شمل العلى بينكم ما انفك مجتمعا و شمل وفركم للوفد أشتات

منكم (على) المعالى من سمت شرفا مناقب من مساعيه و ضيئات

أخبار فضلكم صحت روايتها نقلا فهن صحيحات صريحات

دمتم بدورا بأفاق الهدى سفرت و ليس تبعدكم عنها انتقالات

و ديوان شعر كبير فى عده مجلدات. (١)

الشيخ أبو تراب الشهيدى القزوينى ابن الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن

الشهيد الثالث آل الشهيدى:

ولد فى قزوین سنة ١٢٧٨ هـ و توفى فى سلخ ذى القعدة سنة ١٣٧٥ هـ فى طهران.

أخذ المقدمات و السطوح على جملة من علماء المدرسه الصالحيه بقزوین ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فحضر فى كربلاء المقدسه على مدرس الطف الشيخ الميرزا على تقى الحائرى آل الصالحى و الشيخ الميرزا علامه آل الصالحى ثم توجه إلى النجف و أخذ الفقه و الأصول عن الآخوند ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد كاظم اليزدى صاحب العروه الوثقى و حصل على إجازات من مشايخه المذكورين و له إجازة من الشيخ فضل الله النورى مؤرخه ٥ ذى الحجه سنة ١٣٢٦ هـ ثم رجع إلى موطنه قزوین سنة ١٣٣٠ هـ و تصدر للتدريس و الفتيا و إداره الأمور الشرعيه و رجع إليه الناس ثم طلب منه أهالى طهران الهجره إليهم فأجاب و سكن طهران و كان من مراجع التقليد و اشترك فى الانقلاب الدستورى فى إيران (المشروطه) و كان من دعائمها و هو سبط الشيخ محمد صالح البرغانى شقيق جده المولى الشهيد الثالث و له مؤلفات منها تفسير للقرآن الكريم باسم (التبيين فى شرح آيات القرآن الحكيم) فى خمسہ أجزاء ضخام فرغ من تبييض الجزء الخامس منها فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ هـ، و كتاب فى الاستصحاب و مباحث الألفاظ، و كتاب فى أقسام النجاسات و أحكامها، و رساله فى

الخراج و المقاسمه، و له مؤلفات مطبوعه منها رساله فى التوحيد، و تفسير آيه النور.

و بعد الحرب العالميه الأولى نرح إلى العراق و سكن كربلاء و ساهم فى الثوره العراقيه الكبرى على بريطانيا و حين أراد الإنكليز القبض عليه هرب إلى إيران ثانيه. (٢)

السيد أبو جعفر الامام بن المير محمد حسين الآخوندى التنكابنى:

ولد فى حدود ١٢١٠ فى تنكابن و توفى بها قبل سنه ١٢٨٥.

درس المقدمات و السطوح فى موطنه ثم ذهب إلى الأعتاب المقدسه و حضر على أعلامها ثم رجع إلى موطنه و قام بالوظائف الشرعيه إلى أن توفى بها - و هو خال الميرزا محمد التنكابنى مؤلف كتاب قصص العلى [العلماء]. (٣)

ص: ٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ محمد السامى.

آمنه بنت عباد بن علي بن حمزه الطباطبائي العلوي الأصفهاني:

عالمه فاضله محدثه ذات صلاح و دين و من ربات الفصاحه و البلاغه و المحدثات في أواخر القرن الخامس و مطلع القرن السادس للهجرة في أصفهان.

سمعت الحديث من أبي محمد رزق الله التيمي و تصدرت للتدريس باصفهان ذكرها الأستاذ عمر رضا كحاله في أعلام النساء عن كتاب التجيرللسمعاني المخطوط قال (آمنه بنت عباد بن علي بن حمزه بن طباطبائي العلوي: محدثه من محدثات القرن الخامس و السادس للهجرة باصفهان سمعت على الامام أبي محمد رزق الله التيمي) و نقل عنه المحلاتي في رياحين الشريعة ج ٣ ص ٣٢٣. (١)

أقول أسرتها آل الطباطبائي في أصفهان من أشهر الأسر العلميه في أصفهان و أعرقها في الزعامه و الرئاسة و الجاه نبغ منها علماء أعلام و شعراء أفذاذ و تفرعت إلى بطون و فروع يطول علينا شرحها نرح قسم منهم إلى العراق و الخليج الفارسي و من أشهر هذه البطون في العراق آل الحكيم الذين نزحوا في العصر الصفوي إلى النجف الأشرف و آل بحر العلوم و آل الطباطبائي صاحب الرياض في كربلاء و آل البروجردي في قم و بروجرد و غيرهما من الفروع و البطون. (٢)

آمنه بنت أبي محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا:

بن السبيع بن المهنا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن

الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب - ع - العلوي الحسيني المدني البغدادي.

كانت حيه في رجب سنة ٥٦٠ هـ.

عالمه فاضله محدثه فقيهه من أكابر نساء الشيعة في مطلع القرن السابع للهجرة في بغداد.

ولدت في بغداد و قرأت على أبيها الشريف قريش البغدادي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ ثم حضرت على الشيخ أبو طالب المبارك بن علي بن محمد بن خصير الصيرفي البغدادي و قد قرأت عليه كتاب (فضل الكوفه) تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن الحسيني الشجري المتوفى سنة ٤٥٥ هـ و قد كتب أبوها الشريف قريش بخطه الشريف في آخر النسخه من كتاب (فضل الكوفه) في مجالس آخرها يوم الثلاثاء عاشر رجب سنة ٥٦٠ هـ و قرأت معه زوجته شرف النساء بنت أبي طالب أم المترجم لها الآتي ذكرها و أولاده محمد و آمنه (المترجم لها) و بنته الأخرى فاطمه (٣) الآتي ذكرها و هذه النسخه النفيسه من كتاب (فضل الكوفه) من مخطوطات المكتبه الظاهريه بدمشق و نسخه فتوغرافيه منها في مكتبه أمير المؤمنين العامه في النجف الأشرف. (٤)

آمنه بنت فتح علي خان دولوي القاجاري:

من ربّات الفصاحه و البلاغه و عالمه فى الفنون العسكريه شجاعه توفيت سنه ١٢٣٠ هـ و نقل جثمانها إلى العراق و دفنت فى الروضه الحسينيه.

تزوجها فتح على الشاه القاجارى و هى أم ولى العهد عباس ميرزا قيل انها كانت تشارك مع ولدها عباس ميرزا فى الحروب بكل بساله و شجاعه و تبدى رأيها فى الفنون العسكريه و فى الأعياد و المناسبات الرسميه كانت فى مقدمه صفوف المستقبلين تقف بجانب زوجها فتح على الشاه القاجارى و كان الشاه يستشيرها فى إداره أمور الدوله و يأخذ برأيها.

ذكرها الأمير عضد الدوله سلطان أحمد ميرزا فى كتابه (تاريخ عضدى) ص ١٢ و ١٦٦ و ٣٠١.(٥)

السيد إبراهيم بن أبو الحسن بن هادى بن محمد رضا الحسينى التنكابنى

القزوينى:

ولد حدود ١٢٥٥ و توفى بقزوین سنه ١٣٢٤.

مرت ترجمته فى الجزء الثانى / ١١٥ و نزيد عليها هنا ما يلى:

تنكابن - بضم التاء و سكون النون.. مقاطعه تقع بين مازندران و جيلان على ساحل بحر الخزر - بحر قزوین - طولها أكثر من خمسه عشر فرسخا و عرضها خمسه فراسخ تقريبا فيها عدده مدن و قرى.. منها، مدينه رامسر، و شهبوار، و خرم آباد، جالوس.. و السيد إبراهيم قرأ المبادئ و المقدمات عند والده و بعض الأعلام فى مدينه قزوین ثم هاجر إلى النجف الأشرف و أدرك قليلا من درس الشيخ الأنصارى ثم حضر عند أعلامها و اختص بالميرزا حبيب الله الرشتى.

و فى أوائل القرن الرابع عشر رجع إلى قزوین بطلب من أهاليها و اشتغل فيها بالتدريس و التأليف و الامامه و بنى مدرسه هناك للطلاب و من مؤلفاته:

١ - منظومه فى أصول الفقه.

٢ - منظومه فى فنون البلاغه.

٣ - كتاب الأربعين.(٦)

الميرزا إبراهيم بن الميرزا شاه حسين الأصفهانى القزوينى

توفى فى قزوین سنه ٩٨٩ هـ و دفن فى سرداب الإيوان الشمالى من روضه شاه زاده حسين ابن الامام الرضا ع بقزوین.

شاعر أديب لغوى متبحر نحوى متفنن خطاط ماهر ولد فى أصفهان و أخذ العلم من أعلامها و كان والده الميرزا شاه حسين

المقتول في ٢٨ جمادى الأولى سنة ٩٢٩ هـ من كبار البلاط الصفوى و وزير الشاه إسماعيل الصفوى (٩٠٦ - ٩٣٠ هـ) و بعد قتل أبيه تدهورت حالته المعاشيه مما اضطره إلى الهجره فى سنة ٩٥٠ هـ إلى قزوین فاستقبله علماء و أدباء و شعراء و فضلاء قزوین و التفوا حوله و كان حاد الذكاء قوى الأسلوب فتمكن من التركيز فى المجامع العلميه و كانت له حوزة معموره و له نظم فى أسلوب بديع و ترك شعرا كثيرا.

و من آثاره ديوان شعر و كتاب فرهنگ إبراهيمى و يقال فرهنگ جهان گشا و يقال فرهنگ مختصر و يقال فرهنگ فارسى، كلها متحده منها نسختان فى مكتبه جامعه طهران و نسختان فى مكتبه سبها سالار و مجلس الشورى (مجلس النواب) بطهران ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى موسوعته الذريعه تاره بعنوان فرهنگ جهان گشا و طورا بعنوان فرهنگ فارسى ثم ذكر اتحادهما.

ذكر المترجم له صاحب كتاب (عالم آراى عباسى) و قال: له كتاب فرهنگ جمع فيه اللغات المتداوله فى شعر الشعراء القدماء و فسر معناها. و أشار إليه الدكتور مهدي البيانى فى كتابه (أحوال و آثار خوشنويسان) الجزء الأول صفحه ١٥-١٦ و ذكره من كبار الخطاطين فى العصر الصفوى. (٧)

ص: ٧

-
- ١- عمر رضا كحاله: أعلام النساء ج ١ ص ١٤ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م بيروت مؤسسه الرساله.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى، و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).
 - ٣- انظر الثقافات العيون فى سادس القرون ص ٢٣٧-٢٣٨ و الأنوار الساطعه فى المائه السابعه ص ١٣٦-١٣٧.
 - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى، و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٦- الشيخ محمد السامى.
 - ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الميرزا أبو الحسن بن حسين بن تقي الكلان محله اى الرانكوهى

التنكابنى الشهير بالجيلانى

توفى بعد سنه ١٣١٣.

ولد فى (الكلان محله) و هى من قرى تنكابن الواقعه بين رودسر و رامسر. كانت تابعه لتنكابن و هى حاليا تتبع محافظه جيلان. درس المقدمات و السطوح فيها و حضر عند الميرزا محمد التنكابنى مؤلف قصص العلماء برهه من الزمن ثم ذهب إلى طهران و من هناك ذهب إلى النجف الأشرف للدراسه و له مؤلفات منها.

١ - شرح قصيده الفرزدق الميميه ٢ - جامع المكاسب ٣ - ألغاز و مغالطه ٤ - الصيغ المشكله ٥ - سبب اختلاف الأخبار - ٦ - جامع المطالب ٧ - المعاد و التوبه ٨ - أحوال السيد محمد المجاهد ٩ - أحوال خواجه نصير الدين الطوسى ١٠ - و مجموعه جمعها سنه ١٣٠٥. (١)

السيد أبو الحسن بن هادى بن محمد رضا الحسينى التنكابنى:

ولد حدود ١٢٢٢ فى رامسر.

و توفى فى ١٩ ربيع الأول ١٢٨٦ فى قزوین و تعلم المبادئ و المقدمات تحت رعايه والده ثم ذهب مع أخويه السيد مرتضى و السيد صادق إلى أصفهان و حضر فى الفلسفه على المولى على النورى و فى الفقه و الأصول على الشيخ إبراهيم الكلباسى فلما توفى استاذ النورى ذهب إلى طهران ثم إلى قزوین و اشتغل فى الفقه و الأصول و الفلسفه و التفسير و الكلام على السيد هاشم القزوینى و السيد قوام الدين و المولى عبد الوهاب. و السيد على القزوینى - و امره استاذ المولى عبد الوهاب بالمهاجره إلى العتبات المقدسه. فنزل النجف الأشرف و حضر بحث الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر مده ثم ذهب إلى كربلاء المقدسه و حضر بحث السيد إبراهيم القزوینى صاحب الضوابط و عند ما هجم نجيب باشا على مدينه كربلاء فى سنه ١٢٥٨ تفرق أهاليها و رجع مع أقاربه إلى إيران فسكن قزوین بدعوه من أهاليها و اشتهر صيته فصار مرجعا بها. و تخلف بأولاده السيد إبراهيم و السيد زين العابدين و السيد على و السيد أحمد و له مؤلفات منها:

١ - البضاعه المزجاء. و هى رساله فى الوجود الكلى.

٢ - شرح نتائج الأفكار - فى أصول الفقه ٣ - براهين الأحكام فى شرح شرائع الإسلام فى الفقه.

٤ - حقائق الأحكام.

٥ - خطب أهل البيت و أشعارهم و أنصارهم.

٨ - باقيات صالحات - رساله فارسيه في بعض الأدعيه و الزيارات توجد نسخه منها في مكتبه السيد المرعشي العامه في مدينه قم. (٢)

السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني:

ابن السيد الميرزا إبراهيم المعروف بالسيد الميرزا خليل بن السيد مير رفيع بن السيد مير علي بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقاني الأصل القزويني المولد والمنشأ ولد في قزوين سنه ١٣٠٦ هـ كما حدثني بذلك و توفي في اليوم الأول من محرم الحرام سنه ١٣٩٦ هـ في طهران و نقل جثمانه إلى قم و دفن في روضه السيده المعصومه داخل الحرم الشريف في جامع فوق الرأس بجوار مرقد استاذه الشيخ عبد الكريم الحائري كان من مراجع التقليد و أئمه الفتيا و علماء الحكمه و الفلسفه في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري و آل الرفيعي من البيوتات العلميه العريقه في قزوين و ظهر منهم غير واحد من العلماء الأعلام ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري و اشتهروا بال الرفيعي منذ عهد جدهم السيد مير رفيع بن السيد مير علي بن السيد مير عبد الباقي المتوفى سنه ١٢٧٢ هـ الذي كان من أعلام القرن الثالث عشر و من علماء هذا البيت في القرن الثاني عشر السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقاني القزويني المولد سنه ١٠٨٩ و المتوفى ١١٧٥ هـ من تلاميذ الآغا جمال الخوانساري. و من أكابر هذه الأسره أيضا في القرن الثالث عشر السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح الطالقاني المولد في سنه ١١٥٥ و المتوفى سنه ١٢٤٠ هـ و غيرهم أخذ المترجم له المقدمات على جملة من أساتذته قزوين ثم حضر في السطوح على الشيخ ملا- علي الطارمي و الخارج على الشيخ ملا- علي أكبر السياه داني في المدرسه الصالحيه بقزوين ثم هاجر إلى قم فالتحق بحوزه الشيخ عبد الكريم الحائري المتوفى سنه ١٣٥٥ هـ و تخرج عليه في الفقه و الأصول ثم أولع بالحكمه و الفلسفه على كوكبه من فحول علماء الفلسفه منهم الشيخ الميرزا حسن الكرمانشاهي و الميرزا إبراهيم الزنجاني و السيد محمد التنكابني و الشيخ عبد النبي النوري و الشيخ محمد رضا النوري و الشيخ علي الرشتي و الميرزا محمود الرضواني القمي و الميرزا هاشم الإشكوري و غيرهم حتى عرف بالتحقيق و أصاله الرأي و غزاره الماده و الأفكار و نظرياته العميقه في حل معضلات المسائل الفلسفيه المعقده و انتهى إليه كرسى تدريس الفلسفه العاليه في قم فكان يدرس منظومه السبزواري و الأسفار لصدر المتألهين الشيرازي فخرج عليه جمع غفير من العلماء و الفضلاء، و من أشهر تلامذته مؤسس الجمهوريه الإسلاميه في إيران السيد روح الله الخميني و الشيخ حسن زاده الآملي أحد مدرسي الفلسفه الآن في قم و السيد جلال الدين الآشتياني و غيرهم من الأعلام و الفضلاء.

و المترجم له من رواد مدرسه صدر المتألهين الشيرازي و مجدد هذه المدرسه في العقد الثاني من القرن الرابع عشر و كان من أشد خصوم الشيخ أحمد الأحسائي المعادي لصدر المتألهين الشيرازي و يرد على الأحسائي بعنف في حواش له على كتاب (جامع الكلم) للأحسائي.

و كان يربطني مع المترجم له صله قرابه و عاشرته سنين فرأيته بحرا لا- ينال قعره و قد ترك مؤلفات قيمه و رسائل فلسفيه و

عرفانيه كثيره تدل على غزاره علمه و تبحره و رسوخه فى جميع أبواب العلم و فنون الإسلام منها حواشى على المنظومه للسيزوارى و حواشى على الأسفار لصدر المتألهين الشيرازى و حواشى على جامع الكلم للأحسائى ردا على الأحسائى و له كتب فقهيه تشتمل على كتاب الصلاه و الزكاه و الخمس و من مؤلفاته المطبوعه (اتحاد عاقل به معقول) تحقيق تلميذه الشيخ حسن زاده الآملى، الرجعه و المعراج، المعاد، هدايه الأنام، أسرار الحج حول عقائد الاماميه فى جزءين طبع مرارا، شرح دعاء السحر و له أيضا النظرية الجوهرية التي ترجمت إلى الفرنسية و له تفسير الحروف المقطعه للقرآن نشر منها تفسير (الر تلك آيات..). (٣).

أبو الحسن كوشيار بن لبنان

توفى بعد سنه ٣٥٠ [] بن الحسين بن عيسى بن مهدي الجبلى توفى بعد سنه ٣٥٠ حكيم رياضى من أعظم علماء الفلك، جامع العلوم و الفنون الإسلاميه.

ص: ٨

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ محمد السماحى [السامى].

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ولد في بيته شيعيه كيلان و نشا بها و كانت كيلان في القرن الثالث و الرابع احدى حصون الشيعة في إيران و اشتهر المترجم له في سنة ٣٥٠ هـ عصر الدولة البويهيه و قد هاجر من مسقط رأسه كيلان إلى قزوین و أخذ العلم عن جمله من علماء قزوین منهم على بن أحمد بن يوسف القزويني و أحمد بن محمد بن رزقه القزويني و غيرهم ثم هاجر إلى بغداد و حضر على علمائها حتى برع في مختلف العلوم و انتهى إليه كرسى التدريس في بغداد. و ذكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ جمله من مشايخه في تاريخ بغداد و سرد نسبه هكذا (كوشيار بن لياليزور بن الحسين بن عيسى بن مهدي أبو علي الجبلي سكن بغداد و حدث بها..).

و يروى الخطيب البغدادي عنه بواسطة ثلاثه رجال من مشايخه، و وصفه كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي قائلاً (كوشيار بن لبنان الجبلي اشتهر حوالي سنة ٣٥٠ هـ جريه - (٩٦٦ م) كان شيخا لعلي بن أحمد النسوي و أخذ من مؤلفات أبي الوفاء و ابن الأعلم المتوفى ٣٧٥ هـ - (٩٨٥) مو ذكره البيروني). ذكر شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهراني مؤلفاته في أجزاء الذريعة، و قال صاحب لطائف الظرائف رصد المترجم له في سنة ٤٥٩ هـ و تبعه حاجي خليفه في كشف الظنون و تنبه شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهراني إلى هذا السهو فرد عليهم و قال (... و في لطائف الظرائف قال انه رصده في ٤٥٩ و تبعه في كشف الظنون، و لعل التاريخ غلط كما ياتي.. و يروى الخطيب المتوفى سنة ٤٦٣ هـ عنه بواسطة ثلاثه رجال من مشايخه فتكون وفاته أوائل القرن الخامس و يكون ارضاده قبل سنة ٤٥٩ بكثير و ذكره في كشف الظنون.. و قال أرصده ٤٥٩..).

ذكره قطب الدين محمد اللاهجي الإشكوري في محبوب القلوب ص ١٥٤ و حاجي خليفه في كشف الظنون ج ٢ ص ٩٦٨ و ٩٧١ و ١٤٥٣ و ١٦٠٤ و ١٦٠٥ و ١٦٤٤ و ١٨٨٣ و وصفه البغدادي في هديه العارفين قائلاً (أبو الحسن كوشيار بن لبنان بن باشهري الجبلي بالياء المثناه و يقال الجبلي بالباء الموحد من جمله المنجمين سكن بغداد و مات في حدود سنة ٣٥٠ هـ صنف من الكتب..)(١).

ترك المترجم له مؤلفات هامه المعروف منها:

١ - الزيج الجامع و البالغ و يقال زيج كوشيار و عندنا منه نسخه قريبه من عصر المؤلف.

٢ - مقاله في الحساب.

٣ - الأسطرلاب.

٤ - تجريد أصول تركيب الجيوب.

٥ - أصول حساب الهند.

٦ - المدخل.

٧ - رساله الأبعاد و الأجرام.

و كلها من مخطوطات مكتبتنا في كربلاء. (٢)

الشيخ أبو الحسن المشكيني:

وجدت ترجمته بخطه محفوظه عند السيد مرتضى الخليلي. قال:

أبو الحسن بن عبد الحسين المشكيني الأردبيلي:

ولد في قرية من قرى مشكين في ست و ثلاثمائة و ألف من الهجره النبويه على مهاجرها ألف سلام و تحيه أو خمسه.

و اشتغل بتحصيل العلم على صغر في السن و هاجر إلى بلده أردبيل في عشرين و ثلاثمائة و ألف لتحصيل العلم و فرغ من جميع السطوح في ست سنين مع أنه ما كان يتيسر له الإقامة و الاشتغال بالتحصيل في كل سنه منها إلا مقدار سبعة أشهر. و اشتغل بالدروس الخارجيه سنتين فمدته إقامته في هذه البلده ثمان سنوات ثم هاجر منها في أواخر ثمان و عشرين و ثلاثمائة و ألف إلى النجف الأشرف زادها الله علوا و شرفا و كان يحضر بحث العلمين العلامةين آية الله الخراساني و شيخ الشريعة الأصفهاني أصولا و فقها و بعد ما توفي آية الله الخراساني طاب ثراه كان يحضر بحث تلميذه المحقق التقى و المدقق النقي حجة الإسلام و المسلمين الشيخ على القوجاني طاب ثراه أصولا- و فقها ثم هاجر في أول سنه سبع و ثلاثين إلى كربلاء و قطن فيها سنتين و حضر بحث الورع التقى العلامة العلامة آية الله في الأنام الآغا ميرزا محمد تقى الشيرازي و بعد وفاته في شهر ذى الحجه في الليله الثالثه منها سنه ثمان و ثلاثين رجع إلى النجف الأشرف و صار مشغلا بالتدريس و التأليف و خرج من قلمه إلى الآن و هو سبع و خمسون و ثلاثمائة و ألف من الهجره النبويه كتابه في الأصول علقها على كفايه الأصول و هو مجلدان و طبع المجلد الأول المتعلق بمباحث الأصول.. إلى آخره

السيد الميرزا أبو الحسن الأنكجي:

ولد في تبريز سنه ١٢٨٢، و توفي فيها سنه ١٣٥٧.

اشتغل بالتحصيل في صغره ثم هاجر إلى العراق سنه ١٣٠٤ هـ و مكث في النجف الأشرف حتى سنه ١٣٠٨ هـ و تتلمذ لدى الأساتذه: الفاضل الشرياني و الميرزا حبيب الله الرشتي و الشيخ حسن المامقاني.

كان من كبار علماء تبريز في عصره و أعظم الفقهاء في إيران و كان مرجعا للتقليد و مفتيا بارعا، ذا وقار و سكينه و حافظه قويه و كثيرا ما كان يفتي من دون الرجوع إلى أي كتاب و نقل بعض من عاصره و عاشره، غرائب و طرائف من قصص حافظته و كان في أواخر أيامه قليل الكلام. و في سنه ١٣٤٧ هـ وقعت فتنه بهلوى في إيران، تلك الفتنه التي عارضها العلماء الأحرار الدينيون و هو أحدهم و في طليعتهم. فاقصى إلى المشهد الرضوى ثم رجع إلى تبريز و مكث هناك بقيه عمره.

من آثاره في الفقه

ازاحه الالتباس عن المشكوك فيه من اللباس طبعت سنه ١٣١٣. (٣)

محمد بن محمد بن الحسين الحسيني البلخي

و ينتهي نسبه إلى أبي عبد الله الأعرج.

كان حيا سنه ٦٧٦ هـ.

من علماء الشيعة البارزين في بلخ و أكابر المحدثين في القرن السابع للهجره.

آل البلخي

من الأسر العلويه الحسينيين المنتسبين إلى أبي عبد الله الأعرج نبغ منهم علماء أعلام و نقباء و زعماء كبار في بلخ و خراسان منهم الامام الأجل ضياء الدين أبو الحسن محمد بن الحسين الحسيني الأعرجي البلخي المتوفى سنه ٥٣٧ هـ والد نظام الدين محمد و الحسن رئيس خراسان و غيرهم و منهم المترجم له، كان من علماء بلخ و من آثاره المطبوعه ترجمه كتاب (فضائل بلخ) تأليف صفى الدين شيخ الإسلام أبي بكر عبد الله بن عمر بن محمد بن داود الواعظ البلخي ألفه بالعرييه في رمضان سنه ٦١٠ هـ و ترجمه إلى الفارسيه المترجم له سنه ٦٧٦ هـ و طبعت الترجمة الفارسيه بطهران

ص: ٩

١- إسماعيل باشا البغدادي: هديه العارفين ج ١ ص ٨٣٨.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السيد إبراهيم السيد علوى.

بتحقيق و تقديم عبد الحى الحبيبي الأفغانى و ذكره شيخنا الأستاذ آغا يزرك الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة و فصل عنه عبد الحى الحبيبي الأفغانى فى مقدمه الترجمة الفارسيه و ذكر تاريخ أسرته.(١)

السيد أبو القاسم التنكابنى:

ولد فى تنكابن و نشأ بها ثم توفى حدود ١٣٥٥ هـ. ذهب إلى النجف الأشرف و حضر على أعلامها و اختص بالشيخ شعبان الجيلانى ثم انصرف إلى التدريس إلى أن توفى.(٢)

أحمد بن الجزار:

أشاره

ولد فى القيروان (تونس) سنة ٢٨٥ و مات فيها سنة ٣٦٩ و لا بد قبل الحديث عنه من الحديث عن أسرته، و هو ما كتبه عنه و عن الأسره المؤرخ التونسي حسن حسنى عبد الوهاب.

بنو الجزار

فى أواخر الدوله الأغلبيه اشتهر بالقيروان أفراد بيت واحد برعوا فى علم الطب و احترفوا به فى حذق زائد و أمانه، و قد توارثوه خلفا عن سلف و تناقلوه ما يزيد عن المائه عام و هم:(بنو الجزار). و من دواعى الأسف أن أغفل أصحاب الطبقات تراجمهم و لم يذكروا لنا منهم سوى واحد و هو أحمد الذى غمرت شهرته بقيه الأسره.

أما (أبو بكر محمد بن أبى خالد بن الجزار) عم أحمد، فقد تلقى علم الطب فى صغره عن إسحاق بن عمران و عن تلميذه إسحاق الاسرائيلى كما أخذ عن زياد بن خلفون و عن غيرهم من أطباء بنى الأغلبي، و قد وصفه ابن أخيه و تلميذه أحمد فى تاليفه "نصائح الأبرار" فقال: "كان عمنا عالما بالطب حسن النظر فيه" - و ذكر فى كتابه هذا عدده أدويه و أشربه و معاجين و ترياقات ركبها عمه محمد، و قال: "و عالج بها ساده من ذوى الأقدار العالیه و أهل الترفه و النعمه" ثم قال: "قد جربتھا فحمدتها" - و يقصد بأهل الأقدار الخلفاء و الأمراء من الفاطميين برفاده و المهديه. و نقل ابن حماد(٣): ان ابن الجزار - أبا بكر - عالج المهدي عبيد الله فى مرضه الذى مات به و سقاه دواء (حب السورنجان) لنقرس كان يشكوه - سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٣ م) - و نعلم من ناحيه أخرى ان من كبار حرفاء أبى بكر بن الجزار الحاجب جعفر بن على البغدادي، حاجب المهدي، و يظهر من كلام ابن أخيه أحمد أن لأبى بكر هذا مؤلفات فى الطب و النبات و لم نقف على أعيانها و لا على أسمائها لفقدانها.

و كانت وفاه أبى بكر فى النصف الأول من القرن الرابع للهجره، و قد جاوز السبعين من العمر.

٢ - إبراهيم بن أبى خالد بن الجزار، هو أخو أبى بكر السالف و والد الطبيب أحمد.

كان ممن تعلم الصناعه الطبيه و زاول فنونها مع أخيه، و كان يباشر مهنة الكحاله فى القيروان فى آن واحد مع أخيه، و لا ندرى من أخباره إلا ما ساقه ابن جلجل فى ترجمه ولده أحمد حيث يقول: "هو طيب ابن طيب و عمه أبو بكر طيب" و فى يقيننا أن

شهره ابنه أحمد حولت أنظار الباحثين عن أخبار سلفه، و ذلك لنبوغه النادر و بعد صيته و كثره تصانيفه، و هو بلا ريب مفخره الأُسره.

أحمد بن الجزار

هو الدرہ الفريده من القلاده و إحدى المفاخر الدائمہ للعلوم للبلاد التونسيہ بل للعالم العربي بأسره، و نعى به أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد بن الجزار. و يكنى بأبى جعفر، ثالث الأطباء من أسرته الفاضله. ولد بالقيروان على عهد الأمير إبراهيم الثانى من بنى الأغلب، و أخذ عن عمه و أبيه.

و صحب كبير أطباء القيروان فى عصره إسحاق بن سليمان الاسرائيلى و استفاد من تعليمه كثيرا كما يذكره فى مصنفاة، و برع أحمد فى غير ما علم لا سيما فى الطب و الطبيعه و الفلسفه و التاريخ، و كان فى زمن دراسته على غايه من الاجتهاد فى البحث و حب الاطلاع و المواظبه. قال الطيب ابن جليجل:

"كان ابن الجزار من أهل الحفظ و التطلع و الدراسه للطب و سائر العلوم. حسن الفهم لها".

و لما آنس من نفسه حصوله على الملكة الكافيه و التدربه المطلوبه فتح باب داره لمعالجه المرضى، و ربما كان ذلك باشاره من أبيه و بالاجازه من معلميه.

يستفاد مما حكاه ابن جليجل و غيره انه كان قد بنى عند باب داره محلا مستقلا لعياده الزائرين، و اتخذ فيه قسما خاصا للصيدله أقعد فيه غلاما له يسمى "رشيقا" أعد بين يديه جميع الأدوية من معجونات و أشربه و مراهم و غير ذلك من المستحضرات، فإذا زاره المريض يفحصه مليا ثم يصف له ما يناسب من الأدوية و يكتب ذلك فى ورقه يتحول بها المريض إلى "رشيق" فيعطيه الدواء المشار به و يقبض الثمن، و كان أحمد يتفقد فى كل يوم قوارير الأدوية و يرى ما نقص منها و يخرج من داره إلى تابعه رشيق مقدار الأدوية الناقصه، و يحاسب غلامه على ما قبض من ثمن الأدوية المباعه، نزاهه بنفسه أن يأخذ من أحد شيئا.

قال ياقوت: "و كان له معروف كثير. و أدويه يفرقها على الفقراء" يعنى يوزعها على المعوزين بغير ثمن احتسابا لله.

و حكى ابن جليجل: "حدثنى عنه من أثق به قال: كنت عند ابن الجزار فى دهليزه و قد غص بالناس إذ أقبل ابن أخى القاضى النعمان، و كان حدثا جليلا بإفريقيه يستخلفه القاضى إذا منعه مانع عن الحكم، فلم يجد فى الدهليز موضعا يجلس فيه إلا مجلس أبى جعفر فخرج أبو جعفر فقام له ابن أخى القاضى على قدم فما أقعده و لا أنزله، و أراه قاروره ماء كانت معه لابن عمه ولد القاضى النعمان، و استوفى جوابه عليها و هو واقف، ثم نهض و ركب و ما كدح ذلك فى نفسه، و جعل يكرر المجرىء إليه بالماء فى كل يوم حتى برئ العليل - ابن النعمان القاضى" - قال ابن جليجل: قال لى الذى حدثنى: فكنت عنده ضحوه نهار إذ أقبل رسول النعمان القاضى بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه و معه منديل بكسوه هديه و ثلاثمائة مثقال، فقرا ابن الجزار كتابه و جاوبه شاكرا و لم يقبض المال و لا الكسوه. فقلت له: "يا أبا جعفر، رزق ساقه الله إليك، فقال لى: - و الله، لا كان لرجال معد [معز] (الخليفة الفاطمى) - قبلى نعمه".

اتفقت كلمه من ترجم لأحمد بن الجزار انه كان قد أخذ لنفسه مأخذا عجيبا فى سمته و هديه. و إنه لم يحفظ عنه مده حياته زله قط. و لا أخلد إلى لذه. و كان يشهد الجنائز و الأعراس و لا يأكل فيها، و لا يركب قط لأحد من رجال الدوله و لا إلى سلطانهم، إلا إلى أبى طالب أحمد بن عبد الله المهدي، عم الخليفه المعز، و كان له صديقا قديما، فكان يركب إليه يوم الجمعة من كل أسبوع لا غير. و زاد ياقوت "إنه لم يكن يقصد أحدا إلى بيته" لعلو همته و صيانتته.

و لربما يفهم من ذلك انه كان متكبرا و معجبا بنفسه، بل الأمر الواقع انه كان على خلاف ذلك، و قد تقدم انه كان يشهد جنائز الفقراء و يحضر أعراسهم. و من عادته انه كان ينهض فى كل عام إلى المرابطه فيذهب إلى

ص: ١٠

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- ابن حماد: كتاب أخبار بنى عبيد و سيرتهم، ط، الجزائر سنه ١٣٤٦ ص ١٥.

المنستير - و هو الرباط المشهور البركه - فيكون هناك طول أيام القيظ، ثم يعود منه إلى القيروان على ما جرت به عادة العلماء الزهاد المتواضعين.

و بالجمله لو أردنا استقصاء أخبار أحمد بن الجزار من الشيء القليل الذى وصل إلينا لطلال بنا الكلام و يكفى للدلاله ما نقلنا من كلام المتقدمين فيه و ما وصفوه به من الصفات النادره كقول ياقوت: "كان أحمد طبيبا حاذقا دارسا، كتبه جامعه لمؤلفات الأوائل، حسن الفهم لها، و كان مع حسن المذهب صائنا لنفسه".

و رأيت عبارته أوردتها المالكي عرضا فى كتابه. "رياض النفوس" تشير إلى أن ابن الجزار ربما كان يميل إلى شىء من التشيع. حيث قال: "كان ابن الجزار الطبيب على خلاف السنه" (1) و ربما كان ميله هذا لآراء الشيعة هو السبب الذى حمل أصحاب الطبقات من الأفارقة المالكيين على التغافل عن إيراد ترجمته فى مصنفاتهم، لأننا لم نر من بينهم من تكلم عليه لا بالكثير و لا بالقليل. و أول من أطال فى التعريف به هو الطبيب الأندلسى سليمان بن حسان المعروف بابن جلدجل، فجل أخباره منقوله عنه مع العلم بان ابن جلدجل قرأ الطب على بعض تلاميذ ابن الجزار.

و مهما يكن من إهمال أصحاب الطبقات لترجمته فان الأطباء التونسيين لم يرتابوا فى تقدير علم ابن الجزار الواسع و تعظيم قدره، و بالآخر الانتفاع بفوائده الغزيره. فقد قال الطبيب أحمد الخميرى - من الأطباء التونسيين فى القرن العاشر للهجره - فى "تحفه القادم" من تاليفه:

"إن غالب المصنفات الكبيره التى تنظر فى علم الطب، مصنفوها من غير هذا الإقليم الإفريقى، كابن سينا و الرازى و المجوسى و غيرهم، و المناسب النظر فى هذا الإقليم فى تصانيف ابن الجزار لأنه إفريقى، أما سائر كتب الطب فلا ينبغى لغير الطبيب الماهر المداواه بنصها على ما هى عليه إلا- بعد مراعاة قدر اختلاف الطبائع و اعتبار الأقطار و تأثير الأدوية فى قطر دون قطر، بحسب اختلاف عروض الأقاليم و العادات.. إلى آخره".

و لا مشاحه أن تأليف ابن الجزار نالت شهره بعيدة المدى حتى فى مده حياته. فهذا كشاجم الشاعر المشهور - و لم يدخل القطر الإفريقى - يقول فى مدح أبى جعفر أحمد و يصف كتابه "زاد المسافر".

أبا جعفر أبقيت حيا و ميتا مفاخر فى ظهر الزمان عظاما

رأيت على "زاد المسافر" عندنا من الناظرين العارفين زحاما

فأيقنت أن لو كان حيا لوقته يحنا لما سمي التمام تماما

(2) ساحمد أفعالا لأحمد لم تزل مواقعها عند الكرام كراما

و الواقع ان من يستعرض ما صنفه ابن الجزار من الكتب فى غير الماده الطبيه و من أبحاثه فى التاريخ و الفلسفه و الأدب، يتبين ما كان لهذا الفذ النابغ من الثقافه الواسعه الأفق و من قوه العارضه مما يجعله مفخره من مفاخر عصره، و يكفيه مزيه عن أبناء العربيه أن مؤلفاته الطبيه - لا- سيما زاد المسافر - حازت من العناية بها فى القاره الأوربيه ما جعلها تترجم إلى سائر اللغات العلميه

المنتشره فيها حينئذ، و تتخذ أصلا متينا للبحوث من لدن أطباء الافرنج فى القرون الوسطى - فقد ترجمت إلى اليونانيه و اللاتينيه و العبريه. و أخيرا إلى الفرنسيه. كما ستراه عند ذكر مصنفاته.

و لا ننس أن ابن الجزار لم يفارق بلاده قط فيما علمنا و لم يتعلم فى غير وطنه، و الأمر الوحيد الذى نقل فى ترجمته انه كان هم فى وقت ما بالرحله إلى الأندلس. و لم ينفذ ذلك.

و عاش ابن الجزار موقرا محترما فى البيئه التى قضى فيها حياته الطويله و قد بلغ من العمر الثمانين و ربما جاوزها. و مات عتيا بالقيروان سنه ٣٦٩ هـ (٩٨٠ م) على ما رواه المحقق ابن العذارى نقلا عن الرقيق فيما أظن.

و قد حصل اضطراب كبير بين من عرفوا به فى تعيين تاريخ وفاته.

فقد قال ياقوت انه "كان فى أيام المعز لدين الله فى حدود سنه ٣٥٠ هـ أو ما قاربها" و قال الحاجى خليفه فى كشف الظنون و كررها مرارا "المتوفى بعد سنه ٤٠٠" و هذا لا يصح أصلا. و آخر من ذكر ذلك المستعرب بروكلمان و جعل موته فى سنه ٣٩٥ هـ - نقلا لا محاله عن غيره. و الصواب ما أثبتنا آنفا.

و ترك أحمد ثروه لا يستهان بها. قال ابن أبى أصيبه: "وجد له أربعة و عشرون ألف دينار ذهباً. و عشرون قنطاراً من الكتب بين طيبه و غيرها".

و من أشهر الأطباء الذين تلقوا العلم و العمل عن ابن الجزار (أبو حفص عمر بن بريق الأندلسى) فإنه قدم إلى القيروان و لازمه مده، و أخذ عنه الصناعه و روى عنه تليفه ثم عاد بعد ذلك إلى الأندلس، و خدم بالطب الأمراء الأمويين خصوصا عبد الرحمن الناصر الذى استخلصه لنفسه. و ابن بريق هذا هو الذى ادخل كتب استاذه إلى جزيره الأندلس فتلقاها عنه جماعه من الأخصائيين بالصناعه الطبيه ما بين مسلمين و يهود و نصارى - منهم سليمان بن جلجل المتقدم - فراجت كتبه بينهم أيما رواج و ترجمت إلى لغاتهم كما ياتى بيانه.

و لأحمد بن الجزار مصنفات كثيره فى شتى العلوم و المواضيع و أهمها الطب، و هنا نذكر منها ما وصل إلينا خبره، آملين أن نتاح لنا أو لغيرنا الفرصه للوقوف على ما لم يذكر منها ليعرفوا بها.

فى الطب ١ - "زاد المسافر. و قوت الحاضر" فى علاج الأمراض، مجلدان و هو من أهم الكتب الطبيه العمليه التى وضعها المسلمون، و المظنون أن المؤلف أهداه إلى صديقه الأمير أبى طالب أحمد بن عبد الله المهدي كما يفهم من مقدمته الرائعه، و يوجد منه نسخ عديده فى المكتبات العموميه و الخصوصيه باروبا و بالمشرق، منها فى مكتبه الشعب بباريس و فى الجزائر و درسدن بالمانيا و فى البديله فى أكسفورد، و فى رنور بالهند و مكتبه هافانا بهولاندا و غير ذلك.

و قد اتجهت عنايه الباحثين إليه من زمان قديم. و تقدمت الإشارة إلى ما مدحه به كشاجم الشاعر. و أول من عرفه إلى العالم العربى هو الحكيم قسطنطين المشهور بالإفريقي الآتى ذكره، فقد عمد إلى هذا الكتاب حينما كان يرأس كليه (ساليرنو) فى جنوب ايطاليا و ترجمه إلى اللاتينيه فى أواسط القرن الخامس للهجره (الحادى عشر للميلاد) بعنوان (Peregrinantis

(Viaticum) و هي ترجمه كلمه "زاد المسافر" بالحرف لكنه نسب الأصل إلى نفسه، كما ترجم إلى اللغة اليونانيه باسم (Ephodes) و يوجد من الترجمتين نسخ عديده بمكتبات أوروبا. منها في باريس، و في المتحف البريطاني، و فيورنسا بايطاليا. و أقدم هذه النسخ هي المحفوظه بمكتبه الفاتيكان في رومه و تاريخها أواخر القرن العاشر للميلاد يعني بعد وفاه ابن الجزار بقليل.

و نقل زاد المسافر إلى اللغة العبريه طبيب مشهور من يهود الأندلسه.

ص: ١١

-
- ١- هذا القول من المالكي لا يدل على أن المترجم له ربما كان يميل إلى شيء من التشيع، بل يدل على انه كان من التشيع في الصميم. و عراقته في التشيع هي التي حملت أصحاب الطبقات من الأفارقة المالكيين على تجاهله و عدم ذكره "ح".
 - ٢- يشير إلى الطبيب البغدادي الطائر الصيت: يوحنا بن ماسويه.

يعرف بموسى بن طيبون. بعنوان (ترداد دراشم). و يوجد من هذا النقل أربع أو خمس نسخ بايطاليا و إنكلترا.

و نشر الحكيم شارل دارنبيير (Darembert) الفرنساوى فى خلال عام ١٨٥١ بحثا طويلا- عن زاد المسافر تحت عنوان Recherches sur une ouvrage qui a pour titre:zad al moucafir en arabe-Ephodes,en grec-Viaticum,en latin-et qui est attribue dans le texte arabe et grec a Abou Gafaret (١) dans le texte latin a Constantin (Gustave Duga) و كتب بعده المستعرب الفرنساوى كوستاف دوفا (Gustave Duga) مقاله ضافيه فى المجله الآسيويه فى عام ١٨٥٣ بحث فيها عن زاد المسافر و حلل فصوله و ابان فوائده و أهميته، و ترجم منه إلى الفرنسيه مقالتين و هما المتعلقتان بالعشق و بداء الكلب.(٢)

ثم جاء الحكيم التونسى أحمد الشريف و بعد أن عرف بابن الجزار ترجم إلى الفرنسيه أيضا من زاد المسافر ثلاث مقالات: فى أسباب سقوط الشعر، و فى الإغماء و علاجه، و فى دود المصران، نشرها فى أطروحته فى تاريخ الطب العربى بالقطر التونسى.(٣)
٢ - "العدة، لطول المده" - قال ابن أبى أصيبعة "هو أكبر كتاب وجدناه له فى الطب" و لا نعرف عنه شيئا.

٣ - "الاعتماد" - فى الأدوية المفردة، ذكر فيه الأدوية المفردة التى عليها اعتماد الأطباء فى معالجه الأمراض، يشتمل على أربع مقالات و قد ألفه لصاحبه الأمير أبى طالب بن عبد الله المهدي، و هذه النسخه مؤرخه بسنه ٥٣٩هـ. و عدد أوراقها ١٤٠، و منه نسخه موجوده بالجزائر و فى أياصوفيا و فى المتحف البريطانى. و كان الطبيب الأندلسى المشهور عبد الرحمن بن إسحاق ابن الهيثم انتقد هذا الكتاب فى بعض فصوله و سمي اعتراضه: "الاقتصار و الإيجاد، فى خطأ ابن الجزار فى الاعتماد" و ليس لهذا الرد وجود اليوم. و قديما ترجم كتاب "الاعتماد" إلى اللغة اللاتينية نقله إليها قسيس اسباني هو (اسطيفان السرقسطى) فى سنه ١٣٣٣ م (٧٣٤هـ) و سمي الكتاب (Pantegni) و المؤلف (ابن زيرار) و عربيه إلى (Filius Carnificis) و هذه الترجمة توجد مخطوطه فى مكتبه ميونيخ بالمانيا. و كتاب "الاعتماد" نقل أيضا إلى اللغة العبريه بقلم الطبيب موسى بن طيبون المتقدم.

٤ - كتاب "البغيه" - فى الأدوية المركبه. لا نعلم عنه شيئا.

٥ - "نصائح الأبرار" - و قد رأيت النقل عنه فى كثير من كتب الطب، من ذلك فى رساله "طب المشايخ" الآتى.

٦ - "قوت المقيم" - و هو غير زاد المسافر و قوت الحاضر المتقدم ذكره. و قال ابن أبى أصيبعة: "حكى الصاحب جمال الدين بن القفطى انه رأى له بقفط - فى مصر - كتابا كبيرا فى الطب اسمه "قوت المقيم" و كان عشرين مجلدا".

٧ - "المعدة و أمراضها و مداواتها" - جزء ذكره ابن الجزار فى كتابه "طب المشايخ" الآتى و نقل عنه.

٨ - "أصول الطب" - ذكره المؤلف فى كتابه "طب المشايخ".

٩ - "مجربات" فى الطب - جزء.

١٠ - "المختبرات" - جزء. و هو غير المتقدم قبله.

١١ - "البلغه" - فى حفظ الصحه - جزء.

١٢ - "الفرق بين العلل التى تشتهب أسبابها و تختلف اعراضها" - جزء.

١٣ - "أبدال الأدوية" - رساله. موجوده بمجموعه طبيه فى خزانه السيد أحمد خيرى فى البحيره بمصر. و هو ياتى عقب "طب المشايخ" و منه نسخه مصوره فى مكتبتى.

١٤ - "التحذر من إخراج الدم من غير حاجه دعت إلى إخرجه" - رساله.

١٥ - "طب الفقراء و المساكين" و هو غريب فى باب، موجود فى مكتبه غوطه، و الأسكوريال و قديما فى خزانه السيد عبد الحى الكتانى بفاس. و قد ترجم إلى العبريه قديما.

١٦ - "النصح" ذكره - فى "طب المشايخ" و قال إنه جمع فيه أدويه الملوك و الخواص.

١٧ - "طب المشايخ" - رساله تخرج فى عشرين ورقه عالج فيها الحالات التى تعترى المسنين و المعمرين و ما يجب عليهم اتباعه للمحافظه على العافيه و استدامه صحتهم، و هو الفن المعروف اليوم عند الافرنج باسم (Geronthologie) و هذه الرساله لم يرد ذكرها فى قائمه مصنفاته التى جلبها ابن أبى أصيبعه. و يوجد أصلها فى مجموع طبي مخطوط محفوظ فى مكتبه أحمد خيرى من أعيان البحيره فى مصر. و قد أتيح لى استنساخها و جلبها إلى تونس. و عساها تنشر مع ترجمتها و التعليق عليها.

١٨ - "سياسه الصبيان و تدبيرهم" - موجود فى مكتبه ننيانه بالبندقية بايطاليا و فى الأسكوريال. و منه نسخه مصوره بمكتبتى.

١٩ - "الخواص" - و قد ترجم قديما إلى العبريه.

٢٠ - "الزكام" - و أسبابه و علاجه، رساله.

٢١ - "الجدام" - و أسبابه و علاجه، مقاله.

٢٢ - "الوباء و نعت الأسباب المولده له فى مصر، و طريق الحيله فى دفع ذلك و علاج ما يتخوف منه" - جزء.

٢٣ - "المقعد" و أوجاعها - رساله.

٢٤ - "الحمامات" - منافعها و مضارها - مقاله.

٢٥ - "أسباب الوفاة" - رساله.

و له فى التاريخ و الجغرافيه:

٢٦ - "التعريف بصحيح التاريخ" - قال ابن أبى أصيبعه:

"يشتمل على وفيات علماء زمانه و قطعه جميله من أخبارهم" و قال ياقوت:

" رأيت كتابه "التعريف بصحيح التاريخ" فى مجلدات تزيد على العشر" و قد ينقل عنه كثير من المؤرخين و أصحاب الطبقات كالقاضى عياض فى "المدارك" و ياقوت فى حوادث سنة ٢٠٨ هـ (معجم البلدان ج ٢ ص ٦١ اسم طنبنده) و غيرهما - و لا أثر اليوم لهذا الكتاب.

٢٧ - "تاريخ الدوله" - و قيل "أخبار الدوله" يعنى الدوله الفاطميه.

و هو تاريخ حافل بسط فيه القول عن ظهور عبد الله المهدي بإفريقيه و انتشار ٧٠

ص: ١٢

١- ظهر هذا البحث فى مجموعه: ١١١P.٤٩٠-T.١٨٥١- Les Archivesdes Missions scientifiques Paris.

٢- ٢٨٩.P.١٨٥٣ Journal Asiatique.Paris.

٣- ٥١٢٧٠.P.P.٩٠٨ Dr Ahmed Cherif-Histoire de la Medecine Arabe en Tunisie Tunis

دعوته بها و سقوط دوله بنى الأعلب و ما حصل من الأحداث فى تلك المده.

و عنه ينقل المقريزى فى كتابه "اتعاظ الحنفاء" و غيره من المؤرخين. و الغالب على الظن أن قطعه منه محفوظه فى مكتبه غوطا و هى التى ترجم منها المستعرب نيكلسون Nicholson بحثه المنشور فى سنه ١٨٤٠ بعنوان:

Anaccount of the establishment of the Fatimite dynasty in Africa و لا يبعد أن يكون هذا الكتاب موجودا كاملا فى بعض خزائن الإسماعيليين (البهره) بالهند.

٢٨ - "مغازى إفريقيه" - فى أخبار فتح العرب لبلاد تونس، و لم نر من بين المؤرخين من ذكره سوى أبى عبيد البكرى فى "مسالكه" فقد قال فيه: و قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيروانى فى "مغازى إفريقيه" و لا شك أن البكرى نقل عن إبراهيم الرقيق الذى استفاد من هذه المغازى ما أورد من أخبار الفتح فى تاريخه الكبير لإفريقيه. (١)

٢٩ - "طبقات القضاء" - و كأنه مخصص لتراجم العلماء الذين تداولوا على قضاء إفريقيه إلى عصره. ينقل عنه القاضى عياض كثيرا فى المدارك فيقول: قال ابن الجزار فى كتابه "طبقات القضاء" و لم يرد فى جملة مؤلفاته عند ابن أبى أصيبه.

٣٠ - "عجائب البلدان" - و قيل "عجائب الأرض" و هو فى تقويم البلدان و وصفها، ورد ذكره مرارا فى الكتاب المعروف بجغرافيه المأمون المنسوب إلى الفزارى، و نقل عنه فصلا فى وصف مدينه روميه، كما نقل ابن البيطار فى ماده (زمرد) قال: "قال ابن الجزار فى كتاب "عجائب البلدان" جبل الزمرد من جبال البجاه موصول بالمقطم جبل مصر" (٢) و ذكره فى كشف الظنون باسمه المتقدم و لم يزد عليه، و قد أخبرت ممن أثق به انه يوجد منه نسخه فى خزانه كتب الباشا المصلوحى قائد بنى رزين من بلاد غماره فى ناحيه الريف من المغرب الأقصى.

و له فى الأدب و غيره:

٣١ - "المكمل" - فى الأدب و السياسه.

٣٢ - "الفصول" - فى سائر العلوم و البلاغات.

٣٣ - كتاب "الأحجار الكريمه" - و معادنها و منافعها و خواصها، ذكره مرات كثيره التيفاشى القفصى الآتى فى تصنيفه "أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار"، و من جملة ما نقل عنه العبارة الآتية. قال أحمد بن خالد المعروف بابن الجزار فى كتابه فى الأحجار: "و عالجت أنا و صيفا الخادم (الفاطمى) صاحب المظله من حصاه عظيمه كانت به و امتنع من الفتح عليها بالحديد. فلما فعلت به هذا الفعل (يعنى إدخال مرود من فضه ألصق برأسه حجر الماس فى مجرى البول) تشلخت الحصاه حتى صغرت و سهل عليه خروج ما بقى منها مع البول" و نقل عنه أيضا فى الكلام على حجر المغنطيس و على الفيروزج و فى غير ما [] موضع من كتابه المتقدم - و لم نقف له على أثر.

٣٤ - "العطر" ذكره عرضا فى كتابه "طب المشايخ" و يظهر انه خصصه لصناعه الروائح العطريه و طرائق تقطيرها من النباتات و العقاقير التى يستخرج منها.

٣٥ - "النفس و اختلاف الأوائل فيها" رساله. - "النوم و اليقظه" - رساله. قال الحاجى خليفه: كتبها إلى ابن أبى فضاله المتوفى سنه ٣٦٠هـ و هو شخص لا نعرفه و يظهر انه كان من أصدقائه.

٣٧ - "الاستهانه بالموت" رساله كتب بها أيضا إلى بعض أحبابه.

و نختم هذه القائمه الطويله بذكر مخطوط مجهول المؤلف موجود فى المكتبه الظاهريه بدمشق عنوانه "طبائع العقاقير على مذهب ابن الجزار" و لا ندرى ما اشتمل عليه.

و ليس من شك ان لابن الجزار غير ما حصرنا من المصنفات. و ان طبيينا هذا محتاج لأن يوضع بحث مستقل فى ترجمه حياته و تحليل مؤلفاته.

و هو الأمر الذى نتمنى أن يقوم به بعض شبابنا التونسى المثقف.

و مما تقدم من إحصاء مآثره المتنوعه الأغراض فى مختلف العلوم و الفنون يتضح لك أن ابن الجزار كان فى المرتبه الأولى بين أعلام عصره من أصحاب الثقافه الواسعه المحيطه. و انه كان فى الضفئه الغريبه للعالم العربى بمثابه الفارابى و ابن سينا و البيرونى فى المشرق، فإنه درس مثلهم علم الأوائل - من إغريق و فرس و هنود و عرب - و هضم أقوالهم و استدرك عليها ما فاتهم و انتقدهم عند الحاجه، علاوه على ما استنبطته قريحته و دلته عليه تجاربه، و ساقته إليه اختبارات و فطنته الوقاده. و الله يؤتى الحكمه من يشاء.

أحمد الطيب التنكابنى بن الحسين بن أحمد:

ولد حدود ١٢٥٠ فى تنكابن و توفى بعد سنه ١٢٩٧ نشا فى تنكابن و بعد أن تعلم القراءه و الكتابه انصرف إلى تعلم الطب و برع فى ذلك له مؤلفات منها:

ترتيب فصول أبقراط فى الطب. (٣)

احمد بن الحسين المتنبى

اشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٥١٣ من المجلد الثانى، كما مرت دراسات عنه فى المجلد الثانى من المستدركات. و تنشر هنا بحثا عن رساله الحاتمى التى انتقد بها المتنبى، مكتوبا بقلم الدكتور عدنان قاسم:

اتجاه النقد فى رساله الموضحه لأبى على محمد بن الحسن الحاتمى لم تحظ رساله الحاتمى بكبير اهتمام من النقاد العرب المحدثين على الرغم من أنها أسهمت إسهما جادا فى تنشيط الحركه النقديه فى القرن الرابع الهجرى و ما بعده. كما أثارت

معظم القضايا النقدية التي عني بها الباحثون آنذاك.

ولما كانت هذه الرسالة النقدية تشكل مع بعض المؤلفات النقدية الأخرى - كالموازنة للآمدى و الوساطه للقاضى الجرجانى - الأسس الرئيسة التي يعتمد عليها الاتجاه الكلاسيكى المحافظ كان لا بد لنا أن نلقى مزيدا من الضوء تحليلا و تفصيلا حتى تتضح الرؤية النقدية التي ينطلق منها الحاتمي لتدعيم ذلك الاتجاه الذي كان يهيمن على النظرية الأدبية آنذاك، و يحتل فيها مكان الصدارة.

و لعل الذاتيه المسرفه و الأهواء المحمومه التي صدر عنها الحاتمي كانت من الأسباب التي أدت إلى عزوف الباحثين المحدثين عن العناية بهذا المؤلف. و لا- نحتاج إلى كبير عناء للوقوف على تلك الذاتيه الزاعقه بالهوى الشخصى. فالمؤلف يوفر علينا الجهد حين يستهل بحثه بتصويره المتنبى

ص: ١٣

١- البكرى - ص ٤٢ من الطبعة الثانية.

٢- كتاب جامع المفردات لابن البيطار ١٦٧:٢.

٣- الشيخ محمد السمامى.

متكبرا متعاليا مزهوا بنفسه يقول: "التحف [المتنبى] رداء الكبر، و أذال ذيول التيه.. و نأى بجانبه استكبارا، و ثنى عطفه جبريه و ازورارا، فكان لا- يلاقى أحدا إلا- أعرض عنه تيهها، و زخرف القول عليه تمويها يخيل عجا إليه، أن الأدب مقصور عليه، و أن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره، و روض لم ير نواره سواه، فهو يجنى جناه، و يقتطف قطفه دون من يتعاطاه..". (١) الرساله الموضحة ٦.

الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) كاتب شاعر ناقد، شهد له مؤرخو الأدب بوفره الاطلاع، و غزاره العلم، نقل عنه عدد من النقاد منهم ابن رشيق (ت ٤٥٦) و ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦) و أسامه بن منقذ (ت ٥٨٤) و قد ترك كثيرا من الكتب منها: حليه المحاضره، المجاز، الموازنه، المعيار، عيون الكاتب و غير ذلك. كما ترك رسالتين في نقد الشعر هما:

الرساله الحاتميه و الموضحة و هى موضوع بحثنا..

و قد أدى ذلك التصور بالحاتمي إلى أن يحمل على المتنبى، بل إنه يفاخر حين يعلن تحديه له، فيقول "نهدت له متبعا عواره، و مقلما أظفاره، و مديعا أسراره، و ناشرا مطاويه، و منتقدا من نظمه ما تسمح به..".

بل لقد خرج الحاتمي عن النقد الأدبي بعامه حين عرض لثياب المتنبى و هيئته فقال: "و دخلت فاعظمت الجماعه قدرى، و أجلستنى فى مجلسه، و إذا تحته أخلاق عباءه قد ألحت عليها الحوادث فهى رسوم دائره و أسلاك متناثره.. و حين لقيته تمثلت بقول الشاعر:

و فى الممشى إليك على عار و لكن الهوى منع القرارا

و إذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون، و كنا فى وغره القipzig و جمره الصيف، و فى يوم تكاد و دائع الهامات تسيل فيه..".

و يكشف الحاتمي - كذلك - عن ذلك الجو النفسى الذى دارت فيه تلك المبارزه التى نقد فيها شعر المتنبى و حكم على شاعريته بالسقوط، فقد صور ذلك بقوله "فجلست مستوفزا و جلس متحفزا، و أعرض عنى لاهيا و أعرضت عنه ساهيا. أؤنب نفسى فى قصده، و أسخف رأيها فى تكلف ملاقاته. فغبر هنيهه ثانيا عطفه لا يعيرنى طرفه، و أقبل على تلك الزعنفه التى بين يديه، و كل يومئ إليه و يوحى بطرفه، و يشير إلى مكاني بيده، يوقظه من سنه جهله، و يأبى إلا- ازورارا و نفاارا، و عتوا و استكبارا..". (١)

و قد كان لهذه الذاتيه المفرطه أثر كبير فى الحركه النقديه فى القرن الرابع و ما بعده، و حاول النقاد - من معاصرى الحاتمي - أن يكبحوا من جماح الهوى، و يضعوا القوانين الموضوعيه التى تضمن عدم الانحراف. كما أنهم نبهوا إلى خطوره العنصر الذاتى - إذا أسىء استغلاله - فى تعويق الفكر النقدى، و الوقوف فى طريق نضجه و اكتماله. و فى إطار ذلك دعا القاضى الجرجانى إلى الحكم العادل الذى لا يحيف عن الحق. يقول ".

ليس من شرط صله رحمك أن تحيف لها عن الحق، أو تميل فى نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج فى بابه إلى الإسراف، بل تتصرف كيف صرفك، و تقف على رسمه كيف وقفك..".

و يبين القاضى الأسباب التى تكمن وراء هذه الدعوه إلى الإنصاف فى الحكم النقدى، و يرجعها إلى موقف النقاد من المتنبي، و يذهب إلى أنهم انقسموا إزاء المتنبي فئتين: فمنهم من أظن فى تقيظه و منهم من بالغ فى الانتقاص منه، ثم يرى أن كلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه.. " (٢) و كان لموقف الحاتمى من المتنبي أثر كبير على النقاد بعده، " فكان كثير مما استخرجه من الأبيات المستهجنه لدى المتنبي هو ما استخرجه الحاتمى.. و ستكون حجج المؤيدين له منتزعه من الحجج التى وضعها الحاتمى على لسانه، كما أن شواهد خصومه هى الشواهد التى استخرجها الحاتمى من شعره.. " (٣)

الحاتمى ناقد كلاسيكى محافظ

احتدم الصراع الأدبى حول شاعرين كبيرين فى العصر العباسى كانا نقطه تحول خطيره فى تاريخ الحركة الشعريه و النظرية الأدبيه عند العرب هما أبو تمام و المتنبي، لأنهما حولتا مسيره الشعر العربى و واجها ذلك التيار القوى الذى كان يسيطر على الذوق الأدبى منذ أن عرف الشعر عند العرب. (٤)

و لعل أبا تمام كان أشدهما خطرا لأنه سابق زمنيا و كان من أوائل الشعراء الذين خرجوا على الأصول الفنيه الكلاسيكيه للشعر. و لكنه كان أولهم تعميقا لذلك الاتجاه و إبرازا له، بل و جعله مذهبا أدبيا عمل على ترسيخ أصوله. و قد عرف فيما بعد بالمذهب البديعى. و هو مذهب تجديدى. سار فى ركابه جمع من الشعراء و ساندته بعض النقاد، و إن كانوا قلة. و قد أدت نشأة المذهب البديعى إلى خلق بعض الظواهر النقدية التى لم تكن معروفه قبل ذلك من أهمها: القدم و الحداثه و ما يتصل بها من تفسير لعملية الخلق الفنى، منها ما يتعلق بالتقليد الذى يرتكز على ملء القوالب المعده سلفا التى ابتدعها الشعراء العرب منذ العصر الجاهلى أو التفرد الذى يخلو من كل تقليد و اتباع يلجا فيه الشاعر إلى ذاته و مكوناتها و طبعه المفطور.

كما وجدت ظاهره نقديه أخرى نقلت الصراع بين هذين الاتجاهين المتقابلين إلى دائره أخرى، دائره القوى المتحرره من أسر المنطق، و ما يفرضه من علاقات و القوى التى تعمل على استبداله بقوانين لا تخضع إلا للمنطق الخاص بالقلب الذى يحطم كل القوانين الخارجيه و يتمرد عليها تمردا محموما.

و كان الخيال محور ذلك الصراع، فالخيال الكلاسيكى خيال مصنوع حدوده ما يتقبله العقل و ما تقع عليه الحواس أو امكانيه وقوعها عليه. أما الخيال المحدث فهو الذى يفضى إلى خلق لون جديد من العلاقات المبتدعه التى تعلو فوق الواقع، بل و تشتط فى كثير من الأحيان، فتفلت من قبضه العقل، و تخرج من حدود مملكته.

و إذا كان قد وجد كثير من النقاد الذين يسندون الاتجاه الكلاسيكى - المتمثل فى عمود الشعر و ما ينضوى تحته من أصول فنيه - فان ناقدا واحدا فقط وقف إلى جانب الاتجاه المتحرر من أسر العمود هو عبد القاهر الجرجانى. (٥)

و يقف الحاتمى - فى مؤلفه الذى بين أيدينا - إلى جانب النقد الكلاسيكى فى مواجهه الاتجاه البديعى المحدث، ينتصر لعمود الشعر، يتخذ أصوله الفنيه قاعدته الصلبه فى تقييم الأعمال الشعريه التى يعرض لها. و استحق بذلك أن يوضع إلى جانب الآمدى و القاضى الجرجانى كأساطين للاتجاه الكلاسيكى فى النقد العربى القديم.

و مقاييس الجوده - عند الحاتمى - هى بعينها فى عمود الشعر كما سجله القاضى الجرجانى، الذى عاصره فى معظم سنى عمره.

يقول " ..

و حدود الشعر أربعه: و هى اللفظ و المعنى و الوزن و التقفيه. و يجب أن تكونف.

ص: ١٤

١- الرسالة الموضحه ١٠.

٢- انظر الوساطه ٣.

٣- تاريخ النقد الأدبى عند العرب ٢٧٠.

٤- عرف الشعر عند العرب قبل إمرئ القيس بمائتى سنه تقريبا.

٥- انظر "دلائل الاعجاز" و أسرار البلاغه " للمؤلف.

ألفاظه عذبه مصطحبه و معانيه لطيفه و استعاراته واقعه، و تشبيهاته سليمه. و أن يكون سهل العروض رشيق الوزن متخير القافيه،
رائع الابتداء بديع الانتهاء". (١).

و فى إطار هذه المقاييس التى وضعها الحاتمي لوجوده الشعر، فقد عاب الألفاظ الجافيه عند المتنبي فى قوله:

أ يفطمه التوراب قبل فطامه و يأكله قبل البلوغ إلى الأكل

ثم يذهب إلى أن لفظه التوراب على سلامه مصدرها جافيه جدا". (٢).

و على ذلك فإنه يرى أن صحه اللفظ من حيث وضعه اللغوى لا يكفى لاستساغه استعماله و تذوقه. و هذا تحرك مرن فى دائره
الاتجاه الكلاسيكى، لأن جفاء اللفظ لا يعنى عدم صلاحيته، بل قد يكون أكثر ملاءمه للمقام أو الموقف العاطفى أو الفكرى
الذى تعبر عنه تلك الألفاظ. و قد ورد فى القرآن الكريم كثير من الألفاظ الخشنه التى يتعذر استبدالها بغيرها لعميق ارتباطها
بالمسياق ككلمه (ضيزى) فى قوله تعالى: ".قسمه ضيزى" أى جائره، و فى تلك الخشونه ما يتلاءم و طبيعه الجور.

و الشىء اللافت للنظر عند نقادنا العرب القدامى هو سلخ اللغه و غيرها من العناصر الأصليه فى البناء الأدبى عند التجربه الأديبه،
ثم تقويمها و النظر إليها منفصله عن سياقها، لأن النظره هى التى تتحكم فى ذلك التقويم و توجهه. فالعمل الأدبى عمل فنى
متكامل لا يمكن تقويم أى جزء فيه بدون النظر إلى الأجزاء الأخرى.

و النقد اللغوى يبرز فى نقد الكلاسيكيين بكثره و هو متوافر فى مواجهه الحاتمي للمتنبي. و لست أعترض على ذلك النمط
النقدى و لكنى أرى أنه يظل جزئيا يدور فى فلك النقد الفنى بعامه. فكل لغه من اللغات لها قوانينها و قواعدها التى يمكن عن
طريقها فهم العلاقات بين الكلمات، بل العلاقات بين الجمل المختلفه فى التراكيب اللغويه، و ينتج عن تجاوزها و إهمالها
غموض اللغه و انحلالها، بل قد يؤدي ذلك إلى ذوبان كثير من خصائصها الجوهرية، و لكن هذه الأهميه التى نوليها للغه و
تراكيبها لا يعنى أن نقف متمسرين عند القوالب اللغويه الجامده الجافه و أن نستهلك كل ما لدينا من إمكانيات فى تتبع هفوات
الأدباء، و الوقوف عند تلك الوظيفه الفرعيه كما يفعل النقاد الكلاسيكيون.

و الحاتمي واحد من أولئك النقاد القدامى الذين عنوا بالنقد اللغوى عناية بالغه. و فى رسالته الموضحه وقف عند حد تتبع
سقطات المتنبي و لم يضع أيدينا على تلك المواطن التى أجاد فى اختيار ألفاظها حتى نتمكن من اكتشاف الخصائص التى
بتوفرها تتحقق الجوده. فقد عاب الحاتمي استعمال المتنبي لكثير من الألفاظ منها كلمه (كلوذا) فى قوله:

طلب الاماره فى الثغور و نشؤه ما بين كرخايا إلى كلوذا

ثم خاطب المتنبي قائلا "من أين لك هذه اللغه فى (كلوذا)؟ ما أحسبك أخذتها إلا عن الملاحين. و إنك أخطأت فيها خطأ
تعثرت فيه ضالاً- عن وجه الصواب، لأن الصواب كلوذا بكسر الكاف و إسكان اللام و إسقاط الياء. قال: و ما الكلوذا؟ قلت:
تابوت التوراه بها سميت المدينه، و الدليل على ذلك قول الراجز:

كان أصوات الغبيط الشاذيزير مهاريق على كلوذا

و الكلواذ: تابوت توراه موسى.

و الحقيقه أن العوده إلى التراث للاحتكام إليه و الاستناد عليه من سمات التفكير الكلاسيكى المحافظ الذى ينتمى إليه الحاتمى، فالاقتراب أو الابتعاد عن النماذج الفنيه و الأصول الأدبيه التى تم التواضع عليها هما جوهر الحكم.

و ثمة مثال آخر يدعم ما ذهبنا إليه. فقد خطا الحاتمى المتنبى فى قوله:

وصلت إليك يد سواء عندها البازى الأشهب و الغراب الأبقع

ثم وجه إليه الخطاب " فانك شددت الياء فى (البازى) تشديدا لا وجه له، و وصلت ألف القطع فى الأشهب. و لا أعلم أحدا من الفصحاء شدد الياء فى البازى إلا البحترى، و عليه اعتمدت، و على لفظ بيته ركنت فى قوله:

و بياض البازى أحسن لونا إن تأملت من سواد الغراب

و قد رد هذا على البحترى و خطأ فى تشديده الياء.(٣)

و على الرغم من أن البحترى من الشعراء الذين يعتد باشعارهم و يستشهد بها لأنه يمثل العموديين فقد خطاه النقاد لخروجه عن القواعد الثابته للغه العربيه.

و قد أدى ذلك الموقف النقدى المتحجر - الذى يتصدى للتطور مهما كان طابعه - إلى توقف النمو و الازدهار للغه و مفرداتها.

و لم يكن خط موسيقى الشعر و قوافيه أكثر وفرة، لأن ما ورد عن العرب كان النموذج الأرقى و المثال المحتذى، فالقافيه - مثلا - لها أهميه كبيره - عنده - كما كان لها ذلك القدر عند العرب القدامى. و فى تطبيقه للمقاييس التى وضعها لجوده الشعر أخذ على المتنبى تكلف القافيه فى قوله:

و أظنه حسب الأسنه حلوه أو ظنها البرنى و الأزادا

و رأى أن كلمه (الأزادا) قافيه قلقه مجتذبه مجتلبه معلوله غير مقبوله.

ثم قال " و سبيل الشاعر أن يعنى بهذيب القافيه فإنها مركز البيت حمدا كان ذلك الشعر أو ذما، و تشبيها كان أو نسيبا، و وصفا كان أو تشبيها. و أن يتأمل الغرض الذى يرميه فكره، فينظر فى أى الأوزان يكون أحسن استمرارا، و مع أى القوافى يكون أشد اطرادا، فيكسوه أشرف معارضه، و يبرزه فى أسلم عباراته، و يعتمد إقرار المعانى مقارها، و إيقاعها مواقعها، و قد حكى عن الحطيئه أنه قال: نقحوا القوافى فإنها حوافر الشعر. و يرى أنه شتان بين قول المتنبى (الأفخادا) فى البيت:

فغدا أسيرا قد بللت ثيابه بدم و بل ببوله الأفخادا

و بين قول الحطيئه:

هم القوم الذين إذا أَلمت من الأيام مظلّمه أضاءوا

فلقوله " أضاءوا " موقع لطيف و ذلك أنها لفظه لا يستطيع تبديلها بغيرها ٧.

ص: ١٥

١- الرسالة الموضحة ٢٥.

٢- المصدر السابق ٣١.

٣- الرسالة الموضحة ٥٧.

و لا تغييرها بما يسد مسدها..". (١).

وقد كان لهذا التفكير النقدي تأثير كبير على النقاد بعد الحاتمي كابن رشيق في موقفه من أهميه دور القافيه، كما تاثر الكلاسيكيون الجدد تأثرا كبيرا و كان على رأسهم مصطفى صادق الرافعي(٢) و استمر الأثر واضحا عند كل المدارس النقدية الحديثه في معظم الأقطار العربيه.

الاستعاره عند الحاتمي

لم تختلف نظره الحاتمي - في رساله الموضحه - عن نظره كل من القاضي الجرجاني و الرماني و أبي هلال العسكري لمفهوم الاستعاره من حيث كونها "نقل كلمه من شيء قد جعلت له، إلى شيء لم تجعل له..". (٣) و هو من المؤسسين لفكره النقل التي حاربها عبد القاهر الجرجاني فيما بعد.(٤)

و قسم الحاتمي الاستعاره إلى ثلاثه أضرب:

أولها: الاستعاره المستحسنه و هي التي موقعها في البيان فوق موقع الحقيقه كقوله تعالى "إنا لما طغى الماء" [الحاقه ١١] فحقيقه طغى علا.

فلما قال تعالى طغى جعله علوا مفرطا، فصار لهذه الاستعاره حظ في البيان لم يكن للحقيقه و من الاستعاره المستحسنه قول الشاعر:(٥)

وردن لتغویر و قد وقد الحصى و ذاب لعاب الشمس فوق الجماجم

فاستعار للحصى وقده، إخبارا عن توقد الهاجره. و استعار للشمس اللعاب إخبارا عن شده الحر.

و على الرغم من أن الاستعاره في الآيه تصريحيه و في بيت الشعر مكنيه فهو لم يفرق بينهما، و وصفهما على حد سواء من حيث مبالغتهما في المعنى الحقيقي، و لم يتنبه - كما فعل عبد القاهر بعده - إلى ما تمتاز به الاستعاره المكنيه من حيث قدرتها على التشخيص و التجسيم، إلى جانب قدرتها - كاداه فيه - على خلق لون من الترابط و التجانس بين الأشياء التي يستطيع الأديب أن يكشفها بين الأشياء غير المتجانسه.

ثانيها: و هو الاستعاره المستهجنه، و يرى أنها استهجت لأنهم استعاروا لما يعقل أسماء و ألفاظ ما لا يعقل كقول الشاعر:

فما برح الولدان حتى رأيت على البكر يمر به بساق و حافر

و يعقب بقوله " و هذا الشاعر إنما وصف رجلا أضيف و أكرم فقال: ما برح الإمام و الولدان يكرمنه حتى رأيت قد ركب راحلته و انصرف شاكرا عنهم فالمعنى في نهايه الحسن، إلا إنه قال في آخر البيت يمر به بساق و حافر" ففصح لما استعار للرجل موضع قدمه حافرا.

و ثمة حقيقتان تجدر الإشارة إليهما هنا أولا هما: أن النقاد لم يستهجنوا هذا النوع للأسباب التي ذكرها الحاتمي و هي استعاره ما لا يعقل لما يعقل بل ان العوامل الكامنه وراء الاستقباح ترجع بدرجه كبيره إلى انعدام الغرض الفني من ذلك النقل. أما الحقيقه الأخرى أن عبد القاهر تنبه إلى فساد ذوق الحاتمي و استدرك عليه خطاه حين أقر أن آخر البيت

"يمريه بساق و حافر"

ليس قبيحا و إنما جاء مشوبا بالأحاسيس ثم قال "فليس بالبعيد أن يكون فيه شوب مما مضى [وصفه بسوء الحال]، و أن يكون الذى أفضى به إلى ذكر "الحافر" قصده أن يصفه بسوء الحال فى مسيره، و تقاذف نواحي الأرض به، و أن يبالغ فى ذكره بشده الحرص على تحريك بكره، و استفراغ مجهوده فى نفسه..". (٤)

أما الضرب الثالث من الاستعاره أحسن من الثانى لأنهم استعاروا لما لا يعقل اسما لما يعقل كقول الراجز:

و هاطل الجرى أتى مقدمه ما لثمت كف الصعيد قدمه

فجعل له مكان حافره قدما". (٧)

و قد تاثر عبد القاهر الجرجاني - فى تقسيمه الاستعاره إلى قسمين:

مفيده و غير مفيده و ما يشته به الطرفان - بالحاتمي فى تقسيمه الاستعاره إلى مستحسنه و مستهجنه و ما يقف بينهما، بل إنه استشهد بالأمثله ذاتها التى أوردها الحاتمي. (٨) و لكن عبد القاهر لم يقف عند الحد الذى وقف عنده، بل طور ذلك تطورا جعل البلاغه تقفز قفزات رائعه فى ميدان الفن الأدبى.

و لعل الفارق بين عبد القاهر - كمثل لاتجاه ناثر - و بين الحاتمي كناقد كلاسيكى محافظ يتضح فى موقفيهما من حدود الخيال الذى تتحرك فى عالمه الصوره الاستعاريه، فبعد القاهر - على الرغم من اعتماده على العقل فى توليد الصوره الأدبيه - لكنه لم يحكمه فى قوانينها، بل جعل القلب مصدر الحكم عليها. أما الحاتمي فان حدود الخيال تقف عند الحدود التى يقبلها العقل. و هو الموقف ذاته الذى استمسك به الكلاسيكيون من معاصريه و على رأسهم الأمدى و القاضى الجرجاني (٩). فقد رأى الحاتمي أن الاستعاره فى بيت المتنبي التالى استعاره قبيحه:

أليس عجيبا أن وصفك معجز و أن ظنوني فى معاليك تظلع

و يقول مخاطبا الشاعر "استعرت الظلع لظنونك، و هي استعاره قبيحه، و تعجبت فى غير متعجب منه، لأن. من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون و تحيرها فى معاليه.. "ثم يعلل لحكم الاستعاره، فيذهب " إلى أنه ليس للظن فعل حقيقى استعرت الظلع موضعه. و إنما يقال ظن عازب، و ظن كاذب، و ظن ألمعى، و ظن مصيب. و هذه كلها استعارات واقعه. و لم يسمع شاعر فصيح و لا- عربى صريح: ظن ظالع، و استعاره الظلع للريح و إن كانت بعيده أولى و أقرب، من أجل أنه يقال: ريح حسرى، و ريح مريضه يراذ كلالها و نقصان هبوبها، فجاز أن يوضع مكان الكلال الظلع، لأنه من جنس قصور الهبوب. و كذلك الظلع فى الريح موضوع فى غير موضعه، و إنما يقال فى هذا المعنى ريح حسرى، و حسرى ليست على الحقيقه إنما تورد استعاره. موقع تحسر

فى الببان أحسن من موقع تطلع.

فاستبدلت استعاره واقعه لطيفه.. باستعاره خافيه بعيده..(١٠)

ص: ١٦

- ١- الرساله الموضحه ٤٣.
- ٢- انظر وحى القلم، الجزء الثالث.
- ٣- الرساله الموضحه ٦٩ - يقول القاضى الجرجانى " وإنما الاستعاره ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل و نقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها". [الوساطه ٤١]. و يقول الرمانى "إنها تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغه إلى غيره". [النكت فى إعجاز القرآن ٧٩] و يقول أبو هلال "الاستعاره نقل العبارة من موضع استعمالها فى أصل اللغه إلى غيره". [كتاب الصناعيين ٢٧٤].
- ٤- انظر أسرار البلاغه ٣٩٠ و ما بعدها.
- ٥- نسب الحاتمى هذا البيت خطأ إلى الحطيطه علما بان جل الكتب النقدية القديمه أثبتته للمزرد [للزمرد].
- ٦- أسرار البلاغه ١٣١.
- ٧- الرساله الموضحه ٧٢.
- ٨- انظر أسرار البلاغه ١٢٣ و ما بعدها.
- ٩- انظر الوساطه ٣٧ و ما بعدها - و انظر الموازنه ٢٢:١، ٢٤٥-٢٤٥.
- ١٠- الرساله الموضحه ٦٩ و ما بعدها.

و على ذلك فإنه يرى أنه لا بد لكل صورة خياليه من حقيقه واقعيه:

و ذلك ما يبرز الفارق بين الاتجاه الكلاسيكى و بين الاتجاه النائر الذى يمثله عبد القاهر الذى يذهب إلى أن التشبيه كلما كان أشد خفاء كانت الاستعاره أروع، و لذا فان الاستعاره المكنيه أقوى من الاستعاره التصريحيه لما فيها من الخيال الذى يجعل "الصور التى تحدث للمعاني بسببه، آنق و أعجب" (١).

و لأنها الأقدر على إعاده بناء العلاقات بين الأشياء عن طريق الكشف عن خصائص الأشياء و جواهرها. كما يرى النقد الحديث.

موقف الحاتمي من القدم و الحدائنه

يقف الحاتمي إلى جانب الاتجاه الكلاسيكى القديم فى مواجهه الاتجاه المحدث، فإذا دعا المتنبي إلى أن يتجه الشاعر بكليته إلى طبعه، متجاوزا أحيانا الأصول الموروثة إذا اقتضى الأمر و استملح التجديد فان الحاتمي يأخذ على الشاعر قوله:

تمر الأنابيب الخواطر بيننا و تذكر إقبال الأمير فتحلولى

لأنه أتى فيه بيت مردف فى قصيده غير مردفه، و عد هذا شادا. و عند ما رد عليه المتنبي بان هذا الشعر "عذب على اللسان غير قلق فى الإنشاد" ذهب إلى أن "قوما لا علم لهم لا يرون هذا شادا، و لا يرون الواو المفتوح ما قبلها و لا الياء شادا ردفا، يزعمون أنهما ليسا بحرفى مد، لأن الصوت لا يمتد بهما كامتداده بالياء و الواو المكسوره و المضموم ما قبلها. و ذلك غلط من قائله. ثم يقول "فليس لمحدث أن يرتكب مثل ذلك، و لا يتسمح فى قوافيه بشيء من المعائب و إن كانت موجوده فى أشعارهم على طريق الشواذ" (٢).

و على ذلك فان الحاتمي لا يفسح مجالا واسعا للإبداع و التفنن، بل يقيس الأمور بمقياس كلاسيكى محافظ، يقوم على قدر قرب ذلك النتاج أو بعده عن الأصل النموذجى الموروث. و من أدلتنا على ذلك الموقف قوله معقبا على قول الشاعر:

شاحب باطن كصدر يمان صارم الوقع لف فى غير جفن

و متى ثم عاد عضبا حساما و جلا شفرتيه حد المسن

لم يكن عن جنايه لحقتنى عن يسارى و لا جنتها يمينى

بل جناها أخ و خل كريم و على أهلها براقش تجنى

ثم يعقب على هذه الأبيات متسائلا "أ فيجوز لمحدث أن ياتى بمثل هذا و يحتج به أو بمثله؟ كلا" فيقول المتنبي مؤكدا اتجاهه المضاد - و بالضد يظهر الضد - "قد أكثر القول فيما لا اعتد بشيء منه، و إنما أجرى على طبعى، و أقول ما يسوغه لسانى" (٣).

و هكذا يتضح موقفه فى مناصرته للقديم و مواجهته لكل حديث.

و يلجا الحاتمي - كذلك - إلى المقاييس الكلاسيكية في تقويم معاني الشعراء، ذلك المقياس الذي بينى على ما ألفه العرب من المعاني و ما تداولوه و تعارفوا عليه، دون أن يطلق العنان للشعراء كي يبدعوا و يضيفوا بذلك رصيذا هائلا إلى القيم الفنية و الفكرية التي تركها أسلافهم، لا- أن يقتفوا آثارهم و يعيشوا على فتاتهم يجتروا ما تصل إليه أيديهم، فهو يعقب على قول المتنبي:

خف الله و استر ذا الجمال برفع فان لحت حاضت في الخدور العواتق

و يذهب إلى أن هذا البيت مخالف للموروث من التعبيرات الجارية، ثم يقول " أ هكذا ينسب بالمحميين؟.. "(4). و كذلك يعيب قول المتنبي في وصف الغيث:

لساحيه على الأحداث حفش كائدى الخيل أبصرت المخالى

و يقول "فاما أن يستسقى مستسق للقبور غيشا يحفش تربها و ينبش ثراها، فلم يقله أحد. و إنما يستسقى لديار الأجه و لقبور الأعزّه لتكلى تلك الأرض، و تعشب تلك البلاد فتنتجع. فيتذكر أهلوها و يترحم على من واره الترب فيها، و ينتجع كل من ناى عنها ثم يحترسون فى السقيا من أن تدرس مغانيها و أثارها كما قال طرفه:

فسقى ديارك غير [غير] مفسدها صوب الربيع و ديمه تهيمى

(5) و هذه دعوه صريحه إلى التحجر فى أطر القوالب التعبيرية الجاهزه التى ألفها الشعراء. و لعل تلك الدعوه قد وقفت حاجزا بين الشعر العربى و بين النماء و التقدم و الازدهار، و لبس الكسوه ذاتها مع بعض الترويق و الزخرفه الخارجيه طوال الفتره الممتده حتى الحرب العالميه الأولى.. إلى أن قامت ثوره عارمه على الاتجاه الكلاسيكى الجديد، تلك الثوره التى قادها فرسان مدرسه الديوان فى مصر العقاد و المازنى و شكرى، و إن كان قد سبقتهم دعوات بدأت مع نهايه القرن التاسع عشر و بدايه القرن العشرين من أمثال سليمان البستاني و إبراهيم اليازجى و خليل مطران و غيرهم من الذين تأثروا بالاتجاه الرومانسى فى الغرب.

السرقاات عند الحاتمي

حظيت قضيه السرقاات الشعريه باهتمام كبير عند النقاد العرب القدامى من أمثال القاضى الجرجانى و الأمدى و أبى هلال العسكري و ابن طباطبا العلوى و غيرهم، و لم يخرج الحاتمي عن الدائره التى رسمها أولئك النقاد، و لكن الإسراف فى الذاتيه و التحامل المحموم الذى اتسمت به رساله الحاتمي هو الذى جعلها تأخذ طابعا خاصا. فقد اتفق معظم أولئك النقاد على أن النسخ سرقه لا مجال للتأويل فيها أو الدفاع عنها، و ذلك ما أكده الحاتمي حين أشار إلى إساءه المتنبي فى قوله:

الأديب المهذب الأصيد الضرب الذكى الجعد الرئيس الهمام

و يقول " فانك (أى المتنبي) نسخته نسخا من قول البحترى:

سالمتنى الأيام لما تحرمت بظل الرئيس ذى الأنعام

بالأديب المهذب الفاضل القدم الأبي الندب الوفى الهمام"

ثم يعقب على ذلك بقوله "و ما ظننت أحدا تجرأ على هذا اجتراءك

ص: ١٧

١- دلائل الاعجاز ٣٥٥.

٢- الرسالة الموضحة ٧٧.

٣- المصدر السابق نفس الصفحة.

٤- الرسالة الموضحة ١٤.

٥- المصدر السابق ٤١.

عليه، فإن أحداث المتأدين ممن يتعاطى نظم الشعر يترفع عن مثله.."^(١) و لكن الحاتمي - و في ظل هجومه المندفع ضد المتنبي - يتهم الشاعر بالاغاره و السرقة لمجرد اتفاق معاني الشعراء الآخرين، أو لمجرد اتفاق وجود بعض ألفاظهم عنده، و كان المعجم الشعري الذي استخدمه أحدهم لا يحق للشعراء الآخرين أن يردوه. و عند ما قال المتنبي يرثي أم سيف الدوله:

مشى الأمراء حولها حفاه كان المرو من زف الرئال

و أبرزت الخدور مخبات يضعن النقس أمكنه الغوالي

أتتهن المصبيه غافلات فدمع الحزن فى دمع الدلال

فارجع الحاتمي البيت الأول إلى قول الصنوبرى:

نؤوم الضحى أهب القنافذ عنده إذا ما عراه النوم وجدته كالفنك

أو عن قول ابن الرومى:

لو أنها استلقت على شوك الحسك تحت الزباه وجدته كالفنك

و البيت الأخير ينظر فيه إلى قول العباس بن الأحنف نظرا خفيا، و هو من معانيه التى اخترعها:

بكت غير آسبه بالبكاء ترى الدمع فى مقلتيها غريبا

و المدقق فى هذا الاتهام و غيره من الاتهامات التى غصت بها رساله الحاتمي، تلك التى أنشأها لتتبع سرقات أبى الطيب و ساقط شعره، يجد أن فيها كثيرا من التعسف و التحامل لأن فيها تناسيا لعنصر التجربه الشعريه و الصدق الفنى الذى يغذيه، فالشاعر الصادق هو الذى يستمد معانيه و صورته من تجربته التى يرفدها ثقافته من أسفار و قراءه و ممارسات حياتيه و ميول و ذوق بلورته الخبره الفنيه. و تتجمع فى حصيلته الفكرية و الفنيه كثير من روافد الثقافه التى تتعدد منابعها و تختلف، و لكنها تنصهر فى بوتقه ذاته، و تصبح ملكا له. و بقدر ما تكون أسيره له على قدر ما يتحكم فيها و يوجهها بشخصيه مستقله قويه يكون نجاح ذلك الشاعر. أما إذا كان أسيرا لتلك الثقافات فإنه يكون فاقد الذات الفنيه المتفرده، متصنعا و هذه أمور تكشفها عمليه الإبداع الشعري.

و قد حاول الحاتمي أن يناقش قضيه السرقات و صلتها بثقافه الشاعر و أثرها فى الإبداع الشعري، و عرض ذلك بطريقه موضوعيه فى ظاهرها و ذهب إلى أن المتنبي دافع عن نفسه حين اتهم بالسرقة على أساس فكره التأثر بما يحفظ و يخاطب الحاتمي قائلا "أما ما نعيته على من السرق فما يدرك أنى اعتمدته، و كلام العرب آخذ بعضه براقب بعض، و آخذ بعضه من بعض، و المعانى تعتلج فى الصدور، و تخطر للمتقدم تاره و للمتأخر أخرى، و الألفاظ مشتركه مباحه.. ثم يتساءل نافيا "فمن هذا الذى تعرى من الاتباع، و تفرد بالاختراع و الابتداع، لا أعلم شاعرا جاهليا و لا إسلاميا إلا و قد احتذى و اقتفى.."^(٢) و

يناقشه الحاتمي فيما ذهب إليه و يقول " ..و إنما حكم لهم [للشعراء الجاهليين و الإسلاميين] بالفضل، و سلم إليهم خصله من أجل ما ابتدعوه من المعاني، و سبقوا إليه من الاستعارات، و ابتكروه من التشبيهات الواقعة و الأمثال الشارده، و ذلوه من طرق الشعر الحزنه و لما تعايروا بالسرق و الاجتلاب و النقل و الاجتذاب.. " ثم يقول " ..فلا يتسمح الشاعر بان يكون جمهور شعره عند التصفح مسترقا ملصقا، و مجموعا ملفقا، و لا أن يكثر الاعتماد في شعره، و يتناصر السرق في كلامه. و من سبيل المحتذى أن يأخذ المعنى دون اللفظ، ثم أن يطويه إن كان مكشوفاً، و يكشفه إن كان مستورا، و يحسن العبارة عنه، و يختار الوزن العذب له، حتى يكون بالأسماع عبقا و بالقلوب علقا.. " و يذكر الحاتمي العديد من الأمثله التي حدث فيها احتذاء و حدث مع الاحتذاء إجاده منها قول الأعشى:

و ذرنا و قوفا إن هم عمدوا لنا أبا ثابت و أقعد فانك طاعم

فأخذة الحطيئه، فأحسن العبارة عنه، و استوفى المعنى فيه، فصار أحق به من المخترع له بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقصد فانك أنت الطاعم الكاسي

(٣) و على ذلك فإنه يقر بالاحتذاء لا على أنه نوع من النقل و السرقة الذي تتمحى فيه شخصيه الشاعر، بل على أنه نوع من التأثر بطريقه الشاعر و أسلوبه. و هذا ما أكده عبد القاهر و طوره تطويرا ناضجا منحه طابعا فنيا راقيا، فقد لام النقاد القدامى الذين يعيرون على الشعراء المبتدئين احتذاءهم لأشعار غيرهم من المبرزين، و يرى أن ذلك سبيل المبتدئين و أنه طريقهم لتفتح شاعريتهم و صقلها و تدريبها على النظم، فالفرق بين الاحتذاء و السرقة كبير، و يعرف الاحتذاء بقوله " أن يبتدئ الشاعر من معنى له و غرض أسلوبا (و الأسلوب الضرب من النظم و الطريقه فيه) فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجىء به في شعره، فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال قد احتذى على مثاله " (٤) و يذهب الدكتور مصطفى هداره إلى أن الاحتذاء و الاقتداء الذي أشار إليه القدماء هو الاحتذاء الذي أقره المحدثون، يقول " و لو أننا قارنا بين شروط السرقة الممدوحه كما قررها نقاد العرب، و شروط الاحتذاء الفنى كما قررها النقاد الأوروبيون، فسنجد التطابق بينهما شديدا. و ما ذاك إلا- لأن السرقة الممدوحه عند العرب إنما تعنى الاحتذاء بمعناه الفنى، و هى التى يرضى عنها نقاد العرب الذين لا يتعصبون للتقديم " (٥)

و فى النقد العربى الحديث عالج الدكتور محمد مندور هذه القضية معالجه دقيقه أوجب بمقتضاها التمييز بين أشياء هى:

١ - الاستيحاء: و هو أن ياتى الشاعر أو الكاتب بمعان جديده تستدعيها مطالعته فيما كتب الغير.

٢ - استعاره الهياكل: كان يأخذ الشاعر أو الكاتب موضوع قصيدته أو قصته عن اسطوره شعبيه أو خبر تاريخى و ينفث الحياه فى هذا الهيكل حتى ليكاد يخلقه من العدم.

٣ - التأثر: و هو أن يأخذ شاعر أو كاتب بمذهب غيره فى الفن أو ٣.

١- الموضحة ٨٨ و للاطلاع على أمثله أخرى انظر ١٣٦ و ما بعدها.

٢- الموضحة ١٤٨.

٣- المصدر السابق ١٥٣.

٤- دلائل الاعجاز ٣٦٠، ٣٦١.

٥- مشكله السرقات فى النقد العربى ٢٣٧، انظر رأى ابن طباطبا (عيار الشعر ورقه ١٣) نقلا عن مشكله السرقات ٩٣.

الأسلوب، وقد يكون هذا التأثير تلمذاً، كما قد يكون عن غير وعى، وإنما النقد هو الذى يكشف عنه.

٤ - و أخيراً هناك السرقات وهذه لا تطلق اليوم إلا على أخذ جمل أو أفكار أصلية و انتحالها بنصها دون الإشارة إلى ماخذها و فى نهاية هذا البحث يمكننا القول ان رساله الموضحه للحاتمى جديره بالعبايه و الدرس، فهى ركن أساسى من أركان الاتجاه الكلاسيكى المحافظ فى النقد من ناحيه. كما أنها أثارت قضايا على قدر كبير من الخطوره و الأهميه من ناحيه أخرى كما أوضحت. و فى النهايه هى لبنة من لبنات تراثنا النقدى العريق.

أحمد أبو العلاء المعرى

إشاره

مرت ترجمته فى مكانها، كما مرت عنه دراسات فى المستدركات و نضيف هنا إلى ذلك ما يلى مكتوبا بقلم أمينه عصن أوجه التشابه و الاختلاف بين غفران أبى العلاء و كوميدىا دانتي إذا كانت المقارنه مصدرا خصبا من مصادر المعرفه الإنسانيه فان الإنسان فى مختلف دراساته اتخذ المقارنه سبيلا- للوصول إلى الحقائق الجوهرية المتعلقة بميادين بحثه. ففى علم الحيوان مثلا قارن الدارسون بين الحيوانات المختلفه فصنفوها إلى أجناس و أنواع. و كان هذا التصنيف مبني على الملاحظه و ملاحظه الخصائص الجوهرية لكل جنس من الأجناس و كل نوع من الأنواع المتباينه. و لقد خضعت اللغات و هى أدوات التعبير عن الأدب لمثل هذه الدراسه المقارنه، فكان لها أثرها العميق فى التعرف إلى أصولها، و الاحاطه بما تحقق لها من تطور خلال العصور. لقد طبقت الدراسه المقارنه على المفردات اللغويه، كما طبقت على المركبات، و كان من نتائج تطبيق الدراسه المقارنه على المفردات أن وجد لدينا علم اللغه بفروعه المتعدده، كما كان من نتائج تطبيقها على المركبات فى اللغات المختلفه، ذات الأصل الواحد، ان وجدت لدينا دراسات كثيره فى النحو المقارن، فادى ذلك إلى تصنيف لغات العالم إلى أسر لغويه تضم كل اسره منها مجموعه من اللغات يجمع بينها أصل واحد مشترك.

أما الأدب فيمثل مشكله قائمه بذاتها، تختلف عن الحالات السابقه التى أشرنا إليها. ان الدراسه الأدبيه المقارنه لا تتناول قضايا محسوسه بل هى تدور حول تأثيرات قد تتضح و قد تخفى. و لا يكون وضوحها بالضروره مقتبسا من مميزات الأعمال الأدبيه المقارنه، بقدر ما يكون مقتبسا من قرائن خارجيه على هذا التأثير. اما الاقتصار على مجرد المشابهه فكثيرا ما قاد إلى أخطاء كان منشؤها الاقتناع بظواهر الأمور بدون غوص إلى بواطنها.

و فى ضوء هذا الفهم، لا بد لنا، و نحن بصدد دراسه رحلتى أبى العلاء و دانتي من دراسه بواعث الرحلتين الظاهره و الخفيه، و الإشارة إلى نقطه انطلاق هذين الرحالين و تحديد محطه السفر الأولى، لأنه بحيث انطلق أبو العلاء من الجنه و أبدع فى تصويره لحياه الفردوس، انطلق دانتي فى المقابل من الجحيم الملغز، و النيران المتأججه هذا إلى جانب انطلاق أبى العلاء فى رحلته متمصا شخصيه ابن القارح، فى حين ذهب دانتي بنفسه يستطلع و يستكشف.

و تعود كتابه " رساله الغفران " إلى أسباب مباشره و أخرى غير مباشره.

٢ - الأسباب الظاهرة:

ظاهر الأمر ان الرسالة كتبت ردا على رساله بعث بها ابن القارح إلى أبي العلاء، فخرج بذلك إلى النور في وقت لم يسجله تقويم الزمن، من الربع الأول للقرن الخامس الهجرى، نص أدبى كتب له ان يخلد مع روائع الآثار الباقيات، فكانت "رساله الغفران".

٣ - التراسل كنوع أدبى:

غير أن وراء السبب الظاهر دواعى اخرى ان تخف على البعدين عن دراسه ذلك العصر، فلن تخفى على من تعرفوا حياه أهله، و عرفوا ولع أدبائه بالتراسل، لسبب و لغير سبب، سوى إظهار البراعه، و عرض البضاعه.

و رساله ابن القارح تأخذ في شكلها و ظاهرها صوره الرسائل الاخوانيه، لكن كاتبها الذى لم تكن تربطه بأبى العلاء معرفه سابقه، لم يعن بالمسائل الاخوانيه بقدر ما عناه سرد محفوظه من اللغه، و الأخبار و الأشعار، و الإعلان عن براعته، و التحدث عما لقي من الأئمه و الشيوخ.

و قد جرى أبو العلاء - مثل ابن القارح - على عادته عصره، و اقتفى أثر الأدباء قبله، و تبع سنتهم، فمضى مثلهم يعرض بضاعته، و يترجم بحديثه عن حاجه فى نفسه.

الأسباب المباشره:

لكننا مع القبول بهذه الأسباب الظاهره، و مع فهمنا لروح العصر و تقديرنا لأثر أبى العلاء، قد نستغرب تلك الرحله الخياليه الطويله المثيره التى قاد صاحبه إليها، فطاف به فى ارجاء العالم الآخر، و أذاقه من ألوان النعيم ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و يقربنا هذا الاستغراب إلى تعرف الأسباب المباشره، للقيام بهذه الرحله، و تقديمها بالشكل الذى قدمت به، و منها:

أ - الخصائص الخاصه بحياه المعرى:

إذا قلنا ان أبا العلاء كان يعرض بضاعته من العلم و اللغه و الفن، فلقد كان إلى جانب هذا يحلم، و ينال من عالم الخيال ما لم ينله من عالم الواقع، خاصه إذا ما عرفنا ان حياه أبى العلاء قد انشطرت إلى شطرين واضحين و متميزين:

- كان فى أولهما يعيش فى دنيا الناس، و يأخذ فيما يأخذون فيه من لهو، و جد محاولا- ان يشارك فى حياتهم، و مناقلا بكفايته و امتيازه ليظفر بما كان له فيها.

- فى حين كان معتكفا فى دنياه منصرفا إلى التأمل و الإملاء فى عهده الثانى.

ب - حاله أبى العلاء النفسيه:

و بتحديدنا للزمن الذى كتبت فيه الرساله، و هو فى أخريات الربع الأول للقرن الخامس الهجرى، يسهل علينا ان نتعرف إلى الحاله النفسيه لأبى العلاء حين أملاها. غير أننا لا نملك أن نحدد بالضبط مبدأ كل عهد من حياته و منتهاه، لأن العلائى انصرف بنفسه عن دنيا الناس، قبل ان ينسحب منها، و نفص يديه منها و هو لا يزال فيها، و فكر فى اعتزالها طويلا قبل ان يجمع أمره على العزله فى محبسه بمعره النعمان. لكننا نملك ان نقول انه كتب "رساله الغفران" فى صميم الشطر الثانى من حياته، و كان إذ ذاك يستهل العقد السابع من عمره.

ج - ياس أبى العلاء و نضجه:

و كتب العلائى "رساله الغفران" بعد أن هزم فى النضال مع الدنيا و نسا به مكانه بين الناس، كتبها بعد أن يئس من بلوغ ما اشتهاه من مجد

ص: ١٩

الحياه و نعيمها. و كتبها فى السبعين بعد ان أنضجته الأيام بتجاربها، و مصائبها و كشفت له عن أشواقه الكامنه، و جراحه التى لم تندمل قط، و طالت صحبته لنفسه حتى عرفها على حقيقتها، و أزال عنها حجب الوهم و أستار المداراه.

و أخيرا كتبها فى شيخوخته، بعد ان قطع مراحل الحياه الدنيا، و أشرف على العالم الآخر، و انصرفت نفسه إلى التأمل الحزين الطويل فى مصير الإنسان.

فى ذاك الجو القاتم ظهرت "رساله الغفران"، و فى تلك الحاله النفسيه الأليمه، أملى "أبو العلاء" رسالته، و انها لحاله تفسر لنا ما فى "الغفران" من أشواق مستثاره إلى الرغبات الماديه، و عرض متفنن لنعم الدنيا منقوله إلى العالم الآخر.

و تفسر لنا كيف جمع أبو العلاء، الأدباء و الشعراء فى جنته، و هو المعتزل المنفرد، و كيف حشد فيها ملذات الدنيا من نساء، و طعام و شراب، و هو الذى كفر بالخمير، و تجنب النساء، و حرم نفسه طيبات الطعام و الشراب.

و تفسر لنا كيف ملأ جنته حركه و انفعالا، من صيد و نزهه و رقص و مادب و مجالس و طرب و خمير، و هو الذى حكم على نفسه بالحبس فى منزله بمعره النعمان نحو نصف قرن من الزمان مقيدا سجيناً. لذا أطال الحديث عن الحياه الآخره، و تفنن فى تصويرها لغير ضروره ظاهره، و استمر حلمه الطويل حتى شغله عن الرد على ما جاء فى رساله "ابن القارح" و لم يشرع به إلا بعد أن أتم رحلته و فرغ من رسم صورته الحياه الأخرى.

انعكاسات البواعث على رساله المعرى

جاءت رساله الغفران آيه من آيات المعرى. و كان سر عظمتها دلالتها الأمينه على نفس صاحبها و على الحياه من حوله. فلو لم نعرف صورته صاحبها لرسمت لنا صورته بينه السمات، و لدلتنا على شخصيته، و عرفنا انه: أديب يائس معتزل محروم.

و لو لم نعرف الزمن الذى أملى فيه "الغفران" لحددت لنا الرساله ذلك الزمن، إذ ان فهم الحياه فهما ناموسيا، يجعلنا نطمئن إلى ان "التفات" أبى العلاء إلى العالم الآخر لا يكون إلا مع يأسه من هذه الدنيا، لأنه ما كان ليسرح إلى الأخرى هائما حالما و هو فى غمار الحياه و المجتمع قبل عزلته.

و ربما كانت هذه البواعث كافيه لأن يخرق أبو العلاء خط السير فى الممالك الإلهيه، فيبدأ من حيث يحلم، و تكون الجنه العالم الأول الذى يطالعنا به، و كان أبواب المرور من الأرض السفلى مفتوحه و على مصراعها على أبواب الجنه.

بواعث كوميديا دانتي

لكن دانتي لم يخرق حيث اخترق أبو العلاء، و لم يبدل وجهات السير، و لم يغير مقاييس العالم الآخر، بل بدأ كتابته للكوميديا من حيث تبدأ الأديان، و انتهى إلى حيث تنتهى، و كان تقسيم الكوميديا تقسيما كلاسيكيا دينيا مسيحيا. كيف لا، و قد كان دانتي الإنسان المسيحي المؤمن، المشبع بقراءه التوراه و الإنجيل و الكتاب المقدس بخاصه. غير ان هذا التقسيم يبقى السبب الظاهر، فى كتابه الكوميديا بحيث تطالعنا أسباب أعمق و أبعد فى تصور الشاعر، و فى تاريخ حياته: الذاتيه، و السياسيه، و الوطنيّه... ربما كانت هى الباعث الأصدق و الأهم فى كتابتها.

وقد نورد هذه البواعث والأسباب ولكن بايجاز، وذلك بسبب اهميتها فى خلق جو الكوميديا الإلهيه العام، و فى جو من الينابيع، و المناهل التى استقى منها دانتى رائعته.

١ - و نبدأ أولا بحياه الشاعر الذاتيه الكل يعلم أن دانتى شرد و جرد من كل شىء: الأسره، و الأصدقاء، و المال، و الوطن، فاشند عليه المد و أتعبه. و ربما أفاد كثيرا من حياته الشبيهه بالبوهيميه على فارق واحد أو أكثر، و هو أن البوهيمى قرير العين مرتاح إلى حياته لأنه ليس له أهداف، و ليست به طموح.

و من فوائد منفاه انه تنقل بين كثير من المقاطعات، فشاهد المدن، و القرى، و الجبال، و الأوديه، و الخمائيل، و الأرض القاحله. و كلها مناظر خلابه - من الأرض الايطاليه - مما عزاه بعض الشىء عما كان يلاقه من الحرمان، و قد ذكر أكثر تلك الأمكنه فى الكوميديا، و أدخلها فى طوبوغرافيه العالم الآخر، و جعلها قسما من جغرافيته.

٢ - المؤثرات الوطنيه و انعكاسها فى نفس دانتى كان النفسى كان ضروريا لدانتى، لأنه ضاعف فيه حبه لأرض وطنه الذى تحده جبال الألب من الشمال، و البحار من جميع الأطراف. و حمل دانتى بين حناياه فكره الوطن الواحد الموحد ايطاليه الكبرى. و قد كانت حتى الساعه - أى زمنه - نهبا مقسما بين عدده دويلات أجنبيه و وطنيه، و ملكيه و جمهوريه، و اقطاعيه و بابويه، و أشباه ذلك.

و ملكك هذا الاحساس على دانتى جميع مشاعره و منافد الفكر منه، فكره الوطن الموحد. فلم يقتصر على رسم حدود وطنه المقدسه على حد قوله، بل كانت ذاكرته تزخر بامجاد روما و عظمتها، فحلم بمملكه عالميه تضم بتناغم مثالى الأمراء جميعهم، و الممالك كلها، و تسوسهم قوانين حكيمة عادله، و تعمل فى هذه المملكه العالميه الشامله جنبا لجنب السلطه البابويه و هى الروحيه و السلطه الامبراطوريه و هى السلطه الزمنيه. و أناط دانتى بهذه المملكه إنقاذ الإنسانيه التائهه فى أدغال الشك، و التى تنهشها الفوضى و البلبله. و ما ذلك اليوم بعيد عن روما مركز السلطتين الروحيه و الزمنيه، و عن ايطاليا كلها، جنه الامبراطوريه، و مهد الحضاره اللاتينيه الكبرى.

و كى يعد دانتى النفوس إلى تقبل هذه النبوءه الكبرى و الأمنيه الغاليه نشر بين الناس طرفته المسماه "الكوميديا الالهيه" حيث اتصل الزمن بالأبديه، و انعكس وجهها الفضيله و الرذيله على صفحه مرآه.

٣ - ثقافه دانتى و انعكاسها فى الكوميديا لقد وصف لنا دانتى فى بعض صفحات من كتابه "الوليمه" الصراع الداخلى الذى كان يعتمل فى نفسه عند ما اجتاز مرحله النظم فى الغزل، و النسيب و التشبيب بالحسان، إلى دراسه الفلسفه. فأكب على دراسه بوزيو و شيشرون، مما أجح فيه حب المعرفه، و دفعه ذلك إلى أن يقود خطاه نحو مدارس رجال الدين و تتبع جدال أهل العلم و الفلسفه.

فتردد على احدى الحلقات للأباء الدومينيكيين فى دير القديسه ماريا نوفلله، و بات من المؤكد أنه تابع الدراسات للاباء الفرنسييسكان فى سنت كروتشه، و درس أرسطو الذى بدأت مؤلفاته تروج و تنتشر. أما توما الاكوينى و بونا فنتورا فقد كانا منهلها الفياض العذب. و عكف دانتى على دراسه القانون، و الطب، و الموسيقى، و التصوير، و النحت، و الفلسفه،

و الطبيعه، و الكيمياء، و الفلك، و السياسه، و التاريخ، و اللاهوت، و درس تراث اللاتين، و ألم بتراث اليونان و الشرق بطريق غير مباشر، و عرف ثقافه العصور الوسطى، و تعلم الفرنسيه و لغه البروفنس، و درس أدب التروبادور.

هكذا اجتمعت لدى دانتى الحكمة المشرقيه كلها، و بلاغه اليونان و محبه الله فى المسيحيه، و عظمه المدينه الرومانيه، و كان يحترم أرسطو، و يتبع توما الاكوينى، و لا يحجم عن الاطلاع على التراث العربى و فلاسفته و يستلهم مادته من التوراه و الإنجيل و ما أمكنه الاطلاع عليه من الفكر و التراث الإسلامى من هذا المضمرا. غير أن مرد التأليف بين الأضداد فى نفس دانتى يعود إلى قدره التوحيد الطبيعى فى عبقريته. و قد نفذت بشتى الثقافات.

و بفضل هذه الكونيه التامه التى كانت تؤاخذ بين الماضى و الحاضر و المستقبل استطاع دانتى ان يجعل من نفسه فى "الكوميديا" رمزا للجنس البشرى أجمع. و طرفه دانتى من الفها إلى يائها بطابعها الخاص و أهدافها، ليست إلا تكافؤا جميلا غريزيا لشقاوته و ضعفه.

استنادا إلى ما قدمنا من بواعث و أسباب مباشره و غير مباشره فى أوجه المقارنه فى رساله الغفران، و الكوميديا الالهيه، حق لنا اتهام النقاد بالتجنى على دانتى، و القول بأخذه فكره الرحله إلى الممالك الالهيه عن أبى العلاء، و محاكاته من ثم و تقليده.

كثيرون هم الجناه و المدعون، أمثال قسطاكي حمصى الذى قال "بسرقه دانتى لموضوع أبى العلاء و تخلفه عنه فى السمو و البيان" (١) و قول الدكتور عمر فروخ "ان المعرى سبق دانتى إلى بعض تخيلاته" (٢) و تعصب مصطفى آل عيال (٣) الذى لا يريد بدوره "ان ينقص من حق المعرى الذى هو بغنى عن ان يضاف إلى مجده مجد آخر"، و ذلك بتلقيبه "ملهم دانتى" أو قول زيدان "باقتباس دانتى فكره الكوميديا من "الغفران" أو قول "كرد على" ان شاعرنا كان معلما لنا بغه ايطاليا فى الشعر و الخيال.

فذلك و مثله ما يمكن حملة على محمل التعصب، و هو أيضا مما يمكن إغفاله و السكوت عنه، لأنه لم يأخذ سمه البحث العلمى.

غير أن المهم فى آراء النقاد هو كتاب "سيجويل اسين بلاسيوس".

و ليس بلاسيوس بالعربى، أو الشرقى، أو المسلم، حتى يحمل قوله على التعصب، و ليست دعواه، احكاما سريعه مرتجله حتى تقابل بالاستهانه.

انما هى شهاده من أهلها.

شهاده كاثوليكي، من الإسبان المعروفين بالتعصب.

و جاء بلاسيوس يقرر بعد دراسه و اسعه متخصصه، قضى منها خمسا و عشرين سنه، باحثا منقبا فى التفكير الإسلامى فى العصور الوسطى - جاء يقرر " أن أصولا اسلاميه - من بينها الغفران - قد كونت أسس الكوميديا الالهيه تلك القصيده التى طبعت كل الثقافه الأوروبية المسيحيه فى العصور الوسطى".

و لكن بلاسيوس وقف فى مظاهر التشابه عند رسائل جزئيه غير ذات بال، و ظواهر سطحيه لا يمكن ان يحتكم إليها فى مثل تلك القضيه.

و من أمثله الحكم على دانتي بأخذه من أبى العلاء، فى رأى بلاسيوس، نورد المثلين الآتيين: (٤) ١ - لاحظ بلاسيوس مثلا ان آباء [أبا] العلاء لكى يحقق هدفه المزدوج، الأدبى و الدينى، يلقى الشعراء فى جهنم منفردين واحدا بعد الآخر، أما فى الجنه فيلقاهم جماعات. و كذلك فعل دانتي، فهذه الحلقات الأدبيه لأبى العلاء تعادل الحلقات و التيجان التى نظمها دانتي فى السماوات من رجال الدين و الجنود و القضاء و غيرهم.

و قد جاء بلاسيوس فى دليله بما يضعفه، فابو [أ] العلاء لا يلقى إلا الشعراء و لا يريد سواهم و دانتي يريد أقواما آخرين، أكثرهم لا يمتون إلى الشعر بسبب.

٢ - كذلك رأى بلاسيوس ان الطريقه التى كان أبو العلاء يلقى بها من أراد من الشعراء تشبه الطريقه التى اتبعها دانتي: "فهو اما ان يستعلم عن روح بعينها فيرشد إلى صاحبها، و اما ان تظهر له فجاه روح يخطئ معرفتها، فيسأل عن اسم صاحبها".

و بحسبنا فى التفريق ما بين الشعاعين هنا، ان "ابن القارح" كان يلقى الأشخاص بأجسامهم، و لم يحدث قط ان لقي روحا أو تحدث إلى روح على حين لم يلق دانتي سوى الأرواح.

نكتفى بهذين المثلين شهاده على تجنى آسين بلاسيوس على دانتي، و ليس بوسعنا الاطاله، و كشف نقاط أخرى، و قد اعتمدنا فى ذلك على بنت الشاطىء، لعجز منا فى قراءه نص بلاسيوس الإسبانى.

و كدراسه مقارنه، أؤيد أحكام بنت الشاطىء فى بحثها الرصين المتعمق و الموضوعى، و يكفينى اثباتا ما قدمته من بواعث كتابه لرساله الغفران و الكوميديا الالهيه، إلى جانب دراسه وجوه التشابه و الاختلاف فى كل من الرحلتين، و هى وجوه نابعه من أصاله عالمين داخلين مختلفين، و من عمق ثقافتين متميزتين، و من غايتين مفارقتين - قصد إليهما الأديب و الشاعر:

- ان الفكره عند المعرى كانت بسيطه فى حد ذاتها. فقد أراد أن يسخر بعالم الأدياء، و قد أصاب الهدف إصابه محكمه.

و كان له أيضا هدف ثانوى ذكره طه حسين فى كتابه "مع أبى العلاء المعرى فى سجنه" حيث قال:

"لقد ألف أبو العلاء رساله الغفران ليبرهن عن واسع خياله و عظيم مقدرته بالعلوم اللسانيه و اللغويه، و غريب الشعر و الألفاظ و المفردات و معانيها المختلفه، و لم يكن همه العالم الأخرى، و لم يعنه تركيب هذا العالم، و لا سيما التركيب المعنوى و الخلقى للجنه و الجحيم. و لم يصف الصراعات التى تتاكل بين البشر تكالبا منهم على حطام الدنيا فى شتى المناحى و الميادين. لقد ركز همه فى الشعراء فقط و بغريب الأبيات من الشعر". و ما كان بهتان صوره و عبثيه و سخريته إلا لتأكيد ذلك.

- أما كوميديا دانتي، فى صورتها الأدبيه، فتعد عملا مبتكرا لم يسبق إليه الشاعر، كما ان هذا العمل استعصى نظيره على من جاء بعده فكثير من الشعراء حاول تقليده أو مجاراته فى هذا الميدان الذى فتحه، لكن ذلك كان بدون جدوى، فلم تكد الأعمال التى انبثقت من هذا التقليد تولد حتى تداعت و انزوت إلى ظلال كثيفه من النسيان.

و عد بحق الدكتور عبد السلام كفانى (٥) الكوميديا " بأنها ملحمه عن الإنسان و حياته و موقفه فى مواجهه العدالة الالهيه "

فى حين قال حسن عثمان (٤) " الكوميديا مرآه الحياه و قصيده الإنسان.

ص: ٢١

١- قسطاكى حمصى: المقال الرابع من مجله الرساله الصادره عن المجمع العلمى فى دمشق سنه ١٩٣٤.

٢- عمر فروخ: حكيم المعره - ص ٩٧.

٣- مصطفى آل عيال: سلسله اقرأ رقم ١٦٤ - ص ٩٥.

٤- الغفران: لعائشه عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص ٣٢٨.

٥- الدكتور عبد السلام كفانى: " فى الأدب المقارن " ص ١٨١.

٦- مقدمه جحيم الكوميديا ص ٦٣ ترجمه حسن عثمان.

الكبرى. و هي فن رفيع يهدف إلى تغيير الإنسان و إصلاح المجتمع. و قصد دانتى ان يجعل منها بدايه لعصر جديد، و كأنه أراد بذلك أن يضع كتابا مقدسا جديدا يهدى البشر إلى سواء السبيل، و بدأ فيها دانتى أورفيو جديد لعالم جديد".

و فى حين تناول النقاد جوهر الكوميديا و مواضيعها، فقد تناول الشاعر و الناقد (T.S.ELIOT) ت. س. اليوت لغه الكوميديا فقال: " ان أول درس يستفاد من دراسه دانتى انه لا يوجد شاعر من مستواه بذل من العناية و الجهد فى دراسه فن الشعر ما بذله دانتى و لا يستثن من هذا فرجيل ". كما أن اليوت يقول " انه لا يعرف شاعرا انكليزيا قدم للغته من الخدمات مثل ما قدمه دانتى لايطاليا ". و يكون أليوت قد رفع دانتى هنا إلى قمة البارناس الشعريه، و تجاوز به شكسبير و شعر شكسبير.

إذن، انطلاقا من دراستنا، و انطلاقا من آراء النقاد الجادين، و انطلاقا من الاحتكام إلى نص " الرساله " و " الكوميديا " نحكم بعدم وجود التشابه المدعى، لثؤكد التقاء الأثرين عند فكره واحده هي " الرحله الخياليه إلى العالم الآخر "، و هي فكره انسانيه مشتركه لم تنحصر فى حضاره، و لا- قوم، و لا دين، فمنذ سمعت البشريه ان هناك عالما آخر، راحت تتمثل ذلك العالم، ثم جعلت تقوم برحله خياليه اليه.

و تصوير ذلك العالم قديم العهد، تحدثت به الأساطير قبل أن يولد " أبو العلاء " بدهور، و عرضته الأديان عرضا مفصلا لا يدع لنا سبيلا إلى إثارة " أبي العلاء " به.

بين أبي العلاء و الوزير المغربى

قال الدكتور إحسان عباس:

تدور لزوميات أبي العلاء فى معظمها حول المشكلات الوجوديه و القضايا الميتافيزيقيه: هنالك يجد المرء وقفات كثيره عند مشكله الجبر و القدر، و الخير و الشر، و النفس و الجسد، و التقوى و النفاق و العقل و الخمر، و المرأه و التناسل، و العدل و الجور، و الرعيه و الرعاه، و الدنيا و الإنسان، إلى غير ذلك من قضايا انسانيه و شئون كونييه، و لذلك فليس من الغريب أن يحس القارئ - مثلما أحسست - بمفاجاه لافته تستوقف النظر و تستثير التعجب، إذا وجد بين ذلك العدد الغزير من القصائد و المقطعات مقطوعه فى رثاء أحد الناس، إذ يكاد يكون عهد المعرى بالاهتمام بشئون الأفراد قد تولى مع فتره سقط الزند، و حل محله الاهتمام بالجماعه و المصير الإنسانى فى اللزوميات. و التوقف عند رثاء فرد فى حومه ذلك الديوان الكبير لا بد أن يعنى أن ذلك الفرد الذى أخرج المعرى عن خطته الكبرى لا بد و أن يكون ذا مقام خاص فى نفسه، و لا بد من أن يكون فقدته عميق الأثر فى مشاعره.

أما ذلك الفرد فهو الوزير أبو القاسم المغربى الحسين بن على بن الحسين، و أما المقطوعه فهى قول المعرى:

ليس يبقى الضرب الطوال على الدهر ذو العباله الدرعايه

(١) يا أبا القاسم الوزير ترحلت و غادرتنى ثفال رحايه (٢)

و تركت الكتب الثمينه للناس و ما رححت عنهم بسحايه (٣)

ليتني كنت قبل أن تشرب الموت أصيلا شربته في ضحاياه

إن نحتك المنون قبلي فاني منتحاها و إنها منتحاياه

أم دفر تقول بعدك للذائق لا طعم لي فأين فحاياه

(٤) إن يخط الذنب اليسير حفيظاك فكم من فضيله محايه

هي أبيات قليلة - كما نرى - غير أنها، على تضاييق في القافيه يحول دون الاسترسال، مفعمه بالأسى لفقد ذلك الرجل، حتى ليحس أبو العلاء أنه أصبح بعده " ثفال رحايه "، محض خرقة تدور فوقها رحي الحياه، و أن الحياه قد فقدت طعمها الشهى بعد أن ترحل عنها ما كان منها بمكان الأفويه و التوابل.

و قبل أن نغادر هذه الأبيات علينا أن نتذكر أمورا هامه، قد تفيدنا كلما تقدمنا في غمره هذا البحث:

الأول: أن أبا القاسم الوزير ترك للناس كتباً ثمينه، و تقول مخطوطات اللزوميات إن ذلك يشير إلى كتب وقفها الوزير بمدينه ميافارقين، و قد تكون هذه الكتب مكتبته الخاصه، و قد تكون مجموعه ما ألفه من كتب.

الثاني: أن الوزير توفي سنه ٤١٨هـ، و هذه اللزوميه من أواخر ما جاء في الديوان، فان كانت اللزوميات قد نظمت ولاء بحسب القوافي، فهذا التاريخ يفيدنا في تحديد الزمن الذي انتهت فيه، و إلا فهو تاريخ صالح يدل على أن أبا العلاء كان معنيا بنظم جانب من اللزوميات في تلك الفتره.

الثالث: أن أبا العلاء كان مشغول الذهن بالنهايه التي سينتهى إليها الوزير في الآخره، فهو قد احتقب ذنوبا سجلها عليه الملك الحافظان، إلا أنها ذنوب يسيره تمحوها فضائله الكثير، و أن الغفران مرجو له.

فمن هو الوزير المغربي؟ و ما مدى صلته بأبي العلاء المعري؟ أما التعريف بالوزير المغربي فحسبي منه الإيجاز، إذ لست أزيد في هذا المقام على ما كتبه الدكتور سامي الدهان في مقدمته على رساله في السياسه للوزير نفسه، جمع في ختامها أيضا معظم ترجماته من المصادر المتيسره حينئذ، كما لا أستطيع أن أتجاوز تلك الترجمة المسهبه التي صدر بها شيخنا حمد الجاسر كتاب الوزير المغربي "أدب الخواص"، فالإيجاز هو الطريق السوي في هذا المقام.

يقول الوزير المغربي في إحدى رسائله: "... إذ كان أصلي من البصره، و انتقل سلفي عنها في فتنه البريدي إلى بغداد، و كان جد أبي - و هو أبو الحسن علي بن محمد - يخلف على ديوان المغرب، فنسب به إلى المغربي، و ولد له جدي الأذني ببغداد في سوق العطش، و نشأ و تقلد أعمالا كثيرة، منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر المملكه... و أقام والدي و عمي بمدينه السلام و هما حدثان ". ثم يصف كيف انتقل الجد و أبناؤه إلى مصر ثم عادوا جميعا إلى حلب، و عاشوا في ظل سيف الدوله: " و استولى جدي على أمره استيلاء تشهد به مدائح أبي نصر ابن نباته فيه، ثم غلب أبي من بعده على أمره و أمر ولده غلبه تدل عليها مدائح أبي العباس النامي فيه، ثم شجر بينهما ما يتفق مثله بين المتصاحبين في الدنيا... " و أخيرا استقر الأب بمصر، و نقل إليها ابنه و سائر عائلته من حلب، و لقي حظوه بمصر إلى أن تغيرت الظروف.

فابو القاسم الحسين - إذن - ليس مغربيا، وإنما هو عراقي الأصل، يرتفع نسبه إلى الفرس. وقد ولد بحلب حين كان أبوه وزيرا لسيف الدولة.

ثم وزر لابنه من بعده. و بحلب نشأ و نال ثقافته. يقول أبوه في ذكر نشأته و ثقافته: " ولد - سلمه الله و بلغه مبلغ الصالحين - أول وقت طلوع الفجر، من ليله صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة سبعين و ثلاثمائة. و استظهر القرآن و عده من الكتب المجردة في اللغة و النحو،

ص: ٢٢

-
- ١- الضرب: الرجل الخفيف اللحم، و ذو العباله: الغيظ الضخم، و الدر حايه: الكثير اللحم القصير السمين.
 - ٢- الثفال: الجلد الذى يبسط تحت رحي اليد ليقى الطحين من التراب.
 - ٣- السحايه أو السحاءه: قطعه من القرطاس.
 - ٤- أم دفر: الدنيا، الفحا (بفتح الفاء و كسرهما): التوابل و الأبخار.

و نحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم. و نظم الشعر، و تصرف في النشر. و بلغ من الخط ما يقصر عنه نظراؤه، و من حساب المولد و الجبر و المقابلة و جميع الأدوات إلى ما يستقل بدونه الكاتب. و ذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة. و اختصر هذا الكتاب [يعنى "إصلاح المنطق" لابن السكيت]، فتناهى باختصاره، و أوفى على جميع فوائده، حتى لم يفته شيء من ألفاظه، و غير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجه إلى الاختصار، و جمع كل نوع إلى ما يليق به، ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره، فابتدأ به، و عمل منه عدة أوراق في ليله. و كان جميع ذلك قبل استكماله سبع عشرة سنة. و أرغب إلى الله في بقاءه و سلامته".

و على هذا، فان المعري كان يكبر أبا القاسم المغربي بما لا يقل عن ثمانى سنوات، أى أنه كان فى الخامسة و العشرين حين كان أبو القاسم فى السابعه عشره. و مع أن أبا القاسم انتقل بصحبه أبيه و سائر آل المغربى إلى مصر سنة ٣٨١ (أى و هو فى سن الحاديه عشره)، فإنه كان شديد الحنين إلى عهد نشأته بحلب، فيقول فى بعض شعره - من بعد :-

حن قلبى إلى معالم بابلا حنين الموله المشغوف

مطلب اللهو و الهوى و كناس الخرد العين و الظباء الهيف

حيث شطا قويق مسرح طرفى و الأسامى مؤانسى و أليفى

ليس من لم يسلم حنيننا إلى الأوطان إن شئت النوى بظريف

كما أنه يحن إلى معره النعمان، مما قد يدل على أنه عرفها قبل الرحله إلى مصر، و ليس بمستبعد أن يكون فى تلك السن قد تعرف إلى أبى العلاء، و أعجب به، و قرر أن يشاء شاوه فى المدرس و الاطلاع، إذ من المرجح أن يكون لوالده - و هو وزير سيف الدوله - صله قويه بالمعره، مما جعل أبا العلاء المعرى يهتم باخباره، بل لعله سمع منه مباشرة أخبارا لم تضيعها ذاكرته القويه، فهو يروى فى "رساله الصاهل و الشاحج" أن على بن الحسين المغربى حدث أنه كان مع سيف الدوله على بن حمدان، و هما خاليان، فسأله سيف الدوله عن الترويح، فقال له على بن الحسين:

لى بنت عم و أنا أنتظر قدومها على، فتلفت سيف الدوله يميننا و شمالا، هل بقربه من يسمع كلامه، ثم قال: لا تفعل، بنت العم نبت الغم. و مما يقوى القول بهذه العلاقه أن على بن الحسين لم يكذ يعود من مصر إلى ديار الشام على رأس جيش صد هجوما روميا عند حارم، حتى سجل أبو العلاء ذلك بقصيده له، مطلعها:

هو الهجر حتى ما يلم خيال و بعض صدود الزائرين وصال

أشاد فيها بانتصار ابن المغربى فى تلك الوقعه، و مدحه بقوله:

فلا زلت بدرا كاملا فى ضيائه على أنه عند النماء هلال

فما لخميس لم تقده عرامه و لا لزمان لست فيه جمال

وقد تمت هذه المعركة فى أيام العزيز بالله صاحب مصر (الذى توفى سنة ٣٨٦)، فهى قد حدثت قبل ذلك العام، بضع سنوات، وكان القائد الأعلى هو بنجوتكين التركى، وابن المغربى قد عين من قبله، غير أن القصيده لا تشير إلى القائد الأعلى ولا إلى العزيز، وإنما تقتصر على مدح الجيش المقاتل وقائده، وتكاد أن تقتصر على إعجابه الشخصى بعلى بن الحسين المغربى لما حققه من نصر، وهو إعجاب عاش مع الزمن، حتى أنه حين تذكره بعد وفاته بسنوات عديده قال فيه: "فقد كان ذلك الرجل سيدا، ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيدا، ولمن قوى منهم وادا، ودونه للنوب محادا. وكان كما قال القائل:

و إذا رأيت صديقه و شقيقه لم تدر أيهما ذوو الأرحام

و كان كما قال الطائى:

كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبى و شعب كل أديب

و فى هذا البيت الأخير الذى استشهد به إشاره إلى أنه كان يعد آل المغربى "شعبه و شعب كل أديب"، مصرا على موالاتهم و محبتهم، رغم كل ما قد يقوله فيهم الشائون المبعضون.

لا-عجب إذن- و هذا الاعجاب متبادل - أن يكون أبو العلاء هو المرجع الكبير الذى يعرض عليه أول نتاج يحققه الفتى أبو القاسم المغربى - أعنى اختصاره "إصلاح المنطق" لابن السكيت. و إذا لم يكن ذلك بدافع من نصيحة الأب نفسه، فقد تم بدافع من إيمان الفتى أبى القاسم، لأنه - فيما يبدو - لم يكن يقل عن أبيه إعجابا بقدره أبى العلاء. و اختصار كتاب - مهما يبلغ من الجوده و الإتقان - لا- يعد عملا- إبداعيا، حتى يجرد له أبو العلاء المعرى همته و يملئ فيه رساله طويله نسييا، تعرف ب "الاعريضية" أو "رساله الإغريض"، افتتحها بقوله: "السلام عليك أيتها الحكمة المغربيه و الألفاظ العرييه، أى هواء رفاك، و أى غيث سفاك، برقه كالاحريض و ودقه مثل الإغريض" (و من هنا جاء اسم الرساله). فاهداء مختصر إصلاح المنطق لم يكن إلا سببا واحدا حدا إلى إملاء هذه الرساله من بين عدده أسباب، إذ يبدو أنها توكيد لاستمرار علاقه طيبه بال المغربى: "إن كاتبت فلا ملتمس جواب، و إن أسهبت فى الشكر فلا طالب ثواب، حسبى ما لدى من أياديه، و ما غمر من فضل السيد الأكبر أبيه، أدام الله لهما القدره ما دام الضرب الأول من الطويل صحيحا، و المنسرح خفيفا سريحا...".

و إن المراسله بين آل المغربى و المعرى كانت مستمره، فهو يذكر فى "الاعريضية" أنه استقبل رسولين من لدن ابن المغربى: أحدهما اسمه موسى، و الآخر هو الزهيرى. ثم إن الكتاب لم يصل وحده، و إنما وصل معه - فيما يبدو - قصيده أو قصائد من نظم أبى القاسم، و لذلك وقف أبو العلاء عند شعره يقرظه و يثنى على قدرته فى ممارسه مختلف الموضوعات، قبل أن يتحدث عن اختصاره "إصلاح المنطق". فلما عرض لهذا الكتاب بالغ فى الثناء: "...شرفا له تصنيفا شفى الريب، و كفى من ابن قريب، و دل على جوامع اللغه بالإيماء، كما دل المضممر على ما طال من الأسماء". حتى لقد فضله على أصل ابن السكيت. و أبرز ما فى الرساله أمرين: قدرته - أعنى أبا العلاء - على التصرف بالصور النحويه و اللغويه و العروضيه، و معرفته بكتاب "إصلاح المنطق" و بعيوبه، معرفه حفظ و درس، ثم ختم رسالته بالشكوى من أنه يقطن فى موطن لم تجده عهدا الأدب، و أما من حيث النشب فان لديه بلغتين: بلغه صبر، و بلغه وفر (أى أنه ليس فى حاجه إلى عون مادي). و اعتذر عن مكاتبه الابن بدلا من الأب بقوله: "و أنا فى مكاتبه حضره سيدنا الجليله، و الميل عن حضره سيدنا الأجل والده - أعز الله سلطانه - كسبا بن يعرب، لما ابتهل فى

التقرب إلى خالق النور، و مصرف الأُمور، نظر فلم ير أشرف من الشمس يدا، فسجد لها تعبدا...".

إن هذه الرسالة التي أقدر أنها صدرت في حدود سنة ٣٣٨ [٣٨٣] هـ، لم تكن، على وجه التأكيد، أول رساله من المعري إلى الوزير المغربي، بل تشير الدلائل جميعها إلى أن "رساله المنيح" كتبت قبلها. و لم تكن "رساله المنيح" جوابا على رساله خص بها المعري، و إنما كانت جوابا عن رساله عامه بعث بها أبو القاسم المغربي إلى أهل المعره جمله: "و ذلك أنا معشر أهل هذه البلده وهب لنا شرف عظيم، و ألقى إلينا كتاب كريم، صدر عن حضره السيد الحبر، و مالك أعنه النظم و النثر، قراءته نسك، و ختامه بل سائره مسك، و في ذلك فليتنافس المتنافسون". و في رساله ابن المغربي

ص: ٢٣

سلام للمعري أدخل السرور على قلبه: "فحمل فؤادي من الطرب على روق اليعفور، بل فوق جناح العصفور، و كأنما رفعني الفلك، أو ناجاني الملك". و إنما أحكم بان هذه الرسالة قبل "الأغريضي"، لأنها جاءت جواباً عن رساله عامه لأهل المعره، و فيها يشير المعري إلى العهد الذي قضاه المغربي فيها، فكأنما هو حديث عهد بالرحاله عنها، "فطن و أرجه مقيم، و ارتحل و للثناء تخيم". كما أن "ترسم" المعري فيها في خطاب أبي القاسم يبدو و كأنه غير قادر على "رفع الكلفه" بينهما، فهو حين يقرأ ثناء ابن المغربي عليه يستشعر التواضع، و يقول: "و من أنا... هل أدبي في أدبه إلا كالقطره في المطره" - و عند ما يريد أن يسأله شيئاً من نظمه و نثره ينتحل التهيّب و يقول: "لقد هممت باسترفاد حضرته البهيه من بدائعه ما يفضل المال و يكون الجمال، فعداني عن ذلك إعظامي له و استحقاري نفسي، و ارعوت بي الهييه إلى إرامى و كفى، و أبى الله إلا أن يكون التفضل من قبله، فوعد التشريف بما سنع من المنثور و المنظوم". و فى الرساله لفته لا نجد لها فى "الأغريضي"، و هى تنويه المعري برعايه ابن المغربي للمعه "بكتاب حكمه يوفده، و عهد بصيره يعهده"، أو برعايه مزارعها و حمايه مزارعها، و يذكره بيؤس حال أهلها لاحاطه العدو بها، "فهم يتوقون كفه الحابل، و يتوقعون رشق النابل، و سالمهم هامه اليوم أو غد، و إن لم يكن ما خافوا فكان قد"، و كأنما المعري يخاطب فى هذه الرساله المغربي الأب - أبا الحسن - لا ابنه أبا القاسم، و فى هذا ما قد يشير إلى ما كان يعلقه المعري من آمال على آل المغربي، منذ أن أصبحوا ذوى مكانه عاليه فى الدوله الفاطميه، للنظر إلى حال البلاد الحلييه، أو إن شئت الشام، و فى مقدمتها المعره.

هذا من جانب المعري، أما من جانب أبي القاسم المغربي فلم أعثر إلا على رساله واحده موجهه إلى المعري و إلى شخص آخر، مبنيه على التشبيه: "سیدی"، و فيها تشوق كثير، و مراوحه بين النثر و النظم، و ليس فيها ما ينبى عن سبب باعث لكتابتها سوى ذلك، و فيها لمحه من شكوى الحال: "و أما حالى و ما أنا عليه فجملتها أنى أمسى و أصبح فى غل التدبير، و أروح و أغدو فى سجن المقادير، هدفا لسهام الليالى و الأيام، و عرضه لأسنه الأحوال و الأعوام، أجد ما لا أريد و أريد ما لا أجد". و هى شكوى عامه لا تحدد وضعاً، و ربما كانت أدل على مزيد من الطموح لا على بؤس الحال أو ترديها. و لا نجد لأبى العلاء جواباً عن هذه الرساله، و إنما نجد له قطعه تدل على أنها كانت فى تاريخ متأخر، و لعلها كانت بعد خروج أبى القاسم من مصر بسنوات، و هذه هى القطعه: "كلما هم خبرى بالهمود، و أشرفت نارى على الخمود، نعشنى الله بسلام يرد من حضرته، يجعل أثرى كالروضه الحزنيه و البارقه المزنيه، و لو كنت عن نفسى راضياً لشرفتها بزياره حضرته، و لكنى عنها غير راض، و ما أقربنى إلى انقراض، و إنما أنا قصيص التمراد و متخلف المراد، فقد عددت فى أناس قيل فيهم (تلك أمه قد خلت، لها ما كسبت و لكم ما كسبتم، و لا تسألون عما كانوا يعملون) و إن نعمت أو شقيت فدعائى يتصل بحضرته ما بقيت". فقولته:

"لشرفتها بزيارته"، لا- يمكن أن يعنى أن أبا العلاء كان ينوى زيارته فى مصر، و إنما كان ابن المغربي منه دانيا حينئذ، إما فى الرمله، و إما فى بغداد، و إما فى مكان آخر يسهل على مثله السفر اليه، و قوله: "و ما أقربنى إلى انقراض"، يشير إلى وهن فى العزيمه و استشعار لوطاه العمر. و بين الياس الذى تتضح به هذه الرساله و الآمال العراض فى "رساله المنيح" بون شاسع. فما السر فى ذلك يا ترى؟.

أعتقد أن ذلك كله يعود إلى إخفاق الوزير المغربي فى ثورته على الدوله الفاطميه، فقد ذهب العزيز و جاء الحاكم، فقتل والده و عمه و أخوين له، و هرب أبو القاسم إلى الشام مع بعض العربان، و حصل عند حسان بن المفرج - زعيم طيى - و استجار به، و أشار عليه بمباينه الدوله الفاطميه، و بمراسله أبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكه و مبايعته، ليصبح خليفه. و ترسل أبو

القاسم بنفسه فى إنجاز هذا الأمر، و سار إلى العرب كلها من سليم و هلال و عوف بن عامر و غيرهم ليبايعوا أبا الفتوح خليفه عليهم بدلا من الفاطمى، ثم جاء بابن جعفر العلوى أمير مكه و دخل به الرمله، فتلقيه بنو الجراح، و قبلوا الأرض بين يديه، و سلموا عليه بامر المؤمنين.

و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر، و خطب بذلك على المنبر. غير أن هذا التدبير لم يتم، إذ كتب الحاكم الفاطمى إلى حسان و إلى المفرج والد حسان، و بذل لهما من الوعود ما جعلهما يترددان فى نصره هذه الثورة، فضعف أمر أبى الفتوح، و عاد إلى موطنه مكه، و هدأت الثورة التى تريد قلب الدوله الفاطميه، كأنها لم تكن. و فى الوقت نفسه كتب الحاكم إلى أبى القاسم يقول له: "إنك آمن بأمان الله و رسوله محمد المصطفى و أينا على المرتضى و الأئمه من آلها مصابيح الدجى، و أمان أينا الأقرب نزار أبى المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين... أمانا ماضيا لا يتعقب بتأويل، و لا يتبع بنسخ و لا بتديل". و شفع هذا كله بالأمان المؤكد. و لكن الوزير المغربى كان قد وصل قبل بلوغ الأمان إلى العراق يؤم فخر الملك أبا غالب وزير مشرف الدوله أبى على. و لكن الخليفه العباسى، القادر لم يكن مرتاحا لوروده، فاتهمه بنيه إفساد الدوله العباسيه.

إننى لن أحاول فى هذا المقام تتبع خطوات الوزير المغربى، و لكن يكفى من هذا أن أقول إنه أخفق فى زعزعه الدوله الفاطميه، و إن ثورته بنى الجراح الطائين لم تسعف على تغيير الأوضاع.

المهم أن هذه الثورة أو إخفاقها، و أكب عوده المعرى من بغداد، و هو الذى كان يعرف معرفه اليقين تلك الحركه البدويه، و دورها فى محاوله زعزعه الحكومات القائمه حينئذ، و هى التى يصورها بقوله، بعد العوده:

و ما أذهلتنى عن ودادك روعه و كيف و فى أمثالها يجب الغبط

و لا فتنه طائيه عامريه يحرق فى نيرانها الجعد و السبط

و قد طرحت حول الفرات جرانها إلى نيل مصر فالوساع بها تقطو

و لكن هذه الآمال التى واكبت عودته من بغداد، و ثوره الوزير المغربى، حينئذ، أوقعتة فى يأس عميق. و لقد كنا نقرأ من قبل أن أبا العلاء بعد عودته من بغداد خاطب أهل بلده بأنه مزعم على العزله، و لكننا حين نقرن ذلك بالإخفاق الذى منى به الوزير المغربى ندرک أن العزله لم تكن أربا شخصيا، و إنما لعلها كانت نتيجة لأحلام كان المعرى يعقدها على أبى القاسم المغربى و ثورته. و لهذا، فان الوزير حين كتب له بعد إخفاق تلك الثورة رسالته التى أشرت إليها رد عليها أبو العلاء بما يشرح موقفه اليائس الذى لا يرجو له انتعاشا.

و تلف المعرى عزلته، و تتقلب الأيام بالوزير المغربى تقلبا ليس هذا موطن شرحه، و لكن التباعد بين الرجلين - الصديقين - لم يوقظه إلا ناقوس الموت، موت الوزير، فإذا بأبى العلاء يرثيه، و هو مشغول بالتحدث عن القضايا الإنسانيه لا عن الأفراد.

و لكن سخرية القدر لا- تقف عند هذا الحد. لقد مات الوزير المغربى و ابنه أبو العلاء على نحو لم يفعله مع أحد آخر، و أصبحت ذكراه موضع حديث طويل، بل أخذ أبو العلاء يقيس الناس بعلاقاتهم به، و تشاء الأقدار ذات يوم أن يذكروا على

مسمع منه رجلا اسمه ابن القارح فيقول أبو العلاء:

"أعرفه خبرا، و هو الذى هجا أبا القاسم بن الحسين بن على المغربى".

فيكتب ابن القارح رساله يتحدث فيها عن نفسه، و عن علاقته ببني المغربى، و عن الخطيئات و أصحابها على مر الزمن، و كأنما يسائل المعرى: أين يقع صاحبك الوزير المغربى بين أصحاب ذوى الخطيئات؟

ص: ٢٤

ذلك أنه صوره في رسالته امرؤ شديد الطموح، حتى كان والده نفسه يخاف مغبه طموحه، و أن أبا القاسم قال له يوما: ما نرضى بالخمول الذى نحن فيه. فقال له: و أى خمول هنا؟ تأخذون من مولانا - يعنى الخليفه الفاطمى - فى كل سنه ألف دينار، و أبوك من شيوخ الدوله، و هو معظم مكرم. فقال: أريد أن يصار إلى ديوان الكتاب، و المواكب و المقانِب، و لا أرضى بان يجرى علينا كالولدان و النسوان. و يلمح ابن القارح إلى أن الوزير أبا القاسم كان يسر حسوا فى ارتغاء، و أنه كان يريد الثوره على الدوله الفاطميه، و أن أباه نفسه كان يتخوف هذه العاقبه، و يقول: "ما أخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه". و قبض على لحيته. و يمضى ابن القارح فيعدد سيئات أبى القاسم، و يصفه بأنه كان مجنوناً، و يقول: و كان أبو القاسم ملولاً و الملول ربما مل الملال. و لكنه كان يدرى أو لا يدرى محبه أبى العلاء لأبى القاسم، بل لعله كان يستثيره ليعلن رأيه فيه.

و لكن خاب فال ابن القارح، إذ رد أبو العلاء على كل ما جاء فى رسالته، و على أشياء لم تجيء فيها، فسخر منه سخره عريضه فى "رساله الغفران"، و وضعه فى مواضع مضحكه، و تهكم به و بفهمه لمعنى الذنوب و لمعنى المغفره تهكما لا- نظير له فى الأدب العربى، و كتب فى ذلك رساله تعد من روائع الأدب العالمى - لا الأدب العربى وحده - و لكنه سكت فيها عن كل إشاره لأبى القاسم لأنه كان قبل ست سنوات (و هى المده بين رثاء الوزير المغربى و كتابه رساله الغفران) قد قال:

إن يخط الذنب اليسير حفيظاك فكم من فضيله محايه كانت مشكله الغفران لدى أبى العلاء هاجسا مثيرا قبل أن يكتب اليه ابن القارح رسالته، حتى إنه فى "رساله المنيح" يقول: "أ فبلدتنا جنان أم وضح لأهلها الغفران"، فقد كانت تلك المشكله تلح على خاطره، فلما طالعه "دوخله" أعنى ابن القارح بالسؤال عن أصحاب ذوى الذنوب، كتب اليه "رساله الغفران"، ليسخر به، و سكت عن أى ذكر للوزير المغربى، كأنما يقول له: عليك أن تقرأ اللزوميات، لتعرف رأى فيه، فقد كان الوزير المغربى كغيره من البشر ذا هنات يسيره قيدها الحافظان، و لكن ما أقربها من الغفران. و لذلك يصدق فى رساله الغفران ما قلته فيها منذ زمن بعيد: "نخطئ كثيرا إذا اعتقدنا أن رساله ابن القارح إلى أبى العلاء هى التى دفعت فيلسوف المعره إلى إنشاء "الغفران" دفعه واحده، دون أن تكون مقدماتها حاضره فى نفسه منذ زمن بعيد. و لو أن ابن القارح لم يكتب رسالته، لكان لا بد لرساله الغفران أن تكتب على نحو ما حين بلغ التهيؤ النفسى حده الأقصى لابتداعها". هذا ما قلته بدافع الحدس القوى، و أنا اليوم أجد شواهد بالاستقراء، و خير شاهد على ذلك هذه العلاقه التى حاولت رسم خطوطها العريضه بينه و بين الوزير المغربى.

السيد أحمد الحسينى التنكابى:

ولد فى تنكابن حدود سنه ١٢٤٥ و توفى فيها حدود ١٣٠٠ و قرأ المقدمات و المبادئ فى تنكابن ثم ذهب إلى طهران و اشتغل بالتحصيل و فى شوال ١٢٤٧ ذهب إلى قاشان و بقى بها مشتغلا بالتحصيل حتى شعبان ١٢٤٨ ثم ذهب إلى أصفهان حتى سنه ١٢٧٣ و كان يحضر عند اعلامها. ثم عاد إلى موطنه و بقى فيه منشغلا بالتدريس و التأليف و قضاء حوائج العامه له مؤلفات منها:

١ - رساله فى المعاد.

٢ - رساله فى شرح بعض الأدعيه و الأحاديث.

٣ - الحاشيه على شرح الجغمينى فى الهيئه: فارسىه و أخرى عربيه. (١)

الشيخ أحمد بن الشيخ حمد الله:

كان حيا سنه ١٢١١ هـ.

من شعراء القرن الثالث عشر المنسيين لم أقف على تاريخ حياته فى كتب السير و التراجم إلا أن الشيخ على آل كاشف الغطاء ذكره فى كتابه الحصون المنيعه فى طبقات الشيعه المخطوط و كان من معاصرى الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء المتوفى سنه ١٢٢٨ هـ و له قصيده فى تهنته عند عوده من الحج سنه ١٢١١ هـ قال صاحب الحصون المنيعه (الشيخ أحمد بن الشيخ حمد الله شاعر ماهر جيد القريحه كان فى أوائل القرن الثالث عشر للهجره لم أقف على شرح حاله و لا ترجمه أحواله سوى إني عثرت له فى بعض المجاميع العتيقه على قصيده نظمها فى تهنته جدى الشيخ جعفر عند مجيئه من الحج عام ١٢١١ ذكرنا بعضها، و على بعض مقاطع فى الغزل و النسب منها قوله:

إليك اعتذرنا و الفتى يقبل العذرا فمن كان يمحو الذنب يكتسب الأجر

فلا تحسبن تركى الزياره جفوه و لا تحسبن تركى الوصال لكم هجرا

و حقك يوم واحد من فراقكم لدى إذا ما غبتم يعدل الدهرا

أحن إلى رؤياكم كل ساعه كما حنت الخنساء ذاكره صخرا

و انشق أنفاس النسيم لعلى أشم بها من طيب أنفاسكم عطرا

و أكنتم سرى فى هواكم مخافه و سيما الهوى تبدو و إن كنتم جهرا

و إني على العهد الذى تعهدونه حفيظ ذمام لا اذيع لكم سرا

هواكم بقلبي طائر يستفزنى و لم يتخذ إلا فؤادى له و كرا

فمنوا على الخل الوفى بنظره أسر بها يوما و إن وقعت شررا

هبونى إليكم قد أسات فأحسنوا فواحداه الإحسان تجزى بها عشرا

أسرت فؤادى فى هواكم محبه و دون التلاقى لن أفكك له أسرا

فلا ورد لى إلا جميل صفاتكم أردده شوقا و امعنه فكرا

و لا زال دهرى تعترينى همومه إذا ما أتت صبحا اتانى بها عصرا

فدمعى طليق فى هواكم مسلسل و قلبى بقيد البين قيدته قسرا

أغالط خلى فى هواكم مخافه و رب خليل يبطن الغش و الغدرا

و اعرض عمن فى هواكم يلومنى كان بسمعى عن ملامته وقرا

ص: ٢٥

١- الشيخ محمد السامى.

و ليس امتناعى عن مزارك رغبه و لكن لأمر أنت فى كتمه أدرى

يعز على مثلى فراقك ساعه و رب فراق فى الهوى يهدم العمرا

فلا أحسب الخسران فقدان درهم و لكن فراق الخل أحسبه خسرا

لعل زمانى أن يمن بعوده و يبدل ذاك العمر فى قربكم يسرا

و له قصيده يمدح فيها الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء عند ما رجع من سفر الحج سنه ١٢١١ هـ:

روت لنا سحرا ريح الصبا خيرا عن النسيم صحيح النقل معتبرا

اضحت تحدث عنه و هى صادقته و لم يكن بالذى قد حدثته مرا

أن البشير من الأحباب يخبرنا ان المهنا إلى أوطانه سفرا

فقلت أسعى قرير العين من فرح أجر ذيل الهنا عجلا من مبتدرا

ابشر النفس فيما كنت نائله و لن يضيع إلهى أجر من صبرا

فيا له خيرا تم السرور به و ضاع منه الشذا فى الكون و انتشرا

و الدهر أضحى يهينا و ينشدنا أهلا و سهلا بمن قد حج و اعتمرا

و من سعى طائفا بالمروتين و من نال المنى بمنى و العز و الظفرا

و من إلى مشعر البيت الحرام مضى و قد قضى بالصفى ما فيه قد أمرا

و من إلى عرفات قد مضى و جلا يبغى الوقوف لها لله مبتدرا

و من تجرد للأخرى و تاق لها شوقا إليها و للدنيا لقد هجرا

شمرت ذيل السرى لله منتدبا لم تخش أينا و لم ترهب له خطرا

لله نوق سرت فيكم ميممه بيتا مشيدا لمن قد حج و اعتمرا

تسابق الريح جريا فى السرى بكم إذا قفوت تراها لم تر الأثرا

على وصول إلى بيت يطوف به غر الملائك فى أفلاكها زمرا

حتى أنيخت باعتبار مقدسه غرثى البطون لها السير المجد برا

اعتاب قدس بها الأملاك محدقه طوبى لمن خده فى تربها عفرا

فبت فيها تناجى الله مبتهلا تدرى دموعا تحاكي الدر منتشرا

و له قوله:

ألا يا نسيم الوصل خذ لى تحيها لى العالم الحبر الذى ما له مثل

و من جر ذيل الفخر كهلا و يافعاو داست على هام الثريا له نعل

نتيجه آباء كرام اعزهلهم منزل سامى الذرى حيثما حلوا

و حقك إنى ما قطعت وصالكمو لا عافنى عن قرب نادىكم شغل

و لكن قضاء الله جل جلالهغدا مانعا و المرء يخطئه الفضل

و كيف أبث الوصل بينى و بينكمو إنى لكم فرع و أنتم لى الأصل

أحن إليكم فى الدجى كل ليلهحنين خليل شاقه الالف و الخل

و إنى على ما تعهدون من الوفاو ما شاب قلبى فى وداكم غل

و إنى و فى بالعهود و ما اعترىعقود مواثيق الوداد لكم حل

أروم وصالا و المقادير تلتويو يمنعى داء الخصاصه و القل

(١)

الشيخ أحمد

ابن الشيخ عبد الامام بن صالح آل سيف الأحسائى البحرانى

وصفه فى (طبقات أعلام الشيعة) بقوله: (عالم فاضل) و والده الشيخ عبد الامام كان أيضا من العلماء.

ولد المترجم له فى (البحرين) و بها كان مسكنه و وفاته و لهذا يقال له (البحرانى). و أصله من (الأحساء)، و لا نعلم سنه مولده و

لا تاريخ وفاته غير أنه كتب بخطه بعض الكتب العلميه بتاريخ ١٢٣٣ هـ - كما فى (طبقات أعلام الشيعة) -.

و كان قد تلقى دروسه العلميه على يد علماء عصره الأعلام و منهم والده الذى له الروايه عنه أيضا.

و للمترجم له أخ عالم أيضا اسمه الشيخ على كان حيا سنه ١٢٠٧ هـ، و لا نعلم عن حال المترجم له أو أخيه شيئا غير هذا. (٢).

الشيخ ميرزا أحمد:

ابن الشيخ ميرزا على أصغر بن الشيخ حسين بن الشيخ محمد

صالح القزوينى آل الصالحى

ولد حدود سنه ١٢٩٧ و توفى سنه ١٣٣٩.

كان من علماء عصره البارزين و أئمه الجماعه و الفتيا أخذ أوليات العلوم و شطرا من السطوح على اعلام رجال أسرته فى المدرسه الصالحيه فى قزوین ثم هاجر إلى العراق فحضر فى الفقه و الأصول فى كربلاء على ميرزا على نقى الصالحى الحائرى ثم استقر فى النجف و تخرج على الآخوند الملا- محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه ثم رجع إلى موطنه قزوین بعد سنه ١٣٣٦ فانتهدت إليه الرئاسة و شغل كرسى التدريس و الفتوى و الامامه و رجع إليه الناس فى أمر التقليد. إلا إنه لم تطل أيامه فاختطفته يد المنون.

له فى الأصول مغنى الكفايه و فى الفقه كفايه الفقه من العبادات و بعض المعاملات..

ص: ٢٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- السيد هاشم الشخص.

و له حواشى على كفايه استاذہ الآخوند الخراسانى و غيرها

السيد أحمد الغريفي بن السيد علوي البحراني:

ولد في المنامه (البحرين) سنة ١٣٦٥ هـ و توفي فيها سنة ١٤٠٥ بحادث سير في سن السابعة صحب والده في رحلته إلى مدينه النجف الأشرف حيث واصل أبوه الدراسه فيها و هناك أكمل المترجم الدراسه الابتدائيه و واصل دراسته فأكمل الثانويه ثم عاد مره ثانيه إلى العراق و التحق بكلية الفقه في النجف الأشرف و نال شهاده البكالوريوس في اللغه العربيه و العلوم الإسلاميه عام ١٩٧١ م. كما واصل الدراسه الحوزويه فحضر عند والده و عند السيد محيي الدين الغريفي و السيد على الفاني و السيد محمد باقر الصدر و السيد أبو القاسم الخوئي. ثم سافر إلى القاهره و هناك حصل على شهاده الماجستير في العلوم الإسلاميه سنة ١٩٧٩ م. ثم عاد إلى مسقط رأسه البحرين حيث حل فيها مرشدا هاديا فترك أثرا في محيطه. بما كان يلقيه من خطب و دروس و إرشاد و وعظ.

له من المؤلفات:

كتاب البراءه الأصلية في الشريعة، الإسلاميه و هو رسالته للماجستير، و كتاب ضم محاضراته التي كان يلقيها على الناس، و أغلبها في تفسير القرآن.(١)

السيد أحمد بن فضل الله الحسيني الإشكوري:

كان حيا في أواخر القرن الثاني عشر.

كان من العلماء الفقهاء لم نعلم من حياته شيئا و قد رأيت من تأليفاته ترجمه لكتاب (الحيدريه) في الفقه - تدل على سعه علمه و اطلاعه.(٢)

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد التالهي القزويني:

ولد في قزوین سنة ١٣٢١ هـ كما حدثني به و توفي بها في سنة ١٣٨٦ هـ و دفن في مقبره آل الصالحی في روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضاع.

قرأ المقدمات على والده الشيخ محمد و النحو و الصرف و المطول على الشيخ يونس القزويني و أخذ السطوح عن الشيخ على الطارمي و الشيخ محمد الطارمي و حضر الفقه و الأصول على الشيخ يحيى المفیدی ثم التحق بحوزه السيد أبي الحسن الرفيعی القزويني و أخذ عنه الفقه و الأصول و الحكمة و الفلسفه في المدرسه الصالحيه و اختص باستاذة الرفيعی، ثم زوج ابنته لابن استاذة الرفيعی فتوطدت علاقتهما و أصبح من حواری استاذة المذكور.

تصدر للتدريس في مدرسه الالتفاتيه بقزوین و التف حولہ جمع من الطلاب و الفضلاء فتخرج عليه جماعه من العلماء. نرح إلى العراق سنة ١٣٧٥ هـ و حل في دارنا بكربلاء عند والدي قدس سره و هذا أول لقاء لي معه و كان يحفظ من أخبار العرب و

قصصهم و أشعارهم الشيء الكثير و خاصة فى التاريخ و السير و صاهرتة على ابنته ثم سافر إلى النجف و حصل على إجازات من علمائها الأعلام. و له مؤلفات جميعها بالعربية(٣)

أبو بكر احمد بن محمد بن السرى:

مرت ترجمته فى الصفحة ١١١ من المجلد الثالث، و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء:

الامام الحافظ محدث الشيعة. كان موصوفا بالحفظ و المعرفة إلا إنه يترفض، قد ألف فى الحط على بعض الصحابه و هو مع ذلك ليس بثقه فى النقل. و قال محمد بن حماد الحافظ: كان مستقيم الأمر عانه دهره، ثم فى آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب.

الملا أحمد الرمل بن محمد:

ولد فى مدينه سوق الشيوخ (العراق) سنة ١٣٠٧ و توفى فى مسقط و دفن فى النجف الأشرف و آل الرمل عشيره شهيره فى البحرين.

درس النحو و الصرف و البيان فى سوق الشيوخ، و اتقن فن الخطابه الحسينيه و مارسها و احتذى فيها حذو أبيه الملا محمد فقد كان خطيبا حسينيا. ثم انتقل إلى بلده (أبو الخصيب) من أفضيه مدينه البصره و أقام فيها حوالى العشر سنين ثم نرح إلى مدينه المحمره فى خوزستان و هناك لازم الخطيب الشهير السيد سلمان البحرانى المتوفى سنة ١٣٣٥ الذى كان قد انتقل من البحرين إلى المحمره، و أخذ بطريقته فى الخطابه حتى صار هو بنفسه ممن يشار إليهم بالبنان. و كان يمتاز بصوته الشجى الرقيق، و قد ظل خطيبا بارعا محببا إلى أهالى تلك المنطقه.

و إلى ذلك كان يجيد النكته و يستحضر الطرفه و يتقن صنعها و يحفظ الكثير من أمثالها، و كان سخيا كريما يساعد الفقراء و يعين الضعفاء، ذا عقيدته راسخه لا سيما فى الحسين ع، فكثيرا ما كان يرقى المنابر لا بداعى المال بل بداعى حبه للحسين ع خصوصا فى بيوت الفقراء.

كان فى المحمره ملازما بيت السيد عدنان الغريفى، و كانت له به و بانجاله بعده أكثر من علاقه صداقه.

من شعره قوله فى على ع:

أليس به النص يوم الغدير بلى رغم الناكر الغادر

فبيعته فى رقاب الورى إلى يوم يحشرنا الحاشر

و قوله فى الزهراء ع:

أملى بنت محمد خير الورى أم الأئمه صفوه الجبار

إذ تسأل الرحمن إلحاقى بمن كانوا أخلائى بهذى الدار

و له قصيده طويله يمدح بها أبناء السيد عدنان الغريفى:

اهنيك عدنان فى فتيه كما طبت طابوا و طاب الخبر

اعادوك حيا و لولاهم فقدناك فقد الحقول المطر

و قال محمد بن محمد على جبران يمدح المترجم من قصيده:

ذاك ابن رمل أحمد بن محمد وقف الرجاء بابه المقصود

هو شمس أفق المكرمات و من له نظم بديع مزدر بعقود

ص: ٢٧

١- السيد على العدنانى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ان قال أحرص قس عند مقاله أو جاد أحرص حاتما فى الجود

السيد أحمد بن محمد حسين شريف الحسينى التنكابنى:

ذكره فى أعيان الشيعة: ١٠٣/٣ فى ترجمه السيد أحمد بن المير محمد حسين الحسينى التنكابنى المذكور فى تميم أمل الآمل: ٦٣ ثم اعترض على صاحب الذريعة و قال: و العجب أن القزوينى يصفه بهذه الصفات و صاحب الذريعة يقتصر فى وصفه على الطبيب الماهر.

أقول: بل هما شخصان - الذى ذكره القزوينى فى تميم أمل الآمل هو من العلماء و توفى قبل تأليف تميم أمل الآمل (أى سنه ١١٩١) و أما مترجمنا فكان من الأطباء و كان طبيبا خاصا لفتح على شاه القاجارى (١٢١٢ - ١٢٥٠) و له مؤلفات منها.

١ - بدء الساعه - و هو مترجم عن كتاب الرازى و أهاده إلى فتح على شاه القاجارى طبع فى طهران طباعه حجرية.

٢ - مطلب السؤل - كتبه باسم محمد شاه حفيد فتح على شاه.

٣ - اسهاليه - فى مداواه مرض الاسهال.

٤ - شرح الصلوات على النبى. (١).

الشيخ أحمد بن الشيخ مهدى نصر الله:

اشاره

مرت له ترجمه فى مكانها من (الأعيان) و نعيدها هنا بتفاصيل أوسع مكتوبه بقلم الأستاذ محمد العوامى. ولد فى مدينه القطيف.

و لا- يوجد فى المصادر المترجمه لحياته تاريخ دقيق لولادته. و لعله ولد فى العقد الخامس من القرن الثانى عشر الهجرى و بالتحديد فى الفتره ما بين ١٢٥٤ إلى ١٢٦٠ هـ و عله ذلك ان قصائده المسماه (العلويات السبع) كان قد أنشأها و هو ابن ٢٧ سنه حينما كان مبعدا عن البلاد كما يقول الشيخ البلادى و من خلال التتبع نعلم انه هجر البلاد مرتين الأولى و الثانيه إلى نهايه ١٢٨٧ و الفتره الأولى كانت أطول من الفتره الثانيه و لعله نظم شعره فى الفتره الأولى.

أسرته

عرفت أسرته فى الأوساط الاجتماعيه بتصديها للزعامه السياسيه و الاجتماعيه فى منطقه القطيف. فيهم الشعراء و الأدباء و العلماء:

* منهم والده الشيخ مهدى بن أحمد نصر الله أبو السعود القطيفى كان وجه القطيف فى عهد الحاكم السعودى فيصل بن تركى. توفى سنه ١٢٨١.

* و منهم عمه الشيخ ناصر بن أحمد نصر الله أبو السعود القطيفي: له شعر كثير و له منظومه فى الأصول الخمسه.. توفى سنه ١٢٩٩ و أرخ بعض الأدباء وفاته بقوله

"تبكى المدارس فقد ناصرها"

* و منهم الشيخ مهنا بن أحمد بن مهدي بن مهنا، أبى السعود.

المتوفى فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى.

صنفه المرحوم الحاج الملا- على بن رمضان الخطى فى قصيدته (ماضى القطيف و حاضرها) من النوايح و قال فيه فى تلك القصيده التى مطلعها:

يا خط يا وطن الكرام إلا اسمعى ما ذا يقول فتاك ذاك الالمعى

كم قد علوت على القرى بنوايح نبغوا و صاروا فى المقام الأرفع

إلى أن يقول..

مثل المهنا كان أكبر حاذق فى الطب ليس لفضله من مدفع

كم أبرات كفاه مضمي مدنفا امسى كميت لا يحس و لا يعي

و منهم ابن عمه الشيخ عبد الله بن الشيخ ناصر بن أحمد نصر الله أبو السعود القطيفي، له و كالات من كبار علماء عصره كالشيخ محمد طه نجف و الشيخ محمد حسين الكاظمي.

و فى سنه ١٣٢٣ هـ تولى رئاسه القضاء و الفتوى فى البلاد.(٢)

له شعر كثير، توفى سنه ١٣٤١ إلى غيرهم من رجال الأسره فى عصرنا هذا.

بلدته

القطيف: مدينه كبيره، اشتق اسمها من القطف و هو القطف من العنب و نحوه، و كانت لها قبل الاحتلال السعودى واحه خضراء تمتاز بخصوبه أرضها، مما جعلها تنتج مختلف المحاصيل الزراعيه و تصدر انتاجها إلى - دول الخليج المجاوره.

- و تقع هذه المدينه على الساحل الغربى من الخليج، على بعد (٥٠) درجه من خطوط الطول شرقا، و ٢٦ درجه و ٣٢ دقيقه، من خطوط العرض شمالا.

و كان يطلق عليها اسم - "الخط" و فى بعض كتب التاريخ كان هذا الاسم يطلق على الساحل الشرقى من الجزيره العربيه الذى يبتدى من البصره شمالا و ينتهى إلى عمان جنوبا.

كانت القطيف فى الماضى عاصمه إقليم البحرين الذى كان يشمل الأحساء و القطيف و أوال (البحرين حاليا) و كان ذلك فى أدوار مختلفه فى القرن الأول و الثالث و التاسع الهجرى كانت عاصمه الإقليم، بل هى أزهى مدينه فيه، و إليها كانت تنسب الرماح الخطيه الشهيره، و قد تردد اسمها كثيرا فى الشعر العربى القديم، قال عمر بن اسوى:

و تركن عنتره يقاتل بعدها أهل القطيف قتال خيل ينقع

و قال حمد بن المعنى العبدى:

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها و ما خير نصح بعد لم يتقبل

فقد كان فى أهل القطيف فوارس حماه إذا ما الحرب شدت يبذبل

امتازت هذه المنطقه بأنها كانت مهذا لشعوب عريقه فى الحضاره و بها من الآثار ما يدل على قدمها و حضارتها..

و سبق لها أن كانت عرضه للاحتلال البرتغالى و الهولندى و خضعت للسيطره العثمانيه قبل أن تخضع للاحتلال السعودى لما كانت تتمتع به من موقع جيد على الخليج، و لوجود الثروات الضخمه فى أراضيها حتى قبل أن يخرج البترول فيها.

ص: ٢٨

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- كانت البلاد حينها تحت سلطه الدوله العثمانيه فى أواخر سنواتها حيث احتل عبد العزيز القطيف و الأحساء فى منتصف ١٣٣١ هـ.

الفوز و النجاح على رأسه و تربع على دست العز و الإمارة أخذت روحه الساميه تنازعه إلى إصلاح الوطن العزيز و كان عليه بالطبع قبل كل شيء بجمع زعماء الوطن على الرأى السديد و هذه ضالته المنشوده فاخذ يجد فى ذلك قولاً و فعلاً و يشهد بذلك تضمينه هذا البيت فى احدى قصائده التى يدعوهم فيها إلى اجتماع الكلمه:

ما ان تركت بأرض الخط من رجل ألا أحق بضرب الرأس من صنم

(١) و هكذا بقى الشيخ سيذا على البلاد حتى توفى فى الأول من ربيع الأول سنة ١٣٠٦ هـ و شيع تشيعاً كبيراً، و دفن فى مقبره الحباكه المعروفه إلى اليوم فى غرب مدينه القطيف و التى دفن فيها عشرات العلماء الأعلام.

بعد وفاه الشيخ تولى الزعامه صهره منصور بن جمعه ثم أخذه عبد الحسين بن جمعه الذى أعدمه الملك عبد العزيز حين احتل الإحساء و القطيف.

شعره و أدبه

التصدى للعمل الاجتماعى و السياسى يأخذ الجزء الأوفر من الوقت مما يسبب فى إضعاف الاهتمام بالاولويات الأخرى.

الشيخ نصر الله رغم مشاغله كزعيم سياسى و اجتماعى لقومه يتصدى لاداره البلاد و العباد و يطمح فى حل مشاكلهم فإنه كان يولى الأدب و الشعر اهتماماً خاصاً.

فله قصائد مدح و رثاء و مجاراه و مناجاه كثيره منها:

السبع العلويات التى جارى فيها ابن أبى الحديد فى علوياته السبع.

و له مجارات المعلقات السبع لشعراء العصر الجاهلى.

و له قصائد فى الاحتجاج و المناقضات العقائديه.

و له قصائد كثيره فى مناجاه الله سبحانه و تعالى.

و له قصائد ينظمها لمجالس الامام الحسين ع و قد فاقت المائه قصيده و ذكر انه فى بعض السنين كان ينظم فى كل ليله من ليالى عاشوراء قصيده يعطيها لخطباء المنبر ليقروها.

و له أشعار فى مدح السلاطين العثمانيين كالسلطان عبد الحميد الثانى كما ذكر ذلك فى ترجمته فى كتاب (أنوار البدرين) الذى قال عنه إنه لم يكن يقصد فى شعره الجوائز إنما كان من أجل إبراز الصوت و إثبات الوجود.

و من شعره غير المنشور فى الأعيان قوله:

هى المعالم خف القاطنون بها فأصبحت بعد عهد القوم غيطانا

و كنت يوم رحيل الحى شاهدها أخفقت من غمرات الوجد و سنانا
ترى هواج يحملن البدور ضحى و الشمس كاسره عنهن أجفانا
كانت ديار لنا بالجزع فابتدرت لها الليالى فابلتهن عدوانا
هى الحوادث كم أودت بذى شرف و شرفت حفدا منها و عبدانا
أودت بال رسول الله فاقتنصت منها حباثلها صيدا و فرسانا
فما رعت منهم حقا و لا حفظت لهم ذماما و لا راقبن حسابنا
كم سيد لعبت أيدي المنون به و فارس أوردته الحتف لهفانا
كابن البتوله مأوى كل مكرمه و مستفاض الندى منا و إحسانا
فتى يرى الأسد أنعاما و إن مثلت عند الكريهه اسادا و فتيانا
كم جحفل فر زحفا من صواعقه و الخيل تنعل فى الهيجاء جثمانا
فى فتيه ملكوا الأماكن و اقتحموا إلى طلاع العلا شيبا و شبانا
و أوردوا غمرات الموت أنفسهم مشى الوحا مرحا مثنى و وحدانا
كم واصلوا بالمواضى خطوطهم و جلوا على حياض الردى للصيد خرصانا
شم المعاطس أوابين ما غضبوا صفحا على من جنى منهم و أهوانا
وفوا ذمام رسول الله فاتخذوا حذب المنايا لهم فى الوخذ بعرانا
حلوا من العزفى أعلى معاقده و ألبسوه من العلياء تيجانا
و جاوروا المصطفى فى الخلد من نزلوا إلى جوار بنيه الغر كوفانا
و أدركوا غايه الفضل الذى منحت به المكارم اعضادا و أركاننا
تحميهم العذبات البيض مشرقه صحما من الوحش فى المثوى و ذوبانا
و فى رؤوس القنا من هامهم غرر تكشف الليل أظلاما و أذجانا

كم البس الملاء الأعلى لهم حلالا من المنى و ثوى فى الوجد غيطانا
صلى الإله عليهم كم قضا وطرا من العلا و شفوا فى العيش أشجانا
لم يزمع القوم وردا المردي طمعا فى الخلد إلا هدى رشدا و عرفانا
لم أنس خامس أصحاب الكساء فردا و منبرا نخذ الهيجاء عيدانا
يغشاهم بكميت اللون منحرد قيد الأوابد يغشى الروع غضبانا
اسمى من الفلك الأعلى مظاهره فيهم و أنكى من الأقدار إمكانا
أساخ كل قرار ثابت بهم لو لا رأى من عزيز الملك برهانا
يا منزل الغيث هلا هل وابه

ص: ٢٩

و أهم شىء امتازت به القطيف إنها كانت بلده علم و أدب و ثقافه منذ مئات السنين حيث خرج منها و لفترات طويله عشرات المجتهدين و مئات العلماء و الأدباء و سميت فى فتره من الفترات بالنجف الصغرى لأهميتها و مكانتها العلميه.

احتلها السعوديون عام ١٩١٣ م (١٣٣١ هـ)، و منذ ذلك التاريخ حتى الآن يمارس الحكم السعودى فيها الاضطهاد و الظلم و تلقى منه الإهمال فى شتى المجالات. إذ تقوم سياسه هذا الحكم على التمييز المذهبى البشع.

كما ان أبناءها قد حرموا من الوصول إلى المراتب المهمه فى السلطه فى جميع المجالات السياسيه و العسكريه و الاداريه و غيرها.

حياته

تربى المترجم بالقرب من والده الذى كان عين أعيان منطقته القطيف(١) فى عهد الحاكم السعودى فيصل بن تركى بن عبد الله بن سعود الكبير مؤسس الدوله السعوديه فى دورها الثانى. و بحكم أن والده كان و جيهها سياسيا و اجتماعيا فقد ساعد ذلك أن يأخذ هو أيضا دورا مشابها. و بعد وفاه والده الشيخ مهدى سنه ١٢٨١ كان هو المقدم فى منطقته القطيف فتره من الزمن حتى حدثت خلافات بينه و بين الحاكم السعودى فيصل بن تركى(٢) مما دعى الحاكم إلى اعتقاله و نقله إلى سجن الإحساء و من هناك إلى سجن الرياض و صودرت أمواله و أملاكه.

ثم أرادوا إعادته إلى الإحساء و فى الطريق تمكن من الفرار. و سار فى الصحراء متوجها إلى قطر مستدلا بدليل يعرف الطريق ينام معه النهار و يسير الليل.

و من قطر توجه إلى البحرين و كان أخوه قد سبقه بالهرب إليها مع عائلته.

و فى البحرين حيث عائله آل خليفه الحاكمه كانت على خلاف مع الأسره السعوديه استطاع الاستقرار و مواصله كفاح السعوديين.

و قد عانى ما عاناه من المشاكل و المصاعب الكثيره فى نفسه و فى أهله و عائلته و تحمل و صبر أجمل الصبر.

و بقى فى البحرين قرابه العام.

و بعد وفاه الحاكم السعودى فيصل بن تركى سنه ١٨٦٥ م / (١٢٨٢ هـ) رجع إلى البلاد. و كان الصراع على الملك يزداد احتداما بين فئات الأسره السعوديه الحاكمه، فقد تناحر سعود و عبد الله أبناء تركى على الحكم و غلب عبد الله أخاه سعود بطريقه دمويه عنيفه. و استنصر سعود بأخواله العجمان كما استنصر أيضا بالشيخ أحمد نصر الله كقوه سياسيه تمثل الأهالى ليعينه على أخيه عبد الله و قد ابدى الشيخ تجاوبا مع الأمير المهزوم سعود.

و جرت معركه داميه فى الباديه قرب الأحساء بين جيش سعود و جيش أخيه عبد الله عرفت بمعركه الجوده و ذلك فى (رمضان ١٢٨٧ هـ) حتى أخذ سعود البلاد من أخيه بعد أن أسر أخاه محمدا (قائد جيش أخيه عبد الله) و أودعه سجن القطيف و ظل حتى

أطلق الأتراك سراحه سنة ١٢٨٨ هـ.

ذهب الشيخ إلى الأحساء مقر إقامة الحاكم الجديد ليتفاوض معه نيابه عن أهالي القطيف لعل يجد خيرا و لكن الحاكم تنكر له و صادر أمواله و أملاكه و أخذ في مضايقته مما اضطره إلى مغادره البلاد مره أخرى إلى البحرين و بعد فتره و جيزه اشتد الصراع من جديد بين الأخوين و زاد سعود في توسعه و احتل الرياض فى المحرم ١٢٨٨ و هرب حاكمها أخوه عبد الله إلى حائل ليستنجد بأميرها كما استنجد أيضا بوالى بغداد مدحت باشا الحاكم العثماني المشهور لمساعدته لانتزاع الملك من أخيه سعود.

و لم يضع الشيخ الفرصه هذه المره، فقد ذهب إلى بغداد و استحث الأتراك على انتزاع كافة البلاد من آل سعود جميعا، كحل جذرى للمشاكل المتفاقمه فى البلاد. (حيث المجاعه و ارتفاع الأسعار و صار الناس يأكلون جيف الحمير، و مات الكثيرون بسبب الجوع، و ترك الناس يواجهون الموت و المصائب و النهب و القتل و الفساد..

و فى بغداد اتفق مع واليها مدحت باشا على تخليص البلاد من يد آل سعود و توجه مع الأسطول التركى فى صفر ١٢٨٨ نحو القطيف و الأحساء.

و حول تلك الظروف و تلك الفتره يقول الأستاذ محمد سعيد المسلم:

تشاء الصدفة أن يكون أحمد بن مهدي نصر الله الشاعر المعروف الذى ورث الزعامه من أبيه سيئ العلاقه مع النجديين فيسعى هو الآخر إلى تفويض سلطانهم من هذه المنطقه، فقد قام بمغامراته المشهوره بين بوشهر (فى إيران) و البصره و اتصالاته بالمسؤولين الأتراك فشحجهم على الاستيلاء على هذه المنطقه، فصدرت الأوامر العليا من الدوله العثمانيه (كان ذلك فى عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثانى (١٢٧٧ - ١٢٩٣ هـ) إلى والى بغداد مدحت باشا، باحتلال القطيف و الأحساء و ضمها إلى حظيره الدوله العليه.

ففى سنة ١٢٨٨ هـ وجه والى بغداد حمله عسكريه بقياده محمد باشا نافذ الفريق يرافقه أحمد بن مهدي نصر الله، فأقلعت من ميناء البصره عبر الخليج، نقلها بآخرتان إلى ميناء القطيف، كما صدرت الأوامر إلى عبد الله بن صباح أمير الكويت (يومها كانت الكويت خاضعه لنفوذ الدوله العثمانيه) بان يشترك فى الحمله فجهز جيشا فى السفن و جيشا آخر سار عن طريق البر بقياده أخيه مبارك الصباح، فلما وصل الجيش العثماني إلى القطيف استقبلته البلاد بارتياح بالغ و فتحت أبوابها فى وجه القائد العثماني بسبب ما لاقته من ضروب الفوضى و اختلال الأمن فى عهد كانت الدوله تعتمد فى قوتها على مسانده قبائل البداه (٣) و تولى الشيخ أحمد السلطه كوال للسلطان العثماني على البلاد بعد أن تحقق له طرد السعوديين و أمرائهم المتناحرين منها.

و ينقل لنا الشيخ فرج العمران عن عبد الرسول الجشى تلك الحاله فيقول: فكان الحاكم المطلق ذا الهيبه و السلطان و بعد أن انعقدت أكاليل

ص: ٣٠

١- إلى ما قبل حوالى ٣٠ سنة لم يكن للمدن الكبرى المعروفه اليوم بالمنطقه الشرقيه كالدمام و الخبر و الظهران.. أى وجود و

كانت القطيف و ضواحيها المعروفه بالخط و الإحساء و ضواحيها بهجر تشكل ما يعرف اليوم بالمنطقه الشرقيه.

٢- هو فيصل بن تركى بن عبد الله (الأول) بن سعود الأول بن عبد العزيز بن محمد بن سعود كان آخر الذين نفاهم إبراهيم باشا إلى مصر، و فجاه ظهر فى الرياضسنة ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٦ م و سلمه أبوه قياده جيشه، و وجهه إلى الإحساء، و بها سمع باغتيال أبيه فرجع، و أخذ بثاره، حكم البلاد مرتين: الأولى من سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٥ - ١٨٣٩ م. و فى هذه المده راح يتوسع و يفتح البلاد و يدخلها فى طاعته، فحاصره خورشيد باشا القائد المصرى فى بلاد الخرج حتى استسلم له، فنفاه إلى مصر، و ظل فيها أربع سنوات استطاع بعدها أن يهرب منها و يعود إلى الرياض حاكما ثانيه. و امتدت هذه المده سنة ١٢٥٨ هـ - ١٢٨٢ هـ - ١٨٤٢ م - ١٨٦٥ م، و فى هذه الحقبه انسحبت الجيوش المصريه من نجد نتيجة لمعاهده لندنسنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤١ م) فخلا الجو له. كف بصره فى أواخر أيامه، و توفى سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م)، و دفن بالرياض.

٣- تاريخ العربيه السعوديه لفاسلييف ص ٢٣٥.

عليك لا سقت الجرباء ثعبانا يا مانح الأرض بعد الجذب وابلها
كيف انثيت بجنب النهر عطشانا و يا منيع الحمى و الدهر شانته
كيف استباح لك الأيام أجنانا إليه برسول الله لو نظرت
عيناه كيف وردت الموت ظمانا و كيف رضت قراك الخيل و انتعلت
من شلو جسمك أوصالا و جسمانا إذا أقام عليك الدهر من وصب
ماتما و ارتماه الخطب أسوانا من الفوارس يغشاها إذا اقتربت
تحت العجاجة أقرانا فإقرانا و الخيل عابسه يجرى النجيع بها
على الكواثب و اللبات غدرانا هذى المكارم فى الحمراء من مضر
امست تجر عرائنا و أذقانا هذى الجياد إلى الغارات صافنه
تدعو من القوم فى الإلحاد أجنانا هذى الضيوف و قوف فى مجاثمها
تبغى القرى فيشمن الوفد حيرانا اين العماد لهذى و المثير لذى
و المستغاث لهذى أينما كانا فى معشر و طئوا هام العلا و جلوا
من المعالى براهينا و تبياننا امسوا تمج المواضى من نحورهم
دما و تكسوههم الأرياح أكفانا و الهام فى قلل الخرسان مشرفه
تتلو من الآى بين الركب قرآنا يا لهفتاه لا تراب محجبه
بالمشرفيه عزا و القنا شاننا بين النبى و سبطيه و فاطمه
و المرتضى لا ترى ذلا و أهوانا تسبى جهارا و ما لله منتصر
فيها و تطوى بهن العيس و ديانا من كل بارزه كالشمس مفرقتها
أضحت تقنع بعد الستر قضباننا كم حرمه هتكت فيها لفاطمه
و كم حمى مستباح لابن عمراننا فأين عنها رسول الله ينظرها

مغانما لبني حرب و سفيانا بنو النبي خذوني في جواركم
فقد سقيت من البأساء قدحانا و دونكم من قسيم المدح رائقه
ولهاء تتلو من الأرزاء فرقانا تقبلوها بلطف من نوالكم
فقد أتكتم تريد العفو إحسانا تهفو ولوعا على اعتاب مجدكم
ترجو اقاتها صفحا و غفرانا يهديكموها بعيد الدار مغرب
عن الأحبه أوطارا و أوطانا فاز (ابن مهدي) إن كنتم له سندا
فقد تورط ليل الإثم حيرانا فلا تردوا يدي مما علقت به
فقد رجوتكم غوثا و أعوانا في كل يوم لكم منى مغرده
تجلو من المدح آيات و تبيان

الأمير أردشير ميرزا:

و يقال آكاه ميرزا بن الأمير عباس ميرزا ولي العهد ابن السلطان فتح علي
شاه القاجاري

المتخلص في شعره باكاه و الملقب بركن الدوله ولد في طهرانسنه ١٢١٩ و توفي فيها سنه ١٢٨٢.

ولد في بلاط جده فتح علي شاه القاجاري و ترعرع فيه و أخذ العلم عن جمع من علماء طهران و برز في الشعر و الأدب و الفنون
الحرييه. له نظم رائق في أسلوب متين عين في عصر أبيه واليا على عده مناطق كروس و صائين قلعه، و بعد وفاه أبيه و جده فتح
علي شاه انتهت الملكيه إلى عمه محمد شاه و في سنه ١٢٥٢ هـ حينما ذهب السلطان محمد شاه لفتح هرات عينه في طهران وصيا
علي العرش يخلفه في إداره الدوله أثناء غيابه و عند عوده السلطان إلى طهران عينه علي ولايه مازندران و بعد وفاه محمد شاه و
تسلطن ناصر الدين شاه سنه ١٢٦٤ عينه الأمير الصدر الأعظم ميرزا محمد تقى خان الملقب بأمر كبير [كبير] واليا على لرستان و
خوزستان و في سنه ١٢٧٣ هـ لقبه السلطان ناصر الدين شاه بلقب ركن الدوله و في سنه ١٢٧٥ هـ عين واليا على آذربايجان. ذكره
جمع من المؤرخين منهم ميرزا رضا قلي خان الهدايه في كتابه مجمع الفصحاء و وصفه قائلا: (.. برع في المعقول و المنقول و
نبغ في العرييه و الأدب و الرياضيات و الحكمه، و الأخبار، و التاريخ، و السير، و الأخلاق، ذو خط جميل. و له نظم و نثر و كان
من أعلام علم العروض و البديع و كان يقضى أوقات فراغه بنظم القصائد و الغزليات..) ثم نشر قسما من قصائده و غزلياته.

أقول: له مؤلفات و تحقيقات منها ديوان شعر مخطوط منه نسخه في مكتبه ملك الوطنيه بطهران، و طبع له كتابه (مخزن مراثي)

أسامه بن منقذ:

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٥٢ من المجلد الثالث، كما مرت فى الصفحه ١٩ من المجلد الأول من المستدركات كلمه عن تشيعه. و نأخذ هنا ما ذكره الذهبى فى الصفحه ١٦٥ من الجزء ٢١ من كتاب (سير أعلام النبلاء):

ولد بشيزر سنه ثمان و ثمانين و اربع مائه. و سمع سنه ٤٩٩ نسخه أبى هديه من على بن سالم السنيسى و روى عنه ابن عساكر و ابن السمعانى و أبو المواهب و الحافظ عبد الغنى و البهاء عبد الرحمن و ابنه الأمير مرهفو عبد الصمد بن خليل الصائغ و عبد الكريم بن أبى سراقه و محمد بن عبد الكافى الصقلى.

و له نظم فى الذروه كاييه. قال السمعانى: ذكر لى أنه يحفظ من شعر الجاهليه عشره آلاف بيت.

ص: ٣١

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

قلت: سافر إلى مصر، و كان من امرائها الشيعة، ثم فارقها، و جرت له أمور، و حضر حروبا ألفها في مجلد فيه عبر.

قال يحيى بن أبي طيب في تاريخه: كان إماميا حسن العقيدة، إلا إنه كان يدارى عن منصبه و يتاقي، و صنف كتبها منها التاريخ البدرى، و له ديوان كبير.

قلت: عاش سبعا و تسعين سنة، و مات بدمشق في رمضان سنة أربع و ثمانين و خمس مائه.

و مات ابنه الأمير الكبير عضد الدوله مرهف بن أسامه في سنة ثلاث عشره و ست مائه عن ثلاث و تسعين سنة و له شعر رائع. روى عنه الزكى المنذرى، و القوصى، و جمع من الكتب ما لا يوصف. (انتهى ما أورده الذهبى).

و لعل في هذا القول ما يقنع جمال الدين الآلوسى بتشييع أسامه، و إن صاحب (أعيان الشيعة) لم يقل ذلك عن غير تحقيق.

الشيخ إسحاق ابن الشيخ آقا محمد إمام الجمعه ابن الشهيد البرغانى

القزوينى الشهيدى آل قره العين

المتوفى حدود سنة ١٣١١ هـ.

أخذ العلوم الإسلاميه من والده الشيخ آقا محمد إمام الجمعهو أمه قره العين و حضر فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ ملا آغا الحكمى و الشيخ ملا يوسف الحكمى القزوينين و خاله الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى فى المدرسه الصالحيه ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى و أدرك الشيخ مرتضى الأنصارى و حضر على الشيخ علامه الحائرى البرغانى و مدرس الطف المولى الشيخ ميرزا على نقى الحائرى آل الصالحى ثم تخرج على الامام الشيرازى الميرزا محمد حسن المتوفى سنة ١٣١٢ هـ ثم رجع إلى موطنه قزوین فاستقبله كافة طبقاتها و انتهى إليه كرسى التدريس و الفتيا و رجع إليه الناس فى أمر التقليد و كان من أكابر علماء إيران و له حوزة تدريس معموره فى مدرسه جده الشهيد الثالث يحضرها جملة من الطلاب و الفضلاء و قد شارك فى نهضة تحريم التبناك و ثار ضد ناصر الدين الشاه القاجارى و معاهدات البلاط مع بريطانيا، له مؤلفات هامه بالعربيه و الفارسيه موجوده كلها عند أحفاده منها تفسير القرآن، تقارير استاذه الشيرازى فى الفقه و الأصول، تقارير استاذه مدرس الطف، ديوان شعر. و كان ينظم باللغتين الفارسيه و العربيه ذكره شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى نباء البشر قال (... تلمذ فى العراق على أعلام الدين كالمجدد الشيرازى و غيره و رجع إلى قزوین مع تأييد و تمجيد من المجدد فصار مرجعا للأمر إلى أن توفى حدود ١٣٠٧ و مر ذكر أخيه الشيخ إبراهيم و ياتى ذكر أخيه الشيخ المتوفى قبله ذكرت المترجم له فى "هديه الرازى" و جاء قريب من هذا الكلام فى كتابه (هديه الرازى إلى الامام المجدد الشيرازى).

أقول لم يتحقق لى سنة وفاته لأنه توفى قبل استاذه الامام الشيرازى بقليل. (١)

أسد الله بن نظر على خان التنكابنى:

هو من العلماء المؤلفين له تأليف منها رساله فى النصائح و التجارب.

و هي رساله فارسيه فى نصائح المعصومين ع و كتاب فى كلمات الأئمه و مائه كلمه - من كلام أمير المؤمنين ع أتمها فى سنه -
توجد نسختها بخطه فى (مكتبه ملّى) بطهران - (٢).

السيد أسد الله بن عبد الحسين الموسوى النبوى الدر فولى الدز فولى

ولد فى صفر ١٣١٣ توفى فى شعبان ١٤٠٣.

ولد فى مدينه دز فول و نشا بها و قرأ المقدمات و السطوح عند أعلامها ثم حضر بحث الشيخ محمد رضا الدز فولى أكثر من
عشرين سنه فى الفقه و الأصول، ثم ذهب إلى النجف الأشرف و حضر على أعلامها منهم الشيخ محمد حسين الغروى
الأصفهانى و الشيخ آغا ضياء العراقى فى الفقه و الأصول و السيد الباد كوبى و الشيخ حسين الوصيه الآستانه اى فى الفلسفه و
العرفان ثم عاد إلى موطنه و قام باعباء أمور العامه و التدريس و التأليف و قلده مئات من أهالى خوزستان. و تخرج عليه عشرات
من الفضلاء و المحققين و فى سنه ١٣٦٣ أنشا مدرسه علميه فى دز فول، كما أنشا فيها مستشفى و هو من أعظم مستشفيات
خوزستان. و عند ما قامت الحرب العراقيه الإيرانيه هاجر إلى قم و بقى أياما إلى أن مرض و اشتد مرضه و ذهب مع ولده السيد
محمد إلى لندن للتداوى و إجراء العمليه ثم رجع إلى طهران و بقى بها مده ثم ذهب إلى بروجرد و دز فول و لكن عادت إليه
الأمراض و اشتد مرضه و حمل إلى طهران و بقى بها أياما حتى توفى يوم الجمعة عشرين من شهر شعبان عند طلوع الشمس، و
حمل جثمانه إلى قم و شيع تشييعا حافلا ثم حمل إلى دز فول بوصيه منه و دفن فى مدرسته العامره و من مؤلفاته:

١ - رساله عمليه لمقلديه بالفارسيه.

٢ - حاشيه الرسائل.

٣ - أصول الفقه.

٤ - كتاب الصلاه.

٥ - حاشيه على الشمسيه. و غير ذلك من الكتب و الرسائل (٣).

أسماء و يقال حبابه بنت السيد صالح بن السيد مهدي القزوينى.

ولدت فى مدينه الحله بالعراق حدود سنه ١٢٨٣ هـ و توفيت بها سنه ١٣٤٢ هـ و نقل جثمانها إلى النجف الأشرف عالمه فاضله
أديبه شاعره من ربات النفوذ ذات عقل راجح ولدت فى بيت علم و زعامه و أسرتها آل القزوينى من الأسر العلميه المعروفه فى
الحله و النجف نبغ منها علماء أعلام.

أخذت العلم و الأدب من والدها السيد صالح القزوينى و حين بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها السيد موسى بن السيد جعفر
القزوينى و أولعت منذ صباها فى الأدب و الشعر و حضرت على جملة من رجال أسرتها حتى نبغت بذلك و لها نثر و شعر جيد.
كما لها نظم باللغه المحكيه، و قد وصفها فى كتاب (أدب الطف) قائلا: (..) و نشات فى كنف والدها و كان للبيئه فى نفسها أثر

فى بلوره ذهنيها فالأجواء العلميه التى كانت تعيشها و المجالس الأدبيه التى تعقد فى مناسبات كانت تؤثر أثرها و تدفع بهذه الحره للشعر و الأدب فلا تفوتها النادره الأدبيه أو الشارده المستملحه فهى تكتب هذه و تحفظ تلك، و تتحدث بالكثير منها.. كانت واسطه لحل النزاعات العائليه فكثيرا ما قصدت العوائل المتنافره و لطفت الجو و أماتت النزاع و الخصام حتى ساد الوئام، و تتحدث عن أمها و ملكتها الأدبيه و تروى شعرها باللغتين الفصحى و الدارجة و اشتهر عنها انها تميزت بشخصيه قويه و بأسلوب جميل فى الحديث و كان مجلسها فى الحله عامرا بالمتادبات و ذوات المعرفه..)

ص: ٣٢

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- السامى.

٣- الشيخ محمد السامى.

أبو العتاهيه إسماعيل بن القاسم:

إشاره

مرت ترجمته فى المجلد الثالث، و نشر هنا هذه الدراسه عنه، و هى بقلم الدكتور حسين مروه:

يدور هذا السؤال فى نفسى منذ زمن ليس بالبعيد، هل كان أبو العتاهيه زاهدا بالحياه حقا؟ و كنت قبل هذا على يقين بان أبا العتاهيه شاعر زهد بالحياه حقا و اعتزل طبياتها اعتزال الناسك المتبتل دون ريب، غير أن هذا اليقين عندى كان مصدره التقليد و التلقين و المحاكاه ليس غير.

و قد تناقلت أجيالنا الأديبه كلها هذا الرأى الشائع بمحض التقليد و التلقين و المحاكاه كذلك، و بمحض النظر إلى ظاهر هذا الشعر الكثير الذى نظمه أبو العتاهيه فى ذم دنياه، و فى إنذار الناس بالموت، و تزهيدهم بالحياه.

و لكنى أخذت أشك فى هذا الرأى، مذ رأيت فى سيره هذا الشاعر ما يدل ان الزهد و التنسك ليسا من طبيعته، و مذ اتيح لى أن أفهم ان إنسانا يزهد بالحياه هذا الزهد الذى ينسبونه إلى أبى العتاهيه، لا بد أن يكون على شىء من النقص فى حيويته و إنسانيته، و ما وجدت أبا العتاهيه إلا إنسانا مستوفز الحس، مستكملا كل عناصر الكائن الحى المدرك، متأهبا ابدًا لتذوق الحياه و الإقبال على ما تستطيع أن تقدمه إليه من صنوف الطيبات و متع الحس و النفس و العقل جميعا.

و لكن الشك فى زهد أبى العتاهيه، لا بد أن يستتبع هذا السؤال:

ترى، كيف صح لهذا الشاعر، إذا لم يكن قد زهد حقا بالحياه، أن يقف معظم شعره على هذا اللون القاتم من الشعر، لا ينفك يذكر الموت فيه، و يردد أنه مصير كل حى، و إن أمجاد الحياه كلها صائره إلى الفناء؟ و جواب هذا السؤال، هو ما نريد أن نعالجه فى هذا الفصل عن أبى العتاهيه.

و ليس يمكننا أن نبلغ القصد هذا، دون أن نرجع إلى نشاه الشاعر و ظروف زمنه و مجتمعه.

لقد ولد شاعرنا عام ١٣٠ هجرية (٧٤٨ م) فى قريه عين التمر بالعراق، و هى الآن بلده إلى الغرب قليلا من مدينه كربلاء، ثم نشأ بالكوفه يصنع الجرار الخزفيه الخضضر هو و أهله، و قد ظل على هذه الصنعه عهدا طويلا من عمره، و فى بعض أخباره انه ظل فى صنعه هذه حتى بعد أن قال الشعر و اشتهر به، فقد روى الصولى عن عبد الحميد بن سريع مولى بنى عجل انه رأى أبا العتاهيه و هو جزار (أى يصنع الجرار) يأتيه الأحداث و المتأدبون، فينشدهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبون فيه هذه الأشعار.

و فى الأغاني روايه أخرى تقول ان أبا العتاهيه، اجتاز فى أول أمره، و على ظهره قفص فيه فخار يدور به فى الكوفه، و يبيع منه، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر و يتناشدونه، فسلم عليهم و وضع القفص عن ظهره، ثم قال:

- يا فتیان، أراکم تتذاکرون الشعر، فأقول شيئاً منه فتجيزونه (٢) فان فعلتم فلکم عشره دراهم، و إن لم تفعلوا فعليکم عشره دراهم.

فهزئ الفتیان منه، و قالوا: نعم. فاشترط أن يشتري بقيمه الرهان رطب يأكلونه معا حتى لا يكون قماراً، ثم أنشد هذا الشرط:

ساكنی الأجدات أنتم

و جعل بينه و بينهم وقتاً، إذا مضى و لم يجيزوا البيت، فاز هو بالرهان و جعل يهزأ بهم حتى انقضى الوقت، فتممه:

ساكنی الأجدات أنتم مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعری ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

و مضى هكذا ينشد حتى قال قصيده طويله على هذه المعانى، و سرجع إلى هذه القصة و القصيده نستفيد منها أمراً آخر ذا شان.

و اسم شاعرنا إسماعيل بن القاسم، و تنتهى نسبته إلى عنزه بالولاء، فقد كان جده "كيسان" فى عين تمر حين غزاها خالد بن الوليد، و كان يتيماً صغيراً يكفله قرابه له من عنزه، فسباه خالد مع جماعه صبيان من أهل عين تمر، و بعث بهم إلى أبى بكر، و هناك أستوهبه عباد بن رفاعه العنزى من الخليفه، فوهبه إياه، ثم أعتقه (أى حرره من الأسر) فتولى كيسان عنزه منذ ذاك (أى صار موالياً لهم)، تقديراً لصنيع عباد هذا معه.

و قد نال أبا العتاهيه من أصله هذا، شر كثير و غيره به كثيرون، و من ذلك ما قاله ابن الأعرابى حين أنشده أحدهم هجاء أبى العتاهيه لعبد الله بن معن بن زائده:

-

أعجب لعبد يهجو مولاه

(أى سيده).

و يبدو ان شاعرنا كان يتأذى بهذا، و كان يدفع عن نفسه تعبير الخصوم بمثل قوله:

ألا، إنما التقوى هو العز و الكرم و حبك الدنيا هو الفقر و العدم

و ليس على عبد تقى نقيصه إذا صحح التقوى، و إن حاك أو حجم

و فى هذا إشارة إلى ما قيل من أن أباه القاسم كان حجاماً، و قد تركت هذه الصنعه فى نفسه أثراً بعد ذلك، فقد قيل انه حين التزم النسك فى أخريات عمره، أخذ يحجم اليتامى و الفقراء بالسييل (أى من غير أجر).

و قد سئل عن سبب إيثاره هذا العمل، فقال:

- أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا، و أضع منها ليسقط عنها الكبر، و أكتسب بما فعلته الثواب.

و لكن الصولى يقول أن حمدويه الذى كان يتتبع الزنادقة، أراد أن يقبض أبا العتاهيه بتهمه الزندقة، فتستر بالحجامة.

و كنيته، بالأصل "أبو إسحاق" ثم كنى "أبا العتاهيه" لأن الخليفه العباسى المهدي، قال له يوماً: أنت إنسان متحذلق متعته.. فكنوه "أبا العتاهيه" و قيل ان سبب هذه الكنيه انه كان يحب الشهره و المجون و التعته (أى التظاهر بالجنون).

و قد عرف الناس شاعرنا فى الكوفه، و فى بغداد بعد ذلك، إنه رجل متخنث و قالوا إنه كان يحمل لبعض المتخنثين حاجاتهم و قالوا - إلى ذلك - إنه كان رشيق القامه أبيض اللون أسود الشعر، له وفره (٣) جعده، و هيئه حسنه، و لباقه، و حصانه.

و لعلهم نسبوا إليه التخنث لهذه الصفات فيه، و لأناقته و نظافته، رغم كونه عاملاً يصنع الجرار كما علمنا.

و فى سيره أبى العتاهيه، و فى شعره الكثير، دلالات ظاهره واضحه،

ص: ٣٣

١- شيخ محمد السامى.

٢- تجيزونه: يقصد تكملونه.

٣- الوفرة: الشعر المجتمع على مقدم الرأس.

على انه كان يحب المال حبا جما، و كان يحب المرأه كذلك، و قد عرف بهواه لعتابه الجاربه، و سعدى مولاه عبيد الله بن معن بن زائده، و شعره فى الحب بادهى الرقه، قوى العاطفه، مشرق الروح، و تروى نوادر كثيره عن شده بخله و حرصه.

أما حبه المال فيدل عليه مدحه للخلفاء الذين عاصرهم، و هم:

المهدى، و الهادى، و الرشيد، و المأمون، و طمعه بالجائزه منهم، ثم مطالبته لكثير من اصدقائه ذوى الشأن و السلطان فى الدوله بالهبات و الجوائز، و معاتبته إياهم، أو هجره لهم كلما قصروا عنه فى العطاء. و هناك روايات متواتره تقول انه كان يكتز الذهب و الفضة.

و لقد هجا عبد الله بن معن بن زائده هجاء عنيفا، رائعا، ثم مدحه حين أجزل له العطاء و رثى يزيد بن منصور فقال فى رثائه:

يا ساكن الحفره المهجور ساكنها بعد المقاصر، و الأبواب، و الحجر

وجدت فقدك فى مالى و فى نشبى وجدت فقدك فى شعرى و فى بشرى

فهو إنما يحس فقدان المال و النشب بفقدان صاحبه إذن!.

و من الشواهد على أثر الحب فى نفسه، قوله:

رأيت الهوى جمر الغضى غير انه على حره، فى صدر صاحبه حلو

أخلاقى بى شجو، و ليس بكم شجو و كل امرئ عن شجو صاحبه خلو

و ما من محب نال ممن يحبه هوى صادقا، ألا سيدخله زهو

بليت، و كان المزح بدء بليتى فأحببت حقا، و البلاء له بدو

و علقت من يزهو على تجبرا و إنى، فى كل الخصال، له كفو

ليس فى حياه أبى العتاهيه، ما يدل انه زاهد حقا بالحياه، فهو يحب المال، و يحب عيش الترف و الرخاء، و يكتز الذهب و الفضة، و يمدح للعطاء، و هو يحب المرأه و يحس لذعه الحب و غبطته معا، و هو يقبل على الجمال و يتذوقه و تتهلل له نفسه، و هو أنيق الهندام حسن الهيئه و المظهر بحيث اتهموه بالتخث، و من كان حاله كذلك، ليس يصح أن يذكر فى الزاهدين قطعا.

و لكن كيف نظم هذا الشعر الكثير فى الزهد، و كيف أكثر من ذكر الموت فى شعره، و كيف حبسه الرشيد مرات، لأنه أبى أن ينظم له الغزل، زهدا بلهو الحياه و متاعها كما يقولون، و كيف احتمل ضيق محبسه و حجر حريته و امتهان كرامته، مؤثرا ذلك كله على أن يستجيب لرغبه الخليفه فينظم له أبياتا من الغزل يغنيها له إبراهيم الموصلى فى مجالس انسه؟.

ثم ان لهذا الشاعر منزله رفيعه عند الخلفاء الذين عاصرهم و عند الشعراء و الأدباء فى جميع العصور، فقد شهد له بالشاعريه

بشار، و أبو نواس، و أبو تمام و أضرابهم، و هم من أعلام الشعر العربى فى كل عصوره، فكيف اتفق لشاعر هذا المجد الأدبى و هو لا يمجّد إلا الموت؟.

و مضاف إلى هذا كله، أن أبا العتاهيه شاعر كسب شهرته و مجده الأدبى بصنع يده، فإنه لم يصل إلى بلاط الخلفاء إلا و هو شاعر مشهور، و إنما لم يستطع أن يكسب المال و الرفاه إلا من بلاط الخلفاء. فقد خرج من الكوفه هو و إبراهيم الموصلى ثم افترقا، فذهب شاعرنا إلى الحيره، و ذهب الموصلى إلى بغداد، ثم التقيا فى بلاط المهدي بعاصمه الخلافة بعد أن اشتهر أمر أبى العتاهيه الشاعر، و زال عنه اسم "أبو إسحاق الجرار" أو "الخزاف"، و خرج إلى النهايه من طبقه العمال و الكادحين.

و يجب أن نضيف إلى ذلك أيضا، ان أبا العتاهيه شاعر جماهيرى، من حيث بساطه تعبيره و سهوله فهمه عند الجماهير، و قد كان هو على وعى تام لهذه الخاصه فى شعره و هو يعللها تعليلا صحيحا فى ما جاءنا مع أخباره.

فقد قال يوما، لابن أبى الأبيض الشاعر: "إن الشعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين، أو مثل شعر بشار و ابن هرمه، فان لم يكن كذلك، فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعرى، و لا سيما الأشعار التى فى الزهد، فان الزهد ليس من مذاهب الملوك و لا من مذاهب رواه الشعر و لا طلاب الغريب، و هو مذهب أشغف الناس به الزهاد و أصحاب الحديث و الفقهاء و أصحاب الرياء و العامه، و أعجب الأشياء إليهم ما فهموه".

و هذا كلام واضح، يدل أن أبا العتاهيه كان يقصد إلى السهوله و البساطه فى شعره قصدا، لكى يفهم جمهور الناس.. فلما ذا كان يهتم بان يفهم جمهور الناس شعره فى الزهد؟.

أحسب الآن، اننى قد رسمت، فى هذا الفصل، خطوطا واضحه من حياه الشاعر، و بقى أن نستهدى هذه الخطوط فى الاجابه عن الأسئلة المتقدمه.

و لكن يجب، قبل هذا، أن نضيف إلى هذه "الخطوط" كلها، "خطا" آخر يدل على حياه المجتمع فى عصر الشاعر، و أكبر الظن ان هذا لا يحتاج إلى إيضاح كثير، فقد يعرف قراء هذا الفصل ان المجتمع العباسى يومئذ، كان ممتحنا أشد امتحان بأحوال هذا الصراع السياسى العنيف، و آلام هذه الفوضى الاجتماعيه الطاحنه و آثام هذا التفاوت المهين بين طبقاته المتعدده.

و لسنا نحتاج إلى أكثر من هذه اللمحه، لنصل بين حياه الشاعر أبى العتاهيه و حياه هذا المجتمع الذى نشأ منه أول ما نشأ، فى غمار العمال و الكادحين.

فى ضوء هذه الخطوط جميعا نسط فى الفصل الآتى وجهه الرأى عندنا فى كيف اتفق لأبى العتاهيه أن يكون شاعر الزهد و هو ليس بزاهد.

أنشد أبو العتاهيه يوماً في مجلس حضره ثمامه بن الأشرس المعتزلى (أبو معن النميرى)، أبياتا قال فيها:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذى هو مالكة

إلا إنما مالى، الذى أنا منفق و ليس لى المال الذى أنا تاركه

إذا كنت ذا مال، فبادر به الذى يحق، و إلا استهلكته مهالكه

فسأله ثمامه: من أين قضيت بهذا؟ قال أبو العتاهيه:

- من

قول رسول الله: "إنما لك من مالك ما أكلت فأفريت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت".

ص: ٣٤

فقال ثمامه: أ تؤمن - يا أبا العتاهيه - بان هذا قول رسول الله، و إنه الحق؟.

قال: نعم. فقال ثمامه:

فلم تحبس عندك سبعا و عشرين بدره(١) فى دارك، و لا- تأكل منها، و تشرب، و لا تزكى، و لا تقدمها ذخرا ليوم فقرك و فاقتك؟.

فقال أبو العتاهيه: يا أبا معن و الله إن ما قلت لهو الحق، و لكنى أخاف الفقر و الحاجه إلى الناس.

قال ثمامه: و بم تزيد حال من افتقر على حالك، و أنت دائم الحرص، دائم الجمع، شحيح على نفسك، لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد(٢) و جاء فى "الأغانى":

كان على بن يقطين صديقا لأبى العتاهيه، و كان يبره فى كل سنه بير واسع، فأبطأ عليه بالبر فى إحدى السنين، و كان إذا لقيه أبو العتاهيه أو دخل عليه يسر به و يرفع مجلسه و لا يزيد على ذلك. فلقية ذات يوم، و هو يقصد دار الخليفه، فاستوقفه، فوقف له فأنشده:

حتى متى، ليت شعرى يا ابن يقطين اثنى عليك بما لا منك تولينى؟

إن السلام، و إن البشر من رجل فى مثل ما أنت فيه، ليس يكفينى

هذا زمان ألح الناس فيه على تيه(٣) الملوك و أخلاق المساكين

(٤) أ ما علمت، جزاك الله صالحه و زادك الله فضلا يا ابن يقطين

أنى أريدك للدنيا و عاجلها و لا أريدك، يوم الدين، للدين!؟

فقال على بن يقطين: لست و الله أبرح و لا تبرح من موضعنا هذا إلا راضيا.. و أمر له بما كان يبعث به إليه فى كل سنه.(٥)

فى هاتين القصتين نجد مفتاح المعضله التى نريد أن نعالجها، فى هذا الفصل، من أمر أبى العتاهيه، شاعر الزهد.

فهو - إذن - يعرف قدر المال معرفه إنسان و معرفه مفكر معا، و هو مدرك أعمق الإدراك - إذن - ان المال ضروره لا غناء عنها و لكنه ليس غايه لذاته، بل لا تزيد قيمه المال عنده عن كونه و سيله "يعتق بها نفسه"، أى يحرر بها إنسانيته من عبوديه الخوف: "خوف الفقر و الحاجه إلى الناس".

و لذلك يرى أبو العتاهيه ان المال الحق إنما هو المال الذى تتخذ منه هذه الوسيله، أى ما تنفقه أنت لحاجتك، لدفع الفقر عن نفسك، لتحرير ذاتك من هوان الطلب و ذل السؤال، فإذا ادخرته أو استعملته لغير هذه الوسيله، ذهبت عنه صفه المال، و انقلب من شىء تملكه أنت إلى شىء هو يملكك و يستعبد إنسانيتك.

و من هنا كان أبو العتاهيه يحب المال، و من هنا كان دائم الحرص عليه، دائم الجمع له، شحيحا على نفسه، لا يشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد، كما يقول ثمامه بن الأشرس، و كما اعترف هو بذلك.

و إذا كان يبدو هذا الحرص، و هذا الجمع للمال، و هذا الشح البالغ على النفس - غريبا إلى حد الشذوذ، فان وراء ذلك أمرا يدل عليه حال أبي العتاهيه أوضح دلالة، و هو أن الرجل كان يعيش في زمن يبلغ به خوف الناس من بؤس الفقر و ذله الحاجه هذا المبلغ الرهيب، حتى ليضطّر شاعر مثل أبي العتاهيه، له جاه و صيت و صوله لسان، أن يحرص على المال و يدأب في جمعه، و يشح بإنفاقه على نفسه و يحرم اللحم على معدته إلا يوما في السنه أو يومين، لأن شبح الفقر لا يبرح خياله، و لأن ذل السؤال لا ينفك يساور نفسه، فما بالك بغير هذا الشاعر، السائر الذكر، من طبقات العمال الضعفاء و المغمورين و المنبوذين؟..

فإذا انتقلنا إلى قصه أبي العتاهيه مع علي بن يقطين، تزداد هذه الدلالة عندنا وضحوا، إذ نرى شاعرنا يعترض صديقه هذا، و هو في طريقه إلى دار الخليفه، فيبدي له الغضب إلى حد السخط، لأنه يثنى عليه منذ زمن فلا يلقى جواب الثناء إلا السلام و حسن اللقاء، و هو يريد له شيء غير هذا، يريد له دنياه، لحاجته العاجله في دنياه، لهذا البر الذي عوده إياه ابن يقطين في كل عام، و ليس يريد له أمر في دينه يدخره إلى يوم الدين! و أبو العتاهيه لا يترك ملامته اللاذعه يوجهها لصديقه الجليل ابن يقطين، دون أن يفصح عن سبب هذه الملامه، فهو يصف له حال مجتمعه و كأنه يعتذر إليه بان حال مجتمعه هذه هي التي تضطره أن يقصده بالثناء لغير شيء سوى البر و العطاء:

هذا زمان ألح الناس فيه على تيه الملوک، و أخلاق المساكين

فهو، إذن، في زمان ينقم الناس فيه من الملوک صلفهم و استكبارهم على العامه بما عندهم من أسباب الترف و النعمه و السلطان، على حين يعيش المساكين و الفقراء، أي جمهور الناس، في باليات الثياب و تافهات العيش.

و أبو العتاهيه، واحد من هؤلاء الناس الذين كانوا يلحون بالنقمه على تيه الملوک، و سوء حال المساكين، و هو - من هنا - لا يرى بأسا عليه أن يطلب إلى هذا الشيخ الجليل ابن يقطين جزاء الثناء، أمرا غير السلام و حسن اللقاء.

يتبين لنا من كل ما تقدم أن نظره أبي العتاهيه إلى المال، نظره واقعيه علميه سليمه لا غبار عليها، و انه بهذه النظره يختلف كل الاختلاف عن الزهاد في تقديرهم المال و نظرتهم إليه.

ثم يتبين لنا، من ذلك، أيضا ان خوف أبي العتاهيه من الفقر، و ما يتبع ذلك من لجاجه في طلب المال و حرص عليه شديد، إنما كان انعكاسا لحاله اجتماعيه واقعيه، هي انتشار الفقر في طبقات المجتمع و استثثار العليه و ذوى السلطان بالغنى و الترف، حتى كان من هذا و ذاك أن ساد جمهره الناس شعور بالقلق الدائم و استعبدتهم هذا الخوف الشديد من الفقر و الإعواز، الذي كان يمتلك أبا العتاهيه نفسه.

و يتبين لنا، آخر الأمر، ان هذا الشاعر لم يتخذ شعر الزهد تعبيرا عن ذاته، و "فرديته"، أي عن حاله من التصوف أدركته، فانصرف عن طبيات الدنيا إلى التبتل و التقشف و التنسك، لأن نزعتة السلوكيه لم تكن كذلك قطعا.

- ١- البدره: عشره آلف درهم.
- ٢- ضحى الإسلام جزء ٣ - ص ١٥٣.
- ٣- التيه: الكبر و الصلف و الضلال.
- ٤- أخلاق: جمع خلق، و هو البالى من الثياب.
- ٥- قطوف الأغانى ج ٥ - ص ٨٠.

كما رأينا.

و قد يقول لنا الكثيرون، ان هذا صحيح، لكن الزهد أدرك أبا العتاهيه فى أخريات عمره، و شعر الزهد عنده تعبير عن حالته هذه التى انتهى إليها فى هذه المرحلة من حياته.

قلنا فى جواب ذلك، إن هذا غير صحيح قطعاً، لأن شعر الزهد الذى عرف عن أبى العتاهيه، قد استغرق معظم شعره، إن لم نقل أنه استغرق كل شعره حتى المديح و شعر الهجاء، ليس بمعقول أن يكون قد نظم كل هذا الشعر فى المرحلة الأخيره وحدها من عمره، ثم لأن هناك ما يدلنا أن أبا العتاهيه كان يقول هذا الشعر الذى يسمونه شعر الزهد حتى فى أوائل عمره، و فى عنفوان قوته و فتوته.

و لعلك تذكر قصته، فى الفصل السابق، مع بعض فتيان الكوفه حين مر بهم، فى أوائل أمره - كما يقول الأغاني - و على ظهره قفص فيه فخار يدور به فى الكوفه و يبيع منه، فرآهم يتذكرون الشعر و يتناشدونه، فحياهم، ثم عرض عليهم أن يقول شطر بيت من الشعر و راهنهم بعشره دراهم أن يجيزوه، فان فعلوا دفع هو الرهان و إن عجزوا دفعوه هم، و قد رأيت أن الفتيان قد خسروا الرهان فأكمل هو الشعر، و كانت قصيده، و إذا موضوع القصيده، كلها يدور على الموت و الاعتبار بهذه الدنيا و مفارقتها بما بعد الموت، و يجب أن تتذكر هنا قول الأغاني، مره أخرى، بان هذا كان فى أوائل أمره، أى فى شباب عمره، لا فى آخر حياته، و لعلك تذكر أن الشطر الذى اقترح على الفتيان أن يجيزوه، كان نداء للأموات:

"يا ساكنى الأجدات أنتم"

. ثم أكمله هكذا:

يا ساكنى الأجدات أنتم مثلنا بالأمس كنتم

يا ليت شعرى، ما صنعتم أربحتم أم خسرتم؟

فقد كان أبو العتاهيه - إذن - منصرفاً إلى هذا اللون من الشعر، منذ بدأ يقول الشعر، و يبدو انه لم يقله، منذ أوائل أمره، فينصرف إليه و يكون غايه له "و عملاً" بعد ذلك، بل قاله و هو يصنع الجرار و يدور فى الكوفه و قفص الفخار على ظهره يبيع منه، أى انه قال الشعر تعبيراً عن إحساس هذه الطبقة التى عاش حياتها، و عانى ماساتها، و حمل ثقلها على ظهره و زنده و فى أعماق نفسه و فى مطاوى معدته...

ثم كان شعره تعبيراً عن كل هذه الطبقات الاجتماعيه التى كانت تمتحن امتحاناً شديداً بالفقر و كان يستعبد بها الخوف الدائم من الحاجة، حتى كان الموت أحب إليها من الحياه، لأنه كان للموت فى نفوسها و أذهانها معنى الراحة من المأساه الدائره على رؤوسها فى زمان كان "يلح الناس فيه على

تية الملوكة و أخلاق المساكين

و يبدو لنا ان هذا الذى نقول، هو مصدر هذه البساطه و السهوله و الوضوح فى شعر أبى العتاهيه، فقد كان شعرا جماهيريا، لأن قائله كان فى أعماق الجماهير حين انبثق عنه الشعر أول الأمر، ثم صار طوال حياته يعبر عن روح مجتمعه، و عن نفسه جمهوره و عن إحساس عصر الترف المفرط إلى جانب الفقر المفرط، و هو إحساس بالخلل الاجتماعى أولا، ثم تطور فصار إحساسا بتفضيل الموت على حياه يسودها هذا الخلل الاجتماعى الفادح الفاحش.

و إنه ل يبدو لى ان أبا العتاهيه، قد وعى مهمته فى ذلك المجتمع، و إنه بعد أن كان يصدر "شعر الزهد" عن مجرد إحساس باطنى ينعكس عن إحساس جمهور الكادحين، صار يصدر هذا الشعر عن قصد إليه و عن وعى كامل واضح، و عن تطوع لنقد الملوک و ذوى الترف من أهل القصور و أهل السلطان، بهذا الأسلوب الجماهيرى، و بهذه الطريقه الرمزيه - إذا صح التعبير - لكى ينجو من أذى الملوک، و لكنه لم ينج من ذاك.

و لعل كل ما لقيه من أذى السجن، كان بسبب هذا، لا بسبب ما قيل مثلا من إبائه على الرشيد أن ينظم له شعر الغزل، أو بسبب تهمته بالزندقه، و قد يكون الرشيد قد حبسه فعلا لإبائه نظم الغزل، و هو يقصد أن يصرفه عن ذلك الشعر الذى يدس فيه سخط الناس و نقيمتهم على ما فى حياتهم من مكاره و ما فى مجتمعهم من خلل فادح فاحش، و قد تكون الزندقه أيضا، ليست إلا للانتقام منه ذلك لأن الرجل كان أبعد أهل زمانه عن الزندقه كما يدل شعره، و تدل سيرته.

و لدينا من سيرته مع الخلفاء الذين عاصرهم جميعا، ما يصح أن يكون دليلا على ما نقوله، و من ذلك ما رواه (1) لنا أبو العتاهيه نفسه من انه حين ماتت بنت الخليفه المهدي، و حزن عليها حزنا شديدا حتى امتنع عن الطعام و الشراب، جاءه - أى أبو العتاهيه - يعزيه عنها، فأنشده قصيده يخاطبه فيها:

لا تلعبن بك الدنيا، و أنت ترى ما شئت من عبر فيها، و أمثال

ما حيله الموت إلا كل صالحه أو لا، فما حيله فيه لمحتال

فكان الشاعر قد اغتنم الفرصه ليقرع سمع الخليفه بان الدنيا تلعب به، و قد كان هذا دأبه مع المهدي فى كثير من المناسبات، فقد روى لنا هو نفسه أيضا - كما فى الأغاني - إن المهدي أخرجته معه إلى الصيد مره، فابعد الخليفه فى الأرض و تفرق رجال الحاشيه فى طلبه، و كان الشاعر معه فاجتازا واديا فاجاهما فيه مطر شديد، و تدفق السيل فى الوادى، فإذا هناك ملاح يعبر الناس، فلجا الخليفه و الشاعر إليه، فأدخلهما فى كوخ له، و كاد المهدي يموت بردا، فغطاه الملاح بجبهه صوف له، و نام حتى أدركه رجال الحاشيه، فعرف الملاح منهم إنه الخليفه فهرب، و تبادل الغلمان فازاحوا لبداه الصوف عن المهدي، و القوا عليه الخبز و الوشى و الديباج، فلما انتبه و سال عن الملاح قيل له إنه هرب، فجعل يلوم نفسه على ما أغلظ له من القول حين لقيه، و طلب من أبى العتاهيه أن يهجوه جزاء ما فعل بالملاح، فأظهر أبو العتاهيه، أول الأمر، امتناعه عن هجو الخليفه، ثم قال، مغتتما هذه الفرصه، يخاطب الخليفه:

يا لابس الوشى على ثوبه ما أقبح الأشيب فى الراح

فقال المهدي: زدني بحياتي، فقال أبو العتاهيه:

لو شئت أيضا، جلت في خامه (٢). و في وشاحين و أوضاح (٣)

فانتفض المهدي هنا، لأنه أدرك ما يعنى أبو العتاهيه، و قال له:

- ويلك! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس، و أنا استاهل. زدني شيئا آخر، فقال أبو العتاهيه: "أخاف أن تغضب". فقال المهدي:

"لا و الله". فأنشد:

كم من عظيم القدر في نفسه قد نام في جبه ملاحل.

ص: ٣٦

١- قطوف الأغاني ج ٥ - ص ١١٨.

٢- يعنى القماش الخام من القطن

٣- الأوضاح: حلى من فضه أو الخلاخيل.

فقال المهدي: معنى سوء عليك لعنه الله! أ ترى إلى هذا الشعر؟. إنه من طبيعه "شعر الزهد": شعر أبي العتاهيه فهل هو الزهد حقا، أو هي الفرصه السانحه يقرع فيها سمع الخليفه بحقيقه أمره؟.

ثم، أ ترى كيف انتفض الخليفه لهذه "الغمزه"، وكيف خشى الناس أن يرووا هذا "الهجاء" و ان يثير فيهم كوامن ما تنطوى عليه جوانحهم من غيظ؟ و قالوا إن أبا عبيد الله دخل على المهدي، و كان غاضبا منه، و أبو العتاهيه حاضر، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله و يتغيظ عليه، ثم أمر به فجروه برجله و حبسوه، ثم أطرق المهدي طويلا، فلما سكنت نفسه أنشده أبو العتاهيه:

أرى الدنيا بمن هي في يديه عذابا كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر و تكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه و خذ ما أنت محتاج إليه

فهذا شعر إذا جردته من هذه المناسبه، وجدته وعظا خالصا، يخيل لقارئه أو سامعه ان صاحبه شاعر يتزهد في الدنيا، و لكن كيف تراه في مناسبه هذه؟. أ يدللك على زهد الشاعر، أم يدللك ان الشاعر قد واتته المناسبه ليعث بصوت المجتمع إلى نفس الخليفه و هو يظلم رجلا من هذا المجتمع على هذا الوجه الذي عرفته؟ و هكذا كان موقف أبي العتاهيه من الهادي، و الرشيد، و المأمون، ينتهز مثل هذه الفرص السوانح، ليلقى إلى سرائرهم بهذا الصدى الذي يضج في نفوس الجماهير، ثم يجد وسيلته إلى التعبير عن نفسه في لسان شاعر تسنح له مثل هذه الفرص في لقاء الخلفاء و أهل السلطان و سائر العليه المستأثرين بالتترف و النعماء، و ما يمنعني عن سرد الشواهد على ما أقول غير تجنب الاطاله، و لكن شاهدا واحدا أراه يغالبني، فلا أستطيع رده:

قالوا إن القاسم بن الرشيد، مر في موكب عظيم، و أبو العتاهيه جالس مع قوم على قارعه الطريق، فقام أبو العتاهيه حين رآه، احتراما له، فلما اجتازه الموكب، أنشد:

يتيه ابن آدم من جهله كان رحي الموت لا تطحنه

فبلغ القاسم ذلك، فبعث إلى أبي العتاهيه و ضربه مائه مفرعه، - (أى مائه سوط) - و قال له: "أ تعرض بي في مثل ذلك الموضوع؟". ثم حبسه في داره، فذس أبو العتاهيه إلى زييده هذه الأبيات:

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه الله، و عافاه

يتيه أهل التيه من جهلهم و هم يموتون، و إن تاهوا

من طلب العز ليبقى به فان عز المرء تقواه

لم يعتصم بالله، من خلقه، من ليس يرجوه و يخشاه

فالقاسم - إذن - قد غاظه أن يكون التعريض به في ذلك الموضوع حيث يسمع نفر من عامه الناس على قارعه الطريق، و هو

كذلك لا يرى بأسا عليه أن ينتقم لنفسه فيضرب شاعرا، كأبي العتاهيه، ذا قدر في الناس و منزله، مائه سوط، ثم يحبسه، و هل ذاك إلا- لأن هؤلاء "عليه" كانوا يخشون انتشار مثل هذا القول في الناس، و إلا لأن شعر أبي العتاهيه كان يسير في الناس و يشيع لأنه يعبر عنهم، لا عن ذاته "الفرديه" و لا عن نزعه سلوكيه إلى الزهد و كراهه الدنيا؟

غرام أبي العتاهيه ١

هذه قصه حب استغرقت من حياه صاحبها أكثر من عشرين سنه، و هو على هذا الحب مقيم، و لصاحبته في إلحاح مستديم، لقي في سبيله ألوانا من الاعنات و الإيلام، و تجشم من أجله صنوفا من المذله و الهوان، و على الرغم من ذلك كله لم يظفر بصاحبته، و لم تصل به جميع السبل التي طرقها إلى غايته منه.

في هذه القصه تصدق نظريه المحبين التي تقول ان الحب يبدأ مازحا عابثا، ثم لا يلبث أن يتحول إلى جد خالص و بلاء لازم، و التياح دائم، و الم دفين، و في ذلك يقول صاحبنا الشاعر المحب أبو العتاهيه:

بليت، و كان المزح بدء بليتى فأحبيت حقا، و البلاء له بدو

و الذين يعرفون أبا العتاهيه معرفه عابره انما يعرفون فيه الجانب الأشهر من حياته و سلوكه و شعره، و هو جانب الزهد الذي ترك فيه - على حد قول المؤرخين - نحو من عشرين ألف بيت من الشعر، لم تصلنا كلها بطبيعته الحال، و لكن وصلنا منها قدر يكفي أن يكون ديوانا لا بأس به من الشعر الزهدى. و مع ذلك فلأبي العتاهيه قصه غرام طويله مع احدى جوارى الخليفه المهدي، أو هي كانت - على وجه الدقه - جاريه للخيزران زوجه المهدي و أم الخليفتين الهادي و الرشيد.

و قصه الغرام هذه، بين شاعر الخليفه أبي العتاهيه و جاريته عتبه، ثمينه بالتسجيل و الوقوف عندها بالأقلام التي سجلت قصص غيره من الشعراء المحبين، ممن احتفل التاريخ بروعه حبهم، على اختلاف في نوع هذا الحب و درجته، تبعا لاختلاف الظروف و الملابسات و البيئات و الأجناس.

ان أبا العتاهيه، و هو الشاعر المتحضر في عصره، الذي نشأ في سهول العراق، و عاش في مدينه بغداد الكبيره، أحب واحده من الإماء تشبهه في جنسه و مكانه الهين من المجتمع حين ذاك.

و لم تخل قصه أبي العتاهيه من عناصر التضحيه و الروعه و الاستمرار و الإلحاح، بحيث كانت فريده في عصرها، فريده في بابها بين أترابه من شعراء ذلك العصر، إذ لا نكاد نظفر بواحد من هؤلاء الشعراء لم يحب، و لم يتيم بأكثر من واحده من الجوارى اللائى انتشرن في القصور و منازل الأمراء و القواد و الوجهاء، و دور اللهو و العبث، و امتزن بملاحه الوجه و مياسه القد و عذوبه الصوت و اتساع الثقافه أحيانا.

إن أبا العتاهيه لم يرد عنه أنه أحب واحده سوى عتبه، منذ رحل عن الكوفه و نزل بغداد، حيث رآها فاغرم بها - و نترك له الحديث ليروى لنا كيف "وقع" له حبها و كيف احتال فيه شتى الحيل - انه يقول:

"قدمنا من الكوفه ثلاثه فتيان شبابا أدباء، و ليس لنا ببغداد من نقصده. فنزلنا بالقرب من الجسر. و كنا نبكر فنجلس في المسجد

الذى بباب الجسر فى كل غداه، فمرت بنا يوما امرأه راكبه معها خدم سودان، فقلنا: من هذه؟ قالوا: خالصه، فقال أحدنا: قد عشقت خالصه، و عمل فيها شعرا، فاعناه عليه. ثم لم نلبث أن مرت أخرى راكبه معها خدمدش

ص: ٣٧

بيضان، فقلنا: من هذه؟ فقالوا: عتبه، فقلت: قد عشقت عتبه. فلم نزل كذلك في كل يوم إلى أن التامت لنا أشعار كثيره. فدفع صاحبي بشعره إلى خالصه، و دفعت أنا بشعري إلى عتبه، و ألحنا إلحاحا شديدا، فمره تقبل أشعارنا و مره تطرد، إلى أن أجدوا في طردنا".

"فجلست عتبه يوما في أصحاب الجوهر، و مضيت فلبست ثياب راهب، و دفعت ثيابي إلى إنسان كان معي، و سألت عن رجل كبير من أهل السوق، فدلت على شيخ صائح، فجئت إليه، فقلت: إني قد رغبت في الإسلام على يدى هذه المرأة، فقام معي، و جمع جماعه من أهل السوق، و جاءها فقال لها: إن الله قد ساق إليك أجرا. هذا راهب قد رغب في الإسلام على يديك، فقالت: هاتوه. فدنوت منها، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله. و قطعت الزنار، و دنوت فقبلت يدها، فلما فعلت ذلك رفعت البرنس فعرفتنى، فقالت: نحوه لعنه الله، فقالوا:

لا- تلعينه فقد أسلم! فقالت: إنما فعلت ذلك لقدره. فعرضوا على كسوه، فقلت: ليست لى حاجه إلى هذه، و إنما أردت أن أشرف بولائها، فالحمد لله الذى من على بحضوركم. و جلست، فجعلوا يعلموننى الحمد، و صليت معهم العصر، و أنا فى ذلك بين يديها انظر إليها لا تقدر لى على حيله.

فلما انصرفت لقيت خالصه فشكت إليها فقالت: ليس يخلو هذان من أن يكونا عاشقين أو مستأكلين. فصح عزمهما على امتحاننا بمال على أن ندع التعرض لهما، فان قبلنا المال فنحن مستاكلان، و ان لم نقبله فنحن عاشقان. فلما كان الغد مرت خالصه، فعرض لها صاحبها، فقال له الخدم: اتبعنا. فأتبعهم. ثم لم نلبث أن مرت عتبه فقال لى الخدم اتبعنا. فاتبعتهم، فمضت بى إلى منزل خليط لها بزاز، فلما جلست دعت بى فقالت لى: يا هذا! إنك شاب، و أرى لك أدبا، و أنا حرمة خليفه، و قد تانيتك، فان كفت و إلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين، ثم لم آمن عليك، قلت: فافعلى، بأبى أنت و أمى، فانك إن سفكت دمي أرحتنى، فأسألك بالله إلا فعلت ذلك، إذ لم يكن لى فيك نصيب، فاما الحبس و الحياه و لا أراك فأنت فى حرج من ذلك، فقالت: لا تفعل هذا و أبق على نفسك، و خذ هذه الخمس مائه دينار و اخرج عن هذا البلد. فلما سمعت ذكر المال وليت هاربا. فقالت: ردوه. فلم نزل تردنى. فقلت: جعلت فداك، ما أصنع بعرض من الدنيا و أنا لا أراك، و انك لتبتئين يوما واحدا عن الركوب فتضيق بى الأرض بما رحبت. و هى تأبى إلا ذكر المال حتى جعلت لى ألف دينار. فأبيت، و جاذبتها مجاذبه شديده، و قلت: لو أعطيتنى جميع ما يحويه الخليفه ما كانت لى فيه حاجه و أنا لا أراك بعد أن أجد السبيل إلى رؤيتك.

و خرجت فجئت الغرفه التى كنا ننزلها، فإذا صاحبى مورم الأذنين، و قد امتحن بمثل محنتى، فلما مد يده إلى المال صفعوه، و حلفت خالصه لئن رآته بعد ذلك لتودعنه الحبس، فاستشارنى فى المقام فقلت: اخرج و إياك أن تقدر عليك.

ثم التقتا، فأخبرت كل واحده صاحبتها بالخبر. و أحمدتنى عتبه، و صح عندها انى محب محق.. فلما كان بعد أيام جاءتنى عتبه، فقالت:

بحياتى عليك - إن كنت تعزها - الا- أخذت ما يعطيك الخدام فأصلحت به من شانك، فقد غمنى سوء حالك. فامتنعت. فقالت: ليس هذا ما تظن، و لكنى لا أحب أن أراك فى هذا الزى. فقلت: لو أمكنتنى أن ترينى فى زى المهدي لفعلت ذلك. فأقسمت على. فأخذت الصره، فإذا فيها ثلاثمائه دينار، فاكتمت كسوه حسنه و اشترت حمارا". و هذه القصة تعطينا صوره

واضح قويه للحال التي كان عليها أبو العتاهيه عند ما جاء بغداد، فهو في هذه الصورة الماجن المستهتر الذي يتخذ هو و صحبه المسجد مكانا لتدبير حماقاتهم، و يكررون ذلك كل يوم. بل انه ليعبث بالدين عبثا واضحا عند ما يتظاهر بأنه راهب رغب في الإسلام على يدى فتاه جاريه، فإذا دخل هو و القوم إلى المسجد لصلاه العصر، فهو لا يصلى و إنما يتخذ المسجد مسرحا لعبته و تحامقه، فالقوم يصلون بينما هو يظل ينظر إلى معشوقته، هذا فضلا عما تظهره فيه الصورة من رقه حاله و قدر منظره.

و القصة بعد هذا تدل دلالة قاطعه على انه على الرغم من انه بدأ مغالته عابثا، إلا أن هذا العبث استحال إلى حب حقيقى تتصل أسبابه بينه و بينها، و يرفض أن يأخذ منها مالا- مع حاجته اليه، و كلما الحت ازداد إباء و رفضا حتى تأكد لها أنه محب محق، فلان له قلبها، و مالت اليه، و كان المال الذى اخذه منها أخيرا، ليكتسى، دليلا على حبها و عربونا لما هما مقبلان عليه من غرام عنيف.

يحتال أبو العتاهيه لتقبيل يد عبته

و يظل أبو العتاهيه بعد ذلك يترصد لها ليظفر برؤيتها في الأماكن التي تتردد عليها، و هو في سبيل ذلك يتوسل بحيل شتى يعمى بها على الناس و يمنع عنها الحرج و الأذى. فمن ذلك انه جاءها في سوق النحاسين في زى متنسك فقال: جعلنى الله فداك! شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمه، فان رأيت أعزك الله شرائى و عتقى فعلت ماجوره. فأقبلت على صاحبها فقالت: إنى لأرى هيئه جميله و ضعفا ظاهرا، و لسانا فصيحاً و رجلا- بليغا، فاشتره و أعتقه. فقال: نعم. فقال أبو العتاهيه: أ تأذنين لى أصلحك الله فى تقبيل يدك. فأذنت له، فقبل و انصرف.

و لم يكن أبو العتاهيه - و هو المشبوب المدله - ليقف غرامه عند حد الاستمتاع بالنظر إلى محبوبته و تقبيل يدها، فى مسجد أو فى حانوت أو فى سوق، و إلا لكان ذلك منه حبا قاصرا و غراما فاترا، و انما هو يركب الصعب فى سبيل شىء أعز و أبعد منالا، هو الحصول على عبته بروحها و جسدها، و يسعى فى ذلك سعيا حثيثا مستعينا فى سبيل مطلبه باصدقائه من مخالطى الخليفه و مجالسيه، مستعينا كذلك بفنه و شعره الذى تلهمه إياه حبيته. فهو مثلا يرجو صديقه الموسيقى المغنى يزيد حوراء أن يعمل لحنا فى قوله:

نفسى بشىء من الدنيا معلقه الله و القائم المهدي يكفيها

إنى لإياس منها ثم يطمعنى فيها احتقارك للدينا و ما فيها

و يغنى به المهدي الذى يعد بالنظر فى المسأله، ثم ينسى أو يتناسى، و يتعجل أبو العتاهيه الأمر، فيوعز إلى يزيد أن يغنى المهدي بهذين البيتين:

ليت شعرى ما عندكم ليت شعرى فلقد أخرج الجواب لأمر

ما جواب أولى بكل جميل من جواب يرد من بعد شهر

قال يزيد: فغيت به المهدي، فقال: على بعته، فأحضرت، فقال ان أبا العتاهيه كلمنى فيك فما تقولين، و لك و له عندى ما

تحيان مما لا تبلغه أمانيكما؟ فقالت له: لقد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله على من حق مولاتي، و أريد أن أذكر لها هذا، قال: فافعلی.. قال و أعلمت أبا العتاهيه. و مضت أيام فسألني معاوده المهدي، فقلت: قد عرفت الطريق، فقل ما شئت حتى أغنيه به، فقال:

أشربت قلبي من رجائك ما له عنق يخب إليك بي و رسيم
و أملت نحو سماء جودك ناظري أرعى مخايل برقها و أشيم

ص: ٣٨

و لربما استيأست ثم أقول: لا ان الذى ضمن النجاح كريم

قال يزيد: فغنيته فقال: على بعته، فجاءت فقال: ما صنعت؟ فقالت ذكرت ذلك لمولاتى فكرهته و أبته، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد، فقال: ما كنت لأفعل شيئا تكرهه.

و لم يكن سهلا، بل لعله كان مستحيلا أن تتخلص عتبه من مولاتها الخيزران التى كانت صاحبه شخصيه قويه و نفوذ شديد فى القصر و فى غير القصر حتى على الخليفه نفسه، و كانت تتمسك بجاريتها عتبه و تنزلها منزله خاصه.

و لكن أبا العتاهيه لا يصيبه على الرغم من ذلك كله ملل و لا يأس، و انما هو مقيم على حبه عتبه، و على إخلاصه لهذا الحب، لا يفتا يذكرها، و يردد ما يعانیه بسببها فى شعره، و لا يقف طلبه إياها من المهدي عند حد، بل انه ليقتمح عليه مجلسه الذى يضم عليه القوم من علماء و كبراء و شعراء، لعله يصيبه من ذلك بحرج عند ما يخاطبه بقوله:

ألا ان جاريه للإمام قد أسكن الحب سربالها

مشت بين حور قصار الخطا تجاذب فى المشى أكفالها

و قد أتعب الله نفسى بها و أتعب باللوم عدالها

فيعجب الحاضرون من هذه الجراء و هذه الجساره أشد العجب، مما يدلنا على مقدار تعلقه بمحبوبته، حتى ليستهين فى سبيلها بكل خطير و صعب، و ضاق المهدي به و بالحاحه عليه بشأنها، و إكثاره من التشبيب بها بشعره السهل الرقيق الذى شاع بين الناس من عامه و خاصه، فأمر بإحضاره، و جلده نحو من حد، و أخرج مجلودا، فبكت عتبه حتى فاض دمعها. و صادفها المهدي باكيه عند الخيزران، فأراد أن يترضاها، فأمر لأبى العتاهيه بخمسين ألف درهم، ففرقها أبو العتاهيه على من بالباب، و لما ساله الخليفه فى ذلك قال: ما كنت لأكل ثمن من أحببت. و لم يمتنع أبو العتاهيه و لم يرتدع بعد هذا الذى لقيه من أجل معشوقته من بلاء و ضرب مبرح، بل ظل عاكفا على رغبته مما أثار المهدي مرات عدة، فسجنه أكثر من مره، و لما لم يمتنع نفاه عن بغداد إلى الكوفه، و هناك ظل يشبب بصاحبته و ينشد شعره فيها. و لقد أضر ذلك كله بصحته و بعينيه خاصه، حتى رثا الناس لحاله و أشفقوا عليه من اتصال و جع عينيه و ملازمته طبييا لعلاجهما، و لما سئل فى ذلك قال:

أيا ويح عيني ويحها ثم ويحها أ ما من خلاص من شباك الحبال؟

أيا ويح عيني قد أضر بها البكاء فلم يغن عنها طب ما فى المكاحل

كل ذلك من أجل عتبه، التى لا يستطيع أن يتخلى عن حبه إياها، مستعذبا فى حبه كل مر مقيما على إخلاصه لهذا الحب رغم ما ينزل به من أرزاء قاسيه، و محن بالغه، أنزلها به المهدي. بل ان المهدي يموت، و يخلفه الهادى، و يعقبهما الرشيد، و أبو العتاهيه لا يزال حافظا لهواه راعيا لحبه، و لا يفتا يكرر محاولاته فى سبيل الحصول على عتبه مع الرشيد فى غير فتور و لا يأس. و كان مما قوى عزمه، و أمد له فى حبال الأمل انه كانت بينه و بين الرشيد قبل ان يلى الخلافه علاقه قويه و مصاحبه فى مجالسه و نزواته، و قد حاول الرشيد فى هذه السبيل محاوله صادقه و لكن الخيزران كانت لا تزال تتمسك بجاريتها التى لم تكن تملك

من أمر نفسها شيئاً، و كانت قد عرفت رغبه مولاتها القويه و إصرارها عليها.

حدث أبو العباس ثعلب قال: كان أبو العتاهيه قد أكثر مساءله الرشيد فى عتبه، فوعده بتزويجهما، و أنه يسألها فى ذلك، فان أجابت جهازها و أعطاه مالا عظيما. ثم ان الرشيد سرح له شغل استمر به، فحجب أبو العتاهيه عن الوصول اليه، فدفع إلى مسرور الكبير ثلاث مرارح فدخل بها على الرشيد و هو يبتسم، و كان عليها ثلاثه أبيات من الشعر، قرأها الرشيد و قال: قاتله الله، ما أحسن ما قال! ثم دعا به و قال: ضمننت لك يا أبا العتاهيه، و فى غد نقضى لك حاجتك إن شاء الله.. و بعث إلى عتبه ان لى حاجه إليك، فانظرينى الليله فى منزلك، فأكبرت ذلك و أعظمتها، و صارت اليه تستعفيه، فحلف ان لا يذكر لها حاجته إلا فى منزلها، فلما كان الليل سار إليها و معه جماعه من خواص خدمه، فقال لها: لست أذكر حاجتى أو تضمين قضاءها. قالت: أنا أمتك و أمرك نافذ فى ما خلا أمر أبى العتاهيه فانى حلفت لأبيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر و فاجر، و بالمشى إلى بيت الله الحرام حافيه كلما انقضت عنى حجه و جبت على أخرى لا أقصر على الكفاره، و كلما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلى فيه. و بكت بين يديه، فرق لها و رحمها و انصرف عنها.. و غدا عليه أبو العتاهيه فقال له الرشيد: و الله ما قصرت فى أمرك، و مسرور و حسين و رشيد و غيرهم شهود لى بذلك، و شرح له الخبر..

قال أبو العتاهيه: فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا لا أدرى أين أنا؟ قائم أو قاعد؟ و قلت: الآن يئست منها إذ ردتك، و علمت أنها لا تجيب أحدا بعدك.

فلبس أبو العتاهيه الصوف، و قال فى ذلك من أبيات:

قطعت منك حبال الآمال و حططت عن ظهر المطى رحالى

و وجدت برد الياس بين جوانحى فغنيت عن حل و عن ترحال

حين ذاك فقط تملكه الياس و اشتد به. هنالك بعد عشرين سنه أو نحوها من الحب الخالص العميق، و بعد صنوف من العذاب و ألوان من الأرزاء فيها الجلد و الحبس مرات، و النفى و التشريد، يصيب أبا العتاهيه ذهول شديد و قد يئس من الدنيا و من الحياه و من الأمل. كانت عتبه دنياه و حياته و أملة، فالتمس الفرار من هذه المصيبه الفادحه التى ألمت بنفسه و قلبه جميعا، إلى شىء ينشده فيه السلوان بعيدا عن الدنيا، بعيدا عن الناس، هنالك عزم على أن يتنسك و يلبس الصوف، و ينزع منزع الزاهدين و كانت لهذا المنزع فى نفسه آثار قديمه و جذور بعيده.

و مع هذا، فاننا نجد بعد ذلك مقيما على الوفاء لهذا الحب الذى أقام من قلبه قبرا له، يتطلع اليه بين الحين و الحين، حتى بعد تنسكه و زهده، ففراه يحن إلى تلك الذكرى حيننا شديدا مبتغيا إلى ذلك الوسائل، منتحلا له الأعدار.

قال لى أحمد و لم يدر ما بى أ تحب الغداه عتبه حقا

فتفتست ثم قلت نعم حبا جرى فى العروق عرقا فعرقا

و قد بلغ من شده شغفه بهذا الغناء و ما يحمل فى ثناياه من ذكريات حبيبه أن استعاده ثلاث مرات.

و حسينا ذلك، لنذل على أن قصه هذا الغرام العنيف الذي دفع صاحبه إلى ارتياد النسك و الزهد جديره بالاعتبار و الاحتفال، بين قصص الحب الخالده، و قد شقى بطلاها بها زمانا طويلا، أحسب ما لقياه فى سبيلها من عنت و التياح، و من ظروف قاهره قاسيه باعدت بين قلبيهما و أبت عليهما أن يلتثما طوال سنوات عديده، كان كفيلا بان يصيب قوتها و حرارتها بشيء من الوهن أو ببعض من الضعف و البروده، و لكنهما تذرعا بطويل الصبر، و عديد الحيل عليهما يلتثمان على وصال دائم، و لكن الظروف كانت أقوى منهما، و كانت الشيخوخه قد أدركتهما، فقبعت عتبه فى ذل

ص: ٣٩

و استكانه مغلوبه على أمرها، و ساح أبو العتاهيه فى تيه الحياه المسحور، و كان قد فزع إلى اللهو و المجانه لعله ينسى أو يتلهى، فلما لم يجد ذلك فى نفسه و حبه شيئا طلب التنسك لعله يكون أفعل فى نفسه، أو أقرب طريقا إلى ما يبتغيه من سلوان.

قال صاحب الأغاني، أبو الفرج فى ترجمته لأبى العتاهيه: " و لم أذكر هنا مع أخبار أبى العتاهيه أخباره مع عتبه، و هى من أعظم أخباره لأنها طويله، و فيها أغان كثيره، و قد طالت أخباره هاهنا، فافردتها". و لو أن أبا الفرج وفى بوعدده الذى قطعه بان يفرد لأخباره معها بابا خاصا "لكثره الصنعه فى تشبيهه بها، و انها اتسعت جدا"، أو لعله وفى و سقط هذا الباب من كتابه الكبير - إذن لاستوت لنا الحقيقه فى أمر حب أبى العتاهيه أنصع من ذلك كثيرا، و لوقفنا فى كثير من التفصيل على قصه ذلك الحب الكبير كامله.

إسماعيل الصفوى:

مرت ترجمته فى المجلد الثالث. ثم ذكرنا تفاصيل أخرى عنه فى الصفحه ١٦ من المجلد الأول من المستدركات. ثم تفاصيل أوسع فى الصفحه ٥٠ من المجلد الثانى من المستدركات. و نشر عنه هنا ما يلى و هو ما عثرنا عليه بعد نشر ما نشر:

وردت فى كتاب (اعلام الورى بمن و لى نائبا من الأتراك^(١)) بدمشق الشام الكبرى) لمؤلفه (محمد بن طولون الصالحى الدمشقى) نصوص ثمينه عن صدى قيام الدوله الصفويه فى بلاد الشام التى كانت محكومها يوم ذاك من المماليك، و من قانصوه الغورى منهم بالذات.

و كنا قد ذكرنا فيما كتبناه فى المجلد الثانى من المستدركات عن صدى قيام هذه الدوله بوجه عام، و إنه لمن المهم أن نعرف ما ذا كانت تتجارب به سائر البلاد من أصدية مدويه لنجاح إسماعيل الصفوى و تمكنه من السلطه.

و لعل ما نشره هنا من نصوص ماخوذه من (أعلام الورى) يرينا الصوره الصحيحه لعواطف الناس و انفعالهم من ذلك الحدث. و إذا كان المؤلف يتحدث عن دمشق وحدها فلا شك أن ما كان يتفاعل فى دمشق إنما هو مماثل لما كان يتفاعل فى غيرها من المناطق التى كانت تصل إليها أخبار الدوله الصفويه متقطعه و لكن مشيره.

و إنه لمن الطريف أن نعرف كيفيه انتشار الشائعات و وصول الأخبار بما يحدث فى بلاد بعيده.

جاء فى (أعلام الورى) فى الصفحه ١٤٥ عن أحداث سنه (٩٠٧):

"فى هذه الأيام (١٧ جمادى الآخره سنه ٩٠٧) شاع بدمشق ان رجلا اسمه حيدر الصفوى استولى على بلاد تمرلنك و غيرها و إنه ماش على البلاد".

فالمؤلف يستبدل بكلمه الصفوى كلمه الصوفى، و ليس مرد ذلك إلى ما كان معروفا عن أصول الصفويين الصوفيه، لأن مثل هذه التفاصيل لم تكن لتنتقل مع شائعه تدور على الأفواه من بلد بعيد إلى بلد أبعد، بل إن مرده إلى عدم ألفه الناس لكلمه الصفوى الجديده و لفهم لكلمه الصوفى العريقه، فالناقل الأول للاشاعه نقل الصفه - على الأغلب - على حقيقتها (الصفوى) لقربه من الحدث، و لكن تداول الألسنه لها من مكان إلى مكان حرفها، فوصلت إلى دمشق: (الصوفى).

و يبدو جليا ان معلومات المؤلف الجغرافيه ضعيفه كل الضعف، فكل ما يعرفه عن المنطقه التي ظهر فيها إسماعيل انها بلاد (تمرلنك). ثم إنه يحرف (تيمور لنك) إلى تمرلنك).

و الغريب فى هذه الشائعه انها تقول ان إسماعيل الصفوى ماش إلى بلاد الشام، مما يدل على رهبه عرت النفوس من قيام الدوله، حتى إن تلك النفوس لتتوقع أن يكتسح إسماعيل ما بعد بلاد (تمرلنك) حتى يصل بلاد الشام!..

ثم إنه يبدو جليا من الخبر التالى ان الأمر لم يكن مجرد تخيل بل كان فى نظر الحكام جدا كل الجد فقد جاء فى اعلام الورى ما يلى، و هو تابع لأحداث ١٩ صفر سنه ٩٠٨ أى بعد حوالى ثمانيه أشهر من انتشار الشائعه القائله بان إسماعيل ماش على البلاد:

"فى هذه الأيام رمى النائب على أهل دمشق مالا لأجل مشاه تخرج إلى حلب تجريده حرمة للبلاد لأجل ما قيل من أمر الخارجى حيدر الصوفى".

ما ورد فى الخبر الأول كان مجرد ترديد لشائعه لذلك لم يكن المؤلف منفعلا فلم يصف إسماعيل باى صفه قبيحه، و لكن عند ما بدا له أن الأمر قد اشتد لدرجه الاعداد لدفع لخطر هاج هائجه فوصف إسماعيل بأقبح وصف و هو وصف (الخارجى)، كما أن الصدمه أذهلته فنسى الاسم، و أطلق على إسماعيل اسم أبيه حيدر و الواقع إنه لأمر غريب أن يكون الحال قد وصل إلى إعداد النجدات فى دمشق، لارسالها إلى حلب لدفع ما بدا أنه خطر صفوى متوقع، و من البدهى [البديهى] أن الأمر لم يكن مقتصرًا على دمشق وحدها.

و يجب أن لا ننسى ان ما يحدث هو فى عصر (قانصوه الغورى) الذى افترض الناس فيه - بما تحدثوا به عنه بعد ذلك - حليفا لإسماعيل الصفوى. و إذا صح أمر التحالف، فإنه يبدو جليا انه لم يكن قد قام بعد، و سيتضح الأمر فيما ياتى من أخبار (اعلام الورى).

و ياتى شهر جمادى الآخره من سنه ٩٠٨ أى انه قد مضى على انتشار (الشائعه) سنه كامله فإذا ب (اعلام الورى) ينشر لنا الخبر الآتى:

"شرعوا باستخلاص بقيه المال الذى فرض برسم المشاه".

أى انه مضى قرابه أربعه أشهر بين فرض المال لاعداد المشاه و إرسالهم إلى حلب و بين تحصيل بقيه هذا المال.

و بعد شهرين من كتابه هذا الخبر يقول (إعلام الورى) عن أحداث شهر شعبان بعد أن ذكر فرض ضريبه جديده على الناس: "و هذه رميه أخرى غير الرميه التي أخذت بحجه مشاه إلى حلب لأجل حيدر الصوفى".

و هنا يستمر فى تغيير اسم إسماعيل إلى حيدر كما يكون مستمرا فى إبدال لقب الصفوى بالصوفى.

و تنتهى سنه ٩٠٨ و تليها سنه ٩٠٩ فسنة ٩١٠ فسنة ٩١١ فسنة ٩١٢ دون أن نسمع فى (إعلام الورى) أى خبر عن (الخارجى) و لا عن (المشاه) المرسلين إلى حلب.

أى ان أربع سنوات قد مضت دون ذكر أى شىء عما يجرى فى بلاد (تمرنك) و ما يمتد بعدها من بلاد غربا من وقائع و خطوب.

و فجاه يطلع علينا (الاعلام) و هو يتحدث عن أخبار ربيع الثانى سنه ٩١٣ بهذا الخبر:

"فى هذه الأيام أيضا شاع ان الخارجى حيدر الصوفى قد خرج على الأمير على دوله و تقاتلا و انه قرب من حلب".

و نحن لا نعلم - برغم تتبعنا لتاريخ إسماعيل - بأنه تقاتل مع من اسمه (على دوله) فمن اين جاء صاحب (الاعلام) بهذا الخبر؟.

ص: ٤٠

١- المقصود بالأتراك هنا: المماليك و مؤرخو تلك الفتره يسمون دوله المماليك بدوله الأتراك.

ربما كان الأمر قد اشتبه عليه بين (علاء الدوله) و بين (على دوله)، فان تقاطلا قد جرى بين علاء الدوله حفيد ناصر حاكم بلاد مرعش و بين أتباع الشاه إسماعيل لتحالفات بين علاء الدوله و آخرين بقصد الاستيلاء على ولايه ديار بكر، فقرر الشاه الحثول دون ذلك في تفاصيل ليس هنا مكان ذكرها.

و لكن مهما كان من أمر انتصارات الشاه إسماعيل على علاء الدوله فإنه يظل بعيدا جدا عن حلب مما لا يبرر شائعه قربه من حلب.

و في أخبار جمادى الآخره من السنه نفسها ٩١٣ نفاجا بالخبر الخطير التالى:

"مستهل جمادى الآخره برز النائب إلى مصطبه السلطان(١) و خرج معه القضاء و داوادر السلطان على نيه السفر و التجريد على الخارجى حيدر الصوفى.

و فى يوم الجمعة سابعه سافر.

و بعد عصر يوم الثلاثاء ثالث شعبان دخل النائب دمشق و قد مر على البلاد بعد رجوعه من تجريده الصوفى التى وصل فيها إلى حلب".

من هذا الخبر يبدو التصميم على حرب الدوله الصفويه تصميميا مصدره و لا شك المسئول الأول فى الدوله قانصوه الغورى، إذ ليس من المعقول أن يتفرد نائب دمشق بقرار الحرب الذى سيلزم الدوله كلها، و خرج التصميم إلى حيز التنفيذ بسوق جيش دمشقى لقتال من صار اسمه (الخارجى). و من هنا ندرك أن وقع قيام دوله شيعيه لم يكن مثيرا للعثمانيين فقط، بل كان مثيرا للمماليك أيضا، و أن إجماعا قام على عدم تمكين الشيعه من أن يكون لهم دوله يكونون فى ظلها مصونى الكرامه و الدم و المال و الحره. إجماعا قام دون أن يعد أحد لقيامه، و دون أن تتفق أطرافه فيما بينها، بل إن وحده النقمه هى التى جمعت إرادتهم دون أن يجتمعوا.

و حين نعود إلى لهجه (النهروالى)(٢) المتمثل فيها شعور العثمانيين، و نقارن بينها و بين لهجه ابن طولون المتمثل فيها شعور المماليك، نجد إن اللهجتين تنبعان من إحساس واحد هو إحساس النقمه و الغضب.

و إذا كان النهروالى قد قال ما قال فى جمل مبسطه طويله كثيره متعدده، فلأن كتابه كان مبسطا طويلا مسهبا. أما ابن طولون الموجز فى كتابه ما كتبه عن تاريخ تلك الفتره، فقد سار فى التعبير عن نقمته على طريق الإيجاز المتبع فى كتابه، فأكتفى عن كل تعابير الشتائم و الغضب بوصف الشاه إسماعيل بصفه (الخارجى)، و حسبها صفه شامله مزريه محرضه!.. و إذا كانت البلاغه - كما يعبرون عنها - بأنها مطابقيه الكلام لمقتضى الحال، فلا شك ان ابن طولون كان بليغا فى تعبيره هذا، و لا يمكن لمن كان فى ذهنه ابن طولون و ذهنه أبناء عصره أن يعبر عما يكتنه لقيام دوله للشيعه من الحقد و النقمه و التحريض عليها، بكلمه أبلغ من وصف مقيم تلك الدوله بوصف (الخارجى).

و قد كان يمكن أن يكون وقع هذا الوصف أخف على النفوس لو كان إسماعيل الصفوى قد قام بثورته على دوله المماليك،

فعند ذلك يمكن تفسير كلمه (الخارجي) بأنه الخارج على دولته. فاما و ثوره إسماعيل تبعد عن دوله المماليك أوف الكيلومترات، و لا- مساس لها بسلطه المماليك، و لا أثر لها على دولتهم، فان كلمه (الخارجي) هنا إنما يعنى بها: الخارج على الإسلام!..

على أن الذى يحيرنا هو قول الكاتب بان (النائب) عاد إلى دمشق بعد غياب حوالى شهر فقط. و سبب الحيره هو ان الكاتب لم يوضح لنا عما إذا كان النائب قد عاد وحده و ترك التجريده فى حلب، أم عاد مع التجريده؟! و سواء عاد وحده أم عاد مع التجريده فان حربا لم تقع بين دوله المماليك و دوله الصفويين. بل إن الذى حدث هو شىء يناقض فكره الحرب كل المناقضه، و يكون له على القارئ وقع المفاجاه المذهله. إذ بعد مضى حوالى شهرين على عوده النائب من حلب يطلع علينا صاحب (الاعلام) بالنبا التالى:

"يوم السبت سابع عشر شوال دخل من مصر إلى دمشق قصاد الخارجى إسماعيل الصوفى، و تلقاهم النائب و أرباب الوظائف، و هم نحو الخمسين نفرا، و المتعين فيهم اثنان، و جميعهم بعائم بيض بوسطها طنابير حمر بارزه طويله نحو الذراع".

و فى هذه المره عاد إلى تسميه الشاه إسماعيل باسمه الصحيح و ترك اسم حيدر، و إن ظل يصر على وصفه بالخارجى.

و إذا كان صاحب (الاعلام) لم يوضح لنا ما ذا كانت مهمه هذا الوفد الصفوى فى مصر، فلسنا بحاجة إلى توضيحه بعد أن عرفنا أن الحرب لم تقع بين إسماعيل و بين قانصوه الغورى، و عرفنا ان الأمر بينهما قد عاد إلى تحالف و ثيق كانت له نتائج الخطيره.

و نستطيع أن نتصور الأمر على هذا الشكل:

بعد أن عرف الشاه إسماعيل بان دوله المماليك تعد لحربه، بعد أن كان قد عرف إعداد دوله العثمانيين لهذه الحرب، و هو مدرك ان لا مصالح مهدده للعثمانيين تحملهم على هذه الحرب، و لا مصلحه كذلك للمماليك تحملهم عليها، و كل ما فى الأمر ان الدافع هو دافع مذهبى بحث لا يمت إلى المصالح الحقيقيه بصله، و وازن بين إقناع العثمانيين بالعدول عن هذه الحرب و بين إقناع المماليك، فترجح لديه بان الأسهل هو إقناع المماليك و سلطانهم قانصوه الغورى، فأرسل إليه وفدا رفيعا مؤلفا من نحو خمسين شخصا كان البارز بينهم اثنان ففاوضه الوفد و بين له ان لا مطامع لإسماعيل فى بلاده، و انه لا يمكن أن يخشى شيئا من قيام الدوله الصفويه، و ان الاعتبارات المذهبيه لا يجوز أن تكون هى الفيصل فى مثل هذه المواقف المصيريه، و إن الطرفين: الصفوى و المماليكى يمكن أن ينتظرها خطرا).

ص: ٤١

١- المصطبه أو مصطبه السلطان: كانت دوله المماليك تعنى بالأمور الشكليه أو الأمور الظاهره مما يزيد فى هيبتها و يجعل العامه تؤمن بعظمه الدوله و كبريائها، و لذلك اتخذت أساليب العرض و المواكب العسكريه، فأقامت قبيل مدينه دمشق فى قريه (القوم) قبه تدعى قبه النصر و قبه يلغا. و كانت هذه المنطقه أعظم مدخل لدمشق فهى طرق بيت الله الحرام (بوابه الله) و طريق فلسطين و الأردن و حوران و طريق عاصمه المملكه (القاهره). و الطريق الآخر هو طريق رحبه مالك بن طوق و الجزيره الفراتيه

و طريق حمص و حماه و حلب و ما إلى ذلك، و اتخذت على هذا الطريق مصطبه تدعى مصطبه السلطان. و هى مصطبه عظيمه كانت فى سهل القابون بين القابون و برزه، كان الملوک و النواب و العظماء من القواد ينزلون فيها إذا قدموا من جهه حلب، ثم تخرج جيوش دمشق لملاقاتهم بها و يدخلون دمشق بموكب حافل. و كذلك شأنهم إذا أرادوا السفر إلى حلب و جهاتها. و يقول البدرى المتوفى سنه ٨٩٤ إنها قدر فدان يصعد إليها فى نيف و عشرين درجه من جهاتها الأربع، و فيها قصر حسن البناء ينزل به الملوک و السلاطين عند توجههم إلى الأسفار انتهى. و بقى شىء من آثارها إلى سنه ١٣٥٠ و قد شاهدها محقق كتاب (اعلام الورى) محمد أحمد دهمان الذى هو مصدرنا فى هذا الموضوع - شاهدها و هى تعلو عن الأرض نحو متر و قد أخذ الفلاحون فى هدمها و تسويتها بالأرض و أصبحت اليوم أرضا زراعيه. هذا و إن كلمه (النائب) هنا تعنى الوالى.

٢- راجع أقوال النهروالى فى المجلد الثانى من (المستدرکات).

حقيقى واحد هو الخطر العثمانى. فاقنع قانصوه الغورى بهذا المنطق و وقف الاعداد للحرب، بل وافق على ان يساند الشاه إسماعيل إذا تعرض للخطر العثمانى، و هو ما حصل بعد ذلك.

و هكذا استقبل الوفد الصفوى العائد من مصر فى دمشق استقبالا حكوميا و ديا فتلقيه النائب و أرباب الوظائف على حد تعبير صاحب كتاب (إعلام الورى) مرحبين به. و إذا كان الاستقبال الحكومى و ديا فان استقبال ابن طولون لم يكن كذلك فقد ظل يصير على إطلاق وصف (الخارجى) على الشاه إسماعيل.

و فى هذا الذى ذكره صاحب (الاعلام) شىء آخر مهم جدا لم يكن معروفا بين من يؤرخون لتلك الأيام و هو إرسال وفد صفوى بهذا العدد و هذا المستوى ليتولى المفاوضات السلميه بين الطرفين. و كل ما كان يذكر فى هذا الموضوع هو ان مراسلات كانت تدور، و كان يذكر ذلك بصوره مبهمه غامضه.

و قد تجلت الآن الأمور على هذا الوجه الواضح الذى أعلنه ابن طولون فيما أنبانا به فى يومياته الدمشقيه.

و هنا لا بد لنا من التساؤل عن الطريق الذى سلكه الوفد الصفوى فى ذهابه من إيران إلى مصر. أما عن طريق العوده فقد عرفنا من يوميات (الاعلام) انه كان مرورا ببلاد الشام و وصولا إلى دمشق و منها بالطبع إلى العراق فإيران.

و مروره ببلاد الشام كان لأنها أصبحت بلادا غير معاديه، فمر بها مرورا علينا مرحبا به و مستقبلا استقبالا فيه كل الود.

و حين نتساءل عن طريق الذهاب، فإنه لا يكون أمامنا واضحا إلا طريق المرحله الأولى، و هو طريق العراق مرورا ببغداد، و هو الطريق الطبيعى المستقيم لمن يود الوصول إلى مصر على مراحل متباعده.

و العراق كان يوم ذاك بحكم أحوال الشاه إسماعيل ملوك القطيع الأبيض (آق قويونلو)، و هم و إن كانوا يخالفونه فى المذهب، فلم يكونوا فى ذلك الوقت فى عدااء معه، لذلك فان وفده حين يمر فى العراق يمر فى بلاد غير معاديه مما يسهل مهمته.

و يبقى أمامنا طريق ما بعد العراق. و الطبيعى فى هذه الحاله أن يكون طريق بلاد الشام، و لكن بلاد الشام كانت معاديه كما رأينا، مثلها مثل بلاد العثمانيين، فكيف تسنى للوفد الصفوى الوصول إلى مصر و هو بهذه الكثره العديده الواضحه؟ ذلك ما لم يشر إليه ابن طولون، لأن الإشاره إليه ليست من مهمه يومياته المنصبه فى الأصل على التاريخ لولاه دمشق. و من الطبيعى أن لا أحد غيره قد أشار إلى ذلك.

و مما يلفت النظر و يشير إلى أن مفاوضات قد جرت بين قانصوه الغورى و بين السلطان سليم بعد معركة جالديران و انتصار سليم على الشاه عباس على ما ذكره ابن طولون و هو يذكر أحداث شهر ربيع الأول سنة ٩٢٠ حيث قال:

" و حضر القاصد الذى كان أرسله قانصوه الغورى إلى سلطان الروم المظفر سليم خان بن عثمان و عاد و جماعته "

و فى ذلك ما يجعلنا نستنتج ان الغورى قد أرسل وفدا إلى السلطان سليم لتنهته بالنصر و محاوله إزاله ما كان قد علق بنفسه من

النقمه على الغوري لما عرفه السلطان سليم من معاونات ذات أثر فعال قدمها الغوري للشاه إسماعيل كان أعظمها قطعه طرق مواصلات الجيش العثماني بحيث حرمه من تلقى ما كان ينتظره من وصول قوافل المؤن إلى تبريز مما منع السلطان سليم من قطف ثمره نصره الحاسم واضطره للجلاء عن تبريز و عدم مطارده الشاه إسماعيل المنهزم و القضاء على دولته قضاء نهائيا، و هذا ما كان يهدف إليه السلطان سليم من زحفه على معاقل الشاه إسماعيل.

و هكذا عاد نصر جالديران و كأنه لم يكن و استطاع إسماعيل ترميم جيشه و استعادته قوته و السير قدما في تأسيس الدوله الشيعيه القويه.

و نحن لا ندرى شيئا من تفاصيل ما جرى للوفد المماليكي في العاصمه العثمانيه، و لا عما قوبل به هناك، و لا عن المعامله التي عومل بها.

و إن كنا نعلم علم اليقين بأنه فشل في مهمته...

و ابن طولون الذي يعيش في الحكم المماليكي، و تحت سياده الغوري، لا يخفى اعتزازه بالنصر العثماني حيث يذكر في إيراد الخبر العبارة الآتية: (سلطان الروم المظفر).

و قد كان بين النصر العثماني في جالديران و بين وصول وفد الغوري إلى دمشق عائدا من مقابله السلطان سليم: شهران، فمعركة جالديران كانت في ٢٢ المحرم سنه ٩٢٠ (١٩ آذار سنه ١٥١٤ م)، و وصول الوفد إلى دمشق كان في ١٧ ربيع الأول سنه ٩٢٠.

و يتابع ابن طولون سرد يومياته واصلا إلى ١٧ رجب سنه ٩٢٠ فيقول:

شاع أن قاصد الملك سليم خان بن عثمان ملك الروم وصل إلى دمشق و أخبر بان استاذته انتصر على الخارجي إسماعيل بن حيدر الصوفي و قتل من عسكره أكثر مما قتل من عسكر ملك الروم بكثير و إنه ملك (توريز) العجم ففرح الناس بذلك".

و في هذا يتبين لنا ان السلطان سليم أراد أن ينشر خبر انتصاره لا في بلاده وحدها بل في البلاد المجاوره لبلاده، فأوفد الرسل تحمل الخبر من بلد إلى بلد فوصل (قاصده) إلى دمشق بعد مرور ستة أشهر على معركة جالديران.

و نحسب ان هذا التأخير ناجم عن ان الرسول لم يقصد دمشق رأسا، بل إن مهمته كانت تقتضى التنقل من مدينه إلى مدينه مما أعاق وصوله إلى دمشق، فلم يصلها إلا بعد ستة أشهر.

و قد صور لنا ابن طولون حقيقه شعور الناس تجاه النصر العثماني و الهزيمه الصفويه بقوله: " ففرح الناس بذلك".

و إذا كان ابن طولون قد وصف الشاه إسماعيل بصفه الخارجي و هو لا يزال منتصرا، فمن الطبيعي أن يعود فيصفه بهذه الصفه و هو يذيع خبر هزيمته. و كما قلنا من قبل عن معلومات ابن طولون الجغرافيه، أنها واهيه، نقول الآن، فهو يصحف اسم تبريز إلى (توريز).

السيد إسماعيل بن كاظم بن مير محمد مقيم الحسيني الرامسرى التنكابني:

ولد في ١٢٣٢ أو ١٢٣٣ في رامسر توفي بعد ١٣٠٦ في رامسر. تعلم في رامسر القراءه و الكتابه و المقدمات ثم أخذ الفقه و الأصول و الفلسفه عن السيد محمد هاشم الحسيني ثم ذهب إلى قزوين فتابع فيها الدراسه، و بعد ذلك هاجر إلى العراق فحضر في كربلاء عند السيد إبراهيم صاحب الضوابط و في حدود سنه ١٢٦٠ ذهب إلى النجف الأشرف فحضر بحث الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و الشيخ مرتضى الأنصاري و الشيخ محمد حسين الكاظمي و الشيخ علي كاشف الغطاء و الشيخ حسن كاشف الغطاء.

و في حدود سنه ١٢٧٠ رجع إلى موطنه رامسر مشغلا [مشتغلا] بالتدريس و التأليف و قضاء حوائج الناس إلى أن توفي بها و خلف ولده السيد محمد كاظم و من

ص: ٤٢

١ - باب الأبواب - ٢ - نضره الناظرين و نزهه الباصرين - ذكره شيخنا الطهراني في الذريعه ١٢٩/٢٤ بعنوان نزهه الناظرين. (١)

أم كلثوم بنت الشيخ كريم الروغنى القزوينى.

عالمه فاضله فقيهه محدثه من ربات التقى و الصلاح ولدت حدود سنه ١٢٤٣ هـ فى كربلاء و توفيت حدود سنه ١٣٢٠ هـ أخذت العلم على جملة من العلماء فى القسم النسائى من المدرسه الصالحيه بقزوين و حضرت الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى و شقيقه الشهيد و أبيها الشيخ آغا كريم الروغنى الذى كان من المدرسين فى مدرسه الصالحيه و هاجرت إلى كربلاء و النجف و حضرت على جملة من أكابر علمائها و لما بلغت سن الرشد زفوها للشيخ إبراهيم بن إسحاق الزنجانى فرزقت منه أربعة أولاد كلهم من أهل العلم و الفضل و هم الشيخ يوسف و الشيخ إسحاق و الشيخ مصطفى و الشيخ عبد الكريم. و ذكرها صاحب تاريخ زنجان. (٢)

أم كلثوم

بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن إبراهيم بن يحيى

المعروف بملا صدرا

ولدت فى ليله الأحد ١٨ شهر رمضان سنه ١٠١٩ هـ و توفيت حدود سنه ١٠٩٠ هـ.

أخذت العلم و الفلسفه عن والدها ملا صدرا المتوفى سنه ١٠٥٠ هـ و فى حدود سنه ١٠٣٤ هـ زفوها إلى عبد الرزاق بن على اللاهيجى القمى المشهور بالفياض المتوفى سنه ١٠٥١ هـ ثم قرأت على زوجها المذكور حتى برعت فى كثير من العلوم، يحكى إنها كانت تجالس العلماء و تبحث معهم بفصاحه و بلاغه، و هى والده الميرزا حسن المعروف بالكاشفى المتوفى سنه ١١٢١ هـ صاحب كتاب شمع اليقين و كتاب زواهر الحكم الموجودين عندنا فى نسختين من خطها و نسخه بخط المؤلف ذكرها السيد شهاب الدين المرعشى النجفى فى مقدمه كتاب (معادن الحكمه) بما يلى (الفاضله الأديبه الزاهده أم كلثوم بنت صدر المتألهين زوجه العلامه الفيلسوف المتأله المتكلم المولى عبد الرزاق بن على بن الحسين اللاهيجى القمى المشتهر بالفياض صاحب كتابى "الشوارق و كوه مراد" المتوفى سنه ١٠٥١ هـ و هى أم العلامه الزاهد الحاج الميرزا حسن المعروف بالكاشفى صاحب كتاب شمع اليقين فى معرفه الحق و اليقين المتوفى سنه ١١٢١ المدفون فى خارج صحن السيده الجليله فاطمه المعصومه بنت الامام أبى إبراهيم موسى بن جعفر روحى لها الفداء فى حاشيه الشارع العام و قد وفقنى الله سبحانه بتعمير قبره الشريف بعد الاندراست تعظيما للشعائر الدينيه و إحياء لذكر علمائنا الأبرار و رأيت فى مجموعه المواليد للمترجم لها أن أم كلثوم هذه ولدت ليله الأحد ١٨ شهر رمضان سنه ١٠١٩ ق) (٣)

الشيخ آغا التفات القزوينى:

توفى بعد سنه ١٠٩٥.

كان من أكابر علماء الشيعة في العصر الصفوي و فحول فقهاء الاماميه في القرن الحادى عشر المنسبين قرأ المقدمات و السطوح على جماعه من أفاضل قزوين ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الحديث على الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ و أجز منه و له آثار و مآثر خالده فى قزوين حتى اليوم منها (المدرسه الالتفاتيه) و هى مدرسه دينيه ضخمة واقعه فى الشارع الرئيسى قرب ساحه السعاده أمام السوق الكبير فى وسط مدينه قزوين و لا تزال تعرف باسمه حتى اليوم و هى من المدارس المعموره فى العصر الحاضر و حافله بطلاب العلوم الدينيه و قد قام بتعميرها أخيراً السيد الخوئى و فيها مكتبه تحتوى على مجموعه من نفائس المخطوطات و نوادر المطبوعات، و قد قامت بإنجاز هذا المشروع العالمه الفاضله العارفه السيده الأميره زينت بيگم بنت الشاه طهماسب الصفوي و يستفاد من الوقفيه الموجوده عندنا انه كان إتمام بناء هذه المدرسه فى حدود سنه ١٠٦٨ هـ و كان المترجم له من المدرسين فى مدرسته المذكوره و تخرج عليه جماعه من العلماء و الفضلاء و له مؤلفات منها تمام الفقه من الطهاره إلى الديات فى ثلاثه أجزاء كبيره.

و مما يجدر ذكره هنا ان ما ذكره السيد محمد على كلريز فى كتابه (مينودر) صحيفه [صفحه] ٥٦١ قائلاً- (... إن بناء هذه المدرسه فى عصر سلاطين المغول و قام بتأسيسها أحد أمرائهم باسم (الخواجه الالتفات) و عرفت باسمه حتى اليوم..) غير صحيح. و لم أعلم من أين نقل هذه الأقوال لأنه لم يشر إلى أى مصدر كما ان كلامه لا يتفق مع نص الوقفيه الموجوده عندنا فما ذكره خطأ محض و ليس له نصيب من الصحه جزماً و قد أجمع علماء الآثار ان هذه المدرسه من الآثار الصفويه و يظهر ان صاحب مينودر كتب من تلقاء نفسه و تصوره الشخصى دون تحقيق و لم أجد للمترجم له أى ذكر فى كتب التراجم و السير إلا انه فى أعيان الشيعه أشار إلى مدرسته المذكوره فى غير واحد من مجلدات أعيان الشيعه منها فى ترجمه المولى الشيخ محمد باقر بن الغازى القزوينى أخى ملا- خليل القزوينى قال: (... عالم فاضل متكلم جليل كان مدرسا فى المدرسه الالتفاتيه بقزوين...)(٤).

أم نزار الملائكه:

شاعره عراقيه اشتهرت بكنيتها ولدت سنه ١٩٠٨ م و توفيت سنه ١٩٥٣ م فى لندن أثر عمليه جراحيه و دفنت فى العراق. و هى والده الشاعر نازك الملائكه، و لها شعر كثير و لكننا لم نقع لها إلا على هذه القصيده التى نظمتها سنه ١٩٤٨ م أثناء دخول الجيوش العربيه إلى فلسطين:

شددى العنف على الباغين إذلالاً و قهراً شددى الضيق على الطاغين زيدي القيد عسراً

لا تلىنى لأفاع أمعنت لدغا و غدرا لا ترقى للمضلين و إن جاءوك أسرى

دمريهم حطمي طغيانهم حتى يخرا أرهقيهم أبدلى أحلامهم بأسا و خسرا

جرعهم اكؤسا من بغيهم تطفح مرا امنحيهم من فلسطين عناء مستمرا

أمه البأس أعيدي ربوات البأس حمرا أطبقى الكفين هدى الرجس تقتيلاً و دحرا

لا ترقى لصهايين عتوا فى القدس شرا أبعدى الرأفة عند أفئده تطفح طهرا

ليس للرأفة بعد الآن أن تعقب خيرا قتليهم فالأذلاء يرون اللين خسرا

أظهرى الحق على الباطل تيانا و زجرا ليس ما تأتين إلا النبل و العدل الأغرا

ص: ٤٣

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

اذكري الأهوال تنهال على الساحات سكري اذكري الأطفال تساقط ارهابا و ذعرا

اسالى القدس ينبئك بما كان و مرا اساليه مسجدا مسترها يشكو و ديرا

اسالى الغمه و الليل الدجى المكفهر اسألى الأشلاء فالأشلاء بالقصه أدرى

كيف مر الدهر بالقدس و كيف ارتد نكرا كيف رفت ومضات النور بالساحه حيرى

عاصف سوف يعم السوح تصخبا و ذعرا عاصف سوف يحيل الكون - أما اهتيج - قفرا

أى فلسطين ألا فلينشبو نابا و ظفرا و ليمدوا شرك الطغيان طيا ثم نشرا

و ليمنوا طغمه الشذاذ فى القدس مقرا ليس من شان دماء العرب أن تذهب هدرا

لن تكونى، كعبه الأسراء للعادين و كرا لن تصيرى للمغيرين على الأمجاد جسرا

أنت سجلت على غره بأس العرب سفرا أنت وطدت على الأمجاد حصنا مشمخرا

أنت أنت النصر و العزه أنت النيل طرا فليصموا مسمع الدنيا تفاهات و هجرا

من أباح الغاب للأغراب كى يهديه حكرا؟ من دعا الغربى أن يلعب فى الصحراء دورا

أيها الغرب دع الغدر فقد حملت أمرا خذ طريق الحق و أجنح للهدى و استدن غفرا

كيف خنت القدس فاستهدفته صدرا و نحرا كيف أغريت على سكب الدم الطاهر غدرا؟

هذه الدار لها أهل أرادوا العيش نضرا هذه السوح فراديس سمت عزا و طهرا

هذه الجنات كانت للهدى مغدى و مسرى كيف تنصاع إلى صهيون أو توليه أمرا

عالم الظلم استفق فالشرق يستوفز و ترا طال ليل العبث و اجتشت فروع الصبر قسرا

لم نعد نقوى على الطغيان تضليلا و سترا سوف نزجها لظى حمراء تصلى الغرب سعرا

كان ما قد فات من حلم سما بالعرب فخرا إنه الظلم يحيل القلب مهما لان صخرا

إنها الغمره تجتاح النهى ترديه سكرأ أى فلسطين و إن عانيت ارهاقا و جورا

إنها خاتمه آلام أشجاها ممرا للملمى الأشلاء و لتضفى على الغمه سترا

و لتجلى الطرف فى البید ترى فى البید أمراها هى الساحات أفواج توالى أثر أخرى
ها هى الأبطال قد ضجت إلى الهیجاء حری فلتعديها فلسطين لیوم النصر ذخرا
ساحه الأسراء لن تلقى بك الفتنة بحرا لا تسائی لن یكون الهدى للشرك مقرا
أحمد منقذك الاسمى سیولى العرب نصرا فیک من أنوار عیسی ما یحیل اللیل فجرا
و على آفاقك الزهر سنا النصر استقرا فاملئى الأكواب أضعافا و ردى السهم عشرا
و امنحى هذه الصهایین بقعر البحر قبرا أوردیها مورد الهلكه أو ترد حسرى
ادفنیها فى هوی الذل و ساءت مستقرا اقدفنیها فى جحیم تحشر الغاوین حشرا

الأمیره أوراق سلطان بیگم:

بنت الأمير إسکندر بن قرا یوسف بن قرا محمد بن بیرام خواجه التركمانی
آل قراقوینلو

. كانت أدبیه فاضله شاعره ذات عقل و رأى و حکمه كانت حیه فى سنه ٨٤٢هـ .

ولدت و ترعرعت فى بلاط أبيها و هى من أسره آل قراقوینلو بطن من قبيله التركمان كان جدھا قرا محمد من مؤسسى اتحادیه
قبائل التركمان (دولت الخروف الأسود) و أبوها من أمراء طائفه قراقوینلو المقتول فى سنه ٨٤٢هـ .

و كان منقوشا على خاتمها:

بود از جان محب آل حیدر أوراق سلطان بنت شه اسکندر

ذكر أختها الأميره آرایش بیگم فى أعیان الشیعہ و لم یذكر أختها المترجم لها و وصف أختها (الأمیره آرایش بیگم ابنه الأمير
إسکندر بن قرا یوسف بن قرا محمد بن بیرام خواجه التركمانی. كان أبوها من أمراء طائفه قراقوینلو التركمانیه و قتل سنه ٨٤١هـ
أما هى و قد استدلت صاحب مجالس المؤمنین على تشیعها و تشیع عشیرتها بشعر كان منقوشا على خاتمها و هو:

در مشغله دنیا در معركة محشر از آل على گوید آرایش إسکندر

(١)

الحاج باقر اللاهیجی:

ولد فى لاهيجان و نشا بها و بعد أن تعلم القراءه و الكتابه انصرف إلى التجاره و اشتهر بذلك ثم أنصرف عن التجاره و سلك طريق العباده و التنسك و له نظم راق فى رثاء الحسين و قصائده معروفه ب (هفت بند) تقرأ فى لاهيجان و نواحيها فى مجالس التعزیه الحسينيه توفى بلاهيجان و دفن فى داره الواقع بقرب من مسجد (جهار بادشاه). (٢)

ص: ٤٤

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

الشيخ باقر نجل الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر:

توفى سنة ١٣١٧ كان أحد علماء و فضلاء هذا البيت و هو والد الشيخ على الجواهرى الشهير.

رثاه السيد محمد حسين الكيشوان بقصيده يمدح بها نجله الشيخ على:

هذا على الصادق الأقوال و الأفعال و الأخبار و الآثار

من معشر بيض الوجوه أماجد شم المعاطس فتيه أحرار

(١)

پروين اعتصامى

(٢) الشاعره المثاليه ابنه يوسف اعتصامى الملقب ب (اعتصام الملك) الأشتيانى و الكاتب الايرانى [المتوفى ١٣٥٦ هـ] ولدت بمدينه تبريز سنه ١٩٠٦ م. و كان أبوها من الكتاب الأدباء و من فضلاء عصره و نشأت پروين و ترعرعت فى أسره كريمه، و كانت تميل منذ طفولتها إلى الأدب و الشعر الفارسى و العربى، و تتلمذت فى تعلم هاتين اللغتين على يد أساتذته خصوصيين فى دار أبيها، ثم درست اللغه الإنجليزية فى مدرسه البنات الأمريكيه فى طهران، و تقدمت فى تعلمها تقدما سريعا محسوسا، و بعد إكمالها للدراسه اشتغلت فى هذه المدرسه كمعلمه تدرس الأدب، و كانت بطبعها و هى فى التاسعه من عمرها تميل إلى قول الشعر و إنشاده، و كانت تجمع القطع الشعريه التى تنظمها و قد نشرت أشعارها و هى فى ربيع عمرها، و تتصف الشاعره بحلاوه الحديث و صباحه المنظر و صفاء النفس و لم تنزع إلى ريبه و لم تنزلق إلى ماثمه و كانت من ألمع الشاعرات فى عصرها. و من أمعن النظر باحثا مدققا يجد من خلال شعرها الرقيق إنسانه مرهفه الشعور، نيره القلب، تحمل بين جنبئها قلبا رقيقا عاطفيا حساسا تثيره أدق الشجون، إن أبواب الشعر التى تطرقت إليها الشاعره كانت لها أهميه خاصه كبرى، و لم تظهر امرأه فى تاريخ الشعر و الأدب الفارسىين أعظم منها، كانت ذات علم وافر و أشعارها متزنه، تفصح فيها عن أحاسيس المحرومين و آمالهم، و ديوانها مجموعه رقيقه عاطفيه من الشعر تصور لنا فيه شتى الحالات النفسيه.

كانت الشاعره مع أبيها (يوسف اعتصامى) فى أكثر أسفاره داخل إيران و خارجها، و كانت ارتباطاتها العلميه و الأدبيه بالفضلاء و الشعراء الايرانيين و غيرهم فى هذه الأسفار تزيدها غناء فى الأدب و الثقافه.

تزوجت پروين من ابن عمها سنه ١٣٥٣ هـ و بعد أربعه أشهر انتقلت إلى دار بعلها فى كرمانشاه لكن الزواج هذا لم يكن متناسبا و لم يدم أكثر من عدّه أشهر رجعت بعدها إلى دار أبيها (سنه ١٣٥٤ هـ) ثم انفصمت عرى الزوجيه بعد تسعه أشهر تقريبا. و لقد تقبلت الشاعره هذه النتيجة ببروده فائقه و لم تشكك بثها فى شعرها إلا فى ثلاثه أبيات و هى:

أى گل، تو ز جمعیت گلزار چه دیدی جز سرزنش و بدسری خار چه دیدی

أى لعل دل افروز، تو با این همه پرتو جز مشتری سفله بازار چه دیدی

رفتى بچمن، ليك قفس گشت نصيبت غير از قفس، اى مرغ گرفتار چه ديدى

و ترجمتها:

"أيتها الوردہ! ما كان حاصلک فى الروضه غير الشوک! أيتها الدرہ! لم یکن لک مشتر سوى سفله السوق.

ثم سرت إلى الحدیقه فإذا الحدیقه سجن.

و أنت حمامه فى القفص!"

طبعت ديوانها بعد الطلاق سنة ۱۳۵۴ هـ ثم طبع بعد ذلك خمس مرات، و فى سنة ۱۳۵۵ هـ أرسلت وزاره المعارف المداليه الثقافيه من الدرجه الثالثه للشاعره و لكنها لم تقبلها، و فى سنة ۱۳۶۰ هـ توفيت پروينبهران بمرض دام ثلاثه عشر يوما فقط و كان عمرها إذ ذاك خمسہ و ثلاثين عاما و دفنت إلى جوار قبر أبيها فى مدينه قم

آثارها

طبع لها غير الديوان: كلى جند از ديوان پروين اعتصامى، و طبعت مجموعه مقالات حول پروين تكريما لها بعد وفاتها. (۳)

قال السيد محمد جمال الهاشمى فى رثائها من قصيده:

رفرفى فى الخلود بين طيوره و أشربى من ندى الجمال و نوره

حرت فى فكرك الخصب و ما جاء به للعقول فى تصويره

امعانى الحياه و هى محيط غرق الكون ظامنا فى نميره

كيف صورت كنهها بنشيد ساحر فى أوزانه و بحوره

زهرة الفرس ليت شعرى أ ييكى روض إيران ازكى زهوره

قد تمشى الذبول فيك و أيار طرى فى حسنه و عبيره

و صحونا على نعيك نستمطر أجفانا بشؤم نذيره

فوداعا قيثاره الشعر فالأنغام تبقى فى الدهر طى عصوره

المولى بهرام الطالقانى التنكابنى:

توفى حدود ۱۳۳۰ ولد فى طالقان و نشا بها ثم أخذ يتعلم القراءه و الكتابه و بعد ذلك انصرف إلى تعلم العلوم الدينيه فدرس

فى قروين و طهران. ثم هاجر إلى تنكابن و سكن بها و انصرف إلى الوعظ و الخطابه و اشتهر بذلك.

و كان عابدا زاهدا ناسكا ورعا جامعا للفضائل.(٤)

الشيخ جابر الكعبى:

هو الشيخ جابر بن عبد الله بن عيسى بن غيث بن غضبان بن سلمان من شيوخ اماره كعب العريبه.

انتهت إليه رئاستها و هو فى ريعان الشباب و استطاع بفضل حنكته و دهائه أن يصبح سيدا مطاعا من قبل طوائف اماره كعب،
بتمكنه من توحيدها و لم شملها بعد تشتتها إلى العراق و الكويت فقد تم له السيطرة عليهم و قتل من قتل منها بفعل الشيخ خزعل
لقد سجل التاريخ للشيخ خزعل بأنه كعبى و المتيقن انه ليس من بيت آل بو ناصر الذى تولى زعامه كعب أبا عن جد و الذى
ترضى به رئيسا عليها جميع طوائف كعب. ففى زمن الشيخ لفته بن مبادر (المتوفى ١٢٥٧ هـ) الذى كان يتولى زعامه اماره كعب
كان الحاج جابر جد الشيخ خزعل منصوبا على منطقه الفيليه التابعه لمدينه المحمره من قبل الشيخ لفته الذى كان يسكن فى
الفلاحيه مركز مدينه الدورق و كان الحاج جابر المذكور يجبى محاصيل الفيليه من التمور و غيرها و يرسل عائداتها إلى الشيخ
لفته.

ثم إن الحاج جابر جد الشيخ خزعل كان على ما يبدو شخصا ذكيا انتهازيا إذ استغل الضعف الطارئ فى آل بو ناصر اثر مقتل
الشيخ لفته على يد صهره و ابن عمه الشيخ جعفر بن فارس. و يقال فى سبب قتله ان الشيخ

ص: ٤٥

١- الشيخ محمد السامى.

٢- پروين بالباء الفارسيه التى تلفظ كحرف P اللاتينى.

٣- الشيخ أبو ذر بيدار.

٤- الشيخ محمد السامى.

لفته كان جبارا ظالما فى منتهى الجور فاتفق رؤساء طوائف كعب على قتله و التخلص منه فتأمروا بواسطة الشيخ جعفر و وعدوه بالزعامة و الرئاسة عليهم فقبل الشيخ جعفر و نفذ المؤامرة بمساعدته زوجته بنت الشيخ لفته فقتل الشيخ لفته هو و ابنه الشيخ بشير الحاكم فى منطقه الجراحى فى ليله واحده. و بعد نجاح المؤامرة ترأس الشيخ جعفر إماره كعب و لكن لفته قصيره إذ سرعان ما وقع الخلاف فى بيت آل بو ناصر و اشتغلوا بأنفسهم بعد ما خلعوا الشيخ جعفر. فاستغل الحاج جابر جد الشيخ خزعل هذا الضعف على بعد من أعين آل بو ناصر فجمع حوله أفرادا و شكل له شبه حكومه بما كان يصدق على جماعته من الأموال الطائله التى حصل عليها من بعض البواخر الإنجليزیه التى أصيب أفرادها بمرض الطاعون فقويت شوكتة و اشتد عوده حتى صار ملجا لكل هارب و ساخط على بيت آل بو ناصر فأعلن نفسه شيخا و بقى على تلك الحاله حتى وفاته ثم انتقلت الرئاسة إلى ابنه مزعل ثم إلى أخيه خزعل بعد أن قتل مزعلا.

و فى هذه الفتره اتفق زعماء كعب على زعامه الشيخ عبد الله أبى الشيخ جابر المترجم له و لكنه كان ورعا فتحاشى الزعامه العشائريه لما تصحبه غالبا من الخروج على القوانين الإسلاميه و العمل بالظلم و الجور فبعد حمسه [خمسه] أشهر من الرئاسة تنازل عنها و انتقل إلى مدينه المحمره بعد أن ودع الفلاحيه مركز إماره كعب القوى حتى وافاه أجله فتوفى فى المحمره و نقل جثمانه إلى مدينه النجف الأشرف فخلفه الشيخ جابر المترجم له و هو فى سن الشباب و كان معاصرا للشيخ خزعل الذى كان يتولى إماره المحمره و نواحيها و تمكن من السيطرة حتى على مركز كعب و هو الفلاحيه بل على كافه الدورق و نواحيها.

كان الشيخ خزعل يعلم بأنه لو برزت شخصيه قويه ذات نفوذ فى بيت آل بو ناصر فسوف يكون مهددا فى زعامته و رئاسته و لذا حاول أن يبيد زعماء كعب حتى وصل الدور إلى الشيخ جابر و هو ذو مطامع و ذو همه عاليه و لذا استغله الإنجليز للضغط على الشيخ خزعل و تخويفه فدعا الإنجليز الشيخ جابر إلى العراق و لوحوا به للشيخ خزعل فرضخ لمطالبيهم بالنفط و تنازل لهم عن النصف فلما تم لهم ما أرادوا تخلوا عن الشيخ جابر فبقى الشيخ جابر مده فى العراق ثم عاد إلى المحمره و لم يصغ إلى من حذروه من الرجوع خوف البطش به من قبل الشيخ خزعل. فصار الشيخ خزعل يتحين الفرص للغدر به حتى واته الفرصه فى حفل زواج ابنه عبد الحميد الحاكم على مدينه الأهواز ففى حفله الزواج دس سما موضوعا فى (كوب) القهوة إلى الشيخ جابر فلما أحس الشيخ جابر بالسّم خرج فوراً من الحفله و دعا طبيبا إنجليزيا كان يقوم بمهنه الطبابه بالاضافه إلى عمله الرسمى كقنصل بريطانى فى مدينه المحمره فعالجه الطبيب المذكور المدعو (لين كن) فتمكن من إنقاذ حياته و لكنه أصيب بشلل فى نصف بدنه و بقى مقعدا إلى آخر حياته. و لقد حالف الحظ جابر إذ أبعدت السلطه الإيرانيه الشيخ خزعل إلى طهران محجوزا [محجوزا] عليه و مفروضا عليه الإقامة الجبريه فى العاصمه الإيرانيه. فتألق نجم الشيخ جابر خصوصا بعد ما منحتة الحكومه الإيرانيه أوسمه و أحكاما مؤكده بذلك زعامته على كافه طوائف كعب فأصبح الشيخ جابر زعيما بلا منازع فى المنطقه و رئيسا مقتدرا فدعا قبائل كعب المشتتين فى العراق و الكويت و سائر أنحاء البلاد الإيرانيه فارجع عشيره (النصار) من الكويت أسكنهم محلهم السابق فى منطقه (القصبه) و كذلك فعل بالنسبه إلى عشيره دريس (مخفف إدريس) حيث كانوا فى العراق فأسكنهم منطقه عبادان و بذلك فقد التام شمل عشائر كعب فى عبادان و المحمره و القصبه و الدورق و نواحيها و أصبح الشيخ جابر سيدا مطاعا نافذ الكلمه و مسموع القول هذا بالاضافه إلى صفاته الحميده من كرم و سخاء نفس و علو همه مع تواضع جم و كانت له صلوات و وثيقه مع العلماء سواء فى منطقته كالسيد عدنان الغريفى أو فى النجف الأشرف كالشيخ محمد رضا آل ياسين و السيد أبى الحسن الأصفهاني و الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.

توفى الشيخ جابر فى يوم الأربعاء ٢١ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ عن عمر ناهز السبعين فشيح تشيعا شعبيا و رسميا ثم نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فى احدى غرف باب الطوسى من الصحن الحيدرى الشريف و قد خلف ثلاثة أولاد ذكور و هم: عبد الرزاق و بهادر و عباس و انتقلت رئاسه كعب من بعده إلى ابنه عبد الرزاق ثم إلى عبد الرحمن بن بهادر.

و قد رثى المترجم له جملة من الشعراء منهم الخطيب الملا مهدي الشويكى بقصيده منها:

فلا غرو أن تبكى له (آل ناصر) دموع دم تحكى السحاب إذا همى

و تغدو عليه (آل إدريس) نوحا ترى الحزن فرضا و السلو محرما

و تضحى له (النصار) قرحى قلوبها تجرعها الأحزان صابا و علقما

فقد كان فيهم طود عز و منعه فغادره صرف الردى متهدما

(١).

جابر بن حيان:

اشاره

مرت ترجمته فى الصفحة ٣٠ من المجلد الرابع و نشر عنه هذه الدراسة مكتوبه بقلم الدكتور حسين مروه:

شكوك و غموض

إن "جابر" رغم شهره اسمه و شهره آثاره العلميه فى الأوساط الأكاديميه العالميه، منذ عصر النهضة الأوربيه حتى اليوم، قد أحيطت شخصيته، عن قصد أو غير قصد، بأستار من الشكوك لم تقتصر على ناحيه واحده، بل شملت أكثر من ناحيه.. فقد اختلف فى تاريخ مولده و مكانه، و اختلف فى أصله و مذهبه و مكان نشأته، و اختلف فى نسبه بعض مؤلفاته إليه، بل لقد اختلف حتى فى حقيقه شخصيته، هل هى شخصيه واقعيه أم خياليه!..

ليس نادرا فى تاريخ الفكر العربى ان تحاط بالتشكيك شخصيات اشتهرت اسمائها و آثارها فى الأدب أو الفلسفه أو العلم، كامرئ القيس، و ابن طفيل، كما حصل التشكيك بكثير من مشهور الكتب و الدواوين و القصائد فى تاريخنا الثقافى، من حيث نسبتها إلى شخصيات متعدده فى عصور متباعده.

و لعل هذه الظاهره نشأت من اضطراب الأحداث التاريخيه و تداول الآثار الفكرية بين ذوى الخصومات فى الحكم و السياسه و المذاهب، و ضياع الكثير من الأسانيد و الوثائق الصحيحه و المؤلفات العديده الكاشفه، و تشتت الكثير من مخطوطاتها الأصلية أو المنسوخه فى بلدان الغرب و الشرق، أثناء عصور الفتح و الغزو و الاستعمار الأجنبى التى تتابعت على بلاد العرب.

وقد تعرض جابر بن حيان لخصومات سياسيه و مذهبيه و شخصيه، أثناء حياته ذاتها، فرضت عليه الاختفاء و التشرذم، و تركت جرائرها تعمل فى آثاره العلميه تضييعا و تحريفا و تشكيكا بعد ذلك.

و مهما يكن من فعل هذه العوامل كلها، فان أسباب التشكيك بشخصيه جابر بن حيان و بنسبه بعض آثاره إليه، لا تقوى على الثبات أمام النقد العلمى الموضوعى، و لا- تستطيع أن تطمس حقيقه وجوده و شخصيته و حقيقه كونه هو مؤلف تلك الآثار العديده المنسوبه إليه.

ص: ٤٦

١- السيد على العدنانى الغريفى.

أما الشك بوجوده، فقد بدأ الحديث عنه منذ أوائل القرن الرابع الهجري، و كان ابن النديم صاحب كتاب "الفهرست" الذى عاش فى أواسط ذلك القرن، هو أول من تحدث عن هذا الشك فى كتابه المذكور، قائلا:

"..و قال جماعه من أهل العلم و أكابر الوراقين ان هذا الرجل - أى جابر بن حيان - لا أصل له و لا حقيقه. و بعضهم قال انه ما صنف، إن كان له حقيقه، إلا" كتاب الرحمه"، و إن هذه المصنفات صنفها الناس و نحلوها إياه".

و فى العصور الأخره تحدث عن هذا الشك أيضا "بول كراوس" الذى جهد فى جمع بعض مخطوطات جابر من مختلف المكتبات فى أوروبا و نشرها فى كتاب بعنوان "مختار رسائل جابر بن حيان" و ألف مجلدين عنه و عن مؤلفاته و مذهبه. و لكن "كراوس" يرى ان هذه المؤلفات التى تنسب إلى جابر، إنما كتبت فى عصر متأخر عن الزمن الذى تقول الروايات ان جابر عاش فيه، و يرى انها كتبت فى نحو عام ٨٦٠ الميلادى أو فى نهايه القرن التاسع هذا، و ان مؤلف رسائل جابر ينبغى ان يكون قد عاش قبل عام ٩٨٧ م، أى قبيل تأليف الفهرست لابن النديم، و قبل "ابن وحشيه" صاحب كتاب "الزراعه النبويه" المؤلف عام ٩٥٠ م، و ذلك لأن ابن النديم و ابن وحشيه قد ترجما لجابر و تحدثا عنه فى كتابيهما هذين، و يرى "كراوس" أخيرا أن المؤلفات المنسوبه إلى جابر هى من وضع القرامطه الإسماعيليين.

أدله الشك

يعتمد "كراوس" فى شكه ذاك، على القرائن الآتية:

أولاً: انه إذا صحت نسبه الرسائل إلى جابر، فيلزم ان نغير نظرنا إلى تاريخ الإسلام، لأن ذلك يعنى ان جابرا كان أول من نقل علوم الأوائل إلى العرب، و انه وجدت فى ذلك الزمن شخصيه كشخصيه جابر أصليه ممتازه ذات استقلال عجيب و علم غزير مع معرفه فذه للأدب اليونانى، و انه إذا كانت هذه الرسائل غير منتحله فيلزم أن يكون جابر هو الذى خلق اللغه العلميه و ذلكها قبل المترجمين الذين عاشوا فى القرن الثالث الهجرى و التاسع الميلادى، و أن رسائله هذه تمثل نموذجا من العلماء الذين لا نظير لهم فى الحقب الأولى الإسلاميه، فهو يعالج مسائل العلوم الطبيعيه بأسلوب يكاد لا ينتظر فى القرن الثانى للهجره و الثامن للميلاد و حسب، بل إن معلوماته فى الطبيعاه ترتكز على أسلوب فلسفى قائم بذاته، و متين أيضا، فضلا عن اننا نجد فى تلك الرسائل عدا النزعه الشيعيه الخاصه تعاليم معتزليه، مع ان مذهب الاعتزال لم يكن قد بلغ أشده، بعد، فى ذلك القرن.

ثانيا: إن صلته جابر بن حيان بالإمام جعفر الصادق، تقضى بالقول ان التعابير العلميه فى المؤلفات المنسوبه إلى جابر لا صلته لها بالإمام الصادق لا بأحد من معاصريه، و لا سيما ما جاء فيها عن تشريح العين، فان حنين بن إسحاق قد أورد سبع طبقات للعين تشبه اسمائها ما ذكره جابر بهذا الصدد، و ليس من المعقول - كما يقول كراوس - أن يكون حنين قد أخذ ذلك عن جابر، بل العكس هو المعقول.

ثالثا: إن رسائل جابر ذات طابع إسماعيلى، و ذلك يؤكد ان هناك علاقته شديده بين جابر و الإسماعيليه، و بين الإسماعيليه و رسائل جابر، ثم يذكر "كراوس" أمثله للتشابه بين تعابير جابر و تعابير الإسماعيليه فى فكره العدد و خاصه "السبعه"، و فى

النظريات الكيميائية، و في بعض التفسيرات الدينيه لعلاقه الأشياء بعضها مع بعض علاقته كيميائيه حتى في الجزئيات الصغيره.

نقد الشكوك يبدو، جليا، إن هذه القرائن التي استند إليها "كراوس" في شكه، إنما تدور على قضيه الشك بصحة نسبه مؤلفات جابر إليه، و لا- تشير مطلقا إلى قضيه الشك بوجوده. و لذلك يمكن القول ان الشك في أصل وجود جابر أو تأكيد عدم وجوده، أمر لم يذكر زاعموه دليلا عليه، لا مقنعا و لا غير مقنع.

و لكن نزيد عن هذا النقص السلبي نقضا إيجابيا نقيم به الأدله على وجوده أولا، و على كون المؤلفات المنسوبه إليه هي من تاليفه بالفعل، ثانيا:

١ - إن ابن النديم في "الفهرست"، و هو الذي كان أول من نقل القول بعدم وجوده، قد تصدى للرد على من ينفي وجوده، و أكد إن جابر بن حيان حقيقه لا شك فيها، و انه هو بالذات مؤلف تلك الرسائل الجليله الشأن. و هذا ما قاله ابن النديم بنصه:

"..و أنا أقول: إن رجلا فاضلا يجلس و يتعب، فيصنف كتابا يحتوى على ألفى ورقه، يتعب قريحته و فكره بإخراجه، و يتعب يده و جسمه بنسخه، ثم ينحله لغيره، اما موجودا أو معدوما، ضرب من الجهل، و إن ذلك لا يستمر على أحد، و لا يدخل تحته من تحلى ساعه واحده بالعلم. و أى فائده في هذا أو أى عائده؟. و الرجل له حقيقه، و أمره أظهر و أشهر، و تصانيفه أعظم و أكثر".

٢ - إن الحسين بن بسطام بن سابور الزيات و أخاه أبا عتاب عبد الله بن بسطام بن سابور - و هما من علماء الشيعة القدامى - قد وضعوا كتابا في الطب اسمياه "طب الأئمه" و روي فيه عن جابر بن حيان عن الامام جعفر الصادق.

٣ - إن الرازى - كما في الفهرست (ص ٥٠٠) - يقول في كتبه المؤلفه في الصنعه (الكيمياء): قال استأذنا أبو موسى (أى جابر بن حيان).

و قد نقل أبو بكر الرازى كتاب "الأئنين" للجابر إلى الشعر.

٤ - إن بعض كتب جابر بن حيان قد شرحها جماعه ممن عاشوا بعده بقليل، دون أن يظهر منهم الشك بامر نسبتها إليه أو بحقيقته هو نفسه، بل شرحوها على ان قضيه وجوده و قضيه كونه مؤلف هذه الكتب من الأمور المفروغ منها. و نذكر من هؤلاء الشراح: أبا جعفر (محمد بن على الشلمغانى) المعروف بابن العزاقر المتوفى عام ٣٢٢هـ، و قد شرح كتاب "الرحمه" للجابر.. و أبا قران من أهل نصيبين. شرح أيضا كتاب "الرحمه".

٥ - ورد ذكر جابر على لسان أبى حيان التوحيدى عند الكلام عن مسكويه. إذ قال:

"..و لكنه - أى مسكويه - كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبى الطيب الكيمياءى الرازى، منهوك الهمه فى طلبه و الحرص على إصابته، مفتونا بكتب أبى زكريا الرازى و جابر بن حيان".

٦ - إن المجريطى المتوفى عام ٣٩٥هـ يصف فى كتابه "غايه الحكيم" بقوله: "إن (الجامع) كتاب جابر يحتوى على ألف باب و نيف، ذكر فيه من الأعمال العجيبه ما لم يسبقه إليه أحد".

٧- إن "كراوس" بنى شكه في صحه نسبه الرسائل العلميه إلى جابر بن حيان، على مجرد اعتقاده بان النسق العلمى المنهجى الذى تتسم به مؤلفات جابر غريب عن ذهنيه العصر الذى عاش فيه، و أن القول بصحه نسبه هذه المؤلفات إليه، يستلزم تغيير نظره - أى كراوس - إلى "تاريخ

ص: ٤٧

الإسلام" .. وهو يعنى تاريخ الفكر العربى!.

و ظاهر أن هذه الحججه ناشئه عن ضعف الثقه عند أمثال هذا الباحث الغربى بقدره المفكرين العرب و المسلمين على أداء دورهم الحضارى فى عصر لم يبق شك لباحث منصف أنه كان عصر إبداع ثقافى كثير الخصب عظيم الأثر فى تطور التاريخ الإنسانى الحضارى، إذ قام المفكرون العرب و المسلمون فيه بمهمات رائعه من النقل و الترجمه و الإضاافه من ابداعهم إلى تراث الحضاره الفكرى و العلمى إضاافات تشهد بعظم طاقاتهم و جليل حرصهم على إغناء الفكر و الثقافه الإنسانين، و قد أغنوهما فعلا بثروات لا تزال شاهده خالده.

إن حججه "كراوس" لا- تنهض دليلا- علميا على نفى ما أراد نفيه من نسبه رسائل جابر بن حيان إلى هذا العالم المبدع. و ليس لازما باطلا- أن تؤدى صحه هذه النسبه إلى تغيير نظر الباحث الغربى المذكور فى تاريخ الفكر العربى، فما ذا يمنعه أن يلتزم بتغيير وجهه نظره؟.. و ما ذا يمنع من القول ان جابر بن حيان "أول من نقل علوم الأوائل إلى العرب"، ما دام قد ثبت عند الباحثين أن ترجمه علوم الأوائل قد بدأت قبل نحو قرن من عهد جابر، فضلا عن عهده بالذات، إذ ثبت ان ترجمه بدأت فى عهد عمر بن عبد العزيز الأموى، و ان العمل فى الكيمياء بالذات قد بدأ عند العرب فى محاولات خالد بن يزيد الأموى؟..

٨- و كيف يجوز فى منطق البحث العلمى ان يطلق "كراوس" حكمه السابق القائل بان أسماء طبقات العين عند حنين بن إسحاق "ليس من المعقول" أن يكون حنين قد أخذها عن جابر بن حيان، "بل العكس هو المعقول"؟.. كيف يجوز إطلاق هذا الحكم هكذا دون دليل علمى معقول مقنع؟.. ما ذا يمنع أن يكون جابر قد سبق حنين إلى هذا الكشف العلمى؟.. كيف يجوز الظن و الترجيح - فضلا عن الجزم - على غير أساس علمى فى نفى وجود شخصيه مشهوره مستفيضه الذكر، و فى نفى نسبه مؤلفاته إليه رغم شهره هذه النسبه و تأكيد الشواهد عليها؟..

٩- أما التعابير الوارده فى رسائل جابر و مشابهتها لتعابير الإسماعيليين المتأخرين عن عهده، فشانها كشان الحججه السابقه، لا تنهض دليلا- علميا معقولا- مقنعا، لأن هذه التعابير لم تكن من ابتكار الإسماعيليين المشار إليهم، بل هى وارده كثيرا فى المأثورات السابقه لوجودهم، و لا سيما تعابير "الظاهر" و "الباطن" التى جاءت فى القرآن الكريم، فضلا عن ورودها فى الشعر و الخطب و الرسائل قبل عهد الإسماعيليين هؤلاء.

منطق الفكر العلمى، إذن، يقضى بان يبقى القول بحقيقه جابر بن حيان الواقعيه و بصحه نسبه مؤلفاته إليه، قائما حتى ينهض الدليل الجازم على عكس ذلك.. و ما دام هذا الدليل لم يوجد بعد، فان جابر بن حيان حقيقه قائمه، و مؤلفاته هى مؤلفاته لم يكتبها غيره.

و على هذا نمضى فى الحديث عن الرجل.

و قبل أن نأخذ فى الحديث عن منهجه العلمى، لا بد من عرض لمحه عن:

نشاته و سيرته

المرجح أن جابر بن حيان ولد في مدينه "طوس" بخراسان عام ١٢٠ هـ (٧٣٧ م) و توفي في نحو عام ١٩٨ هـ (٨١٣ م) كما يقدر الأستاذ قدرى حافظ طوقان في كتابه (الخالدون العرب).

أما اسمه "جابر" فيقال انه سمي به لأنه هو الذى "جبر" العلم، أى أعاد تنظيمه. (١) و يكنى "أبا موسى" و جاء ذكره فى "الفهرست" لابن النديم (ص ٤٩٨) مكنيا بـ "أبى عبد الله جابر بن حيان"، و ربما كان له ولدان: موسى، و عبد الله. (٢)

و أما أصله فقد اختلف فيه، فبعض النصوص يصفه بالطوسى، و بعضها يصفه بالطرسوسى، بالاضافه إلى شهرته بالكوفى التى تتفق عليها النصوص جميعا. و يبدو ان صفه الكوفى جاءته من إقامته فى الكوفه بعد نكبه البرامكه فى بغداد حتى مماته. و أما صفه الطوسى فقد جاءته من كونه ولد فى مدينه طوس، كما ذكرنا. و اعتمادا على ما قرره "هولميارد" (Holmyard) فى كتابه (صانعو الكيمياء) نقول ان نسبه يرجع إلى قبيله الأزد (٣) التى نزلت من جنوبى الجزيره العربيه إلى الكوفه و استوطنت هناك، و يقرر "هولميارد" انه "قد انحدر من هذه القبيله رجل عرف باسم حيان كان يشتغل بالطياره، و لم يكن لهذا العطار شأن يذكر، إلى أن اتصل بالبلاط العباسى، فقد كان يقوم بالدعايه للخلفاء بجانب مهمته، و من أجل هذا الغرض أرسل إلى الفرس، فترح مع زوجته و ولده جابر إلى طوس من أعمال خراسان، قرب مدينه "مشهد" الحديثه. ثم أرسل جابر إلى الجزيره العربيه للاتصال بقبيلته، و بقى هناك إلى أن بلغ أشده، فأتقن العربيه، و تعلم القرآن و الحساب و علوما أخرى على يد رجل عرف باسم "حربى الحميرى" (٤)، و استقبل جابر فى بلاط الرشيد بحفاوه بالغه، و كانت صلته بالبرامكه قويه أيضا، و خاصه مع خالد بن يحيى الذى نجد ذكره فى "رسائله أيضا".

و المرجح أن جابرا شهد عهد المأمون.

صلته بجعفر الصادق

لم يخل معظم مؤلفات جابر من ذكر جعفر الصادق، و كثيرا ما يعبر عنه أو يخاطبه بكلمه "سيدى". و قد اشتهر ان الامام الصادق كان استاذا لجابر، فضلا عن كونه شيعيا يعتقد بامامه جعفر الصادق و الرجوع إليه فى معظم علمه و معتقداته. و قد توافرت المصادر التى تؤكد ان "جعفرا" هو المعنى دائما فى مؤلفات جابر حين يرد هكذا مجردا من الألقاب. ففى "كشف الظنون" للحاجى خليفه (ص ٣٤٣) حين يتحدث عن جابر إنه "تلميذ جعفر الصادق".

و يقول "كارادى فو" حين يتحدث عن جابر أيضا: "...و معلماه هما: خالد بن يزيد بن معاويه... و جعفر الصادق"، و جابر نفسه يقول فى مقدمه كتابه "الحاصل": "...و قد سميت كتاب الحاصل، ذلك ان سيدى جعفر بن محمد - ص - قال لى: فما الحاصل الآن بعد هذه الكتب - يقصد مؤلفات جابر - و ما المنفعه منها؟.. فعملت كتابى و سماه سيدى بكتاب الحاصل".

و يقول "هولميارد" فى كتابه السابق الذكر (صانعو الكيمياء):

"إن جابرا هو تلميذ جعفر الصادق و صديقه، و قد وجد فى إمامه الفذ سندا و معينا و رائدا ملهما، و موجهها لا يستغنى عنه، و قد حاول جابر أن يحرر الكيمياء بإرشاد أستاذه من أساطير الأولين التى علقت بها من الإسكندريه، فنجح فى هذا السبيل إلى حد بعيد. من أجل ذلك يجب أن يقرن اسم جابر مع أساطين هذا الفن فى العالم مثل "بديله" و "بريستله" و "لافوازيه"

١- "جابر بن حيان" للدكتور زكى نجيب محمود - ص ١٢.

٢- تاريخ الفكر العربى - إسماعيل مظهر.

٣- وردت "الأزد" فى كتاب هولميارد هكذا، "اليزد" و ليس من قبيله عربيه تعرف بهذا الاسم غير "الأزد" و الأرجح انه يريدھا.

٤- يحتمل الدكتور محمد يحيى الهاشمى فى كتابه "الصادق ملهم الكيمياء" أن هذا الرجل هو الذى يذكره جابر فى مؤلفاته أثناء الحديث عن الراهب الذى تلقن عنه بعض التجارب.

و غيرهم من الاعلام".

وقد ظن بعض الباحثين ان جابرا يقصد بكلمه "جعفر"، في كتبه، جعفرا البرمكى، و لكن هذه الظاهره من الإجلال البالغ التى يبديها حيال "جعفر"، دليل واضح على بطلان هذا الظن، و على أن المقصود دائما جعفر الصادق، ذلك مضافا إلى ان علاقته جابر بجعفر بن يحيى البرمكى، لم تكن علاقته رجل وضيع المنزل به من هو أرفع منه، بل علاقته الند للند، لأن جابرا كان ذا مكانه ممتازة فى بلاط الرشيد.

منزله العلميه

تؤكد مختلف المراجع القديمه و الحديثه ان جابرا اشتغل بالفلسفه و المنطق و الطب و الرصد و الرياضيات و الكيمياء و الميكانيك و الفلك و سائر فروع المعرفه الإنسانيه فى عصره. غير أن اسمه اشتهر بارتباطه بالعلوم الطبيعیه، و علم الكيمياء بالأخص، حتى صح لأحد الباحثين العرب المعاصرين أن يطلق عليه لقب "إمام العلوم الطبيعیه عند العرب".

و المعروف ان جابرا ترك مئات الكتب من تاليفه، معظمها فى العلوم الطبيعیه، و لم يصلنا منها سوى قليل لا يزيد عن ثمانين رساله و كتابا، فقد ضاع أكثر كتبه، و بقى بعضها مخطوطات تحتفظ بها عدده مكنتات فى أوروبا، و ترجم بعضها إلى اللاتينيه. و كان من اشتهاره بمعالجه الكيمياء أن صار اسمه لا يذكر إلا مقترنا باسم هذا العلم، سواء فى بلدان العرب أم فى بلدان الغرب، حتى ان جامعات أوروبا كانت حتى القرن الخامس عشر تكاد لا تعرف مراجع ترس فى علم الكيمياء إلا كتب جابر بن حيان.

و يقرنه "برتيلو" (Berthelot) بارسطو، إذ يقول: "لجابر بن حيان فى الكيمياء، ما لأرسطو فى المنطق"، و يرى "برتيلو" ان جميع الباحثين العرب فى هذا العلم نقلوا عن جابر و اعتمدوا على تاليفه و بحوثه و إن "إليه يعود الفضل فى حمل عصبه من التلامذه المجتهدين على متابعه البحوث عدده قرون، فمهدوا بذلك لعصر العلم الحديث". و يعتبره "سارطون" من أعظم الذين برزوا فى ميدان العلم فى القرون الوسطى.

و بالرغم من أن جابرا قد وضع كتبا و رسائل عديده فى الطب (٥٠٠ كتاب) و الفلسفه (٣٠٠ كتاب) و علم الحيل (الميكانيك) (١٣٠٠ مؤلف) و فى الرصد و الفلك و الرياضيات و الوعظ و الزهد و غيرها - بالرغم من ذلك لم تنل مؤلفاته فى هذه الأنواع من المعرفه عنايه الباحثين، بل أنصبت كل عنايتهم على معارفه و كشوفه و بحوثه الكيمياءيه.

الكيمياء العربى الأول

يرى الباحثون ان جابرا هو أول كيميائى عربى، و أول من اشتهر علم الكيمياء عنه، و أول من يستحق لقب "الكيميائى" من المسلمين. و يبدو أن شهرته بهذا العلم أكسبته منزله اجتماعيه رفيعه حتى كان له من ذلك أن نغم عليه ناس لحسد، و نغم عليه الخليفه الرشيد لعلاقته بالبرامكه، فاضطهد و اضطر للاختفاء متنقلا فى البلدان خوفا من الاضطهاد، و بالغ بامرہ بعض المؤرخين غير المحققين فوصفوه حيناً بأنه "ملك العرب" و حيناً بأنه "ملك العجم"، و حيناً بأنه "ملك الهند". و قال عنه القفطى أنه "كان متقدما فى العلوم الطبيعیه، بارعا منها فى صناعه الكيمياء، و له فيها تأليف كثيره و مصنفات مشهوره"، حتى ان الرازى على جلاله شأنه حين يذكره فى كتبه بالكيمياء يقول عنه: "قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان".

و بالرغم من هذه الشهادات المستفيضة بالدلالة على مكانته العلمية و معرفه الأقدمين بقيمه أعماله فى حقل الكيمياء و سائر العلوم الطبيعىه، وجد فى القديم من يبخره حقه و فضله قائلا فيه:

هذا الذى بمقالهغر الأوائل و الأواخر

ما أنت إلا كاسر كذب الذى سماك "جابر"

كما وجد فى العصر الحديث من مؤرخى العلم الغربيين من فعل مثل ذلك.. فهذا "برتلو" بالذات، لم يستطع أن يعترف لجابر و للعرب بفضل السبق إلى تلك النظريات الكيمياءيه التى شهدت أوروبا بقيمتها و بنسبتها إلى هذا العالم العربى العظيم، فزعم ان القسم الغنى بالدمس العلمى من أعمال جابر هو لمؤلف مجهول غيره ألفه باللاتينيه فى النصف الثانى من القرن ١٣ م و انتحل اسم "جابر" لاشتهار هذا الاسم، ثم زعم ان القسم الآخر الخالى من الدمس العلمى هو، فعلا، لجابر بن حيان! و ضرب "برتلو" كتاب "الخالص" مثلا على ذلك، لأن هذا الكتاب مترجم إلى اللاتينيه، فقال - أى "برتلو" - إن دارسه هذا الكتاب تدل على انه لا- ينتسب إلى الأصل عربى، لا- فى منهجه العلمى، و لا- فى الحقائق الوارده فيه، و لا فى مفرداته اللغويه، و لا فى الأشخاص الذين يرجع إليهم فى الفقرات المقتبسه. و قد سبق أن رددنا على هذا الشك المزعوم غير المستند إلى منطق علمى، بل كل سنده الشك فى قدره العرب على إنتاج ما انتجه جابر بن حيان فى عصره! ذلك بالرغم من تلك الشهاده الكبيره التى شهدها "برتلو" نفسه لجابر، (و ذكرناها سابقا) حين قال أن "لجابر فى الكيمياء كما لأرسطو فى المنطق".

و إن من ماثر جابر فى الكيمياء: كونه أول من استحضر "حامض الكبريتيك" بتقطيره من الشبهه، و سماه "زيت الزجاج"، و كان لعمله هذا فضل كبير فى تقدم الكيمياء و الصناعه. و استحضر جابر أيضا "حامض النتريك"، و هو أول من كشف "الصودا الكاويه"، و أول من استحضر "ماء الذهب"، و أول من أدخل طريقه فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الحامض، و أول من لاحظ ما يحدث من راسب "كلوريد الفضة" عند إضافه محلول ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة، و ينسب إليه استحضر مركبات أخرى، مثل: كربونات البوتاسيوم، و كربونات الصوديوم، و قد استعمل ثانى أكسيد المنغنيز فى صنع الزجاج، و درس خصائص الزئبق و مركباته و استحضرها، و استعمل بعضها، فيما بعد، فى تحضير الأوكسيجن..

و معلوم أن جميع هذه المركبات ذات شان كبير فى عالم الصناعه، فبعضها يستعمل فى صنع المفرقات و الأصبغه، و بعضها يستعمل فى السماد الصناعى و الصابون و الحرير الصناعى.

و يعد جابر بن حيان أول من وضع نظريه عامه لتركيب المعادن مفادها أن المعادن جميعها مؤلفه من عنصرين أساسيين، هما الكبريت و الزئبق، و قد وضعت هذه النظرية قيد العمل طوال عده قرون. و قد أدخل فى الكيمياء ما أطلق عليه اسم "علم الموازين" و ألف فى هذا العلم كتبا معروفه، و يعنى بذلك معادله ما فى المعادن من الطبايع، فقد "جعل لكل من الطبايع ميزانا، و لكل جسد من الأجساد موازين خاصه بطبايعه".

و يرى "هولميارد" ان أهم كتب جابر فى الكيمياء كتاب "الخواص الكبير"، و فى مقاله الأولى من هذا الكتاب يقول جابر أن جملة ما كتبه فى الخواص واحد و سبعون كتابا "منها سبعون كتابا ترسم الخواص، و منها كتاب واحد يعرف بخواص الخواص،

و هو أشرف هذه الكتب".

لقد اقتضتنا ضروره التعريف العام بحقيقه جابر و حياته و نشاطه الثقافى الواسع الأفق، أن نطيل المقدمه السابقه، و عذرنا فى الاطاله اننا نكتب هذا الفصل للتعريف أكثر منه للبحث من أجل البحث بذاته.

و بعد، فاننا ننتقل الآن إلى تحديد المنهج العلمى الذى اتبعه جابر فى بحوثه و كشوفه و تجاربه، و تحديد قيمه هذا المنهج بالقياس إلى المناهج

ص: ٤٩

العلمية ذات الشأن فى الدراسات و البحوث المعروفه عند العلماء المنهجيين:

الايمان بالعلم

يطالعنا جابر بن حيان فى كتابه "إخراج ما فى القوه إلى الفعل" (١) بهذا التساؤل: كيف يظن العجز بالعلم دون الوصول إلى الطبيعه و أسرارها؟..

ألم يكن فى مستطاع العلم أن يجاوز الطبيعه إلى ما ورائها؟.. فهل يعجز عن استخراج كوامن الطبيعه ما قد ثبتت قدرته على استخراج السر مما هو مستور وراء حجبها؟..

لقد جاء هذا التساؤل فى معرض الكلام على علم الكيمياء بالذات، أى العلم الذى يستطيع الكيمياءى بوسائله أن يبذل طبائع الأشياء تبديلا يحولها بعضها إلى بعض. و لكن المضمون الذى يحتويه هذا التساؤل لا يقتصر شأنه على علم بعينه، بل يكشف عن عمق إيمان الرجل بالعلم من حيث هو علم، و عن إيمانه - فى الوقت نفسه - بالعقل الإنسانى الذى يستنبط قواعد العلم و يستخدم وسائله فى كشف أسرار الطبيعه و الكون.

و يؤكد جابر ثقته بالعلم و اعتماده إياه سيلا لاكتناه الأسرار الكونيه، بكلام رائع الدلاله على منهجيته السديه، حين يقول: إن أسرار الطبيعه قد تمتنع على الناس لأحد سببين، فاما أن يكون ذلك لشده خفائها و عسر الكشف عنها، و أما أن يكون للطفه تلك الأسرار بحيث يتعذر الإمساك بها.

و سواء كان الأمر هو هذا أو ذاك، كان فى وسع الباحث العلمى أن يلتمس طريقا إلى تحقيق بغيته، فلا صعوبه الموضوع و لا لطافته و دقته مما يجوز أن تحول العلماء عن السير فى شوط البحث إلى غايته. (٢)

و فى هذا التقرير ما نرى من وضوح التفكير العلمى السديد، و من النظر إلى قضايا الكون الطبيعهى نظر الباحث عن الحقيقه الموضوعيه بمنظار اليقين بالحقيقه الموضوعيه هذه، دون اللجوء إلى الأحكام الميتافيزيقيه المطلقه عند اصطدامه بشعور العجز فى أول الطريق، أو فى بعض أشواطه البعيده عن الغايه.

نظريه المعرفه

ما ذا يقول جابر فى مصدر العلم عند الإنسان، أى فى ما اصطللحنا على تسميته - "نظريه المعرفه"؟..

و السؤال هنا ذو شان هام فى تحديد منهجه العلمى. ذلك بان الرأى فى مصدر المعرفه هو المقياس الفاصل بين منهج و منهج، أو بين من يؤمن بالعقل الإنسانى و بالوجود الموضوعى للكون و الطبيعه و بين من لا يؤمن..

هل المعرفه، أو العلم، فطره كامنه فى الإنسان تحصل تلقائيا حين يتاح لها من الأسباب ما يظهرها من "القوه" إلى "الفعل"؟.. أم هى اكتساب من تجارب العقل و ممارسته كشف حقائق الوجود الخارجى و من تعلم الإنسان هذه الحقائق، أى إنها - فى هذا الحال - انعكاس للعالم الخارجى الموضوعى لدى القوى العقلية و الشعوريه فى الإنسان؟..

كان سقراط يقول بالرأى الأول، و هو الرأى الذى يدخل فى نطاق التفكير المثالى الميتافيزيقى الذى ينكر الوجود الموضوعى للكون.

لكى نستخلص رأيه كاملا فى هذه القضية، علينا أن لا نكتفى ببعض النصوص دون بعض، و لا بالنصوص ذاتها دون النظر إلى نشاطه العملى فى حقل العلم، و إن جابرا نفسه ليوصينا بهذه الطريقة، و هى بذاتها طريقه منهجيه سديده، حين يشترط على قارئى كتبه أن يجمعها كلها أولا، قبل أن يهتم بقراء بعضها، ليضيف ما فى كل كتاب منها إلى ما فى الآخر، لأن الكتاب الواحد قد ينفرد بمعنى لا يشاركه فيه غيره. (٣) كما يشترط على القارئ أن يقرأ كل كتاب من كتبه ثلاث قراءات متتاليه: قراءه للتثبت من صحه ألفاظ النص و من معانى تلك الألفاظ، و قراءه لدراسه هذا النص للوصول إلى مدلولاته البعيده الخفيه، و قراءه لتبويب المعانى و تصنيفها لعلنا نجمع الشبيه إلى الشبيه، أو نوازن بين المتباين منها تصنيفا و موازنه يبلغان بنا الغايه المرجوه من موضوع الدراسه. (٤)

هذه الوصيه، كما ترى، تدخل فى صميم المنهج العلمى السليم عند جابر، و إنما ذكرناها هنا استطرادا فى سبيل البحث عن رأيه فى نظريه المعرفة.

إذا رجعنا إلى النصوص نجد جابرا يقول فى رساله "التجميع" (مختارات كراوس ص ٣٧٧): إن "النفس لا- تكون عالمه أولا بالضروره"، أى إنها لا تولد مزوده بالعلم، بل هى "قادره فاعله جاهله" (ص ٣٧٨):

و هذا كلام صريح بان العلم عنده ليس قائما فى النفس بفطرتها، بل هو استعداد و قدره على اكتساب العلم من الخارج.

و لكن جابرا يقول، فى مقاله الحاديه و العشرين من "كتاب الخواص الكبير" (مختارات كراوس، ص ٣١٥): "تأخذ - يقصد كتبه - علم النبى و علم سيدى - يقصد جعفر الصادق - و ما بينهم من الأولاد، منقولا نقلا مما كان [و ما] هو كائن و ما يكون من بعد إلى أن تقوم الساعه" .. و يقول فى مقاله الرابعه و العشرين من الكتاب نفسه (ص ٣١٧): "فو الله ما لى فى هذه الكتب إلا تاليفها، و الباقي علم النبى ص ..."

فكيف نجمع بين القولين؟..

هناك مرجع آخر لاستخلاص مذهبه فى "نظريه المعرفة"، هو منهجه التجريبي فى حقل البحث و النشاط العملى، فما ذا نرى فى هذا المرجع؟..

نرى الرجل شديد التمسك بالمشاهده و التجربه العمليه بنفسه للوصول إلى المعرفة و الوثوق بها. و فى هذا الصدد يقول فى مقاله الأولى من كتاب "الخواص الكبير" (مختارات كراوس - ص ٢٣٢)، حين يتحدث عن الكتب التى بحث فيها خواص الأشياء: "إننا نذكر فى هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط، دون ما سمعناه أو قيل لنا و قرأناه، بعد أن امتحناه و جربناه، فما صح أوردناه، و ما بطل رفضناه، و ما استخراجناه نحن أيضا و قايسناه على أقوال هؤلاء القوم".

و فى كتاب "التجميع" (مختارات كراوس - ص ٣٨١) حيث يوازن بين النبات و الحيوان من حيث الطبائع، ثم يقسم عالم النبات

إلى أول، و بليد، و ذكى، يقول ما معناه: إننى لم أقسم النبات إلى هذه الأقسام الثلاثة لمجرد علمى بان الحيوان ينقسم إليها، بل إننى قسمته إلى هذه الأقسام لأننى وجدته كذلك. (٥)

و فى موضوع الخواص و الموازين، حيث يبحث خصائص الأشياء

ص: ٥٠

-
- ١- نشر "كراوس" - ص ٧.
 - ٢- المصدر السابق - ص ٨ (تلخيص زكى نجيب محمود فى "جابر بن حيان" - ص ٤٣).
 - ٣- مقاله الثانيه و الستون من كتاب "الخواص الكبير" مختارات كراوس - ص ٣٣١ (تلخيص زكى نجيب محمود - ص ٥١).
 - ٤- المصدر السابق، ص ٣٢٩.
 - ٥- تلخيص زكى نجيب محمود - ص ١٦٤.

و حدودها، و بينى موازين الأشياء على أساس هذه الخصائص (تعد فكره الموازين هذه "أدق و أعسر و أهم فكره لجابر بن حيان") (١)، يصف لنا طريقته العمليه الخاصه فى صنع "الميزان الوزنى" و كيفيه استخدامه، و فى أى البحوث العلميه يستخدم، و استخلاص الوزن النوعى للمعادن، يصف ذلك بتفصيل بالغ الدقه (كتاب الأحجار على رأى بليناس، الجزء الثانى) (٢)، فإذا به هنا أيضا يعتمد التجربه العمليه بحرص شديد، و بمنهجيه رائعه، للوصول إلى النتائج العلميه.

كل هذه الأمثال من كلامه و نشاطه التجريبي، واضح الدلاله على أن جابرا يعتمد فى اكتساب المعرفه على تجارب الأشياء و استخلاص النتائج و القوانين الكونيه من هذه التجارب، لا على تلقن الوحي كما ظهر لنا من بعض نصوصه فهل تراه، إذن، وقع بالتناقض فى رأيه بمصدر المعرفه؟.

يتراءى لنا انه يمكن إخراجه من التناقض بحمل كلامه بصدد الوحي على انه يقصد بالمعرفه هناك معرفه الأحكام الشرعيه، و حمل كلامه بصدد التجربه على انه يقصد هنا معرفه العلوم الطبيعيه، أى خواص الأشياء و الأحياء من تصنيفه العلوم فى "كتاب الحدود" (مختارات كراوس)، فهو يقسم العلوم عامه إلى قسمين: علم الدين: و علم الدنيا، و حين يعرف علم الدين فى ذاته، يقول إنه: هو الأفعال المأمور بإتيانها للصالح فيما بعد الموت.. و حين يعرف علم الدنيا فى ذاته، يقول هو جميع ما فى عالم الكون من الحوادث، الضاره و النافعه، باى وجه كان ذلك فيها..

هذا التمييز لعلم الدين عن علم الدنيا، يكفى - إلى حد ما - فى دفع التناقض عنه من حيث رأيه بمصدر المعرفه، لأن الذى يعيننا - بالأقل - أن نعرف منه أن العلم بطبائع الأشياء و الأحياء ليس ذاتيا تلقائيا بل اكتسابا من الخارج، أى إنه يعترف بالوجود الخارجى الموضوعى للكون، و إن معرفه هذا الوجود تأتى من خارج الذات، لا من داخل الذات.

الوجود الموضوعى للكون

فى ما تقدم من أمثله كلام جابر و من أمثله اعتماده التجربه العمليه، ما يلقى ضوءا على هذه القضيه فى رأيه، و لكننا نزيد الأمر توضيحا ببعض الأمثله الأخرى التى تؤكد أن الرجل، فى منهجه العلمى، يعتقد بالوجود الموضوعى للكون، و إنه يصدر فى هذا الاعتقاد عن منطلق علمى واع:

١ - نرجع إلى كتابه المسمى ب "كتاب التصريف"، أى تحويل الأشياء بعضها إلى بعض آخر، فنراه يحل الطبيعه إلى كيفيات أربع:

الحراره، و البروده، و اليبوسه، و الرطوبه.. و نراه يقول بان هذه الكيفيات لا وجود للواحد منها فى الطبيعه وجودا مفردا.. ثم نراه يصف علاقه الأشياء فى عالم الطبيعه بعالم الكلمات، فيقول:

"إن الأشياء كلها تقال على أربعة أوجه: الأول منها، أعيان الأمور و ذواتها و حقائقها، كالحراره فى ذاتها و البروده فى ذاتها، و إن كانا غير موجودين لنا.. ثم تصور ذلك بالعقل.. ثم النطق به، و ذلك بتقطيع الحروف.. ثم كتابتها" (٣).

فوجود "أعيان الأمور و ذواتها و حقائقها" قضيه مفروغ منها عند جابر كما ترى. فالأشياء لها، إذن، أعيان و ذوات و حقائق

مستقله، ثم يطرأ عليها تصور العقل، فتصبح داخله فى علم الإنسان، ثم يطرأ عليها النطق بالحروف، فالكتابه. هذا التسلسل فى حصول المعرفه للموجودات الواقعيه الموضوعيه، هو أيضا ظاهره منهجيّه ليست غريبه عن منطق العلم الحديث.

٢ - جابر بن حيان من القائلين بان طبيعه اللغه، باحرفها و كلماتها و جملها، تشف عن طبائع الأشياء، فدراسه الاسم هي - فى الوقت نفسه - دراسه للمسمى.. و حين تعترضه مشكله تعدد اللغات فى المجتمعات البشريه، دون أن يغفل عن هذه المشكله، بل يتقصاها بتفصيل يدل أيضا على منهجيته العلميه، ينتهى إلى حل المشكله بأحد أمرين، و ليس يهمننا معرفه الحل بقدر ما يهمننا رأيه فى هذا الصدد بان حقائق الأشياء ثابتة لا تتعدد بتعدد اللغات. (" كتاب الحاصل " مختارات كراوس، تلخيص زكى نجيب - ص ١٣٨).

فالقول بان حقائق الأشياء ثابتة لا تتعدد بتعدد اللغات، هو القول - صراحه لا ضمنا - بوجود الأشياء وجودا موضوعيا مستقلا عن العقل و عن أسماء هذه الأشياء.

٣ - فى رأيه بمراحل تطور الكون، يقول بان أول ما كان فى الأزل، هو العناصر الأوليه الأربعة: الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه. و يسمى هذه العناصر " أوائل الأمهات البسائط " (٤).. ثم طرأت على هذه البسائط حركه و سكون، فتكون منها تركيبات منوعه، و لو لا الحركه و السكون لظلت تلك الأصول الأولى مستقلا بعضها عن بعض.. ثم لا بد كذلك من مبدأ الكميّه لتخرج هذه الكائنات التى نراها من حيوان و نبات و حجر.. فمراحل الوجود عنده إذن، هي: كيميّات، فحركه و سكون فكميّه..

فى هذا التصور لمراحل تطور الكائنات الماديه، منذ الأزل، نواه أوليه للتفكير بموضوعيه الكون المستقله عن إرادتنا و تأملاتنا.

منهج البحث العلمى

لا بد لباحث يؤمن بالعلم، و يرى رأى جابر فى مصدر المعرفه، و فى الوجود الموضوعى للكون، أن يستهدى فى طريق البحث العلمى منهجا سليما يتفق مع هذا الايمان و هذا الرأى.

نحن نعرف أن المنهج المعاصر للبحث العلمى القائم على الايمان بالعقل و العلم، و على كون الاكتساب من الوجود الخارجى هو مصدر المعرفه، و على موضوعيه وجود الكون، هو المنهج الذى يبدأ خطوته الأولى بمشاهده الجزئيات الخارجيه الماديه المراد تفسير ظاهراتها، ثم تكون الخطوه الثانيه باستنباط النظرية المجرده من هذه المشاهده، ثم تأتى الخطوه الثالثه و الأخيره بتطبيق النظرية على الجزئيات الخارجيه الماديه، أى بالعوده من النظر الذهنى التجريدى إلى الواقع المادى الجزئى لتجربه صدق النظرية المستنبطه.

فهنا استقراء أولا، فاستنباط، ثم استقراء.. أى إن هذا المنهج يحتوى كلا طريقى الاستقراء و الاستنباط (أو الاستنتاج).

فما طريق جابر فى البحث؟..

لنقرأ هذه العبارة له فى " كتاب الخواص " (المقاله الثانيه و الثلاثين، مختارات كراوس، ص ٣٢٢)، واصفا طريقته فى البحث: " ..قد عملته بيدي و بعقلى من قبل، و بحثت عنه حتى صح، و امتحنته فما كذب " ..

فهذا كلام يجمل المنهج الاستقرائي الاستنباطي كلمات قليلة واضحه الدلاله.. فهو يمارس الجزئيات الماديه بيده يستقرئها، ثم يستخدم عقله مستنبطاً من الممارسه الجزئيه فكره أو نظريه، ثم يعود بالفكره أو النظرية إلى

ص: ٥١

-
- ١- المصدر السابق، ص ٢١٥.
 - ٢- المصدر نفسه - ص ٢١٩-٢٢٠.
 - ٣- كتاب التصريف - ص ١٤٠.
 - ٤- رساله " إخراج ما فى القول إلى الفعل " - مختارات كراوس - ص ١٥-١٦.

الواقع مستقرًا ممتحنًا مجربًا حتى يخرج من هذه الخطوات المتواليه على نسق صحيح، بقانون يعتمد في تفسير سائر الظاهرات المشابهه للظاهرة التي وقع عليها البحث بطريقه المذكور.

فلسفه الكيمياء

ننطلق الآن من هذه النظرة ذاتها، عند جابر، أى التي تقول "إن فى الأشياء كلها وجودا للأشياء كلها"، لتعرف أساس فلسفته بالكيمياء..

هذه النظرة تقول، كما عرفنا، إن فى كل شىء موجود بالفعل شيئًا موجودا بالقوه.. و هنا يأتى سؤال: هل كل ما هو موجود بالقوه سيكون موجودا بالفعل حتماً؟..

الجواب عن هذا السؤال يفسر الأساس التي تقوم عليه فلسفه الكيمياء عنده.

يجيب جابر بان الأشياء: اما بسيطه، و اما مركبه.. و كل ما نراه فى الطبيعه هو من الأشياء المركبه.. و هذه درجات: منها مركب أول، و منها مركب ثان، و منها مركب ثالث، أو مركب المركب.

الأشياء البسيطه: يستحيل أن يتحول كل ما فيها بالقوه إلى وجود بالفعل. لأن البسيط غير متناه، فهو إذن أبدي لا يفنى، و لو أن ما فيه بالقوه قد خرج إلى الفعل، لصار متناهيا، و المفترض انه غير متناه.

و أما الأشياء المركبه من الدرجات الأولى (الطبيعه بوجه عام) و الثانيه (النار و الهواء و الأرض و الماء)، و الثالثه (الحيوان و النبات و الحجر)، فكلها من الممكن أن يخرج ما فيها بالقوه إلى وجود بالفعل.

و لكن هناك حالات يمتنع فيها خروج كائن من كائن آخر.. ف "إن الأشياء التي يمتنع و يعسر خروجها من القوه إلى الفعل على ضربين: اما أن يرام من الأشياء ما ليس فيها بالقوه و لكن عسر خروجه إلى الفعل، كالذى يروم خروج الماء من النار من أول وهله" (١).. و يقصد انه يحتاج ذلك إلى عمل بترتيب و على دفعات متواليه بعضها مسبب عن بعض.. فهو يرى أن الأمر مقترن بأسبابه الطبيعه أو بطروفه العمليه القائمه على التدبير و "القصد المستقيم".

هنا نبلغ الأساس فى فلسفه الكيمياء عنده، فإنه يرى "الطبيعه عله خروج الطلع و خروج الرياحين البريه التي لا تعالج بالسقى و اللقاح و أمثال ذلك، فتخرج من القوه إلى الفعل بأنفسها و فى زمانها، و أما غير ذلك مما علتة إخراج التدابير للأشياء (فهو محتاج إلى تدبير طريقه لإخراجه). (٢)

و على هذه القاعده يمكن للكيميائى أن يقتدى بالطبيعه فى إخراجها الأشياء من القوه إلى الفعل، فكل ما تصنعه الطبيعه من تحويل الأشياء بعضها إلى بعض آخر، يستطيع الكيميائى أن يصنع مثله إذا توفر عنده العلم و التبصر و الحذر و معرفه خصائص الأشياء و الخطوات المتدرجه التي يسير بها أثناء التجربه.

و هنا ننتهى إلى نتيجة مدهشه فى فلسفه جابر، فهو يرى أن "فى قوه الإنسان ان يعمل كعمل الطبيعه" (٣) و الإنسان هنا هو

الكيميائي في قصده، عمليا.

لكنما نرى جابر بن حيان في عصرنا هذا، يفكر بتفكير العلم الحديث المتطور.. و من شاء التوسع فليرجع إلى كتابه "التجميع" (مختارات كراوس، ص ٣٤٤-٣٤٩) أو كتاب "جابر بن حيان" للدكتور زكي نجيب محمود في سلسلة اعلام العرب.

عقل الفيلسوف

و نرى، قبل أن نختم هذا الفصل، ضروره الإشاره إلى أن هذه السمات المنهجية التي رأيناها سائده في تفكير جابر بن حيان و طريقته في البحث و التجارب، مستفاده بالأصل لا من كونه عالما طبيعيا، أو كيميائيا و حسب، بل من كونه يقيم تفكيره كله على نظره فلسفيه للكون و الطبيعه، فهو مؤمن بالفلسفه إلى حد حمله على القول بصوره جازمه: "إنه ليس براق من أغفل صناعه الفلسفه، و لكنه راسب مضمحل إلى أسفل دائما"

بين جابر و الرازي

قال عبد الحليم منتصر:

تهدف هذه الدراسه المبدئيه، إلى تبيان دور الكيميائيين العرب، في تأسيس و تقدم علم الكيمياء، و وضع الكيميائيين العرب في مكانهم الصحيح بين علماء الأمم الأخرى، و إبراز دورهم في بناء النهضه العلميه، و الرد على مزاعم غير المنصفين من المؤرخين، الذين يتجاهلون دور العلماء العرب، في تنميه المعارف الإنسانيه، و إلقاء الضوء على الفكر العلمى التجريبي، الذى اتبعه العرب، و الربط بين النظريات و الآراء التى قال بها العرب، و تلك التى يقول بها علماء العصر الحاضر، و بالجملة تصحيح تاريخنا العلمى.

و ليس من شك فى أن تاريخ الكيمياء فى العصر الإسلامى، مرتبط بتاريخها فى العصر الإسكندري، و هذا بدوره متصل بالعصر الاغريقي، و تمتد جذوره إلى العصر المصرى الفرعونى. فالفكر العلمى متصل على مر التاريخ و يتناقله و يتوارثه طلاب العلم جيلا بعد جيل.

شهاده الحاضرين

عما صنع علماء الكيمياء

من العرب الغابرين

بيد أن الكيميائيين العرب و على رأسهم جابر و الرازي، لم يقفوا بالكيمياء عند النظريات و الآراء كما فعل اليونان، و انما كان لهم السبق فى جعل الكيمياء علما تجريديا فقد كان جابر بن حيان "يدعو إلى التجربه و عدم التعويل إلا عليها مع دقه الملاحظه و اتباع التعليمات جيدا لأن لكل صنعه أساليبها" و يشهد "جوستاف لوريون" بان العرب توصلوا إلى كشف هامه لم يعرفها اليونان قبلهم كتحضير الكحول و زيت الزاج (حامض الكبريتيك) و ماء الفضة (حامض النيتريك) و ماء الذهب (الماء الملكى)،

كما انهم عرفوا من العمليات الكيمائية التقطير، و الترشيح، و التكليس، و الازابه، و التبلور، و التصعيد، و كذلك يشهد عدد من المستشرقين و المؤرخين من أمثال " سارتون Sarton " و " برثوليه BertholeT " و " هولميارد Holmyard " و " سيغفريد Siegfried " و غيرهم.

العنور على معمل جابر بن حيان

و أن الدارس لبعض مخطوطات هذين العملاقين " جابر و الرازى " من أمثال كتاب السبعين و الخواص و الموازين، و الكامل، و الخواص الكبير.

و صندوق الحكمة، و الحدود و الإيضاح، و الرحمه، و سر الأسرار، و غيرها - ليجد الكثير مما يؤيد ما نذهب اليه من أثرها البالغ على علم الكيمياء.

و يذكر هولميارد فى هذا الصدد أنه عشر على معمل جابر بن حيان فى أثناء

ص: ٥٢

١- المصدر السابق - ص ٦ (تلخيص زكى نجيب).

٢- المصدر نفسه، ص ٧.

٣- كتاب السبعين - لجابر (مختارات كرواس) ص ٤٦٣.

الحفر فى انقراض منازل بالكوفه منذ قرنين من الزمان فقد كان أشبه بالقبو، بعيدا عن الأعين، فيه قليل من الأثاث، منضده، و قوارير، و موقد، و أفران، و هاون إلى جانب كثير من الأدوات من ماشق (ماسك)، و ملعقه، و مقراض، و مرجل، و مبرد، و قمع، و منجل، و راووق من خيش (مصفاة)، و كره معدنيه تستعمل للسحق، و أحواض، و مكسر، و سفنجه، و آله تكليس، و ميزان، و اجهزه تقطير، و بصله، و قطاره، و أنبيق، و غيرها مما يقرب من أربعين جهازا و أداه.

مصطلحات العرب القديمه

و لا بد للدارس ان يلم بالمصطلحات التى كان يستعملها أمثال جابر و الرازى فى ذلك العصر للحضاره العلميه الإسلاميه مثل الجواهر، و الأجساد أو المعادن، و الأرواح، و الأملاح و الزاجات (بلورات)، و شب الألومنيوم، و شب البوتاس و المرقشيتا (اشابه من النحاس تشبه الذهب) فهناك المرقشيتا الذهبى، و المرقشيتا الفضى و الطلق الجمستى (الدولوميت) - و الزنجر (كبريتات النحاس) و الزنجفر (كبريتيد الزئبق) و الإسفيداج، و حامض الأترج (حامض الليمونيك) و الإثمد (كبريتيد الأنثيمون) و حجر جهنم (نترات الفضة)، و السلیمانى (كلوريد الزئبق) و زيت الزاج، و النيلج، و السناج، و ماء النار أو الماء المحلل (حمض النتريك) و الكحول و الزاج الأزرق (كبريتات النحاسيك) و حجر الفلاسفه أو الكبريت الأحمر أو الزنجفر.

كذلك لا بد ان يعرف ما كانوا يسمونه "التدابير" بمعنى العمليات أو التجارب الكيميائيه كالترجيح (التركيز) و التحليل أو الحل، و التشويه، و التشميع (أو تليين الشىء حتى يصير كالشمع) و التكليس (الأكسده) و الإلغام و الملغمه، و الإقامه (التصليد)، و التبييض (أو قصر الألوان) و العقد (أى تحضير المركبات الأكثر تعقيدا) و التبخير، و التصفيه، و المزج، و السحق، و التكرير، و التخمير، و التنقيير (أو التنقيه).

و عليه أن يلم بالموازين التى استعملها العرب من مثقال، و درهم، و دانق، و قيراط، و أوقيه، و رطل و حبه، و كيف أن علم الميزان عند جابر و الرازى، ما هو الا ما نسميه الآن قانون الأوزان المتكافئه.

و لا شك ان "جابر" فى مقدمه العلماء الذين أجروا التجارب على أساس علمى، هو الأساس الذى نسير عليه الآن فى المعامل و المختبرات، و كان يقول "ان المعرفه لا تحصل إلا بها"، و طلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعيه الا يحاولوا عمل شىء مستحيل أو عديم النفع، و عليهم أن يعرفوا السبب فى اجراء تجربه و ان يفهموا التعليمات جيدا، و طالبهم بالصبر و التأنى فى استنتاج النتائج. و يؤكد جابر فى كتابه التجريد "ان كمال الصنعه العمل و تجربه، فمن لم يعمل و لم يجرب لم يظفر بشىء أبدا"، و لا مرء فى أن جابر من مؤسسى المنهج التجريبي.

مواد حضرها العملاقان

و بعد قرن من زمان جابر، جاء كيميائى العرب الثانى، و هو أبو بكر الرازى، الذى أوضح مناهجه فى كتابه "سر الأسرار" فكان يبتدئ بوصف المواد التى يشغل بها ثم يصف الطريقه التى يتبعها فى تحضير المركبات. و قد وصف الرازى أكثر من عشرين جهازا، منها الزجاجى، و منها المعدنى.

لقد حضر جابر حامض النتريك و كان يسميه الماء المحلل أو الماء الحاد، و ذلك بتقطير ملح البارود مع الشب و الزاج

القبرصى (كبريتات الحديد) و كان الشب بمثابة عامل و سيط. و بالتقطير البطيء فى حمام ملحي يمكن فصل حامض النيتريك عن كبريتات البوتاسيوم. كما حضر حامض الكوردوريك و كان يعرف باسم روح الملح و كان ممزوجا بحامض النتريك، و قد سموا هذا المزيج "ماء الذهب" أو "الماء الملكي" لأنه يذيب ملك المعادن و هو الذهب، و قد حضره جابر بتقطير مخلوط من ملح الطعام و الزاج الأخضر أو الزاج القبرصى، و وصف الحامض بأنه نوع من المياه الحاده التي تذيب المعادن، و الزاج الأخضر هو بلورات كبريتات الحديدوز.

يقول: يجمع كلس البيض (أكسيد الكلسيوم) مع النوشادر (كلوريد الأميوم) فى برنيه (إناء فخار) وثيقه، و يركب عليها انبيق، و يوثق الوصل، فان النشارد يقطر و قد اكتسب كلس قشر البيض حده و حرافه.

و كذلك حضر الرازى حامض الكبريتيك و سماه "زيت الزاج".

و بذلك عرف جابر و الرازى الأحماض العضويه من خليك، و ليمونيك، و طرطريك، كما ميزا بين الأحماض و القلوبات، و قال- بأنها تتعامل مع بعضها بعضا لتنتج الأملاح. و حضرا من مركبات النحاس، الزاج الأزرق (الزاج القبرصى)، و هو كبريتات النحاسيك و خلايت النحاسيك أو الزنجار، و الماء الذهبى أى كبريتيد النحاسيك (ماده براقه تستعمل فى الكتابه) و كلس النحاس (اكسيد النحاس الأحمر).

و من مركبات الرصاص حضر الكيمائيون العرب الاسرنج الأحمر أو "السلقون" و هو ثانى اكسيد الرصاص الذى يستعمل فى الدهان. و المرتك الأصفر و هو أول اكسيد الرصاص، و لونه أصفر، و الإسفيداج أو كربونات الرصاص القاعدية.

و من مركبات الحديد، حضر العرب الزاج الأخضر (كبريتات الحديدوز)، و القلقطار (ثالث اكسيد الحديديك)، و من مركبات الزئبق عرفوا السليماني (ثانى كلوريد الزئبق)، و الزنجفر (كبريتيد الزئبق) و الراسب الأحمر (أكسيد الزئبق)، كما حضر جابر ما نسميه كلوريد الزئبق بغلى الزئبق مع الملح العادى.

و من مركبات الزرنيخ عرف العرب الرهج (كبريتيد الزرنيخ) و كلس الزرنيخ (اكسيد الزرنيخ)، و الزرنيخ الأخضر، و الزرنيخ الأحمر و عرفوا كثيرا من مركبات البوتاسيوم و الصوديوم، و بينوا أوجه الشبه بين الكبريت و الزرنيخ مما جعلهم يسمونها بالتوأمين، فكلاهما يتسامى بالتسخين، و يتشابه اكسيدهما، و لهما رائحه نفاذه، كما ان ظاهره التأصل معروفه فى كليهما.

و لقد عرف الكيمائيون العرب طريقه فصل الذهب عن الفضه بوساطه حامض النتريك، و الحصول على الزرنيخ و الإثمد من كبريتيدهما و زاولوا ما يسمى الآن بالكيمياء الصيدليه و قالوا بزياده المعادن فى الوزن بعملية التكليلس أو التاكسد، و عرفوا ان النار يطفئها انعدام الهواء، و وصفوا علم الميزان الذى يقابل ما نسميه "الأوزان المتكافئه". كما عرفوا الاختزال.

و استخدموا ثانى اكسيد المنجنيز فى صناعه الزجاج، و ان النحاس يكسب الذهب لونا أزرق إلى الخضره و صنعوا الإشابات أو السبائك المعدنيه، و عرفوا التكليلس (أى تسخين المعدن) حتى يتحول إلى ماده بيضاء تشبه الكلس.

و قد ميز جابر و الرازى بين المحلول الحقيقى و غيره من حالات ذوبان المواد الصلبه فى السوائل من معلقات و غرويات. و

تحدثا عن طرق استخلاص الذهب و علاقته ذلك بحجر الفلاسفه، و الواقع انه لم يكن فى الأمر سحر و لا شعوذه انما هو استخلاص للذهب من خاماته بالملغمه.

نقطه تحول فى العصر الوسيط

و لا شك انه يمكن الربط بين مراحل الفكر العلمى عند الاغريق، ثم

ص: ٥٣

العصر الإسكندري ثم العصر العربي الإسلامي، ثم عصر النهضة الأوروبيه ذلك عن طريق دراسته مقارنة لما قدمه هؤلاء و أولئك.

و مما لا ريب فيه ان أعمال هذين العملاقين " جابر و الرازي " في مجال العلوم الكيميائيه، كانت بمثابة نقطه تحول في العصر الوسيط إلى عصر النهضة الأوروبيه الكبرى، التي يمكن ان يقال اننا نعيش في فيضها حتى الوقت الحاضر.

و من الإنصاف أن نعترف لهذين العملاقين باثرهما البالغ في الكيمياء تأسيسا و تقدما، و لعل أحدث دراسته تؤيد ما ذهبنا اليه تلك التي قدمها الأستاذ محمد جمعه الطوري في رساله مطوله تفصل بعض ما أجملناه.

الشيخ جعفر التنكابني:

توفي بعد سنه ١٢١٣.

ولد في تنكابن و أخذ الأوليات بها ثم انصرف إلى تعلم الفلسفه و برع بذلك و تقرب إلى السلطان آغا محمد خان القاجاري و أصبح من ندمائه و كان يقرأ له كتب الفلسفه و يفسرها.(١)

السيد جلال الدين الطهراني:

ولد في عام ١٢٧٢ و توفي ١٤٠٨ في باريس و درس في طهران العلوم الإسلاميه في حوزتها العلميه. ثم سافر إلى مشهد خراسان حيث عهد اليه، بما اصطلح على تسميته باسم (منجم باشي)، و يقصد به: المسئول عن أعداد التقاويم و ما إلى ذلك من الشؤون الفلكيه.

و بعد عده سنين عاد إلى طهران و زاول الشؤون السياسيه. و في العام ١٣٥٥ سافر إلى أوروبا لمتابعه دراساته الفلكيه في كل من فرنسا و بلجيكا، ثم عاد إلى إيران متقلدا المناصب الحكوميه التاليه مره بعد مره:

(١) - معاون رئيس الوزراء (٢) وزير دوله (٣) وزير البرق و البريد و الهاتف (٤) نائب التوليه، و هو المنصب الذي يشرف صاحبه على مقام الامام الرضا ع و أوقافه و ما إلى ذلك من شؤون هامه، و هو من أكبر المناصب في إيران. (٥) حاكم مقاطعه خراسان (٦) سفير إيران في بلجيكا (٧) عضو مجلس الشيوخ.

و أخيرا لما اضطرت الثوره الإيرانيه الشاه محمد رضا لمغادره إيران مع أسرته اختير رئيسا لمجلس الوصايه على العرش. و لم يلبث أن سافر إلى باريس لمقابله الامام الخميني، فطلب اليه أن يستقيل فاستقال.

و مما يذكر أن الشاه رضا والد الشاه محمد رضا كان قد أوصى ولده أن يستشير المترجم له في كل شأن هام يعرض له. و كان أهم ما أشار به عليه أن لا- يقدم على إعدام السيد الخميني عند ما تحرك السيد حركته الأولى في قم و قبض عليه و أودع السجن، فقد كان عند الشاه اتجاه قوى لاعدامه، و لكن المترجم له أصر عليه أن يتحاشى ذلك فاستجاب الشاه.

له عده مؤلفات منها: كتب التقاويم في تسعه مجلدات، الإرشاد في شرح الصاحب بن عباد (باللغه العربيه)، أصفهان نصف جهان

(باللغة الفارسيه)، آثار قديمه فارسي (باللغة الفارسيه) رساله صور فلکی.

و قد حقق الكتب الآتيه:

حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تاريخ جهان گشای للجوينيفی ثلاثه أجزاء، محاسن أصفهان (باللغة العربيه)، فارسنامه بن بلخي، تاريخ قم، هيئات، جامع التواريخ، لب التواريخ. اقتنى مكتبه ضمت ٤٥٠ مخطوطا و ٦٠٠٠ مطبوعا، أهداها إلى مكتبه الامام الرضا.

أبو ذر الغفاري جندب بن جناده:

اشاره

مرت ترجمته في المجلد الرابع، و نشر عنه هذه الدراره بقلم الدكتور محمد عماره:

حياته في سطور

* المشهور و الأصح أن اسمه: أبو ذر جندب بن جناده بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار، و ينسب إلى قبيلته غفار، فيقال:

أبو ذر الغفاري، و في اسمه هذا خلاف كثير، فالبعض يقول ان اسمه: أبو الذر، و البعض الآخر يقول: ان اسمه برير بن عبد الله، أو برير بن عشرقه، أو برير بن جندب، أو برير بن عبد، و منهم من يقول إنه: جندب بن السكن، أو جندب بن سفيان بن جناده بن عبيد بن الواقفه بن حرام بن غفار بن مليل بن صخره بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار الغفاري.

* أما اسم أمه فإنه لا خلاف فيه، فهي: رمله بنت الوقيعه، من بني غفار بن مليل.

* ولد في قبيله غفار، في تاريخ غير معلوم، و كانت مضاربها على طريق مكة التجارى إلى الشام.

* و كان أبو ذر أسمر اللون، طويلا، نحيف الجسم معروقا..

* و لقد اهتدى إلى عقيدته التوحيد، فترك عباده الأصنام، و عبد الله وحده قبل بعثه الرسول محمد، ص، بثلاث سنوات، و كان قومه يعلمون عنه ذلك، و يسمونه، لترك دينهم و خروجه عليه:

الصابئ.

* كان من السابقين إلى تصديق الرسول في رسالته، و هناك اتفاق على أنه أحد الخمسه الأوائل الذين أسلموا مبكرا، و الخلاف هل هو الرابع أو الخامس فيهم.

* كان إسلامه و دعوه الإسلام لا تزال سرا بمكه، فولاه الرسول مسئوليه قومه، فعاد و مكث فيهم يدعو للإسلام جهرا، فأسلم معه

كثير من قومه، و ظل فى موقعه هذا حتى هاجر إلى المدينه سنه ٥٥ هـ ٦٢٧ م.

* أبرز ما يميز حياه أبى ذر علمه الغزير، حتى

قال عنه على بن أبى طالب - و هو من هو فى العلم - : "وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه، ثم أوكا عليه فلم يخرج شيئا منه" .. و كذلك زهده و تواضعه، و

فى زهده يقول الرسول: "أبو ذر فى أمتى على زهد عيسى بن مريم، ع" .. و لقد بلغ به التواضع أنه كان يقدم لامامه الصلاه - فى منفاه بالربذه - رقيقا اسمه "مجاشع"، و هو دونه فى كل الصفات و المؤهلات. و كذلك جرأته فى الحق التى فاق فيها أصحابه، حتى

قال عنه الرسول بصددها: "ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق لهجه من أبى ذر" !.

روى عن الرسول أحاديث كثيره، و منها أحاديث عديده ذات مضمون اجتماعى يدعو إلى المساواه و التكافل و ينفر من التفاوت فى الثروات، و روى هذه الأحاديث عن أبى ذر كوكبه من الصحابه و التابعين، منهم مثلا: أنس بن مالك، و عبد الله بن عباس، و أبو إدريس الخولانى، و زيد بن وهب الجهنى، و الأحنف بن قيس، و جبير بن نفير، و عبد الرحمن بن تميم، و سعيد بن المسيب، و خالد بن وهبان (أو: أهبان) - و هو ابن خاله أبى ذر، و قيل: ابن أخيه - و عبد الله بن الصامت، و خرشه بن الحر، و زيد بن ظبيان، و أبو أسماء الرحبى، و أبو عثمان النهدى، و أبو الأسود

ص: ٥٤

١- السمامى.

الدؤلى، و المعروف بن سويد، و يزيد بن شريك، و أبو مرواح الغفارى، و عبد الرحمن بن أبى ليلى، و عبد الرحمن بن حجيره، و عبد الرحمن بن شماسه، و امرأه أبى ذر، و عطاء بن يسار، و غيرهم كثيرون.

* لم يشهد غزوه "بدر"، و لكن عمر بن الخطاب ألحقه بمن شهدها فى العطاء، اعترافا بفضله، و لأنه لم يكن يومها قد هاجر إلى المدينة.

* اختلف مع عثمان بن عفان، لمحاباته أهله بعد توليه الخلافة، و ثار على خروج المجتمع الإسلامى عن نهج الرسول فى التقارب و التكافل الاجتماعى، و انتقد تسابق البعض على حيازه الثروات، و نفى بسبب ذلك أكثر من مره، من المدينة إلى الشام، و من الشام إلى المدينة، و أخيرا إلى قريه صحراويه على بعد ثلاثه أميال من المدينة تسمى الربذه و كان ذلك فى سنه ٣٠هـ.

* فى تاريخ وفاته خلاف بين سنوات ٣١ و ٣٢ و ٢٤ هـ و الأصح هو التاريخ الأول.

* لم يحضر وفاته سوى ابنته، و كان قد أمرها عند ما اقترب منه الموت أن تولم وليمه لأول ركب يفد إلى منفاه كى يجهزوه و يدفنه.. و قبل أن يسلم روحه قال لابنته: استقبلى بى الكعبه، ففعلت، و قال: بالله، و على مله رسول الله ص.. ثم أسلم الروح. و عند ما وفد على ابنته ركب قادم من الكوفه، و كان فيه عبد الله بن مسعود، قالت لهم:

رحمكم الله، اشهدوا أبا ذر، قالوا، و أين هو؟ فأشارت إليه - و قد مات - فجهزوه و صلوا عليه و دفنوه.. و لقد بكى ساعتها

ابن مسعود، و قال: صدق رسول الله، ص، لقد قال عن أبى ذر: "يعيش وحده، و يموت وحده، و يبعث وحده".

إسلام أبى ذر

فى الأحاديث التى رويت عن الرسول، ع، كلمات تشهد لأبى ذر الغفارى بالتميز و التفرد ببعض الخصال و الصفات، سبقت إشارتنا إلى بعض من ذلك، و سيأتى الحديث عن بعضها الآخر بعد قليل.

و قصه العلاقه بين أبى ذر و بين الدين الإسلامى من أهم القسّمات التى تميز أبا ذر عن غيره من الصحابه، سواء منهم الذين سبقوا إلى الإسلام أو الذين أبطأ بهم الايمان بالرسول حينما من الدهر، قل أو كثر ذلك الحين.

ففى شبه الجزيره العربيه كانت تتناثر، قبل بعثه الرسول، بعض المراكز الدينيه، و بعض القبائل التى آمنت بشريعه عيسى، ع، و كانت فى هذه الأرض كذلك بقايا لديانه إبراهيم الخليل، ع، تمثلت أساسا فى عقيدته التوحيد التى ترفض الأصنام، و تنكر على الناس عبادتها، و كانت هذه البقايا من عقيدته إبراهيم تسمى "الحنيفيه"، و أتباعها يسمون "الحنفاء".. و لقد كانوا أكثر الناس إحساسا، فى تلك البقعه و فى ذلك التاريخ، بشده حاجه تلك البيئه إلى رسول يوحد العرب حول عقيدته توحيديه، و ينتقل بهذا المجتمع إلى طور حضارى جديد..

و لقد كان أبو ذر الغفارى من هؤلاء الحنفاء، الذين اهدتوا - ذاتيا و بالتأمل و التعمق فى التفكير - إلى عقيدته التوحيد، فدعا الله و عبده، بل و دعا إليه، قبل أن يبعث الرسول ع، بثلاث سنوات، و هذه ميزه يتفرد بها الرجل عن الذين شاركوه فى صحبه

الرسول. و هو يقص علينا ذلك السبق فى حوار دار بينه و بين ابن أخيه، يقول فيه: " - و قد صليت، يا ابن أخى، قبل أن ألقى رسول الله (ص)، بثلاث سنين..

قال: لمن؟ قلت: لله.

قال: فأين تتوجه؟ قلت: أتوجه حيث يوجهنى ربي!... " (1).

و فى الوقت الذى بدأ فيه الرسول الدعوه سرا إلى الإسلام، كان أبو ذر مع أخيه " أنيس " قد غادرا مع أمهما مضارب قبيلتهم غفار، سخطا على خروج القبيله عن تقاليد العرب التى تحرم الحرب فى الشهر الحرام، فنزلوا حينما من الدهر عند خال لهما، ثم غادروه و نزلوا على مقربة من مكه.. و فى هذا المكان سمع أبو ذر عن الرجل الذى يقول: إنه يتلقى وحى السماء، و يدعو إلى عقيدة التوحيد، فبعث بأخيه كى يتنسم له هذا الخبر الذى لم يكن بعد قد ذاع، و قال له: اركب إلى هذا الوادى، فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، و اسمع من قوله، ثم ائتنى.. و عند ما عاد " أنيس " من رحلته، سأل أبو ذر:

" - ما صنعت؟ قال: لقيت رجلا بمكه على دينك، يزعم أن الله قد أرسله، يسمونه الصابئ.

قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر.. و لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، و لقد وضعت قوله على أقرأ الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر، و الله إنه لصادق و إنهم لكاذبون".

و لكن هذا القدر من الحديث، و ذلك اليقين الذى تحدث به " أنيس " عن صادق محمد لم يكف لهفه أبى ذر و لم يشبع نهمه، و هو الذى ينتظر مثل ذلك اليوم منذ سنوات ثلاث.. فطلب من أخيه القيام على أمر أمهما و أمر معاشهم حتى يذهب بنفسه إلى مكه كى يباشر السماع و يقف بنفسه على حقيقه الموضوع.

و عند ما وصل إلى مكه اختار رجلا ضعيف البنيه من بين أهلها، كى يسأله عن مكان هذا الداعيه إلى نبذ عقيدة الأصنام، فقال للرجل: أين هذا الذى تدعونه الصابئ؟!.. ففزع الرجل، كيف شاع أمر الدعوه الجديده، التى يريد أهل مكه أن يقبروها فى مهدها، حتى بلغ خبرها إلى من هم خارج مكه، فجاء هذا الغريب يسأل عن مكان صاحبها!! و لذلك صرخ الرجل فى تعجب من سؤال أبى ذر، و قال: الصابئ؟!.. الصابئ؟!.. و يحكى أبو ذر كيف هجم عليه القوم و انهالوا عليه بالضرب حتى اصطبغت ملابسه و بشرته بدمائه، فيقول: فمال على أهل الوادى بكل قدره و عظم حتى خررت مغشيا على.. فارتفعت، حين ارتفعت كانى نصب أحمر!!..

و لكن ذلك لم يصرف أبى ذر عن ما جاء من أجله.. فذهب إلى ماء بئر زمزم فاغتسل من دمائه، و شرب من مائه، و دخل المسجد و اختفى خلف أستار الكعبه يترقب ما تأتى به الأيام من الأحداث.. و استمر فى مخبئه هذا يتسمع خمسه عشر يوما، و قيل ثلاثين يوما، لا طعام له سوى ماء زمزم!؟

١- صحیح مسلم ج ١٦ ص ٢٧ و ما بعدھا.

حتى كانت ليله مقمره أنصرف فيها رجال مكة إلى السمر عن الطواف بالأصنام المنصوبه حول الكعبه و فوقها، و جاءت امرأتان تطوفان بالأصنام، و تدعوان الصنم "إساف" و الصنم "نائله" بما هو مألوف عندهم من الدعاء... و قرر أبو ذر أن يسخر من المرأتين و من معبودهن - و "إساف" إله ذكر، - و "نائله" آلهه أنثى - فرفع أبو ذر صوته من مخبئه، و قال للمرأتين: أنكحا أحدهما الأخرى؟!.. و لكنهما استمرتتا فى دعاء الصنمين فقال: "هن مثل الخشبه"؟!... و عند ذلك فرعت المرأتان، و غادرتا مكان الطواف فى اتجاه باب المسجد، و هما تصيحان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا؟؟؟! و صادف ذلك دخول الرسول ص إلى المسجد، للصلاه، فى تلك الليله التى خلا فيها المسجد من المشركين.. فسال المرأتين:

- ما بالكما؟ قالتا: الصابى بين الكعبه و أستارها..

- ما قال لكما؟ قالتا: إنه قال لنا كلمه تملأ الفم (أى غليظه فى فحشها، لا يمكن التلفظ بها).

و يحكى أبو ذر ما حدث بعد ذلك، و كيف "جاء رسول الله صحتى استلم الحجر، و طاف بالبيت، ثم صلى، فلما قضى صلاته، قلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال، و عليك و رحمه الله.. ثم قال: من أنت؟ قلت: من غفار.. و يعلق أبو ذر على هذا اللقاء، و على إسلامه، دون أن يدعوه الرسول إلى الإسلام، فيقول "فكنت أنا أول من حياه بتحيه الإسلام".

فأخبره الرسول بتفكيره فى الهجره من مكة، و احتمال أن تكون "يثرب"، (المدينه) هى مكان هذه الهجره المرتقبه.. و طلب إليه أن يتولى أمر الدعوه إلى الإسلام فى قبيلته غفار.. و قال له لا "فهل أنت مبلغ عنى قومك، عسى الله أن ينفعهم بك، و يأجرک فيهم؟.. ارجع إلى قومك فأخبرهم، حتى يأتیک أمرى".

و لكن أبا ذر لم يشأ أن يغادر مكة سرا، و دون أن يتحدى أهلها فى ذلك الوقت المبكر الذى لم تكن فيه الدعوه الإسلاميه قد أعلنت بعد، و لم يكن فيه عدد المسلمين قد تجاوز أربعة، فقال للرسول ع:

"و الذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرايهم.. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، و أتى العباس بن عبد المطلب فأكب عليه، و قال: ويلكم أ لستم تعلمون أنه من غفار؟! و أنه طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم" و تكرر هذا المشهد فى اليوم التالى حيث عاد أبو ذر لتحديهم علنا، فعادوا لضربه و أنقذه منهم ثانيه العباس، عم الرسول.

و هكذا تفرد أبو ذر مره أخرى بامر آخر عن غيره من الصحابه الذين أسلموا حتى ذلك التاريخ.

و عند ما عاد أبو ذر إلى قومه، تبعه فى العقيدته أخوه "أنيس"، و أمه. ثم أخذ فى الجهر بالدعوه إلى الإسلام، و فى السخرية من أصنام غفار و آلهتهم.. حتى دخلت أعداد كبيره من قبيلته فى الإسلام، و ظل بينهم داعيا إلى الدين الجديد حتى هاجر الرسول (ع) إلى المدينه، و قدم إليها أبو ذر فأسلم من بقى من قومه، و دعا لهم الرسول فقال: "غفار غفر الله لها" (1)... فكانت ميزه أخرى تميز بها هذا الداعيه إلى الإسلام بين قبيلته و قومه عن كثير من الذين أسلموا فى ذلك الحين.

و لم تكن هذه هي كل الصفات التي تميز بها هذا الصحابي الجليل.. بل كانت له صفات أخرى امتاز بها على الكثيرين...

* ومن أولى هذه الصفات غزارة العلم و المعرفة.. فعلى الرغم من أن المشهور في الدراسات الإسلامية التي تناولت مركز الصحابه من العلم و المعرفة تكاد تجمع - و هي على حق في ذلك - على أن علي بن أبي طالب كان أبرز الصحابه في هذا الميدان، إلا أن تقييم أبي ذر في هذا الصدد يحتاج إلى تنبيه و جلاء و تفسير لبعض ما روى حوله في هذا الموضوع.

فلقد ذكرت في أوصاف الرجل أنه " كان يوازي ابن مسعود في العلم " (٢) و ابن مسعود من المبرزين و المقدمين في هذا الميدان.. و لكن الأمر الأهم الذي نود التنبيه إليه هو أن وصول أبي ذر إلى الايمان بعقيدته التوحيد قبل البعثة المحمديه، و قبل سماعه بالقرآن و الرسول، إنما يضعه بين أصحاب النظر العقلي و التحليل النظري و الفكر الفلسفي، و من ثم يعطى الرجل مكانا متميزا في هذا الميدان.. و يبدو.. أن الرجل قد كانت له آراء فلسفيه و نظرات عميقه حول عدد من القضايا الفكرية لم تكن البيئه الفكرية التي عاش فيها من سعه الصدر و رحابته بحيث تسمح له أن يلقي بكل ما عنده إلى الناس.. و يشهد بذلك

قول علي ابن أبي طالب عند ما سئل عن أبي ذر، فلقد قال: إنه " وعى علما فعجز فيه، و كان شحيحا حريصا:

شحيحا على دينه، حريصا على العلم " (٣)، فهو هنا يشير إلى "نوعه" علم أبي ذر، و أيضا إلى أن الرجل كان حريصا عليه و ضنينا باذاعته بين الناس.. و في

حديث آخر لعلى عن هذا الموضوع يقول فيه، كان "أبو ذر وعاء ملئ علما، ثم أوكئ عليه"؟! (٤) أى أن البيئه التي عاش فيها الرجل لم تشهد ما في وعاء علمه من قضايا و أفكار، لأن هذا الوعاء بعد أن ملئ بالعلم، حدث أن " أوكئ عليه "؟!.. و هناك

روايه أخرى لكلمات على هذه أكثر صراحه و أقطع في الدلاله عند ما يقول " وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه، ثم أوكا عليه فلم يخرج شيئا منه "؟! (٥).

و لأبي ذر نفسه إشاره إلى أنه قد تحصلت له و امتلك عقله نظره شامله و متكامله للكون و الحياه، فهو يصف حالته الفكرية بعد أن اكتسب ما اكتسب من صحبه الرسول عليه الصلاه و السلام - و كان ملازما له منذ لحق به في المدينه - فيقول: " لقد تركنا رسول الله ص، و ما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما؟! " (٦) فالرجل و لا بد كانت لديه قضايا و أفكار أكثر مما حفظته لنا كتب الحديث و التاريخ.

* و زهد أبي ذر هو الآخر ميزه من الميزات التي تميز بها الرجل،

فالرسول ص و قد قال عنه: " أبو ذر في أمتي على زهد عيسى بن مريم ع " (٧)، و لكن زهد أبي ذر هذا لم يكن عزوفا عن الدنيا و إداره ظهر لمشاكلها و أحداثها، و إنما كان موقفا نضاليا يرفض صاحبه الانغماس في الملذات و الترف، و في نفس الوقت يكافح ضد الذين سلكوا هذا السبيل، فابو ذر كان يؤمن بان له في أموال المجتمع حقوقا مثل ما للآخرين، و أن استئثار الآخرين بهذه الأموال لا يعنى اختصاصهم بها دونه

- ١- صحيح مسلم ج ١٦ ص ٢٧ و ما بعدها، و أسد الغابه، ج ٥، ص ٨٧ و الاستيعاب ج ٤ ص ٦٤ و الاصابه ج ١ ص ٨٨.
- ٢- الاصابه ج ٤، ص ٦٥..
- ٣- طبقات ابن سعد ج ٢، ق ٢، ص ١١٢.
- ٤- الاصابه ج ٤، ص ٦٥ و هو حديث أخرجه أبو داود.
- ٥- الاستيعاب ج ٤، ص ٦٤.
- ٦- المصدر السابق ج ٤، ص ٦٤، ٦٥.
- ٧- المصدر السابق ج ٤، ص ٦٤.

و حتى فى منفاه "بالربذه"، وفد عليه "سلمه بن نياته" فحدثه عن تسابق أصحابه فى حيازه الأموال و تنمية الثروات، و قال له: "إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالا؟! فقال له أبو ذر: "أما إنهم ليس لهم فى مال الله حق إلا و لى مثله" (١) فهو لم يكن زاهدا زهد الإنسان الذى لا يرى لنفسه علاقه بالدنيا و مباحجها، و إنما كان زاهدا زهد المناضل ضد احتواء هذه المباحج لملكاته و قدراته و تطويعها لمزاياه الثوريه التى اكتسبها من قبل و من بعد بعثه الرسول ع.. و الامام أحمد بن حنبل يروى بمسنده فى "كتاب الزهد" الحديث الذى يقول فيه أبو ذر "إنى لأقربكم مجلسا من رسول الله ص يوم القيامة، ذلك أنى

سمعت رسول الله صيقول: إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها" ثم يستطرد أبو ذر فيقول: "و الله ما منكم أحد إلا و قد نشب فيها بشىء غيرى" (٢) فهو إذا نمط من الزهد أقرب إلى المواقف النضاليه منه إلى المعنى الشائع الآن عن الزهد و الزاهدين.. و لا شك أن هذه الميزه من ميزات أبى ذر سببرز أكثر و أكثر عند ما نعرض لمواقفه النضاليه من التحولات التى طرأت على الحياه الإسلاميه فى عهد عثمان بن عفان.

* و ميزه أخرى للرجل لم يشترك معه فيها أحد من أصحابه، بشهاده الرسول ع، و هى "صدق اللهجه"، التى تعنى بلغه عصرنا أن الرجل كان أكثر الألسنه صدقا فى التعبير عن الرأى الحر، و أكثر الناس جرأه فى إعلان ما يعتقدده حقا دون ما مواربه أو مداوره، و أن لسانه كان أكثر منابر العصر تعبيراً عن الحقائق التى شهدها هذا الصحابى الجليل.

أما شهاده الرسول لأبى ذر بهذه الميزه و ذلك الامتياز، فإنها قد جاءت فى

حديثه الذى يقول فيه ع: "ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق لهجه من أبى ذر" (٣) و هو حديث رواه أبو الدرداء، و رواه كذلك بنفس ألفاظه مع تقديم و تأخير عبد الله بن عمر بن الخطاب.. و لقد اشتهر أمر هذا الحديث حتى أصبح من الصفات الشائعه لأبى ذر فى كتب الطبقات الخاصه بالصحابه و المحدثين صفه "الصادق للهجه" (٤) و هو وصف لم يطلق على أحد غيره من صحابه رسول الله..

و أهميه هذه الصفه بالذات من بين صفات أبى ذر الغفارى أنها تعطى قيمه أكبر و أهميه أعظم لرأى الرجل و تقيمه للتطورات و الأحداث التى دار حولها الخلاف بينه و بين عثمان بن عفان و معاويه بن أبى سفيان و من ناصرهما من الصحابه، و هى الأمور التى سيأتى حديثنا عنها بعد قليل..

فالقطف - بصدق للهجه الرجل، و اليقين بأنه أصدق أهل زمانه لهجه ينفى نفيا باتا ما حاول به البعض تجريح الرجل و النيل من إنصافه عند ما صوروه أداه لبعض من أسلم من اليهود، دفعوا به لمتاواه عثمان بن عفان و معاويه بن أبى سفيان، و من ثم فان هذه الصفه من صفات أبى ذر لا بد و أن تظل حاضره فى ذهن الباحث و الدارس و القارئ عند التعرض لأحداث ذلك الصراع الذى قام بينه و بين جهاز الدوله و الأغنياء فى ذلك الحين.

و هذه الصفه التى يتميز بها أبو ذر قد جعلت الرجل أثيرا إلى الرسول ع، قريبا منه، تدل على ذلك أحاديث كثيره مثل ذلك الذى أخرجه

الطبرانى من أحاديث أبى الدرداء، قال: "كان رسول الله صبيئدئ أباً ذر إذا حضر، و يتفقده إذا غاب" أى أن منزله الرجل كانت

كبيره لدى الرسول.. بل و أكثر من ذلك.. فنحن نستطيع أن نقول: إن الرسول كان شديد الحرص على أن يجد أبا ذر دائما في المكان المرغوب لصفوه الصحابه و خيره المسلمين، و لقد حدث أن انتشر و شاع تخلف الناس عن الخروج للقتال مع الرسول في غزوه "تبوك"، و أخذ بعض الصحابه ينقلون إلى الرسول أخبار المتخلفين عن الاستعداد للقتال، فيقولون: يا رسول الله: تخلف فلان.. فيقول لهم: "دعوه.. فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، و إن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه". فذهب هذا الحكم معيارا يميز الخارجين إلى القتال عن القاعدين عنه دون عذر مقبول.. و عند ما خرج الجيش المسلم عن المدينة، لم يكن فيه أبو ذر، لأن بعيره كان بطيء السير، و تفقد الرسول أبا ذر فلم يجده، فاخذ يتمنى على الله أن يكون أبو ذر في القاديين، حرصا منه على الرجل و مكانته في الإسلام و بين المسلمين و في نفس الرسول.. و في نفس هذه اللحظات كان أبو ذر - و قد استبطا بعيره - قد أخذ متاعه على ظهره، و تبع جيش الرسول مشيا على الاقدام.. " فنظر ناظر من المسلمين، فقال: إن هذا الرجل يمشى على الطريق، فقال رسول الله ص: "كن أبا ذر؟! و يكمل ابن مسعود روايه الحديث فيقول: " فلما تأملت القوم، قالوا: يا رسول الله هو و الله أبو ذر؟! ففرح رسول الله فرحا شديدا بتحقيق أمنيته في أن يكون أبو ذر في مكانه الطبيعي بين الذين جعل الله فيهم خيرا فالحقهم بجيش الذاهبين للقتال في "تبوك" و

قال: " يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده و يموت وحده..

و يحشر وحده"؟(٥)!

تحولات عهد عثمان

حتى نفهم موقف أبي ذر من التحولات التي طرأت على الحياه الإسلاميه أخريات حياته، لا بد أن نعرض لهذه التحولات، و حتى نحكم للرجل أو عليه لا بد من تقديم لمحه تجسد لنا ما حدث في الميدان الاجتماعى منذ ولى الخلافه عثمان بن عفان، فذلك هو السبيل الطبيعي للتقييم الأدق الذى نشده، و للتمييز بين وجهتى النظر المتعارضتين للمؤرخين القدامى الذين عرضوا لموقف هذا الصحابى الجليل من هذه التحولات..

و بادئ ذى بدء فنحن مع الذين يرون أنه قد حدثت بالفعل تحولات اجتماعيه فى الحياه الإسلاميه على عهد عثمان، لم تكن موجوده فى عهد البعثه و لافى زمن أبى بكر و خليفته عمر بن خطاب.. ففى عهد الرسول، لم تكن الفتوحات الإسلاميه الكبرى قد حدثت بعد، و من ثم فان ثروه المجتمع لم تكن ذات وزن كبير، حتى أن الدوله العربيه الإسلاميه التى قامت يومئذ لم تعرف نظاما مستقرا و مقننا لماليتها من حيث الضبط و التنظيم للواردات و المصروفات.. و عند ما لقي الرسول ربه خلف دينا عليه هو عباره عن قرض اقترضه لقضاء حاجات أهله المعاشيه.. و لم يختلف الحال كثيرا فى عهد أبى بكر.. لا من حيث الحدود التى امتد إليها الفتح العربى، تقريبا، و لا من حيث ثروه الدوله، بل لقد تأثرت بالانقسامات التى حدثت على سلطه أبى بكر القائمه فى "المدينه"، و استنفدت منها الحروب، التى سميت "بحروب الرده"، قدرا كبيرا من الجهد و النفقات، حتى أن بيت مال المسلمين - (خزانه الدوله) - عند وفاه أبى بكر، لم يكن بها سوى دينار واحد قد سقط و تخلف بطريق الخطا و النسيان؟!..

و فى عهد عمر بن الخطاب امتدت فتوحات الدوله حتى شملت المجتمعات الغنيه الثلاثه التى كانت أهم مصادر للثروه فى الامبراطوريه

- ١- تاريخ الأمم و الملوك ج ٥ ص ٦٧.
- ٢- الاصابه ج ٤، ص ٦٥.
- ٣- الاستيعاب ج ٤، ص ٦٤ ح ٦٥ و الاصابه ج ٤، ص ٦٥.
- ٤- الاصابه ج ٤، ص ٦٣.
- ٥- المصدر السابق ج ٤، ص ٦٥

العربي: مصر، و الشام، و العراق.. و جاءت إلى عاصمه الدوله كنوز القياصره و الأكاسره، و فيها أكوام من التحف و العملات الذهبية التي ذهل لمرآها كثيرون من الصحابه.

و يبدو أن الفرع الأموى، بزعامه أبى سفيان، قد رأى فى تولى عثمان الخلافه فرصه طالما انتظروها كى تعود لهم المكانه الأولى التي فقدوها منذ ظهور الإسلام على يد محمد بن عبد الله، من الفرع الهاشمى الفقير من بنى عبد مناف.. و لقد ذكر عمار بن ياسر أنه قد حدث "عقب الوقت الذى بويح فيه عثمان، و دخل داره، و معه بنو أميه" أن قال لهم أبو سفيان، و كان قد كف بصره: "أ فيكم أحد من غيركم؟.. قالوا: لا.. قال: يا بنى أميه، تلقفوها تلقف الكره، فو الذى يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم، و لتصيرن إلى صبيانكم وراثه، و نمى هذا القول إلى المهاجرين و الأنصار.

"فهو إذا انقلاب سياسى قد حدث، طالما رجاه و انتظره أبو سفيان و بنو أميه، و هى إذا بدايه حقبه من الحكم الأموى يعدون أنفسهم لتلقفه كالكره حتى تصير ملكا وراثيا يتولاه الصبيان.. لقد سنحت لهم الفرصه، و رأوا فى شخصيه عثمان المناخ المناسب كى يحققوا ما يريدون.. و لذلك كان حكم هذا الخليفه بدايه لأحداث و تطورات استحدثت فى الحياه الاجتماعيه الإسلاميه، سعى إليها البعض و اغتتمها البعض و ناضل ضدها البعض الآخر و من ثم كانت الصراعات التي برز فيها أبو ذر الغفارى و كانت "الفتنه" (الثوره) التي شهدها آخر عهد عثمان بن عفان..

* فلقد انتشر كثير من الصحابه، فى الأمصار، و أقطعهم عثمان مساحات من الأرض التي كانت ملكيه عامه لبيت مال المسلمين، فوزعت عليهم الأرض التي كانت مملوكه لكسرى و قيصر و الأمراء و القواد الذين حاربوا ضد الفتح العربى لهذه البلاد، و هى التي كانت تسمى أرض "الصوافى"، و كان دخلها على عهد عثمان ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم، كما كان عثمان أول من أقطع أرض العراق.

* و تغير حال العمال و الولاه، فاستخدم عثمان الكثير من أقربائه، و حتى الذين كانوا يعملون على عهد عمر لم يعودوا يخشون شدة عمر، و استبدوا بالأمر من دون عثمان. و من حديث لعلى بن أبى طالب، عشيه الثوره على عثمان يعيب عليه فى ضعفه إزاء الولاه و العمال، يقول له فيه: "إن عمر كان يطأ على صماخ من ولى.. إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى العقوبه، و أنت لا تفعل، ضعفت و رقت على أقربائك"، و عند ما يقول له عثمان، "و هم أقرباؤك أيضا؟! يقول له على: "أجل.. إن رحمهم منى لقريبه، و لكن الفضل فى غيرهم!" و عند ما يعترض عثمان و يحتج بأنه قد ولى معاويه بعد أن ولاه عمر من قبل، يرد على قائلاً: "أنشدك الله!! هل تعلم أن معاويه كان أخوف لعمر من "يرفا"، غلام عمر له؟! أما الآن "فان معاويه يقتطع الأمور دونك، و يقول للناس: هذا أمر عثمان، و أنت تعلم ذلك فلا تغير عليه؟!". (١)

* و انعكست هذه التطورات السياسيه و الاداريه على الأوضاع الاقتصاديه و الاجتماعيه لدى عدد كبير من الولاه و الصحابه و العمال.. فسعيد بن العاص و الى عثمان على الكوفه، يسير فى الناس سيره منكروه، و يستبد بالأموال دونهم، و يقول عن أرض العراق إنها بستان قريش؟! فيعترض عليه الأشتر مالك بن الحارث النخعى قائلاً: "أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز رماحنا بستانا لك و لقومك؟!".

* و تبدى مظاهر الثراء و البذخ على عدد كبير من الصحابه، فالزبير بن العوام يبنى له عده دور فخمه بالبصره، و الكوفه، و مصر،

و الإسكندريه، و عند ما تحضره الوفاه يحصون فى ثروته ٥٠,٠٠٠ دينار، و ألف فرس، و ألفا من العبيد و الإماماء.. إلى آخره..

* و طلحه بن عبيد الله التميمى [التميمى] يبتنى لنفسه هو الآخر إحدى الدور الفخمه بالكوفه و أخرى بالمدينه يشيدها "بالآجر و الجص و الساج"، و يبلغ دخله من ممتلكاته بالعراق وحدها ألف دينار فى اليوم الواحد؟! " و قيل أكثر من ذلك، و بناحيه "الشراه" أكثر مما ذكرنا!!* و عبد الرحمن بن عوف الزهرى، تصبغ ثروته مضرب الأمثال "فعلى مربطه مائه فرس، و له ألف بعير، و عشره آلاف شاه من الغنم" و عند ما توفى قدرت ثروته بأكثر من مليونين و نصف من الدراهم، و لقد بلغ حجم القدر الذى أحضر منها إلى عثمان بن عفان فى "البدر" و "الأكياس" قدرا من العظم جعله يحجب رؤيه عثمان عن الرجل الواقف أمامه؟!.

و يذكر سعيد بن المسيب أنه قد كان فى ثروه زيد بن ثابت - و كان من المدافعين عن عثمان حين ثار الناس عليه - يوم مات "من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفتوس، غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمه مائه ألف دينار".

* أما يعلى بن منيه فإنه يخلف فى تركه ٥٠٠,٠٠٠ دينار، تضاف إليها عقارات و ديون له على الناس تقوم بمبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دينار!.

* و يشيع فى المدينه بناء الدور الفخمه الحديدته، و يتخذون لها الأماكن الجميله من "الضواحي" فعلى بعد أميال من المدينه يبنى "المقداد" - "بالجرف" دارا، "مخصصه الظاهر و الباطن"، و يجعل فى "أعلاها شرفات"، و يصنع مثله "بالعقيق"، "سعد بن أبى وقاص".

و يحصون لعثمان، يوم مقتله "عند خازنه من المال خمسين و مائه ألف دينار (١٥٠,٠٠٠)، و ألف ألف درهم" (١,٠٠٠,٠٠٠) و ذلك غير قيمه "ضياعه بوادى القرى و حنين"، تلك التى قدرت بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ دينار، هذا عدا الخيل و الإبل و غيرها من الممتلكات و المقننات.

و نحن نود [نورد] قبل أن ننتقل للحديث عن أثر هذه التحولات المستحدثه فى المجتمع الإسلامى، أن ننبه إلى أن صحبه هؤلاء الرجال لرسول الله ص، و سبق الكثير منهم إلى الإسلام، و بلاءهم الحسن فى نشر الإسلام و إقامه دعوته، لم يكن له أن يمنع سعيهم هذا الذى حدث فى سبيل الدنيا، لأن النفس البشريه عند ما تتاح لها الفرصه لذلك دون ما مانع من القانون و رادع من النظام، فقلما تحجم عن السعى فى هذا الطريق...

و من ثم استباح الكثيرون لأنفسهم و استحلوا هذا النمط من أنماط الحياه..

و لقد كانت للقوم شبهه حل تجعل لهم هذا الأمر مباحا لا حرج عليهم فيه..

يشهد لذلك قول عثمان بن عفان عن عبد الرحمن بن عوف عند ما أحضر له ما أحضر من أكياس دنانيه و دراهمه بعد وفاته: "إنى لأرجو لعبد الرحمن خيرا، لأنه كان يتصدق، و يقرى الضيف، و ترك ما ترون" .. أى أنه قد كانت هناك وجهه نظر تمثل موقفا فكريا يرى أنه لا حرج على الناس و لا على ضمائرهم من السعى فى هذا السبيل، و أن التقوى و الايمان لن ينقص منهما

جمع الأموال، بشرط أن يتصدق أصحابها و يكرموا الضيوف و يبذلوا منها قدرا معلوما في بعض وجوه البر و الإحسان..

بل لقد حدث أن استباح البعض ما حرمه الرسول على سبيل القطع في هذا الميدان، و

في (صحيح مسلم) نقرأ هذا الحديث الشاهد لما نقول:

- "حدثنا عبد الله بن مسلمه بن قعنب، حدثنا سليمان" يعنى ابن بلال "عن يحيى" و هو ابن سعيد"، قال: كان سعيد بن المسيب يحدث أن معمرا قال:

قال رسول الله ص: من احتكر فهو خاطئ، ففيل ٤.

ص: ٥٨

١- الكامل فى التاريخ، لابن الأثير ج ٣، ص ٧٤.

لسعيد: فانك تحتكر!! قال سعيد، إن معمرا، الذي كان يحدث هذا الحديث كان يحتكر"!!؟ (1) فما بالناس باستحداث أمور كانت للبعض فيها شبهة جل؟! و لم يكن في صف الذين أنكروها و حاربوها سوى سلاح الاجتهاد في تفسير النصوص و قياس الأمر على كليات التعاليم و روح الشريعة الغراء..!؟

و على أى الوجوه قلبنا الأمر، فلقد أثمرت هذه التحولات التى شهدتها عهد عثمان بن عفان مناخا اجتماعيا ولد و شهد العديد من التناقضات و الصراعات.. و من الكلمات الجيده التى تصف تلك الحاله الجديده قول جمال الدين الأفغانى: إنه "فى زمن قصير من خلافه عثمان، تغيرت الحاله الروحيه فى الأمه تغيرا محسوسا، و أشد ما كان منها ظهورا فى سيره سير العمال و الأمراء و ذوى القربى من الخليفه، و أرباب الثروه، بصوره صار يمكن معها الحس بوجود طبقه تدعى "أمراء" و طبقه "أشراف" و أخرى أهل ثروه و ثراء و بذخ"، و انفصل عن تلك الطبقات: طبقه العمال و أبناء المجاهدين، و من كان على شاكلتهم من أرباب الحميه و السابقه فى تأسيس الملك الإسلامى و فتوحاته، و نشر الدعوه، و صار يعوزهم المال الذى يتطلبه طرز الحياه و الذى أحدثته الحضاره الإسلاميه، إذ كانوا مع كل جريهم و سعيهم وراء تدارك معاشهم لا يستطيعون اللحاق بالمتتمين إلى رجال الدوله، و قد فشت العزه و الأثره و الاستطاله، و توفرت مهيات الترف فى حاشيه الأمراء و أهل عصبيتهم، و فى الولاه و بمن استعملوه و ولوه من الأعمال..

إلى آخره.. فتتج من مجموع تلك المظاهر التى أحدثتها وجود الطبقات المتميزه عن طبقه العاملين و المستضعفين من المسلمين، تكون طبقه أخذت تتحسس بشىء من الظلم، و تتحفز للمطالبه بحقهم المكتسب من مورد النص.

و كان أول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك و الجامعه الإسلاميه، الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى.. "

اتهام مردود

و لقد كان طبيعيا أن تحدث تطورات مثل هذه اختلافا فى رأى و تباينا فى وجهات النظر بين كبار الصحابه و كثير من المسلمين فى ذلك الحين، و كان منطقيا و ضروريا أن تؤدى هذه التغيرات الاجتماعيه إلى اختلاف و تباين فى الزوايا التى ينظر منها الناس إلى الأمور.. و لذلك فاننا نؤيد النظر إلى اختلاف الآراء بين أبى ذر و بين عثمان و معاويه على أنه أمر طبيعى، و ننكر المحاولات التى تريد الانتقاص من قدر أبى ذر، بتصويره ضحيه فى مخطط يهودى استخدم الرجل فى تنفيذ مؤامره يهوديه ضد الإسلام و المسلمين!؟..

و أصحاب هذا الرأى الشاذ قد لجئوا إليه تحت وهم أنهم يدافعون بذلك عن عثمان بن عفان، فواقعهم مسلكتهم هذا فى منحدر وعر، لأنهم قد جرحوا صحابيا قال عنه الرسول ع: إنه أصدق أهل الأرض لهجه و مقالا.. و تنبأ بما حدث له، لأنه كان يعرف معدن الرجل، و يستشرف ما ستجره عليه لهجته الصادقه عند ما يلجا القوم إلى الدعوه و حب السلامه و الرفه، و عند ما يثور عليهم أبو ذر لسلوكهم هذا الطريق.

و لقد كانت دوافع أبى ذر إلى موقفه هذا موضع خلاف - منذ قرون - بين المؤرخين، فالطبرى يذكر أن المؤرخين الذين سبقوه قد ذكروا فى أسباب نفى أبى ذر من الشام إلى المدينه بامر من عثمان لمعاويه، بعد أن كاتب معاويه الخليفه بصنع أبى ذر و تحريضه الفقراء على الأغنياء..

يذكر الطبرى أن بعض المؤرخين قد ذكر لذلك "النفى" و"الأشخاص" أسبابا كثيرة و"أشياء كثيرة و أمورا شنيعه كرهت ذكرها" و فى مكان آخر يقول: - "كرهت ذكر أكثرها" (٢)... لأنه كان متعاطفا مع وجهه النظر التى وقف منها أبو ذر موقف العداة...

أما ابن الأثير - وهو من الناقلين عن الطبرى - فإنه يشير إلى بعض هذه الأشياء التى ذكرها بعض المؤرخين، و التى كره الطبرى ذكرها، مثل "سب معاوية" لأبى ذر، و تهديده بالقتل، و حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء - (فرش على ظهر الدابة) - و نفيه من المدينة على الوجه الشنيع .. يذكر ابن الأثير هذه الإشارة، ثم يقف نفس موقف الطبرى فيعلن كراهته للتفصيل فى هذا الأمر، لأنه "لا يصح النقل به، و لو صح لكان ينبغى أن يعتذر عن عثمان، فان للإمام أن يؤدب رعيته، و غير ذلك من الأعدار، لا أن يجعل ذلك سببا للطن عليه" .. ثم يمضى ليذكر وجهه نظر الذين أيدوا عثمان و معاوية ضد أبى ذر، و نسبوا موقف أبى ذر إلى مخطط يهودى، كان ينفذه عبد الله بن سبا - (ابن السوداء) - فيقول: أما الذين يعذرون عثمان فى موقفه من أبى ذر، "فإنهم قالوا: لما ورد ابن السوداء إلى الشام لقي أبى ذر، فقال يا أبى ذر، ألا تعجب من معاوية يقول: المال مال الله؟! ألا إن كل شىء لله؟! كأنه يريد أن يحتج به - (يختص به) - دون الناس، و يمحو اسم المسلمين!! فأتاه أبو ذر، (أى أتى معاوية)، فقال: ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله الساعه؟! قال: يرحمك الله يا أبى ذر، ألسنا عباد الله، و المال ماله؟! قال:

فلا تقله. قال: سأقول مال المسلمين.

و أتى ابن السوداء أبا الدرداء، فقال له مثل ذلك، فقال: أظنك يهوديا، فاتى "عبادة بن الصامت"، فتعلق به عباده، و أتى به معاوية، فقال: هذا و الله الذى بعث عليك أبى ذر (٣).

و نحن لا نميل إلى موقف ابن الأثير هذا، بل نرفضه لأسباب كثيرة، فى مقدمتها:

أولا: أنه لا يضع فى اعتباره أن التطورات التى طرأت على الحياه العربيه الإسلاميه فى ذلك التاريخ، من الطبيعى، بل و من الضرورى أن تثير اختلافات فى وجهات النظر بين الناس، و أن هذا الاختلاف طبيعى تماما، بل ضرورى، خصوصا فى بيئه يشجع الفكر الإسلامى فيها الناس على التفكير بحريه، و يرى أن الإنسان فيها حر مختار، و موقف ابن الأثير هذا يفضى - ضمن ما يفضى - إلى جعل التفكير الاجتماعى وقفا على اليهود، من دون العرب و المسلمين المخلصين لتعاليم الإسلام؟! و ثانيا: إن تصور ما حدث بين أبى ذر و عثمان على أنه اختلاف فى وجهات النظر بين صحابه رسول الله ص، أكرم و أليق بهذه الصفوه من الناس، من تصور أبى ذر - و مكانته عاليه بشهادته الرسول - ألعبه فى يد بعض الذين أسلموا من اليهود.

و ثالثا: إن قصه عبد الله بن سبا، برمتها، و من أساسها، موضع شك و جدل بين الباحثين فى تاريخ هذه الفتره من فترات حكم الإسلام و المسلمين، و هناك من يراها مجرد "مشجب وهمى"، اخترعها البعض ليعلق عليها الأخطاء، و يصرف بها نظر البحث و الباحثين عن رؤيه التطورات التى حدثت فى المجتمع و الخلافات التى ثارت فيه فى ذلك الحين... (٤).

- ١- صحیح مسلم، بشرح النوډی ج ١١، ص ٤٣.
- ٢- تاریخ الأمم و الملوک ج ٥، ص ٤٦، ٤٧.
- ٣- الکامل فی التاریخ، ج ٣، ص ٥٥.
- ٤- د. طه حسین، کتاب الفتنه الکبری ج ١ (عثمان).

و رابعاً: إن قصة الخلاف بين أبي ذر و عثمان حول قضايا المال و الفقر و الغنى سابقه على ذهاب أبي ذر إلى الشام، و على هذا اللقاء المزعوم بينه و بين ابن السوداء، كما سيتضح ذلك - من الأحداث و ترتيبها التاريخي - بعد قليل.. و هو أمر يهدم هذه الدعوى من الأساس و لذلك فنحن نميل إلى رأى الفريق الآخر من المؤرخين - المسعودى مثلاً - الذى يصور الأحداث التى وقعت بين أبي ذر و بين عثمان و معاويه باعتبارها أموراً طبيعياً أثمرتها تطورات شهدتها حياة المجتمع يومئذ.. فهو مجتمع، و هم بشر، و الأليق بهم النظر إليهم و إلى خلافاتهم و صراعاتهم فى هذا الإطار و بهذا المنظار.

الصدام مع عثمان و معاويه

فى المدينة:

كان أبو ذر قد اتخذ لنفسه سبيلاً قرر أن لا يحيد عنها، و هى الخروج من الدنيا فقيراً كحالها يوم ودع رسول الله ص عند ما مات، و كان دائم التردد

لحديث الرسول الذى يقول فيه: "إن أقربكم منى مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها". و عند ما كان أبو ذر يردد هذا الحديث، كان ينظر إلى صحبه الذين أخذوا يجمعون الحظوظ من متاع الدنيا، و يغمزهم، و يقول لهم: "و الله ما منكم أحد إلا و قد نشب فيها بشىء غيرى!..". و كان أيضاً دائم التحذير و الإنذار للذين يجمعون الأموال و يصرفون فى سبيلها جهداً كبيراً، فيذكر لهم قول الرسول صعن المكثرين من المال و كيف "أن الأ-كثرين هم الأقلون يوم القيامة"، إلا من أنفق ما تحصل له من المال ذات اليمين و ذات الشمال، دون كنز أو إمساك أو احتكار".

و لقد أخذت أقوال أبي ذر هذه و موافقه تؤذى الكثيرين، و رفعت إلى عثمان بن عفان العديد من الشكاوى ضد الرجل، فاصدر عثمان، أمراً إلى أبي ذر ينهاه فيه عن الجلوس "للفتوى" بين الناس.. و لكن أبا ذر عصى أمر عثمان، و استمر فى عقد المجالس للناس، يروى فيها الأحاديث و يفتى فيما يعرض عليه من الأمور، و يروى "ابن سعد" فى طبقاته كيف وقف رجل على أبي ذر فقال له: أ لم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟! فقال له أبو ذر: و الله لو وضعت الصمصامه - (السيف) - على هذه (و أشار إلى حلقة)، على أن أترك كلمه سمعتها من رسول الله ص لأنفذتها قبل أن يكون ذلك! ". (1)

و لم يكن تصدى أبي ذر للفتيا بالأمر الذى يحدث فقط بعيداً عن عثمان، بل و فى مجلسه و حضرته كذلك.. و لقد ثار النقاش و الجدل يوماً فى مجلس عثمان حول أمرين يتعلقان بالأموال و الثروات..

أولهما: خاص بما على الإنسان فى ماله.. هل عليه الزكاه فقط؟ أم ما هو أكثر من ذلك؟! و ثانيهما: مدى حريه الخليفه و السلطه الحاكمه فى التصرف فى أموال الدوله بالأخذ و الإعطاء؟؟ و كان رأى أبي ذر إلى جانب فرض ما هو أكثر من الزكاه فى أموال الناس، و ضد إطلاق اليد لعثمان و ولاته فى التصرف بالأموال.. و وقف مع عثمان، ضد رأى أبي ذر، أناس تزعمهم "كعب الأخبار" الذى أغلظ له أبو ذر القول، و استخدم ضده عصاه، فدفع بها فى صدر "كعب"؟! و كان هذا الصدام أول موقف عنيف يقفه أبو ذر الغفارى من السلطه الممثله يومئذ فى عثمان بن عفان، مما أدى إلى غضب عثمان منه و عليه، فطلب منه مغادره المدينة، فخرج منها أبو ذر إلى الشام.. و المسعودى يحكى لنا ما حدث يومئذ فى مجلس عثمان، فيقول:

" قال عثمان: أ رأيتم من زكى ماله، هل فيه حق لغيره؟؟ فقال كعب: لا، يا أمير المؤمنين.

فدفع أبو ذر في صدر كعب، وقال له: كذبت يا بن اليهودى.. ثم تلا: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و أتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و فى الرقاب.. الآية)..

فقال عثمان: أ ترون بأسا أن نأخذ مالا- من بيت مال المسلمين فننقله فيما ينوبنا من أمورنا، و نعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك.

فرجع أبو ذر العصا، فدفع بها فى صدر كعب، و قال: يا بن اليهودى ما أجرأك على القول فى ديننا؟! فقال عثمان: ما أكثر أذاك لى!! غيب و جهك عنى فقد اذيتنا.. فخرج أبو ذر إلى الشام.. " (٢).

فهو إذا أول قرار يصدره عثمان بن عفان " بنفى " أبى ذر من المدينه..

و لم يحدد له عثمان المكان الذى يذهب إليه.. و اختار أبو ذر الشام، لحكمه لعلها أن الرجل قد كان يريد التشديد من حملته ضد التحولات الاجتماعيه التى كانت آخذه فى الظهور و التفشى يومئذ، و صد من كان يرى انحرافهم من ولاء عثمان على الأقاليم، و فى مقدمتهم والى الشام معاويه بن أبى سفيان.. فهو " نفى " عن المدينه العاصمه، و لكنها رحله نائر إلى ميدان أكثر خطرا و احتياجا إلى الثوار..

فى الشام

و فى الشام وجد أبو ذر أن الأمر أخطر مما هو عليه فى المدينه فلم تكن بساطه الحياه العربيه هى الأمر السائد كما هو حال المدينه، و لم تكن القاعده هى الجماعيه، و المساواه، و الشذوذ هو الاستثار و التفاوت فى الثروات كما هو الحال فى العاصمه.. و إنما كان العكس هو السائد فى الشام.. فلقد كانت هذه الولايه قد تحولت إلى صورته " عربيه إسلاميه " لما كان عليه نظام الحكم، أبهه و فخامه، أيام قيصره الرومان البيزنطيين.

و لقد أتاح عهد عثمان لمعاويه فى الشام أن يستكمل كل أبهه الملك:

و أن يبلغ بالأمر كل المدى الذى أراد.. و وجد أبو ذر أن القضايا التى كانت لا تزال محل جدل فى المدينه قد حسمت فى الشام، فلقد كان معاويه يتصرف فى مال الاماره بحريه مطلقه، و يسميه " مال الله " ..و كانت قد نبتت بذور ترى فى الخليفه - و من ثم فى نوابه - ظللا- لله فى الأرض، و من ثم فإنهم أحرار فى تصرفاتهم، لا رقبه عليهم من البشر و لا قيود.. فاعترض أبو ذر على معاويه، و طلب إليه أن يتصرف كامير قد وكت إليه رعايه " أموال المسلمين " فهى لهم، و هم أصحاب الأمر و النهى فيها، و كان يعنف معاويه و يقول له: " يا معاويه.. لقد أغنيت الغنى و أفقرت الفقير! "

و مضى أبو ذر يحدث الأغنياء من الناس عن أن جمعهم للمال و حجه عن مصارفه إنما هو " كثر " و " احتكار " و إذا كان القرآن قد وعد (الذين يكتزون الذهب و الفضه و لا ينفقونها فى سبيل الله) بعذاب أليم، فلقد أخذ أبو ذر يخطب فى مجتمعات

الشام و يقول: " يا معشر الأغنياء: واسوا الفقراء.. بشر الذين يكتزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى

ص: ٦٠

١- طبقات ابن سعد، ج ٢، ق ٢، ص ١١٢.

٢- مروج الذهب ج ٢، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم " و استمر فى دعايته و إثارته هذه للفقراء ضد الأغنياء، حتى تبلورت حركة جماهيريه عمادها الفقراء، ثم استمر الأمر فى التصاعد حتى أخذ هؤلاء الفقراء بزعامه أبى ذر ينفذون أفكارهم و آراءهم بأيديهم، و يضعون تعاليم أبى ذر فى التطبيق و الممارسه رغما عن سلطه الدوله و جهاز حكم معاويه بن أبى سفيان.. و ابن الأثير يذكر ذلك بقوله:

" ما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك و أوجبه على الأغنياء و شكا الأغنياء ما يلحقون منهم " .

و سلك معاويه مع أبى ذر سبيل التهديد، و قال له: يا أبى ذر " خير لك أن تنتهى عما أنت فيه! " و لكن الرجل لم يعبا بهذا التهديد و قال لمعاويه:

" و الله لا- أنتهى حتى توزع الأموال على الناس كافه؟! " ..و عند ذلك لجأ معاويه إلى حيله أخرى أراد بها أن يفسد ما بين أبى ذر و بين أنصاره و حزبه من الفقراء، و ذلك فى محاوله لإيهامهم أن الرجل ممن يتلقى منه الهدايا و الصلوات، فبعث فى جنح الظلام أحد رسله يحمل ألف دينار لأبى ذر.

و فى الصباح، بعث إليه ثانيه نفس الرسول يخبره أن العطاء لم يكن له، و أنه قد أخطأ الطريق إليه، و يقول له: يا أبى ذر " أنقذ جسدى من عقاب معاويه، فإنه أرسلنى إلى غيرك، و إنى أخطأت بك " ..و لكن أبى ذر كان قد أنفق الدنانير الألف على الفقراء قبل أن يطلع عليها عنده الصباح - فطلب من رسول معاويه التأخير ثلاثة أيام حتى يجمعها له ممن أخذوها من الفقراء.. و عند ما عاد الرسول إلى معاويه بالقصه، أدرك أن الرجل عصى على أن تنال منه هذه الأساليب، و ذلك لأن " فعله يصدق قوله " فى قضايا الأموال و الثروات.

و عند ذلك قر قراره على ضروره إخراجة من الشام، فكتب إلى عثمان يصور له حال أبى ذر مع الفقراء، و كيف أصبحت الشام فى حاله ثوره حقيقه، فقال: " إن أبى ذر قد ضيق على.. و قد كان كذا و كذا، للذى يقوله الفقراء.. تجتمع إليه الجموع، و لا آمن أن يفسدهم عليك. فان كان لك فى القوم حاجه فاحمله إليك؟! " ..فاستجاب عثمان لرجاء معاويه مخافه الثوره - (الفتنه) - فى الشام، و وافق على عوده أبى ذر ثانيه إلى المدينه و هو الذى طلب منه الخروج منها.. و كتب إلى معاويه يطلب معالجه الأمر برفق، فالثوره التى أشعلها أبو ذر على وشك الاندلاع، فقال: " إن الفتنه قد أخرجت خطمها - (أنفها) - و عينيها، و لم يبق إلا أن تشب، فلا- تنكأ القرح.. و كفكف الناس و نفسك ما استطعت...!! " ..و طلب عثمان من معاويه أن يجهز أبى ذر، و أن يبعثه إلى المدينه بصحبه " مرافق "؟! ..

و اتخذ معاويه من أمر عثمان سبيلا للانتقام من أبى ذر، فركبه بعيرا ضامرا على ظهره فراش يابس يرمى فخذى الراكب - " قتب يابس " - و أوصى به خمسه من الجنود الصقالبه ذوى المهاره فى العدو و مسابقه الريح " يطرون به، حتى أتوا المدينه و قد تسلخت بواطن أفخاذه، و كاد أن يتلف..!! " ..و أراد كذلك أن يسىء إلى سمعه الرجل و نزاهته، فاخرج أهله ليلحقوا به، و فى متاعهم جراب ثقيل يشد يد حامله، و جمع الناس ليروا أهل أبى ذر، حتى يوهمهم أن فى متاع الرجل أموالا يحملها ذووه، و قال للحضور: " انظروا إلى هذا الذى يزهد فى الدنيا؟!.. ما عنده؟! " ..و لكن امرأه أبى ذر خاطبت الناس قائلة: إن ما نحمل ليس دراهم و لا دنانير، و لكنها " فلوس " - (فكه) بلغه عصرنا - كان أبو ذر يعطيها لبيته من عطائه الذى يناله من بيت مال المسلمين.

و عند ما لقي الناس أبا ذر بالمدينه، و هو على حافه الموت من رحلته القاسيه هذه، قال له بعضهم لا "إنك تموت من ذلك"، و لكن الرجل أنكر عليهم هذه النبوءه بالنهايه القريبه، و قال لهم إن طريق الجهاد لا يزال طويلا أمامه: "هيهات.. لن أموت حتى أنفى؟! ثم ذكر لهم أن أمامه من المتاعب أكثر من ذلك الذى وقع به حتى الآن!... (1)

فى المدينه.. مره ثانيه

حاول عثمان أن يخفف عن أبى ذر، فاستضافه فى داره عدّه أيام، و أحسن إليه فيها، حتى استرد شيئا من عافيته.. و كان عثمان يرجو و يأمل أن يفتح بذلك صفحه جديده مع أبى ذر.. و لكن ذلك لم يحدث، فلقد تجدد النزاع و بدأ الصراع من جديد..

ففى أول جوله لأبى ذر فى المدينه بعد عودته إليها رأى تلك المباني الفخمه التى استحدثها الأغنياء فى شكل دور و قصور، و رأى امتدادات المباني و قد صنعت "ضواحي" للعاصمه، يسكنها هؤلاء الذين كانت حياتهم الجديده موضع نقده السديد. و عند ما تحقق أبو ذر أن المباني الجميله لقصور الأغنياء قد بلغت إلى مكان "جبل سلع" ففرت إلى ذاكرته نبوه الرسول ع، التى قال فيها لأبى ذر إن ذلك سيكون إيذانا باختلافه مع القوم، و إنكاره عليهم نمط حياتهم الجديده، و توالى الأحداث التى ستفضى به إلى منفاه حيث "يموت وحده".. فاخذ أبو ذر فى الطواف على مجتمعات العاصمه، محذرا قائلا: "بشر أهل المدينه بغاره شعواء و حرب مذكار؟!". و قرر الرجل أن يكرر بذل النصيح لعثمان، فدخل عليه يوما "فجلس على ركبتيه"، و أخذ يحدث عثمان عن تلك النبوءه التى طالما حذرت من صنيع بنى أميه إذا اجتمع لهم الأمر و زادت قوه عصبيتهم، و بلغ "ولد أبى العاصى ثلاثين رجلا" لأنهم عند ذلك سيتخذون "عباد الله خولا" - (خدما) -.

و وجد عثمان أن أبا ذر قد عاد إلى عهده القديم، و أنه قد أصبح يمارس فى المدينه ما كان يمارسه فيها قديما، و ما مارسه فى الشام من الاثاره و التحريض، ففتح معه الحديث عن ما أحدثه بالشام، و قال له: يا أبا ذر "ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك؟" و عند ما أخبره أبو ذر بدوافعه إلى موقفه هذا.. قال عثمان: "يا أبا ذر، على أن أقضى ما على و أن أدعو الرعيه إلى الاجتهاد و الاقتصاد و ما على أن أجبرهم على الزهد..". و لكن أبا ذر لم يرض بقول عثمان هذا، فلم يكن الأمر فى نظره أمر "زهد" لا يستطيع الخليفه أن "يجبر" الناس عليه، و إنما كان أمر أغنياء يزدادون غنى و فقراء يتسبب فى فقرهم هؤلاء الأغنياء، و أمر حقوق لهؤلاء الفقراء فى أموال الأغنياء تتعدى مقدار الزكاه، فقال لعثمان: إننى أرى "ألا- ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف و يحسنوا إلى الجيران و الاخوان و يصلوا القربات".

و تصادف فى لقاء أبى ذر هذا مع عثمان أن أحضرت إلى عثمان أكياس النقود التى أخذت من تركه عبد الرحمن بن عوف الزهرى، و كانت عظيمه بلغت من الكثره حدا جعلها تحجب الرؤيه بين عثمان و جلسائه..

و دار الحديث من حول هذه الثروه التى جمعها ابن عوف، و مدى تطابق سلوكه هذا مع السلوك النموذجى لصحابه رسول الله ص..

و انحاز عثمان و معه "كعب الأخبار" إلى صف الدفاع عن عبد الرحمن بن عوف، لأنه كان يؤدى فريضه الزكاه "و من أدى الفريضه فقد قضى ما عليه".. و اعترض أبو ذر على موقفهم هذا، و عند ما أمن "كعب الأخبار" على قول عثمان: إن الله قد أعطى لابن عوف خير الدنيا و الآخره، فقال:

" صدقت يا أمير المؤمنين "، غضب أبو ذر، و تحامل على آلامه، و رفع عصاه فضرب بها رأس "كعب الأخبار" و قال له: " يا بن اليهودى "، تقول لرجل مات و ترك هذا المال: إن الله أعطاه خير الدنيا و الآخرة؟! و تقطع على الله بذلك؟! و

أنا سمعت

ص: ٦١

١- الكامل، فى التاريخ، ج ٣، ص ٥٥، ٥٦ و مروج الذهب ج ٢، ص ٣٤٩.

النبى ص يقول. "ما يسرنى أن أموت و أذع ما يزن قيراطا"؟! فغضب عثمان من أبى ذر، و استرضى خاطر كعب الأحبار و طلب منه التنازل له عن ضرب أبى ذر له، ففعل.. ثم طلب، غاضبا، من أبى ذر أن يغادر المدينة، قائلا له: " وار عنى وجهك!!.."

"فقال أبو ذر: أسير إلى مكة؟ قال: لا و الله.

قال: فتمنعنى من بيت ربى أعبده فيه حتى أموت؟! قال: أى و الله.

قال: فإلى الشام؟ قال: لا و الله.

قال: البصره؟ قال: لا و الله، فاختر غير هذه البلدان.

قال: لا و الله ما أختار غير ما ذكرت لك، و لو تركتني فى دار هجرتي (المدينة) ما أردت شيئا من البلدان، فسيرنى حيث شئت من البلدان.

فقال: فانى مسيرك إلى الربذه " (1)..

و روايه المسعودى هذه تختلف مع ابن الأثير.. ففيها ان عثمان هو الذى حدد لأبى ذر مكان منفاه، أما ابن الأثير فإنه يمثل وجهه النظر التى ترى أن أبا ذر هو الذى اختار لنفسه هذا المكان، و هو الذى "نفى نفسه إليه" احتجاجا على الأوضاع التى ثار عليها.. و ملابسات القضية و قرائن أحوالها تشهد لروايه المسعودى ضد ابن الأثير، و ذلك لأسباب منها:

أولاً: إن تسلسل الأحداث التى جرت بين أبى ذر و عثمان فى المدينة أولاً، و فى الشام مع معاويه، ثم فى المدينة ثانياً.. كلها تحكى أن أبا ذر كان يجبر - و أحيانا بالقوه القاهره - على مغادره المكان الذى يمارس فيه الموعظه و الاثاره و التحريض.

و ثانياً: إن شخصيه أبى ذر النضاليه ليست بالتى تنسحب من بين الناس إلى مكان منعزل فى الصحراء، حتى و لو كان هذا الانسحاب تعبيراً عن الاحتجاج و الغضب و الرفض لنمط الحياه الذى أخذ يسود فى ذلك الحين.. فلقد كان الرجل ولوعاً بجماهير الفقراء، كما ولعت به هذه الجماهير.

و ثالثاً: إن الربذه "كانت قريه معزوله عن قرى المدينة، و لم تكن الحياه بها مرغوبه و لا محبوبه، حتى لزاهد مناضل كأبى ذر.

و لقد روى ابن الأثير نفسه أن أبا ذر كان يخشى على نفسه من العيش فى "الربذه" أن يرتد - بفعل بيئتها - أعرابياً قد انسلخ عنه التطور الذى ألحقه الإسلام بعقول الناس و حياتهم، فكان يتردد على المدينة حتى يظل على صله بحضارتها.. و عبر ابن الأثير عن هذا الموقف بقوله: " و كان أبو ذر يتعاهد المدينة مخافه أن يعود أعرابياً!".

و لقد تلقى أبو ذر قرار عثمان هذا ببشر يعبر عن التحدى.. و أخبر عثمان بان الرسول ص قد تنبأ له بهذا المصير..

و لقد أمر عثمان الناس فى المدينة بتجنب أبى ذر حتى يغادرها، و أن يتجافوه، فلا يخرج أحد منهم لوداعه، و أمر أحد أقاربه (مروان) أن يكون فى صحبه أبى ذر و ابنته حتى يوصلهم إلى مستقرهم الجديد. و لكن بعض الصحابه قد غضبوا من موقف

عثمان هذا، فخرج نفر منهم خلف علي بن أبي طالب، وفيهم الحسن والحسين، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، وعمار بن ياسر - لوداع أبي ذر، مخالفين بذلك أمر عثمان..

وعند ما التقى ركب علي بن أبي طالب هذا بركب أبي ذر، اعترض عليهم " مروان " فقال: يا علي، إن أمير المؤمنين، قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك.. فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط، و ضرب بين أذني راحلته، وقال: تنح نحاك الله إلى النار!، ومضى مع أبي ذر فشيعة، ثم ودعه وانصرف.. فلما أراد الانصراف بكى أبو ذر تأثرا، وهو يبصر غياب ركب ابن عم الرسول!!.

و ذهب " مروان " فشكا إلى عثمان ما فعله به علي بن أبي طالب، فغضب عثمان، وشكا إلى من حضر مجلسه من المسلمين قائلا: " يا معشر المسلمين.. من يعذرني من علي؟! رد رسولي عما وجهته له، وفعل كذا؟! والله لنعطينه حقه!! " ..و ذهب الناس من عند عثمان إلى علي يخبرونه بغضبه عليه، فوصف علي هذا الغضب بأنه " غضب الخيل على اللجم " .

معللا بذلك موقفه من القضية برمتها، وكيف أن موقفه إنما هو موقف الناصح الأمين، وفعله إنما هو فعل " اللجم " تمنع الخيل من الجموح، فتحفظ للخيل سلامتها!.

و يروى المسعودي قصة اللقاء العاصف بين علي و عثمان حول هذا الموضوع، وهو اللقاء الذي اشتكى بعده عثمان من علي و قال: " إنه يعينني و يظهر من يعينني " ..و ظل علي على موقفه، و قال لعثمان: " ما أردت بتشيع أبي ذر إلا الله تعالى " .

و أخيرا استقر المقام بالثائر الكبير و الصحابي الجليل، و أصدق الناس لهجه و مقالا في " الربذة " منفاه الجديد و الأخير، و لم يعدم الأمر قافله تمر فيلقاه ركبها لسمع منهم و يسمعون عنه.. فبنى " بالربذة " مسجدا، و هناك عاش من سنة ٣٠ هـ حتى توفي في سنة ٣٢ هـ، محققا بذلك نبوه

رسول الله ص عند ما قال: يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده " .. و محققا بذلك أيضا نموذج الإنسان المسلم الذي استطاع أن يوحد توحيدا نموذجيا، و يمزج مزجا رائعا ما بين سلوكه العملي في الحياه و الأفكار التي آمن بها و التي دعا إلى تطبيقها في هذه الحياه.

السيد جواد بن إبراهيم بن محسن الحسيني الرامسري:

ولد في جمادى الثاني ١٢٥٠ في رامسر و توفي في رامسر بعد سنة ١٣٠٦.

ولد في تشيرسر من ضواحي رامسر و نشأ بها ثم بدأ بقراءه المقدمات و بعد ذلك هاجر إلى أصفهان و انشغل بتعلم الفلسفه و الطب حتى أصبح طبيبا ماهرا ثم رجع إلى موطنه و انشغل بالطبابة و التأليف و من مؤلفاته:

١ - رساله في علاج مرض الطاعون.

٢ - شرح أطعمه المرضى لأبقراط.

٣ - رساله فى شرح ماهيه الوجود فى الفلسفه لم يتم.

٤ - رساله فى تقويم الأبدان.

٥ - رسائل متفرقه فى الطب.

و كان له عده أولاد منهم السيد حسن الحكيم. (٢)

الشيخ جواد بن الشيخ على بن الشيخ محمد " حميد " بن الشيخ محمد

حسن صاحب الجواهر:

توفى ليله الأحد الخامس و العشرين من صفر سنه ١٣٥٥ و دفن فى

ص: ٦٢

١- مروج الذهب ج ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

٢- الشيخ محمد السامى.

مقبرتهم. عالم فاضل رجل الأسره فى عصره و لسان النجف و ساعدها.

عمر مرقد جده صاحب الجواهر سنه ١٣٢٨ و ارخ ذلك بعض الأدباء بتاريخ منقوش بالحجر الكاشى:

بوركت من بقعه فيها زهت روضه الهادى على بن محمد

شادها الندب "جواد" فغدت فيه آثار على تتجدد

و هناك بيتان آخران:

بجدك يا أبا حسن "جواد" رفيع مقام جدك قد تسامى

كسبت علا فارخنا وفاء لأهل البيت حسنت المقاما

و عمر مسجد جده فارخ ذلك الشيخ جعفر محبوبه:

حاز الجواد الفضل من معشر هم منيه الراجى و هم أمنه

قد شاد بالعزم له مسجدا قام على هام السهى حصنه

تم بأقصى اليمن تاريخه (شيد على أس التقى ركنه)

و فيه إشاره إلى إضافه خمسين و هى النون.

رثاه شاعر العرب محمد مهدى الجواهرى بقصيده مطلعها:

هتفوا فاسندت اليدان ضلوعى و شرقت بالجمرات قبل دموعى

و رثاه الشيخ عبد المهدى مطر بقصيده مطلعها:

كيف ارتحالك و البلاء مرفرف و إلى م مفزعها قلوب وجف

و على م بعدك من عماد تتكى قلب يطير و مهجه تتخوف

(١)

الشيخ جواد بن قاسم المجد الابكائى كلائى الرامسرى:

ولد حدود ١٢٩٥ و توفى ١٣٧٠ فى رامسر.

ولد في رامسر و أخذ المقدمات بها ثم ذهب إلى مشهد الرضا ع و بقى هناك منشغلا بالتحصيل عند اعلامها و في سنة ١٣٢٧ رجع إلى موطنه و انصرف إلى الوعظ و الخطابه و اشتهر بذلك و كان له قريحه شعريه ينظم الشعر باللغه الفارسيه.(٢)

الشيخ جواد بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السمامي الرامسري:

ولد في رامسر حدود سنة ١٢٥٠ و توفي سنة ١٣١٥ في رامسر.

ولد في بيت علم و مجد و ينتهي نسب هذه الأسره (السمامي) إلى فنا خسرو عضد الدوله البويهى و كان أجدادهم يحكمون في مدينه سمام و نواحيها و كانت سمام عامره إلى انقراض الدوله الصفويه ثم تمرد حاكمها منصور خان بن رحيم على حكومه نادر شاه فهجم جيش نادر شاه عليهم و فتحها ثم أمر بنهب أموالها و تهديم بيوتها و إحراقها فتفرق أهاليها و أصبحت المدينه مهجوره لم يبق فيها إلا- قليل من سكانها. و تشتت أولاد منصور خان و أقاربه و سكن بعضهم في رامسر و لهم أحفاد و لهم ألقاب مختلفه و يسكن قسم منهم في بعض مدن جيلان و برز من هذه الأسره فضلاء و علماء و الشيخ جواد كان من المدرسين الفضلاء و كان يدرس في مدارس رامسر و له عده اخوان فضلاء.(٣)

المولى حبيب الله بن المولى قربان على بن عبد الله بن منصور بن رحيم

السمامي الرامسري:

ولد حدود ١٢٤٥ في مدينه رامسر و توفي في ١٣٠٢ في رامسر و دفن في قم في مقبره ابن قولويه.

نشا في حجر أبيه و تعلم القراءه و الكتابه ثم دخل مدرسه السيد مرتضى بن السيد هادى الحسينى فقرأ المقدمات بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و لاقى الشيخ مرتضى الأنصارى و رجع إلى موطنه و أنشا مدرسه علميه في (تارنج بن) و انشغل بالتدريس و قضاء حوائج العامه و كان يقضى شطرا من أوقاته في الزراعه. و كانت له مؤلفات نعدمت [انعدمت] بعد وفاته.(٤)

حسن بن أبي الحسن التنكابنى:

توفي بعد سنة ١٣١٢.

ولد في تنكابن و تعلم المبادئ و المقدمات بها ثم انصرف إلى تعلم الطب و برع بذلك - ثم أخذ يتنقل بين بعض البلدان للتطبيب.

له تأليفات منها كتاب كبير في تشريح الأمراض و كتب بعض مذكراته في ظهر الكتاب(٥)

السيد حسن بن جواد بن إبراهيم بن محسن الحسينى التشيرسرى

الرامسرى:

ولد في سنة ١٢٨٣ في رامسر و توفي ٢١ ذى الحجه الحرام سنة ١٣٦٠ في رامسر.

تعلم القراءة و الكتابة في رامسر و المقدمات عند والده و الفضلاء في مدارس رامسر، و في سنة ١٢٩٨ دخل مدرسه الميرزا محمد التنكابني صاحب قصص العلماء في قريه سليمان آباد فدرس عليه و في سنة ١٣٠٠ ذهب إلى مازندران و دخل مدرسه الحاج أشرفي المازندراني و اشتغل عنده في الفقه و الأصول و في سنة ١٣٠٤ ذهب إلى طهران و دخل مدرسه دار الشفاء و اشتغل في الفقه و الأصول و الفلسفه و العرفان، و كان يحضر في الفقه و الأصول على السيد محمد تقى التنكابني و الفلسفه على الميرزا أبى الحسن الجلوه و في سنة ١٣١٤ دخل جامعه دار الفنون و حصل على شهاده الدكتوراه في الطب ثم هاجر إلى مشهد الرضا و سكن بها حتى سنة ١٣٢٢ مشغلا بالطب ثم رجع إلى طهران و منها إلى موطنه ثم انتقل إلى رشت و بعد مده عاد إلى رامسر مشغلا بالطب و بالتأليف حتى وفاته.

له مؤلفات منها:

١ - كتاب في الطب على نمط القانون بعنوان (وسيله الطيب).

٢ - (علم شيمي) في الكيمياء و صناعه الأدوية.

٣ - (الأمراض) - و هي ستة رسائل. (٤)

السيد حسن بن السيد عبد الله الموسوي الأحسائي الجبيلي البصري.

ابن علم الدين على المرتضى النسابة بن جلال الدين عبد الحميد بن

فخار شمس الدين بن معد بن فخار بن أحمد بن أبى الغنائم محمد

بن الحسين الشبتي بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد

بن الامام موسى بن جعفر ع.

من أعلام القرن التاسع أو العاشر الهجري.

و هو جد لثلاث أسر علويه كبيره في العراق. هم:

١ - الساده "العواديون" في العراق أجمع.

٢ - "آل السيد سلمان" في النجف.

٣ - "آل السيد درويش".

و من أحفاد المترجم له العالم الزاهد السيد هاشم الحطاب النجفي المتوفى سنة ١١٦٠ هـ، و هو ابن محمد بن عويد بن محمد بن عواد الكبير بن على بن المترجم له.

- ١- الشيخ محمد السامى.
- ٢- الشيخ محمد السامى.
- ٣- السامى.
- ٤- الشيخ محمد السامى.
- ٥- السيد هاشم الشخص.
- ٦- الشيخ محمد السامى.

انفرد بذكر المترجم له الشيخ محمد حرز الدين في (مراقد المعارف) فقال:

"كان السيد حسن الجبيلي جليلا محترما كريما له دار ضيافته تجتمع إليه الأعراب فيها، و تنذر له النذور، و تصل إليه الصلوات و الهدايا من الوجوه و الرؤساء في حياته و بعد مماته - كما سمعت -".

هاجر من (الأحساء) إلى (البصرة) و توطن قريه (الجبيله) - التي عرفت باسمه حتى اليوم -، و الظاهر أن (الجبيلي) نسبه إلى (الجبيل) - من قرى الأحساء المعروفه -، و يبدو أنها كانت وطن المترجم له قبل نزوحه إلى العراق.

و في (الجبيله). أقام المترجم حتى توفي، و لم تحدد سنه وفاته، و قبره فيها لا زال معروفا مشهورا، و في (مراقد المعارف): "على قبره اليوم صندوق و شباك تظله قبه بيضاء و يحوطه صحن، تزوره الأعراب بكثره و تنذر له النذور، تتحاماها الأعراب من الحلف به. و يسميه السواد اليوم (ظاهر بن علي)، و يظن أن السواد يسمونه باسم قيمه الأول ظاهر بن علي..".

بقي أن نشير هنا إلى أن المترجم له لم يكن من العلماء، و إنما ذكرته في قسم العلماء لجلاله قدره و عظيم شأنه و لأنه المكان الأنسب لترجمته بعد أن لم يكن داخلا في باب الشعراء و الخطباء و المؤلفين. (1)

الشيخ حسن بن الشيخ علي نقي بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد

صالح الحائري آل الصالحى:

المولود في كربلاء سنة ١٣١٠ هـ و المتوفى يوم الاثنين الخامس من شهر شعبان سنة ١٤٠١ هـ في طهران و المنقول جثمانه إلى مقبره الأسره في قزوین في روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضاع.

كان من شيوخ العلماء المبرزين النابھين و مثالا للورع و التقوى مجاهدا ثائرا، قرأ المقدمات و شطرا من السطوح على علماء كربلاء الأعلام ثم لازم الشيخ عيسى بن الشهيد البرغانى المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ و هاجر معه إلى قزوین ثم رجع بعد مده إلى مسقط رأسه كربلاء و حضر على الميرزا محمد تقى الشيرازى زعيم الثورة العراقية الكبرى و اختلط برجال العلم و شارك في الثورة مشاركه فعاله و كان أمين سر قيادتها و حين حاول الإنكليز القبض عليه تمكن من الهرب إلى إيران ثم عاد إلى كربلاء و في أحداث فلسطين كان له صوت مدو في محاربه الصهيونيه، و أعلن خطر اليهود في فلسطين، كما كان له مخطط عسكري ضد الصهاينه في فلسطين و اتصل برؤساء العشائر العراقية الذين كان له معهم علاقات وديه من أيام ثوره العشرين و طلب منهم شن حرب شعبيه ضد اليهود المعتدين و في العقد الثالث من عمره انصرف إلى الاعتكاف و العباده و الانقطاع تاره في كربلاء و طورا في مكه المكرمه و المدينه المنوره و زمانا في سامراء و حين اندلعت الفتنة في العراق ضد الشيعة و علمائها سنة ١٣٩١ هـ توجه المترجم له إلى إيران و سكن طهران حتى وفاته و رثاه جماعه من الشعراء منهم السيد جليل الزرآبادى مؤرخا وفاته بقوله:

تلفظ شد جو اين آيه بتعظيم ورود جنتش آمد بتكريم

"إن المتقين في جنات و نعيم" ١٤٠١ هـ له مؤلفات منها: كتاب الغرر و الدرر في مجلدين ضخمين المجلد الأول بالعربيه و المجلد الثانى بالفارسيه جمع فيهما جملة من الحكم و الأمثال و الأشعار و الحوادث التاريخيه و تراجم العلماء الشيعة المنسيين

الذين لم يترجم لهم أحد فجمع تراجمهم و ضبط تواريخهم و لم يذكر العلماء المترجم لهم فى كتب السير حتى لا يكرر أعمال الآخرين. و قد عينه الشيخ حسين النائينى و السيد أبو الحسن الأصفهاني فى سنة ١٣٤٥ هـ بمحضر الشيخ جعفر النقدي قاضى الجعفريه يومئذ متوليا على الأوقاف بصفته أعلم علماء أسره آل الصالحى فى العراق و إيران لأنه جاء فى نص الوقفيه انه عند تعدد الفقهاء فى الأحفاد فالتولى بيد أعلمهم و أفقهم.

و آل الصالحى فرع من آل البرغانى و هم من أعرق و أشهر الأسر العلميه نبغ منهم علماء أعلام مرت تراجم بعضهم و تاريخ الأسره فى المجلد الثانى من المستدركات (٣٠٠-٣٠٥) و كان المترجم له من أعلام أسرته المبرزين فى عصره، و يمتاز بطهاره القلب و صفاء الضمير و طيب السريره و هو والد الأستاذ الشيخ عبد الحسين الصالحى الذى عرف بدراساته التاريخيه و بحوثه القيمه فى التراجم، مما يرى القراء بعضه فى هذه المستدركات اعتبارا من المجلد الثانى، و هو من أبرز كتاب (دائره معارف التشيع) و (دائره معارف الإسلام) اللتين تصدران باللغه الفارسيه فى طهران.

الشيخ حسين بن إبراهيم بن حمزه بن خليل التنكابنى:

كان من العلماء توفى بعد سنه ١٠٠٠ و لم نعلم عن أحواله شيئا إلا إننا أطلعنا على بعض مؤلفاته منها:

١ - اللآلى فى شرح بدر الأمالى - ذكره مؤلف كشف الظنون فى:

١٣٥٠.

٢ - غايه الأمانى فى شرح تصريف الأسفرجانى فرغ من تأليفه سنه ١٠٠٠.

٣ - شرح قصيده العينيه - شرحها للسلطان مراد بن سليم العثمانى. (٢)

الشيخ حسين بن إبراهيم التنكابنى:

توفى ١٠٥١.

ذكره فى الأعيان: ٤١٢/٥ بعنوان الشيخ حسين بن إبراهيم الجيلانى التنكابنى - ثم كرره فى نفس المجلد ص ٤٦٣ بعنوان الشيخ حسين التنكابنى الحكيم.

أقول: هما شخص واحد.

ثم ذكر له أربعة من مؤلفاته، و له مؤلفات أخرى غيرها منها:

رساله فى شبهه الاستلزام و جوابها.

رساله فى أصناف الناس فى المعاد.

حاشيه على شرح التجريد للمولى على القوشجى.

حاشيه على رساله إثبات واجب الوجود للمولى جلال الدين الدوانى.

الشيخ جمال الدين أبو محمد الحسين بن بدر بن أياز بن عبد الله البغدادي

النحو:

توفى ليله الخميس ١٣ ذى الحجه الحرام سنه ٦٨١ هـ من أعظم علماء النحو و فحول أدباء الشيعة فى عصره أخذ العلم عن جماعه منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف بن يحيى الهاشمى البلسى المتوفى سنه ٦٢٠ هـ و التاج الأرموى و سمع من ابن القبيطى و أجاز له الشيوخ و قال هندو شاه المتوفى بعد ٧٣٠ هـ فى كتابه (تجارب السلف) ص ٣٤٧ ما هو تعريبه (.. و عند ما افتتحت أبواب مدرسه المستنصرية فى يوم الخميس ١٠ رجب سنه ٦٣١ هـ ببغداد عين المترجم له مدرس النحو بتلك المدرسه و بعد وفاته تصدر كرسى تدريس النحو بها

ص: ٦٤

١- السيد هاشم الشخص.

٢- الشيخ محمد السامى.

الشهيد مولانا رشيد الدين الرازى..) و المترجم له أستاذ العلامة الحلى و وصفه فى إجازته لبنى زهره الحلبيين قال (.. الشيخ السعيد جمال الدين حسين بن بدر النحوى رحمه الله كان أعلم أهل زمانه بالنحو و التصريف. له تصانيف حسنه..).

و قال السيوطى فى بغية الوعاة (الحسين بن بدر بن أياز بن عبد الله أبو محمد العلامة جمال الدين كذا ساق نسبه ابن رافع فى تاريخ بغداد و قال كان أوحده زمانه فى النحو و التصريف قرأ على التاج الأرموى و قرأ عليه التاج بن السباك و سمع من ابن القبيطى جزءا و لم يحدث به و أجاز له الشيوخ و كان دمث الأخلاق و من تصانيفه قواعد المطارحة. و الاسعاف فى الخلاف.

مات ليله الخميس ثالث عشر ذى الحجه سنه إحدى و ثمانين و ستمائه. و قال الصفدى: ولى مشيخه النحو بالمستنصرية. و قال الشرف الدمياطى: رأيت شابا فى زى أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البينانى و قال أبو حيان: ابن أياز أبو تعاليل و قال ابن مکتوم: لم أطلع له على غوامض فى النحو و له شرح الضرورى لابن مالك. شرح فصول ابن معطى(١) و ذكره البغدادى فى هديه العارفين ج ١ ص ٣١٣ و حاجى خليفه فى كشف الظنون و شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعة و قال (و الظاهر أنه هو أستاذ العلامة الحلى..)(٢) أقول لا مجال للشك حيث صرح العلامة الحلى فى الإجازة لبنى زهره باسمه و كنيته و شهرته بالنحوى و ذكره أيضا صاحب الحوادث الجامعه ص ٤٢٦. ترك المترجم له مؤلفات منها كتاب الاسعاف فى علم الخلاف، كتاب شرح التصريف لابن مالك، كتاب القواعد فى المطارحة، كتاب المأخذ المتبع، كتاب المحصول فى شرح الفصول لابن معطى فى النحو، كتاب مسائل الخلاف فى النحو، كتاب المطارحة. (٣)

الحاج حسين الحرباوى:

قال السيد على العدنانى الغريفى:

ذكره صاحب كتاب أدب الطف: و ذكر أنه شاعر بغدادى و أنه رأى عده قصائد له فى مدح أمير المحمره الشيخ خزعل المتوفى سنه ١٣٥٥ كما ذكره صاحب كتاب شعراء الحله و عده منهم لأنه رأى له قصائد تبادلها مع بعض شعراء الحله و اثبت له مقطوعه فى الغزل أولها:

تشعشت فتولت عندها الظلم شمس براحه بدر جاء يتسم

أهلا به مقبلا كالبدر حين غدا بين السحائب يبدو ثم ينكتم

أقول: لا أعرف سنه ولادته و لا عام وفاته إلا انه كان معاصرا للسيد عدنان الغريفى المتوفى ١٣٤٠ هـ و كان يتردد على مجلسه و يحل ضيفا عليه فى مدينه المحمره و قد مدحه بعده قصائد، و من مدحه له قصيده نأخذ منها:

أ تجلو صدى الأحزان عنا بطلعه تطلع من شوق إليها النواظر

تمر فتنسنى العذيب و عذبه و إنى لأيام العذيب لشاكر

أ تعبت فى مجدى و مجدى مؤثلا فكيف و ذا (عدنان) للمجد ناصر

فتى بابيه العلم راقى رياضه و من جده اثنالت عليه المفاخر
له من رسول الله طيب نجاره و من حيدر الكرار طابت عناصر
و من حمزه المغوار خير ارومه و فى عمه الطيار اضحى يفاخر
فكان و إن كان الأخير زمانه أوائله فيه انطوت و الأواخر
فلم يخل من ذكر له كل مجلس و لم تخل من مثن عليه المنابر
و لم تحص آثار له و مآثر و إن ملئت من بعضهن الدفاتر
هو البحر علما و المكارم مظهرا و واحد أهل العصر و الفضل ظاهر
طيب باحكام الشريعة حاذق به كبر الإسلام و الكفر صاغر
فأقلامه فى المعضلات عوامل و آراؤه فى الغامضات بواتر
يرد السهى عنه حسيرا إذا رنا و يرجع طرف المشتري و هو غائر
و يخجل منه الغيث و الغيث هاطل و يحجم عنه الليث و الليث خادر
فيا من له بالفضل يتبع تبع و فى جنب كسريه تلوذ الأكار
أحاول من مغناك أمرا أحده كانى أراه غائبا و هو حاضر
أ يبلغ قدرا فى علائك شاعر و أنت على الشعري بوجودك عابر
و له فى الامام الحسين ع:

لنا جيره بالأبرقين نزول سقى ربهم غيث أجش هطول
تواعدنى الأيام بالقرب منهم فتلك ديون و الزمان مطول
أ جيراننا ما القلب من بعد بينكم بسال و لا الصبر الجميل جميل
أ جيراننا بالخيف ما زال بعدكم لنا الدمع جار و العزيز ذليل
فهيئات صفو العيش منا و للهدى تبدد شمل و استقل قبيل

تحمل اظعان الطفوف عشييه و اققرن منهم أربع و طول
ألا قاصدا نحو المدينه غدوه يبلغ عنى مسمعا و يقول
أيا فتيه بان السلو بينهم و جاور قلبى لوعه و عويل
رأيت نساء تسأل الركب عنهم تلوح عليها ذله و خمول
تطلع من بعد إلى نحو داركم بطرف يصوب الدمع و هو كليل
نوادب اقدين الجفون من البكاء و اعشبن مغنى الطف و هو محيل
نوادب أمثال الحمام سواجعا لها فوق كثنان الطفوف هديل
حملن على عجف النياق حواسرا لها كل يوم رحله و نزول
تجذ بها السير العنيف عصابه لها الشرك حاد و النفاق دليل
تسيم رءوسا كالبذور على القنا لهن طلوع فوقها و افول
و تبصر مغلول اليدين مصفدا براه من السير العنيف نحول
و تنظر ذياك العزيز على الثرى له الليل ستر و الهجير مقيل
فتدعو حماه الجار من آل هاشم بصوت له شم الجبال تزول
أ هاشم هبى و امتطى الصعب أنه لك السيران رمت العراق ذلول
أ هاشم قومى و انتضى البيض للوغى فوترك وتر و الذحول ذحول
أ صببرا و انجاد العشيره بالعرا على الترب صرعى فتيه و كهول
أ صببرا و رحل السبط تنهبه العدا فموتك ما بين السيوف قليل
أ صببرا و آجام الأسود بكر بلا بها النار شبت و الهزبر قتيل
و تلك على عجف النياق نساؤكم لها الله تسبى و الكفيل عليل
عهدتكم تأبى الصغار انوفكم و أسيافكم للراسيات تزيل

فما بالكم لم تنض للثار قضبكم فتحمر من بيض الصفاح نصول
كان لم يكن للجار فيكم حميه و لا كان منكم جعفر و عقيل
ألم يأتكم أن الحسين رميه على التراب ثاو و الدماء تسيل
و كم لكم فى السبى حرى من الجوى ثكول و فى أسر العدو عليل
و كم لكم فى التراب طفل معفر صريع و فى فيض الدماء رميل
و كم طفله لليتم أمست رهينه و ليس لها يوم الرحيل كفيل
و حسرى تدير الطرف نحو حميها فتبصره فى الأرض و هو جديل
فتذهل حتى عن تباريح وجدها و تنحاز للدمع المصوب تذيل
و أبرح ما قد نالكم أن زينبا لها بين هاتيك الشعاب عويل
شكت و اثنت تدعو الحسين بعبره تصدع منها شارف و فصيل
تنادى بصوت صدع الصخر شجوه و كادت له السبع الطباق تزول
أخى عيون الشرك أمست قريره بقتلك قرت و المصاب جليل
أراك بعينى دامى النحر عافرا عليك خيول الظالمين تجول
نعم أيقنت بالسبى حتى كأنها لما نابها و هى الوقور ذهول

ص: ٦٥

-
- ١- جلال الدين عبد الرحمن السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين و النحاه ص ٢٣٢-٢٣٣ بيروت دار المعرفه.
 - ٢- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: الأنوار الساطعه ص ٤٧ بيروت دار الكتاب العربى.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الشيخ حسين الشنب غازاني التبريزي:

ولد في شب غازان إحدى محلات تبريز في ١٤ محرم الحرام سنة ١٣٠٤ و توفي فيها سنة ١٣٣٢.

ورد النجف الأشرف طالبا و تتلمذ لدى الاساتذه الأعلام: الآغا ضياء العراقي و شيخ الشريعة الأصفهاني و السيد أبي الحسن الأصفهاني و الميرزا حسين النائيني ثم عاد إلى وطنه سنة ١٣٤٤ هـ.

قال ملا علي الخياباني مؤلف كتاب "علماء معاصرين" باللغة الفارسيه ما معناه: "كان رحمه الله عالما، فاضلا، مدققا، تقيا، سليم النفس، كريما و مفسرا بارعا" انتهى.

شيخنا المترجم له كان من العلماء الأتقياء الأفذاذ و كان يقيم الجماعه كامام راتب في مسجد كاكته جي في تبريز و بعد صلاه العشاء كان يلقي مباحث في تفسير القرآن الكريم و إذا ارتقى المنبر كان واعظا مؤثرا، عديم النظير و لقد كنت أحضر أنا كطالب في عنفوان شبابي، بعض حلقات درسه في التفسير، و بيالي أنه كان من حسنات الدهر و ذخائر الحوزات العلميه الإسلاميه. كتب تقاريرات دروس بعض أساتذته كالعلمين العراقي و النائيني في عدة مجلدات و ألف أيضا رساله في اللباس المشكوك و رساله في الاستصحاب و رساله في التعادل و الترجيح و رساله في التعبدى و التوصلى و غيرها.(١)

الميرزا حسين الجلالى بن على أكبر السامى:

ولد في رامسر ١٣٢٨ و توفي سنة ١٣٩٢ في رامسر و دفن بقم.

درس على الشيخ محمد حسين الغريب التنكابنى و السيد يعقوب السجادى و السيد مهدي العلوى و الشيخ عبد الله المدرس في مدارس رامسر و انصرف إلى المنبر و الخطابه و اشتهر بذلك و هو شاعر باللغة الفارسيه و له قصائد في رثاء الحسين ع.(٢)

الحاج الشيخ حسين بن محمد كاظم الآخوند الخراسانى النجفى:

ولد في سنة ١٣١٨ و توفي ٥ ربيع الأول ١٣٩٦.

ولد في النجف الأشرف و نشأ في حجر أبيه و قرأ المقدمات برعايته و بعد وفاه أبيه كفله أخوه الكبير الميرزا مهدي و قرأ السطوح على فريق من الأعلام ثم حضر بحوث الخارج في الفقه و الأصول و كان أكثر استفادته من بحث الشيخ ضياء الدين العراقي. و كتب تقريراته و بعد وفاه أخيه الميرزا مهدي قام بإداره المدارس التي كانت آنذاك من المدارس العامره الشهيره:

(الكبرى و الوسطى. و الصغرى) و أخذ يواصل أعمال أخيه و إداره (الديوان) و في تلك الأيام كانت الدواوين مقرا لاجتماع العلماء و الفضلاء الأدباء - و بعبارة أخرى كانت هي الأنديه الشعريه و الأدبيه، و كان رحمه الله عالما جليلا مقرا مبيجلا مهابا محترما متواضعا جالسته سنين عديده ما رأيت منه إلا حسنا. و أخيرا أصيب بمرض السرطان و توفي به و دفن بجنب أبيه في المقبره الواقعه في مدخل باب السوق الكبير على يمين الخارج.(٣)

الشيخ حسين بن محمد على القارى البهشتى:

مر ذكره في المجلد السادس و نضيف هنا إلى ذلك ما يلي:

من فحول علماء الرياضيات و أكابر المتكلمين الشيعة في العصر الصفوي، حكيم فيلسوف. تخرج في الحكمة و الفلسفه على المير السيد شمس الدين محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨٣٨ هـ في شیراز و ربما أدرك والده المير السيد شريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ هو من أكابر علماء عصر الشاه إسماعيل الصفوي المتوفى سنة ٩٣٠ هـ و له مؤلفات منها كتاب الحسابو كتاب تجويد القرآن و احتمال شيخنا آقا بزرگ الطهراني أن يكون صاحب الترجمة من علماء القرن التاسع و قال في الذريعة الجزء الثالث صفحہ ٣٦٧ (توفى الشريف الجرجاني سنة ٨١٦ و توفى ابنه |شمس الدين محمد سنة ٨٣٨، و عليه فيكون البهشتي هذا من أواسط المائة التاسعة و معاصرا للشيخ خضر الحبله رودی الذي قرأ أولا في شیراز على شمس الدين محمد المذكور. و يكون والده من أواخر القرن الثامن و بما أنا لم نر أثرا من الأسماء المركبه فيما قبل القرن العاشر الذي حدث فيه تركيب الأسماء مع محمد أو مع علي فنحتمل سقوط كلمه (ابن) بين لفظي محمد و علي. و الله أعلم..) ثم ذكره في كتابه طبقات اعلام الشيعة ضمن علماء القرن العاشر قائلًا (الحسين البهشتي بن محمد علي القاري المعاصر للشاه إسماعيل الأول كان تلميذ ولد المير السيد شريف الجرجاني كما ذكر في (الرياض). له رساله في الحساب شرحها ملك محمد بن سلطان حسين الأصفهاني صاحب رساله "الجبر و المقابله" و احتمله متحدا مع أبي العلاء البهشتي صاحب رساله الحساب. (٤)

السيد حسين العلوي بن محمد علي:

توفى سنة ١٣٦٤ في كربلاء التي ولد فيها و لم نعلم تاريخ مولده و ترعرع في ظل أسرته تعرف بالساده (آل نطوه)، و أخذ الأدب على فضلاء عصره، فشب شاعرا بارعا فطنا ذكيا و ذاع صيته في الأوساط الاجتماعيه. نظم الشعر بالفصحى و العاميه، و اختص بالمناسبات الاجتماعيه و الوطنيه و الدينيه، و له قصائد وطنيه جياشه بالأحاسيس الملتهبه، و اتصل بسدنه الروضه العباسيهكالسيد مرتضى آل ضياء الدين و نجله السيد محمد حسن. و له فيهما مدائح كثيره. و صار من ضمن خدمه الروضه العباسيه.

قال من قصيده في رثاء الحسين ع:

يا باذلا في الله نفسك جودا أثبت للدين الحنيف و جودا

يا آيه النور التي قد أشرقت للسالكين فأدر كوا المقصودا

و قال في رثاء الحسين ع من قصيده:

نهضت و ما للدين حام و منجد فأنقذته بالسيف و الله يشهد

فشدت له صرحا مدى للدهر ثابتا إلى الحق يدعو كل حين و يرشد

و ما هو إلا ذاك قبرك قد سما إلى الفلك الدوار صرحا يشيد

و قال مادحا العباس ابن علي (ع) من قصيده:

أبا الفضل فضلك في كل ناد ينادى الموالي به و المعادى

فأنت المرجى لدفع الخطوب و غيث الأنام و غيث البلاد

و باب الحوائج للسائلين فقد خصك الله بين العباد

و ساقى العطاشى بيوم الطفوف و حامى الظعينة فى كل واد

و قال فى فلسطين:

يا عرب ليس الصبر يحمى من أمه أن جاوز الحد

أ و لستم أنتم أباه الضيم و التاريخ يشهد

أ و لستم من شاد قدما للأبا صرحا ممرد

أ و لستم غوث الصريخ و كهف أمن للمشرد

و لكم تصاغر ذله يوم الكريهه كل أصيد

ص: ٦٦

١- السيد إبراهيم السيد علوى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

يا أمه العرب التي سمت الورى شرفا و سؤدد

ردوا الحقوق لأهلها اليوم بالسيف المجرد

فالموت أحلى موردا للعرب من عيش منكذ

الداء زاد توجعا و دواؤه السيف المهند

هذى فلسطين و ذا جيش العدو بها تحشد

لم يرع ذمه مسلم فيها و لا شرفا لمعبد

و بها اليهود تألبت و الإنجليز لها تعهد

فى القدس ينصب عرشها ظلما و عنها العرب تطرد

و له مخمسا و الأصل لابن أبى الحديد:

يا من لخالقه بك الوحى اهتدى و على البريه بعد طه سيدا

و أقول قولاً لم أكن مترددا إن كان دين محمد فيه الهدى

حقا فحبك باب و المدخل يا عاذلى دع الملام و خليا

عنى فلست إلى العواذل صاغيا تالله مهما كنت حيا باقيا

فلا هتكن على الهوى ستر الحيا إن الفضيحة بالمحبه أجمل

و له أبيات نقشت على مصراعى الباب المؤدى للروضه العباسيه الكائنه على الجانب الأيسر و هى:

فتبدي بالصبح مذ جدوده بعنان السماء منه الضياء

نصر الدين عن بصيره أمن صابرا للذى أراد القضاء

فعلى قبره الملائك طافت و إليه قد زارت الأنبياء

و غدا باب قدسه للبرايا كهف أمن به المنى و الرجاء

بطل نال فى الطفوف مقاما غبطته بنيله الشهداء

قد حباه اللوا حسين فخرا و إلى مثله يحق اللواء

نار موسى أم باب قدس تجلى لأبي الفضل نوره أم ذكاء

أم غدا العلقمي طور التجلي و به الأرض أشرقت و السماء

مذ حوى مرقدًا لشبل على من له الفضل ينتمي و الوفاء

السيد حسين بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد

سلمان بن السيد محمد الموسوي الأحسائي.

ولد في حدود سنة ١٢٨٠ في مدينة المبرز بالأحساء و توفي سنة ١٣٦٩ في المبرز.

آل السيد سلمان من الأسر العلوية الجليله و البيوتات العلميه العريقه، و لهم في (الأحساء) مكاتهم المرموقه و منزلتهم المتميزه، و يكن لهم عامه الناس احترامًا كبيرًا، و قد برز منهم عدد من أكابر العلماء كان بعضهم مراجع تقليد في (الأحساء) و دول الخليج، و أجل علمائهم و أقدمهم هو السيد هاشم السلطان الموسوي الأحسائي المتوفى ١٣٠٩ هـ ثم نجله السيد ناصر الأحسائي المتوفى ١٣٥٨ هـ، و لا زالت هذه الأسره الشريفه تنجب أفاضل العلماء.

و جاء في كتاب عن (أسره السلطان) ما ملخصه: "إن السيد محمد والد السيد سلمان الذي عرفت الأسره بالانتساب اليه - كان يقطن مدينه (الحويزه) من بلاد (خوزستان)، ثم هاجر منها إلى (البحرين) في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، و بعد مده حدثت أحداث داميه في (البحرين) هاجر بسببها السيد سلمان أو والده السيد محمد إلى (الإحساء) و توطن بها و كان ذلك حدود سنة ١١٥١، و أول ما سكن في محله (السياسب) بمدينه (المبرز) ثم انتقل منها إلى (المطيرفي) - إحدى قرى (الأحساء) الشماليه -، و لما كثرت الذريه تفرقوا في البلاد فسكنوا (المبرز) و (الرميله) و (القرين) و نزح بعضهم إلى (سيهات) ب (القطيف) و (سوق الشيوخ) ب (العراق)...". (١) و جاء في الكتاب المذكور أيضا أن جمله من الأسر الموسويه في (الأحساء) - هم الساده (آل ياسين) و (آل طه) و (آل إبراهيم) و (الناصر) - يلتقون جميعا مع ساده (السلطان) في جدهم الأعلى السيد إسماعيل بن حسين بن حسن، و هو الجد الثالث للسيد سلمان بن محمد بن يوسف بن علي بن السيد إسماعيل.

كان صهرا لخاله السيد هاشم آل السيد سلمان الموسوي الأحسائي، و على يده تلقى مبادئ العلوم و أخذ شطرا من المعارف في الأحساء.

و بعد وفاه خاله المذكور سنة ١٣٠٩ هـ هاجر إلى النجف الأشرف لإكمال تحصيله العلمي، و حضر فيها على لنيف من محققى العلماء.

و بعد حوالى عشر سنين قضاها في النجف عاد إلى وطنه (المبرز) بطلب من أهلها و أقام فيها مشغلا بالوظائف الشرعيه و خدمه الدين حتى وفاته، و كان - بالاضافه إلى توليه القضاء - إماما للجماعه في الجامع الكبير في (المبرز).

كان - بالاضافه إلى مكانته الدينيه و تصديه لشئون الناس الحسيه - قاضيا شرعيا لكل الشيعة فى (الأحساء) و هو أول عالم شيعى يشغل منصب القضاء الجعفرى بشكل رسمى فى الأحساء فى ظل الحكومه السعوديه، و استمر فى هذا المنصب مده طويله تزيد على أربعين عاما.

و كانت له صلاحيات واسعه فى القضاء، فكان يفصل فى الخصومات و يحكم بين الناس فى مختلف الأمور فينفذ حكمه بلا معارض، و كانت له هيبه و قداسه خاصه لدى جميع الأوساط الشعبيه و الرسميه، و قد تجسدت فيه قداسه بيته الطاهر و هيبه أسلافه الأمجاد فكان الناس بمختلف مشاربهم يهابونه و يكونون له غايه الاحترام.

و نقل عنه أنه كان شديدا فى ذات الله صارما فى الحكم بين الناس بالعدل لا يهاب أى أحد و لا تأخذه فى الله لومه لائم.

و قد كف بصره فى أواخر عمره و كان - مع ذلك - لم يزل متصديا لشئون القضاء حتى وفاته. و قد رثى بشعر كثير منه قصيده الشاعر محمد حسين آل رمضان منها:

يا حجه الإسلام بعدك سيدى يسرى الشريعه فارقت يمانها

أ (حسين) مهلا فالشريعه أصبحت ثكلى يرج الخافقين صداها

بك يا (حسين) الأرض قارنت السما شرفا غداه استودعوك تراها

قسما بذكرك و هو مجد خالد باق على الأيام و هو شذاها

ما مر ذكرك يا (حسين) بخاطرى إلا باحشائى يزيد شجاها

لا غرو إن ماتت لفقذك أمه دفنت لدفنك رشداه و هداها

من للشريعه بعد فقدك يرتجى هيهات فارقت الغداه أباه

و قد خلف من الذكور أربعة أكبرهم و أفضلهم السيد محمد - الذى خلف أباه فى منصب القضاء -، ثم السيد هاشم و السيد على و السيد أحمد، و قد توفوا جميعا، و لا زال جملة من أبنائهم من ذوى الفضل و من المشتغلين بالعلم و خدمه الدين.

أما السيد هاشم نجل المترجم له فقد كان أيضا من ذوى العلم و الفضل، اشتغل بطلب العلم فى الأحساء ثم فى النجف برهه من الزمن بعدها عاد إلى وطنه (المبرز) و أقام فيها مشغلا بخدمه الدين حتى توفى فى ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ.

و للمترجم له أخ عالم اسمه السيد هاشم العلى، كان مقدسا محترما لدى عامه الناس، و بعد وفاه أخيه السيد حسين كان إماما للجماعه فى الجامع الكبير فى (المبرز) حتى توفى عام ١٤٠٠ هـ عن عمر جاوز التسعين عاما، و قد خلف عده أولاد جلهم من العلماء. (١)

السيد حسين بن السيد محمد على بن السيد نوازش على بن السيد مظفر

على بن السيد خير الدين الموسوى الحائرى الهندى آل خير الدين

المولود فى كربلاء سنة ١٢٨٧ هـ و المتوفى بها ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ هـ.

كان من الفقهاء و أهل العلم و الفضل المبرزين فى الهند و زنجبار أخذ العلم عن والده و أعلام كربلاء منهم الشيخ الميرزا علامه الحائرى الصالحى البرغانى و الشيخ ميرزا على نقى الحائرى الصالحى المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ و رجع إليه أنصار والده فى الهند و زنجبار فى أمر التقليد و هو من علماء أسرته آل خير الدين من البيوت العلميه فى كربلاء و قزوین التى ظهر منها علماء أعلام و فقهاء أجلاء، ذكرنا كلا منهم فى محله من هذا المستدرک له مؤلفات منها تقارير درس أستاذه الشيخ على الصالحى فى الأصول.

و ولده السيد محمد على خير الدين من مشاهير علماء كربلاء أديب فاضل و ناظم ناثر باللغتين العربيه و الفارسيه. (٢)

الشيخ حسين بن محمد التنكابنى:

ولد حدود ١١٩٠ و توفى بعد ١٢٤٥.

ولد فى تنكابن و أخذ المقدمات بها ثم ذهب إلى قزوین ثم إلى أصفهان و بعد سنة ١٢٢٠ رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و قضاء حوائج الناس و اشتهر بذلك إلى أن توفى بها. (٣)

السيد حسين بن السيد نعمه الله بن السيد محمد حسين بن السيد حسن

على بن السيد عبد الله بن السيد نور الدين بن السيد نعمه الله الموسوى

الجزائرى.

ولد بمدينه شوشتر فى جمادى الثانية سنة ١٢٤٢ و نشا و ترعرع بها و دخل مدرسه الجزائرى و اتقن المقدمات بها و فى سنة ١٢٤٧ هـ هاجر إلى النجف الأشرف و حضر بها على أساتذتها و علمائها خصوصا عند الشيخ محمد طه نجف و استمر بالدراسه و

التدريس حتى العام ١٢٨٨ هـ حيث توجه إلى إيران قاصداً زياره الامام على بن موسى الرضا ع وجعل طريقه على البصره ثم المحمره حيث حل ضيفا عند أحد تجارها الايرانيين فطلب منه الايرانيون الساكنون في المحمره الإقامة عندهم فأجاب طلبهم على أن يعود إليهم بعد زياره الامام الرضا و هكذا كان، فقد عاد إليهم بعد أحد عشر شهرا. و في سنة ١٣١٥ هـ قتل الشيخ خزعل أخاه مزعلا و أصبح هو أميرا للمحمره و نواحيها. و في سنة ١٣١٦ هـ قدم إلى المحمره الشيخ على البهبهاني و استقبل من قبل الايرانيين القاطنين في المحمره و بقي مرجع تقليد لجماعه فيها. و أما الشيخ خزعل أمير المحمره فاخذ نفوذه يتسع شيئا فشيئا حتى تمكن من بسط نفوذه و سيطرته على سائر المناطق العربيه في جنوب إيران بل تعداها إلى مناطق العشائر البختياريه و عشائر اللر فاخذ أغلب مناطق جنوب إيران في قبضه يده و كانت تصرفاته بعيده عن العدل و منافيه للتدين فتشكل اتحاد ثلاثي من أبرز علماء المنطقه و هم: السيد عدنان الغريفي و الشيخ على البهبهاني و السيد حسين المترجم له فكان هذا الثلاثي يتصدى للشيخ خزعل و يندد بتصرفاته و أعماله خصوصا بعد سنة ١٣٣٣ هـ حيث أعلن الشيخ خزعل عداؤه للسيد عدنان الغريفي و حاول اغتياله و لكن الله سلمه.

توفي المترجم له عصر الخميس ١١ من شهر ذى القعدة سنة ١٣٣٦ هـ في البصره حيث ذهب إليها للمعالجه و دفن في النجف الأشرف. خلف من الآثار:

١ - الغرر و الدرر في الفقه.

٢ - شرح على كتاب تجريد الاعتقاد للعلامه الحلبي.

٣ - عجائب الآثار في علم الهيئه.

٤ - نوادر الأخبار في حالات الأئمه الأطهار. من الامام على بن أبي طالب حتى الامام العسكري ع. (٤)

نور الدين حمزه:

و يقال فخر الدين حمزه، و يقال نور الدين محمد بن عبد الملك كما كتبه بخطه في مشيخه كنز السالكين الآذري الأسفرايني البيهقي الطوسي المشهور و المتخلص في شعره باذري.

ولد في قرية أسفراين قرب نيشابور سنة ٧٨٤ هـ و توفي بها سنة ٨٦٦ هـ و دفن فيها.

من عرفاء عصره و فحول شعراء الشيعة مؤلف محقق من أهل الفضل و التدقيق له نظم كثير في مختلف المناسبات و خاصه في مدائح أهل البيت ع.

قرأ المقدمات و العلوم الإسلاميه في نيشابور ثم أخذ العرفان عن الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي و سافر معه إلى الحج ماشيا على قدميه و مكث هناك أكثر من عام و ألف كتابه (سعى الصفا) كتبه في بيت الله الحرام و بعد وفاه استاذه المذكور التحق بالسيد نعمه الله ولي و لازمه سنين حتى أجازته و لبس الخرقه من يده و كان والد المترجم له من زعماء حركه (سربداران) الثوريه الشيعيه المعروفه و اشترك المترجم له في هذه النهضه في بيهق و نواحيها و في سنة ٨٣٢ هـ هاجر إلى الهند و اتصل في

الدكن بالسلطان أحمد شاه البهمنى الذى كان محبا للصوفيه و نظم له " بهمن نامه " و منها رجع إلى موطنه أسفراين و كان من أقطاب مشايخها الصوفيه و الزعماء العرفاء المشاهير ثم انعزل فى أواخر عمره فى موطنه أسفراين حتى توفى بها و دفن فيها. ذكره جمع من المؤرخين منهم الوزير مير نظام الدين على شير نوائى المتوفى سنه ٩٠٦ فى كتابه مجالس النفائس ص ١٠ دون أن يذكر اسمه و اكتفى بلقبه فقال ما تعريبه: (الشيخ الأذرى ولد فى أسفراين و اشتهرت أشعاره عند الخاص و العام و فى شيخوخته تاق إلى السير و السلوك، حج ثم هاجر إلى الهند و تشرف بخدمه أكابر مشايخ الصوفيه و العرفاء و انجذب إليه جميع سلاطين الهند و أصبحوا من مريديه و كانوا يعتقدون به..) ثم ذكر مؤلفاته و نموذجاً من شعره إلى غير ذلك و فصل عنه السمرقندى فى كتابه تذكره الشعراء الذى ألفه فى سنه ٨٩٦ هـ فى ص ٣٠٠-٣١٠ و أدرج شعره و ذكر اسمه فخر الدين حمزه بن على ملك الطوسى ثم البيهقى بما هذا تعريبه

ص: ٦٨

١- السيد هاشم الشخص.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- السيد على العدنانى الغريفى.

و تلخيصه: (... العارف الوحيد و المحقق القدير كان لا يهتم لأموال الدنيا و كان على الدوام مصاحبا لأولياء الله قضى أربعين سنة في القناعه تاركاً لهواه و كان متبحراً في العلوم الظاهريه و الباطنيه.. و كان أبوه من زعماء نهضة السربداريين في بيهق و ينتهي نسبه إلى صاحب الدعوه أحمد بن محمد الزمجي الهاشمي المروزي و كان أبوه الشيخ الخواجه على ملك رئيس السربداريين في أسفراين و كان المترجم له من أوائل شبابه من مشاهير الشعراء و يتردد اسمه في النوادي الأدبيه و العلميه... تتلمذ على شيخ الشيوخ و قدوه العارفين الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي... و أخذ الطريقه منه و كتب الأحاديث في خدمته و سافر معه إلى الحج و توفي استاذة في مدينه حلب ثم التحق المترجم له بحوزه السيد نعمه الله و أخذ السلوك منه و أجازة استاذة المذكور و ألبسه الخرقه بيديه و التجأ إلى الرياضيات و المجاهدات النفسانيه و حج ثانيه ماشيا على قدميه و مكث في مكه المكرمه مجاوراً لبيت الله الحرام و ألف كتابه (سعى الصفا) في بيت الله الحرام و يشتمل هذا الكتاب على مناسك الحج و تاريخ الكعبه المعظمه. ثم توجه إلى الهند... (١) و فصل عنه و أدرج قسماً كثيراً من شعره و نقل عنه القاضي نور الله الشوشتری في مجالس المؤمنين الجزء الثاني ص ١٢٥ و ذكر قصائده في مدح أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع و الأئمه الأطهار. و ذكره رضا قلی خان هدايه في كتابه رياض العارفين ص ٤٩ بنفس الأوصاف مع تغيير في العبارات، و ذكره إسماعيل باشا البغدادي في هديه العارفين ج ١ ص ٣٣٧ و شيخنا الأستاذ في أبواب الذريعه و وصفه قائلاً: (ديوان آذريللشيخ العارف نور الدين محمد بن عبد الملك الآذري الأسفرايني الطوسي من الشعراء المعاصرين لشاهرخ سلطان و اتصل في دكن بالسلطان أحمد شاه البهمني و نظم له " بهمن نامه" الذي فاتنا ذكره في ألباء و سمي باذري لولادته في شهر أذر فكان يتخلص به في شعره و نقل في "ص ٢٩٦" من مجالس المؤمنين عن تذكره دولت شاه أن اسمه حمزه بن علي ملك و بعد رجوعه من دكن إلى أسفراين عمر مده ثلاثين سنة و بها توفي سنة ٨٦٦ هـ كما ذكره في ص ٢١ و ذكر له بيتا من تركيب البند الذي نظمه في رثاء الحسين (ع) و قبله النبي ص على ما روى في المنام و أورده القاضي نور الله في مجالس المؤمنين مع كثير من أشعاره الأخرى المصرح فيها بكونه من الاماميه الاثني عشرية و قال القاضي أن أكثر ديوانه في مناقب أهل البيت (ع) و صرح في "خز" بكون ديوانه حاضراً عنده و فيه القصائد و الغزليات و المقطعات و غيرها، و ذكر أن بعض من لم يتحل بفضيله الإنصاف انتحل " بهمن نامه" له و غير أبياتا من ديباجته و نسبه إلى نفسه أيضاً و ذكر أنه رأى المثنويه الموسومه بالمرآه و المشتمله على أربعة كتب قد عين لكل منها أسماء خاصه بهذا التفصيل ١ - الطامه الكبرى ٢ - عجائب الدنيا ٣ - عجائب الأعلى ٤ - سعی الصفا. أقول ظني أن العجائب الأعلى هذا هو الموجود في مكتبه المجلس بعنوان عجائب الغرائب الذي ذكر ابن يوسف تفصيله في فهرستها (ص ٥١٣) و قد أحال فيه إلى عجائب الدنيا الذي نظمه قبله مكرراً و كذا أحال فيه إلى الطامه الكبرى... (٢).

ترك المترجم له مؤلفات هامه أشهرها ديوان شعر، سعی الصفا، مناسك الحج و تاريخ الكعبه، تاريخ مكه المكرمه، كتاب جواهر الأسرار في النوادر و الأمثال، كتاب طغرای همایون، و كتاب عجائب الغرائب في البلدان نسخه منه في المجلس الوطني الايراني في طهران. (٣).

الشيخ حمزه قفطان بن الشيخ مهدي:

اشاره

ولد سنة ١٣٠٧ في بلده (الحى) بالعراق. توفي فيها سنة ١٣٤٢ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيه.

نشا و ترعرع و تعلم القراءة و الكتابه فى مدينه الحى و درس المقدمات على أخيه الشيخ محمد صالح الذى كفله منذ الصغر. ثم هاجر إلى النجف الأشرف حيث كانت معظم دراسته على الشيخ عبد الحسين الحياوى.

و آل قفطان أسره علميه لها دورها الظاهر فى العلم و الأدب و الشعر، برز كثير من رجالها فى هذه الميادين و كان المترجم له هو المشار إليه فى عالم الشعر اتصل بجماعه من علماء وقته منهم السيد عدنان الغريفى المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ فحضر عليه فى علمى الكلام و الحكمه و كان يقيم عنده فى مدينه المحمره (خوزستان) و يتردد عليه كثيرا و قد مدحه بعده قصائد، و كان السيد يجله و يشيد بمواهبه خصوصا فى مجال الشعر. منها قوله فيه:

يا حمزه إنك فى الكلام مسدد فطن لداعى القوم غير فهيه

قد نوهت بك مدحه من سيد عار عن الإطراء و التنويه

احذر على عدنان أن حدثته بالمجد أو فامزجه بالتفكيه

لا تذكرن شجاعه و براعه فتشير منه العزم بالتنبيه

أمسك عليه قبل أن يخشى الوغى فيموت قبل تمام ما يحكيه

فلقد تهيجه الحماسه مخدرا متوجسا فى الروع للتايه

طلق المحيا باسم فى موقف يرمى وجوه الصيد بالتشريه

و تهز منه الأريحيه للندى طودا تكرم عن مهز التيه

و إذا الحقائق ضل عنها معشر طمسوا صريح النص بالتمويه

كشف القناع عن الغيوب بفكره تجلو وجوه الحق بالتوجيه

توجيه علام و رأى مجرب و خطاب مقتدر و حكم فقيه

و لقد يرى يوما يذم زمانه فيزيد بالزفرات و التاويه

و كذا الزمان لدى الحلیم مذمم و تراه محمودا لكل سفیه

لا تأبهن له فليس بضائر و الصبر فيه غايه التنزيه

و أغر فى سنن القريض إذا جرى أنساك ما قال الكميت و جرول

بز الجياد و قد جرت إطلاقها و ارتاح و هو السابق المتمهل

يلهيك حسن مقاله عن حسنه فتظنه قد جد ساعه يهزل

و له فيه:

و مستريح إلى الأشعار يكتبها ليصرف الهم عنه و هو مهموم

لا يصرف الهم عنه غير ناجيه عنس أمون عليها المال معكوم

و له فيه:

أبا يعلى لأنت أبر خل إذا ولع البريه بالعقوق

ذكرت مودتى فسعيت نحوى لتعظيم القليل من الحقوق

شعره

كان له ديوان شعر هو اليوم غير موجود. و قد حفظ من شعره قصائد كان الفضل فى حفظها لاتصاله بالسيد عدنان الغريفى، إذ أنها تدور على مدح السيد و من يتصل به و مشاركة المترجم بمجالس السيد الأديبه الحافله فمن شعره قوله:

هواك أثار العيس تقتادها نجد و يحدو بها من تائر الشوق ما يحدو

تجافى عن الورد الذميم صدورها لها السير مرعى و اللغام لها ورد

تمر على البطحاء و هى نطاقها و تعلقو على جيد الربى و هى العقد

عليها من الركب اليمانى فنيه ينكر منها الليل ما عرف الود

ص: ٦٩

١- الأمير دولت شاه بن علاء الدوله السمرقندى تذكره الشعراء ص ٣٠٠ تحقيق محمد رمضانى طهران سنه ١٣٣٨ هـ ش مطبعه خاور.

٢- آغا بزرك الطهرانى الذريعه إلى تصانيف الشيعه ج ٩ القسم الأول ص ٣-٤ بيروت دار الأضواء.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

أعدوا إلى داعى المسير ركابهم و أعجلهم داعى الغرام فما اعتدوا

تقرب منهم كل بعد شمله عليها فتى لم يثن من عزمه البعد

و ما المرء بالأنساب إلا ابن عزمه إذا جد انسى ذكر آبائه الجد

يرد الخصوم اللد حتى زمانه على أن هذا الدهر ليس له رد

و يغدو فاما أن يروح مع العلى عزيز حياه أو إلى موته يغدو

و قال يمدح النبى ص و الامام على بن أبى طالب ع ثم فى الختام يذكر استاذه السيد عدنان الغريفى:

صدعت الدجى بالصبح و الليل مطرق على ساهر يزجى الأمانى فتخفق

و اصدقت عينيه بوصلك بعد ما اتى ساخرا منه الخيال الملقق

و أخلفت ما ظن العواذل فى الهوى و كذبت فيما بيننا ما تخرقوا

فقد محقت آيات حسنك إفكهم كشمس على نار الجبابب تشرق

لئن أجليبوا يوم التنائى و ألبوا فقد ثقفوا بعد الوصال و ارهقوا

أرادوا بنا الأخرى و قد حال دونهم هوى خلق مطبوعه لا تخلق

علقناه حتى اشتد فى القرب و الصبا و نحن به من البعد و الشيب أعلق

و ليل كان النجم فوق أديمه دموع على جفن كحيل ترقق

صحبت الأمانى فيه حتى تقطعت وسائلها أو كادت النفس تزهب

إذا آب نجم فيه جاء رقيبته كما مال بالقرطين أسود أعنق

كان بقايا النجم فى أخرياته مصاييح غطاها رواق مخرق

كان بياض الفجر فى الشرق جدول يعوم به من شقه البدر زورق

كان الدياتجى بدعه جاهليه لها صبح دين المصطفى جاء يمحق

رماها شهاب الحق و انبعثت لها صواعق أردتها و أخرى تحرق

و يوم أتاه الوحي (فاصدع) بامرہ و ان أرعدوا غيظا عليك و ابرقوا
مضى غير هيب فاسمع دعوہ تماروا بها و هو الأمين المصدق
فلما عتوا عن أمره و تألبوا عليه و لجوا فى الضلال و أغرقوا
رماهم بها شعواء حتى تراجعوا و فى غله أيديهم و المختق
و قد ذلت العزى مع اللآت بينهم و غودر بعل و هو فيهم مطلق
اساعوا سواعا حين لا ود عندهم لود و قد زاد احتراقا محرق
أ يدعون ما لا يستطيعون نصرهم و لم يخلقوا شيئا بلى هو يخلق
فلأيا أقرؤا بالحنيفيه التى حذاهم إليها فاستقاموا و صدقوا
بتدبير منصور من الله لم يكن بتصرفه إلا عن الوحي ينطق
و لما أراد الله إظهار دينه غداه دجا بالشرك غرب و مشرق
أقام عليا ناصرا شد أزره به الله و هو المستعان الموفق
فانى يولوا يبصروا و مض سيفه كان له الشمس المنيره رونق
أطل على أرض الحجاز فأمرت مدامعها صنعاء رعبا و جلق
و أرخى على بدر سحائب عثير بها بارق من سيفه متالق
و فى أحد أجرى سيولا جوارفا من الدم حتى كل ماء مزبرق
و يوم حنين حين عرد خيفه فلان و رحب الأرض بالطرف ضيق
دلفت لها ثبت الجنان مبددا كتائبها بالسيف حتى تفرقوا
و خبير و الأحزاب و الفتح لم يزل عليك لواء النصر فيهن يخفق
مواقف لم تترك مقالا لقائل يغص بأدنى مضغها المتشدق
لقد كنت للإسلام أول سابق فوا عجبا عند الخلافه تسبق

و ما ضر دين الله و هو موطن بسيفك ما قال الكذوب الممخرق
و ما زال من ابنائك الغر ناصر يحيط عليه منه سور و خندق
فاما إمام ظاهر أو مغيب له نائب يهدى الورى و يوفق
كتابه (عدنان) إذ قام هاديا يحذرنا طورا و طورا يشوق
فأشرفت الدنيا به و بفضلته و قد كاد باب الفضل لولاه يغلق
بيت جليسا للهدى و الندى معا على ضرم يعيشوا إليه المحلق
لقد عرفت بطحاء مكة شخصه فان قيل من هذا أجاب الفرزدق
ألا بشر الدين الحنيف بأنه بيت لديه آمنة ليس يفرق
و قوله يمدح استاذه السيد عدنان:

أرى العنقاء أيسر من مرأى و ظل الشمس أثبت من مقامى
و أيامى على بكل فجع مروقه الجوانب بالقتام
كان الصبح يبيم لى خداعا لأفذف من ظلام فى ظلام
تلثم كل ثغر دون وجه تبدى للهجير بلا لثام
يزجى العيس تكرر فى سراب على ظما و ترتع فى رمام
تعثر بالقطا فى كل خرق به الأهوال أصدق من حزام
لعل العيس تبعد عن محل أشيم بروقه و أبيت ظامى
قطعت به نهارى بين قوم بلا شبه تعد من الأنام
تسد لى سهام اللوم منهم و إن راميتهم نفدت سهامى
فليت الليل مد على حجبا من الظلماء تمنعهم خصامى
و ما ليلى أخف على لكن سمير النجم جل عن الملام

أبيت به غريقا فى الأمانى أعموم بهن مضطرا أوامى
كان نجومه نظمت عقودا لها خيط المجره كالنظام
قدحن بفحمه الظلماء سقطا فشب الفجر من لهب الضرام
وقفن عن السرى و نظرن شزرا إلى كأنها نكرت مقامى
لقد نكرت نجوم الليل نضوا تعرفه الأوابد فى الموامى
يبيت على ظهور العيس حلسا لجائله تزف مع النعام
يحث بها النجاء عن الدنيايا و يستبق المفاز إلى الكرام
و تعصمه إذا ارتبك المحامى بخير حمى به الشرف العصامى
سمت فيه لأروع هاشمى أقر لبطن مكه من هشام
فما سالت بقصد (أبى سعيد) و لا التفتت و تعلمه إمامى
تشير الناس منه إلى هلال و تقبل بالشفاه على غمام
تخال بكفه الأسرار تبدى بروق الغيث فى شطب الحسام
ترى الأفلام توردد فى يديه مناهل لا تضيق على الزحام
فان هيجت جرت بدم صبيب و إن سئلت جرت بندى سجام
تعوذ بالرقى و إذا تلوت على الأعداء تنفث بالسمام
لقد وجمت لهيبته الليالى و يفتح باسمه رتج الكلام
ارى قلمى جنيا للقوافى بلا بره يقاد و لا خطام
و كنت أراه يجبن دون بيت يخال على القنا طرف الثمام
يرم عن القصيد و لست أدرى لعى كان يقعد أم جمام
أم أطلب المقال فمذ رآه نضا صفو المدام عن الفدام

رأى بحرا فقلت أعد حديثا بلا حرج فانك فى ذمام
فجاء بها تروم بلوغ وصف تجف بحور نظمى و هو طامى
لقد كلفتها أمدا بعيدا تحاماه المناسم و الحوامى
و لكنى أثبت بها اشتياقى لحضرته و أقرئه سلامى
اطلبى القول أيتها القفى و إنك أن قصرت فلن تلامى
بمبدئى اعتذرت و بالختام أرى العنقاء أيسر من مرامى
و قال يمدحه و يهنئه بعيد (النوروز):

شباب نسميه الربيع المنورا به تلبس الأيام وشيا محبرا
تجللت الآكام مما يحوكه من الزهر بردا بالورود مزررا

ص: ٧٠

يموج إذا مر النسيم فتلتقى أواذى لم يملك بها الطرف معبرا
وقفت عليها اللحظ حيران شاخصا لبهجتها أو ماشيا متعثرا
يغار لاعطاف تعانقها الصبا فتهوى ثغور فوقها تلثم الثرى
إذا قابلتها الشمس قصر ضوءها حياء فخلنا شامس اليوم مقمرا
و إن بسمت للنجم ضاحك مثله على الأرض كافورا نخلل عنبرا
و إن نبهت تحت الأصيل رأيتها لحاظ الدمى لم تصح من لوثة الكرى
خليلي هل من وقفه تريانها لماما و إن لم تنظرا فتنظرا
على مربع القى به الغيث رحله فعرف من أعلامه ما تنكرا
تنكرون حتى كنت اسرى فلم أكد أعج عليه العيس إلا تذكر
فلما تعاضى الدهر عنه و ألبست معالمه ثوبا من العيش أخضرا
أنخنا عليه العيس كالهضب بعد ما تغمرت منها ما يروى ابن احمر
و لاحت لنا حمر القباب كأنها مصابيح يخفيها الظلام لتظهرا
تعرض منها للتحية أهيف يذم النوى ثم انثنى يحمد السرى
نوى قذف من قبل غادرن دوننا مهامه تنضى العيس فيها و ابجرا
و يا رب كاس من رضاب شربتها حلالا إذا النجم المحلق غورا
و عانقت غصانا و التثمت شقائقا و آنست مصباحا و غازلت جؤذرا
لدى روضه فى أرضها تشبه السما بها البدر ما بين الكواكب اسفرا
كساها الربيع الوشى طرز نسجه ملث العزالى رائحا فمبكرا
فلما بدت للشمس صبحا و أرسلت شعاعا على مرآتها فتكسرا
رأيت بها أخلاق (عدنان) قابلت محياه و البشرى فابهجن منظرا

رأيت بها للعلم و الفضل مصدرا قريبا و للنور الإلهي مظهرا
أمام يكاد الغيب ينطق عنده إذا هو فيما يحكم الله فكرا
هو الآيه الكبرى التي تعجز الورى تقاصر عنها خاضعا من تجبرا
له منطق فصل الخطاب و مزبر به يسترق الدهر إن هو حررا
و نور يقود الناس فى (منهج الهدى) و بأس يرد الحادث المتتمرا
تيممه العافى فأبرق عارضا و لاحظه الرائى فأشرق نيرا
أبر على الدنيا سناء و مفخرا و زاد فلم يدرك له الوهم مخبرا
وراء ك عن تعريفه لست مدركا أراك بذى الأبعاد عرفت جوهرها
ليهن به (النوروز) أن نال صحه فان بها عيدا على الناس أكبرا
فان يك هذا العيد فيه تحولت إلى الأوج شمس الأفق جريا مقدرها
فانك أنت الشمس فى الأرض لم تنزل بأسعد أوج فى العلى شامخ الذرى
و قال استاذ السيد عدنان فى القهوه ارتجالا:
قهوه لم أقل غداه أتننى و هى تشوى الوجوه بئس الشراب
فشطره الشيخ محمد رضا أسد الله الكاظمى بقوله:
(قهوه لم أقل غداه أتننى) غير قول يلوح منه الصواب
قلت فيها و قد علاها بخار (و هى تشوى الوجوه بئس الشراب)
و شطر التشطير الشيخ حمزه بقوله:
قهوه لم أقل غداه أتننى قول من عنفوا عليها و عابوا
إن قولنا يزبرح الكذب فيه غير قول يلوح منه الصواب
قلت فيها و قد علاها بخار هى شمس غطا سناها السحاب

و تجلت لنا فما قلت فيها و هى تشوى الوجوه بئس الشراب

و قال يهنئ السيد عدنان بقدم صهره السيد محمد على غياث من الحج:

لثغرك برق بالحجاز غمائمه يؤمله بين العراقين شائمه

أضاء بادلاج الركاب فهجرت و شاب له من مفرق الليل فاحمه

يعللنا ظبي الحمى بابتسامه من البرق إلا أن منها صوارمه

تحجب حتى لا النسيم معانق لديه و لا نور الأصائل لاثمه

له دون مسرى الطيف ليل مسهد تساوى غريم الحب فيه و غارمه

و ما كان طرف ساهر بمتيم فرب فؤاد أرقته عزائمه

و ركب آثاروا العيس فى كل مجهل نسيملك و الشوق الملح علائمه

عصوا بك عدالا و جازوا مراقبا و لما ينفر من قطا البيد جمائمه

و ثغرا بملطف الوشيح ملثما تبسم عن بيض السيوف ملاغمه

تحجب أقمار الدجى سحب نفعه و تحيم الظباء الحاليات ضراغمه

فمروا و ما عاجوا و الليل منه عليهم إذا ما نص بالسر كاتمه

و أقصى أمانيهم تحيه شيق تلجلج حتى ترجمتها معاصمه

لعلك تجزى الشوق يوما بمتله فتعصى لواحيه و تقصى لوائمه

فاعتنق الفجر المقلد أنجما على غصن بان و الحللى حمائمه

و الشم جفنا لا كسيف مجاشع مضى بأسير أنت بالهجر ظالمه

و هل اجتلى شمس المحيا مع الدجى فقد مل موج الليل منا الأطمه

و فرعا على حقف من الرمل واردا تخال بسحر اللحظ تسعى أراقمه

ألا ظللت واديك كل سحابه كجفنى لو سحت بماء سواجمه

و صبحه غير الظبا كل بارق من الغيث حتى يهزم المحل هازمه
لئن بت استسقى الغمام و طالما جرت عرضا انواؤه و قرازمه
فكم مربي من بارق لا أشيمه و ورد تروى منهلا لا ازاحمه
و ما كل روض موقن طاب لامرئ إذا هو لم تقبل عليه سوائمه
و أرض رأيت البرق فيها مخائلا تروق الورى و الرعد ترغو زمازمه
فما قلت يا بشرى إلا لبارق اتى من على يضحك الأفق باسمه
بمقدمه عاد الربيع بنوره و حيث من النبت الهشيم رمائمه
كان أبانا فى طلائع جيشه (تحرك يقظان الثراب و نائمه)
قضى نسكه المفروض فى خير موقف تهل إلى الرحمن فيه رواسمه
رأت مكة أن الذى رام هجره على و أن الظعن فيها فواطمه
إلى بلد فيه مثال محمد بهيكل عدنان ابنه و مكارمه
إمام هدى يدعو إلى الحق معلنا بتبليغه الآكام و الله عمائمه
يزر على النور الإلهى برده و تلوى على مثل الهلال عمائمه
له القلم الماضى بحكم و حكمه إذا سلم العضب اليمانى قائمه
يمج على الطرس البهيج لعبه فتحبى مجانيه و تردى علاقمه
أقام دعام الفخر لا ما تهدمت على نهشل بالشعر قبلا عائمه
و يوم تشيب الحسن غض شبابه رفاق حواشيه عذاب نساءمه
تجاذبت الأسماع الحان بشره و خامرت الأرواح طيبا قسائمه
غنمت به البشرى بأسعد قادم لقد عاد من مسعاه جم غنائمه
نظمت به عقد التهانى مرصعا فلا عيب فيه غير أنى ناظمه

إلى خير مولى هاشمى مديحه تقلده فى جیده الدهر خادمه

و قال يهنئ السيد عدنان بزواج صهره السيد محمد على غياث:

زف شمس المدام بدر الجمال فاجتلى الأنس فى قران الكمال

فاصطبح و اعتبق كئوسك صرفا فى ضحى غره و ليل قذال

و ارتشفها ممزوجه برضاب و أطرحها متقوله بالزلزال

من يدى أهيف تمايل تيهما بين سكر الصبا و سكر الدلال

فيمينا بريقه و هو أشهى من شمول مصفق بالشمال

قد سقى بابلى لحظيه راحا حرمت صحوتى بسحر حلال

يا غزالا غزا الفؤاد بطرف ثعلى يعطو بجيد غزالى

أهمل الدمع لام صدغك لما إن بدا معجما بنقطه خال

رقصت قرطك الحللى بما غنت فأصغت مسامع الخللخال

جمع الآس و الشقائق و النرجس غصن يمس فوق جبال

ص: ٧١

فهو روض على كتيب من الردف و بدر في ليل جعد جفال
علق القرط كالصليب و لكن طوق الجيد معلما بالهلال
أن نظام ثغره جوهرى قد أرانا صحاحه كاللآلى
كلما افتر سافرا قال أقرأ سورة الفجر تحت عشر ليالى
أطلع الشمس فى الدجى فرأينا ممكنا بالوجود بعض المحال
ثم قلنا إن ردت الشمس ليلا لعلى فتلك بعض المعالى
الفتى الهاشمى من آل عدنان بأعلى بيت و أطهر آل
ضحك الدهر بعد طول عبوس لاتصال الأفراح بعد انفصال
جاء يهدى إلها لسيد فهدر سيفها المتضى ليوم النضال
آيه الله مثل الدين شخصا لكن فيه أجله عن مثال
فلك دائر على محورا الحق ترى الشهب فيه غر الخلال
فيل فى حد ذاته الجوهر الفرد و لا فصل أن ذا الجنس على
ليس تجرى العشر العقول بمضمار علاه كأنها فى عقال
قل لمن رام أن يجاريه أقصر اين من لاحق ديبب النمال
فاقتبس من علومه قبسه العجلان لا تصطلى بنار الجدال
قام يدعو إلى الهدى بلسان صارم حز فى وريد الضلال
يا مفيد الأنام فى خير إرشاد لأنت الصدوق عند الأمالى
أنت شمس تعمى بها لأعين الرمد فتاوى من غيها فى ظلال
لك كف تقبل الوفد منها بحر جود من دونه لمع آل
لك تهدى البشرى بأسعد يوم أنتجت فيه عاقر الآمال

أرضعت طفل روضه حلم السحب و شب الزمان بعد اكتهال

نفل الأنس قد زها فاغتنم فيه الهنا إنه من الأنفال

كل عقد مفصل من مديح هو فيما حويت كالإجمال

و قال مهنئا الشيخ عيسى بن صالح الجزائرى عند قدومه من الحج فى شهر ربيع الأول ١٣٣٨ هـ و يتطرق فيها إلى مدح السيد عدنان:

جلا المعروف غصنا يثمر القمرا تهل بالنسك عيناه إذا نظرا

ريم تعرض لى فى الركب عن غرض و ليله النفر عنى معرضا نفرا

و ما بدا سانحا إلا تعيفه صب تطير باللاحى إذا زجرا

لثمته بلحاظى و هو ملتثم ورد طرفى حسيرا عنه إذ حسرا

كان ماء الصبا يجرى بوجنته و الخال زورق مسك فوقه عبرا

يعطو باتلع كالمرآه لاح بها رسم من الثغر يدعى العقد و الدررا

و ليله بات يجلو من أشعته سيفا به حز نحر الفجر فانفجرا

كان فى نجمها من ثغره فلجا و فى غياهبها من طرفه حورا

و الراح فى ثغره تجلى و فى يده و جمره الشوق تهوى البارد الخصر

أشكو له أمر أشواقى و أدمعنا قد التقين على الأمر الذى قدرا

قاس يرق لعتبى أننى رجل قلبى كلیم الهوى قد فجر الحجرا

حتى إذا لاح ثغر الفجر مبتسما و راح يطعن من جيش الدجى ثغرا

و دعته و استقلت بى مطهمه دهماء لم تعرف الأوضاح و الغررا

من السوابح فى غمر تعب به و تنثنى عنه لا وردا و لا صدرا

يسوقها الرعد فى جو تمر به مر السحابه لم ترسل به مطرا

عذراء قد حملت بالركب فانتبذت بهم و ما يمتت نخلا و لا شجرا

حتى أتتنا بعيسى ايه و لقد تمثل الروح بالبشرى لها بشرا

بخير من حج بيت الله و اعتمرا و خير من عقد الإحرام و اتزرا

أهل الله و التقوى تؤيده فى موقف يدهش الألباب و الفكر

يغيب الطالعين الشمس و القمر و يملأ الواسعين السمع و البصرا

يفيض بالسفح موجا سال ذا لجب لو لا السكينه تدنى خطوه لجرى

حتى ترى الجمع فى جمع قد ازدلفوا زلفى إلى الله إهلالا بما أمرا

كان شخصك فيهم قائم علم فكلما أضمرته غمره ظهرا

يضىء نورك للسارى إذا خطرت به الدياجى بقفر ينبت الخطرا

فيجتلى نار موسى و هى نور هدى و يجتدى نور عيسى و هو نار قرى

ما خامروا الطيب فأعجب كيف قد نشقوا فضائلا منك يذكو نشرها عطرا

يتلوك فى كل صف قوس دايره يمد نحوك من الحاظه و ترا

و كلما ازدحموا كالورد فى ظما أرويتهم يمين تقتل العسرا

يد جرت عيلما علما و مكرمه كان من بحر (عدنان) لها نهرا

ذاك الذى أن وصفنا نصف ملكا قد شرف الله فى تجسيمه مضرا

هو الامام الذى يهدى الورى سبلا إلى الرشاد فتقفو خلفه الأثرا

أن تحجب الغيبه الكبرى صباح هدى و يصبح الحجه المهدى منتظرا

فانك النائب الفرد الذى ظهرت آياته محكمات فصلت سورا

فرع جرى فيه حكم الأصل حين غدا وزيره الروح "عيسى" قائما وزرا

بفضله عاد باب الرشد منفتحا يرد عنه لواء الغى منكسرا

أكرم به قادما أدى مناسكه و طاف لما قضى من نسكه وطرا

سعى و قصر و هو المستطيل إذا سعى لنيل المساعى الغرما قصرا

أبدت لنا فى ربيع الأانس طلعتة نورا و دوح الأمانى أينعت ثمرا

و غردت بالتهانى كل صادحه طير الهنا و حداه الركب و الشعرا

و له مادحا السيد محمد على بن السيد باقر غياث المتوفى سنه ١٣٨٢ هـ و هو صهر السيد عدنان الغريفى و تاريخ القصيده غره
جمادى الثانيه ١٣٤٢ هـ:

ما بال شوقى على النوى زائد و الطرف لا جامد و لا راقد

و القلب لا يترك اذكاركم كأنه فى النوى لكم واجد

فارتكم و الفؤاد عندكم و غبتم و الهوى بكم شاهد

ليت النوى أعرضت عوارضها عنا و غام العذول و الحاسد

و ليت عيشنا صفت موارد بالقراب منا زمانه عائد

نلت به كل منيه امما حتى الثريا لمستها قاعد

ألهو بما شئت من هدى و ندى كأننى فى يد العلى ساعد

فالآن لم يبق غير ذكركم تعلتى بل انيسى الواحد

ما الروض تغدوه كل ساريه وطفاء من مثلها لها رافد

تصحبه و البروق سائقها يحدو بها الرعد و الصبا قائد

تضحك عن ثغر ظافر فرح فيه و تبكى بادمع الفاقد

حتى تروى ثراه من ظما غيثا فيصبي جماله الرائد

تصوغ فى حافتيه من زهر سبائكا يستشفها الناقد

كلا و لا الماء سال جدوله كالسيف جلى فرنده الغامد

ينطبع الظل فوق صفحته كأنما عام لجه الوارد

ينساب كالأيم ثم أن مشطت يد الصبا و فرتيه يستاسد

يبسم فى الأرض للصدى الوارد عن سمط ثغر مؤشر بارد

يطرب فى جريه الغصون حواليه فمن مائل إلى مائد

صاف و قد سال خلته راكد ساج و قد ذاب خلته جامد

كلا و لا الراح أطلعت شهبا فى الكأس يعشو لنورها العامد

يترعها للنديم ذو هيف فى وجنتيه لشربها شاهد

كأنها فى بنانه قبس فى عنم يصطلى به الواقد

ص: ٧٢

إذا أباريقها بها ركعت بات لها كل شارب ساجد
كلا و لا الغيد تنثنى مرحا زارت على غفله من الراصد
إن ذعرت اتلعت بسالفتى ريم من العفر راعه الصائد
تسكرنى بالحديث عاتبه كما و هى العقد من يد العاقد
زارت و سكر الدلال يعطفها كعطفه الغصن فى يد العاقد
كلا و لا الصحب فى مناديه ينظمهم عقد مجمع حاشد
تفتض بكر الحديث من طرب بين طريف الشئون و التالد
كأنما أنجم السماء إذا طالعنا كلها لنا حاقد
كلا و لا نظره النعيم لدى عيشى بارضى و لو غدا خالد
كلا و لا البدر فى الظلام و لا النجم و لا الفجر نوره صاعد
يطربنى بعد بعدكم أبدا كلا و لا راق طرفى الساهد
يا أيها الخل دعوه صدقت دعا بها ماجد إلى ماجد
رفقا بصب بوصلكم طمع شوقا و فى الناس غيركم زاهد
طوقته قبل بالندى مننا فلم يزل شاكرا لها حامد
فاسمح بوصل يحيه زمن فإنه إن جفوتم بائد
فالشكر منه إليك متصل و الشوق منه على النوى زائد

و قال يمدح الشيخ عيسى بن صالح الجزائرى الذى كان ينوب عن السيد عدنان. و يبدو من الأوراق التى وصلتنا محتويه على بعض شعره و منه هذه القصيده المدونه بخط يده، إنه كان و هو مقيم فى بلدته (الحى) يظل على صله بالسيد عدنان و من يلود به من الأفاضل، فيراسلهم و يمدحهم و هو بعيد عنهم، إذ إنه قد سجل فى آخر القصيده اسم (الحى) و تاريخ الإرسال:

غره جمادى الثانيه سنه ١٣٤٢:

تقيل كفك فضل صدنى الزمن عنه و كم هو لى بالصد يمتحن

يعوق سعى المنى عندى فإوسعها نجحا و يغمز من عزمى فلا أهن
إن صدنى دون تشرىفى بقربكم بحيث تنعم فيه العين و الأذن
فلم يحل عن مسير القلب نحوكم و هو التواصل لا أن يقرب البدن
ما انفك يخذلنى نطقى فينجدنى عند الفراق و أنأى و هو لى سكن
يترجم الشوق عنى فى صحائفه حتى يكاد عليها ينطق الشجن
كلفته فقر التسليم عن كذب إليك و هو بما كلفته قمن
فلم يدع فكره إلا ألم بها فى النظم و هو على الأفكار مؤتمن
فجاء يبذل أقصى جهده و له ببذله الجهد عذر وجهه حسن
مجانب المدح و الإطراء معترفا بالعجز عن نيل ما كلت له الفطن
و ليس بدعا إذا أعيا عليه و إن أمده مدمعى و البحر و المزن
فذاك شوط قد استخذى بحلبته عن أن يخب إليها السابق الأرن
و كنت أعجزته شكرا على ممن و كلما كل جاءت بعدها ممن
فقام يدعو لك الرحمن مبهتلا بان تحوطك من تسديده جنن
فاقبل بذا شاهد الإخلاص ممترجا بالقلب ينطق عنه السر و العلن
و قال يمدح السيد عدنان:

شباب نسميه الربيع المنورا به تلبس الأيام وشيا محبرا
تجللت الآكام مما يحوكه من الزهر بردا بالورود مزررا
يموج إذا مر النسيم فتلتقى أواذى لم يملك بها الطرف معبرا
وقفت عليها اللحظ حيران شاخصا لبهجتها أو ماشيا متعبرا
يغار لأعطاف تعانقها الصبا فتهوى ثغور فوقها تلثم الثرى

إذا قابلتها الشمس قصر ضوءها حياء فخلنا شامس اليوم مقمرا
و أن بسمت للنجم ضاحك مثله على الأرض كافورا تخلل عنبرا
و أن نهت تحت الأصيل رأيتها لحاظ الدمى لم تصح من لوثة الكرى
خليلي هل من وقفه تريانها لماما و إن لم تنظرا فتنظرا
على مربع ألقى به الغيث رحله فعرف من أعلامه ما تنكرا
تنكرون حتى كنت أسرى فلم أكد أعج عليه العيس إلا تذكرا
فلما تغاضى الدهر عنه و ألبست معالمه ثوبا من العيش أخضرا
أنخنا عليه العيس كالهضب بعد ما تغمرت منها ما يروى ابن أحمر
و لاحت لنا حمر القباب كأنها مصابيح يخفيها الظلام لتظهرا
تعرض منها للتجيه أهيف يذم النوى ثم انثنى يحمد السرى
نوى قذف من قبل غادرن دوننا مهامه تنضى العيس فيها و ابجرا
و يا رب كاس من رضاب شربتها حلالا إذا النجم المحلق غورا
و عانقت غصنا و الثمت شقائقا و آنست مصباحا و غازلت جؤذرا
لدى روضه فى أرضها تشبه السما بها البدر ما بين الكواكب اسفرا
كساها الربيع الوشى طرز نسجه ملث العزالي رائحا فمبكرا
فلما بدت الشمس صباحا و أرسلت شعاعا على مرآتها فتكسرا
رأيت بها أخلاق عدنان قابلت محياه و البشرى فابهجن منظرا
رأيت بها للعلم و الفضل مصدرا قريبا و للنور الإلهى مظهرا
إمام يكاد الغيب ينطق عنده إذا هو فيما يحكم الله فكرا
هو الآيه الكبرى التى تعجز الورى تقاصر عنها خاضعا من تجبرا

له منطق فصل الخطاب و مزير به يسترق الدهر أن هو حررا
و نور يقود الناس فى منهج الهدى و بأس يرد الحادث المتممرا
تيممه العافى فأبرق عارضا و لاحظه الرائي فأشرق نيرا
أبر على الدنيا سناء و مفخرا و زاد فلم يدرك له الوهم مخبرا
وراء ك عن تعريفه لست مدركا أراك بذى الأبعاد عرفت جوهرها
و قال:

قفا بالعيس تشعرها القنود نحى الركب أو تقضى العهود
و خدن مع الظلام بمستنير يصدو فى تبسمه وعود
تبدى للوداع فقلت وعد فنهني بمقلته الوعيد
رأى برقا فقابله ابتساما كلا البرقين من ظمى بعيد
أعد وميضه فاخال ربا به أسقى و يكذب إذ أروود
لعل البرق أطمع ثم أكدى له عذر كما برق الحديد
فما للثغر و هو يضم شهدا عليه كل مشتار شهيد
ألا علل بوصلك قلب صب تناوبه غرامك و الصدود
يسهد ليل هجر ك و هو عام و يصبح ليس بعذره لبيد
ليال قد وصلت بهن بيض و أيام تغيب بهن سود
و صبح قد طلعت به علينا فكنت الشمس مطلعها سعيد
تحجب ثم أسفر فى ربيع كما فتحت كمائمها الورود
تشوق أن ينال مزيد فضل بحيث يتم فيه فلا مزيد
فأدر ك ما يؤمله بسعى كذا المسعى يبلغ ما يريد

و لما أن حدا إبل الأمانى تقاذفها المفاوز و النجود
خففن إلى المعرف فيه طلقا وعدن و ثقل مغنمها قيود
أفاض بهن مزدلفا بجمع مسدده تمر فلا تحيد
و يممها المحصب و المصلى بمزدحم تعط به البرود
قضى نسكا فعاد فقلت بشرى تعود بك المسره إذ تعود
نجيح القصد ما وسعته وصفا أراجيز الكلام و لا القصيد

ص: ٧٣

و هل وسعت فتى قدمت رحما إلى عدنان فهو له عميد

فذاك به تشرف كل نجر طريف فى المفاخر أو تليد

له فصل لخطاب [الخطاب] لكل فصل تفيد به العقول و تستفيد

فمن بك [يك] فى محبته سعيدا تجلت فى مطالعه السعود

لقد صدحت بمقدمك التهاني فكل صدى تردده نشيد

و إذا كنا قد أكثرنا فى نشر شعر هذا الشاعر فى ترجمته هذه مع ان شعره لا يخرج عن موضوع واحد هو مدح السيد عدنان الغريفي و بعض من ينتمى اليه - إذا كنا قد فعلنا ذلك، فلأن من حق هذا الشاعر أن نحفظ له ما بقى من شعره، ثم لأن من حق السيد عدنان أن نسجل له أياديه البيض على الشعر و أهله فى تلك الفترة و فى ذاك المحيط، فهو لم يكن مرجعا دينيا كبيرا فحسب، بل كان ناديه ملتقى الأدباء و الشعراء يغدق عليهم ما يغدق و يرفدهم بما يرفد.

و أهم مصادرنا فى هذه الترجمة هو السيد على العدنانى الغريفي.

المولى الخواجه حيدر على بن الخواجه على بخش:

المتخلص فى شعره بآتش و ينتهى نسبه إلى الصوفى الشهير الخواجه عبيد الله الأحرار.

ولد فى حدود سنة ١١٩٢ و توفى بمدينه لکنهو سنة ١٢٦٣ و دفن فيها.

كان من فحول شعراء الشيعة فى الهند زعيم رئيس عارف متصوف ولد فى مدينه فيض آباد الهنديه و فقد والده فى الصغر مما اضطره أن يترك دراسته و ينخرط فى حاشيه النواب الميرزا محمد تقى الترقى حاكم فيض آباد و بعد مده هاجر إلى مدينه لکنهو إحدى المراكز الشيعيه فى الهند و مهد الأدب و الشعر و الشعراء ثم أولع بالأدب و الشعر و أخذ يتابع دراسته هناك و حضر فى فنون الأدب و الشعر على جملة من فحول [فحول] الشعراء و الأدباء منهم الشاعر الشهير المصحفى و نبغ و أخذ يتردد اسمه فى المحافل الأدبيه و كان يتقن اللغة الفارسيه مما ساعده فى تحقيق و تتبع الأدب الفارسى و الاطلاع على آثار كبار شعراء إيران أمثال حافظ الشيرازى و سعدى و غيرهم و حفظ أشعارهم و كان ينظم الشعر باللغه الأردويه بأعلى مستوياتها الأدبيه و طبع الجزء الأول من ديوانه فى حياته بلکنهو ثم جمع تلميذه المير دوست على خليل باقى أجزاء ديوانه و باشر بطبعه سنة ١٢٦٧ هـ أى بعد وفاته بأربع سنوات ثم أعيد طبعه مرارا فى الهند و باكستان. و ذكره صاحب كتاب (تاريخ الأدب الأردوى) و محمد حسين آزاد فى (آب حياه). (١)

السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الهندي القزوينى

الحائرى:

ولد فى لکنهو من بلاد الهند ثم هاجر إلى إيران و استقر فى قزوین و أخذ العلم من الشيخ محمد تقى الفرشته الطالقانى المتوفى سنة ١١٨٦ هـ و المولى ملا محمد الملائکه البرغانى المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ ثم هاجر إلى كربلاء و حضر على الوحيد آقا باقر البهبهانى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ و اختص بالسيد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ هـ و كان المترجم له من أعيان العلماء و له ثروه و جاه توارثه عن والده السيد رحمه الله و له آثار و مآثر فى العتبات المقدسه فى العراق منها فى الروضه الحيدريره فى النجف الأشرف و هو إحداث السرايىب و تعييد أرض الصحن و فرشہ بالصخر المرمر فى سنة ١٢٠٦ هـ و اسم المترجم له مع خمسہ أبيات عربيہ و فيها تاريخ البناء و التعمير المذكورہ منقوش فى صخره كبيره على يمين الخارج من الصحن الشريف من الباب الشرقى الكبير و مقابلها أبيات فارسية و فيها أيضا اسمه مع تاريخ التعمير و الأبيات العربية من قصيده للشاعر السيد محمد زينى المتوفى سنة ١٢١٦ هـ و مثبته فى ديوانه المخطوط و هى تشتمل على عدة تواريخ مطلعها:

لقد أنعم البارى و جل عطاؤه على (مير خير الله) و هو رجاؤه

إلى أن قال و هى المكتوبه على الصخره:

جزى "مير خير الله" خيرا إلهه كما جل فى الدارين منه جزاؤه

فقد كان تعظيم الشعائر دأبه و فى كل ما يرضى الإله اعتناؤه

توعد حينما صحن روضه حيدر فسواه سهلا للمشاه فناؤه

و مهده و الشكر لله دأبه فأننت عليه أرضه و سماؤه

فأنشأت لما أن بناه مؤرخا "بنا مير خير الله باد بهاؤه"

و ذكر العماره المذكوره الشيخ جعفر آل محبوبه فى كتابه (ماضى النجف و حاضرها) قال: (كانت أرض الصحن المطهر القديمه منخفضه و هى محل القبور التى يدفن بها اليوم و لمورور عشرات من السنين و ما يحصل فيها من مجارى السيل و هبوب الرياح و ما تجلبه من التراب و الأحجار الكثيره ارتفعت الأرض المحيطه بالصحن المقدس من سائر جهاته و توعدت أرضه لكثره ما فيها من القبور و المحاريب و كانت سائر المحاريب ظاهره بارزه على وجه الأرض حتى كان عصر العلامه الكبير السيد محمد مهدي بحر العلوم فلما رأى ذلك و لم يكن بالسهل المشى فى الصحن المقدس أمر بطم الصحن و عملت السرايىب على ما هى عليها اليوم و عادت أرضه بالصخر المرمر و كان ذلك سنة ١٢٠٦ هـ و كان الباذل لمصروفاته مير خير الله الايرانى..) ثم ذكر أبياتا فى التاريخ لم تكتب على الصخره و هى:

و ان شئت تاريخا ليوم بنائه لتعلم من قد كان منه بناؤه

فقل "مير خير الله بانیه جده" و ذلك تاريخ جلى خفاؤه

و قل "مير خير الله وطا بانيا" فجل بذا التاريخ منه رجاؤه

و قل "مير خير الله لله حبه" فمن ذلك التاريخ بان ولاؤه

و اتبع تواريخا أتتك مؤرخا "بنا مير خير الله باد بهاؤه"

و الصحيح أن المترجم له هندي لا إيراني. (٢)

السيد خير الدين بن السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله الهندي الإله

الآبادى الحائرى القزوينى:

المتوفى بعد سنه ١٢٤٢ هـ.

كان من أعلام الشريعة و أئمه التقليد و العلماء المبرزين و هو أبو أسره آل خير الدين و يقال آل خيرى من البيوت العلميه المعروفه فى كربلاء و قزوين التى ظهر منها غير واحد من العلماء الأعلام و بزغ نجمها فى أفق كربلاء و قزوين فى أواخر القرن الثانى عشر و مطلع القرن الثالث عشر منذ عهد والد المترجم له السيد مير خير الله، و هم منسوبون إليه إلا أنهم اشتهروا بال خير الدين و آل خيرى و لا- يزال أحفاده يقطنون فى كربلاء و قزوين أدرك المترجم له السيد على الطباطبائى و نجله السيد محمد المجاهد فى كربلاء و تخرج على الشيخ محمد صالح البرغانى المتوفى سنه ١٢٧١ هـ و شقيقه الشهيد و حضر مع مشايخه الجهاد ضد روسيا القيصرية فى سنه ١٢٤١ هـ و منها رجع إلى موطنه الهند فى سنه ١٢٤٢ هـ و كان من أكابر العلماء و مراجع التقليد و الفتيا هناك. له مؤلفات جليله منها الملخص فى المعانى و البيان، كتاب هديه العزيز و هو جواب على كتاب التحفه، و كتاب نقد البلاغه و هو شرح لكتابه الملخص (٣) ذكره والدى فى كتابه الغرر و الدرر المخطوط و أشار إليه شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى الكرام البرره... و لعله والد السيد نوازش على آل خير الدين الذى جاور الحائر الشريف حدود سنه ١٢٢٥ هـ إلى أن توفى بها فى سنه ١٢٤٣... (٤).

ص: ٧٤

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السيد إعجاز حسين الكنتورى النيشابورى كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب و الأسفار ص ١٦١ و ص ٥٨٥ طبعه كلكته سنه ١٣٣٠ هـ.

٤- الصالحى.

مرت ترجمته في موضعها من الأعيان، و نضيف إلى ما هنالك هذه الدراسة:

هو رائد المعجمات الأول في العربية الذي ابتكر: التأليف المعجمي، و اخترع المنهج الذي اتبعه، و اخترع في ترتيب مواد سببلا بكره هده إليه اشتغاله بالموسيقى، فكان السابق في هذا المضمار دون منازع، فهو أول من جمع اللغة في معجم جدير بهذا الاسم.

و كان الخليل عبقرية بعيد الأفق، عليم واسع العلم و الثقافة، و مخترع علم الموسيقى العربية. و جمع فيه أصناف النغم، و هو أول من جمع اللغة، و أول من ابتكر المعجم العربي، و بعض العلوم الرياضيه، و ما عرف في عصره أذكي منه و أعلم و أعف و أزهد.

و أعانه فهمه للإيقاع و النغم على ابتكار طريقه جديده في "العين"، و علمه بالموسيقى حمله على أن يختط طريقه في معجمه ناظرا إلى الأصوات اللغويه و مخارج الحروف، فبدأ بحروف الحلق لأن الحلق أبعد مخارج الحروف، و هكذا صنع سلمه اللغوي صاعدا فيه من أقصى الحلق حتى ينتهي إلى الشفه، و جعل ترتيب معجمه على الحروف بحسب المخارج، و قد كان موقفا في منهجه، فتميز الحرف بالصوت أوضح من الكتابه.

كتاب العين

منهج الخليل في العين منهج هده إليه اشتغاله بالموسيقى و الأنغام، و ساعده كثيرا ذهنه الرياضى و عقله الكبير و عبقريته التي لم تشهد العربية لها مثيلا إلا نادرا، و يكفى للدلاله على مواهبه الفذه أنه ابتكر قواعد علم لم يدع لمن بعده فيه مجالا، بل ابتكره كاملا، و ذلك علم العروض، و اخترع علم النحو، و اخترع علم الموسيقى العربية، فلا غرابه على هذا الذهن الجبار أن يكون أول مبتكر للمعجم العربي.

و هذا المنهج قائم على الصوت، لأنه أوضح في التمييز و الدلاله على مخرج الحرف من الكتاب، فإذا كتبنا هذه الكلمه (نفر) دون نقط تعذر على القارئ أن يقرأه كما أراد الكاتب، أما النطق فلا يخطئه، و في العربية خمس حروف ذات صورته واحده إذا لم نكتبها، فالباء و التاء و الثاء و النون و الياء في أول الكلمه و وسطها ذات صورته واحده.

و لعل إثارة الخليل هذا المنهج يعود إلى رغبته في تمييز الحرف بالصوت لأنه أقوى دلالة و أكثر وضوحا و تميزا من الكتابه، و هذا تفسير قريب من قريب، فالموسيقى صوت، و الخليل مبتكر هذا العلم في تاريخ العرب، فإذا بنى معجمه عليه فلا غرابه و لا اتهام أنه اقتبس طريقه سبق إليها.

و صنع سلمه اللغوي، و اختار أن يصعد فيه من أسفله لا أن يهبط من أعلاه، و رتب معجمه على الحروف بحسب مخارجها، فبدأ بحروف الحلق، لأنه أبعد مخارجها، و يبدأ بالصعود تدريجا حتى تنتهي إلى الشفه و جعل ترتيب الحروف هكذا: ع، ح، ه، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ي، أ.

و سمي كل حرف كتابا، و افتتح معجمه بحرف "العين" و سماه كتاب العين، فكتاب الحاء، فكتاب الهاء، فكتاب الغين، فكتاب الخاء و هكذا، و أطلق اسم كتابه الأول و هو "كتاب العين" على المعجم كله لاستهلاله به.

و تتبع الخليل أبنيه كلام العرب تبعا علميا دقيقا، و حصرها بين الثنائي و الخماسي، و فصل الألفاظ المعتلة جاعلا الهمزة من حروف العلة، مفردا لها بابا بعد أبواب الثلاثي، ذكر فيه الثنائي المضاعف المعتل و الثلاثي المعتل بحرف، و الثلاثي اللفيف، و فرق الأبنيه على كل باب، مبتدئا بالثنائي المضاعف، فالمضاعف الثلاثي الصحيح، فالمضاعف الثلاثي اللفيف، فالرباعي و الخماسي، و جعل الأخيرين في باب واحد لقله الألفاظ التي وردت منهما، و أشار للمستعمل و المهمل في أبنيه الثنائي و الثلاثي، أما الرباعي و الخماسي فأغفل الإشارة إلى المهمل منهما، لأنه فوق الحصر.

و ابتكر بعد هذا كله نظاما آخر اتبعه بعض العلماء ممن جاء بعده و ألفوا معجمات لغويه، و هذا النظام يقوم على ذكر الكلمه و قلبها إلى كل وجه بحيث يتالف من مقلوباتها كلمات، و يذكرها جميعا في موضع واحد، فكلمه "الضرم" ذكرها في حرف الضاد، و قلبها حتى تولدت منها هذه الكلمات:

ضمر، مرض، مضر، رمض، فإذا لم يستعمل العرب شيئا من هذه الاستعمالات أشار إليه، و إذا جاء إلى كتاب الرء و الميم أغفل ذكر الرضم و الررض و المضرم و المرض لأنه ذكرها في كتاب الضاد.

و زاد على هذا أنه يذكر كل نوع من الصحيح و المضاعف و المهموز و المعتل على حده ليميز كل نوع من غيره. (1)

و لمنهج الخليل موقع عند من يرى أن الكلمات المشتركة في الحروف - و إن اختلفت في الترتيب - تشترك في المعنى أو المصدر الذي تفرع منه، و هذا يدل على أن الخليل عنى بالتفسير الاشتقاقي للمواد التي يتناولها، و لم يقف عند شرح المادة و مقلوباتها و فروعها على طريق الاشتقاق الأكبر، بل كان يذكر في كل أصل ما تفرع عنه على طريق الاشتقاق الكبير (2)، و يعد الخليل أسبق من ابن فارس و ابن جنى إلى فهم الاشتقاق الكبير، و هو دلالة الحروف في كلمه من الكلمات - على اختلاف ترتيبها و تركيبها - على أصل معنوي واحد. (3)

و منهج الخليل ليس سهلا ميسورا لاتباع، بل فيه عيوب، و صواه لا تهدي، بل لا صوى تأخذ بيد الباحث، و توصله لمقصده، لصعوبه ترتيبه، و خلطه بين الثلاثي المضاعف و الرباعي المضاعف، و اختلاط الأصل بغيره، لذكره الكلمه و ما ينشأ عنها بالقلب، مثل: حرب، و حبر، و بحر، و برح، و ربح، و ربح، و من الصعب أن يعرف أيها الأصل و أيها المطلوب. (4) مقدمه لسان العرب.

و ليس هذا كل ما في منهج الخليل من هنات، بل ثم هنات أخذها عليه العلماء، لا تتصل بالمنهج و أصوله و قواعده، بل تتصل ببعض المواد التي جاءت في كتابه، مثل: تفرده بذكر كلمات كثيره لم يسمع ببعضها.

و في "العين" هنات أخرى، منها: إهماله أبنيه مستعمله، و عدم استيفائه الصيغ الواردة في كلام العرب، و وجود أخطاء صرفيه، و تصحيف، و تحريف.

وقد أشار ابن منظور في مقدمه اللسان إلى ما يشبه طريقه الخليل في معرض النقد فقال: "كان واضعه شرع للناس موردا عذبا و حلأهم عنه، و ارتاد لهم مرتعا مريعا و منعهم منه، قد آخر و قدم و قصد أن يعرب فاعجم، فرق الذهن بين الثنائى المضاعف و المقلوب و بدد الفكره باللفيف و المعتل، و الرباعى و الخماسى، فضاع المطلوب". (٤)

و عزا ابن منظور انصراف الناس عن التهذيب و المحكم و إهمالهم أمرهما و عدم الإقبال عليهما، حتى كادت البلاد تخلو منهما، إلى سوء الترتيب و تخليط التفصيل و التبويب.

الخليل مبتكر لا مقلد

زعم بعض الناس أن الخليل كان يعرف غير العربيه، كان يعرف

ص: ٧٥

١- خطبه الكافى ٢٥.

٢- فقه اللغه الوافى ٢٧٨.

٣- ضحى الإسلام، لأحمد أمين.

٤- مقدمه لسان العرب.

اليونانية، و لعلهم أرادوا من هذا الزعم أن يسيروا إلى أن معرفته باليونانية هدته إلى ابتكار منهجه في العين، و استدلووا بصله حنين بن إسحاق المشهور في الطب بالخليل، فقد جاء في عيون الأنباء (١) ترجمه حنين: "و كان شيخه في العربية الخليل بن أحمد، ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد" وفيه (٢) أيضا: "أن حنين بن إسحاق كان يشتغل في العربية مع سيوييه و غيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل" و هذا يدل على أن حنينا لزم الخليل و أخذ عنه العربية حتى برع فيها، و أدخل كتاب العين بغداد، و حنين كان يعرف اليونانية، و ترجم منها كتبا و رسائل كثيرة لجالينوس و أبقرط، و ترجم بعض قصص اليونان، و الخليل معروف بالذكاء العبقري النادر، و لا بد أن تثمر هذه الصلة بينهما أن يعرف الخليل اليونانية (٣).

إلا أن هذا القول وهم، فالخليل توفي سنة ١٧٥ هـ و ولد حنين سنة ١٩٤ هـ أي بعد الخليل بأكثر من خمس عشرة سنة، هذا على قول من قال: إن الخليل توفي سنة ١٧٥ هـ مع أن هناك من يقول: إنه توفي سنة ١٧٠ هـ.

و هذا لا يدع مجالاً للشك في أن الخليل لم يتصل بحنين، و بانتفاء هذه الصلة ينتفى أخذ الخليل اليونانية منه.

و لم يرد هذا الزعم إلا عن ابن أبي أصيبعة عن سليمان بن حسان.

و إذا افترضنا أن الخليل كان يعرف اليونانية فلا مجال لأن يزعم زاعم أن طريقته في العين تشبه طريقه مؤلفي المعاجم اليونانية، فلم يؤثر عن اليونان أن مؤلفا صنّف معجما جعل ترتيبه على الحروف بحسب مخارجها مبتدئا من أقصى الحلق منتهاها باحرف الشفه.

و نخلص من هذا إلى أن الخليل لم يقتبس منهجه من اليونان.

و هناك قول آخر: أن الخليل اتبع في ترتيب معجمه طريقه الهند في ترتيب حروف هجائها، فاللغة السنسكريتية ترتب حروف هجائها (٤) على حسب مخارجها مبتدئه بأبعد الحروف مخرجا و منتهيه باحرف الشفه، و هي آخر درجة في السلم الصوتي للحروف.

و كانت الصلة بين الهند و جزيره العرب قديمه، و قويت بعد الإسلام كثيرا، و كان في الخليج الفارسي عدد كبير منهم، و كان "المحاسبون" لتجار العراق في البصره و بغداد من السند، و فيهم علماء و مثقفون، و كانوا على صلة بأهل العلم من العرب.

و لعل هذا الرأي أقرب إلى التصديق من سابقه، و لكننا لا نميل إليه، فوجود طريقه لمؤلف في لغة من اللغات لا يمنع أن يصل مؤلف آخر إليها باجتهاده و جهده، و لا يكفي أن نقول: إن الخليل اتبع طريقه الهند في الترتيب لمجرد وجود هذا الترتيب في لغة لم يذكر أحد أن الخليل كان يعرفها، و ليس من السهل نقل ترتيب بحذافيره من لغة إلى لغة، لاختلاف النطق بالحروف بين الأمم و اللغات و الأجناس، بل ان ترتيب حروف الهجاء في السنسكريتية ليس - هو - ترتيب الخليل عينه.

و فوق هذا لم يكن للهند في ذلك الزمن معجم معروف (٥).

و طريقه الخليل تتفق مع علمه الواسع الدقيق بالموسيقى، فهي تقوم على أساس الصوت، و على ما يشبه السلم الموسيقي، فهو اعتمد على مخارج الحروف عند ما ينطق بها، و نظر إلى الأوتار الصوتية و الأصوات اللغويه، فصنع سلمه صاعدا عليه من أسفل

حتى ينتهى إلى أعلاه، مبتدئا بأقصى الحلق، متدرجا فى الصعود حتى يصل إلى الشفه.

و إذا صح قول من قالوا: إن الخليل اتبع طريقه الهند فى ترتيب معجمه فإنهم ينسون أن الخليل كان مختارا فيما يؤثره من الطرق المختلفه لترتيب الحروف الأبجديه، فاختار ما وافق علمه الموسيقى، و لم يجبره على ذلك سلطان نافذ حتى يبطل فضله فى الموازنه بين الطرق و إثار ما هو أوفق منها لرأيه و أسبابه العلميه، و يجب - بعد هذا - ألا ننسى الفارق الكبير بين القول بترتيب الحروف الأبجديه على طريقه الهند - إن صح - و القول باقتباس المعجمات منهم.

و فى وسعنا أن نقول: إن الخليل مبتكر فى معجمه المنهج و الطريقه و الترتيب حتى يثبت ثبوتا علميا أنه مقلد لا مبتكر، و متبع لا مخترع.

نسبه كتاب العين

اختلف العلماء فى حقيقه كتاب العين، أهو للخليل أم لغيره؟ و ذهبوا فى ذلك مذاهب شتى، فمنهم من أنكر النسبه و منهم من أيدها، و منهم من وقف موقفا وسطا. و الذين أنكروا النسبه كثير، منهم: النضر بن شميل، و أبو حاتم، و الأزهرى، و ابن فارس، و ابن جنى، و القالى، و ابن النديم، و أبو الطيب اللغوى، و الفخر الرازى، و النووى، و أقوالهم متقاربه ذات دلالة واحده لا تشير إلى غير الإنكار، فابن النديم يقول: "لم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد، و لا روى فى شىء من الأخبار أنه عمل هذا البته (٤)".

و قال أبو عبد الله فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن الحسين بن على التيمى المعروف بابن الخطيب الرازى: "أصل الكتب المصنفه فى اللغه كتاب العين و قد أطبق الجمهور من رجال اللغه على الطعن فيه (٧)".

و قال أبو على القالى (٨): "لما ورد كتاب العين من بلد خراسان فى زمن أبى حاتم، أنكره أبو حاتم و أصحابه أشد الإنكار، و دفعه بأبلغ الدفع، و قد غير أصحاب الخليل بعد مده طويله لا يعرفون هذا الكتاب و لا يسمعون به، منهم: النضر بن شميل، و مؤرج، و نصر بن على، و أبو الحسن الأخفش و أمثالهم. و لو أن الخليل ألف الكتاب لحمله هؤلاء عنه، و كانوا أولى بذلك من مجهول الحال غير مشهور فى العلم تفرد به و توحد بالنقل له، ثم درج أصحاب الخليل فتوفى النضر بن شميل سنه ثلاث و مائتين، و الأخفش سنه خمس عشره و مائتين، و مؤرج سنه خمس و تسعين و مائه، و مضت - بعد - مده طويله ثم ظهر الكتاب باخره فى زمان أبى حاتم و فى حال رئاسته، و ذلك فيما قارب الخمسين و المائتين، لأن أبا حاتم توفى سنه خمس و خمسين و مائتين، فلم يلتفت أحد من العلماء إليه يومئذ، و لا استجازوا روايه حرف منه، و لو صح الكتاب عن الخليل لبدر الأصمعى و اليزيدى و ابن الأعرابى و أشباههم إلى تزيين كتبهم، و تحليله علمهم بالحكايه عن الخليل و النقل لعلمه، و كذلك من بعدهم كأبى حاتم و أبى عبيد و يعقوب و غيرهم من المصنفين، فما علمنا أحدا منهم نقل فى كتابه عن الخليل من اللغه حرفا".

و المعتدلون من المنكرين كالأزهري و أبى الطيب اللغوى - الذى اختصر العين - و ثعلب و إسحاق بن راهويه طعنوا فى العين تنزيها للخليل و ربا به من خطأ لا يجوز على تلامذته.

١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٨٤-١٨٥.

٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٨٩.

٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٩٨.

٤- دائره المعارف الإسلاميه ماده خليل.

٥- AlKhalil and the Evaluation of Arabic Lexicography تأليف الدكتور عبد الله درويش

٦- الفهرست ٤٦ طبعه مصر.

٧- المحصول في علم الأصول، مخطوطه الدار في مجلدين مخطوطين رقم ١٣٠.

٨- نفى الدكتور عبد الله درويش في كتابه (الخليل و المعاجم العربيه) نسبه هذا الرأى إلى القالى، لأن القالى نقل في كتابه (البارع) عن كتاب العين للخليل صراحه، و لأن القالى عند ما ذهب إلى الأندلس و ألف كتابه (البارع) أخبر الخليفه حين ذاك أن كتابه البارع يزيد على كتاب العين بخمسه آلاف كلمه.

فالأزهري يقول في مقدمه التهذيب عن أقوام يصفهم بقوله: "تسموا بسمه المعرفه و علم اللغه و ألفوا كتباً أودعوها الصحيح و السقيم، و حشوها بالمزال المفسد، و المصحف المغير الذى لا- يتميز ما يصح منه مما لا يصح، إلا عند الثقات" و ذكر من هؤلاء: "الليث بن المظفر الذى نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جمله لينفقه باسمه، و يرغب فيه من حوله". (١)

و عن ابن راهويه: "كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً و كان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده، و أحب الليث أن ينفق سوق الخليل فنصف باقى الكتاب و سمى نفسه الخليل، و قال لى مره أخرى:

فسمى لسانه الخليل من حبه للخليل بن أحمد، فهو إذا قال فى الكتاب:

قال الخليل بن أحمد، فهو الخليل، و إذا قال: و قال الخليل مطلقاً فهو يحكى عن نفسه، فكل ما فى الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل". (٢)

و قال السيرافى: "عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهاى ضبط اللغه". (٣)

و قال ابن المعتز: "كان الخليل منقطعاً إلى الليث، فلما صنف كتابه العين خصه به، و حظى عنده جداً، و وقع منه موقعا عظيماً، و هب له مائه ألف درهم، و أقبل على حفظه و ملازمته، فحفظ منه النصف، و كانت تحبه ابنه عمه، و اتفق أنه اشترى جاريه نفيسه فغارت ابنه عمه فأحرقت الكتاب، فلما علم اشتد أسفه، و لم تكن عنده نسخه منه، و كان الخليل قد مات فاملى النصف من حفظه، و جمع علماء عصره و أمرهم أن يكملوه على نمطه، و قال لهم: مثلوا عليه و اجتهدوا، فعملوا هذا التصنيف الذى بايدى الناس". (٤)

و قال ثعلب: "إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه و لم يحشه، و لو كان هو حشاه ما بقى فيه شىء، لأن الخليل رجل لم ير مثله، و قد حشا الكتاب أيضا قوم علماء إلا أنه لم يؤخذ منهم روايه، و إنما وجد بنقل الوراقين، فاختل الكتاب". (٥)

و قال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى اللغوى مؤلف مختصر العين فى أول كتابه: "و نحن نريا بالخليل عن نسبه هذا الخلل إليه، أو التعرض للمقاومه له و الرد عليه، بل نقول: إن الكتاب لا يصح له، و لا يثبت عنه فقد كان جله البصريين الذين أخذوا عن أصحابه و حملوا علمه من روايه ينكرون هذا الكتاب و يدفعونه، إذ لم يرد إلا عن رجل واحد غير معدود فى أصحابه، و أكبر الظن فيه أن الخليل سبب أصله، و رام تثقيف كلام العرب، ثم هلك قبل كماله، فتعاطى إتمامه من لا يقوم فى ذلك مقامه، فكان ذلك الخلل الواقع به، و الخطا الموجود فيه". (٦)

"و من الدليل على ما ذكره أبو العباس (٧) من زيادات الناس فيه اختلاف نسخه، و اضطراب رواياته، إلى ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرين، و الاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين، فهذا كتاب منذر بن سعيد القاضى الذى كتبه بالقيروان، و قابله بمصر بكتاب ابن ولاد، و كتاب ابن ثابت المنتسخ بمكة قد طالعاها، فألفينا فى كثير من أبوابهما: أخبرنا المسعري عن أبي عبيد، و فى بعضها: قال ابن الأعرابى، و قال الأصمعى، هل يجوز أن يكون الخليل يروى عن الأصمعى و ابن الأعرابى و أبى عبيد فضلا عن المسعري". "و كيف يروى الخليل عن أبى عبيد و قد توفى الخليل سنه سبعين و مائه، و فى بعض الروايات سنه خمس و سبعين و مائه، و أبو عبيد يومئذ ابن ست عشره سنه، و على الروايه الأخرى: ابن إحدى و عشرين سنه، لأن مولد أبى

عبيدسنه أربع و خمسين و مائه، و وفاته سنه أربع و عشرين و مائتين، و لا يجوز أن يسمع عن المسعري علم أبي عبيد إلا بعد موته، و كذلك كان سماع الخشني منه سنه سبع و أربعين و مائتين، فكيف يسمع الموتى حال موتهم، أو ينقلون عن ولد بعدهم" (أ).

و يقول الزبيدي أيضا: " و من الدليل على صحه ما ذكرناه أن جميع ما وقع فيه من معانى النحو إنما هو على مذهب الكوفيين، و بخلاف مذهب البصريين، فمن ذلك ما بدئ الكتاب به، و بنى عليه من ذكر مخارج الحروف فى تقديمها و تأخيرها، و هو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل فى كتابه، و سيبويه حامل علم الخليل، و أوثق الناس فى الحكايه عنه، و لم يكن ليختلف قوله، و لا ليتناقض مذهبه، و لسنا نريد تقديم حرف - خاصه - للوجه الذى اعتل به، و لكن تقديم غير ذلك من الحروف و تأخيرها، و كذلك ما مضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعى المضاعف فى باب الثلاثى المضاعف - و هو مذهب الكوفيين خاصه - و على ذلك استمر الكتاب من أوله إلى آخره.

و لو أن الكتاب للخليل لما أعجزه و لا- أشكل عليه تثقيف الثنائى الخفيف من الصحيح و المعتل، و الثنائى المضاعف من المعتل، و الثلاثى المعتل بعلتين، و لما جعل ذلك كله فى باب سماه اللفيف، فادخل بعضه فى بعض، و خلط فيه خلطا لا ينفصل منه شىء عما هو بخلافه، و لوضع الثلاثى المعتل على أقسامه الثلاثه ليستبين معتل الياء من معتل الواو و الهمزه، و لما خلط الرباعى و الخماسى من أولهما إلى آخرهما.

و نحن على قدرنا قد هذبنا جميع ذلك فى كتابنا المختصر منه، و جعلنا لكل شىء منه بابا يحصره، و عددا يجمعه، و كان الخليل أولى بذلك و أجدر، و لم نحك فيه عن الخليل حرفا، و لا- نسبنا ما وقع فى الكتاب عنه توخيا للحق، و قصدا إلى الصدق، و أنا ذاكر الآن من الخطا الواقع فى كتاب العين ما لا يذهب على من شدا شيئا من النحو، أو طالع بابا من الاشتقاق و التصريف، ليقوم لنا العذر فيما نزهنا الخليل عنه".

لقد أطلنا فى ذكر الشواهد، و وقفنا طويلا- عند أقوال الزبيدي لنخلص من كل ذلك إلى إعطاء صوره دقيقه صادقه لأدله المنكرين الغلاه و المنكرين المعتدلين.

فابن النديم يذكر بوضوح أن العين ليس للخليل، و القالى يذكر أن أبا حاتم و أصحابه أنكروا العين و لا يعرفونه و لم يسمعوا به. فأول الأدله على إنكار نسبه العين إلى الخليل: القول جمله بالإنكار، إلا أن الزبيدي أضاف - كما ذكر غيره - أدله جديده ذات قيمه فى نظر النقد و العلم، فالخليل بصرى، و سيبويه - حامل علم - الخليل شيخ نحاه البصره و إمام مدرسه البصريين، و ما فى العين مما يتصل بالنحو على مذهب الكوفيين، فكيف يتفق للخليل - و هو شيخ إمام مدرسه البصره - أن يترك مذهبه إلى مذهب آخر يختلف عنه.

إن هذا الدليل من أقوى الأدله، فإذا اعتمدنا عليه فى نفي نسبه العين إلى الخليل كان هو نفسه قائما فى نفي نسبه العين إلى الليث بن المظفر، لأنه ظل للخليل و تابع له فى آرائه و مذهبه.

ثم من الأدله: أن فى العين أوهاما و سقطات شنيعه و غلطات معييه لا تصدر من طلبه الخليل، و هذا ما حمل العلماء على الشك

١- مقدمه تهذيب اللغة للأزهرى مخطوطه مكتبه شيخ الإسلام بالمدينه المنوره.

٢- المزهر ٧٨:١

٣- المزهر ٧٦:١.

٤- معجم الأدياء ٤٦:١٧.

٥- المزهر ٧٨:١.

٦- خطبه المختصر مخطوطه الدار رقم ٣٨٦

٧- يقصد ثعلبا فى قوله الذى مر الاستشهاد به.

٨- المزهر ٨٣-٨٤:١.

الأدله القويه: أن فى العين روايات عن متاخرين ولدوا بعد الخليل بكثير.

ثم من الأدله: أن العين لم يظهر إلا بعد موت الخليل بحوالى ستين سنه، فلو كان له لكان فى أيدي الناس، و لعلم به العلماء، و للهج به تلامذه الخليل، و لروى عنه الأصمعى و ابن السكيت و غيرهما، أما و أن هذا لم يحدث، فالعين ليس للخليل.

هذه أدله المنكرين، أما المعتدلون من المنكرين، فيرون أن الخليل عمل من معجمه كتاب العين و سار على نهجه تلميذه الليث بن المظفر و أكمله، و يرى بعضهم أن الخليل عمل نصف الكتاب فأكمل الليث نصفه الباقي، و بعضهم يرى أن الخليل عمله كله، و حفظ الليث نصفه، فلما أحرقت النسخه أملى الليث نصفه المحفوظ، و طلب إلى العلماء أن يكملوا النصف غير المحفوظ.

و نحن نسأل: إذا كان الليث صنف العين، فلما ذا لم ينسبه إلى نفسه رغبه فى الفخار و السمعه؟ لما ذا ينزل عنه للخليل؟ و يجعل غيره مبتكر علم و مخترع فن، و يرضى أن يكون تابعا و تلميذا؟ أما أن الكتاب لم يعلم عنه تلاميذ الخليل فينقضه أن للنضر بن شميل (١) كتابا اسمه "المدخل إلى كتاب العين" (٢) و النضر من أخلص طلبه الخليل، فإذا صح أنه منكر العين، فكيف يؤلف كتابا حوله، و للمفضل بن سلمه ردود على العين و استدراك، توفى المفضل سنه ٢٥٠ هـ، و كان المبرد يرفع من قدر كتاب العين، و رواه ابن درستويه، و ألف كتابا فى الرد على المفضل بن سلمه مؤلف كتاب "استدراك على العين" و لا توجد لأبى إسحاق الزجاجى حكاية فى اللغه إلا منه، و أبو على القالى البغدادى أتى فى كتابه "البارع" بما فى العين و زاد عليه.

و إنكار نسبه العين إلى الخليل ليس صحيحا، فهو له حقا، و إن كان الإجماع لم ينعقد على أنه له، أما أدله المنكرين القائمه على أن فى العين من الخطا و التصحيف ما لا يتفق مع علم الخليل، و على أن فى كتابه روايات عن متاخرين عنه، و على أن مذهب العين يخالف مذهب الخليل، لأن ما يتصل بالنحو على مذهب الكوفيين، و الخليل بصرى و رائد مدرسه البصره فى النحو، و أن الكتاب لم يظهر إلا فى سنه ٢٥٠ هـ أو حواليتها، فان بعض هذه الأدله منقوض، فالخطأ و التصحيف و الروايه عن المتأخرين من النساخ، و الذى يدل على أن الكتاب ظهر قبل سنه ٢٥٠ هـ أن النضر بن شميل تلميذ الخليل ألف كتابا سماه "المدخل إلى كتاب العين".

و من ناحيه التعليقات لا أستبعد أنها دخلت فى صلب العين جهلا من الناسخين فحسبت منه و هى خارجه عنه، و كذلك القول فى الروايه عن المتأخرين.

و لعل اختلاف النسخ بعضها عن بعض يقيم الدليل على هذا.

أما ما روى من مسائل النحو على مذهب الكوفيين فلعله راجع إلى ما كان من خصومه بين الكوفيين و البصريين مما حمل بعض الكوفيين على التغيير فى العين ليكون حجه لهم على البصريين عند ما يستدلون على تأييد آرائهم بقول رائد مدرسه البصره الأول الخليل بن أحمد.

كل هذا جائز.

و موجز القول: أن العين للخليل، و أنا مطمئن إلى ذلك كل الاطمئنان، و يجوز أنه ألفه و لم يستطع إتمامه: فأتته غيره، و يجوز

أن يكون أتمه كله فأضاف إليه الناسخون ما وجدوا من تعليقات و روايات عن متاخرين أدخلوها على متن الكتاب جهلا منهم، وقد أثبت الدكتور عبد الله درويش - في رسالته التي ألفها عن كتاب العين و التي قدمها لجامعه لندن و نال بها إجازة الدكتوراه - أن العين للخليل. (٣)

السيد خليفه بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد علي بن

السيد حاجي بن السيد محمد الموسوي الرضوي الأحسائي النجفي.

ولد في الأحساء حدود سنة ١١٩٥ هـ و توفي سنة ١٢٦٥ هـ. جد سادات آل خليفه في النجف الأشرف كان من أكابر مشاهير علماء عصره كثير البحث و المطالعه و استنساخ الكتب. نشأ في الأحساء فقرأ فيها المقدمات و السطوح على جملة من فضلائها منهم السيد عبد القادر بن حسين التوبلي البهراني ثم هاجر إلى كربلاء و تخرج في الفقه و الأصول على السيد علي الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٢٣١ هـ و علي غيره و سكن النجف الأشرف و أسس هناك مكتبه عظيمه حوت المئات من النفائس و كان جماعا للكتب و له ولع شديد في اقتنائها و أفنى عمره في جمعها، و بقيت المكتبه بعده في أيدي أولاده. و وصف المكتبه الدكتور علي نقى المنزوي في طبقات اعلام الشيعة فقال: مكتبه خليفه الأحسائي مكتبه عائله أسسها السيد خليفه بن علي بن أحمد الأحسائي و بعده انتقلت إلى أكبر أولاده محمد الامام في البصره و بعد وفاته "١٢٨١" انتقلت إلى ولده محمد علي و بعد وفاته سنة ١٣٠٥ هـ انتقلت إلى ولده عبد الله آل خليفه (١٣٠٠ - ١٣٧٤ هـ) قال والدي صاحب الذريعه في الكرام البرره ج ٢ ص ٥٠٥ و في سنة ١٣٧١ هـ باع السيد عبد الله المكتبه بالنجف بثمان يخنس [يخنس] في الهرج و لكني استفدت قبل ذلك و فحصت المخطوطات بها و سجلت ما تمكنت من ذلك. ترك المترجم له مؤلفات منها كتاب في التجويد و كتاب في أصول الدين و تلخيص كتاب الرياض لأستاذه السيد علي الطباطبائي الحائري. (٤)

دعبل الخزاعي:

مرت ترجمته في المجلد السادس، و نشر هنا عنه هذه الدراره و هي بقلم الدكتور حسين مروه:

هذا شاعر يصح أن نعه في شعراء العقيدة من تاريخنا الأدبي، و ذلك أنه كان صاحب مذهب في عهد بني العباس، و يبدو من سيرته أنه كان يلائم بين سلوكه في شعره و بين عقيدته و مذهبه السياسي هذا.

فقد ولد دعبل بن علي الخزاعي عام ١٤٨ هجرية، في خلافة المنصور العباسي، في قرية تدعى الطيب - كما في تاريخ بغداد، و هي قرية بين واسط و الأهواز، و نشأ في الكوفة، و قيل أنه خزاعي بالولاء و إن جده "رزين" كان مولى عبد الله بن خلف الخزاعي والد طلحة الطلحات، و لكن هذا قول ينقضه كثير من الشواهد في شعره و في سيرته، و قد شهد أبو دلف أمام الخليفه المأمون بان دعبل من خزاعة بالنسب، لا بالولاء كما يزعم هذا القول.

"دعبل" لقبه، لا اسمه، و قيل أن اسمه الحقيقي "الحسن"، و نقل عن ابن أخيه إسماعيل بن علي أن اسمه "عبد الرحمن"، و قيل أن اسمه "محمد" و في تاريخ بغداد أنه لقب ب "دعبل" لدعابه فيه، و يكنى "أبا علي".

وقد ولد الشاعر و نشأ على عقيدته العلويين، و كان أهل هذه العقيدة، فى العهد العباسى، كما كانوا فى العهد الأموى، من ذوى المذاهب السياسيه الحامله عبء المعارضة للحاكمين، و كانوا - لذلك - يحتملون النصيب الأوفر من ألوان الاضطهاد السياسى.

و كان من طبيعه هذا الوضع الذى كان عليه العلويون أن أتاح لكثير من رجال الفكر و الأدب و العلم منهم، أن يكونوا على صله باحساس الشعب، و أن يكونوا على معرفه بمواطن الظلم الاجتماعى فى الأوساط الشعبيه

ص: ٧٨

١- توفى سنه ٢٠٣ هـ.

٢- البغيه ٤٠٥.

٣- مقدمه الصحاح.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

المحرومه، بل لقد كان من طبيعه وضعهم السياسى هذا، أن يكون بعضهم من أشد الناس احتمالا لصنوف الظلم و الاضطهاد و الحرمان.

و قد كان هذا نصيب شاعرنا دعبل فى أوائل أمره، فإنه عاش سنين الأولى فى الكوفه على ضنك شديد مريع، و يبدو - كما فى روايه "الأغانى" - أن العوز قد ألح عليه فى الكوفه، و هو فى مطالع الشباب، حتى كاد يفسد سيرته، فإذا هو متهم بجنايه، و لا يصرح "الأغانى" بحقيقه هذه الجنايه، و إذا برئيس شرطه الكوفه العلاء بن منظور الأسدى، يحبس "دعبلا" الفتى بتهمته هذه، و يشفع له عمه سلمان بن رزين لدى رئيس الشرطه، و يرجو أن يضربه "لعله يتأدب"، فيضربه ثلاثمائه سوطاً!

و تدل روايه "الأغانى"، ان هذه الحادثه، قد خرجت بدعبل من الكوفه، "فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً".

و فى النبذه المختاره من كتاب تلخيص أخبار شعراء الشيعة للمرزبانى، أن "دعبل بن على الخزاعى، كان شاعرا مجيدا، كان على غايه من الفقر".

و يظهر أنه حين خرج من الكوفه، قصد إلى بغداد، و لعل موهبته الشعريه يومئذ كانت تتفتح على مهل، فتبعث فى نفسه ميلا إلى المعرفه، و رغبه فى تحصيل العلم، و طموحا إلى مكانه الأدباء الشوامخ فى بداءه عصر النهضة العباسيه، و لكن الفقر كان معه فى بغداد كذلك، فلم تنهياً له الفرص، أول الأمر، لنيل حاجته من العيش، و تحصيل العلم، حتى اهتدى إلى الشاعر مسلم بن الوليد "صريع الغوانى" فاخذ هذا يعلمه الأدب و الشعر، و لكن "مسلماً" نفسه كان فقيراً مثله، و فى روايه "تاريخ دمشق" أن دعبلا "كان فى مبدأ أمره غلاماً حاملاً- لا يؤبه [يعبا] به، و كان بينه و بين مسلم بن الوليد إزار(1) لا- يملكان غيره، فإذا أراد دعبل الخروج جلس مسلم فى البيت عارياً، و إذا خرج مسلم جلس دعبل كذلك، و كانا إذا اجتمعا لدعوه يتلاصقان فيطرح هذا شيئاً منه عليه، و الآخر الباقي، و كانا يعبثان بالشعر".

و ليست تخلو هذه الروايه من المبالغه فى وصف حالهما، و لكنها ظاهره الدلاله على مبلغ ما كان يعانیه أديب مثل مسلم بن الوليد كان قد اشتهر يومئذ فى حلقات الأدب ببغداد بدليل أنه تصدى لتعليم دعبل و ترويضه على ممارسه الشعر.

و يبقى دعبل هكذا، فى عاصمه الخلافه، يتعلم و يتأدب، على هذا الحال، حتى يكون قد تزود من ثقافه بغداد، يومئذ، بزاد حسن و حتى حذق صناعه الشعر، و اكتملت عدته اللغويه و العلميه لإظهار مواهبه.

و قد رأيت أنه لم يستطع الوصول إلى هذه الغايه، إلا- باحتمال قسوه العيش و لوعه الحرمان، مع خمولى الذكر إلا فى أوساط المجهولين المحرومين، فى حين كانت بغداد تضج بأسماء الشعراء الذين شقوا طريقهم إلى بلاط الخلافه، و كان العهد يوم ذاك، عهد الرشيد.

و يظل دعبل فى محنه الفقر و خمولى الاسم، على رغم ما وصل إليه من نضج الشاعريه، حتى يكون ذات يوم، فإذا الرشيد يطلب إلى بعض المغنين ان يغنيه شعرا و إذا المغنى هذا يختار أبياتا لدعبل كان قد سمعها عنه حديثاً، إذ كان بعض أوساط الأدب يتناقلها و يتحدث عنها بالرضا و الاعجاب، و هى هذه:

أين الشباب و ايه سلكا لا، أين يطلب؟ ضل، بل هلكا

لا تعجبي، يا سلم، من رجل ضحكك المشيب برأسه، فبكي

يا سلم، ما بالشيب منقصه لا سوقه يبقى، و لا ملكا قصر الغوايه عن هوى قمر

أجد السبيل إليه مشتركا وعدا بأخرى عز مطلبها

حبا يطأ من دونها الحسكا يا ليت شعري! كيف نومكما

يا صاحبي، إذ دمي سفكا لا تأخذنا بظلامتي أحدا

طرفي، و قلبي في دمي اشتركا

و ما يكاد يسمع الرشيد هذا الشعر في لحن المغنى، حتى يعجب به و يطرب له، فيسأل المغنى عن قائله، و لكن من أين لاسم
دعبل أن يلفت النظر حتى يذكره للرشيد، و لذلك يقول:

- هذا الشعر لبعض أحداث خزاعه ممن لا يؤبه له يدعى دعبلا!.

و تقول الروايه هنا، و هى روايه أكثر المؤرخين، أن الرشيد أرسل إلى دعبل عشره آلاف درهم، و حله من حلله، و مر كبا من
مراكبه، و أجاز المغنى، و قال للرسول: أعطه هذا، و مره بالحضور إلى، و ان أبى فلا تجبره رفقا به، و إكراما و احتراماً له.

و يمضى الرسول يبحث عن "دعبل" هذا... فإذا اهتدى إليه، و أبلغه رغبه الرشيد، استجاب لدعوته دون تردد، لكي يشق أول
طريقه إلى بلاط الخلافة، فإذا هو امام الرشيد فى مجلسه يستنشه الشعر، فينشده، و إذا الرشيد يزداد به إعجاباً.

من هنا بدأ اسم دعبل يظهر بين الشوامخ، و لو لا- هذه الحادته، لظال لبثه فى غمار الموهوبين المجاهيل، ثم مضى اسم دعبل
يلمع و يسطع، و مضت أبياته تشتهر و تسير على ألسنه الأدباء و الشعراء و الملوك و الأمراء، حتى قيل أن دعبل أنشدها أبا
نواس، فقال له: أحسنت ملء فيك و اسماعنا". و قيل أن مسلم بن الوليد، أستاذ دعبل، لم يأذن له بإظهار شعره حتى سمع هذه
الآبيات، فقال له: " اذهب الآن، فأظهر شعرك كيف شئت ". ثم غنى بها المغنون و الجوارى.

و ليست هذه الآبيات من أفضل شعر دعبل، و لكن الترف العقلى و المادى فى أوساط الملوك و الأمراء و من يلوذ بهم من
الشعراء، يوم ذاك، قد أقام لهذه الآبيات مجددا الذى ترى.

و لكن المهم الآن فى سيره دعبل، ان هذه الحادته قد فتحت له بابا جديدا فى التاريخ، فإنه منذ بدأت صلته ببلاط الخلافة على
هذا النحو، تعرف سبيله إلى الحياه السياسيه، و أخذ يجد لعقيدته و مذهبه السياسى مدخلا يدخل بهما منه إلى جوانب هذه
الحياه العامه يرى فيها المظالم و المساوىء، و يكشف منها ما يستطيع كشفه انتصارا لعقيدته و رأيه، ثم انتصارا للناس فيما ينالهم
من عنت هذه المظالم و المساوىء.

و لكن المؤرخين لم يتعمقوا هذا الأمر من سيره دعبل، و أخذوا بالظواهر وحدها، فإذا هم يرون إلى دعبل يمدح الرشيد، ثم إذا به يذمه و يهجوه، ثم يرون إلى أمره كذلك مع المأمون و المعتصم و عبد الله بن طاهر و غيرهم من الملوك و الأمراء و الوزراء الذين كانت السياسيه العامه و دفه نظام الحكم السياسي بأيديهم، فيسمى المؤرخون هذه الظاهره من دعبل خيانه "لأولياء نعمته"، و ينسبون إليه عدم الوفاء.

و هذا صاحب "الأغانى" مثلا يقول فى دعبل أنه "شاعر مطبوع خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء و لا من وزرائهم و لا أولادهم و لا ذو نباهه، أحسن إليه أو لم يحسن، و لا أفلت منه كثير أحد، و كان من الشيعة المشهورين بالميل إلى على ص، و لم يزل مرهوب اللسان و خائف من هجائه للخلفاء، فهو - دهره كله - هارب متوار".

و هذا صاحب "تاريخ بغداد" يقول فيه أن "أصله من الكوفه، و يقال من قريقسيا و كان يتنقل فى البلاد، و أقام ببغداد مده ثم خرج منها هاربا منه.

ص: ٧٩

١- الإزار: ما يتستر به، أو ملحفه.

المعتصم لما هجاه، و عاد إليها بعد ذلك، و كان خبيث اللسان، قبيح الهجاء".

و لعلك لا تقرأ فصلا في تاريخ الأدب العباسي يذكر فيه دعبل، إلا و يقترن اسمه فيه بأنه " خبيث اللسان " و أنه يسىء إلى من أحسن إليه، و يضربون لك الأمثال بموقفه من الرشيد و المأمون و المعتصم و غيرهم.

و الواقع أن دعبل نفسه قد القى ضوءا على هذه الظاهره في سلوكه، حين قال هذه الأبيات يتوعد بها المأمون.

أ يسومنى المأمون خطه عاجز أ و ما رأى بالأمس رأس محمد(١)

يوفى على هام الخلائق مثلما توفى الجبال على رؤوس القرد

لا تحسبن جهلى كحلم أبى، فما حلم المشايخ مثل جهل الأمد

إنى من القوم(٢) الذين سيوفهم قتلت أخاك و شرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله و استنقذوك من الحضيض الأوهد

فان دعبلا حين قال له إبراهيم بن المدير: " أنت أجرأ الناس و أقدمهم حيث تقول هذا الشعر فى المأمون "، أجاب:

- أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبنى عليها.

و ما كان لرجل، مثل دعبل، أن يقول هذا القول، لمجرد كونه شاعرا " خبيث اللسان " كما يصفه المؤرخون، فان من يحمل خشبته أربعين سنة يتعرض لصاليه، إنما هو فى الواقع يحمل غرضا كبيرا تخف المسأله الشخصيه المحض فى ميزانه، و تفسير هذا أن دعبلا- كان على مذهب فى المعارضه السياسيه تأبى عليه أن يهادن سلطان الحاكمن العباسيين، لأنه كان يعتقد، فى مذهبه السياسى هذا، أنهم يغتصبون السلطان اغتصابا.

فليس " خبث اللسان " و ليس " عدم الوفاء " - إذن - سبب موقفه المعروف من الرشيد، إذ مدحه، ثم هجاه و ذمه فى مثل قوله حين مات الرشيد:

قبران فى طوس(٣): خير الخلق كلهم و قبر شرهم(٤)، هذا من العبر

و ليس " خبث اللسان " و لا " عدم الوفاء " كذلك سبب موقفه من الأمين يوم مات والده و استخلف هو بعده، إذ قال:

الحمد لله، لا صبر، و لا جلد و لا رقاد إذا أهل الهوى رقدوا

خليفه مات لم يحزن له أحد و آخر قام لم يفرح به أحد

فمر هذا و مر الشوم يتبعه و قام هذا و قام الشوم و النكد

وقيل أن دعبل قال البيتين الأولين حين مات المعتصم وقام الواثق.

و في هذا الضوء نفسه، نفسر موقفه من إبراهيم بن المهدي المغني حين بايعه بنو العباس بالخلافه، مذ بايع المأمون أمام العلويين عليا بن موسى الرضا بولايه العهد، وقد قل المال عند إبراهيم بن المهدي، فخرج رسوله إلى الناس، وهم محتشدون ينتظرون أقواتهم، فصرح لهم انه لا مال عنده، فقال بعض الجماهير المحتشده ساخرا:

- أخرجوا إلينا خليفتنا المغني يعطى أهل هذا الجانب ثلاثه أصوات، و أهل هذا الجانب ثلاثه أصوات، فيكون ذلك عطاؤه لهم!.

و بعد أيام، من هذا الحادث، أنشد دعبل:

يا معشر الأجناد لا تقنطوا و ارضوا بما كان، و لا تسخطوا

فسوف تعطون " حنينه " (٥) يلدها الأمد، و الأشمط

و المعبديات (٦) لقوداكم لا تدخل الكيس، و لا تربط

و هكذا يرزق قواده خليفه مصحفه " البربط " (٧)

قد ختم الصك بارزاقكم و صحح العزم، فلا تغمطوا

بيعه إبراهيم مشئومه يقتل فيها الخلق، أو يقحطوا

و في ضوء سياسته المعارضه هذه، و تنكره لأهل الحكم العباسي، و من يتصل بجهاز هذا الحكم من وزراء و قاده و ولاء، كان يرى إلى نقائص الدوله و نقائص رجالها، و يرى إلى علاقاتها بالشعب الذي تحكمه، فيدرك الخلل في ميزان العدل و ميزان الحكم كله.

و في هذا الضوء ذاته، قال ما قاله في أبي عباد وزير المأمون الذي كان معروفا بشراسته مع الناس و الكتاب و صغار الموظفين:

أدنى الأمور لضيعة و فساد أمر يدبره أبو عباد

خرق (٨) على جلسائه، فكأنهم حضروا لملحمه، و يوم جلاد

يسطو على كتابه بدواته (٩) فمضمخ بدم و نضح مداد

و كأنه من "دير هرقل" (١٠) مفلت حرد، يجر سلاسل الأقياد

فاشدد أمير المؤمنين وثاقه فأصح منه بقيه الحداد (١١)

و يؤيد الرأى بان دعبلا كان يهجو مثل هذا الهجو، لا عن محض هوى ذاتى، بل انتصارا لعقيده يعقدها، موقف المأمون نفسه من شاعرنا بالرغم من هجائه إياه تقدم، و ذلك أن المأمون كان ذا ميل معروف للعلويين، و قد ولى الامام الرضا ولايه عهده، و كان يعلم من حال دعبل أنه يهجو العباسيين و رجال دولتهم عن رأى و عقيده، لا عن " خبث لسان " و " عدم وفاء " و لذلك عفا عنه، و تناسى قوله فيه و فى أبيه و أخيه و عمه.

و قد قيل للمأمون يوما أن دعبل قد هجاك. فقال: من أقدم على هجو أبى عباد مع جنونه، كيف لا يقدم على هجوى مع حلمى.

و الأمر عند المعتصم، فى موقفه من دعبل، يختلف عن أمر المأمون، فقد كان المعتصم يغضب لكل ما يقوله دعبل فى أحد من بنى العباس أو من رجال دولتهم، حتى لقد هم بقتله حين بلغه ما قاله فى أبيه الرشيد بعد موته، فهرب دعبل و اختفى زمنا فى الجبل، و هجا المعتصم هجاء لاذعا، فى مثل قوله:

بكى لشتات الدين مكثب صب و فاض بفرط الدمع من عينه غرب

و قام إمام لم يكن ذا هدايه فليس له دين، و ليس له لب

و من هذه القصيده فى المعتصم يصف اضطراب حال الشعب، و انتشار الفقر و الظلم:

فقد ضاع أمر الناس حين تسوسهم و حل بهم عسر، و قد عظم الخطب

و قد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم وصيف، و أشناص، قد عظم الكرب(١٢)

هكذا وقف دعبل، طوال عهده بممارسه الشعر، من الدوله العباسيه، و قد احتمل بذلك عناء التشريد، و طوف فى الآفاق هاربا و سائحا، فرحل إلى خراسان و إلى بلاد الشام و مصر و المغرب، و قد طالت ألفته، أثناء أسفاره و تشرده، بالشراه الثائرين و الصعاليك المشردين.

و ما اقتصر شعره فى تأييد عقيدته و مذهبه السياسى على هجاء الحكام العباسيين، بل لقد مدح أهل البيت من أبناء على بن أبى طالب، و رثى.

ص: ٨٠

١- يعنى رأس محمد الأمين بن الرشيد.

٢- يقصد خزاعه، لأن عبد الله بن طاهر قائد المأمون من خزاعه و هو قائد الحمله على الأمين فى سبيل خلفه المأمون.

٣- طوس: مدينه هى حاضره خراسان حيث دفن الرشيد و الامام على بن موسى الرضا.

٤- يعنى بالأول قبر الامام الرضا، و بالثانى قبر الرشيد.

٥- ألحان منسوبه إلى حنين المغنى.

٦- يقصد ألحان معبد المغنى.

- ٧- البربط: الآله الموسيقيه التي تسمى الكمنجه اليوم.
- ٨- خرق: "بفتح الخاء و كسر الراء ":أحمق.
- ٩- كان أبو عباد يقذف كتابه بالدواه كلما غضب، و كان سريع الغضب.
- ١٠- مستشفى للمجانين.
- ١١- إشاره إلى شخص معروف بالحمق.
- ١٢- وصيف و أشناص تركيان جعلهما المعتصم قائدين فى الجيش العباسى.

شهداء كربلاء، و سائر من قتل منهم فى مختلف العهود السياسيه. و أشهر شعره، فى أهل البيت قصيدته التائيه التى يقول فيها
تعريضا بظلم الحاكمين:

ألم تر للأيام ما جر جورها على الناس من نقص، و طول شتات
و من دول المستهترين و من غدا بهم طالبا للنور فى الظلمات
فكيف، و من أنى يطالب زلفه إلى الله بعد الصوم و الصلوات
و يقول فيها:

تراث بلا قبرى، و ملك بلا هدى و حكم بلا شورى، بغير هدا
رزايا أرتنا خضره الأبق حمره وردت أجا طعم كل فرات
ثم يرثى الحسين بن على فى هذه القصيده:

فاما الممضات التى لست بالغا مبالغها منى بكنه صفات
قبور بجنب النهر من أرض كربلاء معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشى بالفرات، فليتنى توفيت فيهم قبل حين وفاتى
و يشير إلى اضطهاد العلويين و تكاثر ضحاياهم:

لهم كل يوم تربه بمضاجع ثوت فى نواحي الأرض مفترقات
تنكب لأواء السنين جوارهم و لا تصطليهم جمره الجمرات
و قد كان منهم فى الحجاز و أرضها مغاوير، نحارون فى الأزمات

و بالإجمال، نقول أن شعر دعبل يكاد يكون معظمه شعرا عقائديا، سواء ما كان منه مدحا و ما كان منه هجاء، فقد كان يمدح
لعقيدته، و يهجو لعقيدته، و كان فى كلا الحالين جريئا شجاعا صريحا، و لكنه - كما قلت فى أول هذا الفصل - لم يستطع أن
يلائم كل الملاءمه بين سولكه [سلوكه] الأدبى و بين مذهبه السياسى، فقد اضطر أن يمدح ناسا من رجال الدوله السياسيه
لمحض الحاجه إلى العطاء و الجائزه، و إلا لظل يعانى مكاره العوز و الحرمان التى كان يعانها أول عهده ببغداد، و قبل أن يشق
له الرشيد طريقه إلى بلاطه و عطائه..

و ما يدرينا، فلعله كان يظل مغمورا مجهولا، فى ذلك العصر، لو لا أن يغنى مغنى الرشيد تلك الأبيات على مسمعه و يعجب بها

و يطلب إليه قائلها هذا الذى قال عنه المغنى يوم ذاك أنه "بعض أحداث خزاعه ممن لا يؤبه له!" و لكنه - على كل حال - قد مات آخر الأمر قتيلا بهجوه السياسى، و صلب على خشبته التى حملها أربعين سنه، و ذلك عام ٢٤٦ هجرية، بعد أن عاش نحو ٩٧ عاما، و قد جاء فى تاريخ دمشق أن المعتصم قتله و قيل أن ابن طوق التغلبى هو الذى قتله لهجائه إياه، و إنه أرسل إليه من اغتاله فى إحدى العشيات بقريه فى نواحى السوس بالأهواز، و كان أبو تمام قد مات قبله، فرثاهما البحرى بقوله ":

قد زاد فى كلفى، و أوقد لوعتى مثنى حبيب يوم مات، و دعبل

أخوى، لا تزل السماء مخيله تغشى كما بسماء مزن مسبل

جدث على الأهواز يبعد دونه مسرى النعى، و رسمه بالموصل (١)

الشيخ راغب حرب:

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٣ من المجلد الأول من المستدركات، و ننشر هنا بعض ما رثى به فمن قصيده للسيد محمد حسن الأمين:

أنت الغريب.. و لكن غربه القمم فأسكن جراحك و ارحل من دم لدم

ما المجد غير جراحات.. و مذ ظمئت سقيتهن الندى يا سيد الكرم

العمه الحره البيضاء ما برحت فى البال تزهو كلمع البرق فى القمم

عرس اكتمالك هذا فاقترح لغتى فى العرس.. و اصمت لها يا فارس الكلم

حبست بالكلمات الريح أى يد لم تحترق بشواظ الحرف أى فم

أتيت أجلوك للثوار قافيه خضراء. مرت بها فاخضوضرت قمى

و جئت اسكب من عينيك نهرسنى للمهرجان سنى عينيك ملء دمي

قم و اهدر الآن فى اعماقنا ظما لهادر من بليغ القول مضطرم

كم راح صوتك يوم الروع يلهبنا و يوقظ النار فى غاف من الهمم

أيام هب جراد فى مرابعا ملء الفضاء و ملء السهل و الأكم

و اتلعت رأسها صهيون و انتفخت أوداجها و هى سكرى بالدم العرم

و الحاكمون انتشوا بالعار و ازدلفوا يقايضن شكاه الشعب بالصمم

و أنت أنت جبين واثق و فم سيف على البغى لم يغمد و لم يصم
وقفت قلت ابتدى يا كربلاء هنا و يا ضلوع على أشواقها التحمى
و يا دم الرفض يغلى فى جوانحنا هذا زمان اقتحام الروع فاقتحم
و يا ربى "عامل" بالثوره اغتسلى و ازلى بيهود البغى و التهمى
و رحتمنح كل القاعدين دما يغلى و تبعث نبض الروح فى الرمم
و من قصيده للشوخ عفيف النابلسى:

قم حى راغب حرب ذروه القمم و نانس الدر فىما صغت من كلم
و أنبذ أقاويل من ذلوا و من خنعوا و استمروا العيش فى بحبوحة النعم
و خذ لنفسك دربا يجتليك علا و اثار لمن ظلموا من كل منتقم
و أنصت لراغب حرب فى مقولته (المجد للسيف ليس المجد للعلم)
ذكرت فىك الابا و الشوس هاربه يلفها الخوف من رأس إلى قدم
تختال فى صهوه الهيجاء منبلجا كطلعه البدر يجلو طخيه الظلم

ميرزا رحيم خان بهشتى:

توفى سنه ١٣٥١ و دفن فى تبريز.

كان طبيبا مشهورا، له رساله فى الدفاع عن الإسلام و كتاب مضار المسكرات.

الأغا الميرزا رضى الزنوزى التبريزى:

ولد فى تبريز سنه ١٢٩٤ فى اليوم الرابع عشر من ذى القعدة تعلم القرآن و مبادئ الأدب الفارسى و العربى فى تبريز و بعد أن بلغ مبلغ الرجال أخذ فى تعلم العلوم الإسلاميه فى المدارس القديمه حتى سنه ١٣١٨ هـ و فى هذه السنه هاجر إلى النجف الأشرف لتكميل دراساته الإسلاميه و حضر فى حلقات درس كل من: المولى محمد الشريبانى و ملا محمد كاظم الخراسانى و السيد كاظم اليزدى الطباطبائى و شيخ الشريعه الأصفهانى.

و أخذ المعقول و النجوم عن الشيخ محمد باقر الإصطهباناتى و شيخ الشريعه الأصفهانى و تعلم الطب من أخيه فيلسوف الدوله.

و أخيرا القى رحل الإقامة فى بلده قم المقدسه، و اشتغل هناك بالتدريس و التأليف. - و من آثاره: كتاب القضاء و الشهادات، و فلاح العامل و فهرس كتابى رجال الكشى، و خلاصه العلامه الحلى.

و مما يدل على قوه باعه و تضلعه فى الفقه و معرفه الأحكام ان السيد الطباطبائى بعد ما ألف العروه الوثقى فى الفقه، و ظف المترجم له و الشيخ أحمد كاشف الغطاء بتجديد النظر فيها و لكن عاقه السفر إلى موطنه تبريز عن هذا العمل الكبير. (٢).

الامام السيد روح الله بن السيد مصطفى بن السيد أحمد الموسوى الخمينى

اشاره

ولد فى العشرين من جمادى الثانيه سنه ١٣٢٠ فى مدينه خمين بايران و توفى فى سنه ١٤٠٩ فى مدينه طهران و دفن فيها.

أسرته

أبوه الشهيد السيد مصطفى الموسوى ابن السيد احمد الموسوى،

ص: ٨١

١- يقصد قبر دعبل بالأهواز و قبر أبى تمام بالموصل.

٢- السيد إبراهيم السيد علوى.

درس في النجف الأشرف و سامراء و عاد إلى خمين، التزم رعايه المسلمين فيها و في ضواحيها. و بعد ولاده ابنه روح الله باربعه أشهر و ٢٢ يوما أى في يوم ١٢ ذى القعدة سنه ١٣٢٠ هـ اغتيل و هو في طريقه من خمين إلى أراك.

ثم نقل جثمانه إلى النجف الأشرف حيث دفن فيها و كان له ثلاثه أبناء و ثلاث بنات. و أبناءه هم:

١ - السيد مرتضى (المعروف بسنديده) من العلماء و سكن مدينه قم.

٢ - السيد نور الدين، و كان يسكن طهران.

٣ - السيد روح الله و هو أصغر أولاد أبيه.

في طريق العلم

كان شغوفا منذ طفولته باكتساب العلم و الحكمه، بدأ الدراسه لدى معلم اسمه "الميرزا محمود" و هو لم يزل طفلا صغيرا. و كان هذا المعلم ياتى إلى المنزل ليعلم هذا الطفل الذكى دروسا في القراءه و الكتابه، ثم واصل التعلم لدى معلم آخر اسمه "الملا أبو القاسم" و ذهب بعدئذ إلى مدرسه حديثه لتعلم الكتابه.

و في أوائل بلوغه، فقد أمه بعد أن توفيت عمته التي كانت تربيته، و بذلك ظلت سحابه كئيبه وجهه الذى لم يمض من عمره سوى سته عشر عاما و أصبحت حياته محفوفه بالمخاطر بين مخالف الوحده و الغربه، و يتم الأبوين و فراق الأحبه.. و لكن لم تستطع هذه الأحزان و الهموم أن تحطم روحه العاليه فبقى صامدا قويا لا ينحنى أمام الأحداث و استمر متوكلا على الله و معتمدا على نفسه في مواجهه المصير الغامض المحتم.

تلقى بعض مقدمات العلوم الإسلاميه لدى أخيه السيد مرتضى، ثم توجه سنه ١٣٣٩ إلى مدينه أراك حيث كانت الحوزه العلميه في أراك وقتئذ تحت زعامه الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و درس هناك آداب اللغه العربيه (البلاغه و النحو و الصرف) و المنطق.

و في عام ١٣٤٠ انتقل إلى مدينه قم حيث نقل الشيخ الحائرى الحوزه العلميه إليها. و استمر بكل جد و اجتهاد في مدارس قم حتى انتهى من مرحله "السطوح" في الحوزه لدى أستاذه السيد على اليربى الكاشانى و بدأ بعدئذ الفصل الأخير من الدراسه الاستدلاليه العاليه في محضر الأستاذ الأكبر الحائرى حتى بلغ درجه الاجتهاد.

و في سنه ١٣٥٥ توفى استاذه الحائرى في حين كان هو يعد من المجتهدين و العلماء الكبار.

و امتاز الامام عن غيره من العلماء بتخصصه في علوم كثيره، فقد جمع المعقول و المنقول و سبق غيره في الفقه و الأصول.

و لاحاطته الواسعه في العلوم العقليه و تحقيقاته في الفلسفه الالهيه، كان الأستاذ الأول في الفلسفه - على الإطلاق - في الحوزه العلميه بمدينه قم و كان المجيب الأول على الشبهات العقليه و الإشكالات و الاعتراضات التي كان المنحرفون يعترضون بها على الإسلام.

و لقد انتشرت فى زمانه بعض الكتب السفسطائيه منها كتاب بالفارسيه اسمه "أسرار هزارساله" أى أسرار ألف سنه. و كانت الإشكالات مربوطه بالمسائل الفلسفيه. و فى مقام رد الكتاب، رجع اليه العلماء فبدأ بتأليف كتاب قيم أسماه "كشف الأسرار".

التدريس

بدأ تدريس خارج الفقه و الأصول سنه ١٣٦٤ و هو فى الرابعه و الأربعين من عمره، و كان تدريسه مصادفا لورود السيد البروجردى إلى مدينه قم.

و كان يمتاز بتعرضه أثناء الدرس للإشكالات الوارده، قبل أن يسبقه بها غيره من الطلبة، كما يمتاز بالشرح المبسوط الوافى و عدم خلطه دروس الأصول بالفلسفه بالرغم من احاطته الواسعه بهذا العلم. و يمتاز أيضا بعدم تقليده أسلافه فى تكرار نظريات القدماء و ابداعه فى التحقيق مع ما كان من تقديره للفقهاء الماضين و ذكرهم بكل إجلال و إكبار.

اما تدريسه الفلسفه و العلوم العقليه فكان قبل زواجه أى قبل عام ١٣٤٨ و هو يسكن مدرسه "دار الشفاء" يومئذ، و لم يمض من عمره أكثر من ثلاثين عاما حيث كان يعد من الأساتذه الكبار و المتخصصين فى الفلسفه و الحكمة الالهيه، و كانت حوزة درسه مقصوره على العلماء و الأفاضل، و كان يهيمه كثيرا أن ينتخب طلابه فى هذه الدروس من خيره الطلاب و أكثرهم ايمانا و ذكاء و يمتحنهم بين الحين و الآخر تحريريا و شفويا ليصفى مجلس درسه من غير أهله.

و بعد فتره من تدريس "الفلسفه"، بدأ بتدريس "العرفان" سرا لنخبه خالصه من الطلاب المعتمدين لديه، ثم حقد جلسه اسبوعيه ليدرس فيها علم "الأخلاق".

و رغم معارضه حكومه رضا بهلوى لمثل هذه الجلسات، لم يبال بذلك، بل ازداد صلابه و عزمه فى مسيرته حيث اشتهرت هذه الجلسه و اشتدت علاقته الفضلاء و الطلاب و حتى عامه الناس بها و توسعت تدريجيا لتستوعب مئات العلماء و الفضلاء و الموظفين و التجار و العمال الذين كانوا يأتون إليها من "قم" و "طهران" و كان مقره فى "المدرسه الفيضيه".

و بهذا الإقبال الشديد على الجلسه، اضطر إلى إقامتها مرتين أسبوعيا (يومية الخميس و الجمعه) حتى تستطيع كل طبقات الشعب، الاستفاده منها.

فأرسل بهلوى يطلب منه تعطيل الجلسه فورا فأجاب الامام بالحرف الواحد: "أنا ملزم باقامه هذه الجلسه باى نحو كان. لتأت الشرطه و تمنع إقامتها". و بعد ان لاحظت الحكومه مدى صلابته و مدى تعاطف الشعب معه، امتنعت عن التدخل المباشر إلا انها زادت فى القسوه و العنف بطرق غير مباشره فاضطر إلى نقل الجلسه من المدرسه الفيضيه إلى مدرسه الحاج ملا صادق فى وضع أكثر محدوديه.

و بعد سقوط بهلوى انتقلت الجلسه مره أخرى إلى المدرسه الفيضيه.

المرجعيه

بعد وفاه السيد البروجردى، اجتمع حوله كثير من رواد العلم و الفضيله من مرديه و عارفى فضله يطلبون منه بالاحاح طبع الرساله العمليه، فامتنع عن ذلك، و طبع حاشيته على وسيله النجاه للسيد أبو الحسن الأصفهانى ثم حاشيته على العروه الوثقى.

و بعد وفاه السيد الحكيم عاد اليه الكثيرون، و برز بعد زمان وجيز، حتى استطاع أن يطوى سجل أقدم امبراطوريه شهدها التاريخ، إذ تمتد جذورها إلى قرابه ألفين و خمسمائه عام، و استطاع أن يقود ثوره و يدير جمهوريه.

حياته الثوريه

كان الامام الخمينى طيله حياته ثوره مشتعله ضد الظلم و الفساد و الجور، مما أدى إلى سجنه مده ثمانيه أشهر فى سجون ايران خلافا لنص

ص: ٨٢

الدستور الذى كان ينص على صيانه الفقهاء و المجتهدين. و كان من جراء ذلك، ان قامت ثوره شعبيه عارمه عمت ارجاء البلاد، من علماء و خطباء و مثقفين و فلاحين و عمال و عامه الشعب فى المدن و الأرياف، قامت تستنكر هذا التحدى السافر، فاضطرت الحكومه ان تطلق سراحه و لكن لأجل محدود.

و لكنه لم يسكت، و لم يستسلم، فما إن خرج من السجن حتى سمع بقانون منح الحصانه الكامله للأمريكيين فى ايران، فخطب خطبته التاريخيه، مما حمل الشاه على ابعاده و نفيه إلى تركيا و منها إلى النجف الأشرف، حيث بدأ هناك بإرشاد الجماهير و توعيتها عبر دروسه الثوريه و بياناته و خطبه و رسائله التى كانت تصل ايران أولاً بأول، و تنتشر فى كافه أنحاء البلاد. إلى أن انتهى الأمر إلى الثوره الشامله التى اطاحت بالعرش البهلوى و أقامت الجمهوريه التى شقت طريقها متماسكه متعالیه بإرشاده و توجيهه.

بعض مشايخه فى إجازة نقل الروايه

- ١ - الشيخ محمد رضا الأصفهاني النجفي، آل الشيخ محمد تقى الأصفهاني، من الميرزا حسين النورى من الشيخ الأنصارى.
- ٢ - السيد محسن الأمين من السيد محمد هاشم الموسوى الرضوى الهندى من الشيخ الأنصارى.
- ٣ - الشيخ عباس القمى من الميرزا حسين النورى من الشيخ الأنصارى.
- ٤ - السيد أبو القاسم الدهكروى [الدهكردى] الأصفهاني من الميرزا محمد هاشم الأصفهاني من الشيخ الأنصارى.

مؤلفاته

يبدأ سير التأليف عنده من المسائل العقليه إلى علم الأخلاق و العلوم الفقهييه و غيرها و إليك أسماء مؤلفاته:

- ١ - مصباح الهدايه إلى الخلافه و الولايه: كتاب فى العرفان و المسائل العقليه، ألفه و هو فى السابعه و العشرين من عمره.
- ٢ - شرح دعاء السحر لشهر رمضان: ألفه عام ١٣٤٧ و هو فى التاسعه و العشرين من عمره.
- ٣ - كتاب (الأربعون حديثاً): سبعة أحاديث منها فى المسائل العقليه و ٣٣ حديثاً فى الأخلاق.
- ٤ - حاشيه على فصوص الحكم للقيصرى و مصباح الأنس: فى العرفان.
- ٥ - حاشيه على مفتاح الغيب: فى العرفان.
- ٦ - أسرار الصلاه أو معراج السالكين: مجلدين. و كان تأليفه سنه ١٣٥٨.
- ٧ - رساله فى الطلب و الاداره.

٨ - حاشيه على رساله شرح حديث رأس الجالوت القاضى [للقاضى] سعيد.

و شرح مستقل على الحديث نفسه.

٩ - كشف الأسرار.

١٠ - شرح حديث جنود العقل و الجهل.

١١ - آداب الصلاه.

١٢ - الرسائل: كتاب يبحث فى قاعده لا- ضرر و لا ضرار، الاستصحاب، التعادل و التراجيح، الاجتهاد و التقليد و التقيه، فى جزءين.

طبع فى قم سنه ١٣٨٥ و تم تجديد الطبع عدّه مرات.

١٣ - كتاب البيع: دروس فقيهيه له فى النجف الأشرف. خمسّه مجلدات.

١٤ - كتاب الطهاره: طبع منه ثلاثه اجزاء.

١٥ - تهذيب الأصول: تقارير درسه فى أصول الفقه فى قم - ٣ أجزاء.

١٦ - نيل الأوطار فى بيان قاعده لا ضرر و لا ضرار: تقارير دروسه بقلم الشيخ جعفر السبحانى.

١٧ - رساله فى الاجتهاد و التقليد.

١٨ - توضيح المسائل: رساله عمليه باللغه الفارسيه.

١٩ - زبده الأحكام: رساله عمليه باللغه العربيه.

٢٠ - كتاب المكاسب المحرمه: فى جزءين - طبع فى قم سنه ١٣٨١.

٢١ - رساله تشتمل على فوائده فى بعض المسائل المشكله.

٢٢ - تحرير الوسيله: متن كامل لدوره فقيهيه. ألفه و هو فى المنفى بتركيا.

٢٣ - جهاد النفس أو الجهاد الأكبر: توجيهات و ارشادات فى الأمور المعنويه. طبع فى النجف الأشرف سنه ١٩٧٤ ميلاديه.

٢٤ - الحكومه الإسلاميه أو ولايه الفقيه: محاضرات فقيهيه سياسيه ألقاها على طلاب العلوم الدينيه فى النجف الأشرف و ذلك من ١٣ ذى القعدة إلى الأول من ذى الحجه سنه ١٣٨٩.

٢٥ - تفسير سورة الفاتحة: و لم يتمكن من إتمامه لمرضه و انتقاله من قم إلى طهران، بعد عام و نصف العام من انتصار الثورة تقريبا.

٢٦ - مناسك الحج.

٢٧ - مجموعه خطبه و بياناته و ارشاداته، جمعتها وزاره الإرشاد الإسلامى و طبع منها ١٩ جزءا لحد الآن تحت عنوان "صحيفه نور".

٢٨ - حاشيه على الأسفار.

٢٩ - الدماء الثلاثة: تقارير درسه.

٣٠ - ديوان شعر: لم يطبع.

زيدة بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن إبراهيم بن يحيى

الشيرازى القوامى المعروف بملا صدرا.

عالمه فاضله أديبه محدثه حافظه للقرآن عالمه بتفسيره.

ولدت فى ذى القعدة سنة ١٠٢٤ هـ و توفيت سنة ١٠٩٢ هـ.

قرأت على أبيها ملا صدرا المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ و أختها أم كلثوم الماره الذكر و برعت فى الأدب و التفسير زفوها للعالم معين الدين محمد الفسوى و رزقت منه كمال الدين محمد المعروف بالميرزا كمالا صهر المجلسى الأول محمد تقى المجلسى المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ و لها كتاب شرح الشافيه و هو شرح مزجى مبسوط ولدها ميرزا كمالا أخذ الأدب عن أمه و نبغ فى هذا الفن.

ترجم لها السيد شهاب الدين المرعشى النجفى فى مقدمه كتاب "معادن الحكمة" قال (العالمه الأديبه الحافظه للقرآن زبيده أم العلامه الأديب الميرزا كمال الدين الفسائى و يعرف بميرزا كمالا صاحبه كتاب شرح الشافيه فى علم الصرف و عندنا منه نسخه فى المكتبه العامه الموقوفه ولدت فى ذى القعدة فى سنة ١٠٢٤). (١)

زينب بنت الفيلسوف الشهير المولى محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازى

القوامى المعروف بملا صدرا.

عالمه فاضله متكلمه جليله فيلسوفه عارفه عابده زاهده من ربات

الفصاحه و البلاغه توفيت فى صدر النهار من يوم الأحد ٢٠ جمادى الأولى سنه ١٠٩٧ هـ.

أخذت العلم عن أخيها الميرزا إبراهيم و تخرجت على والدها صدر المتألهين الشيرازى و زوجها الملا محسن الفيض الكاشانى الذى رزقت منه ثلاثة أولاد و هم محمد علم الهدى و محمد نور الهدى و أحمد معين الدين كلهم من العلماء. ذكرها السيد المرعشى النجفى فى مقدمه كتاب "معادن الحكمة" لولدها علم الهدى.(١)

زينب بنت الشاه مرتضى بن الشاه محمود الكاشانى

عالمه فاضله شاعره أديبه أخذت العلم عن والدها الشاه مرتضى و أخيها ملا محسن الفيض الكاشانى و كانت تنظم الشعر و من ربات الفصاحه و البلاغه فى عصرها بكاشان و لم أقف على تاريخ ولادتها أو وفاتها. ذكرها السيد المرعشى النجفى فى مقدمه كتاب "معادن الحكمة" و [لابن أخيها علم الهدى و وصفها بالعالمه الشاعره زينب المكناه بام أبيها زوجه رجل فاضل من بنى أعمامها.(٢)

الأمير أبو النصر سام ميرزا بن الشاه إسماعيل الأول الصفوى:

مر ذكره فى المجلد السابع و نضيف إلى ذلك ما يلى: ولد سنه ٩٢٣ و قيل مات حين هدم عليه السقف فى الزلزال سنه ٩٧٤ هـ حين كان مجبوسا فى حصن قهقهه أو قتل سنه ٩٨٣ هـ كما جاء فى حبيب السير كان أديبا شاعرا فاضلا محققا زعيما ثائرا قائدا كبيرا و هو ثانى أولاد الشاه إسماعيل الأول المؤسس للدوله الصفويه و فى سنه ٩٣٩ هـ أصبح واليا على هرات و قندهار كما فى تاريخ (جهان آرا) ص ٢٨٧ و بعد وفاه والده الشاه إسماعيل و جلوس شقيقه الشاه طهماسب على عرش ايران ثار المترجم له ضد أخيه الشاه طهماسب فى هرات و وقعت بينهم معارك داميه حتى أسر المترجم له و سجن فى حصن قهقهه و اختلف المؤرخون فى كيفيه وفاته قيل مات فى الزلزال سنه ٩٧٤ هـ حين هدم عليه السقف و هو مسجون فى حصن قهقهه و أكد صاحب كتاب حبيب السير فقال: عند ما عزم الشاه إسماعيل الثانى على جمع الأمراء إخوانه و أبناء أعمامه فى سنه ٩٨٣ هـ قتل المترجم له على يد الشاه إسماعيل الثانى و هذه [هذه] روايه أصح الروايات. و كان المترجم له قد خاض معارك السياسه و القتال و على رغم هذا لم يترك الاشتراك فى الأدب و التحقيق فله أشعار جيده و من آثاره ديوان شعر فى ستة آلاف بيت و كتاب (تحفه سامى) فارسى المؤلف فى سنه ٩٥٧ هـ فى تراجم الشعراء و يحتوى على ٦٦٤ ترجمه من شعراء أيام تأسيس الدوله الصفويه مع ذكر نماذج من أشعارهم مما يوضح لنا قسما من تاريخ الأدب الشيعى فى ذلك العصر و طبع مكررا فى الهند و إيران و ذكره البغدادى فى إيضاح المكنون ج ١ ص ٢٥٠ و نقل عنه كثير من المحققين و المستشرقين منهم الميرزا عبد الله الأفندى فى كتابه رياض العلماء و صاحب رياض الشعراء و آذر بيگدلى فى كتابه (آتشكده) و هدايه فى مجمع الفصحاء و المستشرق إدوارد برون فى تاريخ الأدب الفارسى الجزء الثالث و الرابع و غيرهم و ترجم له هدايه فى تاريخ (روضه ناصرى) مفصلا و فى مجمع الفصحاء ج ١ ص ٥٨ و إدوارد برون فى الجزء الثالث من تاريخ الأدب الفارسى ص ٦٣٨ و ٦٧٤ و ٧٤٦ و شيخنا فى الذريعه ج ٣ ص ٤٤٠ و ج ٩ القسم الثانى ص ٤٢٣ و غيرهم.(٣)

مر بحث عنه فى الصفحه ٤٤ من الجزء الأول من المستدركات، ثم بحث آخر فى الصفحه ١٣٩ من المجلد الثانى، ثم بحث ثالث فى الصفحه ٣٦٧ من نفس المجلد مع قصيده من شعره. و ننشر هنا ما قيل فى رثائه: قال الشيخ عبد المنعم الفرطوسى من قصيده:

صريح و نصل السيف حد لسانه إذا فاه لا يبقى لمكنونه ستر

يناضل عن حق صريح مضيع لأمته قد بزّه المعتدى جهرا

فظورا يرينا الدر من فمه جمرا و أخرى يرينا الجمر من فمه درا

جرىء، جنان الليث بين ضلوعه لأمته فى كل آونه يضرى

له نهضات لم يسعها مجالها و لو وجدت وسعا لضيق الدهرا

سيرتيك تاريخ مجيد تشرفت باعمالك الغراء صفحته الغرا

و حريه للفكر حطمت قيدها جهارا فحررت الصحافه و النشرا

حياتك فى دنيا المفاخر هاله معاليك تبدو حولها انجما زهرا

ملكيت قياد الأمر غير مساوم فما ملكت كفاك حقلا و لا قصرا

و آثرت أن تحيا عزيزا بنا حرا و قد صنت إكبارا ضميرك أن يشرى

وداعا أبا الأحرار و الشعب واجم و كل عيون الشعب من شجن عبرى

وداعا أبا الأحرار و الشعب واجم و كل عيون الشعب من شجن عبرى

وداعا أبا الأحرار لا عن ملاله و عز على الأحرار أن يبعد المسرى

و فيك المعزى بعد فقدك موطن جميع قلوب المخلصين به حرى

و قال السيد جواد شبر من قصيده:

بمملك حق تفتخر البلاد و مثلك من له يلقي القيادة

علوت بهمه تسمو بنفس تضيق بشاوها السبع الشداد

أصخ لى لست مداحا و إنى لأسام من مديح يستعد

و لكنى وقفت أخط درسا له أعمالك الجلى مداد

و أجعل منك نبراسا منيرا متى استهدوا به سعدوا و سادوا

سلوا قبرا طوى سعدا أ يدري طوى بطلا عليه الاعتماد

طوى أمل البلاد أ ليس حقا يقام لمثله هذا الحداد

مشى التاريخ يطوى الناس حتى رآك فقال هو المراد

تمثلت الصراحه فيك شخصا فلا يثنى عزيمتك ارتداد

تسير بمبدإ صلب النواحي و تقتاد الجبال و لا تقاد

و قال السيد محمد جمال الهاشمى من قصيده:

يا ابن الغرى عليك أنثر دمه خرساء عن آلامه تتكلم

أوحى إليك رساله روحيه فى لفظها معنى الإباء مجسم

فوقفت تحرس مجده بعزيمه كالسيف يقطر من مضاربه الدم

نزهد سمعته عن التهم التى يعيوبها التاريخ غيرك يوصم

حتى خلقت من العزائم قوه عنها أحابيل السياسه تحجم

السيد سعيد بن حسين الحسينى التنكابنى:

ولد حدود ١٢٠٥ و توفى بعد ١٢٤٧.

ولد فى تنكابن و نشأ بها و أخذ المقدمات فى مدارسها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند أعلامها ثم رجع إلى موطنه و انشغل بالتدريس. له مؤلفات منها:

١ - الباقيات الصالحات فى شرح بعض الأحاديث.

٢ - ديوان شعر باللغه الفارسيه. (٤)

الشيخ سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد بن دوست محمد بن نور

محمد بن الحاج محمد بن الحاج قاسم على الجنازى الملقب بسلطان على شاه.

ولد سنة ١٢٥٨ و قتل فى ١٣٢٧.

ولد فى شوراب من قرى جنازاد و تعلم القراءه و الكتابه فى موطنه ثم اشتغل بتعلم الصرف و النحو و المعانى و البيان و هاجر إلى مشهد الرضاع و أخذ السطوح عن اعلامها ثم هاجر إلى الأعتاب المقدسه و حضر على

ص: ٨٤

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الصالحى.

٣- الصالحى.

٤- الشيخ محمد السامى.

الشيخ الأنصاري صاحب المكاسب و الرسائل و غيره ثم رجع إلى إيران و سكن (سبزوار) برهه من الزمن مستفيدا في الفلسفه من بحوث المولى محمد هادى السبزواري صاحب المنظومه، ثم دخل في سلك التصوف و العرفان و بعد وفاه محمد كاظم سعاده على شاه الأصفهاني قام مقامه في الزعامه الصوفيه و كان يسكن بيدخت من قرى جناباذ إلى أن قتل في سحر يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٧ و دفن هناك و أقيمت على قبره قبه عاليه.

له مؤلفات منها بيان السعاده في مقامات العباده في تفسير القرآن الكريم.

٢ - معادن نامه - ٣ - ولايت نامه ٤ - بشاره المؤمنين ٥ - مجمع السعادات ٦ - تنبيه النائمين ٧ - توضيح ٨ - إيضاح (١).

هذا ما كتبه لنا الشيخ محمد السمامي، و قد كتب الشيخ سلطان حسين تابنده رضا على شاه الجنابدى حفيد المترجم - كتب ترجمه لجده نشرها مقدمه لكتاب جده في التفسير المسمى (بيان السعاده في مقامات العباده)، نأخذها فيما يلي: بيانا لوجهه نظرهم الصوفيه، فالمترجم كان من اعلام الصوفيين في عصره، و حفيده الكاتب هو اليوم شيخ صوفىي إيران. و قد زرنه في منزله في طهران على أمل استقصاء بعض الحقائق عنهم و بيان وجهه نظرهم و دفاعهم عما يرميهم به مهاجموهم من خروج على العقائد الصحيحه، فلم يتسن لنا في تلك الجلسه التبسط في الحديث، فاحالنا الشيخ على رسائل مكتوبه بالفارسيه، قال أنها تفي بالمرام، و لما كنا نجعل الفارسيه فقد سلمها الشيخ لأحد المريدين ليسلمها لمن يترجمها إلى العريه ثم يوصلها إلينا. و بالرغم من بقائنا في طهران أكثر من شهر و نصف الشهر فلم يصلنا شيء. و إليك ما كتبه الحفيد عن جده المترجم. و قد تركنا تعابيره - على عجمتها - كما هي حفظا للنص، و لم نبدل إلا القليل الذي كان لا بد من تبديله:

كان شيخ السجاده في الطريقه - النعمه اللهيه و من أشهر العلماء و العرفاء في القرن الأخير، و كانت ولادته على ما كتبه والده المرحوم المولى حيدر محمد بنخطه في ظهر القرآن الموجود صورته الفوتوغرافيه في كتاب "نابغه علم و عرفان" في الثامن و العشرين من شهر جمادى الأولى سنة إحدى و خمسين و مائتين بعد الألف، و حين بلغ ثلاث سنين سافر والده إلى بعض بلاد إيران ثم إلى الهند و فيها انقطع خبره، و ابتلى المترجم بفراق والده و صار تحت حضانه أخيه محمد على و عند بلوغه ست سنين شرع بامر أمه و أخيه في تعلم القرآن المجيد و الكتب الفارسيه و في مده خمس شهور صار ناجحا فيه و بعد ذلك لم يساعده التوفيق لإدامه التحصيل و اشتغل بالأمر الدينيه بامر أخيه حتى بلغ عمره سبع عشره سنه، و اشتغل مره أخرى بتحصيل العلوم الدينيه المتداوله ابتداء في موطنه و سافر بعد تحصيل العلوم الأدبيه إلى المشهد المقدس الرضوى (ع)، و لتكميل العلوم الدينيه إلى النجف الأشرف و العلوم العقلية و الفلسفيه إلى سبزوار، و استفاد من محضر الحكيم العارف الزاهد المتأله الحاج ملا هادى سنين متواليه و متناوبه، و بعد تكميل العلوم الظاهرية و التفوق و التبحر فيها أدركته جذبه من جذبات الحق بوسيله الحاج ملا هادى و هدايته، و سافر في طلب المقصود إلى أصفهان و تشرف بأخذ الأذكار القليله و الدخول في طريقه النعمه اللهيه عند المولى العارف الجليل الحاج محمد كاظم سعاده على شاه تغمده الله بغفرانه.

و في العود إلى جناباذ تزوج صبيه الحاج ملا على البيدختى حيث أمره مرشده باطاعه أمر أمه في الزواج و بعد مده قليله تهيجت أشواقه لتجديد زياره شيخه و سافر إلى أصفهان. و في سنة ١٢٨٤ صار مفتخرا بأخذ إجازته الإرشاد و تلقين الأذكار القليله و الأوراد المأثوره و ملقبا في الطريقه بلقب سلطان على شاه، و في سنة ١٢٩٣ توفي شيخه و تمكن هو في مقامه و صار شيخ السجاده في طريقه النعمه اللهيه و توجه السالكون إلى الله إليه، و صار مقره بيدخت من قرى جناباذ (٢) محط رحال الوافدين و لم

تكن جنابذ إلى هذا الزمان معروفه و بعد تمكنه هذا اشتهر اسم جنابذ فى بلاد إيران تدريجيا و كان ذلك واحدا من بركات وجوده هناك.

فى سنه ١٣٠٥ تشرف بالحج و زياره البيت و عند رجوعه تشرف بزياره الأعتاب المقدسه فى العراق و لاقى بعض العلماء و الفقهاء من الشيعه فى هذه البلاد مثل المرحوم الشيخ زين العابدين المازندراني و ابنائه و المغفور له الحاج ميرزا حسن الشيرازى و غيرهم فجلوه و عظموه. و بعد عوده إلى إيران و توقفه بطهران حضر بخدمته أكثر رجال العلم و الفقه و السياسه، و ملك القاجار ناصر الدين شاه حينئذ كان بجاجرود، و لما سمع بقدمه إلى طهران أرسل رسولا إلى طهران و أبرز علاقته إلى الملاقاه و أخبر أنه سيعود إلى طهران للقاء حضرته و لكن بعد ما استمع حضرته هذا استعجل فى الحركه قبل قدوم جلاله الملك إلى طهران، و قال: نحن المساكين مجالسو المساكين، ما لنا و للملوك! و عند عوده إلى جنابذ صار مده متمكنا هنا، و بعد سنين سافر مره أخرى لزياره المشهد المقدس الرضوى (ع) و صار هنا مسموما و لكن استعلاج و رفع عنه الخطر و لكن لم ينل صحته الأوليه.

حضرته كان مشتغلا بالأمر الزراعيه لتحصيل وسائل المعاش لأنه كان معتقدا بلزوم الكسب لتحصيل المعاش على ما أمر به المولى السيد نعمه الله الولي اتباعه و مريديه بالكسب و ترك البطاله و هو مع ذلك لم يترك المطالعه و التدريس و التأليف و إرشاد الخلق و اعانه المساكين و قضاء حوائج المحتاجين بل كان يشتغل بمعالجه المرضى أيضا حتى صار مشتهرا بالحذاقه فى الطب. كان كثير التنسك و العباده و لم يفت عنه تهجد الأسحار و كان مولعا باقامه شعائر الدين و المذهب، مثل صلاه الجماعه و مجالس الذكر و قراءه القرآن و إقامه عزاء أهل البيت ع، و كان قانعا من الدنيا فى الأكل و اللبس بأقلها، و كان يأمر اتباعه و مريديه أيضا بالمحافظه على الآداب الدينيه، و إذا رأى أو سمع فى بعض المريدين خلافا لم يتمكن فى أمر الدين من كظم الغيظ و الكتمان بل كان يشدد و يغلظ عليه حتى انه طرد بعضا من المريدين على أثر عدم مراقبتهم لآداب الشرع بعد تذكيره إياهم للمراقبه و عدم تأثيره فيهم.

و لا غرو أن نذكر هنا استطرادا خصائص من طريقه النعمه اللهي:

منها أن السيد و خلفاءه إلى الآن أمر جميع مريديه بمحافظه آداب الشرع المقدس النبوى (ص) من العمل بالواجبات و السنن و ترك المحرمات بل المكروهات، لأن تخليه القلب عن غير الله تستلزم إطاعه الرسول و أولى الأمر و اتباع أحكامه، لأن المحب لا يجوز له بل لا- يمكنه مخالفه أمر المحبوب، و كل من ادعى محبه الله يلزمه إطاعه أوامره و أوامر الرسول، حيث قال: إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم [يحببكم] الله، و ما لم يتزين الظاهر و الجوارح بحفظ حدود الله لا يتأدب القلب بآداب الروحانيين، و لهذا ليس فى هذه الطريقه ما يخالف الشرع الشريف من الاعتقادات الباطله و البدع و الأعمال المنهيه حتى السماع، و مجالس الذكر أيضا منزله عن جميع هذه الأمور.

و منها أن الاخوان فى هذه الطريقه مأمورون بترك البطاله و الانزواء و الرهبانيه و بالاشتغال بواحد من الأشغال الدنيويه المباحه لتحصيل المعاش حتى يغنيهم عن غيرهم فى المعاش، لأن الإنسان محتاج فى الدنيا إلى الأكل و الشرب و اللبس و المسكن و كلها من الضروريات للحياه الدنيويه و الوصول إليها يكون اما بالكسب أو السرقة أو السؤال و إظهار احتياجه إلى الغير، و كل ما كان بدونه

١- الشيخ محمد السماوي.

٢- جنابذ: بلده في خراسان الإيرانية

رضا مالكة كالغصب فهو داخل في السرقة حقيقه، و كل ما كان مقرونا بالطمع فهو من السؤال و كلاهما حرامان عقلا و شرعا و عرفا فيبقى الكسب مباحا سواء كان فلاحه أو تجاره أو صنعه أو غيرها من المكاسب المختلفه المحلله، فلازم على جميع الفقهاء فى هذه الطريقه أن يشتغل كل منهم بكسب حتى لا يكون كلا على غيره بل لازم أن يكون بحيث ينتفع به الغير.

و لما كان اخوان هذه الطريقه مامورين بترك الانزواء و بالدخول فى الجماعات صار البسط فيهم غالبا على القبض المصطلحين عند الصوفيه، لأن غلبه القبض على البسط فى السالك إلى الله، تكون فى الأغلب على أثر الانزواء و العزله عن الخلق و الدخول فى الجماعات مستتبع للبسط لأن السالك لازم له أن يشاهد ظهور الحق فى جميع المظاهر و يحسن المعاشره و المجالسه مع الجميع لكون محبتهم ظلا لمحبه الله.

و منها عدم التقيد فى هذه الطريقه بكسوه مخصوصه و زى معين فى الظاهر كالخرقه المخصوصه و التاج و أمثال ذلك المعموله فى كثير من طرق التصوف، بل قال السيد و خلفاؤه: إن اللازم للصوفى لباس التقوى لا غيره، و لا غرو إذا لم يتلبس فى الظاهر بلباس معين و عباده الله و السلوك إليه ممكن و جائز فى كل لباس و زى سواء زى أهل العلم أو رجال الحكومه أو غيرهم، بخلاف كثير من سلاسل الصوفيه حيث يكون فيها خرقة مخصوصه و التاج المختص به بحيث يكون التقيد به لازما على كل من دخل فى هذه الطريقه، و فى بعض الطرق يكون هذا التقيد مختصا بمجالس الذكر و لكن ليس فى طريقه النعمه اللهيه هذا أصلا لا فى مجالس الذكر و لا فى غيرها أصلا.

و حضره المؤلف الجليل أيضا لما كان بهذه السيره و على أنه لم يترك واحدا من الواجبات بل المستحبات و كان تاركا للمحرمات بل المكروهات، و كان مشتغلا بالشغل الدنيوى أمر اتباعه و مرديه أيضا بهذه الأمور، و كان شديد التحفظ عليها، و فى ليله السبت السادس و العشرين من شهر ربيع الأول سنه سبع و عشرين و ثلاثمائه بعد الألف صار مخنوقا و غريقا و ارتحل من الدنيا شهيدا، و دفن فى أعلى مقابر بيدخت، و خلف ابنه العالم العارف الكامل المولى الحاج ملا- على نور على شاه الثانى المتولد فى السابع عشر من شهر ربيع الثانى ١٢٨٤ و صار خليفه والده حتى قتل مسموما بكاشان فى الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنه سبع و ثلاثين و ثلاثمائه بعد الألف، و صار سليله الجليل والدى المعظم المولى الحاج محمد حسن صالح على شاه المتولد فى الثامن من شهر ذى الحجه الحرام سنه ثمان و ثلاثمائه بعد الألف خليفه له، و مسند الطريقه فى هذا الزمان مزين بوجود سماحته أطال الله بقاءه الشريف.

و للمولى الحاج ملا سلطان محمد مؤلفات كثيره أكثرها فى الأحكام و الآداب الشرعيه و الأخلاق مع التطبيق على أصول العرفان مثل سعادتنامه و مجمع السعاده و بيان السعاده و ولايتنامه و بشاره المؤمنين و تنبيه النائمين و التوضيح و الإيضاح، اثنان منها و هما بيان السعاده و الإيضاح بالعربيه و غيرهما بالفارسيه، و له تأليفات أخر غير ذلك فى المنطق و النحو مثل تهذيب التهذيباشيه و شرح على تهذيب المنطق، و حواش على الأسفار كلها بالعربيه.

و أهم مؤلفاته تفسير القرآن المجيد المسمى "بيان السعاده فى مقامات العباده" و هو من أهم التفاسير المؤلفه فى القرن الأخير حتى قال فيه الفقيه الكامل المرحوم الحاج آقا محسن المجتهد العراقى و الحكيم الجليل المغفور له الآخوند ملا محمد الكاشانى "تفسير السلطان سلطان التفاسير" و قد ذكر فى هذا التفسير نكات دقيقه عرفانيه و فلسفيه و أدبيه فى بيان الآيات لم يذكرها أحد قبله كما صرح به نفسه فى مقدمه التفسير و جميع ما ذكر فى تفسير الآيات مستند إلى الأحاديث و الأخبار المرويه من مصادر

و لما كان شديد العلاقه و الإراده بشيخه و مرشده الحاج كاظم سعادته على شاه سمي ثلاثه من مؤلفاته باسمه و هي سعادته نامه و بيان السعاده و مجمع السعاده كالمولوى البلخى الخراسانى حيث سمي ديوانه باسم مرشده شمس الدين التبريزى، و المولى محمد تقى الكرمانى مظفر على شاه حيث ختم أشعاره فى ديوانه باسم مرشده مشتاق على شاه شمس الدين التبريزى، و المولى محمد تقى الكرمانى مظفر على شاه حيث ختم أشعاره فى ديوانه باسم مرشده مشتاق على شاه [ارحمهم الله.

و بعد أن يسرد الكاتب خصائص كتاب التفسير مما لا علاقته له بموضوعنا هنا يعود إلى القول بان هناك من أنكر أن يكون الكتاب للمترجم بل هو لمؤلف آخر، فيرد هو على هذا الزعم قائلا:

و بعد تأليف هذا التفسير و طبعه و انتشاره اشتهر فضل المؤلف بين الخواص و العوام و كل من رأى التفسير و لاحظته أقر بفضل مؤلفه و نبوغه و عبقريته و صار ذلك سببا لتشديد حسد الحاسدين حتى أنكر بعضهم كون هذا التأليف المنيف منه، و أصروا فى تلقين هذا الافتراء فى قلوب بعض آخر و ذكروا هذا بوجه مختلفه بحيث وقع فى قلوب بعض الفضلاء أيضا و تلقوا بالقبول من دون دقه و تحقيق. و الحال أن اللازم للفقيه المحقق و الناقد المدقق التحقيق و التعمق فى الأمور و عدم الحكم بشىء مشكوك الا بعد التحقيق، لأنه إذا ظهر له خلاف ذلك يصير نادما على ما حكم به قبلا كما قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة" و لكن بعضا من الفضلاء و الفقهاء أيضا تلقوا ما سمعوا من بعض المعاندين و الحساد بالقبول ظنا منه الصدق و الصحه و بعد ما ظهر لهم خلافه عدلوا عن رأيهم السابق مثل حجه الإسلام المغفور له الحاج شيخ محمد باقر الجازار حيث ألف كتابا و سماه "إطغاء المكاييد و إصلاح المفاصد" بالفارسيه فى رد الصوفيه و الشيخيه و الباييه و الحال أن ذكر هذه الثلاثه مرادفا بعيد عن مثل هذا المحقق لأن بين عقيدته الصوفيه و الشيخيه مع الباييه بينونه بعيده، لأن الأولين من المتعصبين فى التشيع و الباييه منكرون للإسلام و قائلون بنسخه و ظهور دين جديد.

و الفقيه المغفور له ذم المؤلف و ذكره بعباره موهنه بهذا المضمون و هو أنه:

"سمع من بعض الثقات أن هذا التفسير ليس منه بل من صوفى مبتدع آخر سابق عليه و هو وجد نسخته الخطيه القديمه و جعله باسمه و الحال أنه لم يفهم مضامينه" حتى أن مؤلف هذا الكتاب حرف اسم التفسير و سماه بيان الشقاوه و لكنه لم يدرك حقيقه هذا الاسم و لم يستشعر به فلم يخض فى غور معناه لأن هذا التفسير و لو فرض أنه لم يكن منه أو كان منه و كان باطلا و لكنه بيان القرآن فتسميته بهذا الاسم أن كان مع قصد و شعور فى الحقيقه شتم للقرآن و يكون كفرا و لكن الفقيه المذكور ذكر هذا اللفظ بدون توجه للمعنى.

و لما طبع هذا الكتاب و انتشر رأى نسخه منه واحد من أعادى مؤلف التفسير من أهالى جناب و اعترض على الفقيه المذكور و قال كنا نحن بأعيننا شاهدين لكونه بنفسه مؤلفا لهذا التفسير، و رأينا أنه كان مشتغلا بكتابه جزوات هذا التفسير شخصا، و قرأ بعضه على الحاضرين عند الكتابه، و نسبه هذا الفقيه فى الحقيقه يكون مكذبا لسائر الإيرادات الوارده على مؤلف التفسير من المخالفين لأنه يوجد الشك و التردد عند كل من لم يعرفه فى سائر المنتسبات إليه.

و الفقيه المذكور بعد تأليف هذا الكتاب سافر لزياره المشهد المقدس الرضوى (ع) و توقف ببسخت يومين و صار مانوسا مع خليفه المؤلف الحاج ملا على نور على شاه الثانى و وجد عقائده و أعماله و أفعاله مخالفه للاتهامات الوارده على الصوفيه و لم يجد فيه و فى أعوانه ما يخالف الشرع المقدس النبوى و قال "شنيدين كى بود مانند ديدن" أى السماع لا يكون كالرؤيه، و كتب بعده أيضا

ص: ٨٦

كتابا للمولى الحاج شيخ محمد حسن صالح على شاه و اعتذر من السابق و أظهر الندامه على تأليف الرساله الرديه، و هذا الكتاب موجود الآن و كل ذلك يكون دليلا على صدق نيته و إنه قد اشتبه الأمر عليه من بعض المغرضين و الأعادي.

و قال بعض: أن المؤلف حينما كان في أصفهان اطلع على نسخه خطيه قديمه من المكتبات و تصرف فيها و حذف أولها و آخرها و جعلها باسمه، و قال بعض منهم: أنه كان في الأصل من فاضل نجف آبادي، و قال بعض آخر: أنه من فاضل يزدي كان معه في حجره واحده بمدرسه أصفهان ثم رتب ناشر هذه التهمه آثار اليقين على هذا الوهم لأنه مع عدم ذكر دليل على هذه الدعوى قطع بعدم كون هذا التفسير منه و هذا عجيب و لا سيما ممن ادعى العلم و الروحانيه.

و نحن نقول لم يسافر هو إلى أصفهان لتحصيل العلم أصلا بل كان تحصيله كما ذكرنا بجناز أولاً، و بعد ذلك بالمشهد و سبزوار و النجف الأشرف:

و كانت رحلته إلى أصفهان لأخذ آداب الطريقه و زياره الحاج محمد كاظم سعادته على شاه و كان وجهه همته زيارته و الاستفاضه من محضره فقط، لا العلوم الظاهرية الشرعيه و لا مشاهدته المكتبات، على أن استكتاب هذا التفسير مستلزم لاشتغال مده مديده لا أقل من سنه لكتابته و هو لم يبق باصفهان إلا مده قليله، و أيضا كان هو قبل هذا السفر مشتتاً بالفضل و التبحر في العلوم العقليه و النقليه بطهران و غيره كما ذكرته مشروحا في كتاب "نابغه علم و عرفان در قرن چهاردهم".

و ثانيا لو كان هذا التفسير من مؤلف آخر قبله لذكر في التذاكر و شروح أحوال المتقدمين و كيف يمكن أن يوجد تأليف غير مألوف و معروف عند أحد من الفحول و علماء الرجال و يصير طالب علم غير معروف مطلعاً عليه. و هذه النسبه لا تكون إلا محض التهمه و الافتراء و لا يليق بمسلم فكيف لمؤمن أن يحوم حول هذه الافتراءات.

و قال لي بعض الفضلاء بلسان المدح مریدا به الذم (من قبيل الذم الشبيه بالمدح) أنه تفسير كامل فلسفي عرفاني بنكات دقيقه و مطالب أنيقه أخذها كلها من رشحات الأستاذ الحاج ملا هادي السبزواري رحمه الله، لكنه أيضا خلاف الواقع و ليس بصحيح، لأن كثيرا من النكات التحقيقيه فيها كالتحقيق في وجود الجن و أمثاله ليس موجودا أصلا لا في مؤلفات الحكيم السبزواري و لا في غيره بل من مبتكرات المؤلف الجليل، على أنه لم يدع الابتكار في جميع ما حقق، بل نقول أولا: إنه يفتخر بان كل ما أدرك من الحقائق يكون مقتبسا من رشحات إفاضات الأئمه المعصومين ع و من الأخبار و الأحاديث و ثانيا: أن لازم كل تأليف أن يذكر من أقوال المتقدمين و تحقيقاتهم و يستشهد بها و هذا لا- يكون مخالفا للتأليف و نحن لا نقول: ان جميع ما ذكر من التحقيقات من مبتكرات فكره، بل نقول: إن كثيرا من هذه التحقيقات مما سنح بفكره الكامل و لا- يكون مذكورا في كتب المتقدمين رحمهم الله كما أشار إليه في مقدمه التفسير و قال: "وقد كان يظهر لي بعض الأحيان من إشارات الكتاب و تلويحات الأخبار لطائف ما كنت أجدها في كتاب و لا أسمعها من خطاب" (إلى آخره).

و ذكر العلامة الأستاذ الشيخ محمد محسن الطهراني المعروف بشيخ آقا بزرك في المجلد الثالث من كتاب "الذريعه إلى تصانيف الشيعة" ما عبارته كذا:

بيان السعاده في مقامات العباده أو التفسير المنير تفسير للقرآن الشريف طبع بطهران في مجلد كبير سنة ١٣١٤ على نفقه أصحاب

العارف المعاصر المولى سلطان محمد بن حيدر محمد الكنابدى (الجنابدى) الخراسانى المتوفى حدود ١٣٢٠ معتقدين أنه تصنيف شيخهم المذكور و هو نفسه ذكر فيه أنه فرغ من تاليفه سنة ١٣١١ و لكن نبهنى العالم البارع المعاصر السيد حسين القزوينى الحائرى بانتحال وقع فى هذا التفسير يكشف عن كونه لغيره و لو فى الجملة فان ما أورده فى أوله من تشقيق وجوه اعراب فواتح السور من الحروف المقطعات و إنهاء تلك الشقوق إلى ما يبهر منه العقل توجد بتمام تفاصيلها و عين عباراتها فى رساله الشيخ على بن أحمد المهائى الكوكنى النوائى المولود سنة ٧٧٦ و المتوفى سنة ٨٣٥ المشهور بمخدوم على المهائى و قد ذكر ألقاها الرساله السيد غلام على آزاد البلكرامى فى كتابه سبحة المرجان المؤلف سنة ١١٧٧ و المطبوع سنة ١٣٠٣ و ذكر أن المهائم بندر فى كوكن من نواحى دكن، و نوائت كثاوت قوم من قريش نزلوا إلى بلاد دكن فى زمن الحجاج قال: و له التفسير الرحمانى و الزوارف فى شرح عوارف المعارف، و شرح الفصوص لمحيى الدين، و شرح النصوص للقونوى و أدله التوحيد.

أقول: و تفسيره الموسوم بتبصير الرحمن و تفسير المنان طبع فى دهلى سنة ١٢٨٦، و فى بولاق سنة ١٢٩٥ كما ذكره فى معجم المطبوعات، و كتابه مرآه الدقائق طبع فى بمبئى، و بالجملة المقدار المذكور من رساله المهائى فى هذا التفسير ليس هو جملة أو جملتين أو سطرا و سطرين حتى يحتمل فيه توارد الخاطرين و توافق النظيرين، فهذا الانتحال ثبتنا عن الإذعان بصدق النسبه إلى من اشتهر بأنه له و الله العالم.

و هذا أيضا و ان كان ظاهره موهما للتحقيق و لكنه عند المنصف المحقق لا يخلو عن شوب الغرض و بعيد عن التحقيق، لأن المحقق فى كل أمر لا سيما فى الأمور المحتمله للتهمة و شوب الافتراء لا يكتفى بنقل القول من واحد و لو فرض عادلا بل يجتهد و يفتش و لا يتقاعد عن هذا حتى يحصل له القطع بالدليل، و هذا العالم الجليل كان لازما عليه أن يطالع التفسير المنسوب إلى المهائى و لا يقتصر على نقل القول و يطابق الكلمات و التحقيقات حتى يزول عنه الشك لأن الخبر يحتمل الصدق و الكذب، و نسبه الخلاف إلى المؤمن بنقل خبر شخص واحد خلاف، و يكون مصداقا للآيه الشريفه ان جاءكم فاسق نبيا.

و ثانيا كان حريا بمؤلف الذريعه لتكميل التحقيق أن يسال معاصريه من العلماء و الفضلاء المنصفين الذين كانوا يعرفونه و رأوه حتى يصير فضله عليه واضحا، لأن كثيرا من فحول العلماء فى زمانه مثل آيه الله الشيرازى و الحاج ملا على السمنانى و الحاج ميرزا حسين السبزوارى و الآخوند ملا محمد الكاشانى و الشيخ زين العابدين المازندرانى و أولاده رحمهم الله، و غيرهم كانوا معترفين بفضله و نبوغه، و كل من حضر محضره من المؤلفين و المخالفين لم يتمكن من إنكار فضله و علمه و تقواه حتى أعاديه، و سائر تأليفاته أيضا شاهده على ذلك فان تاليفه ليس منحصرنا بهذا التفسير بل له تأليفات كثيره بالفارسيه و العربيه و حواش و تحقيقات على الأسفار و تحقيقات فى علوم الأدب و غيرها و هى كلها شاهده لعبقريته رحمه الله.

و ثالثا لو كان هذا الفاضل محققا لم يقع فى الخطا فى تاريخ وفاه المؤلف و لم يذكره بالتقريب بل كان لازما عليه تحقيق التاريخ القطعى لوفاته حتى لا يقع فى الاشتباه، و هو نفسه أقر بهذا الاشتباه فى المجلد الرابع من الذريعه عند ذكر كتاب تنبيه النائمى أحد مؤلفات صاحب التفسير، و هذا دليل على أنه خرج عن حد الإنصاف و فى كلامه الطويل الذى ذكرناه الذى يكون ظاهره متينا و باطنه من الغرض و العناد شحينا، و غلب عليه حس البغض و الحال أن المحقق لا يليق أن يقع تحت تأثير

إحساسات الحب و البغض و لا- سيما إذا كان شيوع أمثال هذا من شخص واحد أو شخصين معروفين بالغرض الشخصى و
الأهواء النفسانيه فان المغرض و إن كان بلباس أهل العلم يكون افتراؤه على

ص: ٨٧

المسلمين سببا للفسق و عدم قبول قوله.

و رابعا كان حريا أن يطالع و يلاحظ طرائق الحقائق للحاج ميرزا معصوم نائب الصدر الشيرازى فإنه مع كونه فى زمن تأليف هذا الكتاب مدعيا للطريقه و معرضا عن مؤلف التفسير و لعله كان مغرضا فى وقته و لكنه مع ذلك لم ينكر فضله عند ذكر حالاته فى هذا الكتاب و لا سيما عند بيانه فى شرح عظمه هذا التفسير، و نحن نحيل الطالبين إلى مطالعه هذا الكتاب و مطالعه "نابغه علم و عرفان" فى شرح حال المؤلف من تأليفاتى و "رهنماى سعادت" فى ترجمه تفسير بعض السور الصغار منى.

و قال بعض آخر: لقد أجاد المؤلف فى تأليف هذا التفسير و بلغ الغايه القصوى فى التحقيقات الأدبيه و الفلسفيه و العرفانيه و بعض المسائل الفقيهيه، و لكنه لشده علاقته بامر الولايه و تأويل الآيات بها خرج عن حد الاعتدال و صار كلامه شبيها بالغلو مثل تفسير كلمه الله فى قوله تعالى فى سوره البقره "و منهم من بقول آمنا بالله و باليوم الآخر" بعلى الذى هو مظهر الإله، و كذا فى آيات آخر مثلها، و فى سوره البراءه "ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبه عن عباده و يأخذ الصدقات" و فى موارد آخر بمظاهره و خلفائه الفانين ببشريتهم فى الله، و مثل إطلاق الرب على رب الأرباب و الرب المضاف و تفسير الرب المضاف بالرب فى الولايه كتفسير الرب فى مثل آيه "فمن كان يرجو لقاء ربه" فى آخر سوره الكهف بالرب فى الولايه ملكوته ثم جبروته و تفسير الرب فى آيه "و جاء ربك و الملك صفا صفا" فى سوره الفجر بالرب المضاف الذى هو القائم فى وجود السالك و تفسير الكفر فى موارد متعدده بالكفر بالولايه و كذا الإشراك بالشرك.

بالولايه، و لكن هذا أيضا خلاف لواقع مذهبه لأن كل هذا يكون مبني على العقائد العرفانيه التى تكون مستنده إلى الآيات و الأخبار المأثوره من الأئمه ع، لأن الأخبار فى تفسير الايمان بالايمان بالولايه كثيره كما فى الكافى، فى باب ما نزل فيهم و فى أعدائهم، و أما تفسير كلمه الله بعلى فهو بطريق المجاز و ذكر الظاهر و إرادته المظهر و هو أيضا مستفاد من الأخبار، لأن الايمان بالله ملازم للايمان بمظاهره، و الكفر بمظاهره يستلزم الود و مخالفه أمر الله و هو كفر به، كما

روى عن أبى جعفر الباقر ع: إن حبنا إيمان و بغضنا كفر، و أمثال ذلك كثيره، و استعمل فى القرآن أيضا كذلك لأن نسبه قبول التوبه و أخذ الصدقات إلى الله لا يمكن حمله على ظاهره لأن الله لا يرى و لا يكون له يد فلا بد أن يراد من كلمه الله مظاهر الذات المستجمعه لجميع صفات الكمال بطريق المجاز كما قال تعالى شأنه "و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى".

أما تفسير الرب فهو أيضا صحيح لأن الرب فى اللغه بمعنى المربى و قد أطلق فى القرآن على غير الله كما فى سوره يوسف نقلا عن يوسف (ع) "أذكرنى عند ربك" و كلمه رب الأرباب أيضا دليل على صحه إطلاق الرب على غير الله تعالى بعنوان الرب المضاف و كونه تعالى شأنه رب الأرباب.

بل أهل السنه و الجماعه و محققوهم أيضا اعترفوا بذلك و فى كتبهم أخبار كثيره فى هذا الباب، كما فى موده القربى للمير سيد على الهمداني الشافعى فى الموده الثالثه أنه

قال النبى فى جمع من الصحابه: لا يحب عليا إلا مؤمن و لا يبغضه إلا كافر.

و فى ينابيع الموده للشيخ سليمان البلخى الحنفى فى الباب التاسع و الخمسين نقلا عن الصواعق المحرقة، قال

أخرج الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس أن النبي ص قال: على باب حطه من دخل فيه كان مؤمنا و من خرج منه كان كافرا.

و نسبه الغلو إلى المؤلف الجليل كتسميه القميين المتقدمين رضى الله عنهم، كل من لا يعترف بسهو النبي (ص) غالبا لأنهم كانوا قائلين بأنه بشر بصريح الآية الشريفة "قل إنما أنا بشر مثلكم" وقالوا أن البشر يعترى عليه السهو و النسيان و الخطأ فهو أيضا جائر السهو، و كانوا معتقدين أن كل من لم يعترف بذلك يكون غاليا، و لذا كانوا يحتسبون غيرهم من فقهاء الشيعة غاليا بالتقريب و الحال أنه ليس كذلك كما ذكر مشروحا في المفصلات، و الغالى فى الحقيقة من أثبت جميع الصفات الثبوتية الموجودة فى الإله المستجمع لجميع صفات الكمال المتجلى فى كل العوالم و الذرات الحى الباقى الدائم الذى لا يعتريه نقص و لا زوال و لا ممت للفرد البشرى الذى يكون له أدوار الحياه من الصغر و الشباب و الكهولة و يصير مريضا و ضعيفا و فقيرا و غير ذلك من نواقص المادة، فالاعتقاد بالوهيه جسمانيه على بن أبى طالب ع المنسوب إلى عبد الله بن سبا، أو ألوهيه جعفر بن محمد ع، كما نسب إلى محمد بن مقلص الأسدى المكنى بأبى الخطاب أو بالوهيه على بن محمد الهادى أو الحسن العسكرى ع كما روى نسبه إلى فارس بن حاتم بن ماهويه القزوينى المقتول على يد جنيد بامر الامام أبى محمد العسكرى ع كلها كفر و غلو، لأنه خلاف الشهود و رأى العقل لأن الشىء الفانى و الهالك كيف يمكن أن يكون إلها فاطر السموات و الأرض، و لكن العبد إذا صار فانيا من صفات بشريته و استنار بنور الألوهيه و صار حيا بالحياه المعنويه يصير مظهرا للذات الأحديه و مجلى للجلوات الربوبيه فيصدر منه أمور خارجه عن حيطه ظاهر البشريه من المعجزات و الكرامات و خوارق العادات، و كلما كان فناؤه فى الذات الأحديه أتم كان بقاءه به أقوى حتى يصل إلى مقام يصير مظهرا تاما له، و عند ذلك يكون أقوى مظهر و أتم مجلى لله، و هذا يكون فى الحقيقة متصلا بل متحدا مع مقام المشيه التامه و هذه المظهرية كانت مخصوصه بمحمد (ص) و بعده بعلى (ع) و بعده بالأئمه المعصومين من ولده حادى عشرهم ثانى عشر الأئمه و قائمهم، فهم الأسماء الحسنى و الصفات العليا و المظاهر التامه و المجالى الكامله لذات الله و هم قادرون على جميع ما تعلق القدره الالهيه بإرادته و قدرته، فهم عالمون بعلمه، و قادرون بقدرته، و يريدون بإرادته، و ليس شىء من ذلك كفرا و لا شركا و لا غلوا، بل يكون عين التوحيد لأن المعتقد بذلك لا يرى لاي فرد منهم شخصيه مخصوصه قبال الذات الأحديه بل يقول، إنهم فانون و لا يكون لهم شخصيه إلا مظهرية الله تعالى و البقاء به فهم كالمراه حيث لا ينظر إليها إلا لمشاهده الصوره المتجليه فيها، و الأئمه ع مرآه ذات الله كما

ورد "بنا عرف الله و بنا عرف الله" فهذه العقيدته فى الحقيقة عين التوحيد و لذا تكون عقيدته القميين فى الحقيقة إفراطا و غلوا فى التمسك بظواهر الآيات و الأخبار، و نسبه الغلو إلى المؤلف أيضا كذلك (انتهى).

و قد نشرنا ما تقدم على طوله لما فيه من أمر الانتحال الطريف، و ما فيه مما يقوله الصوفيون عن معتقداتهم ردا على ما يرمون به من العظائم. و نترك بعد ذلك للقارئ أن يستنتج ما يشاء.

المولى سليمان بن محمد الجيلانى التنكابنى:

توفى بعد سنه ١٠٩٨.

كان من العلماء المحققين و له مؤلفات منها:

١ - التوحيد - تم تأليفه فى سنه ١٠٨٨ ٢ - العلم - رساله فارسيه فى أقسام العلوم.

٣ - الرجعه - رساله فى الرجعه أتمها فى سنه ١٠٨٩.

٤ - رساله فى المعاد و هى باللغه الفارسيه.

٥ - شرح الصحيفه السجديه.

٦ - الحركه و السكون و الزمان.

ص: ٨٨

المولى سليمان الرامسى التنكابنى:

توفى بعد سنة ١١٢٤.

ولد فى رامسر و نشأ بها ثم هاجر إلى أصفهان و حضر عند المولى محمد السراب التنكابنى و ولده المولى محمد صادق و غيرهما ثم رجع إلى رامسر و اشتغل بالتدريس و اشتهر بذلك و كان ينظم الشعر بالفارسيه و له قصيده بمناسبة تعمير مسجد الجمعة (آلارنيه) منقوشه على لوحه خشبيه فى المسجد. (٢)

سويد بن سعيد بن سهل بن شهر يار:

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

الامام المحدث الصدوق، شيخ المحدثين، أبو محمد الهروى ثم الحدثانى الأنبارى، نزيل حديثه النوره بليده تحت عانه، و فوق الأنبار، رحال جوال، صاحب حديث و عناية بهذا الشأن.

لقى الكبار، و حدث عن: مالك بن أنس ب "الموطأ"، و حماد بن زيد و عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى، و عبد الرحمن بن أبى الرجال، و شريك القاضى، و عبد الحميد بن الحسن الهلالى، و سوار بن مصعب، و أبى الأحوص، و حفص بن ميسره الصنعانى، و عبد ربه بن بارق، و مسلم الزنجى، و إبراهيم بن سعد، و خالد بن يزيد بن أبى مالك، و فضيل بن عياض، و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، و بقيه بن الوليد، و سفيان بن عيينه، و على بن مسهر، و عبد العزيز بن أبى حازم، و الدراوردى، و عبد الرحمن بن أبى الزناد، و فرج بن فضاله، و خلق كثير بالحرمين و الشام و العراق و مصر.

روى عنه: مسلم، و ابن ماجه، و بقيه شيخه، و أبو عبد الرحمن المقرئ، و محمد بن سعد، و أحمد بن الأزهر، و أبو زرعه، و بقى بن مخلد، و أبو حاتم، و يعقوب بن شيبه، و إبراهيم بن هانىء، و عبيد العجل، و الحسن المعمرى، و إسحاق المنجنيقى، و جعفر الفريابى، و أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء راوى "الموطأ" عنه، و سعيد بن عبد الله بن عجب الأنبارى، و عبد الله بن أحمد، و القاسم المطرز، و أبو القاسم البغوى، و أبو بكر الباغدى، و آخرون.

قال عبد الله بن أحمد: عرضت على أبى أحاديث لسويد بن سعيد، عن ضمام بن إسماعيل، فقال لى: أكتبها كلها، أو قال: تتبعها، فإنه صالح، أو قال: ثقه.

قال الحسن الميمونى: سال رجل أبا عبد الله، يعنى: أحمد، عن سويد، فقال: ما علمت إلا خيرا. فقال له إنسان جاءه بكتاب فضائل، فجعل عليا رضى الله عنه (أولها)، و آخر أبا بكر و عمر. فعجب أبو عبد الله من هذا، و قال: لعله أتى من غيره. قالوا له: و ثم تلك الأشياء؟ قال: فلم تسمعونها أنتم، لا تسمعوها، و لم أره يقول فيه إلا خيرا.

و قال أبو القاسم البغوى: كان سويد من الحفاظ، و كان أحمد بن حنبل ينتقى عليه لولديه صالح و عبد الله يختلفان إليه،

فيسمعان منه.

و قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين، يقول: سويد مات منذ حين.

قلت: عنى أنه مات ذكره للينه، و إلا فقد بقى سويد بعد يحيى سبع سنين.

قال: و سمعت يحيى، يقول: هو حلال الدم. و سمعت أحمد، يقول:

هو لا بأس به، أرجو أن يكون صدوقا. و قال محمد بن يحيى السوسى الخزاز: سألت يحيى بن معين عن سويد بن سعيد، فقال: ما حدثك فكتب عنه. و ما حدث به تلقينا فلا. أى:

إنه كان يقبل التلقين.

و قال عبد الله بن على بن المدينى: سئل أبى عن سويد الأنبارى فحرك رأسه، و قال: ليس بشىء. و قال: هذا أحد رجلين: إما يحدث من حفظه، أو من كتابه. ثم قال: هو عندى لا شىء. قيل له: فأين حفظه ثلاثه آلاف؟ قال: هذا أيسر، تكرر عليه.

و قال يعقوب السدوسى: صدوق مضطرب الحفظ، و لا سيما بعد ما عمى.

و قال أبو حاتم: صدوق. يدلس، و يكثر ذلك.

و قال البخارى: كان قد عمى، فتلقن ما ليس من حديثه.

و قال النسائى: ليس بثقه و لا مأمون.

أخبرنى سليمان بن الأشعث، سمعت يحيى بن معين، يقول: سويد ابن سعيد حلال الدم.

و قال صالح جزره: صدوق عمى، فكان يلقن أحاديث ليست من حديثه.

و قال الحاكم أبو أحمد: عمى فى آخر عمره، فربما لقن ما ليس من حديثه. فمن سمع منه و هو بصير، فحديثه عنه أحسن.

و قال أبو بكر الأعين: هو شيخ، هو سداد من عيش.

و قال سعيد بن عمرو البرذعى: رأيت أبا زرعه يسيء القول فى سويد بن سعيد، و قال: رأيت منه شيئا لم يعجبني، قلت: ما هو؟ قال: لما قدمت من مصر، مررت به، فأقمت عنده، فقلت: إن عندى أحاديث لابن وهب، عن ضمام، و ليست عندك، فقال:

ذاكرنى بها، فأخرجت الكتب، و أقبلت أذاكره، فكلما كنت أذاكره، كان يقول: حدثنا به ضمام، و كان يدلس حديث حريز بن عثمان، و حديث نيار بن مكرم، و حديث عبد الله بن عمرو:

" زر غبا". فقلت: أبو محمد لم يسمع هذه الثلاثه أحاديث من هؤلاء، فغضب. قال البرذعى: فقلت لأبى زرعه: فأيش حاله؟ قال:

أما كتبه فصحيح، و كنت أتبع أصوله فاكتب منها، فاما إذا حدث من حفظه، فلا.

و

قلنا لابن معين: إن سويدا يحدث عن ابن أبي الرجال، عن ابن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ص، قال: "من قال في ديننا برأيه، فاقتلوه". فقال يحيى: ينبغي أن يبدأ به فيقتل، فقيل لأبي زرعه: سويد يحدث بهذا عن إسحاق بن نجیح فقال: هذا حديث إسحاق بن نجیح، إلا- أن سويدا أتى به عن ابن أبي الرجال، قلت فقد رواه لغيرك عن ابن نجیح، قال: عسى قيل له فرجع.

ابن عدى: سمعت جعفرا الفريابى، يقول: أفادنى أبو بكر الأعين فى قطيعه الربيع (٣) سنة إحدى و ثلاثين بحضرة أبى زرعه، و جمع من رؤساء أصحاب الحديث حين أردت أن أخرج إلى سويد، فقال: وقفه، و تثبت منه:

هل سمعت هذا من عيسى بن يونس؟

فقدمت على سويد، فسألته، فقال:

حدثنا عيسى بن يونس، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك، عن رسول الله ص، قال: "تفترق هذه الأمة بضعا و سبعين فرقه، شرها قوم يقيسون الرأى، يستحلون به الحرام، و يحرمون به الحلال".

ص: ٨٩

١- الشيخ محمد السماوى.

٢- الشيخ محمد السماوى.

٣- و هى منسوبة إلى الربيع بن يونس، حاجب المنصور و مولاه، و كانت بالكرخ مزارع للناس.

فوقفت سويدا عليه بعد أن حدثني به، و دار بيني و بينه كلام كثير.

قال ابن عدى: فهذا إنما يعرف بنعيم بن حماد، فتكلم الناس فيه من جرأه ثم رواه رجل من أهل خراسان، يقال له الحكم بن المبارك، يكنى أبا صالح الخواستي و يقال: إنه لا بأس به ثم سرقه قوم ضعفاء ممن يعرفون بسرقة الحديث، منهم: عبد الوهاب بن الضحاك، و النضر بن طاهر، و ثالثهم سويد الأنباري. و لسويد أحاديث كثيرة عن شيوخه، روى عن مالك "الموطأ" و يقال:

إنه سمعه خلف حائط فضعف في مالك أيضا، و هو إلى الضعيف أقرب.

قال أبو بكر الإسماعيلي: في القلب من سويد من جهه التدليس، و ما.

ذكر عنه في حديث عيسى بن يونس الذي يقال: تفرد به نعيم.

قال حمزه السهمي: سألت الدارقطني عن سويد بن سعيد، فقال: تكلم فيه يحيى بن معين، و قال لا حدث

عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عطيه، عن أبي سعيد، أن النبي ص قال: "الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة".

قال يحيى بن معين: و هذا باطل عن أبي معاوية، لم يروه غير سويد.

و جرح سويد لروايته لهذا الحديث.

قال الدارقطني: فلم نزل نظن أن هذا كما قال يحيى، و أن سويدا أتى أمرا عظيما في روايه هذا، حتى دخلت مصر، فوجدت هذا الحديث في "مسند" أبي يعقوب المنجنيقي - و كان ثقه - رواه عن أبي كريب، عن أبي معاوية، فتخلص سويد. و صح الحديث عن أبي معاوية، و قد حدث النسائي، عن أبي يعقوب هذا.

قال البخاري: حديث سويد منكر.

و قد روى ابن الجوزي: أن أحمد بن حنبل، قال: هو متروك الحديث.

فهذا النقل مردود لم يقله أحمد.

و من مناكير سويد، و هو مشهور عنه،

عن يزيد بن زريع، عن شعبه، عن قتاده، عن عكرمه، عن ابن عباس، قال: قيل: يا رسول الله، لو صليت على أم سعد، فصلى عليها بعد شهر، و كان غائبا. و هذا لم يتابع سويد عليه.

سويد: حدثنا ابن عيينه، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله.

مرفوعا: "المهدي من ولد فاطمه".

رواه إسحاق المنجنيقي عنه ، وإنما

روى الناس عن ابن عيينه بالاسناد:

" يملكك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي "

أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي من كتابه الأصل، قال: حدثنا سويد، عن مالك، عن الزهري، عن أنس، عن أبي بكر: " أن النبي، ص، أهدى لأبي بكر "

قال الخطيب: لم يتابع سويد عليه.

روى الحسين بن فهم: عن يحيى بن معين - و ذكر سويدا - فقال:

لا صلى الله عليه.

و قال أبو أحمد بن عدى فى

حديث: " من قال فى ديننا برأيه فاقتلوه " هذا الحديث الذى قال يحيى بن معين: لو وجدت درقه و سيفا، لغزوت سويدا الأنبارى.

و قال أبو عبد الله الحاكم: أنكر على سويد

حديث: " من عشق و عف و كتم و مات، مات شهيدا "، ثم قال: فقال: إن يحيى لما ذكر له هذا، قال:

لو كان لى فرس و رمح، غزوت سويدا. و قال إبراهيم بن أبى طالب: قلت لمسلم: كيف استجزت الروايه عن سويد فى "الصحيح"؟ قال: فمن أين كنت أتى بنسخه حفص بن ميسره؟ قلت: ما كان لمسلم أن يخرج له فى الأصول. و ليته عضد أحاديث حفص بن ميسره، بان رواها بنزول درجه أيضا.

أخبرنا أحمد بن هبه الله، عن زينب الشعريه، أخبرتنا فاطمه بنت زعبل، أخبرنا عبد الغافر الفارسي، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا سويد، حدثنا شهاب بن خراش، عن محمد بن زياد، عن أبى هريره، عن النبي ص: " ما بعث الله نبيا إلا كان فيهم المرجئه و القدرية يشوشون عليه أمر أمته، و إن الله لعنهم على لسان سبعين نبيا " و هذا منكر.

ابن عدى: حدثنا الباغندي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عبد الحميد بن الحسن، عن ابن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ص: " كل معروف صدقه، و ما أنفق الرجل على أهله و نفسه فهو صدقه، و ما وقى به عرضه فهو صدقه، و ما أنفق من نفقه، فعلى الله خلفها، إلا ما كان فى بنيان أو معصيه " غريب جدا.

إبراهيم بن محمد بن عرفه نبطويه: حدثنا محمد بن داود بن على، حدثنا أبى، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا على بن مسهر، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعا، قال: " من عشق و كتم و عف و صبر، غفر الله له، و أدخله الجنة " .

أخبرنا أحمد بن إسحاق القرافي، أخبرنا المبارك بن أبي الجود، أخبرنا أحمد بن أبي غالب الزاهد، أخبرنا عبد العزيز بن علي، أخبرنا أبو طاهر المخلص، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا زياد بن الربيع، عن صالح الدهان، عن جابر بن زيد، قال: نظرت في أعمال البر، فإذا الصلاة تجهد البدن، ولا تجهد المال، وكذلك الصيام. قال: والحج يجهد المال و البدن، فرأيت أن الحج أفضل من ذلك كله.

فضل الأعمال بعضها على بعض، إنما هو التوقيف، و ورد في ذلك أحاديث عدة، لكن إذا قلنا مثلا: أفضل الأعمال الصلاة، فينبغي أن يعرف المقدار الذي هو من الصلاة أفضل من الحج مره. وكذا إذا قلنا: الصلاة أفضل من الصوم، و أمثال ذلك، بل المسلمان يصومان يوما، و يصليان ركعتين من النقل [النفل]، و بينهما من مضاعفه الثواب ما الله به عليم يقع في ذلك من الصفات.

قال البخارى: مات سويد يوم الفطر سنه أربعين و مائتين بالحديثه.

قال البغوى: بلغ مائه سنه (انتهى).

يبدو من بعض ما مر أن الرجل كان شيعيا لذلك طعنوا فيه و استحلوا دمه.

السيد شبر بن على بن محمد المشعل الموسوى السترى الغريفي البحراني:

مرت ترجمته فى المجلد السابع، و نستدرک عليها هنا ما يلى:

الصحيح فى تاريخ وفاته هو سنه ١٢٨٨ و كانت ولادته فى البحرينسنه ١٢٣٠. و درس فى البحرين على الشيخ عبد الله السترى. ثم أخذ عن علماء الجزائر، ثم سكن البصره ثم المحمره. و فيه يقول السيد موسى الطالقانى من قصيده مطلعها:

الحب يعلم أن الحب من شانى و أن ترفع عن ذل الهوى شانى

يقول فيها:

ما زار جفنى بعد البين طيف كرى و لا سحبت بربع الأنس اردانى

ص: ٩٠

سوى عشيه وافانى البشير بها بقرب (شبر) حيانى فاحيانى

مولى مناقبه كالشهب نيره بين الخلائق لم تحتج لبرهان

لله درك فى سن الشباب لقد سدت البريه من شيب و شبان

لئن نهضت باعباء العلى جذلا فتلك شنشنه من آل عدنان

بدر يلوح ببرج العلم مكتملا و كم غدا البدر فى خسف و نقصان

يرعى البعيد بما يرعى القريب به هما لديه غداه البذل سيان

لسان مدحى لا يحصى ثناك و لو إنى قضيت بنظم الشعر أزمانى

لذاك قصرت لا بل قد قصرت و لو إنى استعرت لسان الأنس و الجان

خذها إليك أبا العلياء فائقه من الفصاحه قد جاءت بالحنان

فالق ما أنت ملقيه فتلك عصا "موسى بن جعفر" لا "موسى بن عمران"

و للمترجم ديوان شعر مخطوط يوجد الآن عند حفيده السيد حسن بن السيد عدنان.

و يروى صاحب (أنوار البدرين) عن سبب نزوحه إلى شيراز حيث توفى فيها ما يلى:

فى آخر عمره أخذته الغيره الايمانيه على ما جرى على أهل البحرين من الحكام الوهابيين المتغلبين عليها من الظلم و العدوان و غضب أموال الشيعة و قتلهم و تشريدهم فادى نظره و اجتهاده إلى محاربتهم فترأس الحركه الجهاديه ضد الحكام الوهابيين و ناضلهم و لكن لقله العدد و العده اندحرت جماعته و تفرق شملها فرأى السيد شبر أن يتصل بناصر الدين شاه القاجارى ليكون له ظهرا فسافر إلى شيراز فى طريقه إلى طهران. فلما علم الوهابيون ذلك أرسلوا إلى حاكم شيراز بهدايا كثيره و بأموال طائله ليصرفوه عن السيد و ليسد طريقه إلى الشاه و بالفعل فقد وقع ما أرادوا و فعل الحاكم ما سعوا إليه و لذا لم يقابله الحاكم و لم ينظر إلى ما جاء به إليه فبقى السيد فى شيراز حوالى أربعة أشهر حتى توفى بغصته عادم النصير و المعين. و قد خلف من الذكور ولدا واحدا هو السيد عدنان المتوفى ١٣٤٠ [١٢٤٠] هـ.

و مصدرنا فى هذا الاستدراك ما كتبه لنا السيد على العدنانى الغريفى.

شرف النساء بنت أبى طالب بن مكرم العلوى الحسنى البغدادى.

كانت حيه فى رجب سنه ٥٦٠ هـ عالمه فاضله محدثه جليله من فواضل نساء الشيعة فى مطلع القرن السابع للهجره ببغداد ولدت فى بغداد و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى سيد المحدثين العلامة الشريف أبو محمد قریش بن السبيع بن المهنا العلوى الحسينى

المدنى البغدادى المتوفى سنة ٦٢٠هـ أخذت العلم و الحديث من زوجها المذكور ثم حضرت على الشيخ أبو طالب المبارك بن على بن محمد بن خضير الصيرفى البغدادى و قد قرأت عليه كتاب (فضل الكوفه) تأليف الشريف أبى عبد الله محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن عبد الرحمن الحسينى الشجرى المتوفى سنة ٤٥٥هـ مع جماعه منهم. زوجها الشريف قريش المدنى البغدادى و ابنته و بناتها آمنه الماره الذكر و فاطمه الآتى ذكرها و عبد الله بن أبى طالب بن أبى بكر المقرئ العجان و فتوح بن جعفر بن الطرزى (١) و قد كتب زوجها الشريف قريش جميع ذلك بخطه المبارك فى آخر كتاب (فضل الكوفه) فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء عاشر رجب سنة ٥٦٠هـ و هذه النسخه النفيسه من كتاب (فضل الكوفه) من مخطوطات المكتبه الظاهريه بدمشق و نسخه فوتوغرافيه منها فى مكتبه أمير المؤمنين (ع) العامه بالنجف الأشرف. (٢)

الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب

الجواهر:

توفى ليله السبت السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٤هـ و دفن فى مقبرتهم فى النجف الأشرف.

تربى فى حجر جده صاحب الجواهر و والده، تتلمذ على الميرزا حسين الخليلى و الشيخ محمد حسين الكاظمى و له منه إجازة مؤرخه يوم الجمعة ٢٩ رمضان سنة ١٣٠٣.

كما تتلمذ على الشيخ هادى الطهرانى و اختص به، و سافر إلى إيران و نزل مدينه بروجرد و اتصل بالسيد محمود الطباطبائى صاحب (المواهب السنيه) و مكث أربعة أعوام ثم عاد إلى النجف.

مؤلفاته:

(مثير الأ-حزان) فى المجالس الحسينيه طبع عدة مرات و له مقتل الحسين (ع) مخطوط. رثاه السيد إبراهيم الطباطبائى بقصيده مطلعها:

يسأم الموت ميتة المشروف إنما الموت مولع بالشريف

(٣)

الشيخ صادق بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

توفى سنة ١٣٢٩ و دفن فى مقبرتهم المشهوره بالنجف الأشرف. من علماء و فضلاء النجف و الاسره الجواهريه النجفيه، قام بتربيته الشيخ على الجواهرى. و تتلمذ على الميرزا حسين الخليلى و الشيخ محمد حسين الكاظمى و الآخوند الخراسانى و الشيخ محمد طه نجف. و كان بعض العلماء يرجحه على أخيه الفقيه المرجع الشيخ على الجواهرى. رثاه الشيخ عبد الحسين الحويزى بقصيده مطلعها:

جد يا سحاب بصوب دمع هامر لتبل ترب الصادق بن الباقر

قد كنت تنهل من أنامل كفه مستسقىا بعباب بحر زاخر

منن عليك قديمه من فضله يعيى بها لهجا لسان الشاكر

إلى أن يقول مادحا أخاه الشيخ على:

فالييت مرتفع الذرى (بعليه) سامى الدعام بكل ركن عامر

بحر جواهر علمه قدسيه لا خير فى بحر بغير جواهر

(٤)

الشيخ صادق بن الشهيد البرغانى القزوينى آل الشهيدى.

ولد حدود سنة ١٢٢٢ و توفى سنة ١٣١١ هـ.

من ابرز علماء عصره و مراجع الفتوى و التدريس قرأ المقدمات على جماعه من فضلاء قزوین ثم حضر على والده المستشهد سنة ١٢٦٣ هـ على يد الفرقة الباييه و عمه الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و فى سنة ١٢٤٢ قصد العراق مع جمهور من العلماء لنقل جثمان السيد محمد المجاهد الطباطبائى المتوفى سنة ١٢٤٢ فى قزوین بعد رجوعه من ساحات الحرب الإيرانيه الروسيه إلى كربلاء المقدسه فمكث هناك و التحق بحوزه المولى شريف العلماء المازندرانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٤٦ و بعد وفاه استاذه المذكور و انتشار الوباء فى العراق رجع إلى قزوین و حضر ثانيه على أبيه و عمه الشيخ محمد صالح و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآغا الحكمى و الآخوند ملا يوسف الحكمى و الآخوند الشيخ ملا صفر على اللاهيجانى القزوينى فى المدرسه الصالحيه بقزوین ثم توجه ثانيه إلى العراق مع أخيه الشيخ عبد الله امام الجمعه و سكن النجف الأشرف و حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ حسن آل كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٦٢ صاحب أنوار الفقاهه و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و كتب له شيخه صاحب الجواهر إجازته الاجتهاد أشرك فيها أخاه الشيخ عبد الله امام الجمعه ثم رجع إلى قزوین و تصدر كرسى التدريس و الامامه و الفتوى. و بعد

ص: ٩١

١- انظر الثقات العيون فى سادس القرون ص ٢٣٧-٢٣٨ و الأنوار الساطعه فى المائه السابعه ص ١٣٦-١٣٧.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي، و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).

٣- السامى.

٤- السامى.

وفاه أخيه الأ-كبر المولى الآغا محمد إمام الجمعة رجع اليه الناس فى أمر التقليد. ذكره صاحب المآثر و الآثار بما هذا تعريبه: (الآغا الشيخ صادق المجتهد القزوينى له الرئاسة على سائر أفراد آل البرغانى و انتهت إليه الحكومه الشرعيه فى قزوين و له اليوم الزعامه الدينيه و التقدم على علماء تلك المناطق و جميع نواحي قزوين).^(١)

ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعة و وصفه و أثنى عليه و قال:

(فقيه كبير و عالم شهير كان فى النجف الأشرف من تلاميذ الشيخين المعظمين محمد حسن صاحب الجواهر و الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهه غيرهما من الأجلء لازم أبحاث علماء ذلك العصر حتى ارتوى من نميرهم و شهدوا بغزاره علمه فعاد إلى قزوين قائما بالوظائف الشرعيه و صار هناك مرجعها الكبير و ملاذها المقدم... و له إجازة الاجتهاد من شيخه صاحب الجواهر أشرك فيها أخاه الآغا عبد الله إمام الجمعة و هى إجازة تامه، و كان أخوه الآخر الآغا محمد إمام الجمعة فى قزوين قبله... و هذه الأسره من أشرف بيوت العلم، و من السلاسل الذهبيه منذ عهد جدّها الشهيد، و قد تخرج منها عدد كبير من العلماء الأفاضل...).

له مؤلفات و تحقيقات فى الفقه و الأصول و الكلام منها حواشى أنوار الفقاهه فى أربعة مجلدات. و له كتاب الامامه، و رساله فى الإرث. خلف سبعة أولاد ذكور أشهرهم الشيخ مهدي إمام الجمعة و الشيخ هدايه الله الشهير بحاج مجتهد و أصغرهم الشيخ فتح الله.^(٢)

الشيخ صالح بن عبد الكريم البجرانى

عالم جليل أجاز الشيخ محمد على بن الشيخ أبى القاسم المنصورى بالروايه على ظهر كتاب الاحتجاج فى ٢٩ رمضان ١٠٨٧.^(٣)

صالح بن شريف النفزى الرندى المعروف بأبى البقاء.

إشاره

(٤) ولد سنه ٦٦١ و توفى سنه ٦٨٠.

عصر الرندى

كانت الأندلس، فى أواخر القرن السادس الهجرى، تحت ظل الموحدين. و كانت قاعده الدوله فى معظم أيامهم مدينه إشبيليه، و هى لا تزال تحتفظ إلى اليوم بعدد من آثارهم العمرانيه و الحضاريه. و كانت الحرب الجهاديه مستمره بينهم و بين الدول الاسبانيه المعاصره. و كانت تلك الدول فى النصف الثانى من القرن السادس و أوائل السابع خمساً هى قشتاله و ليون، و أرغون، و نافار (نبره) و البرتغال (البرتقال). و بعد أوائل الربع الأول من القرن السابع صارت إلى ثلاث دول فقط حين ذابت دولتان منهما فى الثلاث الأخيريات، و بقيت قشتاله و أرغون و البرتغال. و استمرت الدول الثلاث فى حرب الاستغلاب، فكانت

البرتغال تهاجم من الغرب و قشتاله من الشمال و الوسط و أرغون من الشرق.

و كانت آخر معركة هامه انتصر فيها المسلمون هي وقعه الأرك (٥٩١) قادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى (٥٨٠) - (٥٩٥) ضد ألفونسو الثامن ملك قشتاله المؤيد بجيوش أرغون و نبره. و كان ألفونسو هذا بجمع جيوشه و الوافدين عليه هو المنتصر سنه ٦٠٩ فى (العقاب) على ابن المنصور الملقب بالناصر. و قد كان وجود بطره (بدر و الثانى) ملك أرغون فى المعركة مع قوات أوربيه أخرى يضمنى على المعركة صفه الحروب الصليبيه المماثله لما فى المشرق فى المده نفسها.

(٥) و قد كانت هزيمه المسلمين (موحدين و أندلسيين) فى العقاب منكره شنيعه. و كانت مفتاحا لتداعى الأندلسيين تداعيا سريعا. و سقطت على إثر المعركة عدده مدن و حصون أهمها بياسه و أبده. و اتسع الخرق - من بعد - على الراقع.

و توالى استغلاب الأندلس من جهاتها المختلفه. ففى نحو ثلث قرن من الزمان ضاعت معظم القواعد الأندلسيه. فبعد العقاب (٦٠٩) كانت وقعه قصر أبى دانس (٦١٤) و هكذا سقطت ماردة و بطليوس (٦٣٨) بعد هزيمه ابن هود أمام فرناندو الثالث ملك قشتاله. و سقطت أبده (٦٣٠). و بلنسيه (بيد خايمى الأول ملك أرغون ٦٣٦) و شقر (٦٣٩) و دانيه (٦٤١) و شاطبه ٦٤٤. و مرسيه (صلحا بيد ملك قشتاله فرناندو ٦٤١) و سقطت قرطبه فى مده الخلاف بين ابن هود و ابن الأحمر ٦٣٣ و سقطت جيان (٦٤٣) و إشبيليه (٦٤٤). و كانت ميورقه (من الجزائر الشرقيه) قد سقطت فى معركة مؤثره سنه ٦٢٧. و يرى الناظر إلى الخريطه الأندلسيه أنها كانت تطوى سريعا، و أن الاستغلاب يأخذ شكلا ماساويا لم يكن يتوقعه ملوك الدول الاسبانيه أنفسهم.

دوله غرناطه فى ظل بنى الأحمر خرج محمد بن يوسف (المعروف بابن الأحمر) فى أرجونه سنه ٦٢٩.

و هو من أسره تعرف بنى نصر، و بنى الأحمر. و كان خروجه فى مده تهاوى سلطان الموحدين، فدعا لنفسه، فاطاعته بياسه و وادى آش و نواحيهما، و أطاعته قرمونه و قرطبه و إشبيليه حينا.

و فى رمضان ٦٣٥ ثار أهل غرناطه بوالى ابن هود عليهم و هو عتبه بن يحيى المغيلى، و خرج وفد استقدم ابن الأحمر و نصبه أميرا على غرناطه، و ما انضم إليها من موسطه الأندلس و جنوبها مما شكل دوله غرناطه التى قاومت ببساله و شجاعه قرنين و نصف قرن من الزمان. و كان موقف ابن الأحمر حرجا، فلم يستطع أن يقف فى مواجهه تيار الهجمات القشتاليه - الأرغونيه - البرتغاليه. ففى سنه ٦٤٣ هادن ابن الأحمر فرناندو الثالث ملك قشتاله و اضطر لأن يترك له عددا من المدن و الحصون كارجونه و جيان (٦). و من جراء الهدنه معه كانت إشبيليه فريسه سهله و سقطت سنه ٦٤٤. بينما كان ابن محفوظ المتولى نظر بعض جهات الغرب قد تنازل عن عدد من الحواضر الهامه مثل طلييره و العلى و شلب. و تتالت الأحداث بعد ذلك على غرناطه بين مسالمة بنى الأحمر لقشتاله و تحالفهم معها و بين المدافعه و محاوله استرداد بعض المفقود من أرض الوطن. ففى ٦٦٠ هزم ابن الأحمر غزوه نصرانيه على أراضيها، بمعاونه مطوعه قدمت من المغرب. و سقطت مدينه أستجه سنه ٦٦٢ بتنازل صاحبها ابن يونس لملك قشتاله. و اشتد ضغط القشتاليين على غرناطه بقياده صهر ملكهم دون نونيدى لارا، فكتب أبو العباس العزفى يستصرخ قبائل المغرب لانقاذ الأندلس. و أنشد أبو الحكم مالك بن المرحل قصيده مؤثره لاستنهاض الهمم تليت فى مسجد فاس مطلعها:

استنصر الدين بكم فاقدموا فإنكم إن تسلموه يسلم

لاذت بكم أندلس ناشده برحم الدين و نعم الرحم

ص: ٩٢

١- ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ١٦٥ الطبعة الحجرية الأولى طهران سنة ١٣٠٦ هجرية.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- ملخص عما كتبه الدكتور محمد رضوان الدايه.

٥- فى نهايه الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين (م. عنان) أن ابن الأحمر تعهد أيضا بالانضواء تحت طاعه فرناندو و بحضور مجلس الكورتيس (شبيه بمجلس النواب). و هذا يعنى الطاعه و الولاء.

٦- عصر المرابطين و الموحدين ٢: ٢٨٩. و راجع الروض المعطار للحميرى: ١٠٩، ١٣٨. و قارن ب (التاريخ الأندلسى - د. حجى. ص ٤٩١).

لا تسلموا الإسلام يا إخواننا و أسرجوا لنصره و أجموا

و استردت غرناطه مدينه شريش بعد حمله بنى مرين التى أنجدت الأندلس سنه ٦٦٢. و بعد ضغوط قشتاله بايع ابن الأحمر للمستنصر الحفصى صاحب تونس و لكن هذه الخطوه لم تؤد إلى أن ترفع الضغط عن غرناطه.

و يرى الأستاذ عنان فى تاريخه أنه لما تفاقم عدوان القشتاليين و ضغطهم لم ير ابن الأحمر مناصا من أن يخطو خطوه جديده فى مهادنه ملكهم و مصادقته فنزل له أواخر سنه ٦٦٥ عن عدد كبير من المدن و الحصون منها شريش و المدينه و القلعه. و قدر صاحب الذخير السنيه جملته ما تنازل عنه بنحو أربعين مسورا من المدن و الحصون، و قيل مائه! و لما أعطى ابن الأحمر البلاد المذكوره للأفونش (ألفونس) قال أبو محمد صالح بن شريف الرندى يرثى بلاد الأندلس، و يستنصر بأهل العدو من مرين و غيرهم بهذه القصيده:

لكل شىء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

و على رغم هذه التنازلات و المعاهدات، فقد كان الضغط على دوله غرناطه كبيرا، و قد هاجم ألفونس العاشر (القشتالى) سنه ٦٧١ فاستنجد ابن الأحمر بالمرينيين. و توفى فى العام نفسه، و أوصى ابنه محمد (الفقيه) الذى ولى بعده بان يصل يده بيد المرينيين. و قد تم اللقاء بين النصريين و المرينيين. و عبر السلطان المرينى أربع مرات فى أثناء حكمه لمساعدته الأندلس و الجهاد فيها. و هزم القشتاليون بعد هذا التحالف عددا من الهزائم أهمها فى أستجه ٧٧٤. و ترك المرينيون حاميه مغربيه دائمه فى الأندلس تحت رعايه قائد منهم عرف بشيخ الغزاه. و على الرغم من أن العلاقه بين بنى نصر و بنى مرين لم تكن دائما خالصه من المشكلات الجانيبه فان الصوره العامه هى استرداد الأندلس لعهد من الثبات و القوه فقدته منذ زمن بعيد. و حكم محمد الفقيه حتى سنه ٧٠١.

كنيته

هو النفزى، من أهل رنده و يكنى أبا الطيب، و أبا البقاء. و الحق أن ابن الخطيب فى الاحاطه لم ينقل عن أحد ممن ترجموا له أنه يكنى بغير أبى الطيب. و أول من ذكره بكنيه أبى البقاء - بالاضافه إلى كنيته الأخرى - هو المقرئ فى نفح الطيب. و قد ذكره عدده مرات فى النفح و الأزهار و اختار من شعره، و نقل قصيدته فى رثاء الأندلس. و لا بد من الافتراض أن للرندى كنيته عرف بهما. و يبدو أن شيوخ كنيه أبى البقاء فى المشرق و المغرب جاءت بعد المقرئ الذى ذكر تلك الكنيه مره واحده فى كتابه، و يرجح أن (أبا الطيب) كانت الأشهر فى زمانه.

نسبه

ينتسب الرندى إلى قبيله نفزه، و هى من قبائل البربر. و ينتمى إلى مدينه رنده. قال فى الروض المعطار (١) إنها "من مدن تاكرنا. و هى مدينه قديمه بها آثار كثيره، و هى على نهر ينسب إليها". كما نقل ابن سعيد فى (المغرب) أنها أحد معاقل الأندلس الممتنع، و قواعدها المرتفعه. و دار حولها خلاف و نشبت معارك فى أيام ملوك الطوائف حتى حصلت فى يد بنى عباد. و بقيت رنده فى جملته دوله غرناطه الإسلاميه الباقيه إلى أواخر أيامها

لا نجد فى كتب التراجم حديثا عن أسرته و أولاده، و لا نعرف من اشتهر من أهله بعده. غير أننا نعرف أن له ابنا توفي صغيرا (ابن ٨ سنوات). و قد رثاه بأكثر من قصيده فى كتابه الوافى. و قال الرندى فى مقدمه قصيده أنشدها فى المغرب (بر العدو) أنه يتشوق إلى الأهل و الوطن، و لكنه لم يفصل فى ذكر أهله. و له قصيده فى رثاء والده، ذكرها فى الوافى.

مشيخته

أما شيوخ الرندى فهم من أعلام العصر فى فنون مختلفه، فابو الحسن الدباج كان من أهل الفضل و الصلاح، مقرئا، محدثا، متقدما فى العريبه و الآداب، و يقرض قطعا من الشعر يجيد فيها. و هو توفي ٦٤٦. و ابن الفخار الشريشى كان عارفا بالحديث حافظا للفقه و الآداب، و هو استقضى برنده، و الجزيره الخضراء، و توفي سنه ٦٤٢. و بقيه شيوخه ممن تحدثت كتب التراجم عنهم بالعلم و الفضل و التقدم.

و يبدو أن الرندى تلقى علومه و استكمل ثقافته فى مدينه رنده. و أنه عند ما تنقل و ترحل عن بلده كان قد ثبت على قدم فى العلوم و الفنون راسخه، حتى عرف له معاصروه فضله و مكانته.

رحلاته و تغربه عن رنده

كانت للرندى رحلات و أسفار إلى أنحاء الأندلس الباقية فى عصره، و أكثر رحلاته و أسفاره كان إلى الحاضر "غرناطه". فقد نقل لسان الدين أنه "كان كثير الوفاده على غرناطه و التردد إليها يسترفد ملوكها، و ينشد أمراءها.

و القصيده التى أولها:

أ واصلتى يوما و هاجرتى ألفا

أخبرنى شيخنا أبو عبد الله اللوشى الكاتب أنه نظمها باقتراح السلطان، و قد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين السلطان حتى يكملها، فى معارضه "محمد بن هانىء الالبيرى".

و كانت له رحله - أو أكثر - إلى المغرب، لا ندرى متى كانت على التحديد، غير أننا نجد فى جملة قصائده المبتوثة فى كتابه "الوافى فى نظم القوافى" قصيده يحن فيها إلى الأندلس.

قال (٢) و مما يتعلق بذلك - يعنى باب الوصف - قولى و أنا بمراكش:

بحياه ما ضمت عرى الأزرار بدمام ما فى الحب من أسرار

بالحجر، بالحجر المكرم، بالصفى بالبيت، بالأركان، بالأستار

بالله إلا ما قضيت لبانه تقضى بها وطرا من الأوطار

و تكف من أشجان صب يشتكى جور الزمان و قله الأنصار
بلغ لأندلس الزمان وصف لها ما بي من أشواق و بعد مزار
و إذا مررت برنده ذات المنى و الراح و الزيتون و الأزهار
سلم على تلك الديار و أهلها فالقوم قومي و الديار ديارى
و ذكر الشاعر لنفسه قصيده فى كتابه روضه الأنس و نزهه النفس (٣) قالها

ص: ٩٣

-
- ١- الروض المعطار (صفه جزيره الأندلس) للحميرى: ٧٩.
 - ٢- الوافى فى نظم القوافى - نسخه الرباط ص ٣٩.
 - ٣- روضه الأنس: ١٧.

بالعدوه متشوقا إلى الأندلس و الأهل و الوطن، يقول فيها:

يا نسيما هب من أندلس فتلقت طيبه ريح النعامي

ما امترى ناشقه لما سرى أنه فض عن المسك الختام

آه من شوقى لقوم ما جرى ذكرهم إلا جرى دمعى سجاما

و ذكر الرندى خبر اجتماعه بالشيخ الفقيه أبى على القصرى بمدينة سبتة و مذاكرته إياه فى ضروب من الآداب.(1)

جوانبه و اهتماماته

تنوعت جوانب الرندى و اهتماماته، و تعددت. فهو - كما ظهر من تراجمه و مما ترك من مؤلفات، و ما وصل إلينا من أسماء بعض مؤلفاته الأخرى - كان أديبا، فقيها، مشاركا. و امتدت اهتماماته لتشمل معظم جوانب الثقافة الأدبية و الدينيه لعصره. فقد كان شاعرا، و أديبا مؤلفا، و ناقدا. و من جهه ثانيه كان فقيها، محدثا فرضيا، مقدما فى رجال القرن السابع المعدودين. فهو - على الرغم من تعدد اتجاهاته، و اتساع جوانبه - ذو مكانه خاصه فى معظم تلك الجوانب التى طرقها.

شخصيه الرندى

تجتمع لدى الدارس من أخبار الرندى و مما يجده فى كتبه صورته واضحه تقريبا لأخلاقه و تدينه، و مكانته فى عصره و علاقته بمعاصريه، و اتجاهاته.

و كانت الأوصاف التى أسبغها عليه ابن الزبير، و ابن عبد الملك المراكشى، و ابن الخطيب كافيه لاعطائه صورته الأديب الفقيه الشاعر، ذى المكانه المرموقه فى عصره. ففى ترجمه ابن الزبير له أنه كان بالجمله معدودا فى أهل الخير، و ذوى الفضل و الدين. و عند ابن عبد الملك أنه "كان خاتمه الأدباء بالأندلس، بارع التصرف فى منظوم الكلام و منثور، فقيها، حافظا، فرضيا متفننا فى معارف شتى، نبيل المنازع، متواضعا، مقتصدا فى أحواله".

و قد كان الرندى ممن يستطيع أن يحسن الصلحه بينه و بين أهل الفكر، و أصحاب الدوله من الأمراء الحكام و الوزراء المتنفذين، و من كان فى ساحتهم. و ساعده علمه و شاعريته على تقريبهم له و استنشادهم من شعره.

و هو جمع إلى هذه الصفات الخلقية الطيبه ورعا و تدينا و مراقبه تشهد بها تراجمه، و قطع باقيه من أشعاره. فمن شعره فى غرض التوحيد(2) قوله:

ما بالنا نغتر بالأذهان و نغرها بمطالب البرهان

و نقيس كى ندرى لكل عله و نروم شيئا ليس فى الإمكان

و نروم معرفه الإله و إنما نبغى الكمال بغايه نقصان
و نريد نفهم سره فى عالم لو شاء كان على نظام ثان
و من المحال تصور الإنسان ما منعه قوه عالم الإنسان
ما فى الوجود إذا أردت حقيقه إلا الإله و كل شىء فان
و له من قطعه أخرى:

أشار إليك جميع الوجود بانك أوجدته من عدم
و قام بأمرك من غير شىء و لولاك يا سيدى لم يقم

صلته بدوله بنى نصر

سبق القول ان الرندى ولد فى أول القرن السابع. فهو نشأ و شب فى ظل أواخر دوله الموحدين، و شهد الاضطرابات المريعة التى
مرت على الأندلس بعد هزيمة العقاب الشنيعة سنه ٦٠٩، و هلم جرا إلى أن استقر الحال بالأندلس فى القسم الباقى تحت ظل
بنى نصر المعروفين ببني الأحمر فى مملكه غرناطه. و كانت (رنده) فى جملة المدن الباقية.
و يظهر لى أن اتصال الرندى بالأمير النصرى لم يكن قبل استقرار الأمور له بعد سنوات من الكفاح لوقف المد الخارجى الطامى.
و تدل القصائد الباقيات من شعره فى بنى نصر أنه كان لهم بمثابة شاعر القصر و مناسباته المختلفه. فهو يهنئ بالأعياد و
الانتصارات، و يشارك فى المواسم و المناسبات. و هو يرثى من يتوفى من الأسره أيضا.
و طرز الرندى كتابه (روضه الأنس و نزهه النفس) باسم الأمير النصرى أبى عبد الله محمد بن نصر. و اختص بالبيت النصرى، فشهد
عهد الأمير الأول محمد، و عهد ابنه من بعده محمد الفقيه إلى أن توفى فى عهده.

مؤلفاته

بقيت - إلى أيامنا هذه مجموعه من آثار الرندى، بينما نقف على أسماء مؤلفات و آثار أخرى لا ندرى أفى الضائع هى لا رجعه
له، أم أنها فى بطون الخزائن. و كتبه التى نعرفها أو نعرف لها اسما هى:

١ - الوافى فى نظم القوافى. و هو كتاب نقدى جامع، منه نسخ فى القاهره و الرباط و لندن و غيرها.

٢ - روضه الأنس و نزهه النفس، و هو كتاب ثقافه جامع شبيه بكتب المعارف العامه كعيون الأخبار و العقيد و أشباهها. و منه
نسخه ناقصه فى مكتبه خاصه بالمغرب.

٣ - ديوان شعر، و هو مفقود، منه نقول ماثوثة فى كتبه، و فى كتب التراجم و تاريخ الأءب الأءلسى. قال ابن الزبير إن كلامه - نرا و نظما - مءون.

٤ - و له (مقامات). نعرف اسمها فقط، و هى من المفقوء.

٥ - كتاب فى الفرائض. و قد شرحه الشىخ أبو الحسن على بن محمد بن محمد القرشى البسطى الشهير بالقلصاءى.

٦ - جزء على آءىء جبريل.

٧ - تألىف فى العروض.

٨ - قال ابن الزبير أىضا "و له تصانىف أءببه و قصائء زهءببه".

الرنءى شاعرا

١ - كانت الحركة الشعرى فى القرن السابع الهجرى استمرارا لما كان فى القرن السابق علىه من النشاط، و غزاره الإءءاء، و وفره الشعراء، و علو الطبقة. و اتسم الشعر بالنفس القوى و الأفق المشرف، فهو لم ىنءءر انءءارا مماءلا لضعف الأحوال العامه فى البلاد. و كانت الأءلس لا تزال ءنجب الشعراء المءءءمىن كابن الأبار، و ابن سهل الإشبلى، و حازم القرطاجنى ممن وصلت إلنا ءواوبنهم الشعرى، و مثل أبى البقاء الرءى و ابن سعءء المغربى الأءلسى ممن وصل إلنا قءر صالح من أشعارهم.

و كان ما ىزال فى الأءلس - فى أول القرن، و بعء استقرار الأمور لابن الأحمر فى غرناطه - من ىقءر الشعر، و ىءبب علىه، و ىشجع أصحابه. و كان بعض أولى الأمر من الخلفاء و الوزراء و الحكام ىقرضون الشعر قلىله و كءببوه، و ىشاركون فى الحركة الأءببه.

و كانت هناك حوافر مءءلفه بحسب اءءلاف الظروف و ءنوعها و ءشعبها فى هذا القرن الشءءء الاضطراب ءءفع بالشعراء إلى نظم الشعر و إءءاعه ءمرات القرائح و ءلجات العواطف، سواء أ كان ذلك مما ىخص الشعراء

ص: ٩٤

١- الوافى فى نظم القوافى (النسخه ءبمورىه): ١٢٢.

٢- روضه الأءس و نزهه النفس: ٥.

أنفسهم و في حياتهم، أم كان يخص الأمه في أحوالها المضطربه و ظروفها القاسيه.

و قد كان عدد كبير من كتاب الأمراء يقرضون الشعر و يقدمونه بين يدي مخدوميهم، فكثرت لهذا شعر المديح و المناسبات: و سيكون هذا ظاهره بارزه في القرن التالي حين نجد رؤساء الكتاب جميعا من الشعراء، و بعضهم يقف في الشعر على قدمين راسختين.

٢ - و بعد أن استقرت الأمور في غرناطه - و ما حازوه من الأندلس في نطاقها - اتخذوا لأنفسهم رسوم الملك، و أبهه السلطان، و اتخذوا الكتاب و الحجاب و الوزراء. و كانت الدوله تنعم بين الفينه و الأخرى بهدوء نسبي يسمح للأمراء النصريين بالالتفات إلى البنين و العمران، و الأخذ بأسباب الحياه الملوكيه. و كان لا بد لدوله ناشئه - كهذه - من أن تفيد من الخبرات و المواهب التي نبتت في ظلالها. و هكذا حصلت الصله بين الرندي و بين بني نصر.

٣ - لا نجد بين أيدينا من باقى شعره ما يدل على اتصاله في مرحله شبابه الأولى ببعض الأمراء من الموحدين أو ببعض الثوار و المنتزعين في أرجاء الأندلس بعامه أو في رنده بخاصه. فقد كان في نحو الخامسة و العشرين من عمره عند ما قام محمد بن هود بدعوته، و بايعته معظم أطراف الأندلس مده من الزمن، و انقضت دعوته بوفاته و هو في الخامسة و الثلاثين. و قد ولى ابن هود على مدينه رنده سنه ٦٣٠ أديبا شاعرا هو أبو بكر بن عبد العزيز الشهير بابن صاحب الرد. و كان له دور بارز في الخروج بعد ذلك في قرطبه و تعيين ابن عمه الباجي (٦٣٠ - ٦٣٢) مخالفا لابن هود و مستقلا بالأمر. و كانت سنه بين العشرين و الرابعه و العشرين حين احتدم الخلاف بين المتطلعين إلى الخلافه من الموحدين. فبعد مبايعه عبد الواحد (المخلوع) سنه ٦٢٠ بمراكش قام العادل بالأندلس. و بعد مده يسيره خرج أمير آخر هو المعروف بالياسى فدعا لنفسه و تحالف مع دول إسبانيه، و كان يسلمهم البلاد و الحصون، حتى قضى عليه أهل قرطبه ٦٢٤. و لكن أبا العلاء (المأمون) الموحدي قام - بعد سفر أخيه العادل إلى مراكش أميرا - فدعا لنفسه في الأندلس.

و نقل في (الوافي) أبياتا في مدح الوزير أبي بكر بن أخيل لم يزد على أن قال فيه "من أهل بلدنا" يعنى رنده.

و قد أورد الرندي ذكر خليفتين من الموحدين بمناسبه تهنته شاعر معاصر له للرشيد الموحدي في توليه الخلافه الموحديه بمراكش و تعزيتة بوفاه والده المأمون، و لكنه حديث عارض لا يدل على علاقه - تستنتج - بهم، قال:

"و لم أر لأحد متقدم أو متأخر (في اجتماع تهنته و تعزیه) كقول بعض أهل عصرنا يهنئ الرشيد بالولايه و يعزیه بابيه المأمون:

هنيئا و إن كنا لحسن العزا أولى

بملك الذى استولى و هلك الذى ولى

و ليس بين يدي ما يرجح صلته بالموحدين، صله شاعر مادح بدوله مستقره و أمير ممدوح.

و شعر الرندي الباقي يدل على اتصاله ببني الأحمر بعد مرحله تكوين الدوله الجديده، و تثبيت إطارها.

٤ - و يبرز الرندي في زلال بنى الأحمر شاعر بلاط، مداحا، ذا صلة وثيقه بالدولة الفتيه و أمرائها المحيين للشعر، المتطلعين إلى قصائده فيهم، و أشعاره التي ينظمها في الأغراض الأخرى.

و هو شاعر مكثّر، غزير الإنتاج، سهل العطاء، حاضر البديهة. و قد كان شعره مدونا (مجموعا في ديوان)، و لكننا لا نعرف إلى الآن في المكتبات المشهوره ديوان شعر له. و جوانب شعره متعددة، و أبرز أغراضه الشعريه: المديح، و شعر الغزل، و الرثاء، - منه رثاء المدن و الممالك - و الوصف، و الحكمة. و له مشاركة في أغراض شعريه أخرى.

و قد نبه ابن الزبير إلى إجادته في غرضى المدح و الغزل، و هي ملاحظه دقيقه.

أغراض شعر الرندي

المدح: يبرز غرض المديح في شعره لوفره إنتاجه فيه، و ارتباطه بمداه طويله بالبلاط النصرى. و هو يذكرنا بشعراء المديح التقليديين الذين أخلصوا الولاء لدوله من الدول، و استمروا على ذلك الولاء إلى أواخر حياتهم. فهو اتصل بالأمير النصرى الأول محمد بن يوسف (ت ٦٧١) و بابنه محمد الفقيه (ت ٧٠١) ه فمدحهما، و تردد على غرناطه طويلا في عهدهما.

و يتناول شعر المديح عنده القيام بمهمه شاعر البلاط الذى لا يغادر مناسبه دون أن يقول فيها شعرا ملائما، فهو رفع قصائده إليهم فى المناسبات، و الأعياد، و المواسم. و اتصل غرض المديح - هنا - بما دعاه فى كتابه الوافى: التهانى، حين أفرد له بابا مستقلا. و تجد فى شعره قصائد فى توليه ابن الأمير ولايه العهد، و فى إغذار بعض أولادهم، و فى المديح عامه. و كانى بالشاعر يفد على غرناطه فى أوقات و مواسم بأعيانها لا يدعها تفوته، إضافة إلى وفاداته العارضه، و استدعاءات القصر له لأغراض مختلفه. و له قصيده مطوله قالها معارضه لقصيده المتنبى:

أجاب دمعى و ما الداعى سوى طلل دعا فلباه قبل الخيل و الإبل

و قد أنشد الرندي قصيدته " لما بويح بالحضره النصريه بولايه العهد الأمير المعظم أمير المسلمين أيده الله و اقترن بذلك مولد ابنه الأمير المعظم أسعده الله... " (١) و قدم لها بمطلع غزلى رائق، و من الغرض فيها:

يا يوم سعد كان العيد عاد به فالناس فى مرح و الدهر فى جذل

شاهدته فرأينا الأرض قد بهرت و الشمس قد سترت وجها من الخجل

و للطبول به خفق يساجله خفق البنود على الخطيه الذبل

و كل أشوس ساجى الطرف من أدب يهوى للثم يد أشهى من الأمل

و يجتلى غره بالبشر مشرقه كما تجلت إياه الشمس فى الحمل

و فى آخر القصيده:

ابن الهمام الذى له حلى حسنت بها الاماره حسن المدح بالغزل

و من له كرم ريش الشاء به فطار حتى سرى فى الأرض كالمثل

و تجد فى مدائحه المعانى المطروحه عاده فى هذا الغرض و كان الشاعر يجتهد دائما فى أن تكون شخصيته الشعريه ظاهره على محورين: أحدهما

ص: ٩٥

١- الوافى فى نظم القوافى: ٣٧" النسخه التيموريه".

فى حسن صياغه العبارة، و ثانيهما فى جده تناول المعانى و القدره على الغوص وراء الصور المبتكره.

و له من قصيده مدحيه يصف فيها جيش بنى الأحمر، فيه الأمراء منهم يقودونه و يخوضون به المعركه:

و كتيبه بالدار عين كثيفه جرت ذبول الجحفل الجرار

روض المنايا قضبها الشمس التى من فوقها الرايات كالأزهار

فيها الكماه بنو الكماه كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار

متهللين لدى الهياج كأنما خلقت وجوههم من الأعمار

من كل ليث فوق برق خاطف يمينه قدر من الأقدار

من كل ماض ينتضيه مثله فيصب آجالا على أعمار

لبسوا القلوب على الدرود و أسرعوا بكفهم نار لأهل النار

و تقدموا و لهم على أعدائهم حنق العدى و حميه الأنصار

و هو على كل حال يلحق بشعراء المديح الذين يقبلون الأعطيات و الهدايا، و إن لم نجد له طلبا صريحا للعطاء، و لكنك تجد

مثل قوله:

إذا ما ضاقت الدنيا بحر كفاه لثم كفك، و السلام!

أو قوله فى قطعه أخرى:

و لئن رجوت فان مثلك يرتجى و لئن سالت فان مثلك يسال

فعلى الرغم مما يظهر من الروح التكسيبه، فانك تحس بان الأمر يعدو هذا إلى أهداف أخرى كثبيت المكانه عندهم، و

الاحتفاظ بالوجهه، و إبراز الشاعريه...

الغزل

تنبه معاصرو الرندى إلى أنه برع فى غرض الغزل - بالاضافه إلى المدح - و هى ملاحظه صحيحه، و يحس القارئ أن الشاعر

يجوده و يسترسل فيه.

و يشغل الغزل حيزا واسعا فى شعره، فهو أفرد له القصائد و المقطوعات، و جعله استهلالا لبعض الأغراض الأخرى، و بخاصه منها

المدح.

فمن قصائده الغزليه التي لم يصلها بمدح قوله:

عللانى بذكر تلك الليالى و عهود عهدتها كاللالى

لست أنسى للحب ليله أنس صال فيها على النوى بالوصال

غفل الدهر و الرقيب و بتنا فعجبنا من اتفاق المحال

ضمنا ضمه الوشاح عناق ييمين ممقوده بشمال

فبردت الحشا بلثم برود لم يزل بى حتى خبالى خبالى

و كئوس المدام تجلو عروسا أضحك المزج ثغرها عن لآل

و بنحر الدجا ذوابل شمع عكست فى الزجاج نور الذبال

و الثريا تمد كفا خضيبا أعجمت بالسماك نون الهلال

و كان الصباح إذ لاح سيف ينتضى من غين و ميم و دال

و مسحنا الكرى إلى غانيات غانيات بكل سحر حلال

فى رياض تبسم الزهر فيها لغمام بكت دموع دلال

و جرى عاطر النسيم عليلا يتهادى بين الصبا و الشمال

فاكتسى النهر لأمه منه لما أن رمى القطر نحوه بنبال

يا ليالى منى سلام عليها أ تراها تعود تلك الليالى؟

و يبقى (الغزل) من أهم الأغراض الداله على شاعريه الرندى، و شعره، فى روحه و أساليبه، و إبداعه الفنى.

الوصف

يشيع موضوع الوصف فى شعر الرندى، فهو يلون قصائده المطولات، و يستقل بقصائد خاصه، و ينفرد بمقطعات غير مطوله أيضا.

أما وصف الطبيعه الأندلسيه - و الغرناطيه بخاصه - فأمر يشيع فى شعره كله سواء فى المطولات أو المقطعات. و يتبع ذلك ما كان من وصف الأزهار، و الثمار، و الخمره، و ضروب الرياحين المختلفه.

فمن شعره الوصفى قوله يصف الليل و جملة أمور مناسبة:

و ليله نبهت أجفانها و الفجر قد فجر ضوء النهار

و الليل كالمهزوم يوم الوغى و الشهب مثل الشهب عند الفرار

لذاك ما شابت نواصي الدجا و طارح الصبح أخاه فطار

و فى الثريا قمر سافر عن غره غير فيها السفار

كان عنقودا به مائل إذ صار كالعرجون عند السرار

كأنما تسبك ديناره و كفها تفتل منه سوار

كأنما الصبح لمشتاقه عز غنى من بعد ذل افتقار

كأنما الشمس و قد أشرقت وجه أبى بكر بن يحيى أنار!

قال فى وصف السفن فى البحر:

سفائن تسبح فى لجه كأنها صوافن تلعب

من أدهم تهفو شراع به كان صبحا (دونه) غيهب

إذا جرى من خلفه ملحما فلاحق لعتقه ينسب

و أشهب صور من عنبر و أين منه العنبر الأشهب

و أسحم يدعى غرابا و ما ينعق بالبين و لا ينبعب

و له من قصيده يصف الليل:

كان البدر تحت الغيم وجه عليه من ملاحظته لثام

كان الكوكب الدرى كاس و قد رق الزجاجه و المدام

كال سطور أفلاك الدرارى قسى و الرجوم لها سهام

كان مدار قطب بنات نعش ندى و النجوم به ندام

أفرد الرندی فی کتاب "الوافی" بابا خاصا لغرض الرتاء، و استغله - كعاداته فی الأغراض الأخرى - فی إيراد نماذج من شعره فی الرتاء تعد أبرز ما بین أیدینا منه. و نجد شعره هذا فی قسمین، القسم الأول منه خاص أسرى، رثى فیه من اتصل به من المتوفین من الأقارب، و القسم الثانی يتعلق برتاء بعض من اتصل بهم بسبب.

و فی الأول رتاؤه فی ابن له (اسمه محمد) و فی والده، و فی زوجته.

و فی الثانی رتاؤه فی الأمير النصرى محمد (الأول) و فی من دعاه أبا بكر، و لعله الوزير أبو بكر بن يحيى الذى سبق له أن كان من ممدوحیه.

فمن شعره الرثائی قوله من قصیده يرثى بها زوجته:

يا برهه كان فیها للمنى أمل و نزهه للهوى و السمع و البصر

مضت مضى الصبا عنى و لا عوض و من يقوم مقام الشمس و القمر

عهدى بألفتنا و الأنس ينظمننا بطیبه العیش نظم السلك للدرر

روحین فی جسد، سرین فی خلد كما تقابل أهل الخلد فی السرر

حتى رمى البین شخصینا ففرقنا كما تفرق بین العین و النظر

يا ليتنى عند ما حم الحمام، كما قاسمتها كبدى، قاسمتها عمري

فان تكن زهره من روضها قطفت فقلما تمتع الأيام بالزهر

و إن تكن دره من سلكتها خطفت فالدهر أدرى بما يسبى من الدرر

يا قلب صبرا على ما قد فجعت به فلسنت فى دفع مقدور بمقتدر

لا تبك فقد حبيب أنت تابعه إذا مضى البعض فالباقي على الأثر!

و فى رثاء ابنه محمد يقول:

ذهبت ذهاب الصبر عنى مكرها فوا أسفى ألا لقاء إلى الحشر

فان كنت نجما راغ منه أفوله فما لك لا تبدو مع الأنجم الزهر

و إن كنت زهرا جف إذ أخلف الحيا فما لك لا تحبى و دمعى كالقطر

محمد ما أشجى فراقك لوعه محمد ما أدهى مصابك من أمر

محمد فى قلبى محمد فى فمى لئن غاب عن عينى فما غاب عن فكرى

و فى رثاء الأمير النصرى محمد - التى بعث بها إلى الأمير الجديد من بلده رنده - جمع الشاعر إلى رثائه المديح، فهى قصيده

محبوكة الطرفين بالعرضين، العزاء بالمتوفى و الاستقبال للحاكم الجديد:

يا حسره الدين و الدنيا على ملكك قد كان حسبهما لو مد فى الأجل

أصابه من وراء الحجب صائبه إن المنون لأرمى من بنى ثعل

و زاول الملك دهرا ثم فارقه و زال عنه و ذاك الفخر لم يزل

و منها:

أصبحت فىنا على حكم الردى خبرا فكنت كالضيف أو كالطيف و المثل

كان وجهك لم يشرق لناظره كالبدر فى السعد أو كالشمس فى الحمل

كان كفك لم تبسط لآملها يوما و لا عرضت للجود و القبل

أغراض أخرى شارك الرندي في أغراض شعريه أخرى، مشاركته جانيه، لم تكن من أصل اهتماماته، كالحكمه و الهجاء:

إذا كان أمر الله للمرء طالبا فقد هان مطلوب و قد عز طالب

ألا إنما الدنيا خيال و أهلها بها عرض و الدهر بالكل لالعـب...

ألا أيها البطال كم أنت غافل كأنك عن هذى المشارب غائب

ألا فانظر الدنيا بعين بصيره فللترك يا مغرور ما أنت كاسب

ألم تر أن الموت أكبر شاهد على أنه لا يغلب الله غالب

و هو يركز على زوال العز عن يظن الناس دوام العز لهم كالملوك و أضرابهم، و يضرب الأمثال بهم:

أين الملوك و أبناء الملوك و ما شادوه من أثر شادوه بالأثر

و أين ما حجبه في مقاصرهم من أوجه زهر كالأنجم الزهر...

و له أبيات قليلة أوردها في معرض حديثه عن غرض الهجاء لا- تجعله من أهل هذا الباب، و إنما هي المناسبه العارضه أو المشاركه في الدعابه العابته، و لم نعرف في ترجمته و أخباره ما يدل على خصومات له ظاهره أو عداوات أكيده، بل غلب على صورته لدينا الفضل و الأناه و رجاحه العقل.

و من هجائه الذي أورده لنفسه في أثناء استعراضه لأشعارهم في الثقلاء قوله:

تزلزلت الأرض زلزالها فقلت لسكانها ما لها؟

فقالوا أانا أبو خالد فأخرجت الأرض أثقالها!

و الهجاء من أقل أغراض الشاعر، و لا نظنه غرضا أكثرته به في حياته.

الجهاديات

و شعر رثاء

البلاد الإسلاميه المغلوبه:

١ - ظهر في الأندلس ضرب من الشعر - و النثر أيضا - كان صدى مباشرا، و غير مباشر، لأحداث الحرب الدائره بين المسلمين في الأندلس و خصومهم من الدول الاسبانيه. و هو أدب يهدف إلى تصوير نكبه الأندلسيين بفقدان أجزاء من بلادهم، و تحريض القوم على الصمود و مواصلة القتال، و هو يدعو المسلمين من بر العدو و ما وراءه لانقاذ الأندلس، و المشاركه في

الجهاد المفروض. و قد تجتمع هذه العناصر فى القصيده الواحده، أو يكتفى ببعضها.

و جذور هذا الضرب من الشعر قديمه قدم حركه الاستغلاب نفسها، و لكنه صار غرضاً بارزاً منذ عهد الفرق (الطوائف) التى انتشرت حمى دويلاتها فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى حيث اشتدت عليهم وطاه حركه الاستغلاب و سقطت مدينه طيطله المنيعه. و وجد المفكرون و المثقفون و المخلصون من أهل الأندلس أنفسهم فى موقف المسئوليه، فهبوا من علماء و فقهاء و أدباء و مخلصين للقضيه يشاركون فى الحمله المضاده قولاً و عملاً. و كثر التحذير من أخطار التفرق، و الاستنامه عن الجهاد، و مغبه التخاذل و التقاعس. و برز التحريض على الجهاد و القتال و حمل السلاح لاسترداد ما ضاع و الدفاع عما بقى. و اتخذ الأدب المتعلق بهذا الغرض اتجاهين كبيرين (تتفرع منهما أمور كثيره) هما:

١ - الدعوه إلى الجهاد، و مواصله الكفاح.

٢ - بكاء ما ضاع من بلاد المسلمين.

و زاد هذا الغرض نشاطاً و اشتعالاً عدد من الأسباب المتضافره المتداخله. فمنها تقلص ظل الرقعاه الأندلسيه، بعد ضعف الموحدين، شيئاً فشيئاً. و إحساس الأندلسى أن الدائره المحيطه به تضيق و تختنق، و شكل حرب الاستغلاب و طابعها المشابه لما كان فى المشرق آنذاك.

ص: ٩٧

و منها القسوه العارمه و العدوان الطاغى على الناس، على اختلاف أعمارهم و أنواعهم.

و منها عدم احترام المواثيق - على الأغلب - و قلب معطيات الثقافه الإسلاميه.

و منها روح الاستشهاد التى كانت تضحج فى صدور الأندلسيين، و تنفجر فى صدور العلماء و الفقهاء و ذوى المكانه من رجال الأندلس.

و منها ارتباط الأندلسى بأرضه ارتباطا قويا، و شعوره بالواجب الجهادى الملقى على عاتقه.

٢) و يقف الدارس على تيارات ثلاثه من شعر رثاء البلدان فى الأندلس. أحدهما رثاء المدن الضائعه مما سقط فى يد العدو، و التيار الثانى رثاء الدول الأندلسيه الزائله فى أثناء الحكم العربى الإسلامى للأندلس، و أشهر تلك الدول التى رثاها الشعراء دوله بنى عباد أصحاب إشبيليه، و دوله بنى الألفطس أصحاب بطليوس. و التيار الثالث هو شعر رثاء المدن التى كانت عامره فخربت بطروف سياسيه أو اجتماعيه كالشعر المقول فى خراب قرطبه بعد الفتنه البربريه، و خراب إلبيره بعد هجر أهلها لها و نبوغ مدينه غرناطه.

و يتوجه الذهن عند الحديث عن رثاء الأندلس إلى أصحاب التيار الأول من الشعراء، لأنهم هم الأكثر عددا، و الأشهر شعرا، و شعرهم هو المقصود بالدرجه الأولى.

٣) كان الحديث عن الحروب بين الأندلسيين و خصومهم يقع فى أثناء قصائد المديح كما نجد ذلك بوضوح فى ديوان ابن دراج القسطلى الذى سجل حروب الحاجب المنصور تسجيلا رائعا.

و يبدأ تيار رثاء المدن و الحصون الضائعه عنيقا غزيرا منذ سقوط طليطلهسنه ٤٧٩ هـ. و مما بقى من أشعارهم فى ذلك أبيات لابن العسال الزاهد، و قصيده مطوله لشاعر مجهول أوردها المقرئ فى نفح الطيب، منها:

لتكلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعد ما سبيت ثغور

طليطله أباح الكفر منها حماها إن ذا نبا كبير

فليس مثالها إيوان كسرى و لا منها الخورنق و السدير

و وقف الشعراء عند نكبه بلنسيه و شرق الأندلس حين سقطت فى يد السيد كما صنع ابن خفاجه(١) فى أواخر القرن الخامس. ثم استراح الأندلسيون إلى عهد القوه و التمكّن فى أيام المرابطين، و صدرا من دوله الموحدين، فلما تهافتت قوه هؤلاء ثم تهاوت دولتهم بدأ عهد استغلاب إسباني - برتغالى جديد عارم، فعاد غرض الجهاديات و رثاء المدن الأندلسيه غزيرا نشيطا، و قام الأدب بدوره و أدى الأدباء مهمتهم. و يبرز فى هذه المده أبو البقاء الرندى، و ابن سهل الإشبيلى، و ابن الأبار، و أبو المطرف بن عميره المخزومى و غيرهم.

و فى ديوان ابن سهل الإشبلى قصيده أنشأها بطلب من أمير إشبيلية أبى عبد الله الموحدى لحث عرب المعقل على القدوم إلى الأندلس من شمال إفريقيا و الجهاد فيها، منها:

وردا فمضمون نجاح المصدر هى عزه الدنيا و فوز المحشر

نادى الجهاد بكم لنصر مضمير يبدو لكم بين العتاق الضمر

أنتم أحق بنصر دين نبيكم و بكم تمهد فى قديم الأعصر

و استنجد ابن مردنيش بالأمر الحفصى صاحب تونس، و بعث كاتبه و وزيره ابن الأبار، فأنشد قصيده فى مدحه و الاستنجد به، و استنفاه للجهاد، منها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السيل إلى منجاتها درسا

و هب لها من عزيز [عزيز] النصر ما التمت فلم يزل منك عز النصر ملتما

و شهد ابن عميره المخزومى سقوط بلنسية و جزيره شقر، و مدن الشرق الأندلسى سقوطا نهائيا، فذكر ذلك فى شعره و كرر التأسف، و التحسر، و استنهاض الهم. فمن شعره فى سقوط بلنسية:

ما بال دمعك لا ينى مدراره أم ما لقلبك لا يقر قراره...

بحر من الأحزان عب عبايه و ارتج ما بين الحشا زخاره

فى كل قلب منه وجد عنده أسف طويل ليس تخبو ناره

أما بلنسية فمثنوى كافر حفت به فى عقرها كفاره

و الشعراء كثر، و الشعر غزير.

٤) كان الرندى واحدا من أدباء القرن السابع، و شهد تهاوى المجد الأندلسى منذ بدايات هذا القرن. و تاثر كما تاثر معاصروه من الأدباء و الشعراء. و نحن نعرف له قصيدته المطوله:

(لكل شىء إذا ما تم نقصان)

و من المحتمل أن يكون فى شعره الضائع قصائد أخرى فى الغرض.

و نقل القصيده - المقرى فى كتابيه أزهار الرياض، و نفح الطيب. و ذكر أن زيادات قد طرأت على القصيده - بعد سقوط الأندلس نهائيا - ليست من أصلها. و يسلم للرندى ثلاثه و أربعون بيتا رواها أيضا فى الذخير السنيه.

و تعد قصيده الرندى من أشهر قصائد الأندلسيين فى الجهاديات و رثاء المدن الأندلسيه الضائعه لما فيها من صدق الانفعال، و حراره التعبير، و لأنه استطاع بوصفه الدامى للحوادث الجاربه على الأندلسيين أن يحرك العواطف و يشد الانتباه. و هو - بعد - استطاع أن يضع قضيه الأندلس فى إطارها، حين جعل مصيبه أى جزء من أجزاء الأمه مصيبه عامه لا خاصه، و رأى أن الجهاد لاسترداد السليب من الوطن فرض عين لازم لا يسقط التكليف به على أى حال من الأحوال.

و من خلال ذلك الوصف لما أصاب الأندلس، و من أثناء الحضر على الجهاد و القتال تبدو العاطفه الحزينه، و يظهر لك الشاعر الباكي الذى كاد يئأس لو لا الأمل البعيد الذى يتشبث به، و يرجوه.

القصيده

قال يستنجد بنى مرين، و قبائل المغرب بخاصه، و سامعى النداء من المسلمين وراء بحر الزقاق بعامه، و يدعو إلى الجهاد، و يرثى ما ضاع من بلاد الأندلس (٢):

ص: ٩٨

١- راجع: ابن خفاجه، من سلسله (الذخائر ١) للمؤلف.

٢- أنشد الرندى القصيده بعد تحالف إسبانيه و البرتغال. و أرغون، و تنازل ابن الأحمر عن عدد كبير من المدن و الحصون.

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءت أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغ إذا نبت مشرفيات وخرسان
وينتضى كل سيف للفناء ولو كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل و تيجان
وأين ما شاده شداد فى إرم وأين ما ساسه فى الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد و شداد و قحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك و من ملك كما حكى عن خيال الطيف و سنان
دار الزمان على دارا و قاتله و أم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما و لا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعه و للزمان مسرات و أحزان
و للحوادث سلوان يهونها و ما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيره أمر لا عزاء له هوى له أحد و انهد ثهلان
أصابها العين فى الإسلام فارتزئت حتى خلت منه أقطار و بلدان
فاسال بلنسيه ما شان مرسيه و أين شاطبه أم أين جيان
و أين قرطبه دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان
و أين حمص و ما تحويه من نزه و نهرها العذب فياض و ملثان
قواعدكن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان؟

تبكى الحنفيه البيضاء من أسف كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الإسلام خاليه قد أسلمت و لها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس و صلبان
حتى المحاريب تبكى و هى جامده حتى المنابر ترثى و هى عيدان
يا غافلا و له فى الدهر موعظه إن كنت فى سنه فالدهر يقظان
و ماشيا مرحا يلهيه موطنه أ بعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها و ما لها مع طول الدهر نسيان
يا أيها الملك البيضاء رايتك أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا
يا راكبين عتاق الخيل ضامره كأنها فى مجال السبق عقبان
و حاملين سيوف الهند مرهفه كأنها فى ظلام النقع نيران
و راتعين وراء البحر فى دعه لهم بأوطانهم عز و سلطان
أ عندكم نبا من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنو المستضعفين و هم أسرى و قتلى فما يهتر إنسان
ما ذا التقاطع فى الإسلام بينكم و أنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصار و أعوان
يا من لذه قوم بعد عزهم أحال حالهم كفر و طغيان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم و اليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان
و لو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر و استهوتك أحزان
يا رب أم و طفل حيل بينهما كما تفرق أرواح و أبدان

و طفله ما رأتها الشمس إذ برزت كأنما هي ياقوت و مرجان

يقودها العالج للمكروه مكرهه و العين باكيه و القلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام و إيمان

متى نظمت القصيده؟

مضى زهاء خمسه قرون، مذ سقطت قواعد الأندلس الأخيره في يد اسبانيا النصرانيه. و لكن مضى زهاء سبعة قرون على صدور مرثيه الأندلس الشهيره، التي بكت نكبه الأندلس المسلمه كقضيئه واحده قوميه و اسلاميه، و هي المرثيه التي عرفناها و حفظناها صغارا، و هزت مشاعرنا الفتيه احداثا، و التي مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

و قد لبثت اجيال من العلماء و الأدباء تظن ان هذه المرثيه البليغه، التي

ما زالت حتى يومنا تحتفظ برنينها المحزن، و عبرتها المبكية، قد نظمت عقب سقوط الأندلس النهائي رثاء لها، و كنا صغاراً نؤمن مثلهم بهذه النظرية، و لكنى حينما بدأت دراساتى الأندلسية، منذ أكثر من ثلاثين عاماً، و أخرجت أول طبعه من كتابى "نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتصرين" كانت هذه السحب التى أسبلت على حقيقه رثاء الأندلس، قد أخذت تتبدد، و انتهت فى كتابى إلى تحديد الوضع التاريخى لهذه المرثية، و بينت بالاستناد إلى نصوص و دلائل عديده، انها قد نظمت فى فتره معينه من تاريخ الأندلس، فى العصر الذى عاش فيه ناظمها، و هو عصر يسبق سقوط الأندلس النهائي بنحو قرنين. و قد خاطبنى يومئذ صديق من كبار أدبائنا، مبدياً دهشته من هذا التحليل قائلاً، كيف انتهت إلى ذلك، و نحن نعتقد طول العمر، أن مرثيه الأندلس قد نظمت بعد السقوط و قد كان لهذا الصديق، و من كان يجاريه فى اعتقاده بعض العذر، لأن المقرئ مؤرخ الأندلس نفسه، لم يستطع تحديد العصر الذى نظمت فيه القصيده، و كانت حسبما يبدو من بعض تعليقاته انها نظمت فى عصر السقوط الأخير، و قبل سقوط غرناطه. و لم يكن هذا الرثاء معروفاً فى الأوساط الأدبيه و المشرقيه، قبل عصر المقرئ. ذلك ان المقرئ قد كتب، حسبما نعرف، كتابه الشهير "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب" بمدينة القاهره المعزیه فى سنه ١٠٣٩ هـ (١٦٣٠ م)، حيثما كان يقيم منذ مقدمه إليها من المغرب فى سنه ١٠٢٧ هـ (١٦١٧ م)، و عرفت منه قصيده الرثاء يومئذ، كما عرفت أشياء و نصوص كثيره أخرى عن الأندلس، و عن تاريخها و جغرافيتها و آدابها مما دونه فى كتابه الجامع "نفع الطيب". و قد استقى معظم ما دونه فى كتابه من مصادر مغربيه مما كانت تزخر به خزائن المغرب، فى فاس و تلمسان و بجايه و الجزائر، مما نقل إليها من آثار التراث الأندلسى فى عصر السقوط، أو حملة إليها المهاجرون بعد السقوط، و قد حمل مسوداتها معه من المغرب إلى القاهره، و انتفع إلى جانبها بما كان مودعاً فى عصره من تراث الأدب الأندلسى و المغربى، بمكتبه رواق المغاربه بالجامع الأزهر.

و ما تزال توجد بها إلى اليوم بعض أوراق مخطوطه تحمل تعليقات المقرئ و توقيعاته. أما رثاء الأندلس فقد نقله المقرئ حسبما يقول لنا "من خط من يوثق به على ما كتبه". و إذا كنا لا نعرف هذا الذى "يوثق به" فإنه قد نقل القصيده على أرجح الفروض، من أحد المصادر القليله التى تسربت إليها، مثل كتاب "الذخيره السنیه فى تاريخ الدوله المرينيه" و هو لمؤلف مجهول.

و يبدو من اختتامه ان مؤلفه قد توفى فى أواخر القرن السابع الهجرى، لأن حوادث الكتاب المعاصره تقف عند سنه ٦٧٤ هـ، عند حادث بناء المدينه البيضاء أو البلد الجديد، بناحية فاس على يد السلطان أبى يوسف المرينى. هذا مع ملاحظه انه توجد بين النص الذى ورد فى الذخيره السنیه و النص الذى نقله المقرئ، بعض تغييرات يسيره فى بعض الشطرات، و ان نص القصيده فى الذخيره السنیه يحتوى على ثلاثه و أربعين بيتاً بينما هو فى نفع الطيب اثنان و أربعون، هذا و قد نقل المقرئ القصيده فى نفس الوقت فى كتابه "أزهار الرياض" بزياده بيت واحد عنها فى نفع الطيب.

ياتى الحديث بعد ذلك عن ناظم هذه القصيده الشهيره، و عن ظروف نظمها. و بالرغم مما هو معروف و محقق من أن ناظمها هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن شريف النفزى، المكنى بأبى الطيب الرندى، المولود بمدينة رنده فى سنه ٦٠١ هـ و المتوفى بها سنه ٦٨٤ هـ، فإنه يوجد بعض الغموض حول ظروف نظم القصيده، و حول ظروف تداولها، و اختفائها من بين تراث ناظمها، و عدم تداولها زهاء قرن من الزمان، و لا سيما بالأندلس موطن ناظمها، قبل ان تزداع فى المغرب على يد المؤرخين المغاربه فى أواخر القرن السابع الهجرى. و يرجع هذا التساؤل إلى عده أسباب، أولها أن الوزير ابن الخطيب، صاحب كتاب

"الاحاطه فى اخبار غرناطه"، و قد عاش قريبا من عصر الرندى، قد أورد له فى "الاحاطه" ترجمه فياضه، و أورد خلالها عدده من عيون قصائده و لكنه لم يورد إلى جانبها شيئا من قصيده رثاء الأندلس، بل و لم يشر إليها بكلمه واحده، مع انها من أبلغ و أروع القصائد التى نظمها الرندى.

و ثانيها، ان الرندى نفسه لم يشر إلى قصيدته و لم ينشر منها شيئا فى كتابه "الوافى فى نظم القوافى"، الذى يتحدث فيه عن الشعر و فضله و آدابه و أغراضه، و يورد فيه عدده من قصائده و منها قصيدتان فى الرثاء، أولاها رثاء لأمير المسلمين ابن الأحمر، و ثانيتهما قصيده فى رثاء أبيه (1) و ثالثتها، ان القصيده لم تظهر فى تراث الأدب الأندلسى خلال العصر الغرناطى كله، من بدايته فى أواخر القرن السابع الهجرى، حتى نهايته فى أواخر القرن التاسع، بالرغم من ظهور قصائد أخرى فى رثاء الأندلس أو بعض قواعدها الذاهبه أقل روعه و رينا من مرثيه أبى الطيب الرندى.

و من ثم فإنه يتعين علينا أن نتساءل حن أسباب هذا الغموض الذى يحيط بمرثيه الأندلس، و التى قضت باحتجابها عصورا من بين أعيان روائع المراثى الأندلسيه التى ظهرت خلال العصر الغرناطى ذاته، و من بعد ذلك حتى السقوط النهائى، و علينا أن نتقصى أسباب هذا الغموض فى حياه ناظمها أبى الطيب ذاته، و فى الظروف التى أحاطت به فى الفتره التى عاش فيها.

لقد عاش الرندى فى عصر الفتنة الكبرى، التى اضطرت بها الأندلس فى أواسط القرن السابع الهجرى، و التى تمخضت عن سقوط القواعد الأندلسيه الكبرى فى أيدي النصارى، و تمخضت فى الوقت نفسه عن قيام مملكه غرناطه. و كان الرندى شاعرا و كاتباً عظيماً، بارعا فى النثر و النظم معا، و له مقامات بديعه فى أغراض شتى. و يصفه القاضى ابن عبد الملك فى "التكملة" بأنه "خاتمه أدباء الأندلس" و كان كثير الوفود من بلده رنده على الحاضره غرناطه، و التردد إلى بلاطها. و كان من خاصه المقربين إلى الغالب بالله، السلطان محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكه غرناطه و شاعره الأثير. و كان الغالب بالله يطرب لشعره، و يغمره بعطفه و تكريمه.

و من أشهر قصائده فى مدح السلطان المذكور، قصيدته التى مطلعها:

سرى و الحب أمر لا يرام و قد أغرى به الشوق الغرام

و أغفى أهلها الا وشاه إذا نام الحوادث لا تنام

و كتب الرندى برسم السلطان كتابه المسمى "روضه الأانس و نزهه النفس". و نثره لا يقل روعه عن شعره.

و نحن نعرف ان ابن الأحمر الكبير، كان بالرغم من عبقريته و شجاعته و عزمه، و هى التى تمخضت عن ظفره بإنشاء مملكه غرناطه من غمر التمزق و الفوضى، كان يعيش فى دوامه من الصعاب السياسيه و العسكريه، و يخشى على مملكته الفتية الناشئه من عدوان قشتاله و أطماعها. و كانت حركه الاسترداد الإسبانيه LaReconquista بعد الاستيلاء على قواعد الأندلس الكبرى: قرطبه، بلنسيه، مرسيه، شاطبه، جيان، إشبيليه فى نحو خمس عشر عاما فقط ٦٣٣ - ٦٤٦ هـ (١٢٣٦ - ١٢٤٨ م) تندفع بعنف نحو الاستيلاء على قواعد و أراض جديده. و لم يكن أمامها من القوى الأندلسيه المتناسكه سوى مملكه غرناطه الناشئه، التى اجتمعت حولها أشلاء.

١- توجد عده نسخ مخطوطه من كتاب "الوافى" بدار الكتب العامه بالرباط، و قد اعتمدنا فيها على مراجعه النسخه رقم (١٧٣٠ ك) و لم ينشر الكتاب حتى الآن.

الأندلس الباقية، فيما بين نهر الوادى الكبير و البحر المتوسط، و بين نهر المنصوره و نهر وادى لكه. و كان ابن الأحمر يقرب هذا التيار الجارف جزعا، و يحاول أن يقف فى سبيله بسائر الوسائل، و منها و فى مقدمتها مصانعه ملك قشتاله القوى فرناندو الثالث. و قد ذهب ابن الأحمر فى هذه المصانعه إلى حد أن ارتضى فى معاهده المهادنه و الصلح التى عقدها مع هذا الملك القاهر، أن يعترف بحمايته و ان يحكم أراضيه باسم ملك قشتاله، و ان يؤدى له الجزيه، و ان يشهد اجتماع مجلس قشتاله النيابى (الكورتيس) باعتباره من الأمراء التابعين للعرش، و أخيرا أن يعاونه فى حروبه ببعض قواته. بل لقد ارتضى ابن الأحمر، تنفيذاً لهذا الاتفاق ان يعاون قشتاله ببعض قواته فى محاصره إشبيليه، و ان يشترك بذلك فى افتتاح هذه الحاضره الأندلسيه التالده لحساب النصارى. و قد كان هذا التصرف مهينا و مشينا معا للأمير المسلم. و لكنه لم يجد مندوحه من اتباعه حرصا على صون مملكته الفتية و حمايتها من المصير الذى انتهت اليه الأندلس الكبرى. و قد تضمنت معاهده الهدنه و الصداقه فوق ذلك كله، ان يتنازل الملك المسلم إلى ملك قشتاله عن عدد كبير من البلاد و الحصون، منها شريش، و المدينه، و القلعه، و قادس، و غيرها. و قيل ان ما تنازل عنه ابن الأحمر يومئذ للنصارى قد بلغ أكثر من مائه موضع، معظمها فى غربى الأندلس. و كان ذلك فى سنه ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) و هكذا فقدت الأندلس معظم قواعدها التالده فى نحو ثلاثين عاما فقط (٦٢٧ - ٦٥٥ هـ) فى وابل مروع من الأحداث و المحن. و استحال الوطن الأندلسى الذى كان قبل قرن فقط يشغل نحو نصف الجزيره الإسبانيه، إلى رقعته متواضعه، هى مملكه غرناطه الصغيره. و قد أثارت هذه المحن التى توالى على الأندلس فى تلك الفتره المظلمه من تاريخها لوعه الشعر و الأدب. و هنا و فى هذه الآونه بالذات، و على ضوء هذه الظروف المؤسيه التى تنازل فيها ابن الأحمر عن عشرات البلاد و الحصون الإسلاميه للنصارى:

هنا نظم شاعر العصر، أبو الطيب الرندى مرثيته الشهيره، التى ما زالت تعتبر حتى اليوم من أعظم المرثى القوميه و أبلغها تأثيرا فى النفس، و فيها يبكى قواعد الأندلس الذاهبه، و يستنهض همم المسلمين أهل العدو، لانجاد الأندلس و غوثها.

و لدينا لتأييد هذه الحقيقه فى توقيت نظم القصيده الشهيره، و ظروف نظمها، نصان تاريخيان معاصران، الأول: و هو نص صاحب "الذخيره السنيه فى تاريخ الدوله المرينيه" و قد عاش فى أواخر القرن السابع معاصرا لابن الأحمر الكبير، و أبى الطيب الرندى و فيه يقول:

" و لما أعطى ابن الأحمر البلاد المذكوره للاذفونش قال الفقيه أبو محمد بن شريف الرندى يرثى الأندلس، و يستنصر بأهل العدو، من مرين و غيرهم ". ثم يورد قصيده الرثاء باكملها. (١) و الثانى، و قد كتب بعد ذلك بقليل، فى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن، هو نص ابن عذارى المراكشى، حيث يقول فى نهايه الجزء الثالث من كتابه الجامع "البيان المغرب"، ما ياتى:

" و فى هذه السنه " و هى سنه خمس و ستين و ستمائه صالح الأمير أبو عبد الله بن الأحمر ملك النصرانيه، الأذفونش، على يد ولده الأمير أبى عبد الله. و قيل ان الصلح انعقد بينهما على نحو أربعين مسورا من بلاد المسلمين - أعادها اليه - و قيل ان أكثرها بغرب الأندلس، و من جمله تلك البلاد مدينه شريش، و المدينه و القلعه، و يجير و غير ذلك... و قد رثى الأندلس كثير من الأدباء. فمن ذلك قول صالح بن شريف من قصيده. ثم أورد من القصيده سبعة عشر بيتا مع تغييرات فى نصوص بعض الشطرات.

و وردت منها الأبيات المشهوره:

أصابها العين فى الإسلام فامتحت حتى خلت منه أوطان و بلدان

فاسال بلنسيه ما شان مرسيه و أين شاطبه أم أين جيان

و أين حمص و ما تحويه من نزه و نهرها العذب فياض و ملثان

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان

(٢) و إذن فالحقيقه التاريخيه هى أن مرثيه الأندلس، لم تنظم لرتاء سقوط الأندلس النهائى، كما كان الاعتقاد شائعا لدى معظم الدوائر الأدبيه و التاريخيه، حتى عصر المقرئ (القرن الحادى عشر الهجرى أو السابع عشر الميلادى) و انما نظمت رثاء لسقوط القواعد الأندلسيه الكبرى، فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، حسبما بينا من قبل، و هى التى ذكرها أبو الطيب فى قصيدته صراحه على النحو الآتى:

فاسال بلنسيه ما شان مرسيه و أين شاطبه أم أين جيان

و أين قرطبه دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان

و أين حمص و ما توحيه من نزه و نهرها العذب فياض و ملثان

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان

و قد حرك الشاعر إلى نظم مرثيته المبكيه ما فعله ابن الأحمر فى النزول عن عديد من المدن و الحصون الإسلاميه إلى ملك قشتاله، و جاء بذلك نظمها متأخرا عن سقوط القواعد الأندلسيه الكبرى بنحو خمسه و عشرين عاما.

على أن هذه المرثيه المبكيه ما كادت تظهر فى دوائر الشعر و الأدب الغرناطيه، حتى اختفت بسرعه، و لكن بعد أن تسربت إلى عدوه المغرب.

و هنا يكمن السر فى احتجاجها بالأندلس موطن نظمها. ذلك ان الرندى كان، حسبما تقدم شاعر ابن الأحمر الأثير، يشيد بعهدده و عبقريته و أعماله، فى قصائد عديده. و إقدامه على نظم هذه القصيده البليغه المؤثره يثير كوامن الأسى و الشجن، فى نفوس أولئك الذين شهدوا و عاصروا تصرف ابن الأحمر فى النزول عن الأراضى الإسلاميه إلى النصرارى طواعيه، و اختيارا، و بلا حرب خسرها. و تداول مرثيه تبكى قواعد الأندلس الذاهبه، يذكر الشعب الغرناطى دائما بهذا التصرف الفاجع، الذى أقدم عليه مؤسس مملكه غرناطه، و أصبح منسوبا إلى دوله بنى الأحمر كلها. و انه ليصعب علينا ان نفترض ان أبا الطيب قد نظم قصيدته سرا، لتكون نفثه مصدر خاصه، و هو قد نظمها ليهيب بمسلمى العدو و المسلمين عامه، أن يهبوا لنجده الإسلام فى الأندلس. و إذن فلا بد أن تحجب هذه القصيده، و أن يخمد هذا الصوت الذى يثير الألم و الأسى، صونا لسمعه السلطان، و هيبه المملكه. و

من ثم فقد أسبل على مرثيه الرندى حجاب كثيف من الصمت و النسيان، طوال العهد الغرناطى كله. فقلما تجد لها ذكرا فى السير الغرناطيه أو الأدب الغرناطى. و حتى فى المغرب حيث تسربت وقت نظمها، إلى بعض الدوائر، فقد كان تداولها محدودا جدا. و لعل ذلك يرجع إلى نفوذ البلاط المرينى، راعى الأندلس، و حليف بنى الأحمر.

و هذا يفسر لنا فى نفس الوقت موقف ابن الخطيب فى تناسى هذه القصيده، و عدم الإشارة إليها بآيه كلمه فى الترجمة الفياضه التى كتبها للرندى فى "الاحاطه"، و أورد بها عدده من عيون قصائده و مقطوعاته الشعريه. و لسنا نعتقد أن ناسخ مخطوط الاسكوريال هو الذى أغفل ذكرها اختصارا، أو ظنا منه أن شهرتها تغنى عن ذكرها، فهو لم يغفل ذكر العديد من قصائده الأخرى. و لكن التفسير الطبيعى لهذا الصمت من جانب صاحب .

ص: ١٠١

١- الذخيره السنيه ص ١٢٧ و ما بعدها.

٢- البيان المغرب - المجلد الثالث - المنشور بعنايه الأستاذ هويشى ميرانده ص ٤٧٠.

"الاحاطه"، هو ان ابن الخطيب، و هو من أولياء بنى نصر (بنى الأحمر) ملوك غرناطة، و وزيرهم الأثير، و ربيب نعمتهم، قد رأى، كما رأى غيره من كتاب العصر و أدبائه، أن يغفل ذكرها، لأن وجودها فى مؤلفه إلى جانب ترجمه ابن الأحمر الكبير، و آخرين من ملوك غرناطة، قد يسىء إلى ذكريات مؤسس مملكه غرناطة، الذى وقعت المحنة الأندلسيه فى عهده، و نظمت القصيده لبكائها.

تلك هى الظروف التى أحاطت بنظم مرثيه الرندى الأندلسيه، و التى قضت أن تحجب عن التداول، و أن يسبل عليها مدى عصور، ستار من الصمت و النسيان، حتى جاء المقبرى فى القرن الحادى عشر الهجرى (السادس عشر الميلادى)، فنقلها كامله فى كتابيه نفع الطيب و أزهار الرياض، و أخذت من ذلك الحين تبدو فى كتب التاريخ و الأدب، نفثه من نفثات النظم المبكيه، التى لا يمكن أن تخدم حرارتها، أو تنسخ بلاغتها و آثارها الشجيه، على تعاقب الأجيال.

و لا بد من الإشارة إلى ان هناك من شكك فى نسبه القصيده لأبى البقاء، فزعم أن ناظم هذه القصيده هو يحيى القرطبى، و ذلك حسبما ورد فى "ريحانه الألباء" لشهاب الدين الخفاجى المصرى الحنفى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ.

و أنا أؤكد بصوره اليقين و الحسم ان ناظم مرثيه الأندلس هو صالح بن شريف الرندى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ، و أنه نظمها فى الظروف السياسيه الغرناطيه التى شرحتها فى مقالى، ثم حبسها عن الظهور حيناً للأسباب و البواعث التى شرحتها كذلك فى مقالى شرحا وافيا.

و أنا أخص مره أخرى الأسباب التاريخيه التى تقطع بلا- أدنى شك بصحه نسبه القصيده إلى شاعرها الأندلسى أبى الطيب الرندى.

أولاً: أن المؤرخ المغربى الكبير ابن عذارى المراكشى، الذى عاش بالعدوه المغربيه فى نفس العصر الذى عاش فيه الرندى، و كتب تاريخه فى نفس العصر الذى نظمت فيه مرثيه الأندلس، و توفى فى أوائل القرن الثامن الهجرى، يقدم لنا النصف الأول من مرثيه الرندى منسوبه إليه فى آخر الجزء الثالث من كتابه (البيان المغرب فى أخبار الأندلس و المغرب) المنشور بعنايه علامه الإسبانى هويثى ميرانده (ص ٤٧١).

ثانياً: ان صاحب كتاب "الذخيره السنيه فى تاريخ الدوله المرينيه"، و هو مؤرخ مجهول يصل فى تاريخه حتى سنة ٦٧٧ هـ و قد عاش حسبما يبدو من كتابه حتى أواخر القرن السابع الهجرى معاصراً كذلك للرندى، يقدم إلينا المرثيه كامله منسوبه إلى صالح بن شريف الرندى (ص ١٢٧).

ثالثاً: ان أبا العباس شهاب الدين المقبرى صاحب "نفع الطيب" المتوفى سنة ١٠٤١ هـ يقدم إلينا فى "النفع" مرثيه الأندلس كامله، و منسوبه إلى ناظمها صالح بن شريف، و يقول لنا انه نقلها "من خط من يوثق له". و عن كتاب "نفع الطيب" الذى وضعه مؤلفه بمدينة القاهره، انتشرت مرثيه الأندلس فى كثير من الكتب المشرقيه.

و توجد مصادر مغربيه عديده أخرى خلال القرنين الحادى عشر و الثانى عشر الهجريين، و كلها تؤكد نسبه القصيده إلى الرندى دون أية ذره من الشك.

أما ما قيل من ان صاحب كتاب "ريحانه الألباء" شهاب الدين الخفاجي قد ذكر في كتابه ان الذي نظم مرثيه الأندلس هو من يدعى "يحيى القرطبي" فهو قول لا- يعول عليه، لأن الخفاجي و ان كان أديبا عظيما، فهو ليس مؤرخا، و كتابه "الريحانه" هو مجموعته أديبه قبل كل شىء. هذا فضلا عن ان الخفاجي توفى فى سنة ١٠٦٩ هـ متأخرا نحو أربعة قرون عن عصر الرندى، فهو بذلك كله لا يمكن أن يعتبر حجه تاريخيه، و لا يعتمد على قوله.

و نود أن نختتم هذه الكلمه بالقول بان مؤرخى الغرب الإسلامى (المغرب و الأندلس) هم بلا- ريب أوثق فى رواياتهم و أسانيدهم التاريخيه، فيما يتعلق بالغرب الإسلامى، من المؤرخين المشارقه. (١)

تشيع الرندى

قال الرندى فى كتابه روضه الأئس، فى أثناء أحد استطراداته " و قد رثى الحسين قديما و حديثا. و ممن بكاه فاحزن و رثاه فأجاد و أحسن أبو بحر صفوان بن إدريس الأندلسى رحمه الله. (٢) و من عجيب ما حكى عنه أنه دخل مراکش فى أيام المنصور بن عبد المؤمن - رحمه الله - و هو صفر اليدى منقطع الحيله: لا- كيف و لا- أين. لا- يملك فتيلًا، و لا يجد للقاء السلطان سبيلا. فعكف على رثاء الحسين يبكى مصابه، و يذكى به أوصابه. فنبه المنصور فى الليل عليه، و أمر بالإحسان إليه بعنايه نبويه جبرت فؤاده، و أقامت مناده. فاستحضره المنصور - رحمه الله - و كشف له عن غيبه، و أمكنه من سيبه. و بالغ فى بلوغ أربه، و أنفذ له ما أمر به. و فى ذلك يقول مرج كحل (٣) من قصيده له:

و نبئت عن صفوان نيل كرامه حباه بها الرحمن و الخلفاء

و لله فى صفوان آيه آيه تكشف عنها للعظام غطاء

فما ضاع منه فى الحسين انتصاره و لا خاب عند الله فيه جزاء

و حسينياته رضى الله عنه كثيره مشهوره نذكر منها ما يليق بهذا الكتاب بحول الله عز و جل فمن ذلك قوله:

أندب الطف و سبط المصطفى بمراث هى أسرى من: قفا

لا ترم ضوء هدى من بعده فسراج الهدى بالطف انطفأ....

و مما أحسن فيه الإنشاء و أجاد ما شاء المخمسه التى نظم أقسامها على حروف المعجم، و ذيل مراكزها باعجاز من قصيده امرئ

القيس التى أولها

(قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)

منها:

ديار الهدى بالخيف و الجمرات إلى ملتقى جمع إلى عرفات

لما نسجتها من جنوب و شمال

قال صاحب الكتاب(٤): و قد ألمعت بطريقه صفوان - رحمه الله - فى رثائه ع بجمله حدوت فيها حدوه فبلغت شاوه بما هو فى المعنى

ص: ١٠٢

١- محمد عبد الله عنان.

٢- أبو بحر صفوان بن إدريسي التجيبي المرسي ٥٦٠ - ٥٩٨. شاعر من مرسية بالأندلس له شعر و نثر. و ألف كتاب: زاد المسافر و غره محيا الأدب السافر، الذى حققه عبد القادر محداد (الجزائر). و انظر مقدمه الكتاب ففيتها تفصيل عن صاحبه و أخبار.

٣- أبو عبد الله محمد بن مرج الكحل (و يقال فيه مرج كحل) من أهل جزيره شقر (بلده ابن خفاجه). و هو توفى سنه ٦٣٤ ببلده. و كان شاعرا مبدعا، و خلف ديوان شعر كان متداولاً.

٤- كتاب روضه الأنس.

أغرب و إلى الحال أنسب. و ذلك أنى صنعت مخمسه على حروف المعجم مذيله باعجاز من قصيده زهير، فيها:

أبيت فلا يساعدنى عزاء إذا ذكر الحسين و كربلاء

فخل الوجد يفعل ما يشاء لمثل اليوم يدخر البكاء!

عفا من آل فاطمه الجواء بعينك يا رسول الله ما بى

دموعى فى انهمال و انسكاب و قلبى فى انتهاب و التهاب

على دار مكرمه الجناب عفتها الريح بعدك و السماء

بكيت منازل الصبر السؤاه بمكه و المدينه و الفرات

معالم للعلا و المكرمات عفت آثارها و كذاك ياتى

على آثار من ذهب العفاء!

كتابه

روضه الأنس و نزفه النفس

يعد كتاب الرندى الذى سماه روضه الأنس و نزفه النفس فى كتب الثقافه العامه التى شاع التأليف فيها، و التى كان مثالها البارز كتاب ابن قتيبه: عيون الأخبار. و يقول الرندى فى مقدمه كتابه إنه ألفه كتابا فى الأدب جامعا لعيون الفنون و الآداب و الأخبار و الفرائد و الفوائد، و أنه انتقى "من الكتب دررها و من أصناف الأدب غررها". و يكون (الأدب) الذى قصد إليه هو الأدب بمعناه الواسع الشامل الذى عرفه ابن خلدون بأنه الأخذ من كل علم بطرف.

و جعل كتابه فى عشرين بابا تتوزعها الموضوعات التاليه: الباب الأول فى العالم و معالمه. و الثانى: فى الأرض و البلاد. و الثالث: فى بدء البشر. و الرابع: فى النبى (ص). و الخامس فى الخلفاء و أهل البيت.

و السادس: فى الدوله الأمويه. و السابع: فى الدوله العباسيه. و الثامن:

فى أهل الرده و الخوارج. و التاسع: فى جمل من الفتوح. و العاشر: فى لمع من....(1) و الحادى عشر: فى الحرب. و الثانى عشر: فى الملك و الرئاسه. و الثالث عشر: فى العلم. و الرابع عشر: فى الشعر. و الخامس عشر: فى المال. و السادس عشر فى النساء و البنين. و السابع عشر: فى الناس و الزمن. و التاسع عشر: فى الحكايات. و الباب الموفى عشرين:

فى الحكم و المواعظ.

و هو فى هذه الفصول - فى الأعلب الأعم - ناقل و مصنف و مرتب، بيد أن له فضل العبارة الأنيقه و الكلمه الرشيقه قال: "و قد ضمنت فى كل جزء منها الشئ إلى ما يماثله، و ألحقت به ما يشاكله. و لجات إلى فكرى فى كثير من الفصول القصار و اللفظ المختار. إذ كان القصد فى ذلك الاجاده لا الروايه و الإفاده لا الحكايه". (٢).

و الموجود من الكتاب هو الجزء الأول (٣)، و ينقطع فى أثناء الباب التاسع "فى جمل من الفتوح". و قد رفع الرندى كتابه إلى الأمير النصرى محمد بن محمد و طرزه باسمه، احتفاء و تقديرا "فإنه - أيداه الله - زان الملك بالذات الفاضله و الصفات الكامله و النصبه الاماريه و النسبه الأنصاريه، فمن همم تساوى المجد و تجاوز الجوزاء و شيم شيم بها الدهر، و ينتسب لها الزهر، إلى جود تروى به الآمال و يسترق بمثله الأحرار". و لا يخفى المغزى من الوصف بالكرم و الجود فى خطبه الكتاب.

و مصادر الكتاب مختلفه متعدده، عرفنا منها عرضا، و فى أثناء القسم الباقي من الكتاب: كتاب ابن حزم الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، و كتاب المسعودى مروج الذهب و مغازى الواقدى. و هو نص على النقل من ابن إسحاق (فى السيره) و عن (صاحب التيجان) و صاحب المجسطى، و صاحب الزهر (زهر الآداب). و لا شك فى أن مصادر كثيره و إن لم تتضح لنا جميعا.

و كتاب الرندى من كتب الثقافه العامه التى يستفاد منها فى الأغراض التعليميه و ما يشبه ذلك. و ليست فى الكتاب جده أو إبداع يلفت النظر.

و لكن الأديب الشاعر كان يخرج عن موضوعه ليقدم قطعا و قصائد من شعره تلون الكتاب و تقدم لنا ذخرا طيبا لشاعر غاب عنا ديوانه.

قال فى مديح الأمير محمد بن نصر أمير غرناطه:

سلم على الحى بذات العرار و حى من أجل الحبيب الديار

و خل من لام على حبهم فما على العشاق فى الذل عار

و لا تقصر فى اغتنام المنى فما ليلالى الأانس إلا قصار

و إنما العيش لمن رامه نفس تدارى و كئوس تدار

و روحه الراح و ريحانه فى طيبه بالوصل أو بالعقار

لا صبر للشئ على ضده و الخمر و الهم كماء و نار

مدامه مدنيه للمنى فى رقه الدمع و لون النضار

مما أبو ريق أباريقها تنافست فيها النفوس الكبار

معلتى و البرء من علتى ما أطيب الخمره لو لا الخمار

ما أحسن النار التى شكلها كالماء لو كف شرار الشرار

و بى و إن عذبت فى حبه ببعده على اقتراب المزار

ظبى غرير نام عن لوعتى و لا أذوق النوم إلا غرار

ذو وجنه كأنها روضه قد بهر الورد بها و البهار

رجعت للصبوه فى حبه و طاعه اللهو و خلع العذار

يا قوم قولوا - بدمام الهوى - أ هكذا يفعل حب الصغار؟

و ليله نبهت أجفانها و الفجر قد فجر نهر النهار

و الليل كالمهزوم يوم الوغى و الشهب مثل الشهب عند الفرار

ص: ١٠٣

١- غير واضحه فى الأصل (النسخه المصوره).

٢- روضه الأنس الورقه: ٢.

٣- أطلعت على النسخه المصوره عند صديقى الأستاذ محمد مفتاح، عن الأصل الموجود فى مكتبه صديقنا الأستاذ الفقيه علامه محمد المنونى الذى تكرم مشكورا بالموافقه على الإفاده من الكتاب.

كأنما استخفى السها خيفه و طولب النجم بثار فثار
لذاك ما شابت نواصي الدجى و طارح النسر أخاه فطار
و فى الثريا قمر سافر عن غره غير منها السفار
كان عنقودا تثنى به إذ صار كالعرجون عند السرار
كأنها تسبك ديناره و كفها يفتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومه تحكم الفجر عليها فجار
كأنما الصبح لمشتاقه عز غنى من بعد ذلك افتقار
كأنما الشمس و قد أشرقت وجه أبى عبد الإله استنار
محمد محمد كاسمه شخص له فى كل معنى يشار
أما المعالى فهو قطب لها و القطب لا شك عليه المدار
مؤئل المجد صريح العلا مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لخم و ساداتها و تنتمى قيس له فى الفخار
يفيض من جود يديه على عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى و اليسر من شيمه تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد فالدهر مما قد جنى فى اعتذار
فان شكرنا فضله مره فقد سكرنا من نداء مرار
و نحن منه فى جوار العلا تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله و أسماؤه لذلك الجار و ذاك الجوار
و قال أيضا:

و ليل صبابه كالدهر طولاً تنكر لى و عرفه التمام

كان سماءه روض تحلى بزهر الزهر، و الشرق الكمام

كان البدر تحت الغيم وجه عليه من ملاحظته لثام

كان الكوكب الدرى كاس و قد رق الزجاجه و المدام

كان سطور أفلاك الدرارى قسى و الرجوم لها سهام

كان مدار قطب بنات نعش ندى و النجوم به ندام

كان بناته الكبرى جوار جوار و السهى فيها غلام

كان بناته الصغرى جمان على لباتها منه نظام

كواكب بت أرعاهن حتى كانى عاشق و هى الذمام

إلى أن مزقت كف الثريا جيوب الأفق و انجاب الظلام

فما خلت انصداع الفجر إلا قرابا ينتضى منه حسام

و ما شبته وجه الشمس إلا بوجهك أيها الملك الهمام

و إن شبته بالبدر يوما فللبدر الملاحه و التمام

و قال أيضا:

عللانى بذكر تلك الليالى و عهود عهدها كاللالى

لست أنسى للحب ليله أنس صال فيها على النوى بالوصال

غفل الدهر و الرقيب و بتنا فعجبنا من اتفاق المحال

ضمنا ضمه الوشاح عناق ييمين معقوده بشمال

فبردت الحشا بلثم برود لم يزل بى حتى خبالى خبالى

و كتوس المدام تجلو عروسا أضحك المزج ثغرها عن لآل

و لنحر الدجى ذوابل شمع عكست فى الزجاج نور الذبال

و الشريا تمد كفا خضيبا أعجمت بالسماك نون الهلال
و كان الصباح إذ لاح سيف يتنضى من غين و ميم و دال
و مسحنا الكرى إلى غانبات غانبات بكل سحر حلال
فى رياض تبسم الزهر فيها لغمام بكت دموع دلال
و جرى عاطر النسيم عليلا يتهادى بين الصبا و الشمال
فاكتسى النهر لأمه منه لما أن رمى القطر نحوه بنبال
يا ليالى منى سلام عليها أ تراها تعود تلك اللبالي؟!
و قال أيضا:

ما ضر من يمنعى قربه لو جاء فى الهجر بما يقرب
ما ضره - و الأمر فى حكمه - لو قبل الرغبه إذ يرغب
أضرب عنى حين لا حيله فصار و جدى مثلا يضرب
عجبت للصبر على صده لكن عيشى بعده أعجب
الجور منه و له المشتكى و العذر منى و هو المذنب
رضيت بالأمر على حاله فليت شعرى ما له يغضب؟
و قال أيضا:

قطع قلبى بصدده قطعا و إنما ضرنى و ما انتفعا
و غرنى أولا بوصلته و عند ما لذ وصله قطعا
و مر عنى لما شكوت له كأنه ما رأى و ما سمعا
وا كبدى - لو تفيد "وا كبدى" - لم يترك الدهر فيه لى طمعا
يا ليت قلبى الذى وهبت له يرجع لى اليوم كيفما رجعا!

و قال أيضا:

يا سالب القلب منى عند ما رمقا لم يبق حبك لى صبرا و لا رمقا
لا تسأل اليوم عما كابدت كبدى ليت الفراق و ليت الحب ما خلقا
ما باختيارى ذقت الحب ثانيه و إنما جارت الأقدار فاتفقا
و كنت فى كلفى الداعى إلى تلفى مثل الفراش أحب النار فاحترقا
يا من تجلى إلى سرى فصيرنى دكا و هز فوادى عند ما صعقا
انظر إلى فان النفس قد تلفت و ارفق على فان الروح قد زهقا

و قال أيضا:

أيا أضلعا حرها يلهب و يا أدمعا درها ينهب
عجيب لعمر ك شان الهوى و لكن صبرى له أعجب

ص: ١٠٤

و لم أر كالحب يا عاذلى عذابا، و لكنه يعذب
و لا كالحبيب و خذلانه يزيد صدودا إذا يرغب!
يرى أن ذنبى حبى له بعيشك قل لى، من المذنب؟
و لست بسال كما يدعى و لا من حديد كما يحسب
إذا كنت أرضى بما شاءه فىا رب ما باله يغضب؟
إذا كان قلبى جنى ما جنى فىا لهف نفسى من أطلب؟
و إن كان هذا بحكم القضا فىا لىت شعرى من أعتب؟
قال: "و من حسن ما قيل فى وصف الجيش و الخيل و السلاح قولى":

و كتيبه بالدار عين كثيفه جرت خيول الجحفل الجرار
روض المنايا قضبها السمر التى من فوقها الرايات كالأزهار
فىها الكماه بنو الكماه كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار
متهللين لدى الصياح كأنما خلقت وجوههم من الأعمار
من كل لىث فوق برق خاطف بيمينه قدر من الأقدار
من كل ماض ينتضيه مثله فىصب آجالا على الأعمار
لبسوا القلوب على الدرور و أشرعوا بأكفهم نارا لأهل النار
و تقدموا و لهم على أعدائهم حنق العدا و حميه الأنصار
فارتاع ناقوس لخلع لسانه و بكى الصليب لذله الكفار
ثم انثنوا عنه و عن عباده و قد أصبحوا خبرا من الأخبار!

الشيخ صالح بن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن

داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ بن صوله آل صقر المطيرفى

المتوفى سنة ١٢٤٠ شقيق الشيخ أحمد الاحسائي (مؤسس الفرقة الشيعيه).

كان من علماء عصره فقيه اصولي نحري. ولد في الأحساء و أخذ المقدمات على جملة من أهل الفضل هناك ثم هاجر إلى كربلاء و أدرك آغا باقر البهبهاني الحائري و تخرج على السيد علي صاحب الرياض و رجع إلى موطنه الإحساء ثم انتقل إلى إيران في أيام رئاسه شقيقه الشيخ احمد الاحسائي صاحب الدعوه الشيعيه فسكن قزوین ثم انتقل إلى کرمانشاه و كان ينكر على أخيه طريقته أشد الإنكار، ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهراني في الكرام البرره و وصفه (... فاضل جليل و عالم كامل تقدم الكلام على شقيقه العلامة الشهير الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي.... و المترجم له كان من أهل العلم و الفضل و الصلاح و لم أقف على تاريخ وفاته) و شارك المترجم له في مجلس مناظره أخيه الشيخ احمد الاحسائي فوقف بجانب علماء المتشرعه مخالفا لأخيه و أعقب ولدا هو الشيخ علي الاحسائي و كان مقيم في کرمانشاه و أسس مكتبه نفسه هناك. (١)

الشيخ صدر الدين محمد بن أبي القاسم التنكابي.

ولد حدود ١٢١٥ و توفي قبل ١٢٨٧.

ولد في تنكابن و تعلم المقدمات و السطوح بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر في الفقه و الأصول على السيد محمد باقر الشفتي و ابنه السيد أسد الله و في الفلسفه على المولى علي النوري ثم عاد إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و التأليف قال عنه السيد إسماعيل التنكابي في كتاب نظره الناظرين: كان أدبيا فاضلا متكلمًا حكيمًا ماهرًا في الفقه و الأصول حسن الخلق بصيرا في امر الدين و الدنيا... أقول: رأيت بعض الرسائل من تأليفاته في الفقه و الأصول ألفها سنة ١٢٤٥ في تنكابن.

أنجب عده أولاد منهم الشيخ فضل الله و الشيخ محمد المعروف بالشيخ الكبير، كانا من علماء تنكابن. (٢)

الشيخ ملا صفر علي اللاهيجاني القزويني.

المتوفى حدود سنة ١٢٧٥. مر ذكره في الصفحه ٣٨٩ من المجلد السابع.

كان من فلاسفه الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري فقيه متبحر و اصولي محقق و حكيم متأله.

أخذ المقدمات و السطوح على علماء لاهيجان ثم هاجر إلى أصفهان فاخذ الحكمة و الفلسفه عن ملا علي النوري المتوفى سنة ١٢٤٦ و الفقه و الأصول عن السيد محمد باقر الاصفهاني ثم هاجر إلى كربلاء فالتحق بحوزه السيد محمد المجاهد و حضر معه في الجهاد سنة ١٢٤٢ و عند رجوعه سكن في قزوین و تخرج في الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغاني و شقيقه الشهيد و أجز منهما و حضر في الفلسفه و العرفان على الشيخ ملا- آغا الحكمي القزويني ثم جلس للتدريس في المدرسه الصالحيه بامر من استاذه المؤسس البرغاني و كان من فحول مدرسي الحكمة العاليه و الفلسفه الالهيه في عصره و كان من رواد مدرسه صدر المتألهين الشيرازي. له مؤلفات منها:

١ - كتاب شرح المعالم فى الأصول.

٢ - كتاب فى علم الأصول فى مجلدات عديده. - ٣ - رساله فى الدرايه.

٤ - كتاب فى الفقه من الطهارات إلى الديات فى مجلدات.

٥ - رساله فى العرفان.

٦ - حواشى على الأسفار.

و هو والد الشيخ احمد و الشيخ حسين المذكورين فى المآثر و الآثار ص ١٦٥ و أما ولده الثالث و هو الشيخ محمد حسن المتوفى سنه ١٣٤٥ عن عمر طويل فكان من العلماء فى مازندران و المعروف بالشيخ الكبير من مراجع التقليد هناك.

ذكر المترجم له المستشرق كنت دو كوينو فى كتابه (المذاهب و الفلسفه فى آسيا الوسطى) معبرا عنه بأنه من فحول الفلاسفه فى القرن الثالث عشر^(٣) و ذكر المترجم له تلميذه الميرزا محمد التنكابنى فى كتابه قصص العلماء ص ٦٤ الطبعه الحجريه و ذكره أيضا شيخنا فى الكرام البرره

ص: ١٠٥

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- انظر كنت دو كوينو مذاهب و فلسفه در آسيای مركزى الترجمه الفارسيه ص ٨٤.

الميرزا طاهر بن فرج الله التنكابني.

ولد في ١٨ رمضان ١٢٨٠ و توفي في ١٣٦٠.

ولد في ضواحي تنكابن و نشأ بها ثم أخذ المقدمات و السطوح في مدارسها و بعد ذلك هاجر إلى طهران و انصرف إلى تحصيل الفلسفه و حضر على الآغا على المدرس الزنوزي و المولى محمد رضا القمشه إي و الميرزا أبو الحسن الجلوه و اختص بالأخير حتى برع بذلك و في نفس الوقت اشتغل بتعلم الحساب و الهندسه و العلوم الفلكيه ثم انصرف إلى التدريس و كان يدرس في مدرسه قنبر على خان و مدرسه سپه سالار - و انتخب نائبا في البرلمان الايراني عن طهران و في الحرب العالميه الأولى في سنه ١٣٣٤ ذهب إلى قم ثم إلى بروجرد و من هناك ذهب إلى العتبات المقدسه في العراق و بقي بها مدته و في سنه ١٣٣٦ رجع إلى طهران و انتخب نائبا من قبل الحزب الديمقراطي.

ثم انصرف عن السياسه و اشتغل بالتدريس و التأليف إلى أن توفي في طهران و دفن بقرب قبر استاذه الميرزا أبي الحسن الجلوه. له مؤلفات في الفلسفه. (٢)

الشيخ أبو المظفر عامر بن عامر البصري.

المتوفى بعد سنه ٧٣١ كان من العرفاء المتألهين في القرن الثامن الهجري و فحول شعراء الشيعه و من أقطاب الصوفيه ذكره العسقلاني في الدرر الكامنه ج ٣ ص ١ قال (عامر بن عامر البصري، رأيت له تصنيفا في التصوف ذكر أنه ألفه سنه ٧٣١) و قال شيخنا آغا بزرك الطهراني في الحقائق الراهنه ص ١٠٥ (عامر بن عامر البصري العارف الصوفي ناظم قصيده "ذات الأنوار" التي نظمها في المطبوعه بتحقيق عبد القادر المغربي و هي في اثني عشر نورا، التاسع منها في صاحب الزمان و رأيت نسختها في احدى مجموعات سليمان بن عبد الله الماحوزي عليها حواش بخط سليمان. و نسخه ضمن مجموعه بياضيه عند إبراهيم الكازروني المتوفى بمدرسه قوام بالنجف ١٣٦٥...).

أقول: و عندنا نسخه مؤرخه سنه ٨٤٣ منسوخه عن نسخه خط المؤلف في خمسمائه و سته أبيات نظمها في سنه ٧٣١ هجريه في مدينه سيواس من مقاطعه ارمنستان و هي قصيده تائيه مرتبه على اثني عشر نورا و سماها (ذات الأنوار) فيها مواضع عرفانيه من المبدأ إلى المعاد و معرفه الروح و النفس و خواصها و العقل و الهيولى و في النور التاسع استنهض الامام الحجه (ع) بعد مدحه بقوله:

امام الهدى حتى متى أنت غائب فمن علينا يا أبانا باوبه

ذكره شيخنا آغا بزرك الطهراني في الذريعه ج ١٠ ص ١ و القسم الثاني من الجزء التاسع ص ٦٧٧ و بعض أبيات من أولها:

تجلى لي المحبوب في كل وجهه فشاهدته في كل معنى و صوره

و انى لمهد من علومى طرائفا لأتحف منها أهل ودى بتحفه

و قال فى بعض شعره أنها عراقيه بصريه عامريه أنشدها فى بلاد الغربه بسواس من ارض أرمينيه قائلًا فى تعداد أبياتها و تاريخها:

و ليست إذا عددها بطويله يمل بها الراوى و لا بقصيره

ثم انها طبعت فى دمشق سنه ١٣٦٧ هجرية و عليها تعليقات الشيخ (عبد القادر المغربى و ثبت الأستاذ عمر رضا كحاله فى معجم المؤلفين ج ٥ ص ٥٤ سنه وفاته ٦٩٦ هجرية ١٢٩٧ م و هذا تناقض مع عام التأليف و نسخه خط المؤلف و باقى النسخ الموجوده فى العراق. (٣)

عباده بن الصامت.

أحد النقباء ليله العقبه و من أعيان البدرين و شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص).

روى الذهبى فى (سير اعلام النبلاء) ان عباده أنكر على معاويه شيئًا، فقال: لا اساكنك بأرض، فرحل إلى المدينه. قال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره بفعل معاويه، فقال له ارحل إلى مكانك، فقبح الله أرضا لست فيها و أمثالك، فلا إمره له عليك.

و كان عباده مع معاويه، فاذن يوما، فقام خطيب يمدح معاويه و يثنى عليه، فقام عباده بتراب فى يده فحشاه فى فم الخطيب، فغضب معاويه.

فقال له عباده: انك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله (ص) بالعقبه على السمع و الطاعه فى منشطنا و مكرهنا و مكسلنا، و أثره علينا، و ان لا ننازع الأمر اهله، و ان نقوم بالحق حيث كنا، لا نخاف فى الله لومه لائم. و

قال رسول الله إذا رأيت المداحين فاحثوا فى أفواههم التراب.

كتب معاويه إلى عثمان: ان عباده قد أفسد على الشام و أهله، فاما أن تكفه إليك و إما ان اخلى بينه و بين الشام.

فكتب اليه: أن رحل عباده حتى ترجعه إلى داره بالمدينه. فدخل على عثمان فلم يفجأ إلا به و هو معه فى الدار، فالتفت اليه، فقال: يا عباده ما لنا و لك؟ فقام عباده بين ظهرائى الناس، فقال:

سمعت رسول الله (ص) يقول: سيلي أموركم بعدى رجال يعرفونكم ما تنكرون، و ينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعه لمن عصى و لا تصلوا بربكم.

قيل مات بالرملة سنه ٣٤ و هو ابن اثنتين و سبعين سنه، و قيل انه بقى حتى توفى زمن معاويه فى خلافته، و قيل ان قبره فى القدس.

أبو سعيد عباده بن يعقوب الدواجنى الرواجنى الكوفى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٤١٠ من المجلد التاسع [السابع]، و نزيد عليها هنا ما ذكره عنه الذهبى فى (سير اعلام النبلاء):

الشيخ العالم الصدوق، محدث الشيعة. ثم يصفه بالمبتدع. و روى آراء الرواه فيه فقال: ان الحاكم قال: كان ابن خزيمة يقول: حدثنا الثقة فى روايته، المتهم فى دينه، عباد بن يعقوب. و قال ابن عدى: فيه غلو فى التشيع، و روى عبادان عن ثقه أن عبادا كان يشتم السلف. و قال ابن عدى:

روى مناكير فى الفضائل و المثالب. و روى على بن محمد الحبيبي عن صالح جزره، قال: كان عباد يشتم عثمان رضى الله عنه، و سمعته يقول:

الله اعدل من ان يدخل طلحه و الزبير الجنة، قاتلا عليا بعد ان بايعاه. و قال ابن جرير: سمعته يقول: من لم يبرأ فى صلاته كل يوم من أعداء آل محمد، حشر معهم.

و علق الذهبى على الكلام الأخير بقوله: قلت: هذا مبدأ الرفض، بل نكف و نستغفر للأمم، و ما أدرى كيف تسمحو فى الأخذ عن هذا حاله،

ص: ١٠٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و انما وثقوا بصدقه.

ثم قال الذهبي: وقع لي من عواليه في البعث لابن أبي داود. و رأيت له جزءا من كتاب (المناقب) جمع فيه أشياء ساقطه، قد أغنى الله أهل البيت عنها، و ما اعتقده يتعمد الكذب.

الشيخ عباس بن محمد الفيض القمي.

ولد في ١٣٢٧ توفي ١٣٩٣ ولد في قم و نشأ بها و بعد أن أتم السطوح حضر بحث والده و الشيخ عبد الكريم الحائري و السيد البروجردي، له مؤلفات عديدة في التاريخ و التراجم - منها (گنجينه آثار تاريخي قم) في مجلدين كبيرين طبع في حياته.

توفي في قم و دفن في مقبره شيماک. (١)

عباس أبو الطوس ابن مهدي.

اشاره

ولد في كربلاء سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٠ م) و توفي سنة ١٩٥٨ م في كربلاء تعلم القراءة و الكتابة في كتاتيب كربلاء ثم درس كتب النحو القديمة المعروفة و مال إلى مطالعه الأدب القديم و كتب التاريخ الإسلامي و حفظ مقدارا كبيرا من نهج البلاغه و عشرات القصائد الشعرية ثم قصد النجف الأشرف فبقى فيها سنتين يتابع الدارسة في الحلقات العلمية، ثم عاد إلى كربلاء. و فيها كان ينشد قصائده في حفلاتها.

و في احداث سنة ١٩٥٢ اعتقل مع من اعتقلوا و سجن في بغداد و الكوت طيله سنة و نصف السنة.

شعره

ترك عده دواوين شعرية باسم (هدير الشلال) و (أغانى الشباب) و (النشيد الظافر) و هذا الأخير في آل البيت ع. و كلها لا تزال مخطوطه. فمن شعره قوله:

أحبابنا أنا هاهنا ما بين جدران السجون تهتاجنى الذكرى و تعصف فى دمي ریح الشجون

و يثير فى قلبى الهموم طلاقه الماضى الدفين أيام كان الحب يجمع شملنا فى كل حين

و ملاعب الصبوات تهدينا لذاذات السنين نقتاف آثار المباحج و اللذائذ فى حنين

أحبابنا انا هاهنا

و قوله من قصيده فى احدى المناسبات الوطنية:

ثر على الظلم ولا تخش اليراعا و املاً الدنيا نضالا و صراعا

و أمط عنك قيودا طوقت جسمك الحى و تأبى الانخلاعا

و انطلق نارا كما كنت إذا عربد الظالم خوفا و ارتياعا

هذه الأنفس لولاه لما أضحت اليوم عراه و جياعا

و حليف الكوخ لولاه لما عاش فى الأرض غريبا و مضاعا

و قوله فى أحداث سنة ١٩٥٢ و هو فى السجن من قصيده:

يا شبابا بذلوا أرواحهم فى سبيل الحق و المجد و فاء

و استماتوا مذرأوا أوطانهم تشتكى خسفا و جوعا و عراه

طلقوا الدنيا و ساروا وحده لم تخف نارا و نكصا و ارتماء

البسطولات، و ما أعظمها حينما تعتم مجدا و علاء

حينما تستامها سادره لطفاه تتبنى الاعتداء

و الرجولات، و ما أصلبها فى الملمات ثباتا.. و أداء

و الشعارات، و ما أجملها فى الميادين رفيقا و اعتلاء

و الهتافات و ما أكبرها من فم الواثب تعتل ارتقاء

و قال عند ما تاهب الجيش العراقى للذهاب إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ من قصيده:

فلسطين تناديكم بنفسى تكاد تهد زفرتها الجبالا

و قلب لا يزال من البلايا و من " صهيون " يلتهب اشتعالا

و تدعوكم لنصرتها فهبوا كما شاءت لنصرتها امتثالا

و لا تتطلبوا من كل رجس جوابا فى الصراع و لا سؤالا

و لا تترثوا فيما اضطلعتم به يا قوم صبورا و امتهالا

و قوله من قصيده:

تعالى، فقد عاد فصل الربيع يجد باعراسه الوافيه
و بالعطر و النور ملء الفجاج بغدرانہ الثره الصافيه
تعالى إلى باسقات النخيل و للحقل ضوى عليه القمر
إلى روضه قد كساها الربيع و صيرها فتنه للبشر
تعالى لندفن آلامنا و نحیی الهنا و الليالى الغرر
و قوله:

يا ذكريات الحب و السمر و افاك ليل الصب فانتشرى
و دعى الهموم تظل عالقه بسوانح الأحلام و الفكر
و تجمعى حولى مهدهه أشواق قلب ضج من كدر
و تدفقى كالسيل مرتظما يجتاح ما استعصى من الستر
و تحشدى و الليل يحضننى و النجم لمام على البشر
و طلاقه الماضى مرفرفه كرفيف حلم مشرق الصور

و قوله من قصيده فى ذكرى مولد على ع و ألقاها فى احدى الحفلات التى كانت تقام فى كربلاء فى هذه المناسبه:

ولد الوصى فىا خواطر رددى نغم الهنا فى مهرجان المولد
و استلهمى الذكرى قوافى ترتدى بارق من روح الربيع و أبرد
ثم اسكبى الشعر الجميل بشائرا غرا تفيض بصوتى و توددى
شعرا كما انتفض الأريج مرفرفا فوق الجداول و العصون الميـد
كاس الهوى بيدى فاضت رقه و على فمى نغم المحب المنشد
و صبا فؤادى للوصى و كيف لا يصبو المشوق إلى الحبيب الأبعد

و قوله من قصيده فى ذكرى مولد الحسين ع:

ناجاك قلب بالصبا به مفعم و فم بغير ولاك لا يترنم

و هفا لمولدك المخلد شاعر من فيض حبك يستمد و ينظم

و من اخرى فى نفس المناسبه:

لك فى صراع البغى يوم أكبر ما زال يرويه النجيع الأحمر

يزهو على هام الزمان و ينجلي من نوره ظلم الحياه و تدحر

و تعيده الأيام لحنا نائرا ينساب فى سمع الزمان و يهدر

و قوله من قصيده جعل عنوانها الداء:

أ ظل ابحت عن أمان بعثرتها النائبات و سعاده سحقت لطافتها الليالى الغامضات

ص: ١٠٧

١- الشيخ محمد السامى.

و ملاعب عصف الفناء بها و كنفها الممات لم تبق غير الذكريات و هل تفيد الذكريات

كم ليله قد بت منظويا على نفسى السجينه أشكو همومى للنجوم و حر آلامى الدفينه

و أصب فى سمع الزمان ارق انغامى الحزينه و أحن وجدا كلما خطر النسيم على المدينه

الشاه عباس الكبير الصفوى.

اشاره

(- ١٠٣٨ هجرية) كانت ولاده الشاه عباس الكبير فى مدينه هرات فى غره شهر رمضان من سنه ٩٧٨ هجرية عند ما كان والده محمد خدابنده واليا على هرات من قبل الشاه طهماسب، و لما جلس على العرش فى مدينه قزوین خلفا لوالده كان عمره لم يتجاوز الثمانيه عشر عاما. و بالرغم من ان عباس ميرزا و بتحريض من المرشد قلى خان استاجلو و على قلى خان شاملو ادعى الملكيه فى خراسان حوالى عام ٩٨٢ هجرية الا انه و بعد المصالحه مع حمزه ميرزا فى هرات انصرف عن هذا الادعاء مؤقتا إلى ان قتل حمزه ميرزا، و عاد عباس ميرزا إلى قزوین و جلس على العرش الصفوى ان الاضطرابات التى وقعت فى نهايه عصر السلطان محمد خدابنده فى جميع أنحاء ايران و خاصه فى الجانيين الشرقى و الغربى من البلاد دفعت الجارين العدوين لايران اللذين كانا يضمران عداوه مذهبيه للصفويين و هما الازبک و العثمانيون - دفعتهما للعدوان على ايران بحيث واجه الشاه عباس فى بدايه جلوسه على العرش مشاكل كبيره من هذين العدوين.

القضاء على الازبک

عند ما توجه الشاه عباس من هرات إلى قزوین، قام ملك الازبکعبد الله خان الثانى (٩٩١ - ١٠٠٦ هجرية) و هو من أشهر خوانين الازبک و من الملوک الفاتحين فى هذه الطائفه، قام بالهجوم على هرات و بعد سته أشهر قتل حاكمها من القزلباش و استولى على المدينه. و لما كان الشاه عباس يواجه العثمانيين فقد اضطر لمصالحه أحد العدوين و محاربه العدو الآخر و على هذا فقد تصالح مع العثمانيين و بعث بحيدر ميرزا و هو ابن أخيه حمزه ميرزا إلى السلطان العثمانى و قرر تسليم تبريز و شروان و کرجستان و لرستان يعنى القسم الأكبر من غرب و شمال غرب إيران إلى السلطان العثمانى و توجه هو إلى مدينه (مشهد) للقضاء على عبد المؤمن خان بن عبد الله خان الذى كان يحاصر (مشهد).

و لكنه مرض فى طهران و استمر هذا المرض زهاء خمسين يوما استولى خلالها عبد المؤمن خان على مدينه مشهد و قتل عددا كبيرا من أهالى المدينه و نهب الأشياء الثمينه فى الروضه الرضويه بما فى ذلك مكتبتها الثمينه ثم استولى على مدينتى نيشابور و دامغان و عين حکاما فى كل مكان.

و لما تحسنت صحه الشاه عباس، انسحب عبد المؤمن خان من خراسان و بدأ الشاه عباس بتأديب المتمردين الداخلين الذين كانوا قد استغلوا فرصه مرضه، و استولى على يزد و کرمان و كيلان و قضى فتره من الزمن فى أصفهان و قراباغ للاستجمام و تدبير الأمور الداخليه و لم يبادر حتى سنه ١٠٠٦ ه للقيام باى تحرك للقضاء على الازبک الذين كانوا يسيطون دائما على بلاد

خراسان و العراق العجمي و ينهبونهما و يعودون إلى تركستان و كانت أوقات الشاه عباس تصرف للاستيلاء على بعض الولايات الإيرانية التي لم تكن قد خضعت له بصورة كاملة كلرستان التي كانت حتى ذلك التاريخ في أيدي أتابك اللر الصغار و ولايتي رستمدار و كجور اللتين كانتا خاضعتين للأمرء المحليين. و في أواخر سنة ١٠٠٥ هجرية توجه الشاه عباس إلى (مشهد) و في السادس من المحرم سنة ١٠٠٦ تغلب على ابن أخت عبد الله خان في هرات و هزم الازبك هزيمه نكراء بحيث دفع شهرهم من تلك الحدود لفترة طويلة من الزمن خاصة و أن عبد الله خان كان قد توفي حين ذاك و ان ابنه عبد المؤمن خان قتل على أيدي أمراءه بعد ستة أشهر من وفاه أبيه.

فتح لار و البحرين في سنة ١٠٠٩

كان الشاه عباس قد سلم حكمه فارس في سنة ١٠٠٣ إلى الله وردى خان زرگرباشى و كانت ولايه لار آنذاك بأيدي مجموعه من الخوانين المحليين الذين كانوا يدعون ان نسبهم ينتهي إلى كركين ببلاد بطل الشاهنامه المعروف و كانت موانئ تلك الولايات مثل ميناب و جرون (محل بندر عباس حاليا) تحت امره أمراء هرمرز اسما و لكنها كانت تحت سلطه حكام هند البرتغال.

و كان البرتغاليون قد استولوا على جزيره هرمرز في سنة ٩١٢ هجرية و اخضعوا أمراء هذه الجزيره الذين كانوا يدفعون الجزية إلى ملوك إيران، كما استولوا على عمان و مسقط و بقيه جزر الخليج. و في سنة ٩٢٠ ه أرسل الشاه إسماعيل مبعوثا إلى آلبوكرک حاكم هند البرتغال المحاوله إيقاف تقدم البرتغاليين سلما، و في الوقت نفسه كان الملك الصفوى يضغط على أمير هرمرز ليجلبه إلى صفه و يسلم له فتم له ذلك، مما أثار حفيظه آلبوكرک فتوجه إلى هرمرز لتأديب أميرها. و لما كان البرتغاليون أسياد البحر باساطيلهم، و كان الشاه لا يملك قوه بحريه، لذلك كان عاجزا عن صدهم بحرا و مضطرا للتغاضى عن بعض تصرفاتهم في الخليج مما فسره أعداء الشاه و أصحاب الأغراض التحليه تحالفا مع البرتغاليين. و نحن نسأل هؤلاء: هل كان السلطان سليم يحارب البرتغاليين في ذلك الوقت ليقال ان الشاه إسماعيل تحالف مع البرتغاليين عليه، أم كان مشغولا بمحاربه المسلمين و مهاجما للصفويين في عقر دارهم، تاركا البرتغاليين يسرحون و يمرحون، و يهاجمون المسلمين في بلادهم و يذلون أهلها.

و لو أن الشاه إسماعيل المعتدى عليه تحالف مع البرتغاليين و غير البرتغاليين لصد هجوم السلطان سليم على بلاده لكان تحالفه مشروعا، و مع ذلك لم يفعل، و كانت المدفعيه هى أهم ما ينقصه في معركة جالديران، و بسبب فقدانها هزم جيشه، فلو كان متحالفا مع البرتغاليين لأمدوه بها على الأقل.

و اننا نسأل مدعى التحالف، هل التحالف هو مجرد كلام، أم هو شىء عملى يمد به الحليف حليفه بالجيش لتقاتل معه عدوه، فأين هى الجيوش البرتغاليه التى قتلت العثمانيين مع الصفويين، و أين هى الجيوش الصفويه التى قاتلتهم مع البرتغاليين؟! بل اننا نسأل هل كانت هناك أصلا حرب بين العثمانيين و البرتغاليين، و هل كان السلطان سليم فى وارد مقاتلتهم، أم انه تركهم يقتحمون البلاد العربيه بلدا بعد بلد دون أن يحاول التصدى لهم.

و على اى شىء يحالف الشاه إسماعيل البرتغاليين، ما دام السلطان سليم مسالما لهم معرضا عن قتالهم، تاركا لهم يعيشون فى البحر الأحمر و فى الخليج اى عيث.

لقد حاول الشاه إسماعيل صدهم فلم يقو على ذلك لافتقاده القوه البحريه فاحتلوا هرمرز و استولوا سنة ٩٢٦ ه على ساحل

الإحساء و الجزر المجاوره للبحرين لقد كان الشاه إسماعيل فى أخرج مواقفه، فهناك ثوره

ص: ١٠٨

بلوچستان ، و هناك السلطان سليم المتقدم لمهاجمه بلاده. و هناك البرتغاليون و فى سنة ١٠٠٩ قضى الله وردى خان على خوانين لآمر الذين كانوا يقفون سدا امام اهالى فارس للاتصال بسواحل الخليج من الناحيه الجنوبيه الشرقيه و كانوا يساعدون البرتغاليين. ثم أرسل جيشا لاحتلال البحرين لأنها كانت دائما خاضعه لفارس فهجم البرتغاليون على البحرين و لكن الله وردى خان من أجل ان يخفف من ضغط البرتغاليين على البحرين هاجم ميناء جرون و بهذا التدبير تمكن أن يمنع البرتغاليين ثانيه من السيطرة ثانيه على البحرين و استولى الصفويون على هذا المكان الذى كان أول مكان يحرره الصفويون من الهيمنه البرتغاليه بعد قرن واحد.

الحرب مع العثمانيين

فى سنة ١٠١١ هجرية استدعى الشاه عباس جيوشه من كل مكان و ادعى انه يعتزم السفر إلى شیراز ثم توجه من أصفهان إلى قزوین فى طريقه إلى مازندران و هنا علم مرافقوه ان الملك يعتزم الهجوم على آذربايجان و تحرير الولايات الشماليه الغربيه و الغربيه من ايران التى كان قد سلمها فى بدايه حكومته إلى العثمانيين اضطرارا. ففى البدايه هاجم الشاه عباس بجيوشه المستعده مدينه تبريز و فتحها فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٠١١ و من هناك هاجم اىروان و فى نفس الوقت أمر الله وردى خان ان يهاجم بغداد عن طريق خوزستان. فتوجه الله وردى خان إلى بغداد و حاصرها الا انه استدعى إلى اىروان بامر من الملك قبل ان يفتح بغداد و تمكن الشاه عباس من فتح اىروان فى بدايه سنة ١٠١٣ ابدى قائد الجيوش العثمانيه فى بغداد اوزون احمد جرأه - بعد أن توجه الله وردى خان من بغداد - فتقدم احمد إلى مدينه همذان الا ان القاده الايرانيين اعتقلوه هناك، أما الشاه عباس فقد أرسل الله وردى خان لفتح مدينه (وان) للقضاء على بقيه جيوش الأتراك و أرسل قائدا آخر إلى قارص و قد تمكن الاثنان من محاصره هاتين المدينتين. فأرسل السلطان العثماني قائده المعروف (جفال اوغلى) مع جيش كبير لتحرير المدينتين: و ان و قارص الا- ان الشاه عباس الذى كان فى مدينه تبريز توجه إلى هناك ليمنع جفال اوغلى و لم يكن معه من الجيش سوى ٦٢٠٠٠ رجل بينما كان أفراد جفال اوغلى يزيدون عن مائه ألف.

فدبر الشاه عباس حيله فى هذه الحرب حيث قسم جيوشه إلى قسمين.

ففى البدايه أمر قسما من جيشه بالهجوم بقوه على جيش جفال اوغلى، فتصور الأتراك أن هؤلاء يشكلون القسم الأ-كبر من الجيش الا-يراني، لهذا جمعوا القسم الأ-كبر من جيوشهم لمحاربه الجيش الا-يراني و لما اشتد القتال بين الجانبين، قام القسم الأ-عظم من جيش الشاه عباس و الذى كان ينتظر مثل هذه الفرصه بالهجوم على الأتراك و قتلوا فى هذه المعركه ما يقارب العشرين ألفا من العثمانيين و انهزم جفال اوغلى. و بعد فتره قصيره مات هما و كان هذا الفتح الكبير فى الرابع و العشرين من جمادى الثانيه سنة ١٠١٣ هجرية و فى السنه التاليه استولى الشاه عباس على كنجه و تفليس و باكو و دربند و شروان و شماخى و ديار بكر و الموصل. و عاد إلى قزوین فى بدايه سنة ١٠١٥ و كان قد استعاد من العثمانيين جميع الولايات التى كانوا قد سيطروا عليها و حقق فوزا كبيرا و عظمه باهره.

فى سنة ١٠١٧ أرسل السلطان العثماني احمد خان وزيره الأعظم مراد باشا مع جيش آخر لمحاربه ايران و تمكن مراد باشا من السيطرة على تبريز بسهولة و لكنه تكبد هزيمه كبرى فى هذه المدينه و هرب إلى الأراضى العثمانيه و أخيرا فى سنة ١٠٢٠ هـ تصالح البلدان ايران و العثمانيون و اعترفت الحكومه العثمانيه رسميا بسلطه ايران على الولايات الايرانيه السابقه كما وافق الشاه

عباس على أن يرسل في كل سنة مائتي حمل من الحرير الخام إلى اسطنبول.

و في سنة ١٠٢١ هـ وصلت أنباء إلى الشاه عباس تقول ان طهمورث خان الكرجي و عدد من رجاله المسيحيين هاجموا حاكم قراباغ و قتلوه، فتوجه الشاه عباس من أصفهان إلى كرجستان و وصلها في نهايه هذه السنه فهرب طهمورث و كلما أراد الشاه عباس ان يكسبه اليه لم يتمكن بل ان طهمورث لجأ إلى السلطان العثماني ففضى هذا اللجوء على السلام الذي كان قائما بين ايران و العثمانيين.

و في بدايه سنة ١٠٢٤ لما سمع الشاه عباس ان طهمورث عاد ثانيه إلى كرجستان و هزم حاكم الشاه عليها، توجه إلى كرجستان فجرت مقتله ذهب ضحيتها الألوف من اهالي كرجستان كما أسر مائه و ثلاثون ألفا منهم. ثم توجه الشاه إلى تفليس في الخامس عشر من جمادى الثانيه و من هناك توجه إلى بحيره كوكجه للقضاء على محمد باشا قائد السلطان احمد خان الذي كان في الوقت نفسه صدرا أعظم، إذ كان قادما لمساعدته طهمورث و تمكن محمد باشا من محاصره ايروان و لكن جيوش الشاه عباس حاصرته و بعد أن قتل الجيش الايراني اربعة آلاف من جنود محمد باشا، تصالح هذا مع ملك ايران و وعد ان يسعى للمصالحه بين الدولتين حال وصوله إلى اسطنبول.

و في سنة ١٠٢٧ توفي السلطان احمد خان و جاء بعده مصطفى خان الأول الا ان هذا السلطان عزل بعد سنه واحده و جاء بعده عثمان خان الثاني. فأرسل السلطان الجديد الصدر الأعظم خليل باشا مع جيش كبير إلى تبريز مؤلف من ٦٠,٠٠٠ مقاتل و لكن قرجغاي خان قائد قوات الشاه عباس هزم الجيش العثماني على مسافه ثلاثه فراسخ من كدوك شبلي و كان ذلك في سنة ١٠٢٧ هـ و أخذ قرجغاي خان الأسرى العثمانيين و جاء بهم إلى قزوین عند الشاه عباس، فعينه الملك حاكما على آذربايجان.

و بعد هزيمه خليل باشا، وقع الجانبان في سنة ١٠٢٨ هـ معاهده سلام بينهما و تقرر ان تكون الحدود بين البلدين هي الحدود التي كانت في عهد الشاه طهماسب و ان ملك ايران يرسل كل عام مائه حمل من الحرير الخام إلى السلطان العثماني.

و كانت آخر حروب الشاه عباس مع العثمانيين في الفتره من سنة ١٠٣٢ إلى سنة ١٠٣٤ هـ و كانت من أجل الاستيلاء على بغداد.

ففي سنة ١٠٣٢ توجه الشاه عباس مع جيشه إلى العراق و فتحه في الحادى و العشرين من ربيع الأول ثم استولى على العتبات المقدسه و ذهب بنفسه لزيارتها و أمر بتعمير تلك البقاع المباركه.

و في بدايه سنة ١٠٣٣ هـ توجه حافظ احمد باشا بامر من السلطان مراد خان الرابع إلى بغداد لاستعادتها و حاصر المدينه في التاسع من شهر صفر، فأرسل الشاه عباس قائده زينل بيك شاملو إلى بغداد و تمكن زينل بيك من ان يغلب حافظ احمد باشا و انهى الحصار المفروض على بغداد بعد سبعة أشهر و جاء الشاه عباس بنفسه إلى بغداد في سنة ١٠٣٤ هـ و وقعت عدّه معارك بينه و بين جيش حافظ احمد باشا حيث هزم هزيمه نكراء و منذ ذلك الحين و حتى نهايه حكمه الشاه عباس لم تقع ايه حرب مهمه بين ايران و العثمانيين غير أن اعتداءات حكام الحدود العثمانيين على كرجستان و ارمينيا كانت قائمه.

الاستيلاء على قشم و هرمز في سنة ١٠٣١ هـ

بعد ان فتحت القوات الإيرانيه جزيره البحرين و حاصرت ميناء جرون

ص: ١٠٩

أرسل ملك اسبانيا فيليب الثالث و كان ملكا على البرتغال آنذاك سفيرا إلى الشاه عباس مع هدايا و تحف كثيره و طلب منه أن يعيد البحرين إلى أفراد شركه هند البرتغال و يفك الحصار عن ميناء جرون. فاستقبل الشاه عباس في سنة ١٠١١ هـ في مدينه مشهد مبعوث الملك فيليب فكانت مطالب المبعوث ان يفك الحصار عن ميناء جرون و ان يسلم الايرانيون جزيره البحرين إلى البرتغاليين و لكن الشاه عباس راوغهم فلم يحصل شيء من ذلك.

و في سنة ١٠١٧ هـ أرسل فيليب الثالث سفيره السابق إلى ايران مره ثانيه و شكى إلى الشاه عباس من رفض استرداد البرتغاليين للبحرين فأرسل الشاه عباس ممثلا عنه مع السفير الإسباني إلى ملك اسبانيا و لكنه تجاهل في رسالته إلى الملك الإسباني ذكر جزيره البحرين فلم يتحدث عنها بشيء.

و منذ سنة ١٠٠٩ حين احتلت ايران جزيره البحرين، كان البرتغاليون يسعون باستمرار لاستعادة هذه الجزيره الا ان القائد الايراني الله وردى خان أدرك ذلك فكان يتعرض لميناء جرون و القلاع و الموانئ الأخرى القريبه من هرمز ليشغل بذلك بال البرتغاليين. و من أجل ان تكون له قلعه حصينه بالقرب من قلعه جرون الحصينه بادر بإنشاء قلعه جديده بالقرب من جرون أسماها القلعه العباسيه.

و في سنة ١٠٢١ هـ أرسل الله وردى خان ابنه امام قلى خان للاستيلاء على جرون و لكنه لم يحقق انتصارا في ذلك الأمر و في نفس السنه توفي الله وردى خان و خلف امام قلى خان أباه على حكمه فارس. و في سنة ١٠٢٣ استولى امام قلى خان على ميناء جرون و هدم القلعه البرتغاليه هناك و أنشأ مكانها و بالقرب من القلعه العباسيه ميناء جديدا اسماه ميناء عباس (بندر عباس حاليا).

في سنة ١٠١٧ توجه سفير فيليب الثالث (انطونيو دي كوفيا)^(١) مع (دنكيزييك روملو) سفير الشاه عباس إلى أوروبا في رحله استطلاعيه، ربما كان القصد منها تسليح الجيش الايراني، و يبدو ان سفير الشاه مع سفير فيليب تجاوز ما كان معهودا به اليه فلما عاد الاثنان إلى ايرانسنه ١٠٢١ هـ، كانت معامله الشاه عباس لدى كوفيا معامله قاسيه كما أمر بقتل دنكيزييك و قرر قطع ايدي البرتغاليين في الجزر و السواحل في الخليج حيث جاء هجوم امام قلى خان على جرون بعد هذا القرار.

و في بدايه سنة ١٠٢٣ أرسل فيليب الثالث سفيرا جديدا إلى ايران و وعد ايران بمساعدتها في هجومها على العثمانيين و طلب من الشاه عباس استعادة البحرين و جرون. و لكن الشاه عباس رفض ذلك رفضا باتا، و رد على فيليب بان جرون جزء من ارض ايران و ان جيشه مسيطر على البحرين فلا يتخلى عنها و كان الشاه عباس آنذاك في مفاوضات تجاريه مع مندوبين عن الشركه التجاريه الإنكليزيه في الهند و كان على ثقه من وعود الشركه في مساعدته في المجال البحري، فلم يهتم بسفير فيليب الثالث و عاد السفير صفر اليدين و كان هذا الأمر بمثابة قطع العلاقات بين الفريقين.

و تمكنت سفن الشركه الهنديه الشرقيه الإنكليزيه سنة ١٠٣٠ هجريه من إنزال هزيمه نكراء بالبرتغاليين في ميناء جاسك و كان هذا الحادث وهنا كبيرا للأسطول البحري البرتغالي في الخليج.

و في هذه الأيام دخل امام قلى خان بامر من الشاه عباس في المفاوضات مع ممثلي الشركه الإنكليزيه للحصول منهم على بعض

السفن لمهاجمه البرتغاليين في جزيرتي قشم و هرموز [هرمز]. و طوال سنه ظل ممثلو الشركه يرفضون قبول هذا الطلب لأنهم من جهه كانوا يخافون من مواجهه البرتغاليين في هرموز هرمز و من جهه ثانيه لما كانت العلاقات وديه بين فيليب الثالث و ملك انكلترا فان ممثلي الشركه لم يكونوا يرغبون في القيام باى شىء دون إذن من البلاط الانكليزى. و أخيرا هدد امام قلى خان الشركه بمصادره ممتلكاتها في سواحل الخليج في حاله عدم استجابته طلبه. و فى النهايه عقد ممثلو الشركه مع إمام قلى خان معاهده في ميناب تقرر بموجبها ان يهاجم الايرانيون قشم و هرموز [هرمز] من البر و يهاجمها الإنكليز من البحر و أن يتقاسما الغنائم بعد الفتح و ان يدفع الطرفان نفقات السفن و الأسلحة الناريه بالمنصفه و أن الأسرى المسلمين يسلمون إلى ايران و الأسرى المسيحيين يسلمون إلى الإنكليز عدا حاكم هرموز البرتغالى الذى يجب تسليمه إلى ايران، و أن تقسم موارد جمر ك هرموز بين الجانبين و أن البضائع التى يستوردها الإنكليز للشاه و لحاكم فارس تكون معفوه من دفع الضريبه الجمر كيه.

و بعد التوقيع على هذه الاتفاقية بدأ امام [قلى] خان بالهجوم على قشم و بعد الاستيلاء عليها منع إيصال المياه العذبه إلى البرتغاليين في هرموز ثم حرض حاكم عمان على البرتغاليين.

بعد الاستيلاء على قشم و فتحها قامت القوات الإيرانيه الإنكليزيه المتحده بمحاصره قلعه هرمز في ٢٧ ربيع الثانى سنه ١٠٣١ هـ و استولت قوات الجانبين عليها في العاشر من جمادى الآخره و بعد فتح هرمز فقد البرتغاليون أكبر و أضخم قاعده لهم في الخليج كانوا قد سيطروا عليها أكثر من قرن كما اضمحلت سلالة أمراء هرمز القديمه و هم الذين كانوا يحكمون منذ قرون هرموز القديمه (ميناب حاليا) و هرموز الجديده (جزيره هرموز حاليا) و على سواحل موغستان و عمان، و كانوا فتره تحت امره ملوك ايران و تاره اخرى تحت امره ملوك اسبانيا و البرتغال. و كان ذلك في سنه ١٠٣١ هجرية.

بعد فتح قشم و هرمز، قرر القائد الايرانى الصفوى امام قلى خان ان يطرد البرتغاليين من عمان و مسقط و يريح المسلمين هناك من اعتداءات البرتغاليين الوحشيه القاسيه و لهذا دخل في المفاوضات مع ممثلى شركه الهند الشرقيه للحصول على المساعدات الإنكليزيه، الا ان الإنكليز لما كانوا لم يستفيدوا من فتح هرموز شيئا و كانوا يريدون تعويض الخسائر التى لحقت بهم اقترحوا على امام قلى خان منحهم جزيره هرموز و نصف الموارد الجمر كيه و أن يحق لهم ان تكون لهم اربع سفن حربيه في الخليج. الا ان امام قلى خان رفض هذا الطلب لانه لم يكن يريد أن تقع هرموز مره أخرى بايدى المستعمرين و أن خطه الاستيلاء على مسقط و عمان بالرغم من التمهيدات التى أعدها امام قلى خان توقفت بسبب ضعف القوه البحريه الإيرانيه. و من جانب آخر حاول البرتغاليون كثيرا استعادة هرمز الا انهم فشلوا في ذلك فاضطروا لأن يتصالحو مع الشاه عباس في سنه ١٠٣٤ و أن يتركوا جميع ممتلكاتهم للايرانيين. و لما كان الشاه عباس لا يرغب أن يفقد صداقه ملك اسبانيا و البرتغاليين نهائيا ليتمكن من أن يستفيد منهم في حاله خصامه مع الإنكليز، فقد سمح للبرتغاليين بصيد اللؤلؤ في البحرين و أن يقيموا لأنفسهم قلعه و دارا للتجاره في ميناء كرك شمال شرقى ميناء كركه.

وفاه الشاه عباس

في السنه الأخيره من حكمه أمر الشاه عباس امام قلى خان حاكم فارس ان يهجم هو و أمراء خوزستان على البصره و أن يستولوا على هذا الميناء عبر نهر دجله و عربستان. و توجه الشاه عباس بنفسه إلى مازندران، و لكن مرض الشاه ازداد في مازندران و توفي في مدينه أشرف (بهشهر حاليا) في ليله الرابع و العشرين من جمادى الأولى سنه ١٠٣٨ هـ و كان آنذاك يبلغ من العمر ٥٩

سنة و ثمانية أشهر و ٢٣ يوما و نقل جثمانه إلى كاشان ثم إلى مدينة قم حيث دفن فيها.

ص: ١١٠

AntonisdeGouveA -١

و لما بلغ خبر وفاه الشاه عباس إلى امام قلى خان الذى كان يحاصر مدينه البصره ترك الحصار و عاد إلى أصفهان ليحظى بحضور الملك الجديد.

الشاه عباس الكبير هو لا شك أكبر ملوك ايران بعد الإسلام بسبب الأعمال العظيمة التى قام بها و الفتوحات التى حققها و الآثار الخيره التى تركها و قد حكم إيران منذ ادعائه الحكم فى خراسان ٤٩ سنة و بعد عزل والده ٤٣ سنة. و ربما لا نجد من الملوك من هو فى الصيت و الشهره بين عامه أبناء الشعب مثل الشاه عباس. ان الحكايات و الأساطير التى يتناقلها الناس خير دليل على ذلك و ان لقب الكبير الذى منحه الأوروبيون له لم يكن عبثا.

لقد صدرت عن الشاه عباس فى حياته بعض الأعمال التى تؤكد قسوته و عصبيته و على سبيل المثال قتله لابنه الأكبر صفى ميرزا فى سنة ١٠٢٢ هـ لتصوره بأنه سيثور عليه ثم هناك المجزرة التى ارتكبها فى كرجستان و قتله لأصحابه ممن يتهمهم بأقل ذنب، و لكن رغم كل هذا فان الشاه عباس بغلبته على أعداء ايران القدامى و حصوله على الانتصارات الباهره فى فتوحاته، سعى أكثر من أى ملك آخر لرفاهيه العباد و أعمار البلاد و إنشاء الطرق و بناء الأبنيه و ما زالت آثاره الكثيره باقيه تذكر به فى جميع ارجاء ايران.

لقد نقل الشاه عباس حوالى سنة ١٠٠٠ هـ عاصمه حكومه الصفويين من قزوین إلى أصفهان و عادت هذه المدينه إلى ازدهارها و عظمتها بعد أن كانت منسيه منذ عهد السلاجقه و أمر الشاه رجاله ببناء القصور و المساجد و إنشاء الطرق و البساتين. و فى سنة ١٠١١ أمر ببناء جهار يازار و ميدان نقش جهان و فى سنة ١٠١٩ بادر بإنشاء مسجد الشاه و بنى عماره على قاپو لاقامته الشخصيه كما أوجد البساتين الكثيره على جانبى نهر زاینده رود و بنى القصور الأخرى و عدا أصفهان فقد بنى الشاه عباس قصورا كثيره فى مختلف أنحاء ايران و خاصه فى مازندران التى كان يذهب إليها دائما للراحه و الصيد ففى سنة ١٠٢٠ هـ أمر بإنشاء ميناء فرح آباد و فى سنة ١٠٢١ أمر ببناء مدينه أشرف.

و فى سنة ١٠٣١ أمر بإنشاء الطريق الحجرى فى مازندران و طوله ٤٥ فرسخا من فرح آباد إلى خوارى. كما أنشأ طريقا أخرى فى هذه الولايه من جاجرم فى خراسان إلى دشت مغان. و فى العراق، أمر بإنشاء نهر النجف و مقابر الأئمه و فى سنة ١٠١٧ وقف جميع ممتلكاته الخاصه على الأربعة عشر معصوما كما أمر بتوزيع مواردها على الساده.

و فى سنة ١٠٢٨ طلب من امام [قلى] خان ان يحفر قسما من جبال زردكوه فى بختيارى التى ينبع منها نهر كارون و زاینده رود و التى كان الشاه طهماسب أمر بحفرها، لتوزيع قسم من مياه كارون على أصفهان، و قد باشر امام خان بذلك و لكنه لم يتمكن من إتمامه بسبب صعوبه العمل.

و قد أمر الشاه عباس بإنشاء الخانات الكثيره فى مختلف الطرق فى ايران حيث كان معروفا بالسياحه و الاستجمام و كان يذهب فى كل عام لزياره مدينه مشهد كما كان يذهب عاده إلى أردبيل لزياره مقبره جده الشيخ صفى الدين و يقول عامه الناس ان الشاه عباس الكبير أنشأ ٩٩٩ خانا و هذا العدد يدل على كثره الخانات التى أنشأها.

و فى سنة ١٠٠٩ ذهب الشاه عباس لزياره مشهد مشيا على الأقدام و امر بتعيين المسافه بين أصفهان و مشهد عن طريق الصحراء و

بلغت هذه المسافه ١٩٩ فرسخا.

و فى سنه ١٠١٧ لما ذهب الشاه عباس إلى مدينه مراغه و شاهد هناك الآثار الباقية من مرصد هولوكو قرر تعمير ذلك المرصد و لهذا أرسل كلا من الشيخ محمد بهاء الدين العاملى و الملا جلال المنجم و على رضا الكاتب إلى مراغه لاعداد المخططات اللازمه و عرض هؤلاء خريطه اعاده بناء المرصد على الشاه عباس و لكن لا يعرف لما ذا أهمل هذا المشروع.

الشاه عباس و ادارته للبلاد

بذل الشاه عباس ما فى طاقته لاعمار البلاد و إصلاح شئون التجاره و الجيش و الزراعه و استخدم لهذا الأمر الخبراء الأجانب.

فى سنه ١٠٠٦ و عند ما كان الشاه عباس فى خراسان للقضاء على الأزيك جاءت بعثه انكليزيه مؤلفه من ثمانيه و عشرين رجلا بينهم خير عسكرى اسمه انطونى شرلى(١) و معه أخوه روبرت(٢) و كان هدف البعثه الحصول على امتيازات تجاريه. و من المؤكد انه كان لها غايات سياسيه، فقدمت للشاه الهدايا و التحف و استقبلها هو بحفاوه فى مدينه قزوين ثم اصطحبها معه إلى أصفهان.

و فى أصفهان علم الشاه و قائده قواته (الله وردى خان) بان فى الوفد رجالا يعرفون مختلف الفنون العسكريه و كيفيه صناعه المدافع، لهذا قرر الشاه و القائد أعداد جيش نظامى جديد على مثال الجيوش الأوروبيه و الاستعانه بالعسكريين الإنكليز.

و كان الجيش الصفوى يتالف آنذاك من مجموعه من الخياله من عشائر قزلباش و كانت هذه العشائر تطيع رؤساءها أكثر من اطاعتها للملك و كانوا يعملون حسب رغبتهم فى عزل و نصب الملك و الشاه عباس نفسه ثار بمساعدته هؤلاء على والده و تسلم السلطه.

و كان فى ذهن الشاه أعداد جيش مطيع لأمره مباشره، فبادر فى البدايه إلى تقليل عدد الخياله من القزلباش إلى ٣٠,٠٠٠. ثم بمساعدته الأخوين (شرلى) أعد خياله عسكريه مؤلفه من ١٠,٠٠٠ شخص و فريقا من المشاه مؤلفا من ٢٠,٠٠٠ كلهم مدربون و كانوا يقبضون الرواتب من الحكومه كما جهزهم بمدفعية فاعله، و سلم قيادتهم إلى الله وردى خان.

و من أجل أن يحافظ على حياته من الأخطار المحتمله التى قد تنجم من القزلباش فقد شكل عشيره جديده من مختلف الطوائف أسماها (شاهسون) اى أنصار الشاه أو المحيين للشاه و كانت مهمه هذه العشيره صيانه حياه الملك و قد دخل هؤلاء ضمن جيوش الملك.

و فى أواخر سنه ١٠٠٧ هجرية كان الشاه قد حقق تشكيل جيش حديث، ثم أرسل انطونى شرلى يرافقه حسين على بيك ييات إلى البلاطات الأوروبيه لعقد اتفاقيات معها لبيع الحرير الايرانى الذى كان آنذاك من البضائع الثمينه و حصل خلاف فى الطريق إلى أوروبا بين شرلى و حسين على بيك و انفصل شرلى عنه و ذهب إلى اسبانيا لدى فيليب الثالث و لم يرجع إلى ايران. و بعد رحله طويله وصل حسين على بيك إلى البلاط الاسبانى و بعد ما يقارب الأربع سنوات عاد إلى ايران على ظهر السفينه التى خصصها له فيليب ملك اسبانيا. و فى هذا التاريخ بعث الملك الإسبانى سفيره ديكوفا إلى ايران، كما ذكرنا من قبل، و كان من

الأمر ما أشرنا اليه فيما تقدم.

و عاد ديكوفا إلى ايران فى سنه ١٠١٧ ثم رجع إلى اسبانيا يرافقه زنكير بيك سفيرا لايران فى البلاط الاسبانى و عاد زنكير بيك إلى ايران فى سنه ١٠٢١ و كما ذكرنا سابقا ان هذه السفارات لم تسفر عن أى نتيجته حيث ان الشاه عباس لم يوافق على ان يستعيد البرتغاليون البحرين، ففترت العلاقات ثم أدى هجوم الجيش الايرانى على هرمز إلى قطع المحادثات

ص: ١١١

١- AntouY(+)Sherluy

٢- RoberT(+)Sherluy

و قطع ايدى البرتغاليين اتباع فيليب الثالث عن جزر الخليج و سواحله.

و فى سنه ١٠١٦ لما لم يعد انطونى شرلى من أوروبا إلى ايران و لم تنجح مهمه حسين على بيك بيات فقد أرسل الشاه عباس، روبرت شرلى الذى ابرز كفاءه عاليه سفيرا عنه إلى أوروبا و فى سنه ١٠٢٠ حظى روبرت شرلى بمقابله ملك انكلترا و لكن المفاوضات التجاربه التى أجراها مع الملك الانكليزى باسم الشاه عباس لم تؤد إلى نتيجته لعوامل عديده أهمها تصادم المصالح الدوليه المتناقضه.

و أخيرا، و بعد الكثير من المتاعب عاد روبرت شرلى إلى أصفهان فى سنه ١٠٢٤.

و خلال هذه المده أرسلت شركه الهند الشرقيه الإنكليزيه سفيرا عنها إلى ايران ليحصل من ملك ايران على ترخيص لبيع كميات من البضائع الإنكليزيه كانت الشركه قد أرسلتها إلى الهند و لم ترج هناك و كانت لها أسواق فى ايران. و تمكن السفير المذكور ان يحصل على هذا الترخيص بالرغم من معارضة روبرت شرلى لذلك، فخصص الشاه عباس ميناء جاسك لاقامه التجار الإنكليز و ان تكون سوقا لبضائع الشركه و بهذا فتح الشاه عباس المجال امام منافس قوى للتجار البرتغاليين فى الخليج.

و عاد روبرت شرلى فى سنه ١٠٢٤ مره اخرى سفيرا من بلاط فيليب الثالث كما أن فيليب أرسل بدوره سفيرا آخر فى سنه ١٠٢٣ إلى ايران.

و بقى روبرت شرلى فى البرتغال حتى سنه ١٠٣١ كما بقى سفير فيليب فى ايران حتى سنه ١٠٢٨ و لكن اى واحد منهما لم يحصل على النتيجة و الغايه المرجوتين من مهمتهما كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم (أهم مصادرنا فى هذا البحث ما كتبه الأستاذ حسين پيرنيا).

الصفويون و البرتغاليون

و إتماما لهذا البحث نشر هنا الكلمه التى كتبها لنا السيد محمد تفرشى عن حقيقه العلاقات بين الصفويين و البرتغاليين:

بعد أن فتح السلطان محمد الفاتح مدينه القسطنطينيه فى سنه ٨٥٧ هجرية (١٤٥٣ ميلاديه)، قضى على امبراطوريه روما الشرقيه و أغلق الطريق التجارى بين اوربا و آسيا عبر البحر الأبيض المتوسط و آسيا الصغرى و الشام، و بدأ تجار البندقيه و التجار البرتغاليون الذين كانوا يستخدمون هذا الطريق فى تجارتهم مع ايران و الهند. بدءوا مضطرين إلى البحث عن طريق آخر للوصول إلى الدول الآسيويه و خاصه إلى الهند، فقد توجه تجار جمهوريه البندقيه نحو ميناء الإسكندريه و البحر الأحمر، الا ان حرص و طمع مماليك مصر و سوء معاملتهم و المشاكل الأخرى وقفت حاجزا امام تجار البندقيه، و بعد فتره من الزمن توجه البحار البرتغالى بارتمى دياز نحو جنوب إفريقيا و رأس الرجاء الصالح (التي كانت تسمى آنذاك رأس العواصف) و منها دخل إلى المحيط الهندى و ذلك فى عام ٨٩٢ هجرية قمرية - ١٤٨٦ ميلاديه). و بعد اثنى عشر عاما وصل البحار البرتغالى الآخر المعروف فاسكو ديغاما إلى الهند عبر ذلك الطريق أيضا و ذلك فى سنه (٩٠٤ هجرية قمرية - ١٤٩٨ ميلاديه).

و فتحت رحله فاسكو ديغاما طريقا جديدا امام الحكومه البرتغاليه للسيطره على الهند و مناطق اخرى من القاره الآسيويه مما جعل

قوة الحكومة البرتغالية السياسية تزداد كثيرا. و في سنة ٩١٢ هجرية - ١٥٠٦ ميلادية أرسلت الحكومة البرتغالية (آلبوكرك) مع عدد من السفن الحربية لاحتلال عدن و سواحل البحر الأحمر. و لما رأى آلفونس دو آلبوكرك ان قواته غير كافية لاحتلال عدن قرر الاستيلاء على جزيرة هرمز في مدخل الخليج الفارسي و بذلك يتمكن ان يفرض سيطرته على جميع خطوط الملاحة و التجاره في الخليج الفارسي. و بالرغم من مقاومه و صمود اهالي جزيرة هرمز و حكاهما، الا ان الحرب انتهت لصالح المستعمرين البرتغاليين بسبب استخدامهم المدافع و البنادق و الأسلحة النارية الأخرى، و خضع حاكم جزيرة هرمز (و يدعى سيف الدين) للحكومة البرتغالية و التزم ان يدفع مبلغا من المال جزية كل عام كما التزم بإعفاء البضائع التي تصل من البرتغال من دفع الضرائب، كما التزم ان لا يستلم المزيد من الضرائب من الاهالي بسبب شرائهم البضائع البرتغالية و ان لا يسمح للسفن ان تدخل الخليج الفارسي أو تخرج منه دون موافقه حاكم هرمز البرتغالي.

ان احتلال جزيرة هرمز من قبل البرتغاليين فتح أيديهم في الخليج الفارسي و كان تمهيدا للتماس بايران. حيث سيطر البرتغاليون منذ هذا التاريخ على الطرق التجارية لايران عبر مياه البحر و وصلت السفن البرتغالية إلى أكثر الموانئ الجنوبية في ايران و موانئ الساحل الغربي حتى انها وصلت إلى البصرة أيضا. و قد خصص البرتغاليون تجاره الخليج الفارسي لأنفسهم.

و بعد فتره قصيره من الزمن طلب الشاه إسماعيل الصفوي ملك ايران من حاكم هرمز ان يدفع له الضريبة السنويه الاعتيادية فاتصل حاكم هرمز مع آلبوكرك و استشاره في الأمر و كان جواب آلبوكرك هو اننا سيطرنا على هرمز بالقوه و ان هذه المنطقه تعود إلى ملك البرتغال و لا يحق لحاكم هرمز ان يدفع الضرائب إلى أيه حكومه أخرى و إذا فعل الحاكم غير هذا فسنسلم الجزيرة إلى حاكم آخر لا ترهبه قوه الشاه إسماعيل الصفوي.

و بعد عوده آلبوكرك إلى الهند، وصل إلى هرمز سفير من قبل الشاه إسماعيل الصفوي لاستطلاع الأمر. و وافق حاكم جزيرة هرمز على التبعية لملك ايران. الا ان آلبوكرك توجه في سنة ٩٦٣ هجرية - ١٥١٥ ميلادية إلى هرمز مع ٢٦ سفينه و ٢٢٠٠ رجل مقاتل. و تزامنا مع هذا الحادث عمت الفوضى جزيرة هرمز مما دفع بالبوكرك إلى النزول بسرعه إلى جزيرة هرمز حيث قضى على الفوضى هناك و أفرج عن حاكم الجزيرة الذي كان الثوار قد اعتقالوه. و بعد فتره من الزمن جاء إلى الجزيرة سفير من قبل الشاه إسماعيل الصفوي للتفاوض، و لكن وفاه الشاه إسماعيل حالت دون تنفيذ أي شيء.

و جلس الشاه طهماسب على العرش و كانت أيامه تصرف في دفع عاديه غريمه القوى السلطان سليمان القانوني السلطان العثماني. و لم يهتم الشاه طهماسب الأول بشئون الخليج الفارسي و جزيرة هرمز كثيرا.

و كانت العلاقات بين الحكومتين الإيرانيه و البرتغاليه في عهد الشاه طهماسب الأول (٩٣٠ - ٩٨٤ هجرية - ١٥٢٤ - ١٥٧٦ ميلادية) طبيعيه حسب الظاهر و لم تتوفر لدينا معلومات كامله عن تلك العلاقات. الا ان المعروف ان دم سباستيان ملك البرتغال أرسل في سنة ٩٥٨ هجرية ١٥٥١ ميلادية و كذلك في سنة ٩٨٢ هجرية - ١٥٧٤ ميلادية سفيرين إلى بلاط الشاه طهماسب الأول و معهما هدايا و تحف كثيره و ذلك عبر طريق هرمز. و كان السفير البرتغالي الثاني من كبار الشخصيات في بلاده حيث وصل إلى ايران في موكب كبير. الا ان الشاه طهماسب استقبل هذا السفير ببرود بسبب سوء معامله السلطات البرتغاليه في جزيرة هرمز لأهالي الجزيرة و لم يسمح للسفير البرتغالي و حاشيته التي كانت تتالف من خمسين شخصا ان يعودوا إلى بلادهم ما دام حيا، و لم يعد هذا السفير و حاشيته إلى بلادهم الا بعد وفاه الشاه طهماسب الأول و في عهد السلطان محمد خدابندهوالد الشاه عباس.

و فی سنه ۹۸۸ هجریه - ۱۵۸۰ میلادیه و فی عهد السلطان محمد

ص: ۱۱۲

خدابنده استولت اسبانيا على البرتغال و ظلت البرتغال خاضعه لاسبانيا فتره من الزمن - و بعد ان جلس الشاه عباس على العرش حاول اقامه علاقات وديه مع الدول الأوربيه الكبرى فأرسل السفراء و الرسائل الوديه لتطوير العلاقات التجاربه و عقد الاتفاقيات السياسيه مع كبار ملوك اوربا كامبراطور ألمانيا و ملك اسبانيا و البابا فى روما و جمهوريه البندقيه و قيصر الروس و ملك فرنسا و بولندا و لهذا السبب توسعت العلاقات بين ايران و الدول الأوربيه كثيرا فى عهد الشاه عباس كما سافر الكثير من السفراء عن البلاط الايرانى إلى الدول الأوربيه لعقد اتفاقيات سياسيه و تجاربه مع تلك الدول كما و ان الكثير من السفراء من الدول الأوربيه جاءوا إلى البلاط الايرانى.

و فى عهد فيليب الثانى ملك اسبانيا الذى كان ملكا على البرتغال و المستعمرات البرتغاليه أيضا. طلب من ولى العهد فى الهند أن يسافر إلى ايران و يلتقى بالسلطان محمد خدابنده و بعد وفاه فيليب الثانى. طلب فيليب الثالث من ولى عهد الهند أن يفعل كذلك. و فى سنه ١٠١١ هجره اجتمع ولى عهد الهند بالشاه عباس فى مدينه مشهد. و طلب الشاه عباس من ولى عهد الهند و الوفد المرافق له ان يلتزموا بعدم مساعده اسبانيا للعثمانيين عليه فى الخليج الفارسى و لما لم تكن هناك أيه علاقات وديه بين الشاه عباس من جهه و بين البرتغال و اسبانيا من جهه اخرى فقد توجه الشاه عباس مستغلا الفرصه نحو الإنكليز ضد البرتغال و أسبانيا. حيث ان ايران لم تكن تملك قوه بحريه قويه. و لهذا السبب كان الشاه عباس قد طلب من حاكم مقاطعه فارس ان يقوم بصوره غير مباشره بإيذاء البرتغاليين فى منطقته الخليج الفارسى ليتمكن هو ان يطبق خطته بصوره كامله. و لهذا قام حاكم مقاطعه فارس بالاعتداء على البحرين و على تحصينات و قلاع البرتغاليين العسكريه فى الخليج الفارسى. فبعث الحاكم البرتغالى فى الخليج الفارسى رساله إلى فيليب الثالث ملك اسبانيا و أخبره بالأمر. فبعث ملك اسبانيا رساله تهنئه إلى الشاه عباس بسبب الانتصارات التى حققها فى الحرب مع العثمانيين و طلب منه الانسحاب من المناطق التى احتلها فى الخليج الفارسى.

و بعد هذه القضيه و فى سنه ١٠١١ هجره - ١٦٠٢ ميلاديه دخل الشاه عباس فى الحرب ضد اسبانيا و فى النهايه و بدعم من القوه البحريه الإنكليزيه تمكن الشاه عباس من طرد الاسبانيين من الأراضى الإيرانيه و من مياه الخليج الفارسى.

و يظهر مما ذكرنا أعلاه ان ايران لا- فى عصر الشاه عباس خاصه و لا فى عهد السلالة الصفويه عامه كانت لها ايه معاهدات تحالفه مع ايه دوله اوربيه، و ان هذا الأمر لم يكن يخالف مسأله تطوير و توثيق العلاقات بينها و بين الدول الأوربيه. حيث ان جميع اهتمامات ايران بالنسبه لهذا الأمر هو تعزيز قدرتها و بنيتها السياسيه و العسكريه و لهذا لم تكن ابدأ عضوه فى الاحلاف ضد العثمانيين فى عهد من العهود فيما عدا المحاوله التى حاولها البرتغاليون فى عهد الشاه إسماعيل و التى لم تسفر عن اى شىء عملى بسبب تصلب الشاه إسماعيل و مطامع البرتغاليين.

السيد عباس شبر بن محمد

ولد سنه ١٣٢٢ فى البصره و توفى فيها سنه ١٣٩١ و دفن فى النجف الأشرف.

من اسره عريقه فى العلم و الأدب يقطن فروعها فى النجف و الكاظميه و البصره و الكويت، و هو من ابرز رجالها.

تولى القضاء الشرعى و تنقل فى عمله هذا بين العماره و البصره و بغداد و ظل فيه اثنتى عشره سنه. له مجموعته شعريه مطبوعه باسم (جواهر و صور). قال يرثى الحسين ع:

يا باذلا في سبيل الله مهجته و ما حقا كل تمويه و تأسيس
و منقدا شرف الإسلام من فنه يزيدا البغي تدنيسا لتدنيس
شرعت دستور إخلاص و توضيحه في مجلس للهدى و الحق تاسيسي
بعثت في الدين روحا كان ازهقها جور الطغاه و إرهاب الأباليس
ضربت رقما قياسيا يحار له أهل الحساب و أصحاب المقاييس
للمصلحين قواميس مخلده في الأرض و اسمك عنوان القواميس
تقيم نهضتك الدنيا و تقعدا للحشر ما بين إكبار و تقديس
ناهيك من نهضه غص الزمان بها لما تضم و تحوى من نواميس
خلدتها فهي للأجيال مدرسه تناوح المجد في بحث و تدريس
في ذمه الدين ما ارضت من مهج للدين سلن على السعر المداعيس
لولاك لاندثرت فينا معالمه فلم نجد غير ربع منه مطموس
بعدا لقوم يرون الدين قنطره لما يسد فراغ البطن و الكيس
باتوا يحوطون دنياهم بحيطته و هم على دخل منه و تدليس
رام ابن ميسون امرا دونه رصد أعبا أباه فاودى تحت كابوس
و كم سعى جده مسعاه ذى حنق و جد لكن لجد منه معكوس
و كيف تطفئ نور الله زعنفه عار على العيس ان قلنا من العيس
لها فصول من التاريخ قد ملئت خزيا فكانت هنا في القراطيس
ان انتمت لقريش في أرومتها فحسه الطبع تنميها لإبليس
يجبى علاك و تخزى نفس مرتطم في حماه الشرك و الطغيان مركوس
هذا ضريحك كم حج الملوك له فأين قبر الخنا في أى ناووس

صلى عليك الذى أولاك منزله دانت لعلياها علياء إدريس

وقال:

فجع الفضا بنهاره فبكى على أنواره

فالافق مسعود الأديم ينوء فى اكداره

صبغ الظلام له سراييل الحداد بقاره

ص: ١١٣

و اما لذاك الروض جليله الدجى بستاره

فتراجعت انفاسه حسرا إلى أزهاره

حتى لقد عقد الكرى فيه لسان هزازه

فتخارست اطياره و غفت على أشجاره

و الكون ساد به السكون فكان رمز وقاره

كم تحت هذا الليل من راض و كم من كاره

من موسر قد بات يدأب فى حساب نضاره

أو بائس يذرى مدامعه على أطماره

أو عاشق أصلى الغرام فؤاده فى ناره

أو فيلسوف يرتئى الآراء من أفكاره

أو راصد قد بات يرعى النجم فى منظاره

أو تاجر أبدا يجيل الفكر فى اسعاره

أو سارق متفكر فى سلبه و فراره

أو مدمن ضحى جميع عقاره لعقاره

أو أحرق قد بات مشغولا بلعب قماره

أو ساقط سكب الحيا بفجوره و بعاره

أو نازح يبكى لغربته و بعد مزاره

أو فاقد نهس المصاب فؤاده بقراره

أو مسقم امسى يهدده الردى ببواره

أو عالم قد بات منحنيا على أسفاره

أو كاتب سهر الدجى ليفوز فى مضماره

أو شاعر امسى يذبح الهم فى أشعاره

يبنى بيوتا عامرات و الخراب بداره

روح التعاسه و الشقاء ترف فوق جداره

و قال فى مدح السيد على ابن السيد عدنان الغريفى

حجر الكرى تذكار حاجر عن مقلتى و الذكر حاجر

أو ترتجى الغمض الجفونو تبتغى النوم المحاجر

هيهات ما لى و الرقادو ان أبى اللاهى المشاجر

فليلغظ العذال و لتكثرتقريعى الزماجر

و يقول فيها فى المديح:

الجهيد الشهم اللييب الأروع الندب العراعر

جم الفضائل من عليه فى العلى تلوى الخناصر

السيد السامى (على) الانتما زاكى العناصر

نجل الذى قد كان للدين المفدى خير ناصر

غوث البلاد و غيها ان عز فى الاجداب ناصر

عنوان كل فضيله غراء محمود الأواصر

فذ تردى بالحجى و على العلى شد المآزر

أحيا من العرفان و الآداب ما قد كان داثر

قسما بمجدكم بنى عدنان و النجر المناجر

ما ركبت أقدامكم الا لأعواد المنابر

ما زلتهم ترثونها من كابر ينمى لكابر
لا غرو ان جئتم بما بهر الأوائل و الأواخر
و ملكتم من أبحر العرفان ارثا كل زاخر
شرف به قد خص أهل البيت مثل الشمس ظاهر
هذا العلى حقا بهذا فليفاخر من يفاخر
و إليكها بصريه يعنو لها أهل البصائر
نتجت بها الأفكار بكرا لم يصرها قط صائر
و من شعره قوله:

لعمرك ما استخدمت للعيش عميتو لم أتخذها قط احبوله الصيد
و لكننى جاريت قومي مقيدافها هى فى رأسى تشير إلى قيد
و قوله:

ترفعت عن معروف حى و ميت فكل حطامى منزل لابی وقف
فكم ليله للغيث بت مهددا أحاذر ان يهوى على صبيتى السقف
و كتب اليه السيد على بن السيد عدنان الغريفى:

تحن إلى نجد و قد يمتت نجدا ذمول أبت الا السراب لها وردا
إذا استبقت للسير تحسب صارما يسلم على متن الربى و الدجى غمدا
إذا هبت النكباء كانت لها ردا و ان أرخت الظلماء كانت لها بردا
تخال هلالا ما ترى من نحولها و نجم الثريا فى مقلدها عقدا

تؤلف بين الشرق و الغرب ان سرت ذميلا فلا غورا تعانى و لا نجدا
تؤم رشا بالبيض و السمر خادر و ليس هما الا اللواحظ و القدا

أصادقه ودا فيعقبني جفا و اساله وصلا فيجبهني ردا
خليلي عوجا بارك الله فيكما على طلل عشنا به زمنا رغدا
أناخ بمغناه بكللكه البلا و البسه الاعصار ضافيه حصدا
و عهدي به للغير ملهى و للدمى مراح و لم يلو الزمان له وعدا
فما باله و الوحش في عرصاته عكوف و قد ابدى له الدهر ما ابدى
و اسحم غريب الجبين كأنما إعارته طولاً من ذوائبها سعدى
كان به الشهب الدرارى أسنه تمزق من جسم الدجى بالسنا جلدا
كان سهيلاً حين يبدو و يختفى غريق ببحر الليل حيث طما مدا
كان الثريا كف عاف يمدّها إلى كرم (العباس) مستجدياً رفدا
فتى اخجلت غر السحائب كفه كما قد غدا حر الكلام له عبدا
فتى شاد بيت المجد بعد انهدامه و شد من العلياء حيث انثت زندا
نماه إلى المجد المؤثل هاشم فأكرم به نسلا و أكرم به جدا
إذا ما شكوا العافون محلاً فكفه تجود ندى كالقطر حاشاه بل اندى

و إما دجا ليل الضلال فرأيه يضيئ هدى كالبدر حاشاه بل اهدى

همام لو البدر استضاء بنوره لما ناله خسف و لا فارق السعدا

له خلق كالروض باكره الحيا تضوع مسكا لا خزامى و لا رندا

فيهدى لنا فى كل يوم شقائقا سقاها من الآداب ماء و لا صدا

فتى عاقر العلياء قد نتجت به و قد عقت عن ان تجيء له ندا

فيا أيها البحر العباب الذى طما على الخلق الا انه سائغ وردا

الا فاعذرن صبا يروم ثناءكم و هيهات ان يحصى ثناءكم عدا

فدم رافلا فى ملبس العز ما شدا هزار و ما هام الفؤاد بكم وجدا

(١)

السيد عباس المعروف بالمدرسى آل الحاج السيد جوادى بن السيد

حبيب بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد بن السيد حسين بن السيد

إبراهيم بن السيد مير معصوم بن السيد مير فصيح بن السيد مير أوليا

القزوينى.

ولد فى قزوین سنه ١٣١٩ و توفى يوم السابع من المحرم الحرام سنه ١٤٠٤ و دفن فى مقبره أسرته جنب روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضا ع.

آل الحاج السيد جوادى من الأسر العلميه العريقه فى قزوین نبغ منها علماء اعلام بزغ بدرها فى أفق قزوین من القرن الحادى عشر للهجره و اشتهرت بال الحاج السيد جوادى منذ عهد جدهم السيد عبد الجواد بن السيد حسين المتوفى سنه ١٢٧٨ أحد اعلام القرن الثالث عشر فى قزوین و كان والده السيد حسين المتوفى سنه ١٢٠٨ شيخ السيد مهدي بحر العلوم و جده السيد إبراهيم المتوفى سنه ١١٤٥. من أكابر علماء عصره.

أخذ المترجم له المقدمات على جملة من أفاضل علماء قزوین ثم حضر السطوح على الشيخ ملا على الطارمى و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند محمد على الشاه آبادى البيرجندى ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الكلام على السيد موسى الزرآبادى و السيد هبه الله التلا-ترى القزوينى و الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و غيرهم و حصل على إجازات اجتهاد من كبار علماء عصره كالسيد أبو الحسن الاصفهانى و قد أدركته فى قزوین و كان من العلماء الاعلام و سادات المدرسين بها. من مؤلفاته

كتاب (أنوار نبوت) في تفسير القرآن فارسي يقع في ستة مجلدات طبع الجزء الأول منه إلى آخر سورة النساء في ٣٧٩ سنة ١٤٠٣، وله تقارير استاذة الحائري في الفقه والأصول. (٢).

الحاج ميرزا عباس قلي صادق پور وجدى

المشتهر بواعظ جرندابى ولد بتبريز سنة ١٣١٥ و توفى فيها سنة ١٣٨٦ تعلم العلوم الدينيه عند الشيخ على الشريانى (المتوفى ٢ ذى القعدة ١٣٤٨ صاحب كتاب معرفه الأئمه (ط تبريز)، ١٣٢٤ هـ) و خلاصه التوحيد فى الكلام لم يطبع. و درس الرياضيات و الأسطلاب على الميرزا لطف على إمام الجمعه (المتوفى عن حدود ٧٣ فى ١٣٣٩).

و قد أسس الواعظ الجرندابى فى سنة ١٣٣٦ هـ مدرسه جديده سماها "الإرشاد" فى راسته كوجه بتبريز كما فى "تاريخ فرهنگ آذربايجان ج ١ ص ١٧٠" و ذلك فى عهد رئاسه أبو القاسم فيرضات و الدكتور أعلم الملك، و فى عهد محمد على تربيت ترك المدرسه هذه، و اشتغل بالتدريس فى المدرسه الطالبية القديمه فدرس الرياضيات و المنطق، ثم فى حدود ١٣٤١ أسس عده من العلماء مدرسه "سرخاب و شتربان" و عينوا الجرندابى مديرا لها برعايه الحاج ميرزا صادق المجتهد التبريزى و بعد مده ترك هذه المدرسه و تفرغ للوعظ و الخطابه.

و للمترجم له مكتبه نفيسه تحتوى على أكثر من عشره آلاف مجلد أهدى نفائسها و المخطوطات منها لمكتبه مشهد الرضا (ع) و كان له مكاتبات مع العلماء كالسيد محسن الأمين و الشيخ محمد جواد البلاغى و السيد هبه الدين الشهرستانى و الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، و الشيخ آقا بزرگ الطهرانى و غيرهم.

و له من المؤلفات:

- ١: عظمت حسين بن على (ع) ط عده مرات.
- ٢: زندگانى محمد (ص) لتوماس كارلايل، طبع مع مقدمه و حواش و تعاليقه سته مرات بتبريز.
- ٣: ذو القرنين و سد يأجوج و مأجوج ط تبريز.
- ٤: أوائل المقالات، للمفيد (٣٣٧ - ٤١٣ هـ) و شرح عقائد الصدوق (م ٣٨١ هـ) مع تعاليق و مقدمه له ط مرات بتبريز و طهران.
- ٥: و طبع له مقالات عديده منها "السيد جمال الدين و رينان" فى مجله "العرفان، الأعداد: ٣، ٤، ٦ المجلد ٤٦ منها، و مجله "دعوت إسلامى" الفارسيه بكرمانشاه.
- ٦: مقدمه كتاب باب الأبواب فى ترجمه أحوال مؤلفه و مترجم الكتاب.

٧: هشت مقاله. مطبوع. (٣).

الدكتور عبد الباقي كلبارلى بن أحمد.

ولد سنة ١٣١٧ و توفي سنة ١٤٠٣ هو من كبار رجال الفكر فى تركيا و من أشهر مؤرخيها، طبع من مؤلفاته أكثر من مائه مجلد، فضلا عما نشر من البحوث فى المعارف الإسلاميه و ثقافته التركيه و التحقيقات التاريخيه، و كان متمسكا بالبيت تمسكا واعيا مدركا لفضائلهم إدراكا عميقا، مدافعا عن التشيع و حقائقه دفاع العالم المفكر المؤرخ المثبت.

و قد تفانى فى نشر آثار آل البيت و إذاعه فضلهم بقلمه الساحر الأخاذ، فألف فى ذلك الكتب و نشر المقالات فى الجرائد و المجلات التركيه فى كل المناسبات الإسلاميه.

كان أبوه (احمد آكاه) من أهل (كل بولاق) من توابع (كنجه) من مدن قفقاسيا، و قد استبدل المترجم باسم كل بولاق اسم كل بنار المتحد معه فى المعنى لسهوله التلفظ بالاسم الأخير.

و قد هاجر أبوه إلى تركيا و أقام مده فى مدينه (كارس) التى هى من أهم مراكز الشيعة، ثم قدم اسطنبول و تزوج بالسيدة عاليه التى هى الأخرى من المهاجرات. و كان المترجم يرى انه مدين لأمه أكثر من أبيه، إذ كانت من المثقفات العاليات الثقافه، و فى الوقت نفسه من التقيات العابدات القليلات النظير.

ص: ١١٥

١- السيد على العدنانى الغريفى

٢- الصالحى.

٣- الشيخ أبو ذر بيدار.

و يقول المترجم: في أوائل نشوء الجمهوريه التركيه كنت استاذاً في جامعه "دار الفنون" في استنبول، فقالت لي امي: يا عبد الباقي! انك أستاذ في جامعه دار الفنون، و ربما رأيت نفسك مضطراً من أجل الاحتفاظ بمنصبك ان تمدح آتاتورك، و سأقول لك كلمه لم أقلها لك من قبل: و هي اني على الرغم من كل مشقه و كلفه ما أرضعتك يوماً الا مع الطهاره، فلو انك قلت كلمه واحده في مدح هذا الرجل الفاجر المتهتك لم أجعلك في حل من ارضاعي إياك.

مجل سيرته

أكمل دراسته الابتدائيه و المتوسطه في استنبول ثم فوجئ بموت أبيه فاضطر للعمل فتولى التعليم متنقلاً في مدارس كل من: ألأجه، و قونبه [قونيه]، و قيصرى، و قسطمونى، و بالى كثير، و استنبول، و كان إلى جانب عمله في التعليم يوالى دراسته حتى نال شهاده الدكتوراه. فاشتغل في التدريس في جامعه أنقره في كليات التاريخ و الجغرافيا و اللغات. و تقاعد سنه ١٩٤٩ فانكب على التأليف و التحقيق حتى فاقت مؤلفاته المائه، كما نشر ما لا يحصى من المقالات في صحف استنبول و إلى جانب دراسته الجامعيه فقد درس العلوم الإسلاميه من فقه و أصول و حديث و تفسير و تاريخ و كلام و فلسفه على أساتذه متخصصين أمثال: يوسف افندى، و إسماعيل سعيد، و فريد كام، و احمد نائم، و حسين فخر الدين، و الشيخ على الخوئى.

مؤلفاته

(١) - تفسير القرآن (مخطوط). (٢) شرح نهج البلاغه طبع في استنبول و أعيد طبعه في مدينه قم، (٣) ترجمه القرآن إلى اللغه التركيه.

و تعتبر ترجمته هذه أفضل الترجمات التركيه، و هي مقرونه بخلاصه التفاسير، و ذلك في مجلدين كبيرين طبعاً مرتين في استنبول و أعيد الطبع في مدينه قم، (٤) تاريخ الإسلام، و هو دراسه تحليليه مستوعبه، طبع مرات في استنبول (٥) تاريخ الاثمه الاثنى عشر، (مطبوع) (٦) أمير المؤمنين ع و هو دراسه في حياه الامام و سيرته (مطبوع)، (٧) التشيع عبر القرون، دراسه تحليليه في تاريخ التشيع و عقائد الشيعه، و رد عنيف على أعداء الشيعه فيما دسوا على الشيعه من التهم و الافتراءات، و جواب علمى تحقيقى على أعداء أهل البيت عبر القرون و الاعصار. و هو مجلد ضخم مطبوع في استنبول و طهران. (٨) التصوف و المتصوفه (مطبوع) (٩) الملل و النحل في مائه سؤال. دراسه في الأديان و المذاهب (مطبوع) (١٠) فهرست الكتب المخطوطه. و هو فهرست مخطوطات مكتبته الخاصه التى أسسها في جنب مقبره جلال الدين الرومى في قونيه، و هي مكتبه ضخمه فيها آلاف الكتب المخطوطه و عشرات آلاف الكتب المطبوعه. و فهرست المخطوطات في اربعة مجلدات ضخمه بالقطع الكبير. (١١) الاثنا عشرية. دراسه في التشيع منشور في دائره المعارف التركيه التى نشرتها جامعه استنبول (١٢) الحروفيه. دراسه تحليليه عميقه في الحروفيه و عقيدتهم التى ابتدعها فضل الله الحروفى و اشاعها (النسيمى الشاعر).

و الكتاب يحتوى على عقائدهم الباطله و أقوالهم السخيفه، مع أكثر من خمسين متن من متونهم بقلم الحروفى و النسيمى و اتباعهما (مطبوع) (١٣) الملاحيه. دراسه شامله في الملاحيه و الملاحيون. (١٤) شرح المثنوى.

شرح تحليلى لديوان جلال الدين الرومى في سته مجلدات كبيره، طبع مرات في استنبول. (١٥) حياه مولانا جلال الدين. دراسه في حياه جلال الدين البلخى الرومى، مطبوع في استنبول و قد ترجم إلى اللغه الفارسيه و طبع في طهران اثر وفاه المؤلف (١٦)

ولايه نامه. دراسه فى حياه حاجى بكداش ولى رئيس البكداشيه (مطبوع). (١٧) العلويه. دراسه جامعه فى تاريخ العلويين و البكداشين. (١٨) حياه الشيخ غالب و آثاره و أفكاره. (١٩) حياه يونس أمره: و هو الشاعر الشيعى الحماسى التركى و فيه دراسه عن حياته و أفكاره و أشعاره و مدى قيمه هذه الأشعار.

(٢٠) شرح ديوان يونس أمره: و هو شرح لقصائده و أفكاره و تأثير أفكاره فى الثقافه التركيه، و هو مطبوع أكثر من عشر مرات (٢١) النيازى: حياته و أفكاره و آثاره. (٢٢) شرح ديوان فيه ما فيه فى مجلدين. (٢٣) الرباعيات: شرح رباعيات جلال الدين الرومى (٢٤) المكتوبات: شرح مكتوبات جلال الدين الرومى. (٢٥) حياه السيد برهان الدين: و هو دراسه لحياه سيد برهان الدين الشاعر الشيعى المتحمس و أشعاره و أفكاره. (٢٦) حياه بدر الدين: و هو دراسه لحياه بدر الدين بن قاضى سيمانونا و آثاره و أفكاره. (٢٧) رباعيات عمر الخيام: و هو دراسه عن حياه عمر الخيام و شرح لرباعياته و قيمه آثاره و أفكاره، و مدى قيمه الرباعيات المفتعله المنسوبه اليه، بالفارسيه و التركيه. (٢٨) المولويه: و هو فى شرح آداب المولويه و أركانها لدى المولويين بعد جلال الدين الرومى (٢٩) فتوت نامه:

دراسه شامله لسيره أهل الفتوه، و الوثائق التاريخيه المشتهره ب (فتوت نامه).

هذا ما يحضرنى الآن من أسماء مؤلفاته التى تفوق العشرات. و عدا مؤلفاته هو نفسه فقد نقل من العربية إلى التركيه الكتب الآتية: أصل الشيعه و أصولها للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، و الأرض و التربه الحسينيه له، و سيرتنا و سنتنا للامينى، و عبد الله بن سبا للعسكرى، و عقائد الشيعه للمظفر، و توضيح المسائل و هى رساله العمليه للسيد شريعتمدارى، و نظام الحكومه الإسلاميه للسيد صادق الروحانى، و من هم الشيعه للسيد محمد الشيرازى، و الشهيد للشيخ مرتضى المطهرى، و المقالات الإسلاميه للشيخ على أكبر مهدى پور.

عبادته

كان مظهرا للأخلاق الإسلاميه الساميه، عاملا- للإسلام مستوعبا للأحكام الشرعيه كل الاستيعاب. و كان لا- يفوته عمل المستحبات حسب ما يستطيع.

١:- كان مواظبا على زياره عاشوراء بالرغم من تراكم أشغاله، فلم تفته زيارتها ابدا.

٢:- كان مواظبا على الصوم فى الأيام المباركه فلا- يفوته صوم الأيام البيض و يوم الغدير و يوم المبعث و يوم ولاده الرسول (ص) و الأئمه (ع)، كما لا يفوته صوم أوائل الشهور و أواسطها و أواخرها.

٣:- كان مواظبا على الاعتكاف فى الأيام البيض (و هى اليوم الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر من شهر رجب)، و كان اعتكافه دائما فى مسجد اسكدار الواقع فى محله سيد احمد دره سى بجنب مقبره الشيعه.

من مزايه

١:- كان مكبا على التحقيق و التأليف حتى فى أسفاره، فكان يحمل دائما حقيبته صغيره فيها كل ما يحتاجه من الكتب و الأوراق

و الدفاتر.

٢: - كان يكره مصطفى كمال لنزعته اللادينية و لاستبداله الحروف اللاتينية بالحروف العربيه، و كان يسمى الحروف اللاتينية: الحروف اللادينية. و كان إذا كتب يبدأ كتابته بالحروف العربيه ثم يعيد كتابتها بالحروف اللاتينية، و كان يقول: لا يسعفنى قلبى و عقلى، و لا- يستقر تفكيرى إذا كتبت بالحرف اللاتينى، لذلك يجب ان أكتب بالحرف العربى ما يحتاج إلى ترو و تفكير و هدوء.

٣: - كان من وصيته ان لا ينعى عند موته نعيًا عامًا، و كتب فى الوصيه أسماء جماعه من اصدقائه المخلصين فى محبه أهل البيت و طلب إعلامهم

ص: ١١٦

و اعلام أمثالهم بموته حتى يكون تشييعه مقتصرًا عليهم، ثم يعلنون خبر موته بعد دفنه لجميع الناس.

و لما مات لم يشييعه إلى قبره الا كل مخلص في محبه آل البيت - تنفيذًا لوصيته. و لما اذيع بعد ذلك خبر موته ظلت الصحافه التركيه تكتب عنه طيله أسابيع، و انشغلت الاذاعه و التلفزيون التركيين بذكر تفاصيل حياته و شرح آرائه و أفكاره و دراساته أسبوعين. (١)

السيد عبد الجواد.

و يقال جواد بن السيد حسين بن الأمير إبراهيم و يقال محمد إبراهيم بن الأمير محمد معصوم بن محمد فصيح بن أولياء الحسيني التبريزي الأصل و القزويني المولد و المنشأ توفي سنه ١٣٧٨ و دفن في مقبره أسرته جنب روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضا ع.

أخذ المقدمات على جملة من فضلاء قزوین و تخرج على والده و سائر بنی أعمامه و هو أبو اسره جليله فی قزوین و اسمه عنوان هذا البيت و يعرف أولاده و أحفاده ب آل الحاج السيد جوادى و كان له أحد عشر ولدا من زوجاته الثلاث معظمهم علماء خمسہ من بنت المولى السيد محمد المجاهد المتوفى سنه ١٢٤٢ و هم السيد على و السيد إسماعيل و السيد على نقى و السيد تقى و السيد محمد و من بنت ركن الدوله على نقى ميرزا ابن السلطان فتح على الشاه القاجارى اربعه و هم السيد باقر و السيد على أكبر و السيد إبراهيم و السيد مهدى و من بنت نائب الصدر اثنان هما السيد حسين و السيد على رضا ذكره فى الكرام البرره مع بعض اضطراب فى ذكر أولاده و الصحيح ما أثبتناه هنا نقلا عن شجره هذه الاسره فى قزوین كما ان آباءه أيضا علماء اعلام منهم والده السيد حسين بن الأمير إبراهيم المتوفى سنه ١٢٠٨ و هو شيخ السيد مهدى بحر العلوم كما ان أم قره العين آمنه خانم من أسباط السيد حسين المذكور و جده السيد الأمير إبراهيم بن الأمير معصوم المتوفى سنه ١١٤٥ من علماء عصره و السيد الأمير معصوم بن المير فصيح من علماء عصره و غيرهم من أساطين علماء الدين الذين نبغوا من هذه الأسره ذكره شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى كتابه الكرام البرره قال: (... من أكابر العلماء كان والده الجليل من مشاهير عصره و كان شيخ إجازة السيد مهدى بحر العلوم توفى (١٢٠٨) و المترجم له من اجلاء علماء قزوین و أعاضهم فى عصره توفى بعد عمر طويل فى (١٢٧٨) و هو أبو اسره جليله هناك لانه رزق أولادا كثيرين أعقب منهم عشره كلهم من زوجاته الثلاث...) أقول: لقد فتشت فى مكتبته بقزوین و باقى المكتبات فلم أجد له مؤلفات أو آثار (٢)

الشيخ عبد الحسين الحويزى المعروف بالخياط ابن الشيخ عمران

توفى سنه ١٣٧٧ فى كربلاء عن احدى و تسعين سنه و نقل جثمانه إلى النجف حسب وصيته فدفن فيها.

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٤٩ من المجلد السابع و نزيد عليها هنا ما يلى:

أصل اسرتهم من قبيله بنى ليث و من فخذ يقال له آل بو قمر يسكنون الحويزه و قد هاجر جده الأعلى يوسف بن احمد من الحويزه إلى العراق فسكن قضاء عفك و اشتغل بالزراعه و توفى سنه ١٢٤٧ فنقله ولده حسين إلى النجف و دفنه فيها و سكن بها و لم يعد إلى عفك.

بعد اشتغال المترجم مع أبيه الخياط بخياطه الثياب عاد يطلب العلم فدرس على السيد محمد العاملي و الشيخ هادي الطهراني و الشيخ عباس كاشف الغطاء. ثم انتقل أبوه من النجف فسكن بلده (شفاة) ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى كربلاء سنة ١٣٣٥ فسكنها و معه ولده المترجم، و مات والده في كربلاء و ظل هو فيها.

و قد اشتهر المترجم بالشعر فأكثر من نظمه، و قد جاء في ترجمته المنشوره مع ألفيته (فريده البيان) ان له خمسة عشر ديوانا و في كل ديوان عشرة آلاف بيت فيكون المجموع ١٥٠ ألف بيت.

و قد تعب في شيخوخته حيث عانى الفقر و المرض و الوحده، و انقطاع الناس حتى الأصدقاء منهم عن زيارته و مواصلته.

و له ملحمة شعريه تزيد على الألفي البيت سماها: فريده البيان في مدح النبي الأعظم و عترته الاطهار ع. و يبدأ قبل الدخول في الغرض المقصود بوصف الإبل و سيرها و الصحراء و رياحها و الهوادج التي تحملها الإبل و الحور الحسان اللواتي تقلهن الهوادج، فينصرف إلى التغزل بهن على عاده الشعراء القدماء، ثم يلج موضوعه الاساسي فيشرع في سرد سيره النبي (ص) و صفاته و كراماته، ثم مبعثه و رسالته و حروبه و مغازيه، ثم ينتقل إلى مدح أمير المؤمنين ع و بيان فضله و بطولته و علمه، و يختم القصيده باستشهاده و مدفنه.

و قد طبع الجزء الأول من ديوانه و يشتمل على حرفي الهمزه و ألباء و أكثره في مدح الأئمه ع.

و إليك نموذجاً من الملحمة، و هي في الواقع معارضه لملحمه الشيخ كاظم الازري إذ جاءت على وزنها و قافيتها فمطلع قصيده الازري هو:

لمن الشمس في قباب قباها شف جسم الدجي بروح ضياها

يقول الحويزي فيما يقول:

لمن العيس في البطاح براها مثل برى القداح جذب براها

حائرات كأنها سرب طير حسبت لجه السراب مياها

و بها الآل في المفاوز و القفر رياض تنشقت رياها

ترعى جمره الهجير غداء فيقيها عن جوعها و ظماها

سبقت أربع الرياح بمجرى أربع و ارتمت قصى نواها

شمال الريح بكره و النعامي و عشيا جنوبها و صباها

و نواصي الآكام في كل نص من سراها طى الفلاه فلاها

يعملات شقت بطون الموانى جائبات بطاحها و رياها

ساقها للورود رجح حنين من مشوق حيث الزفير حداها

قد أقلت هوادجا زينتتها من غوان النقى وجوه مياها

مرحا تنثنى و تهوى مراحا بثرى وجره ففاقت ظباها

صرعتنا عيون عين كعاب أوسعت طعنه القنا نجلاها

و أرى أضعف الجفون فتورا حين ترمى حب الحشا أقواها

إن يسالم لجيره الحى قلبى فلحرب الهوى هوى سلماها

و أزج الحواجب استل بيضا بز فيها من مهجتي سوداها

و تحلت طلا و زفت خدودا صانع الحسن عسجد قد طلاها

و أسالت دمي بخد أسيل فوقه النار مهجتي تصلاها

بالهوى قد تعذر الصبر منى ما رعنتى من الدمى عذراها

كسرت جفنها لتدرك فتحا من قلوب العشاق فى مغزاها

مقطف من خدودها الورد لكن مخطف بالورود ذعرا حشاها

طوقها يخجل الهلال و يزرى بالثريا مهما بدت قرطاها

ثم يقول فى مديح النبى (ص):

ذاك من أعطى الرساله قبل (م) الكون و الرسل لم تكن تعطاه

و به اختصت النبوه حقا و على الكائنات عم ولاها

علمه أدرك العوالم حتى جاز من بدئها إلى منتهاها

ص: ١١٧

و جرى بحر عفوه الغمر سيلا فجلى عن بنى الليالى غثاها
أنبات باسمه من الغيب صحف صدق الكون بالهدى أنباها
و بلاهوت هيكل قد تبدى و المعانى المقدسات ارتداها
و طوى سره العوالم طرا و حوته العلى برادى طواها
و به روضه النبوه فاحت عشق الروح روحها فاجتلاها
أجمل العلم فى جوارح جسم فصلت حكمه الهدى أعضاها
غبطت مجده النجوم السوارى و بمعناه وفقت مسراها
لو بدا بالسنا محياه يخفى منه فى أبرج السما نيراها
كل أسمائه توسمن حسنا زان من مكرماتها حسناها
يده بيضت من البيض وجهها إن خير الأيدى ترى بيضاها
سيد عصمه الورى فيه خصت أمسك المرسلون جبل ولاها
حملته يمنى النبوه أعباء ثقالا و ألبسته عباها
كم له فصلت أحاديث فضل سالف الدهر للقرون رواها
فى مدح فاطمه الزهراء - ع -

مثل زهر النجوم أفعاله الغرأضاء و بنته زهراها
فاطم بنت أحمد سادت الخلق جميعا رجالها و نساها
صاغها من سبائك المجد تبرأخالصا يوم صنعه صفاها
هى صديقه الخليقه جمعابيهاه الجليل فضلا حباها
و هى تدعى شفيعه الخلق فى الحشرو ما فى الملا شفيح سواها
بضعه من فؤاد خير البراياو قد اشتق من حشاها حشاها

و اجتبي أمها خديجه زوجا بذلت للهدى جميع ثراها

أول المؤمنات بالله كانتو بحفظ النبي طال عناها

تلك للمؤمنين أرف أمعنهم كل فتنه تأباها

إن عين النبي أكرم عينلم تكرم لأجلها عينها

يوم وافت بالوعظ تزجر قوماتركت رشدها و وافت هواها

و فى مدح الأئمه ع

و المصاييح فى وجوه صباحترشد الخلق كلهم ابناها

ساده قاده حماه أباهطبق الكون عزها و إباها

يستظل الهدى إذا طرقتهنوب الدهر تحت ظل حماها

أصفياء مشيه الله ولتهمفهم بين خلقه أصفيهاها

أسفر الحق بالظهور فباء تحكمه الله أنهم سفراها

و يادراك فضلهم علماء الدهر جارت فأشبهت جهلاها

كشفو [كشفوا] عنهم نقاب المعاليفى البرايا فأصبحوا نقباها

و إذا الدهر فى الأنام أذاع الجهلكانوا برأيهم علماها

أبحر بالعلوم فاضت عباهاو بحور الورى تفيض مياها

لم تقابل جون السحائب منهاسرن فى الجو قطره من نداها

كرمت دوحه العلى برم ذاتقد حكمت ذات أحمد و حكاها

جعلت نفسه بنفس بنيهو من العلم و الندى رباها

فى مدح أبى طالب

طلبت بيضه الهدى منه صوتأبى طالب ترقى ذراها

و حمى شعبه الرساله لما قام فى حفظها فكان وقاها
وازر المصطفى بقول و فعلو قريش من أجله عاداها
كان للدين حاميا و ظهيرادونه كل نكبه يلقاها
هو ربى لأحمد خير نفسى حماه يتيمه اوها
لم يزل كافلا له فى القضايا و هو فى حى قومه أقضاها
و إلى الهجره استعد غداها الموت حوباء عمه و افاها
أظهرت كيداها له العرب حقدايوم غاب الهزبر عن مئاها
ليت شعرى هذا الذى ناطح الشهبيمجد جلا على شعراها
لم تمت نفسه على الكفر كلاو من الغى و الشقا حاشاها
كان للمصطفى معينا على الأوثانحقا يريد هدم بناها
عظم الله فى قصائده الغرو أبدى على النبى ثناها
و رأى دين أحمد خير دينو جميع الأديان مقتا قلاها
سل قريشا هل غير عبد منافسيذا كان فى حمى بطحاها
روجه فاطم التى أسدكان أبوها و هاشم رباها
لبوه فى شرى البساله شبتو على و جعفر شبلاها
و عقيل الذى به تعرف الأنسايان تجهل الورى عرفاها
أخوه من أب و أم كرامقد صفا بالنبى در أخواها
إن تقل أيها المجادل صدقاذاك نفس الهدى و هم أعضاها
للهدى أثبتت يداه أصولا و هم فرعوا على ميناها
فى مدح أمير المؤمنين ع

كم له من معارج بالمعالينتهى الفكر عن مدى مبتدائها

سعدت أمه إلى الحق تعزيبو على و احمد أبواها

إن نفس النبي بالقرب أختنفس من فى أموره أوصاها

كيف أدنت يد النبوه أقصيالناس و أبعدت قرباها

إن فى الخلق احمدا و عليامن علا قدره الإله براها

فهما فى الوجود شرقا و غرباذاك يمنى لها و ذا يسراها

و على الخافقين داسا جناحاو به غايه العلى بلغاها

أوردا الخسف كل ذى جبروتو العلى بعد كسرها جبرها

هو نفس النبي بالنص حقا (قل تعالوا) قضت بذنا دعواها

بات ليلا على فراش رسول اللهشتاق للمنون لقاها

و به أهدقت جموع قريشو استطالت له طلا رؤساها

رقدت فى المبيت عيناه لكنقلبه للهدى أفاق انتباها

كلما فى دجى الردى هددت هسطوه الشرك لم يكن يخشاها

فاديا دون أحمد منه نفساكل نفس حقا تكون فداها

و فى آخرها يقول:

كان سرا مع النبي من قبل يوفى قلوبها سراها

كل أهل النهى بمعناه حارت و دعت باسمه الغلاه إليها

ليس تخفى له المجد ذات محكم الذكر بالثنا أطراها

بمرور العصور جيلا فجيلا ليس ينسى طول الزمان جداها

حين تتلى على النفوس بيانا بسناها الموتى الوحي ثناها

كم له صيحه تذيب الرواسي و من الصخر أسمعت صماها

حل لما قضى ضرائح قدس رحمه الله أكرمت مثواها

فعلى ذاته إله البرايا بالمثاني صلى غداه اجتبها

الشيخ عبد الحسين القرملي ابن الشيخ محمد.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٣ و فيها درس. و أقام في ناحيه (الحمزه الشرقي) و كيلا عن المراجع و كان يلم بالسيه من نواحي البصره أحيانا. على انه كان كثير السفر دائم التجوال و كان يتردد كثيرا على منطقه الأهواز و خاصه مدينه (المحمره) و كانت تربطه باسره السيد عدنان الغريفي رابطه وثيقه، فكان يحل في كل عام ضيفا عليهم و يبقى مده مديده يتناشدون فيها الشعر و يتحاورون بالأدب.

من شعره قوله:

يا مسقط العلمين لا عدمتك وطفاء ملته

ص: ١١٨

أ فهل بسفحك للذى علقت به الأشجان مكثه

و ترى يلم زمانه بالمدلجين اليوم شعته

و بمهجتي الداء الدفين من الغرام فلم ابته

و القلب يتبع أثرهم يا خيبتى و الشوق حثه

يا ظبيه الرمل اعطفى و صلى و لو مقدار لوته

و اشقى فؤاد متيم لم يبق فيه الشوق ثلثه

حتى م وعدك خلب ابداء و كم للعهد نكته

لا تعجبنى أ ما رأيت ملابسى اسمال رثه

فوراء غمدى صارم غضب له فى الحرب وعته

ما ضره شعث النجاد و لا الحلوى يلم شعته

و الدهر لا ينفك يضمم للاديب الشهم خبته

أبداء يشن عليه غارته و لا يعطيه ريثه

هيهات يعجم صعديتى و لو أن منه الكف شرته

انى امرؤ ما انفك من صرف الزمان يطيل بحته

و انا الذى اضحى الآباء له من الآباء ارثه

من معشر لم يلبثوا فى ظل عيش الذل لبتة

كانوا لمستجع الحيا غيثا و للملهوف غوثه

درسوا الحقيقه كلها و بروعهم لله نفته

أخذوا السمين لمجدهم و استأصلوا بالجد غته

خبيا وراء ذميلهم نحو العلا و دع المطثه

و اطلب حياتك يا فتى العليا و لو قاسيت كثرته

فالعمر أحسنه انصرافا فى العلوم و لو بمثته

هب ان دهرك لا يجامل فاستعن و استبق حرته

و أشر الحياه نتائجا بيضا و لو أطعمت شته

فدع الشباب غروره و انبذ وراء الظهر طته

اطلب معارف مجدك السامى و لو كافحت بثه

فالعمر غال يا زميل إلى الامام و لو بجأته

و قوله:

حلقى يا بنت هامات الفنن و اندبى فى الجو أبناء الوطن

و املئى هذا الفضا نوحا فقد منى الشعب ببلوى و محن

وطنى نامت عيون سهرت فيك فابتاعتك فى أغلى ثمن

(لا تسلم عما جرى كيف جرى) ان هذا من تقادير الزمن

لست ممن ارهبتة وقفه و على عاهنه قيد الإحن

صعد الطرف و صوب فكره كلما ليل الغواشى لك جن

سترى القوم على غاياتهم وقفوا إذ قلبوا ظهر المجن

ان تسلم عنى فقد جاملتهم و انخت العيس فى ذاك العطن

فتقلب عن مباد صلحت فبهذا شرف الوقت اقترن

الدكتور عبد الحسين فيلسوف.

ولد سنه ١٢٤٥ شمسيه و توفى سنه ١٣٢٠ شمسيه فى مشهد الرضا كان طبيبا من مشاهير مدينه تبريز دارسا مع الطب الحديث
الطب القديم.

من مؤلفاته: كتاب (مطرح الأنظار فى تراجم فلاسفه الأمصار و أطباء الاعصار) فى ثلاثه مجلدات ترجم فيه ل ٤٠٦ أطباء و حكماء. و كتاب (معرفة السموم)، و كتاب (مفتاح الادويه).

الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

توفى ليله احدى و عشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ و دفن مع والده من كبار علماء هذه الاسره، كان الشيخ مرتضى الأنصارى يعظمه و يقدمه على سائر تلامذته.

حاول إتمام إيصال النهر إلى النجف و بذل عليه الأموال الطائله و جرى الماء إلى الموضع المعروف (بالطيبيل) ثم وافاه الأجل، كانت نسخه الأصل من الجواهر المبيضة عنده. و هى اليوم فى مكتبه الشيخ محمد تقى نجل الشيخ عبد الرسول نجل الشيخ شريف نجل المترجم له:

ارخ بعضهم وفاته على مرقد الكاشى:

ذا مرقد اضحى امام الهدى عبد الحسين فيه مثواه

لما دعاه الله و اختاره فارضوه (اختاره الله)

و رثاه الشيخ إبراهيم صادق العاملى بقصيده مطلعها:

نزلت فشبث للمجره نارها و اجتاح نور النيرات شرارها

شعاع فاقمه الخطوب و نكبه نكباء قد سد الفضاء غبارها

(١)

السيد عبد الرؤوف فضل الله بن السيد نجيب بن السيد محيى الدين.

اشاره

ولد فى بلده عيناتا (جبل عامل) سنة ١٣٢٥ و توفى فى بيروت سنة ١٤٠٥ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فى وادى السلام.

كان عالما جليلا يوحى بالطهر و القداسه و الصفاء.

صاحب شخصيه علميه.. روحيه.. تعيش روح الرساله.. و تجسد الإسلام الواقعى المتحرك فى الحياه.. مما جعل اسمه يقترن فى أذهان عارفيه.. بمعان محبيه.. و شمائل كريمه.. تحمل من الصفاء و التقوى و الوداعه - ما ينقلك إلى حضره عالم ربانى.. استضاء قلبه بنور الله فأشرق هذا النور فى محياه.. و على صفحه وجهه.. كما استضاء عقله بنور الإسلام و علومه الزاهره.. فأثار عقول من حوله من طلاب المعرفة و البحث.. و طلاب النجاه و الرضوان.

تلقي دراسته الأولى في جبل عامل ثم هاجر إلى النجف الأشرف في ذي الحجة سنة ١٣٤٦ مبتدئاً دراسته المنهجية.. تحت إشراف أخيه السيد محمد سعيد الذي كان يحمل في أعماقه.. روح التصوف العميق للعلم..

فاستقى من هذه الروحية.. فنذر حياته للعلم و التحصيل و استمر في تحصيل المقدمات على يد أخيه و على يد - الميرزا فتاح الشهيدي ثم انتقل إلى مرحلة التخصص العالي و هو ما يصطلح عليه في الدراسة المنهجية الدينية (بمرحلة الخارج) فحضر عدة حلقات لمشاهير العلماء الاعلام. أمثال السيد أبو الحسن الاصفهاني و السيد محمود الشاهرودي، و السيد عبد الهادي الشيرازي.

و قد تتلمذ على يديه عدد وافر منهم الشيخ بشير حمود الشوكيني و السيد عباس أبو الحسن.. و السيد علي مهدي إبراهيم و الشيخ علي العسيلي و الشيخ حسن العسيلي و الشيخ محمد مهدي شمس الدين و السيد عبد المحسن فضل الله و السيد علي فضل الله و السيد عبد الكريم نور الدين و السيد محمد علي الأمين.. و غيرهم فضلاً عن ولده السيد محمد حسينا الذي كانت معظم دراسته على يديه و كذلك ولده السيد محمد جواد..

و ولده السيد محمد علي و في سنة ١٣٧٥ (١٩٥٥ م) عاد إلى جبل عامل فسكن بنت جبيل و تردد بينها و بين بيروت.

عمل في أوساط المسلمين المؤمنين... في جبل عامل و بنت جبيل بالخصوص.. و في بيروت و الضاحية و غيرها بشكل عام على دعم و تقوية الاتجاه الايماني فكان يمثل الغطاء الكبير للمؤمنين المخلصين.

و في جانب آخر من سيرته. كان يمثل الروحانية الصافية - بالخشوع

ص: ١١٩

١- السمامي.

و الخضوع و الذوبان فى ذات الله.. فقد عاش هذا الواقع فى صلاته و صومه و دعائه.. و التزامه المستمر بقراءه القرآن.

و قد امتاز بطاقه الصبر على قضاء الله - و ظهر ذلك فى جلده و قوه تماسكه فى الحالات الصعبه التى واجهها بفقد بعض ابنائه.

فى حياته الخاصه.. عاش أسلوب الزهد بالمظاهر الخادعه.. فى مختلف مجالاتها.. التى تمثل لدى الكثيرين.. عاملا من عوامل خلق الصراعات و سببا من أسباب الانحراف.

موهبة الأديبه و الشعريه.

و قد كمنت فيه مواهب اديبه بالاضافه إلى علمه الجم.. غير ان مواصلته للتدريس و البحث حدت بتلك القابليه ان تضعف.. أو تذوب امام توجهه الدينى.. و لكنه بين فترات متقطعه كانت تطفح خلالها بعض الخواطر.. فيندفع إلى نظمها بما يشبه العفو و الارتجال.. لكنه لم يكن يحرص على حفظ المقاطع الشعريه.. لكنه أمكن حفظ بعضها ففى بعض الاخوانيات يقول:

و ما كنت اصفى بالموده موردى لغير فتى أحرزت صفو وداده

و ما علقت كف امرئ بمقادتى إذا انا لم أملك زمام قياده

و انى إذا ما ازور عنى صاحبى و خولنى من هجره و بعاذه

الأطفه ما خلت فيه بقيه و إلا جعلت الهجر أيسر زاده

و له أيضا:

و مما شجانى قوه النفس و الهوى على.. يقودانى لطرق المهالك

أرانى إما أن سلكت طريقه من الرشد مسدودا على مسالكى

- و له مراسلا أخاه السيد عبد اللطيف فى عيناتا:

جريان دمعى و اضطراب جنانى شهدا بانى فيك صب عانى

آيات حبك ليس تخفى.. انها بظهورها أغنت عن البرهان

رفقا فحسبك ما تجن اضالعى ما جل عن نعت و عن تبيان

فلقد ملكت مشاعرى و حللت من نفسى محل الروح من جثمانى

و حديث شجوبت اكنم شجوه و الصدر ضاق به لدى الكتمان

سر تنازعه الضمير و لوعه لمواضع الأسرار و الإعلان
جلت مواقعه بمهجه واجد حكمت عليه لواعج الأشجان
لسواك ما اختار الفؤاد بيانه هل موقف فيه تحل بياني
لله ما حفظ الفؤاد و ما رعى مما جنته نواب الحدثان
يا جيره علقوا بأسباب الوفا و ترفعوا عن كل امر داني
و استوثقوا بعري المحامد بعد ما ملكوا من العلياء كل مكان
لم يشنهم عن نيل ما قد أملوا خطر و ما حلوا بدار هوان
عهدي بهم و العز تخفق فوقهم اعلامه.. و محط كل أمان
بثوا الفضائل فى الأنام و كم لهم تليت بذاك مثال و مثاني
جمعوا كما لا.. لو تفرق بعضه فى الناس - عم الناس بالإحسان
فلئن عقدت على الوفاء طويتى لهم و أضمرت الذى أعيانى
و لقيت فيهم ما لقيت على النوى و لهم بذلت مودتى و حنانى
و أبيت فيهم عن جميل ماثر عقدت بجيد الدهر عقد جمان
و ذكرتهم و أسلت دمعى.. انهم هم خيره الأحباب و الاخوان
- و له غير ذلك بعض المقطوعات الشعرية الأخرى..

مرآئيه

مما رثى به قصيده السيد محمد نجيب فضل الله:
ذكراك جرح فى فمى و مصاب و على يد الدنيا هدى و كتاب
ما كنت إلا أمه و رساله و بصدرة للعلم لج عباب
و إذا تقدم للصلاه مكبرا لله كبر بعده المحراب

و إذا انحنى لركوعه و سجوده تحنو صوامع خشيه و قباب
و كأنما فزع القيامة يومه بعثت به الأموات و هى تراب
ما ذا دهى الدنيا أماتت هاشم و مضت بها الأيام و الأحقاب
أم أن عامل شيعت علم الهدى عبد الرؤوف و طاشت الأبواب
و أطل من كبد السماء على الورى ركب تؤم به العراق ركاب
عودا على بدء لأعلى ربوه ينحط عنها فى السماء عقاب
و استقبلته على المطاف لداته علماؤها العظام و الأقطاب
ميل العمائم نكسا هاماتها رعرش الأكف بها تضيق رحاب
تلمس التابوت فى راحتها ركن الحطيم و دمعها تسكاب
و إليه شقوا تحت قبه حيدر لحددا تقبل عنده الاعتاب
و كأنما دفنوا بدفنك أمه ماتت بها الأخلاق و الآداب
و لقد صحبتك و الشباب صبابه و لنا رواح مبكر و إياب
و بوجهك الوضاء نور ساطع فيه اهتدت شيب لنا و شباب
و لك المهابه بالأصالة حبه فيها حباك الواحد الوهاب
و الاجتهاد عليك معقود اللوا و له الجلاله و العفاف إهاب
ما كل من شد العمامه شيخها و إليه تحنو فى الندى رقاب
يا للخطوب الهول كيف تناولت جبلا تحف بجانيه هضاب
أعطى العمامه حقها مترفعا عن كل ما فيه الأبي يعاب
يا ابن النجيب و من مداد يراعه منه استمد من الغيوم سحاب
و أمدھا بالفيض من بركاته و الأرض تذبل و السماء سراب

و به يد الكبراء شلت بعد ما بالمعدمين تمرد الإرهاب
فى الله لم تأخذه لومه لائم و لو أن ألسنه الطغاه حراب
عذرا أبا العلماء أجم منطقى جرح بقلبي أرقما ينساب
و كأننى إذ أحتويك قصيده كبد تساقط من فمى و تذاب
و الشعر أبواب لدى كثيره لكن بوجهى سدت الأبواب
صبرا جميلا عامل و بنى أبى فالصبر فى الجلى هدى و ثواب
عبد اللطيف و أنت عصبه أمه و اليه ترجع و الخطوب غلاب
قصيده السيد محمد حسن الأمين

بيومك يزهو الشعر أم يجذب الشعر حنانيك ما ذا أنتقى و المدى قفر
يطالعى نهر من النور و الهديفانهد كى أروى فيفجؤنى قبر
و أكتب ما أمحو.. و أمحو.. و أجتليمحياك فى أفق يعانقه الفجر
فيرهقنى الحرف الحرون و طالماتعرت تغاوينى مفاتنه البكر
و أعيان بان أجلوك شعرا فتنثيبفوز.. و أمضى خاسرا أنا و الشعر
أبا الجبهه النور استراح بظلههاو طاف بها الايمان و الحب و الطهر
تشع على الدنيا سلاما و رحمهو تشمخ.. لكن لا يساورها كبر
تقول لنا بالصمت أبلغ ما روتشفاه.. و احلى ما تناقله ثغر
تضىء حواليتها من النور هالهسماويه.. ما المنطق العذب ما السحر
تحاورك الأملاك فى جنباتها فأنت مع الأملاك ضمكما سر
و ضمكما كون بعيد و إن دنتبك اللفته الزهراء و البسمه الغمر
أ أرثيک.. لا دعنى ألم شمائلاتضوع.. ما نفع العشيات.. ما الزهر

و دعنى اقرأ ألف سفر من التقىو إذا ما انطوى سفر أضاء لنا سفر

و دعنى أسكب فى الجديب من المديرؤاك و دعها تولد الأنجم الزهر

ببالى غداه ارتدت ناديك موجعأبثك ما يلقي على الذروه النسر

ص: ١٢٠

و أن جناحى من نصال و غربه تشظى.. فلا يقوى على شده الصدر

و أن.. و أن الليل ارخى بعامل سدولا و أزجى فيه أنيابه الغدر

و أن ربوعا فى الحمى و معاهدا تالق فيها العلم و الدين و الفكر

هى الآن نهب لليهود و أنها تشكى و فى آذان فتيتها وقر

ذكرتك إذ هزتك نجواى فانبرت تطامن من ياسى قناديلك الخضر

و آنست فى عينيك فجرا تنفست ربي عامل عنه و فاض به البشر

فأيقنت ان الدرب رغم عثارها سينهض من أعماق أوجاعها النصر

و ان دما تحمر من دفته الربى غدا - و هو يعطيها الحياه - ستخضر

فقيد الهدى قم بارك الآن فتيه على الساح يندى فى أكفهم الجمر

يغيرون فالدنيا افترار وافقها ملاعب صحو و المدى أذرع سمر

يقلم ظفر البغى أشوس امرد و يجدع أنف الظالمين فتى غر

شكت حمم الأعداء مر نزالهم و ذل الحديد الصلب و انكفأ الصخر

أضاءت لنا ليل الدروب جباههم ففى كل درب من حكاياهم فجر

و مروا على الجذب اليبس فنورت شقائق ملء الجذب و اعشوشب القفر

يجيئون من تاريخنا فجباههم تسامرها (أحد) و تزهو بها (بدر)

و يمتشقون الكبرياء فتنحنى لقاماتهم عند اللقاء القنا السمر

صحا فى يديهم ذو الفقار فنصله يضىء و وجه الروع اسود مغبر

و عادت بهم أمجادنا و انطوت رؤى كوالح.. و احلولى لنا الزمن المر

فقيد الهدى حسب الهدى أن رعيته زمانا فروى الجيل ينبوعه الثر

لزرعك هذا الجيل أنت غذوته فامرغ من خصب.. و أنت له الجذر

و مرت به عيناك جيلا كما الضحى نقيا فلم يعلق بأردانه وزر
جلوت له الإسلام نهجا فشاقه بان المدى طلق - كاحلامه - نضر
و طاب له من سائح الحرف مورد يسلسله طبع - كما يشتهى - مر
أقمت له النهج السوى و طالما تعثر جيل ساقه المنهج الوعر
فحسبك منه ما جنيت و حسبته تهاويل من ذكراك يثرى بها العمر
قصيده الأستاذ محمد فلحه:

أعيا بيومك مقولى فبمسمعى إعوالم والهه و صرخه موجع
يوم كيوم الحشر ضاق بأهله ما بين مهطعه و آخر مهطع
يبيكون من نرف القلوب دموعهم يطغى النجيع على قريح المدمع
ألقوا على المحراب نظره جازع متحسر فى دهره لم يجزع
ذكروا دعاءك حين تجار بالدعا كالأى يرفع فى المقام الأرفع
يتساءلون عن الملاذ بخطبهم أ و لست فيهم بالملاذ المفزع
رانت على المحراب بعدك وحشه و شكى المصلى من غيابك لو تعى
أ مطلق الدنيا على نعمائها و أليف زهد فى الخصيب الممرع
فكان زين العابدين نبا به نوم المرفه فى وتير المضجع
يا ابن الأولى باتوا خماسا و اغتذى من فضلهم طاو بليل أسفع
من كافل الأيتام فى باسائهم من للمعنى و الفقير المدقع
حدث عن الماضين فى غلس الدجى من هجد أو سجد أو ركع
عل الذى دخل الديانه مرتعا بناى و ينهى عن حرام المرتع
يا ابن الأولى شرعوا القنا يوم اللقا ليدال طغيان الدعى ابن الدعى

كانت لهم يوم الجداء بكر بلا فى الدين جولات الكمى الأشجع

يا ابن الذى رد الحقوق يراعه لسليب حق فى الحياه مضيع

ما زال قولى و الكتاب رساله تتلى على مرآهم و المسمع

الحق و القول الصراح أمانه يعلى لواها كل نجم أروع

أ و ليت عهدك خالصات مودتى ما كنت فيها بالمريب المدعى

و رثاه ولده السيد محمد حسين فضل الله بهذه القصيده:

يا أبى، قد تطل روحى على الذكرى، و عيناك فى الكرى تحضنانى و أنا غارق مع اللحم النديان أهفو إليك فى تحنانى

و بقلبى سر بهمهم، يلتاع، يناجيك بالنداء الحانى و بعقلى فكر، زرعت غراس الوعى فيه بالعلم و الايمان

و بدنياى، يا لدنيا الحكايات العذارى، فى فرحه الألحان ألف حب تنساب منه الينايع صفاء فى لهفه و حنان

أنت علمتنى الطهاره فى الحب و سر الإشراق فى الألوان يا لعفو السماح تندى به الروح، فيهمى فى القلب و الوجدان

يا لوحى البراءه الطهر تهفو فى انسياب و رقه و احتضان عشت عمرى فى لهفه النور فى عينيك، ألهو فى رفه الأجفان

يظما اللحم فى طفوله أيامى فيروى من روحك الريان كنت أصغى، و كنت تنساب فى الكلمه، يا للعطور فى الأتقوان

كنت تحكى الكثير فى صمت عينيك ففيه يطوف سر الزمان و يعيش الروح المندى مع الله ابتهاالا فى لهفه الإذعان

يا أبى لن يصيح فى عقلى الحزن فقد روض الهدى أحزانى غير أنى أهفو إليك إذا عاشت بقلبى مراره الأشجان

علنى فى التفاته اللحم ألقاك كمثلى الربيع فى نيسان فى اخضرار الحنان فى همسات الحب، فى لهفه الأب الهيمان

مثلما كنت فى الطفوله فى أفق شبابى، أراك سر كيانى أنت علمتنى، إذا اشتدت الآلام أن التقى هدى الرحمن

أن أعيش الصبر الذى يدفع العزمه فى الساح، فى ثبات الجنان فى انطلاق لا يهزم الروح فيه ظما الجرح و اهتزاز المكان

و انفتاح على غد الحق فيما تلتقى فيه رائعات الأمانى فإذا غطت العواصف فى الليل هدوء السهول و الوديان

فسياتى الصباح يحمل فى عينيه سر الهدوء فى الأكوان انه الصبر يحمل الوعى للسايرين فى الدرب، حزمه من أمانى

يسقط الجازعون فى هزه اللحظه، فى فجاه الصدى الرنان يحمل الصابرون فى الفكر، فكر النور فى موعد الضحى الفتان

فإذا الليل عاش فى بعض دنياهم تلقوه بالصباح الهانى أنت علمتنى التسامح إما زلزل العنف ساحه الاخوان
قلت لى: إن للمحبه عمقا أريحيا فى لهفه الإنسان قد يعيش الأشرار طهر الينايع بعيدا عن وحله الأدران
فإذا امتدت المحبه بالروح و عاشت بوحيها الشفتان أطلع الخير وحيه فى نداء الاريحيات فى القلوب الحوانى
فإذا بالذين يحيون للشر و يجرون فى مدى الشيطان يفتح الحب روحه فى نجاواهم فللخير شهقه فى المعانى
كان لى فى صفاء عينيك معنى الصحو فى لهفه المدى الظمان كنت توحى إلى أن نداء الله لا يستريح للأضغان

ص: ١٢١

كان سر الخشوع فى لفتات النور، فى اريحيه الايمان حسب نجواك روعه أنها تخضر فى كل موعد للأذان
فى انطلاق يمتد بالألق الروحى فى الفجر فى السنا الهيمن كل ما فى المدى لديك امتداد الوحي فى لطف خالق منان
فى الرحاب الفساح حيث الأعلى البيض تختال فى ربيع الجنان و على اسم الصلاه تفتح الروح، و تمتد، بالدعاء، اليدان
يا لفيض الاحساس بالفرح الروحى يسمو فى حضره الحنان أ أناديك يا أبى.. و يفر الحلم منى فى يقظه الوجدان
أى صوت يوحى فتشرب معناه على لفحه الظما الأذنان أى اطلاله من الطلعه الغراء فى أريحيه الايمان
تلتقيني ببسمه الطهر فى الروح الالهى فى المدى الروحانى هى إغفاءه مع الحلم الوردى عشت انفتاحها بافتتان
فى ربيع الأشواق لله للجنه فى حضره الأمانى الحسان عشت لله، و انفتحت على الله، و ها أنت فى رحاب الجنان
ترشف الرحمه الرضيه فى لطف و تحيا رضاه فى اطمئنان هى إغفاءه.. و شكك للرضوان صوت فى ساحه الرضوان
كنت روحا يذوب فى اللطف و الخير و ينتشى و يعانى و أنا - يا أبى هنا فى الرياح الهوج، و الموج هادر فى كياني
استعيد الروح الذى زرع النور بعينى، و الحق فى وجدانى و صفاء الروح الالهى حتى يطرد الحق موكب الشيطان
و أنا ها هنا انطلاقه حلم فى انتظار معشوشب الألوان يا أبى عد إلى فى الحلم ان الشوق ما زال فى مدى النيران

عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى.

توفى سنه ٣٣٧ و قيل ٣٤٠ بطبريه و قيل بدمشق.

قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان:

كان إماما فى النحو و صنف فيه كتاب (الجمال الكبرى و هو كتاب نافع لو لا طوله بكثره الأمثله، أخذ النحو عن محمد بن
العباس اليزيدى و أبى بكر بن دريد و أبى بكر الأنبارى، و صحب أبا إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج فنسب اليه و عرف به، و
انتفع الناس به و تخرجوا عليه.

و كان قد خرج من دمشق مع ابن الحارث عامل الضياع الاخشيديه فمات بطبريه. و كتابه (الجمال) من الكتب المباركه، لم
يشتغل به أحد الا- و انتفع به، و يقال انه صنفه بمكه، و كان إذا خرج من باب طاف أسبوعا و دعا الله ان يغفر له و ان ينفع به
قارئه.

و قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

شيخ العربيه له أمالى ادبيه، قرأ على أبى جعفر بن رستم الطبرى و روى عن ابن دريد و نبطويه و أبى بكر محمد بن السرى

السراج و أبي الحسن الأخفش و عده، و تصدر فى دمشق، و يقال انه اخرج من دمشق لتشيعة، و كان فى الدماشقه بقايا نصب. و كان حسن السميت مليح الإشاره.

و له كتاب (الإيضاح) و (شرح خطبه أدب الكاتب) و كتاب (اللامات) كبير و (المخترع فى القوافى) و أشياء. و قيل انه ما بيض مسأله فى (الجمل) الا و هو على وضوء.

عبد الرحمن الكواكبي:

اشاره

ذكره الشيخ محمد محسن آغا بزرك فى كتاب (طبقات أعلام الشيعة) فيمن ذكر من رجال الشيعة مستندا إلى تشيع والده الذى أكده من عرفوه، و هو يرى إن تشيع الأب لا بد أن يكون قد استمر فى الابن، كما اعتمد على تسلسله من أسره عريقه فى التشيع، نال رجالها ما نالهم من المذابح و الترويع و التشريد بسبب عقائدهم.

على أن التأمل العميق فى بعض النصوص التى كتبها الكواكبي يكشف الملامح الشيعيه الثوريه فى تلك النصوص، و يبرز استيحاءه التمرد الشيعى على الاستبداد، مما لا يمكن ان يصدر إلا عن أصوله البعيده فى التشيع العريق...

و قد كان الكواكبي حكيما كالأفغانى فى عدم إبراز تشيعة فى محيط التعصبات المذهبيه العمياء، و لو لم يفعل ذلك لاستغل أعداء الثورة و الإصلاح انتماءهما المذهبي لمحاربه ما يدعون اليه.

و إننا لنذكر أولا- ما نزل بال الكواكبي فى حلب معتمدين فى ذلك على ما نشره سعد زغلول الكواكبي فى مجله (سوراقيا) بعددها ٣٠٨ الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٧/٨، آخذين له بنصه. ثم نتبع ذلك بدراسه عن عبد الرحمن الكواكبي مكتوبه بقلم محمد احمد المقطوف، ثم بدراسه عن فكر الكواكبي مكتوبه بقلم الدكتور جورج كتوره.

قال سعد زغلول الكواكبي:

كانت مدينه حلب المدينه الثانيه فى الامبراطوريه العثمانيه أهميه، و جمالا، بعد العاصمه اسلامبول - الأستانه - القسطنطينيه - استنبول - فهى المحطه الكبرى التى تتقاطع عندها الطرق الواصله بين أوروبا و آسيه، برا و بحرا. فهى بالضروره مركز تجارى لا مثيل له، و ملتقى القوافل. و فوق ذلك كله كانت سوقا أدبيه فنيه التقت فيها ثقافات متعدده، و استقامت بين ظهرانيتها طوائف متعدده من شتى أصقاع الدنيا من مختلف الديانات و المذاهب و الأجناس.

إلا أن قريبا من مملكه الروم الجدد - و نقصد بهم العثمانيين - جعلها فى تماس مباشر مع أجهزه الدوله العثمانيه، و على الأخص مع المقيمين الجدد فيها من العنصر المختلط الجديد الذى تألفت منه فى بدايه القرن الرابع عشر الميلادى الفرقة العسكريه المسماه بنى جارى التى كان يكتب اسمها باللغه التركيه و الأحرف العريبيه "يكنى جارى" حيث لا تلفظ الكاف، ثم حرفت فى اللغه العريبيه و الكتابه العريبيه إلى يكنى شارى ثم صحفت بلفظ "انكشارى" أو "الانكشاريه" و هى تعنى "العسكر الجديد".

تناثرت اقامه هؤلاء العسكر فى شتى أنحاء الامبراطوريه العثمانيه، و كان لحلب منهم نصيب كبير. و لما كانت مدينه حلب مسكونه بأهلها و محاطه بسور عظيم ذى أبواب تسعه، تحول من دون حصول إضافات سكنيه جديده داخل الأسوار، فقد اضطر القادمون الجدد، و منهم "العسكر الجديد" أو الينيجاريه - Janissaires إلى بناء بيوت خارج الأسوار مع سائر البيوت التى شكلت الأحياء الجديده، فزاحموا سكانها حتى ان أحد هؤلاء العسكر غرس رمحه فى وسط الزقاق إشاره إلى النقطه التى يريد توسيع داره التى اشتراها إليها فاضحى المرور فيه معاقا حتى اليوم.

و كانت أكثرية المسلمين من أهل البلد، القدامى، يسكنون الأحياء الداخليه ضمن الأسوار حيث يسمى هذا الجزء من البلد ب "المدينه"، بينما كانت الأحياء خارج الأسوار تسمى "الحواضر". و أما المؤسسات الرسميه، و الدينيه، فكانت كلها فى المدينه، و على الأخص القلعه.

و بما ان "الينيجاريه" ليسوا من أهل حلب، و انما هم موفدون إليها

من بقاع شتى ليؤلفوا القطعات العسكرية الخاصه بالسلطان، فقد كانوا يقيمون في الأحياء خارج السور، و على الأخص في أحياء: قارلق و آق يول و قاضى عسكر و بانقوسا. إلا أن سكنهم فى هذه الأحياء لم يكن ليمنعهم من دخول المدينه لشتى الدواعى، و لعل وجودهم الاضطرابى خارج المدينه، التى كانت تضم احيائها الأسر الحلييه العريقه، و خصوصا أسر الأشراف المنتسبين إلى آل البيت، الذين عرفوا بـ "الطالبين"، و كانوا فى نظر الجماهير الحلييه فى قمه الاحترام و التفضيل.

و كان يعز على (الينيجاريه) ان يميز أهل حلب الشريف على "الينيجارى". لهذا عمدوا دوما إلى افتعال الأزمات السياسيه و إشعال الفتنة ليتسنى لهم التدخل، برضاء الوالى أو من دون رضائه.

و أول فتنه عرفناها بحلب بين "الأشراف" و "الينيجاريه"، صادفت وقتا عصيبا اشتكى فيه الأهالى من زبانيه السوق السوداء بعد ارتفاع الأسعار ارتفاعا فاحشا أدى إلى أضعاف الطبقة الفقيره، و إفقار الطبقة الوسطى. و لا بد أن تكون للانكشاريه "الينيجاريه" - و هم المسيطرون العسكريون وقتئذ - اليد الطولى فى رواج السوق السوداء، مما أثار عليهم نقمه الأهالى. و كانت العاده ان يلجا أهل حلب إلى "الساده" أى "الأشراف" يشكون إليهم مصائبهم، و يستجيرون بهم. و من هنا كان تدخل هؤلاء فى شئون الأهالى.

و كان نقيب أشراف حلب يومئذ: السيد احمد بن أبى السعود الكواكبى (١١٣٠ - ١١٩٧ هـ ١٧١٧ - ١٧٨٣). و بسبب تدخل نقيبته، أقدم الينيجاريه على الاعتداء على من يشاهدونه من الأشراف فقتلوا منهم الشريف السيد احمد أخا شيخ الدقاين فى البلد، و جرحوا بضعه أشراف، و هربوا و لاذوا بأمر لواء الموالى، الذى حماهم و لم يرضخ لطلب الأشراف و الأعيان بحلب بتسليمهم. (١) و أدت هذه الفتنة إلى عزل الوالى الحاج إبراهيم باشا القاطر آغاسى و تعيين عبدى باشا مكانه، فكان ظلوما عسوقا، انتصر لجيش الينيجاريه و عاث فى البلد و استباح الحرمات، و خاصه فى مدينه كلس التابعه إلى حلب، و أما فى حلب فقد قطع رأس احمد الخنكارلى والد متسلم حلب، إذ قبض عليه بحيله دنيئه بوساطه اتباع أرسلهم اليه كضيوف و هم من الينيجاريه، ثم قبض على ابنه، محمد و على نقيب الأشراف السيد احمد الكواكبى، فاخرجا مع الرأس المقطوع إلى ناحيه إعزاز شمالى حلب حيث قيدوا المتسلم مع رأس أبيه فى خيمه، و أما النقيب أحمد الكواكبى، فقد عين معه بيارق (٢) و نقله منفيا إلى قلعه البيره، و عين فى مكانه نقيبيا للأشراف، لطوف بك عادلى زاده طوقتكين الأرناؤوطى، و عين متسلما جديدا من الينيجاريه هو كوجوك على آغازاده محمد سعيد آغا، الذى أقام فى تكيه الشيخ أبى بكر الوفائى، و أمر زبانيته بنهب بيوت الأكابر و المشايخ، و الأشراف، و الأعيان، من المسلمين و من أهل الذمه، فراحوا يشربون الخمر و يتعاطون الزنا و اللواط و الفسق علنا، و جاءوا إلى محله باب النصر، و تفقدوا الدور العظيمه و أخرجوا أصحابها و طردوهم و لو كانوا من النساء و صادروها، و منها الدار العظيمه التى كان السيد احمد الكواكبى قد باشر فى بنائها على انقاض سراى جنبلاط و دور بنى عبد السلام، فصادرها قبل اكمال بنائها (٣) و الزم النصارى ببيعه ألف غنمه لقاء ١٦ كيسا (و الكيس فيه خمسمائه قرشل) و الزم اليهود بتسعائه غنمه بنفس السعر.

و فى آخر محرم ١١٩٥ هـ كانون الثانى (يناير) ١٧٨١ م حل عثمان باشا البلد مع عسكره و طرد عسكر عبدى باشا، من بيوت الأكابر و خصوصا بيوت عمر افندى و جلبى افندى و طرابلسى افندى و كواكبى زاده و بيت الزعيم. و كانت بينه و بين عبدى باشا وقائع كثيره انتهت بعزل عبدى باشا و باعاده الأموال المصادره إلى أصحابها.

و فى عام ١٢٠٦ هـ - ١٧٩١ م ثار بطل آغازاده نورى محمد آغا - و هو من زعماء الأكراد - فى عين تاب (المعروفه باللغه التركيه ب "عنتاب") و هاجم الينيجاريه، و ساعده الأشراف فى ثورته. فاستولى على قلعه عين تاب و رممها و أقام فيها. إلا أن السلطه فى اسلامبول، أمرت والى حلب كوسا مصطفى باشا بان يتجه اليه و يحاربه، فوصل الأمر إلى الوالى و هو هارب من أهل حلب الذين كانوا هم أيضا قد ثاروا عليه و على السلطه و أخرجوه من المدينه هو و عسكره، فاتجه بعسكره الينيجاريه إلى عين تاب حسب الأمر و حاصر قلعتها خمسة أشهر نفذت خلالها المئونه و الذخيره فاستسلم بطل آغا فقبضه و قطع رأسه مع خمسة و عشرين رأسا، أرسلها إلى اسلامبول.

و مرت سنتان. حتى إذا كانت سنه ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م (على ما اثبت جودت فى تاريخه ج ٦) و لم تكن الفتن بين الساده الأشراف و معهم الأسر الحلبيه و بين الانكشاريه لتقطع، فاستولى هؤلاء على منافع البلد و ما جاوره من بلاد و عاثوا فى الأرض فسادا بصوره أزال نفوذ الولاة من البلاد، و حالوا دون اقامه الأحكام الشرعيه. و كانت سلطه الدوله ضعيفه بسبب الحرب الروسيه التى انتهت فى ١٢٠٦ هـ - ١٧٩٢ م.

حتى إذا كان منتصف عام ١٢٠٨ هـ - مطلع سنه ١٧٩٣ م عين السلطان سليم الثالث، واليا جديدا على حلب هو ترنج زاده سليمان فيضى باشا فراح هذا يحاول اعاده تنظيم شئون البلد و إصلاح ذات البين بين فئتي الأشراف و الينيجاريه. إلا ان هؤلاء لم يكونوا ليرضخوا إلى سلطه أى وال، فأقدم بعضهم على التعرض إلى أحد وجهاء المدينه محمد افندى الغورى فما زالوا يضربونه و يهينونه حتى قتل من دون أى سبب أو ذنب ارتكبه. و انما رغبه منهم فى إشعال نار الفتنه. و لما حاول الوالى سليمان باشا معاقبه المعتدين عصى عليه الانكشاريه فهرب إلى خارج البلده، و أقام فى بعض بساتينها، و كتب يشكو الأمر إلى السلطان فى اسلامبول و يشرح حاله مع الينيجاريه المحسوسين دوما على السلطان.

انتهز الينيجاريه فرصه خروج الوالى، فتعرضوا فى حى ساحه الملح إلى بعض رجال الأشراف الذين كانوا مارين امام جامع الأطروشى و انقضوا عليهم يريدون ان يفعلوا بهم ما فعلوه بمحمد افندى الغورى فهرب الأشراف إلى داخل الجامع و اوصدوا بابه، و ترسوه بالحجاره الضخمه، فأحرق الينيجاريه الباب بعد أن صبوا عليه القطران فانت النار عليه (و لا تزال آثار الحريق باقيه حتى يومنا هذا). و اقتحموا الجامع. فهرب الأشراف إلى المئذنه فلقحوا بهم فألقوا بأنفسهم إلى السطح، و منه إلى سطح الميضاه فصعدوا إليهم، و قبضوهم، و قيدوهم، و بالوا فى أفواههم، ثم ذبحوهم ذبح النعاج كل أمام صاحبه. و سالت دماؤهم فى مصلى الجامع. و حالوا من دون وصول نجده من أهل المدينه إليهم. و دب الذعر بين الناس، و كادت المذبحه تنتقل إلى داخل المدينه لولا وصول وفد رسمى من قبله.

ص: ١٢٣

١- تلاحظ أن تعاوننا خفيا لم اعرف أسبابه كان يجرى بين أغوات الانكشاريه و بين عشائر البدو. و لقد تكرر ذلك فى حادثه قومه البلد عام ١٨٥٠ إذ كان عبد الله البابنسى و هو من السكمانيه الينيجاريه يعتمد على عشائر البدو فى تلك الحادثه.

٢- حينما ينفى رجل من كبار الشخصيات إلى خارج المدينه كانوا يرسلون معه جنودا تحمل اعلاما (بيارق) رسميه تشير إلى أن سوقهم هذا الشخص للنفي انما هو بامر الدوله.

٣- وهى الدار الجاربه حتى الآن فى وقف احمد الكواكبى قطنها بعد ذلك آل إبراهيم باشا باعتبارهم من ورثه جدتهم، اوضحت الآن مدرسه، و تنسب خطا إلى جنبلاط لأن سراى جنبلاط لم يبق لها إلا اثر فى اساسات البناء.

السلطان سليم الثالث من اسلامبول اتصل بالينيجاره و أبلغهم رغبه السلطان بان يكفوا عن المذبحه فى الاشراف، و ان يتصالحو
مع الوالى فسكنت الفتنة فى حلب موقتا.(1) إلا ان الناس باتوا كالسكارى من هول المذبحه، التى لم يشاهدوا مثالا لها من عهد
التر.

و قد أثارت هذه المذبحه قريحه الشعراء فخلدوا ذكرها بشعرهم، و كان أشهرهم الشيخ محمد أبو الوفاء الرافعى فى قصيدته التى
نقتطف منها الأبيات التالية:

لا يامن صروف الدهر إنسان و لا نوائبه فالدهر خوان

فكم أباد من الماضين من ملك له بسطوته عز و سلطان

كل المصائب قد تسلى نوائبها إلا التى ليس عنها الدهر سلوان

هى المصيبة فى آل الرسول فقد سارت باخبارها فى الناس ركبان

آووا لبعض بيوت الله من فرق من العدو و للأعداء عدوان

فجاء قوم من الفجار تقصدهم بكل سؤلهم بغى و طغيان

و كيف صح قديما عهد طائفه ضلت و ليس لهم فى القلب ايمان

سلوا عليهم سيوف البغى و اقتحموا كما تهجم جبار و شيطان

و كل هذا و آل البيت ما رفعت لهم عليهم يد و الرب ديان

فلو سمعت عويل القوم من بعد إذ يستغيثوا لهدت منك أركان

يا رب والده كبت على ولد فمزقوه و ما راقوا و ما لانوا

يا رب ارملة ريعت بصاحبها و حولها منه أيتام و صبيان

أ هذا جزاء رسول الله من فئه قلوبهم ملؤها اثم و نيران

و له من قصيده أخرى:

الله أكبر من خطب له شان قد شاب من هول ذاك الخطب ولدان

إذا الرسول ينادى عترتى ظلمت سلطانك اليوم لا يقهره سلطان

يزيد سيدكم و الشمر قائدكم إلى الجحيم فبئس الدار نيران

و قال محمد الخسروى من قصيده طويله:

أ هكذا تفعل الإسلام فى نفر المصطفى جبههم من قبل ما كانوا

سلوا عليهم سيوف الغدر و ابتدروا سلبا و قتلا و ما دانوا و لا لانوا

و كم مخدره للوجه حاسره يهتز من نوحها للعرش أركان

يزيد أوصاكم فى ذاك يا سفلى بموت نسل النبى و هو ظمآن؟

و قال فاضل بك الاستنبولى من قصيده:

يا مصطفى ان القلوب منغصه لبنيك فى الشهباء حلت منقصه

فى جامع يدعى الطروش لقد غدت بدمائهم تلك الأماكن منقصه

فدماء أعداء الإله ثمينه و دماء أولاد الرسول مرخصه

و لانت أولى بالجميع و هذه شكواهم رفعت إليك ملخصه

من هو عبد الرحمن الكواكبى؟

يرد المؤرخون أصل آل الكواكبى إلى سيدنا على بن أبى طالب و أن رجلا اسمه (على سياه پوش) من أحفاد صفى الدين الأردبيلى جد الأسره الصفويه التى حكمت ايران تزوج من حليبه و هو فى طريقه إلى بلاد الروم و رجع إلى أردبيل و منه بيت الكواكبى. و رد المؤرخون كذلك نسبهم إلى الامام محمد الباقر.. و أول من اشتهر بالكواكبى هو أبو يحيى الكواكبى..

"و عرف بالكواكبى لاتصال أحد أسلافه بال الكواكبى من جهه النساء المعروفين عندنا بعراقه النسب". و قيل إنه عرف بالببرى نسبه إلى بلده (البيره) و عرف بالكواكبى لأنه فى البدايه كان يشتغل بالمسامير الكواكبىه ثم دخل الصوفيه و فتح الله له الطريق و توفى هذا الرجل عام ٨٩٧هـ و دفن فى أحد أحياء حلب بمكان يسمى الآن جامع الكواكبى.

كانت أسره الكواكبى أسره متعلمه و أهل دين و ورع و زهد و كرم و شرف، و ولد أحمد بهائى بن محمد بن مسعود الكواكبى و هو والد شخصيتنا - عبد الرحمن الكواكبى - ولد عام ١٢٤٥هـ و تلقى علومه فى حلب و عرف بالذكاء و الأخلاق و خلف وراءه ولدين أحدهما عبد الرحمن الذى ولد عام ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م بحلب حسبما أورده الدكتور سامى دهان فى كتابه عن عبد الرحمن الكواكبى و يتفق فى ذلك مع المستشرق الفرنسى (نور بيرتا بيرو). و أذكر هنا ان خطأ مطبعيا قد وقع فيه الدكتور محمد عبد الرحمن برج فى كتابه حول عبد الرحمن الكواكبى حيث ذكر انه - الكواكبى - قد ولد عام ١٨٤٨م.. و لكن

الكواكبي جريا منه وراء دخول الانتخابات التركيّه قد غير تاريخ ميلاده إلى ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٨ م أورد ذلك ابنه د. أسعد الكواكبي.

توفيت والده الكواكبي عام ١٨٥٩ م و عمره ست سنوات و بذلك فقد حنان الأمومه حيث أرسله والده إلى خالته السيده صفيه بنت مسعود في تركيا و مكث هناك سنوات ثلاثا تعلم فيها التركيّه و بعض المعارف ثم عاد إلى حلب حيث والده الذي ألحقه بمدرسه الشيخ طاهر الكلزي، فتعلم بعض العلوم في التركيّه و الفارسيه و العربيه ثم عاد ثانيه إلى انطاكيه و عمره ١١ سنه فكان يدرك الأشياء و يتأثر بجمالها و هنالك بقي عاما دخل فيه مدرسه خصوصيه ثم عاد إلى حلب و دخل المدرسه الكواكبيه التي كان والده مدرسا فيها و مديرا لها و هنالك اتقن التركيّه و الفارسيه تكلما و كتابه، و داوم على القراءه و الاطلاع حتى بلغ سن العشرين مكتسبا حصيله من المعلومات القيمه، و لما وصل إلى ٢٢ من عمره التحق كمحرر غير رسمي "ما يسمى اليوم بالمتعاون" بجريده "فرت" و هي الجريده الرسميه التي تصدر عن الحكومه التركيّه بالعربيه و التركيّه، و قد و [] كان محرروها من ذوى المقدره و الاطلاع، و لم يمض عام حتى ألحق كمحرر رسمي بالجريده، غير أن الأيام لم تطل حتى أنشا جريده عام ١٧٧٨ [١٨٧٧] م باسم (الشهباء). و تعتبر الشهباء أول جريده عربيه تصدر في حلب و أخذت الشهباء توجه الانتقادات إلى المسئولين و على رأسهم السلطان عبد الحميد، و ما كان ليرضى السلطان هذا الخط، الأمر الذي جعل الصحيفه تموت عند العدد ١٥، و لكن الكواكبي لم ييأس فعاود الكره من جديد عام ١٨٧٩ م حيث أنشا جريده أخرى باسم "الاعتدال" و لكنها بامتياز سعيد بن علي شريف، غير أنه كما ألغى كامل باشا الجريده الأولى ألغى جميل باشا رئيس الوزراء العثماني الجريده الثانيه.. كل ذلك لأن ما جاء به الكواكبي لم يكن مألوفاً في تلك الآونه من جراه و نقد لاذع لصور الفساد في البلاد و كان المقصود بعملهم ذاك أن يسدوا الطريق أمام غيره من الشباب.

و لما بلغ الكواكبي ٢٥ من عمره عين عضوا فخريا في لجنتي المعارف و الماليه، ثم عضوا في الأشغال العامه، ثم رئيسا لقلم المحضرين في ولايه حلب، ثم عضوا فخريا في لجنه امتحان المحامين. و في عام ١٨٨١ م عين عضوا فخريا في مطبعه ولايه حلب ثم رئيسا فخريا كذلك للجنه الأشغال العامه. و في ١٨٨٦ م عين مأمورا للاجراءات في حلب. و قد كان في كل هذه المناصب عاملا مثابرا مخلصا شجاعا في قول الحق مما جعل الدوله تراقب أعماله و خاصه حينما علم جميل باشا والي حلب بان ما يكتب في صحف الآستانه و بيروت كان بتحريض من الكواكبي.

أبي الكواكبي هذه المعيشه و استقال من الوظيفه الحكوميه عامه.

ص: ١٢٤

١- ذلك لأن الفتته تكررت في أيام خورشيد باشا و انقلت إلى ثوره عارمه.

١٨٨٦ م و فتح مكتبا للمحاماه يدافع عن المظلومين و يأخذ بأيديهم، فقد كان مكتبه منتدى للمظلومين الذين يفتح الطريق فى وجوههم، و قد كان الكواكبي مصدرا رجح اليه المبعوث من الآستانه و الذى جاء للتحقيق فى خلاف بين والى حلب و قنصل انجلترا، فكان المندوب يجتمع بالكواكبي سرا و يأخذ منه المعلومات الصادقه حتى كانت النتيجة عزل القنصل عن حلب، و بذلك أثبت الكواكبي أنه لا يطلب غير الحق و لا يقول سواه حتى و لو كان على عدوه.. و اتسعت الشقه بين الكواكبي و والى حلب بما وشاه الواشون حتى فكر الوالى فى وسيله للقضاء بها على الكواكبي، و لما أحس الكواكبي بذلك قرر الرحيل إلى إستانبول، غير أن الوالى منعه و سلط رجاله لمراقبته و مراقبه المترددين عليه و الذين كانوا من المظلومين الذين يكتب لهم العرائض. و لما كثرت العرائض و الشكاوى أرسل السلطان صاحب بك إلى حلب ليحقق فى تلك العرائض و يقال انه بقى مع لجنته شهرين ينظرون فى شكاوى كانت مكتوبه بيد الكواكبي.

صادف ان أطلقت النار على الوالى من قبل محام أرمنى فأصابه و لم يقتله، عندها اعتقل الكواكبي و جماعته توقعا بأنه كان وراء الحادث، غير أنه فى النهايه نقل الوالى إلى الحجاز و حل محله عثمان باشا الأعرج و الذى كان يحمل على كرسى نتيجته لعجزه. و بعد مجيء هذا الوالى عين الكواكبي رئيسا للبلديه ثم عزل، و بعض الآراء ترى أن الكواكبي وقع ضحيه مكيده كادها له الوالى فسجنه ثم برأته المحكمه.

و أثناء تعيينه رئيسا للبلديه عام ١٨٩٢ م أثبت عبقريته و وسع اطلاعه و أعماله الكثيره و مشاريعه المتعدده. و لما عاد عثمان باشا إلى حلب مره ثانيه عين الكواكبي عام ١٨٩٢ م رئيسا لغرفه التجاره و المصرف الزراعى فقام بعمله على خير ما يكون القيام و لكنه استقال فيما بعد و سافر إلى إستانبول للسياحه ثم انزوى و لم يسمع بقدمه أحد حتى بعث إلى أبى الهدى الصيادى الذى أحضره إلى منزله و اغتبط بوصوله، و بعد أشهر رجع الكواكبي إلى حلب حيث اشتغل فى الالتزام فى اداره الريجى، و بذلك زاد حب الشعب له و ثقتهم فيه و فى عام ١٨٩٤ م عين رئيسا لكتاب المحكمه الشرعيه بحلب فنظمها و منع اختلاط الرجال بالنساء غير أن بقاءه فيها لم يستمر سوى عامين و تألب عليه الحساد و الأعداء فنقل رئيسا للجنه البيع فى الأراضى الأميريه، و ازداد حب الشعب له فى الوقت الذى زاد غضب أعدائه و حساده.

و قد تظاهر الكواكبي بالسفر إلى إستانبول فى الوقت الذى كان عازما على السفر إلى مصر حيث كان فى ذهنه أصدقائه أنه مسافر إلى إستانبول و لم يشعروا إلا و مقالاته فى صحف مصر، و هناك تقرب منه بعض الأتراك متظاهرين بالصدافه و لكنهم فى الواقع جواسيس عليه، و قد التقى فى مصر مع كثير من الكتاب و الأدباء و أخذ ينشر مقالاته فى صحف مصر كما أخذ نجمه فى اللمعان بين الناس و خصوصا أثناء نشر كتابه (أم القرى) الذى ألفه أثناء وجوده بحلب.. و قد نشر الكواكبي - بدون توقيع - مقالات حول الاستبداد و قد كان لتلك المقالات صدى عميق لدى القراء المعجبين دون أن يعرفوه..

و لما كان الخديوى عباس الثانى يتوق إلى الخلافه فقد استدعى الكواكبي من أجل أن يمهد أمامه الطريق بالدعايه مقابل أجر شهرى مقداره (٥٠ جنيها مصريا) و بدأ الكواكبي رحلته الدعائيه فى عام ١٩٠١ م و عمره لا يزيد على ٤٩ سنه فاتجه إلى اليمن ثم إلى الهند و شرق إفريقيا و طاف مصر و السودان، و الحبشه و وصل إلى منطقه باكستان الحاليه. و قد دامت تلك الرحله حوالى سته أشهر عاد بعدها إلى القاهره بمعلومات وفيه و كان بنوى القيام برحله أخرى إلى المغرب غير أن المنيه عاجلته و انتقل إلى رحمه الله بعد أشهر ثلاثه من عودته حيث توفى مساء الخميس ١٤ يونيه ١٩٠٢ م الموافق ٥ ربيع الأول ١٣٢٠ هـ عن

عمر يناهز الخمسين عاما.. غير أن د. محمد عماره في كتابه "الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي" يرى أن الكواكبي مات مسموما من قبل عميل عثمانى.

و لما علم الخديوي عباس بوفاته أمر أن يدفن على نفقته حيث دُفن في سفح المقطم، غير أن رفاته نقلت مؤخرا إلى مقبره خاصه بمشاهير العلماء بمنطقه باب الوزير، و قد كتبت على القبر أبيات للمرحوم حافظ إبراهيم:

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم هنا خير كاتب

قفوا و اقرءوا أم الكتاب و سلموا عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

و قد تاثر لوفاته كل الأصدقاء و الأحاب و كتبت الصحف مقالات طويله عن حياته و مآثره.

غير أن الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (عبد الرحمن الكواكبي) لا يوافق أن يكون الكواكبي قد ذهب في رحلته مدفوعا من الخديوي إسماعيل و يعتمد في ذلك على ما ذكره أحد الذين يعرفون الكواكبي و الذي أبلغه أن الكواكبي كان يدعو لنفسه.

و قد كان الكواكبي عازما على أن يخرج رحلته تلك في كتاب غير أن المنيه لم تمهله..

كانت بدايه النهضه الفكرية العربية في بلاد الشام في منتصف القرن التاسع عشر حين ظهرت الإرساليات التبشيرية و التي يحركها المستشرقون الأوروبيون، و كان لفرنسا السبق في ذلك حين أنشأت أول مركز للثقافة الفرنسيه عام ١٧٣٤ م و أدخلت أول مطبعه إلى المنطقه في حلب عند بدايه القرن الثامن عشر.. و دخل التنافس بين المبشرين الفرنسيين و البروتستانت الأمريكيين حيث فتح الأمريكيون المدارس، فما من منطقته تقيم بها احدى الطائفتين مدرسه حتى تسرع الثانيه لانشاء مثلتها.. و قد أدت الرحلات و الهجره و المدارس و التجاره إلى تثبيت الثقافة الأوروبية بالمنطقه، الأمر الذي أدى إلى ظهور أعلام ينادون بضروره بعث الأدب العربي القديم.

و قد ترتب على ذلك أيضا انقسام المفكرين إلى قسمين: قسم يرى ان إدخال الحضاره الغربيه سيؤدي إلى القضاء على الحضاره الإسلاميه و يطفو فوقها، و فريق آخر لا يرى مانعا من الاقتباس من الحضاره الغربيه و الأخذ منها ما يناسب الحال.

و يبرز أمامنا أساتذه اجلاء من رواد الفكر الإسلامى أمثال جمال الدين الأفغانى و الشيخ محمد عبده و عبد الرحمن الكواكبي.

و كان الأفغانى ينشد مجتمعا اسلاميا صافيا عقيدة و صفات و نظاما سياسيا و كذلك كان الكواكبي يطمح إلى مجتمع اسلامى مع التركيز على أهميه العرب فيه، فالأفغانى يرى " أنه لا- جامعه لقوم لا- لسان لهم، و لا لسان لقوم لا آداب لهم و لا عز لقوم لا تاريخ لهم و لا تاريخ لهم إذا لم يقيم منهم من يرى آثار رجال تاريخهم فيعمل عملهم و ينسج على منوالهم".

و يرى الكواكبي أن قياده أمه الإسلام تكون للعرب و يحصرها في عرب الجزيره و يخصصها في قريش، و يرى كذلك أن عدم استعراب العثمانيين ساعد على فشلهم و ان العثمانيين قدموا الدوله على الدين و الملك على العقيدة، بينما يرى الأفغانى أن

صلاآ أآوال الأمه الإسلاميه يكون على يد الدوله العثمانيه و ندد بالسياسه الأوروييه، و قد قال الكواكبي مناشدا أبناء العرب " كان أجدادكم لا ينيحون إلا ركوعا لله و أنتم تسجدون لتقيل أرجل

ص: ١٢٥

المنعمين و لو بلقمه مغموسه بدم الإخوان و أجدادكم ينامون الآن في قبورهم مستورين أعزاء و أنتم أحياء معوجه رقابكم أذلاء".

و قد خلف الكواكبي آثارا خالده بقيت و إن ذهب الرجل، فقد أبقى للانسانيه مجموعه من الكتب: "أم القرى"، "طبائع الاستبداد"، و سأعرض لكل منها بايجاز شديد. أما كتاب "صحائف قريش" فكان قد ألفه الكواكبي و كان جاهزا للطباعه إلا أن وفاه المؤلف المفاجئه جعل الكتاب يصادر مع مجموعه من أوراقه و أرسل هديه للسلطان العثماني، و قد بحث عنه ابنه الدكتور أسعد في الآستانه و لكنه لم يعثر عليه و قد أشار الكواكبي نفسه إلى هذا الكتاب في بدايه كتابه "أم القرى" حيث قال: "من يظفر بنسخه من هذا السجل فليحرص على اشاعته بين الموحدين و ليحفظ نسخه منه ليضيف اليه ما سيتلوه من نشرات الجمعيه باسم "صحائف قريش" و التي سيكون لها شان في النهضه الإسلاميه العلميه و الأخلاقيه.

أما كتاب "العظمه لله" و كان هذا الكتاب قد ألفه الكواكبي و لم يطبع للناس فقد صودر هو الآخر و قد ذكر محمد كرد في مذكراته بأنه اطلع على ذلك الكتاب في مصر.

و بالاضافه إلى ذلك كان الكواكبي شاعرا و ما زال ابنه يحتفظ بحوالي ٣٠٠٠ بيت من شعره.

* أم القرى: ألف الكواكبي هذا الكتاب في حلب و نشر أول ما نشر في مصر سنه ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م، و فيه تخيل المؤلف مؤتمرا اسلاميا عقد بمكه للنظر في أحوال المسلمين و سبب تاخرهم و حضر هذا المؤتمر ممثلون عن جميع الأقطار الإسلاميه حتى سكان ليفربول المسلمين قد أرسلوا من يمثلهم في المؤتمر، و ترأس المؤتمر العضو المكي بينما تولى أمانه السر الكواكبي الذي سمي بالسيد الفراتي نسبه إلى الفرات.. و قد وصل المؤلف إلى مكه في أوائل ذى القعده بعد جولته في كثير من الأقطار، فوجد في مكه كثيرين استجابوا لدعوته عدا الأديب البيروتي الذي اعتذر لأسباب جعلته يمتنع و التي لم يذكر عنها السيد الفراتي شيئا، و قد مثلت في المؤتمر كل من مراکش، تونس، القسطنطينيه، تفليس، تبريز، بكين، دلهي، كلكتا، ليفربول، و قد دامت الاجتماعات ١٥ يوما عقد فيها المؤتمر ١٣ اجتماعا بما في ذلك اجتماع الوداع.

- الاجتماع الأول: عقد هذا الاجتماع يوم الاثنين ١٥ من ذى القعده ١٣١٦ هـ و حضره ٢٢ عضوا حيث وزعت مطبوعه تحوى مفتاح الرموز المستعمله في المؤتمر و كان شعار المؤتمر (لا نعبد إلا الله) و افتتح المؤتمر الأستاذ المكي بالترحيب و عرض حال المسلمين المتأخر ثم حددت خطوط الجلسه المتمثله في تلك الحاله و تأثير الجهل عليها و تحميل العلماء و الأمراء سببها و وضعوا العلامات الحمراء أمام الأمه و يبين الرئيس المكي بان النهضه متوقعه و بان الأمل موجود بل و يحدد مواعيد لها و هي فتره لا تتعدى عشرين عاما تستطيع خلالها الأمه الإسلاميه أن تستوعب العلوم الحديثه و تبنى مجتمعا و من بعد في العشرين سنه المقبله تستطيع أن تبنى جيلا جديدا يرقى بها، و قد نبه السيد المكي إلى دور الجمعيات في هذه الفتره، و فى النهايه يطرح القضايا الرئيسيه الواجب بحثها و التي تتمثل فى الداء و موضعه و أعراضه، و الداء و جراثيمه و وسائل استعمال الدواء و كيف يكون التدين بالإسلام، و عن الشرك الخفى و البدع و مقاومتها و تحرير قانون لتأسيس جمعيه تعليميه.

- الاجتماع الثانى لا عقد هذا الاجتماع فى ١٧ من ذى القعده ١٣١٦ هـ أى بعد يومين من الاجتماع الأول. و فى بدايته تكلم الرئيس المكى عن حاله الفتور الإسلاميه مقابل حركه أعدائهم النشطه، و على المؤتمر النظر فى هذه المشكله و قال صاحب

الهندي: أن كثيرا من البلدان خامله. أما الفاضل الشامي فرد ذلك إلى عقيدة الجبريه، أما البليغ القدسي فرده إلى أنظمه الحكم من اشتراكيه ديمقراطيه إلى ملكيه مطلقه، و رد الحكيم التونسي الأمر إلى الجهل، و المولى الرومي عزاه إلى فقدان الحريه.

- الاجتماع الثالث: عقد هذا الاجتماع يوم الخميس ١٨ من ذى القعدة ١٣١٦ هـ حيث واصل المولى الرومي حديثه موجها النقد اللاذع للعلماء. "الرياض الكردي" يرد الأمر إلى بعد المسلمين عن العلوم التطبيقية.

أما الفقيه الأفغاني فقد رأى أن الفقر هو السبب و كذلك اساءه جبايه الضرائب.

- و فى الاجتماع الرابع: تحدث المندوب النيجيرى عن المجتمع فى ذلك الزمان مقارنة إياه بالمجتمع قبل الإسلام.

- و فى الاجتماع الخامس: تم تفويض السيد الفراتى و السعيد الإنجليزى بوضع قانون دائم للجمعيه، و محدث فيه السعيد الإنجليزى عن نشاط جماعته الداعيه للإسلام و وجوب تدعيمها، و الاجتماع السادس بحث فيه الإسلام و مرونته و تطوره.

- و فى الاجتماع السابع: الذى عقد فى ٢٤ من ذى القعدة ١٣١٦ م تحدث السيد الفراتى عن أسباب تأخر المسلمين و أرجعه إلى عوامل دينيه و سياسيه و أخلاقيه ثم تحدث عن أسباب خراب الحكم العثماني فارجعها إلى قوانين تلك الدوله التى كانت تطبق على كل المناطق على الرغم من تباينها و كذلك مركزيه الحكم و طريقه اختيار حكام الولايات، و عدم المساواه بين الرعايا، و محاربه الأفكار الجديده و تسليم الحكم ليد من لا يستحقه و كذلك الاستبداد بالرأى.

- و فى الاجتماع الثامن: واصل الحديث السيد الفراتى موضعا النظرة الجديده لأمه اسلاميه تعيش نظام العصر.

- الاجتماعات التاسع و العاشر و الحادى عشر: فيها قرئ قانون الجمعيه فقره فقره ثم نوقشت فى الاجتماعين العاشر و الحادى عشر.

- الاجتماع الثانى عشر: و فيه دار بعض النقاش حول القانون الذى سمي (قانون جمعيه تعليم الموحدين) و يتكون من مقدمه و فصل أول فى تشكيل الجمعيه ثم الفصل الثانى فى ميادين الجمعيه و الفصل الثالث حول ماليه الجمعيه و الفصل الرابع فى وظائف الجمعيه ثم الخاتمه.

و فى هذا القانون نرى الدعوه صريحه لاقامه خلافه عريبه مرجعين ذلك إلى ستة و عشرين سببا.

* طبائع الاستبداد: سبق أن ذكرت أن الكواكبي قد وصل إلى القاهره فى الوقت الذى كان أصدقاؤه يتوقعون ذهابه إلى إستانبول. و لما وصل إلى القاهره بدأت مقالاته تتوالى فى صحفها تهاجم الاستبداد. و يقول صديقه كامل الغزى: ان الكواكبي لم يطلع على كتابه (طبائع الاستبداد) مثلما فعل فى كتابه (أم القرى) و لم يعلم كغيره من أصدقاؤه إلا و مقالات كتابه تنشر تباعا، و قد أصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثانى قرارا يمنع دخول الكتابين إلى بقيه الممالك و قد كان الكواكبي يؤمن أن عمله لن يحقق ما يتمناه، بل انه سيكون خطوه على الطريق فقد وصف كتابه بأنه "كلمات حق و صيحه فى واد إن ذهب اليوم مع الريح فقد تذهب غدا بالأوتاد".

و يعرف الكواكبي الاستبداد لغويا بأنه: "غرور المرء برأيه و الأنفه عن قبول النصيحة ثم هو في اصطلاح السياسيين تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئه و بلا خوف تبعه".

ص: ١٢٦

و يرى ان أعلى قمه فى الاستبداد هو حكم الفرد المطلق، و أن استمرار ذلك يعود إلى جهل الشعب و الجيش، و البقاء فى ظل هذا الحاكم هو إعانه له، و بذلك يدعو الكواكبى إلى الهجره من مواطن الظلم، و يرى ان الكلب الطليق خير من حياه الأسد المربوط.

و فى الفصل الثانى من الكتاب يتعرض الكواكبى للاستبداد و الدين، و محاوله استغلال الدين و النظاهر به، و أن الجهل هو العامل المساعد لهذه اللعبه، و أن الاستبداد الدينى مرتبط بالاستبداد السياسى.

و عن الاستبداد و العلم يصف الكواكبى العلم بالشمعه و قبسها من نور الله، و يضع المستبد بالعلم فى مرتبه الوصى الخائن القوى الذى يتصرف فى أموال و أنفس الأيتام كما يريد و ينوى دون أن يبلغوا الرشد و الذى لا يتمنى أن يبلغوه، و إن هذا المستبد أخشى ما يخشى تنور الشعب بالتأريخ و السياسه و الفلسفه العقليه و الحكمه النظرية.. و طبيعى أن يحدث صراع بين الحاكم و العلماء - غير المناقضين و المتملقين - يحاول الطرف الأول إطفاء ما ينوره الطرف الثانى و ما من امه انتشر فيها العلم إلا و سقطت قيود البغى و الاستبداد. و عن المجد و الاستبداد يفرق الكواكبى بين المجد و التمجيد و الذى يراه هو استعباد بذاته، و الممجدون هم الساعون للرتب و النياشين و صورته الشعب أمام الحاكم، و يخالف الكواكبى ابن خلدون فيما يرى أن إقدام البشر على الخطر إذا هدد مجدهم خطأ.

و يتفق مع أسماء بنت أبى بكر فى رأيها ان صاحب الحق ان كان مقتنعا بحقه فعليه أن يقاتل حتى يموت، و هذا ما قالتة إلى ابنها فى موقفه من الحجاج.

أما عن الاستبداد و المال فيقول الكواكبى: "إن الاستبداد لو كان رجلا و أراد أن يحتسب و ينتسب لقال: أنا الشر و أبى الظلم و أمى الاساءه و أخى القدر و أختى المسكنه و عمى الضر و خالى الذل و ابنى الفقر و بنتى البطاله و عشيرتى الجهاله و وطنى الخراب أما دينى و شرفى و حياتى فالمال المال المال".

و عن الاستبداد و الأخلاق يرى بان الاستبداد يفسد الأخلاق و يدفع المرء إلى محاوله الهجره من الوطن و يؤدى كذلك إلى التخلخل الأسرى و فى ظل الاستبداد الأخلاقى ينعدم الصدق و يعلو الرياء و النفاق.

و حول الاستبداد و الترييه يجد الكواكبى أن الاستبداد يؤدى إلى انحراف الترييه الحقيقيه و ينحرف الناس عن الحقيقه و بالتالى يعيشون فى قلق مستمر.

و علاقته الاستبداد بالترقى هى أن الاستبداد يحول دون ترقى الإنسان سواء فى العلم أو المال أو القوه أو الصحه.

و يدعو الكواكبى إلى التنور بالعلم حتى يستطيع الشعب أن يسقط المستبد.

و قد أوضح الكواكبى أن الاستعمار لا يعدو عن كونه تاجرا يمتص دماء الشعوب فحسب و لا يهمنه من أمر هذه الشعوب شىء.

و ينهى الكواكبى كتابه بالطرق التى يمكن بها التخلص من الاستبداد حيث يركز على عامل التعليم و يحذر بان المستبد مهما طال بقاءه فان نهايته الزوال و يستشهد بقول القيادى: "لا يفرحن المستبد بعظيم قوته و مزيد احتياظه فكم من جبار عنيد جند له

مظلوم صغير".

و إلى هنا اعزائي القراء أكون قد تعرضت إلى بعض الجوانب عن عبد الرحمن الكواكبي و إن كنت لم أتعلم فيها و لم أتعرض لكل الجوانب فيه فان أصبت فذاك من فضل ربي و إن قصرت فذاك من نفسي و ما الكمال إلا لله. (انتهى).

الكواكبي المصلح الاجتماعي

و ننشر بعد ما تقدم كلمه للدكتور جورج كتوره تحدد معالم فكر الكواكبي:

قال الدكتور جورج كتوره:

يعتبر الكواكبي أحد أبرز وجوه عصر النهضة. أو العصر الذي اصطاح على اطلاق هذه الصفه عليه. و هو الفتره التي تلت نظريا عصرا طويلا من الانحطاط و في المجالات المختلفه من أدبيه و فكريه و سياسيه و اجتماعيه.

فبعد ابن خلدون الذي أرخ للفتره التي سبقته لا من الناحيه الزمنيه و حسب، بل من الناحيه الاجتماعيه و الفلسفيه أيضا، قلما نجد كتابات تعنى بكشف الواقع و تسعى لإيجاد حلول مناسبة للأوضاع المترديه، بل البالغه في التردى. حتى كتابات ابن خلدون مع ما حملت من تشخيص للأزمه السياسيه المترديه منذ زمن طويل، لم تستطع ان تحمل حلا فظل الوضع على حاله.

و يزداد الوضع تفاقمًا في كل مره يحاول مؤلف نهضوى مقارنه أوضاع محيطه بالأوضاع السائده آنذاك في الغرب الذى حقق ثورته الصناعيه إلى حد ما و الذى شهد دفعا جديدا باتجاه الاكتشافات العلميه و تحويل العلم إلى تقنيه تسهم بتحقيق مزيد من الرفاهيه و بالتالى المزيد من الازدهار. علما ان التركيز على الايجابيات لا يعنى إسقاط السيئات التي برزت عند ذاك إن على الصعيدين الأخلاقي - الأسرى أو الدولى، كالعلاقات بين الدول و التنافس التجارى و الاقتصادى مع ما استتبع من حروب. و الواقع أنه حين كان الحديث يدور على عصر النهضة فى المشرق، لم يكن الحديث هذا إلا آمالا يرجى معها تحقيق النهضة. فالوضع السياسى غايه فى التردى و الدوله العثمانيه - و هى الدوله الأساس - راحت تفقد تدريجيا سيطره على أطراف متعدده منها: إن فى مصر أو فى سوريا أو فى البلقان، أما الداخل و ما تبقى لها فلم يعد حكما متماسكا إلا بقوه الأداة العسكريه و سيطره نزعه الاستبداد الذى بلغ ذروته فى العهد الحميدى و بوصول فنه من المتملقين أمثال أبى الهدى الصيادى إلى أعلى مراكز النفوذ، الأمر الذى أتاح سيطره سياسيه أحكمت يدها على الحيات كافه، الأدبيه و الفكريه و الاجتماعيه. فكان ان أقفلت أفواه العديد من المطالبين بالإصلاح و بالحرية و بالتقدم. و كان ان انتهى منهم جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ - ١٨٩٧) شبه أسير فى الآستانه، ثم ما لبث ان لحقه آخرون أيضا، أمثال عبد الله النديم (١٨٤٥ - ١٨٩٦) ليحل ضيفا يؤمن مأكله و مشربه و يشتري لسانه و سكوته، رغما عنه كالأفغانى. و من لم يحظ بعطف الدوله المشبوه و المقرون بكم الأفواه و تعليق الانتقادات يلاحق و يطرد من بلد إلى آخر، حتى يقضى نجه أو يقضى عليه. و هذا ما كان من شان مع الكواكبي.

ولد عبد الرحمن الكواكبي عام ١٨٤٨ فى مدينه حلب من اسره عريقه فى نسبها و فى علمها و فى عملها. فنقابه الأشراف كانت فيها إلى فترات. و من مآثرها إنشاء مدرسه أنفقت عليها من أوقاف خاصه بها. و فى "المدرسه الكواكبيه" بدأ عبد الرحمن تحصيل أول دروسه ليتعلم فيما بعد من اللغات التركيه و الفارسيه. و بعد دراسته التقليديه انكب على دراسه الكتب التاريخيه و

القانونيه و السياسيه و هكذا تعرف بشكل أوفى على الأوضاع السائده لينتقل للعمل فى مجالات متوازيه. فكان قاضيا لفته و رئيس بلديه لفته أخرى.

و حين لم يكن قاضيا كان محاميا ينصر الضعفاء و يساعد فى حل الخلافات.

و بين مرحله و أخرى، بل خلالها كان الكواكبي سياسيا، بمعنى ان السياسه ظلت هاجسه الأول و قد عبر عن ميوله هذه عبر العمل الصحفى، أكثر الأعمال التصاقا بالناس من جانب و بالسلطه من الجانب الآخر، و كان

ص: ١٢٧

الصحافه المهنه الوسيطه الوحيد، إذ تكفيها نقله وحيد فتكون اما مع السلطه و إما مع مناهضيها. و الكواكبي كان مع مناهضى السلطه - مع الأ-كثريه - فاصدر المجله تلو الأخرى و كان فى كل مره لسانا سلطا و داعيه تحرر و داعيه استقلال و داعيه ثوره على ظلم النظام الحميدى الذى لم يدعه يستقر و إن لسنوات. فأوقف إصدار مجلته الأولى "الشهباء" ليصدر غيرها باسم أكثر اعتدالا، فكانت "الاعتدال"، و لكن سيف الاستبداد ظل يلاحقه باستمرار و ظلت دسائس أبى الهدى الصيادى تجد له التهمه إثر الأخرى فأوقف العمل بالصحافه ليعمل بالتجاره. لكن التهم ظلت تلاحقه و تلاحق مشاريعه حتى الزم إفلاس تجارته و انهاء العمل فيها لينتقل إلى مصر البعيده نسبيا عن التسلط العثمانى و سيف استبداده.

و فى مصر عاد الكواكبي ليعمل بالصحافه فيكتب كتابه الأول "طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد" بشكل مقالات صحفيه تنشر تباعا فتلقى روجا شديدا و صدى عريضا واسعا لما تضمنت من تحليل صائب للأوضاع الاجتماعيه السياسيه السائده و من لهجه صادقه و من نقد كانت مصر ابان تلك الفتره موطنه و راعيته. و فى الوقت نفسه كتب كتابه الآخر "أم القرى" الذى تناول معظم موضوعات الكتاب الأول و إن بأسلوب مغاير، إذ تخيل المؤلف وقائع مؤتمر عقده علماء مسلمون من أقطار شتى توخيا لبحث الفتور و التأخر، بل الانحطاط الذى أصاب من جسم الأمه مقتلا. و قد ذهبت بعض الدراسات إلى حد اعتبار هذا المؤتمر صدى لجمعيه فعلية كان الكواكبي أحد اعضائها. أيا كان الأمر فان الكواكبي قد توخى فى كتابيه بحث قضيه واحده لا غير: الترقى - أسبابه و الطرق الموصله اليه.(1)

و فى مصر ظلت عيون الحكم الاستبدادى تراقب الكواكبي و تترصده إلى ان تمكنت منه عام ١٩٠٢، فمات مسموما على الأرجح و قد صودرت كتبه و أوراقه و بينها كما يقال مؤلفات كان يعمل على انهاءها. و إذا كنا قد أشرنا إلى المناحى السياسيه المرتبطه بواقع عصر الكواكبي و التى عانى منه هو شخصيا فذلك من أجل ربط نتاج مؤلفنا بعصره ليس إلا. إذ أن الأفكار الاصلاحيه حتى منها ما سيردده الكواكبي كانت قد ابتدأت فعلا مع اعلام سبقوه كالأفغانى و الطهطاوى و خير الدين التونسي، و بسبب ظروف أخرى عاشتها مصر و عاشتها أقطار أخرى بما فى ذلك قلب الحاضره الإسلاميه آنذاك، أى مركز الدوله العثمانيه. على سبيل الإشاره فقط يشار إلى اثر حملته نابليون و إلى دور الارساليات التبشيرييه فى لبنان و سوريا خاصه و إلى دور الجمعيات السياسيه و العلميه التى انتشر قسم منها فى الآستانه و التى رددت و دعت بعنف إلى التمثل بالإصلاح و بأفكار الثوره الفرنسيه و بأفكار عصر الأنوار. كما دعت إلى تحديث الدوله. يضاف إلى ذلك جهاد محمد على والى مصر و سعيه لتحديث الدوله و إدخال العلوم، لا سيما الحريه و الهندسيه و الطبيه، فكانت بعثاته حافزا على طلب المزيد من التقدم. هذا إلى جانب انتشار الدعوات القوميه و دعوات الاستقلال الوطنى.

فى ظل هذه الأوضاع على اختلافها كان الكواكبي المصلح. و ما سنتعرض له فيما يلى ليس إلا تتبعا مكثفا لأفكاره السياسيه و الاصلاحيه فنعرض عن التفاصيل التى نحيل إليها فى كتابنا عن الكواكبي، لتتعلق بجوهر مشروعه الاصلاحى. يلاحظ الكواكبي شان العديد من المصلحين ان الأزمه التى يعانى منها الشرق، ازمه سياسيه تولد عنها ما يعانى الناس فى هذه الامبراطوريه المتراميه الأرجاء من ضيق أو انحطاط أو فتور أو تأخر إلى ما هنالك من عبارات بعضها يأمل التخفيف، و بعضها يذكر بماض و بعضها يدفع التشاؤم ليضع الأمل فى تاريخ قريب يرجى معه الخلاص من كبوه اليوم. فبعد انتقاله إلى مصر من حلب و فى تقديمه لأولى مقالات كتابه "طبائع الاستبداد" يقول الكواكبي واضعا اليد على الجرح كما يقال:

"...أقول و أنا مسلم عربى مضطر للاكتتام... اننى هجرت ديارى سرحا فى الشرف و زرت مصر و اتخذتها لى مركزا ارجع اليه مغتتما عهد الحريه فيها... فوجدت أفكار سراه القوم فى مصر كما هى فى سائر الشرق خائضه عباب البحث فى المسأله الكبرى، أعنى المسأله الاجتماعيه فى الشرق عموما و فى المسلمين خصوصا. انما هم كسائر الباحثين، كل يذهب مذهبا فى سبب الانحطاط و فى ما هو الدواء".

ما يلاحظه الكواكبى بحق كان شغل العالم الإسلامى و المشرق العربى و ما زال. و إذا كان كتابه الأول "طبائع الاستبداد" قد اعتبر الاستبداد سببا عاما اثر على كافه المناحى العلميه و التربويه و الاقتصاديه فأفسد السياسه و أفسد الأحوال ففى كتابه الآخر "أم القرى" كان الكواكبى أكثر وضوحا و أكثر تفصيلا - فاتى و على لسان المندوبين المتعددين على أكثر من سبب فاعتبر الجهل، و فقدان الرابطة الدينيه، و فقدان الحريه و الشورى، أو الديمقراطيه بمفهوم غربى أعم، من جمله العوامل المؤديه لهذا التأخر الضارب فى أرض الإسلام و لا سيما فى مشرقه. علما ان المسأله لا تقتصر على العموميات فقط فقد وسع الكواكبى رأيه فى الحريه المسلوبه، أو الحريه المطلوبه لا- فرق. فأشار إلى الحريات السياسيه التى تغطى منهدمى الحق و الواجب، و تحدد السلطه و تفرض محاسبه الحاكم. و تحدث عن الحريه الشخصيه بمعنى حريه الاختيار. و تحدث عن الحريه بالمعنى الاجتماعى، بحيث يكون الإنسان آمنا فى بيته و مسكنه و موطنه يتعامل مع أخيه الإنسان على نفس المستوى الذى يؤمن العدل و المساواه. هذا إلى جانب حريه التعليم حتى بلغ به الأمر إلى حد اعتباره "الحريه روح الدين، فهى أعز شىء على الإنسان بعد حياته، و بفقدانها تفقد الآمال و تبطل الأعمال و تحدث النفوس و تعطل الشرائع و تختل القوانين".

و من مستلزمات الحريه، أو من المسائل المرافقه لها مسأله الشورى، و هى مسأله أثارها الكواكبى كما أثارها سواه إلا ان توقف الكواكبى عند هذه النقطه كان هاما و حساسا. و تقضى الفكره أساسا عوده لاستلهام روحه الدين الذى يدعو لجعل الأمر شورى بين المسلمين و وجوب استشاره أهل الحل و العقد، إلى جانب استشاره أهل العلم. هذا من جانب. و من جانب آخر يقضى الأمر اقامه مؤسسات سياسيه أقرب ما تكون إلى البرلمانات الغربيه التى تناقش الأمور و تبت بها و تكون حكما و وصيا على الدستور.

بمعنى آخر لا- بد من الخلاص من الحكم الفردى بامل إرساء نوع من الأمر الجماعى بحيث تكون السلطه محكومها بأكثر من رأى و موجه من أكثر من مصدر. و قد لا يعنى ذلك عوده الشورى كما مورست فى استخلاف عثمان (الخليفه الثالث) من قبل عمر بن الخطاب، بل إلى الروح التى قضت ان لا يكون الخيار فرديا، بل جماعيا. بعبارات أخرى لا بد من فهم الإشارات السياسيه كما فهمها السلف الصالح، ذلك السلف الذى فهم جوهر الدين نظريه و ممارسه ففهم معنى التوحيد، و فهم معنى المشاركه. يقول الكواكبى: "فان هؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى و مغزى القرآن النازل بلغتهم و عملوا به و اتخذوه اماما. فانشاوا حكومه قضت بالتساوى حتى بينهم أنفسهم و بين فقراء الأمه فى نعيم الحياه و شظفها و أحدثوا فى المسلمين عواطف اخوه و روابط هيئه اجتماعيه اشتراكيه لا- تكاد توجد بين أشقاء يعيشون باعاله أب واحد و فى حضانه أم واحده، لكل منهم وظيفه شخصيه، و وظيفه عائليه و وظيفه قوميه. على ان هذا الطراز السامى من الرئاسه هو ك.

١- فى هذه الفترة أيضا، وضعت العديد من المؤلفات التى تحدثت عن تقدم الغرب و تأخر المسلمين. محاولة تلمس الأسباب لذلك.

الطراز النبوي المحمدي الذي لم يخلفه فيه حقا غير أبي بكر ثم أخذ بالتناقص و صارت الأمة تطلبه و تبكيه من عهد عثمان إلى الآن، و سيدوم بكاؤها إلى يوم الدين إذا لم تنتبه لاستعواضه بطراز سياسي شوري، ذلك الطراز الذي اهتدت اليه بعض أمم الغرب، تلك الأمم التي، لربما يصح ان نقول، قد استفادت من الإسلام أكثر مما استفاده المسلمون.

(١) لن نعقب على النص بافاضه في الشرح، بل باستلها المبدأ السياسي الذي يتضمنه. فالواضح جدا ان الكواكبي انما يقصد أولا مقارنة الأوضاع السائدة في عصره بما تحوى من ظلم و تعسف و استبداد، اى من فلك سياسي عام بوضع سليم نموذجي ساد زمن النبي فالخلافه الراشده. و لا يعنى ذلك ضروره كما فهم بعض الدارسين رغبه الكواكبي في استعادته منصب الخلافه، أو في إعادته إلى العرب أيا كان الشكل الذي اقترح لذلك. (٢) على ان ما نستنتجه هنا انما يتجه أول الأمر إلى ذلك النمط من الحياه حيث ساد الانسجام الكلى فتره الخلافه الأولى. الانسجام بين السلطه و بين العامه - الرعيه. و الانسجام يولد الهدوء و الهدوء يولد التقدم و هذا ما حدث فعلا و لا مجال لإنكاره. و شرط الانسجام، أو أحد مقوماته الدين، الذى إذا ما طبق بشكل صحيح فسيقود حتما إلى هذا النوع من المساواه المنشوده بين السلطه و بين من تعمل من أجلهم. فالتساوى شرط الانسجام و به تمامه.

صحيح ان الكواكبي لم يتحدث عن السلطه باعتبارها مؤسسه سياسيه تاريخيه ظهرت في فتره محدوده و عليها ان تتطور تبعا للظروف التى قد تطرأ. و لذلك تبدو المساواه المنشوده أقرب إلى المساواه الطبيعيه إذا جاز التعبير. فالتساوى متساوون امام الله و لذلك لا بد من التساوى فيما بينهم.

فلذلك نجد غيابا للحديث عن مساواه بمعنى حقوقى أو قانونى الأمر الذى يفرض تحققها في كل الظروف التى تتوفر فيها مقوماتها. هذا ما يضى على عبارات الكواكبي المصلح نوعا من الشموليه و من الحنين، الحنين إلى فتره سالفه، إلى فتره تاريخيه معينه. و لا يعنى ذلك ان الكواكبي أحد دعاه السلفيه الذين يجهدون لاعاده تطبيق نماذج بعينها، نماذج لا مجال للحيده عنها. بل ان الكواكبي ليقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن للسياسه الحكيمه، السياسه التى اعتبرها علما مفقودا في الشرق، أو جديدا عليه على الأقل ان لها أسسا أولها الشورى، و ثانيها المساواه و ثالثها الاشتراكيه.

أما الشورى بنموذجها الأول، و بالصوره التى يراد الاقتباس منها فتعنى أولا الاحتكام إلى "الملا" أو إلى أصحاب الحل و العقد. و احياء الشورى يعنى احياء سنه لا بد منها بحيث لا يكون الحاكم الحكم الأول و الأخير، بشخصه و أخلاقه و تاريخه، بل العدد الأوفر لمن تتوفر فيهم شروط العداله، و الاتزان و العلم. يجهد الكواكبي بعد ذلك ليجعل من الشورى مبدأ سياسيا لا واقعه تاريخيه، الأمر الذى يكرسها مبدأ لا بد من استخدامه تحقيقا لأهداف عطلتها الممارسات اللاحقه، عطلتها الاجتهادات اللاحقه أيضا، خاصه تلك التى ارتبطت بفقهاء السلطه الذين يشن الكواكبي عليهم حمله شديده:

"و قد عدد الفقهاء من لا تقبل شهادتهم لسقوط عدالتهم فذكروا حتى من يأكل ماشيا فى الأسواق، و لكن شيطان الاستبداد أنساهم ان يفسقوا الأمراء الظالمين فيردوا شهاداتهم، و لعل الفقهاء يعذرون بسكوتهم هنا مع تشنيعهم على الظالمين فى مواقع أخرى، و لكن ما عذرهم فى تحويل معنى الآية: (و لتكن منكم امة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر) إلى ان هذا الفرض هو فرض كفايه لا- فرض عين؟ و المراد منه سيطره أفراد المسلمين على بعض، لا- إقامه فئه تسيطر على حكاهم كما اهتدت إلى ذلك الأمم الموفقه للخير، فخصصت منها جماعات باسم مجالس نواب وظيفتها السيطره و الاحتساب

على الاداره العموميه: السياسيه و الماليه و التشريعيه فتخلصوا بذلك من شامه الاستبداد" (٣).

هنا تبدو أفكار الكواكبي بأنصح ما يكون. فهو يتخذ موقفا نقديا صحيحا. إن ما حدث كان خطأ يجب ان لا يحدث، و إن حدث فيجب ان لا يستمر. ان الاماره مسئوليته تقع على من تتوفر فيه شروط معينه لا من تضعه الأقدار موضع السلطه. كذلك تعكس هذه الأفكار صفحه صعبه من التاريخ السياسى و الإسلامى، بشقيه الفعلى كما حدث فعلا و التشريعى الذى رافق تسلسل الحكومات بالتبرير حينا و بالتخفيف من وطاتها حينا آخر.

نعنى بذلك ان سلطه الحاكم، و من أجل استمراريه الحكومه - أى استمراريه الدوله - كانت إلى حد ما على الدوام بمعزل عن النقد. ففى أكثر الأحيان كان شخص السلطان - الخليفه أو سواه - فوق مجال النقد. و فى حالات تفسح الدوله و ظهور الدويلات المتعدده ظلت الألقاب تمنح يمينا و شمالا، و ظل التشريع السياسى يوجد المبررات. فتاره إماره ضروره، و تاره اماره استيلاء، و كان الحرص كل الحرص على وحده الأمه و هو حرص له ما يبرره، لكنه لم يكن دائما إلى جانب المصلحه العامه: ما قيل فى الاماره قيل ما يوازيه فى الوزاره إذ ميز الفكر السياسى بين وزير تفويض و وزير تنفيذ. و كان الأمر غالبا تشريع الحقبه التى سلفت و تبرير ما حدث فيها، لا التنظير لحقبه ستلى.

و الشورى بتحققها توصل إلى المساواه المنشوده. المساواه الطبيعیه حق كل إنسان بالتساوى مع أخيه الإنسان كما يتساوى الجميع امام رب الأ-كوان. ثم ان تامين الحريه بالشكل الذى أشرنا اليه أعلاه لا بد أن يكمل المساواه و يجعل منها لاحقا أو تحصيل حاصل. بل فطره أو مبدأ به قوام الإنسان كإنسان. فالتعديل الذى يراه الكواكبي انما يقوم على المعادله البسيطة المشار إليها و هى الأخوه فى الإنسانيه و هذا ما يقدم الوجه الإنسانى على تاليفه و أبحاثه. و هذا ما يعطى إصلاحه أيضا صيغه سلميه، بل مسالمة جدا، إذا ما قارنا كل ذلك بنوع الصراع الاجتماعى العنيف الذى جعل الأغنياء فى جانب و جعل الفقراء فى جانب آخر، و لا اعتقد أن مجرد الرغبة فى المساواه ستؤدى فعلا إلى تحقيقها.

و هذا ما يقودنا إلى المبدأ الاصلاحى الثالث. مبدأ الاشتراكيه، و استبقا لكل تأويل علينا أن لا ننظر إلى الاشتراكيه من زاويه الفكر السياسى السائد فى أيامنا و فى ما يعرف بالبلدان الاشتراكيه و الشيوعيه. ان ما ينشده الكواكبي ليس إلا ملامسه الجانب الاجتماعى إذا جاز القول. اى البحث فى الزاويه التى رأت فى السياسه غير الحكيمه، السياسه الاستبداديه سببا أدى إلى تفاوت فى تقسيم الثروه. بحيث تتجمع الثروه فى يد فئه قليله من الناس قد لا تزيد عن الخمسه بالمائه، لكنها نسبه ترفع من نفوذ أصحابها إلى درجه يصبحون معها الساده المتحلمين فى الإنتاج و فى الأسواق. و الأقسى من ذلك ان المجال المفتوح للربح هنا هو المجال البعيد عن العمل المجدى. المجال القائم على "الغلبه و الخداع" و هذا يعنى انعدام العمل الذى يعتبر بحد ذاته أساس القيمه التى يجب ان تقاس الثروات بموجبه.٦.

ص: ١٢٩

١- راجع كتابنا طبائع الكواكبي ص ٥٢.

٢- جعلت بعض الدراسات من الكواكبي رائد القوميه العربيه كما جعلت منه داعيه سلفيا يريد اعاده الخلافه إلى قريش و نقل مركزها إلى الحجاز. راجع سليمان موسى: الحركه العربيه.

كذلك يعنى التفاوت فى الثروه مسا بالأخلاق: "الإفراط بالثروه مهلكه للأخلاق الحميده، و هذا معنى الآيه (ان الإنسان ليظغى ان رآه استغنى). فضرر الثروات الافراديه فى جمهور الأمم أكثر من نفعها لأنها تمكن للاستبداد الداخلى فتجعل الناس صنفين عبيدا و اسيادا، و تقوى الاستبداد الخارجى فتسهل للأمم التى تغنى بغنى أفرادها التعدى على حريه و استقلال الأمم الضعيفه".

ما استقيناه من نص ليس إلا عبارات الكواكبي الذى وعى فعلا شر الاستبداد المالى المتمثل فى تكديس الثروه على الصعيدين الذاتى و الدولى. فالاستبداد الداخلى ليس إلا وصفا نفسيا دقيقا للنزعه التى تقوى فى الإنسان الميل للتسلط "فالمال يجر المال" يقول المثل الشعبى. و المال لا- يجر المال إلا بجر الرقاب عبيدا طائعين. و كلما وعى الفرد هذه الحقيقه مجردة أو معزوله عن الأخلاق أو عن الأخلاقيات كلما ازداد غطرسه و مجدا، أو تمجدا كما يقول الكواكبي فى بعض فصول كتابه طبائع الاستبداد.

أما الفكره الثانيه و التى تعتبر بالفعل فكره رائده فى عصره، فهى فكره تسلط الدول الغنيه (الأمم الأغنى) على الدول الفقيره. بتجاوزنا لكل العبارات الدارجة يمكننا القول و بكل بساطه، لقد وعى الكواكبي حقيقه الاستغلال، و من ثم الاستعمار. بل لقد أشار بوضوح إلى السبب الاقتصادى فى ذلك و هو السبب الأهم و عليه بنت النظريات السياسيه منذ أوائل القرن التاسع عشر و ما زالت تبنى. إلا- ان الكواكبي لا- يوسع نظريته، و الأصح القول نظرته، بل رؤيته. و يبقى الموضوع الأساسى موضوع الحلول. فالمصلح لا بد أن يضع حلولاً أو يقدم مشروع حل و إن مبسطاً.

"لا! لا! لا يطلب الفقير معاونه الغنى، انما يرجوه ان لا يظلمه، و لا يلتمس منه الرحمه، إنما يلتمس العداله. لا يؤمل منه الإنصاف انما يسأله أن لا يميته فى مزاحمه الحياه" (طبائع ١٧٠). و بعد ذلك يقول:

"ان العداله المطلقه تقتضى ان يؤخذ قسم من مال الأغنياء و يرد على الفقراء بحيث لا يحصل التعديل و لا يموت النشاط للعمل (طبائع ١٧١).

ما يبدو حلو لا هنا ليس كذلك فعلا فصيغه الفعل المبنى للمجهول " يؤخذ قسم من مال الأغنياء ليوزع على الفقراء " صيغه مبهمه لا يمكنها ان تكون أحلاما. و الحلول المبهمه، أو القائمه على مجرد الدعوه إلى الرحمه و الإنصاف و العداله لا تفيد فى تحقيق هذه المبادئ بل يخشى ان تكون عوناً للاستبداد الذى يشبع الرعيه مثل هذه التمنيات و يشبع هو بخيرات ماديه أخرى.

تعكس النظره الاصلاحيه التى يروج لها الكواكبي نظره انسانيه مهاده. علما انه تعرف كما تفيد الدراسات، و تفيدنا بعض عباراته بالذات على الأفكار السياسيه التى تقول بالصراع الطبقي. كما عرف ان ثمة أحزاب و جمعيات ترعى ذلك، و هى جمعيات مكونه من ملايين البشر و تدعو لملكيه الأراضى و المصانع و آلات العمل، "لأن تكون هذه مشتركه بين عامه الأمة".

و مع ذلك فقد لامس الكواكبي جوهر المسأله فى أكثر من موضع، خاصه فى رأيه بالمال الذى يعتقد انه "فيض إلهى أودعه الله تعالى فى الطبيعه و نواميسها و لا يملك اى لا يتخصص بإنسان إلا بعمل فيه أو بمقابله" (طبائع ١٧٠). فالعمل هو القيمه الحقيقه للمال. و هذا ما لا خلاف عليه. و قانون المال هو العمل إذ لا مال فى الطبيعه، بل فى العمل.

و العمل هو القانون الطبيعى. يكفى أن يقال من لا يعمل يمت جوعاً.

فناموس الطبيعه العمل، و الله لم يودع المال إلا- مجازا في الطبيعه. هكذا نصل إلى نتیجه أولى. فالتساوى في الأ-حوال يعنى التساوى في الأعمال. و هذا ما يريده الكواكبي فعلا مع اعترافه المسبق بعدم امكانيه ذلك من ناحيه مبدئيه. هذا ما تثبته الوقائع. أما الأخلاق، الأخلاق الاصلاحيه فتأبى إلا قلب المقاييس. إذ تقتضى العداله رفع التفاوت و تقتضى الإنسانيه ان يأخذ الراقى بيد السافل فيقر به من منزلته و يقاربه في معيشته و يعينه على الاستقلال في حياته.

صحيح ان الأخلاق هي الموحى للكواكبي في تصوراته، أو في تمنياته. لكن الأخلاق عنده ليست أخلاقا وضعيه تعارف عليها الناس أو ارتضى بها مجتمع ما. بل ان المنبع أو الدافع لهذه القيم الإنسانيه بنزعتها الأخلاقيه ليس إلا الدين. ففي الدين يجد الإنسان أساس نظامه الاجتماعى و أساس بنائه الأخلاقى. و هكذا نجد يشير باستمرار إلى اسم الانتظام العمومى، أو معيشه الاشتراك العمومى. و هذا ما يشرحه بقوله: " المراد بالانتظام العام معيشه الاشتراك العمومى التى أسسها الإنجيل بتخصيصه عشر الأموال للمساكين، و لكن لم يكده يخرج ذلك من القوه إلى الفعل. ثم أحدث الإسلام سنه الاشتراك على أتم نظام. و لكن لم تدم أيضا.

كان المسلمون لا يجدون من يدفعون لهم الصدقات و الكفارات، و ذلك ان الدوله الإسلاميه كما سبق بيانه أسست حكومه ارستقراطيه المبنى، ديموقراطيه الاداره، فوضعت للبشر قانونا مؤسسا على قاعده: ان المال هو قيمه الأعمال و لا يجتمع فى يد الأغنياء إلا بأنواع من الغلبه و الخداع" (طبائع ١٧٢).

مجددا يعيدنا الكواكبي للاحتذاء بالنموذج الإسلامى الأول، الذى جسده ذلك النوع من الاشتراك، و أمن كما قلنا نوعا من الانسجام و المساواه بين السلطه و بين المواطنين، بين الاداره و أجهزه الدوله (البسيطه آنذاك) و بين كافه الناس. و هنا تبدو عبارات الثروه العامه عبارات عامه فعلا، فإذا كان يعنى ذلك ما يتوفر فى " بيت المال " فان الحديث يعنى تحسين سبل الإنفاق فيما توفر أو تجمع. أو هل يعنى ذلك ما تملكه الدوله أو ما يقع تحت سلطتها و نفوذها من أراض و من أملاك؟ أيا كان الأمر فان الكواكبي لم ينظر إلى المسأله إلا من جانب واحد، و هو جانب العمل الذى لو فعله لكان أكثر انسجاما مع واقعته التى انطلق منها. إذ جعل الاستبداد سببا لكل تأخر، و رفع الاستبداد يعنى تامين الحريه بكل أشكالها. حريه الفرد و حريه الأسره و حريه الأمه و شعوبها. و هذا ما لم يغب عن باله بحال.

حاولنا على امتداد الصفحات السابقه إبراز نظره اجتماعيه منسجمه.

أو حاولنا إبراز وجه الإصلاح الاجتماعى الذى تاق اليه الكواكبي. فاهملنا نقاطا أخرى يمكن ان تكون بدورها من النقاط التى لا بد من التوقف عندها.

كرأيه فى التربيه، فى المرأه، فى الدين، أو كتصويره النفسى العميق بدلالته لمن يخضع للاستبداد، أو حتى للمستبد بالذات. و هي مواضع عالجه فى مؤلفاته.

كما يمكننا أيضا التطرق لبعض رؤاه السياسيه التى حملت أحيانا أكثر مما تحتمل كمنظرته إلى المسأله القوميه و ما يستنبط بذلك من تطلع إلى خلافه عربيه يقال انه اقترحها. علما ان الدعوات لاستقلال بعض المناطق عن جسم الدوله الأم كانت فى عصره امرا

شائعاً. و كانت الجمعيات المتعدده تدعو لذلك. و فى المقابل ظهرت أيضا الدعوات الطورانيه التى تنادى باحقية الترك و
أفضليه تناوبهم و استمراريتهم فى الحكم.

أيا كان الرأى الأخير فى الكواكبى المصلح يظل مرتبطا بشخصيه نموذجيه فى نضالها و فى رؤيتها. فالكواكبى لم يحمل قلمه من
موقع متعال إطلاقا بل من موقع المعانى شخصيا لآلام عصره و لتطلعاته أيضا. فمن جمله أقواله المأثوره " الأمه التى يشعر كلها أو
أكثرها بالأم الاستبداد لا

ص: ١٣٠

تستحق الحرية".

" و قبل مقاومه الاستبداد لا بد من تهيئه ما يستبدل به ".أمران متلازمان يجب عدم إهمال أحدهما أو تقديم أحدهما على الآخر. يجب ان يكون التغيير الاجتماعى عمله كليه يشارك المجموع فى صنعها مشاركتهم فى العناء من وطاه ما يتحملون من عواقب تفرض عليهم. و الأمر الثانى: لا- بد من وضوح المرحله التى ستلى. بعبارات أخرى ان التغيير المطلوب يجب ان يكون نتيجته دراسه واعيه، لا- قلب شخص أو الخلاص من مستبد. علما ان الكواكبي قد شرط معظم الأحيان استعمال اللين و عدم استخدام الشده.

بل لقد ذهب أحيانا إلى وجوب وجود المصلح و ضروره اعداده، أو أعداد من تتوفر فيه بعض الشروط. بهذه الطريقه يكفل المجتمع أحيانا ضمان الخلاص بالانتقال من مرحله صعبه إلى مرحله أكثر أمنا و سلاما. على ان يكون الاعداد إعدادا صحيحا مبنيا على العلم و المعرفة و قد شدد الكواكبي فعلا على ذلك.

بل يمكننا ان ننهى هذه الملاحظات بتأكيد شبه وحيد. ان كان الجهل سببا يؤدي إلى الفتور، فان العلم هو السلاح الوحيد الذى يدفع الجهل، و برفع الجهل لا بد ان يصل المجتمع نهضته و يحقق ترقيه. و من جميل أقواله فى ذلك: " و كانى بسائلكم يسألنى تاريخ التغالب بين الشرق و الغرب، فأجيب: بانا كنا ارقى من الغرب علما فنظاما فقوه، فكنا له اسياذا. ثم جاء حين من الدهر لحق بنا الغرب فصارت مزاحمه الحياه بيننا سجا: ان فقناه شجاعه فاقنا عددا و إن فقناه ثروه فاقنا باجتماع كلمته. ثم جاء الزمن الأخير ترقى فيه الغرب علما فنظاما فقوه " (طبائع ٢١١). انها كلمات معبره لا حاجه لشرحها، بل لآذان تسمع و تعى و تعمل بوحي مما به تتعظ.

الشيخ عبد الرسول بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ

محمد حسن صاحب الجواهر.

ولد سنه ١٣٠١ فى النجف و توفى فيها فى آخر ذى القعدة سنه ١٣٨٧ و دفن فى مقبرتهم بالنجف الأشرف. عالم فاضل فقيه اصولى تخرج عليه كثير من الأفاضل النجفيين و العاملين و غيرهم.

و تخرج هو على الشيخ على بن الشيخ - باقر الجواهرى - و السيد كاظم اليزدى و الشيخ محمد كاظم الخراسانى و الميرزا حسين النائينى - و السيد أبو تراب الخوانسارى. كان امام الجماعه عده سنوات فى مسجدهم فى النجف محلّه العماره. (١)

المهندس عبد الرزاق البغائرى بن المولى محسن بن المولى محرم على

ابن فتح على خان بن محمد قاسم خان السبزوارى.

ولد ١٢٨٦ و توفى فى ٢٥ شعبان ١٣٧٢ ولد فى سبزوارة و تعلم المبادئ و المقدمات بها و هاجر إلى طهران و انصرف إلى تعليم الحساب و الهندسه و الفلك و برع فيها و أصبح من كبار العلماء الرياضيين و المهندسين. ثم اشتغل بالتدريس و اشتهر صيته و حضر عنده عشرات من المهندسين و العلماء و الفضلاء. رسم خارطه ايران بامر من الدوله و عين الحدود الدوليه. و له كتاب فى

تعيين قبله البلدان طبع في حياته في طهران.(٢)

عبد الرزاق بن همام بن نافع.

مرت ترجمته في الصفحة ٤٧١ من المجلد السابع، و نزيد عليها هنا ما يلي: قال الذهبي في سير اعلام النبلاء:

الحافظ الكبير عالم اليمن. حدثنا محمد بن ليلي السري، قلت لعبد الرزاق ما رأيك أنت؟ - يعني في التفضيل - قال: فأبى ان يخبرني.

قال عبد الله بن احمد: سألت أبي: أ كان عبد الرزاق يفرط في التشيع؟ قال: اما انا فلم اسمع منه في هذا شيئا و لكن كان رجلا يعجبه اخبار الناس أو الاخبار..

سئل محمد بن أبي بكر المقدمي عن حديث لجعفر بن سليمان، فقلت: روى عنه عبد الرزاق، فقال: فقدت عبد الرزاق، ما أفسد جعفرًا غيري - يعني في التشيع - قلت انا: بل ما أفسد عبد الرزاق سوى جعفر ابن سليمان.

قال مخلد الشعيري: كنت عند عبد الرزاق فذكر رجل معاويه، فقال:

لا تقدر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان.

قال: عبد الله المسندي: ودعت ابن عيينه، فقلت: تريد عبد الرزاق؟ قال: أخاف ان يكون من الذين ضل سعيهم في الحياه الدنيا.

كان زيد بن المبارك قد لزم عبد الرزاق فأكثر عنه ثم حرف كتبه و لزم محمد بن ثور، فقيل له في ذلك، فقال: كنا عند عبد الرزاق " فحدثنا...

فلما قرأ قول عمر لعلي و العباس: فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، و جاء هذا يطلب ميراث امرأته. قال عبد الرزاق: انظروا إلى الأنوك، يقول: تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، و يطلب هذا ميراث زوجته من أبيها، لا يقول: رسول الله. قال زيد بن المبارك فلم أعد اليه و لا اروي عنه.

بلغ يحيى بن معين ان احمد بن حنبل تكلم في عبيد الله بن موسى بسبب التشيع، فقال يحيى: و الله العظيم، لقد سمعت من عبد الرزاق في هذا المعنى أكثر مما يقول عبيد الله بن موسى، و لكن خاف احمد بن حنبل ان تذهب رحلته إلى عبد الرزاق.

حدث عنه احمد بن الأزهر في مناقب الامام علي و تابعه عليه محمد بن علي بن سفيان الصنعاني.

قال: نظر رسول الله (ص) إلى علي فقال: أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، و حبيبي حبيب الله. و عدوك عدوى، و عدوى عدو الله، فالويل لمن أبغضك بعدى.

توفي عبد الرزاق سنة ٢١١.

الشيخ العالم العابد، شيخ الشيعة، أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، ثم النيسابوري مولى قريش، له فضل و جلاله، فيا ليته ثقه.

روى عن: مالك، و حماد بن زيد، و شريك، و عبد الوارث، و هشيم، و عبد السلام بن حرب، و ابن عيينه، و علي بن موسى الرضى، و عده.

حدث عنه: عباس الدوري، و أبو بكر بن أبي الدنيا، و أحمد بن أبي خيثمه، و محمد بن ضريس، و عبد الله بن أحمد، و الحسين بن إسحاق التستري، و خلق كثير.

و كان زاهدا متعبدا، أعجب به المؤمن لما رآه، و أدناه، و جعله من خاصته.

ص: ١٣١

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ محمد السامى.

قال أحمد بن سيار: قدم مرو غازيا. و لما أراد المأمون أن يظهر التجهم و خلق القرآن، جمع بين هذا و بين بشر بن غياث ليناظره.
قال:

و كان أبو الصلت يرد على أهل الأهواء من الجهميه و المرجئه و القدرية، فكلم بشرا غير مره بحضرة المأمون، و استظهر. ثم قال ابن سيار: ناظرته لأستخرجه فلم أره يغلو، و رأيته يقدم أبا بكر، و لا يذكر الصحابه إلا بالجميل. و قال: هذا مذهبي و ديني، إلا أن ثم أحاديث يرويها في المثالب.

قال ابن محرز: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت، فقال: ليس ممن يكذب و قال عباس: سمعت ابن معين، يوثق أبا الصلت. فذكر له حديث: "أنا مدينة العلم"، فقال: قد حدث به محمد بن جعفر الفيدي، عن أبي معاوية.

قلت: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، و كان هذا بارا بيحيى، و نحن نسمع من يحيى دائما، و نحتج بقوله في الرجال، ما لم يتبرهن لنا و هن رجل انفراد بتقويته، أو قوه من وهاه.

و قد ضرب أبو زرعه على حديث أبي الصلت.

و قال أبو حاتم: لم يكن عندي بصدوق.

و قال النسائي و غيره: ليس بثقه.

و قال الدارقطني: قيل عنه: إنه قال: كلب للعلويه خير من جميع بنى أميه.

قال حاتم بن يونس الجرجاني الحافظ: سألت ابن معين عنه، فقال:

صدوق أحقق.

و عن صالح بن محمد، قال: رأيت ابن معين جاء إلى أبي الصلت، فسلم عليه.

و عن أبي الصلت، قال: اختلفت إلى سفيان بن عيينه ثلاثين سنة أسأله، و كنت آتية و أنا صبي، و حججت خمسين حجه.

و عن محمد بن عاصم: سمعت أبا الصلت، يقول: أخذت من هؤلاء - يعني: الدوله - ألف ألف و ثلاث مائه ألف، و وضعت منها سبع مائه ألف في أهل الحرمين.

قال أبو زيد الضرير: حدثنا أبو الصلت، حدثنا علي بن عبد الرحمن، عن فلان، عن أبيه، قال: إذا خرج المهدي، نادى مناد: من كان له جار مرجئ، و عليه دين فليعه، و يقضى دينه. فسمعت مشايخ ممن حضر، يقولون: لما حدث أبو الصلت بهذا، قال أبو الوليد الحنفى لا: ليس ذا بمهدي، بل معتدى، يأمر ببيع الأحرار. و قاموا من عنده و تركوه.

مات أبو الصلت سنة ست و ثلاثين و مائتين في شوالها.

و له عدة أحاديث منكره. خرج له ابن ماجه. (انتهى).

تقول: كل ما جاء فيه من الذم سببه تشيعه.

الشيخ عبد الصاحب بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد حسن صاحب

الجواهر.

توفى سنة ١٣٥٢ هـ و دفن مع أجداده فى مقبرتهم المعروفه بالنجف الأشرف.

حضر على شيخ الشريعة الاصفهاني و السيد أبو الحسن الاصفهاني و الشيخ آغا ضياء الدين العراقي. و تتملذ عليه أفاضل فى النجف منهم الشيخ جعفر آل محبوبه و غيره.

له: تقريرات الأصول لاستاذه العراقي، و شرح التبصره و كتاب الإشارات و الدلائل فى ما تقدم و تأخر من الوسائل (مطبوع) و غيرها.

و رثاه الشيخ على بن الشيخ مير احمد الجواهرى بقصيده مطلعها:

هيهات ما لجرح بعد اليوم ملتئم كلا و لا الدمع عنه الجفن منظم

(١)

الشيخ عبد الصمد الخامنئى.

كان امام الجمعه فى خامنه ولد فيها و توفى سنة ١٣١١ هـ قال مؤلف المآثر و الآثار: ميرزا عبد الصمد الخامنجى [ال خامنئى]، أستاذ الأدب و حجه اللغة و المتضلع فى شعر العرب، صاحب الذوق السليم و القريحه الوقاده. له أشعار لطيفه فى شتى المواضيع من المدح و القريض و الرثاء و غيرها.

الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن ابى نصر المبارك بن أبى القاسم محمود

الجنابذى (الكنابادى) النيشابورى البغدادى المعروف بابن الأخضر

و الحافظ.

ولد فى بغداد سنة ٥٢٤ و توفى بها فى اليوم السادس من شهر شوال سنة ٦١١ و دفن بباب الحرب.

من أكابر الفقهاء محقق مؤرخ محدث قرأ على والده الشيخ أبى نصر المبارك الكنابادى النيشابورى و على بن بكتاش و سمع الحديث فى صغره و لم يكن لأحد من شيوخ بغداد أكثر من سماعه و صحب أبى الفضل ابن ناصر و سمع منه الحديث و

هو ابن ست سنوات و لازمه حتى مات و كان أول سماعه سنة ٥٣٠ و بعد وفاه استاذة المذكور جلس للتدريس في بغداد بداره في درب القيار من محال نهر المعلى في شرقي بغداد و تخرج عليه جماعه من العلماء و الفضلاء منهم ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ و تاج الدين على بن أنجب بن الساعى المتوفى سنة ٦٧٤ و ذكره تلميذه ياقوت الحموى في معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٢ تحت عنوان كلمه (جنابذ) و وصفه بأنه كان متعصبا للمذهب الحنبلى و لم يذكر مؤلفاته و قال (... و شيخنا عبد العزيز بن المبارك بن محمود الجنابذى الأصل البغدادي المولد و الدار يكنى أبا محمد بن أبى نصر بن أبى القاسم و يعرف بابن الأخصر يسكن درب القيار من محال نهر المعلى في شرقي بغداد سمع الكثير في صغره بافاده أبيه و على بن بكتاش و أكثر حتى لم يكن في أقرانه أوفر همه منه و لا- أكثر طلبا و صحب أبا الفضل بن ناصر و لازمه حتى مات و كان أول سماعه سنة ٥٣٠ و لم يكن لاحد من شيوخ بغداد الذين أدركناهم أكثر من سماعه مع ثقته و أمانه و صدق و معرفه تامه و كان حسن الأخلاق مزاحا له نوادر حلوه و صنفت مصنفات كثيره في علم الحديث مفيده و أخذ من الخطيب في كثير من كتبه و كان متعصبا لمذهب احمد بن حنبل سمعت عليه و أجاز لى و نعم الشيخ رحمه الله مات في سادس شوال سنة ٦١١ و دفن بباب حرب عن سبع و ثمانين سنة مولده سنة ٥٢٤).

أقول: له مؤلفات هامه في فضائل و معارف الأئمه [أئمه] أهل البيت ع أهداها للخلفاء الفاطميين بمصر مما يدل على تشيعه. فمؤلفاته في معارف الشيعة و أهل البيت ع و اهدائها للخلفاء الفاطميين بمصر معارض لما قاله ياقوت الحموى بتعصبه لابن حنبل. و الظاهر كان المترجم له يتستر من ياقوت و يتظاهر بالمذهب الحنبلى و ذلك لتعصب ياقوت. و قال شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى في الأنوار الساطعه ص ٩١ ردا على ياقوت الحموى (اما تعصبه لابن حنبل فمعارض بتأليفه في معارف أئمه أهل البيت و اهدائه للخلفاء الفاطميه بمصر).

من مؤلفاته: كتاب معالم العتره النبويه العليه و معارف الأئمه من أهل

ص: ١٣٢

١- السمامى.

البيت الفاطميه العلويه. و يكثر النقل عنه الوزير الشيخ بهاء الدين أبى الحسن على الإربلى المتوفى سنه ٦٩٢ فى كتابه (كشف الغمه عن معرفه أحوال الأئمه و أهل بيت العصمه (ع) و كذلك ينقل عنه مرارا سيدنا السيد محسن الأمين فى الخامس من كتابه (المجالس السنيه).^(١)

الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد على بن الشيخ

محمد حسن صاحب الجواهر.

ولد سنه ١٣٠٨ هـ فى النجف - و توفى بطهران سنه ١٤٠٦ عالم فاضل أديب مؤلف مكثر، كان استاذا فى الجامعه بطهران و له يد فى الفلسفه و الرياضيات و الطبيعيات. نشر كثيرا من المقالات فى المجالات كالمقتطف و العرفان و غيرهما.

من مؤلفاته: النهايه ي [فى] شرح و تحرير الكفايه، و آثار الشيعه الاماميه، و دائره المعارف الإسلاميه و ترجمه مقدمه ابن خلدون من العريه إلى الفارسيه، و تاريخ طهران و الرى، و ديوان شعر و ترجمه المثنوى المولوى فى سته دفاتر المسمى بجواهر الآثار و فهرس مكاتب ايران قبل الإسلام حتى العصر الحاضر و غيرها.^(٢)

الشيخ عبد الكريم بن الشيخ مهدى بن محمد باقر بن الشيخ على

الكرزى أو الجزى البرخوارى الاصفهانى.

شاعر أديب ولد فى قريه كز من ضواحي أصفهان سنه ١٢٦٠ و توفى ليله الخميس ١٣ ذى الحجه الحرام سنه ١٣٣٩ و دفن فى مقابر تخت فولاد باصفهان نشا فى قريه كز و أخذ اوليات العلوم بها ثم هاجر إلى أصفهان و قرأ على جملة من الأفاضل و حضر فى الفقه و الأصول على السيد محمد صادق الشهير بكتاب فروش و الميرزا محمد حسن النجفى ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى النجف و كربلاء فتخرج فى النجف على السيد حسين الترك و حاج ميرزا حسين الخليلي و الميرزا حبيب الله الرشتي و فى كربلاء حضر على الشيخ على نقى البرغانى الحائرى المعروف بمدرس الطف و غيرهم. ثم رجع إلى أصفهان و تصدر كرسى التدريس و الفتيا و القضاء و وصفه شيخنا آغا بزرك الطهرانى فى نقباء البشر قائلا (... و لما بلغ درجه ساميه فى العلم و الفضل مع تقى و ورع عاد إلى أصفهان مزودا بالإجازات من مشايخه الاجلاء، و اشتغل بالتدريس فى (مدرسه نيماورد) فالتفت حوله أفاضل الطلاب و المحصلون من أهل العلم ينهلون من معينه العذب فى الفقه و الأصول و غيرهما من العلوم، و قد تخرج عليه عدد كبير إذ لم ينقطع عن التدريس إلى آخر عمره حتى بعد أن رأس و أصبح من المراجع و كانت أوقاته مستغرقة فى حل الخصومات و قضاء حوائج الناس و غيرهما، و قد كان المترجم له من العلماء الأجلاء و الفقهاء المتبحرين، و العرفاء الصلحاء و رجال الدين و التقوى و الورع و الزهد فى حطام الدنيا، كما كان من أهل الأخلاق الفاضله و المعاشره الحسنه، و التواضع للناس و الاهتمام بشئونهم، و التصدى لخدمتهم لذلك حظى بإقبال الخواص و العوام و أحبته القلوب، و أصاب رئاسه كبيره و شهره واسعه و صار مرجعا مبجلا محترما لدى كافه الطبقات يرجعون اليه فى الخصومات و المرافعات، فكان مجلسه محكمه شرعيه و قوله الفصل و حكمه العدل لانه عرف بالورع و العداله و الإنصاف و التروى فى كل الأمور و كان على جلالته و مكانته بسيطا فى مظهره و ملبسه و مجلسه، يجالس الفقراء و يلاطفهم و يجيب دعواتهم له فى القرى و الأرياف و يأكل معهم و كان اريحى الطبع لا يتوقف عن المزاح المحتشم و لا تفوته النكته المؤدبه، و من أجل ذلك كان

الكل يرغبون في مجالسته و يكثر من الاختلاف اليه... (٣) و قال السيد مصلح الدين المهدوي في كتابه ما يقارب من هذا الكلام و له مؤلفات هامه طبع قسم منها. و من مؤلفاته ترجمه الدرر ترجم فيها كلمات (أمير المؤمنين ع من نهج البلاغه، اجمالى در احوالات بيغمبر أكرم (ص)، خمسه طيبه مجموعه من أشعاره فى مناقب و مرثى الأئمه، ديوان قصائد و غزليات، ديوان غزليات و رباعيات، شمس و قهقهه، ضياء الابصار فى أحوال الاطهار، ديوان باسم گلزار [گلزار] تذكره القبور و هو فى تراجم العلماء المدفونين فى أصفهان مطبوع، أصول الدين مطبوع، صيغ العقود و الإيقاعات مطبوع منظومه أنوار ديوان شعر و ترجم له أيضا شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى كتابه مصفى المقالى [المقال] فى مصفى علم الرجال ص ٢٣٣ قائلًا- (كان جامع العلم و العمل و العرفان و صاحب الذوق و النطق و البيان مدرسا فى مدرسه (نيماورد) باصفهان و ربي جمعا كثيرا من فضلاء الزمان و كتب (تذکره القبور) فى تذکار العلماء المدفونين باصفهان و طبع سنه ١٣٢٤ و طبع ثانيا مع إلحاقات كثيره بعنوان رجال أصفهان). (٤)

الشيخ عبد اللطيف بن شمس الدين على الواعظ البيرجندى

المتوفى بعد سنه ٩١٧.

كان من علماء عصره خطيب متكلم محقق مؤلف من أشهر مؤلفاته كتاب قصص الأنبياء شرع بتأليفه فى شوال سنه ٩١٧ مرتب على أبواب و يختلف عدد الأبواب مع اختلاف النسخ و منها نسخه فى المكتبه الرضويه كما فى الفهرست ج ٧ ص ١٤٤ و نسخه منها فى طاشقند فى ازبكيستان بالاتحاد السوفيتى و نسخه فى برلين و منها نسخه فى مكتبه مجلس الشورى بطهران و غيرها و ذكره شيخنا الأستاذ فى الذريعه ج ١٧ ص ١٠٣ و نجله احمد منزوى فى فهرست المخطوطات الفارسيه ج ٦ ص ٤٥١٣. (٥)

الشيخ عبد اللطيف بن الحاج عباس على بن شاه نظر بن محمد بن

احمد بن منصور بن رحيم السامى الحائرى الشهير بتنكابنى.

ولد فى ١٣٣٠ فى رامسر و توفى ٤ ذى الحجه الحرام سنه ١٤٠٠ فى قم و دفن بها.

ولد فى رامسر و فى الثامن من عمره بدأ بقراءه المتون الأدبيه و فى سنه ١٣٤٢ دخل المدرسه العلميه و اشتغل بتعلم المقدمات عند عبد الوهاب بن محمد حسين الفريد و الشيخ على أكبر الفلكى و فى سنه ١٣٤٦ ذهب إلى قزوین و سكن فى المدرسه الالتفاته و حضر عند الآقا رضا قافله باشيالحاشيه فى المنطق و شرح النظام و السيوطى ثم ذهب إلى مشهد الرضا (ع) و سكن فى مدرسه بريزاد ثم حضر عند الأديب النيشابورى كتاب المطول و حضر عند الميرزا احمد اليزدى الشهير بنهنكك خلاصه الحساب و شرح اللغه و الهيئه و حضر عند بعض الاعلام كتاب القوانين و الشرائع و شرح المنظومه و فى سنه ١٣٤٩ عاد إلى قم و بقى مده قليله ثم ذهب إلى طهران و اشتغل على الميرزا مهدي الآشتياني فى الفلسفه ثم ذهب فى أوائل سنه ١٣٥١ إلى النجف الأشرف و حضر السطوح العاليه على الشيخ حسين الأهري و الشيخ مرتضى الطالقانى و السيد على النورى و شمس العشق آبادى و السيد محمد هادى الحسينى الميلانى و ذهب إلى كربلاء و بقى مده مشتغلا على الشيخ محمد رضا الاصفهانى ثم عاد مره اخرى إلى النجف الأشرف فحضر بحث الشيخ كاظم الشيرازى و السيد أبو الحسن الأصفهانى و فى سنه ١٣٥٨ عاد إلى كربلاء فبقى مستفيدا فيها فى أبحاث الحاج الآقا

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- السامى.
- ٣- نقباء البشر ج ٣ ص ١١٨٣ الطبعة الأولى.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- الصالحى.

حسين الطباطبائي القمي إلى حين وفاته و بعد وفاته عاد إلى النجف الأشرف فحضر بحث الميرزا عبد الهادي الشيرازي و السيد محسن الطباطبائي الحكيم و السيد حسين الحماي و الميرزا آقا الإصطهباناتي و الميرزا حسن البجنوردي و الميرزا هاشم الآملي و السيد محمود الشاهرودي و السيد أبو القاسم الخوئي و في سنة ١٣٩١ عاد إلى رامسر و سكن بها مشغلا بقضاء حوائج العامة و إمامه الجماعة إلى أن مرض و اشتدت به الآلام و الأسقام و جىء به إلى طهران للتداوى ثم ذهب إلى قم للزياره و الاستراحه فتوفى بها و دفن بوادي البقيع في طريق مسجد الجمكران - له مؤلفات منها:

١ - تقارير الميرزا عبد الهادي الشيرازي (في الفقه).

٢ - تقارير السيد أبو القاسم الخوئي (في الأصول).

٣ - تقارير الميرزا هاشم الآملي (في الفقه).

في عدة مجلدات لم تخرج إلى البياض.

٤ - رساله في صلاه المسافرين.

٥ - رساله في حمل الجنائز.

٦ - رساله في السجود على التربه.

٧ - زنادقه در إسلام كتاب فارسي في الرد على الحلوليه و الصوفيه و الفلاسفه و الماديين.

٨ - تعليقه على تعليقه الشيخ محمد حسين الأصفهاني على المكاسب.

٩ - شناخت امام زمان يا امام شناسي - كتاب فارسي حول الامام المنتظر - ع -.

و هو يروى عن الشيخ آقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعه و أعقب اربعة أولاد هم الشيخ محمد و حسن و حسين و فاروق و الشيخ محمد هو الباحث المحقق مؤلف كتاب بزرگان رامسر و وفيات اعلام الشيعه و بزرگان تنكابن و غيره.

الشيخ عبد الله بن الشيخ احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيعيه ابن

الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر ابن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن

راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المطيرفي الاحسائي

المتوفى حدود سنة ١٢٧٣.

من أهل الفضل يمتاز بطهاره القلب و طيب السريره و المعروف انه أصغر أولاد أبيه و من أم واحده مع شقيقه الشيخ محمد تقى

و الشيخ على نقى ولد فى الإحساء و قرأ على فضلائها و تخرج فى الفقه و الأصول و الأخبار على والده و المولى الشهيد البرغانى و أخيه الشيخ محمد صالح البرغانى فى المدرسه الصالحيه بقزوين و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند ملا آغا الحكمى القزوينى و المولى ملا على البرغانى. و كان من العلماء الذين شاركوا فى مجلس مناظره أبيه فى ديوان الشهيد البرغانى بقزوين و كان يميل إلى أخيه الشيخ محمد تقى الاحسائى الذى كان ينكر على أبيه طريقته أشد الإنكار و لازم أباه فى السفر و الحضر و كان معه فى سفر الحج الأخير مع جمع من أصحابه و هو السفر الذى توفى اثناءه أبوه بمنزل هديه قبل وصولهم المدينه بثلاث مراحل و ذلك فى يوم الأحد ٢١ ذى القعدة الحرام سنه ١٢٤١ ثم رجع المترجم له إلى ايران و سكن قزوين و يستفاد من بعض الأمارات انه كان يميل إلى أخيه الشيخ محمد تقى الذى كان ينكر على أبيه طريقته و التجأ اليه و لازمه سنين فى قزوين ثم انتقل إلى كرمانشاه حيث خلف أبوه بعض القرى و الأملاك الزراعيه و هو ما وهبه له محمد على ميرزا دولت شاه نجل السلطان فتح على الشاه القاجارى و ذكره شيخنا الأستاذ فى الكرام البرره قال (... عالم فاضل و كان من أهل العلم و الفضل و الكمال و المعرفه ألف رساله خاصه فى ترجمه والده أشرنا إليها فى الذريعه ج ٤ ص ١٥١ و قد ترجمت إلى الفارسيه... و يظهر من الرساله انه كان مع والده فى جملة أسفاره و منها سفر الحج الأخير الذى توفى فيه و كان سنه ١٢٤١ و قد انتقل اليه بعض كتب أبيه منها حاشيه العميدى تملكه فى سنه ١٢٤٤...) (١) أقول: هناك رساله منسوبه إلى المترجم له ترجم فيها والده الشيخ احمد الاحسائى المتوفى سنه ١٢٤١ هجرية ترجمه مفصله رتبها على سته أبواب سادسها فى ذكر أسماء تصانيفه و ترجمها إلى الفارسيه محمد طاهر طبقت [طبعت] فى بمبئى سنه ١٣٠٩ فى ٩٦ صفحه و فى آخرها ألحق صوره إجازات مشايخه له بالعريه و الإجازة الأولى للشيخ حسين آل العصفور و الإجازة الثانيه للشيخ احمد البحرانى الدمستانى و الإجازة الثالثه للسيد ميرزا مهدى الشهرستانى الحائرى و الإجازة الرابعه للسيد على الطباطبائى الحائرى صاحب الرياض و الإجازة الخامسه للسيد مهدى الطباطبائى بحر العلوم و الإجازة السادسه للشيخ جعفر النجفى صاحب كشف الغطاء و عندنا نسخه منها و لم أقف على الأصل العربى حتى اليوم. (٢)

المولى عبد الله بن المولى محمد الكسكرى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٣٠، توفى بعد ١٢٨٧.

انتقل أبوه من كسكر (جيلان) إلى تنكابن و توفى بها حدود ١٢٥٠.

ولد فى تنكابن و نشأ بها ثم ذهب إلى أصفهان و أخذ العلوم عن اعلامها ثم رجع إلى تنكابن و ذهب إلى رودسر و بقى إلى أن توفى بها.

قال عنه السيد إسماعيل الحسينى التنكابنى فى نضره الناظرين: الفاضل الكامل العامل المولى عبد الله بن المولى محمد الكسكرى نزيل (مدينه) رودسر، رجل فاضل و جيه مشغول بامر الرئاسه.. (٣)

عبد المطلب الأمين

مرت ترجمته فى موضعها، كما مرت عنه دراسه فى المجلد الثانى من المستدركات، و نشر عنه هنا هذه الكلمه لأحد النقاد:

تستطيع ان تطلق على السيد عبد المطلب الأمين صفه الشاعر و الأديب و الصحافى و القانونى و الدبلوماسى و الادارى و الفقيه دون ان تتجاوز الواقع، فقد كان الرجل ذلك كله وفق ما يعترف به اصدقائه و عارفوه و المقربون اليه و من عايشوه عن قرب، و بالإمكان ان تتناول كل صفه من تلك الصفات عنوانا لبحث أو مقال و تجد بين يديك ما يكفى من دقق المعرفه و ما تتخذه مستندا و دليلا..

و كدليل على النبوغ انه كان يوصف بنموذج فريد لمواهب عده تتجمع فى شخص واحد، و قد هفت اليه الأسماع و أنشدت اليه الأذهان، و يظل الحفل أو الاجتماع غير مكتمل حتى ياتى عبد المطلب الأمين فيملؤه دعابه أو أدبا أو حديث سياسه أو شعرا، و من شان هذه الصفات جعل صاحبها مقربا من الجميع يضع الكلمه فى مكانها و الرأى فى محله بحيث يجد فيه الكل قريبا من نفسه و من مشاعره، أشبه بالحقل الذى يموج بكل العطاءات و الأضواء و الظلال.

يضاف إلى ذلك انه كان ثاقب النظره يعرف مكان الخطا و الصواب، و ما يجب أن يكون عليه المجتمع و الحكم و الناس، و كيف يجب أن تكون الحقوق و الواجبات و لعل أكثر ما مكنه من ذلك شاعريته المرهفه و تمرسه فى القضاء و الدبلوماسيه و الأدب و الصحافه و السياسه التى الم بمدخلها و مخارجها من غير ان يحرق أصابعه كما يقال، فقد ظل رجل رأى سديد و نظره واقعيه و مستقبليه.

ص: ١٣٤

١- الشيخ آغا بزرك الطهرانى الكرام البره فى القرن الثالث بعد العشره ح [ج] ٢ ص ٧٦٨-٧٦٩.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السامى.

ولعل نشأته في بيت والده العلامة السيد محسن الأمين جعلت حياته حافلة بالعطاء فقد تربي على الفقه و الشعر و البلاغه و التنقيب في بطون الكتب و استخلاص الغث من السمين و الوصول إلى الحقيقه يدونها و يقرها بعد تمحيص مع الاحتفاظ بطبيعته ابن الجنوب الطيب و المضياف و الثائر و المناهض لكل أنواع الظلم و التجنى و اعتماد مبدأ الصراحه و الوضوح إضافة إلى طبيعته الشاعر و السليقة التي تعطى صاحبها صفات مميزة، فهو انى تلفت في نشأته وجد الكتب القديمه و الحديثه، إضافة إلى ما عند والده و أشقائه من فقه و شعر و أدب.

ثم ان عمله في حقل المحاماه و القضاء و الصحافه مكنه من معرفه ما يحيط به و أدرك التوجهات و الدخائل مما جعله ملما بالحياه العامه مدركا لما يجب ان يكون و ما يحتاج إلى الإصلاح و ما هو الأساس الذي يمكن إعلاء البناء عليه مع الثقه و الطمأنينه إلى المستقبل الذي لا بد من تخيل صورته قبل الوصول اليه، و لم يمنعه ذلك كله من ان يكون فكها مرحا يبتكر النكته أو يستنبطها أو يقود الحديث و المناسبه إليها كدليل على سرعه الخاطر.

و قد مكنته نشأته في بيت العلم أن يكون من الرعيل الأول من المتعلمين الذين تابعوا تحصيلهم، و قد نال إجازته في الحقوق عام ١٩٣٩، و اتقن العربية و الفرنسيه و الإنكليزيه و الروسيه و الفارسيه و هي ثروه جعلته يطلع على التيارات الفكرية المختلفه بلغه ابنائها، و يقرأ عباقره الشعر و القصه و الروايه و الإصلاح إضافة إلى ما توفر له منذ نشأته من أدب و فقه و تاريخ خصوصا ما يتعلق برسالة النبي العظيم. و قد الم بحضوره الشرق و الغرب، أما الشعر فحسبه انه كان إلى جانب والده واحدا من اخوته الشعراء هاشم و حسن و جعفر، و عرف عنه انه غزير الإنتاج يتدفق منه الشعر كأنه يملك ناصيته في ثوبه الكلاسيكي و ما يوصف بالحديث أو المنشور و الحر، يساعده على ذلك امتلاكه زمام اللغه و ما فيها من جناس و بديع و جزاله و سلاسه.

و كما كان لامرتين الشاعر الفرنسي يصف نفسه بأنه يكتب الشعر كما يغرد العصفور و يتدفق الشلال، و يدبج هوامش كتاب بين يديه، كذلك عبد المطلب الأمين إذ كان يدون ما يفيض به خاطره على بياض صحيفه بين يديه و حتى على علبة السجائر سواء كان في السيارة أو بين الناس أو في اجتماع عام، و هذا ما يؤثر عن شوقي أمير الشعراء الذي كان ينطق بالشعر في أي من المناسبات و حتى في السيارة و الترام و الأماكن العامه.

و لم يكتف الشاعر الأمين بذلك فقد عمل كما أشرنا في حقل القضاء و المحاماه إضافة إلى انه كان يوصف بأنه دائره معارف يأتيه المعجبون للاستقاء من معارفه في القانون المدني و الفقه و الشريعة و مراجعه الكتب الإسلاميه و تاريخ آل البيت النبوي الشريف إضافة إلى مراسلات العديد من كبريات الصحف العربيه. و عند ما عين سفيرا لسوريا في موسكو حقق نجاحا دبلوماسيا لفت اليه الأنظار و شد الانتباه فكان موضع تقدير و احترام و محور نشاط و تحرك ايجابي. و سبق ذلك ان عمل في حقل التعليم إلى جانب الشاعر الكبير بدوي الجبل.

و الذي جعله يلم بالظروف العربيه العامه انه درس الحقوق في دمشق و عمل قاضيا في لبنان و محاميا في الكويت و مدرسا في دار المعلمين في بغداد و سفيرا لسوريا في موسكو و قاضيا في لبنان و صحافيا في دمشق و موظفا بصفه رئيس قسم التوجيه في وزاره الدفاع السوريه حتى النكسه نتيجته العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧، و بعد ذلك كله امضى ما تبقى من حياته في بيت متواضع في محله النهر بشرق العاصمه بيروت.

و إذا كان لم يلجا إلى الفلسفه كصاحب نظريه خاصه، فقد كانت الحياه بالنسبه اليه مجرد محطه و ليست هدفا كل ما فيها انها تغنى تجارب الإنسان و تضيف إلى معارفه الكثير مما يحتاجه فهو يقول:

و دروب الحياه مهما استطالت هي في خطونا الملح دروب

و يقول أيضا:

تضائل العمر و انهارت مهابته حتى استحال تساجيعا و أوزانا

و يستشف الشاعر ذلك من تربيته الدينيه و الفلسفه الإسلاميه فهو يسأل و لكن ليس على طريقه إيليا أبو ماضي في قصيدته الطويله - الطلاسم -:

إلى أين يمضى بنا ركبنا عنيفا لجوجا على عمرنا

و حتام يعصف فينا القضاء و تودى الرياح باسمالنا

أ كنا من الكون العوبه و هل أبدع الكون إلا لنا

و يصل إلى السؤال الذى لا جواب له:

و من ذا يجيب على سؤلنا أ صمت المقادير أم صمتنا

و من حق الشاعر بعد شوط متعدد الوجوه فى الحياه أن يجد نفسه كثير التساؤل و قد اختزن فى نفسه المزيد من المعلومات و التجارب السياسيه و الاجتماعيه و الحركات الشعبيه و فى مقدمها العدوان الاسرائيلى لا سيما عام ٦٧، و حسبه انه شاعر، أى مرآه تنعكس على صفحتها الأضواء و الظلال، و فى هذا يقول عنه الدكتور حسين مروه (يملك العده الكافيه، بل الغنيه لدقه الاختيار و براعه الاستصفاء، ثم لأحكام البناء الشعري و إتقانه، إضافة إلى امتلاكه الوثيق لكل أدوات اللغه الشعريه و قواعد النحو و العروض).

و يمكن وصف السيد عبد المطلب الأمين بأنه ارتبط بجبل عامل و تراثه الشعري و الأدبي و الفقهي مع الأخذ بمنحى التجديد من غير انقطاع عن الكلاسيكيه، و على سبيل المثال تهزه جريمه اغتيال الكاتب و الصحفى الفلسطينى غسان كنفانى فيقول:

قد كنت الكلمه الكل الكل الكلمه

كالبرعم و الصلد كالصخر و كالورد

لا بدء بلا كلمه لا شىء بلا كلمه

لا مجد بلا كلمه لكن الكلمه...

من فمك المفصول عن الرأس من صدرك هذا الراسى

هذا المفتوح على عكا هذا المعشوشب بالحب

بالنار و بالحق شىء يخرس كل الناس

و يستوحى الشاعر ما يمر به و يشاهده و يتعرض له فى حياته فقد وجد نفسه مثلا و هو فى سلك القضاء يحاكم متهمين شتان
بين جرائمهم و جرائم من هم فى مراكز عاليه و أماكن أشبه ما تكون بمكانه امرأه القيصر. و هذا ما اثر فيه و عكسه شعرا:

فالبيت قصر الأثرياء و القدس و كر الأدياء

و روائح البترول تزكم انف كل الأنبياء

تطغى على نتن الجريمة من دهاليز الثراء

و الحاكمون الداعرون تعودوا شرف البغاء

ص: ١٣٥

الفوااريكات النفاق على متاهات الرباء

يا شعب جرحك فى يدىك و بين كفيك الدواء

و تهزه نكسه عام ١٩٦٧ من الأعماق و تغير مجرى حياته ليس لأنه كان يعيش الحلم و انما الحاضر الذى يراه ثوره و اندفاعا فى العيون العريبه التى اعتادت أن ترى رايات المجد تخفق فوق الربوع محصنه باراده جماعيه يصعب اختراقها و يعبر عن ذلك بقوله:

و يريدون ان أغنى و أشدو فى زوايا مقابر الأحياء

و يحاول عبد المطلب الأمين ان يظل تعبيرا حيا للواقع بافراحه و أتراحه شعرا و نقدا و يلجا إلى الفكاهه حتى لكأنها جزء منه فهو يقولها على السجيه و يكاد يجدها فى كل حركه سواء لدى الزعماء بصوره خاصه أو لدى من يعايشهم بصوره عامه، و يجد فى النكته التعبير المرضى للعديد من جوانب تفكيره و تطلعاته، و يرضيه ان يجد الصدى المستحب حتى بات محور الحديث و لا تكون الجلسه ممتعه إلا عند ما يكون عبد المطلب الأمين.

و الذين يضحكون الناس يكونون عاده أكثر شقاء حتى إذا انطوى عليهم الليل أو عزلتهم الوحده و التأمل ذرفوا الدموع الساخنه و بكت قلوبهم بالألم و الجرح المفتوح، فهم عاجزون عن قبول الواقع كما هو، و عاجزون عن تغييره فتكون وسيلتهم إرسال القوافى الصارخه أو الألحان المعبره، و أكثر ما يتركهم عرضه لهزات المشاعر العنيفه انهم لا- يستطيعون البعد أو الابتعاد عن مسيره الحياه لأنهم مشاركون فيها بفكرهم و أدبهم و تأملاتهم و ما منحوا من صدق الاحساس و المشاعر.

و يصفه الدكتور حسين مروه بقوله: (طاقه بحجم طموحه تتوزع فى طاقات، كل واحده منها بحجم الطاقه - الأم: ثقافه مكتنزه عمقا و شمولاً، شاعريه مرهفه لها شفافية الصحو الربيعى المشمس، نفاذ فكرى يخترق الظاهره الكثيفه إلى جوهرها اللطيف بلمحه واحده لها وهج شلال من الضوء، قدره على الكيف فى مناخ كل ممارسه و كل سلوك و كل بيئه بشريه، صلابه فى الموقف المبدئى لها تماسك الفولاذ و مرونته فى وقت معا..).

و هذه صورته صحيحه لذلك الشاعر الأديب الناقد الدبلوماسى السياسى الصحافى صاحب الفكاهه و العلم الغزير و مع ذلك تجد الحيره و الاضطراب و القلق و الغربه عند عبد المطلب الأمين فهو يكثر من السؤال:

فى أى صقع استقر و اسكن و لأى ظل استريح و اركن

من كل أرض فى نعالى غبره و لكل ربح فى ثيابى مسكن

الليل بيدائى على ظلماته تاهت خطاى و ضاع ما أتبين

عبيد الله بن موسى العيسى.

مرت ترجمته فى الصفحه ١٣٧ من المجلد الثامن، و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال الذهبي في (سير اعلام النبلاء): الامام الحافظ، أول من صنف المسند على ترتيب الصحابه بالكوفه، كما ان أبا داود الطيالسي أول من صنف المسند من البصريين على ما نقله الخليلي في إرشاده. و كان من حفاظ الحديث مجودا للقرآن، و تصدر للإقراء و التحديث. و حدث عنه احمد بن حنبل قليلا و كان يكرهه لبدعه فيه (يقصد بها التشيع)، و حقه ابن معين. و حديثه في الكتب الستة، قلت: كان صاحب عباده و ليل صحب حمزه و تخلق بآدابه الا في التشيع المشؤوم فإنه اخذه عن أهل بلده المؤسس على البدعه.

قال احمد بن حنبل: حدث بأحاديث سوء و أخرج تلك البلايا فحدث بها. قال ابن منده كان احمد بن حنبل يدل الناس على عبيد الله، و كان معروفا بالرفض، لم يدع أحدا اسمه معاويه يدخل داره، فقيل: دخل عليه معاويه بن صالح الأشعري، فقال ما اسمك؟ قال: معاويه. قال: و الله لا حدثتك و لا حدثت قوما أنت فيهم.

الشيخ عبد المنعم بن عبد المحسن الخاقاني.

ولد في ١٣٢٧ و توفي ١٤٠٥.

ولد في سوق الشيوخ و تعلم القراءه و الكتابه بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و اشتغل عند بعض بني عمه بتعلم النحو و الصرف و المعاني و البيان ثم أخذ السطوح من الفضلاء و حضر بحث السيد أبو القاسم الخوئي في الفقه و الأصول و حضر في الكلام و التفسير عند الشيخ محمد جواد البلاغي ثم اشتغل بالتدريس في النجف الأشرف - هاجر في حدود ١٣٧٠ إلى مدينه عبادان للهدايه و الإرشاد.

و عند ما قامت الحرب الإيرانيه العراقيه هاجر إلى قم و بقي بها إلى وفاته و دفن في مقبره (باغ بهشت).

كان على جانب عظيم من الزهد و التقوى قليل الكلام كثير الصمت موقرا مبجلا و كان شاعرا.(١)

الميرزا عبد الهادي القزويني.

توفي سنه ٩٧٦ في قزوین و دفن في صحن روضه شاه زاده حسين بن الامام الرضا ع من حملة العلم و الفضل و نوابغ علماء الرياضيات أديب متبحر و شاعر مبدع و خطاط ماهر. برع في الموسيقى و اشتهر في هذا الفن تخرج على جملة من علماء قزوین و اختص بزواج أخته مالک الديلمي القزويني المتوفى سنه ٩٦٩ و أخذ كثيرا من العلوم منه خاصة في فن الخط.

و كان المترجم له من أمهر الخطاطين في العصر الصفوي ذكره صاحب گلستان هنر و نقل عنه الدكتور مهدي بياني في كتابه (أحوال و آثار خوشنویسان) الجزء الثاني صفحه ٤٢٢.(٢)

عبد الواسع بن محمد قاسم الجيلاني الرامسري.

من علماء مدينه رامسر رأيت له تعاليق على كتاب شرح التجريد تدل على فضله كتبها في سنه ١٢٣٧ في مدينه قزوین و صرح في نهايتها بأنه من مدينه رامسر (سنحت سر [سخت سر]) (٣)

عبد الواسع بن موسى بن حسين النحوى الرامسرى.

ولد حدود ١٢٥٠ و توفى أوائل القرن الرابع عشر ولد فى رامسر و درس فى أصفهان ثم رجع إلى موطنه فاشتغل بالتدريس و التأليف، و له تعليقات على بعض الكتب العلميه و كان ينظم الشعر باللغه الفارسيه. (٤).

الشيخ الميرزا عبد الوهاب الشريف بن الشيخ محمد على بن الشيخ

عبد الكريم (صاحب كتاب نظم الغرر) ابن الشيخ محمد يحيى (صاحب

ترجمان اللغه) ابن الشيخ محمد شفيح (صاحب كتاب تميم أبواب

الجنان) ابن الشيخ رفيع الدين محمد (صاحب كتاب أبواب الجنان) ابن

الشيخ فتح الله القزوينى.

توفى فى النجف الأشرف سنه ١٢٧٠ داخل الروضه الحيدريه امام الضريح المطهر و دفن داخل الحرم الشريف من جهه الشرق
محقق مؤلف

ص: ١٣٦

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السامى.

٤- السامى.

مكثر ولد في قزوین و أخذ المقدمات على أبيه و جمع من اعلام قزوین ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى متنقلا بين كربلاء و النجف و الكاظميه فحضر على كوكبه عظيمه من فحول علماء عصره منهم في كربلاء المؤسس الوحيد آغا باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٥ و السيد على الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٣١ و نجله السيد محمد المجاهد المتوفى سنة ١٢٤٢ و شريف العلماء المازندراني الحائري المتوفى سنة ١٢٤٦ و حضر في النجف الأشرف على السيد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ و الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ و نجله الشيخ موسى آل الكاشف [كاشف] الغطاء و السيد جواد العاملي المتوفى سنة ١٢٢٦ (صاحب مفتاح الكرامه) و في الكاظمين على الشيخ أسد الله الكاظمي المتوفى سنة ١٢٣٤ و السيد عبد الله الشبر المتوفى سنة ١٢٤٢ كما حضر على الشيخ احمد الاحسائي المتوفى سنة ٢٤١ و أخذ الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا على النوري المتوفى سنة ١٢٤٦ و غيرهم و له حق الروايه عن أكثر من أربعين مجتهدا منهم مشايخه المذكورون و تاريخ إجازته السيد جواد العاملي في ربيع الأول سنة ١٢٢٥ و قد ذكرها سيدنا الأمين [العاملي] في آخر كتاب المتاجر من (مفتاح الكرامه) المطبوع باشرافه و تحقيقه ثم عاد المترجم له إلى مسقط رأسه قزوین و انتهى اليه كرسى التدريس و الفتوى و كان من أكابر علماء الشيعة في عصره و نوابغ فقهاء الاماميه سافر إلى بيت الله الحرام و حج في سنة ١٢٣٠ مع صهره الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري على أخته العالمه الفاضله آمنه خانم(١) و من الحجاز عرج على مصر و حل في القاهره و ناظر كبار العلماء في الأزهر الشريف و حصل على إجازات من علماء الشافعيه في القاهره و كان معاصرا للشهيد البرغانى و المترجم له ممن حضر مجلس مناظره استاذه الشيخ احمد الاحسائي في ديوان الشهيد بقزوین و كان يميل إلى استاذه الاحسائي و ألف كتاب (خلاصه الرشاد) و ذكر في آخر الباب الأول في الايمان بالله المدرج فيه جميع الأصول الخمسه في خمس فصول من الباب الخامس في المعاد تطرق إلى المعاد الجسماني و ذكر ما سمعه شفاها من السيد ميرزا مهدي الخراساني الشهيد في سنة ١٢١٨ و ما ذكره الشيخ احمد الاحسائي في جواب السؤال عن المعاد.

هاجر المترجم له في أواخر عمره إلى النجف الأشرف فسكن بها و تصدر للتدريس و الفتوى حتى مرض ثم تنبه بساعه وفاته فأمر من معه بوضعه في تابوت و إدخاله داخل الروضه الحيدريه و لما وضع تابوته امام الضريح المطهر فاضت آخر انفاسه داخل الحرم و ذلك سنة ١٢٧٠ و من آثاره الباقية في قزوین مدرسه دينيه و مكتبه في محله دار الشفاء و لا تزال داره باقيه حتى اليوم و من أشهر أحفاده اليوم في قزوین الدكتور محسن شفايى.

و كانت أم المترجم له العالمه الفاضله فاطمه بنت السيد حسين القزوينى المتوفى سنة ١٢٠٨ شيخ السيد مهدي بحر العلوم و لقبه بالشريف لشرفه من طرف الأم و المترجم له خال قره العين.

ترك المترجم له مؤلفات و حواشى و رسائل علميه قيمه تزيد على ثلاثين رساله و كتاب و عندنا أكثر مؤلفاته بخطه منها كتاب خلاصه الرشاد في شرح أربعين حديثا، خلاصه الرشاد في الدلاله على منهج العباد فارسي في أصول الدين و فروعها، كتاب هدايه المسترشدين، رساله في صلاه الجمعة، رساله في مسائل التقليد بالعربيه، رساله اخرى في مسائل التقليد بالفارسيه، كتاب في أصول الفقه، شرح حديث المنزل الذي أخرجه ابن حجر في الصواعق، كتاب في الرد على رساله السيد محمد باقر الأصفهاني في عدم جواز تقليد الميت و وجوب العدول إلى الحي، اجتماع الأمر و النهي، التجري في أصول الفقه، حجيه الإجماع، حجيه المظنه، رساله في أصله البراءه رساله في العداله، رساله في حجيه الظن في الأحكام، رساله في عدم جواز اجتماع الأمر و النهي، فائده في أصل البراءه، الفوائد الأصوليه.

ذكر المترجم له التنكابنى فى قصص العلماء ص ٦٤ من الطبعة الحجرية و وصفه السيد محمد باقر الأصفهاني فى اجازته المؤرخه ٤ شعبان سنة ١٢٥٤ بقوله (... و من الله على اهالى قزوین... بالعالم العامل الفاضل الكامل البارع الباذل جامع فنون الفضائل حائز صنوف الفواضل، عاصم عباد الله عن الخبائث و الرذائل، زبده الفقهاء العظام، عمده العلماء الفخام...) و ذكره والدى قدس سره فى المجلد الأول من كتابه (الغرر و الدرر) المخطوط و شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهرانى فى الكرام البرره ج ٢ ص ٨٠٩ و مختلف اجزاء الذريعه إلى تصانيف الشيعة و ذكرته فى كتابى كربلاء فى حاضرها و ماضيها.(٢)

عطا الله المرشدى التنكابنى الشهير ب آقا بزرگ.

ولد فى تنكابن و نشا بها ثم ذهب إلى قزوین و بقى بها مده و بعد ذلك ذهب إلى أصفهان و حضر عند اعلامها ثم ذهب إلى النجف الأشرف و لازم بحوث اعلامها و فى حدود ١٢٤٥ رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و قضاء حوائج العامه.(٣)

الشيخ علاء الدين ابن الشيخ رضا بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ ملا

على بن المولى الشيخ محمد البرغانى القزوینى آل العلوى الشهيدى.

ولد فى برغان سنة ١٣١٢ كما حدثنى به و توفى يوم ١٨ من ذى الحجه الحرام عبد الغدير سنة ١٣٩٤ فى قزوین و دفن فى مقبره آل الصالحى فى روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضا ع.

آل العلوى الشهيدى فرع من آل البرغانى من الأسر العلميه المعروفه فى قزوین التى ظهر فيها غير واحد من اعلام العلماء و اشتهرت باسم آل العلوى الشهيدى منذ عهد جدهم الشيخ ملا على البرغانى المتوفى سنة ١٢٦٩ شقيق الشهيد الذى كان من مشاهير علماء عصره.

أخذ المترجم له المقدمات من الصرف و النحو و المنطق على الشيخ آغا الطالقانى القزوینى و السيد عبد الرحمن التقوى ثم حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ على الطارمى و الشيخ محمد الطارمى و الشيخ فضل على المهدوى القزوینى فى المدرسه الصالحيه و فى سنة ١٣٣٥ هاجر إلى طهران و حضر فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ على النورى و الشيخ محمود القمى و المير على محمد الحكمى و رجع إلى موطنه قزوین و لازم الشيخ عيسى بن الشهيد و اختص به و تزوج ابنته و بعد وفاه استاذه و أبو زوجته المذكور سنة ١٣٣٩ تصدر كرسى التدريس فى المدرسه الصالحيه و التف حوله جمع من الطلاب و الفضلاء له مؤلفات و تحقيقات منها ترجمه ضيافه الاخوان و هديه الخلان لآغا رضى القزوینى إلى الفارسيه و ترجمه رسائل اخوان الصفاء مع تعليقات عليها، و عقائد العلائيه فى الفلسفه فى أكثر من ألف صفحه، رأيت منه مكا فى تاليفه فى سنواته الأخيره. و له مقالات علميه فى مختلف الصحف الإيرانيه.(٤)

الشيخ ميرزا علامه بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح الحائرى

آل الصالحى

-
- ١- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٢.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- الشيخ محمد السامى.
 - ٤- الصالحى.

المولود في كربلاء سنة ١٢٤٩ و المتوفى سنة ١٣١٠ و المدفون في صحن الروضه الحيدريه بالنجف الأشرف مقابل باب الطوسي قريب جدار الحرم المطهر.

كان من كبار علماء الشيعة في الحائر الشريف و رجال التقليد و الفتيا و أساطين الفقهاء في عصره أخذ المقدمات على جملة من اعلام الحائر المقدس و قد أدرك الشيخ مرتضى الأنصاري و تتلمذ على والده ثم هاجر إلى قزوین و أخذ العقليات من الآخوند المولى آغا الحكيمى القزوينى و عمه الشيخ ميرزا عبد الوهاب البرغانى الصالحى ثم رجع إلى موطنه كربلاء و تخرج في الفقه و الأصول على الشيخ حسين الأردكاني المتوفى سنة ١٣٠٢ و الميرزا حبيب الله الرشتى المتوفى سنة ١٣١٢ و تصدر كرسى التدريس و الامامه و الفتيا في كل من كربلاء و النجف الأشرف فالتفت حوله كثير من الفضلاء و نظر اليه النابهنون من أهل العلم بعين الإكبار و عرف بالتحقيق و التدقيق و أصالة الرأى و غزاره المده و أقبل عليه الناس في أمر التقليد.

و مضافا إلى مكانته الروحية و انشغاله بالتدريس و المرجعية كانت له مشاربه اجتماعيه هامه منها إصراره على هجره الشيعة من ايران و غيرها إلى العتبات المقدسه في العراق أيام الاحتلال العثماني فجلب عمالا و فنيين من قزوین و يزد و أصفهان و غيرهما و أسكنهم في كربلاء و قام باحياء الأراضي الصالحه للزراعه في شمال و شرق و غرب كربلاء و جلب إليها الماء و أحدث أنهرًا. و في الصيف الذى كان يقل فيه المياه في نواحي كربلاء كان يقوم بحفر الآبار و إسقاء البساتين عن طريق النواوير و الآبار. و هو أول من جلب أشجار ثمر (الكوجه) من برغان إلى كربلاء و الحمضيات من فلسطين و غيرها و لا تزال (الكوجه) و الحمضيات من أهم محاصيل كربلاء حتى اليوم و كان يسافر بنفسه مع جماعه متخصصين و عمال إلى برغان و فلسطين لجلب أحسن أنواع الأشجار ثم يقوم بتكثيرها في بستانه الخاص الواقع على نهر الحسينيه في الناحيه المعروفه ب (المدور) و لا يزال يعرف ذلك البستان باسمه حتى اليوم ثم يوزع الاغراس مجانا على الفلاحين و من آثاره في كربلاء تشييد سقف الطارمه مقابل باب القبله المعروفه بالايوان الذهبى في روضه العباس و الروضه الحسينيه و جلب الخشب من الهند و كما شارك في إنجاز هذا المشروع شقيقه مدرس الطف الشيخ ميرزا على نقى الحائرى الصالحى.

له مؤلفات منها: بغيه المرام في أصول الفقه من مجلدين ضخمين و تحفه الرشاد في الشرح على الإرشاد في اربعة مجلدات ضخمه من الطهارات إلى الديات. (١)

الشيخ ملا على بن إبراهيم الهمداني المعصومي

المولود في قريه من قرى همدان في سنة ١٣١٢ و المتوفى سنة ١٣٩٨.

قرأ المقدمات و العربية على فضلاء قريته و في سنة ١٣٢٧ هاجر إلى همدان لمتابعه دارسته فأكمل سطوح الفقه و الأصول على جماعه من علمائها و في سنة ١٣٣٥ قصد طهران و أخذ الحكمة و الفلسفه عن حوزة الشيخ عبد النبي النورى الآخوند الهيدجى و في سنة ١٣٤١ استقر في مدينه قم و التحق بحوزه الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى المتوفى سنة ١٣٥٥ و كان من المدرسين البارزين في قم و في سنة ١٣٥٠ وفد جماعه من رجال همدان إلى قم يطالبونه بالرجوع إلى همدان فأجاب طلبهم بعد ما أمره بذلك استاذة الحائرى و سكن همدان و انتهى اليه كرسى التدريس و الفتيا و أسس حوزة همدان العلميه و أخذ الطلاب يقدون اليه و من آثاره في همدان تجديد و توسيع بناء مدرسه الآخوند ملا محمد حسين الهمداني و مكتبه الغرب التى تحتوى على

أكثر من عشرين ألف كتاب بينهما نفائس المخطوطات و نوادر المطبوعات و تخرج على المترجم له جماعه كثيره من العلماء و الفضلاء و ترك مؤلفات منها: اسرار الصلاه، الاجتهاد و التقليد، تقريرات في الفقه و الأصول لاستاذة الحائري، حواشى على العروه الوثقى أربعون حديثا، رساله في كلام النفس، ترجمه حياه الصحابي أبو بصير، رساله في عصير العنب و الزبيب و التمر، حواشى على أنيس التجار و غيرها.(٢)

الشيخ على نقى بن الشيخ احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيخيه

ابن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن

راشد بن دهيم بن شمروخ بن صوله آل صقر المطيرفي الاحسائي

المتوفى في ٢٣ ذى الحجه الحرام سنة ١٢٤٦ في كرمانشاه و المدفون فيها.

انتهت اليه زعامه الشيخيه في كرمانشاه و هو ثاني أولاد أبيه ولد في الإحساء و قرأ المقدمات على فضلائها ثم لازم أباه في جميع رحلاته إلى العراق و ايران و تخرج عليه في أكثر العلوم و على تلميذ أبيه الملا- على البرغاني و هناك قرآن تدل على انه أيام إقامته في قزوین أخذ الفقه و الأصول و الحديث من المولى الشهيد البرغاني و الشيخ محمد صالح البرغاني و الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا آغا الحكمي القزويني و اجازة أبوه مع أخيه الأكبر الشيخ محمد تقى في إجازة واحده مؤرخه سنة ٢٣٦ و جاء تاريخها سهوا في كشف الحجب سنة ٢١٦ هجريه(٣) و له إجازة ثانيه كتبها أبوه الشيخ احمد الاحسائي إلى ملا على البرغاني أشرك فيها ولده المترجم له و أخاه الشيخ محمد تقى و الإجازة بخط المجيز موجوده عندنا.

و كان المترجم له من المتعصين لرأى أبيه و يدافع عن عقائد والده بشده و ترك أكثر من عشره مؤلفات في التفسير و الكلام و الحديث كتبها على غرار عقائد أبيه و دافع فيها عن الاعتراضات و الإيرادات الوارده عليه. و قد فصل عن حياته الشيخ ميرزا على الحائري في مقدمه نهج المحجه المطبوع في تبريز و كاظم الطريحي في مقدمه ديوانه المطبوع في طهران و قال الشيخ على البحراني (ابنه الشيخ الفاضل العلي الشيخ على نقى ابن الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي كان فاضلا محققا مدققا الا انه لم تطل أيامه بعد أبيه. له كتب منها شرح رساله الامام الهادي (ع) و له تحقيقات في دفع اعتراضات و إيرادات على والده و له كتاب المحجه في الامامه مجلد كبير، هذا الذي رأيت و الظاهر ان له غيره و الله اعلم و لا- أدري بتاريخ وفاته و لا- بموضع قبره...)(٤)

له مؤلفات منها ديوان شعر طبع في طهران سنة ١٩٥٥ م، نهج المحجه في الامامه فرغ منه سنة ١٢٣٨ هجريه طبع في تبريز سنة ١٣٧٣ هجريه و هو من أهم مؤلفاته، شرح رساله الامام الهادي (ع)، رساله في الرد على بعض العرفاء في التوحيد، حاشيه على حجيه الإجماع لوالده، الرسائل المتفرقه، منهج السالكين رساله في قصه موسى و الخضر، رساله في علم الباري، رساله في الأمر بين الأمرين،(٥)

الشيخ أبو الحسن على بن احمد بن محمد بن داود بن موسى بن بيان

ولد فى ربيع الأول سنه ٣٣٥ و توفى فى ليله الأربعاء السابع عشر من ربيع الثانى سنه ٤١٩. أخذ العلم و الحديث على جمع من فحول علماء الشيعة منهم أبو بكر محمد بن عمر المعروف بالجعاى المتوفى سنه ٣٥٥

ص: ١٣٨

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- السيد اعجاز حسين النيشابورى الكنتورى كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب و الأسفار ص ٢٠ طبعه كلكته سنه ١٣٣٠ هجرية.
 - ٤- الشيخ على البحرانى أنوار البدرين ص ٤٠٧-٤٠٨ النجف مطبعه النعمان ١٣٧٧ هجرية.
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و علي بن محمد القرشي الكوفي المتوفى سنة ٣٤٨ و أبو الفرج الأصفهاني و أبو القاسم عبد الله بن احمد بن الحسين بن رجاء الخرقى المتوفى سنة ٣٥١ و غيرهم ترجمه تلميذه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٣٠ و ذكر انه من مشايخه و أنه كان ممن كتب عنه الحديث ثم ذكر عددا من مشايخ المترجم له من علماء الشيعة و غير الشيعة و أفرزت منهم أصحابنا الشيعة المذكورين آنفا. ثم أضاف الخطيب البغدادي قائلا (... من أمثالهم، كتبنا عنه و كان قد قرأ القرآن على ابن مقسم بحرف حمزه و كف بصره في آخر عمره و كان يسكن الكرخ و له دكان في سوق الرزازين. حدثني بعض أصحابنا قال دفع إلى علي بن احمد الرزاز بعد ان كف بصره - جزء بخط أبيه فيه: أمالي عن بعض الشيوخ و في بعضها سماعه بخط أبيه العتيق و الباقي فيه تسميع له بخط طرى فقال انظر سماعي العتيق هو ما قرئ على و ما كان فيه تسميع بخط طرى فاضرب عليه فاني كان لى ابن يعث بكتبي و يسمع له فيما لم أسمعه أو كما قال. حدثني الخلال قال اخرج إلى الرزاز شيئا من مسند مسدد فرأيت سماعه فيه بخط جديد فردده عليه.

قلت: و قد شاهدت انا جزءا من أصول الرزاز بخط أبيه في أمالي عن ابن السماك و في بعضها سماعه بالخط العتيق ثم رأيت قد غير فيه بعد وقت و فيه إلحاق بخط جديد و كان الرزاز مع هذا كثير السماع كثير الشيوخ و إلى الصدق ما هو، سألته عن مولده فقال في شهر ربيع الأول سنة خمس و ثلاثين و ثلاثمائة و مات في ليلة الأربعاء السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة و أربعمائه). (١) أقول: ذهب شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهراني في كتابه طبقات اعلام الشيعة إلى تشييعه و نقل قسما من أقوال الخطيب البغدادي ثم اثبت تشييع المترجم له و رد على صاحب تاريخ بغداد قائلا (... و لم يذكر الخطيب محل دفنه و لم يشر إلى مذهبه و لكن ذكر حكايات في تزييف كتبه أولا إلى ان قال كان الرزاز مع هذا كثير السماع كثير الشيوخ و إلى الصدق ما هو.

هذا كلامه في آخر ترجمه هذا الرجل الشيعي. و قد ذكر أولا كثيرا من مشايخ الرجل، و جمع منهم من أكابر الشيعة و شريكه في الرواية عن ابن رجاء هو النسابة مؤلف بحر الأنساب). (٢)

السيد علي بن السيد إسماعيل الموسوي القزويني.

ولد في قزوین في شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٧ و توفي بها قبل الظهر من يوم الثلاثاء الرابع من شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٨ هجريه و نقل جثمانه إلى كربلاء المقدسه و دفن في مقبره صاحب الضوابط في الصحن الصغير الحسيني.

كان من ابرز علماء الشيعة في عصره و أكابر الفقهاء المتبحرين بقزوین توفي والده و هو لم يبلغ الحلم فكفله خاله السيد رضی القزويني فقرأ المقدمات و شطرا من السطوح على خاله المذكور و جماعه من فضلاء قزوین ثم حضر الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على الشهيد البرغانى [و] الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ و الميرزا محمد التنكابني صاحب قصص العلماء و أخذ الحكمة و الفلسفه عن حوزة الآخوند ملا آغا الحكمي و الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى آل الصالحى في المدرسه الصالحية بقزوین حتى سنة ١٢٦٢ ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزة العلميه الكبرى و سكن كربلاء و التحق بحوزه السيد إبراهيم القزويني الموسوي صاحب الضوابط الذي كان يرتبط به بصله قرابه و لكن لم تطل أيامه و توفي السيد إبراهيم صاحب الضوابط في نفس العام فتوجه المترجم له إلى النجف الأشرف و حضر على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ ثم تخرج على الشيخ مرتضى الأنصاري و الشيخ حسن البرغانى الحائري آل الصالحى و المولى الشيخ محمد

حسين صاحب الفصول حتى بلغ درجه عاليه فى الفقه و الأصول ثم رجع إلى موطنه قزوین و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و الامامه و تخرج عليه جماعه من الفضلاء و العلماء و عكف إلى التأليف و التصنيف. و ذكره صاحب المآثر و الآثار و وصفه بقوله ما هو تعريبه: (الأغا السيد على القزوينى من أعظم المجتهدين و أجلاء حاملى لواء الشريعه و الدين و كان من الفقهاء المتبحرين و فحول الأصوليين. له تحقيقات رصينه. و قد اعترف بمكانته العلميه أكابر معاصريه فى أكثر الأوقات كان يدرس كتاب القوانين للميرزا القمى و له عليه حواشى و له أيضا تعليقات مبسوطه على معالم الأصول و كان على جانب عظيم من الزهد و التقوى و هو ابن أخت العلامة المولى السيد رضى الدين المجتهد القزوينى رضوان الله عليهما). (٣)

و ذكره الشيخ محمد على المدرس فى ریحانه الأدب بما هو تعريبه:

(السيد على بن السيد إسماعيل الموسوى القزوينى عالم فاضل عابد زاهد فقيه اصولى محدث رجالى مفسر جامع المعقول و المنقول من فحول العلماء فى أواخر القرن الثالث عشر للهجره..)(٤) و لم يذكر تاريخ وفاته و ولادته و ساير خصوصياته.

و ذكره السيد محمد مهدى الكاظمى فى أحسن الوديعه ضمن تلامذه الميرزا محمد التنكابنى صاحب قصص العلماء نقلا عن قصص العلماء و قال (الأغا السيد على القزوينى و هو من أقرباء صاحب الضوابط و من مشاهير علماء قزوین....)(٥) و ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى الجزء الثالث من الكرام البرره المخطوط.

ترك المترجم له مؤلفات و تحقيقات أشار إلى بعضها شيخنا الأستاذ فى مجلدات موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه و من مؤلفاته:

١ - حاشيه القوانين فى مجلدين طبعت فى سنه ١٢٩٩.

٢ - شرح على المعالم فى ستة مجلدات.

٣ - شرح على كتاب الرضاع للشيخ مرتضى الأنصارى.

٤ - رساله فى تحقيق الحقيقه.

٥ - تعليقه على تفسير البيضاوى.

٦ - رساله فى أقسام الواجب و أحكامها.

٧ - رساله فى المعاملات.

٨ - يبايع الأحكام فى معرفه الحلال و الحرام فى خمس مجلدات.

٩ - شرح شرائع الإسلام كتاب التجاره إلى الأجره.

١٠ - كتاب الصيد و الذباجه.

١١ - كتاب البيع، رساله فارسىه فى الاجتهاد و التقليد.

١٢ - رساله فى أصول الدين فارسىه، و غيرها من الرسائل و التعليقات و خلف ولده العالم الفاضل السيد محمد باقر الآتى ذكره. (٤)

ص: ١٣٩

١- أبى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٣٠-٣٣١ بيروت دار الكتاب العربى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- محمد حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ١٤٣ طهران الطبعة الأولى الحجرىه سنه ١٣٠٦ هجرىه.

٤- الشيخ محمد على المدرسى التبريزى: ریحانه الأدب ج ٤ ص ٤٥٤ الطبعة الثانية تبريز مطبعه شفق.

٥- السيد محمد مهدى الكاظمى: أحسن الوديعه ج ١ ص ١٢٣ بغداد سنه ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م.

٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الدكتور على أصغر حكمت بن الميرزا أحمد على مستوفى حشمه

الممالك.

ولد بشيراز في نيسان سنة ١٨٩٣ و توفي سنة ١٩٨١ و كان آباؤه من مشاهير أطباء شيراز، و أمه بنت الحاج ميرزا حسن الفسائي المؤرخ المعروف، مؤلف "فارسانامه ناصري"، و جده الأعلى السيد صدر الدين علي خان الحسيني الحسنى المدني المكي الدشتكي الشيرازي الذي كان من أشهر فضلاء عصره، و هو صاحب الديوان، و هو مولود بالمدينه المنوره لمجاوره والده نظام الدين أحمد مده بها، ثم سافر إلى الهند و تقدم عند سلطان حيدرآباد الدكن عبد الله قطب شاه ثم عند أورنك زيب، و أبو المترجم له هو أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد بن غياث الدين منصور الدشتكي الفيلسوف الصدر الأعظم للشاه طهماسب الصفوي (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ) و المتوفى بعد عزله سنة ٩٤٨ [٩٨٤] هـ فالمترجم له من سلالة العلم و الفلسفه و الوزاره، تعلم في شيراز بالمدرسه المنصوريه، ثم التحق بالمدرسه الأمريكيه ثم دخل في الخدمه الحكوميه و في حدود سنة ١٩٣١ م سافر إلى فرنسا، و نال الليسانس في الأدب من جامعه السوربون، ثم ذهب إلى إنكلتره و درس بلندن الأدب الإنجليزي، و في ١٩٣٢ م عين وزيرا للمعارف، ثم انتقل من وزاره إلى أخرى في المعارف و الداخليه و العدل و الخارجيه و غيرها، و في سنة ١٩٣٤ م شارك في تأسيس جامعه طهران الحديثه التي حلت محل جامعه "دار الفنون" القديمه، و كان أستاذا ثم أستاذا ممتازا بها، و هكذا فإنه كان عالما في جامعه و سياسيا في الدوله، و اتسعت في عهده وزاره المعارف و زادت نشراته العلميه، و عمر الآثار و الأبنيه القديمه و مقابر حافظ و سعدى بشيراز و ابن سينا بهمدان و الخيامينيشابور، و تخرج من تحت نظره بجامعه طهران دكاتره علماء مؤلفون ذوو آثار هامه.

ثم أرسل في سنة ١٩٤٤ م على رأس بعثه علميه إلى الهند، و بقي هناك عدده سنوات يخدم العلم و الثقافه، و في سنة ١٩٥٠ م انتقل عمله إلى باكستان، ثم في سنة ١٩٥٣ م عين سفيرا بالهند.

كان المترجم له عضوا في عدده مجامع علميه في إيران و الخارج فهو عضو مؤسس في المجمع العلمى الايرانى "فرهنگستان ایران" و عضو مراسل في مجمع اللغه العربيه بالقاهره و المجمع العلمى العربى بدمشق و المجمع العلمى العراقى ببغداد.

و قد نال درجه الدكتوراه الفخرية من جامعات دهلى و عليكره الإسلاميه و لاهور، و مع أشغاله العلميه و السياسيه الوافره فقد كان يشتغل بالترجمه و التأليف و التحقيق و الشعر.

و من مؤلفاته و آثاره:

١: دوستان و وطن. ط شيراز.

٢: تعليم و تربيت (مجله) السنوات الثلاثه الأولى (ابتداء من السنه ١٣٥٧ هـ).

٣: جامى. ط طهران ١٣٧٢ هـ.

٤: راسى تعز. ط طهران ١٣٧٠ هـ.

٥: نقش پارسی بر أحجار هند، ط کلکته ، و طهران ١٣٧٧ هـ.

٦: أمثال قرآن، ط طهران ١٣٧٢ هـ و طبعتان بعدها.

٧: سررین [سرزمین] هند، ط طهران ١٣٧٧ هـ.

٨: نه گفتار در تاریخ آدیان، مجلدات. ط شیراز و طهران و ١٣٨١ هـ. ٩: إسلام از نظرگاه دانشمندان غرب، ط طهران ١٣٨١ هـ.

و قد حقق:

١: مجالس النفائس (لطائف نامه): مير على شير نوائى، ط طهران ١٣٦٣ هـ.

٢: كشف الأسرار (تفسير ميبدى) عشره مجلدات، ط طهران - ١٣٨٠ هـ.

٣: معرفه المذاهب، ط طهران ١٣٧٧ هـ.

٤: رساله فى تفسير سوره الأعلى: ابن سينا، ط طهران.

و أما مقالاته فى المجلات الإيرانية و خارجها فى مواضيع مختلفه و خطابهاته فى المهرجانات و المؤتمرات فهى أكثر من أن تعد و تحصى. (١)

الحاج ميرزا على آقا التبريزى.

درس المقدمات فى تبريز ثم سافر إلى النجف الأشرف و درس على أكابر علمائها و عاد إلى تبريز ثم جاور فى مشهد الرضا ع فتولى التدريس و تبليغ الأحكام بعيدا عن زخارف الدنيا.

كان ماهرا فى الأدب و الحكمه و الرياضيات، كما كان شاعرا، و له نظم بالفارسيه و التركيه و العربيه.

و له كتاب (خيره المحشر) فى شرح الباب الحادى عشر، انتهى من تأليفه فى ١٦ رجب سنه ١٣٠٠.

على بن الحسين المسعودى:

مرت ترجمته فى مكانها و نزيد عليها هنا هذه الدراره بقلم الدكتور نبيه عاقل:

من ميزات المؤلفات التاريخيه التى دونتها أقلام المؤرخين العرب، الذين عاشوا و كتبوا فى العصر العباسى الثانى و ما تلاه، اتجاهها نحو المنهج العلمى و ميلها إلى الدقه التى تتطلبها كتب التاريخ بشكل عام. و يمثل هذا الاتجاه الجديد فى التأليف التاريخى ثلاثه هم: الطبرى و المسعودى و مسكويه. و فى مقال سابق عقدناه للحديث عن الطبرى و تأليفه و طريقته فى البحث أشرنا إلى بعض الصفات و الخصائص التى ميزت مؤلفه المشهور "تاريخ الأمم و الملوك" و صرنا إلى القول بان هذه

الخصائص لا تنطبق على هذا المؤلف وحده، بل لها ما يشابهها في المؤلفات التاريخيه الأخرى التي دونت فيما بعد، و التي نهج فيها أصحابها نهج الطبرى فى أكثر الأحيان.

و فى مقالنا اليوم عن ثانى هؤلاء الثلاثة، المسعودى، سنجد ان المسعودى المؤرخ يسير على نهج الطبرى فى بعض الأمور، فهو مثلا يؤرخ حسب السنين لا حسب الموضوع، و يذكر أكثر من روايه فى الموضوع الواحد، و يستقى مواده من أقوال من سبقوه من المؤرخين بعد ان يتحرى الصدق فيما يجمع. و لكنه يغير منحى سلفه فى أمور كثيره اخرى لظروف فرضتها بيئته و ثقافته و عصره و غير ذلك. و قبل ان نبسط القول فى خصائص مؤلفاته و نهجه فى البحث، لنعش معه حياته كما تصورنا لنا المعلومات القليله التى نراها مبعثره فى ثنايا بعض كتب التراجم و الأخبار.

المسعودى، و اسمه الكامل أبو الحسن على بن الحسين، لا تبدأ قصه حياته بسنه مولد و مكان ولاده. بل يكتنف الغموض سنه مولده، و فى المصادر أكثر من روايه حول مكان ولادته. فابن النديم صاحب الفهرست مثلا يذكر انه من أهل المغرب، فى حين أن غيره من كتاب التراجم كالذهبي و ياقوت الرومى و ابن شاکر و غيرهم يجمعون على انه من موالىد بغداد، و انه

ص: ١٤٠

١- الشيخ أبو ذر بيدار.

من نسل الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. و يؤيد هذا الزعم ما يذكره المسعودي نفسه في كتابه "مروج الذهب و معادن الجواهر"، حيث يعدد أوصاف الأقاليم المختلفه فيقول: " و أوسط الأقاليم الإقليم الذى ولدنا به، و انك أنت الأيام انات بيننا و بينه، و ساحقت مسافتنا عنه، و ولدت في قلوبنا الحنين اليه، إذ كان وطننا و مسقطنا، و هو إقليم بابل، و قد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلا و قدره عظيما" و هكذا يمكننا ان نقول في تحديدنا لمكان ولادته انه أبصر النور في بغداد، مسقط رأسه و مستقر آله و ذويه من نسل صاحب رسول الله عبد الله بن مسعود. اما زمان ولادته فتهمله المصادر التى بين أيدينا و لا تتعرض له بذكر، و هذا امر طبيعي، أن أحدا لم يكن يتوقع له الشهرة و ذبوع الصيت حين ولد، و لكنه حين نبغ و احتل بين رجال عصره مكانا مرموقا سلطت الأنوار عليه و تناقلت اسمه الألسن، فحرص رجال التراجم على تدوين سنه وفاته. و المصادر، الا بعضها القليل، تجمع على ان وفاته كانت فى العام ٣٤٦ للهجره، كما ان فى بعضها ما يدل على انه دخل الحياه العامه و أخذ يجول الأقطار طلبا للعلم و المعرفه فى مطلع القرن الرابع للهجره. و هذا و ان كان لا- يرشد إلى سنه مولده الحقيقيه فإنه يسمح لنا بالاعتقاد بأنه ولد فى أخريات القرن الثالث الهجرى، و انه لم يعل له ذكر، الا منذ مطلع القرن الرابع، و لذا فهو بعد من مؤرخى هذا القرن الأخير.

و قد أحب المسعودى الأسفار منذ شبابه، فسافر سنه ٣٠٥ إلى إصطخر فى فارس و زار فى السنه التى تلت بعض مناطق الهند و سيلان و بلاد سيمور، و انضم إلى فريق من التجار فى رحله فى بحر الصين و عبر البحر الأحمر و زار مدغشقر كما زار زنجبار و عمان. و حوالى سنه ٣١٤ نجده يجوب بحر الخزر (بحر قزوین) و مناطقه و ينتقل بعدها لزياره طبريا و فلسطين. و قد قام فى سنه ٣٣٢ بزياره لأنطاكيه. و بعض مدن الحدود السوریه. و استغرقت زيارته لهذه المناطق مده سنتين اقام اثناءها فى بعض مدن الثغور الشاميه و البصره، حتى كان العام ٣٣٤ فتوجه إلى دمشق و أمضى فيها بعض الوقت. و انتقل منها إلى مصر ليعيش متنقلا بينها و بين سوريا حتى آخر حياته. و قد توفى سنه ٣٤٦ و هو مقيم فى الفسطاط بمصر.

و قد دفع المسعودى للقيام بهذه الرحلات الطويله المتناثيه حبه للعلم و رغبته فى طلبه و الاستزاده منه. فهو بهذا يشبه المقدسى و البيرونى. و قد أتاحت له هذه الأسفار أن يغنى بمعارفه الجغرافيه و التاريخيه و الاجتماعيه و ان يتعرف على لغت و عادات و تقاليد و أخلاق و سياسات الأمم المختلفه التى زارها. و هو فى جمعه بين المعرفه الجغرافيه الواسعه بنتيجه الرحلات، و الأسفار، و شغفه بالحقيقه التاريخيه و الأخبار بوجه عام، يلتقى بهيرودوت أبى التاريخ عند اليونان، فكلاهما رحاله زار البلاد و جاب الأقطار، و كلاهما جمع أخبار الأمم التى زارها. و كلاهما مزج بين التاريخ و الجغرافيه فى مؤلفاته. و قد دعا هذا بحق المستشرق فون كرامر VonKramer أن يشير إلى المسعودى فى كتابه "تاريخ الثقافه فى الشرق" باسم هيرودوت العرب.

يأخذ البعض على المسعودى انه لم يكن يتمتع دوما بالروح العلميه العميقه، و انه كان فى بعض الأحيان سطحيا يقبل الخرافات و الأساطير و يسردها فى كتبه كما تصل اليه دون ما تمحيص أو نقد. و لكن المستشرق سيديو Sedillo لا يعتبر هذا عيبا فى المسعودى بل يرجعه إلى روح حب الاطلاع الناميه عنده فيقول: " و لا نخشى التكذيب إذا قلنا انه الم يظهر بين العرب مؤرخ بلغ من الفضل الشامل ما بلغه المسعودى، و إذا كنا نراه محتاجا إلى روح النقد أحيانا فلنذكر ان حب الاطلاع الشديد فيه حفزه إلى زياره الأماكن التى أراد الوقوف على تاريخها فكان يساق إلى نقل قصص ذات أصل مشكوك فيه ". و المسعودى موسوعى لا يؤمن بالموضوع الواحد و لا يقنعه الاختصاص الضيق فيما يكتب. و إذا كان لهذا النهج مساوئه فهو لا يخلو من محاسن تدل على سعه أفق المؤلف و شمول نظراته و تعدد جوانب ثقافته. و يحدثنا هو عن تنوع الموضوعات التى يضمها المؤلف الواحد من

مؤلفاته فيقول في الباب الذي يذكر فيه جوامع أغراض كتاب المسمى "مروج الذهب و معادن الجواهر" ما يلي، مما يستدل منه على تشميله هذا الكتاب ابحاثا في التاريخ و الجغرافيا و العادات و التقاليد و الأخلاق و الأدب و أخبار الملوك و سياستهم و غير ذلك. يقول المسعودي: "أما بعد اننا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان، و قدمنا القول فيه في هيئه الأرض و مدنها و عجائبها و بحارها و أغوارها، و جبالها و انهارها، و بدائع معادنها... ثم اتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة و الأمم الدائرة.. ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط في الأخبار على التاريخ و من درج في السنين الماضيه... و نعتذر عن تقصير إن كان، و نتصل من إغفال، أو عرض لما قد شاب خواطرننا، و غمر قلوبنا، من تقاذف الأسفار و قطع القفار، تاره على متن البحر، و تاره على ظهر البر، مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهده، عارفين خواص الأقاليم بالمعانيه، فتاره بأقصى خراسان، و تاره بأواسط ارمينيا، و أذربيجان، و طورا بالعراق، و طورا بالشام.. نسرى في الآفاق سرى الشمس في الإشراق. كما قال بعضهم:

تيمم أقطار البلاد فتاره لدى شرقها الأقصى و طورا إلى الغرب

سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى إلى أفق ناء يقصر بالركب

و فاوزنا أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم و تباين هممهم، و تباعد دارهم...".

و هكذا يصنف لنا الموضوعات التي تطرق إلى بحثها في كتابه، و ينقلنا معه في أسفاره، واصفا متاعبه في رحلاته، و اطلاعه الواسع على ما أُلّف من قبله، و معددا بعضا مما دبح قلمه من مؤلفات في التاريخ و الجغرافيا و غيرها. و هو كغيره من المؤرخين العرب لا يتبع نظاما موحدًا في عرض مادته. و نراه في كثير من الأحيان يخرج عن جاده الموضوع الأصلي ليذكر أشياء لا تمت إلى ما يبحث بصله أو نسب. و لكنه يهتم ببحث جميع الأشياء التي يعتبرها المتعلم في عصره أساسيه، لذلك جاءت مؤلفاته جامعته لكثير من المعلومات المتشعبة المتفرعه. و هو يلتفت بشكل خاص إلى الأمور اجتماعيه، و الدينيه، و العلميه التي تميز بها العرب قبل إسلامهم، و يقارن بينهم و بين العجم و غيرهم من الأمم، محاولا إظهار فضل العرب و تقدمهم. فتراه عند ذكر سير الملوك و الخلفاء يستقصى أدق أخبارهم الخاصه فيدخل بيوتهم و يعيش معهم في مجالسهم و يصف ملامحهم و عاداتهم في المأكل و المشرب و الملبس مما لا تجده عند غيره. و قل الأمر نفسه عن اهتمامه بما كانت عليه أمه العرب من معتقدات دينيه، و ايمان بآلهه و أوثان، و زجر للطير و سوانحه و بوارحه، و الكهان و العرافه، حتى يصل إلى علومهم و مجالس انسهم و قيانهم و آلات طربهم التي ضاع أغلبها و لم يصل إلينا منها الا القليل.

و من تصانيفه: مروج الذهب و معادن الجواهر، أخبار الزمان و من أباده الحداثان، التنبيه و الأشراف، أخبار الخوارج، ذخائر العلوم و ما كان في سالف الدهور، الرسائل، الاستذكار بما مر في سالف الأعصار، أخبار الأمم من العرب و العجم، خزائن الملوك و سر العالمين، المقالات في أصول الديانات، البيان في أسماء الأئمه، المسائل و العلل في المذاهب و الملل، الابانه عن أصول الديانه، سر الحياه، الاستبصار في الامامه،

و السياحه المدنيه فى السياسه و الاجتماع. و يبدو أوسع كتبه كان كتابه "أخبار الزمان و من أباده الحدثنان". و هو كتاب فى التاريخ العام و الجغرافيا بدأ فى تأليفه سنه ٣٣٢ هـ ٩٤٣ م. و قد بلغ عدد اجزاء هذا الكتاب ثلاثين مجلدا عرض فيها المسعودى الحوادث حتى سنه تأليفه. و قد ضاعت أجزاء هذا الكتاب كلها و لم يبق منها الا مجلد واحد اشتراه المستشرق فون كريمر من مكتبه فى حلب و حفظه فى مكتبه فىينا. و يذكر السائح الانكليزى بورگهاترت Burckhardt فى كتابه "رحلات فى بلاد النوبه" ان شيخا قاهريا قص عليه فى مطلع القرن التاسع عشر للميلاد انه رأى أكثر من عشرين مجلدا من هذا الكتاب، فى ملازم من اربع ورقات فى مكتبه جامع أياصوفيا بالقسطنطينيه. و يبحث المسعودى فى هذا الكتاب تاريخ العالم و جغرافيه ديار الحرب (أى بلاد غير المسلمين)، كما يبحث أيضا فى الأساطير التى تتحدث عن تاريخ مصر القديم. و قد نقل جزءا مما كتبه فى هذا الكتاب فى كتابه "الكتاب الأوسط" الذى لم يبق منه أيضا إلا مجلد واحد محفوظ فى مكتبه البودليان Bodleian Library فى اوكسفورد.

و قد اختصر المسعودى المعلومات التى أوردها فى هذين الكتابين (كتاب أخبار الزمان، و الكتاب الأوسط)، و جمعها فى كتابه المسمى "مروج الذهب" الذى انتهى من تأليفه سنه ٣٣٦ هـ - ٩٤٧ م، و أعاد النظر به سنه ٣٤٥ هـ - ٩٥٦ م، أى قبل وفاته بقليل. و يمكننا ان نقسم ماده الموجوده فى هذا الكتاب إلى قسمين: القسم الأول، و يصف فيه الخليفه و قصص الأنبياء و البحار و الأرضين. و ما فىهما من العجائب شارحا أثناء ذلك تواريخ الأمم القديمه من فرس و سريان و يونان و رومان و فرنجه و عرب قدماء، باحثا مذاهبهم و أوابدهم و أطول الشهور و التقاويم القديمه و البيوت المعظمه عندهم و غيرها. أما القسم الثانى فيختص بتاريخ العرب منذ قيام الرساله الإسلاميه حتى أوائل خلافه الخليفه العباسى المطيع لله. الذى توفى سنه ٣٦٣ للهجره أى بعد وفاه المؤلف بسبعه عشر عاما. و يظهر مما جاء فى مقدمه هذا الكتاب انه اعتمد فى تأليفه على عشرات من الكتب التاريخيه و غيرها كانت موجوده فى أيامه و لم يصلنا منها إلا القليل كتاريخ الطبريو فتوح البلدان للبلاذرى و غيرهما. و قد عرف المهتمون بتاريخ العرب و الإسلام من غير العرب لهذا الكتاب أهميته البالغه فحرصوا على ترجمته إلى اللغات الأجنبية. و قد نقله المستشرق باريه دومينار Barbier de Menard إلى اللغه الفرنسيه و طبع فى باريس بين سنتى ١٨٦١ - ١٨٧٧ م فى تسعه مجلدات، كما نقله إلى الإنكليزيه الأستاذ سبرنجر Spniquer و طبع الجزء الأول منه فى لندن سنه ١٨٤١، و الطبعة الإنكليزيه غير كامله.

و للكتاب عده طبعات عربيه اقدمها طبعه بولاق سنه ١٨٦٧، و لكن أفضلها هى الطبعة المحتويه على مجلدين يضممان أربعة اجزاء و التى أشرف عليها و حققها الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد.

و للمسعودى كتاب مطبوع آخر هو كتاب "التنبيه و الاشراف" الذى ألفه قبل وفاته بقليل و هو على حد تعبير المؤلف نفسه مقدمه لكتبه و تكمله لها. و هذا الكتاب عظيم الأهميه لأنه يحوى كل ما حصله المؤلف من الأخبار بعد أن كتب "مروج الذهب" الكتابه الأولى، و هى التى وصلت إلينا، و قبل ان يعيد النظر به كما ذكرنا آنفا. و هو كتاب جغرافى أودع المؤلف فيه لمعا من ذكر الأفلاك و هيئاتها و النجوم و تأثيراتها و تراكيبيها، و أقسام الأزمنه و الفصول السنويه و منازلها و الرياح و مهابها و الأرض و شكلها و مساحتها و تأثير النواحي و الآفاق على السكان و العروض و الأطول و الأقاليم السبعه و الأنهار و مصابها. كما يذكر فى هذا الكتاب الأمم السبع القديمه و لغاتها و مساكنها كما يذكر ملوك الفرس و الروم و أخبارهم و أخبار الأنبياء و سيره الخلفاء حتى سنه ٣٤٥ للهجره. و ميزه هذا الكتاب انه يحوى الكثير من المعلومات الجديده التى لم يضمها المسعودى مؤلفاته الأخرى. و قد طبع النص العربى الكامل لهذا الكتاب المستشرق دو خويه De Goje فى سلسله "مكتبه جغرافى العرب" و

ذلك في مدينه ليدن عام ١٨٩٤، و قد ترجم النص العربى هذا إلى الفرنسيه المستشرق كارادوفو Carra de Vouk و نشره ضمن منشورات الجمعيه الآسيويه - مجموعه الكتب الشرقيه - و ذلك فى باريس عام ١٨٩٧.

و إذا كان لحرص المستشرقين و المهتمين بتاريخ العرب و الإسلام على ترجمه كتب المسعودى إلى اللغات الأجنبيةه و طبعها و نشرها من دلالة فهى تقديرهم و البالغ لآثار هذا المؤلف و حرصهم على الإفاده منها، و يلخص فازيليف Vasseliev فى كتابه "العرب و الروم" إعجاب المؤلفين الغربيين بكتب مؤرخنا المسعودى بقوله: " و كتب المسعودى مما يقرؤه المسلمون و الأوروبيون على السواء فيجدونه ممتعا طليا و ذلك راجع إلى تنوع الأخبار التى يسوقها المؤلف و إلى قدرته على جعل سرده حيا فى كتبه".

و بعد فهذه هى لمحات من قصه حياه و تأليف علم من أعلام أمتنا تفصلنا عنه سنون تزيد على الألف، أمله علماء الغرب مكانا رفيعا من قلوبهم و أحاطوه بما يستحق من احترام و تقدير، فهل ترانا نحن عرب هذا العصر جديرين بحمل مشعل الفكر و الحقيقه الذى سلمه لنا الأجداد متقدا وهاجا حتى نصل ما انقطع و نبني ما كاد ان يتداعى و يدخل فى غياهب النسيان!! ان أمانه الأجداد، و منهم المسعودى، تهيب بنا إلى مضاعفه الجهد حتى نلحق بركب كنا قادته و كاد اليوم أن يفوتنا.

على سيف الدوله الحمدانى:

اشاره

مرت ترجمته فى موضعها و نضيف إليها هنا هذا البحث عن سيف الدوله الشاعر الناقد مكتوبا بقلم جاسر خليل أبو صفيه:

حدثنا الكتب القديمه و الحديثه عن وجه واحد لسيف الدوله الحمدانى، هو الوجه العسكري، الذى قارع الروم طويلا، فانتصر عليهم و انتصروا عليه أحيانا.

أما الوجه الآخر لسيف الدوله، الوجه العلمى، فقليل ما نلمحه، مختفيا فى طيات الكتب، ترتسم قسماته هنا و هناك، و فى هذه المقاله سنحاول أن نلقى بعض الضوء على هذا الوجه، علنا نتعرف اليه عن قرب، و نعرضه للناس.

نلمح من خلال الضوء الذى أرسله الثعالبى فى يتيمه الدهر (١٨/١) أن بلاط سيف الدوله حوى جله العلماء و الأدباء و الشعراء، كان يباهى بهم غيره من الملوك، حتى قيل بأنه لم يجتمع ببلاط أحد من الملوك ما اجتمع ببلاط سيف الدوله - بعد الخلفاء.

و صورته الكتب لنا على أنه من علماء اللغه العارفين بها و باسرارها، يشهد بذلك ابن خالويه - من مشاهير علماء اللغه فى عصره - و ذلك عند ما دخل ابن خالويه يوما على سيف الدوله فقال له: أقعد، و لم يقل له أجلس. قال ابن خالويه: "فعلت بذلك اعتلاقه باهداب الأدب، و اطلاعه على أسرار كلام العرب، لأنه يقال للقائم أقعد، و للنائم و الساجد اجلس".

و كان يسأل العلماء بحضرتة عن مسائل فى اللغه و النحو، و يناظرهم فى هذه المسائل، و يبدى فيها رأيا يدل على سعه علمه و دقه ملاحظته.

وقال عنه الثعالبي في (اليتيمه ٢٨/١): "وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به".

ص: ١٤٢

و وصفه العماد الأصفهاني الكاتب في "خريده القصر - قسم شعراء الشام ص ٨٢"، بأنه من الملوك الذين "يتفرغون للكتب، و يتشاغلون بالأدب و يؤثرون مجالسه العلماء على منادمه الأمراء، و يقولون الأبيات فيما يعرض لهم من الحالات، و يتفق لهم من التشبيهات".

و رغم ما قيل عن وجه سيف الدوله الأدبي، فان الكتب القديمه تعرض عن روايه شعره أو طرف منه. و إن كانا نذكر المتقدمين بفضل فاننا نخص به أبا منصور الثعالبي، أنه أورد لنا طرفا من أشعار سيف الدوله، و بعضا من مواقفه النقديه، نقل عنه ابن خلكان، و علق على بعض الأشعار.

أما كتابنا المحدثون فقد تناقلوا كلام القدماء عن شاعريه سيف الدوله و روحه النقديه، دون أن يوردوا شيئا من شعره، و إن أشاروا إلى بعض مواقفه النقديه، كما فعل الدكتور محمود السمره في كتابه "القاضي الجرجاني" (ص ٥٦-٦٠).

سيف الدوله الشاعر

انفرد أبو منصور الثعالبي في يتيمة - فيما وقع لدينا - بإيراد متفرقات من شعر سيف الدوله نوردها فيما يلي:

يقول الثعالبي: و مما أنشدني أبو الحسن أحمد الإفريقي المتيم الشاعر لسيف الدوله في وصف قوس قزح، و هو من أحسن ما سمعت فيه على كثرته:

و ساق صبيح للصبوح دعوته فقام و في أجفانه سنه الغمض

يطوف بكاسات العقار كانجم فمن بين منقض علينا و منفض

و قد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجور كنا و الحواشي على الأرض

يطررها قوس الغمام بأصفر على أحمر في أخضر إثر مبيض

كاذيال خود أقلت في غلائل مصبغه و البعض أقصر من بعض

و يعلق الثعالبي على هذه الأبيات بقوله: " و هذا من التشبيهات الملوكيه التي لا يكاد يحضر مثلها السوقه".

أما ابن خلكان فيعلق بقوله: " و قيل ان هذه الأبيات لأبي الصقر القبيصي، و قيل انها لعبد الصمد بن المعذل " (وفيات الأعيان ٧٩/٣).

و يذكر الدكتور شوقي ضيف في حاشيته على كتاب جرجي زيدان "تاريخ آداب اللغه العربيه" (٦٦/٢) ان هذه الأبيات لابن الرومي و هي موجوده في ديوانه. كما يثبتها لابن الرومي أيضا الأستاذ إيلي حاوي في حاشيته على اليتيمه ٥٢/١.

و لعل هذا يلقي ضوءا على كلام الثعالبي، فهو بعد أن قال عن هذه الأبيات بأنها أحسن ما سمع يعقب بتعليق قاس، و كأنه يعرض

بابن الرومى الذى لا يستطيع وصف الأشياء كما يصفها الملوك، و لست أدرى أين هذا الوصف الملوكى فى الأبيات، و أرى ان ابن الرومى لا يعجز عن مثلها، يؤيد هذا ما أورده ابن رشيح القيروانى فى (العمده ٢٢٥/٢) قال:

"حكى أن لائما لام ابن الرومى و قال له: لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز و أنت أشعر منه؟ فقال له: أ لا تنشدنى شيئا من قوله الذى استعجز عن مثله؟ فأنشده قوله فى الهلال و فى الآذريون

(زهر أصفر فى وسطه حمل أسود)

، فصاح ابن الرومى: وا غوثاه، تالله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، انظر اين يقع قولى من قول الناس، هل لأحد قول مثل قولى فى قوس الغمام؟.

"و ساق صبيح للصبح دعوته"

. و رغم أن هذه الروايه محاطه بالشك و التساؤل، إلا أن الأبيات أقرب فى روحها إلى ابن الرومى منها إلى سيف الدوله، لابداع ابن الرومى فى الوصف و التشبيهات، بل له ما يفوقها جمالا و بلاغه.

و من شعر سيف الدوله فى صباه هذه الأبيات الرقيقه فى الغزل:

أقبله على جزع كشرب الطائر الفزع

رأى ماء فاطمه و خاف عواقب الطمع

و صادف فرصه فدنا و لم يلتذ بالجرع

و يحكى أنه كان لسيف الدوله جاريه من بنات ملوك الروم، لا يرى الدنيا إلا بها، و يشفق من الريح الهابه عليها، فحسدتها حظاياها على لطف محلها منه، و أزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره. و بلغ سيف الدوله ذلك فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطا على روحها و قال:

راقبتنى العيون فيك، فأشفقت و لم أخل قط من إشفاق

و رأيت العذول يحسدنى فيك مجدا، يا أنفس الأعلاق

فتمنيت أن تكونى بعيدا و الذى بيننا من الود باق

رب هجر يكون من خوف هجر و فراق يكون خوف فراق

و هى أبيات متكلفه تخلو من عاطفه الحب المشبوهه التى صورتها الروايه لهذه الجاريه، و لا نرى فيها مضمون الروايه أيضا، و قد قال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان ٨٠/٣) بأنه رأى هذه الأبيات فى ديوان عبد المحسن الصورى. و هى تنافى الحس المرهف

الذى يتمته به سيف الدوله.

و من غزليات سيف الدوله، ما أنشده ابن خالويه:

تجنى على الذنب و الذنب ذنبه و عاتبنى ظلما و فى نفسه العتب

و أعرض لما صار قلبى بكفه فهلا جفانى حين كان لى القلب؟

إذا برم المولى بخدمه عبده تجنى له ذنبا و إن لم يكن ذنب

و له فى الغزل أبيات أخرى رقيقه جميله مع سهولتها:

قد جرى فى دمه دم فإلى كم أنت تظلمه

رد عنه الطرف منك، فقد جرحته منه أسهمه

كيف يستطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه؟

فى المدح

و من الغزل ننتقل إلى المدح لنرى ان مدح سيف الدوله لا يكون إلا لمن هو فى منزلته و مكانته، و الأبيات التاليه قالها فى أخيه ناصر الدوله (صاحب الموصل)، (اليتيمه ٥٥/١ - البدايه و النهايه لابن كثير ٢٦٣/١١):

رضيت لك العليا، و قد كنت أهلها و قلت لهم: بينى و بين أخى فرق

و لم يك بى عنها نكول و إنما تجافيت عن حقى، فتم لك الحق

و لا بد لى من أن أكون مصليا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

فى الوصف

و أما الوصف فلسيف الدوله بيتان فى وصف نار الكانون: (٥٥/١)

كأنما النار و الرماد معا و ضوءها فى ظلام يحجب

و جنه عذراء مسها خجل فاستترت تحت عنبر أشهب

و هما من أجمل ما قيل فى وصف النار عند ما يغطيها الرماد.

و روى لنا القزوينى فى كتابه "آثار البلاد و أخبار العباد" (ص ٣٩٣-٣٩٤) ثلاثه أبيات من الشعر مكتوبه على جدار قصر عباس بن

ص: ١٤٣

عمرو الغنوى الموجود قرب سنجار فى العراق و هى:

يا قصر عباس بن عمرو كيف فارقك ابن عمر ك

قد كنت تغتال الدهور فكيف غالك ريب دهر ك؟

واها لعزك بل لوجودك بل لمجدك بل لفخر ك

و تحتها كتب: "كتبه على بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة احدى و ثلاثين و ثلاثمائة". و هى من شعر سيف الدوله فى رثاء عباس بن عمرو.

من هذه الأمثلة القليلة لشعر سيف الدوله نرى ان شعر سيف الدوله محدد الأغراض، فهو بين الوصف و الغزل، أما المدح فنادر. و كان مولعا بما يسمى فى الشعر ب "الإجازة" فيقول البيت و البيتين و يطلب ممن يحضر مجلسه من الشعراء أن يجيز ما قال. من ذلك أن أبا فراس الحمدانى كان فى مجلس سيف الدوله فى نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدوله: أيكم يجيز قولى، و ليس له إلا سيدى، يعنى أبا فراس:

لك جسمى تعله فدمى لم تحله؟

لك من قلبى المكان فلم لا تحله؟

فارتجل أبو فراس و قال:

أنا إن كنت مالكا فلى الأمر كله

فاستحسنه و أعطاه ضيعه بمنج تغل ألفى دينار. (اليتيمه ٣٦/١).

و من ذلك أيضا ان سيف الدوله أنشد المتنبى بيتا، و طلب منه اجازته. (ديوان المتنبى ٤٧/١ شرح العكبرى).

قال سيف الدوله:

خرجت غداه النفر اعترض الدمى فلم أر أحلى منك فى العين و القلب

فقال أبو الطيب المتنبى:

فديناك أهدى الناس سهما إلى قلبى و أقتلهم للدار عين بلا حرب

هذا ما استطعنا إثباته من شعر سيف الدوله، آملين من الله أن نوفق لمعرفة المزيد.

شهد بلاط سيف الدوله مجالس علميه و أدبيه كثيره، و كان يشارك في هذه المجالس مدليا برأيه، مستحسنا أو مستهجنا. و من خلال هذه المجالس برزت مواقف سيف الدوله النقديه، و هذه المواقف ليست نظريات في النقد و إنما هي آراء و أقوال تدل على تذوقه للشعر، و حسن بصره به.

و هذه المواقف قليله في كتب الأدب و النقد التي بين أيدينا.

١ - موقفه من المتنبي عند ما أنشده قصيدته الميميه:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر أهل الكرام المكارم

فلما بلغ قوله فيها:

وقفت و ما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى و هو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمه و وجهك وضاح و ثغرك باسم

قال سيف الدوله: قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتقد على امرئ القيس بيتاه:

كانى لم أركب جوادا للذه و لم أتبطن كاعبا ذات خلخال

و لم أسبا الزق الروى و لم أقل لخيلى كرى كره بعد إجفال

و بيتاك لا يلتئم شطرهما، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين، و كان ينبغي لإمرئ القيس أن يقول:

كانى لم أركب جوادا و لم أقل لخيلى كرى كره بعد إجفال

و لم أسبا الزق الروى للذه و لم اتبطن كاعبا ذات خلخال

و لك أن تقول:

وقفت و ما في الموت شك لواقف و وجهك وضاح و ثغرك باسم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمه كأنك في جفن الردى و هو نائم

فقال المتنبي: أيد الله مولانا، صح ان الذى استدرك على امرئ القيس هذا كان اعلم بالشعر منه، فقد أخطأ امرؤ القيس و أخطأت أنا، و مولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفه الحائك، لأن البزاز يعرف جملته، و الحائك يعرف جملته و تفاريقه، لأنه هو الذى أخرجه من الغزليه إلى الثوبيه، و إنما قرن امرؤ القيس لذه النساء بلذه الركوب للصيد، و قرن السماحه فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعه فى منازل الأعداء، و أنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكرى الردى ليجانسه. و لما كان

وجه الجريح المنهزم لا يخلو من ان يكون عابسا، و عينه من ان تكون باكيه، قلت:

" ووجهك وضاح و ثغرك باسم "

، لأجمع بين الأضداد فى المعنى، و إن لم يتسع اللفظ لجميعها "فأعجب سيف الدوله بقوله، و وصله بخمسين ديناراً من دنائير الصلات، و فيها خمسمائه دينار. (اليتيمه ٣٧/١).

و هذا الموقف يدل على حاسه نقديه و بصر بالشعر، فسيف الدوله قد انتقد بيتى المتنبي، كما أشار إلى نقد امرئ القيس، و أعاد ترتيب الأشطر ليتلاءم المعنى شكلاً. و لكنه عند ما استمع إلى وجهه نظر المتنبي و تخريجه لبيتى امرئ القيس و بيتيه تراجع عن موقفه و أعجب بتخريج المتنبي و كافاه، و هذا أيضا يدل على روح عاليه فى النقد.

٢ - موقفه من أحد الخالدين (و هما من شعراء لسيف الدوله)، و ذلك عند ما أنشده أحدهما قصيدته التى أولها:

لم يغد شكرك فى الخلائق مطلقاً إلا و ما لك فى النوال حبيس

و فيها يقول:

فغدا لنا من جودك المأكول و المشروب و المنكوح و الملبوس

فقال له سيف الدوله: " أحسنت إلا فى لفظه "المنكوح" فليست مما يخاطب بها الملوک "

و يعلق الثعالبي بقوله: " و هذا من عجيب نقده " (اليتيمه ٣٩/١).

و لست أرى فى ذلك عجباً، فنقد سيف الدوله هنا ينصب حول " أدب المخاطبه " و خاصه مخاطبه الملوک، مما يقتضى الشاعر حسن اختياره للألفاظ.

و إذا علمنا ان النقد لا يقتصر على بيان العيوب، و إنما يشمل الاستحسان و بيان الجمال فى الأبيات أو البيت، استطعنا ان نثبت لسيف الدوله عده مواقف نقديه كان يستحسن فيها الشعر على طريقه القدماء، عند ما كان النقد ساذجاً غير معلل.

٣ - من هذه المواقف ما أورده الثعالبي فى (اليتيمه ٣٥/١) من أن أعرابياً أنشد سيف الدوله هذه الأبيات:

أنت على و هذه حلب قد نفذ الزاد و انتهى الطلب

بهذه تفخر البلاد و بالأمر تزهى على الورى العرب

و عبدك الدهر قد أضربنا إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدوله:

"أحسنت والله أنت"

٤ - والإقرار على حكم نقدي يعتبر نقدا أيضا، ويدل على ذوق و بصر، من ذلك ما أورده الواحدى فى شرحه على ديوان المتنبى من أن سيف الدوله كان يسر بمن يحفظ شعر المتنبى، فأنشد أحد الشعراء بيتا للمتنبى فى حضرته

ص: ١٤٤

(المتنبى) و علق بقوله "هذا البيت و الذى يتلوه لم يسبق إليهما"، فقال سيف الدوله: "كذا حدثنى الثقة ان أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت" (المتنبى بين ناقديه - د. محمد شعيب ص ١١٦).

فهو قد أقر حكم الشاعر بان البيتين لم يسبق إليهما المتنبى، و اعتمد فى هذا الإقرار على حكم الثقة من العلماء، و هذا منهج علمى سليم فى إصدار الحكم. و البيتان هما (الديوان ٢٠/٣):

رأيتك فى الذى أرى ملوكا كأنك مستقيم فى محال

فان تفق الأنام و أنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

٥ - و من موافقه النقديه، أن المتنبى لما اشترط على سيف الدوله ان ينشد شعره قاعدا، و ألا يقبل الأرض بين يديه، و أفق سيف الدوله "فلما سمع سيف الدوله شعر المتنبى حكم له بالفضل، و عد ما طلبه استحقاقا" (مقدمه شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ص / ١).

و هذا الحكم للمتنبى بالفضل، لا يكون إلا من ناقد ذواقه يعرف جيد الشعر من رديئه.

و لكن هذه الروح النقديه عند سيف الدوله تتعرض لهجوم عنيف من المتنبى، فيقدح فى ذوق سيف الدوله الشعري - و فى ذلك حط من قيمته النقديه - و سبب ذلك ان سيف الدوله كان يحب الاستكثار من شعر المتنبى، و المتنبى يستقله، فكان ذلك لا يعجب سيف الدوله، و يضايق المتنبى، فأنشد المتنبى: (مقدمه كتاب إيضاح المشكل لأبى القاسم الأصفهانى ص ظ / ١).

و ما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار و الظلم

فهو يصف سيف الدوله بالأعمى الذى لا يميز بين الظلام و النور، و يعنى هنا عجز سيف الدوله عن التمييز بين الجيد و الرديء من الشعر.

و يصل الأمر إلى أكثر من هذا، فكان سيف الدوله إذا تأخر المتنبى عن مدحه شق عليه، و أكثر أذاه، و أحضر من لا خير فيه فيتعرض للمتنبى، فلا يجيب المتنبى مما يزيد فى غيظ سيف الدوله (شرح البرقوقى لديوان المقدمه).

و لكن المتنبى الذى لم يتعرض لهؤلاء الشعراء الذين كان يستقدمهم سيف الدوله و يغريهم بأبى الطيب، لم يستطع احتمال الأمر طويلا فقدح مره أخرى فى ذوق سيف الدوله و فى هؤلاء الشعراء بعنف كقوله:

باى لفظ يقول الشعر زعنفه تجوز عندك لا عرب و لا عجم

فهذا أقسى اتهام يوجه إلى سيف الدوله، فالمتنبى يستغرب كيف يقبل سيف الدوله بهذه الزعانف من الشعراء. و يستحسن شعرهم، مع ان شعرهم لا يستحسنه العربى و لا العجمى.

هذا التعريض بشخص سيف الدوله و ذوقه الأدبي يصل القمه فى مجلس سيف الدوله عند ما كان المتنبي ينشده قصيدته " و أحر قلباه " التى يعاتبه فيها، و يعرض به و بأبى فراس الحمدانى الذى كان يتهم المتنبي بسرقة كل بيت يقوله و يرده إلى أصله، و المتنبي ماض فى إنشاد القصيده، و أمارات الغضب باديه على وجه سيف الدوله، و يزداد هذا الغضب لكثرة مناقشه المتنبي فى هذه القصيده و كثره دعاويه فيها، فيعبر سيف الدوله عن غضبه بضرب المتنبي بدواه كانت بين يديه فيجرحه، و ذلك عند ما أنشده البيت التالى:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا باننى خير من تسعى به القدم

فالنقد الذى عبر به سيف الدوله عن استهجانته لقول المتنبي كان نقدا سلوكيا - إن جاز لنا أن نسميه كذلك - تمثل فى ضرب المتنبي، لأنه أشار إلى تفوقه على سيف الدوله و كل من ضم مجلسه، بل على كل من تسعى به قدم. و رغم هذا العنف من سيف الدوله، فان المتنبي يمضى فى إنشاد قصيدته ليقول معاتبا سيف الدوله و كأنه يعتذر عن البيت السابق:

إن كان سرکم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

و هنا يعبر سيف الدوله عن رضاه و استحسانه البيت بتقبيل رأس المتنبي و مكافاته.

و إلى هنا تسكت الكتب التى بين أيدينا عن إيراد مواقف نقديه أو شواهد شعريه لسيف الدوله، كما نقف نحن، و كلنا أمل فى ان نكون قد ألقينا بعض الضوء على وجه سيف الدوله الشعري و النقدى كما نامل أن تكون هناك دراسات أعم و أشمل حول الموضوع.

ميرزا على خان أديب خلوت.

ولد سنة ١٢٨٥ فى آشتيان و توفى سنة ١٣٣٧.

هاجر مع والده و عمه من آشتيان إلى تبريز. و كان والده من أهل الفضل و الأدب. و عمه الحاج ملا على مجتهد آشتياني من العلماء المعروفين و قد درس عليهما كما درس على السيد حسين الزنوزى البيرنجى، و عنى بإتقان علوم اللغة الفارسيه و العربيه.

من آثاره: تاريخ شعراء ايران. تاريخ علم الحساب الإسلامى الايرانى. قاموس الكلمات الفارسيه، ترجمه نهج البلاغه إلى اللغة الفارسيه، و ضمن الترجمة مقدمه فى دراسه حياه الامام، و أشعارا من نظمه فى مديحه.

و كان شاعرا جمع شعره فى ديوان طبع سنة ١٣١٨. عمل فى الصحافه حيث اصدر فى تبريز سنة ١٣٣٠ جريده الإسلامى.

الشيخ على بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

توفى فى يوم الأحد السابع من شوال سنة ١٣٤٠ و كانت وفاته خطبا اليما فى النفوس و أقيمت له الفواتح فى أكثر الحواضر العراقيه و رثته الشعراء دفن فى مقبرتهم بالنجف الأشرف.

كان من مراجع النجف. نهض باعباء الزعامه العلميه لكن لم تمهله المنون.

حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد حسين الكاظمى و الشيخ آغا رضا الهمدانى و الشيخ محمد طه نجف و كان المترجم وصيه، و على الشيخ حبيب الله الرشتى و الشيخ كاظم صاحب الكفايه و فى الرجال على السيد محمد الهندى.

و حضر عليه اعلام المراجع فى هذا العصر كالسيد محسن الحكيم و السيد حسين الحمامى و الشيخ عبد الرسول الجواهرى - و غيرهم.

كان يقيم الجماعه فى مسجد آل المظفر فى محله المشراق ثم انتقل إلى مسجد الشيخ الطوسى (ره) ثم فى الحرم العلوى.

له (حاشيه على العروه) مطبوعه.

الشيخ على نقى ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد صالح الحائرى

آل الصالحى المعروف ب مدرس الطف.

المولود فى كربلاء سنه ١٢٥٣ و المتوفى بها سنه ١٣٢٠ المدفون فى الإيوان الذهبى فى الروضه الحسينيه عند مدخل الباب الرئيسى فى الرواق الجنوبى.

ص: ١٤٥

كان من أكابر علماء الحائر الشريف و مراجع التقليد و الفتيا و التدريس أخذ المقدمات على أفاضل كربلاء و تتلمذ على والده و أدرك الشيخ مرتضى الأنصاري و تخرج على الشيخ حبيب الله الرشتي و أخذ الحكمة و الفلسفه في المدرسه الصالحيه بقزوين عن الشيخ آغا الحكمي و عمه الشيخ عبد الوهاب البرغاني و غيرهم، تصدر كرسى التدريس و الفتيا في كربلاء بعد شقيقه الشيخ الميرزا علامه الحائري آل الصالحى و عكف عليه الطلاب و اشتغلوا عنده بدراسه الفقه و الأصول و اشتهر امره كان قوى الأسلوب واسع الذهن حاد الذكاء محيطاً بالعلوم القديمه و الحديثه معقولاً و منقولاً لذا عرف بمدرس الطف.

ساهم المترجم له في مشروع شقيقه الشيخ ميرزا علامه الصالحى الحائري في ترويج الزراعه و احياء البساتين في كربلاء، و استقدام الشيعه إليها و إسكانهم فيها و بناء دور لهم في محله خاصه تعرف حتى اليوم بمحله چاچين في شمال مدينه كربلاء القريبه من نهر الحسينيه حيث تشكل كلمه چاچين من كلمتين فارسيتين و هى چاه بمعنى البئر و چين بمعنى الصف و هؤلاء هم العمال الفنيون الايرانيون الذين جلبهم المترجم له و شقيقه ميرزا علامه من قزوين و أصفهان و يزد و كانوا يصفون الآجر في أطراف الآبار التى كانوا يحفرونها في البساتين لإرواء الأشجار في الصيف حينما كان ينقص ماء نهر الحسينيه في ذلك العصر لانه لم تكن آنذاك سدده الهنديه قد انشئت.

و من آثاره في كربلاء تشييد سقف الطارمه المقابل لباب القبله المعروفه بالايوان الذهبى في روضه العباس و الروضه الحسينيه و من مؤلفاته كتاب بدائع الأصول في أصول الفقه و كتاب فقه القرآن في آيات الأحكام.(1)

على بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني.

إشاره

مرت ترجمته في المجلد الثامن، و نشر هنا عنه هذه الدراره بقلم الدكتور نبيه عاقل.

إذا ذكرت العوامل التى هيات للثوره الفرنسيه في القرن الثامن عشر للميلاد، ذكرت النهضه الفكرية التى عاشتها فرنسا في هذا القرن، و أشير بحروف عريضه إلى الدور الكبير الذى لعبه الموسوعيون (الأنسيكلوبيديون)، من أمثال ديدرو Diderot و دالمبرت D'alembert و غيرهما، فى فتح عيون الناس على نور المعرفة و تبصيرهم بواقعهم و بالتالى شحذ همهم للوقوف فى وجه جلاديهم.

الموسوعيون من العرب

و إذا كان على اوربا ان تنتظر حتى القرن الثامن عشر حتى تتعرف على ثمار الفكر الموسوعى، فان عالمنا العربى كان يتنعم بنتاج هذا الفكر منذ أوائل القرن العاشر الميلادى حين نبغ الكثيرون من الموسوعيين العرب الذين لم تقتصر همتهم على ميدان واحد من ميادين المعرفة بل نقلوا أعلامهم بين مجالات متنوعه تنوع الطب و العلوم و الفلسفه و التاريخ و الأدب و علوم البلدان و الحيوان و النبات و غير ذلك. كان الواحد منهم لا ينتهى من تذكره فى الطب حتى يشرع فى بحث فلسفى، و لا يجف مداد ما سوده من أوراق فى التاريخ حتى يملأ الصفحات الطوال فى علم البلدان و هكذا.

أبو الفرج الأصفهاني موسوعى كبير

و أبو الفرج الاصبهاني، أو علي بن الحسين بن محمد الذي ينتهي نسبه إلى مروان بن محمد آخر من استخلف من بني أمية، علم من أعلام الموسوعه العرب يستحق منا وقفه نطل منها على حياته و نتاجه الخصب المتعدد الآفاق.

متى ولد أبو الفرج، و متى مات؟

أما متى ولد أبو الفرج فأمر اتفق عليه دارسو حياته من قدامى و محدثين.

انه العام ٢٨٤ للهجره. أما اين ولد و متى توفي فأمر فيه أكثر من قول. فابن النديم مثلاً يمد في حياه أبي الفرج إلى ما بعد العام ٣٦٠ للهجره، في حين أن أبا نعيم يجعل وفاته في سنه ٣٥٧ هـ، و ابن أبي الفوارس يحدد اليوم الرابع عشر من شهر ذى الحجه سنه ٣٥٦ هـ لانتهاء حياه عالمنا الجليل.

و نحن و إن كنا لا نملك إلا المنطق و الحججه غير المباشره في تفضيل روايه علي روايه من هذه الروايات الثلاث، فانا نميل إلى الأخذ برأى ابن النديم و تأخير وفاه الأصبهاني إلى ما بعد سنه ٣٦٠ هـ لأسباب أهمها ان ابن النديم كان معاصراً له، و بينهما صلات معرفه، و لأن كليهما من سكان بغداد حيث توفي صاحبنا و عاش الشطر الأ-كبر من حياته، و هذا الرأي نخالف فيه الكثيرين من دارسى حياه أبي الفرج من المحدثين الذين مالوا إلى روايه ابن أبي الفوارس و أغراهم بريق اليوم و الشهر اللذين يحددهما هذا الراوى الذي كان من تلامذه الأصبهاني و روى عنه بعض السير و الأخبار.

أين ولد أبو الفرج؟

و ما قلناه عن اختلاف الرأى في تاريخ وفاه أبي الفرج يصح على المكان الذى ولد فيه، فابو الفرج، فى رأى بروكلمان، و هوارث، و صدر الدين، و ماريانا لينو، و أحمد أمين و غيرهم، من مواليد أصبهان التى ينسب إليها و يشتق منها اسمه. و لست أعلم مصدراً قديماً واحداً يشير إلى هذه الحقيقه من قريب أو بعيد، اللهم الا- إشاره لا- تحتمل هذا المعنى ترد فى يتيمة الدهر للثعالبي الذى يقول أثناء حديثه عن أبي الفرج انه "أصبهاني الأصل" و قد نقل ابن خلكان فيما بعد هذه الإشاره و أثبتها فى وفيات الأعيان. و كلمه "الاصبهاني الأصل" لا- تعنى بالضروره انه ولد فى أصبهان، و أغلب الظن أن المقصود منها انه أصبهاني الأصل- صول أو ان أسرته قطنت أصبهان لأمد، و ذلك لأن طبقه الثعالبي من المؤلفين كانت تستعمل هذه الكلمه - "الأصل" - بهذا المعنى، و حين تريد الإشاره إلى مكان ولاده المترجم له تقول: فلان... كوفى المولد، أو شامى المولد، و هكذا. و أبو الفرج نفسه من هؤلاء المؤلفين، فهو حين يترجم للمغنى محمد الرف مثلاً يقول عنه انه "كوفى الأصل و المولد و المنشأ" ليدلنا على مكان ولاده المترجم له و نشأته. و قد يسأل سائل بحق: إذا لم يكن أبو الفرج أصبهاني المولد و المنشأ فمن أين جاءت النسبه "أصبهاني" إلى اسمه، و أين ولد فعلاً؟!

انتساب أبي الفرج

إلى بنى ثوابه من جهة أمه

نحن نعلم أن أسره أبي الفرج لأبيه كانت تقطن مدينه سامراء حاضره الخلافه و مقر دواوين الدوله، كما نعلم أن الكثيرين من أقربائه كانوا يعملون كتاباً فى هذه الدواوين. و سامراء أيضاً مستقر آل ثوابه أسره أبي الفرج لأمه، إذ أنا نقرأ فى الأغاني أن جده

لأمه يحيى بن محمد بن ثوابه، كان يعمل كاتباً في ديوان الخليفة في هذه المدينة. و ما دامت أسرته الأب و أسرته الأم تعيشان في سامراء زمن ولادته صاحبنا فلا- تجنى على الحقيقة إذن في قولنا مع الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه "أبو الفرج الأصفهاني الراوي" أن سامراء هي مكان ولادته على أرجح الوجوه. و انتساب أبي الفرج إلى بني ثوابه من جهة أمه يفسر لنا ميله الشديد إلى الشيعة و حبه المتناهي لآل علي.

فبنو ثوابه، كما يقول ياقوت الرومي، كانوا في الأصل نصارى، و حين أسلموا انتموا إلى المذهب الشيعي. فتشيع الأصفهاني إذن أثر من آثار احتكاكه بأسرته أمه، و لولا- معرفتنا لهذه الحقيقة لظللنا حائرين مع ابن الأثير الذي يعجب الأموي، كأبي الفرج، يتشيع و يظهر هذا الحب و الاحترام

ص: ١٤٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

أبو الفرج بغدادى المنشأ

و إذا كنا قد تلمسنا طريقنا فى متاهه من المعلومات حين تحدثنا عن الجزء الأول من حياه أبى الفرج الأصبهاني، فان ما لدينا من معلومات عن حياه هذا المؤلف الجليل فى شبابه و شيخوخته يجعل مهمتنا أقل عسرا حين نتحدث عنه طالب علم و مؤلفا و شخصيه مرموقه من شخصيات عصره.

تتفق المصادر أن أبا الفرج بغدادى المنشأ و الثقافه و أنه تلقى العلم فى المدينه الزاهره على أيدي النخبه من الرجال العظام الذين كانت تزخر بهم بغداد حاضره العلم و المعرفه فى عالم القرون الوسطى و رغم أننا لا نستطيع تحديد السنه التى أتى أبو الفرج فيها للسكنى فى بغداد إلا أننا نستطيع القول أنه فى سنه ٢٠٠ هـ كان يقيم مع أبيه فى تلك المدينه و ذلك لأنه يحدثنا فى "أغانيه" عن لقائه فى تلك السنه مع شخص قدم عليه و على أبيه دار السلام حيث كانا يقيمان.

و من بغداد يخرج أبو الفرج ليزور البصره و الكوفه و أنطاكيه و غيرها سعيا وراء روايه يتلقفها من فم راو أو خبر لم يطرق مسامعه و هو فى بغداد.

السنه التى أصبح فيها أبو الفرج مؤلفا

و تجيء السنه ٢١٣ [٣١٣] للهجره فينتقل صاحبنا من صف طلاب العلم ليتربع مكانا مرموقا بين صفوف المؤلفين. ففى هذه السنه ألف أبو الفرج مؤلفه "مقاتل الطالبين" الذى أرخ فيه لمن قتل من آل أبى طالب أو مات فى موقعه أو سجن مبتدئا بجعفر بن أبى طالب و منتهيا بالطالبين الذين قضوا خلال حكم المقتدر.

و انتقال أبى الفرج إلى صف المؤلفين هيا له فرصا من الشهره جعلته يحظى بعطف و حمايه أشخاص من نوع الوزير المهلبى وزير معز الدوله الذى وجد مؤلفنا الشاب فى كنفه الظل الوارف و الملبجأ الأمين. و قد أتيح للعلاقه بين صاحب "مقاتل الطالبين" و وزير معز الدوله أن تنقلب إلى صداقه، و أن تدوم هذه الصداقه حتى يفرق الموت بينهما.

و ينصرف أبو الفرج إلى التأليف فيطرق العديد المتنائى من الأبواب، و يضيف إلى كنوز المكتبه العرييه آفاقا ما زلنا نعب من ينايعها الشره حتى هذا اليوم.

اللهو و الاقذاع و القدر فى حياه أبى الفرج

و لكن حياه أبى الفرج لم تكن كلها جدا و تأليفا. فقد اجتذبت أضواء بغداد، و جلبه حاناتها، و شدو قيناتها، و فتنه غلمانها، جزءا غير يسير من انتباه صاحبنا، فشرب و طرب و تمتع بشدو القيان و جمال الغلمان. و قد حفظت لنا كتب الأدب و تراجم الرجال الكثير من أخبار مجونه مما لا نرى ضروره للتفصيل فيه فى مقام كهذا.

و ما دمنا فى صدد الحديث عن أبى الفرج الإنسان فلا بد لنا من أن نشير إلى ما تتحدث عنه الروايات من ضراسه خلقه و حده

مزاجه و إبداعه فى الهجاء من بين فنون الشعر المختلفه، و اقتذاعه فى مذمه إخوانه إذا بدت منهم أصغر الهفوات، أو تراءى له مبهم ما قد يفسره بجفوه أو نبوه. هذا بالاضافه إلى الحديث المستفيض عن قذاره ثوبه و بدنه و كيف أن ثوبه لا يعرف غسلًا منذ أن يترك دكان البائع حتى يصير فى زمرة الأسمال الباليه.

على أن قذاره الثوب و البدن و شراسه الطبع و بذاءه اللسان لم تحرم صاحبنا من نعمه الصداقه و لم تبعد عنه أنس الإخوان، فقد كان له فى جليل مكانته العلميه خير جواز مرور لأرفع الأوساط و أرفه المجالس. عاش أبو الفرج حياه لم يعكر صفوها خوف من جوع أو قله فى المال، فقد كان بيته فى بغداد بين درب سليمان و درب دجله بيتا رافها يدل على غضاره العيش. و لا- غرو فالأصبهاني عمل فى ديوان ركن الدوله كاتبًا، و نعم باعطيات المهلبى و غيره من الساده و درت عليه مؤلفاته مالا ليس بالقليل.

و قبل أن يوافيه الأجل يصاب بالفالج و يخلط، و لكن المنيه ما تلبث أن تضع حدا لآلامه.

أبو الفرج مؤلف متعدد الجوانب

هذه هى الخطوط العريضه للحياه الخصبه التى عاشها علم من أعلام الفكر و الموسوعه فى القرن الرابع للهجره، و إذا كان لا بد لنا من وقفه أمام أحد جوانب هذه الحياه فلا أحرى بنا من أن نطل على الجانب الفكرى فيها، إذ يكمن فى هذا الجانب قصه من قصص الشموخ و العلاء جديره بانحناءه إجلال و إكبار.

كانت ثقافه أبى الفرج ثقافه موسوعيه متعددده الجوانب، و كان من بين الذين تلقى العلم عنهم أناس جالوا فى أكثر من ميدان. و تظهر آثار هذه الثقافه المتسعه المتلوننه تلون قوس قزح فى القائمه الطويله من المؤلفات التى دبحها يراعه. فلأبى الفرج حسب ما تقول المصادر المختلفه الكتب التاليه:

كتاب الأغاني، كتاب مجرد الأغاني، كتاب مقاتل الطالبين، كتاب تفضيل ذى الحجه، كتاب الأخبار و النوادر، كتاب أدب السماع، كتاب أخبار الطفيليين، كتاب أدب الغرباء، كتاب مجموع الآثار و الأخبار، كتاب أشعار الإمام المماليك، كتاب الخمارين و الخمارات، كتاب الديارات، كتاب الفرق و المعيار فى الأوغاد و الأحرار، و هى رساله عملها فى هارون بن المنجم، كتاب القيان، كتاب دعوه النجار، كتاب أخبار جحظه البرمكى، كتاب الحانات، أيام العرب، كتاب التعديل و الانتصاف فى أخبار القبائل و أنسابها، كتاب جمهوره النسب، كتاب نسب بنى عبد شمس، كتاب نسب بنى شيان، كتاب نسب المهالبه، كتاب نسب بنى تغلب، كتاب الغلمان المغنين، و كتاب مناقب الخصيان.

و لم يصلنا من هذه القائمه الطويله الدسمه الا كتاب الأغاني و مقاتل الطالبين، و هما مطبوعان و متداولان، و كتاب الديارات و هو على ما أعلم ما يزال مخطوطا ينتظر يد المحقق و الطابع.

كتاب الأغاني

و نحن و إن كنا لا- نملك حكما على ما لم يصلنا مما كتب أبو الفرج فان لنا فى درته الخالده، الأغاني، دنيا من المعرفه ينتقل فيها المرء من شيق إلى لذيذ، و من مفيد إلى غريب، بين ضروب من التاريخ و الأدب و النقد و الموسيقى و الأخبار و الأنساب و

التراجم و غير ذلك. و الكتاب فى الأساس ألف ليضم الأصوات المائه التى اختارها هارون الرشيد و جمعها إبراهيم الموصلى و إسماعيل ابن جامع، و فليح بن عوراء، و راجعها فيما بعد إسحاق الموصلى بناء على أمر الخليفة الواثق. و لكن الكتاب ليس هذا فحسب، انه السجل الضخم لجميع مناحى حياه العرب و حضارتهم منذ الجاهليه و حتى نهايه القرن الثالث للهجره، انه "ديوان العرب" كما يقول بحق ابن خلدون.

و إذا أردنا تقسيما موضوعيا للماده التى نصادفها فى الأغانى لأمكننا أن نفرق هذه الماده إلى خمس زمر:

١ - معلومات فنيه تتعلق بالموسيقى العربيه و الغناء العربى و مدارس

ص: ١٤٧

الموسيقى، هذا إلى جانب الكثير من الموسيقيين الرجال و النساء و حياتهم و أخبارهم.

٢ - شعر و حديث مستفيض عن الشعراء و المدارس الشعرية و النقد الشعرى.

٣ - أنساب و أخبار تتعلق بالصلوات القبليه، و أبو الفرج كما ألمحنا مؤلف لأكثر من كتاب فى هذا الموضوع.

٤ - أيام العرب.

٥ - تاريخ و نثر و أخبار.

هذا إلى جانب المعلومات الواسعه حول الحياه الاجتماعيه و الحياه فى قصور الخلفاء و الأمراء و مكانه المرأه و أنواع الطعام و الشراب و اللباس و المفروشات و الأسعار و غير ذلك. و قد استقى الأصبهاني هذا الخضم المتلاطم من المعلومات التى احتواها "أغانيه" من مصادر أهمها ما وقع له من روايات شفهيته، أو مكتوبه، و ما قرأه من كتب و ما سمعه من أخبار أو شاهده من حوادث. و لسنا نملك القول أن كل ما رواه صحيح ثابت أو أن كل من روى له أو عنه صادق لا تتطرق اليه ريبه. و لكننا نملك أن نقرر أن الأغاني فى جملته مصدر جدير بثقتنا سيما و أن صاحبه كثير ما يقف ليناقدش رواته أو ليفند روايه لا يطمئن إلى انطباق وقائعها على منطق الأمور.

و بعد فالحديث عن الأغاني و صاحبه يطول: و أنا أعرف أنى لم ألمس من الموضوع الا جوانبه. و أعرف أنى تركت الكثير من المهم دون أن أمد اليه يد المعالجه، خشيه الإملال.

الواعظ المحسن الشهير أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى.

هكذا ذكره الذهبي فى (سير اعلام النبلاء)، و قال: سمع بغزنه (الصحيح) من حمزه القائنى بسماعه من سعيد العيار، و سمع ببغداد من أبى سعد بن الطيورى و غيره. و سمع ولده المعمر احمد (جامع) أبى عيسى الكروخى.

قال ابن الجوزى: كان مليح الإيراد لطيف الحركات - بنت له زوجه الخليفه(١) رباطا، و صار له جاه عظيم لميل العجم. كان السلطان يزوره و الأمراء، و كثرت عنده المحتشمون و استعبد طوائف بنوالة و عطائه. و كان محفوظه قليلا، فحدثنى جماعه من القراء انه كان يعين لهم ما يقرءونه، سمعته يقول: حزمه حزن خير من اعدال اعمال.

و قال السمعانى: سمعته يقول: رب طالب غير واجد، و واجد غير طالب.

و قال ابن الجوزى(٢): كان يميل إلى التشيع، و لما مات السلطان أهين، و كانت بيده قريه فأخذت و طولب بغلها و حبس ثم اخرج و منع من الوعظ لانه كان لا يعظم الخلافه كما ينبغى، ثم ذاق ذلا.

مات فى المحرم سنه احدى و خمسين و خمس مائه (انتهى).

و فى هذه الترجمة من العبر ما فيها، فلمجرد ميل الرجل إلى التشيع لقى ما لقى.

و فى السنه التى توفى فيها أيقن بالموت فارخ وفاته بنفسه فقال:

حان حينى يا إلهى و أنا لم أجد إلاك لى من راحم و انتسابى لعلى المرتضى

فى غد من كل هول عاصمى حملت نعشى أحبابى و ذى

أسرتى تبكى بدمع ساجم و دعا الكل بتاريخى (أنا

رحم الله الخطيب الهاشمى

هـ ١٣٩٥

السيد على بن الحسين الهاشمى.

ولد فى عام ١٩١١ م فى النجف الأشرف توفى سنه ١٩٧٥ م فاضل و خطيب حسينى و شاعر. له من المؤلفات.

١ - ثمرات الأعواد جزءان.

٢ - المطالب المهمه فى تاريخ الأئمه (ع).

٣ - محمد بن الحنفية.

٤ - الحسين (ع) فى طريقه إلى الشهاده.

٥ - الوصول إلى معرفه من دفن فى العراق من أصحاب الرسول (ص).

٦ - معركة صفين أو الخوارج.

٧ - حياه الامام الكاظم (ع).

٨ - كميل بن زياد.

٩ - صعصعه بن صوحان.

١٠ - تاريخ الأنبار.

١١ - زينب الكبرى (ع).

١٢ - شرح قصيده أبى طالب.

- دیوانه الشعرى باسم الهاشميات.

و كان آخر كتاب ألفه و طبع فى بیروت قبل وفاته (الوصول إلى معرفه من دفن فى العراق من أصحاب الرسول (ص). بمجلد ضخم یشتمل على مائه و ثمانیه و ستین صحابیا دفنوا فى العراق.

على بن رثاب التمیمی.

ذكر الذهبی فى سیر اعلام النبلاء أخاه هارون بن رثاب و وصفه بالإمام الربانى العابد، و انه یقال بأنه أجل أهل البصره، و انه حدث عن أنس بن مالك و الأحنف بن قیس و غیرهما. ثم قال: یمان و هارون و على بنو رثاب، فهارون من أئمه السنه، و یمان من أئمه الخوارج، و على من أئمه الروافض، و كانوا متعادين.

الأمیر نظام الدین على شیرین کنجینه بهادر الجغتائی الهروی.

المولود فى سنه ٨٤٤ و المتوفى ١١ جمادى الثانى سنه ٩٠٦.

كان وزیرا عالما فاضلا شاعرا أدبیا محققا ذكيا برع فى الأدب و التاريخ و كان ینظم باللغتين الفارسیه و التركیه هو من أسره الأمراء الذین كان لهم المناصب العالیه فى الدوله الجغتائیه و عاش المترجم له فى سرادق الملوك و درس مع أولاد السلاطین و هو سبط الأمیر أبو سعید من أعظم أمراء بايقرا كما أن والده کنجینه بهادر أيضا من أمراء الجغتائیه و انتهت الیه الرئاسه لا سیما فى عصر السلطان أبو سعید. و فى أوائل شبابه هاجر إلى خراسان لمتابعه دراسته و بعد مده من زمن توجه إلى سمرقند و تخرج من مدرسه الخواجه فضل الله و عند ما استلم مقالید الحكم السلطان حسین میرزا بايقرا فى خراسان استدعاه لاداره أمور الدوله فأجابه و رجع إلى خراسان و أصبح وزیرا فى حکومته و له أیاد بیضاء على الأدب و الشعر الفارسی و التركی و كان

ص: ١٤٨

١- هی خاتون زوجه المستظهری.

٢- فى المنتظم ١٠/١٦٧.

محبا للعلم و العلماء و قد خدم العلم خدمه تذكروفتشكر و له آثار و ماثرباقيه حتى اليوم منها بناء الإيوان الذهبى جنوب الصحن فى الروضه الرضويه و بناء مقبره الشيخ فريد الدين العطار و جلب الماء من عين "كلسب" من جبال هزار مسجد الواقع فى شمال سهل خراسان إلى مدينه مشهد و بناء عده مدارس منها المدرسه الاخلاصيه فى مدينه هرات و له موقوفات كثيره يصرف ريعها على أمور خيريه و هناك تبيان لاوقافه موجود حاليا فى مكتبه ملك الوطنيه فى طهران فى خمس و عشرين صحيفه بقطع كبير و ينص فيها على صرف بعض العائدات على احتفالات نصف شعبان و فى يوم عاشوراء و غير ذلك من الأمور الخيره التى تثبت تعمقه فى التشيع. و له رباعيه فارسىه فى جواب الغزالى الذى يطالب بعدم لعن يزيد بن معاويه و ترك المترجم له مؤلفات كثيره منها اربعه دواوين تركيه يتخلص فيها ب "نوائى" و هى:

١ - غرائب الصغر.

٢ - فوائد الكبير.

٣ - نوادر الشباب.

٤ - بدائع الوسط.

و له ديوان فارسى فى ستة آلاف بيت يتخلص فيها ب (فانى) و (فنائى) و له أيضا إسكندرنامه، و تاريخ الأنبياء تركى، حيره الأبرار، و سبعة سياره، و سد اسكندرى، و سراج المسلمين، و السيف الهادى على رقبه المنادى، فرهاد و شيرين، لسان الطير، ليلى و مجنون، مجالس النفائس فى تراجم الأعيان و الشعراء طبع فى طهران مع مقدمه و تحقيق الدكتور على أصغر حكمت سنه ١٣٦٣، محاكمه اللغتين اى الفارسى و التركى، و محبوب القلوب فى الأخلاق، و ميزان الأوران تركى، و نسائم المحبه فى ترجمه نفحات الأنس تركى و نظم الجوهر تركى، و خمس المتحيرين، و حالات السيد حسن أردشير، و حالات بهلوان محمد أبو سعيد، و تحفه الملوك فارسى، و منشآتى تركى، مفردات فى فن المعمرى.

ذكره كثير من المؤرخين و المحققين و المستشرقين منهم صديقه الأمير سام ميرزا الصفوى المقتول فى سنه ٩٨٣ فى كتابه تحفه سامى ص ١٧٩ و الأمير دولت شاه السمرقندى فى ص ٣٦٨ فى كتابه تذكره الشعراء، و المستشرق إدوارد برون فى كتابه تاريخ الأدب الفارسى ج ٣ ص ٦٣٤ و قال البغدادى فى هديه العارفين (مير على شير بن الأمير غياث الدين محمد المتخلص بالنوائى الأديب من وزراء السلطان حسين بايقراى ملك هرات...) (١) و جاء اسم والده فى المصادر الفارسىه كما أثبتناه نقلا عن صديقه الأمير سام ميرزا الصفوى و لم نعلم من اين نقله البغدادى و فصل عنه على أصغر حكمت فى مقدمه كتابه مجالس النفائس الذى طبعه عام ١٣٦٣ و أعيد طبعه فى طهران مرارا و نصب له تمثال ضخم بزى علماء الشيعه فى طاشقند من مقاطعه ازبكيستان فى الاتحاد السوفيتى، قال شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعه: الأمير على شير الجغتائى مات فى ١١ جمادى الثانيه سنه ٩٠٦ كان وزيرا فاضلا ذا لسانين (فارسى و تركى) يتخلص فى ديوانه الفارسى (٢) ب (فانى) و (فنائى) و فى ديوانه التركى ب (نوائى) و له رباعيه كاشفه عن حسن حاله و هى فى جواب الغزالى ثم أدرج الرباعيه الفارسىه (٣) و أشار إلى دواوينه الأربعه فى الذريعه الجزء التاسع من القسم الثالث ص ٨٠٤ و كما أشار إلى سائر مؤلفاته فى باقى أبواب الذريعه. (٤)

الشيخ على رضا بن المولى كمال الدين حسين الأردكانى الشيرازى.

توفى بعد سنه ١١٢٠.

كان من علماء الشيعة فى العصر الصفوى أديب شاعر مفسر محقق حكيم متكلم عارف متفنن أخذ المقدمات و السطوح على جملة من فضلاء اردكان و شيراز ثم هاجر إلى أصفهان و تخرج على العلمين المولى محمد تقى المجلسى الأول المتوفى سنه ١٠٧٠ و المولى الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنه ١٠٩٤ و لازم استاذه الطالقانى فى قزوین حينما كان مدرسا فى مدرسه النواب و منها هاجر إلى كربلاء و النجف و كان من الاعلام فى كربلاء و شغل كرسى التدريس و الفتوى بها سنين ثم رجع إلى أصفهان و استقر هناك و التف حوله جمع من أهل العلم و الفضل و اشتغل بالتأليف و التدريس و الفتوى و كان من أكابر علماء عصر الشاه سليمان الصفوى المتوفى سنه ١١٠٥ و صنف تفسيره الصغير باسم الشاه سليمان الصفوى و سماه (ترجمه سليمانى) الموجود عندنا و صرح فى أوله (ان هذه ترجمه سليمانى) تفسير منطبق على ظاهر القرآن و اللغه و يشتمل على الحقائق المأثوره عن أصحابنا الاماميه و الأحاديث المرويه عن أهل البيت (ع) و تفاسير المتقدمين و المتأخرين من أرباب الفضل و الدرايه... و له أيضا ديوان شعر، و تفسير الأردكانى و هو تفسير صغير للقرآن الكريم ألفه سنه ١٠٨٤ و المترجم له من علمائنا المنسيين(٥)

الشيخ على مراد بن حسين بن سبز على السيارستاقى التنكابنى

الجيلانى.

توفى حدود ١٢٥٠.

ولد فى سيارستاق من ضواحي تنكابن و تعلم المبادئ و المقدمات بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند أعلامها و اختص بالمولى على النورى فى الفلسفه ثم انصرف إلى التدريس و التأليف و من مؤلفاته:

١ - الرد على (البادرى) الذى أنكر الاعجاز و النبوه.

٢ - هادى المهتدين - فى سيره الأئمه الاثنى عشر.(٤)

السيد على نقى السياورزى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٦٠. و توفى حدود ١٣٢٥.

ولد فى سياورز من قرى تنكابن و درس المقدمات و السطوح فى مدارس تنكابن ثم هاجر إلى النجف الأشرف و حضر عند أعلامها و اختص بالميرزا حبيب الله الجيلانى (المتوفى ١٣١٢) و رجع إلى موطنه و انشغل بالتدريس و التأليف و من مؤلفاته:

١ - كتاب الصلاه فى مجلدات. ذكر فيه آراء استاذه الجيلانى.(٧)

الشيخ على الخونى بن على رضا الخاكردانى.

ولد سنة ١٢٩٢ و توفي سنة ١٣٥٠ هـ.

تلمذ في النجف على المحقق الخراساني و الشيخ هادي الطهراني.

و له آثار منها: تشریح الصدور فی وقایع الأيام و الدهور. رساله القربه فی شرح دعاء الندبه، رساله فی التعادل و الترجیح و شرح قواعد الشهيد لم يتم.

و له أشعار لطيفه منها تخميس أبيات لعلي بن أبي عبد الله الخواني:

يا قبر طوس سقاك الله تربته ما ذا ضمنت من الخيرات يا طوس

ص: ١٤٩

١- إسماعيل باشا البغدادي هديه العارفين ج ١ ص ٧٣٩.

٢- انظر صورته في مقدمه مجالس النفايس تحقيق علي أصغر حكمت.

٣- احياء الدائر آغا بزرك الطهراني ص ١٥٤.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٦- الشيخ محمد السمامي.

٧- الشيخ محمد السمامي.

و منها أيضا تخميس للقصائد الخمس و قصائد اخرى فى مدح الامام الثانى عشر و تخميس قصيده أبى الفتح البستى التى مطلعها:

زياده المرء فى دنياه نقصان و ربحه غير محض الخير خسران

قال ملا على الخيابانى رأيت جميع آثاره بخطه الشريف عند وصيته فى بلده اروميه سنه ١٣٥٢. (١)

الميرزا على آقا المجتهد التبريزى بن المولى عبد العظيم.

توفى سنه ١٣٤٠ هـ فى المشهد الرضوى كان بحرا زخارا يلوح تبخره فى علم الكلام و الحكمه من بعض آثاره.

منها ذخيره المحشر فى شرح باب الحادى عشر و للمترجم له يد طولى فى الأدب و القريض منها تخميس::

يا قبر طوس سقاك الله تربته ما ذا ضمنت من الخيرات يا طوس

و منها تخميس قصيده لملا مهر على الخوئى:

"ها على شبر كيف شبر ربه فيه تجلى و ظهر

(٢)

الميرزا محمد على المدرس الخيابانى:

ولد فى تبريز سنه ١٣٩٦ [١٢٩٦].

كان أدبيا منسيا و كاتبا بارعا له آثار باللغتين العربى و الفارسى منها ريحانه الأدب فى ست مجلدات فارسى و الدر الثمين فى

جمع الاشعار المنسوبه إلى الأئمه المعصومين. (٣)

الحاج الميرزا على آقا الشيرازى.

توفى ١٣٧٥.

درس فى أصفهان و قم - و حضر بحث الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى سنين عديده، و بعد وفاه استاذه الحائرى استقل

بالتدريس و فى أواخر حياته كان يدرس كتاب (نهج البلاغه) و كان يحضر عنده جمع من الفضلاء و كان زاهدا خلوقا عابدا

جامعا للفضائل توفى فى قم فى ٢٣ جمادى الأولى و دفن فى مقبره شيخان. (٤)

الآغا على أشرف بن الآغا على ناصر بن الآغا إسماعيل بن الآغا

خليل المعروف بآغا بزرگ بن الآغا إسماعيل بن الآغا خليل الشيرازى

آل المدرس الشيرازى: من الأسر العلميه المعروفه فى شيراز أصلهم من خراسان و عراق العجم استوطنوا فى أصفهان أيام عز الدوله الصفويه و مع فتنه الأفاغنه فى أصفهان و انقراض الدوله الصفويه هاجروا إلى شيراز و أول من هاجر و بزغ نجمه فى أفق شيراز الآغا خليل المدرس، سكن فى محله يازار مرغ من المحلات المعروفه فى شيراز و كان مدرسا فى مدرسه حكيم و عرف بالمدرس و أصبح لقبه عنوان هذا البيت الجليل و نبغ من هذه الأسره علماء و شعراء و عرفاء منهم شقيق المترجم له الآغا لطف على المدرس من عرفاء و شعراء عصره و يتخلص بأفكار و والده الذى كان من علماء شيراز المعروفين و فصل عنهم الآغا على أكبر النواب المدرس المتوفى سنة ١٢٦٣ شقيقه الأصغر فى كتابه (تذکره دلگشا) و ذکر جمله من علماء هذا البيت السيد ميرزا حسن الحسينى الفسائى عن كتابه (فارسنامه ناصرى) ج ٢ ص ٩٣٥-٩٤٢. ولد المترجم له فى شيراز فى بيت علم و فضل و أخذ المقدمات على أفاضل شيراز و تخرج على رجال أسرته ثم اولع بالعرفان و التصوف و حضر على جمله من العرفاء و الأقطاب الصوفيه ثم اختص بالميرزا أبو القاسم الشيرازى و وصل إلى أعلى المراتب الصوفيه فى شيراز.

و له ولدان عالمان فاضلان الآغا عبد الله المدرس الملقب بفخر العلماء و الميرزا عبد الوهاب المدرس مؤلف كتاب (نخبه الأخبار فى أحوال السلاطين و الأنبياء) و للمترجم ديوان شعر، يحتوى على قصائد و غزليات و مقاطع عرفانيه.

أقول: ذكره ميرزا رضا قلى الهدايه فى رياض العارفين ص ٤٠٣ و معصوم على شاه فى طرائق الحقائق ج ٣ ص ٣٤٧. (٥)

الشيخ على أكبر بن على أكبر الكيلانى الاشكورى المتخلص فى شعره

بالطوعى.

ولد سنة ١٣٠٣ فى قرية أشكور بايران و توفى سنة ١٣٥٤ هجرية فى مدينه رودسر و نقل جثمانه إلى قرية رحيم آباد و دفن بها حسب وصيته.

كان من أجله المجتهدين فى كيلان و كبار الفقهاء. أديب شاعر عارف مرتاض كثير البحث و المطالعه قرأ فى كيلان على جمله من الفضلاء المنطق و علوم اللغة العربيه و فى سنة ١٣٢٥ هاجر إلى قزوین و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ عيسى ابن الشهيد البرغانى و الشيخ على أكبر السياه دانى القزوینى ثم توجه إلى طهران و حضر فى الفلسفه على الشيخ ميرزا حسن الكرمانشاهى المتوفى سنة ١٣٣٦ و منها هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق و استقر فى النجف و تخرج على الشيخ ميرزا حسين النائينى و آغا ضياء العراقى ثم عاد إلى موطنه كيلان فكان مرجعا للأموال الشرعيه هناك و له مؤلفات منها تقارير درس استاذيه النائينى و العراقى فى الفقه و الأصول و له رساله فى العلوم الغريبه و ديوان شعر فى المدائح و المراثى رأيت منه الطبعة الرابعه مطبوعه بدون تاريخ فى مدينه قم باسم ديوان طلوعى (٤)

الشيخ على القوجاني ابن الشيخ قاسم.

عالم محقق مدرس لازم درس الشيخ محمد كاظم الخراساني سنين طويله حتى عد من أفاضل تلاميذه، و صار مقرر بحثه في حياته لجمع كبير من تلاميذ استاذه.

و لما توفي الخراساني سنة ١٣٢٩ صار المترجم له مرجعا لتدريس الخارج من بعده. و لو امتد به العمر لكان له و لآرائه شان كبير.

السيد على بن محمد بن حسين الحسنى التنكابنى.

توفي بعد ١٢٥٧.

ولد في سادات محله من ضواحي رامسر و نشا بها و اشتغل في مدارسها بتحصيل الفقه و الأصول ثم اشتغل بالتدريس، له كتاب (الاخبار) كتبه في رمضان ١٢٤٤ في مدرسه سادات محله و ذكر بأنه كان في سنة ١٢٤٩ في طهران. (٧)

الحاج مولى على بن سلطان محمد الجنازى الملقب بنور على شاه.

ولد في ١٧ ربيع الثانى ١٢٨٤ و توفي في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٧.

ولد في جناباذ و تعلم المبادئ و المقدمات بها ثم سافر إلى مشهد و بقى مده بها مستفيدا من اعلامها، ثم سافر إلى أفغانستان و الهند و الحجاز و العراق و ساح في بعض الدول الإسلاميه سنين عديده ثم رجع إلى موطنه و اشتغل بالتأليف و التدريس و بعد وفاه أبيه قام مقامه في الطريقه الصوفيه إلى أن توفي مسموما قريبا من طهران و دفن في مشهد عبد العظيم.

ص: ١٥٠

١- السيد إبراهيم العلوى.

٢- السيد إبراهيم العلوى.

٣- السيد إبراهيم العلوى.

٤- الشيخ محمد السامى.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٧- السامى.

من تأليفاته - كتاب الصالحية في التصوف و العرفان.(١)

الشيخ على "علاوى" بن الشيخ محمد "حميد" بن الشيخ محمد

حسن صاحب الجواهر.

توفى فى السابع من محرم سنة ١٣١٧.

قال فى الحصون عنه: كان عالما فاضلا متواضعا قاطعا للخصومات فى مجلس القضاء مسلم الحكومه بين الأهالى.

تقام له الجماعه فى مسجدهم المشهور مقام أخيه، و قال فى التكملة:

من المعاصرين كان مرجعا للقضاء للغرويين مسلم الحكومه عندهم رايته يدرس كتاب جده (الجواهر) و كان يحضر عليه جماعه فيهم أهل الفضل.

حضر على الشيخ مرتضى الأنصارى و السيد حسين الترك له مؤلفات فى الفقه و الأصول.(٢)

أبو القاسم، على بن القاضى أبى على المحسن بن على التنوخى

البصرى ثم البغدادى،

و ولد صاحب كتاب "الفرج بعد الشده"، و كتاب "النشوار"، و غير ذلك.

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء: القاضى العالم المعمر صاحب كتاب (الطولات).

ولد فى شعبان سنة خمس و ستين و ثلاث مائه بالبصره.

و سمع لما كمل خمسہ أعوام من: على بن محمد بن سعيد الرزاز، و على بن محمد بن كيسان، و أبى سعيد الحرفى، و أبى عبد الله الحسين بن محمد العسكرى، و عبد الله بن إبراهيم الزبيبي، و إبراهيم [إبراهيم] بن أحمد الخرقى، و خلق كثير.

قال الخطيب: كان متحفظا فى الشهاده، عند الحكام، صدوقا فى الحديث، تقلد قضاء المدائن، و قرمىسين، و البردان.

و قال أبو الفضل بن خيرون: قيل: كان رأيه الرفض و الاعتزال.

و قال شجاع الذهلى: كان يتشيع، و يذهب إلى الاعتزال.

قلت: نشا فى الدوله البويهيه، و أرجاؤها طافحه بهاتين البدعتين و قيل: إنه صحب أبا العلاء المعرى، و صادقه، و أسمعه "صحيحه".

مات في ثاني المحرم، سنة سبع و أربعين و أربع مائه.

حدث عنه: أبي النرسی، و الحسن بن محمد الباقرحی، و نور الهدی حسین بن محمد الزینبی، و أبو علی بن المهدي، و أبو شجاع بهرام بن بهرام، و أبو منصور بن النور، و أبو القاسم بن الحصين، و خلق سواهم.

و روى شيئاً كثيراً.

يقع لنا حديثه عالياً، و هو راوی كتاب "الأشربة" لأحمد بن حنبل.

الشيخ على الكنبدي الهمداني

ولد في قرية كنبد من توابع ملاير همدان في شعبان سنة ١٢٨٧ و توفي سنة ١٣٦٤ و نقل جثمانه إلى قم و دفن بمقبره شيخان جنب قبر صاحب القوانين.

قرأ المقدمات و العربية على والده الشيخ محمد على الكنبدي و في سنة ١٣٠٥ هاجر إلى أصفهان و حضر على الآخوند ملا محمد الكاشاني و الشيخ الآغا محمد تقی النجفی و في سنة ١٣١٧ قصد العراق و انضم إلى حوزة الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني صاحب الكفايه و السيد محمد كاظم اليزدي و حضر في الأخلاق على الآخوند ملا حسين قلى الهمداني ثم رجع إلى موطنه و انتهت اليه الرئاسة الروحية في همدان و ملاير، من مؤلفاته شرح مشكلات ديوان السيد الرضى تقريرات في الفقه و الأصول لاستاذ صاحب الكفايه، و تقريرات في الفقه و الأصول لاستاذ السيد كاظم اليزدي، كتاب الأخلاق، حاشيه على التبصره للعلامة الحلبي، رساله عمليه، رساله في تاريخ حياته. (٣)

الشيخ على نقي الخالصي.

ولد في الكاظميه فرعاه جده الشيخ راضي و درس على خاله الشيخ محمد و عمه الشيخ مرتضى علوم اللغة العربية، و على جده الشيخ راضي علوم الفقه و الأصول و الكلام.

ساهم في الثورة الوطنية العراقية سنة ١٩٢٠ برفقه أحد أبطالها الشيخ مهدي الخالصي، ثم نفى معه بعد ذلك إلى الحجاز و ايران.

تولى الامامه و الخطابه و التدريس في جهات مختلفه من العراق و آخرها في الحسينيه الفاطميه في الكاظميه.

كتب في العقائد و التاريخ و اللغة. و له ديوان شعر مخطوط في ثلاثه اجزاء. و طبعت له باشرافه سنة ١٣٩٣ منظومه مشروحه بقلمه باسم (الأنوار المضيئه في العقائد الإسلاميه و فضائل أهل البيت) و قد أرخ تاليفها السيد على الهاشمي بهذه الأبيات:

اتي على بنظم ملؤه الحكم جارى به المتنبى في فرائده

و این منه البحترى و قد سما عليه بمعنى من قصائده

فاز النقى على حين ألفه أرخت (فوزا عظيما فى عقائده)

الشيخ على القمى.

(٤) قال الشيخ آغا بزرك:

هو الشيخ على بن الشيخ محمد إبراهيم بن محمد على القمى النجفى فقيه بارع، و عالم جليل، و زاهد معروف.

كان والده من علماء عصره الأعلام، و قد صاهر أيام دراسته فى النجف الشيخ مشكور بن محمد الحولاوى النجفى - جد الأسره العلميه المعروفه باسمه (آل الشيخ مشكور) - على ابنته و هى أم المترجم له.

ولد فى طهران فى السابع من شهر رمضان سنة ١٢٧٣ كما حدثنى به، و نشأ على والده الجليل فتربى فى حجر العلم و التقوى، و تعلم المبادئ و قرأ المقدمات و السطوح على لفيف من أهل الفضل، ثم هاجر إلى النجف الأشرف بعد سنة ١٣٠٠ هـ فحضر فى الفقه و أصوله على الميرزا حبيب الله الرشتى، و الشيخ عبد الله المازندراني، و الشيخ محمد كاظم الخراسانى، و الشيخ آغا رضا الهمداني، و الميرزا حسين الخليلي، و كتب تقاريرات دروسهم، و حضر فى الحديث على الشيخ ميرزا حسين النورى، و فى الأخلاق على المولى حسين قلى الهمداني، و بعده على السيد مرتضى الكشميرى فكان من خواص أصحابه و ملازميه إلى أن توفى.

بلغ المترجم له فى العلوم الإسلاميه درجه عاليه، و أصاب حظا عظيما، و أصبح من المجتهدين و أفاضل الفقهاء و عمره دون الأربعين،

ص: ١٥١

١- الشيخ محمد السماوى.

٢- السماوى.

٣- الصالحى.

٤- مرت له ترجمه موجزه فى مكانها، و قدر رأينا ان نأخذ هذه الترجمة التى كتبها الشيخ آغا بزرك الذى هو اعرف الناس به.

و صار له بين كبار المشايخ و زعماء المذهب من مشايخه و غيرهم مكان رفيع و احترام، و قد كتب على عهد معظم أساتذته فى الفقه الاستدلالي فى غاية البسط و الدقه، مما يكشف عن علو كعبه و رسوخ قدمه، و كتب فى الرجال و الحديث مواضع تدل على براعته الفائقة و خبرته الواسعه فى هذا العلم الذى هو الدعامة الأولى للاجتهد و الباب الوحيد للاستنباط.

عرفت المترجم له فى النجف الأشرف فى سنة ١٣١٤ هـ. بعد هجرته إليها من طهران بعام واحد، و ذلك عند ما انخرطت فى زمره تلامذه الشيخ ميرزا حسين النورى فقد كنا عرفناه فى سامراء قبل هجرته إلى النجف، و انضم إلينا بعد سنوات الشيخ عباس القمى و كان المترجم له هو الوسيط فى تلك الصلة فهو الذى دله عليه و عرفه به. و بقينا نحن الثلاثة أوثق صلة به و أشد ملازمه له و اقتباسا منه و علقه به حتى اختار الله له دار إقامته، و ظلت حلقات دروس المشايخ فى النجف تجمعا، و حوزات الأبحاث و المذاكره تضمنا، و الصلة تتوثق بمرور الزمن و العلقه تزداد إلى أن انتقلت إلى سامراء على أثر وفاه شيخنا المحقق الخراسانى فى سنة ١٣٢٩ هـ للالتحاق بمعهد الشيخ محمد تقى الشيرازى و حضور درسه، فكان المترجم له يكثر التردد لزياره العسكريين ع و يحل فى بيتنا و يطول مكثه غالبا، و يحضر خلال تلك المده بحث بعض مدرسينا، و كان كثير المذاكره و المناقشه فى المسائل العلميه دائمه الاشتغال فى التأليف و المراجعة و نحوها، فكان لا- يفتر عن التأليف حتى فى السفر، فقد فرغ من بعض آثاره فى النجف و من بعضها فى مسجد الكوفه و هو معتكف، و فرغ من بعضها فى الكاظميه أو سامراء، و من بعضها فى المدينه أو مكه أيام تشرفه إلى حج البيت.

عرف المترجم له بالورع و التقى و الزهد فى حطام الدنيا منذ نعومه أظفاره و كان سالكا طريق النجاه، دائمه الاشتغال بمجاهده النفس، و المراقبه، لا يأكل و لا يشرب و لا يلبس و لا يستعمل كل ما يجلب من بلاد غير المسلمين حتى القرطاس و المداد و يترك المشتبهات، و يزهده فى كثير من المباحات، و يعمد غالبا إلى اجتناب الأطحه اللذيذه، و الألبسه الجيده، و الأفرشه الوثيره، فكان يأكل الجشب و يلبس الخشن، و يفترش ما يصنع من سعف النخل، أما فى المساجد و الأماكن التى يحرز طهارتها فطالما افترش عباة و جلس عليها تواضعا، و كان لا يعتنى بمظهره و لا يهتم بخياطه ملابسه و لونها مما يجعل شكله أشبه بالفقراء و الغرباء و أعراب البوادي، فقد كان يعمد إلى ذلك مخالفه للنفس و تواضعا لله و عباة، و بغضا للظهور، مع المحافظه على الآداب الشرعيه، فقد كان مواظبا على نظافه جسمه و ملابسه على بساطتها فهو نظيف الملبس طاهر الثياب.

و قد كان شديدا فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا تأخذه فى الله لومه لائم، لا يعرف المجامله و المداهنه فيما يعود إلى الدين، و لا- يشتري رضا المخلوق بسخط الخالق مطلقا، أما الغيبه بل الحديث فى غير ما يصلح شئون الآخره فلم يعرفها طيله عمره، و لم تسمع منه، فان نطق بين الناس فلا يعدو حديث العلم و نحوه مما لا علاقه له بشئون الدنيا، و ان اختلى و اعتزل اشتغل بالتأليف أو قراءه القرآن و الذكر، أو التفكر فى ماله.

و قد اشتهر فى ذلك بين الخواص و العوام و اتفقت كلمه أهل العلم و الدين من العرب و الفرس و سائر طبقات النجف على أنه أروع و أتقى و أعدل علماء عصره، حتى لم يوجد بين الناس من يشك فى ذلك أو يناقش فيه، و قد لقب بالزاهد فكان يعرف بذلك بين بعض الناس. و كان يقيم الجماعه فى مسجد الهندى فتاتم به الجموع الغفيره و يتسابق إلى درك صلواته صفوه العلماء و أهل الفضل، و نخبه الصلحاء و المعروفين بالتقوى و النسك و العباة، و قد غطت شهرته بالزهد و الصلاح مكانته العلميه و مقامه الشامخ فى الفقه و الاجتهاد، و المؤسف أن هذا الظن قد تسرب إلى بعض الأفاضل من الأعلام و تحول إلى

اعتقاد عند البعض الآخر، و مرجعه سكوته الطويل و عدم حبه للظهور و الادعاء أو الدعوه إلى النفس فقد كان قليل الكلام جدا
يجيب على قدر السؤال متى سئل، و لا يبدأ جليسه بالكلام مطلقا في الأمور الخاصه فضلا عن الخوض في الأحاديث العامه، و
نشا بين أهل العلم جيل لم يسمع عنه غير الزهد فظنه كل ما يزين الرجل، و قد عشنا معه السنين الطوال و عرفنا مكانته جيدا.

و كان شديد الصبر إلى حد لم يألفه أهل هذا الزمان، فقد توفي ولده في النجف فلم يجزع، و لما عاد من دفنه وصله خبر وفاه
ابنه الآخر في إيران فخر ساجدا لله، و كان مجلس الفاتحه للاثنين، و كان يشكر الله على ما يصيبه من بلاء فيعتقد بأنه اختبار
للعبد و تمحيص لذنوبه كما هو مفاد جمله من الأحاديث الشريفه، و قد شهد بذلك الجميع في مرضه الذي توفي فيه فقد أصيب
في المجارى البوليه، و أجريت له عمليه لم تجده و صنع له مجرى بول من خاصرته، و ذهبوا به إلى إيران غير مره فلم ينفعه
علاج و ظل أسير المرض و رهن المنزل نحو عشر سنين، و كان يزوره الأعلام و الأخيار و المحبون و سائر المؤمنين، فلم يسمع
منه أحد من زائريه أو ممرضيه من أهل البيت خلال تلك السنين و هو في حاله يرثى لها، كلمه تشم منها رائحه الجزع أو السام،
أو الشكوى مطلقا، بل كان لسانه يلهج بالحمد و الشكر و الرضا بامر الله و قضائه و قدره، إلى أن اختار الله له دار الإقامه بعد
العشاء ليله الأربعاء الثاني و العشرين من جمادى الثانيه سنه ١٣٧١.

و برهنت الهيئات العلميه و أهل النجف على اختلاف طبقاتهم عن مدى الفجيعه ببقية السلف الصالح فلبست عليه الحداد و
حملته على الرؤوس و أغلقت له الأسواق و عطلت الدروس، و دفن في مقبره نظيره في العلم و التقى الشيخ نصر الله الحويزى
المتوفى سنه ١٣٤٦ في مقبرته الخاصه مقابل مقبره صاحب (الجواهر) في محله العماره حسب وصيه الحويزى فقد كان أوصى
ولده الشيخ محمد طه بدفن القمى معه في داره، و نفذت الوصيه كذلك، و كانت بين القمى و الحويزى علاقته وثيقه و ثقه
متبادله و إحاء في الله تعالى، فقد غسل المترجم له المرحوم الحويزى بيده و كفنه و صلى عليه و ألحده في قبره و دفن أخيرا
معه.

و قد أقيمت له الفواتح العديده في النجف و غيرها من مدن العراق و ايران و باقى البلدان الإسلاميه، من قبل العلماء و الهيئات و
باقى الطبقات و استمرت مده طويله، و رثاه بعضهم و أرخ وفاته السيد محمد حسن آل الطالقانى بقوله:

راع ذوى الفضل مصاب به هز عمود الدين هولا فمال

و أظلم الكون على فقد من نموذجاً قد كان بين الرجال

و الناس ضجت لمصاب له هدت من الحزن رواسى الجبال

و الكل منهم قد غدا سائلا: و ليس ثم من يجيب السؤال

هل فقد الدين عميدا له؟ أرخ أجل و غاب بدر الكمال

ترك مؤلفات قيمه منها: (تنوير المرآه) فى شرح أسانيد الكافى و بيان أحوال الرجال المذكورين فى سند أحاديثه على ما أورده
العلامه المجلسى فى (مرآه العقول) رأيت منه مجلدا بخطه قبل سنين طويله، و كان قد وصل إلى باب الكفاف من أصول

الكافى، و مشغولا بإتمامه و خرج منه بعد ذلك كراريس وقفت عليها بعد وفاته و لم يوفق لإتمامه، و (سراج المبتدى) فى شرح
(بدايه الهدايه) للشيخ الحر العاملى، رأيت عنده بخطه قطعه منه من أول التجاره إلى أحكام الرضاع متفرقه فرغ منها فى سنه
١٣٤٣ ثم أتم مبيضته فى التاريخ إلى آخر الديات، و خرج منه من أبواب العبادات كراريس

ص: ١٥٢

قليله لكل باب كراس غالبا رأيتها بخطه بعد وفاته و (شرح التبصره) مبسوط في أربع مجلدات، الأول من الطهاره إلى النهى عن المنكر، و الثاني من المتاجر إلى آخر الوصايا، فرغ منه في سادس ذى القعدة سنه ١٣٢١ و على ظهره إجازة مفصله له من الشيخ عباس القمى تاريخها سنه ١٣٢٢.

و الثالث النكاح، و الرابع الطلاق، و سماه كتاب الفراق بأنواعه، و قد كتب الجميع على الورق الإسلامى المجلوب من بخارا، و الذى كان السلف الصالح و العلماء الأتقياء يحرصون على استعماله دون سواه، فرغ من كتاب الطهاره فى سنه ١٣٢١. و من الجميع فى سنه ١٣٢٦ ثم شرح كتابى الصلاه و الحج ثانيه أبسط من الشرح الأول و فرغ منهما فى سنه ١٣٣٢، و له (صلاه المسافر) تام فرغ منه فى تاسع جمادى الأولى سنه ١٣١٨ و (الغواشى عن بعض شبهات الحواشى) و (مجموعه كشكوليه) على الشكل البياضى المألوف قديما، استنسخ فيها (فصل القضاء) و غيره من فوائد متفرقه، و (مصباح الأنيس) فى تعريب (أنيس التجار) و (تدوين حواشى الوسائل) فقد عثر فى الكاظميه على نسخه الأصل من (الوسائل) بخط صاحبها الشيخ الحر، و عليها حواشى منه بخطه أيضا فدونها مستقلا فى سنه ١٣٤١ و له تقارير درس أستاذه الهمدانى فى الأخلاق، و الرشتى و غيره من مشايخه فى الفقه و الأصول و الحديث، كلها كراريس متفرقه، و له آثار أخرى متفرقه فى مواضيع مختلفه، و قد وقفت على الجميع بعد وفاته عند ولده الفاضل الشيخ موسى القمى.

على نقى بن محمد بن سليمان التنكابنى الشهير بالمجتهد

(السليمانى).

ولد حدود ١٢٨٠ و توفى ١٣٤٢.

ولد فى سليمان آباد من ضواحي تنكابن و نشأ فى حجر أبيه الميرزا محمد التنكابنى صاحب قصص العلماء - و فى السابعة من عمره انصرف إلى تعلم الصرف و النحو و المعانى و البيان و بعد إتمامها دخل المدرسه السليمانيه فى سليمان آباد و قرأ المقدمات و السطوح و حضر مده على أبيه ثم ذهب إلى طهران و حضر بحث الميرزا محمد حسن الأشتيانى و فى حدود ١٣٠٨ ذهب إلى النجف الأشرف و حضر عند أعلامها. و حضر برهه من الزمان بحث الميرزا الشيرازى و فى حدود ١٣١٥ رجع إلى موطنه و حصلت له مرجعيه و أصبح موثوقا عند الخواص و العوام و قام بالتدريس و التأليف إلى أن توفى بها له مؤلفات عديده فى الفقه و الأصول تبعثرت و تفرقت بعد وفاته و لم اطلع عليها. (١)

ميرزا على ثقه الإسلام ابن موسى.

ولد فى تبريز سنه ١٢٧٧ و استشهد سنه ١٣٣٠.

درس على أبيه و جده ثم سافر إلى العراق حيث تابع دراسته على علمائه فى الفقه و الأصول و الحكمه و الأدب و الرياضيات. ثم عاد إلى تبريز و عند ما احتل الروس تبريز سنه ١٣٢٧ قاومهم و تصدى لهم و واصل تحريض الشعب عليهم فى الجريده المحليه، و توجيه الرسائل إلى رئيس الأركان الروسى، و لما جاء عيد النوروز دعا الشعب إلى اعتباره يوم حزن لا يوم سرور. كما نظم القصائد الفارسيه الوطنيه الحماسيه فى الدعوه لمقاومه الاحتلال، مما أدى فى النهايه إلى أن يحكم الروس عليه بالاعدام شنقا، و

نقد الحكم يوم عاشوراء من سنة ١٣٣٠.

له مؤلفات منها: رساله لالان و لاحقه آن. مقتل سيد الشهداء. و كتاب عن مؤلفات علماء الشيعة، و حتى استشهاده كان لا يزال مشغولا بتأليفه.

سديد الملك أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ

مؤسس إماره بنى منقذ فى شيزر(٢):

شهدت بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر ميلادى) قيام عدّه أمارات مستقله لعبت دورا هاما فى تاريخ المنطقه، فكان فى حلب آل مرداس، و فى طرابلس آل عمار و فى صور آل بنى أبى عقيل.. ثم قامت إماره بنى منقذ فى شيزر على يد مؤسسها سديد الملك أبى الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، فى الربع الأخير من القرن الخامس الهجرى.

و فى هذه مقاله سنتعرف على الأمير سديد الملك و جهوده فى تأسيس تلك الاماره:

كان سديد الملك مقيما فى حلب أيام أميرها تاج الملوک محمود بن نصر المرداسى المعروف بابن الروقليه. و نقرأ اسمه لأول مره فى حوادث سنة ٤٦٠هـ، و هو يتولى أمر استلام حصن "أسفونا" من أحد أمراء المغاربه و تسليمه إلى تاج الملوک. و يظل مقيما فى حلب حتى سنة ٤٦٤هـ، حيث رحل عنها هربا من تاج الملوک، حين أحسن أنه يريد القبض عليه و قتله، كما فعل بغيره من أصحابه. و كان سديد الملك أخوا تاج الملوک من الرضاعه، و قد غلب حب الدنيا على تاج الملوک و رغب فى جمع المال، فلجا سديد الملك إلى مكان يدعى "خريبه الفايا" و اجتمع فيه بقائد يدعى أبى حرب - و كان صاحب سر تاج الملوک و نديمه - و لابن منقذ إحسان كثير عليه و صنائع جمه، و قال له:

"قد استشعرت من تاج الملوک فانظر ما عمله معى". فقال أبو حرب: أ تكلفنى أن يقول الأمير: أريد أقبض على فلان، فأخبرك بذلك! لا، و الله، و لكن أنا أنفذ إليك مع عجوز عندى ألفى دينار، فإذا نفدت طلبتها منك فشأنك و نفسك".

فبقيت تلك الدنانير عند سديد الملك مده ثم أرسل أبو حرب العجوز يطلبها، و كان سديد الملك قد أصلح نفسه للسفر، فدفع الدنانير للعجوز، و ركب من يومه، و خرج من حلب إلى معره النعمان و كفر طاب فاستصحب منهما ما أراد.

و أرسل إليه أحد أصحابه - و يدعى ابن الدوح - يسأله الاجتماع به فاجتمعا، فقال ابن الدوح: ما رأيك فى الدخول إلى حلب؟ فقال سديد الملك: ما أقول لك شيئا لأن لك مالا عظيما، فان أشرت عليك بتركه كنت ملوما عندك، و لكنى أقول لك ما أعمل و أنت ترى رأيك. و الله لا نظرت محمودا أبدا. فعاد ابن الدوح إلى حلب خوفا على أمواله، و لكن تاج الملوک كان له بالمرصاد فقتله و لم يمهله.

سار سديد الملك إلى طرابلس فأقام عند قضاتها و أمرائها من بنى عمار. فكتب تاج الملوک محمود إلى أمين الدوله ابن عمار صاحبها يأمره بالقبض عليه و يبدل له ثلاثه آلاف درهم و رقيه فلم يظفر به. و كاتب تاج الملوک أمين الدوله و أخاه فى تسليم سديد الملك فلم يستجيبا لرغبته و تنكرا له.

و كان سديد الملك يعتمز ركوب البحر و الانتقال إلى مصر، فصادف أن توفي أمين الدوله ابن عمار في تلك السنه ٤٦٤ هـ، فوقف إلى جانب ابن أخيه جلال الملك ابن عمار، و عاضده بمماليكه و من خرج معه من أهل كفر طاب فاخرجوا أنا أمين الدوله. و أصبح جلال الملك الحاكم على

ص: ١٥٣

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- هى اليوم انقاض مدينه سوريه على نهر العاصى شمالى مدينه حماه، فيها قلعه مشهوره..

المدينه، و بذلك عظم محل سيد الملك عنده حتى كان يشركه معه فى الحكم.

و عاد تاج الملوک صاحب حلب يکاتب سيد الملك و يطيب قلبه و هو لا يثق بذلك. و لجا إلى الاحتيال فى استقدامه للفتک به، فأوعز إلى کاتبه أبى النصر محمد بن الحسين أن يکتب اليه کتابا يشوقه فيه و يستعطفه و يستدعيه اليه. و فهم أبو النصر الغرض الحقيقى من ذلك الكتاب، و كان صديقا لسيد الملك، و لكنه كان مكرها على کتابه الكتاب فکتبه كما أمر به تاج الملوک حتى إذا بلغ قوله: "إن شاء الله تعالى" شدد النون فى إن و فتحها فجعلها (إن) و أنفذ الكتاب. فلما وصل إلى سيد الملك قرأه ثم عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس و من فى مجلسه من الخواص فاستحسنوا عبارته الكتاب و استعظموا ما فيه من رغبته تاج الملوک فى سيد الملك و إيثاره قربه، فقال سيد الملك: "إنى أرى فى الكتاب ما لا ترون". ثم أجابه على الكتاب بما اقتضاه المقام و كتب فى جملة ذلك:

"أنا الخادم المقر بالأنعام"، و كسر همزه أنا و شدد نونها فصارت "إنا".

فلما وصل الكتاب إلى تاج الملوک و وقف عليه أبو نصر الكاتب، سر بما رأى فيه و قال لأصدقائه: قد علمت ان الذى کتبه لا يخفى على سيد الملك.

و كان أبو نصر قد قصد بتشديد نون (إن) الإشارة إلى الآية: (إن الملائمات يأترون بك ليقتلوک)، فأجابه سيد الملك بتشديد (إنا) إشارة إلى الآية: (إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها). و لما يئس تاج الملوک من عوده سيد الملك استولى على جميع ممتلكاته.

و هناك حكاية أخرى تثبت ذكاء سيد الملك و معرفته الواسعة باللغه و النحو، فقد ذکر عنه أنه كان مع شرف الدوله مسلم بن قريش صاحب الموصل على حصار حلب فى سنة ٤٧٢ هـ، أيام صاحبها "سابق بن محمود"، و كان الحصار قد طال حتى أن سيد الملك سئم ذلك و أراد أن ينفصل عن سور حلب و فيما هو يهيم فى ذلك إذ بصديق له من أهل الأدب يصل اليه و هو عند السور، فقال له سيد الملك: "كيف أنتم" فقال الرجل: "طول جب" خوفا من تفسير الكلمه. فعاد سيد الملك و هو يقلب هذا الكلام فصح له أنه قصد بكلامه أنهم قد ضعفوا، و أوجس أنهما كلمتان و أن قوله "طول" يريد به "مدا" و "جب" يريد به "بير" فقال:

"مدا بير و الله". و أخبر شرف الدوله بذلك فتوطد العزم عنده على الاستمرار فى الحصار حتى امتلك حلب، و أقطع سابق بن محمود مواضع فى أعمال الرحبه، و عزم على الزواج من أخته بنت تاج الملوک فكان سيد الملك سفيرا بينهما و تم الأمر على يديه.

و مكافاه له على موقفه، فقد وعده شرف الدوله خيرا و قال له: "امض فى دعه الله فانا سائر فى بلادى، و يجب أن تصلح حالک فانا أصل و أبلغک کل ما تؤثره". و لكن هذا الوعد لم ينجز إذ دخل وزير شرف الدوله حلب و صادر أموالها و ضاعف الخراج على أهلها، فانتقل سيد الملك إلى قلعه الجسر و عمرها و أخذ يضايق شيزر و بها أسقف البار و ضيق عليه إلى أن راسله و اشتراها منه، و استحلفه على أشياء اشترطها عليه.

و حول استيلاء سيد الملك على شيزر يذكر ابن الصابى أنه وقف على کتاب بخطه يقول فيه: "کتابى هذا من حصن شيزر، و

قد رزقني الله تعالى من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لمخلوق، و من دون هذا الحصن بيض الأنوق، و من وقف على حقيقه الحال علم أنى هاروت...

إننى أفرق بين المرء و زوجته، و أستنزل القمر من محله، و أجمع بين الذئب و الغنم. إنى نظرت إلى هذا الحصن و رأيت أمرا يذهل الألباب و يطيش العقول، يشبع ألف رجل ليس عليه حصار و لا فيه حيله لمحتال، فعمدت إلى تل منه قريب يعرف بتل الحسن فعمرته حصنا و جعلت فيه عشيرتى و أهلى، و كان بين التل و شيزر حصن يعرف بالخراص فوثبت عليه و أخذته بالسيف، و حين ملكته أحسنت إلى أهله و لم أكلفهم إلى ما يعجزون عنه، و خلطت خنازيرهم بغنمى و نواقيسهم بأصوات المؤذنين عندى، و صرنا مثل الأهل مختلطين. فحين رأى أهل شيزر فعلى من الروم آنسوا بى و صاروا يجيئونى من واحد و اثنين إلى أن حصل عندى نحو نصفهم، فأجريت عليهم الجرايات و مزجتهم باهلى و حریمهم بحریمی و أولادهم مع أولادى، و أى من قصد حصنهم أعتتهم عليه. و حصرهم شرف الدوله مسلم بن قريش فاخذ منهم عشرين رجلا فقتلهم، فدمست إليهم عشرين عوضهم، و لما انصرف عنهم جاءوا و قالوا: نسلم إليك الحصن. فقلت: لا، ما لهذا الموضوع خيرا منكم. و جرت بينهم و بين واليهم نبوه فنفروا منه و جاءوا إلى و قالوا: لا بد إليك. فسلموه و نزلوا منه و حصلت فيه و معى سبعمائنه رجل من بنى عمى و رجالى و حصلوا فى الریض و لم يأخذ لواحد منهم درهم فرد، و أعطيتهم مالا- له قدر، و خلعت على مقدميهم و أعطيتهم واجباتهم بسته أشهر، و قمت باعيادهم و نواقيسهم و صلبانهم و خنازيرهم. و سمع بذلك أهل برزیه و عين تاب و حصون الروم فجاءتنى رسلهم و رغب كلهم فى التسليم إلى. فبينما أنا على ذلك الحال إذ شنت على الغارات و جيشت نحوى الجيوش من ناحیه مسلم بن قريش غيظا منه لم تسلمت حصن شيزر بعد أن حلف لى قبل ذلك إننى إذا أخذت حصن شيزر أنه لا يقود إلى فرسا و لا يبعث جيشا، و بالله أقسم لئن لم ينته عنى لأعيده إلى الروم و لا أسلمه اليه و لا إلى غيره أبدا".

و كان أخذ سديد الملك لثيزر فى ليله الأحد منتصف شهر رجب سنة ٤٧٤ هـ، و وفى للأسقف بكل ما عاهده عليه، فثقل ذلك على شرف الدوله و داخله الحسد و سير اليه جيشا لينتزع شيزر منه، ثم جاءها بنفسه فى آخر المحرم سنة ٤٧٥ هـ، و لكن سديد الملك صرفه عنها بعد أن حمل اليه مالا.

و فى نزول شرف الدوله مسلم على شيزر و قتاله حصن الجسر يقول ابن المهذب المعرى:

أ مسلم لا سلمت من حادث الردى و زرت و زيرا ما شددت به أورا

ربحت و لم تخسر بحرب ابن منقذ من الله و الناس المذمه و الوزرا

فمت كمدا " فالجسر " لست بجاسر عليه، و عاين شيزرا أبدا شزرا

و هكذا أسس سديد الملك إماره بنى منقذ فى شيزر حتى توفى بين سنتى ٤٧٥ و ٤٧٩ هـ.

كان سديد الملك حسبما وصفه "العماد الأصبهاني" فى "الخریده": " من الطبقة الأولى، جد الجماعه، موفور الطاعه، أحكم أساس مجده و شادها، و فضل أمراء ديار بكر و الشام و سادها، ذو المجد الباذخ، و الجد الشامخ، و المحتد الراسخ، و الفطنه و اللسن، و المنظر الحسن، و النظم الذى هو ألد عند المسهد من لذيد الوسن، و هو من جلالته فى النفوس، و منزلته عند الرئيس و

المرءوس، ممدوح فحول الشعراء و منهم ابن حيوس.. فالأمير أبو الحسن علي، له فضل جلي، و شعر كأنه في نضارته حلي، و هو وفي بعلمه ملي، قديم العصر من الطبقة الأولى، لكن رأيت ذكر مثله أولى، فأدبه في سوق الفضائل أروج و أعلى، و نسبه عند الأفاضل أبهج و أعلى، و سأورد من شعره ما سدت عليه يدي، و هو منتفحى و منتقاي و منتقدي..".

من شعره قوله:

ما ذا النجيع بوجنتيك و ليس من شدخ الأنوف على الخدود رعاف

ص: ١٥٤

ألاحظنا جرحتك حين تعرضت لك، أم أديمك جوهر شفاف؟

وله:

إذا ذكرت أياديك التي سلفت مع سوء فعلى و زلاتى و مجترمى

أكاد أقتل نفسى ثم يمنعنى علمى بانك مجبول على الكرم

و كان مره راكبا مع جماعه فنزلوا بروضه فيها الشقائق و الأفيوان فاستحسنوها، فقالوا: تعالوا ننظم فيه شعرا، ثم قالوا له: ابدأ أنت.

فقال:

كان الشقائق و الأفخوان حدود تقبلهن الثغور

فها تيك يخجلهن الحياء و ها تيك يضحكهن السرور

و من شعره:

بكرت تنظر شيبى و ثيابى يوم عيد

ثم قالت لى بهزاء: يا خليقا فى جديد

لا تغالطنى فما تصلح إلا للصدود

و كان سيد الملك مقصودا ممدوحا من الشعراء و خاصه أثناء سنوات إقامته فى طرابلس، فقد مدحه الشاعر الدمشقى ابن الخياط صاحب الديوان، و الشاعر الخفاجى، و شرف الدين بن الحلاوى شاعر الموصل، و ابن مزاحم الصورى الذى أنشده بعد نزوله فى طرابلس فى شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٤هـ، و أبو يعلى الأفساسى الذى أنشده بطرابلس أيضا فى ٢١ شوال سنة ٤٦٤هـ، و عبد الله بن الدويده المعرى و كان قد كتب لسديد الملك حين وفد عليه الشاعر ابن الخيشى فى طرابلس:

يا على بن منقذ يا هماما حين يدعى الوغى يعد بجيش

قد أتاك الخيشى فى وسط آب بقريض يغنيك عن بيت خيش

و كتب ابن الخيشى و هو فى طرابلس هذه الأبيات لسديد الملك بعد أن خرج منها.

إنى و حقك فى طرابلس كما تهوى العدى تحت المقيم المقعد

أما "المحرم" فد حرمت نجاز ما وعدوا و فى " صفر " فقد صفرت يدى

قالت لى العلياء لما أن سقوني كاس مظلهم سكرت فعربد

و عند ما نزل سديد الملك طرابلس التقى فيها بالشاعر ابن حيوس، صاحب الديوان، و كان يميل إلى الفاطميين، فنصححه سديد الملك أن يغادر المدينة إلى حلب و يقصد تاج الملوك محمود لأن بنى عمار لا يميلون إلى الفاطميين، و عند ما رحل إلى حلب كتب إليه قصيده أولها:

أما الفراق فقد عاصيته فأبى و طالت الحرب إلا أنه غلبا

أراني البين لما حم عن قدر وداعنا كل جد بعده لعبا

و كان بين سديد الملك و جلال الملك بن عمار صاحب طرابلس موده أكيدة. و قد لعب دورا مؤثرا في وصول جلال الملك إلى حكم إماره طرابلس. و يسجل سديد الملك محبته لجلال الملك بعد مغادرته طرابلس بقوله:

أحبابنا لو لقيتم في مقامكم من الصبابه ما لاقيت في ظعني

لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا كالبر من أدمعى ينشق بالسفن

و من دلائل الروابط الأسريه الحميمه التي كانت تربط بين الأميرين أن الأمير نصر بن سديد الملك كان سفيرا لجلال الملك إلى الأمير حصن الدوله حيدره بن منزو الكتامي الذي كان واليا على دمشق حيث خطب منه ابنته لجلال الملك و أحضرها من دمشق إلى طرابلس لما تزوجها. و جاء في "ذيل تاريخ دمشق" لابن القلانسي، أن سديد الملك ممن ينسب إلى عمل الشعر، و كان من أبلغ أهل الشام في معرفه أهل اللغه و النحو، و كان بينه و بين ابن عمار صاحب طرابلس موده و كيده و مكاتبات، و سببه أنه كان له مملوك يسمى "رسلان" و كان زعيم عسكره، فبلغه عنه ما يكره، فقال له: اذهب عني و أنت آمن على نفسك، فقصد ابن عمار إلى طرابلس و سأل أن يسال سديد الملك في ماله و حرمه، فسأله، فأمر باطلاقهم. و كان قد اقتنى مالا كثيرا، فلما خرج الرسول بالمال و الحریم لحقه سديد الملك فظن أنه قد بدا له أمر، فقال الرسول: غدرت بعبدك و رغبت في ماله؟ فقال له: لا- و الله، و لكن لكل أمر حقيقه.. حظوا عن الجمال و البغال أحمالها، فحطوا، فقال: أبصروا ما عليها. فنظروا، فإذا في قدور النحاس خمسه و عشرون ألف دينار، و من المتاع ما يساوى مثلها و زياده، فقال سديد الملك للرسول: أبلغ ابن عمار سلامي و عرفه بما ترى لثلاثا يقول رسلان أنني أخذت ماله. ثم قام سديد الملك بزياره جلال الملك و أقام عنده مده.

و ذكر ابن تغرى بردى أنه كان لسديد الملك ديوان شعر مشهور و لكن ضاع على ما يبدو. و كان من الشخصيات الفذه في عصره، و قد قيل فيه انه لو جعل إقامته بمصر بدلا من طرابلس لكانت الدوله الفاطميه في قبضته.

و حول هذا ينقل "ابن العديم الحلبي" في مخطوطه "بغية الطلب في تاريخ حلب" من خط سديد الملك قوله:

"و الأمير سديد الملك مقيم بالجسر لعلمه أن الدار قد أعضل. و كان سبب ذلك أن الأمير بهاء الدوله ابن الملك فنا خسرو، و هو خاله، قد نزل مصر لما تولى ابن أخته حلب، و كانت جاريته قد اعتقلها أمير الجيوش بدر بمصر و أراد أن يضرب رقبتها لأنها كانت أوفى طبقه في الغناء، فكان الأمراء بمصر يتقاتلون عليها، فقتل من أجلها عده من الأمراء، فقال فنا خسرو خسرو لسابق بن

محمود صاحب حلب: ما يقدر أحد أن يخلص جاريتي و أولادى إلا الأمير سديد الملك فاننى رأيت له بمصر صيتا وافيًا، و قال من بها: لو جعل مقره بمصر عوض طرابلس كانت الدوله فى قبضته، فثقل على الأمير، إلى أن كتب و سير إلى أمير الجيوش فى أمر الجاربه. فقال: و الله ما أردت أخرجها أبدا من الحبس و لكن لا أرد مسأله ذلك المحتشم. فسيرها إلى طرابلس إلى دار جد سديد الملك، فأحضرها إلى حلب و معها ابناها.

و قد سئل الأمير أسامه بن منقذ صاحب كتاب "الاعتبار" عن وفاه جده سديد الملك فقال مات سنه ٤٧٥ و قيل توفى سنه ٤٧٩ هـ. (١)

قال الذهبى فى (سير اعلام النبلاء):

كان بطلا شجاعا جوادا فاضلا، أول من ملك شيزر من بيته لانه كان نازلا فى عشيرته هناك و الحصن فى يد الروم فنازلهم و تسلمه بالأمان فى سنه اربع و سبعين، و دام لبنيه حتى تهدم من الزلزله سنه اثنتين و خمسين و خمس مائه، و هلك من بالحصن من آل منقذ فعمره نور الدين.

و كان لسديد الملك نظم رائق و فطنه و ذكاء، و مات فى الزلزله حفيده تاج الدوله محمد بن سلطان.

توفى سديد الملك سنه بضع و سبعين و أربع مائه.

على بن المقرب الاحسائى:

مرت ترجمته فى مكانها، و نشر هنا بعض أشعاره:

أ تدرى الليالى اى خصم تشاغبه و أى همام بالرزايا تواتبه

ص: ١٥٥

١- عمر تدمرى.

تجاهل هذا الدهر بي فتكتبت على بأنواع البلايا كتائبه

و ظن محالاً أن أدين لحكمه لتبك على عقل المعنى نوادبه

و انى، و ان ابدى اصعرا را بخده و أوجف بي، و ازور للبعض جانبه

لأغضى على بغضائه و ازوراره و أعجب من حر كريم يعاتبه

و أستقبل الخطب الجليل بثاقب من العزم يعلو لاهب النار لاهبه

و رأى متى جردته و انتضيته وجدت حساما لا تفل مضاربه

و قال:

خفاف إلى داعى الوغى، غير انهم ثقال إذا خفت مصاعبيها الهلب

إذا الجار أمسى نهبه عند جاره فأموالهم للجار ما بينهم نهب

و أيامهم يومان، يوم لئائل يقول ذوو الحاجات من فيضه حسب

و يوم، تقول الخيل و البيض و القنا به و العدا: قطنا، فلا كانت الحرب

أولئك قومی حين أدعو، و أسرتى و تنجبنى منهم شرامحه غلب

و قال:

و كنت إذا ما أحرق زم أنفه شمخت بانفى عنه، و ازور جانبى

و انى لاحسان الملوک لعائف فكيف ينزر القدر نزر المكاسب؟

و قال:

يا ساكنى الخط و الجرعاء، من هجر هل انتظاركم شيئا سوى العطب

بحت مما أناديكم و أندبكم لخير منقلب عن شر منقلب

فسكتونى بقول لا تفون به قد صرت أرضى بوعده منكم كذب

و قال:

لقد مل جنبى مضجعى من إقامتى و مل حسامى من مجاوره الغمد
و أقبل بالتصهل مهري يقول لى: أ أبقى كذا، لا فى طراد، و لا طرد
أ مثلى، من يعطى مقاليد أمره و يرضى بان يجدى عليه و لا يجدى
يظن نحولى ذو السفاهه و الغبا غراما بهند، و اشتياقا إلى وعد
و لم يدر انى ماجد شف جسمه لقاء هموم، خيلها أبدا تردى
قليل الكرى، ماض على الهول، مقدم على الليل، و البداء، و الحر، و البرد
عدمت فؤادا لا بيت و همه كرام المساعى، و ارتقاء إلى المجد
لعمرك، ما دعد بهمى و ان دنت و لالى بهند من غرام و لا وجد
و لكن وجدى بالعلى، و صبايتى بعارفه أسدى، و مكرمه أجدى
و قال:

صبا شوقا، فحن إلى الديار و نازعه الهوى ثوب الوقار
و هاج له الغرام غناء و رق هواتف فى غصون من نضار
رويدا يا حمام بمستهام مشوق منه طول السفار
و أنتن النواعم بين بان، و خيرى يرف، و جلنار
فلا و الله ما وجد كوجدى و لا عرف اصطبار كاصطبارى
و قال:

بعثت تهدد بالنوى و ترعد مهلا، فان اليوم يتبعه غد
لا تحسبى أن الشباب و شرخه يبقى، و لا أن الجمال يخلد
عشر، و يخلق شطر حسنك كله و يذم ما قد كان منه يحمد
فتغنمى عصر الشباب فإنه ظل يزول، و صفو عيش ينفد

و تيقنى أن الشباب لناره حد، و يطفئها المشيب، فتبرد
و البخل بالشيء المحقق تركه أسف يدوم، و حسره تتجدد
انكرتنى للشيب و هو جلاله أ و كيف ينكر بالصقال مهند
أن تنكرى شيبى " أميم " فطالما كنت الأود، و غيرى المتودد
و لطالما أبصرنتى، فعثرن فى أذياهن الفاتنات النهد
فاستخبرى فتیان قومك: أيهم يغنى غنائى، أو يقوم و أقعد
قد احمل العبء الثقيل، و بعضهم فيه يصبوب طرفه، و يصعد
و أذب عن احساب قومى جاهدا ان ناب خطب، أو عرى مسترفد
و إذا تشاجرت الخصوم فأننى سيف على الخصم الألد مجرد

على بن هاشم.

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

ابن البريد، الامام الحافظ، الصدوق، أبو الحسن العائذى القرشى مولا هم الكوفى، الشيعى، الخزاز، مولى امرأه قرشيه.

حدث عن: هشام بن عروه، و الأعمش، و ابن أبى ليلى، و يحيى بن أبى أنيسه، و أبى الجحاف داود بن أبى عوف، و إسماعيل بن أبى خالد، و طلحه بن يحيى، و كثير النواء، و أبى الجارود زياد بن المنذر، و عبد الملك ابن أبى سليمان، و العلاء بن صالح، و فطر بن خليفة، و أبى حمزه الثمالى، و خلق سواهم.

و عنه: يونس بن محمد المؤدب، و عمرو بن حماد القناد، و أحمد، و ابن معين، و ابن أبى شيبه، و عثمان أخوه، و محمد بن عبيد المحاربى، و أبو معمر إسماعيل القطيعى و الحسن بن حماد سجاده، و داود بن رشيد، و عبد الله بن عمر بن أبان، و محمد بن قاتل المروزى، و محمد بن معاويه ابن مالج، و خلق كثير.

قال أحمد بن حنبل: ليس به بأس.

و قال ابن معين، و يعقوب السدوسى، و على بن المدينى، و طائفه:

ثقه. و عن ابن المدينى روايه أخرى: صدوق يتشيع.

و قال الجوزجاني: كان هو و أبوه غالين فى مذهبهما.

و قال أبو زرعه: صدوق.

و قال أبو حاتم: كان يتشيع، يكتب حديثه.

و عن عيسى بن يونس قال: هم أهل بيت تشيع، و ليس ثم كذب.

و قال ابن حبان فى الثقات: كان غالبا فى التشيع، و روى المناكير عن المشاهير، هكذا يقول ابن حبان.

قال أحمد بن حنبل: سمعت من على بن هاشم فى سنة تسع و سبعين و مائه مجلسا، ثم عدت إليه المجلس الآخر و قد مات. و هى السنة التى مات فيها مالك.

و قال محمد بن المثنى: مات سنة ثمانين و مائه.

و قال يعقوب بن شيبه و حطين: مات سنة إحدى و ثمانين.

جمال الدين أبو الحسن على بن يحيى المخرمى.

توفى سنة ٦٤٦ و دفن فى تل قريب من الحائر الحسينى.

كان أدبيا عالما فاضلا و شاعرا فذا حافظا للقرآن الكريم. اشتغل بالعلم و الحكمة و ألف كتابا اسماء (انتاج الأفكار) يشتمل على رياضه النفس و مدح العقل و ذم الهوى و له أشعار فى التصوف. (١)

على بن موسى بن الحسين، ابن السمسار الدمشقى.

مرت ترجمته فى الصفحة ٣٥٨ من المجلد الثامن. و نضيف إليها هنا ما يلى:

قال الذهبى فى (سير اعلام النبلاء):

ص: ١٥٦

الشيخ الجليل المسند العالم، حدث عن أبيه وأخيه المحدث أبي العباس محمد وأخيه الآخر أحمد. ثم عدد من حدث عنهم، إلى ان وصل إلى الفقيه أبي زيد المروزي فقال: حمل عنه صحيح البخارى. و روى عن خلق كثير، و كان مسند أهل الشام فى زمانه. ثم عد من حدثوا عنه، ثم قال: قال الكتانى: كان فيه تشيع و تساهل. و قال أبو الوليد: فيه تشيع يفضى إلى الرفض، و هو قليل المعرفة، فى أصوله سقم. ثم يقول الذهبى:

مات فى صفر سنة ثلاث و ثلاثين و أربعمائنه، و قد كمل التسعين، و تفرد بالروايه عن ابن أبى العقب و طائفه، و لعل تشيعه كان تقيه لا سجيته، فإنه من بيت الحديث، و لكن غلت الشام فى زمانه بالرفض، بل و مصر و المغرب بالدوله العبيديه، بل و العراق و بعض العجم بالدوله البويهيه، و اشتد البلاء دهرًا و شمخت الغلاه بأنفها، و تواخى الرفض و الاعتزال حينئذ، و الناس على دين الملك، نسأل الله السلامه فى الدين. (انتهى).

هذا هو أسلوب الذهبى دائما، و هذه هى ذهنيته، و لم يبال فى عصبيته العمياء من ان ينسب العمل بالتقيه إلى علماء السنه، و قد كان هو و أمثاله يعيبون على الشيعة و يشنعون لاستعمالهم التقيه.

على ان الذهبى الناصبى مفتر فى نسبه التقيه إلى المترجم، و لو لم يكن الرجل شيعيا مخلصا لما تظاهر بالتشيع، لانه لم يكن بحاجة إلى ذلك فى عصر الفاطميين الذين يسميهم الذهبى (العبيدين)، فقد كانوا يكرمون العالم لعلمه و لا يهتمهم المذهب الذى ينتمى اليه. و الذهبى نفسه يعترف بذلك، فهو حين يترجم لأحمد بن محمد الجروانى و يصفه بالإمام العلامه المحدث الحافظ المفتى يقول: "قال عبد القادر الرهاوى: كان له عند ملوك مصر الجاه و الكلمه النافذه مع مخالفته فى المذهب - يريد عبد القادر: الملوك الباطنيه المتظاهرين بالرفض".

و هكذا - باعتراف الذهبى لم يكن للعالم المخالف للفاطميين فى المذهب الحريه الكامله فقط، بل كان له عندهم الجاه و الكلمه النافذه أيضا، و من يكون هذا شأنهم لا يحتاج (ابن السمسار الدمشقى) لأن يتقى منهم.

و إذا كان الذهبى يمثل هذا النصب و العصبية و هو يعيش فى العصور المظلمه، فان (الدكتور) بشار عواد و (الدكتور محيى هلال السرحان) محققى كتابه اللذين يعيشان فى الربع الأخير من القرن العشرين و يحمل كل منهما لقب (الدكتور) لم يكونا أقل منه نصبا و عصبية، فقد علقا فى الحاشيه على كلمه (ملوك مصر الباطنيه) و فسراها بقولهما: يعنى الملوك العبيدين المعروفين عند بعض المؤرخين خطأ بالفاطميين.

الأفضل أبو الحسن على بن يوسف صلاح الدين الأيوبي.

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٧١ من المجلد الثامن و نزيد عليها هنا ما ذكره الذهبى فى كتابه (سير اعلام النبلاء):

تملك دمشق، ثم حاربه العزيز أخوه و قهره، ثم لما مات العزيز أسرع الأفضل إلى مصر، و ناب فى الملك و سار بالعسكر المصرى، فقصد دمشق و بها عمه العادل، قد بادر إليها من ماردين قبل مجيء الأفضل بيومين، فحصره الأفضل، و أحرق الحواضر و البساتين، و عمل كل قبيح، و دخل البلد، و ضجت الرعيه بشعاره، و كان محبوبا(١)، فكاد العادل ان يستسلم، فتماسك، و شد أصحابه على أصحاب الأفضل فاخرجوهم.

ثم قدم الظاهر و معه صاحب حمص، و هموا بالزحف فلم يتهياً أمر. ثم سفل أمر الأفضل و عاد إلى صرخد، ثم تحول إلى سميساط و قنع بها. و فيه تشيع بلا رفض، و له نظم و فضيله، و اليه عهد أبوه بالسلطنه لما احتضر، و كان أسن إخوته، و هو القائل فى عمه العادل:

ذى سنه بين الأنام قديمه أبدا أبو بكر يجور على على

(٢) مات الأفضل فجاه بسميساط فى صفر سنه اثنتين و عشرين و ست مائه، و هى قلعه على الفرات قريبه من الكختا و قد دثرت الآن.

عاش ستا و خمسين سنه، و له ترسل و فضيله و خط منسوب. قال عز الدين ابن الأثير: و كان من محاسن الدنيا، لم يكن له فى الملوكة مثل.

كان خيرا عادلا فاضلا حلما كريما رحمه الله تعالى.

عمرو بن دينار الجمحى مولاهم المكى الاشم.

وصفه الذهبى فى سير اعلام النبلاء بالإمام الكبير الحافظ أحد الاعلام و شيخ الحرم فى زمانه. ولد فى امره معاويه و سمع من ابن عباس و جابر بن عبد الله و ابن عمر و أنس بن مالك و عبد الله بن جعفر و أبى الطفيل و غيرهم من الصحابه، و كان من كبار التابعين أفتى بمكه ثلاثين سنه و كان من اوعيه و أئمه الاجتهاد.

قال شعبه: ما رأيت فى الحديث اثبت من عمرو بن دينار، و قال ابن عيينه: كان عمرو لا يدع إتيان المسجد، كان يحمل على حمار ما ركبه الا و هو مقعد، و كان يقول: أخرج على من يكتب عنى فما كتبت عن أحد شيئا، كنت أتحفظ. قال كان يحدث بالمعنى، و كان فقيها. قال عبد الله بن أبى نجیح: ما رأيت أحد [أحدا] قط أفقه من عمرو بن دينار، و لا عطاء و لا مجاهدا و لا طاوسا.

و قال ابن عيينه: عمرو ثقه ثقه ثقه، قال كان عمرو من أبناء الفرس.

قال يحيى بن معين: أهل المدينه لا يرضون عمرا يرمونه بالتشيع و التحامل على ابن الزبير، و لا بأس به، و هو برىء مما يقولون.

إسحاق السلولى: حدثنا عمرو بن ثابت، سمعت أبا جعفر محمد بن على الباقر يقول: إنه ليزيدنى فى الحج رغبه لقاء عمرو بن دينار، فإنه يحبنا و يفيدنا.

قال عبد الله بن محمد الزهرى: حدثنا سفيان عن ابن أبى نجیح، قال: لم يكن بأرضنا اعلم من عمرو بن دينار و لا فى جميع الأرض.

روى عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه عن سفيان قال: كان عمرو بن دينار جزأ الليل ثلاثه اجزاء، ثلثا ينام، و ثلثا يدرس حديثه، و ثلثا يصلى.

هارون بن معروف، حدثنا سفيان، قلت لمسعر: من رأيت أشد تثبتا في الحديث ممن رأيت؟ قال: ما رأيت مثل القاسم بن عبد الرحمن و عمرو بن دينار.

قال احمد بن حنبل: كان شعبه لا يقدم على عمرو بن دينار أحدا لا الحكم ولا غيره في الثبت، قال: و كان عمرو مولى هؤلاء و لكن الله شرفه بالعلم.

قال ابن أبي عمر: سمعت سفيان يقول: ما كان اثبت عمرو بن دينار.

ص: ١٥٧

١- هذه متناقضات في قول الذهبي، فكيف يجتمع حرق الحواضر و البساتين و عمل كل قبيح، مع كونه محبوبا تضج الرعيه بشعاره، و مع الصفات التي يذكرها عنه ابن الأثير كما ستراه؟! و لعل هناك غموضا في تعبير الذهبي و ان الضمير في (حرق) و (عمل) يعود إلى العادل.

٢- اسم العادل: أبو بكر "ح".

إبراهيم بن بشار عن سفيان، قال: قيل لإياس بن معاوية: أى أهل مكة أفقه؟ قال: اسوؤهم خلقا عمرو بن دينار الذى كنت إذا سأله عن حديث يقلع عينه.

نعيم بن حماد: حدثنا ابن عيينه، قال: ما كان عندنا أحد أفقه من عمرو بن دينار ولا أعلم ولا أحفظ منه.

إسماعيل بن إسحاق الطالقانى: سمعت ابن عيينه يقول: قالوا لعطاء: بمن تأمرنا؟ قال: بعمرو بن دينار.

عباس الدورى عن يحيى، حدثنى سفيان، قال: قال عمرو بن دينار:

جئت إلى أبى جعفر (الباقى) وليس معى أحد، فقال لأخويه زيد وأخ له:

قوما إلى عمكما فأنزلاه، فقاما فانزلانى (انتهى الذهبى).

عوف بن أبى جميله أبو سهل الاعرابى البصرى.

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء: الامام الحافظ، و لم يكن أعرابيا بل شهر به. ولد سنة ٥٨ كان من علماء البصره على بدعته. قال محمد بن سلام: كان فارسيا، و قال هوده: هو من بنى سعد. قلت كان يدعى عوفا الصدوق، وثقه غير واحد، و فيه تشيع.

قال ابن المبارك: "ما رضى عوف ببده حتى كان فيه بدعتان:

قدرى، شيعى. و قال الأنصارى: رأيت داود بن أبى هند يضرب عوفا و يقول: ويلك يا قدرى. و قال بندار: كان قدريا رافضيا. قلت: لكنه ثقه مكثر [مكثر]. مات سنة ١٤٦.

الشيخ عيسى بن صالح الجزائرى.

ولد فى منطقته (الجزائر) التابعه لمدينه البصره و توفى سنة ١٣٥١ فى (المحمره) عن عمر ناهز السبعين بعد أن فقد بصره فى أواخر حياته و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن هناك و ترعرع و نشأ فى البصره ثم سكن قضاء (أبو الخصيب) التابع للبصره و حضر فى المقدمات على علماء البصره و فضلائها ثم انتقل إلى مدينه المحمره احدى مدن خوزستان، و أخذ بالحضور على السيد عدنان الغريفى (المتوفى ١٣٤٠) و درس عنده السطوح و الخارج كان مرجعا لأهالى المحمره بعد وفاه استاذه و مربيه السيد عدنان طيله احدى عشره سنه و كانت له صلوات وثيقه مع علماء و أدباء عصره و كان يتبادل معهم الرسائل الثريه و الشعرية منها ما أرسله إليه الشيخ حمزه قفطان:

تقبيل كفك فضل صدنى الزمن عنه و كم هو لى بالصد يمتحن

يعوق سعى المنى عندى فوسعها نجحا و يغمز من عزمى فلا اهن

ان صدنى دون تشرىفى بقربكم بحيث تنعم فيه العين و الاذن

فلم يحل عن مسير القلب نحوكم و هو التواصل لا ان يقرب البدن
هذا ولى باليراع العضب معتصم فى مثلها ان ارمت للنوى اللسن
يترجم الشوق عنى فى صحائفه حتى يكاد عليها ينطق الشجن
كلفته فقر التسليم عن كذب إليك و هو بما كلفته قمن
فلم يدع فكره الا الم بها فى النظم و هو على الأفكار مؤتمن
فجاء يبذل أقصى جهده و له ببذله الجهد عذر وجهه حسن
مجانب المدح و الإطراء معترفا بالعجز عن نيل ما كلت له الفطن
و ليس بدعا إذا أعيا عليه و ان امده مدمعى و البحر و المزن
فذاك شوط قد استخذى بحلبته عن ان يخب إليها السابق الأرن
و كنت أعجزته شكرا على ممن و كلما كل جاءت بعدها ممن
فقام يدعو لك الرحمن مبتهلا بان تحوطك من تسديده جنن
فاقبل بذأ شاهد الإخلاص ممترجا بالقلب ينطق عنه السر و العلن
و ممن رثاه الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن الجواهرى بقوله:
أصاب حشا الإسلام سهم فأوجعا فلم يبق فى قوس التصبر منزعا
مصاب رمى شرع الهدى فى صميمه فليس عجيبا ان وهى و تضعضعا
و ليس عجيبا ان تصدع قلبه بخطب له قلب النبى تصدعا
نعاك لنا الناعى فهل هو عالم بما ذا دهى الدين الحنيف و من نعى
بفيه الثرى كم راع للدين أنفسا تكاد لهول الخطب ان تتصدعا
بكتك اليتامى لم تجد من يعينها و ربع الهدى إذ عاد بعدك بلقعا
فمن للقضايا المعضلات يحلها بثاقب فكر من شبا السيف اقطعا

و من لا يامى كنت أنت معينها و كافلها ان حادث الدهر أفرعا

أ يعلم من امسى لنعشك حاملا بان التقى و العلم فيه تجمعا

سيفقدك الربع الذى كنت نوره فقد عاد وجه القطر بعدك اسفعا

حياتك فى نشر العلوم قضيتها و لما دعاك الله لبيت مسرعا

و ان لنا فى (آل عدنان)(١) بعده بدورا تجلت كى تشع و تطلعا

كرام نماهم للعلاء أبوهم فلست ترى الا الكريم السמידعا

غياث) الورى صبرا و ان كان رزؤكم جليلا له قلب الصفا قد تصدعا

و صبرا (أبا المهدى) فالرزء كلما تعاظم كان الأجر اسمى و ارفعا

و دمتم جميعا سالمين بغيظه و لا زلتم للدين كهفا ممنعا

(٢)

غزوه بنت السيد راضى بن السيد جواد بن السيد حسن بن السيد احمد

القزوينى.

ولدت حدود سنة ١٢٨٥ و توفيت فى شعبان ١٣٣١.

آل القزوينى من الأسر العلميه المعروفه فى العراق نبغ منها علماء اعلام منهم العلامة الشهير السيد مهدي القزوينى المتوفى سنه ١٣٠٠ هجرية و هو شقيق جدها السيد جواد و أبو أمها العلويه نازى بنت السيد مهدي القزوينى. قرأت العلوم العربيه و الفقه و الأصول على احوالها الاعلام ثم أولعت بالأدب و الشعر فبرزت فى ذلك و وصفها السيد جواد الشير بأنها نشأت فى كنف احوالها الأعلام و انكبت على الدراسه فدرست العلوم العربيه و الفقيهيه و تتبعت مصادر الأدب و الشعر بحكم بيتها و تربيتها فكانت تحفظ من أخبار العرب و قصصهم الشىء الكثير و تربت بتربيتها جمله من نساء الأسره و من يتعلق بها و قد اقترنت بابن خالها السيد احمد بن الميرزا صالح القزوينى و هو عالم فاضل و أديب شاعر فوجهها بصوره أعمق و جعلها قابله لهضم محاوراته العلميه فى شتى المجالات، و هى شاعره مقبوله سريعه البدييه مشهود لها بطرافه الأدب.

السيد غلام رضا السعيدى.

ولد بقريه نوزاد من قرى بيرجند عام ١٣١٥، و تعلم القراءه و الخط فى الكتاب هناك ثم دخل المدرسه الشوكنيه فى بيرجند، فدرس العربيه و الإنجليزيه و الفرنسيه عرف محمد إقبال مما قرأ عنه فدرس حياته و ألف فيه كتابا كما ألف غير ذلك من

الكتب و نشر العديد من المقالات و البحوث.

توفى سنه ١٤٠٩ و دفن فى قم.

فاطمه أشرف السادات بنت السيد محمد بن السيد مرتضى بن السيد

هادى الحسينى الرامسرى.

ولدت قبل ١٣١٠ و توفيت ١٣٨٢.

ولدت فى رامسر و نشأت فى حجر أبيها ثم انصرفت إلى الدراسه.

و كانت عالمه فى الأحكام الشرعيه و العلوم الإسلاميه و لها مكتبه نفيسه تفرقت

ص: ١٥٨

١- هم آل السيد عدنان الغريفى البحرانى.

٢- الصالحى.

بعد وفاتها و كانت تنظم الشعر باللغه الفارسيه.(١)

فاطمه المكناه بام سلمه بنت الشيخ محمد علم الهدى بن ملا محسن

الفيض الكاشانى بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود.

عالمه فاضله محدثه اديبه شاعره من ربات الفصاحه و البلاغه ذات دين و صلاح و تقوى.

ولدت فى ذى القعدة الحرام سنة ١٠٨٨ و توفيت فى ٢٠ جمادى الثانيه سنة ١١٢٤ و دفنت عند رجلى والدها فى مقبره جدها ملا محسن الفيض الكاشانى فى مقبرتهم العائليه الخاصه بكاشان.

قرأت المقدمات على أخواتها و أخذت الفقه و الأصول عن أعمامها أبى حامد محمد المعروف بنور الهدى و معين الدين احمد و تخرجت على والدها، تروى عن والدها و أعمامها المذكورين و فى سنة ١١١٢ زفوها إلى زين الدين على من أقربائها كما فى مجموعه آل الفيضى(٢) و ذكرها السيد المرعشى النجفى قائلاً (فاطمه المكناه بام سلمه الفاضله الشاعره الكامله الأديبه المحدثه ولدت فى ذى القعدة الحرام سنة ١٠٨٨ و توفيت فى ٢٠ جمادى الآخره سنة ١١١٤ و قبرها مما يلى رجلى والدها فى مقبره صاحب الوافى و على قبرها لوح مرمرى أخذت و روت عن أبيها العلامة المترجم و عن أعمامها و عن أخواتها تزوجها المولى زين الدين على من أقربائها و تاريخ الزواج فى ذى الحجه سنة ١١١٢ ق).(٣)

فاطمه بنت أبى محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع

بن المهنا بن السبيع بن المهنا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن

يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن

على بن أبى طالب ع.

كانت حيه فى رجب سنة ٥٦٠.

عالمه فاضله محدثه فقيهه من ربات الفصاحه و البلاغه و فواضل نساء الشيعة فى مطلع القرن السابع للهجره ببغداد أخذت العلم عن أبيها الشريف قريش البغدادي المتوفى سنة ٦٢٠ هجرية ثم حضرت على الشيخ أبو طالب المبارك بن على بن محمد بن خضير الصيرفى البغدادي و قد قرأت عليه كتاب (فضل الكوفه) تأليف أبى عبد الله محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن عبد الرحمن الحسينى الشجرى المتوفى سنة ٤٥٥ مع جماعه اخرى و هم الذين ذكرت اسمائهم فى آخر النسخه من كتاب (فضل الكوفه) بخط أبيها الشريف قريش البغدادي فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء عاشر رجب سنة ٥٦٠ و منهم أم المترجم لها شرف النساء بنت أبى طالب بن المكرم العلويه الحسينيه البغداديه المار ذكرها و أخوها محمد و أختها آمنه المار ذكرها و أبوها الشريف قريش و عبد الله بن أبى طالب بن أبى بكر المقرئ العجمان و فتوح بن جعفر بن الطوزى(٤) و قد كتب السيد قريش البغدادي جميع ذلك بخطه الشريف فى آخر كتاب (فضل الكوفه) و هذه النسخه النفيسه من مخطوطات المكتبه الظاهريه

بدمشق، و نسخه فتوغرافيه منها فى مكتبه أمير المؤمنين (ع) العامه بالنجف الأشرف. (٥)

فاطمه بنت السيد حسين القزوينى صاحب كتاب براهين السداد ابن

السيد الأمير محمد إبراهيم (صاحب كتاب سلاح المؤمن) ابن الأمير محمد

معصوم بن الأمير محمد فصيح بن الأمير أولياء الحسنى القزوينى.

ولدت فى قزوین حدود سنه ١١٧٢ و توفيت بها حدود سنه ١٢٦٠ و دفنت فى مقبرتها العائليه شمال شرقى روضه شاه زاده حسين بن الامام الرضاع.

عالمه فاضله محدثه حافظه للقرآن عالمه بتفسيره و تأويله قرأت على أبيها السيد حسين المتوفى سنه ١٢٠٨ شيخ السيد مهدي بحر العلوم و عمها العلامة المولى السيد حسن المتوفى سنه ١١٩٨ و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ محمد على بن الشيخ عبد الكريم القزوينى ثم حضرت الفقه و الأصول و الحديث على زوجها المذكور حتى نبغت فى أكثر العلوم الإسلاميه معقولا و منقولا- و كانت من فواضل نساء عصرها خطيبه متكلمه ترتقى المنبر و تملك صوتا جهوريا و مقدره على الخطابه و الوعظ و كانت تخطب و تدرس و يفد النساء إلى مجلسها لسماع دروسها و خطاباتها و محاضراتها و كانت كثيره الزهد عظيمه الورع و تصدرت للتدريس ذكرها والدى قدس سره فى الجزء الثانى من كتابه الغرر و الدرر المخطوط و قد أنجبت ثلاثه أولاد ذكور كلهم علماء و هم الشيخ الميرزا عبد الوهاب القزوينى و الشيخ عبد الكريم المعروف بالحاج آغا الشيخ على مردان. و لها بنت عالمه فاضله أديبه شاعره و هى آمنه خانم (٦) أم قره العين. (٧)

الفتح بن أبى منصور البغدادي:

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

الشيخ الجليل المعمر مسند العراق عميد الدين أبو الفرج الفتح بن أبى منصور عبد الله بن محمد ابن الشيخ أبى الحسن على بن هبه الله بن عبد السلام بن يحيى البغدادي الكاتب.

من بيت كتابه و روايه.

ولد يوم عاشوراء سنه سبع و ثلاثين و خمس مائه.

و سمع من جده أبى الفتح، و القاضى محمد بن عمر الأرموى، و محمد بن أحمد الطرائفى، و أبى غالب محمد بن الدايه، و أحمد بن طاهر الميهنى، و هبه الله بن أبى شريك، و أبى بكر ابن الزاغونى، و قاضى القضاة على بن الحسين الزينبى، و نوشتكين الرضوانى، و أبى الكرم الشهرزورى، و سعيد ابن البناء، و أحمد بن محمد ابن الاخوه، و جماعه.

حدث عنه البرزالى، و عمر بن الحاجب، و ابن المجد، و القاضى شمس الدين محمد بن العماد، و تقى الدين ابن الواسطى، و الجمال ابن الدباب، و الكمال الفويره، و الشمس ابن الزين، و الشهاب الأبرقوهى، و جماعه، و انتهى اليه علو الاسناد.

قال المنذرى: كان شيخنا حسنا، كاتباً أديباً، له شعر و تصرف فى الأعمال الديوانيه، أضر فى آخر عمره، و انفرد بأكثر شيوخه و مروياته، و هو من بيت الحديث، حدث هو و أبوه و جده و جد أبيه.

و قال ابن الحاجب، هو من محله الديناريه باب الأزج، و كان قديماً يسكن بدار الخلافه. صارت اليه الرحله. و تكاثر عليه الطلبة، و اشتهر اسمه، و كان ذوى المناصب و الولايات، فهما بصنعته، ترك الخمه، و بقى قانعا بالكفاف، و أضر باخره، و تعلق حتى أقعد، و كان مجلسه مجلس هيبه و وقار،

ص: ١٥٩

-
- ١- الشيخ محمد السامى.
 - ٢- مجموعه مخطوطه فى تاريخ مواليد و وفيات آل الفيضى فى المكتبه المرعشيه بقم.
 - ٣- الصالحى.
 - ٤- انظر الثقات العيون فى سادس القرون ص ٢٣٧-٢٣٨ و الأنوار الساطعه فى المائه السابعه ص ١٣٦-١٣٧.
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).
 - ٦- انظر مستدركات أعيان الشيعه ج ٢ ص ٧.
 - ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).

لا يكاد يشذ عنه حرف محقق لسماعه، إلا أنه لم يكن يحب الروايه لمرضه و اشتغاله بنفسه، و كان كثير الذكر، و كان يتوالى، و لم يظهر لنا منه ما ننكره، بل كان يترحم على الصحابه و يلعن من يسبهم، و كان يقول الشعر فى الزهد و الندم، و كان ثقه صحيح السماع، و كان مكثرا. إلى ان قال: و توفى فى الرابع و العشرين من المحرم سنه أربع و عشرين و ست مائه.

و حدث عنه الديبثى و قال: هو من أهل بيت حديث كلهم ثقات.

قلت: و آخر من روى عنه بالاجازه فاطمه بنت سليمان الدمشقى.

و قال المبارك ابن الشعار: كان الفتح يرجع إلى أدب و سلامه قريحه، و كان مشتهدا بالتشيع و الغلو فيه على مذهب الاماميه.

و قال ابن النجار: كان صدوقا جليلا أديبا فاضلا حسن الأخلاق نبيلًا.

أنشدنى أبو الحسن القطيعى أنشدها الفتح لنفسه و كتب بها إلى المستضىء بامر الله يستقيل من خدمته بالبركات:

يا ابن الخلائف من آل النبى و من يفوق علما و نسكا سائر الناس

يا مستضيئا بامر الله مقتديا يا خير مستخلف من آل عباس

أشكو إليك معاشى إنه كدر ما بين باغ و حفار لأرماس

تأتى إلى صباحا كل عانيه يضيق من كربها صدرى و أنفاسى

فاه من حالتى ضر بليت بها سواد بختى و شيب حل فى راسى

الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى القبانى الدورقى:

اشاره

مرت له ترجمه موجزه و نزيد عليها ما يلى مكتوبا بقلم السيد هادى باليل الموسوى:

من علماء الدورق و أدبائها فى القرن الحادى عشر، ولد سنه ١٠٥٣ فى القبان(١) و توفى سنه ١١٣٠. ترجم لنفسه فى كتابه (زاد المسافر و المقيم) فقال:

هو فتح الله و كنيته أبو على و لقبه جمال الدين بن الشيخ علوان بن الشيخ بشاره بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الحسين الكعبى نسبا القبانى مولدا و منشا، ولد سنه ١٠٥٣ هاجر إلى شيراز شابا سنه ١٠٧٩ و اشتغل بها فى طلب العلم، أخذ الصرف عن السيد نعمه الله الجزائرى و النحو عنه أيضا، ثم عن الشيخ حسن بن الشيخ محمد الجزائرى و كان ذلك فى المدرسه المنصوريه، و العروض عن الشيخ احمد المدنى رحمه الله تعالى ثم انتقل إلى المدرسه اللطيفيه و أخذ العربيه عن السيد عزيز الجزائرى ابن عم السيد نعمه الله الجزائرى و المنطق عن ميرزا على رضا بعض مدرسى المدرسه المذكوره و عن الشاه أبى الولى رحمه الله تعالى و

كذلك علم درايه الحديث و معرفه الرجال عنه أيضا، قدس سره و رفع في الدارين قدره، ثم رجع إلى القبان و اشتغل على أبيه المرحوم الشيخ علوان في علم الكلام و الفقه و بعض الحديث ثم تولى القضاء في البصره مده فرأى القضاء مخلا في دينه فعافه و رجع إلى القبان بعد ان توفي أبوه رحمه الله عليه و ذلك في سنه الثمانين بعد الألف ثم اضطرت أحوال القبان بسبب ما وضع لأجله هذه المقامه،(٢) و استمر التعطيل عسى أن ياتي الله بالفتح أو بامر من عنده. و له شيء من التأليف و شيء من الشعر، فمن تاليفه الدرر البهيه في شرح الأجروميه و هو شرح لطيف صغير الحجم كثير الفوائد، و شرح الفتوحات في المنطق و رساله في علم العروض و رساله في سبب الخلف و الخلافه و رساله في علم القراءه و شرح شواهد قطر الندى و غير ذلك.

أقوال العلماء فيه

جاء ذكر المترجم في كثير من كتب التراجم و التاريخ منها:

كتاب (أنوار المشعشين) لمؤلف من أهل القرن الثاني عشر، توجد منه نسخه في مكتبه السيد شهاب الدين المرعشي في مدينه قم، قال مؤلفه:

العلامه، الفهامه، الثقة الشيخ فتح الله أبي على جمال الدين الكعبي نسبا القباني مولدا و منشا.. اه.

و منها، كتاب (تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٥٠١) المطبوع باللغه الالمانيه للمستشرق الالمانى: بروكلمن،(٣) فإنه ترجمه في عداد المؤرخين و الأدباء و ذكر له كتابين في المكتبات الغريبه و هما، زاد المسافر و المقيم، و شرح شواهد قطر الندى.

و منها كتاب (معجم المؤلفين ج ٨ ص ٥٢) للأستاذ عمر رضا كحاله، قال في جملة ترجمه، انه مؤرخ، أديب، مشارك في بعض العلوم، و ذكر جملة من مصنفاته.

و منها، كتاب (شعراء البصره) و منها، كتاب (التراث العربي ٧٠ - ٧١).

و منها كتاب (جامع التصانيف الحديثه، المطبوع سنه ١٣٤٥، ج ١ ص ٤٦).

و منها كتاب (الكواكب المنتشره في القرن الثاني بعد العشره) للمحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني، فقد ترجمه نقلا عن الإجازة الكبيره للسيد عبد الله الجزائري و قال، رأيت النصف الثاني من كتاب (تنقيح المقداد) من النكاح إلى آخره بخطه (أى بخط الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي فرغ من استنساخه سنه ١٨٠٢، اشتراه السيد محمد باقر اليزدى:

و منها كتاب (أعيان الشيعة) و إليك ما قاله السيد الجزائري في اجازته الكبيره:

ص: ١٦٠

١- . القبان: برفع القاف و ألباء الموحده المخففه بعدهما الألف و النون، مدينه قديمه تقع على الضفه الشرقيه من نهر دجيل، المعروف في زماننا هذا بنهر بهمشير [بهمنشير] عند مصبه في الخليج على بعد فراسخ من الدورق تقريبا، لأنها تمتد إلى ناحيه

الشرق تجاه بندر معشور، و كانت إحدى ثلاث مدن مهمه فى المنطقه الحويه و الدورق و القبان، و كانت مدينه عامره ذات أسواق مليئه بالبضائع و الأموال و قد كثرت فيها المدارس و المساجد و العلماء و أهل التقوى قال صاحب كتاب (عنوان المجد)، أنه كان فى قبان تسعون مسجدا، و قد خضعت القبان لحكم و لاه البصره قرابه القرن و نصف القرن (١٠٠٥ - ١١٤٢)، و قد اتخذها على باشا بن أفراستان الديرى و الى البصره (١٠١٢ - ١٠٥٧) قاعده عسكريه له و بنى فيها ثلاث قلاع كل قلعه تعرف ب (كوت) الكوت الشمالى و الكوت الجنوبى و كوت ميان، (أى كوت الوسط) و اعتنى بتعمير و تنظيم شئونها و اسكن فيها قبائل كعب، قال السيد على المغربى المعروف بالأخضرى يمدح على باشا: شوقى إلى الملك الذى حاز القبان به النهايه ملك عظيم لم تقف فيه الرئاسة عند غايه نلوا دواما مدحهلما غدا فى المجد آيهوقعت فى القبان عده حوادث تاريخيه جاء ذكر بعضها فى كتاب (تاريخ الإمارة الأفراسيانيه) و بعضها فى كتاب (زاد المسافر و المقيم)، و كان خراب القبان على يد كريم خان الزندى ملك إيران فى سنه ١١٧٨ و ذلك لما هاجم الكعبيين فيها و اجلاهم عنها فهدم سد السابله المبنى على نهر كارون، فانقطع عنها الماء العذب و علاها الماء المالح للبحر، فلم يبق فيها نبت و لا شجر ففرق أهلها فى البلاد، و قد اندرست اليوم معالمها و اندفنت تحت التراب، آثارها. و أصبحت خيرا بعد الأثر.

٢- يقصد بالمقامه كتابه (زاد المسافر و لهنه المقيم و الحاضر) و سياى الكلام عنه.

٣- ١١,٥٠١ BroKelman,s مستشرق ألمانى ولد سنه ١٨٦٨ و توفى سنه ١٩٥٦ له كتابان: تاريخ الأدب العربى، و تاريخ الشعوب الإسلاميه، طبعا فى ألمانيا باللغه الألمانية.

الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي:

كان عالماً، أديباً، وقوراً، حسن التصنيف ذكرته في تذييل السلافه بفقرات منها: ذو باع في الأدب مديد، و نظر في إدراك اللطائف حديد، و فهم في موارد النكات سديد، و كد في اقتناص المعارف شديد، و يد تلعب بالمعاني لعب ألواح بالعقول، و ذهن انطبع فيه فنون المعقول و المنقول، رأيته في أواخر عمره و قد غيره الزمان:

و إن الثمانين و بلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

(١) له كتب منها: كتاب زاد المسافر في تحرير واقعه البصره ذكر في أوله أحواله و أنه ولد في قبان.

و لما ترعرع اشتغل على أبيه الشيخ علوان ثم ارتحل إلى شيراز و اشتغل على السيد نعمه الله الجزائري و السيد عزيز الله و الشاه أبي الولي و غيرهم ثم رجع إلى مولده و ولي قضاء البصره إذ كانت في تصرف العجم (٢) و أدرج في كتابه هذا كثيرا من الأدبيات و حرر فيه البديعيات أكمل تحرير، و منها كتاب الاجاده في شرح قصيده السيد علي بن باليل الموسومه بالقلاده و مطلعها:

ردى على رقادي أيها الرود على أراك به و البين مفقود

سلك فيه مسلك الصفدي في شرح لاميه العجم للطغرائي، و له كتب آخر لم أقف عليها و شعر قليل، توفي سنة الثلاثين رحمه الله عليه. (انتهى).

اساتذته و مشايخه

و الراوون عنه و تلامذته

ذكر المترجم جماعه من اساتذته الذين تلمذ عليهم في المدرستين المنصوريه و اللطيفيه في شيراز و أصفهان كما مر مسبقا عن كتابه (زاد المسافر و لهنه المقيم و الحاضر)، أما مشايخه، فإنه يروى عن شيخه المولى أبي الحسن الشريف العاملى المجاور للغرى، عن العلامة المجلسي عن والده عن الشيخ البهائي، و يروى عنه مهدي قلى خان بن محمد باقر سلطان والى الدورق في العقد الثانى للقرن الثانى عشر حسب إجازته المترجم له. أما تلامذته في الدورق و القبان فهم جماعه من الذين نشؤوا في النصف الأول للقرن الثانى عشر و من أبرزهم العالم الأديب السيد إبراهيم بن السيد على الموسوى الدورقى المتوفى عشره الخمسين بعد الألف و المائه.

آثاره العلميه و الأدبيه

للمترجم آثار علميه و أدبيه نختصر على ما ذكره شيخنا الطهراني في موسوعته الذريعه مرتبه على حروف الهجاء:

١- (الإجازة في شرح القلاده): ذكره الشيخ آغا بزرك الطهراني في (الذريعه) ج ١ ص ١٢١ فقال: (الاجاده في شرح القلاده)، للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠ قال السيد عبد الله الجزائري في إجازته الكبيره، إنه سلك فيها

مسلك الصفدى فى شرح لاميه العجمللطغرائى (و القلاده) هى قصيده للسيد على بن باليل الجزائرى الدورقى معاصر الشارح مطلعها:

ردى على رقادى أياها الرود على أراك به و البين مفقود

أقول:

و يظهر أنه ألفه بعد سنه ١٠٩٥هـ، لأن الشارح لم يذكره فى عداد مؤلفاته التى ذكرها فى مقدمه كتابه (زاد المسافر و المقيم) الذى فرغ منه سنه ١٠٩٥هـ.

٢- (تجويد القرآن): قال فى الدرعه ج ٣ ص ٣٧٣، هو للشيخ فتح الله بن علون الكعبى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠هـ كان من تلامذه السيد المحدث الجزائرى، ترجمه حفيد أستاذه السيد عبد الله الجزائرى فى إجازته الكبيره و له تصانيف منها: (الاجاده فى شرح القلاده).

٣- (تحفه الاخوان) فى الفقه، ذكره فى (الدرعه ج ٣ ص ٤١٦) فقال: (تحفه الاخوان) فى فقه الصلاه شرحا لحديث رواه (رجاء بن الضحاك) (٣) ب (قال، أقول)، مفصل مبسوط، من أول الوضوء و سائر المقدمات و النوافل و الفرائض و بعض الصلوات و تفسير بعض السور و الآيات و فضائلها و غير ذلك للشيخ فتح الله بن علون الكعبى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠هـ ألفه و أهده إلى مهديقلى خان بن محمد باقر سلطان ليعمل به و أجاز له روايته عنه و ذكر أنه يروى الأحاديث عن شيخه المولى أبى الحسن الشريف العاملى المجاور للغرى عن العلامة المجلسى عن والده التقى عن الشيخ البهائى، قال فى أوله بعد الخطبه:

"يقول أقل العباد الجانى فتح الله الكعبى القبانى هذه تحفه لاخوان الدين و خلان اليقين فى فقه الصلاه". رأيت منه نسخه تاريخ كتابها سنه ١١٣١هـ، اشتراها السيد أبو القاسم الموسوى الرياضى من كتب المرحوم الشيخ منصور بن الشيخ زائر الساعدى النجفى. (انتهى).

أقول جاء ذكر مهديقلى خان فى كتاب (الرحله المكيه للسيد على خان بن عبد الله الحويزى) فى حوادث سنه ١١١٤ و قال أنه حاكم الدورق، و يحتمل ان يكون هو الذى ألف له الشيخ الكعبى كتابه (تحفه الإخوان).

٤- (الدرر البهيه فى شرح الأجروميه)، ذكره المحقق الطهرانى فى (الدرعه ج ٨ ص ١٢٠) فقال: الدرر البهيه فى شرح الأجروميه للشيخ أبى على فتح الله بن علون بن الشيخ بشاره الكعبى نسبا الدورقى القبانى مولدا و منشا.. إلى آخره.

٥- (رساله فى سبب الخلف و الخلافه)، قال فى (الدرعه ج ١٢ ص ١٢٦): سبب الخلف و الخلافه للشيخ فتح الله بن علون الكعبى و ذكره فى أحواله فى أول (زاد المسافر).

٦- (رساله فى العروض): ذكرها فى (الدرعه ج ١٥ ص ٣٥٦)

١- ذكر هذا البيت إشاره إلى ضعف سماع المترجم و هو لأبى محلم عوف بن محلم الشيباني، قاله فى جملة أبيات حينما قدم على عبد الله بن طاهر بن الحسين فى قصره بميان (موضع بنيسابور) فاخذ يحادثه، فسأله كم سنك؟ فلم يسمع، فلما أراد أن يقوم قال عبد الله بن طاهر للحاجب خذ بيده، فلما توارى عوف، قال له الحاجب، إن الأمير سالك كم سنك؟ فلم تجبه! فقال له ردنى اليه فرده فوقف بين يديه و قال له: يا بن الذى دان له المشرقانطرا و قد دان له المغربان إن الثمانين و بلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

٢- ولى المترجم القضاء فى البصره فى الفتره بين سنه ١١٠٦ إلى سنه ١١١٢، و ذلك حين ما اتفق والى الحويزه المولى فرج الله بن السيد على خان المشعشى مع أمير المتفك الشيخ مانع من [بن] راشد على أخذها من يد خليل باشا والى العثمانى و طرده عنها و بعد ان تم لهما هذا الأمر استولى عليها والى الحويزه المذكور أسند الصفويون حكومتها إلى إبراهيم خان حاكم الدورق و بعد مده بعثوا لها واليا اسمه داود خان، و بقيت تحت ولايته إلى سنه ١١١٢ حيث سلمها الصفويون إلى العثمانين فى تلك السنه.

٣- رجاء بن أبى الضحاك الخراسانى، من قاربه [اقاربه] الفضل بن سهل النوبختى و هو الذى أرسله المأمون إلى المدينه و أمره باشخاص الامام على الرضا بن موسى الكاظم ع إلى خراسان و رواه حديثا مفصلا عن الامام، ذكره فى عيون اخبار الرضا، و هو الذى شرحه الشيخ الكعبى فى كتابه.

فقال: هي للشيخ فتح الله ابن علوان الكعبي الدورقي صاحب (الاجاده) و (زاد المسافر) المتوفى سنة ١١٣٠ هـ.

٧- (رساله في القراءه)، ذكرها المؤلف الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي القباني في كتابه (زاد المسافر).

٨- (زاد المسافر و لهنه المقيم و الحاضر)، قال في (الذريعه ج ١٢ ص ٨) ما يلي:

زاد المسافر في تحرير واقعه البصره و ما جرى على الحسين باشا حاكم البصره و واليها ابن علي باشا بن أفراسياب الديرى (١) من فراره بنفسه و عياله إلى الهند في سنة ١٠٧٨ و فتح بنى عثمان و انتزاعها من ايدي آل أفراسياب و هذا الكتاب للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي القباني تلميذ السيد المحدث الجزائري السيد نعمه الله و غيره و من تصانيفه (الاجاده شرح القلاده)، و أول زاد المسافر (إن أجمل ما جاء في ميادين الخواطر...) و ذكر في أوله شرح أحواله و هو مطبوع في البصره في ٥٦ صفحه كما جاء في (جامع التصانيف الحديثه المطبوع سنة ١٣٤٥ ج ١ ص ٤٦) و رأيت قطعه من أوائله في مجموعه عند الشيخ طاهر الحجامي في النجف و أخرى عند مجد الدين كتبت سنة ١١٤٥ هـ. و ذكره في أعيان الشيعة ضمن ترجمه مؤلفه فقال: و أدرج في كتابه هذا كثيرا من الأدبيات و حرر فيه البديعيات أكمل تحرير و هو مطبوع أقول و هذا المطبوع هو متنه طبع في البصره في ٥٦ صفحه و أعيد طبعه في بغداد سنة ١٣٧٧ هـ. أما شرحه فهو لم يطبع حتى الآن و هو ٤٩٤ صفحه من القطع الكبير.

٩- (شرح زاد المسافر و المقيم)، قال في (الذريعه ج ١٣ ص ٢٩٧):

شرح زاد المسافر في تحرير واقعه فتح البصره لبنى عثمان سنة ١٠٧٨ هـ، للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي المتوفى سنة ١١٣٠ هـ، شرح مبسوط لطيف فيه كثير من الفنون الأديبيه و لا سيما المحسنات البديعيه فرغ منه سنة ١٠٩٥ هـ. أقول رأيت منه نسختين في مكتبه سبها سالار بطهران إحداهما مرقمه ب (٣٣٤٠) بخط علي بن محمد شمس الدين بن عبد الرؤوف الموسوى البحراني الجد الحفصي أصلا و الشاخورى منشا و مسكنا فرغ من استنساخها في ١٣ صفر من السنه المذكوره، و لعل القصد في قوله السنه المذكوره سنه تأليف الكتاب التي ذكرها المؤلف في النهايه، و منه نسخه في الفلاحيه بخط عبد علي بن أحمد الشولكي كتبها للشيخ محمد علي المحسنى الفلاحى، و منه نسخه في المتحف البريطانى فى لندن، بخط جيد خشن فى ٣٧١ ورقه كتبت فى ذى الحجه سنة ١٢٢٠ لريزيدنت البصره مستر تيلرسيك و تيلرسيك كان يشغل منصب قنصل بريطانيا فى العراق عزل عن منصبه سنة ١٨٤٣ و خلفه رونلسن.

١٠- (شرح شواهد قطر الندى) لابن هشام، ذكره فى (الذريعه ج ١٣ ص ٣٣٩) فقال: هو للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي القباني المتوفى سنة ١١٣٠ هـ، نقل تساهله و تسامحه فى شرحه السيد صادق الأعرجى فى شرحه. أقول و توجد منه نسخه فى إحدى مكاتب العرب ذكرها بروكلمان.

١١- (شرح الفتوحات المنطقيه)، قال فى (الذريعه ج ١٦ ص ١١٨) هو للشيخ فتح الله بن علوان و فى المكتبه المسماه ب (كتابخانه ملي بارس) فى مدينه شيراز مجموعه مرقمه ب (٣١٠) فيها ثلاثه كتب، أولها كتاب الفتوحات المنطقيه للشيخ الدورقي الكعبي القباني، أول الشرح الكعبي القباني، أول الشرح (نحمدك يا من بيده ملكوت السموات) رأيت عند السيد أحمد [المشهور] بالسيد آغا التستري فى النجف.

١٢- (الفتوحات المنطقيه): قال فى (الذريعه ج ١٦ ص ١١٨) الفتوحات المنطقيه فى المنطق شرحا و متنا للشيخ فتح الله بن علوان الكعبى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠ هـ فيه أربعون فتوحا أوله: (نحمدك يا من بيده ملكوت كل شىء على ما هديتنا إلى الصراط المستقيم...) يوجد منه نسخه فى (إلهيات: ٦١٨) غير مؤرخه يرجع استنساخها إلى عصر المؤلف. أقول أراد صاحب الذريعه بقوله فى (إلهيات: ٦١٨) أى فى مكتبه كليه المعارف الإسلاميه التابعه لجامعه طهران المعروفه لدينا ب (دانشكده إلهيات أى كليه الإلهيات) و رقم ٦١٨ هو رقم الصفحه من كتاب (فهرست مخطوطات المكتبيه المذكوره)، و قد جاء فى تلك الصفحه ما تعريبه كما يلي: (الفتوحات المنطقيه الفتحيه) أربعون فتوحا فى علم المنطق أوله:

(بسمله و به ثقى نحمدك يا من بيده ملكوت كل شىء على ما هديتنا إلى الصراط المستقيم... أما بعد فهذه فتوحات فتحيه منطقيه منى للإخوان و الأصحاب). و آخره: (و الله الملهم للكليات و الجزئيات و الله اعلم بالصواب). و احتمله المفهرس من مخطوطات القرن العاشر لأنه لم يعثر على اسم المؤلف فى النسخه. و رأيت منه نسخه بخط الشيخ سلمان المحسنى الفلاحى و كتبها سنه ١٣٠٠ هـ.

١٣- (نظام الأصول فى شرح نهج الوصول إلى علم الأصول)، قال فى (الذريعه ج ٢٤ ص ٩٣) ما يلي: المتن هو نهج المعارف للمحقق الحلى كما ذكره الميرداماد، أو معارج الأصول كما على المطبوع سنه ١٣١٠، و الشرح هذا لفتح الله بن علوان الكعبى القبانى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠، أوله: (الحمد لله.. و الصلاه و السلام على أشرف العالمين...) رأيت نسخه منه عليها (تملك محمد ابن إسماعيل القبيسى الحجازى العاملى، ملكها فى المشهد الغروى على مشرفه السلام سنه ١١٧٥ هـ).

و فى الكواكب المنشره) قال العلامة الطهرانى: رأيت النصف الثانى من كتاب (تنقيح المقداد) من النكاح إلى آخره بخط الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى فرغ من استنساخه سنه ١٠٨٢ هـ، فى كتب الشيخ جواد البلاغى، اشتراه السيد محمد باقر اليزدى: انتهى. و للمترجم له شعر قليل نذكر شيئا منه.

من شعره قصيده فى الغزل:

من لصب غلب الشوق اصطباره فلذا باح و للحب اماره

لعبت فى عقله ايدى الهوى فلعذر خلع اليوم عذاره

يا لقومى لأخيكم من رشا صاده فردا فمن يطلب تاره

حكمت فى قلبه الحافظه حكم من ليس له طر الإماره

لا تلومنى إذا مت به فحياتى فى هواه مستعاره

هو كالغصن إذ ما ماس لينا و كبدر التم حسنا و نضاره).

١- على باشا أفراسياب الديرى (حكم البصره من ١٠١٢ هـ إلى ١٠٥٧) ذكره فى كتاب (تذكره نصرآبادى) الفارسى فقال: متصفا بالصفات الحميده متحليا بمكارم الأخلاق عارفا باللغه العربيه و التركيه و الفارسيه، بصير فى العرفان انه متتبعاً للأحاديث و الروايات و أقوال الكبراء عارفا بالسياسه و تدبير الشئون العسكريه و من خلص الشيعه نقل عن المرحوم خليل الذى كان من معاشريه برهه من الزمان، انه كان يقتدى بقاضى البصره المنسوب من قبل سلطان الروم فيصلى خلفه بدون وضوء، ثم يعيد صلاته فى مكان آخر على مذهب الاماميه و كان ينظم الشعر و يتخلص بصبرى فى شعره الفارسى أقول و له بالعربيه أيضا شعر ذكره الشيخ عبد على بن رحمه الحويزى فى كتابه السير المرضيه فى شرح الفرضيه (انتهى).

يا غزالا إلا من ربي كاظمه كدر خاطر مذ ابدى نفااره
كان ياتى منك طيف فى الكرى و لأمر منع اليوم مزاره
ما على مثلك لو واصلنا فعسى يطفى من القلب شراره
إنما شرط المحبين الوفا و وفاء بسوى الوصل خساره
جرت بالحكم على اسرى الهوى حين أبدت من الطرف حواره
واجنانى كل أرباب الهوى من يكن مالى من العشق شعاره
انا من كابد أغبار الهوى و احتسى حاله حلوا و مراره
يا مناخ الحى من كاظمه جادك الله من الوبل غزاره
و رعى فيك لييلات لنا حيث ما الشيخ تحاكى و عراره
و رعى مجلسنا فى ظله و سقى منه الخزامى و بهاره
كلما قلت له من صفه فهو معنى حاول اللفظ اختصاره
و منه فى العذار:

و لقد أقول لمن يلوم بحبه لما بدا منه العذار و دارا
نبت العذار بنار صفحه خده هذا الذى ترك العقول حيارى
و منه مضمنا فى الشيب:

و قلت لليل شعرى دم فانى رأيت الشيب ليس له قرار
فأشد قائلا بشجى لفظ كلام الليل يمحوه النهار
و منه فى من أهدي له باقه بابونج:

لما بدا السعد و ولى الجفا اهدى لنا باقه بابونج
فريحه من ثغره مفتد و لونه من لون صب شجى

فعدلت نعمته عندنا ما وهب الواهب للمرتجى

و له أيضا قصيده يمدح بها الساده الموالى، أولاد جود الله. (1)

سعد لى فى حيكم بعض الإرب قف حماك الله من سوء الأدب

و استمع منى و خذ لى مالكا إن ما فى الصدر تبديه الكتب

سعد إن جزت على وادى الحمى حيثما القاطن ممنوع الحجب

عج إلى بيت رفع سمكه واسع أرجاؤه فيه الرغب

عصمه الخائف مألوف الندى منيه السفر إذا اشتد السغب

ثم جز تلق بليقا شامخا خير موجود من بنا العرب

ساده قد شرفوا فى العلم و الحلم و الفضل جميعا و الحسب

ورثوا المجد فتى عن والد عن أبيه ذا لعبد المطلب

فاغضض الطرف و قف مبتدئا ثم بلغهم سلامى بأدب

و قل القن المعنى فيكم ذاق من بعدكم ما لا يجب

سعد تلقاهم كما تهوى على أن فيهم سيدا على الرتب

ذاك إدريس فصوب صوبه فعسى تحظى بحسن المنقلب

و الشم الأرض و قبل كفه ثم ناوله كتابى عن كئيب

إن فيها يا بن من حاز العلى و حوى الفخر و نعم المكتسب

كان لى معكم إحاء ثابت فعلا م الهجر من غير سبب

أطلب القرب و تولونى القلا و عجيب لمحب لم يحب

أن يكن ذنب و لا أعرفه فالكريم الأصل يعفو و يهب

أو يكن من قيل قد استكثروا فيك ما يعطوه من نوع القرب

ذاك لله و ما من به إن كثيرا أو قليلا يكتب

(٢) نقول تعليقا على هذا الشعر:

اننا نشرناه لا لأنه شعر مقبول، و لا لاستحسان شىء منه. و انما للتدليل على ما كان عليه الشعر العربى فى تلك العهود، و لنضع امام القارئ نماذج تكون مثلا لمن يمكن ان يؤرخ للأدب و للشعر بخاصه.
و هذا عذرنا فى نشره. و من لا يرى هذا العذر مقبولا فاننا لا نلومه ابدا.

الميرزا فضل على المولوى المتخلص بصفا

ولد سنه ١٢٨٨ فى تبريز و هو من اسره عرفت بالفضل و الايمان. فأبوه الميرزا عبد الكريم المعروف بالملاباشى له كتاب: (مختصر العروض)، و كتاب (قواعد الفارسيه) المطبوع فى تبريز سنه ١٢٤٨. كما ان آله آثارا اجتماعيه فى تبريز من بناء حسنيه و مسجد و سبيل للماء. توفى سنه ١٢٩٤.

و جده الميرزا أبو القاسم الإيروانى درس فى أصفهان و فى العراق، و أجازه السيد على الطباطبائى صاحب الشرح الكبير. و كان إلى ذلك طبيبا.

أما المترجم له فبعد أن درس المقدمات فى تبريز هاجر إلى النجف الأشرف و ان لا يزال فى التاسعه عشره من عمره و درس هناك على كبار العلماء علوم الفقه و الأصول و الكلام فضلا عن الفلسفه و الرياضيات.

و فى سنه ١٣٠٧ عاد إلى بلده تبريز فكان ملتقى العلماء و الفضلاء.

له من المؤلفات: (شرح القصيده العينيه) للسيد الحميرى، و كتاب (مصباح الهدى) و (رساله فى الاستصحاب)، و كتاب (النفج العنبرى فى أحوال السيد الحميرى)، و (رساله فى أحكام الأراضى الخراجيه)، و (الفوائد العلويه) فى علم الصرف بالعربيه و الفارسيه. و (حدائق العارفين) فى عده مجلدات طبع منها المجلد الأول سنه ١٣٢٤ فى تبريز. كما أن له ديوانا شعريا بالعربيه و الفارسيه.

و عند ما أقيم الحكم الدستورى المعروف بالمشروطه، فى إيران سنه ١٣٢٤ انتخب ممثلا- عن العلماء فى المجلس النيابى. و فى سنه ١٣٣٤ سافر إلى أوروبا للتداوى فزار بتر و كراد و استكهلم، و لندن، و كتب فى كتابه (رساله الأسفار إلى أوروبا) ضمنه فوائد أدبيه و علميه و تاريخيه و أشعارا عربيه و فارسيه من نظمه.

توفى فى برلين سنه ١٣٣٩ (١٩٢١ م) و دفن فى مقبره المسلمين فيها.

الشيخ فضل الله بن صدر الدين محمد بن أبى القاسم التنكابنى:

ولد حدود ١٢٥٠ و توفى بعد ١٣٠٠.

ولد فى تنكابن و نشأ برعايه أبيه العالم ثم دخل المدارس العلميه و تعلم العلوم العربيه و المنطق و البلاغه و بعد ذلك ذهب إلى
أصفهان و قرأ السطوح

ص: ١٦٣

-
- ١- جود الله هو ابن السيد خلف بن السيد عبد المطلب الحويزى المشعشى خاصم أخاه السيد على خان الذى حكم الحويزه من
سنه ١٠٦٠ فما بعد و قصد الحويزه و معه جماعه الفضول لأخذها من أخيه و خرج إليهم السيد على خان فوقع بينهما معركة
قتل فيها جود الله. و أولاده الممدوحون فى قصيده الشيخ الكعبى القبانى هم السيد إدريس و المولى محفوظ و إخوته المولى
عبد الخالق و المولى بدر و المولى عبد المعين و له فيهم أيضا أرجوزه أولها: أ تعذرين الصب أم لم تعذريفليس ما جئت به
بمنكر و له أيضا قصيده فى رثائهم لأنهم قتلوا جميعا فى معركة سنه ١٠٩٠
- ٢- زاد المسافر و المقيم ص ٤٣٣.

ثم ذهب إلى العتبات المقدسه و أقام فى النجف الأشرف مستفيدا من اعلامها ثم رجع إلى موطنه و قام بالتدريس، و بعد وفاه أبيه انتقلت إليه الرئاسة و قام مقام أبيه بالإمامه و التدريس و قضاء حوائج الناس إلى أن توفى فى تنكابن و قام مقامه ولده الشيخ جعفر المشايخي المتولد ١٢٩٨ و المتوفى ١٣٦٤. (١)

الشيخ فضل الله الصادق الآشتياني:

ولد فى جمادى الأولى سنة ١٢٩٨ هـ و توفى فى ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ.

قرأ المقدمات على جملته من فضلاء طهران و أخذ الفقه و الأصول عن الميرزا محمد حسن الآشتياني و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الميرزا أبو الحسن جلوه المتوفى سنة ١٣١٤ هـ و الميرزا حسن الكرمانشاهى ثم انخرط مده فى سلك القضاء و عين فى منصب مستشار الديوان الأعلى للدولة و لكنه لم يترك البحث و التدريس فكان من مدرسى الحكمة و الفلسفه فى مدرسه سبهسالار بطهران من مؤلفاته رساله فى باب حدوث العالم الجسماني و تحقيق رساله حمله للآغا على المدرس المطبوعه. (٢)

الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ عبد الكريم البسطامى الدشت

بياضى:

المتوفى سنة ٩٢٥ هـ كما فى كتاب (شاهد صادق).

كان من علماء الرياضيات و الفلاسفه و حكماء عصره، أديب شاعر و هو والد الشيخ محمد كريم الذى كان قاضيا فى مدينه دشت بياض الآتى ذكره، المترجم له مؤلفات منها: ديوان شعر و كتاب مطلع الأنوار فارسى فى شرح (بيست باب أسطراب [أسطراب]) للخواجه نصير الدين الطوسى الذى ألفه فارسيا كاصله و مصدرا باسم على شير نوائى نظام الدين بن كنجينه بهادر الجغتائى الهروى من وزراء السلطان حسين بايقرا ملك هرات المتوفى سنة ٩٠٦ هـ قائلا- (صاحب رأى الثاقب سمي أسد الله الغالب المير على شير أيد الله ظله على العباد بالنبي و آله الأمجاد..).

ترجم له شيخنا الأستاذ فى احياء الدائر ص ١٨٠ معبرا عنه بالحكيم الرياضى و ذكر ديوانه فى الذريعه القسم الثالث من الجزء التاسع ص ٨٣٤ و ج ١٣ ص ١٣١ و ج ٢١ ص ١٥٢ و ترجم له أيضا صاحب فرهنگ نامه هاى عربى به فارسى ص ٢٠٣. (٣)

الملا فاضله ابنه الشيخ أحمد البلاغى:

توفيت سنة ١٢٨٠.

عالمه فاضله أديبه. قرأت على والدها القرآن و علوم اللغه العربيه.

و على علماء أسرتها الفقه و الأصول، و قد أجازوها.

تولت تدريس الأصول و الفقه و الحديث و يحضر دروسها بعض الطلاب. و قرأ عليها بعض العلماء كتاب (القوانين) باعتبارها

مجازه من مصنفه.

و يقول السيد حسن الصدر في (التكملة): إنه أدركها و كانت فاضله تكتب الكتب بالأجره و تعيش هي و زوجها الشيخ حسن البلاغي من ذلك، و كانت تستخرج المسودات إلى البياض لشده معرفتها و حسن سوادها إلى آخره.

و يوجد بخطها بعض الآثار منها: (كشف الغطاء) فرغت من كتابته يوم الجمعة ٣ ذى القعدة ١٢٤٩.

الشيخ فيض الله البغدادي الحائري البرمكي

المتخلص في شعره بالحاجبي:

هو من علماء القرن العاشر الهجري، شاعر أديب ولد في بغداد و أخذ العلوم الأولية فيها على علمائها الأعلام ثم نرح إلى كربلاء لإكمال دراسته فاخذ الفقه و الأصول على أعلام الحائر الشريف ثم أولع بالعلوم العقلية و هاجر إلى كاشان و التحق بحوزه شمس الدين محمد الخفري و منها توجه إلى شیراز و حضر على عبد الصمد الشيرازي مده سنتين ثم استقر في تبريز و التف حوله طلاب العلوم الدينيه و كان من كبار المدرسين في تبريز و له حوزه درس معموره في (المدرسه المظفرية) ثم اختاره الشاه طهماسب الصفوي (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ) لمنصب القاضى العسكرى فكان حازما حسن الاداره قوى الايمان و له مؤلفات منها ديوان شعر و كان ينظم بالعريه و الفارسيه أشار إلى ديوانه شيخنا في الذريعه و له كتاب الصيديه يحتوى على مقدمه و ثلاثه أبواب و خاتمه في بيان أنواع الصيد من الحيوانات و آداب الصيد و صدره باسم الشاه طهماسب الصفوي و له ترجمه مختصره في "أحياء الدائر".

و ترجم له مفصلا سام ميرزا الصفوي في كتابه تحفه سامى ص ٤٩ - ٥٠ بما هو تعريبه (الأمير فيض الله الحاجبي أصله من دار السلام بغداد و هو من أسره كريمه من أحفاد الأمراء و ينتهى نسبه إلى البرامكه الأسره المعروفه و أمراء العصر العباسي و كان في مقدمه فضلاء عصره نرح أولا إلى العتبات المقدسه ثم هاجر إلى إيران و سكن كاشان و تتلمذ على مولانا شمس الدين محمد الخفري..) ثم أدرج قسما من شعره.(٤)

أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي

الأصبهاني:

هكذا ذكره الذهبي في (سير اعلام النبلاء). و وصفه بالشيخ العالم المعاصر مسند الوقت، رئيس أصفهان و معتمدها. و قال أنه صاحب (الأربعين) و (الفوائد العشره). و قال محقق الكتاب: أنها المعروفه ب (الاجزاء الثقفيات) و تدعى أيضا ب (الفوائد العوالي).

ثم قال الذهبي:

ولد سنه سبع و تسعين و ثلاث مائه. و أول سماعه في سنه ثلاث و أربع مائه، و رحله أبوه في صباه إلى خراسان و العراق و

الحجاز، ولقى الكبار.

ثم عدد من سمع منهم، وقال: وروى الكثير و تفرد في زمانه و كان صدرا معظما. ثم عدد من حدث عنه، ثم قال:

قال السمعاني: كان ذا رأى و كفايه و شهامه، و كان أسند أهل عصره و أكثرهم ثروه و نعمه و بضاعه و نقدا. و كان منفقا كثير الصدقه دائم الإحسان إلى الطارئين و المقيمين و المحدثين، و إلى العلويه خصوصا، كثير البذل لهم.

عزل في آخر عمره عن رئاسه البلاد و صودر، فوزن مائه ألف دينار حمر لم يبع لها ملكا و لا أظهر انكسارا.

و كان من رجال الدنيا، عمر و رحلت اليه الطلبة من الأمصار، و كان صحيح السماع، غير انه كان يميل إلى التشيع على ما سمعت جماعه أهل أصفهان.

قال يحيى بن منده: لم يحدث في وقت أبى عبد الله الرئيس أوثق منه في الحديث و أكثر سماعا و أعلى إسنادا. كان فيما قيل يميل إلى الرفض، سمع (تاريخ يعقوب الفسوى) من ابن الفضل القطان، و سمع تاريخ يحيى بن معين من أبى عبد الرحمن السلمى.

ص: ١٦٤

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- الصالحى.

٣- الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

قال السلفي: كان الرئيس الثقفي عظيما، كبيرا في أعين الناس، على مجلسه هيبه و وقار، و كان له ثروه و أملاك كثيره.

و قال السمعاني: كان محمود السيره في ولايته مشفقا على الرعيه، سمعت أن السلطان ملك شاه أراد أن يأخذ من الرعيه مالا بأصبهان فقال الرئيس: أنا أعطى النصف، و يعطى الوزير - يعنى نظام الملك - و أبو سعد المستوفى النصف. فما قام حتى وزن ما قال، فظنى أن المال كان أكثر من مائه ألف دينار أحمر.

و كان يبر المحدثين بمال كثير، رحلوا اليه من الأقطار.

مات الرئيس في رجب سنه تسع و ثمانين و أربع مائه، و هو في عشر المائه (انتهى).

الشريف أبو محمد قریش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا بن

السبيع بن المهنا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن

الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب - ع - العلوى الحسينى المدنى البغدادى.

ولد في مدينه رسول الله (ص) في الحجاز في شعبان سنه ٥٤١ و قيل ٥٣٩ هـ و توفي في الكاظمين (مشهد باب التبن) في ليله ٢٥ من شهر ذى الحجه الحرام سنه ٦٢٠ هـ و دفن بها.

من أكابر المحدثين و فحول فقهاء الشيعة عالم فاضل محقق مؤلف ذكره في أعيان الشيعة ج ٨ ص ٤٥٠ نقلا عن رياض العلماء و أمل الأمل و ورد خطأ في اسم أبيه فسمى سميع و الصحيح ما أثبتناه و نزيد عما هناك ما يلي:

هاجر من مدينه جده رسول الله (ص) إلى بغداد صبيا و استوطنها و أخذ عن الشيخ أبو عبد الله جمال الدين الحسين بن هبه الله بن رطبه السوراوى و يروى عنه عن أبي علي الطوسى عن أبيه شيخ الطائفة الشيخ الطوسى و قرأ أيضا على الشيخ أبو طالب المبارك بن علي بن محمد خضير الصيرفى كتاب (فضل الكوفه) مع زوجته شرف النساء بنت أبي طالب بن المكرم العلوى الحسينى و أولاده محمد و آمنه و فاطمه و كتب ذلك بخطه في آخر نسخه (فضل الكوفه) الموجوده في المكتبه الظاهريه بدمشق و أخذ أيضا عن أبي بكر بن الطى و أبي زرعه طاهر المقدسى و أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد في كتابه (الأمان من الأخطار) و في (فلاح السائل) و يروى عنه أيضا فخار بن معد الموسوى الحائرى المتوفى سنه ٦٣٠ هـ و كان المترجم له كثير المطالعه و التحقيق و ينقل منتخبا إلى مجاميع و تصدر للتدريس في بغداد و تخرج عليه جماعه، كما ينقل عنه فحول علماء الشيعة في كتبهم و لى النظر لخزانه كتب التربه السلجوقيه مده و في آخر عمره هاجر من بغداد إلى الكاظمين ثم انقطع هناك للعبادات حتى توفي بها و دفن عند مرقد الإمامين ع.

أقوال العلماء فيه

ذكره الصفدى في "الواقى بالوفيات" قال (... من أهل مدينه النبى، قدم بغداد صبيا و استوطنها إلى ان توفي سنه ٦٢٠ صحب

المحدثين وسمع كثيرا و كان يظهر التسنن و أنه على مذهب أصحاب الحديث و صار له اختصاص بالأكابر و ولى النظر لخزانه كتب التربه السلجوقيه مده ثم انقطع آخر عمره بالمشهد بيباب التبن إلى أن مات سمع أبا بكر بن البطى و أبا زرعه طاهر المقدسى و أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن التقول و غيرهم. و قرأ بنفسه كثيرا على جماعه من المتأدين و كان يكتر مطالعه الكتب و ينقل منها منتخبا إلى مجاميع. و كان قليل البضاعه فى العلم و الفهم...).

ذكره الدكتور مصطفى جواد فى الجزء الثانى من موسوعه العتبات المقدسه قسم الكاظمين ص ٢٤٧ قال: بعد ما سرد نسبه ذكره المنذرى فى وفيات سنه "٦٢٠" ه فى كتابه التكملة و قد ذكر اسمه و نسبه (و فى ليله الخامس و العشرين من ذى الحجه توفى الشريف أبو محمد قريش... نزيل بغداد بها و دفن من الغد بمشهد باب التبن. و مولده بمدينه رسول الله (ص) فى شعبان سنه إحدى و أربعين و خمسمائه و قيل سنه أربعين و قيل سنه تسع و ثلاثين و خمسمائه قدم بغداد فى صباه و سكنها إلى حين وفاته و طلب الحديث و سمع الكثير و قرأ على الشيوخ و كتب بخطه و سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و أبى طالب المبارك بن على بن خضير الصيرفى و أبى زرعه طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى و أبى الحسن على بن أبى سعد الخباز و أبى بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور و أبى محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب و جماعه سواهم من المتأخرين و حدث و لنا منه إجازة كتب بها إلينا من بغداد سنه تسع عشره و ستمائه) و ذكره ابن الديبى فى تاريخه بدلاله وجوده فى مختصر تاريخه قال الذهبى (قريش.. قدم بغداد و سكنها و سمع ابن البطى و أبى النقور و أبى محمد بن الخشاب و المبارك بن خضير. قرأت عليه أخبركم ابن البطى فذكر حديثا ولد سنه إحدى و أربعين و خمسمائه بالمدينه و توفى فى ذى الحجه سنه عشرين و ستمائه ببغداد) و ترجم له جمال الدين محمد بن على بن أبى الصابونى بعد ذكر اسمه و نسبه و جماعه من الشيوخ الذين روى عنهم: (روى عنهم أجاز لى غير مره مولده فى شعبان سنه إحدى و أربعين و خمسمائه بمدينه الرسول (ص) و ذكر الحافظ أبو عبد الله عبد الله محمد بن محمود ابن النجار و من خطه نقلت أن مولده فى سنه تسع و ثلاثين و خمسمائه و توفى ليله الخامس و العشرين من ذى الحجه سنه عشرين و ستمائه و دفن بالمشهد).

و ذكره الذهبى فى تاريخه و قال فيما قال: (قدم بغداد و طلب و سمع الكثير و حصل و عنى بالحديث.. روى عنه الديبى و ابن النجار و أهل بغداد و غيرهم توفى فى ذى الحجه و ذكره ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه قال (و جاء فى أخبار على (ع) التى رواها أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى كتاب فضائله و هو روايتى عن قريش بن السبيع بن المهنا العلوى عن نقيب الطالبين أبى عبد الله.. بن المعمر) و ذكره الذهبى فى وفيات سنه (٦٢٠) و لم يذكر فائده جديده لم يذكرها من قبله و قال الحر العاملى ..)

عالم جليل يروى عنه السيد فخار بن معد).

و وصفه الميرزا عبد الله أفندى الأصفهانى فى رياض العلماء قال:

السيد السعيد الفقيه أبو محمد قريش.. العلوى الحسينى المدنى فقيه فاضل عالم جليل محدث رضى الله عنه و قد يعبر عنه اختصارا بقريش بن مهنا العلوى فيظن التغاير و بالجمله فله من المؤلفات.. و يروى هو عن حسين بن رطبه السوراوى عن أبى على الطوسى عن والده الشيخ الطوسى... و اعلم ان ابن طاوس قد نقل فى الإقبال عن كتاب المرشد للصدوق و قد كان بخط الفقيه قريش بن السبيع (هذا) و ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة و طبقات

اعلام الشيعة و مصنفى المقال فى مصنفى علم الرجال ص ٣٦٩.

ترك المترجم له مؤلفات هامه نقل عنه جمع من أصحابنا الإماميه فى مؤلفاتهم منهم السيد ابن طاوس فى كتاب فلاح السائل و السيد حسين بن مساعد الحائرى فى كتابه تحفه الأبرار و غيرهم من مؤلفاته كتابه فضل العقيق و التختم به، كتاب المختار من الاستيعاب لابن عبد البر، كتاب المختار من الطبقات الكبرى لابن سعد. (١)

قيس بن سعد بن عباد:

اشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٥٢ من المجلد الثامن، و نزيد عليها هنا

ص: ١٦٥

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

هذه الدراسة مكتوبه بقلم الدكتور إبراهيم بيضون:

عرف القرن الهجرى الأول، أكثر من رعييل من الجذرين الذين تغلبت المبادئ فى نفوسهم على المصالح و اندرجوا فى الطريق الصعب، من غير فتور فى العزيمه أو وهن فى السير أو رضوخ لمتغيرات الزمن، لم يكن هؤلاء فى السلطه معا أو فى المعارضه معا، و لكن قضيه أساسيه هى الإسلام، جعلتهم معا فى نفس الجبهه، مجاهدين بالقرار أو بالسيف أو بالكلمه.. أو بالصمت، عند ما تصبح المواجهه أكثر خطوره من المهادنه على وحده المجتمع، التى تبقى فى مستوى القضيه، بل أكثر أهميه لدى هؤلاء الجذرين، فينكفئوا حين ذاك إلى الظل، فى الوقت الذى يتقدم فيه الانتهازيون، و ربما الأقل جذريه، إلى مواقعهم الجديده فى اللحظه المناسبه. و إذا كان بعضهم قد أنصفه المجتمع و التاريخ، فحظى فى المعارضه بما يفوق أى ثمن فى الحكم، حيث ياتى فى الطليعه الحسين بن على (ع) فى ثورته الرائده على الظلم و الانحراف، فان ثمة البعض الكثير، قد غيبه النسيان و سقط من الذاكره أو ابتعد عنها، حيث التاريخ يبهره أيضا الضوء و يسترسل أحيانا فى الإنصات للجلبه و الضجيج ينبعثان من القصور و مواكب الأمراء و الكبراء.

و فى مقدمه الرعييل الأول من الجذرين، ياتى على بن أبى طالب (ع)، و معه آخرون من الصحابه، ربما كان أكثرهم تمثيلا لهذه الجذريه، أبو ذر الغفارى و عمار بن ياسر. فقد جمع بين هؤلاء، على تفاوت ظروفهم و اختلاف مواقعهم، الولاء النقى للعقيده و الإخلاص للمبدأ حتى الشهاده التى توجت جهادهم فى سبيل المجتمع النموذج، الذى ارست دعائمه دوله النبى (ص) فى المدينه.

هكذا سقط الامام على الأكثر "شده" (1) كما وصفه الخليفه السابق، دون أن تكون شخصيته مستهدفه فى الاغتيال فحسب و لكن الدوله - النموذج كانت مستهدفه فى الصميم حيث سقط فى المسجد لما يمثله من رموز، هى نفسها رموز المجتمع الجديد، و من قيم دينيه و سياسيه و اجتماعيه، اغتيلت أيضا فى مسجد الكوفه.

و على هذا الطريق أيضا، يسقط الغفارى، و لكن دون ثورته التى فجرها فى ضمير الأمه، عند ما أطلق صرخته، و هى كل سلاحه، ضد الظلم و التخمه و التضليل، أطلقها على مسمع الخلافه "العاجزه" فى المدينه، و فى وجه "شرطتها" القامعه فى الشام، ليتتهى "شهيدا" فى المنفى الموحش، و فيا للمبدأ الذى تلقاه صافيا من قبضه الرسول.. و هكذا أيضا على ذات الطريق يسقط عمار بن ياسر.. على يد "الفئه الباغيه"، متخذنا وجهه سلفه الغفارى، إلى حيث الحريه قنديل العابرين إلى الفجر.. يسقط عمار مجاهدا من أجل المبدأ، عازفا عن المنصب إلى الشهاده، بكل ما يعنيه ذلك من وفاء و نقاء و التزام.

لم يكن هؤلاء الكبار من الرعييل الأول فى الإسلام، سوى نماذج للجذريه التى انطوى عليها كثيرون من هذا الرعييل، و لكنهم كانوا فى موقع القياده أو الرياده، مما أكسب أسماءهم لمعانا فى التاريخ، لم تحظ به أسماء أخرى قبعت فى الظل أو فى زوايا الصمت.

على أن الجذريه خفتت بعد سقوط العهد الراشدى، عند ما حسمت "الحرب الأهليه" للمره الأولى الوضع الشاذ أو غير المستقر، الذى ترافق مع الانتصار دون الهزيمه، حيث انتهت الحرب بانتصار تيار و هزيمه آخر، مكرسا ذلك سقوط نظام و قيام آخر، و بالتالى صعود "قيم" و اندحار قيم سادت لحين قصير، تبدأ بالعداله و المساواه و الحريه، و لا تنتهى بالشورى التى كان سقوطها

علنيا و فى وضح النهار. و لم يكن غريبا أن تعج الطرق بمواكب الزاحفين تباعا إلى مراكز النفوذ الجديده، بعضهم يسبق بعض، و لكنهم فى النهايه وصلوا جميعا على تفاوت خلفياتهم، حيث السلطه كانت سيبلهم إلى تحقيق الذات. و القله فقط، لم تكن ماخوذه بالبريق يخطف الأنظار، مؤثره التصدى بالموقف و المقاومه بالكلمه، أو بالشهاده عند ما يصبح للكلمه حد جارج كالسيف، أو يصبح السيف الحد القاطع بين الاثنين...

هكذا يسقط من أجل المبدأ، دون ثمة مساومه أو مهاده، كبار آخرون من الرعيل المنخضرم أو الثانى، من أبرزهم حجر بن عدى الكندى و سليمان بن صرد الخزاعى و مالك بن الحارث النخعى (الأشتر)، فضلا عن المطرف بن المغيره بن شعبه، بفرادته ككثير من داخل السلطه على السلطه، بعد ما هاله اشتداد الطغيان و استفحال الظلم، و كذلك إبراهيم بن الأشتر، بوقفته الناصعه، رافضا المساومه على "الفرات و ما سقى" مقابل التخلّى عن موقفه.

و لن يفوتنا فى هذا السياق، التوقف عند نموذج آخر من الرعيل الثالث الجذرى، الذى كان أكثر تمثيلا له الحارث بن سريح التميمى (٢)، متماهيا ربما بالمصادفه مع سلفه المطرف، حين رفض المضى فى مطارده التأثيرين على الحكم الأموى، بعد اكتشافه الظلم المحيق بهم، و اقتناعه بعداله مطلبهم فى العيش بحريه و كرامه. فيرتد الحارث من قائد للدوله الأمويه إلى نائر عليها، و يخوض حركه اتخذت فرادتها، بل ريادتها فى ذلك الحين، عند ما ضوت تحت رايتها من العرب و الفرس و الترك، تجمعهم العقيد و يوحدهم المبدأ و تشدهم قضيه اساسيه، هى الإسلام، الذى آمن به الحارث خارجا من العصبيات القليله و العنصريه و الفئويه... ذلك الموروث التى تركه الحارث و أصحابه فى الأرض، التى كانت حين ذاك تضطرب بالثوره، و استلهمه من دون ريب دعاه الحركه العباسيه الأوائل، و اقتبسوا منه شعاراتهم المضيئه، قبل أن تحترق على أرض الواقع بعد إعلان الدوله الجديده.

على أن الجذريه قد لا- تذهب بأصحابها أحيانا إلى الثوره أو الشهاده، حيث تتلاشى الوسائل إلى مثل ذلك، و إنما يكون الخروج الطوعى من الضوء، ما يمثلهما من الجذريه و النقاء و الجرأه. و لعل النموذج الذى يستوقفنا فى هذا السياق، هو قيس بن سعد بن عباده الأنصارى الذى "صاحب" النبى فى أول عهده بالمدينه، كما صاحب عليا (ع) فى الدفاع المستميت عن الخلافه الراشديه، و كان آخر المقاومين لاسقاطها فى عهد الحسن (ع) واقعا عليه عبء هذا الموقف الصارم بعد ذلك، و منزويا فى بيته بالمدينه يعانى القهر و الحرمان و "شتماته" الأقربين (٣) الذين تداركوا الطريق الصعب فى المراحل الأولى منه.

ينتمى قيس بن سعد إلى الخزرج و هى إحدى قبيلتين إلى جانب الأوس، تألف منهما الأنصار فى المدينه (يثرب). و قد انتقلت إليه زعامه قومه فى الإسلام، بعد وفاه أبيه سعد بن عباده، بصوره غامضه فى الشام (حوران) (٤)، و ان كانت تعتبر من محصلات "السقيفه" التى اتخذ من بيعتها موقفا رافضا، حيث طرح نفسه، حين ذاك مرشحا غير اجماعى للأنصار، و اضطر إلى التخلّى عن قراره، و لكن دون الرضوخ للتناجج التى انتهى إليها الأمر. بانتخاب أبى بكر أول خليفه للمسلمين.ه.

ص: ١٦٦

١- راجع القول المنسوب لعمر عند ما سأله أن يولى عليا: "يحملكم على طريقه هى الحق" الماوردى، الأحكام السلطانيه ص ١٣. المطبعه المحموديه - القاهره (د.ت).

٢- ثار الحارث فى خراسان و بلاد ما وراء النهر بين عامى ١١٦ - ١٢٨ هـ.

۳- حسان بن ثابت.

۴- توفی سنه ست عشره.

و لا شك أن الخزرج كان لهم دور كبير في التطورات الهامة التي تتوجت بالهجرة إلى يثرب، و بعد معاناه مر بها النبي (ص) و أصحابه في مكة، التي كان من العسير على أى موقع حضرى في الحجاز - باستثناء يثرب - منافستها أو تحديها في أمر كذلك، حيث التكوين الاجتماعى التعددى - إذا جاز التعبير - جعلها عرضه للصراعات المستمرة سواء الصراع العربى - اليهودى، بعد تكتل بنى النضير و قريظه ضد العرب، أم العربى - العربى، الذى كان آخر وجوهه الداميه "يوم بعثت [بعثت]"، مؤديا ذلك، سواء الضغط اليهودى على العرب، أم اقتتال هؤلاء فيما بينهم و على مرأى الحواضر و القبائل العربيه الأخرى في الحجاز، لا سيما قريش التي اشترطت عليهم - أى الأوس و الخزرج - "شروطا لم يقنعوا بها"، إلى اتخاذ القرار الكبير الذى أخرج القبيلتين من العزلة و رفع عنهم نير الاقتتال الداخلى، فضلا عن كسر المعادله الحجازيه و انعكاس نتائجها السلبيه السريعه على مكة.

هكذا إذن أتيح للأوس و الخزرج - لا سيما القبيله الأخيره، التي كان لها حضورها الطاغى في بيعتى العقبه اللتين مهدتا إلى الهجرة - دخول التاريخ من أوسع أبوابه، حيث كانت لهم اليد الطولى في إرساء دعائم المجتمع الجديد و قيام الدوله الأولى في ظل الإسلام. و إذا كان المهاجرون الذين رافقوا النبي المرحله المكيه الصعبه، يمثلون الطليعه في نصره الدعوه، فان الأوس و الخزرج الذين [الذين] اكتسبوا بعد الهجرة اسم الأنصار، تعبيرا عن موقفهم التاريخى في تأييد الدعوه و احتضانها، كانوا يمثلون هذه الطليعه النقيه أيضا، حيث يتجلى ذلك في العديد من المواقف، بدءا بالمؤاخاه المخلصه مع المهاجرين، و الانصهار [الأنصار] فى المجتمع و الدفاع عن الدوله، إلى آخر المواقف التي تجلى فيها نكران الذات، و الولاء المطلق لهذا المجتمع.

و كان من الطبيعى ان تشهد الدوله الجديده، صراعات سياسيه، تتسع دائرتها أو تضيق، بين الأنصار و بعض المهاجرين الذين استمدوا قوتهم من الانتماء لقريش، بما فى ذلك من قوه معنويه، مرتبطه بالنبي (ص) "القرشى"، أو ما يمكن أن يحدثه ذلك من تعزيز للزعامه القرشيه فى الحجاز من منظور قبلى أو قريب منه، فضلا عن اسبقيه هؤلاء فى الإسلام، و الموقع الذى كان لبعضهم قبله، مما جعل الكثيرين منهم غير قادرين على التخلص من نزعه "التفوق" على الأنصار التي كان مقدرها لها أن تثير صراعات أكثر خطوره، لو لا تدارك النبي (ص) لها، فى احتضانها للأنصار و كبح المهاجرين، مكرسا فى عبارته الشهيره "لو سلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الأنصار أو شعبهم". و لكن النبي (ص) برغم التوازن الذى حرص على استمراره بين جناحى الدوله الأساسيين، فإنه لا يتردد فى مواجهه الموقف الأنصارى الجامح أحيانا ضد المهاجرين أو ضد قريش بشكل عام، كما حدث إبان الدخول إلى مكة، و انتشاء سعد بن عباد - و قد كان يحمل رايه النبي (ص) بالفتح، إلى حد القول: "اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحل الحرمه، اليوم أذل الله قريشا، مما دفع النبي (ص) إلى أخذ الرايه من سعد و اعطاها إلى أحد المهاجرين، و ذلك للحنول دون استثاره المشاعر المضاده لدى أهل مكة، فى مرحله كانت أول ما تقتضيه، إرساء التعايش بين المسلمين و إخماد النزعات العصبيه، سواء كانت قبيله أم اقليميه.

و تراجع سعد فى مكة متخليًا عن الرايه و فى نفسه شىء من المراره، و لكنه لم يتخل عن انضباطه و التزامه بأوامر النبي (ص)، كما تراجع و معه الأنصار فى المدينه، بعد مواجهه التكتل "القرشى" فى السقيفه، من غير أن تخونه المسئوليه أيضا، و إن كان قد آثر الخروج من الحياه السياسيه تاركا لابنه قيس تلك الانضباطيه الشديده فى الموقف، فضلا عن صفات، ربما لم يكن ما يماثلها لدى الأب، فى الجرأه و الشجاعه و التصلب فى الموقف و المسئوليه الواعيه. و لعل هذه السمه تكاد تنسحب على الأنصار عامه، الذين كانوا بمعنى ما، أول المعارضه فى الإسلام، إذا ما أخذنا فى الاعتبار هزيمتهم السياسيه فى السقيفه و ما أورثته لدى قريش نحوهم من حذر، تفاوت بين احتواء فى العهد الراشدى، باستثناء خلافه عثمان، و بين المعاداه الصريحه فى العهد الأموى

لا سيما السفيناني منه، حيث العصبية كانت محور سياسات هذا العهد.

و من هذا المنظور، يجد الأنصار أنفسهم متحالفين مع علي (ع)، ربما يتعدى الحرمان المشترك، إلى محاوله التعويض عن هزيمتهم في السقيفه.. و على الرغم من احتجاجهم على خروج علي (ع) من المدينة عشيه موقعه الجمل، ذلك الخروج الذى بدا حتميا بعد اغتيال الخليفه الثالث، و ما أدى اليه من اختلال فى المركزيه السياسيه للحجاز و استتباع اقتصادى للأمم، فان الأنصار قد حددوا موقفهم من السلطه منذ عهد عثمان، حيث كانوا على الهامش منها، و شاركوا بصوره جزئيه مع علي (ع) فى البصره، و بصوره شبه كليه معه فى صفين، كما عرفت اداره علي (ع) لأول مره فى الدوله، ذلك الحضور الأنصارى البارز، بعد تعيين عدد منهم فى مراكز أساسيه، مثل أبى قتاده الأنصارى فى مكه و سهل بن حنيف و أبى أيوب الأنصارى فى المدينه و عثمان بن حنيف الأنصارى فى البصره. و من البديهي أن يكون انكفاء علي (ع)، انكفاء للوضع الأنصارى فى الدوله الإسلاميه حين نزلوا بثقلهم فى صفين، و كان أربعه منهم فى مقدمه الصفوف و هم: قيس بن سعد و أبو أيوب الأنصارى و خزيمه بن ثابت و سهل بن حنيف. و لم يكن ما يثير الدهشه، أن يكون قيس، الذى تكرر زعيما للأنصار فى عهد علي (ع) أبرز القاده و أكثرهم إخلاصا للحسن (ع) و حماسه لاستمرار الحرب ضد معاويه، حيث كان ذلك الخيار الوحيد الذى لم يشأ التخلي عنه، حتى بعد قرار الحسن (ع) بالتنازل عن الخلافه. و قد جر عليه ذلك الموقف اسوأ النتائج فى العهد الأموى، سواء عليه شخصيا بعد انتهائه إلى الانزواء بقيه حياته فى المدينه، أو على جماعته الذين دفعوا الثمن الباهظ حرمانا و اضطهادا فى عهد معاويه، و قتلًا و استباحه لمدينتهم فى عهد خليفته (موقعه الحره).

و هكذا فان علاقه الأنصار بالسلطه، قد اضطربت نسبيا بعد وفاه النبی (ص)، و اختلت تماما بعد سقوط الدوله الراشديه و قيام دوله الأمويين التى كانت سياستها مناوئه لهم فى عهد الأول، منطلقه من أحقاد قديمه، جعلت الخليفه (يزيد) متشغيا بنكبتهم فى أعقاب الحره، إذا ما توقفنا عند بيت الشعر المنسوب له فى هذا المجال:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

(١) إنهم الخزرج - جماعه قيس - دائما فى الواجهه، يقودون الموقف الأنصارى.. من المبادره إلى دعوه الرسول (٢) ، إلى المبادره فى طرح مسأله الخلافه، إلى المبادره فى المعارضه المسئوله، إلى المبادره فى الدفاع المستميت عن خلافه علي و أبنائه (ع).. و أخيرا إلى المبادره فى حركه لها مضمونها الاجتماعى - الاقتصادى، فضلا عن المضمون السياسى.. كان الأنصار مبادرين دائما فى خطهم الجذرى فى الإسلام، ذلك الخط الذى التزم به قيس و عبر عنه بصوره صادقه.

أطل قيس على الإسلام إذن من الباب الكبير، و اكتسب "صحبه" ء.

ص: ١٦٧

١- البلاذرى، أنساب مخطوطه ٣٣٣. ينسب هذا البيت أيضا لعبد الله الزبعرى أحد شعراء يزيد. الدينورى، الأخبار الطوال ص ٢٧١. الامامه و السياسه ج ٢ ص ٦.

٢- كان عدد الخزرج طاغيا على الأوس فى بيعتى عقبه و فى مجلس النقباء.

النبي (ص)، انطلاقاً مما كان للبيت الذي عاش فيه من دور في نشوء الدولة الإسلامية الأولى، و كان لديه من الصفات الشخصية والاجتماعية المميزه، سواء تمثلت بقامته الطويله أو بجوده المفرط أو بشجاعته اللافتة أو بحزمه الموصوف، أو برأيه النافذ، ما كان يؤهله لموقع قيادي، سرعان ما تبوأه عن جداره في أيام النبي (ص) و في عهده الإمامين علي (ع) و الحسن (ع).

على أن قيساً برغم وصف الروايات التاريخيه له، بأنه "صاحب رايه الأنصار مع رسول الله (ص)، لم يكن في الصفوف الأولى من قيادات المدينة في ذلك الحين، ربما لأن الدور الأساسي في بيته و في قومه كان معقوداً لوالده، الذي عهدت إليه مهمات كبيره، عسكريه أو اداريه. و لكن اسمه أخذ في البروز منذ السنه الثامنه للهجره، و في وقت تجاوزت فيه المدينة مرحله السرايا إلى الغزوات، حيث شارك في غزوه الخبط التي قادها أبو عبيده بن الجراح و معه ثلاثمائة من المهاجرين و الأنصار كما تردد اسمه في السنه نفسها، عند ما بعثه الرسول بعد منصرفه من الجعرانه " إلى ناحيه اليمن و أمره أن يطاء صداء " و قد كان لهذه المهمه نتائج باهره على صعيد انتشار الإسلام في هذه المنطقه، حيث سارع أهل صداء إلى إيفاد رجل منهم على الرسول (ص) بعد إنجاز قيس معسكره في اربعمائه من المسلمين بناحية قناه، قائلاً له فيما يرويّه ابن سعد: " جئتكم وافداً من ورائي فاردد الجيش و أنا لك بقومي، فردهم رسول الله (ص)، فقدم منهم على رسول الله (ص) على [] من وراءهم من قومهم و رجعوا إلى بلادهم، ففشا فيهم الإسلام، فوافى النبي (ص) مائه رجل منهم في حجه الوداع ".

و يتابع قيس دوره لصيقاً بالنبي (ص) في تلك السنه - المنعطف من تاريخ الإسلام التي شهدت لأول مره خروج الدوله من دائرتها الحجازيه، و الاتصال بالقبائل العربيه في الشام (حمله مؤتة)، و ما شكله ذلك من إرهاب لا عاده النظر في التوازن السياسي الولي في المنطقه الشاميه. و تتوجت هذه السنه (الثامنه) بأول الفتوح في الإسلام، و هو فتح مکه، و معه القضاء على رموز المجتمع الوثني و " قيمه "، حيث تردد اسم قيس في إحدى الروايات، بان النبي (ص) دفع إليه الرايه التي كان يحملها والده، بعد ما بلغه عن الأخير من " كلام في قریش و توعدهم لهم "، خلافاً للسائد عن هذه الحادثة في معظم الروايات كما سبقت الإشارة.

موقفه من السقيفه

و لم تشر الروايات إلى دور قيس في السقيفه، باستثناء ما ورد في " الامامه و السياسه " من خلط بين اسمي قيس بن سعد و بشير بن سعد الذي كان من سادات الخزرج أيضاً و أول من بايع الخليفه الأول من الأنصار. و قد تفاوتت حين ذاك المواقف لدى هؤلاء، ما بين مؤيد أو متلكئ أو مثبط، حيث يفترض اندراج قيس في الفئه الأولى، و لكنه على الأرجح لم يجار [يجار] أباه في الحماسه المشروعه، مدركا بثاقب نظره ما يحيط به من صعوبه و ما يثيره من معارضه لدى المهاجرين، الذين تعزز حضورهم في الدوله، بعد فتح مکه، و ما أدى إليه ذلك من توحيد للجهه القرشيه بجناحيها المهاجر و غير المهاجر حول قضيه السلطه. و قد يؤيد هذا الرأي وجود قيس خلافاً لوالده - في معترك الأحداث التي شهدتها العهد الراشدي الأول، لا سيما المشاركه الفاعله في معركة اليرموك، حيث ورد اسمه مفاوضاً عرب الشام و قائدهم آخر " ملوك " الغساسنه، جبله بن الأبهيم، واضعاً الأخير بين خيار الإسلام و مراعاة " صلته الرحم "، و بين خيار الحرب التي أصر عليها جبله، مما دفع خالد بن الوليد إلى قتالهم، و " انتخاب ستين رجلاً من أصحاب رسول الله (ص) معظمهم من الأنصار. و كان فيهم قيس بن سعد "، حسب الروايه التاريخيه.

- الدور الريادي في عهد أمير المؤمنين (ع) - و لا يلبث قيس و قومه أن يتراجعوا إلى الظل في عهد الخليفه عثمان، الذي لم

يتسع المجال فيه لغير الأقرباء و المقربين، باستثناء قله قليله من الأنصار تعاطفت مع الخليفه و اندرجت في " حربه " بعد مقتله، كان يمثلها خاصه حسان بن ثابت و النعمان بن بشير. و كان من نتائج تلك السياسه التي انعكست سلبياتها بصوره خاصه على الأنصار في معقل دارهم بالمدينه، انهم لم يبالوا بالأحداث التي شاهدها الأ-خيره. و لم يسوغوا لأنفسهم التدخل في مسار التطورات التي بدت لم غير مجهوله. و لكن الأنصار لم يستمروا طويلا- خارج الدور الذي سرعان ما انخرطوا فيه، مع مجيء خليفه (علي " يتعاطفون معه في الكثير من الأمور، فإذا بهم أركان العهد الجديد، و زعيمهم قيس بن سعد، موضع ثقه الخليفه. يعهد اليه بالمهمات الصعبه و الدقيقه. فقد كان أحد الذين تولوا المفاوضات مع قبائل الكوفه، بغيه "استنفارها" للقتال ضد حركه البصره. و لكن الروايات لا- تخلو من التباس، يتعلق بأسماء المفاوضات الذين ربما ترددوا أكثر من مره على الكوفه في هذا السبيل. و لعل قيسا لم يكن مشاركا في الوفد الأول الذي ضم - حسب معظم الروايات - كلا من الحسن (ع) و عمار بن ياسر، بينما تفردت إحدى الروايات بإيراد اسمه في وفد يرجح أنه الثاني، ضمه و عبد الله بن عباس، إلى جانب الاثنين السابقين. و قد أدت هذه المهمه إلى حسم الموقف الكوفى، الذي شابه شىء من الارتياب، نتيجة للدور الغامض الذي قام به آخر ولاء المدينه في العهد السابق.(1)

و هكذا برز قيس بين قاده علي (ع) الرئيسيين، حيث المهمه الأولى التي تولاهها، لم تكن أمرا بسيطا في ذلك الحين، و إنما كان لها تأثير كبير في تطورات المرحله المعقده، حيث التأيد الكوفى للعهد الجديد، أسفر عنه خروج الخلافه من الحجاز، فضلا عن تعديل الموازين العسكريه في البصره التي لم تكن في البدايه لمصلحه علي (ع)، كما أدى إلى تفوق جبهته في صفين حتى إعلان التحكيم و بدايه التراجعات التي أورثتها هذه المسأله. ذلك ان الكوفه ارتبطت مصيريا بالاتجاه الذي مثله علي و أبناءه (ع) من بعده، و أصبحت قاعده التشيع السياسى الذى اصطنع أو كاد بالصبغه اليمنيه.

حيث الغالبية الساحقه من قبائلها تحدرت من أصل يمنى، مثل همدان و كنده و خزاعه و الأزدي و مذحج و فرعها نخع و بجيله، و غيرها من القبائل التي خاضت صراعا عنيفا تحت هذه الرايه ضد السلطه الأمويه.

و لعل ما يمكن استنتاجه من هذا البروز المبكر لقيس في هذا العهد، ان علاقته مع خليفته كانت على ما يبدو قديمه، على نحو بدا في علي (ع)، عارفا صاحبه عن كذب و مكتشفا كفاءته و إخلاصه بعيدا عن السلطه.

و قد جعله ذلك موضع ثقه الخليفه الذى اختار مساعديه وفقا لهذا النموذج، في دوله اهترت مصداقيتها في ظل النموذج الآخر.

و من هذا المنظور، كان يتم اختيار الرجل المناسب في منأى عن الاعتبار الاجتماعى، على أن يحوز الشروط المطلوبه التي يأتى في صدارتها، الولاء النقى و التجرد الشديد و الالتزام الصارم، فضلا عن تطويق الخليفه له بالوصيه - العهد، عشيه خروجه إلى مهمته. و كان ذلك مما اشتهر به علي (ع)، حيث كانت عهوده إلى أصحابه - لا سيما عهد الأشتر المعروف، بعد تعيينه واليا على مصر - تمثل مدرسه في الفكر السياسى، كان الخليفه الراشدى الرابع من مؤسسيها و روادها الكبار في الإسلام.

قيس بن سعد

واليا على مصر

و هكذا يتخذ قيس بن سعد طريقه إلى مصر، و معه

عهد الخليفة: "سر إلى مصر فقد وليتها و أخرج إلى رحلك و اجمع إليك ثقاتك و من أحببت أن يصحبك حتى تأتيها و معك جند، فان ذلك أرب لعدوك و أعز لوليك،

ص: ١٦٨

١- أبو موسى الأشعري.

و أحسن إلى المحسن و اشتد على المريب، و ارفق بالعامه و الخاصه.. " و بذلك يكون قيس أسبق أصحاب علي (ع) إلى القيام بدور كبير في الدوله، في وقت انصبت الجهود على استعادته خطها الجذري السابق، حيث كان لمصر موقع خطير في الصراع المرتقب، سواء من الناحيه العسكريه أو الاقتصاديه و من هذا المنظور، فان انظار معاويه لم تغب عن هذه الولايه الهامه، برغم اشتداد وطيس الحرب في صفين، فكان من هواجسه تفادي محاصره الخليفه للشام و الأطباق عليه من العراق و مصر في نفس الوقت، مما جعله يركز على الأخيره للحوثول دون وحده الولايتين، تلك المحاوله التي كلفت عليا اثنين من كبار أعوانه (الأشتر و محمد بن أبي بكر)، تامر عليهما معاويه بالقتل، كما تامر علي سلفهما (قيس بن سعد) بالعزل، مؤديا ذلك إلى إرباك الجبهه العراقيه التي تلقت ضربه قاسيه بخروج مصر من يدها و سيطره معاويه عليها. و لعل أهميتها من هذا المنطلق تبرز مره أخرى إبان الصراع على السلطه بين المروانيين و الزبيريين الذين شكل افتقادهم لمصر ضربه مماثله، بعد أن أعطاها مروان بن الحكم الأولويه التي أعطاهها لها معاويه قبل ذلك، حاسما الموقف إلى حد كبير لمصلحه الدوله الأمويه " الجديده".

توجه قيس " في سبعة نفر من أصحابه " إلى مهمته الصعبه التي استهلها بتلاوه كتاب تعيينه و دعوه المصريين إلى البيعه، معقبا على ذلك بخبطه تظهر حزمه و حكمته في آن، فضلا عن المرونه التي تجلت في رحابه موقفه و ترك حيز كبير للحوار، من غير أن يكون هذا الطرح مألوفا في مثل تلك الظروف، حيث خاطب المصريين، فيما يرويه أبو مخنف، بقوله: " إنا قد بايعنا خير من نعلم.. فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز و جل و سنه رسوله ص، فان نحن لم نعمل بذلك فلا بيعه لنا عليكم ".

و قد وقعت هذا الكلمات موقع الرضا في ولايه ما تزال تعج بأنصار الخليفه السابق و قياداته من أمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح، واليه المقرب، و مسلمه بن مخلد الأنصاري الذي حاول القيام بحركه مناوئه لقيس، تحت شعار الطلب بدم عثمان.. و لكن قيسا لم يعبا بهذه الحركه، لا سيما و أن مسلمه الأنصاري تهيب المضى في تصديه لوال قوى، يجيد صنعه القتال، بمثل ما يحسن صياغه الموقف السياسي، مما سهل عليه، احتواء هذه الحركه، استنادا إلى روايه ابن الكلبي. و قد أشارت الروايه نفسها إلى أن مصر استجابت بكاملها لقيس ما عدا قريه واحده، وردت " خربتنا " عند الطبري و " خربنا " عند ابن الأثير. و لعل موقف القريه التي وصف أهلها بأنهم " قد عظموا قتل عثمان. و قادهم رجل من كنانه، يحمل أكثر من مؤشر في سياق الصراع على السلطه الذي كان لا يزال محصورا بحدود ما في إطاره السياسي فثمه ما يستوقفنا هنا، هو تلك الحواريه اللافتة التي تمتع بها قيس و ذلك الخطاب الهادئ الذي توجه به إلى " المتمردين "، و هو من موقع القوه، بعد " استقامه " أمور الولايه قائلا لهم: " إنني لا أكرهكم على البيعه و أنا أدعكم و أكف عنكم " .

فشل محاوله احتوائه

بيد أن هذه الحواريه التي كان لها تأثيرا كبير في السيطرة على مصر، اتخذت سبيلا لمحاربتة من جانب معاويه و شن حملته ذكيه عليه، بعد أن فشل في احتوائه و استدراجه إلى صفوفه، حيث نجح في إثارة الشكوك لدى علي (ع) حول سياسه واليه على مصر و اتخاذ قرار بعزله، بعد شهور قليله من تعيينه. ذلك أن معاويه، توجسا من خطر قيس " و ثقله "، حسب الروايه التاريخيه، بادر إلى التفاوض معه و محاوله ضمه إلى صفوفه، بما يترتب على موازين الصراع العسكري الذي لم يكن حين ذاك لمصلحه معاويه. فكتب اليه، حسب روايه ابن الكلبي، منطلقا من الشعار الذي خاض به معركة في الشام، و من التمسك بشرعيه العهد السابق: " فإنكم كنتم نعمتم على عثمان بن عفان رضى الله عنه في أثره رأيتموها أو ضربه سوط ضربها أو شتيمه رجل أو في

تسييره آخر أو في استعماله الفىء، فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل لكم. فقد ركبتم عظيما من الأمر و جئتم شيئا إدا، فنب إلى الله عز و جل يا قيس، فانك كنت فى المجلبين على عثمان بن عفان رضى الله عنه، إن كانت التوبه تعنى شيئا. و لعل أبرز ما ينطوى عليه هذا النص، هو مقايضه معاويه لقيس بدم عثمان من موقع التهمه التى وصف الأخير فيها، بأنه أكثر من ضالع فى قتل الخليفه السابق، الذى لم يسلم منه أحد حسب تعبيره، بمن فى ذلك الخليفه السابق الذى زعم معاويه أنه "أغرى به الناس و حملهم على قتله حتى قتلوه"، منتهيا به - أى قيس - إلى الوعد بان يكون له "سلطان العراقين" إذا ما تحول إلى ركب المطالبين بدم عثمان. كما ينطوى هذا النص على أهميه الجانب الاعلامى فى المعركه، و ما يمكن ان تخضع له القيم و الشعارات من تدجين و توظيف لها فى خدمه المآرب الخاصه كما يحدث عاده فى الحروب الأهليه التى تنقلب فيها المقاييس و تتبدل الاعتبارات، من غير أن يتورع أى طرف من طرح نفسه ممثلا للشرعيه معبرا عن مضمونها، مهما ابتعدت واقعه عنها. و لعل ذلك من أخطر ما تواجه الأمه، و هو رفع شعارات الحق على سده الباطل، حيث كان معاويه رائدا فى هذا المجال، عند ما جوز لنفسه محاسبه قيس و "حكومته" من موقع اسلامى، فى وقت كان يعلن العصيان على الإسلام، الذى تمثله الخلافه الشرعيه.

كانت هذه المدهامه، مما برع به معاويه فى أساليبه لاستدراج الخصوم، حيث استخدم ذلك بعد نحو ربع قرن مع أبناء الصحابه فى الحجاز، الرافضين بيعه ابنه (يزيد) وليا للعهد. و لكن ذلك لم يلق أذنا صاغيه لدى قيس الذى أثبت أنه لم يكن فقط جذريا فى المبدأ و صلبا فى الموقف، و إنما أثبت أيضا قدرته فى المفاوضه و مجاراته معاويه فى اكتساب الوقت:

" فقد بلغنى كتابك و فهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضى الله عنه، و ذلك أمر لم أقارفه و لم أظعن به، و ذكرت أن صاحبي هو أغرى الناس بعثمان و دسهم اليه حتى قتلوه، و هذا لم اطلع عليه، و ذكرت ان عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان فيه قياما عشيرتى، و أما ما سالتنى من متابعتك و عرضت على من الجزاء فقد فهمته و هذا لى فيه نظر و فكره و ليس هذا ما يسرع إليه، و أنا كاف عنك و لن يأتيك من قلبى شىء حتى ترى و نرى إن شاء الله و المستجار الله عز و جل ".

و الواقع أن قيسا، كما تبدي لنا من النص، لم يسارع إلى فتح المعركه مع معاويه فى أول الطريق، مستفيدا ما أمكن من الوقت، لتثبيت أوضاعه فى مصر، من غير السكوت على ما أورده من تهمه له و لصاحبه و لعشيرته. و لكن هذا الموقف الذى لم يره معاويه "الا مقاربا مباعدا"، كان غير مقبول لديه، و سرعان ما لجأ إلى محاوله ثانيه أكدت له عقم الحوار مع قيس الذى تصدى مره أخرى بجذريته القاطعه للمساومه و ما كانت تنبئه من تهديد: "فان العجب من اغترارك بى و طمعك فى و استسقاطك رأى، أ تسومنى الخروج من طاعه أولى الناس بالامر و أقولهم للحق و أهداهم سيلا- و أقربهم من رسول الله ص و سيله، و تأمرنى بالدخول فى طاعتك، طاعه أبعد الناس عن هذا الأمر و أقولهم للزور و أبعدهم من الله عز و جل و رسوله ص و سيله.. و أما قولك إنى مالى عليك مصر خيلا و رجلا، فو الله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك إنك لذو جد.

و لعل ما سبق من النصوص، يزيد مساحه الضوء على شخصيه قيس التى استحقت ما وصفت به، من أنه صاحب حزم و رأى، و كان ذلك قد أدرك معاويه، حين قرر التخلص من خصمه القوى بآيه و سيله. فلجأ أولا و معه

عمرو بن العاص - حسب روايه الزهرى - إلى محاوله إخراجهم من مصر بالقوه، قيل أن يلجا إلى الإيقاع به، وإفساد ماله من ثقه لدى الخليفه، متوجها إلى "أهل الشام" - حسب الروايه السابقه - بقوله: لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه، فإنه لنا شيعه يأتينا كيس نصيحتة سرا.. أ لا- ترون ما يفعل ياخوانكم الذين عنده من أهل خربتنا، يجرى عليهم اعطيائهم و أرزاقهم و يؤمن سربهم و يحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم لا يستنكرونه فى شىء ". و لم تلبث هذه الأخبار أن تسربت إلى "أهل العراق"، و استوقفت عليا (ع) و أركانه مسأله خربتنا و ما أثارت من الشكك لديهم، لا سيما بعد رفض قيس محاربه أهلها، الذى وصفهم بأسود العرب. و لا ينفك مؤثرا على السلام، برغم إصرار الخليفه فى المقابل على موقفه، تاركا له حسن الأمر بالعزل إذا كان لديه ما يرييه فى هذه المسأله.

عزله

و قد عزله الخليفه بالفعل، و لكن دون أن يتخلى عن ثقته به أو يخامرهم الشكك بولائه المخلص، حيث عبر عن ذلك لمقربين منه: "إني و الله ما أصدق بهذا على قيس، حسب روايه أبى مخنف الذى يرتاب فى موقف عبد الله بن جعفر مستشار على (ع) فى هذه المسأله، حيث كان فى نفسه على ما يبدو شىء ما على قيس، مشجعا الخليفه على عزله و تعيين أخيه لأمه محمد بن أبى بكر مكانه. و لا تنفى إحدى الروايات ما كان محبوبا لدى بعض خواص الخليفه لابعاد قيس عن منصبه الهام، فى وقت كانت القلوب مشحونه و النفوس متربصه، مع اقتراب ساعات الحرب التى اندلعت بعيد ذلك.

و لم يكن أولئك الذين عاشوا مع الخليفه لحظات المعركه أو فى ساحتها القريبه، يرون ما يراه قيس فى ولايته التى انطوت على موقف متارجح فى الصراع بين الشام و العراق، دون أن يكون لعصبيتها اسهام بارز فى الفرز القبلى الذى حدد مواقع الأطراف فى ذلك الحين. فقد كان لتكوينها الجغرافى الذى انعكس على الوضع السكانى فيها، تأثير فى ضعف التماسك بين قبائلها التى لم تشكل وحدات كبيره شان الشام و العراق، و إنما كانت فى الغالب امتدادا للتشكيلات القبليه الشاميه، مما سهل السيطرة الأمويه عليها فى وقت لاحق. و لعل هذه المسأله كانت ببال قيس بن سعد الذى استمد قوته من الشرعيه الجديده و بعد نظره فى السياسه، و ليس من العصبيات التى كانت ضعيفه و غير قادره على تكتيل نفسها فى هذا الاتجاه أو ذاك. و من هذا المنظور، نزع قيس إلى السلم أكثر من الحرب، بغيه الدخول إلى قلوب الناس و عقولهم، فى ولايه ما زالت تعيش على هامش الصراع السياسى، مسوغا ذلك فى رساله إلى الخليفه: "فانى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله إن قبلى رجالا معتزلين قد سالونى أن أكف عنهم و أن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى و يروا رأيهم. فقد رأيت أن أكف عنهم و ألا أتعجل حربهم و أن أتالفهم فيما بين ذلك. لعل الله عز و جل أن يقبل قلوبهم و يفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله".

و الواقع أن الخليفه لم يكن متسرعاً فى عزل واليه المقرب، برغم إلحاح مستشاريه على ذلك، و إنما كان على ما يبدو غير موافق على نظريه صاحبه بالكف عن تلك البؤره التى يتجمع فيها أنصار "الحزب" الأموى المناوئ لعهدده. و لكن قيسا تشبث بموقفه، مدافعا عن وجهه نظره فى آخر رساله قبل عزله إلى الخليفه: "فقد عجبت لأمرك! أ تامر بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لقتال عدوك!! و إنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك، فاطعنى يا أمير المؤمنين، و اكفف عنهم، فان رأى تركهم و السلام" يبد أنه - أى قيس - يواجه مره أخرى حملة فى صفوفه، شبيهه بتلك التى حبكتها أجهزه معاويه، مشككه بولائه لعلى (ع)، حيث كان عبد الله بن جعفر - استنادا إلى روايه الزهرى - لا ينفك محرضا على عزله، ناسبا اليه كلاما جاء فيه: "إن سلطانا لا

يتم الا بقتل مسلمه بن مخلد، لسلطان سوء". و هكذا انتهى ذلك الجدل حول قضيه (خربتا)، بعزل قيس الذى كان يدرك فى قراراته أن ثمة من حاول إفساد علاقته بينه و بين الخليفه، مسرا بهذا الشعور إلى محمد بن أبى بكر بعيد وصوله إلى مصر، إذ قال له فيما يرويه أبو مخنف: "ما بال أمير المؤمنين، ما غيره، أدخل أحد بينى و بينه؟"، فقال له: "لا و هذا السلطان سلطانك"، معقبا قيس بقوله: "و الله لا أقيم ساعه واحده".

و لعل الخليفه بلغ فى التريث حدا، أنه أرسل أحد أركانہ الثلاثة(١) للاطلاع عن كذب على الوضع فى مصر، و من ثم إقناع قيس بوجهه نظر الخلافة. و يمكن من هذا المنظور تفسير إيفاد الأشر - إن صحت الروايه التاريخيه - قبيل ذلك للغايه نفسها، فى وقت كان يصعب فيه الاستغناء عنه، فضلا عن محمد بن أبى بكر، حيث الدوله تجتاز أدق مراحلها و أكثرها خطوره. و إذا كان تعيين محمد بن أبى بكر خلفا لقيس، ما ترجمه الروايات التاريخيه، فان تعيين الأشر لا يخلو من الالتباس، لا سيما و أنه رافق عليا (ع) طوال حروب صفين حتى انتهائها بالتحكيم، الذى كان له رأى فيه، فضلا عن رغبه على بان يكون الأشر ممثله فى الاجتماع التمهيدى للتحكيم فى دومه الجندل، و لعل ما يعنيه ذلك أن الأشر لم يذهب خلفا لقيس، و إنما الراجح أن محمد بن أبى بكر هو الذى تولى هذا المنصب، و انتهى إلى الوقوع فيما تفاداه سلفه من محاربه أهل "خربتا"، حيث أدى ذلك إلى تدخل مباشر من الشام، أسفر عن سقوط مصر و مقتل الوالى بطريقه وحشيه. و يبدو أن الخليفه انتدب الأشر حين ذاك للقيام بمهمه فى مصر، بعد اشتداد الضغط على واليه، للحوثول دون سقوطها بيد عمرو بن العاص، أو لاستعادتها بعيد سقوطها، حيث قتل بدوره فى عمليه مدبره قبل وصوله.

الولاء المطلق لعلى ع

على أن ما يبقى خارج الالتباس، هو الولاء المخلص الذى لم يتخل عنه قيس للخليفه، حتى بعد عزله و انصرافه معتكفا إلى المدينه، غير عابئ ب "شماته" خصمه "العثمانى" حسان بن ثابت الأنصارى، أو أن يكون خارج السلطه و موضع الشك من صاحبه. فهو لا- يلبث ان يضيق به المقام فى المدينه التى كانت تعج بالخصوم، و فى مقدمتهم مروان بن الحكم، و يبادر إلى الالتحاق بعلى (ع) مقاتلا- تحت رايته فى صفين، و مزايلا- ما بقى من حفيظه فى نفسه، حين أدرك - أى الخليفه - بان صاحبه "كان يقاسى أمورا عظاما من المكايده و أن من كان يهزه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له، فأطاع على قيس بن سعد فى الأمر كله" حسب روايه الزهرى.

و هكذا يثبت قيس جذريته الصافيه التى لم تهزها العواصف أو تفعل بها المكايده و المغريات، منتقلا إلى موقع أكثر خطوره كان بانتظاره فى صفين التى التهب ساحتها بحرب طاحنه، دفعت بالدوله إلى الانقسام و بالمسلمين إلى التمزق. و فى تلك المواقف تتجلى صفات الرجال الأقياء بايمانهم العميق، و التزامهم الذى لا تؤثر فيها زعازع الأيام و تبدلات الزمن، على أن قوه قيس لم تكن فى صفاته فقط، و إنما كانت أيضا فى قوته السياسيه، كزعيم لقوم نزلوا بثقلهم فى صفين، مترادفا اسمه مع الأنصار فى هذه الجبهه، التى كان أحد قادتها البارزين، حيث تشير إحدى الروايات إلى ذلك فى معرض الرد على النعمان بن بشير قائلا له بحزم: "فلو اجتمعت العرب على بيعته - أى معاويه - لقاتلتهم الأنصار".

و إذا توقفنا عند تشكيل القيادة فى الجبهه العراقيه، سنجد قيسا - حسب روايه أبى مخنف - أحد تسعه(٢) من القاده كانوا يشنون

-
- ١- الأشر، محمد بن أبي بكر، قيس بن سعد.
 - ٢- الأشر، و حجر بن عدى و شبت بن ربعى و خالد بن المعمر و زياد بن النضر و زياد بن خصفه و سعيد بن قيس و معقل بن قيس و قيس بن سعد. الطبرى ج ٥، ص ٢٤٣.

متواليه على معسكر معاويه، و في موقعه ثانيه، تتشكل القيادة - حسب أبي مخنف أيضا - من الأشتر على خيل الكوفه و عمار بن ياسر على رجالتها و سهل بن حنيف الأنصاري على خيل البصره و قيس بن سعد و هاشم بن عتب بن أبي وقاص و مسعد بن مذكى التميمي على قرائها، أى أن قيسا كان يقاتل خارج التشكيله القبليه التي سادت في صفين، و يتخذ موقعه حيث تدعو الحاجه، و ترتى القيادة العليا. و في موقفه ثالثه - حسب مرويه ابن الأثير - يتولى على القلب و على الميمنه عبد الله بن بديل الخزاعي و على الميسره عبد الله بن عباس، بينما يقاتل القراء مع ثلاثه هم: عمار بن ياسر و قيس بن سعد و عبد الله بن بديل. فهو حاضر دائما في قلب المعركه و خائض غمارها في هذا الموقع أو ذاك، و هو قائد مبرز سواء قاتل بقومه الذين كان صاحب رأيهم منذ عهد النبي (ص)، أو قاتل بغيرهم من القبائل المشاركه في هذه الحرب.

و إذا كان انتماء قيس لجيل المخضرمين أكثر من انتمائه لجيل الرواد في الإسلام الأول، فان جذريته لم تقل عن جذريه هؤلاء، بل كان أكثر حده و صفاء من كثيرين منهم. بالاضافه إلى ذلك فان ما تميز به من إصرار على مواقفه و تمسك بقناعاته، أكسب دوره في صفين ديناميه وضعته في تيار الحرب، الأكثر تعبيرا عن الجذريه، و في مواجهته تيار السلم أو الاستسلام للواقع، بما يعنيه ذلك من خيانه للمبدأ و تهاون في العقيد و اندحار للقضيه. و قد ظل قيس إلى جانب الأشتر النخعي، مقاتلا صارما في صفين، و مدافعا صلبا عن الشرعيه المقترنه لديه بالإسلام، دون أن يعنى ذلك الانتقاص من دور القاده الآخرين أو بعضهم، الذين قاتلوا أو استشهدوا في سبيل هذه القضيه، و لكن قيسا و صاحبه، كانت لهما تلك الديناميه التي جعلت من حضورهما أمرا غير عادى في أحداث تلك المرحله - المنعطف في تاريخ الإسلام.

موقف قيس من التحكيم

و من هذا المنظور، كان قيس، شان الأمشتر، مقاوما للدعوه إلى التحكيم و منكرها لها، حيث وصفتهما إحدى المرويات بأنهما "كانا أشد الناس على على فيها قولاً". و قد ارتاب كلاهما بهذه الدعوه، في وقت "ظهوروا على أصحاب معاويه ظهورا شديدا" ، حسب قول يعقوبى. و من ناحيه أخرى، فان الأمشتر الذى ترافق بروزه السياسى، مع الرياده لحركه المعارضه التي واجهت الخليفه عثمان بدءا من الكوفه و انتهاء بالمدينه، و كان المجلى في هجماته المظفره على مواقع "أهل الشام"، لا سيما التي سبقت الدعوه إلى التحكيم، كما أن قيسا الذى وجد فيه معاويه خصما قويا لم تنجح معه السبل لتحويله عن موقعه، سواء تلك التي بذلها إبان ولايته على مصر أو تلك التي بذلها في غمره المعركه، عبر قريب قيس و حليف معاويه الأنصاري، النعمان بن بشير، كما سبقت الإشارة ". فان كلاهما الأمشتر و قيس - بعد أن بلغ هذا الشوط في مقاومه الخط الذى يقوده معاويه، فإنهما لم يرفضا التحكيم من منطلق مبدئى فقط، بل من منطلق واقعى أيضا، حيث الخيار الوحيد لكليهما، استمرار القتال، حتى جلاء الأمور بالنصر أو بالهزيمة.

و قد جرى التحكيم عبر مرحلتين: الأولى تمهيديه في دومه الجندل و الثانيه و الأخيره في أذرع، و ذلك في ظل أجواء كانت المساومه طاغيه فيها، مما تعارض في الجوهر مع الجذرين من أصحاب على (ع) الذين وقعوا رغما عنهم في شرك المساومين في جبهتهم، و ما جره عليهم ذلك من تراجع إثر آخر. و لكن الحقيقه المفجعه التي واجهت هؤلاء هي ضعف التماسك في صفوفهم و بدايه الانهيار في الجبهه العراقيه، سرعان ما أباط التحكيم الغطاء الرقيق عنها. و تصاعدت الفجيعة، بسقوط الرموز من أصحاب على (ع)، مثل عمار بن ياسر و هاشم بن عتب و الأشتر النخعي، لا سيما الأخير الذى ترك غيابه فراغا لم يكن بالإمكان

تعويضه، بحيث نستطيع القول أنه تزامن أو كاد مع نهايه الحرب و إعلان الهدنه المقنعه.

مشاركته في حرب الخوارج

و لكن الفجيعه الكبرى، كانت في تصدع الجبهه و خروج فريق منها احتجاجا على التحكيم، حيث اقترن الفعل بالاسم، الذى عرفوا به و هو الخوارج. و لعله من المثير أن الحركة التى تمت مباشرة فى إطار الاحتجاج على التحكيم، و لم تكن فى مضمونها نابعه من الخط الجذرى المتمسك بالحرب، كما زعمت فى حيثيات خروجها الأول، بقدر ما كانت لها أسبابها الاجتماعيه و الاقتصاديه، حيث كان تمردا عزوفا، و لكن بأسلوب آخر، عن الحرب، التى كان من الصعب أن تتوقف لو لا التصدع الذى أحدثته فى هذه الجبهه. و فى مقدمه ما يعنيه هذا الأمر، أو واقعا جديدا، كان على على (ع) و أصحابه مواجهته فى ذلك الوقت، توقفت فى ظلله الحرب الأساسيه مع معاويه، و اندلعت حروب جانبيه ضد هؤلاء الخوارج، الذين تعمقت الجراح بينهم و بين على (ع)، على نحو لم يعد ممكنا تضميدها أو رأب الصدع الذى أحدثته فى الجبهه العراقيه المتراجعه. و قد بذل على (ع) جهوده القصوى لمنع هذا الواقع المستجد، و لكن الخوارج كانوا قد اتخذوا قرارهم، ليس بالافتراق عنه فقط، بل فى تشكيل حركة مستقله فى المفهوم و الرؤيه و الممارسه، مما أدى إلى وضع الطرفين أمام خيار الحرب الذى حمل الكارثه للجبهه العراقيه. و من هذا المنظور، لم تعد هذه الحركة معنيه بجوهر المسأله الأساسيه، بعد افتقاد مصداقيتها فى أعقاب فشل التحكيم و العوده إلى خيار القتال، الذى سبق أن تمسكت به و احتجت على إيقافه، كاشفه فراغ شعاراتها التى تهاوت أمام إخراجهم الدعوه إلى قتال العدو المشترك، و إزاء رفضهم تسليم قتله الصحابى عبد الله بن خباب و امرأته و غيرهما من أصحاب على (ع). فقد كان ذلك نذيرا بانفجار الجبهه العراقيه من الداخل، و شحنها بالتوتر الذى عبر عنه الخوارج فى معرض الرد على على (ع): "كلنا قتلهم و كلنا مستحل لدمائكم و دمائهم"، حسب الروايه التاريخيه.

و هكذا خرج على (ع) لقتالهم من الأنبار، متخذًا موقعه فى قلب الجيش، بينما انعقدت الميمنه لحجر بن عدى و الميسره لشبث بن ربعى، و قياده الخيل لأبى أيوب الأنصارى و الرجاله لأبى قتاده الأنصارى، و أهل المدينه " و هم ثمانمائه رجل من الصحابه " لقيس بن سعد، و كان الأخير سباقا فى المسير إلى معسكرهم فى النهروان، متخذًا طريق المدائن التى حل فيها وقتا بانتظار أوامر الخليفه، قبل أن يستأنف السير إليهم و معه عاملها سعد بن مسعود الثقفى، و ذلك حسب روايه أبى مخنف، فى حين يجعل الدينورى وصوله إلى النهروان مع أبى أيوب الأنصارى.

و لكن قيسا فى كلتا الروايتين يتقدم على صاحبه مبادرا إلى محاوره الخوارج بأسلوب يتجلى فيه الاتزان بمثل ما تتجلى المسئوليه، كما نسب اليه فى روايه أبى مخنف: "عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم و ادخلوا فى هذا الأمر الذى خرجتم منه و عودوا إلى قتال عدونا و عدوكم، فإنكم ركبتم عظيما من الأمر.. نشدتكم بالله فى أنفسكم أن لا تهلکوها فانى لأرى الفتنة قد غلبت عليكم". بيد أن هذا النداء لم يلق آذانا صاغيه لدى الخوارج، و فشلت محاوله ردهم عن موقفهم، شأن المحاولات السابقه التى جرت منذ اعتصامهم فى حروراء حتى انحيازهم إلى النهروان، حيث شهدت الأخيره معركة طاحنه بين حلفاء الأمس، القريب انتهت بانتصار الخليفه و لكن دون وضع النهايه الحاسمه للخوارج، الذين استعادوا تنظيم أنفسهم بعيد وقت قصير، مشهرين رايه العصيان و الثوره ضد معاويه و خلفائه فى الدوله الأمويه. و لعل

قيسا قد أمارط اللثام كاملا عن موقف الخوارج، كدعاه للحرب و رافضين للسلام مع العدو المشترك، حيث الشعار الذى طرحه فى أعقاب الدعوه إلى التحكيم، فقد مضمونه الحقيقى أمام تجديد الدعوه الصريحه إلى القتال التى خاطبهم بها فى ندائه السابق. و لم يكن غريبا أن يكون قيس، أكثر قادة على (ع) حضورا فى النهروان التى غاب عنها الأشر و برز فيها الركن الآخر مقاتلا متمرسا و قائدا مجليا، حيث المعركة واحده، سواء فى صفين أو فى النهروان، تستهدف الشرعيه فى الإسلام، بمثل ما تستهدف قناعات قيس و إيمانه و قضيته.

واليا على "أذربيجان"

و بعد النهروان، رافق قيس الخليفه إلى الكوفه، التى كانت بأمس الحاجه إلى ترتيب وضعها الداخلى، بعد ما صرفت الحرب كل الجهود عنها. و بدا قيس لصيقا بصاحبه فى عاصمه الخلافة، مقيما على شرطته بعض الوقت، قبل انتدابه واليا على أذربيجان، التى سبق أن وليها لعثمان، الأشعث بن قيس، و كانت لديه مشكله حول خراجها مع على (ع) بعد عزله، مما ترك شيئا من التدمر فى نفسه بعد "أخذه بمال أذربيجان"، ما لبث أن انعكس على موقفه المتذبذب فى صفين، و على حماسته للتحكيم الذى كان من كبار دعائه فى جانب على (ع). بيد أن تعيين قيس على أذربيجان لا يخلو من الالتباس، حيث أورده يعقوبى سابقا على صفين، مثبتا ذلك باستدعاء الخليفه له عشيه اندلاع الحرب، بينما أورده الطبرى بعيد النهروان، مرجحا هذا الرأى أيضا ابن أبى الحديد، و لكن فى سياق يمكن الاستنتاج من خلاله، أن قيسا ربما عاد حين ذاك إلى عمله بعد ركود الحرب، شان الأشر الذى رده الخليفه كذلك إلى عمله فى الجزيره (نصيبين).

و فى الوقت الذى يرجح فيه ابتعاد قيس عن الكوفه إلى أذربيجان، حيث غابت أخباره عن واجهه الأحداث الكبيره، ما بين تعيينه و بين اغتيال على (ع)، أى خلال أقل من عامين، ربما افتقدته فيها الكوفه. و لعل الخليفه نازعته الرغبه فى إعادته إلى مصر بعيد مقتل واليها محمد بن أبى بكر، معبرا عن ذلك فيما نسبه له ابن أبى الحديد، بقوله: "ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين، صاحبنا الذى عزلنا بالأمس - يعنى قيس بن سعد بن عباده - أو مالك بن الحارث الأشر".

و لم يبق من قيادات الصف الأول فى جبهه العراق، سوى قيس بن سعد، بعد أن لحق الأشر بسلفه محمد بن أبى بكر. و لم يكن غياب الأشر و قبله عمار بن ياسر و غيرهما من القيادات البارزه، مما سهل تجاوزه فى تلك المرحله الدقيقه من الصراع بين الشام و "العراق"، حيث الاغتيال السياسى اتخذ حيزه فى خطط معاويه، الذى كان يدرك تأثير القيادات فى المعركة، عسكريه كانت أم سياسيه. و لذلك لم يتردد معاويه، فى دفع أثمان باهظه، مقابل احتواء شخصيات راهن على دورها فى مشروعه السياسى (محاولته الفاشله مع قيس بن سعد كما سبقت الإشارة، و مضايقته لكل من رجالات عهده: عمرو بن العاص و زياد بن أبيه و المغيره بن شعبه و لم يتردد من المنظور نفسه، فى التخلص من آخرين أعيته السبل فى احتوائهم أو الركون إليهم، حيث كان له سجل حافل فى الاغتيال السياسى، مستخدما وسائله المبتكره فى هذا المجال، لا سيما التى أودت بالأشر، الذى قدم له السم ممزوجا بالعسل، معبرا عن ذلك - أى معاويه - بالمقوله الشهيره: "إن لله جنودا من عسل". و كان أحد هؤلاء "الجنود"، و هو طبيبه الخاص (ابن آثال)، قد سقى الكأس نفسها لعبد الرحمن خالد بن الوليد الذى خشيه معاويه لميل الناس اليه حسب الروايه التاريخيه.

و بعد سنوات ثلاث، تناول الحسن بن على (ع) تلك الكأس من يد زوجته (جعده بنت الأشعث) التى اصطنعها معاويه و أزال

بواسطتها العقبة الأخيره فى مشروعہ الرامى إلى إسقاط الشورى اسما، بعد سقوطها بالفعل، و ذلك فى السنه نفسها التى قاد فيها يزيد الحمله الكبرى إلى القسطنطينيه، دون أن تكون خارج المشروع السالف الذكر أو بعيدہ عنہ.

قائدا فى جيش الحسن ع

لعل غياب قيس لم يكن طويلا عن الكوفه، التى عاد إليها على ما يبدو فى أواخر أيام على (ع)، حيث بات اليد اليمنى للخليفه، إذا ما توقفنا عند روايه الزهرى من أن عليا (ع) "جعل قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق و من قبل أذربيجان و على أرضها و شرطه الخميس التى ابتدعتها العرب و كانوا أربعين ألفا بايعوا عليا على الموت"، و لعله لم يغادر الكوفه، أصلا، حيث الروايه نفسها تلمح إلى ذلك، بأنه - قيس - "لم يزل يدارى ذلك البعث حتى قتل على ع". و إذ كان اغتيال على (ع) قد أحدث صدمه عنيفه فى صفوف جماعته و أربك حركه خليفته (الحسن) (ع)، مما انعكس على الجبهه العراقيه التى لم يعد بالإمكان توحيدها و استنفارها على نحو ما كانت عليه عشيه التحكيم، فان هذا الأمر كان ماساويا بالنسبه لقيس و المشروع الذى ارتبط مصيريا به تحت رايه الخليفه السابق. بيد أنه لم يفقد الأمل فى متابعه النضال من أجله تحت رايه الحسن (ع)، فكان أول المبايعين له فيما يرويه الطبرى، و لكنها بيعه اقترنت بالحرب أو بقتال المحلين كما وصفهم فى "عهده للخليفه".

على أن حسابات قيس، ليست بالضروره حسابات الحسن (ع)، برغم وحده الموقف و تشابه المنطلقات، حيث الظروف لم تعد هى نفسها فى عهده، و الضغط الأموى على الجبهه العراقيه، لم تكن له خطورته فى السابق كما فى هذا العهد، بعد أن بلغت الهجمات الأمويه حدا كبيرا من الجراء، متوجه بهجوم معاويه على مسكن، غير البعيده عن الكوفه. و لعل ما يعنيه ذلك أن الأخيره باتت مهدده بصوره مباشره، مما اقتضى أن يتخذ الحسن (ع) معسكره فى المدائن، دون أن يكون ذلك مرتبطا بهذه التطورات فقط، و لكن بما تتمتع به الأخيره من موقع عسكري هام، جعلها منطلقا للعمليات الحربيه فى صفين، و من ثم انطلقت منها الإمدادات أثناء معركة النهروان.

و فى ضوء هذا الواقع، فان الجبهه العراقيه أصبحت على وشك الانهيار، و بات الحصار الأموى أمرا واقعا، تشتد وطاته يوما بعد آخر، من غير أن نتجاهل هنا المتاعب الداخليه، سواء فى تشكيل القوه العسكريه غير المنسجمه، أو فى أزمة الخوارج التى لم تكن قد ركزت تماما، أو فى المشكله الاقتصاديه المزمنه، نتيجة للحرب الطويله، التى أغرت الكثيرين من "أهل العراق" فى الالتحاق بمعسكر معاويه، حيث كان المال أحد أسلحته الفاعله فى المعركه.

رفضه إغراءات معاويه المتجدده

و لكن الحسن (ع)، برغم هذه التحديات، لم يأت لانتهاء الحرب، كما يحاول بعض المؤرخين تفسير موقفه، انطلاقا من خطبه البيعه (1)، و ما عكسته من ارتياب "أهل العراق" فى صدق عزمه على القتال. فقد يكون لدى الحسن (ع) جنوح نحو السلم، تحت تأثير المعطيات التى أشرنا إليها، و لكن الخيار لم يكن حين ذاك سهلا، حيث الواقع فرض عليه الخيار الآخر، استجابته لتيار الحرب الأقوى فى جبهته، ممثلا بقيس بن سعد و حجر بن عدى و سليمان بن صرد و المسيب بن نجبه و آخرين من القيادات البارزه.

و كان معاويه، إدراكا منه بخطوره الموقع الذى يمثله قيس لدى الحسن (ع)

١- قال فيها مخاطبا أنصاره: "إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمته و تحاربون من حاربت" الطبري ج ٦، ص ٩٣.

و أهل العراق و كداعيه للحرب و رافض للصالح، الذى كان يشدد على إنجازة، قد لجا إلى التركيز على خصمه الأنصارى و محاوله احتوائه بما يعنيه ذلك من حسم للمشكلة التى كان الأخير أحد العوائق الاساسيه فيها. فقد رفض قيس المبلغ الكبير الذى أرسله اليه معاويه، حسب مرويه يعقوبى، فى وقت كان على رأس جيش من اثنى عشر ألفا، لصد قوات "الشاميين" عن الكوفه. و قيل فى روايه ثانيه، أن القيادة كانت لعبيد الله بن عباس، الذى جعل قيسا على مقدمته فى الطلائع "و أمره الحسن (ع) بان " يعمل بامر قيس بن سعد و رأيه ". و لم تشر الروايه إلى دوافع اتخاذ عبيد الله بن عباس من دون قيس، قائدا لهذا الجيش الذى ضم الأخير كقائد فعلى له، مما جعله يتحرك برأسين، و تنعكس عليه صورته الوضع الداخلى المضطرب للجبهه العراقيه. فلعل هذا الإجراء كانت له خلفيه توازنه، بين الأنصار الذين تصدروا تيار الحرب، و بين المهاجرين الذين بقى لهم حضور ما فى الجبهه، كان معنويا أكثر منه سياسيا أو عسكريا، و لكن دون ان يعدم تأثيره فى الصراع السياسى، الذى بات يدور فى ظل شعارات متشابهه، على الرغم من تفاوت الواقع و ابتعادها الضمنى بين الطرفين و لعله أيضا - أى الحسن (ع) - كان يهدف إلى زج قريبه فى المعركه و دفعه إلى الواجهه، مختبرا فيه الولاء الذى تبين أنه لم يكن صامدا، بعد أن مالت به النفس إلى معاويه الذى أجزل له العطاء (1)، منسجبا إلى معسكر الأخير " فى ثمانيه آلاف من أصحابه ".

و لكن المسأله ربما تعدت ذلك أيضا، إلى العلاقه بين الحسن (ع)، الذى بدأ يتخذ منحى واقعيًا فى سياسته، تحت تأثير المتغيرات السريعه.

و يحرص ما أمكن على إنقاذ جماعته من القتل، و جبهته من السقوط النهائى، و بين قائده الصلب، الذى اتخذ قراره فى المقابل، و لكن القرار الصعب الوحيد، دون أن يملك فى تلك اللحظه معطيات الخيار الآخر الذى سار فيه الحسن (ع). و قد أوجد ذلك نوعا من التباين ليس بين الأخير و بينه فقط، حين يرى الطبرى أن الحسن " عرف أن قيس بن سعد لا يوافق على رأيه، فنزعه و أقر عبد الله بن عباس "، و لكن بينه و بين أخيه الحسين (ع)، و آخرين من قاداته الكبار الذين سبقت الإشارة إليهم.

معارضته للصالح

و هكذا تتضارب المواقف و معها المصالح أيضا بين الحسن (ع) و قيس، دون يكون للعباره الثانيه مدلولها الفردى فقط، حيث كانت تعنى كذلك الجماعه، سواء بالنسبه للأول الذى لم يعد أمامه سوى إنقاذها، بعد أن أصبح معاويه و "أهل الشام" على تخوم الكوفه، أو بالنسبه للثانى الذى أدرك أخيرا أنه مواجه الهزيمه، بما تعنيه من هزيمه للأنصار فى نفس الوقت، بعد انخراطهم الكلى فى هذه الحرب. و يبقى الجانب الأهم فى هذه المسأله، أن التراجع لم يكن سهلا لشخصيه جذريه مثل قيس، مشبعه بالايمان و مفطوره على الالتزام، لا سيما التراجع المقرون بالهزيمه، فضلا عن الذل الذى ينتظره امام معاويه، و قد وفى بوعده الذى قطعه على نفسه: " آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه و يده ". حسب الروايه التاريخيه. و من هذا المنطلق يصبح قيس المشكله الكبرى أو عقده الحل، بعد إصراره على القتال غير عابئ بالحرب النفسيه، التى استهدفتة، عبر اشاعات روجها أيضا معاويه، تزعم حينًا أنه قتل، و حينًا آخر أنه " صالح معاويه و صار معه ". فلم يؤثر ذلك فى موقفه الذى بقى صلبا، برغم ما تناهى اليه من أخبار عن اتفاق المدائن بين الحسن (ع) و بين ممثلى معاويه: عبد الله بن عامر و عبد الرحمن بن سمره، دون أن يجد نفسه ملزما بتنفيذه أو معنيا باشتراط الحسن (ع) أن لا يؤخذ قيس " بتبعه قلت أو كثرت "، معبرا عن رفضه له فى مقولته الشهيره: " أيها الناس اختاروا الدخول فى طاعه إمام ضلاله أو القتال مع غير إمام "، و لكن قيسا واجهته حين ذاك

الفجيعة الكبرى التي واجهت قبله الحسن (ع)، في "اختيار جنوده" إمام الضلالة"، بعد أن بلغ الإحباط لديهم مبلغا واشتدت عليهم المعاناه واستبد بهم الياس بعد سنوات خمس من القتال.

قيس آخر المبايعين لمعاوية

لقد انتهت الحرب الأ-كثر خطوره في تاريخ الإسلام، بتنازل الحسن (ع) لمعاوية عن السلطه، تلك التي كانت محور الصراع العنيف بين تيار جذرى يقاتل من أجل الدوله - النموذج التي وضع النبي أسسها في المدينه، وبين تيار توفيقى، يختلط فيه الإسلام بالعصبيات القبليه وربما الاقليميه، التي تكتلت وراء معاوية(٢) وحققت له الفوز في معركة السلطه.

و من هذا المنظور، فان الدوله الراشديه التي عارض قيامها "الأنصار" في السقيفه، كان زعيمهم قيس بن سعد آخر المدافعين عنها في معسكره بالجزيره. و إذا كان أبوه سعد بن عباده قد رفض البيعه لأول الخلفاء و انتهى إلى القتل نتيجة لذلك، فقد اختلفت الروايات حول بيعه قيس لمعاوية، حيث يعقوبى أشار إلى لقاء عاصف مع الأخير الذى "جثا على ركبتيه ثم أخذه بيده وقال: أقسمت عليك! ثم صفق على كفه، و نادى الناس: بايع قيس! فقال كذبتم و الله ما بايعت". أما الطبرى - حسب روايه الزهرى، فقد أورد أن معاوية أرسل إلى قيس بن سعد " يذكره الله و يقول على طاعه من تقاتل و قد بايعنى الذى أعطيته طاعتك، فأبى قيس أن يلين له ". و لكنه عاد فدخل فى طاعته، بعد أن " أرسل اليه بسجل قد ختم بأسفله"، على غرار ما فعله مع الحسن (ع)، حيث اشترط قيس كذلك شرطا مماثلا- لما جاء فى كتاب صاحبه، انطوى على الامامه " له و لشيعه على"، و لكن دون أن " يسأل معاوية فى سجله ذلك مالا"، حسب الروايه نفسها.

على أن قيسا، سواء رفض البيعه، على صعوبه - ذلك، أم رضخ فى النهايه للأمر الواقع، فان خياراته كانت لا تزال صعبه، حين أثر الخروج إلى الظل فى المدينه(٣)، و مواجهه الواقع الجديد، و من ثم تسديد حسابات الموقف الأنصارى الذى جر عليه و جماعته الاضطهاد و الحرمان و الفقر، و دفع أكثرها إلى بيع أملاكها للأمويين " بجزء من مائه من ثمنها"، حسب الروايه التاريخيه.

فقد كان ذلك أحد أبرز الحوافز لثوره المدينه، التي يمكن ادراجها أيضا فى سياق التحرك لاستعادة السلطه إلى الحجاز بعد وفاه مؤسس الدوله الأمويه، مشكلا خروجها منه، أو خروج الحجاز منها فيما بعد، ضربه كبيره لدور هذا الإقليم، الذى ارتبط تاريخيا بالإسلام، أكثر ما أصابت الأنصار الذين أتيحت لهم مره أخرى المشاركه الفعلية فى السلطه، عند ما اتخذ على (ع) أبرز عماله منهم، و لا سيما قيس بن سعد، أحد الأركان الرئيسيين لهذا العهد، و المدافع العنيد عن الدوله الراشديه. فلم تكن الأخيره فى حينها، الدوله المثاليه للأنصار. و لكنها على الأقل كانت الضامنه لجزء كبير من دورهم السياسى، مؤديا انهيارها إلى تكريس المعادله التي أسفرت عن فتح مكه، مضمونا و ظاهرا، و هى سقوط الأخيره من دون قريش و الأنصار من دون

ص: ١٧٣

١- قيل أن معاوية أرسل له ألف ألف درهم. يعقوبى ج ٢، ص ٢١٤.

٢- ذكر المقرئى فى سياق الحديث عن خلع الحسن لنفسه، و بيعته معاوية، إن الناس " نسيت شان النبوه و الحوارى و رجعوا

إلى أمر العصبية و التغالب". الدرر المضية فى تاريخ الدوله الإسلاميه. مخطوطه و رقمه ١.
٣- توفى قيس بالمدينه فى آخر خلافه معاويه. ابن سعد، الطبقات ج ٦، ص ٥٢ - ٥٣. وقد ذكر ابن الأثير أيضا أنه توفى سنه
تسع و خمسين أو ستين للهجره. الكامل ج ٣، ص ٥٢٥.

المدينه، و لكن مع تعديل " أموى "، أدى إلى سقوط عاصمه الإسلام الأولى أيضا.

الشيخ كاظم بن صفى الله التنكابنى:

ولد حدود ١٠٧٠.

ولد فى تنكابن و قرأ المقدمات و السطوح بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند اعلامها ثم رجع إلى موطنه أوائل القرن الثانى عشر و بقى منشغلا بالتدريس و التأليف. رأيت بعض رسائل فقهيه و أصوليه متفرقه من تأليفاته فى بعض المكتبات و هى غير تامه. (١).

الشيخ كاظم الصحاف ابن الشيخ على

ولد فى الكويت سنه ١٣١٣ هـ و توفى فيها سنه ١٣٩٩ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيها.

نشا فى الكويت على يد أخيه الشيخ حسين و يظهر أن أباه توفى و هو صغير، فكان ملازما لأخيه الشيخ حسين، و قد سافر به أخوه إلى النجف الأشرف، و كان أول تحصيله على يد أخيه، و بعد وفاه أخيه انقطع إلى الدرس و التحصيل على يد جماعه من العلماء.

و جاء فى كتاب " نفائس الأثر " للسيد هاشم الشخص عن كتاب " تذكروه الاشراف فى آل الصحاف " عن المترجم له أنه بعد أن ارتقى فى معارفه و تحصيله العلمى اعتمد عليه الميرزا موسى الحائرى فأرسله إلى مدينه سوق الشيوخ فى العراق ليقوم هناك بالأمر الشرعيه و الحقوق الحسينيه، فمكث هناك مده ثم عاد إلى الكويت و قام بصلاه الجماعه فى مسجد الصحاف لكنه لم يقيم فيها طويلا فغادرها إلى الأحساء بلد آباءه و محط أغلب أسرته و موطنه الأصلي، فدرس هناك الحكمة على الشيخ موسى أبو خميس أحد أكبر علماء الأحساء آنذاك، و استقرت به الحال فى الهفوف عاصمه الأحساء.

و كان خطيبا حسينيا مدرس الخطابه حتى آخر حياته.

زاول نظم الشعر و كان مكثرا فيه و شعره بين الجيد و المتوسط، و بدأ يضعف فى آخر حياته، و قد ساهم فى كثير من المناسبات الدينيه فمدح بعض علماء عصره، و نظم فى العقائد و الردود و غالبيه شعره فى أهل البيت ع.

و خلف مجموعه من الآثار الأدبيه و العلميه، لا تزال كلها مخطوطه.

فمن شعره قوله فى أمير المؤمنين على ع من قصيده:

أ سناء الفجر لنا أسفر بجبينك أم بدر أزهر

و ثنايا الثغر تلوح لنا أم ذاك البرق أم الجوهر

ما البدر جمالك إذ يبدو ما السيف لحاظك ما الجؤذر

يا ريم الحى و أخت البدر و نور الصبح إذا أسفر

رقى لفتى صب أرق لك طول الليل غدا يسهر

و له عيذى و عدى و صلى فالفضل بدا لمن استأثر

فإلى م فؤادك لا يحنو يا أخت البدر متى نسهر

إن كان بدا منى ذنب فيمدح أبى حسن يغفر

كنز الأعمال سنى الإجلال و ساقى الخلق من الكوثر

قطب المحراب أبو الأطياب و ليث الغاب متى قد كر

أفنى الأبطال بصارمه و لمرحب جندل فى خير

و بواحد أردى عمرا فغدت فى الدهر له تذكر

قسما بخلافته العليا و بغامض باطنه الأنور

لولاه الدين لما ارتفعت منه الأركان و لم تشهر

فمراشده و فوائده و ماثره عنه تؤثر

يا من أنكرت له فضلا فالشمس هنالك لا تنكر

فلئن ماثلت به أحدا ما الرمل يماثل بالجوهر

فإلى مولاي أبى حسن نعم فى الكون فلا تحصر

هى روح جنانى فى الدنيا و نعيم جنانى فى المحشر

و به نفسى أمنت و نجت فى الحشر من الفرع الأكبر

و بزعم القاصر أنى قد أطنبت بفضلك يا حيدر

فاقبل يا قدوه أعمالى ما استيسر من مدح الأحقر

الشيخ كاظم الهجرى ابن الشيخ عمران ابن الشيخ حسن السليم:

ولد سنة ١٣٢٧ فى الأحساء و توفى سنة ١٤٠٠ فى عبادان و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف و دفن فى وادى السلام.

هو من أسره تعرف بال على فى الإحساء، فهو احسائى الأصل عبادانى المسكن، قرأ فى النجف الأشرف على أساتذه عصره، ثم حط رحل إقامته فى عبادان و كيلا لبعض المراجع. فأفاد إرشادا و تدريسا، كان يتمتع بحافظه قويه و باع مديد فى التاريخ و أيام العرب، و هو، و إن كان مقلا فى الشعر إلا أنه يجيده، و من شعره قصيده جارى بها قصيده الشيخ على الشرقى التى مطلعها:

سل الحجر الصوان و الأثر العادى خليلى كم جيل قد احتضن الوادى

قال الهجرى:

سل الصخره الصماء فى لونها الصادى فان بها دكت شوامخ أطواد

و سل بقعه الأرض التى أنت فوقها ففى الشبر منها قد طوى ألف بغداد

و سل تربها السافى عليك فإنه مفاصل آباء كرام و أجداد

و إن عثرت رجلاك بالترب ماشيا فما عثرت إلا بافلاذ و أكباد

و ما لبنه القصر الذى قد أشدته سوى هام كسرى أو جبين ابن شداد

و هل تدفن الأموات إلا بمتلها رفاتا فاجساد قبور لأجساد

فكم سرت ما بين المقابر واجما أكرر طرفى عندها رائحا غادى

أقول لها و الهم ملء جوانحى أ أنت قبور أم مرابض آساد

تمازجت الأجساد فيك و بينها لدى ملتقى الأرواح غايه ابعاد

مصارع آمال الحياه و إنها لمجمع آلاف و أضداد

فخاطبنى هام توهمته بها سل الدهر كم من أمه ضمها الوادى

فلو نطقوا قالوا بأبلغ منطق سلونا فقد كنا لكم خير رواد

فانا كما كنتم جميعا تخوطننا قصور منيعات و يجمعنا نادى

فصاح بنا من جانب الدهر صائح فصيرنا صرعى رهائن الحاد

فلم يغن عنا ما عيننا بجمعه و ما دفعت عنا بقيه أولاد

أيا كادحا فيما يفارقه غدا أفق فسهام الموت منك بمرصاد

ترك ديوانا شعريا و مؤلفات فى الفقه و الأصول و الأدب كلها مخطوطه، هى عند ولده الشيخ جعفر الذى يقوم مكان أبيه فى عبادان. (٢).

كثير عزه:

اشاره

مرت ترجمته فى مكانها و نشر عنه هنا هذه الدراره بقلم الدكتور محمد العبد حمود:

كثير بفتح الكاف و كسر الاء و سكون الياء كامير. و لفرط قصره سمى بكثير. و قد ورد مكبرا فى شعره:

و قال لى الواشون ويحك أنها بغيرك حقا يا كثير تهيم

و فى قول شاعر آخر:

و إننى انسب من كثير إذا وصفت أخت الجؤذر

ص: ١٧٤

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- السيد هادى باليل الموسوى.

كما جاء معرفا بال و مصغرا فى شعر ربيعه الرقى.

جميل و الكثير قد أحبا و عروه من هوى لاقى حماما

و أبوه عبد الرحمن بن الأسود.

ألقابه و كناه

فى ألقابه و كناه قبسات تكشف جوانب هامه من شخصه و شخصيته أو يظهر مكانته الاجتماعيه أو يدل على منزلته الشعريه أو يبين عقيدته أو ينم عن حبه أو يشير إلى قبيلته أو مسقط رأسه.

أما ألقابه فأولها كثير و قد غلب عليه فعرف به دون اسمه كما غلب على جرو لقيه: الحطيئه الذى لقب به لقصره و انحطاطه إلى الأرض. ففى هذا التصغير تصوير لقده القصير. و لعله لم يكن محببا اليه. و ربما كان أبغض منه! زب الذباب و كان غرماؤه يقذعونه به و فى مقدمتهم زوج عزه الذى قال:

لعمرك ما زب الذباب كثير بفحل و لا آباؤه بفحول

و فى هذين اللقبين تصوير لمنزلته فى نفوس خصومه أن لم يمثلا واقعه الشخصى، إذ أن محتده الكريم و تعاليه عن الصغائر و حبه العفيف و موهبته الفنيه كل ذلك جعل له منزله لم يحظ بها كثير من شعراء عصره كالأحوص و نصيب.

و ملفت للنظر أن ينحته بعض من ترجم له بشاعر بنى مروان و بشاعر عبد الملك خاصه الذى مدحه بقصائد بلغ من إعجابه بها أنه كان يستظهرها و يرويها أولاده و بلغ من نفاسه معانيها أن هارون الرشيد عند ما سمعها حسده على أن الأيام لم تتح له شاعرا يحسن ان يقول فى ملكه مثلما كان كثير يقول فى دوله عبد الملك. فهذا الأمر ينطوى على أمرين أولهما تفوقه فى المديح و ثانيهما تناقض عقيدته إذ كيف أصبح شاعر عبد الملك و هو الكيسانى الهوى! و كيف لقب بشاعر بنى مروان و لم يلقب بشاعر الكيسانيه أو بشاعر الشيعة أو بشاعر محمد بن الحنفية أو بشاعر الإمام محمد الباقر عالى كان مختصا به فى الغايه القصوى و من شعراء حضرته كما يرى الخونسارى(1). أو بشاعر خزاعه أو بشاعر قريش التى أدعى أنه من صميمها لا سيما أنه فى تلك البيئه حيث كل قبيله و شاعرها الذى ينشر لواء مفاخرها كما كان الأخطل التغلبى و الراعى النميرى... كلها اسئله لا بد من محاوله الإجابة عليها أثناء دراسته شعره..

على أن أشهر ألقابه اللقب الذى تعانق فيه اسمه و اسم عزه التى هام بها منذ الصبا و ما برح يترنم بمفاتها و يلهج باسمها حتى عرف بكثير عزه و عرفت بعزه كثير و أصبح كل منهما يعرف بحبيبه أكثر مما يعرف بابيه أو بقبيلته أو باى لقب أو كنيه من ألقابه و كناه.

و سائر ألقابه تحمل نسبه القبلى و هى: الخزاعى، و خزاعه قبيلته.

و الأزدي و الأزدي جده التاسع عشر. و الملحى و مليح جده العاشر.

و الجعشمى و جعثمه جده التاسع من ناحيه أبيه. و لقبه الخونسارى بالمضرى بعد أن قال: و نسبه المنيف ينتهى بخمس عشره واسطه إلى الياس بن مضر.

أما كناه فاشهرها أبو صخر و أغلب أنه اصطنع هذا الاسم و تكنى به إذ لم يذكر أحد المؤرخين ان له ولدا اسمه صخر و لعله أراد بهذه الكنيه أن يرد على الذين نبزوه بكثير و بزب الذباب. و قد يعزز هذه الملاحظه اى تكنيه بصخر بالذات هو هذه اللفظه التى تشعر سامعها بصلابه الصخر و قوته. كما قد يؤكدها كبره البالغ الذى تميز به حتى صار مضرب المثل فقالوا: أمتع من كثيرا! و عرف بأبى جمعه أيضا و الأصفهاني و ابن عساكر ذكرا له ابنه اسمها جمعه.

نسبه

يكاد يجمع الباحثون على أن كثيرا من خزاعه كما ان خزاعه من قحطان و نسبه الذى رواه الأصفهاني إلى قحطان يؤيد ذلك. (٢)

و نظره إلى طرفى نسبه نرى انه خزاعى صميم يلتقى نسب أبويه فى عمرو بن ربيعه. و شعره و اخباره خير الأدله على خزاعيته و قحطانيه خزاعه.

و عند ما ادعى القرشيه وصمته خزاعه بالزنا و هجته شعراؤها و كادوا يقتلونه لو لا- لياذه بالهرب. و لما بلغ ادعاؤه النسب فى قريش أبا الطفيل عامر بن وائله الكناني و هو بالكوفه أمر كثير و تعبيره خزاعه منهم حلف لئن رآه ليضربنه بالسيف أو ليطعنه بالرمح و لكن خندقا الأسدى الذى كان صديقا لأبى الطفيل و لكثير أستوبه إياه فوهبه له (٣) و مما يدل على خزاعيته أيضا قول خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك: أنت و الله كما قال أخو خزاعه، و استشهد بأبيات لكثير (٤) كما أنه عند ما سمع بمقتل يزيد بن المهلب بن أبى صفره و جماعه من أهل بيته بكى و أسف و ترحم و اعتذر عن هجائهم عند ما أمره به يزيد بن عبد الملك. بل قام بين يديه ليشفع لمن بقى منهم عند ما أتى بهم ليضرب أعناقهم بأبيات كلها نخوه و مروءه. قال حفص الأموى: كنت اختلف إلى كثير أ تروى شعره. فو الله إنى لعنده يوما إذ وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب بالعقر - و كانوا يكثرون الإحسان اليه - فقال ما أجل الخطب! ضحى آل أبى سفیان بالدين يوم الطف و ضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر. و انتضحت عيناه باكيا. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به فلما دخل عليه قال: عليك لعنه الله أ ترايبه (نسبه إلى أبى تراب و هو اللقب الذى أطلقه الأمويون على الامام على ع و فيها إشاره إلى تشيع الشاعر) و عصبه و جعل يضحك منه (٥) و فى هذا تأكيد لانتساب الشاعر إلى خزاعه و هى قبيله عرفت بتشييعها منذ ظهور الإسلام.

نشاته و حياته

ولد كثير فى عام ٢٣ للهجره فى كليه (٦) و هى قريه من قرى الحجاز بين مكه و المدينه. فنشأ فيها كما تنشأ لداته من فتيان العرب يسرحون لأهلهم بالابل و الغنم. و فى ذات يوم من أيام الصبا كان كثير يسوق جلب غنم يبحث عن الماء فقاده الظما إلى ينبوع الحب و ملهمه الشعر إلى عزه (٧) و الثابت أن كثيرا تربى فى كنف عمه ربما لأن أباه كان مدقعا عاجزا عن إعالته أو أن كثيرا لم يكن على وفاق مع أبيه إذ يروى ان أباه أصابته قرحه فى إصبع من أصابع يده فقال له كثير أ تدرى لما أصابتك القرحه؟ قال: لا.

قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبه! و خلاصه القول ان المعلومات عن طفولته و أسرته تجعل دراسه حياته غايه فى الصعوبه لا سيما لجهه تبين المقومات و المؤثرات الأولى فى تكوين شخصيته و كل ما تتيحه التفت الوارده فى هذا الموضوع هو ان أباه لم يكن من عليه القوم بل من سوادهم و أنه تربى فى كنف عمه و ليس فى بيت أبويه، و أن عمه كان باراً بريبه فاشترى له قطعان الإبل و الأغنام يتنقل بها بين البوادي و الحواضر. فقد جاء فى الأخبار ان عزه حاولت شراء جمل منه فى المدينه (أ).

و لكن الشاعر لم يمض حياته فى رعايه المواشى و التجاره بها إذ ما لبث ان انتقل من بيع الإبل و الغنم إلى العطاره حيث أصبح صاحب حانوت فى

ص: ١٧٥

- ١- روضات الجنات ١: ٥٠٩.
- ٢- الأغاني ٩: ٣.
- ٣- م. ن: ١١-١٣.
- ٤- أمالي المرتضى ٢: ٢٦١.
- ٥- الكامل فى التاريخ ٥: ٦٦.
- ٦- معجم ما استعجم ٣: ٩٥٤.
- ٧- الأغاني ٩: ٢٣.
- ٨- م. ن: ٣١.

المدينه يبيع فيه العطر و الخيط و الثياب و القطران. و كانت عزه ربما تأتية فتشترى منه العطر و الثياب(١).

و فى أيام عبد الملك بن مروان استغل منزلته لديه فسأله ان يقطعه أرضا تسمى "غربا" و هى ناحيه قرب المدينه فيها نخل و أشجار ففعل(٢). و كان كثير مختصا بعبد الملك بن مروان محظيا عنده يرفع مجلسه و يجزل جوائزه.

كما طمح ان يتولى الكتابه لعبد العزيز بن مروان والى مصر لأخيه عبد الملك و لكنه لم يوفق إلى ذلك(٣) و فى خلافه عمر بن عبد العزيز اشترى وصيفه بثلاثمائة درهم أعطاها إياه عمر بن عبد العزيز فعلمها الغناء و باعها بالف دينار(٤) و كانت جائزته عند يزيد بن عبد الملك ثلاثين ألفا و كان ينشده كل قصيده بمائه دينار(٥).

و كذلك مدح أمراء الأمويين و أميراتهم و قادتهم و نال جوائزهم كبشر بن مروان و مسلمه بن عبد الملك(٦) هذه هى أهم الروافد الاقتصادية لمعيشته. غير ان رعيه للإبل و الغنم تم بيعها و متاجرتها فى الحانوت و حصوله على "غرب" و شراءه للوصيفه و بيعها بعد تعليمها الغناء لم يكن إلا بعض وجوه نشاطه لكسب العيش. اما مهنته التى كان عليها معوله فى معاشه و جميع نواحي حياته فهى قريحته الشعرية.

كما يبدو انه كان لكثير عطاء سنوى كسائر الناس الذين فى ديوان العطاء. فقد ذكر انه حينما كان يأخذ عطاءه ياتى ولد الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع فيهب لهم الدراهم(٧).

شخصيته

كان كثير قصيرا متقارب الخلق للغايه. قيل أنه لم يكن يبلغ ضروع الإبل. و قال الواقسى: رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك انه يزيد على ثلاثه أشبار فكذبه(٨) و كان إذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز بن مروان يقول له: طأطئ رأسك لا يصيبه السقف(٩) و كان فوق قصره الشديد مفرط الدمامه معروق القامه طويل العنق عظيم الهامه أبرش أقيشر أى شديد الحمرة كان بشرته مقشوره(١٠).

و مع ذلك فقد كان جريئا حاضر البديهة حديد الجنان و اللسان. لقيه الفرزدق فقال له يا أبا صخر أنت أشعر العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

يعرض بسرقة من جميل. فقال له كثير أ و أنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

و هذا البيت لجميل أيضا سرقة الفرزدق. ثم قال له الفرزدق: هل كانت أمك ترد البصره؟ فقال كثير: لا و لكن أبى كان نزيلا لأمك(١١) و دخل على عبد الملك بن مروان و عنده الأخطل فأنشده فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال: كيف ترى؟ فقال: حجازى مقرر - أى بارد و لا دسم فيه - دعنى أخضمه يا أمير المؤمنين فقال كثير فهلا خضمت الذى يقول:

لا تطلبن خئوله فى تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

و التغلبى إذا تنحى للقرى حك استه و تمثل الامثالا

(١٢) فألقمه حجرا.

و من حضور بديهته فى الجواب انه مر راكبا فى طريق كان الإمام محمد الباقرع ماشيا فيه و كثير لم يره فقال له رجل: أ تسير راكبا و الامام يمشى؟ فقال ان الامام أمرنى بالركوب و طاعته أفضل من مخالفته.(١٣)

أما كبرياؤه فقد كانت ابرز صفاته إذ كان من أتية الناس و اذهبهم بنفسه على كل أحد. يروى ان عمر بن أبى ربيعه اتى المدينة. ثم مل ثواه بها فشخص و شخص معه الأحوص و لما نزلوا قديدا صار إليهما نصيب فمضى الأحوص إلى بعض حاجته فرجع إلى صاحبه و قال: إنى رأيت كثيرا فى موضع كذا. فقال عمر فابعثوا اليه ليصير إلينا. فقال الأحوص: أ هو يصير إليكم؟ هو و الله أعظم كبرا من ذلك. قال: فصاروا اليه و هو جالس على جلد كبش. فو الله ما رفع أحدا منهم و لا القرشى.(١٤)

و كذلك كان جرير يعهد فيه هذا الشمم فيوليه الاحترام. فقد قال له:

أى رجل أنت لو لا قامتك، أو قال لو لا دمامتك فأجابه كثير:

أن أك قصدا فى الرجال فاننى إذا حل أمر ساحتى لطويل

(١٥) و لا شك أن الغلو فى التشامخ يعكس ما يعانىه من نقص بسبب عشابته المتناهيه و يرسم المفارقة بين علو همته و ضاله قامته و دمامته. و مثلما انتحل الكبرياء ليجعل لذاته منزله منيعه فى النفوس أضفى على محياه الجمال و الجلال و أسبغ على نفسه البهاء و النضاره ما شاء لطاوس خيلائه و لشاعريته أن يضىفى و يسبغ فقال:

متى تحسروا عن العمامه تبصروا جميل المحيا أغفلته الدواهن

بروق العيون الناظرات كأنه هرقلى وزن أحمر الثبر وازن

(١٦) و إنه يملأ قلوب النساء هيبه و يثير بينهن الغيره:

و كنت إذا ما جئت أجلن مجلسى و أظهرن منى هيبه لا تجهما

يحاذرن منى غيره قد علمنها قديما فما يضحكن إلا تبسما

يكللن حد الطرف عن ذى مهابه ابان آلات الدل لما تبسما..

(١٧) هذه الصفات دفعت الشعراء إلى هجائه و النساء إلى التندر به و خاصه أميرات المدينة فكن يتحرفن به فيتناولن قصره و دمامته و يغاضبنه ثم ينقلبن إلى شعره فى الغزل فيطرينه و يسفرن أمامه و يعرفنه بأنفسهن و قبل أن يودعنه ينفحنه ببدر الدراهم ليغرينه بالتغزل بمحاسنهن حتى يزددن حظوه عند أزواجهن أو حتى يسمع بهن فى مجالس الأدب و الطرب التى كانت تتجارب

اصداؤها فى جنبات الحجاز و العراق و الشام و مصر و بذلك تسطع كواكبهن فى سماء الشهره. (١٨)

و لكن كثيرا على كبره و ابهته لم يكن كزا زميئا بل أنه لأريحي يهش

ص: ١٧٦

١- المستجاد من فعلات الأجواد: ١٢٤.

٢- الأغاني ٩: ١٠.

٣- العقد الفريد ٣: ٨.

٤- الأغاني ٩/ ٢٦٠.

٥- طبقات الشعراء: ٤٦١.

٦- الأغاني ٩: ٤٠.

٧- الأغاني ٩: ١٨.

٨- م. ن: ٦.

٩- م. ن: ٦.

١٠- الأغاني ١٢: ١٨٧.

١١- الأغاني ٨: ٩٦.

١٢- العقد الفريد ٥: ٢٩٧.

١٣- أمالي المرتضى ٣: ١١٩.

١٤- العقد الفريد ٥: ٣٧٢.

١٥- الأغاني ٩: ٦.

١٦- الأغاني ١٢: ١٨٤، ١٨٧.

١٧- عيون الأخبار ٤: ٧٨.

١٨- الأغاني ١: ٣٥٦. المحاسن و الأضداد: ١٣٨.

للدعابه إذا آنس فيها سلامه الطويه كما نراه مع العجوز العمياء. خرج يوما من عند الملك بن مروان و عليه مطرف خز فاعترضته عجوز عمياء فى الطريق اقتبست نارا فى روثه. فقال لها تنحى عن الطريق. فقالت له:

ويحك و من تكون؟ فقال: كثير عزه. فقالت قبحك الله. و هل مثلك يتنحى له عن الطريق! قال: لم؟ فقالت أ لست القائل:

و ما روضه بالحزن طيبه الثرى يمج الندى جشائها و عرارها

بأطيب من أردان عزه موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقال: نعم. فقالت: ويحك لو أوقدت المندل الرطب على هذه الروثه و تبخرت بها أمك الشناء لطابت رائحتها فهل قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

أ لم تريانى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا و إن لم تطيب

فناولها المطرف و قال: استرى على هذا. (1)

و قد تعصب عليه بعض المؤرخين فرعم انه كان أحقق لحادثه جرت بينه و بين يزيد بن عبد الملك صاحب حبابه التى ولاها يوما الخلافه. كما زعم طه حسين انه كان أعور لأن هناك من اتهم كثيرا بأنه الدجال - لأنه كان يتشيع تشيعا قبيحا و الدجال فى الأساطير أعور (2). بقى أن نشير إلى أن كثيرا كان ممن يتيامنون بالبوارح و يتشاءمون بالسوانح، فان الغراب هو الذى أنذره بموت عزه كما ان ظباء سوانح و غرابا يفحص التراب بوجهه حوادث أخبرته انه لن يستطيع الزواج بامرأه من قبيلته:

تيممت شيخا منهم ذا بجاله بصيرا بزجر الطير منحنى الصلب

فقلت له:

ما ذا ترى فى سوانحو صوت غراب يفحص الوجه بالترب

فقال:

جرى الطبى السنيح بينهاو قال: غراب جد منهمر السكب

فان لا تكن ماتت فقد حال دونها سواك خليل من بنى كعب

(3) و يستنتج من الأخبار الكثيره انه كان على درجه متقدمه من الثقافه.

فقد سبق و أشرنا إلى انه طلب من عبد العزيز بن مروان أن يوليه الكتابه و هذا يدل على انه كان يتقنها إلى درجه بعثت طموحه إلى أن يتقلدها لوالى مصر.

كما كان كثير راويه جميل بشينه(٤) و معجبا به يعده أمامه فى الحب و الغزل. و أغلب الظن أنه كان يدون شعر جميل ليستعين بكتابته على حفظه و روايته.

و قد كان مع معرفته بالكتابه علما من اعلام الأدب و الأخبار فى عصره تشد اليه الرحال التماسا لما عنده. قال حماد الراويه: قدمت المدينه فدخلت المسجد فكان أول من دفعت اليه كثير عزه..(٥) كما عرف شعره شهره بلغت حد الأساطير(٦)

وفاته

ذكرت المصادر خمس تواريخ لوفاه كثير هي سنه ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٥ هجرية. و أغلب الظن أنها كانت سنه ١٠٥ لأن الذى ذكر أنه توفي سنه ١٠٥ كان شاهد عيان و هو خالد بن القاسم البياضى الذى قال:

مات عكرمه مولى ابن عباس و كثير عزه فى يوم واحد فى سنه خمس و مائه فرأيتهما جميعا صلى عليهما فى موضع واحد بعد الظهر.(٧) كما نستبعد أن تكون وفاته عام ١٠٦ أو ١٠٧ أى أول خلافه هشام بن عبد الملك لأننا لا نجد له شعرا فيه و لا أخبارا له معه سوى خير واحد نرويه لما فيه من طرافه القصص الغرامى لاقتناعه بصحته و هو من خيال أهل القصص الذين أحبوا أن يخدموا حياه كثير و عزه بماساه تثير الشجن فقالوا:

لما حج الفرزدق اجتمع بكثير و رأى غرامه بعزه - و قد تزوجت - فلما قدم الشام أخبر هشاما بذلك فقال لكاتبه اكتب اليه بالحضور إلى عندنا لنطلق عزه من زوجها و نزوجها إياه. فكتب بذلك فخرج كثير يريد دمشق.

فلما سار قليلا رأى غرابا على بانه و هو يلقى نفسه و ريشه يتساقط. فاصفر لونه و ارتاع و جد فى السير. ثم مال إلى حى من نهد فقص قصته على شيخ منهم فقال الشيخ: الغراب: اغتراب. و البانه: بين. و الفلى. فرقه. فازداد حزنا فوصل إلى دمشق و وجد الناس يصلون على جنازه. فقام و صلى معهم فلما انقضت الصلاة أخبره رجل! إن هذه عزه قد ماتت و هذه جنازتها فخر مغشيا عليه. فلما أفاق انشد:

رأيت غرابا واقفا فوق بانه ينتف أعلى ريشه و يطايره

فقلت و لو إنى أشاء زجرته بنفسى للنهدى هل أنت زاجره

فقال: غراب لاغتراب من النوى و بانه بين من حبيب تعاشره

فما أعرف النهدي لا در دره و أزجره للطير لا عز ناصره

ثم شهق شهقه فمات من ساعته و دفن مع عزه فى يوم واحد.(٨)

و الاختراع الخيالى العاطفى ظاهر فى الحكايه.

علما بان عزه توفيت سنه ٨٥ للهجره(٩) فى أواخر خلافه عبد الملك و رثاها بقصيده طويله و قد تغير شعره بعدها و قل. فقال له

قائل: ما بال شعرك قصرت فيه؟ فقال: ماتت عزه فما أطرب و ذهب الشباب فما أعجب و مات ابن ليلى فما أرغب. ابن ليلى:
عبد العزيز بن مروان.(١٠)

أما التاريخ الأخير الذى جعل وفاته عام ١١٥ هـ فخطأ لأن كثيرا لما مات صلى عليه و شيعه الإمام محمد الباقر و قد توفى الامام
الباقر سنة ١١٤ هـ.

أما عمره فقد بلغ حوالى اثنتين أو ثلاث و ثمانين حجه. قال المرزبانى توفى عكرمه و كثير بالمدينه فى يوم واحد سنه خمس و
مائه فى ولايه يزيد أو فى أول خلافه هشام و قد زاد واحده أو اثنين على ثمانين سنه.(١١)

و إذا رجحنا أنه توفى سنه ١٠٥ و إنه عاش اثنتين و ثمانين سنه فالأرجح أن ميلاده كان عام ٢٣ هجرية.

حبه عزه

كان معظم شعر كثير فى الغزل. و كان معظم غزله فى عزه، و يجد الدارس فى هذا القسم من شعره أحسن تصوير لقصته معها و
أصدق تعبير عن حبه لها.

و لكن بعض القدماء زعم أنه لم يكن صادقا فى حبه. و إنما كان مدعيا يقول ابن سلام: كان جميل صادق الصبايه و العشق. و
لم يكن كثير بعاشق و لكنه كان يتقول.(١٢) و قد ردد الأصفهانى قول ابن سلام.(١٣)

و تلقف طه حسين هذه الإشارات ليتكلم على كثير بما يشبه الحقد فهو يعده فى الغزليين ليخرجه منهم و هو لم يكن - حسب
رأى الدكتور - ماهرا و لا

ص: ١٧٧

- ١- الموشح: ١٥١.
- ٢- حديث الأربعاء ١: ٣٦١.
- ٣- الأغانى ٩: ٣٤.
- ٤- تاريخ الأدب العربى ١: ١٩٥.
- ٥- الأغانى ٩: ٢٧٥.
- ٦- م. ن: ٣٠٩.
- ٧- م. ن: ٣٦.
- ٨- المستطرف ٢: ٢٠٤، روضات الجنات ١: ٥١٠.
- ٩- إعلام النساء ٢: ١٠١٢.
- ١٠- م. ن.
- ١١- أعيان الشيعة ٩: ٢٥.

١٢- طبقات الشعراء: ١٢٤.

١٣- الأغانى ٩: ٣٢، ٣٣.

موفقا فى تكلف الغزل و لا- صافى الطبع و لا- رقيق الحس و لا دقيق الشعور و لا قوى العاطفه و لا ذكى الفؤاد و إنما كان بريئا من هذا كله... بل كان دميما قبيحا بشع المنظر مضحكا لمن يراه مضحكا لمن يسمعه و يتحدث اليه.

و كان أحق مسرفا فى الحمق ضعيف العقل إلى حد غريب...

و مع هذا كله فليس من شك فى ان كثيرا قد كان شاعرا مجيدا بل عظيم الحظ جدا من الإجاهه(١)...!! و لعل فى رد أعيان الشيعه على طه حسين ما يوفر علينا مهمه القيام بذلك.(٢)

و مما لا شك فيه إن الباحث المحص لا يمكنه إلا أن يلاحظ مدى التجنى على كثير فى هذه القضية كتجنينهم عليه بأنه أحق و إنه أعور و لعل أصل هذه المزاعم جميعا هو اتهامهم له بالغلو فى التشيع.

و أغلب الظن أن قصه كثير و عزه قصه حقيقه ذكرها المؤرخون و لو انها لم تسلم من إضافات القصاص فى بعض مواقفها و حواشيتها إلا إنها إضافات تتمشى مع روحها و فصولها و جوها و لا تخل بحقيقتها.

لقاؤه الأول معها - يرويه أبو الفرج: خرج كثير فى فجر حياته من منزله يسوق جلب غنم إلى الجار فلما كان بوادى الخبث وقف على نسوه بنى ضميره فسألهن عن الماء. فقلن لعزه - و هى جاريه قد كعب ثدياها - ارشديه. فأرشدته فأعجبته. ثم جاءته عزه بدراهم فقالت: تقول لك النسوه بعنا بهذه الدراهم كبشا من ضانك فدفع إليها كبشا و قال: ردى الدراهم.

و قولى لهن إذا رجعت: اقتضيت حاجتى منكن. فلما رجع جاءته امرأه منهن بدراهمه فقال: و أين الصبيه التى أخذت منى الكبش؟ قالت: و ما تصنع بها؟ هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت لها الكبش.

فمزن معه و قلن: ويحك عزه جاريه صغيره و ليست بها وفاء لحقك فاحمله على إحدانا فإنها أملا به و أسرع له أداء! فقال ما أنا بمحيل حقى عنها. فقلن له: أبيت إلا عزه. و أبرزنها اليه و هى كارهه. ثم أحبته عزه بعد ذلك أشد من حبه إياها(٣).

و قد قال فى هذا اليوم:

نظرت إليها نظره ما يسرنى بها حمر انعام البلاد و سودها

فغدا من يومها متبولا- بهواها مترنما بمفاتها حالما بفردوسها و لكنه قضى و هو يرتل آيات الفتنة دون ان تكتب له فردوس الأحلام.

و قد يكون من ابرز أسباب ذلك بعد النسب و تباين المستوى الاجتماعى. فكثير خزاعى من بيت ليس له نباهه فى علم أو حديث أو شعر أو خطابه أو تأليف أو ثراء أو ضيافه أو إماره سياسيه أو عسكريه بل كان كثير علمه الفرد و قد نشأ يرعى الإبل و الغنم. أما عزه فقرشيه من بيت جاه و فقه و ثراء وجود فأبوها أبو بصره صحابى روى عنه الحديث و موسر و جواد يوقد نار القرى كما وصف ذلك كثير:

رأيت و أصحابي بابله موهنا و قد لاح نجم الفرقد المتصوب

لعزه نارا ما تبوخ كأنها إذا ما رمقناها من البعد كوكب

(٤) كما كانت عزه ربيبه عز و نعمه قد زكاها المحتد الأصيل في الحسب الرفيع فنشأت حره مدللته خفره مترفه كما وصفها:

هي الحره الدل الحصان و رهطها إذ ذكر الحى الصريح المهذب

من الخفرات البيض لم تر شقوه و فى الحسب المحض الرفيع نجارها

أما هو فكان فقيرا و يبدو من بعض شعره أنه كان عاجزا عن تأمين مهرها:

و إن الذى ينوى من المال أهلها أوارك لما تأتلف و عوادى

و الأوراك الإبل التى ترعى الأراك.

كما قد يكون اشتهار أمرهما سببا من أسباب التفرقه بينهما جريا على عادات العرب فى تلك الأيام.

و من يعد إلى شعره يجد فيه وصفا لصباهها و قدها و أنفها و جيدها و شعرها و عيونها و محياها و وجهها و ثغرها و صوتها:

رهبان مدين و الذين عهدتهم يبكون من حذر الاله قعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزه ركعا و سجودا

كما يصف عطرها و شذاها و بخورها و تعطرها و مشيتها و لمستها:

و الميت ينشر أن تمس عظامه مسا و يخلد فى النعيم خلودا

و إذا كانت صورته عزه فى شعر كثير بارعه الجمال فهل كانت كذلك فى الواقع؟ قالت قسيمه بنت عياض بن سعيد الأسلميه:

سارت علينا عزه فى جماعه من قومها بين يدى يربوع و جهينه فسمعنا بها فاجتمع جماعه من نساء الحى - أنا فيهن - فجنناها

فأيناها امرأه حلوه حميراء - بيضاء - نظيفه فتضاء لنا لها و معها نسوه كلهن لها عليهن فضل فى الجمال و الخلق إلى ان تحدثت

ساعه فإذا هى ابرع الناس و أحلامهم حديثا فما فارقناها إلا و لها علينا فضل فى أعيننا و ما نرى فى الدنيا امرأه تفوقها جمالا و

حسنا و حلاوه (٥) و قال أحد بنى جدى - أقربائها -: كانت عزه من أجمل النساء و آدبهن و أعقلهن (٦) لطالما أرسل كثير

تنهدات متاججه بالحسره على حرمانه منها:

منعمه لم تلق بؤس معيشه هى الخلد فى الدنيا لمن يستفيدها

فتلك التى اصفيتها بمودتى وليدا و لما يستبين لى نهودها

و أنت المنى يا أم عمرو لو أننا ننالک أو تدنى نواک الصفائف

و لا بد من الإشارة فى هذا المجال إلى أنه ندر كما هو عند معظم العذريين أو انعدم كما هو عند كثير التصريح بأحلام الوصال و النوال من همسه أو لمسه أو شمه أو ضمه أو قبله أو عناق و إذا تطرق إلى ذلك فإنه لا يتجاوز غير الكلمه و النظره.

و قد تعرض أهل عزه لكثير و نهوه عن ذكرها و أوقعوا به وقعه نكراء. و قد نهاه بنو جدى عن ذكرها. فلما لم يمتثل ترصدوا له حتى ظفروا به حين رحل أهلها جالين إلى مصر. فتبعها على راحتها فزجروه فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه فقعد له عون - أحد بنى جدى - فى تسعه من بنى جدى على محالج، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفه حمار كانوا يعرفونها من النهار. فأدخلوه فيها و ربطوا يديه و رجله. ثم أوثقوا بطن الحمار. فجعل يضطرب فيها و يستغيث و مضوا عنه فاجتاز به خندق الأسدى فسمع استغاثته فعدل إلى الصوت فوجد فى الجيفه إنسانا. فسأله من هو و ما خبره فاطلقه و حملة و الحقه ببلاده(٧) و مع ذلك فان لا شىء يثنيه عن عزه:

و لست و أن أوعدت فيها بمنتها و إن أوقدت نار فشب وقودها

يقول العدى: يا عز قد حال دونكم شجاع على ظهر الطريق مصمم

فقلت لها: و الله لو كان دونكم جهنم ما راعت فوادى جهنم ٢.

ص: ١٧٨

١- حديث الأربعاء ١: ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥..

٢- أعيان الشيعة ٩: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

٣- الأغاني ٩: ٢٥.

٤- الأغاني ٩: ٢٤.

٥- الأغاني ٨: ٢٩.

٦- الأغاني ١٢: ١٧٦.

٧- الأغاني ١٢: ١٧٦.

ينقل (الأعيان) عن المرزباني قوله: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحدا و كان أبرش قصيرا...

و كان يتشيع و يظهر الميل إلى آل رسول الله و هجا عبد الله بن الزبير لما كان بينه و بين بنى هاشم. و كان شاعر بنى مروان و خصوصا بعبد الملك و كانوا يعظمونه و يكرمونه. (١)

من هنا تبدأ مشكله البحث في عقيدته كثير: كيف كان يتشيع و كيف كان شاعر بنى مروان؟ طه حسين حل هذه المشكله ببساطه عند ما اتهم كثيرا بالنفاق السياسى يقول: كان ذا مذهب سياسى، أو قل كان له مذهبان متناقضان أشد التناقض يرجعان آخر الأمر إلى مذهب واحد معروف في ذلك الوقت هو النفاق السياسى. كان فيما بينه و بين نفسه و فيما بينه و بين الله متشيعا غالبا في التشيع يرى مذهب الكيسانيه و يقدم محمد بن الحنفية و يؤمن بالرجعه. و له في ذلك أعاجيب و شعر جيد. و كان فيما بينه و بين الناس نصيرا لبنى أميه يمدحهم و يغلو في مدحهم و يعاشرهم و يفاخر بعشرتهم. (٢)

و لكن هل الأمر بهذه البساطه فعلا؟ صاحب الفرق بين الفرق يعتبر كثيرا شاعر الكيسانيه الأول و الكيسانيه على حد زعمه من فرق الرافضه و هم اتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى قام بثار الحسين بن على بن أبى طالب و قتل أكثر الذى قتلوا حسينا بكربلاء و كان المختار يقال له كيسان (٣) و قيل انه أخذ مقالته عن مولى لعلى رضى الله عنه كان اسمه كيسان.

ثم يضيف: و كان كثير الشاعر على مذهب الكيسانيه الذين ادعوا حياه محمد بن الحنفية و لم يصدقوا بموته و لذا قال في قصيده له:

ألا أن الأئمه من قريش و لاه الحق اربعة سواء

على و الثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان و بر و سبط غيبته كربلاء

و سبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل و ماء

و يجيبه عبد القاهر عن أبياته بقوله:

ولاه الحق اربعة و لكن لثانى اثنين قد سبق العلاء

و فاروق الورى أضحى إماما و ذو النورين بعدله الولاء

على بعدهم أضحى إماما بترتيبى لهم نزل القضاء

و مبغض من ذكرناه لعين و فى نار الجحيم له الجزاء

و أهل الرفض قوم كالنصارى حيارى ما لحيرتهم دواء

ثم يضيف و قال كثير فى رفضه:

برئت إلى الاله من ابن أروى و من دين الخوارج أجمعينا

و من عمر برئت و من عتيق غداه دعى أمير المؤمنيننا

و يجيبه عبد القاهر:

برئت من الاله ببغض قوم بهم أحيا الاله المؤمنيننا

و ما ضر ابن أروى منك بغض و بغض البر دين الكافرينا

أبو بكر به جذ لى إمام على رغم الروافض أجمعينا

و فاروق الورى عمر بحق يقال له أمير المؤمنيننا

(٤) و واضح من أبيات كثير انه لم يجعل إلا- للإمام على و بنيه و حدهم الحق فى لقب الامام و إماره المؤمنين أما من حملوا هذين اللقبين من غيرهم فهم غاصبون.

و لم تكن تطرح قضيه عقيده كثير لو لا شعره الذى قاله فى بنى مروان إلى حد جعل البعض يطلق عليه لقب شاعر بنى مروان. بل أن الامام محمد الباقر قرعه بقوله: كيف يقبل طبعك على مدح أعدائنا؟ فزعم له بأنه لم يكن يمدحهم و إنما كان يمويه عليهم و إنه يجعلهم حيات و عقارب ليأخذ أموالهم و إنه لم يقل لعبد الملك فى ذلك المدح إنه "إمام الهدى" بل قال إنه شجاع و الشجاع اسم للشعبان أيضا و إنه قال أسد و الأسد اسم للكلب (٥) و يعنى بهذا قوله فى عبد الملك!

يقلب عيني حيه بمحارها إذا أمكنته شده لا يقلها

و لكن مما لا ريب فيه إنه فى كل مدائح لبنى مروان و تأييده لخلافتهم لم يكن صادرا عن إيمان بحقهم الشرعى فيها. و إنما كان يقول ما يقول خوفا من الموت و تشبثا فى الحياه. و غير خاف على أحد الذى عاناه أهل البيت و شيعتهم من تعسف الحكم الأموى و قتله و تشريده لآل البيت و اتباعهم مما هو معروف و متداول فى كتب التاريخ كافه.

كما أن كثيرا لم يكن الشاعر الوحيد الذى عرف ما يمكن أن نسّميه "ازدواجيه الولاء" فالفرزدق كان كذلك، و الكميت بن زيد شاعر الشيعة و صاحب "الهاشميات" وجد نفسه مضطرا أن يقول:

الآن صرت إلى أميه و الأمور لها مصائر أنتم معادن للخلافه كابرنا من بعد كابر

(٤) و ابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين الذي ظل طيله حياته يصول بشعره على عبد الملك كان عليه أن يقول بعد مقتل ابن الزبير أمام عبد الملك:

ما نقموا من بنى أميه إلا أنهم يحلمون أن غضبوا

و إنهم معدن الملوك فلا تصلح إلا عليهم العرب

(٧) و يكفى ان نذكر ان أكبر طاغيتين عرفهما العرب أعنى زياد بن أبيه و الحجاج بن يوسف كانا من ولاء بنى أميه و ملفت للنظر ان يجمع الرواه و المؤرخون على التأكيد على تشيع كثير و رفضه على الرغم من كثره ما قاله من شعر فى مديح بنى مروان مما يعنى أنه كان كذلك بالفعل و إن جل همه أن يحمى رأسه و سلوكه الفعلى بأقوال لا يعينها بالضروره. و يبدو أن هذه الحقيقه لم تكن تخفى على ملوك بنى أميه. لما عزم عبد الملك المسير إلى مصعب بن الزبير نظر فرأى كثيرا فى ناحيه من عسكره يسير مطرقا فدعا به و قال:

لأعلم ما أسكتك و ألقى عليك بشك. فان أخبرتك عنه أ تصدقنى؟ قال: نعم. قال: قل و حق أبى تراب لتصدقنى. قال: و الله لأصدقنك. قال:

لا أو تحلف به. فحلف به. فقال: تقول رجلا من قريش يلقى أحدهما صاحبه فيحاربه القاتل و المقتول فى النار فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر و لا- أمن سهما عاترا لعله أن يصيبنى فيقتلنى فأكون معهما؟ فقال و الله يا أمير المؤمنين ما أخطات قال: فارجع من قريب و أمر له بجائزه. (٨)

و أخلص كثير فى مديحه لعمر بن عبد العزيز إخلاصا مبعثه موقف عمر من آل البيت حيث منع شتم على ع و اعتبر كثير هذا الموقف من أبرز ماثر عمر بن عبد العزيز على كثرتها:

ص: ١٧٩

١- أعيان الشيعة ٩: ٢٥.

٢- حديث الأربعاء ١: ٢٨٦.

٣- الفرق بين الفرق: ٢٧.

٤- م. ن: ٢٨، ٢٩.

٥- الموشح: ١٤٤.

٦- روضات الجنات ١: ٥١١.

٧- العصر الإسلامى: ٢٩٨، ٢٩٩.

٨- الأغاني ٩: ٢١، ٢٢.

وليت فلم تشتم عليا و لم تخف بريا و لم تقبل إشاره مجرم

(١) و كانت فتره حكم عمر بن عبد العزيز مناسبه لكثير ليظهر مدى إيمانه بال البيت يقول:

لعن الله من يسب عليا و بنيه من سوقه و إمام

أ يسب المطهرون جدودا و الكرام الأخوال و الأعمام

يأمن الطير و الحمام و لا يأمن آل الرسول عند المقام

رحمه الله و السلام عليهم كلما قام قائم الإسلام

(٢) و رثى صديقه خندق بن مره الأسدى الذى قضى قتلا لاتهامه ظلما بالتعرض للشيخين و مما قاله فيه:

فلو فوديت من حدث المنايا و قيتك بالطريف و بالتلاد

لقد أسمعت لو ناديت حيا و لكن لا حياه لمن تنادى

(٣) و مهما يكن من أمر فإنه من الصعوبه بمكان إخضاع كثير لمفاهيمنا المعاصره بالالتزام العقائدى فينما نجده يكن فى ضميره حب أئمته آل البيت نرى لسانه يلهج بمدح غاصبى حقهم. و هو و إن لم يدع مناسبه تفوته ليحبر فيها عن مكنونات ضميره فإنه لم يدع مناسبه أيضا تفوته ليكسب مالا أو حظوه من أصحاب السلطان فى عصره الذين عرفوا كيف يفيدون منه و من أمثاله فى الترويح لسلطانهم مع قناعتهم بأنه يقول بلسانه ما لا يؤمن به فى قلبه.

كثير الشاعر

مصادر شعره:

من المرجح انه كان لكثير ديوان بخط يده. فقد كان راويه جميل بثينه و كان يجيد الكتابه. فإذا صح أنه كان يعنى بحفظ و روايه شعر جميل فإنه من باب أولى أن يعنى بجمع شعره هو.

و قد ذكر أبو الفرج أن ولد جمعه بنت كثير قال: وجدت فى كتب أبى التى فيها شعر كثير أن عبد الملك بن مروان قال لكثير: ويحك الحق بقومك من خزاعه(٤).. مما يسمح بالظن انه كان عند زوج ابنته صحف تضم شعره.

و يذكر الأصفهاني أيضا ان عبد الله بن أبى عبيده المتوفى منتصف القرن الثالث الهجرى كان يملى شعر كثير بثلاثين ديناراً.(٥)

و ذكر ابن القيسراني المتوفى ٥٠٧ هـ إن أبا على القالى قال و شعر كثير بن عبد الرحمن الخزاعى: تام جزءان قرأتهما على ابن دريد.(٦).

و قد ذكر هنرى بيريس أن ابن السكيت و محمد بن حبيب قد جمعا شعر كثير. و قد المح إلى شرح ابن السكيت جرجى زيدان أيضا. (٧)

و مهما يكن من أمر فان نسخ الديوان لم تصلنا و كذلك المؤلفات التى تناولت اخبار كثير و أهم مجموعه من شعر كثير التى بين أيدينا الآن هى ما جمعه هنرى بيريس من مصادر كثيره و قد جعله فى جزئين و سماه شرح ديوان كثير عزه و نشره فى الجزائر عام ١٩٢٨. و مجموعه بيريس لم تحو كل ما لكثير من شعر يدل على ذلك القصائد التى رواها محمد بن المبارك فى منتهى الطلب و هى ست عشره قصيده معظمها لا توجد فى مجموعه بيريس (٨) كما ذكر بروكلمان وجود قصائد متفرقه لكثير فى برلين و مانشستر (٩)

موضوعات شعره:

معظم ما وصلنا من نتاج كثير يدور على غرضين الغزل و الشعر السياسى الذى يشتمل على شعره الشيعى الذى عبر عن إيمانه بحق آل البيت فى الخلافه و هذا الشعر يمثل المرحله الأولى من حياته السياسيه.

أما المرحله الثانيه فتبدأ منذ انتقاله إلى بلاط عبد الملك بن مروان حيث أعلن ما يتناقض عقيدته الأولى مؤيدا بنى مروان متجاوزا حد التقيه التى تبيح له ان يخفى ما يعتقد فحسب دون ان يجاهر بخلافه.

إضافه إلى هذين الغرضين فقد طرق أغلب أغراض الشعر فى عصره كالوصف و الفخر و الهجاء و الرثاء و الحكم. و لكن هذه الأغراض لم ينظمها قصائد مستقلة و إنما نجدها مبثوثة بين الغزل و السياسه.

الغزل العذرى

زكى مبارك على الرغم من تحامله على كثير إذ يرى فيه شيوعا مفرطا فى التشيع إلى حد السخف لا- يلبث ان يقول انه من العناصر الأساسيه فى تكوين شخصيه كثير عنصر العشق و كان امتحن بهوى عزه بنت جميل. ثم ينقل عن أبى الفرج قوله: على انه قد قيل انه كان فى ذلك كاذبا و لم يكن بعاشق ليضيف: ليس من العسير ان ندرك ان اتهام كثير بالكذب فى العشق لم يكن إلا صورته جديده من صور السخريه منه و التحامل عليه. و هو خلافا لظه حسين يذكره بين العشاق ليثبته بينهم إذ ان كثيرا حسب رأيه أعز الحب أكرم الإعزاز و صيره من الشرائع و تحدث عن آدابه أجمل الحديث و سارت قصائده فى الحب مسير الأمثال (١٠) و لا ريب أن أجمل صفحه فى حياه كثير هى التى تصور قصه حبه لعزه. و عند ما نقرأ الشعر الذى أنشده فيها نجد امامنا قصه من أصدق قصص الحب العذرى فقد كان هذا العاشق ذا قلب مرهف الاحساس و كان فوق ذلك شاعرا فصيحاً فلا يكاد يختلج فى جنانه شعور من مشاعر الحب حتى يطفح على لسانه شعرا. و شعر كثير فى الغزل يندرج فى السياق العام لشعراء الغزل العذرى فهو يعبر عن ألم الفراق و مكابده الأشواق على أنه لا يشفق من فراقها بقدر ما يشفق من تغييرها بعده:

ألا ليت شعرى بعدنا هل تغيرت عن العهد أم أمست كعهدي عهددها

إذا ذكرتها النفس جنت لذكرها و ريعت و حنت و استخف جليدها

اما هو فيعاهد نفسه على ان لا يغدر بعد الموائيق و العهود:

لا تغدرن بوصل عزه بعد ما أخذت عليك موائقا و عهودا

أن المحب إذا أحب حبيبه صدق الصفاء و أنجز الموعدا

و يعزف كثير فى قصائده و مقطوعاته الغزليه ألحان الثبات على الحب و الصبر و الحنين برغم بخل الحبيب و صدوده و هجرانه و حرمان الحبيب من لذات الوصال. و الحنين و الصبر رغم الحرمان هما آيه العفه و الصدق فى الحب العذرى. و لكن هذا لا يحول بين الشاعر و بين الشكوى:

أفى الحق أن قلبك سالم صحيح و قلبى من هواك سقيم

و ان بجسمى منك داء مخامر و جسمك موفور عليك سليم

(١١)

ص: ١٨٠

- ١- منتهى الطلب ٣: ٣٤١.
- ٢- الحيوان ٣: ١٩٤.
- ٣- الأغاني ٢: ١٧٨.
- ٤- الأغاني ٩: ١١.
- ٥- الأغاني ٩: ٥.
- ٦- الأنساب المتفقه: ١٩١
- ٧- تاريخ آداب اللغة العربيه ١: ٣٣٤.
- ٨- منتهى الطلب ٣: ٣٤٨.
- ٩- تاريخ الأدب العربى ١: ١٩٦.
- ١٠- العشاق الثلاثة: ٥٠، ٥٤، ٥٥.
- ١١- منتهى الطلب ٣: ١٦٩.

و هو كسائر العذريين قد سلبت حبيبته لبه بحيث لم يعد يفقه و لا يسمع ما يقول العذال و الوشاه:

يلومك فى ليلى و عقلك عندها رجال و لم تذهب لهم بعقول

و قد قرع الواشون فيها لك العصا و إن العصا كانت لذى الحلم تفرع

و نحن نجد له أبياتا يشعر من يقرأها انها صادرة عن تجربه حقيقه:

و حبك ينسينى من الشىء فى يدى و يذهلى عن كل شىء أزاوله

يود بان يمسى سقيما لعله إذا سمعت عنه بشكوى تراسله

و يرتاح للمعروف فى طلب العلا لتحمد يوما عند ليلى شمائله

و سئل عن أعجب خبر له معها فقال: حججت سنه من السنين و حجج زوج عزه بها و لم يعلم أحدنا بصاحبه. فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سمن يصلح به طعاما لأهل رفقته. فجعلت تدور الخيام خيمه خيمه حتى دخلت خيمتى و هى لا تعلم انها خيمتى. و كنت أبرى سهامما لى. فلما رأيتها جعلت ابرى و انظر إليها حتى بريت ذراعى و أنا لا أشعر و الدم يجرى.

فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت يدى و جعلت تمسح الدم بثوبها.

و كان عندى نحى سمن فحلفت لتأخذنه. فجاءت به إلى زوجها فلما رأى الدم سالها خبره فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنه. فلما أخبرته ضربها و حلف لتشتمنى فى وجهى. فوفقت على و هو معها فقالت يا ابن الزانية و هى تبكى. و انصرفا و فى ذلك يقول هذه الأبيات:

يكلفها الغيران شتمى و ما بها هو انى و لكن للمليك استندلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزه من أعراضنا ما استحلت

أ سيئى بنا أو أحسنى لا ملومه لدينا و لا مقلبه ان ثقلت

فما أنا بالداعى لعزه بالجوى و لا شامت أن نعل عزه زلت

فلا يحسب الواشون أن صبايتى بعزه كانت غمره و تجلت

فو الله ثم الله ما حل قبلها و لا بعدها من خله حيث حلت

و ما مر من يوم على كيومها و أن عظمت أيام أخرى و جلت

أناديك ما حج الحجيج و كبرت بفيفا غزال رفته و أهلت

(١) و رثاها بعد وفاتها بقصيده من رقيق الشعر و مما جاء فيها:

و قد كنت أبكى من فراقك حيه و أنت لعمري اليوم أناى و انزح

فيا عز أنت البدر قد حال دونه رجيع تراب و الصفيح المضرح

و ما نظرت عيني إلى ذى بشاشه من الناس إلا أنت فى العين أملح

ألا لا أرى بعد ابنه النضر لذه لشيء و لا ملحا لمن يتملح

فلا زال رمس ضم عزه سائلا به نعمه من رحمه الله تسفح

(٢) و هذه الأبيات و سواها الكثير لا يمكن ان تؤيد من يزعم أن كثيرا لم يكن صادق الصبايه و إنه كاذب مدع فى هواه و إن غزله مجرد غزل تقليدى.

فعلى حين زعم ابن سلام و الأصفهاني بان كثيرا كان يكذب و يوردان القصص و الأخبار التى لا تخلو من تلفيق أحيانا نجد ابن أبى حفصه يضرب المثل بكثير فى صدق الصبايه و يجعله فى عداد أشهر الذين اشتهروا بالحب العذرى كعروه و المرقش و النهدي و أبى ذؤيب الهذلى و جميل بثينه و ذلك حيث يقول عن الغوانى:

أردين عروه و المرقش قبله و أخا بنى نهدي تركن قتيلاً

و لقد تركن أبا ذؤيب هائما و لقد قتلن كثيرا و جميلاً

(٣) أما موقف عزه منه كما يبدو من شعره فهو يتراوح بين الحب و الصد.

و مهما يكن من أمر فان قدر العذريين ان تتصانف اسماؤهم أبد الدهر أما هم فمن غير الثابت إنهم تعانقوا لحظه واحده طوال العمر.

شعره السياسى

سبق و أشرنا ان مولد كثير كان حوالى سنة ٢٣ هـ و هى السنه التى توفى فيها عمر بن الخطاب و تولى عثمان بن عفان و إن وفاته كانت حوالى سنة ١٠٥ هـ و هى السنه التى فيها توفى يزيد بن عبد الملك و تولى أخوه هشام و إنه عاش حوالى ثلاثه و ثمانين سنه. فمتى ابتدأ حياته السياسيه؟ و هل ابتدأها شيعيا و انتهى مروانيا؟ إن أقصى ما يمكن أن نصل اليه هو أحكام تقريبيه لأنه لم يصلنا من شعره إلا أقله، و أقل أقله كان شعره السياسى و أقل ذلك الأقل كان شعره الشيعى الذى يمثل المرحله الأولى فى حياته السياسيه. فقد حدثت فى شبابه أحداث جسام لا نجد لها صدق فى شعره و هذا أمر يصعب تفسيره فمن استشهاد الامام على ع

سنة ٤٠ هـ إلى صلح الامام الحسن (ع) و تنازله لمعاويه سنة ٤١ هـ إلى تولى يزيد الخلفه سنة ٦٠ هـ إلى استشهاد الامام الحسين ع سنة ٦١ هـ. فنحن نرجح ضياع الكثير من شعر كثير حول معظم هذه الموضوعات إذ من الثابت أن كثيرا كان شيعيا يحب آل البيت و يؤمن بحقهم السياسى و لم نجد مؤرخا واحدا لا يتهمه بهذه "التهمة".

على الرغم من شهرته كشاعر لبنى مروان و مع ذلك فاننا لا نجد فيما وصلنا من شعره ما يتناسب مع عقيدته هذه و مع الأحداث الجسام التى عاصرها الشاعر و المصائب التى ألمت بال البيت ع.

و أغلب الظن أنه انقلب إلى بنى مروان فى خلفه عبد الملك حوالى سنة ٦٩ هـ و قبل مبايعه محمد بن الحنفية له و يتضح ذلك من انه لم يذكر فى شعره قبل عبد الملك أحدا من بنى أميه و ليس له معهم أخبار و يقوى هذا موالاته لآل البيت و مناصرته لمحمد بن الحنفية، و يفسر (الأعيان) هذا

ص: ١٨١

١- شرح ديوان كثير عزه ١:٥٤.

٢- م. ن: ١٩٦.

٣- الموشى: ٧٧.

الانقلاب عند كثير بأنه قد يصبح مفهوما إذا أخذ من الوجه السياسى للدوله التى كانت دوله أو توقيراطيه تعد على الناس انفسهم و تحصى على الناس تنهداتهم و تحسب حركاتهم حركه حركه. معنى ذلك أن حريه الرأى أو القول كفر و خروج على الدين و الايمان و على الذى يرى رأيا غير رأى الدوله أن يحمل دمه على كفه و أن يكون مستعدا للرحيل إلى المقابر و كثير كان مؤمنا بنى هاشم و مؤمنا بأنهم أحق من بنى أميه و لكنه لم يكن مستعدا للتضحيه بحياته فى سبيل ذلك الايمان. و ينفى عن كثير تهمة "النفاق" بل يرى أنه كان بالرغم من عنف الاستبداد على شىء من الصراحه و إن مدح بنى أميه(1) و مهما يكن من أمر فان كثيرا مدح عبد الملك بن مروان و قال عنه:

إمام هدى قد سدد الله رأيه و قد أحكمته ماضيات التجارب

و قال فى عمر بن عبد العزيز:

و ما الناس أعطوك الخلفه و التقى و لا أنت فاشكر يشك مثيب

و لكنما أعطاك ذلك عالم بما فيك معط للجزيل و هوب

و نلاحظ فى شعره "الأموى" أجمالا- إلى ان الفكره السياسيه الأساسيه التى كان يقولها و يلهج بها فى شعره الشيعى من ان الخلفه هى وصيه النبيلعلى و ابنائه قد تغيرت و أن فكره ارتباط شرعيه الخلفه بالوصيه قد تلاشت و إنه فى مدائح لبنى مروان أخذ يردد ما كان يقوله و يروجه شعراء المروانيين.

و لعل أشهر قصائده فى مديح عبد الملك تلك التى يقول فيها:

أحاطت يداه بالخلفه بعد ما أراد رجال آخرون اغتيالها

فما تركوها عنوه عن موده و لكن بحد المشرفى استغالها

و لعل ابرز ما يتميز به مديح كثير هو رسمه لممدوحه صورته دقيقه القسمات قويه الملامح زاويه الألوان يستقصى فيها كل ما للممدوح من المزايا و الصفات و المفاخر يدفعه إلى ذلك الاستقصاء و التجويد. و هذه الميزات هى التى دفعت هارون الرشيد إلى القول: و الله لا نمدح بمثل شعر كثير(2) كما نرى اختلافا بين مدحه لعبد الملك و مدحه لعمر بن عبد العزيز ففى مدحه لعبد الملك نراه ينعته بمعانى العظمه و الملك و الإمارة أكثر مما ينعته بمعانى الخلفه و الإسلام مع غلوه فى التمجيد و التعظيم و ذلك لمناقضته لما يؤمن به من أحقيه آل البيت. أما فى مديحه لعمر بن عبد العزيز فنحس أنه يمدح "خليفه" لا ملكا بكل معنى الخلفه الإسلاميه الحققه فيذكر اعراضه عن الدنيا و مباحجها و زهده فى الخلفه و صلاحه و عدله بين الناس و بره بالفقراء و المساكين و رده حقوق العلويين (قضيه فذك) و منع شتم الامام على.

و فى رثائه لعمر بن عبد العزيز يتجلى ولاؤه أكثر مما يتجلى فى مديحه فقد صور فجيعة فقدته بدموع اليتامى و المساكين و الأراامل:

لقد كنت للمظلوم عزا و ناصرا إذا ما تعيا في الأمور حصونها

فمن لليتامى و المساكين بعده و أرملة باتت شديد أنينها

و ليس بها سقم سوى الجوع لم تجد على جوعها من بعده من يعينها

(٣) كما مدح كثير يزيد بن عبد الملك و لم تصلنا مدائحه فى الوليد بن عبد الملك الذى استخلف بعد أبيه عبد الملك بن مروان و ظل فى الملك تسع سنين و لا مدائحه فى أخيه سليمان الذى ملك سنتين مما يعزز افتراضنا ضياع القسم الأكبر من شعره أو عدم وصوله إلينا حتى الآن.

كما وصلنا مديحه لعدد من أمراء بنى أميه ابرزهم بشر بن مروان و أخيه عبد العزيز بن مروان و ابنه أبى بكر عبد العزيز بن مروان و لم يتطرق فى مديحه لهؤلاء إلى مسأله الخلافه و إنما اقتصر على تمجيد ما كان يتحلى به كل واحد منهم من شجاعه و حزم و حلم و وقار. و كان أهم من مدحهم من هؤلاء عبد العزيز بن مروان المعروف بمحبته لآل البيت و الذى قال يوما لابنه عمر: يا بنى لو علم أهل الشام و غيرهم من فضل على ما نعلمه لم يتبعنا منهم أحد و تفرقوا عنا إلى أولاد على(٤) و من آيات وفائه لعبد العزيز و ابنه عمر انه لم تنقطع مدائحه لهما بموتهما بينما لا نجد له مراثى فى عبد الملك و لا فى أخيه بشر و لا فى ابنه يزيد.

و لم يقتصر فى مدائحه على ملوك و أمراء بنى مروان بل مدح أميراتهم و أمهات أولادهم. و من ذلك ان أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بعثت إلى كثير و وضاح اليمن ان انسبا بى. فاما وضاح اليمن فنسب بها و أما كثير فنسب بجاريته "غاضره". و كانت أم البنين زوجه الوليد بن عبد الملك فقتل وضاحا و لم يجد سيلا على كثير(٥) و خلاصه القول فى شعر كثير السياسى أنه عبر عن فترتين متناقضتين من حياته السياسيه. أما المعانى التى تناولها فى مدائحه فهى معان تقليديه مالوفه فى الشعر الجاهلى و إن كان قد أضاف إليها فى مديحه لعمر بن عبد العزيز المعانى التى يحث الإسلام على التحلى بها كالصلاح و العدل و الإنصاف و البر بالفقراء و تقوى الله و خشيته و الزهد بالدنيا و غيرها من المثل الإسلاميه.

اشتمل شعر كثير على عدده موضوعات كمدح أو رثاء أو هجاء بعض الأشخاص الذين لم يكن الدافع لمدحهم أو رثائهم أو هجائهم العقيدة أو السياسيه. كما اشتمل على الفخر و ما يتعلق به من وصف الخيل و بعض السلاح كما نجد له بعض الأبيات فى تجارب الحياه و الحكم.

و له شعر كثير فى وصف مظاهر الحياه فى الباديه كوصف ديار الحبيبه و ما يتعلق بها من وصف الغمام و البرق و الرعد و المطر و استسقائه لها أو وصف اطلالها و رسومها و ما بقى من آثارها كالدمن و النوى و الحيوان الذى اتخذها مأوى و مرتعا بعد رحيل أهلها و ما يتعلق بها من وصف الظعن و الرحله و الراحله و ما تثيره فى نفسه من وحشه و شوق. أو وصف بعض مظاهر الباديه كرمالها و فجاجها و هجيرها و نسيم لياليها و ما فيها من حيوان كالطباء و النعام و الذئاب أو وصف مشاعر الحج و غير ذلك.

و الرثاء فى شعره قليل إذا استثنينا مراثيه السياسيه. و كذلك الهجاء الذى لا يكاد يؤلف موضوعا بارزا فى شعره على الرغم من كثره الخصومات السياسيه التى كانت بين شعراء القبائل فى عصره. اما دوافعه للهجاء فمنها أنفته كما فى هجائه بنى المسور بن

إبراهيم حينما وجدوه يرعى ابله فى حماهم فضيقوا عليه و أساءوا جواره فهجاهم (٤) و له بيتان فى هجاء نصيب و لعله هجاء على أثر تلك المفخرة ٢.

ص: ١٨٢

-
- ١- أعيان الشيعة ٩: ٢٦.
 - ٢- تاريخ دمشق ١٦: ٣٦.
 - ٣- منتهى الطلب ٣: ١٧٥، ١٧٦.
 - ٤- شرح النهج ١: ٣٥٦.
 - ٥- الأغاني ٢: ١٨٠.
 - ٦- شرح ديوان كثير عزه ٢: ٥.

و المشاجره التي انتهت بسقوط كثير على الأرض و التي نشبت بينهما عند ما التقيا على طعام أبي عبيده بن زمعه و قد رآه عائدا من الشام و عليه بزه جميله فقال له كثير: و الله يا أبا محجن ان أثر الشام عليك لجميل و قد رجعت هذه الكره ظاهر الكبر قليل الحياء. فقال له نصيب! و لكن أثر الشام عليك يا أبا صخر غير جميل لقد رجعت و إنك لزائد النقص كثير الحماقه(١). و قد كان نصيب أسود يكنى أبا الحجناء فقال كثير يهجو:

رأيت أبا الحجناء في الناس جائزا و لون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده و إن كان مظلوما له وجه ظالم

(٢) و الدافع الثاني لهجائه السياسه الأمويه التي تقوم على تهيج العصبيات بين القبائل كما حدث بين كثير الذي ادعى نسبه في قريش و اتخذت شكلا من أشكال النقائص(٣) و إن لم تبلغ ما بلغته النقائص من تهتك و إفحاش.

و أما الدافع الثالث فهو العقيدة و حب أئمة التشيع فقد هجا عبد الله بن الزبير عند ما زج محمد بن الحنفية في السجن.

و الدافع الأخير لهجائه هو حبه لعزه فقد هجا قومها بنى ضميره و زوجها الذي يقول فيه:

و ما حسبت ضميره سوى التيس ذى القرنين لها بعلا

فأبلغ أبا الذفراء و الجهل كاسمه و من يقول لا يعدم على غيه عزلا

و يشبهه بالخنزير: يكلفها الخنزير شتمى و ما بها

هوانى و لكن بالمليك استذلت

و يصفه بقوله:

رأتني كاشلاء اللجام و بعلا من الملاء انبرى عاجز متباطن

(٤) و الملاحظ ان في هجاء كثير حده الهجاء و قسوته و إيلامه دون ان يكون فيه تبذل و لا تهتك و لا إفحاش. أما فخره فقد كان على نوعين فخر بالنفس و فخر بالقبيلة. و فخره بنفسه تنوع بين الفخر بجماله! و الفخر بمناقبه و صفاته.

أما فخره بجماله فهو انعكاس لما كان عليه من قصر و دمامه:

متى تحسروا عنى العمامه تبصروا جميل المحيا أغفلته الدواهن

يروق العيون الناظرات كأنه هرقلى وزن أحمر الثبر وازن

و نراه أحيانا يدافع عن الدمامه و القصر ليثبت ان الدمامه و القصر لا يدلان على الخمول و الخور:

ترى الرجل النحيف فتزدرية و فى أثوابه أسد هصور

و جربت الأمور و جربتني و قد أبدت عريكتي الأمور

و ما تخفى الرجال على إني بهم لأخو مثاقبه خبير.

و ملفت للنظر ان نجده يفخر بفروسيته:

و لقد شهدت الخيل يحمل شكثى متلمظ خذم العنان بهيم

أما فخره بقييلته فقليل و لا نعرف بأيه قبيله قاله قريش أم خزاعة! و هو يذكر فيه كل صفات الفروسيه و الفضائل التي تعتد بها العرب من الشجاعه و حمايه الحمى و عزه الجانب...

و له أبيات فى العتاب و الشكوى من أبناء عمه (٥) كما له قصائد و مقطوعات فى وصف الغمام و المطر (٤) و قصائد و أبيات فى وصف الأطلال و الدمن الدوارس (٧) و وصلتنا مقطوعات طويله له فى وصف الرحله (٨) و فى وصف الخيل و حيوان البادية و جوها (٩) و مناسك الحج (١٠) و على الرغم من شهره كثير فى قول الشعر المثل فقد قال القلقشندى فى ضروره معرفه الكاتب عن تقدم فى نوع من الشعر! فالطفيل الغنوى بوصف الخيل و الفرزدق بالأخبار و كثير بالأمثال. و قال أيضا و كثير عزه فى أمثاله لا يعد من أمثاله (١١) على الرغم من هذا فاننا لا نجد له اليوم من أمثاله و حكمه إلا أبيات قليله مبثوثة فى قصائده لا تسمح له بالمنزله التي أجله بها القلقشندى مما يعزز فرضيه الضياع القسم الأكبر من شعره. و من أقواله فى عدم الجزع عند تقلب الأحوال و الصبر و التفاؤل عند الشدائد:

فما روتق الدنيا بباق لأهله و لا شده البلوى بضربه لازم

فلا تجزعن من شده أن بعدها فوارج تلوى بالخطوب العظام.

(١٢)

الخصائص العامه لشعر كثير

كان زهير بن أبى سلمى راويه لأوس بن حجر و كان كعب بن زهير بن أبى سلمى و الحطيئه راويتين لزهير. و كان هدبه بن خشرم راويه للحطيئه و كان جميل بثينه راويه لهده بن خشرم و كان كثير عزه راويه لجميل بثينه (١٣).

من هذا الخبر ينطلق طه حسين ليردد ما يقوله الرواه من أن زهيراً كان يصنع شعره و يتكلفه و ينفق الحول أحيانا قبل ان يظهر القصيده من شعره.

و ان الحطيئه كان عبدا من عبيد الشعر يتكلفه و يشقى فى صنعته و ان كعبا و الحطيئه كليهما قد ذكر صناعه الشعر و تثقيفه و العناء فيه. و إذن فإذا كان هذا كله حقا فاننا بإزاء مدرسه شعرية معينه استأذها الأول أوس بن حجر و استأذها الثانى زهير و

استاذها الثالث الحطيئه الذي أخذ عنه في الإسلام جميل. و عن جميل أخذ كثير(١٤) و يرى طه حسين ان أبرز ما يميز شعراء "المدرسه الأوسيه" ميزتان الأولى الخيال المادى الشديد التأثر بالحس و الثانيه اعتبار الشعر حرفه و صناعه و فنا يدرس و يتعلم و ينشئه صاحبه إنشاء و يفكر فيه تفكيراً و يقضى في إنشائه و التفكير فيه الوقت غير القصير(١٥)

ص: ١٨٣

- ١- الأغانى ١: ٣٦٦.
- ٢- شرح ديوان كثير عزه ٢: ١٤، ١٥.
- ٣- تاريخ دمشق ١٦: ٧٥٧-٧٥٨.
- ٤- شرح ديوان كثير عزه ١: ٢٠٤.
- ٥- م. ن ٢: ٩.
- ٦- م. ن ١: ١٦٣، ٢٢١، ٢٢٧.
- ٧- م. ن ١: ٢٠٠. م. ن ٢: ٨٤، ١٢٠، ١٧٦.
- ٨- منتهى الطلب ٢: ١٧٢. م. ن ٣: ٣٣٩.
- ٩- شرح ديوان كثير عزه ٢: ١١٤.
- ١٠- م. ن ١: ١٢٤.
- ١١- صبح الأعشى ١: ٢٩٣، ٢٩٤.
- ١٢- شرح ديوان كثير عزه ١: ٢٧٧.
- ١٣- الشعر و الشعراء ٥٧.
- ١٤- فى الأدب الجاهلى: ٣٣٦.
- ١٥- م. ن: ٣٤٢.

و يضيف انه من هاتين الخصلتين استفاد الفن البياني عند هؤلاء الشعراء جميعا فكثر عندهم التشبيه و المجاز و الاستعاره و الافتنان فيها من هنا ان صناعه الفن البياني الخالص و تعمده و الإلحاح فيه ليست كما كنا نظن مظهرا من مظاهر الحياه الأدبيه الجديده أيام بنى العباس و ليس مسلم ابن الوليد هو مبتكرها و إنما هي أقدم من ذلك و أبعد فى تاريخ الشعر العربى نشأت فى العصر الجاهلى (1) و إذا عدنا إلى شعر كثير وجدناه ينتمى بالفعل إلى هذا الخط الشعرى حيث ينهج منهج زهير فى أحكام عرى قوافيه و أطراف معانيه. على ان أهم ما نجده فى شعره من هذه الخصائص هو التفصيل فى الوصف و التنسيق فى العرض. بحيث لا يترك الموضوع حتى يستقصى ابعاده و يستجمع أطرافه و يستوفى كل معانيه ثم يعرضه عرضا منسقا دقيقا جليا.

أما صناعته البيانيه من تشبيه و استعاره و كناية و خيال فكل صورها مستمده من حياه الباديه و مستوحاه من بيئتها البدويه.

فانظر كيف عبر عن احلامه فى انفراده هو و عزه بعيدا عن الناس فشبّه نفسه و حبيته بجمل أجرب و ناقه جرباء ضائعين:

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى بعيرين نرعى فى الخلاء و نعزب

نكون بعيرى ذى غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا و لا نحن نطلب

كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدى و أجرب

إذا ما وردنا منها صاح أهله علينا فما ننفك نرمى و نضرب

يطردنا الرعيان من كل تلعه و يمنع منا ان نرى فيه نشرب

وددت و بيت الله انك بكره هجان و إنى مصعب ثم نهرب

و عند ما انشد عزه هذه الأبيات قالت: لقد أردت بنا الشقاء الطويل. أ ما وجدت أمنيّه أوطا من هذه (2)؟!.

و القارئ لشعر كثير يلاحظ حرصه على الاستقصاء و الاستيفاء للمعاني الدقيقه التى يتحسسها فى جوانب الموضوع ثم يحليها بالصور البيانيه من تشبيه و استعاره و كناية و توريه إلى جانب عنايته بتفصيل المعانى و استقصاء اجزاء الصور و تنسيق عرضها. كما يلاحظ عنايه بارزه بجرس الألفاظ و الإيقاع باستعماله ضروب البديع من جناس أو تقسيم للبيت أو سجع أو طباق بحيث نشعر بهذا الانسجام بين معانى الألفاظ و جرسها. يقول فى وصف صراعه النفسى و حيرته مع عزه:

و أعجبنى يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا و دفعك أسباب المنى حين يطمع

فو الله ما يدرى كريم مطلته أ يشند ان لاقاك أم يتضرع

و كان كثير يحرص على نظم شعره على البحور الطويله التى تعتبر أكثر ملاءمه لما ينشده من فخامه.

أما ألفاظه فتتراوح بين الوضوح و الغرابه حسب قرب الموضوع أو بعده عن حياه الباديه. فلو تصفحنا قصائده فى الغزل أو المديح أو الفخر أو الهجاء لوجدنا ان ألفاظه تشف عن معانيها. و لا نكاد نرى فيها تعقيدا أو غموضا. أما إذا طالعنا قصائده التى تتصل بمظاهر الباديه و البداوه لوجدنا ان الغرابه تكاد تخيم على كل لفظه من ألفاظها بحيث لا يمكن معرفه معانيها إلا بالعوده إلى معاجم اللغه.

و تعتبر "تأنيته" (٣) المشهوره خير ممثل لقدرته على استعمال الغريب.

منزلته

كان أهل الحجاز يعدونه شاعرهم و لا يقدمون عليه أحدا (٤) و يذكر ابن سلام ذلك فيقول: إنه كان شاعر أهل الحجاز و إنهم ليقدمونه على كل من قدمنا - يعنى جريرا و الأخطل و الفرزدق - و إنه كانت له منزله عند قريش (٥) و كان الشاعر مروان بن أبى حفصه يعجبه جدا مذهب كثير فى المديح و يقول انه يستقصى المديح و كذلك كان ابن فليح يقول: ما قصد القصيد و لا نعت الملوك مثل كثير (٦).

و كان خلف الأحمر يقول كثير أشعر الناس فى قوله لعبد الملك بن مروان:

أبوك الذى لما اتى مرج راهط و قد ألبوا للشمر لما تألبا

تشنا للأعداء حتى إذا انتهوا إلى أمره طوعا و كرها تحببا

(٧) و قد جعل ابن سلام كثيرا فى الطبقة الثانيه مع الحطيئه و البصيث و القطامى دون جرير و الفرزدق و الأخطل (٨) و سلكه الجرجانى فى عداد عمر بن أبى ربيعه و جميل و نصيب (٩) و قد أشار السيد الأمين إلى تقديم أبى تمام لكثير و سبقه فى النسب (١٠) و يجمع الرواه على ان كثيرا أشعر الناس فى عصر بنى أميه و يذكرون انه قال لعبد الملك: كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين؟ فقال: أراه يسبق السحر و يغلب الشعر. و كيف لا يصل كثير إلى هذه المنزله و قد غنى الجمهور و غنى الملوك أطيب الغناء؟ (١١) و على الرغم من تحامل طه حسين الشديد عليه فإنه رأى نفسه مضطرا للقول: ليس من شك أن كثيرا قد كان شاعرا مجيدا بل عظيم الحظ من الإجاهه (١٢) و يبدو أن كثيرا كان كذلك بالفعل فالفدمااء الذين اطلعوا على

ص: ١٨٤

١- م. ن: ٣٤٣، ٣٤٤.

٢- شرح ديوان كثير عزه ١: ٩٩، ١٠٠.

٣- ديوان كثير عزه ١: ٢٤٤.

٤- معجم الشعراء: ٣٥١.

٥- طبقات الشعراء: ١٢٣.

٦- الأغاني ٩: ٤، ٥.

- ٧- شرح ديوان كثير عزه ٢:٦٨.
- ٨- طبقات الشعراء: ٢٠.
- ٩- الوساطه: ٢٧.
- ١٠- أعيان الشيعة، ٩:٢٥.
- ١١- العشاق الثلاثة: ٥٧.
- ١٢- حديث الأربعاء ١:٢٨٥.

شعره كاملا انصفوه - على الرغم من تعامل بعضهم عليه - أما الذين لم تتح لهم فرصه الاطلاع على شعره كاملا بسبب عدم وصوله إليهم فلا سبيل امامهم سوى التعامل مع ما وصل إليهم من شعره على ما فى ذلك من صعوبه الوصول إلى أحكام دقيقه و موضوعيه.

الأميره كردوتشين بنت منكو تيمور بن هولاكو:

توفيت بعد سنه ٧٢١.

سيده جليله ذات جمال باهر من ربات النفوذ و البر و الإحسان تتصف بالعقل الراجح و التدبير المحكم و الدين و الصلاح و الجود و الكرم.

نشأت و ترعرعت فى بلاط أبيها و تلقنت العلم و الثقافه العاليه على كبار عصرها و كانت أمها آبخش خاتون بنت أتابك سعد الزنكى ملكه من ملكات شيراز فتزوجها منكو تيمور بامر من والده هولاء-كو خان فانجبت هذه الأميره كردوتشين ثم وصلت كردوتشين إلى اريكه الحكم فى سنه ٧١٩ هـ فى مقاطعه فارس و كانت عاصمتها مدينه شيراز. قال صاحب كتاب تاريخ حبيب السير: و خلدت فى التاريخ صفحه زاهيه و أثرا حميدا من تعميرات البقاع و الآثار النافعه فى الحضاره و العمران... (١) و كانت على مذهب أمها فى التشيع و هى التى نقلت رفات أمها من تبريز إلى شيراز عند استلامها دفعه الحكم فى شيراز و أقامت بناء ضخما على ضريحها الموجود حتى العصر الحاضر ذكرها (٢) المؤرخ الفسائى فى كتابه فارسنامه ناصرى ج ١ ص ١٠٦ (٣) (راجع آبخش خاتون).

الأغا كريم الروغنى القزوينى:

ولد فى قزوین حدود سنه ١٢٠٠ و توفى بها سنه ١٢٨٣ هـ.

أخذ المقدمات و السطوح على جماعه من فحول علماء قزوین ثم التحق بحوزه الشيخ محمد صالح البرغانى و شقيقه الشهيد و أخذ الحكمه و الفلسفه عن الآخوند ملا- آغا الحكمى القزوينى و فى حدود سنه ١٢٤٠ هـ هاجر إلى العارِق [العراق] قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى كربلاء و النجف و حضر على الشيخ موسى آل كاشف الغطاء و شقيقه الشيخ حسن آل كاشف الغطاء و أخذ الأصول عن شريف العلماء المتوفى سنه ١٢٤٦ هـ و حصل على إجازات من علماء كربلاء و النجف ثم عاد إلى قزوین و التحق بحوزه استاذ البرغانى للمره الثانيه و فى سنه ١٢٦٤ هـ جلس للتدريس فى المدرسه الصالحيه بامر من استاذه الشيخ محمد صالح البرغانى مؤسس المدرسه المذكوره و كان من كبار المدرسين فى الفقه و الأصول فى قزوین و هو من أحفاد الشيخ محمد صالح الروغنى القزوينى المتوفى سنه ١١١٦ هـ و المترجم فى أمل الأمل الآتى ذكره كما صرح بذلك صاحب المآثر و الآثار لكنى لم أقف على اسم والده و كيفيه اتصال نسبه بالمولى الشيخ محمد صالح الروغنى القزوينى الذى كان من فحول علماء العصر الصفوى و رأيت إجازته لصهره السيد على الزرآبادى القزوينى المؤرخه فى ١٥ جمادى الثانى سنه ١٢٧١ هـ و كان ختمه "يا كريم" و هو موجود عند سبطه السيد جليل الزرآبادى فى قزوین و له مؤلفات موجوده عند أحفاده و تعرف أسرته اليوم فى قزوین بال الأرحمندی ذكره محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار بما تعريبه: (الآغا كريم الروغنى القزوينى من مشاهير علماء الأصوليين و أعظم المجتهدين فى العصر القاجارى قضى عمره الشريف فى التدريس

و أكثر الأحيان في مدرسه مولى ويردى خان بقزوين). (٤)

الأميره كلين خانم المكناه بام سلمه بنت فتح على الشاه القاجارى:

كانت عالمه فاضله خطاطه من ربات الفصاحه و البلاغه عابده زاهده توفيت بعد سنه ١٢٩٥ هـ.

ولدت و ترعرعت في بلاط أبيها و هي رابع بنات فتح على الشاه القاجارى و الأخت الشقيقه لولى العهد محمد على ميرزا الملقب ب (دولت شاه) حضرت على جملة من العلماء في طهران و أولعت بالخط و الكتابه و أخذت عن جملة من خطاط ذلك العصر منهم آغا زين العابدين الأصفهاني و الحاج على آغا بن الميرزا على محمد خان نظام الدوله و غيرهما و نبغت في هذا الفن و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها زين العابدين خان بن حسين قلى خان القاجارى فولدت له بنتا و ولدا هو محمد جعفر ميرزا و هناك مجموعته نفيسه من كتب الدعاء و من القرآن بخطها في الروضه الرضويه في خراسان و العتبات المقدسه في العراق و قصر گلستان بطهران و مكتبه ملك الوطنيه في طهران و من آثارها قرآن في مكتبه قصر گلستان و دعاء كميل في مكتبه قصر گلستان ذكرها الدكتور مهدي البياني في كتابه (أحوال و آثار خوشنويسان) ج ٤ ص ١٠٤٩-١٠٥٠ و الأمير عضد الدوله سلطان أحمد الميرزا في كتابه (تاريخ عضدى) ص ٢٠٠ و ص ٣٠٦ و ص ٣١٦. (٥)

مبارك بن حامد بن أبي الفرج تقي الدين الحداد الحلبي.

المتوفى سنه ٦٧٤.

ترجم له ابن المعاد في الشذرات ٢٤٤/٥ و قال: كان من كبار علماء الشيعة عارفا بمذهبهم و له صيت عظيم بالحله و الكوفه و عنده دين و أمانه.

الشيخ الميرزا مجتبي بن الشيخ الميرزا احمد التنكابني القزويني

الخراساني السينائي.

ولد في قزوين سنه ١٣١٥ و توفي ليله الا-ثنين ٢٢ ذى الحجه الحرام سنه ١٣٨٦ في مشهد الرضا (ع) و دفن في الصحن العتيق تحت الساعه بقرب باب السوق في الروضه الرضويه.

أخذ المقدمات في قزوين عن الشيخ على أكبر الالهيان و في سنه ١٣٢٥ هاجر مع والده إلى النجف الأشرف و أكمل السطوح على جملة من العلماء ثم حضر على الميرزا محمد حسين النائيني و السيد أبو الحسن الاصفهاني و الميرزا مهدي الأصفهاني الخراساني و في سنه ١٣٣٧ استقر في قزوين و التحق بحوزه السيد موسى الزرآبادي ثم هاجر إلى خراسان و سكن المشهد الرضوى و حضر هناك على الحاج آغا حسين القمي الحائري و الميرزا محمد آغازاده نجل صاحب الكفايه و أخذ الحكمة و الفلسفه من آغا بزرگ الخراساني و شغل كرسى التدريس فكان من كبار المدرسين في المشهد الرضوى، و تخرج عليه جماعه من العلماء و الفضلاء و له مدرسه خاصه معروفه في ايران (ب مكتب تفكيكى) و يختلف هؤلاء مع الحكماء و الفلاسفه في آرائهم الفلسفيه التى لا- تتفق مع الأحاديث المرويه عن أهل البيت (ع) ذكره شيخنا آغا بزرگ الطهراني في كتابه نقيب البشر

(الشيخ العالم الفاضل جامع المعقول و المنقول الميرزا الشيخ مجتبي السينائي القزويني نزيل المشهد المقدس الرضوي المدرس العالي هناك و المصنف الماهر الباهر).

له مؤلفات هامه منها كتاب الفرقان طبع منه خمس مجلدات المجلد

ص: ١٨٥

١- غياث الدين الحسيني المعروف خواند أمير تاريخ حبيب السير ج ٣ ص ٢٧٠ طبعه طهران مكتبه الخيام سنه ١٣٣٣ هجريه شمسيه.

٢- انظر فارسنامه ناصرى الميرزا حسن الحسينى الفسائى ج ٢ ص ١١٩٣ تحقيق الدكتور منصور الفسائى طبعه طهران.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٥- الصالحى.

الأول في التوحيد و المجلد الثاني في النبوه و المجلد الثالث في المعاد و المجلد الرابع في الميزان و المجلد الخامس في الغيبه و الرجعه، كتاب أصول آل الرسول تقارير استاذ الميرزا مهدي الخراساني الأصفهاني، كتاب معرفه النفس مخطوطه، رساله في العلوم الغريبه مخطوطه.(١)

الشيخ مجتبي القزويني بن الشيخ احمد بن الميرزا حسين الطبيب

الحشمتي التنكابني.

ولد في ١٣١٦، و توفي سنة ١٣٨٦ في مشهد الرضا.

ولد في قزوین و أخذ المقدمات و السطوح من الشيخ فتح الله الشهيدى و السيد هبه الله التلاترى و في سنة ١٣٣٠ هاجر مع أبيه إلى النجف الأشرف و اشتغل مده عند خاله الشيخ على أكبر الهياك ثم حضر بحث السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدى و السيد أبو الحسن الأصفهاني و حضر في كربلاء بحث السيد إسماعيل الصدر و الميرزا محمد تقى الشيرازى و في سنة ١٣٣٧ عاد إلى ايران و ذهب إلى قم و حضر بحث الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و في سنة ١٣٤١ هاجر إلى مشهد الرضا فحضر بحث الميرزا محمد الخراساني و الشيخ موسى الخونسارى و الحاج آقا حسين الطباطبائي القمى و حضر في المعقول على الشيخ أسد الله العارف اليزدى و الميرزا مهدي الغروي الأصفهاني و الآقا بزرك الحكيم الشهيدى، ثم انصرف إلى التدريس و التأليف و طبع من مؤلفاته كتاب (بيان الفرقان) في خمسة أجزاء.

توفي في مشهد الرضا و دفن في الصحن العتيق.(٢)

مجتبى مبنوى

اشاره

ولد سنة ١٣٢٣ و توفي سنة ١٣٩٦.

درس المقدمات بسامراء و طهران، و تعلم المتوسطه بدار الفنون و دار المعلمين المركزيه، و المعلومات الجامعيه استوعبها في كينكز كالج بلندن و المعهد الثقافى الآسيوى الافريقى بجامعه لندن.

بدأ خدماته الاداريه ككاتب في المجلس النيابى بطهران في سنوات - ثم عين رئيسا ل " كتابخانه ملي " أى المكتبه الأهليه بطهران سنة ١٣٤٧، ثم انتقل كعضو في الهيئه الثقافيه في السفاره الإيرانيه ببافيس ثم لندن. ثم رجع إلى إيران و عين رئيسا للدراسات العليا في وزاره المعارف (- ١٣٧٣ هـ) ثم عين ممثلا ثقافيا في السفاره الإيرانيه بتركيا (-) ثم أستاذًا بجامعه طهران (-).

و من اعماله ١: أنه درس المخطوطات بمكتبات تركيا و صور المهم منها بالميكروفيلم للمكتبه المركزيه لجامعه طهران و المكتبه الأهليه المذكوره، و قامت الجامعه و بنياد فرهنگ إيران بطبع بعضها فتوغرافيا و قام بعض الأساتذه بتحقيق و إخراج بعض منها.

٢: أشرف على هيئه علميه لاستخراج اللغات من المتون القديمه لتدوين قاموس فارسي حسب التسلسل التاريخي و كانت مؤسسه فرانكلين بطهران تنوى نشرها، ثم انتقل هذا المشروع إلى (بنیاد فرهنگ ایران).

٣: كان عضوا في لجنة التأليف و الترجمة بجامعة طهران و عضوا في جمعيه الفلسفه و العلوم الإنسانيه لفرع إليونسكو بايران و عضوا في اللجنه المركزيه لجامعه طهران و عضوا في اللجنه المركزيه للأسناد و لجنه تعيين الجوائز لأفضل كتب السنه و مشاورا في المؤسسة الثقافيه الإيرانيه.

٤: قام بفهرسه النسخ المخطوطه الفارسيه بمكتبه جستریتی في دوبلن بجمهورية إيرلنده الجنوبيه و اشترك معه: آربری A.J.Arberry و بلوشه E.Bloch و روبينسون Robinson و ويلكنسون Wilkinson، و كل منهم اخصائي في فن فهرست الكتب المصوره، و قد خرج منها ثلاثه مجلدات سنه ١٩٥٩ م، و كان خلال إقامته الطويله بانكلترا متصلا باكابر المستشرقين أمثال البروفسور ولاديمير مينورسكي W.minorsky و والتر هينيك W.B.Hening و ه. كيب H.Gibb و هارولد نيكلسون H.Nicholson و سردنيسن رأس D.Ross و بعض الشباب منهم مثل:

آربری و روبن لوى R.Lewy و برنارد لويس B.Lewis و لمبتون A.K.Lambton و بويل J.Boyle و كرشويح I.Gerxhevich.

و كان يأنس بمينورسكي أكثر من غيره لأن مطالعات مينورسكي كانت في مجال الجغرافيه التاريخيه لايران و المتون الفارسيه، و كان المذكور يستفيد من هذه الجبهه من تبحر المينوى فيها و نشرها معا رساله لنصير الدين الطوسي في الوضع المالى و الديوان في مجله مدرسه الألسنه الشرقيه بلندن سنه ١٩٤٢ م.

كان المينوى يرى في مينورسكي عالما من الدرجه العليا و لذلك قام بنشر مجموعه تذكاريه له من قبل جامعه طهران، كما أنه ألف مقالا لمجموعه تذكاريه صدرت لتكريم زكى وليدى طوغان اعترافا بعلمه و فضله.

و كان يعتقد بين المستشرقين الألمان بهلموت ريتير لأنها عاشا معا مدته بترکيا، كما كان هينيك الأخصائي في اللغات الإيرانيه يعتقد بالدقه العلميه في المينوى، فلما ظهرت النسخه المفتحله بعنوان "كابوس نامه" عرف هينيك بعض الكلمات المختلفه البهلويه فيها فشك في أصاله النسخه و عرف مینوى بذلك ضمن رساله بعثها إليه فنشر مینوى الرساله المعروفه "كابوس نامه" فرأى "عام ١٣٧٦ ه بترکيا و فضح مختلفى النسخه، فدامت المشاحنات في ذلك عدده سنوات و انجرت إلى "المؤتمر الدولى لتاريخ الفنون و الآثار الإيرانيه" المنعقد في نيويورك (١٩٦٤ م) و شهدت بذلك آراء الكيمياءيين في المواد الحديثه المستعمله في تصاویر تلك النسخه، و بعد البحوث و الخطب الكثيره التى ألقىت في المؤتمر انتصر رأى مینوى و تزعت دعوى المختلفين شيئا ما.

و في السنوات التى عاشها بترکيا عاش علماءها أمثال: مكرمين خليل، زكى وليدى طوغان، فؤاد كوپرولو، نجاتي لوغال، عبد الباقي كوليينارلى، نافذ اوزلوق، أحمد آتش، عثمان توران، صادق عدنان أرزى، فاروق سومر و غيرهم، و هم اخصائيون من الدرجه الأولى في التاريخ الإسلامى و تاريخ إيران و له مباحثات معهم ليتها تدون و تنشر.

و من جمله آثار مينوى القيمه اشتراكه فى لجنه أسستها مدرسه الألسنه الشرقيه لتأليف تاريخ الشرق الأوسط فالقى فيها عده خطب فى موضوع كتاب "تاريخ البيهقى" و كيفيه بيانه للمواضع التاريخيه، و قد طبع هذا المقال باللغه الإنجليزيه فى سلسله خطب تلك اللجنه التى نشرها برنارد لوئيس.

و من جمله خدماته القيمه للعلم طى السنوات التى قضاها فى تركيا أن قام بفحص فى مكباتها العظيمه الخاصه منها و العامه و فيها نسخ قيمه نادره فارسىه و عربيه و منها نسخ لم يعرف بوجودها أحد حتى اليوم و هى الآن قيد الدرس من قبل الأخصائين الأتراك ليفهرسوها و يجعلوها فى خدمه العلماء و المحققين، و كان التبحر الذى اكتسبه مينوى طوال ممارسته للمخطوطات فى مكبات المتحف البريطانى و ديوان الهند و جامعات كمبريج و اكسفورد و إدينبورك و مكتبه مستر جيستريتى، مكنه كثيرا من معرفه النسخ القيمه القليله

ص: ١٨٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

الوجود التي يزيد عددها على ١٥ ألف نسخه صور منها كثيرا للمكتبة المركزيه لجامعه طهران بالميكروفيلم، فللمكتبة المذكوره بطهران اليوم ما يزيد على ١٥٠٠ ميكروفيلما، فهرس بعضها الأستاذ محمد تقى دانش بجوه من أساتذه جامعه طهران فى ثلاثه مجلدات.

و لم يكن العلامه مینوی يكتفى بفهرسه الكتب القيمه هذه و تصويرها، بل كان يدرسها و يستخرج منها مطالب تاريخيه ثمينه و يذكرها فى وريقات (فیش) و هذه المذكرات تكمل مذكراته فى بريطانيا، و قد طبع قليلا منها بعنوان (من خزائن تركيا) فى مجله كليه الآداب بطهران.

و مكتبه مینوی الخاصه كانت من أهم المكتبات الخاصه بطهران تشتمل على مجموعه من المصادر لا مثيل لها، كان الأستاذ ينتخبها لنفسه و لدراساته و قد فهرس دانش بجوه مخطوطاتها القيمه و نشرها فى النشره الخاصه بالمخطوطات فى المكتبه المركزيه بجامعه طهران (نشریه نسخه های خطی کتابخانه مرکزی دانشگاه طهران)، و فهرست ميكروفيلم های دانشگاه طهران. و قد وهب الأستاذ مینوی هذه المكتبه الثمينه مع داره للشعب الايرانى.

مؤلفاته و الكتب التى حققها:

١: ديوان ناصر خسرو: بتحقيقه و تعاليق الأستاذ على أكبر دهخدا.

ط طهران.

٢: سياست نامه: بتصحيحه و تصحيح عبد الرحيم الخليلي.

ط طهران.

٣: نامه تنسر: ط طهران.

٤: نوروزنامه: ط طهران.

٥: وضع ملت و دولت و دربار در دوره شاهنشاهی ساسانیان. تأليف آرتور كريستن سن و ترجمه مینوی. ط طهران، کمیسیون معارف.

٦: رساله در امر ماليات از خواجه نصير الدين طوسى. مع البروفسور ولاديمير مينورسكى، نشرت فى: "BSOAS".

٧: إقبال لاهورى شاعر پارسی گوی پاکستان. ط طهران، مجله یغما.

٨: مصنفات أفضل الدين محمد مرقى كاشانى، مع الدكتور يحيى مهدوى. ط جامعه طهران.

٩: تحريمه القلم (منظومه از سنائی غزنوی) ط طهران، فرهنگ ایران زمین المجلد الخامس.

١٠: السعاده و الإسعاد: تأليف أبو الحسن العامري. تصحيح مینوی. ط ويسبادن.

١١: آزادی و آزاد فکری (مقالات). ط طهران.

The Chester Beatty Library.A Catahogue of The:١٢ Persian Manuscripts and Miniatures.
. B.Wilkinson 'Edgard Blochrt'A.J.Arberry و M.Robinson مع Dublin ١٩٥٩.٣ vols

١٣: سيرت جلال الدين مينكبرني، تصنيف شهاب الدين محمد الخرندي ط طهران.

١٤: يادنامه إيراني مينورسكي، مع إيرج أفشار. ط طهران.

١٥: مجموعه، گفتارها و نوشته های مجتبی مینوی. ج ١، ط طهران.

١٦: تنكسوق نامه يا طب أهل ختا، تأليف خواجه رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط طهران، كليه الآداب. ١٧: وقفنامه ربع رشیدی (الوقفیه الرشیدیه) مع إيرج أفشار ط طهران، أنجمن آثار ملی.

١٨: نقد حال (عمر دوباره، مجموعه گفتارها و نوشته های مینوی، ج ٣) ط طهران.

١٩: تاريخ و فرهنگ (عمر دوباره، مجموعه گفتارها و نوشته های مینوی ج ٣) ط طهران.

٢٠: أحوال و أقوال شيخ أبو الحسن خرقاني، و يليها منتخب نور العلوم، ط طهران أنجمن آثار ملی.

مقالاته

مقالاته التي نشرت في المجلات و الدوريات الإيرانية كثيرة، تبلغ أعدادها من السنة ١٣٣٥ هـ إلى ١٣٩٦ هـ، مائتين و إحدى عشره مقاله تحقيقيه علميه و في مواضيع شتى.

و مقالاته باللغات الأجنبية و أكثرها اللغة الإنكليزية كثيرة.(١)

القاضي التنوخي أبو علي المحسن بن علي بن أبي الفهم داود بن

اشاره

إبراهيم بن تميم التنوخي

(٢) أبوه القاضي أبو القاسم علي بن أبي الفهم التنوخي، ولد بانطاكية في ذي الحجه سنة ٢٨٧، و قدم إلى بغداد في حدثه في سنة ٣٠٦ هـ و تفقه بها و سمع الحديث و رواه. و هذا كل ما نعرفه عن نشاته الأولى و عن إقامته في انطاكية. ثم ولى بعد ذلك قضاء الأهواز و كورها. و قضاء واسط و أعمالها و الكوفه و سقى الفرات و ايدج و جند حمص و عده نواح من الثغور الشاميه و

أرجان و كوره سابور بصوره متفرقه أحيانا و مجتمعه أحيانا أخرى، من قبل الخليفه الطائع (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ). و بعد أن استمر في ولايته على القضاء بضع سنين صرف عنه. فذهب إلى سيف الدوله الحمداني زائرا و مادحا، فأكرمه سيف الدوله و كتب إلى الخليفه ببغداد يتوسط له في اعاده توليه القضاء، فأعيد إلى عمله، و زيد في رتبته و ذلك في سنه ٣٤٠ عند ما ولي قضاء القضاء بدلا من أبي السائب الذي لم يكن على وئام مع الخليفه المطيع. و لكن ترقيته هذه ولدت له عداوه أبي السائب و مشايغيه و سنرى ان لهذه العداوه أثرها في حياه ابنه أبي على المحسن التنوخي. ثم وردت الأخبار عنه بعد ذلك انه توفي بالبصره في ربيع الأول سنه ٣٤٢ و دفن بالمربد، مخلفا وراءه دينا مقداره خمسين ألف درهم دفعها عنه صاحبه الوزير المهلبى. و لا شك أن لنهايه أبي القاسم مدينا بهذا الشكل أثرها في عدم تيسير الحياه لابنه مما جعله كثير الشكوى من الزمان و أهله كما سنرى.

و قد اشتهر أبو القاسم التنوخي بقوه الحفظ. فقد روى عنه ابنه أبو على التنوخي انه كان يحفظ للطائنين سبع مائه قصيده و مقطوعه سوى ما يحفظ لغيرهما من المحدثين و المخضرمين و الجاهليين. و كان يحفظ من النحو و اللغه شيئا عظيما. و كذلك بالنسبه للفقه و الفرائض و المحاضر و علم الكلام و المنطق و الهندسه و علم الهيئه، و علم العروض، و الحديث حتى عد ما يحفظه منه عشرون ألف حديث. و قال ابنه بأنه ما رأى أحدا احفظ منه. و انه لو لا توزع حفظه بين جميع هذه العلوم لكان له شان عظيم.

و قد كانت له مؤلفات في علم العروض و الفقه و ديوان شعر. و لهذا عد من أعيان أهل العلم و الأدب.

ص: ١٨٧

١- الشيخ أبو ذر بيدار.

٢- من الترجمات التي توفي المؤلف قبل ان يكتبها. و هذه مكتوبه بقلم: بدرى محمد فهد.

وقد اشتهر أبو القاسم التنوخي أيضا بالظرف و حسن المنادمه و لهذا مال اليه كبار رجال العراق كالوزير المهلبى الذى كان ينادمه ليلتين فى الأسبوع مع قاضيين آخرين هما ابن قريعه و ابن معروف. و قد عدوه لطيب عشرته و كرم أخلاقه و حسن اخباره ريحانه الندماء و تاريخ الظرفاء.

أما عم أبى على التنوخي فقد كان قاضيا و من أهل الأدب أيضا، لذلك نجده يروى عنه فى كتبه.

و يبدو أن جده لأبيه كان من أهل الأدب أيضا. و كان لهذا الجد تأثير واضح فى تربيته أبية أبى القاسم و توجيهه نحو حفظ الشعر و لا سيما الأشعار التى تغنت بامجاد اليمن. و حفظ أشعار الطائيين أبى تمام و البحرى.

الا ان التنوخي لم يحدثنا شيئا عن اخوته كما حدثنا عن جده و أبيه و عمه. فالأرجح انه كان وحيدا لأبيه. أما عن عدم ذكره لأمه فإنه قد سار فى ذلك على نهج بعض من تقدمه أو عاصره من المؤرخين و الأدباء الذين لم نعرف عن أمهاتهم شيئا. علما باننا لا زلنا نجعل الكثير عن حياته هو نفسه و عن بقيه أفراد عائلته الذين لم تذكر عنهم سوى طرف من الأخبار. اما إذا عثر على أجزاء أخرى من كتاب النشوار فمن المحتمل أن نجد فيها ما يسد الثغرات التى نراها فى حياة أبى على و عائلته. لذلك لا يمكن تأييد FakkaR (فيما ذهب اليه من أن سكوت التنوخي عن أمه دليل على أنها من عائلته مجهوله و من أصل وضع).

فعائلته التنوخي التى نشأ فيها كانت عائلته فاضله اشتهر رجالها بالقضاء كما اشتهروا بالأدب و الظرف. فكان لهذه البيئه العلميه أثرها فى نشأه أبى على المحسن. و لهذا أتينا على ذكر سيره أبيه. لأننا سنجد كثيرا من أوجه الشبه بين شخصيه أبى على المحسن و أبيه من حيث نتاجه العلمى. كما سنجد تأثير أبيه من حيث اتصاله بكبار رجال الدوله العباسيه منذ صغر سنه.

مما مهد الطريق له للبروز فى المجتمع العباسى على الرغم من صغر سنه، و ما ترتب على تقربه من كبار رجال الدوله من مطارده و تشرد نتيجته لتنجيه هؤلاء عن مناصبهم.

و قد خلف أبو على التنوخي ابنا فاضلا هو أبو القاسم على بن المحسن التنوخي (٣٦٥ - ٤٤٧) و كان أدبيا شاعرا. و قد تقلد القضاء فى عده نواح. و روى الحديث عن أبيه. و بعض أخباره.

المرحلة الأولى من حياته

ولد بالبصره ليله الأحد فى ٢٦ ربيع الأول سنه ٣٢٧ و نشأ بها و بمنطقه الأهواز، التى كان أبوه قاضيا فيها. و لم يغادرها قبل العشرين من عمره.

و أما بقيه حياته فالمعلومات عنها نادره جدا. فلدينا إشارات عابره خلال كتبه حاولنا جمعها و ترتيبها حسب السنين كى نتبين منها ملامح حياته منها انه كان على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز سنه ٣٤٦. و انه سمع بمجىء الوزير المهلبى صديق والده إلى البصره فخفف لمقابلته و السلام عليه و كان ذلك فى سنه ٣٤٩ و ان الوزير ساله عن عمله فأخبره بأنه يشهد عند قاضى الأهواز ابن سيار، و كان عمره إذ ذاك عشرين سنه. فلم يرض له الوزير هذا العمل على اعتبار أن أباه أبا القاسم التنوخي كان أستاذ قاضى الأهواز ابن سيار لذا دعاه للمجىء إلى بغداد، ليقلده القضاء، و من ثم ليصبح هو الذى يقبل الشهود لا العكس و

هكذا حضر التنوخي إلى بغداد، فأمر الوزير المهلبى قاضى القضاء - و كان آنذاك أبو السائب - بتقليده القضاء فقلده سقى الفرات. و قد حددها ابن الجوزى بسورا و قصر ابن هبيرة.

و من الجدير بالملاحظه أن أبا السائب هذا كان قد صرف عن قضاء القضاء عند ما ولى مكانه والد التنوخي أبو القاسم و ذلك فى سنة ٣٤٠ كما مر الكلام سابقا. لذلك كان يضمم العداوه لمنافسه أبى القاسم. و قد تنبه الوزير المهلبى لهذا الأمر، فعمد إلى حيله يحمى بها أبا على التنوخي من انتقام أبى السائب، و ذلك انه اتفق مع التنوخي بعد توليته القضاء، أن يجلسه بقربه فى مجلسه العام، ثم يأمره بالخروج عند دخول قاضى القضاء ليتوهم الأخير بان التنوخي أرسل فى أمر هام من أمور الدوله و أن الوزير يعتمد عليه اعتمادا كبيرا و بذلك لا يفكر فى إيذائه أو الانتقام منه.

و كان التنوخي ببغداد فى سنة ٣٥٠هـ، و فى سنة ٣٥١هـ. و يبدو أن وجوده ببغداد فى هذه السنين يعود لقرب مقر عمله منها فكان يأتيها لقضاء حوائجه الخاصه أو لأمر رسميه تقتضى ذلك.

ثم قلد قضاء عسكر مكرم، قرب الأهواز، الا اننا لا نعرف متى كان ذلك بالضبط، و لكننا نجده بالأهواز سنة ٣٥٤ عند ما أخبرنا بأنه التقى بها بالشاعر المتنبي. و انه استمر متقلدا القضاء بها إلى سنة ٣٥٥.

ثم انقطعت اخباره ما بين - ٣٦٠هـ، حيث ظهر ببغداد بعد غياب طويل عنها كما قال هو نفسه. و لا نعرف ان كان مستمرا فى عمله طوال تلك الفتره أم انه عزل عن القضاء. و الأرجح انه كان مستمرا فى عمله حتى سنة ٣٥٩ عند ما تبدلت الوزاره و جىء بأبى الفرج محمد بن العباس بن فسابخس وزيرا بدلا من أبى الفضل العباس بن الحسن الشيرازى. و قد استمر أبو الفرج فى وزارته ثلاثه عشر شهرا و ثلاثه أيام. ثم أعيد أبو الفضل إلى الوزاره ثانيه و ذلك فى سنة ٣٦٠ و لعل هذا هو الذى يبرر وجود التنوخي ببغداد فى هذه السنه. و ظهوره كأحد المهنيين فى دار هذا الوزير.

ثم قلد قضاء واسط سنة ٣٦٣هـ. و يبدو انه استمر بواسط حتى سنة ٣٦٥ كما جاء باحدى حكايات الشوارب. و مما يجلب الانتباه ان ابنه على الملقب بأبى القاسم ولد بالبصره فى هذه السنه نفسها كما أكدته المصادر. لذلك لا يمكننا أن نبت بشىء فى هذا الأمر.

أما فى سنة ٣٦٦ فقد ذكر انه سمع فيها شعرا من أبى سعيد مساعد بن الجهم الشيبانى، الا انه لم يذكر اين كان ذلك.

المرحلة الثانيه من عمره

و يبدو انه بعد هذا التاريخ تولى الكتابه على الحكم و الوقف ببغداد لقاضى القضاء أبى العباس بن أبى الشوارب إضافه إلى ما كان يخلفه عليه بتكرير، و داقوقا، و خانيجار، و قصر ابن هبيرة، و الجامعين، و سورا، و بابل، و الايغارين، و خطرنيه.

و بمجىء التنوخي إلى بغداد بدأ حياه جديده، حيث أصبح قريبا من رجال الحكم، فقد اهتم به الوزير نفسه رعايه لحق أبيه. فأصبح من جلاسه و المقربين اليه. و لهذا نرى التنوخي كثير الترحم عليه كلما جاء ذكره فى كتابه. و لما آل الأمر فى سنة ٣٦٧ إلى عضد الدوله فى عهد الخليفه الطائع لله، اتصل به التنوخي و أصبح من جلاسه و ندمائه. فكان يأخذه معه فى تجواله فى

المناطق البويهيه. فيقيه معه عده شهور، يستمتع بمنادمته و سماع شعره عند انعقاد مجالس الأانس، كما حدث عند ما أخذه معه إلى نهاوند و إلى همذان. وقد وصف لنا التنوخي هذه المجالس و كيفية انعقادها و كيف انه كان يجلس مع نفر قليل قريبا من عضد الدوله فى الوقت الذى يقف فيه بقيه الندماء كرؤساء الدوله و وجوه الكتاب و الولاه و كبار أهل البلد من الاشراف و غيرهم. و عند ما يبدأ الشعراء بإنشاده أشعارهم يتقدمهم التنوخي فيكون أول منشد من الشعراء ثم يتلوه بعد ذلك بقيه الشعراء.

ثم اصطحبه عضد الدوله معه فى حملته التأديبيه للحمدانيين فى

الموصل، و التي استمرت من سنة ٣٦٧ إلى ذى الحجة سنة ٣٦٨ عند ما رجع عضد الدولة إلى بغداد.

ثم زادت منزلته ارتفاعا لدى رؤساء الدولة فنراه يتولى عقد قران الخليفة الطائع لله على بنت عضد الدولة، و ذلك فى سنة ٣٧٠.

لقد كان لهذا الزواج أهميه كبيره بنظر عضد الدولة، فهو يزيد فى سطوته و يجعل حكمه أكثر رسوخا باقتران الخليفة الطائع من ابنته. كما انه كان يؤمل أن تضع ابنته مولودا ذكرا فيعهد اليه بالخلافه و بذلك تتحول السلطه إلى البويهيين.

و نجاح التنوخى فى مسعاه من تزويج الخليفه بابنه عضد الدولة زاده اقترابا من الخليفه أولا و من عضد الدولة ثانيا، و من ثم بروزه فى المجتمع العباسى لا بل بروزه بين أقرانه من الخاصه أنفسهم مما أثار حسدهم إضافة إلى حسد أعدائه و جعلهم جميعا يترصدون حركاته للإيقاع به عند أول بادره.

المرحلة الثالثة من حياته

ثم دخلت حياته مرحله جديده ابتداء من سنة ٣٧١ و ذلك انه ذهب مع عضد الدولة مره ثانيه إلى همدان، و كان فى نيه عضد الدولة أن يقضى الشتاء هناك بغيه القبض على أبى القاسم الصاحب بن عباد، فلما سمع التنوخى بذلك لم يكتف الأمر و تحدث به، و لم يمهل خصومه بل أسرعوا فى نقل حديثه إلى عضد الدولة على اعتبار ان اشاعه الخبر إنذار لابن عباد، و من ثم إفساد لخطه عضد الدولة. فدعاه عضد الدولة و بعض من كان قد حدثهم و سالهم عن الأمر فأنكروا، لكن عضد الدولة حقد عليه فأرسل اليه من يقرعه بقوله "ألم تكن صغيرا فكبرناك و متأخرا فقد مناك و خاملا فنبهنا عليك، و مقترا فأحسننا إليك فما بالك جحدت نعمتنا و سعيت فى الفساد على دولتنا". و لما رجعوا إلى بغداد رآه عضد الدولة على بغله و عليه ثياب جميله فسأله عنها فأجابته بان الصاحب بن عباد أرسلها اليه مع عشرين ثوبا و سبعة آلاف درهم. فلم يتمالك أن عرض به قائلا "هذا قليل مما تستحقه" مشيرا إلى فضحه أمر القبض على ابن عباد.

ثم شاءت الظروف أن يجافى الخليفه ابنه عضد الدولة، فيرسل الأخير إلى التنوخى يوسطه فى الأمر، الا أن التنوخى تمارض و لم يذهب فلما علم به عضد الدولة عاقبه بلزوم داره و عدم مبارحتها و عدم السماح له باستقبال الضيوف الا القليل. ثم أرسل اليه رجلا يطالبه بعشره آلاف درهم كان قد استلفها من اقطاعه. و استمر عضد الدولة يلاحقه الا [إلى] أن توفى سنة ٣٧٣.

و يبدو ان التنوخى هرب من بغداد إلى البطيحه نتيجة لهذه الملاحقه و انه اكتفى بالتلميح دون التصريح عند قوله بان نكبه لحقته فالتجا عند أمير البطيحه ابن شاهين. و استمر متخفيا فيها مده أربعة أشهر، حتى توفى عضد الدولة. ففرح الله عنه كما يقول.

و عاد التنوخى إلى بغداد بعد وفاه عضد الدولة مباشره سنة ٣٧٣ و سكن فى شارع دار الرقيق. ليقضى فيها بقيه حياته، بعيدا عن الترف و النعيم، بعيدا عن الجاه و السلطان. و قد لاقى فى هذه الفتره عسرا شديدا، فلم يكن له مال يعول عليه إذ مات أبوه مدينا كما رأينا و لم يخلف له شيئا، و لعله فى هذه الفتره من حياته بدأ بالتحديث و تأليف كتابيه "المستجد" و "الفرج" و إكمال كتابه "النشوار" الذى بدأه سنة ٣٦٠ كما سنرى.

و ركن إلى الاستقرار بعد حياه مليئه بالحركه و التنقل مما لم تتح له فيها الكتابه، و من جهه أخرى فان انصرافه إلى التحديث و

التأليف كان أمرا لا بد منه لكى يدبر أمر معاشه. و إلى هذه الفترة من حياته تعود شكواه من زمانه و حكام زمانه التى بثها فى كتبه، واصفا إياهم بالجهل عن تثمين النتائج الجيد و بالبخل الذى جعلهم يسمونه (احتياطا) و (إصلاحا)، و مقارنة الماضى التليد بهذا الحاضر الذى فقدت فيه المكارم، و كثرت المحن و المغارم.

و إلى هذه الفترة من حياته أيضا يعود تذكره للمحن التى لحقتة و التى كتب الله له النجاه منها، فدونها فى كتبه عبره للناس و موعظه.

و أخيرا انتهت حياته ببغداد فى يوم الاثنين فى الخامس و العشرين من محرم سنة ٣٨٤ عن عمر يناهز السادسة و الخمسين.

شيوخه

كانت عائلة التنوخى، عائلة علم و أدب، فأثرت فى نشاته و توجيهه فكان أبوه أول مؤدب له. لهذا رأينا يروى عنه فى كتبه كما فى الفرج بعد الشده.

و فى النشوار. و أول خبر وردنا عن تليفه [تلقيه] الدروس كان فى سنة ٣٣٣ و كانت تلك الدروس هى الحديث. حيث كان عمره إذ ذاك ست سنوات و لا نعلم ان كانت هذه الدروس قد تلقاها عن أبيه، أم انه تلقاها عن غيره.

و لم تردنا معلومات عن معلميه و مؤديه الأوائل فى الكتب التى تعرضت لذكر ترجمته، الا انه ذكر بعضهم عرضا و باقتضاب شديد كقوله عن معلم له سماه أبا جعفر انه كان يعلمه و بعض الصبيان فى الكتاب الشعر. ثم ذكر فى موضع آخر أحد مؤديه ناقلا عنه روايه فى كتاب النشوار بقوله "حدثنى محمد ابن الفضل بن حميد الصيمرى مؤدى قال "لذلك لا نعرف مده تلقية الدروس على هؤلاء المعلمين و المؤدين، و لا طريقه التدريس و لا ماده الدرس نفسها باستثناء ما جاء عن تعلمه الشعر.

أما شيوخه الذين سمع منهم فقد اختلفوا حسب الأماكن التى عاش فيها. فقد ذكر الخطيب البغدادي انه سمع بالبصره من:

١ - واهب بن يحيى المازنى.

٢ - الحسن بن محمد بن عثمان النسوى.

و لم نستطع العثور على ترجمتهما فيما تيسر لنا من المصادر.

٣ - أبى العباس الأثرم: و هو محمد بن أحمد بن أحمد بن حماد بن إبراهيم بن تغلب بن الشد الأثرم من أهل البصره و من ساكنيها. ولد بسّر من رأى سنة ٢٤٠ و توفى سنة ٣٣٦ و قد أثنى عليه فقيل "الأثرم الخياط المقرئ شيخ ثقة فاضل". و قد روى التنوخى عنه حديثا فى كتاب الفرج.

٤ - محمد بن يحيى الصولى: هو محمد بن يحيى بن العباس الصولى من الأدباء الظرفاء و الجماعين للكتب، نادم من الخلفاء الراضى و المكتفى و المقتدر. و عاش إلى سنة ٣٣٠ ثم توفى مستترا بالبصره، لأنه كما قيل روى خبرا فى على بن طالب فطلبه الخاصه و العامه لقتله. و كان له عده كتب، و قد ذكر لنا التنوخى انه حضر بعض مجالس الصولى فسمع بعض كتبه تتلى عليه

مثل كتاب الوزراء، الذي روى عنه التنوخي ما كان سمعه في كتاب الفرّج.

وقد روى التنوخي عن الصولي في كتاب (المستجد) روايتين عن خالد ابن يزيد الكاتب. و روى عنه في كتاب (الفرّج) عدة روايات بعضها نقلها من كتبه، و قد أجازة عليها. و بعضها الآخر أخذها مشافهه أو سماعا في أثناء حضوره مجالسه.

٥ - أبو بكر بن داسه: و هو أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسه التمار الداسي البصري. و كان شيخا ثقة روى عن أبي داود السجستاني أكثر كتاب السنن، أما الباقي منه فقد رواه عنه إجازة أو

ص: ١٨٩

وجاده (١) كما أنه روى عن غيره. توفي نحو سنة ٦٣٢٠ - أحمد بن عبيد الصفار: وهو أحمد بن عبيد بن إسماعيل، أبو الحسن الصفار سمع من كثيرين وقد روى عنه الدارقطني. وكان ثقة ثبتا صنّف المسند و جوده. وقد سكن البصره فى أخريات أيامه.

و إلى جانب من تقدم ذكرهم ممن أخذ عنهم التنوخى بالبصره، قال الخطيب البغدادي "و طبقتهم" مشيرا بذلك إلى وجود شيوخ آخرين أخذ عنهم بالبصره الا أنه لم يشأ أن يذكرهم. و من هؤلاء:

٧ - محمد بن الحسن بن جمهور الكاتب: حيث ذكره التنوخى نفسه واصفا إياه بأنه من شيوخ أهل الأدب بالبصره و انه كان شاعرا جيد الخط.

و كان ملازما لأبيه أبى القاسم التنوخى. و من هنا استطاع التنوخى التعرف عليه و ملازمته مده طويله. و من ثم روايه بعض أشعاره.

أما الذين سمع منهم التنوخى ببغداد فقد وردنا منهم أبو الفرج الأصفهاني.

و قد روى عنه التنوخى فى كتاب (النشوار) و (الفرج) و كتاب (المستجد) و قد اختلفت طريقه أخذه عنه فى هذه الكتب الثلاثه، فهو فى النشوار قد أخذ عنه مباشره باستعماله كلمه (حدثنا) و عن طريق كتبه إجازته أو قراءه عليه باستعماله كلمه (أخبرنا). و فى الفرج استعمل الروايه الشفويه حيث قال "حدثنا الأصفهاني إملاء من حفظه و أنا أسمع". أو كقوله "حدثنا الأصفهاني إملاء من حفظه". و استعمل كلمه (أخبرنا) فى حالات اخرى، و من الجائز أن تكون هذه قراءه على الأصفهاني أو إجازته عنه. و قد أشار إلى ذلك صراحه بقوله "أخبرني أبو الفرج الاصفهاني إجازته".

و استعمل كذلك تعبير "قال الاصفهاني" و أغلب الظن انها تدل على أخذه من كتبه. و قد صرح بذلك بقوله "وجدت فى كتاب الأغاني الكبير لأبى الفرج". أما فى المستجد فإنه روى عنه عدده روايات أيضا و أغلب الظن انه أخذها من كتبه و لم يأخذها مشافهه أو قراءه عليه.

و كان التنوخى على اتصال دائم بمجالس أبى الفرج الأصفهاني، فكان يحضرها. و قد أجاز الأصفهاني للتنوخى روايه كتاب الأغاني فيما أجاز له روايته من كتبه.

٤ - آثاره:

(أ) كتبه: لقد مرت الإشاره إلى كتب التنوخى فى مواضع عدده و لكننا سندكرها هنا بشيء من التفصيل، و هى:

(١) كتاب المستجد من فعلات الأجواد: و هذا الكتاب أصغر كتبه - عدا ديوان شعره الذى لا نعرف حجمه - جمع فيه أخبارا عن الكرماء منذ الجاهليه حتى عصره الذى يعيش فيه. و قد طبع. و ذكر بروكلمان أن الكتاب سبق أن نشره ياولى فى شتوتجارت فى سنة ١٩٣٩ م بالزنگراف. ثم ذكر المخطوطات الموجوده لهذا الكتاب و أماكنها. و أضاف بان هناك مخطوطات تقدم صوراً مختلفه من محاكاة الكتاب و تقليده.

(٢) كتاب الفرج بعد الشده: و هذا الكتاب وسط بين كتاب النشوار و كتاب المستجاد، من حيث حجمه، و قد نشر أكثر من مره.

لم يكن التنوخي المبتكر الأول لهذا النوع من التأليف بل سبقه اليه جماعه، وصلت كتبهم اليه و قد ذكرها في مقدمه هذا الكتاب و بين فضل بعضها على البعض الآخر. ثم ذكر منهجه و ما سياتى به من جديد. و لقد ذكر بروكلمان معلومات طيبه عن المخطوطات الموجوده لهذا الكتاب و المؤلفين الذين اختصروه أو هذبوه أو ترجموه أو قلدوه في منحاہ في الآداب الفارسيه و التركيه، و العبريه كما أضاف باريه. و أخيرا وضع عنه Fakkar دراسه بالفرنسيه قدمها إلى المعهد الفرنسي للآثار بالقاهره لنيل شهاده الدراسات العليا.

(٣) كتاب نشوار المحاضرہ و أخبار المذاكره أو جامع التواريخ:

و سيرد الكلام على هذا الكتاب مفصلا.

و كانت كتب التنوخي مصدرا مهما - و بصوره خاصه كتاب النشوار - لكتب التاريخ بما فيها التاريخ العام و كتب الطبقات و التراجم و تاريخ الأدب و الجغرافيه. و تبرز أهميتها في كونها كتبت عن معاصري التنوخي من أصدقائه و خلطائه على اختلاف مراكزهم السياسيه و الاجتماعيه و الثقافيه.

و غيرهم من الناس الذين شاهدتهم أو احتك بهم خلال حضوره مجالس الوزراء و القضاء أو خلال توليه القضاء أو اعتكافه محدثا بعد صرفه عنه.

و لقد برزت أهميه (النشوار) أكثر من غيره في كثره النقول عنه لدى المؤرخين و الأدباء. و ذلك لأن التنوخي في (النشوار) كان أقل اعتمادا على الكتب من كتابيه الآخرين. و لهذا انفرد بمعلومات قيمه عن عصره بصوره خاصه و العصور التي سبقته بصوره عامه.

شعره

لقد عرفنا من خلال الكلام على حياته انه كان شاعرا. و كان له ديوان كتبه في حياته. و قد رأى أبو نصر سهل بن المرزباني هذا الديوان ببغداد و قال عنه بأنه أكبر حجما من ديوان أبيه. و أورد بعض ما علق بحفظه منه.

و قد أورد التنوخي ست قطع من شعره ما بين البيتين و الثلاثه عشر في كتابه الفرج بعد الشده. و أورد ابن خلكان القطع التي جاء بها الثعالبي عن ابن المرزبان و من خلال القطع الوارده في شعره يمكن أن يقال بان شعره يمثل حياته في طوريتها، طور الشده و المحن التي لحقت، و تمثله القطع الوارده في الفرج حيث تدور معانيها حول الصبر و عزه النفس و الثبات أمام الشدائد، و الأمل بتغيير الأحوال السيئه إلى أحسن منها. و طور الرفاه و العيش الرغيد و تمثله القطع الأخرى و فيها نرى التنوخي يطرق فنون الشعر المعروفه.

الأقا محسن بن عبد الكريم بن محمد بن محسن المرشد التنكابني

ولد حدود ١٢٠٥ و توفي حدود ١٢٧٥.

كان من العلماء المشاهير المدرسين في تنكابن درس في طهران و أصفهان و كان أحد تلامذه الشيخ محمد تقى صاحب الحاشيه و يصرح بذلك في أحد مؤلفاته. و له مؤلفات في الفقه و الأصول غير مرتبه رأيتها في تنكابن. (٢).

الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزي الحائري المعروف بأبي

الحب.

ولد في كربلاء سنة ١٢٣٥ و توفي في ٢٠ ذى القعدة الحرام سنة ١٣٠٥.

مرت ترجمته في المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما يلي:

من فحول الشعراء في عصره و خطيب العراق في أواخر القرن الثالث عشر و مطلع القرن الرابع عشر، أخذ المقدمات و فنون الأدب على جملة من فضلاء كربلاء و تخرج في الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على السيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط المتوفى سنة ١٢٤٢ و الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ و أولع بالأدب و الخطابه و الشعر

ص: ١٩٠

١- الإجازة عند المحدثين هي الاذن في الرواية لفظاً أو كتابه. و الوجداه هي أخذ الحديث من كتاب من غير سماع و لا إجازة و لا مناولة.

٢- الشيخ محمد السماي.

فأخذها بجد و إتقان حتى نبغ بها و له قراءات مشهوره فى ذكر استشهاد سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع و كان الناس يقصدونه من كل فج للاستماع اليه و له قصائد فى رثاء الحسين ع ذاع صيتها فى الآفاق و عمت شهرتها فى المحافل الحسينيه منها حسنيته الشهيره و هى بلسان حال سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع.

ان كنت مشفقہ على دعيني ما زال لومك فى الهوى يغرينى

أعطيت ربي موثقا لا ينتهى إلا بقتلى فاصعدى و ذرينى

إن كان دين محمد لم يستقم الا بقتلى يا سيوف يا سيوف خذينى

(1) هذا دمی فلترو صادیه الطبا منه و هذا للرماح وتينى

خذها إليك هديه ترضى بها يا رب أنت وليها من دونى

أنفقت نفسى فى رضاك و لا ارانى فاعلا شيئا و أنت معينى

ما كان قربان الخليل نظير ما قربته كلا و لا ذى النون

هذى رجالى فى رضاك ذبائح ما بين منحور و بين طعين

رأسى و أروى اسرتى مع نسوتى تهدى لرجس فى الضلال ميين

و إليك أشكو خالقي من عصبه جهلوا مقامى بعد ما عرفونى

و له قصيده نظمها بطلب من استاذہ الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى و ذلك حين تم إنجاز بناء ايوان رأس الحسين ع فى الجانب الغربى من الصحن الحسينى المطهر و هو من مشاريع استاذہ البرغانى، و قد نقشت القصيده بالقاشانى البديع الصنع، و منها:

الله أكبر ما ذا الحادث الجلل لقد تزلزل سهل الأرض و الجبل

ما هذه الزفريات الصاعدات أسى كأنها شعل ترمى بها شعل

كان نفخه صور الحشر قد فجئت فالناس سكرى و لا خمر و لا ثمل

قامت قيامه أهل البيت و انكسرت سفن النجاه و فيها العلم و العمل

جل الإله فليس الحزن مانعه لكن قلبا حواه حزنه جلل

قف عنده و اعتبر ما فيه إن به دين الإله الذى جاءت به الرسل

لو راقبوا الله كانوا عهدده حفظوا و لو أطاعوه كانوا امره امتثلوا

و الله ما خلفوه بعد غيبته فى قطع من قطعوا أو وصل من وصلوا

سرعان ما ضيعوه فى ودائعه أ هكذا فى بنيه يخلف الرجل

أ تلك زينب مسلوب مقلدها الله أكبر هذا الفادح الجبل

لئن بدت و حجاب الصون منتهك عنها فان حجاب الله منسدل

لا برد الله قلبى إن نسيت لها قلبا تعارض فيه الوجد و الوجل

لو قام يصرخ بالبطحاء صارخها رأيت كيف اعوجاج المجد يعتدل

و من آثار المترجم له ديوان مخطوط باسم الحائريات توجد نسخه الأصل بخطه فى خزانه كتبه بكرىلاء عند حفيده الدكتور ضياء بن الشيخ محسن الصغير.

الشيخ ملا محسن القزوينى الأصل البروجردى المولد و المسكن

ولد فى بروجرد سنه ١٢٣٠ و توفى ليله عاشورا سنه ١٣٠٣.

أخذ المقدمات على والده و جماعه من فضلاء بروجرد ثم التحق بحوزه درس السيد جعفر الدارابى البروجردى الكشفى المتوفى سنه ١٢٤٧ و السيد حسين صاحب نخبه المقال و المولى أسد الله و السيد شفيح الجابلقى و غيرهم و تصدر كرسى الفتوى و التدريس فى بروجرد و كان من أكابر علمائها البارزين و ذكره الميرزا حسن خان اعتماد السلطنه ضمن العلماء و المجتهدين الأكابر فى عصر ناصر الدين شاه القاجارى (٢) و المترجم له من أحفاد المولى الشيخ رفيع الدين محمد بن المولى الشيخ فتح الله القزوينى الواعظ المتوفى سنه ١٠٨٩ صاحب كتاب أبواب الجنان.

و قد ترك المترجم له مؤلفات ذكر شيخنا الأستاذ بعضها فى مجلدات الذريعه إلى تصانيف الشيعه (٣) و من مؤلفاته: ١ - كتاب مشكاه الأنوار.

٢ - كتاب مجمع المطالب و منتهى المآرب تفسير للقرآن الكريم شرح بتأليفه فى رمضان سنه ١٢٧٠ و يقول فيه شرح بتأليفه و هو ابن أربعين سنه و استخرجنا منه عام ولادته قال أيضا: خوفا من عوائق الدهر أفرد تفسير الفاتحه و التوحيد عازما على تفسير باقى السور و فى آخر تفسير التوحيد بمناسبه ذكر صفات الله تعالى، ذكر سبع عشره عقيدة من عقائد الشيخيه فى صفات الله و المعراج

و المعاد الجسمانيين و ردها جميعا..

٣ - كتاب الإفاضات الرضويه أو (فيض الرضاع) رد في فصل منه على الشيخيه في المعاد و المعراج. (٤).

الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن الكبير بن

اشاره

الشيخ محمد الحوزى الحائرى آل أبى الحب.

ولد فى كربلاء سنه ١٢٠٥ [١٣٠٥] و توفى بها فجاء صباح اليوم الخامس من شهر ربيع الثانى سنه ١٣٦٨ و دفن فى مقبره خاصه له فى روضه أبى الفضل العباس ع من جهه الغرب.

آل أبى الحب من الأسر العلميه و الأدبيه الشهيره فى كربلاء هاجر جدهم

ص: ١٩١

١- يظن الكثيرون ان هذا البيت هو من نظم سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع و انه ارتجله يوم عاشوراء و هذا ليس بالصحيح و هو للمترجم.

٢- ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه ص ١٦٠ الطبعه الحجريه الأولى سنه ١٣٠٦ هجريه طهران.

٣- انظر الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ٢ ص ٢٥٥ و ج ٢٠ ص ٤٤ و ج ٢١ ص ٥٦ دار الاضواء بيروت.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الشيخ محمد الحوزى المعروف بأبى الحب من قرية الحوزه الإيرانيه جنوب البصره فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى و سكن كربلاء بقصد طلب العلم ثم نبغ من الأسره شعراء و خطباء أشهرهم شاعر أهل البيت ع الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزى الحائرى آل أبى الحب صاحب القصائد الحسينيه المعروفه و منهم المترجم له الذى كان كبير خطباء كربلاء فى عصره قرأ المقدمات على أفاضل كربلاء و أخذ الفقه و الأصول و الأدب على أبيه ثم اولع بالخطابه و الأدب و الشعر و نال شهره واسعاً فى العراق و احتضنته كربلاء و اعتبرته خطيبها الأول

شعره

من قصيدته فى رثاء سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين (ع):

سبط النبى أبو الأئمه من للخلائق جاء رحمه

هذا سليل محمد لبنى الولا كهف و عصمه

فى شهر شعبان علينا الخير خالقنا أتمه

ولد الحسين و نوره مذ شع اذهب كل ظلمه

جبريل هنا جده و أباه و الزهراء أمه

كان النبى إذا رآه اليه أدناه و ضمه

و له أجل مناقب و فضائل فى الدهر جمه

كم قد أفاض على الورى من جوده فضلا و نعمه

قد شع نور جبينه فجلى الليالى المدلهمه

رام العدى إطفاءه و الله شاء بان يتمه

بشراكم بولاده السبط الحسين أبى الأئمه

لهفى عليه لقد غدا جثمانه للبيض طعمه

ما راقبوا لمحمد فى آله إلا و ذمه

و له ديوان مطبوع فى النجف. (١)

الآغا الميرزا محسن المجتهد التبريزى:

ولد سنة ١٢٦٧ في تبريز و توفي فيها سنة ١٣٥٢ و هو أخو الآغا ميرزا صادق التبريزي هاجر مع أخيه إلى النجف و بعد تسع سنين عاد هو إلى تبريز و مكث أخوه الآغا صادق فيها.

كان المترجم من أكابر فقهاء عصره و مرجعا في حل معضلات الناس و بيته كان كدار القضاء يحكم فيه بين الناس و يقطع دابر الخلافات و الخصومات و قضى أربعين سنة من عمره في هذه الخدمة الشعبية الاجتماعية.

و للمترجم له آثار قيمة منها: تبين المحججه إلى تعيين الحججه و ايمان أبي طالب.(٢).

محيى الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي طريف محمد بن علي

يعرف بابن المنكر العلوى الحسينى الزيدى النقيب بمشهد موسى ع.

هكذا ترجمه ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٣٩٩/٥ رقم ٨٢٣ و قال:

ولى النقباه بمشهد الامام موسى بن جعفر (ع) و كان من أصحاب النقيب الطاهر رضى الدين أبى القاسم على بن على بن طوس الحسنى و هو من أولاد السادات النقباء و له نفس شريفه و لذلك علته الديون فى قضاء الحقوق "

محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازى

اشاره

المعروف بملا صدرا ترجمته مرت فى المجلد التاسع و نشر هنا عنه بحثين أحدهما مترجم عن الفارسىه للسيد محمد حسين الطباطبائى، و الثانى مترجم عن الفرنسىه للمستشرق الفرنسى (كوربان) المتخصص بالفلسفه الإسلاميه و الفكر الإسلامى، لا سيما منه الفكر الشيعى. و هو محاضره كان ألقاها فى كليه آداب جامعه طهران:

مجمل تاريخ حياته

يعرف صدر الدين الشيرازى فى أوساط العامه ب "ملا صدرا"، كما يعرف فى أوساط أهل العلم و تلاميذ مدرسته ب "صدر المتألهين"، ينحدر صدر الدين من أسره "قوام الشيرازى" الشهيره. و هو الابن الوحيد لأبيه "ميرزا إبراهيم الشيرازى". و قد كان إبراهيم الشيرازى أحد شخصيات شيراز البارزه، و قيل انه احتل مركز الوزاره أيضا لدى سلطان زمانه.

ولد صدر المتألهين فى حدود عام ٩٧٩ هـ بمدينه شيراز، و أخذ منذ حداثته بتحصيل مبادئ العلم عند أبيه. و بعد وفاه والده عزم على الرحيل إلى أصفهان حيث كانت آنذاك عاصمه الحكم الصفوى و مركزا علميا زاهرا، فعكف على تحصيل العلوم العقلية و النقلية هناك.

لقد تتلمذ صدر الدين و أكمل دراسته فى ميدان الفلسفه و المنطق "العلوم العقلية" على يد فيلسوف عصره السيد محمد باقر

المعروف بـ "مير داماد" المتوفى سنة ١٠٤٠ هجرية. كما تتلمذ في ميدان الفقه والحديث "العلوم النقلية" على يد الشيخ بهاء الدين محمد العاملي و المتوفى سنة ١٠٣١ هجرية، وقد كان الشيخ البهائي أحد نوابغ عصره.

انهى صدر الدين إقامته في أصفهان بانتهاء تحصيله العلمي، و توجه صوب مدينة قم، فعكف في إحدى ضواحي هذه المدينة منقطعا عن الحياه العامه، و كانت هذه الضاحيه قريه تدعى بـ "كهك". و قد أمضى صدر الدين سنين من عمره، و هو موصلد لباب العلاقات الاجتماعيه، ماكتا في عزله تربويه لتهذيب السلوك و تصفيه الذات، و قد استطاع عبر سنين من المعاناه الداخليه ان يستشرف حقائق العلم التي انتهى إليها خلال الاستدلال و الجهد الفكرى، و لكن عن طريق المكاشفه و الشهود هذه المره، و بشكل واضح و ضوح النور. (كما يشار لذلك في ديواجه كتابه العملاق "الاسفار").

و بعد مده من زمن المعاناه التي حصل بفعالها على ثمار و نتائج رياضته الروحيه، عكف صدر الدين على وضع أسس بحوثه و مدرسته، و أخذ بزمام القلم ليديج ببراءه ما ديج. و قد مضى صدر الدين على هذا المنوال حتى نهايه حياته مؤلفا معلما و مرييا.

كان صدر المتألهين تقيا ورعا عابدا، و قد اختلف على زياره العتبات المقدسه في العديد من المناسبات. و كانت له سبع رحلات لحج بيت الله الحرام سيرا على الأقدام، و قد كانت الرحله السابعه موافقه لعام ١٠٥٠ هجرية حيث وافته المنيه في طريق السفر و كانت محطه وفاته مدينه البصره حيث دفن هناك.

مراحل حياه صدر المتألهين

في ضوء استيحاء فقره السابقه تضحى حياه صدر المتألهين العلميه مصنفه إلى ثلاث مراحل محدده:

١ - مرحله الدراسه و التحصيل، و قد كان صدر المتألهين متابعا مخلصا - خلال هذه المرحله - لطريقه التفكير العقلي، جاهدا في سبيل تتبع و استجلاء آراء و أفكار الفلاسفه، و المفكرين من المعاصرين و السالفين له.

ص: ١٩٢

١- الصالحى.

٢- السيد إبراهيم العلوى.

٢ - مرحلة الرياضه الروحيه و التربيه الذاتيه، حيث عكف فى هذه المرحله على العباده و الزهد بمتاع الدنيا فى أفق، و اهتم بالكشف و الشهود فى أفق آخر.

٣ - مرحله التأليف و التعليم و الاعداد، حيث كانت هذه المرحله بمثابة نتاج مرحلتيه السابقتين.

مصادر الإلهام فى فكر صدر المتألهين

فى ضوء المستوحى من كلمات صدر المتألهين (١)، انتهى صدر الدين فى أواخر المرحله الأولى من حياته إلى ان سبيل الوصول إلى حقائق العلم و خصوصا - فى الفلسفه الالهيه - لا ينبغى حصره بنهج المشاء الذى يتسم بطابع محدد جاف. بل كما ينتج الإدراك الإنسانى - الذى يغطى الأفكار الفلسفيه العامه و يشكل منطلقا لها - فكرا و رؤى عن طريق القياس المنطقى ينتج كذلك نماذج أخرى عن طريق الكشف و الشهود و الوحي.

و كما نضع اليد من بين الأفكار القياسيه على أمور لا يتطرق الشك لصدقها و واقعيتها، نلمس هذه الخصوصيه أيضا فى مجال الكشف و الشهود.

و بعباره اخرى، بعد أن اتضحت على أساس البرهان العلمى واقعيه الرؤيه الإنسانيه، و ثبت بالدليل ان الإدراك البشرى اليقينى يحكى و يتطابق مع الواقع الخارجى، فلا يبقى هناك فرق بين البرهان اليقينى، و الكشف القطعى، و تضحى الحقائق التى يحصل عليها الإنسان عن طريق المشاهده و الكشف القطعى، و الحقائق التى يرقى الإنسان لإدراكها عن طريق التفكير القياسى سيات.

كذلك بعد أن دعم البرهان القطعى صحه و واقعيه الوحي، لا يبقى هناك فرق بين مفردات الفكر الدينى التى تتناول المبدأ و المعاد و بين مدلولات البرهان و الكشف.

فى ضوء هذه الرؤيه و النقله أقام صدر المتألهين وجهه بحوثه العلميه و الفلسفيه على أساس التوفيق بين العقل و الكشف و الشرع، و استلهم مقدمات البرهان، و مفاهيم الكشف، و مفردات الدين القطعيه فى سبيل الوصول إلى حقائق الإلهيات. و رغم أن جذور هذه الرؤيه كانت واضحه فى طيات ما كتبه المعلم الثانى أبو نصر الفارابى، و ابن سينا، و شيخ الإشراق، و شمس الدين تركه، و الخواجه نصير الدين الطوسى، الا ان التوفيق حالف صدر المتألهين لتجسيد هذه الرؤيه فى صورتها المتكامله.

منهج صدر المتألهين الفلسفى

وضعت المتابعه المستوفيه لحقائق الدين و مفاهيم العرفان و الكشف و تطبيقها على البرهان القياسى بين يدي صدر المتألهين أدوات و افكارا مستجده، و أتاحت له امكانات كبيره لتطوير و توسعه البحوث الفلسفيه، و استحداث بحوث فى متن مفردات الفلسفه، كما أعانته على استبصار أفكار و نظريات جديده، و فى غايه العمق. و لم يكن كل ذلك ممكنا على الإطلاق عن طريق العقل المحض و الفكر المجرد.

من هنا كانت الفلسفه فى مدرسه صدر المتألهين مجدده لروح الفلسفه العتيقه المتعبه، بروح أكثر جد، أزاحت غبار الإعياء عما أصاب الفلسفه منه نتيجة الإجهاد، كما أضافت لأبحاث الفلسفه عددا يعتد به من البحوث الفلسفيه.

افتتح صدر المتألهين فلسفته بمسأله "أصالة الوجود" و عطف عليها مفهوم "تشكيك الوجود". ثم أخذ يستلهم هاتين النظريتين ليبرهن من خلالهما عند كل مسأله من مسائل الفلسفه، و ينهض باساسها على أساس هاتين النظريتين.

يوضح فى النظرية الأولى انه، رغم اننا نقف فى الطرف المقابل للسفسطائيين و الارتيائيين، و تؤمن بوجود واقع موضوعى ثابت للماهيات، و نرى ان كل واحد من الأنواع الخارجيه له ماهيه نوعيه و وجود. الا أنه بحكم كون حقيقه كل شىء فى الخارج لا تتعدى كونه أمرا واحدا. من هنا كان المتأصل فى الواقع الخارجى واحدا من أمرين "الوجود" و "الماهيه"، و يكون الآخر ثابتا ثبوتا عرضيا.

و بحكم أن العقل يفترض تمايزا بين ماهيه و وجود الأشياء، و بما أن الماهيه - فى نفسها - محابده بالنسبه للوجود و العدم، و أن الوجود هو عين التحقق و الثبوت، فلا بد إذن من النظر إلى الوجود باعتباره عين الواقع و هو الأصل، و النظر إلى الماهيه باعتبارها ظاهره ذهنيه، و ظهورا تصوريا للوجود. و فى الواقع تمثل الماهيات حدودا عقليه و مفاهيم ينتزعها الذهن و يتصورها جراء إدراكه لمحدوده الوجود. مثلا الإنسان كواقع خارجى، و وجود عينى، و ظاهره وجوديه تقابل العدم. يضع العقل لمفهوم الإنسان "الحيوان الناطق" كماهيه نوعيه و حد له، حيث أن العقل يجد ان واقع كل شىء ليس عينا لواقع سائر الأشياء و لا يتوفر على حقيقتها و واقعها.

يوضح فى المسأله الثانيه "التشكيك فى الوجود" التى تعود لدى التحليل إلى مسألتين (٢)، ان وجود الأشياء الذى ترجع الاصله اليه، و تتحقق الماهيه تبعاً له، يمثل حقيقه و سنخيه واحده. و بحكم كون الاصله و الواقعيه نصيبا للوجود فإى شىء آخر نفترضه سيكون فارغا من المضمون و محكوما بالبطلان. و تلك الاختلافات التى تقع فى الموجودات الخارجيه، نظير الاختلاف فى العليه و المعلوليه، و التفاوت من زاويه الوحده و الكثره، و القوه و الفعل، و التقدم و التأخر - إلخ، اختلافات مشهوده و أمور واقعيه حقيقه. كل مفردات هذا التفاوت و الاختلاف تعود إلى الوجود و تقع فى لبه، و فى المحصله يكون الوجود حقيقه واحده، ينطوى على اختلاف و تفاوت فى لبه و واقعه، دون ضم عنصر اضافى له. يعنى: ان تلك الحقيقه التى يشترك و يناظر موجود موجودا آخر فى وجوده من خلالها، تنطوى بعينها على اختلاف و تمايز يقع بين تلك الموجودات.

يمثل صدر المتألهين لهذه الحقيقه بالنور المادى حيث يبدو وضوح الضوء عبره مراتب متعدده من حيث القوه و الضعف، و ظهوره تظهر الأجسام و تبدو للحس. و التفاوت الحاصل فى الأنوار المختلفه، و الذى يبدو للحس درجات من الشده و الضعف، و لم يحصل جراء كون النور الضعيف مؤلفا من الضوء و الظلمه، و ذلك لأن الظلام أمر عدمى، و لا يتمتع بشىء من الوجود، فلا يصير جزء من النور الضعيف، كما انه - أى التفاوت - لم يحصل جراء كون ضعف النور يفضى إلى ثلم مفهوم النور، إذ ستفتقد عندئذ حقيقه النور. و لم يأت هذا التفاوت لأن قوه النور فى النور الشديده أضافت شيئا آخر لحقيقه النور فجاءت القوه نتيجة هذه الإضافه! بل ان النور الضعيف فى الحقيقه نور ضعيف بنفس معنى النور الذى ينطوى عليه، فهو ضعيف و نور فى حد و مرتبه خاصه و النور القوى تعود قوته لعين نوريته، و هو نور فى مرتبه خاصه. و فى المحصله هناك مرتبتان موسومتان من النور، يشتركان فى عين مفهوم النور، و يختلفان فى نفس المفهوم بعينه.

و كما ان حقيقه الوجود ذات مراتب مختلفه من حيث الشده و الضعف فلها مراتب كذلك من حيث الكمال و النقص. أعلى مراتب الوجود هى مرتبه الوجود الواجب حيث الكمال المحض و الفعلية المحضه، و ليس هناك فى هذه المرتبه أى لون من

ألوان النقص و التحديد. و أسفل مراتب الوجود مرتبه ماده الأولى التى هى بالقوه من كل جهه، و يعتورها النقص من كل جهه

ص: ١٩٣

١- فى ديباجه كتاب "الأسفار" و غيره.

٢- إحداهما وحده و سنخيه حقيقه الوجود، و الأخرى الاختلاف و التفاوت الواقع فى هذه الحقيقه الواحده.

أيضا، و تنحصر فعليتها في كونها بالقوه فعلا. و بين هاتين المرتبتين اللتين تقع كل منهما عند أحد رأسى سلسله الموجودات. هناك مراتب - من وجهه نظر عقليه - تتالف من الكمال و النقص و القوه و الفعلية. و كلما صعدنا نحو أعلى السلسله كان خط الكمال و الفعلية أوفر، و كلما هبطنا أسفل السلسله تزايد النقص و القوه.

و يدعى المفهوم المتحصل اصطلاحا بـ "الوحده التشكيكيه للحقيقه".

لقد استبدل ثبوت هذه النظريات الثلاث - بشكل كامل - "الاصاله، الوحده، و التشكيك في حقيقه الوجود" التصور السائد لعالم الوجود و كل ما ينطوى عليه. فقد ألغى من أفق الفيلسوف ما كان يحسب على أساس التصور الساذج، من أن عالم الوجود عباره عن سلسله ماهيات ليس بينها أى لون من ألوان الارتباط الذاتى و هى أجنبيه بعضها عن البعض الآخر، و كل منها منفصل و لا-علاقه له بالآخر. و حل محله التصور الذى تبدو خلاله الحقيقه النوريه للوجود، حيث ينسب بصفه الوحده و خصوصيه الإطلاع ضمن درجات و مراتب مختلفه، و ترتبط ظواهره أكمل أشكال الارتباط فى عين كونها مختلفه. فتبدوا هذه الظواهر مرتبطه و مختلفه بعضها مع البعض الآخر.

يضحى عالم الوجود - وفق التصور الجديد - نظير محيط من النور اللامتناهى، و قد حل مشعل هذا النور فى قلب هذا المحيط بفعل قوته اللامتناهيه و غير المتحيزه بمكان و غير المحدده بزمان، و يضىء هذا المشعل بلمعاته و أشعته باستمرار. و تبدو لمعات هذا المشعل بدرجات مختلفه و أحكام و آثار متفاوتة على أساس القرب و البعد منه.

و من هنا يفهم جيدا أن الفلسفه التى يتناول بحثها على أساس هذا الطراز من التصور العام لعالم الوجود ستختلف بشكل كامل فى طريقه بحثها مع الفلسفه التى تفترض العالم مؤلفا من سلسله ماهيات منفصله دون ارتباط بينها، و تتناول كل ظاهره بشكل تجزيئى. و مضافا للاختلاف فى أسلوب البحث و طريقته فسوف تبرز جملة مسائل أساسيه و عميقه، لا يمكن العثور على سبيل لتصورها و الاستدلال عليها وفق المنهج التجزيئى على الإطلاق.

لقد أدى بروز هذا المنهج الفلسفى على مسرح الأبحاث الفلسفيه إلى خلق مصالحه و انسجام بين الذوق و البرهان. يعنى: أوضح هذا المنهج برهانيا جملة من المفاهيم التى تقوم على أساس الذوق. فبعد استلهاها عن هذا الطريق "الذوق" شيد لها صرحا من البراهين و حشرها فى صف مسائل الفلسفه التى تمثل محصله برهانيه. و فى نهايه المطاف وسع رقعه المسائل الفلسفيه التى كانت تبحث فى مدرسه اثينا و الإسكندريه، حيث بلغت فى حدها الأعلى آنذاك "٢٠٠" مسأله، بينما اوضحت وفق هذا المنهج (٧٠٠) مسأله تقريبا.

بعد أن أبان صدر المتألهين هذه المسائل الثلاث بشكل واف، و بعد أن أوضح الأحكام العامه للوجود من قبيل البساطه، و سائر الأحكام السلبيه الأخرى، عكف آنذاك على بيان التقسيمات العامه - الكليه - للوجود، و كان من جملتها:

١ - تقسيم الوجود إلى خارجى و ذهنى:

فصل الحديث فى هذا البحث حول حقيقه العلوم التصوريه و التصديقيه، كما أوضح مسأله حصول الماهيات و المفاهيم فى الذهن و طريقه تحققها و وجودها.

٢ - تقسيم الوجود إلى مستقل و رابط:

ضمن هذا البحث تصنف الموجودات إلى صنفين متميزين، كما يفرز الوجود الرابط، و وجود النسبه، الذى ليس له أى لون من الاستقلال لا على مستوى الذات، و لا على مستوى الآثار و الأحكام، عن الوجود المستقل.

و يستخلص من هذا التقسيم فى جملة ما يستخلص من نتائج مثمره، أن تكون الوجودات الإمكانيه بالنسبه للوجود الواجب روابط و نسب ليس لها أى لون من الاستقلال فى نفسها و آثارها، و كل ما يشاهد فيها من مظاهر الاستقلال فهى تعود فى الواقع للوجود الواجب.

٣ - تقسيم الوجود إلى لنفسه، و لغيره الوجود النفسى، و الغيرى، و بهذا التقسيم تميز حقيقه و مفهوم الوجود و صفاته عما سواها.

و لم يعهد البحث المستقل لهذه المسائل الثلاث قبل صدر المتألهين.

٤ - تقسيم الوجود إلى ممكن و واجب:

يتناول خواص الواجب و الممكن على نهج الاستقصاء فى هذا التقسيم.

٥ - بحث الماهيه:

يمثل هذا البحث فى الحقيقه ادامه لبحث الممكن، و يدور الحديث فيه حول تقسيمات الماهيه، و خواصها. و قد عكف صدر المتألهين فى خاتمه هذا البحث على دراسته مشبعه لمفهوم "أرباب الأنواع".

٦ - تقسيم الوجود إلى الواحد و الكثير و أقسامهما و خواصهما ٧ - تقسيم الوجود إلى العله و المعلول، و أقسامهما و خواصهما.

٨ - تقسيم الوجود إلى ما بالقوه، و ما بالفعل:

تصنف الموجودات عبر هذا التقسيم إلى صنفين: الموجود بالفعل، و هو موجود كامل و تام من ناحيه موجوديته، و آثاره الوجوديه ظاهره و ثابتة، نظير الفرد الكامل من الإنسان الذى هو إنسان بالضروره، و الذى تبدو من خلاله آثار الإنسانيه. و الموجود بالقوه، و هو يحمل إمكان موجوديه خاصه، و لم تظهر بعد الآثار الضروريه لهذه الموجوديه، نظير وجود الإنسان فى النطفه "ماده النطفه" حيث انه نطفه بالفعل، الا انه إنسان بالقوه، و ليس له بالفعل الآثار الضروريه للإنسانيه.

لقد حسب الفلاسفه السالفون خروج الشىء من القوه إلى الفعل على نحوين:

الأول: الخروج الدفعى، نظير تبدل أحد من جواهر العناصر بعنصر آخر، مثل تحول النار إلى هواء، حيث تنتفى صورته العنصرية دفعه و تحل محلها صورته عنصر آخر.

الثانى: الخروج التدرىجى، و هو الذى يحصل عن طريق الحركه، نظير انتقال عرض - من جوهه ما - إلى عرض آخر، كالاتقال التدرىجى من كیفیه إلى كیفیه اخرى، أو من وضع إلى وضع آخر، أو من مكان إلى مكان آخر. و فى المحصله تنحصر الحركه بأربع مقولات عرضیه (الكیف، الكم، الوضع، الأین).

ص: ١٩٤

نتيجة النظرية أعلاه هي أن كل موجود مادي يقع تحت قانون الحركة من زاويتي صورته الجوهرية، و أعراضه. و أن كل موجود ثابت فهو مجرد و عار من المادة و القوة.

و وفق سياق هذه النظرية يضحى تقسيم الوجود إلى بالقوه و بالفعل مساويا لتقسيم عالم الوجود إلى قسمين:

الوجود السيال و الوجود الثابت. و ان كل وجود مادي ذى قوه و إمكان سيال و واقع تحت قانون الحركة. و ان كل وجود غير مادي، حيث لا- مجال لأى وجه من القوه و الإمكان فيه، هو وجود ثابت و لا- حركة فيه. و يشكل عالم المادة بجميع أسسه الجوهرية و العرضية تيارا هائلا من الحركة يشبه النهر العظيم الذى تستمر فيه حركة الماء الجارى و لا يظل رهن مكان واحد فى لحظتين متواليتين.

من هنا صرح صدر المتألهين فى أبحاثه بالقول:

فللطبيعه امتدادان(1) و هذا صريح فى انه يرى أفراد الأنواع الجسمانية محدوده باربعه أبعاد (الطول، العرض، العمق، الزمان). و كل واحد من هذه الأجسام النوعية ينقسم بحسب انقسامات الزمان و يتكثر و يتفرق.

و تحفظ وحده هذه الأجسام نفوسها المجرده أو أرباب الأنواع.

تقع هذه الحركة بين نقطتى القوه و الفعل، أو المادة و التجرد. و يحمل عالم المادة بواسطه هذه الحركة باستمرار أجزاء من عالمه الناقص اللامتكامل ليبلغ بها عالم التجرد. و هو يمثل فى الواقع مصنعا لصنع العناصر المجرده، فبدوران عجله هذا المعمل ينضج المواد الأوليه عن طريق الحركة ليصل بها إلى مرحله التجرد، و بعد التجريد الكامل و مفارقه المادة، يعكف على تنضيج مواد أخرى، و هكذا...

و عبر هذا المسلك نفسه ذهب صدر المتألهين إلى اعتبار النفوس جسمانية الحدوث، يعنى: ان النفس فى أول حدوثها كانت جزء من عين البدن المادى، ثم أخذت بالتدرج تتلمس التجرد عن طريق الحركة الجوهرية، لتنتهى إلى مفارقه البدن فى نهايه المطاف.

٩ - تقسيم الوجود إلى حادث و قديم.

أحصيت خلال هذا البحث أقسام التقدم و التأخر و المعيه الحاصله فى عالم الوجود، ثم عطف على بيان حقيقه الحدوث و القدم و أقسامهما.

ذهب الفلاسفه السالفون إلى أن العالم حادث ذاتى، ينتهى إلى الواجب تعالى... بحكم كون ارجاء العالم معلولا لمبدأ الإبداع، و فى النهايه يكون ذات العالم و وجوده مسبوقين بوجود الواجب. و فى نفس الوقت افترضوا الزمان غير متناه. و كانوا يرون ان "اللاتناهى الزمانى" لموجود ممكن لا يتنافى مع كونه معلولا، و ذلك لان المعلوليه نتيجته الإمكان و الحاجه، و ليست خصوصيه الحادث الزمانى. من هنا اكتفى الفلاسفه بصدد تفسير العالم بالحدوث الذاتى.

غير ان صدر المتألهين حصل على نجاح بهذا الاتجاه من خلال إثباته لوقوع الحركة في جوهر العالم المادى، فاثبت لعالم الماده حدوثا زمانيا أيضا. و ذلك لانه عن طريق تخلل الحركة و التحول التدريجى فى قلب العالم فسوف يكون العالم، على أى فرض افترضناه "كلا أو بعضا"، مسبقا بالعدم الزمانى.

١٠ - بحث العاقل و المعقول:

تابع صدر المتألهين فى هذا البحث أقسام الإدراك الحسى و الخيالى و الوهمى و العقلى و خواصها، كما أوضح المفاهيم المتعلقة بها. و فى طيات هذا البحث اتفق مع فلاسفه الإشراق بصدد تقسيم العلم إلى حصرى و حصولى، فخالف المشائين الذين حصروا العلم الحصرى بعلم النفس بذاتها، و ذهب إلى تقسيم العلم الحصرى إلى أقسام ثلاثة: علم المجرد بذاته، علم العله بمعلولها، علم المعلول بعلمته.

كما ناصر صدر المتألهين نظريه "اتحاد العاقل و المعقول" التى نقل اجمالها عن "فرفورىوس الصورى" أحد تلامذه أرسطو. متخذاً بذلك موقفاً جانباً لاتجاه سائر الفلاسفه. و دلت بشكل تفصيلى على نظريه اتحاد المدرك بمدركه (اتحاد الحاس مع المحسوس بالذات - و المتخيل مع التخيل - و المتوهم مع التوهم - و العاقل مع المعقول). و على وجه الخصوص قرب هذا المفهوم فى مورد الإدراك الخارج من القوه إلى الفعل حيث يمنح صاحب الإدراك لونا من الرقى الوجودى. و الإدراك فى الحقيقه نوع انتقال يحصل لصاحب الإدراك من مرتبه وجوده إلى مرتبه وجود المدرك.

١١ - تقسيم الماهيه إلى جوهر و عرض و بيان أجناسهما و أنواعهما.

١٢ - أبحاث واجب الوجود:

يبحث فى هذا الفصل عن إثبات ذات مبدأ الإبداع، و وحدانيته، و صفاته الثبوتيه و السلبيه، و خصوصيات أفعاله، و ارتباط العالم بمبدعه، و النظام المتقن الحاكم على العالم، و الترتيب القائم بين الموجودات.

يتضح عبر مقايسه نظام البحث الفلسفى، و بناء الأبحاث عند صدر المتألهين، مع بناء الأبحاث عند سائر الفلاسفه أن فيلسوفنا لا يختلف كثيراً عن الآخرين فى البناء العام للأبحاث الفلسفيه، بل حتى صدر المتألهين نفسه يصرح بأنه يبحث فى كثير من الأحيان على طريقه و نهج الآخرين. انما يكمن سر نجاحه، فى عمقه و سبره لأغوار مسائل الفلسفه الأساسيه (أصالة الوجود، وحدته، و التشكيك فيه)، كما يمثل سر انجازاته الفلسفيه العملاقه، نظير الحركة الجوهرية و رواجها، و الحدوث الزمانى للعالم، و اتحاد العاقل بالمعقول، و قاعده (بسيط الحقيقه كل الأشياء)، و قاعده (إمكان الأشرف) و خصوصيات أخرى تلتمس فى طيات كلماته.

آثار و مؤلفات صدر المتألهين

خلف صدر المتألهين آثاراً و مؤلفات كثيرة، و قد تابع فى أغلب هذه المؤلفات أو فى جميعها نهجه الخاص فى التوفيق بين الشرع و العقل و الجمع بين منهجى الذوق، و البرهان. و مما تجدر الإشارة إليه أن هذه الآثار تمثل نتاج المرحله الثانيه و الثالثه من حياته.

و إليك فهرسا لمؤلفاته:

- ١ - الحكمه المتعالیه المشهور ب "الاسفار الأربعة" فى عدہ مجلدات.
- ٢ - المبدأ و المعاد.
- ٣ - شواهد الربوبیه.
- ٤ - المشاعر.
- ٥ - الحكمه العرشیه.
- ٦ - شرح الهدایه الاثیریہ.
- ٧ - حاشیه علی إلهیات الشفاء.
- ٨ - حاشیه علی شرح حکمه الإشراق.
- ٩ - حاشیه علی کتاب "الرواشح" للسید الداماد.
- ١٠ - رسالہ فی اتحاد العاقل و المعقول.
- ١١ - رسالہ فی اتصاف الماہیہ بالوجود.

ص: ١٩٥

١- الاسفار الأربعة، ج ٣، ص ١٤٠، من الطبعه الحديثه.

١٢ - رساله فى بدء وجود الإنسان.

١٣ - رساله فى التصور و التصديق.

١٤ - رساله فى الجبر و التفويض.

١٥ - رساله فى حدوث العالم.

١٦ - رساله فى الحشر.

١٧ - رساله فى سريان الوجود.

١٨ - رساله فى القضاء و القدر.

١٩ - رساله فى التشخص.

٢٠ - رساله فى "طرح الكونين".

٢١ - رساله فى "المسائل القدسيه".

٢٢ - رساله فى "مفاتيح الغيب".

٢٣ - رساله فى "اكسير العارفين".

٢٤ - رساله فى "الواردات القليه".

٢٥ - القواعد الملكوتيه.

٢٦ - تفسير سوره الحمد.

٢٧ - كسر أصنام الجاهليه.

٢٨ - تفسير سوره البقره (ناقص).

٢٩ - تفسير آيه الكرسي.

٣٠ - تفسير آيه النور.

٣١ - تفسير سوره الواقعه.

٣٢ - تفسير سورة يس.

٣٣ - تفسير سورة الطارق.

٣٤ - تفسير سورة الحديد.

٣٥ - تفسير سورة الجمعة.

٣٦ - تفسير سورة الأعلى.

٣٧ - تفسير سورة الضحى.

٣٨ - تفسير سورة الزلزال.

٣٩ - شرح أصول الكافى.

٤٠ - رساله فى شرح حديث (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).

٤١ - أسرار الآيات.

٤٢ - حاشيه على تفسير البيضاوى.

٤٣ - حاشيه على التجريد.

٤٤ - حاشيه على شرح القوشجى للتجريد.

٤٥ - حاشيه على الامامه.

٤٦ - حاشيه على شرح اللمعه الدمشقيه.

و هناك كتابان آخران أيضا ينسبان له و هما حاشيه على الشفاء، و شرح حكمه الإشراق، كما هناك رساله باسم "سر النقطة" و رساله اخرى فى تفسير الآيه الشريفه (و ترى الجبال تحسبها جامده و هى تمر مر السحاب) تنسبان لصدر المتألهين، و من خلال طراز الأفكار التى تشتمل عليها هذه الآثار تضحى نسبتها له محل شك و بحث

:

مقال الأستاذ كوربان

لعل بعض الحضور الكرام يذكرون اننا اجتمعنا منذ بضع سنوات فى هذا المكان و تحدثنا عن واحد من كبار المفكرين يسيطر

اسمه على ما نسميه اليوم "مدرسه أصفهان". هذا الحكيم السامى هو "مير داماد" أحد أبرز شخصيات النهضة الصوفيه. بين تلاميذه المتعددين الذين يشكلون أسرته المعنويه يحتل اسم ملا صدرا المرتبه الأولى، حتى لقد غطت آثاره حتى حد، كتابات استاذة المعروفه بتعقدها وإبهامها. و اليوم وقد صممت على التحدث عنه، فانى أفعل ذلك عن قصد مشخص هادف.

ولد صدر الدين الشيرازى - استنادا إلى ما يمكن استنباطه من حاشيه كتبها بنفسه لأحد آثاره - حوالى السنه ٩٧٩ أو ٩٨٠ هجرية قمرية (اى حوالى ١٥٧٣ ميلاديه)، و نحن الآن (اى خلال سنه ١٩٦٢ ميلاديه) نعيش فى العام ١٣٨٢ الهجرى، اى اننا منذ سنتين خلتا بحساب السنوات القمريه واجهنا ذكرى مرور اربعمائه سنه (٩٨٠ - ١٣٨٠) على ولاده هذا الحكيم الكبير وقد احتفل فى "كلكتا" فى العام الماضى بهذه الذكرى بمساعى المجتمع الايرانى (انجمن ايران)^(١)، و أظن أن جامعه طهران قد نمت عن رغبه فى اقامه احتفال مجلل فى هذه الحاضره أيضا بمناسبة هذه الذكرى، رغم العوائق التى أخرت اقامه هذا الاحتفال.

ان بحثنا، بناء على هذا، ليس أكثر من مقدمه، و لكنها مقدمه يتعذر على أن أنهيهما إلى اسماع المستمعين الا مع نوع من العاطفه الشخصيه تمنحنى العذر فى اننى سأتصرف فى محاضرتى بعض التصرف، و فى أن أضيف بعض الخواطر الخاصه التى عرضت لى حين جئت ايران لأول مره منذ سبعة عشر عاما (فى أيلول - سبتمبر ١٩٤٥). ففى ذلك الحين كان قد مضى على سنوات فى تركيا قضيتها فى أعداد قسم من كتابات شهاب الدين يحيى السهروردى، ذلك الذى يعرف فى ايران بلقب "شيخ الإشراق"، و الذى استشهد فى حلب سنه ٥٨٧ و هو بعد فى الثامن و الثلاثين من عمره.

و لقد كتب صدر الدين الشيرازى - كحكما آخرين - شرحا لكتاب ضمنه السهروردى كل أفكاره خلال حياته القصيره، و كان شرح ملا صدرا هذا بسطا و عرضا لمعتقداته الشخصيه الخاصه. ان هذين الاسمين و هذا الأثر غير قابله للانفكاك عن بعض، و لذا كنت أحس ان السهروردى أخذ بيدي - لو أمكنتى ان أقول هذا - و ارشدنى إلى ذلك المكان الذى هو "وطنى المعنوى". و مع ان الشخصيات البارزه التى جرى معها حديث و مباحثات عن السهروردى و صدر الدين الشيرازى كانت كثيره و لا شك، الا ان كتابات الحكيمين كليهما كانت لا تزال غامضه بعض الشىء و دون ما هما أهل له من شهره و تقدير، و ها ان الاحتفالات الرسميه التى ارتفعت مشاعلها اليوم تدل على الاهتمام بتلك الآثار و تقديرها. انا لا أريد فى هذا الحديث ان أرى لأمر آنى سريع الزوال أهميه فائقه، بل اننى أفكر بامر أعمق و أجل، أمر تظهره و تدل عليه سلسله من المنشورات.

أريد أولا ان أظهر تقديرى للاستاذ الفاضل العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى أستاذ العلوم العقليه فى حاضره "قم" العلميه الدينيه على مساعيه و جهوده فى الطبعه الجديده من كتاب "الاسفار" رائع ملا صدرا الكبرى التى سنتحدث عنها بعد قليل. ثم ان الاستعدادات للاحتفال بذكرى ولادته منذ اربعمائه سنه حملت على طبع تاليفه التى لم تكن قد طبعت بعد، فقد وضع السيد جلال الدين الآشتياني الأستاذ المساعد بكلية العلوم المعقوله و المنقوله فى "مشهد" كتابا جامعا عن سيره ملا صدرا و آثاره و أفكاره الفلسفيه، و طبع أحد مؤلفاته العربيه، ثم ألف كتابا كبيرا مبني على أفكاره الخاصه عن الوجود^(٢). و نشرت كليه العلوم المعقوله و المنقوله فى جامعه طهران من جهه اخرى عدده كتب، كما أن الدكتور السيد حسين نصرى.

۲- شرح حال و آرای فلسفی ملا صدرا، مشهد ۱۳۴۱، هستی از نظر فلسفه و عرفان، مشهد ۱۳۸۰، المظاهر الالهیه لمؤلفه
الحکیم الالهی الفیلسوف الربانی صدر الدین محمد الشیرازی، مشهد، ۱۳۸۱، جملگی بقلم و یا تصحیح آقای سید جلال الدین
آشتیانی.

طبع بصوره منقحه لأول مره رساله "الأصول الثلاثة" التي وضعها ملا- صدرا بالفارسيه، و التي كتبت على الأ- كثر للرد على القشريين و الناظرين إلى الظواهر(١) كذلك طبع السيد دانش بجوه رساله لم تكن قد طبعت بعد، و هي رساله موضوعه للرد على بعض الغلاة من المتصوفه(٢)، و قد نشرت كليه الآداب باصفهان ترجمتين لا مجال هنا لذكرهما(٣) و لقد ساهم فرع الدراسات الإيرانيه من مؤسستا الفرنسيه الإيرانيه (فرانكو ايرانيين) في هذه النهضه لطبع آثار ملا صدرا بطبع "كتاب المشاعر" طبعه دقيقه، و الواقع ان نشر هذا الكتاب هو تكمله للمساعي التي يقوم بها من جهه اخرى قسم العلوم الدينيه في مدرسه الأبحاث العليا بجامعة السوربون، حيث ادخلت في برامج منبر "الدراسات الإسلاميه" خلال السنوات الأربع الماضيه شرح آثار صدر الدين الشيرازي، و افتخر بانني أعاود إلقاء هذه الدروس مره أخرى في عده جلسات خلال فصل الخريف من كل سنه في كليه الآداب بطهران(٤) من مجموع هذه الفعاليات تأتي نتيجة توكدها المداولات و تبادل الآراء المتعدده، هي ان انبعاثا في الحكمة الالهيه الإسلاميه على شرف التكون، انبعاثا ينطلق من آثار حكيم كان هو نفسه مجددا حقيقيا.

سيره ملا صدرا

ولد صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي - الذي يعرف غالبا بلقبه المختص به "ملا صدرا" أو "صدر المتألّهين" - في شيراز. أما تاريخ ولادته فلم يكن متحددا حتى فتره متاخره، حين ظهرت في حاشيه نسخه كتبها ملا صدرا تعليقا على موضوع وارد في المتن و فيها يقول: "أبيض على هذا الموضوع ساعه طلوع الشمس من يوم الجمعه السابع من جمادى الأولى من سنه ١٠٣٧ هجرية، و كان لي من العمر ثمان و خمسون سنه" (٥) اكتشف هذه الحاشيه السيد محمد حسين الطباطبائي أثناء تصحيح متون الأشعار. و قد ذكرت هذه الحاشيه ضمن مذكره اخرى كتبها ملا صدرا على كتابه، في النسخه التي نقلت سنه ١١٩٧ عن النسخه الاصليه المفقوده اليوم. راجع مقدمه الدكتور السيد حسين نصر لرساله الأصول الثلاثة، ص ٢، الحاشيه ٢. و بعمله حسابيه بسيطه يتضح ان ملا صدرا ولد حوالي سنه ٩٧٩ أو ٩٨٠ هـ (١٥٧٢-١٥٧٣ م)، و أن تاريخ ولادته هذا و تاريخ رحلته عن هذا العالم هما التاريخان الوحيدان اللذان يمكن التيقن منهما في سيره حياته.

ان ما في حياه ملا- صدرا من جمال و جلال ليس في الظروف و الأوضاع الخارجيه، بل أن العوامل الخارجيه لم يكن لها في حياته الا دور مقلق نتاجه الاضطراب و عدم الاستقرار، و لم تيسر له حياه رافهه مجلله. ان ترجمه شخص مثل ملا صدرا تلتمس في الواقع في منحنيات حياته الباطنيه، في تطورات تفكيره و تأليف مصنفاته، في تعاليمه و في رابطته بتلاميذه الذين خلفوا بدورهم آثارا كانت تسمح لاستاذهم ان يفتخر بها.

في حياه صدر الدين ثلاث مراحل واضحه يمكن تمييز كل منها من سواها. كان أبوه و هو من المرموقين على حال من اليسار تمكنه من أن يوفر لابنه كل ما تتطلبه تربيته و تعليمه، كما ان الابن بما كان له من نبوغ و استعداد فكري و صفات خلقيه وهب نفسه كذلك لهذه التعاليم. و لم تكن أصفهان في هذه الفتره عاصمه الصوفيين السياسيه فحسب، بل كانت تعد كذلك مركز الحياه العلميه في ايران، فقد كانت مدارسها - التي لا يزال بعضها مستمرا حتى اليوم - في أوج فعاليتها، و كان أكبر العلماء قد اجتمعوا فيها و قد شملت تعاليمهم مختلف شعب العلوم و المعارف، لذا كان طبيعيا أن يترك صدر الدين موطنه الأصلي شيراز و أن يؤم أصفهان ليكمل فيها مرحله تحصيله. و هنا يجب ان لا- نقيس المرحله الدراسيّه في ذلك الزمان ببرامج الجامعات الحديثه حيث يمكن بعد بضع سنوات الحصول على الليسانس و الدكتوراه، لان مرحله درس ما، كانت تستغرق قسما كبيرا من

عمر الإنسان، بل لعلها كانت تقتضى أن يصرف المرء على بعض العلوم التى يؤمل ان يتعمق فيها عمره كله. ان مرتبه الاجتهاد كانت تحتاج إلى عشرين سنه على الأقل.

كان لصدر الدين فى أصفهان ثلاثه معلمين احتلت اسمائهم مكانا و شهره فى تاريخ ايران الفكرى و المعنوى. فى المرحله الأولى درس ملا صدرا على الشيخ بهاء الدين العاملى (الذى يدعى عادة الشيخ البهائى و وفاته ١٠٣٠) العلوم الإسلاميه النقليه كالتفسير و الحديث عند الشيعه و الفقه و سواها حتى اجازه فيها. و كان الشيخ البهائى يظهر طوال حياته صداقه و موده بالغتين نحو مير داماد (توفى ١٠٤٠) الأستاذ الذى سبقت الإشارة اليه فى مقدمه هذه المقاله، و الذى كان تلاميذه يدعونه المعلم الثالث بعد أرسطو المعلم الأول و الفارابى المعلم الثانى (٥) - و الذى كان يرى - كالسهروردى - ان الفلسفه التى لا تؤدى إلى كشف معنوى و تحليل عرفانى انما هى عبث و جهد مضيع. مير داماد هذا هو الذى كان موجه ملا صدرا فى فتره تحصيله و أستاذه فى الفلسفه النظرية.

ثم ان صدر الدين - مع ان الشواهد على هذا الأمر ليست دقيقه تماما - كان تلميذا لشخصيه عجيبه غير عاديه هى شخصيه "مير أبو القاسم فندرسكى". فى هذا الوقت من الزمن كان التنقل بين ايران و الهند متواصلا ساعد عليه و سهل منه اصلاحات "أكبر" (٤) الدينيه، و كان الفلاسفه الايرانيون، و بخاصه منهم اتباع مدرسه السهروردى الاشراقية، كثيرين فى بلاط أكبر، و لقد كان لمير أبو القاسم فندرسكى دور فعال فى حركه ترجمه المتون السانسكريتية إلى الفارسية التى كانت لها أهميه كبرى من الناحية الثقافيه، و بواسطه هذه الترجمات بدأ المذهب الهندوكى يتكلم بلغه

ص: ١٩٧

١- رساله سه أصل، بانضمام منتخب مثنوى و رباعيات صدر الدين شيرازى، بتصحيح و اهتمام دكتور سيد حسين نصر، طهران ١٣٤٠.

٢- كسر أصنام الجاهليه، به تصحيح و مقدمه آقاى محمد تقى دانش بجوه، طهران ١٣٤٠.

٣- الترجمات الفارسية لكتاب المشاعر و كتاب الحكمة العرشية، بقلم السيد غلام حسين آهني، أصفهان ١٣٤٠ و ١٣٤١، و لها فى الغالب طابع التفسير.

٤- كتاب المشاعر، المتن العربى و ترجمه الفارسية مع ترجمه فرنسيه و مقدمه من السيد هنرى كوربان، طهران ١٣٤٢، ان هذا الكتاب الهام الذى يضم أفكار ملا صدرا فى موضوع الوجود شرح عده مرات، و قد صحح السيد جلال الدين الآشتيانى شرح ملا جعفر لنكرودى و سينشره قريبا. راجع بشأن المراجع باللغه الفرنسيه الصفحات التى ترجمها السيد هنرى كوربان عن كتاب الحكمة العرشية فى: La terre Celeste et Corps de resurrection de Liran Mazdeen Z Iran. ١٩٦١ shi'ite Paris المقرر ان تنشر فى كراس ذكرى ملا صدرا الذى سينشره المجمع الايرانى فى كلكتا. راجع بشأن شرح أصول الكافى تقرير السيد كوربان (سنه ١٩٥٢-١٩٦٣) فى: Annuaire de l'École pratique des Hautes-Études-Section des Sciences religieuses. Hautes-Hautes-Études-Section des Sciences religieuses.

٥- راجع مقاله السيد كوربان فى ConfessionS exactiques de MiR Damad maitre de theologie A . Ispan Melanges Louis Massgon Vol I Domas

٦- راجع ترجمه محمد أكبر فى المجلد العاشر من (أعيان الشيعة).

المتصوفه الفرس (لا- ننس ان انكتيل دوپرون Anquetil-Duperron كان يعرف "الأوبانيشادات" بصوره ترجماتها الفارسيه). ومع ذكر اسم هذا الأستاذ من أساتذته ملا صدرا، يمكننا أن نتخذ فكره عن المعارف التي اكتسبها في المرحله الأولى من عمره، مرحله التلمذه من حياته.

وتبدأ الآن المرحله الثانيه. هنا يجب الا يظن أن الظروف كانت ملائمه، و خاصه لمن يتبع أفكاره و انفعالاته الداخليه الخاصه بصوره مستمره لا تعرف المساومه، بل و يعلم انه كلما ازداد تقدما ازداد يقينا بأنه سيواجه خصومه المقلدين و اتباع الظواهر. لقد عانى ملا صدرا مثل هذه التجربه القاسيه، كما يتضح من بضع جمل من كتابه الرئيسي حيث يقول(1):

"في العهد الماضي، صرفت قواي منذ مطلع شبابي للفلسفه الإلهيه، فاطلعت في حدود ما أمكنني على مؤلفات الحكماء السابقين و بعدهم الفضلاء اللاحقين، و وقفت على نتائج إلهاماتهم و نظرياتهم و أفدت من ابداعهم و أسرارهم، و لخصت ما وقعت عليه من كتب اليونان و أعلام المعلمين، مختاراً اللباب من كل باب من أبوابها، و متحاشياً الاطاله و الاطناب (ص ٤)... الا أن عوائق كانت تمنع من الوصول إلى هذا الغرض، و كانت الأيام تمضي واحداً بعد آخر دون أن أبلغ هدفى... (ص ٤).

و لما شاهدت عداوه الدهر في أخلاق الجهله و الأراذل، و رأيت شمول لجهاله و الضلاله و سوء الأحوال و الأوضاع و قبح الناس، و بليت بقوم امكانيه الفهم فيهم معدومه و عيونهم تلقاء أنوار الحكمة و أسرارها عمياء... (ص ٤) قادني انكسار خاطر و جمود الطبيعه أمام عداوه الزمان و مناوأة الأيام إلى أن اختار الانزواء في بعض نواحي الديار و أن اختفى كسير القلب في دنيا النكران و خمول الذكر... (ص ٦) و اخترت كما أمر سيدى و مولاي و متعمدى، أول الأئمه و الأوصياء و أبو الأئمه الشهداء الأولياء، قسيم الجنه و النار، طريق التقية.. " (ص ٧).

ان الوضع الذى كان لملا- صدرا في ذلك العهد، لم يكن كما لعله كان يظن - وقفاً عليه وحده، بل ان فلسفته أيضاً كانت بدورها تواجه وضعاً معقداً مؤسفاً كان يواجهه كل جيل، و السبب في ذلك أن غايته في الحياه التي ستحدث عن نتائجها فيما بعد إنما كانت تعليم التشيع بمعنى جامع، لذا لم يكن له سبيل للتخلص من كيد الجهله سوى أن يفارق حياه أصفهان الجياشه ليلجأ إلى مكان منزو بعيد، و كان هذا المكان الذى اختاره لخلوته قريه كهك "على بعد ثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الشرقى من مدينه قم".

إذا غادر المرء "قم" في اتجاه "أصفهان"، فإن عليه بعد مسيره عده كيلومترات أن ينحرف عن الجاده ليسلك شرقاً طريقاً ضيقه تنتهى به بعد حوالى خمس عشرين كيلو متراً صحراويه إلى سلسله من الجبال، حيث يترأى واد مرتفع يعود بالمشاهد إلى خاصه التضاد التي هي من ميزات طبيعه ايران، و كلما اوغل المرء في قلب الوادى تنحى طابع الصحراء الجاف ليخلى مكانه لخضره النباتات الناميه.

ان "كهك" مجموعه من عده بساتين يقوم بجانبها مسجد صغير من القرن الحادى عشر غريب التصميم و الهندسه، و فيها قلعه قديمه جدا شاعريه، و ضريح مكتمل الهندسه لسيدته من سلالة الأئمه يطلق عليه ضريح المعصومه. و أن عندى الآن صورته واضحه عن هذه المجموعه كلها لأننى استطعت أن أشاهد تلك الطبيعه التي فيها غرق في عظمه الوحده حوالى تسع أو احدى عشره سنه للتأمل و التفكير، فقد زرت مؤخراً تلك الطبيعه بصحبه صديقين ايرانيين عزيزين. الا أن من الواجب على من يريد أن

يدرك جميع الأوصاف و الأحوال العرفانيه لهذه الديار، الا يسلك في طريق عودته إلى "قم" الجاده الأصلية، بل أن يتجه إلى الشرق مره اخرى في الطريق التي تنتهى إلى قريه "جمكران" ليصل إلى حرم ينسب إلى من كان منذ أكثر من عشره قرون التاريخ السرى للوجدان الشيعى، أعنى الامام الثانى عشر الغائب. هناك كنا موقنين أننا سنجد فى الغيبه كل الزوار الذين اموا ذلك المكان قبلنا، لا مير داماد و ملا صدرا و ملا محسن فيض و القاضى سعيد القمى فقط، بل كذلك جميع أولئك الذين صنعوا الفكر الشيعى، جيلا بعد جيل، مع كل ما يتفرد به من معان فى تاريخ الإنسان.

الا أن هذه الرحبات التي تقوم فى جنباتها نقاط و علائم عرفانيه، و التي تقوم منها قبه حرم "قم" المشعه مقام القطب و المركز، ما عتم ملا صدرا أن اضطر مره اخرى إلى مفارقتها، و هنا بدأت المرحله الثالثه من حياته.

و خلال تلك السنوات التسع، أو الإحدى عشره، التي قضاها ملا صدرا فى كهك، توصل إلى كشف الحقائق المعنويه، و بلغ مقام المشاهده الذي ليست الفلسفه إلا مقدمه ضروريه له، و ليست فى نظره و نظر جميع أتباع مدرسته الا عملا عقيما و محاوله واهيه عابته إذا هى لم تنته إلى هذا المقام.

ان إنسانا فى مقام ملا صدرا و شخصيته، لا يستطيع مهما حاول أن ينجح فى إخفاء سر خلوته و اعتزاله، و لذا لم يستطع ملا صدرا أيضا أن يمنع التلامذه و المريدين من أن يطبقوا عليه و يقبلوا على مجالسه، و أن يحد شهرته من أن تتسع و تنتشر. و لقد حلت تلك اللحظه حين صمم والى مقاطعه "فارس" الله وردى خان (٢) على بناء مدرسه كبيره فى شيراز، و استدعى ملا صدرا بموافقه الشاه عباس الثانى طالبا منه العوده إلى بلده الأول و التدريس فى المدرسه الجديده.

ان الغرفه التي كان ملا صدرا يعلم فيها لا تزال تمكن مشاهدتها فى تلك المدرسه المعروفه اليوم باسم "مدرسه خان" و ليس عجبا أن تصبح شيراز بسرعه، بسبب انتقال صدر الدين إليها، مركزا علميا كبيرا كأصفهان. كان "الأستاذ" يعيش فى تلك المدينه، مستغرقا فى التعليم و إعداد الطلبة و توجيههم، و فى تأليف كتب بقى بعضها ناقصا للأسف، و ان التعاليم الأخلاقيه الرفيعه التي كان يعلمها طلابه و التي ظل هو يعيشها و يطبقها، لخير و سيله لتعريف شخصيته، و هذه التعاليم تتلخص جميعا فى أربعة قواعد سنهها لكل من يريد أن يخطو فى طرق المعنويات، هى: التخلّى عن حب اكتساب الثروه، ترك طلب الجاه الدينوى، البعد عن التقليد الأعمى، و اجتناب كل نوع من أنواع المعاصى (٣) و مع ما أنجز ملا صدرا من أعمال عظيمه، استطاع الحج سبع مرات إلى بيت الله، و فى عودته من حجته السابقه عام ١٠٥٠ هـ. وافته منيته فى البصره و فيها دفن. ٣.

ص: ١٩٨

١- نقلا عن طبعه اسفار العلامه الطباطبائى. ارقام الصفحات فى المتن.

٢- الله وردى خان خلفه ابنه امام قلى خان الذى ولى أمور مقاطعه فارس منذ سنه ١٠٠٣ و توفى سنه ١٠٢١. راجع مقدمه السيد دانش بجوه لكتاب "كسر أصنام الجاهليه" ص ٢ فما بعد. يمكن الاعتراف ان ملا صدرا اتى شيراز بين و ، فبناء على هذا مارس التدريس قريبا من أربعين سنه. و لكن السيد دانش بجوه، استنادا إلى بعض السنوات المذكوره فى سيره ملا محسن فيض التي أوردها السيد محمد مشكاه فى مقدمه الجزء الرابع من كتاب "المحججه البيضاء" (طهران ١٣٣٩ ش - ١٨٦٠ م) - آخر تاريخ مجيء ملا صدرا شيراز حتى سنه ١٠٤٢. و الحق ان هذا التاريخ متأخر، و من المحتمل أن تكون الحقيقه بين هاتين السنتين، و لا

يمكن الدخول في بحث التفاصيل في هذا الموضوع، للأسف.
٣- راجع كسر أصنام الجاهلية، ص ١٣٣.

ان المؤلفات التي تجعل هذا المفكر العميق المثالي بحق، حاضرا بيننا مستمرا في حياتنا، جد عظيمه، و قد بلغ مجموعها تقريبا حتى القرن الأخير أربعين مجلدا بطبع حجرى (1) بعض هذه الكتب يشتمل على مائه صفحه، و بعضها الآخر يضم مئات الأوراق، أن جميع موضوعات الفلسفه الإسلاميه قد بحثت في هذه الكتابات، و أن بعض كتبه هي نتيجة بحوثه الشخصيه الخالصه، كما أن بعضا آخر منها تفاسير و شروح، الا أنه يوسع دائره الشرح و التفسير في هذه الكتب و يضمها من الآراء و التفاصيل المبتكره ما يقتضى أن نعدّها أيضا في زمره آثاره الخاصه.

لقد شرح ملا صدرا رائع ابن سينا "كتاب الشفاء"، و شرح أهم آثار السهروردى "حكمه الإشراق" (2)، و في شرحه لكتاب "أصول الكافي" - أحد كتب الشيعة الأساسيه و الذى يضم تعاليم أئمه الشيعة (ع) (3) شرح ملا صدرا في وضع مجموعته واقعيه لفلسفه شيعيه، الا ان الزمن لم يمهلّه للأسف حتى يتمها (4) كذلك كتب تفسيرا لعديد من سور القرآن الكريم (5)، تحرى فيه المعنى الباطنى و المعنوى أو العرفانى للآيات، و هذا التفسير يمثل مع التفاسير الأخرى التي كتبها أسلافه و أخلافه، منبعا أساسيا للتفكير الفلسفى الإسلامى فى التفسير المعنوى للقرآن. و سنرى بعد قليل لم يجب أن يكون الوضع هكذا، و بخاصه فى التشيع.

أما المجموعه التي ضمنها ملا صدرا ثمره جهوده و تحقيقاته و تأملاته جميعا فكتاب شهير سماه "كتاب الأسفار الأربعة العقلية" و هو اثر نفيس ضخم يضم فى طبعته الحجرية القديمه أكثر من ألف ورقه مطبوعه الوجهين، و هذا السفر هو الذى ولد على الأكثر إعجاب المریدين و المفسرين و انفعالهم و حبههم. ان شروح هذا الكتاب تؤلف مجموعته مجلله عظيمه تبدأ بشروح اثنين من أشهر تلامذته المباشرين كانا فى الوقت نفسه صهرين له أيضا، هما ملا محسن فيض و عبد الرزاق اللاهيجى، و تستمر جيلا بعد جيل حتى العصر الحاضر (مجتازة فى القرن الماضى ملا- عبد الله و ملا- على الزنوزى، و حاجى ملا هادى السبزوارى و سواهم (6). و باختصار، يجب القول ان التحقيق العميق فى وضع الشيعة الفلسفى دون معرفه لآثار ملا صدرا و أفكاره، أمر متعذر، لأن لهذا الوضع من أوله إلى آخره ارتباطا بتفكير ملا صدرا. ترى، أیه إرادته عميقه كانت تحرك ملا صدرا طوال مده حياته؟ اننا نستطيع أن نجد علائقها فى مقدمه كتابه الكبير، تلك المجموعه التي تسمح لنا بان نقول أن ملا صدرا هو لايرانقديس توماها الأ-كوينى لو كان القديس توما يستطيع فى الوقت نفسه أن يكون عارفا و حكيما مثل ياكوب بوهمه، إلا أن مثل هذا التركيب لا يمكن أن يتحقق إلا فى ايران وحدها.

ان عبارته (الشيعى الجامع) تعلن للفيلسوف الباعث على صراع معنوى فى جبهتين، الصراع الذى هو لأول وهله مع نفسه، ثم بالتالى صراعه مع القوى المظلمه لعالم خارجى عدو مناوئ. و لقد تحمل ملا صدرا الوجه الأول لهذا الصراع المعنوى فى سنوات وحدته فى قريه كهك، و فى هذا الصراع كان الموضوع الرئيسى للغايه من حياه ملا صدرا الخاصه و التطور الذى سينتهى به اليه قدره، و اجتيازه التأمل النظرى الفلسفى إلى اليقين التجريبي الذى يتذوقه العرفاء، ففلسفه حقيقه واقعيه لا يمكن أن تقوم ما لم يقم اتحاد بين هذين و ما لم ينته التأمل النظرى إلى يقين العارف.

أن كل القصد من المعنويه الاشراقية لم يكن منذ عهد السهروردى إلا هذا فقط، أما عند ملا صدرا - كما هو الحال عند أسلافه و عند اتباعه من بعده - فان هذا الاتحاد إنما يحدث بالفطره فى المعنويه الشيعيه. و من الأفضل أن ندرس هذا الموضوع بدقه أكثر.

ان كلمه (الإشراق) التي كان لها في الفلسفه الإيرانيه تاريخ عجيب، استعملت في القرن الهجرى السادس على يد السهروردى لبيان حكمه الايرانيين القدامى التي كان يريد أن يحييها. ان الكلمه تعنى جلال طلوع الشمس، كما تعنى في الوقت نفسه النور الذى يضىء الأسحار، النور الذى تتلقاه الموجودات في تلك الدقائق من بياض الفجر. كذلك تعنى هذه الكلمه منطلق هذا النور و مبدأه، أى الشرق مكانا و زمانا. و الآن يجب نقل هذه التصورات كلها إلى عالم ما وراء المحسوسات و أن نفسر المشرق بعالم النور و الموجودات النورانيه و ضياء الفجر الذى يشرق من سلسله العقول على نفوس الأفراد المبعدين في مغرب عالم الظلام. ان هذه الحكمه التي تنبع من مشرق الروح، و التي سميت شرقيه وفقا لهذه (الجغرافيا العرفانيه) ليست فلسفه و ليست علم إلهيات (تيولوجى) بالمفهوم الذى تستعمل فيه هاتان الكلمتان اليوم في الغرب حيث يرون فيهما طاقتين مختلفتين متميزتين، و حيث يتناولون بالبحث ما بينهما من رابطه ليتمكن اتخاذ رأى ما لمصلحه أحدهما.

ان هذه الحكمه المشرقيه أو الاشراقيه إنما هي حكمه إلهيه ترادف بدقه الكلمه اليونانيه تيوسوفيا Theosophia هذه الحكمه تقود أتباعها من علم الفلسفه الانتزاعى، الذى هو العلم بواسطه الصور أو المفاهيم، و الذى هو العلم الصورى، إلى المشاهده المباشره و الاشراف الحضورى الذى يطلع من مشرق الروح. هذا العلم الذى ليس بعد صورا، بل علم حضورى، هو علم مشرقى، لأنه إشراقى، و علم إشراقى لأنه مشرقى. هذا هو المعنى العرفانى لكلمتى مشرق و مشرقى حين يدور الحديث على حكمه الإشراقى، و هذه الحكمه هي التي عنى زرادشت و حكماء ايران القدامى - كما يقول السهروردى - بتعليمها.

ان كلمه "الإشراقين" تقابل في اصطلاح اليوم "المشائين" و ترادف

ص: ١٩٩

١- راجع فهرست المراجع التي ذكرها السيد جلال الدين الآشتياني في كتاب: ترجمه ملا صدرا و آراؤه الفلسفيه، ص ٢١٠-٢٢٥.

٢- طبع شرحه في المجلد الثانى من الطبعة الحجرية لكتاب الشفاء، طهران ١٣٠٣. ٣- لقد طبع في الجزء الثانى من منشورات "المعهد الفرنسى الايرانى"، طهران ١٣٣١ (١٩٥٢ م) متنا منقحا من كتاب حكمه الإشراق. كما ان السيد جلال الدين الآشتياني يعمل الآن في تصحيح حاشيه ملا صدرا. راجع بشأن هذه الحواشى مقالنا: **Le theme de la resurrection dans le Commentaire de Molla Sadra Shirazi sur la Theosophie Orientale de Sohrawardi' Shaykh al-Ishrag**

٣- طبع السيد محمد خوندى مؤخرا كتاب الكلينى الكبير طبعتين رصاصتين إحداهما تضم المتن العربى صرفا في ثمانية مجلدات (طهران ١٣٣٤ ش ١٩٥٥ م) و الثانيه تضم المتن العربى مع ترجمه فارسىه و شرح بالفارسىه بقلم آيه الله محمد باقر كمره اى ظهر منها منذ ١٣٤٠ ش (١٩٦١ م) حتى الآن (١٩٦٢) ثلاثه مجلدات.

٤- أتيتح لملا صدرا الفرصه لأن يشرح كتاب العقل و كتاب التوحيد فقط و بدايه كتاب الحجبه (الذى يضم تعاليم الأئمه بشأن مسالتي النبوه و الامامه)، و مع انه لم يستطع أن يشرح أكثر من نحو العشر فقط من هذا الكتاب الأساسى في الفكر الشيعى، فان الطبعة الحجرية التي نشرت في طهران من هذا الكتاب، تضم أكثر من ٤٥٠ ورقه مليئه الوجهين..

٥- طبعت مجموعه هذه التفاسير ضمن الطبعة الحجرية لتفسيره في شيراز سنه ١٣٢٢ (١٩٤٣). و لا- يمكن أن نفصل عن هذا

التفسير كتابيه الأخيرين: مفاتيح الغيب (الذي طبع مع شرح أصول الكافي) و اسرار الآيات، و سنعود بعدا لهذين الكتابين.
٦- كتب ستة أو سبعة شروح على (المشاعر و الحكمه العرشيه)، و قد شرح حاجي ملا هادي السيزواري الشواهد الربويه و الأسفار بصوره مفصله. راجع كذلك مقدمه السيد دانش بجوه على كسر الأصنام، ص ٢٣ فما بعد.

"الافلاطونيين" أو "الافلاطونيين الحديثين"، و تاريخ افلاطونى ايران الإسلاميه الحديثين هؤلاء طويل. ان هؤلاء الحكماء مرتبطون بتلك الأسره التى يرتبط بها الافلاطونيون الحديثون فى كل مكان و فى كل زمان. العلم الاشرافى أى العلم بتلك اللحظه التى يطلع فيها نور المشرق على الروح، أو مبدأ الروح، قبل ورودها على هذه النشأه الترابيه، هو التجربه التى حظى بها ملا صدرا فى وحدته المهيبه فى كهك.

يقول فى مقدمه كتابه الكبير (الأسفار ص ٨): "حين بقيت مده طويله على هذا الحال من الاستتار و الانزواء و الخمول و الاعتزال، اشتعلت نفسى أثر المجاهده الطويله بالنور، و فاض على قلبى نتيجه الرياضات الكثيره التهاب قوى و أنوار ملكوتيه، و انحلت عقده أسرار الجبروت، و تبعتها الأنوار الأحديه. لقد أحاطت به الألطاف الإلهيه، و وقفت على أسرار ما كنت قد أدركتها بعد، و انكشفت لى رموز لم يستطع أى برهان حتى الآن أن يكشفها لى، بل ان ما كنت قد تعلمته عن طريق البرهان، شاهدته الآن و رأيتة عيانا مع زوائد و إضافات" (يجب أن يلاحظ أن الطريقه التى اتخذت لبيان هذه التجزئه المعنويه، تنطبق تماما على طريقه السهروردى و مير داماد، و أن هذا التعيين اليقيني لا- يستند إلى استدلال منطقى، بل أن منشاها الحضور المباشر الذى يتذوق بصوره شخصيه خاصه، و فى بعض الموارد بالمشاهده).

و يتابع ملا صدرا (ص ٨): "لقد انبسط عقلى باعتبار جوارحه الظاهريه و غدا ماء سيالا يفيض، أما باعتبار باطن تعقلاته فقد انقبض لطلاب الحقيقه و صار بحرا مواجا. فصنفت عندئذ كتابا إلهيا للسالكين العاملين على تحصيل الكمال، و جلوت الحكمه الربانيه لطالبي أسرار حضره ذى الجلال و الإكرام".

ان هذا الكتاب هو مجموعه آثار ملا صدرا، و قد سماه "الأسفار العقليه الأربعة". ما ذا كان قصده من هذا العنوان؟ لقد أوضح هو نفسه هذا الأمر فى ختام مقدمه الكتاب. ان هذا العنوان مستمد من المصطلحات العرفانيه الإسلاميه المتداوله. فالسفر الأول يبدأ من عالم الخلق و ينتهى إلى الحق (من الخلق إلى الحق)، و فى هذا السفر يبحث تركيب الموجودات، و الطبيعيات، و الماده و الصوره و الجوهر و العرض، و يرتقى السالك إلى مرتبه عالم الحقائق الالهيه غير المحسوسه. و بناء على هذا فان السفر الثانى هو من الحق (فى الحق بالحق). و فى هذا السفر لا- يبعد السالك عن مرحله ما بعد الطبيعه، بل يتعرف إلى علم الإلهيات و المسائل المتعلقة بالذات و الأسماء و الصفات الالهيه. أما السفر الثالث فهو رحله فكرية و لكن فى عكس السفر الأول، أى أنه عوده من (الحق إلى الخلق بالحق). ان هذا السفر يتتبع مراتب صدور الموجودات عن أنوار الأنوار، و يعرف السالك إلى العلم بمراتب العقول و العوالم الغيبية التى تحتل ما فوق عالم المحسوسات، و يبحث فى علم التكوين و الملائكه. و أخيرا فالسفر يتم بواسطة الله فى العالم المخلوق نفسه (بالحق فى الخلق)، و يدور حول معرفه النفس أو الضمير الداخلى (العلم المشرقى) و حول التوحيد بمعناه الباطنى، أى وحده الوجود بمعنى (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، و كذلك حول مسأله المعاد، أى جميع العوالم اللامتناهيه التى تنكشف للإنسان بانفتاح باب الموت أمامه (١) انه لمن المستحيل أن يستطيع الإنسان فى بضع كلمات أن يعرض أكثر من فكره تصوريه عامه عن هذه المجموعه التى أقام فيها ملا صدرا بناء مجللا للفكر الايرانى. اننا إذا أردنا أن نحكم عليه بعين المؤرخ، فيجب بصوره عامه أن نقول دون شك أننا مع ملا صدرا أمام واحد من أتباع مدرسه ابن سينا. لقد كان يعرف آثار الشيخ الرئيس عن قرب، و قد شرحها، الا أن ملا صدرا هو فى الوقت نفسه فيلسوف سينائى مع التفسير الاشرافى متأثر بأفكار السهروردى، تأثرا لا ينعدم فيه فقط كل ما بين ابن سينا و السهروردى من فاصله و بعد، بل أن ملا صدرا نفسه تعبیر مشخص عن الإلهيات الاشرافيه. كذلك تاثر هذا الفيلسوف السينائى الاشرافى تأثرا عميقا بمعتقدات حكيم الأندلس الكبير، و

العارف الذى هو من أكبر عرفاء التاريخ كله، محيى الدين بن عربى (المتوفى ٦٣٨). وانه لمن الواجب فى هذا الموضوع أن يجرى فى ايران تحقيق حول ما يمكن تسميته "التشيع السرى" لابن عربى، لأن فى حل هذه المسأله أخيرا إمكان الوصول إلى مفتاح جميع الموضوعات.

ان ملا صدرا هو أكثر من أى شىء مفكر شيعى متأثر تمام التأثير بتعاليم أئمه الشيعه (ع)، و مؤمن بالإسلام بصورته التى تنطلق من هذا الأساس.

لذا، فإنه لمن العبث - مهما يكن الأمر مستساغا - أن نهتم بذكر "منابعه" إذا كان قصدنا أن نحل جميع المسائل عن هذا الطريق. أننا نستطيع أن نسجل على ورقه كل الأقوال المردده والإشارات و الصور و كل ما نسميه "المنابع"، إلا أن حاصل هذه الأوراق جميعا لن يكون قط ملا صدرا لو لم يكن هناك قبل كل شىء "ملا صدرا" ينظم هذه "المنابع" فى بناء ليس سواه من يستطيع أن يقيمه و يعليه. ان محور هذا البناء هو عقائد أئمه الشيعه (ع) كما هو الحال فى "أصول الكافى" للكلينى، و من هنا أن ملا صدرا ينتقل إلى صراعه المعنوى الآخر، الصراع ضد اللادارين المتقدسين و القشريين و أولئك الذين كان لهم من الدين تعبير ظاهرى فقط. ان نوايا ملا صدرا و مقاصده الصريحه عون على فهم الوضع الفلسفى للتشيع، و كذلك على ادراك أهميه آثار ملا صدرا فى الفكر الشيعى فى الأيام السالفه و فى العهد الحاضر.

و مهما يكن هذا الموضوع مبحثا بصوره سريعه، فإنه يبين لنا أن الفلسفه و المعنويه الاسلاميتين ليستا محدودتين بتلك الفئات الثلاث فقط التى تملأ اليوم الفصل الذى تخصصه تواريخ الفلسفه فى العالم الغربى للفلسفه الإسلاميه، أعنى تلك الفئه التى أطلقوا عليها اسم الفلاسفه مستمدين اسمهم من سلوكهم اليونانى، و المتكلمين الذين هم جدليو علم الكلام من السنه، و أخيرا المتصوفه. أننا نعلم الآن انه كانت ثمه مدرسات أخرى، و نستطيع بصوره خاصه أن نقدر لم أحييت الفلسفه بصوره مجلله رفيعه فى ايران و العالم الشيعى خلال العهد الصوفى، بينما يسود الاعتقاد كل مكان فى العالم الإسلامى أن التطور الفلسفى انتهى مع ابن رشد فى القرن الهجرى السادس. ان محققا يوفق إلى أن يجد طريقا إلى قلب الفكر الشيعى سينكشف أمام عينيه أفق جديد، أفق لا شك فى أن طرح مسأله وضع الفلسفه فى الإسلام و ارتباط الفلسفه بالمعتقدات الإسلاميه خارج نطاقه و بمعزل عنه، خطأ فادح.

الا ان الوضع المعقد المحزن الذى واجهه ملا صدرا و كثير من المفكرين قبله و بعده - كالسيد حيدر الآملى مثلا الذى كان يعيش قبله بثلاثه قرون - هو أن هؤلاء المفكرين كانوا عرضه للحملات و التهم من قبل أشخاص كانوا يسمون مثلهم شيعه.

ان هذا الوضع المؤسف الذى كان السبب الأصلى لأن ينفى ملا صدرا نفسه نفيا اختياريا فى كهك بعيدا عن القيل و القال و عن تهم المتعصبين القشريين، قد خلف أثره الملىء بالألم فى كل مؤلفاته و آثاره. انه مثلا فى ٨.

ص: ٢٠٠

١- الأسفار طبعه العلامة الطباطبائى، المجلد الأول ص ١٣ فما بعد، مع تحقيق حاجى ملا هادى السبزوارى الوارد فى حواشى الصفحات ١٣ حتى ١٨.

مقدمه كتابه "الأسفار" (١) يحكم على الجهله الذين "لم يرتق فكرهم عن هذه الهياكل المظلمه و دياجيرها" ان هؤلاء الأشخاص فى عدايتهم للعرفان و الفلسفه اللذين لم يفهموها ينفون حتى أى نوع من أنواع فلسفه العلوم الدينيه القديمه، رغم أن هذا يؤدى إلى أن لا يفهم شىء من الأسرار الإلهيه التى شرحها الأنبياء بصور من الرمز و التمثيل. أنهم يقولون أن فلاسفه العرفان سقطوا فى شبكه أوهامهم الالهيه. و فى رسالته "الأصول الثلاثه" (سه أصل) يخاطب ملا صدرا أحد هؤلاء الجهله بحراره مجلله قويه قائلاً:

"ألا- تفكر أن من الممكن أن يكون ثمه مغرور بالله مثلك؟ لو كان كل علم كما قد علمت أو كان يجب أن يؤخذ عن طريق النقل و المشيخه، فلم يذم الحق تعالى فى عده مواضع من القرآن أولئك اللذين يقلدون مشايخهم و آباءهم فى المعتقدات و يعولون عليهم فى الأصول الدينيه؟ لئن كان يجب فى كل علم أن يتعلم بالطريق المتعارف عن أستاذ، فمن أى معلم بشرى بالطريق المعهود تلقى

أمير المؤمنين ع ما أخبر عنه من علمه بقوله: "لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحه الكتاب؟" (٢) إذا فملا صدرا يذكر المتن نفسه الذى ذكره السيد حيدر الآملى منذ ثلاثه قرون (٣) و العرفاء يعتنقون المعنى الذى تتضمنه آيات للإمام الرابع زين العابدين (ع) (المتوفى سنه ٨٩٥ م) يقول فيها ما مضمونه: "اننى أخفى جواهر علمى خشيه أن يرى الحقيقه جاهل فيرفسنا بقدمه.. يا رب، لو كنت أظهرت واحده من لآئى معرفتى، لكانوا قالوا لى: انك لعابد صنم، و لو جد مسلمون يجوزون اهراق دمى، فما يعرض لهم من أجمل الحقائق الإنسانيه يعدونه منفراً مقيتاً".

إذا فمن توفقه العناية الالهيه لادراك الأسرار الخفيه فى الرساله النبويه معرض لخطر الرجم من قبل الجهله الغاضبين. ترى، هل ثمه حاجه لتعمق أكثر فى تحرى عله هذا الوضع المختل المؤسف و معرفه أسرارها؟ هل ثمه تعليل آخر لأن أئمه الشيعه (ع) لم يكن حولهم قط أكثر من جمع قليل يعد على الأصابع من الأفذاذ و الخالص؟.

فبناء على هذا، ليس من الصعب على ملا صدرا أن يوضح أن هذا العلم الذى يجعل الإنسان حذراً و على خوف من عداوه الناس و حتى عداوه العلماء القشريين، ليس جدلاً و لا طبا و لا نجومياً و لا هندسه و لا طبيعيات.

أن ما شرحه مفسرو الوجه الظاهرى من أمثال الزمخشري و سواه، ليس هو إطلاقاً علم القرآن الحقيقى و معرفه الوحي الإلهى معرفه حقيقيه. ان علم القرآن الحقيقى أمر آخر (٤) هو الذى يجعل الفلسفه فلسفه مبنيه على الوحي.

و لكى يرى ملا صدرا الصراط المستقيم الذى هو بعيد بنفس المقدار عن التعبير الظاهرى لوجه الشريعه و عن الأسلوب النافى للفلسفه الاستدلاليه الصرف يفسر حاله التفكير الفلسفى فى مقدمه شرحه للكتاب الثالث من أصول الكافى للكلينى (كتاب الحجه، فى الامام و الامامه) (٥) كما يلى:

ان الوحي القرآنى نور تمكن به الرؤيه مع هذا النور إذا لم ترفع تعاليم الأئمه غطاء اللفظ الظاهرى الذى يجعل هذا النور مستورا. أن التفكير الفلسفى عين تشاهد النور و تراه، و لكى يتحقق فعل الرؤيه فالنور ضروره لازمه، لكن من الواجب كذلك وجود عين يمكنها أن تنظر. فإذا حجبنا هذا النور فلن ترى العين شيئاً بعد، و إذا تعمدنا أيضاً إغماض العين - كما هو حال القشريين و

الناظرين إلى الظاهر فقط - فكذلك لن يرى بعد أى شيء، بل ان الظلمه ستكون المنتصره فى الحالين، و ما حال ذى العين الواحده كذلك أفضل بكثير.

أما على العكس من ذاك، إذا اتحد التعقل الفلسفى مع الوحي السماوى، فان ذلك سيكون نورا على نور، كما تقول آيه النور المباركه، و جملات هذه الآيه إشاره كما نعلم للمعصومين الأربعة عشر. لذا يقول ملا صدرا أن التشيع وحده هو الذى يستطيع فى الإسلام أن يقيم هذا التوافق و الانسجام بين الوحي الالهى و التعقل الفلسفى، لأن التشيع يأخذ العلم و الحكمة عاريه من مشكاه النبوه و الولايه، و لأن الفلسفه الشيعيه فلسفه مبنيه فى الأساس على الوحي.

اننا لا نشبه هذا الوضع بصوره عابره بأوضاع كانت فى أوساط أخرى.

لا- ضروره هنا (أى فى التشيع) لاجتياز العقبه المتمثله فى الاختلاف بين الحقائق التاريخيه الممكنه الوقوع و الحقائق العقلانيه الواجبه، كذلك يطرح هنا هذا السؤال: كيف تكون الحقيقه تاريخيه و كيف يكون التاريخ حقيقيا (هذه مسأله " الاعتقاد و المعرفه " التى واجهها جميع فلاسفه المسيحيه من أريجن حتى لايبنتز و هيكل)، كما أن التشيع لم يعرف المقارنه و التباين بين حقائق المعتقدات الدينيه التى تعرفها كنيسه من الكنائس و الحقائق الفلسفيه التى هى نتاج جهد شخصى، بل أن نور الكتاب السماوى الذى يتجلى بفضل هدايه الأئمه و إرشادهم يشع مباشره و بدون آيه واسطه على المشاهده الداخليه للمؤمن. ان الفلسفه و الكلام (الثيولوجيا) لا يتقابلان هنا فى صفتين متضادين كقوتين عظيمتين كانتا قد تشكلتا قبلا، قوتين تتولد إحداهما من الفرد، و تنبع الأخرى من الكنيسه.

لقد عد مفكرون الشرقيون هذا الموجود النورانى السماوى الذى سماه الفلاسفه العقل الفعال (نوس بويتيكوس -Nous Poietikos عند اليونانيين) هذا العقل السماوى الذى هو منشا معرفتنا عدوه و الروح القدس شيئا واحدا. ان هذا الأمر لا يؤدى فقط إلى إعطاء الروح وجها استدلاليا، بل ينتهى إلى أن يعد ملك العلم و ملك الوحي شيئا واحدا(6)، و لذا يبعد هذا الرأى كثيرا عن عقيدته " الحقيقتين " التى ظهرت فى المدرسه الابن رشديه اللاتينيه. فى الفلسفه " الشرقيه " يتحد النوران و يتداخلان، و من امتزاجهما تتولد الحكمة الالهيه، الحكمة التى هى علم لدنى، و قد كان أئمه الشيعه أول من وضع لها اسم: المعرفه القليليه: ان التشيع و بخاصه التشيع الجامع، هو فى نظر ملا صدرا هذه الحكمة نفسها.

و الآن نستطيع أن نفهم لم أن هذا المفكر الذى كان العرفان الشيعى قاعدته و أساس تفكيره هو بصوره عفويه إشراقى أيضا. ما ذا كانت فى الواقع تعليمات السهروردى؟ كانت ان تجربه عرفانيه دون قاعده فلسفيه سابقه لا تخلو من خطر الانتهاء إلى الخطأ، و على العكس من ذاك الفلسفه التى لا تسعى و لا تنتهى إلى كشف معنى شخصى فإنها، كما ذكرنا قبلا، ليست أكثر من عبث عقيم، و لذا نرى أن كتاب السهروردى الكبير " حكمه الإشراق " يبدأ بإصلاح المنطق و ينتهى بنوع من " لحظه وجد و سرور ". ان ملا صدرا بدوره يجعل المعنويه الاشراقيه فى شرح أصول الكافي(7) برزخا3.

ص: ٢٠١

٢- رساله الأصول الثلاثة، طبع الدكتور السيد حسين نصر، بند ١٢٠، ص ٨٢-٨٣.

٣- راجع بشأن هذا المتن الذى ذكره السيد حيدر الآملى مقالتنا: 'Errnos' LE Combat spirituel du Shi'isme ، Zahrbael XXX Zurich ،

٤- رساله الأصول الثلاثة، البند ٢٢، ص ٨٣-٨٤.

٥- شرح أصول الكافى، طهران، الطبعة الحجرية، ص ٤٣٧.

٦- فليراجع شرح أول حديث، الفصل الثانى من كتاب الحجج (فى طبقات الرسل و الأنبياء و الأئمة) شرح أصول الكافى، ص ٤٤٥ فما بعد.

٧- شرح أصول الكافى، ص ٤٤٦، بعد ان يشرح ملا صدرا شرحا مفصلا مسأله المعرفه فى نظر أئمه الشيعة (ع) و يبين مراتب الإلهام المختلفه، يشرح فى تفصيل طرق الصوفيه و يقول: " و أما أهل النظر و الاعتبار فلا ينكرون وجود هذا الطريق و إمكان الوصول من خلاله إلى الهدف فى الموارد النادره، لأن أكثر أحوال الأنبياء (ص) و الأولياء (ع) كانت عن هذا الطريق، الا أنهم يرون الأمر متعذرا خارج هذه الموارد، لأن نتيجته تتحقق ببطء، كما ان اجتماع شرائطه مستبعد... ". ثم يقول ملا صدرا ختاماً أن " السالك إلى الله يمزج بين طريقتين، إذ لا- يكون صفاؤه الباطنى خلوا من التفكير، و لا يكون فكره مجردا من الصفاء، بل تكون طريقته برزخا بين الطريقتين، كما هى طريقه الحكماء الإشراقيين و اسلوبهم ". هذا المعتقد تكرر للرأى الذى ذكره السهروردى فى مقدمه "حكمه الإشراق". راجع طبعتنا لهذا الكتاب فى: *oeuvre Philosophiques et Mystiques* de Sohrawardi طهران ١٣٣١ (١٩٥٢) ص ١٠-١٣.

بين طريقه الصوفيين المحض الذين يهتمون بتهديب الباطن، و طريقه الفلاسفه الذين يميلون إلى العلم الصريف، برزخا يتوسط الطريقتين و يصل ما بينهما، و هذا الوضع يوضح السبب في أن ملا صدرا يلوم بعنف و خشونه بعض الصوفيه الذين يعدون الفعاله العقلانيه شيئا هباء، هؤلاء العمى في تحقير الفلسفه عمى أعدائهم الجهله القشريين. أن ملا صدرا يمثل في الواقع نوعا من المعنويه الشيعيه التي مع استعمال لغه التصوف الفنيه لا- ترتبط بآيه طريقه صوفيه، لأن العرفان الشيعي نفسه يؤلف طريقه، و الرابطه الداخليه مع الأئمه (ع) نفسها مقدمه لدخول مرحله السير و السلوك.

فلسفه المعاد

من هنا يمكننا الوقوف مره اخرى على مجموعه الموضوعات الأساسيه التي تميز تفكير ملا صدرا و أن ندرک حدود بنائه. من الواجب (في هذه الحاله) أن نقيد أنفسنا و نحدها ببضعه موضوعات، أولها موضوع يقرب فلسفه أصله الماهيه التي كانت رائجه منذ عصر الفارابي و ابن سينا. فقد كان الرأى مستقرا في ما سبق على أن الماهيه أمر ثابت دون أن يحمل فعل الوجود معنى التحقيق، لأن وجود شيء ما ليس الا ماهيته، و لا يضيف على الماهيه أى شيء، لأنه ليس مظهر الماهيه. و لقد قلب ملا صدرا هذه النظرية، و هذا ما سمح له في شرحه للسهروردي أن يعبر عن الحكمه الاشراقية تعبيراً "وجودياً".

تقوم فلسفه ملا- صدرا الوجوديه على أن لا- ماهيه تتقدم على الوجود، بل أن وجود شيء ما هو يعين ماهيته (1)، و أن الشيء يستطيع بسبب وجوده أن يكون هو، أى تتحول ماهيته من القوه إلى الفعل. طبعاً يجب أن لا نعد ملا صدرا واحداً من فلاسفه "أصله الوجود" أو "إكزيستانسيالستي" عصرنا الحاضر. أن هذه المقايسه لا تعدو أن تكون مهزله. ان ما يريد صدر الدين أن يقوله هو أنه بما أن وجود شيء ما هو الذى يعين ماهيته، فما هي شيء ما ليست فقط شيئاً غير ثابت، بل انها - استناداً إلى فعل وجودى - تستطيع أن تتجاز مراتب الشده و الضعف التي لا يمكن عملياً تعدادها. إذا فنحن لا نواجه في فلسفه ملا صدرا ميدان ماهيات ثابتة كما رأينا عند الفلاسفه السابقين، بل اننا نواجه تحركاً وجودياً (عقيده الحركه الجوهرية المعروفه) تتجاز الماهيه طبقاً له سلسله من التبدلات الوجوديه، و كل من هذه المراتب مرتبه من عالم الوجود.

مثلاً يمكن أخذ مفهوم الجسم. لا يجب لادراك ماهيه الجسم أن نحد فعل الوجود بالعالم الجسماني فقط، الممكن إدراكه عن طريق الحواس الخارجيه. يجب أن نبدأ مفهوم الجسم من العنصر البسيط (بمعنى الطبيعيات القديمه حيث يكون للعنصر طبقاً لها معنى كیفى لا- كمى) و أن نتبعه في التبدلات المتتاليه التي تنتقل به من مرتبه الجماد إلى النبات فالحيوان ثم الجسم الحى فالناطق القادر على فهم الحقائق المعنويه. أن هناك حركه وجوديه عظيمه، من أعماق الجماد، حتى الظهور الأرضى للإنسان، ثم ما وراء هذه الصوره بالتالى، لأن الوجود الإنسانى في وضعه الوجودى في هذا العالم لا يزال وجوداً برزخياً.

لذا يجب ألا- يقع التباس أو اشتباه، بل يجب الانتباه إلى أن نظريه ملا صدرا قد عدت نظريه التطور التي غدت اليوم في اوربا بمثابة عقيدته دينيه، و وجهت وجهه اخرى غير وجهتها، ذلك أن كل شيء في نظريه التطور يقع في جهه مستقيمه أفاقه و في مرتبه وجود واحد. ان الحديث يرد من هذه الناحيه أو تلك عن "معنى التاريخ"، و ينسى كثير من الناس أن عليهم إذا أرادوا التحدث عن مثل هذا الموضوع أن يعدوا المقدمات لعالم معاد. أن حركه العالم في نظريه ملا- صدرا و جميع أمثاله من المفكرين، ليست حركه عالم في حال التطور (بمعناه الجديد)، بل هي حركه عالم في حال الصعود و الارتقاء. ان الماضى ليس وراءنا، بل تحت أقدامنا. ان اتجاه هذا العالم اتجاها عمودياً يمكن القول بمشابهته للأسلوب الكوطى في البناء، يتوافق مع مفهوم

المبدأ و المعاد الذى بواسطته يسخر عالم ما وراء التاريخ عالمنا.

حين تصل حركه الوجود الصعوديه إلى صورته الإنسان الأرضى يبدأ عهد جديد فى التبدلات الوجوديه، لأن الإنسان عتبه منها يتحقق صعود العالم إلى مراتب أرفع للوجود و صور أعلى. ان الوجود الإنسانى منذ هذا الوقت هو - على الأقل بالقوه - فى عده عوالم، لأن الإنسان مؤلف من حقيقه مثلته:

جسم و نفس و روح أو عقل، هى نفسها حقيقه معرفه الإنسان المثلته فى العرفان القديم: سوما Soma بسيكه Psyche بنوما Pneuma و ثمة كذلك ثلاثه أنواع من الإنسان: إنسان طبيعى و إنسان نفسانى و إنسان عقلانى أو روحانى، و يوافق كلا من هذه المراتب الإنسانيه تल्पف تدريجى فى مقام الجسم و مفهومه، فهناك أيضا جسم مادى، و جسم نفسانى، و جسم معنوى أو روحى. أن كلا- من الجسمين الأخيرين مظهر لبعته أو معاد فى المستقبل يختار الإنسان نوعه فى حياته النفسيه على الأرض، و يحدد بنفسه إن كان أهلا لحياه أفضل، أو أنه سيغلب و يسقط فى أعماق نفسه (٢) ان من الواجب الانتباه بطور عابر إلى المصادر النظرية لهذه الحكمة الالهيه. ان هذه الحكمة، بالامتناع عن تحديد الماهيه بالمقولات الثابته غير القابله للتغير، تولد مفهومًا للماده يختلف تماما عما يسمى مادته، على الأقل فى اصطلاح اليوم، لأن الماده فى حكمه ملا صدرا مادته أوليه هى فى نفسها مادته روحانيه.. اننا نعلم أن هذا المفهوم للماده مستمد فى الفلسفه الإسلاميه من الكتابات المنسوبه إلى أنباز فلس التى استعملت قبلا فى موارد عديده فى حكمه ابن عربى. أن هذا التفكير يجعل حكمه ملا صدرا متوافقه مع نظريه معاصريه من فلاسفه كميريدج الأفلاطونيين، فهنرى مور Henry More مثلا- يتحدث (لييان: البعد الرابع) عن " التراكم الروحانى " Spisstiudo (٣) Spiritualis، كذلك يتحدث فى القرن الثامن عشر حكيم

ص: ٢٠٢

- ١- ان كتاب المشاعر (الذى سبقت الإشارة اليه) متعلق فى الأصل بإثبات أصاله الوجود مقابل الماهيه.
- ٢- راجع بشأن ارتقاء الجسم و صعوده هذا شرح أصول الكافى، ص ٢٧٢-٢٧٣ فى شرح مبسط بعنوان " تحقيق عرشى و تمهيد مشرقى "، و راجع كذلك مقالتنا:.. Le theme de la resurrection dans le Commentaire de Molla.. Sadra Shirazi sur la Theosophie Orientale de Sohrawardi' ShaykH al-Ishrag الفصل الخامس: "LA tribIE croissanc de l'homme".
- ٣- راجع كتابنا: Terre celeste et corps de resurrctioe de L'Iran Mazdeen Airan shi'ite . paris. ١٩٦١ ص ٢٧٥.

ألمانيا الكبير فريدريك اوتينكر Friedrich Oetinger الذى كان من تلامذه بوهمه Boehme و سويدنبورك Swedenborg عن "جسمانيه الروح" Geist Lebilich keit . ان ما يحير فى هذه النظرية هو الامتناع من قبول ثنويه الروح و الجسم، أو الفكر و الامتداد، ثنويه متضاده غير قابله للتحليل، الثنويه التى جرت الفلسفه إلى طريق مسدود. لكن يجب ألا نعد ديكارت وحده مقصرا فى هذا الأمر، فسوء حظ هذه الثنويه يتبع من مبدأ أقدم. أن أصله يعود فى نظرى لمجمع الكنيسه الثانى فى القسطنطينيه سنة ٨٦٤ ميلاديه الذى عدت فيه مراحل علم معرفه الإنسان الثلاث التى هى ميراث العرفان (و بدون دليل مظنون) عبثا و باطلا، و اكتفى بمفهومي الروح و الجسم.

إذا أردنا أن نفهم بعمق ثقافتنا المعنويه. فعلىنا أن ننتبه إلى عواقب هذه الأمور، لأننا نرى هنا أن عقيدته بشأن القوه المتخليه الفعاله تتسع فى مرتبه الإنسان النفسانى و "الجسمانيه الروحانيه" حتى تهدم النظريات العاديه بشأن المعرفه المحبوسه فى ثنويه الاحساس و الإدراك. ان على بساط البحث هنا تخيلا يختلف تماما عما نعطيه اليوم هذا الاسم و الذى ليس سوى و هم يصدر عن الخيال. هذا التخيل عباره عن أداه للإدراك و العلم الحقيقى تحتل ما بين الإدراك الحسى و العلم العقلانى، كما تحتل النفس مرتبه ما بين الجسم و الروح. أن ما تدركه هذه الأداه هو بصوره مطلقه من عالمها هى (عالم المثال، العالم الذى الأجسام فيه فى حاله روحانيه، عالم "الجسم عند البعث و النشور") عالم بين العالم الأدنى و العالم الأعلى، عالم النفس، أو البرزخ القائم بين عالم ماده و عالم العقول الكرويه، لذا يعد ملا صدرا القوه المتخليه الفعاله - و بدون تردد أو تمهل - قوه معنويه كالعقل، قوه متجرده عن جسم الإنسان، لأنها نفسها و بنحو ما جسم النفس اللطيف.

ان هذا العالم البرزخى كله قد فقد فى فلسفه ابن رشد، و كانت نتيجه بالنسبه لدنيا الغرب وخيمه جدا، لأن الإنسان يستطيع بواسطه هذا العالم الوسيط وحده أن يدرك الحقيقه المعنويه لمشاهدات الأنبياء كحقيقه صوريه، و بواسطه يستطيع أن يحصل على اليقين فى حقيقه الكشف و شهود العرفاء، و بواسطه هذا العالم يستطيع أخيرا أن يدرك مسأله المعاد الجسماني، هذه المسأله التى لا يمكن تصورها إلا إذا كان فى اليد مفهوم دقيق للجسم اللطيف، و هذا هو السبب فى أن ملا صدرا قد انتقد بشأن هذا الأمر الأساسى، كلا الغزالي المتكلم و ابن سينا الفيلسوف (١) ان فلسفه ملا صدرا، ككل الفكر الشيعى، تستلهم مبدأها من البحث فى المعاد، و هذه الفلسفه تتجلى كفلسفه مبنيه على الوحي تجعل فى يد الإنسان أن يختار مستقبله بنفسه. و على أن اعترف ان مما يحير ان الإنسان يشاهد اليوم فى اوربا نجاحا لا يخلو من ضجيج فى اقامه بناء كلامى و فلسفى مجمل يقوم على أساس من العلوم و الصنائع الجديده، و يدعى انه يفتح للإنسان "أبعاده العالميه"، بينما هو تماما "غير انساني"، لذا يمكن لحكيم من مدرسه دينيه أن يقول فى هذا البناء منصفاً كل الإنصاف أنه "إلهيات غلبت على أمرها بالمجهر و المنظار و الآله و نتائجها الفلسفيه و الاجتماعيه.

أما فى رأى ملا صدرا و جميع أتباعه فإنه، على العكس، لا يمكن التحدث عن "الأبعاد العالميه" للإنسان إذا اعتمد على التجربه الحسيه و على الإنسان الجسماني فقط. ان "الأبعاد العالميه" للإنسان تستمد معناها من ارتباطه بالعوالم العليا و احيائه فى هذه العوالم. ان من الواجب أن يوضع يوما كتاب فى فلسفه المعاد خاصه عند ملا صدرا. ان بناء الإنسان المثلث الذى يشمل الجسم و النفس و الروح يوجب أن ينشأ و يرتقى ثلاث مرات على الأقل، إحداها حين يخرج الإنسان من هذا العالم، هذا الخروج الذى نسميه الموت. هنا تحيا الروح فى عالم البرزخ مع جسم لطيف نفسانى و روحانى يسمى الجسم المكتسب و هو يرتبط بوجود النفس و أفعالها و تحركاتها و أميالها، و يتبعها فى عالم البرزخ. هذه المرحله يطلق عليها فى التعبير الدينى القيامه الصغرى. ثم

تصل النفس بعدئذ أثناء تلك الواقعة في ما وراء التاريخ التي يسمونها القيامة الكبرى إلى المقام الكامل للإنسان المعنوي. إذا فما نسميه الجسم يواجه تحولات و تبدلات تطراً عليه تطابق البناء المثلث للواقعيه الإنسانية(٢) يقول ملا صدرا في متن جذاب:

" من هذا التجلي الأتم، يتبدى مظهر أعظم، و من هذا المظهر تطلع الأسماء الباطنه، و من الأسماء الباطنه يتوسع العرش، و من توسع العرش تتوسع دائره الآخره، و من توسع هذه الدائره ينشأ الإنسان و يرتقى نشئاً و ارتقاءً أخرويين تامين " (٣) ترى، أ يمكن لفكر يبسط أمامنا مثل هذه الآفاق ألا يحمل لدينا اليوم أيه رساله؟ انا موقن أنه يحمل رساله! الا اننى أخصكم بخطابى أتم يا اصدقائى الشبان الايرانيين. اننى اعلم أن بينكم أشخاصاً يؤمنون بهذه المعتقدات الرفيعه و يعيشون على أساسها بإيمان و لذه عاينتهما بنفسى و أنا عليهما شهيد، و لكننى أعلم كذلك أن بينكم أشخاصاً آخرين، شبانا أو ممن عبروا سنوات الشباب، يعكسون عند سماعهم بهذه الأسماء و الأفكار رد فعل سلبي ليس أكثر من عذر لجهلهم، أو انهم ينكرونها، و ذلك فى أكثر الموارد أيضاً اعتراف بحزنهم و أساهم على البعد عن هذه المنابع. ان هؤلاء الأشخاص قد جازت عليهم و لا شك خديعه اسطوره " معنى التاريخ " و هم لا يستطيعون أن يفكروا فى الوقت الحاضر بشأن ما يعدونه من الماضى، لأنهم يتوهمون أنهم قد اجتازوه.

اننى أريد ان اسال هؤلاء: اين قدر نهر ما؟ هل يكون هذا القدر فى خليج يحله الاقيانوس فى خضمه؟ أو فى الصحارى الرملية التى يمحي فيها هذا النهر؟ أم تراه يكون فى مبتداه و ينبوعه؟؟؟ أجل، ان قدر نهر من الأنهار إنما هو منبعه و منطلقه. هذا هو الموضوع الذى يمكن التأمل و التفكير فيه حين نظر إلى المسيلات الجافه التى تعبر هضبه ايران المرتفعه.

ان الماضى و المستقبل، و الحياه و الموت، ليست حين تكون مرتبطه".

ص: ٢٠٣

١- راجع الحواشى (٦١٣-٦١٦ وفق ترقيمنا العام) على البند ٢٤٤ من حكمه الإشراق (القسم الثانى، الكتاب الخامس، الفصل الثالث، ص ٢٢٩ من طبعتنا، و ص ٥٠٩ فما بعد من طبعه طهران الحجرىه، ١٣١٣) و تحقيقنا resurrection.le the mede الفصل الثالث IE monde del"imagination spirituelle et le corps de resurrection فليقارن بالجسم الهورقليائى فى مدرسه الشيخيه. راجع - Terre celeste .

٢- فريد هوف شووان، ص ٣٩، الحاشيتين ٢ و ١٩٦١: Frithjof Schwon "comrendre L'Islam Paris. حول نظريات نايلارد دوشاردان Teilhard de Chardin. هذا الكاتب نفسه يضيف ان نظريات تايلارد دوشاردان هى " سقطه كان يمكن تداركها لو كان ثمة قدر ضئيل جدا من المعرفه العقلانيه المستقيمه عن الحقائق المجرده البريئه من ماده "

٣- راجع الحاشيه الطويله جدا ذات الرقم ٦٢٨ (حسب ترقيمنا، و الصفحه ٥١٨ من طبعه طهران الحجرىه، ١٣١٥) على البند ٢٤٧ من حكمه الإشراق التى يجب مقايستها على المتن الوارد فى ص ٢٧٢-٢٧٣ من شرح أصول الكافى تحت عنوان " تحقيق عرشى و تمهيد مشرقى "

بالروح، من صفات الأشياء الخارجيه، بل من الصفات المتعلقة بالروح نفسها. نحن أنفسنا الأحياء أو الأموات، و المسئولون عن حياه الأشياء و موتها. لقد كان ملا صدرا يعرف جيدا أننا لن نحصل أبدا على المعرفة الا بنسبه ما لنا من قربي إلى العشق و المحبه، و أن معرفتنا هي صورته العشق نفسها، و كذلك ان ما يسميه الأشخاص العديمو الاحساس و الانتباه "الماضى" هو بالنسبه لحننا في "المستقبل"، الحب الذى هو مبدأ المستقبل، لأنه واهب الحياه إذا يجب أن تكون لنا شجاعه و رواد ميدان الحب، و ألا يكون بنا خوف أن "لا نكون عصريين" و مماثلين للجماعه، و أمثال هذه من الاصطلاحات المبتذله، لأن الحكيم يعرف أن الزمان ليس مركبا مشتركا بين الجميع على السويه، بل هو ميزان امتحان كل موجود، الميزان الذى يمتحن عظمته أو - على العكس - سقوطه المؤسف.

و لئن كان يدعو للاضطراب و القلق مثل الورطه العميقه التى تفصل بين ما فى الإنشاءات الجديده من لهيب و صداع، (هذه الصنائع الجديده التى تستعمل للانتصار على العالم) و بين المساعى و الفعاليه المعنويه التى بذلها حكماؤنا الذين وفقوا إلى تجاوز حد لم يكن لأى نوع من أنواع الصناعات أن يذللها، فانى أتذكر مشهدا مؤلما له ميزه التمثيل و الرمز. ان فكرى متجه إلى حضور محيى الدين بن عربى تشييع جنازه ابن رشد، ففى سنه ٥٩٥ توفى الفيلسوف الشهير ابن رشد فى مراکش التى كان اتخذها معتزلا التزم فيه الوحده و الانزواء، و قد نقلت جنازته إلى قرطبه، و حضر مراسم دفنه ابن عربى مع اثنين من أصدقائه، و هناك رأى الثلاثه مشهدا موجعا جعلهم حيارى ذاهلين، ففى جانب من جانبي المركبه كان الناقلون قد وضعوا تابوته، و فى الجانب الآخر الكتب التى كان ذلك الفيلسوف قد ألفها و وضعها.. مجموعه من الكتب كانت تعادل جسدا ميتا.

ان ابن عربى لم ينس قط الخاطر الذى قام فى فؤاده: "الأستاذ فى جانب، و آثاره فى الجانب الآخر! كم كنت اتمنى أن أعلم هل تحققت آماله؟! " (١) قلت منذ هنيهه أن لهذا اللقاء وجهها تمثيلى و رمزيا. و الحق انه فى ذلك الوقت الذى بدأت فيه فلسفه ابن رشد بعد وفاه مؤسسها تقدمها فى ديار الغرب حتى استبدلت أخيرا فى القرن الرابع عشر بما أسموه "الفلسفه الابن رشديه السياسيه"، فارق ابن عربى - الذى ذكرناه الآن واحد كبار العرفاء و الحكماء فى التاريخ كله - بلاد الأندلس إلى الأبد ليختار لنفسه ديار المشرق مقاما و مستقرا، و لينبسط تأثيره النافذ القوى لا فى أفكار ملا صدرا وحده بل فى جميع المذاهب و النزعات المعنويه و حتى اليوم. أن ديار المشرق لم تعرف ابن رشد، أما الغرب فقد كان على معرفه وثيقه بالفلسفه الابن رشديه و نتائجها، و لكنه جهل ابن عربى. أننا نستطيع أن نتساءل: هل للعلم العصرى فى نظر ابن عربى و ملا صدرا و جميع معتقلى مذهبهما، هذا العلم الذى تم انتصاره مقابل فوضى الفكر البشرى و الفلسفه، و الذى يؤدى إلى فقدان شخصيه الإنسان فى جمهور بلا اسم، و ينتهى أخيرا إلى قبول العدم دون قيد أو شرط، هل لهذا العلم فى نظرهم قيمه أكثر من قيمه "مجموعه من كتب تحفظ جسدا ميتا بالتوازن"؟ هل كانوا يؤمنون بتحقيق كل أمنيه لهم؟؟ هذا هو السبب و لا شك فى أن عصرنا بطريق أولى يتحدث بياس و أسى عن محبه انسانيه جديده دون أن يعلم أكثر الأحيان فى الواقع فى أى موضوع يتحدث.

محمد بن أبى حرب بن محمد الحسينى أبو جعفر.

فى التدوين للرافعى: كان يعرف طرفا من فقه الشيعة و يكتب الوثائق لهم و كان سهلا سليم الجانب و قرأ النهايه لابي جعفر الطوسى على على بن الحسن الداعى الحسينى الأسترآبادى بالرى سنه ٥٥٥ و هو يرويها عن أبى عبد الله الحسين عن شيخه أبى على الحسن بن محمد عن أبيه المصنف.

و ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٢٠/٥ و حكى كلام الرافعى إلى قوله الطوسى.

أقول: و يظهر ان هذا غير مهدي بن أبى حرب نزار الحسينى أبى جعفر. و ان اتحدا فى الكنيه و كنيه الأب فان مهديا يروى عن أبى على الطوسى مباشرة كما فى أعلام الشيعة

محمد بن أبى على بن أبى نصر النوقانى.

المولود بنوقان طوس سنة ٥١٦ و المتوفى ببغداد فى الثالث من صفر سنة ٥٩٢ و نقلوه إلى النجف الأشرف فدفن فى مشهد أمير المؤمنين ع بعد أربعة أيام.

ترجم له المنذرى فى التكملة برقم ٣٠٩ و وصفه بالإمام العالم أبى عبد الله و يقال، أبو المفاخر.. و قال:

تفقه بنيسابور على الامام أبى سعد محمد بن يحيى النيسابورى و سمع منه و حدث عنه ببغداد و درس ببغداد و كان بارعا فى الفقه حسن الكلام فيما يقرره و هو والد شيخنا أبى عبد الله محمد.

الشيخ أبو منصور محمد بن أبى العباس احمد بن يحيى بن زيد بن ناقة

المسلى الكوفى.

المولود بالكوفة سنة ٥٣٠ و المتوفى ببغداد فى الثالث من جمادى الآخرة عام ٥٩٣ و المدفون بالكوفة.

ترجم له المنذرى فى التكملة رقم ٣٨٨ فقال: الشيخ الأجل...

سمع من أبى العباس احمد و حدث و هو منسوب إلى بنى مسليه و هى احدى محال الكوفة كان ينزلها فنسب إليها و هذه المحله نسبت إلى بنى مسليه القبيله المشهوره من مذحج نزلوها فنسبت المحله إليهم.

السيد محمد بن احمد بن حسن بن حسين الحسينى.

توفى بعد سنة ١٢٤٤.

عالم جليل و محقق مدقق رأيت له بعض التعليقات على كتاب شرح المختصر النافع تدل على سعه اطلاعه كانت مؤرخه فى سنة ١٢٤٤ و توفى بعد هذا التاريخ.(٢)

السيد محمد بن أبى طالب بن السيد محمد شيخ الإسلام الحسينى

الرامسرى.

ولد حدود ١٢٥٩، توفى ١٣٢٥.

ولد فى رامسر و درس المقدمات بها ثم ذهب إلى قزوین و أصفهان و اشتغل عند اعلامها فى الفقه و الأصول و الفلسفه و النجوم و العلوم الغربیه ثم رجع إلى موطنه و عین سنه ۱۲۹۶ شیخ الإسلام من قبل ناصر الدین شاه القاجارى و كان شاعرا أدبیا و له مكتبه نفیسه فیها كتب خطیه نادره تفرقت بعد وفاته و كان من الأحرار فى قضايا الدستور الايرانى - توفى فى جورديه من

ص: ۲۰۴

۱- من أجل الوقوف على قصه هذه الحادته راجع: L'imagination creatrice dans le Soufilme d'ibn Arabi

Paris ۱۹۵۸ ص ۳۲-۳۸ فما بعد.

۲- الشيخ محمد السامى.

ضواحي رامسر و دفن بها. (١)

أبو القاسم محمد بن احمد بن مهدي العلوي.

المتوفى فى ذى القعدة سنة ٤٦٥ بنيسابور ترجم له فى منتخب السياق برقم ١٢٠ و قال: فاضل من دعاه الشيعة عارف بطرقهم و علومهم سمع و روى. توفى فى ذى القعدة سنة خمس و ستين و اربعمائه و دفن بمقبره الحيره.

و ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ٣٧/٥ رقم ١٢٥ و قال: روى عن أبى عبد الرحمن السلمى و عبد الله بن يوسف و غيرهما. (و روى) عنه زاهر و وجيه ابنا طاهر و عبد الغافر الفارسى و قال: كان من دعاه الشيعة و غلاتهم عارفا بطريقهم مقدما فيهم توفى سنة ٤٢٥. (٢)

محمد بن احمد بن حمدان المعروف بالخزاز البلدى.

نسبه إلى (بلد) و هى مدينه بالجزيره التى منها الموصل.

ترجم له الثعالبي فى اليتيمه و قال: كان اميا و كان حافظا للقرآن يقتبس منه و كان يتشيع.

و ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ٥٧/٢ و أورد له شيئا من شعره و أورد أبو بكر بن عبد الله بن ايىك صاحب صرخد فى كتاب كنز الدرر و جامع الغرر فى المجلد الرابع منه فى تاريخ الأمويين و اسمه الدره اليتيمه شيئا من شعره و قال: و كان فيه تشيع منها قوله:

ان كان حبي خمسه زكت بهم فرائضى

و بغض من ناواهم رفضا فانى رافضى

و أورد القفطى فى ابناه الرواه شيئا من شعره و له ترجمه فى الأمل و نسمة السحر و ترجم له القفطى فى المحمدون من الشعراء أيضا ص ٣١ رقم ١٣ قال هو من بلده يقال لها بلد من بلاد الجزيره التى منها الموصل و أبو بكر محمد احمد الخباز هذا من حسناتها و من عجيب شأنه انه كان أميا و شعره كله ملح و تحف و غرر و طرف و لا تخلو مقطوعه له من معنى حسن أو مثل سائر... و كان حافظا للقرآن مقتبسا منه فى شعره.

ثم أورد له شيئا من شعره ثم قال: و كان يتشيع و يتمثل فى شعره بما يدل على مذهبه كقوله:

و حمائم نبهننى و الليل داجى المشرقين

شبهتهن و قد بكين و ما ذرفن دموع عين

بنساء آل محمد لما بكين على الحسين

و كقوله:

جحدت ولاء مولاي على و قدمت الدعى على الوصى

متى ما قلت ان السيف امضى من اللحظات فى قلب الشجى

لقد فعلت جفونك فى البرايا كفعل يزيد فى آل النبى

(٣)

شرف الدين محمد بن احمد بن يعلى الهاشمى.

روى عن محمد بن عبد الله بن حبيب العامرى الواعظ كتابه روضه أفهام اولى الألباب فى شرح معانى الشهاب فى شهر رمضان سنة ٦٢١ بئغر الإسكندريه و رواه عنه معين الدين أبو على الحسن بن فتوح القرشى ذكره ابن الفوطى فى ترجمه معين الدين من تلخيص مجمع الآداب ٦٥٧/٥ رقم ١٤٢٤ و كذا ذكر فى ٧٥٢/٥ رقم ١٩٥١ موفق الدين أبا المعالى سعد ابن عبد العزيز القرشى الشافعى و أنه سمع الكتاب على المترجم.

محمد بن احمد بن محمد الملقب ذو اليراعين.

قال ابن ناصر: رافضى لا تحل روايه عنه! كذا فى ميزان الاعتدال.

و قال ابن حجر فى لسان الميزان ٦١/٥ رقم ٢٠٣ و هذا ذكره ابن السمعانى و قال كان متصرفا فى عمل السلطان سمع أبا القاسم بن بشران و حدث باليسر روى عنه إسماعيل السمرقندى مات سنة ٤٧٨.

محمد بن احمد بن محمد بن خلف أبو الحسن بن الفحام.

المعروف بابن أبى المعتمر الرقى نزيل دمشق المتوفى سنة ٣٩٩.

قال فى لسان الميزان ٢٥١/٢: قرأ على زيد بن أبى بلال و غيره و حدث عن النجاد و طبقتة و عنه أبو القاسم الحنائى و أبو على الاهوازى و آخرون ذكره الدانى و قال: كان زاهدا متقشفا مات سنة ٣٩٩ صنف كتابا فى انكار غسل الرجلين فى الوضوء و كتابا فى الآيات النازله فى أهل البيت.

محمد بن احمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن إبراهيم بن جعفر بن

إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر الطيار أبو الحسن بن أبى

طاهر.

المولود سنة ٣٢٤ و المتوفى سنة ٣٨٥.

ترجم له الرافي في التدوين و قال: كان هو و أخوه أبو القاسم مشغوفين بالصدقات و أعمال الخير و كان إليهما الرئاسة بقزوين و كان صاحب بن عباد يخصصهما بقبول الهدايا اللطيفه نحو المجلدات من الكتب و الحلوى و سمع أبو الحسن الحديث من العليين ابن مهرويه و ابن إبراهيم، و سليمان بن يزيد و بالرى من عتاب الوراميني و غيره.

و حج سنة ٣٥٧ ففات في تلك السنه الحج لاكثر الناس بسبب إعواز الماء و شدة الوباء فبذل مالا لبعض الاعراب حتى سار به إلى عرفات فحج و فرق هناك أموالا على الطالبية و البكريه و العمريه. و مات سنه ٣٨٥ و كانت ولادته سنة ٣٢٤ و لم يعقب هو و لا أخوه ذكرا. (٤)

محمد بن احمد الحيرى

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

الامام المحدث الثقة، النحوى البارع، الزاهد العابد، مسند خراسان، أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان بن على بن سنان الحيرى.

ولد سنه ثلاث و ثمانين و مائتين.

و ارتحل به والده الحافظ أبو جعفر إلى العجم، و العراق، و الجزيره، و النواحي، و سمعه الكثير، و طلب هو بنفسه، و كتب و تميز، و برع فى العريه، و مناقبه جمه رحمه الله.

ارتحل إلى الحسن بن سفيان النسوى فى سنه تسع و تسعين، و هو ابن ست عشره سنه، أو أكثر فسمع منه الكثير، و إلى الأهواز فأكثر عن عبدان الجوالقى، و إلى الموصل فأكثر عن أبي يعلى، و إلى جرجان فأكثر عن عمران بن موسى بن مجاشع السخيتانى، و سمع بالبصره من زكريا الساجى، و محمد بن الحسين بن مكرم، و إلى بغداد فاخذ عن أحمد بن الحسن الصوفى، و حامد بن شعيب البلخى، و الهيثم بن خلف الدورى، و محمد ابن عبد الكريم الجرجانى، و ابن خزيمة، و السراج، و محمد بن عبد الله بن جرير الطبرى، و روى أيضا عن أحمد بن محمد

ص: ٢٠٥

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- السيد العبد العزيز الطباطبائى.

٣- السيد العبد العزيز الطباطبائى.

٤- السيد العبد العزيز الطباطبائى.

يوسف الدورى، و عبد الله بن محمد بن يونس السمنانى، و أبى عمرو أحمد ابن نصر الخفاف، و أبى قريش محمد بن جمعه، و يعقوب بن حسن النسائى، و عبد الرحمن بن معاذ النسائى، و جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، و عبد الله بن محمد بن شيرويه، و محمد بن محمد بن سليمان الباغندى، و على بن حمدويه الطوسى، و جعفر بن أحمد بن سنان، و على بن سعيد العسكرى القطان، و عبد الله بن زيدان البجلي بالكوفه، و على بن الحسين البشارى، و حمزه بن محمد الكوفى، و محمد بن زنجويه بن الهيثم، و محمد بن أحمد بن عبد الله الراذانى بنسا، و أحمد بن محمد بن عبيده الثعالبى، و أبى العباس بن عقده، و عبد الله بن محمد بن سيار الفرهادانى، و إبراهيم بن على العمرى، و محمد بن أحمد بن نعيم، و عبد الله بن أبى سفيان الموصلى، و أبى بكر بن أبى داود، و العباس بن الفضل بن شاذان الرازى، و شعيب بن محمد الزراع، و الحافظ أبى بكر أحمد بن على و عبد الرحمن بن أبى حاتم، و محمد بن مخلد الدورى، و محمد بن هارون ابن حميد، و أحمد بن محمد بن بشار بغدادى يعرف بابن أبى العجوز، و محمد بن محمد بن عقبه الشيبانى، و الحافظ أحمد بن يحيى بن زهير التستري، و غيرهم، و تفرد بالروايه عن طائفه منهم.

حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم، و أبو سعيد النقاش، و أبو حازم العبدوى، و أبو العلاء صاعد بن محمد الهروى، و أبو نعيم الأصبهاني، و أبو الفتح بن أبى الفوارس، و أبو حفص بن مسرور، و أبو الحسين عبد الغافر الفارسى، و أبو سعد محمد بن عبد الرحمن الكتجروذى، و محمد بن محمد بن حمدون السلمى، و أبو عثمان سعيد بن محمد البحيرى، و محمد بن عبد العزيز النيلي الشافعى، و آخرون.

قال الحاكم: ولد له بنت، و عمره تسعون سنه، و توفى و زوجته حبلى، فبلغنى أنها قالت له عند وفاته: قد قربت ولادتى، فقال: سلمته إلى الله، فقد جاءوا ببراءتى من السماء، و تشهد، و مات فى الوقت.

أبى شيبه، و مسند أبى يعلى الموصلى، و مسند عبد الله بن شيرويه، و مسند السراج، و مسند هارون بن عبد الله الحمال.

قال الحاكم: كان المسجد فراشه نيفا و ثلاثين سنه، ثم لما عمى و ضعف، نقل إلى بعض أقاربه بالحيره، و كان من القراء و النحويين، و سماعاته صحيحه، رحل به أبوه، و صحب الزهاد، و أدرك أبا عثمان و المشايخ، و سمع من محمد بن زنجويه فى سنه خمس و تسعين، و مائتين، توفى فى الثامن و العشرين من شهر ذى القعدة سنه ست و سبعين و ثلاث مائه، و هو ابن ثلاث و تسعين أو أربع و تسعين سنه، و صلى عليه الحافظ أبو أحمد الحاكم.

و قال الحافظ محمد بن طاهر المقدسى: كان يتشيع.

قلت: تشيعه خفيف كالحاكم.

وقع لى جمله من عواليه، و خرجت من طريقه كثيرا.

محمد أولجايتو خدابنده بن ارغون بن أبقا بن هولاكو

مرت ترجمته في المجلد التاسع و نزيد هنا عليها التفاصيل الآتية:

كان اولجايتو في خراسان يترقب خبر وفاه غازان، و كان قد عين مراسلين في البلاط ليلغوه هذا النبا لذلك فإنه عرف بوفاه أخيه قبل أن ينتشر خبرها و تمكن من أن يعقد اجتماعا مع أمرائه، و يتخذ القرارات التي يعتقد انه لا بد منها، و في أول اجراءاته (٢٤ شوال ٧٠٣) كان أمره بقتل الأمير الافرنك. ثم قرر الاطاحه بالأمير هورقوداق الذي كان يعتبره منافسا له، و لقد دهش هذا الأمير مما ناله لانه لم يكن قد آذى الحاكم الجديد و لهذا فإنه بعد القتال مع أمراء الجايتو، هرب من هناك، و لكنهم قبضوا عليه و اعتقلوه ثم قتلوه بتهمه الخيانه. و كان مصير جميع أفراد عائلته نفس المصير عدا احدى بناته.

توجه الجايتو عند ذاك نحو الغرب، و لكن الأمطار الغزيره عرقلت مسيرته إلى أن وصل في الخامس من ذى الحجه سنه ٧٠٣ إلى أوجان و جلس في الخامس عشر من ذى الحجه على العرش. و بعد ذلك و حسب العاده أقيمت المآدب التي شارك فيها ممثلون عن المملوك المحليين، و لم يحضر في هذه الاحتفالات ممثل عن فخر الدين ملك هرات.

الايخان الجديد عين قتلغ شاه أميرا للأمرء، و انضمت منطقته كرمان التي كان حاكمها المحلي قطب الدين شاه جهان سبور غاميش قد توفي، - انضمت رسميا إلى اراضي الايلخان.

و كانت اداره البلاد بايدي الوزيرين سعد الدين و رشيد الدين و استمرت هذه الحاله ثمانى سنوات.

أرسل الجايتو وفدا إلى بلاط السلطان المملوك، و أرسل سلطان مصر كذلك وفدا يترأسه كل من حسام الدين المجيرى و ابن سكرى احتراماً للايلخان. و طلب الجايتو من المبعوثين المصريين الإفراج عن السجناء المغول و هدهما حسب عادته بكلمات و عبارات ناييه. علما بان هذه التهديدات لم تكن ذات صله بالهزائم التي لحقت بالمغول في سوريا. و مما قاله: "الطريق مفتوح أمام الرسل و التجار و كل شىء حاضر، إذا وافق الجانبان، و إذا لم تكن لديهم آذان صاغيه، فالأمر للسيف". و بالرغم من أن المماليك أرسلوا رسولا في سنه ٧٠٥ إلى بلاط الايلخان، الا أنهم هاجموا في نفس الوقت ارمينيا الصغرى و نهبوا عاصمتها سيس، و اجبروا تكفور حاتم على الاستقاله للمره الثالثه، و نصبوا مكانه ابن أخيه ليون الرابع.

و خرجت ارمينيا الصغرى في عهد هذا السلطان و خلفائه من هيمنه المغول و سلطتهم. و في سنه ٧٠٧ هجريه هاجم مسلمو آسيا الصغرى بقيادة بولارغى، ارمينيا الصغرى. فاستنجد ليون الرابع بالملك الناصر سلطان مصر و طلب منه العون، فغضب بولارغى من هذا العمل بحيث قتله في بلاط ملك ارمينيا و هرب أحد أفراد الحاشيه من هذه المعركه و أبلغ الأمر إلى القاده الأرمن، مما دفع بهم إلى الهجوم على قوات المغول التي كانت في ارمينيا، و ربما كان هؤلاء يعتقدون ان المغول الذين كانوا يحكمون آسيا الصغرى هم السبب لهذا الحادث. فاضطرت القوات المهاجمه للانسحاب إلى قيصريه.

في ذلك الوقت أدرك الجايتو الأذى الذي سببه بولارغى بسبب سوء معاملته، و لهذا بعث بالأمير ارنجن إلى آسيا الصغرى لعزل بولارغى و إلغاء الأوامر التي كان قد أصدرها. الا أن هذا الأمر لم يخفف من التطورات التي كانت قد بدأت في ارمينيا الصغرى.

و في جمادى الأولى من سنه ٧٠٥ جاء مبعوث من قبل القاآن إلى بلاط الجايتو، و قال ان القاآن يعترف بحكومته و أن الأوضاع

فى ما وراء النهر على ما يرام. و كان مبعوثو ما وراء النهر قد حضروا إلى بلاط الايلخان آنذاك و أقيمت احتفالات خاصة على شرفهم.

كان الجايو يهتم كثيرا بالتنسيق فى العلاقات بين الحكام المغول و لهذا فإنه أرسل وفودا إلى فيليب الرابع ملك فرنسا (١٣١٤ - ١٢٨٥ م) و إدوارد الأول ملك انكلترا (- ١٢٧٢ م) و أبلغهم بالخبر.

و فى سنة ١٣٠٧ م أمر الجايو ببناء مدينه سلطانيه حيث ظلت عاصمه الايلخانيين إلى نهايه حكومتهم فى ايران.

ص: ٢٠٦

بدأ الجايو بعض الاجراءات لاقامه خطوط مواصلات جيده مع خراسان ليحقق انتصارات حريه و لم يسبق للملوك السابقين ان فعلوا ذلك: حيث قرر بعد استشاره الأمراء الهجوم على كيلان. و حسب العاده القديمه وجه الايلخان الدعوه إلى اثني عشر أميراً محلياً في تلك المنطقه للمجىء إلى بلاطه، الوحيد الذى استجاب للدعوه كان الديداج، الا انه ندم بعد فتره قصيره و هرب بصوره سريه. ففى هذا الوقت زحفت قوات الايلخان، أما القاده الذين كان الايلخان قد أرسلهم لتقصى الأخبار فذكروا فى تقاريرهم انه يمكن الاستيلاء على هذه المنطقه بسهوله و كانوا يعتقدون أن كيلان منطقه مهمه من الناحيه الجغرافيه و خطوط المواصلات الموجوده فيها.

هاجمت قوات الايلخان منطقه كيلان من أربع نقاط بقياده جوبان و قتلغ شاه و توغان و مؤمن تحت إشراف الجايو، و شاركت فى هذا الهجوم قوات كرجستان بقياده بكعه و وحدات من أرض آس. و كان ختنك الثالث ملك كرجستان حاضراً فى جيش الجايو الذى تجمع فى لاهيجان.

تغلب جوبان و قتلغ شاه على عدد من أمراء كيلان و لكن بالرغم من تعليمات الايلخان نفسه، فقد تقدم قتلغ شاه بإلحاح من ابنه، فى منطقه خلخال و لكنه هزم على ايدي المحاربين المحليين فى ضواحي رشت و قتل. و كان الايلخان نفسه قد بدأ هجومه فى ذى القعدة سنه ٧٠٦، فهزم عدد من الحكام المحليين و لكن لما قررت قوات المغول الاستمرار فى اعتداءاتها. اجتمع الحكام المحليون و قرروا الصمود أمام المعتدين و اشتدت الحرب بينهم و أسفرت عن هزيمة قوات المغول، الا أن القوات التى كان الجايو قد أرسلها للانتقام لدماء قتلغ شاه تمكنت من احتلال مؤمن [فومن] و رشت و توليم. و بالرغم من أن قوات المغول لم تتمكن من الاحتفاظ بالأراضى التى احتلتها، الا أن الايلخان كان يتصور ان كيلان قد احتلت، و لكن يجب القول، انه لم يطرأ اى تغيير فى الأوضاع فى هذه المنطقه:

و فى هذا الوقت بعث الجايو، دانشمند بهادر إلى خراسان لتأديب فخر الدين ملك هرات لأنه كان قد استمر فى أعماله العدوانيه عند ما كان الايلخان فى خراسان كما انه رفض أن يوفد رسلا عنه إلى احتفالات تتويج الايلخان. و لما وصل دانشمند إلى مدينه نيشابور، علم فخر الدين بهذا الهجوم و تمكن من أعداد نفسه للوقوف بوجهه. و فى بدايه الأمر رفض ملك هرات طرد نيكوداريان من المدينه، الا انه وافق بعد ذلك بان يدخل دانشمند و جماعه من قواته إلى المدينه و لكن لما رفض جمال الدين سام أحد أشرف مدينه هرات تكريم الجايو، فقد صعب الأمر على دانشمند. كما تمكن دانشمند بصعوبه أن يحصل على موافقه الايلخان على إبقاء فخر الدين حاكماً على المدينه. و فى المأدبه التى أقامها سام على شرف دانشمند و مرافقيه، شاهد هؤلاء أفراداً مسلحين فى تلك المأدبه، و فى المعركه التى وقعت بينهم قتل الأمير يلدوز قائد قوات المغول و استهزءوا بزوجه و قتلوا جميع القوات التى كانت معه و أجبروا تلك القوات التى كانت قد استقرت فى بوابه المدينه على التراجع و الانسحاب، و فى النهايه و لما كان فخر الدين قد أيد هذه المجزره فقد كانت الفرصه متاحه أمامه.

و من جانبه أرسل الجايو، بوجاى ابن القائد المقتول إلى الشرق للانتقام، و اتحد هذا مع شقيقه توغان، و أجبر هذان الاثنان، فخر الدين على المجىء إليهما. و ادعى فخر الدين انه برىء من قتل دانشمند بهادر و أضاف أن أهالى هرات و من بينهم جمال الدين سام لا يسمعون كلامه و لا يطيعونه. و فى النهايه بدأ بوجاى فى الأول من شهر شعبان سنه ٧٠٦ بمحاصره المدينه. و كان مع سام ١٧٠٠ من الجند بينهم عدد من المحاربين البلوش، حيث قام بهجمات داميه على قوات المغول. و فى هذه الأثناء توفى

قرر يام احمد الذى كان من الرماه و تمكن بالمساعى التى بذلها أن يصبح ضمن مستشارى فخر الدين، - قرر أن يقتل سام و ينقذ المدينه. الا أن مؤامرتة كشفت و قتل يام و رفاقه. و فى هذه الأثناء التحقت احدى الفرق التى كان يقودها دولاي، التحقت ببوجاى و لما كان بوجاى لا يرغب أن يتقاسم الانتصار لفتح المدينه مع القائد الجديد، عقد اتفاقا مع سام الذى كان قد قتل أبوه، بان يتخلى سام عن المدينه لصالح بوجاى، شريطه أن يعفو بوجاى القائد الهراتى من العقوبه. و فى الثانى و العشرين من ذى الحجه سنه ٧٠٦ و تحت ضغط سكان مدينه هرات، سلم سام المدينه إلى المغول. و أمر بوجاى بتدمير برجها و قلاعها. و فى الأيام التاليه كاد سام و هو سكران أن يلطخ يده بدم بوجاى، الا أن أصحابه و من أجل مدينه هرات منعه من ذلك. و لما كان الكثير من أصحاب سام قد قتلوا تم إبعاده إلى بين النهرين، و لكن حياته لم تستمر طويلا و عادوا به مقيدا بالسلاسل إلى هرات و قطعوا رأسه. و تمكن المغول من خلال عدده هجمات أن يسيطروا على خراسان كلها. و بدأ فى هذا الوقت فى جميع أنحاء الشرق بل و فى جميع المناطق التى كان يسيطر عليها الايلخان، عهد هدوء و استقرار.

و أرسل الجايتو فى سنه ١٣٠٨ ميلاديه رسلا إلى بلاط قاآن ظلوا فى الصين أربع سنوات. مهدوا خلالها لارسال وفد من جانب القاآن إلى بلاط الايلخان.

و لقد تم اعتقال أعضاء هذا الوفد فى طريق عودته فى تركستان.

استمر الايلخان فى سياسه غازان المالىه و اهتم كذلك بالقضايا الدينيه، و فى سنه ١٣١٠ م قبل المذهب الشيعى.

بعد فتره قصيره فى شوال سنه ٧١٠ حصل خلاف بين الوزيرين سعد الدين الساوجى و رشيد الدين حول تعيين تاج الدين على شاه وزيراً و نائبا مما جعل رشيد الدين يغيب عن الديوان فتره من الزمن. فسأل الجايتو عن سبب هذا الغياب و بعد الاطلاع على ذلك استدعى سعد الدين فى يوم الثلاثاء العاشر من شهر شوال سنه ٧١١ و أمر بقتله بسبب الاختلاس.

و اضطر رشيد الدين بعد ذلك أن يقسم اداره أمور الديوان بينه و بين تاج الدين على شاه الذى كان صديقه فى البدايه و لكن حصلت الفرقة بينهما بعد ذلك.

كانت الحدود بين دوله الايلخان و الحكومه فى مصر هادئه بعد هزيمه بولارغى، و استغل حكام قبجاق و بيزنطه و ارمينيا الصغرى و كرجستان هذا الهدوء و الاستقرار فأرسلوا وفودا إلى بلاط سلطان المماليك لتعزيز و تثبيت امن بلدانهم. و لم تكن للمغول عند ذاك أية سلطه على ارمينيا الصغرى الا أن كرجستان كانت فى أيديهم. و لما توفى وختنك الثالث (فى ١٣٠٧ أو ١٣٠٨ ميلاديه) و داود السادس (١٣١٠ ميلاديه)، عين الجايتو، جورج السادس ابن داود السادس ملكا على كرجستان.

و كان الايلخان مضطرا آنذاك الاهتمام بالقوقاز، حيث أن حكام قبجاق كانوا لا يزالون يدعون ملكيه تلك الأرض. و بالرغم من أن تفتغا كان قد أرسل وفدا إلى الايلخان فى بدايه حكمه الجايتو و طلب منه المصالحه و السلام، الا ان الايلخان اضطر بسبب تحشدات جنود حاكم قبجاق، أن يرسل جوبان إلى دربند عبر طريق كرجستان.

ان الاجراءات و التدابير التي قام بها هذا القائد في المنطقه، دفعت تقفعا ثانيه أن يرسل في التاسع و العشرين من ذى الحجه سنه ٧٠٩ وفدا إلى بلاط الايلخان في السلطانيه للمحافظه على السلام. و لكن و بعد أن جلس ازبك على عرش سراى خلفا لعمه، أرسل وفدا إلى الجايو و أبلغه الادعاء القديم القائل بتملكه للقوقاز. و كان الجواب في السلطانيه هو الرفض طبعا

ص: ٢٠٧

و لكن لما كان متعذرا على ازبك أن يحقق غايته بالقوه، و لما كان الجايو لا ينوي المصالحة فقد رأى حاكم قبجاق من الأفضل أن يكسب رضا الايلخان. و لذلك أرسل وفدا إلى بلاط الايلخان للاعتذار، و وصل هذا الوفد إلى عاصمه الجايو فى الخامس و العشرين من المحرم سنة ٧١٤ و حاول أن يجدد الاتفاق إلى حد ما، الا ان العلاقات بين البلدين لم تعد إلى مجراها الاعتيادى، و أرسل حاكم قبجاق بعد ذلك سفراء إلى عاصمه الجايو و لكنه لم يجدد ادعاءه و ملكيته القوقاز.

و فى سنة ١٣١٢ ميلاديه هاجم الجايو، حكومه المماليك. و كان قد جاء اليه حكام كثيرون بينهم شمس الدين قرا سنقر حاكم دمشق، و شجعوا الايلخان على الهجوم على حصن الرحبه عن طريق الموصل. و قام المغول بمحاصره هذه القلعه و احتلوها فى يوم الأحد الثالث عشر من شهر شوال سنة ٧١٢. و يقول المؤرخ المصرى المفضل ان الجايو بعد التوقيع على الاتفاق اضطر إلى مغادره الحصن بسبب قله المواد الغذائيه. و تفشى بعض الأمراض المعديه. ان الهجوم المضاد للمصريين جاء بعد فتره اخرى.

و بعد هذا الهجوم بدأت الاضطرابات فى آسيا الصغرى. حيث أن سلطه ملوك السلاجقه فيها بدأت تتقلص رويدا رويدا و الحكومات التركيه المحليه بدأت تحصل على استقلالها. و فى سنة ٧١٤ هجريه ثار التركمان و القرامان و استولوا لفته قصيره على قونيه و ملطيه، الا- ان الأمير جوبان بالرغم من أن المصريين كانوا يعززون الثوار، تمكن بمساعدته القوات الكرجيه أن ينهى هذه الثوره. كما كانت الحكومات المحليه تسبب مشاكل كثيره للمغول و لم تتمكن قوات المغول ابدا من أن تقيم لنفسها مواقع حصينه فى المناطق الجبلية. و يقال ان غازان كان قد وصف القرامان ذات مره بأنهم ألد أعدائه.

لا- يعتقد أن هذه الأمور هى السبب فى قطع الايلخان هجماته على حكومه المماليك. ان كيك و يساور و هما حاکمان فى ما وراء النهر كانت لهما علاقات مع المصريين، و كانا قد عبرا نهر جيحون فى نهايه شهر رمضان سنة ٧١٣، و أن بوجای الذى كان فى خراسان مع جيوشه تمكن بمساعدته جيوش بدخشان، التى كانت قد جاءت إلى تلك الولاية آنذاك، أن يقابل أحد جيوش ما وراء النهر، و لكن لما كانت جيوش ما وراء النهر الرئيسييه قريه إلى هناك، و من جانب آخر حصلت اضطرابات فى فارس، فان القائد المغولى اجتنب الحرب، الا أن جيوش بوجای و يساول القائد المغولى الآخر وقفت أمام جيوش كيك على ضفاف نهر مرغاب. و إن بوجای قتل مع مرافقيه الأوفياء، و أن يساول حسب الظاهر تمكن مع سبعة آخرين أن يهرب من المعركه، الا أن جيوش ما وراء النهر لم تتمكن من تحقيق ما تريد من هذا الانتصار و أن كيك أفرج عن المعتقلين و سمح لهم بالذهاب.

توجه الجايو و جيوشه نحو الشرق بسرعه و تقدموا حتى طوس. و جاء يساول إلى هذه المدينه أيضا، و قتل حاكم المدينه بسبب بعض المشاكل التى أوجدها. و من هذه المدينه بدأت جيوش الجايو هجومها على كيك و طردوه من خراسان و أجبروه على العوده إلى بخارا، و فى هذا الوقت أعاد الجايو النظر فى أوضاع خراسان.

و من أجل تعزيز موقف الحكومه، كما كانت العاده المتبعه آنذاك، فقد عين الجايو ابنه أبو سعيد الذى كان شابا، على حكومه خراسان. و أرسل معه الأمير سونج بصفته وزيرا. و فى سنة ٧١٥ هجريه أنزل أغول و هو من قبيله قيبدو خسائر و إضرارا كبيره بخوارزم و مازندران. و لما كان الايلخان يعتقد أن حاكم قبجاق هو الذى دفع أغول إلى هذا العمل. فقد حصل خلاف بينه و بين حاكم قبجاق.

لقد وقع حادث سهل قيام الأمن و الاستقرار فى المناطق الشرقيه.

حيث انه بعد هجوم كبيك و يساور الذى باء بالفشل، حصل خلاف بينهما، و أن كبيك اتهم يساور بتعاونه سرا مع الجاييتو، و لما رأى يساور ان حياته مهدده بالخطر، عبر نهر جيحون و استقر فى ضواحي شبورغان. و من هناك اتصل مع حاكم ايران. و فى (ذى القعدة سنه ٧١٤) تصور الجاييتو أن ازبكيك و الملك الناصر قد اتحدا معا ضد كبيك و لهذا فقد رحب بيساور و استقبله و أعلن دعمه له أمام جيوش كبيك. و خصص له منطقه بادغيس مخيما شتويا لجيوشه.

أما فى مسأله اداره أمور الديوان فان الخلاف بين رشيد الدين و تاج الدين على شاه، الذى كان يعادى الأمير توقماق أيضا، بلغ حدا بات معه من الضرورى فصل وظيفه كل منهما عن وظيفه الآخر، الا أن الجاييتو لم يتمكن من أن يتخذ قرارا فى ذلك، حيث كان يعتقد ان استشارتهما مفيده له جدا.

كان من الضرورى حل هذا الخلاف و لكن الجاييتو لم يتمكن من ذلك، و من جانب آخر فان جيوشه التى كانت قد توجهت إلى آسيا الصغرى لصد هجوم المصريين لم تتمكن من الحيلولة دون نهب مدينه ملطيه. و بهذا فان الهزائم المختلفه هددت سلامه الايلخان إلى أن مرض و هو فى الصيد، و طلب إحضار ابنه أبو سعيد من خراسان، الا أن أبا سعيد لم يتمكن أن يحظى بمقابله والده. و يقول المؤرخون المصريون أن الجاييتو قتل مسموما فى يوم الأربعاء ٢٧ رمضان سنه ٧١٦.

بعد اولجايتو

كان ابن اولجايتو و ولى عهده أبو سعيد فى الثانيه عشره من العمر يعيش فى مازندران، عند ما وصله نبا وفاه والده الجاييتو. و توجه سونج الذى يتولى الوصايه على أبو سعيد، اليه بسرعه و ذهب معا إلى السلطانيه عبر طريق الرى. و كان سونج و أبو سعيد قد أرسلوا وفدا إلى قتلغ شاه خاتون زوجه الجاييتو و الأمير جوبان لتقصى الحقائق. فجاء جوبان إلى أبو سعيد بسرعه، و تمكن بالرغم من عدم رغبه سونج الذى كان يعتقد أن عصر سيادته قد حان، أن يتقرب إلى أبو سعيد. و فى الأيام الأولى من شهر صفر سنه ٧١٧ جلس أبو سعيد على عرش آباءه. و أصبح جوبان أميرا للأمرء.

و فى السنوات التاليه كان فى الحقيقه هو الذى يشرف على اداره شئون الدوله.

و انتهزت الجيوش الثائره فى ما وراء النهر فرصه تغيير الايلخان و هاجمت ايران.

و من جانب آخر غضب يساول القائد المغولى الذى كان قد جمع أموالا كثيره فى الشرق، غضب من تمكن أبى يزيد بن بوجاى و بوساطه من سونج أن يحصل على قياده قوات المغول فى خراسان. فجمع مستشاريه فاعترفوا بان أبا يزيد شاب عديم التجربه، و اقترحوا بان يتولى توغان عمه الحكم و قياده الجيش، و فى نفس الوقت دعا يساول، يساور حاكم ما وراء النهر الذى كان قد جاء إلى ايران فى عهد الجاييتو، دعاه إلى الطعام ليقتله، الا- أن أحد أقارب يساور أخبره بالمؤامره التى دبرت له و من جانبه حاول حاكمما وراء النهر أن يقتل يساول، الا- أن القائد المغولى هرب إلى هرات. و لجا إلى غياث الدين كرت. و لدى عودته إلى نيشابور، طارده مجموعه من الجيش بقياده مبارك شاه بوجاى فى العاشر من ذى الحجه سنه ٧١٦ و قتلوه على ساحل نهر قراسو على مسافه يومين من هرات. و شرحوا الحادث بالتفصيل فى بلاط الايلخان و أكدوا أن يساور بادر إلى قتل يساول صيانه لحياته.

و بالرغم من اتفاق وقف القتال الذى كان قد وقع بين الجاييتو و يساور،

الا أن الحرب بدأت بين أبو سعيد و حاكم ما وراء النهر. حيث هاجم يساور مع جيوش ما وراء النهر أحد الأمراء الغوريين الذي كان يقود النيكوداريان، و قد تظاهر أن هذا الهجوم كان من أجل صيانه مصالح الايلخان. و تمكن حاكم ما وراء النهر بسرعه أن يحاصر بعض القلاع في سيستان و نزل مده من الزمن عند ابنه جوكى، ثم هاجم مازندران.

و لما كانت سياسه الأمير أزن قتلغ القائد المغولى المفوض لحفظ الهدوء و الاستقرار في خراسان قد بعثت الشك و تصوروا أنه اتفق مع يساور سرا، فقد استدعوه. ثم توجه القائد حسين ابن الأمير آق بغا مع جيوش جديده إلى الشرق لمحاربه حاكم ما وراء النهر. و كان هذا الجيش الذى قدروا عدده بعشرين ألف قد عاد توا عمن الحرب بين ازبك حاكم قبجاق و بين دربند في ربيع سنه ١٣١٩ ميلاديه على ساحل نهر جيحون.

و لما انخفض عدد قوات المغول في جبهه القوقاز فان موقفهم قد ضعف، فعندئذ عاد جوبان إلى الشرق بعد أن كان قد ترأس قياده قوات المغول في كرجستان و حاول بمساعدته حسين القضاء على يساور، عاد إلى الشرق و تسلم قياده قوات المغول و تمكن من سحق ازبك. و في هذا الوقت قاوم كل من ناصر الدين أمير سيستان و غياث الدين كرت ملك هرات في المنطقه الشرقيه، قاوما أمام يساور، حتى أن هجوم بكتوب لم يمنع يساور من عدوانه.

و قام اهالى مازندران أيضا بحيثبقى هو وحيدا، مما اضطره على مغادره مازندران.

و لما كانت جيوش يساور قد توجهت إلى الشرق بسرعه، لم تتمكن أن تنقل خزائنه إلى نيشابور، فهرب يساور إلى مشهد و أثار هناك غضب الأهالى بأعماله القاسيه و فرضه ضرائب ثقيه. و لما كان غياث الدين كرت، على صله مع جوبان، فقد وصلته التعليمات بالصمود بشجاعه امام جيوشما وراء النهر، حتى تصله المساعدات من الغرب.

و لما سمع يساور أن ملك هرات أرسل جيشا إلى بادغيس لتعزيز قوات أبو سعيد، اصدر التعليمات إلى جيوش ما وراء النهر التى كان يقودها مبارك شاه بوجاى، لمحاصره هرات. و لما لم تثمر المحادثات بين بكتوب و يساور، فقد تسلم يساور بنفسه فى ٢٢ ربيع الأول سنه ٧١٩ قياده القوات التى كانت قد حاصرت هرات، و استمر الحصار مده شهر واحد إلى أن سمع أن قوات المغول قد اقتربت من مدينه هرات فاضطر إلى فك الحصار عن هرات و توجه إلى كرمسير. فلاحقه كل من غياث الدين و الأمير حسين دون فائده، ثم انهما عادا إلى هرات.

أرسل كبك الذى كان ينافس يساور فى ما وراء النهر، جيشا من ٤٠,٠٠٠ مقاتل بقياده أربعه من أمراء جيشه إلى الحدود الإيرانيه ليمنع عوده يساور إلى ما وراء النهر. و قد اتحد هذا الجيش مع حسين و لاحقوا العدو ليقاتلوه. فهزمت جيوش يساور و اعتقلوه ثم قتلوه. و عاد جيش ما وراء النهر إلى الوطن بعد أن حصل على غنائم كثيره.

و فى هذه الأثناء اشتد الخلاف بين رشيد الدين و بين تاج الدين على شاه حول اداره أمور الديوان. و كان على شاه و أنصاره قد قرروا القضاء على المنافس. الا ان جوبان و سونج كانا يدعمان رشيد الدين و لهذا السبب فان أصحاب على شاه كانوا يبحثون عن تهم جديده ليتهموا بها رشيد الدين. و قد اتهموه بالفعل بأنه هو السبب فى وفاه الجايتو. و أخيرا جاءوا برشيد الدين إلى المحكمه و حكموا عليه بالموت فى الأول من جمادى الأولى سنه ٧١٩ هجرية. و بهذا توفى واحد من أبرز الساسه فى ايران فى

عهد المغول و واحد من أكبر المؤرخين. لقد حقق على شاه غايته و أصبح الوزير الوحيد، و لكن ما زال جوبان و هو يحمل منصب أمير الأمراء يظهر إلى جانبه كمنافس قوى. و لهذا السبب بدأت المؤامرات ضد هذا القائد. و من أسباب هذه المؤامرات ان جوبان فى الحرب مع ازبك حاكم قبجاق كان قد أدب بشده بعض أمراء الجيش بمن فيهم قورميشى بن البناق، حتى انه كان قد قتل عددا منهم، حيث كان قد شك فى أمرهم، لتسامحهم فى محاربه العدو. ان سوء معاملة جوبان مع أمراء الجيش قد سببت معارضه شديده له بين الجيش.

ان هؤلاء الأمراء الذين كان يترأسهم كل من قورميشى و ناصر الدين القراطوغى انتهزوا الفرصه للقضاء على جوبان عند ما قام الأخير بمهاجمه كرجستان. الا ان جوبان عاد فى الوقت المناسب. و لكن المعارضين اقتحموا منزله دون ان يتمكنوا من القبض عليه، فاضطر جوبان إلى الفرار و أخذ ابنه معه و عاد إلى تبريز عن طريق نخجوان. اما على شاه الذى كان فى سلام مع جوبان آنذاك فقد وعده بان يتوسط له لدى أبو سعيد، و بالرغم من أن بعض أمراء الجيش استأذنوا الايلخان بقتل جوبان، الا ان على شاه تمكن بالوساطه لدى أبو سعيد، ان يحجب جوبان للايلخان فعاد جوبان إلى السلطانيه.

و أما أمراء الجيش الذين كانوا قد غضبوا من تحسين موقف جوبان، فقد قرروا هذه المره و بقياده الأمير ارنجن القضاء على أبى سعيد. حاول أبو سعيد أن يستغل وجود ابنه الأمير ارنجن و هى قتلغ شاه خاتون زوجه الجايغو المتوفى، لاعاده الأمن و الاستقرار، الا ان ارنجن اعتبر سياسه أبى سعيد هذه دليلا على ضعفه و بدأ الحرب معه علنا. و كان أبو سعيد قد قاد الحرب بنفسه، فانتصرت جيوشه فى هذه الحرب. و كان جوبان و بقيه أمراء الجيش قد حاربوا ببساله فى هذا القتال. و هلك عدد من قادة جيش العدو فى هذه المعركه و أن أبى سعيد قتل بقيه القاده الذين كان قد اعتقلهم. و فى شتاء سنه ٧٢٠ هجرية، رشح أحد أمراء الجيش المعروفين فى كرجستان أحد الأمراء و يدعى غازان أغلان بن توغر يلجا للحكومه، و ان هذا الأمر أثار الناس. فأرسل الايلخان، أحد أمراء الجيش بولادقيا مع جيشه إلى تلك الديار. و بعد محاصره استمرت ثلاثه أشهر، تمكنت جيوش المغول من اقتحام الحصن الذى كان هذان فى داخله. فتمكن غازان أغلان ان يهرب، الا ان ذلك الأمير الثائر الذى كان قد ثار ضد الايلخان بمساعدته غازان أغلان، قتل خلال ذلك.

و بالرغم من كل هذا فقد استمرت الاضطرابات فى المناطق المختلفه، حيث ثار تيمور تاش بن جوبان الذى كان حاكما على آسيا الصغرى فى سنه ٧١٢ هجرية و أقام علاقات وديه مع مصر كما فعل سولايش قبل ذلك. و قد تمكن أن يسيطر على مناطق جديده بعد انهيار حكومه السلاجقه فى آسيا الصغرى. و أضاف مناطق جديده لأراضى الايلخان.

و من جهه ثانيه شن هجوما على ارمينيا الصغرى التى اوشكت أن تخرج من سلطه الايلخان و أن تلتحق رويدا رويدا بمصر، و دمرت تلك البلاد.

أما الملوك الأتراك المحليون فى آسيا الصغرى فقد قدموا فى البدايه شكوى إلى جوبان من تيمور تاش و لما يسوا من أيه مساعده منه، لجئوا إلى أبى سعيد، الا ان الايلخان لم يهتم بشكواهم، حيث كانت تؤدى إلى وقف سياسته التوسعيه، و لكن لما ثار تيمور تاش، فقد طلب والده جوبان من الايلخان أن يسمح له بمحاربه تيمور تاش. ان أصحاب تيمور تاش منعوا الابن الثائر من الحرب و أجبروه على الاستسلام. فجاء جوبان بابنه إلى أبى سعيد، فعفا عنه الايلخان و أرسله ثانيه إلى آسيا الصغرى. و خلافا لسياسه تيمور تاش، فان أبى سعيد قدم المساعدات إلى ارمينيا الصغرى التى

كان يجب عليها أن تقف آنذاك بوجه هجمات المصريين. ربما كان يأمل بهذا التدبير أن يضم هذه البلاد إلى إيران، و أن يعرقل بذلك العلاقات بين مصر و آسيا الصغرى.

ان المعارك بين القوات التي أرسلها الايلخان و بين قوات المماليك لم تكن عنيفه، و أن رفض الملك الناصر فى سنة ١٣٢٢ ميلاديه لاقتراح ازبك حاكم قجاق للقيام بهجوم مشترك ضد ايران دليل على ان العلاقات بين المغول و المماليك كانت سلميه لفترة قصيره من الزمن.

و قد انقضت الأعوام التاليه بهدوء و استقرار. و فى بدايه سنة ٧٢٤ هجرية توفى أحد الوزراء المغول فى ايران ميتة طبيعیه لأول مره.

و كان أبو سعيد قد ذهب لزياره تاج الدين على شاه قبل وفاته. و قد خلفه فى منصبه اثنان من ابنائه، اما الابن الأكبر و هو عنايه الدين محمد فلم يكن ناجحا فى أعمال الوزاره، فخلفه ركن الدين صائن (الملقب بالناصر أو نصره الدين العادل) فى الوزاره. و إن الابنيه التى أمر هذا الوزير بانشائها، قد زادت من شهرته و فى سنة ١٣٢٥ ميلاديه، تم إحباط الهجوم الذى قام به ازبك.

لقد تم تبديل الوزير بهدوء، الا ان الفوضى عمت جميع أنحاء بلاد الايلخان بسبب جوبان. و قد بدأ الخلاف عند ما أراد أبو سعيد أن يتزوج ابنه جوبان و هى بغداد خاتون التى كانت زوجه الأمير حسن بن حسين بن اقبغا.

فصعب الأمر على جوبان. و ان المحادثات المتتاليه مع أبى سعيد و آخرها كانت عند الصيد، لم تثمر إلى نتيجه.

لم يتمكن أعداء جوبان من تحقيق أى انتصار حتى ذلك الحين للقضاء عليه، و قد انتهزوا فرصه الخلاف بين الايلخان و جوبان لتحريض و إثارة الايلخان ضد جوبان، فمثلا اتهموه بجمع المال بالأساليب غير الشرعيه و ضبط اموال الآخرين، كما احتجوا عليه بأنه سلم المناصب الحكوميه لأقاربه. و من أجل ان تهدأ الأوضاع فقد طلب جوبان من أبى سعيد أن يسمح له بالهجوم على خراسان و أخذ معه فى هذا الهجوم الكثيرين من أمراء الجيش المعارضين له لكى لا يدسوا عليه فى البلاط و ليكونوا تحت مراقبته مباشره. و تقدمت جيوش المغول حتى هرات. و هناك سمع جوبان ان ترمه شيرين حاكم ما وراء النهر يعترم الهجوم على خراسان. و كان من المقرر ان تشارك فى هذا الهجوم احدى وحدات جيش حاكم قجاق. فتمكن الابن الأكبر لجوبان ان يهزم العدو سنة ٧٢٦ هجرية، ثم عاد إلى هرات.

لم يقع أى حادث سوء حتى هذا التاريخ ليعرقل موقف جوبان. الا أن أحد أبناء جوبان و يدعى دمشق خواجه قد سبب تازم والده. حيث أقام هذا الابن علاقات غراميه مع احدى عشيقات أبو سعيد و هى تفتاى خاتون و كان يدخل إلى حرم السلطان مرارا فذات يوم وصل الخبر إلى أبى سعيد ان دمشق خواجه موجود فى حرمه. و لما كانت علاقات الايلخان مع دمشق خواجه غير مرضيه بسبب انانيه دمشق خواجه، فقد أمر بقتله، و بالرغم من مقاومه دمشق خواجه الا أنهم قتلوه فى ٢٤ رمضان سنة ٧٢٧ هجرية. كما صدرت الأوامر بقتل جميع أفراد عائله جوبان، كما تم إرسال الجيوش إلى آسيا الصغرى للقضاء على تيمور تاش و أخيه محمود. و قد اجتمعت وحدات الجيش الأخرى بالقرب من قزوین.

ان موت دمشق خواجه كان السبب فى سقوط ناصر الدين العادل وزير أبى سعيد، الذى لم يكن له اى تدخل فى هذا الحادث،

فتسلم الوزاره غياث الدين محمد رشيد أحد أبناء رشيد الدين المقتول و قد عمل فى الأشهر الثمانيه الأولى مع علاء الدين محمد فى اداره شئون الديوان. و فى هذا الوقت وصلت الأنباء إلى جوبان عن أحداث خراسان، فاكد عليه قاده الجيش باتخاذ الاجراءات اللازمه، و تشاور جوبان مع ابنه و أقربائه، فاكد البعض منهم عليه بالهروب. فيما كان البعض الآخر يأمل أن تصل اليه النجده من ما وراء النهر لمحاربه أبى سعيد، كما جرت بعض المحاولات لاقامه العلاقات مع قآن. و قرر جوبان أن يذهب بنفسه إلى آسيا الصغرى و كان يأمل ان يتلقى المساعدة من ابنه تيمور تاش و سلطان مصر الذى كان قد اوفد اليه رسولا. و فى الطريق طلب من الشيخ ركن الدين السمنانى ان يتوسط له لدى الايلخان، الا أن هذه الوساطه لم تثمر أيه نتيجة و بالرغم من أن أمراء الجيش فى مشهد كانوا قد أقسموا بالإخلاص إلى جوبان الا أنهم تركوه لوحده و ذهبوا إلى معسكر أبى سعيد و رحب بهم خير ترحيب.

أدرك جوبان بأنه لا يتمكن من أن ينتصر على جيوش الايلخان، و قرر فى البدايه أن يذهب إلى تركستان، الا أنه ذهب إلى هرات، فى حين كان ابنه حسن قد توجه إلى خوارزم. و كانوا قد حذروا جوبان من دسائس غياث الدين كرت ملك هرات و أكدوا عليه بالذهاب إما إلى الهند أو الصين أو آسيا الصغرى، الا أنه ذهب إلى هرات و رحب به ملك هرات فى البدايه، ثم سجنه بامر من أبى سعيد. و قد وافق غياث الدين على قتل جوبان، و لما سمع جوبان بالعزم على قتله، أغمى عليه، و لكنهم ضربوا عنقه قبل شهر المحرم سنة ٧٢٨ هجرية. و بعد أن نفذ غياث الدين أمر الايلخان توجه بسرعه إلى بلاط أبى سعيد.

و كان مصير عدد من أبناء جوبان التسعه، كمصير والدهم حيث قتل ابنه الأكبر و هو حسن فى حرب أطراف خوارزم. و لجأ تيمور تاش فى آسيا الصغرى إلى أحد القلاع و جرت بينه و بين سلطان مصر بعض المحادثات، و أعلن سلطان مصر فى النهايه استعداداه لقبول تيمور تاش. و هكذا تمكن تيمور تاش من أن يلتحق ببلاط سلطان المماليك، الا انه بسبب سخائه الكثير أثار غضب الملك الناصر و لما كان سلطان مصر يعتقد أن تيمور تاش يحاول أن ينافس، ألقى به فى السجن. و قتل بامر من أبى سعيد فى شوال سنة ٧٢٨ هجرية. و يقال انه تم تسليم رأس تيمورتاش إلى تيموربغاي مبعوث الايلخان إلى بلاط سلطان مصر. (فى نهايه سنة ٧٢٨ هجرية).

اما محمود فقد اعتقله أصحابه و جاءوا به إلى تبريز و قتلوه هناك.

و فى كرجستان فبعد جورج السادس فى سنة ١٣١٨ ميلاديه استولى جورج الخامس (١٣٤٦ - ١٣١٨) لوحده على السلطه و أعطى الاستقلال لبلاده. و إضافه إلى ذلك أعاد ولايتى ايمرى و آنجاز اللتين كانتا فى ايدي أبناء داود الرابع إلى السلطه المركزيه. و كانت كرجستان حتى سنة ٧٥١ هجرية تحت إشراف المغول من ناحيه السياسه الخارجيه فقط، و يمكن مشاهدته آثار هذا الاشراف من المسكوكات الموجوده.

أما فتوحات تيمور تاش فى آسيا الصغرى فقد ذهبت الواحده تلو الأخرى. و أما شرف الدين محمود اينجو الملقب بالطمطاح الذى كان يحكم إقليم فارس باسم الايلخان فقد أعلنها دوله مستقلة فى سنة ١٣٢٥ ميلاديه.

و كانت حكومه الايلخانيين على وشك الانهيار، و قد استغل أبو سعيد هلاك وزيره أمير جوبان، فتمكن من ان يرغم الأمير حسن على طلاق زوجته بغداد خاتون و تزوجها بعد انقضاء عدتها.

و بدأت الاضطرابات و الفوضى مره اخرى. فقد أصبح نارين طغای و هو من أقارب جوبان - و كان قد ابتعد عنه قبل وفاته، حاکما على خراسان، و لكنه لم يكن راضيا عن منصبه الجديد حيث كان يأمل أن يحل محل جوبان بصفته أميرا للأمرء. و في خراسان حصل خلاف بين نارين من جهة و بين غياث الدين كرت ملك هرات و ابنه من جهة اخرى. كما تعرضت مدينه

ص: ۲۱۰

نیشابور للنهب. فأراد نارین طغای ان يفرض ارادته على الایلیخان، فأخبره بان جیوش ما وراء النهر بدأت بالتامر من جدید و طلب قوات جدیده لصد تلك الجیوش، الا أنه بعد وصول القوات جدیده لم يتجرأ على التمرد، و عاد إلى بلاط أبی سعید و حاول ان یکسب مره اخرى عطفه. حتی ان على بادشاه خال أبی سعید طلب الشفاعة له، و أخیرا تمكن خواجه بفضل الخدمه التي أداها للایلیخان و کسب شعبيه عنده، ان یحصل على أمر لاعتقال نارین طغای و لكنه تمكن من الهروب على انه بعد أيام وقع فی قبضه الأمير لؤلؤ الذي كان یلاحقه. و کشف أحد أفراد حاشیه نارین طغای عن مکان اختفائه و ذلك بعد أن اعتقلوه فی ضواحي الری و هو یجمع الزاد لصاحبه.

و قتل نارین طغای فی شوال سنه ۷۲۹: كما ان الایلیخان غضب من على بادشاه بسبب شفاعته له كما غضب من تاش تیمور [تیمور تاش] الذي كان قد أوفد إلى خراسان.

لم یقع حادث مهم فی السنوات الأخيره من حکومه أبی سعید. تلقى ایناق مسافر التعليمات للوقوف بوجه اینجو فی فارس: الا ان بعض أمراء الجیش تماطلوا فی هذا الأمر، و لذلك ألقى بهم فی السجن. كما سجن حسن بن حسین الذي كان قد اتهم بعلاقاته مع بغداد خاتون، و لكن بعد مده ثبتت براءته فافرج عنه، و أرسل حاکما على بعض المناطق فی آسیا الصغری التي كانت تحت إشراف المغول.

و فی سنه ۷۳۶ هجریه شن ازبک حاکم قبچاق هجوما جدیدا على دربند، و توفی أبو سعید فی الثالث عشر من ربیع الثاني سنه ۷۳۶ هجریه فجاء بینما كان فی حرب مع ازبک. و یقال ان الایلیخان كان یحب دلشاد خاتون ابنه أخ بغداد خاتون، و لهذا السبب فان بغداد خاتون قتلتها بالسم.

و بعد وفاه أبی سعید انهارت سلسله حکومه أحفاد هولاکو، بل ان عصر حکومه المغول انتهى فی ایران أيضا(۱)

محمد بن إسماعیل بن الفضل الحسینی بن العلوی السید أبو البرکات

المشهدی.

ترجم له السمعانی فی التحبیر ۹۶/۲ و قال من أهل المشهد الرضوی بسناباد من قرى نوقان طوس علوی مقدم فیما بین الساده العلویه من المعمرین سمع أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندی سمعت منه بالمشهد و من جمله ما سمعت منه صحیفه على بن موسی الرضا.

و كانت ولادته سنه سبع و خمسين و أربعمائه - توفی بقریه سناآباد سلخ ذی الحجه سنه ۵۴۱.

محمد بن إسماعیل بن أمیرک بن إسماعیل بن أمیرک بن إسماعیل بن

جعفر بن القاسم بن جعفر بن محمد بن زید بن علی بن الحسين بن علی بن

أبی طالب ع.

السيد أبو المعالي العلوي الحسيني من أهل هراه ترجم له السمعاني في التحيير ٩٠٢/٢ رقم ٦٩٧ و قال: كان سيدا عالما زاهدا سنيا: حسن السيره متواضعا كثير العباده و الرغبه إلى الخير و هو سبط أبي الفتح نصر بن احمد الحنفي.

و كان مكثرا من الحديث سمع أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري و أبا عطاء عبد الرحمن بن محمد الأزدي الجوهري و أبا الفضل احمد بن عبيد الله المركب و أبا سهل نجيب بن ميمون الواسطي و غيرهم.

سمعت منه الكثير بهراه و وفاته بها في ذى القعدة سنه ٥٤٦.

محمد بن جعفر بن محمدا جعفر القصار الرازي.

المتوفى سنه ٤٤٦. ترجم له الشيخ منتجب الدين في تاريخ الري و الحافظ بن حجر في لسان الميزان ١٠٥/٥ رقم ٣٥٢ فقال: ذكره ابن بابويه في تاريخ الري و قال: شيخ من مشاهير الشيعة سمع أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى الفقيه (الشيخ الصدوق) روى عنه أبو سعيد محمد بن أحمد الرازي و أخوه عبد الرحمن و مات سنه ٥٤٦.

أقول: هذا التاريخ خطأ مطبعي و الصحيح ما أثبتناه، فان الذي يروى عن الشيخ الصدوق الذي توفي سنه ٣٨١ لا يعيش إلى بعد الخمسمائه.

مجد الدين أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن معيه العلوي

الحسنى.

ترجم له ابن الفوطى في تلخيص مجمع الآداب ٢٢٥/٥ رقم ٤٥٩ و قال: من البيت المعروف بالشرف و السيادة و الأدب و الجلاله و التقدم قرأت بخطه: قال بعض الخلفاء لزهده: عظى فقال: لقد وعظك الله سبحانه أحسن العظه فقال: ان الله يأمركم بالعدل و الإحسان إلى آخر الآية. أقول:

أظنه ابن عم محمد بن الحسن بن محمد بن معيه الديباجى الحلبي و أخيه القاسم بن الحسن المترجمين في أعلام القرن السابع من طبقات شيخنا رحمه الله.

السيد محمد المحقق الشهير بالداماد ابن السيد جعفر.

ولد سنه ١٣٢٥ و توفي سنه ١٣٨٨ في مدينه قم و دفن فيها هو من أسره علميه عرفت بالفضل و التقوى، و قد توفي والده قبل ولادته، كما توفيت أمه و عمره ست سنوات.

بدأ دراسته في اردكان، ثم انتقل إلى يزد و تلمذ فيها على كل من السيد احمد المدرس و السيد يحيى الواعظ و السيد حسين باع كه مى و السيد على رضا الحائرى فدرس عليهم الأدب العربى و شرح اللمعه و القوانين. و تابع دراسته على الشيخ غلام رضا اليزدى في الأصول. و بعد اقامه تسع سنوات في يزد انتقل سنه ١٣٤١ إلى مدينه قم فدرس فيها على السيد على الكاشانى المتوفى سنه ١٣٨٠ و السيد محمد تقى الخونسارى المتوفى سنه ١٣٧١ و الآغا ميرزا محمد الهمذانى المتوفى سنه ١٣٦٥ و السيد محمد

الحججه المتوفى سنه ١٣٧٢ و غيرهم.

و فى قم تزوج كريمه مؤسس الحوزه الشيخ عبد الكريم الحائرى، فلذلك لقب بالداماد، اى: الصهر.

و قد درس عليه فى قم كل من السيد مهدي الروحانى و الشيخ ناصر مكارم و الشيخ جواد [عبد الله الجوادى] الآملى و الشيخ محمد المؤمن و السيد موسى الزنجانى و غيرهم.

تخلف بكل من ولده السيد على الذى هو اليوم من مدرسى حوزة قم، و السيد مصطفى من أفاضلها.

محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله المصرى.

المتوفى سنه ٤٣١.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٠٦/٥ رقم ٣٥٦ قال: روى عن أبى الطاهر الذهلى و عبد الله بن أبى شعيب الحرانى و ابن حيويه.

روى عنه أبو إسحاق الحبال و أبو مسلم الأصبهاني و غيرهما و جده عبد الله كان قاضى مصر مالكى المذهب: يعرف بالعمار.

قال الحبال: كان محمد بن جعفر يرمى بالتشيع و الغلو و كان لا يسمع هذا منه أصلا توفى سنه ٤٣١.

أقول و قال الذهبى فى الميزان: يروى عن الحسن بن رشيق، رافضى جلد

ص: ٢١١

١- بير تولد اشبولر.

الشيخ محمد بن حبيب الله العزيزى الشهير بالسبزوارى النجفى.

ولد سنة ١٣١٨ فى قرية (فريوقد) من قرى سبزوار و توفى سنة ١٤٠٩ فى مدينة قم و دفن داخل الحرم الشريف قرب الضريح.

درس القرآن و العلوم الأوليه فى قرينته ثم تركها إلى مشهد الامام الرضا (ع) و بدأ هناك الدراسه الأوليه و السطوح فى مدرسه خان فى الصحن القديم للإمام ع و هناك اتصل بالمرجع الشهير السيد حسين الطباطبائى القمى فكان من خلائه و بعد إخراج السيد القمى من المشهد بسبب احتجاجه على ما أراداه الشاه رضا بهلوى من خروج على الشريعة الإسلاميه فى بعض الأمور سافر المترجم له معه إلى العراق حيث استقر السيد فى مدينة كربلاء فتابع المترجم له الدراسه عنده. و فى مدينة كربلاء و بعد عوده السيد إلى ايران تزوج المترجم له حفيدته، ثم ترك مدينة كربلاء إلى النجف الأشرف و تابع الدراسه على كبار علمائها كالشيخ حسين النائينى و السيد عبد الهادى الشيرازى و غيرهما و أجز منهما. و بقى فى النجف ما يقارب الأربعين سنة يدرس و يدرس، و كان مكان تدريسه فى مدرسه الآخوند الكبرى فتخرج عليه العديد من الفضلاء الذين يشغلون اليوم المكانه الرفيعه سواء فى الأوساط العلميه أو القياديه. و فى سنة ١٣٨٠ اثر طغيان الحكم التكريتى هاجر من النجف إلى مدينة قم و عاود فيها تدريس الفقه و الأصول و التفسير و بنى مسجدا كبيرا فى نهايه "شارع جهارمندان" و كان يصلى فيه و يلقى دروسه. و هو والد الحاج حامد عزيزى صاحب دار النشر الشهيره (دار التعارف) الذى له اليد الطولى فى طبع و نشر و توزيع الكتب الإسلاميه الشيعيه و الذى بفضل جهوده طبعت موسوعه (أعيان الشيعه) بحلتها الجديده و كذلك الأمر بالنسبه لمستدركاتهما و هو لا يزال يوالى ذلك فيما هو مخطوط من المستدركات.

للمترجم له من التأليف كتاب فى تفسير القرآن باسم "الجديد فى تفسير القرآن المجيد" و يقع فى سبعة مجلدات و مختصر هذا التفسير فى مجلد واحد، بالاضافه إلى عده كتب خطيه لم تطبع بعد.

ميرزا محمد حسين النيسابورى المشهور بنظيرى:

من الشعراء المشهورين فى ايران فى أواخر القرن العاشر و أوائل القرن الحادى عشر الهجريين.

يقول مير تقى الدين الكاشانى ان أصله من جوين، و سواء صح ذلك أم لم يصح فإنه نيسابورى. كان تاجرا و فى الوقت نفسه تعاطى العلم و الأدب و الشعر، سافر فى تجارته إلى العراق و آذربيجان، و لجمعه بين التجاره و الشعر و الأدب كانت له منزله خاصه عند العراقيين و الأذربيجانيين، كما يقول مير تقى الدين. و قد اتصل بالشعراء و الأدباء فى كلا البلدين، مواصلا تمرنه فى الشعر عندهم، و كان يقرأ غزلياته فى المحافل الأدبيه و من هناك سافر إلى الهند، و فى اكره اتصل بميرزا عبد الرحيم خان خانان و مدحه بأول قصيده، ثم لازمه. و يظهر من بعض القرائن ان سفره كان سنة ٩٩٢ أو فى ابتداء الذى كان يحب الأدب و الشعر، و كان الشاعر يمدحه بشعره. و لما نوى السفر إلى الحج أمن له خان خانان الزاد و الراحله، و لكن سرق بعض أمواله فى الطريق، فلجا إلى الأخ الرضاعى للملك جلال الدين أكبر، (الخان الأعظم ميرزا) الذى كان هو الآخر مسافرا للحج و مدحه بقصيده، فكان ما حصل عليه من الخان سادا لحاجته فى السفر.

و ورد فى بعض الكتب انه بعد رجوعه من الحج ذهب إلى أحمدآباد كجرات، و تاجر هناك و أثرى من تجارته، و كان بيته ملتقى الشعراء القادمين من كل مكان، و كان يودهم و يعطيهم و يمدحهم باشعاره. كما كان يمدح الأمير مراد ابن الملك الذى

كان مولى على كجرات من قبل أبيه. و فى الوقت نفسه لم يكن ينس خان خانان فى قصائده.

و فى سنة ١٠١٤ تولى نور الدين جهانكير الملك بعد أبيه فطلبه إلى قصره و مدحه الشاعر بقصيده أشار إليها جهانكير فى مذكراته، قائلا: "انه نظم قصيدته المشهوره بالفارسيه، و أعطيته ألف روبيه و جوادا" اه.

و فى سنة ١٠١٩ و هو لا يزال عند جهانكير مدحه بقصيده أخرى و حصل منه على ثلاثة آلاف بيكه، من الأراضى.

و هكذا عاش فى كجرات تاجرا و شاعرا حتى وفاته. كما كان قد تعلم اللغة العربيه و العلوم الدينيه، و اللغة الهنديه عند الشيخ غوثى المندوى مؤلف كتاب (گلزار البار [البار]). و قد ذكره الشيخ المندوى فى كتابه. كما أخذ الحديث و التفسير عن مولانا حسين جومرى. و فى سنة ١٠٢٠ رجع إلى أحمدآباد كجرات و بقى فيها حتى توفى سنة ١٠٢١ و دفن فى محله تاجيوره باحمدآباد، و قبره فيها معروف حتى اليوم تعلوه قبه.

و قد ذكر بعضهم ان وفاته كانت سنة ١٠٢٢ أو ١٠٢٣ و الصحيح فى وفاته هو ما ذكرناه.

يعده عبد الباقي النهاوندى من الأمراء، و ذلك: أولا للحياه التى كان يحيها، و لعقاراته و ثروته التى حازها من أرباح تجارته و مما كان يصل اليه من جوائز على قصائده. ثانيا لاتصاله الدائم بالملك جلال الدين و خان خانان و ميرزا أعظم.

و قد كان صلبا فى تدينه، و فى احدى قصائده التى مدح بها الأمير مراد و اثنى عليه لإيمانه، هاجم بشده الملحدين و الذين لا يعتنون بالدين. و هو فى قصائده الاعتقاديه يبدأ بحمد الله ثم يمدح النبى (ص) و الأئمه (ع)، ثم يأخذ فى هجو الملحدين.

كان كريم النفس، صاحب عطايا. بنى قصرا ملوكيا فى أحمدآباد كجرات جعله دار ضيافه للشعراء و العلماء و الأدباء و الفضلاء. و كان يعيش عيشه الملوك و كبار الناس. و كان ينفق ما يجنيه من التجاره و الهدايا على الأحباب و الفقراء. و يصفه بعض الكاتيين بأنه كان أبا و أما للمنقطعين و الفقراء، و انهم كانوا ينتفعون به أعظم النفع.

و فى أواخر حياته آثر العزله و الانزواء عن الناس.

طبع فى الهند و ايران ديوانه الذى قدمه إلى خان خانان، و هو يحوى الغزل و مدائح النبى و الأئمه و وحى المناسبات و وصف الشعراء و الأحباب و الملوك. و قد قال أحد مؤرخى الأدب الفارسى عن شاعريته: "انه شاعر رقيق البيان، دقيق الوصف، جميل الغزل، لطيف الكلام، مع فكر فلسفى عرفانى. كان من أكابر شعراء زمانه انه ليس كسعدى و حافظ، و لكن بعض غزلياته العرفانيه الصوفيه لا تقل لطفًا و جمالا و ابداعا عن أشعارهما.

و من الطرائف فى حياه المترجم ان شاعرا معاصرا له يلقب بنظيرى نفس اللقب الذى يلقب به هو، و كان يقال أحيانا: نظيرى مشهدى، و سافر المشهدى سنة ١٠٠٣ من مشهد إلى مكه و منها إلى الهند و وصل إلى مدينه بيجابور و اتصل بعادل شاه إبراهيم الثانى (٩٨٧ - ١٠٣٥) من سلالةعادل شاهيه فى الدكن، و أصبح من جمله كتابه، و كان لا- يعرف إلا- بنظيرى، فطلب اليه المترجم ان يغير لقبه، فوافق على ذلك و حذف الياء من لقبه فصار لقبه (نظير) فدفع له المترجم لقاء ذلك عشره آلاف روبيه. و يبدو أن الحرف (ى) يعادل فى حساب الجمل رقم (١٠) و لذلك جعل المبلغ عشره آلاف.

و صاحبنا نظيرى المشهدى (نظير) هو شاعر الغزل. على ان هناك من توهم بان (نظير) هذا هو نظيرى الذى عاش فى القرن التاسع، و لم ينتبه إلى الفارق الزمنى بين الشعارين (١)

ص: ٢١٢

١- تاريخ أدبيات ايران.

مجد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن أبي القاسم

الحسينى النقيب.

ترجم له ابن الغوطى [القوطى] فى تلخيص مجمع الآداب ٢٢٦/٥ رقم ٤٦٢ و لم يزد على أن أورد شيئا من نص تقليده: (و جعلنا اليه النظر فى المشاهد و فسحنا له الذب فى الملتجى إليها...).

فيظهر انه كان نقيب المشاهد بالنجف و كربلاء.

محمد بن الحسن بن محمد بن مهدى بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن

الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن

الحسن بن على بن أبى طالب ع.

السيد أبو الفضل العلوى الحسنى ترجم له السمعانى فى التحبير ١٠٨/٢ و قال: أظنه من أهل اليمن لقيته بأصبهان فى سنة ٥٣١ و كتبت عنه قطاعا من الشعر.

مجد الدين أبو عبد الله محمد بن عز الدين الحسين بن محمد بن عز

الشرف أبى الفضل على بن أبى البركات أحمد بن أبى الفضل على بن أبى

تغلب على بن الحسن الأصبم بن أبى محمد الحسن الفارس بن يحيى بن

أبى عبد الله الحسين بن أحمد العلوى السوراوى.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٣٠/٥ رقم ٤٧٢ و وصفه بالفقيه و قال و قرأت بخطه:

و ما زال مغرى بالمكارم و العلى يرى المجد أعلى من وصال الكواكب

إذا ما سطا قوم لنفع نفوسهم سعى لسواه فى بلوغ المطالب

يدل على معرفه جود كفه كما دلت السارين زهر الكواكب

أقر له بالفضل بادر حاضر و أثنى عليه كل ماش و راكب

محمد بن الحسن القمى.

من اعلام القرن السابع أو ما بعده، له كتاب العقد النضيد و الدر الفريد فى فضائل أمير المؤمنين ع محذوفه الأسانيد، رأيته عند

زميلنا السيد محمد على الروضاتى الأصفهاني و النسخه من نسخ القرن التاسع ناقصه الآخر صرح المؤلف باسمه فى أوله و لم يزد على ما ذكرنا ينقل فيه عن كتب القتال و مناقب الخوارزمى و أمثالهما و لم نر النقل فيه عن ما بعد القرن السادس.

محمد بن الحسن بن محمد بن على بن احمد بن إبراهيم الخزاعى

الأنماطى الكوفى الوكيل المعروف بابن داود

٤٠٠ - ٤٧٢.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٣٥/٥ قال: سمع أبا عبد الله الجعفى: و أبا الطيب القسملى و غيرهما و حدث ببغداد و سمع منه أبو القاسم ابن السمرقندى.

قال السقطى سألته عن مولده فقال سنه أربعمائى و قال ابن خيرون: توفى فى شوال سنه ٤٧٢ و كان فيه بعض الشىء و تبين انه حدث بشىء من مناقب الصحابه و لم أسمع منه كان رافضيا.

ذكره ابن السمعانى و قال: كان كوفيا حسن النادره الا أنه كان سيئ المعتقد رافضيا كاشفا بالظعن على السلف الصالح.

و ذكره ابن النجار فى الذيل.

مجير الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبى القاسم محمد بن

الأكرم بن فضل الله بن أبى الحسن الزاهد

بن على القصير بن أبى القاسم الحسين بن أبى على الحسن - بامل - بن احمد بن جعفر بن الأمير احمد العقيقى (١) بن جعفر صحصح بن عبد الله أبى بكر بن الامام الحسين الأصغر أبى عبد الله بن على زين العابدين (بن) الحسين بن على بن أبى طالب العبدلى العلوى البزاز المقرى.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٣٠٥/٥ رقم ٦٣٨ و قال:

روى لنا عنه شيخنا جمال الدين احمد بن مهنا العبيدلى و قال: كان شيخا حسنا كثير المحفوظ متوددا عالما، أنشدنى عنه:

مفرد فى الزمان ليس يدانيه من الناس مشبه أو نظير

ان يواجه فطود علم ركين أو يفاوض فبحر علم غزير

المنتجب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن احمد الموصلى

ثم البغدادى الشاعر.

المتوفى سنة ٦٤٢. هكذا ترجمه ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٧٨١/٥ رقم ١٧٤٨ و قال:

ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب فى تاريخه و قال: كان شيخا فاضلا عنده أدب و حكمه و كتابه حسنه يقول شعرا جيدا، و كان منقطعا عن الناس غالبا [غاليا] فى التشيع و من شعره:

لصبر عاقبه ترتجى و تنتظر فر بما بالتانى يدرك الظفر

لا يبلغ المجد خوار أخو جزع و لا ينال الأمانى من به ضجر

و له أشعار كثيره و كانت وفاته فى تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة ٦٤٢ و دفن بالمشهد الكاظمى.

محبى الدين أبو طاهر محمد بن كمال الدين أبى الفتوح حيدر بن محمد

ابن زيد الحسنى الموصلى النقيب.

المتوفى سنة ٦٤١ ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤٠٦/٥ رقم ٨٣٨ و قال:

من بيت معروف بالنقابه و التقدم و العلم و الفضل و الأدب، أنشد له شيخنا تاج الدين أبو طالب (ابن الساعى) فى كتابه:

تحيه مهجور إلى خير هاجر تهيجه الذكرى إلى غير ذاكر

على انه لو شق قلبى وجدته به ماثلا أو فى ضميرى و خاطرى

و كيف ارى السلوان عمن اعزنى بانعامه الفياض عزه قادر

له من ثنائى ما أستطيب سماعه و من مدحتى ما حبرته خوطارى

و من دعواتى المستجابه فى الدجى و ما باطنى و الله الا كظاهرى

و مولده سنة احدى و سبعين و خمسمائه و توفى سلخ جمادى الأولى سنة ٦٤١.

ص: ٢١٣

١- قال المعلق هنا: الصحيح المنقدى و العقيقى أخوه محمد.

مرت ترجمته في مكانها و نشر هنا عنه هذه الدراسة المكتوبه بقلم الدكتور عثمان أمين.

الفيلسوف أبو نصر الفارابي هو محمد بن محمد بن طرخان، سمي بالفارابي نسبة إلى الجهة التي ولد بها، و هي ولاية "فاراب" من بلاد الترك في ما وراء النهر. فهو إذن تركي المولد، و ان يكن بعض أصحاب التراجم قد ذكر أن أباه كان قائدا، و أنه فارسي الأصل. و مهما يكن الأمر فالفارابي، بجمله ثقافته، و مؤلفاته، فيلسوف عربي، بل لقد قال أحد المستشرقين أن الفارابي هو "مؤسس الفلسفه العربيه". و من قبل رأى كثيرون من مؤلفي العرب انه أكبر فلاسفه المسلمين، و قال فيه ابن سبعين(1): "هذا الرجل أفهم فلاسفه الإسلام، و أذكرهم للعلوم القديمه، و هو فيلسوف فيها لا غير، و مات و هو مدرك محقق..". و قال ابن خلكان: "و لم يكن فيهم (أى فلاسفه الإسلام) من بلغ رتبه في فنونه، و الرئيس ابن سينا بكتبه تخرج، و بكلامه انتفع في تصانيفه". و قال بعض المستشرقين: "و ليس شيء مما يوجد في فلسفه ابن سينا و ابن رشد الا و بذوره موجوده عند الفارابي". و قد كان كتاب العرب يعدون الفارابي أكبر العلماء بعد أرسطو. و لما كانوا يطلقون على أرسطو "المعلم الأول"، فقد أطلقوا على الفارابي "المعلم الثاني".

وفاته عند سيف الدوله

و قد كان الفارابي مولعا بالسفار منذ صغره تنقل في بلاد الإسلام حتى دخل العراق، و أقام ببغداد فتلقى طرفا من علوم الفلسفه، و كان من زملائه في التلمذه أبو بشر بن يونس النصراني، المشهور بترجمته للكتب اليونانيه.

و بعد أن أقام الفارابي زمانا في بغداد، ارتحل عنها إلى حلب، و اتصل بالأمير الحمداني سيف الدوله، و نال الحظوه عنده و تريا بزى أهل التصوف، ثم صحب الأمير إلى دمشق في حملته عليها و وافته منيته بدمشق، و قد ناهز الثمانين من عمره.

بدأ حياته متفلسفا، و ختمها متصوفا

و أظهر ما يستوقفنا في حياه الفارابي أنه كان رجلا يميل إلى التأمل و النظر، و يؤثر العزله و الهدوء، بدأ شبابه متفلسفا، و قضى كهولته متفننا، و ختم حياته متصوفا. ذكروا أنه كان لا يوجد غالبا الا في مجتمع ماء أو مشتبك رياض، و يؤلف كتبه هناك. و الحق لقد كانت حياته الفكرية خصبه جدا: ألف كتبا كثيره ضاع أكثرها. على أنه اشتهر بين العرب بشروحه على فلسفه أرسطو. و لكن همه الفارابي لم تقف عند الشروح. فقد ألف طائفه من الرسائل أوضح فيها فلسفته الخاصه، "كفصوص الحكم"، و "إحصاء العلوم"، و "الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون و أرسطو"، و "آراء أهل المدينه الفاضله" و "تحصيل السعاده" و غيرها.

علمه بالموسيقى

و قد كانت للفارابي معرفه بالطب، و كانت له مواهب بارزه في الموسيقى علما و فنا: و قد كتب أشهر رساله في نظريه الموسيقى

الشرقيه، و يذكرون من براعته فى هذا الفن انه صنع آلّه موسيقيه شبيهه بالقانون، عزف عليها مره فاضحك الحاضرين، و عزف مره ثانيه، فابكاهم، و عزف مره ثالثه فانامهم، ثم انصرف.... و لقد أعجب سيف الدوله بمواهب الفارابى، و ما زال الدراويش "المولويه" يحتفظون فى أغانيهم. ببعض الأنغام المنسوبه إلى ذلك الفيلسوف الفنان.

فلسفته:

التوفيق بين أفلاطون و أرسطو

كان الفارابى يرى الفيلسوفه اليونانيه رأيا يبدو لنا اليوم عجيبا، كان يراها فلسفه واحده فى صميمها، لا اختلاف بين مذاهبها و قضاياها. و لما كان أفلاطون و أرسطو فى نظره الإمامين الممثلين للفيلسوفه اليونانيه، فمذاهبها عنده مذهب واحد على الحقيقه. و ان كانت هنالك مسائل كثيره يظهر الخلاف فيها بين الفيلسوفين اليونانيين، فالفارابى لا يعده خلافا جوهريا ما دام الاتفاق واقعا على الأصول و المقاصد.

و إنما يسلم الفارابى باختلاف أفلاطون و أرسطو فى أمرين: فى منهجهما التعليمى، و فى سلوكهما العملى.

أما من حيث المنهج، فالفارابى يلاحظ أن أفلاطون لم يدون كتبه إلا أخيرا، و أنه عمد إلى الرموز و الإشارات صونا للحكمه، و ضنا بها على من لم يكن من أهلها، فى حين أن أرسطو جرى على منهج التقرير و التدوين و الإيضاح و التبيين.

و أما من حيث السلوك العملى، فافلاطون فى نظره رجل تزهد و تخل عن الدنيا و شواغلها، فى حين أن أرسطو رجل أقبل على الدنيا و التمس أسبابها و خيراتها.

و قد يعجب القارئ العصرى للفارابى كيف تورط فى نظريته تلك فخلط بين مذهبين متعارضين متميزين، كالمذهب الأفلاطونى و المذهب الأرسطى، و أحدهما مذهب "مثالى" معن فى المثاليه، و الثانى مذهب "واقعى" يريد أن يخفف من غلواء المثاليه الأفلاطونيه! فمن المعلوم أن أفلاطون قد رأى انه لا- وجود للأفراد و الأشخاص و المحسوسات، لأنها متغيره، و إنما الموجود حقيقه هو "المثال" أى المعنى الكلى العام، المجرد من المشخصات الحسيه. فالمعنى الكلى للإنسان، أو "مثال" الإنسان هو "الماهيه" الثابته للناس على اختلافهم. و بهذه المثاليه أقام أفلاطون المذهب المثالى المشهور. أما أرسطو فرأى خلافا لأستاذه أن الموجود ليس هو المعنى الكلى المجرد الذى يشترك فيه أفراد كثيره، و إنما الموجود عنده هو الأفراد المحسوسه نفسها: فمثلا سقراط هو سقراط، لا- بما يشترك فيه مع جميع الناس، بل بما يخصه و يميزه ممن عداه من الناس. و لذلك كان أرسطو فى فلسفته أقرب إلى "الواقع" المحسوس و ألصق بعالم الشهاده، فى حين أن أفلاطون كان كثير التحليق فى "عالم المثل".

و هذا ما فات الفارابى أن يراه من تعارض بين مذهبي الفيلسوفين اليونانيين: و لكن يبطل العجب إذا علم السبب. و السبب بسيط، و هو أن الفارابى - فى محاولته التوفيق بين رأيي الفيلسوفين - أخذ يستشهد بكتاب مشهور آنذاك على أنه لأرسطو، و هو الكتاب المعروف باسم "أثولوجيا أرسطوطاليس"، و ظن أن هذا الكتاب لأرسطو حقيقه، و لم يخطر بباله - كما لم يخطر ببال أحد من مفكرى ذلك العصر - ان نسبه الكتاب لأرسطو خطأ، و إنما هو شذرات من كتاب "التاسوعات" للفيلسوف الاسكندراني "أفلوطين" شيخ المذهب المسمى بالافلاطونيه الجديده.

١- هو ابن سبعين الإشبيلي، فيلسوف عربي و صاحب طريقة صوفيه و اشتهر باجوبته التي رد على الأسئلة التي وجهها فريدرىك الثانى إلى علماء سبته.

و أعجب من هذا أن نجد الفيلسوف العربى، بعد أن حاول أن يثبت اتفاق أفلاطون و أرسطو، باعتبارهما ممثلين للفلسفه القديمه، يحاول محاوله جديده، و هى أن يثبت أن لا خلاف بين الفلسفه اليونانيه من جهه و بين عقائد الشريعه الإسلاميه من جهه أخرى.

و تليل ذلك يسير أيضا: الفارابى كان فيلسوفا و مسلما فى آن واحد، أعنى أنه كان موقنا بجلال الفلسفه من جهه و كمال الإسلام من جهه أخرى.

فالفلسفه و الدين عنده أمران متفقان. لأن كلا منهما حق، و الحق لا يخالف الحق. و أن شئنا قلنا: الفلسفه و الدين يعبران عن حقيقه واحده من وجهين مختلفين، و كل ما فى الأمر أن الفلسفه فى سعيها للوصول إلى الحقيقه تستعمل وسائل غير الوسائل التى يعمد إليها الدين. ففى حين أن الدين يلجا إلى طرق التخيل و الاقناع النفسى، تلجأ الفلسفه إلى المعقولات و البرهان المنطقى، و بينا الفلسفه بطبيعتها تتجه إلى "الخاصه" أو إلى "أصحاب الأذهان الصافيه" - كما يقول الفارابى نفسه - نجد الدين إنما يتجه إلى "الكافه" و إلى الجمهور على حسب ما يطيقون.

الفيلسوف الكامل

و الآن ما معنى الفلسفه عند الفارابى؟ يرى الفارابى أن الفلسفه ليست علما جزئيا، كعلوم الرياضه و الطبيعه و الطب و ما شاكلها، و إنما هى علم "كلى" يرسم لنا صوره شامله للكون فى مجموعته. و هذا ما قال به فلاسفه اليونان من قبل. و لكن الفارابى يزيد على فلاسفه اليونان رأيا طريفا، فيقول: "ان الفيلسوف الكامل" هو الذى يحصل هذا العلم الكلى، و يكون له فى الوقت نفسه قدره على استعماله، يعنى أنه هو ذلك الذى يحصل الفضائل النظرية أولا، ثم الفضائل العمليه ببيصره يقينيه "أما الفيلسوف" الزور "أو" الباطل "فهو ذلك" الذى يشرع فى أن يتعلم العلوم من غير أن يكون موطا نحوها".

ذلك أن الفارابى يرى أن للشروع فى النظر الفلسفى شروطا ينبغى توافرها، و هى فى جملتها عبارته عن محبه الصدق و العدل و الخير، و تصفيه النفس من شوائب الماده و شواغل الحواس: فان الذى سبيله أن يشرع فى النظر الفلسفى "ينبغى أن يكون له بالفطره استعداد للعلوم النظرية، و هى الشرائط التى ذكرها أفلاطون فى كتابه فى السياسه (يقصد كتاب "الجمهوريه"): و هى أن يكون جيد الفهم و التصور، ثم أن يكون بالطبع محبا للصدق و أهله و العدل و أهله، غير جموح و لا- لجوج فيما يهواه، و أن يكون غير شره على المأكول و المشروب..، تهون عليه بالطبع الشهوات و الدرهم و الدينار و ما جانس ذلك، و أن يكون كبير النفس عما يشين عند الناس، و أن يكون ورعا، سهل الانقياد للخير و العدل، عسر الانقياد للشر و الجور، و أن يكون قوى العزيمه على الصواب". ثم بعد ذلك يكون "قد ربي على نواميس و على عادات تشاكل ما فطر عليه، و أن يكون صحيح الاعتقاد لآراء المله التى نشأ عليها، متمسكا، بالأفعال الفاضله التى فى ملته، غير مخل بكلها أو بمعظمها..".

و الفيلسوف الباطل هو ذلك الذى "يتعلم العلوم النظرية و لم يزود و لم يعود الأفعال الفاضله بحسب مله ما، و لا الأفعال الجميله

التي هي في المشهور جميله "، بل " كان تابعا هواه و شهواته في كل شيء " . و رجل كهذا، لم يشعر بالغرض الذي التمس له الفلسفه...، فحصل على الفلسفه النظرية أو على أجزاء من النظرية فقط، و ظن هذا كافيا، بل لعله ظن أن الغرض مما حصل منها أن ينال بعض ما يظنه عامه الناس سعادات و خيرات، فأقام علمها طلبا لذلك، و طمعا في أن ينال بعض ذلك الغرض " .

و عندنا أن هذه الحدود و التعريفات تبين - لأول مره في تاريخ الفكر الفلسفي العربي - أن للفلسفه الصحيحه مهمه " جوانيه " على الأصاله، إذ توحد بين " البصر " و " البصيره " ، و تؤلف بين النظر و العمل، حين تجعل الفعل منبثقا من الفكر انبثاقا عفويا طبيعيا لا- قسر فيه و لا- إعنات. و تذكرنا هذه الأفكار الفارابيه العميقه بأفكار شبيهه بها سيوردها الفيلسوف اليهودي " اسبينوزا Spinoza الذي عاش في القرن السابع عشر، و تاثر بأراء الفارابي تأثرا لا نزاع فيه بشهاده الباحثين الغربيين أنفسهم.

و لعل الفارابي، بين فلاسفه الإسلام القدماء، هو الفيلسوف الحق بالمعنى الذي بينه هو نفسه في كتبه و رسائله: فقد عرفنا من سيرته أنه أراد أن يحيا على وفاق مع المبادئ التي وضعها في مذهبه، و حاول أن يكون فيلسوفا في سره و علانيته، في جوانيه و برانيه، و في فكره و سلوكه. و واضح من تأملات الفارابي أن للفلسفه أهلها " الموطئين " نحوها، أي المستعدين لها. و ليس كل حافظ للعلوم فيلسوفا، و من اشتغل بالفلسفه طمعا في جاه أو رئاسه أو مال، فهو " براني " دخيل عليها، و ليس من أهلها على الحقيقيه، و إنما هو - على قول الفارابي - فيلسوف " زور " و " بهرج " و " باطل " ، و خليق به أن ينبذ من زمره " الخاصه " المصطفين، و أن يسلك في عداد الدجالين المهرجين..

المدينه الفاضله أو الدوله المثاليه

و فيما أجمالنا من فلسفه الفارابي ما يظهرنا على مبلغ عنايته بالأخلاق و الحياه الفاضله. و لكن الفيلسوف العربي كان معنيا بالسياسه أيضا: كان يحلم بتنظيم العالم تنظيما شاملا يجعل منه دوله مثاليه، على غرار جمهوريه أفلاطون، أو " مدينه " صالحه عاقله، تكون رئاسه الحكم فيها لفيلسوف قد صفت نفسه حتى كاد أن يكون نيبا.

و المدينه الفاضله التي ينشدها الفيلسوف العربي هي نموذج لمجتمع انساني " متمدن راق، يؤدي كل فرد فيه وظيفته الخاصه التي تلائم كفاياته و استعداده. و أفراد المجتمع - كأعضاء البدن - متضامنون متعاونون على الأشياء التي تنال بها السعاده الحقيقيه و الخير الأفضل و الكمال الأقصى.

و هم جميعا يخضعون لرئيس المدينه و يتشبهون به، لأن ذلك الرئيس قد أوتي من الخصال الرفيعه ما يصعب تحقيقه في عامه الناس، فهو سليم البنيه، جيد الذهن، ثاقب الذكاء، حاضر البديئه، ماضى العزيمه، حصيف صادق، عادل نزيه، متجرد من الماده، مؤثر للذائد الروحيه.

و يقرر الفارابي أن " رئيس المدينه الفاضله ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق، لأن الرئاسه انما تكون بشيئين: أحدهما أن يكون بالفطره و الطبع معدا لها، و الثاني بالهيئه و الملكه و الإراده. فهذا هو الرئيس الذي لا يرأسه إنسان آخر أصلا، و هو الامام، و هو الرئيس الأول للمدينه الفاضله، و هو رئيس الأمه الفاضله، و رئيس المعموره من الأرض كلها " .

و تذكرنا الخصال التي يتحلى بها رئيس المدينه الفارابيه بصفات الفيلسوف الأفلاطوني في " الجمهوريه " ، و تذكرنا كذلك، في

صوره أوضح، بالصفات التي أضفاها الرواقيون على "الحكيم" الذي جعلوه حائزا لجميع الفضائل. و كما كان "الحكيم" الرواقى شخصا يعسر تحققه على الأرض، فرئيس المدينة الفاضله، عند الفارابى، شخص يعسر وجوده كذلك. و لكن الفارابى يضيف إلى خصال الرئيس التي ذكرناها خصله

ص: ٢١٥

أخرى نادره: و هي قدرته على الاتصال بما يسميه الفلاسفه "العقل الفعال" الذى هو أعلى منزله من العقل الإنسانى الذى "ينفعل" به و يستفيد منه.

فلا- جرم أن تكون غايه العقل الإنسانى و سعادته فى أن يتصل بالعقل الفعال، و بهذا الاتصال يقترب الإنسان من الله. و ليس إنسان قادرا على هذا الاتصال بالعقل الفعال و إنما يستطيعه القليلون من أهل الصفاء لم يشغلهم عالم المادة عن عالم الروح، إلى اختراق الأرض، و تطلعوا إلى اجتلاء السماء.

و أهل الصفاء عند الفارابى فريقان: (الفلاسفه و فريق الأنبياء.

و كل من الفريقين يستطيع، على طريقته الخاصه: ان يجتلى الأنوار، حين يتصل بالعقل الفعال: فما يستطيعه الفيلسوف بالنظر العقلى و التأمل الميتافيزيقى "المجاوز للماده" يستطيعه النبى بمخيله ممتازه و قوه قدسيه أودعها الله فيه.

و إذن فالفيلسوف و النبى، فيما يرى الفارابى هما أجدر الناس بتولى رئاسه المدينه الفاضله لأنهما ينهلان من منهل واحد رفيع، و يرميان إلى غايه واحده ساميه، لأن كليهما، بمواده الخاصه و استعداده لتلقى الأسرار الإلهيه، يستطيع الاتصال بالعقل الفعال، الذى هو منبع الوحي و الإلهامات السماويه، و مصدر الشرائع و النواميس الضروريه لسير الجماعات البشريه.

و الفلسفه و الوحي كلاهما ثمره من ثمرات الوجود الالهى يفيضها الله على من يشاء من عباده الصالحين.

السعاده العليا أو الخير الاسمى

على أن الفارابى يريد أن لا ينسى أن المدينه الأرضيه، مهما يكن كمالها، ليست غايتها فى نفسها، و إنما هى تدرج فى السعى للوصول إلى السعاده العليا التى هى الخير الاسمى الذى يمكن أن تناله النفوس الزكيه فى العالم الآخر. "و السعاده هى أن تصير نفس الإنسان من الكمال فى الوجود بحيث لا- تحتاج فى قوامها إلى الماده، و ذلك أن تصير فى جملة الأشياء البريئه عن الأجسام، و فى جملة الجواهر المفارقه للمواد، و أن تبقى تلك الحال دائما..".

فالنفوس الخيره العارفه هى التى تبقى و تدخل العالم العقلى، و كلما زادت درجتها فى المعرفه و الفضيله فى هذه الحياه، علا مقامها بعد الموت، و زاد حظها من السعاده فى الحياه الأخرى. و كلما كثرت الأنفس المتشابهه، "المفارقه" للماده، و اتصل بعضها ببعض، كما يتصل معقول بمعقول، زاد التذاذ اللاحقين بالماضى، "و زادت لذات الماضين باتصال اللاحقين بهم". لأن كل نفس تعقل ذاتها، و تعقل النفوس الأخرى المشابهه لها، و كلما زاد تعقلها زادت لذاتها. و تكون تلك حال كل طائفه مضت و كل طائفه لحقت على مدى الزمان إلى غير نهايه.

و الظاهر من هذه النظرية فى السعاده أن الفارابى أراد أن يقول انه حين الخروج من هذه الدنيا، تذهب النفوس أفواجا لتلتقى بمواكب الراحلين السابقين، و تتحد بها اتحادا عقليا، إذ ينضم كل شبيه إلى شبيهه. و بهذا النحو من انضمام الروح إلى الروح تزيد لذات الغابرين و الوافدين.

فكره فلسفيه اسلاميه طريفه، تحتاج إلى فنان يقف عندها يستوحىها، و إلى شاعر ينظمها قصيده بارعه، أو إلى موسيقى يصوغها

لحنا جميلا، أو إلى رسام يجعل منها لوحه تسر الناظرين.

خاتمه

تلك صور سريعه من آراء الفارابى. و الرجل كما قلنا فيلسوف، بأجمل ما لهذه الكلمه من معان. رجل جمع بين ميزتين: الإخلاص للفلسفه، و الايمان بالدين. و بهاتين الميزتين حاول أن يوفق بين لغتين، لغه العقل و لغه القلب، و هما - عنده - لغتان مفهومتان، ضروريتان للانسانيه التى تريد أن تسمو على نفسها، ساعيه وراء الكمال. و كان الفارابى قد جاء إلى العالم ليؤدى رساله جليله، خلاصتها أن الفيلسوف و الدين هما النبع الصافى للحياه الروحيه، التى بها يكون المجتمع الإنسانى فاضلا، و بدونها يكون مجتمعا ضالا، فويل للمجتمع إذا تنكر للفيلسوفه أو انحرف عن الدين! و ما أشقانا إذا طغت علينا الماده، فخلت حياتنا من مشاغل الروح.

محمد باقر المعروف بالفاضل السبزواري.

ولد فى (نأمن) أو (نامين) من قرى سبزووار و تبعد عنها بمقدار أربعة فراسخ و نصف الفرسخ، و جهل تاريخ ولادته و تاريخ وفاته و لكنه كان حيا سنه ١٠٨٣.

درس فى مشهد الرضا ثم هاجر إلى أصفهان و فيها وصل إلى منصب شيخ الإسلام، ثم عاد إلى مشهد فبقى فيها حتى وفاته، و قد دفن فى سرداب من حجرات مدرسه ميرزا جعفر المتصله بالصحن الشريف و التى هى مدفن كثير من العلماء.

جدد سنه ١٠٨٣ بناء المدرسه السميقيه التى كانت خرابا و جعل مكانا لتدريسه، و هى معروفه الآن بمدرسه ملا محمد باقر.

من مؤلفاته: كتاب الذخيره، و له رسائل فى الكلام و بعض الفنون الأخرى

الشيخ محمد باقر بن محمد جعفر الأصفهاني الفشاركي.

ولد فى حدود سنه ١٢٥٢ و توفى سنه ١٣١٤ و دفن فى تكيه آغا حسين الخونسارى فى تخت فولاد باصفهان.

أخذ المقدمات على جملة من أفاضل أصفهان ثم تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد باقر بن المولى محمد تقى الأصفهاني المتوفى سنه ١٣٠١ و غيره ثم تصدر كرسى التدريس و الفتيا و الامامه و الخطابه فى جامع محله نو و جامع القطبيه باصفهان و التف حوله جمع كثير من طلاب العلوم و تخرج عليه جمع من الفضلاء حيث كان له حوزة معموره. و هو من فحول علماء العصر القاجارى ذكره الميرزا حسن خان فى كتابه المآثر و الآثار بما تعريبه: (الملا محمد باقر الفشاركي كان فى طبقات مشاهير علماء أصفهان نرح إلى طهران مرارا و هو من أكابر أئمه الجماعه و فحول الخطباء الموثوقين فى العصر القاجارى) و قال آغا بزرگ الطهرانى فى نعباء البشر:

(كان من تلاميذ الشيخ محمد باقر ابن محشى المعالم و غيره من علماء الدين حتى صار من العلماء الأجلاء الموثوق بهم عند العامه و الخاصه فى أصفهان كان يباحث خارجا فيحضر بحثه فى المدرسه زهاء مائه من الفضلاء و الطلاب و يقيم الجماعه فتاتم

به المجاهير الكثيره و كان خطيبا بارعا إذا رقى المنبر أرضى الحضور على اختلاف طبقاتهم و أفاد كلا بحسبه و كان يخرج ليله الجمعه فى جمع من أصحابه إلى تخت تخت فولاذ و هى (مقبره فى أصفهان كبيره جدا تضاهى وادى السلام فى النجف، فيحييها إلى الفجر بتلاوه القرآن و قراءه الأدعيه المأثوره و الوعظ و الإرشاد و البكاء و بعد اقامه صلاه الصبح يدخل البلد...) ترك مؤلفات طبع قسم منها.(1)

السيد محمد باقر بن السيد على صاحب حاشيه القوانين المشهوره

ابن السيد إسماعيل القزوينى.

ولد فى النجف الأشرف سنه ١٢٧٠ و توفى بربلاء يوم الأربعاء الحسينى سنه ١٣٣٨ و دفن فى الصحن الحسينى كان من أكابر علماء قزوین و فحول فقهاؤها البارزين أخذ المقدمات و السطوح عن أبيه الشهير السيد على

ص: ٢١٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

القزويني وجماعه من فضلاء عصره، ثم تخرج في الفقه و الأصول على المولى الشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي و مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى البرغانى الحائرى آل الصالحى و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الشيخ الميرزا علامه البرغانى الحائرى آل الصالحى فى كربلاء ثم رجع إلى موطنه قزوین قائما مقام والده السيد على القزوينى المتوفى سنة ١٢٩٨ و تصدر المترجم له للتدريس و الفتوى و الامامه و كان يصلى الجماعه فى مسجد أبيه المعروف فى قزوین حتى اليوم بمسجد السيد على الواقع أمام ساحه السعاده. و ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى نباء البشر الجزء الأول صحيفه ٢١٤ فى ترجمه مختصره دون الإشاره إلى مشايخه و مؤلفاته و سائر خصوصياته.

ترك المترجم له مؤلفات فى الفقه و الأصول منها ١ - شرح على فرائد الأصول، ٢ - طرائق الوصول فى شرح معالم الأصول، ٣ - خزائن الأصول فى شرح قوانين الأصول، ٤ - التحفه الرضيه و هى تعليقه على شرح الروضه البهيه. ٥ - مجمع المسائل يشتمل على مجموعه من المسائل المختلفه من الفقه و الأصول و الفلسفه، ٦ - حاشيه المكاسب و هو تقريرات درس استاذه الميرزا حبيب الله الرشتى، ٧ - كشكول فى ثلاثه مجلدات جمعها فى مواضع شتى.

و خلف من زوجته الأميره صغرى خانم بنت الأمير أسد الله ميرزا ابن الأمير إسحاق ميرزا بن الأمير على نقى ميرزا الملقب بركن الدوله ابن السلطان فتح على شاه القاجارى ولدين عاليمين جليلين: السيد على المعروف ب آغا بزرك القزوينى العلوى و السيد حسين القزوينى العلوى و ثلاث بنات. (١)

السيد محمد باقر إبراهيم بن السيد على.

ولد فى قريه الدوير (جبل عامل) سنة ١٩١١ م نشا متنقلا مع والده - الذى كان معلما - بين الدوير و النميريه و حاروف و درس دروسه الابتدائيه فى النبطيه، و فى سن الثامنه عشره اضطر لترك المدرسه و تولى التعليم فى كتاتيب القرى. و فى بدايه العام ١٩٤٨ م عين معلما على ملاك وزاره التربيه فى قريه يونين من قرى منطقه بعلبك فانتظمت حياته الماديه و النفسيه، ثم تنقل فى عده قرى من جبل عامل إلى ان استقر ببلدته الدوير حتى احواله على التقاعد.

و قد استفاد فى الدوير من مجالس عمه السيد مهدي إبراهيم فأتقن علوم اللغه العربيه. و فى أول وصوله إلى يونين بدأت المطارحات الأدبيه، فقال الشيخ باقر زغيب مرحبا به:

من آل إبراهيم وافى سيد (يونين) منتدبا لعلم صغارها

فلعلمه و لفضله أجدر به من أن يكون معلما لكبارها

و لما استشهد النقيب محمد زغيب فى معركة المالكيه فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ قال فى رثائه متكلمنا بلسانه:

ان غير الموت هذا المنظر الحسنأ أو أخرس الخطب منى المنطق اللسنا

فرب جيش كجنج الليل معتكر يرمى بنيرانه الأمصار و المدنا

قابلته بفؤاد قد من حجر فردا و عزم لغير الله ما وهنا
و المالكيه تنبى اننى بطل ما فل عزمى و لا باسى الشديد ونى
فسائلوا ان جهلتم امر صاحبكم هذا الوجود تروا انى الكمى انا
و قال يرثيه أيضا:

كذا يستسهل البطل الصعابا و يفتح للعلى بابا فبابا
تجيش بصدرة زهر الأمانى كموج البحر تصطخب اصطخابا
و يقتحم الخطوب فلا يبالى بنار الحرب تلتهب التهابا
تطير به إلى العلياء نفس بهام النجم أحكمت القبابا
و بيت يعربى خثعمى رفيع قد زكا فيه و طابا
فلا و الله لا يرضى ذئابا تمكن من بلاد العرب نابا
و من أنشاه رب العرش ليثا فلا يخشى بمعترك ذئابا
مضى للحرب بسام الثنايا طروب النفس ممتلئا شبابا
و لكن الردى ألقى سهامها أصاب بها من الشرف اللبابا
فخر البدر من أفق المعالى صريعا شع فى الدنيا و غابا
رأى ورد المنون وروود ماء بعين الله فاقتحم الشرابا
رأى إن مات فى الهيجا شهيدا وروود الموت عذبا مستطابا
رأى أن الحياه بغير عز و إن طالت فلا تعدو السرابا
مضى لجنان خالقه سريعا و جر عنا الأسى صابا فصابا
و قد نسجت له كف المعالى من النور الالهى الثيابا
و خلد ذكره التاريخ نورا يميظ به عن الدنيا الحجابا

دم الأبطال يوم الحشر نور فلا يخشون ناراً أو عذاباً

هو الشرف الرفيع لكل حر به يرجو من الله الثواب

عليك صلاة ربك كل حين فقد أحسنت لله المآباً

و من طرائفه قوله و هو فى يونين:

بيونين فد [قد] شاهدت كل العجائب فخذ من خير صادق غير كاذب

رأيت أناساً يلبسون ثيابهم على اللحم و الأبصار تحت الحواجب

ص: ٢١٧

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و كم رجل و الشعر يملأ وجهه و كم غاده تبدو بدون شوارب
و أعجب من هذا و ذاك سماؤهم تشع إذا جن الدجى بالكواكب
حميرهم آذانها فى رءوسها و أذناها من خلف مثل الثعالب
و قال يرثى شقيقته نجبيه و كانت أكبر منه بثلاث سنين شديده الحنو عليه، تعنى بالمجالس الحسينيه و تلقى فيها الشعر:
ذكرتك و الآلام تفرى فؤاديا و أجريت دمعا كان من قبل عاصيا
فما كنت إلا فى فم الدهر بسمه و دمعا لأيام المحرم جاريا
إذا ما ذكرت الطيبين بكر بلا تعلمت الخنساء منك المراثيا
(نجبيه) هل أنسى من الدهر حقه بقربك كانت متعه فى شبايا
كان الردى ما حال دون لقائنا و أضحو فارثى غفلتى و شقائيا
أراك بقلبي يا نجبيه دائما كما كنت و الأيام تبدو كما هيا
ملأت قلوب السامعين فكاهه و ما انفك فى سمعى حديثك جاريا
شقيقه روحى يا نجبيه ها أنا أناديك لم لا تسمعين ندائيا
و كاد يفر القلب عن مستقره غداه أتى الناعى لبيتى ناعيا
نعى الطهر و الأخلاق و النبل و التقى فهيج فى صدر الجميع البواكيا
شقيقه روحى قد وقفت مؤبنا و كنت لروحى عند موتك راثيا
فجاءت من الشعر الحزين قصيدتى و هل أنت إلا قطعه من فؤاديا
فظوبى لك الجنات فى قرب فاطم فكم بالحسين السبط صغت النواعيا
و قال من قصيده:

هل العيد إلا أن نكون أعزه نشيد على هام النجوم مبانيا
و ننظر فى تاريخ يعرب نظره تعيد لنا تلك العصور الخواليا

عصور الألى قادوا الجيوش إلى العدى و هزوا بوجه الدهر تلك المواضيا

السيد محمد باقر بن السيد مهدي بن السيد محمد على الرضوى

الكاشانى الدزفولى المتخلص و الشهير بأشفته

ولد سنة ١٢١٧ و توفى فى طريق النجف سنة ١٣٣١ و دفن فى النجف عالم فاضل أديب شاعر متفنن له نظم فى أسلوب متين أصله من السادات الرضويه فى كاشان و ولد فى دزفول و أخذ المقدمات هناك على جملة من فضلائها و أولع بالأدب و الشعر فاتقنها ثم انخرط فى سلك الدراويش و أخذ يتجول فى أنحاء ايران لا سيما مازندران حتى وقع أسيرا فى ايدي التركمان ثم تمكن من الهرب و توجه إلى مشهد الرضا (ع) و مكث هناك سنتين فى بقعه الخواجه ربيع معتكفا هناك و منها سافر إلى كرمانشاه ثم سكن طهران و لقبه السلطان ناصر الدين الشاه القاجارى بلقب فصيح السلطنة و عين له راتبا شهريا تقاضاه من البلاط ثم قصد زياره العتبات المقدسه فى العراق و توفى فى طريق النجف و دفن فى النجف - كما تقدم - له ديوان شعر فى مدح الأئمة الأطهار طبع فى طهران. و كان له ولد يسمى محمدا أيضا و كان كاييه شاعرا و يتخلص مثله بأشفته فالتبس على شيخنا آغا بزرگ هذا التشابه فى التخلص الواحد بين الأب و الابن فنسب الديوان المطبوع إلى السيد محمد، و ربما سقطت كلمه (باقر) حين طبع الذريعه.(١)

الشيخ محمد تقى و يقال محمد بن الشيخ احمد الاحسائى مؤسس

الفرقه الشيعيه) ابن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن

داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المطيرفى

الاحسائى.

المتوفى سنة ١٢٧٥.

هو أرشد أولاد أبيه كان من علماء الأصوليين و كبار الفقهاء و أهل الفضل و مثالا للورع و التقوى ذكره فى أعيان الشيعه مع ترجمه والده فقال: (أولاده كان له ولدان فاضلان أحدهما يسمى محمدا و الآخر عليا و كان محمد ينكر على أبيه طريقته أشد الإنكار نظير ما يحكى عن الميرزا إبراهيم بن ملا- صدرا من إنكاره على أبيه) و الظاهر انه نقل هذه العبارات عن الخوانسارى حيث قال فى روضات الجنات: و كان له أيضا ولدان فاضلان مجتهدان سميا:

محمدا و عليا -ان الشيخ محمد ولده الفاضل - الأ- كبر ظاهرا - كان ينكر على طريقه أبيه أشد الإنكار نظير انكار الميرزا إبراهيم بن المولى صدرا على أبيه...)) أقول: أعقب الشيخ احمد الاحسائى اربعة أولاد هم الشيخ محمد تقى و الشيخ على نقى و الشيخ حسن و الشيخ عبد الله كلهم علماء و المترجم له أكبرهم و هو مولود فى الإحساء احدى المراكز الشيعيه فى شبه الجزيره العربيه، و أخذ المقدمات عن جملة من أفاضل الإحساء ثم حضر سنين على والده الشهير و هاجر معه إلى ايران و أخذ الفقه و الأصول من الشهيد الثالث و شقيقه الشيخ محمد صالح البرغانى و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الآخوند ملا آغا الحكمى

القزوينى و الآخوند ملا يوسف الحكيمى القزوينى فى المدرسه الصالحيه بقزوين و المولى ملا على البرغانى و له إجازة من أبيه شارك فيها أخاه الأصغر الشيخ على نقى مؤرخه سنه ١٢٣٦ هجرية و جاء تاريخها سهوا فى كشف الحجبسنه ١٢١٦ هجرية (٢) و له إجازة ثانيه كتبها والده الشيخ احمد الاحسائيل للشيخ ملا على البرغانى أشرك فيها ولده المترجم له و الإجازة بخط المجيز موجوده عندنا فى قزوين.

و المترجم له ينكر طريقه أبيه أشد الإنكار و حينما كان يذكر أقوال أبيه كان يرد عليه و يقول: (كذا فهم عفا الله تعالى عنه) و كان من العلماء الذين شاركوا فى مجلس مناظره أبيه فى ديوان الشهيد الثالث بقزوين فوقف موقفا مشرفا مخالفا لأبيه.

من مؤلفاته رساله فى الاجتهاد و الاخبار كتبها فى جواب سؤال الشيخ

ص: ٢١٨

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الميرزا محمد باقر الخوانسارى روضات الجنات ج ١ ص ٩٢ منشورات مكتبه اسماعيليان طهران سنه ١٣٩٠ هجرية.

عبد الله بن محمد على القطيفي و أنكر فيها طريقه أبيه و صرح معارضته الحاده له و يطلب من الله المغفره لأبيه و يرد فيها على أقوال أبيه ثم يقول "كذا فهم والدى عفا الله تعالى عنه" و عندنا منها نسخه.

و سكن المترجم له في قزوين و كان له رئاسه معززا مكرما.(١)

ميرزا محمد تقى المتخلص: بنير.

ولد سنه ١٢٤٨ في تبريز و توفي سنه ١٣١٢.

كان عالما أديبا شاعرا هاجر من تبريز إلى النجف الأشرف و عمره ٢٤ سنه فتابع دراسته على كبار العلماء. من مؤلفاته: صحيفه الأبرار.

مفاتيح الغيب. اللآلى المنظومه. ديوان غزليات. مثنوى در خوشاب، كشف السبحات. رساله لمح البصر. رساله نصره الحق. و له عدده رسائل كتبها إلى ميرزا يوسف خان مستشار الدوله فيما يتعلق بالقباء الإسلاميه.

كان معتبرا من أمهر الخطاطين، كما أن له نظما باللغه العربيه.

محمد تقى بن محمد قاسم الجيلانى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفي ١٢٥٧.

ولد في مدينه رامسر و أخذ المقدمات بها ثم ذهب إلى أصفهان برفقه أخيه عبد الواسع و حضر بحث المولى على النورى و الجيلانى رأيت من تأليفاته منظومه في النحو فيها هذا البيت

قد نظم العبد الأقل الآثمو هو تقى ابن محمد قاسم

(٢)

المولى محمد تقى بن فقيه على التنكابنى اليوشى.

هو من اعلام القرن الثانى عشر ولد في يوش و نشأ بها ثم ذهب إلى أصفهان و تتلمذ على اعلامها و رجع إلى موطنه يوش.

رأيت تعليقاته على بعض الكتب الأدبيه و الفقيهيه تدل على سعه معلوماته.

و يوش هي قريه بقرب من مدينه نور كانت سابقا تتبع ناحيه تنكابن و حاليا تتبع نور.(٣)

الشيخ محمد تقى التنكابنى بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم

توفى سنة ١٣٢٢.

ولد فى رامسر و نشأ بها و أخذ المقدمات و السطوح من علمائها ثم ذهب إلى قزوین و أقام مده بها مشغلا بالتحصيل ثم هاجر إلى النجف الأشرف و درس على أعلامها ثم ذهب إلى كربلاء ثم إلى سامراء فحضر بحث السيد الشيرازى و السيد إسماعيل الصدر ثم ذهب إلى قزوین بامر استاذة الشيرازى و أقام بها مشغلا بالتدريس و إمامه الجماعه و قضاء حوائج الناس و فى سنة ١٣١٢ ذهب إلى سامراء و بقى بها حتى توفى استاذة الشيرازى و بعد ذلك هاجر مع استاذة السيد إسماعيل إلى كربلاء و أقام مده بها و لطلب من أهالى قزوین عاد إليها و أقام بها حتى توفى، له مؤلفات منها:

١ - الحاشيه على نجاه العباد.

٢ - الفوائد العسكريه فى أصول الفقه مجلدان.

٣ - المصايح فى الفقه رأيت منه ثلاثه مجلدات فى الطهاره و الصلاه و الزكاه و الصوم.

٤ - الحاشيه على عين الأصول. ٥ - تقارير الميرزا الشيرازى فى الفقه و الأصول. (٤)

السيد محمد تقى الجلالى الحسينى ابن السيد محسن.

ولد فى كربلاء ٢٢ جمادى الثانيه سنة ١٣٥٥ و استشهد فى رمضان سنة ١٤٠٢.

والده: السيد محسن ولد فى سامراء فى المحرم الحرام سنة ١٣٣٠ و توفى سنة ١٣٩٦ فى كربلاء. بدأ دراسته الأولى فى كربلاء ثم انتقل إلى النجف الأشرف و حضر بحث كلا من السيد أبو الحسن الأصفهاني و الشيخ ضياء العراقى و الشيخ محمد حسين النائينى و السيد محمد على الشاه عبد العظيمى و الشيخ صدر الباذكوبى. ثم عاد إلى كربلاء و حضر بحث كل من السيد محمد هادى الخراسانى و السيد هادى الميلانى و السيد مهدي الشيرازى. و فى سنة ١٣٧٢ صار اماما فى الحرمین الحسينى و العباسى.

له عدده مؤلفات منها: مصباح الهدى، حاشيه الكفايه، حاشيه على القوانين، حاشيه على شرح اللمعه.

و جده لأبيه: السيد على ولد فى كربلاء سنة ١٢٩٠ و توفى فيها سنة ١٣٦٧ درس أولا- فى كربلاء ثم هاجر إلى سامراء فدرس على الشيخ محمد تقى الشيرازى، و لما عاد استاذة إلى كربلاء عاد معه و صار اماما فى الحرم الحسينى. و جده لأمه: السيد محمد هادى الخراسانى ولد سنة ١٢٩٧ فى كربلاء و توفى فيها سنة ١٣٦٨ (٥).

بدأ المترجم له دراسته فى كربلاء و فى سنة ١٣٧٧ انتقل إلى النجف الأشرف فتابع الدراسه هناك على السيد محسن الحكيم و السيد أبو القاسم الخوئى. و قد انتدبه السيد الحكيم سنة ١٣٧٨ للإرشاد فى ضواحي السماوه و الديوانيه خلال العطل الدراسيه طيله سنتين. و فى سنة ١٣٨٠ أرسله إلى بلده الزرباطيه لمدته سنتين و فى سنة ١٣٨٥ استقر فى بلده (القاسم).

و لما طغى النظام التكريتي كان المترجم من ضحاياها و شهدائه الأبرار فقد اعتقل و عذب و مات في التعذيب. و فوجئ اهله بان جلاوزه النظام يطرقون باب دارهم في النجف و يقولون لهم بأنه قد تقرر اطلاق سراحه و يطلبون إليهم الذهاب إلى بغداد للعودة معه فصدقوا ذلك، و لما ذهبوا معهم إلى سجن أبي غريب في بغداد سلموهم جثته.

له من المؤلفات المطبوعه: البدايه في علمى النحو و الصرف، موجز تاريخ الروضه القاسميه و غير ذلك. و من المخطوطه: حاشيه على رسائل الشيخ الأنصارى، شرح على المكاسب، شرح كفايه الأصول، حاشيه الحاشيه لملا عبد الله، حاشيه على معالم الأصول، شرح الخطبه الشقشقيه في سبعة اجزاء، تفسير الفرقان في ثلاثين جزءا و غير ذلك و هو شقيق العالمين الباحثين المؤرخين السيد محمد حسين و السيد محمد رضا اللذين هما اليوم في الطليعه من رجال البحث العلمى المنظم العميق، و قد برزت لكل منهما بحوث هى موضع اهتمام الدارسين و مصدر موثوق للكاتبين.

الميرزا محمد تقى بن محمد صالح الحكيم التنكابنى.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفى أواخر القرن الثالث عشر.

ولد فى تنكابن و نشأ بها و دخل المدارس العلميه فى تنكابن و قرأ المقدمات و المبادئ بها ثم ذهب إلى قزوین و دخل بمدرسه سردار فاخر القزوینی و حضر عند اعلامها فى الفقه و الأصول و الحكمه ثم بعد ذلك انصرف إلى تعلم الطب و جد فى ذلك حتى بلغ درجه ساميه و اشتهر صيته - فيه ثم رجع إلى موطنه و بقى فيه حتى توفى. له مؤلفات فى علم الطب

ص: ٢١٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- السامى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- الشيخ محمد السامى.

٥- راجع ترجمته فى المجلد العاشر من أعيان الشيعه.

مسوده لم يخرج أكثرها إلى البياض. (١)

شمس الدين محمد المعروف بحافظ الشيرازي.

مرت ترجمته في الصفحه ٣٥٦ من المجلد التاسع، و نزيد عليها هنا ما يلي:

قال آرثر آربري، و ترجمه للدكتور سامي مكارم:

عند ما ولد حافظ، و هو باتفاق الجميع أعظم شعراء الفرس، كان إقليم فارس ينعم باستقلال حقيقي تحت حكم شرف الدين محمود شاه. و كان الايلخان اولجايتو في الأصل قد عين محمود شاه مديرا لشئون الممتلكات الملكيه (اينجو) في تلك الأنحاء، و في عهد أبي سعيد، خليفه اولجايتو، أصاب محمود شاه المزيد من النجاح، فما بلغ سنه ١٣٢٥ حتى أصبح لا ينازعه منازع الا عصابات اللصوص التي كانت تعيث بالجيال فسادا و تجتاح من وقت لآخر السهول. نزع والد حافظ، علي ما يقال، من أصفهان إلى شيراز، عند ما كان الأتابكه لا يزالون في أوجههم، فاشتغل بالتجاره و أصاب قسما من النجاح و لكنه في أواخر حياته أخذ بإهمال اعماله. فلما مات خلف ارملة و ولده الصغير في ضائقه ماليه.

لم يكن حافظ قد بلغ العقد الثاني من عمره عند ما لقنه الدهر أول درس في اضطراب الحكم، هذا إذا كان قد أصبح في تلك السن المبكره واعيا للأحداث السياسيه، و لا أظنه الا كذلك لكونه فارسيا. ذلك أن أبا سعيد، في آخر عهده، تنكر لمحمود شاه و خلعه. أما خليفه أبي سعيد اربا خان فقد احتفل بصعوده على العرش بان أعدم محمود شاه في تبريز، و كان ذلك سنه ١٣٣٥ م. و في السنه التاليه سقط اربا، فابتهج لذلك أبناء محمود و نقلوا جثمان أبيهم إلى شيراز ليرقد بالقرب من عظام ابن خفيف المباركه.

كان ذلك هو العمل الوحيد الذي قاموا به مشتركين. فما أن انتهت مراسم الدفن حتى دب بين الإخوه نزاع على من سيعتلي عرش والدهم.

بدأ النزاع بان قتل مسعود شاه أكبر الإخوه الأربعة الابن الثاني كيخسرو الذي كان مستاثرا بالعرش أثناء وجود مسعود في المنفى المؤقت، ثم أمر بحبس الابن الثالث محمد في قلعه سفيد. غير أن محمدا ما لبث أن فر إلى بير حسين الجوباني الذي كان معسكرا بالقرب من تلك الأنحاء، و هو ينتمي إلى عائله من الأمراء كان قد قوى شكيبتها غازان خان. فاستطاع بفضل بير حسين هذا أن يطرد مسعودا من شيراز. غير ان انتصاره هذا كان قصير الأمد، فما لبث بير حسين ان استهواه هذا النصر فقتل محمدا و فكر بالاستئثار باقليم فارس مما أثار غضب أهالي شيراز فقاتلوه و طردوه و رحبوا بعوده مسعود. و في العام التالي عاد حسين يعينه على ذلك قريب له يدعى أشرف.

و لكن القائدين منيا بالهزيمه، فانسحب أشرف برجاله و فر حسين إلى ابن عمه الأمير حسن كوجك فباغته هذا الأخير و قتله في الحال.

أما أبو إسحاق الابن الأصغر لمحمود شاه، الذي كان قد ولي أصفهان من قبل حسن كوجك فقد قرر الآن أن يطالب بشيراز. و

كان مسعود بعد أن طرد من العاصمه قد طلب من ياغى باستى أن يستعيد له العرش. فى هذه الأثناء طلب أبو إسحاق المعونه من أشرف شقيق ياغى باستى. و أخذ ياغى باستى مسعودا إلى أسوار شيراز و لكنه ما لبث أن قتله هناك. و كان ذلك سنة ١٣٤٣ م. ثم انه أراد أن يحالف أشرف بغيه الاستيلاء على شيراز للجوبانيين، غير أن أمير هؤلاء حسن كوجك رأى فى تلك الأثناء أن ينازع ملك بغداد الجلائرى، حسن بزرگ، اماره فارس، فقتل فى المعركه بيد زوجه فى ١٥ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٣٤٣. ثم استحكم الخلاف بين اخوته على من سيخلفه، فحال ذلك دون إيقاف أبى إسحاق عن التقدم.

تلك كانت الحاله العامه المتلونه التى نشا فيها حافظ الفتى. و لكنه استطاع أن يحصل على ثقافه جيده كان منها ان حفظ القرآن عن ظهر قلب (فاستحق لذلك لقب الحافظ)، و شق طريقه مخاطرا إلى دنيا التأليف.

و لكن أشعاره لم تجمع الا بعد موته، لترتب قوافيها على الأحرف الأبجديه وفقا لما كانت عليه عقليه الجامعين فى تلك الأيام و كلفهم بهذا النوع من الترتيب. و هكذا ضاع علينا إيجاد ايه وسيله لتعيين تواريخ هذه الأشعار، و لم يبق لنا الا الدلائل الداخليه. و الدلائل الداخليه تفتح بابا للظن و التخمين، فهى ليست واضحه كل الوضوح كما انها لا تكفى بمفردها.

غير انه لدينا قطعه ذكر فيها الشاعر اسم مسعود و هذا خواجوى كرماني (توفى سنة ١٣٥٢) أحد شعراء أبى إسحاق. و كان حافظ يفاخر بأنه يقتدى بشعره. و ليس غريبا أن يكون حافظ قد تعرف بخواجوى بواسطه أمين الدين الذى توفى سنة ١٣٤٤ فادخله إلى الحلقه الملكيه. أما عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الإيجى (توفى سنة ١٣٥٥) فقد كان قاضيا و معلما فى شيراز وضع بالعريه كثيرا من الكتب فى الفلسفه و علم الكلام مما جعله فى مصاف كبار الثقات فى هذين الحقلين، فكانت كتبه تدرس فى مختلف بلاد الإسلام حتى بعد وفاته بمدته طويله. و قد بلغ كتابه "المواقف" شهره واسع، فوضع عليه كثير من العلماء الشروح و شروح الشروح و التعاليق. و لا شك فى أن حافظا حضر دروسه. و أما حاجى قوام فاسمه الكامل حاجى قوام الدين حسن التمججى. و قد قام بدور كبير فى تمكين أبى إسحاق من العرش و كان يبذل ثروته الطائله بسخاء فى تشجيع العلم و الأدب. قدم إليه ابن زركوب كتابه "تاريخ شيراز" كما خصه حافظ بثلاث قصائد على الأقل مدحه فيها مباشره أثناء حياته، علاوه على مدحه إياه بصوره غير مباشره فى قصائد أخرى كثيره - كما رثاه سنة ١٣٥٣. كذلك نظم حافظ قصيده بليغه رثى بها مجد الدين إسماعيل و ذلك حين توفى سنة ١٣٥٥ عن أربع و تسعين سنه، و هذا مطلعها:

ان مجد الدين السرى و سلطان القضاء إسماعيل

الذى كان قلمه الفصيح يسجل خطبا فى الشريعه.

برهن أبو إسحاق، الذى تسلّم أخيرا العرش بعد محاولات فاشله عديده، على انه رجل طموح فما استتب له الأمر فى شيراز و بقيه إقليم فارس حتى أخذ يعمل على توسيع ممتلكاته (يشجعه على ذلك ما آلت إليه دوله المغول آنذاك من تفسخ، شأنه فى ذلك شأن الكثير من الأمراء)، فضم إليه يزد و كرمان. و قد أدى به ذلك إلى التصادم مع بنى المظفر المجاورين. و هى أسره أسسها شرف الدين مظفر (توفى سنة ١٣١٤ م).

و كانت تحت امره أرغون و غازان و اولجايتو على التوالي، كما كانت عاصمتها ميبد بالقرب من يزد. خلف مظفرا ابنه مبارز

الدين محمد، و كان في ذلك الوقت فتى في الثالثه عشره من عمره و لكنه ما عتم حتى أصبح حاكما حازما قاسيا، فاستولى على يزد حوالي سنه ١٣١٨ محافظا على امارته الصغيره ضد الثورات الدمويه. و قد أفاد هو أيضا من الفوضى التي نتجت عن موت أبي سعيد فضم اليه كرمان سنه ١٣٤٠ م. و حاول أبو إسحاق مرتين ان يخلص كرمان من قبضه أميرها الجديد و لكنه في المرتين منى بالفشل. و في سنه ١٣٥٠ م حاول استخلاص يزد فصد حالا. يدلنا على أن حافظا نظم بعض أشعاره مرضاه للملك قبل سنه ١٣٤٣. و لكن عبقريته تفتحت حقا في عهد أبي إسحاق الذي حكم عشر سنوات. و كان حافظ يتذكر هذه الأوقات و في قلبه حزن عميق:

ص: ٢٢٠

١- الشيخ محمد السماوي.

فى الحقيقه أن خاتم أبى إسحاق الفيروزجى قد أومض فى بهاء، و لكن دولته كانت متعجله.

و كان الشاعر يجب أن يتذكر أولئك العظماء الذين شرفوا بمواهبهم المختلفه بلاط آخر بنى اينجو. فقال هذه الأبيات التى أصبحت مضرب الأمثال لكثرة ما ردها الناس ترديدا أصيب فى بعض الأحيان بشيء من التشويه:

فى عهد سلطنه الشاه الشيخ أبى إسحاق ما أعجب ما كان ملك فارس عامرا بخمسه اشخاص

الأول ملك مثله يمنح الولايات و قد أعد نفسه حتى أمن عداله العيش الرغيد

ثم ولى الإسلام الشيخ مجد الدين الذى لا تذكر السماء قاضيا أفضل منه

ثم بقيه الأبدال الشيخ أمين الدين الذى حل يمن همته الأعمال المعقده

ثم ملك العلم عضد الذى فى التصنيف وضع باسم الشاه كتابه "المواقف"

ثم ذلك الكريم القاضى قوام ذو القلب الخضم الذى اكسبته دنيا العطاء و العداله صيتا حميدا

أولاء لم يتركوا نظيرا لهم و مضوا فالله عز و جل يرحمهم أجمعين

باستطاعتنا أن نميز الرجال المشهورين الأربعة الذين ذكرهم حافظ مع أبى إسحاق. فاحدهم مجد الدين إسماعيل الذى قصده ابن بطوطه بصوره خاصه عند زيارته الاثنتين لشيراز. فقد زاره فى المدرسه المجديه حيث كان يقوم بإعطاء الدروس. و هو يروى انه رأى هناك أبا إسحاق نفسه واقفا بين يدى الفقيه الكبير ممسكا إذن نفسه فى يده، و هكذا فعل أمراء التتار عند ملوكهم. و كان والد مجد الدين، ركن الدين يحيى، فقيها مشهورا أيضا و قد مدحه سعدى فلم ينسه ركن الدين فى أواخر حياته. و لا بد أن يكون ذلك قد أضرم طموح حافظ الفتى بالذكريات عن عبقريته الشعريه. و أما الشيخ أمين الدين محمد، و هو ابن الشيخ زين الدين على الكازرونى، خير خلف لخير سلف، و سليل اسره اشتهرت بتدينها منذ القدم، فهو بالاضافه إلى كونه معلما بارزا، كان ينظم الشعر. و يعد من جمله تلاميذه و بعد سنتين أعاد الكره على كرمان فمنى للمره الثالثه بفشل ذريع. و قد قوى هذا النصر النهائى من عزمه مبارز الدين فنقل المعركه إلى معسكر العدو. و فى سنه ١٣٥٣ م استولى على شيراز، و واصل انتصاراته ليأخذ أصفهان و يقتل عدوه العنيد الشجاع و ذلك سنه ١٣٥٧ م.

كان حكم المؤرخين، كحكم التاريخ، ضد أبى إسحاق. فقد كان، على ما امتاز به من صفات محبيه إلى النفس لم يكن تشجيع الفنون و الآداب بأقلها، ظاهر القساوه إلى حد الجنون، و ليس هنالك من يضاهيه فى تلك الأوقات العاصفه التى عاش فيها، لا سياسيا و لا عسكريا. ففى ذلك العصر الذى امتاز بالحروب المستمره كلف بفنون السلم كلفا شديدا. فقد كان فى أحسن أوقاته و هو يستمع إلى الموسيقى الجميله و يحتسى خمرة شيراز الحلوه محاطا بالشعراء ينظمون فيه القصائد و يغالون فيها بمدحه. ذلك كان من صالح الأدب و لكنه لم يكن من صالح الدوله قط. فلم تكن مجالس الشراب و لا قصائد المديح لتستطيع أن تحافظ على دولته المتداعيه. فما ان نازل بضعفه قائدا صلبا شجاعا مثل مبارز الدين حتى تحطمت دولته شر تحطيم.

و هكذا قل رواج الشعر الذى كان ينظمه حافظ من خمريات و غزل و غناء.

و إذا به يصاب بخيبه، فيجد نفسه (كما تدلنا احدى المخطوطات المؤرخه سنه ١٣٥٥ م و المحفوظه فى (طشقند) و قد صار إلى رجل ينسخ أشعار غيره من الناس ليربح قوت يومه. و لنسمعه يندب الأيام الحلوه التى مضت:

لم نعد نرى المحبه، فى أحد ، فما ذا أصاب الأحبه الأعزاء...؟!

و هل انعدمت الصداقه...؟! و ما ذا أصاب الرفاق و الأصدقاء...؟!

و لقد تكدر "ماء الحياه" ... فأين "الخضر" السعيد الأثر...؟!

و فاضت دمء الورد... فما ذا أصاب نسמת الربيع المنتظر...؟!

و كانت هذه الديار ديارا للأحبه و الأصحاب فلما انتهى الحب لم أدر

ما ذا أصاب منازل الأحباب...؟! و قد طرخوا، فى وسط الحلبه، كره الكرامه و الإحسان

و لكن أحدا لا يقتحم الحلبه. فما ذا أصاب الخياله و الفرسان...؟!

و لقد أينعت الورد، و لكن الطير صامت عنها... غافل. فما ذا أصاب الطير، و ما ذا اسكت العنادل و البلابل...؟!

و أحرقت "الزهره" قيثارتها، فلم تعد تتغنى بلحن الحب و الحنين.

و لم يعد أحد من الناس يشرب على لحنها، فما ذا أصاب الحريفه الشارين...؟!

فيا "حافظ" ...! صمتا...! فلم يعد أحد يعرف أسرار الإمكان. و لم تعد لك فائده من أن تسأل أحدا عما أصاب الزمان...!!

و دار دولاب الحظ مسرعا نحو نكبه أخرى. فلم يطل الزمان بالفتاح المقدم لينعم بامبراطوريته الجديده. ففى سنه ٣٥٨ وقع فى أسر ابنه الشاه شجاع بينما كان على رأس حمله عسكريه استولى فيها لوقت قصير على مدينه تبريز. فأمر ابنه بسمل عينيه تبعا لتلك العاده البربريه السائده فى تلك الأيام. ثم قضى نجه سنه ١٣٦٤ م. و يظهر أن حافظا لم ير من المناسب أن يلتمس فضل مبارز الدين، ذلك الأمير الفظ، مع انه نظم قصيدتين يمدح بهما وزيره برهان الدين فتح الله.

لم يكن الحسد الأخوى و منافسه الدويلات المجاوره ليحولا دون أن يتبوأ الشاه شجاع عرش إقليم فارس لسنوات طالت نسبيا. ففى سنه ١٣٦٣ استولى أخوه محمود على يزد، و قد كان يحكم على أبرقوه و أصفهان. و لكنه ما لبث أن حوصر فى أصفهان حتى وصل الأمير [الأمر] إلى اتفاق ما كان ليدوم طويلا. ففى السنه التاليه تحالف محمود مع أويس الجلانرى الذى كان على بغداد منذ سنه ١٣٥٥، ليضرب حصارا حول شيراز دام أحد عشر شهرا و انتهى باستيلائه عليها. و لكنه لم يلبث أن خسرها ثانيه سنه ١٣٦٦.

و فى سنة ١٣٧٥ مات الشاه محمود فاستولى الشاه شجاع على أصفهان.

و استطاع فى السنه نفسها أن يخضع أويس فظن أمير شيراز أن الوقت قد حان لأن يتوسع بفتوحاته نحو أذربيجان محاربا حسينا أمير بغداد الجديد. غير أن ما أحرزه الشاه شجاع من انتصارات كان نصيبه الخسران، فسرعان ما تبين له أن الشاه يحيى ابن أخيه يحوك المؤامرات ضده. فأوقف فتوحاته و عقد صلحا مع حسين، و أزوج ابنه زين العابدين بابنه صاحب بغداد. غير أن ذلك لم يضع حدا للخلاف بين الأميرين المتجاورين. ففى سنة ١٣٨١ قتل حسين بيد أخيه احمد، فالتمس هذا صداقه الشاه شجاع و معونته لكى يتسنى له أن يجابه ما ينتج عن ذلك من مطالب للطامحين بالعرش. و لكنه سرعان ما تنكر لهذه الصداقه حالما ضمن العرش لنفسه. غير أن سحابه كانت تتجمع فى الأفق فى تلك الأثناء لتستحيل إلى عاصفه سرعان ما كسحت كل تلك المؤامرات الصغيره لتحيلها إلى دمار و ترميها فى مطاوى النسيان. ولد تيمور لنك، ذلك الذى أورث الذكريات الرهيبه، سنة ١٣٣٦ فى بلده كش من بلاد ما وراء النهر، و اعتلى العرش بعد أن أراق الدماء فىكون بذلك

ص: ٢٢١

الوريث الأصيل لجغتاي و الحفيد الحقيقي لجنكيز خان. و بعد أن بقى عشر سنوات فى تدعيم حكمه، اجتاح خراسان سنه ١٣٨٠، و فى غضون سنتين استولى على جرجان و مازندران و سجستان. أما الشاه شجاع فقد سلم بهذا الشؤم و ابتاع رضى الفاتح العظيم بتقديمه الهدايا الثمينه له و تزويجه ابنته.

و فى سنه ١٣٨٤ وافاه الأجل فاراحه من المتاعب المقبله.

شهد عهد الشاه شجاع تفتح عبقرية حافظ على أكملها. ففى عهده رجع الشيرازيون المتخوفون إلى سابق بهجتهم:

فى وقت السحر... أوصل "هاتف الغيب" إلى سمعى هذه الأنباء الساره.

بان الدوره للشاه شجاع، فاشرب الخمر فى جرأه و جساره...! فلقد انقضى ذلك العهد حينما كان ينزوى "أهل النظر" و فى أفواههم آلاف من ألوان الحديث.. و شفاههم صامته تنتظر...!! فلنقل الآن هذه الحكايات الطوال على صوت القيثاره فقد ضاق باخفائها صدرى، و اضطرب بما فيه من نار حاره...!! و الملوك و حدهم هم الذين يعلمون مصلحه الملك و السلطان فحذار من أن تبس بنت شفه يا "حافظ" فانك سائل مسكين يلازم الأركان.

و كان هذا الحذر فى محله. فمع أن حافظا أفاد كثيرا من الروح التحريره التى كان يتميز بها الأمير الجديد فان العلاقات بين الأمير و الشاعر لم تكن دائما على ما يرام. فالمنافسه على عطايا الملك كانت شديده كالمعتاد، لا حدود لها يقف عندها المتنافسون فى معركة الدهاء التى لا تعرف الرحمه. ذلك ما حدث لحافظ، فوقع فيما لا تحمد عقباه. فقد رأى ان يتأمر على عماد الدين الكرمانى، و كان المفضل من بين المتصوفين عند الشاه شجاع، فلم يكن شاعرا و حسب بل كان إلى ذلك مشهورا باجتراح المعجزات. و قد درب هره أن يتابعه فى الصلاه فيركع إذا ركع و يسجد إذا سجد. و أدهش هذا الأمر صاحب شيراز، فظن حافظ انه إذا ما تهكم عليه فقد يتعد الشاه عن هذا النظير الخطير. فما كان منه الا أن خاطب الشاه بهذه الأبيات: نصب "الصوفى" شباكه و فتح طوايا جعبته الماكره و وضع بذلك أساس المكر و الخديعه مع الأفلاك المشعوذه الساحره.

و لكن ألعوبه الفلك كسرت له بيضه فى قلنسوته لأنه اجترأ على عرض شعوزته على "أهل الأسرار"...!! اما أنت أيتها الحمامه التى تختال فى مشيتها... إلى اين تذهبين...؟! فقى... و لا تنخدعى إذا أصبح قط الزاهد بين المصلين...!! و أنت يا "حافظ"! لا تلم المعربدين، لأن الله منذ الأزل لم يجعلنا فى حاجه إلى الزهد و الرياء و الدجل...!! و لكن بدلا من أن يشكر الشاه شجاع لحافظ تحذيره هذا، غضب عليه لنيله من ذكائه، أو ربما لأن حافظا شبه الشاه بحمامه كانت ألعوبه سهله بيدى هر سارق. و مما زاد الطين بله حادث آخر اعتبره الشاه حطا بكرامته، فقد كان الشاه شجاع، ككثير من الناس فى ذلك الزمان، يقضى وقته بنظم الشعر، فظن من حقه أن ينتقد حافظا، فقال له ذات يوم: "ان واحده من غزلياتك لا تجرى على نهج واحد من أولها إلى آخرها. بل اننا نجد فى الغزل الواحد بعض الأبيات فى وصف الخمر، و البعض الآخر فى التصوف و الباقي فى التغزل بالحبيب، و هذا التلون و التنوع فى أغراض الغزل لا يجيزهما البلغاء و الفصحاء". فأجابه حافظ: "ان ما قاله مولاى هو عين الصدق و محض الصواب، و مع ذلك فان أشعار "حافظ" يتردد ذكرها فى سائر الآفاق، بينما لا تستطيع أن تتعدى أقوال غيره من الشعراء أبواب شيراز". و قد أغضب الشاه شجاعا هذا الرد اللاذع، الجرىء حتى بالنسبه إلى شاعر فارسى، فما زال يتحين الفرص ليتخلص نهائيا من هذا التابع المتمرد. حتى تهيأت له الفرصه عند ما نمى إليه أن حافظا نظم قصيده ورد فيها هذا البيت:

إذا كان الإسلام هو ما لدى حافظ من معتقد .

فوا ويلاه إذا كان بعد اليوم، يوم آخر...!!

فقال الملك: "لما ذا، ان حافظا هو مجرد كافر، ينكر البعث. فكفروه أيها الفقهاء" !فخاف حافظ و أسرع إلى زين الدين التيايادي، أحد الأولياء المشهورين، و قد كان مارا بشيراز في طريقه إلى مكة، و عرض عليه الأمر، فأشار عليه هذا الصوفي اللبق أن يسبق ذلك ببيت آخر يقرر فيه انه سمع شخصا يقول البيت المأخوذ عليه. فاخذ حافظ ممتنا بهذه المشوره و عاد إلى الشاه شجاع معدلا القصيده:

و ما أجمل ما جاء في هذا الحديث الذي سمعته في وقت السحر و وعته أذناى.

عند ما أخذ يغنيه "مسيحي" على باب الحانه و على نغمات الدف و الناي...! قال: إذا كان "الإسلام" هو ما لدى "حافظ" من معتقد على هذه الشاكلة.

فوا ويلاه...! إذا كان بعد اليوم يوم آخر، أو غداه مقبله...!! ذاك هو نوع الروايات التي دونها المؤرخون المتأخرون عن حافظ و الشاه شجاع. فليس لدينا أى سجل معاصر لهما. و يبدو أن هذه الروايات هي على الأرجح روايات مختلفه قصد منها توضيح بعض الأمور الغامضه مما ورد في مؤلفات الشاعر المجموعه و تفسير بعض محاولات التقرب إلى الأمراء الآخرين. فهناك قصه رويت بالمناسبه مؤداها أن محمود شاه البهمنى أرسل إلى حافظ يدعوه إلى بلاطه في الدكن " و منحه مبلغا من المال ينفقه على رحلته. فأنفق الشاعر قسما كبيرا منه قبل مغادرته لشيراز، و عند وصوله إلى بلده لار، في طريقه إلى الخليج الفارسي، التقى بصديق له معدم فأعطاه ما تبقى معه من مال. ثم هيات له الظروف أن يلتقى بتاجرين فارسيين، هما خواجه زين الدين الهمداني و خواجه محمد الكازروني، و كانا في طريقهما إلى الهند، فعرضا عليه أن يدفع له نفقات السفر نظير التمتع برفقته. فسافر معهما إلى ميناء هرمز ثم استقل السفينه التي كانت تنتظره هناك، فما كادت تبخر به حتى هبت عاصفه هوجاء هالته هولاء شديدا و جعلته يعدل عن عزمه و يعود من حيث أتى. فلما رجع حافظ إلى شيراز أرسل إلى محمود شاه قصيده نظمها في هذه المناسبه. و قد نقل مؤرخ هندي عاش في القرن التاسع عشر هذه الروايه فأخذها إ.غ. براون على ظاهرها كما فعلت جرتروود بل و غيرها. غير أن محمود شاه لم يعتل عرش البهمنيين الا- في سنه ١٤٨٢ [١٣٨٤] و هو غلام في الثانيه عشره من عمره و بذلك نكون أمام أمرين:

اما ان دعوته وصلت إلى حافظ و قد بلغ من الكبر سنا لا تسمح له على الأرجح بالقيام بمثل هذه الرحله الطويله، و أما أن تكون هذه الحادثه، من قبيل الروايات المسليه.

و تتحدث روايه أخرى، هي أقرب إلى الواقع من سابقتها، عن عزم حافظ على الإقامه في بغداد، و ذلك عند ما كان السلطان أويس على عرش الجلائريين (حكم من ١٣٥٥ - ١٣٧٤). غير أن حوادث القصه تجعلها أقرب إلى وقوعها في السنوات الأخيره المظلمه من عهد مبارز الدين من وقوعها في عهد الشاه شجاع.

و جوهرك المنقى، غنى عن مدحنا. و ما ذا تفعل الماشطه، فى الحسن الموهوب من الله...؟!

و لم نصل فى "شيراز" إلى المقصود و المراد. فيا حبذا اليوم الذى يرحل فيه "حافظ" إلى بغداد...!!

و على هذا النحو أخذ حافظ يتودد إلى اويس. و قد كان أويس رجلا له معرفه بالأدب، لا يتخذ من الشعراء أقل من سلمان السواجى شاعريه، فلا بد إذن من أن يغبط إذا ما انضم حافظ إلى بلاطه، ذلك أن الأمراء الفرس كانوا يقيسون عظمتهم بعظمه حاشيتهم و منجزاتها، تماما كما يقيسونها بانتصاراتهم العسكريه. و كذلك أمل السلطان احمد بن أويس بان يرحب بالشاعر الشيرازى فى بغداد، مما حدا بحافظ إلى أن يقول:

احمد الله على معدله السلطان.

احمد ابن الشيخ اويس من حسن الايلخانى.

الخان ابن الخان و الشاهنشاه بن الشاهنشاه الذى يليق بك أن تسميه:

"حياه العالم".....

و لم تنفتح لمتعتى برعمه واحده من براعم الورد الفارسيه.

فيا حبذا دجله بغداد... و يا حبذا خمرها الريحانيه...!! و افعل كالأتراك... فصفف ذؤابتك و هذب طرتك ففى طالعك الجود "الخاقانى" و النشاط "الجنكيزخانى"!!.. و هو فى قصيده أخرى يقول مفتخرا:

و لقد أسرت، يا حافظ!! "العراق" و "فارس" بالشعر الحلو.

فتعال الآن!! فالنوبه نوبه "بغداد" و الوقت وقت "تبريز".

و لكن عند ما تحق الحاقه، لم تكن الصعوبات و خيبه الأمل لتبعده عن موطنه الأصلى الحبيب:

و نسيم "المصلى" و مجرى نهر "ركن آباد".

لم ياذنا لى بالسير و السفر...!! و كن ك "حافظ" فلا- تأخذ القمدح الا على أنين القيثاره فإنهم قد عقدوا حبات القلوب إلى أوتارها الحريريه الطروبه...!! و تذكرنا أماكن الجمال المعروفه هذه فى شيراز بقصيده أبعد شهره هى "الأغنيه الفارسيه" لحافظ التى خلدها فى الإنجليزيه السير وليم جونز بلغته الإنجليزيه الكلاسيكيه الرفيعه: لو ان ذلك التركى الشيرازى يأخذ قلوبنا باشاره واحده من يده.

فاننى من أجل خاله الأسود أهبه "سمرقند" و "بخارى".

فيا أيها الساقى! ناولنى الخمر القانيه، فلن تجد فى جنه المأوى.

أحلى مكانا من حافه نهر " ركن آباد " و روضه "المصلى".

و لنسمع حافظا فى قصيده أخرى خفيفه الروح ممتعه يمتزج فيها موضوعا الحب و الخمر امتزاجا بارعا يخفى ما تتضمنه القصيده من مديح، لنسمعه يناظر قصيده لسعدى فيذكر ممر "الله أكبر" الذى يقع إلى الشمال من شيراز:

اي حاجه لحديقتى إلى السرو و الصنوبر؟! و هل تقل عنهما شجره الشمشاد الناشئه عندى فى المنزل فىا أيها "الناشئ المدلل" !أى مذهب اتخذت لنفسك بحيث أصبح دمي حلالا لك أكثر من لبن أمك؟! فإذا رأيت الهموم تطل عليك من بعيد، فاطلب الشراب فقد شخصنا لك داءك، و المداواه به مقررته. و لما ذا ننسحب و نبتعد عن أعتاب "شيخ المجوس" بائع الشراب...؟! و الحظ الموفق فى ذلك الجناب، و الفتح الميسر فى ذلك الباب...!! و "أحزان العشق" ليست الا قصه واحده، و لكن ما أعجبها من قصه!! أسمعها فى كل لسان، و لكنها غير مكرره! و ليله أمس، اعطانى الحبيب موعدا بوصاله و كان الشراب يلعب برأسه.

فاليوم ما عساه يقول؟! و ما ذا يكن لى فى رأسه؟! و لا تعب "شيراز" و نهر " ركن آباد " و هذا النسيم البليل.

و لا تحقر أمرها فهى، " الخال " على خد الأقاليم السبع و فرق بين ماء الخضر الذى مكانه فى الظلمات و بين نهرنا الذى منبعه " الله أكبر".

و نحن لا نضيع شرف الفقر و القناعه فقل للمليك: " ان القوت اليومى مقرر مقدر...!!" و يا حافظ!! اى طرفه بديعه قلمك الذى هو عود من النبات!! و الذى يثمر من الفاكهه المحبيه إلى القلب ما هو أحلى من الشهد و السكر...!! و تنتهى القصيده بما سمح به للشاعر من فخر تلاعب فيه حافظ تلاعبا فيه الكثير من الابتكار.

و قد ذكر الشاه شجاع على أقل تقدير فى خمس من قصائد حافظ.

و يمكننا أن نؤكد بقدر ما يخولنا الظن من تأكيد بان هناك مقطوعات شعريه أخرى كثيره جدا نظمها حافظ لكى تنال رضى الشاه دون أن يذكر اسمه فيها.

هذا و لم ينس حافظ أن يتودد أيضا إلى وزراء الشاه الكبار الذين تمكن بفضلهم و حدهم أن يصل إلى الأمير. و هناك اثنان من الوزراء على الأخص كانا هدفا لسهامه الغنائيه المجنحه، و يروى ان الوزيرين أجازاه بما يستحق. و قد ذكر حافظ قوام الدين محمدا خمس مرات فى شعره. و قوام الدين هذا قام بدور مهم فى حملات الشاه شجاع العسكريه. و كذلك نظم حافظ بجلال الدين توران شاه قصائد كثيره. و قد بقى جلال الدين هذا فى خدمه الشاه شجاع مده عشرين عاما، و مات بعد سيده بسته أشهر. و درج حافظ على تشبيهه بأصف و هو وزير سليمان، كما تذكر الأساطير العربيه. و تشبيه هذا الوزير بأصف مديح لبق يتضمن بطبيعته الحال أن الشاه شجاعا نفسه كان حكيما عظيما كما كان سليمان.

ولى الشاه شجاع قبيل موته ابنه زين العابدين عليا على شيراز، كما ولى أخاه عماد الدين احمد على كرمان. و ما أن تسلم على الحكم حتى خاصمه ابن عمه الشاه يحيى خصاما لم ينفذ معه عقد الصلح، فخسر أصفهان و هرب إلى يزد. و فى سنه ١٣٨٧ علم يحيى ان عامله على أصفهان مظفرا الكاشى استسلم لتيمور عند مقدمه، فغادر شيراز إلى بغداد و تركها إلى الشاه يحيى ليوقع ما

يستطيع من شروط مع الفاتح الرهيب. أما أهالي أصفهان فقد بلغ بهم الجهل أن قتلوا رسل تيمور ليدفعوا دماءهم ثمنا لتهورهم هذا في مجزرة رهيبة. وولى تيمور السلطان احمد على إقليم فارس و على كرمان. و توالى على ذلك سلسله عجيبه من الأحداث تعبر عن طبيعه الأقدار المتقلبه التى حلت بذلك الزمان. أما زين العابدين على فقد ضمن صداقه ابن عمه الشاه منصور فى ششتر و ذلك أثر مغادرته لشيراز. و لكن الشاه منصورا هذا ما لبث أن هاجمه و أسره و بذلك فتحت الطريق إلى شيراز أمام الشاه منصور. و لم يطل المقام بعلى فى الأسر، فما لبث ان فر بمساعده حراس السجن ليتحالف مع الشاه يحيى و السلطان احمد ضد الشاه منصور.

و لكن هذا الأخير استطاع التغلب على هذا الحلف ليستولى على بلاد العراق بأجمعها. اما على فقد أركن إلى الفرار. غير أن حاكم الرى ألقى عليه

ص: ٢٢٣

القبض و سلمه إلى الشاه منصور فأمر هذا بان تسمل عيناه. أما منصور فطمح، مغترا بانتصاراته، إلى أن يجرب حظه مع تيمور. و لكن هذا الطموح منى بالفشل، فزحف الفاتح العظيم على أبواب شيراز و بعد مقاومه يائسه سقط منصور، فأعلن من بقى من بنى المظفر ولاءهم لتيمور، و لكن اعترافهم المتأخر بالواقع المحتم لم يمهلهم الا أسبوعا واحدا لكي يفنوا عن بكره أبيهم. و كان ذلك في آذار (مارس) سنة ١٣٩٣. و انتهى بانتهاهم مجد شيراز المظفريه.

كان حافظ قد بلغ الستين حين مات الشاه شجاع، فاضطر في هذه السن المتقدمه إلى أن يبحث عن أمير آخر يلجا اليه. و كان من طبيعه الحال أن يجد ضالته في ابنه زين العابدين، فمدحه في عده قصائد، منها - كما يظن قاسم غنى - "أغنيه شيراز" المشهوره. و لهذا الظن مكان جدير بالاهتمام، حتى و لو قادنا إلى الاعتبار ان المقصود من "التركي الشيرازي" هو الملك الفتى نفسه، لا "الفتاه الجميله" كما ورد في التفسير الرومطيقى الذي جاء به السيروليم جونز. و هكذا يكون زين العابدين قد رفض عرض حافظ بان يلتحق بخدمته بصفه شاعر و مستشار خاص. و لكن رفض زين العابدين هذا لم يقنع حافظا بان يدعن له:

فإذا وبختنى أو عنفتنى فأنى أدعو الله قائلاً:

أ يلىق الكلام المرير بالشفاه الحلوه الحمراء؟! فيا حبيبي استمع لنصيحتى فان الشبان السعداء يحبون أكثر من أنفسهم نصيحه" الشيخ "العارف.

و ما ذا كانت نصيحه الشاعر؟ و تحدث عن الطرب و الخمر، و أقل البحث، فى اسرار الدهر.

فان أحدا لم يحل، بالحكمه هذا اللغز المعمى، و لن يكشف عنه أحد.

و بالاختصار فقد كانت فلسفه حافظ الخاصه اللاعقلانيه العلاج الوحيد لجميع الأمراض و المشكلات. و هذه الفلسفه تقول بالاستسلام إلى مسرات الحياه الممتعه فيتخلص المرء بذلك من أوقاته العصييه، أى على حد ما يعبر عنه استاذه روزبهان: هى محبه الجمال العابر الذى هو ظل جمال الله الخالد و هو ظل ظاهر للعيان قريب المنال.

و يظهر أن زين العابدين لم يكن بحاجه إلى أغانى حافظ و نصائحه فحول الشاعر أنظاره إلى الشاه يحيى ليدل هذا على أنه تجاره أشد ربحا.

و لكن ما أن طرد الشاه منصور الشاه يحيى من مملكته المقلقله حتى هرع حافظ إلى تقديم الولاء لهذا المنتصر الأخير، فنظم فيه كثيرا من خيره أشعاره و أنضجها. و كان حافظ فى تلك الأثناء يقضى أيامه الأخيره. انه لمن المؤسف حقا أن نرى شاعر الملوك يعيش فى مثل هذه الأوقات المضطربه، فتدعوه الحاجه إلى الطواف ببضاعته من باب بلاط متهدم إلى آخر. و قد بقى على قيد الحياه حتى شهد مقدم تيمور بأهواله، فلا عجب إذن إذا تاوه فى هذه الأبيات عند رؤيته التتار ينصبون خيامهم عند أسوار شيراز:

يعترم الدهر فتنه مره ثانيه.

فها أنا و السكر و فتنه عين الحبيب اننى لأعجب من دوران الفلك و لا اعلم من ذا الذى سيوريه التراب و إذ يوقد شيخ المجوس

النار لا اعلم شعله من يضىء و يعلى ان خدعه الحياه قصه واضحه و الليله جبلى لا أحد يدري من ستلد فى السحر فى ساحه القيامه هذه، أريقت الدماء فاسكب أنت فى الكأس دماء الدن! و فى الأيام الأخيره من عمره، هذا إذا كنا نثق بما رواه أحد المؤرخين بعد موت الشاعر بما يقارب الثلاثين عاما، قابل حافظ تيمور لنك الذى تعرف إلى شعره و عفا عنه لما أبداه من سرعه خاطر عرفت عنه:" فعند ما قدمت بيارق سلطان العالمين، حامى ديار العالم، الأمير تيمور غور خان، و فى أيام أفول دوله السلطان زين العابدين، صدر الأمان على أهالى شيراز. و كان الشاعر حافظ فى جملة سكان المدينه، يمتلك بيتا فى حى من أحيائها، و لذلك فقد ورد اسمه فى قائمه الذين عليهم أن يدفعوا الفداء و وصلت التعليمات إلى الجابى بان يقبض منه مبلغا من المال. فشكا الشاعر حاله إلى الأمير المذكور معلنا بأنه مفلس معدم. فقال له الأمير: أ أنت قائل هذه الأبيات:

لو ان ذلك التركي الشيرازى يأخذ قلوبنا باشاره واحده من يده. فانى من أجل خاله الأسود أهبه "سمرقند و "بخارى".

ان من يستطيع أن يهب بخارى و سمرقند من أجل خال واحد لا يمكن أن يكون مفلسا، فأجاب حافظ، انه بسبب هذا الإسراف أصبحت مفلسا، فأعجب جلالتة بهذا الجواب السريع و أعفاه مما كان متوجبا عليه".

تختلف روايات المؤرخين الفرس بعض الشىء حول السنه التى مات فيها حافظ، و أقربها إلى الحقيقه هى انه توفى سنه ١٣٨٩ و هو فى الرابعه و الستين أو الخامسه و الستين. و قد دفن فى المصلى الذى كان فى يوم من الأيام تلك الحديقته من الورد التى شهرتها قصائده. أما أول من بنى مشهدا على ضريحه فكان الفاتح المغولى بابر، باقتراح من استاذة محمد معمائى.

و كان ذلك سنه ١٤٥٢.

و فى سنه ١٧٧٢ خصص مؤسس الأسره الزنديه كريم خان مبلغا عظيما من المال لتكبير المشهد، فوضعت بلاطه من الرخام فوق القبر، و بقيت هذه البلاطه على حالتها تلك، مع شىء من الترميم إلى أن شاهدها إ.غ. براون و وصفها بقوله: "يقع قبر حافظ فى وسط حديقته مغلقه، زرعت بطريقه جميله بأشجار السرو و البرتقال. أما القبر فتدل عليه بلاطه من الحجر بسيطه، يضاوبه الشكل حفرت عليها نقوش هى فى معظمها مختارات من شعر حافظ". ثم ذكر براون تلك المقطوعات و أضاف قائلا:

" ان ما يتمتع به حافظ من شهره لا تعادلها شهره، يتجلى بهذا العدد الكبير من القبور التى تحيط بضريحه. فإى فارسى لا يرغب حقا أن تختلط بقاياها بقايا هذا الشاعر المجيد، الذى لو وجد فى هذا العصر لعمل التعصب كل ما بوسعه ليحرمه حتى حق مراسم الدفن"! غير أن العالم الإنجليزى لم يخطر بباله ان بعد ما يقارب الاثنتى عشره سنه من زيارته لضريح حافظ انتهكت حرمة الضريح و حطمت البلاطه التى أقامها كريم خان، و ذلك أثناء انفجار آخر من التعصب حدث بقياده أحد المتصوفين. و لكن، عند ما كان على عرش بلاد فارس رضا شاه بهلوى، و كان على أصغر حكمت وزيرا للمعارف، كفرا عن هذا العمل الشائن تكفيرا مشرفا فشىد ضريحا جديدا، يفوق بفخامته المشهد القديم. و ما ذا اختير من قصائد حافظ ليزين بها الضريح، غير تلك التى يتنبا بها عن موته و عن خلوده.

اين بشرى وصالك...؟ حتى أهب من رقادى للقائك

فانا "طائر القدس" قد أفلت من شباك الدنيا على ندائك..!!

و بحبى لك... لو انك دعوتنى الخادم الوفى الأمين لصحوت و أنا سيد الأكوان على دعائك...!!

فيا رب...! أدركنى بغيب من سحب الهدايه قبل ما أهب بغيته من التراب محروما من آلائك...!!

ص: ٢٢٤

و اجلس على تربتي و معك المطرب و الشراب حتى أهب من لحدى، طمعا فيك، راقصا على نغماتك...!!

ثم قسم... أيها الصنم الجميل! و أرنى قدك و خفه حر كاتك فانى عند ذلك

أهب راغبا فى الحياه، مصفقا لبهائك...!!

فان كنت شيخا... فضمنى ليله إلى صدرك، و ضيق على العناق.

فانى فى وقت السحر... أهب غض الإهاب، جم الشباب من ضماتك ثم امنحنى مهله... لكى أراك فيها يوم الممات و الرحيل فقد أستطيع ك "حافظ" ان أهب راغبا فى الحياه للقائك...!! ليس هنالك صوفى تحدث عن الاتحاد بالعاشق المعشوق الالهى بمثل هذا الصدق و هذه البلاغه.

إلى الآن كان الحديث يدور حول حافظ شاعر الأمراء. أما إذا أردنا أن نوضح العلاقة بين أحوال حياته و معيشته و بين تاريخ شيراز فى آخر عهد لها من الأمجاد فى العصور الوسطى فلا بد لنا أن نقول بان حقيقه عظمه حافظ هى فى عبادته الصوفيه للجمال، التى ألهمته فى جميع ما كتب. و ما علينا الآن الا أن ندرس أولا خلقه للجمال فى ما هو خارج عما تحت ارادته: اى اللغه الفارسيه، و الأوزان و القوافى و الصور البيانيه فى الشعر الفارسى. كان حافظ فى هذه الأمور مدينا جدا لأسلافه و لابن بلدته سعدى، فقد سوغ و ثقف، أكثر من أى شخص غيره، كلا اللغه و الأسلوب الشعرى، و لكن عبقريته جعلته لا يكتفى باتباع هذا المثال بل فاق عليه، فمفرداته غنيه متنوعه، و هو يحسن الموازنه بين لغه الشعب و اللغه العلميه، و يتجنب استعمال تلك التعبيرات الحوشيه الثقيله التى كانت تثقل أبيات شعراء المدح المحترفين فى القرون السابقه، حتى اننا نستطيع أن نقول بحق بان ما كتبه إنما يفهمه الناس جميعا، فهو يستعمل مختلف الصناعات الأدبيه التى أذعن لها اللغه إذعانا طيعا، و لكنه يتجنب الإفراط و ما ينتج عنه من ملل و غموض.

و قد أحسن التعبير عن هذه النقطه ميرزا محمد قزوينى بما سماه "الشعر من الدرجه الأولى، فى الفارسيه". قال: "يتالف الشعر، كما هو معروف، من عنصرين اثنين هما المبنى و المعنى. و الشاعر الحق و الناظم المجيد كلاهما يحافظان على التوازن الدقيق بين هذين العاملين، اى المبنى و المعنى. و هما لا يفرطان و لا يقصران باى منهما. فهما لا يبالغان بتجميل المبنى و تنميق التعبيرات و ذلك بان يستعملا الصناعات اللفظيه المتانقه، كالتلاعب على الألفاظ و الكنايه و شبه الكنايه و المقابله و الترديد و الجناس و تغيير النقاط و نظم القصائد التى تؤلف الحروف الأولى من أبياتها كلاما مفيدا، و اسناد الأجزاء بعضها إلى بعض، و لزوم ما لا يلزم، و استعمال الحروف المنقوطة و غير المنقوطة، و المتصله و غير المتصله، و ما إلى ذلك من فنون هى أشبه ما تكون بالاعيب الأولاد مما هى بأصول بليغ النثر و الشعر التى يتقيد بها الرجال الجادون. هذا و الشاعر الحق لا يهتم بتجميل المعانى فينشغل بالأخيله المنسوجه نسجا أنيقا و بالأفكار المتضمنه و التشابيه الغارقه فى الإبهام و الاستشهادات الغامضه التى من شأنها تعقيد اللغه و إبهام المقصد مما يضطر السامع إلى أن يجد فى التفكير ليدرك ما يقصده الشاعر. و هذا ما يتميز به مثلا الشعراء "الهنود". و الشاعر الحق لا يبالح استعمال الفنون البيانيه كالمقابله و المعادله و التوريه و الإبهام و الاستدراك و التظاهر و التلميح و الوصل و القطع و ما شابه ذلك، إلى حد إرهاق عبارته و إتعاب السامع. انه من الواضح طبعاً ان اجاده استعمال فن من هذه الفنون، إما وحده و إما مع فن آخر أو فنين، ليزيد من بلاغه الأسلوب. و لكن ما أن تتكاثر هذه الفنون و ما أن يزدحم عدد

منها فى بيت واحد أو يتقارب بعضها من بعض حتى يتالف شكل فى غاية من التصنع هو، فى الحقيقة، أهانه لفن الشعر ذاته، و لا ينتج عنه الا ملل السامعين و ارهاقهم". و بعد أن يعرض القزوينى جميع شعراء الدرجه الأولى من الفرس يصل إلى النتيجة التاليه: "أن من تحتوى قصائده و تتضمن كل ما يمكن أن يوجد فى الشعر من جمال، سواء أ كان فى اللغة أم فى المعنى، و كل صفة من صفات الخيال أو الواقع التى توجد فى الكلام الجميل، و هو، فى الوقت ذاته، أبلغ من كتبوا و أشدهم إيقاعا فى كل العصور بما فيها العصور القديمه و الحديثه على السواء، ان هذا الرجل، الذى، إذا قيس بكواكب الشعر من الطبقة الأولى، كان شمسا مشرقه، هو، بدون أى استثناء و بدون أى شك أو تردد، الخواجا شمس الحق و المله و الدين محمد حافظ الشيرازى، قدس الله روحه العظيمه"! كان حافظ إذا صانعا عظيما للكلمات و الصور. و هذه هى المواد الأولى التى يتالف منها عمليا الشعر الصافى. و لكن الكلام فى الواقع، على ضرورته فى خلق الشعر العظيم، لا- يكفى وحده بطبيعته الحال لخلق أعظم الشعر. لم يكن حافظ مجرد صانع ماهر يعمل بحذق لاخترع الأشكال المعجبه، فأعطاء هذه الأشكال معانى خالده يتطلب فلسفه لا تقل رقىا، و يتطلب رؤى شاعر و رساله شاعر خليفه بالاستكشاف فى أى زمان و حريه بالقبول فى أى مكان. و إذا كان حافظ يتحدث إلينا بهذه النضاره و بهذا الإيحاء، فى القرن العشرين، كما كان يتحدث إلى الشعب الفارسى فى تلك الأزمان الشديده التى مرت بها حضارته فى العصور الوسطى، فلأن روحه ارتفعت صعدا فوق الفساد المادى الذى أصيب به ذلك الزمان و كل زمان، و لأنه وجد فى عباده الجمال الخالص الطريق الوحيد لفهم اللاعقلانيه المتجليه فى مصير البشر. و لنردد ما قاله رضازاده شفق: "بالاضافه إلى الحساسيه و الشعور الحاد اللذين يضيئان من شعر الخواجا يعجب المرء كيف أن هذا الشاعر المتحرر فى طبعه استطاع أن يحافظ على قوه خياله الشعريه و جديته فى وجه الحوادث الداميه التى منى بها الزمان الذى عاش فيه. فقد كانت بلاد فارس جمعاء تتمحض بالثوره و العدوان، و لا يستثنى إقليم فارس و لا شيراز ذاتها من هذه المعركه. فقد شاهد حافظ بام عينه قتل الملوك و تدمير البيوت و حروب المغتصبين، كما شاهد حتى الخصام بين بنى المظفر ذاتهم. غير انه كان، على ما يبدو، ينظر إلى هذه الحوادث بجلال روحى كأنها أمواج صغيره فى البحر المحيط. كان نظره مركزا على وحده أوقيانوس الطبيعه، على معنى الكون و غايته. صحيح أن فكره كان يثور من حين إلى آخر، فتستبد به العاطفه و يقول:

ما هذه الفوضى التى أراها فى الجو المتقلب؟ ارى كل الآفاق مدلهمه بالثوره و العدوان.

و لكنه كان دائما يعود إلى رصانته العقلية فيسعى إلى طمانينه القلب فى عالم يضطرب تحت أفكاره الواسعه السماويه".

أما نحن، أولئك الذين نعيش فى أزمه من الحضاره لا- تقلل بأسا، و فى أيام يبدو فيها أن كثيرا من الشعراء و الفنانين و الموسيقيين المحدثين قد اتخذوا تاليه الفوضى و القبح دينا لهم، فيحسن بنا أن نتأمل قضيه حافظ هذه المعجبه. ذلك الشاعر الذى ظل مؤمنا بالجمال، فى عالم تستوطنه الفوضى و القبح. يعبد الجمال و يخلق الجمال و يبقى الجمال على قيد الحياه يواسى به ويلهم رفاقه ضحايا الظروف المحتمه، دائم النظر يشع فيضىء أنفسنا و الأجيال القادمه على السواء. و الآن فلنردد قصيده أخرى من تلك القصائد الكثيره التى تتحدث عن إيمانه الراسخ بالنظام الالهى و التى تقدم لنا حله للغز أسر الروح الخالده ضمن حدود الزمان و المكان. هنا نرى أبياتا يتأمل فيها حافظ بما فى الإسلام من سر عظيم تجلى باستشهاد الحلاج ذلك الولى المتصوف:

منذ سنوات و قلبي يطلب منى كاس جمشيد و يتمنى ما فيه من كل غريب و بعيد

و الجوهرة التي خرجت من أصداف "الكون و المكان" كثيرا ما طلبها من الضالين على شاطئ اليم..!!

و ليله أمس حملت "مشكلتي" إلى "شيخ المجوس" فهو قادر على أن يحل "المعمى" بتأييد من نظره

فأيته هاشا باسماء، فى يده قدح من الخمر و كان يتفرج فى مرآتها على مئات من الأشكال

و قلبه كالبرعمه المقفله يخفى اسرار الحقيقه و لكنه حشى أوراق خاطره من نسخه قلبه

فقلت له: "متى أعطاك الحكيم هذه الكأس التي ترى فيها العالم...."؟ فقال: "فى اليوم الذى صنع فيه هذه القبه الزرقاء"

و الله مع الموله الواجد فى كل الأحوال و لكنه لم يره، فظل يناديه من بعيد بقوله: "يا الله"

و هذه الشعوذة التي أحكمها "السامرى" عملها امام عصا موسى و يده البيضاء

فأجاب: "ان هذا الصديق الذى ارتفعت به قمه المشنقه كان جرمه انه أذاع الأسرار"

و إذا أعانتنى روح القدس بالمدد مره ثانيه فان الآخرين أيضا يفعلون ما فعله المسيح

قلت له: "و ما فائده هذه السلاسل من جدائل الحسان...؟" فأجاب: "لأن حافظا يشكو من قلبه الثائر الولهان...."؟!

الشيخ محمد حسن التنكابنى الشاهرودى.

توفى بعد ١٣٢٢.

هو من العلماء المدرسين. ولد فى تنكابن و نشأ بها ثم ذهب إلى قزوین و أصفهان و الأعتاب المقدسه ثم سكن مده فى شاهروود

- و لم اطلع على سنه وفاته و مكانها.

رأيت له بعض المؤلفات منها:

١ - شرح الفوائد الصمديه.

٢ - شرح الكبرى فى المنطق ألفها فى سنه ١٣٢٢ فى مدينه شاهروود.(١)

محمد حسن الفانى الزنوزى ابن الحاج مير عبد الرسول.

ولد سنه ١١٧٢ فى بلده فاخره خوى.

و الزنوزى: نسبه إلى زنوز و هى بلده تابعه لمدينه مرند، قريه من مدينه خوى بينهما اثنا عشر فرسخا، و هى بلده جميله مكتظه بالأشجار و عيون الماء و الجداول و تخرج الفواكه الكثيره.

و كان لأهلها مكانه عند السلاطين لتسلطهم على القلاع المهمه كقلعه تفليس و دربند. و فى العام ١١٣٥ عند ما هاجم الروم المنطقه بعد تمرد أهلها عليهم كانت الغلبه للروم بعد قتال شديد، فبادوا أهلها قتلا و أسرا و لم يسلم من ذلك حتى النساء و الأطفال. و ممن قتل جد المترجم، أما أبوه فكان عمره سنتين فأخذه الروم فيمن أخذوا ثم تركوه، و أصبح بعد ذلك من العلماء سالكا فى هذا الطريق آباءه و أجداده. و لما بلغ ولده (المترجم) سن الصبا أرسله إلى تبريز ليدرس فيها فتعهده العالم الزاهد الربانى محمد شفيح الدهخوارقانى ملتزما بجميع نفقاته.

و بعد ان قضى المترجم مده فى تبريز ذهب إلى خوى فبقي فيها اربع سنوات عاكفا على الدراسه، فكان من أساتذته فيها: المولى عبد النبى شرف الدين الطسوجى فدرس عليه الأدب و الرياضيات. و فى سنه ١١٩٥ سافر إلى كربلاء فحضر درس كل من آقا محمد باقر البهبهانى و السيد مهدي الشهرستانى. ثم رجع إلى خوى و منها انتقل إلى مشهد الرضا متابعا الدراسه على علمائها، ثم قصد أصفهان فواصل الحضور على علمائها، ثم عاد إلى خوى.

من مؤلفاته: كتاب (رياض الجنه)، و هو فى التراجم. و له شعر باللغتين: الفارسيه و العربيه.

ميرزا محمد حسين نجاه بن عبد الغفار التبريزى.

من فضلاء تبريز و أدبائها المجهولى تاريخ الولاده و تاريخ الوفاه.

له قصه: (بوذاسف و بلوهر) و هى فى تاريخ حياه (بوذا)، و كتاب (قطوف الأدب) و هى فى الأمثال العربيه.

السيد محمد حسن القوجانى المعروف بأغا نجفى القوجانى.

ولد فى قريه خسرويه من توابع مدينه قوجان سنه ١٢٩٥ و توفى فى مدينه قوجان سنه ١٣٦٣.

كان عالما أصوليا فقيها محدثا متكلما له اليد الطولى فى العلوم العقليه و النقليه و من المعروفين بالفضل و الزهد و الورع و التقوى قرأ المقدمات فى قوجان و سبزوار و أكمل السطوح فى مشهد الرضا و فى سنه ١٣١٥ هاجر إلى أصفهان و أخذ الفقه و الأصول عن السيد محمد باقر الدرجه إى و الشيخ عبد الكريم الكزى و تخرج فى العلوم العقليه على الآخوند ملا-محمد الكاشانى المتوفى سنه ١٣٣٣ حتى سنه ١٣١٨ فتوجه إلى العتبات المقدسه فى العراق و استقر فى النجف الأشرف و التحق بحوزه الآخوند ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و واصل دراسته فى العلوم العقليه عند الشيخ محمد باقر الإصطهباناتى و فى سنه ١٣٣٨ رجع إلى موطنه قوجان فكان فيها مرجعا مدرسا.

له مؤلفات و آثار منها (شرح دعاء الصباح) و (عذر بدتر از گناه) كتبه فى الدفاع عن الانقلاب الدستورى فى ايران المعروفه ب (المشروطه) (كتاب شرح و ترجمه تفاحيه) لارسطو و الأصل لبابا أفضل الكاشانى، و كتاب (سفرى كوتاه به آباديهائى قوجان) كتاب (سياحه غرب) بحث حول عالم البرزخ و الأرواح بعد الموت كتاب (سياحه شرق) كتاب (حياه الإسلام) فى حياه استاذة

صاحب الكفايه. و قد طبعت بعض مؤلفاته.(٢)

محمد حسن فروزانفر الشهير ببديع الزمان.

ولد سنه ١٣٢٢ بشرويه من أعمال طبس فى بيت علم و دين، و تربى فى حجر والده الشيخ على بن الآخوند ملا محمد حسن القاضى و كلاهما شاعران طبيبان من أحفاد ملا أحمد التونى (المتوفى ١٠٨٣ هـ) من علماء عصر الشاه عباس الثانى (١٠٥٣ - ١٠٧٧ هـ) المترجم فى الأمل و مطلع الشمس، أخذ المترجم التعاليم الأوليه فى " بشرويه " عند الملا محمد حسين الفنان المجلد و الخطاط الماهر، و فى المحرم ١٣٣٨ هـ هاجر إلى مشهد الرضا (ع) و بعد شهرين حضر عند الأستاذ أديب النيشابورى (١٣٨١ - ١٢٨١) [١٣٤٤ هـ] و تعلم منه العربيه و المنطق إلى سنه ١٣٤٢ هـ، و فى

ص: ٢٢٦

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الصالحى.

تلك الأيام أقام الميرزا حسين السبزواري بمشهد لمدة محدوده، استفاد المترجم له من محضره، وقرأ الأصول و الفقه مده على الشيخ مرتضى الآشتياني، و مده عند الشيخ الخالصي في منفاه هناك.

ثم هاجر سنة ١٣٤٢ إلى العاصمه طهران و قرأ النجاه و تمهيد القواعد و شرح الإشارات و كليات القانون عند الميرزا طاهر التنكابني، و الفقه و الأصول على الشيخ حسين النجم آبادي، و قرأ تحرير إقليدس و قسما من إلهيات الأسفار على الميرزا مهدي الآشتياني و شرح الجعيني على الأديب البيشاوري، و كان كثير العشره لشمس العلماء الكركاني و للطف على صدر الأفاضل و الميرزا رضا خان النائيني و الشاه زاده أفسر و محمد على فروغى (ذكاء الملك) و الأستاذ محمد القزويني بعد رجوعه عن أوروبا.

يعد فروزانفر من النجوم القليلي النظير في الأدب الفارسي القديم منه و الحديث و آثاره في تاريخ الأدب و العرفان تبين تعمقه فيهما.

في سنة ١٣٤٦ درس المنطق في مدرسه الحقوق، و في درس العرييه و المنطق في دار المعلمين، و في عين مدرسا للأدب الفارسي بها، و في أستاذا لتفسير القرآن و الأدب العربي في مدرسه عالي سپه سالار "، و بعد تأسيس كليه المعقول و المنقول بها سنة ١٣٥٣ عين معاونا لعميد الكليه و رئيسا لمؤسسه الوعظ و الخطاب، و بعد تأسيس جامعه طهران عين أستاذا للأدب الفارسي و تاريخه بكليه الآداب و أستاذا للتصوف الإسلامي بكليه المعقول و المنقول. و في سنة ١٣٦٣ عين عميدا لكليه المعقول و المنقول. و عند تأسيس المجمع اللغوي (فرهنگستان ایران) عين فيه عضوا عاملا و كان عضوا في المجلس الأعلى للمعارف (شورای عالی معارف) خلال سنوات ١٣٥٣ إلى .

سافر إلى بيروت بدعوه من الجامعه اللبنانيه لتأسيس كرسى لتدريس الأدب الفارسي بها، و إلى باكستان (لاهور) للاشتراك في المؤتمر الإسلامي، ثم إلى الولايات المتحده الأمريكيه و بريطانيا لزياره المؤسسات الاستشراقية فيهما، و سافر مرتين إلى تركيا لزياره مزار مولانا جلال الدين الرومي و المكتبات الغنيه باسطنبول، و ثلاث مرات إلى أفغانستان لمهمات ثقافيه حكوميه، و سافر أيضا إلى السعوديه و سوريا و الأردن و له من الآثار:

١: سخن و سخنوران (شرح حال و منتخب أشعار شعراى خراسان و ما وراء النهر) مجلدان، ط طهران.

٢: أحاديث مثنوى. ط طهران.

٣: رساله در تحقيق أحوال و زندگاني مولانا جلال الدين مشهور به مولوى. ط طهران.

٤: دستور زبان فارسي، مجلدان، ط طهران.

٥: شرح أحوال و نقد و تحليل آثار شيخ فريد الدين عطار نيشابوري، ط طهران (أنجمن آثار ملي).

٦: شرح مثنوى شريف، ثلاثه مجلدات، ط طهران: (گنجينه تحقيقات إيرانى، رقم ٥٣).

٧: فرهنگ تازى بفارسي، ط طهران (فرهنگستان ایران).

۸: ماخذ قصص و تمثيلات مثنوی، ط طهران (دانشگاه طهران رقم ۳۱۴).

۹: ترجمه رساله قشیریه، ط طهران (بنگاه ترجمه و نشر کتاب).

۱۰ - دیوان اشرفی غزنوی ملقب به اشرف، تصحیح، محمد تقی مدرس رضوی، مع إصلاحات لعلی اکبر دهخدا و فروزانفر، ط طهران (دانشگاه طهران). ۱۱: فيه ما فيه، از گفتار مولانا جلال الدین محمد مشهور به مولوی، ط طهران (دانشگاه طهران).

۱۲: کلیات شمس با [یا] دیوان کبیر، صححه و حقه فروزانفر با اشتراک الدكتور امیر حسن یزد کردی و حسین کریمان، عشره مجلدات بالقطع الکبیر، ط طهران (دانشگاه طهران و گنجینه متون ایرانی).

۱۳: مصباح الأرواح: شمس الدین محمد بردسیری کرمانی، ط طهران (دانشگاه طهران و گنجینه متون ایرانی).

۱۴: معارف: برهان الدین محقق ترمذی، ط طهران (وزاره فرهنگ [فرهنگ]).

۱۵: معارف (مجموعه مواعظ و سخنان سلطان العلماء بهاء الدین محمد بن حسین خطیبی مشهور به بهاء ولد) أربعة مجلدات، ط طهران وزاره ۱۶: مناقب: أوحد الدین حامد بن أبی الفخر کرمانی، ط طهران (بنگاه ترجمه و نشر کتاب).

۱۷: زنده بیدار (حی بن یقظان) لابن طفیل، ط طهران (بنگاه ترجمه و نشر کتاب)، و الطبعة الثانية تشتمل علی ترجمه حی بن یقظان لابن سینا بالفارسیه و ترجمه قصه غربه الغریبه للسهروردی بالفارسیه أيضا.

۱۸: خلاصه مثنوی رومی، ط طهران (وزارت فرهنگ [فرهنگ]). (۱)

و له مقالات کثیره نشر اکثرها فی مجلات: مهر و آینده و یغما و دانشکده ادبیات و نامه فرهنگستان و مجلات أخرى.

محمد بن الحسن بن باکیر الشیرازی کاتب السبعی

۴۷۷ - ۵۱۱.

ترجم له ابن حجر فی لسان المیزان ۱۳۴/۵ و قال: قال ابن النجار:

كان سیدا فيه أدب و فضل و كان یتشیع روی عنه أبو المعمر الأنصاری و أبو طالب بن حصین و أبو نصر بن الشیرازی.

محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن المسور أبو الحسن الجهنی

الکوفی.

المتوفی سنه ۴۷۶.

ترجم له ابن حجر فی لسان المیزان ۱۳۶/۵ و قال: كان شیعیا سیئ المعتقد: علی الاسناد، سمع من محمد بن عبد الله الجعفی و

هو آخر من حدث عنه.

روى عنه إسماعيل بن السمرقندی و غيره توفي سنة ٤٧٦ و له اثنان و ثمانون سنة.

السيد محمد حسن الشخص بن احمد.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٣٧ و توفي سنة ١٤٠٨ في المدينة المنورة خلال رحلته إليها لزياره النبي (ص) و آل بيته.

من مشاهير خطباء المنبر الحسيني فاضل أديب شاعر.

أسره (الشخص) معروفه في الإحساء، و مقرهم قريه (القاره)، و منها نرح بعضهم إلى (الكويت) و (النجف)، و لا يوجد اليوم في (النجف) منهم أحد فقد عادوا جميعا إلى موطنهم الأول.

و أبرز من عرف منهم السيد محمد باقر بن السيد على الذي كان من أبرز أساتذه الفقه و الأصول في النجف الأشرف، و هو عم صاحب الترجمة.

نشا في النجف و ترعرع، و في حدود عام ١٣٤٢ هـ توفي والده الخطيب السيد أحمد الشخص عن أربعين سنة تقريبا و كان عمر صاحب

ص: ٢٢٧

١- الشيخ أبو ذر بيدار.

الترجمه ست سنين فتولى تربيته و العناية به عمه السيد محمد باقر، و قد درس عليه و على عدد من علماء النجف.

ثم بدأ يمارس الخطابه الحسينيه و هو فى الرابعه عشره من عمره، و قد تتلمذ فيها على عدد من خطباء النجف و هم:

١ - الشيخ محمد الكاشى، و هو أول من تتلمذ عليه.

٢ - الشيخ محمد حسين الفيخرانى.

٣ - السيد صالح الحلّى. ثم أصبح من أشهر الخطباء.

و كان له شعر كثير فى مناسبات مختلفه خصوصا فى أهل البيت ع ، و له عدده مؤلفات أكثرها مرتبط بالمنبر الحسينى. (١)

آقا رضى الدين محمد بن حسن القزوينى.

توفى سنه ١٢١٢.

كان من مشاهير عصره فى العلم و الفضل، من مؤلفاته: ضيافه الإخوان و هديه الخلان فى تاريخ قزوین. رساله القبله، رساله المقادير، كحل الابصار، رساله النوروز. و له ديوان شعر.

الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزى

الحائرى آل أبى الحب.

ولد فى كربلاء سنه ١٢٥٥ و توفى فى ١٣ شهر شوال سنه ١٣٥٧ و دفن فى مقبره خاصه له فى روضه العباس ع.

من أهل الفضل و الكمال و حمله العلم كثير البحث و المطالعه خطيب فقيه أخذ المقدمات على جمع من فضلاء كربلاء و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ حسن البرغانى و الشيخ ميرزا علامه الحائرى آل الصالحى و الشيخ ميرزا على نقى الحائرى آل الصالحى و أخذ الأدب و فن الخطابه من والده الخطيب و الشاعر الشيخ محسن أبى الحب المتوفى سنه ١٣٠٥ و نبغ بها فكان من فحول خطباء كربلاء و من أئمه الجماعه فى صحن العباس و مرجعا للأمر الشرعيه فى الحائر الشريف و شارك فى الثوره العراقيه الكبرى على البريطانيين بزعامه الميرزا محمد تقى الشيرازى الحائرى. و من مؤلفاته رساله فى الإرث و تقارير استاذة الشيخ ميرزا على نقى فى الفقه و الأصول هو والد الشيخ محسن آل أبى الحب الشاعر و الخطيب المتوفى سنه ١٣٦٨. (٢)

الشيخ محمد حسن بن الشيخ احمد بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ

محمد حسن صاحب الجواهر.

ولد حدود سنه ١٢٩٣ و توفى ليله الاثنين الثامنه من ذى القعدة سنه ١٣٣٥ كان من علماء النجف و أفاضل حوزة درس صاحب الكفايه و العروه.

و كانت له حنكه الشيوخ و قوه الشباب، درس على الشيخ آغا رضا الهمداني و الشيخ كاظم الخراساني و السيد كاظم اليزدي و غيرهم.

و له منظومه فى الكلام باسم (جواهر الكلام) و منظومه اخرى فى الأصول.(٣)

محمد بن الحسن بن يعصن القصار.

المتوفى سنه ٥٠٣.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٣٤/٥ و قال: روى عن أبى على ابن وشاح و عنه السلفى و ابن الأنماطى و غيرهما و قال شجاع الذهلى مات ٥٠٣.

و قال الذهبى فى الميزان روى عن أبى محمد الجوهري و فيه رفض انتهى ملخصا.

أقول: و لعله الأنصارى المذكور فى اللسان ١٣٥/٥.

محمد بن الحسين البغدادى مقرئ العراق.

المتوفى سنه ٥٢١.

قال الذهبى فى الميزان. سمعت عبد الوهاب الأنماطى ينسبه إلى الرفض، أما الرفض فلا فله أبيات فى تعظيم الأربعة الراشدين ان لم يكن نظمها تقيه.

الشيخ محمد حسين الدهاقانى

ولد فى ١٣٢٧، توفى ١٤٠٤.

ولد فى مدينه دهاقان (بقر من أصفهان) و فى السابعة من عمره تعلم القراءه و الكتابه ثم أخذ المقدمات فى موطنه و فى سنه ١٣٤٣ ذهب إلى أصفهان و دخل فى مدرسه الصدر و أتم النحو و الصرف و المعانى و البيان و العروض و المنطق بها ثم بدأ بقراءه سطوح الفقه و الأصول و عند ما أكمل اللغه و القوانين ذهب إلى النجف الأشرف و أتم السطوح هناك ثم حضر بحث الشيخ ضياء الدين العراقى و السيد أبو الحسن الأصفهانى فى الفقه و الأصول و بعد وفاه السيد أبو الحسن لازم أبحاث الميرزا عبد الهادى الشيرازى.

و فى سنه ١٣٩١ هاجر إلى ايران و سكن مدينه قم و فى سنه الأخيره ابتلى بامراض عديده حتى توفى و دفن فى احدى حجرات الصحن الشريف فى قم.

كان رحمه الله - زاهدا منعزلا عن الناس، له مؤلفات متفرقه فى الفقه و الأصول غير مجموعته.(٤)

الشيخ محمد حسين الغريب النكايني الشهير بالشيخ حسين الرامسرى

ابن حبيب الله بن باقر على بن عبد الله بن منصور بن رحيم السمامى.

ولد فى ٢٠ صفر ١٢٧٩ و توفى ١٢ جمادى الأولى ١٣٥٤.

ولد فى رامسر و تعلم المقدمات و المبادئ فى مدارسها ثم ذهب إلى قزوین و اشتغل بقراءة السطوح ثم ذهب إلى طهران و حضر فى المعقول عند الميرزا أبو الحسن الجلوه و الآقا محمد رضا القمشه إى و حضر فى الفقه على أعلامها و فى بدايه سنه ١٣٠٤ ذهب إلى النجف الأشرف فحضر فى الفقه و الأصول على الميرزا حبيب الله الرشتى و الشيخ هادى الطهرانى و الحاج الميرزا حسين الخليلى، و فى سنه ١٣١٩ رجع إلى موطنه و أقام هناك مشغلا بالتدريس و التأليف و قضاء حوائج الناس. و اشتهر أمره و تخرج من مدرسته عشرات الفضلاء و العلماء إلى أن توفى فى جورديه من ضواحي رامسر و نقل جثمانه إلى قم و دفن بها، له مؤلفات منها.

١ - جوامع الكلم - و هى منظومه فى الأصول طبعت فى حياته.

٢ - العشره الكامله - (فى القواعد الفقيهيه).

٣ - نان و پير - منظومه فارسىه نظير (نان و حلوا للشيخ البهائى).

٤ - تقريرات فى الأصول و الفقه - كتبها فى النجف الأشرف فى سنه ١٣٠٤ و .

٥ - الشرح و الحاشيه على كتاب منطق التجريد.

٦ - رسائل متعدده فى بعض أبواب الفقه.

ص: ٢٢٨

١- السيد هاشم الشخص.

٢- الصالحى.

٣- السمامى.

٤- الشيخ محمد السمامى.

و كان ينظم الشعر باللغتين الفارسيه و العربيه.(١)

محمد بن الحسين بن حمزه بن جعفر بن العباس بن ابراهيم الاعرابي

ابن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب

الهاشمي الطالب الجعفري.

ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٤٩٦/٥ رقم ١٠٥٠ و قال: ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل احمد بن المهنا العبيدلي في المشجر (ثم أورد نسبه ناقلا عنه ثم قال) و قال: كان فقيها فاضلا. قال و من إنشاده:

كانت مجالسنا للانس نبذله و للسرور و بسط الوجه و المال

فصارت اليوم ما تعدو مجالسنا دفع الهموم و شكوى البث و الحال

محمد بن الحسين بن إسحاق بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن

الحسين بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن

على بن ابي طالب ع.

السيد أبو الحسن العلوي الموسوي المروزي نقيب الطالبين بمرو المتوفى سنة ٥٣٨ ترجم له تلميذه السمعاني في معجم شيوخي و في التحرير ١١٦/٢ رقم ٧٣٠ و قال:

نقيب الطالبين بمرو ولى الرئاسة و النقابه بمرو مده و كان مع شرف النسب متخلقا بالأخلاق الحسنه متواضعا راغبا فى الخير و أهل العلم متقربا إليهم سمع جدى أبا المظفر و وجدت سماعه فى جزء من الحكايات التى جمعها جدى فحضرت داره و قرأت عليه و كان مواظبا على الجمع و الجماعات و حضور مجالس العلم و قراءه القرآن و اتفق فى الاغاره بمرو حمله خوارزم شاه إلى خوارزم و كان قد كف بصره قبل ذلك بمده و أسكنه خوارزم إلى أن مات بها فى المحرم سنة ٥٣٨ و حمل إلى كاث و دفن بها مده ثم نقلت جنازته إلى مرو (فدفن) بسنجان احدى مقابر مرو.(٢)

السيد محمد بن السيد حسين بن المير عبد المطلب الحسيني الرامسرى

الشهير ب (بسمل).

ولد حدود ١٢٧٠ و توفى ١٣٠٠.

ولد فى رامسر و فيها تعلم القراءه و الكتابه و المقدمات و السطوح و فى ريعان شبابه ابتلى بمرض الأعصاب فانعزل عن الخلق و انزوى ثم أصيب بالفالج و اشتد مرضه إلى أن توفى بها و له قصائد راقيه فى رثاء الحسين ع و كان تخلصه الشعرى (بسمل).(٣)

الشيخ محمد حسين بن الشيخ سليمان بن ولي الله بن امر الله بن

عبد الله الجندقي المهرجاني الحائري الشهير بالأعلمي.

ولد سنة ١٣٢٠ في قرية مهرجان بايران و توفي في ٢٣ ذى الحجه الحرام سنة ١٣٩٣ في قم و دفن في الصحن الجديد في روضه السيده المعصومه بنت الامام موسى الكاظم ع.

أخذ أوليات العلوم على والده ثم هاجر مع أبيه إلى خراسان و أكمل المقدمات و في سنة ١٣٤٠ توجه إلى العتبات المقدسه في العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فاستقر في كربلاء و أكمل السطوح ثم توجه إلى النجف الأشرف و التحق بحوزه الشيخ ميرزا حسين النائيني و آغا ضياء العراقي و السيد أبو الحسن الأصفهاني ثم رجع إلى كربلاء و تخرج على السيد آغا حسين القمي و السيد عبد الهادي الميلاني و السيد مهدي الشيرازي و حصل على إجازات من علماء العراق و ايران و تصدر لتدريس المقدمات و السطوح في المدرسه الهنديه بكربلاء و كان مشغولا في تأليف كتابه دائره معارف الأعلمي و قد قام بتأسيس مكتبه ثمينه حوت أكثر من ثلاثه آلاف كتاب من نواذر المطبوعات و مجموعه من المخطوطات كانت في احدى الحجرات الجنوبيه في المدرسه الهنديه و في سنة ١٣٩٥ صودرت من قبل النظام التكريتي، الحاكم في العراق و انتقل المترجم له في سنة ١٣٧٤ إلى ايران و سكن في المدرسه الفيضيه بقم و باشر بطبع الجزء الأول من دائره معارف الأعلمي المسماه (مقتبس الأثر و مجدد ما دثر) في ثلاثين مجلدا طبع الجزء الأول منها في قم سنة ١٣٧٤ و الجزء الثلاثون في سنة ١٣٩٣ و له كتاب تراجم اعلام النساء طبع في مجلدين في بيروت سنة ١٤٠٧. (٤)

الشيخ محمد حسين بن محمد جعفر التنكابني.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفي بعد ١٢٧٠.

ولد في تنكابن و تعلم المقدمات و الأوليات في مدارسها ثم ذهب إلى أصفهان و اهتم بتحصيل العلوم الفلسفيه له مؤلفات منها:

١ - الذروه العاليه - في شرح دعاء كميل.

٢ - الحاشيه على كتاب المشاعر. (٥)

الشيخ محمد بن الحسين بن مهدي المهدي السعدي اللاهيجي.

ولد في رمضان ١٣١٧ و توفي في ثالث ربيع الثاني ١٤٠٣.

ولد في مدينه لاهيجان و نشا برعايه أبيه الذي كان أحد علماء تلك المدينه و قرأ المقدمات على أبيه ثم انتقل إلى مدينه رشت و حضر على الشيخ بهاء الدين اللاهيجي و السيد على اللاهيجي و الميرزا كاظم اللاهيجي و السيد أسد الله الكيسمي المطول و شرح الشمسيه و المعاني و البيان و في سنة ١٣٣٧ سافر مع أخيه الشيخ مهدي إلى النجف الأشرف فحضر المعالم عند الشيخ على أكبر الخونساري و شرح اللمعه عند الشيخ شمس القرميني و القوانين و الرسائل عند الشيخ حبيب الاربيلي و المكاسب عند

الشيخ محمد حسين الطهراني و الفيلسفه عند الميرزا مهدي الآشتياني و الميرزا احمد الآشتياني و الأخلاق و العلوم الرياضيه و الهيئه و التفسير عند الشيخ مرتضى الطلقاني و حضر الكفايه عند الشيخ عبد الحسين الرشتي (صاحب الحاشيه على الكفايه) ثم حضر في الفقه و الأصول خارجا على الشيخ احمد كاشف الغطاء و السيد محمد الفيروزآبادي و الشيخ مهدي المازندراني و السيد ميرزا آقا الإصطهباناتي و الميرزا حسين النائيني و الشيخ شعبان الجيلاني و الشيخ ضياء الدين العراقي و السيد أبو الحسن الأصفهاني و السيد جمال الدين الكلبيكاني و حضر في الكلام و العقائد على الشيخ محمد جواد البلاغي و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء و أجزى بالاجتهاد من اساتذه السيد جمال الدين الكلبيكاني و السيد ميرزا آقا الإصطهباناتي و الشيخ شعبان الجيلاني و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء و السيد محمد الحسنى البغدادي و السيد جواد الطباطبائي التبريزي و الميرزا باقر الزنجاني و غيرهم.

رجع إلى ايران اثر حادث مؤلم سنه ١٣٩٤ و بقى في لاهيجان إلى أن أصيب بمرض القلب و حمل إلى طهران فتوفى بها و حمل جثمانه إلى مسقط رأسه و دفن في مدرستهم العلميه.

ترك مؤلفات قيمه يناهز عددها الثمانين منها: (دانشمندان كيلان) في عدة مجلدات (و جغرافياى كيلان) و (رجال دو هزارساله كيلان) و تفسير القرآن الكريم و أخلاق محمدي و غيره..

ص: ٢٢٩

١- الشيخ محمد السماي.

٢- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٣- الشيخ محمد السماي.

٤- الصالحى.

٥- الشيخ محمد السماي.

كان رحمه الله عابدا زاهدا ورعا لا تأخذه في الله لومة لائم و كان وفيا مع أصدقائه متواضعا عاشرته عشر سنوات ما رأيت منه مكروها قط. (١)

الشيخ محمد رضا التنكابنى.

توفى بعد ١٠٩٢.

ولد فى تنكابن و نشأ بها ثم ذهب إلى أصفهان و أقام مده بها ثم ذهب إلى قزوین و حضر بحث المولى خليل القزوينى (المتوفى سنه ١٠٨٩) - و بعد وفاه استاذہ اشتغل بالتدريس له حواشى متفرقه على بعض الكتب الحديثيه. (٢)

محمد بن حماد بن سلمان بن المحسن أبو غالب العلوى

الموسوى من أهل مرو.

توفى سنه ٥٥٨.

ترجم له السمعانى فى معجم شيوخه فى التحرير ١٢٤/٢ قال: سكن نيسابور و كان مختصا بوالدى رحمه الله و كان والده من أصحاب الامام جدى و كان صدوقا صحيح السماع كافيا شهما من الرجال... و هو غال فى التشيع و الرفض سمع جدى الامام أبا المظفر و أبا القاسم إسماعيل بن محمد الزاهرى و أبا القاسم عبد الله بن الحسن القرينى و غيرهم سمعت منه مجالس من مجالس جدى و كانت ولادته فى شهر ربيع الأول سنه ٤٧٨ بمرو و توفى بنيسابور يوم الأربعاء الثامن من جمادى الآخره ٥٥٨.

محمد بن حمزه بن إسماعيل بن الحسين بن على بن الحسين بن

القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى

طالب

أبو المناقب العلوى الحسنى الهمدانى ٤٦٦ - ٥٣٢.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٤٨/٥ و قال: من أهل همدان طلب بنفسه و كتب الكثير بخطه.

سمع أبا إسحاق الشيرازى الفقيه بهمدان، و بأصبهان من أصحاب أبى نعيم و ببغداد كثيرا من أصحاب أبى على بن شاذان و ابن شيران و ابن غيلان.

روى عنه ابن ناصر و ابن الخشاب و ابن عساكر و غيرهم قال ابن ناصر كان فيه تساهل فى الأخذ و السماع و هو ضعيف الحديث عند أهل بلده و غيرهم.

قال أبو سعد بن السمعانى: له معرفه بالحديث حسن الشعر جمع و صنف و كان حسن المعاشره مليح المحفوظ لقيته بهمدان و

سالته عن مولده فقال فى صفر سنة ٤٦٦.

توفى فى شوال سنة ٥٣٢.

و ترجم له الحافظ ابن عساكر فى معجم شيوخه الورقه ١٨٦ ب و سرد نسبه كما هنا و ذكر كلا من آباءه بكنيته و اسمه و قد تقدمت اسماؤهم فإليك كناههم فهو:

أبو المناقب بن أبى المعالى بن أبى عبد الله بن أبى الفضل بن أبى الحسين بن أبى عبد الله بن أبى جعفر بن أبى عبد الله بن أبى محمد ابن أبى الحسين بن أبى محمد بن أبى الحسن أمير المؤمنين ع.

روى عنه قراءه عليه بالمدرسه النظاميه ببغداد عن أبى القاسم الفضل بن احمد بن محمد الجرجانى الزجاجى قدم عليه همدان بفاطم آباد. (٣)

الشيخ محمد رضا الطبسى النجفى ابن عباس.

ولد فى ١٨ شعبان ١٣٢٤، فى مدينه مشهد و توفى سنة ١٤٠٥ فى مدينه قم تلقى المبادئ الأوليه فى طبس، ثم سافر إلى مشهد، لإكمال المقدمات، ثم إلى قم فأكمل الفقه و الأصول على السيد محمد تقى الخونسارى و السيد على اليربى الكاشانى، و حضر المعقول على الشيخ على أكبر اليزدى، و الشيخ محمد على الشاه آبادى، ثم حضر على الشيخ عبد الكريم الحائرى، سبع سنين، و كان من أفاضل تلامذته.

هاجر إلى العراق، فحضر فى النجف على الشيخ محمد جواد البلاغى فى المناظره، و على الشيخ ضياء الدين العراقى فى الأصول، و بعد وفاه البلاغى (١٣٥٢ هـ) اتصل بالسيد أبى الحسن الموسوى الأصفهانى، و الشيخ حسين النائينى، ثم انقطع إلى السيد أبى الحسن الأصفهانى، حتى صار من خواصه، و من أعضاء مجلس فتياه، الذى عقده فى سنينه الأخيره، حتى توفى أبو الحسن (ره) سنة ١٣٦٥.

من مؤلفاته المطبوعه: منه الراغب فى ايمان أبى طالب، و ذرائع البيان فى عوارض اللسان، و من المخطوطه: ذخيره الصالحين فى شرح تبصره المتعلمين، و مقتل الحسين، و الأربعون حديثا من الأربعين، و دروس فى العقائد و التاريخ.

المولى محمد زمان بن حاجى مراد خان التنكابنى الديلمى.

توفى بعد سنة ١١١٨.

من العلماء الفضلاء و كان يسكن فى أصفهان، ترجم كتاب اسرار الصلاه (لشهادت الثانى) بامر السلطان حسين الصفوى فى سنة ١١١٨ إلى الفارسيه و له تعليقات على كتاب تلخيص المنطق توجد نسخه فى مكتبه مدرسه سبه سالار فى طهران. (٤)

مجد الدين أبو الحسن محمد بن زكى الدين الحسن بن أبى الفتوح

محمد بن عز الدين المرتضى بن إسماعيل بن محمد بن علي بن الحسن بن

عيسى الأكبر بن أبي عبد الله محمد بن علي العرائضى الحسينى.

المتوفى سنة ٦٧٨.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٢٧/٥ رقم ٤٦٤ و وصفه بالفقيه الامامى وقال:

ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل بن مهنا الحسينى فى المشجر وقال: له فضل و أدب و فقه و نظم حسن توفى ثانى عشر شهر رمضان سنة ٦٧٨.

أبو منصور محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن زيد بن احمد أمير

الحاج بن أبى الفتح محمد بن محمد بن أبى الحسن الأشر بن عبيد الله بن

علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي

زين العابدين بن أبى عبد الله الحسين بن علي بن أبى طالب

(ع).

مجد الدين بن ضياء الدين بن كمال الشرف العبيدلى العلوى الموصلى النقيب بالموصل.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٣٣/٥ رقم ٤٨٠ و سرد نسبه و قال: كانت وفاته فى ذى القعدة سنة ٦٦١.

و ذكر فى موارد الإتحاف ١٨١/٢: ان له ثلاث بنين أبو عبد الله زيد و كمال الدين حيدر و المرتضى، قاله ابن مهنا فى التذكرة و فى مشجره.

الشيخ الكبير العالم المعمر مسند وقته أبو علي محمد بن سعيد بن

إبراهيم بن سعيد بن بنهان البغدادي الكرخي، الكاتب.

هكذا وصفه الذهبى فى (سير اعلام النبلاء) ثم قال: ولد سنة احدى

ص: ٢٣٠

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٤- الشيخ محمد السماوي.

عشره و أربع مائه سمع بعد العشرين من أبي علي بن شاذان و بشرى الفاتنى و ابن دوما النعامى و جده لأمه أبى الحسين الصابى، عمر دهرا طويلا، و ألحق الصغار بالكبار و لم يكن سماعه كثيرا.

ثم ذكر من حدث عنه، ثم قال: قال السمعانى: هو شيخ عالم فاضل مسن من ذوى الهيئات، و كان آخر من روى عن ابن شاذان و لى منه إجازة، قال ابن ناصر: فيه تشيع و كان سماعه صحيحا، بقى قبل موته ملقى على ظهره لا يعقل، فمن قرأ عليه فى تلك الحالة فقد أخطا و كذب عليه فإنه لم يكن يفهم ما يقرأ عليه من أول سنه احدى عشره: قال ابن ناصر: و سمعته يذكر مولده ثم سمعته مره يقول: سنه خمس عشره، فكلّمته فى ذلك فقال: أردت أن أدفع عنى العين، و الا فمولدى سنه احدى عشره.

قال أبو سعد السمعانى: سمعت أبا العلاء بن عقيل يقول: كان شيخنا ابن نبهان (المترجم) إذا طول عليه المحدثون قال: قوموا فان عندنا مريضا، بقى على هذا سنين، فكانوا يقولون: مريض [مرض] ابن نبهان لا يبرأ.

و قال ابن ناصر: كان ابن نبهان قد بلغ ستا و تسعين سنه، سمعه جده هلال بن المحسن فى سنه ثلاث و عشرين، و لم يكن من أهل الحديث، و كان أولا على معامله الظلمه، و كان رافضيا. و الصحيح ان مولده سنه خمس عشره، و كذا نقل الحميدى، و ذكر انه و جده بخط جده ابن الصابى، و مات فى شوال سنه احدى عشره (انتهى).

محمد صادق بن حاجى مراد التنكابنى.

توفى بعد سنه ١٠٩٩.

كان من العلماء و الفلكيين - له شرح على كتاب الملخص (فى الهيئه) أتمه فى يوم الثلاثاء ثالث صفر سنه ١٠٩٩ توجد نسخه فى مكتبه ملى فارس أقول: يحتمل بأنه أخ المولى محمد زمان بن حاجى مراد. (١)

الحاج الشيخ محمد صالح المجتهد التنكابنى.

ولد حدود ١٢١٠ و توفى بعد ١٢٦٠.

ولد فى تنكابن و قرأ المقدمات فى مدارسها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر فى المعقول على المولى على النورى و فى الفقه و الأصول على اعلامها ثم ذهب إلى كربلاء و حضر على السيد محمد الطباطبائى فى الفقه و الأصول ثم ذهب إلى النجف الأشرف و استفاد من اعلامها و فى حدود ١٢٤٥ رجع إلى موطنه و شيد مدرسه دينيه تخرج منها عشرات الفضلاء. (٢)

الشيخ محمد صالح بن محمد باقر القزوينى المعروف بالروغنى.

توفى سنه ١١١٦ فى المشهد الرضوى.

كان من علماء الشيعة فى العصر الصفوى أديب حكيم عارف نحرير ولد فى قزوين و قرأ على جمع من فحول علمائها ثم هاجر إلى أصفهان و التحق بحوزه المير باقر الداماد المتوفى سنه ١٠٤٢ ثم عاد إلى موطنه قزوين و تخرج على الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنه ١٠٩٤ فى مدرسه النواب بقزوين و فى سنه ١٠٧٥ هاجر إلى خراسان و سكن مدينه مشهد المقدسه فكان

من كبار علماء خراسان و في سنة ١٠٧٥ و هو عام هجرته إلى المشهد ألف كتابه (بركات المشهد المقدس) و هو ترجمه لكتاب عيون أخبار الرضا (ع) إلى الفارسيه و ذكر في آخره انه أوجب على نفسه بالعهد و اليمين ان لا يفارق المشهد طول عمره و اختطفه القدر المحتوم في هذه المدينه سنة ١١١٦ و دفن بها و ظفرت بتاريخ وفاته بخط أحد تلاميذه على ظهر كتاب (حكمت إسلام) الموجوده عندنا. و من أحفاده في قزوین الشيخ الأغا كريم الروغنی القزوينی المتوفى سنة ١٢٨٣ من أعلام العصر القاجارى المذكور فى المآثر و الآثار (٣) المار الذكر و تعرف اسرته [أسرته] اليوم فى قزوین بال الأرجمندی. ذكر المترجم له الحر العاملی فى كتابه أمل الآمل قال (مولانا محمد صالح بن محمد باقر القزوينی المعروف بالروغنی عالم فاضل كامل، له كتب و رسائل منها كتاب ترجمه عيون أخبار الرضا (ع)، و ترجمه نهج البلاغه، و ترجمه الصحيفه السجديه، و مقامات، و شرح فارسى لدعاء السمات، و رساله فى أكل آدم من الشجره، و شرح بعض أشعار المثنوى الرومى) (٤) أقول: له مؤلفات طبع بعض منها مرارا منها أكل آدم من الشجره، بركات المشهد و هو ترجمه لكتاب عيون اخبار الرضا (ع) الامامه، ترجمه توحيد المفضل، ترجمه محاضرات الراغب إلى الفارسيه، ترجمه عهدنامه مالک الأشر ترجمه الصحيفه السجديه مع شرح فارسى، شرح الصحيفه السجديه بالعرييه و بها صرح انه تلمذ على المير باقر الداماد، ترجمه مع شرح نهج البلاغه طبعه سنة ١٣٢١ بتحقيق الميرزا على عماد لشكر الآشتيانى خطأ باسم المولى محمد صالح البرغانى قد سبق لى ان نبهت فى مقدمه موسوعه البرغانى فى فقه الشيعه ج ١ ص ٣٥ ثم طبعه ثانيه سنة ١٣٨٠ فى طهران باسم المترجم له و هو من أنفع و أجل شروح النهج بالفارسيه، حكمت إسلام طبع مرارا رساله فى أحكام و شرائط الدعاء، شرح أشعار المثنوى، شرح دعاء السمات، المقامات، رساله فى جواب الرجل المرتد، منشور أدب إلهى و دستور العمل كار آكاهى شرح فارسى مبسوط لوصيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع لولده الامام الحسن ع و جميع النسخ موجوده عندنا. (٥)

مولانا محمد صالح الترشيذى

توفى سنة ١١٦٠ فى قريه (قوجد) من قري ترشيز عن ٥٨ عاما.

درس فى أصفهان على كبار علمائها و أجز مناهم ثم عاد إلى قريته و انشغل بالعباده و الدراسه. و يقول صاحب (تاريخ علماء خراسان) ان له تأليف كثيره و لكنه لم يذكر شيئا منها.

الشيخ محمد صالح قفطان بن الشيخ مهدي.

اشاره

ولد فى مدينه الحى (العراق) عام ١٢٩٤ عند ما كان والده يتردد إليها.

و نشا فى النجف الأشرف فاخذ المقدمات على أساتذته عصره، ثم ترك النجف متوليا الخطابه الحسينيه. و كان ينظم الشعر فترك ديوانا شعريا مخطوطا. و كان يتردد على شيوخ الغراف و ينشدهم الأشعار، و له فيهم الكثير من الشعر.

شعره

من قصيده له في مدح الامام علي ع. و في آخرها يمدح من يسمى (محسن):

تبا لقوم ما اقتفوا آثاره عمياً لم ترشدهم الآثار

كلا بل اتضحت لهم سنن الهدى منه و لكن خالفوه و جاروا

ان غاب مهدي الهدى عن دينه فبمحسن قد شع فيه منار

ص: ٢٣١

١- الشيخ محمد السماوي.

٢- الشيخ محمد السماوي.

٣- الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه المآثر و الآثار ص ١٧٩ الطبعة الأولى الحجريه.

٤- الشيخ الحر العاملي أمل الآمل تحقيق السيد احمد الحسيني ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى سنه ١٣٨٥ هجريه النجف مطبعه الآداب.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

العليم العلم المفيض على الورى من رفته أو رشده تيار

ندب سما خلقا و خلقا فانثنى عن فضله النظام و النثار

و له من قصيده فى رثاء الحسين ع:

و ما فى الملا كبلا كربلاء فبالحزن جدد أعوامها

فمن دونها شمردت فتيه شهدن المواقف إقدامها

ذوو نجاهه أنجذت فى القراع كما أنجذت فيه اتهامها

رواسى الهياج بباس شديد إذا ضعضع الخطب أحلامها

اسود الكفاح لها الحتف راح مواضى الصفاح غدت جامها

فسمرهم قد نظمن الكماه كما بيضهم نثرت هامها

هم سامروا السمر مذ أعربت بالحنانها البيض انغامها

كان الملاحم غيد الملاح بها ضاعف الشوق تهيامها

بسوق عكاظ العلى اارخصوا نفوسا سوى المجد ما استامها

و عاد فريد العلى مفردا له تجمع الحرب اقوامها

و أصبح مقدام هيجائها و قطب رحاها و ضرغامها

فيوم الردى كان مطعائها و يوم الندى كان مطعامها

ترى منه أشوس ليث الشرى عميد الملاحم مقدامها

و ما كر الا و فر العدا و قد سابق الهام أقدامها

إذا نثر الصيد بتاره فخطاره عاد نظامها

و ان جمع الشوس خطيه فهنديه كان قسامها

و ان أعجم الرمح تكليمها فماضيه يعرب اعجامها

هوى فقل الشمس قد كورت ضحى فاشتكى الأفق اظلامها

و علا برأس القنا رأس من له الشوس كم طاطات هامها

و أعظم ما قد دها غالبا رزايا تكابد إعظامها

هجوم الأعدى و قد أزعجت على حرم الله أيتامها

و اوروا خبأها بنار الضلال ففرت تكابد ما ضامها

هواتف هذى أخى ذى أبى و هاتيك تندب اعمامها

و قد جلبت مذ سلبن البرود برود المهابه أجسامها

و ركن للسبى عجب الطلاح تجوب البطاح و آكامها

و رآها يغرد حادى المطى و رأس ابن احمد قدامها

و له راثيا مرجع عصره السيد أبو الحسن الأصفهاني:

ما زعزع العرش حتى استوقف القلما خطب اطل فابكى العلم و العلما

خطب له اضحت الأملاك هاتفه نعيًا بقلب المعالى و الهدى اضطرما

قوس القضا سددت سهم الردى و به قلب المعالى و صدر المكرمات رمى

يا حاميا حوزة الإسلام مجتهدا من بعد نعشك للدين الحنيف حمى؟

كان نعيك فى الآفاق صاعقه تورى الورى ضرما تجرى الدموع دما

كان نعشك و الأملاك محدقه به الامام عليه العالم ازدحما

سارت تشيعه و الوجد يضرم فى أحشائها و ماقيها سفحن دما

مدوا الأكف لحمل النعش تحسبها مدت له تستقى من كفه الديما

نضبت بحرا فمن يروى غليل ظما و غبت بدرا فمن يجلو لنا الظلما

الشيخ محمد بن صدر الدين محمد بن أبو القاسم التنكابنى الشهير

ب (شيخ كبير).

ولد ١٢٤٠، توفي بعد ١٣٣٠ في تنكابن.

ولد في تنكابن و نشأ بها برعايه أبيه ثم أخذ المقدمات و حضر السطوح على أخيه و في حدود ١٢٨٠ ذهب إلى قزوین و أقام مده هناك ثم ذهب إلى طهران و حضر في الفقه و الأصول و الفلسفه على اعلامها ثم ذهب إلى (تاكستان قزوین) و سكن بها ثلاث سنوات بدعوه من أهاليها و بعد ذلك رجع إلى تنكابن و سكن (مزر دشت) و اشتهر صيته و عرف ب (شيخ كبير).

خالف والى تنكابن الأمير أسعد بن سبه سالار و أيده السيد صادق الشهير ب (مجتهد تنكابنى) و المولى سليمان الرونقى. و أفتى الشيخ الكبير بأخذ اموال الوالى - و اشتد الخلاف بينهما - ثم اعتقل من قبل الأمير أسعد. فبلغ ذلك علماء طهران. فطلبوا من الحكومه معاقبه الوالى و على اثر ذلك عزل الوالى الأمير أسعد عن مقامه. (١)

الميرزا محمد طاهر بن ظفر خان أحسن بن الخواجه أبو الحسن

الشاہ جہانی الترتبی الملقب بعنايه خان و المتخلص باشنا.

توفي سنه ١٠٨١ في كشمير و دفن بها.

ص: ٢٣٢

١- الشيخ محمد السمامى.

من رجالات كشمير البارزين و أهل الفضل و من أرباب الأدب و أقطاب شعراء الشيعة في الهند ولد في كشمير و أخذ العلم و الأدب على اعلام الشيعة هناك و تخرج في الشعر و فنون الأدب علس [على] أبيه المولى ظفر خان أحسن الترتيبى الذى كان من رجال البلاط المغولى في الهند و من أساتذته الأدب الفارسى في كشمير و له دور هام في نشر الأدب و الشعر الفارسى في تلك النواحي و كما أن جده الخواجه أبو الحسن الترتيبى المتوفى سنة ١٠٤٢ كان من الأدباء و ناشرى الأدب الفارسى في كشمير و الوزير الأعلى في بلاط السلطان جهانكير. و المترجم له كان من رجالات بلاط السلطان جهان و في أواخر أيام حكومته فوض اليه رئاسه مكتبه البلاط الملكى حتى أوائل حكومه السلطان اورنك زيب (١٠٦٨ - ١١١٨) في كشمير ثم ترك جميع مناصبه و مارس حياته الأدبيه و لقبه السلطان بعنايه خان، و قال معاصره الميرزا محمد طاهر النصرآبادى في كتابه (تذكره نصرآبادى) (...). لقبه السلطان شاه جهان. بلقب عنايه خان و كان حاد الذكاء... و أرسل إلينا ديوانه مع ديوانه الثانى الحاوى على غزليات خسرو و كتابا آخر و كان أسلوبه في النظم متينا رائعا جدا و يتخلص في شعره باشنا... (١) أشار إلى ديوانه شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى في الذريعة إلى تصانيف الشيعة الجزء التاسع من القسم الأول ص ٧ كما ذكره صاحب مآثر الأمراء في ج ١ ص ٧٣٧ و ج ٢ ص ٧٥٨ و ٧٦٢ و غيرهم و يحتوى ديوانه على الغزليات و الرباعيات و القصائد في أكثر من ألف بيت، و كانت أشعاره في أسلوب رائع، لطيف، سلس، متين، كما انه مع أبيه و جده من الناشرين للتشيع في تلك النواحي في الهند و كانت دارهم مأوى و ملجا و مسكنا للعلماء و الشعراء و الأدباء الشيعة المهاجرين من جبل عامل و العراق و ايران إلى الهند. (٢)

الشيخ محمد بن عبد الحسين الرشتى النجفى.

ولد في ١٣٣٦ توفى في غره شوال ١٣٩٣.

ولد في النجف الأشرف و قرأ المقدمات و السطوح عند بعض الأسانيد [الأساتيد] ثم حضر في التجويد عند السيد آغا امام التستري و المنظومه عند الشيخ شمس الجنازى و الكفايه عند والده ثم حضر بحث الخارج عند الميرزا عبد الهادى الشيرازى و السيد محسن الحكيم و والده و الميرزا باقر الزنجانى و الميرزا حسن البخوردى [البجنوردى] ثم سافر إلى الهند و مصر و ايران و كيلا عن السيد الحكيم و لما طغى النظام التكريتى في العراق كان ممن ناله جوره فهاجر إلى ايران و سكن مشهد الرضا و توفى فيه و دفن في دار الزهراء بقرب من قبر الشيخ البهائى.

له آثار منها:

تحقيق و تصحيح فهرست الشيخ منتجب الدين و معالم العلماء. (٣)

معين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بن محمد الجعفرى

الزاهد.

ترجم له ابن الفوطى في تلخيص مجمع الآداب ٦٨٨/٥ رقم ١٥٠٧ و قال هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بن محمد بن عبد الرزاق بن عبد الرزاق بن اميره ابن أبى المعالى بن أبى منصور بن طالبى بن إسحاق بن محمد بن على بن الحسن بن احمد بن احمر عينه حمزه بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى الطالبى الجعفرى.

ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل بن المهنا العلوي في مشجره و قال: هو عم الصد [السيد] عزيز الدين شرف شاه و وصفه بالزهد و العلم و العباده.

مختص الدين أبو عبد الله محمد بن عزيز الدين شرف شاه بن محمد

الجعفرى الأديب.

المتوفى سنه [٦٨٠] هكذا ترجمه ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤٥٦/٥ رقم ٩٥٢ و قال: قدم فى خدمه والده و ولى والده الأعمال الديوانيه باكتساب الأخلاق النفسانيه و أدب نفسه فى التحصيل و الاشتغال بالعلوم الأدبيه و قرأ الأدب و الفقه، و حفظ كتاب نهج البلاغه، و ذكره لنا شيخنا السيد النسابة جمال الدين أبو الفضل بن المهنا و قال: توفى شابا سنه ٦٨٠.

أقول: و أورد ابن الفوطى نسبه فى ترجمه عمه معين الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرزاق برقم ١٥٠٧.

محمد بن عمرو و السوسى الكوفى

نزىل مصر المتوفى سنه ٢٥٩.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ٣٢٨/٥ و الذهبى فى الميزان و قال عن عبد الله بن نمير قال العقيلى: كان بمصر يذهب إلى الرفض حدث بمناكير حدثنا عنه جماعه.

و قال ابن حجر فى لسانه: و قال انه كوفى و أخرج له من روايته... و هو محدث مكثروى عن عبد الله بن نمير و أبى معاويه و عيسى بن عيسى الرملى و يعلى بن عبيد و وكيع و أسباط بن محمد و غيرهم.

روى عنه الطحاوى كثيرا و محمد بن الربيع الجيزى و أبو الجهم ابن طلاب و أبو الأحمد الامام و أبو العباس بن ملاس و أبو الحسن بن جوصا و آخرون.

و ذكره ابن يونس فى الغرباء فقال كوفى قدم مصر و حدث و كان انصرافه من الحج فمات فى الطريق فى بعض المناهل بين مكه و مصر فى أول المحرم سنه ٢٥٩.

و قال أبو سليمان: حدثنا أبو جعفر الطحاوى قال مات ساجدا و قد استوفى مائه سنه.

و قال الطحاوى أيضا حدثنى أبو على بن الأشعث انه كان معه و انه قال له انظر هل ترى الهلال؟ قال فنظرت فقلت له رأيتته فقال لى استوفيت مائه سنه ثم نزل فقال: وضئنى لصلاه المغرب فوضأته فدخل فيها فسجد سجده فطال على امره فيها فوجدته ميتا. (٤)

السيد محمد بن السيد عبد الكريم الشهير بمولانا.

ولد فى شهر ربيع الأول سنه ١٢٩٤ فى تبريز و توفى فيها سنه ١٣٦٣.

كان من أكابر علماء تبريز و مجتهديها و كان فقيها، أصوليا، محققا، مدققا، صاحب الفضائل الخلقية و السجايا الحميدة.

هاجر مع والده سنة ١٣١٢ إلى النجف الأشرف و تتلمذ في الفقه و الأصول لدى أساتذته العصر: الفاضل الشرياني، شيخ الشريعة الأصفهاني و الشيخ هادي الطهراني، و الآغا رضا التبريزي.

و أخذ المعقول من الحاج الميرزا أحمد الشيرازي و نال الإجازة منهم، ثم عاد إلى تبريز في شهر صفر سنة ١٣٢١.

له تصانيف، منها: براهين الحق، مصباح الوسائل في شرح الرسائل، طريق الهداية في علم الدراية و مفتاح المطالب في شرح المكاسب. (٥)

ص: ٢٣٣

-
- ١- الميرزا محمد طاهر النصرآبادي: تذكره نصرآبادي تحقيق و حيد دستگردى ص ٥٨ طهران منشورات الفروغى.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- الشيخ محمد السامى.
 - ٤- السيد عبد العزيز الطباطبائى.
 - ٥- السيد إبراهيم العلوى.

الأمير عز الملك محمد بن عبد الله بن احمد الحراني.

المتوفى سنة ٤٢٠.

ترجم له الياضي في مرآة الجنان ٣٦/٣ وقال: الأديب العلامة صاحب التوايف و كان رافضيا له كتاب: القضايا الصائبة، في التنجيم في ثلاثه آلاف ورقه و كتاب الأديان في العبادات في ثلاثه آلاف و خمسمائه ورقه و كتاب التلويح و التصريح في الشعر ثلاثه مجلدات و كتاب تاريخ مصر

الأفضل محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني أبو الفتوح.

قال الذهبي في (سير اعلام النبلاء):

برع في الفقه على الامام احمد الخوافي الشافعي، و قرأ الأصول على أبي نصر بن القشيري و على أبي القاسم الأنصاري. و صنف كتاب (نهاية الاقدام) و كتاب (الملل و النحل). و كان كثير المحفوظ قوى الفهم مليح الوعظ.

سمع بنيسابور من أبي الحسن بن الاحزم. قال السمعاني: كتبت عنه بمرو، و حدثني انه ولد سنة سبع و ستين و أربع مائه. و مات في شعبان سنة ثمان و أربعين و خمس مائه.

ثم قال: غير انه كان متهما بالميل إلى أهل القلاع و الدعوه إليهم و النصره لطاماتهم.

قال في "التحبير": هو من أهل شهرستانه(١)، كان اماما أصوليا عارفا بالأدب و بالعلوم المهجوره. قال و هو متهم بالإلحاد، غال في التشيع.

و قال ابن ارسلان في "تاريخ خوارزم" عالم كيس متفنن، و لو لا ميله إلى أهل الإلحاد و تخبطه في الاعتقاد لكان هو الامام، و كثيرا ما كنا نتعجب من وفور فضله كيف مال إلى شيء لا أصل له، نعوذ بالله من الخذلان، و ليس ذلك الا لعراضه عن علم الشرع و اشتغاله بظلمات الفلسفه. و قد كانت بيننا محاورات، فكان يباليغ في نصره مذاهب الفلاسفه و الذب عنهم، حضرت وعظه مرات، فلم يكن في ذلك قال الله و لا قال رسوله، سألته يوما سائل، فقال: سائر العلماء يذكرون في مجالسهم المسائل الشرعيه و يجيبون عنها بقول أبي حنيفه و الشافعي، و أنت لا تفعل ذلك، فقال:

مثلي و مثلكم كمثل بنى إسرائيل يأتيهم المن و السلوى، فسألوا الثوم و البصل.

إلى ان قال ابن ارسلان: مات بشهرستانه سنة تسع و أربعين و خمس مائه، قال و قد حج سنة عشر و خمس مائه، و وعظ ببغداد (انتهى).

هكذا ترجم الذهبي للشهرستاني صاحب كتاب (الملل و النحل)، و هو و ان كان ينسب الأقوال لغيره فما دام لم يعلق عليها فمعنى ذلك انه يتبناها.

فالشهرستاني هنا هو طورا متهم بالميل إلى أهل القلاع و الدعوه إليهم و النصره لطاماتهم، و طورا متهم بالإلحاد، و انه غال في التشيع.

و المقصود بأهل القلاع هم الاسماعيليون النزاريون، أهل قلعه الموت و غيرها من القلاع التي كانت تحت سلطنتهم.

و تعرف مدى افتراءات الذهبى و من نقل عنهم نقل لك ما قاله الشهرستاني نفسه عن الإسماعيليين النزاريين بعد شرح عقائدهم و نقل أقوالهم:

قال الشهرستاني: " و كم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكوره، فلم يتخطوا عن قولهم: أفتحاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟. أو نتعلم عنك؟ و كم قد ساهلت القوم فى الاحتياج، و قلت: أين المحتاج اليه؟ و أى شىء يقرر فى الإلهيات؟.. و ما يرسم لى فى المعقولات؟.. إذ المعلم لا- يعنى لعينه و إنما يعنى ليعلم، و فد [قد] سددتم باب العلم، و فتحتم باب التسليم و التقليد، و ليس يرضى عاقل بان يعتقد مذهبا على غير بصيره و ان يسلك طريقا من غير بينه " (٢) يقول الشهرستاني هذا القول، و هو مع ذلك عند الذهبى و من لف لفه: يدعو للإسماعيليين النزاريين و ينصر طاماتهم!!..

و يتحامل الشهرستاني على الشيعة ما يتحامل و يخترع لهم فرقا اختراعا، و مع ذلك فهو عند الذهبى و من نقل عن الذهبى غال فى التشيع!! (٣) و يحمل الشهرستاني على من يظهرون الإسلام و يطنون الكفر، و يندد بالمنافقين و يدافع عن الايمان، و مع ذلك فهو عندهم متهم بالإلحاد!! و الحقيقه ان الذهبى و أضرابه من أمثال ابن تيميه من ذوى العقول السوداء المتحجره و التعصبات النحليه العمياء يرون فى استناره الأذهان بتلقى العلوم العقلية كالفلسفه لعمهم ضلالا، و يرون فيمن لا يقلدهم فى نحلهم مباح الكرامه حلال الدم. فلذلك تراهم يجردون أقلامهم لتضليل الناس و تكفيرهم، و الشهرستاني ممن درسوا الفلسفه و عنوا بها حتى لقد قال عنه فى هذا العصر الشيخ مصطفى عبد الرزاق "إن الشهرستاني من أهل الفلسفه الإسلاميه كابن سينا، و يستشهد بآرائهما".

و قال عنه محمد بن فتح الله بدران من علماء الأزهر: "و ناقش الآراء الفلسفيه فى كتابين: نقض شبه أرسطو و ابن سينا، و مصارع الفلاسفه".

لذلك يرميه الذهبى بما يرميه. و لما كانت تهمة التشيع عنده من أفضع التهم لذلك رأى ان يقذفه بها.

يقول صاحب كتاب (الدرر الكامنه فى أعيان المائة الثامنه (ج ١ ص ١٤٥-١٤٦): "كان الناس إذا أرادوا أن يكيّدوا لشخص دسوا عليه من رماه بالتشيع فتصادر املاكه و تنهال عليه العقوبات و الاهانات حتى يظهر التوبه من الرفض".

و هذا عين ما أراداه الذهبى فيما قاله عن الشهرستاني.

و لتعرف ذهنيه هؤلاء السخيفه و عقولهم الخرافيه، ننقل لك بعض ما ذكره عن سماه أبو الحسن الزاهد. قال و هو يتحدث عن مناقبه: "ان الشيخ استف من صره، فرآه رجل فأراد أن يستف منه فإذا هو مر، فلما جاء الشيخ، قال: يا سيدى ما فى الصره؟ فناوله منها كفا، فإذا هو سكر و قالب لوز..".

ثم ذكر له منقبه اخرى: "...كنا بعسقلان في يوم عيد فجاء أبو الحسن الزاهد إلى امرأه معها خبز سخن، فقال تشتهين لزوجك من هذا الخبز - و كان زوجها في الحج - فناولته رغيفين، فلفهما في مئزر و مضى إلى مكه، فقال خذ هذا من عند أهلك، و أخرجه سخنا و رجع، فأوه يومئذ بمكه و بعسقلان...".

و ذكر له منقبه ثالثه: "...كنت مع أبي الحسن الزاهد فقال لناس:

اعطوني من ناركم فملئوا له قطعه جره، فقال: صبوها في ملحفتي، فصبوها في ملحفته فأخذها و مضى".

و يسترسل في ذكر مناقبه: "رش ماء على زمنه فمشت". "أراد لص

ص: ٢٣٤

١- الصحيح: شهرستان، و هي مدينه في خراسان.

٢- الممل و النحل ج ٢ القسم الأول ص ١٧٨ الطبعة الثانيه.

٣- كان الشهرستاني عند الذهبي غالبا في التشيع لانه قال كلمه طيبه في الامام جعفر الصادق ع.

أن يأخذ حماره فيست يده، فلما أبعد عنه عادت".

ثم هو يطلع على ما فى القلوب: "مضيت إلى أبى الحسن الزاهد بحلب، و لم تكن نيتى صادقه، فقال: إذا جئت إلى المشايخ فلتكن نيتك صادقه فى الزياره".

و مثل هذا كثير فى كتابه، و نكتفى بان نأخذ من مناقب رجل آخر هذه المنقبه:

"كنت عند أبى الفتح بن القواس فاخرج جزءا فيه قرص فار، فدعا على الفأره التى قرضته، فسقطت فاره لم تزل تضطرب حتى ماتت".

و رواها فى نفس الترجمة بشكل آخر راويا عن تمام بن محمد الترينى و غيره:

"سمعنا القواس يذكر انه وجد فى كتبه جزءا فى فضائل معاويه قد قرضته الفأره، فدعا عليها، فسقطت فاره من السقف و اضطربت حتى ماتت...". و لا ندري هل يقصد الذهبى ان هذه منقبه لمعاويه، أم منقبه للقواس، أو لكليهما؟!..

و من خرافات الذهبى ما ذكره عن على بن بكار بعد ان وصفه بأنه كان فارسا مرابطا مجاهدا كثير الغزو، فقد روى عنه انه قال: واقعنا العدو فانهمزم المسلمون و قصر بى فرسى، فقلت: انا لله و إنا اليه راجعون، فقال الفرس: نعم، انا لله و إنا اليه راجعون، حيث تتكل على فلانه فى علفى.

فضمنت ان لا يليه غيرى.

و نحن نحفظ من قديم بيتا من الشعر قيل فى الذهبى و هو:

سميت بالذهبى اليوم تسميه مشتقه من ذهاب العقل لا الذهب

و لم نتحقق صدق هذا الشاعر الا حين كنا نطالع هذا و أمثاله فى كتاب الذهبى.

هذا هو الذى يكتب تاريخ الإسلام و المسلمين و يتحدث عن عقائد الناس.

محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الحسن الفارس أبو الحياه

الواعظ البلخى.

المتوفى سنه ٥٩٦.

ترجم له الذهبى فى ميزان الاعتدال و ابن حجر فى لسانه ٢١٧/٥ قال:

قيل انه علوى، رحل كثيرا، و طلب بنفسه فسمع أبا شجاع البسطامى و طبخته بخوارزم و نسف و بسطام و همدان و الجزيره و

دمشق و مصر و أقام عند السلفى زمانا طويلا و كان السلفى يبجله و يعظمه و يكرمه و استوطن بغداد إلى أن مات.

سمع منه الحافظ يوسف بن احمد الشيرازى و مات قبله بمده، و كان يعظ بالنظاميه.

قال ابن النجار: كان مليح اللفظ صبيح الوجه و كان يرمى بأشياء..

و كان يميل إلى الرفض و يظهر به اخبرنى على بن محمود. فحضرت مره مجلسه فقال: بكت فاطمه يوما من الأيام فقال على: يا فاطمه لم تبكين على؟ أ أخذت منك فيئك أ غصبتك حقك أ فعلت أ فعلت و عد أشياء مما يزعم الروافض ان الشيخين فعلاها فى حق فاطمه.

قال فضج المجلس بالبكاء من الرفضه الحاضرین، توفى فى صفر سنه ۵۹۶ و ترجم له ابن شاکر فى عيون التواريخ ۱۴/۱۲ فى وفيات سنه ۵۰۶؟ فقال:

توفى محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الحسين [الحسن] بن على الطريف ابن محمد، الشاه بورى الواعظ من أهل بلخ.

قال ابن البخار [النجار]: هكذا رأيت نسبه بخط يده. سافر فى طلب العلم و جال فى خراسان و ما وراء النهر و خوارزم و العراق و بغداد و الشام و مصر و سمع من جماعه و روى عن شيخه السلفى و كان يعظمه و يبجله و يعجب بكلامه و كان مليح الشكل مليح الوعظ حسن الإيراد رشيق المعانى لطيف الألفاظ فصيح اللهجه له يد باسطه فى تنميق الكلام (۱)

محمد بن على بن احمد بن الناقد أبو السعادات البغدادي.

المتوفى سنه ۶۱۳ ترجم له المنذرى فى التكملة رقم ۱۴۶۵ فى وفيات هذه السنه قائلا:

و فى الثامن و العشرين من جمادى الأولى توفى الشيخ الأجل أبو السعادات محمد بن أبى القاسم على بن احمد بن الناقد البغدادي بها و دفن من يومه بمشهد الامام موسى بن جعفر ع بتربه له هناك و مولده فى جمادى الآخرة سنه ۵۴۴.

سمع من أبى الوقت عبد الأول بن عيسى و أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد و كان أحد التجار و سافر كثيرا إلى الشام و خراسان و ما وراء النهر و عاد و تولى خدما.

أبو احمد محمد بن على بن عبدك الشيعى العبدكى.

من أهل جرجان، كان مقدم الشيعه و إمام أهل التشيع بها.

سمع عمران بن موسى بن مجاشع الجرجانى و أقرانه، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ البيهق و عرفه و نسبه هكذا و قال:

و كان من الأدباء الموصوفين بالعقل و الكمال و حسن النظر، استوطن نيسابور، و بنى بها الدار و الحمام المعروف بباب عذره و توفى بعد الستين و الثلاثمائة بجرجان.

كذا ترجم له السمعاني في الأنساب ١٨٥/٩ بعنوان العبدكي و ذكر قبل ذلك ان جده عبدك اسمه عبد الكريم، و عبدك صاحب محمد بن الحسن الشيباني و تفقه عليه، و المشهور بهذه النسبه أبو احمد محمد بن علي بن عبدك..

و ترجم له ابن الأثير في اللباب ٣١٢/٢ بما ذكره السمعاني حرفيا و ما ذكر الحاكم ملخصا و ترجم له حمزه السهمي في تاريخ جرجان ص ٥١٩ برقم ٨٧٨ ترجمه موجزه فقال أبو احمد محمد بن عيسى (كذا) بن عبدك الشيعي الجرجاني روى عن محمد بن يزداد الجرجاني و روى عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري.

و وصفه الحاكم في خلال اسناد له انه إمام أهل التشيع فقد روى في كتاب الموضوعات ٣٤٧/١ عن زاهر بن طاهر عن البيهقي عن الحاكم قال حدثني محمد بن علي بن عبدك الشيعي أبو احمد الجرجاني و اسم عبدك عبد الكريم، و كان إمام أهل التشيع في زمانه قال حدثنا علي بن موسى الفقيه القمي قال حدثنا محمد بن شجاع الثلجي و هكذا أورده السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣٢٧ و ترجم له الشيخ في الفهرست بكنيته (ابن عبدك).

و ترجم له ابن نقطه في الاستدراك في كلمه الشيعي و وصفه بإمام أهل

ص: ٢٣٥

١- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

التشيع. حدث عن محمد بن داود الاصبهاني و علي بن موسى القمي. (١)

محمد بن عبد الفتاح سراب التنكابني.

مر ذكره في المجلد التاسع من (الأعيان)، و نزيد هنا على ما هناك ما يلي:

ولد سنة ١٠٤٠ و توفي سنة ١١٢٤ ولد في سراب من ضواحي رامسر و نشأ فيها و تعلم المقدمات بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند الميرزا محمد باقر الخراساني السبزواري و الآقا حسين الخونساري و المولى محمد تقى المجلسي و هو يروى عن استاذة السبزواري و الشيخ علي بن شيخ محمد المشهدي و المولى علي الأسترآبادي و المولى محمد باقر المجلسي و له مؤلفات كثيرة منها:

١ - سفينه النجاه.

٢ - ضياء القلوب.

٣ - رساله في رؤيه الهلال قبل الزوال.

٤ - رساله في صلاه الجمعة و القول بوجوبها العيني في رد المولى عبد الله التوني.

٥ - رساله في النذر و الصدقه.

٦ - رساله في علم الكلام.

٧ - تفسير آيه الكرسي.

٨ - الحاشيه على المعالم في الأصول.

٩ - الحاشيه على زبده البيان في تفسير أحكام القرآن.

١٠ - الحاشيه على شرح المطالع.

١١ - رساله في الأجسام الهندسيه.

١٢ - رساله في حل شبه الجذر الأصم.

١٣ - الحاشيه على آداب البحث للقاضي عضد الدين اللائجي.

١٤ - حجيه الإجماع و خبر الواحد.

١٥ - الحاشيه على شبهه الكلامى الكاذب.

١٦ - رساله فى تحرير التوحيد.

١٧ - رساله فى تحقيق الحركه فى المقولات.

١٨ - رساله فى وقوع الحركه فى الآن.

١٩ - الجواب على شبهه القائلين بوحده الوجود. و غير ذلك.

زار الأعتاب المقدسه فى سنه ١١١٥ ثم رجع إلى أصفهان إلى أن توفى و دفن فى تخت فولاد و بنى على قبره قبه و دفن بعده فى تلك المقبره عدده من أولاده و أعقابه.

أعقب ولدين عالمين الشيخ محمد رضا و الشيخ محمد صادق.(٢)

محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن على بن الحسن بن الحسين

ابن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى

طالب (ع).

قال فى منتخب السياق: الحسنى العلوى السيد العالم أبو الحسن البلخى المعروف بنو دولت. شيخ الساده و شرفهم جمال الأفاضل بخراسان من حسنات عصره له الشرف الباذخ نسبا و الأدب الظاهر شرقا و غربا و الشعر و الكتابه الفائقه الرائقه هزلا و جدلا صار من كبراء أركان الدوله فى وقته دخل نيسابور و بلاد خراسان مرارا مع العسكر و روى الأحاديث و الأشعار توفى بنيسابور سنه ٤٦٥ و حمل تابوته إلى بلخ.

شرف الساده أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن على بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن

الحسين بن على بن أبى طالب ع شرف الساده العلوى الحسينى

البلخى.

ترجم له الباخريزى فى دميهِ القصر و طول فى ترجمته.

و ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ٢١/٤ رقم ١٤٧٣ و قال:

صاحب النظم و النثر، قدم بغداد رسولا من السلطان ألب أرسلان إلى الامام القائم بامر الله فى سنه ٤٥٦ و مدح القائم و حدث

عن الفقيه أبي علي الحسن ابن احمد الزاهد روى عنه أبو غالب الذهلي و أبو سعد الزوزنى....

ثم أورد شيئاً من نظمه و شيئاً من نثر الباخرزى فى وصفه و اطرائه.

مجد الدين محمد بن عبيد الله بن الكوفى الصدر العالم.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب و قال: كان من أعيان الصدور و الأكابر بالعراق و كان خصيصاً بالشيخ صدر الدين على بن محمد بن النيار و كانت وفاته سنة ٦٦٥، و دفن بمشهد على ع.

محيى الدين محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن حسن بن

عبد القاهر بن حسن بن على بن قاسم بن المظفر بن على بن قاسم بن

عبد الله الشيبانى الشهرزورى الموصلى.

ترجم له معاصره الصفدى فى الوافى بالوفيات ٢٧٥/٣، رقم ١٣١٧ و ساق نسبه كما أوردناه ثم قال:

مولده سنة ٦٩٨ و أمه من بيت ابن كسيرات، سألته ان يكتب لى اسمه و مولده و نسبه و شيئاً أستعين به على ترجمته فكتب إلى بهذه الأبيات الآتى ذكرها.

اشتغل على السيد ركن الدين و قرأ القرآن على ابن خروف و سمع الكثير من زينب و ابن تمام و المزى و الذهبى و نسخ الأجزاء و عنده مشاركه جيده و فيه سكون كثير.

ثم أورد له شعره الذى ترجم فيه لنفسه و يظهر منه ان أجداده كلهم كانوا قاضى القضاة حيث يقول فيه:

و الكل قاضى قضاة غير ثالثنا فإنه إذ دعى للحكم لم يجب

و يظهر من شعره انه رحل إلى دمشق سنة ٧٣٨.

و ترجم ابن حجر فى الدرر الكامنه ١٣٩/٤ رقم ٣٩٢٤ و ساق نسبه كما مر ثم قال:

أبو عبد الله بن الشهرزورى لقبه محيى الدين، عنى بالحديث و كان مولده فى شعبان سنة ٦٩٨ (٣) بالموصل فاشتغل و سمع ببلده على شمس الدين محمد بن عمر بن خروف شرح السنه للبعوى. و دخل بغداد و لم يسمع بها الحديث ثم رحل إلى دمشق فسمع الكثير من الشيوخ بعد الثلاثين فكتب الأجزاء و حصل و جمع له ثبنا و كتب عليه فى عدة اجزاء.

و كان جميل الهيئه كثير التلاوه خطه حسن معروف مع الخير و الدين و المروءه.

قال ابن رافع سمع منى اجزاء أخرجه لبعض مشايخى و هو من بيت القضاة و الرئاسة و أنشد له..

أقول: قوله من بيت القضاء و الرئاسة قال هو في شعره الذي أورده له الصفدى فى الوافى:

ص: ٢٣٦

-
- ١- السيد عبد العزيز الطباطبائى.
 - ٢- الشيخ محمد السامى.
 - ٣- بل مولده مستهل ذى القعدة كما صرح هو فى شعره الذى تقدم ذكره حيث يقول: وقد ولدت بها يوم العروبه فى ١ هلال ذى القعدة المشهور فى العرب.

و بيتنا فيه من قد جاوز عددا سبعين كانوا قضاه الناس في الحقب

و كم لنا غيرهم من كل مشتهر بالدين و العلم و الإحسان و الأدب

و دارنا الموصل المحروس جانبها كنا اولي عزها قدما أبا عن أب

و قد عنونه ابن الفوطى في الجزء الخامس من كتابه تلخيص مجمع الآداب بعنوان محيى الدين.

و لكن بيض له و لم يذكر في ترجمته شيئا.

و لقد عثرت له في مكتبه اياصوفيا في اسلامبول على مجموعه أدبيه لها قيمه رقمها ٤٢٥٠ و هى بخط محمد بن على بن سليمان

بن يوسف الريحانى الموصلى كتبها بالقاهره سنه ٧٩٠ و لم أعثر على اسم خاص للكتاب سماه به مؤلفه و لا- صرح المؤلف

باسمه في أوله تقيه و لكن في الورقه ٥٧ ب هكذا انه (قال العبد الفقير إلى الله محمد بن عبد القاهر بن الشهرزورى الموصلى...

و فيه في مكانين: قال محيى الدين عفا عنه ثم يورد مقطوعه شعريه لنفسه و تشيعه ظاهر في كتابه هذا.

إلى ان قال و من شعره:

دع عنك حديث من يمينك غدا و اقطع زمن الحياه عيشا رغدا

لا ترج هوى و لا تعجل كمدا يوما تمضيه لا تراه ابدا

و كتب يوما رقعته إلى الحافظ السلفى و كتب على رأسها فراش لمعه فراش شمعه فأعجب السلفى بها و كان يكررها. (١)

السيد محمد على الغريفي البحراني بن السيد عدنان.

إشاره

ولد سنه ١٣٢٨ في مدينه المحمره (خوزستان) و توفى سنه ١٣٨٨ فيها و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن في مقبره الأسره

بوادى السلام.

نشا يتيم الأم، ثم توفى والده و هو فى الثانيه عشره من عمره فكفله وصى والده الشيخ عيسى الجزائرى فدرس عليه مقدمات

العلوم من نحو و صرف و غيرهما. و فى سنه ١٣٥١ توفى الشيخ عيسى، فرعاه شقيقه السيد على فدرس عليه علوم البلاغه و بعض

الأصول و الفقه. و بعد وفاه شقيقه سنه ١٣٥٩ سافر إلى النجف الأشرف حيث درس على كل من الشيخ عباس المظفر و الشيخ

محمد جواد الجزائرى و الشيخ محمد رضا آل ياسين و السيد أبو الحسن الأصفهاني و الشيخ حسين النائينى. و فى سنه ١٣٦٢

ألزمه الامام الأصفهاني بالعوده إلى المحمره لأحداث حدثت فى أسرته و جعله هناك و كيله المطلق، فكان له فى المحمره و

منطقتها الأثر المحمود و عند وفاته رثى بشعر كثير فمن قصيده للشيخ محمد جواد فرج الله:

ربع المكارم بعد فقدك مجذب وارى الندى يبكى عليك و يندب
و المجد من حزن تلفع بالاسى و دموع عين الفضل غيث صيب
و العبقريه أفقرت عرصاتها من بعد ما كانت بفضلك تخصب
فلتبتك انديه المحاسن عمرها ثكلى فوجه الحسن منك مغيب
و لتلبس العليا ثياب حدادها فلقد مضى عنها الزمان الأطيب
أيام كان الحفل باسمك زاهيا جم المعارف فيضه لا ينضب
بك يستقيم و يستطيل جلاله و يهيم فيه العبرى و يعجب
من حسن نطقك يستمد براعه فى القول حين تقوم فيه فتخطب
فقدت محافلنا بفقدك فخرها فنشيدها الم و دمع يسكب
فالشمس تغرب بعد ما قد أشرقت و شمس فضلك طلع لا تغرب
رزء ابن عدنان آثار لواعجى و أهاج منى الحزن و هو مغيب
و هو ابن من شهد الزمان بفضله و له على هام الثريا منصب
و احتل من سامى الفخار مكانه علياء و هو إلى المكارم ينسب
بحر الندى و العلم موفور التقى و الحلم منهل فضله لا ينضب
العالم الفذ الفقيه و من له فى الاجتهاد يد تطول و تغلب
شعره

قال من قصيده تبلغ ١٨٧ بيتا يمدح بها النبى ص و أهل بيته ع:

قم نطلب الغيد فى واد بنى سلم و نجتنى الحسن بين الضال و العلم
فالبان ما بين مهصور و منعطف و الحسن ما بين منشور و منتظم
و سرح الطرف فى وادى العقيق فكم لنا بواديه عهد غير منقسم

و ناشد الخيف عن سلمى و عن كبد مضاعه بين ذى الوديان و الاكم

حملت جسمى آلاما مبرحه لو حملوا بعضها شهلان لم يقم

وقفت ملتفتا بالمأزمين إلى ظعونهم قارعا سنى من الندم

بمقلتين كان الوجد ألبسها ثوبا من الدمع و شاه الهوى بدم

و كم به حسرات لا أطيق لها دفعا فسرى منها غير منكنتم

روح الموله كالمرآه صافيه مهما تلاقت بها الأشياء ترسم

قد أبعد الدهر سلمى عنك فاطرحن ذكرى سواها و خذ فى المجد و الكرم

ص: ٢٣٧

١- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

فالمجد ضربك بين الجحفلين و ان تمشى بثغر إلى الهيجاء مبتسم
و أحسن الناس من للناس قد ظهرت خيراته و بوادى الشر لم يهم
فهذب النفس بالمعروف مستندا للدين و النفس ان قومت تستقم
و ان أردت من الأديان أحسنها فدين احمد فيه خير معتصم
من كابن هاشم ان عدوا رجالهم فضلا و من كابن عبد الله فى الأمم
نالت به آل فھر أیما شرف ما ناله الناس من عرب و من عجم
قد كان بدر دياجى الجهل بينهم و كان دونهم الكشاف للغم
كم معجزات أرادوها فاظهرها لهم و هل ينفع الاعجاز قلب عمى
فسل قريشا هل اسطاعت بباطلها ان تغلب الحق فى سيف و فى قلم
لما رأت عجزها يوم الخطاب مشت للحرب فى كل مقدم و كل كمنى
سل يوم بدر و ما لاقاه عتبتهم من ابن هاشم و اسال عن وليدهم
و شبيه شاب منه الرأس فاتخذت له الأواسى خضابا من دم عرم
و كم و كم نصبوا أشراك باطلهم ليطفئوا نور هذا الطاهر العلم
فأصبح النصر للإسلام حين غدت راياته خافقات فى ربوعهم
ما ضر احمد انكاراتهم و لقد سار اسمه كمسير النور فى الظلم
أنار ظلمه هذا الكون يوم اتى و شرف الأرض منه أیما قدم
يفيض علما عليهم دائما و لهم كان الدليل إذا حاروا بأمرهم
كانوا من الفقر فى ذل فقادهم للعز و المجد و الخيرات و النعم
كانوا عبيد العصا من قبله و به عادوا ملوكا و أحياهم من العدم
أبقى الكتاب و أبقى عتره طهرت إذ أذهب الرجس عنها بارئ النسم

هذا على وصى المصطفى و أبو سبطيه و هو لدين الله خير حمى
بسيفه قام هذا الدين و ارتفعت اعلامه و بسيف الغير لم يقم
فهو الخليفه بعد المصطفى و له دون الأنام مقام القرب و الرحم
ما ذنب حيدر عند القوم حين سروا لحربه و أعدوا كل خيلهم
أفعله يوم بدر فى رجالهم أم يوم أفنى بأحد عبد دارهم
حتى قضى و بعينه القذى و مضى يشكو بقلب إلى باريه مهتضم
و ضيعوا فيه قول المصطفى و نسوا يوم الغدير و زاغوا عن وليهم
فليت شعرى علام الناس قد نكصوا عن آل طه و حادوا عن ولائهم
فليت شعرى علام الناس قد نكصوا عن آل طه و حادوا عن ولائهم
هم السفينه للاجين ان زخرت أمواج بحر من الأوهام ملتطم هم كالنجوم لأهل الأرض أو فهم
كباب حطه فاستمسك بحبلهم خذها إليك رسول الله قافيه
سارت بمدحك بين الحل و الحرم راج بيمنى أعطاهما إذا ظهرت
صحائف الناس سودا فى شمالهم و اسال الفوز فى الدارين منك إذا
ما راح غيرى يستجدى ندى هرم طاب ابتدائى بحسن المدح فيك كما
بمدح آلک حقا طاب مختمى
و قال من قصيده فى مدح أمير المؤمنين ع:

على النای و الهجران قلبى تعودا و فى الحب لا يزداد الا تجلدا
سيكنتم صبورا ما يجن من الهوى و ان جره الكتمان يامى للردى
فكم حرق مرت به و لواعج و كم ذاق عيشا مذ تناءيت انكدا
بلى هو ذا قلبى الذى حكم الهوى عليه بان يحيا أسيرا مقيدا

إلى الله أشكو ما أكابد من ضنى بقلبي و ما بين الضلوع توقدا
أيجمل انى يا أميم من الهوى أروح و أغدو فى الأنام مشردا
رعى الله قلبا فيك لا زال مغرما و جفنا من التعوال لا زال أرمدا
يهيم إذا ما اومض البرق فى الدجى و يزداد شوقا ما رأى الطير غردا
يبرح بى الشوق اللجوج و فى الهوى أغار فؤادى يا أميم و انجدا
و كم حاولت نفسى السلو فخانها ضمير ابى الا الصبا به موردا
تمر بقلبي الذكريات فكلما تذكرتكم فيه الغرام تجددا
و يهتز للآمال و هى كواذب و للغصن كم يشتاق مهما تأودا

ص: ٢٣٨

فقلت ألما يان ان تدع الهوى فان الهوى من قبلك الناس أفسدا

و ليس يطيب الحب الا لسيد له البيت بيت الله أصبح مولدا

امام و ما بعد النبي ترى له مثيلا و لا تلقى سواه مسودا

و قد خصه الرحمن منه برتبه لها أصبحت كل البريه سجدا

و أيده بالروح منه فاحمد على الشرك بالكرار صار مؤيدا

فلولاه ما قامت شريعته احمد و لم تر منهم من يميل إلى الهوى

و لا ارتفعت للدين في الأرض رايه و لم تلق للرحمن فيها موحدًا

به نعمه الرحمن تمت و دينه بماضيه اضحى في الأنام مشيدا

امام و كم في الأرض قامت أئمه له السبق إذ فيه الكمال تفردا

به ازينت هذى الخلافه لا الذى بها شرفا بعد الخمول تزيدا

امام به الرحمن أودع سره و صيره للناس مولى و سيدا

أخو المصطفى زوج البتوله والد الأئمه أعلى الناس مجدا و محتدا

ملائكه الرحمن و دت لو أنها تكون له دون الأناسى اعبدا

إذا ما تبدى في المواكب خلته كيدر و لكن بالجلال تجسدا

بمفرقه تاج الامامه قد زها و فى كفه ماضى الغرارين جردا

و كان أخا للمصطفى لم يجد له سواه أخا عند الشدائد مسعدا

و كان إذا استكفاه معضله رأى هماما إذا ما زمجر الخطب اصيدا

أبا حسن خذها إليك قصيده حوت فى معانيها الجمان المنضدا

إذا جاز للشعر الخلود فأننى رأيت لشعري ان يعيش مخلدا

لأننى على ذكراك أنت حبسته فما كنت الا فى معانيك منشدا

و ها أنا فى ميلادك اليوم لم أزل لمدحك فى أهل الولاء مرددا

فذلك يوم أشرقت فيه (مكه) و ما أشرقت من قبل الا باحمدا

بميلاده البشرى أتت لمحمد فوافاه مسرورا و مد له يدا

يقول له قد أفلح اليوم كل من تولاك من دون الورى و بك اهتدى

و أنت وصيى لا سواك و ناصرى بك الله هذا الدين أحيا و اسعدا

فصلى عليك الله يا من بمدحه لسانى على مر الليالى تعودا

و له من قصيده فى الإمامين موسى بن جعفر و حفيده محمد بن على الجواد ع:

أنت مهما دهاك دهرك بالشر لذ بخير الأنام موسى بن جعفر

و تمسك به و لا تخش ضيرا فهو منجى الوجود طرا من الضر

و هو ظل الرحمن ياوى اليه كل من خاف ذنبه يوم يحشر

قف على بابه و قوف ذليل خاشع الطرف و اسال الأجر توجر

فهو باب الإله باب رسول الله باب الطهر البتول و حيدر

قف و قبل اعتابه و تأمل رحمه الله عنده كيف تنشر

فهناك الجلال فيه مقيم و به نور خالق الكون أزهر

نور (موسى بن جعفر) شع فيه و جمال (الجواد) كالصبح أسفر

ليت شعرى ما ذا يقال بموسى و هو أعلى من المديح و أكبر

و بفضل (الجواد) انى يحيط الوصف هيئات تاه من فيه فكر

فهما فى سما المعارف بدران و ما خاب فيهما من تبصر

بهما تهتدى العوالم طرا و هما للهدى و للعلم مصدر

و على الكون قد اطلا بوجه منه هذا الكون العظيم تنور

أ و تدرى نماهما اى جد من غدت باسمه الوجودات تفخر

خاتم الرسل صفوه الله فى العالم طرا من قبل ان يخلق الذر

و على أبوهما و هو مولى و أمير له المهيمن امر

من أقام الدين الحنيف بماضيه و للشرك بالمهند دمر

هاك منى يا كاظم الغيظ مدحا فيك لا فى سواك يا ابن المطهر

بابنك الطاهر الجواد تشفعت و شان الجواد ان لا يقصر

أنتما منيتى و سؤلى فى الدنيا و حرزى من المكاره و الشر

ص: ٢٣٩

و له من قصيده فى رثاء أخيه السيد على:

هل للفتى العانى الكئيب يذرى المدامع من مجيب

يبكى و ليس لديه من شغل سوى فرط النحيب

صهر الاسى احشاءه فتراه ذا قلب و جيب

مترمتا اما رأى الخلان فى ناد رهيب

فإذا تخلى وحده عن كل ناه أو رقيب

أذرى الدموع دما و ناح على مفارقه الحبيب

يا قلب ما أقواك فى حمل المكاره و الخطوب

هل أنت الا مضغه جياشه بدم نضوب

كم قد ركبت متاعبا و لكم حملت من الكروب

لو ان ما بك حل يا قلبى على جبل صليب

لعفا و ساخ و أنت كم حملت من امر عصب

لو صب فوق الشمس رزؤك لاستمالت للغروب

أو ذر فوق البدر لم يشرق و عاد إلى القطوب

يا قلب نح ما شئت ما لك فى البكاء من مستجيب و ابك حبيبا عنك أفرط

فى التباعد و المغيب خطفته منك يد البلى

و دعاه علام الغيوب

مؤلفاته

ترك من المؤلفات:

١- (حمزه بن عبد المطلب أسد الله و رسوله).

٢ - الحقائق الجليه فى شرح الخطبه الشفشقيه.

٣ - (ديوان الوسائل) فى مدح النبى (ص) و آله (ع) ثلاثه مجلدات.

٤ - (وحى الشباب) ديوان شعر فى مواضيع مختلفه.

٥ - (شهيد الاباء) روايه شعريه قد نظم فيها حياه الامام الحسين (ع) من أول حياته حتى شهادته.

٦ - (حياه المصلحين) ملحمه شعريه عن حياه النبى الأكرم (ص) تبلغ عده آلاف من الأبيات.

٧ - (أحسن ما سمعت) و هو مختارات شعريه لشعراء مختلفين. (١)

السيد محمد على آل خير الدين بن السيد حسين بن السيد محمد على

ابن السيد نوازش على بن السيد مظفر على بن السيد خير الدين بن المير

خير الله بن السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الحائرى الهندى.

ولد فى كربلاء يوم الخامس من شهر رمضان سنة ١٣١٢ كما حدثنى به و توفى يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٩٤ و دفن فى روضه العباس ع فى حجره جنوب شرقى من الصحن الشريف.

آل خير الدين و يقال آل خيرى من الأسر العلميه المعروفه فى كربلاء و قزوين نبغ منها علماء فقهاء أجلاء، برزت فى كربلاء منذ عهد جدها الأعلى السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله الهندى الحائرى المتوفى سنة ١٢٢٦ و له آثار و مآثر فى العتبات المقدسه فى العراق و أول من هاجر من الهند مستوطنا كربلاء فى القرن الثانى عشر للهجره هو السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الهندى و كانت هذه الأسره متجوله فى الهند و ايران و العراق و من اعلامهم فى قزوين السيد محمود بن السيد حسين شقيق المترجم له، و طبع من مؤلفاته ١٦ كتابا. و يذكر كل منهم فى محله.

أخذ المترجم له المقدمات على أفاضل علماء كربلاء و حضر فى السطوح على والده ثم توجه إلى النجف و التحق بحوزه الشيخ ميرزا حسين النائينى و آغا ضياء العراقى و السيد أبو الحسن الأصفهانى و حصل على إجازات من مشايخه المذكورين ثم عاد إلى موطنه كربلاء و تصدر للتدريس و إمامه الجماعه فى صحن سيدنا العباس (ع) عند باب القبله ينظم باللغتين العربية و الفارسيه. له مؤلفات منها كتاب نامه دانش و جامه ستايش مثنوى فارسى فى العرفان.

و له ديوان باسم ديم نيسان فى خمس اجزاء مرتبه على الحروف فى القوافى. الأول: المدائح و المراثى لأهل البيت ع، و الثانى سائر القصائد العربيه و الثالث القصائد الخمسات و الموشحات و الأراجيز و الرابع القصائد الفارسيه و الخامس الكتب و الرسائل العربيه و الفارسيه شرع بجمعه سنة ١٣٤٢ و له تقاريرات درس استاذيه النائينى و آغا ضياء العراقى و جميعها فى مكتبته بكربلاء و له قصيده بعنوان (الحنين إلى سامراء) يقول فيها:

عج بالمحصب من مشارف دجله حيث الفضا و الماء و الخضراء

فهناك مربع جيرتى و هناك مفزع حيرتى و هناك (سامراء)

فأحبس بحيث العز يسحب ذيله تيهها و ينشر للفخار لواء

و اخضع بحيث المعجد القى رحله و اخشع بحيث أظلت العلياء

و اجنح إلى الحرم المنيع فلو دنا ملكك زوته هيبه و بهاء

تبصر تجلى نور ربك فى ثرى رقدت به ساداتنا النجباء

و أعقب المترجم له أربعة أولاد ذكور، هم السيد محمد قام مقام أبيه فى الامامه و هو اليوم فى سجون النظام التكريتى فى العراق و السيد حسين كان من الضباط الأباه فى الجيش العراقى و حكم عليه بالاعدام ثم تمكن من الهرب إلى خارج العراق و ثالثهم المحامى السيد حسن اختطف من قبل السفاره العراقيه فى باريس و نقل إلى بغداد ثم تدخلت الجمعيات العالميه و مؤسسات حقوق الإنسان و حكومه فرنسا فافرج عنه و هو اليوم فى فرنسا يواصل

ص: ٢٤٠

١- السيد على العدنانى الغريفى.

دراسته و رابعهم الدكتور السيد رضا.(١)

السيد محمد الحجة التبريزي.

ابن علي الحسنى الكوه كمرى التبريزي،

ينتهى نسبه الشريف إلى رابع الأئمه المعصومين علي بن الحسين زين العابدين (ع).

ولد سنه ١٣١٠ فى تبريز و توفى فى مدينه قم سنه ١٣٧٢.

كان المترجم له، أحد رؤساء الحوزه العلميه بقم بعد وفاه زعيمها و مؤسسها الشيخ عبد الكريم الحائرى.

و كان فقيها، محققا، أصوليا، مدققا و صاحب كمالات نفسيه و خلقيه و كان ورعا زاهدا.

تتلمذ فى تبريز على الاساتذه فى شتى العلوم و الفنون من فقه و أصول و رياضه و طب و أدب ثم هاجر إلى النجف الأشرف لتكميل دراساته الإسلاميه و حضر فى حلقات درس السيد محمد كاظم اليزدى. و أخذ علم الرجال من السيد أبى تراب الخونسارى و تتلمذ فى الأصول على شيخ الشريعه الأصفهاني، و الميرزا حسين النائيني و الآغا ضياء العراقى و غيرهم.

ثم رجع إلى تبريز بامر من والده لمرض أصابه فى النجف ثم عاد بعد البرء إلى النجف فاشتغل بالتدريس و التأليف و فى سنه ١٣٤٩ ق رجع إلى ايران، و أقام ببلده قم و صار استاذا عاليا فيها و تخرج على مدرسته كثيرون من الأعلام و له آثار: المدرسه المسماه باسمه فى بلده قم و بها مكتبه عامه عامره يراجعها الطلبة ليلا و نهارا.

و من تأليفاته: جامع الأحاديث و الأصول و هو كتاب نفيس يحتوى على جل أحاديث الشيعه مع بيان المعانى الدقيقه و جمع المتعارضات و الإشاره إلى بعض المباحث الرجاليه.

و كتاب مستدرک المستدرک فيما فات عن صاحب المستدرک.(٢)

الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن

عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحائى بن القاسم بن الحسن بن زيد

بن الحسن بن علي بن أبى طالب ع، العلوى الحسنى الشجرى

الكوفى.

ولد فى رجب عام ٣٦٧، و توفى فى ربيع الأول سنه ٤٤٥.

و والده هو علي بن الحسن من العلماء المحدثين بالكوفه يعرف بابن عبد الرحمن ترجم له شيخنا الرازى فى طبقات أعلام الشيعه

١١٨/٥، يروى عن أبي العباس المرهبي و محمد بن الحسين بن سعيد الأزدي، و يروى عنه ابنه أبو عبد الله العلوي في كتبه.

نشا و ترعرع في الكوفة في أسر علميه فبكر إلى سماع الحديث و أدرك جملة من تلامذه الحافظ بن عقده فحمل عنهم العلم و خاصه الحديث و فنونه، ثم رحل إلى بغداد فدرس فيها ثم رجع إلى الكوفة يبت علمه، يدرس و يؤلف حتى أصبح رحله يقصده بغاه العلم و هواه الحديث.

و مما يدل على ذلك.

١ - أن مثل الحافظ الصوري - و ناهيك به - قصده من بغداد إلى الكوفة ليقراً عليه و يسمع منه، فكان ينتخب عليه و يفتخر به.

٢ - اشتهاره ب (مسند الكوفة) (٣) فاختص بهذا الوسام و أطلق عليه و وصف به دون غيره من أعلام الكوفة على كثره من أنجبته من حفاظ و محدثين هم في الذروه و السنام كابن أبي شيبه و مطين و ابن عقده و أضرابهم و في عصر العلوي أدرك الصوري بالكوفة أربعمائه شيخ (٤).

له من المؤلفات:

١ - الأذان بحى على خير العمل (جزء في ..) طبع في دمشق سنة ١٣٩٩.

٢ - أسماء الرواه عن زيد بن علي من التابعين، و حديث كل واحد منهم. نقل عنه السياغى في الروض النضير مكرراً، منها في ج ١ ص ١١٧ و ٤٤٧.

٣ - كتاب التاريخ، نقل عنه ابن نقطه في كتاب الاستدراك في كلمه (بزه) و حكاه عنه في تعاليق كتاب الإكمال لابن ماكولا ٢٥٥/١.

٤ - كتاب التعازى، ذكره شيخنا العلامة الطهرانى في الذريعه ٢٠٥/٤ و ذكر أنه كان عند العلامة المحدث النورى، استكتبه عن نسخه في مكتبه الامام الرضاع في مشهد، و ذكره العلامة النورى في مستدرک الوسائل ٣٧٠/٣ و عده من مصادرہ و ترجم لمؤلفه.

٥ - فضل الكوفه و فضل أهلها، نسخه من الجزء الأول في دار الكتب الظاهريه بدمشق ضمن المجموع رقم ٩٣ من الورقه ٢٨٢ إلى ٣٠٨، روايه أبى الغنائم النرسى محمد بن علي بن ميمون المتوفى ٥١٠ عن المؤلف، و على نسخه قراءه جماعه لها على أبى الغنائم في سنه ٤٧٤.

٦ - الجامع الكافى، في الفقه، و هو في ست مجلدات، و هو الكتاب الذى قال عنه الذهبى في ترجمه المؤلف في سير أعلام النبلاء انه: جمع كتابا فيه علم الأئمه بالعراق، فاجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره (٥). و قال ابن الحابس في المقصد الحسن: كتاب الجامع الكافى ست مجلدات هو أوسع كتبهم (الزيديه) آثارا و علما، جمعه أبو عبد الله محمد بن (على بن عبد الرحمن) الحسنى صاحب المقنع، و اعتمد فيه على ذكر مذهب القاسم ابن إبراهيم (الرسى المتوفى ٢٤٦) و احمد بن عيسى و الحسن بن يحيى بن

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- السيد إبراهيم السيد العلوى.
- ٣- حكى الذهبي فى سير أعلام النبلاء فى ترجمه أبى عبد الله العلوى عن بعضهم أنه قال: ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله. قال: و كان حافظاً، أخرج عنه الحافظ الصورى و أفاد عنه و كان يفتخر به. و قال فى ترجمته أيضاً فى تاريخ الإسلام: و انتقى عليه الحافظ الصورى. و الحافظ الصورى هو أبو عبد الله محمد بن على الصورى المتوفى سنه ٤٤١، ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد ١٠٣/٣ و قال: و كان من أحرص الناس عليه (الحديث) و أكثرهم كتباً له و أحسنهم معرفه به و لم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث. و ترجم له ابن الجوزى فى المنتظم ١٤٣/٨ و قال: و أكثر كتب الخطيب - سوى التاريخ - مستفاده منه.
- ٤- قال الحافظ السلفى فى المشيخه البغداديه ق ٤٣ نسخه مكتبه فيض الله تحت عنوان: حديث الشريف أبى عبد الله العلوى: سالت الشريف أبا منصور (احمد بن أبى الفوارس عبد الله بن محمد، ابن الدبى الكوفى من تلامذه العلوى و من شيوخ السلفى) عن الشريف أبى عبد الله هذا؟ فقال: كان من أولاد الحسن بن على، و كان من أهل الفضل و العفه، و كان يقال له: العلامه الا أنه كان يتشيع....
- ٥- و حكاه عنه فى التحف شرح الزلف ص ١٢٢.

الحسن بن زيد و مذهب محمد بن منصور علامه العراق، و إنما خص صاحب الجامع مذهب (١) هؤلاء قال: لانه رأى الزيديه بالعراق يعولون على مذاهبهم، و ذكر أنه جمعه من نيف على ثلاثين مصنفًا من مصنفات محمد ابن منصور و انه اختصر اسناد الأحاديث مع ذكر الحجج فيما وافق و خالف - "انتهى ملخصاً".

و يوجد الجامع الكافي فى ميلانو فى مكتبه امبروزيانا رقم ١٦٨.

و نسخه اربعة اجزاء فى مجلدين فى مكتبه الجامع الكبير بصنعاء المجموع رقم ١٣١٠.

و للجامع الكافي مختصران، أحدهما للمؤلف فقد اختصره و سماه المقنع و ياتى و الآخر للقاضى جمال الدين العفيف بن الحسن المذحجى الضرارى و سمي مختصره تحفه الاخوان فى مذهب أئمه كوفان، كما فى المقصد الحسن.

٧ - المقنع، و هو مختصر الجامع الكافي، كما تقدم و قد ذكره ابن حابس فى المقصد الحسن.

٨ - فضل زياده الحسين ع. (٢)

أبو غالب فخر الملك محمد بن علي بن خلف

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٤٣ من المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان: هو وزير بهاء الدوله بن عضد الدوله البويهى، و بعد وفاته وزر لولده سلطان الدوله أبى شجاع فنا خسرو. كان من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد أبى الفضل محمد بن العميد و الصاحب بن عباد. و كان أصله من واسط و أبوه صيرفيا، و كان واسع النعمه فسيح مجال الهمه جم الفضائل و الإفضال جزيل العطايا و النوال.

قصده جماعه من أعيان الشعراء و مدحوه و قرضوه بنخب المدائح، منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباته، له فيه قصائد مختاره، منها قصيدته النونيه التى من جملتها يقول:

لكل فتى قرين حين يسمو و فخر الملك ليس له قرين

أنخ بجنابه و احكم عليه بما أملتة و أنا الضمين

أخبرنى بعض علماء الأدب ان بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هذه القصيده، فأجازه إجازة لم يرضها. فجاء الشاعر إلى ابن نباته و قال له: أنت غررتنى، و أنا ما مدحتة الا ثقه بضمائك، فتعطينى ما يلىق بمثل قصيدى، فأعطاه من عنده شيئاً رضى به، فبلغ ذلك فخر الملك، فسير لابن نباته جمله مستكثره لهذا السبب.

و من جمله مداحه مهيار بن مرزويه (الديلمى) الكاتب الشاعر المشهور، و مدائحه كثيره، و لأجله صنف أبو بكر محمد بن

الحسن الحاسب الكرخي كتاب (الفخرى) في الجبر و المقابله، و كتاب (الكافي) في الحساب.

و رأيت في بعض المجاميع ان رجلا- شيخا رفع إلى فخر الملك قصه سعى فيها بهلاك شخص، فلما وقف فخر الملك عليها قلبها و كتب في ظهرها: "السعاه قبيحه و ان كانت صحيحه، فان كنت أجريتها مجرى النصح فخرانك فيها أكثر من الربح، و معاذ الله ان تقبل من مهتوك في مستور، و لو لا انك في خفاره من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك و نردع به أمثالك، فأكرم هذا العيب و اتق من يعلم الغيب. و السلام".

و محاسن فخر الملك كثيره. و لم يزل في عزه و جاهه و حرمة إلى ان نقم عليه مخدمه سلطان الدوله بسبب اقتضى ذلك فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنه سبع و اربعمائه.

و قال أبو عبد الله احمد بن القادسي في (اخبار الوزراء): و كان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعا. و ذلك ان بعض خواصه قتل رجلا ظلما، فتصدت له زوجته المقتول تستغيث، فلم يلتفت إليها، فلقيته ليله في مشهد باب التبن و قد حضر للزياره، فقالت له: يا فخر الملك، القصص التي أرفعها إليك و لا تلتفت إليها صرت ارفعها إلى الله، و أنا منتظره خروج التوقيع من جهته. فلما قبض عليه، قال: لا شك ان توقيعها خرج. و استدعى إلى مضرب سلطان الدوله، ثم قبض عليه و عول به إلى جركاه، و قد أحيط على أمواله، و خزائنه و كراعته و ولده و أصحابه، و قتل في التاريخ المذكور. و أخذ من ماله ستمائه ألف دينار و نيف و ثلاثون ألف دينار. و قيل انه وجد له ألف ألف و مائتا دينار منطبعه.

و مولده بواسط الثاني و العشرين من شهر ربيع الآخر سنه اربع و خمسين و ثلاثمائه (انتهى).

و قال الذهبي في (سير اعلام النبلاء): كان صدرا معظما جوادا ممدحا من رجال الدهر. و كان في صباه يتعافى المكارم و الإفضال و يلقبونه بالوزير الصغير، ثم ولى بعض الأعمال، و تنقلت به الأحوال إلى ان ولى ديوان واسط، ثم وزير، و ناب للسلطان بهاء الدوله بفارس و افتتح قلاعاً، ثم ولى العراق بعد عميد الجيوش، فعدل قليلاً و أعاد اللطم يوم عاشوراء، و ثارت الفتن لذلك، و مدحته الشعراء، و دام ست سنين، ثم أمسك بالأهواز.

و كان شهما كافيا، خبيراً بالتصرف، سديد التوقيع، طلق المحيا، يكاتب ملوك النواحي و يهاديهم، و فيه عدل في الجملة، عمرت العراق في أيامه، و كان من محاسن الدهر، أنشأ بيمارستانا عظيما في بغداد، و كانت جوائزته متوافره على العلماء و الصلحاء.

و قد أنشأ في بغداد دارا عظيمه، و كان يضرب المثل بكثرة جوائزته و عطايه (انتهى).

و من مدائح قول الشريف الرضي:

أحق من كانت النعماء سابغه عليه من أسبغ النعمى على الأمم

و أجدر الناس ان تعنو الرقاب له من استرق رقاب الناس بالنعم

إذا سما فإلى العلياء نهضته و ان مشى فعلى الأعناق و القمم

لله أم تلقته براحتها ما ذا تلقت إلى الدنيا من الكرم
فى صبيه للمعالى كان أولعهم بالمكرمات و ألقاهم إلى الديق
كم غبت عنه و ما غابت مكارمه و نمت عنه بامالى و لم ينم
لا يتبع المال أنفاسا مصاعده و لا يعير العطايا زفره الندم
يا ممرضا بالمساعى قلب حاسده على العلى و مداوى الفقر و العدم

ص: ٢٤٢

-
- ١- و عن هؤلاء يقول فى الروض النضر ١/١١٥: فهؤلاء الذين صار الكوفيون على مذهبهم حتى انتشر مذهب الهادى و المؤيد بالله فى آخر الزمان بعد خمسمائه و شىء (من الزيديه).
- ٢- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

أقبلتها بسياط العزم تحفزها للطعن لا بعراك العذر و اللجم
من دومه بجبال الغور حامله حقائب الموت للأعداء و النقم
على قظاهن صدارون عن نهل من القواضب و رادون للقمم
طريده للعلى جلى فأدر كها بعد المطال جناح الأجدل الضرم
أقام سوق المساعى و هى باثره مجال عزمك بين السيف و القلم
ففى النزال يد حمراء من علق و فى النوال يد بيضاء من كرم
و قول مهيار الديلمى:

لكل هوى من رائد الحزم رادع و حبكم ما لم يزع عنه وازع
تحل عقول العين مبدوله له و تشرح من ضن عليه الأضالع
صفاه على العذال لا يصدعونها و لو شق شعبا من "أبانين" (١) صاعد
غرام الصبا كيف التفت بصبوه إلى غيركم فالقلب فيكم ينازع
يقولون: حولى اللقاء و نظره مسارقه، حب لعمر ك قانع

أ جيراننا "أيام جمع" (٢) تعلمه سلو النفر (٣): هل ماض من النفر راجع؟
و هل لثلاث طالحات على "منى" - و لو أن من أثمانه النفس - فاجع؟

أجن (٤) "بنجد" حاجه لو بلغتها "و نجد" على مرمى العراقى شاسع
و حل لظبى حرم الله صيده دم ساء ما ضلت عليه المسامع

يفالت أشراكى على ضعف ما به فطار بها قطعاً و قلبى واقع
و كم ريع بالبطحاء من متودع و قلقل ركب للنوى و هو وادع
و مشرفه غيداء فى ظهر مشرف له عنق فى مقود البين خاضع

جرى بهم الوادى و لو شئت مسبلا جفونى لقد سالت بهن المدامع

و بيضاء لم تنفر لبيضاء لمتى و قد راع منها ناصل الصبغ ناصع
رأت نحرها فى لونه فصبت له و ما خلت أن الشيب فى الحب شافع
عفا "الخيف" إلا أن يعرج سائل - تعله شوق(٥) - أو يغرد ساجع
و إلا شحيح [شحيح] (٤) أعجل السير نزرعه عسا(٧) فتعافته الرياح الزعازع
و فى مثل بطن الراح سحم كأنها ثلاث بنانات قضاها مقارع
وقفت بها لا القلب يصدق وعده و لا الجفن يرضيني بما هو وادع
فيا عجبى حتى فؤادى بوده مداج و حتى ماء عيني مصانع
أبى طبع هذا الدهر الا لجاجه و أتعب شىء أن تحال الطباع
يعز حصا المعزاء(٨) و الدرهمين و يشبع غير(٩) السرح و الليث جائع
و أودعته عهدا فعدت أرومه و من دينه ألا ترد الودائع
و أقسم لا استرجعته و لو إنه قضى من شبابى أنه لى راجع
هنا المانعين اليوم أن سؤالهم منى ما أملتها على المطاعم
و إنى بعنقى من يد المن مفلت و ما المن فى الأعناق إلا جوامع
و فى الأرض أموال و لكن عوائق من اللؤم قامت دونها و موانع
حماها رتاج من صدور شحيحه و أيد خبيثات عليها طوابع
باى جمام الماء أرجو عذوبه إذا أملحت طعم الشفاء الوقائع(١٠)
و ما خلتنى أمشى على البحر ظامئا و خمس(١١) فمى منه بما بل قانع
لعل "لفخر الملك"، آنف نظره يعود بها الحق البطيء يسارع
و كم مثلها مضمونه عند مجده وفى لى بها و الدهر عنها يدافع
شفت الصدى و ردت جراز(١٢) يده غيظ البلاد على الأرض و هو مراتعب.

- ١- أبانين: بالتثنيه جبلان يقال لأحدهما: أبان الأبيض و للآخر أبان الأسود و هما بنواحي البحرين.
- ٢- أيام جمع: أيام منى.
- ٣- النفر: اليوم الذى ينفر فيه من منى إلى مكه و هو الثالث من يوم النحر و النفر أيضا القوم ينفرون معك.
- ٤- أجن: أستر و أخفى، و فى الأصل "أحن".
- ٥- فى الأصل "سوق".
- ٦- الشجيج: الوتد.
- ٧- عسا: قدم.
- ٨- المعزاء: الأرض الصلبة الكثيره الحصا و قد غلب على الوحشى، و [فى الأصل "غير". و هى نقره فى سهل أو جبل يستنقع فيها الماء. و هو من أظماء الإبل.
- ٩- العير: الحمار أيا كان وحشيا أو أهليا.
- ١٠- الجمام جمع جم و هو الكثير و الوقائع جمع وقيعه.
- ١١- الخمس: ورود الإبل الماء فى اليوم الخامس.
- ١٢- الجراز: اليابس الصلب.

زكا تحتها الترب اللئيم و أورك القتاد(١) الجفيف(٢) فهو ريان يانع

و جردها بيضاء واحده الندى و خضر البحار السبع منها نوازع

و قد زعموا أن لا مرد لفائت و أن الردى يوم متى حم قاطع

و هذى العلا و المكرمات مواتها بجودك من تحت التراب رواجع

برغم ملوك الأرض أن ظهورهم من العجز عما تستحق طوابع

تركتهم ميلا إليك رقابهم فلا تستقم من حاسديك الأخادع(٣)

و قد سبروا غوريك عفوا و نقمه فما عرفوا من أين ماء ك نابع

و كنت متى تقدح بزندك ثاقبا سرى النجم لم تسدد عليك المطالع

و كم قمت دون الملك كاشف كربه تيقظ منها الخطب و الملك هاجع

و ضيقه(٤) الأقطار عمياء ما لها إذا انخرقت من جانب الرأى راقع

تجانب مثناه(٥) النصوح فتوقها إذا وصلت أسبابها فتقاطع

تداركتها بالحزم لا السيف قاطع حديدته فيها و لا الرمح شارع

و ليت بصغرى عزمتيك كبيرها كما دبرت نزع القناه الأصابع

و أخرى أبت إلا القراع رددتها تدم و ترضى ما جنته المقارع

ركبت إليها السيف جسمك حاسر و قلبك من لبس التصبر دارع

وفيت بعهد الصبر فيها حميه و قد غدرت بالراحتين الأصابع

و مخطوبه بالكتب و الرسل مهرها غرائب أبكار الكلام البدائع

يقوم الخطاب الفصل و الجو ساكن لديها مقام النصل و النقع ساطع

كتبت فأملت الرياض و ماءها و كالنار وعظ تحتها و قوارع

لك النصر فاسمع كيف أظلم و انتصر فما تضع الأيام من أنت رافع

حرمت عطاياك المقسم رزقها و عاقت مديحي عنك منك موانع
و حلاني(٤) عن بحر جودك راكب هواه و قد لاحت لعيني الشرائع
ثلاث سنين قد أكلت صبايتي(٧) فغادرتني شلوا و ذا العام رابع
أرى من قريب شمل عزى مبددا و قد كان ظني أنه بك جامع
على كل ماء لامع من نداكم سنان من الحظ المماكس لامع
أيا جابر المنهاض لم يبق مفصل و إلا ندوب تحته و لواذع
أعيذك بالمجد المحسد أن يرى جنابك عنى ضيقا و هو واسع
و أعجب ما حدثته حفظك العلا و مثلى فى أيام ملكك ضائع
أ أنطق منى بالفصاحه يجتبي و أمدح إن لفت عليك المجامع؟
أبى الله و الفضل الذى أنت حاكم به لى لو قاضى إليك منازع
و ما الشعر إلا النشر بعدا و صوره فلو شاء لم يطمع يدا فيه رافع
و قد أفل النجمان منه فلا يضع - على غير سير - ثالث فيه طالع(٨)
بقيت لكم وحدى و إن قال معشر ففى القول ما تنهاك عنه المسامع
و لو شئت بى أخفى "زهير" ثناءه على "هرم" أيام تجزى الصنائع
و ما شاع عن "حسان" فى "آل جفنه" من السائرات اليوم ما هو شائع
و كان غيبنا من "أميه" من شرى مديح "غياث" و هو مغل فبائع
على كل حال أنت معط و كلهم على سعه الأحوال معط و مانع
و قد وهبوا مثل الذى أنت واهب فما سمعوا بعض الذى أنت سامع
ذرائع من فضل عليك اتكالها فما بالها تدنى و تقصى ذرائع
و ما لكم و الله يعطف خصبكم على مجذب دنياه منه بلاقع

تصان الأسامى عندكم باشتهارها و غمض المعانى مهملات ضوائع

و موشيه حوك البرود صفاتك الحسان تساهيم لها و وشائعه.

ص: ٢٤٤

١- القتاد: شجر صلب له شوكة كالابر..

٢- الجفيف: ما يبس من النبات..

٣- الأخادع جمع أخدع و هو عرق فى صفحه العنق..

٤- فى الأصل " و صيفيه " .

٥- المثناه: الحبل من صوف أو شعر أو غيره و فى الأصل "مناه" و النصوص الخائط.

٦- حلأنى: منعى الورود..

٧- الصبابة: البقيه.

٨- يعرض بفقد صنعته الشعر مع موت الشريف الرضى و ابن نباته و لم يبق الا ما يسمع منه.

تهب رياحا فى عداك خبيثه و طيبا عليك ردعها متسارع

كان "اليمانى" حل منها عيابه تفاوح من "دارين" فيها البضائع

متى ضحكت لى من سمائك برقه حكت لك أرضى كيف تزكو الصنائع

و إن كان يوم فى الحوائج شافعا إلى النجح، إن المهرجان لشافع

السيد محمد الأمين بن السيد على.

إشارة

مرت ترجمته فى المجلد التاسع، الصفحه ١٢٦.

و أشير فيها إلى مساهمته فى الحركة الاستقلاليه العربيه الأولى و ننشر هنا بعض التفاصيل عن تلك الحركة لارتباط حياه المترجم بها، و قد كتب ذلك عادل الصلح فى كتابه (سطور من الرساله):

لقد تعددت العوامل التى كانت تتضافر على تفتيت الكيان العثمانى، منها ما هو داخلى متات من النظم الاستبداديه المطبقه على الأفراد و الجماعات فى أراضي الدوله، و منها ما هو خارجى متراكم على مرور الزمن. و الواقع اننا إذا ألقينا نظره شامله على المحاولات النظرية فى حقول الإصلاح، لتبين لنا ان المسئولين فى الدوله العثمانية كانوا يحسون بما يعتمل فى الصدور. فقد كانت النفوس متحفزه فى بعض الجهود، لا سيما الأخيره منها، لوثبات تؤدى إلى تبديل الأوضاع و تدنى الحكم العثمانى - قدر الاستطاعه - من النظم الحديثه المطبقه فى بلدان أوروبا و أميركا الشماليه. و لذلك كان بعض الحاكمن يطلعون على الشعوب الخاضعه لهم، بين حين و آخر، بيانات و قوانين يضمنونها الحقوق الصريحه و الأنظمه الراقية، و يقطعون فى ذلك الطريق على طالبى الإصلاح حتى إذا سنحت لهم الفرصه، و رأوا أن دعاه الحريه و العداله و المساواه ضؤل شأنهم، ألغوا ما وضعوه من دساتير و ما سنوه من قوانين، و عادوا سيرتهم الأولى فى الاستبداد فى إداره شئون رعاياهم. و هذا التجاذب الدائم، بين طموح الأحرار، و أنانيه أصحاب السلطان، أوقع الحكم العثمانى فى مازق، كثيرا ما جعلته عرضه للمخاطر و المهالك. و كانت العوامل الخارجيه فى وجوها المتعدده، تفيد من حاله الاضطراب و القلق هذه، و تعمل على إذكائها فى مساعده الفساد على التفشى، و الظلم على الاستشراء. و تتجاذب القوى العالميه الحاكمن فى اتجاهات متعاكسه، فتشد من ازهم حيناً، و تقلص ظلهم أحيانا. و تقف بريطانيا إلى جانبهم احتراسا من الخطر الروسى و غيره، و تتحرك الجيوش الأجنبيه فتقضم أطراف السلطنه شيئا فشيئا. و قد تتوجه بقواها فى طريق العاصمه فتتهتر عواصم الغرب، و تلتئم المؤتمرات، و تعقد المعاهدات، لتحول دون انحلال الدوله و انهيارها، فتستمر بفضل التنافس الدولى قائمه، و يظل الإصلاح المنشود مغفلا فى زوايا الإهمال.

و فى الحقبه الأخيره من القرن التاسع عشر، كانت الاضطرابات تعم أكثر المقاطعات العثمانيه الأوروبيه. ففى الجبل الأسود و بلاد الصرب ثورات، و فى سائر المناطق عصيان و اضطراب. (١) و فى عام ١٨٧٧ وقعت الحرب بين روسيا و الدوله العثمانيه، و كانت حربا طاحنه اهتمت لها دول العالم أيما اهتمام، لارتباط الكثير من المصالح الحيويه لكبريات هذه الدول، بأحوال الدوله

العثمانيه. و قد كانت الغلبه فى النهايه للجيش الروسى، الذى وصلت طلائعه، فى إحدى ليالى شهر آذار عام ١٨٧٨، إلى سان استفانو. (٢) و عند فجر اليوم التالى لوصوله، فوجئ القواد الروس بالاسطول الانكليزى يقابلهم فى البحر. و كان ذلك نذيرا لهم بان لا- يتقدموا أكثر مما فعلوا. و تفاوض الفريقان، العثماني و الروسى، و عقدا معاهده كانت شديده القساوه على الدوله العثمانيه، حتى أصبحت بذلك فى حاله قريبه من الانهيار.

و كما كانت الدول الكبرى تسعى للافاده من حاله الاضطراب السائده فى أراضي الدوله، كذلك كانت القوميات التابعه لها تعمل لخلق كيانات مميزه لها.

قال والدى منح الصلح فيما كان يحدثنى به:

كان الوعى العربى، قبيل الحرب الروسيه العثمانيه التى تقدم ذكرها عام ١٨٧٧ - و أثناءها، ينمو فى سوريا باضطراب، و كانت الدوله العثمانيه فى هذه الفتره من الزمن تبدو مشرفه على الزوال. فالشعوب البلقانيه: البلغار، و الجبل الأسود، و الصرب، و الافلاق و البغدان (٣)، تطالب بمنحها المزيد من مقومات السيادة الوطنيه. و الأرناءوط (٤) يطلبون صيانه بلادهم من الاحتلال الأجنبي، و الولايات الأرمينيه تطالب باصلاحات إداريه، و النمسا تطمع بالاستيلاء على ولايتى البوسنه و الهرسك و الروس يطمعون باحتلال بعض الولايات فى شمال شرقى الأناضول إلخ..

فكان وضع الدوله المضطرب، و الوعى القومى النامى فى سوريا، حافزين أهابا بأهل البلاد ليتداولوا فى ما يجب عمله لتجنب وطنهم المصير السيئ، و من أفجع صورته وقوع احتلال أجنبي. (٥)

و قامت لتأمين هذا القصد حركه فكريه، ثم حركه عامله فاعله، اتخذت لها بيروت منطلقا. و كان من أسباب هذا الاختيار أن الرجل الذى

ص: ٢٤٥

١- نورد هنا فقره من خطاب العرش الذى ألقاه السلطان عبد الحميد الثانى فى جلسه افتتاح المجلس العمومى الأول (الأعيان و المبعوثان) الذى أنشئ بعد إعلان دستور سنه ١٨٧٦. و فيها وصف للحاله السيئه التى وصلت إليها الدوله العثمانيه فى ذلك الحين: "فدواء هذه الغوائل و تعاقبها من الجبهه الواحده، و مداركه و إنشاء الأدوات و الأسلحه الجديده الحريه التى هى أعظم أسباب شوكة دولتنا و اقتدارها، و عدم وضع وارداتنا و مصاريفنا تحت موازنه اقتصاديه من الجبهه الأخرى، أفضت إلى انتقاص ادارتنا الماليه درجه فدرجه، فأنتجت ما نحن فيه الآن من المضايقه الخارقه للعاده، و أعقب ذلك ظهور وقوعات هرسك المنبعثه من أثر الفساد و التحريك التى تجسمت أخيرا، ثم افتتحت بغته محاربات بلاد الصرب و الجبل الأسود، و ظهرت فى عالم السياسه أيضا فتن و اختلالات كبيره. و فى ذلك الزمان الذى فيه تهورت دولتنا فى بحران عظيم، وقع جلوسنا باراده جناب الحق الأزلية على تخت أجدادنا العظام. و لما كانت درجه المخاطر و المشكلات التى حاقت بأحوالنا العموميه غير قابله القياس مما تقدمها من الغوائل التى تهورت بها دولتنا حتى الآن، قد اضطرت لأجل المحافظه قبل كل شىء على حقوقنا، أن أزيد معسكراتنا فى جميع الجهات، حتى وضعت تحت السلاح نحو ستمائه ألف عسكري". عن "كتر الرغائب فى منتخبات الجوائب".

٢- ضاحيه من ضواحي إستانبول و يطلق عليها اليوم اسم "يشيل كوى" و فيها مطار المدينه.

٣- رومانيا.

٤- الألبان.

٥- من مذكره المركيز سالسبرى ناظر الخارجيه الإنكليزيه إلى سرهنرى ليارد سفير انكلترا فى الاستانه بتاريخ ٣٠ مايس سنه ١٨٧٨: "ان دوله السلاله السلطانيه دوله قديمه، و قد ملكت البلاد تغلبا، و لم تبرح بمنزله الأجنبى عنها، و أكثر اعتمادها على القدره لا على ميل من غلبتهم إليها، فما أصاب عساكرها من الهزيمه و حكومتها من العنت و الارتياب من شانها أن يحمل الناس على أن يعتقدوا انحلالها و حدوث تغيير سياسى سريع. و هو فى الشرق أكثر ضررا من عدم الرضى بثبات حكومتها. فإذا رأى سكان سوريا و آسيا الصغرى و العراق أن الباب العالى ليس له تامين على بقائه سوى ما بقى له من القدره، تشتغل أفكارهم، بعد أن ظهر من الوقائع ما دل على وهن هذا الأمل بان الدوله العثمانيه لا تلبث أن تسقط فينتظرون من يخلفها". (كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب صفحه ٣٥٧ الجزء السادس).

كان محركها الرئيسي، أحمد الصلح، مقيما في هذه المدينة.

و كان أحمد قد اعتمد في سره الحل الذي أيقن انه السبيل الأصح لبلوغ الغايه المرجوه. و كان يدرك خطوره ما قرر الاقدام عليه، لذلك راح يكشف فيه بعض أصدقائه و يجمع من يثق به من خلصائه، و يعد معهم الخطط السريه التي تتول إلى إنجاح هذا الحل. و بعد أن قضى ما يقارب الثلاثه أشهر في تهيئه وسائل النجاح، سافر إلى صيدا يرافقه بعض العاملين المؤيدين و والدى منح، و حلوا ضيوفا في بيت الحاج إبراهيم آغا الجوهرى. ثم سافر الوالد إلى جبل عامل، حيث كان له و لوالده أحمد روابط و صداقات وثيقه، إلى جانب ما كان لهما من ممتلكات و مزارع، فاجتمع إلى بعض زعماء الجبل، و عاد إلى صيدا بصحبه عدد منهم. و في صيدا مكث الجميع قرابه شهرين في الاجتماع و التداول، ثم جاء جدى أحمد و السيد محمد الأمين و الشيخ على الحر و والدى إلى بيروت، و منها تابعوا طريقهم بعد استراحه قليله فيها إلى دمشق، و تخلف في بيروت الشيخ الحر ضيفا على الحاج حسين بيهم. و نزل الوافدون إلى دمشق في دار مفتى المدينه و نقيب أشرفها السيد حسن تقى الدين الحصنى، و شرعوا بالاتصال ببعض أصحاب الرأى و المكانه من رجال دمشق، و عرضوا عليهم الفكره التي جاءوا من أجلها، فلاقوا منهم التحييد و التأييد، ثم قصدوا بعد ذلك إلى دمر، مصيف الأمير عبد القادر، و قضوا في ضيافته ثلاثه أيام تباحثوا خلالها معه في الأوضاع المرتبكه في البلاد و عواقب هذا الارتباك و وسائل انقاذها منه.

و كان القصد من هذه الرحله الشاميه، تبادل الرأى مع الأمير عبد القادر و عدد من الزعماء و التزود بآرائهم في الاجتماعات التي ستجرى في بيروت.

و بعد ما أتم هؤلاء مهمتهم في دمشق عادوا إلى بيروت. و تابع جدى منها الاتصال بمعظم زعماء البلاد الشاميه، فكان يبعث بالرسائل و الرسل إلى من يصح الركون اليه من رجالاتها، و يدعوهم للحضور إلى بيروت للتشاور.

و سافر والدى [و] يصحبه الأستاذ أحمد عباس الأزهرى، إلى الشمال السورى، فزارا حلب و حمص و حماه و اللاذقيه، و اجتمعا فيها ببعض زعمائها، و اتصلا في اللاذقيه برؤساء العشائر العلويه، ثم عادا إلى دمشق و سافرا منها إلى حوران و جبل الدروز للغرض ذاته. و قد لبي دعوه الجد بالقدوم إلى بيروت أكثر هؤلاء الزعماء. (1)

و في الموعد الذى تقرر لاجتماع بيروت حضر جدى إليها، و راح مع والدى و سائر الوافدين يعقدون الاجتماعات، و كانت كلها سريه، و يضعون الخطط اللازمه، و منها ما قد تستوجه طوارئ عسكريه، و يتخذون القرارات التي تقتضيها الأحوال. و مكثوا على ذلك عشرين يوما رأوا في نهايتها الانتقال إلى دمشق ثانيه، و إكمال البحث و المداوله، فسافروا إليها فرادى، و تابعوا هنالك عقد اجتماعاتهم السريه في دار السيد حسن تقى الدين الحصنى.

مؤتمر دمشق

و بعد ما تدارس الزعماء الأمر على مختلف وجوهه و أشبعوه تدقيقا تم الاتفاق على ما يجب السعى لتحقيقه.

و يذكر المؤرخ الأستاذ محمد جابر آل صفا في كتابه "تاريخ جبل عامل" أسماء ممثلى جبل عامل في هذا المؤتمر، فيقول:

"و كان يمثل جبل عامل، فى ذلك المؤتمر، العالم الجليل السيد محمد الأمين، من الأشراف الحسينيين سكان شقراء (جبل عامل) و النبيل الحاج على عسيران، رأس الأسره العسيرانيه المعروفه فى صيدا، و الشيخ على الحر الجبعي، و شبيب باشا الأسعد الوائلى. و كان هذا المؤتمر أول مؤتمر اشترك فيه الشيوعيون للنظر فى استقلال سوريا و فصلها عن جسم المملكه العثمانيه، عقد سرا فى دمشق، فى نهايه الحرب العثمانيهسنة ١٨٧٨". (٢).

و كان الأمير عبد القادر قد بلغ فى ذلك الحين مقاما جعله قبله الأنظار، و ألف الناس فى بلاد الشام، الرجوع اليه كلما وقع فيها أمر جلل أو أمت بها أزمه خطيره. و كان للاحترام و التقدير اللذين نالهما فى المحافل الدوليه، لا سيما فى أعقاب حوادث سنه ١٨٦٠ الشاميه، أثر كبير فى المنزله الرفيعه التى تبوأها فى العالمين العربى و الإسلامى.

فلما داهمت الدوله العثمانيه أحداث سنه ١٨٧٧ أخذ اسمه يروج كرائد للحركه الوطنيه، لأبن الصفات التى تميز بها الأمير و المؤهلات التى توافرت له، تنسجم انسجاما كاملا مع مؤهلات الرائد.

و فى الاجتماع الذى عينه زعماء البلاد الشاميه لوضع القواعد و الأسس للمواضع التى تدارسوها فى اجتماعاتهم، تقرر العمل لتحقيق استقلال البلاد الشاميه (و هى ما تعرف اليوم بسوريا و الأردن و فلسطين و لبنان) (٣) و قدم أحمد الصلح اقتراحا بترشيح الأمير عبد القادر الجزائرى ليتولى الملك على هذه البلاد. فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح. و بتكليف من المؤتمر حمل جدى القرار إلى الأمير.

و فى ذلك يقول محمد جابر: "ان المؤتمرين أقروا اختيار الأمير عبد القادر الجزائرى أميرا على سوريا و نقل القرار للأمير، المغفور له أحمد باشا الصلح".

لقد اختار أهل الديار الشاميه الأمير عبد القادر الجزائرى ليكون رأس حركتهم و رئيسا للدوله التى عزموا على انشائها، و ذلك لشرف نسبه، و لأنه بطل قومى مجاهد، و سياسى قدير فذ، و رجل علم و أخلاق و مكارم، و لأنه سبق أن أنشا دوله عربييه قويه فى بلاد المغرب الأوسط و ناضل فى الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالا كان اسطوره ذلك الجيل و آيته و اعجوبته، و احتل بذلك فى الأمه العربيه مرتبه عز نظيرها.

و قد اصطفاه أهل الديار الشاميه دون أن يخطر لأحدهم انه ليس من أهل المشرق، و ان المشرقى أولى منه بهذه الولايه، لأن النزعات الاقليميه لم يكن لها أى اعتبار فى ذلك الزمن. فكان ابن الجزائر و ابن دمشق و بغداد و بيروت و سائر بلاد العرب مواطننا عربيا قبل أى شىء آخر. و قد حل عبد القادر فى دمشق، مواطننا عربيا كريما، أعزه أهلها و أجلوه و أنزلوه منهم منزله السيد، و ولوه مكان الصداره فيهم، كما ولاه من قبلهم أهل الجزائر.

و فى اليوم التالى للاجتماع الذى اتخذ فيه قرار توليه الأمير، قصد أحمدب.

ص: ٢٤٦

الحصن، فى بىروت، حىن رجا منه والدى أن ىدرسنا، أنا و اخوتى، اللغه و الفقه و التارىخ، طالما حدثنى عن ذكرىاته أيام النضال، فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر. و كان ىروى نبذا و وقائع عن نشاطه مع والدى فى المجال القومى، و عن دورهما فى أعمال الجمعيات السريه التى تأسست فى ذلك الحىن، و عن حركة السعى لاستقلال البلاد، و الأمير عبد القادر، و هو حدىث مستفىض لا ىختلف عن حدىث الوالء.

٢- جابر آل صفا محمد "تارىخ جبل عامل" بىروت سنه ١٩٦٣، صفءه ٢٠٨.

٣- و كانت ولايه حلب ىومئذ تضم علاوه على أراضىها الىوم مءن اسكندرون و أنطاكيه و عىنتاب و مرعش و أورفه. و هذه المءن تتبع الىوم الءوله التركيه. و كانت الولايات العربيه فى الءوله العثمانيه فى ذلك الحىن هى حلب و سوريا و الحجاز و الىمن و بغداد و طرابلس الغرب.

باشا اليه فى قصره فى دمر، و أبلغه ما اتفق عليه أعيان البلاد، و رغم ما احتواه هذا التكليف من ثقته و تقدير، رأى الأمير أن لا يقطع فيه قبل التروى و التبصر.

و اقتضى لذلك مشاورات و مفاوضات بين الطرفين كان يقوم بها والدى.

و من النقاط الرئيسيه التى جرى البحث بشأنها:

١ - الخلافه.

٢ - البيعه.

٣ - ماهيه الاستقلال المنشود.

و كان من رأى الأمير أن يظل الارتباط الروحى بين البلاد الشاميه و الخلافه العثمانيه قائما، و أن يبقى الخليفه العثمانى خليفه للمسلمين، و أن تتم للأمير البيعه من أهل البلاد جميعا.

و قد وافقه على رأيه فى موضوع الخلافه أكثر الجماعه، و اتفقوا جميعا على تحييد ما طلبه بشأن البيعه و تعهدوا بتنفيذه.

و أما فيما يتعلق بالبند الثالث، فان المؤتمرين جميعا اتفقوا على إقرار مبدأ السعى لتحقيق استقلال بلاد الشام، و تأجيل البت فى مدى هذا الاستقلال، إلى انتهاء الحرب الروسيه العثمانيه، و انجلاء وضع الدوله و مصيرها. و اعتمدوا فى ذلك خطه التريث، ريثما يتبين لهم الموقف الدولى المشوش، و تظهر التطورات المتوقع حدوثها فى السياسه العامه.

و كانت انكسارات الدوله العثمانيه فى حربها مع الروس، و اشتداد الحركات الاستقلاليه الانفصاليه فى بلاد البلقان، و ما كان واضحا من عطف الدول على هذه الحركات و تأييدها، و اهتمامها بدرس خصائص و أشكال الحريات المراد منحها للشعوب البلقانيه. مضافا إلى ذلك ما كان يداخل نفوس الأهلين عندنا من القلق و الخوف على مصائر بلادهم، كل ذلك كان حافزا لزعماء البلاد على النهوض و السعى لدرء الشر، و العمل على إنقاذ الوطن من الاحتلال الأجنبى، قبل أن يطرأ ما يدعو الدول الأجنبيه، إلى بحث شئون البلاد العرييه و البت بقضاياها بشكل لا يتفق و مصلحتها القومييه. و كان على هؤلاء الزعماء أن يتابعوا مجرى الاتجاهات السياسيه طوال الحرب الروسيه العثمانيه التى بدأت فى ٢٤ نيسان سنه ١٨٧٧، و استمرت نحو من تسعه أشهر، و انتهت بعقد معاهده سان استفانو، و عدلت بعد ذلك باربعه أشهر فى مؤتمر برلين سنه ١٨٧٨.

و كان كذلك على رجال مؤتمر دمشق، أن يراقبوا ما يجرى فى مؤتمر برلين، ليتخذوا على ضوء ذلك موقفهم الأصوب. و كان يروج بين العاملين انه إذا تبين أن إحدى الدول الأجنبيه تهدف إلى الاستيلاء على بلادنا، كما كانت نيه النمسا فى البوسنه و الهرسك، و روسيا فى بعض الولايات الشرقيه من الأناضول: اردهان و قارص و باطوم، و كما هى نيه بريطانيا فى قبرص، فلا بد من طلب الاستقلال التام. أما إذا تبين انه ليس ثمه من عزم على احتلال البلاد، فتكون الغايه تحقيق الاستقلال الذاتى كما هى الحال فى مصر و فى بعض بلاد البلقان.

و اتفق الأمير و المؤتمرون على المضى فى تهيئه الأسباب و تمهيد الأجواء لاعلان استقلال البلاد، عند ما تكتمل هذه الأسباب. و أن تكون بدايه ذلك قيام الأمير بجولات فى المناطق الشاميه، تمهيدا لتنفيذ البيعه المطلوبه، ثم إرسال وفد إلى الأقطار الأوروييه، يعمل لكسب تأييد دولها للقضيه الاستقلاليه.

و كان من الأشخاص الذين تقرر أن يعهد إليهم بهذه المهمه، رسل و دعاه ممن كانوا يقيمون خارج البلاد، على أن يعمل هؤلاء فى سرية تامه فى بادئ الأمر، و على أن يقوموا بالدعايه للقضيه فى الصحف و المجتمعات، عند ما يحين الوقت المناسب لنشر المطالب و الترويج لها.

الجوله الدعائيه

و تابع والدى حديثه عما جرى بعد ذلك فقال: انه أعلن اختتام المؤتمر، و تفرق الأعضاء كل إلى بلده، و عددهم ثلاثون شخصا، و ترك الأمير دمشق ليقوم برحلات دعائيه فى مختلف أنحاء البلاد، بصحبه بعض أعيانها و والدى.

و خشيه من أن تلفت هذه الجولات المفاجئه أنظار السلطه و تثير تساؤلها، و خوفا من تنبه رجالها للغرض الحقيقى منها، اتخذ المتجولون زياره الأمير لمواطنيه الجزائريين ذريعه لتنقلاتهم و رحلاتهم. و كان هؤلاء الجزائريون قد نزحوا عن الجزائر مع الأمير خلال غيابه فى منفاه، و بعد قدومه إلى دمشق، و وفدوا إلى الديار الشاميه و انتشروا فيها جماعات، و قدر عددهم بسته آلاف، و كان الأمير و رجال الحركه يعتبرون هذه الجماعه المدربه على القتال نواه لقوه محاربه يستعان بها عند الاقتضاء.

و كان من المدن و المناطق التى رافق والدى الأمير إليها صيدا و جبل عامل(١) و عكا و يافا و القدس و نابلس و بعلبك و غيرها.

و قد حدثنى والدى عن الأثر البالغ الذى تركته هذه الزيارات فى نفوس زعماء البلاد، و كيف أن أهالى المدن التى حل فيها الأمير و القرى التى مر بها أخذوا بما شاهدوا من ورعه و تقواه، و بما سمعوا من مناقبه و مكارمه، حتى أن بعضهم طفق ينسب إليه الخوارق، و يروى عنه الحكايات على أنها كرامات الأولياء و الأتقياء.

اهتمام الدول الأجنبيه بحركه الاستقلال الشاميه

و يبدو ان القنصليات الأجنبيه فى المدن الشاميه كانت قد تنبعت إلى هذه الحركه و تتبعته عن كثب و أوقفت حكوماتها على ما بلغها عنها.

ففى ١٩ تشرين الأول سنه ١٨٧٩، أرسل قنصل فرنسا العام فى بيروت Delaporte إلى وزير الخارجيه الفرنسيه برقيه يقول فيها: "يشاع هنا ان ثمة مؤامره عربيه تدبر فى سوريا لها فروع فى ولايات حلب و الموصل و بغداد و مكه و المدينه، هدفها إنشاء مملكه عربيه، يرأسها حاكم عربى. إلا اننى لست فى وضع يمكننى من تأكيد هذه الشائعه. على ان فى مثل هذه الفتره التى تسود فيها الفوضى التامه هنا، اعتقد انه ليس ثمة ما يحول دون تحقيق هذا المشروع. و قد ذكر اسم عبد القادر الزعيم الجزائرى الشهير الذى يقيم اليوم فى دمشق، ليكون السلطان المقبل لهذه المملكه". (٢)

و هذه الوثيقة تحمل تاريخاً يلي مباشرة تاريخ انعقاد مؤتمر دمشق. ولا شك ان أخبار هذه الحركة بلغت كذلك مسامع سائر ممثلى الدول فى دمشق و بيروت، و نقلها هؤلاء إلى حكوماتهم، كما بلغت مسامع القنصل الفرنسى فى بيروت، و نقلها بدوره إلى حكومته.

و على ذلك، لا بد أن يكون فى دوائر باريس و لندن و إستانبول و غيرها وثائق أخرى تتعلق بهذه الحركة.

الشيخ محمد على الشهير ب الحاج الشيخ آقا بزرگ الشاهرودى

ابن الشيخ على نقى بن الشيخ محمد على

الذى جمع بين الرئاسة

ص: ٢٤٧

-
- ١- روى لنا السيد عبد الرؤوف فضل الله عما سمعه من الشيخ موسى مغنيه، الذى كان حاضراً فى بلدة بنت جبيل من جبل عامل زياره الأمير عبد القادر للشيخ موسى شراره، و عن الترحيب الذى لقيه الأمير فى زيارته لهذه البلده، و قبوله ضيافته الحاج سليمان بزى، و كيف أن الشيخ محمد حسين مروه الملقب بالحافظ ألقى أمام الأمير فى مجلس الشيخ موسى شراره خطبته (الششقيه) الشهيره للإمام على. و غير ذلك من شئون تلك الزياره.
 - ٢- الدكتور زين، عن الوثيقه الموجوده فى وزاره الخارجيه الفرنسيه.

الدينه و الدينويه فى بلدتى شاهرود و بسطام و ما والاها، ابن الحاج ملا عباس.

ولد فى شعبان سنه ١٣٠٧ هـ فى قريه صغيره تسمى ب (وبرو) من قري قضاء شاهرود، تبعد عنها شمالا نحو ٢٠ كيلو مترا.

و مات والده و هو صغير السن، فكفلته أمه حتى تعلم القراءه و الكتابه ثم انتقل إلى شاهرود و اشتغل هناك بتحصيل العلوم العربيه فى مدرسه (بازار) ثم ارتحل فى سنه ١٣٢٨ إلى مشهد الامام على بن موسى الرضا ع فاستفاد من محاضر علمائه لا سيما الحاج آقا حسين القمى و الحاج ميرزا محمد آقازاده الخراسانى.

و أقام فى مشهد الرضا ع إلى عام ١٣٤٠ ثم سافر إلى الحوزه العلميه الكبرى النجف الأشرف و حضر عند أساطينها، فأدرك أبحاث الشيخ ضياء الدين العراقى و أبحاث الشيخ الميرزا حسين النائينى و أبحاث السيد أبو الحسن الأصفهانى و يقول المترجم له فى بعض ما كتبه:

"و حيث كان اشتغالى بالبحث و كتابه الدروس زائدا عن حد الاعتدال فى الليل و النهار انحرفت صحتى و أصبحت مريضا عاجزا عن الاستمرار فى التدريس و الكتابه، و عند ذلك أمر مولانا الأستاذ السيد أبو الحسن الأصفهانى و مولانا الأستاذ الشيخ الميرزا حسين النائينى بالسفر إلى ايران لاسترداد الصحه فسافرت فى عام ١٣٥٣ إلى مشهد الرضا ع و حيدا بقصد المعالجه و كانت العائله باقيه فى النجف الأشرف.

و بعد الورود فى المشهد اجتمع الطلاب و الفضلاء حولى و التمسوا منى ان اشتغل فى مده مقامى بالمشهد ببحث فقهى، فأجبتهم إلى ذلك و شرعت فى تدريس بعض القواعد الفقهييه إلى أن وقعت الوقائع... (١)

ترك من المؤلفات:

١ - دوره كامله من تقريرات بحوث استاذة الشيخ ضياء الدين العراقى فى أصول الفقه.

٢ - دوره كامله من تقريرات بحوث استاذة الشيخ الميرزا حسين النائينى فى أصول الفقه أيضا.

٣ - الروائع الفقهييه و هى موسوعه فقهيه استدلاليه اجتهاديه كامل منها:

كتاب الطهاره إلى آخر مباحث الأغسال و كتاب الصلاه و كتاب الخمس و الزكاه و كتب المكاسب و البيع و الخيارات بتفاصيلها و كتب الغصب و الاجاره و القضاء و الشهادات.

٤ - رسائل فى التقيه و العداله و إرث الزوجه.

السيد محمد بن فضل الله الحسينى الاشكورى الجيلانى.

ولد حدود ١١٩٠، توفى بعد ١٢٢٠.

ولد فى أشكور من ضواحي تنكابن - و تعلم المبادئ و المقدمات فى مدارس تنكابن و جيلان ثم ذهب إلى كربلاء و حضر على أعلامها و اختص بالشيخ احمد الاحسائي و فى سنة ١٢٢٠ ترجم و لخص رساله الحيدريه التى هى من تأليفات استاذه الاحسائي. (٢)

الشيخ محمد فليح

ولد فى كربلاء سنة ١٢٧٢ و مات فيها سنة ١٢٩٥.

ينتهى نسبه إلى عشيره (جشعم) العربيه. ترعرع فى كربلاء بين اسره أدبيه و ورث الشعر عن والده الشيخ فليح. و خاله الشيخ محمد على الشيخ خليل، و تتلمذ على مشاهير شعراء كربلاء أمثال الحاج محسن الحميرى و السيد احمد الرشتى و الشيخ كاظم الهر، و نشأ تحت ولاء عائله آل الرشتى، فأعجب به السيد احمد الرشتى، و أسبغ عليه و على إخوانه الشعراء من نعمه: و كما كان الأب ملازما للسيد كاظم الرشتى كان الشيخ محمد الابن ملازما للسيد احمد بن السيد كاظم، و لم يكن حظ الشاعر من مديحه لهذه الأسره و رفع أعلامها إلى الذروه بأقل من حظ أبيه فى هذا الميدان، فقد انصرف إلى الإشاده بهذا البيت و تبجيل أعماله الأمر الذى ساقه ان يلقي حتفه هو و السيد احمد فى حادثه مروعه فقال خاله الشيخ محمد على يرثيه و يرثى السيد احمد:

تبت يدا هذا الزمان و لا لعاً يرمى المهذب و الكمى الاروعا

لا زال يطلب شخصهم متعرضا حتى غدوا فوق البسيطة صرعا

لا زال يطلب شخصهم متقنصا لبن الأطائب دائما متتبعا

نصب الردى شركا لهم فأصابهم حتى غدوا رهن المنيه أجمعا

كان البقيه منهم مولى الورى تاج العلا غوث الأنام لمن دعا

فاعتاقه شرك الردى فقضى به صبيرا فعاد الخطب خطبا أشنعا

فغدى له المجد المؤثل قائلا هذا قوى الإسلام طرا زعزعا

قد كان غيئا للعفاف و مخصبا يروى الأنام تدفقا و تدفعا

قد كان مأوى للأنام و ملجا من كل خوف كان حصنا امنعا

انسى البريه حاتما بسماحه دهر الدهور و ذكره لن يقطععا

ليثا صؤلا من يلوذ بجنبه سيفا صقيلا من أراد تروعا

ان صال يوما فى البسيطة خلقه أسد الأسود و للشوامخ صدعا

تخشى الأسود مهابه من بأسه ان رامها التدمير يوما او قعا

ذلت لعظم جنابه امراؤها حقا لها من أن تذلل و تخضعا

لا سيما عين الفخار محمد من قد غدا ظلا صفيا اروعا

لما رأى إفراده بين العدى سلت عليه البارقات تشرعا

تاوبنى همى و فى القلب ساجره فبت و بات الدمع تهمنى بوادره

ص: ٢٤٨

١- حكم عليه و على جملة من كبار علماء المشهد لقضايا حدثت فيه بترك الإقامة هناك و الذهاب إلى بلادهم! فأقام هو فى شاهرود و هناك اهتم بتربية الطلاب ساعيا فى إحياء ما اندرس من الآثار و المعالم العلمية.

٢- الشيخ محمد السمامى.

تذكرت أيام الوصال فتاره يبادرنى دمعى و طورا أبادره
و لم أنس معسول الرضاب غزيلا موارد محبوه و مصادره
و طلعتة صبح و طرته دجى و أردانه ريا و كحلا نواظره
إلى ان حدا حادى الفراق فليته اتيح له من بطن خفان خادره
فقام و قال للركب قوض راحلا و موعدنا من عام قابل حاجره
لوى فوق جيدى للوداع يمينه و يسراه كفت ما تصب محاجره
فاتبعته دمعاً كصوب غمامه و فى القلب من نار الفراق مساعره
مضى و مضى قلبى وراء ظعونه يراجعنى طورا و طورا يسايره
فلو لا التسلى للمشوق بوعدده لشقت لما قاساه منه مرائره
و قال من قصيده:

لمن طلل باكتبه الأثيل بوادى الجزع فالربع المحيل
فجنوب فالرياض فذات عرق فحومل فالأبيرق فاللدخول
عفى و تناوحت فيه جنوب من الأرواح من بعد الشمول
بكته من السحائب ساقيات له من فيض صبيها الهطول
ترحل عنه ساكنه و فيهم سلوب القلب بالطرف الكحيل
فكم فتقت أخا ثقه و نسك بسحر اللحظ و الخد الأسيل
و قال يمدح السيد احمد الرشتى:

الصبح يحكى وجه احمد إذ يهش إلى الفقير

المفرد العلم المنادى فى عظيماات الأمور

غيث بيوم نزاله غوث الصريخ المستجير

من معشر شرفوا بنسبهم إلى الهادى البشير

الضاربى هام العدو بظبه البيض الذكور

و التاركى كبش الكتيبه قوت ساغبه النسور

يا بن الذين توارثوا كرما و خيرا اى خير

عن امجدين ججاج صيد غطارفه بدور

لولاكم آلت معالم علم احمد للدثور

فالأرض تحكى من صفاتكم قليلا من كثير

فى صدوركم كرحابها سعه تعالت من صدور

و رياضها أخلاقكم حسنا تجل عن النظر

يا احمد الأمجاد يا ذا الفضل و العلم الغزير

هنيت يا عيد الأنام بعيدك الوافى الجبور

فالعيد يغدو رائحا و تدوم أنت على المدور

و من حماسته قوله:

قد نما فى كل شهيم أشوس سيد يوم نزال و طعان

مهدره ان شملت نائبه مصقع فى نطقه طلق اللسان

سل إذا كذبت عنا حميرا و اخصص منهم بنى عبد المدان

كيف أجرينا المهارى شربا تحت صرد صبر يوم التدانى

و المنايا خفقت اعلامها و تراءى للنزال الفتان

فابدانهم و ابنا بالسبى و رئيس الجيش مكبول يعانى

معشرى الشم البهاليل و قد حق ان أفخر فيهم و كفانى

كيف لا انظر عطفى شامخا و سميراي السهى و الفرقدان

محمد كاظم بن محمد جعفر الشيرازى المتخلص ب آشفته.

المتوفى سنه ١٢٨٧ كما فى كتاب آثار العجم ص ٤٣٣ سنه ١٢٨٨ كما فى فارسنامه ناصرى ج ٢ ص ٩٧٣ فى شيراز و نقلت رفاتة إلى النجف فدفن هناك.

كان من أعيان الشعراء و أهل العلم و الفضل و رجالات شيراز البارزين ولد فى اسره عريقه لها جاه عريض و ثراء و أملاك و عقارات فى شيراز و نواحيها قرأ العربية و سائر العلوم على جملة من علماء شيراز و أخذ الخط عن أساتذته هذا الفن و نبغ فى الشعر و كان له خط جميل فى نستعليق و شكسته و عند ما فوض منصب ولايه خراسان إلى السلطان مراد ميرزا حسام السلطنه فى سنه ١٢٧٧ أخذ معه المترجم له إلى خراسان و عينه بمنصب (كلانتر) لمدينه مشهد و مكث هناك حتى سنه ١٢٨١ ثم رجع إلى موطنه شيراز. ذكر ديوانه شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى الذريعه قال (ديوان آشفته فارسى للحاج كاظم الشيرازى المتوفى سنه ١٢٧٨ و المدفون فى النجف... و قد رأيت نسخه ناقصه الأول و الآخر منه فيها الغزليات و المدائح للمعصومين و مراثى الشهيد المظلوم يقرب من سبعمائيه و خمسين بيتا فى النجف. و من قصائده فى مدح أمير المؤمنين يوم مولده فى العام الذى أعلن فيه ناصر الدين شاه جعله يوم عيد رسمى، و كان الوالى يومئذ فى شيراز مؤيد الدوله أبو الفتح ميرزا و ذلك سنه ١٢٧٧ فتخلص هو فى آخر القصيده بمدح ناصر الدين شاه و أمين السلطان و مؤيد الدوله و فى احدى قصائده، ذكر ما حدث من الزلزله بشيراز و دعا (لأهلها).

أقول: و قد ذكر مؤرخو الأدب ان عدد أبيات قصائده أكثر من ثلاثين ألف بيت و شعره سهل غير معقد يردده كثيرا خطباء المنبر الحسينى. (١)

المولى الآخوند ملا محمد الكاشانى الاصفهانى.

ولد سنه ١٢٤٩ فى كاشان و توفى سنه ١٣٣٣ فى أصفهان و دفن فيها فى مقابر تخت تخت فولاذ من علماء الفلسفه و الحكمه فى عصره.

أخذ المقدمات فى كاشان على جملة من أهل الفضل ثم هاجر إلى أصفهان و أولع بالفلسفه و الحكمه و التحق بحوزه كل من الميرزا حسن نجل ملا على النورى و المولى الآغا محمد رضا القمشه إى حتى برع و تقدم فى

ص: ٢٤٩

ذلك، ترجم له السيد مصلح الدين المهدوي في كتابه تذكره القبور بما تعريبه (... الحكيم العارف الكبير و الفيلسوف على الإطلاع المرحوم الآخوند ملا- محمد الكاشاني من نوادر الدهر في العلم و العمل و الزهد و التقوى و التدريس كان يدرس الحكمة العلمية و العمليه فريدا في عصره و في أوائل هجرته إلى أصفهان كان مقيما في مدرسه (جده كوجك) ثم انتقل إلى مدرسه الصدر ينقلون عنه حكايات عجيبة و أحاديث غريبه و لم يتزوج في طول عمره الشريف و عاش ٨٤ سنه.

أقول: تخرج عليه كوكبه من أكابر علماء الشيعة و أساطين الشريعه علماء الحكمة و الفلسفه و العرفان منهم الآغا نجفى القوچانى و الحاج آغا رحيم الأرباب و السيد حسين البروجردى، و الشيخ محمد الحكيم الخراسانى، و الدهقان السامانى، و آغا ضياء الدين العراقى، و الشيخ هاشم القزوينى و السيد حسن مشكان الطبسى، و الشيخ أسد الله الايزدكشت، و الميرزا أرسطو، و الحاج الميرزا حسن الجابرى الأنصارى و غيرهم من الحكماء و الفلاسفه و قد سمعت ان له حواشى على كتاب الاسفار و كتاب المشاعر و كتاب العرشيه لصدر المتألهين الشيرازى. (١)

المولى محمد كاظم بن سليمان التنكابنى الكلام ورى.

ولد حدود ١٣٤٥ [١٢٤٥]، و توفى حدود ١٣٠٥.

ولد في قريه (كلام ورى) من قرى تنكابن و درس المقدمات بها ثم دخل مدرسه الحاج محمد صالح المجتهد و قرأ المبادئ و المقدمات بها. ثم هاجر إلى الأعتاب المقدسه و حضر على اعلامها و أجزى منهم ثم رجع إلى موطنه و انشغل بالتدريس إلى أن توفى بها. (٢)

الشيخ محمد كاظم بن عبد العلى التنكابنى.

ذكر في الأعيان: ٣٢/٨ و ٣٨١/٩. و كرر ذكره في المجلد الثانى من المستدرک الصفحه ٣٠٨ أقول: هم شخص واحد. (٣)

محمد كريم بن صفى الله بن على التنكابنى.

توفى بعد ١١١٣.

هو من الفضلاء العلماء، له حواشى على شرح اللمعه و آيات الأحكام تدل على سعه علمه و فضله. (٤)

الشيخ محمد كريم بن المولى الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ

عبد الكريم البسطامى الدشت بياضى

من علماء الشيعة في القرن العاشر الهجرى و أعلام الرياضيات في عصره تولى منصب القضاء في مدينه دشت بياض و انتهى اليه كرسى الفتوى و رئاستها.

و من أشهر مؤلفاته كتاب شرح نصاب الصبيان المطبوع في سنه ١٣٦٦ مع شرح ملحقات النصاب التى ألحقها به والده المولى

الشيخ فصيح الدين محمد و ذكره شيخنا في طبقات أعلام الشيعة معبرا عنه بقوله: كان قاضيا في مدينة دشت بياض و احتمال اتحاده مع المولى الشيخ كريم الدين الشيرازي من مشايخ الشيخ إبراهيم القطيفي الذي توفي بعد سنة ٩٤٥ كما جاء في بعض إجازاته و قد ذكر خطأ في احياء الدائر ص ١٩٣ كونه من تلاميذ الشيخ إبراهيم القطيفي و الصحيح ما ذكرناه نقلا عن الذريعه ج ١٤ ص ١٠٦. (٥)

المولى آغا مير محمد مؤمن بن جمال الدين مصطفى الأنجداني

التفرشى القمي المتخلص ب داعي.

ولد في قم سنة ١٠٦٥ و قيل ١٠٨٠ و توفي سنة ١١٥٥ و قيل سنة ١١٧٠ في تفرش و دفن بها و قبره مزار معروف يقصده العام و الخاص.

كان من أقطاب الأدب الفارسي و أعظم الشعراء في أواخر العصر الصفوي واسع الخيال سهل البيان متضلعا في الحكمة و الفلسفة و العرفان الالهي و ينتهي نسبه مع احدى و ثلاثين واسطه إلى الامام محمد الباقر.

و أخذ المقدمات على جملة من فضلاء قم ثم توجه إلى أصفهان احدى المراكز العلمية المهمة في ايران و تخرج على أعظم علماء عصره في الفقه و الأصول و الحديث و الحكمة و الفلسفة و العرفان و نبغ في الأدب و الشعر و تبحر في الحكمة و الفلسفة و العرفان جامعا للعلوم العقلية و النقلية و الفنون الإسلامية كان أصله من قرية انجودان التي كانت احدى مراكز الإسماعيلية النزارية في ايران بعد سقوط قلعه - الموت و يحتمل ان يكون من الإسماعيلية النزارية و ذلك لميله إلى التصوف الذي كان يتستر به الإسماعيلية النزارية في مذهبهم حتى العصر الفاجري و تحت هذا الستار ولده المترجم له في قم ثم انتقل إلى أصفهان و منها استقر في مدينة تفرش حتى مات بها و دفن هناك و قبره مزار معروف اختلف في تاريخ ولادته و وفاته و ذكره معاصره آذر بيگدلي في كتابه آتشكده ص ٣٧٢ مفصلا و أثبت تاريخ وفاته سنة ١١٥٥ و نقل عنه مولوى محمد مظفر حسين الصبا في تذكره روز روشن و ذكر عام وفاته أيضا سنة ١١٥٥ ثم أدرج قسما من شعره (٤) و نشر عنه بقلم بعض المعاصرين تحقيقات هامه و احتملوا كونه من الإسماعيلية النزارية و ذكروا تاريخ ولادته و وفاته سنة (١٠٨٠ هـ وفاته ١١٧٠). و أشار اليه شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهراني في الذريعه قال: (ديوان داعي انجداني تفرشيو اسمه المير محمد مؤمن بن جمال الدين و أصله من محال تفرش اشتغل بتحصيل الفنون عده سنين و كان معاصر هاتف و آذر كذا ترجمه في...)

و أورد جملة من أشعاره و قد جمع ديوانه أبو القاسم المتخلص "بسحاب التفرشى" المولود سنة ١٣٠٤ كما ذكره لي شفاه و أنشدني بعض أشعاره.

أقول: ترجمه آذر بيگدلي في آتشكده ص ٣٧٢ في ضمن من عاصره من الشعراء مفصلا و قال مات سنة ١١٥٥ عن تسعين سنة و كذا في روضه صفويه... (٧) أقول: ذكره جمع من المؤرخين منهم ميرزا رضا قلي خان هدايه في مجمع الفصحاء ج ٤ ص ٢٨٩ و أدرج نموذجا من شعره. و له آثار و مؤلفات هامه منها رائعة الذي تعرف ب "سلطان القصائد آغا مؤمن تفرشى" و هي في شرح بيان رؤياه (أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع.

و له ديوان شعر و جميع قصائد المترجم له طويله، و مليئه بدقائق عرفانيه و نكات فلسفيه مما يدل على تبحره فى الحكمه و العرفان و الفلسفه. (٨)

السيد محمد بن محمد حسين بن مير محمد رضا الحسينى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفى سنة ١٢٩٣.

ولد فى رامسر و قرأ الأوليات فى مدارسها ثم هاجر مع أبيه و إخوانه السيد محمد هاشم و السيد تقى إلى النجف الأشرف، فتوفى أبوه فى النجف و دفن بها و اشتغل هو بتحصيل العلوم الدينيه عند اعلامها و اختص بالشيخ خضر

ص: ٢٥٠

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ محمد السامى.
 - ٣- الشيخ محمد السامى.
 - ٤- الشيخ محمد السامى.
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٦- المولوى محمد مظفر حسين الصبا تذكره روز روشن تحقيق محمد حسين ركن زاده آدميت ص ٢٥٣ طهران من منشورات مكتبه الرازى.
 - ٧- الشيخ آغا بزرگ الطهرانى الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ٩ القسم الأول ص ٣١٣ بيروت دار الاضواء.
 - ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

شلال النجفي و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، ثم ذهب إلى طهران و صاهر المولى محمد جعفر الأسترآبادى و بقى مده هناك مستفيدا من أبحاثه ثم سافر إلى مشهد الرضا و مازندران و جيلان و همدان و أقام فى مدينه رشت بطلب من أهاليها أجاز السيد إسماعيل الحسينى (مؤلف نظره الناظرين)، و ذكر فيه مشايخه و هم المولى محمد جعفر الأسترآبادى، و الشيخ محمد حسن النجفى صاحب الجواهر، و الشيخ خضر شلال النجفى و الشيخ راضى النجفى و الميرزا محمد على الشهرستانى الحائرى، و المولى على البروجردى، و الحاج نور على التنكابنى، و السيد محمد الخراسانى الشهير بالقصير، و الإجازة مؤرخه ٢٣ شوال ١٢٩٣ - و توفى بعد هذا التاريخ.

وصفه السيد إسماعيل فى نظره الناظرين قائلا: انه عالم فاضل جليل القدر حسن الخلق متواضع له مؤلفات راقية فى الفقه و الأصول و الكلام و التفسير. (١).

الشيخ أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخى.

المتوفى ١١ محرم سنه ٥٩٨ ببغداد ترجم له المنذرى فى التكملة برقم ٦٣٦ و وصفه بالمقرب المؤدب و قال:

و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر، قرأ القرآن الكريم بشيء من القراءات ببغداد على أبى محمد الحسن بن على بن عبيده و بواسط على أبى بكر عبد الله بن منصور الباقلانى و غيرهما و سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد و غيره.

محمد بن محمد بن عدنان بن عبد الله بن عمر العلوى الحسنى الكوفى

المولود بها سنه ٥٣١ و المتوفى بها سنه ٦١٢.

ترجم له المنذرى فى التكملة رقم ١٣٩٠ فى وفيات هذه السنه قال:

و فى الثالث و العشرين من شهر ربيع الأول توفى الشريف الأجل النقيب أبو الحسين محمد بن الشريف أبى جعفر محمد بن أبى نزار عدنان بن أبى الفضائل عبد الله بن أبى على عمر الحسنى الكوفى المعروف بابن المختار و هو لقب لأبى على عمر جد جده بالكوفه و دفن بها و مولده بها سنه ٥٣١، سمع ببغداد من أبى محمد عبد الله بن احمد بن احمد ابن الخشاب و حدث و تولى نقابه الطالبين ببغداد.

مجد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن الضحاک القرشى

البغدادى الحاجب.

ترجم له ابن الفوطى فى مجمع الآداب ٢٤٧/٥ رقم ٥١١ و قال:

من البيت العريق المعروف بالتقدم و الحجاب و الرئاسة و الكتابه و كان مجد الدين أحد حجاب المناطق و صهر الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى وجدت سماعه على المقامات الحريريه مثبتا بخط أبى طالب محمد بن العلقمى سمعها على الأجل زعيم الدين غرس الدوله أبى الحسن على بن محمد بن السكن فى ذى الحجه سنه ٦٢٠ بحق سماعه على منوچمر [منوچهر] عن

الحريرى.

و كانت وفاته يوم الاثنين غره جمادى الآخره سنه ٦٥٤ و حمل إلى مشهد الحسين بن على ع.

أقول: و أظن ان كمال الدين أبا العباس احمد بن محمد بن محمد بن الضحاك الأسدى القرشى البغدادى الحاجب المتوفى سنه ٦٩٣ و المولود سنه ٦٣١ و حمل إلى مشهد على ع الذى ترجم له ابن الفوطى فى ٥ / رقم ٢٦٣ من حرف الكاف هو ابن هذا.

محمد بن محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر بن على بن أبى

هاشم الحسين بن احمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد

الجوانى بن عبيد الله الزاهد بن الحسين الأصغر العابد بن على زين العابدين

ابن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

ترجم له المنذرى فى التكملة برقم ١٦٥١ فى وفيات سنه ٦١٦ قال:

و فى التاسع عشر من المحرم توفى الشريف الأجل النقيب أبو عبد الله محمد بن الشريف الأجل النقيب أبى على محمد بن الشريف الأجل أبى البركات أسعد بن على الحسينى العبيدلى الجوانى المنعوت بالعزيز توفى بمصر و دفن بسفح المقطم.

ولى نقابه الأشراف بمصر بعد أبيه و حدث لقيته و لم يتفق إلى السماع منه و قد تقدم ذكر والده.

و جده الشريف أبو البركات أسعد كان يضرب فى عده علوم و أخذ كذا عن غير واحد بمصر و اليمن و حدث.

أقول: و ترجم لأبيه برقم ١٨٠ فى وفيات سنه ٥٨٨ و أورد هناك تمام نسبه فنقلناه من هناك.

و ترجم شيخنا رحمه الله لأبيه فى اعلام القرن السادس.(٢)

المولى الشيخ محمد مراد بن درويش على بيك الآشتيانى القمى.

توفى بعد سنه ١١٣٠.

كان من اعلام الشريعة و فحول المفسرين فى العصر الصفوى محقق نحري خطاط ماهر من علمائنا المنسيين أخذ المقدمات فى آشتيان ثم هاجر إلى قم و حضر على جملة من الفضلاء و منها توجه إلى أصفهان فتخرج على العلامة المجلسى الثانى المولى محمد باقر المتوفى سنه ١١١١ جلس للتدريس فى أصفهان و كان له خط جميل و كتب بخطه نسخا من القرآن فى احجام مختلفه و له ترجمه للقرآن بالفارسيه و من مؤلفاته تفسير صغير للقرآن الكريم بالفارسيه فرغ من تاليفه سنه ١١٢٧ و عندنا منه نسخه بخط المؤلف و جاء فى آخره (حرره العبد الضعيف ابن درويش على بيك آشتيانى القمى محمد مراد عفى عنهما فى

عشرين شهر محرم الحرام سنه سبع و عشرين و مائه بعد الألف...).(٣)

محيى الدين أبو عبد الله محمد بن المرتضى بن عبد الله الحسنى

الموصلى.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤١٧/٥ رقم ٨٥٩ وقال: من أكابر السادات الأشراف و أولاد النقباء.

المولى محمد بن محمد طاهر الكليجانى التنكابنى.

هو من علماء القرن الثالث عشر و كان معظم تلمذته على الشيخ محمد تقى النورى (المتوفى سنة ١٢٦٢) والد صاحب مستدرک الوسائل.

و للمترجم مؤلفات فى الفقه و غيره تدل على سعه علمه منها:

١ - الدرر المنظومه: و هو شرح كتاب الإرشاد جمع فى هذا الكتاب آراء استاذه النورى فى المسائل الفقيهيه.

٢ - رساله فى العقود و الإيقاعات.

٣ - رساله فى أحكام الأعيان النجسه.

٤ - إثبات خلافه الامام على بن أبى طالب بعد النبى ص. (٤).

ص: ٢٥١

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ محمد السامى.

السيد محمد بن محمد يوسف الحسينى التنكابنى.

ولد حدود ١٠٧٠ و توفي بعد سنه ١١٢٥.

ولد فى تنكابن و قرأ المقدمات فى موطنه ثم ذهب إلى أصفهان و حضر على أعلامها ثم انصرف إلى التأليف. و من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم فى مجلدات توجد بعض مجلداته فى مكتبه السيد الكلبايكانى فى مدينه قم. (١)

مجد الدين محمد بن محمد بن أبى مضر بن سالم بن على العلوى

الافطسى نقيب المدائن

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٤٨/٥ رقم ٥١٥ و قال:

انشد له شيخنا تاج الدين فى كتاب نزهه الأبصار فى معرفه النقباء الأظهر فى مدح النقيب الطاهر قطب الدين الحسين بن (الحسن) الاقساسى:

شرفا و مجدا يا بنى الاقساسى : بالطاهرين الطاهر الاغراس

... قطب الدين مولانا الذى ملك الورى باللف و الإيناس

مولى إذا لاذ الفقير ببابه أمنت يده سطوه الإفلاس

منها:

جبلت قلوب العالمين محبه فكأنما ارتضعوا هواه بكأس

محمد بن أبى الهيجاء بن محمد

والى دمشق المتوفى سنه ٧٠٠.

ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ١٧٠/٥ و قال: الأمير الفاضل عز الدين الهذبانى الإربلى والى دمشق. ولد سنه عشرين (و ستمائه) بإربل و قدم الشام شابا و اشتغل و جالس العز الضير و كان جيد المشاركه فى التاريخ و الأدب و الكلام و هو معروف بالثشيع و الرفض. و كان شيخا كرديا مهيبا يلبس عمامه مدوره و يرسل شعره على كتفيه ولى دمشق فكان جيد السياسه، مات بالسواده التى فى رمل مصر سنه ٧٠٠.

محمد بن محمد بن احمد بن السلال الكرخى.

الوراق الحبار. (٢) له حانوت عند باب النوبى.

هكذا وصفه الذهبي في كتابه (سيره اعلام النبلاء). و قال في ترجمته: الامام الفاضل، سمع أبا جعفر بن المسلمه و أبا الغنائم بن المأمون و جابر بن ياسين و من أبي على محمد بن وشاح و أبي الحسن بن البيضاوى و أبي بكر بن سياوش الكازرونى، و تفرد فى وقته عن هؤلاء الثلاثة.

مولده فى سنة ٤٤٧ قال السمعانى: فى خلقه زعاره، و كنا نسمع عليه بجهد و هو متهم، معروف بالتشيع.

قال الحافظ بن ناصر: كنت امضى إلى الجمعة و قد قارب الوقت فأرى ابن السلال فى دكانه فارغ القلب ليس على خاطره الصلاة.

قلت: حدث عنه السمعانى و عمر بن طرزد و سليمان الموصلى و أبو الفرج بن الجوزى و النفيس بن وهبان، و بالاجازه أبو منصور بن عفيجه و أبو القاسم من صصرى.

و عاش أربعاً و تسعين سنة. توفى فى جمادى الأولى سنة احدى و أربعين و خمس مائه. (انتهى).

و ابن ناصر الذى يتهمه بعدم صلاه الجمعة يعترف بأنه كان يراه و قد قارب الوقت، لا عند حلول وقت الصلاة، اى فى نفس الوقت الذى لم يكن فيه هو نفسه فى الصلاة، بل فى طريقه إليها، فما ادراه انه لم يذهب فيما بقى من الوقت لأداء الصلاة.

ثم انه يعترف بان أدلته غيبه إذ يقول بأنه كان يراه فارغ القلب، و هل يطلع على ما فى القلوب الاعلام الغيوب. و كذلك قوله: ليس على خاطره الصلاة، فهل اعطى ابن ناصر قدره الكشف على ما تجنه الخواطر!؟

السيد محمد المعروف بالسيد القصير ابن ميرزا معصوم.

توفى سنة ١٢٥٥ عن ٧٥ سنة درس المقدمات فى مشهد الرضا ثم تابع دراسته فى النجف الأشرف على كبار علمائها و بعد أربع سنين هاجر إلى أصفهان، و بعد سنوات سافر إلى مشهد الرضا، ثم حج بيت الله الحرام و زار العتبات المقدسه. ثم جاء طهران بعد إصابته بالفالج ليعالج فيها دون جدوى، فجاى مدينه قم و فيها توفى.

و من مؤلفاته: المصابيح، دوره كامله فى الفقه. و كتاب فى علم الرجال.

الشيخ محمود بن الشيخ مرتضى بن الشيخ حسن الآشتياني

ولد فى طهران سنة ١٣٠٤ و يقال ١٣١٤ و توفى سنة ١٤٠١ بطهران.

آل الآشتياني من الأسر العلميه المعروفه فى طهران بزغ نجمها فى أفق طهران منذ عهد جدهم الشيخ ميرزا حسن بن الميرزا جعفر الآشتياني الطهرانى المتوفى سنة ١٣١٩ أحد اعلام الشيعه و مراجع التقليد فى عصره و نبغ من هذا البيت علماء و فلاسفه منهم المترجم له كان من اعلام آل الآشتياني و كبار فقهاء طهران البارزين و مراجع الفتوى و مثالا للورع و التقوى و أخذ المقدمات

على جمع من فضلاء طهران و حضر على أبيه في طهران و المشهد ثم هاجر إلى النجف الأشرف و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ ميرزا محمد حسين النائيني المتوفى سنة ١٣٥٥ ثم رجع إلى ايران و التحق بحوزه الشيخ عبد الكريم الحائري في قم و أخذ الفلسفه العاليه عن الميرزا هاشم الاشكوري و الميرزا حسن الكرمانشاهي و الميرزا الشيرازي و كان من رجال الفلسفه في عصره. له مؤلفات فيها كتاب الصلاه في ثلاثه مجلدات، و كتاب شرح درر الفوائد و كتاب النكاح، و كتاب الاجاره كلها بالعريه طبعت في طهران. (٣)

آغا محمد هاشم بن آغا محمد إسماعيل الشيرازي.

ولد في شيراز ١١٠٩ و توفي فيها سنة ١١٩٩.

و دفن في جوار مرقد حافظ الشيرازي و قبره مزار معروف في شيراز. كان من أقطاب الصوفيه و مشايخ السلسله الذهبيه و أعظم عرفاء عصره. أديب شاعر رئيس أخذ العلم عن فحول علماء عصره و نبغ في الأدب و الشعر و انخرط في سلك البلاط الزندي فكان كاتباً خاصاً للسلطان الزندي كريم خان المتوفى سنة ١١٩٣ ثم ترك جميع مناصبه و حضر في العرفان و التصوف على شاه كوثر الهندي من مشايخ السلسله الطيفوريه الشطاريه ثم دخل في خدمه السيد قطب الدين محمد النيريزي رئيس السلسله الذهبيه و أصبح من حواريه و صاهره على ابنته، و بعد وفاه استاذه المذكور تزعم السلسله الذهبيه الصوفيه و انتهى اليه كرسى خلافتها حتى توفي له مؤلفات منها ديوان شعر، مناهل التحقيق، كتاب ولايه نامه و هو شعر مثنوي. (٤)

محمد بن موسى الفطري.

قال الذهبي في سير اعلام النبلاء:

ص: ٢٥٢

١- الشيخ محمد السمامي.

٢- بيع الحبر و الأقلام.

٣- الصالحى.

٤- الصالحى.

المحدث الحجج، أبو عبد الله المدنى مولى الفطريين و هم موالى بنى مخذوم. يروى عنه: سعيد بن أبى سعيد المقرئ و عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحه و محمد بن الامام على و عون بن محمد و يعقوب بن سلمه الليثى و سعد بن إسحاق و غيرهم.

حدث عنه: عبد الرحمن بن مهدى و ابن أبى فديك و إسحاق بن محمد الغروى و قتيبه بن سعيد.

وثقه أبو عيسى الترمذى، و قال أبو حاتم: صدوق يتشيع.

أبو عبد الله محمد بن ناصر بن مهدى بن حمزه العلوى الحسنى.

ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ١٠٧/٥ و قال: قدم مع والده إلى بغداد صغيرا فنشأ بها و قرأ القرآن و الأدب على أبى البقاء الأعمى و تميز و علت مرتبته و ناب عن والده فى ديوان المجلس ثم رتب صدرا بالمخزن و ناظرا و لم يزل على ذلك إلى ان عزل و عزل والده من الغد و نقل إلى دار الخلافة و توفى هناك والده سنة ٦١٧ و إذن لولده اين شاء فى السكن و غير زيه و هيئته و طلب الراحة و رغب فى الخمول.

تاج الدين محمد بن نصر بن صلايا

ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ١٢٨/٥ و قال: محمد بن نصر ابن صلايا بن يحيى الصاحب تاج الدين أبو المكارم بن صلايا الهاشمى العلوى نائب اربل الشيعى.

كان نائب الخليفة ياربيل و كان من رجالات العالم رأيا و عقلا و حزما و صرامه. و كان سمحا جوادا كانت صدقاته و هباته تبلغ فى السنه ثلاثين ألف دينار و كان بينه و بين لؤلؤ صاحب الموصل منافسه فلما احضرهما هولاءكو قال لؤلؤ: هذا شريف و نفسه تحدثه بالخلافه و لو قام تبع الناس أمره، فقتله هولاءكو بقرب تورين سنه ٦٥٦.

و كان عنده أدب و له نظم و كان يشدد العقوبه على شارب الخمر بان يقلع أضراسه! و كان قد دارى التتار حتى أنهم إذا دخلوا اربل القوا الخمر التى معهم رعايه له.

كتب اليه عميد الدين بن عباس الحنبلى و كان ناظر الأعمال المجاوره لاربيل و بينهما موده عظيمه:

سلام كانفاس النسيم إذا سرى سحيرا و رياها له عطر شمال

تزر على الرائين إذا راء صنوعه فارح منه العرف ارجاء اربل

على العلوى الفاطمى محمد بن نصر بن يحيى المنعم المتفضل

شأى الناس تاج الدين حسن مناقب يفوق بها فخرا على غيره على

أوالى علاء فى التعالى تشيعا و ان كنت عند الناس أحسن حنبلى

فأجابه تاج الدين بقوله:

أتانى كتاب من كريم اوده و كان كنشر المسك شيب بمندل

و وافى مثال منه خلت كأنه كلام الأديب الفارسي أبى على

فقابلت منه مسك ريا ختامه فيا مرسلا قد جاء من خير مرسل

و غير بديع أن تعبتم امينكم إلى بوحي البر ضمن التفضل

لقد زدت في الحسنى و طبت منابتا و حزت من العلياء أشرف منزل

و حقك انى لست أخشى تشيعا عليك و لكن سوف أدعى بحنبلى

فان نفترق في مذهبين فاننا سيجمعنا صدق المحبه في على

و ترجم له ابن شاکر في عيون التواريخ ٢٠٣/٢٠ فقال، و فيها سنه (٦٥٦) توفى.

تاج الدين محمد بن نصر بن يحيى بن على المعروف بابن صلايا نائب الخليفه فى اربل قتلته التتار و عمره أربع و ستون سنه كان من رجال الدهر عقلا و رأيا و تدبيرا و عنده فضيله و له يد فى النظم، ولى اعمال اربل مده سنين عديده و كان فى صورته ملكها و ساس الأمور بها سياسه حسنه.....(١)

السيد محمد هادى الميلانى.

ولد فى ١٣١٣ هـ و توفى سنه ١٣٩٥ فى مشهد الرضا. هو أحد مراجع الشيعة فى أخريات القرن الرابع عشر الهجرى.

نشا فى بيت العلم و الفضيله و ألقى رحل الإقامه أخيرا فى المشهد الرضوى بخراسان و ساد و تصدى لزعامه الحوزه العلميه فيه.

حضر فى حلقه دروسه فى الفقه و الأصول، عده من الفضلاء و البارعين و تخرج على مدرسته كثيرون من أفاضل العصر و دون بعض ابحاثه باسم "محاضرات فى فقه الاماميه" فى عشره مجلدات. حاز الإجازة الروائيه من الاعلام: السيد حسن الصدر، و المحدث القمى و الشيخ آغا بزرك الطهرانى.

و كانت له يد طولى فى التفسير و الدرايه و الأدب العربى.

طبع له: تفسير سوره الجمعه و التغابن.

و من نشاطاته الاجتماعيه و الثقافيه تأسيس المدارس و بث الدعاه لنشر دعوه الإسلام فى داخل البلاد و خارجها. و له قصيده فى

مدح الامام الثانى عشر باللغه العربيه طبع فى مجله نور الإسلام:.(٢)

التنكابني.

ولد حدود ١٢١٠ في رامسر، و توفي ١٣٦٢ في قزوین و حمل إلى كربلاء و دفن بها.

له ترجمه في أعيان الشيعة:

و أقول: ولد في رامسر و نشأ بها ثم ذهب إلى قزوین و من هناك إلى أصفهان و حضر بحوث الشيخ على النورى في الفلسفه و في الفقه و الأصول ثم ذهب إلى النجف الأشرف و حضر بحوث الشيخ على و الشيخ حسن كاشف الغطاء و غيرهما و قبل سنه ١٢٥٠ رجع إلى ايران و سكن قزوین و حصلت له المرجعيه إلى أن توفي بها و حمل جثمانه إلى كربلاء و دفن بها و له مؤلفات منها: ١ - تذکره الأنام في تهذيب الأخلاق.

٢ - الأخلاق.

٣ - فروق الكلمات - في فروق الكلمات و الأسماء و الصفات.

ص: ٢٥٣

١- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٢- السيد إبراهيم السيد علوى.

٤ - الأصول - فى أصول الفقه.

٥ - الفقه الاستدلالي.

٦ - الاثنى عشرية - فى علم الكلام و الاعتقاد.

٧ - الحاشيه على قوانين الأصول.

٨ - كتاب فى الامامه. (١)

أبو البركات محمد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبى

الحديد المدائنى البغدادي.

المتوفى سنة ٥٩٨.

ترجم له ابن الديبى [الديبى] فى ذيل تاريخ بغداد المجلد الأول الورقه ١٣٦ ب و قال:

أبو البركات ابن شيخنا القاضى أبى الحسين بن أبى المعالى يعرف بابن أبى الحديد من أهل المدائن، كان أبوه أبو الحسين يتولى القضاء بها و سياتى ذكره ان شاء الله فى من اسمه هبه الله.

و أبو البركات هذا كان كاتباً ذكياً فهماً، تولى عده أشغال تتعلق بخدمه المخزن المعمور و غيره و كان معنا بالمدرسه النظاميه أيام نظرنا فى أوقافها، علقته عنه أناشيد و استشهادات كانت تقع بيننا حال المذاكره، منها ما أنشدنى بقريه من قرى دجيل لبعض المغاربه من حفظه:

و مهفهف صبغ الحياء نجده دمه فظل دمي بذاك طليقا

هذا يروق و ذا يراق و انما هذا يروق صفاؤه ليريقا

توفى أبو البركات بن أبى الحديد ببغداد ليله الثلاثاء حادى عشرين صفر سنة ٥٩٨ و صلينا عليه يوم الثلاثاء و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر ع بالجانب الغربى.

أقول: و ترجم له المنذرى فى التكملة لوفيات النقلة ٣٣٣/٢ رقم ٦٥٢ و وصفه بالكاتب المعروف بابن أبى الحديد و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر ع حدث باناشيد و كان ذكياً فهماً كاتباً. و والده أبو الحسين هبه الله كان قاضى المدائن و خطيبها و ياتى ذكره (فى وفيات سنة ٦١٣).

و ترجم له ابن الساعى فى الجامع المختصر ٨٨/٩ و قال توفى شاباً عن أربع و ثلاثين سنة فتكون ولادته سنة ٥٦٤ و الظاهر انه أخو عز الدين عبد الحميد بن هبه الله بن أبى الحديد المدائنى المتوفى ٦٥٥ شارح نهج البلاغه و ترجم المنذرى فى التكملة

٢٤٥/٤ رقم ١٤٩٤ لوالدهما وانه ولد سنه ٥٣٠ و توفي ٦١٣.

و أخوهما الآخر موفق الدين أبو المعالي قاسم بن هبه الله توفي قبل أخيه عز الدين بقليل فرثاه أخوه عز الدين بقصيدهه. (٢)

أبو طاهر محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعي بن مهدي بن محمد بن

جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

قال السمعاني في الأنساب:

العلوي العمري، من أهل أسترآباد، شيخ الاماميه بها و هو مقدم طائفته و شيخ عشيرته، من بيت المحدثين، أبوه أبو طالب من المحدثين، و جده أبو الفضل ظفر ورد نيسابور و حدث بها و سمع منه جماعه من شيوخوا.

و جده الأعلى أبو محمد الداعي بن مهدي العمري من المحدثين أيضا، روى عنه ابنه أبو الفضل. و أبو طاهر محمد بن يحيى، حدث عن جده، و سمعت منه بأسترآباد، و كانت ولادته في المحرم سنه ٤٦٠.

مجد الشرف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله العلوي الكوفي

النقيب.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٥٦/٥ رقم ٥٣٠ و قال: من السادات النقباء، قرأت بخطه:

و رب إشاره عدت كلاما و صوت لا يعد من الكلام

مجد الدين أبو الفتح محمد بن تاج الدين أبي منصور يحيى بن المظفر

بن مجد الدين عمر النقيب العلوي الاشرى الكاتب.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٥٦/٥ رقم ٥٣١ و قال: ذكره شيخنا جمال الدين ابن المهنا فى المشجر و قال: حفظ القرآن الكريم فى صباه و تادب و تميز و تصرف فى الأعمال الديوانيه ثم تاب عن اعمال الديوان و عكف على الزهاده و الصلاح و قراءه القرآن و كان يلوح عليه سيماء الشرف و قاعده السلف و هو عذب المفاكهه حلوا المذاكره و عنده كرم و فضل و مروه.

محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعي بن مهدي بن محمد بن جعفر بن

محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن

أبي طالب ع.

السيد أبو طاهر العلوي العمري الأسترآبادي.

من شيوخ السمعاني ترجم له في معجمه شيوخه و في الأنساب ق ٢٤٧ و في التحبير ٢٤٩/٢ رقم ٩٠٥ قال: شيخ الاماميه بها و هو مقدم الطائفه، من بيت الحديث، و هو شيخ متيقظ متودد له معرفه و هيئه و فضل سمع جده أبا الفضل الداعي بن المهدي سمعت منه بأسترآباد و كانت ولادته في المحرم سنه ٤٦٦ بأسترآباد و توفي بها سنه ٥٥٢.

أبو العلاء محمد بن جعفر بن هبه الله بن يحيى بن الحسن بن احمد بن

عبد الباقي بن البوقى الواسطى

المتوفى سنه ٥٩٠.

ترجم له ابن الديبى في ذيل تاريخ بغداد ج ١ الورقه ١٣٦ و قال: تفقه أبو العلاء هذا بواسطة على مذهب الشافعى رحمه الله على أبيه و تكلم في مسائل الخلاف و أفتى و شهد عند القضاة. و قدم بغداد مرارا كثيره و ناظر فقهاءها و سمع شيئا من الحديث... و ناب عن الوزير أبى جعفر احمد بن محمد بن المهدي في أيام وزارته بديوان المجلس و بعد هلاك ابن البلدى عاد إلى واسط و قد كان سمع بها من أبى الكرم نصر الله بن محمد بن مخلد الأزدي و أبى على الحسن بن إبراهيم الفارقى و أبى الحسن عبد السلام لما قدمها و أبى الجوائز سعد بن عبد الكريم الغندجاني و القاضي أبى عبد الله محمد بن على بن المغازلى و غيرهم.

و كان مؤثرا طلب الدنيا و خدمه السلطان، ترك الاشتغال بالعلم و الاهتمام به و اذهب عمره بالتنقل من بلد إلى بلد رغبه في خدمه أرباب الدنيا حتى استقرت به الدار بالحله المزيديه ناظرا في سوادها إلى ان توفي بها.

لقيته بواسطة و بالحله عند اجتيازى بها للحج و قرأت عليه جزء واحدا من حديث يحيى بن معين بسماعه من أبى الحسن على بن هبه الله بن عبد السلام.

و سألته عن مولده؟ فقال: قال لى والدى: ولدت في شهر ربيع الأول سنه ٥١٩.

قلت: و توفي بقرية من سواد الحله يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رمضان

ص: ٢٥٤

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

سنه ٥٩٠ و دفن بمقبره مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهم. (١)

أبو الحسن محمد بن هبه الله بن محمد بن الحسين الحسنى.

المتوفى سنه ٥١٧.

ترجم له فى منتخب السياق رقم ١٦٣ و قال رجل كبير محترم من بيت السيادة و الحديث و الرئاسة و النقابه، كان متسما بالصلاح و السداد متصلا بمصاهره الامام أبى الحسن على بن الحسن الصندلى توفى فجاءه فى ذى القعدة سنه ٥١٧.

الميرزا محمد اليزدى.

المتخلص ب "جيحون" و الملقب ب "تاج الشعراء" ولد بناحيه "كازركاه" بيزد سنه ١٣٥٠ [١٢٥٠] ه و نشأ بها، و ينتسب لأجداده إلى الشاه شجاع من سلاطين آل مظفر (٧٢٣ - ٧٩٥ ه)، ابتداء بتعلم النحو و الصرف و العروض و البديع و اللغه و هو صغير.

قال ابنه عبد اللطيف جيحون: إن والده جيحون سافر لأول مره من يزد إلى شيراز و مدح حاكمها فرهاد ميرزا معتمد الدوله (١٢٣٣ - ١٣٠٥ ه) و منها ابتداء أسفاره إلى موانى عمان و الخليج الفارسى و البصره و العراق و الهند و رجع إلى العراق. و لا يعلم تواريخ أسفاره دقيقا، و المعلوم أنه سافر مرارا إلى طهران و مدح ناصر الدين شاه (١٢٦٤ - ١٣١٣ ه) و ولى عهده مظفر الدين و ابنه الآخر ظل السلطان حاكم أصفهان، حيث لقبه هذا ب "تاج الشعراء" و السنوات الأخيره من عمره قضاها فى صحبه ناصر الدين فرمان فرما (المتوفى ١٣٠٩ ه) حاكم كرمان و مات بها.

قال الأديب ملك الكرماني: إن جيحون سافر من يزد إلى کرمانسنه ١٣٠٠ و عمره خمسون سنه تقريبا. و دفن المترجم فى مقبره "خواجه خضر" و هى مزار فى مقبره قديمه استملكت و بنيت عليها الدور و الدكاكين تدريجا و فى حدود سنه ١٣٦١ ه قام محمد ارجمند التاجر الكرماني ببناء مقبره جديده لجيحون قرب بقعه "خواجه خضر" نقل إليها رفات جيحون مع حجر قبره القديم مع حجر نقش عليه سنه وفاه الشاعر جيحون سنه ١٣٠١ ه و عليها بيتان للشاعر نفسه:

ای شه گلگون قبا بنگر بجیحون کز ثنات خویشتن را مالک دیهیم و افسر ساخته

شاید آر بخشی مرا بر تشنه کامان فرات زانکه جيحون را خدايت مهر مادر ساخته

و على حجر آخر شعر لشاعر اسمه "مشاق الكرماني" قال فيه:

دریغ و آه که از این جهان فانی رفت جهان فضل و آدب تاج شاعران جيحون

و من آثاره:

١ - ديوان جيحون، طبع أولاً بيمبئي سنه ١٣١٦ هـ بخط لطف الله الحسيني الاينجوى الشيرازي، و طبع ثانيا بطهران على الحروف سنه ١٣٧٧ هـ ٢: نمكدان، بالنظم و النثر طبع في آخر ديوانه بيمبئي ١٣١٦ هـ، و نسخه المخطوطه عرفت في فهرست نسخه هاى فارسى لأحمد منزوى ص ٣٦٤٦ تشبه گلستان لسعدى و أصغر منه.

٣: و لديوانه مقدمه لحسين ماهافى موجوده فى مكتبه مجلس شورى ملّى و غيرها.

و له مرث حسنيه تقرأ فى التعازى. (٢)

الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبيد الله النيسابورى البغدادى

المتوفى سنه ٦٠٨.

ترجم له المندرى فى وفيات سنه ٦٠٨ من التكملة رقم ١٢١٩ فقال:

و فى التاسع و العشرين من ذى الحجه توفى الشيخ أبو عبد الله..

النيسابورى الأصل البغدادى المولد و الدار الكاتب المعروف بابن المنتجيببغداد و دفن من يومه بمشهد الامام موسى بن جعفر قرأ الأديب على أبى محمد الحسن بن على بن عبيده الكرخى و غيره و كتب خطا فى غايه الجوده و كان يورق للناس و يعلم الخط.

السيد محمد يوسف الحسينى التنكابنى.

توفى بعد ١١١٢.

عالم جليل كان معاصرا للسلطان حسين الصفوى و ألف كتاب (مقياس العرفان و مفتاح التبيان لمدارك القرآن فى تفسير القرآن الكريم) باسم (السلطان حسين الصفوى أتمه فى صفر سنه ١١١٢ و له كتاب (القراءات) توجد من التفسير نسخه فى المكتبه العامه فى أصفهان. (٣)

جمال الدين أبو المكارم الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن

اشاره

يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيره مسدى الأندلسى الغرناطى الأزدي

المهلبى

المتوفى قتلا غيله فى سنه ٦٦٣ نزيل مكه المكرمه و خطيبها و إمام المقام الشريف.

ولد يوم عيد الأضحى سنة ٥٩٩ بوادى آش من الأندلس وقرأ على جماعه منهم قاضى قرطبه أبو القاسم بن بقى المخلدى و جماعه بالمغرب ثم رحل بعد سنة ٦٢٠ فسمع بالثغر من محمد بن (الإسكندريه) الحرانى وغيره و بمصر من الفخر الفارسى و أبى القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمى وقرأ عليه بالروايات و أبى الحسن بن المقبر و أكثر عنه و جماعه بمصر و بدمشق من أبى القاسم الحسين بن هبه الله بن صصرى وغيره و بحلب من أبى محمد عبد الرحمن بن الأستاذ بن علوان و جعفر الهمدانى و الموفق عبد اللطيف ابن يوسف البغدادى وغيره و من أبى البركات عبد الرحمن بن عبد اللطيف الصوفى و جماعه بمكة و سمع بجيان على أبى عبد الله بن صلتان و بمدينه فاس عن أبى البقاء يعيش بن العديم و أبى محمد بن زيدان.

و أجاز له من شيوخها امامها أبو إسحاق زاهر بن رستم الأصبهانى و الشريف يونس بن يحيى الهاشمى و من بغداد ابن الأخصر و ابن سكينه و من دمشق قاضيهما أبو القاسم الحرستانى و أبو اليمن الكندى و جماعه يجمعهم كلهم معجمه الذى خرج له نفسه فى ثلاثه مجلدات كبار و عمل تراجمه مسجوعه و هو سجع متمكن كما قاله الصفدى و قال: سمع الكثير بالمغرب و ديار مصر و صنف و انتقى على المشايخ و ظهرت فضائله... و كان ينشئ الخطب ببلاغه و فصاحه و له مصنفات كثيره...

و قال الذهبى: الحافظ العلامة الرحال... أحد من عنى بهذا الشأن كتب عن خلق بالأندلس.

و حكى الصفدى عن الذهبى انه قال: رأيت له قصيده طويله تدل على التشيع... و طالعت معجمه بخطه و فيه عجائب و تواريخ... و قال فى تذكره الحفاظ، عمل معجما فى ثلاثه مجلدات كبار رأيتة و طالعتة و علقت منه كراريس و له تصانيف كثيره و توسع فى العلوم و تفنن و له اليد البيضاء فى النظم و النثر و معرفه بالفقه و غير ذلك و فيه تشيع و بدعه!

ص: ٢٥٥

١- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

٢- الشيخ أبو ذر بيدار.

٣- الشيخ محمد السامى.

و قال الجزرى فى طبقات القراء: امام حافظ مقرئ مكتر موجود، أخذ القراءات عن عبد الصمد البلوى و أبى القاسم بن عيسى و محمد بن على السبتي و عنى بالقراءات و الحديث و سماع الكثير بالبلاد الأندلسيه و الغرييه و المصريه و الشاميه و الحجازيه و صنف و خرج...

تلامذته

روى عنه الأمير علم الدين الدوادارى و مجد الدين عبد الله بن محمد الطبرى و الحافظ الدمياطى و أبو اليمن عبد الصمد بن عساكر و عفيف الدين ابن مزروع و أبو عبد الله بن النعمان و رضى الدين محمد بن خليل، و رضى الدين الطبرى إبراهيم بن محمد الشافعى امام مقام إبراهيم و هو آخرهم وفاه و آخر الرواه عنه إجازة مسند الشام فى عصره احمد بن على الجزرى و كتب عنه الرشيد العطار و مات قبله.

و فى العقد الثمين: و كان عنى بهذا الشأن كثيرا و خرج لنفسه و لغير واحد من شيوخ عصره... و كان يكتب بالمغربى و المشرقى خطا حسنا و كان سريع الكتابه... و ذكره جماعه من الحفاظ و وصفوه بالحفظ منهم منصور بن سليم الهمدانى و قال: كان حافظا متقنا و الشريف أبو القاسم الحسينى و قال: كان فاضلا حسن المعرفه بالصناعه الحديثيه و القطب الحلبي و قال كان يميل إلى الاجتهاد و يؤثر الحديث و الحافظ الذهبى قال فى الميزان كان من بحور العلم و من كبار الحفاظ له أوهام و فيه تشيع.

و اطراه ابن فرحون بقوله: الفقيه الامام البارع العلامه الأوحد الحافظ الناقد الخطيب البليغ الأديب جمال الدين أبو المكارم.

مذهبه

تقدم قول الذهبى فى تذكره الحفاظ: و فيه تشيع و بدعه و قوله: رأيت له قصيده طويله تدل على التشيع و قوله: ينال من معاويه و ذويه، و ذكر ان الرضى الطبرى كان يمتنع من الروايه عنه: و أكثر دلالة على تشيعه انه كان يتكلم فى عائشه (1) و قولهم: كان يميل إلى الاجتهاد (2) و انه ذكر فى كتابه محرر الائتلاف خلاف الزيديه و الاماميه و انه كان يميل إلى الأخذ بالحديث و لذلك قال عنه ابن ناصر الدين: كان حافظا علامه ذا رحله واسع و درايه، شاع عنه التشيع. فالظاهر انه فى رحلاته قد التقى بغير واحد من علماء الشيعة فناظروه فى مذهبهم و أرشدوه إلى الحق و الصواب و لعل ذلك كان فى مدينه حلب فقد كانت مزدهره بعلماء الشيعة فى القرن السابع و قد تجد ترجمه كثير منهم فى هذا الكتاب. أو انه من خلال مطالعاته و مراجعاته للحديث النبوى و مدارسته للتاريخ قد اهتدى إلى الحق و الصواب فكانت تظهر عليه فى فلتات لسانه و تطفح على شعره فقالوا عنه أنه شاع عنه التشيع فإنه:

و مهما تكن عند امرئ من خليفه متى خالها تخفى على الناس تعلم

و من أدله تشيعه أيضا قتله غيله على ما ياتى.

شعره

قد عرفت أن له قصيده نحو ستمائه بيت و أخرى داليه سماها اسى المنائح لكن لم يصل إلينا سوى أول بيت منها. نعم فى العقد

الشمين تجد قد ذكر فيه شيء من شعره و كذلك الذهبي ذكر له شعرا في تذكره الحفاظ

مؤلفاته

قال الذهبي: له تصانيف كثيرة و قال الصفدي: و له مصنفات كثيرة و قال الفاسي: و له تواليف كثيرة منها:

- ١ - الأربعون المختاره في فضل الحج و الزياره.
- ٢ - منسك كبير ضخم ذكر فيه المذاهب و حججها و أدلتها و خلاف العلماء و سماه اعلام الناسك باعلام المناسك.
- ٣ - المسند الغريب جمع فيه مذاهب علماء الحديث.
- ٤ - المسلسلات في الحديث.
- ٥ - محرر الائتلاف بين الإجماع و الخلاف ذكر فيه المذاهب الأربعة و خلاف بعض الفرق كالزيديه و الاماميه و أفتى فيه بفوائد جمه كذا ذكرها بن فرحون.
- ٦ - معجم شيوخته في ثلاثه مجلدات كبار.
- ٧ - أسمى المنائح في اسمى المدائح و هو قصيده داليه في مدح النبي ص أولها:
أورد ظماك فقد بلغت المورد لن يحمد الإصدار من لا أوردا
و في العقد الشمين انه رثى النبي ص و عنده جماعه و هم يذكرون قصائد مدح بها النبي ص فقال اين أنتم من قصيده ابن مسدى الداليه.
- ٨ - قصيده طويله قال الذهبي في تذكره الحفاظ: ارانى عفيف الدين له قصيده نحو من ستمائه بيت ينال فيها من معاويه و ذويه..
و قال أيضا فيما حكاه عنه الصفدي: رأيت له قصيده طويله تدل على التشيع.

مقتله

قتل رحمه الله غيله مقطوع اللسان بمنزله بمكه برباط القزويني بالجانب الشمالي من مكه على باب السده عاشر شوال أو حادى عشره سنه ٦٦٣ و دفن بالمعلاه من يومه، و اتهم أمير مكه به جماعه و حلفوا و ظل دمه.

و ملخص حياته انه ولد بوادى أش سنه ٥٩٩ و تلقى العلوم و الحديث عن جماعه بالمغرب منذ حدود سنه ٦١٧ في قرطبه و بجايه و تلمسان و تونس.

ثم رحل إلى المشرق بعد سنه ٦٢٠ فجال في الشام و حلب و الإسكندريه و سائر البلاد المصريه و أقام بالفيوم و ولى بها تصدرا
ثم رحل من مصر إلى المدينه سنه ٦٤٦ و توجه إلى مكه فحج ذلك العام و أقام بها و ولى خطابه الحرم و إمامه المقام بها و
كان يداخل الزيديه بها و ينشئ الخطب ارتجالا في الحال و استمر على ذلك إلى ان اغتيل و قطع لسانه رحمه الله عليه. (٣)

الشيخ أبو عقيل محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف النوقارزى

الملقب بالوحيد و المعروف باليهقى.

توفى بعد سنه ٧٤٠ كان من علماء عصره شاعر أديب نحوى محقق ذكره شيخنا الأستاذ في الحقائق الراهنه ص ٢٠٩ قائلا (...)
أديب فاضل شاعر كاتب مصنف دون بخطه مجموعه فيها اثنتا عشره رساله عروضيه. جمله منها من تأليف نفسه منها
(العروض)... و قد كتبها من إلى و النسخه في مكتبه (سپهسالار) ذكر في فهرسها ج ٢ ص ٤٤٥. (٤)

ص: ٢٥٦

١- العقد الثمين ٤٠٦/٢ عن تذكره الحفاظ.

٢- العقد الثمين ٤٠٥/٢.

٣- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

٤- الصالحى.

السيد محمود بن السيد سلطان علي المرعشي التستري.

ولد في ١٢٠٧، توفي في ١٤٠٨.

ولد في الري (مشهد السيد عبد العظيم الحسنی) و هاجر مع أبيه إلى النجف الأشرف و في السابعة من عمره بدأ بقراءة المقدمات ثم قرأ السطوح عند اعلامها ثم حضر بحث الخارج و أدرك قليلا من بحث الآخوند الخراساني، ثم حضر بحوث الميرزا حسين النائيني و الآقا ضياء العراقي.

و سكن شطرا من حياته في سامراء و أخيرا انتقل إلى مدينه قم المقدسه و له مؤلفات منها - ١ - لمعه النور في حل بعض الأمور. - ٢ - بيدارى بشر في الرد على البهائيه - ٣ - رساله في الامامه - ٤ - رساله في التوحيد ٥ - شرح دعاء الندبه و غيرها. (١)

السيد مرتضى الخسروشاهي بن السيد احمد بن السيد محمد

الحسنی:

ولد بتبريز في العشر الثاني من شهر شوال سنة ١٣٩٩ [١٢٩٩]، و توفي سنة ١٣٧٢ فيها و دفن في النجف كان من أعظم علماء تبريز في عصره و كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر شديدا في الله، لا يخاف في الله لومه لائم.

* هاجر إلى النجف الأشرف في العشرين من عمره ثم رجع إلى تبريز و أقام هناك بقيه عمره و اشتغل بالتدريس و التصنيف و الوعظ و التذكير.

له مؤلفات باللغه العربيه، منها: ذروه السعاده في نيه العباده، مختصر الكلام في حكم السلام و معنى حديث الغدير.

قال عنه صاحب "علماء معاصرين": كان السيد الخسروشاهي في الرعيل الأول من العلماء و الفقهاء و كان تقيا، نقيا، فاضلا ذكيا متصلبا في الدين. (٢)

السيد مرتضى بن هادي بن محمد رضا الحسيني الرامسري.

ولد ١٢١٩ توفي حدود ١٢٨٠. في (جورديه) من ضواحي رامسر و دفن بها.

بدأ بتعلم القراءة و الكتابه في الخامسة من عمره ثم انصرف إلى تعلم المقدمات. و ذهب إلى قزوین و أقام مده هناك مشتغلا بقراءة السطوح و في حدود ١٢٣٨ ذهب إلى أصفهان و حضر في الفقه و الأصول على الشفتي الجيلاني و الكلباسي و في الفلسفه على النوري و غيره ثم ذهب إلى النجف الأشرف و حضر على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و غيره و في حدود ١٣٥٥ رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و كان يقيم في بعض الشهور بمدينه لاهيجان بطلب من أهاليها - و كان يدرس الفقه و الأصول و الفلسفه و اشتهر صيته و حصلت له المرجعيه إلى أن توفي في جورديه و دفن بها. و أنجب ثلاثة أولاد من العلماء و الفضلاء. (٣)

ولد في النجف سنة ١٢٨١ يوم وفاه الشيخ مرتضى الأنصاري و توفي في مشهد الرضا (ع) يوم ٢٤ ذى الحجه الحرام سنة ١٣٦٥ و دفن في الروضه الرضويه عند رجلين الامام في الحرم المطهر. فقيه اصولي محقق و من رجال التقليد و الفتيا و أساتذه الحكمة و الفلسفه. كان في طليعه قاده الحركه الدستوريه المعروفه ب "مشروطه" و أعلام أسرته آل الآشتياني البيت العلمى المعروف. كان جده الشيخ جعفر من العلماء الاعلام و أبوه الشيخ حسن من مراجع التقليد في عصره. قرأ المقدمات في النجف على جملة من الأفاضل ثم تخرج في الفقه و الأصول على أبيه و الشيخ حبيب الله الرشتي و الشيخ حسين الخليلي و الآخوند محمد كاظم الخراساني صاحب الكفايه و أخذ العلوم العقلية عن ميرزا علامه الصالحى الحائري، ثم هاجر إلى طهران و شارك في الانقلاب الدستوري و كان من جملة العلماء الذين تحصنوا في روضه الشاه عبد العظيم في الري و عارض في قضيه البنك الروسى و الحوادث التي انتهت بالغاء تلك الامتيازات و في سنة ١٣٤٠ انتقل إلى خراسان و أقام هناك قائما بالوظائف الشرعيه و تصدر للتدريس و الفتوى و الامامه حتى سنة ١٣٥٣ و على اثر الحوادث المؤلمه في المشهد نفى إلى طهران حتى سنة ١٣٦٠ ثم توجه إلى العتبات المقدسه في العراق و سكن كربلاء و جلس للتدريس و البحث و الفتوى و الامامه و في حدود سنة ١٣٦٤ رجع إلى ايران ثم قصد منها إلى خراسان و استقر فيها إلى آخر عمره في مدينه مشهد، طبع له في سنة ١٣٤٣ كتاب في الفقه (باب الاجاره) و كان نجله الشيخ محمود المتوفى سنة ١٤٠١ من علماء عصره و ابنه الثانى الأستاذ إسماعيل الآشتياني المتوفى سنة ١٣٩١ من كبار الرسامين و الفنيين في تاريخ الفن المعاصر في إيران.(٤)

السيد مرتضى الكشميرى.

اشاره

مرت ترجمته في الصفحه ١٢١ من المجلد العاشر و نزيد عليها هنا ما يلى:

ولد في الثامن من ربيع الأول سنة ١٢٦٨ و توفي في ١٣ شوال سنة ١٣٢٣ و حمل إلى كربلاء و دفن في الصحن الحسينى، و هو نجل العالم الزاهد السيد مهدى شاه، و كانت والدته معدوده في العلماء و اشتهرت بتدريس العلوم الرياضيه.

تخرج أولاً في الهند على يد والده و خاله، فقرأه نهج البلاغه و شرح الهدايه لملا صدرا الشيرازى، كما درس الرياضيات على المولى تفضل حسين، و الحكمة و المنطق على المفتى محمد عبد الحليم الأنصاري و محمد يوسف الأنصاري.

ثم هاجر إلى النجف بصحبه خاله سنة ١٢٨٤، فكان من أساتذته فيها كل من الشيخ الأنصاري و السيد مهدى القزوينى و السيد حسين البهبهانى و السيد حسين الترك و الشيخ محمد حسين الكاظمى و الشيخ محمد تقى الهروى و الشيخ محمد اللاهيجى.

كما حضر على الميرزا محمد حسن الشيرازى. و تخرج في المعقول على الآخوند ملا حسين قلى الدرگزىنى الهمداني.

١ - حاشيه على القوانين.

٢ - الحاشيه على رياض المسائل.

٣ - التعليقه على شرح الهدايه للقاضى الميبدى.

٤ - الحاشيه على شرح اللمعه.

٥ - التعليقه على تقويم المحسنين.

٦ - رساله فى اعمال الهندسه.

٧ - شرح على تحرير سلطان الحكماء.

٨ - شرح صفحه الأسطرلاب للبهائى.

٩ - رساله فى البعد بين البلاد.

ص: ٢٥٧

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السيد إبراهيم السيد علوى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

- ١٠ - تعليقه على الحاشيه المعروفه للمولوى غلام يحيى.
 - ١١ - تعليقه على حواشى مير زاهد على شرح التهذيب.
 - ١٢ - تعليقه على شرح تلخيص الجقمينى.
 - ١٣ - بحث فى الأسطراب.
 - ١٤ - تعليقه على شرح البرجندى سلطان الحكماء.
 - ١٥ - ملحق الرساله فى البعد بين البلاد.
 - ١٧ - شرح عباره المنهاج للمولى الكرباسى حول القبله.
 - ١٨ - تعليقه على رساله ابن فهد.
 - ١٩ - التعليقه على أمل الآمل للحر العاملى.
 - ٢٠ - شرح مبحث الزوال.
 - ٢١ - رساله فى شرح روايه عبد الله بن سنان من أصحاب الصادق ع.
 - ٢٢ - تعليقه على رساله خلاصه الحساب للشيخ البهائى.
 - ٢٣ - تعليقه على منتخب الإتحاف للسيوطى.
 - ٢٤ - تعليقه على شرح درايه الحديث للشهيد الثانى.
 - ٢٥ - اعلام الاعلام فى علم الرجال.
- و أغلب مؤلفاته هذه كانت عند خاله السيد محمد باقر و لا يزال قسم منها عند أولاده و أحفاده، كما تلف بعضها.

مشايخه فى الروايه

الشيخ نوح بن الشيخ قاسم الجعفرى النجفى و الشيخ محمد حسين الكاظمى.

و الشيخ محمد حسن ياسين.

و السيد حسن بن السيد محمد رضا بحر العلوم.

و السيد مهدي القزويني الحلبي.

و الميرزا محمد هاشم بن الميرزا زين العابدين الموسوي الخونساري.

و السيد أسد الله الاصفهاني.

و الشيخ زين العابدين المازندراني.

تلامذته

الشيخ علي القمي و الشيخ محمد حسين بن محمد خليل الشيرازي العسكري صاحب التعليقه على تفسير البيضاوي.

و السيد علم الهدى النقوي الكابلي.

و السيد محمد الموسوي الخلخالي.

و السيد آقا حسين الطباطبائي القمي.

و الميرزا آقا جواد الملكي التبريزي و السيد محمد حسين الغزنوي.

و الشيخ حسن علي الأصفهاني.

و الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي.

و الآغا بزرگ الطهراني صاحب كتاب الذريعه.

و الشيخ محمد حسين الكمپاني الأصفهاني.

وفاته

توفي ١٣ شوال عام ١٣٢٣ و حمل إلى كربلاء و دفن في الصحن الحسيني الإيوان الثالث جنب باب الزينبيه.

عقبه

ترك خمس بنات و ولدين هما:

- السيد محمد المتوفى عام ١٣٩٢.

- و السيد علي تقى المتوفى ١٣٩٦. و لا يزال العلم متصلا في بيت المترجم فمن أحفاده اليوم كل من:

السيد محمد الرضى و ولده السيد على، و السيد محمد حسن و السيد مرتضى و السيد محمد حسين و غيرهم. و هم ما بين طهران و قم و ديبى.

السيد مسلم الحللى النجفى

ولد حدود ١٣٣٠، و توفى ١٤٠١.

ولد فى الحللى و تعلم المقدمات بها ثم ذهب إلى النجف الأشرف و قرأ السطوح ثم حضر بحث اعلامها منهم السيد محسن الحكيم و الشيخ حسين الحللى و غيرهما.

قال أحد المدرسين المعروفين بالفضل و التحقيق و كان يقضى أكثر أوقاته فى التدريس و التعليم و كان مقر درسه فى المسجد الهندى و أكثر ما كان يدرس شرح التجريد و منظومه السبزوارى. (١)

الحاج ميرزا مصطفى مجتهدى

ولد سنة ١٢٩٧ فى تبريز و توفى سنة ١٣٣٨.

درس المقدمات فى تبريز ثم سافر إلى النجف الأشرف و حضر دروس شيخ الشريعة الأصفهانى و السيد كاظم اليزدى و الآخوند ملا كاظم الخراسانى. و مع دراسته الفقه و الأصول درس العروض و الهيئة و الرياضيات و الأدب.

له من المؤلفات: حاشيه على الكفايه. حاشيه على كتاب لسان الخواص الآغا [لآغا] رضا القزوينى. رساله فى الفلك و الرياضيات. رساله فى علم العروض. ارجوزه فى علم العروض و القافيه رسائل فى مباحث الفقه.

و فيه يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من أبيات:

تبرزت من تبريز رب فصاحه بها مدنيا قد حسيناك أو مكى

الشيخ مصطفى بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد

الآشتيانى المتخلص فى شعره بصهبا.

ولد فى النجف سنة ١٢٨٤ و اغتيل فى داره جنب روضه الشاه عبد العظيم فى الرى يوم الأربعاء الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٢٧ و دفن فى حرم الروضه.

أخذ المقدمات و السطوح على فضلاء عصره و تخرج على والده فى الفقه و الأصول و برع فى الأدب و الشعر و كان يتخلص فى شعره ب "صهبا" لقب بافتخار الحكماء و كان من قادة الحركة الفكرية التحريرية فى الانقلاب الدستورى فى إيران المعروف ب "مشروطه" و ساهم فى نهضة المعارضه ضد "المسيونوز" البلجيكى، و قد اغتيل من قبل زمره الشاه القاجارى و هو شقيق الشيخ مرتضى الآشتيانى و كان والده الشيخ حسن الآشتيانى من مراجع التقليد فى عصره.

له كتاب (افتخار نامه حيدرى) من نظمه على غرار شاهنامه الفردوسيو بنفس الأسلوب ذكر فيها حروب و وقائع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع طبع فى طهران سنه ١٣١٠ و له ديوان شعر مخطوط. (٢)

أبو منصور المظفر بن أردشير المروزى العبادى و يلقب بالأمير.

هكذا ذكره الذهبى فى (سير اعلام النبلاء)، و وصفه بالواعظ المشهور المطرب و قال عنه: واعظ باهر حلو الإشاره رشيق العبارة، الا انه قليل

ص: ٢٥٨

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الدين. سمع من نصر الله الخشمانى و عبد الغفار الشيروى و جماعه.

قدم رسولا إلى بغداد من السلطان سنجر سنه احدى و أربعين [٥٤١] فأقام ثلاثة أعوام يعظ بجامع القصر و بدار السلطنه، و ازدحموا عليه، و أقبل عليه المقتفى و الكبراء، و أملى بجامع القصر.

روى عنه ابن الأخصر و حمزه بن القبيطى و محمد بن المكرم، و كان يضرب بحسن وعظه المثل.

قال أبو سعد السمعاني: لم يكن بثقه، رأيت له رساله بخطه جمعها فى إباحه شرب الخمر.

قال ابن الجوزى: له كلمات جيده، و كتبوا عنه من وعظه مجلدات.

ذهب ليصلح بين ملك و كبير فحصل له منهما مال كثير. و مات بعسكر مكرمنه سبع و أربعين و خمس مائه.

و قيل كان يخل بالصلاه ليله حضوره السماع. و ذكر ليله مناقب على رضى الله عنه و أن الشمس ردت له، فاتفق ان الشمس غابت بالغيم فعمل أبياتا و هى:

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى مدحى لآل المصطفى و لنجله

و اثنى عنانك ان أردت ثناءهم أنسيت ان كان الوقوف لاجله

ان كان للمولى ووقفك فليكن هذا الوقوف لخياله و لرجله

قال: فطلعت الشمس من تحت الغيم، فلا يدري ما رمى عليه من الثياب و الأموال. عاش ستا و خمسين سنه، الله يسامحه (انتهى).

و يبدو جليا من هذا الكلام ان الرجل كان شيعيا، و انه كان له مجالس يتحدث فيها بمناقب أمير المؤمنين ع، و كان منها المجلس الذى أشير اليه فيما ذكره الذهبى.

و من هنا كان الطعن فى دينه و نسبه إباحه الخمر و الإخلال بالصلاه اليه.

كما يبدو من الأبيات الشعريه الثلاثه انه كان شاعرا جيد الشعر.

و هؤلاء القوم لا-يبالون ان يقعوا فى التناقض فكيف يمكن أن يكون (واعظا باهرا) (يزدحم الناس عليه) (يقبل عليه المقتفى و الكبراء) و (يكتب من وعظه مجلدات) و (يضرب بحسن وعظه المثل).

كيف يحصل ذلك لمن هو قليل الدين يبيح الخمر و يخل بالصلاه!!!

السيد مظفر على بن السيد خير الدين بن السيد مير خير الله الهندى

القزوينى الحائرى آل خير الدين

. من اعلام القرن الثالث عشر للهجره.

أخذ العلم عن والده السيد خير الدين و حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه الشهيد و حضر فى الحكمة و الفلسفه على الآخوند آغا الحكمى القزوينى ثم رجع إلى موطنه الهند و كان من خواص وزراء السلطان غاز الدين حيدر و إقبال الدوله فى مدينه لکنهو احدى المراكز الشيعيه فى الهند و كان من أعيان العلماء سمعت من أحفاده ان له مؤلفات و لكن لم أفق عليها و هو أحد اعلام أسره آل خير الدين من البيوت العلميه فى كربلاء و قزوین. (١)

معصومه خاتون بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن

إبراهيم بن يحيى القوامى المعروف بملا صدرا.

من ربات الفصاحه و البلاغه فى عصرها محدثه عالمه ذات صلاح و دين عابده زاهده حافظه للقرآن ولدت فى شهر شوال سنة ١٠٣٣ و توفيت فى شهر شعبان سنة ١٠٩٣ ببلده شيراز و دفنت بها قرأت على والدها ملا صدرا المتوفى سنة ١٠٥٠ ثم أخذت الأدب عن أختها زبيده و حضرت أيضا على أختها الأكبر أم كلثوم الماره الذكر حتى حازت مراتب العلم و الفضل و هى أصغر بنات صدر المتألهين الشيرازى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الميرزا قوام الدين النيريزى صاحب التعليقات الهامه على الأسفار و من تلامذه صدر المتألهين الشيرازى ذكرها السيد شهاب الدين المرعشى النجفى فى مقدمه معادن الحكمة قائلا (الفاضله العالمه الأديبه معصومه خاتون زوجه العلامه الميرزا قوام الدين التبريزى من أجله تلاميذ والدها صدر المتألهين و له تعاليق على كتاب الأسفار ولدت فى شهر شوال سنة ١٠٣٣ ق و توفيت فى شهر شعبان سنة ١٠٩٣ هجرية ببلده شيراز). (٢)

منصور بن إسماعيل.

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

العلامه، فقيه مصر، أبو الحسن التميمى الشافعى الضرير الشاعر.

قال ابن خلكان: له مصنفات فى المذهب، و شعر سائر، و هذا له:

لى حيله فى من ينم و ليس فى الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقول فحيلتى فيه طويله

قال القضاعى: أصله من رأس عين، و كان متصرفا فى كل علم، شاعرا مجودا، لم يكن فى زمانه مثله، توفى سنة ست و ثلاث مائه.

و قال ابن يونس: كان فهما، حاذقا، صنف مختصرات فى الفقه، و كان شاعرا خبيث الهجو يتشيع، و كان جنديا، ثم عمى.

و قال أبو إسحاق: له مصنفات فى المذهب، أخذ عن أصحاب الشافعى، و أصحاب أصحابه، ثم قال: مات قبل العشرين و ثلاث

قلت: بل سنه ست و ثلاث مائه كما قدمنا.

الشيخ منصور المرهون:

ولد فى (أم الحمام) احدى قرى القطيف الجنوبيه سنه ١٢٩٤ و توفى سنه ١٣٦٢.

تلقى علومه فى القطيف على يد الشيخ حسن على البدر (١٢٧٨ هـ - ١٣٣٤ هـ) و الشيخ محمد النمر (١٢٧٧ هـ - ١٣٤٨ هـ) ثم هاجر إلى النجف الأشرف فى العراق و أقام ١٥ سنه مشتغلا بالدراسه و العلم عاد بعدها إلى وطنه عالما فاضلا.

و فى القطيف كان يفكر و يخطط لبناء حوزة علميه تعيد للقطيف شيئا من ماضيها حيث كانت تسمى النجف الصغرى و قد استفاد من منبر خطابته لبث الفكره و تشجيع الناس على دعمها.

كما تحدث مع العديد من العلماء و الشخصيات حول سبل تنفيذ فكرته

ص: ٢٥٩

١- الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و تجسيد طموحه، و سافر إلى البحرين أيضا ملتصقا بدعم الفضلاء هناك لمشروعه.

و حينما علمت الحكومة السعودية بخطته و تحركه لبناء حوزة علميه دينيه اقتحمت منزله مجموعه من (الفداويه) و أخذوه قسرا مع ولده الشيخ على المرهون و اقتادوهما إلى (الرياض) بامر من الملك عبد العزيز و بقي سجينا مخفورا مع ولده يعانى الأذى و الألم النفسى و حقق معه الملك عبد العزيز شخصا، فأبان للملك بأنه يريد بناء حوزة دينيه علميه لا تسبب اى إزعاج أو مشكله للحكومه، فالدروس المتداوله فيها هى اللغه و النحو و المنطق و الفقه و الأصول، و لكن الملك طلب منه التعهد بعدم التفكير فى الموضوع أو طرحه و على أساس هذا التعهد أطلق سراحه مع ولده.

و لم يلبث بعد هذا الحادث الا شهورا قليله حيث وافته المنيه.

و خلف ذريه صالحه تواصل مسيرته الارشاديه و فى طليعتهم:

- الشيخ على المرهون و هو أحد علماء و خطباء القطيف المعاصرين إمام مسجد (المسعوديه) (القطيف).

- الشيخ محمد حسن المرهون إمام مسجد (الدبائيه القطيف) و خطيب معروف.

- الشيخ عبد الحميد المرهون يقيم الجماعه فى (أم الحمام) و من أبرز الخطباء.

- الملا سعيد المرهون خطيب.

- الملا عبد العظيم المرهون خطيب و أديب.

- الملا صادق المرهون خطيب.

الملا مهدي بن الملا عبد على الشويكى الفلاحى.

قال السيد على العدنانى الغريفي:

ولد فى مدينه الفلاحيه مركز منطقه الدورق، احدى مدن مقاطعه خوزستان، و نشا فيها و أخذ علوم العربية على أبيه الخطيب الملا- عبد عليو تتلمذ عليه فى الخطابه حيث كان والده خطيبا شاعرا أديبا و كان يرقى المنابر فى الدورق غالبا فكان الواعظ و الخطيب فى مجالس العزاء التى تقام لسيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع. و لقد سار على خطاه ابنه المترجم له، فقد كان خطيبا مفوها و شاعرا ينظم الشعر فى المناسبات المختلفه و له فى مدح و رثاء العتره الطاهره قصائد عده و كان ظريفا خفيف الروح مرحها يحبه الناس و يجلوناه.

و الشويكى نسبه إلى الشويكه و هى قرية قرب مدينه القطيف و قد برز من هذه الأسره (الشويكى) علماء و شعراء و خطباء كثيرون. و قد انتقلت من الشويكه إلى البحرين و منه إلى مدينه الفلاحيه و قد اتخذوا هذه المدينه محل اقامه لهم إلى زماننا هذا.

وقد اختص المترجم له بزعماء اماره كعب العرييه التي تقطن الدورق و هو مركزها و معقلها الحصين و قد مدحهم بقصائده و كانوا ينعمون عليه و يصلونه و كذلك كانت للمترجم صله بالسيد محمد على بن السيد عدنان الغريفي في مدينه المحمره كانت بينهما موده اكيد فكان يتردد عليه و يحل ضيفا عنده كلما هبط مدينه المحمره و قد رثاه المترجم بقصيده لما توفي سنه ١٣٨٨.

توفي المترجم له في شهر ذى القعدة الحرام سنه ١٣٩٢ في مدينه الفلاحيه عن عمر ناهز الثمانين و قد نقل جثمانه إلى مدينه النجف الأشرف حيث دفن فيها.

خلف عده أبناء ذكور و ترك ديوان شعر يتضمن قصائد في مدح و رثاء أهل البيت ع و هو موجود عند ابنائه و هم يحرسون عليه أشد الحرص و كتب مقتل الامام الحسين و هو كذلك عند ذريته و لم يطبع.

شعره

لم يتمكن من العثور على قصائده في الأئمة الاطهار ع و قد عثرنا على قصيده في رثاء رئيس بني كعب الشيخ جابر بن الشيخ عبد الله الكعبي يقول فيها:

اهاب بنا الناعى عشيا فاظلما و أوجع منا كل قلب و اضرما

و اورى فؤاد المجد حزنا و لوعه غداه نعى الناعى الزعيم المعظما

نعى الماجد الضرغام (جابر) ذا العلى و من فوق هام الفرقدين تسنما

فقد راع قلب الشعب فقد زعيمه و أصبح منه الشرق و الغرب مظلما

لقد عم هذا الخطب شرقا و مغربا و أبكى الورى طرا فصيحيا و أعجما

فيا نكبه اوهت لكعب مناكبا و ضمت لها فى باطن الأرض ضيغما

و هدت لها طودا من العز شامخا منيع الذرى لا يستباح له حمى

فلا غرو ان تبكى له (آل ناصر) دموع دم تحكى السحاب إذا همى

و تغدو عليه (آل إدريس) نوحا ترى الحزن فرضا و السلو محرما

و تضحى له (النصار) قرحى قلوبها تجرعها الأحزان صابا و علقما

فقد كان فيهم طود عز و منعه فغادره صرف الردى متهدما

طوت منه بطن الأرض أسمر لهذما و ابيض مصقول الغرارين مخذما

و ليثا إذا الأبطال فى الروح أحجمت و حادت عن الموت الزؤام تقدا

و غيئا على العافين يهمنى نواله لى كل محل يشبه البحر مفعما

أقر له بالفضل كل معاند و أبصر منه المكرمات ذوو العمى

فكم رد ظلما عن ضعيف و كربه جلاها و كم أغنى من الناس معدما

السيد مهدي الحكيم بن السيد محسن.

اشاره

ولد سنة ١٩٣٥ م فى النجف الأشرف (العراق)، و اغتيل فى الخرطوم (السودان) سنة ١٩٨٨ م اتقن القراءه و الكتابه فى (كتاتيب) مدينه النجف، ثم انتظم فى سلك طلاب العلوم الدينيه فدرس على الشيخ محمد تقى الفقيه و السيد محمد على الحكيم و الشيخ حسين الحلوى و السيد الخوئى و السيد محمد باقر الصدر.

و كان خلال دراسته يلقى المحاضرات التبليغيه فى الجامع الهندى على من يحضر من الشبان، ثم امتد نشاطه إلى بلده (قلعه سكر) مبلغا داعيا إلى الهدى. و فى النجف كان يخطب الجماهير المتجمعه فى

ص: ٢٦٠

(الصحن الحيدري)، في موضوعات الساعه الاجتماعيه و السياسيه. و في أوائل سنه ١٩٦٤ م انتقل إلى بغداد فسكن الكراده الشرقيه اماما لمسجد التميمي.

ثم ساهم في إنشاء مدارس الامام الجواد ع في بغداد و الكاظميه و كذلك في إنشاء كليه أصول الدين التي صار من مدرسيها. كما ساهم في إنشاء العديد من المساجد و الحسينيات في مناطق بغداد المختلفه. و عند ما تم تشكيل (جماعه العلماء) في بغداد و الكاظميه كان من أركانها.

و لما ألغى النظام التكريتي مشروع جامعه الكوفه و صادر ما تجمع لها من اموال قابل باسم والده الحكام المسيطرين محتجا على ذلك. و فعل مثل هذا عند تسفير من كانوا من أصل ايراني و إلحاق غيرهم بهم، و عند إلزام طلبه العلوم الدينيه بأداء الخدمه العسكريه.

و أرادت السلطه التخلص منه فوجهت اليه تهمة محاوله الاطاحه بالسلطه بقصد القبض عليه و محاكمته، و لكنه استطاع التوارى ثم الانتقال إلى خارج العراق، فوصل إلى (الدرعيه) في نجد ثم انتقل إلى عمان في الأردن ثم إلى ايران، و بعد اقامه أشهر فيها غادرها إلى الباكستان حيث أقام في كراتشي، ثم انتقل منها إلى (دبي) في الإمارات العربيه المتحده فاستقر فيها، و عمل على إنشاء مسجد الامام علي و إداره الأوقاف الجعفريه و صندوق البر و الإحسان. و بعد اقامه ثماني سنين في دبي انتقل إلى سوريا فأقام فيها عاما واحدا ثم انتقل إلى لندن فاستقر فيها نهائيا.

و في لندن كان من المساهمين في إنشاء منظمه حقوق الإنسان في العراق و لجنه رعايه المهجرين العراقيين، و مركز أهل البيت (ع) الذي تحول إلى اسم (رابطه أهل البيت الإسلاميه العالميه) التي من انجازاتها الدعوه إلى مؤتمرين اسلاميين عالميين انعقدا في لندن.

و كان منشغلا في أيامه الأخيره بتجميع فضائل المعارضه العراقيه، و كانت عيون النظام التكريتي تلاحقه فما أن دعي إلى حضور مؤتمر اسلامي في الخرطوم كانت الداعيه اليه (الجبهه الإسلاميه القوميه) و وصل إليها حتى كان زبانيه النظام يطلقون عليه الرصاص في فندق هلتون يوم ١٧ كانون الثاني سنه ١٩٨٨ فانتقل إلى جوار ربه مضرجا بدمه منضمًا إلى قافله الشهداء الأبرار من أبناء و أحفاد السيد محسن الحكيم الذي استحق بحق لقب (أبو الشهداء).

مراثيه

قال الأستاذ ضياء فرج الله يرثيه:

طالت لياليك فانزف أيها الوطن دما يضيء على مشكاته الزمن

و خل جرحك يدمى ليل غربتنا عسى يفيق الظلام المر و الوسن

مشردون.. و تخشى الأرض سطوتنا و نازفون و من أوداجنا المزن

يا أيها الوطن المسبى معذره ان غال وجهك فى ريعانه درن
فداء طلعتك السمراء كل دم يشب فيه الهوى و الوجد و الشجن
و حسب ابنائك الغادين يوم غلت لقياك: أن لها (مهديك) الثمن
الله.. ما وهبت كفاك طبعه؟ حتى تعجب منها الممطر الهتن
أى الشرايين روت للظى عطشا فاخضر بالتزف رمل و استوى غصن
و بالشرايين تمشى أنت مبتهجا؟ هلا يخيفك هذا المركب الخشن
كان موتك عرس فى براءته و أنت للحب مهر جامع أرنا!
غفران جرحك أن نسلو مواجهه و نرتجى غير ما تهواه يا وطن
و أن نقر و فى اضلاعنا حرق و أن ننام و تغفو العين و الأذن
نحن الحفاه تهز الليل صرختنا و سوف يهوى على أصدائها الوثن
للشوك اقدامنا.. للجمر أكبدنا أو تستلين لنا منقادته فتن
و عند بغداد سر ليس يعرفه إلا المحبون: - من ضحوا و من فتنوا
ما هاجرت فى سهيل الريح مبحره إلا و عادت إلى شطائها السفن
و الصادقون متى البلوى تنازلهم شدوا القلوب على البارود و احتضنوا
قوم.. دم (الصدر) و (المهدى) علمهم أن المنيا إذا ما أطبقت منن
كالنخل ماتوا وقوفا فى مصارعهم و هل يميمت شموخ النخلة الوهن؟
أخا الرحيل رويدا.. تبتغى ظعنا؟ و كل أهليك فى أكفانهم ظعنوا!
عشرون طفت بها الدنيا فلا أمم ضمت جناحيك - أفياء - و لا مدن
كنت الشريد تجوب الأرض مختنقا و زادك الهم و الأوجاع و المحن
يا وجهنا المتعب الدامى ائلق فرحا ناداك ربك: إن الجنه السكن

سافر إلى الله و احمل مر غصتنا و قل: إلهى هذا الوجد و الحزن

و ما أقلته روح و هى صابره يكاد ينشق من آهاتها الكفن

يهنى العذابات مجد أن تنوء بها و قبل ناء أبوك المحسن الحسن!

و قال الشيخ محمد رضا صادق مؤرخا وفاته:

وجه العراق الحر بل مهديه و جدى عليه، غيابه أشجاني

قتلته فى السودان غدرا زمره بعثيه.. فمضى فتى الفتان

آل الحكيم له اهتماما أرخوا (مهدينا قد غيل بالسودان)

(١٤٠٨)

ص: ٢٤١

و وصلنا هذان البيتان و لم نعلم لمن هما، و هما يؤرخان الوفاة أيضا:

من دولة السودان وافانا الأسي يا مسلمون بوجد نعي محزن

خانوا ضيافه ضيفهم أرخت (فه بشهاده المهدي شبل المحسن)

الشيخ مهدي بن الشيخ جعفر المعروف بآغا ميرزا كوجك بن الشيخ

جعفر بن الشيخ محمد الآشتياني.

ولد في طهران سنة ١٣٠٦ و توفي بها سنة ١٣٧٢ كان من فلاسفه الشيعة و عرفاء الاماميه و أساتذه الفلسفه العاليه المبرزين النابهين في طهران هو من اعلام آل الآشتياني البيت العلمى في طهران و هو ابن أخ و صهر الشيخ حسن الآشتياني على بنته.

قرأ المقدمات على جمع من فضلاء (طهران) ثم حضر على أبيه [و] الشيخ مسيح الطالقاني و السيد عبد الكريم اللاهيجي و الشيخ فضل الله النوري و أخذ الفلسفه العاليه عن الشيخ حسن الكرمانشاهي و المير شهاب الدين النيريزي و الميرزا هاشم الإشكوري و تخرج في الطب على الميرزا أبو القاسم النائيني، و ناظم الأطباء النفيسي و غيرهم حتى سنة ١٣٢٧ حيث قصد العتبات المقدسه في العراق و حضر في النجف الأشرف في الفقه و الأصول على الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفايه و السيد كاظم اليزدي صاحب العروه الوثقى و الميرزا محمد حسين النائيني و آغا ضياء العراقي و السيد أبو الحسن الأصفهاني، ثم رجع إلى موطنه طهران و كان أستاذ الفلسفه الالهيه العاليه في طهران و انحصر به هذا الفن إلى آخر عمره و تخرج عليه كوكبه من فحول الفلاسفه و أكابر العلماء منهم الميرزا أبو الحسن الشعراني و الشيخ مرتضى المطهري و الدكتور جواد الفلاطوري و السيد جلال الدين الآشتياني و الشيخ على محمد الجولستاني و الشيخ محمد رضا الرباني و الدكتور مهدي الحائري و بديع الزمان فروزانفر و الدكتور الآيتي و غيرهم ترك آثارا و مؤلفات هامه في الفلسفه فكان شارح المدرسه الفلسفيه في القرن الأخير الا- أن مذاقه العرفاني قد غلب في مؤلفاته و تحقيقاته على مشربه العقلي في مدرسته الفلسفيه. من مؤلفاته المطبوعه. ١ - أساس التوحيد طبعه في طهران. ٢ - تعليق على منطق المنظومه طبعه في طهران، ٣ - تعليق على حكمه المنظومه طبعه في طهران و له تعليق على الشفاء و تعليق على الأسفار لصدر المتألهين الشيرازي و تعليق على الإشارات لابن سينا، و له شرح الفصوص، و شرح مصباح الأنس و شرح فصوص الحكمه و غير ذلك من التعليقات و الشروح التي يعتبر كل منها كتابا خاصا. (١)

السيد موسى بن السيد على بن السيد مهدي بن السيد المير بزرگ بن

السيد المير بابا بن السيد المير فاضل الحسيني الزرآبادي القزويني.

ولد في قزوین سنة ٢٩٤ [١٢٩٤] و توفي بها في ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ و دفن في الإيوان الشرقي من صحن الشاه زاده الحسين بن الامام الرضاع بقزوین.

كان من أكابر علماء عصره ماهرا في كثير من الفنون لا سيما في الفلسفه و العرفان الإلهي قرأه في قزوین على جملة من العلماء

منهم الشيخ رضا بن الشيخ عبد الحسين البرغانى القزوينى و الشيخ ملا على أكبر السياه دانى فى المدرسه الصالحيه ثم هاجر إلى طهران و اشتغل فى مدرسه الصدر و مدرسه سبهسالار و أخذ الفلسفه و العرفان من الفيلسوف الشهير السيد أبو الحسن الجلوه المتوفى سنه ١٣١٤ و الميرزا حسن الكرمانشاهى المتوفى سنه ١٣٣٦ و الميرزا شهاب الشيرازى و الشيخ على النورى ثم رجع إلى موطنه قزوین و شغل كرسى التدريس و كان من فحول المدرسين خصوصا فى العلوم العقليه و العرفان الالهى و تخرج عليه جماعه من العلماء أشهرهم الشيخ الميرزا مجتبى القزوينى الخراسانى صاحب كتاب بيان الفرقان و الشيخ على أكبر الالهيان. و المترجم له هو سبط الشيخ آغا كريم الروغنى القزوينى و له مؤلفات شاهدهتها عند نجله العالم الفاضل السيد جليل الزرآبادى فى قزوین منها ١ - حاشيه على الكفايه فى مجلدين، ٢ - حاشيه على منظومه السبزوارى. ٣ - حاشيه على الإشارات قسم الإلهيات و المنطق - ٤ - شرح سلامان و آبسال ٥ - أصول الدين فارسى. ٦ - الاعتقادات بالعرييه. ٧ - المواعظ فارسى و كان المترجم له من رواد مدرسه الشيخ الرئيس ابن سينا و الفيلسوف الشهير المولى عبد الرزاق اللاهيجى صاحب الشوارق المتوفى سنه ١٠٥١ فى إثبات أحد الأصلين اى أصاله الماهيه و ما يترتب عليها و ينكر القول باصاله الوجود التى يقول بها صدر المتألهين ملا صدرا الشيرازى كما رأيت فى رسائله و مؤلفاته الفلسفيه منها حاشيه على المنظومه للسبزوارى. (٢)

الشيخ موسى العصامى بن محسن.

إشاره

ولد فى النجف حدود سنه ١٣٠٠ و توفى فى كربلاء سنه ١٣٥٥ و نقل جثمانه إلى النجف فدفن فيها.

العصامى: نسبه إلى العصامات و هم أحد أفخاذ (جليحه) القبيله الفراتيه الشهيره ذات الفروع الكثيره. درس فى النجف و برز فضلا و خطابه و وعظا و إرشادا. و يبدو أنه كانت له نقدرات قاسيه أوجبت نغمه عليه حتى اضطر لترك النجف و التنقل فى العراق من بلد إلى بلد حتى وافاه اجله فى كربلاء.

له من المؤلفات: الدعوه الحسينيه، البيان و التبيان فى الجامعه بين السنه و القرآن، و كتاب فى علم الكلام، و منظومه فى الامامه، و غير ذلك:

شعره

من شعره قصيده نظمها فى كربلاء فى المرض الذى توفى فيه:

كم ليله سهرت بها عين امرئ سلبته ايدى الظالمين قراره

يطوى الدجى متمللا فى حسره فتت مرارته و أذكت ناره

و جلا كئيب النفس خاطر ليله بحياته فيه و خاف نهاره

لا يعرف الحلوين أيهما له اهدى و أيهما يعز جواره

لا يستغاث و لا يرى من منجد الا دموعا فكثر استعباره
قعد الزمان و اهله عن نصره و لطالما ملأ الملا أنصاره
أ تراه فى أطواره اختار البلى فيها أم البارى اليه اختاره
أم ان أسباب الوجود تراحت اطوارهن فغيرت أطواره
و جرى التجارب فى تفاعله له فى الكائنات فبدلت أفكاره
دعها فتلك سفاسف و زخارف قبلت بذات مثلت إداره

ص: ٢٤٢

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

بالأمس كان و كل طرف طامح لشعوره و يرى الرقى شعاره
كان المفدى فى النفوس إذا بدا و اليوم تكره نفسه اخباره
و إذا ترست المحافل خلته بدرا أشاع بصدرها أنواره
و اليوم غاب النجم عنه و لم يغب الا عفاه فأنكرت آثاره
اي النفوس ترد عن صرح العلى سقطت و يرقى غيرهن مناره
و إذا الأمور لها بصرف طباعها حكم فقد عم الورى إجباره
قف و اترك المسعى فدونك حاجز الا إذا ما بدلت أدواره
و قال فى يوم الغدير من قصيده:

لك فى الوجود حقيقه لا تكشف تعب الأولى لك حدودا أو عرفوا
تاهت بمعناك الورى و تحيرت فيك العقول فلم تكن لك تعرف
و لقد تجلت من علاك أشعه فى الخافقين بها البصائر تخطف
فعمى بها قوم و أبصر معشر وجه الحقيقه و استهام المدفق
فقلتك طائفه و اخرى فيك قد غالت و قد هلك الجميع و أسرفوا
حسبتك أنت الله فى ملكوته الأعلى و أنت الواحد المتصرف
ما أنت الا عبده و وليه لا سابقا ازلا و لا مستأنف

الشيخ موسى الهر بن جعفر.

توفى سنة ١٣٦٩ فى كربلاء.

نشا فى حوض أبيه الفقيه الشاعر فشب بعد ان تلقى عنه و عن أساتذه آخرين علوم العرييه و الدين و نظم الشعر فى عده مناسبات
قال من قصيده عنوانها (فى البقيع):

مصاب دهى الإسلام و الشرعه الغرا فأمست برغم الدين أعينها عبرى

مصاب له شمس العلوم تكورت و أنجم سعد الدين قد نثرت نثرا

مصاب له عين النبي بكت دما و حيدر و الطهر فاطمه الزهراء

و قامت أصول الدين تنعى فروع بحادثه فقماء زلزلت الغبرا

فاضحت عيون الرشد تهمل بالدماء و أصبح وجه الغي مبتسما ثغرا

فهل نابها من فادح الدهر فادح اسال عقيق الدمع من مضر الحمرا

و عادت لنا الأيام يوم مذله به أصبح الإسلام منقصا ظهرا

أجل جل رزء الدهر هدم قبورهم له انبجست عين الورى أدمعا حمرا

أ ثامن شوال غدوت محرما و قد نصبت فيك المآتم فى الشعرى

و له تقرىض لكتاب "رسالة المعجزه و الإسلام فى أصول الدين و فروع الدين" للسيد محمد هادى الحسينى الخراسانى:

هادى الأنام و مرجع الأحكام نصر الهدى فى معجز الإسلام

قسم له فى العلم أوفر قسمه و العلم كالارزاق بالاقسام

علم التقى الهادى يضيئ كأنه صبح تلبج من خلال ظلام

فخرت شريعتنا بمفخر سيد فخر الشرائع فيه و الأحكام

الله أكبر أنت أكبر آيه ظهرت بأكبر آيه الاعلام

ما أظهر البارى حقيقه فضله الا ليظهر معجز الإسلام

تقف العقول حواسرا من دوله ما بين اقدام إلى احجام

بمباحث للحق فى ميدانها احجام كل سميدع مقدام

ببلاغه مقرونه بفصاحه ترمى فصيح القوم بالاعجام

اقلامه افتخرت على سمر القنا فرأيت كل الفخر للأقلام

لله درك اى در غصت من بحر العلوم زها كبدر تمام

و قال مقرضا كتاب "نهضة الحسين" للعلامة السيد محمد علي هبه الدين الحسيني:

مرشد الحق إلى الرشدها فاهتدى من لنداه استمعا

قائلا سيروا بمنهاج الهدى و اطلبوا سبل المعالي اجمعا

كم له نهضة عز دونها أنجم الخضراء تعنو خضعا

قادر نادر ميرزا القاجارى.

ابن بديع الزمان صاحب الاختيار ابن محمد علي قلى ميرزا بن فتح علي

شاه.

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٠٠ من المجلد العاشر و نزيد عليها هنا ما يلى:

ورد فى ترجمته انه بدأ تأليف كتابه (تاريخ تبريز) سنة ١٣٠٣ و فرغ منه فى ٢٢ المحرم سنة ١٣١٤.

و لكن جاء فى كتاب فارسى فى تراجم رجال تبريز أن المترجم ولد سنة ١٢٤٢ و توفى سنة ١٣٠٣ و انه جاء تبريز و عمره ١٥ سنة و انه درس النحو و الصرف على ملا محمد على، و العلوم على ملا محمود توجى و أن استاذة هذا كان من أفضل فضلاء عصره. و ان المترجم يقول فى مقدمه كتابه (تاريخ تبريز): كنت أحب تبريز و علماءها و تعرفت فيها على أستاذ أديب متقدم فى السن اسمه محمد على كنت اذهب اليه من الظهر حتى الغروب

ص: ٢٦٣

مع حرص كبير على تعلم النحو و الصرف و اللغة.

و أن للمترجم من المؤلفات عدا كتابه (تاريخ تبريز) كتباً في علوم النجوم و الأمثال العربية و أنه كان شاعراً، و أن ألف (تاريخ تبريز) في أواخر حياته. و انه كما كان أبوه حاكماً لولاية آذربيجان، فقد حكم هو قسماً من تلك الولاية و أن الحاكم محمد رحيم خان تسقجي حاربه حرباً شديده حتى أدى الأمر إلى ان هدم داره و نهب أمواله و ظل على حربته له حتى مات فاستراح المترجم.

السيد ناصر بن احمد البحراني

نزير البصره.

مرت ترجمته في الصفحة ٢٠١ من المجلد العاشر، و سقطت في السطر العشرين من العمود الثاني بعد كلمه: (في الجوده) هذه الجملة: "فطلب منى إنشادها و ألح على ذلك، فقلت له: يا مولانا هي من هذا البحر و على هذه القافيه".

كانت بينه و بين السيد جعفر الحلبي مراسلات شعريه، فمن ذلك ما كتبه اليه الحلبي:

برامه أوطان لنا و ربوع سقاهن من فيض السحاب هموع

و روحها غض النسيم بنافح شذا الشيخ و القيصوم منه يצוע

نعمت صباحا يا مرابع رامه و حياك بسام العشى لموع

إلى ان يقول:

عميد بنى الاشراف من آل هاشم يطيب الثنا في ذكره و يצוע

تورث من اهليه ثوب رئاسه به لخلق المكرمات ردوع

كساه به من البس الشمس بهجه و ليس لما يكسو الإله نزوع

تحف به يوم الندى اريحيه تعودها حتى يقال خليع

خصيب حمى و المحل ملق جرانه يطبق وجه الأرض منه هزيع

فلا بمصاب الغيث توجد قطره و لا بحمى المرعى يصاب ضريع

تراه يطيب الزاد للضيف و الروى إذا الناس طرا اعطشوا و اجيعوا

إذا الضيف وافى تعلم الكوم انه سينهل من اوداجهن نجيع

فيا ناصر الإسلام يا فرع دوحه ضرين لها فوق السماء فروع
سلمت لنا ابيض نحوك شارع و ما طاب للوراد منك شروع
و لا زال واديك الخصيب تؤمه رذايا رجاء و خدهن سريع
تناخ على ارجاء واديك لغبا خماصا فيقريهن منك ربيع
و جودك غوث للعصاه مروع و جودك غيث للعفاه مريع
تثقف فى يمانك فى كل معضل يراعا قلوب الشرك فيه تروع
فاسطره للمشركين سلاسل كما انها للمسلمين دروع

السيد ناصر بن السيد هاشم بن السيد احمد بن السيد حسين آل السيد

سليمان الموسوى الاحسائى.

ولد فى الإحساء سنة ١٢٩١ و توفى سنة ١٣٥٨ فى الإحساء و دفن فيها.

كان من فقهاء العصر و أكابر علماء الشيعة انتهت اليه المرجعية فى الإحساء. قرأ الصرف و النحو و المنطق و المعانى و البيان و سائر المقدمات إلى شطر من السطوح على والده فى موطنه و فى سنة ١٣٠٩ توفى أبوه الزعيم الرئيس هناك فهاجر المترجم له إلى النجف الأشرف و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ محمد طه نجف و الشيخ محمود ذهب و الشيخ ملا هادى الطهرانى ثم رجع إلى موطنه الإحساء و أخذ الفلسفه هناك على الشيخ محمد بن عيثن و بعد مده رجع ثانيه إلى النجف و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و شيخ الشريعة الاصفهانى و السيد أبو تراب الخونسارى و منها قصد إلى ايران لزياره الامام الرضا (ع) و مكث فى خراسان مده ثم رجع إلى موطنه الإحساء بطلب من أهلها و بقى فيها حتى وفاته و رثاه جماعه منهم الشيخ محمد السماوى بقوله مؤرخا عام وفاته:

قضى ناصر الدين الوحيد بعصره فراح عليه بالشجاء معاصره

فان يبكه الدين الحنيف فإنه على ذمه التاريخ (غيب ناصره)

و قد أرخ وفاته أيضا الشيخ جعفر النقدى بقوله:

اضحت محاريب الهدى تبكى الهدى و منابره

دين النبى الطهر مذ أرخت (غيب ناصره)

و وصفه الشيخ جعفر النقدي فيما جمعه الشيخ محمد حسن الشخص من أقوال قيلت فيه (كان من اجلاء فقهاء الشيعة و من خير الأقطاب الذين تدور بعلمهم و آدابهم رحي الشريعة مثالا للأخلاق الفاضله و الصفات الكريمة و قدوه صالحه للورع و التقوى و الزهد و مكارم الأخلاق و حب العلم و أهله و كان على جانب عظيم من الصراحة في أقواله و أفعاله في معزل عن الدنيا و أهلها و حطامها لم تأخذه في الله لومه لائم و لا يصدده عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عذل عاذل و لذلك لاقى في حياته صدمات لا يستهان بها من ذوى الأغراض و الأمراض و أنجاه الله منها بحسن سيرته و صفاء سريره عرفته نور الله مرقده منذ ثلاثين سنة في النجف الأشرف و حضرت مجالسه الموقره و درست أخلاقه الكريمة و شيمه الطاهره فما وجدته في سائر أدواره و أطواره يفتر عن العلم و التحدث به ساعه من الساعات مدرسا و مباحثا و روايا و ناقلا إلى غير ذلك مما يشتغل فيه أساطين العلماء و أعظم المحققين و كان آيه في الفهم و الذكاء و التحقيق و التدقيق...).

و كان إلى ذلك شاعرا فمن شعره قوله في رثاء الحسين ع:

هذى مضاجع فهر أم مغانيها أم السماء تجلت في معانيها

فحط رحل السرى فيها و حى بما يجرى من العين دانيها و قاصيها

قوم على هامه العلياء قد بنيت لهم بيوت تعالى الله بانيها

ص: ٢٦٤

و معشر للمعانى الغر قد شرعوا طرقا بأخلاقهم ما ضل ساريها
و أسره قد سمت كل الورى شرفا فلم يكن أحد فيه يدانيها
لووا عن العيش اعطافا أبين لهم مس الدنيه تكريما و تنزيها
فقاربت بين آجال لهم شيم إذ المنايا طلاب العز يدنيها
رأوا حياتهم فى بذل أنفسهم فى موقف فيه حفظ العز يحييها
فى الهام امست تغنى بيضهم طريا و سمرهم تشنى فى الحشا تيتها
و الخيل من تحتهم فلكك جرى بهم فى موج بحر دم و الله مجراها
و النقع قام سماء فوق ارؤسهم آفاقها أظلمت منه نواحيها
لكن أجرامهم قامت بها شها لو لا ضياء شها ضل ساريها
ترمى العدى بشواظ من صواعقها فلا ترى مهريا منه أعاديها
و شاء أن يجزى البارى فعالهم من الجزاء باوفى ما يجازيها
دعاهم فاستجابوا إذ قضوا ظما بأنفس لم تفارق أمر باريها
فصرعوا فى الوغى يتلو ماثرهم فى كل آن مدى الأيام تاليها
و له قصيده يرثى بها زيد الشهيد بن الامام زين العابدين ع:
عج بالكناس و عج بربع لم تزل فيه تحط رحالها الوفاد
و أقم رويدا موقدا نار الاسى فهنا يحق لناره الإيقاد
و اندب و قل بعد السلام لمن به بيت المعالى و الحفاظ يشاد
با [يا] "زيد" زدت علا بخير شهاده هدت لوقع مصابها الأطواد
و هنالك الذكر الجميل سما له بين الورى علم و قام عماد
لله درك من غيور للهدى و شديد بأس دونه الآساد

فيك استغاث من العدى مستنجدا إذ كان منحصرًا بك الأنجاد

فأغثته بوغى لكاس حمامها بشبا حسامك تكثر الورد

و بمعرك ملئت بأجساد العدى منه رحاب للفلا و وهاد

القحتها حربا و ولودا للردى و لها القوابل مرهف و صفاد

أفديك من بطل وجود بنفسه فى موقف بخلت به الأجواد

و له قصيده فى رثاء جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب و يتخلص برثاء ولده سيد الشهداء الحسين ع:

لا تلمنى فالنفس طال عناها من غموم يذكى الملام لظاها

لست أدرى و لن أرانى أدرى اى ذنب لسيد الرسل طاها

يوم خانت عهوده فى أخيه امه قد غوت و طال عماها

أضمرت حقدها له و هو حى فغدت فى أخيه تشفى جواها

ناصر ناصيف

اشاره

مر بحث عنه فى الصفحه ٢٠٥ من المجلد الثالث [العاشر] من الأعيان، كما مر بحث عن تحالفه مع ظاهر العمر و على بك الكبير فى الصفحه ٢٤٣ من المجلد الأول من المستدركات. و نشر هنا عنه بحثا آخر بقلم الدكتور محمد حمود، تتبعه ببحث عن احمد باشا الجزائر، ثم ببحث عن على بك الكبير لارتباط أمرهما بامر ناصيف ارتباطا متصلا:

الحاله السياسيه فى جبل عامل قبل ناصيف النصار

عاش جبل عامل قبل ظهور ناصيف النصار نصف قرن فى صراع دائم و صدام مستمر مع الأمراء الشهابيين. إذ كان يصير هؤلاء، يساعدهم على ذلك والى صيدا العثماني على السيطره على جبل عامل لأهميته الاقتصادية بالنسبه إليهم. فهو يشكل بنتاجه الزراعى متمما اقتصاديا للشوف الذى تقل فيه زراعه الحبوب. يضاف إلى ذلك بعض الاعتبارات المذهبيه.

و كانت زعامه آل الصغير فى بلاد بشاره تناضل دائما من أجل تحقيق شكل من أشكال الاستقلال الذاتى للجبل. و كانت الزعامه فى هذه المرحله بعد ١٦٩٧ قد انتهت إلى الشيخ مشرف آل الصغير الذى حاول عن طريق مناصرته للزعامه اليمنيه، المناوئه للزعامه القيسيه الجديده ان يضمن استقلال الجبل. و أعلن العصيان على والى صيدا ارسلان باشا سنه ١٦٩٨ و قبض على جماعه من غلمان.

استنهض الوالى ارسلان باشا الأمير بشير الشهابى الأول على الشيخ مشرف و أطلق للأمير ولايه صفد و مقاطعات جبل عامل.
زحف الأمير على العاملين و استطاع ان يهزمهم قرب قريه "المزرعه" و قبض على زعيمهم الشيخ مشرف و أخيه الحاج محمد و
مدبرهما الحاج حسين المرجا و أرسلهم لأرسلان باشا الذى سجن الشيخين و قتل مدبرهما(١) و كان آل صعب و آل منكر
العاملين حكام مقاطعه الشقيف و اقليمى الشومر و التفاح قد حضروا إلى الأمير و أطاعوه و أظهروا التعصب للقيسيه فقبلهم و
قررهم على ديارهم و لاه من قبله.(٢)

و هكذا خسر جبل عامل جولته الأولى فى سعيه للاستقلال الذاتى عن الوالى العثمانى و انتهى إلى سيطره الأمير الشهابى حتى
كانت سنه ١٧٠٥ حين تولى الأمير حيدر الشهابى اماره الشوف و عزل ارسلان ارسلان [باشا عن ولايه صيدا، و خلفه أخوه بشير
باشا فأفرد ولايه صفد و ولى عليها ظاهر العمر

ص: ٢٦٥

١- الزين.

٢- حيدر شهاب و طنوس الشدياق.

و أقر آل صعب و آل منكر على مقاطعاتهم و أعاد ال الصغير إلى ولايه بلاد بشاره و لاه من قبله. (١)

و ما ان عاد آل الصغير إلى حكم مقاطعاتهم من قبل والى صيدا حتى بدأ حينهم إلى "الاستقلال" يعود من جديد. فعملوا بإخلاص على توحيد صفوف العاملين فانضم إليهم آل منكر و آل صعب "لما بينهم من الاتحاد بالتشيع و التعصب لليمنيه" (٢).

و لكن الأمير حيدر ما لبث ان تمكن من "شراء" ولايه جبل عامل من والى صيدا. و هكذا أعلن والى صيدا حيدرا الشهابى حاكما على جبل عامل. رفض العامليون هذا الأمر فنهض إليهم الأمير حيدر من دير القمر سنة ١٧٠٧ و بلغ بلده النبطيه التى اجتمع فيها العامليون استعدادا لقتاله و جرت المعركة بين الفريقين خارج البلده و تمكن الأمير حيدر من الانتصار على العاملين و ارتكب بحقهم ايشع المجازر. و أجلى آل الصغير ثانيه عن حكم بلاد بشاره و تولاهما محمود أبو هرموش من قبل الأمير حيدر لجبايه المال المرتب عليها.

و لئن جعل المؤرخون الشهابيون أسباب هذه الحمله مجرد "مخرقه" العاملين فى أطراف بلاد الشوف فان الشيخ على الزين ذهب بعيدا و جعل:

"غزو الأمير حيدر للنبطيه جريا على خطه رسمت للشهابيين فى الخفاء يستشفها الباحث من تاريخ سلفه الأمير بشير الأول سنة ١١١٠/١٦٩٨ و تاريخ خلفه الأمير ملحم ١١٤٤/١٧٣٢ ثم خلفه الأمير يوسف ١١٨٥/١٧٧٠ يوم جعل كل منهم باكوره اعماله فى حكم الشوف غزو بلاد المتاوله و نهبها". (٣)

و من يعد إلى المصادر التاريخيه يلاحظ أن آل الصغير كانوا لا يطمنون إطلاقا للأمرء الشهابيين، و أثبتت الوقائع التاريخيه انهم كانوا على حق فى ذلك - و لم يكن هم الولاة العثمانيين سوى جمع الأموال. اما رفض العاملين لسيطره الأمير الشهابى فكان منسجما مع رغبتهم فى الحفاظ على حريتهم و عاداتهم و عقيدتهم لذلك كان اتحادهم لمواجهه حكام الجور و تسلطهم و ليس "بدافع التشيع و التعصب لليمنيه" فحسب كما علله المؤرخ الشهابى مختزلا دوافع الكرامه الوطنيه:

و بدأت بعد معركة النبطيه حكاياه أخرى مع محمود أبو هرموش الذى جعل جل همه جمع المال من العاملين لإغناء ثروته. و لكنه ما لبث ان تمرد على الأمير حيدر نفسه و فر بالأموال إلى والى صيدا الذى حصل له على لقب باشا من الباب العالى و ولاه ولايه جبل لبنان مكان الأمير حيدر الذى ترك إلى غزير ليعود من جديد إلى دير القمر و يقضى على الحزب اليمنى قضاء نهائيا بعد معركة عين داره ١٧١١ و التى هزم فيها أبو هرموش و ولاه الشام و صيدا مجتمعين.

و هكذا بعد خروج أبى هرموش من جبل عامل و بعد معركة عين داره حضر عثمان باشا أبو طوق و أراد أن يسترضى العاملين فأعاد آل الصغير إلى حكم الجبل مع ذلك لم يسلم الجبل من محاوله "شهابى" آخر التحكم به.

و بالفعل فان أمير حاصبيا هذه المره الأمير قاسم الشهابى سنة ١٧١٢ حاول السيطرة على الجبل و لكنه لم يوفق إذ استطاع المشايخ المحليون ان يعودوا إلى حكم مقاطعاتهم و أن بينوا السرايات فى مراكز حكوماتهم.

أثار ازدهار العاملين حفيظه الأمير حيدر و هاله ما أصبحوا فيه من قوه و استقرار فرحف فى سنه ١٧١٩ باثنى عشر ألف رجل إلى بلاد المتاوله و القبليه و بلاد الشقيف و إقليم الشومر و نهب البلاد و قتل نحو أربعين رجلا و أخذ منهم ألف و حرق البلاد و قطع الأشجار و هدم سرايات الحكومه هدمًا مريعًا و رجع إلى موضعه. (٤)

و بعوده الأمير حيدر إلى موضعه عاد العاملين إلى حكم بلادهم و عمرانها بعيدا عن تهديد الشهابيين لأن صراعا كان قد دب فى الشوف بين أبناء العمومه و الإخوه من الأمراء و استمر حتى تنازل الأمير حيدر إلى الأمير ملحم سنه ١٧١٩.

و كأنه لم يكف جبل عامل ما لقيه على أيدي الشهابيين إذ ما لبث ان ظهر طامع جديد بحكم الجبل و لكن هذه المره من الجنوب أعنى بذلك ظاهر العمر حاكم بلاد صفد و الذى كان "وإدا للأمير حيدر لكونه سنيا قيسيا". (٥)

استغل ظاهر العمر الظروف السيئه للعاملين بعد هزيمتهم امام الأمير حيدر فسار و معه أمراء صفد ١٧٢٢ لقتالهم و لكنهم الحقوا به هزيمه مره (٦) جعلته يحجم عن مقارعتهم ثانيه بل لعلها دفعته إلى السعى لاتخاذهم حلفاء له - كما سنرى فيما بعد - على مناهضيه داخل بلاده.

أما الأمير ملحم فإنه عند ما استتب له الأمر لم يخرج على سنه سابقه:

أمير شهابى جديد يزيد فى مال التزام جبل عامل من والى صيدا فيوليه عليه، فرفض عاملى... فحملة تأديبه شهابيه تنتهى كسابقاتها بقتل و دمار.

ففى سنه ١٧٣٢ التزم الأمير ملحم جبل عامل من أسعد باشا العظم والى صيدا فى ذلك الحين و كان ذلك ردا على ما اسماه شماته آل الصغير بموت والده "و قيل انهم من سرورهم خضبوا ذبول خيولهم بالحناء". (٧)

و رفض العاملين ولايه الأمير ملحم عليهم فقام هذا من دير القمر لقتالهم فمال لجانبه سلمان الصعبى والى مقاطعه الشقيف.. فأطلق له الأمان و بقى سائر أودهم بنى على الصغير للقتال فالتقى بهم فى أرض قريه يارون (٨)... فحصل النصر و الظفر للأمير ملحم و كسرهم و أهلك منهم خلقا و قبض على مقدمهم نصار (٩) و فر إخوته إلى جوياء فسار خلفهم ففروا إلى القنيطره فظفر بجماعه من غلمانهم فاهلكهم. ثم أطلق الغاره على تلك الديار فنهب ما فيها و قفل راجعا إلى ديار لبنان (١٠) و معه نصار الصغيرى و ولى على ديار بشاره حليفه سليمان الصعبى المذكور و بعد أيام عاد اخوه نصار و افتدوا أخاهم بمال وافر فأطلق الأمير ملحم سراحه و أعادهم إلى ديارهم و لاه من قبله.

و ينعم جبل عامل بشيء من الاستقلال الذاتى. لكن عند ما شعر الأمير ما حم بتزايد قوه العاملين قام بعمله كبيره ذهب ضحيتها العشرات من العاملين سنه ١١٥٦/ عرفت فى التاريخ باسم وقعه أنصار و التى يفهم من سكوت المؤرخين عنها و التناقض الذى وقعوا فيه حولها انها ربما كانت لأسباب محض مذهبيه. (١١)

يقول المؤرخ العاملى السببى: "١١٤٧ (١٧٣٣) صارت وقعه أنصار مع الأمير ملحم و أسر من الشيعه ألف و أربعمائيه و مات فى الكنيف فى بيروت و مكث الأسرى و كانت الوقعه بفتوى الشيخ نوح ن.

- ١- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٢- ن. م.
- ٣- الزين.
- ٤- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٥- ن. م.
- ٦- ن. م.
- ٧- ن. م.
- ٨- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٩- هو والد ناصيف النصار.
- ١٠- لعله يقصد قلعه مارون التى كانت مركز آل على الصغير و هى قرب سلعا.
- ١١- العرفان.

و يتعامل بعض المؤرخين مع هذه الحمله بكثير من الريبه و يرون أن العاملين " أخذوا غدرا و اغتيلوا خارج القرية ثم نهبت و أحرقت و قتل جميع من فيها و بلغ عدد القتلى من الطرفين نحو ألف قتيل ".(١)

على الرغم من سلسله الهزائم هذه لم يلبث العامليون ان وحدوا صفوفهم ليحققوا أول انتصار لهم على الأمراء الشهابيين فى سنه ١٧٤٣! " فى سنه ١٧٤٣ كانت الوقعه بين المشايخ بنى متوال و أهالى وادى التيم و معهم دروز جبل الشوف و كانت الكسره على الدروز و عسكر وادى التيم و قتل منهم مقدار ثلاثمائه رجل و أحرقت المتاوله جميع قرى مرجعيون ثم اجتمعت المتاوله فى قريه النبطيه و أرادوا ان يغزوا جبل الدروز فمنعهم وزير صيدا.(٢)

و يشير الشيخ سليمان ظاهر إلى هذه المعركه و يعلق عليها بقوله: " و فى هذه المعركه يقول بعض الزجليين:

يا بنت مردم بك طلى و شوفى دخان مرجعيون غطى الشوفى

(٣) و هكذا مضى نصف قرن على الأقل فى و [صراع دائم بين العاملين الذين يصرون على استقلالهم الذاتى و بين الأمراء الشهابيين: بشير الأول، حيدر، ملحم، الذين حاولوا اخضاع الجبل و سلبه خيراته بتواطؤ مكشوف مع ولاء الدوله العثمانيه.

و لم يخل هذا النزاع من خلفيات مذهبيه و هذا واضح من خلال حضور قوى لرجال الدين العاملين الذين استشهد عدد منهم فى ساحات المعارك دفاعا عن الكرامه و العقيده و الوجود.

و مع ان العاملين لم يكونوا دائما موحدى الصفوف إلا ان ما ينبغى تسجيله هو عدم حصول صدام مباشر بين الأسر العامليه. كما ان أيا من الأسر العامليه لم يقاتل مع الشهابيين ضد أشقائه من أبناء الجبل. و كان على الوحده الحقيقيه لأبناء جبل عامل ان تترجم نفسها مع ظهور ناصيف النصار كشيخ مشايخ جبل عامل.

الشيخ ناصيف النصار الإنسان

ذكر الشيخ عبد المحسن الظاهر المعاصر - و هو من سلاله اسره ناصيف - ذكر نسب ناصيف النصار فى مخطوطه له بعنوان: " الدلاله العامليه بتاريخ الأسره الوائليه " نقلا عما ذكر الحاج محمد سهيل، و شبيب باشا الاسود [الأسعد] و حسين بك البندر عن حمد البيك و أقره عدد من شيوخ العائله قال:

ناصر النصار هو ناصيف بن نصار الثالث بن نصار بن أحمد بن نصار بن مشرف بن احمد بن نصار بن حسين بن على الصغير ثم استرسل الشيخ الظاهر فأوصل النسب إلى معد بن عدنان مما لا يعلم حقيقته الا الله. و بعد إيراد النسب قال الشيخ عبد المحسن:

هو أشهر من نار على علم: طائر الصيت عاطر الذكر رأس (رئيس) عامله على الإطلاق، مدبر شئونها و حامى صوتها و مفرج كربتها و معيد حريتها و محطم نير الاستعباد و مبيد الظلم و الجور و الاستبداد. جمع من المآثر الحميده. مواقفه فى الحروب مشهوره و أعلام ذكره بين الأنام منشوره حيث الرجال بالأفعال لا بالأقوال".

السيد محسن الأمين يذكر في ترجمته في "أعيان الشيعة": يقال له الشيخ ناصيف النصار جريا على العاده في إدخال الألف و اللام على اسم الأب حين إرادته نسبه الابن اليه. و لفظ الشيخ أحد ألقاب الأمراء في بلاد الشام. فأمراء جبل عامل و الأمراء الحماديون و غيرهم كانوا يلقبون بالمشايخ و الحرافشه و الشهابيون كانوا يوصفون بالأمراء. و كانت امره جبل عامل لثلاث طوائف: فأمرة بلاد بشاره لآل على الصغير و إمرة بلاد الشقيف للصعبيه و امره إقليم الشومر لآل منكر. و كان يطلق على ناصيف شيخ المشايخ أى أمير الأمراء.

و يذكر السيد محسن فى مخطوط اطلعنا عليه عند نجله السيد حسن الأمين: "زرنا قبره سنة ١٣٤٩ و قرأنا له الفاتحه فوجدناه قبراً بسيطاً قد بنى حوله أساس فقط. و العجب من أقاربه الذين ملكوا البلاد بعده كيف لم يبنوا قبره و يشيدوه مع انه أهل لذلك بما كان فيه من جميل الصفات من الشجاعه و الكرم و حفظ الجوار و جوده الرأى و محاسن الأخلاق و تعظيم العلماء و أهل الدين. و قد قتل شهيداً فى الدفاع عن استقلال بلاده و رد الظالمين الفراعنه عنها رحمه الله رحمه واسعه".

بعض المصادر التاريخيه التى اهتمت بجبل عامل تذهب إلى القول ان الشيخ ناصيف ولد فى قريه مجدل سلم القريه من تبين حيث توفى والده و حيث كانت اقامه الأسره فيما بعد طلوعها من قريه شحور.

و عبثاً نفتش فى المصادر التى بين أيدينا عن ذكر لسنه التى ولد فيها ناصيف النصار. غير أن مصادر الشيخ عبد المحسن الظاهر ذكرت عنه قوله: سمعت من بعض شيوخنا عن سلفهم انه لما قتل ناصيف النصار سنة ١١٩٥/١٧٨٠ كان عمره خمسا و ستين سنة "فتكون سنة ميلاده ١١٣٠/١٧١٥ و كما كان مولده غامضاً كذلك كانت نشأته أكثر غموضاً إلا انه تجدر الإشارة إلى نشأته فى بيئه اجتماعيه تسودها علاقات اقطاعيه تميز فيها الأعيان عن الفلاحين ببعض المميزات الخاصه كتعليم الفروسية و بث روح الشجاعه فى أولادهم لأنها كانت من مؤهلات الرئاسه فى القوم فى ذلك العصر.(٤)

و كان لكل ولد من أولاد الأعيان خادم أو عبد خاص(٥) و من تقاليدهم أيضا التزواج من نساء الأسره. و قد تخلف ناصيف النصار بسته أولاد هم:

نصار و فارس و محمد و عقيل و شبيب و خليل:

المصادر التى بين أيدينا لا تعطينا فكره واضحه عن حقيقه ثقافه الرجل.

و لكننا نستطيع أن نستخلص فكره عنها من الإشارات العرضيه التى ذكرها بعض المؤرخين. فقد سبق و أشرنا إلى ما ذكره السيد محسن الأمين من تقديم الشيخ ناصيف النصار للعلماء و تميزه بجوده الرأى. و الفضل لا يعرفه إلا ذووه على حد ما قالت العرب.

المؤرخون العامليون يرسمون له صورته أقرب إلى الكمال فإذا هو القائد المطاع و الجندى الباسل الفاتح و المصلح المفكر و الأمير الحكيم العليم(٦) هذا و قد عرف عن ناصيف النصار تقديره للشعر و إكرامه للشعراء فقد كان لكل منهم اعطيه لديه. و قد عرف عن أخيه أبى حمد النصار انه كان ينظم الشعر أحياناً و له مساجلات مع على الظاهر بن ظاهر العمر من أكثرها طرافه:

يقول على الظاهر:

- ١- الزين.
- ٢- لبنان فى عهد الأمراء. -
- ٣- الشيخ سليمان ظاهر.
- ٤- جورج لىنى.
- ٥- محمد جابر.
- ٦- الفقيه.

و من عجب الأيام تنكر صحبتى و تلحظنى شزرا بطرف مريع

كانى و إياها صحائف نظمت مديح أبى بكر يقبله شيعى

فأجابه أبو حمد النصار قائلا:

عجبت لدهر كيف أكمه رشده و لم يرع بالعتبى مقاما لصاحب

كانى و إياها صحائف نظمت مدائح أهل البيت فى كف ناصبى

و هناك من يذكر ان ناصيفا كانت تحضره بعض أبيات فى مناسبات معينه.

لم يشر المؤرخون و خاصة العاملون منهم إلى تاريخ توليه الحكم على بلاد بشاره. لكن يبدو انه كان خلال سنة ١١٦٣ / و لم يكن بعد هذه السنه لأن المؤرخ العاملى الركينى الذى عاصره و بدأ تدوين تاريخ "جبل عامل فى قرن" فى هذه السنه لم يشر إلى توليه الحكم قبل هذه السنه أو فى أوائلها.

و كذلك فان المخطوطات العامليه التى تحدثت عن معارك مرجعيون - القليعه التى جرت فى هذه السنه بين العاملين و الأمير ملحم الشهابى لم تشر إلى اشتراك ناصيف فيها انما أشارت إلى اشتراك أخويه ظاهر النصار كحاكم و مراد النصار كقائد.

و من المرجح أن توليه الحكم كان خلال سنة ١١٦٣ هـ أو فى أواسطها بعد المعارك السالفه الذكر لأن المؤرخ السببى العاملى أشار إليه كحاكم عند ما تحدث عن تحصين القلاع العامليه و عن اقتسام مقاطعات بلاد بشاره بين مشايخ آل الصغير فقال: و كانت لناصرى تبين " (١).

لكن الشيخ عبد المحسن الظاهر يزعم أن توليه كان سنه ١١٤٥/١٧٣١ بعد وفاه والده فاتفتت آراء أعيان آل الصغير على " الشيخ ناصيف لأنه أكبر أولاده و عليه سمه الشجاعه و الإباء (و طلبوا من والى صيدا أسعد باشا العظم فى تلك الأثناء) فأجاب الباشا طلبهم و أسند حكم البلاد إلى ناصيف بموجب صك يتعهد فيه بدفع الأموال الأميريه المرتبه على البلاد " (٢).

استشهد ناصيف النصار يوم الاثنين ٥ شوال ١١٩٥/١٧٨٠ قرب بلده يارون فى المعركه التى سميت باسم البلدنه نفسها بين العاملين و والى عكا أحمد باشا الجزائر و لنا إلى ذلك عوده.

ناصرى النصار: زعامة الأسره

أو الطريق إلى وحده الجبل كان على الشيخ ناصيف النصار ان يواجه أهله الأقربين لينطلق من أرض صلبه فى محاولته لتوحيد العاملين إزاء المخاطر التى تتهددهم.

و كان أكثر ما يقلقه بادئ ذى بدء الصراع الذى برز بين الشيخ قبلان و الشيخ عباس. فقد أعطيت صور أول الأمر للشيخ قبلان فرفض قبولها بحجه انها بلده خربه لا يوجد فيها إلا مصنع للملح (ملاحه) فأعطيت للشيخ عباس. استلمت صور و بنى فيها

دارا للحكومہ لم تزل عامرہ إلى اليوم و موقعها على باب المدینہ و شاد فیها مسجد [مسجدا] و کنیسه و سوقا و دورا کثیرہ.

و اسکن فیها عائلات کثیرہ من المسلمین و المسیحیین من سکان جبل عامل و جبل لبنان. و کان یصرف فیها فصل الشتاء و یصیف فی قلعه مارون الواقعہ فی ناحیہ شحور بالقرب من دیر دغیا. و لم یمض أربع سنین حتی غدت صور بلده تجاریہ و کثر فیها الأخذ و العطاء و أمت إليها السفن الشراعیہ لإفراغ شحنها و ابتیاع حاصلات البلاد من حبوب و تبغ و قطن و زیوت. (۳)

و لما رأى قبلان تقدم العمران فی صور ندم على تسليمها لابن عمه الشيخ عباس ففاوضه بإعطائها له فلم يجب طلبه و وقع الخصام بينهما فحدثته نفسه بالاستيلاء عليها قسرا.

اغتم الشيخ قبلان فرصه غياب الشيخ عباس و ولده حسين عن صور فی زیاره للشيخ على الظاهر فی الجش (فلسطين) فهاجم صور و نهب دورها و متاجرها حتى حلى النساء و أسر الشيخ حمزه شقيق الشيخ عباس و سار به إلى هونین.

وصل الخبر إلى الشيخ عباس فأسرع بخيله ليقطع على المهاجمين الطريق و التقاهم فی وادی الحجیر و تمكن من الحاق هزيمه قاسیه بالشيخ قبلان و اقتاده أسيرا إلى قلعه مارون حيث أبقاه عدة أشهر إلى أن تدخل الشيخ ناصيف.

أدمت هذه الأحداث قلب الشيخ ناصيف و هذا واضح فی موقفه من اخوه الشيخ قبلان الذين جاءوا يطلبون شفاعته لإنقاذ أخيهم فرد طلبهم بادئ الأمر و قال لهم: لقد هتکتتم ستر العشيره باعتدائکم الشائن " (۴) و لكنه أجاب طلبهم و ركب فی شرذمه من رجاله و سار قاصدا قلعه مارون فلقیه الشيخ عباس بالحفاوه و الترحيب.

" وصل ناصيف توا إلى باب القلعه فهب الشيخ عباس لاستقباله و لكن ناصيف و قبل أن ينزل عن جواده قال لعباس: هل جازت يا ابن العم؟ فأجاب عباس: نعم جازت على ما تختار و تريد عدا عمنا الشيخ قبلان.

فقال ناصيف: إياه أردت و لسنا بحاجة إلى طعامك و شرابك و لوى عنان جواده يريد الرجوع و تبعته الخيل. فلحقه عباس و قبض على عنان الجواد و قال نعم نعم جازت على القلعه و من فیها حتى قبلان. و عقد الشيخ ناصيف رایه الصلح بيده و لفظ علیها العبارة المأثوره التي يقولها عاقد رایه و هی:

" يا أهل المعونه من مكه و المدینہ لیعلم الحاضر و الغائب و الغادی و البادی ان رایه عقدت بین فلان و فلان بكفاله الزعيم فلان".

و كان الشيخ ناصيف يعرف ان إعاده الأموال المسلوبه غير ممكن و كان من العدل بحيث يعرف ان تركها أمر غير مستحب فقدر الخسائر تقديرا ممكن التنفيذ و كفل ذلك المبلغ بنفسه و انطلق إلى مركزه فی قلعه تبنین.

و عند ما وصل إلى كفر دونین فكر بما حدث و كان يخشى من نكث الشيخ قبلان لالتزاماته، لذلك أمر ولده عقیلا بالرجوع إلى قلعه مارون و قال له قل لعمك عباس ان والدى أمرنى أن أبقى رهينه عندك فی القلعه حتى يفی قبلان بما علیه.

رجع عقیل إلى قلعه مارون و أبلغ عمه عباس رساله والده فأجابه عباس قائلا: أو حسبنى أبوك خالى المروءه حتى بعثك و أنت

فلذہ کبده رهینه عندی من أجل دریهماٲ. و أمر کاتبه یاحضار السندات الأربع فمزقها و ألقاها فی النار و قال لعقیل بعد أن أهدها جوادا عربیا مسروجا بسرج محلی بالذهب و الفضة: عد لأبیك و أخبره بما رأیت و قد سامحت قبلان بهذا المال إكراما له و ساعوض علی أصحابها من مالی الخاص.

ص: ٢٤٨

١- العرفان.

٢- المخطوط المتقدم ذكره.

٣- محمد جابر.

٤- ن. م.

و عاد عقيل و معه خادماه و وراءهما الحصان يقوده سائسه فالحق بابيه عند "عين المزراب" قرب تبنين فأخبره بما توقع فترنج سرورا و طربا و أنشد متحمسا قول أبي فراس:

انا إذا اشتد الزمان و ناب خطب و أدلهم

ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعه و الكرم

للقا العدى بيض السيوف و للندى حمر النعم

هذا و هذا دأبنا يودى دم و يراق دم

(١) كانت هذه الحادته منطلقا لتسليم أفراد الأسره تسليما شبه مطلق بزعامه الشيخ ناصيف الذى ما لبث ان التزم ميناء صور من والى صيدا و أصبح هذا الميناء خاصا بالعاملين و مهما بالنسبه لتجاره الشيخ ناصيف الذى كان " يتعاطى التجاره و الحرب فى وقت واحد و الذى كان مخيفا كتاجر كما كان مخيفا كجندى....(٢)

و ما أن أحكم الشيخ ناصيف سيطرته على أسرته و عشيرته حتى ضعفت فى وجهه مقاومه سائر الأسر العاملية. و يبدو انه تمكن من إرضاء آل صعب بالمصاهره و اخضع آل منكر.

و الثابت انه بعد ١١٨٠/ لم يظهر أى صراع عائلى فى الجبل و بعد سنه ١٧٦٥ أى صدام عشائرى بدليل أن العاملين ظهروا متفقين فى اتصالاتهم الوديه مع الدرروز ١١٧٩/. فقد ذكر الركينى انه فى شهر رجب المبارك صارت الجمعيه بين الشيخ ناصيف و الشيخ عباس و على فارس و الأمير إسماعيل و الشيخ على جنبلاط فى حاصبيا.(٣)

و يضيف الشيخ عبد المحسن الظاهر فى حديثه عن هذا الاجتماع قائلا: ان الشيخ على جنبلاط لما لم ير أحدا من اصدقائه من آل منكر طلب إلى ناصيف أن يرسل إلى ممثلهم الشيخ حسن المنكرى ان يكون فى الاجتماع. فحضر و قرروا قواعد الاتفاق و المعاهده على عدم الاعتداء و الغدر ببعضهم (أى العاملين و الدرروز).(٤)

بعد إنجاز وحده العاملين كان على ناصيف ان يحمى ما حققه من انجازات و أن يواجه اطماع جيرانه بجبل عامل سواء من الشمال أو من الجنوب و هكذا تبدأ حكايته مع ظاهر العمر.

ناصر النصار و ظاهر العمر ما ان استتب الأمر للشيخ ناصيف النصار فى حكم جبل عامل حتى بدأت التهديدات الخارجيه للعاملين تطل برأسها من جديد.

و لكنها كانت هذه المره من فلسطين و من ظاهر العمر على وجه التحديد. فقد ظن هذا الأخير ان حروب العاملين مع الأمراء الشهابيين قد أرهقتهم فلا بأس ان يجرب حظهم معهم.

و لم يكن ظاهر العمر هذا شخصيه عاديه فى عصره بل كان على ما يبدو رجلا عصاميا و بطلا من أبطال الشرق عظيم الهمه،

شديد البأس واسع الحيله حكيم التدبير علوى النسب. (٥)

يقول [يقول] عنه الرحاله الفرنسى فولنى انه مضى زمن طويل على سوريا لم تر رجلا مثله و كانت أطماعه فوق قدرته. و كانت العداله ضاربه أطنابها فى بلاده لا فارق عنده فى شمولها أهل المذاهب المختلفه.

ولد ظاهر العمر سنه ١٦٨٦ و قتل سنه ١٧٧٦ أى قبل أربع سنوات من استشهاد الشيخ ناصيف و قد تولى حكومه صفد و طبريا و ما يليها بعد أبيه الشيخ عمر بن أبى زيدان.

و كانت عكا من ملحقات صفد و كانت أشبه ما تكون بقريه حقيره غير عامره. و لما استولى عليها ظاهر العمر ١١٦٣/١٧٤٩ بنى ابراجها و شيد حصونها المنيعه و ملاءها بالمدافع و الذخائر و عززها بالسلاح و أحاطها بسور متين. و لم يترك لها إلا بايين. و ازدحم الناس فيها من أنحاء سوريا و قبرص مهاجرين إليها و فيهم المسلم و المسيحي و كان يرعاهم بعنايته و يهتم بشئونهم. و يتساهل بأمور عقائدهم مما لم يكن مألوفاً فى ذلك العصر:

استمر نجمه بالصعود و أحكم سيطرته على أجزاء من فلسطين و سوريا بعد أن تمكن من اخضاع البدو سواء بالقوه أو بالمصاهره.

فى سنه ١٧٦٨ منحه الدوله العثمانيه لقب شيخ عكا. و أمير الأمراء و حاكم الناصره و طبريا و صفد و سائر الجليل و فى سنه ١١٨٨/ ورد الفرمان السلطانى باحاله ولايه صيدا لعهدته. (٦)

و ما ان شعر الشيخ ظاهر العمر بتزايد قوته حتى حول وجهه إلى جبل عامل يريد أن يبسط سلطته عليه. "غير أن جبل عامل فى ذاك الوقت كان أمنع من عقاب الجو". (٧)

تحرش ظاهر العمر بناصيف النصار عميد عشائر جبل عامل " و ناهيك بناصيف النصار بطلا مغوارا و قائدا محنكا جمع إلى الشجاعه و النخوه سخاء الكف و حسن التدبير و الغيره القوميه و المروءه المحضه".

اتخذ الشيخ ناصيف من قلعه تبين مقرا لحكومته و كانت عامره بابراجها الشامخه و حصونها المنيعه. و جدد بناء الحصون و شحنها بالمقاتله و السلاح و بسط العدل فارتاح له العامليون و أخلصوا له الولاء.

فى العام ١٧٦٦ تفجر الخلاف بين الشيخ ناصيف و ابن عمه الشيخ قبلان الذى سبق للشيخ ناصيف أن أنقذه من الأسر فظن ظاهر العمر ان الفرصه مؤاتيه له ليسفر عن اطماعه بالأرض العامليه. فكتب إلى العميد الوائلى يطلب اليه أن يتخلى عن قريتي البصه و مارون بدعوى انهما تابعتان لفلسطين. فرد الشيخ ناصيف رسول ظاهر العمر ردا عنيفا: "و أرسل له الجواب بالرفض و أغلظ له القول و من جمله ذلك قال له: لا- تظن إنا نظير سوانا، فوالله انا عندنا مقابل سيفك سيوف أحد منه، و بإزاء كيدك مكائد كثيره. فالأولى بك ان تدعنا غافلين عنك باعتدائك على جيراننا. و الآمن و الله العظيم انك تندم لأننا نحن طالما بغى علينا فانتصفنا من الباغى. و عاهدنا فقمنا بعهدنا. و كنا من أعظم أنصار أصحابك فدونك الآمرين. و أنت و رأيك و نحن نرى فيما يبدو منك و السلام".

و لما وصل هذا الجواب إلى الشيخ ظاهر العمر طار صوابه و أعلن النفير العام و طرد عمال الشيخ ناصيف من القريتين و نهض لاجتياح بلاد عامله.

لم يكن الشيخ ناصيف أقل استعدادا للقاء. فلاقت خيوله ظاهر العمر عند الحدود. و نشبت بين الفريقين عدة معارك أشهرها معركة دولاب - طربخا /.

و في هذه المعركة أكره ظاهر العمر على التراجع فانقض عليه ناصيفم.

ص: ٢٦٩

١- ن. م.

٢- لاكروا.

٣- العرفان.

٤- مخطوط الظاهر المتقدم ذكره.

٥- محمد جابر.

٦- ن. م.

٧- ن. م.

و مكن الرمح من صدره ثم عفا عنه و اكتفى بسلبه فرسه المعروفه "بالبريصه" التى قال فيها ناصيف كلمته المشهوره - و التى ذهبت مثلا - بعد ان استعاد البصه و أعاد البريصه لظاهر: لا بأس أن أعدنا البريصه بعد ان عادت البصيصة (تصغير بصه). و قد أثارَت هذه المعركة قرائح العديد من الشعراء العاملين. من أبرز هؤلاء الشيخ إبراهيم الحاريسى الذى أرسل قصيده طويله للشيخ عبد الحليم النابلسى و كانت بينهما مفاخرات و مراسلات أدبيه.

و من أبرز ما جاء فى هذه القصيده قوله:

يا للرجال لمحنه لا يرتجى غير ابن نصار يحل عقالها

ناصيف من يحمى الثغور و من به أبدت سماء المكرمات هلالها

بطل له القى الزمان قياده لو طاولته الشامخات لطالها

و يد مقبله البنان كريمه مدت على المستضعفين ظلالها

(1) و المساجلات بين هذين الشاعرين وارده بتمامها فى أعيان الشيعة "فى ترجمه الشاعر العاملى الشيخ إبراهيم الحاريسى".

أسقط فى يد ظاهر العمر و رأى نفسه أمام قياده جديده فى جبل عامل عليه أن يبدل أسلوبه فى التعامل معها. و فى هذا الوقت حصل حادث مريب و ملفت للنظر فى آن معا. و ذلك أن أحمد آغا الدنكزلى و هو رجل مغربى كان فى خدمه ظاهر تسلل خفيه و هاجم قلعه تبين على حين غره من الحاميه القليله الباقية فيها.

تمكن الدنكزلى فى هذه العمليه من القبض على ولدين صغيرين فى سن المراهقه من أبناء الشيخ ناصيف و فر بهما إلى عكا.

و من غير الواضح من خلال المصادر التى بين أيدينا إذا كانت هذه العمليه تمت بناء لأوامر صادرة عن ظاهر العمر أم أنها تمت بمبادره شخصيه من الدنكزلى هذا. و لكن الثابت ان هذه العمليه جعلت ظاهر العمر فى موقع أقوى للحصول على معاهده سلام بشروط مناسبه و لا سيما انه كان راجح العقل: فقد احتفى احتفاء تاما بابنى ناصيف و انزلهما مكرمين معزين فى جناح خاص من قصره. و كتب ابنا ناصيف إلى والدهما يصفان ما لقياه من إكرام ظاهر العمر و مروءته. و مع ذلك طلبا اليه تجهيز حملته لتخليصهما من الأسر. فأرسل إليهما كتابا يعاهدهما على ذلك و يتوعد ظاهر العمر و يتهدده. فأعاد الكتاب إلى والدهما بعد أن كتبنا عليه:

كتب الزمان عجائبا فى جبهه الأيام سطرًا

هلا سمعتم أو رأيتم ان نهرا صد بحرا

و كان ظاهر واقفا على هذه المراسلات فدعا بالغلامين و سرحهما إلى أبيهما مكرمين بعد ان أهدهما جوادين من خيره خيوله.

ثم توسط الأمر بين العميدين الشيخ سعد أخو ظاهر العمر فتصالحا و تصافيا و عقدا محالفه هجوم و دفاع وقعت فى عكا يوم

الجمعه الواقع في اليوم الثامن من رجب ١١٨١/ و حلفا اليمين على السيف و المصحف ان يكونا و شعباهما متصافيين متضامنين ما دامت الأرض و السماء و أعيدت البصه و مارون إلى ناصيف و بنى بالقرب من الأولى خانا يعرف للآن بخان ناصيف(٢) و يذكر الصباغ بعضا من تفاصيل المعاهده إضافه إلى عوده القريتين (البصه و مارون) إلى ناصيف فيقول: انه لا يكون للبasha شان مع جميع المتاوله في دفع مال الميرى و على أن يساعدهم ظاهر على كل من ناوهم كما عليهم ان يساعده على من يهاجمه أى تحالفوا معه محالفه هجوميه دفاعيه. و عقد الصلح بين الطرفين على ذلك. و أسقط ظاهر لناصيف من مال الميرى المقرر على بلاد بشاره الربع.

و جدد له ناصيف اليمين على السيف و المصحف و ان يكون هو و قومه معه يدا واحده ففرح المتاوله بذلك لأن البasha كان يكرههم للدين و يعدهم من الروافض.(٣)

و بدأ الرجلاين معا مسيره صعبه في مواجهه الأعداء المشتركين و قد كانا بأمس الحاجه إلى هذا التحالف لأسباب داخلية و خارجيه على حد سواء.

ناصيف النصر و الثوره على العثمانيين معركة الحوله - البحره.

كان لتحالف الشيخ ناصيف مع ظاهر العمر أبلغ الأثر في تقويه وضعه الداخلى و الخارجى على حد سواء و قد وصف أحد مؤرخى هذه الفتره الوضع في جبل عامل في / بما نصه: "كان أكبر مشايخ بنى متوال و أقواهم في المال و الرجال الشيخ ناصيف النصر و كان تحت يده حصون و قلع و بلدان و ضيع يركبون فداويه و فرسان و أبطال شجعان و قد راق لهم الزمان و تملكوا في تلك البلدان و هجعت عنهم حكام الدروز و استكنت و رقت حالهم و اطمأنت ".(٤)

و كانت ظروف الدوله العثمانيه تسمح بازدياد تطلعات الشيخ ناصيف الاستقلاليه: إذ كانت في هذه الأثناء واقعه في مرض الضعف الطبيعى الذى لا- ينفع معه دواء و لا- له شفاء و ذلك ان السلطان كان يقيم بسرايه و يترك الحكم لوزرائه و نساؤه و خدامه(٥) فكان من الطبيعى ان تصبح هذه الدوله عرضة لمطامع جيرانها خارجيا و عمالها داخليا.

و كانت روسيا في مقدمه الدول الطامعه باملاك الدوله العثمانيه. و هكذا أعلنت روسيا الحرب على الدوله العثمانيه و أصبح على الآستانه ان تواجه الخطر الدايم من الشمال دون أن توفق. ثم ما لبثت روسيا ان طورت أساليب هجومها و أخذ اسطولها يضرب موانئ الدوله العثمانيه في شرق البحر المتوسط كما أخذت تغرى بعض عمال الدوله بالثوره عليها من مثل على بك الكبير في مصر.(٦)

و كان ظاهر العمر قد اشتد أزره بمحالفته لزعماء الشيعه و اعتر جانب الشيعيين و طمحت نفوس الفريقين للاستقلال الناجز فخلعوا نير السلطنه التركيه و أبوا دفع الضرائب.(٧) و أفلت الزمام من يد السلطان و أطلق الولاه لأنفسهم العنان فعمت الرشوه و انتشر الفساد في الحكم فثارت سوريا كلها تقريبا على الدوله العثمانيه.

خافت الدوله العثمانيه(٨) مغبه التحالف بين ظاهر العمر و ناصيف النصر خاصه و ان هذا التحالف كان مسبوقا بتحالف بين ظاهر العمر و على بك الكبير حاكم مصر فانتدبت عثمان باشا الصادق والى الشام يعاونه والى صيدا على رأس ثلاثين ألف

١- ن. م.

٢- محمد جابر.

٣- ميخائيل الصباغ.

٤- لبنان في عهد الأمراء.

٥- تاريخ الجزائر.

٦- يوسف الدبس.

٧- محمد جابر.

٨- تاريخ الجزائر.

المتاولة و ظاهر العمر.

و هنا يختلط التاريخ بالأسطوره و الوقائع العسكريه بالعقائد الإيمانيه.

فقد أجمعت المصادر على الإشاده بطوله العاملين فى المواجهه التى حصلت مع جيش السلطنه. و بالفعل "فقد عسكر الشيخ ناصيف بجنوده فى جوار النبى يوشع الواقع فى الشرق الجنوبي من جبل عامل. و عقد مشايخ الشيعة ديوان مشوره و رتبوا خطه بالهجوم. و تضرعوا إلى الله ان ينصرهم على العدو الباغى.

و كان مقام النبى يوشع بنايه حقيره فقطع الشيخ ناصيف عهدا على نفسه ان يبنى المقام بناء فخما إذا ظفر بالعدو. ثم كنس المقام بعمامته تواضعا و تبركا. و لما أحرز النصر بناه كما وعد و رفع فوق الضريح قبه شامخه و فى هذا يقول الشيخ إبراهيم يحيى العاملى فى قصيده أوردتها صاحب أعيان الشيعة:

مقام شريف أطلع اليوم شمس خليفه نصار المؤيد بالنصر

فلذ بحماه طالبا للذى بنى من الله طول العمر مع وافر الأجر

و قل عند إهداء السلام مؤرخا عليك سلام الله يا ثاوى القبر

و انتدب ناصيف النصار فرقه من أبسل جنوده و أوفرها شجاعه لا تزيد عن خمسمائه فارس فبيت للعدو و زحفت اليه ليلا فأحاطت به من جهات ثلاث و أعملت فيه السيف و لم ينج من القتل إلا من القى نفسه فى البحيره و لم يقتل من المهاجمين جندي واحد. و فر الوالى عثمان باشا منهزما لا يلوى على شيء. (١)

و ينقل محمد جابر آل صفا عن استاذه السيد محمد على إبراهيم الحسينى نادره لطيفه حدثت خلال هذه المعركه " تدل على ما لسلامه الاعتقاد من التأثير " و هى انه لما بدأ ناصيف بالزحف برجاله ليلا بعد الصلاه و الدعاء شاهدوا ظبيا يقفز امامهم بين تلك الروابي و خلفه رجل معمم ينشد أبياتا أولها:

أ يحل لساكنه العلم تفتى فى الحب بسفك دمي

و سرى الخبر بين المهاجمين و نشطهم رؤساؤهم ان الله سبحانه و تعالى قد استجاب دعاءهم ببركه النبى يوشع و أن روحه الشريفه تجسدت هذا الغزال اللطيف و أن الفوز بجانبهم و كان ما أملوا".

كما ينقل المؤرخ نفسه عن الأمير حيدر الشهابى انه كتب فى تاريخه:

ان إبطال المتاوله بعد تلك الكسره الهائله شاهدوا درويش باشا والى صيدا و هو ابن عثمان باشا والى الشام فخاف على نفسه و كان جبانا ففر منها. (٢)

و فى معركه البحيره نظم شعراء جبل عامل قصائد و زجلات نكتفى بذكر أبيات من قصيده للشيخ إبراهيم الحاريسى:

أكرم بالخيال إذا وفدت إذ ذاك بناصيف البطل

بحر يخبوك بلجته و البحر ضنين بالوشل

سل يوم البحره ما فعلت كفاه بفرسان الدول..

وقد أجمع المؤرخون العامليون على اعتبار هذه المعركة معركة عامليه خالصه. و استند هؤلاء في ذلك إلى مؤشرات عدده أبرزها ان عثمان باشا كان يقصد بحملته بلاد المتاوله لأنه عند ما اجتاز بعساكره جسر بنات يعقوب جنوب الحوله لم ينحرف بهم نحو بلاد ظاهر العمر في صفد و طبريا بل انحرف بالعسكر إلى شمال الجسر حيث نزل بهم على حدود بلاد المتاوله بين بحيره الحوله و بين الجبال العامليه المطله على البحره و ما حولها من سهل الخيط و سهل الخالصه.(٣)

يضاف إلى هذا أن العاملين جميعا هم وحدهم الذين واجهوا جيش الوالى العثمانى فقد اشترك فى هذه المعركة الشيخ حمزه المحمد و الشيخ حمد العباس و الشيخ على الفارس الصعبى تحت قياده ناصيف النصار.(٤)

وقد ترتب على هذه المعركة نتائج مهمه. فقد كان انتصار العاملين البارز عاملا حاسما فى ازدياد ثقتهم بأنفسهم و أصبحوا يتطلعون إلى أبعد من الدفاع عن أنفسهم بل أخذوا بالتوجه نحو صيدا لتحريرها من نير الوالى العثمانى.

و بالفعل فان درويش باشا والى صيدا هرب إلى الشام بعد هزيمه والده فى الحوله.(٥)

أما النتيجة الثانيه لهذه المعركة فهى اندلاع الصراع فى مصر بين على بك و أبى الذهب الذى ادعى انه تراجع عن دمشق بسبب تخاذل ظاهر و ناصيف فى القتال. فجاءت نتائج هذه المعركة لتفضح تامر أبى الذهب و أرسل على بك حملة للقضاء عليه.

و أخيرا كان من أهم نتائج هذه المعركة فيما يخص جبل عامل زياده خوف الدوله العثمانيه من هذه الزعامات القادره القويه فزادت من ضغولها على الأمير يوسف الشهابى لقتال العاملين. فكانت معركة كفر رمان بينه و بين العاملين بعد خمسين يوما من معركة الحوله.

معركة كفر رمان

تعامل بعض المؤرخين العاملين مع معركة كفر رمان و كأنها معركة مستقلة بذاتها غير مرتبطه بمعركة الحوله - البحره التى سبقتها و لا بالنتائج التى أسفرت عنها تلك المعركة.

و ذهب بعض هؤلاء إلى أن سبب المعركة الحقيقى ان مكاريين من قريه كفر رمان مرا بعنب لهما بقريه نيحا الشوف فاعتدى عليهما بين الكروم بعض اهالى نيحا و سلبوهما و ضربوهما ضربا أليما قضى على حياتهما. فشكا أهل القتيلىن أمرهما إلى الشيخ على بن أحمد الفارس عميد آل صعب و حاكم المقاطعه و كان مقيما فى قلعه الشقيف. فكتب إلى الأمير يوسف الشهابى حاكم جبل لبنان يومئذ يطلب منه إرسال المعتدين لمحاكمتهم و ذكر له أسماءهم. فكتب اليه الشهابى بعدم إمكان القبض على الجناه و عرض عليه ديه القتيلىن توزع على أهالى نيحا. و أصر الصعبى على طلبه و كتب للأمير يوسف كتابا شديد اللهجه قائلا: ان

الشيعه لم تعتد بيع دمائها بمال و نحن نعرف كيف نثار لبني قومنا. و اقتحم بعض الشيعة قريه نيجا فقتلوا أربعة من أهلها بين الكروم فى المكان الذى ضرب فيه الرجلان الشيعة.

ص: ٢٧١

١- محمد جابر.

٢- ن. م.

٣- الزين.

٤- العرفان.

٥- لبنان فى عهد الأمراء.

" و اتصل الأمر بالأمير يوسف فاحتدم غيظا و كان الحقد يغلى في صدره لارتفاع شان الشيعة و استفحال أمرهم و تطاولهم على أطراف الشوف و وادي التيم و إنذارهم لدرويش باشا والى صيدا منذ انتصارهم في معركة البحرة و هزيمة عثمان باشا التي تلكا الأمير يوسف عن نصرته فيها. فزحف الأمير يوسف لاكتساح جبل عامل بجيش كثيف يزيد على أربعين ألف مقاتل مؤلف من طوائف شتى كما ثبت من تقارير القناصل. و لما دخلوا البلاد من جهة صيدا بدءوا يحرقون القرى و يدمرون المزارع و يقطعون الأشجار و يقتلون من يقع في أيديهم من السكان الآمنين و لا يعفون عن شيوخ و لا صبيه و لا نساء. (١) و الواقع ان هذه الحادثة على أهميتها لم تكن سبب الحرب بقدر ما كانت شرارتها الأولى. إذ من الثابت ان ناصيف النصار و حليفه ظاهر العمر قد اتفقا على خلع نير الدولة العثمانية عن كاهلهما. و قد كان لانتصار الشيخ ناصيف في معركة الحولة أكبر الأثر في دفع عثمان باشا والى دمشق للأمير يوسف الشهابي لقتال الشيخ ناصيف النصار. يضاف إلى ذلك ان ناصيفا نبذ طاعه درويش باشا والى صيدا بعد معركة الحولة و أرسل يهدده طالبا اليه ترك المدينة "فراعه قرب المتاوله منه و فر لدمشق" (٢) لهذه الأسباب، أرسل عثمان باشا ينخى الأمير يوسف على بنى متوال " (٣).

و من ناحيه اخرى فقد كان الأمير يوسف نفسه يرغب في قتال المتاوله الذين أظهروا الشجاء للأمير بسبب توليه مكان عمه الأمير منصور لأنهم كانوا يميلون اليه. و كان أكثرهم هياجا الصغيريه و الصعبيه. (٤)

و إذا كانت الأمور مرهونه بنتائجها فان هذه المعركة تبدو و كأنها جزء من خطه مسبقه لتحرير صيدا من النير العثماني من قبل الشيخ ناصيف كما يبدو أن الأمير يوسف كان في حملته في موقع الهجوم الدفاعي.

لهذه الأسباب جميعا كان لا بد لمعركة كفر رمان ان تقع و كان مقتل "المكاريين" شرارتها الأولى. و كما سبق و أشرنا هجم الأمير يوسف متبعا في هجومه سياسه "الأرض المحروقه" و كتب الشيخ على الفارس إلى الشيخ ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل يبسط له القضية و يستنجده للدفاع عن البلاد و حمايه الطائفة. فهب ناصيف للنجده و أرسل (الصوات) لجمع الجنود و كتب إلى حليفه الشيخ ظاهر العمر الزيداني صاحب فلسطين يطلب النجده... كان جيش الأمير يوسف يسير في اربع فرق: الفرقة الأولى و هي المقدمة و فيها الأمير يوسف في أول الجيش. الفرقة الثانية و هي الجناح الأيمن كانت تسير في طريق جباع - حومين حبوش - النبطيه. الفرقة الثالثة و هي الجناح الأيسر كانت تسير في طريق العرقوب - الميذنه - الجرمق - كفر تبنيت - النبطيه.

و أخيرا الفرقة الرابعه و هي القلب كانت تسير في طريق جرجوع - عربصاليم - النبطيه.

و كانت قوى الشيخ على الفارس و أخيه الشيخ حيدر الفارس تعسكر في الضاحيه الشرقيه الشماليه من النبطيه في أرض تسمى (قلادش) و دعيت بعد المعركة "عريض القهوه" لأن جيش الشيعة شرب فيها قهوه النصر و الظفر.

قاوم الصعبيون جحافل الأمير يوسف مقاومه شرسه و كان جيش الشيخ ناصيف المؤلف من ثلاثه آلاف مقاتل يتجه نحو النبطيه من طريق زبددين و دخل البلده من الجهه الغربيه ليدهم مقدمه الجيش المخيمه غربى البلده و سار بخيله إلى ساحه العراك و هجم هجوم المستमित و لم يلبث العدو ان لوى عنانه متقهقرا إلى كفر رمان.

لم يثبت في وجه الشيخ ناصيف سوى بعض الفرق بقيادة المشايخ النكديين و هجم الشيعيون بالسلح الأبيض فانهزم الجيش كله انهزاما تاما يصعدون في جبل العرقوب و روابى سجد المطله على سهل الميذنه و عقبه جرجوع و حراب الشيعه تعمل في أقيتهم... و يقول المؤرخ العاملي الشيخ على رضا ان الشيخ ناصيف النصار تعقب بنفسه الأمير يوسف الشهابي فأدركه في عقبه جرجوع ففزع رأسه بالرمح و أنزله عن ظهر بغلته إلى الأرض و ألبسه الفرو مقلوبا و قال له عفوت عنك رأفه بشبابك و احتراماً لأسرتك و أنا ابن نصار! فأجابه الأمير يوسف: "قدها أولاد أم على" اي انكم أهل للعفو. و "أولاد أم على" لقب يطلق على الشيعه و كانوا يفخرون به". (٥)

و قد اختلف المؤرخون في تقدير عدد القتلى فذكر بعضهم انه حوالي ألف و خمسمائه قتيل. (٦) اما مؤرخو جبل عامل فذكروا أن جيش الأمير يوسف ترك في ساحه المعركه ما يزيد على ثلاثه آلاف قتيل. (٧)

و كما اختلفوا في تقدير عدد القتلى اختلفوا في الأسباب التي أدت إلى هزيمه الأمير يوسف على الرغم من تفوق جيشه من الناحيه العدديه تفوقا لا يقبل الشك. فأشار البعض إلى ان جماعه الشيخ على جنبلاط خذلوا الأمير يوسف نتيجة تحالفهم السابق مع الشيخ ناصيف فقد تخلى هؤلاء عن الأمير يوسف مع بدء المعركه " و لما انفصلوا عن العسكر تقلقت الصفوف". (٨)

و كذلك فعل الشيخ عبد السلام العماد "الذي راسل المتاوله سرا" (٩) ان يقدموا على الأمير يوسف و انه متى وقعت الوقعه ينكسر قدامهم فيتبعه العسكر و هكذا كان.

أما أدوار لاكروا فيذكر ان طليعه جيش الأمير يوسف كانت تنحدر بسرعه في أكمه فإذا بها أمام خمسمائه أو ستمائه خيال متواليا لأن المتاوله احتدموا غيظا لنهب قراهم فحملوا على الدرروز حملة شعواء فارتدت طليعه جيش الأمير يوسف تتسلق الأكمه التي نزلت منها و الحراب تعمل في أقيتها.

و لما وصلت إلى القمه التقت بالجيش (جيش الأمير) و هذا رءاها تصل بكل سرعه فظنها العدو... بدأ هو بالركض فكان الانكسار هائلا (١٠) و يبدو أن التعبه العامليه لهذه المعركه كانت عامه و شامله فقد ساهمت المرأه العامليه فيها بشكل أو بآخر، فقد كانت الفتيات تمد عسكر الشيعه بالماء و الزاد و تسير زرافات من فرقه إلى فرقه تثير نخوه المقاتله و حميتهم بالزغاريد و الأغاني الحماسيه كقولهن:

وين راحوا أولاد أم على، وين سياج العذارى، وين بنى متوال يا عز الرجال". (١١)

و كذلك ألهمت هذه المعركه عددا كبيرا من الشعراء و الزجالين قصائد طويله و من أبرز من أشار إلى هذه المعركه الزجال الفلسطيني "شعاعه بن مريح" عن شعراء ظاهر العمر:

ص: ٢٧٢

- ٣- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٤- اخبار الأعيان.
- ٥- محمد جابر.
- ٦- عيسى المعلوف.
- ٧- محمد جابر.
- ٨- اخبار الأعيان.
- ٩- الزين.
- ١٠- تاريخ الجزائر.
- ١١- محمد جابر.

وين مير الشوف يوسف يوم صال من عرب صالحين على الوادى نزل

فى عساكر عدها تسعون ألف أو تزيد عداد خوفا ان نزل

قادها من حمص لديره حما لقرايا الشام صواتو وصل

من أرض بيروت للشوف العريض من بلاد جيل كم فارس وصل...

و انتخى على لناصيف يقول ان هذا الأمر ما عاد ينهمل ما يخش المير ديرتنا حرام

لو نبت من فوق راياته نخل لبنى متوال ظهر العاديات

من متون الخيل يمضون الصقال قادها ناصيف كساب الثنا

و افترعها قبل ان جازت فحل سيفهم ناصيف يا نعم العقيد

شاهرا للسيف فى أيد و يفل... صاح مير الشوف هاتو لى الحصان

عن عظم ما صار جابولو بغل و بين مير الشوف يوسف و بين راح

الذى للحرب راكبلو نغل يحسبون الحرب هى شله حرير

و يش يجيب الحرب لغزل الشلل.

(١)

تحرير صيدا

بعد هزيمة الأمير يوسف فى كفر رمان خاف درويش باشا والى صيدا و الشيخ على جنبلات " فنزعا بعسكريهما و قاد الواحد حريمه و الآخر جيوشه لكن الدروز قبل براهم للمدينه نهبوها ثم جاءها رجال ظاهر بقياده المغربى دعتلى... فأعادوا نهبها". (٢)

و ان لم تكن هذه الإشاره تشير إلى دور العاملين فى احتلال صيدا فان المؤرخ الشهابى أوضح دورهم بقوله: ان عثمان باشا الكرجى والى الشام حين بلغه ما أظهر المتاوله من العصاوه أعرب إلى الدوله عن تملكهم صيدا. (٣)

الركينى أكد بدوره اشتراكهم إذ ذكر صراحه انه فى خامس عشر رجب ١١٨٥/ وصل الشيخ ظاهر العمر و الشيخ ناصيف إلى صيدا و نهبوها و أحرقوا إقليم الخروب أجمع و أمروا الغزان يقيموا فيها (أى صيدا). (٤)

كان تحرير صيدا و طرد واليها عباره عن مرحله جديده من تصعيد ظاهر و ناصيف لثورتهم على الدوله العثمانيه و تحديا مباشرا

لها.

و لما كانت الدوله منشغله فى حربها مع روسيا لم تستطع أن تعالج أمرها بقواتها الرسميه لذلك فإنها أوعزت إلى الأمير يوسف القيام بهذه المهمه و حضر منها " خط شريف إلى الأمير يوسف فى القيام إلى الشيخ ظاهر العمر و المتاوله... و إن تكون ميرى مدينه بيروت و مال ميرى الجبل تلك السنه له خرج عسكر ". (٥)

و علم الثوار بهذا الأمر فسار ظاهر بعسكره و جرد ناصيف و معه مشايخ جبل عامل و التقوا جميعا فى رأس العين فى ٦ شعبان ١١٨٥/ و فى هذه الأثناء توفى عثمان باشا صادق و خلفه محمد باشا العظم فى دمشق فقعد الأمير عن القتال و تراجع ظاهر و ناصيف. ثم أرسل عثمان باشا المصرى الدالى خليل و الجزائر و معهم ألف خيال و مدافع و التقاهم الأمير إلى "عين السوق" و حاصروا صيدا بنحو ٢٠ ألفا.

و فى هذه الأثناء كان أبو الذهب يحسم نزاعه مع على بك الكبير فى مصر لصالحه فوصل على بك عند ظاهر العمر و من ثم طلبا المساعدة من الأسطول الروسى لفك الحصار.

و اتجه الأسطول الروسى إلى صيدا بينما اتجه ظاهر و معه ثمانمائه من المماليك و ألف من المغاربه من رجال على بك الكبير إلى الحوله ثم إلى بلاد الشقيف حيث التقوا ناصيفا و ساروا بعشره آلاف نحو صيدا.

و طلب الثوار من يوسف التراجع سلما فرفض عندها زحفوا إلى سهل الصباغ و نظموا قواتهم فكان جناحهم الأيمن مؤلفا من رجال ناصيف و المغاربه و كان عليهم صد الدروز و جعل الجناح الأيسر الذى بقياده على ابن الشيخ ظاهر العمر مقابل العقال... و كان فى الوسط العثمانى مائه مملوك و وراءهم على بك و الشيخ ظاهر ". (٦)

و ضربت السفن الروسيه قنابلها فانسحب المحاصرون إلى "سهل الغازيه" فضربوا عساكر المتاوله و الغز فى المدافع و الزنبركات و راح منهم مائه قتيل و هجم الدالى خليل و الجزائر على المتاوله فانكسر عسكر الدروز من خلف الدوله. (٧)

لأن هؤلاء لم يكن تأييدهم للأتراك عن رغبه كبيره أو نفس طيبه كما يؤكد المؤرخ الشهابى نفسه.

و انهزم الوزراء و تبعهم الآخرون و قتل من الدروز فوق ألف و خمسمائه رجل و كان الوجه "البشاريه (سكان بلاد بشاره) و الشيخ ظاهر و الغز و أخذوا مدافع الدروز و الدوله و الدالى خليل و غنموا منهم غنيمه عظيمه. (٨)

و هكذا انتهت المعركه لصالح الثوار بعد أن فكوا الحصار عن صيدا الذى استمر ٧ أيام و بقيت صيدا فى أيديهم حتى حين قتل ظاهر العمر و جاءها الجزائر واليا.

عاد ظاهر و ناصيف من صيدا لحصار يافا التى وقفت فى وجه على بك الكبير أثناء هروبه من مصر و فى مطلع ربيع الآخر سنه ١١٨٦/ سار الشيخ حمد العباس و الشيخ أبو حمد المحمود النصار أخو ناصيف بصحبه ظاهر و على بك الكبير لحصار يافا و مكثوا هناك شهرا و نصف الشهر. (٩) و ما لبث ان بدأ العامليون يعودون إلى جبلهم لأنهم لم يكونوا معتادين الحصارات فكانوا يركبون خيولهم كل وقت و يعودون إلى منازلهم و لم يكن يرجع أحد منهم للحرب إلا بتعب شديد.

و لما أتى وقت الحصار استحال منعهم عن السفر زرافات. لذلك لم يكن الجيش على أتمه قط. بل كان يتناقص إلى ثلاثه أرباعه و طورا إلى نصفه.. أما المماليك فكانوا بلا فائده تقريبا. (١٠)

ص: ٢٧٣

١- ن. م.

٢- تاريخ الجزائر.

٣- لبنان في عهد الأمراء.

٤- العرفان.

٥- لبنان في عهد الأمراء.

٦- فولنى.

٧- لبنان في عهد الأمراء.

٨- العرفان.

٩- ن. م.

١٠- تاريخ الجزائر.

و استمر الحصار أربعين يوما سقطت بعده يافا فى شباط ١٧٧٢ فى قبضه ظاهر بمؤازره المراكب الروسيه. اما على بك الكبير فقد عاوده حلمه بالعوده إلى مصر فاتجه إليها من يافا بثلاثه آلاف رجل لكن نهايته كانت فى هذه الحمله إذ قتله أبو الذهب فى معركة الصالحيه قرب القاهره.(١)

و لعل فيما ذكر من تفاصيل حصار يافا ما يلقى ضوءا جديدا على دور ناصيف و قواته فى أحداث تلك الفتره. فعند ما كان العامليون يتركون الحصار أحيانا و يعودون إلى بلدهم كان يتناقص الجيش إلى ثلاثه أرباعه و أحيانا إلى نصفه و فى هذا دليل على أن قوه ناصيف كانت دائما تعادل قوه ظاهر. كما ان فى استمرار الحصار بدون العاملين أربعين يوما يعطى صورته عن مدى فعاليه العاملين فى المعارك الأخرى التى لم ينسحبوا منها.

ناصر ناصيف النصار و أحمد باشا الجزائر على الرغم من صدور فرمان سلطاني بالعفو عن ظاهر و ناصيف(٢) فان الدوله العثمانيه كانت تعمل على الخلاص من كل من تمرد عليها أثناء حربها مع روسيا و هكذا فان النهايه المأسويه لظاهر العمر حيث قتل غدرا بيد أحد جنوده أثناء محاولته الهرب و اللجوء إلى جبل عامل من القوى العثمانيه التى حاصرت عكا(٣) ان هذه النهايه ترسم المستقبل الصعب الذى كان على ناصيف النصار أن يواجهه فيما بعد.

لسيد جبل عامل الشيخ ناصيف فى علاقته مع الطاغيه القادم من الجنوب أعنى بذلك أحمد باشا الجزائر والى عكا الجديد.

ناصر النصار و الجزائر

(مرحله التناصر أو [و] الائتلاف)

كانت سياسه الجزائر تقوم على المبدأ الأساسى الذى يطبقه كل طامع و مستعمر و هو فرق تسد! و لم يحد الجزائر عن هذه السياسه و كانت خطته تقضى بتشتت الخصوم و إثارة التنافس فيما بينهم و مساعدته الواحد منهم على الآخر تمهيدا للقضاء عليهم جميعا.

لذلك قد لا نعجب إذا كانت الظروف قد أجبرت الشيخ ناصيف على ان يكون حليفا للجزائر على الأقل فى المرحله الأولى من حكم هذا الطاغيه.

و مما لا شك فيه ان هناك عوامل عديده دفعت الجزائر إلى ممالأه الشيخ ناصيف فى بدايه الأمر فقد عملت الغزوات المتكرره التى تعرض لها جبل عامل على جعل العاملين يهتمون بتحسين جبلهم للوقوف فى وجه الطغاه من هنا كان اهتمامهم بتحسين القلاع و تمتين الحصون كالشقيف و ميس و هونين و تبنين و مارون و دوبيه... و كانت هذه القلاع تستدعى قوه عسكريه كبيره لاحتلالها و هذا ما لم يكن متوفرا للجزائر فى بدايه عهده على الأقل.

يضاف إلى هذا طبيعه نظام الحكم الذى كان أقامه ناصيف النصار فى جبل عامل و الذى كان يعتمد على شكل من أشكال اللامركزيه السياسيه خلافا لما كان عليه الأمر فى جبل لبنان. ففى جبل لبنان كانت دير القمر تشكل العاصمه المركزيه حتى إذا سقطت هذه العاصمه سيطر الفاتح على كل جبل لبنان. أما فى جبل عامل فان السلطه السياسيه كانت موزعه على عدد من

المراكز أبرزها تبين، جيع، هونين، الشقيف و سواها من المراكز المهمه. و كان هذا التوزيع يعيق عمليه اجتياح الجبل.

و ربما كان السبب الأبرز ان مبادره الثوره على الدوله العثمانيه كانت من قبل ظاهر العمر و على بك الكبير و أن ناصيفا رأى فيها فرصه مناسبه فشارك فيها.

لم يكن بإمكان ناصيف النصار التفلت من سياسه الجزائر الجديده.

و لكن بالمقابل لم يستطع الجزائر إيقاعه مبكرا فى حباله. شانه مع الأمير يوسف الشهابى و أولاد ظاهر العمر لأن ركيزه ناصيف فى جبل عامل و متانه وضعه العسكرى و السياسى جعله يصمد فتره قصيره بالقياس الزمنى و طويله بالمقياس السياسى أمام خطه الجزائر. فكانت العلاقات تتقلب لفتره فى المواقف المتدرجه فى حداثها من الائتلاف إلى الفتور فالاختلاف و التصادم الذى يقود إلى الاستشهاد.

و من يدرس طبيعه الأوضاع فى تلك المرحله يلاحظ أن الجزائر لم يؤخر صدامه مع الشيخ ناصيف إلا- لأنه كان مضطرا أو مكرها على ذلك بسبب القوه الذاتيه التى امتلكها ناصيف النصار.

فاطراف التجمع العالمى كانوا وحده متماسكه و قد زاد من تماسكهم تحسبهم لأحداث ستطراً على المنطقه من قبل الجزائر.

كما كان لحكمه الشيخ ناصيف أكبر الأثر فى الحرص على تماسك هذه الوحده حفاظا على إبقاء الجبل خارج دائره أطماع الجزائر أطول مده ممكنه.

و ليس أدل على قوه ناصيف من محاوله بعض الأمراء الشهابيين و مشايخ الشوف اللجوء اليه خلال نزاعهم مع الأمير يوسف الشهابى. ففى سنه ١٧٧٦ كان حسن باشا - قائد الحمله التى قضت على ظاهر العمر - و الجزائر من بعده يلح بمطالبه الأمير يوسف عما تأخر عليه من أموال الميرى خلال فتره ولايه ظاهر العمر على صيدا. فوقع الأمير بعجزه مالى عالجه بمصادره أملاك بعض الأمراء الشهابيين. ففر هؤلاء إلى الأمير إسماعيل الشهابى فى حاصبيا. و قد استطاع هذا تسويه الأمور و إقناع الأمراء بالعوده إلى دير القمر باستثناء الأمير سيد أحمد و أفندى اللذين "بقيا تائرين على أخيهم و جعلوا يحزبان الأحزاب و يستميلان إليهما ناصيف النصار كبير المتاوله" (٤).

و تبدو قوه ناصيف أكبر فيما لو عرف ان استرضاء الأمير يوسف لأخويه فى حينه و إعاده املاكهما إليهما يعود ببعض جوانبه إلى خشيه الأمير يوسف من الاصطدام بناصيف. (٥)

و فى سنه ١٧٨٠ جعل الأمير يوسف ينتقم من النكديين و يلحق القهر بهم و خاصه "بالشيخ كليب ففر من دير القمر و أولاده و خواصه هاربا إلى جبل عامل و أقام عند الشيخ ناصيف النصار" (٦). و مكث فى جبل عامل فتره طويله حتى ١٧٨٢.

من كل ما تقدم نلاحظ حرص الأمير يوسف على عدم التورط فى نزاع حقيقى مع ناصيف النصار على الرغم من حرص الشيخ ناصيف على الاستمرار بعلاقه طيبه مع بعض أعيان الشوف. لا سيما مع الذين عرفوا بمناهضتهم للأمير يوسف. و قد تجلى هذا الأمر حتى بالمناسبات الاجتماعيه ففى ذى القعدة ١١٩١/١٧٧٧ حضر الأمير عثمان بن سليمان باشا الشهابى إلى قلعه مارون و

عزى بالشيخ أسعد بن محمد النصار الذى كان قد توفى فى يوم الجمعة ١٣ شوال من السنه نفسها.

و فى ٢١ شعبان ١١٩٢/ ذهب جميع مشايخ جبل عامل إلى بلاد الدروز للتعزیه بالشيخ على جنبلاط الذى كان قد توفى فى ١٨ شعبان. و فى ذى القعدة من السنه نفسها ذهب عقيل بن ناصيف إلى عند أولاد على جنبلاط. (٧)

ص: ٢٧٤

١- العرفان.

٢- لبنان فى عهد الأمراء.

٣- تاريخ ظاهر العمر.

٤- لبنان فى عهد الأمراء.

٥- اخبار الأعيان.

٦- ن. م.

٧- العرفان

و ما هذه الإشارات إلا دليلا على مدى الاستقرار و الطمأنينه التي كان يتمتع بها العاملون.

و يبدو استقرار العاملين و قوتهم و استقلالهم النسبي من طبيعه علاقات ناصيف الخاصه مع آل الحرفوش (شيعه بعلبك) إذ ان أحد امرائهم محمد الحرفوش حضر إلى جبل عامل في أول رمضان ١١٩٣/ و سكن لدى آل الصغير في بلده شحور العالبيه. ثم تطورت هذه العلاقات لتزداد عمقا و تصل إلى حد التحالف.

و قد عبر الركني عن ذلك بقوله: في محرم ١١٩٥/ صارت الجمعيه بين الشيخ ناصيف و الأمير محمد الحرفوش في الطيبه. و ركبت خيل الشيخ ناصيف مع الأمير محمد الحرفوش إلى بلاد بعلبك. (١)

و كان ناصيف ككل قائد مجرب يعلم ان الهجوم خير و سيله للدفاع.

و كانت اماره جبل عامل ككل الإمارات في تلك الأيام تعاني من مشكله غزوات البدو. فلم يهمل الشيخ ناصيف هذا الموضوع. و عرفت تلك الفتره إغارات قام بها العاملون على بعض المناطق المجاوره بقصد الهجوم الدفاعي حينما أو بقصد تقديم المساعدة لقبيله على أخرى: ففي ذى القعدة ١١٩١/ هاجم حيدر فارس مرجعيون و غنم منها عددا من الأبقار و أسر خمسة عشر رجلا.

و في ١٧٧٩/ ربيع الثاني نهب ناصيف مواشى من الزركشيه و التركمان و في جمادى الأولى ١١٩٤/ غزا حيدر الفارس عرب الغزيه و قتل منهم رجلا. و في ٢٩ رمضان ١١٩٥/ غزا ناصيف قريتين في الحوله و نهب طرشها. (٢)

و أخيرا في / حصل خصام بين قبائل عربان عنزه و قبيله بنى حسن (المرءوسه بال المزيدي) فحضر آل عنزه إلى تبين و استنجدوا بناصيف. فأرسل ناصيف أخاه أبا حمد بجيش من العاملين و سار قاصدا قبيله آل مزيدي في الجولان حتى وافى الجيدور من أعمال حوران قرب قريه الحاره حيث التقى بالعربان و اشتبك معهم و انجلت المعركه عن مقتله و مقتل قاسم المراد و مائه فارس من قوات العاملين و دفن أبو حمد في مكان يعرف بنهر الرقاد. (٣)

عند ما وصل الخبر إلى ناصيف زحف للثار من آل مزيدي فهربوا تاركين أولادهم و نساءهم في مضاربهم فما كان من ناصيف إلا ان "حملته الشهامه و حركه الناموس لأن أمر قومه بالاعتزال عن تحلل تلك الربوع... و نزل في بيت كبيرهم (فاضل المهنا) و دعا بأكبر أولاده و كان دون العشر سنوات فألبسه فروا ثمنا ثم دعى بأولاد الشيوخ ذوى الوجاهه من أولئك القوم و ألبس كلا منهم ما لاق به فضجت عموم النساء و الأطفال بالدعاء.. فكانت تلك ماثره تناقلها الركبان جيلا بعد جيل من العربان". (٤)

و كان الشيخ ناصيف كان يدرك أن السياسه تستطيع تحقيق ما قد يعجز السلاح عن تحقيقه.

مع ذلك، و إذا كان القول ان بعض الناس يدفعون ثمن ضعفهم صحيحا. فالصحيح ايضا [أيضا] ان بعضهم الآخر يدفع غالبا ثمن قوته.

و هذا ما سيحدث لناصر الذي و ان شارك في هذه الثورات إلا انه لم يبادر إليها. لهذه الأسباب جميعا بدأت علاقته الشيخ ناصيف بالجزار بدايه طيبه في أول الأمر فقد كان الجزار "ينزل برجاله في جبل عامل (صور و رأس العين) للراحه و

التزود بالمؤن ففى / ليله العشرين من صفر جاء الجزار إلى صور و نام عند حاكمها حمد العباس. كما نزل فى السنه نفسها فى ٢١ جمادى الثانيه فى رأس العين و نام فيها ليله و مره اخرى جاءها فى ٧ شوال ١١٩٤ / و قضى فيها ليله. و كان الشيخ ناصيف يتباحث مع الجزار عند مروره أحيانا فى صور ففى سنه ١١٩٠ فى عشرين ربيع الأول سار ناصيف ببعض رجاله و مرافقيه إلى صور حيث قابل الجزار". (٥)

و لكن هذا الأمر لم يدم طويلا إذ ما أن تمكن الجزار من القضاء على ظاهر العمر حتى شعر الشيخ ناصيف بقوه الجزار المتزايد و رأى من الحكمة أن يتقدم من طور الموده إلى مرحله التحالف على يحول بين جبل عامل و بين شرب الكأس المره لذلك فإنه ساهم بالفعل فى محاربه على ظاهر إلى جانب الجزار. (٦)

و لكنه عند ما رأى ان الجزار يحاول تأديب الأمير يوسف ازدادت شكوكه حول نوايا الجزار التوسعيه لذلك أخذ يعد العده لمحاربه الجزار أن هو حاول الاعتداء على العاملين.

و يروى أحد المؤرخين العاملين نادره تبين لنا شكوك الشيخ ناصيف حول نوايا الجزار: فقد حدث ان ذهب الشيخ ناصيف مع عدد من مرافقيه لزياره الجزار. فقال الشيخ ناصيف لهؤلاء: إذا سمعتم الجزار يوقل لى أنت كشعره من شاربى فثقوا به و اركنوا اليه و إن قال أنت كشعره من لحيتى فيكون قصده الغدر. (٧)

و فى الاجتماع قال الجزار الجملة الثانيه من وصيه ناصيف. عندها انتهز الوفد فرصه انشغال الجزار لمدته وجيزه و ركبوا و عادوا إلى بلادهم طالبين النجاه.

و بدأت العلاقات بالتوتر. و زاد من هذا التوتر ان الجزار طلب من مشايخ العاملين موافاته إلى عكا فرفضوا ذلك قائلين: "انهم يخافون أن يعاملهم كما عامل أبناء ظاهر العمر (غدر بهم بعد أن آمنهم) و ما شذ عنهم إلا الشيخ قبلان الذى كان يتطوع للتوسط بين المختلفين فقدم عكا و دبر المسائل بالنيابه عن الآخرين". (٨)

عملت ظروف عده على تأجيل المواجهه المحتمه بين الزعيمين بسبب عوامل خارجه عن إرادته الجزار من جهه و بسبب محاوله الشيخ ناصيف تحاشيها من جهه ثانيه و ذلك بمنصره الجزار فى كل قضيه لا تمس من وحده العاملين و لا تهدد استقلالهم.

فقد كان محمد باشا العظيم يسيطر على وادى التيم و يتحكم بسياسه الأمير إسماعيل الشهابى و كان الجزار يتطلع إلى الأمير يوسف فى الشوف و يتحكم بسياسته. لذلك كان الصدام يحتدم بين هذين الواليين على توسيع مناطق سيطرتهم. و قد وقف ناصيف مع الجزار و خاض إلى جانبه عده معارك ضد ابن العظم.

و بالفعل فقد ذهب الشيخ ناصيف بجمع من رجاله إلى عكا ليزحف مع الجزار لقتال محمد باشا العظم". (٩)ن.

٢- ن. م.

٣- ن. م.

٤- العقد المنضد و يروى ان ناصيفا بكى فى هذه اللحظه لان مروءته منعته من الاقتصاص من النساء و الأطفال، و بالتالى حالت بينه و بين الثار لأخيه.

٥- العرفان.

٦- ن. م.

٧- مخطوطه الظاهر.

٨- تاريخ الجزائر.

٩- العرفان.

و لما تهدد موقع الأمير يوسف - حليف الجزائر - كحاكم لبلاد الشوف لم يتردد الشيخ ناصيف في تقديم يد المساعدة للأمير. و الوقائع تؤكد أن الأمير يوسف ألمح بعد عودته إلى الحكم إلى رأى ناصيف السديد في كتاب يشكره فيه على مساعدته له في العوده إلى حكم الشوف.

يضاف إلى هذا انه فى محرم ١١٩٥ / كان محمد الحرفوش مجتمعا بناصيف فى الطيبه و منها اتجها إلى بعلبك و فى عشرين محرم وصل محمد الحرفوش إلى دير القمر و منها خرج يوسف إلى صيدا ثم إلى صور حيث التقى بناصيف و كليب أبى نكد فى ٢٨ محرم و منها توجه يوسف إلى عكا عند الجزائر. (١)

و لما حظى الأمير يوسف بدعم الجزائر لقاء مبلغ من المال زوده بقوه من عنده و زحف مع الشيخ ناصيف و حمد العباس لاسترداد امارته. و قد أبلى الشيخ ناصيف بلاء حسنا فى معاركه ضد الدروز المناوئين للأمير يوسف الذى ما أن شعر بخضوع الدروز لحكمه حتى كتب إلى الشيخ ناصيف الرساله التاليه: إلى جناب حضره الشيخ ناصيف المؤيد الموقف المسدد و نطلب من الله العظيم و شعيب النبى الكريم ان لا يعدونا صاحب الهمه العليه و النفس الزكيه الرضيه ان رأيتم لائقا من غيرنا غير مأمور على جنابكم الشريف ان تكفوا العسكر عن القتل و النهب و الحريق. لأن البلاد بلادكم و الرعيه رعيتم و أمر جنابكم ماض علينا فى الرخاء و الضيق و رفيقنا و رفيق جنابكم فرد رفيق و إن شاء الله عز شانه الطريق فرد طريق. لأن غيرتكم و رأيكم السديد الذى بدا معنا و بذلتموه لدينا ما سبقكم عليه لا أخ و لا صديق فيجب علينا حفظه على الدوام على ممر الدهور و الأيام " (٢)

ظن ناصيف النصار ان موقعه قد تعزز عند الجزائر بعد هذه الحادته فحاول التوسط لبعض الجنبلاطين الذين كانوا على خلاف مع الجزائر فطلب هذا الطاغيه مبلغا كبيرا من المال " حتى نسمح لهم عن دمهم و نسكنهم فى الموضع الذى نريده لا فى الموضع الذى يختارونه هم " (٣) و لم يوفق الشيخ ناصيف فى وساطته هذه. و ربما كان ذلك إشاره من طاغيه عكا إلى انتهاء دور الشيخ ناصيف النصار و الانتقال بالتالى من مرحله التناصر إلى مرحله التناحر!

ناصيف النصار و الجزائر:

مرحلة التناحر و الاستشهاد

كان الجزائر مطبوعا على الغدر، متنكرا للحلفاء لا يقيم للأخلاق وزنا فى تحالفاته و عداواته لذلك عند ما شعر باحكام قبضته على بعض مناطق فلسطين و أصبح الأمير يوسف الشهابى حاكم جبل لبنان العوبه بين يديه سال لعبه للسيطره على جبل عامل و القضاء على ما كان يتمتع به من استقلال.

و كان يدرك استحاله تحقيق هذا الأمر ما دام الشيخ ناصيف سيد الجبل بلا منازع. و قد عزز هذا الاعتقاد فشله المستمر بتحركاته بقوات الشيخ ناصيف فقد " ساق عليه جنده و كر على جبل عامل الكره بعد الكره فلم يتسن له الفوز. و كان فى كل مره يرجع خائبا و تدور الدائره عليه " (٤). فلما تهاوى زعماء جبل عامل الأشداء الواحد تلو الآخر تحت ضربات السنين. فقد توفى عباس المحمد و على منصور المنكرى سنة ١١٨٧/١٧٧٣ و على الفارسى الصعبى ١١٨٩/١٧٧٥ و محمود النصار و قاسم المراد و هما ساعدا ناصيف النصار سنة ١١٩٣/ (٥) و عند ما تهاوى هؤلاء افتقد جبل عامل تماسكه السابق، فهناك إشاره سريعه و مقتضيه إلى أن الشيخ حيدر الفارس حاكم بلاد الشقيف "كبس... اللزازات فى صور و نهب طرشها فى صفر ١١٩٥" فمثل هذه

الحادثه لم تكن تحدث أيام أخيه على الفارس. كما نقل في المخطوطات العامليه عن تواطؤ الشيخ قبلان الحسن حاكم قلعه هونين مع الجزار على ناصيف ظنا منه أن البلاد ستؤول اليه بعد ذهابه. (٤)

و لكن هذه الخلافات رغم أثرها السلبي على قوه العاملين لم تكن من الحده بحيث تدفع فريقا منهم للقضاء المباشر على فريق آخر. فبالرغم من هاتين الاشارتين لا يمكن الذهاب في تصور واسع لصراعهم لأنه لم ينقل بتاتا في المخطوطات المتوافره عن اشتراك عسكر حيدر الفارس أو عسكر قبلان الحسن مع الجزار في محاربه ناصيف في معركة يارون / بل نقل انه بعد مقتل ناصيف فر قبلان إلى دمشق بعد أن سقطت قلعه هونين بيد الجزار و أن حيدر الفارس حوصر في قلعه الشقيف من قبل الجزار الذي واصل زحفه في جبل عامل. (٧)

و مهما يكن من أمر فقد قرر الجزار الاستيلاء على الجبل و قرر ناصيف الدفاع عنه مهما كان الثمن غاليا. أرسل الجزار جماعه من جنده إلى جهات علما للتحرش فهاجم جند الشيخ ناصيف الذين ما لبثوا أن انسحبوا إلى قريه الزيب حيث جرت معركة لمدته ساعتين قتل على أثرها سته من جنود الجزار و بدأ بعدها الجزار يضاعف استبداده و يعزز جيوشه في بلاد بشاره (٨) استعدادا لمعركه تقرر نهايه ناصيف النصار.

معركه يارون الاثنين ٥ شوال ١١٩٥:

لقد اختلفت الروايات بشأن هذه المعركه و كيفيه حدوثها فمن روايه تفيد انها كانت بين فريقين مهيين مسبقا للقتال. إلى روايه تفيد أنها كانت بتواطؤ من قبلان على ابن عمه ناصيف. و من روايه تزعم أن الجزار تظاهر بأنه يزحف إلى وادي التيم في حين كان يقصد مباغته جبل عامل، إلى روايه تزعم أن الجزار كان يقصد حاصبيا فعلا و ليس جبل عامل.

و من ناحيه ثانيه فقد اختلفت الروايات في كيفيه مقتل ناصيف فمن روايه تفيد أن مقتله كان برصاصه في خاصرته إلى روايه تفيد انه كان "بطبنجه" من أحد رجال الجزار ضرب ناصيفا بها بعد أن زلت قدم جواده.

محمد جابر آل صفا يروي الحادثه كما يلي: هاجم الجزار جبل عامل بجيش كثيف في سنه ١١٩٥ / من الجهه الجنوبيه متظاهرا بأنه يريد اجتيازه إلى وادي التيم لتأديب العصاه. فأدرك الشيخ ناصيف قصده فأسرع لعنده بشرذمه من خيله لا تزيد عن سبعمائيه فارس كانت ترابط معه دائما في حصن تبينين. و كان الشيخ ناصيف بطلا مقداما تعود خوض المعارك و ممارسه الحروب يهزأ بالمنايا و لا يبالي بالموت. فحملته الجرأه و البساله على منازله ذلك الجيش اللجب بخيله القليله و لم ينتظر وصول بقيه الجنود و الأعوان المرابطه في القلاع. و زلت قدم جواده على بلاطه يارون و عاجله بعض الجنود بإطلاق الرصاص فخر قتيلا و تشتت جنوده و طويت صحيفه استقلال جبل عامل بعد ناصيف و سقطت بمقتله الحكومه الأولى بحصونها و قلاعها. (٩)

الشيخ سليمان ظاهر يروي الحادثه معتمدا على الأمير حيدر الشهابي

٢- ن. م.

٣- ن. م.

٤- محمد جابر.

٥- العرفان.

٦- ن. م.

٧- ن. م.

٨- مخطوطه الظاهر.

٩- محمد جابر.

فيذكر تصميم الجزائر الاستيلاء على جبل عامل: "جهز (الجزار) لهم هذه المره عسكرا عظيما و لما بلغ الشيخ ناصيف النصار قدوم العسكر جمع رجاله و نادى لقبائل بنى متوال. فاجتمعوا اليه من القبائل الثلاث (آل الصغير - آل منكر - آل صعب) لأنه كان كبير المشايخ و الجميع ينقادون اليه. و سار بتلك العساكر قاصدا عسكر الجزائر حتى التقوا بهم. فهجم عليهم الجزائر و نشبت بينهم الحرب و حمل في مقدمه العسكر الشيخ نصيف النصار و لم يلبث أن أصابت رأسه رصاصة فقتل. فانهمزمت المتاوله و أخلت البلاد و دخل عسكر الجزائر إلى بلاد بشاره و تسلموا قلعه تبنين و قلعه هونين و حاصروا قلعه شقيف ارنون و كان فيها الشيخ حيدر الفارس و بعد أيام سلم فأخذها بالأمان ثم قتلوا كل من كان فيها". (١).

أما الشيخ على السبتي فيذكر انه "سنه ١١٩٥ أرسل الجزائر عسكرا إلى حاصبيا (؟) فجاء إلى يارون فظن أهل بلاد بشاره ان العسكر يريدهم فحضر ناصيف و صارت وقعه قتل فيها ناصيف و خربت البلاد. و قيل ان عسكر الجزائر حضر إلى البلاد بواسطه صاحب قلعه هونين و صار قتل ناصيف بواسطته و ظن أن البلاد تضل (تظل) له. فلم يبق (الجزار) أحدا منهم". (٢).

شبيب باشا الأسعد يروي بان الجزائر كان يقصد جبل عامل مباشره و يوافق صفا في كيفية حدوث المعركه و يتابع قائلا: جاء من جانب آخر زنجي و أطلق عليه الرمح فأصابه بجرح ثبت له فانشى كارا عليه و ضربه بالسيف و قتله فجاءه ثلاثه فوارس فأراد أن يميل عنان جواده نحوهم فزلت نعال جواده على بلاطه... فسقطا معا هو و الجواد فحمل أولئك عليه و أطلق أحدهم الطنبجه فأصابته و طعنه الآخر في صدره فغودر عند ذلك قتيلًا و دفن بجانب قريه يارون". (٣).

الشيخ محمد تقى الفقيه يقول: "استشهد ناصيف في يارون على بلاطه واسعه تعرف اليوم باسمه و الظاهر أنها سطح صخره ضخمه مضموره بالأرض سطحها يساوى سطح الأرض متصله بمقبره يارون رأيتها بنفسى في سنه ١٩٦٣ م و رأيت فيها أثرا يشبه تزلق حافر حصان و كنت أظنه مصطنعا.

و رأيت حمرة بسيطه في نفس الصخره يزعمون أنها بقايا لون دمه".

ثم يروي روايه غريبه عن أحد أبناء تبنين مفادها أن ناصيفا أراد أن يستعمل ضربا من ضروب الفروسية فأشار إلى جواده بشاره يعرفها فارتفع به عن الأرض و وقف على رجل واحده و أراد أن يهوى بسيفه على قرنه عند هوى الجواد فتكون الضربه مضاعفه فانزلق به جواده و وقع على الأرض فهجم عليه ثلاثه أو أكثر و تعاونوا على قتله فقتل". (٤).

من خلال جميع الروايات العامليه نلاحظ حرصا على جعل استشهاد الشيخ ناصيف مميزا بل و اسطوريا مما يدل على مدى تعلق العاملين بشخصيه الشيخ ناصيف القائد. كما يبدو لنا الشيخ ناصيف خريجا "لمدرسه كربلاء" بما فيها من معانى القيادة و الإخلاص و الايمان القائد إلى الاستشهاد. و قد أرخ المرحوم الشيخ إبراهيم يحيى العاملى مقتل الشيخ ناصيف النصار بهذه الأبيات:

قتل ابن نصار فيا لله من مولى شهيد بالدماء مخرج

و تداولتنا بعده أيدي العدى من فاجر أو غادر أو أهوج

هى دولة عم البلاد الظلم فى تاريخها الله خير مفرج

(٥) و إذا كانت نتيجته أى عمل تعتبر جزءا لا يتجزأ منه فان النتائج التى ترتبت على استشهاد الشيخ ناصيف و ما ارتكبه الجزائر من فظائع فى جبل عامل تؤكد أن هدف الجزائر كان جبل عامل لا سواه.

ماسى الجزائر فى جبل عامل

اكتسحت جنود الجزائر البلاد و أحرقت القرى و دمرت المنازل. و شحن ما فى مكاتب جبل عامل من التأليف و المخطوطات النادرة حيث أحرقت فى عكا. و شكاه علماء البلاد إلى الآستانه و لكن حكومه الباب العالى أرسلت إليه الشكوى عينا فانتقم من موقعيها. و أسرف رجاله فى ذلك الشعب قتلا و ذبحا و قبض على فريق من الوجهاء فأماتهم خنقا فى سجون عكا و شرد من بقى منهم إلى البلاد المجاوره. و هاجر العلماء و أهل الفضل للبلاد الإسلاميه النائيه كالهند و العراق و إيران و الأفغان و خدموا فيها الإسلام و الشيعه الاماميه أجل خدمه. و فر من بقى من الحكام و أبناء العشائر إلى جبال حلب و الأناضول و قصد بعضهم "عكار" فأنزلهم حاكمها على بك الأسعد المرعبى فى دار رحبه لم تزل للآن تعرف بدار العشائر... و للعلامه الشيخ إبراهيم يحيى العاملى و كان فيمن فر من العلماء و سكن دمشق متسترا قصيده غراء ألمح فيها لهذه الكوارث:

من لى برد مواسم اللذات و العيش بين فتى و بين فتاه

و رجوع أيام مزين بعامل بين الجبال الشم و الهضبات...

إلى أن قال:

خطب دعانى للخروج عن الحمى فخرجت بعد تلوم و اناه

و تركته خوف الهوان و ربما ترك النمير مخافه الهلكات

و هكذا دامت الحال سنينا و العامليون يقاسون ضروب العسف و الشقاء فحملهم ذلك على الاستبسال و الاستماته فى سبيل الدفاع عن حوزتهم فثار الزعماء و أبناء العشائر و ألقوا العصابات الثوريه ليبدءوا مرحله من حرب العصابات. (٤)

و قد أظن المؤرخون فى وصف ماسى الجزائر التى ألحقها بجبل عامل بعد مقتل زعيمه ناصيف النصار. كما أن العاملين لا يزالون يتناقلون الروايات الفظيحه حول ذلك. فقد قضى الجزائر على الاستقلال الذاتى لجبل عامل الذى كان ينعم به فى ظل مشايخه و تابع انتقامه من العاملين بجيش مؤلف من "الأ-كراد و الأ-تراك و أعمل السيف بهم و استباح أعراضهم و نهب أموالهم... (٧) و لا بدع فهتك العرض و اغتصاب العذارى من شيم اللثام" و صار الأمير إسماعيل يعد النساء و يأخذ عليهم خفرا كما أخذ العداد و الخراج و هدمت الدوله القلع و أخذوا الأولاد و النساء (٨) و كانوا يبيعون المرأه بعشره مصارى (٩) و كان الرجال يساقون إلى عكا حيث ينتظرهم الموت على الخازوق (١٠) و هرب المشايخ إلى بلاد بعلبك و الشيخ قبلان و اخوته إلى الشام و جعل الأمير إسماعيل يمسك اتباعهم و يبلغهم بامر

- ١- العرفان
- ٢- ن. م.
- ٣- العقد المنضد.
- ٤- الفقيه.
- ٥- أعيان الشيعة.
- ٦- ن. م.
- ٧- ميخائيل مشاقه.
- ٨- العرفان
- ٩- دوانى القطوف.
- ١٠- مشهد العيان.

الجزار.. و جعلت الدوله تأخذ من الرعيه الأموال و الخيل و السلاح و كانت هذه السنه سنه خوف و جزع و ذعر شديد.(١)

و فر أولاد ناصيف النصار فارس و محمد مع بعض مشايخ آل الصغير إلى عكار حيث نزلوا عند آل المرعبي و قيل عند محمد الأسعد حيث اقطعوا أرضا لا تزال تدعى حتى اليوم "بجبل الأسود".(٢)

أما الشيخ قبلان ففر إلى دمشق حيث كان واليها محمد باشا العظم يكن له احتراماً و صداقه فاقطع من بلاد الهرمل قريتي القاع و رأس بعلبك و منحها له لكن الجزار ما عثم ان أصبح واليا في دمشق ففر قبلان إلى بغداد حيث توفي فيها سنه ١١٩٩ هـ.

و مع غياب السلطه السياسيه بعد مقتل ناصيف آلت القيادة العامه إلى علماء جبل عامل فأخذوا بالتحريض على الجزار و شكوه إلى الآستانه و لكن حكومه الباب العالي أرسلت اليه الشكوى فانتقم من موقعيها: فكانت نكبه كبرى حلت بجبل عامل على الصعيد الثقافى لأن ظلم الجزار بلغ مبلغا عظيما في الضغط على العلماء و الكبراء حيث تعقبهم قتلا و تعذيبا و مصادره و تشتيت من بقى منهم في الأقطار و استصفى آثارهم العلميه و كان لأفران عكا من كتب جبل عامل ما أشعلها بالوقود أسبوعا كاملا و كانت هي الضربه الكبرى على العلم و أهله. و ما ظنك ببلاد حرص أهلها على طلب العلم حرصا شديدا و لم ينقطع عنها مدده و جابت علماؤها البلاد النائيه في طلبه و اقتناء كتبه حتى جمعت لديهم تلك الذخائر في قرون و أجيال كانت بعد ذلك طعما للنار في مصادرات الجزار.(٣)

المقاومه العامليه للجزار

بعد سيطره الجزار على جبل عامل و هرب مشايخه و زعمائه و تشتت أهاليه جعل الجزار فيه إبراهيم مشاقه متسلما للإداره و جعل مركزه قلعه مارون و كانت لانتقائه هذا ما يعلله إذ أن إبراهيم مشاقه كان على خبره في أحوال جبل عامل و نفسه العامليين منذ كان كاتباً لناصر في صور فنشأت بينه و بينهم علاقات تجاريه زاهره. و قد أحسن هذا اداره الجبل لكن العامليين كانوا لا يرضون عن الاستقلال بديلا(٤) فبدءوا يضطرمون حقداً على الجزار و ينتظرون سانحه للانقضاض عليه. لجئوا إلى تأليف "عصابات" مقاومه تجوب البرارى و تهاجم قوات الجزار السارحه في هذا الجبل و تعيث فيهم قتلا و نهبا و هي تقصد إيجاد حاله من البلبله و الفوضى لكي لا يدعوا الجزار يستقر في جبلهم.(٥)

لكن ثورتهم الكبرى كانت سنه ١١٩٧/١٧٨٣ حين اشتد الخصام بين الأمير يوسف الشهابي و الجزار بسبب تلاعب و تقلب الجزار في سياسته مع الدروز بين الأمير يوسف و الأمير إسماعيل الشهابي. عندها أرسل أولاد ناصيف و رجالهم يعربون ليوسف عن استعدادهم لقتال الجزار إذا أمن لهم السلاح اللازم فوافقهم و حضروا إلى بلاد الشوف و منها توجهوا إلى شحور حيث اجتمع العامليون و تدارسوا الأمر فيما بينهم. و كان الشيخ على الزين مدير الاجتماع. و رأسوا عليهم حمزه بن ناصيف النصار و توجهوا بضع مئات و هاجموا قلعه تبين و قتلوا حاميتها و متسلمها و هددوا إبراهيم مشاقه الذي فر إلى الجزار طالبا اعفاءه من مهمته لكن الجزار زحف برجاله إلى العامليين و التقى بهم قرب قريه شحور حيث جرت معركة حامية قتل فيها حمزه الناصيف مع مائه من رجاله.(٦)

و استمر الجزار في انتقامه من العامليين مما دفعهم لمؤازره نابليون حين حاصر عكا سنه ١٧٩٩ و قدموا المؤن لجيشه حقداً على الجزار. لكن تراجع نابليون عن عكا جعل الجزار يستمر ثانيه في انتقامه و عسفه و ظلمه للعامليين.(٧)

و بقى الحال كذلك فى جبل عامل حتى بعد أن خلفه عبد الله باشا فى ولايه عكا، و لم تتغير حاله العاملين هذه إلا بعد أن تولى سليمان باشا سنة ١٨٠٥ على ولايه صيدا حين اعتمد معهم سياسه اللين و العدل فعادوا إلى بلدهم و عاد مشايخهم من آل صعب و آل الصغير (فارس و محمد الناصيف) إلى التزامه بعد أن عوض سليمان باشا عليهم بعضا من أملاكهم.

جبل عامل فى عهد الشيخ ناصيف النصار

كان جبل عامل قبل المرحله التى نتكلم عليها يشكل جزءا من البلاد الشاميه التى وقعت تحت سيطره العثمانيين اثر معركة مرج دابق ١٥١٦.

و كانت الدوله العثمانيه تقسم البلاد اداريا و عسكريا إلى ايالات و سناجق.

كما كانت تمنح هذه الإيالات و السناجق بطريق "الالتزام" من يدفع أكثر يحصل على الولايه و له أن يجبى الأموال بالطريقه التى تناسبه و غالبا ما كان "الملتزم" يعتمد على الأعيان و المشايخ فى عمله هذا.

فى هذا الإطار كان يحكم جبل عامل فى ظل العهود العثمانيه عدد من الأسر البارزه عن طريق استقلال أحد مشايخ هذه الأسر بالحكم شرط أن يحفظ الأمن و يؤدى الأموال المترتبه لخزينه الوالى.

أما فى عهد ناصيف النصار الذى استطاع ان يوحد العاملين و يبعد الشهابيين عن الجبل فقد تراجعت سلطه الدوله العثمانيه و أصبحت سلطه اسميه فقط و لم يعد بإمكانها التدخل فى شئون البلاد المحليه و لا يهتمها إلا قبض الضريبه المفروضه على مقاطعات جبل عامل و مقدارها ستون ألف غرش توزع على المقاطعات الثمانيه. (٨)

و يبدو ان اختيار ناصيف تبين مركزا لقيادته لم يكن وليد الصدفة إذ تشير المصادر التاريخيه إلى انه عند ما جدد الأمراء العاملين الوافر من قلاعهم و أحدثوا بعض الحصون فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى كانت المقاطعات ثمانيه: تبين و هونين و ساحل معركه و ساحل قانا و مرجعيون و الشقيف و إقليم الشومر و جباج و المرجع العام للثمانيه كانت تبين و الحاكم فيها من آل على الصغير. (٩)

ثم انتقل ناصيف النصار بجبل عامل إلى مرحله الاستقلال التام عن الدوله العثمانيه عند ما أعلن الثوره مع ظاهر العمر سنة ١١٩٠ - فكان المشايخ الإقطاعيون العاملين غير ملتزمين " برفع علم الدوله الرسمى فى اجتماعاتهم بل كان لهم اعلام خاصه من نسيج حريرى - أخضر و أحمر - كتب عليها بالنسيج الأبيض ثلاثه سطور: لا إله إلا الله محمد رسول الله و الثانى: لا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار. و الثالث: نصر من الله و فتح قريب " (١٠).

أما فيما يختص بالأمور القضائيه فقد كانت الدوله العثمانيه تعين قضاة

- ٢- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٣- العرفان.
- ٤- مشهد العيان.
- ٥- محمد جابر.
- ٦- ن. م. و لبنان فى عهد الأمراء و مشهد العيان.
- ٧- العرفان.
- ٨- جرجى بنى.
- ٩- دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه.
- ١٠- محمد جابر

من قبلها باسم نائب و نظرا لكون أغلبية العاملين على مذهب الشيعة الإماميه "فقد كان مرجع القضاء و الفتوى الحقيقي في جميع أدوار جبل عامل العلماء و المجتهدون العدول" (١).

و خاصه في قضايا الأحوال الشخصية و الفض في المنازعات و قضايا البيع و الشراء و الميراث و هذا يعنى ان التنظيم القضائى و القوانين التى كانت تطبق فيه لم ترد فى نصوص أخرجتها السلطه التشريعيه كما هى الحال اليوم.

و إنما كانت تتبع التعاليم الإسلاميه المستمده من القرآن الكريم و السنه المطهره على مذهب أئمه آل البيت و الإجماع و الاجتهاد و ان ما نقل عن ناصيف النصار من إكرامه للعلماء و تقديره لهم انعكس تعريزا لمنصب القضاء الذى كانوا يشغلونه و بالتالى أصبحت فتاواهم "حكما مبرما يوجب على الحاكم الزمنى العمل بنصه و لو كان ضد الحاكم نفسه" (٢).

من الناحيه الاجتماعيه: عرف المجتمع العاملى فئات ثلاث فئه الأعيان التى تمثل الطبقة الحاكمه و كبار الموظفين و تتمتع هذه الفئه بالشأن الرفيع.

و كان الإقطاعى ينفذ فى عامه الشعب أحكامه "و ينظر فى شئونهم على هواه و هم اتبع له من ظله يعضدونه فى تعزيز قوته و إعلاء مكانته" غير انهم "لم يكونوا عبيدا لأصحاب الإقطاعات ارقاء لهم" (٣).

فئه رجال الدين و تضم الساده و الشيوخ المجتهدين. أما الساده فهم العلماء الذين يرجعون بنسبهم إلى النبى من ابنته الزهراء و ينظر إليهم من قبل الشيعة بتقدير و إجلال كبيرين لنسبهم الشريف و أما الشيوخ المجتهدون فهم فى الأصل من عامه الشعب درسوا العلوم الدينيه و الفقهيه. و قد كان لرجال الدين عامه سلطه معنويه على أفراد الشعب و المشايخ الإقطاعيين على حد سواء. و قد عزز هذه السلطه العصبية المذهبيه التى كانت سائده آنذاك إضافه إلى كونهم على مستوى المرحله فقد استشهد عدد منهم دفاعا عن العقيدة و الوجود.

أما الفئه الثالثه فقد كانت عامه الشعب من فلاحين و مزارعين. و معظم هؤلاء كانوا يعانون الفقر لكن أحوالهم تحسنت فى عهد الشيخ ناصيف بعد ان تمركزت السلطه السياسيه فى يد قويه أشاعت الأمن و الاستقرار و قد تحددت الضرائب على جميع مقاطعات جبل عامل بستين ألف غرشا سنويا! "و لم يعودوا يدفعون الضرائب المتنوعه التى فرضها الترك على الأراضى من وىركو و أعشار و رسوم تملكك.. و لم تكن شبانهم تساق إلى الجنديه" (٤) أضف إلى أن التحالف الذى أقامه ناصيف مع ظاهر العمر أعفى العاملين من كثير من المشاكل التى كانوا يتعرضون لها على يد جيرانهم الفلسطينيين. (٥)

و قد تميز العلماء فى عهد ناصيف "بسلطه عليا تفوق كل سلطه تتطأ لها الرؤوس و تحنى الرقاب" (٦).

من الناحيه الاقتصاديه: كانت الحاله الاقتصاديه فى جبل عامل فى ظل الدوله العثمانيه تتصف بالفقر على وجه الإجمال لعدده عوامل أبرزها: موقع جبل عامل المتوسط بين مقاطعات البلاد الشاميه مما جعله ممرا للجيوش و مسرحا لمعارك المتخاصمين، مع ما يقتضى هذا الأمر من نفقات العسكر المار فى الجبل من علائف و مؤن.. فقد كان يرهق الشعب المعدم بمطالبهم حتى أن الفرد أصبح يفر من الغنى لأن هذا سيجعله محط رحال العسكر. و يروى عن أحد التجار ان حاكما وهبه مره قريه لإيقاعه بهذا المأزق الآنف الذكر، فسعى التاجر بعناء حتى تخلى عن ثلاثه أرباع هذه القريه. (٧)

كما ان حاله الجور و الاستبداد التى كان يلقاها العاملون على أيدى حكامه و ملتزميه من غير العاملين ساهمت بدورها فى تردى حاله الاقتصاديه. إضافه إلى حال عدم الاستقرار بفعل هجمات الدمار و الخراب التى كان يتعرض لها العاملون على أيدى الشهابيين و الولاه العثمانيين.

و أخيرا عمليه الإفكار التى كان يعتمدها الولاه فى تحصيل الأموال السلطانيه إذ كانوا يوعزون لرجالهم بنهب البيادر و المحاصيل. (٨)

و من المعروف ان الناس لا يقدمون على الكد فى تحصيل معاشهم إلا إذا كانوا على ثقه من التمتع بما يكسبون "لأنهم يفضلون الاكتفاء بالقليل التافه الذى يحصلونه بالتعب القليل على الكثير إذا جنوه بالكد ذهب طعمه للظالمين. فنشأ عن هذا همال الزراعه و الصناعه و التجاره. (٩)

و من الطبيعى أن تتغير حاله الاقتصاديه للجبل فى عهد ناصيف النصار بعد أن تغيرت الأوضاع السياسيه و الاجتماعيه حيث عرف الجبل مزيدا من الاستقرار السياسى و ابتعادا عن سلطه و لاه الجور.

فقد ازدهرت الزراعه فى الجبل بسبب خصوبه أراضيه و نشاط فلاحيه يدل على ذلك مجموعه الآثار و الظواهر المتوافره فى الجبل: كثره معاصر الزيت و معاصر العنب و الخروب و المطاحن المائيه على مجارى الأنهار و خاصه نهر الليطاني.

كما كثرت فى جبل عامل مزارع الزيتون كمزارع البصه و جاليل: التى كان يقلع منها كل سنه جانب عظيم و يصدر لجميع جهات بلاد بشاره و ساحل عكا. (١٠)

كما كثرت كروم التين و العنب فى جميع أنحاء هذا الجبل و قد أطنب الرحاله روبنسون الذى زار البلاد فى تلك الفتره فى وصف لذه عنبها و كبر عناقيدها". (١١)

أما زراعه التبغ فقد كثرت على هضاب جبل عامل و خاصه فى ساحل قانا و الجبال المجاوره لصور و كان تبغها " يشابه فى جودته تبغ اللاذقيه و يفوقه أحيانا". (١٢)

كما كانت زراعه قصب السكر منتشره على مجارى المياه فى جبل عامل (١٣) أما زراعه الفواكه فقد كانت بساينها منتشره حول صور و تروى بمياه رأس العين لكن العناية بها كانت ضئيله. (١٤)

فيما يتعلق بالصناعه يبدو أن الجبل لم يعرف فى تاريخه صناعه مزدهره لذلك اقتصرت الصناعات فى جبل عامل على بعض المصنوعات اليدويه كصناعه الآلات الحراثيه و صناعه الحصر من مساكب "البابير" و صناعه الزقاق من الجلود قرب الحوله. (١٥) يوميات فى لبنان.

كما كانت هناك بعض الصناعات التحويليه كتصنيع الزبيب و التينى.

- ١- خطط جبل عامل.
- ٢- محمد جابر.
- ٣- جرجى بنى.
- ٤- محمد جابر.
- ٥- ن. م.
- ٦- ن. م.
- ٧- المقتطف.
- ٨- تاريخ ظاهر العمر.
- ٩- بنى.
- ١٠- المقتطف.
- ١١- إدوار ربنسون.
- ١٢- عارف الزين.
- ١٣- يوميات فى لبنان.
- ١٤- فرنسوا فولنى.

المجفف و استخراج الزيوت من الزيتون و البطم و استخراج الطحين من الحبوب بأنواعها. تدل على ذلك كثره المعاصر و المطاحن المائيه التي ما تزال آثارها ماثله إلى اليوم. و كان العامليون يلبسون ثيابهم من قطن أرضهم منسوجا على انوالهم اليدويه.(١)

هذا بالاضافه إلى تصنيع انتاج المواشى كالألبان و الأسمان و قد استعمل العامليون السمن للإناره. كما قاموا بتربيه النحل و استخراج العسل منه.

و استخراج الملح من مياه البحر على طول الساحل العاملى و خاصه فى صور.

أما التجاره فقد حظيت بعنايه خاصه من ناصيف النصار لأنه كان مشهورا كتاجر كما كان مشهورا كجندى على حد قول أدوار لاکروا.(٢) و قد تمثل ازدهار التجاره الخارجيه بالظواهر التاليه: تعمير ميناء صور فقد جاء على لسان الرحاله الفرنسى فولنى ان المتاوله رمموا هذا المرفا فى سنه ١٧٦٦ و بنوا له سورا بعلو ٢٠ قدما. بحيث يمكن للسفن إيجاد ملجا و هذا المرفا يفضل على مرفا صيدا.(٣)

و قد أصبح مرفا صور مركزا لتصدير المتوجات العامليه من جميع مقاطعات الجبل ما خلا المناطق التي جاورت صيدا. كما هيا هذا المرفا لأهالى صور بصوره خاصه سوقا تجاريه رائجه و أصبحت حالتهم المعيشيه جيده فقد كنت ترى فى بيوتها وسائل الراحة.(٤)

و ساهمت حاله الأمن و الاستقرار التي سادت جبل عامل سواء لانكفاء الشهابيين أو لانحسار غزوات البدو إضافه إلى قطع دابر اللصوصيه فى عهد ناصيف على تحويل جبل عامل إلى طريق للقوافل التجاريه. فقد كانت ثمر البضائع التجاريه من سوريا إلى فلسطين عن طريقين: طريق دمشق طبريا و طريق دمشق - تبين.

يضاف إلى هذا: العلاقات السياسيه الوديه بين ناصيف و الشهابيين و ظاهر العمر و على بك الكبير فقد عززت التبادل التجارى بين جبل عامل و سائر المناطق الشاميه.

و ساعد موقع الجبل المتوسط بين المناطق المجاوره من ناحيه و إشرافه على ساحل البحر المتوسط من جهه ثانيه على ازدهار التجاره. و بالفعل فقد تعززت التجاره بين صور و دمياط فى مصر فقد ذكر ان جرجس مشارقه كان يتعاطى تجاره التبغ و يصدرها إلى مصر و قد تمكنت "صلته بمشايخ آل الصغير حكام بلاد بشاره و الشقيف الشيعيين حيث كان يشتري منهم حاصلات أراضيهم الواسعه من التبغ... و فى اضطرته المصلحه أن يقدم من صيدا إلى صور فانتقل إليها لتسهيل تجارته مع مشايخ المتاوله القاطنين فى جوارها و الذين لهم من أغلالها النصيب الوافر مثل التبغ و الحبوب و الأخشاب.(٥)

أما التجاره المحليه فقد تمثلت فى مجموعه الأسواق المحليه التي كانت تقام فى بعض البلدان الكبرى المتوسطه الموقع بين المقاطعات كسوق تبين، النبطيه، العديسه الطيبه، بدياس، جوياء، بنت جبيل و كان الفلاح العاملى يعرض فى هذه الأسواق منتوجاته الزراعيه و مشتقاتها و صناعاته اليدويه.(٦) فيما يتعلق بالحاله الفكرية فقد عرف جبل عامل منذ القدم بإقبال خاصه من علمائه على نهل العلم و خاصه العلوم الدينيه و الفقهيه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشهيد الأول محمد بن مكى ٧٨٦

- ١٣٨٤، الشهيد الثاني زين الدين بن علي ٩٩٦ [٩٦٦] - ١٥٥٩، الحر العاملي الشيخ محمد بن الحسن بن علي ١١٠٤ - ١٦٩٢. السيد جواد المعروف بمحمد الجواد بن محمد ١٢٢٦ - ١٨١١ و سواهم ممن عرفوا شهره واسعه في مختلف ارجاء العالم الإسلامي و لا سيما الشيعي منه.

و في مطلع القرن السادس عشر الميلادي و بعد أن بدأت هجمات الولاة العثمانيين و الملتزمين تتوالى على الجبل فقد شهدت الحاله الفكرية تراجعاً نسبياً و خاصه حركه الشعر و ذلك لسببين: الانشغال في الاهتمامات المعيشيه الصعبه، وجود الحكام الغرباء و الذين لا يمكن أن يكونوا من ممدوحى الشعراء العامليين.

و لكن مع ظهور ناصيف النصار في جبل عامل و مع إكرامه و تقديره للعلماء و الشعراء و مع انتفاء الهجمات الخارجيه و مع بروز الهويه العامليه و مع انطلاقه ناصيف النصار خارج حدود الجبل و مع كثره المعارك و البطولات..

مع كل هذا ظهرت حركه الشعر و اشتهر من شعراء تلك المرحله الشيخ إبراهيم الحاريسى و الشيخ إبراهيم يحيى العاملي. فقد عاصر هذان الشاعران ناصيف النصار و عزفا بطولاته الحانا تفيض بالعزه و الكرامه و العنفوان فكان ناصيف يرد كيد المعتدين و الشعراء يردون أقوالهم.

و لما غيب ناصيف النصار و كانت نكبه جبل عامل على يد الجزائر و كان تشرد القاده و العلماء و الشعراء جاءت قصائد هؤلاء صوره معبره عن هذه النكبه فكان شعرهم أنينا و قصائدهم حيناً.

و خلاصه القول انه: في أواخر القرن الثاني عشر إلى أوائل القرن الثالث عشر للهجره " تكون النهضه الشعريه في جبل عامل قد تكاملت ففتحت عن مجموعه من الشعراء الأفذاذ عاشوا أحداث بلادهم بشعرهم و شعورهم فكانوا لسانها الناطق و ضميرها الحى و ذهنها الوقاد ".^(٧)

و قد استمرت هذه النهضه الشعريه حتى تولى حمد المحمود زعامه الجبل " و هو رجل من أنبغ من أنجبت أسرته كان فارساً مقداماً و كان أديباً شاعراً... و كانت تبين قاعده حكمه و فيها ملتقى وفاده و كان قد جدد بناء قلعتها هذه القلعه التي شهدت ازهى أمجادها أيام سلفه الشيخ ناصيف النصار.... فاجتمع للشعراء: أمير تشوقه المدائح و شاعر يفهم ما يقولون و أمجاد مغريه بالمدح فالتقى في قصر حمد مجموعه من الشعراء لم يلتق مثلها إلا في قصور الملوك السالفين... و يخيل إليك و أنت تراجع شعر تلك الفتره ان حياه مصغره لسيف الدوله الحمداني قد انبعثت في الجبل ".^(٨)

و مهما يكن من أمر فان الحركه الشعريه ازدهرت في عصر ناصيف النصار و ربما كانت تستحق وقفه خاصه و دراسه مستقلة فكما كان ناصيف النصار يعزف ألحان البطوله بوقائعه و شهامته و دفاعه عن الحق كان الشعراء يخلدون هذه الألحان بترانيم لغويه أغنت التراث العاملي و سجلت ماثراً هذه الأقليه التي عاشت في الجبل و دافعت عن نفسها لتستمر بعقيدها و حرיתה و كرامتها.

و كانت و ما زالت تقدم الشهداء من ابنائها و من قادتها و من علمائها على حد سواء و هذا أمر سهل الفهم إذا تذكرنا أن العاملي يرضع مع حليب أمه ما حدث في كربلاء.م.

- ١- المقتطف.
- ٢- تاريخ الجزائر.
- ٣- سوريا و لبنان و فلسطين.
- ٤- يوميات فى لبنان.
- ٥- مشهد العيان.
- ٦- خطط جبل عامل.
- ٧- عصر حمد المحمود.
- ٨- ن. م.

و لا بد لنا بعد ذلك من التعريف بأحمد باشا الجزار الذى جرى ما جرى على يديه من استشهاد ناصيف النصار و خراب جبل عامل و غير ذلك من الأحداث المرتبطه بجبل عامل و غير جبل عامل. و هو تعريف مكتوب بقلم:

قسطنطين خمار:

شهدت البلاد السوریه فى القرن الثامن عشر أحداثا مروعه و انتابتها ضروب من المظالم و صنوف من المآسى، نتيجة لاستقلال بعض الولاة و الحكام الاقطاعيين بالمقاطعات التى دانت لسطانهم فعاثوا بها عتوا و برعاياهم طغيانا.

ذلك أن هؤلاء الولاة الذين كانت اولى واجباتهم فرض القانون و تطبيق النظام كانت كثرتهم من العجز الحربى و السياسى بمكان، و كثيرا ما كانت الدوله العثمانیه تغيرهم باستمرار فمنهم من لم يكن يمكث فى الحكم أكثر من سنه أو سنتين فكان همهم الأكبر و شاغلهم الأوحى أن يجمعوا أكبر مقدار من المال يستطيعون و لذا لجئوا إلى سلب الرعيه ممارسين أشد أنواع الظلم و أدهى صنوف الاستبداد فلا غرو أن شهدت البلاد فى هذا القرن انهيارا فى الأحوال الأمنیه و الاقتصادیه و انحطاطا فى حياه السكان كما كان من نتائج هذه الأوضاع السائده ازدياد تدريجى فى أهميه الشيوخ المحليين، هذا عدا ان الاستبداد بحد ذاته من طبيعه الإنسان إذا لم يجد رادعا يردعه و حائلا يصدّه.

و قد بلغ (احمد باشا الجزار) حاكم عكا و المسيطر على سائر البلاد السوریه طوال الربع الأخير من القرن الثامن عشر القمه فى ذلك و حلق فيه تحليقا ما عليه مزيد فبز جميع نظرائه قسوه وفاقهم طغيانا مالئا البلاد جورا و الشعب رعبا حتى ضرب به المثل فى القسوه على مر الأجيال التاليه فقيل "أظلم من الجزار".

المولد و النشأه

كان مولد الجزار فى أوائل العقد الرابع من القرن الثامن عشر فى إحدى قرى البوسنه - و قد نشأ و ترعرع فيها فتى شرس الأخلاق سيئ السلوك و يروى انه ارتكب جرما اخلاقيا، قيل انه اغتصاب امرأه أخيه مما اضطره إلى الفرار من وجه ذويه طريدا شريدا حتى عاصمه السلطنه العثمانیه (الآستانه) حيث عمل حمالا- فى الميناء ثم عاملا فى الزوارق. ملاقيا اسوأ معامله، فاغتم فرصه سانحه فى رسو المركب الذى كان يعمل فيه فى احدى موانئ الأناضول، و فر منه عائدا إلى التسول آنا و السرقة حيناً، سائرا على غير هدى إلى ان باع نفسه أخيرا إلى نخاس يهودى صادف مروره فى احدى الموانئ فضمه إلى ما كان قد ابتاعه من الأولاد و توجه بالجميع إلى القاهره حيث كانت سوق الرقيق رائجه و حكام مصر كلهم من المماليك. و هناك باعهم إلى تاجر آخر أسلم الجزار على يده و تسمى (أحمد) و كان قد أصبح شابا بهى الطلعه، طويل القامه، قوى العضلات ذا وجه مشرب بالحمرة. و لا ريب أن جميع هذه الأحوال التى قاساها و شظف العيش الذى صبغ حياته السابقه قد ولدت فيه عقدا انعكست فيما بعد، عند ما دانت له السلطه، على تصرفاته من عتو و استبداد و مظالم و كأنه بذلك ينتقم من البشريه جمعاء.

كانت مصر فى هذه الفتره مسرحا لنزاعات مستمره بين مماليك معظمهم رقيق مشتري فى صغره، حالهم كحال لا تهدأ بينهم المعارك و لا تفتقر المذابح بغيه الوصول إلى الحكم و الثروه، لا يرعون فى ذلك عهدا و لا ديناً. و قد مكنته شجاعته الفائقه من

الدخول فى خدمه على بك الكبير حاكم مصر و أعظم مماليكها شانا، فال رتبه (البكويه) و لشده بطشه و فتكه يبدو إقليم (البحيره) الذين أيدوا أحد خصوم على بك أطلق عليه لقب (الجزار) فأصبح يدعى (احمد بك الجزار). و أصبح الجلاذ المفضل لدى سيده ممتهن قطع الرؤوس. و كان هذا اللقب الجديد مدعاه فخر و اعتزاز له و بات يشعر بنشوه هائله كلما رأى رؤوس قتلاه تتدحرج و دماءهم تهرق. و أصبح اسمه عند الناس مرادفا للرعب و لازمه هذا اللقب طوال حياته، و أهدقت عليه الأموال فأصبح يمتلك الخيل و السلاح و الجوارى الحسان و يقيم حفلات الأنايس و الطرب موزعا المآكل الشهيه على فقراء الحى - الا أنه عند ما رفض أمرا بقتل أحد المماليك - و كان له صديقا و تأكد من غضب على بك عليه و عزمه على اعدامه، فر من منزله متخفيا بلباس احدى جواريه حتى وصل احدى الموانئ فاستقل مركبا متوجها إلى الآستانه يعرض خدماته على الباب العالى و كان ذلك عام ١٧٧١ م و سنه آنذاك يقارب الأربعين، إلا أن آماله خابت فى الحصول على ما كانت نفسه تحدته به من مكانه، فولى وجهه شطر سوريه و نزل فى ضيافه الأمير يوسف الشهابى فى دير القمر - و كانت شهره بطشه و جبروته قد سبقته، فحملة هذا الأمير كتاب توصيه إلى عثمان باشا والى دمشق من قبل الباب العالى، فجعله هذا الأخير قائدا لمفرزه من أربعين رجلا- و سلمه ميناء بيروت فرمم أسوارها بهمه و نشاط فائقين و بنى فيها أبراجا عده حتى منحه الأمير يوسف الشهابى لقب (قائد أعلى) - الا- أنه لما كانت شيمته الغدر، تحصن فى بيروت و أغلق أبواب الأسوار دون الأمير يوسف و حرم عليه دخولها، و زياده فى التهديد و الوعيد قبض على رجلين من أتباع الأمير فقطع رأسيهما ثم اجلس كلا من الجثتين على خازوق و نصبهما على الأسوار و أجرى مذابح شنيعه فى المدينه و فتنا طائفيه حتى أهرب القوم لدرجه لم يعد يفكر بعدها أى منهم بالعصيان، و بلغ من سخريته بسيده الأمير يوسف ان أمر بصنع (فزاز) على مثاله و علقه على أحد أبواب المدينه و لما أخذ ببناء سور متين للميناء دفن عشرين رجلا احياء ضمن السور زاعما ان هذا يدعم البناء و مخرجا سواعد هؤلاء الضحايا من بين الأحجار عليها تصلح لربط السفن - الا انه أخذ يغدق الهبات على جنوده مشجعا إياهم على الشراب و العبث و الفحشاء، واهبا إياهم الآلات الموسيقيه مبتهجا بأثامهم، إذ ان معظمهم كان من الأشقياء و المجرمين و بذلك عم خطرهم و امتلأت المدينه منهم رعبا و دانوا له بالطاعه العمياء، و قد نجح فى حكم المدينه مده عام واحد و كان سكانها فى هذه الفتره لا يزيدون عن سته آلاف نسمة.

الصراع مع ظاهر العمر

و الواقع ان السلطنه العثمانيه كانت بحاجه اليه لتنفيذ خططها باعاده (اياله صيدا) إلى الحكم المركزى الفعلى بعد ان قويت شوكة ظاهر العمر حاكم عكا لدرجه أن نفوذه و سلطانه كانا هما السائدين على هذه الإياله و معظم فلسطين. فوجدت فى الجزار رجلا ذا بأس يمكنها الاعتماد عليه للحد من سيطره ظاهر. و لكن خصوم الجزار تألبوا عليه و حاصر بيروت دروز الجبل بقياده الأمير يوسف و ساندهم فى ذلك الأسطول الروسى بضرب المدينه و جعل فى أسوارها ثغرات كثيره، و لما لم يتلق من الدوله العثمانيه مساعدته عمليه و وجد ان المدينه ساقطه لا محاله و أن أيامه باتت معدوده، لجا إلى الدهاء و الخديعه فأرسل من يبلغ ظاهر العمر انه يعترف بخصومته الشريفه و انه على أتم الاستعداد للانضمام اليه ضد قوى السلطنه العثمانيه إذ أمنه و حاشيته، و كان فى أثناء ذلك قد أخرج من بيروت، بطريقه سريه، الأموال و الأمتعه و التحف الثمينه التى كان الأمير يوسف قد ائتمنه عليها.

و لما كان ظاهر العمر قد سمع بشده مراس الجزار و شجاعه جنوده و بأسهم فى القتال أجبر حلفاءه قاده الأسطول الروسى و الجيوش المحاصره على السماح للجزار و حاميته بمغادره بيروت مع المحافظه على شرفها العسكرى، و دخل الأمير يوسف و

الروس المدینه فوجدوها خاويه على عروشها، أما الجزار

ص: ٢٨١

فابحر بجنوده إلى صيدا ثم صور و كان يفترض ان يسير من هناك بجنوده إلى منطقته نابلس لينضم إلى جيش ظاهر العمر ليسانده في محاربه العصاه و إخضاعهم، الا انه كعادته غدر بظاهر، كما غدر سابقا بسيده القديم يوسف. و توجه إلى دمشق منضمًا لجيوش الدوله العثمانيه، و مجدداً بذلك ولاءه و تبعيته للباب العالى الذى ما زال ناقما و مصمما على القضاء على ظاهر العمر الزيدانى المتمرد عليه و المنفرد بالسلطه على مناطق واسعته من البلاد، فرحب بفعله الجزار هذه و عزم على مكافاته فى أول فرصه..

أرسلت الدوله العثمانيه عماره بحريه بقيادة حسن باشا لضرب المقر الرئيسى لظاهر و هى مدينه عكا، من البحر كما تقدمت جيوشها من دمشق و تم لها الاستيلاء على المدينه بعد أن فر منها ظاهر و قتل خارج أسوارها، و عندها استدعى الجزار، ثقته من الدوله العثمانيه انه من أتباعها و ولته عكا عام ١٧٧٥ م فوجدها فى حاله بائسه أثر الحصار البرى و البحرى و قد هجرها معظم سكانها إلى المناطق المجاوره فطلب من الأهالى الفارين العوده لاستعادته أمتعتهم و مقتنياتهم. و لما تأكد من عوده معظمهم حرم عليهم مغادرتها تحت طائله الاعدام و بذلك امتلأت ثانيه بسكانها القدامى، الا أنه بقى فى حاجه ماسه إلى المال فقام بفرض الضرائب الجمركيه على معظم السلع. كما أجبر و كيل القنصليه الفرنسيه و التجار الفرنسيين على اقراضه الأموال و احتكر معظم المرافق التجاريه. و لما وجد أن خزائنه امتلأت بالأموال شرع بإصلاح الأسوار و إتقان البنيان و ذلك بتسخير أهالى القرى المجاوره للعمل ثلاثه أيام فى الأسبوع بالتناوب ثم أنشأ أسطولا صغيرا. كما مكنته موارده الماليه من تأليف فرقه فرسان من أبناء البوسنه و البانيا من (٨٠٠) فارس و من مرتزقه المغاربه ألف جندى من المشاه. ثم أخذ باستقدام اللصوص و الفارين من وجه العداله جاعلا منهم حرس شرف له و بذلك أصبح لديه قوه مقاتله فاعله من مرتزقه البشانقه و الأرناؤوط و الأكراد و المغاربه.

تسلم ولايه صيدا

و بعد أن فرغ من ذلك و آنس من نفسه القوه العسكريه و الماليه تولى أمر أبناء ظاهر العمر فقضى عليهم جميعا. و بذلك دانت له قطاعات صفد و طبريا التى كانت ما تزال تحت سيطرتهم فسر ذلك الدوله العثمانيه فعيّنته فى النصف الثانى من تشرين أول (اكتوبر) عام ١٧٧٥ واليا على صيدا و منحه رتبه الباشويه! و فى شباط (فبراير) من عام ١٧٧٦ م منح رتبه (وزير) و أصبحت الدوله العثمانيه تخاطبه فى جميع الفرامانات و المراسلات باللقب الجديد (الوزير احمد باشا الجزار) و زياده فى اعتراف الدوله بفضله برد سلطتها على جميع المقاطعات التى كانت تابعه للزيدانى منحه ما كان يعرف (بالمالكان) أى حق الحكم مدى الحياه و بدأ استمر الحاكم على هذه البلاد حتى وفاته عام ١٨٠٤ م أى ما يزيد على ٢٨ عاما. الا انه على الرغم من ذلك لم يغير مكان إقامته فى عكا، و لم يكن يؤم صيدا (مع أنها كانت المركز الرسمى لليالاه) أكثر من شهرين فى العام الواحد. و بعد أن دان له معظم الجليل أخذ بمهاجمه الشمال جبل عامل و تسلم بعد معركة بارون و قتل ناصيف النصار قلعه (هونين) و قلعه (الشقيف) و قلعه (جباع) فقتل الكثيرين و سلب الأموال و سبى النساء حتى كانت المرأه تباع بثلاث قرش و بعد ذلك أخضع مدينه صور، كما هاجم جنوده بيروت فهرب معظم سكانها و أحرقوا و قتلوا و باعوا الأسرى و أرسلوا اليه منهم الكثير فقطع رؤوس البعض و أجلس آخرين على الخازوق..

الحاكم المطلق فى الشام

و بعد ذلك ولى وجهه نحو منطقتى نابلس و جنين فاحضعهما. الا- انه عجز عن الاستيلاء على قلعه (سانور) فى منطقته جنين و

كان يسيطر عليها يوسف الجرار على الرغم من محاصرته لها أربعة أشهر، و على الرغم من تكرار مهاجمته لها بعد ذلك. و بذلك ازداد ايمان الدوله العثمانيه رسوخا به لا سيما انه كان لا يتوانى عن إرسال الأموال لها باستمرار فتسلم منها براه بتعيينه واليا على دمشق عام ١٧٨٠. و كان من مهام والى دمشق اماره الحج فهو الذى يسير بقافله الحجيج إلى مكه و يحميها من هجمات البدو فى الطريق، و قد تولى هذه المهمه و ولايه دمشق أربع مرات فى حياته إذ أن الدوله العثمانيه كانت تمنح الإياله لمن يرسل إليها الأموال الأميريه فى انتظام فتعزل الواحد لتولى الآخر تبعا للمبالغ المرسله. و قد أظهر الجزار سخاء متناهايا بإرسال الهدايا و الذهب إلى السلطان العثماني و حاشيته مما مكنه من الحصول على إياله طرابلس فى تلك الفتره بالاضافه إلى إياله دمشق.

و بذلك خضعت له سوريا بأسرها من أقصاها إلى أقصاها، فانتشر عماله من اللاذقيه شمالا إلى غزه جنوبا كما أتم سيطرته على الشوف و الجبل اللبناى و كان على أمرائهما و شيوخهما أن يرضوه بالأموال لابقائهم فى سده الحكم، مما اضطرهم إلى ظلم رعاياهم و إثقال كاهلهم بالضرائب ليتمكنوا من جمع ما وعدوا به الجزار الذى كان يبقى عنده أبناءهم و مديرى ماليتهم أحيانا رهائن لديه فى عكا حتى إذا تقاعسوا عن إرسال الأموال المطلوبه قام باعدام الرهائن، و كان لهذه الغايه يلقي بذور الشقاق بين أمراء أفراد العائله الواحده الحاكمه فكم من مره فعل ذلك بين الأمير يوسف الشهابى و خاله الأمير إسماعيل ثم بين الأمير يوسف و إخوته كما أخذ فيما بعد يحرض الأمير الفتى بشير الشهابى (الكبير فيما بعد) على الأمير يوسف ثم أبناء الأمير يوسف على الأمير بشير - كل ذلك تبعا للمبالغ التى يستطيع دفعها كل منهم فمن زادها له سانده و تنكر لغيره و هكذا.. و فى احدى المرات طلب من الأمير يوسف الشهابى ستمائه كيس (و كان الكيس يحتوى ٥٠٠ قرش) و هذه مبالغ باهظه إذا ما تذكرنا قيمه النقد الشرائيه فى ذلك العهد، بدليل انه عند ما شح المطر فى احدى السنين و حصل قحط ارتفع سعر مد القمح إلى ثلاثه قروش...

و لما زاد الأمير بشير عما دفعه الأمير يوسف سر الجزار منه كثيرا، و كافاه بوضع الأمير يوسف و خازنه الشيخ غندور و سعد الخورى.

جنون و صواب و قسوه

و كانت حاجه الجزار إلى الأموال لا- تفتقر ليتمكن من الاحتفاظ بجيش قوى، إذ كان هو عماده الوحيد، فولاء هؤلاء الجنود المرتزقه كان يتوقف على انتظام دفع رواتبهم، و لذا عمد بالاضافه إلى ما كان يجيبى من الضرائب و يفرض من المغارم و يصادر من الأموال و الممتلكات إلى احتكار التجاره و كانت أولى خطواته احتكار القطن فحدد اسعاره و منع بيعه أو شراؤه من قبل أیه و كاله إلا- هو.. و عند ما حاول التجار الأجانب تذكيره بالاتفاقات المعقوده مع الدوله العثمانيه سخر من ذلك و أفهمهم ان لا سلطان غيره فهو وحده الأمر الناهى، فى الأراضى التى يحكمها، ثم امتد احتكاره إلى الحبوب فأجبر المزارعين على زراعه القمح و منعهم من بيعه أو تخزينه و صدر جميعه إلى مصر و المناطق المجاوره.

و لما امتد حكمه إلى ولايه دمشق فعل مثل ذلك فى غلال حوزان.

و أصبح جميع المحصول يباع إلى و كلائه فى عكا و منهم فقط يستطيع التجار أن يشتروا و لم يجروا أى كائن على الاحتيال إذ

كانت سفنه و عيوننه تراقب الشواطئ و الموانئ بدقه لا سيما و أنه كان قد حضر على أيه سفينه مغادره

ص: ٢٨٢

الميناء بعد الساعه الثامنه مساء، و بذلك لم يعد هناك أى مجال للتهريب، كما كانت أيه محاوله من قبل التجار الفرنسيين لشراء القمح من الفلاحين يكون الرد عليها دون رحمه. و مثل هذه المحاولات أدت إلى طرده التجار الفرنسيين من عكا و صيدا عام ١٧٩٠ فهو وحده يقرر أى المحاصيل يجب أن تنتج للتصدير. و بذلك كانت موارده الماليه تنمو باضطراد بالاضافه إلى الرسوم الجمركيه الباهظه التي كان يفرضها على جميع الصادرات و الواردات هذا عدا الغرامات الخاصه التي كان يفرضها بين حين و آخر على التجار و السكان المحليين و مصادرتة الأملاك و المقتنيات الخاصه لسبب أو لآخر، الا ان الدخل الأكبر كان يأتيه من الضرائب المباشره التي كان يفرضها على الرعيه.

كل ذلك جعله على جانب كبير من الثراء حتى قدر القنصل الفرنسي فى عكا عام ١٧٩٢ م ثروته بأربعين إلى خمسين مليون قرش بينما كان الباب العالى قدر ثروه سلفه ظاهر العمر الزيدانى عند وفاته عام ١٧٧٥ م بخمسه و عشرين مليون قرش اى أن الجزار استطاع خلال سبعة عشر عاما من حكمه مضاعفه ثروته.

فهذه الثروه مكنته من بناء قوته الحربيه و حملت اليه ولايه دمشق اربع مرات و قد حصلت عليه ثوره من قبل بعض مماليكه فى ٣ أيار (مايو) من عام ١٧٨٩ م فقمعها دون رحمه، و هذا مما زاد رغبته فى جمع الأموال و تقويه جيشه، إذ رأى نفسه وحيدا، غريب الدار، لا جذور شعبيه له، تكتنفه الكراهيه من جميع رعاياه لشده ظلمه و جبروته و لا مكان يلجا اليه إذا انكسرت شوكته لا سيما بعد أن شعر أن الباب العالى قد شجع هذه الثوره عليه سرا للحد من نفوذته بعد أن تعاضمت قوته كثيرا و جعلته يتناول على السلطنه و لا يابه لأوامرها، كما ساعدت فرنسا على ذلك بطريقه خفيه. و لما تأكد من ذلك قام بطرد التجار الفرنسيين من عكا و صيدا كما أسلفنا و منع أى ممثل لفرنسا من العوده إلى عكا ان تمكنه من القضاء على هذه الثوره زاد طغيانه و أصبح يشك حتى فى من يصطفيههم و زاد اهتمامه بمرتزقته.

أما مظالم الجزار التي تحدث بها الركبان فكانت أكثر من أن تحصى، مظالم شملت قطع الرؤوس و الشنق و القتل أفراديا و جماعيا بالخناجر و السيوف و الفئوس و استعمال الخازوق. و قد روى شاهد عيان انه شاهد أربعين رجلا يصطفون أمام الأسوار لاجلاسهم على الخازوق الواحد بعد الآخر، و لم ينج من بطشه حتى رجال حاشيته فكثير منهم فروا خفيه، أمثال الياس إبراهيم اده الذى فر إلى الشوف و يوسف القرداحى الذى فر إلى أوروبا. أما مديرا ماليته مخائيل و بطرس السكروج فقتلها و صادر أموالهما كما أنه جدع انف خازنه حايم فارحى اليهودى و قلع عينه و أودعه السجن حيث بقى فيه إلى حين وفاه الجزار. كما كان يضع الأحياء ضمن الأسوار و يأمر بالبناء عليهم و قد شوهدت فيما بعد كثير من الهياكل العظميه ضمن الأسوار لدى تساقط بعض حجارتها. و عند عودته من الحج فى احدى المرات و شكه فى خيانه احدى جواريه روى انه نضا عنها ثيابها ثم قطع ثديها و بعد ذلك بقر بطنها و ألقى باحشائها إلى السقف ثم أمر باضرام كومه من الحطب حرق فيها ٣٧ من جواريه إذ كان يقبض على الواحده منهن من شعرها و يلقيها فى النار. و فى روايه أخرى انه جعل كلاء منهن فى كيس وضع فيه ثعبانا و هره ثم أمر بإلقاء الأكياس فى البحر.

و بعد حادثه الخيانه هذه داخله شعور بان الناس يسخرون منه فى قراره نفوسهم و ان لم يستطيعوا إظهار ذلك خوفا و رعبا فتشقى منهم بصلم الآذان و جدع الأنوف و سمل العيون. و يروى انه أمر مره أحد الحلاقين بسمل عين أحدهم فارتجفت يد الحلاق، فقام الجزار بنفسه فى العمل بان وضع إصبغه فى عين المحكوم مقتلعا عينه و ملقيا بها فى وجه الحلاق ليعلمه كيف

يجيد حرفته. و مما يروى انه كان يقتل على هواه جميع طبقات الناس سواء كانوا من العامه أو من الخاصه أو من أرباب الحرف والصناعات كيفما اتفق، ثم يطرحهم خارج الأسوار طعاما للوحوش ثم يأمر المنادين أن يخرج أقرباء القتلى لدفن الموتى دون أن ينبسوا ببنت شفه و أن أیه امرأه تبدى عويلا تقتل فوراً.

عاش الجزار بعد انتصاره على نابليون فى عكا خمس سنوات و كانت وفاته عام ١٢١٩ هـ - ١٨٠٤ م فتبارى الشعراء فى ذمه و تعداد مظالمه مؤرخين ذلك.

على بك الكبير

و لمشاركه ناصيف النصار بالحلف الذى قام بين على بك الكبير و بين ظاهر العمر مشاركته فعاله كما بيناه فى البحث المنشور عن ناصيف فى المجلد الأول من (المستدركات) لمشاركته هذه ننشر الدراسه التاليه عن على بك رأس ذلك الحلف، و عن أبى الذهب و هو المؤثر الكبير فيه و عن وقائع الحلف و نتائجه ليلم القارئ إماما كافيا بذلك الحدث.

و ما ننشره هنا مكتوب بقلم الدكتور محمد فؤاد، على انه لا بد قبل قراءته من الرجوع إلى البحث المنشور فى المجلد الأول من (المستدركات)، لأن الكاتب هنا لم يتطرق إلى ذكر مشاركته ناصيف فى الحلف المصرى الفلسطينى، فى حين أننا ذكرنا ذلك مفصلا هناك:

يسبق مجيء الحمله الفرنسيه إلى مصر، العهد العثماني - المملوكى و هو يبدأ فى الثلث الأول من القرن السادس عشر عند ما فتح العثمانيون هذه البلاد على يد سلطانهم سليم، و منذ أن قرئت الخطبه باسمه فى مساجد القاهره فى ٢٤ يناير سنه ١٥١٧ خضعت الديار المصريه لحكم آل عثمان، فظلت فى حوزتهم مدته الخمسه قرون التاليه تقريبا، و فى سبتمبر من العام نفسه غادر سليم مصر و ترك فى نيابه القاهره خير بك و هو من مماليك السلطان الغورى و نائبه فى حلب، و كان قد انضم إلى العثمانيين، فاستمر خير بك يشغل هذا المنصب حتى وفاته فى نوفمبر ١٥٢٢، ثم تعين باشاوات آخرون كانوا يحضرون من القسطنطينيه.

ترتيب الديار المصريه:

و فى أثناء إقامته عنى السلطان سليم بوضع القواعد و رسم المبادئ العامه التى قام عليها ترتيب الديار المصريه، و كانت هذه القواعد و المبادئ العامه تستند على أصول قديمه ترجع إلى عهد يوسف ع، ذلك أنها متأثره فى الحقيقه بوقائع الحياه المصريه و ظروفها فى العصور المختلفه. و أما الفضل فى تدعيم هذا الترتيب فيرجع إلى السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦)، إذ حدد قانونه حقوق و واجبات الهيئات المتنوعه التى اضطلعت بشئون الحكم و الاداره.

و كانت الحكومه فى العهد العثماني - المملوكى تتألف من الباشا، و هو الذى يحضر من القسطنطينيه لينوب عن السلطان فى الحكم، و هو أيضا غير الوالى، "زعيم مصر... الذى يتبصر فى القاهره و خدمته إزاله الخواطى و هم النساء الفاحشات و وقوع أولاد الزنا و عليه جرف الخليج الناصرى" فى كل سنه.

و قد رتب السلطان سليم للباشا "جنودا و كتخدا (و هو الوكيل عن الباشا) و مهردارا (أمين خاتمه) و خزندارا (أمين صندوقه)، و

ترجمانا ذا فهم و فصاحه، و رئيس ديوان و اغاوات (و هم الرجال من جند و موسيقيين و رسل في معيه الباشا) و جعل سكنه بالسرايا التي هي داخل قلعه مصر (و رتب له أيضا) ديوان أفندي، (و صحتها ديوان أفنديسي و هو سكرتير

ص: ٢٨٣

و إلى جانب الباشا أقام السلطان سليم ديوانا، استعوض عنه بديوانين في عهد السلطان سليمان القانوني: الديوان الكبير، و الديوان الصغير، و كان الأول يتألف من رؤساء الأوجاقات و هي الفرق العسكريه العثمانيه، و ضباطها الأغوات، و أمير الحج و رؤساء المذاهب الأربعة و القاضي، "نائب عن السلطان في الأحكام الشرعيه، يحضر في كل سنه من اسلامبول إلى مصر و خدمته أن يحكم بين الناس بالوجه الشرعي"، و كان للقاضي التركي نواب في القاهره و في الأقاليم، ثم كبار أصحاب الوظائف و العلماء، و أما الديوان الصغير فكان يتألف من كتحدا الباشا و الدفتردار " و عليه الحضور في كل ديوان لتحصيل الأموال الميرييه بموجب دفتر الروزنامجي"، و الروزنامجي "كبير الأفنديه و الحاكم عليهم، و خدمته تحصيل الأموال الأميريه و صرفها في مرتباتها المرتبه بموجب دفتر السلطان سليم"، و كذلك كان يحضر هذا الديوان الصغير مندوبون من الأوجاقات.

و كان الديوان الكبير يفصل في الموضوعات الهامه، و لا يجتمع إلا بامر الباشا و مع ذلك فقد كانت له سلطه نقض أوامر الباشا نفسه، و أما الديوان الصغير فكان ينعقد باستمرار للنظر في شئون البلاد العامه، و على الباشا القيام بتنفيذ قراراته.

و مما هو جدير بالملاحظه أن الباشا كان مسلوب السلطه فعلا في كل من الديوانين، كما أن أصحاب الأثر الفعال في الحكم و الاداره، و العنصر البارز في حكمه مصر في ذلك العهد، كانت الأوجاقات، و هذه كانت سته، بلغ عدد رجالها عند ما ترك سليم البلاد الاثني عشر أو الأربعة عشر ألفا، ثم أضاف إليها السلطان سليمان القانوني أوجاقا سابعاً من المماليك الذين طلبوا خدمه السلطان، فكان رجال الأوجاقات "هم أصحاب الكلام و عليهم الاعتماد، و هم المديرون بالقاهره"، و من خدماتهم عدا حضور الديوان، حفظ القلاع في الحدود المصريه و تحصيل الأموال الأميريه، و الاشراف التام في القاهره على الباشا و رجاله سواء بواسطه كبراء الأوجاقات المقيمين في القاهره، أو بواسطه من يقيم منهم في الأقاليم و على الخصوص، الجوربيجه، و كان أوجاق (الانكشاريه) أهم هذه الأوجاقات السبعه (٢) (فالانكشاريه هم أوجاق السلطان) و لآغا الانكشاريه الرئاسه العليا على ضبط القاهره، و منهم كبار أصحاب الوظائف كالتخدا، و الجوربيجه (و يطلق في الاستعمال العثماني على ضباط الانكشاريه و على "مختارى القرى المتقدمين فيها، أو بعبارة أخرى على أعيان الجهات")، و خلافهم.

و كان قوام الأداه الحكوميه في الأقاليم "الصناجق"، (مفردها صنجق، من التركي سنجاق، و هي العلم و القسم من ولايه كبيره، و الحاكم على قسم من الولايات)، و هم أصحاب الحكم و عددهم متغير، يحتفظ السلطان بتعيين صناجق الثغور الهامه، و هم "قبودان اسكندريه، و قبودان دمياط، و قبودان السويس" ثم كتحدا الوزير أو الباشا و يحضرون من القسطنطينيه، و أما بقية الصناجق فيعينون في مصر، و منهم صنجق الخزنه و أمير الحج، و حكام الولايات أو الأقاليم، و الخفر بالقاهره، و يلاحظ مما تقدم أن الصنجق لم يكن دائما من حكام الأقاليم كما كان تعيين الصناجق و وكلائهم و يعرفون باسم (الكشاف) يحدث من بين البكوات المماليك المتنافسين على هذه الصنجقات، و نتيجة ذلك أن أصبحت الحكومه الإقليميه في الحقيقه في أيدي البكوات المماليك.

فوضى الحكومه

و على ذلك فقد شاهد العهد العثماني - المملوكي في مصر وجود سلطات ثلاث: الباشا، و الأوجاقات، و المماليك، و لما

كانت حكومة الآستانه تكثر من توليه الباشاوات و عزلهم، و كان هؤلاء فى خلاف مستمر مع رؤساء و ضباط الأوجاقات، و هذا بينما تعود الجند العثمانى و رجالهم الحياه الهادئه فى مصر، فقد انفسح المجال لانفراد المماليك البكوات بالسلطه الفعلية فى البلاد تدريجيا، و بخاصه لأن هؤلاء كانوا أقرب فى الحقيقه إلى المصريين فى حياتهم و أعرف بشئونهم من السلطات الأخرى. و من أواخر القرن السابع عشر استتب للبكوات المماليك الأمر من غير منازع، بسبب انشغال الدوله العثمانيه بحروبها فى أوربا و كذلك استفاد البكوات المماليك من حروب تركيا فى القرن التالى لدرجه أن طغى نفوذهم على كل سلطه للباشا، و صارت لزعيمهم الذى عرف باسم "شيخ البلد" الكلمه العليا، يعزل الباشا و يقيم على حبسه فى القلعه، ثم طمع البكوات المماليك فى الانفراد بكل سلطه و طرد العثمانيين من البلاد و قطع صلاتهم بتركيا.

البكوات المماليك

على أن العهد الذى حاول فى خلاله هؤلاء البكوات المماليك الاستئثار بالسلطه كان فى الحقيقه عهد فوضى و اضطراب، استمر طيله القرن الثامن عشر. و لعل أهم ما يلاحظ فيه، ذلك النضال المستمر بين البكوات أنفسهم و جماعاتهم فى سبيل التمتع بالحكم مع ما يجره و يسببه هذا النضال من إغفال تام "للباشا" الذى كان يقابل عند تنصيبه و حضوره إلى مصر بكل حفاوه و احترام ظاهرين فى مبدأ الأمر، حتى إذا استقر به المقام قليلا بدت له الحقيقه الواضحه، و هى أنه مسلوب السلطه و النفوذ الفعلى، ثم إنزال صنوف الارهاق بالأهالى الذين قد تربطهم الظروف بساحه هؤلاء المتخاصمين، بينما تظل الأكثرية، ما دامت بعيده عن مناطق النزاع، لا- يحيق بها سوى السوء المترتب على هذه الفوضى عموما. و الواقع أنه ما كان يشترك فى هذه المنازعات المملوكيه سوى البكوات و أتباعهم و أهل بيوتهم.

و كان مثار النزاع هو التنافس على "مشيخه البلد".

و أما تتبع هذا النزاع فهو قصه طويله (٣)، تبدأ بظهور المناقشه بين بيتين من بيوت المماليك: القاسميه و كان منهم شيخ البلد، و ذو الفقاريه و كانوا يطمحون إلى المشيخه، و كثيرا ما لجأ المتخاصمون من أهل هذين البيتين إلى فض منازعاتهم خارج القاهره فى المنبسط القريب من (قبه العرب)، حتى إذا استلم مشيخه البلد إسماعيل بك - و هو من القاسميه - استطاع أن يجمع مؤقتا كلمه المماليك فى هدنه على أساس معارضه "الباشا" و بفضل ذلك تمكن إسماعيل بك أن يتمتع بمنصب المشيخه مده الستة عشر عاما، حضر إلى مصر فى أثنائها، ثم غادرها إلى الآستانه، عدد من الباشاوات بلغوا خمسه عشر، و لو أن هذا بطبيعته الحال لم يكن معناه استتباب الهدوء فى القاهره طوال هذه المده. فقد ظلت الاشتباكات بين المماليك و بكواتهم كما كانت، حتى قتل إسماعيل بك نفسه فى عام ١٧٢٣. و قد أثار مقتله النضال الشديد بين القاسميه و الفقاريه حتى استطاع عثمان كاشف، و كان يتبع الفقاريه، أن يصل إلى مشيخه البلد (١٧٤٠). و مع أنه كان إداريا ماهرا، فقد واجهته صعوبات سببها انتشار الوباء، و المجاعه التى تلت ذلك، ثم ما كان يخشاه من ازدياد نفوذ إبراهيم كتحدا الانكشاريه و إسماعيل رضوان كتحدا العرب. و قد استطاع كلاهما الوصول إلى مرتبه

ص: ٢٨٤

٢- و هى: متفرقه، و جاوشان، و جمليان، و تفكشيان، و جراكسه، و مستحفظان، و عزبان. راجع شفيق غربال بك ص ١٧ و ما بعدها.

٣- .PP.٣٢٤-٣٦٣ .Delaporte

البكويه، و عند ما حاول عثمان كاشف التخلص منهما سبقاه إلى العمل و اضطراه إلى الهروب إلى سوريا (١٧٤٢)، ثم اقتسما السلطه فيما بينهما، فاستولى إبراهيم بك على منصب المشيخه، و استأثر رضوان بك باماره الحج، ثم تبادلوا فيما بينهما هذين المنصبين، حتى إذا أسرف إبراهيم في إظهار جبروته انتهز الباشا العثماني فرصه غيابه في الحج، فعضد مكيدته كانت تدبر في الخفاء للتخلص من الصديقين معا، و تمكن المتآمرون فعلا- من حبس إبراهيم و رضوان في القلعه، و لكن لم يلبث أن أخفق المتآمرون فخرجا من الحبس، و عزل الباشا. و عند ما نصب الباشا الجديد (١٧٤٤) و هو راغب محمد، أمره الباب العالي بقتل شيخ البلد و البكوات المناوئين، و تقرير النظام في مصر، و بالفعل قتل جماعه من البكوات، و اضطر آخرون و منهم إبراهيم إلى الفرار، و لكن راغب محمد باشا لم يلبث أن عزل و استطاع إبراهيم أن يستعيد المشيخه في عام ١٧٤٧ و في عام ١٧٥٤ قتل إبراهيم فخلفه في المشيخه رضوان و لكنه لم يلبث أن لقي حتفه هو الآخر. على أن أهم ما يلاحظ في أثناء هذه الفتره التي كان لإبراهيم و رضوان في خلالها السلطه (١٧٤٧ - ١٧٥٤)، أن اختفت الاضطرابات و استتب الأمن و هدأت الحياه نوعا.

على بك الكبير

و قد برزت في خلال ما تقدم شخصيه ذات أثر في الحوادث التاليه هي شخصيه على بك، أحد مماليك إبراهيم بك. و الواقع أن على بك بفضل الحكومه القويه التي أقامها في السنوات التي خلصت له فيها السلطه، و الشهره التي تمتع بها بين معاصريه لا يزال يستأثر بانتباه الكتاب و المؤرخين. و ينقسم الرأي و يختلف في تقدير آثار حكومته على البلاد و على أهلها عامه، و لعل السبب في ذلك أن مصر خرجت في عهده، و لفته قصيره، من الدائره الضيقه التي فرضتها المنازعات أو الفوضى الداخليه حولها فاشرأبت بعنقها إلى ما وراء حدودها و مدت سلطانها إلى البلدان المجاوره، و كانت لها صلات سياسيه مع إحدى الدول الأوربيه الكبيره في ذلك الحين و هي روسيا، الأمر الذي دعا جماعه إلى تحديد غرض على بك من نضاله المستمر الطويل بالاستقلال عن تركيا تحقيقا لرغبه "وطنيه" و إرضاء "لشعور قومي"، و قد استند أصحاب هذا الرأي في قولهم على تمجيد صاحب (عجائب الآثار في التراجم و الأخبار) الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، لهؤلاء الأمراء المصريين، عموما و ثنائيه على حكومه على بيك خصوصا، و ما ذكره الرحاله الفرنسي (سافاري) في إحدى خطاباته عن عداله البيك الصارمه فقال ما معناه "إن المصريين سعدوا و لا شك عند ما أصبحت النزاهه عنوان الإدارة الحكوميه"، و ظفروا تحت حكومه على بيك بذلك "العصر الذهبي" الذي انتظروه طويلا. (١)

يرون شيئا من "الوطنيه" و "القوميه" في نشاط على بيك، لأن مصر في القرن الثامن عشر ما كانت تعرف شيئا عن الوطنيه و القوميه، و لم يسبب نوع الحكم الذي أنشاه المملوك الكبير انتشار الرخاء في مصر حتى "يسعد" المصريون في هذا "العصر الذهبي" الموهوم، بل إن الرحاله الإنجليزي (جيمس بروس) الذي زار القاهره في أثناء أسفاره مرتين في سنتي، كتب أنه لا يمكن أن يوجد على ظهر البسيطه حكومه أشد قسوه و ظلما و عدوانا و طغيانا من حكومه أولئك الأشرار الذين تتالف منهم حكومه القاهره. (٢)

و مع ذلك فإن دراسته تاريخ على بيك قد لا تخلو من الأهميه لأنها تبين أولا كيف أن الضعف الذي لحق بالدوله العثمانيه في القرن الثامن عشر من جراء الضربات التي انهالت عليها من الدول الأوربيه و خصوصا روسيا، قد أوهن قبضتها على الأقاليم الآسيويه و الإفريقيه التي تألفت منها إمبراطوريتها، فاضطربت أحوال العراق و الشام، و استفحل أمر الشيخ ظاهر العمر في عكا و

فلسطين، واستقل على بك بملك مصر، و انزوى الباشا العثماني في الحجاز بينما تنازع الشريفيون على الإمارة في مكة. و الحق إن ثوره على بيك في مصر ما كانت إلا مظهرا من مظاهر هذا الضعف الذي ألم بتركيا و من آثار المرض الذي أنهك جثمانها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

و زياده على ذلك، فقد نجحت حركة على بيك الاستقلاليه في تحويل انتباه أوروبا من جديد نحو إحياء الطريق البرى للتجاره بين الشرق و الغرب عبر برزخ السويس، و لو أن الفوضى التي تلت انقضاء عهد هذا المملوك لم تلبث أن جعلت من المتعذر الاستفادة من الطريق البرى فلم يستقم أمره أخيرا إلا فى عهد محمد على باشا منشى الدوله المصريه الحديثه.

تاريخ على بك

(٣):

ولد يوسف بن داود عام ١٧٢٨ فى إحدى إمارات الأناضول من أسرهِ طيبه فكان أبوه من قسس الكنيسه الروميه و عنى بتربيته، حتى حدث و هو فى سن الثالثه عشره أن وقع فى أيدي جماعه باعته بعد ذلك إلى أحد التجار فأحضره هذا إلى مصر و باعه بدوره إلى إبراهيم بك، و اعتنق يوسف الإسلام و تسمى باسم (على)، و قد أتاحت لهذا المملوك فرصه الحج إلى مكة مع سيده إبراهيم بك شيخ البلد (١٧٥٠)، فأظهر من ضروب الشجاعه فى النضال ضد البدو ما حببه إلى سيده، فسماه "كاشفا"، و عند ما أوقع الباشا العثمانيراغب محمد ببعض البكوات المماليك على نحو ما تقدم، انتهز إبراهيم بك هذه الفرصه فاستأثر باحدى البكويات الخاليه، و رفع إليها مملوكه على بعد أن حرره، و قد أثار هذا العمل النقمه على إبراهيم من جانب أعدائه و منافسيه و كان ذلك من أسباب قتله فى النهايه. و أما على بيك فقد صمم على الانتقام لسيده، و أخذ من ذلك الحين يتذرع بالصبر و الحيله لبلوغ ماره، فاشترى العدد الوفير من المماليك، و أغدق العطايا على الأصدقاء و الأعوان، حتى قوى شأنه لدرجه أثار عليه حفيظه خليل بك شيخ البلد، فلم يجد على بك مناصا فى تلك الآونه من الهروب إلى الصعيد، و قتل خليل بك جماعه من أتباعه و أصدقائه، و مع ذلك فقد جمع على بك حوله كثيرا من المتذمرين من شياخه خليل بك، و نزل بهم فى النيل و قاتل خليل بك و أرغمه على الانزواء فى طنطا حتى سقطت طنطا فى أيدي على بك، و انتهى المطاف بشيخ البلد إلى الإسكندريه و هناك مات مخوقا، و بموته انفسح المجال لعلى بك، فتسلم الشياخه فى عام ١٧٦٣.

شياخته

و انكب على بك بمجرد استنثاره بالحكم على الانتقام من قتله سيده، فنفر منه قلوب البكوات المماليك و أوجد له أعداء كثيرين، و اضطر فى النهايه إلى الفرار إلى بيت المقدس، و مع هذا فقد ظل أعداؤه فى مصر يخافونه، و توسطوا لدى الباب العالى فأمر الأخير حاكم القدس. بتدبير قتل على بك. بيد أن أحد أصدقائه فى الاستانه أسرع بإبلاغه ذلك و نصحه بالهروب من القدس، فغادرها على بك إلى عكا، و هناك استقبله حاكمها الشيخ ظاهر العمر بالحفاوه و الإكرام. و فى عكا استطاع على بك إنشاء الصلات مع بعض البكوات الموالين له فى مصر، كما كتب الشيخ ظاهر إلى أصدقائه فى مصر حتى يسعوا لدعوه على بك، و بالفعل رجع على بك،

Savary.t.II.LetterXVI.P.۲۲۱ –۱

Bruce.Vol.I.P.۱۰۲. –۲

Lusignans.A History of the Revolt of Ali Bey etc..London .۱۷۸۴ Also Delaporte pp.۳۴۶– –۳

۳۵۵;Lockroy E.Ahmed le Boucher.etc.Chap.I

و استلم مشيخه البلد، و مع ذلك فقد شعر أن مركزه فى الشياخه لا يزال مهددا و وجد أن يعتمد على الاداره الطيبه الهادئه لضمان الاستقرار فى منصبه، على أن أعداءه سرعان ما انتهزوا فرصه وفاه الصدر الأعظم فى الآستانه فى تلك الآونه و كان من أكبر مؤيدى على بك و أصدقائه، فانقلبوا على شيخ البلد، و أرغموه فى عام ١٧٦٥ على الفرار إلى بلاد العرب، ففضى على بك هناك زمنا يستطلع أحوال البلاد و المدن الساحليه على البحر الأحمر، ثم لم يلبث أن ذهب إلى فلسطين فى ضيافه صديقه الشيخ ظاهر، و لبث هناك حتى جاءته الدعوه للمره الثانيه من مصر للعوده إليها فرجع إلى القاهره (١٧٦٦)، و لم يستقر له المقام بها نهائيا إلا فى العام التالى.

و فى مده السنوات الست التاليه استتب الحكم لشيخ البلد، فانزل العقاب ببدا البحيره الذين كانوا قد لجئوا إلى الثوره بمجرد عودته إلى القاهره فنهبوا و عاثوا فسادا فى الوجه البحرى، و عهد على بك بعقابهم إلى أحد مماليكه (أحمد) فقتل من البدو الكثيرين حتى لقب من ذلك الحين (بالجزار)، و هو أحمد باشا الجزار الذى دانت له فيما بعد باشاويه عكا.

ثم طفق على بك يحكم البلاد حكم المستبد المستنير، فهو كما يقول الجبرتى (١): "قد تتبع المفسدين و الذين يتداخلون فى القضايا و الدعاوى و يتحيلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات و الجعالات و عاقبهم بالضرب الشديد و الاهان و القتل و النفى إلى البلاد البعيده، و لم يراع فى ذلك أحدا سواء كان متعمما أو فقيها أو قاضيا أو كاتباً أو غير ذلك بمصر أو غيرها من البنادر و القرى، و كذلك المفسدون و قطاع الطريق من العرب و أهل الخوف، و ألزم أرباب الإدراك و المقادم بحفظ نواحيهم و ما فى حوزتهم و حدودهم و عاقب الكبار بجنايه الصغار، فأمنت السبل و انكفت أولاد الحرام و انكمشوا عن قبائحهم و إيذائهم بحيث أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا راكبا أو ماشيا و معه حمل الدراهم و الدنانير إلى أیه جهه و يبيت فى الغيط أو البريه آمننا مطمئنا لا يرى مكرها أبدا."

و حتى يقوى مركزه أكثر على بك من جمع الأعوان حوله فرفع فى أثناء هذه السنوات الست إلى رتبه البيكويه سته عشر من مماليكه كما رفع أحدهم إلى مركز آغا الانكشاريه، و كان من هؤلاء محمد بك أبو الذهب و إسماعيل بك و طنطاوى بك و غيرهم، كما زاد عدد مماليكه إلى الستة آلاف، و ضم إليهم عشره آلاف مغربى، و قد درب على بك هذه القوه الكبيره من الجند على النظام الصارم، كما عنى بتعليم و تدريب مماليكه بيته، و أغدق النعم على الماهرين منهم و المخلصين له، حتى اشدت بأس جماعته و كذلك لم يغفل على بك "صالح الشعب" - كما يقول (سافارى) - فاخضع العربان المنتشرين فى الصحراء و على الحدود، و اهتم بانعاش الزراعه، و استقر الأمن فى القرى، و اطمان الناس لعدالته الصارمه. و عند ما حاول أعداؤه الوقيعه به (١٧٦٨) كشف مكيدتهم أبو الذهب.

استقلال على بك:

على أنه سرعان ما حدث من الحوادث ما عكر صفو هذا الهدوء النسبى فى مصر، و أدى بدوره أيضا إلى امتداد نفوذ البك الكبير إلى ما وراء الديار المصريه، فقد حدث فى عام ١٧٦٨ ان قامت الحرب بين روسيا و تركيا و دخلت الأساطيل الروسيه فى البحر الأبيض، و استعد (شيخ البلد) فى مصر - كما جرت العاده - لاعداد قوه من المقاتله لمعاونته الباب العالى فى هذا النضال، و بالفعل جهز على بك حوالى الاثنى عشر ألف مقاتل، و لكن أعداءه انتهزوا هذه الفرصه فوقعوا بينه و بين الباب العالى عند ما أرسلوا بأخبار هذه الاستعدادات إلى الآستانه و ذكروا أن غرض على بك منها إنما هو إرسال الامدادات للقتال فى صفوف

الروس الذين عقد معهم شيخ البلد - على حد قولهم - معاهده تحالف ضد الدوله العثمانيه. و صدق الباب العالي هذا القول فأرسل إلى مصر رسولا لقتل على بك، و لكن أصدقاء شيخ البلد في الآستانه أسرعوا باخباره، فكمّن رجاله لهذا الرسول في الطريق و قتلوه قبل بلوغه القاهره، و استولوا على أوراقه. و عندئذ جمع على بك مماليكه و أعوانه و أطلعهم على كافه ما جرى، كما أراهم الفرمان الذى كان يحمل قتله، ثم أظهر لهم غدر الباب العالي و سوء نيته نحو كافه من تسلموا الشياخه من البكوات المماليك، و حضهم على الالتفاف حوله، و ضم قواتهم إلى روسيا، و تخلص الديار المصريه من ربقه الظلم العثماني بزعامته نهائيا، و هكذا نبت الفكره الاستقلاليه لدى على بك، و لو أن الرأى يتفق على أن شيخ البلد كان دائما صاحب أطماع واسععه منذ أن تسلم الشياخه، فقد كتب الرحاله الفرنسى (فولنى)(٢) الذى زار مصر بعد أن انقضى عهد على بك بسنوات قليله: "أنه بمجرد أن اجتمعت أسباب السلطه باكملها فى أيدي على بك عزم على استخدامها لزياده نفوذه و سلطانه، فان أطماعه ما كانت تقنع بلقب الحاكم أو القائم مقام، لأن سياده الآستانه كانت تجرح كبرياءه، فهو لا يريد أقل من لقب سلطان مصر لنفسه. و على ذلك فقد اتجهت كافه أعماله نحو تحقيق هذا الهدف".

و بالفعل طرد على بك الباشا العثماني، و امتنع عن دفع الجزيه للباب العالي، ثم صك النقود باسمه (١٧٦٨)، و أسرع بأخبار الشيخ ظاهر بما فعل و وعده بإرسال الجند له من مصر للاشتراك مع جند ظاهر فى فتح سوريا.

و لم يلق على بك فى كل ما فعل أیه مقاومه من جانب الدوله العثمانيه، فسمع أن الباب العالي كان ينقم و لا شك على ضياع البقيه الباقيه من مظاهر سلطانه فى مصر، فان مجرد الغضب كان لا يكفى لإرجاع مصر إلى حظيره الدوله، و كان يتحتم عليه خوض غمار الحرب ضد شيخ البلد، الأمر الذى ما كان يستطيعه بسبب ثوره الشيخ ظاهر فى عكا و الشام و مشاغل تركيا بمساله بولنده، و أخيرا بالحرب مع روسيا.

فانتهاز على بك هذه الظروف المؤاتيه و شرع يوطد نفوذه فى الصعيد حتى استتب سلطانه نهائيا فى الوجه القبلى (١٧٦٩)، و صار يستعد لارسال الامدادات لحليفه الشيخ ظاهر فى الأراضى الشاميه.

الشيخ ظاهر

(٣).

و كان حدوث ثوره الشيخ ظاهر الذى استأثر بالحكم فى عكا بين عامى ١٧٥٠، ١٧٧٦ مثالا آخر من أمثله ضعف الدوله العثمانيه و عجزها، فكما أنها لم تجرؤ على مناصبه شيخ البلد فى مصر العدا، فهى قد اضطرت أيضا إلى التسامح مع ظاهر العمر الزيدانى (أو الظاهر عمر)(٤) من مده طويله، فتركه يقوى موقع عكا و يبنى حولها القلاع، و يتخذ الوسائل التى تكفل له تدعيم نفوذه من غير ممانعه. و كان الباب العالي يعتمد على باشا الشام عثمان (ابن العظم)، فى كسر شوكة ظاهر، و لكن الأخير لم يلبث ان اشتبك مع والى دمشق فى حروب انتصر عليه فيها.

و كان من جراء ما تكلفته هذه الحروب من مال و رجال أن ثارت الرمله ثم غزه لم يافا ضد الباشا، و حوالى عام ١٧٦٨ طلب الشيخ ظاهر من الباب

١- الجبرتي ج ١ صفحات ٣٨٤-٣٨٥.

٢- Volney t.I.p ٩٧:also Delaporte-P٣٤٧.

٣- Volney t.I.I.PP١-١٥;Lammens.La Syrie.t.II.Chap. XV;Lock-roy.pp.٣٣-٧١.

٤- كما سماه الجبرتي. جزء أول. راجع أيضا كتاب خطط الشام لمحمد كرد علي ج ٢: ص ٣٠٠ و ما بعدها.

العالي أن يؤيده في حكمه عكا لمدته حياته، و على أن يكون لأولاده من بعده الحكم فيها، كما زاد على ذلك الرغبة في أن يقيمه الباب العالي حاكما على الناصره، و طبريه و صفد، ثم شيخا على كاهه بلاد الجليل إلى جانب شياخته على عكا.

و كان في هذه الظروف أن وعد على بك الكبير من مصر، على نحو ما تقدم، بإرسال الامدادات إلى حليفه في عكا.

على بك و فتح بلاد العرب

على أنه قبل إرسال الامدادات إلى الشام، تحول انتباه على بك نحو بلاد العرب، فقد رأى في اختلال الأحوال في الحجاز، و عجز الدوله العثمانيه عن تأييد سلطانها في هذه الأصقاع النائيه فرصه سانحه لتوسيع أملاكه. فقد سبق أن زار بلاد العرب و وقف على أهميه جده و مخا التجاريه، كما يبدو أنه كان متأثرا لدرجه ما في مشروع فتح بلاد العرب بآراء التاجر البندقي، كارلو روسيتي CarloRossetti، و كانت له صداقه وثيقه مع على بك و تأثير عليه (١) فأراد على بك أن يجعل جده مقر تجاره الهند فيحول بهذا العمل التجاره الشرقيه من طريق رأس الرجاء الصالح إلى الطريق البري القديم عبر مصر كما ذكر (فولني) (جزء أول ص ٩٨)، و لو أنه من المحتمل أن على بك إنما قصد أيضا من هذه الحمله إحراز المجد و الشهره بالاستيلاء على الحرمين الشريفين، أو مجرد إشباع الرغبة في امتلاك الأقاليم الواسعه و لما كان "غرضه الباطني" كما كتب الجبرتي (ج ١: ص ٢٥٣) "هو طمعه في الاستيلاء على الممالك". و على كل حال فقد جاء إلى مصر في عام ١٧٧٠ الشريف عبد الله، و كان في نزاع مع ابن عمه الشريف أحمد على إماره مكه، يطلب المعونه من على بك، مهينا له الفرصه بذلك لتحقيق مشروعاته. فما أن استتب لعلى بك الأمر في مصر، و اطمأن على حليفه الشيخ ظاهر الذي أرسل له الرسل بانتصاراته على والي الشام حتى طفق يستعد لحمله بلاد العرب، و عند ما كملت هذه الاستعدادات، خرجت التجريده في شهر صفر من سنه أربع و ثمانين و مائه و ألف (مايو: ١٧٧٠).

و قد قسم على بك قواته إلى قسمين أحدهما بقياده محمد بك أبو الذهب و مهمته مهاجمه البلاد الداخليه، و الآخر بقياده إسماعيل بك و مهمته مهاجمه المدن الساحليه، كما أعد أسطولا من السفن لنقل المؤن و الذخائر للجيش، و نجحت التجريده فانتصر الفاتحون في يتبع و قتل وزيرها المتولى من طرف شريف مكه، و دخل أبو الذهب مكه و أوقع بالشريف أحمد هزيمه بالغه ففر هاربا، و جلس الشريف عبد الله في إماره مكه و نزل حسن بك إلى بندر جده (و لذلك سمي بالجدادوى) و تولى أمارتها عوضا عن الباشا الذي تولاها من طرف السلطان العثماني.

و رجع القائدان إلى مصر في أكتوبر من السنه نفسها. و قد أعطى الشريف عبد الله، على بك، لقب "سلطان مصر و خاقان البحرين" (٢).

الحمله على الشام

و هكذا قويت شوكة على بك و شجعه نجاحه في الصعيد ثم في الحجاز على المضى في مشروعاته، و قد أراد الآن بسط سلطانه على "العالم" و بخاصه عند ما كان البك يصغى كثيرا لأفراد حاشيته الذين لمسوا فيه الغرور، فطفقوا يحدثونه عن قوته و جبروته، و كيف أنه يماثل السلطان العثماني في الآستانه في الجاه العريض و السلطنه، حتى أصبح المملوك الكبير يمني نفسه بفتح تركيا ذاتها.

و كان مما سهل عليه الاقتناع بإمكان ذلك "جهله بالجغرافيه" - على حد قول فولنى - ثم العاده التى جرى عليها اتباعه و أعوانه من تشبيه مصر بتركيا، و كان من المنتظر لذلك أن يذكر على بك وعده السابق لحليفه الشيخ ظاهر! و لو أنه على ما يبدو لم يكن غرض على بك مجرد نجده حليفه و مساعدته و إنما الاندفاع فى طريق الفتح لمصلحته، و إخضاع بلاد الشام كخطوه أولى تمهد فى النهايه لغزو تركيا و فتحها، فالشام قريه من مصر، و من شان ثوره حليفه ظاهر و اضطراب الأحوال فى سوريا منذ أن تدمر أهلها خاصه من التكاليف التى فرضتها عليهم حروب والى دمشق مع الشيخ ظاهر، ثم مشغوليه القوات العثمانيه فى النضال المستمر بين الدوله و روسيا! فقد كان من شان ذلك كله أن يجعل غزو بلاد الشام سهلا ميسورا.

و قد وجد على بك و هو مقدم على ذلك الغزو أن ينشئ الصلات السياسيه مع روسيا عدوه العثمانيين الكبرى، و يسعى لمحالفتها.

و كان للعلاقات التى أوجدها على بك مع روسيا بعض الأثر فى الحوادث التاليه. ذلك أنه كان من خطه قيصره روسيا كاترين الثانيه فى حربها مع الدوله العثمانيه إثارة شعوب البحر الأبيض الخاضعه للحكم العثمانى ضد الباب العالى، و تحقيقا لهذا الغرض، خرج الأسطول الروسى إلى البحر الأبيض، و كان للكونت ألكسيس أرلوف (Alexis Arlow) القياده العليا، فاستولى الأسطول على جزر الأرخبيل و تجول فى مياه البحر الأبيض (-)، و كان (أرلوف) ببحريته مستعدا لتبليه نداء أعداء السلطان العثمانى و معاونتهم، و قد طلب على بك هذه المعاونه فى أثناء حملته على سوريا.

و لم يكن من المتعذر على "سلطان مصر" تلمس الأسباب لارسال الجيوش على الشام، فهو منذ مارس ١٧٦٧ كان قد كتب إلى الباب العالى يشكو من "عثمان بك ابن العظم والى الشام"، و يطلب عزله بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين إليه و معاونته لهم، و استطاع على بك بسبب تدمر أهل الشام من ولايه عثمان هذا أن يظهر الآن بمظهر المحرر لهم من طغيان واليهيم. و بالفعل أصدر منشورا فى ديسمبر ١٧٧٠، أعلن فيه أنه لما كان المولى سبحانه و تعالى قد بارك جيشه و أغدق عليه نعماءه - بانتصار جنده و لا شك فى الحجاز و الاستيلاء على الحرمين الشريفين - فهو مضطر إلى استخدام هذه القوات لتخفيف ويلات أهل الشام و القضاء على طغيان عثمان باشا فى سوريا. و أما الجيش الذى أرسله بقياده محمد بك أبى الذهب للزحف على الشام بطريق الصحراء فقد بلغ الأربعين ألفا، بينما رتب فى الوقت ذاته سفنا لنقل الميره من دمياط إلى عكا.

و أحرز جيش المماليك جملة انتصارات، فوصل أبو الذهب أمام غزه فى مارس ١٧٧١ و فتحها، ثم استولى على الرمله بعد حصار شهر تقريبا، ثم حاصر نابلس حتى أنهكتها المجاعه ففتحت أبوابها، ثم تقدم صوب بيت المقدس، فلم يخلصها سوى اتفاق شيوخها و كبرائها على تسليمها له سلما إذا سقطت دمشق فى قبضته، فانصرف عنها و اتجه صوب يافا و استولى عليها، ثم ذهب إلى عكا حيث قوبل بكل حفاوه، و قد لقي أبو الذهب فى أثناء هذه الحمله كل تعضيد و معاونه من الشيخ ظاهر الذى ساعده بالنصح تاره و بالامدادات تاره أخرى، حتى اضطروا العثمانيون إلى القهقرى و وجد عثمان باشا السلامه فى الهرب، و استفاد الشيخ ظاهر بدوره من هذه الانتصارات التى ساهم فيها فائده كبيره فدانت له يافا و الرمله و اللد. و أما أبو الذهب فقد استطاع أن يفتح صيدا أيضا، قبل الزحف بالاشتراك مع جند

.Bruce.volI.P.۱۰۵-۱

Savary.t.II.Lettre XVI.p.۲۳۱-۲

حليفه ظاهر على دمشق نهائيا في ابريل ١٧٧١.

المحالفه مع روسيا:

بيد أن على بك الذى ظل فى مصر، كان فى أثناء كافه هذه الحوادث يعمل لتأييد مجهوداته العسكريه بالوسائل الدبلوماسيه عن طريق الاتفاق و التفاهم مع أعداء الدوله العثمانيه. فهو منذ ١٧٧٠ قد أرسل (روستى) التاجر البندقى إلى جمهوريه البندقيه حتى يعرض محالفه على بك مع الجمهوريه و يدعوها إلى الاستيلاء على الجزر و البلدان التى كانت للجمهوريه سابقا فى حوض البحر الأبيض، و يعدها بالمساعده بكل ما يملك من القوات فى مصر كما تعهد بتدعيم تجارتها القديمه فى بلاده. و كذلك كتب على بك إلى الأميرال الروسى الكونت أرلوف فى ليفورته يعرض عليه عقد محالفه مع قيصره روسيا على أساس أن يمدّه على بك بالأموال و المؤن و الجند فى النضال ضد تركيا، فى نظير أن يرسل إليه الروس المهندسين لاستخدامهم فى أعمال الحصار، كما كان على بك فى حاجه شديده إلى الضباط الروس لتنظيم جيشه و تدريب جنده على فنون الحرب الأوربيه. و قد أسفرت هذه المساعى الدبلوماسيه عن فشل و نجاح فى وقت واحد، فاما الفشل فهو لأن البندقيه لم تشا العمل بالمشروع الذى عرضه عليها (سلطان مصر)، و أما النجاح - و كان نسبيا فهو لأن الكونت أرلوف أسرع بالرد على مكاتبات البك و شكره و شجعه على المضى فى خطته. و بذل له الوعود الضخمه العظيمه كما تعهد بإرسال مكاتباته إلى قيصره روسيا.

سقوط دمشق

و الحق أن موقف والى الشام كان فى غايه الخطوره، بسبب حرج مركز الأتراك الذين استغرقت الحروب الروسيه كافه نشاطهم فى الشمال، فلم يتمكنوا من إرسال النجديات إلى الميادين الشاميه، فكان من واجب عثمان باشا الاعتماد كليه على مواردّه فى الدفاع عن ولايته.

و لكن على بك الذى شاهد مملوكه يحيط به الرجال و الأعوان من كل جانب، لم يلبث أن فضل السكوت خشيه من الاصطدام معه، و طفق من ثم يدبر فى الخفاء وسيله للتخلص منه، و مع ذلك فقد أخفقت هذه المساعى و استطاع أبو الذهب الخروج من القاهره إلى الصعيد، و هناك جمع جيشا انضم إليه كثيرون من المماليك المستائين من كبرياء على بك و سطوته و نزل بهذا الجمع إلى القاهره، بالقرب من الجيزه. و أما على بك فقد أرسل جيشا لمقابله بقياده إسماعيل بك، غير أن إسماعيل انضم إلى أبى الذهب، و عندئذ لم يجد على بك مناصا من الانسحاب و الالتجاء إلى حليفه القديم فى عكا.

نهايه على بك

فقد على بك بسبب خيانه أبى الذهب ثمار المجهودات التى بذلها لفتح سوريا. و مع ذلك فإنه لم يفقد الأمل فى استعادته هذه الفتوحات، فاستمر يرسل النجديات إلى الشيخ ظاهر، و عند ما خرج من القاهره مع ثمانمائه من مماليكه، سار توا إلى غزه. بيد أن أهل نابلس و يافا لم يلبثوا أن أغلقوا الطريق دونه، حتى حضر الشيخ ظاهر فأحضره إلى عكا. و قد اشترك جند على بك بعد ذلك فى تخليص صيدا التى كان يحاصرها الأتراك، فانسحب العثمانيون، ثم انهزموا فى معركة حاسمه (يوليه ١٧٧٢)، ثم سلمت صيدا، و انكب الحليفان بعد ذلك على معاقبه أهل يافا فحضرها حتى سلمت (فبراير ١٧٧٣) ثم فتحت الرمله.

و كان على بك عند ما قرر الخروج من مصر إلى عكا قد أرسل إلى الكونت أرلوف يرجوه إرسال الذخائر و بعض الضباط لانتظاره فى الشام، و قد حمل مكاتبات على بك إلى الأميرال الروسى، الأرمنى يعقوب، و بالفعل ظهر جزء من الأسطول أمام عكا. فأرسل على بك إلى أرلوف ثانيه يطلب مدافع و بعض المهندسين مع جيش من الألبانيين يبلغ الثلاثه آلاف، حتى إذا استطاع العوده إلى مصر و استقر به المقام فى القاهره، أصبحت كافه قواته تحت تصرف الأميرال الروسى. و زياده على ذلك فقد بعث على بك أيضا بخطاب إلى القيصره كاترين يرجو منها المساعدة و يعرض عليها عقد معاهده تجاريه مع مصر، و قد أقلعت السفن الروسيه من عكا فى مايو ١٧٧٢ و معها ذو الفقار بك "سفير" على بك. و قد عاد هذا السفير مع الأرمنى يعقوب من مهمتهما، و أرسل الكونت أرلوف خطابات الصداقه إلى على بك مع ضابطين روسيين و ثلاثه مدافع فقط، استخدمت فى أثناء حصار يافا، كما اشتركت بعض السفن الروسيه فى ضرب يافا أيضا، ولكنها لم تلبث أن انسحبت قبل تسليم يافا. و كانت هذه كل المساعدة التى قدمتها له روسيا.

بيد أن انتصارات على بك لم تلبث أن أنعشت آمال أعوانه فى مصر، و كانت له صلات مع رؤساء انكشاريه و غيرهم من البكوات الذين ساءهم سلوك أبى الذهب و طمعه و جسعه، فكتب له رؤساء الانكشاريه و هم أصحاب السلطه الواسعه فى القاهره، يطلبون عودته، ثم تآثر على بك بأقوال المعلم رزق الذى أكد له أن النجوم كلها تنبئ بانتصاره الحاسم و انهزام غريمه بمجرد عودته، و كان على بك من كبار المعتقدين بصدق المنجمين فقرر العوده إلى مصر، و لم يستمع لنصيحه الشيخ ظاهر الذى كان من رأيه الانتظار حتى تحضر النجدات الروسيه من جهه، و حتى يمهد الطريق لعودته ببذر بذور الشقاق و الانقسام بين البكوات المماليك من جهه أخرى، و التأكد قبل رحيله من ولاء الجند له و الاطمئنان على شخصه من الغدر و الخيانه.

و على ذلك، جمع على بك جنده من المدن التى كانوا فى احتلالها، فوصل بهم إلى غزه فى طريقه إلى مصر فى مارس ١٧٧٣، ثم استأنف السير فى الشهر التالى، و كانت تبلغ قوته حوالى الخمسه آلاف مقاتل و يصحبه من أسره ظاهر ابنه، و زوج ابنته. و أما أبو الذهب فقد أرسل جيشا يبلغ الاثنى عشر ألفا، فتقابل الجيشان بالقرب من الصالحيه و انتصر جماعه على بك فى مبدأ الأمر و انفتح الطريق إلى القاهره و لكن أبى الذهب لم يلبث أن أثار حماس أتباعه من جديد، و اتهم على بك "بالكفر و الإلحاد العميق المستقر فى قلبه" كما رماه بالتحالف مع "الكفار" لاختضاع هذه البلاد حتى "يقضى على دين الرسول و يرغم أهلها على اعتناق المسيحيه"^(١). و فى المعركه التاليه حمى و طيس القتال، و سقط من أنصار على بك، كل من طنطاوى، و ابن الشيخ ظاهر، و عبثا حاول الشيخ كريم (زوج ابنه الشيخ) إقناع على بك بالخلاص بنفسه و الذهاب معه إلى عكا، فقد رفض على بك الانسحاب و ظل يقاتل حتى أصيب بجرح فى رأسه و سقط عن جواده^(٢)، فأسر و حمل إلى مخيم أبى الذهب الذى خرج إليه و تلقاه و قبل يده و حمله من تحت إبطه حتى أجلسه بصيوانه "و قد بكى أبو الذهب من تأثره. و لكن على بك الذى نقل إلى القاهره لم يلبث أن مات بعد أيام (١٥ صفر ١١٨٧ - ٨ مايو ١٧٧٣) متأثرا بجراحه كما يقول البعض، أو مسموما على يد أبى الذهب كما يقول آخرون و بوفاته أسدل الستار على أكبر محاوله عرفتها البلاد للتخلص من سياده العثمانيين قبل عهد محمد على. فلو أن على بك استمع لنصيحه الشيخ ظاهر فانتظر النجدات الروسيه - و قد وصلت هذه فى ابريل -

و بذلت روسيا قبل ذلك مجهودا أكبر مما فعلت، لكان لحركه على بك و لكان للروسيا ذاتها فى الشرق شان آخر. فقد كتب (سافارى) (١) تعليقا على ذلك كله: "فلو أن روسيا عرفت كيف تستفيد من العروض التى عرضها عليها على بك فأرسلت له المهندسين و أمدته بثلاثه أو أربعة آلاف من الجند المدربين، لاستطاع على بك أن يستأثر بالسياده فى الشام و فى مصر، و لانتقلت بفضل ذلك تجاره العرب و الهند إلى أيدى حلفائه الروسين". و قد علل (بروس) (٢) عدم إمكان الاتفاق بين روسيا و على بك بان الروس كانوا من جانب، لا يدركون مدى ما يمكن أن يؤدى إليه اتفاقهم مع المملوك المصرى من نتائج بعيدة، فهم لم يثقوا بعلى بك الثقه التامه، و لم يوثقوا صلاتهم به، و لم يزودوا أمراء البحر الروسين بالتعليمات اللازمه، و هذا بينما لم يوجد لدى على بك، من جانب آخر، المفاوضات الحقيقيون، و الذين يستطيعون التفاهم مع المفاوضات الروسى إذا وجد، و هكذا تلكا الفريقان - أو بالأحرى تلكات روسيا -، حتى إذا كان الاتفاق على وشك النجاح، كانت الفرصه قد ضاعت من أيديهم، و كان أعداؤهم قد انتهزوا ذلك لتعطيل ثمره أيه محالفه روسيه - مملوكيه نهائيا.

نهايه أبى الذهب

أما أبو الذهب فقد اعترف بالسياده العثمانيه كما كانت قبل ثوره على بك، ثم بر الباب العالى من جانبه بوعده، فأيده فى شياخه البلد، و حضر إلى مصر خليل باشا - الباشا العثماني الجديد - و طلع إلى القلعه "على العاده القديمه"، و "حضر - (لأبى الذهب من الدوله) - المرسومات و الخطابات و وصل إليه سيف و خلعه، فلبس ذلك فى الديوان و نزل فى أبهه عظيمه و عظم شانته و انفرد باماره مصر" كما كتب الجبرتى فى حوادث سنه ١١٨٩ هجرية، و هى السنه التى توفى فيها أبو الذهب. و قد بلغ من حسن علاقته مع الباب العالى أنه استطاع التوسط فى تعيين مصطفى باشا النابلسى لولايه مصر (يونيه ١٧٧٤). - ثم وطد أبو الذهب العزم على الانتقام من الظاهر عمر، صديق على بك القديم و نصيره، و "لاستخلاص ما بيده من البلاد"، و طمعا كما يبدو فى ولايه الشام ذاتها، فاستصدر فرمانا من الباب العالى لمقاتله الشيخ ظاهر، و خرج فى مارس ١٧٧٥، و كان معه مراد بك، و لم يكن أبو الذهب فى هذه الحمله موقفا، فإنه لم يكد ينتصر على جند الشيخ ظاهر فى يافا بعد حصار شاق عسير و فتك بأهلها، و تقدم صوب عكا التى تركها و حصونها الشيخ ظاهر، فاستولى عليها، حتى توفى فجاءه فى ٨ يونيه ١٧٧٥، فى الوقت الذى وافق الباب العالى فيه على تسميته لباشاويه مصر ذاتها. فحنطت جثته و نقلها مراد بك و دفنت فى المدرسه التى أنشأها أبو الذهب تجاه الأزهر.

الفوضى المملوكيه:

و هكذا كانت وفاه على بك (١٧٧٣)، ثم وفاه أبى الذهب (١٧٧٥) مؤذنه ببدايه عهد من الاضطراب و الفوضى فى البلاد، عند ما تنازع على السلطه كبار المماليك من جماعه على بك و محمد بك أبى الذهب (٣) و كان أظهر هؤلاء البكوات إسماعيل، و مراد و إبراهيم، و قد استطاع الأخيران الاستئثار بالنفوذ كله (١٧٧٩)، فافتسما فيما بينهما مشيخه البلد و إماره الحج، و استوليا على موارد البلاد و إيراداتها. و منذ عام ١٧٨٣ تقريبا امتنع البكوات عن إرسال الجزيه إلى تركيا بدعوى أن الإيرادات المتحصله من الضرائب لا تكاد تكفى لنفقات الاداره، ثم كان من أسباب الفوضى و وقوع الخصام من وقت إلى آخر بين إبراهيم و مراد، و فى آخر الأمر قرر الباب العالى إرسال حمله لاختصاصهما و بخاصه عند ما ساد الاعتقاد بأنهما إنما كانا يمعنان فى الخروج على سياده السلطان العثماني بفضل تأييد روسيا لهما.

فقد فرغت تركيا من حربها السابقة مع روسيا من مده، منذ أن عقد صلح قينارجة (١٧٧٤)، و تحولت الآن إلى الاقتصاد من الخارجين على سلطتها، معتمده على مجهودات القبطان حسن باشا الذى أعاد تنظيم البحرية العثمانية فتمكنت تركيا بفضل هذه القوه الجديده من النضال بنجاح ضد الشيخ ظاهر و محاصره عكا، حتى قتل ظاهر و هو يحاول الفرار من وكره الحصين (فى أغسطس ١٧٧٥)، (٤) و على ذلك فان الباب العالى لم يلبث أن أرسل الآن الرسل إلى مصر فى إبريل ١٧٨٦، يطلب من البكوات "الخزائن المنكسره و تشهيل مرتبات الحرمين من الغلال و الصرر فى السنين الماضيه" (٥) و فى الشهر التالى وصلت إلى رشيد و الإسكندريه دوتما عثمانيه و جيش عثمانى تحت قياده القبطان حسن باشا لردع البكوات و إخضاع البلاد للسيطره العثمانيه، و قد نزل حسن باشا إلى الإسكندريه فى ٢٣ يونيه، ثم زار رشيد، و هناك قابله وفد من العلماء و من الوجاقليه يحملون له الهدايا لمخاطبته و سؤاله "عن مراده و مقصده، و يذكرون له امتثالهم و طاعتهم و عدم مخالفتهم و رجوعهم عما سلف من أفاعيلهم." بيد أن هذه المحاوله أخفقت. و كان البكوات المماليك فى أثناء ذلك يحاولون جمع الكلمه على المقاومه عند ما اشتد قلقهم من مسلك القبطان باشا، فقد "كتب عده فرمانات بالعربى و أرسلها إلى مشايخ البلاد و أكابر العربان و المقادم" يستميلهم إليه و يعدهم برفع الظلم عنهم و الانتقام "من خائنى الدين إبراهيم بك و مراد بك و أتباعهما." و قد أثبت الجيرتى صورته من هذه فرمانات. (٦)

و كان مما قوى عزم البكوات المماليك على المقاومه، التحذيرات التى كانت تأتيهم من جانب أحمد باشا الجزائر.

احمد باشا الجزائر

فقد تقدم كيف أن احمد الجزائر (١٧٥٠ - ١٨٠٤) كان من مماليك على بك، و قد استمر فى خدمته حتى إذا استفحل النزاع بين سيده و بين أبى الذهب، و لم يجد فى خدمه هذا الأخير طريقا إلى الغنم و الشهره غادر البلاد، ثم حط به المطاف بعد حياه شاقه فى لبنان، فدخل فى خدمه الأمير يوسف بن ملحم الثانى الشهابى حاكم لبنان، ثم خرج عليه و ساعد الدوله فى نضالها ضد الشيخ ظاهر بعد ذلك، حتى كافاه الباب العالى بولايه صيدا، ثم استولى على أملاك الشهابيين فى البقاع. و منذ عام ١٧٨٢ اتسع سلطانه و اشتد بأسه لدرجه أقضت مضاجع رجال الدوله، حتى إذا عزمت تركيا على معاقبه المماليك فى مصر، طلبت من الجزائر باشا الخروج بحمله ضدهم. بيد أن الجزائر كان لا- ينظر بعين الارتياح إلى احتمال وجود القوات المقاتله العظيمة العثمانيه فى أرضه خوفا من انقلاب الدوله عليه، كما كان من جهه أخرى على اتفاق مع البكوات المماليك فى تدبير الثوره و الخروج على سياده العثمانيين. و لذلك فقد ظل يتلمس الأعذار بأحوال لبنان لأرجاء الخروج بحملته، كما صار يحذر البكوات المماليك فى مصر من نيات الباب العالى العدائيه نحوهم. (٧)

ص: ٢٨٩

١- Savary.t.II Lettre XVI pp.٢٤٨ -

٢- Bruce.Vol.I.PP.١٠٤-١٠٥.

٣- Savary t II.Lettre XVII.pp.٢٥٨-٢٧٦;Delaporte pp.٣٥٥-٣٦٣

٤- De La Jonquiere Histoire de l'Empire Ottoman.PP.٣٨٥-٣٨٦

٥- الجبرتی. ج ٢: ص ١١٢-١١٣.

٦- الجبرتی. ج ٢: ص ١١٦، ثم بعده صفحات ١١٦، ١١٧.

٧- ٢٤٦٤-١٧١، ١٦٦. Lockroy.pp. . ثم انظر كذلك محمد كرد علی. ح ٢: ص ٣١٣ و ما بعدها، ثم ج ٣:

و أخيرا خرج مراد بك لمقابله حسن باشا قبطان، و لكنه انهزم، و دخل العثمانيون القاهرة فى أول أغسطس ١٧٨٦، و فر المماليك إلى الصعيد و عند ما حاول القبطان باشا إخضاع الصعيد أخفق، ثم لم يطل به المقام فى مصر فاستدعى إلى تركيا بسبب قيام الحرب بينها و بين روسيا (سبتمبر ١٧٨٧). و هكذا استطاع البكوات المماليك استعادة سلطانهم فى القاهرة، و كان كل ما حدث بعد ذلك، أن تم الاتفاق بينهم و بين صالح باشا (الوالى العثمانى) فى يونيه ١٧٩٥ "على أن يدفعوا سبعمائه و خمسين كيسا موزعه، و على أن يرسلوا غلال الحرمين، و يصرفوا غلال الشون و أموال الرزق، و يبطلوا رفع المظالم المحدثه و الكشوفيات و التفاريد و المكوس ما عدا ديوان بولاق، و أن يكفوا أتباعهم من امتداد أيديهم إلى أموال الناس، و يرسلوا صره الحرمين و العوائد المقرره من قديم الزمان، و يسيروا فى الناس سيره حسنه". (٢) بيد أن هذا الاتفاق كان نصيبه الإهمال بعد شهر واحد فقط. و هكذا ظلت البلاد ترزح تحت أعباء هذه الفوضى، و خصوصا فى السنوات القليله التى سبقت مجيء الحملة الفرنسيه بين عام ١٧٩٤، ١٧٩٨، فكتب الجبرتى عن سنه تسع و مائتين و ألف "لم يقع بها شىء من الحوادث الخارجيه سوى جور الأمراء و تتابع مظالمهم"، و عن سنه ١٢١٠ هجرية "لم يقع بها شىء من الحوادث التى يعنى بتقيدها سوى فعل ما تقدم من جور الأمراء و المظالم". و عن سنتى ١٢١١، ١٢١٢ هجرية "لم يقع فيهما من الحوادث التى تشوف لها النفوس أو تشتاق إليها الخواطر فتقيد فى بطون الطروس سوى ما تقدمت الإشارة إليه من أسباب نزول النوازل و موجبات ترادف البلاء المتراسل".

الشيخ نصر الله بن الشيخ هدايه الله الشهير بالحاج مجتهد بن الشيخ

صادق بن الشيخ محمد تقى الشهير بالشهيد الثالث البرغانى القزوينى

آل الشهيدى

ولد فى قزوین فى يوم الخامس من شهر رجب سنه ١٣٠٩ كما حدثنى به و توفى بها عصر يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنه ١٣٩٨ هجرية و نقل جثمانه الشريف إلى النجف الأشرف و دفن فى وادى السلام، آل الشهيدى أو آل الشهيد الثالث: فرع من آل البرغانى أحد بيوت كربلاء و قزوین العريقه و أسر العلم الشهيره نبغ فيهم جمع من العلماء و الفقهاء و الفلاسفه و الحكماء و الشعراء و بزغ بدرهم أفق قزوین من القرن الحادى عشر الهجرى منذ عهد جدهم الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنه ١٠٩٤ ثم اشتهر إلى هذا البيت فى القرن الثالث عشر الهجرى بالبرغانى حتى سنه ١٢٦٣ حين استشهد جدهم الشيخ محمد تقى البرغانى على يد البايه فعرفوا بال شهيد الثالث أو آل الشهيدى و ينتهى نسبهم إلى آل بويه.

أخذ المترجم له المقدمات على جملة من علماء قزوین ثم حضر السطوح فى المدرسه الصالحيه على الشيخ حسين الأنصارى و الشيخ ملا-محمد الطارمى و ملا على الطارمى و فى سنه ١٣٢٦ هاجر إلى أصفهان و التحق بحوزه السيد مهدي الدرجه إى المتوفى سنه ١٣٦٤ فى الفقه و الأصول و أخذ الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا محمد الكاشانى المتوفى سنه ١٣٣٣ و المولى جهانكير خان القشقائى المتوفى سنه ١٣٢٨ و فى سنه ١٣٣٢ توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى كربلاء و النجف ثم سكن كربلاء زمانا و منها استقر فى النجف و حضر على الآخوند الملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد كاظم

اليزدى و اختص باستاذة السيد اليزدى و أخذ الفقه و الأصول أيضا من آغا ضياء العراقى و شيخ الشريعة الأصفهانى و السيد أبو الحسن الأصفهانى الذى اختاره ضمن حلقة الخاصة المؤلفه من المترجم له و السيد أبو القاسم التقوى القزوينى و السيد هبه الله التلاترى القزوينى و الميرزا أحمد الصالحى القزوينى و السيد على أكبر الخوئى والد السيد أبو القاسم الخوئى و الشيخ ميرزا فتاح التبريزى و الشيخ حسين التبريزى.

و قد اشترك فى الثورة العراقيه الكبرى على البريطانيين و فى سنه ١٣٤٠ رجع إلى موطنه قزوین و انتهى اليه كرسى التدريس و الفتيا و الامامه و عند حركه الامام الخمينى الأولى كان المترجم له فى طليعه علماء ايران الناقمين على الشاه فألقى القبض عليه و سجن ثلاثه أشهر ثم نقل إلى طهران لمحاكمته فى محكمه عسكريه خاصه ثم أطلق سراحه و كان ينظم باللغتين الفارسيه و العربيه و له ديوان شعر و من مؤلفاته تقارير استاذة السيد كاظم اليزدى، و حاشيه على العروه الوثقى لاستاذة السيد اليزدى و كتاب نجاه العباد الموجود حاليا فى مكتبه فى داره بقزوین.(٣)

ملا نظر على بن محسن الكيلانى.

من عرفاء الإسلام و فلاسفه الشيعة فى أواخر القرن الثانى عشر و مطلع القرن الثالث عشر الهجرى.

هاجر من مازندران إلى أصفهان فحضر على جملة من علماء عصره ثم اولى فى الفلسفه و العرفان الإلهى و اختص بالآغا محمد البيدآبادى المتوفى سنه ١١٩٧ و تخرج عليه كما صرح فى مؤلفاته و كان المترجم له من رواد مدرسه صدر المتألهين الشيرازى المتوفى سنه ١٠٥٠ و ممن اهتم بنشر أفكار هذه المدرسه الفلسفيه. و انتهى اليه كرسى التدريس و اشتغل فى حياه استاذة المذكور فى التأليف و التدريس فى كل من أصفهان و مازندران و آذربايجان و غيرهما من المدن الإيرانيه و ترك مؤلفات فلسفيه هامه يظهر منها تعمقه و تحقيقاته العلميه الرصينه و تبحره فى الفلسفه، منها تلخيص كتاب المبدأ و المعاد لصدر المتألهين الشيرازى و تعليق عليه، منه نسخه فى مكتبه المجلس الوطنى بطهران، و له كتاب التحفه بالعربيه طبع سنه ١٣٩٧ بتحقيق السيد جلال الدين الآشتيانى من منشورات (انجمن فلسفه) فى ٢٥٠ صفحه و يبحث الكتاب فى موضوع العلم بصوره مطلقه و بعض مسائل حول الوجود و حقيقه وحده الوجود.(٤)

السيد هادى الحسينى التبريزى.

ولد سنه ١٣٢٧ فى النجف الأشرف و توفى سنه ١٤٠٦ فى الكاظميه و دفن فى النجف.

هو من أسره علميه هاجرت إلى النجف و أول من هاجر جده لأبيه السيد حسين و ذلك سنه ١٣٥١.

درس فى النجف على الشيخ آقا ضياء العراقى و الشيخ أبو الحسن المشكينى و الشيخ ميرزا على الايروانى ثم على السيد أبى الحسن الأصفهانى. كما درس الفلسفه على السيد حسين البادكوبى و لازم الشيخ مرتضى الطالقانى مده عشرين سنه متتلمذا عليه و مصاحبا له.

انتقل إلى الكاظميه و هو فى الخمسين من عمره و استقر بها مدرسا و إماما للجماعه. طبع من مؤلفاته: أمالى الهادى، و هو

تقريراته و آراؤه الفقيهه الاستدلاليه فى مباحث الالتزام و المعاملات.

ص: ٢٩٠

١- انظر تفصيلات مهمه عن هذه الحمله فى كتابى F.charles Roux.Aitour. d"une Route etc;Les

Origines

٢- جبرتى: ج ٢. ص ٢٧٤.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

السيد هادى بن المير محمد رضا بن المير محمد حسين الحسينى

الرامسرى التنكابنى (المعروف ب بزرگ).

ولد حدود ١١٨٥ فى رامسر، و توفى ١٢٦٥ فى رامسر.

قرأ المقدمات و السطوح فى رامسر ثم ذهب إلى أصفهان و سكن فى مدرسه باب القصر و حضر على أعلامها فى الفقه و الأصول و اختص فى درس الفلسفه بالمولى على النورى ثم رجع إلى موطنه و أسس مدرسه و مسجدا فى رامسر و اشتهر صيته و قام بالتدريس و قضاء حوائج الناس و التأليف حتى وفاته. خلف خمسه أولاد من العلماء و الفضلاء - و هم السيد صادق و السيد مرتضى و السيد أبو الحسن و السيد على و السيد مير عبد الباقي. (١)

السيد هبه الله بن السيد أبو القاسم بن السيد حسين بن السيد مطهر بن

السيد حسين بن السيد محمد جعفر بن السيد شمس الدين الحسينى

التلاترى القزوينى

من أحفاد السيد مير قوام الدين المشهور ب مير بزرگ المرعشى صاحب المزار المعروف فى مدينه آمل ب مازندران ولد فى قزوینسنه ١٢٩٤ و توفى سنه ١٣٦٧.

أخذ المقدمات و السطوح على جملة من أعلام قزوین منهم الشيخ ملا على أكبر الجلوخانى المتوفى سنه ١٣٣١ و الشيخ ملا على أكبر السياه دانى المتوفى سنه ١٣٤٠ فى المدرسه الصالحيه ثم هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق و استقر فى النجف و انضم إلى حوزة كل من الآخوند محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد محمد كاظم اليزدى صاحب العروه الوثقى ثم إلى حوزة السيد أبو الحسن الأصفهانى و أصبح من خواص تلاميذه حتى سنه ١٣٣٩ فرجع إلى موطنه قزوین و تصدر كرسى التدريس و الفتيا و الامامه و التف حوله جمع من الطلاب و الفضلاء تخرجوا عليه و له مؤلفات منها تقارير استاذ الآخوند ملا محمد كاظم الخراسانى فى الفقه و الأصول، تقرير استاذ اليزدى فى الفقه و الأصول، تفسير للقرآن الكريم لم يخرج إلى البياض، رساله فى العلوم الغريبه. (٢)

الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعه

اشاره

مر حديث عنه فى مكانه من المجلد العاشر، و نضيف هنا إلى ذلك هذه الدارسه مكتوبه بقلم: الدكتور محمد العبد حمود.

كان جده صعصعه عظيم القدر فى الجاهليه، و من أفعاله افتداؤه ثلاثين موءوده.

و أما غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل و كان سيد بادية تميم. و أمه ليلي بنت حابس أخت الأقرع بن حابس. و أستجير بقبر أبيه و هو بكاظمه فى حماله فاحتملها الفرزدق. و كان له اخوه منهم هميم و سمى الفرزدق باسمه. و كنيته أبو فراس.

فى هذه الأسره الفخور ولد همام فى حدود السنه العشرين للهجره (٢١ كانون الأول ٦٤٠-٩ كانون الأول ٦٤١) على التقريب و ذلك فى البصره على ما فى معجم ياقوت. و كان قومه قد نزلوا أرضها زمن تأسيسها سنه ٦٣٥. إلا- انهم ظلوا على بداوتهم ينتشرون من أرض العراق الأسفل إلى نجد و أطراف اليمامه و على هذه البداوه المحتكه بالحضاره بعض الشىء نشا شاعرنا و عليها بقى طول حياته غير متصل بالحضر إلا لماما.

و كان فى جهامه وجهه و ضخامه قسماته و آثار الجدرى فيه ما لفت نظر معاصريه فلقبوه "بالفرزدق" و معناه "الريغيف الفخم". و لعل أباه سماه الفرزدق باسم دهقان الحيره لأنه كان يشبهه فى "تيهه و أبيهته".

و الفرزدق من الفارسيه برازده بالباء الفارسيه أو فرازده بمعنى الريغيف.

نشاته و شبابه

ولد و نشا فى بيت ورث المجد و فعل المكرمات و كان مالف الأشراف يتتدون فيه يتداولون ما يلم بهم و يتحدثون بأخبار أسلافهم و يتذاكرون حياه العرب و أيامها و سير ملوكها و يروون ما قاله شعراؤها. و كان الفرزدق يصغى إلى ما يسمع و يحفظ ما يقال، قد أوتى الفطنه و الذكاء و الموهبه.

كان أبوه يؤثر على البصره الإقامه فى بادية بنى تميم. فنشأ الفرزدق فى مراع كاظمه نشاه فتیان البادية ورث أخلاقها و فضائلها. و قبل عاداتها راضيا معتزا. و فى بادية تميم اتيح له أن ينهل الفصاحه من مناهلها. ففتق لسانه و فصح بيانه و أحاط بسر العرييه و أوتى القدره على تشقيق الكلام فقد كانت تميم من أفصح قبائل العرب.

و قد تركت هذه النشأه البدويه آثارها فى الشاعر فظل طوال حياته و فيا لها يؤثرها و هى مدارج صباه على ما نعم به من مغانى الحضر و يحن إليها و يجهر بتفضيل عاداتها.

و رأى الفرزدق فى أبيه غالب المثل الأعلى فبالغ فى تعظيمه و توقيره و راح يتأثر خطاه و ينهج نهجه: أرسله إلى البصره أيام زياد فى عير له و جلب يبيعه ليمتار له و يشتري لأهله كسى، و لكن الفرزدق نثر الدراهم و أنهبها الناس فى المربرد حين ذكروه فعال أبيه و كرمه، يريد أن يقتدى به. و لما بلغ غالبا فعل ابنه و سمع منه قصته يرويها مزهوا سر به و مسح رأسه و هو يقول له مشجعا فرحا: "و انك لتحسن مثل هذا".

و اعتر الفرزدق بابيه اعترازا قل ان نجد له نظيرا. بكاه فى شعره لما مات أحر بكاء:

أبى الصبر انى لا أرى البدر طالعا و لا الشمس إلا ذكر انى بغالب

و ادعى انه ورث أباه فى أخلاقه و فضائله:

ورث أبى أخلاقه عاجل القرى و عبط المهارى كومها و شوبها

ثم تجاوز الحد فى المباهاه به و بلغ من تعظيمه إياه ان كان يفاخر به الملوک و يتعالى عليهم و جعل قبره مستغاثا يلاذ به من مفضعات النوائب.

و هكذا قدر لغالب أن يؤثر فى حياه ابنه تأثيرا كبيرا و أن يكون احدى الدعائم الكبيره فى بناء شخصيته. و لعل السخاء الذى عرف به الفرزدق حياه كلها، ينفق لا يبقى على شىء و يعطى سائله و لا يخيب رجاء من رجاء أحد أبرز هذه الآثار.

و قد وفد غالب على الإمام على ع و معه ابنه الفرزدق فقال له من أنت؟ قال: أنا غالب بن صعصعه المجاشعى. قال: ذو الإبل الكثيره. قال: نعم قال: فما فعلت إبلک؟ قال: أذهبها النوائب و ذعدعتها الحقوق. قال: ذلك خير سبلها. ثم قال له: يا أبا الأخطل من هذا الفتى؟ قال: ابنى الفرزدق و هو شاعر. قال: علمه القرآن فإنه خير له من الشعر. فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه و آلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن.

و ذلك يمكن أن يعنى شيئين اثنين أولهما أن شعر الفرزدق جيد يحسن

ص: ٢٩١

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

تثقيفه بلغه القرآن. و ثانيهما أن شعر الفرزدق ردىء فيجب ان يتركه و يشتغل بالقرآن فذلك أعود عليه. و قد أثرت شخصيه الامام على فى الشاعر الناشئ تأثيرا عميقا.

أزواجه و أولاده

كان الفرزدق مزوجا مطلقا يضطرب فى عاطفته كما يضطرب فى ميله السياسى لا يكاد يخلص لامرأه و لا تكاد امرأه تصبر على أخلاقه. يعيش مع زوجته مده فيملها أو تمله فيطلقها أو تهرب منه فتدفعه إلى طلاقها ذكر من نسائه فى الشعر الذى وصل إلينا اثنتى عشره امرأه.

و لكن أشهر قصه على الإطلاق فى هذا المجال هى قصته مع ابنه عمه النوار ابنه أعين بن ضبيعه المجاشعى و كان على بن أبى طالب (ع) وجه أباهما إلى البصره أيام الحكمين فقتله الخوارج غيله، فخطب النوار رجل من قريش (و أهلها بالشام) فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها (و كان أقرب من هناك إليها). فقال: ان بالشام من هو أقرب إليك منى و لا آمن ان يقدم قادم منهم فينكر ذلك على. فاشهدى انك قد جعلت أمرك إلى ففعلت، فخرج بالشهود و قال لهم: قد أشهدتكم انها قد جعلت أمرها إلى و انى أشهدكم أنى قد تزوجتها على مائه ناقه حمراء سوداء الحدق، فذعرت من ذلك و استعدت عليه و خرجت إلى عبد الله بن الزبير و الحجاز و العراق يومئذ اليه. و خرج الفرزدق. فاما النوار فنزلت على خوله ابنه منظور بن زبان الفزارى امرأه عبد الله بن الزبير فرقتها و سالتها الشفاعة لها. و أما الفرزدق فنزل على حمزه بن عبد الله بن الزبير و مدحه فوعده الشفاعة له، فتكلمت خوله فى النوار و تكلم حمزه فى الفرزدق فانجحت خوله و خاب حمزه. و أمر عبد الله بن الزبير ان لا يقربها حتى يصيرا إلى البصره فيحتكما إلى عامله فخرج الفرزدق فقال:

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم و شفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيح الذى يأتىك مؤتزا مثل الشفيح الذى يأتىك عريانا

و يتنمر الفرزدق و يصمم على الظفر بالنوار لذلك لم يستمع إلى ابن الزبير حين قال له: ما حاجتك بها قد كرهتكن كن لها اكره و خل سبيلها.

فخرج و هو يقول: ما أمرنى بطلاقها إلا ليشب.

و خضعت النوار يائسه بعد أن علقته منه بحبل محكم العقد. و مكث الفرزدق زمانا لا يولد له فغيرته النوار بذلك فقال:

قالت: أراه واحدا لا أخا له يؤمله فى الوارثين الأبعاد

لعلك يوما ان ترينى كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد

فان تميما قبل أن يلد الحصى أقام زمانا و هو فى الناس واحد

فولد له بعد ذلك: لبطه و سبطه و خبطه و ركضه من النوار و رزق من غيرها خمس أو ست بنات. على انه لم يكن برا بأولاده و

لا يظهر انه أحبهم الحب الوالدى الحق فلم يحبوه. و قد شكوا عقوق كبيرهم فى آخر حياته.

و يجد الباحث صعوبه فى معرفه عدد النساء اللواتى تزوجهن الفرزدق و يذهب عمر فروخ فى ترجمته للفرزدق التى استند فيها إلى ما كتبه المستشرق الألماني يوسف هل عن حياه الفرزدق إلى أن أولى زوجاته كانت فتاه زنجيه رزق منها طفله سماها مكيه.

أما الفحاح فيرى أننا لا نعرف متى تزوج الفرزدق زواجه الأول و لا عدد الأزواج اللاتى رضين به قبل النوار و لكنه يذكر زوجه مفداه تلك الزوج التى أحبها الشاعر فبادلته حبا بحب و راح يتغنى بجمالها معتزاً بما تكنه له من حب:

فيا روضه و سميّه رجبىه خلت و تحامتها الرياح تحاميا

بأطيب نشرا من مفداه موهنا إذا ما أرادت للضحج تعاطيا

و مهما يكن من أمر فان النوار تبقى المرأه الأبرز فى حياه الفرزدق لا يخفى فرحته بمودتها: "خرجنا متباغضين و رجعنا متحابين. و خرجت حائلا و رجعت حاملا.

و بدا له أن يبدل سيرته بعد زواجه منها و أن يقلع عن حياه السباب و الفحش لينهج طريقا لا عوج فيه. فيرضى زوجه و يستجيب لنزعه الخير فيه فحج بالنوار أواخر سنه ٥٦٥ هـ و لما عاد إلى البصره أعلن توبته و قيد نفسه و حلف ألا يفك قيده حتى يجمع القرآن و هو ما كان يحيك فى صدره منذ مقاله الامام على لأبيه و كان يرى فى ذلك طاعه تقربه إلى ربه و تغسل عنه آثامه:

لعمري لئن قيدت نفسى لطالما سعيت و أوضعت المطيه للجهل

ثلاثين عاما ما أرى من عمايه إذا برقت إلا شددت لها رحلى

و قد نعى جرير على الفرزدق قيده حين نشب بينهما الهجاء و جعله مرأاه و كذبا. و كذلك قال له البعيث:

لعمري لقد ألهى الفرزدق قيده و درج نوار ذو الدهان و ذو الغسل

و كان البعيث صادقا فى تصوير فرحه الفرزدق بالنوار التى طغت عليه و شغلته عن أشياء كثيره. و أخذت تحل فى مطلع قصائده. يحن إليها إذا نأى و يطرقه خيالها فى الصحراء البعيده. و لكن الأمور لا تستقيم له فقد كان صاحب فسوق لا يصبر عن النساء. أما النوار فكانت امرأه صالحه ترضى عنه حيناً لتخاصمه أحيانا و كانت قرعه و تذكره انه تزوجها خدعه و تطالبه بطلاقها. و يصور لنا ما يعانىه إزاء هذا الواقع:

لعمري لقد رققنتى قبل رقتى و أشعلت فى الشيب قبل زمانى

و أفصحت عرضى فى الحياه و شنته و أوقدت لى نارا بكل مكان...

و أراد الفرزدق ان يتغلب على النوار التي كانت تضاره و ان يغيظها و يذلها لتغدو طيعه منقاده تستجيب لرغباته و لكنه لم يسلك إلى ذلك الطريق الصحيح لأن النتيجة لم تكن كما توقع. فقد أقدم على الزواج من حدراء بنت زيق بن بسطام الشيبانيه و كانت أعرابيه نصرانيه سوداء دقيقه الساقين مهزوله أو هكذا كانت في عيني النوار.

و لكن الفرزدق رد عليها كما يرد الرجال فهو سليل المجد يتطلع إلى الشرف فلا يرى مناصا ان يفضلها عليها لأنها ابنه بسطام بن قيس ذي الجدين في بيت الشرف من شيبان ثم يغمز النوار التي كانت أمها أمه:

ص: ٢٩٢

لجاريه بين السليل عروقها و بين أبى الصهباء من آل خالد

أحق باغلاء المهور من التى ربت و هى تنزو فى حجور الولايد

و كأنه يريد ان يتشفى منها. فيكرر القول و يبدئ فيه و يعيد. و استشيرت نوار و لجات إلى جرير تحفزه ان يهجو الفرزدق و يخزيه لينتقم لها و استجاب جرير و غدت حدراء محور ست نقائض و عده قصائد تقارضها جرير و الفرزدق.

و لكن حدراء ماتت وشيكا و لم يبتس الفرزدق بموتها كما يظهر من رثائه. و رأى جرير فى موت حدراء مناسبه ليخاطب الفرزدق بقوله:

فأقسم ما ماتت و لكنما التوى بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

بعد موت حدراء تزوج رهيمة بنت غنيم اليربوعيه. و لما استخفت بها النوار أخذ يشيد بنسبها و مكانتها ممعنا فى إغاظه النوار و ميينا انها ستكون السبب فى استقامتها:

أراك نجوم الليل و الشمس حيه زحام بنات الحارث بن عباد

عدلت بها ميل النوار فأصبحت مقاربه لى بعد طول عباد

و انتقل إلى دارها و دافع عنها و عن أهلها:

لقد حولتنى عن تميم و بدلت رهيمة دارى وسط بكر بن وائل

و لم تطل بالفرزدق فرحته فما لبثت النمريه ان كرهته و نشرت به و استجابت لأمها التى كانت تثيرها عليه و كانت له مثل الشوكه فى القدم فطلقها و أنشأ فى هجوها أبياتا يعارض بها أبيات مدحه لأولى:

ثم تزوج الفرزدق جاريه من بنى نهشل فحملت منه ثم ماتت بجمع فرثاها و بكى ولده منها.

و لم تنجح كل محاولاته فى التقرب من النوار لأنه لم يدرك ان العله فى خلقه و مسلكه و أصرت على الطلاق على يد الحسن البصرى فنالته إلا أن الفرزدق ندم بعد ذلك.

و قد عبر عن ندمه بأبيات منها:

ندمت ندامه الكسعى لما غدت منى مطلقه نوار

و كانت جنتى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

و كنت كفاقى عينيه عمدا فأصبح ما يضيئ له النهار

و لا يوفى بحب نوار عندى و لا كلفى بها إلا انتحار

و لو رضيت يداى بها و قرت لكان لها على القدر الخيار

و ما فارقتها شبعاً و لكن رأيت الدهر يأخذ ما يعار

و قد ماتت النوار قبل الفرزدق فرثاها، تلك هي قصة الفرزدق و النوار.

و قد تركت هذه القصه فى نفس الشاعر أبعد الآثار و لونت نظرتة إلى المرأه و لم تتح له أن ينعم بالبيت الهادئ المريح و لا أن يرى فى المرأه الشريك الذى يزيد الحياه بهجه و يساعد فى التغلب على صعابها. اما جرير فقد رأى فى قصه النوار موضوع سخرية و تندر فراح يصب عليه سيل التهم و يعنته شر النعوت مستغلا نفور النوار منه و كرهها إياه.

و أقبل الفرزدق الشيخ يدب إلى بيت الهتهاث المجاشعى و كان قد دلف إلى التسعين فخطب ظبيه بنت حالم و حل اسمها فى مطالع قصائده محل النوار:

و ظبيه دائئى و الشفاء لقاؤها و هل انا مدعو لنفسى طبيها

شخصيته

كان الفرزدق ضخماً التقاطيع مجهم الوجه مستديره صغير القدمين غليظاً قصيراً أصيب بالصلع فكان جرير يدعوه "القريد الأصلع" و يعيره "قصر القوائم" إلا أن الفرزدق كان يؤمن بجماله فيصور نفسه كالهلال يروق النساء. و كان يحتال على ما بقى من شعره فيجمعه فى ضفيرتين يخضبهما بالحناء كما يخضب لحيته. حتى إذا شمله الشيب ترك الخضاب فكان مهيب المنظر. و كان يلبس اللباس الفاخر من الديباج و الخز عمل أهل اليمن و يعتم بعمامه كبيره ضخمه. و يبدو انه فى الواقع لم يكن على قدر كبير من الجمال بل ربما كان بديناً قبيح الوجه.

و مع ان الفرزدق كان أمياً كأكثر شعراء عصره و لكنه روى أيام العرب و كثيرا من الشعر الجاهلى و قيد نفسه ليحفظ القرآن فكون لنفسه ثقافه لا بأس بها و قد انفرد بروايه حديث امرئ القيس يوم داره جلجل مما دفع طه حسين إلى اعتباره من ابتكار الفرزدق.

كما جمع فى ثقافته إلى أساطير الجاهليين حكايات المفسرين فاعتلجت كل هذه المواد فى ذاكرته القويه و اندفعت متدفقه فى شعره بترتيب.

و من نتائج ثقافته الواسعه فى ذلك العصر انه كان كثير الأحاديث حلو القصص عذب الأسلوب. قال ابن قتيبه: كان الفرزدق معنا مفنا يقول فى كل شئ و سريع الجواب. و كان إلى ذلك قوى البديهه سريع الجواب حاضر النكته لاذعها أحيانا يروى لنا ابن قتيبه اخباراً تثبت هذه الصفات نكتفى بإيراد واحد منها: جاء عنبسه بن معدان إلى باب بلال فرأى الفرزدق و قد نعس فحركه برجله و قال: بلغت النار يا أبا فراس؟ قال: نعم و رأيت أباك ينتظر ك. و كثيرا ما تتداخل هذه الدعابات ببذاءه اللفظ و فحش

و اشتهر الفرزدق بجبنه. و قد أكثرت كتب الأدب من ذكر نوادره. و لم يحارب قط على كثره فخره و حماسته.

و قد عرف عنه جبنه فكان القوم يداعبونه و يخوفونه ليتنادروا عليه. كان مره عند سليمان بن عبد الملك و أتى سليمان بأسرى من الروم فقال للفرزدق: قم فاضرب أعناق هؤلاء فاستعفاه من ذلك فلم يعفه و دفع اليه سيفا كليلا فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم فنبأ السيف فضحك سليمان و من حوله... و كانت هذه الحادثة موضع اهتمام جرير في هجائه للفرزدق.

كما عرف في مجونه و قد تعرض للملاحقه غير مره بسبب تعرضه لنساء كان ينبغي ان لا يتعرض لهن. و مع ذلك فقد ذكر انه صلى و تاب نادما كما ذكر عنه انه بكى في المسجد و تاثر في جنازه النوار بكلام الحسن البصرى.

على ان ابن خلكان "يرجو له الجنه بمكرمه تنسب اليه" و هى مدحه زين العابدين (ع).

و ملفت للنظر ان يكون رجل هذه صفاته يبلغ الدرجه القصوى من الفخر. جده صعصعه أحيا الوئيدات و أبوه غالب معدن الجود يقصد الناس ناره من أقاصى البلاد. حتى إذا مات كان قبره ملاذ العفاه و ملجا الخائفين و أخواله بناه المجد و قبيلته خير القبائل فأبأؤه لا يقاربهم آباء الخليفه من عبد شمس:

و ان تغضب قريش ثم تغضب فان الأرض ترعاها تميم

اما هو فخلاصه المفاجر كرما و علو همه و شاعريه.

و على الرغم من كون الفرزدق قد اتصل بالحضر إلا- انه ظل شديد التعصب لبدويته كثير الفخر بمآثر آباءه فى الإسلام و فى الشرك كذلك.

يمدح كبار القوم بمفاخر آباءهم فى الجاهليه و يظهر على كثير من جفاء البدو و خشونه طبعهم و قساوتهم. و يتقيد فى كل شىء بمظاهر البداوه فيدعو إلى الأخذ بالثار و يفتخر بالضيافه. و قد ظهر أثر البداوه واضحا فى معظم نتاجه الشعرى.

وفاته

رزق الفرزدق عمرا طويلا تجاوز التسعين فى قوله و هو و بلغ السادسة و التسعين فى قول ابن حبيب شارح الديوان و قارب المائه فى قول ابن سلام.

و المشهور ان الفرزدق قد توفى فى سنه ١١٠ هـ - ٨٢٨ [٧٢٨] م و هذا هو التاريخ الذى يذكره بروكلمان.

و لكن الدكتور يوسف هل يرى ان وفاته يجب أن تكون فى سنه ١١٤ هـ ذلك لأنه رثى الجراح بن عبد الله الحكيم الذى استشهد بمرج أردبيل فى المشرق سنه ١١٢ هـ كما ذكر الطبرى. ثم ان الأغانى نفسه يتردد فى وفاه الفرزدق بين السنوات ١١٠، ١١٢، ١١٤ و كذلك ابن خلكان يتردد بين السنوات ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤ و على هذا قبل الدكتور هل التاريخ المتأخر: ١١٤ للهجره - ٧٣٢ م. و يرى البستاني انه ليس من مبرر للحيره عند من يطالع ديوان الفرزدق فيرى فيه قصيده قالها الشاعر فى مدح خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم والى المدينه. و معروف ان خالد المذكور ولى المدينه مده ثلاث سنوات من السنه ١١٤ إلى السنه ١١٧ و إذا فلا يمكن أن تكون وفاه الفرزدق تقدمت السنه ١١٤ (٣ آذار ٧٣٢ - ٢٠ شباط ٧٣٣) و هى السنه التى توفى فيها جرير كذلك.

صلته بالحكام

يقول ابن سلام: قيل لابن هبيره من سيد أهل العراق؟ قال:

الفرزدق: هجانى ملكا و مدحنى سوقه.

من هنا علينا ان لا نفاجا كثيرا بمواقف هذا الشاعر الجريئه و المتقلبه من حكام عصره.

لكن القضية الأولى التي تستحق وقفة مميزة هي حقيقة تشيع الفرزدق لذهاب الباحثين فيها - وخاصة المعاصرين منهم مذاهب شتى - إلى حد أن بعضهم جعله "عثمانيا" يقول هذا الباحث: التشيع مذهب أول أركانه اعتقاد امامه على و ابنائه فهي حق لهم موروثة لا يشركهم فيه سواهم.

و لم يكن الفرزدق من هذا في شيء و كل ما نعرفه عنه يوحى بخلاف ذلك، فأكثر قومه من مجاشع عثمانيه، و كثره تميم عثمانيه و البصره التي عاش فيها الفرزدق عثمانيه و أشعاره التي قالها تنطق كلها بفضل عثمان خليل النبي و تتمدح برفيع مكانته و تندد بالبغاه الذين قتلوه و تشفى بهم ان قتلوا بكل ثنيه و مدينه و تدافع عن حق بنى أميه فى الخلافه لأنهم ورثه عثمان الذى نال الخلافه عن مشوره و رضا و تنال ممن نازعهم هذا الحق فتشتد فى النيل منه و تثنى على ما قام به مروان و بنو أميه من إطفاء الفتن بصفين و مرج راهط ثم تشيد بهم و تعلى مكانتهم و تفضلهم تفضيل الشيعة لأئمتهم و تجعلهم خيره الله لعباده و أفضل الناس بعد رسول الله و أمناء الله فى أرضه. بل أكاد أقول: ان الفرزدق بالغ فى رفع أقدار الأمويين مبالغه لا أجدها لشاعر اموى آخر و أفرط فى الثناء عليهم و كان و هو يمدحهم يكاد يصفى عليهم صفات الذين اختارهم الله لتبليغ رسالاته.

لن أناقش الدكتور شاکر الفحام فى "عثمانيته" أو فى "أمويته" فله الحق أن يكون "يزيديا" إذا شاء و لا فى الآراء التي أوردها باستثناء قضيه ولاء الفرزدق لآل البيت ع.

فالمصادر القديمه تجمع على تشيع الفرزدق و موالاته لآل الرسول: كان الفرزدق سيدا جوادا و جيها عند الخلفاء و الأمراء هاشمى الرأى فى أيام بنى أميه يمدح أحياءهم و يؤبن موتاهم و يهجو بنى أميه و امرأهم هجا معاويه بن أبى سفيان و زياد بن أبيه و هشام بن عبد الملك و الحجاج بن يوسف و خالد القسرى و غيرهم (معجم الشعراء ٤٨٧).

و ربما كانت إفاده الدكتور عمر فروخ من الترجمة التي كتبها استاذة المستشرق الألماني جوزيف هل لحياء الفرزدق سببا من أسباب جعل موقفه أكثر موضوعيه إزاء هذه القضية من هنا اختلافه فى الرأى مع الدكتور الفحام. فقد ذكر ان الفرزدق نشأ على حب آل البيت و على الاعتقاد بحقهم فى الخلافه دون سواهم فإنه لم يكن يعلن تشيعه حرصا على أن يتكسب بشعره عند من يهب الجوائز و الأموال من سوى آل البيت أيضا. على ان شعوره هذا كان باديا فى كثير من سلوكه و أشعاره (شعراء البلاد). كما أن الثابت ان الفرزدق لم يتصل بأحد من الخلفاء قبل الامام على فى الحادثه التي سبقت الإشارة إليها.

بروكلمان بدوره الذى يلاحظ ضعف دينه و استخفافه بالمقدسات يستثنى من ذلك ما احتفظ به الشاعر من الوفاء لعلى و أهل بيته فى أحوال غير مواءمه. (تاريخ الأدب العربى).

و لعل أفضل رد على الفحام ما يوضحه البستاني حول هذه القضية إذ يذكر فيه موقف الفرزدق من العلويين فيستدل من حياته و شعره انه كان على إخلاص فاق إخلاصه لغيرهم من أرباب الأحزاب و ان يكن لم يجروا دائما على إظهار عاطفته. هذا إذا جاز لنا ان نتكلم عن الإخلاص بالنسبه إلى الفرزدق. كان قومه من ذوى الميل العلوى فى الخلاف الناشب بين على و عائشه أولا ثم بين على و معاويه. حتى إذا قدم على الكوفه وفد عليه غالب و معه ابنه و هو يافع إذ ذاك. على ان أحوال الفرزدق من بنى ضبه كانوا من حزب عائشه فحاربوا جيش على يوم الجمل. و هو ما استفاد منه الفرزدق فى تزلفه إلى الأمويين. يقول ذلك زلفى و تقربا و لا سيما بعد ان تحقق قومه قوه الأمويين و شعروا بصوله عمالهم فى العراق فأرسلوا إليهم الوفود مبايعين. فمدحهم

الفرزدق و بالغ و أغرق. و لا يخفى ان إغراقه هذا و ايجاسه الدائم من و لاه أميه لمن الأدله على اضطراب ميله و ارتجاج موقفه. اما إذا ابتعد عن مركزه الولاه فاطمان إلى أن يد الأمويين لا تطاله و عرضت فرصه فإنه لا يتردد في إظهار عاطفته لآل البيت من ذلك ما ذكر صاحب الأغاني و ابن خلكان و من نقل عنهما ان الفرزدق كان في مكه عند ما حج هشام بن عبد الملك و هو ولي عهد فاضطره الزحام إلى الانتظار و وصل زين العابدين حفيد على فتنحى له الناس حتى طاف و استلم. فسأل أحد رجالات الشام من هذا؟ فأجاب الفرزدق ذلك الجواب الرائع:

ص: ٢٩٤

هذا الذى تعرف البطحاء وطاته و البيت يعرفه و الحل و الحرم

فغضب هشام و أمر بالفرزدق فحبس بين المدينة و مكة فقال يهجو:

أ تحبسنى بين المدينة و التى إليها قلوب الناس يهوى منيها

يقلب رأسا لم يكن رأس سعيد و عينا له حواء باد عيوبها

ثم أشفق عليه هشام فاطلقه. فمدحه بقصيده طويله على الروى نفسه.

و ملفت للنظر ان هذا الشاعر الذى أمضى عمره يتعرض للأمرء و الولاه و العمال يمدحهم راغبا و يهجوهم مهددا حتى يشترى منه اعراضهم أحياء و أمواتا و هو ان لم يوفق إلى الكثير رضى بالقليل فقنع بنحى من سمن مثلا أو بشره سويق إذا كان عطشان. ملفت للنظر ان يرد للإمام زين العابدين ع عشره آلاف درهم أرسلها إليه اثر موقفه و قصيدته قائلا: ما قلت ما كان إلا لله و ما كنت لأرزأه عليه شيئا (تاريخ الأدب العربى) فيجيبه الامام زين العابدين بعد أن يردها اليه: قد رأى الله مكانك فشكرك و لكننا أهل بيت إذا أنفدنا شيئا ما نرجع فيه فأقسم عليه فقبلها (أعيان الشيعة).

بل يرى عمر فروخ ان تشيع الفرزدق كان من أبرز أسباب ملاحظته من قبل و لاه بنى أميه حيث يلاحظ أن صله الفرزدق بالولاه الأمويين كانت سيئه جدا لأسباب مختلفه ظاهرها ان الفرزدق كان فاسقا و لذلك كانوا ينفونه عن حواضرهم. أما الحق فهو أن الفرزدق كان قيسيا و علويا. و لقد كان الولاه يضطهدونه إذا كانوا هم يمينيين أو إذا كانوا امويين متشددين. (1)

و الثابت انه لم يدع مناسبه إلا و عبر فيها عن تعلقه بال البيت. يذكر أبو الفرج لقاءه الامام الحسين (ع) عند ما كان متوجها إلى الكوفه فبادره الامام بالسؤال ما وراءك: قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك و أيديهم عليك أو قلوبهم معك و سيوفهم مع بنى أميه. و لقد عبر الفرزدق بذلك عن شعوره أيضا! و يتوهم بروكلمان خطأ أن هذا قد حدث بين الفرزدق و الامام الحسن ع.

و مهما يكن من أمر فان الفرزدق لم يتردد أن يكون "شاعر بلاط" ينتمى إلى قبيله شانته فى ذلك شان كبار شعراء عصره. و كانت تميم البصره زبيريه الهوى تقاتل عن ابن الزبير و تدعو له. و كان الفرزدق لسان قبيلته يميل انى مالت فدافع عن مواقف قومه كلها فلا عجب ان نجد فى شعره مدحا لابن الزبير و تأكيدا لحقه.

و لكنه لم يتردد بعد أن تلقى تهديدا من الحكم بن أيوب الثقفى صهر الحجاج و ابن عمه و عامله على البصره من أن يمدح هذا العامل و عبد الملك و أن ينعت ابن الزبير بأنه "كذاب مكه":

فالأرض لله و لاهها خليفته و صاحب الله فيها غير مغلوب

بعد الفساد الذى قد كان قام به كذاب مكه من مكر و تخريب

و أول صدام للفرزدق فى الدوله الأمويه كان مع معاويه. جاء إلى معاويه شخص من بنى مجاشع اسمه الحجاب و كان قريبا

للفرزددق. و أكرم معاويهاالحباب و أعطاه أربعين ألف درهم. و لكن الحباب ما كاد ينفصل عن دمشق حتى مات فجاءه. و عرف معاويه بموت الحباب فى الوقت المناسب فأمر أن ترد عطيته إلى بيت المال و عرف الفرزدق بذلك فجاء إلى دمشق و تعرض لمعاويه بقصيده منها:

أبوك و عمى يا معاوى أورثا تراثا فأولى بالتراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته و ميراث حرب جامد لك ذائبه

فلو كان هذا الحكم فى جاهليه عرفت من المولى القليل حالته

و لو كان هذا الأمر فى غير ملككم لأديته أو غص بالماء شاربه

و لو كان إذ كنا و فى الكف بسطه لصمم غضب فيك ماض مضاربه

و كم من أب لى يا معاوى لم يكن أبوك الذى من عبد شمس يقاربه

و هذه الحادثه كانت سببا فى ملاحظه زياد بن أبيه للشاعر. كما يلاحظ انه لا يتردد فى رفع الشكوى إلى الوليد و سليمان و يزيد من معاملته بعض عمالهم.

هجا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموى والى عبد الملك على البصره و مدح بشر بن مروان والى الكوفه الذى قربه و نادمه و أراد أن يوفق بينه و بين جرير و لكن لم يستطع.

و بعد بشر بن مروان جاء الحجاج بن يوسف الثقفى العراق واليا. و هاب الفرزدق الحجاج هيبه شديده امتلأت نفسه لها خوفا فأسرع اليه يمدحه و يشيد به و كثرت مدائحه له و قد أدرك الحجاج تفوق الفرزدق فى أماديحه فقال: ما أشعر الفرزدق فى قوله لى:

لا يألف البخل ان النفس باسله و الرأى مجتمع و الجود منتشر

و اتصل الفرزدق بولاه الحجاج على البصره الحكم بن أيوب الثقفى و الجراح بن عبد الله الحكمى. و لما ولى عمر بن عبد العزيز المدينه قصد اليه الفرزدق فيمن قصده من الشعراء و مدحه و هو فى المدينه و مدحه و هو فى مكه. كما تحدث الرواه بما كان يلقى الفرزدق عند عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فى المدينه من البر و الإكرام، بل كانت تأتيه صلوات سكينه بنت الحسين ع و ربما كان فى هذا ما يدعم الرأى بحقيقه مشاعر الفرزدق الصادقه تجاه آل البيت و ينهض دليلا إضافيا على تشيعه.

لكن اقامه الشاعر فى المدينه أيام ولايه عمر بن عبد العزيز لم تطل إذ نفاه منها لثلاثين شهرا فى مسجدها هجاءه المقذع و استغل خصمه جرير الفرصه فقال:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز بحقك تنفى عن المسجد

و يبدو ان الفرزدق بقى بعيدا عن ملوك بني أميه فلما استتب الأمر لعبد الملك بن مروان عرض لمديحه و الإشاده به فى مدائح الحجاج بن يوسف و الحكم بن أيوب و هجاء ابن الأشقف. و لما تولى الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) كثرت مدائح الفرزدق إياه و عرف لديه شيئا منت.

ص: ٢٩٥

١- يقول حسن الأمين: من أقوى دلائل تشيع الفرزدق قوله لما سمع أبا بردة بن أبي موسى الأشعري يقول: كيف لا اتبخرت و أنا ابن أحد الحكمين، فقال الفرزدق: أحدهما مائق و الآخر فاسق، فكن ابن أيهما شئت.

الحظوه: ثم اتصل بهشام بن عبد الملك - وهو لا يزال أميراً - ورافقه إلى الحج نحو سنة ٩٠ هـ وفي هذه الحجه وقعت قصه هشام و الامام زين العابدين ع. و مدح الفرزدق زين العابدين بقصيدته الميميه المشهوره فحبه هشام.

ثم جاء سليمان بن عبد الملك و اتصل به الفرزدق و علت منزلته عنده حتى لقد أصبح شاعر الخليفه حقا و وجد الفرصه سانحه لتفجير حقه على الحجاج فانها ل عليه معددا مخازيه مبينا قسوته و طغيانه و مظالمه و الدماء التي هراقها:

و لولا سليمان الخليفه حلقت بهم من يد الحجاج عنقاء مغرب

و ثارت قتيبه بن مسلم الباهلي في خراسان منتقضا على سليمان و انتصرت تميم للخليفه و قتل قتيبه و بعثوا إلى الشام برأسه فامتلاً الفرزدق زهوا و أخذ يهجو قتيبه و باهله و يتشفى من الحجاج و يشيد بسليمان و بتميم. و عاش الفرزدق أيامه الجميله الحلوه و نعم بصحبه سليمان و كثرت ملازمته إياه. كان يقدم على سليمان اقدام الواثق المطمئن حتى يجاوز المؤلف. و في عهد سليمان مدح الفرزدق آل المهلب.

و عند ما تولى عمر بن عبد العزيز لم يفلح الفرزدق في مدحه فتنحى و تنحى معه شعراء كثيرون. فلما تولى الملك يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥) فتح أبوابه للشعراء. و قد بدأ عهده بثوره آل المهلب فانحازت تميم البصره إلى جانب يزيد الذي تمكن من القضاء على ثوره آل المهلب و كان الفرزدق مبالغه منه في إرضاء يزيد يعيد في مديحه القول في يزيد بن المهلب و يتشفى منه و من آل المهلب و كأنه يعلن أن هذه نهايه كل عاص.

و في عهد يزيد اتصل الفرزدق بمسلمه بن عبد الملك والى العراق و خراسان فمدحه. و اتصل بالعباس بن الوليد و بالغ في تمجيده و مدح فعاله. و ولى مسلمه بن عبد الملك عبد الرحمن بن سليم الكلبي أمر البصره فجاهه الفرزدق مادحا.

و لم يطل عهد مسلمه على العراق و خراسان و جاء عمر بن هبيرة الفزارى القيسى واليا عليهما (١٠٢ هـ ١٠٥ هـ) فمدحه الفرزدق و لكنه لم يلبث ان تنكر له و راح يهجو و يهجو قبيلته.

و طلب عمر بن هبيرة و ابنه يزيد الفرزدق و أراد أخذه و سجنه و لكن الفرزدق الحذر لا يذ بالفرار و لم يقدر إلا على حبس امرأته النوار و لحق الفرزدق بالبادية ثم لجأ إلى حمى يزيد بن عبد الملك. و في كنف يزيد لقي الأمن و البر و الصله و كتب يزيد بتخليه النوار و أمان الفرزدق. و أتاح له مقامه بالشام أن يتصل بالوليد بن يزيد يمدحه و يتقرب به إلى أبيه. و تدل الأخبار انه حضر مجالس الوليد و ما كان يدور فيها من غناء و لهو. و لعله وجد في كنف الوليد ما أمل من خير و نعمه فأكثر من مديحه و الثناء عليه.

و كان من المنتظر ان يكون أشد الولاه عدا للفرزدق بسبب قيسيته و علويته - زياد بن أبيه والى العراق. من أجل ذلك حرص الفرزدق على ألاّ يتعرض لزياد فتغافل زياد عنه و تركه و شانه فاخذ خوف الفرزدق من زياد يتناقص و مغامراته الغراميه تزداد و تتسع. فوجد زياد الفرصه مناسبه فطلبه فهرب منه إلى ان مات زياد.

الفرزدق و الشعراء:

تمرس الفرزدق بعدد من الشعراء منذ صباه فكان يهاجى شعراء قومه فى خلافه عثمان. و ظل على هذه النزعه فى شبابه حتى كاد الهجاء يغلب على سائر شعره.

و عند ما تجاوز الأربعين كان الهجاء قد لجج إذ ذاك بين جرير و البعث المجاشعى و نالت شظاياها نساء مجاشع فاقبلن على الفرزدق شاقيات مؤنات قائلات: "قبح الله قيدك! (القيد الذى قيد به نفسه ليحفظ القرآن) فقد هتك جرير عورات نساءك فلحيت من شاعر قوم!" فكان نعم المشجعات على ما كان يصبو اليه. ففض قيده و قال قصيده أصاب رشاشها البعث و هدد جريرا. ثم خص جريرا بقصيده بائيه أصابت البعث كذلك. و كان هذا فى عهد الحارث بن عبد الله والى البصره لابن الزبير (٦٨٤ - ٦٨٦). ثم توالى النقائص واحده من جرير و اخرى من الفرزدق نحو نصف قرن حتى وفاه الشاعرين سنة ٧٣٢. و الناس من شعراء و متأدين منقسمون قسمين:

فرزدقى و جريرى يتشاحنون حتى العداوه. و قد دخل الأخطل بين الشعارين فى ولايه بشر بن مروان للبصره بعد ان مر عليهما فى الهجاء بضع سنوات، ساله بشر عنهما فقال: الفرزدق ينحت من صخر و جرير يغرف من بحر فهاج الحكم جريرا فبدأ عهد الهجاء بينه و بين الأخطل. أما الفرزدق فشكر للأخطل حكمه و أخذ يمدحه و قومه و يعاونه على هجاء جرير.

و من الشعراء الذين اتصل بهم الفرزدق قليلا- أو كثيرا الحطيئه و كعب بن جعيل اجتمع بهما فى مجلس سعيد بن العاص والى المدينه فحكم له الحطيئه إذ سمع إنشاده.

و فى المدينه كان يجتمع بكثير و بإبراهيم بن محمد الزهرى فيتناشدون الأشعار.

و من الشعراء الذين أصابهم رشاش من هجائه مسكين الدارمى هجاه لأنه رثى زياد بن أبيه. و الطرماح الطائى هجاه و هجا قومه. و الأصم الباهلى هجاه و قومه أيضا. كما هجا شاعره من فقيم فلم تقصر فى هجائه. و قد اتصل بذى الرمه سمعه ينشد فى المربد فحكم على شعره ثم لم يلبث ان سرق من أبياته كما سرق من شعر الشمردل و ابن مياده و جميل بن معمر. و فى المربد كان للفرزدق حلقه خاصه يجتمع فيها بالراعى و غيره من مرديه.

و اجتمع الفرزدق فى حضره سليمان بن عبد الملك بجرير و كثير عزه و عدى بن الرقاع. ففضله سليمان عليهم جميعا فى الفخر. و اجتمع مره ثانيه بنصيب ففضل سليمان عليه نصيبا فى المدح. فهجا الفرزدق نصيبا. و عرف ليلى الأخيلية فأنشدها و أنشدته. و فى آخر عهده مدح عبد الله بن عبد الأعلى شاعر بنى شيان. فأكثر و أجاد.

الديوان

كان للفرزدق عدو رواه ينشرون شعره فى حياته منتقلين به من حى إلى حى و من مدينه إلى مدينه. و هم أدوات النشر فى عصر الأدب الشفهى.

فبلغوا بشعره أطراف الجزيره حتى عمان بل تجاوزوها إلى مصر. و قد عرفنا منهم أبا شقفل و لعله أشهرهم و عمرو بن عفراء الضبى و هبيرة بن الصلت و الطهوى و عبيدا أحد بنى ربيعه بن حنظله.

و للفرزدق ديوان مطبوع فى جملة الدواوين الخمسه (النابعه و عروه و حاتم و علقمه و الفرزدق) بمصر ١٢٩٣. و طبع على حده فى باريس سنة ١٨٧٠ و ما بعدها مع ترجمه فرنسيه للمسيو بوشر عن نسخه خطيه صورت من مكتبه أيا صوفيا فى الآستانه و طبعت تتمتها فى ميونيخ سنة ١٩٠١. و فى دار الكتب المصريه نسخه خطيه إملاء محمد بن حبيب مشروحه.

و منه نسخ خطيه أيضا فى اكسفورد و ليدن و غوطا و برلين و لندن.

و لكن يبدو ان طبعه بوشيه (بوشر) كانت ناقصه فقام المستشرق

ص: ٢٩٦

الألماني يوسف هيل فآتم هذه الطبعه.

ثم قام عبد الله إسماعيل الصاوى فجمع كل ما ظهر فى هذه الطبعات و أضاف إليها متفرقات وقف عليها فى بعض كتب الأدب و نشر الديوان مع الشرح فى طبعه تحتاج إلى كثير من التدقيق ظهرت بمصر سنه ١٩٣٦ فى مجلدين كبيرين.

و يوجد الديوان مخطوطا بروايه السكرى فى: بودليانا ٣٠٦:٢ قسم ٣ المتحف البريطانى.. كما توجد قصيده الفرزدق فى مدح زين العابدينمخطوطه فى: جوتا ٢٦، ١٤ ليدن ٥٩٠ و طبعت على الحجر فى طهرانسنه ١٢٧٥ هـ. أشعار متفرقه مخطوطه فى برلين. و طبع بشير يموت ديوان الفرزدق طبعه ثانيه منقحه فى بيروت ١٩٣٧. كما طبعته دار بيروت للطباعه و النشر عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م فى مجلدين.

النقائض

"النقيضه" قصيده يرد بها شاعر على قصيده لخصم له فينقض معانيها عليه: يقلب فخر خصمه هجاء و ينسب الفخر الصحيح لنفسه و لئن اكتفى اللغويون فى حد النقيضه بأنها القصيده التى تنقض معانى سابقتها فان رواه الشعر و المتأديين درجوا على أن يعدوا من النقائض ما صدق فيه شرطان:

أولهما ان تتفق القصيدتان بحرا و روياء.

و الثانى ان يرد اللاحق على السابق معانيه و ينقضها.

قال الأخطل:

خف القطين فراحو منك أو بكروا و أزعجتهم نوى فى صرفها غير

فأجابه جرير من البحر نفسه (البسيط) و على الروى نفسه (الراء المضمومه):

قل للديار سقى اطلالك المطر قد هجت شوقا و ما ذا تنفع الذكر

و قد تختلف أحيانا حركه الروى فى النقائض كقول الفرزدق (من البحر الكامل على اللام المضمومه):

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

فأجابه جرير (من البحر نفسه و لكن على اللام المكسوره):

لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس و بين طلع الأعزل

فإذا قال أحد الخصمين قصيده جديده - و لو كانت استمرارا لمهاجاه قديمه - فإنه ينظمها عادة من بحر جديد و على روى جديد إلا أن خصمه إذا رد على هذه القصيده تقيد ببحرها و رويها.

و ربما اشترك فى "المناقضه" بضعه شعراء فمن ذلك مثلا قول الفرزدق:

يا ابن المراغه و الهجاء إذا التقت أعناقها و تماحك الخصمان....

فقال جرير يرد على الفرزدق:

لمن الديار ببرقه الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان

و قال الأخطل يرد على جرير أيضا:

بكر العواذل يتدرون ملامتيو العالمون فكلهم يلحاني

و المختار فى "النقائض" ان تكون طوالا- و فيها يفتخر الشاعر بنفسه و بقومه و بفضائل نفسه كالشعر و الكرم و الشجاعه ثم باحساب قومه كالحروب التى انتصروا فيها و العهود التى وفوا بها و المحاسن التى أتوها من الكرم و الدفاع عن الأعراض و القيام بشأن القبيله و ما إلى ذلك.

بعدئذ ينقب الشاعر عن معايب خصمه و قوم خصمه فيذكرهم جميعا بالعى و البخل و الجبن حقا أو باطلا. و يذكر أيضا الحروب التى هزموا فيها و العهود التى نقضوها و المخازى التى عرضت لهم. و إذا أعوزته المخازى أو أعوزه شىء منها لم يتأخر عن اختلاقه.

و فى "النقائض" اقداع شديد و فحش و بذاه. إلا ان المتناقضين تعرضوا دائما للعيوب الخلقية النفسيه كالبلخ و الجبن و الغدر و الزنا و لم يتعرضوا للعيوب الخلقية الجسديه كالعرج و العور و الاحديداب إلا نادرا كالتعبير بالفقر و ضعف الجسد عامه و العور إذ لم يكن هذا محمودا عند النقاد.

و قد يمدح الشاعر خليفه أو أميرا بقصيده يعرض فيها أيضا لهجاء خصمه أو للرد عليه فتكون نقيضه.

و قد يرثى الشاعر امرأته ثم يهجو خصومه كما فعل جرير فى قصيدته التى مطلعها:

لولا الحياء لعادنى استصبار و لزرت قبرك و الحبيب يزار

حيث قال يهجو الفرزدق:

أفأم حزره يا فرزدق عبتم؟ غضب المليك عليكم القهار

كذب الفرزدق ان عود مجاشع قصف و ان صليبيهم خوار

قد يؤسرون فما يفك أسيرهم و يقتلون فتسلم الأوتار

و قد يتغزل الشاعر فى قصيده طويله ثم يعطف على خصمه فيهجوه.

بدأت النقائض بين جرير و الفرزدق فى حدود سنه ٦٦هـ و بقيت بينهما زهاء ثمانيه و أربعين عاما لم يزالا يتهاجيان حتى اسكتهما الموت سنه ١١٤هـ.

هذا و تعتبر النقائض فى العصر الأموى استمرارا للهجاء القبلى فى الجاهليه و كان يبعثها عاده خلاف بين قبيلتين أو اسرتين فينتصر شاعر لقومه أو لأحلاف قومه فيرد عليه شاعر من هؤلاء فيعود الأول للرد عليه حتى يلتحم الهجاء و يستطير. و لقد أذكى هذه النزعه فى الشعراء قيام الأحزاب و تقرب هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء و الأمراء بهجاء خصومهم طمعا بالمال. إضافة إلى إغراء الحكام الشعراء بتناول بعضهم البعض.

و قد بدأ الهجاء بين الفرزدق و جرير حين لم يستطع البعيث المجاشعى الصمود فى وجه جرير مما غم نساء بنى مجاشع ففزعن إلى الفرزدق ليقوم بالدفاع عنهن. و كان لهن ما أردن.

و استهوت المعركه الشعراء و زين لعدده منهم ان يشاركوا فيها فانضموا فى المعمره اما موازين بين الشعارين أو منحاين إلى تفضيل واحد منهما أو هاجين الاثنين معا. تدفعهم إلى ذلك الشهره و حب الصيت أو حوافر

ص: ٢٩٧

العصبيه و الشرف أو مقاييس الفن و قيمه إلى ضروب من الإغراء شتى.

فاتسعت آفاق المناقضة و جرى فى ميدانها أمثال الصلتان العبدى الذى فضل جريرا فى الشعر و الفرزدق فى الشرف. و المنقرى الذى هجا الفرزدق و جريرا معا و ثلث بالبعث و نال منهم جميعا. و كان هجاء. و سراقه البارقى و الراعى النميرى و الأخطل و عمر بن لجا الذين فضلوا الفرزدق لكرمه و شعره و رفعوه على جرير.

و لكن الشعراء المتصرفين بين جرير و الفرزدق لم يثبتوا فى أرض المعركة و منهم من لم يلتفت اليه احتقارا لشأنه و استصغارا فهووا كما هوى البعث. و لم يبق منهم غير الأخطل.

و كانت فرحه الفرزدق بالأخطل بالغه لقد انضم اليه شاعر فحل يقوى ان يقف امام جرير ليقول:

فان يك أقوام أضاعوا فاننى وصلت الذى بينى و بين الفرزدق

و قد عبر الفرزدق عن فرحته بالأخطل فخص تغلب بواحدة من روائع قصائده يشيد فيها بما آثرها و أيامها و وقائعها و نسي فى غمره فرحه ان يفخر بقومه من دارم فإذا هى ثناء على تغلب خالص لا يشوبه مدح لغيرهم. و لم يجد جرير ما يقوله سوى التذكير بنصرانيه تغلب:

فخرت بقيس و افتخرت بتغلب فسوف ترى: أى الفريقين أربح

فاما النصرارى العابدون صليهم فخابوا و أما المسلمون فافلحوا

و الحق ان حب الفرزدق للأخطل قد تملك عليه نفسه و كان صادقا فيه كل الصدق، دعاه خليه و أخاه فى حديثه و شعره و أثنى عليه و جعله من شركائه فى وراثه شعر الفحول.

و يبدو أن علاقتهما كانت منذ البدايه تقوم على التقدير المتبادل يبدو هذا إذا أخذنا بالروايه التى تخبر عن لقائهما الأول. فقد نزل الفرزدق على الأخطل ليلا- و هو لا يعرفه فجاءه بعشاء ثم قال له انى نصرانى و أنت حنيف فإى الشراب أحب إليك؟ قال: شرابك ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتا إلا أتم الفرزدق القصيده. فقال الأخطل: لقد نزل بى الليله شر من أنت؟ قال: شرابك ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتا إلا أتم الفرزدق القصيده. فقال الأخطل: لقد نزل بى الليله شر من أنت؟ [] قال: الفرزدق بن غالب. قال:

فسجد لى و سجدت له. فقيل للفرزدق فى ذلك. فقال: كرهت ان يفضلى.

فنادى الأخطل: يا بنى تغلب هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلا كثيره. فلما أصبح فرقا ثم شخص.

و لج الهجاء و تكاوح الشر بين الثلاثه و ظلوا يتصاولون حتى اختطفت الأخطل منيته سنة ٩٢ هـ فكان من آخر كلماته:

اوصى الفرزدق عند الممات بام جرير و أعيارها

فلما بلغ الفرزدق خبره جزع لفقده و جعل يحن عليه و يقول: سأخذ بوصيه أخى ثم تشمر للدفاع عن تغلب:

أمسى لتغلب من تميم شاعر يرمى القبائل بالقصيد الأثقل

و خلا- الميدان ليجرى فيه الشاعران أشواطا كثيره فما اوقفهما إلا الموت. يهجو جرير الفرزدق بان أهله قيون (حدادون) و أن قومه خانوا الزبير بعد أن كانوا جيرانه و يهجو أيضا بجبنه و ضعفه.

أما الفرزدق فكان هجاؤه شديد الفحش و الأقداع كثير الغريب بعيدا عن أن يسير على الألسن. و كان يعير جريرا بشظف العيش و الفقر و بضعف أبيه عطيه فى المجتمع و بخله ثم يعيره بضعف بنى كليب و يربوع بالإضافه إلى دارم و مجاشع و هو كثير الفخر بنفسه فى معرض ذمه خصمه.

و قد ذكر بعض النقاد أن الفرزدق كان أشعر من جرير فى الهجاء لأنه أقواهما أسر كلام و اجراهما فى أساليب الشعر و أقدرهما على التطويل و أحسنهما قطعا.

و كذلك قدمه البحرى على جرير فى الهجاء أيضا من حيث المعانى و الأ-غراض و كان يقول: و جرير لا- يعدو فى هجائه الفرزدق ذكر القين و قتل الزبير و الفرزدق يرميه بكل آبه".

و من مشهور هجاء الفرزدق لجرير قصيدته:

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعم و أطول

و التى رد عليها جرير بقصيدته:

لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس و بين طلع الأعزل

هذا و قد مثلت النقائص جانبا من حياه القبائل الاجتماعيه و السياسيه فى العصر الأموى يقوم على المفاخره و التهاجى فاحيت بذلك ما كمن و توارى من نزعات الجاهليه.

و أصبحت بالتالى خير معرض لأيام العرب و أخبارها و مفاخرها و معايها.

و مع ذلك فإنها تخالف موروث الجاهليه. إذ كان الجاهليون يعبرون عن وقائع قائمه و معارك تراق فيها الدماء و يتنازعون نزاعا هم فيه ألسنه قبائلهم.

أما نقائص جرير و الفرزدق فكانت مفاخره و مهاجاه لا تبلغ أن تثير الأحقاد و تؤجج الأضغان لأنها لم تكن تلبيه لحروب و وقائع بل هى مهاده و مغالبه تروم ان تنتزع الإعجاب و تظفر بالتفوق و تسكت الخصم و كأنها كانت البديل لما كان يقوم فى الجاهليه من أيام و منازعات و خصومه. من هنا كثر فى النقائص الافتراء و الكذب حتى كان النقائص كانت تهدف إلى المغالبه الفنيه و الانتصار فى القول أكثر مما تهدف إلى أى غرض آخر. بل ربما كانت معارك يراد بها اللهو و التسليه.

و خلاصه القول ان النقائص صورت من الناحيه السياسيه النزاع على الخلافه بين الأمويين و خصومهم. و الشعراء الذين دخلوا فى هذا النزاع لم يدخلوه و هم يحملون عقيدته امويه أو زبيريه أو علويه و إنما دخلوه للتكسب فى الدرجه الأولى. حتى ان الشعراء الزبيريين انقلبوا بعد ذلك أمويين (لانتصار هؤلاء). و كذلك لم يتحوب الفرزدق - و كان يمثل العلويين - من أن يمدح بنى أميه. و كذلك الأخطل المسيحي فقد مدح ملوك بنى أميه مدائح اسلاميه الطابع. على ان نفرا قليلا من الشعراء لم يفعلوا ذلك فقد ظل الكميت العلوى على وفائه لآل البيت. و أما عمر بن أبى ربيعه فإنه لم ينغمس فى المناقضات قط.

من الناحيه الاجتماعيه تكشف لنا النقائص ان البداوه ظلت غالبه على المجتمع الأموى. فالشعر الأموى مملوء بالمفاخر الجاهليه و البدويه كالفخر بالأنساب و بأيام العرب و بالكلام على الثار. و ظل شعراء المناقضات حتى أواخر العصر الأموى يعدون الحياه الحضريه فى باب المعائب فالأخطل هجا الأنصار لأنهم زراعون و جرير ظل لآخر حياته يهجو بنى مجاشع لأنهم

قيون (حدادون) ذلك لأن القيانه و سائر الصناعات كان يقوم بها العبيد.

و لكن الشعر الأموى امتلاً أيضاً بالألفاظ الإسلاميه و الآراء الإسلاميه بما فى ذلك شعر الأخطل الذى رأى فى عبد الملك:

خليفه الله يستسقى به المطر...

اما ذكر جرير و الفرزدق للصلاه و الحج و اقتباسهما من القرآن الكريم فظاهران. و قد يكون الفرزدق و جرير قد شربا الخمر فعلا و لكنهما لم يصفاهما. بل ان جريرا كان يعير الفرزدق أحيانا بشربها.

من الناحيه اللغويه الخالصه حفظ شعراء النقااض اللغه العربيه صافيه كما كانت فى الجاهليه. فقد قيل لو لا الفرزدق لذهب ثلث اللغه. و قيل بل ثلثاها. و كذلك حفظوا لهذه الألفاظ جزالتها و استعملوا هذه الألفاظ لتدل على معانيها الصحيحه التى لم تكن شوهت بعد بالاختلاط بغير العرب.

فالألفاظ التى حفظت لنا فى النقااض إذن كانت كثيره و كان أكثرها غريباً متصلاً بالمعاني الجاهليه القديمه. بل لعل قسماً من ألفاظ النقااض كان أكثر غرابه من ألفاظ المعلقات. و كذلك إذا نظرنا فى التراكيب رأيناها متينه تجرى على الأسلوب العربى القديم حتى ليتمكن القول ان النقااض كانت مزيجاً من معان قديمه و جديده و لكن فى لغه قديمه.

من الناحيه الأدبيه كانت النقااض تقليداً واضحاً للمعلقات خاصه تقليداً فى شكل القصيده و فى كثره أغراضها و طول نفسها و فى كثير من خصائصها الأخرى كالفخر بالأنساب و الهجاء القبلى و النسب فى مطالع القصائد.

و مع أننا لا نعجب بالنقااض من الناحيه الخلقيه و الاجتماعيه فاننا لا ننكر أن شعراءها قد أضافوا إلى الشعر العربى فناً جديداً هو فن الشعر السياسى أو أنهم على الأصح قد وسعوا هذا الفن الذى ظهرت طلائعه منذ الجاهليه عند النابغه خاصه توسيعاً جعله فناً جديداً.

و النقااض قد قامت على التكسب بخلاف أكثر الشعر الجاهلى.

فشعراء النقااض لم يميلوا إلى حزب دون حزب بدافع المبدأ و العقيدته - كما هى الحال مع الشعراء العلويين بل مالوا إلى كل حزب كان يفيض عليهم العطايا.

فنونه الشعريه:

الفخر

الفخر: - لم يدع الفرزدق فناً من فنون الشعر الجاهليه التقليديه إلا تمرس به يافعا و شاباً و كهلاً بيد أن ما وافق عقليته منها كان الفخر خاصه فكاد يطغى على سائر الفنون و كادت آثاره تظهر فيها جميعاً من المدح إلى الرثاء إلى الهجاء إلى الوصف إلى

الغزل...

فخر الفرزدق بكرم أصله و نبل عنصره و تفوق قبيلته. يفتخر بقومه بنى تميم و بمجاشع و دارم ثم بأهله الأقربين: بجده صعصعه
محيى الموءودات و بابيه غالب الكريم و بامه و يفتخر بنفسه: بكرمه و بشاعريته.

و هو أفخر من صاحبيه جرير و الأخطل بل أفخر شعراء العصر الأموي كله.

و كأنه لم يكتف بكل هذه المفاخر فقد بلغ منه الزهو و الخيلاء كل مبلغ، و أى عجب أعجب من قصيدته التى فخر فيها على
معاويه و لم تتم له ثلاثون سنه. و هى تمثل خيلاء الشاعر و عجبه بنفسه و اعتداده بآبائه:

أ لست أعز الناس قوما و اسره و أمنعهم جارا إذا خيم جانبه

و ما ولدت بعد النبي و أهله كمثلى حصان فى الرجال يقاربه

و بيتى إلى جنب الثريا فناؤه و من دونه البدر المضىء كواكبه

و قد كثر فخره فلم تخل قصيده قالها فى مدح ملوك الأمويين أو ولا-تهم من فخره بنفسه. فلا عجب أن نرى الفخر فنه الأول
الذى برز فيه و علا حتى لا يدانيه فيه شاعر فى عصره. كان يفخر بمجاشع و دارم و تميم و كان يفخر ببني ضبه أخواله و أخذ
يفخر بعد بخندف و الخلفاء و النبوه و انتهى إلى الفخر بمضر جمعاء: قيس و خندف.

و من أفانين فخر الفرزدق بسخائه ان يسلك طريق الحكايه و القص بخيال جميل مبتكر و أسلوب هادئ سهل تغريك سهولته.
انه يصف قوما جياعا لقيهم يصطلون و تبلغ الحكايه ذروتها حين اقبل المصطلون ذوو اللحي:

و قالوا أ و هل من فتى مثل غالب و اياى بالمعروف قائلهم عنى

و يلبي الفرزدق النداء فينحر ناقته و تنتهى الحكايه:

فبات لأصحابى و أرباب منزلى واضيا فهم رسل و دفء و مشتوى

و لون آخر سلكه الشاعر فى التحديث بسخائه هو ما قصه من استضافه الذئب و إطعامه و انه لإحساس انساني رفيع أن يشاطر
الشاعر ذئبه مطعمه:

فقاسمته نصفين بينى و بينه بقيه زادى و الركائب نعس

و عدده رفيقه فى سفره و تمنى لو باستطاعته ان يزيد فى إكرامه:

و لو انه إذ جاءنا كان دانيا لألبسته لو انه كان يلبس

و اننا لا نفع كثيرا على أمثال هذا الشعر الجميل بنفحته الإنسانيه.

الهجاء

أول شعر قاله الفرزدق ربما كان فى الهجاء و يكاد هجاؤه يشارك فخره فى الإخلاص. و له روعه مؤثره فى نتاجه بما يمدده من سمو العاطفه الفخريه و بما يسمو به من الاعتداد بالنفس و بالماثر حتى يصبح طبيعيا ان يتكبر الشاعر على مناظره فيراه دميما صغيرا فيهبط عليه بالأقذاع اللثيم الأليم. و إذا بالهجاء يمتلك شخصيه الشاعر كما امتلكها الفخر فيندغمان.

فلا- يفخر الشاعر بنفسه و بقومه إلا- ازرى بخصومه و بقبائلهم. و لا- يهجو جريرا أو غير جرير إلا جنح إلى الفخر. و قد بلغ من تغلغل الهجاء فى عقلية انه عند ما دفع إلى الإقلاع عنه بعامل التوبه كان مفرعه إلى الهجاء نفسه فانتقل من هجو الناس إلى هجو إبليس. و قد اتى الفرزدق الحسن (البصرى) فقال: انى قد هجوت إبليس فاسمع. فقال لا حاجه لنا بما تقول. قال: لتسمعن أو لأخرجن فأقول ان الحسن ينهى عن هجاء إبليس.

فقال الحسن: اسكت فانك عن لسانه تنطق.

و ملفت للنظر ان قصائد كثيره من هجاء الفرزدق تناولت جريرا و رهطه من كليب و كأنه لم يكتف بالنقائض و ان مضت هذه القصائد على غرار النقائض فى المعانى و ان لم تكن تساويها طويلا. بل ربما قلت أبياتها حتى تبلغ البيت و البيتين و الثلاثه يثبت فيها الشاعر صورته مرت بخاطره فلم يشأ أن يفلتها. و الأقذاع و الفحش فى هجائه جريرا لا يقصران عنهما فى النقائض.

و يبدو ان شاعره كلييه نتصرت لجرير فبالغ الفرزدق فى تعريتها بصور فيها الهزاء و الإضحاك إلى جانب الأقذاع و الفحش.

و قد بلغ غايه الأقذاع فى هجاء خوله الدحاحيه الفقيمييه التى كانت

ترجز به و تعين عليه الأشهب. فما سمعت تشهير الفرزدق بها قالت: لا ارى الرجال يذكرون منى مثل هذا فعاهدت الله ان لا تقول بيت شعر أبدا.

و أكثر اهاجى الفرزدق فى فترته الأولى قصيره فيها البيتان و فيها الثلاثه و قد تبلغ الأربعه و الخمسه. و أهاجيه على قصرها لاذعه تؤدى غرضها و تصيب هدفها. و لوجوده قصار الفرزدق قال فيه الجاحظ: انك لم تر شاعرا قط يجمع التجويد فى القصار و الطوال غيره.

نال الفرزدق من سيد بنى نهشل يزيد بن مسعود و هزئ بالأشهب.

و تبادل الفرزدق و الأشهب النقائض فى تهاجيهما فكانت اولى تجارب الفرزدق فى هذا الفن.

و استعان الفرزدق فى طوال أهاجيه بما وعته حافظته من ذكر المثالب و المآثر و الأيام و كان حافظا واسع الروايه يتتبع الأخبار و يتقصى الآثار و يتثبت من مواطئ قدميه و هو ينظم أهاجيه ليتقدم ثابت الخطا لا- تزى به قدم. حتى قال الجاحظ فى وصف الفرزدق: و هو راويه الناس و شاعرهم و صاحب اخبارهم. و قال يونس: لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس.

و قارع الفرزدق مسكين بن عامر أحد بنى عبد الله بن دارم الذى رثى زيادا عند ما مات فانبرى له الفرزدق و عرض به و نال منه و هجا زيادا لطلبه إياه و اخافته له.

ثم نشبت بينه و بين شعراء قيس فى أعقاب مقتل قتيبه بن مسلم الباهليسنه ٩٦ هـ معارك هجائيه و بينه و بين الطرماح بن حكيم الطائى عقب مقتل يزيد بن المهلب ١٠٢ هـ.

و كان الفرزدق يحسن انتقاء اللفظه الداله و الصوره المعبره ليؤدى ما يريد من مبالغه:

إذا لبست قيس ثيابا سمعتها تسبح من لؤم الجلود ثيابها

و قد يرمز الفرزدق إلى ما يريد من فحش رمزا فيه خبث و مهاره كقوله فى هجاء باهله:

ما الباهلى بصادق لك وعدة و متى تعدك الباهليه تصدق

و كانت معركة الفرزدق و الطرماح آخر المعارك و كان الفرزدق قد طعن فى السن و آثر أن ياوى إلى الظل و لعله فى هذه الفتره كان قد أعلن توبته و عاهد ربه:

على قسم لا اشتتم الدهر مسلما و لا خارجا من فى سوء كلام. و لم يقتصر هجاء الفرزدق على الشعراء و قبائلهم بل كان له نوع ثان من الهجاء عرض فيه للولاه و الأمراء و القواد و أشراف الناس فقد عرض بابنى الزبير مصعب و عبد الله تقربا إلى بنى مروان. و هجا المهلب بن أبى صفره و ابنه يزيد و قومهما من الأزد. و هجا خالد بن عبد الله الأموى و الى البصره و أخويه أميه و عبد العزيز. و هجا الحجاج بن يوسف بعد موته و قتيبه بن مسلم الباهلى و عمر بن هبيره الفزارى و خالد بن عبد الله القسرى و اليا

و مالك بن المنذر بن الجارود العبدى والى الشرطه فى البصره.

و قد سلك الفرزدق فى هذا الهجاء طريقين مختلفين سار فى أحدهما على خطى نهجه الأول فهو يهجو ردا لإهانته نالته أو اساءه لحقت به فيتسم هجاؤه بالتعرض للمهجو فى نفسه و فى قبيلته.

أما طريقه الثانى فهو الهجاء السياسى الاجتماعى يندفع اليه الشاعر استجابته لملازمات السياسه. فإذا عرض بابن الزبير نعتة بالكذاب كما كان ينعتة بنو أميه و رماه بالإلحاد كما كانوا يرمونه و بمعان مستمدة من النزاع الذى نشب حول الخلافه و ما كان يحتج به بنو أميه من ثبوت حقهم فى الخلافه.

كما تتراءى الصور الإسلاميه فى هجاء الفرزدق حين يعرض لابن الأشعث و ثورته حيث يتحدث عن الحق و الباطل و الضلال و الهدى و يتمجد بذكر أولياء الله من بنى أميه و اختار الله منهم لعباده و خلافته عبد الملك إماما. و هذا اللون من الهجاء السياسى و الاجتماعى يمثل القيم الجديده التى ثبتها الإسلام و التى غيرت فى حياه الناس و عقائدهم.

الغزل و النسيب

كان فى طبع الفرزدق ميل إلى اللهو و المتعه تستهويه مغازله النساء و مفاكهنه و أتاح له الفراغ و الجاه ان يقضى شيئا من ماربه. و كانت قصص امرئ القيس و أحاديثه و أشعاره من أول ما وعاه. و يبدو انه أثر فيه تأثيرا بعيدا و لقى من نفسه استجابته. فقد كان الفرزدق مع طلب المتعه و إثارة اللذنه يحب ان يحدث بذلك و يعلنه فعل امرئ القيس. كان يؤثر الفضيحه و يسعى إليها غير آبه للفروق الكبيره التى فرقت بين عصره و عصر قدوته امرئ القيس.

و عند ما تعرف إلى المرأه الحضريه التى أخذت بضروب الأدب و أتقنت فن الحديث و مطارحه الشعراء أحسن وصف هذه المرأه التى أعجبه و لها و نعمتها و حسن تغنيها.

و على طريقه امرئ القيس يروى لنا مغامرته مع امرأه متزوجه من رجل من أهل المدينه ليبدل على مقدرته فى إغراء المرأه و شده تصببه لها. و لكن حب الشاعر لنفسه و إثارة إيهاها كاد يجعل حديثه مقصورا على ما اتى به.

و لم يضع على لسان المرأه ما يصف عواطفها و شغفها به كما هى الحال مع امرئ القيس و عمر بن أبى ربيعه.

و يصف لنا الفرزدق العديد من مغامراته الغراميه التى كان يخرجها مخرج القصص الغزلى الماجن لا يتأثم من شىء و لا يهمه الأخذ بأدب أو خلق، فيفيض بتلك الأوصاف القصصيه التى لا تخلو من فن على ما فيها من تعهر يحول بين الذوق و قبولها فضلا عن استساغتها و الإعجاب بها.

و نسيب الفرزدق تقليدى اجمالا ياتى فى مطالع القصائد و هو جاف خشن بعيد عن حسن التعبير ذلك لأن الفرزدق ماضى فى شهواته بعيد عن الذوق الشعري و العاطفى و الإنسانى إلا- صوراً لا- ينبو الذوق عنها جمله. و الغريب اننا لا نجد للفرزدق مع

استهتاره بالنساء و كثره مغامراته أبياتا حلوه فى النسيب. و تجدر الإشاره هنا إلى أن خصائص الفرزدق الفنيه من غرابه الكلمات و تعقيد التركيب أحيانا و الميل إلى فخامه الكلام لا تعير نفسها للاجاده فى الغزل و النسيب.

أما غزل الفرزدق خاصه فغزل بدوى يشبه ما يتطلبه طرفه بن العبد لا ما تطمئن به نفس عمر بن أبى ربيعه: انه تعبير عن الحاجه إلى المرأه من غير اهتمام بمحاسنها.

و للفرزدق قصائد فيها شبه قصص كما فى شعر امرئ القيس و عمر و لكن فيها أيضا خلاعه و استهتار و إقذاع. و هذا ما تنبه له ابن سلام الذى قال: من الشعراء من كان و يتعهر فى جاهليته و لا يبقى على نفسه و لا يتستر منهم امرؤ القيس و منهم الأعشى. و كان الفرزدق أقول أهل الإسلام فى هذا الفن.

الوصف

وصف الفرزدق بدوى قليل فى ديوانه و ان كان هو كثير التشايبه و الاستعارات و وصفه حسى فى الأكثر ففيه قصص قليل.

ص: ٣٠٠

و لم يفرد الفرزدق قصائد خالصة للوصف بل كان وصفه مندرجا في تضاعيف قصائده شانه شان كبار المصورين من أمثال النابغه الذبياني في الجاهليه و ذى الرمه في الإسلام الذين درجوا على أن يكون الوصف جزءا في بنیان القصيده يسلم إلى غايه و يؤدي غرضا من أغراض الشاعر في قصيدته متبعين تقاليد الفن التي رسخت قواعدها و تحدد بها بنیان القصيده و اجزاؤها و وحدتها.

وصف الشاعر ناقته التي تحمله إلى ديار حبيته و كثرت صور الإبل و الخيل و الصحراء و ما يتصل بها من صور واجهته في رحلاته التي تحمل مشاقها و واكبتها صور أخرى تصف البحر و الفرات و الجيوش بفرسانها و الحرب و الأسد و الحيه.

و قد اشتهر الفرزدق بقصيده قالها في وصف الذئب و فيها تصوير جميل معجب يمثل سنه الحياه في الصحراء حيث لا تراحم و لا هدنه و إنما هي المغالبه و التراحم ليفوز الأقوى.

و تغدق الصحراء الشحيحة على الفرزدق صورا غايه في الروعه و الألق لعل من أجملها ما صور به القطا يسعى وراء الماء في الحر اللاهب يريد ان يروى ظمائه و ظمافراخه التي تتقلب على أحر من الجمر و قد كاد الظما يقتلها.

و إذا أنت أمام هذه الصورة الرحيمه تمثل لك القطا تمج ما في حواصلها لتسقى الفراخ العطشى:

و يدعو القطا فيها القطا فيجيبه توائم أطفال من السبب المحل

دوارج اخلفن الشكير كأنما جرى في ماقها مراود من كحل

يسقين بالموماه زغبا نواهضا بقايا نطاف في حواصلها تغلي

تمج اداوى في اداوى بها استقت كما استفرغ الساقى من السجل بالسجل

و استغل الفرزدق فن الوصف للتحديث بجوده و سخائه و انه يعطى المعتفين و يقرى الضيفان و يجبر خله الأرامل.

و يبدو نمطا فريدا في شعر الفرزدق وصفه الدر و الغواص فقد استفتح الفرزدق نقيضته ذات الأكارع في هجاء بنى جعفر بن كلاب متغزلا بجبيره النهشليه و ذكر محاسنها و أسلمه الحديث إلى تشبيهها بالدره ففتح له باب القول يصف الدر و ما لقي غواصها في سبيلها. فقد رمى بنفسه في لجه بحر مهيبه تهول من رآها آملا في الفوز بها. و كان قلبه يضطرب خوفا من أن تناله الحيه الخرساء الموكله بحفظ الدر كما نالت من قبله. و قد عجز المنذرون ان يصدوه. كان مصمما أن يدرك الغنى أو يلاقى الموت و لما رأى الدر اليتيمه زاد تصميمه و أيقن انه الموت أو دنيا ينادى بشيرها.

و أهوى لينتزع الدر التي يحميها نابا الأفعى فلم ينج من عضه سمها زعاف و سريع سورته لا يجدى فيه ترياق فقضى بين يدي اساته و لما أخبرت أمه بموته و رأت الدر التي ظفر بها هان وجدها لما أملت من الغنى:

كدره غواص رمى في مهيبه باجرامه و النفس يخشى ضميرها

موكله بالدرد خرساء قد بكى اليه من الغواص منها نذيرها

فقال الآتى الموت أو أدرك الغنى لنفسى و الآجال جاء دجورها

و لما رأى ما دونها خاطرت به على الموت نفس لا ينام فقيرها

فأهوى و ناباها حوالى يتيمه هى الموت أو دنيا ينادى بشيرها

فألقت بكفيه المنيه إذ دنا بعضه أنياب سريع سئورها...

فلما أروها أمه هان وجدها رجاء الغنى لما أضاء منيرها

وانه لوصف تخلله القص و الحكاويه و هو فن من فنون الفرزدق التى تفوق فيها و أحسن اصطناعها فى الوصف و الغزل و الهجاء فكان فيها عنصرا هاما هيا للشاعر ان يتفوق و يفتن فيما عرض له.

و يجيد الفرزدق وصف البادية بما فيها و لقد اشتهر عنده وصف البرد و الريح و الثلج.

المدح

اتخذ الفرزدق المدح وسيله إلى التكسب من هنا خرج مديحه عن الإخلاص. مدح الأمويين لكثرة المال لديهم. غالى فى مدح بنى أميه على قدر ما كان ينتظر من نوالهم حتى قال ما خالف مذهبه. فأثبتت حقهم فى الخلافة و بذل ماء وجهه فى سبيل عطاياهم. دافعه الأساسى للمديح مصلحته الماديه أو مصلحه قبيلته. و إلى هذا مرد ذاك الاضطراب البادى فى مدائح الفرزدق بين الأمويين و أبناء الزبير، بل بين من تتابع من الولاة على البصره و الكوفه كابناء المهلب و الحجاج و خالد القسرى و غيرهم. و لم يجد غضاضه فى أن يمدح ثم يهجو كما فعل فى شان الحجاج و لا فى ان يهجو ثم يمدح كما فعل فى شان هشام بن عبد الملك.

و إذا كان ديوان الأخطل يدلنا على المناحى العامه فى سياسه الأمويين الداخليه فان فى ديوان الفرزدق دلائل وافره على تأثير هذه السياسه فى ميول الحكام و سكان المدن فوق ما فيه من إشارات إلى بعض الأخلاق الإداريه و الاجتماعيه كانتشار الرشوه بين الحكام و عاده بعض الولاة فى اختلاس اموال الدوله و عنف غيرهم فى جبايه الضرائب. يذكر ذلك شاكيا متوجعا محتجا أحيانا باسم قومه و أبناء عشيرته أو بلدته مطالباً بالإصلاح و التعويض.

و للفرزدق فى آل البيت ع مدحه واحده قالها فى الامام زين العابدين على بن الحسين ع و هى قصيده متينه جميله تفيض رقه و إخلاصا و صدقا.

و لها قصه مؤثره أجمعت المصادر القديمه على روايتها و هى القصيده التى مطلعها:

هذا الذى تعرف البطحاء وطاته و البيت يعرفه و الحل و الحرم

و هي من أشهر قصائد الفرزدق على الإطلاق.

و كان من سيئات مديح الفرزدق عند الممدوحين و بعض النقاد انه كان يدخل الفخر بآبائه في قصائد المديح: و بمثل هذا غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق. و ذلك انه استنشده لينشده فيه أو في أبيه (عبد الملك) فأنشد مفتخرا عليه.

الرتاء

الرتاء قليل في ديوان الفرزدق. لأن طبيعه الفرزدق ماديه بعيده عن العاطفه التي تخلقها المعاشره و المساكنه.

ص: ٣٠١

و رثاء الفرزدق نوعان: نوع شخصى يرثى فيه أباه و أبناءه. و لا نبالغ إذا قلنا انه مدرجه للفخر ليس غير. و نوع رسمى يرثى فيه أرباب السلطان كسليمان بن عبد الملك و بشر بن مروان و الحجاج و أخيه و ابنه و لهذا النوع صفه المديح فى أكثره إلا ما نراه فى رثائه لبشر بن مروان. و لمحمد بن العاص من مظاهر العاطفه المخلصه.

أضف إلى ذلك ان صلابه شعره و فخامه ألفاظه لا تعير نفسها للثناء.

و هو و ان أظهر التجلد و التأسى فى رثاء أولاده خاصه فإنه قليل المبالاه بموت النساء و لو كن زوجاته. و لقد اشتهر ان النائحات نحن على امرأته النوار بشعر جرير.

و بعد فانا لا نملك إلا ان نعد الفرزدق متخلفا فى هذا الفن. و لكنه ليس التخلف الذى يبدو فيه بدعا ذلك بان الفحول الثلاثه فى العصر الأموى:

الأخطل و الفرزدق و جريرا لم يبرزوا فى هذا الفن على تفاوت فيما بينهم.

"كان الأخطل أكثرهم تخلفا و كان جرير سابقهم. و الفرزدق بين بين".

الخصائص العامه

لشعر الفرزدق

أول ما يبدو لقارئ ديوان الفرزدق سعه معجمه و اثراؤه. و مقدره الشاعر أن يجول فى ميادين شتى لا يعجزه ما طبع عليه من جزاله الكلم و شده أسره: لقد قوى على معجم العرييه فترأت فى أشعاره الألفاظ و الصيغ التى قل استعمالها فبعثها الفرزدق من مرقدتها لتتالق فى شعره.

كان يجد فى إحيائها احياء المعنى نفسه لا يؤديه سواها و لعله كان يرى فى نقل صياغه بعضها أو ضخامه أصواتها و خشونه جرسها معينا لما يريد أن يوحى به من معان أو ما يفئته من ظلال. و كان يجرؤ على الاشتقاق و التضمين و مغايره المألوف ليؤدى معناه و يضم إلى ذلك جرأه فى اصطناع المجاز يتجاوز به المتعارف الذى درج عليه القول. و تناقلته الألسن. فحفظ هذا كله اللغويين ان يسارعوا إلى شعره يستمدون منه الدليل و الشاهد.

و نتيجة لذلك. أطبق النحاه و اللغويون على نعت الفرزدق بالتعقيد و مداخلة الكلام. فهذا الشاعر الفذ كان يلتوى عليه القول أحيانا فيخالف نظام الجملة و يفلت منه النسق المألوف فى ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى فيقع له من التقديم و التأخير فى مواضع الكلم ما يفسد المعنى. كان يهجم على المعنى فإذا استقام له لم يبال بصيغه ألفاظه اقتدارا منه على الشعر و اعتدادا بنفسه. فقد كان يحمل فى حناياه من الزهو و الغطرسه و التعالى ما نأى به ان يعود لقوله فيرتب ألفاظه و يقرب بعيدة و يقيم مناده.

فكان هذا التمرد فى نظم الجملة صدى لتمرد فى نفس الشاعر و جموح فى طبعه و إحساسه انه وريث الجاهليه فى فضائلها و

خلقها و فى لسانها و بيانها فهو يتعالى ان يعود لما قال فيهدب حواشيه.

و لكن النحاه لم يقصروا اهتمامهم على جانب التعقيد فى شعر الفرزدق بل توفروا على جانب آخر من شعره حظى منهم بعنايه أشد و دراسه أطول فقد استمدوا من شعره شواهد كثيره أيدوا بها ما أصلوه من قواعد، و فسح لهم فى مجال الأخذ أن الفرزدق المحيط باسرار العربيه الخبير بطرائق شتى فى التعبير قد ضمن أشعاره فنونا من القول قل استعمالها و نزر و بدت للنحاه غريبه نادره فانعكس ذلك كله فى شواهدهم التى تدرجت من العام المتعارف المألوف إلى الطريف النادر لا يقوى عليه إلا القله من الفصحاء الأبيناء و غصت كتبهم باشعار الفرزدق و أكثروا منها اكثارا لا نجده لشاعر آخر.

و قد كان تعقيد الفرزدق و شذوذه النحوى مثار جدل بين الرواه و الأدباء فمن مدافع عنه رافع لشأنه و من مهجن لشعره. و حفظت لنا كتب الأدب العديده من هذه المجالس الجدليه. فقد تذاكر عامر و مسمع ابني عبد الملك ابن مسمع - و كانا من أشرف بكر بن وائل و رواتهما و نسايبها - الفرزدق و جريرا و كان عامر يقدم جريرا و يفضله و كان مسمع يقدم الفرزدق و يحتج له. فتباحثا فى أمرهما. فأخذ عامر يقدم جريرا و يحتج على الفرزدق بما عقد من شعره. فقال أخوه: أنت يا أخى لا تعقل تسقط الفرزدق بما عقده من شعره شىء تمتحن الرجال فيه عقولها حتى يستخرجوه و سقط جرير عى.

قال الفرزدق الشعر زهاء ثمانين عاما لم تخب قريحته و لم يتوقف.

و ديوانه الباقي لا يوازيه غزاره شعر ديوان شاعر من الجاهليين و الإسلاميين.

و مضى الفرزدق على غلوائه يجرى فرأى انه وريث الشعراء الماضين و الحفيظ على تراثهم الفنى. و دفعه الزهو و خيلاء الشعر ان يتعالى على الأقدمين و يدعى التفوق عليهم:

قصائد لم يقدر زهير و لا ابنه عليها و لا من حولوه المخبلا

و لم يستطع نسج امرئ القيس مثلها و أعيت مراقبيها لييدا و جرولا

و نابغتي قيس بن عيلان و الذى أراه المنايا بعض ما كان قولا

فأول ما يلفت النظر فى شعر الفرزدق خصب معانيه و غزارتها و تنوعها.

عمق المعانى و تدققها و قدره الشاعر على الافتنان فيها و التجديد تدل على سمتين من سمات الشاعر: عمق الفكره و توقد نفسه. عمق الفكره يبسط أمامه رقعه أوسع ينفذ فيها إلى ما لا ينفذ فيه غيره و توقد النفس يرفده فى المقامات و المناقضه حيث يكون للذكاء الكلمه الأولى و للبديهه و الارتجال الموقف الفاصل.

هذا الغنى فى المعانى يتصل به قدره الفرزدق على الإفاضه فى معناه.

انه يتناول المعنى من جوانب عده حتى يستوفيه. و فى سبيل استيفاء المعنى كثر عند الفرزدق ارتباط الأبيات و هو ما يسميه

العروضيون: التضمين. و قد جعلوه عيبا من عيوب الشعر.

و كان لسعه معارف الشاعر و وفرتها و تنوعها أثر اسعف الفرزدق ان تغزر معانيه و ان يفتن فيها و ينوع و تجلى ذلك فى صور شتى: ظهر فى أشعاره الأمثال و الحكم يستمدّها من معارفه أو يكونان صدى تجاربه و ما عاناه فى هذه الحياه. و قد أوحى له الموت بطائفه من حكمه المتناثره!

ارى كل حى ميتا فمودعاو ان عاش دهرالم تنبه النوائب

و كان للقرآن و الدين و مجالس الفقهاء و الوعاظ أثر فى حكمته بارز فهو يوصى المرء بحسن العمل و التزود للآخره قبل أن يدهمه الموت. و هو يعلنك بقدره الله الشامله و عجز الإنسان الضعيف تجاهها و ما ينتظر الإنسان يوم البعث و الحساب:

ألا كل شىء فى يد الله بالغ له أجلا عن يومه لا يحول

و ان الذى يفتقر بالله ضائع و لكن سينجى الله من يتوكل

و يرضى بالقدر و يستسلم لحكمه و قضائه:

و ليس بمحبوس عن النفس مرسل إليها إذا نفس أتاها حمامها

و من معانيه الدينيه حديثه عن اليمين اللغو و تخليد القاتل فى النار و أن

ص: ٣٠٢

الفتنه أكبر من القتل. وقد استقى صوراً قرآنيه كنسج العنكبوت و أشار إلى قصص القرآن كقصه يونس و بقره موسى و ناقه صالح و غرق فرعون و خروج آدم من الجنة و كثر في شعره القسم بالهدى و بالكعبه و بخليل الرحمن..

و قد كان لهذه الثقافه الدينيه أثرها و تيقظها حيناً بعد حين كما حدث له عند ما مدح الامام زين العابدين ع بقصيدته الرقيقه الصادقه المشبعه بالروح الدينيه الصافيه.

و مع ذلك فان الفرزدق ظل الأمين الحفيظ على تراث الجاهليه و أخلاقها و فضائلها. و كان يجاهر باعرايته و بداوته لا يخفى ذلك و لا يستره:

و انا أهل بادية و لسنا بأهل دراهم حضروا القرارا

و كان من ذلك أن كثر في مدائحه و مفاخره تغنيه بالمثل و الفضائل العرييه الجاهليه. و كان هجاؤه معرضاً لأوصاف الذم التي عابها الجاهليون. فهو يفخر بنيل الثار و يعير من رضى الديه كفاء دمه:

كلوا ما جمعتم من ديات فإنهم بنو محصنات لم تدينس ثيابها

و لقد اوتى الفرزدق قدره على تضمين الأخبار في شعره و قدره على القص حتى قيل: لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس.

و كذلك أوتى براعه في السخرية و مهاره في عرض صور هازله تستثير الضحك و قد مضى في هذا المضممار شوطاً بعيداً يدل على أصاله و موهبه.

و تجلت هذه الموهبه في أهاجيه لجرير بشكل خاص. و ياتى له تشاييه بذئنه غايتها الافحاش المضحك.

و أسلوب الفرزدق جزل قوى شديد التلاحم و ثيق الاتصال بنفسه المتعاليه المزهوه. و له قدره مميزه على الارتجال و التجويد في آن معا كما في قصيدته التي مدح بها الامام زين العابدين و ان كانت الأخبار تدل على أن الشعر لا يواتى الشاعر في كل وقت. يقول الفرزدق: انا أشعر الناس عند الناس و لربما كان قلع ضرس من أضراسى أهون على من قول بيت.

و قد أفتن الفرزدق في استخدام التشبيه و الاستعاره و الكنايه و ان كان يستمد أكثر صورته من حياه الباديه.

و تجلى في أسلوب الفرزدق الجزل المتلاحم مقدره الشاعر على الإيجاز و تضمين المعنى الكثير في اللفظ القليل و لذلك قدر الفرزدق ان يكون أكثر الثلاثة الفحول بيتاً مقلداً. و البيت المقلد: المستغنى بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل: فمن ذلك قوله:

فيا عجباً حتى كليب تسنى كان أباهاً نهشل أو مجاشع

و قوله:

و كنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

و يتصل بهذا مقدره الشاعر على اختيار اللفظ الدال على المعنى حتى لا يقع لفظ آخر موقعه.

و يتجلى فى شعر الفرزدق ما يميل اليه الشاعر من إثارة التهويل على سامعه و المبالغه ليبلغ ما يريد له معانيه من التضخيم.

و قال بعض النقاد فى المفاضله بين الفرزدق و جرير و تبيان الوجوه الفنيه التى تفوق فيها الفرزدق: الفرزدق أشعر لأنه أقواهما أسر كلام و اجراهما فى أساليب الشعر و أقدرهما على تطويل و أحسنهما قطعاً" (القطع: القافيه). و قالوا فى الموازنه بينه و بين جرير أيضا: أما ما كان يميل إلى جزاله الشعر و فخامته و شدة أسره فيقدم الفرزدق و أما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين و إلى الكلام السهل الغزل فيقدم جريرا.

و قد تناثرت فى أشعار الفرزدق ألوان من محسنات البديع دلت على مهاره الشاعر. و كان الطباق أكثر ألوان البديع التى اصطنعها كما اصطنع الجناس و لكن جرى وراء أسهله و أقله كلفه و هو الجناس الذى يعقده المرء بين اسم العلم و مشتق منه بجانسه من مثل قوله:

جفاف أجف الله عنه سحابه و أوسع من كل ساف و حاصب

و فى كتب البلاغه طائفه من أشعاره هى أمثله لما أتى به الفرزدق من هذين اللونين من ألوان البديع: الطباق و الجناس. كما ذكروا له ألوانا بديعيه اخرى كرد الإعجاز على الصدور و الاستشهاد و الاحتجاج و الاستطراد و الحشو الحسن. و يكفى الفرزدق قول خصمه جرير: نبعه الشعر الفرزدق.

وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي

مر ذكره فى الصفحه ٢٧٤ من المجلد العاشر، قيل فيها عنه ان ابن رسته عده فى الأعلاق النفيسه من الشيعة.

و قد ترجم له الذهبى فى (سير اعلام النبلاء) ترجمه مفصله قال عنه فى مطلعها بأنه محدث العراق و أحد الاعلام. و ان ممن حدث عنه أحد شيوخه سفيان الثورى، و أن والده كان ناظرا على بيت مال الكوفه و له هيبه و جلاله و أنه من بحور العلم و أئمه الحفظ.

كما نقل عن احمد بن حنبل بان مولده كان سنه ١٢٩.

و كذلك فان مما أورده الذهبى عنه: انه لما مات سفيان الثورى جلس وكيع موضعه، و ان حماد بن زيد رجحه على سفيان. و انه كان يصوم الدهر و يختم القرآن كل ليله، و انه مع هذا كان ملازما لشرب نبيذ الكوفه الذى يسكر الإكثار منه، فكان متأولا فى شربه و لو تركه تورعا لكان اولى.

و انه عرض عليه القضاء فامتنع، و انه حدث بدمشق فاخذ عنه هشام بن عمار و ابن ذكوان، قال احمد بن أبي خيثمه: حدثنا محمد بن يزيد، حدثني حسين أخو زيدان قال: كنت مع وكيع، فأقبلنا جميعا من المصيصة أو طرسوس، فأتينا الشام، فما أتينا بلدا الا استقبلنا واليها، و شهدنا الجمعة بدمشق، فلما سلم الامام أطافوا بوكيع فما انصرف إلى أهله يعنى إلى الليل. قال فحدث به مليحا ابنه، فقال: رأيت في جسد أبي آثار خضره مما زحم ذلك اليوم. و قال محمد بن سعد: كان وكيع ثقة مأمونا عاليا رفيعا كثير الحديث حجه.

و قال محمد بن خلف التيمي: أخبرنا وكيع قال: أتيت الأعمش فقلت: حدثني، قال: ما اسمك؟ قلت: وكيع. قال: اسم نبيل، أين تنزل من الكوفة؟ قلت: في بني رؤاس. قال: أين من منزل الجراح بن مليح؟ قلت: ذاك أبي، و كان على بيت المال، قال لي: اذهب فجنني بعتائي، و تعال حتى أحدثك بخمسه أحاديث. فجئت إلى أبي فأخبرته، قال: خذ نصف العطاء و اذهب، فإذا حدثك بالخمسه فخذ النصف الآخر حتى تكون عشره، فأتيته بنصف عطائه فوضعه في كفه و قال: هكذا؟ ثم سكت. فقلت: حدثني، فاملئ على حديثين، فقلت: وعدتني بخمسه. قال: فأين الدراهم كلها؟ أحسب ان أباك أمرك بهذا، و لم يدر أن الأعمش مدرب و قد شهد الوقائع؟ اذهب فجنني بتمامه، فجننته، فحدثني بخمسه، فكان إذا كان كل شهر جننته بعتائه، فحدثني بخمسه أحاديث.

قال قاسم بن يزيد الجرمي: كان الثوري يدعو وكيعا و هو غلام فيقول:

يا رؤاسي تعال، اى شىء سمعت؟ فيقول: حدثنى فلان بكذا، و سفيان يتبسم و يتعجب من حفظه.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفه فى زمان وكيع أفقه و لا أعلم بالحديث من وكيع، و كان جهبذا سمعته يقول: ما نظرت فى كتاب منذ خمس عشره سنه الا فى صحيفه يوماء، فقلت له: عدوا عليك بالبصره اربعه احاديث غلطت فيها. قال: و حدثتهم بعبادان بنحو من ألف و خمسمائه، اربعه احاديث ليست بكثيره فى ذلك.

قال محمد بن عمران الأخنسي: سمعت يحيى بن يمان يقول: نظر سفيان إلى عيني وكيع فقال: لا يموت هذا الرؤاسي حتى يكون له شان، فمات سفيان، و جلس وكيع مكانه. قال الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم يوما:

ما دام هذا التنين حيا - يعنى وكيعا - ما يفلح أحد معه.

قال ابن عدى: حدثت عن نوح بن حبيب عن عبد الرزاق، قال: رأيت الثوري و ابن عيينه و معمرا و مالكا، و رأيت و رأيت، فما رأيت عيناى قط مثل وكيع.

و قال بشر بن موسى: سمعت احمد بن حنبل يقول: ما رأيت قط مثل وكيع فى العلم و الحفظ و الاسناد و الأبواب مع خشوع و ورع. قلت: يقول هذا احمد مع تحريه و ورعه، و قد شاهد الكبار مثل هشيم و ابن عيينه و يحيى القطان و أبى يوسف القاضى و أمثالهم.

و قال صالح بن احمد: قلت لأبى: أيما اثبت عندك، وكيع أو يزيد؟ فقال: ما منهما بحمد الله الا ثبت، و ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، و لا أشبه من أهل النسك منه، و لم يختلط بالسلطان.

قال قتبيه: سمعت جريرا يقول: جاءنى ابن المبارك فقلت له: يا أبا عبد الرحمن من رجل الكوفه اليوم؟ فسكت عنى ثم قال: رجل المصرينو كيع.

و بعد ان يروى الذهبى عن وكيع جميع ما مر، ينقل عن ابنه سفيان برنامجه اليومى قائلا:

عن سفيان بن وكيع. قال: كان أبى يجلس لأصحاب الحديث من بكره إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف، فيقبل، ثم يصلى الظهر و يقصد الطريق المشرعه التى يصعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم، فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلى العصر، ثم يجلس يدرس القرآن و يذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله، فيقدم اليه إفطاره، و كان يفطر على نحو عشره أرتال من الطعام (بالرطل البغدادي الذى وزن ٣٧٥ غراما تقريبا). ثم تقدم اليه قرابه فيها نحو من عشره أرتال من نبيذ، فيشرب منها ما طاب على طعامه، ثم يجعلها بين يديه، ثم يقوم فيصلى و رده من الليل، كلما صلى شيئا شرب منها حتى ينفذها، ثم ينام!! و عن شربه النبيذ يقول الذهبى: و مع هذا فكان ملازما لشرب نبيذ الكوفه الذى يسكر الإكثار منه فكان متأولا فى شربه، و لو تركه تورعا لكان اولى به، فان من توقى الشبهات فقد استبرأ لدينه و عرضه، و قد صح النهى و التحريم للنبيذ المذكور، و ليس هذا موضع هذه الأمور، و كل أحد يؤخذ من قوله و يترك، فلا قدوه فى خطا العالم، نعم، و لا

يؤبخ بما فعله باجتهاد، نسال الله المسامحه.

و عن تشيعة يروى الذهبي: سئل احمد بن حنبل: إذا اختلف وكيع و عبد الرحمن بن مهدي بقول من نأخذ؟ فقال: نوافق عبد الرحمن أكثر و خاصة فى سفیان، كان معنيا بحديثه، و عبد الرحمن يسلم منه السلف، و يجتنب شرب المسكر، و كان لا يرى ان يزرع فى ارض الفرات. (انتهى).

و الشاهد فى قوله: (عبد الرحمن يسلم منه السلف).

ثم يتابع الذهبي قائلا: مر قول احمد: إن عبد الرحمن يسلم منه السلف، و الظاهر ان وكيعا فيه تشيع يسير لا يضر ان شاء الله، فإنه كوفى فى الجملة، و قد صنف كتاب فضائل الصحابه، سمعناه قدم فيه باب مناقب على بن عثمان.

و يروى الذهبي: قال حنبل بن إسحاق: سمعت ابن معين يقول:

رأيت عند مروان بن معاوية لوحا فيه أسماء شيوخ: فلان رافضى، و فلان كذا، و وكيع رافضى. فقلت لمروان: وكيع خير منك، قال: منى؟ قلت نعم، فسكت، و لو قال لى شيئا لو ثب أصحاب الحديث عليه. قال فبلغ ذلك وكيعا، فقال: يحيى صاحبنا، و كان بعد ذلك يعرف لى و يرحب.

و عن تورعه يقول الذهبي: قال محمد بن على الوراق: عرض القضاء على وكيع فامتنع. قال محمد بن عامر المصيصى: سألت احمد:

وكيع أحب إليك أو يحيى بن سعيد؟ فقال: وكيع، قلت كيف فضله على يحيى، و يحيى مكانه من العلم و الحفظ و الإتقان ما قد علمت؟ قال: وكيع كان صديقا لحفص بن غياث، فلما ولى القضاء هجره، و إن يحيى كان صديقا لمعاذ بن معاذ، فلما ولى القضاء لم يهجره يحيى.

و عن منزله وكيع يروى: وكيع فى زمانه كالأوزاعى فى زمانه. و يروى عن احمد بن حنبل: كان وكيع امام المسلمين فى زمانه.

و من طريف ما يرويه عن شربه النبيذ: قال إسحاق بن بهلول: قدم علينا وكيع فنزل فى مسجد الفرات، و سمعت منه، فطلب منى نبيذا فجئته به، و أقبلت اقرأ عليه الحديث، و هو يشرب، فلما نفذ ما جئته به، أطفأ السراج، قلت: ما هذا؟ قال: لو زدتنا، زدناك...

و قال أبو سعيد الأشج: كنت عند وكيع فجاءه رجل يدعوه إلى عرس، فقال: أ ثم نبيذ؟ قال: لا. قال: لا نحضر عرسا ليس فيه نبيذ، قال:

فانى آتيكم به:

"قال جعفر الطيالسى: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت رجلا يسأل وكيعا، فقال: يا أبا سفیان، شربت البارحة نبيذا فرأيت فيما يرى النائم كان رجلا يقول: شربت خمرا. فقال وكيع: ذلك الشيطان!..

و فى مقابل ما رواه الذهبى عن تشييعه فقد روى انه: يفتى بقول أبى حنيفه، و كان قد سمع منه كثيرا، و انه يقول: الجهر بالبسملة بدعه. و انه يقول: من شك أن القرآن غير مخلوق فهو كافر، و انه يقول: من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم انه محدث، و من زعم أن القرآن محدث فقد كفر.

و قد عرض و كيع نفسه مره للموت حين روى ان النبى ترك بعد موته يوما و ليله حتى ربا بطنه و انثت خنصره. فأنكر قوم عليه هذا القول لاین جسد النبى بعد موته لا- يجرى عليه - برأيهم - ما يجرى على أجساد سائر الناس، فرفعوا الأمر إلى والى مكه فحبسه و عزم على قتله، و نصبت خشبه خارج الحرم لصلبه عليها، و لم تنفع شفاعة سفيان بن عيينه فى إنقاذه، لو لا ان سفيان هول على الوالى قائلا: انى لك ناصح، هذا رجل من أهل العلم و له عشيره، و ولده بباب أمير المؤمنين، فتشخص لمناظرتهم.

فعمل فيه كلام سفيان فأمر باطلاقه، فارتحل عن مكه.

فكتب أهل مكه إلى أهل المدينه بالذى كان من و كيع، و قالوا إذا قدم عليكم فلا تتكلوا على الوالى، و ارجموه حتى تقتلوه، فعرض أهل المدينه

ذلك على سعيد بن منصور و بلغه الذى هم عليه، فبعث بريدا إلى وكيع ان لا ياتى المدينه و يمضى من طريق الربذه، و كان قد جاوز مفرق الطريقين، فلما أتاه البريد، رد، و مضى إلى الكوفه.

توفى وكيع سنه ١٩٧ فدفن بفيد راجعا من الحج. و قد عاش ثمانى و ستين سنه. هذا و لا بد من القول: ان ابن رسته فى كتابه (العلاق النفيسه) عد و كيعا من الشيعه كما تقدم.

أبو عباده الوليد بن عبيد الطائى البحتري

اشاره

مر الحديث عنه فى المجلد العاشر، و نضيف إلى ما هنالك الدراسه الآتية مكتوبه بقلم: الدكتور محمد العبد حمود كانت ولادته فى منبج من أعمال الشام، و فى روايه اخرى فى قريه بالقرب منها اسمها زردفته. و هو يصف منبج إذا تحدث عنها بأنها وطنه و كانت له فيها ضياع و رثها فيما يظهر لابنه ثابت الذى عاصر الإصطخرى.

اختلفت الروايات فى تحديد السنه التى ولد فيها هذا الشاعر ففى بعضها انه ولد فى السنه الخامسه بعد المائتين و فى البعض الآخر انه فى السنه السادسه بعد المائتين و هو ما عليه أكثر الروايات. و قد انفردت دائره المعارف الإسلاميه وحدها بجعل تاريخ ولادته سنه ٢٠٤ هـ.

و كما اختلف المؤرخون فى تحديد عام ولادته اختلفوا كذلك فى تعيين عام وفاته فقول انه عام أربعه و ثمانين و مائتين و قيل عام خمسه و ثمانين و قيل عام ثلاثه و ثمانين و رجح ابن خلكان القول الأول.

و قد اعتمدت هذا التاريخ معظم المراجع الحديثه.

و كما اختلفوا فى عام وفاته اختلفوا فى مكان وفاته فقول يرون انه مات بمنبج و آخرون على انه مات بحلب و رجح ابن خلكان القول الأول.

نسبه و أسرته

البحتري قحطانى من جهه أبيه إذ انه ينتسب إلى طيى الذى ينتهى نسبه بكهلان من قحطان و عدنانى من ناحيه أمه التى تنتسب إلى شيبان و هى قبيله ينتهى نسبها بيكر بن وائل من ربيعه.

أما ان أباه من طيى فقد عرفناه من التاريخ و من شعره الكثير مثل قوله مفتخرا:

ان قومي قوم الشريف قديما و حديثا: ابوه و جدودا

ذهبت طيى بسابقه المجد على العالمين بأسا و جودا

فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا

و أما ان أمه من شيبان فلم يحدثنا عنه التاريخ و إنما عرفنا به البحترى حين قال:

أ عمرو بن شيبان و شيبانكم أبى إذا نسبت أمى و عمركم عمرى

و كان الكهلانيون يسكنون بلاد اليمن حتى إذا أصابهم سيل العرم خرجوا من بلادهم يرتادون المواضع التى تصلح لسكنائهم و كان منهم طيى الذين اختاروا النزول بجوار بنى أسد. ثم غلبوا هؤلاء على جبلى أجا و سلمى و استقروا بهما. و هما جبلان فى الشمال الشرقى من المدينة. و ظل الطائيون بجبلى أجا و سلمى حتى كان الإسلام. و كان إسلامهم على يد الامام على بن أبى طالب ع إذ بعثه الرسول (ص) بسريه إليهم.

عاش الطائيون فى منازلهم هذه حتى جاءت الفتوح الإسلاميه فافترقوا فى الحجاز و الشام، و العراق. و كان لهم بطون كثيره منهم بنو بحتر آل شاعرنا البحترى الذين نزلوا سقى الفرات فى منبج.

و قد اشتهر من قبيله طيى طائفه غير قليله حفظ التاريخ أسماءهم فمنهم حاتم الطائى الذى يضرب المثل بجوده إلى اليوم و منهم عدى بن حاتم و زيد الخيل الذى لقبه الرسول زيد الخير. و منهم أوس بن حارثه بن لام الطائى أحد الذين يضرب بهم المثل فى الجود. و منهم أبو تمام الشاعر المشهور و أستاذ البحترى.

أما شيبان بن ثعلبه، قبيله أمه فينتهى نسبه ب بكر بن وائل أحد بطون ربيعه التى قسمتها العصبية إلى فروع أهمها بكر و تغلب ابنا وائل.

و قد اختار بنو بكر الأرض التى تجاور اليمامة و البحرين إلى كازمه و أطراف العراق مسكنا لهم. فكانوا مجاورين لبنى أسد و طيى. و لكن المنافسه بينهم و بين بنى تغلب كانت على أشدها حتى بعد الإسلام، و ان كانوا يتناسونها أحيانا.

و كان البحترى يتخذ ربيعه كلها أخواله و ياسى ان وقعت الحرب بين بطونها:

أسيت لأخوالى ربيعه إذ عفت مصايفها منها و أقوت ربوعها

انتقل بعض البكرين مع الفتوح الإسلاميه إلى ان استوطنوا سقى الفرات حول منبج و ما جاورها.

هذا و من قبيله شيبان جماعه حفظت الروايه العرييه أسماءهم فمنهم جساس بن مره قاتل كليب وائل و بسطام بن قيس فارس بنى شيبان فى الجاهليه. و منهم عوف بن محلم الذى يقال فيه: لا حر بوادى عوف.

و مع اننا لا نعرف شيئا عن آبائه المباشرين إلا بعض ما ذكره فى شعره مفتخرا:

و إذا ما عددت يحيى و عمرا و أبانا و عامرا و الوليدا

و عبيدا و مسهرا و جديا و تدولا و بحترا و عتودا

لم أَدع من مناقب المجد ما يقنع من هم ان يكون مجيدا

ذهبت طيئ بسابقه المجد على العالمين بأسا و جودا

و يقول:

جدى الذى رفع الأذان بمنبج و أقام فيها قبله الصلوات

و أبى أبو حيان قائد طيئ للردم تحت لوائه المنصات

و ولى فتح الجسر إذا أغرى به عمرو و فاعل تلکم الفعلات

و خئولتى فالخوفزان و حاتم و الخالدان الرافدان حماتى

إذ لم يكن شرف المناسب يشتري بالمال فى اللأواء و اللزبات

و إذا كان من الجائز أن الشاعر حين يفتخر بأبائه يزيد من قدرهم و يعظم

ص: ٣٠٥

من أمرهم فإنه لا يستطيع أن يخلق شيئاً من لا شيء. و ينسب إليهم الشرف من غير أن يكون لهم من الشرف نصيب. و بالتالى فإنه يمكن القول ان أجداد البحترى كان لهم نصيب من المجد فى قومهم هيا للبحترى مجال الفخر بهم. و لعل جده كان من قواد المسلمين يوم فتحوا منبج و أخذوها من أيدي الروم. و لسنا نعرف هذا الجد الذى رفع صوته بالأذان فى منبج.

اسمه و كنيته و لقبه

سمى بالوليد و اشتقاقه من الولادة ظاهر و إياه عنى المعرى بقوله:

و قال الوليد: النبع ليس بمثمر و أخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

و يشير المعرى هنا إلى قول البحترى:

و غيرتنى سجال العدم جاهله و النبع عريان ما فى فرعه ثمر

و للوليد كنيان: أبو عباده و أبو الحسن. و نشك فى انه اكتنى بكنيتين عند ولادته و أغلب الظن ان والده كناه بواحد فما هى كنيته الأولى؟ و لم رغب فى أن تكون له كنيه ثانيه؟ تقول بعض الروايات انه كان يكنى أبا عباده و لما دخل العراق تكنى أبا الحسن ليزيل العنجهيه و الأعرابيه و يساوى فى مذاهبه أهل الحاضره و يقرب بهذه الكنيه إلى أهل النباهه و الكتاب من الشيعة. فلما اتصل بالمتوكل و هو يكره الشيعة و يضطهدهم أشير على البحترى أن يتكنى بكنيته الأولى و هى أبو عباده ففعل حتى أصبحت أشهر كنيته و بها عرف.

و تقول روايه أخرى ان كنيته الأولى كانت أبا الحسن فلما اتصل بالمتوكل غيرها إلى أبى عباده. و إلى هذا نميل نحن لما عرف من محبه البحترى الصادقه للعلويين. و أبو الحسن كنيه الإمام على بن أبى طالب ع كما هو معروف.

و أما الاسم الذى اشتهر به فى عالم الأدب و استتر تحت شهرته اسمه و كنيته فهو البحترى هذه النسبه التى تدل على انه من عشيره "بحتر" من قبيله طيى التى كثيرا ما فاخر بمحامدها أو نسبه إلى "بحتر" جده الثانى عشر إذا صحت سلسله نسبه أو للسببين معا. و البحتر فى اللغة معناه: القصير، المجتمع الخلق. و لسنا ندرى مقدار حظ جده من هذه التسميه. فهل كان قصيرا مجتمع الخلق؟ أو كانت التسميه من باب الأضداد؟ أو كانت مطلق تسميه لم يلحظ فيها معنى الوصفيه بل أريد الدلاله على الذات فحسب؟

نشأته

نشأ البحترى و تعلم فى منبج. و الغالب انه تربى كما كان يتربى نشء المسلمين حينئذ فهم يحفظون القرآن ثم يضيفون اليه حفظ شىء من الشعر و النثر البليغين و تعلم أحكام الدين. ثم إذا ترعرع الفتى اختلف إلى علماء بلده فاخذ عنهم شيئا من علوم اللغة و أخبار الفتوح و المغازى و أيام العرب و أنسابهم. و قد كان للباديه أثر مميز فى نشأه البحترى.

و يبدو أن أول من اتصل به من الشعراء هو أبو تمام. و بعض الروايات التى تتحدث عن أول لقاء لهما أقرب إلى الأساطير منها

إلى الواقع كتلك القصة التي تحدثت عن قصيده قالها البحترى فى مديح محمد بن يوسف الثغرى - و كان أبو تمام حاضرا و البحترى لا يعرفه - فادعاها أبو تمام لنفسه و صدقه الأمير لو لا أن يعود أبو تمام عن قوله.

و العلاقة بين الشاعرين أصبحت أكثر من جيدة إذ خاطبه أبو تمام بعد أن عرف انه من طي: لوددت ان كل طائيه تلد مثلك و قبل ما بين عينيه و ضمه إلى صدره و قال لمحمد بن يوسف: قد جعلت له جائزتي. فأمر الأمير لهما بجائزتين.

و أخبار العلاقة الجيده بين الشاعرين مبثوثة فى حنايا كتاب الأغاني.

و قد يرتاب شاك فى صحه بعض هذه الروايات أو كلها و يرى لأنصار شاعرنا حينا و أنصار أبى تمام حينا آخر إصبعاً فى اختلاقتها و وضعها رغبه فى رفع من يتعصبون له. و لكن ذلك لن يحول بيننا و بين الاعتراف بما كان بين الشاعرين من صادق الحب و الوداد خاصه فى غياب أیه روايه تظهر عكس ذلك.

هذه العلاقة بين البحترى و أبى تمام هى التى جعلته يتبرم بباقي شعراء عصره و يعدهم أصحاب قريحه مضطربه و معان مستحيله فيرثى أبا تمام و دعبلا الخزاعى بقوله:

قد زاد فى حزنى و أوقد لوعتى مثنوى حبيب يوم مات و دعبل

و بقاء ضرب "الخثعمى" و شبهه من كل مضطرب القريحه مهمل

أهل المعانى المستحيله ان هم طلبوا البراعه بالكلام المقفل

اتصل البحترى إذن بدعبل كما يدل عليه هذا الشعر. و لكن اتصاله به لم يكن فى وثاقه اتصاله بأبى تمام. و يبدو ذلك من قله الأخبار التى رويت عن اتصالهما بالنسبه إلى اخبار اتصاله بأبى تمام. و لسنا ندرى أ كانت العلاقة بينهما علاقة استاذيه من دعبل للبحترى أو علاقة صداقه فحسب.

و الواقع ان العلاقة القويه بين الشعراء الثلاثة تقوم على ما كان يربط بينهم من التشيع و الولاء لآل البيت.

حبه علوه

أثناء رحله قام بها البحترى إلى حلب تعرف على غاده فتن بها اسمها علوه. و يذكر بروكلمان فى معرض التذليل على شهره البحترى و ديوع شعره بين المتأخرين أن أهل حلب فى المائه الخامسة للهجره عرفوا قبر حبيبته علوه.

و قد حفظ لنا البحترى فى شعره بعض أوصاف لها خرجت من قلب مغرم:

هل دين علوه يستطاع فيقتضى أو ظلم علوه يستفيق فيقصر

بيضاء يعطيك القضيبي قوامها و يريك عينها الغزال الأحور

تمشى فتحكم فى القلوب بدلها و تميس فى ظل الشباب و تخطر

و تميل من لين الصبا فيقيمها قد يؤنث تاره و يذكر..

أحب البحترى علوه و لسنا ندرى السبب الذى من أجله حيل بينه و بين الزواج منها، غير انه من المرجح انه قد نعم معها بأيام سعيدة كان يستريح لذكراها و يستعيدھا فى الحين بعد الحين. و لم تنسه حياه الرفاهيه و النعمه التى عرفھا فى ظلال المتوكل و الفتح بن خاقان أيامه الحلوه معها و بقى حنينه قويا إلى الشام و حلب:

قل للسحاب إذا حدثه الشمال و سرى بليل ركبہ المتجمل

ص: ٣٠٦

عرج على حلب فحيى محله مانوسه فيها لعلوه منزل...

احنو إليك و فى فؤادى لوعه و أصد عنك و وجه ودى مقبل

و إذا هممت بوصل غيرك ردى و له إليك و شافع لك أول

و يقول فى وصف أوقات سعادته بالوصال:

الأم على هواك و ليس عدلا إذا أحببت مثلك ان ألما

لقد حرمت من وصلى حلالا و قد حلت من هجرى حراما

أعبدى فى نظره مستثيب توخى الهجر أو كره الآثما

ترى كبدا محرقه و عينا مؤرقه و قلبا مستهما

تئات دار علوه بعد قرب فهل ركب يبلغها السلاما

و ربت ليله قد بت أسقى بعينها و كفيها المداما

قطعنا الليل لثما و اعتناقا و أفنيناها ضما و التزاما

و قد علمت بانى لم أضيع لها عهدا و لم اخفر ذماما

لئن أضححت محلتنا عراقا مشرقه و حلتها شاما

فلم أحدث لها إلا ودادا و لم ازدد بها إلا غراما

و واضح ما فى هذه الأبيات - و سواها من الأبيات الواردة فى الديوان - من مشاعر حب رقيقه إزاء علوه.

و مع ذلك فاننا إذا رجعنا إلى نسيب البحترى وجدناه يذكر فيه غير علوه، زينب و سعاد و سلمى و ليلى و أغلب ان هذه الأسماء

كان يرمز بها الشاعر إلى حبيبته علوه أو دفعه إلى استخدامها ضرورات القافية و التصريح أو مجرد اقتفاء آثار الأقدمين.

هذا و قد تزوجت علوه من رجل كان صديقا للبحترى يدعى "الذفافي" فقال يهجو:

أبلغ ذفافينا رساله مشتاق أسر الشكوى و أعلنها

رب غداه للقصف فى حلب يجنى ضحى و ردها و سوسنها

لله أزماننا بعلوه ما أطيّب أيامها و أحسنها

نبثتها زوجت أخا خنث أغن رطب البنان لينها

تروم إخوانها و يمنعها منهم لقد ساءها و أحزنها

لو شاء لا بوركت مشيته بلغها بالطلاق مأمنا

و إذا تجاوزنا قصه حبه هذه فى محاولة لتلمس الظروف التى طبعت نشاته أمكننا الافتراض بالاستناد إلى المصادر التى بين أيدينا ان البحترى نشا فى ظل أبوين لم يكونا من ذوى اليسار و أن مخايل النجابه قد بدت عليه و هو فى ريعان الصبا فاستهواه الشعر فمال اليه و عالجه و هو فتى و قصد به أول ما قصد باعه البصل و الباذنجان و من لف لفهم يمدحهم و ينشدهم فى ذهابه و إياه.

كان البحترى فى مطلع حياته كثير الأسفار و التطواف فجاب عددا من المدن السورىه و زار الأهواز و العراق و قيل انه قصد مصر أيضا قام بكل ذلك قبل أن يلقي عصا ترحاله فى الحاضره العباسيه سامراء. و الحق أن البحترى كان دؤوبا شديد العزم قوى الهمه واسع الآمال و فى شعره كثير من الإشارات التى تنبئ عن ذلك:

و قائله و الدمع يصبغ خدها رويدك يا ابن الست عشره كم تسرى

فقلت: أحق الناس بالعزم و السدى طلاب المعالى صاحب الست و العشر

سأخبط وجه الدهر و الليل أو أرى تمزق ثوب الليل فى وضح الفجر

و أوثر عنى فى المهامه و الفلا على قرب عرسى فى "السواجير" أو اثرى

شخصيته و أخلاقه

ليس لدينا ما يشفى الغليل و يرسم لنا صوره البحترى و أغلب الظن ان وجهه و جسمه لم يكن بهما قبح و لا عاهه ظاهره. يمكننا استنتاج ذلك من هجاء معاصره ابن الرومى و الذى كان بارعا فى التهكم باصحاب الخلق الممسوخه فإنه لم يجد ما يقوله فى البحترى سوى انه كان ذا لحيه طويله:

البحترى ذنوب الوجه نعرفه و ما رأينا ذنوب الوجه ذا أدب

فلو كان به عيب فى وجهه أو جسمه أو مشيته لأكثر ابن الرومى من الهجاء به.

و إذا كان لنا ان نعتمد على شعره فان فيه ما يوحى لنا بأنه كان نحيفا:

فان تلقنى نضو العظام فإنها جريره قلبى منذ جرت على جسمى

و يقول:

حملت معالمهن اعباء البلى حتى كان نحولهن نحولى

و تذكر بعض المصادر عن الأغاني انه كان من أوسخ خلق الله ثوبا و آله و أبغضهم انشادا و أكثرهم افتخارا بشعره حتى ليروى عنه أنه كان إذا أنشد شعرا قال لمستمعيه: لم لا تقولون أحسنت؟ هذا و الله و ما لا يقدر أحد أن يقول مثله! و نحن نشك في قضيه ثيابه الوسخه إذا علمنا انه كان يجالس ملوك بنى العباس و كبار الوزراء و الأعيان الذين ينفرون و لا ريب من الثياب الوسخه.

و أبرز ما يميز البحترى عظيمه قويه دفعته إلى التجواب و السفر سعيا وراء المجد و الغنى. فلم يكن للبحترى مدينه واحده يقصدها و لا قطر بعينه يتجول فيه و لكنه يرحل و لا يطمئن به المقام إلا حيث يجد المال الكثير

ص: ٣٠٧

و الحظ الجزيل و هنا تكون تلك البلده حبيبه اليه:

و أحب آفاق البلاد إلى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب

عقيدته البحترى هذه فى الرزق جعلته يشرق فى البلاد و يضرب و يجوب أرجاء قسم كبير من المملكه الإسلاميه و كان طموحا لا يرضى بالقليل:

تقاذف بى بلاد عن بلاد كانى بينها جمل شروء

عشرون قصرها الصبا و أطالها ولع العتاب بهائم لم يعتب

امسى زميلا للظلام و اغتدى ردفا على كفل الصباح الأشهب

فأكون طورا مشرقا للمشرق الأقصى و طورا مغربا للمغرب

و إذا الزمان كسائك حله معدم فالبس لها حلال النوى و تضرب

و لقد أبيت مع الكواكب راكبا اعجازها بعزيمه كالكوكب

و الليل فى لون الغراب كأنه هو فى حلوكته و ان لم ينصب

و هو لا يرى القناعه فى المجد و الغنى فضيله بل يرى الفضيله فى الأقدام و مواجهه الصعاب:

ما زال لى من عزمتى و صريمتى سندا يثبت و طاتى أن تدحضا

لست الذى ان عارضته ملمه ألقى إلى حكم الزمان و فوضا

كما كان البحترى متفائلا لا يرى البلاء قدرا لا فكاك منه بل يؤمن بان مع العسر يسرا و أن شده الدهر عما قليل تنجلي:

هل الدهر إلا غمره و انجلاؤها وشيكا و إلا ضيقه و انفراجها

تقضى الهموم لم يلبث طروقها زماعى و لم يغلق على رتاجها

و كان عارفا بقدر نفسه مغرورا بشعره و يظهر ذلك جليا فى معاملته لممدوحيه و فخره بنفسه يقول لأحد ممدوحيه أحمد بن ثوابه:

و اعلم ان السبل ما فاجاتكمو بزور من الأقوام مثلى و لا وفد

يعزز ذلك ما ذكر عنه من تشدقه فى إلقاء شعره و قوله للحاضرين: قولوا أحسنت! قضيه اخرى فى شخصيته كانت مثار جدل

هى بخله فقد ذكر البعض انه من أبخل خلق الله و ذكروا انه كان له أخ و غلام معه فى داره فكان يقتلها جوعا حتى إذا بلغ منهما الجهد أتياه بيكيان فيرمى إليهما بثمان أقواتهما مضيقا مقترا و يقول لهما مع ذلك: كلا- أجاج الله أكبادكما و أطال أجهادكما! و الطريف ان هناك من يذهب إلى ان البحترى لم يكن بخيلا- بل كان مبذرا أحيانا. و أنه لو كان بخيلا لما فاتت هذه الصفه ابن الرومى و لكان ذكرها فى هجائه للشاعر إضافة إلى افتخاره فى شعره بكرمه و جوده.

و كما كان بخله موضع اختلاف كذلك أثرت قضيه مدى وفائه. يقول احمد بن طاهر: ما رأيت أقل وفاء من البحترى و لا أسقط. رأيت قائما ينشد أحمد بن الخصيب مدحا له فيه فحلف ليجلس. ثم وصله، و استرضى له المنتصر و كان غضبان عليه. ثم أوصل له مديحا اليه و أخذ له منه مالا فدفعه اليه. ثم نكب المستعين أحمد بن الخصيب بعد فعله هذا بشهور فلعهدى به قائما ينشده:

لابن الخصيب الويل كيف انبرى بافكه المردى و إبطاله

يا ناصر الدين انتصر موشكا من كائد و مغتاله

فهو حلال الدم و المال و ان نظرت فى باطن أحواله

ثم قال ابن أبى طاهر: كان ابن العليج كان فقيها يفتى الخلفاء فى قتل الناس نزحه الله ثم ختم القصيده بقوله:

فالرأى كل الرأى فى قتله بالسيف و استصفاء أمواله

فى الوقت الذى يجمع النقاد على اعتبار مراثى البحترى أجود من مدائحه. و يروى ان البحترى سئل فى ذلك لأن عهد الناس ان تفضل المدائح المراثى معللين ذلك بما أجاب به بعض الشعراء و قد سئل عن ضعف مراثيه فقال: كنا نعمل للرجاء و نحن اليوم نعمل للوفاء و بينهما بعد.

أما البحترى عند ما سئل عن جوده مراثيه على مدائحه فقد أجاب بان من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح.

و بعد فهل كان البحترى وفياء؟ أما أنا فأؤكد ذلك و الدليل انه كان يذكر النعم التى نالها من ممدوحيه فيجيد رثاءهم و يسجل مآثرهم و ان شئت فقرأ رثاءه لأبى سعيد و ابنه يوسف و آل حميد و المتوكل. و أن قوه اتصاله بالمعتر ابن المتوكل دليل وفاء لأبيه الراحل. و إذا كان البحترى قد اضطر إلى أن يتصل بأناس يبدو أن اتصاله بهم يعارض سمه الوفاء ففى مهنته عذر يدفعه إلى هذا النهج من الحياه.

من أخلاق البحترى أيضا الشجاعه. و قد يشارك فى المعارك كما كان يفعل تحت رايه أبى سعيد الثغرى محمد بن يوسف و ابنه يوسف بن محمد و يصور لنا ذلك فى شعره:

و انا الشجاع و قد بدا لك موقفى "بصقر قس" و المشرفيه شهدي

و رأيتنى فرأيت أعجب منظر رب القصائد فى القنا المتقصد

أسرته

قضى البحترى طفولته فى منبج. ثم مضى يضرب فى الآفاق باحثا عن حظه حتى استقر أخيرا فى سرمن رأى و ربما كان يختلف إلى منزله بمنبج فى الحين بعد الحين. فلما ولى المعتز استوطن العراق ثانيه و عاش فى حاشيته و يدلنا على ذلك انه طلب مره إلى المعتز أن يأذن له فى الذهاب إلى الشام مده شهرين فقط يزور فيهما أهله و يصلح أمر ضيعته إذ قال:

هل أطلعن على الشام مبعجلا فى عز دولتك الجديد المونق

فأرم خله ضيعه تصف اسمها و الم ثم بصبيه لى دردق

شهران ان يسرت اذنى فيهما كفلا بالغه شملى المتفرق

و تزوج البحترى فى سن لا نعرفها و أنجب ولدا سماه يحيى كان شديد

ص: ٣٠٨

التعصب لأبيه و شعر أبيه. و أنجب يحيى هذا ولدين أحدهما عبيد الله و الثانى أبو عباده يقول عنهما ابن خلكان انهما كانا رئيسين فى زمانهما قصدهما المتنبى و مدحهما و لعل الثروه التى آلت إليهما من جدتهما هى التى وضعتهما بمركز الرئاسة.

و استئذان البحترى من المعترز يجعلنا نرجح ان الشاعر لم يكن يصحب زوجه و ولده فى رحلاته.

و كان للشاعر خدم و غلمان. و قد توسل بأحد هؤلاء و يدعى نسيم بطريقه فريده للحصول على المال. فهو يغرى إخوانه بشراء هذا العبد ثم يشكو فراقه بحراره حتى يعاد اليه.

عقيدته

كان البحترى فى ظاهر أمره يتشيع لبنى العباس و يظهر خلافتهم حقا لا مريه فيه و قد يغالى فى ذلك حتى يعد غير مسلم ذلك الذى لا يعتقد ولايه العباسيين و خلافتهم و لو صام و صلى فالخلافه حق للعباسيين و وراثه ما تنزع و رثوا فخرها و شرفها من عم النبي العباس.

و هو لذلك مبتهج كل البهجه برجوع الأمر إلى العباسيين لأن الحق عاد إلى نصابه بينما استقر الهوان فى بنى مروان:

و أنتم بنو العباس عم محمد يمين قریش إذ سواكم شمالها

و قد سرنى ان الخلافه فيكم مخيمه ما أن يخاف انتقالها

لكم إرثها و الحق منها و لم يكن لغيركم إلا اسمها و انتحالها

و ان بنى حرب و مروان أصبحوا بدار هوان قد عراهم نكالها

يفضون ابصارا مغیظا ضميرها و يخفون الحاظا مينا كلالها

ذلك ظاهر أمره فهل كانت عقيدته مطابقه لهذا الظاهر أو كان يسر غيرها و يظهرها؟ هذا السؤال يطرحه الدكتور أحمد بدوى و يرى مشروعیه طرحه فى كون الكثير من الناس أيام ملك بنى العباس يؤمنون باحقیه العلويين فى الخلافه حيث كان كثير من كبار رجال الدوله يؤمنون بخلافه العلويين و يقدمونهم و ان كان الجميع يظهرن التشيع لبنى العباس.

أما اجابته على السؤال فتتضمن تأكيدا على أن البحترى كان جادا فى عقيدته العباسيه إذ لو أن الخلفاء عرفوا فيه نزعه علويه لأقصوه عنهم.

و لا يرى حرجا باعتبار مظاهر تشيع البحترى على انه لم يكن "ناصيا": فانا لم نعثر فى شعر البحترى أيام المتوكل على ما يدلنا انه خاض فى على و سبه... بل لعله يتألم لما أصاب العلويين فى ذلك العهد (أيام المتوكل) من اضطهاد و عنف حتى إذا جاء المنتصر و رد الحقوق مدحه البحترى بذلك و مضى يعدد الأسباب و الدواعى التى توجب عليه تقريبيهم لأنهم قرابته بل أشقاؤه. بل كان يحنو على بنى بنى طالب و يعظمه و يراه أولى الناس بالخلافه بعد رسول الله يدلنا على ذلك روح قصيدته فى

المنتصر.. و انه هجا الحسن بن رجاء الذى ذم على بن أبى طالب فقال له البحرى:

يا سواتا من رأيك العازب و عقلك المستهتر الذاهب

ان وقفت سوقك أو اكسدت بضاعه من شعرك الخائب

أنحيت كى تنفقها زاريا على على بن أبى طالب

و يقول من قصيده لمحمد بن يوسف:

كنا نكفر من اميه عصبه طلبوا الخلافه فجره و فسوقا

و نقول: تيم قربت و عديها امرا بعيدا حيث كان سحيقا

و نلوم طلحه و الزبير كليهما و نصف الصديق و الفاروقا

فأنت تراه يعدد الأمويين عصبه كافره فاجره و يجد أبا بكر و عمر قد ظفرا بما لم يكونا ليظفرا به و يلوم طلحه و الزبير لخروجهما على بيعه على.

و الطريف انه ما من شيعى يستطيع إثبات تشيع البحرى بحجج أبلغ مما تقدم. الطريف هو فى الاستنتاج الذى توصل اليه الدكتور بدوى من أن البحرى يدين بعقيدته أهل السنه التى منها الايمان بالقضاء و القدر - و كان الشيعة لا يؤمنون بذلك! - بل و يراه سنيا يخوض لجه الدفاع عن عقيدته!..

صاحب أعيان الشيعة ينقل عن عبد الجليل الرازى أستاذ ابن شهر آشوب المازندرانى: البحرى من شعراء الشيعة و كان خصيصا بدعبل الخزاعى و من اصدقائه كما فى كتاب اكتفاء القنوع و غيره، ذكر ذلك فى ترجمه البحرى. و خلوص دعبل فى التشيع مشهور و إكرام أبى تمام (و كان شيعيا) للبحرى أيضا كذلك. و يظهر من الشيخ أبى عبد الله أحمد بن عياش فى كتابه (مقتضب الأثر فى إمامه الأئمه الاثنى عشر) ان البحرى و أبى الغوث الطهوى كانا فى عصر واحد و كانا من الشيعة الاثنى عشرية لكن البحرى يمدح الملوك و أبى الغوث يمدح آل الرسول. و ذكر قصيده لأبى الغوث فى مدح الأئمه من آل محمد الاثنى عشر قال كان البحرى أبو عباده ينشدها و تلك القصيده لا يمكن أن ينشدها إلا من كان من الاماميه منها:

ينابيع علم الله أطواد دينه فهل من نفاذ ان علمت لأطواد

نجوم متى نجم خبا مثله بدا فصلى على الخابى المهيمن و البادى

هم حجج الله اثنتى عشره متى عددت فثنانى عشرهم خلف الهادى

و إذا عدنا إلى شعره وجدنا إشارات تدل على تشيعه رغم الاضطهاد الشديد للشيعة من قبل ملوك بنى العباس و الذى عبر عنه

شاعر شيعى بالقول:

يا ليت ظلم بنى مروان دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار

على الرغم من جور العباسيين و عسفهم فالبحترى لم يدع متنفسا يستطيع التعبير فيه عن عقيدته المكبوتة إلا و أفاد منه. يهجو
على بن الجهم الشاعر لا لشيء إلا لأنه كان ناصبيا يعادى آل البيت:

إذا ذكرت قريش للمعالى فلا فى العير أنت و لا النفير

و ما رعتانك الجهم بن بدر من الأقمار ثم و لا البدور

ص: ٣٠٩

لأيه حاله تهجو عليا بما لفقت من كذب و زور

و علي بن الجهم هذا كان من ندماء المتوكل الذي كان البحترى أثيرا لديه و صاحب حظوه عنده و أعتى ملوك بني العباس
علي الشيعة إلى حد انه أمر بهدم قبر الحسين ع.

و الذي حرك البحترى علي هجاء هذا الشاعر هو التشيع.

و ما يمكن أن يستدل به علي تشيعه موقفه من المنتصر بن المتوكل.

و المعروف عن المنتصر انه كان ينكر علي أبيه كرهه لعلى بن أبي طالب.

و ربما كان بعض الندمان يفيض في ثلب علي فينكر المنتصر ذلك و يتهدده و يقول للمتوكل: ان عليا هو كبير بيتنا و شيخ بني
هاشم فان كنت لا بد ثالبه فتول ذلك بنفسك و لا تجعل لهؤلاء سييلا إلى ذلك.

و مع ان البحترى بقى و فيا للمتوكل حتى بعد وفاته، و مع ان المنتصر شارك في مقتل والده فان البحترى مدح المنتصر بقصيده
واحدة هي أقرب ما تكون في مدح العلويين منها في مدح هذا الملك العباسى لا لشيء إلا لأنه أعاد بعضا من حقوق العلويين
إليهم و رفع عنهم الاضطهاد الذي كان مسلطا عليهم أيام حكم المتوكل. و مما يقوله في هذه القصيده:

رددت المظالم و استرجعت يداك الحقوق لمن قد قهر

و آل أبي طالب بعد ما اذيع بسر بهم فانذعر

و نالت أذانهم جفوه تكاد السماء لها تنفطر

وصلت شوابك أرحامهم و قد أوشك الحبل ان ينبت

فقربت من حظهم ما نأى و صفيت من شربهم ما كدر

و أين بكم عنهم و اللقاء لا عن تناء و لا عن عفر

قرابتكم بل أشقاؤكم و إخوتكم دون هذا البشر

و من هم و أنتم يدا نصره وحدا حسام قديم الأثر

يشاد بتقديمكم في الكتاب و تتلى فضائلكم في السور

و ان عليا لأولى بكم و أزكى يدا عندكم من عمر

أما تألمه على المتوكل بعد موته مع نصبه فلا إحسانه العظيم إليه و عدم عراقه الشعراء فى الدين إلا من قل.

صلته بالأعيان و الحكام

بدأ البحترى حياته متكسبا بشعره يقصد باعه البصل و الباذنجان و من لف لفهم يمدحهم و ينشدهم فى ذهابه و إياه. و يمدح أبا جعفر القمى يستهديه أضحيه فلما وصل إلى سامراء بدأت صلته بالكتاب فاتصل بإسماعيل بن شهاب الذى كان كاتباً للقاضى أحمد بن أبى دؤاد. و ليس هناك ما يدل على اتصاله بالمعتصم أو بالوائق. و ان كانت أول علاقته هامه له كانت بأبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى الذى كان ينتجعه و يقيم فى كنفه حيث يمدحه بقصيده يعزبه فيها بوفاه المعتصم و يهنئه بقيام الواثق. و للبحترى قصائد فى محمد بن راشد الخناق أحد المختصين بالمعتصم. كما له قصائد فى الحسن بن سهل و ولديه إبراهيم و الحسين.

و له فيهم خمس عشره قصيده و مقطوعه. و مدح الكاتب الحسن بن وهب الذى كان يكتب للوزير محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق. مدحه بقصيدتين و عاتبه بمقطوعه. و قد توسله البحترى للوصول إلى محمد بن عبد الملك الزيات و نجح فى ذلك حيث نجد له قصيده فى مدح الوزير المذكور.

و ممن اتصل بهم فى هذه الأثناء من الكتاب أيضا أبو نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان وزير المتوكل و خدينه. و يظهر أن البحترى جهد ان يوطد صلته بهذا الكاتب ليصل بوساطته إلى هدفه البعيد و هو الفتح ابن خاقان و لهذا فقد أنشأ ثمانى قصائد فى مدحه و عتابه و وصف علته.

و كان البحترى فى سبيل الوصول إلى غايته البعيدة يمدح صغار الكتاب و العمال مشيدا بهم فنراه ينظم المقطعات و القصائد فى أمثال نجاح بن سلمه.

و عند ما اقتيد الثغرى إلى السجن قال البحترى قصيدتين مستنكرا ذلك أحدثتا دويا معيناً و أوصلتا الشاعر إلى بلاط الخلفه.

و فى هذه الأثناء اتصل البحترى بعلى بن يحيى المنجم أحد ابرز المقربين من الفتح بن خاقان و كان هذا على ما يبدو كثير الحذب على الأدباء و الشعراء و كثيرا ما كان يوصلهم إلى الخلفاء و الأمراء و يستخرج لهم منهم الصلات و الهبات فكثير أخذانه منهم و كثر مديحهم له فاتصل شاعرنا و مدحه بثلاث قصائد.

و حقق البحترى غايته أخيرا و وصل إلى الفتح بن خاقان و فى أخبار البحترى للصولى هذا الخبر عن ابن البحترى: حدثنى أبى قال: امتدحت الفتح بن خاقان أول أمرى فامرنى بالمقام و تأخرت جائزته فكتبت إليه:

لك النعماء و الخطر الجليل

- القصيده. فما كان أسرع ما جاءت جائزته و أمرنى بالمقام".

و قد قضى البحترى فى ظل الفتح مده تناهز أربع عشره سنه و ما وصلنا من شعره فيه يبلغ حوالى تسعا و عشرين قصيده و مقطعه

نربو [تربو] على ثلاثين وثمانمائه بيت. و أغلب الظن أن مرد قله هذا النتاج نسبة إلى المده الزمنية عائد إلى عدم انقطاع الشاعر إلى الفتح لأنه اتصل في هذه الأثناء برجل السلطه الأول المتوكل و كان يوزع شعره بين الاثنين. هذا إلى انه كان أحيانا يؤم بشعره أناسا آخرين.

و بعد ان وطد البحترى صلته بالفتح التمس من ممدوحه أن يقدمه إلى المتوكل و هكذا كان. و قد حظى البحترى لدى المتوكل بما لم يحظ به في أى مكان آخر و أنشأ فيه روائع مدائحه و جميل أوصافه و واكبه في أكثر أعماله. و يظهر أن البحترى أصبح شاعر البلاط لأول مره في عهد المتوكل.

و أصبح نديما له لا- يكاد يفارقه و يبدو انه استهل صلته به بابدال كنيته القديمه و هى أبو الحسن بأبى عباده لما عرف عن المتوكل من حقد على الشيعة.

و انثالت عليه عطايا المتوكل و هباته حتى أثرى و أفاد و قد سجل الشاعر الكثير من اعمال المتوكل فى خلال الحقبه التى واكبه فيها و التى أربت على اثنتى عشره سنه. و بلغ ما أنشأه البحترى فى هذه الحقبه زهاء تسع و ثلاثين قصيده و مقطعه اشتملت نحو أربع و ستين و ثمانمائه بيت.

بعد المتوكل ولى الأمر ابنه المنتصر. مدحه البحترى بقصيده واحده أشاد فيها بموقف المنتصر المنصف من الطالبين.

و لما ولى من بعده المستعين نظم فيه البحترى أربعة مدائح يبلغ عدد

آياتها ثلاثه و ثمانين بيتا تناول فيها إلى جانب مدحه مدح ابنه العباس و مدح وزيره ابن يزداد كما هجا فيها وزيرين من وزراء المستعين و هما أوتامش و أحمد بن الخطيب.

و لما شب النزاع بين المستعين و المعتز هجا البحتري المستعين و مدح المعتز.

و كان من ممدوحى البحتري فى عهد المستعين أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد الذى استوزره المستعين بعد مقتل اوتامش سنه ٢٤٩ هـ.

عند ما استقر الأمر للمعتز سنه ٢٥٢ هـ حظى البحتري عنده بمنزله رفيعه فأثقله بالعطايا و المنح فاخلص له الشاعر كما أخلص لأبيه المتوكل من قبل و قد قال فيه مدائح كثيره و طويله على الرغم من اضطراب الحاله السياسيه فى عهده و قصر مده خلافته بالقياس إلى مده خلافه المتوكل. فقد أنشا البحتري فى المعتز الذى بقى فى الحكم ما ينيف على أربع سنوات و نصف احدى و ثلاثين قصيده و مقطعه تربو على خمسين و تسعمائه بيت.

و لم يكن البحتري يكتفى بتسجيل الحوادث السياسيه و الأعمال العمرانيه التى تحدث فى عهود ملوك بنى العباس الذين كان يعيش فى أكنافهم و يتردد على قصورهم. بل كان أحيانا يشير عليهم ان يولوا أولادهم ولايه العهد كما فعل مع المعتز إذ حثه على توليه ابنه عبد الله العهد. بل يقوم أحيانا بتسجيل اعمال أمهات و زوجات الملوك كما فعل عند ما تحدث عما قامت به قبيحه زوجة المتوكل و أم المعتز من إطعام الحجيج و اسقائهم.

و للبحتري فى وصف - مولى مثل دورا سياسيا هاما فى أيام المنتصرو المستعين - قصيدتان و مقطعه.

بعد المعتز جاء محمد بن الواثق الذى لقب بالمهتدى و الذى على الرغم من زهده لم يسلم من النهايه المأساويه التى انتهى إليها اسلافه و قد أنشأ فيه البحتري ثلاث قصائد و ارجوزه.

بعد مصرع المهتدى جاء الأتراك بجماعه من أولاد المتوكل كانوا محبوسين فى الجوسق فاختاروا أحمد و بايعوه بالخلافه و لقب المعتمد على الله و ذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشره بقيت من رجب سنه ست و خمسين و مائتين. و قد عانى هذا الملك معاناه شديده من استثثار أخيه الموفق بشئون السلطه. و كان على ما يبدو شديد الضعف فقد روى ان إحدى المغنيات غنته فرام اربعمائه دينار يصلها بها فعزت عليه فطلب نصفها فلم تتوفر فقال:

أليس من العجائب أن مثلى يرى ما قل ممتنعا عليه

و تؤخذ باسمه الدنيا جميعا و ما من ذاك شىء فى يديه

اليه تحمل الأموال طرا و يمنع بعض ما يجبى اليه

و ملفت للنظر ان البحتري لم ينشئ فى المعتمد - على الرغم من المده الطويله التى حكم فيها و هى التى تربو على ثلاث و عشرين سنه - سوى اربع قصائد و مقطعه و أن واحده من هذه القصائد ينازعه فيها المهتدى. و يبدو ان الشاعر لمح ضعف

الخليفه و قله ذات يده فانصرف عنه إلى غيره. كما انه لم يقل فى الموفق سوى قصيدتين ربما لأن هذا الأخير كان قليل العطاء.

و على هذا فلم يكن للشاعر مندوحه من أن يؤم الوزراء و القواد و الولاه بل و حتى الكتاب و عمال الخراج فيمدحهم و يطنب فى مدحهم.

و من ينظر فى ديوان الشاعر منذ استخلاف المعتمد فى سنة ٢٥٦ هـ إلى الحقبه التى غادر فيها العراق قافلا إلى بلده منبج يرى كثره القصائد التى دبحها فى أولئك الممدوحين مما يعيد إلى الأذهان حالته الأولى التى بدأها بالتطواف فى المدن و الأمصار مادحا و منتجعا.

و قد مدح البحترى المعتمد بعده قصائد لا ترتفع إلى مستوى شعره الجيد الذى أنشأه فى المتوكل و الفتح و المعتز. كما مدح عبد الله بن يحيى ابن خاقان وزير المعتمد ابن أخى الفتح بن خاقان بعدد من القصائد.

و ممن اتصل بهم البحترى فى عهد خلفه المعتمد الحسن بن مخلد بن الجراح و هو من أصل فارسى و للبحترى فيه سبع قصائد.

كما اتصل البحترى بعدد من عمال الخلفه و كان فى مقدمتهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن المدير الذى أصبح وزيراً للمعتمد و قد أنشأ فيه اثنتين و عشرين قصيده و مقطوعه.

و قد تمكن البحترى من خلال اتصاله بهؤلاء جميعا و بسواهم ان يجمع ثروه ضخمة - على الرغم من شكواه المستمره - كما أمكن ملاحظه شىء من التشابه بين حياه البحترى الأولى و بين السنوات الأخيره منها. و قد مر بنا انه بدأ حياته بامتداح أصحاب البصل و الباذنجان فى أسواق مدينته. ثم ارتأى الرحله و التطواف فأم القواد و العمال و الولاه فى مدنهم يقرظهم و ينال هباتهم و عطاياهم حتى تهيأ له ان يحط رحاله فى ربوع الحاضره العباسيه "سامراء" و أن يصبح بعد لأى شاعر البلاط حقبه من الزمن.

و فى غضون السنوات الأخيره من عمره نراه يعيد ما بدأ به حياته الأولى.

فاخذ يضرب فى الأرض منتجعا للوزراء و القواد و العمال و صغار الكتاب يمدحهم و يلتمس جدواهم. بل نراه يؤم حتى عمال الطاسيج بعد أن ضاق من المقام فى بغداد:

فأصبحت فى بغداد لا الظل واسع و لا العيش غض فى غضارته رطب

أ أمدح عمال الطاسيج راغبا إليهم؟ ولى بالشام مستمتع رغب

نتاجه

ذكر ابن النديم فى الفهرست أن شعر البحترى كان على غير الحروف إلى أيام الصولى فإنه عمله على الحروف و عمله على بن حمزه الأصفهانى أيضا فجوده على الأنواع و له من الكتب كتاب الحماسه على مثال حماسه أبى تمام و كتاب معانى الشعراء.

و توجد مخطوطات الديوان فى برلين و ميونيخ و فيينا و بطرسبرج (ليننجراد) و باريس. و نشر هذا الديوان فى إستانبول سنة ١٣٠٠

ه و فى بيروت ١٩١١ و فى القاهرة ١٣٢٩ ه و ىسمى الديوآن أحيانآ باسم سلاسل الذهب و قد طبعت فقرآت من شرح أبى العلاء لهذا الديوآن و هو الشرح المعروف ب "عبث الوليد" فى اطقتبس (٥٧) ثم طبع شرح أبى العلاء لديوآن البحتى "عبث الوليد" عام ١٩٣٦.

كتاب معانى الشعراء لم يذكر أحد - فيما نعلم - انه أطلع عليه بعكس كتاب الحماسه الذى طبع فى بيروت سنه ١٩١٠ بعنايه الأيب لويس شيخو اليسوعى مذيلا بالفهارس و تمتاز حماسه البحتى عن حماسه أبى تمام من أوجه كثيره: منها كثره الأبواب لأن حماسه أبى تمام مؤلفه من عشره أبواب و حماسه البحتى من ١٧٤ بابا تتضمن معظم المعانى الشعريه و قد رواها عن نحو ستمائه شاعر أكثرهم من الجاهليين و المخضرمين. " و تمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الأسماع من الألفاظ البديئه حتى الغزل و النسب فقد تحاشاهما. كان البحتى قد جمعها لشبيبه هذه الأيام و أطلعنا فى المكتبه الخديويه على نسخه من الحماسه المذكوره بالتصوير فى ٤٠٠ صفحه عن نسخه خطيه محفوظه فى مكتبه ليدن".

ص: ٣١١

و قد روى حماسه البحترى محمد الأحوال الذى كان من العلماء باللغه و الشعر و قد اختارها للفتح بن خاقان مما يدل على أن وضعه لها كان قبل مقتل الفتح حين كانت سن البحترى حول الأربعين. و طبع كتاب الموازنه بين أبى تمام و البحترى للآمدى فى إستانبول سنه ١٢٨٧ هـ.

شعره

لم يخرج البحترى فى شعره عن الأغراض التى طرقها من سبقه من الشعراء. فجاء شعره فى المديح و الهجاء و الاستعطاف و الفخر و الرثاء و الحكمه و الوصف و الغزل...

المدح

أكثر ما شغل به البحترى شعره المديح فهو جل ما فى ديوانه. و كان البحترى يمدح قصدا للمال إذ كان الشعر مهنته التى يعيش على ما ياتى اليه منها. و هنا ينبغى أن نتذكر أيضا أن الشعر آنذاك كان يقوم بدور وسائل الإعلام فى عصرنا هذا فيما يتصل بقضايا السياسه و المجتمع. و إذا أضفنا إلى ذلك أن كثيرا من شعر المدح كان يصور القيم العليا التى يتعين أن يتصف بها السلوك الاجتماعى السليم أمكن لنا أن نخفف شيئا من نظرات النفور الموجهه إلى شعر المديح. و إذا ما نظرنا لشعر المدح هذه النظره الواقعيه المتسامحه فاننا لن نجده شرا محضا كما قر فى عقول الكثيرين و وجداناتهم بل اننا قد نجد فى تضاعيفه كثيرا من الخير و قوه الأسر. و إذا تأملنا ما قاله البحترى فى المدح نجده فى نهايه الأمر يدور على مجموعه من الفضائل النفسيه و السلوكيه و الاجتماعيه تؤدى و لا شك إلى رقى المجتمع لو أنها تحققت بين سائر أفراده و مؤسساته.

و وفقا لمعايير الجوده فى القديم يعتبر البحترى من كبار المادحين بل انه عند أبى هلال العسكري أكبر المداحين جميعا و يورد أبو هلال مدحه للبحترى فى الفتح بن خاقان منها قوله.

اغز لنا من جوده و سماحه ظهير عليه ما يخيب و شافع

و يعقب عليها بقوله: لم يبق وجه من وجوه المدح فى الجود و الشجاعه و ثقوب الرأى و مضاء العزيمه و الدهاء و شده الفكر إلا قد اجتمع ذكره فى هذه الأبيات و لا أعرف أحدا يستوفى هذه المعانى فى أكثر مدائحه إلا البحترى.

و قد مدح البحترى طوائف مختلفه. من الناس فيها الملك و مستشار الملك و فيها الوزير و فيها الكاتب و فيها النديم و فيها القائد و فيها غير أولئك من رجال الدوله و عظمائها و كان لبقا فى مدح هؤلاء جميعا من ناحيه انه يمدح كل من يتصل به بصفاته الخاصه التى تميزه عن سواه.

و هناك ظاهره تسترعى النظر فى شعره المدحى تلك انه لا يطنب فى مدح الملوك و أشباه الملوك و يطيل فى مدح الكتاب و أشباههم و السر فى ذلك ان الملك و من قاربه كانوا يسأمون طوال القصائد و يملونها - و كثير من العظماء يملون المدح الطويل لأنه لا يعلق بالأذان و لا يسير على ألسنه الرواه. و لا ياتى آخره إلا و قد نسى أوله و يفضلون عليه الموجز الذى يعلق باذهان الرواه.

بقيت دعوى نقلها إلينا صاحب كتاب العمده إذ قال: و من الشعراء من ينقل المديح عن رجل إلى رجل، و كان ذلك دأب البحترى و فعله أبو تمام فى قصائد معدوده.

أما ان البحترى كان ينقل المدح من رجل إلى آخر فلا نستبعده و خاصه فى بدايه حياته الشعريه، و قد يكون فى فعله هذا متشبهها بأبى تمام. و لكنه مع عدم استبعاده عليه لم يرو له أحد قصيده نقلها من ممدوح إلى آخر كما حفظ التاريخ ذلك لأبى تمام. و قد يكون نقل الشعر من ممدوح إلى سواه غير مستغرب بين شعراء ذلك العصر. إذا لم يأخذوا نوالا عليه. و النقاد أنفسهم كانوا لا يرون غضاضه على الشاعر فى ذلك إذا لم ينل الثواب على مدحه و إلا كان ذلك قله و فاء و فرط خيانه.

و من روائع البحترى فى المدح تلك الرائيه التى مدح بها المتوكل و صور فيها خروجه لأداء صلاه عيد الفطر و التى مطلعها:

أخفى هوى لك فى الضلوع و أظهر و ألام فى كمد عليك و اعذر

و كان ابن خلكان من السابقين إلى الإشاده بتلك القصيده إذ يقومها بقوله: و هذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقه و السهل الممتنع فله دره ما أسلس قياده و أعذب ألفاظه و أحسن سبكه و ألطف مقاصده و ليس فيه من الحشو شىء بل جميعه نحب.

و البحترى الفنان المصور يلون الصورة بما يلائمها و يظهر شموخها من عناصر الطبيعه و صور الحضاره فالجبال تكاد تتحرك و الغبار ينعقد و الشمس تتالق و تخبو و الخيول تصهل و الملابس و الأسلحه تلمع و تزدهى.

كما استطاع البحترى أن يضمّن الكثير من مدائحه، الهام و الغزير من وقائع عصره السياسيه و الاجتماعيه و العسكريه فجاء ديوانه تصويرا فنيا رائعا لتلك الأحداث الجليله. يقول الأستاذ محمد مهدى البصير: ان مدائح البحترى تصف الحضاره العباسيه وصفا فائقا و تصور الوقائع السياسيه و الحربيه المهمه بمتنهى الأمانه و المهارة و يعقب عليها بصوره مؤثره و بكثره عجيبه. و لك أن تتصفح ديوانه لترى انه سجل حافل بما حدث للخلافه العباسيه فى أثناء القرن الثالث للهجره من حروب و مشاكل سياسيه فى الداخل و الخارج فبينما هو يحدثك عن فتنه بابك الخرمى التى اشتعلت نارها فى أوائل هذا القرن إذ هو يحدثك عن تمرد آل الصفار و قيام ثوره صاحب الزنج فى أواسطه و بينما هو يحدثك عن فتنه مدينه أو ثوره قبيله إذ هو يحدثك عن خلع خليفه و أبعاده إلى زاويه من زوايا ملكه بالأمس، و بينما هو يحدثك عن هذه الشئون الداخليه المضطربه المعقده أشد التعقيد إذ هو يحدثك عن المعارك الطاحنه التى تدور رحاها فى آسيا الصغرى بين المسلمين و الروم.

و فى الحق أن المدح ليرتفع شأنه و تبرأ الكثير من نماذجه مما يراه البعض من انه كان وسيله متهافته للارتزاق و التملق حينما تقوم بعض نماذجه الممتازه بما سبقت الإشارة اليه. و إذا كانت العواطف و الانفعالات جانبا أساسيا فى حياه الإنسان فالذى لا شك فيه ان الدين و الأخلاق و السياسه و الحرب و السلام هى أيضا عمد رئيسيه لتلك الحياه و تصويرها من خلال الفن - هو فى حقيقته تصوير لما تتبدى به تلك الحياه فى كل زمان و مكان. و الشواهد على هذا النمط الرفيع من شعر المديح و فيره فى ديوان البحترى. و لعل ما أنشأه فى تصوير بطوله محمد بن يوسف الثغرى فى نضاله ضد بابك الخرمى و ضد الروم فى الثغور يدل أوضح الدلاله على ما ذهبنا اليه. و أبرز قصائده فى هذا المجال القصيده التى مطلعها:

زعم الغراب منبئ الأنباء ان الأجه آذنوا بثناء

و القصيده التي مطلعها:

يا أبا الأزدي ما حفظت الإخاء لمحبة ولا رعيت الوفاء

و في الحق ان المدح وجد من فنيه البحتري و حبه الغريزي للوصف و التصوير ما أعطى لكثير من نماذجه قيمه كبرى و خلودا.

ص: ٣١٢

يكاد ينعقد إجماع النقاد على ان البحترى لبث يتلفع بعباء البداوه بالرغم من إقامته بين زخارف الحضاره العباسيه و قصورها و رياضها. و هم لا ينفكون يرددون مع الآمدى انه: "اعرابى الشعر مطبوع و على مذهب الأوائل ما فارق عمود الشعر المعروف".

و الواقع ان شعره الوصفى لا- يظهره لنا فى تلك الصوره التى حرص النقاد على إظهاره بها فثمه اختلاف بين وصف البحترى و وصف امرئ القيس مثلا و سائر الجاهليين. فهو يعايش بيئه تخالف بيئه هؤلاء و يخضع لواقع اجتماعى يخالف واقعهم.

و قد بدا ذلك خاصه فى ترابط الصور و المعانى خلال بعض قصائده الوصفيه و أحكام التشاييه و الابتعاد عن الاستطراد و الحبو و التراحف على حضيض الواقع. ذلك انه قد تاثر بواقع الحضاره بصوره لا واعيه فتسربت إلى شعره روح العصر بالرغم من أنه لم ينصرف إلى اقتباسها و التوغل بها انصراف أبى تمام و ابن الرومى و المتنبى. فوصفه من هذا القبيل حضرى بدائى كنفسه نشهد فيه ماديه الوصف الجاهلى دون فوضاه، كما أننا نلمح أحيانا وجدانيه الوصف العباسى و سببته دون إسرافه بمظاهر البديع المستفاد من واقع النقوش لزخارف فى عصره و ربما كانت قصيدته التى مطلعها

ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها ناعم و نسألها عن بعض أهلها

و التى يصف فيها بركه المتوكل تعطى فكره واضحه عن النوع الأول من وصفه فهو إذ يصف بركه المتوكل يلم بموضوع جديد منقول عن واقع الحضاره و العمران اللذين يعايشهما. لكن جده الموضوع لم تجد لديه جده جذريه فى طبيعه الأسلوب و الصوره بل نراه يعمد إلى التحديق و التبصر الخارجيين و إلى ما رآته عيناه مكثرا مبالغا حتى انه يذكرنا فى أحيان كثيره بالجاهليين و ان لم يكن وصفه كوصفهم.

و مع ذلك فان هذه القصيده عرفت شهره واسعه و وجدت من يبدي لها حماسا شديدا: "الشاعر البحترى فى هذه القصيده قد امتلك موهبه الموسيقى و الرسام إلى جانب رهافه حس الشاعر و سعه خياله و اقتداره على اللغه".

و يذهب البعض الآخر إلى انها تؤلف، قطعه واحده متماسكه هى فى اعتقادنا من خير ما قاله الشعراء على الإطلاق - عرب أو إفرنج - فى وصف منظر من مناظر الطبيعه، وصف البحترى تدفق ماء النهر فى البركه و وصف صفاءها و بياضها و حركه الريح و سطوع الشمس عليها و تهتان المطر و انعكاس الكواكب بالليل كل ذلك فى خمس آيات عدا. و فى كل بيت بل أكاد أقول فى كل كلمه لوحه من التصوير البارع".

و نحن و ان كنا لا- ننكر براعه البحترى فى وصفه هذا. إلا أن هذا الوصف بقى فى الحدود النقليه التصويريه التى تكشف عن نفسه تعجب بحجم الأشياء و تصعق بمظهرها الخارجى.

إلا ان للبحترى فضيله فى الوصف لم تكن تيسر للشاعر الجاهلى.

فهو و ان خطر ببعض فلذات من الوصف النسخى المنقول نراه فى قصائد أخرى يلم بأوصاف و يجسد حركات و حوادث بتتابع و تصميم و تطور مما لم يكن يتيسر للجاهلى الذى يقوم وصفه على فلذات و نبذ من الصور المتباينه المستقله كما فى وصفه لموكب المتوكل فى القصيده التى سبقت الإشارة إليها فى مديحه بمناسبة عيد الفطر.

و فى شعر البحترى بعض الأبيات التى اعترض فيها بالوصف القصصى من ذلك وصفه للعراك بين الفتح بن خاقان والأسد إذ نراه يقبل على ذكر الحوادث معتمداً الدقه منتخبا منها ما يظهر بطوله أبى الفتح و شدته فى قتال الأسد. و قد عقدت مقارنات عديده بين قصيده البحترى هذه و قصيده المتنبى فى بدر بن عمار و الأسد.

و مع أن القاضى الجرجانى كان سباقا فى هذا المجال و رأى أن البحترى قد استوفى فيه المعنى و أجاد فى الصفه و وصل إلى المراد إلا انه فى حكمه النهائى يفضل وصف المتنبى لتركيزه على إبراز القوه الرهيبه للأسد مما يعلى من شان بدر.

و لقد ذهب النقاد الذين توالوا على نقده إلى انه يتولى المعانى القديمه و يأخذ بتاديتها وفقاً لتوليد و توقيع جديدين فيؤثر كما يؤثر سواه من الشعراء بالمعانى و الصور الجديده كما فى وصفه لقصر الفتح بن خاقان فى القصيده التى مطلعها:

حلفت لها بالله يوم التفرق و بالوجد من قلبى بها المتعلق

حيث تمتاز أبياته بالدقه و النغم الشجى المتالف الذى ما برح البحترى يبدع فى توقيع عبر الأبيات جميعا حتى يخيل إلينا فى أحيان كثيره اننا نتأثر بالنغم قبل أن نلج إلى المعنى و هذا ما تنبه له من قال: أراد البحترى أن يشعر فغنى.

و من قصائد البحترى المشهوره فى الوصف قصيدته فى وصف الذئب و التى مطلعها:

سلام عليكم لا وفاء و لا عهد أ ما لكم من هجر احبابكم بد

و هو ذئب لقيه الشاعر فى الفلاه و دارت بينهما معركه انتهت بانتصار الشاعر. و قد بدأ البحترى قصيدته بالغزل و انتقل منه إلى الفخر بشجاعته و بعد همته. ثم وصف الذئب الذى قابله تلك الليله ليقرر بعد ذلك.

كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه و الجد يتعسه الجد

و تنتهى المعركه فيخر الذئب صريعا فيشويه الشاعر على النار و يأكل منه ما شاء و يترك باقيه.

و يرفع الدكتور عبده بدوى قيمه هذه القصيده إلى الذروه و يقول: إذا كانت قريش قد قالت فى قصيده علقمه بن عبده التى يقول فيها:

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم

. انها سمط الدهر فاننا نستطيع أن نقول أن هذه القصيده المحكمه سمط العصر الذى عاش فيه البحترى.

و واقع الحال أن مقارنة متانیه بين برکه البحترى و بحيره لأمارتين و بين ذئبه و موت ذئب الفرددى فىنى كافيه لإبعادنا عن بعض الأحكام العامه المتسرعه و كافيه لتبيان الفوارق بين الوصف التقريرى الحافل بالمبالغه و بين الوصف الوجدانى الذى نرى بعضا منه عند البحترى فى وصفه لايوان كسرى و ذلك فى القصيده التى مطلعها:

صنت نفسى عما يدنس نفسى و ترفعت عن جلا كل جيس

فاننا نجد الشاعر و قد اعتراه الأسى المبهم الذى يفيض فيضا من أعماق النفس و يستبد بها دون أن تدرى كنهه أو تقوى على التحرر منه. كما نجد عنده شعورا حادا بالقنوط و البؤس و نعيًا لمصير الإنسان فى الوجود. و على الرغم من الإطار الوصفى الخالص لقصيدته هذه فقد جاءت غناء و تاملًا و اعترافًا بما يخطر له و يعانيه. من هنا تضمينها الكثير من الفلذات الوجدانية و الآراء فى الحياه و الموت. يقول فى وصف الأيوان:

و كان الإيوان من عجب الصنعه جوب فى جنب أرعن جلس

ص: ٣١٣

يتظنى من الكابه أن يبدو لعيني مصبح أو ممسى

مزعجا بالفراق عن انس ألف عز أو مرهقا بتطبيق عرس

عكست حظه الليالى و بات المشتري فيه و هو كوكب نحس

مشمخر تعلق له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى و قدس

لابسات من البياض فما تبصر فيها إلا غلائل برس

ليس يدرى أصنع انس لجن سكنوه أم صنع جن لأنس...

فهذا الوصف يمثل لنا الفرق بين الوصف الجاهلى و الوصف فى شعر البحترى. انه أعمق تحسسا و أوغل فى ضمير الأشياء إذ اعترى الأيوان و شخصه فإذا هو إنسان مكمد الوجه، كأنه يعيش فى ماساه البعد و البراح.

و لا-عجب أن يعتبرها البعض: أجل قصيده فى الشعر العربى و تعد بحق من آيات الشعر الخالده. و ان يقول ابن المعتز ليس للعرب سنيه مثلها.

و مما لا-ريب فيه ان البحترى بغير "سينيه" يرقى إلى مصاف فحول الشعراء و لكن سنيته زحزحت ذلك الحد الدقيق الذى يفصل بين الفحول و العبقريه فأصبح يحمل لواء الشعر بعد الملك الضليل! و للبحترى قصائد و مقطعات فى وصف مظاهر الحضاره العباسيه كالقصور و منها "الجعفرى" و "الصبيح" و "المليح" و "الفرد" و "الساج" و "الكامل".

فقد وصف الكامل فى القصيده التى مطلعها:

لو كان يعتب هاجر فى واصل أو يستقاد لمغرم من ذاهل

و هو قصر بناه المعتز. و يصف قصر الجعفرى الذى بناه المتوكل فى قصيده مطلعها.

ان الطباء غداه سفح محجر هيجن حر جوى و فرط تذكر

كما وصف مجالس المسرات التى عرفتها الحياه العباسيه كما فى القصيده التى مطلعها:

هل فيكم من واقف متفرس يعدى على نظر الطباء الأنس

و أولع البحترى بوصف مظاهر الطبيعه و جمالاتها و ربما كانت أبياته فى وصف الربيع التى جاءت فى قصيدته التى مطلعها:

أ كان الصبا إلا خيالا مسلما أقام كرجع الطرف ثم تصرما

ربما كانت هذه الأبيات أفضل ما يمثل طول باع الشاعر فى هذا المجال.

كما اشتهر البحترى بوصف المعارك و الخيل و تصوير البحترى للحلبه و الخيول و الفرسان و المدرين و المشاهدين تصوير يتسم بالرقه و الدقه و الشمول معا. و نجد وصفا للفرس يجمع بين الدقه و الرقه للفرس فى قصيدته التى مطلعها:

طفقت تلوم و لات حين ملامه لا عند كبرته و لا احجابه

و كان البحترى وصافا قديرا للحرب فى البر و البحر و لأدواتها من سيوف و رماح.

و خلاصه القول ان البحترى ألم بنوعين من الوصف الوصف النقلى التقريرى و الوصف الوجدانى الذى يتجاوز حدود الأشياء و مظاهرها. إلا أن هذين النوعين لا يصفون لديه فهو فى النقلى ليس جاهليا كما انه فى الوجدانى لا يعرف الحلويه. ففى الأول نشهد لديه من الترابط و التماسك ما لم نكن نشهده فى الشعر الجاهلى. و فى الثانى نراه يفترض افتراضا و يتظنى تظنيانا.. و هكذا فان شعر البحترى فى الوصف هو كثافته عامه ليس بدويا و لا حضريا يترجح فى منزله بين المنزلتين لا يبلغ وجدانيه ابن الرومى كما لا يرسف فى ماديه امرئ القيس المسرفه.

الفخر

توفر للبحترى عاملان رئيسيان هيثا له التالى و طول الباع فى الفخر.

أولهما اتماؤه الثابت إلى واحده من أعظم القبائل العربيه و هى طيئ و ثانيهما انه كان أعظم شعراء عصره دون منازع أو هو على الأقل واحدا من أبرز شعراء عصره.

على ذلك يمكننا القول بان عناصر الفخر عند البحترى هى تعداد أمجاد قومه و التغنى بمناقبهم و بشرف اليمن موطنهم و كذلك الإدلال بعزته الشخصيه المستمدة من أصوله الراسخه و من موهبته الفنيه المتفوقه و هى عناصر وجد البحترى من قوه الحقيقه فيها و من قدره الفنان فى موهبته ما مكنه من صياغتها على وجه رائع فى أشعار فخره.

و قد اشتهر للبحترى قصيدتان فرغ تماما فى كليتهما للفخر. مطلع الأولى:

إنما الغى أن يكون رشيدا فانقصا من ملامه أو فريدا

و مطلع الثانية:

أحب إلى بطيف سعدى الآتى و طروقه فى أعجب الأوقات

و الطابع الغالب على فخر البحترى فى قصيدته الأولى هو فخره بقومه بينما يغلب على القصيده الثانیه فخره بنفسه و بما حققه من مجد أدبى و اجتماعى رفيع تمثل فى منادمته للملوک و نفوذه و مكانته عندهم و شفاعته فى جلائل الأمور لديهم. هذا الفخر بالنفس و الاعتداد بقيمه الشاعر نجده أقوى نفسا و أعلى ايقاعا من الفخر القبلى بقومه.

كما نجد أبياتا في الفخر مبنوثة في حنايا قصائده كما في تلك القصيدة التي سبق و أشرنا إليها في وصف معركة مع الذئب حيث يفتخر بما يحمل بين جنبيه من قوة الشكيمه و ما توافر لديه من شجاعه نادره و قدره على القتال فذه.

و البحتري في موضوع الفخر و لم يخرج على المعاني المتداوله في التراث الشعري العربي و ان كان قد طبع هذه المعاني بطابع أسلوبه المميز.

العتاب

كان للبحتري منافسون و حساد و ذلك أمر طبيعي لشاعر نال حظوه مميزه عند الحكام و الأعيان. و كان يتدارك وقائع هؤلاء في شعره الاستعطافي الذي كان يجيده على ما يبدو حتى عد استاذا فيه.

فالروح السائده في عتابه هي روح الرقه التي تجعل هذا العتاب مقبولا لدى النفس محببا إليها. يصف هو عتابه بقوله:

ص: ٣١٤

البحترى برقته و أنغام موسيقاه و أشجانه رثائي النزعه محزوننا.

و قد لاحظ ابن خلكان من قبل ان البحترى كثيرا ما كان ينشد أبياتا محزونه ملتاعه منها:

حمام الأراك ألا فأخبرينا لمن تنديين و من تعولينا

لشقت بالنوح منا القلوب و أبكيت بالندب منا العيون

تعالى نغم ماتما للهموم و نعول إخواننا الظاعينا

و نسعدكن و تسعدننا فان الحزين يواسى الحزينا

و تعتبر رائيته فى التى قالها فى المتوكل من أهم ما قال فى هذا الغرض الشعرى و التى بدأها بالوقوف على أطلال "الجعفرى"
قصر المتوكل و التى مطلعها:

محل على القاطول اخلف دائره و عادت صروف الدهر جيشا تغاوره

حيث يلم البحترى بما يمكن أن نسميه رثاء الحضاره كما فى قصيدته فى رثاء ايوان كسرى و فى قصيده معاصره ابن الرومى فى رثاء البصره و إذا تأملنا قصيدته هذه وجدنا مفرداته قويه جزله و كذلك صورته فإنها قاتمه داميه عنيفه و موسيقى البحر و الألفاظ تتسق مع الموضوع تماما فهى هادره صاحبه و كأنها تحكى صخب الأسلحه التى استخدمت فى مقتل المتوكل و يرى البعض ان هذه القصيده كتبت بعد تسلم المعتز الملك اثر مقتل المنتصر لما فيها من تعريض و اتهام لهذا الأخير بالمشاركه فى قتل والده تقريبا للمعتز.

و يذهب البعض الآخر إلى ان القصيده قيلت اثر مقتل المتوكل و أضيفت إليها الأبيات التى تعرض بالمنتصر أيام المعتز.

و من أقوى قصائد الرثاء لدى البحترى رثاؤه فى محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بأبى سعيد الثغرى القائد العسكرى الذى أبدى بطوله كبرى فى حرب بابك الخرمى و ذى المكانه المرموقه لدى المعتصم.

و كذلك رثاؤه فى ولده يوسف الذى خلفه فى ولايه أرمينيه و أذربيجان و قد اكتسبا لقبهما الثغريين لارتباطهما الوثيق بالثغور الإسلاميه و لبلاتهما الحسن فى الدفاع عنها ضد غزوات الروم.

و الثغريان ينتهى نسبهما بنبهان بن عمرو و هو أخو سلامان جد البحترى و معنى ذلك انهما ينتميان كما ينتمى البحترى إلى طيئ. و كان البحترى كثيرا ما يذكر هذه القرابه و انه انما يمدح نفسه عند ما يمدحهما و يعجب منهما كيف يعطيانه على مديحه:

و انى متى اعدد معاليك اعتدد بها شرفا إذ كل فخر ك لي فخر

و لم أر مثلى ظل يمدح نفسه و يأخذ اجرا ان ذا عجب بهر

و كان لما اشتهر به الوالد و الابن من بطوله عسكريه بالإضافة إلى صله القرابه تلك اثر عميق فى الرثاء الذى رثاهما به فجاء نضاحا بكل الصدق معبرا عن مشاعر الإحساس بالفقد و الحزن الكثيف. و من أبرز قصائده فيهما قصيدته فى رثاء محمد بن يوسف الثغرى و التى مطلعها:

انظر إلى العلياء كيف تضام و ماتم الأحساب كيف تقام

و رثى ولده يوسف بن محمد عند ما قتله الثائرون من أهل أرمينية بقصيده مطلعها:

أقول لعنسا كالصلاه أومنمغبره فى تسعه و وضيعن

حيث ينهى البحترى رثاءه الدامع بأبيات تثير فى النفس عواطف الحزن و تدل أوضح دلالة على مدى صدقه و لوعته:

أ أنساك أم أنسى مصابك بعد ما علقت بحبل من نداك كتين

و لو كنت ذا علم بفطر صبايتى و ما علم تاو بالتراب دفين

تيفنت ان العين جد غزيره عليك و ان القلب جد حزين

إذ انا لم أشكرك نعماك بالبكا فلست على نعمى امرئ بامين

و فى الحق اننا لنبهر بقوه رثاء البحترى خاصه ما رثى به المتوكل و الثغريين و قد لمسنا فى رثائه للثغريين شعرا يتوافر فيه الصياغه و تدفق المشاعر و تالق المعانى جميعا. و نحن نعلم ان الرثاء قد ينصرف إلى تجسيم حزن الشاعر و تصوير مصابه بفقد من يرثيه و يكون هذا الرثاء للبكاء لا لتخليد المرثى و من هذا النمط كان رثاء البحترى للمتوكل، فهول الكارثه قد أذهله إلا عن مشاعره الجريحه الحزينه فإذا ما اهتم الشاعر بمناقب من يرثيه و عنى بتصوير جليل أعماله و عظيم صفاته كان الرثاء للتخليد و الملاحظ ان رثاءه للثغريين قد جمع بين النمطين مما دفع البعض إلى اعتبار رثائه لهما من عيون المراثى فى الشعر العربى.

و لقد ربط البحترى بال حميد عرى و ثيقه من الصداقه و الود و ذكريات السعاده و جل أفراد تلك الأسره من القاده المشاهير الذين دفعوا حياتهم ثمنا للمجد و سقطوا فى ساحات القتال فى الأطراف الشاسعه للدوله. فوقف أبو عباده أمام قصرهم ببغداد و قد خلا من شخوصهم فرثاهم رثاء الدامع الموجه الذى اعتورته مصائب فادحه فى قصيده مطلعها:

أقصر جميل الأجزاء لمغرم و لا قصر عن دمع و ان كان من دم

و بعد أن يعدد مآثرهم و يبكيهم يقرأ السلام على أرواحهم مؤكدا انه لا يقلل من شأنهم أو يرفع من أعدائهم أنهم صرعوا فحمزه و على قد صرعا من قبل وحشى و عبد الرحمن بن ملجم:

فحربه "وحشى" سقت "حمزه" الردى وحتف على "فى حسام ابن ملجم". و فى الرثاء الذى أنشأه البحترى فى سن الشيخوخه
نجده يمزج رثاءه الموتى برثاء نفسه و البكاء من المشيب و الوهن و يتحسر تحسرا موجعا لضياح الفتوه و الشباب كما فى رثائه
لغلامه قيصر فى القصيده التى مطلعها:

ملامك انه عهد قريب و رزء ما عفت منه الندوب

حيث نراه يبكى نفسه فيقول:

فان ست و ستون استقلت فلا كرت بطلعتها الخطوب

لقد سر الأعدى فى انى "برأس العين" محزون كئيب

و انى اليوم عن وطنى شريد بلا جرم و من مالى حريب

ص: ٣١٥

عتاب بأطراف القوافي كأنه طعان بأطراف القنا المتكسر

فاجلوه به وجه الإخاء واجتلى حياء كصبغ الأرجوان المعصفر

وقد أشاد ابن المعتز باعتذارياته في الفتح كما قرر أبو هلال العسكري للنابعه الذبياني فضل زياده هذا القسم إلى أقسام الشعر الجاهلي ثم قال:

ولا أعرف أحدا من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه و أحسن و أبلغ و لم يذر مزيدا حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النابعه الثاني.

أما ابن رشيق فيرى أن البحترى أحسن الناس طريقا في العتاب و يقول:

و أحسن الناس طريقا في عتاب الأشراف شيخ الصنائه و سيد الجماعه أبو عباده البحترى.

وقد سلك البحترى طرقا كثيره للعتاب فاحيانا يمزجه بالمدح و هو الغالب عليه. و حينما يلتبس لمن يعاتبه العذر على جفائه و لا ينسى أن يذكر من يعاتبه بسالف الود و ما كان بينهما من صفاء و يحدثه بما يضمنه له في قلبه من حب و إجلال. و حينما يهدد بالهزاء المقذع المر حين تشتد ثوره نفسه و عزتها. و لا ينسى في عتابه الاعتزاز بنفسه و معرفته بقدرها بل يدل بقيمته الادبيه و مكانته السالفه و ما يجب أن يكون له من إجلال و تقدير.

و من جميل أبياته في هذا الموضوع ما قاله في قصيده مدح بها المتوكل مطلعها:

شوق إليك تفيض منه الأدمع و جوى عليك تضيق منه الأضلع

ينهيها بقوله:

هل يجلبن إلى عطفك موقف ثبتت لديك أقول فيه و تسمع

ما زال لي من حسن رأيك موئل آوى اليه من الخطوب و مفرع

فعلام أنكرت الصديق و أقبلت نحوى ركاب الكاشحين تطلع

و أقام يطمع في تهضم جانبي من لم يكن من قبل فيه يطمع

ألا يكن ذنب فعذلك واسع أو كان لي ذنب فعفوك أوسع

و تتميز اعتذارياته و عتايياته بميل قوى إلى التحليل و الاستقصاء و بتعبير رقيق عن الانفعالات و الخلجات النفسيه كما في قصيدته التي يعاتب بها الفتح و يعتذر منه و التي مطلعها:

يهون عليها ان أبيت متيما أعالج وجدا في الضمير مكتما

حيث يصور لنا تردد الفتح بين الرضا والغضب وانعكاس ذلك عليه. ثم تتملكه عزه نفسه و يشعر بقيمته كشاعر فنان و بقيمه شعره الذى قاله فى الفتح فترتفع حده عتابه و يقترب من إيقاع التهديد ليعود بعدها إلى اللين و الاستعطاف فيقول:

لى الذنب معروف و ان كنت جاهلا به و لك العتبى على و أنعما

و من أرق عتابياته تلك الموجهه إلى الفتح أيضا و التى استند إليها و إلى سابقتها ابن رشيق فى تقديم البحترى على الشعراء المحذثين فى العتاب القصيده التى مطلعها:

لوت بالسلام بنانا خضيبا و لحظا يشوق الفؤاد الطروبا

أما عتاب البحترى لأصدقائه المقربين من غير الحكام فينهج فيه الشاعر نهجا آخر. فهو يعمد أحيانا إلى الشده و التعنيف و الأنداز بالقطيعه و ذلك تعبيراً عن إحساسه بالغضب و الصدمه لتغير ذلك الصديق كما فى قصيدته التى مطلعها:

تعود عوائد الدمع المراق على ما فى الضلوع من احتراق

و خلاصه القول ان البحترى قد تفوق فى العتاب و الاعتذار تفوقا ينبع من تميزه بين شخوص من يوجهه إليهم. و ينبع أيضا من أن التالى فى ذلك الفن يتطلب الرقه و العذوبه فى المشاعر و طرق الأداء جميعا و قد توافر ذلك فى أجلى صورته لدى البحترى.

الغزل

لقد تغزل البحترى و أنشد للحب شعرا كادت كلماته أن تتجنح من فرط الرقه و العذوبه و اتصل غزله فيما يشبه الظاهره المطرده بوصف الخيال و الحبيب فى مرحله من حياته هى العراقيه و السؤال هو هل انشد البحترى للعواطف عن تجربه صادقه و معاناه حقيقه؟ أم ترى غزله كان قياما بتقاليد القصيده العباسيه التى حل وصف الحبيب و التغنى بعاصف الأشواق فى مقدمتها محل الوقوف على الديار و بكاء الأطلال فى مقدمه القصيده القديمه.

لقد اختلفت الآراء فى ذلك على الرغم من أن ارتباط الشاعر العاطفى بعلوه الحلبيه ثابت و متفق عليه و الكثير من مقطوعاته فى الحب ينشده الشاعر فى وصفها أو فى وصفه طيفها الذى يرفرف عبر صحراء الشام ليزوره فى العراق.

فيرى البعض انه على الرغم من ان أكثر ما أنشأه البحترى من الغزل كان مقدمه لأغراض أخرى إلا انه استطاع ان يحدثنا عن كثير من عواطف الحب فى حالتى الرضا و السخط و القرب و البعد.

و رأى البعض الآخر انه إذا قلنا غزل البحترى فقولنا هذا يصدق على كل شاعر من مداحى العصر العباسى و هو على الغالب نوع من الفن الكلامى يصدر عن به قصائد هم تمهيدا لما يقصدون، و مع ما قد تجده فيه من رشاقه لا ينظم عاده بئا لوجد متقد أو تصويرا لخواص شخصيه صادقه. كان الأقدمون يجعلون لقصائدهم مقدمات من الوقوف على ديار الحبيب و البكاء على آثارها ثم الرحيل عنها إلى حيث يقصدون فحول المولدين ذلك إلى مقدمات غزليه يصفون بها الحبيب و يذكرون أشواقهم ثم

يتخلصون إلى المدح أو سواه. وقد لا يكون بين المقدمه الغزليه و سائر القصيده من رابطه فكريه أو حسن تخلص و على هذا كثير من شعر البحتري و فيه يقول ابن الأثير: انه لم يوفق في التخلص من الغزل إلى المديح بل اقتضبه اقتضابا و لقد حفظت شعره فلم أجد له من ذلك شيئا مرضيا إلا اليسير.

و من ظاهره عدم حسن التخلص هذه عند البحتري ينطلق البعض ليؤكد صدق البحتري في غزله و يرى أن التفسير المقبول لتلك الظاهره هو أن البحتري كان يرضى عواطفه و يعبر عما يعانیه من مشاعر و انفعالات صادقه في مقطوعات مستقلة ثم يتخذ بعضا منها مقدمات لقصائده نزولا على تقاليد الشعر آنذاك فكانت القصيده في الواقع كأنها مركبه من قصيدتين واحده يفرغ فيها عواطفه في الغزل و أخرى لغرض المدح أو غيره من الأغراض فكان البحتري كان يضم احدي القصيدتين إلى الأخرى من غير أن يعنى بالربط

ص: ٣١٦

بينهما و لذلك أرجح ان كثيرا من هذا الغزل الذى بدأ به قصائد مدحه كان غزلا صرفا أنشاه البحترى إرضاء لعاطفته الشخصية و إلا- فإنه من غير المعقول ان شاعرا محبا كالبحترى لا يكون له فى الغزل إلا ثلاث قطع صغيرة و لا نستطيع تعليل ذلك إلا بأنه قد أشبع نفسه غزلا بهذا الغزل الذى بدأ به المدح.

و نحن قد لا نبتعد كثيرا عن مثل هذا الرأى إذا عدنا إلى بعض مقدمات قصائد الشاعر الغزليه التى استهل بها مدائحه و لا سيما تلك المقدمات التى يخص بها حبيبته علوه كما فى القصيده التى مطلعها:

خيال يعترينى فى المنام لسكرى اللحظ فاتنه القوام

و القصيده التى مطلعها:

ألا هل أتاها بالمغيب سلامى و هل خبرت وجدى بها و غرامى

و القصيده التى بدأها بقوله:

قل للسحاب إذا حدثه الشمال و سرى بليل ركبه المتحمل

عرج على حلب فحى محله مانوسه فيها لعلوه منزل

و القصيده التى مطلعها:

عهد لعلوه باللوى قد أشكلا ما كان أحسن مبتداه و أجملا

و التى مطلعها:

شوق إليك تفيض منه الأدمع و جوى عليك تضيق منه الأضلع

و التى مطلعها:

بودى لو يهوى العذول و يعشق فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق

و سواها من القصائد حيث عرف البحترى كيف يلتقى بالعذاب من مفردات اللغه و يصوغها فى أرق تعبيراتها ليصور مشاعر الحب و هى مشاعر مستسلمه إلا انها نوع من الحب يصوره من خلال الحسن الأسر المستبد و الدلال الطاغى من الحبيب الذى لا يقبل من حبيبه إلا الاستسلام لأهوائه و يحرم عليه الشكوى من العذاب. يقول:

أميرتى! لا تغفرى ذنبى فان ذنبى شده الحب

يا ليتنى كنت انا المبتلى منك بأدنى ذلك الذنب

حدثت قلبى عنكم كاذبا حتى قد استحيت من قلبى

إن كان يرضيكم عذابي و ان أموت بالحسره و الكرب

فالسمع و الطاعه منى لكم حسبى بما يرضيكم حسبى

و له مطالع غزليه غايه فى الرقه و العذوبه:

لى حبيب قد ليج فى الهجر جدا و أعاد الصدود منه و أبدا

عذيرى فيك من لاح إذا ما شكوت الحب حرقنى ملاما

و قد سبقت الإشاره إلى بعض أبيات هذه القصيده فى كلامنا على حبه لعلوه.

أما مفاهيم البحترى و مقاييسه الجماليه فهى نفسها المأثوره فى الشعر العربى بعامه. يعجبه الجفن الفاتر المريض الساحر الساجى، الأهور الأسر، و القوام المرهف اللين المتثنى و الجسم الأبيض الناصع كأنه اللؤلؤ قد دق منه الخصر و ضخم العجز و سمت يداه و رجلاه و طال عنقه فى جمال و حسن. أما الفم فايض ذو أسنان دقيقه كأنها الأفحوان و يزين ذلك كله مشيه فيها لين و دلال فيه سحر.

و البحترى فى غزله كان حسيا يتطلب اللذه و المتعه. بل انه فى المواقف التى تثير الحزن ينفعل إذا كان فيها مكان لمتعه.

و قد ضمنا وشك التلاقى و لفنا عناق على أعناقنا ثم ضيق

فلم تر إلا مخبرا عن صبابه بشكوى و إلا عبره تترقرقى

فأحسن بنا و الدمع بالدمع و أشج تمازجه و الخد بالخد ملصق

و من قبل قبل التشاكي و بعده نكاد بها من شده الوجد نشرق

فلو فهم الناس التلاقى و حسنه لحب من أجل التلاقى التفرق

فقد انسته لذه العناق قسوه الفراق! و ربما كان حب اللذه عنده هو السبب الذى غيب مسحه الحزن عن غزله بشكل عام.

هذا إلى عواطف اخرى كثيره حدثنا عنها فى شعره فصور لنا كيف يعشق الحبيب مع هجره و دلالة، بل كيف يتفانى المرء فى حب حبيبه و كيف ان الحبيب فى نظر من يحبه أجمل مخلوق يراه. و كيف يتدلل الحبيب و يغضب ان شكا إليه قسوته و عنف حبه و كيف ان النفس التواقه إلى الجمال يشوقها الجمال دائما فتلمسه فى كل مكان و كيف يتدلل المحب لحبيبه و يخضع له و يستعطفه و ان كان هو الجانى المذنب و كيف أن الحب للحبيب الأول مهما طال الزمان إلى آخر ما هو هنالك من شئون المحيين و شجونهم.

و يكثر فى غزل البحترى ذكر الطيف و الخيال حتى عرف به بين الشعراء. قال الحصرى: كان البحترى أكثر الناس ابداعا فى الخيال حتى صار لاشتهاره مثلا فيقال: له خيال البحترى.

و للبحترى بضع قطع أنشأها للغزل خاصة و لم يجعلها فاتحه مدح و هى قطع قصيره ذكر فى واحده منها ما لاقاه فى حب علوه. و فى قطعه ثانيه يحدثنا عن موعد ترقبه من علوه قبيل الصبح حتى إذا أقبلت ثم عليها المسك و العنبر. و فى قطعه ثالثه يحدثنا عن تمكن الهوى فى قلبه و ازدياد الحب جده و قوه فى نفسه بعد المشيب.

الرتاء

اثر عن البحترى قوله: من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح و قد رثى البحترى ملكا و وزيرا و جماعه من القواد و جماعه أخرى من ذوى المناصب الكبيره فى الدوله كما رثى غلامه و قومه و شبابه.

و قد اختلفت الآراء فى تقويم رثاء البحترى فذهب البعض إلى أن البحترى ليس من المشهورين فى الرثاء و ان يكن له فيه ما يستطاب. و ذهب البعض الآخر إلى أن الصداقه كانت تقوم مقام الحب عند البحترى و انه كان يتأثر بوجيها فى بكاء أصدقائه و غلمانه و الأمراء الذين أحسنوا اليه و بالجمله فى شعره الرثائى فقد أوسع فى بكاء الصحب و الأيام و الديار. لقد كان

تعاظمت الحوادث حول حظى و شبت دون بغيتى الحروب

على حين استتم الوهن عظمى و أعطى فى ما احتكم المشيب...

أتوب من الاساءه ان أمت و اعرف من يسىء و لا يتوب

و فى مثل هذا الرثاء للنفس ينضاف لعناصر الإجاده فى رثاء الوليد عنصر انساني جديد و هو الإحساس بالكآبه و الحيره و الاضطراب. تلك المشاعر التى تسيطر على الإنسان و قد أخذ يدنو حثيثا من لحظات الغروب فى حياته. فالقرايه و الصداقه و المشاعر القويه و الشيخوخه إذن هى العناصر الإنسانيه المؤثره و الأنغام الشجيه الحزينه التى عزفها البحترى فى سمفونيته الرثائيه.

الهجاء

و أقل بضاعه البحترى فى ديوانه الهجاء. و هنا يختلف صاحب الأغانى عن المرزبانى. فالأول يقص علينا سببا لذلك القصه التاليه نقلا- عن الأ-خفش عن أبى الغوث (ابن البحترى): ان الشاعر لما حضرته الوفاه دعا ابنه و قال له اجمع كل شىء قلته فى الهجاء ففعل: فأمره باحراقه. ثم قال له: يا بنى هذا شىء قلته فى وقت فشيت به غيظى. و كافات به قبيحا فعل بى. و قد انقضى أربى فى ذلك و ان بقى روى. و للناس أعقاب يورثونهم العداوه و الموده و أخشى ان يعود عليك من هذا شىء فى نفسك أو معاشك لا فائده لك فيه. قال فعلت انه نصحنى و أشفق على فأحرقته.

و يعقب على ذلك الأصفهانى بان: أكثر هجائه ساقط ركيك لا- شاكل طبعه و لا يليق بمذهبه و لا يعرف له هجاء جيد إلا قصيدتين إحداهما فى ابن أبى قماش و الثانيه فى يعقوب بن الفرج.

و قد سبقت الإشاره إلى ان المرزبانى نسب إلى البحترى سوء العهد و خبث الطريقه فى الهجاء لأنه هجا نحوا من أربعين رئيسا ممن مدحهم.

و مهما قلنا فى مذهب الهجائى فالهجاء و لا شك ضئيل فى ديوانه و الذى وصل إلينا منه لا يدل على علو كعب الشاعر فيه.

و مع ذلك فقد وصلنا من هجائه ما يزيد على ستين قطعه تقرؤها جميعها فتخرج بنتيجه واحده تلك هى ان البحترى شاعر غير مطبوع على الهجاء.

إلا فى القليل و ان الهجاء فن لم يجده البحترى و لم يتقن أسبابه إلا نادرا و انك تلمس فى هجائه ظاهرتين: إحداهما قصر نفسه فيه فجل أهاجيه مقطوعات قصيره لا- تزيد غالبا على خمسه أبيات أو سته و كثيرا لا تزيد على البيتين و الثلاثه. و ليس قصر النفس وحده كافيا للدلاله على ضعف شاعرنا فى الهجاء بل يضاف اليه قله المعانى التى يحويها. و ثانيتهما صراحه هجائه فهو يدعو من يهجوهم حمارا تاره و كلبا اخرى و ثورا حينا و ابن كلب حينا آخر.

و الهجاء القوى هو الذى يلجا إلى التهكم الباعث على السخريه بالمهجو فإذا لجا إلى المعانى المألوفه ادخل فيها ما يجعلها طريفه محبوبه.

و ربما كانت للشهره التي عرفها البحترى و للحظوه التي نالها عند الحكام إضافة إلى رغبته في عدم الرد على الشعراء الذين هجوه كى لا- يتمادوا في فعل ذلك و إتقانه فن العتاب و الاعتذار و كراهته ان يشهر بالهجاء كلها عوامل حالت بين البحترى و بين طول باعه في الهجاء و حسنا فعل.

و إذا رجعنا إلى القطع التي أنشأها البحترى للهجاء خاصة وجدنا أسبابها تعود إلى خمسة أولها عدم إعطاء ممدوحيه له نوالا على شعره، ثانيها غيظه من الحجاب و ما كان يناله من تعجرفهم و سوء معاملتهم و ثالثها تعرض بعض الناس لشعره أحيانا بالنقد و أحيانا بالسرقة و رابعها عدم شكران الضيعة التي يؤديها هو إلى صحبه. و خامس الأسباب ألم النفس من حادثه خالفت الخلق و العاده أو أمر شذ عن الإجماع كما في هجائه لأبى الدردام و المعلم الأعرج.

أما قصيده البحترى في هجاء ابن أبى قماش و التي أعجب بها القدماء و المحدثون فمطلعها:

مرت على عزمها و لم تقف مبدية للشنان و الشنف

و هي تدور حول سخرية البحترى من الحسن بن أبى قماش لما كان من كلف جاريته بأحمد بن صالح بن شيرزاد الذي كان بدوره يعشقها و قد أخذها ابن أبى قماش إلى بيته. و كان ابن أبى قماش يدعى العلم بالتنجيم و قد أدار البحترى سخريته و تهكمه حول هذه العناصر. و اعتمد البحترى على أسلوب التهكم و السخرية و التصوير الكاريكاتورى في إبراز مساوىء ابن أبى قماش و قبح منظره. و قد وفق فنيا في هجائه لأنه لم يعمد إلى ما عرف عنه من الشتم الصريح و انما اعتمد على التلميح و السخرية اللادعه.

و هذه السخرية اللادعه المعتمده على الحقائق المتصله بابن أبى قماش في عمله و ما عرف عنه من هوايه الفلك و الزيج و صداقته لأحمد بن صالح و ما كان من انصراف جاريته عنه إلى هذا الأخير كل ذلك اضفى على الهجاء في تلك القصيده طابعا فنيا لا بأس به.

أما قصيدته الثانيه فهي هجاء يعقوب بن الفرج و مطلعها:

تظن شجونى لم تعتلج و قد خلج البين من قد خلج

و لعل هجاء الشاعر في بنى ثوابه و بنى عبد الأعلى من هجائه القوى الذى لم يلجا فيه إلى القذف و السب و انما غلبت عليه روح السخرية المؤلمه و يبدو ذلك في قصيدته التي مطلعها:

قصه التل فاسمعوها عجابه ان في مثلها تطول الخطابه

و خلاصه القول - و لحسن حظ الشاعر في الأغلب - انه كان خافت الصوت في الهجاء. و كان عصره يكفيه روائع ابن الرومى في هذا الميدان.

"أنا و أبو تمام حكيمان و الشاعر البحتري". عبارته نسبت إلى المتنبي فهل قصد أبو الطيب إلى تجريد نفسه و أبي تمام من الشعاريه و تجريد البحتري من الحكمه. أغلب الظن أن كلهم شاعر و كلهم حكيم و لكننا نقرأ حكمه البحتري عاريه و نقرأ شعر الآخرين حكمه و عللاً.

و كلمات البحتري في الدنيا و الحياه و الموت كثيره و منتشره في ثنايا ديوانه الفخم.

و للأستاذ صالح حسن اليزمي "قراءه" مميزه لقصيدتي البحتري في وصف معركته مع الذئب و في وصفه ايوان كسرى تستحق الاطلاع عليها في معرض تبيان الأبعاد الحكميه لهاتين القصيدتين لا سيما فيما يتعلق بشئون الإنسان و الحياه و الموت.

حيث يصبح الذئب رمزا للمعوقات و الرعب و الشر في هذا العالم و يصبح تماسك البحتري أمام ايوان كسرى مظهراً من مظاهر صراع الإنسان مع الدهر.

و على كل حال بالإمكان رؤيه نظرات البحتري الحكميه المتعمقه مبثوثه

فى الكثر من قصائد الديوآن. و له آبيآ عرفآ و اشتهرت و آخذها عنه شعراء آآرون من مثل قوله:

ليس يحلو وجودك الشىء تبغيه التماسا حتى يعز طلابه و قوله:

إذا المرء لم تبدهك بالحزم كله قريحته لم تغن عنك تجاربه

و قوله:

و أحب آفاق البلاد إلى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب

و قوله:

متى اخرجت ذا كرم تخطى إليك ببعض أخلاق اللئيم

و قوله:

ما كان فى عقلاء الناس لى أمل فكيف أملت خيرا فى المجانين

و قوله:

متى أرت الدنيا نباهه خامل فلا ترتقب إلا خمول نبيه

كما نراه فى قصيده قالها فى صاعد بن مخلد مطلعها:

معاد من الأيام تعذينا بها و أبعادها بالألف بعد اقترابها

يصور الحياه تصوير معاناه و تجريب:

متى تستزد فضلا من العمر تغترف بجلبك من شهد الخطوب و صابها

تشذ بنا الدنيا بأخفض سعيها و غول الأفاعى بله من لعابها

يسر بعمران الديار مضلل و عمرانها مستأنف من خرابها

و لم ارتض الدنيا أوان مجيئها فكيف ارتضائها أوان ذهابها

و هل أنت فى مرسومه طال أخذها من الأرض إلا حفنه من ترابها

و من يفتش عن الحكمه فى شعر البحترى يجدها و ان لم يكن باعه طويلا فيها كأبى تمام أو المتنبى.

كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يلغى عن صدقه كذبه

و لم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه و ما سببه

و الشعر لمح تكفى إشارته و ليس بالهذر طولت خطبه...

و اللفظ حلّى المعنى و ليس يريك الصفر حسنا يريكه ذهبه

هذه الأبيات الواردة في قصيده البحتري التي مطلعها:

لا الدهر مستنفد و لا عجبه تسومنا الخسف كله نوبه

تبين لنا إلى حد بعيد نظريه البحتري في الشعر، بخاصه إذا تذكرنا انه كان معاصرا لأبي تمام و ابن الرومي. فقد نشأ البحتري نشأه بسيطه في عشيره بحتري الطائيه فلم يتثقف بالثقافات الفلسفيه و غير الفلسفيه التي عاصرتة و ظل ذوقه في جملة لا يابه للتنميق المسرف كما ظل يفهم الشعر على انه طبع و موهبه. و عبر الأمدى عن ذلك بقوله: انه أعرابى الشعر مطبوع و على مذهب الأوائل و ما فارق عمود الشعر المعروف.

و على الرغم من لقاء الشاعر لأبي تمام و روايته لشعره نجده يقف في الصف المقابل له في صناعه الشعر و فهمه. فقد كان يقف في صف "الصانعين" من أمثال بشار و أبي نواس بينما كان يقف أبو تمام في صف "المصنعين" من أمثال مسلم بن الوليد بل لقد بلغ عنده مذهب التصنيع غايته من التنميق العقلي و التألق اللفظي. و كان البحتري لم يستطع أن ينهض بما أداه أبو تمام للشعر من صناعه و زخرف.

كان البحتري يستخدم أحيانا بعض أدوات التصنيع و لكن في يسر و سهوله و دون أن يعقد فيها كما نرى عند جماعة المصنعين فهو من أصحاب الصنعه و هو لذلك لا يستطيع أن ينهض بشعره إلى الغايه التي حققها أصحاب التصنيع.

لقد استخدم البحتري التصوير و الجناس و الطباق و لكنه استخدم ساذج يخالف استخدام أبي تمام له. فقد كان أبو تمام يستخدم الطباق استخداما فلسفيا و هذا ما يفرق بين طباقه و طباق البحتري. لم يكن البحتري يعتمد في شعره على فلسفه و ثقافه يعقدان في أدواته و كان يعرف ذلك من نفسه و عبر عنه بالأبيات التي سبق و ذكرناها. و مع ذلك فان دراسه شعر البحتري تثبت انه حاول استيعاب الوسائل الحديثه في صناعته من الطباق و الجناس و التصوير إلا انه لا يستطيع أن يستخدم الأداة العقليه الخالصه أداه المنطق و الفلسفه لأنه ليس من أهل المنطق و لا من أهل الفلسفه. و نجد دائما شيئا من المنطق ينقص البحتري في فنه. فإذا نظرنا في صياغته فاننا نراه لا يعنى بتنسيق أفكاره و ترتيب معانيه ترتيبا منطقيا دقيقا. و بون بعيد جدا بينه و بين شاعر كأبي تمام في هذا الجانب فانك تحس عند الأخير بوحده القصيده واضحه كما تحس بتسلسل الأفكار. أما عند البحتري فانك ترى دائما خنادق و ممرات بين أبياته. و تتبع الباقلاني عنده هذه الظاهره في قصيدته:

أهلاً بذككم الخيال المقبل فعل الذى نهواه أو لم يفعل

و لاحظ أن التسلسل المنطقى فيها مضطرب و أن التفكير فيها غير منتظم و ذكر غيره من النقاد أن البحترى لا يحسن الخروج من موضوع إلى موضوع فى الشعر و انه يجنح دائما إلى ما يسميه ابن رشيق طفرا و انقطاعا.

امتاز البحترى بوجوده المطلع و جوده المنتهى. فمطالعه أول ما تطرق أذن سامعه و أغلب مطالعه فى الغزل و النسيب. و قد يكون المطلع نظرات فى الحياه. و ربما بدأ غرضه من غير مقدمات. و البحترى ياتى بأكثر مطالعه مصرعه يماثل آخر حرف فى الشطر الأول آخر حرف فى الشطر الثانى. و قد ياتى بذلك التصريح مرتين أو أكثر فى القصيده الواحده. و هذا الأمر إضافة إلى حرص شديد على الموسيقى الداخليه فى الشعر. و ما تستتبعه من المشاكلة بين الألفاظ و المعانى و التوافق الصوتى بين الحروف و الحركات و الكلمات حتى لكأنه يوفى وقته جميعه للصوت فهو يطلق الموسيقى و يدعها تؤثر فى أعصابنا كما يريد و يشتهى. هذا كله دفع البعض إلى القول انه "أراد أن يشعر فغنى" أو أن شعره "سلاسل الذهب" أو "...و أما الشاعر فالبحترى".

و إذا كان البحترى مجيدا فى المطلع و مجيدا فى المقطع فإنه غير مجيد

فى انتقاله من الغزل إلى الغرض الذى يقصده من الشعر بل هو على وجه الإجمال مغتصب ينتقل طرفه واحده من الغزل إلى غيره فهو لا- يحسن التخلص إلا- نادرا. و لعل كثيرا من سوء التخلص يعود إلى أن كثيرا من غزل البحترى فى مقدمات قصائده كان غزلا- مقصودا لذاته. يرسم فيه عواطفه و احساس نفسه فكانت القصيده فى الواقع كأنها مركبه من قصيدتين. واحده يفرغ فيها عواطفه فى الغزل و أخرى لغرض المدح أو غيره من الأغراض.

و قد اتبع البحترى أبا تمام فى استعمال البديع فى الشعر و لكنه لم يفرط فى هذا الاستعمال و عدل فى أكثر أحواله إلى الصوت و الصنعه فى الموسيقى لأنها الجانب القديم الذى يستطيع أن ينميه دون حاجه إلى ثقافه أو فلسفه. و هو على كل حال مع اقتدائه بأبى تمام لم يكن يتعمد إدخال البديع فى شعره تعمدا. و لكن إذا هيئت له فرصه استعمال البديع استعمله بلا إفراط.

و شعر البحترى متسق فى تركيبه متناسب فى أسلوبه لا نلاحظ فى قصيدته تباينا قويا بين أبياتها فى القوه و الضعف بمعنى انه لا يرتفع ارتفاعا قويا فى بعض أجزاء قصيدته ثم ينحط انحطاطا معيبا فى الأجزاء الأخرى بل يسير على مستوى واحد. و هو مع تناسب أسلوبه جميل فى هذا التناسب.

و البحترى لم يشتهر فى شىء شهرته بجمال الأسلوب و موسيقاه.

كما كان حريصا على الابتعاد عن حوشى اللفظ و غريبه و ان كنا لا ننكر انه استخدم بعض الألفاظ القليله الاستعمال و بعض الألفاظ الوحشيه الثقيله و حتى بعض الكلمات الأعجميه و لكنها قليله نادره لا تكاد تذكر.

و خلاصه القول ان نتاج البحترى هو نتاج بدوى تلفع برداء الحضاره.

فهو بدوى أعرابى رحل إلى المدينه و تحضر. و لكن هذا التحضر لم يتغلغل "فى عقله و لم ينفذ إلى اعماق نفسه فلم يستطيع أن يستخدم الثقافه فى عمله كما انه لم يستطيع التعقيد فى أدوات حرفته.

البحترى شاعر الأطياف

و تترك الكلام هنا للدكتور حسين عطوان:

لم يكن وصف الطيف من الموضوعات الأساسيه فى الشعر العربى من الجاهليه حتى أواخر العصر العباسى الأول، و انما كان موضوعا ثانويا ياتى لماما فى أوائل القصائد أو فى تضاعيفها، ثم أخذ الشعراء بمعانيه، مرددين أن أطياف صواحبهم تزورهم فى النوم و تؤرقهم، عاجبين من اهتدائها إليهم على بعد ما يفصل بينهم و بين محبوباتهم من المسافات البعيده، و الطرق الوعره و المسالك الخفيه.

و ينهض البحترى فى العصر العباسى الثانى بهذا الوصف نهضه واسع و رائع، إذ أكثر من افتتاح قصائده به، كما بث خطوطا منه فى غير قليل من قصائده. على أن البحترى لم يستكثر من وصف الطيف فحسب بل أفتن افتنانا عظيما فى توليد معانيه، و استنباط اللطيف و الطريف منها، بحيث لفت أنظار القدماء، و جعلهم يسلمون له بأنه السابق فى هذا الميدان، دون منازع.

يقول أبو علي القالى: " هو أحد المحسنين فى القول فى طروق الخيال حتى قيل طيف البحرى ".

و يقول الحصرى القيروانى: " كان البحرى أكثر الناس ابداعا فى الخيال، حتى صار لاشتهاره مثلا يقال له طيف البحرى ".

و يقول الآمدى: " أما البحرى فإنه أولع بذكر الخيال فقال فيه و أكثر و أجاد و أبداع، و تصرف فى معان لم يأت أحد بمثلها، و استفتح قصائد كثيره بذكر الخيال لشده شغفه به، فأحسن فى ابتداءاته كلها، و زاد على الإحسان ".

و يقول ابن رشيق القيروانى: " البحرى أرق الناس نسيبا، و أملحهم طريقه، لا سيما إذا ذكر الطيف، فإنه الباب الذى شهر به ".

و يقول الشريف المرتضى: " كان البحرى متيما بالقول فى الطيف، فأكثر فيه، و أغزر منه، مع تجويد و إحسان و افتنان. و تصرف فيه تصرف المالكين، و تمكن القادرين ". و يقول مره أخرى: " لأبى عباده فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم و متأخر، فإنه تغلغل فى أوصافه، و اهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره. و كان مشغولا بتكرار القول فيه، لهجا بإبدائه و إعادته.

و إذا نظرنا فى قصائده وجدنا فيها خير دليل على ذلك، إذ يلقانا تصويره اللطيف فى مقدماتها، و فى أثنائها، و هو حينما يحافظ فيه على المعانى الجاهليه، و الصور القديمه الموروثة من ذكر الليل و السرى و السهول، و الحزون و الوديان، عاجبا من اهتداء طيف صاحبه اليه، و متمنيا لوزارته على الحقيقه، و هدأت بزيارتها له نفسه التأثره، و أطفات أشواقه المضطرمه، على ما نرى فى قوله بمطلع قصيدته الهمزيه فى مديح عيسى بن إبراهيم.

طيف الحبيب ألم من عدوائه و بعيد موقع أرضه و سمائه

جزع اللوى عجلا و وجه مسرعا من حزن أبرقه إلى جرعائه

يهدى السلام و فى اهتداء خياله من بعده عجب و فى إهدائه

لوزار فى غير الكرى لشفاك من جبل الغرام و من جوى برحائه

فهو يستقصى استقصاء دقيقا الأماكن التى مر بها الطيف حتى انتهى اليه. فقد سرى اليه من مكان بعيد، مجتازا فى سرعه مناطق مختلفه:

كثبانا من الرمل، إلى تلال و مرتفعات تغطيها حجاره صغيره منشوره فوقها، حتى وصل إلى غايته فى أرض مبسوطه مستويه. و يعجب منه كيف قطع تلك الأميال الطويله لكى يلم به و يحييه، و يود لو ألم به فى غير النوم لكى يخفف ما به من الوجد الشديد، و الشوق المتقدم. و من هذا النوع قوله فى صدر مدحته للفتح بن خاقان:

أجدك ما ينفك يسرى لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوبا

سرى من أعالى الشام يجلبه الكرى هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا

و ما زارنى إلا ولهت صبابه إليه و إلا قلت أهلا و مرحبا

و ليلتنا بالجزع بات مساعفا يرينى أناه الخطو ناعمه الصبا

و لو كان حقا ما أتته لأطفات غليلا و لا فتلت أسيرا معذبا

فقد أصبح ليله شرکه بين الاغفاء و بين طيف محبوبته، إذ لا يكاد الليل يرخى استاره، و لا يكاد هو يأخذ فى النوم حتى يطير إليه طيفها طيرانا، و كأنما الليل قطب يجذبه إليه، و يدنيه منه، كما يقترن النسيم العليل بريح الصبا. فيرحب به، و يسلم عليه، و تهدأ نفسه قليلا. غير أنه سرعان ما ينتبه إلى أنه يعيش فى غرور و زور، و أن خيالها هو الذى ألم به دونها.

ص: ٣٢٠

فالخيال دائما يطيف به، غير انه لا يسد مسد الزياره الحقيقيه، و هو فى الغالب يصف سراه و ما قطع من القفار، و مجاهل الأرض حتى اهتدى اليه، كما يحدد الوقت الذى يزوره فيه، و هو آخر الليل.

و تلك هى بعض المعانى التقليديه، و الصور البدويه التى عنى بها و أذاعها فى كثير من مقدمات قصائده التى وصف فيها الطيف. غير أن له معانى عديده مبتدعه، و صوراً مخترعه، و لعل من أدل الشواهد على ذلك هذه الأبيات التى قدم بها لقصيدته التائيه فى الافتخار بنفسه، و عتاب قوم من أهل بلده، و التى تناسب على هذا النمط:

أحِبُّ إلى بطيف سعدى الآتى و طروقه فى أعجب الأوقات

أنى اهتديت لمحرمين تصوبوا لسفوح مكه من ربي عرفات

ذكرتنا عهد الشام و عيشنا بين القنان السود و الهضبات

إذ أنت شكل مخالف و موافق و الدهر فيك ممانع و موات

لولا مكائره الهموم و نحتها من جانبي لكنت من حاجاتي

و هذا معنى جديد تتمثل جدته فى متابعه خيال صاحبتة له و ملاحظته إياه حتى فى أيام حجه، و وقت إحرامه، إذ سرى اليه من بلده بالشام و ما زال يجوب الفلوات حتى وقع عليه و هو فى ثياب الإحرام، يؤدى مناسك الحج التى فرغ من أداء بعضها فى عرفات، و انحدر لكى يكمل سائرهما. و لا يتمادى معه فى الوصال و العبث، بل يبعث فى نفسه الحنين إلى موطنه، و إلى أيامه التى قضاها بين سهوله و قلال جباله، و يشغل عنه بالبعد و الغربه و الهموم المطبقه.

و قد أفاض الآمدى فى الثناء على الأبيات، حتى فضلها على أبيات قيس بن الخطيم المشهوره المذكوره التى أولها:

إنى سربت و كنت غير سرور و تقرب الأحلام غير قريب

و مثل ذلك المعنى فى الجده و الطرافه قوله:

قد كان طيفك مره يغرى بى يعتاد ركبي طارقاً و ركابى

فالآن ما يزدار غير مغبه و من الصدود زياره الاغباب

فقد كان خيالها فى أول الأمر يسرى اليه، و لا ينقطع عنه، غير انه لم يلبث ان ابتعد عنه، و لكنه لم يهجره هجراً متصلاً، و إنما أخذ يزوره فى الحين الطويل بعد الحين. أ رأيت اليه كيف يتلاعب بالألفاظ؟ أ رأيت اليه كيف يفتن فى استخراج المعانى؟ أما قوله:

"و من الصدود زياره الاغباب"

. فمن أطف الكلام، و أشده وصولا إلى كل قلب، كما يقول الشريف المرتضى.

و أغرب من هذا المعنى و أطرف قوله:

أما الخيال فإنه لم يطرق إلا بعقب تشوق و تشوق

قد زار من بعد فبرد من حشا ضرم و سكن من فؤاد مقلق

و لربما كان الكرى سببا لنا بعد الفراق إلى اللقاء فنلتقى

فقد فصل بينه و بين صاحبه، و انعدمت الوسائل إلى الوصل بينهما، و لم يعد له حيله الا أن يهيج نفسه لعلها تنام قليلا، فيزوره طيفها، و يظل يغالب نفسه حتى أخذتها سنه من النوم، و إذا خيالها يطيف به، و يبيل صداه. على أن البيت الثالث، هو الذى جود فيه غايه التجويد، إذ جعل النوم سببا للوصل بينه و بين محبوبته بخيالها الذى يزوره و يحقق له اللقاء بها. و من أجل ذلك قال الشريف المرتضى: أن لهذا البيت ما شاء الله من قبول و حلاوه و طلاوه:

و من معانيه المبتكره قوله:

أجدك إن لمات الخيال لمذكرتى بأيام الوصال

تؤرقنى إذا الرقباء ناموا أناه الخطوفاته الدلال

فكثيرا ما صرح الشعراء بان أطياف محبوباتهم تلم بهم، و تذكرهم بالأيام الخاليه، و لكن فى أعماق الصحراء، و بعد نوم الرفاق. أما هو فيزوره طيف صاحبه، لا بعد أن يهجع أصدقاؤه، بل بعد أن يغط فى النوم غطيظا رقباءه.

و لم تقتصر محاولاته على ابتداع المعانى، بل حاول اختراع الصور النادره الغريبه، و من ذلك قوله:

أهلا بذككم الخيال المقبل فعل الذى نهواه أو لم يفعل

برق سرى من بطن وجره فاهتدت بسناه أعناق الركاب الضلل

فقد جعل طيف محبوبته قيسا من نور يتوهج، و بيدد ظلمات الليل، و لا يضىء دروب الصحراء لنفسه فحسب، بل أيضا للقوافل الضاربه فى جوف الصحراء، و السائره على غير هدى، فإذا هى تهتدى بنوره الساطع، و لا تضل طريقها. و إذا أبو بكر الباقلانى على تعصبه ضد الشعراء لا يملك إلا أن يقول مستحسنا لصنيعه هذا و مثنيا عليه: "هذا البيت عظيم الموقع فى البهجه، و بديع المأخذ، حسن الرواء، أنيق المنظر و المسموع، يملأ القلب و الفهم، و يفرح الخاطر، و تسرى بشاشته فى العروق، و كان البحترى يسمى نحو هذه الأبيات عروق الذهب".

و لعل من أروع مقدمات قصائده التى تظهر فيها مقدرته على وصف الطيف، و تفريعه فى معانيه، و ابتداعه فى تصويره قوله:

بت أبدى وجدا و أكتم وجدا لخيال من البخيله يهدى
أقسم الظن فيه أنى تحظى الرمل و من عالج و أنى تهدي
خطا ما أزارناه طروقا أم توخيه للزياره عمدا
جاء يسرى فأشرق أرض نجد لسراه و واصل الغيث نجدا
لا تخيب البلاد تخطر فيها رسل الشوق من خيالات سعدى
وعدتنا فما وقت بوصول و وقت حين أوعدت أن تصدا
قرب الطيف متواها فأصبحت حديثا بناقض العهد عهدا

ص: ٣٢١

سكن لى إذا دنا ازداد ليانا و بعدا فازددت بالقرب بعدا

إذ تتضح فيه براعته فى تشقيق المعانى، و عرضه لها باعذب الألفاظ و أسهلها، على قلتها، و على تناوب الشعراء عليها، و على فتنته بها، و كثره ترجيعه لها، دون أن تغمض معانيه، أو يلتوى أسلوبه، فضلا عن المعانى الطريفه التى كان يستخرجها، و الصور اللطيفه التى كان يرسمها، كذلك الضوء الذى نشره طيف صاحبه على أرض نجد لمروره بها، و ذلك المطر الذى انهل عليها لاجتيازه إياها، و ذلك الخيال الذى جعله رسول الشوق يحمل معه الخير و البركه للأماكن التى يسير فيها.

و له بعد ذلك أوصاف كثيره للطيف تفوق فى كثرتها و فى جده معانيها و دقه صورها ما لغيره من الشعراء السابقين و المعاصرين له، بحيث نستطيع أن نسميه شاعر الطيف فى العريبه، فقد حقق لوصفه مجموعه من التقاليد الفنيه، و أصلها، من مثل تحديد الساعه التى يلم الطيف فيها، و المسافه التى يقطعها بين أنجاد و أغوار، إلى مفارز و قفار، و من مثل ترقبه له، و انتظاره إياه، و من مثل وصفه له بأنه يبذل فى النوم ما يضمن به فى اليقظه، و مدحه بأنه يعلل المشتاق، و ذمه بأنه سريع الزوال، و شيك الانتقال، و أنه يهيج الشوق الساكن، و يضرم الوجد الخامد، إلى غير ذلك من المعانى التى ردها و التى وجد الشريف المرتضى فيها ماده غزيره أقام عليها جزءا كبيرا من كتابه: "طيف الخيال".

أبو تراب يحيى بن إبراهيم بن أبي تراب الكرخى اللوزى

(١).

وصفه الذهبى فى الصفحه ٦٣ من الجزء ٢٢ من كتابه (سير اعلام النبلاء): بالشافعى الرافضى و قال فى ترجمته:

ولد سنه ست و عشرين و خمس مائه و تفقه على أبى الحسن بن الخل و سمع من الارموى و الكروخى و أبى الوقت و جماعه. و حدث بدمشق و بغداد. روى عنه ابن الديبى [الديبى] و ابن خليل و القوصى، فقال القوصى: أخبرنا المفتى قوام الدين يحيى معيد العماد الكاتب، أخبرنا ابن الزاغونى - فذكر حديثا.

و قال ابن نقطه: دخلت عليه سنه سبع و ست مائه فرأيتة مختلا، زعم أن الملائكه تنزل عليه بثياب خضر، فى هذيان طويل، و حدثنى بعض أصحابنا انه كان إذا ضجر لما قرئ عليه الترمذى يشتمهم بفحش.

و حدثنى ابن هلاله قال: دخلت على أبى تراب فقال: من اين أنت؟ قلت من المغرب، فبكى، و قال: لا- رضى الله عن صلاح الدين ذاك فساد الدين، أخرج الخلفاء من مصر، و جعل يسبه فقامت.

مات فى شعبان سنه اربع عشره و ست مائه (انتهى).

و لا ندرى كيف يجمع الذهبى بين صفه (الشافعى) و صفه (الرافضى). و إذا كان مختلا فكيف يجالسونه و يقرءون عليه، و إذا كان يشتم تلاميذه بفحش فكيف يستمرون فى القراءه عليه؟! و ما دام الرجل شيعيا فيجب ان لا نستغرب اى قول يقال فيه لا سيما من الذهبى.

أبو جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي النقيب.

مر الحديث عنه في المجلد العاشر و نزيد هنا على ذلك ما يلي مكتوبا بقلم الدكتور مصطفى جواد.

نبغ بالبصرة في القرن السادس للهجرة بيت من البيوتات العلوية الحسينية، كانوا يعرفون ببني أبي زيد و أبو زيد هذا هو محمد بن أبي عياش أحمد بن أبي علي عبيد الله بن أبي الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

اشتهر هؤلاء بالعلم و الفضل و جمعوا إلى شرف السيادة العلوية شرف العلم، و جمال الأدب، و البصره و ان لم تكن مدينه علويه الهوى استطاع أن يثور فيها على المنصور إبراهيم بن عبد الله الحسنى قتيل باخمري(٢) و أن يخرج فيها على بنى العباس باسم العلويين علي بن محمد صاحب الزنج و أول محرر لهم في الشرق، و العلوي بطبيعته و سياسته يندر أن لا يكون متشيعا أو قائلا بالإمامه المنصوصه و الخلافة الموروثة.

و بنو أبي زيد العلويون البصريون كانوا كما يستبين لنا زبيدين، و قد نبغ منهم في أواسط القرن السادس "قطب الدين أبو طالب محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أبي زيد المذكور آنفا" و كان مولده بالبصرة في خلافة المقتدى بامر الله العباسى و سلطنه ملك شاه السلجوقى، و نشا هناك نشاه الساده الأشراف و كان شيخ الأدب بالبصرة أبو محمد القاسم الحريرى مؤلف المقامات الخياليه و شيخ الأدب في سواد البصرة أبو القاسم عبد الله بن محمد الخوارزمى المعروف بالكامل مؤلف كتاب "الرحل" و هى المقامات الحقيقيه و كتاب "الفصول" في الأدب.

و لعل الشريف أبا طالب محمد بن أبي زيد هذا قرأ المقامات أو سمعها على مؤلفها الحريرى، و للقراءه و السماع على المؤلف شان عظيم فى دراسه القوم فى تلك العصور، و أقبل الشريف على كتب الحديث يسمعها على الشيوخ الثقات، فقد سمع كتاب "سنن أبي داود" سليمان بن أشعث السجستاني، و هو من أمهات كتب السنه، على الشيخ أبي علي محمد بن أحمد التستري، أحد التجار البحرينيين بالبصرة، ممن جمع بين بضاعة الدنيا و الآخره، و ذلك أنه كانت له ثروه و مراكب فى البحر و حفظ القرآن الكريم و سمع الحديث النبوى الشريف و كان حسن العقيدته، صحيح السماع موثوقا بروايته - على ما ذكر بعض المؤرخين - توفى سنه "٤٧٩".

كان عمر الشريف أبي طالب بن أبي زيد عشر سنين حين بدأ بسماع كتاب السنن على أبي علي التستري و لعل هذا الشيخ الثقه مرض فى أثناء حضور الشريف مجالسه الحديثه، فقد علمنا أن الشريف المذكور روى عنه الجزء الأول سماعا أى سمعه عليه حضورا و روى الجزء الثانى إجازة فقد أجاز له التستري روايته عنه، و الإجازة عندهم من نوع الهبات العلميه تستدعيها الثقه بالتلميذ قبل كل شىء، و لم يكن الشريف قد بلغ من العمر و الدرايه ما يستحق الثقه، و لذلك ظننا أن خوف الموت هو الذى استخراج هذه الهبه الثمينه، و أن مرض التستري هو الذى رشح الشريف لذلك.

و سمع الحديث أيضا على الشيخ أبي طاهر محمد بن علي بن العلاف من مشهورى المحدثين هو و أبوه و جده، و سمع أيضا على الشيخ أبي طاهر جعفر بن محمد القرشى العبادانى، و كان شيخا صالحا إلا أنه كان أميا توفى سنه "٤٩٣" هـ بالبصره، و أهل الحديث فى ذلك الزمان ينظرون إلى عمر الشيخ و ما سمعه من الكتب، و الصدق و الاستقامه و لا يلتفتون إلى الأميه و لا إلى

الثقافه و لا إلى غيرهما.

و سمع الشريف أبو طالب على غير هؤلاء الشيوخ و برع فى الفنون الإسلاميه و ظهر فضله و اشتهرت معرفته، و ولى نقابه الطالبين بالبصره، فى أيام نقيب نقبائهم أبى عبد الله أحمد بن على بن المعمر العلوى الحسينى

ص: ٣٢٢

١- نسبه إلى محله اللويزيه محله مشهوره كانت بشرقى بغداد.

٢- باخمري قريه كانت قرب الكوفه جرت عندها الوقعه بين الجيشين جيش إبراهيم و جيش المنصور سنه ١٤٤ هـ.

المتوفى سنة "٥٦٩" المدفون بالمدائن "سلمان باك" في مشهد أولاد الحسن بن علي (ع).

كانت الطبقات المتميزه(١) الارسطقراطيه فى ذلك العصر "ثلاثا:

طبقه العباسيين و طبقه العلويين و من جرى مجراهم من آل أبى طالب و طبقه الأنصار و لكل منها نقيب عام يقيم ببغداد عاصمه الخلفه العباسيه، و لكل من هؤلاء أعوان من النقباء فى المدن و البلدان و القرى و المشاهد، فكان الشريف أبو طالب محمد بن أبى زيد يتولى اداره أمور العلويين بالبصره و يرعى مصالحهم، و من يقرأ التوقيع "الأمر الادارى" الذى يكتب لنقيب من النقباء يعلم أن منصب النقباء كان خطيرا كبيرا كثير الشواغل و المهمات، فهو مثل ما سمي بالامتيازات "التميزات" الأجنبيه فى الشرق للدول الأجنبيه.

و كان الشريف أبو طالب مع ما يستحقه منصبه العظيم من الزماته و الوقار، ظريفا مطبوعا، خفيف الروح، حسن التصرف بالأحاديث حتى أتهم بالتزويد و "ما مالت الأشراف تهجى و تمدح". و قد ذاع صيته بالعلم و الفضل فاستقدمه الوزير الكبير بل سيد الوزراء عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة الحنبلى، وزير الخليفه المقتفى لأمر الله و ابنه المستنجد بالله إلى بغداد و سمع عليه كتاب "سنن" السجستاني، و رحل اليه رحله طويله أبو الفتح بن المصرى فسمع عليه سنن السجستاني المذكوره و رواها عنه ببلاده، و طبقت شهرته الآفاق و تلفعت روايته على العراق و غير العراق، و ممن روى عنه الامام برهان الدين نصر بن محمد بن العمرى البغدادي الحنبلى المقرئ المحدث المشهور. و منحه الله تعالى عمرا طويلا و روايه المعمرين عند طلاب الحديث هي الإكسير الأكبر فى علم الحديث.

و روى عنه الشيخ الصالح أبو منصور سعيد بن أحمد بن على المعروف بابن محاوش البصرى المالكى سنن أبى داود. و كما برع الشريف أبو طالب فى الاداره و النقباء و الروايه و الدرايه فكذلك مهر فى الكتابه، و مما وجدنا له من ترسله تهنئه بعث بها إلى بعض الوزراء و لعله عون الدين بن هبيرة المذكور يقول فيها:

"أسعد الله حضرته بهذا الموسم الشريف و لا- زالت كعبه تحجها شفاه التهاني و لا زالت أبوابه الساميه للرعايا مراد الأمانى، و ثغور الإسلام مؤيده محروسه بشريف آرائه، و شرور الأعوام محبوسه بمجدد آلائه، ما سرت نسمة و ما ابتسم الزهر بروض يبكى عليه الغمام".

و فى شهر ربيع الأول من سنة "٥٦٠" ه توفى الشريف السيد أبو طالب محمد بن محمد بن أبى زيد بالبصره عن احدى و تسعين، و خلف من الذكور - على ما وصل اليه علمنا - عبد الباقي بن محمد بن أبى زيد و شرف الدين أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبى زيد، و هو الذى عقدنا هذه الترجمة فى الاعراب عن فضائله و مجمل سيرته، و قد أوأنا إلى ذلك من قبل و لعله كان أسن من أخيه.

ولد أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبى زيد هذا بالبصره سنة "٥٤٨" فى السنه الأولى من استقلال الدوله العباسيه و خلاصها من كابوس السلطنه السلجوقيه، ولد فى عهد الحريه و رجوع دوله العرب إليهم، فى بيت ذى سياده عريضه و شرف و طا الله مقاعده و أحصف معاقده، و فى كنف النقباء العلويه و الجاه الطالبى، و نشاه والده تنشئه الأشراف، و قرأ الأدب على أديب بصرى يعرف

بأبي محمد بن الأحمر الحماني، لا نعرف من حاله شيئاً كحال كثير من الأدباء الذين قصر التاريخ في أمرهم ولا سيما أدباء البصرة فليس لهذه المدينة العظيمة تاريخ يرجع إليه ولا تسجيل يعتمد عليه ولو لا خروج جماعه من الأدباء منها وخروج متأدين تأدبوا فيها ما وقع إلينا اسم أبي محمد بن الأحمر شيخ مترجمنا ولا غيره من أسماء أدباء البصرة، ولا نغنى بذلك النادر كأبي محمد القاسم الحريري البصري، فإنه قد كان اشتهر شهره خرجت عن سلطان خمول البصرة، ومع ذلك قصد بغداد فطار صيته في العالم الإسلامي.

قلنا إن أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري درس الأدب بالبصرة ولا نستطيع أن نعين للقارئ الكتب التي قرأها أو سمعها تحت سمه "الأدب" فالدواوين الشعرية كديوان امرئ القيس وديوان الأعشى وديوان النابغة الذبياني وديوان الفرزدق وديوان جرير وديوان الأخطلكانت في مقدمه الدواوين التي قرأها أو سمعها هنا. ويدخل في الأدب الأخبار والأنساب، ففي الأخبار أيام العرب ومقاماتهم وأخلاقهم وعاداتهم ومجموع تواريخهم، والأنساب من أول ما يدرس العلوي من الفنون العربية في ذلك الزمان، فشرّف العلويين وجاههم وتميزهم على غيرهم واختصاصهم بعناية الدوله واحترام الناس قائمه على الأنساب، نضيف إلى ذلك أن التاريخ ذكر أن هذا السيد الشريف درس كتاب "جمهره النسب" لابن الكلبي وسمعه على أحد الشيوخ ولعله ابن الأحمر المذكور، ولا نظننا مبعدين بان نقول إنه درس أدب الكاتب لابن قتيبة وأخبار البصرة لعمر بن شبة، وديوان بشار بن برد الشاعر البصري الرقيق المقتدر ومقامات الحريريفإنها على كونها كتابا بصريا كانت في أيام هذا الشريف قد أصبحت من أمهات كتب الأدب التي يدرسها المستأدب فيكتسب ثروه لغويه من مفرداتها و ثروه إنشائية من عبارتها، وكذلك القول في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ و "الكامل" لأبي العباس المبرد، فهذان الكتابان إلى كونهما بصريين أيضا لم يؤلف مثلهما في هذا الفن، وكيف يهمل المتأدب البصري تأليفهما الأخرى كالحيوان للجاحظ والروضه للمبرد؟ وفي أيام صباه لمعت شخصيات أدبيه بالبصرة منهم فخر الدين أبو زيد المطهر بن سالار المشاني، أحد كبار الأدباء، وهو من تلاميذ الحريري ولتعليمه صنف المقامات وأخذ كنيته "أبا زيد" فركب المقامات عليها، ولكنه نسبه إلى "سروج" تعميّه لأمره، و ابنا الحريري أبو العباس محمد و أبو القاسم عبد الله ولكن عبد الله ترك البصرة وسكن بغداد، وشهاب الملك أبو المرتجى البصري والدكيشي أبو علي الحسن بن علي من عبد القيس و محمد بن يحيى القرشي والفضل بن أحمد بن سلمان والكافي سناء الدوله وغيرهم ممن لا نحب الاطاله والإملال بذكر أسمائهم، ولم يذكر التاريخ صله للشريف أبي جعفر بهم، ولعل أكثرهم ماتوا و درجوا والشريف لم يذرف للثانيه عشره سن عمره. أما ابن ماري الطيب الأديب (٢) فقد كان معاصرا له.

و كنا ذكرنا قبل هذا أن للشريف أبي جعفر أخا اسمه عبد الباقي واسترجحنا أن يكون عبد الباقي أصغر من أخيه، والسبب في ذلك الاسترجاح أن أبا جعفر ولي نقابه الطالبين بالبصرة بعد وفاه أبيه سنه "٥٦٠" على عهد الخليفة الهمام المستنجد بالله وقد جرت العاده عند القوم أن يتولى الابن الأكبر ما كان يتولاه الأب ما لم يمنع ذلك مانع كالعاهيه والآنه والجنون والفسق المشهود، على أن والده مات وعمره اثنتا عشره سنه.

وعنى أبو جعفر بالشعر وبرع في نظمه ومال إلى الأدب، زياده على ما استعده من آله النقابه كالفقه والخلاف والمقالات والجدل والأحكام".

-
- ١- استمد هذا التميز من القرب من نسب الرسول (ص) و من الانتماء اليه و من خدمته اى خدمه الإسلام.
 - ٢- هو أبو العباس يحيى بن سعيد النصراني المعروف بابن ماري المسيحي، كان كاتباً أديباً شاعراً طيباً حكيماً مفتاً، يتكسب بالطب و الكتابه و يمدح الأكابر و الأعيان و له كتاب "المقامات الستين" المشهور، توفي بالبصره سنه "٥٨٩".

و الكلام، و ليس من شك فى أنه استفاد كثيرا من أبيه أبى طالب محمد بن أبى زيد، فقد جاء فى التاريخ أنه روى الحديث عنه و لكننا نستبعد أن يكون باشر النقابه بنفسه بعد أبيه و عمره اثنتا عشره سنه، ففى مثل هذه الحال يجب أن يكون له نائب يابرها بالوكاله.

و فى أيام صباحه كان أمير البصره كمشتكين أحد المماليك من الأتراك و كان أميرها قبل ذلك منكوبرس من الجنس المذكور، و لكن الخليفه المستنجد بالله أمر بقتله سنه "٥٥٩"، و اشتدت أطماع الأمراء فى البصره فان الأمير ابن شنكا التركمانى و هو ابن أخى شمله التركمانى صاحب خوزستان "عربستان" قصد بجيشه البصره سنه "٥٦١" و نهب قراها و قتل كثيرا من جند أمير واسط حظلوبرس مؤسس المدرسه الحظلوبرسيه هناك، و أسر كثيرا، و فى سنه "٥٦٢" عاد بجيشه إلى البصره و نهب البلد نفسه و خربه من الجهه الشرقيه، و عاث فسادا فى بلدان اخرى من جنوبى العراق و فى مثل هذه الأحوال يكون موقف النقباء و الخطباء و العلماء حرجا، فمنهم من ينقلب على دولته و ينصر العدو، فإذا هرب العدو فى آخر الأمر فاما الهروب معه و أما التعرض لعقاب شديد، و منهم من يبقى على موالاته بين الأمن و الخوف. و لم يذكر التاريخ شيئا فى هذا، فقد كان أبو جعفر صغيرا لا يتجاوز عمره ثلاث عشره سنه.

و كانت سنه "٥٧٥" مبدأ عصر عظيم فى الدوله العباسيه، و كان للفرد الحاكم المسيطر فى ذلك الزمان أثر بالغ فى سيره الأمه و معيشتها و تقدمها أو تأخرها، ففى تلك السنه استخلف الامام أبو العباس احمد بن الحسن الملقب بالناصر لدين الله، ذلك الذى يكاد الباحث يجزم بأنه لم يل الخلافه خليفه عباسى مثله فى الذكاء و فى السياسه و فى حقيقه السلطه و رعايه مصالح الدين و الأمه، و لا نريد أن نذكر فى هذه الموازنه غير الخلفاء العباسيين و ان كان لنا مجال فى ذلك.

لقد كانت مبايعته بالخلافه فاتحه العدل و الرخاء و الحكمه و التبرير و خاتمه عهد التعصب الشنيع و الحكم الفظيع، فقد اعترت الأمه فى عهد أبيه المستضىء المستضعف سكره الحيره و تردت بالخنوع و الخضوع و استمر عليها سوط العذاب و الظلم يبرح بظورها تبريحا، و نعم فى الدوله - كما هو الحال فى كل دوله أفلت شمسها و حل تعسها - رجال لا تستطيع أن تجد لهم من الأوصاف المنكره ما يعرب عن حقائقهم الخبيثه و أخلاقهم الشرسه الدنيئه، و هؤلاء و أمثالهم ليس لهم دواء الا التخليد فى السجون و إزاله شخوصهم الرذيله عن العيون، و الا السيف فهو الذى يريح البشريه بأقصر الطرق و أسلمها من النكس و العكس اللذين يريد أولئك المجرمون أن يعرفوها، فيشلاها، فتصبح شلاء بعد أن صحت و برئت من وحشيه الماضى و جفاء القدم. و لم يكد يستخلف هذا الامام الهمام حتى خمدت سوره الظلم و تطامنت الأشباح الهائله الهوله، و نكص الجور على عقبيه و تجددت حياه الأمه و انطلقت الأنفاس المكظومه و النفوس المزمومه و تنفس الحق كما يتنفس الصبح بعد ليله ليلاء، و تباشرت الوجوه بالهناءه و الرخاء، و انتقم الشعب من جماعه من القوم الذين كانوا يسومون خسفا و يحكمون فيه عسفا و يقتلون فيه و يصلبون و يحرقون، كان نيرون روما قد حل فيهم أو كان كلا منهم قد استحج أو استريد(١)، و تفرعن و طغا و تجبر.

و كان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبى زيد نقيب البصره فى الوفود التى وفدت على الخليفه الجديد، تهنته بالخلافه و تعزیه عن الخليفه الفقيده، و كان أدبه قد ذهب فى البلاد كل مذهب و شرق شعره و غرب، فقال فيما قال من المدحه التى مدح بها الخليفه فى اليوم الثالث من البيعه و قد رخصت الأسعار و هطلت الأمطار:

و ليت و عام الناس أحمر ما حل فجدت و جاد الغيث و انقشع المحل

و كم لك من نعماء ليس بمدرك لها حاسب إلا إذا حسب الرمل؟!

و انما قال ذلك لأن عاده الخلفه و رسومها قد جرت منذ عصور بان يخلع على الوفود و الرسل المهنيين و البطانه و الحاشيه و غيرهم فى أيام المبايعات و المواسم و الأعياد، و يعطوا من المال مبالغ تبلغ آلاف دنانير أحيانا، فهذا تأويل قوله

" و كم لك من نعماء ليس بمدرك كلها حاسب "

لقد كان عمر أبى جعفر النقيب سبعا و عشرين سنه يوم بوبع الناصر لدين الله بالخلافه، و كان عمر الناصر لدين الله اثنتين و عشرين سنه، فلم تسمح الرسوم و لا الأحوال و لا أعمارهما بان يجتمعا أو يرى أحدهما الآخر فى مثل تلك الأيام التى يكثُر فيها التقاصف، و تختلط فيها جماهير الناس و تكثُر حركات أرباب الدوله و أعيانها للقيام بالرسوم، و تمشيه أمور البيعه على الوجه الأكمل و فى السبيل الأفضل و أين يقع الشريف أبو جعفر من هذا البحر الطامى من الرجال الذين أصبحوا يتدافنون و يتداهون، و يتنافسون فى السبق إلى السيطرة الجديده على الخليفه الجديد، كما جرت العاده البشرىه بين أرباب السلطان فى كل زمان و مكان، و لكنهم خابت ظنونهم و ساء تقديرهم و حبطت آمالهم و كعت نفوسهم فهذا خليفه تزدان الخلافه به و يليق الحكم باعطافه فكأنه خلق ليكون خليفه.

و لما انتهت الرسوم و ختم الاحتفال و رفعت معالم الزينه انصرفت الوفود و الرسل و كان فى وفد البصره العائدين الشريف أبو جعفر بن أبى زيد، ثم عاد إلى مزاوله شئون النقابه الطالبيه هناك، و رئاسه آل أبى طالب و الرئاسه عبء ثقيل لا كما يظن فريق من البعيدين عن معالجه أمورها.

و كان عهد الناصر لدين الله عهد الكفايات و القابليات - كما هو شان كل عهد صالح - فالمجال مفتوح للكفاءه و المجتهدين و الدهاه المقتدرين و الأذكياء المخلصين، و قد يندس بينهم أحد المرائين أو المتمسسين لاصطياد المال و المراتب، و لكن الأيام كفيله بالكشف عنه، فان صلاح رأس الدوله هو رأس كل صلاح فيها، و كان من الرجال الذين توسم فيهم الناصر لدين الله - و تجاربه تزداد حكمه سنه بعد سنه - أبو المعالى سعيد بن على بن احمد الأنصارى الحنبلى المعروف بابن حديده من ولد قطبه بن عامر بن حديده أنصارى رسول الله (ص)، أصله من كرخ سامراء و سكن بغداد منذ صباه و كان أحد الموسرين و ذوى المال و الجاه و المكانه و السيره الحسنه و الزلفى عند الدوله العباسيه مع فضل ظاهر، و لم يزل ملحوظا بعين الإعظام و الإكرام من ديوان الخلافه، مشمولا بسوايغ الإنعام إلى أن اقتضت إرادته الناصر لدين الله تأهيله للوزاره فأمر باستدعائه من داره يوم السبت لسبع خلون من شعبان سنه "٥٨٤" إلى دار الخلافه على شط دجله فى شارع المنتصر الحالى، فمثل بباب حجره الخليفه، و هذه الحجره أشرف موضع يبلغه ذو مرتبه عاليه فى الدوله، و حضر أرباب المناصب و الولايات و الحجاب و اتباع ديوان الخلافه و القضاء و الأعيان، و خرج الأمر من الامام باستيزاره، و خلع عليه هناك خلعه الوزاره - على العاده - و هى قميص من القماش المعروف بالأطلس و فرجيه من النوع (٢) الممزج و عمامه قصب (٣) كحليه ذات أعلامش.

- ١- استحيج: صار حجاجا، و استزيد: صار زيادا، و هما فعلا-ن قياسيان، و الغالب فى قياس الثانى (استزاد) الا اننا حملناه على (استصوب) فى احدى صورتيه. فى قياس الثانى " استزاد "الا أننا حملناه على " استصوب " فى احدى صورتيه.
- ٢- الفرليه منسوبه إلى رجل اسمه "فرج" و هى تشبه الجبه المعروفه فى هذه الأيام باللباده، و الممزج من التمزيج و هو النسيج الصوفى الحريرى.
- ٣- عمامه القصب هى عمامه الكلبدون أى خيوط الذهب و هى تشبه الكشيداه الحاليه فى النقش و الوشى. و الاعلام هى الخطوط العريضه فى القماش.

ذهب، و قد سيغا مزيئا، و اركب فرسا من خيل الخليفه و سلم اليه عهد الوزاره، و بدل لقبه بان جعل "معز الدين" فركب أبو المعالي من هناك و مشى بين يديه سائر أرباب الولايات حتى وصل إلى الديوان و جلس في دست الوزاره بالايوان الذي يجلس فيه الوزراء.

ولى هذا الوزير الحنبلى بعد وزير حنبلى قبله هو جلال الدين أبو المظفر عبيد الله بن يونس و كان هذا أخفق في وزارته لأن الناصر لدين الله كان قد بعثه بجيش عباسى إلى بلاد العجم لمحاربه السلطان طغرل الثالث بن أرسلان بن طغرل الثانى بن محمد بن ملك شاه السلجوقى، و أمره بأموار لا بد منها للقائد فخالفها و سبب هزيمة الجيش العباسى و سقط هو أسيرا في السنه المذكوره "٥٨٤".

كانت وزاره معز الدين أبى المعالى سعيد بن حديده الأنصارى الحنبلى هذا فاتحه خير و نجاح فقد بعث الناصر في أيام وزارته جيشا ثانيا يقودهم مملوك العباسيين مجاهد الدين خالص الحبشى الذى رآه ابن جبير الرحاله ببغداد أيام قدومه إليها فوجده من عجائب الدنيا، ثم واقع مجاهد الدين خالص ذلك السلطان السلجوقى في بلاد ايران و كسر جيشه و أخرجه من همذان و أصفهان فهرب السلطان إلى قلعه الكرخينى "كر كوك" و استجار بأمرير التركمان هناك حسن بن ففجاق و طلب اليه أن يسترضى الناصر لدين الله و يتشفع له عنده، ففعل و تاب السلطان توبه موقوته، ليس من شاننا هنا أن نذكر عاقبتها و نستطرد أكثر من ذلك الاستطراد. و انما يعيننا أن نذكر أن هذا الوزير قام بمراسم الخدمه الناصريه و بسط العدل و قرب أهل العلم و استجلب الأدعيه الكثيره للخليفه.(١)

و في أيام وزاره هذا الوزير قدم الشريف أبو جعفر يحيى بن أبى زيد النقيب إلى بغداد متظلما إليه من ناظر البصره، و حسبك من هذه الشكايه أن الشريف يترك بلده البصره و شئون النقا به و ياتى بغداد ليرفع شكواه بنفسه، فهذا يدل على الظلم الذى أجحف به، و سوء المعامله التى لقيها من ناظر البصره، و لم يمنعه الوزير العادل عن حضور مجلسه و بسط شكاته بحضرته، فلما دنا منه أنشده قصيده ضمنها تلك الشكاه، و باح بالمظلمه التى نالته، و هاج عروبه الوزير و نخوته و استعدى ديانتته و أمانته، و من تلك القصيده قوله يشير إلى نسب الوزير الصريح و ما فعله الأنصار لرسل الله (ص) من الإيواء و النصره:

و قبائل الأنصار غير قليله لكن بنو غنم هم الأخيار

منهم أبو أيوب حل محمد فى داره و اختاره المختار

أنا منه فى النسب الصريح و أنت من ذاك القبيل فى ذلك جوار

و لقد نزلت عليك مثل نزوله فى دار جدك و النزيل يجار

فعلام أظلم و النبى محمد أنمى اليه و قومك الأنصار؟

فلما سمع الوزير هذه القصيده التى تستخرج العطف استخراجا و ترقق القلوب القاسيه فضلا عن قلب هذا الوزير النبيل الدين الصين؟ أجل لما سمعها رق له و انحدرت دموعه على خديه و أشكاه و وعده دفع المظلمه عنه، ثم أمر فخلع عليه خلعه، و وصله

بصله و قضى حاجته و أنصفه من ناظر البصره و عزله. و لم نستطع معرفه ذلك الناظر الظالم.

و فى هذه القدمه التى قدم بغداد فيها رأى الخليفه الناصر لدين الله - على ما استرجحت أنا - و كان من رسوم الخلفاء فى تلك الأيام أن لا يواجه الخليفه عظيما من العظماء الزائرين أو ملكا من الملوك الوافدين أو أميرا من الأمراء المتشرفين أو شريفا من الأشراف القاصدين إلا بالليل، و قد توصل الشريف أبو جعفر النقيب أن يتشرف برؤيه الناصر (٢) ليلا، فلما رآه و كلمه وجد نفسه بين يدي خليفه تنقطع الأوصاف دون بلوغ معانيه، و تضطم الامامه منه على خبر إنسان، يقوم بخلافه رسول الله (ص) إذ ذاك فكأنه النبا العظيم، و السيد المنتظر، فلم ينشب و هو بين الدهش و الاعجاب و السرور و الرهب ان أنشأ يقول:

ليلى هذه كليله موسى حين ناجى الاله فوق الطور

لم يكن خوفه كخوفى و لا سر بلقيا الاله مثل سرورى

و لعل القارئ يستغرب هذين البيتين و يعدهما من المبالغه الشنيعه، و لكن المثل السائر هو "فما راء كن [وراء كن] سمعا". و لقد رأى أبو جعفر النقيب ذلك الخليفه العظيم، فامتألت نفسه فرحا و رعبا، و سمع كلامه فرأى آيه من آيات الله - تعالى - تسحر بالايمان و البيان و تستند إلى الدين و الفرقان و تستمد مما لا يتبينه الإنسان، و لم يكن الشريف أول محبور مسحور برؤيه ذلك الخليفه و لا آخر مجذوب مغلوب، فقد سحر الناصر العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه، و أدهش الملوك و الأمراء، و ملأ النفوس اسمه و هيئته و عدله ثم جدد الإسماعيليه الباطنيه إسلامهم على يديه، فلا لوم على الشريف أبى جعفر.

و لم يقتصر انجذاب هذا الشريف نحو الناصر لدين الله على ذلك فقد عزم على ترك البصره موطن أهله و مسقط رأسه و مدرجته الأولى و ملعبه الأول و منشاءه، لمجاوره الخليفه ببغداد، و كيف لا يفعل ذلك و قد شاهد ما شاهد و التاريخ يشهد أن ناسا كثيرا من أنحاء العالم الإسلامى أخذوا يارزون إلى مقر الامامه العباسيه، كما تأرز الحيه إلى مدخلها، ففيها السعاده و العدل و الهناءة و حسن المباءة و العيش الرخى. و كيف تكون الهجره من مدينه إلى مدينه لو لا العدل و الهناءة و العز و الحرية؟ انتقل الشريف أبو جعفر إلى بغداد قبل سنه "٦٠٥" هـ و كانت حافله بالعلماء و الأدباء و الرواه و الشعراء، و الحكماء و الأطباء، فمن العلماء صفى الدين محمد بن معد العلوى الموسوى و هو حلى علوى مثله ترك الحله و سكن بغداد و أجاز له الناصر لدين الله روايه "مسند احمد بن حنبل" عنه، و منهم فخار بن معد بن فخار العلوى الموسوى الحائرى من أهل كربلاء، و الحسن بن حمدون الكاتب الأديب و يحيى بن زياده الكاتب المقدم ذكره و صفى الدين محمد بن جميل الكاتب اللبيب و محمد بن سليمان بن قتلمش الفيلسوف العجيب و عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجبلى الحكيم و يوسف بن إسماعيل اللمغانى الحنفى، مدرس جامع السلطان - و قد ذكرناهما من قبل - و إسماعيل بن على الحنبلى و قد أشرنا اليه، و أبو الخير مصدق بن شبيب النحوى و أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبىرى صاحب اعراب القرآن، و المبارك بن المبارك بن الدهان الضرير، و يحيى بن الربيع الواسطى و يحيى بن القاسم التكريتى و محمد بن يحيى بن فضلان و كل منهم كان مدرس النظاميه، و عبد الرحمن بن شجاع و أحمد بنه.

- ١- مات أبو المعالي ابن حديده الحنبلي الوزير سنة "٦١٠" هـ و دفن بمشهد الامام علي بن أبي طالب.
- ٢- قيل ان الذي سعى له في ذلك فخر الدين أبو علي الحسن بن هبه الله بن الدوامي حاجب الحجاب ثم صدر المخزن "وزير المال" ،توفي سنة "٦١٦" هـ و دفن بمقبره الشونيزي و هي مقبره الشيخ جنيد الحاليه.

مسعود التركستاني و قد كانا يدرسان بمدرسه أبي حنيفه، و على بن على الفارقي مدرس مدرسه السيده زمرد خاتون أم الناصر لدين الله قرب مدفنهما المعروف اليوم بقبه الست زييده، و كان شافعيًا، و يعقوب بن صابر المنجنيقي الشاعر و محمد بن عبد الملك الوظائفى و عيسى بن نصر النميرى الشاعر، و أبو على الحسن بن محمد بن عبدوس الواسطى ثم البغدادي الشاعر و أبو القاسم احمد بن على بن بختيار، و أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز بن النظرونى الإسكندرى الأديب الشاعر، و قوام الدين نصر بن ناصر بن مكى المدائنى و ياقوت الرومى الشاعر المتسمى بعبد الرحمن، و أبو محمد الحسن بن يحيى بن عماره الكاتب الشاعر و أبو عبد الله محمد بن المهنا البشيينائى و المؤيد أبو البركات محمد بن زيد التكريتى، و أحمد بن المؤمل بن الحسن البغدادي، و أبو الشكر محمود بن سليمان الموصلى و أبو على الحسن بن محمد بن طوق الكاتب الشاعر و أبو المعالى هبه الله بن الحسين بن المطلب المنبوز بالجرذ.

و ما حظ الشريف أبو جعفر رحله ببغداد حتى قصده طلاب الأدب و أهل الحديث، و رواه الشعر و الأخبار و الأنساب، فقد كان فى كل ذلك علما من الأعلام و إماما من الأئمه، و لم تستغن بغداد عن علمه و أدبه على كثره العلماء و الأدباء فيها، لأنه كان يجمع إلى ذكائه سلامه التفكير و حسن التعليل، و صدق التحليل، فهو فيلسوف الأدب و الأخبار، و كان من أقرب التلاميذ اليه و أكثرهم اختلافا إلى مجلسه عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبه الله المعروف بابن أبى الحديد الشافعى. صاحب شرح نهج البلاغه، فقد قرأ عليه كتاب "جمهره الأنساب" (1) لابن الكلبي و كتب المغازى و أخبار الدول الإسلاميه و كتب الشعر و الأدب و فاتشه فى أمور كثيره، كانت تعتلج فى صدره فلا يرى لها حالا و لا معللا، و رأى الشريف فى عز الدين بن أبى الحديد موضعا للثقه و معدنا للوفاء فأفضى اليه بأحاديث، كانت ضروريه للثقافه الإسلاميه و للتاريخ، و كان من براعه شارح نهج البلاغه أن سجل تلك الأحاديث بألفاظها تاره و بمعانيها تاره أخرى، و هو غير ملیم فى ذلك، فإنه شرع فى تسجيلها بعد أكثر من ثلاثين سنه، و العجب من حافظته القويه كيف حافظت على المعانى فضلا عن العبارات! و لعل الشريف لم يكن يظن أن تلميذه هذا سيثبت آراءه فى كتاب من الكتب، لأن شأنه السماع لا الايداع.

و أثنى ابن أبى الحديد عبد الحميد على استاذه بما يستحق من المدح و ذكر أنه كان ثقه مأمونا متين الديانه جم العلم واسع الفهم و انه و ان كان علويا لم يكن ذا هوى تعصبى و لا ذا جنف و انه لم يكن إماميا حتى يقال انه يذب عن نحلته و يدفع عن مذهبه، و دونك بعض ما قال فى استاذه الشريف العلامه أبى جعفر.

قال فى موضع من شرح نهج البلاغه: " و كان النقيب أبو جعفر - رحمه الله - غزير العلم صحيح العقل منصفًا فى الجدل غير متعصب للمذهب " إلى أن قال " و كان أبو جعفر - رح - لا يجحد الفاضل فضله و الحديث شجون ".

و قال فى موضع آخر: " كان أبو جعفر - رح - مع ما يذهب اليه من مذهب العلويين، منصفًا وافر العقل ".

و قال فى موضع ثالث: " و قد ذكرت فى هذا الفصل خلاصه ما حفظته عن النقيب أبى جعفر و لم يكن امامى المذهب و لا كان يبرأ من السلف و لا يرتضى قول المسرفين من الشيعة، و لكنه كلام أجراه على لسانه البحث و الجدل بينى و بينه على ان العلوى لو كان كراميا(2) لا بد ان يكون عنده نوع من تعصب و ميل على الصحابه و ان قل " و قال فى موضع رابع " سالت النقيب و كان بعيدا عن الهوى و العصبية ".

و هذه الأقوال و غيرها لا تثبت قيمتها الا بما سنذكر من البيئات التي هي من آثار الشريف أبي جعفر بن أبي زيد، و الا فما أسهل ان يدعى مدح لنفسه أو لغيره انه بعيد عن التعصب الذميمة حتى إذا رأيت أعماله و قرأت أقواله و جدته تضح الإنسانية من تعصبه الشديد و تفكيره الباطل البليد، و هذه عادة الاحتراف بالدين، و الاتجار باليقين، و قلما تجد مجرما لا يدعى بين يدي الحاكم انه برىء طاهر الذيل صالح الأعمال، بعيد عن سيره الأزدال.

و لم يكن إقبال الرواه على شعر الشريف أبي جعفر بأقل من إقبالهم على أدبه الأخبارى و مسموعاته، فقد كان شاعرا رقيق الأشعار رائق المعانى، رشيق الألفاظ و قد قدمنا شيئا من شعره. و ذكر أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى المعروف بسبب ابن الجوزى ان الشريف أجاز له روايه شعره، و من شعره أوائل قصيده يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله و هي:

هذا العقيق و هذا الجزع و البان فأحبس فلى فيه أوطار و أوطان

آليت و الحر لا يلوى أليته ان لا تلذ بطيب النوم أجفان

حتى تعود ليالينا التي سلفت بالأجرعين و جيرانى كما كانوا

يا حبذا شجر الجرعاء من شجر و حبذا روضه المخضل و البان!؟

إذا النسيم سرى سالت ذوائبه كأنما الغصن الممطور سكران

فللنسيم على الأغصان هينمه و للحمام على الأفنان الحان

و بارق لاح و الظلماء داجيه و النجم فى الأفق الغربى حيران

هدءا يذكرنى هيفاء ضاحكه فلم أنم و غدى هم و أحزان(٣)

كتمت حبك و الأجفان تطهره و ليس للحب عند العين كتمان

درت بالغددر فى الأحشاء نار جوى و قد هجرت ففيض العين غدران

و هو من الطبقة الأولى من الشعر الصناعى، و لسنا نطمع من السيد النقيب أن يكون شعره فى النسيب و الغزل صحيحا بعيدا عن الصناعه، فليس ذلك من الإنصاف، و ليس فى الإمكان أبدع مما كان و لكننا يجوز لنا أن نقول: لعل الشريف أحب فى أيام شبابه، و ذكرى الحب لا تبليها السنون الكثيره فهى ألد ما فى الحياه من الذكريات.

و فى شهر رمضان من سنه "٦١٣" توفى الله علامه عصره و فريد دهره و شاعر آل أبى طالب أبا جعفر محمد بن أبى زيد و دفن فى مقابر قریش عند مشهد الامام موسى بن جعفر "الكاظميه" و غاب ذلك العالم الفاضل الأديب الكامل الشاعر البارع، و كانت الحشرات عليه كثيره و الأسف شديدا، فافهن.

-
- ١- و كان عالما بالنسايين حدث قال " لم يكن تحت السماء أعرف من أبي علي عبد الحميد بن التقي "الأنساب" و كان يحدث عن معرفه هذا النسابه بالعجائب، كذا قال الصفدى فى ترجمه عبد الحميد.
 - ٢- الكراميه بتشديد الراء اتباع محمد بن كرام من أصحاب المقالات، كان يعد الله جسما كالأجسام.
 - ٣- فى هذا البيت بعض التصحيف، و لم نجد وجها أقرب للسلامه من هذا الذى هو عليه الآن.

الإنسان هذا الموت الذى يهدم البنيان، و يفسخ التدبير و يبدد الآمال، و لم أعرف من ذريه أبى جعفر الذكور الا تاج الدين أبى زيد إسماعيل، و لعله كان قد ترك له نقابه الطالبين بالبصره و انتقل إلى بغداد، فقد ذكر فى كتب الأدب أن الأمير على بن مقرب العيونى الشاعر مدحه بعد منحدره من بغداد، إلى البصره أما بغداد فقد دخلها العيونى مرتين الأولى سنه "٦١٠" و الأخرى سنه "٦١٤"، و أما البصره فغير مره قال بعض الأدباء:

و كان ابن مقرب قد حضر مجلس الشريف تاج الدين إسماعيل بن أبى زيد هذا للسلام عليه، فخلع عليه ثوبين لهما قيمه ثمينه، قبل أن ينشد المدح بل قبل أن يعلم انه عازم على مدحه، و ذلك من شيم أهل الفضل و الكرم فإنهم ياتى برهم ابتداء لا استدرارا و لا استخراجا، و مما قال فى مدحه:

يخفى الصبا به و الألاحظ تبديها و يظهر الزهد بين الناس تمويها

و يستر الحب كيما لا يقال صبا شيخا فتعلنه الأنفاس تنويها

و أهالها من ليال لو تعود كما كانت و أى ليال عاد ماضيها!!

فاقت جميع الليالى بالبهاء كما فاق البريه "تاج الدين" تشبيها

من يدع يوما أبى زيد لحاجته فقد دعا دعوه ما خاب داعيها

إليك يا ابن رسول الله شارده بكرا يطول رواه الشعر راويها

و هى طويله تجتزئ منها بهذا.

و قد نشأت بين الشريف تاج الدين إسماعيل و الأمير البحرانى الشاعر ألفه و صحبه و اقترح عليه مره، و قد مرض مرضا خفيفا أبياتا من الشعر فقال فيما قال:

أعيذك أن تسمو إليك الحوادث و أن تتغشاك الخطوب الكوارث

سليل العلا لا زلت فى ظل نعمه لك المجد ثان و السلامه ثالث

و حزت المدى فى خفض عيش و عزه يدين لها سام و حام و يافث

لعمري لقد أشبهت فضلا و سؤددا أباك عليا حين تبدو النكاث

جزى الله تاج الدين خيرا فإنه به تدفع الجلى و تكفى الهنابث

فدى لأبى زيد رجال قلوبهم عن الخير غلف و الحبال رثاثة

و دونكها يا ابن النبي غريبه تخبر أن العائبيها هلابث

و هي طويله أيضا، أراد بها أن يظهر براعته في الاستكثار من قافيه الثاء ولكنه أسف و أغرب و أبهم و ما أعرب، فليس هذا بالشعر الذى يدخل الآذان بلا استئذان، و تقرأه العيون كما تستقرى زهر الرياض.

و لا يتهيأ لنا أن نقول شيئا في "بيت أبي زيد" نقباء البصره أكثر مما قلنا، سوى ان ابن أخى الشريف أبى جعفر كان اسمه "عبد الباقي" و يلقب بكمال الدين، فولد له ابن سماه "عليا" و ولد لعلى هذا ابن سماه يحيى و لقبه بعماد الدين، فاخر رجل منهم وقع إلى تاريخه هو "عماد الدين يحيى بن على بن عبد الباقي بن محمد بن محمد بن محمد بن على بن أبى زيد العلوى الحسنى". و قدم هذا بغداد سنه "٦٨٧" على عهد السلطان أرغون بن أباقا بن هولاقو الايلخانى و زاره جماعه من العلماء، و كان نازلا عند السيد غياث الدين أبى المظفر عبد الكريم بن طاوس بالمشهد الكاظمى أو زائرا له.

هذا موجز سيره الشريف أبى جعفر يحيى بن أبى زيد النقيب الذى سنراه واضح الصورة فى آثاره النبيله و ان كانت قليله، و لعل ما جئت به هو أكثر ما عرف من سيرته المجهوله لقله المراجع التاريخيه.

يوسف اعتصامى

توفى سنه ١٣١٦.

أصل أبيه من آشتيان جاء فى شبابه إلى تبريز فولد له فيها ولده المترجم و درس علوم اللغه العربيه و الأدب و الأصول و المنطق و الحكمه. و كان يجيد اللغه الفرنسيه و اللغه العربيه و التركيه الاصطنبوليه. و كان خطاطا يكتب التعليق و النسخ، و المكسوره، و السياق.

من مؤلفاته:(قلائد الأدب فى شرح أطواق الذهب) طبع فى مصر، و كتاب (ثوره الهند) طبع أيضا فى مصر. كما ان له عدده مؤلفات أخرى.

انتخب نائبا عن تبريز و تولى اداره مكتبه المجلس النيابى و وضع لها فهرس بلغت ثلاثه مجلدات طبع منها اثنان فى حياته، و طبع الثالث بعد وفاته. و آخر آثاره ترجمته لكتاب السياحه لفيثاغورس.

هو والد الشاعره (پروين اعتصامى) صاحبه الديوان المشهور التى كانت من مفاخر الأدب الفارسى المترجمه فى مكانها من هذا الكتاب.

يحيى بن أبى طى

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٨٦ من المجلد العاشر، و مر فى ذكر مؤلفاته ان له أخبار الشعراء الشيعة، و كتاب الحاوى ذكر فيه رجال الشيعة و علماءهم و فقهاءهم و شعراءهم و أئمتهم المصنفين فى مذاهبهم.

و قد رأينا فى الصفحه ١٦٦ من الجزء ٢١ من (سير اعلام النبلاء) للذهبي، قول الذهبي عن أسامه بن منقذ: "قال يحيى بن أبى طيب فى تاريخه: كان إماميا حسن العقيدة".

و قد علق محققا الكتاب فى الحاشيه على هذا القول بما يلى: "كتابه الذى ينقل الذهبى منه هو تاريخ الشيعة، قال: و هو مسوده فى عده مجلدات نقلت منه كثيرا" (انتهى).

و يبدو لنا أن الكتب الثلاثه هى كتاب واحد و ان ذكرت بأسماء مختلفه.

على ان المهم هو ما ورد عن الذهبي منقولاً عن كتابه (تاريخ الإسلام) من أن الكتاب هو فى عده مجلدات.

و لا شك انها خساره كبرى للتاريخ و العلم و الأدب و للفكر الإنسانى أن يكون هذا الكتاب قد فقد فيما فقد من آثار الماضين.

يحيى بن زيد بن على بن الحسين

قال جعفر الخليلي:

ان تطور الحوادث السياسيه فى الشام و العراق و انعكاسها على خراسان لتشابه التركيب الاجتماعى بين العراق و خراسان بصورة خاصه فى البيئه و الأوضاع العامه فى السياسه و الاقتصاد، أدت تلك الحوادث إلى انشغال نصر بن سيار عن تكمله خطته الاصلاحيه التى أعلن عنها، بتسويه الأمور و الحوادث الجديده التى حدثت فى خراسان بعد الانفجارات السياسيه التى

حدثت في الشام، و أهم تلك الحوادث، هي حركة يحيى بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، و حركة الأزديين التي كان يترأسها جديع بن علي الكرمانى (الأزدى).

كان الوضع السياسى العام فى خراسان بعد وفاه هشام بن عبد الملك - حسب ما رأينا - يساعد على ظهور أى اتجاه سياسى معاكس لسياسه الأمويين - و على نمو أیه حركة تطالب بإسقاط الحكم الأموى لها فى خراسان فحسب بل فى أكثر أقاليم الدولة، و على هذا عند ما قتل زيد بن علي بن الحسين فى الكوفة فى عام ١٢٢ هـ - ٧٤٠ هرب ابنه يحيى بن زيد مستترا عن طريق نينوى - المدائن إلى خراسان، و هو طريقها آنذاك، معتمدا على جمع الشيعة هناك و الخروج على بنى اميه فى إقليم يساعده على ذلك، فوصل إلى بلخ و أقام فيها عند الحرشى بن عمر بن داود حتى مات هشام بن عبد الملك و ولى الوليد بن يزيد، الا ان عيون يوسف بن عمر اكتشفت الأمر، فكتب إلى نصر بن سيار "ابعث إلى الحرشى حتى يأخذ يحيى أشد الأخذ فبعث نصر إلى عقيل بن معقل الليثى، و هو عامله على بلخ، أن يأخذ الحرشى فلا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه يحيى بن زيد، فدعا عقيل فضربه ستمائة سوط، و قال: و الله لأزهقن نفسك أو تأتيني به، فقال: و الله لو كان تحت قدمى ما رفعتها عنه فاصنع ما أنت صانع، فوثب ابن الحرشى فقال لعقيل: لا تقتل أبى، و أنا آتيك يحيى فوجه معه جماعه فدلهم عليه"، فوضع يحيى فى الحبوس، و كتب بذلك إلى الوليد بن يزيد، فأمر بإطلاق سراحه و جماعته، فأطلق نصر سراحه و أمر له بالفى درهم، و أن يلحق بالوليد، و قيل "بل احتال يحيى بن زيد حتى هرب من الحبس و صار إلى بيهق من ارض أبرشهر فاجتمع اليه قوم من الشيعة فقالوا حتى متى ترضون بالذله و اجتمع معه نحو مائه و عشرين رجلا" ربما كان هرب يحيى بن زيد من سجن نصر بن سيار أقرب إلى الحقيقه من منحه التقديه و أمر الوليد ابن يزيد بإطلاق سراحه، الذى أمر بالانتقام من جسد أبيه المعلق على جذع نخله خاويه فى كناسه الكوفه بان يحرق و ينثر مع الريح فوق وجهه نهر الفرات، على كل حال، سار يحيى بن زيد إلى سرخس فأقام بها، و كان نصر بن سيار يراقب حركاته بدقه، حتى وصل إلى الجوزجان و هناك أعلن الثوره على الحكم الأموى، فظهر يحيى مجاهدا زاهدا ورعا يدعو لنفسه بعد ان أذاع فى الناس منهج ثورته و هو منهج ثوره زيد بن علي، و يتلخص ذلك المنهج فى "البيعه على كتاب الله و سنه رسوله، و الدفاع عن الضعفاء و رد العطاء إلى من سلب منهم، و توزيع الفىء بعدل بين مستحقه، و اعاده المجاهدين فى الجهات النائيه إلى بلادهم و الدفاع عن آل الرسول". و يكاد منهج ثوره يحيى بن زيد يتلاقى فى نقاطه الأساسيه مع منهج ثوره الحارث بن سريح، المعتصم فى إقليم ما وراء النهر، و لعل البعد الجغرافى و وعوره المنطقه حالت دون التقاء يحيى بالحارث و مقاومه الأمويين معا فى المرحله الأولى من الثوره على الأقل، و للاختلاف الجذرى فى موضوع الخلافه بين الثورات العلويه على اختلاف فرقها و ثوره الحارث، حيث ان الحارث لم يطرح موضوع الخلافه صراحة فى ثورته فى خراسان.

حاول يحيى بن زيد أن يجمع حول رايته الثوار من كل اتجاه سياسى معاد للأمويين لذلك حاول قبول "المحكمه" من فرق الخوارج، لتحمسهم الشديد ضد الأمويين "فنهاه يزيد بن عمرو و قال: كيف تقاتل بقوم تريد أن تستظهر بهم على عدوك و هم يبرءون من على و أهل بيته، فلم يطمئن إليهم غير انه قال لهم جميلا" و فى "هذا دلالة على ما كان يشعر به الخوارج من اتفاق مع الزيديه فى الخروج على الامام الظالم" و بدأت الحرب بين يحيى و جماعته و جيوش نصر بن سيار بالقرب من نيسابور بقيادة عمرو بن زراره، و كان النصر ليحيى بن زيد إلا ان نصر بن سيار سير اليه أشجع قواده سلم بن احوز، فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالا شديدا حتى قتل يحيى بن زيد و قيل قاتله سلم بن احوز المازنى (من بنى تميم) دون هراه، فقتله سوره بن محمد بن عزيز الكندى، و صلبه بالجوزجان فى طاق، و صلب بإزائه رجلا من العرب يقال له مطر بن مطرف، فما زال مصلوبا حتى خرج أبو

مسلم الخراساني فأنزله و واره و تولى الصلاه عليه و دفنه، و أمر بالنياحه عليه في خراسان، و قيل ان الذى انزل جسم يحيى بن زيد و غسله و كفنه، و حنطه ثم دفنه هو خالد بن إبراهيم أبو داود البكرى و قد جاء في معجم الأدباء ما نصه " و كان سلم بن احوز والى بلخ و الجوزجان من يده (أى يد نصر بن سيار) و هو الذى قتل يحيى بن زيد بن على بن الحسين و جهم بن صفوان الذى ينسب اليه مذهب جهم و وجه برأسيهما إلى مرو إلى نصر بن سيار، فنصبا على باب تهمذ مرو فكان سلم بن احوز يقول " قتلت خير الناس و شر الناس "، و المتفق عليه في كتب التراث و بلا- خلاص ان جهم بن صفوان قتله مسلم بن احوز أيام ثوره الحارث بن سريج عام ١٢٨ هـ بينما قتل يحيى بن زيد فى أواخر عام ١٢٥ هـ أو فى أوائل عام ١٢٦ هـ و لما " بلغ الوليد قتل يحيى كتب إلى يوسف بن عمر: خذ عجيل أهل العراق فأنزله من جذعه، يعنى زيدا، و أحرقه بالنار ثم انسفه باليم نسفا " . لم تنته حركه يحيى بن زيد بمقتله، لأنها عميقه فى المجتمع الخراسانى و لها جذورها و مواطنها فى هذا الإقليم، و قد تبلورت تلك الجذور و انتشرت بمقتل زيد بن على فى الكوفه، و مبايعه بعض أهل خراسان له عند ما خرج على هشام بن عبد الملك، و لا بد كان ليحيى فى خراسان من الأعوان و الجماعات و القوه مما دفعته إلى إعلان الثوره على الأمويين فى الجوزجان و تحقيق بعض الانتصارات على جيوشهم الكثيره العدد، و المجربه لتلك المواطن الوعره، و المتكامله العده للحرب و المران عليه. و بعد فشل حركه يحيى التف الشيعه بصوره عامه و الزيديه معهم حول رايه علويه اخرى جديده بالرغم من عدم انتساب صاحبها إلى العلويين بخط مستقيم، و هو عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، و قد خرج على السلطه عام ١٢٧ هـ، و كان الوضع فى العراق يساعد على الثوره آنذاك، و قد التف الزيديون حول رايه عبد الله بن معاويه و انضموا تحت لوائه يحاربون الأمويين بعقيده راسخه، لأن فى مبادئ الزيديه الخروج على الامام الظالم الجائر، و قد قام الزيديه فى ثوره ابن معاويه بدور فعال، فغلب على ماه الكوفه أولا ثم على ماه البصره (١)، بعد ان فشل فى العراق، و بعد أن اتسع ميدان معاركه و سيطرته، امتدت المناطق التى سيطر عليها إلى همدان و قم و الرى، و أصبهان، و فارس، و جعل قاعدته مدينه أصفهان، ثم كون حكومته و وزع عماله " و استعمل أخاه الحسن على إسطخر، و أخاه يزيد على شيراز، و أخاه عليا على كرمان و أخاه صالحا على قم و نواحيها، و قصدته بنو هاشم جميعا منهم السفاح و المنصور، و من بنى اميه سليمان بن هشام بن عبد الملك، و عمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، فمن أراد منهم عملا- قلده و من أراد صلته وصله " فاستطاع أن يبسط سلطانه على منطقه شاسعه فى شرق الدوله الإسلاميه، و من الخوارج الذين طردهم مروان بن محمد فى الموصل التحقوا به.

قدر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى اميه خطوره حركه عبد الله بن معاويه فى العراق و امتدادها فى ايران للاضطرابات السياسيه المعاديه فيها و بصوره خاصه فى إقليم خراسان حيث تجمع الشيعه العلويه و العباسيه و الزيديه و الخوارج لذلك بادر إلى القضاء على حركه ابن معاويه ليحول دون تجمع القوى المعارضه و المناوئه للأمويين تحت قيادته و قد تمكن من طرده من العراق و ثابر على مطاردته فى ايران، بان امر الجيوش المقاتله فى).

ص: ٣٢٨

الجزيره ان تطارده، فاندحر أمام عامر بن ضباره و هرب إلى خراسان. و قد انهكت الحروب نصر بن سيار مع الحارث بن سريج التميمي و مع جديع بن علي الكرمانى الأزدي و مؤامرات أبي مسلم الخراسانى المستمره تزيد فى تعقيد الوضع السياسى فيها مما أنهك جهاز الدوله بصوره عامه و حكومه خراسان بصوره خاصه. وصل عبد الله بن معاويه فى هذه الأزمه الحاده إلى خراسان، و قد ظهر الحزب الهاشمى يعمل و يدعو لنفسه علنا بقيادة أبى مسلم الخراسانى، و قد سيطر على عاصمه الإقليم مرو، بعد أن هرب عنها نصر بن سيار، و كان عبد الله بن معاويه يطمع فى أن ينحاز اليه شيعه بنى العباس الا ان أبى مسلم القى القبض عليه و قتله خنقا بالأغطيه، أو سمه، و وجه برأسه إلى ابن ضباره، فحملة إلى مروان، و قيل: سلمه حيا إلى ابن ضباره فقتله و حمل رأسه إلى مروان

الشيخ يعقوب بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السامى

الرامسرى.

ولد حدود ١٢٥٠ فى رامسر، و توفى حدود ١٣٠٠.

كان فى رامسر من العلماء المدرسين و كانت أغلب استفاداته العلميه فى النجف الأشرف و أعقب ولدين فاضلين الشيخ محمد و الشيخ على. (١)

الميرزا يوسف آغا المجتهد التبريزى بن الميرزا على بن المولى محمد

على القره داغى.

ولد فى تبريز سنه ١٢٧٩ و توفى فى العراق فى زياره له إلى الأعتاب المقدسه عند الوصول إلى الكاظمين ع و دفن فى الرواق الشريف من ذلك الحرم.

هاجر إلى "النجف الأشرف" سنه ١٢٩٩ هـ و مكث فى هذه الحوزه اثنى عشر عاما و تتلمذ لدى المولى محمد الفاضل الايروانى، الشيخ هادى الطهرانى و غيرهما ثم عاد إلى تبريز سنه ١٣١١.

قال صاحب "علماء معاصرين": "كان شديد الذكاء، طود العلم و الأدب و كان بحاثا و مناظرا محجاما و استاذا فى الوعظ و التذكير" اه.

و للمترجم له مؤلفات عده مطبوعه و مخطوطه.

و له ديوان شعر، جمعه أحد أحفاده و عندى منه نسخه مصوره.

نموذج من أشعاره فى رثاء السبط الحسين بن على ع:

ما للعيون أبت بغير سهادها و نفت من الأجفان طيب رقادها

مستعبرات ليس يرقى دمعها فكانها اكتحلت بشعرك قتادها

فلعلها رأت المنازل قد خلت عن أهلها فاستعبرت لبرادها

ذكرت منازل معشر حلوا بها و ترحلوا عنها إلى ميعادها

و له أيضا في هذا الديوان أشعار في مدح الامام على بن أبي طالب و الامام الثاني عشر و مدائح مختلفه في موارد متفاوتة. (٢)

ملحق بالمستدركات

يرى القارئ في هذا المجلد بحثا عن الملك الايلخاني محمد خدابنده اولجايتو(٣) الذي كانت عاصمته مدينه (السلطانيه). و قد قمت في شهر نيسان من سنه ١٩٨٩ برحله إلى بقايا هذه المدينه دونت وصفها بما يلي:

خرجنا من مدينه قزوین قاصدين سلطانيه محمد خدابنده أولجايتو" و في الذهن صور شتى من الماضي البعيد الذي انطوى في تلك الأرض بما فيه من صليل السيوف و جلجله الوغى و رهج القتال، إلى جانب ما حفل به من ندوات العلم و اسمار البحث و شروح الفقه و ترتيب الشعر.

فإذا كانت قد مرت من هنا جحافل المغول مدمره مروعه، فقد مر من هنا أيضا العلامه الحلبي الحسن بن المطهر بمدرسته السياره الحاشده...

فما أروع ما تبعث في النفس هذه الأرض و ما يليها من أرض و أرض - ما أروع ما تبعث في النفس من أسس طورا، و من هوى طورا آخر.

و ما أشجى ما يثير نسيمها هذا الذي يتهاوى على وجناتنا و جباهنا - ما أشجى ما يثير من هول الدماء المراقه و ما أحلى ما يهيج من تناجى العقول الخلاقه...

و مضت السياره بين بساتين قزوین، بساتين قزوین التي يتكاثف فيها الشجر مورقا ناضرا، ليخرج بعد حين اللوز و الفستق. كانت البساتين الآن إلى يمين الطريق، و كانت الأرض الزراعيه المديده تترامى باخضارها إلى أبعد الآماد.

و لم تلبث ان طلعت لنا بلده (ساغارآباد) منتشره بيوتها على جانبي الطريق. أما بساتينها الخضضر فكانت إلى يساره. و بعد ساغارآباد لم تكن تلمح العين إلا السهول الزراعيه التي لا حد لها، تتخللها أحيانا دساكر في بضعه بيوت. ثم لاحت لنا من بعيد على يسار الطريق بلده (رحمت آباد) ثم مررنا بقريه (كهل) المكتظه بالبساتين، ثم وصلنا مدينه (تاكستان) التي كان اسمها من قبل (سيادهن) ثم أبدل إلى (تاكستان). و يوم كانت تحل في القديم اسم (سيادهن) كانت تخرج فقهاء ينتسبون إليها، و عند ما كان يمر اسم (السيادهني) في الأوراق أمامي كنت استغرب هذه النسبه و أتساءل إلى أي شيء تنتمي فإذا بي الساعه امام (سيادهن) وجها لوجه، و إذا بها تحل لي الاشكال..

سلام على الفقهاء السیادهنيين الذين انطوت اسمائهم في بطون الماضي، و برزت في ورقات الحاضر. إنني أذكرهم هنا بكل

خير و أبعث إليهم بأطيب التحيات، و لئن أتعبوا بالأمس أناملى بما دونت من أخبارهم، فقد اراحوا اليوم عيني بما شاهدت من حسن مدينتهم...

و بعد تاكستان تتابعت السهول الزراعيه إلى ان وصلنا فى الطريق إلى مكان انشطر فيه هذا الطريق إلى شطرين: شطر يأخذ إلى مدينه (همدان) و منها إلى العراق، و شطر يؤدي إلى مدينه (تبريز) و منها إلى تركيا و أوربا.

مشينا فى الثانى فى سهول زراعيه مديده إلى أن طلعت إلى يسار الطريق قريه (ضياء آباد) المحاطه بالبساتين و المشهوره بالعنب و الجوز، ثم قريه (فارسجين) المغموره هى الاخرى بالبساتين، ثم قريه (قروه) التى تضم معملا كبيرا لصنع الموكيت. ثم مررنا بمجمع بنائى حديث كثير البناءات قيل لنا أنه مكان ضخ النفط إلى مدينه تبريز، ثم وصلنا معملا كبيرا للنسيج ثم إلى قريه شريف آباد التى تقوم على جانبي الطريق محاطه بالبساتين و الزروع، ثم كان بين بساتين مدينه (أبهر)، ثم اخترقنا شارع القسم الحديث منها الذى هو طريقنا المستقيم ماضين بالبساتين على الجانبين.

و إذا كان المرور بمدينه أبهر أثار ذكرى الفقهاء الابهرين، فإنه إلى

ص: ٣٢٩

-
- ١- الشيخ محمد السامى.
 - ٢- السيد إبراهيم السيد علوى.
 - ٣- بدأ بإنشاء (السلطانيه) ارغون و أتمها ابنه محمد خدابنده أولجايتو سنه ٧٠٤ هـ (١٣٠٥ م) و جعلها قاعده الدوله و هو الذى سماها (سلطانيه).

ذلك آثار ذكرى تاريخيه أخرى. فبخروجنا من أبهر نكون قد اجتزنا ما بين أبهر و قزوین، و هاهنا ما بين المدینتین سفک دم آخر حکام الاسماعیلیین التزاریین (خور شاه) فان هولاکو بعد أن استسلمت له (ألموت) قاعده التزاریین، و كان قد استسلم له حاکمها (خور شاه) من قبل - تقدم فی اتجاه قزوین حيث نزل فی ۲۷ ذی الحجه سنه ۵۶۴ هـ علی بعد سبعة فراسخ منها. ثم أرسل خور شاه إلی بلاط أخیه منکوقاآن، و قبل أن یصل أرسل منکوقاآن من قتله فی الطريق بین أبهر و قزوین، و قتل معه أسرته رجالا و نساء و أطفالا.

فنحن فی مسیرنا هذا منذ خروجنا من قزوین، إنما نسیر فی أعماق التاريخ، و نوغل فی صمیم القرون الخوالی التي شهدت زحفا من شر ما عرفت الدنيا من زحوف... أنه زحف هولاکو، و حسبک ما اقترن به هذا الاسم من فجائع و فظائع...

و مما ذكرت به أبهر فی کتب الأقدمین ما ذکره ابن حوقل فی المائه الرابعه من أن أبهر ماهوله بالاکراد کثیره المیاه و الأشجار، و یكثر فیها القمح.

أما الأشجار فشهدناها، و إذا کنا لا نر المیاه، فقد رأینا ما يدل علیها و هو البساتین الزاهره. و أما الأکراد فاننا لا ندری ان كانت لا تزال ماهوله بهم أم لا، و ورد ذکر أبهر فی شعر عربی قديم، قال عبد الله بن خلیفه:

کانی لم اربک جوادا لغاره و لم اترك القرن الکمی مقطرا

و لم اعترض بالسيف خیلا مغیره إذا النکس مشى القهقری ثم جرجرا

و لم استحث الرکب فی اثر عصبه میمه علیا (سجاس) و ابهرا

و سجاس بین أبهر و همذان علی قول یاقوت.

و قال بعض أهل قزوین یذكر أبهر:

ندامای من قزوین طوعا لأمرکم فانی فیکم قد عصیت نهاتی

فأحیوا أحاکم من تراکم بشریه تندى عظامی أو تبل لهاتی

اساقیتی من صفو (ابهرا) هاکه و ان یک رفق من هناک فهاتی

و ممن عرفوا أبهر من الماضین: ابن عساكر صاحب تاریخ دمشق فی رحلته إلی خراسان عن طریق آذربيجان حيث اجتاز بخوی و تبریز و مرند و سمع من مشایخها، ثم بزنجان، ثم بابهر، و فیها سمع من الشیخ أبی قاسم الحمامی، كما سمع من هبه الله بن أبی الهیجاء شیئا من الشعر. و من البدیهی أن الشعر الذی سمعه هو شعر عربی مما یدلنا علی مکانه اللغه

العربية و آدابها هناك في ذلك العصر أواسط القرن السادس الهجري، إذ كانت عودته إلى دمشق سنة ٥٣٣.

و يقول ابن عساكر عن أبهر: (هي مدينة عظيمه مشهوره تقع بين المدن الثلاث: قزوين و زنجان و همذان). ثم كنا نجتاز بساتين بلده (خرم دره)، ثم البلده نفسها بين منازل حديثه على جانبى الطريق.

و هذه المنطقه التى نجتازها الآن هى أكبر مصادر لحوم البقر و الدجاج و الحليب فى إيران. و ظللنا بعد (خرم دره) بين البساتين و الزروع حتى بلغنا قريه (القلعه الحسينيه)، و كانت على يسارنا من بعيد مدينه (هيدج) مغموره بالبساتين، و ظللنا بين الزروع و البساتين حتى قريه (نصير آباد) ثم قريه (صائن قلعه) و يقول المستوفى أن اسمها (فهود) و أن المغول سموها (صائن)، و أنه يقال لها أيضا (باتو خان) (١) السهول الزراعيه لا تنقضى، و صرنا نرى فيها هنا أحيانا قطعان الماعز و الغنم حتى قريه (سقا) المحاطه بالبساتين و صارت السهول بعد ذلك تتخللها الدساكر أحيانا حتى قريه (عميد آباد). لقد أنستنا هذه السهول الخضراء و تلك البساتين الشجره ما كنا نقصده و هو مدينه (السلطانيه) عاصمه الامبراطوريه الايلخانيه، و شغلنا ما نبصره من نضاره الأرض أمانا و يناعه الدنيا حولنا عن التفكير فيما نحن سائرون اليه حتى لمحنا فجاءه إلى يسارنا من بعيد القبه الشامخه ترتفع إلى أعلى ما يمكن أن ترتفع إليه القباب، فانتقلنا بالذهن حالا من الحاضر الدانى إلى الماضى القاصى. انتقلنا إلى أولجايتو محمد خدابنده أحد أشهر أباطره المغول الايلخانيين و صاحب مدينه (السلطانيه) و مثبت بنيانها و رافع أركانها.

و كان قد صار بيننا و بين السلطانيه مسافه ثمانيه كيلومترات، و لكن هذه المسافه لا تمضى مستقيمه بل أنها بعد أن تستقيم تعود فتتحرف إلى اليسار لتصل إلى الغايه المقصوده، و هكذا بعد أن وازينا السلطانيه و رأيناها، أو بالأحرى رأينا قبتها العاليه من بعيد عدنا فخلفناها ورائنا حتى بلغنا مفترق الطريقين: طريقنا الدولى الذى نسير فيه، و الطريق الفرعى الموصل إلى السلطانيه، فانحرفنا إلى الثانى سائرين فيه إليها فى سهل زراعى مديد ترعى فيه قطعان البقر، ثم كنا فى السلطانيه...

و إذا كانت السلطانيه فيما تقدم من العصور العاصمه التى كان يحكم منها شطر كبير من العالم و كانت قاعده الامبراطوريه المغوليه الايلخانيه، فلا- تحسب أنك ترى من هذا الوصف شيئا فيها اليوم، لا- بمعنى أنها ليست عاصمه، و أنها ليست مقرا للامبراطور. بل بمعنى آخر: هو أنها لم تعد ذات الدور القوراء، و القصور المتعاليه، و لا ذات الشوارع الرحبه و الباحات الواسعه، و لا ذات مئات الألوف من السكان، و عشرات الألوف من العساكر.

إنها اليوم قريه بسيطه تتكون من بيوت طينيه خاييه واطئه لا يزيد عدد سكانها عن ٦٠٠٠ نفس.

و بعد ما كان يحكمها (امبراطور)، عاد يحكمها اليوم من يعرف فى العراق و سوريه بلقب (مدير ناحيه). و الناحيه هى أصغر وحده إداريه تتبعها عدده قري، و هى ما يعرف فى إيران باسم (بخشدارى).

و إذا كانت القريه قد لفتت نظرنا فى شىء فهو: المقاييسه بين الحاضر و الماضى، و إلا فليس فيها ما يلفت النظر، اللهم إلا ما بقى من ذاك الماضى مما يدل على عظمته و روعته، و هو ما نفضل أن نطلق عليه اسم (قبه خدابنده) لا اسما آخر.... و تفضيلنا هذا الاسم كان لأن الناس اختلفوا فى حقيقه ما تحت القبه: فبعضهم زعم بان البناء أقيم فى الأصل لينقل إليه (خدابنده) رفات على ع من النجف الأشرف، فيجعل قبره فى عاصمته، و لكن العلامه الحلى الحسن بن المطهر منعه من ذلك و أصر على منعه فامثل

لهذا المنع.

و بعض قال: إن فيها قبر خدابنده نفسه.

و نحن هنا إذا كنا نفى الافتراض الأول استنتاجا لا استنادا إلى نص، و إذا كنا لا نأخذ بالقول الثانى، بالاستنتاج أيضا لأنه من غير المتصور أن يبنى أحد لأحد بعد موته مثل هذا الضريح المتناهى فى الفخامه إذا كان القائلون بهذا الرأى يرون أن البناء أقيم على قبر خدابنده بعد موته.

كذلك من غير المتصور أن يبنى أحد لنفسه مثل هذا القبر فى حياته انتظارا للموت الذى لا بد منه... هذا فضلا عن أنه لم يظهر أثر لأى قبر داخل البناء، كما أخبرنا بذلك مدير الناحيه الذى صحبتنا فى جولتنا.

و يبقى الافتراض الثالث وحده هو القائم بالرغم مما يعترضه هو الآخر من فجوات...

و نحن هنا سنصف ما رأينا، ثم نترك للقارئ أن يستنتج ما يشاء:

هو بناء عال فوقه قبه يبلغ ارتفاعه فى الداخل من الأرض إلى نهايه جوف القبه ٥٦ مترا، و هو مدور ذو ثمانية أضلاع يبلغ طول قطره ٢٦ مترا، و عرض كل جدار من جدرانه سبعة أمتار و أربعين سنتيمتر، و يبلغ قطر القبه مترين و عشره سنتيمترات.

و حول البناء بقايا متهدمه بينها بقايا سور محكم بقى قليل من قواعده، و تحوط البناء اليوم البيوت القرويه، و تفصله فى الجانب الغربى عن البيوت بقايا حديقته حديثه، أما فى الجانب الشرقى فهو متصل بالبيوت، و الجدران فى الداخل متاكله ذهببت نقوشها الا بقايا تدل عليها.ز.

ص: ٣٣١

١- باتو خان: هو حفيد جنكيز.

و فى الجنوب فى الداخل باب مرتفع يفضى إلى قاعه مستطيله يؤكد أحد مرافقينا أنها المكان لذى أعده خدابنده للعلامه الحلى ليلقى فيه دروسه بعد أن كان يلقى هذه الدروس فى مدرسه سياره من الخيام كان يرافق بها خدابنده فى ترحاله. و مما يؤكد هذا الرأى أن هذه القاعه تبدو لمن يراها من الخارج أنها ملحقه بالبناء و لم تكن من أصله، لأنها و إن اتصلت به فهى خارجه عنه، محدثه بعده، و هى و إن كانت تحتوى على محراب عريض عال يبدأ طولاً من أرضها إلى سقفها مما يمكن أن يشير إلى أنها مسجد الحق بالبناء، لا يمكن أن تكون مسجداً لأن فى الجانب الآخر من البناء مسجداً غير كبير ملحقا به مبنياً بعده فلا يمكن أن يكون هناك مسجداً. و هذا المسجد يطلقون عليه اسم مسجد العلامه الحلى.

إذن فنحن أمام أثر بارز من آثار الحسن بن المطهر، العالم العظيم الخالد. و إذا كنا قد دخلنا قاعه تدريس العلامه الحلى و بتركنا [تبركنا] بالمكان الذى كان يجلس فيه ملقياً دروسه، و أصغينا فى الخيال إلى صوته يتدفق بالعلم و الأدب و الحكمه و الفقه و التاريخ، فاننا لم نستطع الوصول إلى داخل مسجده فنتشرف بالسجود فى محرابه حيث كان يسجد، لأن المسجد كان مقفلاً فى تلك الساعه فاكتفينا بالوصول إلى صحنه و التطلع إلى داخله.

و يبدو أن القاعه التى قلنا أنها كانت مكان تدريس العلامه الحلى، كانت مخصصه لطبقه المتقدمين من الطلبة، فان إلى الشرق صفا من الغرف و إلى الغرب صفا آخر و بين الصفيين ساحه مملوءه ببقايا الأحجار، و إلى الجنوب حجره كبيره مهتمد سقفها و أرضها مملوءه بالركام، و ملتصق بها بقايا مسجد صغير مهتمد السقف، و إلى الغرب حجره اخرى كبيره تشبهها.

قيل لنا ان الغرف التى يبلغ عددها ١٢ غرفه كانت غرفاً للطلبه، و هى صغيره مربعه و ان الحجرتين الكبيرتين كانتا مكاناً للتدريس. فنحن هنا فى مدرسه العلامه الحلى التى أصبحت كما قلنا ثابتة بعد ان كانت سياره.

تحت القبه ساحه (مبلطه)، و منها تمشى فى سرداب تنزل اليه فى اربع عشره دركه فتصل إلى مستطيل صغير بجانبه درج آخر ذى ثلاث دركات، و هناك تتشعب سرداب متداخل بعضها فى بعض، يفضى الواحد منها إلى الآخر.

ليس البناء طابقاً واحداً، فعدا الطابق الأرضى فان فيه ثلاثه طوابق.

صعدنا الدرج إلى الطابق الأول، فإذا هو مجموعه اروقه و شرفات تدور مع البناء و بعضها فى صفيين.

و صعدنا الطابق الثانى، و هو كالأول و لكن اروقته و أوانيه و شرفاته أكثر اتساعاً و فخامه. و كنا قد عيننا من الصعود، فلم نصعد إلى الطابق الثالث.

و كان قد بقى من آثار السلطانيه عدا قبه خدابنده قبتان أخريان، تراءتا لنا فى السهول من بعيد فى طرفين مختلفين، هما قبه الصوفى سلطان شلبى، و قبه العالم حسن الكاشى، فكان لا بد من السير إليهما.

أما الأولى فتبعد عن قبه خدابنده نحو مائه متر إلى الجنوب الغربى، و تاريخها سنه ٧٢٨ هـ كانت أولاً خانقاه للصوفيه، ثم أقيم فيها قبر الشلبى و عند ما تصلها تمشى فى حجر إلى باحه (مبلطه) فى وسطها القبر بقبته الآجرية. و تبدو بقايا الخانقاه بجدرانها الحجرية الصلده.

و أما الثانيه فتقع فى الغرب و فيها القبر بقبته المميزه عن قبه الشلبى بأنها لا- من الآجر، بل من الكاشى الأخضر و تحتها غرفه مهمله و تدور حولها أواوين، و يقابلها فى الجانب الآخر بناء ربما كان مدرسه.

هذا كل ما بقى من السلطانيه القديمه، فسبحان من لا يدوم إلا هو.

ص: ٣٣٢

مر في هذا المجلد كلام عن علاقة الكوميديا الالهيه لدانتى برسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

وقد ألف الدكتور صلاح فضل كتابا بعنوان (تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الالهيه لدانتى) علق عليه عبد السميع المصري بعرض هو في صميم ما ذكرناه فيما تقدم من هذا المجلد في موضوع رساله الغفران و الكوميديا الالهيه، و نحن نأخذ هنا هذا العرض لنرى الآراء المتباينه في هذا الموضوع:

"تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الالهيه لدانتى". دراسه جاده في الأدب المقارن "تعطى لنا دفعه قويه من الثقة المدعمه بالبراهين العلميه في ثقافتنا القوميه و تحفزنا إلى الاعتزاز الواعى بتراثنا و تساعدنا على التخلص من حساسيه المتخلف الذى يخشى عواقب الاتصال الفكرى على أصالته مع أنه شرط جوهرى لتغذيتها و إنمائها.

و ليس أدل على ضخامه الجهد الذى بذل في هذا الكتاب من قول مؤلفه الدكتور صلاح فضل في مقدمته " من هنا نشبت ضروره هذا البحث الذى حاول أن يستوعب بشكل مباشر ماده العلميه المقارنه التى استخدمت في الدراسات الأوروبيه - على سعتها - و يطلع على نصوصها العربيه الأصيله - على كثرتها - ثم يقدم إعادة ترجمه و عرض لوثيقه المعراج التى أصبحت البرهان الأخير فى القضية. و يبحث عن نماذج لنظائرها فى التراث متفرقه حتى يعثر عليها مجتمعه".

وقد مهد المؤلف لبحثه بفصل عن الأدب المقارن عرف فيه هذا الأدب بقوله أنه " العلم المنهجي الذى ينشده دراسه روابط التشابه و القرابه و التأثير بين الأدب و مظاهر المعرفه الإنسانيه الأخرى أو بين النصوص الأدبيه نفسها، مما قد يبدو للوهله الأولى متباعدة فى الزمان أو المكان، يشترط أن ينتمى إلى لغات أو ثقافات عديده، حتى و لو كانت تدين لتراث مشترك واحد، و تنحو هذه الدراسه إلى وصف ظواهر الالتقاء الأدبى و فهمها و تذوقها بأكبر قدر من التعمق و الاستبصار، مما يجعلها تتخذ منهج الوصف التحليلى و المقارنه المنظمه التى لا تلغى الفروق بين الأشياء، بل تبرزها و تتولها كظواهر أدبيه تقوم بين اللغات و الثقافات المختلفه استجابه لعوامل تاريخيه و نقديه و فلسفيه. كل هذا بهدف النفاذ إلى فهم الأدب و وظائفه الحيويه فى خدمه الروح الإنسانى العام".

لكنه يسارع إلى التحذير من البحث عن المكاسب و الانتصارات الفنيه للعمل المؤثر نتيجة لسبقه الزمنى فحسب و يطالبنا بافتراض مجرد التوافق العفوى لا- سيما و نحن نعالج أثر الثقافة الإسلامية فى واحده من قمم الإبداع الأوروبى فى العصور الوسطى.. فلا نغرق فى البحث عن عوامل الفخر القومى أو الحماس لمؤثراتنا فيه.

ثم يدعونا فى هذا الفصل إلى عدم التخوف أو الاعراض عن التراث الإنسانى و التأثير به الذى يختلف عن التقليد " لأن الشعوب لا تثرى على أساس الفروض الشكليه و إنما اعتمادا على استصفاء المبادئ التى تجدد حياتها الفكرية و امتصاصها برويه و تمهل و عند ما يحدث تماس بين حضارتين مختلفتين و يتل ريق شعب بحلاوه الآخر فان المزيج الذى يتكون منهما لا يدانيه شىء فى

قوته المخصبه الخلاقه لكن عند ما يقتصر الأمر على مجرد التقليد فإنه لا ينبت من ذلك سوى الأزهار الصناعيه المفتعله".

و إذا أثبتت الدراسه التى بين أيدينا مدى تاثر دانتى بالثقافه العربيه و الإسلاميه.. و دانتى هذا هو الذى تدين له الآداب الأوروبيه فى العصر الوسيط بالشىء الكثير.. لا تضح لنا مدى اتصال التراث الإنسانى و تشابك علاقاته مما يدعوننا لأن نكون أكثر حريه فى الأخذ من هذا التراث اليوم دون أدنى حساسيه.

ثم يفرد الدكتور صلاح بعد ذلك فصلا لتاريخ اتصال دانتى بالثقافه الإسلاميه و تأثيره بها فيروى كيف أن المستشرق الإسبانى أسين بالاثيوس (١٨٧١ - ١٩٤٤) هو أول من تعرض لهذا الموضوع منذ ستين عاما باعتباره فرضا علميا قضى سنوات عديده يجمع الأدله و البراهين لإثباته، لكنه لا يستطع أن يحسم الأمر لافتقاده الدليل المادى الذى يثبت اطلاع دانتى على التراث العربى لكن بعد وفاته بخمس سنوات ظهرت ترجمه قديمه لروايه مطوله عن معراج الرسول ص ليله أسرى به من مكه إلى بيت المقدس كتبت باللاتينيه و الفرنسيه القديمه مما رجح اطلاع دانتى عليها. و منذ ذلك التاريخ أصبح الموضوع مسلما به فى الأدب المقارن كنموذج واضح للتأثير الإسلامى فى الأدب الأوروبي و أصبحت القضيه كلها مسلما بها و مفروغا منها فى الأوساط العلميه و الأدبيه فى العالم كله.

و فى عام ١٩٤٩ قام كل من الباحث الإسبانى مونيوث سندنو و الباحث الايطالى انريكو تشير ولى بنشر الترجمات اللاتينيه و الفرنسيه لوثيقه "معراج محمد" دون اتفاق مسبق بينهما من مخطوطات مكتبات أكسفورد بانجلترا و المكتبه الوطنيه بباريس و مكتبه الفاتيكان و غيرها من دور الكتب.

كما عرف العالم من هذه الوثيقه أن ملك أسبانيا ألفونسو العاشر كان قد أمر إبراهيم الحكيم الطبيب اليهودى الذى كان يعمل فى بلاطه بترجمه قصه المعراج الإسلاميه من العربيه إلى القشتاليه عام ١٢٦٣ و كانت هذه الترجمة أصلا لترجمه أخرى إلى اللاتينيه و الفرنسيه قام بها بوينا فيتورادى سينا الموثق الايطالى الذى كان يعمل أيضا فى بلاط ألفونسو سنه ١٣٦٤ أى قبل ميلاد دانتى بسنه واحده.

و فى الفصل التالى من الكتاب المعنون "عوامل التأثير و مستوياته" يحاول الدكتور صلاح تقديم المزيد من الأدله ليؤيد قضيته الثقافيه فيمهد لذلك بقوله "إن الثقافه إنما هى كل معقد متشابك يشمل المعارف و المعتقدات و الفنون و الأخلاق و القوانين و العادات و جميع مظاهر الخلق التى يبدعها الإنسان و يكتسبها فى مجتمع من المجتمعات و من هنا فان الآداب سواء كانت رسميه أو شعبيه و المعتقدات سواء كانت دينيه أو اسطوريه.. مسجله كتابه أو متداوله شفاها.. كل ذلك يدخل من باب الثقافه العريض.. و فى ضوء هذا المفهوم نرى بوضوح أن المؤثرات الإسلاميه فى الكوميديا الالهيه ذات طابع ثقافى شامل، فهى لا تقتصر على نصوص أدبيه بذاتها و لا على الأفكار الدينيه المعتد بها، بل تخللتها عناصر فولكلوريه شعبيه، لعب خيال الناس فيها دورا هاما و أشبعها بقدر كبير من المبالغه و التحرر".

و يضيف أن معرفه دانتى للتراث الإسلامى و تصور المسلمين لمجالى العالم الآخر حفزته إلى اتخاذ نموذج الرحله إلى عالم الغيب قالبا فنيا لعمله، خاصه عند ما بهرته المشاهد الإسلاميه بما تحفل به من تنظيم دقيق و صور فنيه و لم تكن محاكاة النماذج القديمه شيئا معيبا فى عصر دانتى بل كانت قانون الكلاسيكيه العام و روحها الغالب.. تكتسب بها الأعمال الفذه لونا من

مشروعيه الوجود و تبرير النهج "

و من المسلم به أن قنوات الاتصال بين أوروبا و العالم الإسلامي التي سهلت التبادل الثقافي بينهما و ساعدت على تاثر الأدب الأوروبي بصفه خاصه بالثقافه الإسلاميه.. هذه القنوات بدأت تتفتح منذ القرن الثامن الميلادي متمثله في الحركه التجاريه المتناميه ثم حركه الحجيج من أوروبا إلى بيت المقدس ثم الحروب الصليبيه و ما أدت إليه من إنشاء إمارات مسيحيه يحكمها أوروبيون في قلب الشرق الأدنى.. ثم منارات العلم الإسلامي في صقلية

ص: ٣٣٣

و الأندلس على سبيل المثال و التي كانت قبله لكل راغب فى العلم من أهل أوروبا.. ثم ذلك الدور المنقطع النظير الذى قامت به الأندلس الإسلاميه سواء فى الترجمة أو احتضان وفود الدارسين من أنحاء أوروبا و نقل التراث الإسلامى إليها مترجما...

و لقد حفظ التاريخ كثيرا من الترجمات التى تمت فى تلك الفتره الثريه لا سيما ما بين القرن الحادى عشر الميلادى و القرن الثالث عشر عند ما بلغت حركه الترجمة قمه ازدهارها فى عهد الفونسو العاشر ملك قشتاله. الذى كان يسمى بالعالم لاهتمامه الشخصى الكبير بترجمه العلوم الإسلاميه و التى كان من بينها مؤلفات الخوارزمى و الفرغانى و ابن سينا و الزرقالى و غيرهم، حتى فاض العلم الإسلامى على أوروبا و مملأها خصبا.

و إذا كان دانتي منذ ولد عام ١٢٦٥ و كتب الجزء الأول من الكوميديا الالهيه عام ١٣٠٧ فى وقت كانت الترجمات اللاتينيه و الفرنسيه لقصه المعراج لها شهرتها فى الأوساط الأدبيه، فلا شك أنه قد وجد الفرصه للاطلاع عليها و دراستها الدراسه التى تركت بصماتها على عمله العظيم و لا- سيما إذا علمنا أن كثيرا من رواد الترجمة كانوا يكثر من التردد على إيطاليا و خاصه فلورنسا موطن دانتي و الحوار و المشافهه كانت و ما زالت من عوامل انتشار الثقافه.

كما أن هناك قسيسا يدعى سان بدرو باسكوال معاصرا لدانتي و عاش فى فلورنسا له مؤلف بعنوان "تفنيد مزاعم الطائفه المحمديه" أورد فيه قصه المعراج بالتفصيل، و قد اشتهر كتابه هذا فى جميع الأوساط المسيحيه الأورويه و كان فى متناول دانتي مما يرجح لدى بعض الباحثين أن هذا الكتاب كان الوسيله التى تعرف دانتي من خلالها على القصه الإسلاميه.

كل هذه المراجع و الاتصالات الشخصيه بين دانتي و معاصريه من المهتمين بالعلوم الإسلاميه و التوافق التام بين كثير من عناصر الكوميديا و قصه المعراج، جعل المفكرين الايطاليين أنفسهم يؤكدون أنه لم يعد هناك مجال لأى شك فى اطلاع دانتي على قصه المعراج التى كانت مترجمه بثلاث لغات أورويه هى لغات العلم فى عصره.. و تأثره بها..

"الكوميديا" و رساله الغفران

و لا يكتفى الدكتور صلاح فضل بهذه الأدله فيقدم لنا مقارنات طريفه ممتعه بين الكوميديا " و رساله الغفران" التى كتبها أبو العلاء المعرى فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى، و التى تعتبر من أنضج نماذج الثقافه الإسلاميه و العالميه.

و رساله الغفران - و كذلك الكوميديا الالهيه - رحله للعالم الآخر تتميز بخلوها من عناصر الخوارق و المعجزات التى تحفل بها روايات الأسراء و المعراج الأخرى.

"فباستثناء الفكره الأساسيه للرحله - التى تقع فى نطاق المعجزات - تمضى الحوادث بعد ذلك على نسق أقرب ما يكون إلى منطق الحياه المألوفه..

فالمسافر عند أبى العلاء ليس نبيا و لا وليا و لا من كبار الأبطال، و لكنه مجرد إنسان عادى يقترف الذنوب و يسعى فى الأرض مثله فى ذلك مثل دانتي بطل الكوميديا. كما أن الشخصيات التى تقوم بالأدوار الثانويه ليست فى معظمها من الأنبياء أو القديسين و إنما هم أناس عاديون منهم المؤمن و الكافر مثل الذين نجدهم أيضا عند الشاعر الايطالى. و على هذا فان الخاصيه

الإنسانيه الواقعيه الأرضيه فى الكوميديا تجد سابقته الأديبه الكبرى عند شاعر المعره العربى".

و يتفق دانتى مع أبى العلاء فى معانى التسامح و سعه الأفق فى معامله الأرواح و فى خروج بعضها إلى الجنه بعد رحله التطهر.

بل إن التشابه فى بعض أجزاء العملين يصل إلى درجه التطابق فنجد فى رساله الغفران قصه لقاء ابن القارح بحوريتين من الحور العين يبهره جمالهما، فيقبل كل واحده منهما و يرتشف رضابها و يتمثل فى حسنها بأبيات لامرئ القيس فتستغرقان فى الضحك و تقول إحداهما "أ تدرى من أنا يا على بن منصور؟ فيقول أنت من حور الجنان اللاتى خلقهن الله جزاء للمتقين..

فتقول، أنا كذلك بانعام الله العظيم، غير أنى كنت فى الدار العاجله أعرف بحمدونه و أسكن فى باب العراق بحلب و أبى صاحب رحي و تزوجنى رجل يبيع السقط فطلقنى لرائحه كرها من فى، و كنت من أقبح نساء حلب فلما عرفت ذلك زهدت فى الدنيا الغراره و توفرت على العباده فصيرنى ذلك إلى ما ترى".

و بعيدا عن أسلوب المعرى الساخر فى هذه القصه نرى الشبه الكبير بينها و بين بعض الوقائع عند دانتى كلقائه مع بياسينا فى المطهر و مع بيكاردا الفلورنسيه فى سماء القمر. و الأولى تنعى حظها التعس و شقاءها مع زوجها مثل حمدونه أما بيكاردا فتبدوا رائعه الحسن رغم دمامتها فى الدنيا و كلاهما تذكر لدانتى قصتها فى الدنيا و موطنها و اسمها الدينوى.

و غير ذلك من التشابه الذى يبلغ درجه التطابق بين الكوميديا و رساله الغفران كثير مما ذكره الدكتور صلاح و لا سيما صور العبور على الصراط يوم القيامه.

و بعد ذلك ينتقل الدكتور صلاح فى رياض كتابه ليحدثنا عن العناصر الصوفيه فى الكوميديا الالهيه فيقول "ان الكوميديا الالهيه - طبقا لهذا الفهم - تعبير مجازى عن حياه دانتى الشخصيه و عن خلاص البشرى. فدانتى نموذج للإنسان الذى أضله الجهل و أعمته الشهوات لكنه يستطيع أن يتحرر من عبوديه الشر بهدايه من عقله و فضل من الله تعالى، و ذلك عن طريق التطهر و التوبه من الذنوب، هذا التطهر الذى يرمز إليه بالرحله إلى الجحيم و المطهر. و عند ما يظفر بهذا الكمال الخلقى يصعد - عن طريق التأمل و بنعمه من الله - إلى السعاده الخالده التى تتمثل فى لذه الاستمتاع برؤيه الذات العليه... فدانتى إذن مثل المتصوفه المسلمين عامه و ابن عربى بصفه خاصه يستخدم معراج الإنسان إلى السماوات، ليرمز به إلى الدراما الصوفيه للتجدد الأخلاقى للأرواح بالايمان و الكمال و الصلاح".

ثم يفرد الدكتور صلاح بعد ذلك أطول فصول الكتاب "للتحليل المقارن لأجزاء الكوميديا الالهيه" و لما كان الكتاب رحله فى العالم الآخر فان دانتى يبدأ رحلته من "الليمبو" أى الأعراف التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، و يحددها دانتى بأنها منطقه تقع فوق الجحيم مباشره أى أنها البهو المفضى إليه و تنقسم إلى شطرين أولهما ما يلي الجحيم و تسكنه أرواح الأطفال و من ماتوا دون أن يعملوا خيرا أو شرا.

أما الشطر الثانى فهو سهل عميق تحف به الأشجار و يحميه من حوله جدول جميل و فيه تسكن أرواح من ماتوا على الفطره قبل الأديان و أرواح الحكماء و الفلاسفه و الأبطال ممن لم يعتنقوا المسيحيه عند دانتى بالرغم من نبلهم و حكمتهم. و لا- يعانى هؤلاء من العذاب سوى الحرمان من الجنه و الشوق الذى لا يحدوه أمل.

و ظهور الأعراف فى الفكر المسيحى بدأ بدانتى. و معنى ذلك أن المصدر الوحيد له فى تصورها هو الثقافه الإسلاميه، التى تفننت كتبها فى رسم صور شائقه للأعراف و مكانها و نوع العذاب الوحيد الذى يعانیه سكانها و هو شوقهم إلى الجنه و حرمانهم منها إذ لم يدخلوها و هم يطمعون.

كما يجمع الباحثون على أن "كل أوصاف الجحيم الوارده فى العهد القديم - التوراه - و الأدب الكلاسيكى و فى العصور الوسطى الأولى السابقه لدانتى كانت أوصافا بسيطه مبهمه لا لون لها. و لا تشبه بحال تلك الصوره

ص: ٣٣٤

الغنيه المجسمه التشكيليه الواضحه التي رسمها دانتي للجحيم... لذلك أدركوا عند اكتشاف تأثير الثقافه الإسلاميه عند دانتي أنها هي المصدر الحقيقي الذى نهل منه دانتي كثيرا من أوصافه دون أن يطعن ذلك فى مدى أصالته أو يقلل من قيمته..".

و لقد اتبع دانتي أيضا النموذج الإسلامى الذى يقسم الجحيم إلى طبقات عامه تحتوى على تقسيمات فرعيه تخدم الهدف الأخلاقى للقصه.. وقد سمى شراح دانتي هذا التقسيم بالبناء الأخلاقى للجحيم.

كما تتطابق أوصاف " مينوس " خازن النار عند دانتي و حواراه معه مع ما جاء فى قصه المعراج [معراج] الرسول ص عن لقائه مع مالك خازن النار و حديثه معه.

عن رحله المطهر

ثم يمضى الدكتور صلاح متتبعا فصول الرحله فصلا فصلا و ما فيها من وصف لأنواع العذاب التى يسامها المذنبون و العصاه مظهرا ما فيها من تطابق أو تقارب شديد مع القصه الإسلاميه.. حتى عذاب رجال الدين و العلماء يكاد يتطابق مع ما

جاء فى صحيح البخارى من حديث " ي جاء بالرجل يوم القيامه فيطرح فى النار فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به أهل النار فيقولون: أى فلان.. أ لست كنت تامر بالمعروف و تنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف و لا آتية و أنهى عن المنكر و آتية ".

و يختتم الدكتور صلاح هذا الفصل بقوله " بهذا يتضح لنا أن كثيرا من المواد الأوليه التى صاغ منها دانتي صورته و تصوراته عن الجحيم مستقاه من التراث الإسلامى و إذا كانت القدره الشعريه تعتمد أولا على عبقرية الصياغه و السياق الفلسفى و الفكرى الجديد، فان هذا التأثير لا يقلل بحال من قيمه الشاعر الايطالى بل يوضح طبيعه إبداعه و مدى أصالته ".

لكن الدكتور صلاح يعود بعد ذلك ليفرد فصلا شائقا عن رحله المطهر فى الكوميديا و هى الرحله التى يقطعها دانتي بعد خروجه من الجحيم عبر جبل المطهر الذى ينقسم إلى سبع درجات متصله فيما بينها تسكنها أرواح بريئه من الكبائر و ذنوبها مما تسعه رحمه الله تعالى.. و فى هذا الجبل ترعاها الملائكه و تقودها فى دروبه إلى الصعود التدريجى حتى تصل إلى السماء بعد أن تكون قد تطهرت بالصلاه و الابتهاج و الدعاء و

قد روى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى " يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطره بين الجنه و النار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا و نقوا أذن لهم فى دخول الجنه " و يمضى الدكتور صلاح فى دراسته المقارنه لرحله المطهر حتى يصل إلى لقاء دانتي مع بياتريس حبيبته السابقه فى الدنيا التى تأخذ بيده و ترافقه باقى رحلته.. و هو أمر ترفضه الكنيسه لمجافاته لروحها فى التهوين من شان العلاقات العاطفيه و اتهامها بالماديه.

لذا فالدكتور صلاح يرى " إن هذا الحب الفردوسى المثالى الذى غذى خيال دانتي مدين بدوره للتصور العربى الإسلامى للحب العذرى كما تبلور لدى الشعراء و المفكرين العرب فى المشرق و المغرب و انتقل عن طريق الأندلس و صقلية و الحروب الصليبيه إلى أوروبا ".

ثم يسهب الدكتور صلاح في وصف هذا اللقاء، و ما جاء من أوصاف الحور العين في الروايات الإسلاميه و ما يقابلها أو يشبهها في كوميديه دانتي ليؤكد الحضور القوي لهذا العالم الذي صورته المأثورات الإسلاميه في خيال دانتي عند ما كتب رائعته. و أخيرا فاني أتساءل مع الدكتور صلاح فضل:

لما ذا أثمر هذا التراث الخصب من المأثورات الدينيه و الأدبيه و الشعبيه واحده من أهم الملاحم الدينيه في الآداب الأوربيه و أثمر شيئا قريبا من ذلك في الملاحم الفارسيه من سنائي إلى إقبال ثم عقم الأدب العربى عن احتضان هذه الخمائر و الإفاده منها؟ ثم ألا- سبيل أمامنا للإفاده الرشيده من هذا التراث العظيم بكل طاقاته الروحيه و إمكاناته الشعريه و قدرته الهائله على تجسيد الوجدان الشعبى فى أعمال فنيه فذه؟

عبد الرحمن الكواكبي

مرت ترجمته فى هذا المجلد، و نضيف إلى ما تقدم الدراسه الآتيه، مكتوبه بقلم سامى الكيالى:

نشا الكواكبي فى بيئه ضيقه لا- يتسع نطاقها للعمل الحر. و كان منذ نشاته الأولى ثوره مشتعله. فحاول الإصلاح فى موطنه من طريق الكتابه فى الصحافه... و لكن قيود العهد الحميدى كانت ثقيه. و كان أعوان عبد الحميد و رجاله يحاسبون المرء على الهمس، فما كان منه، بعد أن استفد كل ما يملك لمقاومتهم، إلا أن هجر وطنه إلى مصر و فى نفسه جيش من الآمال الكبيره، و فى فؤاده نزوات ممضه من صلف الحكام، و جراحات داميه من عنت المستبدين. فأطلق فى مصر لأفكاره العنان يكتب فى دك عروش الاستبداد و تقويض سلطه المستبدين، و ما زال إلى أن قضى، بعد أن ترك ذلك الأثر النفيس الذى يقرؤه القارئ اليوم فيجد فيه هذه الصيحات العاليه المنبعثه من قلب ملئ بالايان، و نفس حره تكره العبوديه، و تريد الحريه المطلقه لجميع الأوطان، و للشرق، و وطنه الغالى، بصوره خاصه.

ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي من أبوين كريمين فى الثالث و العشرين من شهر شوال سنه ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م - و قد تعلم القراءه و الكتابه فى المدارس الابتدائيه - و هى المعروفه بالكتاتيب لذلك العهد، و بعد أن استوفى حظه منها استحضر له والده أستاذا خاصا لتعليمه التركيه و الفارسيه، و كانت التركيه اللغه الرسميه للدولة، فبرع فيها، ثم انتسب إلى المدرسه الكواكبيه - المنسوبه إلى أسرته - حيث درس العلوم العربيه و الفقه و المنطق، و كانت فى نفسه هذه النزعه للاحاطه بشتى العلوم، فعكف على دراسه الرياضه و الطبيعه بالمراجعه و المدرس على بعض الأساتذه، و كان ذكاؤه الحاد من العوامل التى جعلته يحيط إحاطه شامله بالكثير من فروع العلوم و شتى أنماط الثقافه، و عرف منذ صغره بالتفوق، و بالكثير من السجايا الكريمه.

و يصفه الشيخ كامل الغزى، مؤرخ حلب و صديق الفقيد، بأنه كان منذ حدائه سنه تلمع فى محياه مخائل النجابه و الشهامه و علو الجنان، و يزيد على ذلك بقوله: " كان سحى الطبع، لا قيمه عنده للمال، ولوعا بالتفضل على أقرانه و خلائه، لا يرضى أن يسبقه بالبذل عليهم غيره، يأنف من الكذب و التدليس و الغيبه و النميمه، و يرى التلبس بهذه الذميه دناءه و غدرا و خورا فى الطبع، و كانت نفسه العزيزه تأبى عليه الخضوع لأهل المجد الباطل، و لا يرى شيئا يطفئ نار غضبه منهم أفضل من قهرهم و إذلالهم ". بهذه الكلمات الموجزه، ذات المعانى الكبيره، وصف لنا الأستاذ الغزى - و هو رفيقه فى الدراسه و خدينه فى الحياه - نشاه السيد الكواكبي و طرفا من خلقه و سجاياه. و نلمس من هذه الكلمات أن الكواكبي كان منذ حدائه سنه، ذا صفات مرموقه.

أخصها أنفته و كرامته و كرمه و حده طبعه، مع نزوع إلى الحريه، و إيمان بالمثلث العلياء، فما كان يتجاوز دور الطفوله إلى عهد الشباب حتى لفتت هذه المواهب أنظار كبار رجال الدوله في حلب، فعين و هو في الثامنه و العشرين من عمره محررا في الجريده الرسميه -

ص: ٣٣٥

جريدته "الفرات" - و كانت تصدر بالعرييه و التريه، و إذ كان الكواكبي يبيد اللغتين فقد وقع الاختيار عليه للقيام بهذه المهمه، و حدد راتبه الشهري بثمانى ليرات عثمانيه ذهبا. و هو مبلغ ضخم بالنسبه لمعدل الرواتب فى ذلك العصر، و كان الدوله أرادت بإسناد هذا العمل الرسمى إلى السيد الكواكبي، أن تشتري قلمه، و أن تكلم فمه، و لكن ظنونها ذهبت بددا.

و لم يطق العمل فى الجريده الرسميه التى تلزمه أشياء تتنافى و طبعه و منازعه، و سرعان ما ترك العمل فى الجريده الرسميه و انصرف للأعمال الحره.

و قد كان لاعتزاله العمل الحكومى أثره فى نفوس رجال الحكم، و خشوا أن يفلت من أيديهم، و قدروا ما سيكون لنشاطه، و هو غير مقيد، من أثر فى إلهاب النفوس، فاحتالوا عليه و أعادوه إلى البيئه الرسميه. فعينوه فى ديوان المعارف، ثم نقلوه إلى كتابه العدل، ثم إلى مديرىه التنفيذ، ثم إلى مديرىه مطبعه الولايه، ثم رفعوه إلى رئاسه بلديه حلب، فرئاسه كتاب المحكمه الشرعيه، فمفتشيه انحصار الدخان، فرئاسه غرفه التجاره، فرئاسه المصرف الزراعى. و قد يعجب القارئ من هذا التنقل من فرع إلى فرع، و من دائره إلى أخرى. و لكن عجبه سيطل إذا عرف أنه ما يكاد يتسلم دائره من الدوائر حتى يباشر الإصلاح فيقلب عاليها سافلها، و يعمل على تعديل أوضاعها. أى أنه كان فى جميع الرئاسات التى تقلدها ذلك المصلح الثائر على الكثير من القيود و الطرق المعوجه. فكان يصطدم مع أولى الأمر، و كان خلافه معهم على سنن الإصلاح هو الذى يحدوهم إلى نقله من دائره إلى أخرى. و ما زالوا إلى أن قرروا نقله من حلب إلى راشيا، فعينوه قاضيا شرعيا فيها، أى أرادوا نفيه بصوره غير مباشره للتخلص من نزعاته الاصلاحيه و ميوله الحره.

و من يمعن النظر فى الوظائف التى شغلها، و هى ذات اتجاهات مختلفه، من التجاره إلى الشرعيه، و من الكتابه و التحرير إلى أمور التبغ و الدخان مثلا، لا يجد تعليل ذلك إلا أن كفايته الذهنيه كانت قابله لاستيعاب كل عمل. و هذا شان الأذكيا الذين لا يهابون المسئوليات، بل يقدمون على العمل بجان قوى للوصول به إلى أسمى غاياته، و كان الكواكبي من هذا النفر.

و قد كان تمسكه بوجهات نظره، و محاولته التجديد و الإصلاح، من الأمور التى أثارت عليه حفيظه الولاه و رجال الدوله، فناصره العدا و اتهموه بتهم كثيره كادت تودى بحياته.

و من أبرز أعماله فى حلب اشتغاله بالصحافه، و هو أول صحفى مارس هذه المهنة فى حلب: فقد أصدر جريده "الشهباء" سنه ١٢٩٣ هـ، و جعلها منبرا عاليا للصيحات الحره... و لكن أنى لهذه الصيحات أن تأخذ طريقها إلى قلوب الجماهير، و الحرىه مكبله بالسلاسل، و الكابوس الحميدى يحاسب المرء على الكلمه و الهمسه، لذلك لم تعش الجريده طويلا، فقد عطلتها الحكومه، و استطاع بعد سنوات أن يصدر جريده ثانيه أسماها "الاعتدال"، و لم يكذ يصدر منها عدده حتى أفلتتها الحكومه، و قد جعل منهاجها كزميلتها، و هو التنديد بسياسه الدوله العثمانيه، و ظلت الميول الاصلاحيه حبيسه فى نفسه بعد تعطيل الجريدتين، إلى أن أتيح لها أن تنطلق تحت سماء مصر، و التى احتواها كتابه "طبائع الاستبداد" و هو فصول و مقالات نشرت متتابعه على صفحات "المؤيد" كبرى جرائد مصر و الشرق آنذاك.

لقد كان الكواكبي من الأذكيا الذين سبقوا زمنهم، فحاول إصلاح الدوله فى بيئه لم تكن لتسمح له أن ييوح بأرائه حره طليقه فوقف الحكام له بالمرصاد، و كانت بينه و بينهم منازعات و خصومات. و لا يتسع المجال ليراد الكثير من هذه الحوادث التى

كانت من أسباب هجرته، و كلها تنتهي عند هذه الغايه التي استهدفها، و هي مناصبته طغاه الولاة الذين كانوا يحافظون على العهد الحميدى بأشبع صورته، و قد اتهم اتهامات باطله و زج فى السجن و حوكم و حكم عليه، و اتهم بالعمل مع الأجنبى ضد الدوله العثمانيه، و كانت جميع هذه التهم باطله، و هي من عمل الوشاه و الجواسيس. و لما ضاق ذرعا بهذا الجو الموبوء بالوشايات قرر النزوح عن حلب. و قبل أن نشير إلى قصه فراره نلخص الحادته التي اتهم بها، و دخل من أجلها السجن، و كاد يبقى فى ظلماته سنوات طويله، لو لا العناية الالهيه.

ففى سنه ١٣٠٧ ه عينت الدوله عارف باشا، أحد كبار رجال الدور الحميدى، واليا على حلب، و كان سيى الاداره، منهمكا بالرشا، يقول الشيخ الغزى الذى روى هذه القصة: "إن السيد الكواكبى تسلط عليه - أى على الوالى - جريا على منهاجه الذى كان يسير عليه مع أمثاله من الولاة، فطفق يتتبع سقطاته، و يفضح عوارته، و يندد به فى صحف الاستانه و بيروت، و يكتب بمساوته إلى المراجع العليا، حتى نكد عيشه، و سلب راحته، و صار الوالى يتمنى أن لو ظفر له بسقطه يتسلط بها عليه لينتقم منه، فلم يظفر له بشيء من ذلك.

و حدث فى يوم ما أن قنصل دوله إيطاليا فى حلب السنيور إتريكوويتو بينما كان راكبا عربته، مارا فى محله الجلوم، التي هي محله السيد عبد الرحمن الكواكبى، إذ وقع على ظهره حجر عاثر صدمه صدمه عنيفه تألم منها جدا، بحيث اضطرتة أن يعود إلى منزله و أن يرسل إلى الوالى تقريراً، يطلب فيه منه البحث عن الضارب، و إجراء العقوبه القانونيه "

هذه الحادته فتحت للوالى بابا يلج منه إلى إصاق هذه الجنايه بالسيد الكواكبى، لا سيما و قد كانت الحادته فى محلته، و على مقربه من داره.

و فى الحال أوعز إلى بعض شياطينه بان يرفع إليه تقريراً فحواه أن الكواكبى منضم إلى عصابه أرمنيه - و كانت ثورات الأرمن فى تلك الأيام كثيره - و أنه قبل يومين أغرى بعض الناس فرشق على قنصل إيطاليا حجره أصابت ظهره، محاولا بذلك إحداث ثوره بين الأرمن و المسلمين بحلب، و حالما قدمت هذه الاخباريه إلى الوالى أمر رئيس الشرطه بالذهاب إلى منزل السيد عبد الرحمن، و الدخول إليه قسرا، و تفتيش مكتبه و خزانه أوراقه. فتوجه رئيس الشرطه على الفور إلى منزل الكواكبى، و كان غائبا عنه، فدخله قسرا و معه طائفه من أتباعه، و قصدوا خزانه كتبه و خزانه أوراقه. فتوجه رئيس الشرطه على الفور إلى منزل الكواكبى، و كان غائبا عنه، فحرفه بحروف أرمنيه، مضطربه التركيب، يفهم منها أن أحد زعماء الأرمن يعد السيد عبد الرحمن بأنه عما قريب يقوم باحداث ثوره بين المسلمين و بين الأرمن فى حلب!. فقبض الشرطى على هذه الورقه و طار بها إلى الوالى، فتسلمها منه، و فى الحال أصدر أمره بإلقاء القبض على الكواكبى و زجه فى السجن، و ما أسرع ما أخرج من السجن مخفورا، و أجلس على كرسى المحكمه لاصدار الحكم عليه. و كان رئيس المحكمه رجلا- متهالكا بالتقرب إلى الولاة و كبار الموظفين، فحكم على السيد الكواكبى بالاعدام، على أن يكون الحكم قابلا للاستئناف ثم للتمييز، فتلقى السيد الكواكبى الحكم بالرضى، و شرع يطلب من المراجع العليا أن تكون محاكمته الاستثنافيه فى محاكم بيروت لعداوه شخصيه بينه و بين الوالى، فأجيب طلبه، و نقل مع أوراق الدعوى إلى محكمه بيروت، فتحقق لها أن الدعوى مزوره من أساسها، و لا- أصل لها، و قد برأتها، و عاد إلى وطنه و هو أكثر اعتزازا بدعوته إلى الحق و مناصبته العتاه المستبدين.

لقد مل المقام فى وطنه و هو فى هذا الجو الموبوء بالدسائس و الوشايات، فوطن نفسه على الهجره.. و لكن إلى أين؟.

قال لنا الأستاذ الغزى، و هو أوثق من يروى سيرته للصدافه الوثيقه التى كانت بينهما: "...و قبل سفره بيوم واحد زارنى فى منزلى يودعنى، و أخبرنى أنه عازم فى غده على السفر إلى إستانبول لتبديل نيابته - أى نيابه قضاء راشيا - و كنت عالما بكتابه "جمعيه أم القرى"، و قد شعرت منه العزم على طبعه، فوقع فى نفسى أنه سيرج على مصر لطبعه و نشره، إذ لا يمكنه أن يطبعه فى غيرها، فحذرت من ذلك، و قلت له: إياك يا أخى و السفر إلى مصر، فانك متى دخلتها تعذر عليك الرجوع إلى وطنك، لأنك تعد فى الحال من الطائفة المعروفة باسم "جون تورك" لا يتأخر وسمك بهذه السمه قيد لحظه، لما اشتهرت و عرفت به من شده المعارضه، و انتقاد الأحوال الحاضره.. فقال: لم أعزم إلا على السفر إلى إستانبول للغرض الذى ذكرته لك - و قد كتم سر سفره حتى عن أعز أصدقائه - ثم ودعنى و مضى، و أنا أسأل الله تعالى أن يرعاه بعين رعايته، و أن يجعل التوفيق رائده، و النجاح مرشده و قائده. و كانت مبارحته حلب فى أوائل سنه ١٣١٦ هـ، و بعد أن مضى على مبارحته حلب نحو بضعه عشر يوما لم نشعر إلا و صدى مقالاته فى صحف مصر، و أخذت جريده "المؤيد" تنشر تفرقه كتاب "طبائع الاستبداد" الذى لم يطلعنا عليه مطلقا، بخلاف كتاب "جمعيه أم القرى" فقد أطلعنا عليه مرارا.. ثم إنه طبع الكتابين المذكورين، و قام لهما فى "الماءين السلطاني" ضجه عظيمه، و صدرت إداره السلطان بمنع دخولهما إلى الممالك العثمانيه، بيد أنهما رغما عن ذلك كله وصلا إلى حلب على صورته خفيه و قرأناهما فى سمرنا المره بعد المره".

و فى مصر شعر أنه فى وطن عربى حر، فاخذ يرسل صيحاته المدويه التى انتظمها كتابه "طبائع الاستبداد. و مصارع الاستعباد" و هو كما قال:

"كلمات حق و صيحه فى واد، إن ذهب اليوم مع الريح، فقد تذهب غدا بالأوتاد..".

و يصف لنا الصحفى إبراهيم سليم النجار الفتره التى قضاها الكواكبي فى مصر بقوله:

"اتصل المرحوم الكواكبي بالمرحوم الشيخ على يوسف صاحب "المؤيد"، فتمكنت بينهما روابط الصداقه و الود. فكنا نجتمع كل يوم فى حلقتنا المعروفة فى القاهره، فكنت و الكواكبي و رفيق العظم و الأستاذ كرد على نؤلف حلقة مستقلة، و لا نفرق ليله إلا لنعود إلى الاجتماع فى الغد.

و حدث أن صدر "المؤيد" ذات يوم يحمل إلى قرائه كتابا غريب الشكل و اللهجه و الأسلوب و الموضوع، لم يسبق للمقظم أو سواه من الصحف التى عرفت يومئذ بكتاباتها الحره أن كتبت مثله، فلفت الكتاب إليه الأنظار، و شغل الخواطر، و أخذت الدعوه الحره تلبس شكلا جديدا، و أخذ الكتاب و القراء و الناس يتساءلون عن صاحب هذا الأثر البديع فى جريده "المؤيد"، التى سلكت مسلك الصحف الحره على رغم اتصالها الشديد بالخدوي عباس الثانى و بالآستانه، و يقولون: ترى من يكون صاحب كتاب "طبائع الاستبداد"؟.. فاعتقد الجمهور - لأول وهله - أنه من نتاج قلم و تفكير الشيخ محمد عبده، لو لا الجفاء الذى كان مستحكما بين صاحب المؤيد و بينه - حتى قبل حادثه الموقوده - و لو لا بعد الشيخ محمد عبده، عن كل من يتصل بالخدوي قريبا و بعيدا، فلم تمض أيام على انتشار ذلك الكتاب فى "المؤيد" حتى عرف الكتاب الكواكبي، فوضعه دفعه واحده فى الدرجه الأولى بين رجال التفكير و القلم، و أنزلوه منزله الشيخ محمد عبده، فعرفوا منزلته و أعلوا قدره".

و لا- يتسع المجال للافاضه بالكلام عن كتاب "طبائع الاستبداد" فهو فى متناول كل يد، و لا تخلو منه مكتبه أديب، و هو آيات

ساميه فى بذر بذور الحرىه فى نفوس الناشئه و هد كيان المستبدىن. و قد أعلمنى نجله الدكتور أسعد الكواكبى أن والده قد أضاف على الكتاب بعد طبعه إضافات كثيره، و الهوامش التى يحتفظ بها بقلم والده تؤلف كتابا مستقلا بحجم الكتاب المطبوع. و هو يعترم طبع هذه النسخه الجديده قريبا، ليطلع العالم العربى على ثمره أفكار والده فى الحرىه و الاستعباد.

و المعروف عند قراء العربيه أن الكواكبى لم يترك غير كتاب "طبائع الاستبداد" و سجل مجموعه "أم القرى" مع أنه كتب كتابا كبيرا عنوانه "صحائف قريش" و هو من أثنى ما جادت به قريحته... و لكن أين هذا الكتاب؟ لقد فقد و لا يعلم أولاده عنه شيئا.. و من يدرى فقد تكون الأيدى الأثيمه التى سطت على أوراقه عقب وفاته هى التى أضاعت على العالم العربى هذا الكتاب الثمين.. و إذ نعرف أن السيد الكواكبى بعد مكثه فى مصر، قد قام برحله كبيره إلى بلاد العرب و شرقى إفريقيا و بعض بلاد الهند.. فمما لا شك فيه أنه دون الكثير من آرائه عن هذه الرحله. و هذه الصحائف أيضا قد عبث بها أيدى المستبدىن، فخرست العربيه أثنى ما كتبه رحالتنا الكبير بعد أن هجر وطنه إلى بلاد الحرىه، و بعد أن طوف فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى.

كان الكواكبى يهدف فى جميع اتجاهاته إلى تقويض سلطان الظلم و بذر بذور الحرىه و إصلاح العالم الإسلامى، و كان يصرخ من الأعماق:

"الاستبداد داء أشد وطاه من الوباء، أكثر هولاء من الحريق. أعظم تخريبا من السيل، أذل للنفوس من السؤال. داء إذا نزل بقوم سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادى: القضاء القضاء. و الأرض تناجى ربها بكشف البلاء. كيف لا تقشعر الجلود من الاستبداد، و عهده عهد أشقى الناس فيه العقلاء و الأغنياء. و أسعدهم بمحياه الجهلاء و الفقراء، بل أسعدهم أولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسداهم الأصحاء".

"لو كان الاستبداد رجلا- و أراد أن يحتسب و ينتسب لقال: أنا الشر، و أبى الظلم. و أمى الاساءه، و أخى الغدر، و أختى المسكنه، و عمى الضر. و خالى الذل، و ابنى الفقر، و بنتى البطاله، و وطنى الخراب، و عشيرتى الجهاله".

"يعيش الإنسان فى ظل العداله و الحرىه نشيطا على العمل، أما أسير الاستبداد فيعيش خاملا خامدا ضائع القصد، حائرا لا يدرى كيف يميت ساعاته و أوقاته، و يدرج أيامه و أعوامه، كأنه حريص على بلوغ أجله ليستتر تحت التراب".

"من طبائع الاستبداد أن الأغنياء أعداؤه فكرا و أوتاده عملا، فهم ربائط المستبد، يذلهم فيأنون، و يستدرهم فيحنون. و لهذا يرسخ الذل فى الأمم التى يكثر أغنياءها. أما الفقراء فيخافهم المستبد خوف النعجه من الذئاب، و يتحبب إليهم ببعض الأعمال التى ظاهرها الرأفه، يقصد بذلك أن يغضب أيضا قلوبهم التى لا يملكون غيرها، و الفقراء كذلك يخافونه خوف دناءه و نذاله، خوف البغاث من العقاب، فهم لا- يجسرون على الافتكار فضلا على الإنكار، كأنهم يتوهمون أن داخل رءوسهم جواسيس عليهم، و قد يبلغ فساد الأخلاق فى الفقراء أن يسرهم فعلا رضاه المستبد عنهم باى وجه كان رضاؤه".

"الاستبداد يقلب الحقائق فى الأذهان، حتى إنه قد مكن بعض القياصره و الملوكة الأولين من التلاعب بالأديان، تأييدا لاستبدادهم.

وقد وضع الناس الحكومات لأجل خدمتهم، و الاستبداد قلب الموضوع فجعل الرعيه خادمه للرعااه، وقد قبل الناس من
الاستبداد ما ساقهم إليه من

ص: ٣٣٧

اعتقاد أن طالب الحق فاجر، و تارك حقه مطيع، و المشتكى المتظلم مفسد، و النبيه المدقق ملحد، و الخامل المسكين هو الصالح الأمين، و قد اتبع الاستبداد فى تسميه النصح فضولا، و الغيره عداوه، و الشهامه عتوا، و الحميه جنونا، و الإنسانيه حماقه، و الرحمه مرضا، كما جاروه على اعتبار أن النفاق سياسه، و التحيل كياسه، و الدناءه لطف، و النذاله دماثه".

"قد يبلغ فعل الاستبداد بالأمه أن يحول ميلها الطبيعى من طلب الترقى إلى طلب التسفل، بحيث لو دفعت إلى الرفعه لأبت و تألمت، كما يتألم الأ-جهر من النور، و إذا ألزمت بالحرية تشقى، و ربما تضنى... يطيب له المقام على امتصاص دم الأمه فلا ينفك عنها حتى تموت و يموت هو بموتها".

و يطول بنا المجال لو رحنا نقتطف هذه الكلمات الذهبيه التى جاءت عرضا فى الفصول التى كتبها محللا طبيعه الاستبداد و طغيان المستبدين. هذه الفصول التى اختتمها بصيحات من الأعماق، أهاب بالشرق أن يستيقظ و أن يثور، لئودى رسالته الساميه التى أداها أسلافه للحضاره، فمن هذه الصيحات قوله:

"يا قوم: هداكم الله، ما هذا الشقاء المديد، و الناس فى نعيم مقيم و عز كريم؟ أ فلا تنظرون! و ما هذا التأخر، و قد سبقتكم الأقوم أ لوف مراحل أ فلا تتبعون؟.. و ما هذا الانخفاض، و الناس فى أوج الرفعه، أ فلا تغارون؟.

"يا قوم: وقاكم الله من الشر، أنتم بعيدون عن مفاخر الإبداع، و شرف القدوه، مبتلون بداء التقليد و التبعية فى كل فكر و عمل، و بداء الحرض على كل عتيق، فلما ذا تقلدون أجدادكم فى الخرافات و الأمور السافلات و لا تقلدونهم فى محامدهم؟.. أين الدين؟ أين التريه؟ أين الاحساس؟ أين الغيره؟ أين الجساره؟ أين الثبات؟ أين الرابطه؟ أين المناعه؟ أين الشهامه؟ أين النخوه؟ أين الفضيله؟ أين المواساه؟ هل تسمعون أم أنتم نائمون؟" يا قوم، سامحكم الله! لا تظلموا الأقدار، و خافوا غيره المنعم الجبار، أ لم يخلقكم أحرارا لا يتقلكم غير النور و النسيم، فأبيتم إلا أن تحملوا على عواتقكم ظلم الضعفاء و قهر الأقوياء؟.

"يا قوم، جعلكم الله من المهتدين، كان أجدادكم لا ينحون إلا ركوعا لله، و أنتم تسجدون لتقبل أ رجل المنعمين و لو بلقيمه مغموسه بدم الاخوان! و أجدادكم ينامون الآن فى قبورهم مستوين أعضاء، و أنتم أحياء معوجه رقابكم أذلاء! البهائم تود لو تنتصب قامتها، و أنتم من كثره الخضوع كادت تصير أيديكم قوائم!.. النبات يطلب العلو، و أنتم تطلبون الانخفاض! لفظتكم الأرض لتكونوا على ظهرها، و أنتم حريصون على أن تنغرسوا فى جوفها! فان كانت هذه بغيتكم فاصبروا قليلا لتناموا طويلا".

بهذه الصيحات كان ينبه الشرق و يثيره، و يبذر فى حقوله بذوره الصالحه لينشا أفراده على بغض الاستبداد و تقديس الحره و الايمان بالمثل العليا.

و قد ذهب البعض إلى أن كتاب "طبائع الاستبداد" منقول عن الايطاليه، و منهم من قال إنه معرب عن جان جاك روسو، و ذهب غيرهم إلى أن هذه الآراء هى آراء بطل الحره مدحت باشا، إلى آخر ما ذهب إليه المغرضون الذين لا- تهذا نائره ضغائنهم إلا إذا جردوا أصحاب المواهب من مزاياهم و فضائلهم، و قد رد كثيرون على هذه التهم الباطله.

و يقول الأستاذ النجار بهذا الصدد:

"سبق لى أن قرأت فى شابىى كئاب "الكونترا سوسىال" لجان جاك روسو ثم انقطعت عن الرجوع إله، فلما قرأت كئاب "طبائع الاستبءاء" أعاء إله ذاكرتى كئاب الكاب الافرنسى العظىم. و لو كان الشىخ العربى يعرف و لو قلىلا اللغه الفرنسوىه لاعتقدت بأنه أأذ عنه أو أأذى حذوه.

و لكن الحقىقه هى أن العقول النيره، و القلوب الكبیره نيره و كبیره، مهما أأختلفت لغاتها و بلادها و أقاليمها. و لو ملكت سلطه فى هذا الشرق العربى لأوجب تدرىس هذا الكئاب فى جمىع المدارس، لأنه ىنشئ الشاب على حب الحرىه و مقاومه الظلم و الاستبءاء أنى كان مصدرهما و عمن صدرا، دون تعصب ذمىم، و لطبعت ألوف النسخ عنه و وزعتها على الناس فى هذه البلاد الضعىفه الخانعه المستكنه، ففى بعض الكتب شعاع من أرواح الأنبىاء، و قبس روحانى من أقباس السماء".

و الواقع أن الكواكبى كان صاحب رساله حره، فمذ نشأته إله أن طواه القدر ظل هذا المفكر الحر الذى ىرسل صىحاته المدوىه فى الحرىه و الاستبءاء، دون أن ىهلح فؤاده أو ىضطرب جنانه، و دعوته كدعوه المصلحىن الأحرار، لم تذهب صىحه فى واد. لا... فقد كان لها اثرها [أثرها] المدوى. و استىقظ الشرق، و هو ىذكر الیوم لهءاته المصلحىن ىدهم فى هذا التحرر و البعث... و الكواكبى من هؤلاء الهءاه الذىن عملوا فى سبىل نزع الغشاوه عن عقل الشرق، لىهب و ىستىقظ، و ىستعید مجده السالف، ثم لىبءع و ىعمل فى بناء دعائم الحضاره من جدىء.

و من المؤسف أن الكواكبى لم ىعمر طویلا، فقد مات فى نضوج كهولته، أى فى الخمسین من عمره. و لو مد الله فى حىاته لترك للجلل العربى الكثیر من المؤلفات فى شتى قضاىا المجتمع، و لكنه توفى فى ظروف غامضه، أأختلف الناس فى تأویلها، و منهم أصدقاؤه و ذووه الذىن لا ىزالون ىعتقدون أن ىءا مجرمه هى التى دست إله طعامه السم، و أن هذه الیء قد أمتدت من قصر ىلءز، أو ممن ىمت بصله إله من مواطنیه، و ىرىءون أن ىقولوا إن للسید أبى الهءى الصیاءى ىءا فى هذه النهایه.

و لا بأس من أن أأآتم مقالى هذا بكلمه للأستاذ إبراهىم سلیم النجار، قال.

"لقد حدث لى فى حىاتى الصحفىه الطویله فى مصر و سورىا و الاستان و الغرب أن حدثت كثیرىن من أهل الرأى و العلم و السیاسه فى شئون جمه، فأقول، و أشهد الله على ما أقوله: إننى لم أعرف كثیرىن من الذىن حدثتهم كانوا فى مثل اطلاع الفقید على شئون الشرق و سعه علمه، و جلاء رأیه، و قوه حجته، و صلابه ىقینه، و لقد كان ىصرح لى بأراء أعترف الیوم على رؤوس الأشهاد باننى لا أأجرأ على الجهر بها".

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديد آورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديد آور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

الأميره آرام جان بيگم

توفيت بعد سنه ٨٥٥ ملكه جليله ذات عقل راجح و رأى صائب و جمال بارع.

فتن بجمالها السلطان محمد ميرزا بن جلال الدين ميران شاه بن الأمير تيمور فتزوجها فاستولت على جميع مقاليد الحكم و شئون الدوله و السلطان و كانت تدير أمور الدوله بأحسن وجه. ذكرها الوزير الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه خيرات حسان بما تعريبه: (آرام جان بيگم زوجه السلطان محمد ميرزا بن جلال الدين ميران شاه بن الأمير تيمور ملكه جليله ذات جمال بارع و حسن باهر و من ربات الفصاحه و البلاغه طلقه اللسان و بعقلها و ذكائها و فطنتها تمكنت فى مده قليله أن تكسب اعتماد السلطان فتسلمت جميع مقاليد الحكم و كانت فى أكثر الأحيان تلبس التاج الملوكى و تحضر فى البلاط و تدير أمور الدوله و السلطان..(١))، حكمت مع زوجها من سنه ٨٣٠ إلى (٢).

آرده خاتون بنت ترمشيرين خان

* آرده خاتون بنت ترمشيرين خان(٢)

توفيت حدود سنه ٨٠٨ من أبرز نساء عصرها ذات عقل راجح و حزم و دهاء و إرادته، مصلحه حكيمة. و هى أم زوجه الأمير حسين والد زوجه الأمير تيمور المتوفى سنه ٨٠٧ و كانت من مستشارى الأمير تيمور.

يقول الوزير الايرانى الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه خيرات حسان ما تعريبه: (... كانت محل اعتماد و وثوق الأمير حسين و فى أكثر الأحيان التى كانت تحدث فيها بعض الخلافات فى وجهات النظر بين الأمير تيمور و الأمير حسين كانت تتوسط بين الاثنين لرفع الخلاف و يؤخذ برأيها...)(٣) و هى من ربات الشجاعه و الفروسية تشهد الحروب و الغزوات و تبنى آراءها فيحترمها الجميع خاصه الأمير تيمور و كان يشاورها فى بعض أمور الدوله(٤).

آفاق بيگه بنت الأمير على الجلائريه الهرايه

و يقال آقا بيگه الهرايه الجلائريه توفت بعد سنه ٩٠٥ أديبه شاعره فاضله من ربات البر و الإحسان و مشاهير نساء عصرها محبه للعلم و العلماء، ترعرعت فى بلاط أبيها و أخذت العلم و فنون الأدب على كبار علماء عصرها و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الأمير درويش على كتاب دار شقيق الوزير الأمير على شير نوائى المتوفى سنه ٩٠٦ و ترجمها فى كتابه مجالس النفائس الذى ألفه فى سنه ٨٩٥ هجرية(٥). كما ذكرها المير شير على خان اللودى فى كتابه مرآه الخيال الذى ألفه فى سنه ١١٠٢ و ذكر فيه شعراء عصره و أثنى عليها بما تعريبه (... كانت من الشاعرات المعاصرات للسلطان حسين بايقرا فى بلده هرات و مرجعا للخاص و العام و من أهل الثراء و الجاه و لها ديوان عامر و خدم و حشم و أملاك و أسواق و مقاطعات زراعيه، ينفق من مالها الخاص على العلماء و الشعراء و أهل الفضل...)(٦). و ذكر ديوانها شيخنا الأستاذ فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة القسم الأول من الجزء التاسع صفحه ٩ و قال (ديوان آفاق بيگه جلاير الشاعر الهرايه معاصره السلطان حسين بايقرا ترجمها مير على شير اللودى فى مرآه الخيال لكن سماها آقا بيگه غلطا و الصحيح ما عبر عنه مير على شير النوائى فى مجالس النفائس..) و هى من

أبرز نساء الشيعة فى عصر السلطان حسين بايقرا (-) و كانت دارها فى مدينه هرات مجمع الأدباء و الشعراء و العلماء و أهل الفضل، تحب مجالستهم و معاشرتهم و قد عينت رواتب شهرية تدفع لبعض شعراء و علماء هرات و كان والدها من أمراء الدوله الجلائرية و أخوها الأمير حسين الجلائرى من رؤساء القوات الجلائرية و هو أديب شاعر متكلم، و هى من أسره عريقه معروفه فى التاريخ الشيعى جاء ذكر رجال هذا البيت الجليل فى محله من أعيان الشيعة (٧).

ص: ٧

- ١- الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه: خيرات حسان ج ١ ص ٦ الطبعة الحجريه الأولى طهران سنه ١٣٠٤ هجريه.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى عن كتابه المخطوط (رياحين الشيعة).
- ٣- الميرزا محمد حسن خان: خيرات حسان ج ١ ص ٦ الطبعة الحجريه الأولى طهران ١٣٠٤ هجريه.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى عن كتابه المخطوط (رياحين الشيعة).
- ٥- المير نظام الدين على شير نوائى: مجالس النفائس ص ١٦٤ تحقيق على أصغر حكمتطهران الطبعة الأولى.
- ٦- المير شير على خان اللودى: مرآه الخيال ص ٣٣٦-٣٣٧ الطبعة الحجريه الأولى بمبئى.
- ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

آغا بيگم بنت السيد محمد علي بن السيد عابد بن السيد علي بن السيد محمد

الطباطبائي النجفي الأصفهاني البروجردى.

توفيت سنة ١٣٢٣ من أفاضل نساء عصرها فقيهة محدثة عابده زاهده متكلمه خطيبه أخذت المقدمات و العربية على أفاضل علماء عصرها ثم تفقّعت على رجال أسرتها و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى السيد على الطباطبائي البروجردى و رزقت منه السيد حسين البروجردى المرجع الشهير المتوفى سنة ١٣٨٠ هجرية.

و أسرتها آل الطباطبائي من أسر العلم و الفضل الجليله فى بروجرد التي لها مكانتها الساميه و نبغ منها علماء أعلام مذكورون فى محالهم من أعيان الشيعة.

توفيت فى بروجرد و نقلت رفاتها إلى النجف الأشرف حسب وصيتها و دفنت فى وادى السلام(١).

آغا سلطان بنت طهماسب قلى بيك الأصفهانيه

توفيت بعد سنه ٩٣٨ عالمه فاضله جليله صالحه عابده زاهده من ربات البر و الإحسان نشات و ترعرعت فى بلاط السلاطين الصفويه و أخذت العلم و الفنون الإسلاميه و الأدب عن أفاضل علماء أصفهان و كان أبوها طهماسب قلى بيك من أمراء الدوله الصفويه لها آثار و ماثر فى مدينه أصفهان منها تعمير و تأسيس جناح فى مسجد جامع أصفهان و تعمير و تزيين الجناح الذى أسسه الصاحب بن عباد(٢) ذكرها السيد مصلح الدين المهدوى فى كتابه تذكره القبور صحيفه ٢٨ و وصفها بأنها عالمه فاضله صاحبه مبرات و خيرات(٣).

آمنه بيگم و يقال آمنه خاتون بنت الشيخ محمد تقى المجلسى الأول ابن الشيخ

مقصود على المجلسى الأصفهاني.

توفيت بعد سنه ١١١١ و دفنت قريبا من قبر أخيها المجلسى تكررت ترجمتها فى المجلد الثانى من أعيان الشيعة صفحه ٩٥ باسم آمنه بيگم ثم فى المجلد الثالث صفحه ٦٠٧ تحت عنوان بنت المولى محمد تقى المجلسى و نزيد هنا ما يلى: عالمه فاضله فقيهة محدثه محققه أديبه شاعره من ربات الفصاحه و البلاغ و الورع كانت شديد الزهد لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها أخذت العلم و فنون الأدب و العربية و علم النحو و الصرف و البديع و المنطق على أفاضل رجال أسرتها و تخرجت فى الفقه و الحديث و التفسير على والدها الشيخ محمد تقى المجلسى الأول المتوفى سنة ١٠٧٠ و هى شقيقه الشيخ محمد باقر المجلسى الثانى صاحب البحار المتوفى سنة ١١١١ و ربما أخذت عن أخيها المذكور أيضا فنون العلوم الإسلاميه و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ ملا محمد صالح المازندراني المتوفى سنة ١٠٨٦ فرزقت منه ستة أولاد كلهم من العلماء و الشعراء و هم: ١ - الشيخ محمد حسين(٤) ٢ - الشيخ محمد سعيد المتخلص بأشرف من شعراء عصره هاجر إلى الهند(٥) ٣ - الشيخ هادى ٤ - الشيخ ملا نور الدين محمد ٥ - الشيخ ملا حسن على ٦ - الشيخ ملا عبد الباقي.

تصدرت للتدريس و الإفاذه و الإرشاد فكانت من نوابغ نساء عصرها و كان زوجها مع فضله يستفسر منها فى حل بعض المسائل

العلميه و الفقيهه المستعصيه. يقول الشيخ محمد على المدرس التبريزى فى كتابه ريحانه الأدب ما هو تعريبه (... صادف زوجها الشيخ محمد صالح المازندراني فى مسأله فقيهه مشكله مستعصيه عجز عن حلها و تركها إلى اليوم الثانى فكتبها آمنه بيگم مشروحه و مبسوطه و حلت ابهاماتها و وضعتها فى غرفه زوجها. و عند رجوع زوجها ليلا شاهد شرح المسأله المستعصيه ففرح فرحا شديدا و سجد لله يشكره على نبوغ زوجته آمنه بيگم...)(٤) ترجمها معاصرها الميرزا عبد الله أفندى الأصفهاني المتوفى سنه ١١٣٠ تلميذ شقيق المترجم لها المجلسى صاحب البحار فى كتابه رياض العلماء قال:

(آمنه خاتون بنت المولى محمد تقى المجلسى فاضله عالمه صالحه متقيه و كانت تحت المولى محمد صالح المازندراني و سمعنا أن زوجها مع غايه فضله قد يستفسر عنها فى حل بعض عبارات قواعد العلامه و هى أخت الأستاذ الاستاد مد ظله)(٧) تركت مؤلفات منها: ١ - شرح على ألفيه ابن مالك ٢ - شرح على شواهد السيوطى ٣ - مجموعه المسائل الفقيهيه ٤ - ديوان شعر: و كتب من شعرها على لوحه قبرها(٨).

السيد أحمد ابن السيد سلطان على المرعى

ولد سنه ١٣٠٤ و توفى سنه ١٣٦٠ فى سامراء و دفن فيها عند عتبه الحرم العسكرى.

نشا و ترعرع فى النجف الأشرف فى بيت علمى عريق ثم استقر فى سامراء و نظم فيها أمور الدراسه فازدهرت فى عهده بالأساتيد و الطلاب، و كان منزله فيها ملتقى الوفاد. و كان فى شبابه يتردد على إفريقيا الشرقيه للإرشاد فيقصد زنجبار و دار السلام و مقديشو و جزيره مدغسكر.

و بعد وفاته أقام مرجع الشيعه فى عصره السيد أبو الحسن الأصفهاني مكانه ولده السيد كاظم فتولى الشئون العلميه فى سامراء حتى وفاه الامام الأصفهاني فاضطربت الأمور و غادر سامراء الكثير من الفضلاء و الطلاب فغادرها السيد كاظم إلى إيران.

و عدا السيد كاظم ولده الأكبر فقد ترك المترجم أربعة بنين أكبرهم السيد إسماعيل الذى سلك طريق أهله فى طلب العلم و العمل به، فبعد تخرجه من معاهد سامراء و النجف استقر فى مدينه الأهواز مرشدا هاديا و شيد فيها مدرسه و مسجدا و مكتبه، إلى أن قامت الحرب العراقيه الإيرانيه و صارت الأهواز عرضة للقصف المدفعى و الجوى فتركها إلى طهران. له من المؤلفات: عنوان الطاعه فى إقامه الجمع و الجماعه، إجماعيات فقه الشيعه، الأصول الوجيزه.

ص: ٨

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى عن كتابه المخطوط (رياحين الشيعه)

٢- انظر كنجينه آثار تاريخى أصفهان صفحات ٩٢ و ١٠١.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى عن كتابه المخطوط (رياحين الشيعه)

٤- انظر الذريعه إلى تصانيف الشيعه القسم الأول من الجزء التاسع صفحه ٢٤٨ بيروت دار الأضواء..

٥- انظر تذكره نصرآبادى: الميرزا محمد طاهر النصرآبادى ص ١٨١ طهران مكتبه فروغى.

٦- الشيخ محمد على المدرس التبريزى: ريحانه الأدب ج ٥ ص ١٤٨ الطبعة الثانيه تبريز مطبعه شفق..

٧- الميرزا عبد الله الأصفهاني: رياض العلماء ج ٥ ص ٤٠٧ قم منشورات المكتبة المرعشيه..

٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و هي خلاصه من مباحث أصول الفقه كانت بعض دراساته لطلابه في مدرسته بالأهواز.

و شقيق المترجم السيد محمود عرم [عمر] مائه سنه و كان من الاعلام في النجف الأشرف ثم مدينه قم.

الميرزا أحمد بن الميرزا كاظم بن الميرزا صادق الكشميري

المتخلص بأزادكان حيا سنه ١٢٣٥ أديب متضلع و شاعر فنان و خطاط مبدع. من أدبائنا المنسيين.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته هاجر من إيران إلى الهند و سكن بلده كشمير له آثار و نفائس من الفن الإسلامي الخالد منها نسخه من القرآن المجيد بخط ثلث جميل و تفسير الكاشفي كتبه بخط ثلث و نسخ و رقاع و نستعليق.

و النسخه من مخطوطات مكتبه جامعه إستانبول و جاء في آخره: (تم كلام الملك العلام من التفسير على يد أحمد بن ميرزا كان بن ميرزا صادق آزاد تخلص... سنه ١٢١٧ هجرية).

ذكره الأستاذ محمد علي كريم زاده التبريزي في كتابه أحوال و آثار نقاشان(١) و قال أنه إيراني الأصل سكن في الهند و كان من أساتيد صنع الميناء (فسيفساء) في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة و من صنعه يد خنجر و غلافه مطليا بالميناء (الفسيفساء) بألوان زاهيه تم صنعه سنه ١٢٣٥...

الموجود في متحف البريطانى...

أقول: ان آثاره الخطيه و فنونه الإسلاميه الخالده موجوده في أروقه المتاحف في العالم و المكتبات العامه و الخاصه و ذكره الدكتور مهدوى في كتابه أحوال و آثار خوشنويسان ج ١ ص ٣٦(٢).

شهاب الدين أحمد بن ماجد

إشاره

المشهور بابن ماجد هو الربان العربى الشهير الذى كان فى الوقت نفسه شاعرا مؤلفا، و قد كتبت عنه باللغه العربيه دراسات قيمه، منها الدراسه الواسعه التى كتبها عبد الله بن على الماجد عن حياته، و تحقيق مؤلفه (الفوائد فى أصول علم البحر و القواعد)، و الدراسه التى نشرها الدكتور أنور عبد العليم بعنوان (ابن ماجد الملاح) فى سلسله (اعلام العرب) الحلقه ال ٦٣ منها. و ما كتبه حسن كامل الصيرفى بعنوان:(الملاح الشاعر)، و ما نشره الديوان الأميرى فى رأس الخيمه من الدراسات الخاصه.

تشيع «ابن ماجد

و ابن ماجد من أفذاذ الشيعه و أعلامهم التاريخيين، و لم يشر بعض من كتبوا عنه باللغه العربيه إلى تشيعه، فى حين أن مجله (الموسم) فى عددها السابع (١٩٩٠) فى الصفحه ٧٨٦ تقول: و قد سبق لعدد من الباحثين التأكيد على مذهب آل البيت الذى كان يعتقه العبقري الخالد ابن ماجد و منهم المستشرق الفرنسى غبريل فران فى المجلد الثالث من كتابه (المدخل إلى الفلك

الملاحى العربى) اه.

و نقول: أن تشيع ابن ماجد واضح لا سيما فيما نظمه من الشعر. قال الدكتور عبد الهادى التازى المغربى فى مجله البحث العلمى سنه ١٩٨٦:

ان ابن ماجد بما يحمله معه من تاريخ حافل كان جديرا بهذا البروز..

و جديرا برد الاعتبار إليه، و من هو مؤهل فى العالم كله ليقوم بهذا الواجب غير أبناء خلدته من أبناء المنطقه الذين يظنون مدينين لابن ماجد فيما كتب عن ديارهم، عن سواحلهم، عن بحورهم، و عن علومهم.. عن عبقريتهم بما فيهم المتواجدون على شاطئ خليج فارس أو خليج عمان و المحيط الهندى.. و سائر إفريقيا الشرقيه. و من كل أولئك الذين تظل جغرافيتهم بتراء شوهاء ان لم تعتمد على إفادات ابن ماجد.. من هو جدير فى العالم ليقوم بهذا الواجب غير الرجال الذين يعيشون على نفس الأرض التى نشأ فيها؟ غير الذين يستظلون بنفس السماء التى كان بها يستظل، و غير الرجال الذين نبهتهم صيحات ابن ماجد و انذاراته للخطر المحدق بهم من الطامعين فى خيراتهم.

و ان من حقنا فعلا- أن نطالب المسئولين عن التربيه و الثقافه فى هذه البلاد أن يخصصوا يوما من السنه نطلق عليه: "يوم ابن ماجد" يمكن أن يكون "منتصف شهر شتنبر من كل سنه" لأن ذلك التاريخ يصادف بالضبط اليوم الذى أتم فيه ابن ماجد مؤلفا له مهما بعنوان: "السبعيه" كتبه و هو فى جلفار:

تمت لشهر الحج فى جلفار أوطان أسد البحر فى الأقطار

يوم الغدير أبرك الأيام إذ خص بالإحسان و الصيام

و كان فى الهجره يا مولاي سته و ستين و ثمان مائه

يكون ذلك اليوم ملتقى للمبدعين و الفنانين و الكتاب و المحققين و الذين ينشدون الحقيقه من كل مكان.. ملتقى للمهتمين بعلوم البحر و تطور الأساطيل.

علينا أن نعرف بقدر ابن ماجد فرفع عنه ما ألحق به خطأ أو قصدا..

يكفى أنه عاش فى حياته مهضوم الحق، علينا أن نستحضره و هو يخاطب مواطنيه بالأمس:

فان تجهلوا قدرى - حياتى فإنما سيأتى رجال بعدكم يعرفوا قدرى!

د. عبد الهادى التازى باريز - فال دو كراص - مجله البحث العلمى ص ٧١ ع ٣٦ (١٩٨٦) هذا ما كتبه الدكتور عبد الهادى التازى، و لم ينتبه و هو ينقل أبياتا من أرجوزه ابن ماجد الذى يعلن فيها تاريخ انتهائه من كتابه (السبعيه) إلى ما ذكره ابن ماجد من أن تاريخ هذا الانتهاء يصادف (يوم الغدير أبرك الأيام)، و ما دام لم ينتبه لهذا فمن البديهي أن لا ينتبه لما وراء هذا الذكر

من تشيع ابن ماجد الذى لم تنسه مشاغله الكبرى أن يحصى الأيام ليصل إلى (يوم الغدير) الذى هو عنده (أبرك الأيام).

و كيف لا يكون هذا اليوم عند ابن ماجد (الشيعى) العريق أبرك الأيام و

هو اليوم الذى جمع فيه النبى (ص) المسلمين فى (غدير خم) و قال لهم: من كنت مولاه فعلى مولاه. فكان ذلك إيدانا بان عليا هو خليفته من بعده.

و سنرى فى الآتى من القول أن الدكتور أنور عبد العليم و هو يذكر

ص: ٩

١- انظر أحوال و آثار نقاشان قديم إيران: محمد على كريم زاده ج ١ ص ٥١ لندن ١٣٦٣ هجرية شمسية.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

مؤلفات ابن ماجد يذكر من بينها: (الأرجوزه المنسوبه إلى على بن أبي طالب)، و قد ذكرها بهذا الشكل لأنه رأى بين ما ألفه ابن ماجد شعرا أرجوزيا باسم على بن أبي طالب ع، فلم يدرك أن هذا الشعر هو في مدح الامام، لذلك اكتفى بالقول: (الأرجوزه المنسوبه إلى على بن أبي طالب)، في حين أن هذه النسبه هي نسبه المدح.

و بعد هذا نترك الكلام للدكتور أنور عبد العليم، ثم للمؤرخ البحرانى على التاجر الذى توسع فى الحديث توسعا مفيدا لا بد منه فى هذا المجال:

سيره ابن ماجد و حياته

فى مكتبه بباريس مخطوط عربى قديم يرجع عهده للمائه التاسعه الهجرية يحمل رقم ٢٢٩٢ يحتوى على تسعه عشر مؤلفا ملاحيا للربان العربى شهاب الدين أحمد بن ماجد أولها "كتاب الفوائد" و هو أكبرها و منشور، أما باقى المؤلفات فاعلمها منظوم من بحر الرجز. و فى نفس المكتبه أيضا مخطوط آخر تحت رقم ٢٥٥٩ يحتوى على مؤلفات ملاحيه أيضا للشيخين أحمد بن ماجد و سليمان المهري. و قد نشر هذين المخطوطين و علق عليهما المستشرق الفرنسى جبريل فران Gabriel Ferrand فى الثلث الأول من هذا القرن.

و يعتبر هذان المخطوطان فى نظر الكثيرين أهم وثيقه فى الجغرافيا الفلكيه و الملاحيه وصلتنا من العصور الوسطى، و تنحصر أهميتها فى أنها أقدم الوثائق الجيده التى دونت عن الملاحة فى البحار الجنوبيه بين الساحل الشرقى لافريقيا و بلاد الصين بلغه من اللغات، و لذلك أثره فى تاريخ العلوم، كما أنها تلقى كثيرا من الضوء على مقدار ما بلغه العرب من تقدم فى فنون البحر و الملاحة فى ذلك الوقت و على مدى تاثر البرتغال بالتعاليم الملاحيه العربيه، و فضلا عن ذلك فالمخطوطان الآنفا الذكر يحتويان على كثير من المصطلحات العلميه و الفنيه التى تعتبر فى حد ذاتها ثروه للغه العربيه.

هذا و توجد أيضا ثلاث أراجيز (راهنامجات أو راهمنجات أو رهمانات أو راهنامات أو رهمانات) (١).

أخرى لابن ماجد فى مكتبه الاستشراق بلنيجراد نشرها و علق عليها باللغه الروسيه الأستاذ تيودور شوموفسكى عام ١٩٥٧.

و قد أتيح لنا الاطلاع على بعض أعمال ابن ماجد فى لينيجراد عام ١٩٦١ و على نسخ مصوره من مخطوطى بباريس السالفى الذكر بالاضافه إلى مصادر أخرى. و إذ نحن بسبيل تقديم دراسه علميه جديده عن هذا الربان العربى من واقع مخطوطاته فقد آثرنا أن نعرف به أولا بهذا البحث فى "تراث الإنسانيه".

و سنتناول فيه تقديم كتاب "الفوائد" و لا- يسعنا إلا- أن ننوه أيضا بمقال كتبه قبلنا الأستاذ حسن كامل الصيرفى فى مجله "المجله" عام ١٩٥٧ عن هذا الربان تحت عنوان "الملاح الشاعر" (٢) أما مؤلف كتاب "الفوائد" فرييس علم البحر و فاضله و أستاذ هذا الفن و كامله الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين ابن أبى معلق السعدى ابن أبى الركاب النجدى (نسبه إلى نجد) حاج الحرمين الشريفين المكنى بالمعلم و بأسد البحر و ليث الليوث، شيخ رباننه المحيط الهندى و البحر الأحمر و خليج عمان و الخليج الفارسى و بحر الزنج و بحر جاوه و بحر الصين فى القرن الخامس عشر الميلادى غير منازع، و أوسعهم علما و تجربه و فضلا.

يقول المؤلف فى سبب تاليفه لهذا الكتاب: "ألفته و صنفته لركاب البحر و رؤسائه و فيه ما اشتبه من الحاويه يعنى "حاويه الاختصار" و هى مؤلف سابق له) و غيرها على الطالبين و سميناه كتاب "الفوائد" و هو مشتمل على فوائد كثيره غوامض و ظواهر و يضيف فى موضع آخر من الكتاب سببا آخر... "فهو يخاف أن يدرکه الموت و نوادر الحكم فى القلوب".

و لا يعرف على وجه التحقيق تاريخ ميلاد هذا الربان الماهر و المعلم القدير و لا تاريخ وفاته، إلا أن الثابت أن نشاطه ينحصر فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى (أواخر القرن التاسع و أوائل العاشر الهجرى) كما أنه درس الحساب و هو بعد صبى صغير. و قد ذيل المؤلف مخطوطه هذا بقوله " و ختمنا هذا الكتاب فى عام خمس و تسعين و ثمان مائه (٣) على الاختصار بقولى أوصيكم بتقوى الله و قله الكلام و قله المنام و قله الطعام و نستغفر الله من التقصير و الزياده و النقصان". و هذا التاريخ يوافق عام ١٤٨٩ - ١٤٩٠ م.

و من الثابت أيضا أن مؤلفنا قد تجاوز الستين من عمره و شهد أوائل القرن العاشر الهجرى، و قد وجدنا فى أرجوزته المسماه "ضربيه الضرايب" ما يعزز ذلك من قوله:

شباب برأسى أعجب الناس من أمرى أتانى عقيب الشيب فى آخر العمر

و أى شباب بعد ستين حجه سما فى السما فوق السماكين و النسر

(٤) و منها قوله:

أنا فرحتى فى ليله قد ترتبت كانى أعطيت المنى ليله القدر

مهذبه فى تسع مائه قد أتت إذا هى تمت وفيت لها نذرى

و البيت الأخير يدل بوضوح على أنه قد دخل فى عام ٩٠٠ هجرىه و يتمنى أن يوفى نذره بتمامه و لربما كان ذلك النذر هو حج بيت الله كما تعود أن يفعل، و يوافق هذا التاريخ عام ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م.

كما نستشف من كلام ابن ماجد فى "الفوائد" الذى يرجع تاريخ النسخه التى تحت يدينا منه إلى خمس سنوات قبل هذه الأرجوزه أنه تولى قياده المركب فى سن مبكره ربما فى الثانى عشره أو الخامس عشره من عمره و يتضح ذلك من قوله: (و ما صنف هذا الكتاب إلا بعد أن مضت لى خمسون سنه و ما تركت فيها صاحب السكان (الدفه) وحده إلا أن أكون على رأسه".

و للأبيات التى اخترناها دلاله أخرى فمنها نستشف أيضا أن ابن ماجد على الرغم من تجاوزه الستين من عمره كان جم النشاط متوقد الذهن و القريحه صحيح البنيه باعترافه مما أدى إلى عجب الناس، و أغلب الظن أنه عاش لسنوات عديده بعد هذا التاريخ، و ليس ذلك بمستبعد فى الأحوال الطبيعیه على شخص قضى أغلب حياته فى البحر يعيش فى بساطه و هدوء يتنفس الهواء.

- ١- عن الفارسيه بمعنى راه (طريق) و نامہ (كتاب) أى كتاب الطريق و هى هنا بمعنى المرشد الملاحى
- ٢- انظر أيضا محمد ياسين الحموى بعنوان "الملاح العربى" طبعه دمشق سنه ١٩٤٧.
- ٣- من المرجح أن ابن ماجد قد نسخ كتاب الفوائد أكثر من مره على سنوات مختلفه (انظر جبرييل فران ١٩٢٨. و فى النسخه المشار إليها فى مكتبه باريس يذكر المؤلف حوادث وقعت عام ٨٩٤هـ.
- ٤- السماكين و النسر الطائر من النجوم الملاحيه المشهوره.

النقى، متفرغا لعمله لا يشغل باله بعرض الدنيا وزينتها. ثم أنه كان عفيف النفس ورعا تقيا مخلصا لربه و لمهنته زاهدا فى المال، كما يتضح من كتاباته. و لهذا كله مغزى خاص سنورده فيما بعد. و نحن نؤيد ما نقول بفقرات من كتاب الفوائد مثل قوله: و ينبغي أنك إذا ركب البحر تلزم الطهاره فانك فى السفينه ضيف من أضياف البارى عز و جل فلا تغفل عن ذكره).

على أن عدم تقييد ابن ماجد بالوزن و القافيه فى شعره أو بقواعد الـاعراب لا يعنى بحال من الأحوال أنه كان قليل الحظ من الثقافه، فهو رجل بحر مجرب موهوب خبير بالنجوم و بمسالك الملاحة و بالبحر و عواصفه و أنوائه و تقلب أحواله، مشغول بقياساته الفلكيه و تجاربه التى أنفق فيها عمره. ثم يجب ألا ننسى أنه ربان يخاطب أهل فنه و مهنته بلغه المهنه، كما يجب ألا ننسى أيضا أن العصر الذى عاش فيه كان عصر اضمحلال أدبى أفقد فيه السجع المفتعل كثيرا من بهجه اللغه و التعبير. و بهذه المناسبه يرى بعض المستشرقين أن كتابات ابن ماجد صعبه شاقه كالرموز تحتاج إلى مفاتيح لحلها، و هم يقصدون بذلك بالطبع أراجيزه التى ضمنها قياساته الفلكيه و تعبيراته الملاحيه و لهم عذرهم فى ذلك. و الواقع أن دراسه ابن ماجد دراسه مجديه تحتاج إلى إمام بالكثير من فنون الملاحة و البحر، كما أنها تحتاج فى نفس الوقت إلى معرفه بأصول مثل هذه الكلمات و المصطلحات التى استعملها و اشتقاقها من اللغات الفارسيه و الهنديه و السواحليه و غيرها، و قد يسر هذا الأمر الأخير للباحثين تلك الدراسات القيمه التى أجراها جبريل فران(1) أثناء إقامته الطويله فى مدغشقر و جاوا و جزر الكومور و غيرها من جزر المحيط الهندي. ثم إن دراسه ابن ماجد تحتاج أيضا إلى تحقيق لمواقع الأمكنه و البلدان التى ورد ذكرها فى كتاباته، و على سبيل المثال عند ما يتكلم عن "جوزرات" فإنما يعنى "كجرات" بالهند، و إلى معرفه أيضا بآلات الملاحة و أدواتها التى كانت مستعمله فى وقته و كذلك إلى معرفه أسماء النجوم التى رصدها و مدلولاتها الحديثه.

و تدل كتاباته على اطلاع واسع و إمام بكتب و آثار من سبقوه ليس فقط بالنسبه لمؤلفات الجغرافيا الفلكيه و الجغرافيا الرياضيه بل أيضا بالنسبه لكتب الأدب و الأشعار. فهو يستشهد فى كتاب "الفوائد" مثلا بأبيات من معلقات امرئ القيس و عمرو بن كلثوم و المهلهل ابن أبى ربيعه من شعراء الجاهليه و كذلك بأبيات من عمر ابن أبى ربيعه و الطغرثى و أبى نواس و غيرهم. و فى موضع آخر من كتاب "الفوائد" يعدد كتبا متخصصه يجدر "بمعامله البحر" قراءتها فيقول "بل أنا نقول للمعالمه و نعرف الغافلين منهم و ندلهم على الكتب الكبار التى لم تتم صنعتهم إلا بها مثل كتاب المبادئ و الغايات تصنيف رجل مغربى من أهل مراکش و مثل كتاب التصاوير فان فيه جميع الكواكب بصورهن و ممرهن و بعدهن و درجاتهن و طولهن و عرضهن و كذلك فى كتاب تقويم البلدان و فى الاختصار الشجبتيه (؟) و زيغ الفتيك بن شارخ بن تمرلنج(2)..

و كان بليغا فى علم الفلك عمدته جميع العجم. و فى هذا الفن (أيضا) كتاب المجسطى لبطليموس و هو كتاب يونانى عرب منه المأمون بن هارون بعض أجزاءه.

و من كتب هذا الفن كتاب البتانى و زيغ ابن الشاطر المصرى و عليه أكثر كلم الديار المصريه، و كتاب أبو حنيفه الدينورى و كتاب الطوسى و كتاب أبو المجد إسماعيل بن إبراهيم الموصلى و يسمى مزيل الاشتباه عن مشتبه الأنساب و كتاب المشترك لياقوت الحموى و كتاب ابن سعيد و كتاب ابن حوقل فإنه مستوفى العرض و الطول و الدرج و البلدان و الجبال و المدن و البحيرات و الأنهار.. فانى وقفت على أكثر مما ذكرت".

و نحن نميل إلى الاعتقاد بان ابن ماجد كان ملما بلغه الهند السنسكريتية و بلغه فارس و بلغه ساحل الزنج و ربما بلغه جاوه

كذلك لاختلاطه بمعالمه من هذه البلاد و طول إقامته بينهم و لاستخدامه في كتاباته كثيرا من المصطلحات المشتقه من تلك اللغات و بخاصه من الفارسيه التي يستشهد منها بيت للفردوسى في كتاب الفوائد ثم يعربه بقوله:

خف من الله و لا تؤذ أحد هذا طريق الحق لا تخش أحد

و هو ان كان قد نشأ في جلفار في عمان، إلا أنه كان دائم التنقل بين الساحل الإفريقي و العربى و للمحيط الهندي، و لربما قضى في البحر أكثر مما قضى على البر من عمره.

على أن ابن ماجد على الرغم من ذلك كان شديد الثقة بنفسه دائم الاعتداد بعلمه عن يقين، و يتضح ذلك في مواضع كثيره من مؤلفاته المنظومه و المنثوره، و لطالما نعت نفسه بأنه " رابع الليوث " أو " رابع ثلاثة " من جهابذه هذا العلم و لكنه يستكثر على نفسه أن يسبقه هؤلاء فيستدرك بقوله و نهايه المتقدم بدايه المتأخر، و قد عظمنا علمهم و تاليفهم و جللنا قدرهم - رحمه الله عليهم - بقولنا أنا رابع الثالثه، و ربما في العلم الذى اخترعناه في البحر ورقه واحده تقيم في البلاغه و الصحه و الفائدة و الهدايه و الدلاله بأكثر مما صنّفوه ".
و كأنه رحمه الله عليه، كان عليما حين اختتم قصيدته المسماه (ضريبه الضرائب) بقوله:

فان تجهلوا قدرى حياتى فإنما سياتى رجال بعدكم يعرفوا قدرى

و قد تحققت نبوءته بعد نصف قرن من موته تقريبا على يد الأدميرال [الأدميرال] التركي " سيدى على كاتب رومى " كما سيرد ذكره ثم مره أخرى في القرن العشرين على أيدي العلماء من المستعربين من روسيا من أمثال كراتشكوفسكى و شوموفسكى و من فرنسا من أمثال فران و من سويسرا من أمثال دى سوسير و غيرهم ممن أجهدوا أنفسهم في التعرف عليه و دراسه مؤلفاته. ناهيك بملاحى الشراع من أهل عدن أيها الشيخ الذين يقرءون لك الفاتحه كل يوم كلما خرجوا إلى عرض البحر (٣) و لا ترجع شهره ابن ماجد إلى كونه ملاحا قديرا فحسب، لا يزال أهل عدن يقرءون له الفاتحه كل يوم، و لا إلى مؤلفاته الغزيره في علوم البحار و الملاحة التي لم تكتشف إلا في القرن العشرين، و إنما اكتسب هذا الملاح ".
ص: ١١

١- انظر: - G.Ferrand:Relations des voyages et textes geogr.arabes etc.;reIatifs a l'ex. -

treme orient du VIII au XVIII siecles;Paris في جزءين

٢- يقصد " زيح الغ بيك " لاولوج بيك بن تيمور لنك و ربما كان هذا التحريف في الأصل من الناسخ.

٣- يقرر ذلك الرحاله الانكليزى رينشارد بيرتون في كتابه " السبيل إلى إفريقيا و استكشاف هرر " طبعه لندن عام ١٨٥٦ م عن رؤيته لبحاره عدن يقرءون الفاتحه للشيخ ماجد " مخترع البوصله البحريه " .

فضلا عن ذلك، شهره دوليه حين ثبت أنه هو نفسه الربان الذى قاد سفينه فاسكودى گاما البرتغالى من ساحل إفريقيا الشرقى إلى الهند لأول مره فى عام ١٤٩٨ م. و لقد استغرق هذا الموضوع جانبا كبيرا من اهتمام المؤرخين و المحققين الأجانب فى عصرنا الحاضر، و أخيرا أقرت حكومه البرتغال بهذا الفضل للملاح العربى فأقامت له فى ميناء ملندى فى كينيا نصبا تذكاريا يخلد هذه الواقعة. و لما لهذه القصة من طرافه فاننا نوردها هنا ببعض التفصيل.

يرجع أول عهد البرتغال بجنوب إفريقيا ثم بالمحيط الهندى بعد ذلك لعام ١٤٨٧ - ١٤٨٨ م أى قبل دى جاما بعشر سنوات تماما حين نجح ربانهم المسمى برتليمو دياز فى اجتياز رأس العواصف (رأس الرجاء الصالح) فى ديسمبر عام ١٤٨٨ م مستعينا طول الوقت بالملاحة الساحليه.

فالقول إذن بان ابن ماجد قد دار باسطول دى جاما حول رأس الرجاء الصالح كما يتبادر إلى ذهن العامه لأول مره مردود من أساسه إذ أن أى ملاح ماهر يستطيع أن يدور حول هذه الرأس محتصنا الساحل طول الوقت.

و الأصعب من ذلك و الأهم أن يحاول ملاح أن يصل إلى الهند من ساحل إفريقيا الشرقى مجتازا محيطا مجهولا له تماما دون أن يرشده خبير بأصول الملاحة فى هذا الحيط.. و من ثم لم يجرؤ فاسكودى گاما أن يفعل ذلك وحده و مكث أسابيع على الساحل الشرقى لإفريقيا فى انتظار هذا الملاح الذى يرجح البعض أنه لم يكن سوى ابن ماجد كما سنعرف عما قليل. و جدير بالذكر أن البرتغال كانوا يسعون للوصول إلى الهند لاحتكار تجاره التوابل كما هو معروف، بيد أنهم لم يفصحوا عن غرضهم بادئ الأمر.

و قد تمت رحله دى گاما إلى الهند فى أول عهد الملك مانويل الثانى الذى حكم البرتغال بين سنوات (١٥٢١ م). أما دى گاما نفسه فقد ولد فى عام ١٤٦٠ م و قام برحلته الأولى إلى الهند بين أعوام ١٤٩٧ - ١٤٩٩ م أى و هو فى سن السابعة و الثلاثين و كان رجلا- متوسط الذكاء و التعليم و لكنه يتميز بعزيمة قويه. أما أسطوله فكان يتكون من ثلاث سفن من نوع عرف باسم "Caravelle" و كان العرب يطلقون على مثل هذه السفن باسم "غراب" (١) أما هذه السفن فقد كانت تحمل أسماء قديسين فسفينه القيادة التى كان عليها دى جاما سميت باسم "سان جبرائيل".

و تولى شقيق دى جاما و يدعى بولو قياده السفينه "سان رافائيل" و قد غرق هذا المركب بين كلوه و ممباسا حين عوده الحمله من الهند، كما تولى نقولا كولخا قياده القطعه الثالثه من الأسطول و هى السفينه "بريو" أو "سان ميغيل". و اصطحب دى جاما معه على هذه السفن الثلاثه ١٥٠ من البحاره و بدأ الرحله من البرتغال فى يوم ٢٥ مارس سنه ١٤٩٧ م بعد أن قضى ليلته يتعبد.

وصل دى گاما إلى رأس العواصف فى جنوب إفريقيا يوم ٢٢ نوفمبر سنه ١٤٩٧ ثم إلى ساحل (ناتال) يوم عد الميلاد و سميت الأرض بهذا الاسم تيمنًا بميلاد المسيح. و فى يناير عام ١٤٩٨ فقد دى گاما السفينه (بريو) على الساحل الإفريقى الشرقى نتيجة العواصف، و حمل بحارتها على السفينتين الأخريين. ثم أنه واصل سيره شمالا بعد ذلك على الساحل حتى بلغ ثغر ملندى فى كامبايا (كينيا الآن) على خط عرض ٠٣ جنوب خط الاستواء. و ذلك فى شهر مارس من نفس السنه. و هنالك ألقى مراسيه فى ذلك الثغر لأسبوعين أو أكثر يتقصى الأخبار عن الهند و يبحث عن مرشد يقوده إليها. و فى قوله أن سلطان البلاد و قد تصادق معه فاسكودى گاما و غمره بالهدايا هو الذى أرسل فى طلب الملاح العربى و كلفه بإرشاد سفينه البرتغال إلى الهند فأوصله

الأخير إلى كلكتا في أواخر أبريل عام ١٤٩٨ م (٢) و من المعروف أن فاسكودي غاما نفسه لم يترك لرحلته مذكرات بخط يده، وقد أرخ لهذه الرحلة الكتاب البرتغاليون القدامى من أمثال لوبيز كاستنهدا عام ١٥٥٤ م.

.F.L.Castenheda:Historia do descobrimento ecoquista da India ١٥٥٤ –pelos Portugueze.

و دي باروش عام ١٥٥٣ م. joao de Barros:Da Asia ١٥٥٣. و يلاحظ أن الطبقات الأولى لهذه الكتب تمت بعد الرحلة بنحو نصف قرن تقريبا مما أدى إلى اختلاف الروايات حول اسم الملاح الذي أرشد فاسكودي غاما إلى الهند، فمن المؤرخين من قال أنه "المعلم كانا" Malem Cana أو Mullemo المسلم من جوزرات و منهم من قال أنه المعلم كانا كانا "Canaque و جدير بالذكر أن لفظ معلم و جمعه "معالمه" كان هو الاصطلاح الملاحي المرادف للربان أو القبطان أما لفظ "كانا" أو "كاناكا" فيعني بلغه السنسكريت (الحاسب) أو (المنجم) و المقصود به هنا الخبير بالملاحة الفلكية. و من أقوال ملاحى المحيط الهندي المسلمين المأثوره فى ذلك الوقت: أن المعلم كالإمام كلاهما عاهد الله على القيادة فكما لا يستطيع الأخير ترك الصلاة فان المعلم لا يستطيع أن يترك سفينته.

و يرجع الفضل فى الواقع فى التعرف على أن ابن ماجد كان هو المرشد الذى قاد أسطول دي غاما إلى الهند إلى جهود المستشرق الألمعى جبريل فرانعام ١٩٢٢ كما ذكرنا من قبل.

.G.Ferrand:Le piIote arabe de Vasco do Gama au XV siele).

Annales de geographie.tom٣١P.٢٨٩-٣٠٧) و قد اهتدى "فران" إلى المصدر الأصلي الذى ورد فيه ذكر ابن ماجد صراحه و ذلك فى مخطوط لقطب الدين النهروالى بعنوان "البرق اليماني فى الفتح العثمانى" (٣) ليرجع تاريخ تأليفه إلى عام ١٥٧٧ م و توجد النسخه الثانيه المتداوله من هذا المخطوط فى الخزانة التيموريه بالقاهره و قد أطلعنا عليها و نحن نورد هنا مقاله النهروالى عن هذا الملاح تحت باب (فى ذكر انتقال الدوله باليمن من بنى طاهر إلى الأمير حسين من الجراكسه) (وقع فى أول القرن العاشر (الهجرى) من الحوادث الفوادح النوادر دخول الفرقتال اللعين من طائفه الفرنج الملاعين إلى ديار الهند و كانت طائفه منهم يركبون زقاق سبته (مضيق جبل طارق) فى البحر و يلجون فى الظلمات و يمرون خلف جبال القمر بضم القاف و سكون الميم جمع أقمير أى أبيض و هى ماده أصل بحر النيل و يصلون إلى المشرق و يمرون بموضع قريب من الساحل عند مضيق على أحد جانبيه جبل و الجانب الثانى بحر الظلمات فى مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائنهم و تنكسر و لا ينجو منهم أحد و استمروا على ذلك مده و هم يهلكون).

ص: ١٢

- ١- قال ابن جحله و هو من شعراء القرن الثامن الهجرى: غربانها سود و بيض قلوها يصفر منهن العدو الأزرق.
- ٢- فى روايه أخرى أن فاسكودي غاما أبحر من ملندى فى ٦ أغسطس سنه ١٤٩٨ و وصل قاليقوط فى ٢٦ أغسطس سنه ١٤٩٨.
- ٣- طبعته "دار اليمامه للبحث و الترجمة و النشر" و هو الحلقة ال ٦ من سلسله:(نصوص و أبحاث تاريخيه و جغرافيه عن جزيره العرب).

فى ذلك المكان و لا يخلص من طائفهم أحد إلى بحر الهند إلى أن خلى منهم غراب (مركب) إلى الهند فلا زالوا يتوصلون إلى معرفه هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنجه و كان يقال له الملندى (الأميرال) و عاشره فى السكر فعلمه الطريق فى حال سكره، و قال لهم: لا تقربوا الساحل من ذلك المكان و توغولوا فى البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج. فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا فى بحر الهند و بنوا فى كوه (جوا) بضم الكاف المعجمه و تشديد الواو و بعدها هاء اسم لموضع من ساحل الدكن هو تحت الفرنج الآن من بلاد الدكن قلعه يسمونها كوتا ثم أخذوا هرموز و تقووا هناك و صارت الأمداد تترادف عليهم من البرتقال فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا و نهبا و يأخذون كل سفينه غصبا إلى أن كثر غدرهم على المسلمين و عم أذاهم على المسافرين فأرسل السلطان مظفر شاه (١) بن محمود شاه بن محمد شاه سلطان كجرات يومئذ إلى السلطان الأشرف قانصوه الغورى (٢) يستعين به على الإفرنج و يطلب العدد و الآلات و المدافع لدفع ضرر الإفرنج على المسلمين و لم يكن أهل الهند إذ ذاك يعرفون المدافع و المكاحل و البندقيات يومئذ و من أرسل إلى السلطان الغورى يطلب منه النجده على الإفرنج السلطان عامر بن عبد الوهاب لكثره ضرر الإفرنج بالمسلمين فى بحر اليمن و استعمال المدافع و نحو ذلك فجهز السلطان قانصوه من كبار مقدميه الأمير حسين الكردي و أصحبه طائفه كبيره من اللوند كبيرهم سليمان الرئيس و جهز لهم عماره عظيمه و أغربه نحو الخمسين بمدافع كبيره و ضربانات و ولاه نيايه جده.. فأول ما جاء بنى على جده سورا محيطا بها فى عام سبع و عشر و تسعمائه (٩١٧هـ).

هذه هى روايه النهروالى أوردناها بنصها. و يرى أغلب المستشرقين أن الموضوع الخاص بسكر ابن ماجد مبالغ فيه، و نرى معهم ذلك و قد سبق أن دللنا على ورع الرجل و تمسكه بالدين و الفضيله و بخاصه و قد تجاوز الستين من عمره فى ذلك الوقت، و لا تسمح له هيئته أن يجالس فى السكر رجلا من أبنائه، ثم كيف يطمئن دى گاما على سلامه أسطول له إذ ما قاده رجل فى حاله سكر! و لربما كان الدافع على هذه الروايه أن أرشد ربان مسلم سفينه للفرنجه إلى الهند ثم ظهرت نياتهم السيئه فيما بعد. هذا و لم يرد فى روايه المؤرخين البرتغال أى إشاره لموضوع السكر هذا و كان أجدر بهم أن يفعلوا لو حدث.

بل و يذكر دى باروش مؤرخ الرحله أن الأميرال البرتغالى قد اطلع المرشد العربى فى ماليندى على أسطرلاب خشبى كبير قطره نحو ٦٠ سنتيمترا و على بوصلات و "كواردنت" و لم يبد الملاح العربى أى دهشه لما رأى بل الذى أخذته الدهشه هو دى گاما نفسه حين أطلعه ابن ماجد على خارطات عربيه ممتازه موضح بها خطوط الطول و العرض و على آلات ملاحيه عربيه.

و وضح من هذه المقابله أن الربان العرب كانت لديهم طرق مختلفه لحساب خطوط العرض تتفوق على تلك التى كان يستعملها البرتغال، فبينما كان هؤلاء يتبعون بطليموس فى الاستعانه بحساب ارتفاع الشمس بالاسطرلاب و يستعملون دائره محيطها ٣٦٠ كان العرب يستخدمون الحساب الليلى بقياس ارتفاع النجوم و مواقعها بالنسبه للنجم القطبى و هى طريقه أكثر دقه كما كانوا يستعملون وحده "الإصبع" فى الحساب "و إلزاما" للمسافات و يقسمون حقتهم (بوصلتهم) إلى ٢٢٤ درجه و طريقتهم كانت المثلى فى الملاحه فى المحيط الهندى.

و سرعان ما وضح لفاسكو دى گاما من مقابله لابن ماجد أنه أمام ند خطير، و أن تحت يديه كثر ثمين فى شخص هذا الربان العربى مما دفعه إلى الابحار فورا إلى الهند دون تباطؤ و بعد يومين من مقابله ابن ماجد، فترك ماليندى يوم ٢٤ أبريل عام ١٤٩٨ فوصل كلكته بعد ٢٢ يوما على حد قول المؤرخ دى باروش البرتغالى. و حالما وصلت البعثه إلى كلكتا بعث فاسكو دى گاما

بأحد أعوانه مع ابن ماجد لمقابله رجال الجمارك و اعلامهم بمجيئه و قضى الاثنان الليله ضيوفا على أحد عمال الجمارك في كلكته و يدعى أبو سعيد في مكان بالقرب من الميناء يسمى "كايوكات". و إلى هنا تنتهى أخبار المرشد العربى فى المصادر البرتغاليه و ان كانت هذه المصادر لتذكر أيضا أن دى گاما أرسل بمخطوطات عربيه ملاحيه و بخارطات بحريه من المحيط الهندى إلى الملك عمانوئيل ملك البرتغال، كما ينص المؤرخ دى باروش أيضا على أن البرتغال قد أفادوا من تلك المخطوطات و الخارطات العربيه فى وصفهم لمنطقه الخليج الفارسى و الساحل العربى و فى ذلك يقول فى كتابه الكبير عن آسيا: (أن جميع ما كتب عن هذه المنطقه فى كتبنا الجغرافيه مستمد من المعلومات الجغرافيه العربيه و الفارسيه التى تملك منها خمس مؤلفات..).

الآثار العلميه لابن ماجد

إشارة

أما كيف وصلتنا آثار ابن ماجد العلميه فيرجع ذلك أولا إلى مصادر تركيه و لو لم تعلن فيها صراحه أن بعض ما كتبه الأميرال التركى "سيدى على ريس" بعد نحو نصف قرن من ابن ماجد فى كتابه "محيط" هو ترجمه حرفيه لبعض كتابات ابن ماجد نفسه. و قد لاقى هذا الكتاب رواجا كبيرا و اهتماما من الغربيين فيما بعد.

ذلك أنه فى عام ١٥٥٤ م جهز العثمانيون حملة بحريه فى السويس بقياده سيدى على كاتب رومى الملقب أحيانا بالحلبى (نسبه إلى حلب) لاسترداد قطع الأسطول المصرى التى آوت إلى البصره بعد معركه مع البرتغال فى الخليج الفارسى. و تمكن سيدى على بالفعل من الوصول بتسع سفن منها (و كان عددها ١٥ سفينه) إلى ديوو سورات بالهند بعد أن شتت عاصفه أسطوله و اضطر لالقاء مدافعه فى البحر لتخفيف حموله المراكب. و قد اشترى أمير سورات هذه السفن و تم تسريح بحارتها و أثر سيدى على البقاء بعض الوقت بالمنطقه قبل أن يعود إلى تركيا برا عن طريق الهند و خراسان فى عام ١٥٥٧ م. و خلال هذه المده أتم سيدى على الجانب الأكبر من كتابه "محيط" بالتركيه و قد ضمنه مقالات بعضها من مؤلفات ابن ماجد و سليمان المهري عثر عليها أثناء إقامته بالهند و الخليج الفارسى. و قد أشار سيدى على فى مقدمه كتابه بأنه اعتمد فى تاليفه على محادثات مثمره مع المعالمة المهريه الذين التقى بهم فى الخليج الفارسى و على خمس مصنفات عربيه اثنان منهما لابن ماجد و ثلاثه لسليمان المهري. و قد حقق العالم النمساوى توماشك (٣) Tomaschek كتاب "محيط" و قدم له باللغه الألمانيه عام ١٨٩٧ م كما قدم أجزاء منه قبله المستشرق همر Hammer فى الثلاثينيات من القرن الماضى. هذا و توفى سيدى على ريس عام ١٥٦٢ م

ص: ١٣

١- حكم بين سنوات (- ٩٣٤ هـ - ١٥٢٥ م).

٢- حكم بين سنوات (- ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م).

٣- "Die topographischen Capital des Indischen Seespiegels" Mohit و قام بالترجمه من التركيه

لهذا الكتاب المستشرق ماكس بيتنر (Max Bittner)

و على الرغم من أن اسمى ابن ماجد و سليمان المهري كانا معروفين للعلماء الأوربيين عن طريق هذا المصدر التركي منذ القرن الماضى إلا أننا ندين للمستشرق الفرنسى جيرييل فران (١٩٢١ - ١٩٢٣) فى اكتشاف ابن ماجد من جديد و نشر المخطوطتين اللذين أشرنا إليهما فى أول هذا المقال و الذين ظلا بمكتبه بباريس مده طويله دون أن يفتن أحد قبله إلى أهميتهما.

و من ثم أمكن الربط بين كتاب "محيط" و مؤلفات "ابن ماجد". و بظهور المصادر العربيه لكتاب "محيط" فقد فقد هذا المرجع الأخير كثيرا من قيمته.

و يرى البعض أن أغلب ما ورد فى كتاب محيط هو ترجمه حرفيه لآثار المعلمين العربيين (١)، بينما يرى كراتشكوفسكى (٢) و يؤيده فى ذلك آخرون بان كتاب "محيط" به إضافات جديده قيمه تدل على اطلاع مؤلفه على فنون المعالمة (الإفنج) أيضا بالاضافه إلى المصادر العربيه.

و يقال أن مؤلفات ابن ماجد تقرب من الأربيعين مؤلفا بينما يحصرها آخرون فى نحو الثلاثين و لا شك أن بعضا مما كتب ربما فقد و لم ير النور حتى اليوم.

و باستثناء كتاب "الفوائد" فان أغلب مؤلفات ابن ماجد الأخرى كتبها بالشعر، بعضها قصائد طويله و الأخرى قصيره و كثير منها يصف المسالك الملاحيه فى المحيط الهندى و بحاره و أطرافه و خلجانة، و كذلك فى أرخبيل الملايو و بحر الصين. و نحن نورد قائمه من المعروف منها كما يلي:

١ - كتاب الفوائد فى أصول علم البحر و القواعد.

٢ - حاويه الاختصار فى أصول علم البحار.

٣ - الأرجوزه المعربه التى عربت الخليج البربرى من رأس حافونى إلى باب المنذب.

٤ - قبله الإسلام فى جميع الدنيا.

٥ - أرجوزه كثر المعالمة فى علم المجهولات فى البحر و النجوم و البروج.

٦ - أرجوزه فى التتخات لبر الهند و بر العرب.

٧ - الأرجوزه المسماه بميميه الأبدال.

٨ - أرجوزه مخمسه.

٩ - أرجوزه فى عده الشهور الروميه.

١٠ - الأرجوزه المسماه "ضربيه الضرائب (٣)".

١١ - الأرجوزه المنسوبه لعلی بن أبی طالب.

١٢ - الأرجوزه الملكيه (من مكه لجده إلى فرتك لكالكوت و دابول و كنكن و جوزرات و الأطواح و هراميز).

١٣ - الأرجوزه المسماه نادره الأبدال فى الواقع و ذبان العيوق.

١٤ - أرجوزه بر العرب فى خليج فارس.

١٥ - أرجوزه قسمه الجمه على أنجم بنات نعش(٤) ١٦ - القصيده الذهبية.

١٧ - الأرجوزه المسماه بالفائقه فى قياس الضفدع(٥) ١٨ - البليغه فى قياس السهيل الرامح(٦) ١٩ - فصل فى معرفه قياس

الماززه(٧) ٢٠ - فصل فى معرفه النتخه الجاه(٨) عشره فى أرض جوزرات.

٢١ - فصل فى معرفه البلده فى أرض جوزرات.

٢٢ - فصل فى معرفه البلده على جاه عشره.

٢٣ - فصل فى معرفه المنتخ.

٢٤ - فصل فى معرفه البلده إذ كان من داخل الباب.

٢٥ - فصل فى معرفه البلده جوزرات على جاه عشره و ربع من الماززه.

٢٦ - فصل فى معرفه ديره القطب من روس بحر العرب.

٢٧-٢٩ - ثلاثه أزهار و هى "الراهنامات" التى حققها شوموفسكي عام ١٩٥٧ و هى على الترتيب: الأرجوزه السفاليه و أرجوزه بر

الهند و سيلان و الصين و الأرجوزه التائيه فى وصف المجارى من جده إلى عدن.

أما كتاب الفوائد(٩) فيقع فى ١٧٦ صفحه بكل صفحه ١٩ سطرا و فى كل سطر نحو ١٣ كلمه و يحتوى بدوره على اثنى عشر

فصلا "فائده" نلخصها فيما يلى: ١ - الفائده الأولى: فى منازل للقمر و بروجيه و نجوم اخنان الحقه "أى البوصله".

٢ - الفائده الثانيه: فى ركوب البحر و أسبابه.

٣ - الفائده الثالثه: فى تعريف النجوم الملاحيه و مجموعاتها و قياسها و هى: الشرطين، البطين، الثريا، الدبران، الهنعه، الهنعه،

الذراعين، النثره، الطرف، الجبهه، الزبره، الصرفه، العواء، السماك، الغفر، الزبانيان، الإكليل، القلب، الشوله، النعائم، البلده، سعد

الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخييه، الفرع المقدم، الفرع المؤخر، بطن الحوت.

٤ - الفائده الرابعه: فى معرفه الاخوان و تشمل: الجدى، الفراقد، النعش و سهيل، الناقه و الحمارين، العيوق و العقرب، الواقع،

الإكليل، السماكين و التير، الثريا و الجوزاء، الطائر.

٥ - الفائدة الخامسة: فى تركيب المغناطيس على الحقه و غيره.

٦ - الفائدة السادسة: فى الديرات الثلاث.

٧ - الفائدة السابعه: فى الباشيات و القياسات. قياس الفرقدين، قياس النعوش.

٨ - الفائدة الثامنه: فى الإشارات و السياسات و ترتيب المرتب و العسكر و مناتخ جوزرات.

٩ - الفائدة التاسعه: فى بعض المرشدات الملاحيه و المسالك و أصناف المعامله.

١٠ - الفائدة العاشره: فى الجزر الكبار المشهورات المعمورات و هن:

جزيره العرب و جزيره القمر (مدغشقر) و هى مدكسكر و شمطره و جاوه و الغور و سيلان و زنجبار و البحرين و جزيره ابن جاوان و سوقطره.

١١ - الفائدة الحاديه عشره: فى المواسم الملائمه للسفر فى البحر.

ص: ١٤

١- يرى فران أنها ترجمه غير دقيقه فى بعض الأحيان.

٢- الأدب الجغرافى عند العرب ترجمه الأستاذ صلاح الدين عثمان (ج ٢ سنه ١٩٥٧).

٣- يرى المستشرق فران و عنه ينقل آخرون أن هذه الأرجوزه غير مؤرخه و لكننا استطعنا تاريخ كتابتها بخمس سنوات على الأقل بعد "كتاب الفوائد" و ذلك من أبيات فيها.

٤- نجوم ملاحيه مشهوره.

٥- نجوم ملاحيه مشهوره.

٦- نجوم ملاحيه مشهوره.

٧- نجوم ملاحيه مشهوره.

٨- نجوم ملاحيه مشهوره.

٩- منه نسخ فى الظاهريه بدمشق، و فى مكتبه باريس، و لدى الأستاذ على محمد التاجر، و يقوم الأستاذ إبراهيم الخورى بدمشق بتحقيق الكتاب و غيره من مؤلفات ابن ماجد للنشر.

و يعتبر كتاب الفوائد فى نظرنا دستور الملاحين فى جميع العصور لما فيه من حكم و صفات و أسرار للمهنة يجب أن يتصف بها قائد السفينه، و إرشادات للملاحين تنفعهم فى كل وقت، فهى تعتبر بالنسبه لهم بمثابة قسم "أبقراط" بالنسبه للأطباء. فضلا عن أن هذا الكتاب يعتبر أيضا أوفى موسوعه ملاحيه وصلتنا عن المحيط الهندى و البحار الجنوبيه حتى نهايه القرن الخامس عشر الميلادى.

و فى هذا الدستور الملاحى يتطلب ابن ماجد فى المعلم أو الربان الماهر مستوى أخلاقيا و إنسانيا معيناً، و قدرا معيناً من المعرفة بالبحر قبل أن توكل إليه قياده السفينه. و يصلح هذا الدستور لكل العصور كما ألمحنا و لا يقتصر فى الواقع على عصره فقط. انظر إلى قوله:

"اعلم أيها الطالب أن لركوب البحر أسبابا كثيره فافهمها: فأولها:

معرفة المنازل و الأختان (أختان البوصله) و الدير و المسافات و الباشيات (١) و القياس و الإشارات و حلول الشمس و القمر و الأرياح و مواسمها و مواسم البحر و آلات السفينه و ما يحتاج إليه و ما يضطر إليه فى ركوبها. و ينبغى تعرف المطالع و الاستواءات و جلسه القياس و ترتيبه و مطالع النجوم و مغاربها و طولها و عرضها و بعدها و ممرها إن كان معلما ماهرا، و ينبغى أن تعرف جميع البرور و ندرجاتها (مداخلها) و إشاراتها كالطين و الحشيش (النبات) و الحيات و الحيتان و المواوز و الأرياح و تغير الأعمواه (خواص المياه) و مد البحر و جزره فى كل طريقه، و يكمل (المعلم) جميع الآله و يتفقد فى أحضان السفينه و آلاتها و رجالها. و لا- يشحنها غير العاده و لا يطلع فى مركب لا يطاع فيه، و لا مركبا بغير اعتداد، و لا فى موسم ضيق (أى فى وقت لا تكون فيه الريح مواتيه)، و يعنى اتجاه الرياح الموسميه (فى المحيط الهندى) و يحترز عن الأخطار فى مثل عده و رجال (أى لا يعرض رجاله و آلات سفينه للخطر) و غيره، و ينبغى للمعلم أن يعرف الصبر من التوانى (أى يعرف كيف ينصرف بحكمه فى الوقت المناسب) و يفرق بين العجله و الحركه عالما بالأشياء، عظاما فتاكاً، لينا فى قوله، عادلا لا يظلم أحدا لأحد، مقيم على الطاعه لربه متق لله تعالى، لا- يعصب (يظلم) التجار على حقوق إلا على شىء وقع عليه القول (الاتفاق) أو جرت به العاده، كثير الاحتمال على الهمة، صبارا مقبولا بين الناس، لا يسعى فيما لا يصلح له، أدبيا ليبيا و إلا فليس هو معلم بالقاعده".

و أى شروط أحسن من هذه يمكن أن يتطلبها أحد فى الربان الذى يأمنه الناس على أرواحهم و أموالهم فى البحر.

و ابن ماجد يولى انتباها كثيرا لطريقه القياس قبل أن يحدد الربان اتجاهه فى البحر فيقول بان القياس. "يكون من مقدمه السفينه يؤيده بقياس من المؤخره" و للقياس جلسه خاصه و ينبغى أن يكون الربان يقظا فى كل الأحوال. انظر إلى دقته فى القياس من قوله "و أكثر الباشات فيها كسور فلذلك قالوا أن الغلط من القياس بين المعلمين ربع إصبع ليس بغلط، و لكنه (فى نظرى) فضاح فى النتخات خصوصا فى ديره الشقاكات فى مثل من فرتك إلى عدن أو من الكرازى للسند".

أو قوله "شرط القياسات أن تكون ضيقه بين النجم و الخشبه خيط و بين الخشبه و الماكدك خيط كحد السكين يراه الذى يقيس".

ثم إن علمه كان مبنيا على التجربه و قلما كان يثق فى قياسات لم يحققها هو بنفسه حتى و لو كانت قياسات أبيه، و فى ذلك يقول:

"كان جدى عليه الرحمه محقق فيه و مدقق و لم يقر لأحد فيه و زاد عليه الوالد - رحمه الله عليه - بالتجريب و التكرار و فاق علمه علم أبيه. فلما جاء زماننا هذا و كررنا قريبا من أربعين و قد حررنا و قدرنا علم الرجلين النادرين و ورخاناه و جميع ما جربناه أرخاناه - انكشف لنا عن أشياء و حكم لا يجمعها فى زماننا شخص واحد إلا أن يكون عنده شخص مفرقه. فنخاف أن يدركنا الموت و نوادر الحكم فى القلوب".

و بحث ابن ماجد الرباين دائما على زياده العلم و التحصيل و ينصحهم بالبعد عن الخيلاء و دوام المساءله فيقول " فإنه علم نفيس لا- يتم إلا بتمام العمر و من لا يدرك كله لا يترك كله "، أو " ينبغى ألا يتكبر فيه الإنسان و ينبغى البعد عن الخيلاء عند كمال العلم " أو قوله " لعارف هذا العلم أن يسهر الليل و يجتهد فيه غايه الاجتهاد، لأنه علم عقلى، و كثره السؤال فيه ترقيه لباقيه".

و لابن ماجد فوق ذلك " اختراعات " كثيره فى علم الفلك و الملاحة و من ذلك قوله " و من اختراعنا فى علم البحر تركيب المغناطيس على الحقه بنفسه و لنا فيه حكمه كبيره لم تودع فى كتاب... أنه لم يقابل الجاه (القطب الشمالى) إلا سهليه (القطب الجنوبى) فميزوا فى هذه النكته فإذا كان أحد يعرف فنحن مسبقون، كذلك و رتبنا المنكاب و أدركناه فى الذهبية و شرحها" . و معنى هذا أن ابن ماجد استعان بنجوم نصف الكره الجنوبى و بالقطب الجنوبى أيضا فى قياساته و هى أصلح القياسات للمحيط الهندى.

و لا ريب فى أنه ابتكر طريقه لتعليق الابره المغناطيسيه فوق قرص " ورده الرياح " الذى عليه تقسيمات دائره الأفق وفقا للجهات الأصلية تمتاز عن الطريقه القديمه التى كانت تعتمد على قطعه رقيقه من المعدن المطروق على شكل سمكه تطفو فوق الماء فيشير فمها إلى القطب (٢) هذا و قد تمكن بعض المحققين من تقدير وحدات القياس التى ورد استعمالها فى كتابات ابن ماجد فعلى ذلك تنقسم الحقه (الدائره أو ورده الرياح) العربيه إلى ٣٢ خنا (و الخن الزاويه التى تحددها المسافه أو القوس بين مطلع نجمين متجاورين أو مغيبهما على الدائره) و بكل خن سبعة أصابع (الإصبع وحده قياس أو درجه على الدائره).

و على ذلك يكون تقسيم الدائره العربيه مساويا ل ٣٢ خنا.

٧ أصابع ٢٢٤ إصبع و على ذلك أيضا يكون " الإصبع " مساويا ل ١٣٧ ٠ [درجه] باعتبار تقسيمنا للدائره إلى ٣٦٠ درجه بدل ٢٢٤ أى أن الإصبع أكبر من الدرجه المعتاده.

إذن يكون الإصبع مساويا ل ٩٧ ميلا بحريا من أميال الملاحة - ١ ترفا (وحده تغير الارتفاع) - ٨ زاما (و هى وحده طوليه للطريق الملاحي).

- ١- الباشى هو ارتفاع نجم معين بالنسبه للنجم القطبى عند ما يكون الأخير على أقل ارتفاع له فوق الأفق.
- ٢- انظر مقال المقريزى فى الخطط.

و إلزاما على الأساس تعادل مسيره ثلاث ساعات فى البحر فى المتوسط بالشراع أى ١٢ ميلا بحريا.

و لابن ماجد فضلا عن تحقيقاته و قياساته الفلكيه و الملاحيه إضافات جديده كثيره عن الريح و تغير المياه و مناطق دخول "البرور" و علاماتها و عن الحيوان البحرى و المد و الجزر " و المحذورات " التى تعوق الملاحه كالشطوط المرجانيه و الأقاليم الرمليه (و يسميها التقاصير) و عن الأعماق فضلا عن وصف الجزر و مسالك الملاحه مما لا يمكن حصره جميعا فى مثل هذا المقال.

و نعتقد أننا استشهدنا فى متن هذا البحث بالكثير من الفقرات التى توضح طريقه تفكير هذا الملاح العربى العظيم و المعلم القدير.

الدكتور أنور عبد العليم

دفاع و تقويم

و قد علق المؤرخ على التاجر على ما تقدم بهذا البحث:

الأرضيه التاريخيه

١ - لم يأت وصول البرتغاليين إلى الهند عن طريق الصدفة، و إنما جاء نتيجة لجهود متواصله استمرت أكثر من سبعين سنه من الزمن، فما هى صله أحمد بن ماجد بها؟ لا صله له بها البته، اللهم إلا ما يقال من أنه هو نفسه الربان الذى قاد سفينه فاسكو دى گاما البرتغالى من ساحل إفريقيا الشرقى إلى الهند لأول مره عام ١٤٩٨ م فما صحه هذا القول؟.

كان البرتغاليون حينما وصلوا إلى إفريقيا الشرقيه لأول مره، على بينه من أمرهم، و يعرفون أن أى ربان من عشرات الربانين الذين يقطعون المحيط الهندى سنويا، ما بين السواحل الإفريقيه و السواحل الهنديه، قادر على قيادتهم إلى الهند، فقد سبق للجاسوس البرتغالى كوفلهام أن "اكتشف" هذا الطريق من قبل، و وصفه وصفا دقيقا، عرف البرتغاليين معالمه بصوره شامله، كما وصف الأوضاع السياسيه و الاجتماعيه و الاقتصاديه التى كانت سائده آنذاك فى المحيط الهندى.

٢ - إننا لا نجد مؤرخا برتغاليا واحدا ممن عاصروا فاسكو دى گاما، و عنوا بتاريخ رحلاته، أو ممن جاءوا على آثارهم، قد مر على لسانه اسم "أحمد بن ماجد" و لو بصوره محرفه، كما هو شأنهم بالنسبه للاعلام العربيه.

أما الربان الذى قاد سفينه دى گاما من ملندى إلى كليكوت، فيطلقون عليه لقب كانا أو كاناكا، و يجمعون على كونه "هنديا" من كجرات.

صحيح ان مؤلفات هؤلاء المؤرخين لم تطبع إلا بعد نصف قرن تقريبا من رحله دى گاما(١)، و ربما تأخر طبع بعضها أكثر من ذلك، و لكننا لا ندرى كيف يؤدى ذلك "إلى اختلاف الروايات حول اسم الملاح الذى أرشد فاسكو دى گاما إلى الهند" (٢) ثم إن تلك الروايات لا تختلف على اسم ذلك الملاح. إنها لم تذكر اسمه قط، فكيف تختلف فيه؟ و إنما اكتفت بذكر

لقبه، أو مهنته فقط. "و جدير بالذكر أن لفظ معلم، و جمعه "معالمه"، كان هو (الاصطلاح) الملاحي المرادف للربان، أو القبطان. أما لفظ "كانا" أو "كاناكا"، فيعني بلغة السنسكريت "الحاسب" أو "المنجم"، و المقصود به هنا الخير بالملاحه الفلكيه (٣). "أورد الدكتور أنور عبد العليم، اسمى مؤرخين من مؤرخى البرتغال، الذين عنوا بالكتابة عن رحلات فاسكو دى گاما، و هما كاستنهدا F.L.Castenheda و دى باروش Joao de Barros و كلاهما من كبار المؤرخين البرتغاليين الذين عاصروا دى گاما، و أقاموا بعض الوقت فى الهند. و يعتبر دى باروش المرجع الأصيل فى الموضوع. أما كاستنهدا، فيمتاز بالدقه فيما كتبه عن الأحداث التى شهدها بنفسه.

و بالاضافه إلى هذين المؤرخين، فهناك ثمه عدد من مؤرخى البرتغال ممن عاصروا دى گاما، و من أهمهم جاسبر كوريا Casper Correa. و كان كوريا قد ذهب إلى الهند، و اشتغل كاتباً لألبوكرك فى سنواته الأخيره، فتسنى له بذلك الاطلاع على بعض المعلومات التى لم تتوفر لغيره. و قد وضع تاريخاً لأعمال البرتغاليين فى الهند خلال الثلاث و الخمسين سنه الأولى من وصولهم إلى تلك البلاد. و لكتابه أهميه خاصه، فقد امتنع عن نشره فى حياته حتى تتوفر له الحريه الكامله للكتابة بصراحه تامه، و تسجيل الوثائق البشعه على علاقتها عن يتصدى للكتابة عنهم من غير تشذيب أو تزويق، دون أن يعرض نفسه لانتقام الزبانيه الموكلين بديوان التفتيش. كما اطلع على أجزاء من مذكرات كتبها جون فيجويريا Joao Figueria، و هو راهب كاثوليكي كان فى حمله فاسكو دى گاما الأولى. و قد ترجم هنرى ستانلى. Henrye.J Stanley ما كتبه كوريا عن رحلات دى گاما الثلاث إلى الهند، و نشرته فى سنه ١٨٦٩ م جمعيه هكلويت HaKluyt Society الإنجليزيه الشهيره فى صوره كتاب بعنوان "رحلات فاسكو دى گاما الثلاث" The Three Voyages of Vasco de Gama.

و هناك ثمه مذكرات ثانيه وضعها مؤلف مجهول من رجال فاسكو دى گاما فى رحلته الأولى، و تعتبر من أوثق ما كتب عن تلك الرحله (٤)، و تنص بكل وضوح على أن الربان الذى قدمه ملك ملندى لفاسكو دى گاما من المسيحيين (٥)، و كان البرتغاليون فى أوائل عهدهم بالمحيط الهندى يعتبرون الهنود إما مسلمين أو مسيحيين. فمن لم يكن مسلماً فهو مسيحي فى نظرهم، حتى و لو كان من الهندوكيين. و على هذا فالترجمه الصحيحه "لمسيحي" فى هذه المناسبه، هى "هندوكى"، بصوره مؤكده.

٣ - عاصر وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندى عدد من المؤرخين العرب فيما يعرف اليوم باليمن الجنوبيه، منهم شنبلى، مؤلف تاريخ شنبلى، و المتوفى سنه ٩٢٠هـ/١٥١٤ م، و هو من أهل تريم، و عبد الله بامخرمه مؤلف كتابى "قلاده النحر"، و "تاريخ نجر عدن"، و المتوفى سنه ٩٤٧هـ/١٥٤٠ م و ينتهى كتابه بسنه ٩٢٧هـ/١٥٢١ م، و ابن أخيه عبد الله بن عمر الطيب بامخرمه، مؤلف "رشف الزلال الراوى فى التكميل و التذييل على طبقات الأنساوى"، و المتوفى سنه ٩٧٢هـ/١٥٦٤ م، و ينتهى كتابه بسنه ٩٤٨هـ/١٥٤١ م (٦).

٤ - و عاصر وصولهم أيضاً إلى المحيط الهندى، أحمد بن محمد بن إياس

ص: ١٦

٢- الفوائد، العرب س ٤ ص ٨٤٠. انظر كذلك "ابن ماجد الملاح" ص ٤٩.

٣- الفوائد، العرب س ٤ ص ٨٤. انظر كذلك "ابن ماجد الملاح" ص ٤٩.

٤- الفوائد، العرب س ٤ ص ٨٤٠. انظر كذلك "ابن ماجد الملاح" ص ٤٩.

٥- H.J.Wood,Exploration Discovery;C.D.Ley,Portuguese Voyages ٤٩٨-١٦٦٣,P. Xi Charles

DavidLey.portuguese Voages ١٤٩٨-١٦٦٣,P.xi

٦- نحيل من أراد التوسع في معرفه مؤرخى جنوب الجزيره العربيه إلى ما كتبه عنهم الأستاذ سر جنت مؤلف كتاب "البرتغال أمام الساحل العربى الجنوبى".

المصرى، مؤلف "بدائع الزهور فى وقائع الدهور"، وقد عنى بتسجيل بعض النبذ عن القرصنه البرتغاليه و تصدى المصريين لها فى البحر الأحمر و المحيط الهندى.

٥ - و قبل أن تتلاشى أصداء الأحداث التى وقعت فى المحيط الهندى نتيجته لقرصنه البرتغاليين، جاء رجيل آخر من مؤرخى جنوب الجزيره العربيه، بحيث يمكننا اعتبارهم من معاصرى تلك الأحداث، مثل با فقيه الشجرى، و عبد الله بن محمد سنجله، و مؤلف النور السافر، و مؤلف السنه الباهر، و مؤلف روح الروح، و غيرهم كثيرون(١) ٦ - و فى الهند كتب عبد الله بن محمد الأوغخانى Ulughkhani تاريخا لكجرات، احتوى على معلومات قيمه و موثوقه عن جنوب الجزيره العربيه(٢) و جميع هؤلاء المؤرخين من معاصرى أحمد بن ماجد، أو ممن جاءوا على آثارهم، فى الجزيره العربيه و خارجها، لا يذكر أى واحد منهم أية صلته لأحمد بن ماجد بالبرتغاليين، بل لا يكاد اسمه يجرى على لسان أحدهم.

٧ - و "فى عام ١٥٥٤ م جهز العثمانيون حملة بحريه فى السويس، بقياده سيدى على كاتب رومى الملقب بالحلبى (نسبه إلى حلب) لاسترداد قطع الأسطول المصرى التى أوت إلى البصره بعد معركه مع البرتغال فى الخليج الفارسى، و تمكن سيد على بالفعل من الوصول بتسع سفن منها (و كان عددها ١٥ سفينه) إلى ديوى سورت بالهند، بعد أن شتت عاصفه أسطوله و اضطر للقاء مدافعه فى البحر لتخفيف حموله المراكب. و قد اشترى أمير سورت بالهند هذه السفن، و تم تسريح بحارتها، و آثر سيد على البقاء بعض الوقت بالمنطقه، قبل أن يعود إلى تركيا برا، عن طريق الهند و خراسان فى عام ١٥٥٧ م. و خلال هذه المده أتم سيد على الجانب الأكبر من كتابه "محيط" بالتركيه، و قد ضمنه مقالات بعضها من مؤلفات ابن ماجد، و سليمان المهري(٣)، عثر عليها أثناء إقامته بالهند و الخليج و قد أشار سيد على فى مقدمه كتابه بأنه اعتمد فى تاليفه على محادثات مثمره مع المعالمة المهريه الذين التقى بهم فى الخليج، و على خمس مصنفات عربيه، اثنان منها لابن ماجد، و ثلاثه لسليمان المهري".

و ربما كان من المستحسن أن نستمع إلى سيد على نفسه، يحدثنا عن بعض انطباعاته و تجاربه فى الخليج و المحيط الهندى أبان تلك الفتره. قال:

"فى عام ١٥٥٤ م أقمت خمس أشهر فى مدينه البصره، حتى بدأت الرياح الموسميه، ثم أفلتت إلى الهند. و قد دامت رحلتى هذه ثلاثه أشهر، تبتدى من أول شهر شعبان، و تنتهى فى سلخ شوال، أى من ٢ تموز - ٢٧ أيلول ١٥٥٤ م. و كنت خلال هذه الأشهر الثمانيه أثناء إقامتى و رحلتى لا أدع فرصه تمر دون أن أشغل نفسى فى الحديث بأمر الملاحه مع نوتيه السواحل، أو ملاحى مختلف البلدان، ممن كانوا على ظهر سفينتى، و بذلك علمت كيف عبر الربابنه الأقدمون هرمز و هندستان، أمثال: (الليث بن كهلان، و محمد بن شادان، و سهيل بن أبان). و كذلك جمعت الكتب التى ألفها البحاره المحدثون، أمثال: (أحمد بن ماجد) من جلفار من مقاطعه عمان، و (سليمان بن أحمد المهري) من الشجر من عرب الجنوب. كما جمعت الكتب المعروفه ب " الفوائد و الحاويه " لأحمد بن ماجد، و " تحفه العقول و المنهاج و قلاده الشموس " لسليمان المهري، و تعمقت فى دراستها كلها، إذ الملاحه فى المحيط الهندى بدون هذه الكتب جد [جدا] متعذره، فالربابنه و القواد الغرباء لا يعرفون سبيل هذا البحر، و لا بد لهم من ربان يدلهم على الطريق، ما دامت تنقصهم المعلومات الضروريه، و لذا وجدت من اللازم اللازم قراءه أفضل المؤلفات، و نقلها إلى اللغه التركيه فى كتاب يكون دليلا للربابنه الذين تهتمهم معرفه مثل هذه الأمور... و ترجمتى لهذه الأسفار العربيه انتهت بمعونه الملك القدير جل شانته، و قد حوى كتابى هذا أشياء غريبه كثيره تتعلق بالملاحه، و سميته

"المحيط" (٤)...". و قد خص سيد علي، أحمد بن ماجد بالمديح والإطراء، وقال عنه أنه "الباحث عن الحقيقه بين البحارين..." وأنه "أفضل ربان الشاطئ الهندي الغربي فى القرنين الخامس عشر و السادس عشر مقدره و نراهه" (٥) و كان فى استطاعه سيد علي أن يضيف على هذا المديح لأحمد بن ماجد، الجملة التاليه، أو ما يماثلها:

" و هو الذى قاد البرتغاليين، أو قاد فاسكو دى غاما، إلى الهند".

و لكن هذه الأسطوره لم تكن قد برزت إلى الوجود بعد، و لذلك فان سيد علي، لا يعزو فى كتابه أية صلته لأحمد بن ماجد بالبرتغاليين.

٨ - عاصر ابن ماجد ربان آخر من جنوب الجزيرة العربيه، هو سليمان المهري (توفى سنه ٩٦١ هـ / ٢). و قد ترك لنا عددا من المؤلفات العلميه عن البحر، وصلنا خمسها منها، ليس فيها أى ذكر لأحمد بن ماجد على الإطلاق.

فما السر فى تامر كل هؤلاء المؤرخين، عربا كانوا أو أتراكا أو برتغاليين، على عدم الإشارة إلى تلك الصله المزعومه لأحمد بن ماجد بالبرتغاليين؟ ٩ - و أحمد بن ماجد نفسه؟ إننا لا نجد فى جميع ما وصل إلينا من مؤلفاته، أية إشارة لاتصاله بالبرتغاليين، حتى و لا مجرد ذكر للقاء عابر بأحدهم فى إحدى الموانئ التى كان يتردد عليها فى شرق إفريقيا و الخليج و الهند. و لكننا على النقيض من ذلك نحس شده حنقه عليهم، و غيظه منهم، كلما مر ذكرهم على لسانه، كقوله:

و ساحل البر و كل جزره فحكمها للبرتغال الفجره

و البرتغالى حكم الجميعا كفيت كل الشر و التصديعا

و جا لكاليكوت خذ ذى الفائده لعام تسعمائه و ست زائده

و باع فيها و اشترى و حكما و السامرى برطله و ظلما٣.

ص: ١٧

١- انظر الحاشيه السابقه.

٢- R.B.Serjeant, The portuguese off the South Arabian Coast, p.٣٩.

٣- يقول حسن الأمين: عرف عن المعلم سليمان المهري أنه ربان ماهر و مؤلف صرف علمه لفنه دون الخروج منه إلى مجال آخر، و هو ينتمى إلى قبيله مهرة التى تمتد مساكنها على طول الساحل الجنوبى للجزيره العربيه حتى عمان. و لم يتضح متى ولد سليمان بن أحمد المهري. و يعتقد أمير البحر سيد علي أنه لم يكن فى عداد الأحياء سنه ٩٦١ هـ (١٥٥٤ م). و المهري أتم كتابه العمده المهرية سنه ٩١٧ هـ (١٥١٠ م) فىكون قد عاش بعد تاليفه لكتابه هذا أربعا و أربعين سنه. و من الجائز أن يكون قد عاش قبل تاليفه لهذا الكتاب أربعين سنه. و على هذا الافتراض يكون ميلاده سنه ٨٧٧ هـ (١٤٧١ م).

٤- محمود ياسين الحموى، أحمد بن ماجد الملاح العربى"، ص ١٣.

و سار منها مبغض الإسلام و الناس فى خوف و فى اهتمام

و خبرتى بحمله الفرنجى من جانب السودان شط اللجى

و هو الذى قد قهر المغاربه و أندلس فى حكمه مناسبه

و قد نزع أن هذا الشعور المعادى للبرتغاليين، من جانب أحمد بن ماجد ما هو إلا ترجيع لاحتاسه بالخيبه، و شعوره بالمرأه للنتيجه التى أدت إليها قيادته البرتغاليين إلى الهند،" إذ لم يكن بخلده أن هذه الحمله ستعود على الملاحه العربيه بالدمار و الخراب"⁽¹⁾ و لكن مثل هذا الزعم لا ينسجم مع المنطق، إلا إذا ثبت أولا أن أحمد بن ماجد قد قاد البرتغاليين فعلا إلى الهند.

النهروالى

ثم جاء النهروالى بعد ثمانين سنه تقريبا على زياره فاسكو دى گاماللمحيط الهندى، فاختلق تلك الأسطوره عن تعاون أحمد بن ماجد مع البرتغاليين. فمن هو النهروالى؟ هو الشيخ محمد بن أحمد النهروالى، نسبه إلى نهرواله، و هى بلده صغيره من كجرات، تسمى اليوم "بتن" و عدد سكانها ٣٠,٠٠٠ نسمة.

ولد فى "لاهور" فى سنه ٩١٣هـ، و تربى فى الهند، ثم هاجر إلى الحجاز و هو ما يزال صغيرا دون البلوغ، و تعلم على والده، ثم اتصل برجاله الدوله العثمانيه، و كانت قد استولت على الحجاز بعد هجرته إليها، و توثقت صلته بهم، و تعلم التركيه و أتقنها حتى صار يؤلف و ينظم بها، و يترجم عنها.

و تعددت أسفاره إلى مصر و الشام و بلاد الأتراک.

و كانت صلته بالحجازيين سيئه فى الغالب. و قد احترق بيته، و احترقت مكتبته، و كان الحريق مدبرا كما يقولون. أما صلته بالأتراک فكانت على أحسن ما يرام: غمروه بالعطاء، و خصصوا له راتبا سنويا يوازى راتب شيخ الحرم المكى، و رتبته لديهم تلى رتبه شريف مكه. و لما أنشئت المدارس السليمانيه بمكه، عهدوا إليه الاشراف على بناء مدرسه الأحناف منها. و كان هذا الاشراف يدر على القائمين به مالا كثيرا. ثم تولى التدريس فيها بعد إتمام إنشائها، براتب مقداره ٦٠ عثمانيا فى اليوم. أما من جانبه فقد قابل إحسانهم هذا بالتفانى فى حبهم، و المغالاه فى الدعوه إليهم و الإشاده بذكرهم، فطفت مؤلفاته بالمبالغه فى مدح سلاطينهم و رجال دولتهم، و هو ما تجب ملاحظته عند قراءه كتبه، و خاصه كتابه "البرق اليمانى"، الذى يزخر بالتحامل الشديد على العرب و ذمهم فى أغلب الأحيان.

"و مع أن القطبى حنفى المذهب، إلا- أنه كثيرا ما يخالف مذهبه، و المخالفه إذا كانت جاريه على أساس من الدليل فهى محموده، غير أنه - و الله يغفر له - قد يفتى بعض الرؤساء بفتاوى يؤاخذ عليها".

البرق اليمانى

و للنهروالى عدد من المؤلفات، يهمنها منها بصفه خاصه، كتابه "البرق اليمانى فى الفتح العثمانى، فقد انطلقت تلك الأسطوره

عن علاقه أحمد بن ماجد بالبرتغاليين. " و يتضمن هذا الكتاب مجمل تاريخ اليمن، من أول القرن العاشر الهجرى إلى آخر سنه ٩٧٨ هـ، و يفصل ما قامت به الدوله العثمانيه من أعمال عنيفه لمحاوله الاستيلاء على ذلك القطر، و يصور أول صراع بين قوات أجنبيه محاربه و بين العرب فى جنوب الجزيره " (٢) " و أصل هذا الكتاب أن القائد سنان باشا، بعد عودته من غزو اليمن [سنه ٩٧٨ هـ]، طلب من القطبى [النهروالى] أن يؤلف كتابا عن فتوحاته هناك. و قدم له كتابا عنها منظوما و مؤلفا باللغه التركيه، نظمه مصطفى بك الرموزى، أمير اللواء، و " دفتر دار اليمن " (٣) و قد انتفع النهروالى بذلك الكتاب التركى انتفاعا كبيرا " (٤)

مثال على تخطيطه التاريخى

و النهروالى قليل الاهتمام بتحرى الحقيقه، عديم العنايه بصحه ما يكتب، و خاصه بالنسبه للتاريخ.

اهتم السلطان قانصوه الغورى، اهتماما كبيرا بوصول البرتغاليين للمحيط الهندى، و المجال لا يتسع هنا لشرح الأسباب، فجهز عماره بحريه فى السويس، و عهد بقيادتها إلى حسين الكردى. و قد أبحرت تلك العماره من السويس فى الأيام الأولى من جمادى الثانيه سنه ٩١١ هـ - سبتمبر ١٥٠٥ م، و كان الحجاز يعيش آنذاك فتره عصيبه من جراء الصراع على الحكم بين أفراد البيوت الحاكمه فيه، و توالى الثورات على أرضه. و قد انغمس أمراء الحج من المماليك فى ذلك الصراع، مما اضطر الغورى إلى تجريد أكثر من حملته حربه لاعاده الأمن و الاستقرار إليه. و كان الحجاز من الأمكنه الحساسه بالنسبه إلى حكم المماليك. فبالإضافه إلى ما كان يضيفه عليهم من الفخار و الشرف فى أنظار العالم الإسلامى بوصفهم حماه البلد الأمين، و خدام الحرمين الشريفين، فقد كان لميناء جده أهميه خاصه بالنسبه للاقتصاد المصرى، نظرا لما كان لها من أهميه تجاريه، ناشئه من كون الجزء الشمالى من البحر الأحمر مليئا بالصخور المغموره، و الشعب المرجانيه، مما يجعل الملاحه فيه محفوفه بالخطار. و لذلك فقد كانت السفن الكبيره تتجنب السفر فيه، و تفضل أن تفرغ ما تحمل من بضائع إلى مصر فى جده، و تتوسق فيها بالبضائع المصريه المرسله إلى الهند و الشرق الأقصى. و كانت تتولى نقل البضائع من جده إلى السويس، و من السويس إلى جده، سنابيك (٥) صغيره جدا فى الغالب، لأن قله الغاطس فى هذه السنابيك يجعلها أقل عرضه للأخطار، من السفن الكبيره، و لأن الخساره التى تنجم عن فقد أحد هذه السنابيك ضئيله جدا إذا ما قورنت بالخساره الكبيره التى تنجم عن فقد إحدى السفن الكبيره. و من هنا كانت أهميه جده بالنسبه للاقتصاد المصرى.

بعد سفر الحمله المصريه من السويس بثلاثه أشهر، " جاءت الأخبار من مكه [من أوائل سنه ٩١١ هـ] بان الأحوال فاسده، و ان عربان بنى إبراهيم قد التفوا على يحيى بن سبيع أمير الينبع، و مالك بن رومى، أمير خليص، و قد اشتد الأمر فى ذلك جدا فلما تحقق السلطان [قانصوه الغورى] ذلك أمر بإبطال التوجه إلى الحجاز فى هذه السنه من مصر و الشام و سائر الأعمال قاطبه، و كانت هذه الوقعه من أعظم المصائب و الثلم فى

ص: ١٨

١- عبد الله الماجد، "العرب" س ٣ ص ٧٣.

٢- الجاسر، ص ٦٠-٦٨. فى مقدمه البرق اليمانى.

٣- الجاسر، صفحه ٦٨.

٤- الجاسر، صفحه ٦٨.

٥- نوع من السفن الشراعيه ما يزال واسع الانتشار في الخليج العربي و البحر الأحمر الواحد منها سنوك.

الدين. وقد حضر الركب التكروري، و الركب المغربي، و لم يحج منهم أحد في تلك السنه. ثم إن السلطان أرسل كسوه الكعبه الشريفه، و صرر الحرمين، و الزيت، من البحر المالح في مراكب من الطور، و يتوجهون من هناك إلى جده... و لم يسمع من مبتدإ دوله الأتراک [الممالیک] و إلى الآن، بان الحجاج امتنع خروجهم إلى مكه سوى في هذه السنه، و هي سنه إحدى عشره و تسعمائه^(١) و قد ورطت الحمله المصريه نفسها في ذلك الصراع الحجازي، ثم ما كانت تفرغ منه حتى شرع حسين الكردي في بناء أبراج و سور على ساحل جده، و ذلك في أواخر سنه ٩١٢ هـ/ ١٥٠٦-٧ م، فاضاعت الحمله وقتا ثميناً جداً.

و أخيراً أبحر الأسطول المصري إلى الهند في سنه ٩١٣ هـ، ١٥٠٧ م، و حينما وصل إليها، أرسل الميدا Almeida حاكم الهند البرتغالي، و ولده لورننزو Lourenco لمنازله الأسطول المصري. و التقى الأسطولان في شاول Chaul (يناير ١٥٠٨ م)، و اشتبكا في معركة ضاربه، استمرت يومين كاملين، عزم البرتغاليون في نهايتهما على الفرار، و لكن المصريين ضربوا نطاقاً حول الأسطول البرتغالي، و تمكنوا من اقتحام سفينه القيادة البرتغاليه و قتل قائدها و إغراقها. و لم ينج من الأسطول البرتغالي، سوى سفينتين صغيرتين انتهزتا فرصه الفوضى التي أعقبت إغراق سفينه القيادة البرتغاليه، فانسلتا من الحصار، و فرتا إلى القاعده البرتغاليه في كوشين nihcoc تحملاً إلى البرتغاليين أبناء الفاجعه التي حاقت بأسطولهم^(٢) و لكن حسين الكردي لم يتابع هجومه على البرتغاليين، و تلكا طويلاً. في ديو uid حتى هاجمه الميدا في ٣ فبراير سنه ١٥٠٩ م، ٩١٤ هـ. و كان الأسطول البرتغالي مؤلفاً من ١٩ سفينه، بينما لم يتجاوز عدد الأسطول المصري ١٠ قطع فقط. و مع ذلك فلم تسفر المعركه عن نتيجة حاسمه، و لم يستطع أحد الطرفين أن يدعى النصر لنفسه^(٣) و على الرغم من الخسائر الفادحه التي تكبدها الطرفان. و لكن الأمير حسين الكردي اضطر إلى الانسحاب من الهند، فابحر إلى البحر الأحمر بثلاث سفن محمله بالتوابل و البضائع الثمينه، قدمها إليه ملك كجرات، كيما يستعمل ثمنها في تحصين جده و إكمال سورها، حمايه لها من قرصنه البرتغاليين، إذا ما سولت لهم أنفسهم مهاجمتها.

و ما كاد حسين الكردي يصل إلى جده، حتى شرع في إتمام "عمارته الصور و الأبراج". و هذا ما يؤكده ابن إياس في عبارته يشوبها شيء من الاضطراب^(٤) و يؤكده المؤرخون البرتغاليون الذين كانوا يتبعون من الهند حركات حسين الكردي بدقه بالغه^(٥) ثم توجه حسين الكردي إلى القاهره، فوصلها يوم الخميس سلخ رمضان المبارك سنه ٩١٨ هـ، ١٥١٢ م بعد غيبه دامت "سبع سنين و ثلاثه أشهر" و كان الغوري أثناء ذلك يعمل جاهداً على أعداد أسطول ثان في السويس، على الرغم من الأزمات العصيبه التي كانت تكتنفه من كل ناحيه، و العقبات الكبيره المثبطه التي اعترضت سبيله. و قد ساعده على ذلك السلطان بايزيد الثاني، فامده بكثير من المعدات و أدوات القتال. و قد وصلت إحدى امداداته إلى مصر في أواخر شوال سنه ٩١٦ هـ، ١٥١٠ م^(٦) و وصلت أخرى في رمضان سنه ٩١٨ هـ، ١٥١٢ م^(٧). ثم أمده ب ٢٠٠٠ مقاتل من العثمانيين، و على رأسهم الرئيس سليمان للعمل في الأسطول^(٨) لم أمتد إلى تاريخ مجيء الرئيس سليمان و رجاله إلى مصر، و لا أدرى هل جاءها مع الامدادات العثمانيه الأولى؟ أم مع الثانيه؟ أم جاء مع رجاله على حده؟ و لكنه كان في السويس عند ما زارها السلطان الغوري في أوائل سنه ٩٢٠ هـ، ١٥١٤ م للكشف على سفن الأسطول المصري التي كان يجري انشاؤها هناك^(٩).

و كان سليمان هو الذي أشرف على أعداد ذلك الأسطول و تجهيزه^(١٠) و قد أنفق عليه الغوري، "نحو اربعمائه ألف دينار و كسور بالاضافه إلى الامدادات التي جاءت من بايزيد. و قد عهد الغوري إلى الرئيس سليمان قياده ذلك الأسطول، فخرج و جنوده من القاهره في ١٠ رجب سنه ٩٢١ هـ، ١٥١٥ م، و كان الأسطول مؤلفاً من ٢٠ مركبا. و قد أبحر إلى جده للانضمام إلى

الأمير حسين الكردي الذي كان قد سبقه إليها في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٩١٩ هـ، ١٥١٣ م. وليس من غرضنا أن نتتبع أثر الحمله بعد أن أبحرت من السويس، و يكفي أن نشير إلى أنها انحرفت عن غايتها الأولى، و هي التصدي لمقاومه البرتغاليين في المحيط الهندي، إلى محاربه اليمنيين.

استغرقت هذه الأحداث فتره من الزمن تمتد من سنه ٩١١ هـ، ١٥٠٥ م إلى ٩٢١ هـ، ١٥١٥ م. أي أكثر من عشر سنوات. فكيف عالجه النهروالي؟ لنستمع إليه:

"...فجهز السلطان (قانسوه) من كبار مقدميه الأمير حسين الكردي، و أصحابه طائفه كبيره من اللوند، كبيرهم سليمان الرئيس، و حجز لهم عماره عظيمه، و أغربه نحو الخمسين، بمدافع كبيره، و ضربانات و ولاه نيابه جده، و عظم شانه. و كان مقداما شجاعا فاتكا، كثير الظلم، شديد السياسه. فأول ما جاء بني على جده سورا محيطا بها في عام سبع عشر و تسعمائه، حمل فيها التجار التراب و الأحجار، و هدم ما أراد من بيوت المسلمين، و غصبها و أدخلها في البناء، و وضع بعض التجار في وسط البناء ليبنى عليه، فخلص نفسه بمال كثير، بعد الشفاعة فيه...

" و لما فرغ الأمير حسين من بناء سور جده، توجه باغربته إلى الهند، و دخل "أمير"، و اجتمع بالسلطان مظفر شاه، و حصل منه امداد كبير غير أن الفرنج ارتفعوا إلى كوه (جوه)، و ما أمكن الأمير حسين أن يستمر في ٦.

ص: ١٩

- ١- أحمد بن محمد بن إياس: "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، ج ٤ ص ٨٩.
- ٢- Panikkar.Asia and wester Dominane.P.٤٥:F.B.Eldridge.The Background of Eastern S. PP.١١٦-٧ Panikkar.٤٥
- ٣- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط. دار المعارف بالقاهره، ج ٤ ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
- ٤- (The. De Barros.Daadas(Dec.III.,KK.i.ch.٣.quoted by Mansel Longworth Dames. (Book of Duarte Barbosa.Vol.PP.٤٨-٥٠n
- ٥- ابن إياس، ج ٤ ص ٢٠١.
- ٦- ابن إياس، ج ٤ ص ٢٠١.
- ٧- المصدر نفسه ص ٢٨٥.
- ٨- المصدر نفسه ص ٣٦٥، ٤٥٨.
- ٩- المصدر نفسه ص ٣٦٥.
- ١٠- المصدر نفسه ص ٣٦٦.

الهند، فعاد من غير عمل، فوصل إلى بندر كمران (١)، و معه العدد و الآلات، و كثير من عسكر اللوند و منهم الأمير سليمان الرئيس، و كان فاتكا شجاعا، ذا معرفه بالحروب، خصوصا بالمدافع و البنادق" (٢) و أحسبني لست في حاجه بعد كل هذا إلى تفصيل ما في حديث النهروالي عن تلك الأحداث من تخطيط و تخيط، حتى ليصح فيه قول العامه: "من معرفته بالصحابه صلى على عنتر"، فذلك أوضح من أن يحتاج إلى بيان.

أسطوره النهروالي

ذلك هو النهروالي، و هذه أسطوره:

" وقع في أول القرن العاشر، من الحوادث الفواح النوار، دخول الفرتقال [البرتغال] اللعين، من طائفه الفرنج الملاعين، إلى ديار الهند. و كانت طائفه منهم يركبون من زقاق سبته في البحر، و يلجون في الظلمات، و يمرون بموضع قريب من جبال "القمر"، بضم القاف و سكون الميم، جمع أقمر، أى أبيض، و هى ماده أصل بحر النيل، و يصلون إلى المشرق، و يمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق، أحد جانبيه جبل، و الجانب الثانى بحر الظلمات (٣)، فى مكان كثير الأمواج، لا تستقر به سفائنهم، و تنكسر، و لا ينجو منهم أحد. و استمروا على ذلك مده، و هم يهلكون فى ذلك المكان و لا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند، إلى أن خلس منهم غراب إلى الهند. فلا زالوا يتوصلون إلى معرفه هذا البحر، إلى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد، صاحبه كبير الفرنج، و كان يقال له "الملندى" (٤) و عاشره فى السكر، فعلمه الطريق فى حال سكره، و قال لهم، لا تقربوا الساحل من ذلك المكان، و توغلو فى البحر، ثم عودوا، فلا تنالكم الأمواج. فلما فعلوا ذلك، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم، فكثروا فى بحر الهند، و بنوا فى كوه من بلاد الدكن قلعه يسمونها "كوتا"، ثم أخذوا هرموز، و تقووا هنالك، و صارت الامدادات تترادف عليهم من البرتغال، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا و نهبا، و يأخذون كل سفينه غصبا، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين، و عم آذاهم على المسافرين" (٥)

مناقشه أسطوره النهروالي

و بغض النظر عما فى هذه الأسطوره من خلط و تشويش و اضطراب، و أخطاء تاريخيه و جغرافيه، فإنها لا تزعم أن أحمد بن ماجد هو الذى قاد البرتغاليين إلى الهند. بل أنها على النقيض من ذلك تؤكد أن وصولهم إليها قد تم دون معونه من أحد، و هو ما لا يتفق مع الواقع التاريخي. كما تؤكد أن ابن ماجد لم يلتق ب "الملندى" إلا بعد أن "خلص منهم [من البرتغاليين] غراب إلى الهند" و استمروا يترددون عليها. و ان كل ما عمله أحمد بن ماجد، هو أنه، بعد رجوع "الملندى" من الهند، "علمه الطريق و قال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان، و توغلو فى البحر ثم عودوا، فلا تنالكم الأمواج".

و أعتقد، و الله أعلم، أن الأستاذ نجاتي صدقي، كان محقا كل الحق، حينما قرر "إن الوصف الذى ورد على لسان المؤرخ العربى النهروالي، ينطبق على رحله دياز، و ليس على رحله فاسكو دى غاما" (٦) و لا نعى بهذا أن كبير الفرنجه الذى صاحبه أحمد بن ماجد و علمه الطريق فى حال سكره، كما يزعم النهروالي، هو دياز، و ليس فاسكو دى غاما. فان ابن ماجد لم يجتمع باى منهما، و لا باى برتغالى آخر، و خاصه فى التاريخ الذى تمت فيه زيارتهما. و إنما نعى أن ذلك الوصف، بغض النظر عن مصدره و تاريخه، أقرب انطباقا على رحله دياز، منه على رحله دى غاما، لأن منطقته رأس الرجاء الصالح، هى المنطقه الوحيده

على الطريق فيما بين البرتغال و الهند، التي يستلزم الوصول إليها، اتباع تلك النصيحة: "لا تقربوا الساحل في ذلك المكان، و توغلو في البحر، ثم عودوا، فلا تنالكم الأمواج". فليس صحيحا أن برثلميو دياز "نجح في اجتياز رأس العواصف (رأس الرجاء الصالح) في ديسمبر ١٤٨٨ م، مستعينا طول الوقت بالملاحه الساحليه" (٧)، و ليس صحيحا، أن أي ربان ماهر، يستطيع أن يدور حول هذه الرأس، محتضنا الساحل طول الوقت " (٨) أو على الأقل لم يكن الوضع في رأس الرجاء الصالح بهذه الصفه حينما بدأ البرتغاليون يترددون عليه. فعند ما أصبح دياز على مقربه من نهر البرتغال Orange River أثناء محاولته الوصول إلى طرف القاره الجنوبي، عاكسته التيارات و الرياح المضاده مده خمسه أيام كان يجاوش (٩) خلالها دون جدوى، ثم طوحت به الرياح جنوبا مده ثلاثه عشر يوما متواليه لم ير البر خلالها، حتى تغيرت حراره الجو، و أخذ البرد يشتد كلما تقدموا نحو الجنوب و لما هدأت الرياح، اتجه نحو الشرق، و كان يعتقد أنه ما يزال بمحاذاه الساحل الإفريقي الغربي، و لكنه لما لم ير البر بعد مده، اتجه شمالا، فجاء إلى ما عرف بعد ذلك بخليج اللحم Flesh Bay في جنوب القاره الإفريقيه و يقع إلى الشرق من رأس الرجاء الصالح، ثم و أصل مسيره شرقا إلى أن بلغ ما سمي بنهر السمك الكبير Creat Fish River فجار بحارته بالشكوى و أجبروه على الرجوع. و أثناء عودته إلى الغرب، جاء إلى رأس الرجاء الصالح الذي كان قد تجاوزه من قبل دون أن يراه حينما طوحت به الرياح.

أما فاسكو دي غاما، فقد أفاد من تجارب دياز، فلم يحاول الاقتراب

ص: ٢٠

- ١- و هذه أخرى من تخطيطات النهروالى. فان احتلال المصريين لكمران لم يقع بعد عوده حسين الكردى من الهند (حوالى سنه ٩١٥ هـ) أو بعد سنه ٩١٧ هـ كما يزعم النهروالى، و إنما فى بدء قيام الحمله المصريه الثانيه، و على التحديد فى ١٧ ذى القعده سنه ٩٢١ هـ. و فى هذه الحمله لم يذهب حسين الكردى إلى الهند.
- ٢- البرق اليمانى ص ٢٠.
- ٣- كيف يكون مضيقا و أحد جانبيه بحر؟.
- ٤- Almirant نائب أمير البحر.
- ٥- البرق اليمانى ص ١٩.
- ٦- عبد الله الماجد، العرب س ٣، ص ٧٠، عن الأديب عدد أبريل ١٩٦٨ ص ٣٠-٣٢- لم يسعنى الحظ بالاطلاع على مقال الأستاذ نجاتى صدقى، و لم أستطع الحصول على نسخه منه فى دبی حينما شرعت فى كتابه هذا المقال.
- ٧- الدكتور عبد العليم، الفوائد..
- ٨- المصدر السابق ص ٨٣٩.

٩- جاوش، يجاوش، مجاوشه. من الاصطلاحات البحريه فى الخليج: يعنى التحايل على الريح. فمثلا إذا كان هدف سفينه ما فى مهب الرياح، فإنها تجاوش حتى تصل إلى غايتها، أى تتحايل على الرياح بالانحراف إلى اليمين أو إلى الشمال، و التوغل فى البحر، ثم العوده إلى الجبهه التى بدأت فيها انحرافها، مع انحراف نحو الجبهه المضاده لانحرافها السابق، مشكله بذلك ما يشبه المثلث، حتى إذا أصبحت محاذيه لنقطه انحرافها الأول، أصبح هدفها خلف ظهرها، فتتجه إليه، و تكون الرياح عندئذ وراءها،

بدلاً من أن تكون في وجهها. ويمكن ترجمتها ترجمه دقيقه إلى الإنجليزية بكلمه Tack.

من البر أثناء رحلته إلى رأس الرجاء الصالح، و إنما أبحر رأسا من البرتغال إلى جزائر الرأس الأخضر Gape Verde Islands و منها اتخذ لنفسه طريقا في وسط المحيط الأطلسي ما بين جزيرة اسنشن Ascension Island و البرازيل، تجنبا للرياح العنيفه عند السواحل الإفريقيه. و لما ظن أنه أصبح بمحاذاه رأس الرجاء الصالح، بعد سفر استغرق ثلاثة أشهر لم ير البر خلالها، اتجه نحو الشرق، و لكنه أخطأ التقدير، فقصر عن بلوغ هدفه بمسافه غير كبيره نسبيا. و عند ما اقترب من البر، تعرض لعاصفه شديده، أشرف من جرائها على الغرق. فتذمر رجاله، و طالبوه بالعوده إلى البرتغال، و لكنه أصر على مواصلة السفر، و هدد كل من يتحدث عن العوده بإلقاءه في البحر، فتأمر بعض بحارته على التمرد و إلقاء القبض على قادتهم و سجنهم، و العوده بالسفن إلى البرتغال، غير أن أحد المتأمرين وشى بزملائه، فالقى دى جاما القبض على قادة المتأمرين و سجنهم. و أخيرا، و بعد جهود مضنيه، استطاع الوصول إلى رأس الرجاء الصالح. و مع أن المسافه بينه و بين نهر البرتغال، لا تزيد على ثلاثه و ثلاثين فرسخا، فقد استغرق اجتيازها أسبوعا كاملا، من ١٦ إلى ٢٢ نوفمبر.

ثم جاء بعده بيدرو الفارس كبرال Pedro Alvarez Cabral و كان معه عدد من القاده المجرمين من ضمنهم برثلميو دياز، مكتشف رأس الرجاء الصالح، و كثيرون ممن رافقوه، أو رافقوا دى جاما. و حاول كبرال أن يستفيد من تجارب سلفيه، دياز و دى جاما، فابحر رأسا إلى جزر الرأس الأخضر، و من ثم اتخذ الطريق التى اتخذها قبله دى جاما، وسط المحيط الأطلسي. و لكنه بالغ فى التطرف نحو الغرب، فاكشف ساحل البرازيل عن غير قصد. ثم اتجه رأسا إلى رأس الرجاء الصالح، فلما اقترب منه صادفته عواصف هوجاء، أغرقت أربعا من سفنه، و كان برثلميو دياز نفسه من بين الغرقى.

تلك هى طبيعه الأنواء فى رأس الرجاء الصالح، كما وجدها رواد الكشوف الاستعماريه البرتغاليون، و لا أدري إذا كانت تغيرت الآن، فأصبح أى ربان ماهر يستطيع أن يدور حول هذه الرأس، محتضنا الساحل طول الوقت، أم لا؟.

و لكن ما ذا يعنى صاحب تلك النصيحه، كائنا من كان ب "الساحل من ذلك المكان".

إذا كان يعنى به الساحل الإفريقي الغربى، أو أى جزء منه، أو رأس الرجاء الصالح، فقد جاءت نصيحته متاخره جدا. لأن فاسكو دى جاما، كان على علم تام بها قبل سماعها منه، و قد سبق أن طبقها عمليا، كما رأينا، تطبيقا كاملا، عن وعى و إدراك، فلم يقترب من الساحل إلا- فى المرحله الأخيره لخطا فى التقدير. و مع ذلك فحتى تلك المسافه القصيره التى بقى عليه أن يقطعها حتى يصل إلى رأس الرجاء الصالح، لم يحاول اجتيازها عن طريق الملاحه الساحليه، و إنما كان يخرج إلى عرض البحر أولا، ثم يقوم بمحاولاته لاجتيازها. و قد فعل ذلك مره بعد أخرى. و على الرغم من فشله المتكرر فى محاولاته الأولى، فإنه لم يجرب الملاحه الساحليه لقطع تلك المسافه.

و إذا كان يعنى ب "الساحل من ذلك المكان"، السواحل الإفريقيه الشرقيه، فان الوصول إلى أى من موانئها فى الأحوال العاديه، لا يستلزم الابتعاد عن الشاطئ، و اتخاذ مثل تلك الاجراءات التى يوصى بها. و قد جرب فاسكو دى جاما ذلك بنفسه.

أما إذا كان يعنى به الطريق من ملندى إلى كليكوت، فهناك ثمة طريقان طريق ساحلى، يساير السواحل الإفريقيه إلى رأس حافون، بل إلى باب المندب، و منه إلى عدن، ثم يسير محاذيا لسواحل الجزيره العربيه إلى رأس الحد، و ينعطف شمالا إلى رؤوس الجبال عند مضيق هرمز، فيعبر البحر إلى الضفه الشماليه من المضيق، و ينعطف شرقا فيساير السواحل الفارسيه فالمكرانيه،

حتى سواحل السند الشماليه. أما إذا كان هدف الرحله فى جنوب الهند، كما كان الأمر بالنسبه لفاسكو دى گاما، فيجب أن يواصل سيره فيقطع السواحل الهنديه الغربيه من الشمال إلى الجنوب. و من الممكن اختزال هذا الطريق بعض الشىء، بالانتقال من رأس حافون إلى جزيره سقطره، ومنها إلى سواحل الجزيره العرييه، ثم من رأس الحد إلى سواحل السند. و هذا الطريق فى حالتيه شاق و طويل و لا تسلكه فى العاده حتى السفن المتجهه إلى شمال الهند. و لكن السفر فيه لا يستلزم الابتعاد عن الساحل و الإيغال فى البحر. و قد شاهدت فى جنوب الجزيره اعدادا غير يسيره من السفن، على مقربه من الساحل، و هى فى طريقها من البحر الأحمر و من إفريقيا الشرقيه، إلى الخليج العربى.

أما الطريق الأخرى، فتتجه من ملندى رأسا، عبر المحيط، إلى الميناء الهنديه المعنيه. و لكن ليس ما يدعو إلى تطبيق تلك النصيحه: "لا تقربوا الساحل من ذلك المكان، و توغلوا فى البحر، ثم عودوا، فلا تنالكم الأمواج بالنسبه إليها. و الأرجح أن النهروالى ترامت إليه أصداء بعيده مشوشه و مختلطه عن وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندى فاستغلها، دون تمحيص فى تلفيق هذه الحكايه السخيفه، للتشهير بأحمد بن ماجد، لغايه فى نفسه.

و جاء فران

انتشر كتاب النهروالى "البرق اليمانى" انتشارا واسعا، فقل أن تخلو مكتبه عامه فى العالم العربى منه، فى مصر و الحجاز و العراق. أما فى تركيه فيوجد فى مكتبات اصطنبول العديد من نسخه(١) و قد نقله إلى التركيهمصطفى بن محمد المعروف بخسروزاده، المتوفى سنه ٩٩٨هـ. و مع ذلك فان أحدا من المؤرخين الذين جاءوا بعد النهروالى، عربا و غير عرب، ممن اهتموا بتاريخ تلك الفتره، و الصراع العربى البرتغالى فى المحيط الهندى، لم يهتم بأسطوره النهروالى، أو يعيرها التفاتا. حتى الذين اعتمدوا على كتابه من هؤلاء المؤرخين عند ما عنوا بالكتابه عن تصدى الغورى لقرصنه البرتغاليين و توجيهه حمله حسين الكردى ضدهم، كابن العماد الحنبلى، أهملوا الإشاره إلى أسطوره النهروالى إهمالا تاما(٢) و لهذا الإهمال دلالتة المعبره و لا شك. ثم جاء المستشرق فران Ferrand فى سنه ١٩٢٢ م فباضت تلك الأسطوره و فرخت على يده. كانت كما وضعها النهروالى، مجرد نصيحه من شخص سكران، و هو أحمد بن ماجد، زعموا، لكبير الفرنجه "الملندى" أما متى و أين أدلى هذا السكران بتلك النصيحه، و من هو هذا "الملندى" الذى ألقى إليه، فأمر على أهميتها، لم يكن النهروالى ليهتم بها. فلما جاء فران استكمل تلك النواقص الهامه، فحدد مكان اللقاء فى

ص: ٢١

١- الجاسر ص ٦٩.

٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ط مصر، ١٣٥١ ج ٨ ص ١١٥.

"ملندی"، و حدد تاريخه ب ٢٢ من ابريل سنة ١٤٩٨ م. أو خلال زياره فاسكو دى گاما لملندی فى ذلك الشهر، و حدد شخصيه الملندی على أنه فاسكو دى گاما ذاته. و لكنه حاول، مشكورا، أن يدفع تهمة السكر عن أحمد بن ماجد، ليثبت عليه اقتراح ذلك العمل الذى "بعده مسلمو مکه خيانه عظمى" (١)، و زاد على كل ذلك هاما جدا، لم يرد فى نص النهروالى، و لو تلميحا، و هو أنه جعل أحمد بن ماجد يتولى قياده اسطول دى گاما من ملندی إلى كليكوت.

مناقشه فران

فإذا تدبرنا جيدا أسطوره النهروالى، و استعرضنا وقائعها على ضوء الواقع التاريخى، وجدنا ما استنتجه فران منها، لا يستقيم بحال من الأحوال. يقول النهروالى:

"و كانت طائفه منهم (من البرتغاليين) يركبون من زقاق سبته فى البحر و يلجون فى الظلمات.. فى مكان كثير الأمواج فلا تستقر به سفائنهم، و تنكسر و لا ينجو منهم أحد. و استمروا على ذلك مده، و هم يهلكون فى ذلك المكان، و لا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند، إلى أن خلس منهم غراب إلى الهند، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفه هذا البحر، إلى أن دلهم شخص ماهر، يقال له أحمد بن ماجد، صاحبه كبير الفرنج، و كان يقال له "الملندی"، و عاشره فى السكر، فعلمه الطريق فى حال سكره، و قال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان، و توغلوا فى البحر، ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج.

إن هذا المكان الكثير الأمواج، الذى لا يستقر به السفائن، هو على ما يبدو الطرف الغربى الجنوبى من القاره الإفريقيه، فهو المكان الوحيد الذى تنطبق عليه تلك الصفات. و أول من حاول الوصول إليه، و وصله فعلا، من البرتغاليين، دياز، فى أواخر سنة ١٤٨٦ م كما مر بنا. و قبله لم تقترب أية سفينه برتغاليه من رأس الرجاء الصالح، و لم تنكسر فى مياهه بطبيعته الحال.

و دياز أيضا، هو أول من خلس إلى الطرف الغربى من المحيط الهندى حيث يلتقى المحيطان. و لكنه لم يصل إلى السواحل الإفريقيه الشرقيه، و لم يفقد و لا سفينه واحده فى تلك السفره. و إذا افترضنا أنه اجتمع بأحمد بن ماجد، فلا بد أن يكون ذلك الاجتماع قد تم فى جنوب إفريقيا، فهذا أقصى ما بلغه فى تلك السفره. و لكننا لا نجد فيما وصل إلينا من كتب أحمد بن ماجد أية إشارة لتلك المنطقه. و لا يعقل أن يهمل الحديث عنها، لو كان قد وصل إليها، لميله القوى إلى التظاهر بالعلم و المعرفه. كما اننا لا نجد أى ذكر لمثل هذا الاجتماع فيما نشر من وثائق البرتغاليين.

و ثانى من اجتاز رأس الرجاء الصالح، هو فاسكو دى گاما. و لكنه لم تنكسر له و لا سفينه واحده أيضا، إلا بعد أن اجتاز ذلك المكان الكثير الأمواج الذى تنكسر فيه سفائنهم. فقد شتر (٢) إحدى سفنه فى ناحيه ما من جنوب إفريقيا، بعد أن نقل أمتعتها و رجالها إلى سفنه الأخرى. و لم يفقد أحدا من رجاله.

و أول نكبه منى بها البرتغاليون عند رأس الرجاء الصالح، هى تلك التى حلت بحمله بيدرو الفارس كبرال فى ٢٤ مايو سنة ١٥٠٠ م، حيث غرقت له أربع سفن بجميع من كان على ظهرها.

فإذا أردنا أن نحمل كلمات النهروالى على محمل الجسد، فلا يمكن أن يكون خلوص ذلك الغراب البرتغالى إلى بحر الهند، لأول مره، إلا بعد أن توالى النكبات على البرتغاليين فى ذلك المكان الكثير الأمواج، أى بعد نكبه بيدرو الفارس كبرال فى سنة

١٥٠٠ م على الأقل، و لا يمكن أن يكون اجتماع "الملندي" بأحمد بن ماجد، قد تم على افتراض وقوعه، إلا بعد خلوص ذلك الغراب البرتغالي إلى الهند و عودته منها بزمن ما، قد يكون في تلك السنه نفسها، وقد يكون بعدها. فكيف يمكن أن يكون أحمد بن ماجد هو الذى قاد فاسكو دى گاما إلى الهند، مع أنه لم يجتمع به إلا بعد عودته من الهند كما تقول تلك الأسطوره؟ ثم اننا نعلم بصوره مؤكده، أن فاسكو دى گاما، كان قد خلص إلى بحر الهند، و وصل إلى ملندي، قبل ذلك التاريخ بسنتين على الأقل، و على التحقيق فى ابريل سنه ١٤٩٨ م. فكيف نوفق بين هذه المتناقضات؟ الواقع أن النهروالى كان يتحدث عن موضوع يجهل ملابساته كلها جهلا- تاما، فلفق و خلط، كما هى عادته. و مع ذلك فنصه لا- يحتمل كل هذا التعسف فى التحريف.

و نعود إلى اسطوره مره أخرى، نضعها تحت المجهر، و نتفحص كلماتها، كلمه كلمه، علنا نلمح فى ثناياها ما قد يساعدنا على الاهتداء إلى ما اهتدى إليه المستشرق فران، فلا نجد إلا سرايا يتمثل فى بضع كلمات مراوغه هى: "إلى أن دلهم شخص ماهر"، و "فعلمه الطريق". و لكنها لا يمكن أن تعنى أكثر من أنه وصف له الطريق، كما يؤكد ذلك سياق الحديث الذى جاء على الصوره التاليه:

"إلى أن دلهم شخص ماهر يقال له الربان أحمد بن ماجد، صاحبه كبير الفرنج... و عاشره فى السكر، فعلمه الطريق فى حال سكره، و قال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان... فلما فعلوا صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم".

فاى عربى يمكن أن يفهم من هذا الحديث أكثر من أن أحمد بن ماجد قد وصف الطريق لكبير الفرنجه، على افتراض الصحه فى روايه النهروالى؟ أى عربى يفهم من هذا الحديث أن أحمد بن ماجد تولى فعلا قياده فاسكو دى گاما إلى كليكوت؟

دليل من التاريخ

"يقول باروس... أنه بينما كان فاسكو دى گاما فى ملندي، جاء لزيارته بعض البانيان (٣) Banyans من مملكه كنبايه من كجرات. فظن فاسكو دى گاما، إن هؤلاء الهنادكه الذين يقصدون صوره العذراء (ظنا منهم أنها إحدى آلهات الهندو) (٤)، هم من طوائف المسيحيين الذين كانوا فى الهند فى أيام القديس ثوماس St.Thomas و جاء معهم مسلم من كجرات

ص: ٢٢

١- دائره المعارف الإسلاميه، الإنجليزيه، ماده شهاب الدين أحمد بن ماجد.

٢- شتر، يشتر، تشتيرا: حطم السفينه. و تشترت السفينه: تحطمت، اصطلاح بحرى مستعمل فى الخليج.

٣- طائفه من التجار الهندوس. و يطلق لقب البانيان فى الخليج على جميع الهنادكه بغض النظر عن مهنهم و أعمالهم.

٤- الكلمات و الجمل المحصوره بين الأقواس فى هذه النبذه. هى لفران، أدخلها لتوضيح النص الأصلي، حسب تفسيره له.

(كذا!) يسمى معلومو: (معلم) كانا Cana : (كاناكا Kanaka). وقد وافق هذا المعلم على السفر مع رجالنا (ليدلهم على الطريق إلى الهند) لسروره بصحبته، و لرغبته في إرضاء الملك (ملك ملندي) الذي كان يبحث عن ربان للبرتغاليين و حينما تبادل فاسكو دي گاما الحديث معه، اقتنع بمعرفته، و خاصة عند ما أطلعه على خريطه للساحل الهندي كله، وضعت حسب خرائط المسلمين، و رسمت فيها خطوط الطول و العرض، بدقه بالغه، دون الإشاره إلى مهاب الرياح. و لما كانت المربعات (التي تتألف من تقاطع) خطوط الطول و العرض، صغيره جدا، فان (اتجاه) الساحل بالنسبه لخطى الشمال و الجنوب، و الشرق و الغرب، كان دقيقا جدا، دون أن (يؤدى ذلك) إلى ازدحام الخارطة بكثرة (العلامات التي تشير إلى اتجاه) الرياح و الابره المغناطيسيه، كما هو شان خريطتنا البرتغاليه التي تعتمد عليها الخرائط الأخرى. و قد أطلع فاسكو دي گاما ذلك المسلم على الأسطرلاب الخشبي الكبير الذي كان معه، و على غيره من الاسطرلابات المعدنيه، التي كان يقيس بها ارتفاع الشمس، فلم يدهش المسلم لرؤيه تلك الآلات، و قال أن الربانه (العرب) في البحر الأحمر يستعملون آلات من النحاس مثلثة الشكل، أو مؤلفه من أقواس قائمه الزوايا مقسمه إلى ٩٠ درجه Quadrants لقياس ارتفاع الشمس و النجم (القطبي) الذي يهتدون به في أسفارهم. و أضاف أنه و ملاحى كنبايه و الهند جميعها، يسترشدون ببعض النجوم الجنوبيه و الشماليه و غيرها من النجوم التي تعبر قبه السماء من الشرق إلى الغرب، و أنهم لا يقيسون خطوط العرض بمثل تلك الآلات (التي أراها له فاسكو دي گاما) بل بآله أخرى يستعملها هو أيضا. و أظهرها في الحال و أراها له (...) و كانت مصنوعه من ثلاث صفائح... و بعد هذا الحديث و غيره من الأحاديث التي جرت بينهم (البرتغاليين) و هذا الربان(١)، شعر فاسكو دي گاما أنه عثر على كنز عظيم (...)، و لكى لا يفقده، أبحر بأسرع ما يستطيع إلى الهند في ابريل ١٤٩٨ م (٢) هذا الحديث وحده، يفصح عن هويه ذلك الربان بما لا يدع مجالاً للشك في أمرها. لتتدبر جيدا تصنيفه ربانه المحيط الهندي. لقد قسمهم إلى قسمين: ربانه (العرب) في البحر الأحمر، الذين يهتدون في الليل بنجم واحد معين، هو النجم القطبي الشمالي، و يسمونه الجاه، أو كما ينطقها الكثيرون في الخليج "الياه"، أى الاتجاه، و بحاره كنبايه و جميع الهند، الذين يستعينون ليلا، "ببعض النجوم الجنوبيه و الشماليه و غيرها من النجوم التي تعبر قبه السماء من الشرق إلى الغرب". فأين وضع نفسه؟ مع الصنف الثانى بالطبع. أى مع الهنود. لأنه هندي. لأنه ليس أحمد بن ماجد العربى. حتى الآلات التي يستعملها لرصد النجوم، لم تكن من الآلات التي يستعملها ربانه العرب في البحر الأحمر، و إنما من الآلات التي يستعملها الهنود.

تبعيتنا للمستشرقين

و لكن أى سحر لهؤلاء المستشرقين على قلوبنا و عقولنا؟ إن أكثرهم غير خليق بالثقفه و لا يمكن الاطمئنان إلى أمانته العلميه، و مع ذلك، فما يكاد أحدهم يجترح ما يسىء إلى تاريخنا، أو ديننا، أو ثقافتنا، أو ما يمس كياننا الروحى و الفكرى فى الصميم، حتى نعتد عمله منه علينا، نشكره عليها، و نقدم إليه جزيل الحمد و وافر الثناء من أجلها، ثم نعتبر صنيعه جزءا من تراثنا القومى، ندافع عنه، و ندعو إليه، و نعلن عنه بجميع الوسائل المتاحة إلينا. و قل منا من يحاول أن يلقي نظره مستقلة على حقيقه تلك "المنه"، أو يعالجها بشىء من النقد و التمحيص. بينما يركبنا الشيطان، عند ما يتعلق الأمر بمصادرنا المأثوره، فتتخذ من "الشك" فى تلك المصادر صنما نعبده من دون الله.

ولدت أسطوره النهروالى ميته فى أواخر العشر التاسع من القرن العاشر الهجرى (حوالى سنه ١٥٧٠ م) و بقيت مدفونه فى قبرها منذ ذلك التاريخ، لا يجرى اسمها على لسان، أو يمر ذكرها على خاطر، حتى جاء فران (١٩٢٢ م) بعد أكثر من أربعة قرون و

نصف على دفنها، فنبش عنها التراب، ثم جبل رفاتها بما درب عليه المستشرقون، من تحريف للكلام الواضح المستقيم، و صاغ منه مسخا جديدا لا يمت إلى الأسطورة النهرواليه بسبب، إلا بنسبته المزوره إلى صاحبها، فتلقينا ذلك المسخ الدعوى، بالتاهيل و الترحيب، و أفسحنا له فى صدور مجالسنا، و ذهبنا نستبق فى تكريمه، و التغنى بفضائله، دون أن يتوقف أحدنا لحظه، يتساءل فيها عن حقيقه ذلك النسب، و هل هو صريح كما يقولون؟ أم من قوارير، كنسب صاحب بشار؟ لقد رفضنا الأصل و نبذناه، و تهنأ غراما بالدعوى الممسوخ.

الدكتور أنور عبد العليم

و فى كل هذا الزمن الطويل، منذ سنه ١٩٢٢ م، لم تساور الشكوك فى ذلك النسب المنحول، سوى واحد منا فقط، كما أعلم، هو الدكتور الفاضل أنور عبد العليم، و لكنه ما لبث أن أغفل تلك الشكوك، و لا أدرى هل نسيها، أم رأى أنه لا يجوز الشك فيما يصنع المستشرقون، أم اتضح له أن الحق فيما شك فيه، فرجع عن شكه؟ أن للدكتور دراسات قيمه عن أحمد بن ماجد، منها كتابه "ابن ماجد الملاح"، و قد قدمه إلى المطبعه فى يوليو سنه ١٩٦٦ م. و الدكتور غنى عن التعريف، لا فى البلاد العربيه و حدها، بل و فى الدوائر العلميه فى الغرب كذلك. فى هذا الكتاب يكرر الدكتور، أولا، ما شاع منذ سنه ١٩٢٢ م، من أقوال مبتسره، لا- تمت إلى الحقيقه بصله، عن علاقته أحمد بن ماجد، بفاسكو دى گاما، فيردها بصيغه المطمئن إليها، الوثائق منها، المعول عليها، كقوله:

" و لا ترجع شهره الربان العربى، إلى كونه مؤلفا ترك للتراث العربى ذخيره هامه من المؤلفات العلميه و التكنولوجيه، عن البحر و فنون الملاحه فحسب، بل أنه كان أيضا المرشد لسفينه فاسكو دى گاما البرتغالى، من ثغر ماليندى، على خط عرض ٣ درجات جنوب خط الاستواء على الساحل الشرقى لافريقيا إلى كلكتا (٣) عام ١٤٩٨ م (٤)

ص: ٢٣

١- ترجم الأستاذ محمود ياسين الحموى (الملاح العربى ص ٨-١٠) هذه النبذه عن فران كما يبدو، بشىء من التصرف و الزيادات التى يخلو منها النص الانكليزى. و لا أدرى إذا كانت تلك الزيادات موجوده فى الأصل الفرنسى أم لا. من ذلك أنه وصف هذا الربان فى هذا الموضع ب "العربى" بينما هو فى النص الإنجليزى ربان فقط، مجرد من أى وصف. أما صفته فيما سبق من هذا الحديث فمسلم من كجرات، كما مر بنا.

٢- دائره المعارف الإسلاميه، الترجمة الإنجليزيه، ط. الأولى، ماده شهاب الدين أحمد بن ماجد.

٣- ليست كلكتا Calicut بل كليكوت Calicut و تقع فى الجنوب الغربى من السواحل الهنديه الغربيه، بينما تقع كلكتا فى أقصى الشمال من السواحل الهنديه الشرقيه، على رأس خليج البنغال. و لم تكن للبرتغاليين علاقته فيها، و بالتالى فان فاسكو دى گاما لم يرها فى حياته. لقد تكرر هذا الخطأ أكثر من مره، و إلا لما أعرناه اهتماما (راجع كتاب ابن ماجد الملاح ص ٤٨ و ٥٤، و الفوائد فى أصول علم البحر و القواعد "العرب" ص ٤، ص ٨٤٠ و ٨٤٣)، و قد وقع فيه عدد من كتابنا الذين تصدوا للحديث عن أحمد بن ماجد، منهم الأستاذ محمود ياسين الحموى الذى ترجم Calicut ب "كالكوتا" أى "كلكتا" (الملاح العربى ص ١٠)، و الدكتور السيد يعقوب بكر، فى ترجمته القيمه لكتاب فضلو الحورانى "العرب و الملاحة الهندي" ص ٢٣٧.

و قوله:

"لا ترجع شهره ابن ماجد إلى كونه ملاحا قديرا فحسب - لا يزال أهل عدن يقرءون له الفاتحه، ما خرجوا إلى البحر - و لا إلى مؤلفاته الغزيره في علوم البحار و الملاحة، و التي لم تكتشف إلا في القرن العشرين. و إنما اكتسب هذا الملاحة، فضلا عن ذلك، شهره دوليه حين عرف أنه هو نفسه الربان الذي قاد سفينه الملاحة البرتغالي الشهير، فاسكو دي غاما Vascode Gama لأول مره من ثغر ماليندى في مملكه كامبايا (كينيا الآن)" (١) و لكن الدكتور الفاضل، بعد هذه الأقوال الواضحه الحاسمه، عن علاقه أحمد بن ماجد بالبرتغاليين، يطلع علينا، في الكتاب ذاته، و لأول مره منذ عام ١٩٢٢ م، بموقف جديد، يتميز بالشجاعه و الاستقلال، فيعلن عن تشككه "في صحه الروايه التي أوردها فران، و أقرها معه علماء السوفييت". فهو يقول في معرض تعليقه على الأبيات التاليه من أرجوزه لأحمد بن ماجد تسمى السفاليه (نسبه إلى سفاله):

و بعد ذا في عام تسعمائه و ست جاءوا الهند يا اخايه

و اشتروا البيوت ثم سكنوا و صاحبوا و للسوامر ركنوا

و الناس تضرب فيهم الظنونا ذا حاكم أو سارق مجنونا

"و إذا كان ابن ماجد قد دون هذه الوقائع في أرجوزته، فلا يتضح من كلامه أنه أرشد البرتغال إلى الهند، مما يجعلنا نشكك في صحه الروايه التي أوردها فران، و أقرها معه علماء السوفييت. و على أى حال، فإن هذا الأمر، يحتاج إلى مزيد من التحقيق، و ربما أفردنا له بحثا مستقلا" (٢) ثم يكرر الدكتور هذا الشك مره أخرى، أثناء حديثه عن كتاب "محيط"، لسيدى على، فيقول:

"و مما يسترعى النظر، أن كتاب "محيط"، و قد كتبه صاحبه بعد ابن ماجد بنحو خمسين سنه (و قبل النهروالى)، و هو في نفس الوقت ملاح قدير، تهمة أخبار الملاحة - هذا الكتاب لم يرد فيه إشاره إلى قصه إرشاد ابن ماجد لفاسكو دي غاما إلى الهند. و لو أن "سيدى على"، قد سمع من ربانته بحر فارس أيه إشاره لقصه الإرشاد المذكوره، لما تردد في ذكرها" (٣) و نرجو أن يعذرنا الدكتور، إذا سألناه عن مغزى أقواله السابقه عن علاقه أحمد بن ماجد بفاسكو دي غاما، ما دامت لديه مثل هذه الشكوك "في صحه الروايه التي أوردها فران و أقرها معه علماء السوفييت"؟ على أن الدكتور الفاضل ما لبث أن عاد إلى سابق عهده، و اطمئنانه المطلق إلى روايه فران، و ذلك بعد أقل من عشره أشهر على تاريخ تلك الشكوك، فقد نشر في مجله "تراث الإنسانيه"، بتاريخ ٥ ابريل ١٩٦٧ م، مقالا قيما عن كتاب ابن ماجد، "الفوائد في أصول علم البحر و القواعد"، جاء فيه:

"و لا- ترجع شهره ابن ماجد إلى كونه ملاحا قديرا فحسب، لا- يزال أهل عدن يقرءون له الفاتحه كل يوم، و لا إلى مؤلفاته الغزيره في علوم البحار و الملاحة، التي لم تكتشف إلا في القرن العشرين، و إنما اكتسب هذا الملاحة فضلا عن ذلك، شهره دوليه، حين ثبت أنه هو نفسه، الربان الذي قاد سفينه فاسكو دي غاما البرتغالي، من ساحل إفريقيا الشرقى إلى الهند، لأول مره عام ١٤٩٨ م" (٤) و جاء فيه:

"و يرجع الفضل في الواقع في التعرف على أن ابن ماجد، كان هو المرشد الذي قاد أسطول دي غاما إلى الهند، إلى جهود المستشرق الألمعى، جبريل فران، عام ١٩٢٢" (٥) و لا ندري بعد هذا ما الذي استقر عليه رأى الدكتور الفاضل في هذا الصدد؟

هل ما يزال على تشككه " في صحه الروايه التي أوردها فران، و أقرها معه علماء السوفييت "،فتطلع إلى بحثه المستقل الذى وعدنا به؟ أم " ثبت (عنده أن ابن ماجد) هو نفسه الربان الذى قاد سفينه فاسكو دى گاما البرتغالى، من ساحل إفريقيا الشرقى إلى الهند، عام ١٤٩٨ م "؟

أهدافهم

و لكن ما الغايه من الإصرار على أن أحمد بن ماجد هو الذى أرشد فاسكو دى جاما إلى الهند؟.

ص: ٢٤

١- الذى أعرفه، و ما أقله، ان كامبايا، كنبايه، كما تسميها المراجع العربيه، كانت جزءا من كجرات بالهند، و تقع فى الجزء الشمالى من الساحل الغربى، على الخليج المعروف بهذا الاسم نفسه إلى اليوم. و كانت لها صلات تجاريه وثيقه جدا بالأمارات العربيه فى إفريقيا الشرقيه و منها ملندى، و بالبلاد العربيه فى الخليج الفارسى و البحر الأحمر و مصر، و أخشى أن يكون الدكتور قد اعتمد على ترجمه الأستاذ محمود الحموى لحديث دى باروس عن لقاء فاسكو دى گاما بالمعلم كانا فى ملندى، الذى ترجمه، عن فران كما يبدو. فترجمه الأستاذ الحموى، إذا اعتمدنا النص الانكليزى لدائره المعارف الإسلاميه (الطبعه الأولى) غير دقيقه فقد ترجم فقره التاليه: [While Vasco da Gama was at MalIndi some Banyans From the Kingdom of cambay .in gujrat came to visit the Admiral...With then came a Moor(Muslim)of gujrat (sic!)called Mulemo(Muallim)came(Kauaka) بما يلى: " أثناء إقامه فاسكو دى گاما فى ملندى من مملكه كامبايا، زاره بعض الهندوس على ظهر السفينه... و كان يرافقه مسلم من مسلمى (جزرات) [كجرات] و يدعى معلم (كاناكا). بينما ترجمتها الحرفيه هى: "بينما كان فاسكو دى گاما فى ملندى، جاء لزيارته بعض البانيين من مملكه كنبايه من كجرات.. و جاء معهم مسلم من كجرات (كندا) [كلمه " كندا " و علامه التعجب، الفران]، يسمى معلمو (معلم) (كانا) (cana) (كاناكا canaka). أما إذا كنت مخطئا فى ظنى، و بعض الظن أثم، ران ما يعرف الآن بكينا، كان يطلق عليه اسم كامبايا، فانا أعتذر منه الآن، و أرجو أن يتكرم الأستاذ المذكور بذكر اسم المرجع المذكور الذى اعتمد عليه، لأننى مهتم بتاريخ إفريقيا الشرقيه.

٢- ابن ماجد الملاح ص ٦٥.

٣- ابن ماجد ص ٦٣.

٤- الفوائد، العرب، س ٤ ص ٨٣٨.

٥- المصدر نفسه ص ٨٤٠.

أما المستشرقون فقد أفصح فران عن بعض أهدافهم بصراحه تامه، أثناء محاولته دفع تهمة السكر عن أحمد بن ماجد، فزعم أن قصه السكر مختلفه من أساسها، للتجاوز عن عمل يعتبره مسلمو مكه، الذين كان قطب الدين يعيش بينهم، خيانه (عظمى) و أن المعلم العربي، على العكس من ذلك، وافق على أن يتولى قياده سفينه القيادة فى الأسطول البرتغالى، لقاء وعد بمكافاه سخيهِ (١) أى أن ابن ماجد أقدم على اجتراح تلك الكبيره التى يعدها مسلمو مكه و جميع العرب خيانه عظمى، عامدا معتمدا، و هو فى غايه الوعى و الإدراك، أو مع العمد و سبق الإصرار، كما يقول رجال القانون.

إن سنه ١٩٢٢، التى توصل فيها فران إلى "اكتشافه العلمى" الهائل، عن علاقته أحمد بن ماجد بالبرتغاليين، من السنين التى اشتد فيها سعار الاستعمار الفرنسى فى أعقاب الحرب العالميه الأولى، فقد سبق قبل ذلك التاريخ بسنتين أن بسط الافرنسيون ظلهم الثقيل على الشام، بقوه الحديد و النار. و لكنهم جوبهوا بمقاومه صامده من قبل السوريين، أجبرتهم على الاستعانه بالجواسيس و العملاء، للعمل ضد المقاومه السوريه. غير أن حاجتهم إلى العملاء و الجواسيس كانت دائما أكبر مما يستطيعون تجنيده منهم، فجاء هذا "الكشف العلمى" كأنما ليوحى للمتردددين فى العمل للفرنسيين خوفا من وصمه الخيانه: بان الخيانه عند العرب لا أهميه لها، فهذا أحمد بن ماجد، أحد الأعلام العربيه الضخمه، لم يتورع عن التعاون مع البرتغاليين رواد الاستعمار الغربى فى البلاد العربيه. و مع ذلك فإنه يتبوأ فى التاريخ العربى منزله ساميه، و يحظى من علماء العرب بالتبجيل و الاحترام.

و هذا "الكشف العلمى" ،بعد، حيله ماكره. فقد قدروا أن نتبناه، و نعتبره من ماثرنا الحضاريه الباهره، و هو ما حصل فعلا. ثم ياتى بعد ذلك و لا بد من يقارن بينه و بين ما حققه البرتغاليون وحدهم من اجتياز للمحيط الأطلسى، و طواف برأس الرجاء الصالح، و وصول إلى إفريقيا الشرقيه. و النتيجة المحتومه لتلك المقارنه، ستكون، و لا شك، فى صالح البرتغاليين، و هو ما حصل فعلا كذلك، مع فارق بسيط، هو أن الذى قام بتلك المقارنه، لحسن الحظ، يعتقد أن الربان الذى "تولى"، عمليا، إرشاد القائد العام (فاسكو دى غاما) فى عبور المحيط، ربان هندى، وضعه تحت تصرفه ملك ملندى (٢) تقول تلك المقارنه:

"علينا أن نتذكر، أن المحيط الهندى، و من ضمنه الساحل الافريقى كله، كان قد تم اكتشافه قبل قرون، على أيدي الملاحين الهنود، و كانت السفن الهنديه ترتاد الموانئ الافريقيه، و تعرف مدغشقر بصوره مؤكده..

و على هذا فان المحيط الهندى بحر قد تم ارتياده، و عرفت مسالكه، و ان وصول دى غاما إلى كليكوت، كانجاز ملاحى، لا يمكن أن يضاهى ما حققه أولئك القاده الذين كانوا أول من اجتاز سواحل الصحراء الكبرى، و عبر خط الاستواء، أو ما أنجزه دياز، بوصوله إلى رأس الرجاء الصالح (٣) فإذا كانت رحله فاسكو دى غاما كلها لا تضارع ما حققه البرتغاليون قبلها، مع ما فيها من اكتشاف الجزء من السواحل الافريقيه كان ما يزال مجهولا للعالم أجمع، إلا لعرب السواحل الإفريقيه الشرقيه، و هو ذلك الجزء الممتد من آخر نقطه وصل إليها برثلميو دياز فى جنوب القاره الإفريقيه إلى سفاله؟ فما بالك ببعضها الذى يعرفه كل ملاح فى المحيط الهندى؟.

إن صاحب هذه المقارنه، دبلوماسى و مؤرخ هندى من الملبار، هو الأستاذ بانكيار، الذى كان ذات يوم سفيرا للهند فى القاهره. ان له أكثر من دراسه عن البرتغاليين فى المحيط الهندى. و كانت الوثائق البرتغاليه فى لشبونه، عن الغزو البرتغالى للشرق، من ضمن المصادر التى اعتمد عليها فى تلك الدراسات. و هو مطلع، و لا شك، على مزاعم فران، و تهمة الخيانه العظمى التى طوق بها عنق الربان الذى تولى قياده فاسكو دى غاما إلى الهند. و بناء على تقييمه لسفره فاسكو دى غاما، فان دور ذلك الربان فيها

قليل الأهميه، و لا يمكن أن يحقق لبلاده شيئا من المكاسب الأديبه، بل ربما عاد عليها بالخسران. و لذلك فقد كان المتوقع من بانيكار، أن يحاول استغلال مزاعم فران، لخلق جو من الشك حول هويه ذلك الربان، كيما يدفع تلك التهمه عن أحد مواطنيه، أو يثير حولها سحابه من الغبار على الأقل، لو أنه رأى في تلك الزاعم ذره من الحق. و لكنه تجاهلها تجاهلا تاما، يوحى بما لها من قله الاعتبار فى نظره.

ذلك بعض ما كانوا يهدفون إليه من الترويج لتلك الخرافه.

و أهدافنا

أما نحن فما ذا نحقق، حتى و لو ثبت بصوره قاطعه لا تقبل الجدل، أن أحمد بن ماجد هو الربان الذى قاد سفينه فاسكو دى گاما إلى كليكوت؟ لا شىء غير خفى حينين.

كان المحيط الهندى على امتداده من السواحل الإفريقيه الشرقيه، إلى السواحل الصينيه، بحيره عربيه منذ عشرات القرون. و قد ارتاد ملاحونا جميع سواحله و جزائره، و خلجانه، و خيرانه، و كتب أحمد بن ماجد شاهده على ذلك. و كان السفر بين السواحل الإفريقيه و السواحل الهنديه، متوصلا منذ أقدم الأزمان، يقوم به سنويا عشرات الربانه من العرب، و غير العرب. فلو افترضنا أن أحمد بن ماجد، قد قاد فعلا سفينه فاسكو دى گاما، من ملندى إلى كليكوت، فليس فى عمله ما يدعو إلى الزهو و الفخر، حتى و لو حاولنا تجريده من مدلوله السياسى، و اعتبرناه عملا ملاحيا ليس إلا. فقد سبقه إلى القيام به أعداد لا حصر لها من الربانه على امتداد التاريخ. بينما انجازاتنا الملاحيه أجل من ذلك و أعظم. و قد مر بنا حديث الملاح العربى ابن فاطمه. و دورانه حول إفريقيا من الغرب إلى الشرق. و كنا نعرف طول الوقت، امكانيه العبور من المحيط الهندى إلى المياه الغربيه، فمننا عرف الجاسوس البرتغالى كوفلهام فى سفاله، أنه من الممكن الابحار بمحاذاه الساحل إلى الغرب^(٤) أما لما ذا لم نستغل ذلك الطريق مع معرفتنا به؟ فقضيه أخرى. إن الإنسان لا يتنكب الجاده القصيره المطروقه إلى جاده أخرى طويله و عره مهجوره، إلا لسبب من اثنين: أما لحائل يحول بينه و بين

ص: ٢٥

١- دائره المعارف الإسلاميه، الترجمة الإنكليزيه ط. الأولى، ماده شهاب الدين أحمد بن ماجد.

٢- . ٣٢ . panikkra ,Asia and Western Dominance,p.

٣- . Ibid ٣-٣٢ .

٤ - F.C.Danvers,portuguese in India vol.I.P:٠٣;Panikkar,Asia and Western - ٤
.Dominance,P٣٣ .

الجاده الأولى، أو لما تنطوى عليه الثانيه من مغريات، كالأرباح الهائله التي يمكن أن يحققها إذا ما حول طريقه إليها. و كلا السبيين لم يكن له وجود بالنسبه إلينا. فيوم كانت أسبانيا و البرتغال في أيدينا كانت جميع الطرق مفتوحه أمامنا، من الصين إلى ما وراء جبل طارق. و كانت قوافلنا التجاريه، بريه و بحريه، تتهادى غاديه رائحه، بين سواحل البحر الأبيض المتوسط، و سواحل الصين، في أمن و اطمئنان، و هي تتجر أثناء سيرها في تلك الطرق، فتضاعف أرباحها، و هو لم يكن ليتسنى تحقيقه، لو أنها سلكت طريق المحيط الأطلسي.

أما غرب إفريقيا، فلم يكن ثمة ما يغرى بالسفر إليه، لا- من الناحيه التجاريه، و لا- من أيه ناحيه أخرى. لقد كانت أسواق الاستهلاك الإفريقيه مقصوره على الشمال و الشرق من القاره. أي في الإطار الحضارى الذى صنعه العرب على السواحل الإفريقيه. و لسنا بسبيل الحديث عن الشمال الافريقي، فأمره معروف مشهور. أما السواحل الشرقيه فقد استوطنها عربالخليج و اليمن منذ أقدم العصور. و حينما جاء البرتغاليون كان يحكم الشقه الساحليه - الممتده من جنوب بلاد الصومال في الشمال، إلى حدود سفاله الجنوبيه في الجنوب - حكومات عربيه. و كانت التجاره الإفريقيه كلها، باستثناء الأجزاء الشماليه، في يد هذه الحكومات العربيه، فهى التي تزود إفريقيا بما تحتاجه من منتجات البلاد المتحضره، و خاصه الأقمشه التي كانت تستوردها من كنبايه، مقابل الذهب و العاج من مناجم روديسيا و جنوب إفريقيا و غاباتها. و يصور لنا بربوزا Duarte barbosa حجم تلك التجاره عند وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي، و ما كانت تدره على أصحابها من خير و رخاء. كما يصور لنا ما كان للعرب من نفوذ في تلك المناطق الإفريقيه، و ذلك خلال حديثه عن مدينتى كلوه و ممباسه.

أما كلوه، "فتقوم على جزيره قريبه جدا من الساحل. و هى مدينه عربيه كثيره البيوت الجميله المبنيه بالحجاره و الملاط. و لهذه البيوت نوافذ كثيره تشبه النوافذ التي يتخذها البرتغاليون في بيوتهم. و شوارع المدينه منسقه تنسيقا جيدا و أسقف البيوت مسطحه، و أبوابها الخشبيه جميله النقش، ممتازه الصنع. و تحيط بكلوه الجداول و البساتين و حدائق الفاكهه الكثيره القنوات، المترعه بالمياه الحلوه. و عليها ملك عربي. و يتجر أهلها مع سفاله، فيأتون منها بالذهب، و يوزعونه في جميع أنحاء البلاد العربيه السعيده(١) Arabia Felix و نحن نطلق عليها هذه التسميه منذ اليوم و ان كانت تقع في الحبشه (إفريقيه)، لأن الساحل كله أهل بالعرب و مساكنهم. و فى هذه المدينه كميّه عظيمه جدا من الذهب، لأن السفن المتجهه إلى سفاله، لا بد و أن تمر أولا بها، و عربها بعضهم من البيض و بعضهم من السود. و هم حسنو البزه. و لباسهم من الأقمشه الثمينه المصنوعه من الذهب و الحرير و القطن، و كذلك ثياب النساء اللواتى يستعلمن مقادير كبيره من الذهب و الفضة على هيئة قلائد و أساور و دمالج، و يكثرن من الأقراط الذهبيه المرصعه بالأحجار الكريمه. و هم يتكلمون اللغه العربيه، و يتبعون شريعه القرآن، و لهم إيمان عظيم بمحمد(٢) و أما ممباسه فمدينه جميله جدا، و تشبه كلوه في تخطيطها و بنائها و سكانها". و كانت تجارتها مزدهره، و ميناؤها طبيه، يرسو فيها دائما، عدد كبير من أنواع السفن الصغيره المختلفه، و المراكب الكبيره، سواء تلك التي تقصدها من سفاله، أو تأتي إليها من كنبايه و ملندي، أو تمر بها أثناء سفرها إلى جزيره زنجبار... "(٣) فما حاجتنا إذا إلى إفريقيا الغربيه، و لم تكن لها فى ذلك التاريخ، أيه أهميه اقتصاديه، لا من الناحيه التجاريه و لا من الناحيه الإنتاجيه على الإطلاق! إن عدم استعمالنا للمحيط الأطلسي، لم يكن عن جهل به، أو عجز عن ارتياده، و إنما لمعرفتنا بالأوضاع الاقتصاديه فى السواحل الإفريقيه الجنوبيه و الغربيه و لو تاتت للبرتغال الطرق التي تانت لنا، لما فكرت فى سلوك المحيط الأطلسي يوما من الأيام.

استشهد الدكتور أنور عبد العليم، دعماً لمزاعم فران عن قياده أحمد بن ماجد لسفينه فاسكو دي غاما، من ملندي إلى كليكوت، بنصب تذكاري يقال أن حكومه البرتغال أقامته مؤخرًا في ميناء ملندي، تخليداً لتلك المناسبه، و ذكر أن أستاذًا في جامعه شرقى إفريقياه أخيره بذلك، و أطلعه على صوره فوتوغرافيه للنصب المذكور، عام ١٩٦٦ م.

و نظن أن الأمر تشابه على الأستاذ الإفريقي، و ان النصب الذى تحدث عنه لم يكن لأحمد بن ماجد، و لم تقمه حكومه البرتغال: و إنما هو لعيسى بن طريف، شيخ قبيله آل بن على، البحرانيه - القطريه، "الذى فتح بمباسه [مباسه] [١٨٣٦ - ١٨٣٠ م] من جنوب (شرق) إفريقياه مع عشيرته (آل بن على) مساعده لحاكم مسقط و زنجبار، السيد سعيد بن سلطان آل أبى سعيد" (٤). [١٧٩١ - ١٨٤٤ م]، و ان ذلك النصب أقامته حكومه زنجبار العربيه العمانيه، و ليس البرتغال التى كانت قد طردت نهائيا من جميع الأراضى الواقعه فى الشمال من موزمبيق، على يد الأسطول العمانى فيما بين عامى ١٦٩٦ و ١٦٩٨ م، فى أيام الامام سيف بن سلطان قيد الأرض العربى، أمام عمان و انقطعت بذلك صلتها بتلك البلاد.

إن لدينا فى دبی عددا كبيرا من عرب إفريقياه الشرقيه، و بينهم خريجو جامعات، و حمله شهادات عليا، و يعرفون عن أحمد بن ماجد ما يعرفه أى مثقف عنه. و قد رجعنا إليهم، و بعضهم حديثو عهد بكينيا، فلم يعرف أحد منهم شيئا عن ذلك النصب و مع ذلك، و حتى و لو صحت روايه الأستاذ الإفريقي، فيبقى أن نسأل عن الأسس التاريخيه، و عن الوثائق الثابته، التى اعتمدت عليها حكومه البرتغال فى إقامه ذلك النصب، فقد تكون إقامته اعتمادا على مزاعم فران.

السيد أحمد الصافي النجفي

إشاره

ولد فى النجف سنه ١٣١٤ و توفى فى بغداد عن عمر ناهز الثمانين و دفن فى النجف. نشا فى النجف و فيها درس. و لما احتل الإنكليز العراق فى نهايه الحرب العالميه الأولى و ثارت النجف ثورتها الأولى عليهم، و شق الإنكليز

ص: ٢٦

١- نفس التسميه التى أطلقها الكتاب اليونان و الرومان على اليمن.

٢- The Book of Barboas, pp.٧١-٨.

٣- Ibid.P.١٩-٢٠.

٤- الشيخ خليفه ابن حمد النبهانى، تاريخ البحرين، ص ١٦٢، انظر كذلك لوريمر. دليل الخليج، الترجمه العربيه، حكومه قطر،

من شنقوا من النجفيين و سجنوا من سجنوا خاف المترجم على نفسه فهاجر إلى إيران و بقى فى عاصمتها طهران ثماني سنين اتقن فيها اللغة الفارسيه و درس آدابها، ثم ترجم إلى اللغة العربية رباعيات الخيام، فكانت ترجمته لها أفضل الترجمات.

و بعد قيام الحكم الوطنى فى العراق و استقراره عاد إلى النجف سنة ١٣٤٦. و فى سنة ١٣٤٨ ساءت صحته فأثر السفر إلى سوريا و لبنان للاصطياف و الاستشفاء، فكان أن استقر فى دمشق متنقلا أحيانا بينها و بين و بيروت و غيرها من البلدات اللبنايه، و طبع خلال ذلك رباعيات الخيام المعربه فلاقت إقبالا و اشتهر هو فى الأوساط الأدبيه و لقى فيها تقديرا، و طبع عدده دواوين صغيره.

و كان يعيش حياه بسيطه فى مسكنه و مأكله و ملبسه، حتى كانت أحداث سنه ١٩٧٥ م فى لبنان و امتدت حربها و طالت، فأصيب مره برصاصه طائشه كادت تقضى عليه و حيدا، و كان قد صار شبه أعمى فأثر العوده إلى بغداد حيث عنى به أحد أرحامه فنزل منزله حتى وفاته.

شعره

قال يصف حال العراق بعد الاحتلال الانكليزى:

ما للفرات يسيل عذبا سائغا عجبا و شرب بنى الفرات أجاج

الفقر أحدق فى بنيه و إنما ماء الفرات العسجد الوهاج

جاءته حوت البحر ضامئه له أو ما كفهاها بحرها العجاج

النفط شب بجوفه نارا فهل يطفى سناها ماؤنا النجاج

النفط يجرى فى العراق و ما لنا ليلا سوى ضوء النجوم سراج

قد أثقلوه من القيود بمرهف و أحاط فيه من العداه سياج

زعموه مختارا و قد وضعت له تحت الصوارم و القنا أوداج

أ يكون ذا رشد بعقد عهودهم و بغير ذاك لقيم يحتاج

نم الخداع بما تكن صدورهم إن الخداع لدى اللبيب زجاج

سروا العراق فكم فدينا أنفا عنه فهل لأسيرنا إفراج

أن الأدله ليس تقرن طامعا حتى يقرن بالدليل هياج

أضحى عراقى للمطامع كعبه فيها لمختلف الورى حجاج

لم ترحل الأفواج خصما حله إلا دهته غيره أفواج
حتى النعاج طمعن فى استعمارهم ما حال من يطمعن فيه نجاج
داء المطامع إن تاصل لم يفد فيه سوى قطع الوريد علاج
طعنوا فؤادك فى الصميم و لم تهج فباى شىء يا هزبر تهاج
ما صفتت أمواج نهرك عن هنا هزأ عليك تصفق الأمواج
لا يعرفونك أن حقولك أجديت بل يعرفونك إذ يحين خراج
كم من عدو بالتجنس داخل بحشى العراق و حكمه الإخراج
كثر الخليط به فان لم يبتعد أخلاطه لم يشف منه مزاج
سوق السياسة كم تروج و هل ترى فيه لسوق التضحيات رواج
لا يستقر على السياسة مبدأ إن السياسة زئبق رجراج
النبت صوح بالعراق و بدلت بالفقر منه تلکم الأفواج
و النهر يجرى كاللجين و حوله الأرض ترب و السماء عجاج
و الجهل زوج بالنفاق فاولدا بؤسا فبئس العرس و الإنتاج
لا تياسن من اللجاج فإنما سبل النجاح شجاعه و لججاج
الغرب سار و ما عرفنا قصده و لنا على آثاره أدراج
خير المدارس ما تخرج فتيه ما بينها الحداد و النساج
لا ما تخرج معشرا كل لدى توظيفه لتذبذب محتاج
و قال يخاطب الفلاح العراقى:

رفقا بنفسك أيها الفلاح تسعى و سعيك ليس فيه فلاح

لك فى الصباح على عناتك غدوه و على الطوى لك فى المساء رواج

هذى الجراح براحتيك عميقه و نظيرها لك فى الفؤاد جراح
فى الليل بيتك مثل دهر ك مظلم ما فيه لا شمع و لا مصباح
فيخر سقفك ان همت عين السماء و يطير كوخك إذ تهب رياح
حتى الحمام عليك رق بدوحه فله بحقلك رنه و نواح
هذى ديونك لم تسدد بعضها عجزا فكيف تسدد الأرباح
بغضون وجهك للمشقه أسطر و على جبينك للشقا ألواح
عرق الحياه يسيل منك لثالثا فيزان منها للغنى وشاح
أ تصد جيش الطامعين و لم يكن لك فى الدفاع سوى الصياح سلاح
قد كان يجديك الصياح لديهم لو فجر الصخر الأصم صياح
يتنازعون على امتلاكك بينهم و لهم عليك تشاجر و كفاح
كم دارت الأقداح بينهم و لم تملأ بغير دموعك الأقداح
حسب المولاه الحاكمون على القرى أن ثم أجساد و لا أرواح
كيف التفاهم بين ذينك نائح يشكو العذاب و سامع مرتاح
قد أنكروا البؤس الذى بك محددق أ فينكرون الحق و هو صراح
عجبا أ يشكو بؤس سكان القرى إلا وجوه كالصفيح وقاح
يا غارس الشجر المؤمل نفعه دعه فان ثماره الأتراح
أقلعه فالثمر اللذيذ محرم للغارسين و للقوى مباح
أصبحت تورثك الحقول أسى فما يهتاج أنسك نشرها الفيح
ترتاع من مرأى النخيل كأنما سعف النخيل أسنه و رماح
يا واهب الخير الجزيل لشعبه أ كذا يجازى بالعقاب سماح

أفنت حقولك آفه أرضيه عبثت بها و شعارها الإصلاح
طير السعاده طار عنك محلقا و على و لا تك رف منه جناح
قد أقسم البؤس الذى بك نازل ان لا تمر بدارك الأفراح
تقضى حياتك بالعناء و لم تكن فى غير أيام السقام تراح
سر ببؤسك فاضح لذوى الغنى لو أن سر ك فى البلاد يباح
حتام يا هذا لسانك ألكن و إلى م ألسنه الطغاه فصاح
كل الجناح على الضعيف إذا عدا أما القوى فما عليه جناح
باريف ان كتاب بؤسك مشكل يعيبى بحل رموزه الشراح
أطيار أرضك غالها باز العدى وعدا على أسماكك التمساح
الورد قد خنفته أشواك الربى ظلما و فر البلبل الصداح
أفرا ما لك شرب أهلك آجن رنق و شرب و لاه أمرك راح
صرنا كآلات بكف عدونا فبلادنا بسيوفا تجتاح

و قال:

جرس النهضه قد دق فلم نتيقظ حين دق الجرس
سرق الطامع أبهى مجدنا و مضى يعدو فأين العسس
قد رقدنا أملا فى حرس و لقد نمنا و نام الحرس

ص: ٢٧

سهروا فى أول الليل و منذ نهض السارق يسعى نعسوا
قد حصدنا الشوك مما زرعوا و جنينا المر مما غرسوا
باسم هذا الشعب نالوا ثروه ثم باعوا الشعب لما أفلسوا
كرماء لم يردوا طامعا و أجابوا كل من يلتمس
كم قشور ما ترى لبابها لا يغرنك هذى الأروس
قررنا نصرنا لما اجتمعوا و على سحقتك فض المجلس
لم تراقب فرسا اركضته ثم ألقاك و فر الفرس
مرضاء نقهوا من عله فعرتهم نهمه فانتكسوا
أخذوا رأى شياطين لهم همسوا فى أذنهم ما همسوا
ما أرى المجلس إلا حاكيا صوته عن مجلس منعكس
ضم آلات بسلك وصلت فإذا حرك يوما تنبس
إن دعاها لدفاع شعبها رجفت ثم اعتراها الخرس
أصبحت ترسا عليها طعننا و اختفى من خلفها المفترس
بحسب الحزم رضى اعدائها و من الذله لا تحترس
يطمع الظالم فى كل امرئ أن يلن منه لديه الملمس
ما عرفنا سهونا إذ ضحكوا و عرفنا السهو لما عبسوا
اخرسوا الشعب لسانا فغدا بالشفاه ينطق هذا الأخرس
إن صمت الحر كالحبس له فإذا فاه بامر يحبس
نسمه الإخلاص هى نحونا فلقد ضاق علينا النفس
هل نرى يوما سنا حريه فلقد ساد علينا الغلس

فى ظلام الشرق نار لمعت و على الغرب نهار مشمس

ان ضوء النار يطفى عاجلا هل لنا من ضوء شمس قبس

لا أضاءت فى دجانا شمعه نورها من خصمنا مقتبس

لا ترم أن ترتقى الإخلاص فى أمه يرقى بها المختلس

تغسل الأوساخ من ثوب الفتى و بثوب النفس يبقى الدنس

و قال:

ان الشعوب إذا ما كان جوهرها الماس صلدا فلا تخشى لضى الفتن

فالنار تحرق ما فى التبر من خشب و الخطب يغسل ما فى النفس من درن

و الكون بحرمتى أمواجه التطمت فليس يحطم إلا واهى السفن

فدع سكوتك فالحاكى بنغمته ينيك أن الحجى ينقاد للسنن

لا تنتظر أن يرد الحق منك أذى فالحق فى محبس القانون و السنن

الدهر يملى دروسا فى حوادثه للناس و الخطب فيها خير ممتحن

فالنار تتلو اصطدام الزند فى حجر و العزم يتلو اصطدام النفس بالمحن

الضغط يجمع منا كل مفترق و الضغط يوقظ منا كل ذى وسن

لا تشكو للعدل ضيما و اشكه لظبا فالعدل أصبح فى الدنيا بلا أذن

ما فى المدينة من عدل تلوذ به فالعدل فر إلى الصحراء من المدن

لا تنتظر أن يرد الحق منك أذى فالحق فى محبس القانون و السنن

ضعف الخراف دعى ذئب الفلاه لها فالذنب للضعف ليت الضعف لم يكن

يا من جهلت من الأوطان قيمتها ادخل حمى الليث تعرف قيمه الوطن

حتى الثعالب تحمى عن مغائرها و الطير يدفع مهتاجا عن الوكن

يا خائنا لبلاد قد نشأت بها ما خنت بالأرض بل بالأهل و السكن
ما ذقت إذ خنت للإخلاص لذته و من يذق لذه الإخلاص لم يخن
المال صادك للأعداء لا شبك و الحب عله صيد الطائر الفطن
إن كان دينا ولوع المرء فى وطن فقد كفرت به يا عابد الوثن
حتام تعلن إخلاصا لتخدعنا و السر ينقض ما تبديه فى العن
كم أوجد الخصم من ثلم بسوركهم و أنتم توسعون الثلم بالاحن
من مات روحا فلا تحسب ملابسه مهما تنوعن أزياء سوى كفن
يسعى العدو لنزع الروح من وطن ما ذا انتفاعى بعد الروح بالوطن
كم قدسها مستشار و هو مؤتمن فكيف فى - مستشار - غير مؤتمن
لكل غال عزيز قدروا ثمنا و لم يقدر لغالى العز من ثمن
افتح طريقك بالبيض الرقاق و سر و إن عجزت فخل الليث للسجن
فالورق تشكو هموما و هى مطلقه و الصقر فى الأسر لا يشكو من الحزن

أحمد بن عبد الله أبو العلاء المعرى:

إشاره

مرت ترجمته فى مكانها، و مرت دراسات عنه فى المجلد الثانى من (المستدركات)، كما مرت فى المجلد الثالث دراسه عن أوجه التشابه و الاختلاف بين (غفران) أبى العلاء و (كوميديا) دانتي. و ننشر هنا دراسه عن علاقته (الكوميديا) بما سمي رساله (المعراج) الأندلسيه، بما لذلك كله من ارتباط برساله الغفران:

و هى بقلم الدكتور نذير العظمه:

١ - مقدمه:

فى مؤتمر جمعيه الاستشراق الأمريكيه المنعقد فى جامعه جنوب كاليفورنيا بتاريخ ٢-٣ نيسان ١٩٧٩ كنت ألقى كلمه عن رساله الغفران و أثرها فى الأدب العربى الحديث، و كنت قد ألزمت نفسى ألا أخرج عن دائره البحث التى حددتها ألا و هى مؤثرات الرساله فى الأدب الحديث، و تو انتهائى من إلقاء الكلمه جاء دور الأسئلة و الأجوبه، استوقفنى سؤال منها جاء بصيغه التقرير:

طبعاً أنت واع لمؤثرات رساله الغفران على الأدب الغربى و خاصه الكوميديا الالهيه؟! مشيراً إلى دراسه آسين بلاسيوس فى هذا الخصوص التى تناولت مؤثرات المصادر الإسلاميه فى الكوميديا و خاصه الرساله و المعراج و صوره الكثيره التى لم ينحصر أثرها فى دوائر الآداب العربيه و الفارسيه و التركيه بل تعدتها لتقترب بنشوء الأدب الأوروبى فى عصر النهضه و بزوغه و خاصه الكوميديا الالهيه لدانتى (١٣٢١ - ١٢٦٥) الأمر الذى يطرحه بلاسيوس فى كتاب مستقل اعتمدنا هنا ترجمته الإنجليزىه فى هذه الدراسه سنتناول مصادر جديده للبحث لم يعرفها بلاسيوس رغم أنها تؤيد أطروحتة و مقولته، أما لأنها لم تنشر فى عهدہ أو لم تكتشف. و من المؤسف ألا- تنقل القضية التى طرحها بلاسيوس فى كتابه الإسلام و الكوميديا الالهيه إلى القارئ العربى نقلاً موضوعياً أميناً فلم يترجم الكتاب إلى اللغه العربيه. و علق عليه تعليقات مبتسره مجتراه عتمت على طرحه العلمى و أضاعت على القارئ فرصه المعرفه السليمه.

يتسم عرض بلاسيوس بفهم القضية فهما شمولياً فهى ليست قضيه شكلية لمؤثر و متأثر بقدر ما هى تعبير عن تمازج حضارى أوسع تتناول كل الأشكال الدينيه و الأدبيه و الصوفيه لنوع المعراج و تسربها إلى أوروبا النهضه

و مظاهر تأثيرها في الكوميديا الالهيه مضمونا و شكلا، رمزا و رؤيا صورا و دلالات في مقابلات و مقارنات رائعه فرضت سلطانها على ثقافه القرن العشرين لأكثر من سته عقود و ما زالت.

لقد استنفر الكتاب عددا غير يسير من الاستجابات على أطروحتة التي ترسخت مع مرور الزمن و أيدتها حركه البحث المتأخر.

و قد صنف بلاسيوس روايات المعراج و مطبوعاته و المؤلفات التي تتصل بهذا النوع الأدبي الفذ، و أحصى كل ما وقعت يده عليه حتى زمن تأليف الكتاب و نشره (١٩ [١٩١٩] - ١٩١٨ م) و رتب ذلك في دوائر ثلاث:

الأولى: دائره الأسراء.

الثانيه: دائره المعراج.

الثالثه: دائره تدمج الدائرتين الأولى و الثانيه معا، مبتدئا بالقرآن فالسنه فالقصص الإسلامى المتعلق بهما منتقلا إلى الأشكال الأدبيه التي تصل بالقصه و جذورها في الفلسفه الإسلاميه و تشكلها تشكلا جديدا في إطار الرموز الصوفيه.

و قد استوفى المؤلف مصادره المتنوعه و تناولها تناولا مقارنا يعتبر الأول في هذا الباب.

و لما كانت الأوساط الأدبيه عندنا لم تتعرف حقيقه على المعراج كنوع أدبي متميز، و محصولها من البحث في هذا الاتجاه فقير و أنها واقعه تحت سيطره العصرنه [العصريه] و التحديث و ما يستتبع ذلك من تصنيف، فلم يحظ هذا النوع باهتماماتها و أدرجته في باب القصص الدينى و أهملته جاهله أهميته الفلسفيه و الفكرية و خطورته الأدبيه.

لذلك تشوهت القضييه التي تناولها بلاسيوس في كتابه و انتقل التركيز من الأصل و هو المعراج إلى الفرع كرساله الغفران، و أخرجت الأطروحه من محورها الأساسى و تشتت في ذهن القارئ العربى على الأقل.

إن (المعراج) هو النموذج الأصل للرساله، احتذاه المعرى و استعار إطاره و تركيبه لي طرح من خلالهما نقده الفكرى و الأدبى و الاجتماعى.

و ليس مبالغه القول: إن المطبعه العربيه لم تطبع كتابا واحدا للمعراج يمكن أن يأنس له القارئ العربى و تركت طبعات الرصيف الصفراء تنتظر من ينفذ عنها الغبار و ينقلها إلى دوائر الوعى.

و رغم أن آسين بلاسيوس قد أفرد حيزا خاصا في كتابه (الإسلام و الكوميديا الالهيه) ناقش فيه مؤثرات (الرساله) على (الكوميديا) في إطار الفرضيه و التخمين الذى يستند على المقابله و المقارنه بين المواضيع و الأفكار و الصور و الأساليب لكل من المؤلفين غير أنه لم يستطع أن يؤيد مقارناته المقنعه و تحليله الأدبى الأسر بالوثائق الفعلية مفترضا أنه لا بد للرساله و قد سبقت الكوميديا بما لا يقل عن خمسه قرون من أن تتسلل إلى أوساط الثقافه الأوربيه الناشئه بدءا من القرن الثالث عشر عبر الوسائط الحيه الشفهيه إن عبر الأندلس أو صقلية و جنوب إيطاليا أو الفتره الصليبيه أو عبر ترجمات مكثفه لمصادر تفسير القرآن و السنه. و نحن مع الأستاذ عيسى الناعورى و بنت الشاطىء من أن نقاط الالتقاء بين (الرساله) و (الكوميديا) لا تتعدى الإطار العام

و الحوار بين صاحب الرحله و سكان الجحيم و الجنه.

أضف إليه أن فلسفه كل من المعرى و دانتي و خلفياتهما و مزاجهما تختلف اختلافًا أساسيا بل إنهما ليتقاطعان أيضا في نظريتهما للوجود و الحياه و الموت و العقائد الدينيه.

٢ – الكوميديا و إشاراتنا الإسلاميه

الكوميديا الالهيه هي ملحمة شعريه قصصيه لمؤلفها دانتي الأليجيري الذي كتبها في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، و تتالف هذه الملحمة من ثلاثه أقسام: الأول الجحيم و الثاني المطهر و الثالث الفردوس، و هي من ملاحم الرحلات في العالم الآخر كالمعراج و رساله الغفران اللذين سبقاها و الفردوس المفقود لملتون.

و تعتبر الكوميديا الالهيه مع ملحمة "أغنيه رولان" نقطه انطلاق الآداب الأوربيه الحديثه لتحولها عن التعبير باللاتينيه إلى اللغات الرومانسيه.

و تكتسى الكوميديا الالهيه أهميه خاصه بالنسبه لنا نحن العرب للعلائق التاريخيه و الموضوعيه بينها و بين قصص المعراج، هذه العلائق التي درسها آسين بلاسيوس بالتفصيل في كتاب بالاسبانيه نشره في مدريد عام ١٩١٩ و ترجم إلى عدد من اللغات الأوربيه.

و للكوميديا مستويات متعدده أدبيه و دينيه و فقهيه و رمزيه و حضاريه و تصوفيه. و تعتبر الكوميديا قصه رمزيه **Allegory** لخبره دانتي الروحيه و مساره من عالم الماده إلى عالم الروح و عروجه من الجحيم إلى النعيم مرورا بالمطهر حيث تتطهر الأرواح من أدرانها و تستحق الانتقال إلى النعمه الالهيه.

و الذي يؤكد إعجاب دانتي بماتى الحضاره الإسلاميه كونه أحل ابن رشد و ابن سينا في "الليمبو" كأعظم مفكري اليونان و فلاسفتهم لكونهما حازا على فضائل العقل و حرمانهما نعمه الروح فما هما في الجحيم و لا-هما في الجنه بل في منزله بين المنزلتين.

و يتناقض مع هذا التقدير الذي يحمله دانتي للأخلاق العريبه و الإسلاميه و للخدمات الفكرية و الحضاريه التي أداها العرب و المسلمون للغرب مع موقفه من الإسلام كدين و عقيدته.

مهما يكن فان اهتمام دانتي بالأفكار و العقائد و الأخلاق الإسلاميه و موقفه من رجالها سلبا أو إيجابا يعكس لنا و لو بايجاز معرفته الأكيده بالإسلام و مصادره الأساسيه.

هذه الإشارات الرمزيه التي لا يمكن أن تكون إشارات عابره لمعرفة سطحيه.

٣ – مخطوطه المعراج الأندلسيه و ترجمه

كان الدانتيون يحتجون دائما على نظريه المؤثرات العريبه الإسلاميه على شاعرهم بكونه لا يعرف اللغه العريبه، فليس من المعقول

إذن أن يتأثر بالمعراج و ما يتصل به من قصص ديني و صوفي و أدبي. و على فرض أنه قرأ بعض ترجمات القرآن و السيره إلى اللاتينية، فما ورد فيهما من وصف النعيم و الجحيم و ما جاء في السيره المترجمه من ذكر الأسراء و المعراج لا يشكل خلفيه كافيه أو أرضيه صلبه لنظريه خطيره كنظريه آسين بلاسيوس(1) لكن محاربه واقع التاريخ بالمنطق لا يؤدي إلا إلى نتائج منطقيه بعيده

ص: ٢٩

Asin Palacios ,Islam and The Divine Comedy ,Translatel Byharold Sutherland N.Y . -١

. ١٩٤٨.PP.٥٤-٦٧

عن الحقيقة و الواقع الذى لا ينكره دارس منصف.

كانت العلوم الإسلاميه تدرس فى مدارس - رعاها الفونسو العاشر (٨٤ [١٢٨٤] - ١٢٢١) - للأسبان و الأوروبين و المسلمین الأندلسيين على حد سواء و قد استمر حكمه قرابه ثلث القرن (١٢٨٤ - ١٢٥٢).

إن مؤسسه الترجمة التى رعاها هذا الملك الحكيم كانت قبله أنظار المهتمين بفلسفه المسلمين و علومهم و آدابهم. و تسرب هذه الترجمات إلى أوروبا و خاصه فرنسا و إيطاليا أصبح حقيقه واقعه كشفت عنها بحوث كثير من المستشرقين على اختلاف أجناسهم و حضاراتهم.

و نحن الآن على يقين من أن قصه كامله من قصص المعراج و أكثرها سعه و تفصيلا قد ترجمت إلى اللغات الكاستيليه الإسبانيه و اللاتينيه و الفرنسيه فى وقت واحد من القرن الثالث عشر الميلادى (١٢٦٤ م) أى بما لا يقل عن أربعين سنه من إنجاز دانتى الأليجىرى للخطه العامه للقسم الأول من كوميدياه الالهيه (١٣٠٥ م) (١). كما أن بعض المترجمين الذين تعاونوا مع الفونسو المار ذكره كانوا من الطليان و أن برونيتو لاتينى صديق دانتى و أستاذه و مستشاره الأدبى الذى تحلى بثقافه موسوعيه كان سفيرا فى كاستيل (١٢٦٠ م) حوالى التاريخ الذى ترجمت فيه النسخه الأندلسيه للمعراج إلى اللغات الثلاث المذكوره آنفا.

و كان مستقره فى طليطله و أشبيليه حيث تمركزت مؤسسات الترييه و التعليم و الثقافه و ترجمه و قد لعب العرب دور المؤثر و المحرض أن بالتماس المباشر أو عبر الترجمة، فتلقف منهم الطليان و الإسبان و الفرنسيون علوم الطب و الفلسفه و الرياضيات و الفلك و الكيمياء و غيرها من العلوم.

و إذا كان يسهل على الباحث أن يحدد المؤثرات فى تلك العلوم و يحدد المصادر التى ترجمت إلى اللغات اللاتينيه و الرومانسيه فإنه من الصعوبه بمكان أن يحسم و يقرر فى قضيه المؤثرات فى العلوم الإنسانيه و الآداب لقله الترجمات منها بالنسبه إلى الترجمات العلميه و الفلسفيه، إلا أنه واضح فى أذهان المستشرقين أن القرآن و السيره و جزءا هاما من الحديث قد نقلت إلى اللاتينيه منذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى. و الخلاف بين الدانتينين و أخصامهم لا يتناول المؤثرات العلميه و الفلسفيه الإسلاميه على الحضاره الغربيه بقدر ما يتناول قضيه الكوميديا الالهيه بالذات و مصادرها و المؤثرات الإسلاميه عليها و بكونها عملا شعريا إبداعيا فان مسأله الحسم فيها أكثر صعوبه و لكونها أيضا تعتبر نقطه انطلاق الآداب الأوروبيه الحديثه فى عصر النهضة و استقلالها عن اللاتينيه و توسل الرومانسيه فى التعبير بدلا عنها.

مهما يكن، لقد أصبح ثابتا لدى الباحثين المنصفين من المستشرقين أن قصص المعراج بالذات لم ينتقل إلى الغرب بالوسائط الحيه أو بترجمات مجترأه تتضمن خلاصات عنها كتفاسير القرآن و السيره و كتب الحديث و التاريخ فحسب بل أن هناك ترجمه فعليه لما وصفناه بالنسخه الأندلسيه لقصه المعراج إلى اللغات الفرنسيه و اللاتينيه و الإسبانيه الكاستيليه) و هى من أطول القصص و أكثرها اسهابا و تفصيلا و أحسنها بناء و تركيبا و أغناها بصور الضوء و العطر و اللون و ألصقتها بالتعبير الأدبى المبدع و أبعدها عن الفقه و علوم التفسير و الحديث مع حسن الاقتباس و الاستشهاد من القرآن و السنه و تنزهها عن النزعه التعليميه و شفافيه رموزها و إشاراتهما.

وقد كنت إلى أمد قريب غير مقتنع بنظريه بلاسيوس حتى وقعت على هذه الترجمة لأنها تشكل في نظري برهانا وثائقيا ثابتا كانت هذه النظرية بأمس الحاجة إليه.

وقد نشر هذه الترجمة الثلاثيه وحققتها مع مقدمه مستفيضه و تعليقات بالإسبانيه خوزى مونوز سندنو Jose Munos, Sendino فى مدريد عام (٤٩ [١٩٤٩] - ١٩٤٧) بواسطه المديرية العامه للعلاقات الثقافيه و رعايه وزاره الخارجيه فى كتاب تضمن دراسه مسهبه لهذه المخطوطه بالإسبانيه و تعليقا على ترجماتها الثلاث، و ينوف الكتاب على (٦٦٠) صفحه من القطع الكبير.

و من حسن الحظ أن الترجمة الفرنسيه كانت متضمنه فى هذا العمل النفيس فاعتمدت عليها اعتمادا أساسيا رغم أن فرنسيتها هى فرنسيه القرن الثالث عشر فذللت صعوبتها بالجهد و الصبر المتواصلين و قرأت المخطوطه قراءه كامله و اكتفيت هنا باختزال أبوابها العامه آملا- أن يعثر الباحثون على أصل المخطوطه العربى أو يترجمها المهتمون إلى اللغه الأم. أما الإسبانيه فاضطرت إلى الإلمام بها لإتمام كتابه هذه الدراسه، و لفهم جزء غير يسير من مداخلات الأستاذ سندنو و تعليقاته و شروحه آملا ممن يجيد الإسبانيه من العلماء العرب أن يترجم هذه الدراسه النفيسه و دراسه آسين بلاسيوس على السواء لما لهما من أهميه تتصل بترائهم و أدبهم.

٤ - أبواب مخطوطه المعراج الأندلسيه

و أقسامها العامه

الفصل الأول: الكلام عن مجيء الملك جبرائيل إلى محمد (ص) و ما قاله له.

الفصل الثانى: الكلام عن الدابه التى قادها جبرائيل إلى محمد (ص) و أسرى عليها إلى المسجد الأقصى فى القدس.

الفصل الثالث: الكلام عن الأصوات التى نادى محمد (ص) و ما قاله جبرائيل عنها له.

الفصل الرابع: الكلام عما فعله محمد (ص) فى المسجد و وجده قبل أن يؤدى صلاته و يتلوها.

الفصل الخامس: الكلام عن شكل المعراج الذى عرج عليه محمد (ص) إلى السماء.

الفصل السادس: الكلام عن صعود محمد (ص) المعراج و رؤيته ملاكا عظيما فى الفضاء و عما قاله لمحمد عنه و عن أمته.

الفصل السابع: الكلام عما سمعه محمد (ص) من الملاك قبل أن يرى و يسمع ملاك الموت و عن الأمور التى سال عنها و أجابته عليها.

الفصل الثامن: الكلام عن ملاك الموت و كيف يقبض أرواح النفوس الصالحه و الشريره.

الفصل التاسع: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته ملاكا على هيئة ديك

La Escalade Mahoma ,Traduccion Delarabe Al Castellano ,Latin Y.Fraences – ١
,Ordenda por .Al Fonso x El Sabio ,Edicion ,Introduc cion-y Notes por Jose Munoz
Sendino Madrid ١٩٤٩ انظر أيضا Palacios ، الهامش رقم ١.

و ملاكا آخر نصفه من نار و نصفه الآخر من ثلج و عما أو كل إليه.

الفصل العاشر: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته خازن الجحيم و عما قاله له عن أمته.

الفصل الحادى عشر: الكلام عن محمد (ص) و سؤاله مالك خازن النار و عن الأمور الكثيره التى قالها له و كيفية الجواب عليها.

الفصل الثانى عشر: الكلام عن محمد (ص) و دخوله السماء الأولى و ما رآه فيها.

الفصل الثالث عشر: الكلام عن السماء الثانية.

الفصل الرابع عشر: الكلام عن السماء الثالثة.

الفصل الخامس عشر: الكلام عن السماء الرابعة.

الفصل السادس عشر: الكلام عن السماء الخامسة.

الفصل السابع عشر: الكلام عن السماء السادسة.

الفصل الثامن عشر: الكلام عن السماء السابعة.

الفصل التاسع عشر: الكلام عن السماء الثامنة.

الفصل العشرون: الكلام عن خطاب الله تعالى لمحمد (ص) و رؤيته للعرش.

الفصل الواحد و العشرون: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته للملائكة الذين يحملون عرش الله تعالى.

الفصل الثانى و العشرون: الكلام عن رؤيه محمد و أصناف الملائكة فى السماء أو حيث العرش الذى تكلم عنه فيما سبق.

الفصل الثالث و العشرون: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته ملائكة و عن كيفية صورهم.

الفصل الرابع و العشرون: الكلام عن محمد (ص) بين الملائكة و رؤيته أنواع الأنهار المختلفه و جبال الثلج.

الفصل الخامس و العشرون: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته بحرا عظيما حيث الملائكة و السماء المحاطه بالأنهار.

الفصل السادس و العشرون: الكلام عن الله تعالى و خلقه كائنات كثيره و أنواعا مختلفه من المخلوقات.

الفصل السابع و العشرون: الكلام عن أرض بيضاء خلقها الله تعالى لأولياءه و مخلوقات فيها.

الفصل الثامن و العشرون: الكلام عن محمد (ص) كيف رأى فى لحظه واحده كل ما لم يره من قبل.

الفصل التاسع والعشرون: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته للديك و عما يفعله.

الفصل الثلاثون: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته جدار الفردوس (الأعراف) و مما هو و كيفية المجيء إليه.

الفصل الواحد و الثلاثون: الكلام عن محمد (ص) و سؤاله جبرائيل عن الفردوس المار ذكره و عن إجابته عليه. الفصل الثاني و الثلاثون: الكلام عن محمد (ص) و سؤاله جبرائيل عن المسافه بين السماء الأولى و الأرض و أمور أخرى.

الفصل الثالث و الثلاثون: الكلام عن الجنة حيث خلق الله آدم و الأنهار التي تجرى فيها.

الفصل الرابع و الثلاثون: الكلام عن الجنات و عن أسماء كل منها و نعمها.

الفصل الخامس و الثلاثون: الكلام عن الحور العين التي فى الجنة المار ذكرها و عما تحسنه.

الفصل السادس و الثلاثون: الكلام عن وصف الفردوس المسمى بجنة النعيم.

الفصل السابع و الثلاثون: الكلام عن مسرات و محاسن جنة النعيم المار ذكرها.

الفصل الثامن و الثلاثون: الكلام عما يصنعه أهل الجنة و عما يأكلونه.

الفصل التاسع و الثلاثون: الكلام فى وصف شجره فى الجنة اسمها طوبى.

الفصل الأربعون: الكلام عن شجره أخرى من أشجار الفردوس التي حدثه عنها الملاك و النعم التي يسبغها الله.

الفصل الواحد و الأربعون: الكلام عما يظهره الله تعالى لهم و يريه و يقوله و يعطيه.

الفصل الثاني و الأربعون: الكلام عن كيفية ذهابهما إلى الجنة و كيف دخلاها.

الفصل الثالث و الأربعون: الكلام عن أنهار و جبال و بساتين و عيون الجنة.

الفصل الرابع و الأربعون: الكلام عن أشجار البساتين المار ذكرها و قصور و حور فيها.

الفصل الخامس و الأربعون: الكلام عن محمد (ص) رؤيته رضوان حارس الجنة و عما قاله له و أبداه.

الفصل السادس و الأربعون: الكلام عن نهر يتخلل الجنة جميعا و قصور و حور عليه.

الفصل السابع و الأربعون: الكلام عن الملائكة يدلون الحور العين على أزواجهن فى الجنة.

الفصل الثامن و الأربعون: الكلام عن شجره من اللؤلؤ و عن عين تجرى تحتها.

الفصل التاسع و الأربعون: الكلام عن محمد (ص) و تلقيه القرآن من الله تعالى.

الفصل الخمسون: الكلام عن فرض الله تعالى الصلاة على محمد (ص) و تكليفه بها.

الفصل الواحد و الخمسون: الكلام عن صلاة محمد لله تعالى و على الصيام الذى كلفه به و فرضه عليه.

الفصل الثانى و الخمسون: الكلام عن الأقداح الأربعة التى قدمت لمحمد (ص) ليشربها و عن أهميه كل منها

ص: ٣١

الفصل الثالث و الخمسون: الكلام عن ذهاب محمد (ص) إلى أسفل الجنة و عما رآه فيها.

الفصل الرابع و الخمسون: الكلام عن زياره محمد لأرض الجحيم الأولى و عما رآه فيها.

الفصل الخامس و الخمسون: الكلام عن أرض الجحيم الثانيه.

الفصل السادس و الخمسون: الكلام عن أرض الجحيم الثالثه.

الفصل السابع و الخمسون: الكلام عن أرض الجحيم الرابعه.

الفصل الثامن و الخمسون: الكلام عن أرض الجحيم الخامسه.

الفصل التاسع و الخمسون: الكلام عن أرض الجحيم السادسه.

الفصل الستون: الكلام عن أرض الجحيم السابعه.

الفصل الواحد و الستون: الكلام بعد ذلك عن سهل كله من النار قرب الجحيم عن عذاب النار عند ما يقترب يوم الحساب.

الفصل الثاني و الستون: الكلام عن خلق الله تعالى (طبقات) أراضي الجحيم السبع التي سبق ذكرها و عن اسم كل منها.

الفصل الثالث و الستون: الكلام عن محمد (ص) و سؤاله جبرائيل عن قدره و عن الأمور التي فى يوم الحساب و إجابته عليه.

الفصل الرابع و الستون: الكلام عن سؤال آخر وجهه محمد (ص) إلى جبرائيل حول طبقات الجحيم السبع السابق ذكرها و إجابته عليه.

الفصل الخامس و الستون: الكلام عن سيدنا تعالى و خلقه اللوح و القلم.

الفصل السادس و الستون: الكلام عن كيفية جمعه للبشر فى يوم الحساب و صفه حشرهم.

الفصل السابع و الستون: الكلام عن يوم الحساب و قضاء الله تعالى.

الفصل الثامن و الستون: الكلام عن محمد و سؤاله جبرائيل عن السموات و الأراضي و أمور أخرى مرثيه و غير مرثيه و إجابته عليها.

الفصل التاسع و الستون: الكلام عن محمد (ص) و سؤاله جبرائيل عن جبل (قاف) فيما إذا كان ماهولا أم لا و عن أمور أخرى و إجابته على ذلك.

الفصل السبعون: الكلام عن هبات الله تعالى و قسمته لمخلوقاته.

الفصل الواحد و السبعون: الكلام عن محمد (ص) و زيارته الجحيم و بواباته و أشياء أخرى.

الفصل الثانى و السبعون: الكلام عن وصف جبرائيل لمحمد (ص) أنواع العذاب و مراتبه فى الجحيم.

الفصل الثالث و السبعون: الكلام عن حيوان عجيب يجعله الله يسير أمامه فى يوم الحساب.

الفصل الرابع و السبعون: الكلام عن محمد (ص) و سؤاله جبرائيل عن الحيوان السابق ذكره و إجابته على ذلك.

الفصل الخامس و السبعون: الكلام عن إجابته جبرائيل لمحمد (ص) عن سؤال سألته إياه عن يوم الحساب أ كبير هو أم صغير.

الفصل السادس و السبعون: الكلام عن صفه السراط [الصراط] و ما يجب على المرء لاجتيازه و واجبات المرور عليه.

الفصل السابع و السبعون: الكلام عن جبال حول السراط [الصراط] المار ذكره و أنهار من النار و أشياء أخرى كثيره.

الفصل الثامن و السبعون: الكلام عن أمه محمد و كيف سيتفرق شملها و كيف ستجتاز حد السراط [الصراط].

الفصل التاسع و السبعون: الكلام عن محمد (ص) و رؤيته أنواع العذاب المختلفه التى يعذب بها الخطاه فى الجحيم.

الفصل الثمانون: الكلام عن جبرائيل يترك محمد (ص) و يودعه و عودته إلى منزله.

الفصل الواحد و الثمانون: الكلام عن محمد (ص) و وصفه لبنى قريش العجائب التى شاهدها.

الفصل الاثنان و الثمانون: الكلام عن محمد (ص) يعدد كل الأمور التى رآها لبنى قريش و تكذيبهم إياه.

الفصل الثالث و الثمانون: الكلام عن تكذيب القريشيين لمحمد و سؤالهم إياه ليصف لهم القافله.

الفصل الرابع و الثمانون: الكلام عن محمد (ص) و إجابته على القريشيين و ادعاءاتهم و قوله لهم الحقيقه.

الفصل الخامس و الثمانون: الكلام عن تدوينه كل الأمور التى سبق ذكرها و هكذا ألف كتاب أسماء بالمعراج (1)

٥ - بعض نقاط الالتقاء بينها

و بين الكوميديا

للذين يودون أن يتوسعوا فى موضوع مؤثرات المصادر الإسلاميه فى ملحمة دانتي ليس لهم إلا- أن يرجعوا إلى كتاب آسين بلاسيوس الذى أثبتت البحوث الحديثه صلب نظريته رغم الخلاف على جزء كبير من التفاصيل و هى أن شاعر النصرانيه الأكبر مدين لهذه المصادر.

و الأبحاث المقارنه اليوم لا تعنى بالمؤثر و المتأثر من الأدب تحت طائله الأخذ أو النقل المباشر فالأواصر بينهما قد تقتصر على

الإيحاءات الغامضة التي يوحىها مؤلف لمؤلف أو عمل أدبي على عمل أدبي آخر دون معرفه اللغه الأصلية بالضروره، و فى حال كهذه قد يكون التأثير أبلغ فعلا و أعمق أثرا لأن المتأثر يذعن للتصورات و الخيالات التى يثيرها هذا العمل أو ذلك فى مناخات من الإيحاءات لا ترتبط عضويا بالأصل المؤثر.

أو تتعدى علاقته المؤثر بالمتأثر إلى عناصرها بعينها من الأدبين أو المؤلفين أو العاملين أو المدرستين أو العصرين كالموضوع و الأسلوب و ما يرافقهما من بنى فكرية و نفسية و فنيه.

و رغم إصرار بلاسيوس على التفاصيل من حيث العلاقه بين ملحمة دانتي و المصادر الإسلاميه فانا أميل إلى الاعتقاد بان المؤثرات الإسلاميه تتناول التصور العام أكثر ما تتناول الجزئيات فى ملحمة الشاعر الألبجيري.

كما أعتقد أن هذا التصور انعكس أكثر ما انعكس فى قسم الجحيم من

ص: ٣٢

ملحمه الشاعر أما المطهر الذى يذكرنا بالأعراف فيكاد يكون رمزا منفصلا عن قصص المعراج و ألصق بالمصادر القرآنيه كالتفسير و غيرها.

فالأعراف و هى جدران تفصل بين النار و الجنه لا يمكن أن تشكل أصلا لمفهوم المطهر، كما أن "الموقف" الذى ينتظر فيه ابن القارح سته أشهر ليدخل الجنه فى رساله الغفران لا يمكن أن يوحى بمفهوم المطهر أيضا.

و أقرب شىء فى نظرنا لهذا المفهوم من الناحيه الفكرية و الفلسفيه لا من الناحيه الفنيه هو مفهوم المعتزله من أن مرتكب الكبيره هو فى منزله بين المنزلتين لا فى الجنه و لا فى النار حتى يحكم الله فيه يوم القيامه.

أما أن يكون دانتي قد ركب أقانيم "الأعراف" و المفهوم المعتزلى الفلسفى و ظاهره "الموقف" الفنيه فى رساله المعرى فى كل واحد هو "المطهر" فهو أمر يستبعده البحث الرصين مع كونه ممكنا.

أما القسم الثالث و الأخير من ملحمة دانتي و هو "الفردوس" فالمؤثرات تتناول البناء الفنى و الخيال العام لا المفهوم الروحى أو الفلسفى، و أياما كان الأمر أمر الجزئيات و التفاصيل و عناصر المؤثر و المتأثر فان الكوميديا الالهيه ككل ولدت فى مناخات الحضاره العربيه و رحم آدابها مع كونها كائنا مستقلا متميزا يعبر عن تصور روحى مغاير للموت و الحياه و العالم الآخر.

إن (المعراج) بتمايز أقسامه و تنوع نماذجه و كثرتها و استمراره كنوع أدبى قائم بذاته و دخوله فى الطقوس الدينيه و الصوفيه هو السابق، هو النموذج للكوميديا الالهيه.

و يؤكد الأستاذ سندينو على أهميه النسخه الأندلسيه للمعراج و ترجمتها و يستمر مستفيضا بدقه و موضوعيه على خطه بلاسيوس فى الكشف عن التقابل بينها و بين الكوميديا الالهيه متوسلا منهجه فى تحليل الرموز و الصور و الأفكار و مقابلاتها فى نص المعراج و الكوميديا. نخص بالذكر منها الأمور الآتيه:

أولا: لقد قاد دانتي عبر رحلته كل من "فرجيل" و "ماتيلد" و "بياتريس" و "سان برناردو" بالتتابع و قد أسبغ الشاعر على كل من هذه الشخصيات أهميه خاصه و رمز بها إلى مستوى من مستويات الروح ففرجيل يمثل التراث كما يمثل العقل و ماتيلدا و هى صديقه بياتريس حبيبه دانتي تمثل الحياه المجسده الحيه و بياتريس تمثل الحب الالهى و سان برناردو يمثل النعمه السماويه و هكذا.

أما الرسول العربى فقد قاده فى صعوده كل من جبريل ملك الوحي معرجين إلى عزرائيل ملك الموت و مالك خازن الجحيم و رضوان حارس الجنه. و لا يخفى ما بين هذه الشخصيات و شخصيات دانتي من تقابل فى الرؤيا و الرمز.

ثانيا: يطول بنا الكلام إذا أردنا الوقوف عند الصور الجزئيه التى تناولها سندينو بالتحليل و المقارنه لذلك نكتفى منها بالالمام إلى صورته النسره العظيم الذى يتشكل من أفواج من الملائكه فى ملحمة دانتي، و هى من أعظم الصور الابداعيه التى خبلت عقول الدانتيين. هذه الصوره بالذات تذكر كلا من بلاسيوس و سندينو بصوره ديك العرش فى المعراج، رأسه تحت العرش و قدماه فى الأرض السابعه، و هو ملاك ضخم على صورته الديك يسبح الله فى ضوء الألوهه و يصيح فتردد معه ديوك الأرض و

خلاتها في السموات و الأرض هذا التسيح جوقه واحده. ثالثا: الأمر الذي استرعى انتباه سندينو و أدهشنا هو أن كثيرا من أوصاف الجبال و الوديان و الأنهار في النسخه الأندلسيه المترجمه للمعراج و تركيبها الطبوغرافى و بنيه التصور العام لا يتشابه مع الكوميديا الالهيه فحسب بل يكاد يتطابق في أقسام كثيره منهما.

و تتميز نسخه المعراج الأندلسيه عن باقى المعارج بكونها تناسب بين الصعود فى السماوات السبع، مخصصه سماء ثامنه منفصله لله العلى الأعلى، و الهبوط فى الأرضين كجزء من الرحله إلى النار.

فالسماء الأولى و هى من الحديد هى كرسى يحيى و عيسى.

و السماء الثانيه من الرصاص و هى ليوسف.

و السماء الثالثه من الفضة و هى كرسى الياس و إدريس.

و السماء الرابعه من ذهب و هى لهارون.

و السماء الخامسه من لؤلؤ و هى لموسى.

و السماء السادسه من فيروز أخضر و هى لإبراهيم.

و السماء السابعه من عقيق فهى لآدم.

أما السماء الثامنه فهى من الياقوت و هى كرسى العرشى.

و يقابلها طبقات الأراضين السبع فى الهبوط إلى الجحيم:

الأرض الأولى و هى أرض الجلاده.

و الأرض الثانيه و هى الأرض العرقاء أو الأرقى "Arka".

و الأرض الثالثه و هى الأرض الخرباء.

و الأرض الرابعه هى أرض الملطع.

و الأرض الخامسه و هى الأرض الزاهقه.

و الأرض السادسه و هى الأرض الحاجب.

و الأرض السابعه و هى الأرض الفلق.

و كذلك تتناسب و تتقابل أبواب الجحيم مع بوابات النعيم تقابلا ملحوظا أما أبواب الجحيم فهي سبع و تجرى كما يلي:

باب جهنم، و باب اللذعه و باب الحطمه و باب الظاهر أو الزائر ثم باب سقر و باب الجحيم و باب الكاويه.

تقابلها فراديس النعيم السبع، و هي كما يلي:

فردوس عدن، فردوس الجلال، فردوس السلام، فردوس المأوى، فردوس الخلد، دار الفردوس، النعيم.

فالتصور العام و الخيال المعماري لكل من النسخه الأندلسيه للمعراج و الكوميديا الالهيه يتلاقيان في العديد من سماتهما البارزه أن نحن تجنبنا الإغراق في التفاصيل و الأمور الجزئيه.

ذلك كله كان في متناول المتنور الأوروبي لا- عبر الوسائط الحيه و الشفهيه بل باللغات المكتوبه عبر الترجمة التي رعتها المؤسسات العلميه للدوله فكانت هذه الترجمة المثلثة البركات.

أما أن يريد الدانتون التمحل في وصول أو عدم وصول هذه الترجمة إلى شاعرهم فهو أمر تنفيه القرائن. ان النسخه الأندلسيه للمعراج بما تحتويه من نقاط التقاء مع الكوميديا الالهيه في البناء العام أو الشخصيات و التصوير الفني

و كون هذه النسخه متداوله فى دور العلم باللغات الحيه للثقافه الأورويه فى مطالع عصر النهضه لا تدعم نظريه بلاسيوس فحسب بل بحسمها حسما أكيدا فى صالح المؤثرات الإسلاميه. و للأستاذ سدينو الشكر الجزيل على جهوده العلميه الرائعه لا على نشره هذه المخطوطه النفسيه **La Escala-de Manama** فحسب بل على دراسته المصاحبه و مداخلاته و مقدماته و حواشيه و توثيقه التى لا تقل قيمه عن اسهام بلاسيوس و إنجازه⁽¹⁾ و يهمنى أن نؤكد فى هذه الخاتمه أن الحضارات لا تلد من الفراغ و النهضات لا تنشأ من العدم و ان الحضاره الإنسانيه كل لا يتجزأ و للبشرية جمعاء أن تعتر بهذه الحضاره و مشاركتها فيها كائنا ما كان حجم هذه المشاركات. أما الذين يريدون أن يقسروا المقولات العرقيه أو المذهبيه أو الدينيه على هذه الحضاره و يطوبونها لهذا العرق أو هذا الشعب أو يخرجون من شرف إنشائها و بنائها هذه الأمه أو تلك فإنهم لا يزالون يعيشون فى ربه أفكار سلفيه باليه أوجدتها عهد منقرضه من الاستعمار الفكرى و السياسى نادت بتفوق جماعات من البشر على جماعات أخرى من أجل السيطرة و الهيمنه الاقتصاديه على ثرواتها و خيراتها و إبقاء الفكر الإنسانى فى عتمه الاستثثار و الاحتكار بعيدا عن روح التحرر التى أخذت تنهض الشعوب من كبواتها و جعلتها تدرك مكانتها من حضاره الإنسان المتكامله الواحده أن عمقا فى التاريخ من حيث السياق الزمنى أو من حيث المكان على هذه الأرض.

و هذه حضارات ما بين النهرين و وادى النيل انفتح بعضها على بعض اقتباسا و تمثيلا و توليدا، ثم هذه حضارات اليونان و الرومان التى تمثلت حضارات الشرق و أضافت عليها ثم جاء العرب و الإسلام و جاءت معهم أكبر حركه استيعاب فكرى و ثقافى فى التاريخ فهضموا فى آن تراث الهند و اليونان و فارس و الرومان كما هضموا تراث ديانات التوحيد هضمًا كليًا تكشف لنا فى فقههم و أدبهم و علم كلامهم و تصوفهم و فلسفتهم ثم أضافوا إلى ذلك كله مولدات فكرهم و اختباراتهم فى شتى الحقول و قدموه لأوروبا فنهضت شعوبها بحيويه جديده تجلت فى حركه اكتشاف رائعه فى المكان و الزمان و التراث و الاكتشاف العلمى آخذه بيد البشره صوب الأزمنه الحديثه.

و لم يتم ذلك كله عفواً أو عن طريق المصادفه بل غالبا ما كان يأخذ شكل المؤسسه المنظمه الواعيه لدور العقل و الحضاره فى إسباغ نعمه التقدم على الأمم، فهذه مدرسه الحكمه فى بغداد تراث مدارس السريان فتنظم عمليه الترجمة و التماذج التراثى برعايه المأمون يقابلها مدرسه طليطله و أشبيليه التى رعاها الفونسو الحكيم، و تمت عن طريقها ترجمات عديده فى كثير من الميادين و من بينها ترجمه ما أسميناه بالنسخه الأندلسيه للمعراج ترجمه كامله إلى لغات ثلاث هى الوسائط الأساسيه فى عمليات التماذج العلمى و الثقافى و الفكرى بين أوروبا و العرب.

و يهمنى أن نؤكد هنا أن ولاده الآداب الأورويه كولاده فنون عصر النهضه و حركات اكتشافه الجغرافى و العلمى و الفلسفى لا يمكن أن تفهم فهما كاملا إن هى عزلت عن مؤثراتها العربيه و الإسلاميه و ان حركه بحث منظم فى الآداب يقود إلى ما قادت إليه حركه البحث المنظم فى الفلسفه و العلوم و هى أن فنون أوروبا و آدابها فى عصر النهضه و التكوين تنفست الحياه فى رحم الإنجازات الحضاريه العربيه و الإسلاميه.

و هذه ملحمة رولان (Chamon de Rollan) كتبها الشاعر استجاب له حركه الفتوح الإسلاميه بين جيوش شارل مارتل و الجيوش الإسلاميه، ثم هذه حركه شعراء "التروبادور" و بزوغ الشعر الغنائى فى اللغات الأورويه و خاصه شعر الحرب لا يمكن عزلهما عن حركه الموشحات و شعر الغزل و وصف الطبيعه و هو أمر لم يغفله المختصون من المستشرقين فى دراساتهم

المستوله المنزهه.

و ملحمه الكوميديا الالهيه لدانتى التى تعتبر منعطفها مهما فى نشاه الآداب الأوروبيه لم تكن لتشد عن عمليه التماذج الثقافى هذه بل أن نشاتها لتتصل اتصالا مباشرا بمؤثرات المعراج و تصوراته الفكرية و الغيبية و بنيتة الفنية.

أحمد بن يزيد القشيبى:

كان أبرز شعراء اليمن فى مطلع القرن الثالث وجاهه و فروسيه، و قد قال الهمدانى فى " إكليله " أنه و محمد بن أبان و علقمه بن ذى جدن و آل المفرغ أشعر شعراء بنى " الهميسع " .

و أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن هذا قد مثل فى زمنه أيضا دور الفارس اليمنى المتعصب إلا أنه كان قد انفعل باحداث شمال الجزيرة، و العراق و الشام، و الخصومه الدينيه و السياسيه و الفكرية بين البيتين القرشيين " أميه " و " هاشم "، فذهب كما قال الهمدانى " مذهب الكميت و السيد الحميرى فى التشيع "، و امتزجت نعراته العرقية و القبليه بعقيده حب أهل البيت، و قاسى صراعا نفسيا مريرا عند ما فتك بقومه و أهله الداعية " العلوى " إبراهيم بن موسى "الجزار" و هو الذى ألب عليه أهل اليمن، و قلب عليه البلد سنه ٢٠١/٨١٧ م بعد مجزره " ريده " .

و قد ضاع الكثير من أشعار القشيبى هذا، و أبادته تعصبات ذوى النعرات العرقية، و التشنجات المذهبية عبر العصور فحجب عنا شعر بديع، و ذهب الشاعر و شعره ضحية مواقفه المتضاربه حين لم يمنعه " تشيعه " من أن يؤلب على قاتل قومه، و هو علوى الدعوه و النسب، و لم يطق فى نفس الوقت و فى تالييه و ثورته على ذلك الداعية النزق السيف، أن يكتم هواه الشيعى فانفجر فى أصوات شجيه فحيح حقدھا و غضبھا ينصهر فى تمتمات ود جريح.!. و مما قاله فى ذلك:

و لله عينا من رأى مثل عصبه أبيروا على خلق و ليس لهم ذنب

سوى أنهم جاءوا بسمع و طاعه على أنهم حيث انتهت بهم صحب

فار كبتهم حد السيوف تبذخا فافنتهم منك القساسيه الشهب

بلا تره كانت لديهم طلبتها فاعجبني ما جئت و ازداد بي العجب

تشافى بك الأعداء منهم فأصبحت مغادر كم فيهم يسير بها الراكب

و أنت رفيع البيت من " آل هاشم " و صلبك خير الناس إن ذكر الصلب

فهلا بعفو منك كنت انتقدتهم فكان لك العفو المغمد و الذنب؟

فليس بعيدا منك ما فيك يرتجى لأنك ذو الإفضال و السيد الندب

و إنه لعتاب صادر عن مراره تذيب الضلوع، كيف لا ينسى الشاعر أو يتناسى و هو فى عنفوان غضبه أن هذا السفاح، رفيع البيت
و من ذريه خير

ص: ٣٤

١ - ١٩٧٧ Dorthee Metlitski ,The Matter of Araby In Medieval England,Yale وصفت مخطوطه
اكسفورد المعراج و أغفلت ذكر سندنو.

البشر، بل أنه لا- يتحاشى من أن يصف قاتل ذويه و أهله بأنه ذو الإفضال و السيد الندب، و ان منه كانت ترتجى السماح و العفو، ثم يود أن يغالط نفسه فيذهب ملتصقا له الأعذار ليخفف من صدمته و خيبه أمله فيقول:

سمعت بهم قول الأعادى فأصبحوا و كلهم فى شخب أوداجه يحبو

و تتجسم المأساه و تكبر و تستنزف عبراته الداميه، و يتذكر بطولتهم و هم الصيد الغطارف، و يذكر "إبراهيم" بمواقف قومه و تشيعهم و مؤازرتهم للرسول و آل بيته:

فيا أسفا من بعد صيد غطارف جسام المعالى ليس زندهم يكبو

بكل غداه تستفاض جيادهم من الماء قرنا بعد قرن له سكب

و يمججن من علك الشكيم بها دما فذو شكله منه، و معتبط غضب

و لو أنهم خافوا التى نلت منهم لضاقت بك الأرض العريضة و الرحب!

و لكنهم قالوا شريف و سيد و ذو ثقه محض أبوته طب

فمهلا لك الخيرات لا تبر عظمها فشعبكم من يوم كان لنا شعب

و نحن لكم كف على كل ملحد و نضرب من يخفى الحقيقه أو يصبو

و نحن لكم حصن حصين و شيعه فأصغيت أذنا للوشاه و قد دبوا

ثم يلتفت التفاتة رهيبه إلى تلك الأفعى التى دبت ماكره تنفث سمومها، إلى يعلى بن عمرو بن يزيد الذى وشى بقومه إلى إبراهيم بن موسى و حرضه على قتلهم:

فمن مبلغ يعلى بن عمرو رساله تخب بها نوق مخيسه صهب

بان دمانا طوقتها رقابكم و ان لنا نجما يلوح و لا يخبو

هنيئا بما طوقت من دم ثائر جسور على الغارات ما سيفه ينبو

و لو لا ابن موسى ما ظفرت بطائل و لا نيل منهم ويك هضم و لا عصب

و لكن إبراهيم ملنا لعدله و قد نيربت منه الخيانه و الكذب

إلى آخرها و له قصيده عينيه رائعه فى نفس الموضوع، و يقول الهمداني أن شاعرنا هو الذى خلف "ابن أبان" فى الرئاسة و أنه

كان مكينا عند "يعفر بن عبد الرحيم الحوالي" (٢٥٩/٥ ٨٧٣ م) وله فيه شعر يعاتبه على ما صنع بعباد بن محمد من تنكيل و سجن (١)

ميرزا تقى خان، أو ميرزا محمد تقى خان، ابن مشهدى قربان الهزاوى

الفراهانى ابن طهماسب بيك

خادم ميرزا حسين وفا. المعروف بالأمرير الكبير (٢) كان "مشهدى قربان" فى أول أمره طاهيا يتردد إلى بيوت الممولين و الأشراف يعمل فى مطابخهم. ثم اختص بمطبخ "ميرزا عيسى" المعروف بـ "الميرزا الكبير القائم مقام". ثم حج إلى مكة فعرف باسم "الحاج قربان بك أشيزباشى" (آشيزباشى: رئيس الطهاه).

و كان ابنه "تقى" أو "محمد تقى" يلازمه فى بيت القائم مقام و يساعده فى عمله و يتعلم منه أصول مهنته. و لكن ذكاءه و استعداده الفطريين لم يلبثا أن رفعا من منزله أجير لأبيه إلى منزله زميل دراسه لأبناء مخدومه القائم مقام، فتعلم القراءه و الكتابه. و كان شديد التيقظ فى خدمه "الميرزا أبو القاسم" القائم مقام الثانى. و لذلك ما إن بلغ سن الرشده حتى دخل فى خدمه الحكومه من هذا المحيط الذى نشأ فيه، بين حاشيه القائم مقام و حاشيه "محمد خان زنگنه" أمير العسكر.

فقد تبين القائم مقام فى حالات الميرزا تقى خان دلائل الرشاد و شمائل الشهامه فجعله فى عداد كتبه. ثم أصبح من كتبه "محمد خان زنگنه" أمير العسكر، فلم يلبث أن تفوق على أقرانه بمواهبه و خبرته، و وصل إلى المناصب العاليه. فأصبح من كتاب العسكر مده من الزمن. و فى سنه ١٢٥١ هـ عين محاسبا عسكريا فى جيش أذربيجان. فقام بعمله بصدق و إخلاص فرفعه أمير العسكر إلى منصب "وزير العسكر" و لقبه بهذا اللقب. و هو منصب كان يعهد إلى صاحبه يومئذ برئاسه تنظيم المخصصات العسكريه لجيش أذربيجان، و تهيئتها، و المحاسبه، و تنظيم أمور المواصلات و النقليات للعسكر.

و فى سنه ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) سافر إلى تفليس و إيروان بامر محمد شاه بمعيه ولى العهد "ناصر الدين ميرزا" لملاقاه أميراطور الروس "نيقولا الأول"، و كان قد جاء إلى القفقاس، و رافق ولى العهد فى هذا السفر أيضا "محمد خان" أمير العسكر و "الحاج ملا محمود نظام العلماء" و "عيسى خان" خال "ناصر الدين شاه".

و سال الإمبراطور "محمد خان" عن أحوال الميرزا "تقى خان" فأجابته: كان فى السابق محاسب العسكر، و بعد قليل وزير العسكر، و ها هو حين سفاره صاحب السمو الملكى، فى حضره الإمبراطور، فقال الإمبراطور: الحمد لله على أنى التقيت صديقى مره أخرى. ثم أهداه الإمبراطور مسعطا من ذهب مرصع.

و فى سنه ١٢٦٠ هـ سافر من تبريز إلى "أرزنه" الروم، بدلا من "الميرزا جعفر خان مشير الدوله"، لتعيين الحدود بين إيران و بلاد العثمانيين و رفع ما بين الدولتين من اختلافات، و نجح فى مسعاه و عقدت معاهده بين الدولتين فى جمادى الثانيه سنه ١٢٦٢ هـ، بعد صعوبات كثيره قاساها و ثبت لها، و منها ثوره قامت عليه و كاد يقتل فيها.

بعد وفاه "محمد خان زنگنه" أمير العسكر فى سنه ١٢٥٧ هـ لم يعط هذا اللقب و المنصب أحدا، إلى أن كانت سنه ١٢٦٤، و هى

السنة التي توفي فيها محمد شاه و خلفه على العرش ابنه ولي عهده ناصر الدين شاه. في تلك السنة.

أراد الشاه الجديد السفر من تبريز إلى طهران العاصمة ليتولى منصبه.

و كانت الخزانه خاليه لا مال فيها لسد نفقات هذا السفر، و عجز وزير أذربيجان عن تهيئه المبلغ اللازم. فقام "الميرزا تقى خان" بتهيئه المال بالجهد من هنا و هناك حتى استطاع توفير ما يلزم منه لسفر لائق بالشاه.

و سار ناصر الدين شاه من تبريز قاصدا طهران، و فى معيته "الميرزا تقى خان". فلما بلغوا بلده "أوجان" من محافظه تبريز أنعم عليه ناصر الدين شاه بلقب "أمير العسكر" و عهد إليه بعمل صاحب هذا اللقب.

و بعد جلوس ناصر الدين على العرش أضاف إلى ذلك اللقب و ذلك العمل إنعاما آخر أيضا. فلقبه ليله ٢٢ ذى القعدة سنه ١٢٦٤ هـ بلقب

ص: ٣٥

١- تاريخ اليمن الفكرى.

٢- يعرف فى إيران باسم (أمير كبير)، لأن (ألف لام) التعريف غير موجوده فى اللغه الفارسىه.

"الأمير الكبير" وهو اللقب الذي اشتهر به، كما لقبه بلقب "الأتابك الأعظم" وعهد إليه بمنصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء). فنشر العدل والنظام وإطاعه القانون، ونظم الضرائب وشؤون الجيش.

و كان الطامعون في منصب الصدارة العظمى كثيرين ممن يرون أنفسهم أولى به منه لاعتبارات كثيرة، فكادوا له كثيرا، قبل حصوله على هذا المنصب وبعد حصوله عليه، حتى أنهم أثاروا عليه بعض الأفواج العسكرية من الفرسان في سنة ١٢٦٥ هـ، و اشترك في هذه المؤامره "الميرزا آقا خان" و "مهدي عليا" أم ناصر الدين شاه و فريق من الأجانب، و طالبوا بعزله من هذا المنصب و لكن الشاه رفض طلبهم. و استطاع "الميرزا تقى خان" بما له من خبره و لياقه أن يقهر منافسيه و يخمد الثورة فوراً.

و الظاهر أن "إسماعيل خان" رئيس الفراهين في البلاط كان المحرك لهذه الثورة. و كان العسكر الثائر يقصد احتلال منزل (الأمير الكبير) و قتله. و لكنهم لم يجرؤوا على ذلك إذ كان الأمير صهر الشاه على أخته "عزه الدوله". و أمر الشاه "الميرزا آقا خان اعتماد الدوله" وزير الجيش بتدبير الأمر فصرفهم عن متابعه الثورة.

و كان لقب "أتابك" يطلق على مربى أبناء الملوك، و لكنه كان قد ترك استعماله فلم يطلق على أحد تقريبا بعد عهد السلاجقه. و أعيد استعماله في عهد ناصر الدين شاه إذ أطلق على "الميرزا تقى خان". و كان هذا الأمير هو الذي أحياه مره ثانيه و تسمى به ملاحظا بذلك أمرين: معنى الرعايه الأبويه للشاه الحدث و معنى أهليته للاستقلال.

و أصبح مطمئن الخاطر بعد زواجه بأخت الشاه، فانصرف إلى إصلاح ما خرب في أواخر عهد محمد شاه و صداره "الحاج ميرزا آقاسى"، بسبب من ضعفهما و عدم كفاءتهما. أخضع ملوك الطوائف المتمردين و أعاد الأمور في مجاريها القانونيه و جمع الحكم في حكومه مركزيه واحده، بعد أن كانت ممزقه منقسمه، و رتب ميزانيه الدوله. و حصل له توفيق يناسب ما بذله من جهود في هذا السبيل.

كان يرى أن زواجه بأخت الشاه يجعله مرتاح البال من كل جهه، فيتابع أعماله الاصلاحيه. إلا أنه لما استحكمت أموره إلى حد ما بعد هذا الزواج بدأ الكيد له بشده من الداخل و الخارج.

و أول عمل أقدم عليه "الأمير الكبير" كان إصلاح أمر خراسان و إخماد فتنه "حسن خان سالار" ابن "الله يار خان آصف الدوله القاجارى" و ذلك أنه حين وعك محمد شاه بعث الصدر الأعظم "الحاج ميرزا آقاسى" بالسالار "حمزه ميرزا حشمه الدوله" أخى الشاه إلى خراسان واليا عليها لابعاده.

و لكن "حسن خان سالار" و أمراء خراسان عصوا على الوالى الجديد، و عجز هذا عن تطويعهم. فلم يجد بدا من الذهاب إلى "هرات" مع حاكمها "محمد خان الكوزائى"، و كان هذا قد جاء إلى مشهد مددا له، و أن ينتظر هناك مترقبا الفرصه. و بقى في "هرات" إلى أن توفي محمد شاه و تولى الملك بعده ناصر الدين شاه.

عندئذ بعث "الأمير الكبير الميرزا تقى خان" ب "سليمان خان" رئيس عشيره "أفشار" و قائد فرسانها إلى خراسان و معه جماعه من الفرسان. و أمره بمفاوضه "حسن خان سالار" لارجاعه عن هذا العصيان الذى لا مسوغ له و لا فائده منه. و التقى الرجلان و دارت بينهما مفاوضه سلميه لم تؤد إلى النتيجة المطلوبه إذ رفض "حسن خان" الصلح و الدخول فى الطاعه رفضا باتا، و ازداد

عنادا و تمردا.

عندئذ بعث "الأمير الكبير" ب "سلطان مراد ميرزا"، و هو ابن "عباس ميرزا نائب السلطنة" الثالث عشر و عم الشاه إلى خراسان لمحاربه "حسن خان" و إخضاعه. و وقعت بين الجيشين حرب شديده كثر فيها القتلى من الطرفين. و انتهت بتفرق الرؤساء المحليين عن "حسن خان سالار" و استسلامه مع ابنه و أخيه إلى "سلطان مراد ميرزا" فبادر هذا إلى قتلهم فورا لا ينتظر بهم أمرا، و دفنوا في محله "خواجه ربيع"، و كان ذلك في سنة ١٢٦٦ هـ. و في هذه السنه لقب "سلطان مراد ميرزا" بحق بلقب "حسام السلطنة".

و العمل الثانى الذى أقدم عليه "الأمير الكبير" بعد الفراغ من إخماد ثوره "حسن خان سالار" هو قمع البايين أتباع "على محمد الشيرازى" فى "مازندران - نيريز" و "زنجان". يقول البهائيون، و هم إحدى الفرق الباييه، فى هذا الموضوع فى كتاب منسوب إليهم اسمه "ظهور الحق":

"اشتغل (أى الأمير الكبير) بإطفاء أنوار هذا الأمر و قتل البايين بكل أشكال القهر".

ففى السنه الثانيه من توليه منصب الصداره العظمى حسم غائله "قلعه الطبرسى" فى مازندران، حصن البايين و ملاذهم، و رئيسهم فيها "الملا حسين البشرويهى" و "الملا محمد على قدوس". و فى تلك السنه نفسها أحمد أيضا فتنه "الآخوند الملا محمد على حجت" فى زنجان. و فى السنه الثالثه من صدارته أحمد فتنه "نيريز" التى قام بها "السيد يحيى دارابى". و فى هذه الأثناء كان "الميرزا على محمد الشيرازى" قد هلك.

و تلخص أعمال "الأمير الكبير" فى صدارته على هذا النحو:

١ - إدخال ناصر الدين شاه إلى طهران على وضع لائق آمن.

٢ - إصلاح شئون الضرائب و الجيش و الميزانيه، و المعادله بين واردات المملكه و نفقاتها.

٣ - قمع "حسن خان سالار" فى خراسان.

٤ - إخماد ثوره البايين.

٥ - رفع الرايه الإيرانيه فى الدول الأجنبيه، مع التهديد بالمعامله بالمثل لمن لا يستجيب.

٦ - تأسيس دار الفنون و إقامه بنائها.

٧ - إصدار جريده "وقائع اتفاقيه" فى سنه ١٢٦٧ هـ. و قد فرض على موظفى الدوله أن كل من بلغ راتبه السنوى ألفى ريال يؤدي منها عشرين ريالا فى السنه إلى ميزانيه الجريده. و صدر العدد الأول منها فى الخامس من ربيع الثانى سنه ١٢٦٧ هـ. ثم غير اسمها إلى "جريده إيران الرسميه" ثم "جريده دوله إيران العليه" ثم "جريده إيران" و ظلت تصدر بهذا الاسم إلى عهد مظفر الدين

شاه.

٨ - تعميم التطعيم ضد الجدري في إيران كلها.

٩ - إيجاد إدارة بريد منظمه.

ص: ٣٦

١٠ - منع رشوه الموظفين و التشدد فى محاربتها.

١١ - إقامه بناء للمدفعيه. و هو بعض خدماته للجيش. فقد كانت شئون الجيش الايرانى قبل عهده مشوشه متفككه، فنظمها و جمعها فى كيان عسكرى صحيح البناء و المظهر.

١٢ - من جمله أعمال "الأمير الكبير": تأسيس مصانع للسكر و الغزل و الزجاج و النسيج و السلاح. و استخدم المعلمين الأجانب لتدريس الطب و الجراحه و الصيدله و الطبيعيات و الهندسه و علم التعدين و الفنون العسكريه.

و كان يختارهم من إيطاليا و فرنسا و النمسا، و أكثرهم من النمسا، إذ هى دول ليست لها مطامع سياسيه فى إيران.

و قد أجمع المؤرخون من الايرانيين و من الأجانب على أن "الميرزا تقى خان الأمير الكبير" كان من نوادر عصره فى الوطنيه و النزاهه و بعد النظر و السعى إلى كل ما فيه الخير لايران. و لكن هذه الطريق، طريق الصلاح و الإصلاح، التى سلكها كانت تعاكس الاتجاه العام إلى الخيانه و الرشوه و الفساد و الإفساد و الانتهازيه و الوصولييه، فقامت عليه الدسائس و نصبت له المكاييد من الداخل و الخارج. فنقم عليه الإنكليز اختياره الخبراء و المعلمين الأجانب من دول محايدته لا تقع فى نفوذهم، فأشاعوا عنه، بواسطه عملائهم، أنه يطمع فى عرش إيران و عزل الشاه. و كان فى مقدمه هؤلاء العملاء منافسه "الميرزا آقا خان نورى" و "مهد عليا" أم ناصر الدين شاه.

و أثمرت الدسائس و المكاييد. و كان لنفوذ الوزير الانكليزى المفوض الدور الأول فى إنجاحها. فتغير ناصر الدين شاه على "الميرزا تقى خان" و عزله من وظائفه كلها و نفاه إلى قريه "فين" بالقرب من مدينه "كاشان"، و عهد بمنصب الصداره العظمى إلى عدوه و منافسه "الميرزا آقا خان نورى".

ثم أمر "حاجى على خان فراش باشى" - و يلقب أيضا "حاجب الدوله" - بقتله فذهب إليه إلى "فين" فقتله و هو فى الحمام يفصده فى عضده سنه ١٢٤٨ هـ الموافق سنه ١٨٥٢ م. و يروى مؤرخ إيرانى أن "الميرزا آقا خان نورى" جعل قتل "الأمير الكبير" شرطا لقبوله منصب الصداره الأعظم.

و تبعت قتله رده كبرى إلى الفساد فعمت الرشوه و اختلت أمور الجيش و فتحت أبواب الدوله للتدخلات الأجنبية. و ندم ناصر الدين شاه على قتله. و كان يذكره بالأسف و الحسره. و يردد هذين البيتين من الشعر إذا ذكره:

المرء الذكى الكيس يحتاج إلى عمرين اثنين فى هذه الحياه

يقضى أحدهما فى التجربه ثم يقضى الآخر فى الاتعاظ بالتجربه

(١)

تيمور لنك

اشاره

مرت ترجمته فى مكانها، و نلحق هنا بترجمته ما يلى:

الملحق الأول من هذه الملاحق منقول من كتاب "ظفرنامه" تأليف صلاح المؤرخ الفارسى شرف الدين على يزدى (ح ١: ص ٦٤٢ - ص ٦٤٣) و هذا الملحق كتاب باللغه الفارسى من تيمور لنك إلى السلطان برقوق و تاريخه سنه ٧٩٥ هـ. و يبدو منه أنه أول خطاب بعثه إلى السلطان برقوق يدعوه فيه إلى مراعاة حسن الجوار، و إقامة العلاقات الطيبه لتأمين طرق المواصلات و التجاره.

و الملحق الثانى منقول من المؤرخ المصرى أحمد بن على المقريزى:

"السلوك لمعرفة دول الملوك" (صوره شمسيه بدار الكتب المصريه رقم ٤٦٤ تاريخ ح ٣ ص ٢٣٧ - ص ٢٣٨) و هذا الملحق الثانى كتاب ثان من عند تيمور لنك إلى السلطان برقوق و يرجع تاريخه إلى ٧٩٦ هـ و هو يختلف عن الكتاب الأول من حيث اللهجه و التطويل اللفظى، و يحتوى على تهديد بالحرب من تيمور لنك إلى السلطان برقوق إذا هو لم يعلن طاعته له.

أما الملحق الثالث فهو جواب السلطان برقوق على الكتاب الثانى من تيمور لنك و هو منقول كذلك عن أحمد بن على المقريزى: "السلوك لمعرفة دول الملوك" (صور شمسيه بدار الكتب المصريه ح ٣ ص ٢٣٧ - ص ٢٣٨) و تاريخه سنه ٧٩٦ هـ، و فى هذا الجواب حرص السلطان برقوق على الظهور بعدم الاكتراث لتهديدات تيمور لنك.

و الملحق الرابع كتاب باللغه الفارسى من تيمور لنك إلى السلطان فرج بن برقوق و تاريخه ٨٠٣ هـ، و هو منقول من كتاب "ظفرنامه" تأليف شرف الدين على يزدى (ح ٢ ص ٢٦٧)، و اشتمل هذا الكتاب على تهديد من تيمور لنك إلى السلطان فرج إذا هو لم يطلق أسيرا تتريا كبيرا من أسره تيمور لنك، هو القائد أظلمش الذى وقع فى يد السلطان برقوق سنه ٧٩٥ هـ.

و يشتمل الملحق الخامس على تهديد ثان من تيمور لنك للسلطان فرج، و مطالبته بإعلان الطاعه، و الدعاء له فى خطبه الجمعة بالقاهره. و هذا الكتاب مكتوب بالفارسى، و هو منقول كذلك من كتاب "ظفرنامه" تأليف شرف الدين على يزدى (ح ٢ ص ٣١٥ - ص ٣١٦) و تاريخه سنه ٨٠٣ هـ و هو خطاب جاف مختصر، و يبدو أن تيمور لنك أمر بكتابه، و هو فى الطريق إلى دمشق ليلحق بها كارثته المروع.

و يشتمل الملحق السادس على جواب السلطان فرج على هذا الكتاب التيمورى الجاف و هو منقول من كتاب "ظفرنامه" (ح ٢ - ص ٣١٧) و تاريخه سنه ٨٠٣ هـ، و يتضح من هذا الكتاب استعداد السلطان فرج لإعلان الطاعه لتيمور لنك بشرط قيام تيمور لنك من جانبه بالاعتذار عما قام به من هجوم على دمشق.

و الملحق السابع كتاب ثان باللغه الفارسى من السلطان فرج إلى تيمور لنك، و هو منقول من كتاب "ظفرنامه" (ح ٢ ص ٣٢٧)، و تاريخه سنه ٨٠٣ هـ و يبدو أن السلطان فرج أمر بكتابه هذا الكتاب و هو فى داخل دمشق و تيمور لنك محيط بأسوارها، و فيه يؤكد السلطان فرج وعده السابق و يطلب وقف القتال.

و الملحق الثامن منقول من مخطوط، "كتاب روضه الصفا فى سيره الأنبياء و الملوك و الخلفاء" (مكتبه جامعه القاهره رقم ٩٧٨

فا ح ٦ ص ٢٤٦)، و هو من تأليف محمد بن خواند شاه مير خواند، و هذا الكتاب بالفارسيه كذلك، و تاريخه سنه ٨٠٥هـ، و هو خطاب من تيمور لنك إلى السلطان فرج بعد انتصار تيمور لنك على السلطان بايزيد العثماني في واقعه أنقره، و فيه طلب تيمور لنك من السلطان فرج سكك نقود مصر و الشام باسمه

ص: ٣٧

١- مهدي بامداد.

و الدعاء له فى خطبه الجمعة.

أما الملحق التاسع والأخير فهو كتاب منقول من ذيل كتاب "برلام و يواصف"، و هو مخطوط بمكتبه بطبريركيه الأقباط الأرثوذكس بالقاهره (رقم ٤٢ تاريخ ص ٣٣١-٣٣٩)، و هو كتاب من النجاشى داود ملك الحبشه إلى السلطان برقوق يشرح ما عليه المسلمون فى الحبشه من رغد العيش و رعايه ملكيه، و ينفى النجاشى ما نقله بعض الرسل إلى السلطان برقوق من أخبار عن سوء معامله النجاشى للرعايا المسلمين فى بلاده، ثم يدعو السلطان برقوق إلى رعايه النصارى فى بلاده و يهدد بقطع مياه النيل، و إساءه معامله المسلمين الذين تحت حكمه إذا حدثت إساءه من جانب السلطان للنصارى فى مصر.

و يود كاتب هذه السطور أن يختتم هذه المقدمه القصيره بكلمه شكر كبيره للسيد الدكتور عبد النعيم حسنين أستاذ الأدب الفارسى بكلية الآداب بجامعة عين شمس لتفضله بالقيام بترجمه النصوص الفارسيه المتقدمه إلى اللغه العربيه، و هى نصوص أضافت إلى قيمه هذا الكتاب معلومات جديده بصدد مراحل العلاقات بين السلطانيين برقوق و ابنا [ابنه] فرج و تيمور لنك.

و أرجو أن يجد القارئ الكريم فى هذه الملاحق بعض ما ينشده من معرفه لأحوال الشرق الأوسط فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى.

كتاب من تيمور لنك إلى السلطان برقوق سنه ٧٩٥ هجرية (شرف الدين على يزدى: ظفرنامه، ح ١، ص ٦٤٢-٦٤٣).

النص الفارسى:

"مضمون رسالت آنكه پيش آزين پادشاهان كامكار كه از نسل چنگيز خان بودند با ملوك آن ممالك مناظرت داشتند و بدان واسطه بسى زحمت و تشويش باهالى شام و سكان آن نواحى مبرسيد [مى رسيد] و در آخر ميان [ميان] ايشان [ايشان] رسل و رسايل متواتر شد و قضيه به مصالحت انجاميد و آن معنى موجب امن و امان عالم و علميان [عالميان] گشت و چون پادشاه سعيد أبو سعيد بهادر خان أنار الله برهانه بجوار رحمت حق پيوست و از نسل چنگيز خان پادشاهى صاحب شوكت نافذ فرمان در ايران نماند و ملوك طوائف پديد آمدند هرج و مرج بحال عالم راه يافت ابن [اين] زمان چون سابقه عنایت بی غایت مالک الملوك جل و علا- تمام ممالك ايران تا عراق كمدر [كه در] جوار آن مملكت واقع است مسخر فرمان ما كودانيد [گردانيد] خيراندیشى و نيكوخواهى خلايق اقتضای آن مى كند كه حق همسايگى رعايت كوده [كرده] ابواب مراسله و مكاتبه مفتوح گردد و ايلجيان [ايلجيان] از هر دو جانب در آمد و شد باشند تا راه ها ايمن شود و تجار جانبين بأمن و حضور تردد توانند نمود و ابن [اين] معانى هر ابنه [آينه] مستلزم معمورى [معمورى] بلاد و آسایش عباد تواند بود و السلام على من اتبع الهدى و الحمد لله رب العالمين".

ترجمه الكتاب:

"لما كان بيت جنكيز خان فى حروب مع أسلافكم السلاطين الذين ظلموا شعب الشام، و أن هذه الحروب أنهت بسلام اختلاق الرسل، عاد الأمن و التعاون بين الدولتين، غير أنه منذ وفاه الايلخان العظيم سعيد أبو سعيد بهادر لم يحكم فى بلاد فارس حاكم من نسل جنكيز خان الذى نظم أمور الناس، و لكن على العكس قام حكام فى كل الأمارات فى هذه الإمبراطوريه الكبيره مكان

ملوكها، و سبوا متاعب لا نهايه لها لشعوب هذه الإمبراطوريه. أما و قد اختارنا الإله الواحد بفضل من عنده لاصلاح ما فسد، و أدان لسيفنا المظفر كل بلاد فارس و العراق العربى الذى تتاخم حدوده حدود بلادكم، فان المحبه التى ندين بها لشعبنا تتطلب بحكم الجوار أن نتبادل الكتب، و أن ياتى الرسل، و يعودوا فى يسر بين بلدينا، و أن ينتقل تجار البلدين فى أمن حتى تنتعش البلاد، و يكثر السكان، و يعيشوا فى سلام. و لهذا السبب أرسلنا رسولنا إليكم ضارعين إلى الله أن يكالكم بعنايته إن سلكتم حسب هذا. و السلام على من اتبع الهدى و الحمد لله رب العالمين "

الملحق ٢

كتاب تيمور لنك (الكتاب الثانى) إلى السلطان برقوق فى سنه ٧٩٦ هـ (المقريزى، أحمد بن على: السلوك صور شمسيه ح ٣ ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

"قل اللهم مالك الملك" (١) (فاطر السموات و الأرض عالم الغيب و الشهاده أنت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه يختلفون) (٢) اعلّموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه، و مسلطون على من حل عليه غضبه، لا نفرق لشاكي (٣) ، و لا نرحم لباكي (٤) ، قد نزع الله الرحمه من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا و من جهتنا. قد خربنا البلاد و أيتمنا الأولاد، و أظهرنا فى الأرض الفساد، و ذلت لنا أعزتها، و ملكنا بالشوكه أزمته، فان خيل ذلك على السامع و أشكل و قال إن فيه عليه مشكل (٥) فقل له:

(إن الملوكة إذا دخلوا قريه أفسدوها و جعلوا أعزه أهلها أذله) (٦) ، و ذلك بكثرة عددنا و شده بأسنا، فخيولنا سوابق و رماحنا خوارق و أستتنا بوارق، و سيوفنا صواعق، و قلوبنا كالجبال، و جيوشنا كعدد الرمال، و نحن أبطال و أقيال، و ملكنا لا يرام، و جارنا لا يضام - و عزنا أبدا لسؤدد منقام، فمن سالمنا سلم، و من رام حربنا ندم، و من تكلم فينا بما لا يعلم جهل.

و أنتم فان أطعتم أمرنا و قبلتم شرطنا فلکم ما لنا و عليكم ما علينا، و إن خالفتم و على بغيكم تماديتم، فلا تلوموا (٧) إلا أنفسكم، فالحصون منا مع تشديدها لا تمنع، و المدائن بشدتها لقتالنا لا ترد و لا تنفع، و دعاؤكم علينا لا يستجاب فينا و لا يسمع، فكيف يسمع الله دعاءكم، و قد أكلتم الحرام، و ظلمتم جميع الأنام، و أخذتم أموال الأيتام، و قبلتم الرشوه من الحكام، و أعددتكم لكم النار و بئس المصير: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا و سيصلون سعيرا) (٨) ، فلما فعلتم ذلك أوردتم أنفسكم موارد المهالك، و قد قتلتم العلماء و عصيتم رب الأرض و السماء، و أرقتم دم الأشراف، و هذا و الله هو البغى و الإسراف، فأنتم بذلك فى النار خالدون، و فى غد ينادى عليكم: (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق و بما كنتم تفسقون) (٩) ، فأبشروا بالمذله

ص: ٣٨

١- ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى: النجوم الزاهره ج ١٢، ص ٥٠ (طبعه القايرهسنه ١٩٥٦).

٢- القرآن الكريم: سوره الزمر: ٤٦.

٣- كذا فى الأصل.

- ٤- كذا فى الأصل.
- ٥- كذا فى الأصل.
- ٦- القرآن الكريم: سورة النمل: ٣٤.
- ٧- كذا فى الأصل.
- ٨- القرآن الكريم سورة النساء: ١٠.
- ٩- القرآن الكريم سورة الأحقاف: ٢٠.

و الهوان، يا أهل البغى و العدوان، و قد غلب عندكم أننا كفره، و ثبت عندنا أنكم و الله الكفره الفجره، و قد سلطنا عليكم الإله. له أمور مقدره و أحكام محرره، فعزيزكم عندنا ذليل و كثيركم لدينا قليل، لأننا ملكنا الأرض شرقا و غربا، و أخذنا منكم كل سفينه غصبا، و قد أوضحنا لكم الخطاب، فأسرعوا برد الجواب، قبل أن ينكشف الغطاء، و تضرم الحرب نارها، و تضع أوزارها، و تصير كل عين عليكم باكيه، و ينادى منادى الفراق:

(فهل ترى لهم من باقيه) (١)، و يسمعكم صارخ الفناء بعد أن يهزكم هذا، (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) (٢).

و قد أنصفناكم إذ راسلناكم فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين، فتخالفوا كعادتكم سنن الماضين و تعصوا رب العالمين، (و ما على الرسول إلا البلاغ المبين) (٣)، و قد أوضحنا لكم الكلام فأرسلوا برد الجواب و السلام.

الملحق ٣

جواب السلطان برقوق على هذا الكتاب و تاريخه سنه ٧٩٦ هـ:

(المقريزي، أحمد بن علي: السلوك، صور شمسيه، ح ٣ ص ٢٣٨).

" بسم الله الرحمن الرحيم (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذلل من تشاء) (٤) حصل الوقوف على ألفاظكم الكفريه و نزعاتكم الشيطانيه، و كتابكم يخبرنا عن الحضرة الجنائيه و سيره الكفره الملائكيه، و أنكم مخلوقون من سخط الله، و مسلطون على من حل عليه غضب الله، و أنكم لا ترقون لشاك و لا ترحمون عبره باك، و قد نزع الله الرحمه من قلوبكم، فذلك أكبر عيوبكم، و هذه من صفات الشياطين لا من صفات السلاطين، و تكفيكم هذه الشهاده الكافيه، و بما أوقفتم به أنفسكم ناهيه، (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. و لا أنتم عابدون ما أعبد. و لا أنا عابد ما عبدتم، و لا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم و لى دين) (٥) القرآن الكريم: سوره الكافرون.

، ففى كل كتاب لعنتم، و على لسان كل مرسل نعمت، و بكل قبيح و صفتهم، و عندنا خبركم من حين خرجتم، أنكم كفره، ألا لعنه الله على الكافرين، من تمسك بالأصول فلا يبالى بالفروع. نحن المؤمنون حقا لا يدخل علينا عيب، و لا يضرنا ريب، القرآن علينا نزل، و هو سبحانه بنا رحيم لم يزل، فتحققنا نزوله، و علمنا بركه تأويله، فالنار لكم خلقت، و لجلودكم أضرمت، (إذا السماء انفطرت) (٥)، و من أعجب العجب تهديد الرتوت (٦) بالتوت (٧)، و السباع بالضباع، و الكماه بالكرام، نحن خيولنا برقيه و سهامنا عربيه، و سيوفنا يمانيه، و ليوثنا مضريه، و أكفنا شديده المضارب، و صفتنا مذكوره فى المشارق و المغارب، إن قتلناكم فنعم البضاعه، و إن قتل منا أحد فيينه و بين الجنه ساعه، (و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم و لا هم يحزنون. يستبشرون بنعمه من الله و فضل و أن الله لا يضيع أجر المؤمنين) (٨).

و أما قولكم: قلوبنا كالجبال، و عددنا كالرمال، فالقصاب لا يبالى بكثرة الغنم، و كثير الحطب يفنيه القليل من الضرم، (كم من فئه قليلة غلبت فئه كثيره باذن الله و الله مع الصابرين) (٩).

الفرار من الرزايا، و طول البلايا، و اعلموا أن هجوم المنيه عندنا غايه الأمنيّه، إن عشنا عشنا سعداء، و إن قتلنا قتلنا شهداء، (فان حزب الله هم الغالبون)(١٠).

أ بعد أمير المؤمنين و خليفه رب العالمين، تطلبون منا طاعه، لا- سمع لكم و لا- طاعه، و طلبتم أن نوضح لكم أمرنا قبل أن ينكشف الغطاء، ففي نظمه تركيك، و في سلكه تلييك، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان، أ كفر بعد إيمان، أم اتخذتم إلها ثان، و طلبتم من معلوم رأيكم أن تتبع ربكم،(لقد جئتم شيئاً إدا. تكاد السموات يتفطرن منه و تشق الأرض و تحز الجبال هذا)(١١)، قل لكاتبك الذي وضع رسالته و وصف مقالته، وصل كتابك كضرب رباب أو كطين ذباب،(كلا سنكتب ما يقول و نمد له من العذاب مدا، و نرثه ما يقول)(١٢)، إن شاء الله تعالى (لقد خلطتم في الأمر في الذي أرسلتم)(١٣) (و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)(١٤) و السلام " .

الملحق ٤

كتاب تيمور لنك إلى السلطان فرج كته من ملطيه في شهر المحرم سنه ٨٠٣ هـ (شرف الدين على يزدى: ظفرنامه ح ٢، ص ٢٧٦).

النص الفارسي:

"از پدرت انواع حرکات ناپسندیده بظهور آمد از آن جمله بقتل ابلجیان [ایلچیان] ابن [این] جانب بی موجبی فرمان داد و اتمش را که از بندگان درگاه ماست محبوس گردانید و باز نفرستاد و چون او لباس حبات [حیات] عاریتی باز سپرده، پرسش و جزای او بدیوان قیامت افتاد و تو می باید که بر خود و اهالی مملکت رحم کنی و اتمش را دو [در] زمان روانه ابن [این] طرف سازی تا از ظلام قهر و انتقام سپاه خون آشام ما روز سلامت أهل مصر و شام بشام نرسد و اگر به وسوسه شیطان لجاج و عناد خلاف ابن [این] معنی بخاطر راه دهی جمیع آن دیار و بلاد از مرور و عبور عساكر منصور ویران هد [خواهد] شد و وزر و وبال خون و مال مسلمانان به گردن تو خواهد بود".

ترجمه الكتاب:

"لقد بدرت من والدك حرکات مستهجنه من جملتها قتله رسلنا دون سبب، و حبسه أطمش الذي كان من رجال بلاطنا و عدم إرجاعه. و لما أسلم والدك وديعه الحياه فان سؤاله و جزاءه قد أوكل إلى الباري يوم القيامة.

و ينبغي عليك أنت أن ترحم نفسك و أهل مملكتك، و أن تعيد أطمش إلينا

ص: ٣٩

١- القرآن الكريم سورة الحاقه: ٨.

٢- القرآن الكريم سورة مريم: ٩٨.

- ٣- القرآن الكريم سورة النور: ٥٤.
- ٤- القرآن الكريم سورة آل عمران: ٢٥.
- ٥- القرآن الكريم: سورة الانفطار: ١.
- ٦- الرتوت جمع رت و هو الرئيس و السيد (المعجم الوسيط).
- ٧- كذا فى الأصل.
- ٨- القرآن الكريم: سورة آل عمران: ١٦٩-١٧١.
- ٩- القرآن الكريم: سورة البقره: ٢٤٩.
- ١٠- القرآن الكريم: سورة المائده: ٥٦.
- ١١- القرآن الكريم: سورة مريم: ٨٩-٩٠.
- ١٢- القرآن الكريم: سورة مريم: ٧٩-٨٠.
- ١٣- ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى النجوم الزاهره ج ١٢ ص ٥٢ (طبعه القايره سنه ١٩٥٦).
- ١٤- القرآن الكريم: سورة الشعراء: ٢٢٧.

حتى تنجى أهل مصر و الشام من انتقام جيشنا الذى يتحرق إلى الثار. و إذا سلكت غير هذا الطريق بدافع من وسوسه شيطان اللجاج و عناد الخلاف، فان جميع تلك الديار و البلاد سوف تصير خرابا بمجرد مرور عساكرنا المنصوره و عبورها فيها. و سيكون وزر و وبال دماء المسلمين و أموالهم فى عنقك".

الملحق ٥

كتاب تیمور لنکک إلى السلطان فرج فى جمادى الأولى سنة ٨٠٣ هـ حين تقدم تیمور لنکک لحصار دمشق (شرف الدين على يزدى: ظفرنامه، ج ٢ ص ٣١٥-٣١٦) النص الفارسى:

" آثار حزم و عزم ما در کارها دانسته اید و علو همت ما در تحصیل مطالب و إتمام ما قصد و مارب شناخته و عاقلان دانند که دامن کبر مردان در أمور غیرت است و حمیت اگر پادشاه است و اگر رعیت و مقصود اصلی پادشاهان از کشیدن لشگر و گشادن کشور با آن همه خوف و خطر رعایت ناموس است در حال و بقاء ذکر جمیل در مال نه مجرد جمع مال و تکثیر منال "بیت".

" همه کار جهان ناموس و نام است " و گر نه نیم نان روزی تمام است "

بکرات أتلمش را طلب داشتیم و نفرستادید و در ان جزئی قضیه چندان تعلق و تأخیر کردید که دست حمیت عنان عزیمت ما به اینجانب تافت و بسی خرابی و خلل بأحوال و أوضاع مردم این مملکت راه یافت "بیت".

گر از کوه پرسى بیابى جواب که شاخ خطا میوه ندهد صواب

با این [این] همه اگر أتلمش را إرسال نمایید و سکه و خطبه بألقاب ما بیارایید تا بساط نزاع در نور دیده شود و بر خود رحم کرده باشید و بر اهالی این [این] دیار و گر نه لشگر جرار خونخوار ما را قتل مخالف و قهر دشمن و شهر گرفتن و کندن رسم معهود [] است و غایت مقصود "نظم":

" طریق مدارا و راه ستیز " " کزان امن خیزد و زین و ستخیز [رستخیز]"

" نمودم به تو عقل را کار بند " " وزین هر دوره کن یکی را پسند "

ترجمه الكتاب:

" لقد علمت آثار حزمنا و عزمنا فى الأمور، و علو همتنا فى تحصیل المطالب، و إتمام المقاصد و المآرب، و إن العقلاء ليعلمون أن تشبث الرجال بالأمور هو نزع من الغيره و الحميه، سواء كان الرجال ملوكا أو من أفراد الشعب. و إن الهدف الأصلي للملوك من قياده الجيوش و فتح الممالك مع كل هذا الرعب و الخطر هو رعايه الناموس فى الحال و بقاء الذكر الجميل فى المال، و ليس هو مجرد جمع المال و تكثير المنال.

إن أهم الأعمال فى الدنيا رعايه الناموس و إبقاء الذكر الطيب، و إلا فان المرء يكفيه نصف رغيف من الخبز.

و قد طلبت أطلمش مرات، و لكنكم لم ترسلوه و تعلتم بعلل واهيه لتأخير إرساله، حتى ثارت فينا النخوه لنسير إلى بلادكم، و نزل أنواع الخراب و الدمار بالناس و الأحوال في دياركم. "إذا نطق الصخر، فسيجيب بان شجره الخطا لا تعطي ثمرا".

و برغم هذا كله فانك إذا أرسلت أطلمش، و زينت السكه و الخطبه باسمنا و ألقابنا، و طويت بساط النزاع بيننا، و رحمت نفسك و أهل ديارك، لانتهى كل شيء، و إلا فان جيشنا الجرار المتعطش إلى احتساء الدماء سوف يعصف بالمخالفين، و يقهر المعاندين، و يستولى على الديار و يقتلع الرسم المعهود و يبلغ غايه المقصود.

"هناك طريقان طريق المداراه و طريق اللجاج" "الأول يؤدي إلى الأمن و الثاني يؤدي إلى الحرب" "و قد أظهرت لك العقل فانتصح" "و اختر طريقا من الطريقين"

الملحق ٦

جواب السلطان فرج على كتاب تيمور لنك السابق و تاريخه جمادى الأولى سنة ٨٠٣ هـ (شرف الدين على يزدي: ظفرنامه ج ٢ ص ٣١٧).

النص الفارسي:

"ما بندگان در مقام اطاعت و انقياديم و اتمش را تا پنج [پنج] روز ديگر بفرستيم و اگر آن حضرت از سر جرائم ما درگذرد بعد اين [از اين] در اقامت و ظايف فرمان بردارى و طاعت گذارى تقصير و إهمال جايز نداريم و به آنچه در مكنت و توان ما گنجد رضای شريف بندگان ايشان بدست آريم عواطف پادشاهانه".

ترجمه الكتاب:

"نحن عبید فی مقام الطاعة و الانقياد. و سنرسل أطلمش فی خلال خمسة أيام. فإذا تجاوز السلطان الأعظم عن جرائمنا فاننا لن نهمل أو نقصر فی أداء و وظائفنا و إطاعه الأوامر، و إظهار الخضوع و سنفعل كل ما فی مكنتنا و مقدورنا لارضاء خاطرکم الشريف و مشاعرکم السلطانية".

الملحق ٧

كتاب من السلطان فرج إلى تيمور لنك كتبه من دمشق وقت حصار تيمور لنك لها و تاريخه جمادى الأولى ٨٠٣ هـ (شرف الدين على يزدي):

ظفرنامه، ج ٢ ص ٣٢٧).

النص الفارسي:

"آنچه ديروز واقع شد غوغای عام بود بی اختیار ما جمعی جهال و أوباش از نادانی جسارت نمودند و سزای خود دیدند ما بر

همان عهدیم که عرضه داشت کرده ایم اگر لشکر امروز مصاف موقوف دارند و سلامت فرود آیند فردا هر چه فرمان آن حضرت باشد کاریند [کاربند] شویم و بعدر تقصیرات گذشته حسب المقدرو [المقدور] قیام نماییم."

ترجمه الكتاب:

"إن ما حدث أمس كان من فعل بعض الغوغاء دون رغبة منا، إذ أن جمعا من الجهال و الأوباش قد تجرءوا عن جهل للهجوم فلقوا جزاءهم.

و نحن باقون على العهد الذى عرضناه، فإذا أوقف الجيش القتال اليوم،

ص: ۴۰

فاننا سوف ننفذ غدا كل ما تأمرون به، و نقوم بتقديم العذر عن التقصيرات السابقه حسب المقدور "

الملحق ٨

كتاب من تيمور لنك بعد واقعه أنقره إلى السلطان فرج و تاريخه ٨٠٥ هـ (مير خواند: روضه الصفا، ج ٦، ص ٢٤٦).

النص الفارسي:

" به نصرت الهی و عنایت پادشاهی تمام مملکت روم در تحت تصرف و تسخیر بندگان درگاه ما قدار [قرار] گرفت باید که سکه و خطبه ولایت شام و مصر به و [] لقب همایون زیت ما و [] زینت دهد و اتمش را در زما ت [زمانه] بدرگاه عالمیناه [عالمیناه] روان سازد و اگر دسین [در این] أبواب تغافل جایز داند یقین داند که رایت نصرت مال بعد اذ [از] مراجعت از دیار روم متوجه مصر و آن مرزوبوم خواهد شد هر چه در دل داشتیم گفتیم تو دانی بعد از این و قد أعذر من أنذر "

ترجمه الكتاب: " أصبح ملك جميع بلاد الروم بنصره الله، و عنایه السلطان تحت حكم أتباعنا فینبغی أن تزين سکه بلاد الشام و مصر و خطبتها باسمنا و لقبنا العظيم، و أن تطلقوا سراح اطمش فی الحال، و ترسلوه إلى بلاطنا الذی هو ملجا للعالم، و إذا تغافلتم فی هذا الأمر أدنی تغافل فتيقنوا أن راياتنا المظفره ستتجه بعد عودتها من بلاد الروم إلى مصر و ترفرف علی ربوعها. و قد قلت كل ما فی نفسی و أنت تعرف ما بعد ذلك. و قد أعذر من أنذر "

میرزا جانی عزتی.

من شعراء القرن الحادی عشر الهجری.

كان ممن عملوا للشاه عباس فی فارس، ثم عمل له فی دار الإنشاء الملكیه فی أصفهان عده سنين. ثم ترك عمله و سافر إلى مشهد الرضا و سكنها منشغلا بالعباده و الزهد إلى حين وفاته فيها.

و یصفه نصرآبادی بأنه كان ملاكا فی لباس البشر.

له عده دواوين شعريه منها ديوان فی المكتبه الوطنيه بباریس یحتوی علی مائه و ألف بیت من الشعر، فيها الغزل و الرباعیات و المفردات و المقطعات.

كان عرفانی المشرب جمیل البیان سلس الشعر (١).

السید جعفر الرضوی العاملي:

ولد فی جبل عامل حدود سنه ١١٠٠ و توفي بقزوین حدود سنه ١١٨٥.

من أعيان العلماء مجتهد نحریر مشارک فی أنواع العلوم متبحر فی الفقه محقق بالأصول شاعر أديب حسن البديهي شديد التقوى كثير الورع.

ولد في جبل عامل و نما هناك و أخذ العلم و فنون الأدب على علمائه ثم هاجر إلى العراق فاتفق وروده إلى كربلاء و النجف مع زياره نادر شاه الأفشاري للعبات المقدسه في العراق، فاجتمع المترجم مع نادر شاه المتوج في سنة ١١٤٨ و المقتول سنة ١١٦٠ فاحترمه نادر شاه و أعجب به و دعاه إلى إيران فأجاب الدعوه و حل في مدينه قزوین و لقبه الشاه بلقب صدر الصدور، و هو أبو الأسره المعروفه بال صدر الصدور في قزوین. قال شيخنا الأستاذ الامام الرازی: (... السيد جعفر من سادات جبل عامل و أشرفها الأجلء هاجر إلى إيران و سكن قزوین في عصر السلطان نادر شاه فاحترمه و بجله و أحله مكانه ساميه و أنعم عليه بلقب صدر الصدور...) (٢) و أصبح لقبه صدر الصدور عنوان هذا البيت الجليل و نبغ من ذريته و أحفاده علماء أعلام و شعراء أفذاذ منهم نجله السيد الحسن بن السيد جعفر العاملي آل الصدر الصدور و حفيده السيد أحمد بن السيد الحسن بن المترجم له و السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن السيد الحسن بن السيد جعفر المتوفى سنة ١٣٠٣ الآتي الذكر و السيد جمال الدين بن السيد عبد الكريم المتوفى سنة ١٣٣٣ الآتي الذكر و غيرهم ممن ستذكر كلاً- منهم في محله إن شاء الله، تصدر المترجم له كرسى التدريس و الفتوى في قزوین و بث الأحكام الشرعيه، و كانت قزوین منقسمه على نفسها بين الأصوليين و الأخباريين (٣) و كان المترجم له من أكابر علماء الأصوليين و أئمه الفتوى و التقليد و لا تزال داره موجوده حتى اليوم في شارع سپه خلف مدرسه شيخ الإسلام يتوارثها أحفاده. له مؤلفات منها ديوان شعر، و كتاب في الفقه، و رساله الزينيه، و كلها موجوده في مكتبه أحفاده بقزوین (٤)

الشيخ جعفر النقدي ابن الحاج محمد.

ولد في العماره (العراق) سنة ١٣٠٣ و توفي سنة ١٣٦٩ في الكاظميه و دفن في النجف الأشرف درس في العماره ثم انتقل إلى النجف لمتابعه الدراره فكان من اساتذته فيها كل من السيد كاظم اليزدي و الشيخ كاظم الخراساني و السيد هبه الدين الشهرستاني. ثم عاد إلى العماره سنة ١٣٣٢. و في سنة ١٣٣٧ عين قاضيا شرعيا في العماره. و في سنة ١٣٤٣ نقل إلى بغداد، ثم إلى البصره ثم إلى كربلاء ثم إلى الحله.

ثم طلب احالته على التقاعد فعاد إلى العماره. و في سنة ١٣٦٤ أعيد إلى القضاء في البصره ثم صار عضوا في مجلس التمييز الشرعي في بغداد. ثم انتهى إلى التقاعد.

له عدده مؤلفات منها: ١ - أحوال الأئمه الاثنى عشر.

٢ - تاريخ الكاظميين. ٣ - أباه الضيم في الإسلام. ٤ - ضبط التاريخ بالأحرف. ٥ - من الرحمن في شرح القصيده الموسومه بالفوز و الأمان في مجلدين. ٦ - مواهب الواهب في إيمان أبي طالب. و غير ذلك من كتبه المطبوعه.

و من كتبه التي لم تطبع كتاب: (الروض النضير) في شعراء و علماء القرن المتأخر و الأخير. و كتاب (خزائن الدرر).

و كان إلى ذلك شاعرا فمن شعره قوله يصف طياره طارت ليلا:

زهت بجمالها بنت الفضاء مجلبيه بجلباب البهاء

على الغبراء قد درجت و طارت باجنحه البخار مع الهواء

يضاء بها ظلام الجو ليلا فتسرى و هى ساطعه الضياء

ص: ٤١

١- تاريخ أدبيات إيران.

٢- انظر نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ج ٣ ص ١١٥٧.

٣- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٠٤ و دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه م ٤ ص ٥٤٦.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

كان أشعه الأنوار فيها شمس و هي تسطع في المساء
لها لما في الفضا يعنو صغارا و قد سحبت رداء الكبرياء
ترد الريح عنها و هي حسرى و يهفو البرق منخمد السناء
سفين و النجوم لها شراع تسير على الهواء بغير ماء
إلى العلوى طورا باستواء و للسفلى طورا بانحناء
بها ابن الأرض حلق مطمئنا يريع ببطشه طير السماء
أ هذا ابن الثرى قصد الثريا من الغبراء يصعد بارتقاء
تضلله الكواكب و هو يعلو إلى الجوزاء منشور اللواء
أم الأقمار طار بها عقاب ترينا فى الظلام سنا ذكاء
تشق بضوئها ستر الدياتجى فيا عجا لفعال الكهرباء
لقد نورتنا يا علم فيما كشفت عن العيون من الغطاء
فكم من غامض بك قد تجلى و كم أظهرت سرا ذا خفاء
و قد حيرتنا يا علم فيما يراه من العجائب كل ردائى
بنى الغرب افخروا بذوى المساعى الذين سعوا لكم لا بالذكاء
فان مفاخرا حصلتموها لقد كانت بسعى الأولياء
و له يصف السياره:

طفقت تنتهب الأرض انتهابا و غدت تطوى الفيافى و الشعابا
و على لوح الثرى آثارها بيراع السير قد خطت كتابا
كلما الغايه عنها ابتعدت أخذت منها دنوا و اقترابا
هى صرح حين تبدو و إذا ما جرت تحسبها ليثا مهابا

صوتها الرعد إذا ما زمجرت و هي كالثعبان تنساب انسيابا

أدهشت وحش الفلا هيبتها فانثنى للبيد عنها مسترابا

و تولى لافتا منذعرا يقطع الأغوار جريا و الهضابا

و إذا ما صرخت ليث الشرى فر ينحو فزعا غابا فغابا

راعه وسط البرارى هيكل لا يضاهى الأسد شكلا و الذئبا

يا لها سياره أبدى بها قلم الفن لنا أمرا عجابا

جمعت فى جوفها ماء و نارا فهى ريا و الحشى يشكو التهابا

و لها عينان مهما حدقت بهما شقت من الليل حجابا

و دوى يملأ الكون صدى و به يضطرب الدو اضطرابا

يقف الوهم لديها حاسرا كلما تجرى انخفاضا و انتصبا

و يظل الطير فى الجو على حيره يهفو ذهابا و إيابا

فعلى الغايه تنقض عقابا و على الظلماء تمتد شهابا

و قال متشوقا إلى النجف الأشرف:

خفقت على ذكرى الغرى ضلوعه فغدت تسيل على الخدود دموعه

و إلى ربوع العلم بات فؤاده يشكو الغرام و أين عنه ربوعه

بعدت و دون ربوعها بيد الفلا و الركب شق على المشوق نسوعه

لله برق لاح من وادى الحما ليلا فأثر فى حشاي لموعه

هتكت حجاب الأفق ومضه نوره ومضت و صبرى لم تصنه دروعه

يا منزلا قد أبعدته يد النوى حياك من غيث السماء مريعه

بين الضلوع هواك سر كامن لو لا الدموع الجاريات تذيعه

إني لينعشني بربعك صيفه و شتاؤه و خريفه و ربيعہ
يا حبذا شمس السماء غروبها بحماك و البدر المنير طلوعه
أدرت مهاد العلم أن وليدها بلغ الفطام من السلو رضيعه
يا جيره الذكوات أذكى بعدكم قلبا لقربكم شجاه ولوعه
ما أطيب النثر الذى من حيكم ریح الخزامى فى الفضاء تضييعه
و حمام أيك أرقته نوائحى فغدا ينوح فراقنى تسجيعة
نح يا حمام كما تشاء فكلنا من دهره مضنى الفؤاد وجيعه
عيناك ما هجعت و عيني لم تنم من كان ذا قلق فكيف هجوعه
هيهات أن يدنو الرقاد لناظر جفت مدامعه و سال نجيعه
ما هذه الدنيا بدار مسره فيها الفتى يهنى و يسكن روعه
لكنها دار الهوان و كلما فيها يؤول إلى الشتات جميعه

السيد جمال الدين بن السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن السيد الحسن بن

السيد جعفر الرضوى العاملى الأصل القزوينى

المولد و المسكن و المدفن.

ولد فى قزوین سنه ١٢٦٦ و توفى بها سنه ١٣٣٣ و دفن فى ايوان الشاه زاده حسين بن الامام الرضا ع.

من أعيان العلماء و أئمه الفتوى و التدريس جامع المعقول و المنقول.

و آل صدر الصدور: من أغرق الأسر العلميه العلويه العامليه القزوينيه التى بزغ نجمها فى أفق قزوین فى القرن الثانى عشر للهجره منذ عهد جدھم السيد جعفر الرضوى العاملى الذى هاجر من جبل عامل فى عصر السلطان نادر شاه الافشارى المتوج فى سنه ١١٤٨ و المقتول فى سنه ١١٦٠ و أنعم عليه السلطان نادر الشاه بلقب صدر الصدور و أصبح هذا اللقب عنوان هذا البيت الجليل. و هم غير أسره آل شيخ الإسلام العلويه العامليه الحسينيه فى قزوین الذين هاجروا من جبل عامل فى أوائل الحكم الصفوى إلى قزوین الآتى ذكرهم. نبغ من هذا البيت الجليل جمع من العلماء الأعلام و الشعراء الأفذاذ منهم والد المترجم له السيد عبد الكريم آل صدر الصدور القزوينى المتوفى سنه ١٣٠٣ الآتى ذكره و الشاعر العارف السيد محمد آل صدر الصدور القزوينى المتخلص

ب "خاك" و غيرهم و ياتى ذكر كل منهم فى محله إن شاء الله.

قال شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهرانى فى وصف هذه الأسره: (...)

السيد جعفر من سادات جبل عامل و أشرافها الأجلء هاجر إلى إيران و سكن قزوین فى عصر السلطان نادر شاه فاحترمه و بجله و أحله مكانه سامیه و أنعم عليه بلقب صدر الصدور(١) ولد المترجم له فى قزوین فى بیت علم و رئاسه و أخذ المقدمات و المنطق و الصرف و النحو و العلوم العربیه و الفنون الأدب على رجال أسرته منهم والده السيد عبد الكريم و غيرهم ثم حضر فى الفقه و الأصول و الحكمه و الفلسفه على الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى المتوفى سنه ١٢٩٤ و الشيخ محمد على بن الشيخ محمد صالح البرغانى القزوینى و غيرهم من قزوین ثم هاجر إلى أصفهان و التحق بحوزه الشيخ محمد باقر الفشاركى و الشيخ محمد باقر الأصفهانى و صدرت له الإجازة من مشايخه المذكورین فتوجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلمیه الكبرى فى العتبات المقدسه فحضر فى كربلاء على الشيخ زين العابدين المازندرانى الحائرى و مدرس الطف الشيخ ميرزا على تقى البرغانى آل الصالحى و أخذ الفلسفه و العلوم العقلیه عن حوزه الشيخ الميرزا علامه البرغانى الحائرى آل الصالحى ثم استقر فى النجف الأشرف و التحق

ص: ٤٢

١- انظر نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ج ٣ ص ١١٥٧.

بحوزه الميرزا حبيب الله الرشدي و الشيخ لطف الله المازندراني النجفي و منها هاجر إلى سامراء مستفيدا من بحث الامام الشيرازي السيد محمد حسن حتى برع و كان ذو حافظه غريبه و استحضر لرءوس المسائل الفقهيه مما أهله لأن يعد في مصاف فحول العلماء الأعلام فعاد إلى قزوین في سنه ۱۳۰۴ فاستقبلته كافه الطبقات استقبالا شعيبا قل نظيره و أخذ يشتهر يوما فيوما حتى أصبح من علماء قزوین الأكابر و أساطين الدين و تصدر للتدريس و الفتوى و رجع إليه جمع من المؤمنین في أمر التقليد و ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهراني في طبقات أعلام الشيعة و قال: (السيد جمال الدين بن السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن الحسن بن جعفر الرضوي العاملي الأصل القزويني المولد و المسكن و المدفن عالم جامع و فقيه متبحر هاجر جده الأعلى السيد جعفر من جبل عامل و سكن قزوین أيام السلطان نادر شاه و تعاقب فيها أولاده و أحفاده إلى اليوم ولد المترجم حدود سنه ۱۲۷۰ هجريه و نشأ في قزوین ثم هاجر إلى أصفهان... ثم ذكر مشايخه و قال و رجع من العراق إلى قزوین في سنه ۱۳۰۴ هجريه مقيما بها للوظائف الشرعيه إلى أن توفي حدود سنه ۱۳۳۰ و له تصانيف منها كتاب المصاييح في الفقه و رساله في القراءه خلف الامام...)(۱) أقول: و ان نجله السيد محيي الدين كان من أبرز علماء قزوین و ذوی الرئاسة فيها، وصفه السيد محمد علي گلريز قائلا: و السيد محيي الدين بن السيد جمال الدين من العلماء البارزين و وجهاء قزوین(۲) ترك المترجم له مؤلفات و رسائل منها: ۱ - كتاب المصاييح في الفقه من الطهاره إلى الديات في أربع مجلدات، رساله في حدوث العالم، رساله عرفانيه، رساله في القراءه خلف الامام، تقارير درس استاذه الشيرازي في الأصول مجلدين، تقارير درس الشيرازي في الفقه في مجلد واحد، ديوان شعر صغير(۳)

السيد جواد بن السيد جمال الدين حسن بن السيد محمد باقر بن السيد

عبد المطلب الحسيني العلوي العريضي البشروي الحائري.

توفي في كربلاء حدود سنه ۱۲۶۰ و دفن في الروضه الحسينيه.

كان من كبار العلماء و أهل الفضل و المحققين ولد و نشأ في كربلاء و أخذ المقدمات و العلوم الإسلاميه على أفاضل الحائر الشريف ثم تخرج في الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري المتوفى سنه ۱۲۷۱ و شريف العلماء المازندراني الحائري المتوفى سنه ۱۲۴۶ و شغل كرسي التدريس و الفتوى و الامامه في الحائر الشريف و هو نجل السيد جمال الدين حسن البشروي الخراساني الحائري الذي ذكر في أعيان الشيعة (الجزء الخامس صفحه ۲۴۱).

من مؤلفات المترجم له حواشي على كتاب الكافيه في الأصول لوالده و النسخه الأصلية بخط المؤلف في المكتبه الرضويه في خراسان(۴)

حسن علي ميرزا شجاع السلطنه ابن فتح علي شاه القاجاري

السادس و أخو حسين علي ميرزا فرمان فرما الأصغر.

عين حاكما على طهران سنه ۱۲۱۸ ه و هو في الخامسة عشره من عمره. و هذا أول عمل تولاه من الأعمال الحكوميه. و في سنه ۱۲۲۴ ه كان يحكم، مع طهران، بسطام و جاجرم، و يتولى تدبير شئون القبائل التركمانيه.

و فى تلك السنه خطب أبوه لنفسه "طاوس خانم" الأصفهانيه الكرجيه الأصل الملقبه بـ "تاج الدوله"، و أمره بتهيئه أمور الاحتفال بالعرس.

و أهدي، لهذه المناسبه، "الحاج محمد حسين خان صدر" الأصفهاني إلى فتح على شاه عرشا سماه "تخت خورشيد" (تخت الشمس) إذ كان على متكئه صورته للشمس. و فى ليله العرس جلس "فتح على شاه" على هذا التخت إلى جانب عروسه، و غير اسمه إلى "تخت طاوس" (٥) باسم العروس.

و فى سنه ١٢٢٩ هـ كان "محمد ولى ميرزا" ابن فتح على شاه الرابع واليا على خراسان. فوقع بينه و بين خاناتها و أمرائها خلاف شديد فاستدعى إلى طهران، و فى النيه إرسال "حسن على ميرزا" واليا على خراسان بدلا منه. و لكن صرف النظر عن هذا التدبير بالنظر إلى بعض المصالح الملكيه.

و أعيد "محمد ولى ميرزا" نفسه إلى عمله فى خراسان، و أرسلوا معه "الميرزا عبد الوهاب خان نشاط معتمد الدوله" و "فرج الله خان نسقجى باشى".

و فى مقابل ذلك ضمت يزد أيضا إلى حكم "حسن على ميرزا" على تهران و بسطام. فأرسل من قبله "الميرزا موسى منجم باشى" الرشتى حاكما على يزد. فقد كانت العاده فى عهد القاجاريين، و فى عهد غيرهم أيضا، أن يكون فى عهده أبناء الشاه، و مثلهم بعض الوزراء، أكثر من عمل واحد.

فإذا خلت يد أحدهم من عمل كان لديه عمل آخر بمنزله "الاحتياطى".

و فى أواخر سنه ١٢٣١ هـ عزل محافظ خراسان الأمير محمد ولى ميرزا عن حكمه خراسان و عهد بها إلى حسن على ميرزا و لقب (شجاع السلطنه). و كان سبب هذا التدبير وقوع فتنه فى خراسان (٤)، و مقتل إسحاق خان قرائى و ابنه حسن على خان (٧) بامر محمد ولى ميرزا. و كانت نتيجة هذا العزل و التعيين أن قر خانات خراسان فى أماكنهم، و نشر شجاع السلطنه الأمن فى ربوع خراسان، و أطلق حاجى فيروز الدين ميرزا (٨) حاكم "هرات" سراح مبعوث الحكومه المركزيه المؤرخ محمد صادق المروزي (٩) بعد أن حبسه فى سجن "هرات" تسعه أشهر، و جلا عن "غوريان" (١٠)، و كان ابنه "الملك قاسم ميرزا" قد سبق أن احتلها، فعادت إلى حكم مامورين من قبل والى خراسان.

بعد شهرين من وصول شجاع السلطنه إلى مشهد عزم على غزو

ص: ٤٣

١- انظر نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ج ١ ص ٣١٤.

٢- انظر مينودر ج ١ ص ٣٤٠ الطبعة الأولى طهران منشورات جامعه طهران.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

- ٥- هو غير "تخت طاوس" الشهير الذي حملة نادر شاه إلى إيران من الهند لما فتحها.
- ٦- هي فتنه عظيمه اشترك فيها فريق من خانات خراسان و أسره "سدوزائي" الحاكمه يومئذ في أفغانستان. بدأت الفتنه في سنه ١٩٢٩ هـ.
- ٧- هما من كبار خانات خراسان. و كانا يخالفان الأمير محمد ولي ميرزا و يكيدان له و لا يعتنيان به. و كلماه مره في مجلس بكلام غير لائق، فأمر بقتلهما فقتلا.
- ٨- هو أخو الشاه محمود السدوزائي ملك أفغانستان يومئذ.
- ٩- من موظفي وزاره الماليه، بعثت به الحكومه المركزيه من طهران إلى "هرات" للتحقيق في شكاوى رفعت إليها.
- ١٠- كان من وقائع تلك الفتنه أن هاجم فيروز الدين ميرزا "غوريان" فاحتلها و طرد حاكمها المعين من قبل والي خراسان.

"هرات" (١) و احتلالها. فخرج من مشهد يقصدها. فاحتل قلعه "محمود آباد جم" حربا. ثم تابع سيره إلى "هرات" فالتقى جيش "حاجي فيروز الدين" عند نهر "إنجيل" فهزمه و ضرب الحصار على "هرات". و انتهى الأمر إلى دخول "حاجي فيروز الدين" في طاعته و ضرب السكة باسم فتح على شاه و خطب باسمه. و ظل "حسن على ميرزا" في تلك النواحي قريبا من ثلاثه شهور يحارب المتمردين فاضع أكثرهم. ثم عاد إلى مشهد في شهر رمضان من تلك السنه.

و في سنه ١٢٣٢ هـ، إذ كان "حسن على ميرزا شجاع السلطنه" قد احتل "هرات" و نصب حاجي فيروز الدين ميرزا حاكما عليها بشرط أن يكون تابعا لـ إيران في كل شىء، ثم عاد إلى مشهد، أرسل حاجي فيروز الدين ميرزا ابنه الملك حسين ميرزا إلى "قندهار" إلى أخيه شاه محمود و أرسل معه أحد رجاله، يطلب من أخيه مساعدته على استرجاع "غوريان". و كان "شاه محمود" يترقب سنوح مثل هذه الفرصه فاغتمها، و أرسل إليه وزيره "فتح خان"، و كان رجلا مغامرا مدبرا، و أرسل معه بعض إخوته و ثلاثين ألف فارس.

و كان الظاهر من هذه البعثه هو مساعده أخيه حاجي فيروز الدين ميرزا بناء على طلبه، و لكنه كان ينوى في الباطن احتلال "هرات" و اعتقال أخيه. و لما وصل "فتح خان" بجيشه إلى "فراه"، قال حاجي آقا خان وزير فيروز الدين ميرزا، و كان امراء محنكا بصيرا بالعواقب، لفيروز الدين: لا أرى صلاحا في أن تسمح لفتح خان بدخول المدينه بهذا الجيش الذى معه. و الصلاح فى أن يعسكر خارج المدينه.

و بعد ذلك خف حاجي آقا خان بنفسه إلى استقبال فتح خان و أنزله فى مكان خارج المدينه، و أبلغه عن لسان فيروز الدين ميرزا أن الغايه من مجيئه إلى "هرات" إنما هى استرداد "غوريان". و على هذا يترتب عليه أن يبدأ أولا- بالسير إليها، فإذا استردها جاء إلى "هرات" فيستقبل فيها بما يجب من إكرام و إجلال.

و أراد الوزير "فتح خان" أن يبعد فيروز الدين ميرزا و رجاله عن كل سوء ظن به و أنه مطيع لأوامره و سيمضى عن "هرات" إلى استرداد "غوريان". فأظهر الانصياع لطلب فيروز الدين ميرزا، و مكث فى خارج "هرات" بضعه أيام بدعوى التهيؤ للحرب. ثم دعا بعدها فيروز الدين ميرزا إلى معسكره لمشاورته و توديعه قبل الذهاب. فأجاب دعوته مطمئنا إلى قوله. و بعد التشاور و التوديع، أمر "فتح خان" باعتقاله ثم أرسله مخفورا إلى "قندهار" إلى "شاه محمود"، و قتل وزيره حاجي آقا خان و مستشاره عبد الرشيد خان. ثم دخل مدينه "هرات" سنه ١٢٣٣ هـ و نهب أمواله و أموال ابنه "الملك قاسم ميرزا" و خزائنها. و ظل مقيما فى المدينه. ثم شرع يرسل رسلا و كتباً إلى خانات خراسان و رؤسائها و "محمد رحيم خان الخوارزمي" خان "خيوه" فحالفهم. ثم بعث بأخيه "كهندل خان" لاحتلال "غوريان"، و سار هو فى تلك السنه من "هرات" بثلاثين ألفا إلى خراسان يقصد احتلالها. و سار محمد رحيم خان أمير خوارزم برجاله حتى بلغ أراضى "سرخس". و سار "شجاع السلطنه" من مشهد فى ٨ رجب من تلك السنه فى طريق "هرات" إذ رأى أن الأنسب البدء بدفع الأفاغنه. و التقى الجمعان، عسكر "فتح خان" و عدته ثلاثون ألفا و عسكر "حسن على ميرزا" و عدته عشره آلاف، فى أراضى "كوسويه" (كوهستان). فأرسل "فتح خان" رسولا إلى "شجاع السلطنه" يقترح عليه الصلح و الانصراف عن الحرب و سفك الدماء فى مقابل شروط مجحفه بحق إيران. فلم يلتفت إليه "شجاع السلطنه". و وقعت حرب شديده استبسل فيها الايرانيون، و بلغ أحد قوادهم "ذو الفقار خان" السمنانى الغايه من الشجاعه و الثبات حتى انتصروا، يقول المؤرخ الانكليزى "آر. جى. واتسون" فى كتابه "تاريخ القاجاريين":

" في هذه المعركة رأى ذو الفقار خان قائد الفوج السمناني أن جنوده أخذوا يفرون إذ رأوا كثره عدوهم. فترجل عن حصانه و عقره، و صاح بجنده: أ تفرون و تتركونني وحيدا! فاخذتهم النخوه و ثبتوا معه حتى تم لهم النصر "اه.

و في هذه المعركة أصيب "فتح خان" برصاصه في فمه. إصابه شديده، فكان ذلك باعثا على انكسار معنويات جنوده، فتفرقوا عنه منهزمين. و لو لم ينتصر الايرانيون في هذه الحرب لوقعت إيران في صعوبات عظيمه.

و كان "كامران ميرزا" ابن "الشاه محمود" حاكما على "هرات". فلما بلغه نبا هذه الحرب و ما حدث فيها أراد الاعتذار إلى دولته [دولت] إيران فتبرأ مما فعله "فتح خان" و أعلن أنه إنما أقدم على محاوله غزو مشهد من تلقاء نفسه بدون علم منه و من أبيه. و من أجل أن يثبت ذلك أمر بسمل عيني "فتح خان" و كان ذلك في سنه ١٢٣٣ هـ. و في سنه ١٢٣٤ هـ قتله (٢) و انصرف "شجاع السلطنه"، بعد هذا النصر، إلى قمع المتمردين من خانات خراسان. فما حلت سنه ١٢٣٥ هـ حتى كان قد أحمده فتنهم، و عزم على غزو "هرات" لقمع "الشاه محمود السدوزائي". و إذ كان هذا على علم سابق بذلك فقد بادر إلى تدارك أمره بان أرسل من قبله رسولا إلى طهران إلى "فتح علي شاه". فذهب الرسول أولا إلى "تربت حيدريه" حيث كان "شجاع السلطنه"، فاجتمع به و قدم إليه مقدارا كبيرا من الهدايا و المال و صرفه بهذه الرشوه عن السير إلى "هرات". ثم تابع سيره إلى طهران، فدخل على "فتح علي شاه" و رشاه كما رشاه ابنه "شجاع السلطنه" بوافر من الهدايا و المال، و بذلك سلم "الشاه محمود" من الغزو و الحرب.

و عاد "شجاع السلطنه" إلى مشهد.

و في سنه ١٢٣٨ عزل "شجاع السلطنه" عن ولايه خراسان و استدعى إلى طهران. و كان السبب في ذلك أن خانات خراسان تواطؤوا على الوشايه به إلى أبيه "فتح علي شاه". فحذروه سريرا من أن من الممكن أن يتمرد ابنهن.

ص: ٤٤

١- إحدى مدن خراسان الأربع.

٢- أغضب إعماء هذا الوزير ثم قتله إخوته، و عدتهم تسعه عشر، فثاروا على "الشاه محمود"، و أدت ثورتهم إلى زوال أسرته، أسره "سدوزائي"، بعد أن حكمت أفغانستان ٩٤ عاما، من سنه ١١٦٠ هـ إلى سنه ١٢٥٤ هـ، و حلت محلها في الحكم أسره "محمدزائي"، و مؤسسها "دوست محمد خان" أخو الوزير "فتح خان" المذكور. و هي الأسره التي ظلت تحكم أفغانستان إلى يوم الانقلاب الجمهوري الذي وقع في سنه ١٩٧٣ م. و الأسرتان كلتاهما من طائفه الأبداليين.

و يخرج عليه. فلما سمع "شجاع السلطنة" بهذا الخبر ذهب إلى طهران و استقال من الولاية على خراسان. و عين "فتح على شاه" ابنه الثامن "على نقى ميرزا" فى مكانه و لقبه ب "حجه السلطان"، و كان قبلها حاكما على قزوین.

و لكن "على نقى ميرزا" عجز عن تطويع خانات خراسان فعاد إلى طهران فى سنة ١٢٣٩ هـ و استعفى من ولاية خراسان. فأعاد الشاه "شجاع السلطنة" إليها مره ثانيه فى تلك السنه.

و فى سنة ١٢٤٠ هـ، و كان "رحمان قلى توره" والى خوارزم الأزبكي قد هاجم خراسان و وصل إلى قرب مشهد، خرج "شجاع السلطنة" إلى حرب هذا الوالى فهزمه هزيمة شديده و رد الأزابكه عن خراسان.

و فى سنة ١٢٤١ هـ كان "الشاه محمود" الأفغانى حاكما على "هرات". و كان يخشى أن يعتقله ابنه "كامران ميرزا" و يحبسه. فخرج من "هرات" و هيا جيشا من البلدان التى فى نواحيها، و هاجم به "هرات" و أوشك أن يحتلها و يقبض على ابنه. فأرسل الابن إلى "شجاع السلطنة" يستنجد به. فقدم "شجاع السلطنة" من مشهد إلى إنجاده بجيش كامل التجهيز فى شهر ذى الحجه من تلك السنه. و كان قدومه بنفسه إلى "هرات" سببا فى انكسار "الشاه محمود" و دفعه عنها، و تغلب الابن على أبيه.

و أقام "شجاع السلطنة" فى "هرات" شهرا و بعض الشهر، ثم عاد إلى مشهد و ترك فى "هرات" ابنه الثالث "أرغون ميرزا" مع خمسه آلاف فارس.

و ظل "شجاع السلطنة" واليا على خراسان إلى سنه ١٢٤٣ هـ، و هى السنه التى أوقع الروس فيها بايران هزيمة شديده فى الحرب الثانيه التى وقعت بين الدولتين، و انتهت إلى عقد معاهده "تركمان شای"، و احتلال الروس "إيروان" و تبريز.

فى ذلك الحين أمر "فتح على شاه" جميع الولاة بتهيئه الجيوش و الحضور بها إلى العاصمه لمتابعه محاربه الروس. و جاء "شجاع السلطنة" بجيش عظيم من خراسان متهيئا للحرب. و لكن وقع خلاف بينه و بين أخيه ولى العهد "عباس ميرزا"، فقد كان هذا يرى الصلح و "شجاع السلطنة" يرى الحرب. و شاع فى أوساط العسكريين و البلاطيين يومئذ أن "فتح على شاه" أخذ يرتاب فى "عباس ميرزا" و يظن به الخيانه، و أنه ينوى عزله من ولاية العهد و توليه "شجاع السلطنة" مكانه. و شاع أيضا أن "شجاع السلطنة" اقترح على أبيه أن نح "عباس ميرزا" و أقمى فى مكانه أمرا على الجيش فاسير إلى أذربيجان و أتابع محاربه الروس. و لكن السياسه الايجابيه التى اتبعها "عباس ميرزا" فى معامله الروس قربته منهم و أوجدت بينه و بينهم رابطة صداقه و ثقه، فايدوه. و إذ كانت كلمتهم مسموعه لأن الغلبه كانت لهم، فقد رد اقتراح "شجاع السلطنة"، و مضى "عباس ميرزا" فى إنقاذ رأيه حتى تم الصلح و عقدت معاهده "تركمان شای". و أوقع هذا الخلاف عدااء شديدا بين الأخوين.

و مع أنه شاع شيوعا و اسعا أن "عباس ميرزا" قد خان بلاده باتباعه هذه السياسه، فان فريقا من كبار المؤرخين يرى أن الحق كان فى جانبه و أن "شجاع السلطنة" كان مخطئا فى سياسته، لأن إيران كانت يومئذ عاجزه عن متابعه الحرب بسبب تفوق الروس عليها تفوقا عظيما، فهى لا قبل لها بمقاومتهم. و لن تجنى من متابعه الحرب غير متابعه الروس احتلال أقسام أخرى من أرضها. و سبب آخر هو أن رضوخ إيران لمعاهده هى المغلوبه فيها لن يدفع الروس إلى إثارة حرب أخرى فى المستقبل على إيران. لأن انكلترا، و هى حليفه روسيا، لن تسمح لهم بالتقدم أكثر مما تقدموا لأمن خطتها فى المحافظه على طريقها إلى الهند تقتضيها

ذلك، و أن إيران قد ضعفت و تمزقت بيد الروس إلى الحد الذي تريده إنكلترا. و هنا يجب أن تتوقف روسيا. و من ثم لم يبق وجه لأن تتابع إيران محاربه روسيا، فعقدت معاهده "ترکمان شای".

استمرت الحرب الثانيه بين روسيا و إيران من سنه ١٢٤١ هـ إلى سنه ١٢٤٣ هـ، و انتهت إلى انكسار إيران انكسارا تاما، و الإضرار بها إضرارا عظيما، حتى يمكن القول إن إيران أصبحت بعد هذه الحرب و عقد تلك المعاهده بلا حول و لا قوه.

في سنه ١٢٤٣ هـ، إذ كان أبناء الشاه و حكام الولايات في طهران بدعوه من "فتح على شاه" للتشاور في أمر الحرب تمرد "عباس قلي خان" حاكم كرمان و بلوشستان و خرج على الدوله بتحريض من وزيره "محمد قاسم خان" الدامغانى. و كان "محمد ولى ميرزا" ابن "فتح على شاه" يومئذ حاكما على يزد. فلما بلغه نبا الثوره في كرمان ذهب إلى طهران لتقديم تقرير عنها و تدبر أمرها، و أناب عنه على حكومه يزد وزيره "عبد الرضا خان" ابن "تقى خان" حاكم يزد السابق.

فلما وصل "محمد ولى ميرزا" إلى طهران صادر نائبه "عبد الرضا خان" كل أمواله لنفسه، و أخرج نساءه و أبناءه و أقرباءه، و عدتهم ثلاثمائه، من يزد و بعث بهم إلى طهران و أعطاهم مبلغا من المال نفقه الطريق. و فيما "محمد ولى ميرزا" عائد من طهران إلى يزد التقى بهم في "نايين" فاضطر أن يقطع سفره و يعود معهم إلى طهران.

و كان والى خراسان "حسن على ميرزا شجاع السلطنه" حينئذ في طهران مشغولا بالمشاورات القائمه في موضوع الحرب الروسيه الإيرانيه.

فأمر "فتح على شاه" بتعيينه حاكما على يزد و كرمان، و بعث به مع جيشه إليهما لاقرار النظام فيهما. و بعث معه بأحد رجاله اسمه "آقا إسماعيل" ليسترد من حاكم يزد المتمرد أموال "محمد ولى ميرزا". فلما وصل "شجاع السلطنه" إلى يزد قاومه حاكمها المتمرد، و توسل بالعلماء ليكونوا واسطه بينه و بين الشاه فالتمسوا من الشاه إقرار "عبد الرضا" في حاكميه يزد و إرجاع "شجاع السلطنه" عن محاصره يزد. و قدم "عبد الرضا" إلى الشاه هدايا كثيره، فأجابهم إلى طلبهم، و سار "شجاع السلطنه" من يزد إلى كرمان.

و هناك قوبل أيضا بمقاومه شديده انتهت بعد اثني عشر يوما من الجدال و المنازعه و الحرب إلى انتصاره بحسن تدبير "آقا محمد حسن" المازندراني أحد رجال خاصته. و بعد مده قليله ثار أهالى المدينه مره ثانيه على "شجاع السلطنه" فاحمد ثورتهم و أخضع رؤساءهم.

و في سنه ١٢٤٥ هـ اضطر "فتح على شاه" إلى السفر إلى فارس، لقمع بعض حركات التمرد. فاستدعى إليه "شجاع السلطنه" من كرمان فصحبه إلى شيراز، ثم عاد منها إلى كرمان و في خدمته "محمد زكى خان".

و في سنه ١٢٤٦ هـ اتصل "شفيع خان" حاكم نواحى كرمان ب "عبد

الرضا خان " حاكم يزد فحرضه هذا على الخروج على "شجاع السلطنة".

و بلغ ذلك إلى "شجاع السلطنة" فغضب غضبا شديدا و قام بمحاصره يزد يريد اعتقال "عبد الرضا خان". و إذ كان قد قام بهذا العمل على خلاف ميل أبيه و بدون إجازة منه، فقد عين "فتح على شاه" حفيده "سيف الدوله ميرزا" حاكما على يزد. إلا أن "شجاع السلطنة" شدد حصاره عليها مندفا بما فى نفسه من حقد و نقمه. فلما رأى "فتح على شاه" ذلك منه أمر نائبه ولى عهده "عباس ميرزا" بالمسير إلى يزد لاستخلاصها و إخماد الثورة فيها. فلما علم "شجاع السلطنة" بذلك عاد عن يزد إلى كرمان. و احتل "عباس ميرزا" يزد و اعتقل "عبد الرضا خان" ثم سار إلى كرمان. فلما علم "شجاع السلطنة" بقدمه إليها أرسل ابنه الأكبر "هلا-كو ميرزا" الملقب بـ "بهادر خان" إلى استقباله، و دخل "عباس ميرزا" نائب السلطنة إلى كرمان سلما بلا مقاومه. و دخلها أيضا حين دخوله "آقا محمد كريم" أحد رجال "فتح على شاه" مرسلا من قبل الشاه لاحضار "حسن على ميرزا" إلى طهران.

و فى أواخر سنه ١٢٤٦ هـ أرسل نائب السلطنة "شجاع السلطنة" إلى طهران، و معه مائتا فارس، و عليه "محمد زمان خان قاجار دولو" رقبيا.

و فى تلك السنه ذهب "فتح على شاه" إلى أصفهان، و أحضر إليه أبناء "شجاع السلطنة" و أحضر أيضا "حسين على ميرزا" الملقب بـ "فرمان فرما" (الحاكم) و هو ابنه الخامس من شيراز قاعده و لايه فارس، و كان واليا عليها، فحقق فى أمور كان قد أقدم عليها، ثم أذن له بالعوده إلى شيراز و سلم إليه أبناء "شجاع السلطنة" يصحبهم معه إلى فارس و يحتفظ بهم عنده هناك.

و فى أواخر سنه ١٢٤٨ هـ أرسل الشاه "شجاع السلطنة" إلى شيراز إلى أخيه "حسين على ميرزا" لاختماد فتنه وقعت فى أراضى "كوه كيلويه" و "دشتستان"، و منها يذهب إلى كرمان حاكما عليها.

و فى أوائل سنه ١٢٤٩ هـ توفى ولى العهد "عباس ميرزا" فى مشهد و نصب ابنه "محمد ميرزا" وليا للعهد خلفا له، إذ كانت معاهده "ترکمان شای" التى عقدت بين إيران و روسيا سنه ١٢٤٣ هـ قد نصت على أن يكون الملك له و لأعقابيه من بعده. و لم تمنع إنكلترا كذلك تعيينه لهذا المنصب.

و فى سنه ١٢٥٠ هـ توفى "فتح على شاه" فى أصفهان، فأصبح حفيده هذا خلفا له على العرش. و كان الصدر الأعظم "عبد الله خان أمين الدوله، يريد أن يكون منصب الشاه لـ "حسين على ميرزا فرمان فرما" خامس أبناء "فتح على شاه". و قد ترك الشاه المتوفى من بعده ستين من الأبناء، كان كثيرون منهم يشغلون مناصب الحكام و الولاه فى مختلف الايالات و الولايات. و منهم "حسن على ميرزا شجاع السلطنة" كان حاكما على كرمان. فلما سمع بنيا وفاه أبيه "فتح على شاه" و تولى ابن أخيه "محمد ميرزا" منصب جده استاء أشد الاستياء. فذهب إلى فارس إلى أخيه "حسين على ميرزا فرمان فرما". و نادى هذا بنفسه شاهها و عين "شجاع السلطنة" قائدا لجيشه.

أما "محمد شاه" فقد عمل بمشوره وزيره الكفاء القائم مقام "الميرزا أبو القاسم" فبعث بأخيه "فيروز ميرزا" و معه أحد خاصه "منوچهر خان معتمد الدوله" و بعض الضباط الإنكليز بجيش إلى فارس لاختضاع الأخوين العاصيين.

والتقى الجيشان، جيش "حسين على شاه" بقيادة "شجاع السلطنة" و جيش "محمد شاه" بقيادة الضابط الانكليزي "ليندزى"، و وقعت بينهما معركة فى ناحيه تدعى "شولكستان"، انهزم فيها "شجاع السلطنة" هزيمه مروعه، فراجع، بل فر، إلى شيراز.

و انتهى أمر الأخوين إلى التسليم، فاسرهما "معتد الدوله" و بعث بهما مع "منصور خان الفراهانى" إلى طهران. و قبل وصولهم إلى العاصمه سمل "محمد باقر خان قاجار دولو" محافظ طهران عينى "شجاع السلطنة" فى قريه "كنار كرد" بالقرب من طهران بامر من "محمد شاه". و سجن الأخ الأكبر "حسين على ميرزا فرمان فرما" فى عماره "برج نوش". و بعد بضعه أشهر توفى بالكوليرا فى أوائل سنه ١٢٥١ هـ.

و أوقف "حسن على ميرزا شجاع السلطنة" الأعمى مده فى طهران.

ثم سجنوه مع عشره من أبناء "فتح على شاه" فى قلعه أردبيل. و ظل مسجوناً فيها إلى سنه ١٢٥٣ هـ، إذ استطاع أربعة من المسجونين الفرار من القلعه من ثغره فتحتها لهم فى أحد جدران القلعه رجل من حافرى الأقبنيه، بعد أن هيئت لهم جميع وسائل الفرار اللازمه، و لجئوا إلى روسيا. و بعد هذه الحادثه نقل بقيه الأمراء المسجونين إلى تبريز لكيلا يتمكنوا من الفرار، و أقيمت عليهم حراسه دقيقه.

ولد "شجاع السلطنة" سنه ١٢٠٤ هـ و توفى سنه ١٢٧٠ هـ فى طهران و له من العمر ٦٧ عاماً. و كان ينظم الشعر، مثل كثير من أبناء "فتح على شاه". و اسمه الشعرى المستعار "شكسته" أى: الضعيف (١).

الحاج حسين بن على قصفه

ولد فى قريه السلطانيه التى كانت تسمى (اليهوديه) بجبل عامل سنه ١٣٠٥ و توفى فيها سنه ١٣٨٥.

نشا فى قريته و تتلمذ على أحد شيوخها فتعلم مبادئ القراءه.

و كان ذا ولع بالشعر العامى و مارسه فى صغره حتى مالت نفسه إلى العلم و لكن وسائل التعليم كانت مفقوده ببلدته فى ذلك الزمن فتتبع الكتب و الشيوخ إلى أن أصبح له إلمام باللغه العربيه.

سافر مرتين إلى الولايات المتحده الأمريكيه الأولى من سنه ١٣٣٠ هـ إلى سنه ١٣٣٧ هـ. و الثانيه من سنه ١٣٣٨ هـ إلى سنه ١٣٤٨ هـ. و نظم فى المهجر قسماً كبيراً من شعره أكثره فى الحنين إلى وطنه، ثم عاد إلى قريته و استقر فيها حتى أدركته الوفاه.

من مؤلفاته: تصحيح نخبه المحدثين فى كتاب صنفين لنصر بن مزاحم مع إضافات هامه طبع فى مدينه "ديترويت" الولايات المتحده عام ١٩٢٥ و من مؤلفاته التى لم تطبع:

١ - شرح القصيده الافريقيه التى مطلعها:

مهلاً على رسلك حادى الاينق و لا تكلفها بما لا تطق

٢ - شرح القصيده البائيه للسيد حسن محمود الأمين في مديح أمير المؤمنين ع التي مطلعها:

فرقان مدحك يجلو ظلمه الريب و آيه الصدق تمحو آيه الكذب

٣ - منتخبات من الشعر العربي.

فمن شعره مراسلا أحد أصدقائه المهاجرين:

ذهبت بصفو حياتنا الأيام و مضت بعاطر ذكرنا الأعوام

فمن الزمان و حادثات صروفه لا الكر ينقذنا و لا الأحجام

أعمارنا مرت سراعاً و انقضت فكأنها بمرورها أحلام

فعلى الحياه و ما مضى من عيشنا و الذكريات و ما تضم سلام

بالأمس كنت إذا مررت بربعها لا العين تصيبني و لا الآرام

أمشى كما شاء الغرام و لم أقل هذا الحمام إلى النفوس حمام

يا نازحا عن داره منذ الصبي الدار يحيى ذكرها الإمام

لا الدار دار في الربوع و لا الحمى هو ما عهدت و لا الخيام خيام

السيد حسين فخر الدين ابن السيد علي

ولد سنة ١٨٨٠ م في قرية (اليهوديه) بجبل عامل التي استبدل باسمها هذا أخيراً اسم (السلطانيه) و توفي فيها سنة ١٩٦٤ م.

درس قواعد اللغة العربية في مدرسه شقراء تمهيدا لإكمال الدراسه بعد ذلك في النجف الأشرف، و لكن حالت الظروف دون ذلك، فأقام في بلدته ملتزماً ببعض الأعمال الدينيه كاجراء عقود الزواج و قراءه مجالس التعزیه بصوته الشجي الرقيق.

و كان ينظم شعراً فمن ذلك قوله في مطلع قصيده مدحيه:

جاءتك ترفل في قبا و برود عذراء تهزأ بالعداري الرود

تختال تيهها في غلاله دلها و تميل شبه البانه الأملود

و جبينها كالبدر ليله تمه يبدو و يخفى في ظلام جعود

و سناء لو نظرت إليك لخلتها نشوانه أو كحلت بهجود

و بقرطها شاد حكت نغماته عند التردد نغمتى داود

هيفاء ترشق من نبال لحاظها و تصيد أفئده الكماه الصيد

و بوجنتيها جمره و بثغرها شهد، فيسكر كابنه العنقود

و تريك برقا إن تبسم ثغرها فكأنه عن لؤلؤ منضود

تهتز مثل الخيزرانه إن مشت تمشى الهوينا مشيه المصفود

و يقول فى قصيده رثاء:

هوى اليوم ركن المجد و الجو أظلما و طرف المعالى يمزج الدمع و الدما

و سمر العوالى بالمنون تقصفت و ذا الصارم البتار بات مثلما

لقد خسف البدر الذى يهتدى به و قد كسفت شمس الظهيره فى السما

و فى قصيده أخرى:

فطوبى لأرض قد حلت بتربها لقد سعدت، لكن لنا الهم و الخسر

مضيت و خلفت العيون بواكيا تسيل من الآفاق أدمعها الحمر

و أضرمت فى الأحشاء نارا توقدت و فى كل قلب من توقدها جمر

و من شعره قوله:

هجرت الكرى لما علمت بأنها، على غير جرم قد صفت للعوادل

و قد لامنى الواشون فيها سفاهه و أنى لها بين الورى من مماثل

تصيد قلوب العاشقين بنظره إذا ما رنت فى طرف أحور ذابل

و ما البيض إلا من سواجى جفونها و من قدها المياس سمر العوامل

و ما الشعر إلا كوثر فيه لؤلؤ فذاك لأهل العشق عذب المناهل

و جيد كجيد الريم ليس بعاطل و لون كلون الورد وسط الخمائل
فان لامنى العذال فيها فانى مدى الدهر، لن أصغى إلى قول عاذل
و قوله:

و لقد ذكرتك عند آخر نظره كانت ختام الزاد للمترو
و سواك لم أقصد - سلمت - بدعوه منى لقومى و الحمام مهدى
فبكى الجميع و كنت أ بسم بينهم جذلا كانى منه فى روض ندى
و ذهلت عن يومى و ما ألقى به أملا بانك حول نعشى فى الغد
خالستك النظر الأخير و معشرى حولى وجوم و الحمام مهدى
يبكون من حزن على و إننى فرح بانك بينهم من عودى
و قوله مادحا:

أهل أنت فى ربع الأحبه سائل فتنيك أطلال لهم و منازل
فان بذاك الحى عذراء ناهد لها من سواجى الطرف بيض قوائل
و فرع كجرح الليل أسود فاحم و وجه كبدر التم فى الأفق كامل
و جيد تحلى لا بعقد و إنما بحسن تلالاً نوره و هو عاطل
إذا خطرت فالقرط أصبح ناطقا و تخرس غند [عند] الخطو منه الخلاخل
تمشت إلى نحوى تجر وراءها عقائص شعر ما نمتها الغلائل
تقول لقد أصبحت بالهجر متلفى ممالك عن وصل الأحبه ذاهل
فقلت لها كفى الملامه و اقصرى فلى شغل فى نعت غيرك شاغل
همام نمته للمعالى أكارم و ليث عرين أنجبته بواسل
تسلسل من أعراق قوم نداهم بحور عطاء ما لها قط ساحل

بلى أنت فى ذا العصر سيد عامل و ما لك فى ذا الدهر ند مماثل

فأنت عماد الفخر و العز و العلا و فى الجذب للعافين عون و كافل

و أنت بأفق المجد بدر سنائه مقيما على أن البدور أوافل

و يا من له فوق الأثير مضارب تسامت على متن النهى و منازل

نبت على الجوزاء مجدا مشيدا دعائمه بيض و سمر عواسل

تعاليت أن يحصى صفاتك مادح فكيف و قد شدت إليك الرواحل

لعمرك ما فى الكون غيرك سيد و لا خلقت إلا إليك الفضائل

الوزير المغربى أبو القاسم الحسين بن على:

اشاره

مرت ترجمته فى المجلد السادس. و نشر هنا عنه هذه الدراره بقلم الدكتور إحسان عباس:

للوزير المغربى أبى القاسم الحسين بن على دور كبير فى العلم و الأدب و السياسه: فى العلم بما خلفه من مؤلفات مثل أدب الخواص و الإيناس و غيرهما من مؤلفات لم تصلنا، و فى الأدب بديوان شعر رآه ابن العديم بخطه كما رآه ابن خلكان، و ديوان رسائل، و فى السياسه بمحاولته الثوره لأن الحاكم بامر الله الفاطمى قتل أباه و عمه و أخويه، و فى التنقل من وزاره إلى أخرى فى المناطق العراقيه، حتى ليوصف بأنه أحد دهاه العالم. و إنك لتعجب بهذا العالم الذى بلغ حدا متميزا فى الدقه العلميه و سعه الاطلاع، كما تعجب بالشاعر الرقيق و الناثر اللبق، و لكنك قد تتردد فى الاعجاب بذلك

ص: ٤٧

الرجل المغامر الذى خاص دنيا السياسة و المكاييد و الحروب بذكاء فذ. و قد تحس أن ذلك كله كان ذا جور على دوره العلمى و الأدبى، و مع ذلك فإنه كان مدفوعا إلى ذلك بقوه الظروف التى عاش فى ظلها.

و منذ أن تعرفت إلى علاقته بأبى العلاء أثناء عملى المستمر فى بعض آثار أبى العلاء، حاولت أن أكتشف طبيعه تلك العلاقة، و ذلك التقدير الذى كان المعرى يحمله للوزير. لقد وحدت بينهما المعره - و حلب - فى النشأه، و لكن ذلك لا يكفى لتفسير علاقته ظلت مستمره طوال العمر. و قد أدهشنى حقا أن يرثيه أبو العلاء فى اللزوميات، و هو كتاب متميز بالتأملات الفكرية، جاء بعد عهد المدح و الرثاء اللذين يمثلهما سقط الزند. و قد طال بى العهد و أنا أعائش ما أجده فى المصادر من شعره و نثره، و فى أثناء ذلك صدر كتابه أدب الخواص و الإيناس، و كان الأول منهما مصدرا بدراسه قيمه للشيخ حمد الجاسر، كما أن الأستاذ إبراهيم الأبيارى نشر الإيناس و قدم له بدراسه فى المؤلف، و قبل ذلك بكثير أصدر الدكتور سامى الدهان رساله الوزير فى السياسة، و كتب لها مقدمه عرف فيها بالمؤلف باسهاب، كما جمع التراجم التى وردت فى ما اطلع عليه من مصادر. و قد قرأت كل هذه المقدمات و أفدت منها، حتى لقام فى و همى أننى لا أستطيع أن أتجاوز ما قدمه هؤلاء العلماء الأجلاء. و قد أدرت المسأله فى نفسى طويلا، ثم قر العزم على كتابه دراسه عن الوزير المغربى، فمن يدرى لعلنى أستطيع أن أقول فيها أشياء لم يقلها الذين سبقونى إلى دراسته.

و قد كتبت كتابى فى دراسه عبد الحميد الكاتب، و حين درست الوزير المغربى وجدتنى أدرس علما كبيرا من أعلام النثر، ذا علاقته معنويه و ماديه بعبد الحميد، فالعلاقه المعنويه هى إعجابه بشيخ الكتاب و مقدمهم، حتى سمي ابنه عبد الحميد و كناه أبا يحيى، و العلاقه الماديه هى أنه حلقة فى السلسله النضره فى تاريخ النثر الفنى، تلك السلسله التى بدأت أولى حلقاتها بعبد الحميد.

هذا هو الوزير المغربى "صانع" الملوك و الدول، أقدمه دون تزيد، و قد كان همى الأكبر رسم سيرته حسب مراحلها الزمنيه، مع تقديم لمحه عن نشاطاته فى حقول المعرفه.

١ - نسبه - جده و أبوه

الحسين بن على بن الحسين بن على بن محمد المغربى لم يكن من أهل المغرب، و إن أوحث هذه النسبه بذلك، بل كان مشرقيا بعيد الجذور فى الانتماء المشرقى، يرفع نسبه إلى الملك الفارسى بهرام جور(١)، و يتناقل المؤرخون هذا النسب عنه دون شك أو إثارة لشك، فالناس مصدقون فى أنسابهم. و إنما نسب إلى المغرب لأن أحد أجداده (و هو على بن محمد فى سلسله النسب) كان مسؤولا فى بغداد عما يعرف بديوان المغرب، و قد تردد ابن خلكان فى قبول هذه الروايه لأن الوزير المغربى قال فى كتابه "أدب الخواص" حين ذكر المتنبى "و إخواننا المغاربه يسمونه المتنبه...". و من ثم استنتج ابن خلكان لقوله "إخواننا" أنه مغربى حقيقه(٢) و لم يكن لهذا التردد أية ضروره، فان ابن خلكان لو اطلع على إحدى رسائل الوزير لدفع الشك باليقين، فالرجل صريح فى تفسير هذه النسبه إذ يقول "و كان جد أبى و هو أبو الحسن على بن محمد يخلف على ديوان المغرب فنسب به إلى المغربى" (٣) و قد ظل الجد الأعلى أبو الحسن على بن محمد يعيش فى البصره إلى أن قام آل البريدى - وهم من إقطاعى البصره و ممن شغل مناصب عاليه فى الدوله - بثوره سيطروا من خلالها على البصره و الأهواز و واسط (٤)، و ذلك فى حدود العام (٣٢٤ - ٣٢٥) فانتقل على إلى بغداد. و قد كان له بعض مشاركه فى الأدب إذ روى له البيتان التاليان(٥):

و أنى على الإقتار أحمل همه لها مسلك بين المجره و النسر

أؤمل نفسى لا أؤمل غيرها من الناس أو ياتى الغنى و هو ذو صغر

و فى حى سوق العطش رزق بابنه الحسين - الجد الأذنى لمن أصبح يعرف من بعد باسم الوزير المغربى - و قد نشا الجد ببغداد، و تقلد فيها أعمالا متنوعه، و تزوج امرأه من بنى الأوارجى كانت أخت هارون بن عبد العزيز الذى مدحه المثنبى باحدى قصائده المبكره(٤٤)، أنجبت له ممن نعرف ولدين هما على و محمد.

و تحول الحسين الجد من بغداد يصحبه ختنه الأوارجى إلى حلب، فاستكتبه (أى الحسين) سيف الدوله ابن حمدان، و لم يصطحب ابنه معه، بل تركهما فى بغداد، و فيها كبرا و ترعرعا، و استولى الجد - حسبما يقوله حفيده - على سيف الدوله استيلاء "تشهد به مدائح أبى نصر ابن نباته فيه". فهو يتحدث عن "مدائح" - بصيغه الجمع - و عند الرجوع إلى ديوان ابن نباته لم أجد له إلا قصيده واحده فى مدحه هى القصيده السابعه - حسب ترتيب الديوان(٧٧) - و قد جاءت فى سته و خمسين بيتا، و هى مصدره بالعباره الآتية: "و قال و كتب بها إلى أبى القاسم الحسين بن على بن المغربى الكاتب و كان له صديقا، و سأل أن يعمل له قصيده يشرح بها حاله مع سيف الدوله لينشده إياها، و ذلك قبل إفضاء الوزاره إلى أبى القاسم". و قد كشفت هذه المقدمه أن القصيده لم يكن هدفها الحقيقى بان تكون مدحا فى ابن المغربى، و لم تكن وليده مبادره من ابن نباته، بل نظمت بطلب من ابن المغربى لتكون وسيله تلفت إليه انتباه سيف الدوله، و أن رابطة الصداقه - لا المنزله التى بلغها ابن المغربى - هى التى سوغت نظمها، و لكن هذه المقدمه أفادت أن ابن المغربى الجد لم يبق كاتبا لدى سيف الدوله بل ترقى إلى منزله الوزاره.

و من المستغرب ألا نجد لابن نباته مدائح أخرى فيه، بعد أن اجتمعت الصداقه و علو المنزله فى قرن. نعم إنها تحتوى على مدح ابن المغربى فى قوله:

فعاش لها ابن المغربى فإنه نداه إلى حمد الرجال ذرائع

أخى و خليلى و الحبيب و جنتى و سيفى و رمحى و الفؤاد المشايخ

أ كل ظباه للمنون مناصب و أدنى نداه للسحاب طبائع ٨.

ص: ٤٨

١- الحسين بن على بن الحسين بن على بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن الحرون (و قيل ساسان هو المعروف بالحرون) بن بلاش بن جاماسب بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور (ابن خلكان ١٧٢:٢) نقلا عن ابن الصيرفى المصرى، و قد نقله غير ابن خلكان، انظر بغيه الطلب (١٤:٥).

٢- ابن خلكان ١٧٧:٢.

٣- بغيه الطلب ١٦:٥، و انظر أيضا ١٢٤:٥.

٤- تجارب الأمم ١:٣٦٦.

٥- أدب الخواص: ١٠٢.

٦- هى القصيده التى مطلعها: أ من ازديارك فى الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء

٧- ديوان ابن نباته ١: ٢١١-٢١٨.

فتى تأنس الدنيا به و هو موحش و تدنو إلى أهوائه و هو شاسع

و لكن المقصود فيها هو سيف الدوله:

أعدنى بسيف الدوله اليوم أن أرى أخادع أعدائي به و أصانع

على أنا و إن لم نجد قصائد أخرى لابن نباته فى مدح ابن المغربى الجدد، فذلك لا يعنى أن حديث الحفيد عن جده، كان مباهاه و تكثرا، لأن بلوغه منزله الوزاره يؤكد ما أحرزه من رفعه المكانه فى مملكه حلب، و هذا من شأنه أيضا أن يطمئنا إلى أن ما نسبته الحفيد إليه من أنه "كان كاتباً مجيداً شاعراً، حسن النظم و النثر" (١) ليس محمولاً كذلك على الإسراف فى المبالغه، و إن كنا لا نملك القدر الكافى من شعره و نثره للحكم على مدى جودته، و قد روى له حفيده هذه الأبيات (٢):

إن شكوى المرء فيما نابه خور فى نفسه مما نزل

و اطراح الفكر فى رفع الأذى خور فى عقل من عنه عدل

فانف عنك الهم بالعزم و دع عقلك الجم معدا للحيل

و هى أبيات ذهنيه خالصة ليس فيها رهافه شعر الكتاب. فاما نثره فقد احتفظ منه حفيده برسالة فى وصف النخله يقول فى أولها (٣): "فاما ذوات الطول المديد، و القوام بغير تاويد، المخصوصات بالطلع النضيد، و المزينات بالسعف و الجريد، الممنوحات عمومها الأنساب (٤)، الباقيات على مرور الأحقاب، المطاعم فى المحل أنواع الرطاب، فبدأ خلقها من التراب..." و يتحدث فى هذه الرسالة - محافظاً على السجع فيها - عن تطور ثمر النخيل فى مراحلها المختلفه حتى يصبح رطباً جنياً، و عن ما تمثله النخله من مكانه معنويه رفيعه بذكرها مراراً فى القرآن الكريم، و تسخيرها لمريم تهزها فيتساقط عنها الرطب. و اختيار ابن المغربى وصف النخله موضوعاً لرساله يدل على أنه لم يكن كاتباً ديوانياً فحسب، بل كان يمارس الكتابه الإنشائية، خارج نطاق الديوان. و خلاصه ما هنالك أن هذا الجدد قد رسم لأبنائه و حفدته من بعده طريقاً لم يحددوا عنها و هى طريق ذات شقين متصلين: خدمه الدوله و التمرس بفتون الكتابه. و قد ظل حياً حتى سنه ٣٥٤، ففى ذلك العام عقد سيف الدوله الفداء مع الروم و اشترى أسرى المسلمين بجميع ما كان معه من المال، و لم يف المال بفداء جميع الأسرى فزهن كاتبه ابن المغربى عليهم "بدنته الجوهر المعدومه المثل" (٥)، و لعله توفى فى العام المذكور أيضاً.

و قبل وفاته كان ابنه اللذان تركناهما فى بغداد قد كبرا، و أرسل الإخشيد فى استقدامهما إلى مصر. أما لما ذا يفعل الإخشيد ذلك فأمر يشبه اللغز، نعم كان أبوهما قد تعرف إلى الإخشيد أثناء وجوده فى الشام، أول انتقاله إليها من بغداد، و لكن ما هى المكانه التى بلغها الإخوان فى بغداد حتى تحمل الإخشيد على إرسال فاتك الملقب بالمجنون - ممدوح المتنبى من بعد - ليجىء بهما إلى مصر عن طريق الرحبه؟ (٦) و بما ذا كان ينوى أن يكلفهما؟ أكبر الظن أن استدعاءه لهما إنما كان استجاباً لرغبه الأب الذى نفترض أن معرفته بالإخشيد بلغت حد الصداقه، و لكن يبقى السؤال وارداً، لما ذا لم يضمهما أبوهما إليه فى كنف سيف الدوله و له منه تلك المنزله؟ و من الواضح أن إقامه الأخوين بمصر لم تطل، إذ نرى الابن علياً يخلف أباه فى خدمه سيف الدوله (المتوفى سنه ٣٥٦) بحلب، و يستولى على أمره، كما استولى أبوه من قبل، و من بعد روى لأبى العلاء

المعري - أو لغيره و نقل الروايه أبو العلاء - أنه كان مع سيف الدوله و هما خاليان، فسأله سيف الدوله عن التزويج فقال له على بن الحسين: لى بنت عم و أنا أنتظر قدومها على. فتلفت سيف الدوله يمينا و شمالا هل بقربه من يسمعه ثم قال: لا تفعل، بنت العم ثبت الغم(٧) و يبدو أنه لم يفعل إذ إنه تزوج - أثناء مقامه بديار الشام بنت محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني(٨)، و هى أم الحسين - موضوع هذه الدراسه - و لعلها أيضا أم أخوين آخرين له. و النعماني نسبه إلى النعمانيه، و هى بليده بين واسط و بغداد فى نصف الطريق على ضفه دجله، و أهلها كلهم شيعه(٩)، فأم الحسين عراقيه شيعيه، ورث عنها أبناؤها فى النعمانيه أملاكا(١٠) و بعد وفاه سيف الدوله استمر على فى خدمه ابنه سعد الدوله أبى المعالى و شاركه الرأى فى إداره الدوله، كما شاركه فى مدائح أبى العباس النامى(١١)، و لم يصلنا من مدائحه فيه شىء، كما لم يصلنا شىء من مدائح ابن نباته فيه مع تصريح ابنه بذلك(١٢) و لعله فى هذه الفتره اتصل به عبد المحسن الصورى (٣٣٩ - ٤١٩) و مدحه، و من مدائحه فيه قصيده مطلعها(١٣):

أ ترى بثار أم بدين علقته محاسنها بعينى

و منها فى المدح:

كانت كذلك قبل أن ياتى على بن الحسين

فاليوم حال الشعر ثالثه لحال الشعريين

أغنى و أعفى مدحه العافين عن كذب و مين

و لا- ندرى كم أقام على فى صحبه سعد الدوله، فقد تقلبت الأيام بأبى المعالى كثيرا، بين سيطره على حلب و فقدان لها، و حروب مع الروم، أو شراء للهدنه منهم بالمال، ففارقه على بن الحسين. و يوصف ما جرى بين الرجلين بأنه كان "نبوه أوجبت انفصاله"(١٤) و يقال عن هذا الانفصال فى موضع آخر: "ثم شجر بينهما ما يتفق مثله بين المتصاحبين فى الدنيا"(١٥) و مما يدل على أن "النبوه" بين الرجلين كانت حاده أن سعد الدوله فيما يبدو لم يسمح لعلى أن يصحب أهله معه. و هذا مما يوحى به قول الابن: "فانا كنا بحلب معوقين من بعده"، فان لم يكن هذا هو معنى التعويق، حملنا الأمر على أن عليا بادر إلى مفارقه حلب، فرارا بنفسه دون أن يتمكن من ٥.

ص: ٤٩

١- بغيه الطلب ٥: ١٢٤.

٢- بغيه الطلب ٥: ١٢٤.

٣- بغيه الطلب ٥: ١٢٤.

٤- يشير إلى قول للرسول جاء فيه "عمتكم النخلة".

٥- بغيه الطلب ٥: ١٢٧.

- ٦- بغيه الطلب ٥:١٢٧.
- ٧- الصاهل و الشاحج: ٦٦٨.
- ٨- ابن خلكان ٢:١٧٢.
- ٩- معجم البلدان لياقوت ٤:٧٩٦.
- ١٠- بغيه الطلب ٥:١٧.
- ١١- بغيه الطلب ٥:١٧.
- ١٢- أدب الخواص: ٧١.
- ١٣- ابن خلكان ٣:٢٣٣.
- ١٤- بغيه الطلب ٥:١٥.
- ١٥- بغيه الطلب ٥:١٧.

اصطحاب أهله معه، فغادر الرحبه إلى الأنبار في طريقه إلى مدينه السلام.

و في روايه أن سعد الدوله أباح دمه، فلجا إلى مشهد على بالكوفه و من مقامه هنالك كاتب العزيز، فرحب بمقدمه (١) و يبدو أن ذهابه إلى العراق كان في حدود سنه ٣٧٩ و هي السنه التي توفي فيها شرف الدوله البويهى و خلفه ابنه بهاء الدوله، و شجر الخلاف بينه و بين فخر الدوله البويهى، و غلبت الفوضى و الاضطراب على العراق، و جاء من يحذر عليا بان بقاءه في العراق محفوف بالخطر، و كان يعلم أيضا أن عودته إلى حلب تغرير بالنفس، غير أن تعرف حال من خلفهم وراءه فيما يشبه الأسر، حملة على ركوب الصعب، فعاد إلى حلب، و لكنه لم يطل الإقامة في ما يظهر، و لم تبق له وجهه يؤمها - بعد أن أغلقت الشام و العراق بأبيها في وجهه - إلا أن يؤم مصر، و هكذا كان.

و أغرته الحظوه التي لقيها هنالك باستقدام جميع من تخلفوا في حلب (٢)، و كان دخوله إلى مصر في النصف من جمادى الأولى سنه ٣٨١، و في مصر اتخذ العزيز كاتبا له (٣) و لكي نستطيع أن نتصور ما كان يحدث حينئذ علينا أن نتذكر أن التنافس بين القوى الثلاث: الحمدانيين و الفاطميين و الروم كان يجعل ديار الشام لقمه متنازعه، و يسمح لبعض الطامحين بالاستقلال، و هكذا استطاع غلام اسمه بكجور أن يستقل بدمشق، و يعلن العصيان على سعد الدوله.

ثم إن هذا الغلام أساء التصرف إلى الفاطميين فأخذوا منه دمشق، فذهب إلى الرقه و عاش فيها خاملا، غير أنه لم ينس أن الفرص قد تسنح للمرء إذا هو اهتبلها، فكتب إلى العزيز يذكر له جلاله حلب، و أنها "دهليز العراق" و يحرضه على انتزاعها من يد سعد الدوله، فأجيب بكجور إلى ما أراد، و زود بكل ما طلب، و جعل على بن الحسين ابن المغربى كاتبا له، و زحف بالجيش إلى حلب و نزل في الموضع المعروف بالنيرب، و بدا أن الفوز محقق لسعد الدوله إذ تخلى عن بكجور من كان يؤمل لديهم نصرته فاستدعى كاتبه ابن المغربى و قال له: "غررتنى و أوهمتني أن العزيز يجيئني و يعاونني، و أن العرب تخلص لى و تناصحنى... و ما كان لشيء من ذلك حقيقه، فما رأى الآن فان بازائنا عسكريا عظيما". فنصح ابن المغربى أن يرجع إلى الرقه و ي كاتب العزيز يخبره بان من بعث لنجدته تخلف عنه. إلا أن بكجور أصاخ إلى نصيحه رجل آخر من رجاله أشار عليه بالثبات، فما كان من ابن المغربى إلا- أن بذل لبدوى من بنى كلاب أن يوصله إلى الرقه مقابل ألف دينار ففعل (٤) و قد كانت نتيجة المعركه بين بكجور و سعد الدوله هزيمه بكجور ثم مقتله، و سار سعد الدوله إلى الرقه و فيها سلامه الرشيقى و أولاد بكجور، ففاوضه سلامه على تسليم البلد شرط الإبقاء على أولاد بكجور و أمواله ما عدا آلات الحرب و العدد. و كان الذى كتب نص اليمين ليردها سعد الدوله هو ابن المغربى نفسه الذى كان قد هرب منه قبل حوالى سنتين، و لم يؤاخذ سعد الدوله بما كان فعل (٥) و بعيد النصر الذى أحرزه سعد الدوله بقليل أدركته منيته، و خلفه ابنه أبو الفضائل، فما كان من ابن المغربى إلا أن كتب إلى العزيز "يعظم أمر حلب عنده، و يكبر فى نفسه أحوالها و يهون عليه حصولها" (٦) فأرسل إليها قائدا اسمه منجوتكين و ضم إليه ابن المغربى ليقوم بالأمر و التدبير، و زحف جيش الفاطميين إلى حلب، فاستنجد أبو الفضائل بالاميراطور بسيل، فأمر بسيل البرجى صاحب أنطاكيه بان يجمع جيشا و يقصد حلب و يدفع جيش المصريين عنها، فنزل البرجى فى الموضع المعروف بجسر الحديد بين أنطاكيه و حلب، فتحول منجوتكين و ابن المغربى عن حلب لمناجزه الروم، و واقفوا الروم، و النهر المعروف بالمقلوب يفصل بين الفريقين، و كان النصر فى المعركه لمنجوتكين و ابن المغربى.

هذه المعركه خلدها أبو العلاء المعرى فى قصيده له مطلعها (٧):

هو الهجر حتى ما يلم خيال و بعض صدود الزائرين وصال

و بذكر أن المعركة كانت عند حارم، و أن البحر جاش على حارم في صورته ككائب، و تساقطت عليها الشهب في صورته نصال،
و يشير إلى النهر الفاصل بين الجيشين بقوله:

وقى الخيل من ماء المخاضه عفه و هن إلى ماء النفوس نهال

يردن دماء الروم و هي غريضة و يتركن ورد الماء و هو زلال

ثم يتوجه إلى ابن المغربي مادحا:

فلا زلت بدرا كاملا في ضيائه على أنه عند النماء هلال

فما لخميس لم تقده عرامه و لا لزمان لست فيه جمال

هاهنا يمكننا أن نتوقف قليلا لسأل: هل كانت هذه القصيدة أول علاقة بين المعري و آل المغربي، و إذا كانت كذلك فكيف بدأ التعارف، و ما ذا كان يريد أبو العلاء من هذا المدح؟ للاجابة على هذه الأسئلة جميعا علينا أن نتذكر أن أبا العلاء كان في العشرين من عمره يوم نظم القصيدة، و لما لم يكن شاعرا طالب عطاء، فإنه لا تفسير لهذا المدح إلا أن يكون إشادة بعلاقة سابقه بلغت حد الصداقه الممزوجه بالاعجاب، فان لم تكن صداقه شخصيه فلا أقل من أن تكون رعايه للمعره و أهلها يوم كان ابن المغربي وزيرا لسعد الدوله. و لدينا قصيده أخرى يدل مستواها على أنها بقيه من قصيده حذف منها أبو العلاء الكثير، لأنها كانت من ثمرات الصبا، و في هذه القصيده يمدح على بن الحسين المغربي و يشير إلى أصله الفارسي و يمجّد ذلك الأصل ثم يقول(٨):

فهلا تقل بغاه اللجين و نائلك الذهب الأحمر

و من يطلب الدر في لجه و من فيك أشرفه ينثر

إننا إذا قدرنا أن هذه القصيده تم نظمها حين كان أبو العلاء في الخامسة عشره أو قريبا منها، فذلك قد يسمح بتصور فتره نمت فيها علاقته متينه بينه و بين الكاتب الوزير لدى الحمدانيين، و هي صلته تجعله يحمل ذكريات طيبه عن تلك العلاقه. فإذا تذكر على بن الحسين من بعد قال:

"كان ذلك الرجل سيدا، و لمن ضعف من أهل الأدب مؤيدا، و لمن قوى منهم وادا، و دونه للنوب محادا"(٩)٤.

ص: ٥٠

- ٢- ذيل تاريخ دمشق: ٣٨ و نهايه الإرب ١٥٩:٢٦.
- ٣- ذيل تاريخ دمشق: ٢٧-٣٤ و ابن الأثير ٨٩-٨٧:٩.
- ٤- ذيل تاريخ دمشق: ٣٧.
- ٥- ذيل تاريخ دمشق: ٣٨.
- ٦- ذيل تاريخ دمشق: ٣٩.
- ٧- شروح سقط الزند: ١٠٤٦.
- ٨- شروح سقط الزند: ١٨٩.
- ٩- رساله الغفران: ٥٢٤.

و حين أيقن لؤلؤ الكبير الوصى على أبى الفضائل بان مساعده الروم له لم تعد ممكنه، بعد تلك الهزيمه، كاتب ابن المغربى و القشورى (كاتب منجوتكين) لعلهما أن يقنعا منجوتكين بترك حلب و شأنها، و العوده إلى دمشق، و بذل لهما على ذلك مالا، و صادف ذلك قله فى الميره و العلوفات و الأقوات، مما جعل منجوتكين يرحب بالانسحاب و الانكفاء إلى دمشق.

غير أن العزيز لما عرف ذلك استاء، و كان لابن المغربى فى حضرته أعداء يكيدون له، و يقعون فيه، فاوغروا صدره عليه فعزله عن التدبير و ولى رجلا آخر مكانه(١) و لست أعتقد أن هذا الاقصاء قد طال أمده و إن سكتت المصادر عن عوده ابن المغربى إلى سابق حظوته، و لعل ذلك تم أيام العزيز إذ تقول إحدى الروايات إنه بلغ عند العزيز مرتبه عظيمه حتى صار يستشيريه فى عظام الأمور و يأتئنه على الأسرار(٢) ثم نجده فى ظل الحاكم سنه ٣٩٠ أحد المقربين الذين يصاحبون الخليفه حين يبرز للناس، أو يجلس فى العشايا فى قصره، و هم خمسه عن يمينه و خمسه عن يساره، و ابن المغربى و أخوه فى الخمسه الذين يجلسون فى الجبهه اليسرى(٣) ثم تسكت المصادر عن ذكر أى نشاط متميز لابنى المغربى، إذ يبدو أن الأمور جرت كالمعتاد و هما فى منصبهما، حتى أمر الحاكم بقتلهما و قتل أبناء على منهما.

٢ - نشأته - بين الشام و مصر

عند هذا الحد يجب أن نعود قليلا إلى الورا: عند ما كان على بن الحسين المغربى يعيش فى حلب، رزق بابنه حسين، و قد قيد تاريخ مولده بأقصى دقه حين قال: "ولد سلمه الله و بلغه مبلغ الصالحين أول وقت طلوع الفجر من ليله صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجه سنه سبعين و ثلاثمائه" (٤)، و لا ريب فى أن حلب كانت مسقط رأسه، و أن ما قيل خلاف ذلك فهو خطأ كقول ابن الجوزى إنه ولد بمصر(٥)، و الشواهد على ذلك كثيره منها قوله فى أدب الخواص: "قال بعض عامه بلدنا الحلبيين.." (٦) و حينه إلى بابلا إحدى ضواحي حلب و تسميته إياها ب "الوطن"، و هو بعيد عنها:

ليس من لم يسلم حيننا إلى الأوطان إن شئت النوى بظريف

و حديثه عن هرب أبيه من الشام إلى العراق و بقاء أسرته بحلب، قبل أن يعرف طريقا إلى مصر مره ثانيه، و حديث أبيه إلى سيف الدوله عن إزماعه الزواج و هو بحلب، و اليقين القاطع بان أباه لم يفارق مدينه حلب إلا بعد سنه ٣٧٠، أى العام الذى ولد فيه الحسين، و عدم تردد ابن العديم - و هو المؤرخ المدقق - فى القطع بان مكان مولده هو حلب، و مات ابن القارح الحلبي إليه برابطه البلديه(٧) و قد وصل أبوه إلى مصر فى جمادى الأولى سنه (٨) - كما تقدم - و إذن كان عمر الحسين حين انتقل آل المغربى إلى مصر قرابه إحدى عشره سنه. و أرانى أرجح أنه بدأ تحصيله العلمى فى سن مبكره و هو بحلب، إذ كانت ملكاته تؤهله لذلك حتى أن أكثر الناس بغضا له يصفه بالذكاء(٩)، و أنه بدأه على نحو مكثف. و هذا الفرض وحده هو الذى يفسر كيف استطاع قبل أن يستكمل أربع عشره سنه - بشهاده أبيه نفسه -: "أن يستظهر القرآن و عده من الكتب المجرده(١٠) فى اللغه و النحو و نحو خمسه عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم و أن ينظم الشعر و يتصرف فى النثر و يبلغ من الخط ما يقصر عنه نظراؤه و كذلك من الحساب و الجبر و المقابله ما يزيد عن ما يحتاج إليه الكاتب" (١١) و نظره واحده إلى هذه العلوم التى بدأ بها و أتقنها تدل على أن والده كان يريد أن يقتفى أثره و أثر جده، فيتخرج و هو مزود بكل الثقافه التى تتطلبها مهنة الكتابه. و ليس فى جريده الشيوخ الذين درس عليهم من نعهه أستاذا له فى الفتره الشاميه سوى والده و محمد بن عيسى النامى. و بعض الذين يحملون النسبه إلى حلب مثل على بن لؤلؤ الحلبي و على بن محمد الحلبي و أحد التلوخين و هو محمد بن

الحسن التنوخي. ولكن الظن يذهب بي إلى أنه تعرف، وهو صغير السن، إلى أبي العلاء و زاره بصحبه أبيه في المعره، و أعجب الصبي بذلك الضرير الذي لا يكبره إلا بسبع سنوات أو ثمان، و يعرف الكثير الكثير، عن ظهر قلب، و أعجب المعري بالصبي (و يرك على رأسه) و تنبأ له بأنه سيبد أقرانه، كل هذه فروض حقا و لكني لا أراها بعيدة عن الصواب، فقد انتقل إعجاب الأب بالمعري إلى ابنه، و كان ذلك الاعجاب عاملا في إقباله على المعرفه بينهم، و توجهه لاتقان اللغه، ذلك الجانب الذي بلغ فيه تفوق أبي العلاء حدا يبهر كل من عرفه و قاربه. و لنا أن نقول إن هذا الاعجاب بالمعري هو الذي كان له الدور الفعال في نقل الحسين من دائره ثقافه الكتاب - و هي إلمام بالضروري - إلى ثقافه العلماء، و هي الغوص في كل علم، و إتقانه على حده. و في رساله كتبها من مصر إلى أبي العلاء و أخيه ما يؤكد تلك العلاقه، و أنها كانت قبل رحيله عن الشام. إن شخصا يكتب "إني كتبت و ما لي جارحه إلا و هي جريحه حبهما، و لا جانحه إلا و هي جانحه إلى قريهما" لا يمكن أن يقول مثل هذا القول إلا و لديه معرفه سابقه تسمح له بذلك. و مثل ذلك أيضا قوله: "و لا غرو و إن بعد العهد إذا قرب الود، و لا ضير إن تناءت الأشباح فقد تدانت الأرواح"، و هذا يعني أن هناك عهدا كان موجودا ثم مضى و تناءى، و أن الأشباح - أى الأجسام - كانت متقاربه فتناءت كذلك. نعم إن الرساله تمرين مبتدئ على حديث عاطفي يراوح بين النثر و الشعر لإظهار قدره إنشائيه نثرا و نظما، و لا تتحدث بشيء عن وجود صله على أرض الواقع و لا تكشف عن شيء مهم إلا إذا صدقنا أن الشكوى التي يبثها تمثل واقع الكاتب النفسى يومئذ. و لكن على ذلك كله فإنها تؤكد علاقه كانت قائمه تسمح بتلك الشكوى نفسها. و تشير رساله من رسائله ضاعت و قصيدتان إحداهما ميميه و الأخرى رائيه إلى أن علاقه كانت و اشجه لا بأبي العلاء و أسرته و حسب بل كانت بالمعره نفسها وثيقه، و هذا ما تصوره رساله المنيح للمعري التي رد بها على الرساله الضائعه و القصيدتين، إذ يقول "و إنما

ص: ٥١

- ١- ذيل تاريخ دمشق: ٤٢.
- ٢- نهايه الإرب ١٥٨:٢٦.
- ٣- اتعاظ الحنفا ٣١:٢.
- ٤- بغيه الطلب ١٧:٥ و الوافي ٤٤١:١٢ و البدايه و النهايه ٢٣:١٢.
- ٥- المنتظم ٣٢:٨ و ابن الأثير ٣٣١:٩ و مرآه الزمان ٤٧:١٢ و البدايه و النهايه ٢٣:١٢.
- ٦- أدب الخواص: ٧١.
- ٧- رساله الغفران: ٥٥.
- ٨- الإشاره إلى من نال الوزاره: ٤٧.
- ٩- لسان الميزان ٣٠١:٢.
- ١٠- في بعض الروايات: "المحرره"، و المجرده هي التي تقتصر على المتون دون الحواشى.
- ١١- بغيه الطلب ١٧:٥-١٨ و الوافي ٤٤١:١٢ و ابن خلكان ١٧٢:٢ و روضات الجنات: ٢٤٠، و أعيان الشيعة ٩:٢٧.

هو في الرحيل عنها كجسم ذي روح، نقل من الغرقى إلى اللوح، وهي بعد كقسيمه الوسيمه ذهب عطرها وبقى نشرها، وإنما شرفت على سواها، وطالت على البلاد دون ما والاها، لاقامته بها في تلك الأيام، وإمامته عن أهلها نواظر أزام، فعرفت به، و نالت خيرها من حسبه... " (١) ثم يحاول اعتماد حسن التعليل في انتقال الحسين عن المعره بقوله: " ولعل المعره قد نظرت أصح النظر، وفكرت فيما لا ينتقض من الفكر، فعلمت أنه عقد لا يصلح لمقلدها، و سوار يرتفع لجلالته عن يدها" (٢) ، لهذا تخلت المعره عن أنانيتها و سمحت بفراقه لها و لكنه " ظعن و أرجه مقيم، و ارتحل و للثناء تخيم" (٣) ، و على الرغم من التواضع الجم الذي يبديه المعري إزاء هذا الشاب الناشئ - و التواضع من سماته الملازمه - (هل أدبى في أدبه إلا كالقطره في المطره) (٤) فإنه صريح في مدى ما يحمله له من حب و تقدير " فيعلم أن الروع و جوانح الضلوع، مفعمه له بالاعظام، مترعه بمحبته إتراع الجام" و هذا الحب غير مستمد من إفضال المغربي الأب على المعري بل من تفوق المغربي الابن و تميزه و نبه، و قد ذهب المعري في ذلك مذهبا أثار النقد ضده:

" حتى استجهلني الذي لا يعلم، و تكلم في فضيلتي من تكلم، لأنى ما اقتنعت بتفضيله على الأحداث، دون سكان الأجدات" (٥) فإذا كان ابن المغربي حين اختصر إصلاح المنطق لم يطمنن إلى عرضه إلا على أبى العلاء، فذلك يؤكد تلك الثقة و الاعجاب المتبادلين. و قد يقال إنه فعل ذلك بنصيحه من أبيه، و لكن هذه الصله الوثيقه بالمعره و المعري تجعلنا نتأكد من أن تلك النصيحه كانت توكيدا لما في نفس الابن، و لكن هذا الحديث سابق لأوانه و سيجيء في مكانه.

في مصر وجد ابن المغربي بيئه علميه رحبه، فاستكمل ثقافات ابتدأها في الشام، و سلك اتجاهات ثقافيه أخرى جديده: كانت مؤسسات العلم - و في مقدمتها " دار العلم" متنوعه، و كانت المكتبات - و بخاصه مكتبه القصر - حافله بصنوف الكتب في كل علم. فوجد في دار العلم جناده بن محمد الهروى (٦) الذى كان مكثرا من حفظ اللغه و نقلها، و معه الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى (٧) حافظ مصر في عصره، و المقرئ الأنطاكى أبو على الحسن بن سليمان (٨) أحفظ أهل زمانه للقراءات، و كان هؤلاء الثلاثة يجتمعون في دار العلم و تجرى بينهم المذاكرات و المطارحات، و لسبب لا ندرية نقم عليهم (الحاكم) من بعد كما نقم على آل المغربي، فقتل جناده و الحسن، و اختفى عبد الغنى. و لعل الشيخ حمد الجاسر على صواب حين يقول: " لا أستبعد أن قتل جناده شيخ ابن المغربي له صله بقتل أبى المغربي و عمه و أخويه، و إن كان المؤرخون يفرقون بين زمن الحادثتين" و تلك مسأله لعلنى أعود إليها عند الحديث عن مقتل آل المغربي. و هؤلاء الثلاثة متقاربوا الثقافه و يمكن أن نعددهم في من يحسنون اللغه و النحو، فإذا أضفنا إليهم محمد بن الحسين اليمنى و كان نحويا، و محمد بن عبد الملك التاريخى و كان كذلك، وجدنا أن انصراف الحسين إلى اللغه و النحو استأثر باهتمامه في مطلع حياته الثقافيه. على أنه اتصل في مصر بعلماء آخرين من أهمهم أبو جعفر الطحاوى، و سمع عليه كتاب المزنى (٩) و لعله في هذه الفتره نفسها سمع موطا مالك من جهتين على شيخين، كما سمع صحيحى البخارى و مسلم و جامع سفيان و مسانيد عده عن التابعين (١٠) ، و قد لقي في مصر عددا من الشيوخ، و عد له ابن العديم ثمانيه عشر شيخا، و يمكن إضافه أسماء أخرى إليهم. و تعرف إلى الوزير أبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابه و حدث عنه و روى عنه كتاب إصلاح المنطق بإسناد يتصل إلى ابن السكيت، كما رواه عن جناده الهروى بإسناد آخر، و يخبرنا أنه كان يحدث ابن حنزابه و يجاربه شعر المتنبى، فكان الوزير يظهر تفضيل المتنبى، بما يتجاوز إحساسه الحقيقى نحوه، إذ كان المتنبى قد عرض به هاجيا في بعض شعره (١١) و لكن الذى صاحبه بعيد الرحيل عن الشام و أقام ملازما له و لأبيه هو على بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح و الملقب دوخله، فان أباه استدعاه فيما يقال إلى القاهره ليكون مؤدبا

للحسين (١٢)، غير أن ابن القارح يصرح بان عليا ابن المغربى هو الذى رباه، و أنه هو قام بتربيته إخوه الحسين و لا يذكر شيئا عن تأديبه للحسين نفسه، و ذلك إذ يقول راويا أحد المواقف بينه و بين الحسين: "و قلت له على أنس بينى و بينه لى حرمت ثلاث:

البلديه و تربيته أبيه لى و تربيتى لإخوته". و يذكر ابن القارح أن الحسين قال فى جوابه: "هذه حرم مهتكه: البلديه نسب بين الجدران، و تربيته أبى لك منه لنا عليك، و تربيتك لاختى بالخلع و الدنانير" (١٣) و أنا أستبعد أن يكون ابن القارح قد قام بتأديب الحسين لأسباب منها أن التحصيل الأولى الذى ناله الحسين قبل الرحيل إلى مصر كان يغنيه عن مؤدب، و أنه حين وصل إلى مصر - فيما أقدر - كان يتطلع إلى لقاء علماء يفوقون ابن القارح فى المستوى العلمى. و إذا كان والده هو الذى ربى ابن القارح فى حلب حقا، فان الحسين عرفه فى دور مبكر من حياته، و اطلع عن كذب على مساوئه، و أضمر له كراهيه فى نفسه. و لعل فارق السن بينهما لم يكن كبيرا، بحيث يمكن ابن القارح من أن يصبح لدى الحسين موضع احترام. ثم إن هذا التنافر بين قطبين يتجاوز العلاقة بين المؤدب و تلميذه، لأنه خرج إلى العلن على نحو فاضح، إذ عبر عنه الحسين بالاحتقار، و عبر عنه ابن القارح بمحض الهجاء، و ذلك شىء تجاوز حدود مصر إلى أن تم اللقاء بميفارقين من بعد، و ذاع حتى إن رجلا كأبى العلاء المعرى حين ذكر ابن القارح أمامه ميزه بقوله: "هو الذى هجا أبا القاسم بن على بن الحسين المغربى" (١٤) و تورد المصادر من هجاء ابن القارح للحسين قوله (١٥): ٢.

ص: ٥٢

- ١- رسائل المعرى ١: ١٦٢-١٦٣ و الغرقى: القشر الرقيق حول بياض البيضه، و اللوح: الجوى، و الفسيمه: جونه العطار، و الوسيمه: المرأه الجميله، و أزام: السنه الشديده.
- ٢- رسائل المعرى ١: ١٦٣، ١٦٤.
- ٣- رسائل المعرى ١: ١٧٥.
- ٤- رسائل المعرى ١: ١٧٦.
- ٥- ابن خلكان ١: ٣٧٢.
- ٦- ابن خلكان ٣: ٢٢٣.
- ٧- غايه النهايه ١: ٢١٥.
- ٨- أدب الخواص (المقدمه): ٢٢.
- ٩- بغيه الطلب ٥: ١٧.
- ١٠- المصدر نفسه.
- ١١- ابن خلكان ١: ٣٤٩ (نقلا- عن أدب الخواص، و ذلك من الفقرات الضائعه) و تعريض المتنبى به هو قوله: بها نبطى من أهل السواديدرس أنساب أهل العلا.
- ١٢- ذر [أنظر] الصفدى فى الوافى (٢٣٤:٢٢) أنه كان مؤدبا له.
- ١٣- رساله الغفران: ٥٥.
- ١٤- رساله الغفران: ٥١.

لقبت بالكامل ستر على نقصك كالباني على الخص

فصرت كالكنف إذا شيدت بيض أعلاهن بالجص

يا عره الدنيا بلا غره و يا طويس الشؤم و الحرص

قتلت أهليكم و أنهبت بيت الله بالموصل تستعصي

و هذا الهجاء صدر بعد مقتل آل المغربي و الهرب من مصر و ما اتصل بذلك من أحداث، أى أن الكراهيه اتصلت و اتصل بها الهجاء، و تجمعت سيئات جديده بين الرجلين تحجب إمكان التقارب، و مع ذلك نجد ابن المغربي يستدعى ابن القارح حين صار فى ميفارقين، و ذلك حديث نرجئه إلى أن يحين أوانه.

و كان قد مضى على إقامه الحسين بمصر أقل من ست سنوات، حين وجد أنه يستطيع مبارحه التلقى إلى العطاء، و التعلم إلى التأليف أو ما يشبه التأليف، فعمد إلى اختصار مؤلف معروف مشهور، لأن الاختصار يتيح له السيطرة على الكتاب، و وقع اختياره أو اختيار والده، على كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت. و يحدثنا أبوه بايجاز عن ذلك الاختصار فيقول:

"تناهى باختصاره، و أوفى على جميع فوائده، حتى لم يفته شىء من ألفاظه، و غير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجه إلى الاختصار و جمع كل نوع إلى ما يليق به" (١) كان كتاب إصلاح المنطق قد خضع للاختصار قبل ذلك مرات، اختصره مؤلفه نفسه، فاسقط منه أبوابا كثيرة لعله وجدها غير ضروريه كثيرا لمن يرجعون إلى الكتاب، ثم اختصره ثان و ثالث، فاخلوا بمعنى الاختصار، و تهتم آخرون باختصاره فنكلوا. أما الحسين فإنه فى رد النظائر إلى بعضها جعله فى ثلاثه أقسام: أمثله الأسماء، و أمثله الأفعال، و الليف. و اضطره هذا التفريع إلى ما يجاوز حد الاختصار و ذلك باضافه أبواب جديده إلى الكتاب، و وضع أسماء لأبواب الكتاب الأصليه مثل باب ليس، و باب المذكر و المؤنث، و باب العدد... و جعل الأبواب الطويله منه مرتبه على حروف المعجم، فجاءت أبواب الكتاب الأصلي ٢١٨ بابا و الأبواب المزيده ١٠٧ أبواب (٢)، و يبدو من هذا الوصف أن الشاب الناشئ اتبع فى تقريب فوائد الكتاب منهجا جديدا، و أنه كان إلى التأليف أقرب، فإذا تذكرنا فى أى سن فعل ذلك أدركنا مدى تضلعه فى اللغه، و ثقته بنفسه فى الاستدراك على عالم كبير مثل ابن السكيت، و ذلك أمر لا يتأتى بسهولة، و لا بد أن الحسين الفتى كان قد ضرب فى حفظ اللغه و أمهات كتبها بسهم وافر.

لهذا لا نستكثر أن يتعاضم إعجاب المعرى به، ذلك أن رغبه الحسين أو رغبه أبيه، شاءت أن يعرض المختصر على أبى العلاء، و كان كل منهما يعلم أنه لا يقدم العمل لتقييم نقدى، فالإحسان الذى واكب العمل ملأ نفس الأب إعجابا و الابن جبورا، و إنما كانا يتطلعان إلى شهاده رجل ثقه، شهاده تكفل للفتى السير على المحججه الواضحه، و تضعه فوق نظرائه و تجعله مساويا لكثير ممن سبقوه فى المضمار، و من يستطيع أن يمنح مثل هذه الشهاده سوى حجه اللغه فى عصره؟ و قد عرف أبو العلاء معنى ذلك التوجه، و استشارته الصداقه القديمه للأب و الاعجاب بالفتى إلى كتابه الرساله الإغريضييه. و إنما سميت بالإغريضييه لأنه ذكر فيها "الإغريض" - و هو الطلع - و تتالف هذه الرساله من ثلاث دورات، فى الأولى ترحيب بما تلقاه المعرى من شعر ابن المغربى و الثانيه احتفاء بمقدم اختصار إصلاح المنطق، و الثالثه فى شئون شتى، و يهمننا منها الدوره الثانيه التى يتحدث فيها

المعري عن تلك المهاره التي استطاعت أن تجرى نهر الفرات في خرت إبره (يعنى جوده الاختصار و دقته) " و دلت على جوامع اللغة بالإيماء، كما دل المضممر على ما طال من الأسماء" فقد أسقط ابن المغربي الشواهد من الكتاب و هي أحد عشر نوعا، و حق له ذلك فان أبا يوسف بن السكيت غلا في التكثر من الشواهد.

و تحدث المعري عن معرفه يقينيه بكتاب إصلاح المنطق، فقد كان من محفوظاته، و كيف أنه بنى على عشرين حرفا (و عد تلك الحروف)، فلو أن أبا يوسف عاش و رأى ما صنعه ابن المغربي لفاظ كمدا، إذ الاختصار كمرآه المنجم شخصها ضئيل ملموم، و تستحضر القمرين و النجوم(٣) و إذا نحن وضعنا تشبيهات المعري و تصوراته جانبا لأنها جزء من طبيعته الأدبيه، وجدنا أن إطراره لعمل ابن المغربي لم يكن مجامله أبدا، و إنما كان وليد قراءه دقيقه لما صنعه ذلك الفتى، و حكم نقدي منصف.

على أنا يجب أن نتذكر شيئا كان في صميم طبيعته المعري، و هو أنه كان في رسائله يبتكر دائما صعيدا جديدا - تعليمي الغايه - يضع فيه ما يريد أن يسوقه من أفكار، و كان ينتحي منحى غير مألوف في اللغة و التصوير و التمثيل، ليرضى ذوقه الفني، و لم يكن ذلك كله مصحوبا باى شعور بالاستعلاء. و لهذا فإنه في رساله الإغريض (و فى رساله المنيح على حد سواء) كان يوحى لابن المغربي بان أمامه طريقا طويلا لبلوغ درجه الإتقان، و ليس من الضروري أن يكون ذلك بتقليد المعري، بل بالرؤيه الذاتيه الواعيه، و قد فعل ابن المغربي ذلك بتوجيه أكبر أستاذ له، و إن لم يتلق العلم مباشره على يديه.

سمى ابن المغربي اختصاره لاصلاح المنطق باسم "المنخل"، معتمدا فى الاختصار نسخه أستاذه جناده الهروى، و هي مقروءه على الأنزهرى صاحب تهذيب اللغة عن أبى الفضل المنذرى عن أبى شعيب الحرانى عن المؤلف. و قام بقراءه الأصل و الاختصار على أستاذه جناده نحو عشر مرات(٤) و قد عرف "المنخل" لدى معاصريه فرووه عنه، و كان ممن رواه عنه أبو ياسر الفرج بن إبراهيم البغدادي(٥) الكاتب الشاعر. و يبدو أن الأديب الأندلسى أبا القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعى اطلع عليه، و صنع له خطبه(٦) و أثنى عليه ابن بسام فى الذخير بقوله: "فإنه غايه لا يتعاطاها إلا من بهر عتقه و اشتهر سبقه، و طريقه لا يتوخاها إلا من رسخت فى العلم قدمه، و ترامت به إلى معالى الأمور هممه"(٧) و ما كاد يلقى القلم من تحبيره للمنخل حتى اقترح عليه أبوه أن ينظم الكتاب، فابتدأ بذلك و عمل منه عدده أوراق فى ليله(٨) و يبدو أنه لم يتم هذا العمل، إذ لا نسمع عنه شيئا بعد ذلك.٥.

ص: ٥٣

- ١- بغيه الطلب ١٨:٥
- ٢- أدب الخواص: ٢٠ (نقلا عن طره مخطوطه الاسكوريال رقم ٦٠٥).
- ٣- رسائل المعري ١: ١٨٥-١٨٦.
- ٤- أدب الخواص (مقدمه المحقق): ٢٠ (نقلا عن طره نسخه الاسكوريال رقم ٦٠٥).
- ٥- الذيل و التكملة ٨: ٢٥٩.
- ٦- إحكام صنعه الكلام: ٢٨.
- ٧- الذخير ٤: ٤٧٦.

و بعد ذلك النجاح الأول - في ميدان العلم - ظل ابن المغربي في مصر حوالي أربعة عشر عاما، فماذا تراه كان يعمل و في أى الاتجاهات برز نشاطه؟ هل عمل كاتبا في الديوان؟ و إذا كان قد فعل فأين كان مقامه من أبيه و عمه في هذا المجال؟ إن المصادر لا تحدثنا بشيء دقيق في هذا الصدد، و لهذا علينا أن نكون صورة قريبه الشبه بالواقع اعتمادا على استقراء الظروف و بعض المعلومات القليله المتناثره في المصادر:

فاستقراء الظروف يقول لنا إن هذه الفتره هي فتره الاستقرار الوحيدة في حياه ابن المغربي، و ما بعدها كله تنقل من بلد إلى بلد، و ملاحظه للفرص حيث لاحت. و فتره الاستقرار تلك هي أصلح مراحل حياته للازدياد من العلم و للاقدام على مزيد من التأليف. صحيح أن رحيله و أهله من الشام جعلهم يفقدون الكتب التي جمعها أسلافه حين رحلوا إلى مصر، و لكن مصر استطاعت أن تعوضهم عنها لما كانت تتمتع به من غنى باهر في الكتب و المكتبات. و لذلك نظنه انصرف إلى تحصيل العلم بكل جد و دأب. و لعله يشير إلى هذه الفتره من حياته حين يقول: "فاني نشأت و غذيت بكتب الحديث و حفظ القرآن، و مشافنه الفقهاء، و مجالسه العلماء، و والله ما رأيت قط بتلك البلاد مادبه و لا وليمه إلا لمقرنين، و لا كنت متشاغلا إلا بعلم أو دين.. و أما الأحاديث المتثوره التي كنت أبكر بكور الغراب لاستماعها و أطرح رتبه الدنيا في مزاحمه أشياعها، فأكثر من أن تحصى" (١) فمثل هذا الحرص على الطلب يتلاءم و تلك المرحله من حياته، إذ كان البال مهيا لذلك، و العيش في رعايه الأهل يسعف عليه.

و هو يحدثنا أنه ألف كتابه "أدب الخواص" و سنه خمس و عشرون سنه أو نحوها (٢)، أي في تلك الفتره نفسها، في حدود ٣٩٥. و لا ريب في أن خطته في هذا الكتاب تدل على تمكن متميز في معرفه الشعر و النسب و الأخبار و اللغه، و قد كان الباعث على تصنيفه الدلاله على معجز القرآن" إذ كان بتبحر ألفاظ هؤلاء القوم (أي العرب) و المعرفه بمعادن ألفاظهم و بمنزاع أغراضهم يعلم معجز القرآن علما حسيا ذاتيا. و أنا أرى أن علم العالم أن القرآن معجز من طريق القياس و الاستدلال و من طريق الحس و الإدراك أشرف و أعلى من علم العالم باعجازه عن طريق القياس بالتقليد لغيره و الاعتبار بالفصحاء الذين تقدموه و كانوا حجه عليه" (٣) و يبدو لنا المدخل للكتاب بسيطا لأول وهله، فهو في نواته جمع للمختار من أشعار العرب، و لكن هذه النواه لا تلبث أن تتغير فتصبح جمعا للمختار من أشعار الأربعة:

امرئ القيس و النابغه و زهير و الأعشى، و مرتبطا بهذا يجيء المختار لكل من اسمه امرؤ القيس و لكل النوايح و الأنزاهر و العشى. و يجيء تحول آخر في الخطه إذ إن كل ذلك يتم في إطار الحديث عن قبيله كل شاعر ثم المختار من أشعار كل قبيله. و ذلك يعنى أن الكتاب يضم الشعر و الأخبار و الأنساب مع قسط من غريب اللغه. و قد كان منهجه في اختيار الشعر أن ينتقى البارع من أبيات القصيده ثم يليقها جانبا مده أيام، ثم يعيد فيها النظر برأى مستأنف، ثم يختار من المختار أحسنه. و استكمالا لخطته اقتصر في شرح الغريب على ما يتطلبه المتوسط في الأدب، كما اقتصر في تبيان السرقات الشعريه على ما يفيد في ذاته لا ما يفيد محض العلم بأنه مسروق. و رغبه في الإيجاز ألغى الأسانيد إلا في ثلاثه مواضع: موضع خلاف في الروايه، و موضع غفل لم يكن إسناده معروفا فايراد الاسناد يقوى منه، و أن يكون راوى الخبر ذا مقام خاص في نفس المؤلف و كان من أمثال من أدركه في زمنه. ذلك هو أدب الخواص، فان كان القارئ يحب الشعر عده مختار أشعار القبائل، و إن كان يحب الأخبار تمثله مؤلفا في سير الجاهليه و الإسلام، و ليس كل السير بل السير المستغربه، و إن كان يحب اللغه تصويره معرضا لعقائل اللغه و الشواهد عليها، و إن كان يحب النسب - و هو أصعب علوم العرب - عده سياقه لجماهير الأنساب (٤) أحييت تبيان هذا النسق

التصاعدي في خطه الكتاب لأدل بذلك على أن مثل هذا التصور "المركب" ليس وليد تجربته مبتدئه بل وليد نضج عميق يرفده اطلاع واسع و قدره نقدي أصيله، و عكوف على الدقه العلميه فى التقييد و الضبط، و لذلك قلت إن ابن المغربى لم يكتف بالثقافه الصالحه للكاتب بل تجاوزها إلى ثقافه العالم الضليح فى علمه. و اختياره للصعوبتين - المتمثلتين فى اللغه و النسب - دليل على تمكنه من الأصول، و نظره واحده فيما وصلنا من مؤلفاته و مروياته تدلنا على أننا نجد لديه من المرويات، و من الاحاطه بالدقه فيما يروييه، ما لا نجده عند غيره. حتى ليتمكن أن نلحظ لديه شغفه بغرائب الأخبار، و محاسن الأشعار التى قلما يلتفت إليها غيره.

و بسبب من هذا التفرد فى المعرفه و الدقه و حسن الخط أصبح ابن المغربى لدى الأجيال التاليه حجه فيما يروييه فى اللغه، و ما يقيده من ضبط، و ما يورده من أنساب. و كان يزيد الخالفين اطمئنانا أن يروا الماده مكتوبه بخطه. و إليك نماذج من الأخذ برأيه فى اللغه و الضبط للأسماء، و الاعتماد على خطه:

الجرجه - الخرجه: كان الوزير ابن المغربى يسأل عن هذه الكلمه على سبيل الامتحان، و يقول ما الصواب من القولين، و لم يفسر (٥) شلا: و رأيت بخط الوزير ابن المغربى فى بعض تصانيفه يذكر أنه قد أجاز الكسائى أشليت الكلب على الصيد، بمعنى أغريته، قال: لأنه يدعى ثم يؤسد فوضع موضعه (٦) النكيته: ذكر الوزير ابن المغربى أن النكيته فى البيت هى النفس:

و قربت بالقربى و جدك أننى متى يك عهد بالنكيته أشهد

(٧) النمى: فى قول الشاعر:

و لو شئت أبديت نميهم و أدخلت تحت الثياب الابر

قال الوزير المغربى أراد بالنمى هنا العيب، و أصله الرصاص، جعله فى العيب بمنزله الرصاص فى الفضة (٨).

الدهناء: بخط الوزير ابن المغربى: الدهناء عند البصريين مقصور و عند الكوفيين يقصر و يمد، و الدهان الأمطار اللينه، واحدها دهن، ي.

ص: ٥٤

١- بغيه الطلب ٥: ١٧...

٢- أدب الخواص: ٨٦.

٣- أدب الخواص: ٨٣.

٤- أدب الخواص: ٨٣-٨٥.

٥- التنبيه و الإيضاح ١: ١٩٥ (و اللسان جرج).

٦- ماده (شلا) فى اللسان عن ابن برى.

٧- التنبيه و الإيضاح ١: ١٩٠ و اللسان (نكت) و البيت لطفه.

و أرض دهناء مثل الحسن و الحساء، و الدهان: الأديم الأحمر (١).

قسا: بالضم و المد، قرأت بخط ابن مختار اللغوى المصرى مما نقله من خط الوزير المغربى: قسا منون و قساء ممدودا موضع، و قسا موضع غير منون، هذا نص عليه و لم يحتج (٢).

جعفى: ذكر الوزير أبو القاسم المغربى فى جعفى أربع لغات فقال، يقال جعفى منسوب منون مشدد، و جعفى مشدد غير منون، و يقال جعفى غير مشدد، و يقال جعف بوزن فعل ثلاثيا من غير ياء النسبه (٣).

و لو قلنا إن معظم ما ألفه ابن المغربى إنما كان نتاج هذه الفتره المصرى لم نبعد كثيرا عن الحقيقه، و ذلك هو ما يذهب إليه أيضا الشيخ حمد الجاسر (٤)، مستثنا من ذلك أشعاره و رسائله، لأنه لم يقتصر فى كتابه الشعر و الرسائل على هذه الفتره وحدها، بل عاش الشعر و النشر معه حيثما اتجه.

و قد رأينا أن المنخل و أدب الخواص ينتميان إلى تلك المرحله، و نضيف إليهما "الإيناس" و هو كتاب فى الأنساب بناه على كتاب لمحمد بن حبيب عنوانه "مختلف القبائل و مؤتلفها" فالأنساب فيه نتيجة لضبط الأسماء المتشاكله مثل فهم و قهم، و التمييز بين ما تطابق دون اختلاف ك بكر بن وائل من عدنان، و بكر بن وائل من قحطان، و أفراد الأسماء التى تتطلب ضبطا مفارقا مثل شمس (بضم الشين)، و قد رتب الكتاب على حروف المعجم، و وجد على ظهر الأصل بخطه: "متى ما نسخ هذا الكتاب ناسخ غير ضابط انعكس الغرض، فصار هداه ضلاله بالحقيقه، و متى ما كتب أيضا باجا (٥) واحدا و لم يفرق بين فصوله مرج و التبس و صعب إخراج ما يراد منه" (٦) كما نضيف كتابا له كبيرا فى الأنساب أشار إليه فى أدب الخواص (٧)، و المأثور فى ملح الخدور، رآه ابن العديم بخطه و أورد منه مقتبسات ألحقتها بهذه الدراسه، و تتميم كتاب الفهرست لابن النديم (٨)، و أرجح أن الزيادات فيه أوصلت الفهرست إلى عصر المغربى، و ذلك يتحمل زياده مع الزمن و ربما لم يكن محدودا بفتره واحده. و يلحق بهذا النوع من الكتب كتاب النساء. أما كتب القبائل مثل كتاب بنى ضبيعه و كتاب بنى أسد و كتاب ذبيان و كتاب تغلب فالأرجح أنها فصول داخله فى كتاب أدب الخواص و لم تكن كتبا منفصله.

و هناك كتب تنسب إليه و لم يكن تأليفها يحتاج إلى اطلاع واسع أو تعدد فى المصادر و هى كتب الاختيارات: اختيار شعر أبى تمام، و اختيار شعر البحرى، و اختيار شعر المتنبى و الطعن عليه، و منتخب كتاب الأغاني (٩) و هى مما يمكن أن ينسب إلى فتره التنقل و الشتات. و هناك كتاب من هذا الصنف نفسه و هو الاختيار من نثر على بن عبيده الريحانى، و إنما أفردته لأن الريحانى كان مكثرا من التأليف، و كان لا بد لمن يريد أن يختار من نثره الاطلاع على عدد كبير من كتبه، و ليس الأمر هنا كالاتماد على كتاب واحد فى الاختيار.

و هنالك عدد من كتبه لا نعرف منها إلا الأسماء، و لم يذكرها إلا المتأخرون ككتاب الإلحاق بالاشتقاق (١٠) و العماد فى النجوم (١١).

و قد عد له الشيخ حمد الجاسر ستة و عشرين مؤلفا (١٢) تكرر منها مختصر إصلاح المنطق، و عدت فيها كتب القبائل (و سقط كتاب تغلب) و هى ليست كتبا مستقلة على وجه حاسم. و لحق الوهم ذكر كتب أخرى، فكتاب السيره النبويه ليس سوى كتاب

السيرة لابن هشام (تهذيب سيره ابن إسحاق) مكتوبا بخط ابن المغربي. و يبدو لى أن اختصار الغريب المصنف ليس سوى وهم أيضا، و أن المراد هو اختصار إصلاح المنطق، و ما أرى كتاب المنثور الذى ذكره ابن حجر فى الاصابه و تبصير المنتبه (١٢) إلا كتاب المأثور. و لا ريب فى أن لابن المغربي ديوانا شعريا، لكنه لم يصلنا مجتمعا، و ما يذكره بروكلمان من أن فى الأمبروزيانا (رقم: ١٩ حسب الفهرسه القديمه) قطعه من شعره، فإنه من الأوهام الكبيره، و لقد رحلت إلى الامبروزيانا بميلان سنه ١٩٨٣ بحثا عن تلك القطعه من الديوان، فلم أجد تحت الرقم المذكور إلا كناشه فيها مختارات من الأشعار من بينها سته أبيات - فى ثلاث قطع - لابن المغربي.

و انفرد الداودى بذكر مؤلفات أخرى لم تذكرها سائر المصادر و هى فضائل القبائل، و كتاب أخبار بنى حمدان و أشعارهم، و كتاب الشاهد و الغائب، و هذا الأخير بين فيه أوضاع كلام العرب و المنقول منه و أقسامه تبينا يكاد يكون أصلا لكل ما يسال عنه من الألفاظ المنقوله عن أصولها إلى استعمال محدث. كما ذكر له المسبجى كتاب "الإماء الشاعرات" و كتابا فى "مقامات الزهاد" و هذا الثانى ينتمى إلى فتره متاخره من حياته.

إلى جانب هذا النشاط فى التأليف هل كان ابن المغربي يعمل عملا آخر، و بعبارة أدق هل كان ذا وظيفه (منصب) فى الدوله، و ما هى تلك الوظيفه على وجه التحديد؟ إن الذهبى حين يتحدث عنه يلقبه بـ "ناظر ديوان الزمان بها" (١٤) (يعنى مصر). دعنا نضع إزاء هذا الخبر خبرين آخرين أحدهما يقول إن أبا القاسم الحسين بن على كان يتولى ديوان السواد فصرف عنه و ولى بدله رجل نصرانى اسمه منصور بن عبدون، و من ثم نشأت البغضاء بين الرجلين (١٥)، و الثانى يذهب إلى أن ابن المغربي الأب لما غضب عليه العزيز عزله و ولى مكانه صالح بن على الروذبارى، و استرجع ابن المغربي إلى مصر فلم يزل بها حتى قام الحاكم فكان هو و ولده أبو القاسم حسين من جلسائه (١٦) هذه ثلاثه أخبار أحدها يجعل ابن المغربي ناظر ديوان ٢.

ص: ٥٥

- ١- معجم البلدان لياقوت ٢: ٦٣٥.
- ٢- معجم البلدان لياقوت ٤: ٩١-٩٢.
- ٣- ابن خلكان ١: ٤٥٢ نقلا عن أدب الخواص.
- ٤- أدب الخواص (مقدمه المحقق): ٢٩ و يجب ألا نغالى فى هذا، فقد استطاع ابن المغربي أن يكون مكتبه و أن يجد بعض الفترات المسعفه على التأليف فى المرحله الأخيره من حياته.
- ٥- الباج: الطريق الواحد و الوجه الواحد، أى إيراده دون فصل بين الجمل.
- ٦- الإيناس: ٣٣ (صوره طره مخطوطه تشتت بيتي).
- ٧- أدب الخواص: ١٣٨.
- ٨- معجم الأدباء ٦: ١٩٧، ٤٦٧ (١٦: ٣١٧-٣١٨).
- ٩- معجم الأدباء ٥: ١٥٠ (١٣: ٩٧).
- ١٠- ذكره الزبيدى فى التاج (أزد) و هدايه العارفين ١: ٣٠٧.
- ١١- هدايه العارفين ١: ٣٠٨.

- ١٢- أدب الخواص (مقدمه المحقق): ٣٠-٣٧.
- ١٣- الاصابه ١: ٣٥٥ و التبصير: ٢٧٠.
- ١٤- تاريخ الذهبى (مخطوطه المتحف البريطانى ٤٩، الورقه ٩/ أ) و بروكلمان، التكملة ١: ٦٠٠.
- ١٥- ذيل تاريخ دمشق: ٦١.
- ١٦- خطط المقرئى ٢: ١٥٧.

الزمان، و الثاني يجعله صاحب ديوان السواد، و الثالث يجعله جليسا للحاكم، فأين تقع الحقيقه من خلال هذه الأخبار؟ لا معنى للخبر الأول فى رأى لأنه ليس هناك ديوان اسمه "ديوان الزمان" و أقرب ما هنالك إلى تصويب هذا النص أن نقرأ "ديوان الزمام" و هو ديوان نشأ فى الدوله العباسيه حوالى سنه ١٦٢ فى خلافه المهدي إذ يذكر الطبرى أن المهدي وضع فى ذلك العام دواوين الأزمه. و كان عمل ديوان الزمام - فى أصل نشاته - الاشراف و الرقابه على أعمال الدواوين ذات العلاقه بأمر الأموال من واردات و نفقات (١)، و يبدو أن هذا الديوان بهذا الاسم لم يكن موجودا فى العصر الفاطمى بمصر، و أن الذهبى - إن صح التصويب - يستعمل مصطلحا عراقيا للدلاله على شىء مشابه، و أقرب مصطلح إليه "نظر الدواوين" أو "ديوان النظر" (٢)، فان لم يكن الأمر كذلك فلنا أن نعتبر "ناظر ديوان الزمان" لقب تشرىف و تعظيم كان نقول فى وصف أحدهم "ناظر عين الزمان" أو ما أشبه.

و أما الخبر الثانى فيتحدث عن ولايه "ديوان السواد" و ديوان السواد يلحق بالعراق، بل هو يعنى ديوان العراق بعد استحداث ثلاثه دواوين هى ديوان المشرق و ديوان المغرب و ديوان السواد تنضوى تحتها فئات الدواوين المختلفه. و ليس من المعقول أن يكون متولى ديوان السواد موجودا بمصر، و على هذا يكون اسم الديوان هنا محرفا أيضا. فان لم يكن كذلك، فهو ترجمه لمصطلح عراقى آخر، و لعله يقابل "ديوان الضياع" أى هو ديوان يتولى أمور الاقطاعات الفاطميه ببلاد الشام، التى يمكن أن يطلق على أجزاء منها "سواد الشام" (٣).

و يتحدث الخبر الثالث عن مجالسه الحاكم دون الارتباط بوظيفه معينه، و هذا شىء لا يتطلب توقفا أو تفسيراً، فقد كانت علاقه أبيه و عمه بالدوله الفاطميه طيبه، و ما كان غضب العزيز على أبيه إلا غضبا عابرا، و بحكم تلك العلاقه كان فى إمكان الحسين أن يذهب إلى قصر الخلافه فى صحبه أبيه أو عمه، و أن يتعرف إلى الخليفه، و أن تقدمه إليه ثقافته و علمه بالاضافه إلى مكانته الاجتماعيه. و قد احتفظت لنا المصادر بخطبه قام بها بين يدي الحاكم (رقم: ١٥) و أكبر الظن أن هذه الخطبه كانت سنه ٣٩١ لأن فيها إشاره إلى ملك الروم الذى "خرق إزار السلم و هتك حجاب الأمن". و ذلك أن ملك الروم فى أواخر سنه ٣٨٩ نزل على شيزر فأخذها و انتقل إلى حمص فأخذها أيضا و سبى و أحرق (٤) و فى سنه ٣٩١ وصل رسول من ملك الروم، و كان له استقبال حافل، و إلى ذلك تشير الخطبه "فعاد يفتل جبل الهدنه و يمد إليك أمير المؤمنين كف الرغبه"، و فى الخطبه تحريض على الجهاد، و لكن الأهم من ذلك فى الحديث عن سيره الحسين أنه ختم الخطبه بالالتفات إلى نفسه "عبدك و وليك ابن أوليائك" و فيه يؤكد أن الحسين حتى ذلك التاريخ كان يرنو إلى منصب فى الدوله كان يعين مذكرا للجيش، أو خطيبا بحضره الحاكم، إن لم نفترض أنه كان يطمح إلى الترقى من منصب دان إلى منصب أسمى منه.

و مهما يكن من شىء فان الروايات الثلاث أخذت تتقارب، إذ يبدو أنه بعد هذه الخطبه نال منصبا فى أحد الدواوين، أيا كان ذلك الديوان، أ هو ديوان الزمام أو ديوان الضياع أو ديوان الخراج، و أن المنافسه بدأت بينه و بين ابن عبدون و شارك فيها أبوه، و بدأت المكائيدات و الوقائع تتصل، و ظل الأمر على ذلك حتى سنه ٣٩٩، ففى أول ذلك العام انفرد ابن عبدون بالنظر فى ديوان الخراج دون شريك (٥)، و معنى ذلك أن ابن المغربى فقد منصبه و لكنه لم يكف عن "الوقيعه فيه" (فى ابن عبدون) و الكلام عليه و على الكتاب النصرارى إلى أن قبض على جماعتهم، فلما حصلوا فى القبض أمر الحاكم بان يضرب كل واحد منهم خمسمائه سوط، فان مات رمى به للكلاب و إن عاش أعيد ضربه إلى أن يموت (٦).

و في الوقت نفسه لم يكن منصور بن عبدون أقل شراسه و حقدًا في تحريض الحاكم على بنى المغربى و إغرائه بهم و حثه على قتلهم، فتقدم الحاكم إلى السيف - و هو جعفر الصقلبي - و أمره أن يحضر عليا و محمدا ابني المغربى و يدخلهما الحجره و يضرب أعناقهما ففعل، ثم أمره بقتل الحسين و أخويه محمد و المحسن، فاستتر الحسين و أخذ أخواه و قتل(٧) ، و كان ذلك ثلاث خلون من ذى القعدة سنه أربعمائ(٨).

هل كانت الخصومه بين آل المغربى و ابن عبدون هى السبب الوحيد الذى أدى إلى هذه النهايه الفاجعه؟ نستطيع أن نفترض عده أسباب كان نقول مثلا إن طول العشره جعل بنى المغربى ذوى إدلال على الخلافه، يرون لهم فضلا عليها، و أن الوشايات ضدهم أصبحت لدى الخليفه سهله التصديق. و قد نقول إن جانبنا من التصريحات التى كان يطلقها الحسين، محمله بطموحه المتصاعد كانت تلقى على أذن الخليفه، و أنها حين تكاثرت ضاق بها ذرعا، و الخبر عن الغلو فى الطموح لدى الحسين قابل للتصديق بسهوله، و إن رواه شخص حاقد. فقد روى ابن القارح أن الحسين قال له ذات يوم: ما نرضى بالخموم الذى نحن فيه، فقال ابن القارح: و أى خموم هنا، تأخذون من مولانا - خلد الله ملكه - فى كل سنه سته آلاف دينار، و أبوك من شيوخ الدوله، و هو معظم مكرم، فقال الحسين: أريد أن تصار إلى أبوابنا (بغيه الطلب: دواويننا) الكتائب و المواكب و المقانب، و لا أرضى بان يجرى علينا كالولدان و النسوان. و أبلغ ابن القارح هذا الموقف إلى على والد الحسين فقال: ما أخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه (و قبض على لحيته و هامته). و يبدو أن تفجر نفس الحسين بالتعبير عن هذا الطموح كان ظاهره متكرره، فقد روى ابن القارح أن أباه قال فى مناسبه أخرى. "أنا أخاف همه أبى القاسم أن تنزوبه إلى أن يوردنا وردا لا صدر عنه" (٩) و قد نقول إن هذا الطموح ارتقى - بعد الحرمان من المنصب - إلى درجه الثوره، و لعل هناك إشاره إلى ذلك فى موقف تم بينه و بين ابن القارح، حين استدعاه ليلعنه فى وجهه، فقال ابن القارح: و لم؟ قال: ٥.

ص: ٥٦

- ١- الدكتور مصطفى الحيارى: الدواوين من كتاب الخراج (مقدمه المحقق): ٤٢، ٤٣.
- ٢- الموسوعه الإسلاميه ٣٢٩:٢ (الطبعه الثانيه بالانجليزيه).
- ٣- لنا أن نستانس بقول ابن المغربى يخاطب الجيوش بالرملة: "و الرأى أن تبادروا و تنادوا فى السواد، و تسمعوا الشراه فى الجبال باباحه النهب و الغنيمه" (ذيل تجارب الأمم: ٢٣٥).
- ٤- اتعاظ الحنفا: ٣٢:٢.
- ٥- اتعاظ الحنفا: ٧٦:٢.
- ٦- ذيل تاريخ دمشق: ٦١-٦٢.
- ٧- ذيل تاريخ دمشق: ٦٢.
- ٨- أخبار الدول المنقطعه: ٤٨.
- ٩- رساله الغفران: ٥٣ و بغيه الطلب ١٨:٥.

لمخالفتك إياي فيما تعلم (١) فهل كانت تلك المخالفه تتعلق بشيء من ذلك؟ إن هنا غموضا مقصودا، قد يقوى الظن بان الحسين كان يدبر شيئا و لكن مخالفه ابن القارح له أفسدت عليه خطته. و قد تربط بين مقتل آل المغربى و مقتل جناده الهروى و صديقه المقرئ، لاتصال أسبابهما بأسباب الحسين و أبيه، و نتخيل وجود مؤامره واسعه الأطراف قضى الحاكم على عناصرها تباعا. أو لعلنا أن نردد ما قاله أحد المصادر و هو أن الحاكم إنما غضب من ابن المغربى و أمر بقتله "لأنه كان يضرب بينه و بين وجوه دولته" (٢).

و إذا سلمنا بذلك وجدنا أنه قد يعلل غضبه على الحسين، فلم شمل الغضب سائر أهله؟

٣ - الثورة فى الرمله

بقى ابن المغربى مختفيا منذ الثالث من ذى القعدة حتى الثانى عشر منه (٣) (عام ٤٠٠) حين أتيح له أن يخرج متنكرا فى زى جمال (٤)، برفقه قافله من الأعراب، مجتازا شبه جزيره سينا إلى فلسطين، و قيل إن الحاكم بعث من يطلبه فلم يدرك (٥) و حين وصل الرمله نزل بحله حسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح و استجار به فاجاره، و أنشده قصيده يثنى فيها عليه و على قبيله طيبى بعامه:

يا طيبى الخيرات بين حلالكم أ من الشريد و همه الطلاب

سمكت خيامكم باسمه الربى مرفوعه للطارق المنتاب

ثم يصف الذعر الذى تلبس به حتى ضاق به عليه إهابه، و أنه مذ حل فى ديار بنى الجراح قد عرف معنى النوم و الطمأنينه، فلما سمع حسان منه هذه القصيده هش له و جدد تعهده بحمايته، و سكن من روعه.

كانت قبيله طيبى تؤازر القرامطه فى أول الأمر، و لذلك فان هؤلاء حين استولوا على الرمله سنة ٣٦٠ عينوا لها حاكما منهم و جعلوا معه دغفل بن الجراح جد حسان، و منذ ذلك التاريخ وجدت الاماره الطائيه التى تغلبت على معظم القسم الجنوبى من بلاد الشام، و لهذا عملت الدوله الفاطميه على استماله طيبى و فصلها عن الحركه القرمطيه و على ضمان ولاء طيبى لتساعد الدوله فى تثبيت سلطانها على ما استولت عليه من بلاد الشام، و فى الوقت نفسه بذل الفاطميون كل جهد للحيلولة، دون استقواء طيبى، بحيث تصبح قوه تهدد الوجود الفاطمى فى الشام. و كانت خطه الفاطميين اكتساب تلك القبيله بالأموال و الاقطاعات، و لكن رغبه الدوله الفاطميه فى إبقاء طيبى فى حدود التبعية و الضعف كثيرا ما حفز تلك القبيله إلى مسانده بعض الحركات المناوئه للفاطميين (٦).

لعل صورته هذا الوضع كانت واضحه تماما فى ذهن الحسين، حين وجه وجهه صوب الرمله، كان فى طلبه الجوار يلوذ بقيم عربيه معروفه، و لكن نفسه كانت تنطوى على ما هو أبعد من الاطمئنان الهادئ إلى حمايه شيخ ذى نفوذ واسع، كانت نفسه تجيش بالانتقام، و القضاء على الحاكم.

و بعد أن كفكف من دموعه على إخوته و أبيه و عمه، و أذكرته مصارعهم الطف و كربلاء (المقطوعه: ٩٦) و كيف خلت منهم

محاربي المساجد، بعد هذا أخذ يفتل لأعدائه حبال مؤامره كبيره محكمه. و لعله لم تكن لديه خطه معده مرتبه المراحل، بل كان يستمد من حقه الشديد على الحاكم ما يستشير ذكاه لاغتنام كل فرصه تلوح لاحكام المؤامره و توسيع نطاقها. كانت الخطوه الأولى - بطبيعته الحال - أن يسكب ثقته حسان بن المفرج، و هو في الوقت نفسه يكتشف مواطن الضعف فيه، و يتأتى بكل لباقة لإفساد نفسه على الحاكم. و لعله في بادئ الأمر استثار عاطفته ممتزجه باستنكاره و امتعاضه لما ارتكبه الحاكم من فظائع و شرور، لا بقتل آل المغربي و حسب، بل بقتل الكثيرين من الناس، و إذن فهو خليفه لا يؤمن جانبه، و خطره على الاماره الطائيه و على حسان و أهله محقق وشيك.

و تضطرب الروايات بعض اضطراب في تسلسل الأحداث، و في كيفية استغلال ابن المغربي لها إعدادا للثوره و قطعاً لروابط التفاهم بين بنى الجراح و الفاطميين. هل كان الصدام بين بنى الجراح و جيش الفاطميين أولاً- ثم تبع ذلك اللجوء إلى سند جديد و خلافه جديده؟ أم كان الأمر بالعكس، أي بدأ البحث عن خليفه بديل، فاغتاظ الحاكم و أرسل جيشاً لتأديب العصاه؟ إن هذا الاضطراب في الروايات سرعان ما يزول إذا أخذنا بالرأى القائل: إن حملته يارختكين لم تكن موجهه ضد آل الجراح منذ البدايه، و لكن الظروف حولتها كذلك. و هذا يعنى أن تسلسل الأحداث تم على الوجه الآتى:

١ - كانت الجيوش الفاطميه قبل بضع سنوات قد عانت كسره عند باب حلب على يد بسيل ملك الروم. و لهذا جهز الحاكم جيشاً بقياده مملوك كان لأبيه العزيز اسمه يارختكين (يا روخ تكين). فخرج هذا القائد من مصر في عدد قليل إذ كان معوله على الجيش الفاطمى فى الرمله و عدده خمسه آلاف. و كان الحاكم قد أوصى وجوه القواد بابداء كل آيات التبجيل و الاحترام ليارختكين و أن يترجلوا فى موكبه. و كان من جملة من أمروا بخدمته على و محمود ابنا المفرج بن الجراح و أخوا حسان، فجاءا إلى أبيهما و عرفاه أنهما يرفضان ذلك النوع من الازلال فى خدمه يارختكين، و حذراه منه، و أنه إذا عظمت قوته و استفحل أمره أصبح خطراً على بنى الجراح و لم يعد لهم مقام فى الرمله. إذن كان بنو الجراح كارهين لقدم يارختكين، متوجسين خيفه من أن يوهن من قوتهم إلى حد طردهم من إمارتهم. فإذا جاءت مشوره ابن المغربي بالتصدى له فمعنى ذلك أنها صادفت هوى كامناً فى نفوسهم.

و اقترب ابن المغربي من حسان و همس فى أذنه بان التخلص من يارختكين هو الرأى الأمثل، فاخذ بنو الجراح يستعدون لمواجهته، و تسربت الأخبار بذلك إلى يارختكين، و كان قد وصل الجفار من جنوبى فلسطين، فشاور أصحابه، و استقر الرأى على أن يبعث رسولا إلى الجيش المرابط فى الرمله، و يستدعى أحد القواد و معه ألف فارس، يلاقونه عند عسقلان، و قدر أن يوافيه القائد فى ثلاثه أيام، إلا- أن رسوله لم يصل إلى الرمله، فقد جرى القبض عليه فى الطريق. و لما انقضت المهله، سار يارختكين على طريق الساحل ففاجاته جموع حسان عند رفح و الداروم، و دارت معركة غير متكافئه، أسر فيها يارختكين و أخذ ولده و حرمه، و أخذت أموال التجار، و عادت الأعراب إلى الرمله، إذ أصبحت المدينه هدفاً لإطماعهم لأن فيها الجيش الفاطمى، فشنوا الغاره على الرمله و رساتيقها، إلا أن عسكر الرمله

٢- العقد الثمين ٧٠:٤.

٣- في طبقات الداودي: ١٥٣ للثاني من ذي القعدة سنه أربعمائيه، و على هذا يمكن أن تكون الكلمه: للثامن، للثاني عشر، للثاني والعشرين.

٤- هكذا في طبقات الداودي - بالجيم - و ورد في اتعاظ الحنفا ١٢:٨٢ في زي حمال (بالحاء المهمله) و انظر التذييل.

٥- العقد الثمين ٧٠:٤ و أخبار الدوله المنقطعه: ٤٨.

٦- الاماره الطائيه: ٤٤-٤٨ (باختصار).

استطاع صدهم، حتى فكروا فى الارتحال عنها.

٢ - أصيب ابن المغربى بقلق شديد: إن ارتحال الأعراب يعنى التخاذل أمام قوه الحاكم، و فساد الخطه فى أول مراحلها، و لهذا وقف يقول لهم:

"إن رحلتهم على هذه الصوره وقع الطمع فيكم، و إن صبرتم حتى تفتحوا البلد خافكم الحاكم و ملكتم الشام، و الرأى أن تبادروا و تنادوا فى السواد و تسمعوا الشراه فى الجبال باباحه النهب و الغنيمه". فاصغوا إلى نصيحته و عمموا النداء فانتالت الجموع المتعطشه إلى النهب من كل صوب، و زحفوا إلى الرمله فاستولوا عليها و نهبوا كل ما قدروا عليه و عاثوا فيها فسادا.

و انزعج الحاكم لما حدث فأرسل رساله إلى المفرج بن دغفل يعاتبه و يحذره و يطالبه بإطلاق يارختكين من يد ابنه حسان و إرجاعه إلى مصر، و لم ينس أن يعده بمكافاه ماليه ضخمه إذا هو فعل ذلك.

٣ - كان يارختكين يلقى على يد حسان أسوأ ما يمكن أن يعامل به أسير، إذ عامله بامتهان شديد و تفنن فى إذلاله، و تتحدث المصادر عن ذلك الاذلال تصریحا و تعريضا، فتصرح بأنه "سمع غناء جواريه و حظاياها و هو مقيد معه فى المجلس" و تعرض بأنه "ارتكب منه فواحش عظيمه" و تعود إلى الوضوح الكلى حين تصف مصيره. و لكنها تربط ذلك المصير بالحسين بن على المغربى، ففيما كان المفرج يتأمل رساله الحاكم و وعوده، فزع ابن المغربى إلى حسان و قال له: "إن والدك سيركب إليك و لا يبرح من عندك إلا بيارختكين، و متى أفرجتم عنه و عاد إلى الحاكم رده إليكم فى العساكر التى لا قبل لكم بها"، و كان فى رأس حسان نشوه، و لعلها هى إحدى مواطن الضعف التى كان يستغلها ابن المغربى، فانفض حسان، و أمر بإحضار يارختكين، و ذبحه صبورا بين يديه، و أنفذ رأسه إلى المفرج أبيه (١)، و أدرك المفرج أن الأحداث قد قطعت شوطا بعيدا فى تطورها، فلم يفتح ابنه بشىء.

٤ - بلغ بنو الجراح فى علاقتهم بالحاكم نقطه اللارجوع. و كان ابن المغربى يدرك ذلك، فتفتق ذهنه عن خطه بارعه، و هى أن يوجد الخليفه البديل الذى يستند إليه بنو الجراح فى استمداد "غطاء الشرعيه" لسلطانهم، و وجده. فاجتمع بالمفرج و أولاده و قال لهم: "قد كشفتهم القناع فى مباينه الحاكم، و لم يبق من بعد للصالح موضع" (٢) و التفت إلى مكه، و لفت إليها انتباههم قائلا: هذا أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى صاحب مكه لا مطعن و لا مغمز فى نسبه (هذه إحدى فوائده علم الأنساب الذى أتقنه) و هو فى بيته و فضله و كرمه بمكان رفيع، و الصواب أن ننصبه إماما و نقوم معه على الحاكم. فاقنع بنو الجراح بوجهه نظره، و أمره حسان بالتوجه إلى أبى الفتوح بمكه و عرض الأمر عليه. و لما نزل على أبى الفتوح أطمعه فى الرئاسة و الخلافه و ضمن له طاعه حسان و قومه، و كانت العقبه الكبرى هى قله ما فى يد أبى الفتوح من مال، يستميل به الأنصار و المؤيدين، و حين شكك ذلك إلى ابن المغربى أشار عليه بأخذ ما فى خزانه الكعبه من الأموال و انتزاع ما عليها من أطواق الذهب و الفضه و ضربها دراهم و دنانير، ففعل ذلك، و عرفت دراهمه ب "الفتحيه" و قيل ب "الكعبيه" (٣)، و إلى هذا يشير ابن القارح حين يعدد ذنوب ابن المغربى بقوله: "و بغضى له - شهد الله - حيا و ميتا أوجه أخذ محاريب الكعبه، الذهب و الفضه، و ضربها دنانير و دراهم، و سماها "الكعبيه" (٤).

ها هى السيئات تتوالد، و تتكاثر و يعلو بعضها بعضا لتقع جميعها على رأس المدبر". و الروايات تطلب السهوله، إذ ما أسهل نسبه

كل شيء إلى رجل موتور لا هم له إلا تنغيص حياه الخصم أو القضاء عليه. و لم تكتف الروايات بنسبه تجريد الكعبه من ذهبها و فضتها إلى ابن المغربي، بل تشاء المصادفات أن يموت رجل ذو مال طائل بجده، فيوصى بمائه ألف من ثروته لأبى الفتوح ليستغلها فى تدبير أموره(٥)، و لكن ابن المغربي لا- يقنع بذلك بل يحرضه على احتياز الثروه كلها(٦) و هكذا حلت العقده الماليه. و عندئذ جمع أبو الفتوح بنى حسن و شاورهم فى الأمر، فمالت بهم دواعى السياهه و أعطوه البيعه(٧)، فأظهر أبو الفتوح دعوته و بايعه سائر أهل الحرمين، و تلقب الراشد بالله(٨).

٥- لما تم كل ذلك عاد الحسين إلى الرمله و اجتمع بالمفرج و بنيه الثلاثه حسان و محمود و على، و أخذ بيعتهم لأبى الفتوح، و يقال إنه قام خطيبا، و ذلك غير مستعد، و لكن الخطبه التى تنسب إليه فى هذا المقام هى فاتحه خطبه لابن نباته، و سيجىء الحديث عنها فيما بعد. و بعد أن فرغ من أخذ البيعه لأبى الفتوح عاد إلى مكه ليكون فى موكب الخليفه الجديد فى مسيره إلى الرمله. و عجل أبو الفتوح فى سيره و معه نحو ألف فارس من بنى حسن، و نحو ألف عبد من قواده، فلما اقترب الموكب من الرمله تلقاه حسان و أبوه المفرج و سائر وجوه العرب، و قبلوا الأرض بين يديه، و نزل فى دار بنى الجراح، و توافد الناس للتسليم عليه بالخلافه، و كان متقلدا سيفا زعم أنه ذو الفقار، و فى يده قضيب ذكر أنه قضيب الرسول ص، و نادى فى الناس بأمان الخائفين و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر(٩).

٦- ركب أبو الفتوح فى يوم الجمعة، و المفرج و أولاده بين يديه مشاه، حتى دخل المسجد و دعا ابن نباته عبد الرحيم بن محمد الفارقى الخطيب و أمره بالخطبه. فصعد المنبر، و اشرأبت إليه الأعناق، فحمد الله و أثنى عليه و قرأ: (طسم. تلك آيات الكتاب المبين. نتلو عليك من نبا موسى و فرعون بالحق لقوم يؤمنون. إن فرعون علا فى الأرض و جعل أهلها شيعا، يستضعف طائفه منهم يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين. و نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمه و نجعلهم الوارثين. و نمكن لهم فى الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما.

ص: ٥٨

- ١- سياق الأحداث متابع لروايه أبى شجاع فى ذيل تجارب الأمم: ٢٣٣-٢٣٥ و قارن أيضا بالعقد الثمين ٧٠:٤، ٧٣، و أخبار الدول المنقطعه: ٤٩-٥٠ و بغيه الطلب ٨: ١٢٨-١٢٩.
- ٢- ذيل تجارب الأمم: ٢٣٥.
- ٣- رساله الغفران: ٥٨.
- ٤- الاعتماد فى التفصيلات هنا على تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث:) و على أخبار الدول المنقطعه: ٤٨ و العقد الثمين ٧٠:٤ و هو يجمع عده روايات و لعل الفتحيه هى الدراهم و الكعبيه هى الدنانير.
- ٥- العقد الثمين ٧٥:٤.
- ٦- ذيل تجارب الأمم: ٢٣٦.
- ٧- ذيل تجارب الأمم: ٢٣٦.
- ٨- العقد الثمين ٧٥:٤ (عن الذهبى) و ابن خلدون ١٠١:٤.
- ٩- العقد الثمين ٧٥:٤ (عن الذهبى) و ذيل تجارب الأمم: ٢٣٦ و بغيه الطلب ٨: ١٢٩ و يختلف المؤرخون فى السنه التى خلع فيها

أبو الفتوح الطاعه للفاطميين، انظر العقد الثمين ٧٥:٤-٧٦ حيث أورد روايات مختلفه.

منهم ما كانوا يحذرون) (القصص: ١-٦). و لعل ابن نباته كان يشير بيده نحو مصر. حيث يقيم "فرعون و هامان و جنودهما" ثم يشير إلى الجماهير و فيها أبو الفتوح و حسان و ابن المغربي "الذين سيرثون الأرض"، فقد وافقت الآيات واقع الحال. و لما انتهت الصلاة عاد أبو الفتوح إلى دار الاماره(١).

٧- و هاهنا وقفه لا بد منها، و إن كانت تقطع تسلسل الأحداث.

لقد ذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أن ابن نباته توفي سنة ٣٧٤ و نقل عنه ذلك ابن خلكان(٢) فإذا صح ذلك استحال أن يكون ابن نباته موجودا لدى قدوم أبي الفتوح إلى الرملة، و لم تصح نسبة الخطابه إليه في ذلك الموقف. و الأرجح أن ابن نباته عاش إلى ما بعد هذا التاريخ بكثير، و كان في الرملة حين دخلها أبو الفتوح، فقد جاء في مرآه الزمان أنه هو الذي غسل ابن المغربي حين توفي، و عمل بوصيته حين وضع في تابوته ألف دينار لتكون علامه للنقيب الذي سيدفنه في مشهد على حين يصل جثمانه إلى الكوفه، و تتعارض هذه الروايه مع روايه أخرى جاء فيها أن ابن المغربي رآه في المنام و سأل: ما فعل الله بك؟ (و هو سؤال يدل على أن الخطيب توفي قبل ابن المغربي و لكنه من ناحيه أخرى يدل على علاقه بينهما، كما يدل على اهتمامه بامرّه و يومئ إلى أنه كان قلقا على مصيره) فقال ابن نباته: دفع لي صدقه فيها سطران بالأحمر و هما:

قد كان أمن لك من قبل ذا و اليوم أضحي لك أمان

و الصفح لا يحسن عن محسن و إنما يحسن عن جاني

قال: فانتبهت من النوم و أنا أكررها(٣): و الشطر الأخير في هذين البيتين حيث ترد لفظه "جاني" يصور سبب ذلك القلق، الذي كان إسقاطا من ابن المغربي على "صديقه" و شريكه في الثورة، و هو ما يمثل حقيقه حاله هو.

٨- و كان أبو الحسن التهامي شاعر الرملة في تلك الأحداث قد اتخذ من الرملة دار إقامه، و تزوج بها، و تقلد فيها الخطابه(٤)، و وقف كثيرا من قصائده على المفرج الطائي و بنيه، و أصبحت صلته بابن المغربي وثيقه، ففي ديوانه أربع قصائد تتصل بالمغربي(٥)، و منها واحده أثارها عتاب ابن المغربي له لأنه تأخر في مدحه. ترى هل كانت هذه القصائد حين كان اللقاء بالرمله، أو كانت بعد ذلك؟ إن اشتراك التهامي في الثورة على الحاكم مع ابن المغربي أبعد عن الرمله و حكم عليه بالتنقل من بلد إلى بلد، و أغلب الظن أن لقاءهما تم من بعد في ميافارقين و الموصل إذ نجد التهامي يمدح أبا نصر ابن مروان كما يمدح قرواش ابن المقلد العقيلي بقصائد كثيره. و مما يرجح هذا الفرض أن التهامي يخاطب المغربي بلقب "الوزير" و "الكامل" و هما لقبان حازهما من بعد، و لا أرى أنه حازهما بمصر لأنه لم يكن حينئذ وزيرا.

و تؤكد قصائد الديوان حقائق مهمه منها أن التهامي كان حقا في الرمله لما وصلها ابن المغربي، و أنه كان يعرف كيف تصرف حسان إزاء الحاكم و قتل يارختكين، و إلى ذلك يشير بقوله(٦):

و ما زلت ذخرا للإمام و عدهلكل إمام عده و ذخائر

فلما جرى ما كان، نفر قلبها لأنك نفاع إذا شئت ضائر

تولى إماما ثم تعزل مثلثفان تدع مأمورا فانك أمر

و مما يؤكده الديوان ذلك الطموح لدى التهامى لنيل المجد، شانه فى ذلك شان ابن المغربى. و فى الديوان قصائد قالها و هو محبوس بخزانة البنود، مما يؤكده النهايه التى تتحدث عنها المصادر التاريخيه، و فى إحدى تلك القصائد يقول و هو مسجون(٧):

لعمرى لقد طوفت فى طلب العلا و حالفتى بر و حالفتى بحر

أروم جسيمات الأمور و إنما قصارى أن أبقى إذا بقى الدهر

و لو كنت أرضى بالقليل وجدته و لكن فى نفسى أمورا لها أمر

و مما يلفت النظر فى إحدى قصائده ما يردده من قاله الناس عنه، و أنهم يقولون إنه سجن لطلبه الملك، مع أنه أديب محارف فى عيشه، و يختم هذا بقوله(٨):

و كل بما قاله آثم سيقرا الذى قال فى صفه

و ليس سوى نكبات الزمان و رأى يضلل من ضعفه

و مدائحه فى ابن المغربى، كسائر قصائد المدح، فى الثناء على الجود و الإشاده بالنسب الرفيع، و غير ذلك من الخصال، و نموذجه قوله فى إحدى قصائده(٩):

طلق المحيا للعفاه و إنما يلقي العبوس به على لوامه

تتقاصر الأفهام دون صفاته و يغض عنه الطرف فى إعظامه

يقظان فى كسب العلاء فان ينم فكأنه يقظان عند منامه

تلقى الوزاره و هى دون محله و يرى المخدم و هو من خدامه

و قد انضم إلى مواليه آل الجراح، و إلى ممدوحه الجديد، فى الثوره على الحاكم، و كان له دور هام فيها، و قد ذكر سبط ابن الجوزى أنه "طلب الخلافه بالشام و خرج معه جماعه، فغدر به آل الجراح الطائيون و تقربوا به إلى الحاكم و حملوه إليه فحبسه فى خزانة البنود إلى أن مات، و قيل إن الحاكم عفا عنه و خلى سبيله"(١٠) و لكن ابن خلدون يورد روايه أخرى، إذ يذكر اثنين آخرين فرا من الرمله حين أخفقت الثوره، أحدهما اسمه سبابه، فر إلى ديار بكر مع ابن المغربى، و الثانى يقال له "التهامى" و قد فر إلى الرى(١١)، فإذا كان هو الشاعر، فان بنى الجراح لم يسلموه إلى الحاكم. و بذلك يصبح مصيره غامضا لأن أشهر الروايات فى الحديث عن نهايته أن بنى الجراح قاموا بثوره أخرى على الفاطميين، و استعانوا بالتهامى، و أرسل معه حسان رسائل كثيره يستنفر فيها بنى قره بيرقه للثوره. فاخذ التهامى، و سئل عن نسبه فانتسب إلى تميم، ثم انكشف أمره فاعتقل بخزانة البنود

-
- ١- ذىل تجارب الأمم: ٢٣٦-٢٣٧ و تنسب هذه الخطبه إلى ابن المغربى فى العقد الثمين ٤: ٧٣ و أنه قالها حين أراد أخذ البيعه لأبى الفتوح.
 - ٢- ابن خلكان ٣: ١٥٧.
 - ٣- ابن خلكان ٣: ١٥٧-١٥٨
 - ٤- الوافى بالوفيات ٢٢: ١١٦.
 - ٥- ديوان التهامى: ١١٦، ١٥١، ٣٣٠، ٥٣٦.
 - ٦- ديوان التهامى: ٢٥٢.
 - ٧- ديوان التهامى: ٤٣٥.
 - ٨- ديوان التهامى: ٤٣٥.
 - ٩- ديوان التهامى: ٤٣٥.
 - ١٠- مرآه الزمان (أحمد الثالث رقم ٢٩٠٧) ١٢: ٣١.
 - ١١- تاريخ ابن خلدون ٤: ١٠٢.

٩ - لم يلجأ الحاكم إلى القوة تجاه آل الجراح، كما تحاول بعض الروايات أن تقول، بل كان عليه أن يستنفد الوسائل الأخرى قبل ذلك، فقد كان يعلم حق العلم ما بين أفراد بني الجراح من خلاف، كما كان خبيراً بالمغمز الضعيف في نفسياتهم، ولهذا استغل سحر "الأصفر الرنان" - الذي يرقص على الظفر و يدعو إلى الكفر - فأرسل أموالاً طائلة تفرق على الصغير والكبير من آل الجراح. وكانت حصه حسان و كل واحد من إخوته خمسين ألف دينار سوى هدايا و ثياب و حظايا تهدي إليهم. و في الوقت نفسه طمان الحاكم حسان حول مصرع يارختكين و سهله عليه (٢) كأنه يقول له إنه مستعد لنسيان تلك الحادثة إذا هو خذل أبا الفتوح. و تكشف شره حسان الحقيقي حين سمع بالمال و الحظية، و أرسل أمه إلى مصر و معها تذكره بما يريد من حوائج، و في جملتها أن تهدي إليه جاريه من إماء القصر، و أن ينال إقطاعاً و تقريراً، فتكفل له الحاكم بكل ما طلب، و كتب له أماناً بخطه، و جهز له جاريه تحمل كميته طائفة من المال، و لأبيه كذلك (٣) ١٠ - لم يكن أبو الفتوح بحاجة إلى أن يرى حسان يرفل في الخلع التي بعثها الحاكم له حتى يستيقن بان المسرحية قد قاربت النهاية، فقد كانت نيات آل الجراح نحوه قد أخذت تتغير. فذهب إلى ابن المغربي و قال له:

"أغويتني و أخرجتني من بلدي و نعمتي و إمارتي، و جعلتني في أيدي هؤلاء ينفقون سوقهم بي عند الحاكم، و يبيعوني بيعا بالدرهم، فيجب عليك أن تخلصني كما أوقعتني، و تسهل سبيلي بالعودة إلى الحجاز فاني راض من الغنيمه بالإياب، و متى لم تفعل اضطرت إلى أن أركب فرسي و أركب التغيير في طلب النجاه" (٤) حاول ابن المغربي تشجيع الخليفة المخذول و تقويه عزيمته لكي لا يتخاذل، فقيل إنه ذهب معه إلى المفرج و الد حسان، و أخبراه بتحول أبنائه عن نصره أبي الفتوح، و قيل إن ابن المغربي لم يجد الحل المناسب الذي يسعف به صاحبه على التو، فلما طال الأمر على أبي الفتوح ذهب وحده لمقابله المفرج سرا و قال له: "إني فارقت نعمتي و كاشفت الحاكم، و ذلك لركوني إلى ذمامكم، و سكوني إلى مقامكم، و لي في عنقك موثيق، و أنت أحق من وفي لمكانك من قومك و رئاستهم. و إن خير ما ورثه الإنسان ولده ما يكون له به الحمد و الشكر و حسن الذكر، و أرى حساناً ولدك قد أصلح نفسه مع الحاكم و اتبعه أكثر أصحابه، و أنا خائف من غدره بي، و ما أريد إلا العود إلى الوطن" (٥).

١١ - و سواء أ أصبح أبو الفتوح العلوي في جوار المفرج فكتب فيه إلى الحاكم بالعفو و المسامحة، و رده إلى مكه، أو كان هو الذي صحبه حتى أوصله إلى مكه، أو بعث معه جماعه من طيبئ ساروا معه حتى أوصلوه إليها (٦)، فالنتيجة في ذلك واحده، و هي: عوده أبي الفتوح إلى حجه بعد انتفاخه، و عوده آل الجراح إلى طاعه الدوله الفاطميه، و خروج ابن المغربي من الوليمه " بغير حمص" كما يقال في المثل العامي و إخفاقه في الشار لنفسه و لأهله من "فرعون" الذي علا في الأرض. و ينقل مؤلف العقد الثمين عن ابن خلدون أن بني الجراح قبضوا على أبي الفتوح و أسلموه إلى الحاكم و أنه راجع الطاعه فعفا عنه (٧)، و هذا خطأ مبني على وهم. فابن خلدون لم يقل إن بني الجراح قبضوا على أبي الفتوح، و إنما يقول أنهم "أسلموه" - و معنى ذلك أنهم خذلوه، و مما يؤكد هذا المعنى قول ابن خلدون في موطن آخر "فداه (أي أبا الفتوح) إلى مكه، و راجعا طاعه الحاكم و راجع هو كذلك" (٨).

١٢ - لم يكن المال هو العنصر الوحيد الذي أفسد على الشريف أبي الفتوح كل تطلعاته، ثم أفسد تخاذله على ابن المغربي كل

ما كان يعلقه من آمال على الثورة بل كانت خطه الحاكم مركبه محكمه، حاول من خلالها أن يقوض كل ما يمكن أن يمنح الثورة قوه و استمرارا، فعمل على إحباطها فى الشام و الحجاز فى آن معا، أما فى الشام فقد عرفنا كيف تولى تحويل الثورة إلى الإفلاس، و أما فى الحجاز، فإنه قطع الميره عن الحرمين (٩) ليمهد بذلك لثوره الرعيه على أبى الفتوح، و دس إلى مولى أبى الفتوح الذى كان ينقل له أخبار الحاكم و اسمه أحمد بن أبى العلاء من قتله بوشايه عطار عليه (١٠) و كتب كتابا إلى ابن أبى الطيب و هو ابن عم أبى الفتوح و قلده الحرمين و أنفذ له و لشيوخ من بنى حسن مالا و ثيابا. و أسرع الرسل إلى أبى الفتوح تخبره بما حدث فزاد قلقا و خاف خروج الحرمين من يده (١١)، و كان ذلك مما عجل فى عودته إلى الطاعه و طلب العفو.

٤ - بعد الثورة

و لنرجع إلى ابن المغربى نفسه بعد إخفاق ثورته: تقول بعض المصادر إنه فر من الرمله إلى الموصل، أو إلى ديار بكر، و تلتطف بعض المصادر الأخرى فى تصوير ذلك الفرار، فهو لم يجمع عليه ثيابه متخفيا فى النهار ساريا فى الليل لئلا يكون ملاحقا، بل إن خوفه من إرجاعه إلى الحاكم على يد بنى الجراح جعله يطلب منهم أن يسيروا به - فى حمايتهم - إلى العراق، فبعث المفرج معه طائفه من بنى بحتر الطائيين حتى أخرجوه من المناطق التى يشملها نفوذ المغاربه (أى الفاطميين) (١٢)، و لكن كلا الأمرين فرار ناى بابن المغربى عن كل تفكير بالثوره أو الانتقام - بعد ذلك - من الحاكم.

لما ذا لم يفكر ابن المغربى بطلب العفو من الحاكم و إصلاح حال الثرى الذى جف بينهما: أليس حسان الذى قتل يارختكين، و أبا حسان الرمله للأعراب، أكبر منه ذنبا؟ ألم يكن أبو الفتوح الذى نازع الحاكم الخلافه،

ص: ٦٠

١- الوافى بالوفيات ١١٦:٢٢.

٢- العقد الثمين ٧١:٤.

٣- ذيل تجارب الأمم: ٢٣٨.

٤- العقد الثمين ٧١:٤-٧٢ و اقتصر فى أخبار الدول المنقطعه: ٥٠ على قوله: "أنت أوقعتنى فخلصنى" و فى تاريخ أبى شجاع [شجاع]: "إنما فارقت نعمتى و أبديت للحاكم صفحتى سکونا إلى ذمامك، و أنا الآن خائف من غدر حسان، فابلغنى مامنى و سيرنى إلى وطنى".

٥- العقد الثمين ٧٢:٤ و فى أخبار الدول المنقطعه: ٥٠ أن أبا الفتوح و ابن المغربى ذهبا إلى المفرج معا فقال لهما: و ما تريدان منى؟ فقال له العلوى: إن عليك حقا و أود أن تجازينى عليه بان تبعث معى من يوصلنى إلى مكه، و لا- تحوجنى أن أركب فرسى المسن و أهرب بنفسى فتخطفنى العرب، و فى هذه الروايه فى العقد (٧٤:٤) و لا تحوجنى إلى أن أركب فرسا أملس.

٦- العقد الثمين ٧٤:٤، ٧٥.

٧- العقد الثمين ٧٦:٤.

٨- تاريخ ابن خلدون ١٠٢:٤.

٩- تاريخ ابن خلدون ٥٧:٤.

١٠- العقد الثمين ٧٦:٤.

١١- ذيل تجارب الأمم: ٢٣٨، وقارن به أعلام النبلاء ١٢٩:١٥.

١٢- أخبار الدول المنقطعه: ٥٠.

و جرد محاريب الكعبه من الذهب و الفضة و سكهها نقودا معلنا بذلك ولاده دوله مستقله فى الحجاز و الشام أشد تورطا منه؟ نعم إنه كان "المعرض الأكبر" على تحقيق ما تم ضد الدوله، ولكنه فى النهايه يظل الإنسان المظلوم الذى فقد أهله و كاد يفقد حياته، و هو لا يعلم لهم و لا لنفسه ذنوبا محده. ألا يمكن أن يفىء الحاكم إلى الهدوء، فيعفو عنه كما عفا عن الآخرين؟ يقول ابن المغربى فى إحدى قصائده مخاطبا الحاكم بعد قتله لأهله(١):

و أنت و حسبي أنت تعلم أن لى لسانا وراء المجد بينى و يهدم

و ليس حليما من تقبل كفه فيرضى، و لكن من تعض فيحلم

و يرى ابن العديم و المقريزى أن ابن المغربى كتب إلى الحاكم رساله و صدرها بالبيتين لما علق بنو الجراح بحبال الإغراء المادى و تخلوا عن أبى الفتوح و انحل ما عقده ابن المغربى من أمره. و هذا قد يفهم منه أنه كان يحاول استدراج الحاكم إلى العفو، فكتب إليه الحاكم أمانا هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب كتبه المنصور أبو على الامام الحاكم بامر الله أمير المؤمنين ابن الامام العزيز بالله أمير المؤمنين لحسين بن على بن حسين المغربى: إنك آمن بأمان الله و رسوله محمد المصطفى و أئمتنا على المرتضى و الأئمه من آلهم مصابيح الدجى صلى الله عليهم و سلم، و أمان أئمتنا الأقرب نزار أبى المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين قدس الله روحه و صلى عليه، على النفس و الجسم و جميع الحواس و الجوارح و المال و الحال و الأهل و الأقارب و الأسباب أمانا ماضيا لا يتعقب بتأويل و لا يتبع بفسخ و لا تبديل، و إن الامام الحاكم بامر الله أمير المؤمنين آمن حسين بن على بهذا الأمان بعد أن تحقق له ذنوبا كبيره و أجراما عظيمه، فصفح عن علم، و تجاوز عن معرفه و حلم، و جعل هذا الأمان كالاسلام الذى يحو ما قبله، و يمهد الخير لما بعده، فكل سعايه و وشايه و ذنب و جريمه تنسب إلى حسين بن على هذا قد تحقق أمير المؤمنين أكثر منها و صفح عنه، فلا يدلله عليه إلا الإحسان إليه.

و إن الحسين بن على هذا اختياره عند وقوفه على هذا الكتاب فى انكفائه إلى الباب العزيز و التعرض للخدمه، أو التوفر على العباده لا يكره على خدمه يستعفى منها و لا تقبل عليه الأقاويل فى خدمه يتعلق بها. و أقسم أمير المؤمنين الحاكم بامر الله على ذلك بإيمان الله و غليظ موثيقه و بيته الحرام و مشاعره العظام و آياته الكرام و حقوق جميع آبائه ع، فمتى غير أو بدل أو أمر أو أملى أو أسر أو أعلن أو دس أو اغتال فجميع المسلمين فى شرق الأرض و مغاربها و فى الموقان و الرى و جده و أذربيجان و الدينور و همذان و السهل و الجبل و القريب و البعيد و العراق و الشام و ديار ربيعه و ديار بكر و ديار مضر و حلب و مصر و الحجاز و المغرب فى حل و سعه من بيعته، و قد فسح الله لهم و فسح لهم أمير المؤمنين فى النكث لها، و برأ نفسه مما أوجبه عليهم و التزموه فى أعناقهم منها، و قد برئ من الله و رسوله، و الله و رسوله منه بريئان، و برئ إليه من حوله و قوته، و التجأ إلى حول نفسه و قوتها، و أشهد الله و ملائكته و صالحى خلقه على نفسه بذلك كله: أمانا مؤكدا و ذماما مؤبدا، و عهدا مسئولا و ميثاقا محفوظا مرعيا، و كفى بالله شهيدا، و كتب المنصور بيده(٢) هاهنا رجل خائف يخشى أن يسلمه بنو الجراح إلى الحاكم، ثم هو يكاتب الحاكم لعله يستعطف قلبه. هذا شىء قائم على التعارض، و الحقيقه بعد ذلك كله، أن ابن المغربى لم يكتب مستعظفا، و البيتان الشاهدان على الاستعطف ينطويان على التهديد "تعلم أن لى لسانا وراء المجد بينى و يهدم" و فيهما إيماء إلى طيش الحاكم و جهله و عجزه عن إظهار الحلم فى المواطن الضرورى، و سواء أفهم الحاكم ذلك أم لم يفهم فإنه كتب له

أمانا و شحنه بالمواثيق المؤكده و الأيمان المغلظه، و التعهدات المؤيده، و مع ذلك فالأمان شرك الصائد، و لهذا لم ينتظر ابن المغربي أمانا لأنه لم يكن يتوقعه، و غادر الرمله فارا بنفسه - أو فى صحبه البحريين من طيبى - حتى وصل إلى بغداد.

و حين دخل بغداد كان الخليفه هو القادر بالله (- ٤٢٢) الذى تصفه المصادر بالدين و العلم و الوقار و كثره الصدقات، و القائم بخلافته فى بغداد بهاء الدوله و ضياء المله أبو نصر بن عضد الدوله (- ٤٠٣) و قد تزوج القادر بنته سكينه. و تولى بعده ابنه سلطان الدوله (- ٤١٥)، فاستخلف أخاه مشرف الدوله ببغداد و جعل إليه إمره الأتراک خاصه، فحسنوا له العصيان فاستولى على بغداد و واسط و قطع خطبه أخيه سلطان الدوله (٣) فانحاز أخوه إلى أرجان ثم اصطلحا و تقاسما الملك، فبقى مشرف الدوله فى العراق و شيراز و كرمان و لأخيه سلطان الدوله فارس و بخارى. و توفى مشرف الدوله سنه ٣١٦ [٤١٦] و خلفه أخوه جلال الدوله ببغداد. و كانت البطائح تحت إمره مهذب الدوله على بن نصر (- ٤٠٨) كما كانت الموصل و معها أحيانا الكوفه و سقى الفرات تحت حكم قرواش بن المقلد العقيلي (- ٤٤٣) و كانت ديار بكر فى يد بنى مروان، و أعظم رجالهم الملك نصر الدوله أحمد بن مروان الكردي الذى حكم إحدى و خمسين سنه (- ٤٥٣).

فى هذا الجو الجديد زج ابن المغربي بنفسه أو زجت به الأقدار لكى يعيش متنقلا- من مكان إلى آخر طوال البقيه الباقية من عمره (-)، و كان تنقله من منصب إلى آخر إما بداعى الطموح إلى ما هو أحسن، و إما هربا من وضع جديد لم يعد الركون إليه مأمونا، و من العسير تتبع خطواته بتسلسل دقيق، فما أعرضه هنا ليس إلا صورته مقاربه لا أظنها تسلم من الخطأ:

١ - حين وصل بغداد أم حضره فخر الملك أبى غالب محمد بن على بن خلف (٤)، و كان وزير بهاء الدوله ثم وزر من بعده لابنه سلطان الدوله، فان كان وصل بغداد و بهاء الدوله حى، فمعنى ذلك أنه كان هنالك قبل سنه ٤٠٣ (٥)، و كان فخر الملك من أعظم وزراء آل بويه، واسع النعمه، جزيل العطايا، مقصدا للشعراء من أمثال ابن نباته و مهييار، و أنشا ببغداد بيمارستانا عظيما، و لهذا ليس بغريب أن يقصده ابن المغربي. و أقدر أنه كان وزيرا ذا حول و طول واثقا من نفسه و لم يكن يرى فى ابن المغربي إلا رجلا غريبا لجا إليه ليستعين بجاهه، فهو يبذل له ما يستطيعه من عون. و لكن المشكله - غير المتوقعه - هى أن الخليفه القادر بالله لم يرحب بابن المغربي صدرا، بل رأى أن وجوده فى بغداد خطر على الدوله. كان القادر بالله بين أمرين: إماه.

ص: ٦١

١- القطعه رقم: ٩٢ من الشعر، و انظر بغيه الطلب ٥:٢٥، و خطط المقرئى: ٢: ١٥٨.

٢- بغيه الطلب ٥:٢٥ (و لم يورده المقرئى).

٣- سير أعلام النبلاء ١٧: ٣٤٦.

٤- ابن خلكان ٥: ١٢٤ (و فى الحاشيه ذكر لمصادر أخرى) و سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٨٢.

٥- فى بغيه الطلب ٥: ٢٦ فخر الملك "وزير مشرف الدوله" و هذا إن كان دقيقا يعنى أن وصول المغربي تأخر حتى ما بعد، و لكنى لا أظنه يتمتع بدقه كافي.

أن يرى في ابن المغربي رجلا- موتورا من الحاكم، فمن الخير استقباله و الحفاوه به ليستقوى به و بمعرفته على مقاومه المد الفاطمي، و إما أن يرى فيه دسيسه بعثها الفاطميون لإفساد الدوله العباسيه، و كان أن اختار الفرض الثاني مع أن الشواهد كانت ترجح الفرض الأول. و لم يستطع فخر الملك أن يلين قلب الخليفه نحوه، فخرج إلى واسط، " و كتب فخر الملك بحراسته هناك و معرفه حقه " (١) فأقام في تلك المدينه أياما في درب الواسطيين (٢)، و لم يكن يحضر الصلاه في مسجد الحى، فدخل عليه أبو بكر أحمد بن العباس الدوبنائى و قال: يا شيخ، يا أستاذ، يا وزير، مهما شئت كن، إن كنت تحضر مسجدنا هذا في الصلوات الخمس و إلا فانتقل عنا، فقال: السمع و الطاعه أيها الشيخ، ثم انتقل عنهم من يومه (٣)، و لعله في هذه الفتره بواسط تعرف إلى أبى تغلب أحمد بن عبيد الله العاقولى الذى كان خليفه للسلطان و الحكام على تلك المدينه، و كان معظما مفخما، فأصبح صديقا للمغربي (٤).

و تتصل بالتهمة التى وجهها إليه الخليفه رساله كتبها فى الدفاع عن نفسه و فى دحض أمور أُلصقت به. و يفتتح هذه الرساله بالتعجب من الدهر و أموره، ثم يثبت أنه بصرى عراقى، و أن النسبه إلى المغرب ليست نسبه إلى بلد أو قطر، و يتحدث عن جده و أبيه، و هو شىء قد أفدنا منه فى بناء سيرته، فيما تقدم. و لكن الاتهام الكبير كان منصبا على أنه قد اعتقد التشيع و تدين به، و لهذا ألح فى رسالته على ثقافته الحديثيه، و على إحاطته بكتب السنه مثل الموطأ و الصحيحين و غير ذلك إحاطه روايه و درايه. و نحن نصدقه و إن كان ما قاله فى معرض الرد على التهم. و لكننا نجده حاول جاهدا أن يخفى كل صله له بالنسب الشيعى - من جهتى الأب و الأم - و بالثقافه الشيعيه، و أظن أن موقف الدفاع لم يكن يسمح بذلك، و إن كان الجو من حوله فى الدويلات المختلفه شيعيا.

هل اقترن وصول ابن المغربي بتلك الحمله الشعواء التى قام بها القادر بالله (سنه ٤٠٢) لكتابه محاضر يوقع فيها الأشراف و القضاء و الفقهاء و المعدولون بالطعن فى نسب الفاطميين و نسبتهم إلى ديسان؟ (٥) يبدو اقتران الأمرين أو على الأقل وقوعهما فى جو واحد، أما أن نقول إن وصول ابن المغربي هو الذى أثار الحمله، فلعله يلحق بالمغلايه، و ذلك أن أحداثا أخرى كانت تستدعى ذلك التجريح فى النسب، و أقربها ما كان فعله قرواش فى العام السابق، إذ أظهر طاعه الحاكم و حمل الخطيب على الدعاء لسيدنا و مولانا "إمام الزمان و حصن الايمان و صاحب الدعوه العلويه و المله النبويه عبدك و وليك المنصور أبى على الحاكم بامر الله" (٦).

كل ذلك من أجل ثلاثين ألف دينار تسلمها من الحاكم.

٢ - قتل الوزير فخر الملك أبو غالب سنه ٤٠٧، و استطاع ابن المغربي أن يصلح حاله و يبرئ ساحته عند الخليفه، فعاد إلى بغداد و أقام فيها أياما. فى هذه الفتره زار البطيحه حيث مهذب الدوله و وزيره أبو القاسم هبه الله بن عيسى (٧).

و يبدو أن وزير البطيحه كان متضايقا من زيارته، و لهذا اتهمه ابن المغربي بأنه بعث إليه رجلا اسمه سليمان بن الربيع ليسأله فى بعض غريب اللغه و حوشيه. و قد وصف ابن المغربي تلك الألفاظ بأنها " لا يتشاغل بمثلها أهل التحصيل و لا يتوفر على تأملها إلا- كل ذى تأمل عليل " و عجب كيف يسأل عنها رجل غريب عن البطيحه، و فيها " هبه الله بحر الأدب " (يعرض بأنه هو مرسلها الحقيقى). و قد أجاب عن الألفاظ التى سئل عنها، ثم قاىضه بمثل بضاعته و أزيد، فامتحنه فى اللغه و النحو و النسب و السير و القرآن و علومه و صناعه الخراج، فدل بذلك على تعمقه فى كل علم و اطلاعه على مشكلاته و أسرارها.

٣ - لم يقيم في بغداد إلا- أياما، ثم مضى إلى قرواش بن المقلد أمير العرب (و هو بالكوفة) و سار معه إلى الموصل، و كان ابن أبي الوزير و زيرا لقرواش بها، فخاف منافسه ابن المغربي له، فحمل إليه مالا كثيرا، و أوحى له بالرحيل عن الموصل (٨) و سوف يعود إلى الموصل في زياره أو زيارات أخرى، و لكن يبدو أن رسالته تمثل "الانطباع" الأولى لأول وروده إليها:

" فوجدت هواءها يعطل سوق بقراط اعتدالا و طيبه، و ماءها يسلى عن مجاج النحل استمراء و عذوبه، و صقعتها قد "تبغدد" رقه و لطفها، و جوها قد تزندق تنعما و ظرفا... و رأيت أرضها أطيب الأرض خيما، و أزينها أديما، تنسج بالسندس الأخضر، و تفتت عن الأتقوان الأحمر." و أما رجالها فقد " لطفوا عن بدويه الشام و غلظته، و جمدوا عن ذوب العراق و خلاسته " و لعله كان يرجو أن يقيم في الموصل إذ وجد من يتقن الكتابه فيها قليلين على خلاف حال الشعر، و نوى أن يعينهم ببعض ما يستطيع تقديمه لهم، و لكنه وجد المقام فيها متعذرا.

٤ - و كانت فتره إقامته في الموصل مديده يسيره، و حين فارقتها توجه إلى ديار بكر فأقام عند صاحبها نصر الدوله أبي نصر مده على سبيل الضيافه. ثم إن نصر الدوله أراد أن يكل إليه تصريف الأمور برسم الوزاره، فتأبى كثيرا و أظهر تمنعا شديدا، ثم قبل بعد إلحاح كثير، و كان زيه حينئذ زى الصوفيه أو الزهاد، أى المرقعه و الصوف، فلم تمض إلا مده يسيره حتى عاد إلى أبهه الوزراء، " و ظهر أمره بعد الالتباس، و انكشفت حاله عند جميع الناس " (٩). و تورد المصادر هنا أبياتا تنسبها إليه و تجدها مصوره لما جرى له تمام التصوير لأنها تتحدث عن طرح المرقعه و لبس الشفوف، و الهيام في حب غزال لا- يرضيه لبس الصوف.

هذه المرحله من حياته في ديار بكر تسمى الدفعه الأولى، لأنه وزر لنصر الدوله مرتين (١٠)، و أقام في كل مره مده طويله نسبيا في أعلى حال و أجل مرتبه و أعظم منزله.

و في تلك الدفعه الأولى توجه الوزير إلى بدليس لانجاز بعض المهمات، فأصابه مرض حاد، فقد معه قوته و انقطعت شهوته إلى الطعام، فعاد من بدليس إلى ميفارقين، لعله إذا وافاه الأجل أن يكون فيها أو قريبا منها، و قد ا.

ص: ٦٢

١- بغيه الطلب ٥: ٢٦.

٢- بغيه الطلب ٥: ٢٧.

٣- المصدر نفسه، و سؤالات الحافظ السلفي: ٩٧-٩٨ و فيه لما نزل الوزير المقرئ و لفظه "المقرئ" هنا تصحيف للفظه "المغربى" - أو هكذا قرأها ابن العديم في الأصل الذى نقل عنه. أما محقق السؤالات فيرى أن الوزير المقرئ هو أبو القاسم عيسى بن على الوزير و يحيل على تذكره الحفاظ: ١٠٢٣.

٤- معجم الأدباء لياقوت ٥: ٢٢٦.

٥- المنتظم ٧: ٢٥٥.

٦- المنتظم ٧: ٢٥٠-٢٥١.

٧- بما أن هبه الله توفى سنه ٤٠٦ فقد جعلنا هذه الحادته في هذه الفتره.

٨- بغيه الطلب ٢٦:٥ و الذخيره ٤:٤٧٧.

٩- خطط المقريزى ٢:١٥٨.

١٠- ابن خلكان ١:١٧٨.

أتعبته الرحله كثيرا و زادت فى انحطاط قوته، مع أنه فى كل يوم كان يقطع مسافه غير طويله، و فى الطريق إلى ميفارقين نزل بدير مارمارى و قد اضمحلت قوته أو كادت، و استبد به الضعف و الإعياء، و استدعى لدى حلوله فى الدير شراب، لكن معدته لم تسعفه بل دفعته خارجا، مما جعل من حوله نهبا للقلق و جعله آيسا من الشفاء. ثم إن الراهب الموكل بالدير جاء له بشىء من الرمان، و سال بعض الغلمان هنالك أن "يفرطوا" بعض حب الرمان له، فقيل له إنه لا يستطيع أن يتكلم و لا أن يسمع الكلام، و أن إقهاءه عن الطعام قد بلغ حد الامتناع الكلى، و أن معدته لا يثبت فيها طعام أو شراب، فالح الراهب على إعطائه شيئا من حب الرمان "لعله ينتفع ببركه الدير" فتناول منه شيئا يسيرا ثبت فى معدته، و جعل يأخذ منه بالتدريج شيئا بعد شىء، حتى عاد إليه بعض قوته و انتعشت نفسه بعض انتعاش. و كان الراهب قد طبخ لغلمان الدير عدسا، فاشتهدى الوزير بعضه، و بعد ما أكل نهض و تمشى على السطح متفرجا، و اعتقد أنه تماثل من مرضه.

و فى الفتره نفسها التقى به الشاعر أبو نصر المنازى (1) و مدحه، و تاريخ مدحته له هو سنه ٤٠٦، و تجمع المصادر على أن المنازى وزير لنصر الدوله و لعل ذلك كان بعد وفاه المغربى. و مطلع قصيدته المشار إليها:

اصفح لطرف الصب عن نظراته إن كنت آخذه بما لم يأت
و منها فى المدح:

و لئن جزت نعم الحسين محامد فليجزين الغيث عن هطلاته

أقنى و أغنى فانقلبت و لى به شغلان بين صفاته و صلته

حاولت عد خلاله فوجدتها تشقى الرواه لها شقاء عداته

أبصرت سبل المجد من لحظاته و أفدت حسن القول من لفظاته

و أرى الفصاحه و السماحه و الغنى و مكارم الأخلاق بعض هباته

ورث المعالى عن على و ابنتى رتبا مشيده إلى رتباته

و كذاك لابن القيل إرث علائه فرضا و لابن القين إرث علاته

(٢) ٥ - توفى الكافى وزير قرواش، و أصبح الجو ممهدا لعوده الوزير المغربى إلى الموصل، فكتب إليه قرواش يعرض عليه الوزاره، و ما كاد يتسلم رساله قرواش حتى وجد فى نفسه نزوعا شديدا إلى مبارحه بلاط نصر الدوله. و قد نظن لأول وهله أن سحر الموصل الخلاب قد ظل يداعب خياله، و هذا إن صح فإنه لا يكفى لتعليل سرعه الاستجابه لديه، و إذن فلا بد أن منزلته العظيمة عند نصر الدوله كانت قد أخذت تنحدر.

و يقص علينا نصر الدوله قصه ما حدث فيقول:

"لما خدمني عند مجيئه من مصر، و ما جرى له مع الحاكم، جاءني يوما و معه سدس كاغد فقال لي: قد أثبت في هذا السدس أسماء أصحابك الذين قد أخذوا أموالك و أدخلوا خزانتك من مال يعد فيها لحاجه أو شده ما قيمته ثلاثمائة و سبعون ألف دينار - شك الوزير في ذلك - و قال: إذا أخذت هذا القدر منهم لم تجحف بأموالهم و كان كل منهم مرتبا في خدمته و مركزه و ولايته، و تكون قد تقضيت من أموالك التي احتجنتها ما جعلته لك خزانه و عده" (٣) عند هذا الحد ذكره نصر الدوله بأنه جعله وزيرا ليعمر البلاد، فإذا عمرت در دخلها و كفته و كفت أصحابه، و لم ينصبه ليقوم بمصادره أصحابه، و هذا شيء سهل لا يحتاج إلى جهود وزير، و يستطيع أن يقوم به على أكمل وجه أدون خادم عنده. عندئذ شعر الوزير المغربي أنه عثر عثره ربما لا تستقال، و أن نصر الدوله إذا سرب الخير إلى أصحابه نعموا على الوزير، و لذلك قال لنصر الدوله: "إذا كان هذا رأيك فاحرسني من أصحابك، و لا تطلعهم على ما قلته في معانهم فيفسد ما بيني و بينهم" (٤) فضمن له نصر الدوله ما أراد. و لكن القلق لم يغادر نفس الوزير، و أخذ يتحين الفرصه لمغادره ديار بكر، و كانت رساله قرواش هي باب النجاه. و لكنه لم يشأ أن يكشف سره لثلا يحول نصر الدوله بينه و بين الرحيل، بل أخذ يعمل الحيله للهرب، فقال لنصر الدوله: "قد جرى في الجزيره خلف بين الضامن لها و بين فلان و تفاقم الأمر فيه إلى أن احتاج إلى مشارفتي له و إصلاحه بنفسي.

فتأذن في الانحدار إلى هناك؟" (٥)، و هذا ما عبر عنه ابن العديم في موطن آخر بقوله: "على سبيل اعتبار الأعمال و تصفح العمال" (٦).

و حدد الوزير المغربي مده الغياب بعشرين يوما، يستطيع أثناءها أن يحسم خلافا ربما استشرى حتى يشغل قلب نصر الدوله، و فهم نصر الدوله أنه يريد مفارقتة، بل يؤكد أنه أدرك أن الوزير يريد المضى إلى قرواش أمير بني عقيل، و لعل عيونه كانت قد أطلعتة على ذلك، فقال له: افعل ما ترى. و انهمك الوزير في إعداد ترتيباته للرحيل.

يكمل نصر الدوله القصه فيقول: "فجاءني موسك خالي و قال لي:

عرفت أن أبا القاسم المغربي على الانحدار إلى الجزيره، و كذب، فإنه بنيه المضى إلى الموصل؟ فقلت: قد عرفت ذلك و علمته، و دعه يمضى إلى اللعنه، فما في مقامه هاهنا لكم فائده. قال: و تدعه يمضى و قد أخذ أموالك و سرقها و حصلها و احتجنتها، و لم تقبض عليه، و تأخذ ما أخذ ثم تصرفه إلى اللعنه و سوء المنقلب؟ فضحكت منه و قلت: ليس كل من يأخذ مالى أرتجعه منه، و لعمري إنه خدمنا و انتفع منا و كسب معنا. و أخذ ذلك منه لؤم، فأمسك" (٧).

و كان موسك خال نصر الدوله أحد الضحايا لخطه المصادره التي رسمها المغربي، لو انها نفذت، و لذلك كان يترصد خطوات الوزير و يكيد له و يحرض عليه.

و سار ابن المغربي إلى الجزيره متوجها نحو الموصل، و ظل يسير حتى شارف تلك المدينه، و حط رحاله على مقربه منها حتى إذا جنه الليل سرى إليها و وصلها مصبحا، و اجتمع بقرواش، و تقلد له الوزاره، و أخذ يسفر في شئون كلفه بها قرواش من وساطه بينه و بين السلطان البويهى، و لم ينس الوزير أن يعمل لمقبل الأيام إذا عاد قرواش فتغير عليه، فاخذ يكثر من لقاءه.

١- ترجمه المنازى أحمد بن يوسف فى وفیات الأعیان ١: ١٤٣ و سیر أعلام النبلاء ١٧: ٥٨٣ و الوافى ٨: ٢٨٥ (و كانت وفاته سنه
(٤٣٧)

٢- بغیه الطلب ٢: ١٥٧-١٥٨ و العلاء: السندان، و القین: الحداد.

٣- بغیه الطلب ٢: ٦٤.

٤- المصدر نفسه.

٥- بغیه الطلب ٢: ٦٤.

٦- بغیه الطلب ٥: ٢٦.

٧- بغیه الطلب ٢: ٦٤.

رؤساء الأتراك و الديلم و يعمل على استمالتهم، و يتصل بمن يستطيع أن يمهد له نيل الوزارة في بغداد(١).

و لا بد أن ذلك كله كان قبل عام ٤١١، ففي هذا [هذا] العام يخبرنا ابن الأثير أن قرواش بن المقلد قبض على وزيره أبي القاسم المغربي و على شخص آخر اسمه سليمان بن فهد(٢)، غير أن سبط ابن الجوزي يجعل حادث القبض عليهما في صفر من السنه التاليه(٣)، و يقص السبط علينا ثقل الحال بسليمان الوزير حتى قبض له أن يلتقى بالمقلد والد قرواش، ثم كيف خدم قرواشا نفسه بالموصل فصادر الناس و وترهم، حتى استوحش منه ابن أبي الوزير وزير قرواش، فهرب من الموصل إلى بغداد، فلما وزر ابن المغريلقرواش بعد موت ابن أبي الوزير الملقب بالكافي وعد سليمان بخلاص أملاكه. و أقام سليمان في دار ابن المغربي بمنزله الضيف، و لم يفلح ابن المغربي في تخليص الأملاك و لا اليسير منها. و جرت أحداث جعلت ابن المغربي يوجس خيفه من قرواش، و ينتظر الفرصه للخلاص منه، فزين لقرواش مد الأسباب إلى أبي نصر صاحب ديار بكر و مصاهرته، و طلب العون منه، و قال لقرواش: ما يقوم بهذا الأمر غيري، فاذن له قرواش بالخروج، فخرج و اصطحب معه سليمان بن فهد، و مضيا فتزلا بظاهر الموصل، و فيما هما كذلك مر بهما بدران أخو قرواش و كان يمقتها، فرآهما يعدان للرحيل، فدخل على أخيه و قال له: باى رأى تترك هذين الرجلين يخرجان من يدك، و قد أخذنا مالك؟ فأرسل قرواش فقبض عليهما و اعتقلهما ليطلبهما بالمال، فاما سليمان فمات تحت الضرب، و أما ابن المغربي فإنه أرسل إلى قرواش يقول له: إن كنت تريد نفسى فهى بين يديك، و إن كنت تريد المال فمالى بمصر و الكوفه و بغداد، و تطيب نفسى بتسليمه إليك، فان حفظت نفسى أعطيتك المال. ثم بذل له ما حضره من مال، و خدعه بالقول اللطيف و بالوعود، فانخدع له، و أخذ ما وجده معه و أطلقه(٤).

٦ - هل بقى الوزير المغربي يعمل عند قرواش بعد أن أطلقه من الاعتقال؟ ذلك مستبعد فيما أرى، لأن بقاءه هنالك سيظل يذكر قرواشا بوعود لم تحقق، و لهذا أقدر أنه غادر الموصل إلى بغداد، لعل التغييرات فى الحضرة البويهيه تجيء فى صالحه.

و من الصعب أن نحدد مدى تنقله بقيه عام ٤١٢ و الذى يليه، و لعله فى هذه الفتره دخل الأنبار، و كان منذ هاجمه المرض فى بدليس قد أصبح عرضه لهجمات، و للمرض صله بالمعده و الأمعاء. و فى الأنبار عرض له قولنج صعب، أقام لأجله فى الحمام و احتقن عده حقن، و شرب عده شربات، و لكن ذلك كله كان غير ذى جدوى. عندئذ أرسل ابنه أبو يحيى إلى الطبيب أبى منصور صاعد بن بشر بن عبدوس (و هو أول من نبه إلى تدبير الأمراض التى كانت تعالج بالأدويه الحاره باستعمال التدبير المبرد) فجاء صاعد فوجد الوزير و جسمه شديد الحاره من المكث فى الحمام و من استعمال المعاجين الحاره و الحقن الحاده، و عندئذ استدعى الطبيب كوز ماء مثلوج و أعطاه للوزير، فشربه بعد توقف، و أخذت نفسه تقوى، ثم استدعى فاصدا أخرج له دما كثيرا، و سقاه أدويه مبرده، و نقله من الحمام إلى غرفه مبرده بالخيش، و نبهه إلى أنه سينام و يعرق و يستيقظ و يعاود المرحاض مرات. و حدث ما توقعه صاعد إذ نام الوزير حوالى خمس ساعات، ثم صحا من نومه و أخذ يصيح بالفراش، و كان الطبيب قد أوصى الفراش أن يجعله يستأنف النوم كى يستمر نضح العرق، و لما خرج الفراش من غرفته ذكر أن ثيابه كانت كأنما صبغت بماء الزعفران، و تردد إلى المرحاض بعد إفاقته ثمانى مرات، و أوصى له الطبيب بمزوره، و سقاه ماء الشعير مده ثلاثه أيام حتى اكتمل برؤه، و كان الوزير يقول: طوبى لمن سكن بغداد دارا شاطئه، و كان طبيبه أبو منصور، و كاتبه أبو على ابن موصلايا، فبلغه الله أمانيه فيما طلب(٥).

٧ - بين سنتى - كان وزير مشرف الدوله البويهى ببغداد ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور، و بينه و بين الوزير المغربى

مراسلات، و هي توري حينا و تصرح حينا بما في نفس الوزير المغربي من ميل إلى خدمه ذى السعادتين. و لا- يقل عنه ذو السعادتين مهاره في استعمال التعابير الغائمه التي لا يستطيع المرء فيها أن يقبض على حقيقه، و كلاهما يتباريان في سوق الثناء على ما أحرزه هذا أو ذاك من بلاغه و فصاحه. و في إحدى الرسائل ذكر ذو السعادتين شيئا يتصل ب "التفويض و التعويض" فارتاح الوزير المغربي إلى هذا الوعد، و علق على ذلك بقوله: "و جمله ما اقترحه أن يتصور في ما يتصور في بعض الأقربين من خادم يصطنع فيجري من الحنو عليه مجرى خواص الأهل و أدانى الأصحاب..."^(٦)، غير أن مقتل ذى السعادتين حال دون نيل أى شىء من جهته. و مع أن الوزارة أصبحت تتطلب كفتا يخلف ذا السعادتين فان مشرف الدوله لم يتجه بنظره نحو المغربي و لم يفكر فيه بل استوزر سنه ٤١٣ أبا الحسين الرخجى و لقب مؤيد الملك^(٧)، و بقى هذا فى الوزارة سنتين و بضعه أيام. و فى السنه التاليه استوزر مشرف الدوله أبا القاسم المغربي^(٨)، و كان ذلك بعون من الأثير أبى المسك عتر الذى كان على صله بالوزير المغربي من خلال المراسلات، و من خلال سفير بينهما هو أبو الحسين ابن وصيف^(٩).

و لما تربع على دست الوزارة البغداديه، و كان ذلك حلما طالما هجست به نفسه، أصبح مقصدا للشعراء، فمدحه عدد منهم من أشهرهم مهيार الديلمى، و من مدائحه فيه قصيده له مطلعها:

عسى معرض وجهه يقبل فيوهب للآخر الأول

و منها فى المدح:

فداك و تفعل ما لا تقول ممن يقول و لا يفعل

سللت على المال سيف العطاء فلاحيك فى الجود مستقتل

فلما انتهى من الإنشاد أبدى الوزير استحسانه للقصيده و أشار إلى الناحيه التى فيها الدنانير و الدراهم، فجلس مهيار إليها و ملأ كميها منها تباعا، حتى لم يبق شيئا و نهض فقبل الأرض و انصرف، و كان مجموع ما٥.

ص: ٦٤

١- بغيه الطلب ٥:٢٦.

٢- تاريخ ابن الأثير ٩:٣٢١.

٣- مرآه الزمان (أحمد الثالث) ١٢:٣٣.

٤- مرآه الزمان ١٢:٣٣ (و هو موجز جدا عند ابن الأثير ٩:٣٢١) و جاء فى مرآه الزمان ١٢:٤٧ أن قرواشا لم يقتل سليمان بل خرج مع المغربي إلى نصر الدوله و أقام فى ضيافته حتى أصلح حاله مع قرواش و عاد إليه.

٥- ابن أبى أصيبه ١:٢٣٢ و الوافى بالوفيات ١٦:٢٣٧.

٦- انظر الرساله رقم: ٧.

٧- ابن الأثير ٩:٣٢٩.

٨- ابن الأثير ٩: ٣٣١.

٩- بغية الطلب ٥: ٢٦.

حصل عليه - بإقراره - ألفا و نيفا و عشرين ديناراً و سبعة آلاف و ثلاثمائة درهم، و ذلك مبلغ كبير جداً إذا قيس بما كان يناله الشاعر حينئذ (١).

و يؤرخ ابن بسام هذه القصة بعام ٤١٨ و أن أبا القاسم كان فى داره فى ذلك العام، و هو إذ ذاك وزير بغداد، و هذا وهم فان أبا القاسم فى ذلك العام كان وزيراً لنصر الدولة بديار بكر و ميافارقين. و لدى ابن بسام بعض تفصيلات فإنه يذكر أن ذلك كان فى يوم نوروز، و دخل عليه وجوه أمراء الديلم و الاسفهلاريه من الأتراك، و وضعت الهدايا بين يديه على رسم الفرس، و أن مهيار الديلمى استاذن عليه لما تعالى النهار، فاذن له، فلما مثل بين يديه قال: أيدك الله، هذه البضاعة التى معنا كانت كاسده و قد وجدنا لها نفاقاً عندك، فأنشده القصيده اللاميه، و كان ابن المغربى لدى الإنشاد يستعيد الأبيات النادره فيها و يكثر إعجابها و يجمع كفيه و يبسطهما و يقول:

أحسنت و الله، أجدت و الله، ثم أباح له جميع ما كان على الأرض من دراهم و دنانير (٢).

و على الرغم من هذا العطاء الجرم فان مهيار يحكى أن الوزير المغربى لما تولى وزاره بغداد شمخ بأنفه و أظهر العسف و التجبر و الاستعلاء، و رهبه الناس، فاحجم مهيار عن لقائه - هذا يتعين أن يكون قبل الحادثه السابقه - ثم إنه عمل فيه قصيده بائيه يقول فيها:

جاء بك الله على فتره بآيه من يرها يعجب

لم تألف الأبصار من قبلها أن تطلع الشمس من المغرب

فاستحسن الوزير ذلك و أعطاه مائتى دينار (٣).

و لكن الوزير الذى أصبح قبله الشعراء المادحين لم يسلم من السخرية و الهجاء، فقد استكثر عليه أحدهم أن يصبح "النحوى" وزيراً، فقال فيه:

ويلى و ويحى و ويهى على ملوك بويه

يا ضيعه الملك جدا و يا بكائى عليه

يا مغربى رويدا كيف اهتديت إليه

سلبته كل حلى فى صدره و يديه

سياسه الملك ليست ما جاء عن سيبويه

(٤) ثم إن هذا الشاعر، و يقال إنه هو أبو عبد الله الخيمى، لقيه من بعد عند قرواش بالموصل، أو عند نصر الدولة بميافارقين، فدخل عليه فى جملة الشعراء مادحا، فقال له الوزير: باى وجه تلقانى؟ فقال: جوابى لك جواب أبى الهول الحميرى للفضل بن

يحيى و قد ساله مثل هذه المسأله فقال:

بالوجه الذى ألقى به ربي، و ذنوبى إليه أكثر من ذنوبى إليك. و قال يمدحه:

يا معجز الله الذى قد حل فى أعلى محل

لما رأيت الملك فى هون و مضيعه و قل

أكبرت نفسك أن تدبر أمر ملك مضمحل

(٥) و مره أخرى تفيد المصادر أنه تولى الوزاره ببغداد "بغير خلع و لا لقب و لا مفارقه للدراعه" (٦).

و تاريخ توليه الوزاره عند ابن الأثير هو شهر رمضان سنه ٤١٤ (٧) ، و عند ابن العديم هو الشهر نفسه من السنه التاليه (٨) ، و دامت وزارته هذه المره عشره أشهر و خمسه أيام (٩).

و حدثت وحشه بين الأثير أبى المسك عنبر الخادم و معه الوزير المغربى و بين الأتراك، فاستأذن الأثير و صاحبه مشرف الدوله فى أن يهاجرا إلى بلد يامنان فيه على نفسيهما، فقال لهما مشرف الدوله: أنا أسير معكما، و هكذا كان، فتوجه جميعهم إلى السنديه و فيها قرواش، فاستقبلهم فيها، ثم ساروا جميعا إلى أوانا و نزلوا على أبى سنان غريب بن محمد بن مقن (١٠) هنالك. فلما علم الأتراك بذلك انزعجوا و أرسلوا وفدا يقدم الاعتذار، فكتب إليهم الوزير المغربى: "إننى تأملت ما لكم من الجامكيات، فإذا هى ستمائه ألف دينار، و عملت دخل بغداد، فإذا هو أربعمائه ألف دينار فان أسقطتم مائه ألف دينار تحملت الباقي" فوافقوا على ذلك (١١) و عاد مشرف الدوله و الأثير إلى بغداد، و لم يعد معهما الوزير المغربى.

و لدى ابن بسام روايه تختلف فى بعض تفصيلاتها عن هذه الروايه السابقه إذ تذهب هذه الروايه إلى أن مشرف الدوله أوقع ببعض الأتراك على الرغم من نهى الوزير له عن ذلك، فأبى مشرف الدوله إلا أن يركب رأسه، فاضطرب العسكر اضطرابا اضطربا إلى الهرب، و أفضى بهما إلى استجاره أمير العرب. و لدى استعداد الوزير للهرب لبس ثيابا رثه و وضع على وجهه منديلا، و استقبل غلامه نحرير فى الدهليز و هو يقول (١٢):

تمرست منى العلا بامرئ قد علق المجد بامراسه

يستنجد النجده من رأيه و يستقل الكثر من بأسه

أروع لا يرجع عن تيهه و السيف مسلول على رأسه

و قيل أيضا إن مشرف الدوله لم يقترح مصاحبه الوزير و الأثير بل إن ابن المغربى دبر إخراجه "لحاجه فى نفسه قضاها، و خطه من مكره ألزمه إياها، إبقاء على جلاله المقدار، و أنفه من الانفراد بعبب الفرار" (١٣).

توجه الوزير المغربى إلى قرواش، إذ يبدو أنه لم يطمئن للجند الأتراك، أو لم يستطع أن يفى لهم بالجامكيات المطلوبه، و

حدث ما أبعده عن بغداد جملة، إذ نشبت فتنه في الكوفة بين العلويين و العباسيين و كان الذى جر إليها خلاف بين أبى على الزكى النهى سابسى صديق الوزير المغربى و على بن أبى طالب صهر الوزير المغربى من جهة، و بين المختار أبى على بن عبيد الله العلوى. و استعان المختار بالعباسيين لنصرته، و سار بهم إلى بغداده.

ص: ٤٥

- ١- بغيه الطلب ١٩:٥ (و النقل عن جزء فيه شىء من أحوال ابن المغربى جمعه القاضى الجليس ابن الحباب).
- ٢- الذخيره ٥١٤:٤-٥١٥.
- ٣- سير أعلام النبلاء ٣٩٥:١٧.
- ٤- بغيه الطلب ١٩:٥ (و باختصار فى مرآه الزمان ٣٨:١٢).
- ٥- المصدر نفسه.
- ٦- بغيه الطلب ٢٤:٥.
- ٧- تاريخ ابن الأثير ٣٣١:٩.
- ٨- بغيه الطلب ٢٤:٥.
- ٩- تاريخ ابن الأثير ٣٣٥:٩.
- ١٠- ابن خلكان ١٧٤:٢ و الوافى ٤٤٣:١٢ و غير المحقق "مقن" إلى "معن" و ذلك من تحكيمات المحققين.
- ١١- تاريخ ابن الأثير ٣٣٥:٩.
- ١٢- الذخيره ٤٧٨:٤ و المقطوعه رقم: ٤٠.
- ١٣- المصدر نفسه.

و شكوا ما يفعله بهم النهر سابسى، فرأى الخليفة القادر بالله أن يقوم بالإصلاح بينهم مراعاة للوزير المغربي لأن النهر سابسى كان صديقه و ابن أبى طالب كان صهره، و لكنهم حين عادوا استعان كل فريق منهم ببنى خفاجه، و نشب بينهم قتال ظهر فيه العلويون و قتل من العباسيين ستة نفر و أحرقت دورهم. عندئذ أمر الخليفة بتنحيه ابن أبى طالب عن نقابه الكوفه و ولاها المختار، فغضب الوزير المغربي لما حل بصهره و استنكره، و كان عندئذ بسر من رأى عند قرواش، و حاول أن يتعدى على أرجاء كانت للخليفة، فأرسل الخليفة رسولا إلى قرواش يأمره بإبعاد المغربي، ففعل (١) ٨ - إلى أين توجه هذا الوزير الذى يثير المشكلات أينما حل؟ لعل من أغرب الأمور أن وجد نفسه يعود إلى ديار بكر و إلى صحبه نصر الدوله.

و موضع الغرابه لا أنه احتجن أموالا كثيره كما ذكر موسك، فذلك أمر قد تسامح فيه نصر الدوله، و إنما موطن الغرابه أن نصر الدوله كان يؤمن أن الوزير بارع فى الشر بل إنه لا يحسن غيره (٢)، و أنه كذب عليه ليؤمن لنفسه الهرب من عنده، فباى وجه يلقاه الوزير و باى وجه يتلقاه الأمير؟ إن عودته إلى ديار بكر - إن كان قد عاد لتسلم وزاره - لتؤكد شيئا واحدا و هو أنه على الرغم مما كان يؤخذ عليه من تحيل كان يتمتع بكفايه تؤهله لمنصب الوزاره، و كان من يعمل معهم يتجاوزون عن سيئاته بشفاعه فضائله. و لكن يبدو أنه فى بادئ الأمر طرح نفسه على نصر الدوله لاجئا أو ضيفا و قد تلقاه هذا بالإكرام و أقطعه ضياعا جليله تكفيه و تكفى من وصل معه من الحاشيه و الاتباع (٣)، و لكن لم يلبث إلا قليلا حتى تأكدت الحاجه إليه. ففى سنه ٤١٦ توفى وزير نصر الدوله أبو القاسم خواجا صاحب أرزن، فاستوزر نصر الدوله أبا القاسم المغربي و رد الأمور إليه (٤)، و على الرغم من أنه أقام فى هذه المره قرابه ثلاث سنوات، فان أخباره بالنسبه للفترة التى أقامها تعد ضئيله.

و أوضح هذه الأخبار تردده على نصيين، و الفضل فى ذلك الوضوح يعود إلى تلك المحاورات بينه و بين مطران ذلك البلد.

و قد دخل الوزير المغربي إلى نصيين لأول مره يوم الجمعه ٢٦ جمادى الأولى (٤١٧/حزيران ١٠٢٦) فزاره مطران نصيين إيليا المعروف بابن السنى للتهنئه، فاستبقاه حين أراد أن ينصرف و أنسه، و ساله عن أحواله، ثم جرت محاورات بينهما فى سبعة مجالس بين السبت ٢٧ جمادى الأولى ٤١٧، و حتى ١٠ جمادى الآخره من السنه نفسها، سال فيها الوزير عن عقيدته النصرى فى الأقانيم الثلاثه و كيف يمكن وصف ذلك بالتوحيد، و كيف يمكن للنصارى أن يدفعوا قول الله فيهم (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) و عن عله الناس فى محبه أديانهم، و هل يتحقق المرء صحه دينه أو مذهبه من جهه العقل أو من جهه المعجزه. و يدور المجلسان السادس و السابع حول أسئله عن المقارنه بين نحو السريان و نحو العرب و علم اللغه عند الفريقين و استعمال المجاز عندهما، و المفاضله بين الخط السريانى و الخط العربى، و بين علم الكلام هنا و هنالك، و عن اعتقاد النصرى فى أحكام النجوم، و عن اعتقاد النصرى فى المسلمين، و عن اعتقاد النصرى فى النفس. و بما أن مطران نصيين هو الذى كان يتولى الاجابه فإنه أعطى نفسه دورا كبيرا فى الشرح و التوضيح مما يجعل الوزير يسلم له معجبا، فاما ما يتعلق بالأقانيم الثلاثه و ما يتصل بها فمن الواضح أنه يشرح عقيدته النساطره، و هى قريبه الشبه بما عند المسلمين، و أما فى الأسئلة التى قد ينجم عن الاجابه عليها التورط فيما يمس السيادة الإسلاميه فان أجوبه المطران تنهج نهجا بارعا فى حسن التأويل و التخلص من المأزق، غير أنه واضح العصبيه لكل ما هو سريانى من نحو و لغه و خط و علم كلام.

و قد شمل الحوار أمورا لا تتصل بالدين، كذلك تحدث معه فى آخر ثلاثه أيام قضاها فى نصيين فى الزياره الأولى فى مسائل تتعلق بأخلاق النفس و آداب الرهبان و الزهاد و العلوم العقلية، و ليت المطران دونها إذ كان جل الفائده فيها، لا فى الأمور

ثم عاد الوزير إلى نصيبين دفعتين آخرين كانت الأولى منهما يوم الخميس الثامن من ذى القعدة، و في هذه الزيارة أقام خمسه و عشرين يوماً (٥)، و كان في صحبه أبى نصر صاحب ديار بكر، و لقي صاحبه المطران إيليا و باحثه في مسائل عدّه تناول اعتقاد اليهود و تاريخ آدم و غيره من التواريخ و تغيير اليهود لها و الآثار العلويه. و كانت الزيارة الثالثه يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى من العام ٤١٨.

و قد أقام الوزير في زورته الثالثه لنصيبين عشره أيام ثم عاد إلى ميفارقين و جاءته دعوه من بغداد للعوده إليها و تولى الوزاره فيها، فاستأذن نصر الدوله في ذلك فاذن له. و هذه الروايه تبطل الروايه التى أوردها ابن الجوزى و كررها السبط و خلاصتها أن الوزير اعتزل السلطان و انقطع للعباده فقيل له: لو تركت المناصب في عنفوان شبابك فقال: "كنت في سفره البطاله و الغى.. الأبيات" و لعل هذه الروايه نشأت بعد أن ذهب إلى ميفارقين و قضى مده و هو دون عمل.

غير أن اشتداد المرض عليه حال دون ذهابه لبغداد، و وافته منيته في اليوم الحادى عشر من رمضان سنه ٤١٨ عن عمر بلغ سته و أربعين عاماً.

و يقال إنه حين أحس بالموت كتب كتباً عن نفسه إلى كل من يعرفه من الأمراء و الرؤساء الذين بينه و بين الكوفه يعرفهم أن حظيه له توفيت، و أنه قد أرسل تابوتها إلى مشهد الامام على، و أنه يسألهم مراعاة من مشوا في صحبه التابوت. و لما توفى سار به أصحابه، و سار من بلغ الرسائل إلى أصحابها، فلم يعرض أحد لتابوته و دفن بالمشهد كما طلب (٦) في ترابه مجاوره للإمام على، و أوصى أن يكتب على قبره (٧):

كنت في سفره الغوايه و الجهل مقيماً فحان منى قدوم

تبت من كل ماثم فعسى يمحي بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس و أربعين لقد ما طلت إلا أن الغريم كريم

و ذكر صاحب تاريخ ميفارقين أنه كتب إلى النقيب بالكوفه ليدفنه في عتبه باب المشهد و قال للنقيب: قد أوصيت أن يجعل في التابوت ألف دينار (٨) ٨.

١- تاريخ ابن الأثير ٣٣٦:٩.

٢- بغية الطلب ٦٤:٢.

٣- بغية الطلب ٢٦:٥.

٤- مرآه الزمان ٤٧:١٢.

- ٥- فى النسخه الخطبه: خمسه و خمسين يوما.
- ٦- و عند ابن خلكان ١٧٦:٢ فى الثالث عشر من رمضان.
- ٧- تاريخ ابن الأثير ٣٦٢:٩ و مرآه الزمان ٤٧:١٢ و المنتظم ٣٣:٨.
- ٨- ابن خلكان ١٧٦:٢ و انظر المقطوعه رقم: ٩٥ و المنتظم ٣٣:٨.

فى كىس؁ فإذا وصل إلك التابوت فافتحه فهى العلامه. و كان الذى عهد إله بوضع الكىس؁ هو ابن نباته الخطىب فعمل بما أوصاه به بعد أن قام بغسله؁ فلما وصل التابوت إلك الكوفه قال النقىب: من هذا؟ فقيل له:

الوزىر المغربى؁ فقال: أىن العلامه؟ إن لى فله علامه؁ ففتح التابوت و وجد الكىس؁ فأخذه و دفنه تحت العتبه و كتب عند رأسه: "يا جامع الناس لمىقات يوم معلوم اجعل الحسىن بن على من الفائزىن" (١).

و فى روايه أخرى أنه أوصى أن ىحمل إلك مشهد الحسىن و ىدفن تحت رلى الحسىن؁ و ىكتب عند رأسه هذان البىتان (٢) (و المصادر تكاد تجمع على الرواه الأولى):

سقى الإله الأزلى من السحاب الهطل

قبر الحسىن بن على عند الحسىن بن على

و لقد شاع أنه سم (٣)؁ و أن ذلك تم حىن فصل من مىفارقىن ذاهبا إلك بغداد (٤)؁ و الاقتران بىن موته و بىن رغبته فى مفارقه مىفارقىن إلك بغداد هو الذى ىوحى بذلك التقدىر و الظن. و قد وجدنا أن المرض لم ىكن ىغب الوزىر إلا لىعود إلك؁ و أنه كان ىلم ب "أحشائه". فإذا كان للسم دور فى إثارته فله أن ىكون سما بطىئا. و ىصف ابن بسام هذا كله بقوله: "و استاذن نصر الدوله فخلقى بىنه و بىن مراده؁ و لم ىجد بدا من إسعاده و وفاء بىنجاز مىعاده؁ فلما برزت قباهه؁ و كادت تستقل ركابه؁ خوف نصر الدوله عاقبه مكره؁ و أشىر علیه بالرأى فى أمره؁ فسقاه شربه كانت آخر زاده" (٥).

و مهما ىكن سبب وفاته؁ فقد سكن ذلك القلق الطولى؁ و همدت تلك الحىويه المتفجره. و ذهب الوزىر الكامل ذو الجلالتىن بعد أن شغل الناس؁ و أصبحوا فى النظر إلك شىعا.

و فىما كان الوزىر المغربى ىعالج سكرات الموت كان أبو العلاء ىملى على كاتبه تأملاته فى الحىاه و الموت و القدر و المذاهب فى شكل لزومىات؁ و لما وصله النبا توقف عن التأمل الخالص لىذرف دمعه على صدىق. و لا أعرف شخضا آخر رثى فى اللزومىات؁ فان ىكن الأمر كذلك؁ فهذا وحده دلىل على عظم المنزله لصدىقه الوزىر فى نفسه. و بما أن الوزىر كان إنسانا غربىا؁ و بما أنه عاش غربىا ىتسلمه بلد بعد آخر فقد نظم فله أبو العلاء لزومىه غربىه (٦):

لىس بىقى الضرب الطولى على الدهر و لا ذو العباله الدرعاىه

(٧) يا أبا القاسم الوزىر ترحلت و خلفتنى ثفال رعاىه

(٨) و تركت الكتب الثمىنه للناس و ما رحت عنهم بسعاىه

(٩) لىتنى كنت قبل أن تشرب الموت أصىلا شربته بضعاىه

إن نحتك المنون قبلى فانى منتحاها و إنها منتحاىه

أم دفر تقول بعدك للذائق لا طعم لي فأين فحايه

(١٠) إن يخط الذنب اليسير حفيظاك فكم من فضيله محايه

هي سبعة أبيات لكنها جامع له لسيره إنسان: فيها تأكيد بإيراد الكنيه و اللقب على الشهره، و فيها إشاره إلى الكتب الثمينه التي خلفها الوزير و هي إما أن تكون مؤلفاته القيمه، و ذلك اعتراف بتميز ما كتبه، و إما أن تكون الكتب التي وقفها بميافارقين و ظلت تعرف من بعده بمكتبه المغربى. و فيها اعتراف بذنوب اقترفها الوزير إلا أنها ذنوب صغيره و سوف يمحوها ما يوازىها لديه أو يفوقها من حسنات و فضائل. و لكن القصيده (أو المقطوعه) تقيم منذ أول بيت الموازاه بين إنسانين، كما أقامت المساواه بين الطويل و القصير أمام الموت. و إذا كان الوزير طويلا و المعرى قصيرا و ذهب أحدهما فان الآخر لاحق به. و لكن لما ذا يترحل الوزير و يترك صديقه وراءه، محطما مبتذلا كجلده الرحي؟ ليته و قد شرب صديقه كاس الموت قبل أن يبلغ مساء العمر شرب هو تلك الكأس فى ضحى العمر، و استراح من أم دفر، التي تعلن للناس أن فقد الوزير أفقد الدنيا طعمها كأنها القدر الفقيره إلى الأيزار و التوابل. كان المعرى حين نظم هذه الأبيات قد بلغ الخامسة و الخمسين أو تجاوزها بقليل، و قد أصبحت الحياه على كتفيه عبثا ثقيلًا، و زادها ثقلا فقد الوزير و غيره من أصدقائه، و لذلك رثاه بأبيات تعلن قافيتها بسكونها انقطاع النفس أو وشك انقطاعه. و إذا كانت حقا تمثل بعض آخر ما نظمه المعرى فى اللزوميات، فان كل ما قبلها مباشره و ما بعدها يتنفس فى جو واحد هو استطاله الحياه و الدق برق على باب الموت. و فى آخر لزوميه يقول المعرى(١١):

إن يرحل الناس و لم أرتحل فعن قضاء لم يفوض إلى

خلفت من بعد رجال مضوا و ذاك شر لي و شر على

و هكذا فان المعرى حين رثى الوزير بصدق كان أيضا يرثى نفسه.

شخصيه الوزير المغربى

كل من شاء أن يدرس شخصيه الوزير المغربى لا يستطيع أن يتخلص من أحكام ابن القارح على تلك الشخصيه، فقد أثار ابن القارح من حولها غبارا كثيرا، و أطلق دخانا كثيفا، لا يمكن طردهما. و لهذا ستظل الرؤيه غير دقيقه. و قد كررت بعض المصادر ما قاله ابن القارح دون محاكمه فزادت انبهام الرؤيه إلى حد كبير، و هذا كله مهد لجعل الحسين "محرك النار" فى كثير من أحداث عصره، حتى و إن كان بعيدا، حتى لقد أصبح لدى كثير من المؤرخين "الوسواس الخناس" الذى يحرك إلى الشر، و من السهل أن تصف إنسانا بأنه كان مفرط الذكاء و الدهاء بل أن تعده من دهاه العالم(١٢) ثم أن تربط به أعمالا- قائمه على الحيله و الجراه، و أن تصفه بخبث الباطن و ارتكاب العظائم(١٣)

ص: ٦٧

١- مرآه الزمان ١٢: ٤٨.

٢- مرآه الزمان ١٢: ٤٨ و المقطوعه رقم: ٩٠.

- ٣- لسان الميزان ٣٠٢:٢.
- ٤- خطط المقریزی ١:١٥٨.
- ٥- الذخيره ٤:٤٧٩.
- ٦- اللزوميات ٢:٦٥٢-٦٥٣.
- ٧- العباله: السمنه و الغلظ، و الدرعايه: القصير.
- ٨- الثفال: الجلد الذى يبسط تحت رعى اليد، و الرعايه: الرعى.
- ٩- السحايه: القطعه التى تؤخذ من القرطاس.
- ١٠- الفحا: أزار القدر.
- ١١- اللزوميات ٢:٦٥٦.
- ١٢- ابن خلكان ٢:١٧٤ "من دهاه العارفين"، سير أعلام النبلاء ١٧:٣٩٥-٣٩٦ له رأى و دهاء.. و ذكاء و قاء، و كان من دهاه العالم، لسان الميزان: ٢:٣٠١ له الذكاء المفراط، ذيل تاريخ دمشق: ٦٤ ذا علم و ذكاء، الداودى ١:١٥٣ و إفراط ذكائه و فطنته، الوافى ١٢:٤٤٢ من الدهاه العارفين.
- ١٣- ابن خلكان ٣:١٣٤ خبيث الباطن، لسان الميزان ٢:٣٠٢ الجراه و ارتكاب العظام فى حصول غرضه، الوافى ١٢:٤٤٢ خبيث الباطن، ابن الأثير ٩:٣٣٢ كان خبيثا محتالا.

لقد رسم له ابن القارح صورته حاله مقيته حين حشد فيه الصفات الآتية:

١ - الملل: كان أبو القاسم ملولاً، والملول ربما مل الملل، و كان لا يمل أن يمل.

٢ - الحقد: (كان) يحقد حقد من لا تلين كبده و لا تنحل عقده.

٣ - العقوق: له رأى يزين له العقوق، و يمقت إليه رعايه الحقوق.

٤ - الكبر: كأنه من كبره قد ركب الفلك، و استوى على ذات الحبك.

٥ - الحسد: (حسد ابن القارح لأنه استطاع أن يجمع سبعة أوصاف للشعته فى بيت واحد).

٦ - الجنون: كان جنونه مجنوناً.. و أجن منه لا يكون.

٧ - الجراه على المقدسات: (أخذ محاريب الكعبه الذهب و الفضه و ضربها نقوداً).

٨ - سفك الدماء و انتهاك الحريم و التقتيل و التخريب فى سبيل الحصول على ماره(١) و لم يتوقف موقف التشكيك فى هذه التهم إلا ابن العديم فإنه قال: و كان بين أبى القاسم ابن المغربى و بين على بن منصور ما يوجب ألا يقبل قوله فيه(٢).

و قد بلغ فقدان الثقة بين الرجلين حدا بعيدا حتى إن الوزير المغربى قال فى بعض ما يرويه: أنشدنى على بن منصور (ابن القارح) - إن صدق(٣) - و هذا الإلحاق يدل على أسوأ ضروب الظن.

و قد استنتج كتاب التراجم خبته و إزراءه بالفضلاء و شده حسده على الفضائل التى يتمتع بها الآخرون من أنه كان "إذا دخل عليه الفقيه ساله عن النحو، و النحوى ساله عن الفرائض، و الشاعر ساله عن القرآن قصدا ليسكتهم"(٤)، و لست أرى فى ذلك شيئاً مما استنتجوه، إذ هذا التصرف إما أن يكون دعابه فهو يخرج الفقيه إذا ساله فى النحو، و يتلثم، و يخرج إلى أمور مضحكه. و أشهد أنها دعابه ثقيله غير مستملحه، و إما أن يكون "تعلماً" للمسئول و محاوله لجره إلى التواضع كى لا يحسب لاتقانه أحد العلوم أنه قد أحاط علماً بكل شىء، فهو يردده إلى التواضع. كما يعبر عن تميزه الشخصى لأنه يتقن علوماً جمه، و تلك طريقه أيضاً غير ضروريه فليس لأحد أن ينصب من نفسه معلماً لغيره، و هى قد توحى بالغرور، و لكنها لا تدل على الخبث و شده الحسد.

غايه ما هنالك أن الرجل كان شديد الذكاء، و أهم من ذلك أن ذكاهه أوصله إلى النضج المبكر، فبدأت تظهر لديه عقده التفوق، و زادها إعجاب أبيه به - و ربما أضفت "و تدليله له" - و لعل المعرى - دون أن يقصد - شارك أيضاً فى ترسيخ تلك العقده، بذلك النوع من الخطاب فى رسالتى المنيح و الإغريض. و قد كان ذكاهه فى أول الأمر موجه إلى هضم كل ما يقرأ و التعمق فى العلم و الأدب، و فى إتقان النظم و النثر، فلما وضح له أنه يبذ معظم أقرانه تحولت عقده التفوق لارضاء طموحه إلى الشهرة، و كفلت له مجالسه الحاكم - بصحبه أبيه و عمه - بدايه التوقل فى سلم المجد، و عرض على الحاكم أن يستغل مواهبه فيما يرفع من ذكره و ينشر صيته، و يعود على الدوله بالخير.

غير أنه الحادثه التي لم يعر أثرها المؤرخون اهتماما و إنما اكتفوا بذكرها على أنها محض خبر هي المذبحة التي تعرض لها أهله، و قلبت نفسيته، و وجهت ذكاه في وجهه جديده. فإذا كان الانتقام شرا، فقد أصبح الذكاء موجهها نحو الشر، و إذا كان الحقد سيئا فقد "وظف" في خدمه الانتقام.

و حين استطاع أن يورط آل الجراح بحيث تتطابق مشكلته و مشكلتهم بالنسبه للحاكم لم يكن يستشرف أن يكون الرجل الأول في الدوله المستحدثه، بل كان كل همه أن يتحقق له الانتقام. و في سبيل ذلك استباح لنفسه كل ما يمكن أن يتوقف عنه لو لم تكن سحابه الانتقام قد غشت عينيه، و كان أهون ما هنالك نزع الذهب و الفضه من الكعبه، إذ الكعبه ليست بحاجة إليهما. فاما تيتيم الأطفال و ترميل النساء و قتل الرجال فتلك هي شرعه الحرب.

و هي أمور تتم به و بدونه، و من شاء أن يقوض دوله لم يحسب حساب الخسائر في الأرواح و في بنيه العائله و في ضياع الأموال. لست أسوغ للوزير المغربي أن يفعل ذلك، و لكنه حين فعل ذلك كان واحدا من آلاف - بل ملايين الطامحين - الذين أقاموا ذلك التمثال الأجوف الذي نسميه تاريخا، و لهذا فلا- يجوز أن ينفرد باللوم، و كل من حوله والغون في دماء الأبرياء و غير الأبرياء.

و بعد إخفاق الثوره أصبح يسعى للحصول على مصدر رزق: كان غريبا و الغريب المنافس للطبقه البيروقراطيه يلقي كل أنواع الكيد و الدسائس و التكتل ضده، و كان ذكيا و الذكي مخوف لأنه يفضح الغباء الجماعى الذى يتخذه الآخرون جنه ضد مغاير لهم غريب، و كان مريرا بسبب ما منى به من إخفاقات متواليه، و المرير إذا كان ساخرا يثير الغيظ و الحفيظه و الخصام، و كان تفرده في العلم و الكتابه و الشعر يؤهله لنيل ثقته من يعمل معه بسرعه، و ذلك يثير الحسد، فهو المحسود لا الحاسد، لأن لديه من الفضائل ما يقنعه و يرضيه، أما الحاسد فهو طامح لما عند غيره و لا يعرف الرضى. و كان صارما في الوظيفه دقيقا فيما يجب على الآخريين أن يؤدوه، و هذا النوع من الناس يتهمون بالتكبر و التجبر، لأن معظم من يعملون معهم يميلون إلى التراخى و الارجاء و التسوييف و المماطله. و ليس غريبا إذا جعل من أهم القواعد للسائس في رسالته في السياسه أن يحذر "كل الحذر من تأخر عمل يوم إلى غد، فان لكل وقت شغلا، و هذا الخلق من المدافعات بالمهمات أدهى الدواهى التي تتابع لها الخلل، و انهدمت لها الدول" (٥) و كان سخيا بالمال، و ما أحرى ذلك أن يقربه إلى القلوب، و لكن السخاء أحيانا ياتى بضد ذلك، لأن استشعار علو اليد يثير النقمه بدلا من الشكران، أو يضع المرء في شعور مختلط بين النقمه و الشكران.

و تصفه المصادر بالجرأه و الدهاء معا، و كلتا الخصلتين تشيران إلى دوره في الحياه السياسيه العمليه. و الجراءه تؤدى إلى التهور، و ذلك يعنى عدم حساب النتائج، و إذا حكمنا على المغربى بنتائج أعماله قلنا إنه كان متهورا لا جريئا و حسب، إذ منى كل ما خططه بالاخفاق. فاما الدهاء فهو موصول لدى من يستعملون هذه الصفه بالحيله القائمه على الذكاء، و إخفاق النتائج ٤.

٣- بغيه الطلب ١٩:٥.

٤- المنتظم ٣٣-٣٢:٨ وابن الأثير ٢٣٢:٩ وابن خلكان ١٧٤:٢ والوافي ٤٤٢:١٢ ولسان الميزان ٣٠١:٢ و مرآه الزمان ٤٧:١٢.

٥- الرساله رقم: ١٦، الفقره: ١٤.

لدى المتهور ينقص حظه من الحيله البارعه، و ذلك فى الأعمال الكبيره، أما فى الأمور اليوميه الصغيره فلعل الوزير المغربى كان سيد من دبر "المقابل" و ضحك على زملائه و ضحك منهم. و من حق من تصدوا لترجمته أن يقولوا إنه كان داهيه لأنه كان دائما يدبر الخطط حتى لم ينس أن يدبر كيف ينتقل إلى مشهد على متخذنا فى ذلك احتياطات أكثر مما يتطلبه الموقف.

و رغم العقل المسيطر فى توجيه خطته نجده امرأ "عاطفيا" بل يمكن أن يقال فيه إنه كان يوقد الشمعه من طرفيها: كان كثير الانقياد لشهوته، حتى إذا أمعن فيها تذكر ثقل الآثام و الذنوب و ما يترتب عليها من حساب، و لذلك فان شعره يتراوح بين هاتين المنطقتين على نحو متكافئ. أعطى ريعان الصبا من المجون ما أحب و لكنه فى قراره نفسه يبغض الإثم. يذهب فنونا هى هوى إلف له ثم يهجره، و يموت الالف و هما متهاجران، فيحس بالندم و يبكى بحرقه ثم يلوذ بكرم البارئ - جل و عز :-

هو المحسن البر فيما قضاه و الحاكم العدل فى ما حكم

و إنى و إن حجبتنى الذنوب فمنى السؤال و منه الكرم

بل تبلغ به التوبه حد التعلق بأستار الكعبه:

أستار بيتك أمن الخوف منك و قد علقته مستجيرا منك يا بارى

و ما أظنك لما أن عقلت بها خوفا من النار تدنبنى من النار

و ها أنا جار بيت أنت قلت لنا حجوا إليه و قد أوصيت بالجار

بل يمكن أن يقال إنه فى هذا التردد ضيع نقطه الوسط، و إن كان بتاروجه المستمر يحاول التوسط. و لما قال له المطران إيليا إن الرهبان لا يدعون للإنسان بطول العمر أو زياده المال أو كثره النسل و إنما يسألون الله أن يصنع به ما له فيه الخيره شرح المغربى كيف بارح البحث عن النقطه الوسط.

ذكر أنه يفتش عن غايه العز (ورى بالعز هنا عن أشياء كثيره) أو عن غايه الزهد. أما الزهد فغير ممكن فى حال الوزير، لأن الزاهد يخدم نفسه بنفسه و الوزير يخدمه الكثيرون. و أما العز فهو يتمناه بلهفه، و لكنه واقع بالنسبه له بين طمع فيه و حرمان مؤقت منه "و مع طمعى فانى لست مؤيسا منه" (1)، فكل ما ناله من عز لم يكن مرضيا له، و لذلك فهو يحس أنه لم ينل كل ما يريد، أى هو واقع فى نقطه وسط لا- يريد لها. لا يريد أن يتجه نحو الزهد، إنه لا يرضى إلا بالطرف الأقصى من العز، و هذا الموقف الذى يمثل آخر مراحل حياته يدحض روايه تنسب إليه أنه تزهد و اعتزل العمل. و تذهب هذه الروايه إلى أنه كان يعابى من يدخل عليه بامتحانه و سؤاله فى غير ميدانه العلمى، و أن شيئا دخل عليه فسأله عن العلم فقال: ما أدرى و لكنى رجل يودعنى الغريب الذى لا- أعرفه الأموال العظيمه و يعود بعد سنين و هى مختومه. (هاهنا تعريض بالوزير)، فخجل و آل الأمر أن زار أحد الصالحين (أو هو الشيخ نفسه) فقال له: لو صحبتنا لنستفيد منك و تستفيد منا، فقال: ردى عن هذا بيت شعر:

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن بمنزله إلا رضيت بدونها

فانا أكتفى بعيشى هذا. فقال: يا شيخ ما هذا بيت شعر، هذا بيت مال، ثم قال: اللهم أغننا كما أغنيت هذا الشيخ و اعتزل السلطان (٢) على أنه مهما استبد به استبحاره فى الشهوات، فقد كان ذا غيره على الإسلام، و إيمان عميق به، و لذلك تجده شديد السرور حينما أسلم رئيس اليعاقبة بتكرت، ذلك هو أبو مسلم مشرف بن عبيد الله الذى كان يعرف بالمطران الكبير: "فهنا الله الإسلام ما يزال يتولاه من إيضاح مناره، و تبلج أنواره، و إدامه صبحه ضاحكا تتصدع عنه دياجير الشبهات، و تنجلي منه ملابس الضلالات" و لعل مما زاده سرورا أن المطران رأى الامام عليا بصحبه الرسول (ص) فى المنام.

فقد كان الرجل شيعيا، و كان إذا أمن أفصح عن حقيقه مشاعره، و فى تلك اللحظات كان موقفه من رجالات الإسلام موقفا شيعيا خالصا و لذلك كان على بطييعه الحال هو خير الصحابه فى نظره:

عرفنا عليا بطيب النجار و فصل الخطاب و حسن المخيله

تطلع كالشمس رآد الضحى بفضل عميم و أيد جزيله

فكان المقدم بعد النبى على كل نفس بكل قبيله

و هو القائل فى على (ع):

صلى عليك الله يا من دنا من قاب قوسين مقام النبيه

أخوك قد خولفت فيه كما خولف فى هارون موسى أخيه

هل برسول الله من أسوه لم يقتد القوم بما سن فيه

و حين فارق ابن المغربى مصر كان قد تجاوز الثلاثين، و هى سن متأخره للزواج فى ذلك العهد، و لذلك فان زواجه و هو بمصر هو المرجح، و حين رزق بابنه الأول سماه عبد الحميد - لإعجابه بإمام الكتابه - و كناه أبا يحيى.

و كان الذى هناه بمولده صاحب ديوان الجيش بمصر أبو عبد الله محمد بن أحمد فقال (٣):

قد أطلع الفال معنى يدركه العالم الذكى

رأيت جد الفتى عليا فقلت جد الفتى على

و قد كبر ابنه و روى عن أبيه، و حدث ببعض أخباره (٤) و يبدو أنه أصهر إلى عائله علويه عراقيه إذ يذكر أن أبا الحسن على بن أبى طالب بن عمر كان صهره (٥)، و قد كانت زوجته هى بنت العرموم، و لا ندرى أ كانت هى أم عبد الحميد، أم لا، و لعلها كانت على جانب غير قليل من الثراء، و كانت لها شخصيتها المستقله أو حاول زوجها أن يمنحها ذلك المظهر، إذ تذكر الروايات أنها أهدت أبا كاليجار البويهى لما طلع قلعه إصطخر "مذاف أحمر بهرمان رمانى ما يعرف قيمته" (٦). و لا ندرى هل كان عبد الحميد الابن الوحيد للوزير المغربى أو أنه رزق بأبناء آخرين.

وقد ظلت الأجيال من بعد تشير إلى الحسين بن علي باسم "الوزير المغربي" حتى أصبح اللقب غير منفصل عن نسبه عند ذكره، ولكنه لم يكن.

ص: ٦٩

-
- ١- مجالس إيليا: ٤٣١.
 - ٢- المنتظم ٣٢:٨-٣٣ و مرآه الزمان ٤٨:١٢ و انظر روايه أخرى من القصة رقم: ٢٦ منقوله عن بغيه الطلب.
 - ٣- ابن خلکان ١٧٤:٢.
 - ٤- ابن أبي أصيبعة ٢٣٢:١.
 - ٥- ابن الأثير ٣٣٦:٩.
 - ٦- الذخائر والتحف: ٧٩، و "المذاف" - هكذا ورد - ولم أتبين ما هو.

"وزيرا" فقط، بل كان "الوزير الكامل ذا الجلالتين"، و لا ندرى متى أحرز كل هذه الألقاب، و من لقبه بها، و الأرجح أن ذلك تم فى الفتره العراقيه.

بعض مجالات اهتمامه

١ - شعره و نثره:

لا- تفتتا المصادر تردد أن للوزير المغربى نظما فائقا فى الذروه، و ترسلا فائقا، و أنه سيطر على صناعتى الشعر و النثر، و أن له ديوان شعر و رسائل، لعلهما كانا مجموعين معا. و ينفرد الثعالبى بقوله إنه " كان يجرى فى طريقه ابن المعتز نظما و نثرا و يجاذبه طرفيهما " (١) و قد وصلنا من أشعاره مائه و خمس [خمس] عشره وحده بين مقطوعه و قصيده، و المقطعات أغلب، كما وصلنا من رسائله و أقواله خمس و عشرون وحده. و ليس فى شعره أو نثره ما يشير من قريب أو بعيد إلى شركه بينه و بين ابن المعتز، و لعل تباينهما فى الشعر أوضح. فابن المعتز شاعر التصوير المتناوب فى جماله بين الأصاله العريقه و الصنعه، بينما ليس من هم الوزير طلب الصوره أبدا، و إذا جاءت فى شعره فإنما تجيء عارضه.

و شعره فى المقطعات يدل على أنه كان يتعمد العبارة الحلوه و المعنى الجديد، فمن العبارة الحلوه قوله:

زعم الفراق دعا به فأجابه و نعم دعاه فلم أراد يجيبه

و من الجده فى المعنى قوله:

محا حسن ياسى شخصه من تذكرى فلو أننى لاقيته ما عرفته

فهذا عكس للمعنى المألوف، و هو أسر لأنه يفاجئك بغير المتوقع.

و فى شعره على الجملة نغمه من لوعه دفينه أسيانه. و إذا صح أن الأبيات التاليه له، فإنها تمثل قمه الوجد فى نضاره تعبير:

أقول لها و العيس تحدج للسرى أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر

سانفق ريعان الشيبه آنفا على طلب العلياء أو طلب الأجر

أ ليس من الخسران أن لياليا تمر بلا شىء و تحسب من عمرى

و من شده تطلبه للمعنى الأخاذ يحمل كثيرا على التعمل الذهنى، و يبعد فى طلب المعنى فلا ياتى بشىء جديد كقوله:

كان لى فى انتظار شيبى حساب غالطنتى فيه صروف الدهور

و كذلك لا تعدم اللفئات المستملحه فى مثل قوله:

فقال لى الحبيب و قد رآنى سبوقا للمضمرة العتاق

ركبت على البراق؟ فقلت كلا و لكنى ركبت على اشتياقى

و هذا الاستملاح لائق بالمواقف الغزليه و العاطفيه، و هو يتحول إلى عمق عاطفى فى شعر الرثاء. و لكنه لا يصلح للشعر التعليمى و الحكمى، و لهذا كان هذان اللونان من الشعر يتحملان لديه قسطا من الفجاجة إذا قورنا بشعره العاطفى. و كذلك يمكن أن نقيم المقارنه بين مدائحه و مراثيه، إذ كانت الأولى قائمه على الدعوى و الثانيه على المشاعر الصادقه. و مما يجسم الأمر بين هذين اللونين أنه لم يكن يرى لممدوحيه فضلا عميق الجذور فى نفسه، بل لعله كان يرى نفسه فوق المدح، بينما كان الذين رثاهم يتمتعون بمكانه عاليه لأنهم علويون مثل الشريف الرضى و الشريف أبى الحسن صهر الوزير. و لو قارنت مراثيه فى أمثال هذين بمراثيه فى إلف له فقدته لوجدت درجه العاطفه واحده، و إنما يقع التمايز فى اختلاف العلاقه.

و لعل أحفل نماذج شعره فى التصوير القصيده الأخيره فى هذا المجموع و فيها يصور سابحا:

فكأنه فى الموج قلبى بين أشواقى إليه

فتصوير الأشواق بالموج و فى وسطها القلب و هى تتلاطم من حوله صوره غير مالوفه:

و الماء مثل السيف و هو فرنده فى صفحته

تركيب جديد لمواد مالوفه فى التصوير. أما الصوره البعيده حقا فهى نهيه الناس عن شرب ماء النهر الذى كان يخوضه ذلك السابح لأن الحسن ذاب فيه: أ تراه يعنى أن من شرب منه سحر؟ و على هذا تقوى روايه من روى "قد ذاب فيه السحر" و لكن هذا اللون من الشعر غير كثير لديه.

و جملة القول فى شعره أنه نموذج لشعر الكتاب فى الرقه و الطلب للمعاني.

أما رسائله فيبدو فيها التفاوت بحسب العمر و الموضوع: فرسالته التى كتبها إلى أبى العلاء المعرى و أخيه تراوح بين الشر و الشعر بشكل يكاد يكون متساويا، و هى طريقه تخلى عنها عند ما توفر له النضج. و الموضوع فى الرساله الأولى مثلا هو التحدى بالمعرفه، و لذلك لم يهتم فيها بالنسق الأسلوبى قدر استعراضه لمعارفه المختلفه، أما المطارحات الاخوانيه فقد أصبحت قائمه على أسلوب مسجوع من حيث الشكل و على تفنن فى التعبير عن المشاعر. و خير ما يظهر براعته فى الناحيتين رسالته إلى الشريف أبى طاهر فى باز كان يتصيد به و فر منه. هنا يمثل فرار البازى الغدر من يد من رضع الوفاء، و بعد إقامه هذا التناقض يلتفت الكاتب إلى الدراج التى ارتاحت نفوسها لذلك الفرار، ممن؟ من الكوكب المنقض على مسارحها، و السهم القاصد إلى مذابحها.

و هكذا يفتح الكاتب المجال لتصوير ذلك "الغادر" الذى كان فى الوقت نفسه وفيا لضحاياه من الطيور، ثم يلتفت إلى المغدور الوفى الذى سيعد للطيور الفرحة شماته ذوات ظفر جدد أشد فتكا. ثم يجد الأعذار لفرار ذلك الذى سماه غادرا، و كل أعذاره ترجع إلى علو همه صاحبه، و هكذا ينتقل الكاتب فى رسم المفارقة بين البازى و صاحبه و موقف الطيور الأخرى منهما.

و الحق أن المغربي كان إماما في الكتابه بين كتاب عصره، و لكن ما وصلنا من رسائله قليل، إذ ضاع منها رسائل كثيره. و من رسائله التي ضاعت رساله كلفه الخليفه القادر بالله كتابتها ردا على فئه من اليهود(٢)، و هي رساله تعرض ثقافه و جدلا بأكثر مما تعرض أسلوبا فيما أعتقد.

و لا يقل أسلوبه الذاتى فى كتبه عن رسائله جزاله سبك و روعه عباره، و الفرق بين أسلوبه فى الحالتين هو اعتماد السجع فى الرسائل و عدم اعتماده فى

ص: ٧٠

١- تتمه اليتيمه ١:٢٥.

٢- اعباب الكتاب: ٢٠٦.

كتبه. وهذه قطعه من مقدمه أدب الخواص تصور مبلغ الأحكام فى ذلك الأسلوب: "و قد عجب المتأملون من عاقل لا يمضى سلطانه على نفسه، و هو يريغ نفاذ أمره فى غيره، و الإنسان يسفه القاصب له، و يثرب على المولع بسبه، و يزنه بالكذب، و يعزوه إلى قول ما لم يعلم، و إلى المؤاخذه على الظن، و إلى إرسال اليد و اللسان قبل اليقين و الثلج، و لا يحس أن الداء الذى أضرع خصمه للملامه، و ألحج عدوه فى التغليظ و المذمه هو و هى سلطان العقل، و انتقاص الجلد عن صرف اللسان و قد اشرب للقول، و عن حسبه و قد تهيأ للبت" (١)

٢ - النقد الأدبى:

يعد الوزير المغربى ناقدا للشعر و النثر، منذ الجاهليه حتى عصره. فقد حدثنا كيف كان يختار الشعر: "كنت أختار البارع من أبيات القصيده، ثم ألقىها جانبا مده أيام، و أعاود النظر فيها برأى سالم، و باختيار شاب واع، فاختر من ذلك المختار ما أرى إيراده فيكون إبريز نارين" (٢).

و هذا التمهيص الشديد فى الاختيار كان مقياسه الذوق الذاتى، و قد استعمل الوزير المغربى هذا المقياس كثيرا لا فى أدب الخواص [الخواص] و حسب، بل فى ذلك النسق من اختياره شعر أبى تمام و البحترى و المتنبى و اختيار نماذج من نثر على بن عبيده الريحانى، و هو لا يحكم رأيه دائما بل يعتمد أيضا آراء أهل النقد، فهو يأخذ ما يستحسنونه مثل قول ابن كناسه:

على حين أن شابت لداتى و لم أشب فمناها لحي مبيضه و قرون

و ناصيت رأس الأربعين و أقلت قساوه جنى الشباب تلين

أما هو نفسه فيعد ابن كناسه شاعرا محسنا، و أن له شعرا سائرا مثل قوله:

فى انقباض و حشمه فإذا رأيت أهل الوفاء و الكرم

أرسلت نفسى على سجيتها و قلت ما قلت غير محتشم

(٣) على أنه أحيانا يترك المقاييس النقدية جانبا و يحب الشعر لأنه يوافق شجنا فى نفسه، لا لأنه كذلك فى حقيقه النقد، و لعل صراحته فى ذلك هى التى تؤكد الايمان بسلامه ذوقه، فمما أحبه و ليس فى حقيقه النقد مستحقا للاعجاب قول ابن كناسه فى نكبه أبى أيوب المورىانى:

لا ترى زاجرا لهم القلوب كالرضى بالموكل المكتوب

فاتق الله و ارض بالقصد حظا لا تسيلن فى سبيل الذنوب

لا يغرناك الذى غر قوما شربوا من حتوفهم بذنوب

طلعت شمسهم عليهم نهارا و أتتهم نحوهم بغروب

قد رأيت الذى أدالت و نالت وقعه الدهر من أبى أيوب

(٤) و من الكلام " الذى يستحق قضيه الحسن عنده " قول الشاعر:

يا سلم لا أقرى التعذر نازلى و الدم ينزل ساحه المتعذر

و لقد علمت إذا الرياح تناوحت أطناب بيتك فى الزمان الأغبر

أنى لأبسط للضيوف تحيتى و أشب ضوء النار للمتور

و تنال بالمال القليل براعتى قحما تضيق بها ذراع المكث

(٥) و لو شئنا أن نبحت عن الأسباب التى استحق بها هذا الشعر " قضيه الحسن " لوجدناها تبدأ بهذا السبك البدوى الذى يرنو إلى نماذج مالوفه فى الشعر الجاهلى، ثم يتجلى الحسن فى القيم التى يعبر عنها الشعر، لا فى الشعر نفسه، و هذه قيمه أخلاقيه جعلت الناقد لا يستطيع الفصل بين ما هو جميل فى ذاته و ما هو جميل لأنه يوافق " هوى أو شجنا أو " قيمه " ترتاح إليها نفسه. و إنما أحكم هذا الحكم لأن أبيات هذا الشاعر لا تخرج فى مضمونها عن قول الوزير المغربى نفسه:

فلهامتى بالأريحيه سكره تهتز بى فى ثروه و تصعلك

و لعل الوزير كان يرتاح إلى ما يشابه فلسفته فى الحياه، و كانت خلاصه فلسفته قوله:

و لقد بلوت الدهر أعجم صرفه فأطاع لى عصيانه و ليانه

و وجدت عقل المرء قيمه نفسه و بجده جدواه أو حرمانه

فإذا جفاه المجد عيبت نفسه و إذا جفاه الجد عيب زمانه

إننا لا نملك شواهد كثيره على الممارسات النقدية لدى الوزير المغربى، و لكنى أعتقد أنها لو وجدت للاح ناقد يتردد بين ثلاثه مقاييس متفاوتة:

الجمال فى العبارة، و القيمه الأخلاقيه، و الغرابه (أو عدم الذبوع). و حين روى لإمرئ القيس قوله: " اسقيا حجرا على علته " علق على ذلك بقوله " و إنى لأستقبح أن يقول قائل لأبيه " على علته " و أظن ذلك هو الذى غاظ حجرا، فلما سمعه أمر الساقى بلطم وجهه و إخراجة... " (٤) إن البحث عن عيون الشعر و النشر قد عود الوزير المغربى أن يكون ناقد البيت الجميل، أو ناقد العبارة الجميله، و لكنه لم يحاول أبدا أن يبصر مدى الجمال فى القصيده أو فى الرساله.

قد تقدم القول إن من أهداف تأليفه كتاب أدب الخواص الدلالة على معجز القرآن لأن التبحر في ألفاظ العرب و معرفه معادنها و أغراضهم فيها يوصل المرء إلى أن يعرف معجز القرآن معرفه حسيه ذاتيه. و هذا في رأى الوزير المغربى هو المنهج الصحيح للتوصل إلى إدراك الاعجاز لأنه يتم عن طريق القياس و الاستدلال لا عن طريق التقليد لمن يقول ذلك من الفصحاء السابقين. أما الاقتصار على القول بالصرفه - كما يعتقد قليل من الناس يذهبون مذهب المعتزله. فإنه لا يفسر حقيقه الاعجاز، و إن كان مقبولا.

و ينضم الوزير المغربى إلى الفريق الذى يرى أن الاعجاز فى نوعيه النظم، و أن ذلك مؤيد بالصرفه. و قد كان يدور فى ذهن الوزير أن يجرّد كتابا مفردا لقضيه الاعجاز و لكن يبدو أنه لم يحقق ذلك (٧) و كانت قضيه الاعجاز لديه تمثل مدخلا لامتحان مدى الاطلاع و المعرفه، و لذلك نراه يقول لبعضهم على سبيل المعايه، "صف لنا كيف وقع التحدى بهذا المعجز لىتم بوقوعه الاعجاز، و أخبرنا عن صفه التحدى، هل كانت العرب تعرفه أم لا، أم

ص: ٧١

- ١- أدب الخواص: ٦١.
- ٢- أدب الخواص: ٨٤.
- ٣- أدب الخواص: ٧٣.
- ٤- أدب الخواص: ٧٤.
- ٥- أدب الخواص: ٧٩.
- ٦- بغيه الطلب ٣: ٢٩٣.
- ٧- أدب الخواص: ٨٣.

كان شيئاً لم تجر عاداتها به فكان إقصارها عنه، بل لأنه التماس ما لم تجر المعامله بينهم بمثله. ثم يسأل عن التحدى (١): هل لقي بمعارضه بان تقصيرها عنه أو لم تكن بمعارضه، ولكن القوم عدلوا إلى السيف كما عدل المسلمون مع تسليمهم و لم يعارضوه (٢) و لا يمكن أن يلقي مثل هذه الأسئلة إلا و هو يعرف أجوبه دقيقه مقنعه لها، و لعل في ما كتبه في تفسير القرآن ما يجلى هذه النواحي.

٤ - تفسير القرآن:

كان للوزير المغربي إملاءات عده في تفسير القرآن العظيم و تأويله (٣) و ربما جمعت في كتاب مفرد، لقول ابن العديم: " و له كتاب في تفسير القرآن أحسن فيه على اختصاره" (٤)، و قيل إن اسمه "المصايح في تفسير القرآن" (٥) و قيل "خصائص علم القرآن" (٦)، و لعلهما أن يكونا كتابين لا- كتابا واحدا. و لم يصلنا شيء في تفسير القرآن للوزير، و لكننا نستطيع أن نتصور مذهبه فيه من حواره مع مطران نصيين. فعند ما ذكر المطران له أن المسلمين يقولون إن الله يدين خلق بهما آدم، قال الوزير إن يدى الله تعالى هما نعمته و قدرته، و هذا التأويل شبيه بتأويل أهل الاعتزال. و فى موقف آخر قال الوزير: "العله فى قول المسلمين إن الله عينين و يدين و وجها و ساقين يكشفهما و أنه ياتى فى ظلل من الغمام هى أن القرآن نطق بذلك، و المراد فيه غير ظاهر اللفظ، فكل من يحمل ذلك على ظاهره و يعتقد أن الله عينين و يدين و وجها... إلخ، و أن ذاته تنتقل من مكان إلى مكان و غير ذلك مما يقتضى التجسيم و التشبيه فهم يلغونه و يكفرونه..." (٧)، فمذهبه واضح فى رفض كل ما يوحى بالتجسيم و التشبيه.

و نقل عنه فى تفسير قوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) إن المعنى: إذا عزمتم على الصلاة و همتم، و استشهد على ذلك بيتى شعر، فالقيام هنا قيام عزم لا قيام جسم (٨).

و أكبر الظن أنه توقف فى تفسيره فى مواضع مختلفه لتوجيه بعض الآيات مثل " و غرايب سود" و السود هى الغرايب، فما الغايه من ذكرها؟ و لو قال القائل إن ذلك تأكيد خرج عن المؤلف من مذهب العرب، لأن العرب تقول: أسود غريب، فتقدم ذكر السواد. كذلك ما الحكمه فى قولهم:

"من فوقهم" فى وصف السقف و السقف لا يكون إلا فوق فى قوله تعالى:

(فخر عليهم السقف من فوقهم) و مثل قوله تعالى (إلهين اثنين) و العدد فى إلهين واضح. و ما التناسب بين الأخذ الشديد و الرحمه فى مثل قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم) (٩). و نحن لا نعرف ما موقف المغربى من هذه القضايا و أشباهها و لا- ما هى تفسيراته، و لكننا نعتقد أنه أولى هذا الجانب عنايه خاصه فى تفسيره. و مجمل رأيه فى بلاغه القرآن وضعه على النحو التالى: "رجحان بلاغه القرآن إنما هو بلوغ المعنى الجلى المستوعب إلى النفس باللفظ الوجيز، و إنما يكون الإسهاب البليغ فى كلام البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبه العاليه من البلاغه" (١٠) و لو مضينا مع هذا الرأى إلى نهايته لاستنتجنا أن الوزير المغربى ينكر وجود الإسهاب فى القرآن.

٥ - الطب:

فى سىياسه المرء (السائس) لبدنه آراء كثره حصلها المغربى من ثقافته الطبيه و من تجربته الذاتيه و من نصائح طبيبه "صاعد بن بشر البغدادى" له.

و تتركز هذه الثقافه و التجربه حول الطعام و الشراب، فالاستمراء أساس فى الفائده المرجوه من الطعام. و على هذا لا بد أن يكون الغذاء لونا أو لونين متجانسين، لأن عدم التجانس يؤدى إلى ضعف الاستمراء، و مع ذلك كله يجب عليه أن يحذر الكظه. و هذا هو رأى صاعد الذى يقول "استعمل الرياضه اللاتقه بك و لا تكظ المعده، و قد أمنت الأمراض كلها".

أما الشراب فيجب على السلطان أن لا يبلغ فيه حد السكر، بل يشرب فى أول المجلس الكميّه التى يتحملها، ثم يتعلل بما يملأ وقت المنادمه و المؤانسه. و يجب ألا يشرب باستمرار، بل يخصص لشربه يوما معينا. و من الغريب أن المغربى يوصى الملك أو السائس بالسهر، و التعويض عن ذلك بنوم النهار. و يرى أن الحمام أزم للملك منه للرعيه، لأن الرعيه تنفى الفضول عنها بالحركه، و الملك قليل الحركه فكان فى الحمام تعويضا عن ذلك. و عليه أن يدخل البيت الثالث من الحمام بقدر احتماله، ثم يصب على نفسه ماء فاترا، ليجفف المسام، و لا يجوز تناول الأكل و الشرب مباشره بعد الحمام، و إنما يستحسن النوم بعده.

فإذا راعى الوصايا المتعلقة بالطعام و الشراب و الاستحمام كان تويح ذلك اهتمامه بالرياضه، و أصلح أنواعها للملوك اللعب بالصولجان(١١).

و هو يعرف من ثقافته الطبيه رأى جالينوس فى أن قوى النفس تابعه لمزاج البدن، إلا أنه وجد أن مزاج البدن تابع لقوى النفس أحيانا(١٢).

٦ - السياسه:

أراد الوزير المغربى فى رسمه حدود السياسه أن يستمد قواعدها من الحياه الواقعيه، فهو لا يفرض حكما أخلاقيا إلا إذا كان ذلك ممكنا. و أوضح مثل على ذلك تقديره الشرب للملك، فلو أنه نظر إلى الأمر من زاويته المثاليه، لنصح الملك بان لا يشرب، و لكنه كان يعاشر ملوكا يشربون، فهو يضع لهم القواعد التى تضبط سيطره الشراب عليهم. و كذلك هو موقفه من اللذات فهى فى رأيه يمكن أن تسرق من زمان الشغل، و لكن اللذّه الحقيقيه للسائس هى: رتبه العز و نفاذ الأمور أو رضى سلطان إن كان فوقه سلطان، فاللذات التى يتصورها فى السياسه، ربما عدت معنويه و لكنها فى الوقت نفسه حصيله التصرف العملى الحصيف.

و فيما عدا ذلك لا يخرج المغربى فى آرائه السياسيه عن مستوى غيره ممن كتبوا فى هذا الموضوع، فهو يوصى بان تكون الطاعه للملك قائمه على المحبه

ص: ٧٢

١- الرساله الأولى من رسائله فى هذا المجموع.

٢- طبقات الداودى ١:١٥٣ و لسان الميزان ٢:٣٠١ فى تفسير القرآن و الاحتجاج فى التنزيل".

- ٣- بغيه الطلب ١٦:٥.
- ٤- أعيان الشيعة ١٨:٢٧.
- ٥- هدايه العارفين ٣٠٧:١.
- ٦- مجالس إيليا: ٤٢.
- ٧- مجالس إيليا ١١٨-١٢٢.
- ٨- أعيان الشيعة ١٨:٢٧ (نقلا عن القطب الراوندى فى فقه القرآن).
- ٩- الرساله الأولى فى هذا المجموع.
- ١٠- المصدر نفسه.
- ١١- انظر الرساله رقم: ١٦.
- ١٢- أدب الخواص: ٦٩.

لا على الرهبة، ثم يقول إن رأس السياسة إنجاز الوعد و الوعيد، و لو طبقنا القاعده الثانيه إلى نهايتها لتعارضت مع السابقه، فان تطبيق الوعيد - حتى فى حدود العدل - لا يخلق طاعه محبه، و إنما يبعث الرهبه. فاما الفضائل من علم و عفه و حلم و سخاء و شجاعه فهى القواعد الخلقية المألوفه، و لكن اتصال كل منها بالسائس قد يحدد معناها تحديدا ذا خصوصيه متميزه. فكلنا يعرف أن السخاء هو بذل المال و الجاه، و لكن السخاء لدى السائس فى نظر الوزير المغربى هو "أن لا يمتل حقا و لا يخيب آملا، و لا يؤيس قاصدا".

و من اللافت للنظر أن يفرد ابن المغربى السخاء لابن السبيل خاصه، فهذه لفته مستوحاه من التنقل و الضرب فى الأرض. كذلك هو مفهوم الشجاعه لديه فإنه يحمل معنى خاصا غير المعنى الذى يعرفه الناس من الشجاعه، و ذلك أن الشجاعه فى السائس هى "أن يشعر قلبه أن لا يجوز أن يكون الجبان ضابطا لأمره و لا حارسا لرعيته... و أن يجعل و كده كله جمع الرجال و الأسلحه و الخيل و العدد" - و هذه كلها آله الشجاعه و ليست الشجاعه نفسها.

إن قسمه السياسة إلى ثلاثه فروع: سياسه السلطان لنفسه، و سياسه الخاصه، و سياسه العامه، لهى قسمه من باب التسهيل و الإيجاز معا، و إلا- فان الحديث فى السياسه متسع، و الفروع تزيد كثيرا على ثلاثه، فمن ذلك مثلا- سياسه الخاصه للعامه، و سياسه السلطان للثنتين، من غير فصل بينهما حين تشترك المصالح و تتحد. كما أن توصل السلطان إلى تألف الخاصه بالإحسان إليهم و بسط آمالهم بالعفو، و عدم الاستقصاء عليهم، و تأمينهم إسرعه إلى قبول كثير من ثقل الأصحاب، أمور تصلح لهم و لغيرهم.

و قد وضع أن الخاصه فى مفهوم الوزير المغربى هم أصحاب الوظائف فى الدوله كالكاتب و الحاجب و الجابى و قائد الجيش و صاحب الشرطه و الحاكم و المحتسب و السفير، و هذه مؤسسات الدوله، و لا بد أن يبحث فى كل مؤسسه، فاما الاكتفاء بالقول إن الحاجب يجب أن يكون طلق الوجه، و صاحب الشرطه يجب أن يكون مهيب المنظر عبوسا لهُو تبسيط شديد لما من حقه أن يبحث بالتفصيل. و لا- يزال المغربى يرى أننا إذا جعلنا السلطان جانبا فالناس فئتان، موظفون و غير موظفين (أو خاصه و عامه) و لكن ما ذا يحدث حين يتبادل هؤلاء أدوارهم فينتقل الخاصى ليعود من العامه، و ينتقل العامى ليصبح من فئه الخاصه؟ و العامه أقسام أيضا بحسب مهنتهم و أهميتها فى العمران، كما أنهم قسمان كبيران بالنسبه للسلطان، فمنهم من يسمح لهم بالسعى إلى بابه، و منهم من لا يستحب لهم ذلك لأن فيه فسادا قد شرحه أردشير فى عهده.

و من هنا يتبين تاثر الوزير المغربى ببعض آراء السياسه الفارسيه، و هو بشىء من الالتفات حول الموضوع يلمح إلى التثبيت الطبقي و عدم تمكين الفرد من الانتقال من طبقه إلى أخرى، و ذلك هو الأمر الذى جعله أبو الحسن العامرى السمه الفارقه للمفهوم الفارسى بالمقارنه بالنظام الإسلامى الذى ينكر هذه الحتميه الجائره و لا يعترف بها.

و على مقتضى تفكير المغربى يستطيع السلطان أن يصنع خاصه جديده بعد خاصه الموظفين، من ذوى الأخطار و العلماء، أما كيف تكون العلاقات بين الخاصه الجديده و الأخرى التقليديه فلم يعره الوزير اهتماما.

و قد خلط الوزير المغربى عند الحديث عن سياسه العامه بين أمور لا تدخل فى هذا الموضوع، فبدلا من أن يتحدث عن الرشا فى باب فساد الخاصه، تحدث عنها و هو يعالج سياسه العامه. و بدلا من أن يفرد للسياسه الخارجيه و للعلاقات بالدول و الممالك الأخرى بابا مستقلا تحدث عن هذه الناحيه تحت عنوان سياسه العامه. و كذلك فعل فى حديثه عن ضبط المدن و

الطرق و المياه و السيطرة على الأجانب الداخلين إلى مملكته، و ضبط الأخبار عما يجرى فى الداخل و ما يجرى فى الخارج. و بذلك يبين مدى الضيق فى القسمه الثلاثيه التى اعتمدها المغربى.

ما تبقى من شعره

قال:

قال الطبيب و قد تأمل علتى هذا الفتى أودت به الصفراء
فعبجت منه و قد أصاب و ما درى لفظا و معنى و المراد خطأ

(١) و قال:

إذا ما الأمور اضطربن اعلى سفيه تضام العلا باعتلائه

كذا الماء إن حركته يد (٢) طفا عكر راسب فى إنائه

و قال فى الحاكم:

(أنت) أعطيتنى كتابا إلى رضوان حتى أجزت خير الجزاء

و سقتنى يداك من علل الكوثر كأسا شفت غليل ظمائى

أتمنى لو راسلتك الأعادى ببلغ يوفى على البلغاء

لترى موقفى هناك، و سهل دون شاوى و واصل بن عطاء

و قال:

الليل ميدان الهوى و الكأس مجموع الإرب

يا رب ليل قد قصرنا طوله فيما نحب

لما هززنه تلاقى طرفاه بالطرب

يلعب فى الخسران و الطاعه ساعات اللعب

تحكى ثرياه لمن يرنو إليها من كئيب

خريطه من أبيض الديباج ما فيها عذب

و الدبران خلفها كفتح پرگار ذهب

و هقعه الجو كفسطاط عمود منتصب

و منكب كوجه مبثور للحظ المرتقب

و هنعه كأنها قوس لنداف عطب

(٣) ثم الذراع شمعته تشعل رأسا و ذنب

و زبره كأنها رخان في خشت ذرب

و نثره كوسط مقلاع كبير منتخب

و الطرف طرف أسد في عينه كحل الغضب

و جبهه باديه كمنبر لمختطب

و صرفه تخالها في الجو مسمارا ضرب

و تحسب العواء في آفاقها لا ما كتب

ص: ٧٣

١- معجم: قولا و ظاهر ما أراد خطاء، الأفضليات: لفظا و معنى ما أراد.

٢- التتمه: كذاك إذا الماء حركته.

٣- العطب: القطن.

ثم السماك مفردا كغره الطرف الأقب

(١) كأنه و الغفر ميزان إمام يحتسب

يدنو إليه عرشه يريك تابوتا نصب

ثم الزباني عاشقان ذا إلى هذاك صب

تكالما من بعد و حاذرا من مرتقب

و نظم الإكليل و القلب جوار تقترب

كمشعلين رفعا مختلفين فى النصب

و شوله تخير عن قرب الصباح بالعجب

كجانب من عقد أرجوحه جبل مضطرب

و بعدها نعائم مختلفات فى الطلب

فهذه صادره و هذه تبغى القرب

كمضجعى غانيتين يلعبان فى الترب

فغادرا من بدد الحلى كجمر ملتهب

و بلده مثل شنان فارغ لما يجب

كأنها صدر سلا من بعد ما كان أحب

و جاء سعد ذابح و بلع على العقب

كان ذا قوس و ذا سهم عن القوس ذهب

و ذو السعود ثابت عن ذابح إذا غرب

و بعد ذو أخيه خنس قصيرات الطنب

كجؤجؤ البطه مع منقارها إذا انتصب

و أسفر الفرغان عن أربعه من الشهب

كأنها أركان قصر عزهن قد خرب

و الحوت يطفو فإذا ما طفح الفجر رسب

و الشرطان الصولجان عند لعاب درب

ثم البطين بعده مثل أثافي اللهب

كأنما الحادي له في صحه التقدير أب

تجزعها مجره من قطب إلى قطب

كأنها جسر على دجله مبيض الخشب

أعطيت ريعان الصبا من المجون ما أحب

ثم رجعت سائلا لذى المعالى و الحجب

لمن يجيب من دعا فضلا و يعطى من طلب

إذا استنيل لم يهب من الكثير ما يهب

سأله مغفره لما اجتنت في الحقب

و كنت جهدى شر عبد فليكن لى خير رب

و قال:

رأت الغزاله فى السماء غزاله فى الأرض يبهر حسنها الألبابا

فاستحسنتها فى النقاب و قد بدت وقتا فصيرت الكسوف نقابا

و قال:

و طنبور مليح الشكل يحكى بنغمته الفصيحه عندلينا

روى لما ذوى نغما فصاحا حواها فى تقلبه قضيبا

كذا من عاشر العلماء طفلا يكون إذا نشأ شيخا أديبا

و قال:

تمنع أن رأى زغبا بعارضه قد التهبها

و تاه على أن أبدت عقارب صدغه ذنبا

و قدر أنه سبب يقطع بيننا النسبا

و لا و الله لا آلو لحق عنده طلبا

و لا خلّيت في كفيه قلبا طال ما انتهبها

أما عيناه اللتان أباحتا الربيا

و قال في نهر قويق، قال ابن العديم: قرأتها في ديوان شعره:

أما قويق فلا عدته مزنه من خدرها برز الغمام الصيب

نهر لأبناء الصبابه معشوق فيه و للصادى الملوّح مشرب

لا زال يدرم تحت و سق مكلل عمم يقدح منكبيه و ينكب

مما تمناه الربيع لريه أيام ظمء رياضه لا تقرب

فرد الرباب يقول شائم برقه من أين رفع ذا الغريق المهذب

و الغيث في كلل السحاب كأنه ملك بقاصيه الرواق محجب

صخب الرعود و إنما هي ألسن فأمرهن اللوذعى المسهب

راعى الضحى في حين غره آمنه فسناه مخطوف الاضاءه أكهب

جدلان إن هتك اللثام بدا له خد بجادى البوارق مذهب

و الأرض حاسره تود لو آنها مما يحبره الربيع تجلب

و قال:

و لما احتوى بدر الدجى صحن خده تحير حتى ما درى أين يذهب

تبلبل لما أن توسط خده و ما زال من بدر الدجى يتعجب

كان انعطاف الصدغ لام أمالها أديب يجيد الخط أيان يكتب

و قال:

دنف بحمص و بالعراق طبيبه يضنيه عنه بعاده و يذيه

(٢) ما ناله إلا الذى هو أهله إذ غاب عن بلد و فيه حيبه

لزم السهاد تحيرا و تلددا و تأسفا إذ أوبقته ذنوبه

زعم الفراق دعا به فأجابه و نعم دعاه فلم أراد يجيبه

(٣) و قال:

الدهر سهل و صعب و العيش مر و عذب

فاكسب بمالك حمدا فليس كالحمد كسب

و ما يدوم سرور فاختم و طينك رطب

(٤) و قال:

ساعرض كل منزله تعرض دونها العطب

فان أسلم رجعت و قد ظفرت و أنجح الطلب

و إن أعطب فلا عجب لكل منيه سبب

و قال:

و لما دعوت الكأس تونس و حشتى لبعذك زادتني اشتياقا إلى القرب).

ص: ٧٤

٢- الشريشي: دنف بمصر... طول بعاده.

٣- الشريشي: فلا أراه.

٤- ابن عساكر: و طبيك، ياقوت و ابن عساكر: فاغنم و قلبك (ابن عساكر: و طبيك).

و مالت باعطافى لها أريحيه فقربك أحلى من جناها إلى القلب
فأنت مزاج العيش إن كان صافيا و أنت المعير الصفو فى كدر الشرب
و قال:

يا من غدا جبل الجودى يحجبه ليس التذكر عن قلبى بمحجوب
علمتنى الحزم لكن بعد موجه إن المصائب أثمان التجارب
و قال يتشوق إلى حلب:

يا صاحبى إذا أعياكما سقى فلقيانى نسيم الريح من حلب
من الديار التى كان الصبا وطرى فيها و كان الهوى العذرى من أربى
و قال فى حسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح:

أما و قد خيمت وسط الغاب فليقسون على الزمان عتابى
يترنم الفولاذ دون مخيمى و تزعزع الخرصان دون قبابى
و إذا بنيت على الثنيه خيمه شدت إلى كسر القنا أطنابى
و تقوم دونى فتيه من طيئ لم تلتبس أثوابهم بالعباب
يتناثرون على الصريح كأنهم يدعون نحو غنائم و نهاب
من كل أهرت يرتضى حملاقه بالجمر يوم تسايف و ضراب
يهديههم حسان يحمل بزه جرداء تعليه جناح عقاب
يجرى الحياء على أسره وجهه جرى الفرند بصارم قضاب
كرم يشق على التلاد و عزمه يغتال بادرها الهزبر الضابى
و لقد نظرت إليك يا ابن مفرج فى منظر ملء الزمان عجاب
و الموت ملتف الذوائب بالقنا و الحرب سافره بغير نقاب

فرأيت وجهك مثل سيفك ضاحكا و الذعر يلبس أوجها بتراب
و رأيت بيتك للضيوف ممهدا فسح الظلال مرفع الأبواب
يا طيئ الخيرات بين خلالكم أ من الشريد و همه الطلاب
سمكت خيامكم باسمه الربى مرفوعه للطارق المنتاب
و تدل ضيفكم عليكم أنور شبت باجدال قهرن صعب
متبرجات باليفاع و بعضهم بالجزع يكفر ضوءه بحجاب
كلاؤتكم ممن يعادى هيبه أغنتكم عن رقبه و جناب
فيسير جيشكم بغير طليعه و يبيت حيكم بغير كلاب
تتهيبون و ليس فيكم هائب و توثبون على الردى الوثاب
و لكم إذا اختصم الشيخ لباقه بالطعن فوق لباقه الكتاب
فالرمح ما لم ترسلوه أخطل و السيف ما لم تعملوه ناب
يا معن قد أقررتم عين العلا بى مذ وصلت بحبلكم أسبابى
جاورتكم فملاؤتم عيني الكرى و جوانحى بغرائب الإطراب
من بعد ذعر كان أحفز أضلعي حتى لضاق به على إهابى
و وجدت جار أبى الندى متحكما حكم العزيز على الذليل الكابى
فليهنه ممن على متنزه لسوى مواهب ذى المعارج أبى
قد كان من حكم الصنائع شامسا فاقتاده بصنيعه من عاب
فلأنظمن له عقود محامد تبقى جواهرها على الأحقاب
لا جاد غيركم الربيع و لا مرت غزر اللقاح لغيركم بحلاب
أنا ذاكر الرجل المندد ذكره كالطود حلى جیده بشهاب

و لقد رجوت و لليالى دوله أنى أجازيكم بخير ثواب

و قال و قد لسبت العقرب جاريه كان يهواها:

كم تستحم العين فيك بمائها حتى كان بها جنون المذهب

إن كان نالك مؤلم من عقرب فالبدر ممتحن ببرج العقرب

و قال:

كتب المشيب سجل أمن للعيون و للرقيب

فليعرفن به الأحبه حسن عهدك بالمغيب

أفليس أول وصله من يوم هجران الحبيب

يا ويح مسكه عارض خضبت بكافور المشيب

و أحال برد مزاجه نار الصبا بعد اللهيب

و قال فى المروحه:

ما فيك من دفع كرب عن هائم القلب صب

فمنك روحه روحى فمن يروح قلبى

و قال فى كسوف الشمس:

قالوا كسوف الشمس مقرب قلت ادخرت لدفع نائبها

ثقتى بكاسفها و كاشفها و بفضل ماحيها و كاسبها

من لو يشاء أعاد مشرقها متبسما لك من مغاربها

هى شعله من نوره فإذا ما شاء أظلم أو أضاء بها

و قال:

حبيب ملكت الصبر بعد فراقه على أننى علقته و ألفتة

محا حسن ياسى شخصه من تذكري (١) فلو أننى لاقيته ما عرفته

و قال:

رغبت فى مله عيسى و ما يخيب من يرغب فى ملته

رغبنى فى دينه شادن رأيته يخطر من بيعته

صنع حكيم ما أرى أنه يسلط النار على حكمته

إن كان ذا من ساكنى ناره فناره أطيب من جنته

و قال فى غلام حلق شعره:

حلقوا شعره ليكسوه قبحا غيره منهم عليه و شحا

كان صباحا عليه ليل بهيم (٢) فمحووا ليله و أبقوه صباحا

و قال:

لو لم أسمعك الوصل إلا لأنه أمين على سر المحب شحيح

يسر قلوب العاشقين فلا ترى عليهم أمارات الفراق تلوح

و لم أر مثل الهجر للسر هاتكا يعلم جفن العين كيف ينوح

و قال فى إلفه أيضا يرثيه، و قد كتب إليه قبل وفاته رقعته يستودعه فيها العهد و أنفذ معها إزارا كان كثير الالتحاف به:

تركت بشط النيل لى سكتنا فردا حبست عليه الدمع أن يطأ الخدا

غزال طواه الموت من بعد هجره أطعنا فلا كنا بها الأسد الورداء.

ص: ٧٥

١- الذخير و التتمه: من تفكرى.

٢- الروضات و الكناش: كان قبل الحلاق (الجلأ) ليلا و صباحا.

فسقيا لمهجور الفناء كأننى أعد له ذنبا و أطوى له حقدا
أسميه من فرط الصبا به مضجعا و لو طاوعت نفسى لسميته لحددا
و آخر عهدى من حبيبي أنه مضى يحسب الاعراض عن هجره قصدا
و زودنى يوم الحمام صحيفه و ثنى شعار لا جديدا و لا جردا
أداوى به تخفاق قلبى كأننى أضم إليه صاحب البرد لا البردا
و قد كنت بالتقيل أمحو رقاعه فصرت بماء الدمع أغسلها وجدا
عدمت فؤادى كم أرجى انصداعه و يبقى على غدر الزمان صفا جلدا
بكيث دفينا ليته كان باكيا على فقاسى دونى الثكل و الفقدا
مضى و التقى و النسك حشو ثيابه و رحل عنها الحسن و الظرف و الحمدا
حرام على أيدي الحرام ممنع و إن كان أندى الحب يشعله و قددا
فيا ليت شعرى عنك و الترب بيننا و ذاك و إن قربته نازح جدا
منحت الثرى تلك المحاسن أم ترى غصبت عليها أم سمحت بها عمدا
أبحت الرضاب العذب بعد تمنع و أبرزت ذاك الجيد و الفاحم الجعدا
طوت بعدك الدنيا رداء جمالها فلا روضها يجلى و لا تربها يندى
و قال:

حبيب سرى يستقبل الليل وحده و يسبق آرام الصريم و أسده
فلا الأنس من أمثاله الأدم عاقه و لا الذعر من أعدائه الغلب صده
يخوض إلى الليل ما بل عطفه و يفرج غيل الدوح ما حل عقده
و قد طلعت فى الرأس منى رايه ثكلت بها هزل النعيم وجده
كلوح مشيب لو يكون تبسما كما زعموا ما إن بكى القلب عنده

و ما زهرات الشيب فيه ظوالم كذا العشب ياتي يانع الزهر بعده
أخذت من الدهر التجاريب جمله و قبل أشدى ما بلغت أشده
و قال يرثى الشريف الرضى من قصيده أولها

" رزء أغار به النعى و أنجدا "

أذكرتنا يا ابن النبى محمديوما طوى عنا أباك محمدا
و لقد عرفت الدهر قبلك ساليا إلا عليك فما أطاق تجلدا
ما زلت نصل الدهر تأكل غمدهحتى رأيتك فى حشاه مغمدا
و قال فى المشوره:

لا تشاور من ليس يصفيك ودا إنه غير سالك بك قصدا
و استشر فى الأمور كل لبيب ليس يألوك فى النصيحة جهدا
و قال فى غلام تركى وسيم:

غزال لم ألبس قبله التبريح و الكمدا
أظن عراه جانیه لعشقى مولدا رصدا
و قال:

أطعت العلى فى هجر ليلى و إننى لأضمـر فيها مثل ما يضمـر الزند
صريمه عزم لم يكن من رجالها سوى من العشاق قبل و لا بعد
رأيت فراق النفس أهون ضيره على من الفعل الذى يكره المجد
و قال(١):

مرض بقلبك لا يعاد و قتيل حب ما يقاد
يا آخر العشاق ما أبصرت أولها يقاد

يقضى المتيّم منهم نجبا و لو ردوا لعادوا
ملكوا النفوس فهل لها من بعدها ما يستعاد
ما خلت غزلان اللوى كظباء مكه لا تصاد
بالعدل يوقد لوعتى و بقدحه يورى الزناد
لم يستطع إطفاءها دمع كما انخرق المزاد
لا أشكون جرحى فللعذال ألسنه حداد
طمع و أنت برامه فى من تضمنه النجاد
و الحى قد هبطت خيامهم و قعقت العماد
و الورد من زهر الخدود كاماه الكلل الورد
لو يسمعون بوقعه أتت المطايا و الجياد
و لأجلها غبط الغبيط حجاب قلبى و السواد
تعفو المنازل إن ناوا عنها و تغبر البلاد
و الحى أولى بالبلى شوقا إذا بلى الجماد
أو ما رأّت قلبى قريش و هو للجلى عماد
و له المعانى (و المبانى) و الكلام المستفاد
فكأنه قس و هاشم حول منطقه إباد
يا مصعبا جرته فى أرسائها اللمم الجواد
و لمن رضاب النحل يشهد أن ريقته شهاد
قد كان قبلك فى سبيل الحب لى أبدا جهاد
حتى عفا ذاك الغرام و غايه النار الرماد

فإذا رأيت الكون فاعلم أن سيتبعه فساد

و أعجب لقوم فى الزمان على السفاهه كيف سادوا

لا عندهم كلم يعز و لا نضار يستفاد

أستغفر الله العلى لقد تذأبت النقاد

و قال و قد لجا إلى مشهد الحسين بن على (ع):

تحصنت من كيد العدو و آله بمجنبه من حب آل محمد

و دون يد الجبار من أن تنالنى جواشن أمن صنتها بالتهجد

ألح على مولى كريم كأنما بياكر منى بالغريم اليلند

(٢) أ يسلمنى من بعد من أنا جاره و قد علقت إحدى حباله يدى

و قال:

لو خطر ف الشيب عقدا كنت أعذره لكنما سهوه بالضعف فى العدد

أعطى الثلاثين فى ريعان شرتها ما لابن ستين من شيب و من كمد

و قال:

ما للمطيع هواه من الملام ملاذ

فاختر لنفسك إما عرض و إما التذاذ

و قال مفتخرا:

فيا أمتا(٣) إن غالنى غائل الردى فلا تجزعى بل أحسنى بعدى الصبرا

فما مت حتى شيد المجد و العلا فعالى و استوفت مناقبى الفخراا.

ص: ٧٦

١- هى فى سبعة و ثلاثين بيتا، و لكنى لم أستطع قراءه أبيات كثيره منها.

٢- اليندد: الشديد الخصومه.

٣- الوافى: أيا أمتا.

و حتى شفيت النفس من كل حاسد و أبقيت في أعقاب أولادك الذكر

و قال:

تأمل من أهواه صفره خاتمي فقال بلطف: لم تجنبت أحمره

(١) فقلت لعمري كان أحمر لونه و لكن سقامي حل فيه فغيره

(٢) و قال:

خاف المشيب تعبى فجاره طل الهموم و عز ذاك مجيرا

فمضى الشباب مظلما متعسفا و أتى المشيب مجاملا معذورا

و قال:

يا رب ظبي قد طرقت وساده في الليل سرا

ففششت قفلا من عقيق أحمر و سرقت درا

و قال لما تغيرت عليه الوزاره و تغرب، و كان معه غلام اسمه داهر:

كفى حزنا أنى مقيم ببلده يعلننى بعد الأحبه داهر

يحدثنى مما يجمع عقله أحاديث منها مستقيم و جائر

و قال:

من بعد ملكى رمتم أن تغدروا ما بعد فرقه بائعين تخير

(٣) ردوا الفؤاد كما عهدتم للحشا و لطرفى الساهى الكرى ثم اهجروا

(٤)

و زعمتم أن الليالى غيرت عهد الهوى لا كان من يتغير

و قال:

قمر ببغداد وقفت له فرجعت عنه و مذهبي الجبر

قالوا ضللت فقلت ويحكم أ يضل سار قاده البدر

و قال:

و غردت فى الأيكة قمرية نواحه أقلقها الفجر

تقول ستي أنت قومي ارقدى من لى بان يمثّل الأمر

كأنها قد حذرت فهى لا تأمن (من) أن يرجع الحذر

و قال:(٥)

أقول لها و العيس تحدج للسرى أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر

سانفق ريعان الشيبه أنفا على طلب العلياء أو طلب الأجر

أليس من الخسران(٦) أن لياليا تمر بلا نفع و تحسب من عمرى

و قال يصف الشمعه:

و صفر كاطراف العوالى قدودها قيام على أعلى كراس من التبر

تلبسن من شمس الأصيل غلائلا و أشرقن فى الظلماء فى الخلع الصفر

عرائس يجلوها الدجى لمماتها و تحيا إذا أذرت دموعا من الجمر

إذا ضربت أعناقها فى رضى الدجى أعارته من أنوارها خلع الفجر

و تبكى على أجسامها بجسومها فادمعها أجسامها أبدا تجرى

عليها ضياء عامل فى حياتها كما تعمل الأيام فى قصر العمر

و اعتل إلفه بعد هجره بينهما و مات فقال يرثيه:

لقد بؤت من دين المروءه بالكفر و أصبحت أغشى صفحة الغدر بالغدر

عصيت الهوى العذرى فى هجر شادن أضعت بهجرانى له فرصه الدهر

نمى فى حجور الملك ثم ملكته بظل شباب حازه لى و ما أدرى

فقد فتكى فى هواه إنا به إلى الله خلت دمه و اكفا يجرى
يهون عليه أن تساعفه المنى و أرجم يوم البعث فى لهب الجمر
و ما زال هجرانيه حتى تركته حديثا برغمى مودعا أضلع القبر
لقد كاد ذاك القبر يوم أزوره يعلق ثوبى شاكيا ألم الهجر
بنفسى من خوفى من الإثم قادنى إلى الإثم فاستوفيت من قتله وزرى
مضى و التقى و الحسن حشو ثيابه و أورثنى منه الأسى آخر العمر
و قال فى طول الليل:

عهدى به و رداء الوصل يجمعنا و الليل أطوله كاللمح بالبصر

(٧)

فالآن ليلي مذ غابوا فديتهم ليل الضرير و صبحى غير منتظر

و قال:

أستار بيتك أمن الخوف منك و قد علقته مستجيرا منك يا بارى

و ما أظنك لما أن علقته بها خوفا من النار تدنينى من النار

و ها أنا جار بيت أنت قلت لنا حجوا إليه و قد أوصيت بالجار

و قال:

إذا ما الفتى ضاقت عليه بلاده و أيقن أن الأرض واسعة القطر

و دام على ضيق المعيشه صابرا على الذل و الحال الدنيه و الفقر

و لم يجترم للنفس عزا يصونها فلا فرق بين العبد و الرجل الحر

و قال:

الله يعلم ما إثم هممت به إلا و بغضه (٨) خوفى من النار

- ١- البغيه و ابن عساكر: فقال حبيبي.
- ٢- البغيه و ابن عساكر: فقلت له من أحمر كان لونه. البغيه: و لكن غرامى.
- ٣- ياقوت و ابن عساكر: فرقه ما ملكت. و الإشاره إلى الحديث: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا.
- ٤- البغيه و المرآه: ردوا الهدو (الفؤاد) كما عهدت إلى الحشا، و المقلتين إلى الكرى، ابن عساكر: و المقلتين إلى الكرى.
- ٥- روايه الذخيره: و محجوبه فى الخدر عن كل ناظرو لو برزت بالليل ما ضل من يسرى أقول لها..... سانفق ريعان.... أ ليس من الخسران.... و أنا لفى الدنيا كواكب لجه نظن قعودا و الزمان بنا يجرى.
- ٦- الشريشى: الحرمان.
- ٧- قال ابن العديم: قرأت فى بعض الفوائد أن الوزير أبا القاسم الحسين بن على بن المغربى أرق ذات ليله أرقا شديدا فكان لا يزداد إلا قلقا، و لا يزداد الليل إلا طولا، فقال لبعض ندمائه: أى شىء تعرف من الشعر فى طول الليل و السهر و القلق؟ فقال: قول بشار بن برد: جفت عينى عن التغميض حتى كان جفونها عنها قصار أقول و ليلتى تزداد طولاً أما لليل عندكم نهار فقال صدقت و أحسنت ثم قال على البديه: "عهدى به.. إلخ" و ورد البيتان فى ديوان المعانى ١: ٣٤٨ و الذخيره ٣: ٦٩٦ و سرور النفس: ٢٣ (دون نسبه) و فى حله الكميته: ٣٠٤ لسيدوك الواسطى و فى لطائف اللطف: ١٢٨ لكشاجم، و انظر من غاب عنه المطرب: ٥٤-٥٥ و رساله الطيف: ١١٢، ١٥٨.
- ٨- الشريشى: إلا و نغصه.
- ٩- الشريشى: همت... غائب.

و قال يتعصب للأنصار على المهاجرين، قال ابن أبي الحديد:

"و قد أوردت هاهنا بعضها، لأنى لم أستجز و لم أستحل إيرادها على وجهها:

نحن الذين بنا استجار فلم يضع فينا، و أصبح فى أعز جوار

بسيوفنا أمست سخينه بركا فى بدرها كنعائر الجزار

و لنحن فى أحد سمحنا دونه بنفوسنا للموت خوف العار

فنجنا بمهجته، فلو لا ذبنا عنه تنشب فى مخالبا ضار

و حميه السعدين بل بحمايه السدين يوم الجحفل الجرار

فى الخندق المشهور إذ ألقى بها بيد، و رام دفاعها بثمار

قالا: معاذ الله إن هضمه لم نعطيها فى سالف الأعصار

ما عندنا إلا السيوف، و أقبلا نحو الحتوف بها بدار بدار

و لنا بيوم حنين آثار متى تذكر فهن كرائم الآثار

لما تصدع جمعه فغدا بنا مستصرخا بعقيره و جوار

عطفت عليه كماتنا، فتحصنت منا جموع هوازن بفرار

و فده من أبناء قبيله عصبه شروى النقيرو جنبه البقار

ما الأمر إلا أمرنا و بسعدنا زفت عروس الملك غير نوار

لكنما حسد النفوس و شحها و تذكر الأذحال و الأوتار

أفضى إلى هرج و مرج فانبرت عشواء خابطه بغير نهار

ثم ارتدى المحروم فضل رداها فعلت مراجل إحنه و نفار

فتاكت تلك الجدى، و تلمظت تلك الظبا، و رقى أجيح النار

تالله لو ألقوا إليه زمامها لمشى بهم سجحا بغير عثار

و لو انها حلت بساحه مجده بادی بدا سكنت بدار قرار

هو كالنبي فضيله، لكن ذا من حظه كاس، و هذا عار

و الفضل ليس بنافع أربابه إلا بمسعده من الأقدار

ثم امتطها عبد شمس فاغتدت هزءوا، و بدل ربحها بخسار

و تنقلت فى عصبه أمويه ليسوا باطهار و لا أبرار

ما بين مافون إلى متزندق و مداهن و مضاعف و حمار

و قال:

كن حاقدا ما دمت لست بقادر فإذا قدرت فخل حقدك و اغفر

و اعذر أخاك إذا أساء فربما لجت إساءته إذا لم تعذر

و قال:

سيان عندي ميت فى قبره يجنى عليه و نائم فى سكره

و قال:

قلبي أسير فى يدي مقله ضيقه ضاق لها صبرى

كأنها فى ضيقها عروه ليس لها زر سوى السحر

و قال:

ما لى أرى قلبى تنازعه و طنأى من حلب و من مصر

لا عيش إلا كور ناجيه لا ظل غير ذوائب السمير

و قال فى الشيب:

عجبت هند من تسرع شيبى قلت هذا عقبى فطام السرور

عوضتنى يد الثلاثين من مسك عذارى رشا من الكافور

كان لى فى انتظار شيبى حساب غالطتنى فىه صروف الدهور

و قال فى غلام مجوسى:

صادنى ظبى مجوسى بطرف و احوراره

وجهه قبله بيتى و فؤادى بيت ناره

و قال:

يا رب خصم قد تركت ذمائه و كأنما شقت له أرماسه

من بعد ما قد كان يطفح قوله بددا و ينغص فى المقادم رأسه

بجدال ذى غرب ألد كأنما يذكى بشعله قوله نبراسه

فى موقف كالحرب تهتضم الفتى فيه جبانته و ينفع بأسه

و قال:

يوم الكسوف جلا على بصرى قمرا أحرار الجن و الإنسا

قامت فأرخت من ذوائبها و تجللت من شعرها لبسا

فسألتها لم قد لبست دجى قالت أساعد أختى الشمسا

و قال:

لمثل ذا اليوم يا معذبتى كانت ترجيك أختك الشمس

قومى اخلفيها فى ذا الكسوف ففى وجهك إن أوحشت (لها أنس)

و غالطى حاسب النجوم فان لحت و غابت أصابه لبس

و قال مفتخرا:

قارعت الأيام منى امرأ قد أعلق المجد بامراسه

(1) تستنزل النجده من رأيه و يستدر العز من بأسه

أروع لا ينحط عن تيهه و السيف مسلول على رأسه

(٣) و قال فى غلام ملاح:

و مصعد سفنه قلبى و منحدر بالماء و الريح من دمعى و أنفاسى

إذا انحنى حث قلبى نحوه طربا أو مد مد إليه أعين الناس

وافت ملاحظته فيها ملاحظته فافتن الناس فى قلس و مقلاس

لأشكون إلى سكانه و إلى خنيه إن خان عهدى قلبه القاسى

و قال:

و ما ظييه أدماء تحنو على طلا ترى الإنس وحشا و هى تأنس بالوحش

غدت فارتعت ثم انثت لرضاعه فلم تلق (٤) شيئا من قوائمه الحمش

فظافت بذاك القاع ولهى فصادفت سباع الفلا ينهشنه أيما نهش

بأوجع منى يوم ظلت أنامل تودعنى بالدر من شبك النقش

و أجمالهم تحدى و قد خيل الهوى كان مطاياهم على ناظرى تمشى

و أعجب ما فى الأمر أن عشت بعدهم على أنهم ما خلفوا فى من بطش

(٥)ى.

ص: ٧٨

١- الذخيره: تمرست منى العلا بامرئ، الذخيره و المعاهد: قد علق المجد.

٢- الدميه و المعاهد و الوافى: يستنزل الرزق باقدمه، الذخيره: يستنجد النجده من رأيه، و يستقل الكثر.

٣- الذخيره: لا يرجع، هامش أدب الخواص: عن كبره.

٤- ابن الأثير و بغيه الطلب: تلف.

٥- جاء فى مرآه الزمان بعد هذه الأبيات: أيا وطنى إن فاتنى بك فائتمن الدهر فلينعم لساكنك البال فان أستطع فى الحشر آتتك زائرا و هيهات لى يوم القيامه أشغال و قد نسبا له سهوا، و هما لأبى العلاء المعرى.

و قال:

خف الله و استدفع سطاها و سخطه و سائله فيما تسأل الله تعطه

فما تقبض الأيام فى نيل حاجه بنان فتى أبدى إلى الله بسطه

و كن بالذى قد خط باللوح راضيا فلا مهرب مما قضاه و خطه

و إن مع الرزق اشتراط التماسه و قد يتعدى إن تعديت شرطه

و لو شاء ألقى فى فم الطير قوته و لكنه أوحى إلى الطير لقطه

إذا ما احتملت العبء فانظر قبيل أن تنوء به ألا تروم محطه

و أفضل أخلاق الفتى العلم و الحجى إذا ما صروف الدهر أخلقن مرطه (١).

فما رفع الدهر امرأ عن محله بغير التقى و العلم إلا و حطه

و قال:

نم عن معاده الرجال فإنها حسك المضاجع

و إذا أذيت فحام عند الضيم مجتهدا و مانع

و قال:

و لقد يميل بناظرى عن مسجد غصن من الرمان أكمل ينعه

متبرج نهدها يكتم حسنه خفرا فطبعهما يخالف طبعه

أبدا يشق صداره بنهوده و لو أننى صيرت درعى درعه

و قال:

أرى الناس فى الدنيا كراع تنكرت مراعيه حتى ليس فيهن مرتع

فماء بلا مرعى و مرعى بغير ما و حيث ترى ماء و مرعى فمسيح

و قال:

و لو سلوت لنفسى عن طلاب غنى لما سلوت لأتباعى و أشياعى

من كل سام بعينه يؤملنى تأميل ضرار أعداء و نفاع

و لو جنيت لأعوانى سلامتهم حتى يرانى رحبا بالندى باعى

و قال فى بابلا:

حن قلبى إلى معالم بابلا حنين الموله المشغوف

مطلب اللهو و الهوى و كناس الخرد العين و الظباء الهيف

حيث شطا قويق مسرح طرفى و الأسامى مؤانسى و أليفى

ليس من لم يسلم حنينا إلى الأوطان إن شئت النوى بطريف

ذاك من شيمه الكرام و من عهد الوفاء المحبب الموصوف

و قال(٢):

تبدل من مرقعه و نسك بأنواع الممسك و الشفوف

و عن له غزال ليس يحوى هواه و لا رضاه بلبس صوف

(٣)

فعاد أشد ما كان انتهاكا كذاك الدهر مختلف الصروف

و قال:

كان قلبى إذا عن ادكار كم ظل اللواء عليه الريح تخترق

و قال:

غزال حبه للصبر غرب و لكن وجهه للحسن شرق

رددت و قد تبسم عنه طرفى و قلت له ترى لى فيك رزق

سارجو الوصل لا أنى جدير و لا قدرى لقدرك فيه وفق

و لكن لست أول من تمنى من الدنيا الذى لا يستحق

و قال و قد اجتاز بهيت و زار قبر عبد الله بن المبارك:

مررت بقبر ابن المبارك زائرا فإوسعنى وعظا و ليس بناطق

و قد كنت بالعلم الذى فى جوانحي غنيا و بالشيب الذى فى مفارقي

و لكن أرى الذكرى تنبه عبره إذا هى جاءت من رجال الحقائق

و كتب إلى إلف له كانت بينه و بينه محالفه على مذهب التصوف:

يا من لقلب هائم لم يستطع ذكر اسم من يهواه من إشفاقه

و لعاشق غلبت عليه خجله فكأنه المعشوق فى إطراقه

ينهى عن البث المريح لسانه فيموت مطويا على أشواقه

سمع الغناء فرد سيل دموعه من بعد ما ذابت على آماقه

عبث من الأشواق لو هزت به أعطاف غصن سل من أوراقه

كتم الهوى من بعد ما نمت به ريا كنشر الروض من أخلاقه

و لدى الهوى العذرى طيب شمائل ما مثلها يخفى على ذواقه

و أرى اللقاء مع الحياء مقابلا منى و منه مثل بعد فراقه

أو يجمع الشوق المبرح طالبا ما بين مركز دملجيه و ساقه

و قال(٤):

قطعت الأرض فى شهرى ربيع إلى مصر و عدت إلى العراق

فقال لى الحبيب و قد رآنى سبوقا للمضمرة العتاق

ركبت على البراق فقلت كلا و لكنى ركبت على اشتياقي

و قال:

ويح روحى من ذا يدل عليها مهجتي يوم روعت بالفراق

فاطلبوها بحيث كنا افترقنا فلعلى نسيتهما فى العناق

وقال(٥):

الله يعلم أننى ألتذ فيكم باشتياقى

و أكاد من أنس التذكر لا أذم يد الفراق

و أغض طرفى بعد ما ملأته غزلان العراق

و أفر من خجل العتاب إلى مغالطه العناق

وقال:

طيف أ لم ثنى عظيم النسك و جلا صواب الحب بعد تشكك

أكرم به يجفو و حشو و سائدى و رد و يعطف إذ وسادى موركى

عجبت أنيسه بيتنا إذ أبصرت طغيان جود للثناء مملك

قالت فهبك بمصر كنت مغازلا وجهها من الدنيا أنيق المضحكى.

ص: ٧٩

١- ابن عساكر: أنهجن

٢- قال الشريشى: و كان أبو القاسم قد نسك زمانا و لبس الصوف و ترهب و حج، فعشق غلاما تركيا و هام به، و تقلد الوزاره ببغداد و غيرها، و انتهى فى الجاه إلى الغايه، و تملك الأحرار، و اشترى الغلام التركى فقال: تبدل... الأبيات.

٣- المسبحى: رضاه و لا هواه.

٤- ورد قبل الأبيات الثلاثه فى طبعه التوبجى من الدميه (١:١١٨) بيت هو: ألا حيت يا يوم التلاقيو لا حيت يا يوم الفراق.

٥- ارتجلها عند ما أنشده صاحب البدائع قول شداد بن إبراهيم المعروف بالظاهر: يا منكرا شغفى بهو مكذبا طول اشتياقى.

فالآن قد أصبحت جار أباعر حدبا شوائلها خفاف المبرك
قلت اربعى فضمين رزقى واحد فى يوم إقتار و يوم تملك
فلهامتى بالأريحيه سكره تهتز بى فى ثروره و تصعلك
و قال:

أوحى لوجنته العذار فما أبقى على ورعى و لا نسكى
و كان نملا قد دببن بها غمست أكارعهن فى مسك
و قال:

يا أهل مصر قد عاد ناسككم بالكرخ بعد التقى إلى الفتك
جمش قلبى مقرطق غنج بدا لقلبى فيه من النسك
رمى فؤادى بسهم مقلته و كيف يخطى مولد الترك

و من أحسن ما وقع إلى فى وصفها (أى المعره) أبيات قالها الوزير أبو القاسم الحسين بن على بن الحسين بن المغربى:

ما على ساكنى المعره لو أن ديارا نبت بهم أو طولوا
يسكنون العلا معاقل شما و يرون الآداب ظلا ظليلا
منزل شاقنى أنيس و ما كان رسوما نواحلا و طولوا
حيث يدعى النسيم فظا و يلفى سبل الغاديات شكسا بخيلا
أينما تلتفت تجد ظل طوبى و تجد كوثرأ أغر صقيلا
تربها طيب الشباب فما يصحب إلا السرور فيها خليلا
فترى اللهو إن أردت طليقا و التقى إن أردته مغلولا
و إذا ما اعتزى بها الأدب العذرى جاءوا عماره و قبيلا
ليت لا يعنف السحاب عليها ليته جادها عليلا كليلا

و سلام على بنيتها و لا زال نعيم الحياه فيهم نزيلا

و قال فى الامام على (ع):

أيا غامضين المزايا الجليله من المرتضى و السجايا الجميله

و يا غامضين عن الواضحات كان العيون لديها كليله

إذا كان لا يعرف الفاضلين إلا شبيههم فى الفضيله

فمن أين للأمه الاختيار عفا لعقولكم المستحيله

عرفنا عليا بطيب النجار و فصل الخطاب و حسن المخيله

تطلع كالشمس رآد الضحى بفضل عميم و أيد جزيله

فكان المقدم بعد النبى على كل نفس بكل قبيله

و قال:

يا ابن الذى بلسانه و بيانه هدى الأنام و نزل التنزيل

عن فضله نطق الكتاب و بشرت بقدومه التوراه و الإنجيل

لو لا انقطاع الوحى بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل

هو مثله فى الفضل إلا أنه لم يأت به برساله جبريل

و قال:

بعدوا فلا مستخبر عن حالهم غيرى و لا مستخبر مسؤل

لم يبق غير العذل من أسبابهم فأحب من يدنو إلى عدول

الليل عندى و النهار كادهم لا غره فيه و لا تحجيل

و قال:

ترنم جارى و المدام تهزه ترنم قمرى بفرعه ضال

فجاوبته من زفرتى بمغرد و ناوبته من أدمعى بسجال
و قلت له يا جار هل أنت آمن تفرق أحباب و حرب ليال
يهيج لى الذكري هزاجك كلما هزجت فيشقى فى نعيمك بالى
لئن جمعت بينى و بينك حلتي لقد فرقت بينى و بينك حالى
تذكرت دار الحى إذ أنا باسط ظلالى و مجموع لدى رجالى
و إذ أنا بين الناس منزع آمل لبث نوال أو بناء معالى
لعمري لقد أسهلت فى الأرض بعد ما تزحزح عن ريب الزمان جبالى
و قال:

أدر كاس المدام فان قلبى أتيح له عن التقوى ارتحال

حللت ببابل و أردت ألا أهيم بسحرهم، هذا محال

(1) و له من قصيده فى حسان بن مفرج الطائى:

فانى أتيت ابن الكريم مفرج فأطلق من أسر الهموم عقالى

و قال:

و اعتسف الخصم الألد بمنطقى فيبلغ ما لا يبلغ الحق باطلى

بحيث جفانى الأقربون و كلهم شهيد و أضحى ناصرى مثل خاذلى

لدى ملك يكمى لخصمى نصره و أعياء عليه ختل ثبت مماحل

إذا أنصلت آراؤه سهم حجه تمهل أو يرمى به فى المقاتل

فلا عند إكتاب الرميہ صامت و لا فى ضجاج اللغو أول قائل

و قال مادحا:

حتى إذا ما أراد الله يسعدنى رأيته فرأيت الناس فى رجل

وقال:

كسانى الهجر ثوبا من نحول مسبل الذيل

(٢) و ما يعلم ما أخفى من الدمع سوى ليلى (٣)

وقد أرجف بالبين فان صح فوا ويلى

و أوصى أن يحمل إلى مشهد الحسين بن على (ع) و يدفن تحت رجلي الحسين و أن يكتب عند رأسه هذان البيتان، و هما له:

سقى الإله الأزلى من السحاب الهطل

قبر الحسين بن على عند الحسين بن على

وقال:

و لى جاره لا يلم الكرى باجفانها الدعج فيما يلم

ترد فضول أحاديثها إلى ضحك لم يعوقه هم

و آوى بوجدى إلى زفره تكاد تبل لهاتى بدم

فيا جارتى بعد ما بيننا و ما كان بيتك منى أمم

فأقسم لو فى يدي مهجتى لأعفيتها من مطال الألم

و لكنها فى يدي مالك إليه الشفاء و منه السقم

هو المحسن البر فى ما قضاة و الحاكم العدل فى ما حكم

و إنى و إن حجبتنى الذنوب فمنى السؤال و منه الكرم).

ص: ٨٠

١- المسيحي: و طمعت ألا.

٢- الوافى: كسانى الحب.

٣- المسيحي: و ما يعلم إلا الدمع ما أحببت من ليلى (اقرأ: ما أخفيت فى ليلى).

و قال مادحا:

و يعدل فى شرق البلاد و غربها على أنه للسيف و المال ظالم
و كتب إلى الحاكم يقول - بعد أن قتل الحاكم أباه عليا و عمه محمدا:

و أنت، و حسبى أنت، تعلم أن لى لسانا وراء المجد بينى و يهدم

(١) و ليس حليما من تقبل كفه فيرضى و لكن من تعض فيحلم

(٢) و قال فى سوداء:

يا رب سوداء تيمتنى يحسن فى مثلها الغرام

كالليل تستسهل المعاصى فيه و يستعذب الحرام

و قال فى التوبه:

كنت فى سفره البطاله و الغيبى زمانا فحان منى قدوم

(٣) تبت عن كل مآثم فعسى يمحي بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس و أربعين لقد ما طلت إلا أن الغريم كريم

(٤) و قال يرثى أباه و عمه و أخاه:

تركت على رغمى كراما أعزه بقلبى و إن كانوا بسفح المقطم

أراقوا دماهم ظالمين و قد دروا و ما قتلوا غير العلاء و التكرم

فكم تركوا محراب آى معطلا و كم تركوا من ختمه لم تتمم

و قال فى مقتل أبيه و إخوته:

إذا كنت مشتاقا إلى الطف تائقا إلى كربلاء فانظر عراض المقطم

تجد من رجال المغربى عصابه مضرجه الأوداج تقطر بالدم

(٥) فكم خلفوا محراب آى معطلا و كم تركوا من ختمه لم تتمم

و قال:

و لقد بلوت الدهر أعجم صرفه فأطاع لى عصيانه و ليانه
و وجدت عقل المرء قيمه نفسه و بجده جدواه أو حرمانه
فإذا جفاه المجد عيبت نفسه و إذا جفاه الجد عيب زمانه

و قال:

لى كلما ابتسم النهار تعله بمحدث ما شان قلبى شانه
فإذا الدجى وافى و أقبل جنحه فهناك يدرى الهم أين مكانه

كان بين سليمان بن فهد و بين أبى القاسم المغربى عداوه، و قتل سليمان نفسه فى نكبه و مصادره طلب بها فقال المغربى
يرثيه(٤):

يا ابن الكرام أرى الغمام تمر بى و لها حنين

و لهى فتلتدم الرعود لها و تسود الدجون

أ ترى لها بالموصل الغراء مفقود دفين

قبر جفاه الأقبون و باع خلته القرين

عجبا له ضم البلاغه و هو أخرس ما يبين

نصر المنون و لو يشاء لما تجاسرت المنون

و تحكمت فيه يمين لا يجاريها يمين

لو غير كفك ساورتك لردها كيد زبون

و عزائم يعيا اللبيب بها أعقل أم جنون

و هواجس كانت طلائعها على الغيب الظنون

تبكى عليك و لو تعيش إذن بكت منك العيون

ثم أثارته العداوه فقال:

إيها سليمان بن فهد و الحديث له شجون

أفمالك لك مالك أم أنت موقوف رهين

أم أنت منتظر فأنت لناره نعم الزبون

و قال فى أول ليله فى القبر:

إنى أبثك من حديثى و الحديث له شجون

فارقت موضع مرقدى ليلا ففارقتى السكون

(٧) قل لى فأول ليله فى القبر كيف ترى أكون

(٨) و قال فى قله الأصدقاء:

أنست بوحدتى حتى لو أنى رأيت الإنس لاستوحشت منه

و لم تدع التجارب لى صديقا أميل إليه إلا ملت عنه

و ما ظفرت يدى بصديق صدق أخاف عليه إلا خفت منه

و قال:

لو كنت أعرف فوق الشكر منزله أعلى من الشكر عند الله فى الثمن

إذا منحتكما منى مهذبته حذوا على حذو ما واليت من حسن

و مما وجد بخطه و كان شديد العصبية للأنصار و لقطحان قاطبه على عدنان، و كان ينتمى إلى الأزدي - أزد شنوءه:

إن الذى أرسى دعائم أحمد و علا بدعوته على كيوان

أبناء قبيله وارثوا شرف العلا و عراعر الأقبال من قحطان

بسيوفهم يوم الوغى و أكفهم ضربت مصاعب ملكه بجران

(٩) لولا مصارعهم و صدق قراعهم خرت عروش الدين للأذقان

و قال فى الصديق ذى الوجهين:

أى شىء يكون أقبح مرأى من صديق يكون ذا وجهينك.

ص: ٨١

- ١- البغية (٢٥): أمام المجد.
- ٢- البغية (٢٥): من تبأس يمينه.
- ٣- ياقوت و ابن خلكان و الوافى و الداودى: كنت فى سفره الغوايه و الجهل مقيما، المنتظم: البطاله و الجهل.
- ٤- الذخير و البدايه: بعد سبع، ورام: لولا أن.
- ٥- ياقوت: مضرجه الأوساط و الصدر.
- ٦- قد تقدم الحديث عن سليمان بن فهد و كيف طالبه قرواش بالمال، و فى إحدى الروايات أنه مات تحت الضرب، و فى أخرى أنه هرب إلى نصر الدوله ثم أصلح حاله مع قرواش. و لم يكن فيما أخبرت به الروايات عدوا للوزير أبى القاسم.
- ٧- ابن عساكر و المرآه و المستطرف: غيرت، طراز و ابن عساكر و المرآه و التتمه: فنافرنى السكون، المستطرف: يوما، البغية: موضع موطنى.
- ٨- المستطرف: فى حفرتى أنى أكون.
- ٩- المصعب: الفحل من الجمال يعنى من الركوب، و ضرب البعير بجرانه: برك.

من ورائى يكون مثل عدوى و إذا يلقنى يقبل عيني

و قال:

ديون المكارم لا تقتضى كما تقتضى واجبات الديون
و لكنها فى صدور الكرام تجول مجال القذى فى العيون

و قال:

صلى عليك الله يا من دنا من قاب قوسين مقام النبىه
أخوك قد خولفت فيه كما خولف فى هارون موسى أخيه
هل برسول الله فى أسوه لم يقتد القوم بما سن فيه

و قال فى الخمر:

كاس مدام صدت عنها لله، و النفس تشتهيها
قال على و كان عدلا قد طبخت قلت فاسقنيها
فالآن إذ عذبت قليلا فدت من النار شاريها

و قال:

و كل امرئ يدري مواقع رشده و لكنه أعمى أسير هواه
هوى نفسه يعميه عن قبح عيبه و ينظر عن حذق عيوب سواه

و قال:

و لاعب بالهوى يؤمل أن يظهر لى جفوه و أهواه

قلت لقلبي و قد تتبعه يا قلب إما أنا و إما هو

و له من مرثيه فى صهره الشريف أبى الحسن:

يا ناعى الدين و الدنيا أشد بهما من حيث سال بال الله واديه

هذى معالى قرىش غاض آخرها و مجد هاشم زار الترب باقيه
قل يا ابا حسن و القول ذو سعه لو لا حجاب من الثرياء يثنيه
أ آخر الدهر أم تحيى عواطفه و فيصل البين أم يرجى تلافيه
كلا لقد فات منك الوصل آمله مذ شيد الجدث المأمول بانيه
هنيت ربعا برغم المجد تسكنه تلقى أباك عليا فى مغانيه
إن أخل بعدك بالدنيا أروضها فقد خلا بضمير النبع باريه
هل كنت تعلم إذ عودتنى أبدا حسن التصبر أنى فيك أفنيه
و قال:

عجبا لقلبي و هو نار كيف لا يؤذيك مع طول الإقامه فيه
و له فى دولاب:

عبدك يا عبدون فى نعمه صافيه أذيالها ضافيه
نديمتى جاريه ساقيه و نزهتى ساقيه جاريه
و قال:

صيرنى حبك يا غزال أهل الجابيه
أبا نواس بعد ما كنت أبا العتاهيه
و قال متغزلا:

علمت منطق حاجيه و البين ينشر رايتيه
و عرفت آلات النعيم بقبله فى عارضيه

(١) فكأنه فى الموج قلبى بين أشواق إليه
(٢) و لقد أراه فى الخليج يشقه من جانبيه

(٣) و الماء مثل السيف و هو فرنده فى صفحته

(٤) لا تشربوا من مائه أبدا و لا تردوا عليه

قد ذاب فيه الحسن من حركاته أو مقلتيه

(٥) و السلم أسلم فاحذروا من فتره فى ناظريه

صبغت بياض النيل حمرة وردة فى وجنتيه

(٦) ها قد رضيت من الحياه بنظره منى إليه (٧)

رساله له فى الرد على من تحداه

فى معانى بعض الألفاظ الغريبه

(٨) قال ابن بسام: لما دخل البطيحه و بها أبو القاسم هبه الله بن عيسى (٩) (وزير) مهذب الدوله، و كان من أفاضل أهل وقته، فدخل إلى ابن المغربى رجل يعرف بسليمان بن الربيع، و سلم إليه قصيده قد بنيت على السؤال عن ألفاظ من اللغه على جهه الامتحان لمعرفته، فلما وقف عليها امتعض فى الحال، و أحفظه ما لقى من التعدى و السؤال، و نسب ذلك إلى فعل أبى القاسم وزير مهذب الدوله البطيحي، فكتب عقب الوقوف (١٠) لوقته جوابا أثبت بعض فصوله، لطوله، بعد هذه الأبيات المذكوره:

يا أفضل الأدباء قولا لا تعارضه الشكوك

لا العلم ناء من حجاك إذا نطقت و لا فروك

عرضت مسائل أنت للفتوى بمشاكلها دروك

ما الحى و الحيات أم ما جلبح نضو بروك

أم ما ترى فى برقع رقشاء مجهدا حبيك

أم ما الصرنقح و الزرير و ما الملمعه النهوك

و لك الدرايه و البصيره [البصيره] فى مداحيها السهوك

و ابن لنا ما خمطط أبدا بامرغه معيك

أو ما اعتنانه فرهد فيه الملامه لا تحيك

أم ما ترفل (هبرج) ترتب مرسنه هلوک
و لرب أفاظ أتنک و فی مطاویها حلوک
فارفق بنشرك طیها و انظر بذوقک ما تلوک
هذا و قد لذمت فؤادی خرمل هرط ضحوک
دعکنه نظرته فی خیس غانظها شکوک
تغدو و خرفعها المذیل فی طوائفه سدوک
و أراک ما لک مشبه فی ما علمت و لا شریک
ص: ۸۲

-
- ۱- الريحانه: أسباب النعيم.
 - ۲- الريحانه: فی الماء.
 - ۳- الشریشى: فی الغدير.
 - ۴- الدمیه و الوافی: و النهر مثل السیف.
 - ۵- الدمیه و الوافی: قد دب فیہ السحر من أجفانه، الريحانه: ذاب فیہ السحر.
 - ۶- الريحانه: بیاض الماء صبغه حمره.
 - ۷- الريحانه: إنی رضیت... بأسرها نظری إلیه.
 - ۸- الذخیره لابن بسام ۴: ۴۷۹-۴۹۶.
 - ۹- ذکر ابن الأثیر (۲۵۲:۹) أنه توفي سنة ۴۰۶ و قال فیہ "کان من الکتاب المفلقین، و مکاتباته مشهوره. و کان ممدحا، و ممن مدحه ابن الحجاج".
 - ۱۰- ص: عقب الدوله. علی ذلك

فأجابه ابن المغربي برقهه قال فيها: وقفت على ما ذكرت أن بعض أهل الأدب كلفك المسأله عن شعر وجدته، لا أحب أن أقول فى صناعته شيئا، مشتتلا على ألفاظ من حوشى اللغة لا يتشاغل بمثلها أهل التحصيل، و لا يتوفر على تأملها إلا كل ذى تأمل عليل، لخروجها عما ينفع فى الأديان، و يعترض فى القرآن، و لمبايتها ما يجرى فى المذاكره، و تستخدم فيه المحاوره. و زاد فى عجبى منها صدرها عن البطيحه و فيها الأستاذ(١)الفاضل هبه الله بحر الأدب الذى عذبت موارده و مصادره، و رى العقول الظماء، و طب الجهل المستغمر الداء(٢)، و الباب الذى يفتح عن الدهر تجربته و علما، و المرآه التى تتصفح بها أوجه الأيام إحاطه و فهما.

و فى فصل: فان كان العرض فى هذه الأبيات الخراب، المقفره من الصواب، طلب الفائدة، فقد كان يجب أن يناخ عليه بمقفلها، و يقصد إليه بمعضلها، فعنده مفتاح كل مسأله مقفله، و مصباح كل داجيه مشكله، بل لست أشك أن هذا السائل لو جاوره صامتا عن استخباره، و عكف على ذلك الجنب كأنما لجا فى طى إضماره، لأعداه رقه نسيم أرضه، و هذب(٣) خاطره النقاط لفظه، حتى يغنيه الجوار عن الحوار، و الاقتراب عن رجع الجواب، و إن كان قصد الامتحان للمسئول، و تعرض لهذا الموقف الزحول، فذلك أعجب: كيف لم يتأدب بآدابه الصالحه، و يعتشى إلى هدايته الواضحه.

و فى فصل: و كيف لم يعلم هذا العريض المكلف - بما أعطى من سعاده مكاثرتة، و سيق(٤) إليه من بركه صحبته - أن هذا التعريض كما قال المخزومى لعبد الملك بن مروان و قد(٥) لقيه فى طريق الحجاز: بثت تحيه الغريب من القاطنين، و لؤمت هديه الوافد من المقيمين، و قد كان حق الغريب بينكم أن يكثر قليله، و يسد ذريعه، و يعار من معالى الصفات ما يؤنس غربته، و يصدق مخيلته. و على أنه لو كان قد احتبى للجدال، و ركب للنزال، لما كان فى غروب(٦) كلمات من حوشى اللغة عن ذكره، ما يدل على قصر باعه، و قله اطلاعه، و يا عجباً للفراغ كيف يسوغ لهذا المغتر أن يجارى بخلو ذرعه تقسم أفكارى، و كيف أنساه اجتماع شمله بعد ديارى، و كيف أذهله حضور أحبته عن مغيب أفلاذ كبدي، و كيف طرفت نواظره سكره الحظ عن تصور ما يجن خلدى، و كيف لم يدر ما لى من ألاحظ مقسمه، و ظنون مرجمه، و قد تكلفت الإجابته لما تضمنته الأبيات انقيادا لمرادك، و مقتصر الرأى على إسعادك، أجز أقلامى جرا و هن نواكل، و أنبه قرائحى و هن فى غمرات الهموم ذو أهل:

قال السائل: "إن المسئول دروك لتلك الفتوى، و مستحق بها للرتبه العليا" و دروك لا يجوز هنا لأن فعولا يكون من أفعل، و لو جاز ذلك لجاز "حسن" من "أحسن" و "جمول" من "أجمل". و ما نحب استيفاء القول فى هذا الزلل، و لا نستفتح كلامنا بالمناقشه فى السهو و الخطل، و لعل القائل أوهم حملا على قراءه حفص (فى الدرر الأسفل من النار)(النساء: ١٤٥) فظن أن الدرر بوزن فعل، و أن فعلا- مصدر فعل يفعل، و لم يجعله من الدرر، لأن الفتح عندهم لا يخفف، لا يقولون فى جمل "جمل"، و ذهب عنه أن يكون اسما مبنيا مثله و إن لم يكن مخففا منه كما قالوا: "درر و دركه" فى حلقه الوتر التى تقع فى فرضه(٧) القوس، فخففوا و حركوا، و على أنهما لو كانا مصدرين لجاز أن يبنيا على الشذوذ و لا- يحمل عليهما ما يبنى من الفعل، لأن الشذوذ ليس بأصل يقاس عليه. و لعله اغتر بقولهم: "دراك" - بالشد - و هو شاذ لأنهم قد (بنوا) أفعل من فعل، و هو قليل، قالوا فطرته فأفطر، و بشرته فأبشر، فجاز على هذا دررته فأدرر، قال سيويه: و هذا النحو قليل فى كلامهم. و لعله ذهب إلى قولهم:

"دراك" مثل "نزال" فظن أنه يقال منه "درك" كما يقال من "مناع" و "نزال": منع و نزل. و ذهب عنه (أنه) قد جاء الرباعي في هذا الباب، قالوا: قرقار و عرعار، في معنى قرقر و عرعر. فاما الفرق بين الرباعي و الثلاثي، فسيبويه يرى إجازة "فعال" في موضع فعل الأمر الثلاثي كله، و يمنعه في الرباعي إلا مسموعا، و قال غيره من النحويين: بل هما ممنوعان إلا مسموعين، و اعتمد سيبويه في الفرق على كثرة الثلاثي، و قله ما جاء في الرباعي. أو لعله أصغى إلى قول الآخر (٨):

إن يكشف الله قناع الشك فهو أحق منزل بدرك

فذهب إلى أن "دركا" مصدر، و لم يعتقد أنه كما قرأ حفص بالإسكان. أو لعله علق سمعه (قول) العتبي:

إذا قلت أوفى أدركته دروكه فيا موزع الخيرات بالعدر أقصر

و ما أعرف له حجة أقوى منه. أو لعله أراد بقوله: دروك من الدرک مثل: لغوب، و هي لغة تكلمت بها العرب.

ثم بدأ السائل فسأل عن "الحى"، و لم أقف على صحه سؤاله لأنى وجدت الأبيات مكتوبه بخط عليل، و إن كان سال عن "الحى" - بكسر الحاء - فقد أنشد أهل العلم قول العجاج (٩):

و قد نرى إذ الحياه حى و إذ زمان الناس دغفلى

فقال الحى من الحياه، و الحى جمع حى، و أما كونه على معنى الحياه فوزنه على فعل باختلاف.

قال ابن بسام: و مد أبو القاسم في هذا الجواب أطناب الاصناب ثم قال: "و الحيوت" الحيه وزنه فعلوت، و التاء فيه زائده، و كثيرا ما تزداد خامسه مثل عفريت، و إنما هو عفري.

و "الجلبح" العجوز الكبيره، و أنشدوا:

"إنى لأقلى الجلبح العجوزا"

و "برقع": السماء الدنيا، قال أميه بن أبى الصلت (١٠):ه.

ص: ٨٣

١- ص: من الأستاذ، و لعلها "مثل الأستاذ".

٢- ص: المستعمل اللاآء.

٣- ص: و هذبت.

٤- ص: و ساق.

٥- ص: و لقد.

٦- ص: غروب.

٧- ص: فرض.

٨- ورد فى اللسان (درك): بظفر من حاجتى و دركفذا أحق منزل بترك و فى التاج: ان يكشف الله فناع الشك بظفر من حاجتى و درك فلا أحق منزل (بترك)

٩- ديوان العجاج: ٤٨٦ و اللسان و التاج (دغل): و الدغفلى من العيش: المخصب الواسع

١٠- ديوان أميه: ٣٥٨ و اللسان (سدر) و تجىء قافيه البيت أحيانا "أجرد" و "أجرب" و قال ابن برى: صوابه "أجرد" و القصيده داليه. و الجرد: الملاسه.

و كان برقع و الملائك حولها سدر تواكله قوائم أربع

(١) و "الصرنقح": الشديد الخالص و لا يكون فعنل إلا و صفا لا اسما، قال جران العود(٢):

و منهن غل مقل لا يفكه من القوم إلا الشحشان الصرنقح

و "الزرير" الذكي و المتحدر(٣)، و كان شيخنا أبو أسامه(٤) يخالف جميع اللغويين فيه و يقول: هو الزرير، و منه اشتق اسم "زراره"، و قول أبي أسامه أصح.

و "الملمعه" الفلاه التي يلمع فيها الآل، و في مثل: "أكذب من يلمع"(٥) و هو السراب، و منه الألمعي، كأنه يلمع العواقب بدقه فطنته، و أما اللوذعي فهو الذي يتلذع من شده ذكائه: و يقال ألمعت الوحشيه و غيرها إذا بان لضرعها سقال و بريق بالبن، قال الأعشى(٦):

ملمع لاعه الفؤاد إلى جحش فلاه عنها فبئس الفالي

و يقال إن "لاعه" فعله و مذكرها لاع، و

في الحديث: هاع لاع، و قيل بل لاعه بوزن فاعله، كان الأصل "لاعيه" من اللعوى، و هو أشد الحرص، و بين الخليل و أهل النحو فيه خلاف يشق إحصاؤه.

و "النهوك" و "النهيك" و "النهاكه" معروفه.

و "البصيره" الترس، قال الأسعر الجعفي(٧) و ليس بالأسعر(٨) المازني:

راحوا بصائرهم على أكتافهم و بصيرتي يعدو بها عتد و أي

(٩) و البصيره: الدم، (و البصيره: الديه) و معنى البيت على هذا أنهم أخذوا الديات و لم آخذ، فركبت يعدو بي فرس لطلب الثار، و يكون هذا مشبها لقولهم:

.....(١٠)

و رحا أجر ثوبي أرجوانكلانا اختار فانظر كيف تبقى

أحاديث الرجال على الزمان

و البصيره في هذا الموضوع: الحق.

و "المداحي" مفاعل من الدحو و هو البسط، و الدحو أيضا النكاح.

و "السهوك" من السهك و هو السحق، و يقال: ریح سیهوك و سیهوج، إذا كانت شديده المرور و الهبوب.

و "الخمط" (١١) هو الكحكح، و هو الشيخ الكبير.

و "المرغ" الریق، يقال أحرق ما يجافى مرغه، أى ما يمسك ريقه، و المرغ: التراب، فى غير هذا.

و "معيك" فعيل بمعنى مفعول من المعك، و هو كالكنى.

و سال عن الفوهد، و الفوهد و التوهد: الغلام الممتلى شبابا، و أنشدوا (١٢):

تحب منا مطرهما فوهدا عجزه شيخين غلاما أمردا

ينشد بالثناء و الفاء.

و "القلع" (١٣) الطين الذى يتقلع عن الكماه، و فيها خلاف.

و "الهبرج" من صفه بقر الوحش.

و "يرتب" يفتعل، من رب الأمر، أصلحه.

و "المرسن" موضع الرسن.

و "الهلوک" الفاجره لأنها تتهاكك فى مشيتها أى تتمايل و تتهادى.

و "الذم" بالمكان و أالذم، مثل لزم و ألزم.

و "الخرمل" المرأه الفاجره، و قيل الحمقاء، قال مزرد (١٤):

إلى خرمل شر النساء الخرامل

و "الهرط" النعجه المسنه و (اللحم المهزول) فى غير هذا، و الهمرد:

الشق.

و "دعكنه" أصله السمن و الفتوه، و هو ما لا يسال عنه، لأن كل ما زیدت فيه النون فى هذا الموضع يدل لفظه على اشتقاقه كما

تدل سمعنه و نظرته على السمع و النظر، و دعكنه من الجلاده، كأنه من الدعاك (١٥).

و "الخيس" الغابه، و فى غير هذا الموضع اللحيه.

و "الغانظ" فاعل من الغنظ و هو الكرب، قال عمر بن عبد العزيز:

فى الموت غنظ ليس كالغنظ و كظ ليس كالكظ، و هما الكرب.

و "الخرفع" (١٦) القليل من كل شىء.ر.

ص: ٨٤

١- السدر: البحر. و لم يسمع به إلا فى شعر أميه. تواكلته: تركته، و القوائم هنا: الرياح.

٢- ديوان جران العود: ٨.

٣- فى اللسان و التاج أن الزرير هو الذكى الخفيف.

٤- هو جناده بن محمد بن الحسين الأزدي الهوى - (٣٩٩) كان مكثرا من حفظ اللغة. أخذ عن الأزهرى و غيره، و قتله الحاكم العبيدى (انظر ابن خلكان ١: ٣٧٢ و معجم الأدباء: ٧: ٢٠٩ و بغيه الوعاة ٢: ٤٨٨).

٥- انظر المثل فى الدرر الفاخرة: ٣٦٢ (و فيها تخريجه).

٦- بيت الأعشى فى اللسان و التاج (لوع) و ديوانه: ٨.

٧- قال الأصمعى: الملمع التى قد استبان حملها فى ضرعها فأشرق ضرعها باللبن، و قال أبو عبيده: ملمع: نتوج مقرب، لاعة الفؤاد أراد لائعه الفؤاد أى مستخفه من الحزن، و رجل هاع لواع و هائع لائع مشتاق إلى الشىء. و الفالى: الطارد.

٨- فى ص: الأعسر، و الأسعر الجعفى - ضبطه الآمدى بالسین المهمله - هو مرثد بن أبى حمران، و أورد له بيتين من قصيدته التى منها هذا البيت التالى و هى قصيده أصمعيه (الأصمعيات: ١٥٦) و انظر اللسان (عتد. وأى) و المعانى الكبير: ١٠١٣ و الوحشيات رقم: ٥٧.

٩- العتد: الفرس الحاضر المعد للركوب، الوأى: السريع المشدد الخلق، و قال ابن قتيبه فى شرح البيت: البصيره، الدفعه من الدم أى دماؤهم قد خرجت فصارت على أكتافهم و بصيرتى فى جوفى يعدو بها فرسى، يريد أنهم جرحوا. و يقال ل أراد أن الذى طلبوه من الذحول على أكتافهم لم يدركوه بعد، فهو ثقل عليهم، و بصيرتى أى ذحلى قد أدركت به.

١٠- لم أستطع قراءه هذا الشطر، و صورته فى ص: عدا دل داء لهن حجه.

١١- لم أجد هذه اللفظه و أقرب الصور إليها "لطلط" و هى بمعنى الكحكح.

١٢- اللسان (طرهف. فهد) و المطرهف: الحسن التام، و الفوهده و الثوهده و الفلهده: الغلام السمين الذى قد راهق اللحم.

١٣- لم ترد فى الأبيات، فلعل فيها سقطا.

١٤- روايته فى ديوان مزرد: ٤٨: إلى صبيه مثل المغالى و خرملرواء و من شر النساء الخرامل.

١٥- ص: الدعاء.

١٦- الخرفع: القطن و قيل ثمر العشر.

و "المذيل" المكمل.

و "الطوائف" الأيدي و الأرجل.

و "السدوك" لا أو من به لأنه يقال سدك سدكا و سدكا، فان جاء فيه سدوكا فهو شاذ قليل، و هو الزوم.

قال ابن المغربي: هذا ما حضرنا من القول، و لو لا أننا لا نود أن نهى عن خلق و ناتى مثله (١) لسألنا مستفيدين، نثرا لما فيه من شفاء البيان، لا نظما لما فيه من التعاطى و الطغيان، فسألناه عن اللغة إن كان عنى بها: عن العلاق بالعين، فهو بالغين معروف (٢)، و عن المصممه بكسر الميم، فهو بفتحها مشهور، و عن هند لا تضاف إلى الأحامس (٣) فان ذلك معروف، و سكرى بضم السين فهو بفتحها معروف. و عن الدون بالواو فهو بالياء معروف، و عن القرن بالفاء فهو بالعين مذكور، و كم فى الكلام أفعله أسماء فهو فى الصفات معروف، و ما النديم فى الناس فإنه فى الجماد معروف، و ما الشاهد على جواز أفلج بالجيم فإنه بالحاء معروف.

هذا إن كانت اللغة عنده مهمه، فان قال إن النحو هو المهم عنده قلنا: فما جمع على أفعله أغفله سيبويه فلم يلحقه بكتابه أحد من النحويين، و هل ذلك الجمع إن كنت عارفا به مطرد أو محمول على مكانه فى اللفظ؟ و على أى شىء خفض (وقيله يارب) فى قراءه حفص، لا على ما أورده أبو على الفارسى، فإنه لم يسلك مذهبه فى التدقيق عليه؟ و لم منع سيبويه من العطف على (عا) ملين، و هو فى سورة الجاثية بنصب (آيات)، و رفعه لا يتجه إلا عطفًا على عاملين، فان كان أخطا الأخصش فمن أين زل؟ و إن كان أصاب فكيف تجوز له مخالفه الكتاب؟ و هل قول سيبويه فى النسبه إلى أميه أموى - بفتح الهمزه - صواب أو سهو استمر عليه و على جميع النحويين بعده؟ و لم قيل معديكرب، و لم تحمل الياء فى لغه من أضاف و لا من جعلها اسما واحدا إلا على ما أورده النحويون، فلهم فيه أفاويل غير متجهه. و هل مذهبهم فى أن سدى و هدى مصدران صحيح أم لا؟ و هل بيض فى قولهم:

حمزه بن بيض اسم أم جمع، و ما معناه فى اللغة و وزنه فى النحو مسموعا لا مقيسا على ما ذكرناه نحن فى هذه الرساله؟ و لم اختاروا "أن" مع عسى و كرهوه مع كاد؟ فان قال: لست أتشاغل بعلوم المؤدبين، و إنما آخذ بمذهب الحافظ، إذ يقول: علم النسب و الخبر علم الملوك، قلنا له: فمن أبو خلدته (٤) فان أبا جلدته (٥) معروف، و من العاض و ما اشتقاقه (٦) فان العاص معروف، و من حبشيه - مفتوح الأول مخفف - فإنه بالتشديد و ضم أوله معروف؟ (٧) و من عمرو بن معديكرب غير صاحب:

"أ من ريحانه الداعى السميع"

(٨) فان هذا معروف؟ و ما اسم امرئ القيس على الصحه لا على هذا الظاهر و على أن فى اشتقاقه كلاما طويلا فان هذا معروف؟ و من الزبير غير الأسدى و اليهودى فكلاهما معروفان؟ و من الزبير بفتح الزاى فإنه بضمها معروف؟ (٩) و من القائل:

و قابله لجلجتها فرددتها لدى الفرش لو نهنتها قطرت دما

أ رجل أو امرأه؟ و هل صفيه الباهليه قلب أم مولاه؟ و هل المستشهد بشعره فى "غريب المصنف" أبو كعب بالباء أو التاء، و فى أى زمان كان، و أيهما كان اسمه و من أى شىء اشتقاقه؟ و من النطف الذى يضرب به المثل فيقال: كثر النطف؟ (١٠) و من

العكمص، لا- أسأل عن تفسيره فإنه في اللغة معروف؟(١١) و كذلك ذو طلال(١٢)، و ما خوعي فان جوعي معروف، و هل أخطأ ابن دريد في هذه اللفظة أم أصاب(١٣) و ما تقول في عدنان غير الذي ذكره محمد مولى بنى هاشم فإنه معروف(١٤)، و هل يخالف فيه أم لا؟ و حبيب والد ابن حبيب العالم رجل أو امرأه، و هل هو لغيه أم لرشده؟(١٥) و من أجمد بالجيم فهو بالحاء كثير؟(١٦) و من زبد بالباء فهو بالنون معروف؟(١٧) و من

روى عنه ع: " لا يمنع الجار جاره أن يجعل خشبه في حائطه " (١٨) و قال " خشبه واحده " و قالوا كلهم: خشبه مضافا؟ و من يكثر ذكر الحضرمي في شعره من العرب؟(١٩) و النبيذ المشروب: هل كان معروف الاسم أم لا عند..

ص: ٨٥

- ١- فيه إشارة إلى قول الشاعر: لا تنه عن خلق و تأتي مثلهمار عليك إذا فعلت عظيم.
- ٢- ذكر ابن دريد في الجمهرة (٣: ٣٩٦) الغلافق و قال إنه اسم موضع، و لم يذكر العلافق.
- ٣- يقال لقي هند الأحامس إذا مات أو وقع في الداهية، و إضافتها إلى غير الأحامس مثل هند الهنود، و هند بنى سعد و ما إلى ذلك، و لكنى أعتقد أن ابن المغربي يشير إلى ما هو أدق من ذلك.
- ٤- الخاء غير معجمه في ص، و خلده هي بنت طلق اليمامي، حدثت عن أبيها، و خلده بنت العرباض بن كلاب، روت عن عمها (الإكمال ٣: ١٨٢).
- ٥- أبو جلده بكسر الجيم مسهر بن النعمان، و شاعر يشكري و آخر عجلي (الإكمال ٣: ١٨٢).
- ٦- العاض بن ثعلبه بن سليم الدوسي، و قال الوزير المغربي هو بلا تشديد (تبصير المنتبه: ٨٩٠) و هو من عضا يعضو الجرح أى كان بصيرا بالجراح.
- ٧- هنالك حبشيه بن كعب بن ثور من مزينه (تبصير: ٤٨٦) و حبشيه بن سلول، و هذا الثاني يقرأ أيضا بفتح الحاء و تخفيف الياء (تبصير: ٤٠١).
- ٨- صدر بيت لعمر بن معديكرب الزبيدي، و عجزه: " يؤرقنى و أصحابى هجوع " (ديوانه: ١٣٦)، و هناك رجل آخر بهذا الاسم و هو عمرو بن معديكرب الزبيدي الأكبر جاهلي قديم (المؤتلف: ٢٣٣).
- ٩- الأسدى هو الزبير بن العوام، و اليهودى هو الزبير بن باطا من بنى قريظه أسلم ابنه عبد الرحمن (الإكمال ٤: ١٦٦) و هناك الزبير بن عبد الله الكلابى و قد عاش آخر خلافه عمر (الاستيعاب: ٥١٠)، و أما الزبير - بفتح الزاى - فهو ابن عبد الله بن الزبير شاعر ابن شاعر (الإكمال ٤: ١٦٥-١٦٦).
- ١٠- هو النطف بن خيبرى أحد بنى سليط بن الحارث (انظر قصه احتيازه الكنز فى ثمار القلوب: ١٣٩ و سرح العيون: ٥٤-٥٥).
- ١١- العكمص: الحادر من كل شيء أو الكثير أو الشديد الغليظ و به كنى أبو العكمص التميمي (التاج: عكمص).
- ١٢- ص: ذو أطلال، و لم يبين ما يريده هنا، و ذو طلال: ماء قريب من الربذه و قيل هو واد لغطفان (معجم البكرى: ٨٩٢).
- ١٣- جوعي المعروف هو مؤنث جائع و قال ابن دريد فى الجمهرة (٢: ١٠٥) إن جوعي موضع و أثبتها البكرى عنه، و ذكر أنها خوعي بالحاء المعجمه فى شعر امرئ القيس (معجم البكرى: ٤٠٤).
- ١٤- محمد مولى بنى هاشم هو محمد بن حبيب نفسه و هو يذكر أن فى الأزدي عدنان بن عبد الله بن الأزدي و قال غيره إنه عدنان

(الإكمال ٦: ١٥٣-١٥٥).

١٥- حبيب اسم أمه و يقال إن أباه غير معروف.

١٦- أجمد بن عجيان شهد فتح مصر (تبصير ١: ٣).

١٧- زبد بن سنان بفتح الزاي، و زبد بن الجون أبو دلامه و زبد في نسب عدنان (الإكمال ٤: ١٦٨-١٦٩).

١٨- ورد الحديث في البخاري (مظالم: ٢٠ و أشربه: ٢٤) و مسلم (مساقات: ١٣٦) و سنن أبي داود (أفضيه: ٣١) و ابن ماجه

(أحكام: ١٥) و الموطأ (أفضيه: ٣٢) و مسند أحمد ١: ٣١٣، ٣: ٤٨٠، قلت: خشبه (بالإفراد) هي روايه أبي ذر و رواه غيره (خشبه)

بالهاء - بصيغه الجمع، و قال عبد الغنى بن سعيد: كل الناس يقولونه بالجمع إلا الطحاوى (و انظر مزيدا من التفصيلات في إرشاد

السارى ٤: ٢٦٦).

١٩- الحضرمي: النعل المصنوعه بحضرموت، و أراها ترد كثيرا في شعر كثير "إلى مرهفات الحضرمي المعقرب" (ديوانه: ٢٦٥)،

و "باقدامهم في الحضرمي الملسن" (ديوانه: ٢٥٢) إلخ...

العرب؟(١) و من روى عن ظئر رسول الله (ص) و أنها قالت فى شارفها:

" و كانت لا تغذى أحدا " و ما معناه؟(٢) و من تفرد من أهل العلم بنصر ذى الرمه و تغليط الأصمعى فى قوله: إيه عن أم سالم، لا- على ما قاله النحويون من التعريف و التنكير، فان ذلك معروف؟(٣) و من قال عن المتنبيه إنها سجاح مثل قطام و من قال سجاح مثل غمام غير مبنى؟(٤) و لم سمى خليل الشاعر: خليل عينين؟(٥) و من عمى التى تنسب إليها الصكه فىقال " صكه صكه عمى "، و هل ذكر فى شعر و من ذكره؟(٦) و من هو الذى تنسب إليه العرب الصلال و من ذكره من أصحاب رسول الله (ص)؟ و من كرب المنسوب إليه معديكرب؟(٧) و هل أصاب المبرد فى نسبة الأبيات الجيميه:

لما دعا الدعوه الأولى فاسمعنى أخذت بردى و استمررت أدراجى

أم أخطأ؟(٨) فان قال إنه صاحب سير و آثار و أحكام، قلنا: أرشدك الله، و ما معنى

قوله ع: "من سعادته المرء خفه عارضيه" و هو ع لم يكن خفيف العارضين، لا على ما فسره المبرد فإنه لم يأت فيه بشيء؟(٩) و معنى

قوله ع: "تسحروا فان فى السحور بركه" (١٠) و نحن نرى (أنه) ربما أهاض و أتخم، و أضر و أبشم؟ و معنى

قوله ع: "اتقوا النار و لو بشق تمره" (١١) و لو سارق (كيلجه) تمر فتصدق بنصفها كان مستحقا للنار عند أكثر المسلمين؟ و ما معنى

قوله ع: "لا يزال الأنصار يقلون و يكثر الناس" (١٢)، و لو شئنا لعددنا أشخاصهم أكثر مما كان فى البادية و الحاضره؟ و معنى

قوله "إن امرأ القيس حامل لواء الشعراء إلى النار" (١٣) و هل يثبت الخبر أم لا؟ و لم

قال: "إن من الشعر لحكمه" (١٤)، ثم

قال ع: "أوتيت جوامع الكلم" (١٥) و هل تخرج الحكمه من جوامع الكلم؟ فان قال: إنما أفنيت عمرى فى القرآن و علومه، و فى التأويل و فنونه قلنا: إذن يكون التوفيق دليلك، و الرشاد سبيلك: صف لنا كيف وقع التحدى بهذا المعجز لىتم بوقوعه الاعجاز، و أخبرنا عن صفه التحدى: هل كانت العرب تعرفه أم لا، أم كان شيئاً لم تجر عاداتها به فكان إقصارها عنه، بل لأنه التماس ما لم تجر المعامله بينهم بمثله، ثم يسأل عن التحدى هل لقي بمعارضه بان تقصيرها عنه أو لم تكن بمعارضه، و لكن القوم عدلوا إلى السيف كما عدل المسلمون مع تسليمهم و لم يعارضوه، ثم يسأل عن قوله تعالى (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (النساء: ٨٢) و فيه من الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه ما لا- يكون أشد اختلافا منه (١٦)، و يسأل عن قوله تعالى (و غرايب سود) (فاطر: ٢٧) و ما معنى الزيادة فى الكلام، و الغرايب السود هى الغريب، فان قال تأكيداً فقد زل، لأن رجحان بلاغه القرآن إنما هو إبلاغ المعنى الجلى المستوعب إلى النفس باللفظ الوجيز، و إنما يكون الإسهاب البليغ فى كلام البشر الذين لا يتناولون تلك الرتب العاليه من البلاغه، على أنه لو قال تأكيداً لخرج عن مذهب العرب، لأن العرب تقول: أسود غريب، و أسود حالك و حلوكوك، فتقدم السواد الأشهر ثم تؤكد، و هذه الآيه تخالف ذلك، فإذا بطل التأكيد فى المعنى (١٧)، و ما معنى

(فخر عليهم السقف من فوقهم) (النحل: ٢٦) و هل يكون سقف من تحتهم فيقع لبس يحتاج إلى إيضاحه بذكر فوق و تحت؟ (١٨) و نحو منه قوله تعالى).

ص: ٨٦

١- التسميه معروفه و لكن الدلاله مختلفه، إذ كانت اللفظه تدل على كل ما نبذ في الدباء و المزفت فاشتد، و لكنه كان شيئا غير الخمر و لهذا نجد القلمس يقول في الخمر: أروى بها نفسى فتحيا بشرها و لا أشتهى شرب النبيذ من التمر

٢- ذلك هو حديث عبد الله بن جعفر عن حليمه السعديه و كانت قدمت المدينه تطلب ولدا ترضعه و معها شارف - و هى ناقيه مسنه: فلما قدر لها أن تكون مرضعه للرسول در ثدياها و درت الشارف " و قام صاحبى إلى شارفى تلك فإذا بها حافل فحلب ما شرب و شربت حتى روينا " و ذلك بعد أن قالت: " ما يجد فى ثدى ما يغنيه و لا فى شارفنا ما يغذيه " (أسد الغابه ٥: ٤٢٧).

٣- قال ذو الرمه " وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم " - بكسر الهاء - قال الأصمعى: أخطأ ذو الرمه إنما كلام العرب إيه (بالتنوين) و قال يعقوب بن السكيت أراد إيه (بالتنوين) فأجراه فى الوصل مجراه فى الوقف و كذلك قال ثعلب، كما قال الزجاج إنه ترك التنوين للضرورة و لكن أبا على الفارسى انتصر لذى الرمه و قال: أما هذا فالأصمعى مخطئ فيه.. ديوان ذى الرمه: ٧٧٩ و اللسان و التاج (إيه).

٤- يقول الأزهرى و ابن دريد و الجوهرى و غيرهم من اللغويين أنها "سجاح" مثل قطام، و لم أعر على من أجاز أن تكون مثل "غمام".

٥- قيل سمي بذلك لأنه كان يسكن أرضا بالبحرين تعرف بعينين (الشعر و الشعراء: ٣٧٣).

٦- الصكه: شده الهاجره، يقال: لقيته صكه عمى و صكه أعمى و هو أشد الهاجره حرا. و قال بعضهم: عمى اسم رجل من العماليق أغار على قوم فى وقت الظهيره فاجتاحهم. و يقال هو تصغير أعمى مرخما. و أنشد ابن الأعرابى: صك بها عين الظهيره غائرا عمى و لم ينعلن إلا ظلالها.

٧- معديكرب اسم يمنى يرد فى النقوش، و هو سبأى محض. و لا تنطبق عليه التفسيرات التى يوردها لغويو عرب الشمال.

٨- نسب المبرد هذه الأبيات للرعى (الكامل ١: ٢٨١) و فى ظنه أنها للرعى النميرى، و بين الآمدى الأمر فى المؤلف: ١٧٧ إذ قال إنها للرعى الكلبى و اسمه خليفه بن بشير بن عمير بن الأحوص.

٩- أورد المبرد هذا الحديث فى الكامل (١٢٩: ٢) و قال: ليس هذا بناقض لما جاء فى إعفاء اللحى و إخفاء الشاربين.

١٠- ورد الحديث فى النسائى (صيام: ١٨) و ابن ماجه (صيام: ٢٢) و الدارمى (صيام: ٩) و مواضع متعدده من مسند أحمد، منها ٣٧٧: ٢، ٤٧٧، ٣: ٣٢، ٩٩ (انظر معجم ألفاظ الحديث).

١١- ورد فى البخارى (أدب: ٣٤، زكاه: ١٠، رفاق: ٥١، توحيد: ٣٦) و مسلم (زكاه: ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٨٠) و الترمذى (قيامه: ١، زهد: ٣٧) و النسائى (زكاه: ٦٣، ٦٤) و ابن ماجه (مقدمه: ١٣، زكاه: ٢٨) و الدارمى (زكاه: ٢٤) و مسند أحمد ١: ٣٣٨، ٤٤٦، ٤: ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٧٧، ٦: ٧٩، ١٣٨.

١٢- الحديث فى البخارى (الجمعه: ٢٩ و مناقب: ٢٥ و مناقب الأنصار: ١١).

١٣- تورده الكتب الأدبيه، انظر مثلا الشعر و الشعراء: ٦٧ و ليس فى الأحاديث المتعلقة بامرئ القيس ما هو قوى مقبول منها.

١٤- ورد فى البخارى (أدب: ٩٠) و الترمذى (أدب: ٦٩) و ابن ماجه (أدب: ٤١) و الدارمى (استئذان: ٦٨) و مواضع كثيره من

مسند أحمد منها ١: ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٠٩... إلخ.

١٥- حديث "أعطيت جوامع الكلم" في مسلم (مساجد: ٥-٨ و أشربه: ٧٢) و البخارى (تعبير: ١١) و الترمذى (سير: ٥) و مسند أحمد ٢: ١٧٢، ٢١٢، ٢٥٠، ٢٦٤... إلخ و حديث "بعثت بجوامع الكلم، في البخارى (جهاد: ١٢٢ و تعبير: ٢٢ و اعتصام: ١) و النسائى (جهاد: ١).

١٦- يرى الزمخشري أن عدم الاختلاف هنا معناه عدم التناقض و التفاوت في مستوى النظم و البلاغه و المعانى، و صدق الخبر.. (الكشاف ١: ٥٤٦-٥٤٧).

١٧- قال الزمخشري: فان قلت: الغريب تأكيد للأسود، يقال أسود غريب و أسود حلكوك.. و من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فأقع و أبيض يقق و ما أشبه ذلك قلت: وجهه أن يضمر المؤكد قبله و يكون الذى بعده تفسيرا لما أضمرك قول النابغه "و المؤمن العائذات الطير" و إنما يفعل ذلك لزياده التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الإضمار و الإظهار جميعا (الكشاف ٣: ٣٠٧).

١٨- الوجه في "فوق" هنا في قوله "و هو القاهر فوق عباده" أى أنهم يخافون ربهم عاليا قاهرا لهم (انظر الكشاف ٢: ٤١٣)، و قوله "كلمح البصر أو هو أقرب، أى كما تبالغون أنتم حين تستقربون شيئا (نفسه: ٤٢١)، و قوله "إليه اثنين" الوجه فيه: أن الاسم الحامل لمعنى الافراد و التشبه دال على شيئين على الجنسيه و العدد المخصوص فإذا أريد التأكيد على أن المقصود هو العدد شفع بما يؤكده فقيل إليه اثنين أو رجل واحد.. إلخ (نفسه: ٤١٣) و يأخذهم على تخوف أى و هم متوقعون و قيل هو أن يأخذهم على أن ينتقصهم شيئا بعد شىء في أنفسهم و أموالهم و بذلك تكون الرأفه و الرحمه حيث يحلم عنهم و لا يعاجلهم مع استحقاقهم (نفسه: ٤١١).

(يخافون ربهم من فوقهم) (النحل: ٥٠) و هل لهم رب من تحتهم؟ و ما معنى فوق هاهنا، و هل تدل على اختصاص مكان؟ و ما معنى قوله (كلمح البصر أو هو أقرب) (النحل: ٧٧) و ما هذا الأقرب؟ و ما معنى قوله (فهى كالحجاره أو أشد قسوه) (البقره: ٧٤) و هل شىء أشد قسوه من الحجاره؟ (١) و ما معنى قوله (إلهين اثنين) (النحل: ٥١) و هل بعد قوله (إلهين) إشكال بأنهم أربعة فيستفيد بقوله اثنين ثبات المعنى؟ و ما معنى قوله (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) (البقره: ٢٨٢) هلا كان أوجز و أشبه بالمذهب الأشرف فى العرييه؟ و ما معنى قوله (أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم) (النحل: ٤٧) و من أين تناسب الرأفه و الرحمه هذا الأخذ الشديد على الخوف الذى يقتضى العفو و الغفران؟ و على أن هذا السائل لو علم لسال عن الصناعه التى أنا بها مرتسم، و بشروطها ملتزم، لا فى الترسل فانى ما صحبت به ملكا، و لكن فى صناعه الخراج، فكان يجب أن يقول: ما الباب المسمى المجموع من الجماعه (٢) و أين موضعه منها، و أى شىء قد يكون فيه و لا يحسن ذكره فى غيره؟ و أن يقول: ما الفائده فى إيراد المستخرج فى الجماعه و من كم وجه يتطرق الامتثال عليها بالغايه منها؟ و أن يقول: ما الحكم فى متعجل الضمان قبل دخول يد الضامن، و أى شىء يجب أن يوضع منه إذا أراد الكاتب الاحتساب به للضامن من النفقات، و خاصه من جارى العامل، و فيه أقوال تحتاج إلى بحث و نظر؟ و أن يقول: إن عاملا ضمن أن يرفع عمله بارتفاع مال إلا أنه لم يضمن استخراج جميعه، و ضمن استخراج ما يريد على ما استخراج منه خمس سنين إلى سنته بالقسط، كيف يصح اعتبار ذلك. فيه كمين يحتاج إلى تفصيه و تأمله؟ و أن يقول: لم يقدم المبيع على المستخرج، و المبيع إنما هو من المستخرج، و كيف يصح ذلك؟ و أن يقول: أى غلط يلزم الكتاب و أى غلط لا يلزمه؟ و أن يقول: متى يجب الاستظهار للسلطان فى صناعه الخراج و متى لا يجوز الاستظهار له؟ و أن يقول: متى يكون النقص فى مال السلطان أسد فى صناعه الكتابه من الزياده، و لست أعنى نقص الارتفاع مع العدل، و عادل زياده مع الجور، فذلك ما لا يسال عنه، و أن يقول: ما باب من الارتفاع إذا كثر دل على قله الارتفاع، و إذا قل دل على جمام الارتفاع و وفوره؟ و أن يقول: متى تكون مشاهده الغلط أحسن فى صناعه الكتابه من عديمه؟ و أن يقول: كم نسبه جارى العمل من مبلغ الارتفاع و أول من قرره و رتبته؟ و أن يقول: ما رتبتان من رتب الكتابه إذا اجتمعنا لكاتب بطلت أكثر حججه فى احتساباته؟ و أن يقول: هل يطرد فى أحكام الكتابه حملها على مناصبه أحكام الفقه أم لا، و هل يذهب (إلى ذلك) أحد من متقدمى الكتاب، و ما الحججه فيه، و بالله التوفيق.

فصل له من رقعته

فى الرد على كتاب وصله

(٣) وقفت على كتابك و لم أزل أثلّمه، كانى قد ظفرت باليد التى بعثته، و أضمه كانى أضم الجوانح التى نفثته، و كانى كلما أدنيته إلى الكبد المعذبه ببعذك، و أمررتة على العين المطروفه بفقدك، سحبت على النار ذيل السحاب، و سقيت عطش الحب كاس الرضاب، و أعرت أخوا سبعين ظل الشباب، فأرخت يوم قدومه لأجعله موسما للسرور، و عيدا باقيا على الدهور، أرتقب السعد عنده كل عام، و أنتظر الفرج منه من كل غرام، و اتفق وروده فى أشرف فصول الدهر حسبا، و أكرم مفاخر الأيام نسبا، حين ابتدأ (٤) الربيع يزخر ببروده، و الروض ينظم عقوده، و كنت أعرف هذا الفصل باعتدال منهاجه، و صححه مزاجه، و أنه لو كان الزمن شخصا لكان له مقبلا، و لو أن الأيام غوان لكان لها حليا و حللا، لأن الشمس تخلص فيه من ظلمات حوت السماء، خلاص يونس من ظلمات حوت الماء، فإذا وردت الحمل وافت أحب أوطانها إليها، و أعز مساكنها عليها.

و في فصل منها: فيا حسن تلك الصحيفة و مدادها ينتهب بالأفواه، و يزيد بالتقيل لعسا في الشفاه، و يا عجا كيف حفظ مع بعد العهد نشر عرفك، و كيف علق مع تراخي الأيام طيب كفك، و كيف جاء كأنك كتبتة من أمم، و أنفذته و بيننا خطوه قدم، و كيف لم يغيره ما قطع من مهاول قفار، و ليل و نهار، و عدو كاشح، و رقيب لامح، فأنعم به من ريحانه ألفاظ دامت لدونتها، و باكوره وصال سلمت غوضتها(٥)، و مسحه يد بقي أثرها أرجا، و روضه كلم دام على الصيف بهجتها(٦).

و في فصل منها: فاما سؤالك عنى فما يشبه سيرتك الحسنى، و لا يليق بطريقتك المثلى، كيف تسالنى و الاجابه معك؟ و كيف تستخبرنى و محل الخبر و الاستخبار عندك؟ و متى سمعت بجواب جسد رهينه؟ و أين رأيت طماح عين لو احظها مقيده كليله؟ ألم أفارقك و قلبى عندك أعشار، و أضلعي منه قفار؟

و من فصل له يصف الموصل حين و ردها

وردت الموصل التى خالف اسمها معناها، و كانت مقطعا بيننا لو لا خدع الأمانى، و فضلا لو لا المرجو من عفو الليالى، فوجدت هواءها يعطل سوق بقراط اعتدالا و طيبه، و ماءها يسلى عن مجاج النحل استمراء و عذوبه، و صقعتها قد تبغدد رقه و لطفها، و جوها قد تزندق تنعما و ظرفا، تكاد تثقله عقود الغايات، و يخجله تتابع اللحظات، كل شماله نسيم، و كل جنوبه حيا عميم، و رأيت أرضها أطيب الأرض خيما، و أزينها

ص: ٨٧

١- إن قلت لم قيل أشد قسوه و فعل القسوه مما يخرج منه أفعل التفضيل و فعل التعجب قلت: لكونه أبين و أدل على فرط القسوه، و وجه آخر و هو أن لا يقصد معنى الأقسى و لكن قصد وصف القسوه بالشده كأنه قيل اشتدت قسوه الحجاره و قلوبهم أشد قسوه (الكشاف ١: ٢٩٠) و لم يورد الزمخشري توجيها لتكرير كلمه "إحداهما" فى الآيه ٢٨٢ من سوره البقره. و ذهب أبو حيان إلى أنه أبهم الفاعل فى أن تضل بقوله "إحداهما" و لهذا أبهم الفاعل فى "فتذكر" فكرر إحداهما. إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال و الأذكار فلم يرد بأحدهما معينه (البحر المحيط ٢: ٣٤٩).

٢- الموافقه و الجماعه حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل. و لا- يسمى موافقه ما لم يرفع باتفاق ما بين الرافع و المرفوع إليه، فان انفرد به أحدهما سمي محاسبه (مفاتيح العلوم: ٣٨).

٣- الذخيره: ٤٩٦.

٤- ابتداء: مكرره فى ص.

٥- ص: غضاضتها، و هو عند بعض اللغويين جائز، و أنكره على بن حمزه، و الالتزام به هنا غير ذاهب مع السجع.

٦- كذا وردت العبارة فى ص، و لعلها "دام على الصيف زهرها بهجا" أو ما أشبه.

أديما(١)، تنسج بالسندس الأخضر، و تفتقر عن الأقحوان الأحمر، و ألفيت بنيانها هو الذى حمده الله فى تنزيله(٢)، و أحبه لنا أن نكون مثله جهادا فى سبيله، مرصوفا بوقاح الجلمد، ملاء ما بينه بالشيد الممرد، قد حصن ظاهره على باطنه عن تداخل الأبر، و مساكن الذر، يزل عنه ظفر الطائر، و تندرج عليه أحداق(٣) الناظر، و تغنى به العروس عن الماوى المنير(٤)، و تستبين به الجفون منابت الشكير من أهدابها و الغمير، متلاقيه أقطارها على رجال كأنهم أنسلاء عاد وثاقه أجسام، و صلابه أحلام، و بعد مرام، لطفوا عن بدويه الشام و غلظته، و جمدوا عن ذوب العراق و خلايته، قد عقدت ألسنتهم بالصدق فما ينتثر الباطل من عذباتها. و صحت غرائسهم فى الموده فما يجتنى الغدر من ثمراتها، إن سلما فسلما و إن حربا فحربا، لا يعرفون تدليس الأخلاق، و لا تمويه النفاق، و شعراؤهم(٥) ملء اليمين، و كتابهم أثر بعد عين، أدبهم (حسن)(٦) على قله الملوكى فيه، و علمهم متقن لمن تأمل أدق مسرب(٧) فى فتن معانيه، قد محص تهذيب المحن شرارهم و أوهن خيارهم، بلدهم أطلال، و أحوالهم آل، قويهم يثن ضعفا، و ضعيفهم يماطل حتفا، بقيت عليهم أسمال النعم و ذهب الدهر باجسامها، و انجلت عنهم ظلل المحن و هم يتأوهون من غير آلامها، إلا أن فيهم بقيه نقيه، و فيهم موضع تدارك إن رزقوا سيره مرضيه، فلولا ما أرجوه من مداواه أسقامهم، و إعاده صالح أيامهم، لقضانى الانتماء بمعاشيتهم قبل معاناتهم، و بملاحظتهم قبل مقاساتهم، لكنى أعلم أن من يحيى العظام و هى رميم، و يبعث(٨) الروض و هو هشيم، و ينشئ (... بعد ما كانت قفارا، و يجعل من الشجر الأخضر نارا، قادر على أن يجعل ثواب نيتى فيهم معونتى على ما أنويه لهم، و جزاء تأملى بهم بلوغ الغرض فى تدارك رمقهم.

و فى فصل من رساله له

(٩) لو أطقت تفصيل المجمل، و إيضاح المشكل، لجرت لك به يدى طلق الجموح، و لأغنتك أسماره عن الوتر الصدوح، إلا أن القلب عليل، و الخاطر كليل، و الزمان ببلوغ الأمل بخيل.

فصل من رساله بعث بها إلى ذى السعدين

(١٠) للرئاسه كلف لا يستقل بها إلا المهذب الكامل، و لا يخطو تحت أنقالها إلا الأوحى الفاضل، و لا يبلغ ذوائب أعاليها، إلا من شرب الأجاج من ماء واديهها، و لا- يلذ بملكها إلا من أغلى المهر من كريم مساعيه، و لا يفيض ختامها إلا من جعل منازل الخطوب سلكا لعقود أيامه و لياليه، و لذلك قيل ما أنشدته استبصارا، و أنا إلى إيراده أبين إصرارا:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكلهلن تبلغ المجد حتى تعلق الصبرا

(١١)

و إن سياسه الأقوام فاعلملها صعداء مطلعها طويل

(١٢)

و يظلموا فترى الألوان مسفرهلا خوف ذل و لكن فضل أحلام

و يحتاج الرئيس إلى أعوان يظهر بهم كمين مكارمه، و يمضى فيهم و بهم ماضى عزائمهم، فلولا الطالب لعاش الكريم مطويا على

حسرات أوطاره، و لو لا الخاطئ لما وجد الحليم لذه حلمه و وقاره، و كلما كان التابع أبعد مذهبا فى معناه، كان المتبوع أشد جذلا بظهور مناقبه و علاه.

و فى فصل: و قد كانت منى كبائر تكنفتها معاذير لا أشين وجه العفو بإيرادها، و لا أنتقص جملة الصنفح و الغفران بتعدادها، فى أن لم أفتتح مناسكى بالسعى إلى حضرته، و لم أبدأ من مطالب شرعى بالتوفر على خدمته، و قد علم الله أن ذلك ليس من اعتلال بصيره بشرف الانتماء إليه.

و لا انخفاض همه عن سعادته المثل بين يديه، و لا إمعان فى البدويه - و إن كنت من أهلها - حتى أذهل عن مطلع النير الأعظم من الأفق الذى سكنت ظله، و مفيض الفرات الأعذب من البلد الذى استوطنت محله، و لا أن ذكره لم يكن فى تلك الأوطان زينه الأعياد، و حليه البلاد، و أنس الحاضر و البادى، و بلغه المسافر و الحادى، و لا أنى لم أكن ذكى الخاطر بتلاوه ماثر آلائه، و مستشفيا بنسيم الريح من أرضه و سمائه، و معجبا بما جمع الله فيه لعفاه أهل الأدب، بل السراه أهل الرتب، و معنى قول القائل:

يأتيك عن فهم الثناء عطاؤه عفوا و تلك عطيه المستبصر

كرم تكشف عن حلى آدابه كالبحر يكشف غمره عن جوهر

كتابه إلى رئيس اعتنق الإسلام

(١٣) و كان فى ذلك الأوان بمدينة (تكريت، رئيس) (١٤) ممن يشار إليه، و يعول قومه عليه، فرأى فى منامه (١٥) النبى ع مع على بن أبى طالب، و حضاه على الإسلام، و وجد فى الإنجيل ما دلّه على البشاره بمحمد ع، فاستدعى إلى الحضرة ببغداد، و طيف به فى سائر البلاد، فكتب إليه ابن المغربى رقعته قال فيها:

و يعلم الله ما ورد على و على كافه من حضر من المسلمين من السرور بما أبان الله (١٦) من آيه قطعت عذر الجاحدين، و (حجه) (١٧) استهلكت شبه

ص: ٨٨

١- ص: ديما.

٢- يعنى أنه بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا (انظر الآية ٤ من سوره الصف).

٣- ص: أكداه.

٤- الماوى: حجر البلور أو المرآه.

٥- ص: و سفراؤهم.

٦- ليس فى موضعها بياض فى ص.

٧- ص: متقن من... مسربا.

٨- ص: و يبلى (دون إعجام).

٩- الذخيره ٤:٤٩٨.

١٠- الذخيره ٤:٤٩٩ و ذو السعادتين هو الحسن بن منصور أبو غالب و كان وزيراً للسلطان البويهى بهاء الدوله ثم وزير بعده لسلطان الدوله (٤٠٩) ثم ثالثه لمشرف الدوله (سنه ٤١٢) و توفي فى هذه السنه نفسها.

١١- من أبيات تنسب لرجل من بنى أسد (شرح المضمون: ٤٧٣).

١٢- ورد البيت غير منسوب فى اللسان و التاج (صعد)، و أكمه ذات صعداً: يشتد صعودها على الراقى.

١٣- الذخيره ٤:٥٠٥.

١٤- بياض فى ص، و زدته من تاريخ المسيحي: ٢٣٥ ب و الرئيس المشار إليه هو أبو مسلم مشرف بن عبيد الله، و كان يعرف بالمطران الكبير، رئيس اليعاقبه، و يذكر المسيحي أن إسلام الرجل تم يوم الخميس السابع من جمادى الأولى سنه سبع (...). و أربعمائه و أن الوزير المغربى أرسل إليه هذه الرساله من ميفارقين، و قد أورد المسيحي جانباً من الرساله لم يورده ابن بسام، و انقطع فيها بضياع الأوراق ما أورده صاحب الذخيره ما عدا سطرين منها.

١٥- ص: منها.

١٦- المسيحي: سرورا بما أتى الله جلت قدرته.

١٧- زياده من المسيحي.

العاندين الجاهلين، لا أن هذا الدين - بحمد الله - مفتقر من بعض حواشيه، إلى بينه تزيد فيه، و لا أن الاستدلال الصادق كان ترك شبهه إلا فضحها، و لا معجزه إلا أوضحها، و زائغا إلا قومه، و جاهلا إلا علمه، و ركنا للباطل إلا خفضه، و عقدا للشرك إلا نقضه، إلا أن المخالفين قد شغلت الدنيا أكثرهم عن التأمل، و حجبت العادات خواطرهم عن التأول، فبعد بالحجج السالفه ذكرهم، و اشتد إلى البراهين المستحدثه فقرهم، فكان أبلغ (برهان) إقبال مثله إلى المحججه عن غير رغبه استفزته، و لا- رهبه هزته، و لا- محاسده أغرته، و لا- مناظره عزته، بل أطلق عنان عقله و مد به راشدا حتى وقفه على الصراط المستقيم، و استتلاه قاصدا حتى أوردته إلى المنهج السليم، فوردت النعمه بتخيرها صافيه غير مكدره، و المنحه فى استئمانه وافيها غير مقصره، فهنا الله الإسلام ما لا يزال يتولاه به من إيضاح مناره، و تبلج أنواره، و إدامه صبحه ضاحكا تتصدع عنه دياجير الشبهات، و تنجلي منه ملابس الضلالات، و هنا الله الشيخ ما رآه له أهلا من هذا السناء الذى تقف دونه همم المعالى، و تضىء به ظلم الليالى، و غرس عنده التوفيق الذى يسترهن لواء النعمه، و يضمن بقاء العصمه.

رسالته إلى أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى وأخيه

(١) بسم الله الرحمن الرحيم و به توفيقى هذه أطال الله لسيدى الشيخين فى سبوغ النعمه البقاء، و أدام لهما فى ذروه المجد الارتقاء، و جعلنى لهما من كل سوء الفداء و الوقاء، نفثه مصدور، و ضجره مأسور، بعثتهما صبابه هوى تذكيها نار الغرام، فى صبابه لقاء تقلها أيدي السلام:

بقية شلو كسر البين عظمه و مزق جلدا كان يستر ما بقى

أقام فلا تلك الخوافى تطيعه نهوضا و لا تلك القوادم ترتقى

و لا- بد للمصدور أن ينفث، و لا- غرو للماسور أن يتلهث، و جملتها أنى كتبت و ما لى جارحه إلا و هى جريحه جبهما، و لا جانحه إلا- و هى جانحه إلى قربهما، و لا قلب إلا و هو كيفما تردد و تقلب ففى مرضاتهما، و لا نفس إلا و هو كيفما تصعد و تصوب ففى موالاتهما، فالله يحرس على موقدى جزل الغضا بين جنبى، و موفدى جيش الصبابه كل يوم إلى، اللذين إن واجهت بهما المروء أسفر مربدها، و سر مكمدها، و إن قابلت بهما الفتوه طلع سعدها و أورى زندها:

أردد فيهما فكرى فترجع حسرا فكرى

كذاك الشمس تننى العين معشاه عن النظر

فإذا هاجت بلابلى ذكراهما، و إن كنت لا أنساها، و اشتقت أن أراها، و لم أجد عوضا ممن سواهما:

أروم بالذكر شفاء الذى يقلقنى من لوعه الذكر

و لست بالحاصل إلا على إطفاء جمر بلظى جمر

و عله الكون إذا طولبت بالجرى فى الإفساد لم تجر

مثلت نفسى لديهما، وقررت مكانها بين أيديهما:

وخلوت أجتلب الرقاد لعلى ألقى خيالا منهما فاراهما

فإذا عدمت النوم لذت بفكرتى فانجاب لى من ليلتى فجراهما

وإذا سئلت بمن تهيم صباحه قلت اللذان هما اللذان هما هما

الموفيان بعهدى بالغيب، و الساتران لما فى من عيب، و المحسنان إلى إذا أسات، و المصيبان فى أمرى إذا أخطات:

دليلاى إن جار بى مهتد و عونى إن خذل الناصر

و لو لا تردد فكريهما لما كان لى فى الدجى سامر

من أجتلى غرر محاسنهما من جهات الدهر، و أقرأ فضائلهما فى صحائف العصر و أطالع طلعتيهما فى مرآه التخيل و أشاهد سميتيهما بعين التفكير و التأمل، و لا غرو و إن بعد العهد، إذا قرب الود، و لا ضير إن تناءت الأشباح، فقد تدانت الأرواح:

و لكن إذا حاسبت نفسى تأملت فلم تر إلا فكره قل ما تجدى

فلا العين ترعى غير ما كان من نوى و لا القلب يلقى غير ما كان من وجد

و إنى لجانى البعد و البعد قاتلى و شاحذ حد البين و البين لى مردى

فوا أسفا من ذا ألوم على النوى و من قبلى كان الفراق و من عندى

و كم قد أقلت الدهر من خطأ ثنى فهلا أقال الدهر من خطأ فرد

فنفس من كرب و فرج من أسى و جمع من شت و قرب من بعد

و هيهات هو الدهر الذى يسر نادرا و يسوء مبادرا، و يحسن مبتدئا و يسوء آخرأ:

و وجود ثم يجيد أخذ صلاته مستدركا خطأ الجميل فمدركا

فإلى الزمان أذم ما ألقاه من غير الزمان و أستنيم إلى البكاء

و إذا شكوت إلى سواه صنيعه لم يشكنى فإليه منه المشتكى

فلعله أن يغلط باجتماع، لا يكدره انصداع، أو تلاق لا ينغصه افتراق، و هو المرجو من طول الله تعالى. و لو لا ما أرجوه من عوده إلى ما عود من جمع الفريقين، و لم ذات البين، لمت كمدا، و لم أجد على ما أقاسيه جلدا. فاما حالى و ما أنا عليه، فجملتها أنى

أصبح و أمسى فى غل التدبير، و أروح و أجدو فى سجن المقادير، هدفا لسهام الليالى و الأيام، و غرضا لأسنه الأحوال و الأعوام،
أجد ما لا أريد، و أريد ما لا أجد:

و ليتنى من زمانى خرجت رأسا برأس

فلم ينلنى بخير و لم يصبنى بياس

و كنت أصبح حرا بين ارتجاء و يأس

و هما يريان ذلك فى اضطراب خطى، و رجوع أفاضلى شيئا فشيئا إلى حطى، فإذا هما صرفا التأمل إلى، و أقبلا بكليه فهمهما
على، وجدانى:

و قد استحال الهم بى فتخالنى من طول ما أجد الجوى مسرورا

و قد انطوت منى الضلوع على أسى لو كان محسوسا لكان سعيرا

و أخلق بمن كانت هذه صفته، أن تتساوى عنده الصحة و السقم، و أحر بمن كان هذا نعتة أن يتمثل لديه الراحة و الألم:

باى فؤاد أفاسى الهموم و فى أى جفن أحس السهادا

و ما ترك الدمع لى مقله و لا خلف البين عندى فؤادا

و أنا مع كمال هذه الأحوال أخاشن الحجر، و أحاسن القمر و أفاضل الهجان بالهجن، و أفضل الغثانه على السمن:

أتعاطى نرح الركى و قد قصر عن أن ينال ماء رشاء

ص: ٨٩

و لعهدى بفكرتى و هى تنجاب بها عن صباحها الظلماء

غير أنى و إن تعاورنى الهم و شاء الزمان ما لا أشاء

و رمانى مستيقنا أن قلبا بين جنبى صخره صماء

لا أبالى بالليل طال أم اليوم، كلا الرتبتين عندى سواء

و المغادى هو المراوح من همى فهذا الصباح ذاك المساء

و إذا العين لم تعاین سوى السوء فسيان ظلمه و ضياء

و ابنى الهم لا ابنه أنا إذ كل ابن هم بليه عمياء

و بعد فهذا - أدام الله عز سيدى الشيخين - قول أستغفر الله منه، و أساله التجاوز عنه، و أسلم للمحتوم فى أمره، و أرضى بقدره فى خيريه و شره، و أساله الجمع بينى و بينهما على حال تسر الولى و تسوء العدو بحوله و طوله، إنه ولى الاجابه و القادر عليها، إن شاء الله تعالى.

خطبه له بين يدى الحاكم

وقف أبو القاسم الحسين بن على المغربى خطيبا بين يدى الحاكم فقال(1): السلام على أمير المؤمنين بقدر استحقاقه من ربه، لا بقدر مقال عبده، و لا زالت الدنيا بعزه حاله الأجياد، و الأعوام بسناء دولته مصقوله الأطراف، حتى تعود الأعياد بين أيامه فى عموم المسره و إشراق نور الخلافة، و حتى أقف بين يديه خطيبا بنعمه الله جل و عز فى إنجاز ما وعده من ملك المشرقين و المغربيين، و حتى أرى سيوف انتقامه تشكو الظماء و تتعلل بالأمانى، لا عدوا أبتت بتلهلها علقا (؟) و لا عن باغ ذهلت، رويت برويها دما صيبيا. (كذا).

هذا الطاغى ملك الروم بقسطنطينيه قد كان خرق إزار السلم، و هتك حجاب الأمن، و أطلق مقال الحرب، و ظن ما أجرى من الحديد، و صوب من مجارى الجنود، عاصما له من جند الله و ملائكته المسومين، و ستر على ما أنزله الله من الفتح المبين، حتى ضعضعه زلزال الحروب، و أذابته نار الوقائع، فعاد يفتل جبل الهدنه، و يمد إليك أمير المؤمنين كف الرغبه، فلما أفرشته مراقد الإمهال، و أسكنته تحت ظل القرار، عاد يسترى و يمترى، فهب يشغب قصد القنا، و يستن فلول القضب، فكيف بنبش الرسم و إحياء الموتى، ألا و إنى أقول لكم يا قومنا معشر أنصار أمير المؤمنين، كما قال أخو خزاعه:

قاتلوا القوم يا خزاع و لا يدخلكم من قتالهم فشل

القوم أمثالكم لهم شعر فى الرأس لا ينشرون إن قتلوا

(قاتلوهم حتى لا تكون فتنه و يكون الدين كله لله) (البقره):

(و لا- تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله ما لا يرجون) (النساء: ١٠٤) و (عسى أن يكون ردف بكم بعض الذى تستعجلون) (النمل: ٧٢).

هلموا رحمكم الله، هلموا نصركم الله، هذا باب الزلفى مفتوح، هذا رواق الجنه ممدود، هذا أمير المؤمنين لكم أمير، هذا جبريل و فتنه لكم ظهير و نصير، (و لينصرون الله من ينصره) (الحج: ٤٠) (فان حزب الله هم الغالبون) (المائدة: ٥٦) و ايم الله يا أمير المؤمنين، لو لم يكن لك إلا هيبتك جند، و إلا فرسك معقل، و إلا ذا الفقار سله، و إلا عذبتى لوائك ظلال، لدمغهم سلطان الحق، و رشقتهم سهام النصر، و التقت عليهم خيل الله بالظفر، و لكان الرعب فى القلوب خليفه سيفك فى قصر الهامات (و إن لك موعدا لن تخلفه) (طه: ٩٧) و (إن نصر الله قريب) (البقره: ٢١٤).

ثم إني يا أمير المؤمنين عبدك و وليك ابن أوليائك، إن شئت كنت جمره تسعر فى صدورهم، أو سحابه تفيض على القتال، فاجلو عن بصائرهم بالمواعظ، و أحلل عقد صدورهم بسحر البيان، و إن شئت فاقمنى بحضره سرير عزك خطيبا بنعم الله عليك، و ناظما بسيره أيامك، و سنانا تدرأ به نحر كل خطيب أشرق فى ملكك غير ملكك، فو الذى أقامك بالحق إماما، ما سرنى بنظره نظرتها إليك ملء الأرض ذهبا، و لئن كنت نعم الامام و نعم الراعى، لأنا بنس المؤتم و بنس الرعيه، و إني لأصدق الناس قولا حيث أقول فيك يا أمير المؤمنين:

(أنت) أعطيتنى كتابا إلى رضوان حتى أجزت خير الجزاء

رساله فى السياسه

١ - حق على من رسم رسما فى السياسه أن يجعله فى غايه الاختصار، لأن المقصود بفائدته العظماء، و هم مخصوصون بكثره الأشغال، و التسرع إلى الملل. على أن أفضل ما فى الناس عموما، و فى السلطان خصوصا، محبه العلم و التشوق إلى استماعه و التقريب لحمته، فان ذلك دليل على قوه الإنسانيه و من أعظم ما يتحجب به إلى الرعيه. ثم فيه مع ذلك، استعراض للتجارب، و استعداد للنواب، إذ كانت أخبار الأولين تدل على آراء تجلت لهم أوائلها، و احتجبت عنهم عواقبها. و نحن بتاملنا ما آلت إليه أمورهم، و أثمر لهم تدبيرهم، نعلم من آرائهم الأول و الآخر، و الهوادى و الصدور.

٢ - و السياسات ثلاث: سياسه السلطان لنفسه، و سياسه لخاصته، و الثالثه لرعيته. فالسائس الفاضل إنما يصلح نفسه أولا. ثم يصلح سياستها رعيته، و ما يحملها عليه من الآداب الصالحه لرعيته، فينشأ الصلاح على تدريج و تسود الاستقامه على تدريج.

باب

إصلاح السائس نفسه

٣ - فمن إصلاح نفسه: إصلاح بدنه، لأنه كالقالب لنفسه، و الوعاء لجنسه: و أول ما يلزمه من إصلاح جسمه تمرينه على أذى القر و الحر، فان الإنسان فى هذه الدنيا على جناح سفر، و بإزاء غرر و غير. و الرئيس متى اتصل نعيمه، و رق أديمه، بان أثر

المشقه عليه، و ظهر الجور و العجز منه.

٤ - و من مصالح الجسم تجويد صنعه الطعام، فان استطابه المأكل تقوى الطبيعه على الاستمراء و الهضم، و بالضد أن لا يتناول منه شيئاً إلا بعد استمراء ما أكله قبله، و نقاء المعده منه.

و قال لنا "صاعد": استعمل الرياضه اللائقه بك، و لا تكظ المعده، و قد أمنت الأمراض كلها.

٥ - و من الحكمه فى الغذاء أن يكون لونا أو لونين متجانسين فان

ص: ٩٠

١- الدوادارى: الدرہ المضيه فى أخبار الدوله الفاطميه (الجزء السادس من كنز الدرر) تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهره ١٩٦١) ص ٣٠٩-٣١٢، و قال المؤلف: و هذه الخطبه لم تثبت فى رسائل أبى القاسم إلا أنها ثابتة فى سيره الحاكم. قلت: و النص فيه اضطراب و تصحيف كثير.

اختلاف الألوان يؤدي إلى سوء الاستمرار، و يجب أن يعتمد الحكيم على ذلك، و يوفر غيره مما تزين به الموائد على ندمائه و جلسائه.

و من الحكمة فيه أن لا- يستوفى نهمته كلها منه حتى يملأ- المعده، لأن الطعام إذا بدأ بالنضج ربا و انتفخ، فان لم يجد في تجويف المعده متسعا أعقب الكظه.

٦- و من الحكمة في الشراب أن لا يبلغ الحكيم منه مبلغا يزيل العقل و يصدئ الذهن، بل ما يكسب هزه و أريحيه. و أقبح ما بالسلطان أن يبلغ آخر أمد السكر، فيبقى سلطانه في ذلك الوقت مهملا، بل يجعل لنفسه وظيفه يتعلل يشربها و لا يتعدها، و يتناول منها في أول مجلسه كثوسا وافره، توقد نار الطبيعه و تذكيها. ثم يتعلل بعدها بما يستديم المؤانسه إلى أن ينقضى وقت الشراب، و هو ثمل طيب النفس، غير زائل العقل. و ليحذر النهوض عن مجلسه و قد انتهك الستر بينه و بين خدمه و حاشيته.

٧- و من الحكمة في الشرب إغبابه، و أفراد يوم له ليتناوله على جمام له و نشاط إليه، فتتوفر لذته و يكون أكثر زمانه لما يهيمه.

٨- و من الحكمة فيه إخلاء المجلس له إلا من أخص الندماء (و) قد اطرح الحشمه معه، و أن لا يحضر خدمته إلا العدد اليسير الذي لا يستغنى عن خدمتهم.

٩- و الصبر على السهر من أشرف صفات الملوك، و غلبه النوم من أدونها، و يجب أن يسهر ربع الليل الأول، و يستيقظ و قد بقيت منه بقيه صالحه، و أن يستعين بنوم النهار، لأنه لا يخاف من طروق حوادثه و فوت تلافياها. (و) مما يخاف من حوادث الليل جلب الحوادث الهائله، و لذلك وجد في الحيوان المخلوق للحراسه كالكلاب و الأوز طبيعه السهر.

١٠- و من حفظ الصحه الحمام، و فيها استفراغ فضول الأطمعه و الأشربه. و الملوك إلى ذلك أحوج من الرعيه، لأن الرعيه تنفى ذلك عنها بالحركات و الصنائع الشاقه. و من احتاج إلى تنقيه بدنه من الفضول بالحمام، فليدخل البيت الثالث، بمقدار ما تحتمله طبيعته. ثم يصب على جسده بعده ماء فاترا، ليجفف المسام، و يرد الحراره إلى قعر البدن و يمنع من كثره التحلل. و إذا خرج منه فليحذر كل الحذر، مبادره الأكل و الشرب، إلا- بعد استراحه و نومه يسكن بها ما عرض في بدنه من التموج و الاضطراب، فان ذلك خطر و جالب لكثير من العلل.

١١- و الرياضه من أعون الأمور على حفظ الصحه، فلتكن أمرا قصدا، و بحسب العاده و الاحتمال. و من أصلحها للملوك اللعب بالصولجان، لأنه مع الرياضه تخفيف للحركات، و تعود للمثاقفات.

١٢- و أول سياسه الملك لنفسه: استعمال تقوى الله تعالى، و أن لا يخلى وقته من ذخيره يدخرها بينه و بين ربه. ثم الإكثار من تذكّر نعمه الله عليه في أن رفعه و خفضهم، و ملكه تدبيرهم، و فضله عليهم. فليواصل حمد الله تعالى عليه، و يجعل من مجازاه نعمه الله عليه العدل فيما و لاه، و الإحسان إلى من استرعاه، و السهر لنومهم، و التعب لحراستهم، و أن لا يظن أن غرض الوالى تحصيل الراحة و الدعه، بل هو أحق الناس بالتعب، و أولاهم بالنصب.

١٣- و اللذات إما مباشره للأعمال ببدنه، أو تفكر فيها بقلبه، و السائس الفاضل لا راحه له بالحقيقه، و لا طريق له إلى اللذه، إلا

بمقدار ما يجمع نفسه فى أوقات يسرقها من زمان شغله. فيجب أن يوازن بها ما يتعوضه عنه من جميل الذكر، و جليل الذخر، ثم رضى سلطان له إن كان فوqe. و لا رتبه أبهى من رتبه العز، و لا زينه أجل من زينه المقتدر النافذ الأمر، و لا حليه أحسن من حليه الشناء و الشكر.

فهذه لذات الساسه الحكماء، و أعواضهم من الكد و العناء، و إن هم حفظوا الأصول فقد ينالون الفروع، التى هى اللذات، فى أوقات لا تخل باشغالهم، فيجتمع لهم الأمران.

١٤ - ثم ليحذر كل الحذر من تأخر عمل يوم إلى غد، فان لكل وقت شغلا. و هذا الخلق من المدافعات بالمهمات أدهى الدواهى، التى تتابع لها الخلل، و انهدمت لها الدول.

١٥ - ثم ليجتهد أن يجعل طاعه الخاصه و العامه له طاعه محبه لا طاعه رهبه. فإذا أطاعوه محبه حرسوه، و إذا أطاعوه رهبه احتاج إلى الاحتراس منهم. و شتان بين حالين: إحداهما تجعل الناس حراسا، و الأخرى تحوجه إلى الاحتراس منهم. و لسنا نعى بزوال الرهبه خلو قلوب الرعيه منها بالموجده و إنما نعى أن يكونوا فى حال رهبتهم له، واثقين بعدله آمنين من تعسفه و ظلمه، فتكون الرهبه حينئذ كمخافه الولد الوالده، بفرق أو بأدب، و هو يعلم أنه لا يريد إلا خيرا له.

١٦ - و رأس السياسه إنجاز الوعد و الوعيد، و مكافاه المحسن و المسىء، و الوفاء فى الجد و الهزل، و الاستخدام بالكفايه لا بالغايه، و التيقظ للأخبار فى القرب و البعد. فمن أحرز هذا الفصل، و أحاط بمعانيه أحاط بالسياسه كلها، و بالله تعالى الثقه.

١٧ - و ليجتهد فى إحراز الحظ الجزيل من فضائل النفس و هى: العلم و العفه و الحلم و السخاء و الشجاعه:

فمن العلم معرفته بما ياتى و يذر، و شده بحثه عن كل ما جل و دق.

و من العفه تنزهه عن المكاسب التى فضلتها الرعيه، و يجتهد أن تكون وجوه دخله مناسبه لجلاله قدره و علو منزلته، لا يهتك فيها للدين و لا للمروءه سترا، و لا يبعث بها على أحد من الرعيه انتقاصا و ظلما.

و من الحلم تأخير عقاب المقصر إلا بعد تكرير تنبيهه، و الأعضاء عن أول و ثان من جرمه، فإذا انقطع العذر أوقع العقوبه بموقع السياسه لا الشفى، و العدل لا التعدى.

و أما السخاء فان لا يمطل حقا، و لا يخيب أملا، و لا يؤيس قاصدا، فإنه يستعيز بعز الولايه و جاه القدره خلفا من كل ما ينفقه. و ليعلم كل وال أنه و كيل الله على ماله، و أن عليه حقا واجبا لكل ابن سبيل، و منقطع به. فليخرج إلى موكله مما يلزمه له، و إلا لا يأمن من استبداله به و حفظه عليه.

و من الشجاعه أن يشعر قلبه أنه لا يجوز أن يكون الجبان ضابطا لأمره، و لا حارسا لرعيته، و أنه إذا استشعر أعداؤه و أولياؤه ذلك طمعوا فى عطفه، و تدرجوا إلى اطراح مراقبته، و أن يجعل و كده كله جمع الرجال و الأسلحه و الخيل و العدد.

١٨ - و إن وثق السائس بتحصيله فليدرس أخبار الماضين، ليجنب

أقبحها و يعتمد أصلحها، فإنه باب عظيم من أبواب السياسة.

باب

سياسة الخاصة

١٩ - اعلم أن سياسة الخاصة ليست كسياسة العامه، لأن سياسة العامه استحفاظ طاعتها، و إقامة الرغبه و الرهبه فيها، و إفاضه المعدله عليها، من غير أن يحدث نفسه إلزامها الآداب الصالحه، فان ذلك عسير لا يرام. لكن الخاصه يجب أن يعتنى بإصلاح أخلاقها، و تهذيب آدابها، لتقوى على حقوق الخدمه التى تلتزمها. و إذ كانت للرئيس، فهى كالأعضاء للبدن، فمتى لم تكن الأعضاء على الهيئه الفاضله، أو عرض لها أمر يثنى كلها أو بعضها عن فعله الأصلى الموظف له، وقع الاضطراب فى جملة البدن.

٢٠ - و أول ما يجب اعتقاده فى هذا الباب أن السائس لا يستغنى عن تثقيف خاصته، و تفقد أحوالهم، و تقويم زيفهم، و إن كانوا حصفاء أسدادا. مثله فى ذلك كالصانع الذى يحتاج فى صنعه إلى آلات، و تلك الآلات لا يجوز أن تبقى على حالها مستقيمه بل منها ما يكل فيشحذه، و يعوج فيقومه، و يفسد فيصلحه. و كذلك السائس يجب أن تكون له عين راعيه، تتفقد أصحابه ليتلطف فى تثبيت صلاحهم و نفى فسادهم بما يتهيا.

و مما يحتاج إليه فى هذا المعنى أن لا يعتقد أنه إن استغنى أو استكفى كافيا أمرا يهمله، فقد استغنى عن تفقده و تعهده، بل يجب أن يتصور أنه مضطر إلى مراعاته، و ملاحظته بنفسه، كالأستاذ فى الصنعه، الذى يكل إلى تلاميذه ما يصنعونه، إلا أنه يراعيهم ليأمن خللا يجرى فيه.

و هذا أصل عظيم ينبغى أن يوقف الفكر عليه و الاهتمام به.

٢١ - و يجب أن يستخدم خواصه على المخالسه و المحبه الصرف بلا مزاج، و طريقه أن يستعمل معهم أربع خصال.

أولها: الإحسان إليهم، فقد "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها"، و أن يتفقد أحوالهم فيلم شعثها ابتداء قبل المسأله، ليدل على خلوص الاهتمام و لطف العنايه. فان قليل الابتداء أهنا و أحسن موقعا من كثير العطاء بعد السؤال.

و ثانيها: بسط آمالهم بالعفو عن الزلل.

و الثالث: أن لا يستقصى عليهم فى أزمته خدمتهم، حتى لا يجدد ترحه لراحه نفوسهم و لذاتهم. و لكل إنسان وطر يجب أن يقضيه، و يتنصص عيشهم بمناقشته فيه، و يلحقهم بالاستقصاء ضجر و ملال، يفسد الخدمه.

فإذا ساهلهم الرئيس بعض المساهله كانوا فى خدمته أنشط، و محبته أبدا فى قلوبهم تنمى و تتجدد.

و الرابع: أن يؤمنهم إسراعه إلى قبول كثير من ثقل الأصحاب.

و أقل ما يوجد فى الناس الكافى الأمين، فإذا اجتمعا فهو الجواهر الثمين:

١ - فاما كاتب الرسائل فمن يوثق بكتمانه، بليغ في بيانه، فان العبارة الحسنه تؤثر آثارا عجيبه في القلوب، و يكون متفننا في العلوم، و أن يطالب فيوجد عنده علم كل ما ورد إليه و صدر عنه، في أوقاته.

٢ - و أما الحاجب فطلق الوجه مقبول الشمائل محبب، ليوصل من يصل بإكرام، و يصرف من لا يؤذن له برفق و لطف كلام. و يجب أن يعرف طبقات الناس كلها، لينزلهم منازلهم، و يطالب بانهاء كل من يحضر في وقته.

٣ - و أما جابى الأموال فحسن المعامله للرعيه، منصف منتصف، مع طلق نفس، و طبيعه في التمشيه و الرفق، و أن يعتبر في كل وقت بمسأله عن دخله و خرجه.

٤ - و أما قائد الجيش فيكون شجاعا فارسا عارفا بآلات الجنديه، ذا حظ من الرأى، و يطالب بمعرفه أحوال الجند المضمومين إليه، ليعرف الحاضر من الغائب، و يلزمهم الباب، في أكثر الأوقات، بالعدد التامه، ليرهب بذلك رسل الملوك، و جواسيس الأعداء.

٥ - و صاحب الشرطه مهيب المنظر عبوس، جليل في العيون، غير ذى دعابه معروفه، و يؤخذ بالاشتداد على أهل الريب، و يتبعهم في مكامنهم، صاحب ثقه معروف بالصدق، ناصح أمين، معتدل الطباع، قليل العلق في المعاملات، و لا يقبل عثره من كذب بنهيه، فان التدبير كله على قوله:

٦ - و الحاكم يجب أن يكون عالما عاقلا مأمون الباطن غنى النفس.

٧ - و المحتسب أمين ثقه حميد السيره عارف بوجوه المكاسب و الغشوش و مصالح الرعيه.

و مظالم الناس صنفان: صنف ظاهر كالفسق المجاهر به و نحوه، و صاحب الشرطه يتولاه. و صنف مكتوم، و المحتسب يتولاه. و ربما كانت مظالم هذا النوع أعظم ضررا من النوع الآخر لأنها خافيه لا يهتدى إليها.

٨ - و المختار المتوجه في الرسائل حسن الرواء، مقبول ناصع اللسان حافظ لما يقوله و لما يقال له، يؤمن في التحريف و التمويه.

باب

سياسه العامه

٢٢ - العامه هي الموضوع الذى بكثرته يتسع الملك، و كلما كثروا كان الملك أوسع. و إصلاح العامه عسير لكثرتهم، و قله التمكن من مداواه الفساد العارض فيهم. فان الملك، عند اضطرابهم، إن رام شفاء غيظه منهم لم يتم له ذلك، إلا بخراب بعض العماره، و بلوغ ما زعزع من أركان السياسه. فليجتهد في حفظ نظامهم، و أن لا يحوجوا إلى بلوغ هذه الغايه فيهم.

٢٣ - و يستدل على حزم الملك بحسن سياسه الرعيه، و جمع كلمتهم على طاعته، للتباين الموجود في أهوائهم. و إن الشده و العنف لا تصلحهم، و اللين و المساهله لا تجوز في معاملتهم، فمنهم من تفسده الكرامه، و منهم من تفسده الاهان.

٢٤ - و أول ما يجب في سياستهم: معرفه طبقاتهم، و تمييز سرواتهم، فيطالبهم بالخدمه له، و السعى إلى بابه، إلا من ظهر عذره و بان عجزه. و لا يجوز للزهاد و العلماء الانقطاع عنه، إلا من وقعت اليمين الخالصه بانقطاعه إلى الله تعالى بالكلية و اعتزال الكافه. و يترك ما تختلط به الرعيه، كأبي على ابن أبي الهيش على شأنهم، و التبرك بدعائهم و الحذر من الإثم فيهم.

و أما من دونهم، من المتشبهه بهم، فليوسعوا عدلا و استخداما، و لا- يكونوا من التصون عن مجالس الملوك، و السعى إلى أبوابهم، فان في ذلك

ص: ٩٢

فسادا، قد شرحة "أردشير" فى "عهده"، يغنينا عن ذكره.

و هؤلاء الذين يطالبهم الملك بقصد بابه، فلهم عليه حق يقتضى تعرف أخبارهم، و صيانه جاههم، و ترتيبهم فى مراتبهم، و اختصاص كل واحد منهم من ذلك، بما يقتضيه طبعه فى الخير و الشر و النفع به و الضر.

ثم يبالى فى إكرام الأخيار من الطبقات التى دون ذلك و قمع الأشرار، و قصد من يتحقق بطاعته بمجازاه تزيد فى بصيرته، و الإنحاء على من ينحرف عن موالاته بما ينكله و ينكل غيره عن مثل طريقته، ثم إفاضه العدل العام الذى ينال كل منهم نصيبه الموفور منه. ثم تسهيل الأذن بقلع الظلم من أصوله، و غرس محبه الوالى فى قلوب الرعية. ثم حفظ أطرافهم و أمان سبيلهم، لتتوفر معاشهم، و تدر متاجرهم، و استعمال العقوبه الناهكه بأهل الدعاره و اللصوص من القتل المبير و الحبس الطويل، فهم كالشوك بين الزرع، لا ينمى و لا يصلح إلا بتنقيته منه. ثم التعطف على الضعفاء و ترفيهم عن الكلف السلطانيه، من تسخير لهم أو استعانه بهم.

٢٥ - و ليعلم أن كثيرا من الفتن تهيج بشكايه الضعفاء، و حقد الأغنياء. و يجب أن يتناول ما بعد منهم من السياسه و العدل بمثل ما يتناول به القريب أو أكثر، و ليس بسائس من خص بحزمه بعض ملكه. و مثل العارض البعيد، إذا لم يستدرك عاجلا، كمثل العضو يسقم من البدن، فان تلفى و إلا سرى فساده فى الجسد.

٢٦ - و لا يكون الملك لشيء أنكر منه لرشا العمال و الأصحاب، فإنها رأس الجور و الفساد، و صلاح الأطراف البعيده بشيئين: رفع الحجاب للمتظلمين، و بعثه فى كل وقت الأمناء الثقات المتعرفين.

٢٧ - و مما يحتاج إليه - و قد مر نبذ منه -: تعهد ذوى الأخطار و العلماء و أهل الأبواب بالتقريب، و اختصاص الواحد منهم بعد الواحد بالتانيس و الإكرام و المؤاكلة و المنادمه. و لا- يجعل أنسه كله مقصورا على خاصته، و ليكن ما يفعله من أمر هؤلاء الأمائل بددا غير محصور، و الغرض فيه الإيناس و إزالة النفور.

٢٨ - ثم إحسان مجاوره جيرانه فى الممالك التى تلى مملكته، فحاله معهم كحال الواد من السوقه مع جيرانه، لما أسست عليه الدنيا من الحاجه إلى التعاضد. و أن يبالى فى بر الواردين عليه من رسلهم، و أن يتصنع لهم بتفخيم مجلسه، و إظهار جماله و زينته، و مظاهره بره لهم و تكرمته. و الله الله أن يطيل حبسهم عنده، ففى ذلك من الفساد ما يطول شره، و المده التى يقيمونها، فليكونوا محروسين ملحوظين من مخالطه أحد من الخاصه و العامه إلا من عرفه الملك.

٢٩ - ثم يتفقد مدينته بل مدنه كلها بضبط طرقها، و معرفه من يدخلها و يخرج منها، و الوقوف على الكتب المختلفه إلى أهلها من التجار و غيرهم، و ليضبط مدينته ضبط الرجل من الرعيه داره، و لا يخرج عنها أحد إلا بجواز، و لا يدخلها إلا باذن.

٣٠ - ثم يوكل فكره بالأخبار، و البحث عن الأسرار فيما قرب منه و بعد عنه، و جاوره من ولى و عدو، و مبلغ ما عندهم من عدو، و ما يتجدد لهم من عزيمة. و هذا أمر يجب أن يسمح به بكل نفيس، و لا- يضمن عنه بمال و لو كثر، فربما دهمه من مجاوريه، على غفله، ما يود لو سبق به علمه و لو أنفق الأموال الجزيله عليه، و بالله التوفيق. و كتب إلى بعض الرؤساء: ثقته بكرمك تمنع من اقتضائك، و علمى باشغالك يبعث على إذكارك.

و كان يقول: لا تعتذر إلى من لا يحب أن لا يجد لك عذرا، و لا تستعن إلا بمن يجب أن تظفر حاجتك.

و مر بمكتب و المعلم يضرب صبيا ضربا مبرحا، فالتفت إلى من معه و قال: إن الله تعالى أعان على عرامه الصبيان برقاعه المعلمين.

و من كلامه: العمر علق نفيس لا ينفقه العاقل إلا في ما هو أنفس منه.

قال الحسن بن أسد أبو نصر الفارقي: مر بي الوزير المغربي فوقف على و قال: نحن بالأشواق إلى لقاءك، لما ينتهي إلينا من تلقائك، فلو زرتنا لأنسا بك، فقلت له: قد كفت ذيل مطامعي بيت قلته، فقال: و ما هو؟ فأنشدته:

إذا شئت أن تحيا عزيزا فلا تكن على حاله إلا رضيت بدونها

قال: فصفق المغربي و قال: أيها الشيخ هذا بيت تبر لا بيت شعر.

قلت (ابن العديم): وجدت هذا البيت في بعض الكتب منسوبا إلى شاعر قديم (1).

نصوص من أدب الخواص

أنشد (2) يوما سيف الدولة أبو الحسن بن حمدان في مجلسه القافيه التي أولها:

"إن الخليط أجد البين فانفرقا"

يعنى من شعر زهير بن أبي سلمى، فأبدى استحسانا لها، فقال النامي المصيصى أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي: أراك كلفا بها أفتحب أن أمدحك بخير منها؟ قال: نعم أشد الحب، فلما كان بعد أيام لقيه راكبا على نهر حلب المسمى قويق، قال:

فترجل و وقف عليه سيف الدولة، و أخذ ينشد قصيده في غايه الحسن أولها:

ما أنت منى و لا الطيف الذى طرقا ردا الكرى و استردا منى الأرقا

فأراد سيف الدولة كياهه و العبث به، فاعرض عنه و أظهر استنقاضا لشعره، فقطع الإنشاد في وسط القصيده و ركب و مضى، و سيف الدوله يراه، إلى شاطئ النهر، فخرقها و غسلها، فاحتمله سيف الدوله و لم ينكر ما كان منه، و درست آثار هذه القصيده فليس توجد في ديوانه.

امرؤ القيس (3) بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاويه بن الحارث، و هو الولاده، سمي بذلك لكثرة ولده، ابن معاويه بن ثور بن مرقع الكندي، و فيه يقول امرؤ القيس بن حجر:

ألا هل أتاها و الحوادث جمه بان امرأ القيس بن تملك بيقرا

و ذلك أنه كان قد صحبه حين خرج من عند المعلى يريد قيصر فلم يزل

ص: ٩٣

١- فيما رواه الحميدى (جذوه المقتبس: ١١٨) عن ابن حزم أنه قال، أنشدنى الوزير أبى فى بعض وصاياه لى: إذا شئت أن تحيا غنيا فلا- تكنعلى حاله إلا- رضيت بدونها و والد ابن حزم توفى قريبا من أربعمائه، و حوار الحسن بن أسد الفارقى و الوزير المغربى تم فى ميفارقين و ذلك بعد سنة ٤١٥، فمن المستبعد أن يكون هذا البيت للفارقى، بل هو أقدم عصرًا منه، و وصل الأندلس قبل الأربعمائه.

٢- بغيه الطلب ٣٦:٢.

٣- بغيه الطلب ٣١١:٣.

معه إلى أن فارقه بأرض الروم، فلذلك قال: "بيقر" أي سافر، وقيل أتى أرض العراق، و تملك: والده السمط، وقال آخرون من أهل النسب ثقات: الذي عناه امرؤ القيس هو امرؤ القيس بن المنذر بن امرئ القيس بن السمط والله أعلم (ذكر هذا كله أبو القاسم المغربي في كتاب أدب الخواص).

أول(١) ما سمع حجر من شعر ابنه امرئ القيس قوله:

اسقيا حجرا على علاته من كميت لونها لون العلق

و إنى لأستقبح أن يقول قائل لأبيه: "على علاته" و أظن ذلك هو الذي غاظ حجرا، فلما سمعه أمر الساقى بلطم وجهه و إخراجه و نهاء عن قول الشعر، ثم سمعه يوما و هو يشرب من فضله أبيه و هو يقول:

و هو [هر] تصيد قلوب الرجال و أفلت منها ابن عمرو حجر

يعنى هر بنت سلامه بن عبد الله بن عليم من بنى كلب، و ابنها الحارث، و هو الملقب بالخرساء، و قيل إن هرا جاريه كانت لأبيه، و الأول أصح، فوثب إليه أبوه فضربه، و أمر مولى له أن يقتله فلم يقتله، و أظهر قتله، ثم ندم على ذلك...

و قيل إنه لما قتل حجر تنازع امرؤ القيس ابنه و ثعلبه بن مالك أحد بنى عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كنده في الملك بعده، فاجمعا للحرب، فاکمن امرؤ القيس أصحابه و برز إلى ثعلبه وحده و طعن فيهم فحملوا عليه فولى هاربا و هم في طلبه، فخرج عليهم أصحاب امرئ القيس فكسروهم و أسر ثعلبه و قتله صبورا و قال:

لا و أبيك ابنه العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

(٢) ...

(و) بعض الناس يظن أن وفاده امرئ القيس إلى الروم كانت للاستجاشه على بنى أسد و ليس كذلك، و إنما سببها أن المنذر بن ماء السماء اللخمي لما عاد إلى الملك أيام أنوشروان أنفذ في طلب بنى آكل المرار جيشا من بكر و تغلب، فأسر منهم ستة عشر رجلا و قيل اثني عشر فضرب أعناقهم بالحيره في دور بنى مرينا، و هى تسمى لذلك تل الأملاك، و لذلك قال عمرو بن كلثوم:

فأبوا بالنهاب و بالسبايا و أبنا بالملوك مصفدينا

و نجا امرؤ القيس بالهرب و لجأ إلى هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فاستجاره فلم يجره، فاتى سعد الضباب الأيادى و كان سيد قومه في وقته فاجاره زمنا فمدحه و هجا هانئ و قيل إن أم سعد كانت تحت حجر فطلقها و هى حامل فتزوجها الضباب فولدت عنده سعدا فنسب إليه. ثم تنقل في الأحياء في طيبى (و ذكر الوزير كثيرا ممن نزل عليه ثم قال): إنه نزل على المعلى بن تيم بن ثعلبه بن جدعان بن مقصور و اسمه لوذان بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجه بن سعد بن فطره بن طيبى، فلما تغيب المعلى عن بيته اغتتمها المنذر و قصد بيته و فتشه فادخل ابنه امرأ القيس إلى نسائه فلم يجده

عندهم، و عاد فمدحهم امرؤ القيس:

كانى إذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلى بمقتدر و لا الملك الشامى

أصد نشاص ذى القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام

أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام

فسموا مصاييح الظلام لهذا القول. ثم خرج امرؤ القيس من فوره يريد قيصر.

[و ذكر أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ فى تقدير ما بين رسول الله (ص) و بين امرئ القيس أنه نحو مائتى سنه أو مائه و خمسين سنه و أورده فى الحيوان] و قال الوزير ابن المغربى: و الصحيح الذى يوجهه التقريب فى التقدير أن بين مولد النبى (ص) و بين موت امرئ القيس خمسا و خمسين سنه، و بين مولد النبى (ص) و بين هجرته ثلاثا و خمسين سنه.

و قيل إن امرأ القيس لما حصل عند الملك مستغيثا به على من قتل أباه من العرب زوجه الملك بابنته و أعطاه الرجال و خرج من عند الملك، فتخلفه الطماح قبيحا و أوغر عليه قلب الملك و قلب ابنته فأعطاه خلعه مسمومه و قال:

الحق امرأ القيس و ادفع إليه هذه الخلعه و قل له: إن الملك أكرمك بهذه الخلعه من جسده، ففعل، فأعطاه الحله فلبسها، و علم أنها مسمومه فقال:

و قد طمح الطماح بى من بلاده فلبسنى من دائه ما تلبسا

و بدلت قرحا داميا بعد نعمه فىا لك من نعمى تبدلن ابؤسا

(و) إن امرأ القيس بن حمام الكلبي تبع امرأ القيس بن حجر حين قصد ملك الروم حين خرج من عند المعلى يريد قيصر و مر بكلب، فتبعه منهم امرؤ القيس بن حمام الشاعر، و كان من المعمرين و عاش مائتى سنه فيما قالوا:

نصوص من كتابه

المأثور فى ملح الخدود - ١ - حدثت (٣) عن أبى على أحمد بن نصر المعروف بابن البازيار الأديب الكاتب الظريف، و كان قد صحب سيف الدوله رحمه الله دهرا فذكر الحكايه (حكايه أعرابى قدم على غير و شكاه إليه أنه أفقر عشيرته فقال له عليك بالاستغفار).

- ٢ - (بعد أن ذكر الحسين بن سعيد بن حمدان قال) (٤): و أخواه أبو الهيجاء حرب ابن سعيد كان بالعراق و تلك الديار، و كان جليلا ممدحا، و فيه يقول سرى بن أحمد بن السرى الكندى:

و لو لم أكن جار الأمير لكان لى أديم بظفر النائبات ممزق

بجود أبى الهيجاء ألبست نعمه مجدده تضافو على و تشرق

ص: ٩٤

١- بغيه الطلب ٣:٢٩٣، ٣٠٩، ٣١٠.

٢- علق ابن العديم عند هذا الموضع بما موجهه أن هذا البيت قاله بعد مقتل أبيه، مع أنه من القصيده التي جاء منها " و هر تصيد
قلوب الرجال " و قد أفاد أنه قاله و أبوه حى، و هذا تناقض.

٣- بغيه الطلب ٢:٨٨.

٤- بغيه الطلب ٤:٩٥.

و فيها يقول:

إذا ما اعتنقنا خلت أن قلوبنا تناجى بأفعال النوى و هى تخفق

و له فيه:

أنت سعد الكفاه يا ابن سعيد و كفاهم بان تراءوك سعدا

أنا حر إذا انتسبت و لكن جعلتني لك الصنائع عبدا

٣ - و من (١) ولد أبى الهيجاء أبو محمد الحسن و أبو الحسن على: ناصر الدوله و سيفها رحمهما الله، المتجاذبان ملاءه المجد، و الجاريان على ساقه الكرم و الفضل، و فى مدحهما يقول أبو العباس أحمد بن محمد الدارمى النامى المصيصى رحمه الله:

بجبلى وائل ركنى عزها و عارضى أفق نداها المنهمل

توازن القسمان فى المجد اعتلا تساوى العينين فى اللحظ اتصل

يا حسن ابن المحسنين دعوه للمجد تدعاها و أخرى للوهل

و يا على كم دعاء بك من ثغر مخوف و رجاء مبتهل

هذا مقامى بين بحرین فلا ثمدا منحت ظماى و لا وشل

٤ - قال الوزير (٢): و حدثنى أبى قال: سألت الحسين بن بكر الكلابى النسابه قال: و كان أحفظ خلق الله لأنساب العرب و أخبارها و مثالبها و مناقبها عن السبب فى استردال العرب غنيا و باهله فقال: و الله إن فيهما لفضلا غزيرا و فخرا كثيرا، غير أنه غمرهما فضل أخويهما فزاره و ذبيان من غطفان بن سعد بن قيس عيلان، و كذلك أصغر من فى ولد حمدان أكبر من كبراء غيرهم.

٥ - سعيد بن حمدان (٣) بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن الرشيد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربه بن حارث بن مالك بن عبيد ابن (٤) بن عدى بن أسامه بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، و اسم تغلب دثار، و بعض حساد هؤلاء القوم يرميهم بالدعوه و يقول إنهم موالى إسحاق بن أيوب التغلبى، و ذلك باطل، و أصله أن كثيرا منهم أسلموا على يد إسحاق هذا، فطرق القول عليهم لأجل ذلك، و قد قال الشاعر:

إن العرائن تلقاها محسده و لن ترى للناس حسادا...

كان أبو العلاء سعيد بن حمدان ملازما بغداد و خاصا بحضرة المقتدر، قالوا: فكانت أكثر مواقفه على بابہ (و كان أمر الرجاله قد عظم) و كانوا فى بعض الأوقات ساروا إلى قصر المقتدر مشغبين عليه فهزموا محمد بن ياقوت و الحجريه و الساجيه، و كان أبو

العلاء فى دار المقتدر على غير أهبه، فأمره بالخروج إليهم و دفع إليه جوشن المعتضد بالله و درع و صيف الخادم، فظاهر بينهما و خرج مع من حضر من غلمانة، فضرب فيهم بالسيف و غشوه من كل باب و أثخنوه بالجراح فثبت حتى هزمهم، فقال فيه هوبر الكنانى من ولد هوبر صاحب تغلب فى حرب قيس و تغلب قصيده يمدحه فيها، منها:

يبرزون الوجوه تحت ظلال الموت و الموت منهم يستظل

كرماء إذا الظبا واجهتهم منعتهم أحسابهم أن يزلوا...

و كان أبو العلاء شاعرا يعد من شعراء بنى حمدان، و كان أوقع ببني عقيل بموضع يقال له شرح من أرض العالیه، وراء نجد، فظفر بهم بعد قتال شديد و قال:

نبئتها تسأل عن موقفى بأرض شرح و القنا شرح

و عن عقيل إذ صبحناهم و قد تلاقى الحسر و الدرع

و قد أتانا منهم فيلق حام حماه ما له مدفع

شدت فيهم شد ذى صوله قد جربته الحرب لا يخذع

إذ فلتت هام أسود الوغى و قطت الأسواق و الأذرع

(و وجدت فى هذه الأبيات زياده قرأتها بخط الوزير أبى غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين و هى بعد البيت الثالث):

حتى إذا ما كشرت نابها و عيف كاس الموت لا يكرع

تجنى نفوسا بين سمر القنا فهى ككر الطرف أو أسرع

و بعد بقيه الأبيات ختمها بقوله:

لا تزجرينى عن طلاب العلاما إن ينال العز من يضرع

أنا سعيد و أبى أحمد بالسيف ضرى و به أنفع

أراد بقوله: و أبى أحمد "حمدان" لأن اشتقاقهما واحد.

و غزا أبو العلاء سنه تسع عشره و ثلاثمائه فأوغل فى بلاد الروم و قتل و سبى و غنم، و كان معه خمسة آلاف فارس من العرب، كل ألف بلون من الرايات و العذب على أرماعهم، و هذا منظر عجب إذا تصورته، و أبو العلاء فيما قالوا ضمن عن بنى البريدى ستمائه ألف دينار ثم أمرهم بالهرب، و دارى السلطان عنهم حتى أصلح أمرهم و أقرهم على أعمالهم فما دخلوا مدينه السلام إلا

مالكيها، و أهدوا إلى أبي العلاء هديه بالف ألف درهم فلم يقبل منها إلا عمامه خز.

٤ - خالد بن الحارث بن أبي خالد قيس بن خلد بن مخلد، و قد قيل مخلد بن عامر بن روييل بن عبد حارث بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارث بن ثعلبه بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارث بن امرئ القيس بن ثعلبه بن مازن بن الأزد و اسمه دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأنصاري (هكذا نقلت نسبه من خط الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي، قال: و في صله نسب قحطان كلام ليس هذا موضعه)(٥).

قرأت بخط الوزير أبي القاسم المغربي، قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عماره النسابه المعروف بابن القداح مولى بني ظفر من الأوس في كتابه الذي صنفه لنسب الأوس و الخزرج: كان أبو خالد الحسن بن قيس هذا٦١.

ص: ٩٥

١- بغية الطلب ٤: ٢٦٠.

٢- بغية الطلب ٥: ٢٧٤.

٣- بغية الطلب ٥: ٢٧٤، ٨: ٢٩٣، ٢٩٤.

٤- قال ابن العديم (٥: ٢٧٤) و نقلت نسبه (أى حمدان) هكذا من خط الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي، و بيض ما بين عبيد و بين عدى و ضيب عليه، إما لأنه لم يعرف اسم من بينهما، و إما لأنه شك في ذلك.

٥- بغية الطلب ٦: ٣.

بدريا عقيبا و ابنه خالد و مخلد صحبا النبي (ص) و حضرا صفين فقتلا يومئذ، و أمهما أميمه امرأه من بنى زريق من قومهما
فقال:

أعيني جودا بدمع سرب على فتيه من خيار العرب

و ما ضرهم غير حين النفوس أي أميري قريش غلب

تذييل

١ - أنفذ الوزير إلى أبي العلاء المعري قصيده فعلق عليها أبو العلاء بقوله:

" و الله لو لا أن يقال غاليت، لكتبت تحت كل بيت، فليعبدوا رب هذا البيت "

٢ - الرجل الذي توفي بجده و صادر أبو الفتوح أمواله يدعى: المطوعى و هو من الفرس، و كان عنده أموال الهند و الصين
(أي كان تاجرا يتعامل مع الشرق الأقصى) و خلف مالا عظيما و أوصى لأبى الفتوح بمائه ألف دينار ليصون بها تركته و الودائع
التي عنده.

٣ - كان للوزير المغربى مملوك، و كان شديد المحبه له، و كان روميا، و كان أحد أولاد بطارقه الروم، فبلغ خبره أباه، فسأل
ذلك البطريق ملك الروم أن يرسل من يستخلص ولده ففعل، و أنفذ رسولا إلى ابن مروان صاحب ديار بكر، فلما وصل الرسول
استدعاه الوزير المغربى و سقاه الخمر عنده تكرمه له، فلما عملت الخمر فى الوزير قال ذلك الرسول: أريد من إنعام الوزير
يبيعنى هذا الغلام، فقال: هو لك هبه، فأخذه من ساعته، و نفذه على خيل قد أعدت فى كل فرسخ فرس، فلما أصبح الوزير
استدعى الغلام، فقيل له: إنك قد وهبته من رسول ملك الروم، فاستدعاه من ساعته و طلب منه الغلام فقال: أيها الوزير، ذلك
قد قارب بلاد أبيه، بلى، مهما أردت من الثمن أعطيتك، فقال الوزير: ما كنت لأذهب محبوبى و مروءتى، قد وهبته منك
خالصا، ثم قال:

يا من غدا جبل الريان يحجبه ليس التصبر عن قلبى بمحجوب

أفلت قلبى من صدرى و أطلبه من بعد ما صار فى الشم الشناخيب

فاشمت و لا ترث لى مما أكابده يدى لعمر ك كانت أصل تعذيبى

علمتنى الحزم لكن بعد مؤلمه إن المصائب أثمان التجاريب

(قلت: انظر المقطوعه رقم: ١٤).

٤ - حدث العطوى الشاعر قال: دخلت يوما على الوزير المغربى بالموصل و هو جالس على ضفه نهر يخرق عرصه داره، و بين
يديه جاريه كأنها فلقه قمر تسقيه و تنادمه و هو يقول:

(1) فحكيت هذه الحكايه لأبى العلاء المعرى و أنشدته البيت فقال: هذا هو الطبع لا ما ينعه ذلك الرجل الذى يقول:

أبى ريقه أباريقه، أو كارها أو كارها

يعنى البستى.

- ٥ - حدث صاحب الوزير جمال الدين الأكرم، و ناهيك به معرفه لأخبار الأيام، خصوصا ما يتعلق بحوادث مصر قال: لما قدم أبو الحسن على بن الحسين و ولده أبو القاسم إلى مصر و بها الحاكم تلقاهما و أنزلهما و أكرمهما، و عرف لهما حق الكفايه و البيت و الأدب، و عين لأبى الحسن على بن الحسين خدمه. و اتفق أن دخل أبو القاسم يوما إلى الحاكم و كان أبو القاسم ذا هيئه و رواء و جسم و شاره مستحسنه، فأعجب الحاكم ما رآه من فخامه منظره، فخاطبه فوجده لسنا حسن المحاوره أديب الألفاظ، فخف على قلبه و نفق عليه و أمره بملازمه مجلسه، فتكلم أبو القاسم يوما بشىء استحسسه الحاكم فقال له: يا أبا القاسم احتكم فيما شئت حتى أبلغك، فقال: نعم يا مولانا، أحب أن تهب لى نفسى و لا تقتلنى، فتبسم الحاكم و قال: ما موجب هذا الاقتراح؟ فقال: يعلم مولانا أن العصمه تفرد بها الأنبياء و أنا فبشر أخطى و أصيب، فأخاف بادره خطاء يكون فيها حتفى، و قد رأيت ذلك فى جماعه من أولياء مولانا، و السعيد من وعظ بغيره، فقال: لك ذلك، فقال أبو القاسم: أحب أن يكتب مولانا خطه بذلك، و يعطينى توثقه من نفسه به، فقد أوجب هذا الانبساط سوء الأدب فى لحظات تحكيم مولانا إياى.

فوجد من الحاكم وقفه فى ذلك، فقال له: لا بأس، نحن عبيد و المولى مالك، و أرجو أن لا آتى بما يكره مولانا، و أعيش فى نعمته على رضاه و ما يهواه، و لكن لى أخت لها من قلبى منزله أخاف عليها من الريح إذا هبت، إن رأى أمير المؤمنين أن يكتب لها أمانا على نفسها، و موثقا على بقاء مهجتها و صيانتها، فعل. فقال له لك ذلك على أن تعطينى موثقا أن لا تفارق حضرته إلا باذننى، فقال له: لك ذلك، و كتب كل واحد منهما بذلك خطه و أيده بيمين حلقها.

و خرج أبو القاسم من مجلسه و تهيأ من وقته للاستتار، فاحضر عجوزا ممن يوثق بعقلها و دياتتها، و أمرها أن تكترى دارا فى بعض المحال النائيه و تتردد إليها و تبيت فيها تاره و تنقطع أخرى، و لا تخالط أحدا من الجيران، و رتب ذلك مده سنتين أو ثلاث. فاتفق أنه استدعى يوما إلى القصر، فدخل و الحاكم جالس فى مستشرف الدار لم يره أبو القاسم، و كان فى اجتيازه قد وطئ نواه ثمره، فلما صار بجانب الحاكم جعل ينفذ نعله عده نوب حتى سقطت النواه، ثم التفت فرأى الحاكم، فقبل الأرض بين يديه، فوجد التغير فى وجهه، و الإنكار باد فى نطقه، و إن أظهر التجمل و الانبساط، فعلم أبو القاسم أن الحاكم قد ظن أن نفض نعله كان استهانه به و احتقارا له، و علم أن الحاكم لا يقبل المعذره، فلما خرج من حضرته مضى إلى الدار التى أعدتها تلك المرأه و استتر فيها. و طلبه الحاكم فلم يوجد، و (استفسر) من أبيه فأنكر أن يكون عرف له خبرا أو وقف منه على أثر، فاعتقل أباه و جميع أهله و أوقع بهم، و جاء بأخته المذكوره فعلقها و طلب منها أخاها و ضربها ضربا موجعا، و نادى فى البلد بالتماسه فلم يوقف له على خبر، فاخرج أباه و أخاه و جماعه من أهله إلى المقطم - جبل مطل على القاهره - و ضرب أعناقهم صبرا، ثم خرج بنفسه حتى وقف عليهم و أمر برفعهم

١- انظر المقطوعه رقم: ١٣

و غسلهم و تكفينهم و دفنهم، و رجع إلى داره بالقصر، و جلس للعزاء بهم، و حضرهم الناس و عليهم ثياب الحزن. و هذا من أعجب تلون هذا الرجل - يعنى الحاكم - فإنه كان متناقض الأحوال متباين الأقوال و الأفعال.

و اتفق أن حضر بمصر جماعه من شرفاء الحجاز على عاده لهم كانت لهم بالحضور بمصر للاستجداء و طلب الصلحه، فوصلهم الحاكم بما جرت عادتهم، و خرجوا إلى ظاهر القاهره مبرزين قصدا للعود إلى بلادهم، و بلغ ذلك أبا القاسم فسير من اشترى له مهرية مثل جمالهم، و لبس لبسهم، و خرج حتى اختلط بهم و هو متلثم، و خرج الحاكم لوداعهم، فتقدموا إليه و خدموه و استأذنه في الرحيل، فقال لهم: امضوا على بركة الله. و كان في من تقدم إليه أبو القاسم، فلما رأى مشيته قال لواحد من جانبه: ما أشبه مشيه هذا الشريف بمشيه ابن المغربى، و رحلوا و رحل معهم.

قال الصاحب: فبلغنى أن ابن المغربى فارق الجماعه و جلس في جبل المقطم بموضع يقال له الجبل الأحمر، حتى ركب الحاكم على عاده كانت له منفردا مع غلامين له إلى ذلك الجبل، فلقبه أبو القاسم في جماعه ممن كان يثق إليهم، و قد خرجوا إليه معدين، فلما رآهم الحاكم خاف و استشعر، و عرف أبا القاسم المغربى فقال له: يا أبا القاسم، غدرت بك، فقال: لا بأس عليك، و إنما أحببت أن لا أفارقك حتى أواقعك على غدرك، ما أعطيتنى موثقا من الله أن لا تسيء إلى تلك الحرمه المسكينه؟! فقال: حملنى الغضب عليك لكونك فارقتنى بغير إذن، و قد حلفت ألا تفعل إلا بامرى و إرادتى:

فقال له: أما أنا فما فارقتك حتى استأذنتك، فقال له: و متى استأذنتنى؟ قال: فى يوم كذا لما أذنت للشرفاء، فانى تقدمت حتى سمعت خطابك و أنت تقول: امضوا مصاحبين على بركة الله، فدخلت فى العموم، فقال له الحاكم: إذا كنت قد خرجت من هذه بحجه، فلنك على عهد الله أن أطلق أختك و ألحقها بك، فتركه المغربى و توجه إلى العراق، و رجع الحاكم إلى القاهره، و جهز خلفه من يرده فلم يظفر به حتى لحق بينى الجراح و أغراهم بخلع الحاكم...

(قلت: و هذه قصه تنطوى على عجائب و غرائب، و لعل للخيال نصيبا وافيا فيها).

- ٦ - يستفاد مما ذكره ياقوت أن ابن المغربى تسلم الأمان من الحاكم فكان أن أخذ رقعه و كتب فيها:

أ أنشب كفى فى الرحى ثم أرتجى خلاصا لها إنى إذن لرقيع

- ٧ - أنشد أبو القاسم المغربى حال خروجه من مصر:

و نفسك فز بها إن خفت ضيما و خل الدار تندب من بكاها

فانك و اجد أرضا بأرض و لست بواجد نفسا سواها

(قلت: و لعله تمثل بهما، فلم أجد من نسبهما إليه).

- ب - سقط من الرساله التى كتبها إلى رئيس اليعاقبه حين أسلم، و هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم: كتبت إلى الشيخ الجليل - أطال الله بقاءه - و هذا دعاء من حقق الله رجاءه إذ كان من سبقت له الحسنى، و أدرك من شرف الآخره المنى، فكل يوم من

أيامه دهر سعيد، و كل وقت من أوقاته أمد بعيد، و لأن من كان اهتداؤه تذكره للمهتدين فهو شريك في أجور أعمالهم و قسيم في ثواب أفعالهم، و كان عمره قد اتسع لعباده طالت أيامها و لياليها، و كان أمدته قد انفسح لطاعه أنجحت أسبابها و دواعيها، فهو لذلك مكتهل في أول فتائه، و مذكور بالتعمير منذ ابتداء زمانه، حتى إذا تهادت به خطى المهل المعلوم، إلى غايه الأجل المحتوم، كان الحى المرزوق عند بارئه، المخلد المحبو بما قدم من مساعيه، و كان: حبل حياته مبرم، و سلك بقائه منظوم لم ينتثر، و أثره جديد لم تعفه الأيام، و خيره قريب لم تنسه الأفهام، و شخصه ملموح بأعين البصائر، و حديثه ملتقط باسماع الضمائر، و عهده دان و إن بعد ميقاته، و زمنه مستقبل و إن مضت أوقاته، و الصالحات عنه باقيه نورا في وجه الزمان، و سرورا في قلب الايمان، و تلك صفات الشيخ الجليل - أطال الله بقاءه - إذ كان من لزمه حق رام قضاءه، و تعين عليه فرض حاول أداءه، و حدثت له منه - أدام الله تأييده - اخوه لطيفه بادر إلى وصالها، و نشأت بينه و بينه رحم سريعه قابلها ببالها، و جمعته و إياه أنساب لا يجمل عقوقها و لا تضاع حقوقها، و أدنته إليه أواصر أحكمت يد الإسلام عقودها، و أكرمت ذمه الايمان عهودها، فأسكن بها التقى روحيهما جسما، و استودع الهدى قلوبهما صدرا، و صارت كلمتهما متفتتين و إن بعدت الديار، و دعوتاهما مؤتلفتين و إن اختلف النجار، و سقياهما من ماء واحد و إن تباين المحتدان، و مصدرهما عن نمير واحد و إن تشعب الموردان، و رتوعهما في رياض الملكوت، و رجوعهما إلى موعد الجزاء الموقوت. و على أنى لو وفيت هذه الأواخي حقها، و أعطيت هذه الوسائل وفقها، لكان السفر أقل ما يقتضيه الدين لمشاهده نعمه الله تعالى على الإسلام و أهله بمكانه، و أدله الحق على الكرم و ذويه ببرهانه، فان التكرمه في ذلك لو وفرت عليه لكان لها موضعا، و لما يزيد عليها مجمعا، فكيف و هى مقسومه بين أهل المله، و موزعه على أعيان هذه النحل، إذ كان مكانه - أدام الله تأييده - من عموم الشرف عليهم، و انتشار الفضيله فيهم موضع الدليل من إطلاق لسان المستدل، و البرهان من إعلاء كلمه الخصم المدل. و يعلم الله ما ورد على و على كافه من حضرني من المسلمين... إلى آخره(1)

الشيخ حميد السماوى ابن الشيخ أحمد.

إشاره

ولد فى السماوه (العراق) سنة ١٣١٥ و نشا فيها، ثم هاجر إلى النجف الأشرف [الأشرف] للدراسه ثم عاد إلى السماوه مرجعيا دنيا فيها، فكان ذا أثر محمود فى سيرته و توجيهه. و من هنا غلبت عليه الصفه الدينيه و توارت شاعريته وراء مسلكه فى التعامل مع الناس فى شئونهم اليوميه و مشاكلهم الحياتيه، فلم يشتهر شاعرا مع أنه كان فى الطليعه من شعراء العراق المبدعين فى عصره. توفى سنة ١٣٨٤.

شعره

قال بعنوان الطائره:

قيثاره العلم الصريح و دميّه الفن الصراح

ص: ٩٧

١- تتمه ذلك قد ورد قبلا، انظر الرساله رقم: ٩.

هوجى على متن الأثير و هيمنى فوق الرياح
شق الطريق فلا جناح عليك يا ذات الجناح
و تدافعى فوق الفضاء الرحب مطلق السراح
فإلى النطاح قد انبرى متكافئا كبش النطاح
جلى فاما للضريح غدا و أما للضراح
يشدو و قد بدرت على شفثيه بادره الطماح
من ليس يطربه غناى فسوف يزعجه صياحى
شحوا عليه بالعبور ضحى و ليسوا بالشحاح
حتى تقصفت القنا و تحطمت بيض الصفاح
و لطالما سمحوا فلم يتفيثوا حلل السماح
فيما التلاحى و السما مرصوده فيما التلاحى
تلك ابنه الأفلاك ترسل وحيها لابن البطاح
عبرت عبور الفكر راح تروضه ذات الجماح
و سمت سمو الفن فى دنيا التقدم و النجاح
و تكتلت باسم الصلاح على مناوأة الصلاح
هبطت فحى على البلاء و سمت فحى على الفلاح
تنقض من كبد السما باشاوس ربد كلاح
فتصب أنواع البلاء على الحواضر و الضواحى
فبكل آن تنجلى الضوضاء عن حرم مباح
و مجزرين على الرمال تخالهم مثل الأضحى

طبلت يا بنت البخار ضحى فعربد كل صاحى
و صدحت فى الست الجهات و كان يطربها صداحى
ليست لغاتك كاللغات و لا اصطلاحك كاصطلاحى
لا بد من يوم أغر به تنوحى أو تناحى
تاسى جروح المصلحين و أنت داميه الجراح
أ تغالب القدر المتاح فريسه القدر المتاح
يا أجدل الأفق المطل على الروابى و البطاح
انى تدوى فى الغدو كما تدوى فى الرواح
أ تحن للفتح المؤمل أم تثن من الرزاح
أم فى ضميرك حاجه تحنو بها شتى المناحى
أفصح فما برح القوى مثار ألسنه الفصاح
و أرو عن الست الجهات صداك لا الست الصحاح
فلقد يحدث عن جهينه من يندد عن سجاح
فلدى الصباح سينجلى ما دبروا قبل الصباح
أرسلت ليثا للصرع و ألف كلب للنباح
عصرت أحلامى على جاماتكم و سكبت راحى
أ يغص من مص البحار بنهله الماء القراح
إن لم يكن قلبى لكم فلکم يدي و لكم سلاحى
فإليك يا أخت الملاح تعج من شطط الملاح
أودت بجائله القنا فتكات جايله الوشاح

باتت مشعشعه الرجا فى ظل مظلمه النواحي

قلبان قلب للخداع لها و قلب للكفاح

كتبوا لها صك الطلاق فوقعت عقد النكاح

فغدت تعلل نفسها بنتاجها قبل اللقاح

أنا لست ممن يشرب لطلعه الخود الرдах

أما سفرن عن الشقائق أو بسمن عن الاقاح

هل تحت برقعك المدبج غير الحاظ وقاح

أمن الخيال حقايق لكم وجد من مزاح

فلقد علمتم و المخادع عرضه للافتضاح

إننا إذا أزف اللقا و تراقصت سمر الرماح

نبنى على هام القرون دعامه المجد المطاح

أو ليس عن دور الختام يشف دور الافتتاح

و قال عام الفيضان :

عربدت و الطاغى المدل يعربد و نهدت و الأمواج فوقك تنهد

و هدرت و اللجج الزواحف كلما تزداد فى استعصافها تنمرد

و علوت متن الرافدين مزمجرا و السحب تهطل و العواصف ترعد

فقضمت نائته الحقول فهل على شديك من تيار موجك مبرد

و شدوت و النفس الطروبه كلما ضربوا على وتر الحياه تغرد

و غذوت جرف الشاطئين برشحه من فيض صدرك فهو بحر مزبد

متحدرا و الموج يضرب بعضه بعضا فتحسبه يحل و يعقد

مهلا أبا الأمواج مهلا إنها شعل على أمثالها تتوقد
جاشت بمعناك اللغات فهذه تشنى و تلك بما فعلت تندد
لا تذهبن بك الظنون فان من أخنى عليه اليوم يسعده غد
يقسو فؤادك و هو ماء سائل و يسيل جرفك و هو صخر جامد
بسطت لموكبك الشواطئ ظهرها فشاوت منصلتا تغور و تنجد
فترى العروش إذا غشاها تنحنى لجلاله و إذا علاها تسجد
فلئن أتاها بالخوارق فهي لا تنفك فى أيامها تتصمد
أملت ما يملى المدل بنفسه و فعلت ما لا يفعل المستعبد
و نفخت أورده الحياه فأصبحت خطرا به قلب الحياه مهدد
و طفقت تحدو للمنون قوافلا تاه الدليل بها و ضل المرشد
لم تدر أيان المصير و نفسها بين الحناجر و اللهى تتردد
مستنجدات ما هنالك من صدى أصواتهن و ما هنالك منجد
يحسبن اثباج الحياه زوارقا جاءت تصوب نحوها و تصعد
شهدتك فارتاعت و لم يك راعها من قبل ذلك فى الحوادث مشهد
شهدتك جبار الإراده طامحا تزهو لك الدنيا و وجهك مزبد
و لرب مرضعه جرفت رضيعها فتركتها هلعى تقوم و تقعد
وقفت و نبراس الرجاء أمامها يبدو لها طورا و طورا يجمد

متضائل الأنوار رامت قصده فنأى بها التيار عما تقصد

ترنو لمرضعها يعوم بجنبها و الموت جاث حوله يترصد

أغفى فما انطبقت له عين و لا امتدت له ممن تؤمله يد

تدنو به الأمواج من رشقاتها حتى إذا حدثت عليه يبعد

فتحت له الأهوال ثغرا موصدا فهوى و ما ثغر المنيه موصد

أ يعوم تحت الماء جسم كلما يغليه تيار الحوادث يبرد

و تذوب فى الأمواج نفس حيثما يطفو مذاب الموج فيها يجمد

و تموت باديه الشحوب يظلها من رائع الأيام يوم أسود

و يروح هذا الكون يبسم هازئا منها و شحور القضاء يغرد

كم دوله للموج أم كم جوله يشقى بها قطر و قطر يسعد

خضدت حقول الرافدين و كم على الأمواج من كف هنالك تخضد

تربت يد الفلاح منها إنه ما أنفك يبذر فى الحقول و يحصد

أ بساعد الفلاح تهزأ أم على ما أعوج من مسحاته يتجدد

تثرى بطون الأرض من ثمرات ما غرست يدها و هو ضاح أجرد

متوسلا يدعو و هل يغنى الدعا و الماء فى بقراته يتزاد

فكلايه تعوى أسا و شياهاه تثغو شجا و بناته تستنجد

و كأنما الأرض السما و كأنما فى كل أفق من بنيه فرقد

لماعه الجنيين لكن افقها بالرغم من لمعانه متلبد

فلقد هوى من نجمه ما قد هوى و أضاع من أحلامه ما ينشد

ذهبت سدى تحت الظلام جهوده و القوم ما بين الأسره هجد

حيران تجهش نفسه فيصدها و تخونه فى الحادثات فيسعد

رباه أن يدى غدت مشلوله جزا و كفك بالعطيه أجود

ما للغيوم تبددت عن افقها و سحب هذا الأفق لا يتبدد

فالقوم بين أكله و أسره متنعمون و طرفه المتشهد

هل أن لون الصبح لون حالك أم أن هذا الليل ليل أسود

و له يرثى الحسين (ع):

لمن النواهد لا برحن نواهدا يفنى الزمان و لا تزال رواكدا

طفقت تصعد فى الفضاء كأنها اتخذت بآفاق السماء قواعدا

نتت على هام القرون فخلتها فى مبسم الدهر الجديد نواجدا

و مشت تحيى الفرقدين فاطلعت بالرغم من وضح النهار فراقدا

نطحت بصخرتها الوجود و أصحرت لتظل من بعد الحدوث أو ابدا

ركدت كرابعه الكرات على الثرى فهوت لها الست الجهات سواجدا

تستشرف العهدين فى لفتاتها عهدا تعشاها و عهدا بائدا

و تساجل الجيلين فى همساتها لتشد بالمجد الطريف التالدا

نهضت شواهد كالعروش فأصبحت منها عروش الفاتحين هو أمددا

لم تحو و هى الشامخات أنوفها نحو السماء إلا ملاكا صاعدا

كحلت بها عين الزمان و لم أخل من قبل أن من الصخور مراودا

ضربت لابعاد الفضاء مقاييسا و بنت بجوزاء السماء مراصدا

أ مواقد الأنوار فى الحجب التى كانت لأنوار الإله مواقدا

و معاهد الأسرار فى الكون الذى لا زال للمجد المنيف معاقدا

و أريكه الوحى التى من حولها للسمع تتخذ العقول مقاعدا
جبلتك أطفاف المشيئه هيكلأ أضحى ملاك العقل فيه ساجدا
وافى ليرتاد الرواء ميمما حفلا باقطاب الهواشم حاشدا
رقدت به السفراء من عمرو العلى و كفى سموا أن يكون مراقدا
قيثاره المجد القديم ترنمى فلطالما نبهت جيلا راقدا
و تدافعى فوق العقول و ركزى فوق المدارك للمدارك عاقدا
ما قدس القوم الدمى و لو أنهم رفعوا لهن هياكلا و معابدا
لكنما انجفلوا مع الزمن الذى استجلى من الصخر الأصم خرائدا
جلى و ما جلى الشعور وراءه متكافئا إلا ليرجع جاهدا
فلو استويننا فى المدارك لاستوت هذى الشعوب مبادئا و عقائدا
أ و ليس جبار العقول هو الذى حشد الطريق كنائسا و مساجدا
قد كنت أحسبه شهابا ثاقبا فانقض شيطاننا و حلق ماردا
فهلم يا بن الرافدين و ان همى جفن أفاض لك الشعور روافدا
لا زلت مضطرب الهواجس صامت الأعضاء تستوحى خيالا شاردا
خفض عليك فلا أراك بحاجة حتى تقيم على نبوغك شاهدا
أ تعج خلف المدلجين و طالما ابتعثتك جاليه العوالم رائدا
كم صرخه صعدهتها فتقاطرت خطبا يرن بها الصدى و قصائدا
و كم استفزت نائرا منا و كم خلقت من الجو الملبد قائدا
خفت فخف العلم يتبع خطوها فمشت به متضامنا متضامدا
فتصفحته جوامعا و مجامعا و تخللته مدارسا و معاهدا

فأحبس يراعك ما استطعت فإنه أضحى يسيل لها شعورا جامدا
و يروح يبسطها يدا مشلوله و يظل يوقدها سراجا خامدا
لم لا نسير كما تشاء لنا العلى صفا يشق طريقه متساندا
ما ضرنا و المجد مجد واحد لو كان هذا الشعب شعبا واحدا
قد وزعوه عوائلا و قبائلا و تجاذبوه أزمه و مقاودا
عقمت مساويهم و يا لك أمه أضحى الطريق أمامها متباعدا
فطفقت أنضجها حصاه لم تزل صما و أضربها حديدا باردا
جذاء تدفعها الخطوب و طالما احتيلت فكانت أذرعا و سواعدا
أودى بها جشع الطباع فقدمت للدهر أشلاء الكرام موائدا
فكم استحلّت من دم زاك و كم جزرت بمادبه الطفوف أما جدا
هذا أبى الضيم أصحر مرقلا يطأ الطريق جنادلا و جلامدا
جلى فاما أن يعيش مهيمنا فوق الحوادث أو يموت مجاهدا
فاقتادهن أعنه و أسنه و اجتازهن سياسبا و فدا فدا
حتى تغشته الصوارم فانحنت تردى عليه بوارقا و رواعدا
إبها أبا الشهداء لست مرزء فأقول صبيرا أو أقوم مجالدا
وقفت بموكبك الحياه و سجلت لك فى جبين الدهر رمزا خالدا
و تنهدت لك عن غرام صامت لما رأتك إلى المنيه ناهدا
ضلت مقاييس العقول و لم تزل ما بين أمواج الحقيقه صامدا
بسمت لمطلعها فكنت لها فما و هوت لمصرعها فكنت لها فدا
و له يرثى الحسين (ع):

سيرى بموكبك المنضد سيرى فلقد غلا بالنور أفق النور

و لقد تجلى الله فوق شعاعك الهادى فكلمنا بغير سفير

فالدهر بين يدي ركابك جاثم و الكون تحت لوائك المنشور

سجدت لمطلعك العوالم و انحنت لجلال هيبتك ابنه الديجور

سيرى فما يدريك ما يلد القضا و تجول فيه يراعه التقدير

فالمرء للإرماس مهما استعصمت أدواره و الشمس للتكوير

فلقد تداعى عرش طاغيه الدجى و هوت دعامة بيته المعمور

و محا صحيفته الزمان فلم يدع إلا بقايا أحرف و سطور

أ سليله الأحقاب قد طفحت على قسما و جهك دهشه المذعور

اعراك ما يعرف الوجود من الأسى و شجاك ما يشجى من التغيير

مجت عناصرك الخلو و إنما تتدحرجين إلى فنى و دثور

فقفى إذا اسطعت الوقوف و حدثى ما فى خلايا كونك المغمور

ما أروع الصور التى تطفو على وجه الأثير و أبرع التصوير

فلقد ترامى العقل نحوك فانثنى متخاذل الهمسات كالمسحور

و تكادمت فيك الظنون فراعها ما راع من صنع و من تدبير

تقف الحوادث نصب عينك برهه و تخب نحو الصور بنت الصور

حتى إذا انصلت القضاء بحادث كالسيف تصلته يد الموتور

جلى ابن طه فوق كاهل طرفه فأراك فوق الطور نار الطور

و أراك كيف يثور عاهل هاشم غضبا لوجه العدل و الدستور

حتى إذا أدى رسالته هوى جذلان ملتحفا بكل وثير

ما ذا تريد به المنون و إنما هي نهله من بارد مقرر

و لرب قائله و قد مسح الأسي وجهي برائعه من المقدور

ما لي أراك أبا البيان مقطبا و بنى أيبك بغطه و سرور

فأجبتها و قد استفز حديثها فحوى حديث غامض التفسير

إيها أميم فان بين صوامت الآلام ما يغنى عن التعبير

أنا مثل قومي لو حبست مشاعري و خدعت في معنى الحياه ضميري

قد كنت مبتهجا كما شاء الهوى فجنت على مداركي و شعوري

ما راق لي التفكير لكن لم أطق إرجاءه إلا إلى تفكيري

ما كنت اختار الشقاء بنظره فيها تراحم مصدرى و مصيري

قطعت مجاهيل الحياه و جهجهت لترود مطلع عالم مستور

سلخت عن اللب القشور و أصحرت للعقل عاربه بغير قشور

و تالقت لي في الظلام و هل ترى غير الظلام يشق أفق النور؟

ما أسعد الرجل الذي ازدلفت له صور الحياه تخب فوق الكور

لم يله عن ذكر المراع و الحمى إلا بذكر شويبه و بعير

نشوان طول الدهر يسمع نفسه مدح الفرزدق من هجاء جرير

تهب الطبيعه ما يشاء فتتجلى خضراؤها عن سندس و حرير

فيرى الوجود كما يشاء خياله ما بين مهبط روضه و غدیر

و يرى رعاه الحى خلف بيوتهم جاثين بين جلامد و صخور

يتهامسون فلا يشق حديثهم بعد الصدى إلا رغاء العير

أ حمامه العقل المقدس حلقى فوق الأثير بنا لخير أثير

فلقد خلا الوادى فتلك سماؤه جرداء من صقر و من عصفور

كم تسجين أمام جيل لم تزل تجنى عليه عوامل التأثير

لك رعشه المقرور فى الكون الذى طفحت عليه نفثه المصدور

طيرى فقد أزف الصباح و ربما بسط الصباح جناحه لتطيرى

و لربما وقف الطليق معبرا عما يجول بخاطر المأسور

كم حره للوحى شق حجابها بغى الأمير و قسوه المأمور

ضربت عليها الحادثات رواقها فبدت وراء أكله و ستور

تملى على الأجيال ما يملى لها الحدثان من ذل و من تحقير

أ تبات آل الله فى ذل السبا و تبات آل أميه بحبور

ذهبت تطبل بالبشائر بعد أن ذهب الحسين ضحيه التبشير

و قال:

هلا اتقيت و فى الأنباء مزدجر خطب تراحم فيه الرأى و القدر

فظلت تغرس آمالا و تحصدتها جرداء لا ورق فيها و لا ثمر

أنى يصيخ إلى الأرجاز متعظا من وقرت سمعه الآيات و السور

فراح ينبش مرموسا قد انجرفت به السنون فلا عين و لا أثر

انى أعيدك و الأيام فاغره فاها و جنح ظلام الخطب معتك

و أستميحك و الأقلام ساغبه تلوك ما تنضح الآراء و الفكر

من كل ساحره الألفاظ تحسبها عصى ابن عمران لا تبقى و لا تذر

فللسياسه أبطال تنادمها و النظم و النشر أبطال له آخر

حسيننا الله مسحورين تدفعنا أغراضهم فكانا بينهم اكر

مسخرون تزجينا مطامعهم بحيث لا ماء يروينا و لا شجر
تخدرت حسبما شاءوا مشاعرنا حتى تساوى لديها النفع و الضرر
أنعمت جامك بالعتبي على فئه فازوا بمعترك الأيام و انتصروا
و استشعروا الصمت حتى لا تحس لهم ركزا كأنهم فى دورهم قبروا
شقوا طريقا على ضوء الهدى يبسا فلتكسف الشمس أو فليخسف القمر
همو همو مثلما قد كنت تعهدهم ما رنقت صفوهم من بعدك الغير
و ما برحت ولوجا فى ضمائرهم و ان تثقلت الأشباح و الصور
لا تطمئن إلى السلوى قلوبهم أنى و قلبك بالآهات منذر
لكن بالرغم قد بتت علائقهم كف السياسه لما أهدق الخطر
كيف ادكارك و الأنفاس شاهده و الحاكم العدل فينا الصارم الذكر
و كم رقيب على قولى و كم رصد فالسمع يهتز بالتهويل و البصر
لا تضجرن إذا مستك نائبه من يوقد النار قد ينتاشه الشرر
و من يهدم ذرى صرح بمعلوله تلقى الغبار على عطفيه ينتثر
فكم تصليت و الأيام قاسيه كأننى تحت أسنان الردى حجر
كن حيث أنت و دع من آزروك و من أزرى فسيان إن لاموا و ان عذروا
حسبتهم صبورا فى كل حادثه حتى إذا امتد خرطوم القضا جاروا
و قال فى عيد الغدير:

بلبل الوحي فى ضفاف الغدير صادح باسم موكب التأمير

يتحدى الأجيال مهما ترامت فى مجاهيل عالم مستور

هيكل من تعطف و حنان مائل فوق هيكل من شعور

جوهرى الوجود لم تتفاعل فيه شتى عوامل التغيير

ص: ١٠٠

عدسات التصوير تجلوه لو لم تنعكس فيه جامه التصوير

أنجبتة عوامل القدس لما لقحتها أشعه التأثير

يفطع النص فى على بنص و يشد الدستور بالدستور

ما تلاشى صوت الحقيقه حتى ارتعش الحق فى فم الجمهور

حيث ساد الصموت لولا هناه طبلت للقفول قبل المسير

همسات تذوب فى همسات و سطور تنحل فوق سطور

رقمته يراعه الكون رمزا فوق أثاج بيتها المعمور

عبرت حين عبرت عنه لو لم يتسامى عن حيز التعبير

فسرته كما تشاء و لكن تشكل الواضحات بالتفسير

هيمنت فوق مستوى الحس لما أن تخطت عوالم التفكير

فهى برهان صوره الفتح إن لم تك عنوان آيه التطهير

فسماء الوجود تعزف فيها نغمات التهليل و التكبير

و رياض الخلود تعقد فيها حفلات الإكبار و التقدير

و على منبر الجلاله يملى بلبل الوحي لوحه التأمير

منبر إن يكن كما قيل عنه إنه كور ناقه أو بعير

فهو رمز المجد الذى سجلته فوق أرقامها يد التحرير

و تراث العرب الذى حملته بين أكتافها ثوان الدهور

وقفت عندها المشاعر خرسا و مشى العقل مشيه المخمور

فاستفاضت عواطفى و تناجت بعد لأى هواجسى و ضميرى

قطعت شوطها إلى الحق لما مخرت غمره الغنا و الدثور

فلتجل حله الظلام و تغدو حيث شاءت طلائع الديجور
فستشوق عن ضواحي شمس آمنه من طوارق التكوير
عارضت موجه الأثير بوجه يتلاشى له ظلام الأثير
كلما راد مارده الوهم افقا رجمته ببارق مستنير
يا أخا المصطفى تعاليت شانا عن مقام التمثيل و التنظير
أنا لم أدر كيف اثني فحسبى من ثنائى الشعور بالتقصير
(أنت فى منتهى الظهور خفى) و لدى منتهى الخفا فى ظهور
ليس بدعا إن أخروك و جاشت نزعات النفوس بالتأخير
و تعاملوا عن مظهر النور لما أغدق الكون جامه بالنور
فعلى الشمس برقع من قتام و على اللب حاجب من قشور
زعم القوم و المزاعم شتى و انتحال الألقاب غير عسير
إنما قدمت سواك أمور قبح الله شأنها من أمور
كذبتهم أحلامهم فليسدوا مطلع الشمس عن جبين البصير
و ليردوا موج الأنير و يمحوها له البدر عن جبين العصور
ان تعالت إلى الحضيض أمى و استطالت بمجدها المبتور
فلقد سجلت على كل دور من علاها صحيفه من فجور
عبرت كونها إلى حيث شاءت لكن الخطب فى طريق العبور
زقزقى فى الفضاء جوبى فليست ترهب الصقر ثوره العصفور
و قال:

خذى فى ضروب اللحن يا ورق أودع فسيان أن رجعت أو لم ترجع

أصم رنين الخطب سمعى فكيف لا تحس به آذان قومی و لا تعی
ترامت بنا الأيام و هی حوائل زمانا فعادت بین حبلی و مرضع
و طاف علينا الدهر و هو موكل بجامین منزوف و آخر مترع
حنانك لا تجحف بحكمك بیننا فلیس کریم الطبع كالمطبع
سرینا و ساروا فابتدرنا و أحجموا فاودی خفیف العدو بالمتضلع
أ تدرک شاو المدلجات ضلیعه إذا نهضت قال الحداه لها قع
و تبلغ أسرار الحیاه ولیده إذا برزت قال الحیاه لها ارجعی
اطارح قومی بالأهازیح علما یهز طروب الحی صوت مرجع
هتفت بهم مستنجدا فی سراتهم و ما استنجد المشلول إلا باقطع
هلموا بنافا لخطب قد صرنا به فحاتم حتام الأناه معی معی
نبث الأسی فی حفله بعد حفله و ندعوهم فی مجمع بعد مجمع
و له قصیده عنوانها (النفس):

لا بقا حتی أمنیک البقاء فاغدقی جامک فیمن أغدقا

کیف استبقی حیاتی و علی ضفتیها عدمان استبقا

عارضی موج المنايا تجدی أسعد الساعات ساعات الشقا

ما وجوم الأرض إلا صرخه أفعمت کل وجود رهقا

فاحلبی شطریه درا و دما لبنا ضرعا و ضرعا علقا

أیها النفس و فیک اتسقت نظم العالم حتی اتسقا

ما تشائین فقد شاء الهوی للخلیطین بان یفترقا

هل ترجین ربیعا قادما فلقد حت الخریف الورقا

سرت و العالم يسرى أفهل شاءت الأكوان أن نتفقا
ليت شعري و الدجى يسمعى زجل الوهم إذا الوهم رقى
إن بعد ما كان لا شىء كما كان قبلا فلما ذا خلقا
حلقات كلما فصمها ثاقب الرأى استدارت حلقا
طفقت تستصرخ العقل فلم يعل صوت العقل حتى اختنقا
فوجودى ليس إلا لحظه و حياتى ليس إلا رمقا
فارتقى حيث وجدت سلما أو توارى أن وجدت نفقا
كبرياء الدهر يندك لدى كبرياء الحق مهما بسقا
و ثبات النفس قد أودت به و ثبات الموت لما اعتنقا
فتحت لى فمها فإزدحمت حوله الآهات حتى انطبقا
فهى لا تقبض من مشفرها شدقا إلا و مدت شدقا
لست أدرى و وجودى لم يزل تتحاماه نواميس البقاء
هل أنا أمس أنا اليوم و هل عهدنا الراهن عهد سبقا
عزفت نفسى من مرقدها و استفزت لكراها الأرقا
و ترامت بى إلى مشرقها فاللقا قبل تنائنا اللقا
احتبكت موجا ففى تيارها قد طفى نجم و نجم غرقا
سمعت درياقتها و استسلمت للرقى لو كان فى الكون رقا
طالما قد خلعت أعراضها فاستقلت جوهرها فاتلقا
و تعرت كيف شاءت بعد أن تركت للأرض ثوبا خلقا
و تسامت بى إلى مبدئها و أنا ما بين أطمارى لقا

لاكها الموت و كم لاكت له بين لحيها لسانا ذلقا

فهوت تحسبها صامته و هي بعد الموت أجلى منطقا

حملت قلبين قلبا موثقا بين جنبيها و قلبا مطلقا

و شات يومين يوما تتقى شطط الوهم و يوما تتقى

هبطت إذ هبط الجسم و قد حلقت عنه فهلا حلقتا

ص: ١٠١

ارتفعت كالروح عيسى فهوى بعدها الجسم كموسى صعقا

كيف و الإنسان من جوهره كان صدر الكون صدرا نزقا

وسعته الأرض فيمن وسعت و سقاه حتفه فيمن سقى

فهوى فيه إلى حيث هوى و ارتقى منه إلى حيث ارتقى

كم شئون قد أمطنا سجنها و تجاذبنا حتى انخرقا

طرق و الدهر من رقدته كاد لا يشعر فيما طرقا

فتجاهلت و كم طارقه قد رأيت الحلم فيها حمقا

و جنون المرء عقل عند ما يصبح العقل جنونا مطبقا

و قال:

ثابت و ملء كلوم المصلحين دم مهزوله الرأى لا شحم و لا ورم

خرقاء ثاويه حيث الهوان فلا هم يزاحم مثاها و لا همم

وسيمه الوجه تستصبيك غرتها لو كان فى ذلك الوجه الوسيم فم

كم أصحرت و اشرأبت غير آبهه أ هى الحقيقه كانت أم هى الحلم

تموج زاخره بالترهات فما يجيش تيارها إلا و يحتدم

أنى تطيق دفاعا بعد ما وقفت بين الحوادث لا قرن و لا قدم

و قد تمر مع الأكوان هادنه غداه تعلق فى أشداقها اللجم

طاقت على الملاء الأعلى فما برحت طورا تئن و طورا منه تبتسم

نامت و نور جبين الحق منطلق و استيقظت و ظلام الجهل منسجم

مغلولة الساق ما دب و لا درجت و الكون ترفل فى أعماقه الأمم

حنت إلى هر مى مصر فقلت لها هناك مصر و لكن هاهنا الهرم

فى كل زاويه عجل تؤلهه و كل دست لها فى صدره صنم
فأصبحت كلما قامت دعامتها على شفا جرف الآمال تنهدم
تساقطت فوقها آطامها فإذا ما قومت أطما منها هوى أطم
أفى تصيخ إلى وعظ القضا أمم فى مسمع الدهر من ضوضائها صمم
فهل تلييك أشلاء مبعثره أم هل تحييك من أرماسها الرمم
تطوى السنين و لا تنفك حائله كان من أولدوها المجد قد عقموا
هذى صفائحهم لو أنها انصلت و ذى صحائفهم لو أنهم رقموا
أقول و النفس قد جاشت زوابعها خفض فان لذا ذات الهوى ألم
كم ماثل نصب عيني لا وجود له أن الوجود على علاته عدم
توحدت حولنا الأقطار و ازدوجت و لم يكن بينها قربي و لا رحم
شدت بحاضرها الماضى فراح على متن الهواء يقوم الهيكل الضخم
يا بن الفضيله قد وافيت مضطلعا بحمل ما عنه بعض النابيين عموا
هل نظره بعد طول الفحص ترسلها مع الشعاع فقد أودت بنا الظلم
و خطره تتخطاها بحاضرنا إلى الامام كما شاءت لنا الأزم
ألم تر الحق مدحوضا بحجته المثلى و عاصفه الأهواء تحتكم
فالنجم يشرق إذ تخشاه داجيه و الجزم يشتد إما اشتدت الحزم
أسل يراعك لا جفت محابره فقد تدفق من تياره الكلم
يوحى فينبعث الجيش اللهام فما يقعع السيف حتى يهمس القلم
فالحكم للسيف أما اهتر منصلتا و لليراع الكاتب الحكم
مستنزفا صفوه الآراء مرتضعا در العواطف فهو الساغب النهم

يلهو كما بين لحييه فليلفظها فظل يريزح جوعا و هو يلتهم
حدث فان حديث اليوم عن وطن سيعلم الغد عنه غير ما علموا
و أنت أنت لسان الدار إن وجمت و أنت أنت خطيب القوم إن وجموا
ما أوصدت دونك العليا مناهجها و لا تغشاك في مضمارها السام
فالوقت أضيق من أن تستبين به حقايق القوم إن قالوا و ان وجموا
هل أنهم ساده رغم استكانتهم أم أنهم رغم ما اعتزوا به خدم
ما كان أغناك عن ايغار صدر بنى أبيك و المرء مهما احتج يتهم
فللحقيقه مهما همهمت لعه في فهمها يستوى الخصمان و الحكم
و النفس مهما استفزت من عناصرها أمام عاصفه الآراء تنهزم
دعها تنير طريقا طالما ارتعشت قوائم العقل و اندكت به القمم
جم المزالق ما انفكت بجانبه طلائع الكفر و الايمان تزدهم
فهل يشوقك أن تلقى أساورها عنها فتصحر لا قلب و لا خدم
هم أنت إن فاضت الدنيا بنائلهم ذكرى و ان كانت الأخرى فأنت هم
فالدار دارك ان شحت و ان منحت و القوم قومك أن بروا و ان أثموا
أغلوا مراجل صدر الدولتين أسي هم و ملء فمى لما أقول همو
هم دعامة قحطان و ساستها و مجدها الناصع الجنيين مجدهم
ما بالها في حضيض الذل خاضعه و كان يخضع جبارا لها العلم
فان تيجان مجد العرب تعوزها مفارق الغر من عدنان و القمم
حيث الشجاعه في مجرى أواصرها تجرى و يضرب في أعياصها الكرم
و له قصيده و عنوانها - بغداد - نظمها عام ١٩٤١:

ساد الوجوم فساد كل متمم فتكلمى ان شئت ان تتكلمى
و ترنمى فعسى يجس بك الهوى أوتار قلب الشاعر المترنم
فيروح يعرب عن مثار شعوره بقم أمام الجور لم يتلعثم
قد أعجمت عنك اللغات و فى الهوى لا يحسن الإفصاح غير الأعجم
وجمت و كم من شاعر فى جنبها ختمت على فمه و كم من ملهم
خطت له فى صدر كل صحيفه من فوق سطر النور سطرًا من دم
فقرأت منه كل سفر غامض فمترجم منها و غير مترجم
حم القضاء و هل ترانى ناقضا ما أبرمته يد القضاء المبرم
كم رحى أبحث عن شئون أسدلت من دونها حجب الزمان المظلم
فلمستها فى جنب قلب بائس و سمعتها فى أنه المتظلم
و رجعت لا صول و لا قول فهل شدت يدى بالعدل أو سدت فمى
و لظالما استهدفت منها جانبا فجعلت أهداب الحوادث سلمى
ما فى الوجوم عن الحقيقه من عنا ان العناء خطاب من لم يفهم
كم مدلج رصد الصباح بطرفه حتى إذا لاح الصباح له عمى
و معوه كره الزمان حديثه فاشاح عنه بوجهه المتجهم
ما راح يدغم لفظه إلا لكى منا يفكك كل حرف مدغم

و معظم فى نفسه انجرفت به الأهواء حتى عاد غير معظم
قد أرغمته على الرضوخ و أیما حر على علاتها لم یرغم
ذهبت متاعبه سدى فكأنه یقظ أهاب من الغواه بنوم
و لقد هممت بما یهم بمثله مثلى و عدت إلیك غیر مذمم
و صرخت فى وجه الحوادث صرخه یندك منها كل صرح محكم
و شقت اثباج الخطوب إلیك فى قلب بأنوار الحقیقه مفعم
كالت لى الدنيا مواعيدا فما انطبقت یدى إلا على متوهم
رعناء ما كادت تصیخ لواعظ حتى ضربنا عرسها بالماتم
طفقت تجشمنى المسیر بها و قد حمل الزمان على سنامى منسمى
إن ساءنى عنت الطریق فطالما قد ساء هو جاء العواصم مقدمى
ذهبت بواحدته تنوء و أقبلت من سوء طالعتها تنوء بتوأم
طفحت على وجه الردى و تجردت لتقوم فى صدر السنین القوم
لم تبق رائعه الخطوب لها سوى شلو بأظفار الزمان مخدم
أنت كما أن السلیم و لم تكن وضعت یدیها بین لحيى أرقم
و لقد وقفت أمامها متبرما لو كان یجدینى هناك تبرمى
فوجدت دست الحکم أجوف فارغا لا ابن الفرات به و لا ابن العلقى
رامتك یا أم الحواضر صرخه تسمو إلیك من السواد الأعظم
دوت باقطار البلاد و جلجلت للرافدین بكل معنى مبهم
فاضت شوارعك الفسیحه بالثرى فاستنزفت قلب الشقى المعدم
و جرت رصابك بالأشعه فامتلت حتى النوافذ بالشعاع المظلم

و لقد وجدت بكل صرح قائم انقاض قلب من بنيك مهدم
و سمعت فيك بكل جوف أنه قطعت أو اصر مجدك المتصرم
كم زحت تسمعنى الأغانى فى الدجى صوت الضعيف و أنه المسترحم
صوت له ارتجف الفضا و اهتر من نبراته سمع الزمان الأبكم
صوت الضعيف و لا أأخ لك هامسا إلا ليعلو صوت كل مهمهم
لا تبتئس بالحداثات أو أبتئس فربما منى الظلوم باظلم
ما يطرب المظلوم من قيثاره صدحت بجنب الظالم المتلثم
ذابت على أنغامها حسراته فتشاءمت بالطارق المتشام
و لقد جهلتك إذ جهلت و طالما قد كنت أعلم منك ما لم تعلمى
ما كنت لما كنت حاضره الألى حلم الزمان لهم بما لم تحلمى
إلا شعار سوابغ و نوابغ و مثار ذكرى سابق و مطهم
و لقد نسجت لك القوافى حله موشيه بالدم لا بالعندم
و فرشت قلبى دون جنبك واثقا أنى فرشت له حشاشه ضيغم
و وقفت فيك كما يكيفنى القضا ما بين معوج و بين مقوم
فإذا انتصبت يميل هذا أكثرى و إذا انحنيت يقيم هذا معظمى
أ تميمه النهرين قد جد القضا و الدهر بين معوذ و متمم
أودى فصيلك فار أميه فما عسى يجدى حنان الأم ما لم ترأم
أ و كلما اقترفت يداك خطيئه كبرى يؤاخذ فيك غير المجرم
نقى يديك من الخضاب فإنه قد راح يزعم عنك ما لم تزعمى
إن الجميله كيف كيفها الشقا لجميله تبدو بغير موشم

خادعت فيك صبايتى فتناحرت شططا على مع الليالى لومى
و وهبت قلبى للجمال و طالما ملكك الجمال فؤاد غير المغرم
هل بين جسرك و الرصافه تعبر الأملاك أم بين الحطيم و زمزم
ملئت شواطى دجله و رحابها و تبعثرت فى الهيكل المنتظم
فتمر ضاحيه كما شاء الضحى و تناط داجيه مناط الأنجم
لم أدر ما سر اندحارك بعد ما دوى صدى الأجيال فيك ألا أقدمى
أحجيه بقم الزمان تعقدت و طلاس رمقت بغير مطلسم
ما فى كتاب الأرض من وحى السما إن السماء كتاب كل منجم
لم يبق من معناك سر غامض إلا فحصناه بالفى معجم
شقى بأفاق السعاده مطلقا إن الشقاء عليك غير محتم
ما ذا وقوفك فى طريق لم يزل بالركب يضرب معرقا فى مشم
لا بد من إحدى اثنتين ففى الغد الآتى ستنهزمين إن لم تهزمى
فالأفق أما وجه صبح مفعم بشعاعه أو جنح ليل مسدم
لا تحجمى أن الطريق معبد و لربما ردم الطريق التحجمى
سيرى مع الأمم البعيده و امسحى ببنانها وجه الشعاع المعلم
ان وزعتك الحادثات فطالما جمعت شظايا قلبك المتقسم
و لربما بلت أوامك قطره تنهل من ضرع السحاب المرزم
فتجشمى البيداء و اعتسفى الدجى إن الظلام مطيه المتجشم
لا تدفع الجلى سوى الجلى و لا يخشى مناجاه الكمى سوى الكمى
ستهابك الأهوال و حشا ضاريا عرك الأسنه لهذما فى لهذم

لم يدر من قد ذاق من أرى الجنا ما الشهد حتى ذاق طعم العلقم
أو يحتفى الغربى فيك و ما رأى من وجهك الشرقى غير المبسم
فلها على شفتيك بسمه خائف و على لسانك لهجه المستسلم
عضت على كلتا يديك و لم تزل من قبل تبسم عن ثنايا الأهتم
و استدرجتك إلى الشقاء و ما الذى يرضى من العصفور أم القشعم
لا مرهف صافى الفرند تهزه فى وجه قادتها و لا أنف حمى
و لأن تكن قد قلمت أظفارنا منها فظفر الدهر لم تتقلم
أنى تجود لها البلاد بدرها و رضيعها فى حجرها لم يفطم
هلا نظرت إلى ملامح هذه الدنيا الجديده نظره المتوسم
جاشت و ما شقت سماك بمطلع زاه و لا وسمت ثراك بميسم
فكان جنب الأفق غير مكوكب و كان وجه الروض غير منمنم
ما فاتها القلب الجرىء و إنما قد فاتها القلب الذى لم يرحم
عبثا تمنىها الثواب و انها لتبيع كلتا الجنتين بدرهم
هرمت و شابت فيك كل فضيله و الدهر فى ريعانه لم يهرم
لم يبق من ربع لديك و لا حمى فلمن تمنين العوالم فى حمى
محجوجه بلسان عدل صامت ماخوذه بوجوب شكر المنعم
فعلا م رحا أقول باكرك الحيا و إلى م أنشد فيك يا دار اسلمى
لا فى الظعون هوادج منا و لا فى الظاعنين ربيعه بن مكدم
إيها عباقره البيان و قاده الشعب المهان إلى المقام الأكرم
من يمتطى ظهر الخطوب و يرتضى فيه إلى حيث المكارم ترتضى

هل منجد منكم يثور لشعبه فيرد عاديه الزمان المتهم

أو مصلح يهب البلاد شعوره فيحل عقده وضعه المتنازم

نضت القيود و لم تزل مكتوفه و سرت مهروله فلم تتقدم

قد أدركت عهد البلوغ و لم تزل بالرغم خاضعه لأمر القيم

طافت على عهد المغول و لم تكن غسلت يديها من دم المستعصم

نشرت بنى سلجوق نشر مؤمل و طوت بنى العباس طى مؤلم

أنى يجيش لها القضاء (بمالك) و الدهر يسمعها رثاء (متمم)

ص: ١٠٣

سدوا فراغاً لا يسد بغيركم و أملوا خلاء سوارها بالمعصم

فالسيف تعوزه اليمين و ما عسى يجدى المهند فى يمين الأجدم

و الصرح لا يرسو على وجه الفضا العادى و لا يسمو إذا لم يدعم

و النفس مهما حلقت آمالها و استعصمت فى حيز مستعصم

لا يزال يعوزها الطموح بقصدها فالنفس عند القصد ما لم تسأم

خديجه سلطان خانم بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ محمد الملائكة ابن

الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ الملا محمد كاظم البرغانى

القزوينى آل الصالحى.

توفيت حدود سنه ١٣٢١ فقهيه محدثه بصيره بالكلام، حافظه للقرآن الكريم عالمه بتفسيره زاهده عابده أخذت المقدمات و العربيه و فنون الأدب على أختها الشهيره قره العين و سائر رجال أسرتها و تخرجت فى الفقه و الأصول و التفسير و الحديث على والدها الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ و عمها الشهيد الثالث المستشهد سنه ١٢٦٣ و أخذت العرفان عن عمها الملا على البرغانى الفيلسوف عن الآخوند الملا آغا الحكيمى القزوينى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الميرزا مفيد بن السيد الميرزا حسن القزوينى و رزقت منه خمسه أولاد ذكورا أشهرهم السيد الميرزا مسعود القزوينى المعروف بشيخ الإسلام. و أسرته شيخ الإسلام فى قزوين من أسباط المحقق الكركى العاملى و كان ولدها السيد الميرزا مسعود شيخ الإسلام المقتول على يد المطالبين بالمشروطه (الحكم الدستورى) سنه ١٣٢٧ من فحول علماء عصره و من آثاره فى قزوين مدرسه دينيه كبيره و مسجد ضخم يعرف كلاهما حتى اليوم باسمه (المدرسه المسعوديه و يقال مدرسه شيخ الإسلام) و ساهمت المترجم لها بقسم من نفقات بناء المدرسه و الجامع من مالها الخاص (١) و تصدرت كرسى التدريس فى قسم النساء فى المدرسه الصالحيه و كانت من ربات الإحسان و الكرم و ملجا للأرامل و اليتامى و المنقطعين و تفتى فى المسائل الفقيهيه و العلميه. لها مؤلفات منها مجموعه المسائل، رسائل فى الفقه، بعض الرسائل العرفانيه الموجوده كلها فى مكتبه احفادها آل شيخ الإسلام بقزوين. و من آثارها جامع ضخم و المدرسه الدينيه المعروفه باسم ولدها الميرزا مسعود شيخ الإسلام (٢)

الدكتور داود العطار

ولد فى الكاظميه (العراق) سنه ١٣٤٩ و توفى فى طهران سنه ١٤٠٣.

أتم دراسته الابتدائيه و الثانويه فى الكاظميه ثم نال إجازته الحقوق من جامعه بغداد و الماجستير فى الشريعه الإسلاميه ثم دبلوم الدراسات العليا فالدكتوراه فى الحقوق من جامعه القاهره.

تولى التدريس فى كليه أصول الدين فى بغداد، و الاشراف على مدارس الجواد الأهليه التابعه لجمعيه الصندوق الخيرى فى

بغداد. و بعد قيام حكم الطغيان التكريتي في العراق قبض عليه ثلاث مرات. و عند ما شعر أنه ملاحق اضطر للهجرة أولا إلى مصر ثم إلى الكويت ثم إلى إيران حيث استقر فيها حتى وفاته مشرفا على دار للنشر سماها دار البلاغ. و كان السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب كتاب (الميزان) في تفسير القرآن قد عهد إليه بتلخيص هذا الكتاب بحيث لا يتجاوز ١٤ جزءا و لكن المرض العضال الذي أصابه حتى أودى به لم يمهله لأداء هذه المهمة.

ترك عده دراسات منها: (١) موقف الفقه الإسلامي من مبدأ الرضائية و سلطان الاداره في العقود مقارنة بالفقه الغربي. (٢) مبدأ قانونية الجرائم و العقوبات في الشريعة الإسلامية و القانون. (٣) الدفاع الشرعي في الشريعة الإسلامية، و هو بحث مقارنة بين الشيعة و القوانين العربية و الأجنبية (٤) تجاوز الدفاع الشرعي في القانون المقارن، و هور [هو] الرسالة التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعه القاهرة بدرجه جيد جدا، مع تبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية.

و له دراسات قرآنية منها: (١) تفسير سورة النساء. و هي دروس أقيمت على طلاب الليسانس في كلية أصول الدين في النظام الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الدولي في الإسلام. (٢) التجويد و آداب التلاوة.

(٣) موجز علوم القرآن، و قد ترجم إلى الفارسيه.

كما إن دراسته في علم الأصول بعنوان (وظيفة المجتهد عند تعارض الأدلة). كما نشر مقالات و أبحاثا في الأدب و التاريخ الإسلامي.

و كان إلى ذلك شاعرا فمن شعره قوله من قصيده في ذكرى علي بن أبي طالب ع:

عذرا ولي الله إن أنشدت عن قلب حميد [حميد]

طافت بنا ذكران عابقه بتاريخ مجيد [مجيد]

ذكرى العدالة و التقى ذكرى البطولة و الخلود

ناشدت قلبي ان يطيب بها و يهزج بالنشيد

السيد راحه حسين بن طاهر الحسنى الرضوى القمى البهيكپورى الهندى

ولد في سنة ١٣٠٦ و توفي بعد سنة ١٣٨٠.

أخذ المقدمات و العلوم الإسلامية على جماعه من الأفاضل، ثم حضر الفقه و الأصول على علماء مدينة لكهنو و تولى كرسى التدريس و الفتوى و له مؤلفات منها المطبوعه لكهنو ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهرانى في موسوعه الذريعه إلى تصانيف الشيعة، منها كتاب پروانه جنت في الأدعية و أعمال السنه و الزيارات، كتاب تاريخ أبى الخليل في سير و تواريخ و فضائل أهل البيت ع، كتاب جهارده معصوم، في سوانحهم ع باللغه الأردويه، رساله الإسلام و التمدن، رساله انتخاب الراحه في الأخلاقيات،

و غيرهما (٣)

ربابه خانم بنت الشيخ محمد صالح ابن الشيخ الملا محمد الملائكة ابن الشيخ

محمد تقى ابن الشيخ محمد جعفر ابن الشيخ محمد كاظم البرغانى القزوينى.

توفيت حدود سنه ١٢٩٧.

عالمه فاضله محدثه واعظه خطيبه متكلمه فصيحجه من ربات الدهاء و الفطنه و فواضل نساء عصرها. قرأت المقدمات و العرييه و فنون الأدب على رجال أسرتها و أختها قره العين و أخذت الفقه و الأصول و التفسير و الحديث عن

ص: ١٠٤

١- انظر تفصيل تاريخ المدرسه و الجامع فى كتاب مينودر ص ٥٧٢-٥٧٤ طبعه طهران منشورات جامعه طهران.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

والدها المفسر الشهير الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ و عمها الشهيد الثالث المستشهد سنة ١٢٦٣ و تخرجت في الحكمة و الفلسفه على الآخوند الشيخ الملا آغا الحكمي القزويني و تلمذت في العرفان على عمها الشيخ ملا علي البرغاني و أخيها الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغاني القزويني لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الميرزا هبه الله الرفيعي القزويني.

تصدرت للتدريس و الإفاده و الوعظ و الإرشاد و كانت تستنبط الأحكام الشرعيه و تتباحث مع العلماء و تجادلهم و تفتي في المسائل الفقهيه و علميه و يأخذ برأيها و أحكامها، كما كانت ملجا للفقراء و المنقطعين و في خطاباتهما و مجالسها كانت كثيره التشنيع على السلطان ناصر الدين شاه القاجاري و مظالم البلاط الايراني و الأمراء و لم يتعرض لها الشاه القاجاري بشيء(١).

الشيخ رشيد بن الشيخ طالب البلاغي

توفي بعد سنة ١٢٨٠ عالم شاعر متفنن له تطلع في النحو و اللغة و التاريخ عظيم خبره في فنون الأدب أخذ العلم و فنون الأدب على أفاضل علماء جبل عامل و نبغ في النحو و الشعر و اشتهر في العلوم العربيه ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة فقال: (كان عالما جامعا و أدبيا فذا تفنن في العلوم و حصل على كثير منها إلا أنه اشتهر بالبراعه في العلوم العربيه و التطلع في النحو و اللغة و التاريخ...) (٢) ذكره السيد حسن الصدر في تكمله أمل الأمل فقال: (أديب أريب شاعر لبيب عالم فاضل بالعربيه حسن الإنشاء جيد الخط حسن التحرير عارف بالنحو و اللغة و سائر العلوم الأدبيه و التاريخ جاء للزياره في سنة ١٢٨٠ تقريبا و رجع إلى بلاده و توفي هناك.

و كان أبوه من وجوه تلك البلاد و اجلاء العلماء في الفصاحه و البلاغه و التكلم و سائر المحاضرات الأدبيه حسبما سمعته من بعض أهل تلك البلاد) (٣) ذكره أيضا الشيخ جعفر محبوبه في ماضي النجف و حاضرها (٤) نقلا عن تكمله السيد حسن الصدر ثم أضاف نقلا عن كشكول السيد محمد الهندي مع اختلاف في اسم الأدب و النسب ثم استدرك قائلا و لعله غير المترجم له.

أقول و المترجم له من ذريه الشيخ إبراهيم البلاغي النجفي في جبل عامل المترجم في أعيان الشيعة الجزء الثاني ص ١٣٤ و سكن جبل عامل راجعا من الحج عن طريق الشام و مكث في جبل عامل بطلب من أهلها و له ذريه باقيه هناك حتى اليوم (٥).

الشيخ سالار و يقال سالار تخفيفا ابن حبش البغدادي.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته أخذ العلم من فضلاء عصره و يروي عنه السيد أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معيه الديباجي الحسنى الحلبي و يروي عنه السيد فخار بن معد الموسوي الحائري المتوفى سنة ٦٣٠ بواسطه السيد أبو طالب محمد الديباجي المذكور كما جاء في كتابه (حجه الذهاب إلى إيمان أبي طالب) و يقول السيد فخار بن معد الموسوي الحائري في كتابه المذكور: حدثني الشريف النقيب أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معيه في سنة ٥٩٩ قال: حدثني الشيخ سالار بن حبش البغدادي، و قد رأيت سالار هذا و كان رجلا صالحا قال حدثني الأمير أبو الفوارس بن الصيفي الشاعر المعروف بالحيص بيص، قال حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة... و قال في طبقات أعلام الشيعة: (... توفي فخار بن معد في ٦٣٠ و ألف كتابه بعد الستمائيه و يظهر منه أنه رآه قبل تاريخ الروايه و من توصيفه بالشيخ أولا ثم الرجل الصالح أنه من فضلاء الخاصه. و الحيص بيص توفي ٥٧٤...) (٦).

توفیت قبل سنہ ۱۱۰۲ فاضلہ اُدیبہ من شاعرات خراسان لها نظم رائع لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها إلا أنها كانت من بلده نسا من توابع خراسان ذكرها المير شير على خان اللودی فی كتابه مرآه الخيال الذى ألفه فى سنه ۱۱۰۲ و الذى ذكر فيها شعراء عصره و وصفها قائلاً ما هو تعريبه: (سیده بیگم من الأسر العلویه فى خراسان ولدت فى بلده نسا المحروسه كانت تتخلص فى شعرها ب (نسائی) و كانت لها اليد الطولى فى النظم و علو الفكر فى بيانها...)(۷) ثم أورد نموذجاً من شعرها و نقل عنه شيخنا الأستاذ فى موسوعته الذریعه إلى تصانیف الشيعه القسم الرابع من الجزء التاسع صحیفه ۱۱۸۴، كما ذكرها جماعه من المحققين منهم السيد على حسن خان الحسينى البخارى فى صبح گلش [گلشن] صفحہ ۵۱۶ و الأستاذ على أكبر المشير سليمى فى زنان سخنور ج ۲ ص ۳۲۲ و قال صاحب جواهر العجائب أن اسمها فخر النساء(۸)

أبو النجيب شداد بن إبراهيم بن حسن

الملقب بالطاهر الجزرى.

توفى سنه ۴۰۰ أو ۴۰۱.

من شعراء الشيعة و نوابغ أدباء عصره مر ذكره فى أعيان الشيعة الجزء السابع صفحہ ۳۳۳ نقلاً عن الطليعه للشيخ محمد السماوى و نزيد على ذلك ما يلى: ذكره ابن شهر آشوب المازندراني فى معالم العلماء من شعراء أهل البيت المجاهرين (۹) و قال ياقوت الحموى فى معجم الأدباء: (أبو النجيب الملقب بالطاهر الجزرى شاعر من شعراء عضد الدوله بن بويه و مدح الوزير المهلبى. كان دقيق الشعر لطيف الأسلوب مات سنه إحدى و أربعمائه...)(۱۰).

و قال الثعالبي: (عالى السن أدرك سيف الدوله...)(۱۱) و من شعره:

ص: ۱۰۵

- ۱- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ۲- انظر الكرام البرره: ج ۲ ص ۵۴۰-۵۴۱..
- ۳- السيد حسن الصدر: تكمله أمل الآمل ص ۲۰۶..
- ۴- الشيخ جعفر آل محبوبه: ماضى النجف و حاضرها ج ۲ ص ۷۱ نجف المطبعه العلميه ۱۳۷۴ هـ - ۱۹۵۵ م.
- ۵- الصالحى.
- ۶- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ۷- المير شير على خان اللودی: تذكره مرآه الخيال ص ۳۳۸ الطبعة الحجرية الأولى بمبئى.
- ۸- الشيخ عبد الحسين الصالحى عن كتابه المخطوط (رياحين الشيعة).
- ۹- انظر معالم العلماء الطبعة النجفيه ص ۱۴۹ عام ۱۳۸۰ هـ - ۱۹۶۱ م.
- ۱۰- ياقوت الحموى: معجم الأدباء ج ۱۱ ص ۲۷۰ مصر مطبوعات دار المأمون الطبعة الأولى

١١- أبو منصور عبد الملك الثعالبي: تتمه اليتيمه تحقيق عباس إقبال ص ٤٦ طهران سنه ١٣٥٣ هجرية.

و حاجه قيل لى نبه لها عمرا و نم فقلت على قد تنبه لى

حسبى عليان أن ناب الزمان و ان جاء المعاد بما فى القول و العمل

فلى على بن عبد الله منتجع و لى على أمير المؤمنين على

و له فى فتى تادب بادبه:

هذا على بالمشاكله التى ما بيننا لى مالك مستأثر

قالوا صديقك قلت بل ولدى و قد أعداه طبعى فهو مثلى شاعر

و قوله فى قوس قزح:

أ لست ترى الجو مستعبرا يضاحكه برقه الخلب

و قد لاح من قزح قوسه بعيدا و تحسبه يقرب

كطاقى عقيق و فيروزج و بينهما آخر مذهب

و من شعره:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه و لم يأت من أمره أحسنه

فدعه فقد ساء تدييره سيضحك يوما و يبكى سنه

و له:

أيا جيل التصوف شرحيل لقد جئتم بامر مستحيل

أ فى القرآن قال لكم إلهى كلوا مثل البهائم و ارقصوا لى

و له:

قلت للقلب ما دهاك ابن لى قال لى بائع الفرانى(1) فرانى

ناظراه فيما جنت ناظراه أودعانى أمت بما أودعانى

و له:

بلاد الله واسعه فضاها و رزق الله فى الدنيا فسيح

فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

و له:

أفسدتم نظرى على فما أرى مذ غبتم حسنا إلى أن تقدموا

فدعوا غرامى ليس يمكن أن ترى عين الرضا و السخط أحسن منكم

و له:

انظر إلى حظ ابن شبل فى الهوى إذ لا يزال لكل قلب شائقا

شغل النساء عن الرجال و طالما شغل الرجال عن النساء مراهقا

عشقوه أمرد و التحى فعشقنه الله أكبر ليس يعدم عاشقا

حدث أبو النجيب قال: كنت كثير الملازمة للوزير: أبى محمد المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢. فاتفق أن غسلت ثيابى و أنفذ إلى من يدعونى فاعتذرت بعذر فلم يقبله و ألح فى استدعائه فكتب إليه:

عبدك تحت الجبل عريان كان لا كان شيطان

يغسل أثوابا كان البلا فيها خليط و هى أوطان

أرق من دينى ان كان لى دين كما للناس أديان

كأنها حالى من قبل أن يصبح عندى لك إحسان

يقول من يبصرنى معرضا فيها و للأقوال برهان

: هذا الذى قد نسجت فوقه عناكب الحيطان إنسان

فأنفذ لى جبه و عمامه و سراويل، و كيسا فيه خمسمائة درهم.

و ذكره ديوانه شيخنا فى الذريعة ج ٩ القسم الثانى ص ٦٤١ و الشيخ عبد الحسين الأمينى مع شعراء الغدير و له ترجمه فى أكثر كتب المتراجم منها فوات الوفيات للكتبى ص ١٦٧ و دميه القصر ص ٥٠ و ذكره أيضا ابن شهر آشوب فى كتابه المناقب ج ١

ص ٥٢٨ و غيرهم (٢)

السيد عز الدين شرف شاه بن محمد الحسينى الأقطسى النيسابورى المعروف

بزباره.

توفى بعد سنه ٥٧٣ فى النجف الأشرف.

ذكر فى الجزء السابع من (الأعيان) الصفحه ٣٣٧ و نزيد هنا ما يلى:

من أكابر علماء عصره و أعلام المحدثين فى النجف الأشرف أخذ العلم عن رجال أسرته و أفاضل علماء نيسابور ثم هاجر إلى النجف الأشرف فكان من كبار المدرسين و فيها ذكره منتجب الدين فى الفهرست صفحه ٧٠ و نقل عنه الحر العاملى فى أمل الآمل ج ٢ ص ١٣١ و قال شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة: و قد قرأ الشيخ محمد بن جعفر المشهدى على صاحب الترجمة كتاب "المفيد فى التكليف" فى رمضان سنه ٥٧٣ و قد قرأ عليه أيضا فى هذا التاريخ الشيخ أبو الحسن على بن أبى طالب بن محمد بن أبى طالب التميمى المجاور كتاب "عيون الأخبار" كما فى صدر سند بعض نسخه. قال التميمى:

حدثنى الأمير السيد الأوحى الفقيه العالم عز الدين شرف السادات أبو محمد شرف شاه بن أبى الفتوح محمد بن الحسين بن زباره العلوى الحسينى الأقطسى النيسابورى أدام الله رفعة فى شهور مجاورته بمشهد الأمير ع سنه ٥٧٣ قال شرف شاه: حدثنى الشيخ الفقيه العالم أبو الحسن على بن أبى الحسن على بن عبد الصمد التميمى فى داره بنيسابور فى سنه ٥٤١ و هو يروى عن والده الفقيه و عن الشيخ أبى على الطوسى.

و أشار إلى المترجم له جماعه من أصحابنا منهم الشيخ محمد الأردبيلى الحائرى فى جامع الرواه ج ١ ص ٣٩٩ و شيخنا الممقانى فى تنقيح المقال ج ٢ ص ٨٣ و غيرهم (٣)

الشيخ شريف البهشتى القزوينى.

توفى سنه ١٣٠٨ فى قزوین و دفن فيها.

من كبار الفقهاء و أساتذه العلم و الأدب شاعر نحوى من أكابر المدرسين المعروفين فى قزوین و آل البهشتى: من الأسر العلميه التى بزغ بدرها فى أفق قزوین فى أواخر القرن الثالث عشر للهجره، مؤسس كيان هذا البيت الاخوان المترجم له و أخوه الشيخ عبد الوهاب البهشتى المتوفى سنه ١٣٠٠ و هى غير الأسره الأخرى آل البهشتى العلويه فى قزوین.

ولد المترجم له فى قزوین و نشأ بها نشأه علميه و اتجه إلى طلب العلم و نال منه قسطا وافرا، و قد أخذ الفقه و الأصول و الحديث عن الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ و شقيقه الشهيد البرغانى المستشهد فى سنه ١٢٦٣ ثم حضر فى الفلسفه و العرفان على الشيخ الميرزا عبد الوهاب

١- الفرانى: مفرده فرنى: و هو نوع من الخبز يروى لبنا و سمننا و سكرًا.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى..

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

البرغانى الصالحى ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فحضر على الشيخ حسن البرغانى الصالحى وغيره من علماء كربلاء و النجف الأشرف ثم رجع إلى موطنه قزوین و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و الامامه و كان قوى البيان حلو التعبر فكثير الإقبال عليه و التف حوله طلاب العلوم و كان من أشهر المدرسين فى المدرسه الصالحيه، يدرس المقدمات و السطوح و اشتهر فى قزوین ب (مطول گو) لمهارته فى تدريس المطول. ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة ضمن ترجمه شقيقه الشيخ عبد الوهاب البهشتى (١) و أشار إليه السيد محمد على كلريز فى كتابه مينودر (٢) فى ترجمه مختصره. له مؤلفات منها ديوان شعر، حواشى على كتاب المطول، حواشى على حاشيه ملا عبد الله فى المنطق، حواشى على شرح اللمعه للشهيد الثانى و غيرها (٣).

الشيخ شكر بن أحمد بن شكر البغدادى.

ولد فى كرخ بغداد سنه ١٢٧٢ و توفى أواخر شهر صفر سنه ١٣٥٧ فى داره ببغداد و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف و دفن فى الميدان فى مقبره خاصه أعدها لنفسه و هى مشهوره فى النجف.

نشأ على حب العلم فقرأ المبادئ و العلوم العربيه و فنون الأدب على جماعه من أفاضل علماء بغداد ثم هاجر إلى النجف الأشرف حدود سنه ١٢٩٠ فأتى السطوح ثم حضر على الشيخ محمد طه نجف و الشيخ محمد حسين الكاظمى و السيد محمد بحر العلوم و السيد مهدي بن السيد صالح الحكيم المعروف بالتتنجى و غيرهم حتى برع فى المعقول و المنقول و الحكمه و الكلام و الأدب و غيرها و اشتغل بتدريس السطوح مده فى النجف الأشرف و تخرج عليه جماعه من أهل الفضل منهم السيد محمد صادق آل بحر العلوم وغيره، و كان من أخص أصدقائه السيد محمد سعيد الجبوى. و كان يؤم الناس فى مقبره الجبوى أيام غياب الشيخ باقر القاموسى و هو الذى رشحه للامامه عند غيابه و كان يصلى خلفه جمع كثير من الناس فى المقبره و الإيوان.

ذكره شيخنا الأستاذ شيخ الذريعه فى كتابه طبقات أعلام الشيعة و ترجم له تلميذ الأستاذ توفيق الفكيكى فى مجله (الغرى) النجفيه فى جمادى الثانيه عام ١٣٦٥ صفحه ١٠-١١ ترجمه مفصله اثنى عليه فيها ثناء بليغا منه قوله (... كان من أئمه أهل اللغه و ججه [حجه] المناطقه و قدوه المتكلمين بلا-ريب و من أعلام الأصوليين و الفقهاء و سندهم الوحيد فى دار السلام و ذخيره الأدباء و الشعراء... يحل لك الغوامض العويصه من المسائل العلميه و المشكلات المعضلات فى أى ناحيه من نواحي الحكمه أو علم البرهان و هو يسير معك على قارعه الطريق و يكشف لك القناع عن وجه أدق القضايا الأصوليه أو الفقيهيه بكل سرعه و سهوله مع الدليل الواضح و البرهان الساطع فى كل مذهب من المذاهب الإسلاميه مع بيان المراجع و الموسوعات التى تناولت تلك الآراء الخلاف على اختلاف طبقات فقهاء التشريع الإسلامى...).

و من آثاره تأسيس (المدرسه الجعفرية) فى بغداد على عهد الدوله العثمانيه و ترغيب أبناء الشيعة على الدراسه الحديثه و قد عارضه الولاه العثمانيون، و قد كافح كفاح المصلحين الغيارى حتى أثمرت جهوده و كانت من أحسن المعاهد العلميه القائمه بتثقيف الشباب فى بغداد و قد تولى إدارتها بنفسه فتخرج عليه المئات من الشباب الذى أشغل بعضهم مناصب رفيعه و وظائف عاليه فى عهد تأسيس الحكومه العراقيه بعد خروج العثمانيين من العراق.

و من خدماته الجليله اقناع الحكومه العثمانيه بالغاء رسوم ضرائب الدفن عن جنائز العراقيين التي تدفن في العتبات المقدسه و منها أيضا ترغيه للحكومه العثمانيه بصرف الأموال الطائله على تعمير المساجد و المعاهد الدينيه التي كانت خربه و عند ما تأسست المحاكم الشرعيه الجعفريه بعد جلاء الأتراك عن العراق أشغل منصب القضاء الجعفري و هو أول من أقدم على ذلك من علماء الشيعه و في عهد الحكومه الوطنيه رفع إلى رئاسه مجلس التمييز الشرعي الجعفري.

و من آثاره تجديد بناء عماره (مسجد الزركشى) في محله الشواكه بجانب الكرخ و كان يقيم فيه صلاه الجماعه و حلقات للتدريس و كانت مجمعا لأهل الفضل و الأدب و الشعراء و كان له مكتبه نفيسه تفرقت بعده أيدي سبا(٤).

مير شمس الدين شاه جهان آبادي

المشهور بفقير.

ولد في دهلي بالهند سنه ١١١٥ و توفي سنه ١١٨٣ يقال أن نسبه يتصل بالعباس بن عبد المطلب، و لكون والدته علويه النسب لقب نفسه بلقب مير الداله على النسب العلوي.

درس في دهلي و سافر إلى الدكن و بقي في أورنگ آباد خمس سنين و فيها تعرف على ميرزا محمد رضا الهمداني ثم رجع معه إلى شاه جهان آباد دهلي، و كانت له صداقات مع ملوك و أمراء الوقت كعماد الملك فيروز ابن نظام الملك آصف جاه، و على قلى خان ظفر، و كانوا يحترمونه و يقدرونه. ثم أثر العزله في أكبرآباد منصرفا عن الدنيا. و في أواخر أيام حياته سافر إلى الحج و رجع عن طريق البصره و منها ركب البحر قاصدا الهند سنه ١١٨٣ فمات غرقا في البحر.

من آثاره كتاب في العلوم البلاغيه الفارسيه و ديوان في القصائد الغزليه و منظومه (الواله و السلطان) طبعت سنه ١٩٧١ في لاهور.

و هو من صانعي القصيده في ذلك القصر. و قد سجل السيد خان آرزو في (مجمع النفائس) جميع قصائده المصنوعه، و هي بطرق متعدده.

أما مثنوى (الواله و السلطان) فهي قصيده حب أبوي، إذ كان على واله الداغستاني مؤلف كتاب التذكره المشهور قد تعلق بابنته الحزينه خديجه سلطان بعد أن افترقا أثر الاضطرابات التي قامت في انتهاء الحكم الصفوي و اضطراب الأب (واله) للافتراق عن ابنته و الاغتراب في الهند، بينما كانت ابنته تعيش ماساتها في وطنها، و أبوها يعاني الفقر بعيدا عن الوطن.

و قد كان المترجم يصغى لأحاديث (واله) المؤثره خلال لقاءاتهما في الهند، فأوحى له ذلك بمثنوى (الواله و السلطان) التي استغرق نظمها سنه

ص: ١٠٧

١- انظر الكرام البرره: ج ٢ ص ٨٠٥.

٢- السيد محمد على گلريز: مينودر أو باب الجنه قزوين ص ٣٤٠ طهران من منشورات جامعه طهران الطبعة الأولى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

كامله هي سنة ١١٦٠ و المحتوى على ٣٢٣٠ بيتا من الشعر باللغه الفارسيه، و قد تضمن هذا المثنوى مدحا للنبي (ص) و للإمام على (ع) مع مقدمه موجزه، ثم ذكر المأساه الأبويه النبويه، متطرفا إلى الحديث عن ابتداء الأحداث مما يجعل منه تاريخا لتلك الفتره بما فيها من هجوم الأفغانيين على إيران، و ما تعرض له الناس على أيديهم من فجاجع، واصفا عهد الدوله الصفويه و مآثرها، و ما قام فيه من عمران و رفاه.

الشيخ الميرزا ضياء الدين بن الشيخ أسد الله بن عبد الله البروجردى.

توفى حدود سنة ١٣٠٠.

من أعلام الشريعه و أئمه الدين و أفاضل علماء بروجرد أخذ المقدمات على علماء بروجرد ثم حضر فى الفقه و الأصول على والده المتوفى سنة ١٢٧١ ثم توجه إلى العتبات المقدسه فى العراق فسكن كربلاء و التحق بحوزه السيد محمد المجاهد المتوفى سنة ١٢٤٢ و عند ما هاجم الروس حدود إيران أفتى أستاذه المذكور بالجهاد و حضر مع استاذه الجهاد و عند رجوعه من الجهاد سكن قزوین و أخذ الفقه و الأصول و الحديث و التفسير عن الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١. و شقيقه الشهيد المستشهد سنة ٢٦٣ [١٢٦٣] و تلمذ فى الحكمة و الفلسفه و العرفان على الشيخ ملا آغا الحكمى القزوينى و الميرزا عبد الوهاب البرغانى آل الصالحى و رجع إلى موطنه بروجرد. ذكره الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار من كبار علماء عصر ناصر الدين شاه القاجارى(١) و هو أصغر من شقيقه الشيخ الميرزا داود المار الذكر و أمهم غير بنت الميرزا أبو القاسم القمى صاحب القوانين المتوفى سنة ١٢٣١. و هم من زوجته الأولى ذكر المترجم له الشيخ ملا أسد الله البروجردى فى أعيان الشيعه المجلد الثالث صفحه ٢٨٦ و قال عن والده الشيخ أسد الله البروجردى تزوج ابنه صاحب القوانين و خلف ثلاثه أولاد ذكور من ابنه الميرزا القمى صاحب القوانين و هم المحمدون [المحمدون] الثلاثه الميرزا محمد فخر الدين و جمال الدين محمد و نور الدين محمد و أجازهم أبوهم باجازه واحده و صرح باجتهدهم...).

يقول عبد الحسين الصالحى و قد خلف الشيخ أسد الله البروجردى سته أولاد ذكور ثانيهم المترجم له و هو من زوجته الأولى غير ابنه الميرزا أبو القاسم القمى صاحب القوانين(٢)

طالب الآملى المشتهر ب طالبا.

توفى سنة ١٠٣٥ أو ١٠٣٦.

من مشاهير الشعراء الايرانيين فى القرن الحادى عشر الهجرى، اشتهر كثيرا فى الهند و صار فى عصره من أوائل الشعراء.

ولد فى آمل و درس فيها، و نظم الشعر فى مطالع شبابه، و مدح حاكم مازندران و هو فى العشرين من عمره.

خرج من آمل سنة ١٠١٠ و بقى فتره فى أصفهان ثم انتقل إلى كاشان و ظل فيها ما يقارب الأربع أو الخمس سنوات، و فيها تزوج، و كان له هناك أقرباء من جهة أمه، فالحكيم نظام الدين على كاشى طبيب ديوان كل من الشاه طهماسب و خدابنده كان زوج خالته، و الحكيم ركنای مسيح الشاعر المشهور كان ابن خالته.

و من كاشان عاد إلى آمل ثم انتقل إلى خراسان، و في مرو الشاه جهان لازم كنهش خان استاجلو حاكم المنطقه، و نظم المثنوى (خسرو شيرين) باسمه. ثم استاذن الحاكم في العود إلى موطنه لزياره أهله و أقربائه، و لكنه بدلا من السفر إلى آمل أخذ طريق الهند (سنه ١٠١٧). و بعد فتره من الضياع في الهند استقر في قندهار و لازم فيها غازي خان ترخان سنه ١٠٢١ و عاش فيها ينظم الشعر في مدحه مشيرا إلى ضياعه في الهند بين اكره و لاهور و مولتان و دهلي إلى أن حمله الحظ الحسن إلى قندهار.

و بعد وفاه ميرزا غازي ترخان عاود المترجم السفر إلى الهند، و كان ذلك في عهد جهانگير (١٠١٤ - ١٠٣٧)، فمن قندهار مضى إلى اكره، و فيها زار فخر الزمان مؤلف (ميخانه) الذي أعجب به، و من اكره مضى إلى سورات قاصدا الملك چين قليچ خان فمدحه بشعره، و بقى فتره عاد بعدها إلى اكره و فيها اتصل بمحمد حسين دبانت [ديانت] خان دشت بياضى و أخذ منه رساله توصيه لحاكم گجرات عبد الله خان فيروز جنك (١٠٥٤)، فاستقبله الحاكم بحراره و عطف عليه، و لكن الشاعر لم يطل المكث عند القائد السفاك، بل عاد إلى اكره و منها إلى لاهور، و فيها التقى الشاعر آقا شاپور الطهراني ابن عم اعتماد الدوله غياث الدين محمد الطهراني، فعرفه هذا بابن عمه اعتماد الدوله الوزير الأديب الذى أوصله إلى قصر جهانگير. و من ذلك الحين أخذ نجمه يسطع، و فى سنه ١٠٢٨ أصبح بمنزله أمير الشعراء بالغا كمال العزه، و ظل كذلك سبع سنوات أو ثمانية، ثم تعب و تملكه النسيان حتى وفاته.

و قد ترك بنتين يبدو أن أهمهما كانت قد ماتت قبله لذا تكفلهما ابن خالته الحكيم ركنای مسيح و نقلهما إلى بيته معتنيا بتربيتهما و تنشئتهما، كما أنه رثاه بقصيده من الشعر.

يتضمن ديوان طالب ما بين تسعه آلاف إلى خمسة عشر ألف بيت من الشعر على ما قاله كتاب السير. و هناك نسخه من الديوان مطبوعه فى طهران سنه ١٣٤٦ تشتمل على ٢٢٩٦٨ بيت شعر، ما بين القصيده و التركيب و الترجمات و المثنوى و الغزل و الرباعيات و المفردات و معظمها فى مدح الحكام المازندرانيين، و ميرزا غازي خان ترخان، و ديانت خان، و عبد الله خان فيروز جنك، و اعتماد الدوله، و جهانگير، و قسم منها فى مدح الأئمه ع، و قسم فى مختلف المناسبات. و من مثنوياته: القضاء و القدر. و له: الحرف و الأنين، و مثنوى باسم جهانگير (٣)

السيد أبو منصور ظفر بن أبي الحسين محمد

الذى ادعى الخلافة بنيسابور و بويج له أربعه أشهر و توفى سنه ٣٣٩ ابن أبى جعفر أحمد الملقب بزباره "لأنه إذا غضب يقال قد زبر الأسد" ابن محمد الأ-كبر ابن عبد الله المفقود ابن الحسن المكفوف ابن الحسن الأفضس بن على الأصغر ابن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع البيهقى النيسابورى و أمه طاهره بنت الأمير على بن الأمير طاهر ابن الأمير عبيد الله بن طاهر بن الحسين (٤)

ص: ١٠٨

١- الوزير ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ١٧٣ طهران الطبعة الحجرية الأولى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- تاريخ أدبيات إيران.

٤- انظر عمده الطالب الطبعه النجفيه ص ٣٤٧.

من علماء الشيعة و أكابر المحدثين، أخذ العلم و المعارف الإسلاميه فى نيشابور و بيهق ثم هاجر إلى الكوفه و منها إلى بغداد و سمع الحديث من أكابر مشايخه حتى بلغ فيه درجه عاليه.

و تصدر كرسى الحديث فى بغداد و حدث بها: ذكره ابن الفندق البيهقى فى تاريخ بيهق و قال (السيد أبو منصور ظفر بن محمد بن أحمد الزباره العلوى من أكابر السادات حسبا و نسبا و ذكرته فى كتابنا لباب الأنساب و ألقاب الأقباب و كان من أكابر علماء العلويين محدث غازى و هو شقيق السيد الأجل شيخ العتره نقيب النقباء بخراسان أبو محمد الزباره و حج و سكن الكوفه و أخذ الحديث و يروى الكثير سمعا من مشايخه فى الكوفه و بغداد..(١) ثم ذكر أحاديثه مسندا إلى رسول الله (ص). و ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة فى ترجمه مختصره نقلا عن تاريخ بيهق و قال (... و قد فات ذكره الخطيب البغدادي)(٢) يقول عبد الحسين الصالحى ليس ذلك بالغريب من الخطيب البغدادي لقد تجاهله عمدا لتشيعة لأن الخطيب البغدادي كان منحرفا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب و عن أهل بيته ع و كثير التعصب على الشيعة و تجاهل الكثيرين من علماء الشيعة البغداديين و لم يذكرهم فى كتابه تاريخ بغداد أمثال أبى جعفر محمد الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية مع أنه كان معاصره و عاش معه فى بلده واحده بغداد و شاهد مقامه الشامخ و عظمته العلميه و كان تاريخ وفاه الخطيب البغدادي سنة ٤٦٣ أى بعد وفاه الشيخ الطوسى بثلاث سنوات.(٣)

الشيخ أبو منصور ظفر بن حمدون البادراني.

من علماء الشيعة فى القرن الرابع للهجره و أكابر المحدثين فى عصره.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على فطاحل عصره و تصدر للتدريس و الإفاده و من تلامذته الشيخ أبو القاسم على بن شبل بن أسد الذى كان من مشايخ أبى العباس النجاشى و الشيخ الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ و قرأ عليه الطوسى سنة ٤١٠ و ذكره أبو العباس النجاشى فى رجاله قال: (ظفر بن حمدون أبو منصور البادراني من أصحابنا له كتب منها أخبار أبى ذر قرأته على أبى القاسم على بن شبل بن أسد قال أخبرنى به أبو منصور ظفر بن حمدون البادراني)(٤) ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة و له مؤلفات لم أقف على غير كتاب أخبار أبى ذر(٥)

الشيخ عباس بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسين بن الشيخ عباس بن

الشيخ حسن بن الشيخ عباس بن الشيخ محمد على بن محمد البلاغى.

توفى فى عام الطاعون سنة ١٢٤٦.

ذكر فى أعيان الشيعة المجلد السابع صفحه ٤١٠ بما يلى: (كان من أهل العلم و الفضل و لم يصل إلينا شىء من أحواله).

يقول عبد الحسين الصالحى: أخذ المقدمات على أفاضل علماء النجف الأشرف و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨، ذكره السيد حسن الصدر فى تكمله أمل الآمل فقال:

(الشيخ عباس بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسين البلاغى العالم عامل فاضل فقيه كامل والد الشيخ طالب المتقدم ذكره

كان من تلامذه الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء و أظن أن وفاته سنة ست و أربعين و مائتين بعد الألف (٤) و ذكره شيخنا الأستاذ في طبقات أعلام الشيعة و وصفه بقوله: عالم جليل كان من الفقهاء الأبرار و الأعلام الأفاضل و من أهل الصلاح و التقوى و أهل الشأن و المكانة... (٧) و نقل عنهما الشيخ جعفر محبوبه في ماضى النجف و حاضرهما الجزء الثانى صفحہ ٧٥ و المترجم له والد الشيخ حسن و الشيخ طالب و الشيخ عبد الله كلهم من العلماء الأبرار و كان الشيخ طالب من أشهر شعراء العراق و هو جد الشيخ محمد جواد البلاغى النجفى المتوفى سنة ١٣٥٢ (٨)

الشيخ عباس بن الشيخ محمد على بن محمد البلاغى الحائرى.

توفى فى أصفهان سنة ١٠٨٥ و نقلت رفاتہ بعد سنوات حسب وصيته إلى النجف الأشرف. ذكر فى أعيان الشيعة المجلد السابع صفحہ ٤٣٢ و نضيف على ما هنالك ما يلى:

أخذ المقدمات و العلوم الأوليه و فنون الأدب على أفاضل علماء كربلاء المقدسه ثم تخرج فى الفقه و الأصول على والده الشيخ محمد على البلاغى الحائرى و الشيخ جواد الكاظمى ثم انتهى إليه كرسى الفتوى و التدريس فى كربلاء و منها هاجر إلى أصفهان و التف حوله فضلاء تلك البلاد مستفيدين منه حتى توفى بهائم نقلت رفاتہ بعد سنوات إلى النجف الأشرف.

ذكره السيد حسن الصدر فى تكمله أمل الآمل فقال: (الشيخ عباس بن محمد على بن محمد البلاغى هو والد الشيخ حسن بن عباس بن محمد على صاحب (تنقيح المقال فى علم الرجال) المتقدم ذكره.

عالم فاضل ابن عالم فاضل أبو علماء أفاضل قرأ على أبيه الآتى ذكره و صنفا، و مات بعد الألف من الهجره (٩) يقول عبد الحسين الصالحى: ذكره ولده الشيخ حسن فى تنقيح المقال و أثبت تاريخ وفاته فى أصفهان سنة ١٠٨٥ ثم نقلت رفاتہ إلى النجف الأشرف، و نقل عن تنقيح المقال الشيخ جعفر محبوبه فى كتابه ماضى النجف و حاضرهما الجزء الثانى صفحہ ٧٧ و قال فى تنقيح المقال: (والدى و أستاذى و من عليه فى أكثر العلوم الشرعيه استنادى ثقہ عين صحيح الحديث مستحضر لأكثر العلوم له فى العربية و الفقه و أصوله يد طولى و له على أغلب الكتب التى فى تلك العلوم حواشى جيده حسنه نقيه و له حاشيه حسنه جيده مدونه على تهذيب الحديث من أوله إلى آخر كتاب الحج) (١٠)

ص: ١٠٩

- ١- أبو الحسن على البيهقى: تاريخ بيهق: تحقيق أحمد بهمنيار. ص ١٦٨ طهران الطبعة الأولى.
- ٢- انظر نوابغ الرواه فى رابعه المئات.
- ٣- الصالحى.
- ٤- أبو العباس أحمد النجاشى: رجال النجاشى ص ١٤٧ الطبعة الحجرية الأولى بمبئى سنة ١٣١٧ هجرية.
- ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٦- السيد حسن الصدر تكمله أمل الآمل ص ٢٥٠ تحقيق السيد أحمد الحسينى قم المكتبة المرعشيه.
- ٧- الشيخ آغا بزرگ الطهرانى الكرام البرره ج ٢ ص ٦٨٦.

٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٩- السيد حسن الصدر الكاظمى: تكمله أمل الآمل ص ٢٥٢-٢٥٣ تحقيق السيد أحمد الحسينى قم مكتبه المرعشيه.

١٠- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

"الحاج الميرزا، أو الملا عباس الايروانى". اسمه المستعار "فخرى" و اشتهر باسم "الحاج ميرزا آقاسى" ابن "حاجى ميرزا مسلم الايروانى"، و قيل اسم أبيه "الميرزا قاسم" و قيل "الميرزا سليم".

كان الصدر الأعظم ل "محمد شاه قاجار" مده أربعة عشر عاما.

و يذكره الناس فى غيابه باسم "حاجى" أو "حاجى آقا".

هاجر أبوه مع عشيرته و أقاربه من "إيروان" إلى مدينه "ماكو" و سكن فيها. و كان يتعاطى مهنة الزراعة. و ولد "الحاج ميرزا آقاسى" فى "ماكو" سنه ١١٩٨ هـ. فلما بلغ سن الرشد سافر إلى "خوى" و أقام فيها. و قضى هناك بضع سنوات فى طلب العلم. فتعلم القراءة و الكتابه الفارسيه و درس العلوم المرسومه فى ذلك الزمان.

و سافر من "ماكو" إلى بلدان أخرى من أذربيجان و غيرها، حتى انتهى به المطاف إلى همذان. و فيها اتصل ب "الآخوند ملا عبد الصمد" الهمذانى صاحب كتاب "بحر المعارف"، و كان يعد من كبار شيوخ التصوف. فتلمذ له و اختص به.

و كان أحد مریدی "الآخوند" قد استطاع حج البيت و لكنه مات قبل أن يتهياً له سفر الحج. فتاب عنه "الملا عباس" فى أداء هذه الفريضة.

و أصبح "حاجى ملا عباس". و عاد إلى همذان و اشتغل بتحصيل علوم التصوف و أسراره، يقضى أوقاته ملازما خدمه أستاذه و مرشده المذكور.

و سافر الآخوند "الملا عبد الصمد" إلى كربلاء للمجاوره فيها. فتبعه الحاج "ملا عباس" و لازمه فيها، إلى أن قتل الأستاذ المرشد سنه ١٢١٦ هـ فى فتنه الوهابيين يوم إغارتهم على كربلاء. فعاد الحاج "ملا عباس" من العراق إلى إيران و أعاد معه عائله مرشده و أوصلهم إلى همذان، ثم سافر إلى أذربيجان و سكن فى تبريز، و أخذ يعلم طريقه أستاذه و يرشد إليها، و اشتهر باسم "الحاج ميرزا آقاسى" و "الحاج ملا آقاسى".

و بعد مده قليله عهد إليه بتعليم أبناء "عباس ميرزا نائب السلطنه" ولى عهد "فتح على شاه"، و كان منهم "محمد ميرزا" الذى توج فيما بعد شاهها على إيران.

و أخذ الأستاذ المرتاض الايروانى فى أثناء التعليم و التدريس يؤثر فى تلميذه الأمير شيئا فشيئا حتى رسخت مكانته فى نفسه و أصبح قدوه له، و الشيخ يوجهه و يريه على طريقته الخاصه، و تحامت بينهما خصوصيه و وحده حال تامه. و قيل إن الشيخ بشره يوما، كما اعتاد المرشدون أن يكشفوا لمریديهم عن مصائرهم، بأنه سينال منصب السلطان على إيران.

و كانت هذه النبوءه يومئذ أمرا لا يصدق لأنه غير معقول. فقد كان ل "فتح على شاه" ستون ولدا، فكيف يصل حفيده من دونهم إلى عرش الملك. و كانت جماعه من أبنائه قد بلغوا من المقام و العظمه بحيث أن "محمد ميرزا" لم يكن يحق له

الجلوس في محضر أعمامه هؤلاء ما لم ياذنوا له، فضلا عن أن يتخطاهم إلى أريكه الملك. و لكن "محمد ميرزا"، مع ذلك صدق نبوءته لاعتقاده به أنه من أهل الكرامات و المقامات. و اشتهر بين العامة أن "محمد ميرزا" أعطاه وثيقه ممهوره بخاتمه و توقيعه بأنه إذا جلس على العرش الشاهاني اختاره لمنصب عظيم الدوله و جعل أمور الحل و العقد في يده. و لعل "حاجي ميرزا آقاسي" بنى نبوءته هذه على مفاد المادة السابعه من معاهده "ترجمان شاي" التي عقدت بين روسيا و إيران سنة ١٢٤٣ هـ بعد حرب وقعت بينهما و انهزمت فيها إيران.

و في تلك المادة أجبر الروس إيران على أن تكون ولاية العهد في إيران منحصره في "عباس ميرزا" و أعقبه. و كان "حاجي ميرزا آقاسي" مطلعاً على مضمون هذه المعاهده اطلاعا كاملا، على حين كان اطلاع "محمد ميرزا" و أعمامه على تفاصيلها قليلا، فكانوا غافلين عن مضمون المادة السابعه هذا. و قد اشترطت روسيا هذا الشرط لأن "عباس ميرزا" ولي العهد خالف يومئذ غيره من إخوته و غير إخوته فكان من القائلين بمصالحة روسيا و مسالمتها و التوقف عن متابعه محاربتها(١). أيد الإنكليز الروس أيضا باشتراط هذا الشرط. و ظلت المادة السابعه هذه معمولاً بها، مع سائر مواد تلك المعاهده، إلى آخر عهد الأسره القاجاريه.

و توفي "عباس ميرزا" في سنة ٢٤٩ هـ. فأراد أبوه "فتح علي شاه" نصب أحد أبنائه وليا للعهد في مكانه. و لكن الروس ذكروه بمضمون المادة السابعه من معاهده "ترجمان شاي" و أجبروه على صرف النظر عن أبنائه و نصب حفيده "محمد ميرزا" ابن "عباس ميرزا" الأكبر و تلميذ "حاجي ميرزا آقاسي" وليا للعهد. و في سنة ١٢٥٠ هـ توفي "فتح علي شاه" في أصفهان، فخلفه "محمد ميرزا" هذا على العرش متخطيا أعمامه الستين أبناء "فتح علي شاه" على خلاف السنه المتبعه.

و اختار "محمد شاه" في مطلع حكمه لمنصب الصداره العظمى "الميرزا أبو القاسم" المعروف بـ "القائم مقام الثاني"، رجل من أعظم رجال إيران و أقدرهم. و لم يطل به المقام في هذا المنصب أكثر من ثمانية أشهر، من رجب سنة ١٢٥٠ هـ إلى آخر صفر سنة ١٢٥١ هـ. و مع ذلك استطاع أن يؤدي خدمات عظيمه لتثبيت "محمد شاه" و استقراره على العرش، إذ كان كثير من أبناء "فتح علي شاه" يرون أنهم أحق بهذا المنصب منه و يسعون إليه بقوى يحسب حسابها، و أقر أمور البلاد الداخليه و نظمها. فلم تعجب هذه السيره سياسه الأجانب و مطامع المنافسين في الداخل. فقامت عليه الدسائس و المؤامرات، و ما زالوا بـ "محمد شاه" يغرونه بهذا الرجل العظيم و يحرضونه على قتله حتى قتله.

و بعد قتله تنافس للحصول على منصب الصداره العظمى كثيرون من الكبار، و منهم "حاجي ميرزا آقاسي". و كانت النتيجة أن اختار "محمد شاه" لهذا المنصب معلمه و مرشده هذا، و هو يجهل كل شيء عن السياسه و الاداره. فكان اختيارا سيئا، أدى به "محمد شاه" أكثر أهل المرتبه الأولى من رجال الدوله و أغضبهم، خصوصا أن هذا الرجل الذي لا درايه له و لا خبره عنده جاء خليفه لذلك الصدر الأعظم الخبير الماهر المحنك. و لكن الشاه كان يعده قطب الفلك و مدار الشريعة و الطريقه و مصدر الكشف و الكرامه و يعايشه بعقيدته حسنه و نيه صافيه! و من ثم اختلت أمور المملكه و انقطعت رواتب الموظفين.

و لم يلبث أن نفر منه الخاص و العام. نفرُوا من صورته و من سيرته، و كلتاها عجيبيه غريبه. فقد كان شكل وجهه منفرا و كان طبعه حادا، دائم

١- راجع ترجمه "حسن على ميرزا شجاع السلطنه" و ترجمه "عباس ميرزا" نائب السلطنه.

الهياج، وفيه وقاحه و تلون و شراسه، و له لسان جاف شتام يستعمل ألفاظا قبيحه وقحه. و قد يغضب في مجلس يجمع أعظم الدوله و الأمه على أحد الرؤساء أو العلماء فيأمر بنزع قلنسوته أو عمامته عن رأسه و إلقائه في الخارج، و هو يتفوه بألفاظ بذيئه. و عين أكثر الولاه و من بيدهم إداره شئون المملكه من أقاربه و أتباعه.

و ظل الحاج "ميرزا آقاسى" مده صدارته، و هى أربعه عشر عاما، مطلق اليد يفعل ما يشاء مسيطرا على عقيدته الشاه و إرادته، و يتلقب بلقب "الرجل الأول" إذ كان يرى أن الصداره العظمى دون شأنه و مرتبته. و من ثم كان يكسره، بل كان يمنع، أن يخاطبه أحد بلقب الصدر الأعظم، و لا يرضى لقباً غير لقب "الرجل الأول".

و نبه رجال الدوله "محمد شاه" أكثر من مره إلى أن وضع هذا الرجل فى منصب الصداره و إطلاق يده على هذا النحو يجر إلى الخراب و البوار.

و لكن الشاه لم يصغ إليهم. و كانوا أحيانا يكتبون إليه مجتمعين بهذا الشأن، فيطلع "حاجى آقا" على رسائلهم مخالفا بذلك ما يقتضيه منصب الملك فى مثل هذه الحالات. و من ثم كان الصدر الأعظم يعرف خصومه معرفه تامه.

و فى سنه ١٢٤١ هـ تامر جماعه من كبراء الدوله، كان بينهم "ملك قاسم ميرزا" ابن "فتح على شاه".

و هو أيضا زوج أخت القائم مقام "الميرزا أبو القاسم" الصدر الأعظم القتيل، و "الميرزا آقا خان نورى" وزير الشئون العسكريه و "الميرزا نظر على حكيم باشى" القزوينى طيب "محمد شاه" القديم و أحد ندمائه من يوم كان أميراً قبل جلوسه على العرش و زوج إحدى بنات "فتح على شاه"، هؤلاء و غيرهم تأمروا على أن يجيئوا ب "منوجهر خان معتمد الدوله" والى أصفهان و ينصبوه فى منصب الصدر الأعظم بدلا من "الحاج ميرزا آقاسى".

و عرف هذا بالمؤامره فاستصدر أمرا من الشاه بابعاد "ملك قاسم ميرزا" إلى أذربيجان، و تغريم "الميرزا نظر على حكيم باشى" ألف تومان و إبعاده إلى قم، و وضع رجلى "الميرزا آقا خان" فى الفلق و ضربهما و تغريم عشره آلاف تومان و إبعاده مع أخيه "الميرزا فضل الله" أمير الديوان إلى "كاشاف [كاشان]".

فنفذت هذه الأوامر و طال إبعادهم أربع سنوات. و مع أن "الحاج ميرزا آقاسى" لم يكن على صلته حسنه ب "منوجهر" المذكور فإنه عجز عن أن يناله بسوء، إذ كان هذا قويا مقتدرا فظل، على رغم الصدر الأعظم، حاكما على أصفهان و "لورستان" و خوزستان.

لما وصل "الحاج ميرزا آقاسى" إلى منصب الصدر الأعظم، أو منصب "الرجل الأول" حسب ما كان يهوى أن يقال له، اقترح عليه الشاه أن يتزوج بعمه له إحدى بنات "فتح على شاه" و اسمها "عزت النساء خانم"، و صادف هذا الاقتراح هوى فى نفسه فتزوجها. و كانت أرملة.

و زوجها الأول ابن عمها "موس خان" ابن "حسين قلى خان" أخى "فتح على شاه".

و بعد وفاه زوجها هذا ذهبت إلى مكه لأداء فريضه الحج. و اتفق أن كان فى قافلته "الحاج ميرزا آقاسى"، و ذلك قبل أن

يعرف بهذا الاسم إذ كان اسمه لا يزال "الحاج ملا عباس"، و هو فى لباس الفقر و الدروشه.

فسمع أن هذه الأميره خاليه لا زوج لها فخطبها لنفسه. فما كان من الأميره إلا أن أمرت خدمها بتأديبه بالعصا، فانهالوا عليه ضربا موجعا حتى أنهكوه، ثم أمرت بإخراجه من القافله فأخرجوه.

و دار الزمان دوره من دوراته فأصبح "الحاج ملا عباس" الصدر الأعظم لايران و أصبح يعرف باسم "الحاج ميرزا آقاسى" و زوجه "محمد شاه" بعمته "عزت النساء خانم" هذه نفسها. و يقال إنه لما خلا بها فى ليله الزفاف قال لها هل عرفتني قط؟ و هل رأيتني قبل أن تصبحى اليوم زوجة لى؟ فقالت: لا. لم أعرفك قط و هذه أول مره أراك. فذكرها بقصه الدرويش الذى كان فى قافلته فى سفر الحج و خطبته لها و ضربه بالعصا و طرده من القافله. ثم قال: أنا هو ذلك الدرويش المسافر إلى مكه الذى اتفق أن كان رفيق قافلته. و ها أنت ترين أنك، مع ما زجرتنى و أدبتنى به من ذلك العقاب القاسى، قد انتهيت إلى الزواج بى! و اشتهرت "عزت النساء خانم" هذه بقوه الساعد. قال أخوها "أحمد ميرزا عضد الدوله" فى تاريخه: اشتهرت الحاجه الأميره عزت النساء خانم بقوه القبضه. و كانت تبارى أكثر إخوتها فى الحضور الخاقانى بقوه القبضه فتغلبهم. و يقال إنها راهنت مره أخاها الأمير سليمان ميرزا، و كان معروفا بان له قبضه فاتفقه القوه، فأخذت صينيه قهوه من الفضة فقطعتها بيديها قطعه قطعه كما تمزق الورق.

و لم تلد "الحاجه عزت النساء خانم" من "الحاج" الميرزا آقاسى.

و كان لها من زوجها السابق ثلاثه أولاد، صبى و بنتان.

و أصبح الدرويش المعدم الصوفى المنعق العالم العارف الزاهد فى الدنيا الحاج "ميرزا آقاسى" فى مده صدارته المتماديه صاحب ملك وافر حتى صار فى زمانه أول ملاك فى إيران. و قدروا ما حصل عليه من أملاك بثمانيه و ثلاثين و أربعمائه ألف قريه و مزرعه فى مختلف نواحي إيران. و ذكروا أنه تخلى عن هذه الأملاك فى أواخر حياه الشاه، أى فى أواخر عهد صدارته قبل وفاته بستين تقريبا، و جعلها هديه للشاه سنه ١٢٦٣ هـ.

قبل وفاه "محمد شاه" ببضعه أيام أرسل الحاج "ميرزا آقاسى" رسولا إلى تبريز إلى ولى العهد "ناصر الدين ميرزا" يخبره بسوء حاله الشاه و يدعوه إلى الحضور إلى طهران.

و حين اشتد المرض ب "محمد شاه" لم يعده الحاج "ميرزا آقاسى" و لا حضر احتضاره و تجهيزه و تكفينه، بل أخذ يقلب فى ذهنه مخططات مختلفه، و لجا إلى الوزير المفوض الروسى و الوزير المفوض الإنكليزى يستشيرهما.

فى أول الأمر أراد أن يقيم فى قلعه "عباس آباد" الواقعه فى شمال طهران يرعى شئون المملكه إلى أن يحضر الشاه الجديد. و لكنه انصرف عن هذه الفكره و أقام فى مسكنه الرسمى الخاص فى طهران، و أرسل إليه أنصاره، و منهم صنيعه له كان آمر المدفيعه و كان من أخلص أنصاره و فى عهده حراسه مسكنه، رساله قالوا له فيها إنهم عاجزون عن حمايته بسبب نغمه الأكثرية من الناس عليه، و أن عليه أن يتدبر أمره بنفسه.

فغزم على ترك منزله الخاص و الذهاب فى طريق أذربيجان لاستقبال الشاه الجديد. فلما وصل إلى "يافت آباد" الواقعه على بعد بضعه كيلومترات فى الجنوب الغربى من طهران، و هى من أملاكه المستحدثه، أراد أن يبيت فيها. و لكن أهل القريه رفضوا أن يفتحوا له أبواب القلعه حيث أراد أن ينزل و أهانوه. فهمه ذلك هما شديدا و عدل عن المضى إلى أذربيجان

ص: ١١١

و لجا إلى مقام عبد العظيم الحسنى (رض) ذليلا منكسرا. و نزل فى حجره من مدرسه تقوم إلى جانبه. و يقال إن "الحاج ميرزا آقاسى" لما دخل الحجره و وقع نظره على الحصر البسيط المفروش فى أرضها عاودته ذكرى من أيام صدارته الماضيه فقال: "وى! ما أعجب حلما طويلا رأيتة!".

و خشى جماعه من عظماء الدوله و مشاهيرها أن يعود "الحاج ميرزا آقاسى" مره ثانيه فى العهد الجديد إلى مكانته من الحكم و السيطره. فتعاهدوا على أن يرفضوا صدارته رفضا باتا، و أن لا-يحجموا عن بذل الأرواح و الأموال إذا اقتضى الأمر ذلك، للوصول إلى مرادهم. و كانت "مهد عليا" أم ناصر الدين شاه، يومئذ، من العوامل المهمه فى توجيه أمور الدوله، فجلبوا إلى جانبهم و أصبحت حليفه لهم فى هذه القضيه.

و بعد وفاه "محمد شاه" وقعت ثورات و فتن فى كثير من الايلات و الولايات كخراسان و فارس و كرمانشاه و لورستان، إذ ثار الناس على حكاهم من أتباع الحاج "ميرزا آقاسى" و طردوهم شر طرده من بلادهم.

و قام الحاج "ميرزا آقاسى" أيام صدارته ببعض الأعمال الزراعيه المهمه. منها شق نهر من نهر "كرج" أوصل الماء إلى عدب مزارع و قرى فازدهرت و عمرت و لا تزال ترتوى من هذا النهر إلى اليوم. و قد سخر الحاج "ميرزا آقاسى" لشقه جند فوج من أفواج الجيش.

و أقام الحاج "ميرزا آقاسى" ذليلا فى تلك الحجره من تلك المدرسه إلى أن وصل ناصر الدين شاه من تبريز إلى طهران، و أذن له بالسفر إلى العراق و بعد سنه من إقامته فى العراق توفى فى شهر رمضان سنه ١٢٦٥ هـ و هو فى الثامنه و الستين من عمره.

عباس قلى آغا

المشهور بباقى خانای، و فى الروسيه بباقى خانوف. و كان يوقع كتاباته بتوقيع: قدسى.

ولد فى ١٠ حزيران سنه ١٧٩٤ م فى قريه أمير حاجيان بخانيه باكو.

و توفى سنه ١٨٤٧ م فى قوبا مؤرخ و شاعر و فيلسوف آذربيجانى. و هو ابن محمد خان حاكم باكو الذى أطاح به عن عرشه أخوه محمد قلى خان. تلقى دراسته بالعريه و الفارسيه. و فى سنه ١٨٢٠ عين ضابطا مترجما فى تفليس بمركز قياده الجنرال إرمولوف Ermolov القائد العام للجيش الروسيه فى القوقاز، و هناك تعلم الروسيه، و بفضلها أصبح على معرفه جيده بالأدب الغربى. و لم يلبث أن خرج فى رحله طويله أدت به إلى شيروان و أرمينيه و داغستان و بلاد الكرج و تركيا و إيران.

و فى الحربين اللتين نشبتا بين الروس و الترك، و بين الروس و الايرانيين، كان عباس ضابط أركان حرب فى مركز قياده الجنرال باسكيفج Paskievich. و فى سنه ١٨٣٣ خرج فى رحله أخرى زار فيها شمال القوقاز و روسيا و دول البلطيق و بولنده.

و منذ سنه ١٨٣٤ انقطع للأدب و نشر عددا كبيرا من آثاره بالأذريه و الفارسيه و العريه. و أهم آثاره: گلستان إرم (١٨٤١ م) يتتبع فيه تاريخ داغستان و شيروان من أقدم الأزمنه حتى معاهده گلستا [گلستان]. و فى سنه ١٩٢٩ م نشرت جمعيه دراسه آذربيجان فى باكو ترجمه روسيه لهذا الكتاب القيم مع مقدمه بقلم سيسويف Sisoiev و سيره للمؤلف بقلم باخرنى. و قد

ظهرت النسخة الآذرية منه سنة ١٩٥١ م في باكو (طبعه أكاديميه العلوم بآذربيجان SSR).

و آثاره الأخرى هي: (رياض القدس) بالآذرية، و هو كتاب في التراجم، و (قانون قدسى) و هو في نحو اللغة الفارسيه و (كشف الغرائب)، و هو بالفارسيه يشمل وصفا لاكتشاف امريكا و (تهذيب الأخلاق) بالفارسيه، و هو رساله في الأخلاق و الفلسفه الأخلاقيه مستقاه من الكتاب العرب و اليونانيين و الأوربيين، و (عين الميزان)، و هي رساله في الكلام و المنطق بالعربيه و (أسرار الملكوت) بالفارسيه و العربيه، و هي رساله في علم الفلك نشرت في تفليس، و (نصيحت نامه) بالفارسيه، و هي مجموعه من المبادئ الأخلاقيه.

و قد كان شاعرا نظم بالعربيه و الفارسيه و الآذرية، و نشر بعض قصائده في جريده (فيوضات) بباكو (العدد ٢٨ الصادر سنة ١٩٠٧ م)، و ترجمه بالآذرية لخرافات كريلوف.

عباس ميرزا ملك آرا

"عباس ميرزا" لقبه "نائب السلطنه" و "ملك آرا" (مزين الملك) هو ثانى أبناء "محمد شاه قاجار". ولد في رجب سنة ١٢٥٥ هـ. و قد اشتهر أن أباه أراد في أواخر أيامه تنحيه ولى عهده "ناصر الدين ميرزا" عن منصبه و نصب أخيه "عباس ميرزا" هزا في مكانه و ليا للعهد. و لكن العمر لم يمهله لتحقيق هذا الأمر. فقد كان "عباس ميرزا" أحب إليه من أخيه "ناصر الدين ميرزا"، و من ثم جباه بلقب "نائب السلطنه".

و كان "ناصر الدين ميرزا" يلاحظ بدقه إهمال أبيه له و انصراف عطفه إلى أخيه من دونه. و بعد وفاه "محمد شاه" و تولى "ناصر الدين ميرزا" منصبه عزم على قتل أخيه "عباس ميرزا" إذ كان حاقدا عليه من زمن أبيه و كانت "مهديا" أم "ناصر الدين" لا تتفكك توغر صدره عليه من ذلك الزمن. و لكن "عباس ميرزا" نجا من القتل بوساطه الإنكليز و حمايتهم له.

و اكتفى الشاه الجديد بنفيه إلى العراق في شهر ذى الحجه سنة ١٢٦٨ هـ، و خصص له راتبا سنويا مقداره ثلاثه آلاف تومان، فسافر إلى العراق و سكن في بغداد. و أقام أيضا مده قليله في إسلامبول. و طال نفيه مده سبعة و عشرين عاما أذن له بعدها "ناصر الدين شاه" بالعوده إلى طهران فعاد في شهر المحرم سنة ١٢٩٥ هـ. و أنعم عليه الشاه بلقب "ملك آرا" و خصص له راتبا سنويا مبلغ سته آلاف تومان و خصص لابنه "محمد ميرزا" خمسمائه و ألف تومان.

ثم توسط له قائد الجيش "الحاج ميرزا حسين خان" فعينه الشاه حاكما على زنجان. و لكنه لم يمكث طويلا في هذا المنصب، إذ أوقعه الوهم في الخوف على نفسه ففر إلى القفقاس. و عاد قائد الجيش إليه فطمانه و ضمن له الأمان فرجع إلى طهران سنة ١٢٩٦ هـ. و في سنة ١٢٩٨ هـ عين حاكما على قزوین.

كان الإنكليز يناصرون "عباس ميرزا" و يرغبون في تقويه مكانته و معاونته على أخيه و لكنه لم يستجب لهم. و شاع أنهم طلبوا إليه أن يسافر إلى لندن فرفض. و في الحرب التي وقعت بين إنكلترا و إيران سنة ١٢٧٣ هـ وصل الإنكليز إلى "برازجان" من طريق "بوشهر" و إلى "الأهواز" من طريق "خرمشهر". و أرادوا إخافه "ناصر الدين شاه" و تهديده فاصروا على

نقل "عباس ميرزا" من بغداد إلى جنوب إيران. و لكن هذا لم يستجب لهم. فاعتزم الصدر الأعظم "الميرزا آقا خان نوري" هذه الفرصه لايقاع الصلح بين الشاه و أخيه. و كان "ناصر الدين شاه" قد قطع عنه راتبه، فأراد أن يتحبب إليه و يكافئه فأعاد إليه راتبه و زاد فيه خمسمائه تومان، و عفا عنه. و بهذا يكون "عباس ميرزا" قد جرد الإنكليز من سلاح قوى كانوا يشهرونه على "ناصر الدين شاه".

أما الأمراء الآخرون فلا يهتم الإنكليز باستمالتهم إليهم إذ لم يكن فيهم من له مؤهلات "عباس ميرزا" فيستطيعوا أن يسخروه للوصول إلى ماربهم.

و بعد عوده "عباس ميرزا" إلى إيران سعى الإنكليز كثيرا إلى حمل "ناصر الدين شاه" على تعيينه وليا للعهد، خصوصا بعد وفاه اثنين من أبنائه كانا قد عينا لولايه العهد واحدا بعد آخر، فلم يحصلوا على نتيجة.

و فى سنة ١٢٩٧ هـ ثار فى كردستان "الشيخ عبيد الله النقش بندي" أحد رؤساء الصوفيين و جماعه من رؤساء العشائر الكرديه على الحكومه المركزيه. و إذ كان "عباس ميرزا" أحسن وسيله يتقوى بها خصوم "ناصر الدين شاه" عليه، فقد أراد النقش بندي هذا استغلاله، كما أراد الإنكليز استغلاله قبلا، خصوصا أنه كانت بينهما أيضا صلح و معرفه. فكتب إليه "الشيخ عبيد الله" رساله أرسلها مع اثنين من رجاله يدعوه فيها إلى الحضور إلى "ساوجبلاغ مكرى" لمشاركتهم فى محاربه القوات الحكوميه، و بعدها يرفعونه إلى عرش الملك. فما كان من "عباس ميرزا" إلا أن بادر إلى اطلاع "ناصر الدين شاه" على أمر هذه الرساله. فكافأه الشاه على هذه الخدمه بنصبه حاكما على قزوین. و فى سنة ١٣٠٣ هـ عين وزيرا للتجاره و رئيسا فخريا لمجلس شورى الدوله.

و فى الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٣١٤ هـ توفى بسكته قلبيه فى أثناء سباق للخيل فى طهران، و هو فى التاسعه و الخمسين، بعد مقتل "ناصر الدين شاه" بسنه واحده. و كان جثمان "ناصر الدين شاه" قد أودع قبرا موقتا فى طهران ريثما ينتهى بناء قبر له بالقرب من مقام عبد العظيم الحسنی (رض). و اتفق أن كان نقل جنازه "ناصر الدين شاه" من القبر الموقت فى نفس الوقت الذى شيعت فيه جنازه "عباس ميرزا". و لذلك لم يشيع هذا التشيع اللائق به. و فى أواخر السنه التى توفى فيها أنعم "مظفر الدين شاه" على ابنه "محمد ميرزا" بلقب "ملك آرا".

الشيخ أبو محمد عبد الباقي بن محمد بن عثمان الخطيب البصرى.

من علماء الشيعة و أكابر المتكلمين فيهم فى القرن الخامس للهجره، خطيب محقق لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته إلا أنه يستفاد من ذكر تلاميذه أنه كان من طبقه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٠٦ [٤٣٦] و الشيخ أبى جعفر محمد الطوسى المولود ٣٨٥ و المتوفى سنة ٤٦٠ و الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ صاحب تاريخ بغداد.

أصله من البصره و قدم إلى الرى ثم تصدر للتدريس و الفتوى و تخرج عليه الشيخ المفيد عبد الرحمن النيسابورى الذى كان من تلاميذ شيخ الطائفة الشيخ أبى جعفر الطوسى و السيدين الشريف الرضى و المرتضى فيستفاد من ذلك أن المترجم له من طبقتهم. ذكره الشيخ منتجب الدين بن بابويه الرازى و لم يذكر تاريخ وصله إلى الرى و قال فى وصفه: (الشيخ أبو محمد عبد الباقي بن محمد بن عثمان الخطيب البصرى شيخ من وجوه أصحابنا ثقة ورد الرى و قرأ عليه المفيد عبد الرحمن النيسابورى. تصانيفه منها الحجج و البراهين فى إمامه أمير المؤمنين ع و أولاده الأحد عشر أئمه الدين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و

المذهب في المذهب و رسائل البصره و كتاب الدلائل(١) و ذكره الشيخ الحر العاملي في أمل الأمل(٢) و نقل ما ذكره الشيخ منتجب الدين بن بابويه في الفهرست و ميرزا عبد الله الأصفهاني في رياض العلماء ج ٣ ص ٦٤ و ذكره شيخنا في طبقات أعلام الشيعة و أشار إلى مؤلفاته عن منتجب الدين في الذريعة(٣)

الشيخ الآغا عبد الحسين بن الشيخ الآغا محمد باقر بن الشيخ محمد أكمل

البهبهاني الحائري.

توفي في همدان سنة ١٢٤٥.

من أكابر علماء الشيعة و مفاخر فقهاءهم و أئمة التقليد و الفتوى أصولي محقق عابد زاهد قال في المجلد التاسع صفحه ١٨٢ من أعيان الشيعة في ترجمه والده الآغا محمد باقر البهبهاني ما نصه (خلف ولدين عالمين فاضلين ورعين تقيين أكبرهما الآقا محمد علي الذي سكن كرمانشاه و الثاني الآقا عبد الحسين ذكرنا في أبيهما). يقول عبد الحسين الصالحى لقد جاء ذكر الشيخ الآغا محمد علي في المجلد العاشر صفحه ٢٥ من أعيان الشيعة و لم أجد ذكرا للشيخ الآقا عبد الحسين في محله من طبعه دار التعارف لذا نذكره كما يلي: ولد و نشأ في كربلاء و أخذ المقدمات و العلوم الإسلاميه و فنون الأدب على أفاضل علماء الحائر الشريف و تخرج في الفقه و الأصول على والده المؤسس المجدد الآغا باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٥ و أجازته والده إجازة مفصلة و عامه و أمر الناس بالرجوع إليه و تصدر كرسى التدريس و الفتوى بامر من والده في كربلاء و بعد وفاه والده ألح عليه السيد ميرزا مهدي الشهرستاني المتوفى سنة ١٢١٦ و جمع غفير من العلماء و تلامذته والده بالصلاه في مقام والده فأجاب و صلى لمدته قصيره ثم ترك الامامه و بعد حمله الوهابيين على كربلاء في عام ١٢١٦ ترك الحائر الشريف متوجها إلى إيران و استقر مده في كرمانشاه ثم توجه إلى همدان و منها إلى أصفهان ثم استقر في خراسان و ظهر في تلك الأيام على مسرح النزاع في يزد الشيخ أحمد الاحسائي المتوفى سنة ١٢٤١ مؤسس الفرقة الشيخيه فطلب من علماء المشرعه في يزد توجه إلى هذه المدينه لنصرتهم ضد الشيخيه حيث كانت مدينه يزد كسائر المدن الإيرانيه و العراقيه منقسمه على نفسها بين شيخيه أنصار الشيخ أحمد الاحسائي و مشرعه خصوم الاحسائي فوقف المترجم له قبالهم موقفا باسلا و أبدى معارضته للشيخيه و أعلن ضلالهم ما اضطر البلاط الإيراني لاستدعاء الشيخ أحمد الاحسائي من يزد إلى طهران خشيه مغبه النزاع. ثم سكن الاحسائي في كرمانشاه بناء لدعوه ولي العهد محمد علي ميرزا دولت شاه المتوفى سنة ١٢٣٧ و في حدود سنة ١٢٣٠ توجه المترجم له إلى همدان و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و الزعامه و كان من مراجع التقليد في همدان و أئمه الدين و تحول العلماء حتى توفي بها.

ذكره ابن أخيه الشيخ أحمد في كتابه (مرآه الأحوال) الذي ألفه في سنة ٢٢٣ [١٢٢٣]

ص: ١١٣

١- الشيخ منتجب الدين الرازي: الفهرست تحقيق الدكتور سيد جلال الدين المحدث ص ٧٦ قم منشورات مكتبه المرعشيه.

٢- انظر أمل الأمل تحقيق السيد أحمد الحسيني ج ٢ ص ١٤١-١٤٢ النجف الطبعة المحقق الأولى ١٣٨٥ هـ.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و أثنى عليه ثناء كثيرا و ترجم له صاحب روضات الجنات فى ذيل ترجمه والده و قال (... و أما أخوه الأصغر الذى هو الولد الآخر لصاحب الترجمة - أعلى الله مقامه - فهو أيضا من أعظم العلماء و المجتهدين و أفخم الفقهاء و الأصوليين يسمى بالآقا عبد الحسين و هو الذى كتب لأجله والده المعظم حاشيه أصول المعالم و له أيضا شرح على المعالم مبسوط مشتمل على تحقيقات أنيقه فلما توجد فى شىء من كتب الأصول بلغ فيه إلى مباحث الاستصحاب و كان - ره - متوطنا ببلده همذان العجم طول حياته مجتنبًا عن العشره التامه و السلوك مع قاطبه الخلق بحسن الخلق و قد أدركناه برهه من زمانه و توفى بعد نيف و أربعين و مائتين فوق الألف - أفاض الله على روحه المطهره شآبيب الغفران(١) تزوج المترجم له بنت الميرزا محمد جعفر الذى كان صهر الميرزا الشيروانى و خلفه ثلاثه أولاد، هم: ١ - الشيخ الآقا عبد العلى والد الشيخ الآقا محمد البهشتى و الشيخ الآقا أحمد البهشتى. ٢ - الشيخ الآقا محمد مهدى الذى كان له ولد باسم الشيخ الآقا عبد الحسين عميد أسرهم آل الآقا فى طهران. ٣ - الشيخ الآقا محمد تقى البهبهانى والد الشيخ الآقا محمد باقر عميد أسرهم آل الاقائى فى همذان و جميع الأولاد و الأحفاد ثم من العلماء الاعلام و الفقهاء فى إيران و هم منتشرون اليوم فى كل من طهران و همذان و كرمانشاه.

ترك المترجم له مؤلفات فى الفقه و الأصول و منها كتاب شرح المعالم فى مجلدين كبيرين، و له أيضا حاشيه المعالم، و كتاب الفقه.

و ترجم له مفصلا الميرزا محمد على الكشميرى فى نجوم السماء ص ٣٣٧ و السيد مصلح الدين المهدوى فى الجزء الأول من كتاب العلامة المجلسى صفحه ٣٣٤(٢)

السيد عبد الحسين بن السيد محمد بن السيد عبد الحسين بن السيد أحمد بن

السيد الحسن بن السيد جعفر العاملى

الأصل القزوينى المولد و المنشأ و المدفن المعروف بصدر الصدور.

ولد فى قزوین سنه ١٣١٠ و توفى سنه ١٣٧٥ و دفن عند والده فى الخانقاه الذى أسسه والده عند "دروازه راکش [راه کوشک] فى قزوین.

حكيم عالم عارف متصوف أديب شاعر أخذ المقدمات و فنون الأدب و العرييه على والده السيد محمد صدر الصدور القزوينى و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ فتح الله الشهيدى و الشيخ ميرزا هدايه الله الشهيدى و السيد هبه الله التلاترى ثم توجه إلى قم و حضر سنين على الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و أجازته مشايخه المذكورون ثم عاد إلى قزوین و هو من آل صدر الصدور العاملين الذين هاجر جدهم الأعلى السيد جعفر العاملى فى عصر نادر شاه إلى قزوین و لقبه الشاه بصدر الصدور.

له مؤلفات منها ديوان شعر و كتاب سير و سلوك فى التصوف و تقاريرات درس استاذه الحائرى فى الأصول و تقريراته فى الفقه و غير ذلك (٣)

عبد الرحمن الخازن أو الخازنى:

توفى حوالى سنه ٥٥٠هـ.

حكيم فلكى مهندس، قال البيهقى: كان غلاما روميا لعلى الخازن المروزى فنسب إليه. من مؤلفاته: (الزيج) المسمى بالمعتمر السنجرى نسبة إلى السلطان سنجر. و (ميزان الحكمة).

كان زاهدا بالدنيا متقشفا، بعث إليه السلطان سنجر ألف دينار فاخذ منها عشرة و رد بقيتها و قال: يكفينى كل سنه ثلاثه دنانير و ليس معى فى الدار الا سنور.

و قال القفطى فى أخبار العلماء بأخبار الحكماء / ٢٥٩ (مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ): أبو جعفر الخازن كنيته هذه أشهر من اسمه... خبير بالحساب و الهندسه و التيسير، عالم بالأرصاد و العمل بها، مذكور بهذا النوع فى زمانه و له تصانيف منها: كتاب زيح الصفائح و هو من أجل و أجمل كتاب صنف فى هذا النوع. و كتاب المسائل العدديه.

و قالت مجله الموسم فى العدد (١-٢) من السنه الأولى ما يلى:

بين أيدينا مخطوط عربى علمى نادر كتب بموضع على ساحل بحر عمان، يرتقى عمر المخطوط إلى أكثر من ثمانيه قرون و نصف القرن، و قد دون الناسخ اسم المخطوط و مؤلفه على وجه غلافه الأول و قد جاء فيه:

" كتاب ميزان الحكمة و هو الجامع للموازن و وجوه الوزن بها و ما يتعلق به، تولى جمعه و تدوينه الشيخ الأجل السيد عبد الرحمن الخازنى مولى الشيخ العميد الماضى أبى الحسن على بن محمد الخازن رحمهما الله مما أشار إليه الحكماء المتقدمون و بسطه المتأخرون فى شهور سنه خمس عشره و خمسمائه هجرية "

و فى آخر الكتاب جاء ما يلى:....

تمت مقاله الثامنه و تم بها الكتاب و لله الحمد و الشكر و به الحول و المنه و الصلاه على خير خليقته محمد النبى و عترته الطاهرين الأبرار. و قد فرغ من تحريره أبو نصر أحمد بن محمد الطرقى صبيحه يوم الجمعة غره ربيع الآخر سنه خمس و ثمانين و خمسمائه و هو اليوم الثانى و العشرون من تير ماه القديم سنه خمسمائه و ثمانيه و خمسين يزدجرديه بساحل بحر عمان فى موضع يقال له... هرمنز حامدا لله تعالى و مصليا على نبيه المصطفى و آله.

لهذا الأثر النفيس أهميه كبيره لكونه من الكتب العربيه النادره فى الموضوع العلمى الهام الذى طرقه مؤلفه و تلخص نتائج البحث التى توصل إليها بما يلى:

لقد وجد علماء العرب فى البحث فى إيجاد الثقل النوعى للمعادن المخطوطه من نوع أو أكثر من نوع، و توصلوا إلى إيجاد كم مقدر من كل نوع فى ذلك المعدن المخلوط.

و لقد تقدم فلاسفه العرب الطبيعويون فى القرن الحادى عشر و الثانى عشر إلى حد بعيد فى فكره التجاذب، و لو أنهم لم يعرفوا تجاذب الأجسام المتبادل كما عرفه كيلو و نيوتن، و لكنهم قالوا أن جميع الأجسام تنجذب إلى مركز العالم - و يعنون بذلك

الأرض - لأن الفكره السائده آئنذ هي أن الأرض مركز الكون. و لقد عرفوا أن القوه الجاذبه هي بنسبه بعد الجسم عن مركز

ص: ١١٤

١- ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري: روضات الجنات ج ٢ ص ٩٨ طبع مكتبه اسماعيليان (طهران).

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الجذب و قدروا أن القوه الجاذبه هي بنسبه طرده للمسافه.

و قد عرف العرب قوانين و وسائل مضبوته فيما يخص القوانين الميكانيكيه، فهم عرفوا المعادله التي تربط بين السرعه و المسافه المقطوعه مع الزمن الذي في أثناءه قطعت تلك المسافه، كما عرفوا قوانين مراكز الثقل، و الروافع و غيرهما.

و عرفوا أن للهواء وزنا و ذلك بالتأثير الذي يحدثه الهواء على وزن الأجسام.

و فهموا فعل الشرقه و سببها، و وضع الماء في أنابيب شعريه لها فتحة واحده.

و استعمل العرب الأريوميتر **Areometer** الذي ورثوه عن اليونانيين فحسنوه و قدروا بواسطته قياس حراره الماء و ذلك عند تقدير الكثافه التي هي بنسبه عكسيه للحراره.

و وضعوا جدولا للأثقال النوعيه لجميع الأجسام الصلبه و المائعه التي كانت معروفه لديهم.

و عرفوا أيضا أن هنالك قوه جاذبه على جميع جزئيات الأجسام و هذه القوه هي التي تبين لنا صفه الأجسام، و هذه نظريه جد مفيده في التحليل الكيميائي و هي مفتاح لعديد من خفايا الطبيعه.

يبرهن الكتاب على مقدار ما توصل إليه العلماء العرب من الدقه في صنع الموازين لقياس كثافه الأجسام حيث عرفوا بواسطتها الأحجار الكريمة و ميزوها عن أشباهها و ملوناتها مما يعجز عنه اليوم كثير من العلماء.

السيد عبد الرحمن الكواكبي.

مرت ترجمته في المجلد الثالث من (المستدركات)، و قلنا هناك أن صاحب (طبقات الاعلام) يؤكد أن تشيع والده كان معروفا، و أن من الطبيعي أن يرث التشيع عن والده.

و ذكرنا هناك أيضا أنه سليل أسره شيعيه معروفه التشيع منذ القدم، و قد أصابها بسبب ذلك ما أصابها من النكبات، و ذكرنا تفاصيل إحدى تلك النكبات، و قلنا أن الكواكبي كان كجمال الدين الأفغاني حكيما في كتمان تشيعه في عصر التعصبات الذهبيه العمياء، و لو أظهر تشيعه لاستغل ذلك في محاربه في دعوته الاصلاحيه التحريري.

و قد عثرنا بعد ذلك على ما لا يدع شكاً في تشيع السيد عبد الرحمن الكواكبي تشيعاً عريقاً أصيلاً يربى عليه من يختصه من تلاميذه و مريديه الذين يطمئن إليهم، و هذا الذي عثرنا عليه هو مقال للكاتب الحلبي سامي الكيالي نشره في الصفحه ١١٨ من العدد ١٠٣ من مجله العربي الصادر في (يونيو ١٩٦٧)، و فيه عدا ذلك ما يحل لنا لغزا عجزنا كما عجز غيرنا عن حله و هو أن الشاعر عبد المسيح الأنطاكي كان - على نصرانيته - مولعا ولعا عجيبا بالبيت و معجبا أعظم الاعجاب بأمر المؤمنين على بن أبي طالب ع، حتى لقد نظم فيه ملحمة شعريه فريده، تتدفق حبا بأبي الحسن و تفيض حماسه له و إشاده به. و لقد كنا نعجب من ذلك و نتساءل من أين استقى هذا الشاعر معلوماته الغزيره عن آل البيت لا سيما عن أمير المؤمنين، هذه المعلومات التي جعلته يتفانى في حبه و يندفع هذا الاندفاع بالاشاده بالإمام العظيم حتى ليقضى شطرا من حياته في نظم ملحمة التي بلغ عدد أبياتها

٥٥٩٥ بيتا بقافيه واحده، فإذا بمقال الكيالى يثبتنا بان مصدر ذلك كله كان السيد عبد الرحمن الكواكبي الذى تتلمذ عليه الأنطاكي فى حلب و فى مصر. و إليك الجزء المتعلق بهذا الموضوع من مقال الكيالى:

قال سامى الكيالى متحدثا عن عبد المسيح الأنطاكي (١٨٧٥ - ١٩٢٢ م):

أديب شاعر ليس له شهره كبار الأدباء و لا فحول الشعراء و ان حذا حذوهم و سار على نهجهم.

تتلمذ على الرائد العربى الحر عبد الرحمن الكواكبي فاخذ عنه الكثير من مبادئه و نزعتة العربيه.

نشا فى حلب، ثم هجرها إلى مصر، و قام برحلات إلى الجزيره العربيه يتصل بامرائها و شيوخها فيمدحهم و يلقى منهم الرعايه و المال.

و كلما ازدادوا عطاء ازداد مدحا و ثناء.

و فى سيرته الكثير من المفارقات لعل أظهرها تعلق هذا الأديب المسيحى بال البيت تعلقا حفزه أن ينظم ملحمة فى الامام على رضوان الله عليه، قاربت أبياتها الستة آلاف بيت مما لم يبلغه كبار الشعراء من غلاه التشيع.

و قد عبر تعبيرا صادقا عن حبه لآل البيت، و إيمانه العميق برسالة العرب التى نستمد عناصرها الأصيله من مبادئ الإسلام.

أديننا الحلبي هذا يمت إلى الإغريق بنسب عريق، فقد نزع أجداده من اليونان إلى أنطاكيه فسكنوها مددا طويلا. ثم انتقلت عائلته إلى حلب سنة ١١٦٣ هـ، و ما يزال أحفادها يعيشون إلى اليوم بين دمشق و حلب و بينهم الأساتذة و المحامون و التجار.

ولد عبد المسيح سنة ١٨٧٥ م فلم يكد يترعرع و يأخذ حظه من القراءه و الكتابه حتى تعلق بالأدب العربى و أخذ يحفظ دواوين الشعر، و قد وصف لنا نشاته بتجرد مطلق فقال:

نشأت فى حلب الشهباء فى وسط كله تعصب و جهل، و من حسن حظى أن بيتنا فى حلب كان فى شارع أكثر أهله عرب مسلمون يدعى "قسطل المشط"، فكنت أجد من حسن معامله العرب المسلمين لأهلى و رعايتهم لجوارنا غير ما كنت أسمع من النفرة منهم من أفواه عشرائى المسيحيين، فشبيت و أنا على غير رأيهم فى هذه الأمه الكريمه.

ثم عند ما اتسعت مداركى، صرت أعرف و أعتقد أن هؤلاء المسلمين العرب الذين يجاورونا و نجاورهم هم شركاؤنا فى الوطن، و مشتركون معنا فى منافعهم و مضارهم، و فوق هذا أن بيننا و بينهم صله قريه بلحم و دم. لأن المسلمين عند ما دخلوا سوريه كان أهلها مسيحيين و يهودا و مجوسا فأسلم منهم من أسلم و بقى على دينه من بقى. و ربما انقسمت العائله الواحده إلى مسلمين و غير مسلمين..

و هكذا أصبحت متعصبا للعرب أعد نفسي واحدا منهم، يسرنى ما يسرهم، و يسيئنى ما يسيئهم، و بصفتى واحدا منهم بات همى أن أعتنى بمصلحتهم، و توفقت إلى أصدقاء منهم أهل علم و ساسه متعصبين للعرب، يرمون إلى استعادته مجددهم فتربيت على

أيديهم و على رأسهم أستاذى المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي الشهير.

ص: ١١٥

و لخدمه العرب أنشأت مجلتي "الشدور" في حلب سنه ١٨٩٧ - ١٨٩٨ م، فحاربتنى الحكومه، فهجرت وطنى و أتيت مصر و أنشأت جريدتى "الشهباء"، ثم حولتها إلى اسم "العمران".

و تبعنى إلى دار هجرتى أستاذى الفيلسوف الكواكبى سنه ١٨٩٩ م، فلذت به، و قضيت فى صحبته كل المده التى أقامها فى مصر إلى أن استأثرت رحمه الله تعالى بنفسه الطاهره فى سنه ١٩٠٢ فأخذت على عاتقى الضعيف استئناف الجهاد فى سبيل العرب الذى كان يجاهده و أنا فى خدمته(١) و فى مصر تفتحت مواهبه و رأى عالما ينعم بالحرية خلافا لما كان عليه وطنه الذى كان يئن من الجور الحميدى.

و لا شك أن لاتصاله الوثيق باستاذه الكواكبى و بالشيخ كامل الغزى، و من عرفهم من زعماء التفكير الحر فى القاهره - أثره فى هذه الوجهه التى اتجه إليها - اتجاه عربى إسلامى يعيد للأمة العربيه مكانتها و سؤدها بين الأمم و يختلف عن النهج العثمانى الذى كانت تسير عليه بعض صحف مصر الكبرى التى كانت تجد فى "الخلافه العثمانيه" سندا لمصر ضد الاحتلال الانكليزى.

و رأى فى الجزيره العربيه التى لم تخضع لحكم أجنبى - رآها بينه صالحه لتلعب نفس الدور الذى لعبه الأجداد الميامين فى صدر الإسلام، و كانت بعض المناطق لم ترتبط بمعاهدات فعلق على شيوخها و أمرائها و سلاطينها كبريات الآمال..

و من أقواله بهذا الصدد:

"كان للمسلمين ملك واسع امتد ظلاله على الثقيلين، و كانوا سادات الدنيا بغير جدال بهمم الأسلاف الأبطال و ذكاء من نبغ منهم من أعظم الرجال".

"و كان ذلك من معجزات الرسول و القرآن".

و بعد أن أشار إلى مراحل المجد و الفتوحات و وضع المسلمين الذين فقدوا الملك الواسع و أضاعوا المجد و العلم قال:

"و طمع الأوربيون باملاك المسلمين طمع القوى بالضعيف، و توجهوا باساليهم السياسيه و استعداداتهم القويه لمحاربه المسلمين حربا صليبيه، فملكوا أكثر بلاد المسلمين بالوسائل السلميه، بين ملك صراح أو استعمار، حتى لا يكاد يقع نظرك على بلد إسلامى الا- و للأجنبى فيه نصيب، إلا- البلاد العربيه، سكن آل الرسول ص و أصحابه و أنصاره و قومه، فهم وحدهم لم يخضعوا للذل الأجنبى، و لم يجازفوا باستقلالهم، و لا يجازف بالاستقلال إلا صغار النفوس الأذال".

رحلته إلى جزيره العرب

حبه للعرب دفعه أن يقوم برحله إلى جزيره العرب، فترك مصر و فيها أهله و مكتبه و أشغاله، و سار متجولا فى الأقطار العربيه فزار عدن و لحج و حضرموت و مسقط و لينجه و البحرين و المحمره و الكويت و وقف على أبواب نجد و البصره و بغداد، و قد دون الشىء الكثير عن هذه الرحله التى تركت فى نفسه الكثير من الانطباعات و هزته الشمائل العربيه فوصفها وصفا دقيقا بقصيده طويله منها قوله:

و أمه خير ما تسمى به عريان رام تمجيدها يوما مسميها

و أنفس حره ما استعبدت و أبتأن تستذل لغير الله باريها

و همه تنشد العليا و تطلبهما الدهر يقعدهما عنها و يثنيها

و يقول فى الجزيره العربيه:

مهامه أمحلت محلا و ما خصبت الابدان قد أقاموا فى مواميها

ما أنبتت شجرا، ما أثمرت ثمرا لكن عقولا تناهت فى تساميها

هى الجزيره لا أرض تحاكيها إذ كان مجد الأراضى فى أهاليها

سادت و صالت و أبتت من مفاخرها أو ابدا ليس كر الدهر ماحيها

كانت لعمر ك تأبى أن تعيش على هون و أن تتصافى مع مهينيها

يثور نائرها ان نال واحدها سوء و كان الذى يؤذيه يؤذيها

فان يصح "وا نصيراه" رأى أسدا سلت لقهر أعاديه مواضيها

تضامن بين أفراد القبيله لا يبقى على الضيم فردا من مواليها

رحلته إلى الجزيره العربيه تركت فى نفسه، كما قلت، الكثير من الانطباعات و هزت مشاعره نظما و نثرا، فدون الكثير عنها.

هذا و قد ترك الأنطاكي عده آثار منها كتاب "نيل الأمانى فى الدستور العثمانى" و "النهضة الشرقيه" و ديوان "عرف الخزام"

و "رحله السلطان حسين فى رياض البحرين" و "الرياض المزهره بين الكويت و المحمره" عدا مجلدات من مجلتيه "الشدور" و

"العمران".

على أن أهم آثاره فى نظرنا "القصيد العلوويه المباركه" و هى فى ٥٥٩٥ بيتا تناولت سيره الامام على و ما جرى له مع الخلفاء

الراشدين و ملامح من الفتنة الكبرى، و قد اعتبرها أولى القصائد التى ظهرت فى الشعر العربى فكانت، كما قال، نسيجا وحده ما

عرفت قصيده عربيه مثلها تناولت تاريخا أو قصه فجاءت عليها من أولها إلى آخرها بقافيه واحده و وزن واحد، كما أنها أطول

قصيده فى لغه العرب على الإطلاق.

و قد قسمها إلى فصول جعل لكل فصل عنوانا يعين المطلع على إدراك مراميها و استقراء معانيها. و هى تقسم إلى قسمين

أولهما تاريخ أمير المؤمنين منذ ولادته إلى أن امتدت إليه يد الشقى ابن ملجم، و الثانى خصه بمناقبه و فضائله و حكم أمير

المؤمنين.

و قد دعاها ملحمة، و هي أقرب الأسماء إليها. و ذيلها بحواش كانت تاريخاً صميماً لصدر الإسلام. و بلغت مع شروحها ستمائة صفحة من كتاب متوسط الحجم.

و هي و أن لم تبلغ مبلغ الشعر الجيد إلا- أنها تنم عن قريحه وقاده و لا سيما و الموضوع إسلامي تاريخي معضل أقبح الناظم نفسه فيه حتى جاءت فريده في بابها تصور البطولات في أروع مظاهرها...

و حين أطلق على قصيدته "ملحمه" أراد المعنى اللغوي و قال:

"أما لفظه "ملحمه" التي أطلقها على هذه القصيدة المباركة أتباعاً للمغاربة، فمعناها اللغوي "الوقعة العظيمة" و لعلها ماخوذة من قولهم التحم القوم للقتال، أي اشتبك بعضهم ببعض، أو ربما قصد المغاربة باسم "الملحمه" الذي أطلقوه على القصائد التي لا ذكر فيها للقتال أيضاً "الأحكام" من قولهم لحم الأمر أي أحكمه. و يصح أن نقول أن لفظه "الملحمه" مشتقه من قولهم ألحم فلان الشعر و حاكه، أي نظمه، و ذلك ٧.

ص: ١١٦

لتشبيهم بيت الشعر أو بالثوب المحوك، و من هذا اشتقت لفظه "الملحمت" التي أطلقوها على القصائد المعروفة المشهوره للفرزدق و جرير و الأخطل و ذى الرمه و الكميت و الطرماح و أرادوا بها الإشاره إلى أن هذه القصائد كانت محكمه النظم متالفه الأجزاء، حسنه السبك".

عبد الرزاق اللاهيجى القمى

المشهور بالفياض.

مرت ترجمته فى المجلد السابع و نزيد عليها هنا: أن له ديوان شعر فى اثنى عشر ألف بيت محفوظ فى المكتبه الأهليه بباريس، و فيه التوحيد و مناقب النبى (ص) و الأئمه (ع) لا سيما على (ع) و رثاء الحسين (ع). و عدا ذلك ففيه الغزل العرفانى الاشراقى، كما تبدو فيه الظاهره الكلاميه و الفلسفيه(١).

أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن عبد الله البصرى

إشاره

و يقال عبد السلام الأديب أو أبو أحمد عبد السلام البصرى.

ولد سنه ٣٢٩ و توفى يوم الثلاثاء ١٩ محرم الحرام سنه ٤٠٥ و دفن فى مقبره الشونيزى عند قبر استاذه أبى على الفارسى ببغداد.

ذكره فى أعيان الشيعة ج ٨ ص ١٢ بترجمه مختصره و لم يذكر تاريخ ولادته و وفاته و سائر خصوصياته و نضيف على ما هنالك ما يلى:

كان من أكابر محدثى الشيعة و أئمه النحويين، أديب متبحر لغوى متضلع قارئ للقرآن، عارف بالقراءات. أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على جماعه من علماء عصره منهم محمد بن عمران و أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جلين الوراق الدورى و محمد بن إسحاق بن عباد التمار و جماعه من البصريين، و هو من مشايخ أبى العباس النجاشى المتوفى سنه ٤٥٠ كما يستفاد من ترجمه جعفر بن محمد المؤدب و غيرها. و قال النجاشى فى ترجمه أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جلين الوراق الدورى (دفع إلى شيخ الأدب أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصرى رحمه الله كتابا بخطه قد أجاز له فيه جميع روايته)(٢). و المترجم له أيضا من مشايخ أحمد بن عبدون المعروف بابن الحاشر المتوفى سنه ٤٢٣.

أقوال العلماء فيه

ذكره الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد فقال (عبد السلام بن الحسين بن محمد، أبو أحمد البصرى اللغوى سكن بغداد و حدث بها عن محمد إسحاق بن عباد التمار و جماعه من البصريين، حدثنى عنه عبد العزيز الأزجى و غيره و كان صدوقا عالما أدبيا قارئنا للقرآن عارفا بالقراءات و كان يتولى ببغداد النظر فى دار الكتب و اليه حفظها و الاشراف عليها سمعت أبا القاسم عبيد الله بن على الرقى الأديب يقول: كان عبد السلام البصرى من أحسن الناس تلاوه للقرآن و انشادا للشعر و كان سمحا سخيا و ربما

جاءه السائل و ليس معه شيء يعطيه فيدفع إليه بعض كتبه التي لها قيمه كثيره و خطر كبير.

حدثني علي بن المحسن التنوخي أن عبد السلام البصرى توفى فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة خمس و أربعمائه. قال غيره: و دفن فى مقبره الشونيزى عند قبر أبى على الفارس [الفارسى]، و كان مولده فى سنة تسع و عشرين و ثلاثمائه(٣) و قال ابن القفطى المتوفى سنة ٦٤٦: (عبد السلام بن الحسين بن محمد أبو أحمد البصرى اللغوى سكن بغداد و حدث بها عن محمد بن إسحاق بن عباد التمار و جماعه من البصريين حدث عنه عبد العزيز الأزجى و غيره و كان صدوقا عالما دينا قارنا للقرآن عارفا بالقراءات و كان يتولى ببغداد النظر فى دار الكتب و اليه حفظها و الاشراف عليها ذكره أبو العلاء بن سليمان فى كتاب شرحه للحماسه فقال: كان يلقب بالوجكا(٤) و قال أبو القاسم عبيد الله بن على الرقى الأديب: كان عبد السلام البصرى من أحسن الناس تلاوه للقرآن و انشادا للشعر. قال و كان سخيا ربما جاءه السائل و ليس معه شيء يعطيه فيدفع إليه بعض كتبه التي لها قيمه كبيره و خطر كبير.

قال علي بن المحسن التنوخي أن عبد السلام البصرى توفى فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة خمس و أربعمائه. قال غيره: و دفن فى مقبره الشونيزى عند قبر أبى على الفارسى و كان مولده فى سنة تسع و عشرين و ثلاثمائه(٥) قال ابن مکتوم: (لما وصل أبو العلاء المعرى إلى بغداد اجتمع بعبد السلام البصرى بدار الكتب و استعار منه (ديوان تيم اللات) و نسى أن يعيده إليه و لم يذكره حتى عاد إلى المعره فاعاده إليه و معه قصيده مدحه بها و هى مشهوره من شعره مطلعها:

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا و موقد النار لا تكرى بتكريتا

و منها:

أقر السلام على عبد السلام فلى جيد إلى نحوه ما زال ملفوتا

و وصفه ابن تغرى فى النجوم الزاهره فى حوادث سنة ٤٠٥ و قال (و فيها توفى عبد السلام بن الحسين بن محمد أبو أحمد اللغوى كان رجلا فاضلا عارفا بالقرآن سمحا جوادا(٦).

و قال السيوطى بعد ذكر اسمه: (... و يلقب بالوجكا كان عالما باللغه و الأدب و القرآن صدوقا أديبا سخيا قرأ على الفارسى و السيرافى و سمع محمد بن إسحاق التمار و غيره و منه عبد العزيز بن على الأزجى و غيره و مات فى المحرم سنة تسع و عشرين و ثلاثمائه أسندنا حديثه فى الطبقات الكبرى(٧) يقول عبد الحسين الصالحى: أن ما ذكره السيوطى من أن عام وفاته كان سنة ٣٢٩ هو خطأ قطعاً و ربما من سهو الناسخ لأن هذا العام هو سنة ولادته لا وفاته بإجماع المؤرخين كان عام وفاته سنة ٤٠٥ كما أثبتناه و ضبطه ابن الأثير فى كتابه الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ٢٥٢ فى حوادث سنة ٤٠٥

ص: ١١٧

١- تاريخ أدبيات إيران.

٢- الشيخ أبو العباس أحمد النجاشى: رجال النجاشى ص ٦٢ الطبعة الحجرية الأولى بمبئيسنه ١٣١٧ هجرية.

٣- أبي بكر أحمد الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١١ ص ٥٧-٥٨ بيروت دار الكتاب العربي.

٤- الوجكا: لفظه فارسيه و هي (أوج كاه) يعنى السيد.

٥- الوزير ابن الحسن على القفطى: أنبأه الرواه على أنبأه النحاه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج ٢ ص ١٧٥-١٧٦ الطبعه الأولى القاهره دار الكتب المصريه ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

٦- أبي المحاسن يوسف بن تغرى الأتابكى: النجوم الزاهره فى ملوك مصر و القاهره ج ٤ ص ٢٣٨ الطبعه الأولى ١٣٥٢ هـ -

١٩٣٣ م

٧- عبد الرحمن السيوطى: بغيه الوعاه من طبقات اللغويين و النحاه ص ٣٠٥-٣٠٦ بيروت دار المعرفه.

و غيره. و كان المترجم له من مشايخ أبي العباس النجاشي المولود سنة ٣٧٢ و المتوفى سنة ٤٥٠ و ينقل عنه بدون واسطه كما صرح فى غير موضع من رجاله، منها فى ترجمه الشيخ أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب بن مهزم بن خالد بن الفزر العبدى من شعراء أصحابنا فى البصره فقال: (أخبرنا أبو أحمد عبد السلام بن الحسين الأديب البصرى عن محمد بن عمران قال حدثنا يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور...) إلى آخر الحديث (١) و يروى عنه شيخ الطائفة الشيخ أبو جعفر محمد الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ بواسطه [بواسطه] الشيخ أبى عبد الله أحمد بن عبد الواحد بن أحمد اليزاز المعروف بابن عبدون و ابن الحاشى المتوفى سنة ٤٢٣ المذكور فى الفهرست فى ترجمه محمد بن جرير العامى حيث كان ورود شيخ الطائفة الشيخ الطوسى إلى بغداد فى عام ٤٠٨ بعد وفاه المترجم له بثلاث سنوات و لم يدركه.

و ذكر المترجم له جمع من المحققين و المؤرخين منهم فى تلخيص ابن مكتوم ص ١٠٨ و طبقات ابن قاضى شهبه ج ٢ ص ٨٣-٨٤ و طبقات القراء ج ١ ص ٣٨٥ و نزهه الألباء ص ٤١٢-٤١٣ و طبقات أعلام الشيعة و غيرهم و وصفوه بنفس العبارات و الأوصاف (٢)

عبد العزيز الجواهرى ابن الشيخ عبد الحسين.

مرت ترجمته فى المجلد الثالث من المستدركات، و لم نشر هناك شيئا من شعره مما نأخذ منه هنا ما يلى:

قال يرثى أخاه عليا:

بزغ الهلال فأين عهد وفائه أن لا يخون بوده و إخائه

أ ترى أخاه مغيبا تحت الثرى قمرا و يشرق زاهرا بسمائه

هلا توارى بالصعيد جماله حتى يشارك أهله بعزائه

قمر بدا ليل المحاق هلاله رسما فقارن خسفه بجلائه

ثكلت به زهر النجوم فخرقت بالنور ثوب الحزن من ظلماته

سيف جلاه أبوه أبيض ناصعا قد فل جوهر حده بمضائه

برزت نواجذه فقلت بشاره لليل قد كثرت نجوم سمائه

أواه غصنى لفه شوك الردى و ذوت خميلته أوان رواه

لم يذوه لثم الشفاه و إنما ذبلت اقاحه ثغره فى مائه

انى خضبت أناملى بمدامعى و طلبت طوق الحزن فى ورقائه

و عكفت حول أزاهر من قبره نبتت تسبح فى ضريح ثوائه

نذر على لئن زها ريحانه لأروين الورد فى أندائه

يا لهف أيار تفرط ورده بيد المنون و جف قبل نمائه

يا بلبلأ قد حل فى قفص الثرى طربت له الأيام قبل غنائه

جاء الكنار مبشرا بقدمه فرحا و عاد مصوتا بنعائه

فشربت منه سرابتى حين الظما و رعيت ياسى فيه بعد رجائه

أ هلال عيذى أين غيبك الردى فحرمتنى من بشره و هنائه

أغنته عن جدد الحلأ أكفانه و كفاه صبغ الدمع عن حنائه

و تركت قلبى حول قبرك حائما شبه الفراش يحوم حول ضيائه

إن شع لى قبس الحياه فإنه لهب السراج يلوح فى إطفائه

لو يترك الموت استناره بحمه زما لكان البدر فى إهدائه

و لأصبح الطل السقيط على الربى غيثا يرش الورد فى أنوائه

أ أحدى يا قوسى و نبل كنانتى و مدير جيشى بل أمير لوائه

أبقيت قلبى للزمان دريئه و نصبتنى غرضا إلى أنبائه

أرسلت جفنى فى ضريحك آملا أن يصحبن الطيف فى أعضائه

حملته فى نعش الغماء و أنشدت سفر الظلام قصيده لرنائه

خفقت باجنحه الفراشه روحه لكنها احترقت بجمر ذكائه

فكست رقيمه قبره و بودها لو انها نثرت على حصبائه

نزعتك من كفى المنيه صارما لمعت بروق الموت فى أنضائه

حلم فرشت له الجفون فزارها ليلا و متع ناظرى بلبقائه

فصل الورود كثيره أثوابه و يخص أيار بثوب بهائه

و رسمت شخصك فوق مرآه المنى حتى طمعت اليوم فى أحيائه

رضوان يا ملك الجنان تنح عن ملك طيور الخلد من وزراءه

و قال:

تطلب فى شبابك للصعب فما عمر الفتى غير الشباب

و سل حسام عزمك للمعالى فان السيف يصدأ بالقراب

و دع طلب الهوان لمبتغيه فان المجد أجدر بالطلاب

و كرر لو خطات المجد يوما فكم خطأ يؤول إلى الصواب

إذا ما الجهل ارتج منه بابا فان الجد مقلد كل باب

و لا تجدى الشجاعه فى غبى تقاعس عزمه عند الغلاب

إذا انعكس السنان لدى طعان فليس يفيد مطرد الكعاب

و إن غصن الشيبه راق حسنا فما للشيب فرع للشباب

و لا ينقصك قولهم فتى فان السيف يقطع بالذباب

و كم قمر تولد من هلال و كم شهر توقد فى شهاب

و إن الدهر كالميزان يعلو إذا يخلو و ينزل و هو رابى

(و لو لم يعل إلا ذو محل لما شمخت على الروض الروابى)

و لو معنى الجهاله صيغ طوقا تبرأت النفوس من الرقاب

و لو رهن البطاله حاز فخرا لما افتخر الحسام على القراب

و ليس ابن النقيب فى هوان أعز على من بنت النقاب

فاصل أرومه الأخلاق منها يمت بكل فرع مستطاب

و ينمو من عوائدها ريبا كما تنمو الرياض من الرباب
إذا روح الحياه بها تسرت فما تلد العقاب سوى عقاب
لأنت أجل مدرسه تسامت لدرس بنيك يا صدر الكعاب
و انك للحياه أجل بيت منبع الركن مرعى الجناب
و إنك للوليد أجل سفر يطالع فيه شاكله الصواب
و انك فى ارتجافك خير درس تردد فيه ألسنه الخطاب
و ما ضرب النوايض فيك إلا لتحريض الصبى على الطلاب
أيا من ضلهم صبح التراقى و شع لديهم ليل التغابى
سكنتم فوق مهد من خمول يهز حراكه شم الهضاب
بليل مغداف الأرجاء داج أحم الوجه غريب الإهاب
تشع لغيركم شمس المعالى و شمسكم توارت بالحجاب
ألا فلتغنموا فرصا إليها تمر عليكم مر السحاب

ص: ١١٨

-
- ١- الشيخ أبو العباس أحمد النجاشى: رجال النجاشى ص ١٥١ الطبعة الحجريه الأولى بمبئسنه ١٣١٧ هجريه.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فمن طلب الفضيله فى هوان كمن طلب الفريسه تحت ناب
و ما معنى الكمال سوى رموز تزين برسمها صدر الكتاب
تطلس جذر مفخرنا و أبقي لنا شبه الأصم من الحساب
و ما اندرست معارفنا و لكن خفى حسن السبيكه بالتراب
و قال:

أرى عمر الحياه شواظ نار من الأجسام تكمن فى زناد
و ما ليل الشباب سوى دخان و ما صبح المشيب سوى رماد
و قال:

حياتي و إن أضحت رمادا على جلدى بها شرر الآمال يلهب كالوقد
و نفسى و إن طارت شعاعا من الأسى لها من خيالى جذوه سعرت زندي
و انى إذا ما الدهر فل تميمتى أكرر آمالى فتوثق بالشد
لئن أصلتوا للحرب سيفا فانى أصول بسيف لا يسلم من الغمد
جزى الله مرآه الأمانى فإنها جليه سبك الوجه مصقوله الخد
أرى فوقها شخص المحال مصورا لدى الطرف و الأوهام معكوسه الطرد
تبيت معى إن ضاف أجفانى الكرى و تؤنسى إن شفها ألم السهد
وضعنا أمانينا بحجر من الصبا و عشنا سواء نمرث الوعد فى المهد
و ما عاطفات المرء إلا حديقه بها زهر الآمال تنبت كالورد
إذا لمحت عينى سرايا من المنى رويت و لم أظما إلى ترع الورد
و انى إذا ما الرأس جنح نمله و أودع جسمى فى ضريح من اللحد
نعم تصبح الآمال عنى بعيدة و لكننى أفنى و لى أمل العود

أراني و قد رمت الحقائق طالبا طليقا من الآمال أرسف في قيد
تقرت سفر الكون درسا فلم ابن حقايق ما أن زلن مخفيه عندي
أصورها فوق الخيال فلا أرى سوى شبح يغوى المناظر من بعد
أرى شيعا شتى و طرقا كثيره بها غدت الأعلام و افره العد
يزمجر كل نادبا لطريقه و يهتف كل طالبا واضح القصد
حنانكم رفقا لينتشر الهدى و نعرف في أى الأدلاء نستهدى
خذوا بيدي عن ذا الضجيج فإنه مغبه جهل ضيعت مذهب الرشد
فما كل برق ضاحك بارق الحيا و لا كل صوت فى السما زجل الرعد
هلموا لنستجلي الحقيقه علنا تراها و إن أمست مشققه البرد
فمن عرف العنقاء أين محلها يهون له لو رامها شرك الصيد
ألا ليت عقبى الموت ترجع للدنا بجمله أعمالى فأبصر ما تسدى
فاما الشقا كيما أزوده الشقا و أما إلى رشد فارغب للرشد
هرمت و لم تقطع ركابى تهامه و ما طرقت عيسى المفاوز من نجد
و لم أستلم ركن الحطيم و زمزم و لم أتضرع فى منى خاشعا وحدى
عبدت إلهى لست راهب ناره و لا رغبت نفسى إلى جنه الخلد
و لكن نور الحق جلى بصيرتى فأيقنت أن الحكم للواحد الفرد
و قال:

إن كنت تأمل نيل العز و الظفر فاصدع بعزمك جنب الحادث الخطر

فايه الحمد تمحو كل منقصه عن العيون و تخفيها عن النظر

و الفضل كالصبح لا تخفى أشعته و لا تضر سناه غضه البصر

و المرء يذهب فيه حد عزمته كالسهم تذهب فيه سوره الوتر
و ربما عميت أبصار مطلع فيشتري الصدف الوضاح بالدرر
يا من يريد العلى صفوا بلا كدر الورد يزحم دون المورد الخصر
بادر إلى الأمر و استقبل بوادره بعزم حر إلى العلياء مبتدر
و كرر الجدل لو أخطات صائبه و لو تكرر على جيش من الغير
فإنما المرء من تشتد سورته على الخطوب و تسليه يد الضرر
مثل السبيكه تسرى فى نضارتها يد التراب و تحليها يد السعر
فاحزم الناس من ينظر عواقبه بناظرين سواد القلب و البصر
و أتعب الناس من يسعى على قدم تردد الجرى بين الورد و الصدر
و السهد يعذب فى جفن غدا قلقا معلق الطرف بين النوم و السهر
و لا يردك أن تمضى على صغر فالنار مبدؤها قدح من الشرر
لو لا التقدم لم ينجح لذى صغر لما تقدم ذكر (الحمد) فى السور
قد يعرف الشىء فيما لا يلابسه و ثمر النفع يوما دوحه الضرر
و ربما تمنح الآمال قدرتها فينبت الروض فى صلد من الحجر
قل للذين أضعوا العمر فى كسل ناموا عن الأمر تفويضا إلى القدر
حتى كان المعالى فى ملاعبهم عنقا بغير جناح الذل لم تطر
فأصبح الفرد منهم حيثما ظهرت له التقية يرخى كف مستتر
فراح يخبط فى تيهاء قائمه عشو المذاهب ضاهت جنح معتكر
بميسم الجهل يفى كل ناصيه من العمايه تاهت فى دجى الخطر
أ لستم أسره العرب الألى ندبوا حياتهم لحياء الكتب و السير

تلك التي انعكست فيها ماثرهم مثل انعكاس شعاع الشمس في القمر

زانت مناقبهم زاهى صحائفها كما يزان بياض العين بالبحور

لا ينزل الحمد إلا فى منازلهم كالروح ليس لها مأوى سوى الصور

ما إن روى الذكر عن علياهم خبرا كفى العيان دليلا شاهد الخبر

كم قد نطيل الأمالى كى نلم بها و منتهى الطول فيها مبدأ القصر

أدعوكم لمراح العز منتدبا دعوى الفريسه بين الناب و الظفر

إذا تقصف عود النبع من وهن فليس ينفع جبر غير منكسر

و ليس كل سحاب أثره لمعت صوالج البرق يهدى صيب المطر

و قال عند خلع السلطان العثماني عبد الحميد من قصيده:

بعيشك كم تحن إلى السرير و كم ترنو بطرفك للقصور

هالليا أراك نحتل جسماً ما تشفيك آفله البدور

طواك الرعب قبل الموت ميتا و أحتك المنى قبل النشور

أهانتك القصور و كنت ملكا تهيب منه سكان القبور

قرت الوحش من جث البرايا و رويت الربا بدم النحور

بكت منك الثغور دما مرقا و تضحك عند باسمه الثغور

فأقسم أن عود الدست لو لم يكن من حر بأسك فى سعيير

لأثمر فى رؤوس الجند روضا و أزهر من دماها فى غددير

نوح عليك إقفار الموامى و تهتف فيك ساغبه النسور

و تندبك العذارى حاليات بموشى الدمقس مع الحرير

بكتك الغانيات بدر دمع بكاء الورد بالطل النشير

أٲاك نذير يلدز مستطيرا و كنت تظنه وجه البشير

يخاف الطفل من رؤيا أبيه و تخشى المرضعات من الحجور

ص: ١١٩

لقد عبر النجوم إليك جيش بغير سراه فى الشعرى العبور

لقد ذعرت به الأنفاس حتى كان الجسم يرصد بالضمير

يسد الجو منه غبار نقع و يقذى دونه طرف البصير

أراك أسير أحزان و قيد و كنت أراك ترسف فى السرور

و قد كنت الأمير على السرايا فكيف رسفت فى قيد الأسير

غريب لو جزيت الخير لكن جزيت الشرايا شر الدهور

لقد أوغرت صدر الجند حتى أراك الدهر عاقبه الغرور

و له يرثى الشيخ كاظم الخراسانى من قصيده:

أ ناصر دين الله هل لك نهضه تجند للأعداء جندا مظفرا

تحوك لهم ثوب الوقيعه أسودا و تلبسهم ثوب المنيه أحمر

بفتيه صدق أن توازر جمعها تردى ثياب الموت فى الحرب مئزرا

إذا أوقدوا فى الحرب نار كريبه تموج بها البيض الصفايح أبحرا

تهيبك الموت المقدر يقظه فزادك تحت الليل فى سنه الكرى

و إن خطيبا فوق كفك ناطقا قد اتخذ الخمس الأنامل منبرا

رضيع بمهد الكف ينشى حديثه و رق لوجه الرق أمسى محررا

يشع كوجه الصبح كافور طرسه فتجرى به من حالك الحبر عنبرا

يصد جميع الجيش بالنصر سالما و يرجع جمع المال جمعا مكسرا

عجبت له كيف استزارك طارقا حماك و لما يثنى متحيرا

بلى كنت للإسلام و الدين ناظرا فجاءتك فى شخص الرقاد مصورا

و أخرس إن حل السؤال بسمعه جزى بفصيح اللفظ ينطق مخبرا

أصم لأسرار البريه سامع و أعمى بليل المشكلات تبصرا
إذا ارتجفت أسلاكه داخل الحشا أتاك مقيما يسبق البرق فى الثرى
أتاك بصدر الليل ينشد حاسرا عجيج نساء تستشيط تزفرا
أعارته أحشناها فأوقد جمره و أهدته صبغ الدمع فانصاع أحمرأ
يحدث عن قول يحرره الأسى و ينطق عن لفظ له الوجد عبرأ
فيا من غدت للناظرين صفاته أشع من الشمس المنيره منظرا
حديقه ورد كلما جف ناضر بروضتها أهدت إلى الطرف أنضرا
و شهب سماء كلما غاب زاهر أتى آخر منهن أزهى و أزهرأ
أ ريحانه الوادى التى فاح طيبها و عقب رياها الرياض و عطرا
لقد كنت للداجى سراجا منورا سناه و للمرتاد روضا منورا
و ان صعيدا قمت فيه مجاورا جدير بان يمسى بنعماك أخضرا
سقاك الحيا أو صوب كفك لا الحيا فقد كان أوفى منه جودا و أكثرا
و قال يصف ثوار طرابلس الغرب على الغزو الايطالى لبلادهم:
سد الثغور بعزمه الإسكندر جيش يقاد من النهى فى جوهر
لبس الحديد مضاعفا من عزمه و مشى على حسك الوشيج الأسمر
زرع القنا فوق العداه فأورقت زهرا بغير نفوسها لم ثمر
يسقيه من حمر الدماء و يجتنى ثمر المنون من الحديد الأخضر
فكان سيف النصر فوق يمينه برق يشع بعارض متعنجر
و كان أعواد الوشيج بنقعه روض عليه سحابه من عنبر
و كأنما البيض الصفاح جداول زهرت بريحان القنا المتعطر

يجرى بشهباء يصك رنينها وجه الكتيبه باليباب المقفر
أمن السماك به فباع قناته طربا و حن إليه قلب المشتري
تروى بضحضاح المجره خيله و ترود فى أس السماء المزهر
ضاق الفضاء بعزمه من بعد ما سد البسيطه بالعديد الأكثر
من كل أبلج ذى عذار أخضر يسقى مجنه صدغه من كوثر
يغزو بسوره عزمه و جفونه فى بأس ضرغام و فتكه جؤذر
قوم إذا ما الشر أسدف مظلما طلعا نجوما فى سماء العثير
أو أجذب الوادى و صوح نبته زهرت حدائق جودهم فى مرمر
و إذا السماء تزلزلت أفلاكها دعموا الكواكب بالقنا المتكسر
برقت مواضيهم و سحب أكنفهم تجرى بمنهل الغمام الممطر
أبناء رامة إن مشوا نحو الردى دفنوا التمام فى الكتيب الأعر
تبنى على حسك الرماح قصورهم و قبورهم فوق الجياد الضمر
لبسوا الصباح مفاضه محبوبه و تسربلوا ليل العجاج الأكر
بعدت تمائمهم و هن صفائح ففشت برقراق النجيع الأحمر
خطت بأطراف الرماح حروفها و بغير أشلاء العدى لم تسطر
ذعروا الفضاء فلاذ فى أرواحهم و ثوت جسومهم لحفظ العسكر
فتيات رومه نظمى درر البكاء سمطا يزان بلؤلؤ متنثر
و صغى القلائد للرجال مدامعا و ذرى تمائمهم مكان الجوهر
و دعى الخدور لهم فقد نهبتهم بيض السيوف بكل ليث مخدر
قد فاجات غاب الليوث فأصبحت مثل الفريسه تحت ناب غضنفر

رصد المحيط جسومها فسلوانها نزعت لتفحص فى الثرى لم تقدر
تترصد الأجفان سطوه هذبها و تخاف مقلتها عداء المحجر
ترنو الصباح مقلدا بصوارم و ترى الظلام مجندا فى عسكر
و تكاد تهرب أرضها من تحتها لو كان تبصر مامنا فى مقفر
و قال:

خلىلى ما معنى الشعور فاننى أرى كل شىء شاعرا مترنما
أرى الكون فى لوح الوجود قصيده تخط عليها الخلق شعرا منظما
هو الشعر باق ليس تفنى حياته نقيم احتفالا أو نشيد ماتما
تصوره روح الخيال فلو بدا إذا لرآه الطرف شخصا مجسما
و تنشر أسفار الطبيعه شعرها رموزا فيمليها الهزار مترجما
هل النجم إلا روضه حسيه أرى البدر فيها شاعرا متبسما
فدا لدموع العاشقين فإنها قصيده شعر بينها الحب نظما
عرائس حب إن تجلت بدورها لدى الصب ليلا زفها الوجد أنجما
تقبل خد الجلناره و جنه و تلثم تغر الأخوانه مبسما
و زاهره ما روض الحفل مثلها عليها خيال البدر شعرا مجسما
فرشت بيوت الشعر فوق رياضها بساطا و سامرت الخيال المسلما
لقد نسجت أيدي الفراقده فوقها من الليل وشيا بالنجوم منمنما
نظرت به طوق الهلال مفضضا ك نصف سوار زان لليل معصما
و لم أر مثل الروض فى الأرض شاعرا ولوعا باشعار الطبيعه مغرما
و ما الشعر تمليه الرياض حقائقا لكالشعر يمليه الخيال توهما

تقرت أسفار الخلائق فى الثرى و فتشت أسرار العوالم فى السما

فلم أر فيها روضه أو خريده و لم ألف إلا شاعرا أو متيما

ألا كل صوت طارق صوت شاعر و بيان فينا من بكى أو ترنما

و قال:

ص: ١٢٠

هذى المعجره بارتجاف نجومها تحكى الصفيحه فى يمين جبان

فكأنها و النجم روضه نرجس غرست بفيض العارض الهتان

و قال:

أخو الحزم من يستقبل الأمر ماضيا فاما مناياه و أما الأمانيا

يهم فلم تنن الأمور عنانه بان لا يرى فى أول المجد ثانيا

و يعلقه عزم بهيج ضرامه إباء أبى إلا العلى و المعاليا

فيرسلها عيديه قد تعودت متى تنشر الأخفاف تطوى النيايا

يقرطس قلب البيد منها بأسهم و إن كن أمثال القسى حوانيا

و يخترق الخرق المخوف كأنما أعد هواديهها دليلا و هاديا

و يدرع الظلماء سار بجنحها و لم يعتمد حتى النجوم السواريا

و يكتمه الليل البهيم و لم يكن ليظهر سرا فى حشا البيد خافيا

إذا ما اعتلى يعلو الهضاب ممثلها أو انحط قلت السيل صادف واديا

و يستوقف ابن المزن يخفق قلبه و إن كان سباقا إذا كان وانيا

يرى العار أن يكسى الرياش ملابسا إذا لم يكن فيها من العار عاريا

يميل عن المرعى الوخيم و ينثنى عن الماء مطروقا و إن كان ظاميا

إلى حيث ظل المجد يخلص ضافيا عليه و ماء الجود يغدر ضافيا

إذا ما الليالى الخاليات اغتضبتة حقوقا له استبقى الليالى البواقيا

لينفع علما أو لينقع غله ليعتق رقا أو ليطلق عانيا

فذاك ابن عزم كم تمثل قائلا (أخو الحزم من يستقبل الأمر ماضيا)

و يقال المير فتاح الموسوى المراغى التبريزى.

توفى فى مراغه سنه ١١٧٥ و دفن بها.

من فحول شعراء الشيعة فى عصره عارف متصوف.

أخذ المقدمات و فنون الأدب فى مسقط رأسه مراغه و حضر على أعلامها ثم هاجر إلى المشهد الرضوى و التحق بحوزه المير محمد تقى المشهدى المعروف بالشاهى. ثم رجع إلى موطنه مراغه و عين شيخ الإسلام بها و كان من أكابر علماء تلك البلاد. كان ينظم الشعر باللغه الفارسيه و يتخلص بأشراق، و باللغه التركيه باسمه (فتاح) ترجمه الأستاذ محمد على تربيت فى كتابه دانشمندان آذربايجان ص ٤١-٤٢ عن رياض الجنه للزنوزى، و ترجمه فى مطلع الشمس. له مؤلفات أشار إلى بعضها فى الذريعه منها ديوان فارسى، ديوان تركى قيامت نامه منظوم بالتركيه فى رحله النبى (ص) و شهاده الحسين (ع)، رياض الفتوح منظوم فارسى منه نسخه فى مكتبه الروضه الرضويه فى خراسان، ساقى نامه و ديوان فى مدح أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع).

أشعاره التركيه معروفه فى آذربيجان و يتناولها خطباء المنبر الحسينى فى تلك البلاد(١)

السيد عبد القاهر بن السيد كاظم بن السيد حسين بن السيد عبد القاهر بن

الحسين التوبلى البلادى البحرانى.

توفى سنه ١٣٣٥ فى بندر لنجه و دفن بها.

فقيه أديب شاعر من بيت علم و زعامه و كان جده السيد الحسين بن السيد عبد القاهر من أفاضل علماء عصره فى البصره و جده الأعلى السيد عبد القاهر بن السيد الحسين كان من أجلاء تلاميذ الشيخ حسين العصفور البحرانى ذكره الشيخ على البحرانى فى أنوار البدرين صفحه ٢٤٨ و قال (السيد التقى الفاخر المعاصر السيد عبد القاهر بن السيد كاظم التوبلى البحرانى المقابى كان (قدس سره) من العلماء الأخيار و النجباء الأبرار خرج من البحرين و سكن بلاد القطيف ثم مسقط ثم لنجه و بها توفى (قدس الله سره و نور قبره) رأيت له رساله فى شرح أسماء الله الحسنى و خواصها و منافعها حسنه، و لا أدرى هل له غيره أم لا. من المعاصرين و لم أره و سمعت له بعض المراثى على الحسين بن على ع جيده بليغه و لم يحضر [يحضرنى] فى تاريخ وفاته ضاعف الله حسناته) ذكر شيخنا الأستاذ كتابه فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة الجزء ١٣ ص ٨٩ و ترجم له فى طبقات أعلام الشيعة نقلاً عن الشيخ على البحرانى(٢)

السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن السيد الحسن بن السيد جعفر الرضوى

العاملى الأصل القزوينى المولد و المنشأ آل صدر الصدور القزوينى.

ولد فى قزوین سنه ١٢٢٠ و توفى بها سنه ١٣٠٣.

من العلماء البارزين و أئمة الفتوى و التقليد و له اليد الطولى فى العلوم العقلية و النقلية و الخطابه و هو أديب شاعر.

آل صدر الصدور القزوينى: من الأسر العلميه العلويه العامليه الرضويه نبغ منها علماء أعلام و شعراء أفذاذ و هى غير أسره آل شيخ الإسلام العلويه العامليه الحسينيه فى قزوین هاجر جد هذا البيت الجليل السيد جعفر الذى كان من سادات جبل عامل و أشرافه الأجلاء إلى قزوین فى عهد نادر شاه الافشارى المولود فى سنه ۱۱۰۰ الذى تسلم السلطنه فى إيران سنه ۱۱۴۸ ثم قتل فى سنه ۱۱۶۰ مؤسس السلسله الافشاريه فاحترمه احتراماً سامياً و أنعم عليه بلقب صدر الصدور و قد مر تاريخ هذه الأسره فى ترجمه نجل المترجم له السيد جمال الدين آل صدر الصدور القزوينى.

ولد المترجم له فى قزوین و نشأ بها نشأه صالحه و أخذ المقدمات و فنون الأدب و العرييه على أعلام أسرته منهم والده السيد أحمد آل صدر الصدور وغيرهم ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ۱۲۷۱ و شقيقه الشهيد الثالث المستشهد سنه ۱۲۶۳ و أخذ الفلسفه و العرفان عن الشيخ ملا آغا الحكيمى القزوينى و الشيخ ملا على البرغانى و الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى القزوينى. و كان من أساطين الدين و متكلمى الشيعه و زعيما دينيا كبيرا فى قزوین و تصدر للتدريس و الفتوى و نبغ فى الخطابه. ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى كتابه طبقات أعلام الشيعه و وصفه بقوله: (كان جد أبیه السيد جعفر من سادات جبل عامل و أشرافها الأجلاء هاجر إلى إيران و سكن قزوین فى عصر السلطان نادر شاه فاحترمه و بجله و أحله مكانه ساميه، و أنعم عليه بلقب صدر الصدور.

و المترجم له أحد أساطين الفضل و رجال العلم الأجلاء كان فقيها بارعا و متكلماً خبيراً و حكيماً كاملاً و من المنبريين الكبار و الوعاظ المشاهير توفى فى نيف و ثلاثمائه و ألف للهجره و له تصانيف لا تحصرنى اسمائها و هو والد العلامه

ص: ۱۲۱

۱- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

۲- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

السيد جمال الدين القزويني(١) أقول: و له ولد آخر من العلماء الأعلام و هو السيد رضا آل صدر الصدور القزويني العاملي. و من مؤلفات المترجم له رساله في المبدأ و المعاد، مراتب الوجود، ديوان شعر يحتوى على مجموعه مرثي و مدائح بالعرييه و الفارسيه، تقريرات في الأصول لأستاذه الشيخ محمد صالح البرغاني، تقريرات في الفقه(٢)

الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي

بكر القضاى البلسى الأندلسى:

ولد بأنده من بلاد الأندلس فى سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٥ م و توفى ببلنسيه عند الظهر من يوم الثلاثاء الخامس من شهر ربيع الأول سنة ٦١٩ (٢١ مارس سنة ١٢٢٢ م) و دفن بعد صلاه العصر من يوم الأربعاء بمقبره باب بيطاله فى بلنسيه من بلاد الأندلس. هو من أعيان علماء الشيعة فى الأندلس و أكابر المحدثين فى عصره أخذ العلم عن أجلاء أهل الفضل فى الأندلس منهم الشيخ أبو عبد الله بن نوح الأندلسى و غيرهم. و المترجم له هو والد ابن البار الأندلسى الشهير. و كتب ابن البار عن تاريخ حياه والده و هو أدق تحديد وجدناه عن تاريخ المترجم له قال:

(كان من أهل العلم و الدين، درس على أجلاء أهل العلم فى عصره و أجاز له الكثيرون منهم روايه كتبهم و رواياتهم و كتب إليه القاضى أبو بكر بن أبى حمزه يميز له و لى معه جميع روايته مرتين إحداهما فى غره رجب سنة ٥٩٧ و الثانيه فى منتصف ذى القعدة من العام المذكور و أنا إذ ذاك ابن عامين و أشهر مولدى عند صلاه الغداه من يوم الجمعة فى أحد شهرى ربيع سنة ٥٩٥ و كان رحمه الله - و لا أزكيه - مقبلا على ما يعنيه شديد الانقباض بعيدا عن التصنع حريصا على التخلص مقدا فى حمله القرآن كثير التلاوه له و التهجد به، صاحب ورد لا يكاد يهمله ذاكرا للقراءات مشاركا فى حفظ المسائل آخذا فيما يستحسن من الأدب معدلا عند الحكام و كان القاضى أبو الحسن بن واجب يستخلفه على الصلاه بمسجد السيده من داخل بلنسيه. قرأت عليه القرآن بقراءه نافع مرارا و سمعت منه أخبارا و أشعارا و استظهرت عليه مرارا أيام أخذى على الشيوخ، يمتحن بذلك حفظى، و ناولنى جميع كتبه و شاركته فى أكثر من روى عنه و سمعته يقول: حضرت شيخنا أبا عبد الله بن نوح، و قد زاره بعض معارفه فسأله عن أحواله و بالغ فى سؤاله فجعل يحمد الله و يردد ذلك عليه ثم أنشد متمثلا:

جرت عادة الناس أن يسألوا عن الحال فى كل خير و شر

فكل يقول بخير أنا و عند الحقيقه ضد الخبر

حدثنى أبى رحمه الله غير مره أنه ولد بأنده سنة ٥٧١ و توفى ببلنسيه و أنا حينئذ بثر بطليوس عند الظهر من يوم الثلاثاء الخامس لشهر ربيع الأول سنة ٦١٩ و دفن لصلاه العصر من يوم الأربعاء بعده بمقبره باب بيطاله و هو ابن ثمان و أربعون سنة، و حضر غسله أبو الحسن بن واجب و جماعه معه، و كانت جنازته مشهوده و الثناء عليه جميلا، نفعه الله بذلك).

و مرت ترجمه ولده ابن البار فى أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٨٤ و ان أسرته من البيوت العلميه الشيعيه المعروفه فى بلنسيه و كان لها الدور الخطير ضد الحروب الصليبيه فى الأندلس و نشاط ولده أبى عبد الله محمد المعروف بابن البار و تحركاته فى تحريض المسلمين ضد الجيوش الإسبانيه معروف(٣)

المعروف بابن الخشاب.

ولد فى بغداد سنه ٤٩٢ و توفى بها عشيه الجمعه ٣ رمضان سنه ٥٦٧ ببياب الأزج بدار أبى القاسم بن الفتراء و صلى عليه يوم السبت أبو النجم بن القابله فى مسجد السلطان و دفن بمقبره باب حرب ببغداد.

من أكابر العلماء، مشارك فى الحكمة و الفلسفه و المنطق و الحساب و الهندسه و التفسير و الفقه و النسب و من أعلم معاصريه بالعريه نحوى، لغوى، أديب، شاعر، محدث، فقيه.

ذكره فى أعيان الشيعة ج ٨ ص ٤٦ فى ترجمه مختصره نقلها عن رياض العلماء (٤) دون أن يذكر تاريخ ولادته و وفاته و سائر خصوصياته و نزيد على ذلك ما يلى:

أخذ النحو عن أبى بكر بن جوامرد القطان و قرأ اللغه على أبى على الحسن بن على المحولى و على أبى منصور موهوب الجواليقى و تلمذ فى علم الحساب و الهندسه على أبى بكر بن عبد الباقي الأنصارى و فى الفرائض على أبى بكر المرزوقى و سمع الحديث من أبى الغنائم النرسى و أبى القاسم بن الحصين و أبى العز بن كادش و غيرهم من مشايخ عصره.

أقوال العلماء فيه

ذكره الوزير جمال الدين على القفطى المتوفى سنه ٦٤٦ فى كتاب أنباء الرواه و وصفه قائلاً: (كان أديبا فاضلا عالما له معرفه جيده بالنحو و اللغه و العريه و الشعر و الفرائض و الحساب و الحديث، حافظا لكتاب الله عز و جل، قد قرأه بالقراءات الكثيره.

أخذ النحو عن أبى بكر بن جوامرد القطان، ثم عن أبى الحسن على بن أبى زيد الفصيحي الأسترآبادى ثم عن الشريف أبى السعادات الشجرى، و قاطعه و رد عليه فى أماليه. و قرأ اللغه على أبى على الحسن بن على المحولى و على أبى منصور الجواليقى و غيرهما.

و سمع الحديث من مشايخ وقته و أكثر، و كان حريصا على السماع، مداوما بالقراءه على المشايخ فى علق سنه أقرأ الناس مده، و تخرج به جماعه فى علم النحو و حدث الكثير، و وصف بالفضل و العلم و المعرفه و كان مطرحا للتكلف فى مأكله و ملبسه و حركاته فيه بذاده و كان يكثر لعب الشطرنج و يقعد لذلك أين وجدته و لا يراعى خسه اللاعب و الموضع و يقف على حلق الطرق و المشعوذين و غير ذلك و كان كلامه فى حلق الإفاده أجود من قلمه. و كان ضيق العطن ضجورا ما صنف تصنيفا فكملة...

و كانت له دار عتيقه و لأخ له و من شاركهما فى ورثه أبيه و له منها صفه كبيره منفرده و بها بوارى قصب مفروشه و فى صدرها

ألواح من الخشب مرصوص عليها كتب له أقامت عدة سنين ما أزيل عنها الغبار، و كانت تلك

ص: ١٢٢

١- انظر نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ج ٣ ص ١١٥٧.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الميرزا عبد الله أفندى الأصفهانى: رياض العلماء ج ٣ ص ١٨٤ قم المكتبه المرعشيه سنه ١٤٠١ هجرية.

البوارى قد اشترت بما عليها من التراب يقعد فى جانب منها و الباقى على تلك الحاله و قيل أن الطيور عششت فوق الكتب و فى أثنائها، و كان إذا تكلم على مسأله فى النحو منفرده ربما أجاد فى بعض الأوقات إذا خلا من ضجره، و كان لا يقتنى من الكتب إلا- أردأها صوره و أرخصها ثمنًا و له وظيفه فى بعض الأماكن ببغداد و تدل كتبه على صحه ما ذكرته. و له شعر كشعر النحاه...)(١) ثم قال: (قال عبد الكريم بن محمد المروزى: عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب أبو محمد من ساكنى باب المراتب الشريفه شاب كامل فاضل له معرفه تامه بالأدب و اللغه و النحو و الحديث و يقرأ الحديث قراءه سريعه حسنه صحيحه مفهومه سمع الكثير بنفسه و جمع الأصول الحسان)(٢) قال الامام أبو شجاع عمر بن أبى الحسن البسطامى ببخارى: لما دخلت بغداد قرأ على أبو محمد الخشاب كتاب غريب الحديث لأبى محمد القتيبى قراءه ما سمعت قبلها مثلها فى الصحه و السرعه و حضر جماعه من الفضلاء سماعها و كانوا يريدون أن يأخذوا عليه فلته لسانه فلم يقدروا على ذلك)(٣).

(أبانا محمد بن محمد بن محمد بن حامد فى كتابه خريده القصر ص ٨٢ قال:

عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله الخشاب من أهل بغداد شيخنا فى علم الأدب أعلم الناس بكلام العرب و أعرفهم بعلوم شتى من النحو و اللغه و التفسير و الحديث و النسب، الطور السامى، و البحر الطامى كان فضله على أفاضل الزمان كفضل الشمس على النجوم و البحر على الغدراك و له المؤلفات العزيره و المصنفات الحريزه و الكتب المفيده و الفكر المجيده و إذا كتب كتابا بخطه يشترى بالمئين و تتنافس عليه بواعث المستفيدين و هو ألين سجيته من الماء العذب و أخشن حميه من الغرار العضب و ما أظن أن الزمان يسمح بمثله و أن الدهر العقيم ينتج أحدا فى فضله كان كثير الإفاده غزير الاجاده غير أنه ينبو عن جواب سؤال الممتحنين نبوه المستحق المهيمن و يعز على المتكبر و يذل للمتكرم متواضع عند العامه مرتفع عند الملوك و الخاصه توفى ببغداد سنه ثمان و ستين و خمسمائه فرأيته ليله فى المنام كانى أقول له: ما فعل الله بك فقال خيرا فقلت و هل يرحم الله الأديباء؟ قال: نعم، قلت: و ان كانوا مقصرين قال: يجرى عتاب كثير ثم يكون النعيم.

و وصفه ياقوت الحموى فى معجم الأديباء فقال: (... كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال أنه كان فى درجه أبى على الفارسى و كانت له معرفه بالحديث و التفسير و اللغه و المنطق و الفلسفه و الحساب و الهندسه و ما من علم من العلوم إلا و كانت له فيه يد حسنه و قرأ الأدب على أبى منصور موهوب الجواليقى و غيره و الحساب و الهندسه على أبى بكر بن عبد الباقي الأنصارى... و لم يزل يقرأ حتى علا- على أقرانه و قرأ العالى و النازل و كان يكتب خطا مليحا و جمع كتبا كثيره جدا و قرأ عليه الناس و انتفعوا به و تخرج به جماعه و روى كثيرا من الحديث.

سمع منه الحافظ أبو سعد السمعانى و أبو أحمد بن سكينه و أبو محمد بن الأخضر و كان ثقه فى الحديث صدوقا نبيلًا حجه إلا أنه لم يكن فى دينه بذاك و كان بخيلا متبدلا فى ملبسه و عيشه قليل المبالاه بحفظ ناموس العلم يلعب بالشطرنج مع العوام على قارعه الطريق و يقف فى الشوارع على حلق المشعبدين و اللاعبين بالقروود و الدباب كثير المزاح و اللعب طيب الأخلاق ساله شخص و عنده جماعه من الحنابله أ عندك كتاب الجبال فقال له: يا أبله أ ما تراهم حولى...)(٤) و ذكره صاحب النجوم الزاهره فقال: (و فيها توفى عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد العلامة أبو محمد المعروف بابن الخشاب النحوى اللغوى حجه العرب يرع فى فنون العلوم و انفرد بعلم النحو و العربيه حتى فاق أهل عصره)(٥) و ذكره السيوطى(٦) و نقل ما قاله ياقوت الحموى فى معجم الأديباء و ذكره أيضا شيخنا الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعه(٧) و موسوعه الذريعه إلى تصانيف الشيعه(٨) و له شعر كثير

و من شعره ملغزا فى كتاب:

و ذى أوجه لكنه غير بائح بسر و ذو الوجهين للسر مظهر

تناجيك بالأسرار أسرار وجهه ففتهمها ما دمت بالعين تنظر

وله:

لذ خمولى و حلامره إذ صاننى عن كل مخلوق

نفسى معشوقى و لى غيره تمنعنى من بذل معشوقى

وله فى شمعته:

صفراء لا من سقم مسها كيف و كانت أمها الشافيه

عريانه باطنها مكتس فأعجب لها كاسيه عاريه

وله أيضا:

إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً و إن كنت ذا رأى يشير على الصحب

فانى رأيت العين تجهل نفسها و تدرك ما قد حل فى موضع الشهب

يقول عبد الحسين الصالحى: كان معلم أولاد الخلفاء العباسيين و يتقاضى راتبا شهريا من البلاط العباسى و كان يصرف جميع وارداته على شراء الكتب لذا أسس مكتبه ضخمة ثم أوقفها على طلاب العلوم و كانت من أهم مكاتب الشيعة فى بغداد و وصف حاله ياقوت الحموى فقال: (... كان يتعمم بالعمامة فتبقى مده على حالها حتى تسود مما يلى رأسه و تتقطع من الوسخ و ترمى عليها الطيور ذرقها و لم يتزوج قط و لا تسرى و كان إذا حضر سوق الكتب و أراد شراء كتاب غافل الناس و قطع منه ورقه و قال: انه مقطوع ليأخذه بثمان بخس و إذا استعار من أحد كتابا و طالبه به قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه...).

ص: ١٢٣

١- جمال الدين أبى الحسن على الفقفى: أنباه الرواه على أنباه النحاء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج ٢ ص ٩٩-١٠١ مصر القاهره سنه ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

٢- نفس المصدر ج ٢ ص ١٠١-١٠٢.

٣- نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٢.

٤- ياقوت الحموى: معجم الأدباء ج ١٢ ص ٤٧-٥١ قاهره مطبوعات دار المأمون.

- ٥- جمال الدين أبى المحاسن يوسف بردى الأتابكى: النجوم الزاهره فى ملوك مصر و القاهره ج ٦ ص ٦٥ الطبعه الأولى سنه ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.
- ٦- جلال الدين عبد الرحمن السوطى [السيوطى]: بغية الوعاه فى طبقات اللغويين و النحاه ص ٢٧٦ بيروت دار المعرفه.
- ٧- الشيخ آغا بزرك الطهرانى الثقات العيون فى سادس القرون ص ١٦١ بيروت دار الكتب العربى.
- ٨- الشيخ آغا بزرك الطهرانى الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ٢٣ ص ٢٣٣ بيروت دار الأضواء.

ترك مؤلفات منها: كتاب مواليده أهل البيت ع و هو من مصادر كتاب كشف الغمه و كتاب بحار الأنوار للمجلسي و كتاب حاشيه على دره الغواص للحريري، الرد على بابشاذ في شرح الجمل، كتاب الرد على تهذيب الإصلاح للتبريزي، كتاب الرد على الحريري في مقاماته و كتاب شرح مقامات الحريري، كتاب شرح مقدمه النحو لابن هبيرة، كتاب اللامع في النحو، كتاب المجل في شرح الجمل الصغيره، كتاب المترجل في شرح الجمل الكبيره(١)

وجه الدين عبد الله لساني ابن محمد مشك فروش الشيرازي.

توفي سنه ٩٤٢ كما جاء في ديوانه المطبوع. و في كتاب أحسن التواريخ أن وفاته كانت سنه ٩٤٠. و قيل ٩٤١ و دفن في مقبره سرخاب في تبريز.

من شعراء النصف الأول من القرن العاشر الهجري، و بدايه حكم الصفويين. و كان مولده في شيراز و عاش معظم حياته بين بغداد و تبريز. و في تبريز كان موضع احترام كبار ولاة الشاه إسماعيل الصفوي و منهم ابنه العالم سام ميرزا و وزيره المعروف أمير نجم ثاني. و لأنه شاعر أهل البيت كان مهابا محترما.

كتب القاضي نور الله الشوشتری في كتابه (مجالس المؤمنين) في أحوال لساني أنه نظم مائه ألف بيت من الشعر في مدح أئمه أهل البيت ع. و الظاهر أن نظمه القصيده المشهوره في مدح أمير المؤمنين علي ع جعل القاضي الشوشتری يبالغ في هذا القول معتقدا ذلك.

لم يقتصر لساني في شعره على مدح الأئمه (ع)، بل نظم القصائد و الرباعيات في مناسبات و قضايا متنوعه، و كانا أشعاره مثالا يحتذى لشعراء آخرين مثل: الهجري و وحشى و غيرهما من قلدوه و نظموا على طريقته في الشعر.

له رباعيات في وصف تبريز و بيته واران، و وصف الحب. و من ذلك رباعياته في ٥٤٠ بيتا المسماه (مجمع الأصناف).

له ديوان شعري يحتوي على ثمانيه آلاف بيت غزلي موجود في مكتبه المتحف البريطاني. كما أن له ديوانا فيه اثنا عشر ألف بيت رآه و تحدث عنه آذر بيگلي [بيگدلي]. و له أيضا ألف بيت مع ديوان الشاعر أهلي خراساني موجود في مكتبه سپهسالار.

و من تلاميذه المشهورين شريف التبريزي الذي جمع بعض أشعار استاذه و زاد عليها من عنده و سمي المجموع (سهو اللسان).

و تلميذه الثاني حيدري نظم أشعارا جمعها في ديوان سماه (لسان الغيب) يحامى بها عن استاذه(٢)

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ابن الشيخ حسين.

اشاره

ولد سنه ١٩١٥ م في النجف الأشرف و توفي سنه ١٩٨٣ في أبو ظبي بالأمارات العربيه المتحده.

نشا في النجف و درس فيها، و اختلف على حلقه الشيخ محمد علي الخراساني كما لازم حلقه السيد أبو القاسم الخوئي.

وقد تحدث عنه الشيخ جعفر محبوبه قائلاً: هو أشهر رجال أسرته في عصرنا و من الشعراء المجيدين و الأدباء النابغين سريع البديهة كثير الحفظ ينشد القصيده بنفسه على ظهر القلب و تعاد مرات و يعيدها و يرجع إلى محل الاعاده، و شعره قوى السبك حسن الأسلوب طرى الديقاجه، تهش لاستماعه النفوس، و تقبل عليه القلوب، و هو من أهل الفضل و النبوغ في الأدب و قد طرق في شعره كثيرا من أنواعه و فنونه و بالاضافه إلى ذلك فهو من أهل التقى و الصلاح و يكاد يكون المثل الأول من الشباب النجفى في إيمانه و أخلاقه.

أسرته

تحدثت عنها مجله الموسم قائله:

آل فرطوس فصيله عريبه كثيره العدد منتشره في دجله و الفرات ترجع بنسبها إلى آل غزى القبيله المعروفه و جل آل فرطوس يقطنون في العماره و منها نزحوا إلى الناصريه و الشنافيه و غيرها، و لهم بيت مشهور في النجف يعرف بهذه النسبه (آل الفرطوسى) نزحوا إلى النجف من العماره في أواخر القرن الثانى عشر و هم من البيوت العريبه المحتفظه بمكانتها العلميه، و المحافظه على سمعتها و اعتبارها، و أول من هاجر من هذه الأسره إلى النجف جدها الأعلى الشيخ حسن على عهد الشيخ صاحب كاشف الغطاء.

و ورد في بعض التواريخ أن الفرطوسيين ينتسبون إلى الطوالم (عشيرته من فزاره) و ان من فروعهم فيهم: العكش، و الحسان، و الهزى، و الهديان، و المحايطه، و الحمود، و الشمود، و الشنشول، و كان زعيمهم يعرف بالشيخ عذافه الشاهر.

و قال الغزوى في كتابه (عشائر العراق): آل فرطوس فخذ من آل خزيم من آل شبل بالعراق، و عد بعضهم أصله من خفاجه و آخرون من غزى و هو الأشبه بالصواب و سكن معهم، و قسم كبير منه عاش بين ربيعه و المياح.

و من فروعهم في آل شبل: آل حمد، آل حمود، آل شتيوى، و منه مع ربيعه: آل بو جابر و منه الرؤساء، و آل بو خليفه، و الحجيه، و الجروخ، و آل بو حسين، و آل بو ملوح، و بيت وريد، و آل بو مويغز، و آل بو حامد، و البديرات، و آل بو شكه، و الكوامات (القومات)، و السمران و هم تبع السراى و يسكنون (على الغربى) و (الكوت) و (العماره) و يزرعون في الشلب و الدجن (الحنطه و الشعير) و هم غنامه و مجموعتهم كبيره.

و ذكر الغزوى في موضع آخر أن آل فرطوس فخذ من الغزى من بنى لام بالعراق يسكن في أراضي العبد الجبايش، و منه في لواء العماره، و فروعهم: آل عطاس، و آل بو زباره، و آل بو راسى، و العباده، و آل سلمه.

و على كل حال فان الثابت من نسب العشيره انها تنتسب إلى آل غزى حسبما أكده المترجم له في حياته و انه من الفرع الذى يسكن العماره و قد نزح جدهم الأعلى من العماره إلى النجف في القرن الثالث عشر الهجرى.

شعره

قال في ذكرى مولد الامام على ع من قصيده ألقيت في احتفال في مدينه كربلاء:

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٢- تاريخ أدبيات إيران.

لمولد الحق شق البيت فالتها نجم بأفق الهدى قد أحمده الشها
و هزت الآيه الكبرى بمعجزها دنيا قريش و قد عجت بها لجبا
فماج بالنور من أم القرى أفق طلق الضحى سال بالأضواء منسكبا
و كبر المجد إعلاما بمولده فى حين أبصر من آياته العجبا
و أقبلت فيه و القرآن طلعتة أم العلا و هداه يخرق الحجبا
وافت مبشره و الطهر بردتها شيخ الأباطح بالنور الذى وهبا
قد شرف الله منها القدر إذ وضعت فى بيته بعلى فارتقت رتبا
يا مصدر الحكم فصلا فى عزائمه و مورد العلم نهلا سائغا عذبا
و روعه الحق تجلى كل غاشيه من نورها ييقين يمحق الربيا
و نفحه القدس تطغى من شمائله بعابق هو روح يخمد اللهبيا
أكبرت عقلا تبني كل ناشئه من المعارف أوحاها فكان أبا
فيض من الذهن عذب النبع ما نضبا تقرى مواهبه الأجيال و الحقبا
و شعله من شعاع الفكر مشرقه تمشى العقول على أنوارها خبيا
و روضه من حقول العلم مخصبه من أصغريه بما أوحى و ما كتبيا
صنو العقيدة غذاها فكان لها أصلا و كانت له من بعده عقبا
يا منطق الحق فى التاريخ قص لنا روائعا عجت الدنيا بها طربيا
حدث فأنت لسان قد روى العجبا و مسمع قد وعى الأسفار و الكتبا
عن سيره القائد الأعلى و سيرته قد أحرز المجد فى مضمارها القصبيا
و خطها فى جبين المجد حين جرى دم الشهاده فى محرابه ذهبيا
أوحى بها ألف باب من معارفه (مدينه العلم) أوحتها له نخبا

و شيد العدل إذ أرسى قواعده على ضفاف قضاء عادل نصبا
فاقصص على مسمع الأجيال ملحمة للعلم ضجت بها ساحاتها صخباً
عن منشآت صدور تحمل الكتب و ألسن تثمر العرفان و الأدبا
و مشرقات عقول بالهدى كشفت عن كل سر بقلب الغيب قد حجبا
فمسجد الكوفة الغراء مدرسه و منبر (لعلى) قد روى الخطبا
مدينه السبط يا مهذا به ولدت من العواطف دنيا رفرت حدبا
و تربه خط قلب المجد من دمه مثنوى البطوله فيها عزه و إبا
و مصرعا من أبى الضيم فيه هوى جسم مقطعه أوصالها إربا
أحيا الحسين به الإسلام حين رأى أبناء حرب و قد أودت به حربا
أبو الأئمه أو فى نجمه صعدا حتى هوى كل نجم دونه صببا
غرس أرومته الزهراء فاطمه و المرتضى حيدر أعظم به نسبا
من أهل بيت كتاب الله طهرهم و أذهب الرجس أما عنهم و أبا
و قال من قصيده ألقى فى البصره فى احتفال بذكرى مولد الحسين ع:
قرآن فضلك فيه يفتح الفم حمدا و بالإخلاص ذكرك يختم
و بأفق مهدك من جهادك أشرقت للفتح آيات بوجهك ترسم
فلقد ولدت مطهرا فى برده من طهر فاطمه تحاك و تلحم
و لقد قتلت بمصرع يسمو به مجد الممات على الحياه و يعظم
و الحق من عينيك ينبع نوره و الصدق فى شفتيك جمر مضم
و ضحى جبينك و هو فرقان الهدى بدم الشهاده و السعاده يوسم
يا قبله الزهراء مشرقه على قسما و وجه الحق يرسمها الفم

يا مصحفا بفم النبي محمد ما زال فى آياته يترنم
يا ثوره الحق الجرىء تحدرت من قلب حيدرہ فاغرقها الدم
يا مولد الأنوار مهدك للهدى أفق تموج بصفحتيه الأنجم
مثلت شخصك صورہ قدسيه فى القلب يطبعها الولاء فترسم
و جلوت طلعتها و أنت خواطر فى مهدها برأى الامامه تحلم
فتحرقت شفتاى و قدا من دم حر على شفتيك قبله الفم
و لمحت فى شفق الجبين غمامه منها على عينيك ظل معتم
و لمست من روح البطوله و الإبا شمما يثور و عزه تتقحم
و قرأت للفتح المبارك سورہ بالسهم فى صفحات قلبك ترقم
فخضبت ناصيتى بمذبح جثه فى نحرها الدامى يحز المخذم
بنت الضحى احتجى بأفق كآبه منها يمد عليك ظل مقتم
و سماؤك الزرقاء صونى وجهها بغلائل سود بها تتلثم
فشعاع شمس الحق أختك قد خبا و الفجر من شفق الدماء مجهم
و أخوك بدر المجد و هو مضرج بدم الوريد و بالسيوف معمم
أخفى لجين جبينه ذهب الوغى و أغام منه الصبح و هو المبسم
و الفرقدان تعانقا فوق الشرى جيدا إلى جيد يضرجه الدم
و الطائر المذبوح و هو مرفرف بيديه من دمه سقته الأسهم
و مباسم الشهداء تنثر كالندى منها اللآلى فى الصعيد و تنظم
أكبرت فى الإسلام مثلك فاتحا من عزم هاتيك الأضحى يغنم
و يزيد و هو يهز فى أعطافه للنصر مغلوب بفتحك يهزم

بعدا يزيد لراحل قد أثكلت أم الفجور عليه فهى الأيم
أيتمت أقداح الخمور فأعولت نغم القيان و كل طبل يلطم
و مواكب الشهوات لف لواؤها مذ غاب قائدها الجرىء المعلم
فالمغريات الثاكلات نوائح و الموبقات بها يقام المأتم
تعست خلافتك التى قد أبرمت بيد العمى و هى البلاء المبرم
أعوام شؤم جلجلت أحداثها بالمسلمين و نحسها المتجهم
أكدى على غرس النبوه جذبها فغدا باشداق المظالم يخضم
و الحره السوداء كم هتكت بها من حره و كم استحل محرم
و البيت قد حرقت بها أستاره فبكى المقام لها و ضجت زمزم
يا ساسه الوطن المفدى أصلحوا وضع البلاد فوضعها متازم
وطن هو الثكلى فكل مفوه فيه ينوح و كل حفل ماتم
ما أبقت الأحداث فيه ذباله تزهو و لا قيثاره ترنم
حكمت عليه فارهفته سياسه بالعنف من أرهابها تتحكم
و عدت عليه فمزقته طرائقا أحزابه و هى البلاء المبرم
و استنزفت منه القوى و قضت على ثرواته الشهوات فهو المعدم
لا القرض أشبعها و لا وفى بها ذهب المنابع و هو سيل مفعم

ما ذا أبث من الشجون و بعض ما فى القلب من ألم يضيق به الفم
ما ذا أخط و ألف لون للأسى فى لوحه النفس الحزينه يرسم
فاستعرضوا وضع البلاد فوضعها من كل ناحيه يسىء و يؤلم
حريه الأفكار رهن رقابہ سوداء يفرضها نظام مظلم
و الحكم بالإرهاب يوصد بابه فإذا تنفس فهو صل أرقم
و أماتت الفوضى النظام بمهده فالأمن للعنقاء فيها توأم
أن المناصب غايه منشوده و طريقها هذا الصراع المؤلم
وطن يباع و أمه منكوبه فيه تراعى و فىء شعب يقسم
صونوا الحقوق فكل حق ضائع للشعب و هو وراؤه لا يهضم
و قال مفتتحا ملحمته الشعرية:

هاك قلبى مضرجا بدمائى قطعاً فى سلاسل من ولائى
هى من منبع العقيدہ و حى لم يكدر منه معين الصفاء
و هى أعلى من كل عقد نفيس ذهبى مهما ارتقى فى الغلاء
جوهر من معادن القدس باق أين منه أعراض دار الفناء
نفحات من الهدايه تذكو عبقا من شمائل الأزكياء
بدئت بالتوحيد و هو أساس و استطالت بالعدل خير بناء
و تجلت فيها نبوه حق شفعت فى إمامه الأوصياء
و تلاها المعاد فهى أصول خمسه فى شريعہ الحنفاء
و دليل الاعجاز فى ذكر طه يفتنيها و عصمه الأنبياء
و بأثر التفويض و الجبر أمر بين بين ياتى و معنى البداء

و سواها من التواضع مما تقتفى نهجها بخير اقتفاء
و جميع الأركان و هى فروع الدين فيها بانت بغير خفاء
و تراءت كبائر الإثم فيها و سواها صغائر الأخطاء
و عليها باليمن رفرق أمانا من حياه النبي خير لواء
و حياه السبطين بعد على و البتول الصديقه الزهراء
و على و باقر العلم و الصادق قولاً و كاظم الصلحاء
و الرضا و الجواد ثم على و ابنه ثم قائم الأماناء
قد تبعت منها النجوم اهتداء و أمانا لنا بخير سماء
أهل بيت الهدى أئمه حق ألسن الصدق خيره الأولياء
و الأدلاء لا يحدون زيغا بالبرايا عن منهج الاهتداء
و مصابيح حكمه قد أضاءت بسناها مدارك الحكماء
كل نجم للخلق منهم إمام يقتدى فيه أحسن الاقتداء
أذهب الله عنهم الرجس طهرا و اصطفاهم بأكرم الاصطفاء
أنا مولى لهم محب و هدى آيه الحب من كتاب ولائى
و هى تهدى لفاطم و على و بنيتها و خاتم الأصفياء

مؤلفاته

- ١ - ديوانه الشعرى فى جزءين مطبوعين.
- ٢ - روايه الفضيله للمنفلوطى، نظمها شعرا.
- ٣ - منظومه فى الأشكال و الضابطه من علم المنطق فى حاشيه الملا عبد الله.
- ٤ - شرح شواهد المطول توسع به على طراز معاهد التنصيص و شرح الآيات الكريمه التى وقعت فيه و اعرابها و الشاهد منها يقع

فى ٥٠ صفحه بالقطع الكبير.

٥ - شرح مقدمه المكاسب وصل به إلى كتاب المعاطاه.

٦ - شرح الجزء الأول من كفايه الأصول (فى علم أصول الفقه الإسلامى) ٨٠٠ صفحه.

٧ - شرح الاستصحاب من رسائل الشيخ مرتضى الأنصارى يقع فى ألف صفحه.

٨ - شرح مجموعه الرسائل و هو نتيجة المده التى قضاهها تحت إشراف استاذة لراحل [الراحل] السيد محمد باقر الشخص.

٩ - الوجدانيات: ديوان شعر يحتوى على ألوان وصفية و غزليه من شعره.

١٠ - ملحمة أهل البيت: ملحمة شعرية.

عبد مناف أبو طالب بن عبد المطلب.

مرت ترجمته فى المجلد الثامن من (الأعيان). و ننشر هنا بحثا عن إسلامه بقلم وجيه بيضون:

أبو طالب، و اسمه عبد مناف، و هو ابن عبد المطلب جد النبى (ص)، و فرع من الأرومه التى طالما ملكت السيادة على الناس إلى جانب سيادتها فى الأخلاق و المكارم، فكانت سماء على الأرض لا يغيب فيها نجم إلا أعقبه نجم، فيتصل ضياؤها متعاقبا ممتدا، و يتصل معه تفردا متميزا متجددا، كأنما خص بها من دون أهل الجزيره طرا.

و هو الذى جرت فى عهد أبيه واقعه الحبشه و عرفت بعام الفيل، فكان قريبا منها و من معجزتها حيث انهال الأحباش على الحجاز بجيشهم المتراس المتماسك كالقلعه جارفا ممتدا كالسيل، يحملهم شوق الغزو و الفتح و الغنم، و يزدهيمهم هوى النصر و الغلبه، و قد جعلوا فى مقدمتهم أفواج الفيله الجباره كالقلاع المتحركة لا- عهد بمثلها للعرب، و لها من أصواتها المنكره و خراطيمها المتطاولة المهتره و أنيابها من تحتها كرهوس الرماح، و أقدامها كأنها الركائر من الصخر أو الحديد، ما يبعث الرعب، و يتعاضم به الخطب، و يذهب بشجاعه الفرسان مهما أوتوا قوه بأس و ثبات جنان. و كانت المعجزه، معجزه الطبيعه فى نواميسها - بشخير الله -، كان لها من خفى بصيرتها و حسها ما استثارت كوامن غضبها و حفيظتها حتى جن جنونها، فراحت ترعد و تبرق فى سمائها، و تنوح و تعصف بريحتها، و تمطر العداة الغزاه بسجيل من الحجاره كأنها القنابل قذفت بها أفواه المدافع، ثم ما هو إلا القليل حتى اندحر الأحباش مولين الأدبار يبئون بالخزى و العار، و كان فيلتهم و قد ارتدت عليهم تطاردهم و تدوسهم، لم يأتوا بها إلا لتأتى عليهم، و لم يلحقوها إلا لتلحقهم بكل مهلكه و هزيمه.

و كما تميز عهد عبد المطلب بهذه الواقعة التى كان من خطرها فى أثرها أن راح القوم يورخون بها وقائعهم و أحداثهم، فقد تميز عهد ابنه أبى طالب بان انبثقت فيه تباشير الدعوه الإسلاميه بظهور الرسول الكريم محمد (ص) و بتجديد الكعبه بعد الذى أصابها من هدم و حريق. و كما أن عبد المطلب كان أول من كفل حفيده محمدا بعد يتمه من والده، و هو ما برح حدثا فى

مطلع أيامه، لكذلك كفله أبو طالب بعد وفاته و لما يمض على كفالتة غير العامين، و ما زال لابن أخيه راعيا، و لدعوته مناصرا و داعيا، يلف عليه و يحوفه، و يتحمل المكاره فى سبيله و خصومه الناس من حوله، واقفا منه كالمجن يحميه من كل أذى يصل إليه، إلى أن فارق دنياه و هو فى الخامسة و الثمانين أحوج ما تكون الدعوه الإسلاميه إلى عونه، و أشجى ما يكون الرسول لفقده و فقد زوجه خديجه من بعده، و قد لحقت به لأيام معدوده، أى قبل أن يهاجر ص إلى المدينه بثلاثه أعوام و أربعه أشهر.

و كان فى خلقه أبلج اللون، متين الكاهل، قوى الشكيمه، غضب المهز. و من خلانقه السخاء و الوفاء و العفه و النخوه و الشجاعه. و من خصائصه أيضا أنه كان شاعرا حكيما مدح النبى (ص) بقصائد عده، و كانت له السقايه فى مكه، كما أن له و لقومه فى الكعبه الباب و للناس الجدران و الظهور. ولد له من الذكور أربعه هم: طالب و عقيل و جعفر و على. و كانت زوجه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشى، و قد أسلمت بعد عشر من المسلمين.

بيد أن الروايات فى إسلامه متضاربه، ففريق على أنه مات غير مسلم، و فريق على أنه لم يلفظ أنفاسه الأخيره إلا و الشهاده ملء فيه إيمانا بالله و رسوله، و هو ما عليه الشيعة قاطبه، لا تأخذهم فيه أى شبهه أو ريبه.

و للفريقين قبائل من الرأى بين التأييد و الإنكار، و التذليل و التعليل، بما لا يرتجع بغير الغموض و الإبهام، ثم الشك و الحيره، و البعد عن مطلب الصواب فى حقيقته، و الحقيقه فى صوابها. و ما أقبح العصبية إذ تنتهى من تعنتها و الإصرار على عنادها إلى أن يغلب الهوى على العقل، فإذا الممتحن بها كالأعمى، إذا أفادته عصاه منعا من التسكع فما تفيده تبصرا بالطريق اللاحب القويم.

و الذى عندنا هو أن البحث فى إسلام أبى طالب أو عدم إسلامه، ما كان يستلزم ما استفرغ من مداد فى سبيله، و لا انهماك الأفكار فيه فى مثل حرب مستعره الأوار، ثم قطع الوقت فى غير مرتجع و توسيع شقه الخلف فى غير طائل، فقد كان من سداد الرأى تعلقه من وجهته العامه حيث تكمن حقيقته و يستبين مقطع الحق، لا-أخذه بأضعف ما فيه فيؤدى إلى الحكم ضعيفا لا يخيل بالصواب إلا مثل ما يخيل إشراق الشمس حجبت عليها السحب، فهى فى مثل الغسق الفاحم.

و ان من شروط البحث فى صحته أن تقدر النتائج بمساقها من سابقها، فيحكم عليها بروح مما لابسها و أثر فيها، لا أن تجعل هى الحكم الجزم، ثم تعتف الأسباب إليها اعتناقا لتورد غير موردها، و تحمل كل معنى إلا معناها، و يهول بأنها محط الصواب و هى الخطا الذى لا صواب فيه.

فان أخذنا بهذه الخطه القويمه و إليها التجرد الفكرى السليم، لا يميل مع العاطفه المذهبيه حيث تميل، فما شك فى أننا نقف من قضيه إسلام أبى طالب الموقف الذى يدنينا من الصواب فى واجب حكمه و حكم يقينه، و ينأى بنا عن مواطن الشبهات لا دليل يقطع فيها بالرأى الجازم، حتى إذا بقى ثمه شىء من الشك مسحنا عليه بما يفرضه العقل ترجيحا هو الأصوب و الأوجب.

إننا نقطع بإسلام أبى طالب إذ كانت الأدله على ذلك أقوى و أبين منها على خلافه. و هاك بادئ بدء الحجه التى يستمسك بها المنكرون و هى عدم إعلان إسلامه و إيمانه، و هى أكبر حججهم، تجدها أو هن من أن تنهض دليلا على أنه لم يكن مؤمنا، إذ كان من شان الايمان أن يصح فيه الكتمان و الإعلان على سواء، و بخاصه فيما يتخرج به الدين و يستلزم التقيه ضروره من ضرر. و ما أكثر ما نعتقده جزما و نؤمن به قطعا ثم نتعمد فيه الخفيه و الأسرار من غير أن يكون ثمه معنى للإنكار، و ما أكثر ما نصدر

عن مات و أحوال لو أخذت على علاتها من ظاهرها لما ترجمت بمكنونها من مغيبها، و لا حقيقتها من سيبها، فالمظاهر لا تنم أبدا عن الحقائق، و الحقائق تتلبس غير صورها حتى كأنها صورته هي بعينها. و ليست العبره إلا- في الأثر يترجم عن الأصل كالكهرباء إذا لم نكتننها بدليلها فان آثارها تدلنا عليها. و آثار أبي طالب في جملتها شاهد على إيمانه و صدق إسلامه، تنفى عنه كل النفي أى تهمة بالشرك أو الكفر بدعوة الرسول و الإسلام. و أنى له غير ذلك و هو الذى طالما اشتهر بالصدق فى حياته لم يجرب عليه الكذب، و عرف كذلك فى ابن أخيه الصدق آمن ما يكون على قول الحق، لا تأخذه فيه لومه لائم، و ليس فى كل ما تقع عليه عينه و يصفح سمعه إلا ما يشير أبلغ إشاره إلى تمخص الزمن عن الحديث الجديد، يظهر أرض الحجاز من أرجاس الجاهليه التى بلغت غايتها من الوثنيه و العادات المستوخمه، بعد إذ آن ليلها الطويل أن ينفرج عن الفجر المرتقب المبين.

و إذا فسر عدم إعلانه الإسلام بظاهره من معناه دون معانيه الأخرى من حمى ابن أخيه و نصرته و الأخذ بيده و محاسنه قريش فى ذلك باعتبار أن الدعوه غرضه أول عهدا و أن الأعداء و المناوئين ألب ضدها، فكيف نفسر سماح أبى طالب لزوج فاطمه بنت أسد بان تسارع إلى الإسلام، ثم لابنه على بان يسلم و هو ما يزال حدثا غض العود، ثم لابنه جعفر بان يصل جناح ابن عمه فى الصلاه على يساره، ثم لبنيه و إخوته و بنى عمه بان يرقدوا و هم فى (الشعب) على فراش محمد تعميه على المشركين أن يصيبوه إذا ما حاولوا أذاه؟!.. فهل تراه فيما فعل غير الصادق فى طويته على الايمان، و الصادق فى إيمانه فى الدعوه، و الصادق فى عقيدته يترجمها ماثله فى عمله؟!... و هل لمثله و هو شيخ قريش و سيدها و صاحب الرأى فيها أن ينحرف مخالفا أو ينفرد متعسفا و أنه ليرى حمزه يسارع إلى الانصواء تحت لواء النبى، و كذلك عماته، و إليهم آل عبد المطلب جميعا، و من ورائهم عبد مناف، أ يخرج على مثل هذه الإراده المجتمعه و الخطه الجامعه ليعود من نهايه الشوط الذى قطعه رفا و عوناً و تضحيه إلى حيث يكذب نفسه، و يكذب عشيرته، و يكذب من أحبه و آثره حتى على بنيه؟ و إذا نحن تدبرنا موقف أبى طالب حين جاءه سادات قريش و أشرافها ساخطين متوعدين يستعدونه على ربيبه و حبيبه بقولهم: "أنا و الله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله و إياك حتى يهلك أحد الفريقين"، ثم خطابه لابن أخيه بقوله: "أى بنى، أبق على و على نفسك، و لا تحملنى من الأمر ما لا أطيق"، ثم ما

أجاب به النبى ساعتئذ مستعبرا: "يا عم! و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته"، ثم قول أبى طالب: "و الله لن أسلمك أبدا"... قلنا إذا نحن تدبرنا هذا الموقف بحق معانيه و أبعدنا النظر فى مطاويه، إذن لخلصنا منه إلى حديث مبطن خفى قد استتر لشده ما ظهر، حديث بلفظه لا يستوى صحيحا بغير

معناه من غايته، و لا يدرك بغايته إلا بأنه مزيج عقل و قلب ألف بينهما الحب، فجاء امتحانا للمحنة فى أوجها، و استطلاعاً للقوه بلغت النهايه من طاقتها، لم يبق إلا- أن تتول معجزه. فليس هو الحرص على الحياه لا- و لا- العجز عن تحمل المشاق ما حدا أبا طالب إلى قول ما قال، بدءاً و استدراكه آخراً، ثم ما هو تخذيل لابن أخيه وقت فى عضده لتحويله عن مقصده، و إنما هى الأبوه الحادبه، مع العصبية الغالبه، فى الشيخوخه المتقدمه تريغ الطمأنينه على المعجزه المرتقبه لا طاقه بحمل رسالتها لبشر إلا أن يكون فوق البشر، و لا بد فيها من العون و ان كانت ممتده بأسباب من السماء.

ان من يتدبر مواقف أبى طالب من الدعوه و ما بذل من ذات نفسه و ماله فى سبيلها، لا يسعه إلا أن يعترف له بجميل الفضل و رجاحه العقل، فقد أبلى خير بلاء فى المنافحه عن الرسول (ص)، و لطالما كان سناده و عماده يرد عنه عوادى قريش، و يابى أن يسلم به و لو كانت فى ذلك حياته، و يعينه و ينصره و يشد من أزره حتى كأنه أمينه فى تحقيق دعوته كما كان هو رسول ربه فى أداء رسالته. و ما هو بالبدع بعد هذا إذا بكاه النبى (ص) بالثخين من عبراته عند وفاته، و استشعر من حوله الفراغ لفقده، ثم أجمع العزم على الهجره إلى المدينه فى عامه من حزنه. و ما كان به ذلك لو لا أن فقد من كان يصل جناحه و يؤثره بعطفه و عونته. و ان أمرا هذا شأنه، و تلك مآتيه و ماثره، لحرى و الله بالمحمد كفاء إحسانه، لا بالغض من كرامته و تغليب الشبهات فى حقه، ثم هو حرى بالا يعرف إلا بإسلامه وفاق ما عرف الإسلام من كريم بلائه فى الذب عن حوزته، و عظيم ولائه فى نصرته.

و من يدري ما قد عسى يعترض الرسول (ص) لو عجل أبو طالب كغيره فى كشف اللثام عن إسلامه و الانضمام إلى القله التى لاذت به مؤمنه بدعوته؟... أما كان من منطلق الحوادث و طبيعه الحال أن يتورد النبى من البلاء فوق ما تورده، و ينزل به ما يباعد بينه و بين غايته؟ فان قيل ما للدين ربا يحميه فعلا م لا تقول أن الله جلت حكمته هو الذى خص أبا طالب بهذه الحمايه؟ و ان قيل أن أبا طالب ما كان له مثل موقفه من الدفاع عن ابن أخيه لو لا عصبية القربى و طول الزمن فى تبنيه حتى كأنه أحد بنيه، فما بالنا لا نعكس الآيه لنقول أن عوامل العصبية و التبنى خليفه بان تجعله أول المؤمنين؟ هذا و مما فات الباحثين أن ينتبهوا إليه من أدله إسلام أبى طالب أن الحرب الكلاميه كانت سجالات بين الامام على ع و معاويه، و قد نثل كلاهما ما فى كنانته مما يغتمض الآخر و يغض منه، و لقي ابن أبى سفيان من خصمه مثل المطارق تنديدا و تعريضا، سواء بآبيه الذى أسلم و السيف فى محز عنقه، أو بامه آكله الأكباد و مشوهه الأجساد، و على ذلك لم نعثر فيما أورده معاويه من الردود ذودا عن نفسه و خفضا من شان خصمه على أى تعريض، بل أى إشاره، بل أى إيماءه و لو خفيه مما يتصل بأبى طالب والد على، فلو صح أنه كان على غير الإسلام لما فات مثل معاويه أن يعرض لذكره و يعرض بكفره، و يسقط عن نفسه اللائمه تبكيها بآبيه بمثلها عدلا عند أبى عاذله، فيستوى حسابهما واحدا، و تستوى به الضربه عند أحدهما مرتده على الآخر.

و هنا نحب أن نسأل: ترى ما الذى يضير مثل على (ع) و هو هو فى كرامته و فخره من جلال قدره، - تنقص آبيه بعدم إسلامه؟ ما ذا يضيره و كل من اعتنق الإسلام كان إلى آباء و أجداد غارقين فى سبات الجاهليه و الوثنيه؟ أما أن الخطر لأقل مما يتصور، و فضل على لأ- كبر من أن يستصغر، إذ كان المرء بهمته لا يرمته، كالورد هو من الشوك و لكنه باريجه و نضرتة، و كالسيف ينظر إلى مضائه و صليله لا إلى أنه من الحديد، و كل امرئ بما كسب رهين.

و نردف بسؤال آخر: فليس منا من لا يؤمن بصدق الرسول الأمين (ص)، و لا يقطع بامرّه حجه هى برهان نفسها، فلو استوحيناها بروحه سؤالا عن عمه الذى حضنه و رباه، و كفله و رعاه و ذاد عنه و حماه:

أترانا نستلهم الجواب إلا مؤيدا إسلامه، موثقا إيمانه، شاهدا بفضلته و مكرما مثواه؟... أما و هو كذلك عند نبي المرسلين و أصدق الصادقين فهل من الرأى و حكمه القول أن نتكذبه نحن؟... ثم ما ذا نقول أيضا بمثل على (ع) و قد اشتهر بالحق يدور معه حيثما دار، لا يصانع و لا يوارب حتى فى أخرج المواقف و المطالب حيث تقتضيه سياسته بعض الملاينه و المداهنه، ما ذا نقول فى شهادته و قد شهد لأبيه بأنه لفظ الشهاده و كان من المؤمنين.

الشيخ عبد المولى الطريحي ابن الشيخ عبد الرسول.

إشاره

ولد فى النجف سنة ١٣١٧ و توفى فيها سنة ١٣٩٥.

هو من أسره عريبه استوطن أجدادها الحله، و النجف. اشتهرت بالعلم، و الأدب، و الفضل. و التقوى. ترجع فى نسبها إلى قبيله بنى أسد.

و عرف من هذه الأسره أمله العلماء و الأدباء و الشعراء و الباحثين، خلال العصور القديمه و الحديثه. و كان من أبرزهم فى القرن الحادى عشر الهجرى الشيخ (فخر الدين الطريحي) (٩٧٩ هـ - ١٠٨٥ هـ) صاحب كتاب (مجمع البحرين) فى اللغه و قد ترجمه أحد النجفيين فى مجله (لغه العرب) عام ١٩٢٨ م. و أشار إلى أن الأسره استوطنت (النجف الأشرف) فى القرن السادس الهجرى. و كانت لهم سدان المشهد العلوى، و الولايه العامه فى القرن الثامن الهجرى، و سكن جدهم الأقدم الشيخ (داود الأسدى) النجف الأشرف، بعد نزوحه من (الحله)، فى الجانب الشرقى من مرقد الامام على بن أبى طالب ع و هى محله من (جبل النور) و تدعى اليوم (محله البراق)، و شيد فيها جامعا يسمى حتى الآن باسم (جامع الطريحي) ".

درس المترجم على والده، و جماعه بارزين من أهل العلم، و اللغه، و الفقه، و الأدب. فى مدينته النجف.

و حضر مجالس الثقافه و الأدب فى بلده. و ساهم فى أنديه النجف الثقافيه. و لما قامت (جمعيه الرابطه العلميه الأديبه)، التى تأسست سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م). كان من أعضائها النشيطين. كما أنه دخل معترك الصحافه، فاصدر مجله تراثيه، أديبه تاريخيه، فى النجف، أسماها (الحيره) سنة ١٩٢٧ م. و لم تدم طويلا، دخل بعدها مهنة التعليم، و استمر يخدم طلاب العلم بثقافته، و سعه اطلاعه، و حسن معاشرته، حتى أحيل على التقاعد.

و لم ينقطع عن صلاته الفكرية الصحفيه بالمراسله و الكتابه، لأمهات المجالات العراقيه و العريبه. أمثال (لغه العرب) و (الهاتف) و (الاعتدال) و (المرشد) و (النجف) و (الغرى) فى العراق. و (العرفان) فى لبنان.

كما كانت له ملاحظات تاريخيه و أديبه و شعريه، لما كان يكتبه كبار المستشرقين فى مجله (لغه العرب).

ترك مجموعته من المؤلفات المخطوطه، و لا بد أنها لدى أولاده، أو أقاربه من أفاضل الطريحيين فى النجف - و الكوفه. و هذا بعض ما وقفت عليه من أسماء كتبه:

١ - تاريخ آداب اللغة العاميه الدارجة: " أو كنوز العرب الخفيه، فى تاريخ آداب اللغة العاميه " فى مجلد واحد.

٢ - شرح مواليه ابن الخلفه الحلبي.

٣ - كتاب الأنساب. جمع فيه أنساب القبائل و العشائر العراقيه.

٤ - نوادر النساء. (أو الأدب النسائي).

٥ - تاريخ الخيول العربيه و أوصافها.

٦ - الأمثال الشعبيه، حسب الحروف الهجائيه.

٧ - كتاب (القوارير) عن النساء العربيات.

٨ - اللؤلؤ و الصدف فى مشاهير علماء الحله و الكاظميه و الحائر و النجف.

٩ - شعراء الثوره العراقيه.

١٠ - الرياض الأزهرية فى تاريخ أنساب الأسر العلويه (مجلدان) نشر منه فى مجله المرشد البغداديه.

١١ - تاريخ الأقمار الصناعيه.

١٢ - تاريخ الصواريخ و الحوادث الكونيه ٣ أجزاء.

١٣ - تاريخ الاكتشافات الأثريه فى البلاد العراقيه (جزءان).

١٤ - المآخذ الشعريه (فى النقد الأدبي).

١٥ - الغرويات فى تراجم شعراء النجف نشر منه فى مجله العدل الإسلامى النجفيه و مجله الفرزدق العماريه و اعتمد عليه الخاقانى فى شعراء الغرى.

١٦ - الحائريات فى شعراء كربلاء. اعتمد عليه سلمان هادى الطعمه فى (شعراء من كربلاء).

١٧ - الحلبيات فى شعراء الحله.

١٨ - وفيات الأعلام ثلاث مجلدات كبيره سجل فيه وفيات طائفه كبيره من العلماء و الأدباء و الشيوخ و وجوه الناس أكثرهم من النجفيين.

١٩ - بعض العقائد الفاسده نشر تباعا في جريده الهاتف.

٢٠ - التربه الحيدريه و ما نظم فيها من الشعر.

٢١ - مجموع كبير في تاريخ آل الطريحي.

٢٢ - مباحث عن الأقطار العرييه.

٢٣ - النوادر و الفكاهات.

٢٤ - كتاب الأوائل (مجلدان).

٢٥ - وحي الفكر في المطبوعات الحديثه و القديمه (نشر منه في مجله لغه العرب البغداديه).

٢٦ - تاريخ البنود الشعريه.

٢٧ - الأدب الحديث و القديم.

عبد الواحد بن أحمد بن محمد الثقفى الكوفى

نزىل بغداد:

كان حيا سنه ٥٥٤.

من فحول محدثين الشيعة و أكابر فقهاهم فى القرن السادس للهجره أخذ العلم عن جماعه من أفاضل عصره منهم الشيخ العدل أبو سعيد عبد الجليل بن محمد الساوى الذى سمع عنه فى المسجد الأعظم بالكوفه سنه ٤٩٢ ثم هاجر المترجم له إلى بغداد و كان من أكابر الفقهاء و تصدر للتدريس و الفتوى و القضاء و كان قاضى القضاة بها و تخرج عليه جماعه منهم عميد الرؤساء أبو منصور هبه الله بن حامد اللغوى الحلى المتوفى سنه ٦١٠ الذى سمع عنه بمنزله فى بغداد سنه ٥٥٤ كما يظهر من صدر سند نسخته من (غريب القرآن) للسجستاني ذكره شيخنا الطهراني فى طبقات أعلام الشيعة(١)

الشيخ عبد الوهاب البهشتى القزوينى.

توفى سنه ١٣٠٠ فى قزوين و دفن بها.

من أكابر الفقهاء المدرسين فى قزوين، أديب نحوى.

ولد في قزوین و نشا بها علی حب العلم فاشتغل بدرس العلوم العربیه و المقدمات ثم تلمذ فی الفقه و الأصول و الحدیث علی الشیخ محمد صالح البرغانی الحائری المتوفی سنه ۱۲۷۱ و الشهید البرغانی المستشهد فی سنه ۱۲۶۳ و أخذ الفلسفه و العرفان عن الشیخ المیرزا عبد الوهاب البرغانی آل الصالحی حتی نال درجه عالیه فی العلوم العقلیه و النقلیه ثم تصدر کرسی التدریس فی المدرسه الصالحیه و کان من أشهر المدرسین فی قزوین و تخرج علیه جماعه کثیره من العلماء و أهل الفضل. ذکره الوزير الايرانی المیرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه بین فحول علماء عصر ناصر الدین شاه القاجاری(۲) و ذکره شیخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانی فی موسوعته طبقات اعلام الشيعه فی ترجمه مختصره فقال (کان من الفقهاء المدرسین فی قزوین و هو من الأدباء الأفاضل و العلماء المحترمين و أئمه الجماعه الموثقين...) (۳) و المترجم له شقيق الشيخ شريف البهشتي القزويني المار الذکر.

ترك المترجم له مؤلفات لم أقف عليها بل سمعت عنها و إنما رأيت له بعض الحواشی منها حواشی علی مقامات الحریری، و حواشی علی الشرائع، و حواشی علی شرح اللمعه للشهید الثاني(۴)

ملا عظيما النيسابوري ابن ملا قيدي

و أخو ملا فقيها الفوجي.

عند ما عين الشاه سليمان الصفوي ميرزا سعد الدين راقم وزيرا لخراسان اصطحب المترجم معه فكان من المبرزين هناك، و ظل حتى توفي سنه ۱۱۱۱.

يحتوي شعره علی مدائح فی الشاه عباس الثاني و ميرزا سعد الدين و صفی قلی خان و بعض الحكام و كبراء كشمير، و فيه الغزل و المراثي. هذا عدا ما احتواه من مديح فی الأئمه ع.

ص: ۱۲۹

۱- الصالحی.

۲- الميرزا حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ۱۶۵ طهران الطبعة الحجریه الأولى.

۳- الشیخ آغا بزرك الطهرانی: الكرام البرره ج ۲ ص ۸۰۵ الطبعة الثانيه مشهد سنه ۱۴۰۴ هـ.

۴- الشیخ عبد الحسين الصالحی.

و أكثر شعره غزلى فى العرفان و الحكمة(١).

على نقى كمره اى المشهور بنقى:

ولد سنة ٩٥٣ فى كمره بايران و توفى سنة ١٠٢٩ أو ٣٠ [١٠٣٠] أو ٣١ [١٠٣١].

كان فاضلا مدققا له فى التصوف و العرفان تحقيقات و بحوث.

نشا و تعلم فى كاشان و عاشر فيها الشعراء المرموقين مثل محتشم و وحشى ثم سافر إلى أصفهان و التقى فيها باوحدى صاحب التذكرة و كثير ما تناقشا و تناطرا أدبيا و شعريا و صارا صديقين حميمين، و عاش المترجم فى أصفهان عيش الشعراء، كما يقول بعض مترجميه، و تعرف على حاتم بيك اعتماد الدوله صافى الأردوبادى الذى كان من كبار رجال البلاط الصفوى فى عهد الشاه عباس، و كان فى أول أمره حاكما لكرمان، ثم تقلب فى عدده مناصب ثم أصبح وزيرا(٢) و كان كثير من الشعراء يعيشون فى كنفه كالمترجم و ميرزا ملك المشرقى.

و فى سنة ١٠١٥ فجع المترجم بوفاه ابنه أبو الحسن فرثاه بشعر كثير، و كان لهذه الفاجعه أثر بالغ على حياته، و كما يقول صديقه تقى أوحدى: لم يرفع ظهره بعد تلك المصيبه. و انتقل على أثر ذلك إلى كمره حيث قضى فيها أكثر حياته، و فيها توفى.

و جميع من كتبوا عنه وصفوه بالسيره الحميده و الصفاء و الإنصاف، و اثنوا على شعره و أنه سلس بعيد عن العقد و الإبهامات اللفظيه و المعنويه.

له قصائد و غزليات، و مدائح فى النبى (ص) و الأئمه (ع) و الشاه عباس الأول و حاتم بيك و المرشد قلى خان و إمام قلى خان و آخرين من بارزى عهد الشاه عباس.

ترك ديوانا فيه القصائد و التركيبات و الغزليات و الرباعيات، و يحتوى على خمسه آلاف بيت.

و قد اشتبه بعض من ألفوا فى التراجم كصاحب (روضات الجنات)، و صاحب (الذريعه)، و صاحب (ريحانه الأدب)، فخلطوا بين المترجم و بين عز الدين على النقى المشهور بالشيخ على نقى ابن الشيخ أبو العلاء محمد هاشم الطغائى الكمره إى فى حين أن هذا توفى سنة ١٠٦٠ أى بعد وفاه المترجم بثلاثين سنة، و كان من كبار العلماء فى عهد الشاه صفى، و بطلب من قلى خان حاكم فارس سافر إلى شيراز و صار فيها قاضيا و فى عهد الشاه عباس الثانى رجع إلى أصفهان، و له مؤلفات فى الكلام و الحكمة و الدراسات المذهبيه. و نسب له فى روضات الجنات أشعارا، و ربما كانت للمترجم لاله.

و ديوان المترجم توجد منه عدده نسخ فى إيران، و منه نسخه فى المكتبه البريطانيه، و فيه مقدمه نثريه يخاطب بها إمام قلى خان والى فارس بأنه لكبر سنه لا يستطيع أن يكون قريبا منه لذلك يبعث إليه بديوانه.

و فى هذا دليل آخر على اختلاف الرجلين: المترجم، و عز الدين على النقى لأن الثانى كان قاضيا فى شيراز و قريبا من إمام قلى

الميرزا "على أصغر خان" صاحب ألقاب "صاحب جمع" (٤) و "أمين الملك" و "أمين السلطان" و "الأتابك الأعظم". هو الابن الثاني ل "آقا إبراهيم أمين السلطان". كان الصدر الأعظم ل "ناصر الدين شاه" و "مظفر الدين شاه" و "محمد علي شاه" القاجاريين. ولد سنة ١٢٧٥ هـ. و قتل يوم السبت ٢١ رجب سنة ١٣٢٥ هـ بعد الغروب، و هو في سن الخمسين، إذ كان خارجا من المجلس النيابي. قتله رجل من أذربيجان اسمه "عباس آقا".

كان "الميرزا على أصغر خان" من أذكي حكام إيران و من أقدرهم على التمكن من السيطرة و النفوذ و من أبرعهم في الاداره و تصريف الأمور. له دور كبير في الأحداث العظيمة التي وقعت في أيام أولئك الشاهات الثلاثة.

و حصل في أثناء تقلبه بين مختلف المناصب على ثروه ضخمة و أصبح من كبار المتحولين.

حصل "على أصغر خان" على لقب "صاحب جمع" في حياه أبيه.

و في سنة ١٢٩٩ هـ حصل رئيس دار الشورى العليا (٥) "الميرزا على خان أمين الملك" على لقب "أمين الدوله" فانتقل لقبه السابق (أمين الملك) إلى "على أصغر خان". و كان ساعد أبيه الأيمن في أعماله الحكوميه المتعدده حتى أصبح على درجه فائقه من البراعه و الخبره في العمل.

و في رمضان من سنة ١٣٠٠ هـ توفي أبوه فعهد "ناصر الدين شاه" بكل مهامه إلى ابنه "الميرزا على أصغر خان" هذا. و هي مهام كثيره تدر دخلا ضخما و ضم إليها وزاره البلاط و لقبه بلقب "أمين السلطان". و بلغ عدد المناصب التي أسندت إليه ٤٤ منصبا كبيرا. و كان عمره يومئذ ٢٤ سنة.

يوم كان يساعد أباه في أعماله و يحمل لقب "صاحب جمع" كان يخاطب باسم "آقا على أصغر". و بعد سنة ١٢٩٩ هـ، إذ لقب ب "أمين الملك" أصبح يخاطب باسم "آقا على أصغر خان". و بعد وفاه أبيه في سنة ١٣٠٠ هـ، إذ انتقل إليه لقبه و جميع أعماله، أصبح "الميرزا على أصغر خان أمين السلطان".

لم يحصل "أمين السلطان" هذا في طفولته و لا- في شبابه على ثقافه عميقه، إذ كان يلزم و يساعد أبا أميا. و لكن كان، لقوه حافظته و ذكائه، أهلا لأن يتعلم كل ما يمر به من معارف و تجارب. و عند اللزوم كان يستفيد من معارفه و تجاربه في معالجه الأمور كما يجب أن يستفاد. و كانت تكفيه نظره واحده يلقياها على عريضه، مهما كانت رديئه الخط، ليتبين فورا مدار الأمر الذي يدور عليه موضوع العريضه. ثم يعين ببضع كلمات قليله يخطها على حاشيتها ما يترتب على العريضه من قبول أو رد فلا يعدو الصواب.

و أصبح و هو في الخامسة و العشرين من عمره من أقرب المقربين إلى

١- تاريخ أدبيات إيران.

٢- توفي سنه ١٠١٩ قرب مدينه أروميه.

٣- تاريخ أدبيات إيران.

٤- "صاحب جمع" لقب كان يطلق على من في عهده إداره بيوت دواب النقل من جمال و بغال خاصه بالدوله. و كان هذا المنصب من الأعمال البلاطيه المهمه. و صاحبه يعد من أعيان الحكم، يحسب حسابه.

٥- أو "دار شورى الدوله" أو "مجلس شورى الدوله". هو مجلس للشورى أنشاه "ناصر الدين شاه" سنه ١٢٧٥ هـ، و كان الشاه هو الذى يعين أعضاءه.

الشاه و موضع عنايته حتى تنبأ القرييون من البلاط أنه سيخلف الصدر الأعظم "الميرزا يوسف أمين السلطان" (١) بعد وفاته و قد صحت نبواتهم.

فقد توفي هذا الصدر الأعظم سنة ١٣٠٣ هـ فتولى "الميرزا على أصغر خان" مهامه كلها من غير أن يعين رسميا لمنصب الصدر الأعظم. و ظل يقوم بها إلى سنة ١٣٠٦ هـ إذ أصدر الشاه مرسوما بتعيينه في منصب "الوزير الأعظم" (٢) (رئيس الوزراء)، و كان عمره يومئذ ٣١ سنة. و في سنة ١٣١٠ هـ عين صدرا أعظم. و في سنة ١٣١٨ هـ في عهد مظفر الدين شاه حصل على لقب "الأتابك الأعظم". و كان السبب في هذا التأخير هو أن "ناصر الدين شاه" كان مترددا في اختيار واحد من ثلاثة لهذا المنصب أحدهم "الميرزا على أصغر خان" هذا. فاستخار و جاءت نتيجة الاستخاره نهيا عن تعيين "الميرزا على أصغر خان" و موافقه على تعيين أحد الرجلين الآخرين. و لكن هذه النتيجة كانت مخالفه لرأى الروس و الإنكليز. إذ كانوا يرغبون في تعيين "الميرزا على أصغر خان" دون ذتيك [ذينك] الرجلين، و الشاه لا يستطيع مخالفه رغبتها و يخشى مخالفه الاستخاره.

عرف "الميرزا على أصغر خان" من حين اتصاله ب "ناصر الدين شاه"، كما عرف أبوه من قبله، موضع الضعف في هذا الشاه، و هو حبه للمال، فكان لا ينفك يوالى إرسال المال و التحف إليه باسم الهدية. و ذلك بتحويل الأموال و الهدايا إلى "أمين أقدس" إحدى زوجات الشاه الأثريات و منها إلى الشاه. و من ثم أطلق عليها اسم "أمين" أو "أمينه" إذ كانت الأموال التي ترسل إلى الشاه تحول إليه بواسطتها.

جمع "الميرزا على أصغر خان" زمام الأمور في يده في عهد "ناصر الدين شاه" و عهد "مظفر الدين شاه"، قبل حصوله على منصب الصدر الأعظم و بعد حصوله عليه، حتى أصبح يحسب حسابه في أمور الحل و الربط أكثر مما يحسب حساب الشاه نفسه، إذ كان الشاه طوع رغبته ينفذ مطالبه بلا تردد. و خص إخوته و أقاربه بالمراكز و الوظائف الكثيره المختلفه التي يقتضيها ما في عهده من المناصب و المسؤوليات المتعدده، حتى إنه عين أخاه في منصب "صاحب جمع" و هو في العاشره من عمره. و كان يتعالى على الجميع فلا يرى أحدا فوقه و لا يبالي أن يذكر علنا على رؤوس الأشهاد رجال الدوله بالاھانه و السوء، بل بلغ به الأمر إلى التمرد أحيانا على أوامر "ناصر الدين شاه" نفسه و إساءه الأدب في حضوره. و فعل شيئا من هذا مره ثم أراد أن يسترخى الشاه فاهدى إليه مبلغا من المال و عليه سعوط مرصعه بالماس.

كان من أول مره يؤثر الإنكليز، و كان لذلك أثر في تقديمه و ترقيه في المناصب. و يوم كان في منصب "الوزير الأعظم" (رئيس الوزراء) في عهد "ناصر الدين شاه" أعطى الإنكليز في سنة ١٣٠٦ هـ امتيازاً بحق الملاحة في نهر "قارون" (٣)، و امتيازاً بإنشاء بنك في إيران و امتيازاً باستخراج المعادن من أرضها. و في سنة ١٣٠٧ هـ أعطاهم امتياز حصر التبغ و التباك، ذلك الامتياز الذي أثار الإيرانيين و حمل "الميرزا حسن الشيرازي" مرجع الشيعه الديني الأكبر يومئذ (٤) على إصدار فتوى بتحريم تدخين التبغ و التباك و أطاع الناس فتواه فاضطرت الحكومه الإيرانيه إلى إلغاء الامتياز سنة ١٣٠٩ هـ.

و إذ كان بين الروس و الإنكليز تنافس شديد على النفوذ في إيران فقد أغضبت هذه الامتيازات الحكومه الروسيه و اعتبرت "أمين السلطان" معاديا لها مناقضا لمصالحها. و قامت مظاهره كبيره في طهران اعتراضا على هذه الامتيازات، و طوق المتظاهرون مقر "أمين السلطان" و دخلت مئات منهم إلى المقر، و هم يشتمون الشاه و يصيحون: أخرج إلينا أمين السلطان لنقتله!

ظل "أمين السلطان" يمالي الإنكليز و هم يدعمونه في البلاط إلى سنة ١٣٠٨ هـ. و كذلك كان "ناصر الدين شاه" يساير سياستهم و يمائلهم. و في تلك السنة بدأت فتنه امتياز التبغ و التباك إلى أن اضطر الشاه و "أمين السلطان" إلى إلغائه سنة ١٣٠٩ هـ، و اضطرت إيران إلى التعويض على الشركه الإنكليزيه صاحبه الامتياز بغرامه ماليه ضخمه. و كان إلغاؤه يعد انتصارا للروس على الإنكليز. و عندئذ نفض "أمين السلطان" يده من الإنكليز و انحاز إلى الروس و اقتدى به "ناصر الدين شاه" أيضا. و زاد "أمين السلطان" السفاره الروسيه مصالحا و عاهد الروس و أقسم لهم أنه لن يخالفهم بعد اليوم. و ضمن الشاه للسفير صدق قول "أمين السلطان".

و أصبح "أمين السلطان" بعدها العامل الأول في تفوق السياسه الروسيه على السياسه الإنكليزيه في إيران يومئذ. و الظاهر أن هذه المصالحه هي التي أدت ب "ناصر الدين شاه" و "أمين السلطان"، فيما بعد إلى القتل، واحدا بعد الآخر.

و في سنة ١٣١٤ هـ، في عهد "مظفر الدين شاه" اضطر الإنكليز الشاه إلى عزل "على أصغر خان أمين السلطان" من منصب الصداره العظمى و نصب آخر من المواليين لهم في مكانه. فعزله و أبعده محترما إلى مدينه قم فأقام فيها منزويا. و ضايق الصدر الأعظم الجديد إخوه الصدر الأعظم المعزول و أقاربه الذين كان قد عينهم في مناصب مختلفه، فسجن بعضهم و صادر أموال بعضهم.

و لم يرض تعيين هذا الصدر الأعظم الروس إذ كان مخالفا لهم موافقا لمنافسيهم الإنكليز. فألحوا على الشاه مطالبين بعزله و إعادته "أمين السلطان" إلى منصبه. فرضخ لهم و عزله في سنة ١٣١٦ هـ و لما يمض على صدارته غير سنة و بعض السنه. و كان السبب في انصياع الشاه لهم و مخالفته بذلك للإنكليز أنه احتاج إلى قرض ليسافر إلى أوروبا للسياحه و المعالجه و الخزينه خاليه. فطلب القرض من الإنكليز فرفضوا إقراضه و عجز الصدر الأعظم الجديد عن تدبير الأمر. فعزله ليعيد "أمين السلطان" إلى منصبه على أمل أن يستطيع هذا الاستقراض من الروس. و أحضر "أمين السلطان" من قم إلى طهران سنة ١٣١٦ هـ و عين صدرا أعظم.

و سعى "أمين السلطان" إلى الحصول على القرض من الروس فاستجابوا له و أقرضوه في سنة ١٣١٧ هـ (١٩٠٠ م) اثنين و عشرين مليوناً.

ص: ١٣١

- ١- من كبار رجال السياسه و الحكم في عهد "محمد شاه قاجار" و عهد ابنه "ناصر الدين قاجار".
- ٢- في سنة ١٢٧٥ هـ أنشأ "ناصر الدين شاه" هيئه وزاريه باسم "مجلس شورى الوزراء" تتالف من ستة وزراء [وزراء] لست وزارات. و أنشأ مجلسا آخر باسم "مجلس شورى الدوله" مؤلفا من أحد عشر عضوا. و ينظر المجلسان في مختلف شئون المملكه ثم تعرض قراراتهما على الشاه للموافقه عليها. و منصب "الوزير الأعظم" غير منصب "الصدر الأعظم".
- ٣- يقع في جنوب إيران و يصب في شط العرب.
- ٤- كان يقيم في العراق في سامراء.

و نصف المليون من الروبلات بفائده خمسه بالمائه، بشرط أن تكون عائدات الجمارك الإيرانيه، ما عدا جمارك الجنوب، رهنا فى يد الحكومه الروسيه إلى مده ٧٥ عاما فى مقابل هذا القرض. و استخدمت روسيا جماعه من البلجيكين لاداره جمارك إيران. و فى سنه ١٣١٨ هـ أنعم "مظفر الدين شاه" على "أمين السلطان" بلقب "الأتابك الأعظم".

و فى سنه ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) أراد "مظفر الدين شاه" أن يقوم بسفر آخر إلى أوروبا، فاحتاج إلى قرض آخر فحصل له "أمين السلطان" على قرض من روسيا مقداره عشره ملايين روبل بفائده أربعه بالمائه.

و إعطائها امتيازاً بمد سكة الحديد فى بعض الطرق من إيران.

و مع أن "أمين السلطان" انحاز كلياً إلى الروس بعد فتنه امتياز التبغ و التباك فقد كان يحاول التقرب إلى الإنكليز أيضاً. من ذلك أنه هيا لهم امتياز نפט الجنوب سنه ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) فى عهد "مظفر الدين شاه" إلى مده ستين عاماً بالمجان تقريباً. إلا أن ذلك لم ينفعه و ظلوا على حذرهم منه لا يطمنون إليه و يطلبون من "مظفر الدين شاه" عزله. و صدرت أيضاً فى هذه الأثناء فتوى بتكفيره من علماء النجف بسبب إهداره مصالح إيران للأجانب، فلم يجد "مظفر الدين شاه" بدا من عزله فعزله سنه ١٣٢١ هـ، و عين أحد الموالين للإنكليز فى مكانه و هو "عبد المجيد ميرزا عين الدوله" أحد أحفاد "فتح على شاه قاجار". و لم يكن على شىء من مقدره "أمين السلطان" و نفوذه.

و أراد الإنكليز أن يرتاحوا كلياً من شر "أمين السلطان" فحملوا الشاه على أن يوعز إليه بالسفر إلى خارج إيران ففعل. و سافر "أمين السلطان" إلى مكه للحج. ثم أقام فى خارج إيران أربع سنوات تقريباً قضاها فى السياحه فى أوروبا و الشرق الأقصى و أميركا.

و فى ٢٤ ذى القعدة سنه ١٣٢٤ هـ خلف محمد على شاه أباه "مظفر الدين شاه" على العرش. و اقتضت مصلحته إحضار "أمين السلطان" إلى إيران. فعاد إليها، بعد امتناع و أخذ و رد بينه و بين الشاه، فى ٥ ربيع الأول سنه ١٣٢٥ هـ.

عاد "أمين السلطان" إلى إيران من طريق روسيا. و فيها حملة الروس على سفينه حربيه فى بحر الخزر بين مظاهر الاحترام و التشرىفات الرسميه الفائقه إلى مرفأ "أنزلى". فلما وطئ اليابسه أطلقت السفينه مدافعها تحيه له و الأعلام ترفرف عليها.

و لما قارب طهران أرسل "محمد على شاه" أحد رجال البلاط يستقبله.

يقول هذا الرجل: لما رآنى همس فى أذنى: لقد أحضرتمونى لتقتلونى! و قوبلت عودته إلى إيران بالسخط من الناس، و ظهرت منهم حركات تمرد. فتدخل السيد عبد الله البهبهانى فأصلح الأمور و هدأ الناس. و فى أواسط شهر ربيع الأول سنه ١٣٢٥ هـ عين "أمين السلطان" رئيساً للوزاره و وزير دوله.

و كانت أوضاع إيران يومئذ قد بلغت غايه بعيده من الفساد و الوهن.

فبدأ بعمل ذكى ناشط للإمساك بزمام الأمور. و أثار خصومه، من محليين و أجانب، عليه الناس فى مختلف الولايات. و كان أهم هذه الثورات ثوره "أبو الفتح ميرزا سالار الدوله" أحد أبناء "مظفر الدين شاه". فقد خرج على أخيه "محمد على شاه"

يطالب بالعرش لنفسه. و لكن "أمين السلطان" أحمد هذه الثورة بعد ثلاثة أيام من قيامها و أوشك أن يعتقل الأمير الخارج لو لا أنه لجأ إلى القنصلية الإنكليزية في كرمانشاه. ثم أمنوه فاستسلم إلى حاكم كرمانشاه.

و كان "محمد على شاه" على نهج "أمين السلطان" في موالاته الروس.

فلما عاد "أمين السلطان" إلى كرسى الحكم فى عهده و أخذ يدير أمور المملكة بحنكته و دهائه و صبره و اقتداره و يجمع أزمه الأمور فى يده شيئاً فشيئاً علا شأن سياسته الروسيه و وقع الإنكليز فى الحرج و الخيبة. و الظاهر أن هذا الأمر كان سبباً فى تقرير الإنكليز التخلّص منه بقتله. و اتفق أن توصل الإنكليز و الروس فى ٣١ آب سنة ١٩٠٧ م الموافق ٢١ رجب سنة ١٣٢٥ هـ إلى اتفاق بينهما على تقاسم النفوذ فى إيران، و إنهاء عهد التنافس على السيطرة على إيران بينهما. فقلت، من ثم، حاجه الروس إلى وجود أمثال "أمين السلطان" من الأنصار و العملاء فى الحكم.

و فى يوم السبت ٢١ رجب سنة ١٣٢٥ هـ، أى فى نفس اليوم الذى وقعت فيه روسيا و انكلترا على تلك المعاهده، حضر "أمين السلطان" جلسه لمجلس النواب ليبلغ المجلس مرسوما بتعيين وزير للحريه و وزير للعدليه.

و بعد الجلسه عقد "أمين السلطان" و بعض النواب جلسه خاصه للمذاكره فى بعض الأمور. و طالت الجلسه إلى الساعه الثامنه و النصف مساء. و بعد انتهاء الجلسه توجه "أمين السلطان" و معه "السيد عبد الله البهبهانى"، و كان من أشد أنصاره، إلى باب المجلس الخارجى للانصراف، و فى أثناء الطريق دنا سيد من "السيد عبد الله البهبهانى" و ناوله رساله و طلب منه قراءتها، فتوقف السيد عبد الله ليقراً الرساله و تابع "الأتابك" طريقه.

و كانت العاده أن تقف عربه "الأتابك" فى حذاء الباب. و لكنهم أوقفوها فى هذه المره بعيداً عنه. فوقف "الأتابك" عند باب المجلس ينتظر جلب العربه إليه. و كان رجل تبريزى اسمه "عباس آقا" يتعاطى مهنة الصرافه فى طهران، و قبلها كان صانع بنادق، يكمن له قريبا بقصد اغتياله فتمكن فى هذه المهله من تسديد سلاحه تسديدا دقيقا إلى "الأتابك" و أطلق عليه ثلاث رصاصات فأصابته و خر صريعا. فبادر الحاضرون إليه و لفوه بعباءته و حملوه إلى منزله. و بعد نصف ساعه من وصوله توفى. و دفن فى مدينه قم فى مقبره خاصه. أما القاتل ففر و تبعه جندى و رجل سيد ليقبضا عليه، فقتل السيد و جرح الجندى. و حوضر القاتل فانتحر بإطلاق رصاصه فى فمه. و قيل قتله الارهابى القفقاسى "حيدر عمو أوغلى" إذ كان هو المخطط و المدافع إلى اغتيال "الأتابك" فى رأى بعضهم.

كان "على أصغر خان أمين السلطان" شديد الحيويه خارق الذكاء قوى الذاكره بعيد النظر متسامحا سخيا جذاب الشخصيه جريئا. و كان إذا غضب لا يبالي بان يقول ما يحضره من بداءه و جساره و أن يوقع ما يخطر بباله من ظلم و قسوه، سواء فى ذلك عنده الكبير و الصغير و الأمير و الوزير، حتى الشاه نفسه، فلا يجسر أحد على معارضته. رويت عنه بعض الوقائع شتم فيها "ناصر الدين شاه" (فى غيبته بالطبع) شتما مقذعا بحضور بعض الكبار من رجال الدوله و البلاط.

كان فى أوقات العمل ينكب عليه بصوره متواصله مده خمس عشره ساعه أو عشرين ساعه لا يلتفت إلى شىء غير العمل. فإذا انصرف إلى لهوه

أقبل عليه أيضا يواصل الليل بالنهار لا يبالي لشيء ولا يلتفت إلى شيء غير اللهو، حتى أوامر الشاه كان يلقي بها جانبا لا يعتنى بها في أوقات لهوه.

و كثر عليه العمل حتى عجز عن النظر في جميع الرسائل الواردة و الصادره لكثرتها فسلم خاتمه إلى كتبه يتداولونه كلا في نوبه عمله و يوقعون به نيابه عنه على العرائض و الرسائل على هواهم. و كانوا أحيانا يناقض بعضهم بعضا في التوقيع على الأوراق.

و روى بعض معاصريه أنه كان أكولا أكل بحضوره مره سبعين خياره، و أكل مره مائه خياره.

أما سبب اغتياله فاختلفت الأقوال فيه. قيل إن مستندات وقعت في يد "اللجان الشعيه" (١)، و هي رسائل كانت تكتب بامر منه إلى معارضى النظام البرلمانى فى مختلف الايالات يدعوهم فيها إلى العمل للقضاء على هذا النظام، فكان ذلك سببا فى إقدام أنصار النظام البرلمانى على اغتياله. و قيل أيضا إن هذه المستندات زورها على لسانه بعض أعدائه ثم وشوا به إلى اللجان الشعيه. بل قيل إن "محمد على شاه" نفسه هو الذى زورها ثم تعمد، من وراء ستار، إيصال أمرها إلى هذه اللجان ليستفزهم إلى التخلص من "أمين السلطان" بالقتل، إذ كان الشاه قد أصبح يحسده على نفوذه المتزايد يوما بعد يوم. فبعض رجال الدوله من المتصلين بالبلاط يعتقدون أن "محمد على شاه" هو الذى أمر بقتله لهذا السبب. و قيل إن المخطط المقتل "أمين السلطان" إنما هو الارهابى "حيدر خان عمو أوغلى" (٢).

الشريف المرتضى على بن الحسين.

اشاره

مرت ترجمته فى مكانها من (أعيان الشيعة) و نشر عنه هنا الدراستين الآتيتين:

قال الشيخ محمد رضا الشيبى:

حسب المؤرخ الذى يعنيه الوقوف على سيره المرتضى معولا على النظر فى كتب التاريخ أن يرجع إلى ما كتب عنه قديما فى المصنفات الآتية:

١ - تاريخ بغداد: للخطيب البغدادى.

٢ - تتمه اليتيمه: لأبى منصور الثعالبى.

٣ - التاريخ المعروف بالمنتظم: لأبى الفرج ابن الجوزى.

٤ - معجم الأدباء: لياقوت الحموى.

٥ - وفيات الأعيان: لابن خلكان و غير ذلك.

و يبدو لمن يتصفح تاريخ المنتظم أن مؤلفه ابن الجوزى أو بعض مشايخه نظر مليا فى كتب المرتضى، و خصوصا ما صنفه فى الفقه و الأصولين، فعنى بنقل بعض آراء الشريف عن كتبه المذكوره، ثم عقب بالرد على بعضها، لذلك جاءت ترجمته فى تاريخ ابن الجوزى منصبه على هذه الناحيه حسب.

و قد قال فى آخر ترجمه: "لو لا أن هذا الكتاب لا يصلح للتطويل فيه الرد لبنت عوار كلامه". و قال قبل ذلك: "كان يقول الشعر الحسن و يميل لى [إلى] الاعتزال و يناظر فى كل المذاهب".

هذا و لا بد لنا من القول أن هناك جانبا لا يستهان به من سيره هذا لإمام لم يتطرق إليه هؤلاء المؤرخون و لا غيرهم حتى اليوم، لأن هذه الناحيه من سيرته كما تبدو لنا من خلال ديوان شعره تحتاج إلى تصفح هذا الديوان بأسره و قراءه كل قصيده من قصائده و كل بيت من تلك القصائد و الإكباب على تفهمها بدقه.

و ديوان المرتضى - كما لا يخفى - من أكبر الدواوين الشعرية حجما، و الوقت أضيق من استيعابه، أو استبطان أغراض صاحبه و مطالبه، و الغور على معانيه و مقاصده، و هى كثيره و متنوعه، هذا من جهه، و الشريف المرتضى من جهه أخرى كان إماما فى علوم الشريعه و فنون الأدب، له مكانته و منزلته الرفيعه فى عصره، و بالخاصه لدى خلفاء بنى العباس و ملوك الديالمة من البهويهيين.

و كان له أصدقاؤه و رفاقه و أصحابه الكثر من أمراء الدوله و وجهاء البلاد و الصدور و الأعيان و الأئمه فى مختلف العلوم و الفنون.

و لا حاحه إلى القول بان الشريف المرتضى الشاعر فى غنى عن الاسترفاد أو الاستجداء بشعره.

و لا شك أنه نظم بعض القصائد فى المديح و الرثاء، مديح الخلفاء و السلاطين و رثائهم، و كان الباعث له على طرق هذه الأبواب من النظم، و فئاؤه و صداقته لكثير من القوم، لذا جرد الشريف المرتضى كثيرا من شعره فى معان إخوانيه يذكر فيها الصديق و الصداقه، أو فى مقاصد اجتماعيه، أو خوالج نفسه، أو مشاعرات أو منافثات أدبيه.

و يلاحظ أن جل أصحابه، حتى من طبقه الأمراء و السلاطين و الخلفاء كانوا على منزله عاليه من المشاركه فى فنون الأدب و الشعر و اللغه، فكانوا يثيرون قريحته، و ينبهون عاطفته، فيجود بما تجود به من الشعر.

من ذلك أن الوزير أبا على الحسن بن حمد، رغب إلى المرتضى أن يعمل أبياتا تتضمن نقض المعنى الذى قصده جرير بقوله:

تقول العاذلات علاك شيب أ هذا الشيب يمنعنى مراحى؟

فجادت قريحته بمقطوعه مطبوعه يقول فى أولها:

و ما مرح الفتى تزور عنه حدود البيض بالحدق الملاح

منها:

وقالوا: لا جناح، فقلت كلا مشيبي وحده فيكم جناحى

مشيب شن فى شعر سليم كشن العر فى الإبل الصحاح

كانى بعد زورته مهيض أدف على الوظيف بلا جناح

سقى الله الشباب الغض راحا عتيقا أو زلالا مثل راح

ليالى ليس لى خلق معيب فلا جدى يذم ولا مزاحى

و إذ أنا من بطالات التصابى و نشوات الغوانى غير صاح

و إذ أسماعهن إلى ميل يصخن إلى اختارى و اقتراحى

فدونكها ابن حمد ناقضات لقول فتى تجلد للواحى

فقال و ليس حقا كل قول "أ هذا الشيب يمنعنى مراحى" ؟

ص: ١٣٣

١- فى أوائل قيام النظام البرلمانى فى إيران ظل هذا النظام مترجرا بين أنصاره و خصومه. و كان فى حمله وقائع هذا الصراع أن تشكلت فى مختلف الولايات لجان باسم "اللجان الشعبىة" لمواصله الدعم لهذا النظام و مكافحه خصومه.

٢- راجع ترجمته.

هكذا نزل المرتضى عند اقتراح الوزير المذكور، و من ذلك يستفاد أن الوزير يشارك مشاركة حسنه فى الأدب، و يروى شعر الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، و أكثر من ذلك أن هذا الوزير خبير بمزاج الشريف المرتضى و بفنون الأدب و الشعر التى يحسنها.

و المعروف أن الشريف يحسن القول فى الشيب و الشباب و له فى ذلك مجموعه معروفه، و يحسن النظم فى طيف الخيال، و له فى ذلك أيضا مجموعه متداوله.

و قد تعاطى النظم فى هذه المعانى بعض فحول الشعراء قبل الشريفين المرتضى و الرضى، و من أشهرهم أبو عباده البحترى، و قد بلغت هذه الصله الأدبيه بين الوزير أبى الحسن على بن حمد و المرتضى حدا من الوثاقه جعلته "أعنى الوزير" يقترح على الشريف نظم قصيده على لسانه يبعث بها إلى بهاء الدوله (١) فهى قصيده قيلت على لسان وزير مرسله إلى ملك، و الاثنان من أصدقائه فلا مناص من التجويد فيها، و قد جاءت من محاسن شعره لفظا و معنى يقترحان.

و يلاحظ أن مقترحات هذا الوزير على المرتضى غير قليله كما يبدو لمن بتصفح ديوان المرتضى، و قد ساله مره إجازة قول أبى دهب الجمحى (٢):

و أبرزها من بطن مكه بعد ما أصوات المنادى بالصلاه و أعتما

و أن يجعل الوصف الذى قصد به أبو دهب إلى ناقه مصروفا إلى امرأه، فقال مرتجلا فى الحال:

فطيب "ريها" المقام و ضوأت باسراقها بين الحطيم و زمزما

(٣) فيا رب إن لقيت وجهها تحيه فحى وجوها فى المدينه سهما

تجافين عن مس الدهان و طالما عصمن عن الحناء كفا و معصما

و كم من جليد لا يخامر الهوى شنن عليه الوجد حتى تتيما

أهان لهن النفس و هى كريمه و ألقى إليهن الحديث المكتما

تسفهت لما أن مررت بدارها و عوجلت دون الحلم أن تتحلما

فعبت تقرى دارسا متنكرا و تسأل مصروفا عن النطق أعجما

و يوم وقفنا للوداع و كلنا يعد مطيع الشوق من كان أحزما

نصرت بقلب لا يعنف فى الهوى و عين متى استظمرتها مطرت دما

(٤) كما يلاحظ أيضا كثره المقترحات التى ترد عليه من هذا القبيل و من غير هذا الوزير، فطورا يسأل إجازة أبيات على وزن

مخصوص و قافيه، و تاره يطلب إليه إجازة قول النوح المرادى(٥):

يا إبلى روحى على الأضياف إن لم يكن فيك غبوق كاف

فأبشرى بالقدر و الأثافي و غارف و مغرف جراف

فأجابه المرتضى بالقصيده التى أولها:

يا إبلى كوني قرى الأضياف فليس عند الجود بالانصاف

أو غيره، إلى هذا و أمثاله. و لا غرو، فان الدوله البويهيه كانت دوله الأدب و الشعر، و كان شعر المرتضى كشعر أخيه الرضى يعرض بديوان بهاء الدوله و يقرأ فى مجلسه.

و من الخلفاء الذين ورد ذكرهم فى شعره أكثر من مره، القادر بالله العباسى. و له فيه قصيده بمناسبه إفضاء الخلافه إليه(٤) ، و فى هذه القصيده يتمدح المرتضى بأنه من عشيره الخليفه، و يقصد بذلك أن الأرومه الهاشميه تجمع بينهما، و أنه لا غرض له إلا بقاءه و دوام صلته به.

و فى هذه القصيده أشار إلى تعذر الوصول إلى سده هذا الخليفه بعد البيعه، فمن ذلك قوله:

و أنا الذى ينمى إليك ولاؤه أبدا كما ينمى إليكم مولدى

أثنى عليك و بيننا متمنع صعب المرام على الرجال القصد

و لئن تحجب نور وجهك برهه عنى فهاتيك المناقب شهدى

ما حاجتى إلا بقاءك سالما تعالى مقاماتى و تدنى مشهدى

و الظاهر أن المرتضى كان قبيل البيعه وثيق الصله به كثير الاجتماع معه.

و لم يكن الشريف المرتضى وحده قريبا من هذا الخليفه ينوه به فى عده من قصائده، بل كان أخوه الرضى مثله فى الاتصال بالقادر و له فى بيعته و صيروره الخلافه إليه "سنه ٣٨١هـ" قصيده مشهوره نذكر منها قوله:

شرف الخلافه يا بنى العباس اليوم جدده أبو العباس

هذا الذى رفعت يديه بناءها العالى و ذاك موطن الأساس

و الطود أبقاه الزمان ذخيره من ذلك الجبل الأشم الراسى

و فى هذا الشعر ما فىه من الصناعات البديعية، فابو العباس الوارد ذكره فى مطلع القصيده هو القادر بالله، و أبو العباس هى أيضا كنيه السفاح مؤسس دوله بنى العباس المشار إليه فى البيت الثانى.

هذا ولأبى شجاع صاحب كتاب "ذيل تجارب الأمم" تعليق لطيف على أبيات الرضى أكد فيها رأى الرضى بالقادر بالله فى تجديد معالم الخلافه - على ما يقول -، و كشف الغمه و إزاحه العلل و الفتن عن البلاد، و يعده أبو شجاع رابع أربعة من بنى العباس هم: السفاح، و المنصور، و المعتضد، و رابعهم القادر، و وصفه بالورع و الزهد و أنه راهب بنى العباس (٧) و لا تخلو هذه المقاله و غيرها من مقالات بعض المؤرخين فى هذا الصدد من مبالغه.

و الخلاصه كان أفراد هذه الأسره - أسره السيدين المرتضى و الرضى - من أكثر أعيان عصرهم فى العراق اتصالا بدار الخلافه العباسيه، و دار السلطنه البويهيه، و حسبنا أن الشريف أبا أحمد الموسوى ولى عقد الأميره سكينه ابنه بهاء الدوله على القادر بالله "سنه ٣٨٤هـ"، جاء فى حوادث هذه السنه من .

ص: ١٣٤

- ١- مطلع القصيده: "إياها أيها المولى إياها فبعد إن أساء فقد أناها".
- ٢- أبو دهبل: اسمه وهب بن زمعه بن أسيد بن أحيه بن خلف بن وهب بن حذافه بن جمح، و كان اسم جمح تيمما و اسم أخيه زيدا، و هما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا إلى غايه، فمضى تيم عن الغايه فليل: جمح تيم، و وقف عليها زيد فليل: سهم زيد فسمى سهما، فاما كنيته فهى مشتقه من الدهبله، و هى المشى الثقيل، و الجمحى من شعراء قريش المطبوعين المجودين. راجع "ج ١ ص ١١٦" من كتاب أمالى السيد المرتضى ط. مصر سنه ١٣٧٣ هـ
- ٣- فى الأمالى: "مسراها" بدل "ريها".
- ٤- فى الأمالى: "قطرت" بدل "مطرت".
- ٥- و هذه الأبيات للنواح المرادى الوارده فى الديوان
- ٦- مطلع القصيده: قرت عيون بنى النبى محمد بالقادر الماضى العزيزه أحمد
- ٧- ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع ط. مصر سنه ١٣٣٤ هـ "ص ٢٠٧".

ذيل تجارب الأمم ما ياتي:

و فيها عقد القادر على ابنه بهاء الدوله بصادق مائه ألف دينار بحضرتة، و الولي الشريف أبو أحمد بن موسى الموسوي، و توفيت قبل النقلة(1) هذا ما ذكره أبو شجاع في ذيل تاريخ مسكويه، و الشريف المذكور أبو أحمد هو والد الشريفين المرتضى و الرضى كما لا يخفى، و كانت لهذا الشريف مساع مشكوره في الإصلاح بين رجال الدوله في ذلك العصر، و الأمثله على ذلك غير قليله في كتب التاريخ خصوصا في التاريخ المسمى بتجارب الأمم مسكويه، فلما شجر الخلاف بين أبي القاسم على بن أحمد و بين السلطان بهاء الدوله و ترددت الرسائل بينهما في العوده إلى الوزاره كان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوي. جاء في التاريخ المذكور نقلا- عن الأستاذ أبي نصر "جاءني في أثناء ذلك الشريف أبو أحمد الموسوي و كان يتهمني بالميل إلى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر و يستوحش مني لأجله فقال: بلغني أنك تصعد الليله إلى بغداد، و ما كنت أوتر البعد عن سلطانك، و لو وقفت و تركتني أتوصف ما بينك و بين الوزير الوارد و أتوثق بكل واحد من صاحبه لكان أولى، فقلت:

قد كنت على العزم الذي بلغ الشريف و إذ قد رأى الصواب لي في المقام أقمت يومين، أو ثلاثه، معولا على تفضله فيما يقرره، و أردت بهذا القول كتمان حقيقه أمرى إشفاقا من أن يعرف الوزير خبري، فراسله بهاء الدوله فيما يعرفني به و انصرف الشريف أبو أحمد و لم تقلني الأرض حتى مضيت إلى المضرب و دعت بهاء الدوله فبكيه و بكى بيكائي و قال: لا تشغل قلبك فاني لك على أجمل نيه، و ما أنفذتك إلا- إلى مملكتي، و أين كنت فانك على بال من مراعاتي و ملاحظتي" (2) و يلي ذلك تفصيل هذه القضيه، و جاء في آخرها، أن الأمر فسد بينهم بعد ذلك، و عول بهاء الدوله على اعتقال وزيره، فذكره الشريف أبو أحمد العهد الذي استقر مع مهذب الدوله فعند ذلك فسح في عوده مع الشريف أبي أحمد إلى بغداد.

و من الخلفاء الذين ورد لهم ذكر [في] ديوان المرتضى، الطائع و هو من الخلفاء الذين توثقت بينهم و بين الشريف المرتضى أسباب الموده، و نفس الشريف المرتضى في القصائد التي قيلت فيه طويل منها القصيده التي مطلعها:

ما الحب إلا موئل المتعلل و براعه اللاحي و طول العذل

و في هذه القصيده الطويله يشير المرتضى إلى الترفع عن الاسترفاد بالشعر و يذم الانتجاع به:

أثنى و ما هذا الثناء لمجتد فلذاك أبعد عن مقال المبطل

على أنه يذكر فيها إحسانا للطائع أسداه إليه، و هناك أبيات في هذا الخليفه التمس فيها زيارته و استاذنه في ذلك، و لا يخفى أن الوصول إلى الخليفه في عصر الشريف و ما إليه كان صعب المنال.

ماساه الطائع

و للطائع ماساه معروفه في تاريخ بنى العباس في القبض عليه على صورته فيها شيء كثير من الهوان و الصغار، و خلعه و أخذ خطه بالتنازل عن الخلافه "سنه ٣٨١" و استخلاف القادر بالله و قد تم ذلك في أيام الملك بهاء الدوله الديلمي، و في هذه الحادته

أفاض رشاش من ذلك الهوان و الصغار من شهد الحادثه فى دار الخلافه، و كان بحضره الخليفه المخلوع، و الحاضرون الذين أصيبوا من أعيان بغداد و وجهائها، و القصه مشروحه فى كتب التاريخ، و مهما تفنن المؤرخون و المنشئون فى وصف هذا الحادث فإنهم لا يلحقون شاو الشريف الرضى شقيق المرتضى الذى بزهم جميعا فى وصف ما حدث يوم الدار، أو يوم خلع الطائع، و كان الرضى حاضرا ذلك اليوم فخلد الحادث بنونيته البليغه السائره، و يقول صاحب ذيل تجارب الأمم (٣) ليس فى قضيه الطائع ما هو خليق بالروايه إلا أبياتا للرضى أبى الحسن الموسوى - رحمه الله - فإنه كان من جمله من حضر، فلما أحس بالفتنه أخذ بالحزم و بادر الخروج من الدار، و تلوم من تلوم من الأمائل، فامتهنوا و سلبت ثيابهم و سلم هو فقال:

أعجب لمسكه نفسى بعد ما رميت من النوائب بالأبكار و العون
و من نجاتى يوم الدار حين هوى غيرى و لم أخل من حزم ينجينى
مرقت منها مروق النجم منكذرا و قد تلاقت مصاريع الردى دونى
و كنت أول طلاع ثنتها و من ورائى شر غير مأمون
من بعد ما كان رب الملك مبتسما إلى أدنيه للنجوى و يدنينى
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه لقد تقارب بين العز و الهون
و منظر كان للسراء يضحكنى يا قرب ما عاد للسراء يبكينى
هيهات أعتز بالسلطان ثانيه قد ضل و لاج أبواب السلاطين
و من المفيد أن نقول إن للشريف الرضى مرثيه يرثى بها الطائع المذكور عند وفاته سنة ٣٩٣ هـ.

و للشريف المرتضى مدائح كثيره و مرات فى ذويه و أهله و بالأخص منهم والده و خاله، و قصائده من هذا القبيل لا تخلو من حماسه و فخر، و لكن هذا الباب أعنى الفخر و الحماسه فى شعره قليل بالنسبه إلى ما جاء فى شعر أخيه الرضى.
و من قصائده السائره فى مدح خاله الشريف أبى الحسين أحمد بن الحسن الناصر، القصيده التى نذكر منها هذه الأبيات المفعمه بالرقه و العذوبه (٤):

يا خليلى من ذؤابه قيس فى التصابى رياضه الأخلاق
غنيانى بذكرهم تطربانى و اسقيانى دمعى بكأس دهاق
و خذا النوم من جفونى فانى قد خلعت الكرى على العشاق

و هناك غير هؤلاء عدد من الطالبين و العلويين توثقت رابطة الصداقه و الموده بينه و بينهم، منهم من مدحهم غير مره أو رثاهم،

منهم النقيب أبو الحسن محمد بن علي الزينبي المتوفى "سنة ٤٢٧" فله فيه مرثيه عصماء طويله نذكر منها:

ألا بكها أم الأسي و المصائب بدمعك سحا بين سار و ساربي.

ص: ١٣٥

١- ذيل التجارب " ص ٢٥٤".

٢- ذيل التجارب " حوادث سنة ٣٨٥".

٣- ذيل تجارب الأمم: (ص ٢٠١-٢٠٢).

٤- مطلع القصيده: ما رأتنى عيناك يوم الفراقأخدع القلب بادكار التلاقي.

و عاص الذى لم يههم ماء جفونه على فقد ماض أو على إثر ذاهب

و لا تغرنى بالصبر، فالصبر ما له طريق إلى ما فى الحشا و الترائب

منها:

مصاب هوى بالشم من آل هاشم و ضعضع ركنا من لوى بن غالب

و لم يمض إلا بالشواه عن الشوى و لم يرض إلا بالطللى و الذوائب

و ناع نعى نفسى و لم يدر أنه نعاها فاغراها بدم ترائبى

منها:

تمنيت لما أن أتى و هو صادقى على الرغم منى أنه كان كاذبى

منها:

و لما توفى الزينبى "محمد" و سارت بما لاقاه أيدى الركائب

نفضت من الخلان كفى بعده و لويت عن دار الأخوه جانبى

و غاضت دموعى فى الشئون فلم تسل على الذاهبين بعده و الذواهب

و آل الزينبى أسره كبيره يتردد ذكرهم كثيرا فى تلك الحقبة من الزمن، كما ورد ذكرهم فى ديوان كل من الشريفين المرتضى

و الرضى و هم بيت من بيوت العراق فى أواسط الدوله العباسيه، نعتوا على لسان المؤرخين بالنبل و الشرف و الاماره و أسندت

إلى غير واحد منهم نقابه النقباء.

فمن هم آل الزينبى؟ و ما معنى هذه النسبه؟ و هل هى نسبه إلى مكان، أم إلى شخص؟ و هل هؤلاء النقباء عباسيون أم علويون؟

سكت جل المؤرخين عن التفصيل و اكتفوا بالإجمال، و لم يزيّدوا على قولهم: فلان الزينبى، أو الشريف الزينبى، و هكذا عاد

الباحثون بخفى حنين من مسائله غير واحد من المؤلفين و المؤرخين و مناشدتهم أيضا فى إيضاح ما غمض من نواحى هذه

المسأله حتى خامرهم شىء من الياس.

بقى علينا أن نستطلع رأى السمعانى مصنف كتاب الأنساب، و قصدنا هذا المؤرخ الكبير فلم يخيب لنا آملا و الواقع أن

السمعانى حقق رغبتنا بل أجابنا جوابا شافيا و لم يكتف ببيان حقيقه هذه النسبه و لا بتعيين أصل آل الزينبى، بل أوضح لنا

جوانب غير قليله من سيره القوم و أحوالهم و قال لنا إن له فى أهل هذا البيت أصحابا و أصدقاء و مشايخ أخذ عنهم لما دخل

بغداد، فله در محدثنا السمعانى، ما أبرعه و أكثر فوائد كتابه فى الأنساب: و دونك ما ورد عن آل الزينبى فى الكتاب المذكور

و هذا نصه (١):

الزینبی هذه النسبه إلى زینب بنت سلیمان بن علی، و ظنی أنها زوجه إبراهيم الامام أم محمد بن إبراهيم بن محمد بن علی و المنتسب إليها بيت قديم ببغداد، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الهاشمي الزينبي يروى عن أبي طاهر المخلص و ابن زبور الوراق، روى لنا عنه أبو نصر الغازي بأصبهان و إسماعيل بن أبي سعد ببغداد، و شبيب بن الحسين القاضي بروجرد، و أبو القاسم (فسلى) (٢) بمكة، و جماعه و توفي سنه نيف و سبعين و أربعمائه، و أخوهما (٣) أبو الفوارس طراد بن محمد بن علی الزينبي يلقب بالكامل، يروى عن هلال بن محمد الحفار (٤)، و أبي الحسن بشران و غيرهما. روى لنا عنه أبو الحسن محمد بن طراد الزينبي و أبو القاسم علی بن طراد الزينبي الوزير و سمعت منهما ببغداد.

و كان مولده بشوال " سنه ٣٩٨ " و توفي في ذى القعدة " سنه ٤٩١ "، و أخوهم الرابع نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد بن علی الزينبي، يروى عن ابن المقتدر بالله، و أبي علی الشافعي، روى لنا عنه جماعه بالشام و العراق و خراسان، و أبو العباس أحمد بن الهاشم الزينبي من أهل باب البصره، يروى عن أبي نصر الزينبي، كتبت عنه ببغداد، و مات بالبصره " سنه ٤٢٤ " (٥) و جماعه بهذه النسبه لا أدرى نسبوا لأى الزيانب، منهم علی بن هارون الزينبي، يروى عن مسلم بن خالد (الريحي) (٦)، روى عنه عبد الله بن محمد بن موسى، و يوسف بن سعيد بن مسلم، و أبو العباس بن الوليد... الزينبي، روى عن عده و هو آخر من حدث عنه و عن عوده بن خليفه، روى عنه عبد الله بن محمد بن موسى الكعبي النيسابوري، و ذكر عنه أنه سمع منه بمكة محمد بن موسى الزينبي.

فلا عجب أن تتوثق مثل هذه الصلاه بينه و بين هؤلاء النقباء العلويين. فإنه أمر يقتضيه مركزه من القابله الذى تقلده أكثر من مره.

علی أن المرتضى منى بعدد غير قليل من الخصوم و الحساد، و بعضهم من أسرته، و من أشهر قصائده التى يعرض فيها بخصومه و حساده قصيده معروفه استهلها بقوله:

عل البخيله أن تجود لعاشق ما زال يقنع بالخيال الطارق

و له قصيده أخرى تعد من عيون شعره الجزل قالها فى هذا المعنى أيضا التى مطلعها:

(خليلي أ لا عجتما بالقلانص)

و التى يقول فيها:

بنى عمنا كم نكظم الغيظ منكم على لاذعات بيننا و قوارص

و ددتم بان المجد أصبح شاردا و ليس لنا فيه اقتناص لقانص

الشاعر العالم

و يابى شعر المرتضى و أدبه إلا أن ينم على خلقه و مسلكه فى الحياه، و هو كما لا يخفى مسلك أحد أئمه العلم و الديانه، و هو

صاحب مدرسه تخرج فيها كثير من الفقهاء و المتكلمين، و نلاحظ أن شعره من بعض النواحي مرآه تنطبع على صفحتها أخلاق العالم الخبير بأمور الدنيا، المرشد المبصر بأمور الآخرة، و من المعاني التي تطرق إليها في قصائده، ذم الدنيا، و شكوى الزمان، و ذكر المصائب التي تعرض لكثير من ذوى الأقدار و الفضيله فيها،

ص: ١٣٦

- ١- أنساب السمعاني " ص ٢٨٤ و ٢٨٥"، و تجد ترجمه لزينب بنت سليمان العباسيه فى قسم تراجم النساء للخطيب البغدادي " ج ١٣ ص ٤٣٤".
- ٢- كذا فى الأنساب.
- ٣- جاء فى مختصر الأنساب " لبعض الأفاضل " أن هنا نقصا فى كتاب أنساب السمعاني. فإنه لم يذكر إلا زينبيا واحدا هو إبراهيم بن محمد بن سليمان، فلا يصح قوله: " و أخوهما " ثم إن الثانى هو طراد بن محمد بن على، فجدده على لا سليمان.
- ٤- هو أبو الفتح هلال بن محمد الحفار، قال الخطيب البغدادي: كتبنا عنه، و كان صدوقا ينزل بالجانب الشرقى قريبا من الحطابين، و سألته عن مولده. فقال: ولد فى شهر ربيع الآخر من سنه اثنتين و عشرين و ثلاثمائه، بعد قتل المقتدر بسنه و نصف، لأن المقتدر قتل فى سنه عشرين (و ثلاثمائه)، مات هلال الحفار فى يوم الجمعة الثالث من صفر " سنه ٤١٤ " الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ج ١٤ ص ٧٥.
- ٥- فى المختصر المذكور " سنه ٥٣٣".
- ٦- كذا فى الأنساب للسمعاني " ورقه ٢٨٤".

و يأخذ عليها تنكرها، و تقلب أحوالها من مكاشفه إلى صداقه، و من رفاهيه إلى إضافه، و من فرج إلى إعسار، و ما إلى ذلك.

و يستوحى معانيه الشعريه من هذا الباب من نظره إلى القبور الدوارس، و قد أثارت شعوره مره مرأى المقبره العتيقه المجاوره لمسجد براثا فاستوحى خشوعها و دثورها، و مظهر العبره فيها بقصيده حسنه فإذا هو فى هذا الموقف ذلك الامام الذى يأبى إلا أن ينم عليه شعره، فكم من شاعر يا ترى مر بهذه المقبره - مقبره مسجد براثا - قبل الشريف المرتضى و بعده فلم يستوحها و لو بيت واحد من الشعر، و فى هذه القصيده يقول:

إنى مررت على جنادل فوق أرماس دروس

فكأنهن من البلى آثار نفس فى طروس

كم ضمنت من ضيغم قرم إلى قنص النفوس

و غرير ماء الوجنتين كريم ناحيه الجليس

و كأنهم لخفوتهم شرب تساقوا بالكئوس

تخذوا الثرى فرشاً لهم و توسدوا قلل الرءوس

يا للثرى كم فيه من علق يضمن به نفيس!

و شعره من هذا القبيل يذكركنا ببعض خطب الامام على عند ما كان يزور المقابر، و لا شك أن الشريف المرتضى ورث هذه النظره إلى الحياه فيما ورث عن أجداده عليهم أفضل الصلاه و السلام.

مدفن المرتضى

قال الدكتور مصطفى جواد:

ذكر أبو العباس أحمد بن على بن العباس المعروف بالنجاشى فى كتابه "رجال الشيعة" - ص ١٩٣ - أن الشريف المرتضى صلى عليه ابنه فى داره و دفن فيها، قال: " و توليت غسله و معى الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفرى و سلار بن عبد العزيز".

و قال ابن عنبه فى "عمده الطالب" - ص ١٨٢ - " و دفن المرتضى فى داره ثم نقل إلى كربلاء فدفن عند أبيه و أخيه و قبورهم ظاهره مشهوره".

و نقل أبو على فى كتابه "منتهى المقال فى أحوال الرجال" - ص ٢٢٤ - ما ذكره النجاشى فى كتابه من دفن المرتضى فى داره قول صاحب "تنزيه ذوى العقول": "ثم نقل إلى جوار جده الحسين - ع -".

وقد أظهرت في العصر الأخير في الكاظميه خارج سور المشهد الكاظمي تربه كتب عليها أنها تربه الشريف المرتضى ثم أظهرت بالقرب منها تربه سميت تربه الشريف الرضى، مع أن أكثر المؤرخين الذين ترجموهما ذكروا نقلهما من داريهما إلى المشهد الحسيني بكربلاء. ولا تخلو تسميه التربه في الكاظميه بتربه المرتضى من أمرين أحدهما أنه كان هناك في التربه ضريح غير معروف دفينه، فانبرى لها أحد البعيدين عن التحقيق والتدقيق فنسبها إلى المرتضى، والآخر أن التربه كانت تسمى "تربه المرتضى" أو "تربه ابن المرتضى" فحذفت لفظه "ابن" من التسميه.

فان كان اسمها "تربه المرتضى" فليس دفينها الشريف المرتضى بل "إبراهيم المرتضى" قال مؤلف غايه الاختصار "٥٤-٥٠" في ترجمه موسى بن إبراهيم الموسوي: "كان صالحا متعبدا ورعا فاضلا يروى الحديث... توفى ببغداد و قبره بمقابر قريش" يعنى الكاظميه أو المشهد الكاظمي) مجاورا لأبيه وجده - ع - فحصدت عن قبره فدلت عليه و إذا موضعه في دهليز حجره صغيره ملك مبارك الجوهرى الهندى(١) و أبوه "إبراهيم المرتضى" كان سيدا جليلا عالما فاضلا روى الحديث عن آبائه - ع - و مضى إلى اليمن و تغلب عليها في أيام أبى السرايا، و يقال إنه ظهر داعيا لأخيه الرضا - ع - فبلغ المأمون ذلك فشفعه فيه و تركه.

توفى في بغداد و قبره بمقابر قريش عند أبيه - ع - في تربه مفرده معروفه - قدس الله روحه و نور ضريحه -".

و على هذا تكون تربه المرتضى القائمه اليوم عند المشهد الكاظمي خارج السور للسيد إبراهيم المرتضى بن الامام موسى بن جعفر - ع - و لا يخفى على اللبيب قول مؤلف الغايه " و قبره في تربه مفرده معروفه".

و على القول الثانى أعنى أن تسميه التربه كانت "تربه ابن المرتضى" تكون للسيد على بن المرتضى الحسنى المعروف بالأمير السيد، قال مجد الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار المؤرخ المحدث المشهور:

"على بن المرتضى بن على بن محمد ابن الداعى زيد بن حمزه بن على بن عبيد الله بن الحسن بن على بن محمد السيلقى بن الحسن بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أبو الحسن بن أبى الحسين بن أبى تغلب العلوى الحسنى المعروف بالأمير السيد. ولد جده بنيسابور و كذلك والده المرتضى و نشأ بأصبهان ثم قدم بغداد، و ولد له على هذا بها و قرأ الفقه على مذهب أبى حنيفه حتى برع فيه و فى الخلاف، و قرأ الأدب و حصل منه طرفا صالحا، و سمع الحديث، ثم ولى التدريس بجامعة السلطان(٢) و انتهت إليه رئاسه أصحاب الرأى. و كان عالما بالمذهب متدينا زاهدا فى الرتب و الولايات المنيفه كريم النفس، كانت داره مجمعا لأهل العلم و الأدب و كان يكتب خطا مليحا و له كتب كثيره أصول بخطوط العلماء سمع... و حدث باليسير، سمع منه القاضى أبو المحاسن عمر بن على القرشى و عمر حتى أدركناه و لم يتفق لنا منه سماع. قرأت فى الخريده لأبى عبد الله الكاتب (الاصبهانى) بخطه للأمير السيد على بن المرتضى:

صن حاضر الوقت عن تضييعه ثقه أن لا بقاء لمخلوق على الدوم

و هبك أنك باق بعده أبدا (فلن يعود علينا عين ذا اليوم)

و له أيضا:

١- اسم جده "هندي" لا- أنه من الهنود، قال مؤلف الغايه المذكور في ص ٩٠: "و بيت هندي منهم نجم الدين أبو جعفر النقيب الطاهر تولى النقابه بمقابر قرش [قريش] زمن ابن الجويني ثم رتب كاتب السيب ثم عزل و كان يقيم بالحله، و للفقر عليه أثر ظاهر، يكتب خطأ و يقول شعرا لا بأس بهما". و مبارك الهندي ورد ذكره في حوادث سنه "٦٧٤" من التاريخ الذي سميناه الحوادث الجامعه، قال مؤلفه - ص ٣٨٥:- "و فيها عزل أمين الدين مبارك الهندي الجوهري من نقابه مشهد موسى بن جعفر - ع - و عين في النقابه نجم الدين علي بن الموسوي. و لما كان مبارك المذكور نقيبا قال فيه بعض الشعراء. رأيت في النوم إمام الهديموسى حليف الهم و الوجد يقول ما تنكبنى نكبهالا من الهند أو السند تحكم السندی في مهجتيو حكم الهندي في ولدي فلعهن الله على من بهت حكم السندی و الهندي.

٢- هو جامع السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي و كان في محله درب السلطنه السلجوقيه بالمخرم أى محله العلوازيه الحاليه، و قد ذهب و لم يبق من آثاره و أطلاله شيء، و كان مدرسه للفقه الحنفي، و كان مدرسه ذا رتبه ساميه.

و اغنم لنفسك حظها في اليين من قبل الفوات (كذا)

(١) قرأت بخط القاضي أبي المحاسن (عمر) القرشي قال: سألته - يعنى الأمير السيد على بن المرتضى - عن مولده فقال: فى ليله الثلاثاء ثانى عشر ربيع الآخر سنة إحدى و عشرين و خمسمائه ببغداد بدارب الشاكرية. توفى الأمير السيد على بن المرتضى فى ليله الجمعة لثانى عشره ليله خلت من رجب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه و دفن من الغد بمقابر قريش (٢) و قال جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الديبى:

"على بن المرتضى... العلوى الحسنى أصبهانى الأصل، بغدادى المولد و الدار، يعرف بالأمر السيد، كانت له معرفه بالفقه على مذهب أبى حنيفة. درس بجامع السلطان مده، و كان من أعيان الناس و أمثالهم.

سمع شيئاً من الحديث... سمع منه القاضى عمر القرشى و روى عنه فى معجمه... سألت الأمير السيد أبا الحسن العلوى عن مولده فقال: فى ليله الثلاثاء ثانى عشر ربيع الآخر سنة إحدى و عشرين و خمسمائه ببغداد. قلت:

و توفى ليله الجمعة ثانى عشر رجب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه و دفن يوم الجمعة بمقابر قريش (٣) و قال كمال الدين بن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب: "أبو الحسن على بن المرتضى بن محمد العلوى الاصفهانى البغدادى، يعرف بالأمر السيد المدرس بجامع السلطان، ذكره عماد الدين الكاتب فى كتاب الخريده. و قال: كان والده من أصفهان فى خدمه الخاتون جهه المقتضى، و تفقه ولده هنا على مذهب أبى حنيفة، و وجد الكرامه الكليه من الخليفه، و أهل للرتب الشريفه، و المناصب المنيفه، فلم يمل إلا إلى العلم و نشره، و لم يرغب إلا فى الفقه المؤذن برفع قدره، و من شعره:

صن حاضر الوقت عن تضييعه ثقه أن لا بقاء لمخلوق على الدوم

و هبك أنك باق بعده أبدا فلن يعود إلينا عين ذا اليوم

درس بجامع السلطان مده، و توفى ليله الجمعة ثانى عشر رجب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه و دفن بمقابر قريش (٤) و قال شمس الدين الذهبى فى تاريخ الإسلام فى وفيات سنة ٥٨٨:

"على بن مرتضى بن على بن محمد بن الداعى الشريف الأجل أبو الحسن بن الشريف أبى الحسين المرتضى الحسنى الأصبهانى الأصل، البغدادى، الفقيه الحنفى المعروف بالأمر السيد. ولد سنة ٥٢١ و تفقه و حدث... و درس مده، و كان من سراة الناس و أعيانهم، روى عنه عمر بن على القرشى و غيره..."

و ذكره ابن الأثير فى وفيات السنه المذكوره من الكامل، و غير مستبعد أن تكون له ترابه مفرده لو ثبتت نسبتها إليه، لجلالته فى العلم و النسب و لأن ابنه هاشم بن على بن المرتضى المعروف بابن الأمير السيد تصدر فى مناصب الدوله العباسيه فولى صدرية المخزن - و هى كوزاره المالیه الحالیه - "سنة ٦٣٤" من خلافه المستنصر بالله و رتب صدر البلاد الواسطيه، و لما كان فى صدريتها صنّف له أبو طالب عبد الرحمن بن عبد السمیع الهاشمى كتاب "المنتخب من مناقب الدوله العباسيه و مآثر أئمتها المهديه".

و لما عزل عن صدرية واسط جعل عارضا للجيوش العباسية أى مديرا لأموورها، ثم أنفذ رسولا إلى الملك الصالح ابن الملك الكامل بمصر، فتوفى هناك فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤٠هـ (٥) و خلاصه القول أن التربه المجاوره لمشهد الامام موسى بن جعفر -ع- المعزوه إلى الشريف المرتضى ليست له البته و أنها إما تربه السيد إبراهيم المرتضى بن موسى بن جعفر -ع-، و إما تربه على بن المرتضى المعروف بالأمير السيد.

دار المرتضى

و أما دار المرتضى بدرب جميل فكانت فى محله الكرخ (٤)، و كانت محله الكرخ فى غربى محله الجعيفر الحاليه، و بينهما و بين مقابر قريش التى هى الكاظميه الحاليه محله العتيقه و محله باب البصره و محله باب محول و محله دار القز و محله العتابين و محله الحريه، فضلا عن مدينه المنصور التى اتصلت باباب البصره فصارتا محله واحده.

و أما داره على نهر الصراه (٧) فيكون تقديرها فوق أرض المنطقه المعروفه قديما بالعتيقه و هى سونايا القديمه الزمان، قال ابن عبد الحق البغدادي فى "مراصد الاطلاع على الأمكنه و البقاع": "سونايا... قريه قديمه كانت ببغداد، ينسب العنب الأسود إليها، الذى يبكر على سائر العنب مجناه، و لما عمرت بغداد دخلت فى العماره و صارت محله من محالها، و هى "العتيقه" و بها مشهد لعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - يعرف بمشهد المنطقه".

فان كانت الدار على مصب الصراه، فهى على دجله أيضا من الجانب الآخر الشرقى. قال ابن حزم فى نسب "إبراهيم بن موسى الكاظم":

" و من ولده كان المرتضى و الرضى النقيبان ببغداد، و اسم الرضى (محمد) و اسم المرتضى منهما على ابنا الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى المذكور، و كان المرتضى رئيس الاماميه و يقول مع ذلك بالاعتزال، و كان متكلم و كانا جميعا شاعرين. مات المرتضى سنة ٤٣٧ (كذا) و له نيف و سبعون سنه، و كان يسكن على الصراه إلى أن هدمت الحنبلية داره فى يوم كان لهم فيه الظفر على الشيعة، فرحل إلى الكرخ. و كان على هذا يكنى أبا القاسم"

الشيخ فضل الله نورى

اشاره

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان) و نعيدها هنا بتفاصيل أوسع:

و مصادرنا فيها: نهضت روحانيون ايران، و رهبران مشروطه، و شرح حال رجال [رجال] ايران.

الشيخ "فضل الله الكجورى" (٨) ابن "الملا عباس الكجورى".

و إذ كان شاعرا و اتخذ اسم "نورى" اسما مستعارا لشعره فقد اشتهر بهذا الاسم. ولد فى الثانى من ذى الحجه سنة ١٢٥٩.

من كبار العلماء الايرانيين، بل أجمع الناس، حتى خصومه، على أنه

- ١- البين هنا: الوصل، و الفوات: موت الفجأه (الصفار).
- ٢- أصول التاريخ و الأدب " ج ٢٢ ص ٤٩ "نقلا من تاريخ ابن النجار.
- ٣- أصول التاريخ و الأدب " ج ٢٢ ص ٣٠ "نقلا من تاريخ ابن الديبى.
- ٤- أصول التاريخ و الأدب " ج ٢٧ ص ٢٧".
- ٥- أصول التاريخ و الأدب " ج ٢٧ ص ١٧٥".
- ٦- المنتظم لابن الجوزى " ج ٨ ص ٧٣-٧٤".
- ٧- جهه أنساب العرب لابن حزم " ص ٧٥ " و قد تصحف فيها الصراه إلى "الفرات".
- ٨- نسبه إلى "كجور" من بلدان إيران.

كان أعلم و أتقى علماء زمانه في إيران. درس المقدمات في إيران ثم سافر إلى العراق فأتى الدرسة العالیه علی الميرزا "محمد حسن الشيرازي" المرجع الديني الأول. و كان في الطبقة الأولى بين تلاميذه.

و لما عاد إلى إيران أهلته معارفه الواسعة و تبخره في العلم و جمعه لشرائط الاجتهاد و تقواه لبلوغ مكانه عالیه من النفوذ و الشهرة، و أصبح من أعظم المراجع في الأمور الشرعيه. و ظل على هذه المكانه الساميه مده من الزمن إلى أن نسبت إليه أمور أنزلت من مقامه.

ففي سنه ۱۳۰۸ (۱۸۹۰ م) في عهد "ناصر الدين شاه" أعطت الحكومه الإيرانيه اثنين من الروس، أحدهما اسمه "رافلوفيتش" و الآخر "بالياكوف" امتيازاً بإنشاء بنك لهما في إيران. و أراد الروس إقامه بناء للبنك في أرض موقوفه فيها مدرسه خربه و مقبره دارسه. و لكنهم لم يحصلوا على إذن باستئجارها من أحد ممن راجعهم بهذا الشأن من المراجع الدينيه. إلا أن الشيخ "فضل الله نوري" أذن لهم بإقامه بناء للبنك فيها، باعتبار التبديل بالأحسن، و في مقابل ذلك دفعوا تعويضاً من المال (۱) و قيل إن الشيخ نفسه و بعض حاشيته خصهم أصحاب الامتياز بشيء من المال لأنفسهم فوق التعويض. فحظ ذلك من شأنه.

و أمر آخر هو أنه نسب إليه أنه طلق إحدى بنات "مظفر الدين شاه" من زوجها في غياب الزوج و بدون موافقته.

و تفصيل هذا الأمر هو أن "موقر السلطنه" (۲) كان متزوجاً من "شكوه الدوله" بنت "مظفر الدين شاه" السادسه. و كان زوجها هذا مسجوناً.

و أراد أبوها، أو أخوها "محمد علی ميرزا" ولي العهد، تطبيقها منه، فراجع بهذا الشأن اثنين من المراجع الدينيه هما السيد "علی أكبر تفرشی" و السيد "عبد الله البهبهانی" فجاباه بان لا بد من إطلاق سراح الزوج و سماع موافقته علی الطلاق منه، و إلا فالطلاق غير ممكن بوجه من الوجوه. فقيل إن البلاط راجع الشيخ "فضل الله نوري" بهذا الشأن فقبل أن يطلقها، و طلقها من زوجها و هو في السجن بدون الحصول علی موافقته. ثم أجبروها علی الزواج من السيد "أبو القاسم" إمام الجمعه في طهران، فعقد لها الشيخ "فضل الله" عليه. و زاد بعضهم أن العقد جرى في جلسه الطلاق نفسها من غير عده، فزاد هذا العمل في انحطاط شأنه.

هذا ما نسب إليه. و لكن إذا نظرنا في ملابسات حياه الشيخ "فضل الله" السياسه و الاجتماعيه، و هي ملابسات عيفه عاتيه قامت علی منعطفات تاريخيه حاسمه، و إذا نظرنا في انعقاد إجماع الناس، حتى خصومه، إلى يومنا هذا علی تفوقه العلمی و ورعه و تقواه و غيرته علی الإسلام، لا نتردد في الجزم ببراءه سيرته من كل شائبه دينيه و أخلاقيه، و أن نحكم بان خصومه رموه بمخالفات شرعيه و أشاعوها بين الناس افتراءً للحط من شأنه. و الاشاعه الكاذبه سلاح قديم بيد المبطلين.

لقد شهر هذا الرجل العظيم حرباً بلا- هواده علی خصوم عتاه جبابره كحزب "الطاشناق" الأرمنى و البايين و الماسونيين و الاستعمار و الهراطقه و غيرهم. فهل يستكثر علی مثل هؤلاء الخصوم نسج إشاعه كاذبه عنه؟! فيوم هب أحرار إيران يطلبون الخلاص من الحكم الاستبدادى الفردى و إقامه النظام الدستورى النيابى فى بلادهم - و كان الشيخ فضل الله نوري من رواده الأوائل - هاله أن رأى أولئك الخصوم يندسون فى هذه الحركه المباركه لينحرفوا بها عن غايتها النبيله إلى غاياتهم الخاصه، و

من ثم إيقاع إيران في بلاء شر من الحكم الاستبدادي الفردي. فهب ناهيا عن المنكر آمرا بالمعروف يبتغي صيانته الحركة الدستورية النيابية من التخريب و الانحراف.

و هب خصومه هؤلاء يبتغون كسر شكوكته [شوكته] و إخماد صوته. و كان من ذلك تشويه سمعته بنشر مثل هذه الإشاعات عنه.

و كيف يرتكب مخالفه شرعيه في مثل هذه الأمور من اختار الموت على الحياه إذ كانت نجاته من الموت متوقفه على قبوله الحماية من أعداء دينه أو أعداء بلاده؟! فقد أرسلت إليه السفاره الروسيه في طهران، ساعه كان ينتظر الجلادين ليقودوه إلى المشنقه، رايه روسيه، و اقترحت عليه، بالالتماس و الإصرار، أن يلجا إليها أو أن يرفع الرايه الروسيه فوق منزله فيصبح في الأمان، فرفض و قال ما معناه: لا أستظل برايه أعداء ديني.

و مهما تكن الحقيقه في قضيه الوقف فان فتوى يفتيها "الشيخ فضل الله نوري" بشأن وقف من الأوقاف لا- يمكن أن تكون مخالفه للشرع. هذا مع العلم أيضا بان السلطات لم تكن بحاجة إلى فتاوى شرعيه للاستيلاء على مدرسه خربه و مقبره دارسه. و مثل هذه القضيه قضيه طلاق بنت "مظفر الدين شاه".

و ما أشيع عنه من مخالفات في هاتين القضيتين كان القصد منه الاساءه إلى سمعته بين الناس و إسقاط منزلته فيهم. و يبدو أن مروجي هذه الشائعات قد نجحوا في ذلك.

و نحن حين نلظر بعين الإنصاف إلى هاتين التهمتين، مضافا إليهما التهمه الثالثه الفظيحه، و هي عقد زواج المطلقه قبل انقضاء عدتها، بل في مجلس الطلاق نفسه، ندرك حالا أنها تهم باطله، و أن الشيخ النوري في علمه و ورعه لا يمكن أن يقدم على ارتكاب أمور محرمة.

و الذي يفضح مطلقى التهم هو تهمتهم الثالثه التي تزعم أنه زوج المطلقه قبل انقضاء عدتها، بل في مجلس الطلاق نفسه. و هو أمر لا- يمكن أن يقدم عليه حتى الفاسق المتجاهر بالفسق، فضلا عن مجتهد ورع تقى كالشيخ فضل الله. و ذلك أن الفاسق المجاهر بالفسق إنما يستحل المحرمات إذا كان له فائده من استحلالها. فإى فائده تناله من مثل هذا العمل و هو غير محتاج إلى تعجيل الزواج، بل يستطيع الانتظار إلى ما بعد انقضاء العده و تجنب نفسه سوء القاله من ارتكاب محرّم لا يستطيع له اصطناع تخريج و لا تكلفه.

ص: ١٣٩

١- في رجب سنه ١٣٢١ هـ، في عهد "مظفر الدين شاه"، عزل هذا الشاه الأتابك "على أصغر خان" (أمين السلطان) من منصب الصداره العظمى و عين في مكانه "سلطان عبد المجيد ميرزا" الملقب ب "عين الدوله"، و هو من الأمراء القاجاريين. و في عهد هذا الصدر الأعظم هاجم الناس في شهر رمضان بنايه هذا البنك و هدموها.

٢- هو "حبيب الله خان قاجار دولو موقر السلطنه" من موظفى البلاط في عهد "ناصر الدين شاه" و عهد "مظفر الدين شاه".

صهر "مظفر الدين شاه" على ابنته "شكوه الدوله". كان على صلة سريه بطلاب النظام البرلماني الديمقراطي. و كان هؤلاء يكتبون رسائل يدعون فيها إلى إقامه هذا النظام و يرهبون بها الشاه و رجال البلاط، و ذلك بان يسلموها إلى "موقر السلطنه" هذا فى الخفاء فيلقى بها سرا على سرير نوم "مظفر الدين شاه" أو مكتبه. و اتفق أن رآه الشاه مره من المرات يفعل ذلك، فأمر بالقبض عليه، و ضرب حتى أقر على رفاقه فاعتقلوا و نفوا من طهران. و ألقى بموقر السلطنه فى السجن، و ظل فيه مده ثم أطلق سراحه. و انتهى أمره إلى أن حكم عليه طلاب النظام البرلماني، بعد انتصارهم، بالموت فقتل، إذ كان متلونا وصوليا لا يثبت على خطه. و قد انقلب عليهم بعد أن كان معهم طلبا لمنفعته الخاصه.

تأويل؟! فهل فى الدنيا من يصدق أن الشيخ النورى يمكن أن يفعل ذلك، إذا استثنينا العامه العمياء التى تنعق مع كل ناعق؟ ثم من تزوج المرأة المطلقه؟ لقد تزوجها رجل دين يشغل منصبا دينيا رفيعا هو إمامه الجمعة فى طهران!..

و نحن على بعد الزمان و المكان نحكم بان طلاقا يجريه "الشيخ فضل الله نورى" و يتزوج المطلقه به إمام جمعه طهران السيد "أبو القاسم" هو طلاق و زواج فوق الشبهات.

ثم إنه مهما كان رأينا سيئا فى "مظفر الدين شاه" و فى ابنه "محمد على ميرزا" فاننا لا يمكن أن نعتقد بان الأول يقبل بان تعيش ابنته و لا الثانى بان تعيش أخته زانية طول حياتها..

فى أوائل حركة المطالبة بالنظام النيابى الدستورى كان الشيخ "فضل الله نورى" رفيق السيد عبد الله البهبهانى(1) فى العمل على إقامه هذا النظام فى إيران. و لكن سبق أن تخالفا يوم أعطى "ناصر الدين شاه" شركه إنكليزية امتياز حصر التبغ و التباك فى إيران و أفتى الميرزا "حسن الشيرازى" تلك الفتوى الشهيره بتحريم التدخين و أدت فتواه إلى إلغاء الامتياز. فقد خالف السيد "عبد الله البهبهانى" فتوى الميرزا الشيرازى و أيد الامتياز و ظل يدخن علنا. فلما سئل عن ذلك أجاب: أنا أيضا مجتهد و لى رأى. أما الشيخ "فضل الله نورى" فقد أيد فتوى الميرزا الشيرازى و حرم التدخين و شارك معارضى الامتياز فى المقاومة.

كان الشيخ "فضل الله نورى" أحد ثلاثة من المجتهدين كانوا من كبار القاده لحركة المطالبة بالنظام النيابى فى إيران. و الآخران هما السيد "عبد الله البهبهانى" و السيد "محمد الطباطبائى". إلا أن الشيخ "فضل الله" كان أرجح منهما بمراتب فى العلم و المعرفة. و يعد من أركان هذا النظام و مؤسسيه. و قد أدى خدمات جليله فى النهضه التى انتهت إلى صدور مرسوم بإقامته فى ١٤ جمادى الآخره سنه ١٣٢٤ هـ فى عهد "مظفر الدين شاه".

و لكن الشيخ "فضل الله" انفصل عن رفيقيه فى سنه ١٣٢٥ هـ، فى عهد "محمد على شاه"، و اعتزلها فى ناحيه "شاه عبد العظيم" (الرى) و انحاز إلى معارضى المجلس النيابى، و أعد هناك مطبعه و أصدر جريده و اجتمع حوله جماعه كبيره من الطلاب و غيرهم و أكثره الخطباء و المنبريين، و أصبح عائقا كبيرا فى وجه أنصار هذا المجلس.

و يعزو بعضهم هذا الانشقاق إلى أن الشيخ "فضل الله" حسد صاحبيه على أن نفوذهما فاق نفوذه، و هو الأعلم و الأفضل، و هما دونه علما و فضلا. و يدعى آخرون أنه تناول رشوه من الشاه. و يذكرون أن الحكومه أرسلت، قبيل تحصنه فى "شاه عبد العظيم" قطعه عسكريه إلى هناك ظاهرها المحافظه على الأمن العام و حقيقتها تهيئه محيط آمن له و لجماعته.

و يذكرون أنه زور هو و اثنان من أعوانه العلماء و ثائق تحتوى على عبارات كفريه و مخالفات للشرع الإسلامى و نسبوها إلى لجان أذربيجان و القفقاس الشعبيه(2) لتشويه سمعه هذه اللجان، و زوروا كذلك رسائل على لسان رؤساء البايين فيها تمجيد و ثناء على مشاهير أعضاء المجلس النيابى ليضعوهم فى موضع الشبهه بأنهم على صلح بالبايين.

و يذكرون أن السيد "عبد الله البهبهانى" و السيد "محمد الطباطبائى" بعثا برسالة إلى النجف شكوا فيها الشيخ "فضل الله نورى" إلى المرجع الدينى "الآخوند الملا- محمد كاظم الخراسانى" و المرجعين الآخرين "الآخوند الملا عبد الله المازندرانى" و "الميرزا حسين ابن الميرزا خليل الطهرانى"، و كانوا ثلاثتهم من مؤيدى النظام الدستورى النيابى. فجاء الجواب منهم برفقه بان

الشيخ فضل الله مفسد يحرم الرجوع إليه.

و لكن هذه التهم والاستنتاجات والتحليلات مردوده كلها. فالشيخ "فضل الله نوري" ظل ثابتا على رأيه في وجوب قيام النظام النيابي إلى آخر لحظه من حياته. و الذي نهض إلى معارضته إنما هو انحراف المجلس عن غايته النبيله و صيرورته أداءه تخريب بيد الإنكليز و عملائهم و أهل البدع و الهراطقه و الاباحيين. و كان أهم مطالبه هو إضافة بعض المواد إلى القانون الأساسي لحفظ المجلس من الانحراف. و إذ امتنعت الصحف - و كلها كانت مخالفه له - عن نشر بياناته و دأبت على تشويه مقاصده، و أصم المسيطرون على المجلس آذانهم عن سماع نداءاته و أهملوا مطالبه و تعذر عليه إيصال صوته إلى الرأي العام و دفع الإشاعات الكاذبه التي كان ينشرها خصومه عنه، فقد اضطر إلى التحصن في ناحيه "شاه عبد العظيم" قريبا من طهران و إصدار نشره يجلو بها الحقيقه و يوصل صوته إلى الرأي العام. و هذا بعض التفصيل:

في ٢٢ جمادى الآخره سنه ١٣٢١ عزل "مظفر الدين شاه" الميرزا "على أصغر خان أمين السلطان" (٣) من منصب المصدر الأعظم رضوخا منه لاصرار السفاره الإنكليزيه على طلب عزله. و في جمادى الآخره سنه ١٣٢٢. نصب "سلطان عبد المجيد ميرزا عين الدوله"، و هو من الأمراء القاجاريين، صدرا أعظم في مكانه.

و كان هذا على قدر كبير من الصلف و الكبرياء و حب الاستبداد و سوء التدبير. و كان الفساد السابق لا ينفك يتمادي حتى بلغ في عهده غايه بعيده من شيوع الرشوه و الظلم و الفقر.

و أبعد "عين الدوله" أنصار سلفه "أمين السلطان" و أصدقاءه الذين كانوا من أصحاب النفوذ في عهده، و منهم السيد "عبد الله البهبهاني"، فقد كان من أقرب المقربين إلى "أمين السلطان"، و كان يحول إليه الدعاوى المتعلقة بالدوله ليفصل فيها. و لكن "عين الدوله" أهمله و أوقف إرسال الدعاوى إليه، و أخذ يرد طلباته و توسطاته بجفاء و احتقار حتى قطعه عن كل نفوذ في شئون الدوله.

و صرف "عين الدوله" عنايته إلى من كانوا يخالفون "أمين السلطان". فإذا احتاج إلى مراجعه أحد من رجال الدين في أمر من الأمور رجع إلى الشيخ "فضل الله نوري" إذ كان أعلم من البهبهاني و سبق أن كان مخالفا ل "أمين السلطان". و كان "عين الدوله" يرجع أيضا إلى عالم آخر هو السيد "على أكبر تفرشى" أحد كبار رجال الدين.

و هكذا وقعت الخصومه بين السيد "عبد الله البهبهاني" و "عينه.

ص: ١٤٠

١- مجتهد من تلاميذ الميرزا "حسن الشيرازي" أيضا. كان من كبار زعماء المطالبين بالنظام النيابي. و أصبح نائبا في أول مجلس نيابي انتخب بعد إقرار هذا النظام.

٢- في أثناء حركه المطالبه بالنظام الدستوري النيابي و بعد إقامته تألفت في مختلف نواحي إيران لجان باسم "اللجان الشعبيه" بعنوان العمل على إقامه هذا النظام و المحافظه عليه.

الدوله". و تمادى هذا فى جبروته و طغيانه. و تحرك خصومه بزعامه البهبهانى لمقاومته.

و وقعت حوادث أخرى زادت فى نقمه الناس على "عين الدوله".

منها وقوع عراك بين طلاب مدرستين من المدارس الدينيه، كان أصله اختلاف بين إمام الجمععه و البهبهانى. و جرح فى هذا العراك بعض الطلاب فأمر "عين الدوله" باعتقال بعض الطلاب (1) فاعتقلوا و نفوا مصفدين إلى أردبيل. و رد "عين الدوله" شفاعه البهبهانى بهم على نحو مهين. و أحدث هذا العمل استياء عاما فى نفوس الناس. و هكذا أعلن "عين الدوله" بعدائه لرجال الدين. و كانت هذه الحادته ابتداء تصرفاته التى أثارت عليه الخواطر. و اعتصم جماعه من التجار فى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) مده قليله، تعبيرا عن استيائهم منه.

و فى شهر شعبان سنه ١٣٢٣. راجع السيد "عبد الله البهبهانى" فريقا من العلماء رجال الدين و اقترح عليهم التعاون فى القيام بحركه معارضه قويه للحكومه. و كان أكثرهم استجاب له "السيد محمد الطباطبائى"، أحد مجتهدى طهران"، و كان شديد التحمس فى طلب الحريه و رفع الاستبداد.

و لكنه نبه السيد البهبهانى إلى أن القضييه ليست قضيه استبدال أشخاص بأشخاص، بل يجب أن يكون الطلب أبعد من هذا، و هو إنشاء "دار العدل" من ممثلين لمختلف الطبقات، لتقوم بتحقيق الإنصاف و دفع الظلم و الاستبداد. و تعاهد الرجلان على هذا الأمر على أن يكون الشعار المطالبه بعزل "عين الدوله" و إنشاء دار العدل. و من ذلك الحين أعلن البهبهانى و الطباطبائى، و معهما جماعه كبيره من العلماء و الخطباء بمعارضتهم للسلطه.

و كثر الحديث على المنابر و فى المجالس عن الحريه و العدالة و القانون.

و تحرك أنصار "أمين السلطان" كما اغتنمت السفاره الإنكليزيه و السفاره العثمانيه الفرصه، يناصرون حركه المعارضه هذه و يؤيدونها بكل ما يقدرون عليه من مناصره. فاما الإنكليز فلأن نفوذهم الاقتصادى و السياسى فى إيران كان قد أخذ فى التقلص من أواسط عهد "ناصر الدين شاه" إلى أن تلاشى تقريبا فى عهد "مظفر الدين شاه". و حل محله النفوذ الروسى. فأراد الإنكليز إضعاف الجهاز الحاكم و الأسره القاجاريه إذ تمادوا فى الاستسلام إلى الروس، و اكتساب موده زعماء حركه المطالبه بالنظام النيابى و من ورائهم أكثرية الإيرانيين الغالبه، و من ثم توجيه الحكم فى إيران بما فيه مصلحتهم.

و أما العثمانيون فناصروا الحركه للحط من قدره الدوله الإيرانيه باستهلاك هذه القدره فى المنازعات و الانشقاقات الداخليه فيسهل على العثمانيين الاستيلاء على الأقاليم الحدوديه المختلف عليها بين الدولتين. و كان تدخل الإنكليز و مساعدتهم بالقول و بالمال أمرا علينا صريحا.

و كان رئيس الجمارك فى إيران بلجيكيا اسمه "نوز" استخدم فى هذا العمل سنه ١٣١٦. و معه معاونون من البلجيكيين. و كان عميلا للروس، أفاد اقتصادهم كثيرا فى تعيين مقدار التعريفات الجمركيه و العمل على تهيئه قروض منهم لا-إيران فى مقابل امتيازات، و أضر بالإنكليز. و عثر السيد "عبد الله البهبهانى" على صورته ل "نوز" هذا و أحد معاونيه و هما فى لباس رجال الدين الإيرانيين، و كانا قد ارتديا هذا الزي فى حفله رقص تنكريه.

فجعل السيد البهبهاني يعرض هذه الصورة من على المنابر على أنظار الناس فيهبج خواطرهم استنكارا لاهانه الدين و رجاله بهذا العمل، و يذكر ما ألحقه "نوز" بالاقتصاد و الايراني من أضرار، فكان لبياناته أثر كبير في نفوس الناس، و قامت مظاهرات مضاده ل "نوز" تطالب بعزله (٢) في شهر المحرم سنة ١٣٢٣.

و أرسل "السيد محمد الطباطبائي" رسائل إلى "مظفر الدين شاه" بين له فيها ما يحل بالناس من ظلم و فقر و انحطاط، و ناشده إنقاذ بلاده من هذا الشر. و لكن "عين الدوله" كان يمنع وصول هذه الرسائل إلى الشاه.

و اتفق أن غلا سعر السكر في تلك الأيام و انقطع وروده من روسيا بسبب حربها و اليابان و احتكر التجار ما عندهم منه و وقع الناس في ضيق و شكوا أمرهم إلى "علاء الدوله" حاكم طهران. فأمر هذا بجلد ثلاثه من تجار السكر جلدا شديدا و أمر موظفيه بمصادره ما عند التجار من السكر.

فاستغل أيضا هذا الحادث و استياء التجار منه مخالفو الدوله. و أضرب السوق في اليوم الثاني، يوم ١٤ شوال سنة ١٣٢٣. و تقاطر التجار إلى "مسجد الشاه"، و هو من أكبر مساجد طهران، و انضم إليهم فريق من العلماء، و أعلنوا بصوت واحد مطالبتهم بعزل "علاء الدوله" حاكم طهران. و لكن الحكومه ازدادت عتوا و تمسكا بخطتها. فذهب "السيد عبد الله البهبهاني" و جماعه من العلماء إلى مقام "عبد العظيم الحسنی" (رض) القائم في بلده "الري" بظاهر طهران فتحصنوا فيه، و صحبهم جمع كبير من الطلاب.

و قام التجار بمظاهرات متصله تأييدا لهم. و أضرب السوق. و ما زال عدد المتحصنين يزداد يوما بعد يوم بمن يلحق بهم. و هناك دأبوا على مهاجمه السلطان الحكوميه بخطب ناريه و إثارة الخواطر بذكر أعمال "نوز" البلجيكي و مظالم موظفي الدوله. و كانوا يطلبون عزل حاكم طهران "علاء الدوله" و طرد "نوز" و إنشاء "دار العدل" (٣) و ثبت "عين الدوله" في موقفه لا يهادن و لا ينفك يهدد و يتوعد و أحيانا يعد و يطمع، و لكن ذلك لم ينفعه بشيء.

و أرسل إليهم "مظفر الدين شاه" مندوبا عنه يفاوضهم على المصالحه فلم يحصل على نتيجة (٤). و بعد انقضاء شهر على تحصنهم حصلوا من الشاه على جواب إيجابى فعادوا إلى طهران في ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٣. و كانت عودتهم في العربات الملكيه الخاصه بالشاه. و اجتمعوا بالشاه و "عين الدوله" في أحد القصور الملكيه. و زينت طهران لهذه المناسبه. و بادر الشاه إلى عزل "علاء الدوله" من حكومه طهران. و لم يلبث "نوز" أن استقال و عاد إلى بلاده...

ص: ١٤١

١- كان عدد الذين صدر الأمر باعتقالهم ثلاثه عشر طالبا. و قد تشاءم الجنود المأمورون باعتقالهم من هذا الرقم فاضافوا إليهم طالبا آخر بريئا لا ذنب له ليتخلصوا من الرقم المنحوس.

٢- لا بد هنا من ذكر ما نبه إليه أحد المؤرخين، و هو أن "نوز" مضى عليه ست سنوات في هذا المنصب، إذ تولاه في أوائل صداره "أمين السلطان" الثالثه. و في كل هذه المده كان يضر بالاقتصاد الايراني و ينفع الاقتصاد الروسى، و مع ذلك لم يحرك أحد ممن ثاروا عليه اليوم ساكنا للاعتراض عليه! هذا و قد استقال "نوز" من عمله بعد مده قليله من هذه الحوادث و عاد إلى

بلاده.

٣- عدالت خانه.

٤- لما سمع "مظفر الدين شاه" أن ذلك الفريق من رجال الدين يطلب إنشاء "دار العدل" قال: السيد محمد و السيد عبد الله و رفاقهم الروحانيون يطلبون إنشاء دار العدل. و لكن دار العدل إذا أنشئت فسيكون أول أعمالها إلزامهم بيوتهم و إغلاق أبوابها عليهم..

و لكن الشاه و "عين الدوله" سكتا عن موضوع "دار العدل" و مضت شهور و هما يتجاهلان هذا الموضوع. فبعث العلماء برسالة إلى الشاه يطلبون الوفاء لهم بوعده فلم يجبههم. فبعث "السيد عبد الله البهبهاني" برسالة إلى السفارة الإنكليزية يستنجد بها.

و فى يوم ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ تكلم على منبر أحد المساجد خطيب شهير محمود السيره اسمه "الشيخ محمد سلطان المحققين" فانتقد "عين الدوله" انتقادا شديدا، فاعتقل و أوقف فى إحدى الثكنات، فهاجم الطلاب و غيرهم من الأهالى الثكنه، و أطلق الجند عليهم الرصاص فقتل اثنان من الطلاب أحدهما اسمه "السيد عبد الحميد" و الآخر "الشيخ محمد" و جرح آخر اسمه "أديب المجاهدين". فضجت المدينة بالثوره و أغلقت الأسواق و تقاطر التجار و غيرهم أفواجا إلى المسجد الجامع. و حضر "السيد محمد الطباطبائي" و "السيد عبد الله البهبهاني" و "الشيخ فضل الله نورى" و غيرهم من العلماء و قرروا التمسك بمطلب إنشاء "دار العدل" و عزل "عين الدوله".

و فى العشرين من جمادى الأولى من تلك السنه كانت طهران مجلله بمظاهر الحداد على الطالبين القتيلين و مواكب العزاء تتوالى طائفه فى أنحاء المدينة تلطم الصدور. و العسكر الحكومى منتشر فيها يراقب الأوضاع. ثم تصادم الأهالى و العسكر فى عراك شديد قتل و جرح فيه أكثر من مائه و عشرين رجلا. فعم المدينة غضب عظيم. و قرر "السيد محمد الطباطبائي" و "السيد عبد الله البهبهاني" و غيرهم من كبار العلماء المهاجره إلى قم فغادروا طهران فى ٢٤ جمادى الأولى من تلك السنه. و بعد يومين لحق بهم "الشيخ فضل الله نورى". و كان لالتحاقه بهم أثر كبير فى تقويتهم و إضعاف موقف الحكومه. و أرسل السيد البهبهاني ساعه سفره رساله أخرى إلى السفارة الإنكليزية طلب فيها إدامه المساعدة منها لهم. فأرسلت إليه السفارة جوابا إيجابيا مطمئنا. و أمر مشيعيه من الطلاب و التجار بالتحصن فى السفارة الإنكليزية. فابتدءوا التحصن يوم ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٤. مساء، و هم تسعه نفر. و لكنهم أخذوا يزدادون شيئا فشيئا من جميع الطبقات حتى بلغ عدد المتحصنين خمسه آلاف فى خلال بضعة أيام، يطلبون كلهم عزل "عين الدوله".

و فى أثناء هذه الأحداث كان الاضراب العام و التظاهرات تشمل المدينة يوميا، مطالبه بعزل الصدر الأعظم. و كان فريق كبير من العلماء قد لحق بالمهاجرين إلى قم من النجف و أصفهان و نواحى أخرى من إيران. فاضطر "عين الدوله" إلى الرضوخ و نشر مرسوم ملكيا بإنشاء "دار العدل" التى يطالب بها الرأى العام. و لكن المعارضين كانوا قد بلغوا من القوه بحيث تجاوزوا هذا الطلب إلى أبعد منه، إلى طلب النظم النيابى الدستورى، فلم يقنعوا بهذا المرسوم و استمروا فى المعارضه حتى حصلوا على طلبهم الأبعد.

و كان لتأييد السفارة الإنكليزية لهم أثر كبير فى تثبيتهم و إصرارهم. من ذلك برقيه أرسلت باسم المتحصنين فى السفارة إلى ملك إنكلترا و جاءهم الجواب عليها بتأييد الملك لهم و عطفه على حركتهم و أن السفارة أمرت بمساندتهم و تشجيعهم.

و كذلك رأى فريق من أصحاب النفوذ و رجال البلاط أن مصلحة الشاه فى عزل "عين الملك". منهم "محمد على ميرزا" ولى العهد و "كامران ميرزا" أخو الشاه و "حضرت عليا" زوجة الشاه. و أرسل الأول من تبريز برقيه إلى أبيه نصحه فيها بالاستجابة لمطالب العلماء. و قال فيها: لا يجوز القضاء على أمه إكراما لرجل واحد! و أطلعت زوجته على ما أخفاه عنه "عين الدوله" من وقائع. و أقدم أخوه "كامران ميرزا"، بدون علم الشاه، على إرغام "عين الدوله" بالتهديد و الخشونه على الاستقالة فاستقال فى التاسع من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٤ و نصب الشاه "الميرزا نصر الله خان مشير الدوله" صدرا أعظم فى مكانه. و أذاع هذا نبا

موافقه الشاه على إنشاء المجلس النيابى. و عاد المهاجرون من قم و خرج المتحصنون من السفاره الإنكليزيه.

ثم أقيم النظام النيابى و استمر قائما إلى يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٢٦. إذ ألغاه "محمد على شاه" و ضرب المجلس بالمدافع. ثم انتصر طلاب النظام النيابى و دخلوا طهران بالحرب يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الآخره.

سنة ١٣٢٧. و عادت الحياه النيابيه مره أخرى.

فى أثناء هذه الأحداث العامه انفسح المجال للمنظمات الارهابيه و الحركات السريه المشبوهه و عملاء الاستعمار الانكليزى و الهراطقه و أهل البدع لاستغلال حركه المطالبه بالنظام النيابى و الانحراف بها عن غايتها إلى غاياتهم. فاندس فى أوساط الحركه البايون و الأزليون (فرقه من البايين) و الماسونيون و أنشئت جمعيات سريه تناصر الحركه بعناوين مختلفه. و تطوع فيها مسلحون من حزب "الطاشناق"، الحزب الأرمنى الارهابى الشهير، و مسلحون من اليساريين الارهابيين الروس و القفقاسيين و الكرج. و ناصرها خانات البختاريين، لا حبا بالدستور و النظام النيابى فمثل هؤلاء أبعث الناس عن الديمقراطيه و مفاهيمها، بل انسياقا مع الإراده الإنكليزيه، إذ كان الإنكليز قد رشوهم بمنحهم أسهما فى شركه النفط الإنكليزيه التى حصلت فى زمن "مظفر الدين شاه" على امتياز باستنباط النفط فى جنوب إيران و غربها، فجعل البختاريون يغيرون على منشاتها و معداتها، و هى قائمه فى أرضهم، يسرقون و يخربون. فرشتهم الشركه بمنحهم أسهما فيها لتأمن شرهم. و من ثم انقادوا فى طريق الإنكليز. يضاف إلى هذا حقد البختاريين على القاجاريين و اعتقادهم أنهم أحق بالملك منهم.

و حسبك دليلا- على انحراف حركه المطالبه بالنظام النيابى هذه أن كان "يفرم" (١) الأرمنى من أكبر قادتها و فى رأس الموجهين لها، و مثله الارهابى "رستم" ممثل حزب الطاشناق الأرمنى أيضا، و الجاسوس الانكليزى "بانف" (٢) و الارهابى القفقاسى "حيدر عمو أوغلى".

و "يفرم" الأرمنى هذا ظل مدة ثلاث عشره سنه (من قدومه إلى إيرانسنه ١٣١٧ إلى مقتله سنه ١٣٣٠) دأبا على تمكين حزب الطاشناق فى إيران و صنع الأسلحه و المتفجرات سرا و تدبير أعمال الاغتيال و القتل و الإرهاب.

و فى سنه ١٣٢٧، حين بدأت حركه الثوره على "محمد على شاه" بعد ضربه المجلس النيابى سنه ١٣٢٦، قام "يفرم" باعمال فظيحه من القتل و النهب و السلب و الحريق، بدأها من رشت. و أوقع باهالى قزوین مذبحه.

ص: ١٤٢

١- أحد زعماء حزب الطاشناق. جاء إلى تبريز سنه ١٣١٧ بامر من حزبه و أقام فيها، و أسس فروعاً لحزبه فى نواحى مختلفه من إيران. قتل فى ٢٤ جمادى الأولى سنه ١٣٣٠ و هو يقوم باحدى المجازر التى كان يوقعها بالأبرياء.

٢- "بانف" بلغارى الأصل روسى الجنس، عضو "الحزب الاشتراكى الديمقراطى" الروسى الثورى. و كان أيضا جاسوسا للانكليز. كان يقيم فى "بترسبورغ". فلما بدأت حركه الثوره على "محمد على شاه"، بعد ضربه المجلس النيابى، غادر "بترسبورغ" مسرعا إلى "جیلان"، و شارك "يفرم" فى حركات الإرهاب.

عظيمه و أحرق و نهب و خرب شيئا كثيرا من الدور و الأموال فيها. و هو الذى أمر بقتل المجتهد السيد مسعود شيخ الإسلام فى قزوین. و بعد استشهاد "الشيخ فضل الله النورى" ببضعه أشهر سار "يفرم" إلى زنجان لاختضاع أنصار الشاه المخلوع، قائدا لجيش يتألف من خمسمائه فارس من البختياريين و مائتين من عسكر القوزاق و مائتين من الأرمن و القفقاسيين و الكرج، و معه أيضا ضابطان ألمانيان. فلما تغلب على المعارضين أراد أن يقتل عالم زنجان المجتهد "الملا قربان على" و لكن الحكومه، و قد أحست بالنقمه العامه التى أحدثها مقتل "الشيخ فضل الله النورى"، منعتة من قتله و أمرت بإرساله إلى طهران. إلا أن "يفرم"، مع ذلك، قتل جماعه من رجال "الملا قربان على" و قتل معهم بضعه رجال آخرين بتهمه معارضه النظام النيابى.

و بعد خلع "محمد على شاه" و سيطره "المجاهدين" (١) على طهران عين "يفرم" رئيسا لشرطه طهران. فجمع فيها أتباعه و رجاله و تجبر و طغى فى التنكيل بمخالفى المجلس النيابى فسجن فريقا منهم و قتل فريقا آخر.

و أصر على قتل "الشيخ فضل الله نورى" أعلم و أتقى علماء المسلمين الايرانيين يومئذ. فقتل بحكم محكمة تشكلت من جماعه من المستهترين و الإمعات و الجبناء، حكمت عليه بأنه "واجب القتل مفسد فى الأرض"، انصياعا منها لاصرار "يفرم".

و لو كان قتل "الشيخ فضل الله" غيره من رئيس شرطه طهران "يفرم" و رفاقه على النظام النيابى، لما أطلق سراح الارهابى المأجور "حيدر عمو أوغلى" بعد أن اعتقل لقتله "السيد عبد الله البهبهانى"، و البهبهانى لم يكن "واجب القتل" و لا "مفسدا" فى الأرض بحسب مقاييس "المجاهد" "يفرم" و أعضاء محكمته، بل كان أبرز شخصيه بين مؤيدى النظام النيابى و فى رأس المكافحين لتحقيق هذا النظام؟!.. و هو، إلى ذلك، نائب فى المجلس (٢) و هنا يتضح جانب من حالات التشويش و التشتت فى حركه المطالبه بالنظام النيابى، تلك الحالات التى أدركها "الشيخ فضل الله النورى" و استنكرها ثم بذل حياته من أجل تفاديها. فالبهبهانى، مع كل أخطائه، يظهر أنه كان يسعى إلى قيام نظام نيابى صحيح. و من الأدله على ذلك قيام حركه مناهضه له من النواب المشبوهين فى داخل المجلس. و لكنه بقوه بيانه و حيويه نشاطه و ماضيه الحافل كان يقدر غالبا على اكتساب الأكثرية إلى جانبه و إلزام معارضيه حدودهم و صدهم عن غاياتهم التخريبية. فالمؤامره على البهبهانى لم تبدأ من "حيدر عمو أوغلى" بل بدأت من المجلس نفسه، و كان "يفرم" شريكا فيها، أو، على الأقل، عالما بها. و قد قيل هذا القول صراحه فى المظاهرات التى قامت استنكارا لحادث الاغتيال. و وقعت حوادث انتقام قتل فيها بعض أنصار النائب "السيد حسن تقى زاده"، و هو المتهم الأول بتدبير المؤامره. و كان هذا قبل عشرين يوما من حادث الاغتيال قد طلب من المجلس إجازته بالتغيب ثلاثه أشهر، و بعد ذلك لم يجروا على الظهور و اختبأ فى منزل أحد أصدقائه بضعه أسابيع ثم سافر إلى تركيا و منها إلى أوروبا.

إن "حيدر عمو أوغلى" و حاميه "يفرم" الأرمنى كانا معدودين من رؤساء "المجاهدين" و قادتهم و أبطالهم. و "السيد حسن تقى زاده" نائب مرموق فى المجلس. و "السيد عبد الله البهبهانى" ركن شامخ من أركان الحياه النيابيه، و رائد شجاع من روادها. فما عدا مما بدا حتى تامر أولئك عليه و قتلوه؟! أصبح "يفرم" فى رئاسه الشرطه دكتاتور طهران يفعل ما يشاء. و كان من جمله أعماله أنه ألغى بضع إدارات من دوائر الشرطه و أغلق أبوابها و طرد موظفيها منها بالركل و الصفع. فعل ذلك من نفسه من غير أن يراجع رؤساءه.

و أمر أحد الوزراء الشرطه باغلاق بعض مؤسسات العدليه. فأرسل "يفرم" جماعه من رجال الشرطه لاغلاقها. و طلب قضاء المؤسسه اطلاعهم على الأمر الرسمى بالاغلاق. فغضب "يفرم" و عد طلبهم وقاحه و أمر بتوقيفهم و أغلق المؤسسه بالقوه.

و في أثناء هذه الأعمال و أمثالها كان "يفرم" لا- ينفك مهتما بتشكيلات حزب "الطاشناق" (٣) و جلب أعضاء جدد إليه يختارهم من رفاقه المجريين في مجال الإرهاب و الطاعه العمياء.

و جاء إلى دائره الشرطه مفتش من وزاره الماليه يوما و معه أمر رسمي خطى من الوزير بالتفتيش في حساب صندوق الشرطه. فاخذ "يفرم" ورقه الأمر فمزقها و ضرب المفتش و طرده فخرج و قد أصيب بجروح و رضوض في جسمه.

و أخذت صحف و نشرات مختلفه تهين صراحه المقدسات الدينيه و تسخر بالإسلام، و كلها تدعى لنفسها نسبا يتصل بالنظام النيابي و المطالبه بالنظام النيابي.

لم تقتصر الحركه الدستوريه النيابيه على طلاب الإصلاح و الشبان البريئين المتعطشين إلى الحريه و العداله بل شارك فيها جماعات من المغرضين و ممتهني الإرهاب و عملاء الأجانب و الماسونيين و البابين و الأزليين. و كان في جمله أغراض البابين الانتقام من الأسره القاجاريه لسابقه مقاومتها لهم و انتقام "ناصر الدين شاه" منهم بعد أن حاولوا اغتياله. و كانوا أيضا يتلهفون متطلعين إلى أن تحقق هذه الحركه ما وعدهم به مؤسس بدعتهم "على محمد الباب" في كتابه المسمى "البيان"، و هو كتابهم المقدس. و هو أن أعداء "البيان" سيصيرون إلى الذل و ينتصر أتباع الباب و يتحقق سلطان "البيان" قبل انقضاء خمس و ستين سنه على ظهور "البيان" (ظهر سنه ١٢٤٣ هـ. ق).

هذه هي، بالإجمال، الملابس التي جعلت "الشيخ فضل الله نوري" ينفصل في سنه ١٣٢٥. في عهد "محمد علي شاه" عن رفيقيه "السيد عبد الله البهبهاني" و "السيد محمد الطباطبائي" و الاعتزال في ناحيتها.

ص: ١٤٣

- ١- أطلق المسلحون من طلاب النظام النيابي على أنفسهم اسم "المجاهدون". حتى الأرمن و الكرج كانوا يسمونهم و يتسمون بهذا الاسم، فيقال "المجاهدون الأرامنه" و "المجاهدون الكرج" إلخ.. و نحن نستعمل هذا الاسم حكاية.
- ٢- السيد عبد الله البهبهاني اغتاله الارهابي القفقاسي "حيدر عمو أوغلي" و ثلاثه آخرون من رفاقه، في منزله بين صلاه المغرب و العشاء، يوم الجمعة ٨ رجب سنه ١٣٢٨ و اعتقل "حيدر" هذا و لكن "يفرم" سعى في إطلاقه و منع محاكمته فاخلى سبيله!
- ٣- بعد مقتل "يفرم" لم يلبث حزب "الطاشناق" أن انحل و تلاشى و أخذ رجال "يفرم" يغادرون إيران شيئا فشيئا حتى لم يبق منهم أحد فيها.

"شاه عبد العظيم" (الرى) .و لم تكن حركته هذه ارتدادا عن المطالبه بالنظام الدستورى النيابى، بل خطه تصحيح لهذه الحركه و صيانه لها من الانحراف بها إلى ما يخالف غايتها النبيله.

و لم يكن هو وحده من رأى هذا الرأى بل تابعه عليه آخرون من كبار المجتهدين المؤيدين للنظام النيابى العاملين على تحقيقه، منهم "السيد ريحان الله البروجردى" و "السيد على آقا اليزدى" من علماء طهران. و تابعه أيضا عالم شهير آخر عرف بالشجاعه و الاقدام، اسمه "مير هاشم شتربانى" من علماء آذربيجان، و كان من السابقين إلى المطالبه بالنظام النيابى و العمل على إقامته و أصبح نائبا عن تبريز. و لكن هؤلاء الثلاثة و غيرهم من كبار العلماء لم يلبثوا أن تبينوا ما خالط هذه الحركه من انحرافات منكره فاتخذوا سبيل الشيخ النورى لوقايتها و صيانتها.

بل إن مراجع التقليد الثلاثة فى النجف، و قد كان لهم السهم الأوفى فى إقامه النظام الدستورى النيابى فى إيران، و هم "الآخوند الملا- محمد كاظم الخراسانى" و "الملا عبد الله المازندرانى" و "الميرزا حسين الطهرانى"، عادوا فاستدركوا تأييدهم لهذا النظام بالتنبيه إلى ما نبه إليه "الشيخ فضل الله النورى" و استنكار ما استنكره، و أبدوا تخوفهم من مستقبل النظام النيابى فى إيران. و يظهر هذا الأمر جليا من بيان أرسلوه من النجف إلى إيران، و هذا نصه:

"إذ أن بعض فرق المملكه الفاسده اغتتمت الفرصه فأظهرت مقاصدها الفاسده فى لباس دستورى نيابى بدعوى أنها من طلاب النظام الدستورى النيابى، فنحن نعلن، توضيحا للواضح، أن حقيقه النظام الدستورى النيابى هى عدم تجاوز الحكومه و الشعب للقوانين المنطبقه على الأحكام العامه و الخاصه المستفاده من الكتاب و الأحكام الالهيه، و تقييد الإراده الفرديه، و المنع من المنكرات التى بينها الإسلام، و صيانه حوزة المسلمين، و إنفاق الضرائب فى سبيل مصالح المسلمين".

و جاء فى هذا البيان أيضا تأكيد بان "نواب الأئمه يجب أن يكونوا ممن عرفتهم الأئمه، بالاختبار الطويل، بالأمانه و الديانه و الوثاقه و الدرايه".

و فى الرساله التى أصدرها "الشيخ فضل الله النورى" فى هذا الموضوع نبه صراحه إلى ما نبه إليه بيان المراجع الثلاثة من مداخلات أهل البدع الدينيه و تحريكات السياسه الأجنبيه فى شئون حركه المطالبه بالنظام الدستورى النيابى.

و يتصل بهذا الموضوع أن "السيد محمد الطباطبائى" نفسه لما بلغه، و هو مهاجر فى قم، نبا تحصن التجار فى السفاره الإنكليزيه بامر من السيد عبد الله البهبهانى، استنكر هذا التحصن و لم يكن راضيا به.

اعتزل "الشيخ فضل الله نورى" و أنصاره فى "شاه عبد العظيم" و أخذ يوزع نشرته و يلقي خطبه ليدفع عن الحركه الدستوريه النيابيه دسائس عملاء الأجانب و المخربين من أهل البدع و الحركات السريه المشبوهه و يوضح... و مقاصده ما طمسه هؤلاء الخصوم. و هذا نص أحد البيانات التى صدرت فى نشرته منقولاً عن كتاب "تاريخ مشروطه" تأليف "أحمد كسروى" (1)، و هو من أشد خصوم الشيخ "فضل الله نورى" عداوه له: باسمه تعالى شانه "ليكن معلوما ظاهرا عند عموم أهل الإسلام أن لا أحد اليوم يرفض المجلس النيابى، لا- من المجتهدين و لا من غيرهم من سائر الطبقات. و ما يقوله و يكتبه و ينشره أرباب الحسد و أصحاب الغرض من أن جناب حجه الإسلام و المسلمين الحاج الشيخ فضل الله سلمه الله تعالى يرفض المجلس النيابى هو

كذب. كذب. و قد كرر الجهر و الإعلان بمراده من على المنبر فى أيام إقامته هذه فى الزاويه المقدسه، و أخرج القرآن و أقسم بالآيمان الغلاظ الشداد. و قال:

"أيها الناس لست أرفض المجلس النيابى بوجه من الوجوه. بل أرى أن سعى فى تأسيس هذا الأساس قد فاق سعى الجميع. فقد كان علماؤنا الكبار الذين يجاورون العتبات العاليات و المقيمون فى ممالك أخرى بمعزل عنا. ثم انضموا إلينا كلهم بما أقمته لهم من الدلائل و البراهين. و يمكنكم التحقق من هذا الأمر بسؤال أولئك الساده العظام أنفسهم. و الآن لا أزال ذلك الرجل الذى كتته قبلا. لم أغير و لم أبدل.

"أقولها صريحا: ألا فاسمعوا و ليبلغ الحاضر الغائب، أن المجلس النيابى الذى أريده هو المجلس الذى يريده عموم المسلمين. و المسلمون يريدون مجلسا أساسه الإسلام، لا يخالف القرآن و لا الشريعه المحمديه."

و هذا مقطع من أحد بياناته فى تلك النشره منقولاً أيضا عن كتاب عدوه اللدود "أحمد كسروى":

"لا رضى الله تعالى عن امرئ أراد بالمجلس النيابى شيئا غير التصحيح و التكميل و التنقيح. و لينزل السخط و الغضب الالهى بكل من أذاع مرادى على غير واقعه، فدلس على المسلمين و ضللهم، و سد علينا من كل الجهات الطريق إلى رفع الشبهه، ليحول دون إيصال كلامنا إلى أسماع المسلمين، و ليحمل الناس على التصديق بانى و سائر المهاجرين قد رفضنا أصل المجلس النيابى."

و الذى رمى الشيخ "فضل الله نورى" بالرجعيه و الارتداد عن تأييد الحياه النيابيه الدستوريه إنما هو المستشرق الانكليزى "إدوار براون"^(٢) مؤلف كتاب "ثوره إيران". و قد ظل الشيخ "فضل الله نورى" فى خطبه و تصريحاته و بياناته التى كان ينشرها فى جريدته، دائبا على الجهر بتأييده للحياه النيابيه الدستوريه و الافتخار و التذكير بأنه كان من أوائل المنادين بها العاملين على إقامتها. و قد ذكر "أحمد كسروى" فى كتابه نصوص تلك الخطب و التصريحات و البيانات.

و أما قضيه تزوير الرسائل على ألسنه أعضاء اللجان الشعيه و البابين.

ص: ١٤٤

١- من مشاهير الشخصيات الفكرية و السياسيه فى إيران و من مؤرخى تلك الحقبه، كان شديد التعصب لقوميته، حربا على الإسلام و رجال الدين المسلمين و لا سيما الشيخ "فضل الله نورى". و كان (كسروى) قبل رده يوقع ما يكتبه باسم (سيد أحمد تبريزى). و قد نشر بهذا التوقيع عدده مقالات باللغه العربيه فى مجله (العرفان) و هى مجله إسلاميه كانت تصدر فى صيدا (لبنان). ثم انقلب من (تبريزى) إلى (كسروى) و من سيد مسلم إلى ملحد هدام. و كانت رده هذه من عوامل دفع نواب صفوى إلى تكوين حركه (فدائىان إسلام) التى عزم مؤسسها (نواب صفوى) على اغتياله، ثم نفذ هذا العزم.

٢- أنشا "إدوار براون" هذا فى لندن "جمعيه أصدقاء إيران" و كان رئيسا لها. و كان لهذه الجمعيه نشاط سياسى واسع فى تحقيق مارب إنكلترا الاستعماريه فى إيران.

فقد انفرد بذكرها أيضا "إدوار براون" في كتابه "ثوره إيران". و الشيخ "فضل الله" في عزه نفسه و شموخه و شجاعته و عرفانه و سمو مكانته أجل من أن يتذرع إلى غايه بمثل هذه الوسيله التي لا يتذرع بها غير الدساسين العاجزين الجبناء.

و انفرد "براون" أيضا بالقول إن الشيخ "فضل الله" انفصل عن السيد "عبد الله البهبهاني" و السيد "محمد الطباطبائي" حسدا منه لهما. و هو قول مردود بقول "براون" نفسه. فهو يعترف بان الشيخ النورى كان أعلى منهما مرتبه و أسمى مكانه، و سابقته فى الكفاح من أجل إقامه الحياه الدستوريه النيابيه لا تقصر عن سابقتهما. فان يكن للحسد حساب فى هذه القضيه فالعكس هو الأقرب إلى الاحتمال. و لو كانت تطلعات الشيخ "فضل الله" إلى مغنم دنيويه و غايات وصوليه انتهائيه لما داناه أحد فى الوصول إليها.

لا- شك فى أن ما ذكره "براون" كان شائعا على ألسن الناس. بل لعل ما ذكره "براون" إنما أخذه من ألسن الناس بدليل نقله فى كتابه شيئا من هذا القبيل عن إحدى الصحف المحليه، و بدليل أن البيانات التي كان الشيخ "فضل الله" يصدرها فى نشرته لا ينفك يتدمر فيها من نشر خصومه إشاعات كاذبه عنه بين الناس. و لكن ما ذكره "أحمد كسروى" عدو الشيخ "فضل الله" اللدود فى كتابه "تاريخ مشروطه" من وقائع تلك الأيام يثبت، بما لا يدع مجالا لشك، أن نضال الشيخ "فضل الله" إنما كان يتوخى غايه واحده هى تنزيه المجلس النيابى من الانحراف و صيانه الإسلام من شر أعدائه.

و أما الفتوى بان الشيخ "فضل الله" مفسد يحرم الرجوع إليه التي نسبوها إلى مراجع الدين النجفيين فالعكس هو الصحيح. فقد كان هؤلاء المراجع يطلبون ما يطلبه الشيخ "فضل الله" من صيانه المجلس النيابى من الانحراف. و قد ذكرنا آنفا بيانهم الذى أرسلوه من النجف إلى إيران فى هذا الموضوع. و قد أرسلوا أيضا برقيه إلى المجلس ذكروا فيها مطلبهم هذا، و اختاروا الشيخ "فضل الله" نفسه واسطه لإيصالها إلى المجلس. و ذلك قبل مهاجرته إلى "شاه عبد العظيم". و قد استهلوها بهذه العبارة:

"من النجف الأشرف - بواسطة جناب حجه الإسلام نورى، دامت بركاته - المجلس النيابى المحترم شيد الله أركانه".

و أرسل الشيخ "فضل الله" هذه البرقيه إلى رئيس المجلس. و لكنه أهملها و لم يعتن بها. و على أثر ذلك اضطر الشيخ "فضل الله" إلى التحصن فى "شاه عبد العظيم". و هذه الواقعة ذكرها أيضا "أحمد كسروى" خصم الشيخ النورى اللدود فى كتابه. و ذكر معها نص البرقيه.

و لو صح أن المراجع النجفيين أرسلوا برقيه حكموا فيها بان الشيخ "فضل الله" مفسد يحرم الرجوع إليه لما أغفل ذكرها قضاته الذين حاكموه و حكموا عليه بالموت. و لكنت أقوى سلاح بيدهم عليه. فلما ذا أغفلوها و لم يأتوا لها على ذكر؟!.

و كانت أمثال هذه الافتراءات تسبب لهذا الرجل الطاهر ألما شديدا تجلى فى صرخه أطلقها فى بيان من بياناته التي كان يطبعها فى نشرته، و ذكرها عدوه اللدود "أحمد كسروى" فى كتابه. قال مخاطبا خصومه مؤنبا لهم على زورهم: "يا أتباع الهوى و الهوس لما ذا تحرفون صوت العلماء، صوت الحق، و تلقونه إلى العوام باطلا؟! و تدخلون بين الناس السذج كالشياطين؟! و لا تنفكون تخفون برقيات سادات النجف و حجج إسلامها أو تغيرونها و تطبعونها مزوره؟! الخ.

و فى هذه الكلمه تصريح واضح بالشكوى من افتراء خصومه عليه، و تصريح بان تلك البرقيه التي نسبوها إلى علماء النجف و

فيها فتوى بأنه مفسد يحرم الرجوع إليه هي برقيه مزوره.

أقام "الشيخ فضل الله نوري" و أتباعه معتصمين في "شاه عبد العظيم" بضعه أشهر. فلما قتل رئيس الوزراء الأتابك "على أصغر خان أمين السلطان" في ٢١ رجب سنة ١٣٢٥. عند باب المجلس النيابي، عاد "الشيخ فضل الله" فورا إلى منزله في طهران، و كذلك عاد أتباعه، إذ كان لمقتل الأتابك تأثير سلبي في معارضي المجلس النيابي خفف كثيرا من اندفاعهم في المعارضه، فقد كان الأتابك متهما عند مؤيدي المجلس بأنه معارض له، حتى أن أهله لم يجرءوا على إقامه فاتحه عامه له، على حين قام فريق من طلاب بعض المدارس و فريق من أعضاء اللجان الشعبيه بإظهار التعظيم و التقدير لقاتله و نشروا الزهور على قبره. و شاع أن الأتابك كان يمد الشيخ "فضل الله" بالمال اللازم لنفقاته حين كان معتصما في "شاه عبد العظيم".

في الحقبه التي انفصل فيها الشيخ "فضل الله نوري" عن أنصار المجلس النيابي كان وضع المجلس نفسه و ما يلابسه من حركات المعارضه للنظام النيابي و حركات التأييد له قد بلغت حدا بعيدا من البلبه و التشعب، ما بين تنافس كبار النواب على الاستئثار بالسلطه، و دسائس الأمراء و تنافسهم على العرش، و غفله العامه و تخلفهم الفكري، و من اندس في أوساط هذا الصراع العنيف الدامي من أهل البدع الدينيه كالبايين و الأزليين و الحركات السريه الأجنبيه كالماسونيين و أصحاب الغايات الشخصيه. كل أولئك قد استغل موضوع النظام النيابي لانفاذ ماره الخاصه. و كان فريق من المفكرين يرى، مخلصا، أن النظام النيابي ثمره اقتطفت قبل نضجها، و أنه أقيم في إيران قبل أوانه و قبل تهيئه مقدماته، و أن قله ضئيله من النواب كانت على درايه بمقتضيات هذا النظام، و علم بمجرى الوقائع من السياسه العالميه. و أكثرتهم لا تفقه من ذلك شيئا.

و فوق هذا كانت دسائس الإنكليز و الروس و العثمانيين تزيد الفتنة شده و امتدادا. و من ثم انحرف المجلس القائم كليا عن غايته الأصلية.

كانت المنافسه القديمه بين الإنكليز و الروس على النفوذ في إيران يومئذ على أشدها. و كان هوى الشاه "محمد على قاجار" و هوى الأتابك رئيس الوزراء "على أصغر خان" مع الروس. و كان الإنكليز يؤيدون أنصار النظام النيابي، و الروس يؤيدون معارضيه. و كان الشاه غير راض عن سلوك المجلس النيابي أما رئيس وزرائه فكان يدارى موضوع هذا النظام بتحركات دبلوماسيه بين مؤيدي المجلس و معارضه لعله يجد مخرجا من هذه الأزمه يوفق بين الطرفين (١) و لكنه كان متهما، منذ القديم، عند مؤيدي المجلس.

ص: ١٤٥

١- أنهت إنكلترا و روسيا ما بينهما من خلاف على إيران بمعاهده و قعتها في ٣١ آب سنة ١٩٠٧ م الموافق ٢١ رجب سنة ١٣٢٥ ه و تقاسمتا فيها إيران، لكل منهما قسم تستقل بالنفوذ عا [عاش من] غير تنافس بينهما. و من عجب أن توقيع هذه المعاهده حدث في نفس اليوم الذي اغتيل فيه الأتابك "على أصغر خان" رئيس الوزراء الإيرانيه صديق روسيا.. و في يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٦ ه وافق "محمد على شاه" على ضرب المجلس النيابي بالقنابل و تعطيل الحياه النيابيه و قام بهذا العمل بتحريض من السفارتين الإنكليزيه و الروسيه كليهما و إصرار وزير الحربيه "أمير بهادر" أحد رجال حاشيته و الروسي "ليخوف" آمر فرقه "القوزاق" الإيرانيه، و بعد أن رفض متطرفو المجلس النيابي تجريد الملشيات الأهليه من السلاح و وقف

النيابي بأنه معارض له، حتى أنه يوم استدعاه "محمد على شاه" من أوروبا ليتولى رئاسه الوزارة، و وصل في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٢٥ إلى مرفا "أنزلى" الإيراني الواقع على بحر الخزر، أراد مجاهدو "أنزلى" المجاهدون المؤيدون للنظام النيابي، منعه من النزول إلى أرض إيران لو لا أنه عاهدهم على المحافظه على هذا النظام.

و في قلب تلك البلبله و التداخل و التشعب بين مختلف الغايات و الاتجاهات أنشئت جمعيات سرية بتدبير من الماسونيين و غيرهم و أبدى البايون نشاطا فائقا في تأييد المجلس و تشكلت لجان، بعناوين ظاهريه مختلفه، في طول البلاد و عرضها.

و كان "الشيخ فضل الله نوري" يخشى عاقبه تدخل الإنكليز في قضيه النظام النيابي و يعلم أن وراء مناصرتهم لهذا النظام غايه أخرى لهم غير إقامه الحياه النيابيه في إيران. و يخشى كذلك من أن نفوذ أهل البدع آخذ في التزايد عن طريق استغلالهم لهذا النظام. و من ثم كان يهاجم الإنكليز و يقول:

الإسلام دين الشورى و المساواه. فما حاجتنا إلى الإنكليز يصنعون لنا النظام الشورى و عندنا الآيه الكريمة (و أمرهم شورى بينهم)! و طرح شعار "المجلس النيابي الشرعى" مطلباً له لمعارضه أهل البدع و الجمعيات السريه المشبوهه.

و هذا الموقف لم يكن موقف "الشيخ فضل الله نوري" وحده - كما ذكرنا ذلك من قبل - بل وقفه أيضا جماعه أخرى غيره من العلماء و المجتهدين كانوا من أشد أنصار النظام النيابي و من السباقيين إلى العمل من أجل إقامته، و دعوا إلى مقاومه الاستبداد الملكى. و لكنهم لما رأوا ما آل إليه أمر المجلس من انحراف و اتجاهات غير سليمه عادوا يتحفظون و يدعون إلى الاستقامه.

منهم "السيد ريحان الله البروجردى" و "السيد على آقا اليزدى" من علماء طهران. و منهم العالم الروحاني التبريزى الشجاع "مير هاشم شترباني" أحد رواد النظام النيابي و نائب تبريز و عضو لجنتها الشعبيه. فإنه لما رأى تدخل الأجانب في شئون الحركه النيابيه الدستوريه و نشاط أهل البدع في استغلالها اتخذ الطريق "الشيخ فضل الله" في المعارضه، و انفصل عن لجنه تبريز و الجمعيات المرتبطه بها و أنشا لجنه تعارضها باسم "اللجنه الإسلاميه". و آل أمره إلى أن حكمت عليه محكمه "يفرم" الأرمنى بعد اقتحام الثوار طهران بالموت، فقتل في الثانى من رجب سنة ١٣٢٧ أى قبل قتل "الشيخ فضل الله نوري" بأحد عشر يوما.

و منهم عالم قزوین "السيد مسعود شيخ الإسلام" فقد حدث أن مر "يفرم" الأرمنى بقزوین فى طريقه إلى مدينه رشت. فخرج المطالبون بالدستور من أهالى قزوین لاستقباله و هم يهتفون "زنده باد حامى إسلاميفرم خان أرمنى" أى "عاش حامى الإسلام يفرم خان الأرمنى". فعارض "السيد مسعود شيخ الإسلام" مثل هذه الهتافات، و قال: كيف يمكن للأرمن(١) أن يكونوا حماه الإسلام! و اشتد النزاع فكان أن انشق "السيد مسعود" عن الدستوريين.

و فى ربيع الثانى من سنة ١٣٢٧. زحف الثوار من نواحى مختلفه من إيران لاقتحام العاصمه طهران و القبض على "محمد على شاه". و زحف الثوار من رشت، بقياده "يفرم"، و هم من الأرمن و الكرج و القفقاسيين و البختياريين، و بدءوا بقزوین ففتحوها بالحرب، و أوقعوا بها القتل و الحريق و الهدم و النهب بلا حساب. و اعتقلوا "السيد مسعود شيخ الإسلام" فأمر "يفرم" بقتله فقتل قتله يصفها المؤرخ "إبراهيم صفائى" بأنها كانت من أفظع و أقسى أشكال القتل.

بل إن "محمد على شاه" نفسه، وقد كان لتدخله أثر أساسي في حمل أبيه على إقاله الصدر الأعظم "عين الدوله" عدو الديمقراطية و النظام النيابي الأكبر، و التمهد لاقامه الحياه النيابيه - إن "محمد على شاه" نفسه لم يعارض المجلس النيابي، و كل ما كان يريده من المجلس هو جمع السلاح من أيدي (الميليشيات) و حصر حمله بقوى الأمن الشرعيه. و هذا هو أصل الخلاف بينه و بين المجلس، إذ رفض المجلس طلبه لهيمنه النواب المشبوهين عليه.

بل بلغ الأمر برجال (الميليشيات)، و على قيادتهم الزعيم الطاشناقى الأرمنى "يفرم" و الجاسوس البلغارى الروسى "بانف" و أمثالهما من أعضاء الطاشناق و الكرجيين و القفقاسيين و البختياريين، أن أبلغوا المجلس النيابي أنهم لا يبالون بما يتخذه هذا المجلس بشأنهم من قرارات، و سيستمرون فى حمل السلاح شاء أم أبى! و أما موقف "الشيخ فضل الله نورى" من الروس فيتبين من عمله حين انتصر الثوار فى سنه ١٣٢٧، و اقتحموا طهران و أصبح الحكم عليه بالموت أمرا محققا. فقد اقترح عليه الروس يومئذ أن يرفع العلم الروسى على بيته أو يلجا إلى سفارتهم فيصبح فى حمايتهم آمنا من كل سوء، فرفض، و عد ذلك جبنا و عارا عليه. و لو أنه فعل لنجا من الموت. و لكنه فضل الموت و تقبله بكل شجاعه على أن ينجو منه بيد أعداء بلاده.

حقا لقد أیده "محمد على شاه" و الأتابك، بل أیده الروس أيضا، فى معارضته للمجلس النيابي، و لكنه طرح شعار "المجلس الإسلامى" و "البرلمانیه الشرعيه" بدافع واحد هو عقيدته الإسلاميه لا غير.

و فى الخامس من ذى القعدة سنه ١٣٢٥. تظاهرت فى ساحه "الطوبخانه" فى طهران جماعه من القوزاق و الجنود مع جماعه من الأهالى، و انضم إليهم فريق من الأوباش و المشاغبين، يعلنون بمعارضتهم لأنصار المجلس النيابي. و كان يقود المتظاهرين جماعه من رجال البلاط. و كان مظهرهم ينذر بالشر. و صدرت عنهم حركات و هتافات منكره. و قتلوا شابا من أنصار النظام النيابي ضربا بالسيوف و الحراب و السكاكين و كل ما وصلت إليه أيديهم.

و فى الثامن من ذى القعدة ذهبوا إلى منزل الشيخ "فضل الله نورى" و أخرجوه بالالتماس و الرجاء و التشديد حتى جاءوا به إلى ساحه "الطوبخانه". و خطب هناك جماعه من رجال الدين فهاجموا البابين و حذروا).

ص: ١٤٦

١- فى إيران جاليه أرمنيه كبيره يعود تاريخ نزوحها إلى إيران إلى عهد الشاه عباس الكبير (٩٩٦ - ١٠٣٨ هـ).

من اندساسهم فى أوساط الحركة النيابيه. و خطب الشيخ "فضل الله نورى"، و دار خطابه على موضوع "المجلس النيابى الشرعى"، فزاد هذا الخطاب فى حقد خصومه عليه.

و فى التاسع من ذى القعدة سارت جماعات هذه المظاهره إلى المجلس النيابى، و أطلقوا عليه الرصاص و قاموا بحوادث شغب. و بعد بضعة أسابيع أبعد رؤساء هذه المظاهرات إلى "كلات" بامر من المجلس النيابى و موافقه "محمد على شاه".

و تفاقمت أعمال الإرهاب و الشغب من كلا الطرفين، أنصار المجلس النيابى و معارضيه، و اشتد انقسام النواب حتى اتهم "علا مير احتشام السلطنه"، و هو رئيس المجلس النيابى، بعض النواب بالخيانة و الارتشاء.

و طلبت "اللجان الشعبيه" من المجلس إصدار قانون يسمح للجانب بتشكيل جيش لها، فان لم يفعل أقدمت على تشكيله بلا إذن منه. و ثارت خصومه عنيفه بين النواب المؤيدين لطلب اللجان و النواب المخالفين.

و ظلت البلاد تتخبط فى قلب هذه الفتن، و عجز المصلحون عن إيجاد مخرج منها حتى أقدم "محمد على شاه" على ضرب المجلس بالمدافع فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٦، فانهمز أنصار المجلس و تفرقوا و تواروا عن الأنظار، و استقر الحكم فى يد الشاه و رجاله، و أصبح الشيخ "فضل الله نورى" الرجل الأول تقريبا فى المملكه.

و لكن أنصار المجلس النيابى ثاروا فى نواحى مختلفه من إيران و استولوا على الحكم فى بعض المدن منها، ثم كروا على طهران العاصمه ففتحوها فى ٢٤ جمادى الثانيه سنة ١٣٢٧ و خلعوا "محمد على شاه" عن العرش. ثم عينوا هيئه إداريه من اثنى عشر رجلا- من العسكريين و المدنيين و الروحانيين تتولى الحكم فى غياب المجلس النيابى. و عينت هذه الهيئه محكمه باسم "المحكمه الثوريه العليا" مؤلفه من عشره.

و اعتقلوا جماعه من معارضى المجلس النيابى و أعوان الشاه، فحاكموهم و حكموا عليهم بالموت و قتلوهم. أما الشيخ "فضل الله نورى"، و هو المعارض الأكبر، فقد سبق أن أشير عليه باللجوء إلى إحدى السفارات الأجنبيه. و ألحت عليه السفاره الروسيه خاصه أن يلجا إليها فيقيم فيها عزيزا مكرما مصاننا، فأبى أن يفعل و ظل مقيما فى منزله. فبعثت إليه المحكمه الثوريه بضعة رجال من الميليشيات فاعتقلوه و جاءوا به إلى ساحه "الطوبخانه"، حيث أوقف فى أحد المنازل. ثم قدم إلى المحاكمه فحكمت عليه المحكمه، بإجماع الآراء، بالموت شنقا. و أيدت الهيئه الاداريه حكمها. فشنق فى ١٣ رجب سنة ١٣٢٧ فى ساحه "الطوبخانه" و هو فى التاسعه و الستين من عمره.

و حين محاكمته قال: "يا ترى أيقوم هؤلاء - يعنى قضاته - يوم القيامه بجوابى إذا سألتهم؟ لا أنا كنت رجعيًا و لا السيد عبد الله و السيد محمد(١) كانا من أنصار النظام النيابى. و كل ما فى الأمر أنهما يريدان إذلالى و تنجيتى.

و القضيه بينى و بينهم ليست قضيه رجعيه و أصول نيابيه دستوريه". ثم أشار إلى الجلادين غير هياب و لا- و جل قائلاً "إلى عملكم!".

و ظل معلقا مده عشر دقائق فقط. ثم أنزلت جثته فسلمت إلى ذويه.

فيكون عدد من قتلهم "يفرم" الأرمني الطاشناقى من كبار علماء المسلمين المجتهدين أربعه هم: السيد مسعود شيخ الإسلام و السيد مير هاشم شتربانى و الشيخ فضل الله النورى و السيد عبد الله البهبهانى. و كلهم من رواد النظام النيابى الدستورى و مؤسسيه فى إيران. قتلهم بما هو "حامى" النظام النيابى الدستورى!..

و يقول مؤرخ إيرانى عن إعدام النورى:

"لقد كان قتل هذا العالم الجليل المجتهد الجامع للشرائط الشجاع خطا كبيرا".

و لكننا نقول: لقد كان قتله جريمه كبرى.

إن الأيام أعادت للشيخ فضل الله النورى اعتباره، و نزهه التاريخ الصحيح عن كل ما ألصق به من افتراءات، و اسمه اليوم يتصدر شارعاً من أكبر شوارع طهران.

و كان مما رثى به من الشعر العربى الذى نظمه فقهاء إيرانيون قول السيد أحمد الرضوى من قصيده:

لا زال من فضل الاله و جوده جود يفيض على تراك همولا

روى عظامك و إبل من سيبه يعتاد لحدك بكره و أصيلا

آمنت إذ حادوا برب محمد و صبرت فى ذات الاله جميلا

أمسكت بالدين القويم و لم يمل بك زيفه كالمارقين مميلا

كالمشرفى مجردا من غمده يهتز فى أيدى الكماه صقيلا

هل ينفع البر التقى بيانه فى معشر نطقوا السفاهه قيلا

و قال الشيخ محمد على الأردوبادى من قصيده:

خسرنا منه مشهور المواضى يرف عليه منشور اللواء

أبا (الهادى) بكاك الدين شجوا بماساه تجل عن البكاء

بيوم به شاهت وجوه و وجهك فيه مؤتلق البهاء

و حيا العارض الوسمى قبرا يقل محط علم الأنبياء و عاهده ب (فضل الله) سحا

عهاد منه ممدود الرخاء

كما رثاه شعرا بالفارسيه كل من الشيخ أسد الله حكيم قمشه اى، و ميرزا الطف [اللطف] على صدر الأفاضل، و ميرزا حبيب الله نيرى.

ص: ١٤٧

١- يقصد رفيقيه القديمين السيد عبد الله البهبهاني و السيد محمد الطباطبائي. و قد أصبحا كلاهما نائبين فى المجلس الأول و الثانى. فاما البهبهاني فبلغ من السيطرة و النفوذ شئرا بعيدا حتى أصبح يسمى "الشاه عبد الله" و "الشاه الأسود" إذ كان اسمه شيد السمره. و انتهى أمره إلى أن اغتاله الارهابى القفقاس "حيدر عمو أوغلى و ثلاثه من رفاقه الارهابيين فى منزله، مدفوعين من منافسيه على النفوذ من النواب و شاركهم فى المؤامره "يغرم [يفرم]"، ثم أطلق سراحه و منع محاكمته بعد أن اعتقل. و كان "يفرم" يومئذ رئيسا لشرطه طهران. و أما الطباطبائي فقد ندم فى أواخر عمره على ما كان منه من مناصره للنظام النيابى الدستورى، إذ جاءت النتيجة مخيبه لآماله. فكان يقول "سكبناه خلا- فصار خمرا" و يقول: لم نفعل شيئا سوى أننا استبدلنا استبدادا باستبدادا! و يجدر بالذكر أن البهبهاني و الطباطبائي كانا فى المنفى يوم حوكم "الشيخ فضل الله النورى" و قتل. سبق أن تفاهما "محمد على شاه" بعد ضربه المجلس بالمدافع و إلغائه النظام النيابى.

١ - تذكره العاقل و إرشاد الجاهل. ٢ - تقريرات درس السيد الشيرازى. ٣ - الدعوه الإسلاميه، و هى الجريده التى أصدرها عند تحصنه فى مقام عبد العظيم (رض). ٤ - ديوان شعره بالعربيه و الفارسيه، و كان يتخلص فى شعره ب (نورى) و منه اكتسب لقبه. ٥ - الصحيفه المهدويه.

٦ - رساله عمليه بالفارسيه.

حركه المشروطه

و بما أن سيره المترجم تدور حول أحداث الحركه الدستوريه التى عرفت فى تركيا باسم (مشروطيت)، و فى إيران باسم (مشروطه) فاننا ننشر فيما يلى بحثا عن تلك الحركه و امتداد آثارها من إيران إلى العراق. و هذا البحث مكتوب بقلم الدكتور على الوردى:

المشروطه هى حركه المطالبه بالدستور التى ظهرت فى تركيا و إيران، و هى إنما سميت بهذا الاسم لأن القائمين بها اعتبروا مواد الدستور بمثابة "الشروط" التى يجب أن يتقيد بها الملك فى حكم رعيته، و هذه فكره مستمده من نظريه "العقد الاجتماعى" التى شاعت فى أوروبا بعد قيام الثورة الفرنسيه و منها جاءت إلى تركيا و إيران.

إن المشروطيه ظهرت فى تركيا قبل ظهورها فى إيران بما يزيد على ثلاثين سنه، و يعود سبب ذلك إلى قرب تركيا من أوروبا و شدة تأثيرها بالحضاره الأوروبيه. يجب أن لا ننسى أن الصراع بين القديم و الجديد بدأ فى تركيا منذ منتصف القرن الثامن عشر، أما فى إيران فقد بدأ هذا الصراع منذ منتصف القرن التاسع عشر و ذلك من جراء دخول بعض المخترعات و النظم الحديثه إلى إيران على عهد الشاه ناصر الدين.

المعروف عن الشاه ناصر الدين أنه كان معجبا بالحضاره الأوروبيه ميالا للتعرف عليها و مشاهدتها عيانا، و قد سافر إلى أوروبا ثلاث مرات فقبول فيها بحفاوه بالغه، غير أنه كان يخشى تأثير الأفكار الأوروبيه على رعاياه و يكره أن تنتشر بينهم فكره المشروطيه على منوال ما انتشرت فى تركيا. و قد صرح ذات مره: أنه يود أن يكون محاطا بحاشيه من الأغبياء لا يعرفون عن بروكسل هل هى مدينه أم نوع من الخس.

يمكن القول أن ناصر الدين كانت له يد كبرى فى إدخال معالم الحضاره الحديثه إلى إيران، و كان فى الوقت نفسه شديدا تجاه كل من يتحدث عن القانون أو الدستور أو أيه فكره تحرريه أخرى. و بعبارة أخرى أنه كان كمن يقدم الطعام اللذيذ للجائع و يمنعه من تناوله، و قد أحدث فى المجتمع الايرانى من جراء ذلك نوعا من التوتر، و بقى هذا التوتر كامنا يتحفز للظهور عند أول فرصه تتاح له. فلما مات ناصر الدين و تبوأ العرش من بعده ابنه الضعيف مظفر الدين، انطلق التوتر الكامن و كأنه كان مستعدا للانطلاق.

لا بد لنا لكي نفهم جذور المشروطية في إيران أن ندرس كيف بدأت النظم و المخترعات الحديثه فى الدخول إلى إيران فى عهد الشاه ناصر الدين.

و الواقع أن ذلك جرى تدريجا خطوه وراء خطوه على النمط التالى.

أولاً: فى عام ١٨٥١ أسست فى طهران كليه حديثه باسم "دار الفنون"، و كان الغرض من تأسيسها تخريج موظفين أكفاء للدوله و دبلوماسيين. و جىء باساتذه من أوروبا للتدريس فيها، و قد ألفت هؤلاء عدده كتب فى العلوم التى كانوا يقومون بتدريسها، فكانت تلك الكتب بذره النهضه الفكرية الحديثه فى إيران. و فى عام ١٨٥٨ أرسلت الحكومه الإيرانيه اثنين و أربعين من متخرجى "دار الفنون" إلى أوروبا لإكمال دراستهم.

ثانياً: فى عام ١٨٥٨ بدأ نصب أول خط للتلغراف فى إيران، ثم أخذت الخطوط التلغرافيه تنمو مع الزمن، حتى وصل عدد المحطات التلغرافيه فى إيران عام ١٨٨٤ إلى أربعة عشر، و كانت هذه المحطات تدار من قبل فنيين بريطانيين يسكنون فى دور بالقرب منها، و قد جلب بعض هؤلاء الفنيين زوجاتهم معهم أو تزوجوا من فتيات أرمنيات، و كان معهم أطباؤهم. و بدأ كانت المحطات التلغرافيه بمثابة مراكز إشعاع للقيم الحضاريه فى الكثير من أنحاء إيران القاصيه.

ثالثاً: لم تظهر فى عهد الشاه ناصر الدين سوى صحف أسبوعيه تسيطر عليها الحكومه، و لكن بعض الايرانيين استطاعوا أن يصدروا صحفا معارضه فى خارج البلاد و يرسلوها إلى إيران بشتى الوسائل. و كان أهم تلك الصحف: صحيفه "اختر" التى كانت تصدر فى اسطنبول، و صحيفه "جبل المتين" فى كلكتا، و صحيفه "ثريا" فى القاهره، و صحيفه "القانون" التى كان يصدرها الميرزا ملكم خان فى لندن. و كان لهذه الصحف تأثير بالغ فى الشعب الايرانى، و كثيرا ما كانت تهرب إلى إيران ضمن بالآت البضائع المستورده، و قد اتخذت الحكومه اجراءات شديده لمنع تسللها إلى إيران فكان ذلك سببا فى ازدياد تهافت الناس عليها سرا.

عوامل مساعده

عند ما قتل الشاه ناصر الدين فى عام ١٨٩٦ تبوأ العرش مكانه ابنه مظفر الدين، و كان هذا الشاه الجديد على النقيض من أبيه متهافت الشخصيه لا يخلو من غباء و فطاره، و كان بالاضافه إلى ذلك عليل البدن، و لم يكده يتولى الحكم حتى حفت به جموع من المترلفين الذين كانوا يطمحون أن ينالوا فى عهده الثروات بكل وسيله تقع فى أيديهم.

كان الشاه مظفر الدين مولعا كبايه بالسفر إلى البلاد الأوربيه غير أن الخزينه كانت فى أيامه فارغه فاضطر إلى الالتجاء إلى القروض الأجنبيه، و قد انتهزت روسيا الفرصه فصارت تمدده بالقروض و تحصل منه على بعض المنافع و الامتيازات الكمركيه مما أدى إلى انتشار التذمر بين التجار و أهل "البازار" أى الحرفيين و أصحاب الدكاكين.

كان أهل "البازار" - و ما زالوا - يؤلفون فى إيران طبقه ذات أهميه غير قليله فى الحياه الاجتماعيه و السياسيه إذ أن لهم رؤساءهم و تقاليدهم النقابيه التى تسمى "قواعد الصنف"، و إذا قرروا إغلاق دكاكينهم احتجاجا على أمر من الأمور كان ذلك بمثابة نوع من الاضراب العام و أصابوا الحياه الاقتصاديه بالشلل. أضف إلى ذلك ما كان لأهل "البازار" من تأثير فى رجال

الدين و صلہ معاشيه بهم، فإذا اشتكوا من شىء فسرعان ما تسرى شكواهم إلى رجال الدين.

و مما زاد فى الطين بله أن الشاه مظفر الدين كان قد ترك شئون الدوله بيد صهره الأمير "عين الدوله" و كان هذا جاهلا صلفا و مكروها من قبل

ص: ١٤٨

الشعب الايراني فكانت أعماله التعسفيه من عوامل زياده التذمر بين أهل "البازار".

و فى عام ١٩٠٥ حدثت ثوره فى روسيا ضد القيصر و قمعت بشده، فهرب بعض زعمائها القفقاسيين إلى إيران حيث أنشئوا الصحف و أخذوا يوجهون الشعب الايراني نحو الأفكار الديمقراطيه الحره فكان ذلك عاملا آخر فى نشر التذمر بين الناس تجاه كل عمل تقوم به الحكومه و لو كان حسنا.

و من الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن التنافس بين روسيا و بريطانيا كان فى تلك الآونه شديدا، و كان الكل من هاتين الدولتين دعاه و عملاء يسعون لها بين أفراد الشعب الايراني. و لا- ننسى كيف اغتنمت روسيا قضيه "التنباك" لكى تثير الايرانيين على بريطانيا، فكان ذلك سببا فى انهيار النفوذ البريطانى فى إيران و ارتفاع النفوذ الروسى. و الظاهر أن البريطانيين أرادوا الانتقام من الروس فأخذوا يشجعون حركه المشروطيه فى إيران نكايه بهم - حسب المثل القائل: "دقه بدقه".

بدايه الحركه

بدأت حركه المشروطيه فى إيران من جراء حادثه بسيطه حدثت فى عام ١٩٠٥، و خلاصتها: أن نفرا من أهل "البازار" خالفوا بعض الأوامر الحكوميه فأمرت الحكومه بشد أقدامهم فى "الفلقه" و جلدتهم بالسياط، و كانت تلك عاده متبعه تقع بين حين و آخر فى عهد الشاه السابق دون أن يعيرها الناس اهتماما كبيرا، أما الآن فقد اهتم الناس لها، و تجمع عدد كبير منهم بينهم جماعه من رجال الدين فذهبوا إلى مسجد الشاه القريب من سوق "البازار" الكبير بغيه "الالتجاء" فيه.

إن "الالتجاء" من التقاليد التى اعتاد الايرانيون عليها منذ العهد الصفوى، و هم يسمونه "البست"، و معناه أن يذهب الناس إلى أماكن معينه كالمساجد أو الأضرحة أو بيوت المجتهدين أو السفارات الأجنبيه أو الاسطبالات الملكيه أو ميادين المدفعيه أو محطات التلغراف، و هناك لا تستطيع الحكومه أن تلقى القبض عليهم.

استطاع الامام فى مسجد الشاه أن يطرد الملتجئين إليه بايعاز من الحكومه و بمعونه جماعه من أعوانه، فخرج الملتجئون من المسجد و هم أكثر حماسه من قبل، و انضم إليهم أناس آخرون، و توجهوا إلى بلده "الشاه عبد العظيم" على بعد بضعه أميال من طهران فالتجئوا إلى المرقد المقدس الموجود فيها، و هناك أعلنوا أنهم لا يخرجون من مكانهم إلا بعد إجابته مطالبهم، و كان من بين مطالبهم عزل "عين الدوله" من منصبه و تأسيس دار للعداله أطلقوا عليها اسم "عدالت خانه".

أخذ عدد الملتجئين فى بلده "الشاه عبد العظيم" يتكاثر يوما بعد يوم، و كان الناس وجدوا فى ذلك فرصه لشفاء غليلهم من الحكومه، و صار الوعاظ و الروضخونيه - أى قراء التعزیه - يصعدون المنابر لينددوا بالحكومه و يشجبوا أعمالها. و مما زاد فى أهميه هذا "الالتجاء" أن اثنين من أكبر علماء طهران كانا من بين الملتجئين و هما: السيد محمد الطباطبائى و السيد عبد الله البهبهانى، كما كان بينهم الواعظ المشهور آغا سيد جمال الدين.

أرسل الشاه إليهم رسوله الخاص ليسترضيهم، فقابلوا الرسول بجفاء و أرجعوه خائبا. و اضطر الشاه أخيرا أن يرسل إليهم كتابا مسجلا بخط يده يتعهد لهم فيه باجابته مطالبهم. و عند هذا وافقوا على العوده إلى طهران، و قد جهزهم الشاه بعربات ملكيه فركب كبراؤهم فيها، و استقبلتهم الجماهير فى طهران استقبال الفاتحين. و لا- حاجه بنا إلى القول بان مكانه الطباطبائى و

البهبهاني قد ارتفعت ارتفاعا هائلا في نظر الجماهير يوم ذاك.

تفانم الحركه

يبدو أن الشاه لم يستطع تحقيق وعده حيث أخذ على يده صهره "عين الدوله". و في منتصف أيار ١٩٠٦ أصيب الشاه بالشلل فانتهم "عين الدوله" الفرصه ليضرب ضربته، فقد أصدر أمره بإلقاء القبض على السيد محمد الطباطبائي، و حين جاء الجنود للقبض على هذا المجتهد الكبير تجمع الناس لتخليصه من أيديهم، فوقع من جراء ذلك اصطدام بين الجنود و الأهالي سقط فيه واحد من الأهالي قتيلا. و شاء القدر أن يكون هذا القتل من طلبه العلم و سيدا من ذريه الرسول. و لما جرى تشييع السيد القليل وقع اصطدام آخر سقط فيه خمسة عشر قتيلا.

توتر الوضع في طهران إلى الدرجه القصوى. و غادر طهران كثير من المجتهدين حيث ذهبوا إلى بلده قم المقدسه للالتجاء فيها، ثم أصدروا بيانا هددوا الشاه فيه أنهم سيغادرون إيران جميعا إلى العراق ما لم يف بوعده لهم في تحقيق المطالب الشعبيه. و أغلق أهل "البازار" دكاينهم تأييدا للمجتهدين، فاصدرت الحكومه أمرا بنهب كل دكان يغلقه صاحبه.

و هنا حدث حادث له مغزاه العميق، فقد ذهب فريق من أهل "البازار" إلى المفوضيه البريطانيه يشدون معونتها، و حين وجدوا منها تشجيعا التجئوا إليها فخيّموا في حديقتها الواسعه الواقعه في ضاحيه قولهك، و هناك أخذ عددهم يزداد يوما بعد يوم، و أعلنوا أنهم لن يرجعوا إلى فتح دكاينهم حتى تجاب مطالب المجتهدين.

يقول السيد هبه الدين الشهرستاني في مذكراته التي سجل فيها بعض أحداث المشروطيه: أن التجاء التجار إلى المفوضيه البريطانيه أحدث فيهم تطورا فكريا و وعيا سياسيا جديدا، فهم كانوا قبلئذ يطالبون بتأسيس مجلس "العدالت خانه" و لكن زوجه المفوض البريطاني أخذت تفهمهم بان طلبهم هذا لا- قيمه له و أن هدفهم يجب أن يكون أوسع من ذلك و أهم و هو الحريه و المساواه و الشورى. و قد كانت تلك السيده مثقفه فاستطاعت أن تحدث فيهم التأثير المطلوب...^(١)

مهما يكن الحال فان التجاء أهل "البازار" إلى المفوضيه البريطانيه كان حدثا مثيرا تحدثت عنه صحف العالم و أخذت تفسره تفسيرات شتى، و نشرت جريده التايمز اللندنيه في عددها الصادر في ١٤ أيلول من عام ١٩٠٦ وصفا للحادثة أرسله إليها مراسلها في طهران نذكر فيما يلي نبذه منه: (أن الالتجاء إلى المفوضيه بدأ في شهر تموز و أخذ عدد الملتجئين يتصخم بسرعه حتى بلغ في شهر آب اثني عشر ألفا و أصبحت الأسواق كلها مغلقه، و كانت حديقه المفوضيه مليئه بالخيام و هي مزدحمه بشتى الفئات، تجارا و علماء و حرفيين و غيرهم، و أخذوا يضبطون أنفسهم ضبطا دقيقا فلم ينتج عنهم على الرغم

ص: ١٤٩

من كثره عددهم شىء كثير من الأذى، و كانت مطابخهم و تحضير طعامهم فى غاية النظام، و كان منظرهم فى الليل رائعا حيث كان لكل خيمه روضه خوان خاص بها، فيجتمع سكان الخيمه حوله ليستمعوا إلى قصه المقتل حيث يكون على طريقتهم العجيبه و يضربون رءوسهم من شده الحزن...).

اضطر الشاه أخيرا إلى الرضوخ لاراده الشعب، فعزل "عين الدوله" من منصبه و نصب فى مكانه رجلا من أنصار المشروطيه هو نصر الله خان، ثم أصدر أمره بإجراء الانتخابات للمجلس النيابى الذى سمي بـ "المجلس الشورى الملى".

التجاء فى كربلاء

لم يمض على حادثه التجاء أهل "البازار" فى طهران إلى المفوضيه البريطانيه سوى مده قصيره حتى جرت فى كربلاء حادثه مماثله خلاصتها: أن الحكومه المحليه فى كربلاء فرضت على الايرانيين الساكنين فيها ضرائب خاصه، فأعلن الايرانيون احتجاجهم على تلك الضرائب و تدمرهم منها، و كان يشجعهم على هذا الاحتجاج و التدمر محمد حسن خان القندهارى الذى كان يتولى وظيفه نائب القنصل البريطانى فى كربلاء. فكان هذا الرجل يغريهم و يمنيهم. و قد وثقوا بوعوده فتجمعوا قريبا من دار القنصليه البريطانيه الواقعه فى محله "الخيمگاه" و هم فى حاله "الالتجاء" على الطريقه الايرانيه، ففرشوا البسط فى الشارع و علقوا خياما على الجدران ليستظلوا بها من وهج الشمس، و استمروا على ذلك أكثر من خمسين يوما يأكلون و ينامون فى مكانهم لا يتحولون عنه حتى سدوا الطريق على الماره.

كان المتصرف فى كربلاء يوم ذاك رشيد الزهاوى، و قد حاول اقناعهم بالتفرق دون جدوى ثم وسط بعض رجال الدين فى ذلك فلم يابها لهم.

و قد بعث الميرزا حسين الخليلي و السيد كاظم اليزدى إليهم من النجف رسلا ينصحونهم فلم يستمع أحد منهم للنصح، و اضطر المتصرف أخيرا أن يرسل إليهم مدير الشرطه لينذرهم فقابلوا المدير بالاستهزاء و كأنهم كانوا واثقين أن الحكومه فى العراق كحكومه إيران لا تستطيع أن تنتهك حرمة "الالتجاء"، أو لعلهم ظنوا أن بريطانيا العظمى كلها تقف إلى جانبهم.

وجهت الحكومه إليهم ثلاثه إنذارات متعاقبه كان الأول منها لمدته أسبوع، و الثانى لمدته أربع و عشرين ساعه، و الثالث لمدته ست ساعات. و قد حلت نهايه الإنذار الثالث من منتصف ليله القدر من شهر رمضان ١٣٢٤ هـ - الموافق ١٠ تشرين الثانى ١٩٠٦ - فأحاط الجنود بالملتجئين و وجهوا عليهم رصاص بنادقهم من كل ناحيه. إن الملتجئين لم يكونوا يتصورون أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، و قال قائل منهم: "لا تخافوا أنه ليس رصاصا حقيقيا"، غير أنهم صاروا يتساقطون صرعى على الأرض، فأسرعوا يستغيثون بالقنصليه يدقون بابها لتسمح لهم بالدخول فلم يجدوا منها غوثا. و عند هذا أطلقوا سيقانهم للريح بعد أن سقط منهم سبعون قتيلًا و عدد كبير من الجرحى.

استطاع السيد على الشهرستانى من علماء كربلاء أن يذهب إلى بغداد و أن يتصل بالقنصل الايرانى ليخبره بما جرى، و أبرق القنصل بتفاصيل الواقعه إلى طهران و اسطنبول. ثم وصل إلى كربلاء خبراء أرسلهم القنصل البريطانى من بغداد للتحقيق فى الأمر، فشهدوا محل الواقعه و أثر الرصاص فى جدران القنصليه. و كان من نتيجه ذلك أن عزلت الحكومه العثمانيه والى بغداد مجيد بك و عينت فى مكانه أبو بكر حازم.

ان السؤال الذى يواجها هنا: هل كان هناك ارتباط سببى بين واقعه كربلاء و أحداث المشروطيه فى طهران؟ و هل أن محمد حسن خان حرص الايرانيين على "الالتجاء" من تلقاء نفسه أم هو فعل ذلك بايعاز من الحكومه البريطانیه؟ إن فى هذا سرا لا نعرفه، و ربما كشفت عنه الوثائق فيما بعد.

صياغه الدستور الايرانى

افتتح المجلس الملى فى طهران فى ٧ تشرين الأول من عام ١٩٠٦، و قد حضر الشاه مظفر الدين حفله الاحتفال على الرغم من مرضه، و كان أول عمل اهتم به المجلس الملى هو تأليف لجنة لصياغه مواد الدستور، و قد تمت صياغه الدستور و صادق عليه الشاه فى شهر كانون الثانى من عام ١٩٠٧، ثم مات الشاه بعد ذلك بأيام معدوده.

كان الدستور الايرانى فى كثير من نصوصه عبارته عن ترجمه حرفيه للدستور البلجيكى الصادر فى عام ١٨٣٠، فهو يقوم على أساس المبادئ الديمقراطيه التى كانت شائعه فى أوروبا من حيث الاعتقاد بالقانون الطبيعى و حقوق الإنسان، و لكن لجنة صياغه الدستور حرصت على أن يكون موافقا للشريعة الإسلاميه لا يخالفها فى شىء. نجد هذا واضحا فى المادتين الأولى و الثانيه منه. و فيما يلى نصهما المترجم:

الماده الأولى: الدين الرسمى للدولة هو المذهب الجعفرى الاثنى عشرى الحق من الإسلام، و يجب على الشاه أن يقر بهذا المذهب و يحميه.

الماده الثانيه: إن المجلس، الذى تم تشكيله ببركه أمام العصر عجل الله فرجه، و تفضل جلاله الشاه، و سعى العلماء كثر الله أمثالهم، و الأمة الإيرانيه، لا يجوز له أبدا أن يسن أى قانون مناقض لشرائع الإسلام المقدسه... و من الواضح أن العلماء هم الذين يقررون ذلك. و لهذا فالواجب رسميا فى كل دوره من دورات المجلس أن تكون فيه لجنة مؤلفه من خمسة أشخاص هم من المجتهدين و الفقهاء الورعين، و العارفين أيضا لحاجات العصر و مقتضياته... و على المجلس أن يعتبر هؤلاء أعضاء فيه.

و وظيفتهم هى أن يدرسوا جميع اللوائح التشريعيه فإذا وجدوا فيها ما يخالف الشرائع الإسلاميه المقدسه رفضوه. و أن قراراتهم فى هذا الصدد واجبه التنفيذ و نهائيه. و ان هذا الشرط من الدستور لا يمكن تغييره إلى حين ظهور إمام العصر عجل الله فرجه.

الشاه محمد على

بعد موت الشاه مظفر الدين تولى الحكم ابنه محمد على، و كان هذا طاغيه سببى السيره، و أخذ منذ بدايه حكمه يكيد للمجلس النيابى و الحركه الدستوريه، و لهذا تميز عهده القصير بالصراع العنيف بين أنصار "الاستبداد" و أنصار "المشروطيه".

و مما زاد فى شدة الصراع عقد المعاهده الروسيه البريطانیه فى ٣١ آب ١٩٠٧. ففى هذه المعاهده اقتسمت الدولتان النفوذ فى إيران حيث حصلت روسيا على القسم الشمالى منها بينما حصلت بريطانيا على القسم الجنوبى، فكان ذلك بمثابة ضربه قاسيه على أنصار المشروطيه إذ أصبحت طهران

و مناطق إيران الشماليه تحت النفوذ الروسى مما شجع الشاه محمد على على التمدادى فى نزعتة الاستبداديه، و صار حرا يعمل ما يشاء دون أن يخشى من تدخل بريطانيا فى دعم أنصار المشروطيه.

كان الشاه محمد على يحيط به مستشارون روس، و هو يتأثر بآرائهم تأثرا كبيرا و لا سيما برأى رجل منهم يهودى اسمه شبشال. يقول المؤرخ لنشوفسكى: أن الروس كانوا يعتقدون بان حركة المشروطيه هى من تدبير بريطانيا و يعتبرونها مهدده لسطوتهم و نفوذهم فى إيران، فاستغلوا تقربهم من بريطانيا فى عام ١٩٠٧ و شجعوا الشاه محمد على على تعطيل الدستور.

صار الشاه محمد على على أى حال يبذل الأموال و يحشد الأنصار فى سبيل القضاء على حركة المشروطيه فى بلاده، و كان الشعاع الذى رفعه فى ذلك هو أن الدستور بدعه مخالفه للشريعة الإسلاميه. أما أنصار المشروطيه فكان يتزعمهم السيد محمد الطباطبائى و السيد عبد الله البهبهانى. و بهذا انقسم الشعب الايرانى إلى حزبين متطاحنين، و صار كل حزب منهم يكفر الحزب الآخر و يدعو إلى محاربتة.

تألفت فى طهران و أكثر المدن الإيرانية نواد أو مجالس محليه تشبه تلك التى ظهرت فى فرنسا إبان ثورتها الكبرى، و قد أطلق عليها اسم "الأنجمن". فكانت هذه النوادى تجمع التبرعات و تحشد الأنصار و تدربهم على السلاح بغية الدفاع عن المشروطيه. و كثيرا ما شوهد رجال الدين بعمائمهم و هم يتدربون على استعمال البنادق معتقدين أنهم يقومون بواجب الجهاد فى سبيل الله.

و بعد صراع عنيف بين الشاه و المجلس النيابى استطاع الشاه فى حزيران ١٩٠٨ أن يوجه للمشروطيه ضربه قاصمه، فأعلن الأحكام العرفيه و وجه جنود "القوزاق" بقياده لياخوف الروسى لتطويق المجلس، ثم أمر بإطلاق المدافع عليه. و انتشر الرعب فى طهران، و أخذ أنصار المشروطيه يلوذون بالفرار، فاستطاع بعضهم أن يلتجئ إلى المفوضيه البريطانيه و ينجو بنفسه بينما وقع البعض الآخر فى قبضه القوات الحكوميه. و قد شق من المقبوض عليهم اثنان أحدهما الميرزا جهانكير خان صاحب جريده "صور إسرافيل" الثوريه، و الثانى هو الميرزا نصر الله الأصفهانى الذى كان من أشد وعاظ المشروطيه تأثيرا فى الجماهير حتى كان يلقب بـ "ملك المتكلمين" و هو الذى لا يزال تمثاله قائما فى أحد شوارع طهران.

و بعد أن انتصر الشاه فى طهران أبرق إلى ولاته فى أنحاء إيران يأمرهم بالغاء المشروطيه و تشتيت شمل أنصارها و سد نواديههم. و أخذ الولاة ينتقمون من أنصار المشروطيه، فكانوا يجلدون من يقع فى أيديهم منهم أو يبعدون أو يحبسونه...

لم يهنأ الشاه بانتصاره طويلا، فقد هبت الثورات عليه فى بعض المدن، و كان أهم هذه الثورات تلك التى نشبت فى تبريز إذ استطاع أنصار المشروطيه فيها أن ينظموا أنفسهم تنظيما جيدا و تمكنوا من السيطرة على المدينه فتره غير قصيره من الزمن، و قد شجعت هذه الثورة أهل رشت لأن يقوموا بثوره مماثله، و تحركت القوات الرشتيه نحو مدينه قزوین فاحتلتها ثم توجهت نحو طهران. و جاءت الضربه القاصمه أخيرا على يد الحاج على قلى خان رئيس قبائل البختياريه فى منطقه أصفهان و هو المعروف بلقب "السرदार أسعد"، فقد حشد هذا الرجل قوات مقاتله بلغ عدد أفرادها ألفين و معها عدة مدافع. و فى حزيران من عام ١٩٠٩ توجه السرदार أسعد بقواته نحو طهران، و التقى على مقربة منها بالقوات القادمه من رشت، و فى ١٢ تموز دخل طهران فاتحا. و عند هذا أدرك الشاه حواجه موقفه فالتجأ إلى المفوضيه الروسيه طلبا للسلامه، و أعلن الثوار عزله عن الملك و تتويج ابنه أحمد الذى كان فى الثانيه عشره من عمره.

إن هذه الأحداث الصاخبة التي حدثت في إيران لا يمكن أن تمر دون أن يكون لها صداها في المجتمع العراقي. و الواقع أن الرسائل و الاستفتاءات أخذت تنهال من إيران على كبار المجتهدين في النجف تسألهم عن المشروطية هل هي حلال أم حرام. و كان جواب المجتهدين في أول الأمر أن المشروطية موافقه للشريعة الإسلامية، غير أنهم انقسموا بعدئذ على منوال ما انقسم علماء إيران، فادى ذلك إلى ظهور الجدل و التنازع في أوساط العامه مما كان له أثره البالغ في المجتمع العراقي و تطور وعيه السياسى.

من أوائل الرسائل التي وردت إلى علماء النجف تستفتيهم في أمر المشروطية كانت هذه الرسالة نقلها بعد ترجمتها إلى العربية:

" إلى حضرات المجتهدين و حفظه الحكمة الالهيه - لا بد و انكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبى و أنتم تعرفون جيدا أن هذا المجلس الذى يعمل على حفظ القوانين المستمدة من الطريقه الاثنى عشرية المقدسه لمحو الظالمين و الخائنين و نشر العدل على جميع البلاد و إعلاء شان الرايه الإيرانيه، و يؤسفنا أن عددا من الأنايين المفسدين أخذوا ينشرون الافتراءات و الأكاذيب من أجل محو المجلس. فنحن ننتظر فتواكم فى بيان تكليف المسلمين فى هذا الشأن".

و على أثر وصول هذا الاستفتاء إلى النجف اجتمع كبار علمائها للجواب عليه، و كانت فتواهم التي اتفقوا عليها هي كما يلي:

" بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على محمد و آله الطاهرين، و لعنه الله على القوم الظالمين إلى يوم القيامه. أما بعد فبالتأييدات الالهيه و المراحم السماويه و تحت توجيهات الهادى العالى الشأن حضره صاحب الزمان روحنا فداه: إن قوانين المجلس المذكور على الشكل الذى ذكرتموه هي قوانين مقدسه و محترمه و هي فرض على جميع المسلمين أن يقبلوا هذه القوانين و ينفذوها. و عليه نكرر قولنا: إن الاقدام على مقاومه المجلس العالى بمنزله الاقدام على مقاومه أحكام الدين الحنيف، فواجب المسلمين أن يقفوا دون أى حركه ضد المجلس(1) و قد وقع على هذه الفتوى الملا كاظم الخراسانى بالنيابه عن زملائه المجتهدين، و لم يشذ عنهم فى ذلك سوى مجتهد واحد هو السيد كاظم اليزدى إذ امتنع عن التوقيع. و كان امتناع هذا المجتهد بدايه الانقسام بين المجتهدين، ثم أخذ الانقسام يشتد و يستفحل بمرور الأيام.

انقسم أهل النجف إلى فريقين متعادين: أحدهما يدعو إلى المشروطية

بزعامه الملا كاظم الخراساني، و الآخر يدعو إلى الاستبداد بزعامه السيد كاظم اليزدي. و يجب أن لا ننسى في هذا الصدد ما في المجتمع النجفي من ميل مفرط إلى الجدل بوجه عام، فلما جاءت قضيه المشروطيه كانت حافزا جديدا فيه حيث انثال الناس يتجادلون حولها بعنف شديد إلى درجه لم يسبق لها مثيل من قبل. و قد أشار أحد الشعراء إلى ذلك حيث قال:

تغيرت الدنيا و أصبح شرها يروح بافراط و يغدو بتفريط

إلى أين يمضى من يروم سلامه و ما الناس إلا مستبد و مشروطي

حدثني الكتبي النجفي عبد الحميد زاهد: أنه كان في تلك الأيام صبيا يلعب مع أقرانه في الأزقه، فكان الصبيان عند اللعب يقسمون أنفسهم إلى فريقين: مستبده و مشروطه، ثم تشب المعارك بينهم تقليدا لما يقع بين الكبار.

و مما زاد في الطين بله أن الروس أسسوا في النجف قنصليه و عينوا لها رجلا واسع الحليه شديد الدأب في مقاومه المشروطيه هو أبو القاسم الشيرواني، فتم التعاون بينه و بين اليزدي. و استطاع اليزدي أن يستميل إليه الكثير من العامه و مغاوير المحلات من رجال "الزقرت" و "الشمرت"، فكان إذا خرج إلى الصلاه حف به المسلحون من أعوانه و هم يهتفون بالصلاه على محمد و آل محمد - تحديا لأنصار المشروطيه. و صارت الإشاعات تروج في أوساط العامه حول المشروطيه بان المقصود منها هو هدم الدين و إفساد الأخلاق.

و في أحد الأيام ظهر على بعض الجدران في النجف إعلان فيه صوره يد تمسك مسدسا و فيه تهديد لليزدي بأنه سيقتل إذا لم ينزل على إرادته أنصار المشروطيه، فهاج العوام لذلك و صار أنصار المشروطيه عرضه للاعتداء و الضرب في الأسواق و الطرقات بحجه أنهم زنادقه مارقين عن الدين.

الواقع أن الجدل حول المشروطيه لم يقتصر على النجف وحدها بل سرى إلى كربلاء و الكاظميه و بعض المدن الشيعيه الأخرى. حدثني أحد المسنين من أهل الكاظميه عما جرى في هذه البلده من نزاع شديد و جدال حول المشروطيه، فقد كان أكثر العامه من دعاه الاستبداد و يعدون الملا- كاظم الخراساني هو و اتباعه كفارا و لا يكادون يسمعون عن أحد العلماء أنه "مشروطه" حتى ينفضوا عنه و يلعنوه و يتركوا الصلاه خلفه. حاول أحد دعاه المشروطيه، و كان شابا شديد الحماسه أن يجمع التواقيع في تأييدها، فذهب إلى أحد العلماء في الصحن الكاظمي يطلب منه توقيعه و لما وجده يرفض إعطاء خاتمه للتوقيع سحب السجاده من تحته و منعه من الصلاه، و قد حدثت في الكاظميه ضجه من جراء ذلك و هب نفر من مغاوير المحلات فطاردوا الشاب ثم أمسكوا به في أحد الأزقه و اعتدوا عليه اعتداء منكرا، و حين علمت الحكومه بالأمر أرسلت قوه من الجنود لحمايه الاستبداديين، فادى ذلك إلى انكماش المشروطيين و تضاؤل نفوذهم في البلده، و ظل الوضع كذلك فيها حتى يوم إعلان الدستور في البلاد العثمانيه حيث انقلب الوضع إلى عكسه.

من النوادر الأديبه التي تروى عن تلك الفتره أن أحد علماء الكاظميه و هو السيد محمد مهدي الصدر نظم بيتين من الشعر في ذم الاستبداديين، فانبرى الشيخ عبد الحسين الأسدي يرد عليه حيث قام بتشطير البيتين مما أدى إلى قلب معناهما إلى النقيض منه. نقل فيما يلي البيتين مع تشطيرهما، و قد وضعنا التشطير بين قوسين تمييزا له عن الأصل:

المستبدون قد تاهوا بغيهم (بذاك قد قال قوم و افتروا زورا)

(صم و بكم فهم لا يعقلون كما) لم يجعل الله فى أبصارهم نورا

لو كان يمكنهم أن ينسخوا نسخوا (ما كان فى لوحه المحفوظ مسطورا)

(مالوا لشورى الأولى قد حرفوا علنا) من الكتاب عنادا آيه الشورى

عند إعلان الدستور العثماني

أعلن الدستور فى البلاد العثمانية فى ٢٣ تموز من عام ١٩٠٨، و انتشرت مظاهر الزينه و الابتهاج فى العراق بتلك المناسبه، فكان هذا التحول الفجائى فى موقف الحكومه العثمانية من المشروطيه عاملا مهما فى تدعيم موقف الملا كاظم الخراسانى و أعوانه و انخزال أعوان السيد كاظم اليزدى.

من طبيعه العامه أنهم يستاسدون فى حاله الأيمن من الخطر، فإذا حل بهم الخطر انكمشوا فى بيوتهم و أخذ كل منهم يتبرأ من عمل آخر و يزعم أنه لا دخل له فى الأمور. و هذا هو ما حدث فى النجف عند إعلان الدستور العثماني، فقد انكمش العوام أتباع اليزدى و أصبح الجو ملائما لأتباع الخراسانى يصلون فيه و يجولون. و نظم الشيخ على الشرقى قصيده يهجو بها اليزدى و يتشفى به، كما نظم السيد صالح الحلى بعض الأبيات اللادعه من الشعر قارن فى أحدها بين اليزدى و يزيد.

كان قائم مقام النجف يوم ذاك ناجى السويدي، و هو بغدادى أديب له صلوات حسنه مع أنصار المشروطيه، و قد بذل جهده فى تأييدهم. ثم زار النجف ثريا بك من زعماء الاتحاديين فاجتمع بالخراسانى فى إحدى المدارس الدينيه، فكان يوما حافلا فى النجف ابتهج له الأنصار و ابتاس الخصوم.

و يمكن القول أن بعض الذين كانوا من أنصار اليزدى تحولوا عنه و أخذوا يتملقون للحكومه و يهتفون بأعلى أصواتهم "يعيش الدستور!" - و ليس هذا بالأمر الغريب!

إنذار الخراسانى إلى الشاه

عند ما اشتد الصراع بين الشاه محمد على و أنصار المشروطيه فى إيران وضع الملا كاظم الخراسانى كل ثقله إلى جانبهم، و بذل جهودا كبيره لتدعيم موقفهم ضد الشاه.

كان للخراسانى كاتب نشيط اسمه الشيخ على المحلاتى، فكان هذا الكاتب يأخذ الفتاوى و المقالات التى يصدرها الخراسانى ضد الشاه فيطبع منها آلاف النسخ ثم يرسلها تهريبا عبر الحدود إلى إيران لكى توزع هناك سرا.

و كان لهذه المنشورات أثر لا يستهان به فى تحريض الايرانيين على الشاه و فى عزله أخيرا. ننقل فيما يلى ترجمه جزء من أحد تلك المنشورات حيث يخاطب الخراسانى فيه الشاه بشده و يندره و يتوعده:

"يا منكر الدين و يا أيها الضال الذى لا نستطيع مخاطبتك بلقب شاه.

كان المرحوم أبوك أعطى الدستور ليرفع الظلم و التصرفات غير القانونيه عن الشعب الذى كان فى ظلام دامس قرونا عديده حيث أنه لا يوجد فى المشروطيه شىء يخالف الدين... و لكنك من اليوم الأول الذى تبوأته فيه

ص: ١٥٢

عرش السلطه وضعت تحت أقدامك جميع الوعود و الايمان و عملت بجميع الحيل ضد المشروطيه. و قد تجلى لنا خطانا فيك حيث سعت أن تجعلنا آله بيدك ضد المجلس... و الآن سمعنا أنك أرسلت إلينا أحد رجالك المقربين لشراء ذمنا بالذهب، و لست تعلم أن سعادته الشعب أئمن كثيرا من ذهبك... إن ذكرك للدين و الشريعه كذب و هراء أردت بكذبك هذا إغفال البسطاء المتمسكين بالدين لتمنع الدستور و تجعل الناس في ذل و فقر. و على هذا أنت عدو للدين المقدس و خائن للوطن و تشبه السارق الذى يسرق الناس باسم الدين و الشريعه... إنك أنت و المجتهدون المرتزقه الذى يدعون بمخالفه المشروطيه للشرع يتجاهلون حقيقه الدين بان العداله شرط حتى فى الأمور الجزئيه... و إذا حصل تأخر منك عما قلنا فاننا سوف نحضر جميعا فى إيران و نعلن الجهاد ضدك. و لنا فى إيران اتباع كثيرون، و المسلمون كثيرون أيضا. فاننا أقسمنا على ذلك (١).

الوضع فى كربلاء

كان الوضع فى كربلاء يختلف عن الوضع فى النجف من بعض الوجوه، فقد كان فى كربلاء حين ذاك واعظ إيراني من أنصار الاستبداد اسمه السيد أكبر شاه، و كان خطيبا مصقعا له لحيه طويله و تأثير قوى على العامه.

إنه كان يعظ ضد المشروطيه قبل إعلان الدستور العثماني، و ظل يخطب بعد إعلانه من غير أن يخشى أحدا.

و فى شهر آذار من عام ١٩٠٩ وصل إلى كربلاء واعظ إيراني من المشروطيين اسمه الشيخ جواد، و بدأ منذ ذلك الحين نزاع شديد بين الرجلين من على المنابر. و انقسم أهل كربلاء إلى فريقين، كل فريق التزم واعظا، و صار يكفر بعضهم بعضا.

كان قتل الحسين (ع) من المواضيع التى اتخذها الفريقان مستندا لهما فى الجدل. فانصار المشروطيه يعتقدون أن الحسين إنما قتل بسيف الاستبداد و أنه لو كان نظام المشروطيه سائدا فى زمانه لاختاره المسلمون خليفه عليهم بدلا من يزيد. أما أنصار الاستبداد فرأيهم أن المشروطيه تعنى الشورى و أن الشورى هى التى أدت إلى ضياع الخلافه من أهل البيت و وصولها إلى رجل مثل يزيد.

نشرت جريده الرقيب البغداديه فى ١ نيسان ١٩٠٩ وصفا لما كان يحدث فى كربلاء من جدال بين الشيخ جواد و السيد أكبر شاه، و مضمون ما ذكرته الجريده هو: أن الأحرار الايرانيين و العثمانيين استبشروا بوصول الشيخ جواد إلى كربلاء، فغص الجامع بالناس لسماع خطبه المؤثره، و قد ذكر الشيخ ما أمر به النبى من إجراء العدل و المساواه، ثم أشار إلى أن الحسين لم يقتل إلا بسيف الاستبداد، و عند هذا قام أحد أركان "المستبدين" يرد على الشيخ و يثلبه، و هو لم يجرؤ على ذلك من تلقاء نفسه " لأنه أحقر من ذلك " بل كان مدفوعا من قبل حزبه الذين " يريدون ليطفئوا نور الله " و لو لا حضور و كيل المتصرف لحصل ما لا يحمد عقباه، و فى اليوم التالى حضر الشيخ جواد " رغما عن أركان حزب التقهقر " يحيط به الأحرار " إحاطه الهاله بالقمر... فرمى الله بالذل و الخزى أولئك الأضداد لكل فضيله، و عند ذلك تهللت وجوه الأحرار... و تكلم الخطيب بما خطر له من مدح العدل و قدح الظلم، و الثناء على الأحرار و الطعن فى المستبدين الأشرار، فلم يستطع من أولئك الظلمه أحد أن يفوه بكلمه... (٢)

أمرت الحكومه السيد أكبر شاه أن يغادر كربلاء إلى الكاظميه، و قد علقت جريده الرقيب على ذلك فى ٥ نيسان حيث تساءلت عن الفائده من نقل هذا الواعظ من مدينه إلى أخرى داخل العراق و هل أن ذلك سيرفع الضرر الناتج عن خطبه المثيره الداعيه إلى مبادئ الاستبداد و الظلم؟! يبدو أن الجريده كانت تريد من الحكومه أن تبعد الواعظ إلى إيران و تنقذ العراقيين من شره.

كان الإيرانيون يعتقدون أن المشروطية عند تطبيقها في بلادهم ستكون علاجا ناجعا لجميع مشاكلهم فلا يشكون بعد ذلك من شيء، و لكنهم وجدوا بعد انتصار حركة المشروطية و عزل الشاه محمد على أنهم وقعوا في حالة هي أسوأ مما كانوا فيها.

أصبح كل من ساهم في الحركة طامحا أن ينال أعظم المناصب مكافاه له على جهاده في سبيل "المله"، و ظهرت عصابات اللصوص في كثير من الأنحاء يعبثون بالأمن و يقطعون الطرق، و امتنع حكام الأقاليم عن إرسال ما عليهم من مبالغ للخرينه المركزيه، و انقسم الناس شيعا و أحزابا كل حزب يعتقد أن رأيه هو الذي يجب أن يتبع في إصلاح البلاد.

إن قبائل البختيارية حصلت من تلك الفوضى على حصه الأسد، فقد احتلت مدينه أصفهان بحجه حمايه الثوره، و استحصلت من الخزينه المركزيه مبلغا شهريا قدره عشرون ألف تومان بدعوى حراسه الطريق، و ذلك علاوه على ما كانت تجبى من الناس من ضرائب مباشره. و من الطرائف التي رويت في هذا الصدد أن لصا من قطاع الطرق اسمه نائب حسين الكاشاني نهب ذات مره أحد البختاريين و قال: إن هذه هي حصتي من الغنائم.

و كانت جلسات المجلس الملى تمثل أعجب المشاهد و أدهاها للسخرية، فقد كان الجدل بين النواب عنيفا و الشتائم متبادله، و كثيرا ما شارك المستمعون فيها، و كان كل نائب يريد أن يخطب بحماسة لينال إعجاب الغوغاء، حتى إذا خرج من المجلس توقع أن ينال من أهل الأسواق حمدا و تقديرا. و إذا كان النائب شديد التعصب جهورى الصوت استطاع أن يغلب الآخرين، في الجدل، ثم يدعى بعدئذ أن الحكومه لم تأخذ برأيه و لو كانت قد أخذت به لا رتقت إيران إلى مصاف الدول العظمى.

كتب الوزير المفوض البريطانى إلى حكومته يقول ما مضمونه. إن الإيرانيين سيقون إلى مدى جيلين غير جديرين بالنظام الدستورى. و قد علق أحد البريطانيين الذى كانوا يسكنون في طهران يوم ذاك على هذا القول إذ وضع اللوم على بريطانيا و اعتبرها مسئوله عن نشر الديمقراطيه في البلاد التي لا تصلح لها...

من الأعمال التي تورط بها أنصار المشروطية عند انتصارهم أنهم شنقوا المجتهد الكبير الشيخ فضل الله النورى، و كان شيخا وقورا كبير السن، و قد قام بشنقه على ملاء من الناس رجل أرمنى اسمه يفرم كان مديرا للشرطه

ص: ١٥٣

١- ن م ص ٢٦-٢٧.

٢- عبد الله الفياض (الثوره العراقيه الكبرى ص ٩٩-١٠٠).

حين ذاك، فادى ذلك إلى شيوع التدمير فى أوساط الكثيرين من الناس.

و انتهب الخصوم الفرصه فجعلوا شتى الشيخ بمثابة "قميص عثمان" و أقاموا له مجالس الفاتحه و حفلات التابين فى كل مكان، و أخذوا يبالبغون فى تمجيد الشيخ بغيه التشهير بالمشروطيه و أنصارها. و لم يقتصر ذلك على إيران بل سرت عدواه إلى العراق فاخذ خصوم المشروطيه فيه يكثرون من إقامة مجالس الفاتحه على روح الشيخ و ينادون: "أويلاخ، قتل شيخنا مظلوما".

إعلان الجهاد على روسيا

فى عام ١٩١١ حصل اختلاف حول بعض الأمور المالىه بين روسيا و الحكومه الإيرانيه، فزحفت القوات الروسيه نحو مدينه تبريز فاحتلتها، ثم عمدت إلى شتى بعض رجال الدين فيها من أجل إرهاب غيرهم، فادى ذلك إلى الهياج العام فى إيران فأعلن رجال الدين الجهاد و أمروا الناس بالتدريب على السلاح. و من طريق ما يروى فى هذا الصدد أن سكان كرمان، و هى بلده تقع فى الجنوب من إيران، تحمسوا للجهاد أكثر من غيرهم و أخذوا يتدربون على السلاح تحت إشراف رجال الدين و هم عازمون عزما أكيدا على غزو روسيا و عزل القيصر. و لم يمر على ذلك سوى مده قصيره حتى ظهرت بالقرب من البلده عصابه من اللصوص و أخذت تقطع الطرق و تنهب القوافل حتى وصل مجال فسادها إلى أبواب البلده. فاستنجد المسئولون فى البلده بالقنصل البريطاني و طلبوا منه قوه لمحاربه العصابه، و قد اعتذر القنصل لهم ثم سألهم متعجبا: لما ذا لا يستطيع المجاهدون أن يحاربوا عصابه صغيره من اللصوص بينما هم يستعدون لمحاربه روسيا كلها. فكان جواب المسئولين: أن المجاهدين إنما يستعدون لمحاربه روسيا لأنها بعيده عنهم، و لكن اللصوص قريبون.

و كانت حركه الجهاد قد انتشرت فى العراق أيضا، فقد أوعز الملا- كاظم الخراسانى بنصب الخيام فى ظاهر النجف و تعبئه المجاهدين فيها استعدادا للزحف على روسيا. و قد نصبت الخيام فعلا و تهيأ الناس للسفر، و امتلأ الجو باهازيج العشائر و الخطب الرنانه.

و فى ليله ١٢ كانون الأول من عام ١٩١١ بينما كان الخراسانى على أهبه السفر شعر بتوعك مفاجئ فى صحته، فاصفر وجهه و انتابه العرق الغزير، و قبل أن تشرق شمس الصباح التالى أدركته الوفاه. فاستدعى إليه طبيب الحكومه، و قد قرر هذا بعد فحصه أنه مات بالسكته القليه. و لكن الناس لم يصدقوا ذلك و أخذت الإشاعات تروج بينهم فى أنه مات مسموما بايدى الجواسيس، و انتشرت بينهم قصه مفادها أن رجلا- كان قد أهدى إليه قبيل وفاته تفاحه صفراء و هى التى جرت عليه البلاء(١) تفرق المجاهدون على أثر موت الخراسانى، و طويت الخيام، و انشغل الناس بالنوح على الفقيد و إقامة مجالس الفاتحه و إلقاء القصائد الشعريه فى تابينه.

و فى أواخر آذار ١٩١٢ وصل إلى العراق خبر مفاده أن الجيوش الروسيه قصفت بالمدافع مشهد الرضا (ع) فى خراسان فانهدم جزء من القبه و السقف و أدى ذلك إلى قتل و جرح عدد من الزوار الذين كانوا يتجهدون فيه. و عند هذا ساد الهياج فى مختلف أنحاء إيران و العراق، و وجد المجتهدون فى العراق أن من الضرورى استئناف حركه الجهاد من جديد.

اجتمع فى الكاظميه لفيق من المجتهدين كان فيهم: السيد مهدي الحيدري، و الشيخ مهدي الخالصي، و السيد إسماعيل الصدر، و الشيخ عبد الله المازندراني، و الشيخ فتح الله الأصفهاني، و الشيخ محمد حسين القمشه إي، و السيد على الداماد، و السيد

مصطفى الكاشاني، و قرروا إعلان الجهاد على روسيا على منوال ما فعل الخراساني الراحل.

امتنع مجتهدان كبيران عن الحضور إلى مؤتمر الكاظميه و عن الانضمام إلى حركة الجهاد و هما: الميرزا محمد تقى الشيرازى فى سامراء. و السيد كاظم اليزدى فى النجف. فقرر الشيخ مهدي الخالصى أن يسافر بنفسه إليهما بغية اقناعهما بالانضمام إلى الحركة، و لم يجد الخالصى صعوبه فى اقناع الشيرازى عند ما ذهب إليه فى سامراء، غير أنه عند ذهابه إلى النجف لم يتمكن من الاجتماع باليزدى لمحدثه فى الموضوع إذ كان هذا يتهرب من لقيه المره بعد المره.

و فى أحد الأيام بينما كان الخالصى فى النجف يواصل مساعيه للاجتماع باليزدى وقع عليه اعتداء من قبل بعض العامه، و قد أسرع الخالصى إلى مغادره النجف و العوده إلى الكاظميه درءاً للفتنه. و حين سمع أهل الكاظميه بالحادث تحفزوا لأخذ الثار إذ لم يهن عليهم أن يعتدى أهل النجف على عالمهم دون أن ينتقموا له. و قد بذل الخالصى جهده لتهدئتهم.

كان والى بغداد يوم ذاك جمال بك، و كان على صله وثيقه بالخالصى، فلما سمع بحادث الاعتداء عليه أمر بإلقاء القبض على المعتدين و بسوقهم مكبلين إلى بغداد. و انبرى الخالصى يتشفع لهم عند والى حتى جعله يأمر بإطلاق سراحهم. و فى زحمه هذه الأحداث نسى الناس جهاد الروس و انشغلوا بجهاد بعضهم بعضاً!

نظرة عامه

إننا حين ننظر إلى حركة المشروطيه بوجه عام نستطيع أن نقول إنها على علاقتها كانت ذات أثر اجتماعى و فكرى لا يستهان به فى تطوير المجتمع.

ينبغى أن لا ننسى أن أنصار المشروطيه كانوا فى ذلك الحين يمثلون "الجبهه التقدميه" بالنسبه للمرحله الاجتماعيه التى عاشوا فيها.

فقير الله اللاهورى،

المشهور بآفرين.

توفى سنه ١١٥٤.

من شعراء الهند، له ديوان و هو محفوظ فى مكتبه المتحف البريطانى و تاريخ كتابته سنه ١١٤٧ و هو يضم أربعة آلاف بيت من الشعر فيها الغزل و الخمس و قصائد فى مدح النبى (ص) و رثاء الحسين (ع). و من آثاره منظومه قصصيه باسم (ناز و نياز) تروى حب هير لبارانجها.

و هناك شاعران آخران مشهوران بآفرين، أحدهما شمس الدين المشهدى و مير زين العابدين الأصفهانى (١١٢٥).

الشيخ قاسم حرج ابن الشيخ محمد

الشهير بحرج الوائلى.

ولد فى النجف سنة ١٣١٩.

درس فى النجف علوم اللغة العربيه و الأصول و الفقه، ثم ترك النجف متنقلا بين البصره و الشطره مترددا أحيانا إلى النجف. أراد أن يؤلف (مختصر الأغاني) و لكنه لم يكمله، كما لم يكمل منظومه فى المنطق.

له شعر منه قصيده فى رثاء الشيخ جواد الجواهرى يقول فيها:

لسنا إذا اكتظ الندى وعى فيه لداته

ثبتا إذا رجفت بساحات النضال كماته

لم أنس نهضته غداه أتى العراق غزاته

بفيالتي من لندن غصت بها فلواته

عاشت كان لم تدر ان الغاب فيه حماته

حتى إذا انتهكت بفعل طغاتهم حرماته

مطرت فيالقهم حماما فى الوغى عزماته

فى معرك شوك الحديد مصايدا حافاته

و الجوق قد رصدت بسرب الطائرات جهاته

و الشمس فيه تنقبت و نقابها هبواته

لله فصل ملاحم قد مثلت ماساته

زرع بذرنا بذره و لغيرنا ثمراته

دع ذكر معترك به ذهبت سدى حر كاته

للآن مائله أمام عيوننا و يلاته

بقيت و تبقى فى النفوس تحزها و خزاته

و قال:

خسر الغرى مشايخا لوجوههم نور أضاء الخافقين تمامه
فى رحمه البارى انطوت ارواحهم فعليهم من ذاهبين سلامه
عبث الردى بنفوسهم فتبددت كالماء مسكوبا تكسر جامه
و بغفله العلم الجليل تعطلت عرصاته فتعطلت أحكامه
كان الندى يفيض روحانيه منهم و يطفح بالجلال نظامه
و الجو من نشر الفقاهه منعش كسمااء ورد فتحت أكامه
من بعدهم للشرع ينشر فقهه؟ و بمن يبين حاله و حرامه؟
الله يحفظ من زمان مقبل سور علينا بعدهم أيامه
بلد تعظمه الشعوب كأنه تاج تالق فى الشعوب و سامه
ضم النهى و اللوذعيه و الابا و تقدست ذكواته و إكامه
من كل قطر بعته فى ربه لجب بنشاء الطالبين زحامه
و حلیمه يدعى لكل عظيمه و تغيث إن خطب عرا أحلامه
الله آثره بمجد خالد رأس على رغم الخطوب شمامه
قدر الخليفه فيه شرف قدره و ييمنه لا يستباح ذمامه
إن دام فيه سلوكم فى أمره قحط الرجال يطول فيه دوامه
نشء يبذ بفظنه و نباهه لو كان فى يد مخلصين زمامه
ويح له قد شتته عصابه نفعيه أعياء عليه وئامه
بيد الضياع و حسبنا من قد بقى فإذا أضيع على الرئيس أاثامه

الشيخ كاتب الطريحي ابن الشيخ راضى.

ولد فى النجف سنة ١٣٠٣ و فيها درس علوم اللغة العربيه و الأ-صول و الفقه. أقام فى الكوفه و ساهم فى حرب الإنكليز فى أول احتلالهم للعراق فى جبهه القرنه و جبهه الكون.

من شعره قوله يرثى الحسين ع من قصيده:

بنفسى ظمآن الحشاشه طاويا قضى ظما و الماء يطفح طاميا

بنفسى وحيدا و العدى عدد الحصا و لو لا القضا الجارى لأفنى الأعدايا

بنفسى بنات الوحى أصحت حواسرا تجوب بها عجف النياق الفيافيا

بنفسى رأس السبط من فوق أسمر بصبح محياه يحيل الدياتيا

بنفسى جسما رملته يد العدى فأصبح فى وجه البسيظه عاريا

و قال يرثى مسلم بن عقيل من قصيده:

قفا نسأل الربيع الذى قد تهدما متى آب من نور الامامه مظلما

أما كان مثوى للعفاف و ملجا أ شطت أهاليه فأمسى مهدهما

لقد كان للهلاك كعبه أنعم فهل يا ترى من كفه بعد أنعما

هلما معى نسكب هنالك أدمعا من القلب مجراها و نندب مسلما

رسول ابن خير المرسلين و سيدا به شيد الرحمن للدين أرسما

و نجعتها من آل غالب أصيدا يعد الوغى عيدا إذا الجيش صمما

يصول عليهم مصلتا سيف عزمه فيوردهم بحر المنيه مفعما

هزبر بصدر الجمع يركز رمحه و من دمهم يروى الحسام المخدما

كمى يرى الأعداء سطوه حيدر بيوم به ليث العرينه أحجما

فما كنت أدرى كيف سلم مسلم و لكن قضى الرحمن أمرا فسلما

فشلت يدا بكر بن حمران إنه أطاح عماد الدين مذ جسمه رمى

باسواقهم أضحى يجر و هانيا فيا قلب ذب وجدا و حزنا عليهما

كمال الدين سحابى الأسترآبادى

المشتهر بسحابى شوشترى أو سحابى نجفى.

توفى فى النجف سنه ١٠١٠.

من شعراء القرن العاشر و عرفائه. أبوه من أسترآباد و ولد هو فى شوشتر، و عاش أربعينيات آخر عمره فى النجف حتى وفاته. و كانت دراسته فى النجف معروفا من فقهاء زمانه.

جعل من نفسه كناسا لمرقد أمير المؤمنين ع، و كان لا يملك من حطام الدنيا إلا حصيره و إبريقا، و كان أكثر خدمه المرقد يحبونه و يحترمونه و يقولون إن له كرامات.

له: كليات سحابى. و رساله العروه الوثقى المشتمله على النثر و الشعر، و فيها أربعة فصول: ١ - البصره. ٢ - اللابصيره. ٣ - كيفيه طهور الشراب. ٤ - الرجوع إلى الله.

و له: ديوان غزل فيه ٢٨٠٠ بيت من الشعر. و له مجموعيه رباعيات.

الشيخ لطف الله بن عطاء الله الحويزى:

ذكره الحر العاملى فى أمل الآمل، فقال: عالم فاضل متبحر معاصر، له كتاب (شرح الشرائع) و غير ذلك. اه.

أقول و للشيخ الحويزى هذا كتاب اسمه (منتهى الوصول فى شرح زبده الأصول) مرقم ب (١١١٨) فى مكتبه السيد شهاب الدين النجفى المرعشى فى مدينه قم.

ص: ١٥٥

و نقل صاحب (أنوار البدرين) عن (تمه أمل الآمل) للسيد محمد بن علي بن أبي شبانه البحراني، ترجمه للشيخ لطف الله بن عطاء الله بن علي بن لطف الله البحراني، أثنى عليه بما لا مزيد عليه و قال له شعر يقرأ في المجالس الحسينيه و الظاهر أنه من قريه جد حفص.

و قال العلامة الطهراني في الذريعه قسم الديوان، صفحه ٩٤٤:

(ديوان الشيخ لطف الله) بن محمد بن عبد المهدي بن لطف الله بن علي البحراني، الذي صحح بعض أجزاء شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد سنه ١١٦٤ هـ. و له رثاء في الامام الحسين (ع) نقله حفيده و سميّه الشيخ لطف الله بن علي بن لطف الله الجد حفصي البحراني المذكور آنفا في مجموعته كتبها سنه ١٢٠١ هـ و للحفيد هذا أيضا ديوان و مرثي في الامام الحسين (ع).

أقول و يظهر من المقارنات الزمنيه أن الشيخ لطف الله بن عطاء الله الحويزي متحد مع الشيخ لطف الله بن عطاء الله بن علي بن لطف الله البحراني و ان الذين ذكرهما صاحب الذريعه هما من أقارب المترجم لأنه متقدم عليهما، إذ أنه من معاصري صاحب الأمل فهو من رجال القرن الحادي عشر الهجري.

فمن شعر الشيخ لطف الله المترجم قوله من قصيده:

وصلنا السرى بالسير نقطعها قفزا مهامه لا تهدي إليها القطا أثرا

يضل بها الخريت أن حل أرضها و ترصدها الجربا فتقذفها سعرا

على يعملات كالقسي تفاوضت أحاديث من تهوى فطاب لها المسرى

تسابق أيديها على السير أرجل قدحن من الصلد الصفاه لها جمرا

و ما إن زجرناها و لكنها متى تلهف ملهوف توهمه زجرا

و ما اتخذت مناد ليلا و إنما تخب و تستقرى إذا انتشقت عطرا

إلى أن أجازت ساحه الحى و انتهت إلى دار من تهوى و قد أقفرت دهرا

فلما عرفن الدار حنت و انهرمت فلم تنبعث في السير أرجلها شبرا

فملنا عن الأكوار للأرض سجدا فسابقت الأجفان أفواها فخرا

وعدنا فسلمنا سلاما فسلمت ثلاثا فسلمنا عليها بها عشرا

الشيخ محسن الجواهري ابن الشيخ شريف.

ولد في النجف سنة ١٢٩٥ و توفي سنة ١٣٥٥.

درس في النجف ثم قام برحلات إلى البحرين ثم خوزستان حيث استقر في مدينه الفلاحيه. و لما قاد السيد محمد سعيد الحبوبى المجاهدين العراقيين في معارك الشعييه خلال الحرب العالميه الأولى انضم إليه على رأس من ساروا معه من خوزستان. و بعد الهزيمه في الشعييه عاد إلى النجف. و لما تم احتلال الإنكليز للعراق عاد إلى الفلاحيه، ثم انتقل إلى الأهواز سنة ١٣٤٨ فبقى فيها مرشدا دينيا حوالى سبع سنين. ثم مرض و لما اشتد عليه المرض قرر العوده إلى النجف، فلما وصل البصره توفي فيها، فنقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيه.

ترك عدده مؤلفات منها: الفرائد الغوالى فى شرح شواهد الأمالى للسيد المرتضى فى أربعة أجزاء. و شرح ديوان ابن الخياط (طبع). و الرد على ابن أبى الحديد، لم يتمه. و من شعره قوله مديلا:

(أما و الله لو تجدين وجدى لما وسعتك فى بغداد دار)

و لا استعذبت بعدى صفو عيش و عيشى قد أديف به المرار

و لا أبقت لك الأفكار قلبا و قلبى لا يقر له قرار

أبيت مسهدا أرعى الدرارى يورقنى لمن أهوى اذكار

و يقلقنى الأسى جزعا كانى أسير عض ساقيه الأسار

عجيب منك أن تحيى سعيدا و جسمى قد أذابته القفار

و تنعم وادعا بمراح أنس و طى حشاي من ذكراك نار

و كيف هناء ذى ود صحيح و من أحبابه شط المزار

و قوله:

قفى يا نفس وقفه ذى اعتبار فحتام انقيادك للصغار

إلى م و أنت شمس ذوى المعالى خفاؤك تحت ابراد السرار

يغرك من ذوى القربى ابتسام و قد طبعوا على الحقد المثار

إذا سمعوا جميل الذكر عنى حسبت وجوههم طليت بقار

أصافح منهم طلق المحيا يود بان أرى رهن الأسار

أروم علوه فيروم خفضى و أجبره و يجهد فى انكسارى

لئن غطيتم فضلى فانى ساكشف عنكم فضل الإزار

فدونك فاطرح قوما بقوم كرام و اتخذ دارا بدار

فكل مقام ذى شرف مقامى و كل جوار ذى عز جوارى

أيرقد فى مهاده الضيم هونا كريم ماجد زاكى النجار

تردى ثوب مكرمه و عز غداه الفخر ليس بمستعار

يرد بعزمه صرف الليالى و ابيض تحت ليل النقع وارى

و له مشيدا بفضل أبى طالب و ذريته:

إلى كم أمنى النفس بالعز و النصر و أفزع من جور الليالى إلى الصبر

و ألقى خطوط الدهر فردا و لا أرى كريما يذود الخطب بالأسل السمر

و أطوى حنايا أضلعى من حوادث تهاوت على قلبى كصاليه الجمر

و كم ذا أرى فىء النبى مقسما برغم حماه الدين بين ذوى الغدر

فلا تكفرى النعم لوى بن غالب فان رسول الله أجدر بالشكر

أليس الذى أدنى إلى الظل غالبا و أسكنها دون البريه فى الصدر

و سن لها نهج الهدى و أحلها محل على أربى على هامه النسر

به سلكت سبل المعالى فأصبحت تهادى بفضل الدين فى حلل الفخر

فكم خالفت دين النبى و ضيعت حقوقا رعاها الله فى محكم الذكر

فسل من حمى المختار كهلا و يافعا و من رد عند البيت عاديه الكفر

و من ذا أبات المرتضى فى مكانه مخافه بغى الكاشحين أولى الغدر

و من ذا دعى للدين و النصر جعفرًا و حمزه و الهادى من الكفر فى حصر

و ما زال يدعو للهدى و يحوطه إلى أن قضى مستوجب الشكر و الأجر

و لما قضى قامت بنوه مقامه لرد الأعدى عنه بالبيض و السم

فسل من فدى الهادى بمكه و العدى ترقب فى أوتارها مطلع الفجر

و من فرق الأحزاب يوم تجمعت قريش و طارت أنفس القوم من عمرو

محمد إبراهيم القزوينى.

ولد فى قزوین سنه ١٠٢١ و توفى فيها سنه ١٠٩٠.

ساح أيام شبابه فى كثير من البلاد ثم عاد إلى قزوین، و بعد فتره تركها

ص: ١٥٦

١- السيد هادى باليل الموسوى.

إلى أصفهان و خالط هناك الميرزا جلال الأسير، ثم سافر إلى الهند و صاحب هناك كلا من كلیم كاشانى و الحاج محمد جان القدسى المشهدى، و أثرى فى الهند فعاد إلى قزوین فتوزعت ثروته بين الأقارب و الأشراف، فعاد إلى الهند ثم رجع إلى قزوین. و فى موضع الذى توفى به أرسل له الشاه مبلغا من المال فرفضه.

قدر قلبى بيك مجموع أشعاره و هو فى السادسة و الخمسين من عمره بعشرين ألف بيت، و يقول خوش گو فيما دونه أنها ثلاثون ألف بيت. و له ديوان مخطوط فى مكتبه مجلس الشورى الايرانى يحتوى على ١٠٨٠٠ بيت. و له المثنوى:(محيط الكونين) فيه ثلاثة آلاف بيت.

و وصف شعره بأنه سلسل مفهوم غير معقد لا سيما فى المثنوى (محيط الكونين).

و فى محيط الكونين مذكراته عن أسفاره من قزوین إلى تبريز ثم إلى بغداد فالعقبات المقدسه فى العراق، ثم رجوعه إلى قزوین عن طريق همذان، ثم سفره إلى الهند بطريق أصفهان و شیراز. و وصف معالم البلاد و لقاء العلماء و الأدباء و الشعراء، و ذكر العرفاء. و قد انتهى من نظمه سنة ١٠٦١.

و يعتبر فى مجموع شعره من شعراء عصره المتوسطين، على أنه فى غزلياته لا سيما منها ما فى محيط الكونين كان غزليا بارزا يساق شعراء الغزل فى القرن العاشر.

و لا بد كذلك من الإشارة إلى شعره فى العرفان و الأخلاق(١)

الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج عبد الله بن إسماعيل

إشاره

الكاتب البغدادى

المعروف بابن أبى الثلج.

ولد سنة ٢٣٧ و توفى سنة ٣٢٢ أو ٣٢٣ أو ٣٢٥.

ذكره فى أعيان الشيعة الجزء التاسع صفحه ١٠١ من الطبعة الأخيره فى ترجمه مختصره فبعد ذكر اسمه قال: (فى طبقه سعد بن عبد الله له كتاب ذكر من قال بالتفضيل من الصحابه)(٢) و دون عام وفاته سنة ٣٠١ و هو خطأ جزما حيث أرخ سنة وفاته الشيخ أبو جعفر الطوسى فى رجاله سنة ٣٢٥(٣) و كذلك غيره من المتقدمين، كما سمع منه التلعكبرى من عام ٣٢٢ إلى ٣٢٥ كان المترجم له من أئمه الحديث و علماء الشيعة المبرزين، مفسر متكلم مؤلف أكثر أدرك فى شبابه الامام على الهادى و الامام الحسن العسكرى ع و أخذ العلم و الفنون الإسلاميه عن أكابر علماء الفريقين و حضر فى الحديث و الفقه على جده محمد بن أبى الثلج عبد الله، و أبى عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر الحسينى المتوفى سنة ٣٠٨ صاحب كتاب (التاريخ العلوى)، و أبو زيد

عمر بن شبة، وقاسم بن محمد المرزى و محمد بن همام الإسكافى وغيرهم.

تصدر المترجم له كرسى التدريس و تخرج عليه جماعه منهم أبو المفضل الشيبانى و الشيخ أبو محمد هارون بن موسى التلعكبرى المتوفى سنة ٣٨٥ و سمع منه من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٢٥ و فيها مات المترجم له و الشيخ أبو نصر محمد بن الحسين المقرئ من مشايخ الشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ و القاضى أبو الفرج معافى بن زكريا و أبو الحسن الدارقطنى و أبو حفص بن شاهين و أبو بكر الدورى وغيرهم.

أقوال العلماء فيه:

ذكره ابن النديم فى أكثر من موضع من كتابه الفهرست و وصفه بعد ذكر اسمه و شهرته قائلا: (... خاصى عامى و التشيع أغلب عليه. و له روايه كثيره من روايات العامه و تصنيفات فى هذا المعنى و كان دينا فاضلا ورعا و نحن قد ذكرناه قبل هذا و توفى... و له من الكتب، كتاب السنن و الآداب على مذاهب العامه. كتاب (الفضائل) فضائل الصحابه، كتاب الاختيار من الأسانيد(٤) قال أبو العباس النجاشى فى رجاله (محمد بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل الكاتب أبو بكر يعرف بابن أبى الثلج و أبو الثلج هو عبد الله بن إسماعيل ثقه عين كثير الحديث له كتب... قال أبو المفضل الشيبانى حدثنا أبو بكر بن أبى الثلج و أخبرنا ابن نوح قال حدثنا أبو الحسن بن داود قال حدثنا سلامه بن محمد الأرنؤى قال حدثنا أبو بكر بن أبى الثلج بجميع كتبه(٥) و نقل عنه الشيخ محمد الأردبيلى الحائرى فى كتابه جامع الرواه ج ٢ ص ٦٣ كما وثقه العلامة الحلى المتوفى سنة ٧٢٦ فى رجاله ص ١٦١ الطبعه النجفيه و قال شيخ الطائفة الشيخ أبو جعفر محمد الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ فى رجاله (محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى الثلج الكاتب بغدادى خاصى يكنى أبا بكر سمع منه التلعكبرى سنة اثنتين و عشرين و ثلاثمائه و ما بعدها إلى سنة خمس و عشرين و فيها مات و له منه إجازة(٦) و ذكره فى الفهرست أيضا(٧) و ترجمه شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة و أشار إلى مؤلفاته فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة و قال فى مصفى المقال: (الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل الكاتب المعروف بابن أبى ثلج المتوفى سنة ٣٢٥ هجرية يروى عنه أبو محمد هارون التلعكبرى إلى التاريخ، و يروى عنه أيضا أبو المفضل الشيبانى، قال النجاشى: هو عين ثقه كثير لحديث [الحديث] و عد من تصانيفه كتاب تاريخ الأئمة و أخبار النساء المحمودات و أخبار فاطمه و الحسن و الحسين (ع) و كتاب من قال بالتفضيل من الصحابه و غيرهم و أبو الثلج كنيه جده الأعلى عبد الله بن إسماعيل كما صرح النجاشى و غيره(٨) ذكره سيدنا الأستاذ السيد شهاب الدين المرعشى النجفى فى مقدمه مجموعه نفيه فى تاريخ الأئمة و لم يتطرق إلى تاريخ حياته و طبع كتابه المذكور (تاريخ أهل البيت (ع) بتحقيق السيد محمد رضا الحسينى الجلالى و لم يتطرق إلى حياه المؤلف و قال: (و نسب الكتاب إلى ابن أبى الثلج البغدادى جزم بذلك جمع من الاعلام منهم شيخنا

ص: ١٥٧

١- تاريخ أدبيات إيران.

٢- انظر أعيان الشيعة ج ٩ ص ١٠١ بيروت دار التعارف سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣- انظر رجال الطوسى تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم ص ٥٠٢ الطبعه النجفيه الأولى سنة ١٣٨٠ [١٣٨٠] هـ - ١٩٦١ م.

- ٤- ابن النديم: الفهرست تحقيق رضا تجدد ص ٢٨٩ طهران الطبعة الأولى مطبعة جامعه طهران.
- ٥- أبو العباس أحمد النجاشي: رجال النجاشي ص ٢٧٠ الطبعة الحجرية الأولى بيثى [بمبثى] سنة ١٣١٧ هجرية.
- ٦- الشيخ أبي جعفر محمد الطوسي: رجال الطوسي تحقيق السيد صادق بحر العلوم ص ٥٠٢ الطبعة النجفيه الأولى/١٣٨٠ هـ.
- ٧- انظر الفهرست لشيخ الطائفة الشيخ الطوسي: ص ٦٣ مشهد جامعه مشهد.
- ٨- انظر مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال ص ٣٩١ طهران الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

الطهراني استنادا إلى الجهد البالغ الذي بذله في الكتاب و هو الظاهر من تكرر ذكره فيه فإنه كثيرا ما يستدرك على الفريابي و غيره ما فاتهم و كذلك جزم السيد الشهيد القاضى الطباطبائي بان المؤلف هو ابن أبى الثلج فطبعه منسوبا إليه و كذلك جاءت هذه النسبه من غير ترديد فى ما كتبه السيد المرعشى فى مقدمه طبعته للكتاب لكن: أولا: أن كثيرا من الطرق لم يرد فيها ذكر لابن أبى الثلج أصلا و هى الطرق التاليه...

و ثانيا: أن الكتاب يحتوى على ما يتأخر عن عهد ابن أبى الثلج كما فى فصل الأبواب و الكلام عن وفاه السمرى و سد باب النيايه فى سنة ٣٢٩ بينما ابن أبى الثلج قد توفى سنة ٣٢٥ هجرية على أبعد تقدير... (١) يقول عبد الحسين الصالحى: أن الشواهد التى ذكرها السيد الجلالى هذا لا تعنى أن الكتاب لم يكن من مؤلفات ابن أبى الثلج و هناك احتمال ثانى و هو أن بعض علماء الشيعة أضاف إليه حواشى ثم أدرجه بعض الكتاب فى متن الكتب و هذا ما حدث كثيرا فى مؤلفات أصحابنا الاماميه و ذكرته فى كتابى طبقات مفسرى الشيعة الذى نقلت عنه هنا و المترجم له والد خديجه البغداديه المحدثه التى روت عن أبيها ابن أبى الثلج و ذكرها الخطيب البغدادي فى كتابه تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤٤٢.

و مما يجدر ذكره هنا أن ابن أبى الثلج كان يعيش فى عصر كانت فيه بغداد تمر فى فتره تعصب أعمى لذا نرى أن ابن النديم يقول: (خاصيعامى و التشيع أغلب عليه...). و هو من أسره شيعيه معروفه فى بغداد.

ترك المترجم له مؤلفات منها: ١ - كتاب ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين ع. ٢ - كتاب البشرى و الزلفى فى فضائل الشيعة. ٣ - كتاب تاريخ الأئمه ع. ٤ - كتاب أخبار النساء الممدوحات.

٥ - كتاب أخبار فاطمه و الحسن و الحسين ع، ٦ - كتاب من قال بالتفضيل من الصحابه، ٧ - كتاب السنن و الآداب على مذاهب العامه، ٨ - كتاب الفضائل، ٩ - كتاب الاختيار من الأسانيد. ١٠ - التفسير (٢)

خواجه محمد بن إسحاق البخارى،

المشتهر ب (شوكت).

من شعراء أواخر القرن الحادى عشر و أوائل القرن الثانى عشر الهجريين. و هو من أعقاب ملوك بخارا، كان أبوه صرافا فى بخارا و قد عمل هو نفسه فى أيام شبابه بالصرافه، ثم بعد أن سرق الأوزبكيون أمواله سنة ١٠٨٨ سافر إلى مدينه هرات، و بعد الإقامه فيها فتره تركها إلى خراسان، ثم إلى العراق، ثم إلى أصفهان. و فى أصفهان استقر و عاش فى مقابر خارج المدينه منسوبه إلى الشيخ الكبير على بن سهل بن أزهر الأصفهاني، و كان قليلا ما يخرج من غرفته إلى المدينه، فإذا خرج فلكى يتصل بالشعراء و ببعض أصدقائه. على أنه بعد فتره ابتعد عن الناس جميعا.

توفى سنة ١١١٧ له دواوين و قصائد فى مدح الامام الرضا ع، و كذلك فى مدح سعد الدين محمد راقم (٣)

الشيخ فخر الدين محمد بن الشيخ الملا أسد الله بن عبد الله البروجردى.

توفى حدود سنة ١٣٠٦.

من أكابر الفقهاء وأئمة الدين و مراجع التقليد فى بروجرد أديب متفنى شاعر متقن أخذ المقدمات و العلوم العربيه على أفاضل علماء عصره فى بروجرد و حضر فى الفقه و الأصول على والده ملا أسد الله البروجردى المتوفى سنة ١٢٧١ ثم توجه إلى قزوین فحضر فى الفلسفه على الملا آغا الحكمی و ميرزا عبد الوهاب البرغانى الصالحى حيث كانت فى قزوین آنذاك أهم المدارس الفلسفيه. و حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه الشهيد البرغانى المستشهد فى سنة ١٢٦٣ ثم رجع إلى موطنه بروجرد و أصبح من مراجع الأمور الشرعيه قائما بالوظائف الإسلاميه ذكره فى المجلد الثالث ص ٢٨٦ من أعيان الشيعه مع ترجمه والده الشيخ أسد الله و قال (... و خلف ثلاثة أولاد ذكور من ابنه الميرزا القمى صاحب القوانين و هم المحمدون الثلاثة الميرزا فخر الدين محمد (و هو المترجم له) و جمال الدين محمد و نور الدين محمد أجازهم أبوهم باجازه واحده و صرح باجتهدهم...)(٤) و ذكره الوزير الايرانى الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتاب المآثر و الآثار على أنه من أكابر علماء العصر القاجارى و وصفه (... من أكابر المجتهدين و من أهل الذوق و العرفان و كانت له رئاسه تامه فى بروجرد و ضواحيها و له أشعار. رأيت له ديوان شعر مثنوى و له ذريه و أولاد كثيرون...)(٥) من آثاره ديوان شعر، و ديوان مثنوى(٦)

مير محمد أفضل الله آبادى

المشهور ب (ثابت).

توفى سنة ١١٥١ فى دهلى و كان مولده فى الله آباد بالهند، و فيها درس، و ما أسرع أن اشتهر بالشعر.

سافر إلى جهان آباد دهلى و التحق بقصر الملك، و لم يطل الأمر حتى اعتزل هذه الحياه و بدأ بإرشاد الأصحاب.

له ديوان يحتوى على ثلاثة آلاف بيت من الشعر و هو محفوظ فى المكتبه البريطانيه، يتضمن قصائد فى التوحيد و مدح النبى (ص) و الأئمه ع و بعض معاصريه، و فى أوله مثنوى فى رثاء شهداء كربلاء، و غزليات و رباعيات و مخمسات.

و فى سنة ١٢٢٨ طبع له ديوان فى الهند، لكن الظاهر أنه ليس له لأن فيه أشعارا ركيكه، و يبدو أنه وقع اشتباه بينه و بين شاعر هندى اسمه ثابت، استنتج مير غلام على آزاد.

للمترجم المطولات فى استشهاد أبطال كربلاء، و أيام شهر الحرم(٧)

الشيخ أبو الفضل محمد بن الحسين الكاتب البيهقى.

توفى فى صفر سنة ٤٧٠.

من أعيان علماء الشيعه فى بيهق مؤرخ كبير مؤلف محقق زعيم أخذ

- ١- مقدمه تاريخ أهل البيت ع بقلم السيد محمد رضا الحسينى ص ٥٤-٥٥ قم مؤسسه آل البيت ع.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- تاريخ أدبيات إيران.
- ٤- انظر أعيان الشيعة ج ٣ ص ٢٨٦ بيروت دار التعارف للمطبوعات.
- ٥- الميرزا حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ١٦١ الطبعة الحجرية الأولى طهران.
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٧- تاريخ أدبيات إيران.

العلم عن جماعه من أفاضل بيهق ثم انخرط فى سلك بلاط السلطان محمود حتى بلغ منصباً كبيراً فى البلاط الملكى. كتب عنه أبو الحسن على بن زيد البيهقى فى كتابه تاريخ بيهق بما هذا تلخيصه و تعريبه: (الشيخ أبو الفضل محمد بن الحسين الكاتب البيهقى تزعم فى بلاط السلطان محمود نيايه عن أبى نصر بن مشكان ثم ترأس فى منصب كبير أيام السلطان محمد بن محمود و ظل فى البلاط السلطانى رئيساً للبلاط فى عهد كل من السلطان مسعود و السلطان مودود و السلطان فرخ زاد و بعد وفاه السلطان فرخ زاد انعزل و انقطع إلى التأليف و التصنيف. و من مؤلفاته كتاب (تاريخ ناصرى) لأنه شرع بتأليفه من أيام السلطان ناصر الدين سبكتكين إلى أول عهد السلطان إبراهيم الغزنوى و هو يزيد على ثلاثين مجلداً رأيتها متفرقه فى المكتبات و عند الأشخاص و لم أجد لها مجتمعه فى مكان واحد...) (١) ذكره شيخنا فى موسوعته طبقات أعلام الشيعة و قال (... و رأيت له التاريخ العام المرتب على السنين من إلى فى نسخته عتيقه فى مدرسه فاضل خان بمشهد خراسان جاء فى خطبته: الصلاة على محمد و آله أجمعين...) (٢) طبع منه قسم من شوال عام ١٢١١ إلى آخر شوال عام ١٢٢٦ هجرية الطبعه الأولى الحجرية فى عام ١٨٦٢ م فى كلكتا بالهند فى ٨٦٨ صفحة و الطبعه الثانيه فى طهران عام ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م بتصحيح الأديب النيشابورى ثم أعيد طبعه فى عام ١٩٤٤ م بتصحيح الدكتور غنى و الدكتور فياض ثم أعيد طبعه عام ١٩٣٩ م و عام ١٩٥٣ م بتصحيح الدكتور سعيد نفيسى (٣)

الشيخ محمد كاظم بن الشيخ محمد شفيح الهزارجربى الأسترآبادى

الحائرى.

توفى فى كربلاء سنة ١٢٣٧ و دفن فى الرواق الشرقى من الحرم الحسينى المطهر عند قبر استاذه آقا باقر بهبهانى.

مر ذكره فى أعيان الشيعة فى الجزء العاشر صفحة ٤٢ نقلاً عن كتاب دار السلام و نزيد على ما هنالك ما يلى:

كان من أئمة التقليد و الفتوى متبحراً مؤلفاً مكثرًا. ولد فى أسترآباد و أخذ المقدمات و السطوح فى موطنه على أفاضل علمائها و منهم والده الشيخ محمد شفيح و منها هاجر إلى قزوین و كانت قزوین آنذاك منقسمه إلى شطرين بين الاخباريه و الأصوليه و يجرى فيها بينهما صراع عنيف و التحق المترجم له بحوزه الأصوليين و أخذ الفقه و الأصول و العلوم العقلية عن الشيخ محمد الملائكة البرغانى المتوفى سنة ١٢٠٠ زعيم الأصوليين فى قزوین ثم توجه إلى أصفهان و حضر على الآخوند آغا محمد البيدآبادى المتوفى سنة ١١٩٧ و منها توجه إلى العراق قاصداً الحوزه العلمية الكبرى و سكن كربلاء و حضر على الآغا باقر البهبهانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٠٥ و السيد على الطباطبائى الحائرى المتوفى سنة ١٢٣١ و السيد الميرزا مهدى الشهرستانى المتوفى سنة ١٢١٦ و أجزى منهم. كما صرح بذلك فى كتابه تحفه المجاورين و بعد وفاه استاذه البهبهانى جلس للتدريس و الفتوى و انتهت إليه المرجعية إلا أن أيامه لم تطل و كانت داره فى محله النقيب جنوب باب القبلة الحسينى ثم وقعت فى الشارع التى أحدث حول الصحن الشريف عام ١٣٦٨ و ترك مؤلفات علميه تربو على ستين كتاباً و رساله و يقع بعضها فى عدة مجلدات ضخمة و أشار إلى معظمها شيخنا فى موسوعته الخالده الذريعه إلى تصانيف الشيعة، و من مؤلفاته آداب الصلاه فارسيه، إرشاد المنصفين و إلزام الملحدين فى الرد على الصوفيه، الأربعون حديثاً، الأفلاكيه فى النجوم، الاقناعيه فى أصول العقائد، البراهين الجليله فى تفضيل آل محمد على جميع البريه، البرهانيه الكبرى فى الامامه، تحفه الأخيار، تحفه المجاورين و ينقل فيه عن مشايخه و هو من مصادر كتاب دار السلام للنورى، تنبيه الغافلين، الجبر و الاختيار و هو مرتب على أربعة فصول فى

تحقيق الجبر و الاختيار، و القضاء و القدر و الخير و الشر و الهدايه و الضلاله، جواهر الأخبار و معتقد الأختيار فارسي، حاشيه المعالم، حاشيه على الحاشيه الشيروانيه على المعالم، خواص القرآن فارسي في بيان خواص جمله من السور القرآنيه، الدرر الصافيه في ترجمه و شرح بعض الكلمات القاصر لأمير المؤمنين علي ع، دعائم الإسلام يبيح في الايمان و الإسلام و الشرك و الكفر، الرساله الاحتجاجيه، السلمايه في فضائل سلمان الفارسي و أبي ذر و عمار و المقداد، عقائد حيدريه و معارف دينيه فارسي في المبدأ و المعاد، كاشف الغلو و هادي أهل العلو و هو رد على الشيخ أحمد الاحسائي المتوفى سنه ١٢٤١، كنز الفوائد في الامامه، مجمع الدرر في كرامات أمير المؤمنين ع، محك إيمان فارسي في أخلاق المؤمنين و أوصافهم، مسائل العدل الأربعة الجبر و الاختيار و القضاء و القدر و الخير و الشر و الهدايه و الضلاله، معارف الأئمه في عده مجلدات، معارف الأنوار في مجلدات عديده، منبه الجهال على وصف رئيس أهل الضلال في رد بعض العرفاء، رسائل في الوضوء و الصلاه و غيرها من كتب و رسائل عندنا أكثرها بعضها بخط المؤلف.

و كان والده الشيخ محمد شفيح المار الذكر من علماء عصره و توفي بعد المترجم له عن عمر طويل في سنه ١٢٣٨ (٤).

السيد النقيب تاج الشرف محمد بن محمد بن أبي الغنائم المعروف بابن

السخطه العلوي الحسيني البصري.

نقيب العلويين خلال القرن السادس للهجره.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته. أخذ العلم عن جماعه من فحول علماء عصره و يروي عن أبي الحسن علي بن محمد العمري النسابه صاحب كتاب (المجدي) المتوفى بعد سنه ٤٤٣ و يروي عن المترجم له جماعه منهم النقيب محمد بن محمد بن أبي زيد الحسن العلوي الحسن البصري كما جاء في أسانيد كتاب (حجه الذهاب) للسيد فخار بن معد الحائري ذكره في طبقات أعلام الشيعة (٥).

السيد النقيب أبو طالب محمد بن محمد بن أبي زيد الحسن الحسن البصري

نقيب الطالبين في البصره و من أكابر علماء الشيعة في القرن السادس للهجره.

ص: ١٥٩

١- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي: تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ١٧٥ طهران منشورات دانش.

٢- الشيخ آغا بزرك الطهراني: النابس في القرن الخامس ص ١٦٣ بيروت دار الكتاب العربي.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

لم أقف على تاريخ ولادته ووفاته. أخذ العلم عن أكابر علماء عصره منهم السيد النقيب تاج الشرف محمد بن محمد بن أبي الغنائم الحسيني العلوي البصري المعروف بابن السخطة المار الذكر و المترجم له والد النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد الحسيني البصري و ولده هذا هو أستاذ ابن أبي الحديد الذي نقل عنه الكثير في شرحه على نهج البلاغه و قد ترجمه مفصلا في أعيان الشيعة (١) و يروى ولده المذكور يحيى عن والده المترجم له كما جاء في إجازته إلى النسابة السيد فخار بن معد الموسوي الحائري المؤرخه سنه ٦٠٤ هجرية و المذكوره في (حجه الذاهب) ذكره في طبقات أعلام الشيعة و لم أجد ذكرا للمترجم له في أعيان الشيعة.

الشيخ محمد باقر الهجرى.

ولد فى الإحساء عام ١٣٣٦ و نشأ و تعلم دروسه الأولى فيها، ثم هاجر إلى النجف سنه ١٣٤٨ و درس على علمائها.

من شعره قوله من قصيده بعنوان فى الطياره:

خطرت فأرسلها اللسان خطابا و بدت فسجلها اليراع كتابا

توحى إلى الذهن الشرود فينثنى و تجوب فيه فداغدا و يبأبا

و رنت إلى جو الأثير بنظره لبست به هام السماك إهابا

و مشت إلى الأفق البعيد و قصدها أ تزيل عن دنيا الملاك حجابا

و سمت إلى خدر يعز مناله و العلم قربه فأصبح بابا

نصبت لها المحراب فيه فأرسلت نغمات آلهه الجمال عذابا

قرأت به سفر الوجود مرتلا عرفت به صنع الجميل مثابا

مزجت بها دنيا الطيور و راقها دنيا الأنام غزت عليها الغابا

يتعاطيان من الأثير شرابه يتبادلان من المنى أكوابا

دنيا الطيور و للجمال مسارح فيها الجمال قد استحال و ذابا

دنيا الطيور و للخيال معارض توحى من الفن الجميل لبأبا

دنيا من الآمال أثقل حملها روح تمنى أن تنال طلابا

و رؤى من الآمال شع بها الفضأ مذ أرسلت نورا أضأء شهابا

لعبت بها دنيا الجنون فقلصت روحا طموحا للعلی و ثابا

لولا بقايا من أمانی عبقر بقیة ثماله كاسه تتصابی

رقصت له الآمال باعته المنی فتحت لعینیه المنی أبوابا

و صغی لصوت الروح يدوی فی السما فطغی به موج الأثیر عبابا

دنیا الأمانی و السدود تطلعت لتنال من دنیا الزهور خضابا

فإذا بها فی عمر لحظه عابر تستاف من أرض الغری ترابا

بلد به الفن استطال ظلالة قد مد أعضانا له و أنسابا

مهد العلوم ترف فوق سمائه روح من القدس استنار و طابا

مهد الفنون و شع فی مصباحه نور أضواء العالمین شهابا

بلد من الروح المقدس یرتوی ما شاء علما أو أراد جوابا

تهفو لذكراه النفوس فتنشى كالفجر نسمة تجس مصابا

و الساكنیه و ان هم شحطت بهم و القلب بعدهم یقطر صابا

أ أبا الحسین و أنت نور لامع ضاء الطريق لمن أراد صوابا

أ أبا البلاغه و البیان قد ارتوی من نهجك السامی البیان شرابا

أ أبا الشجاعه و الفروسه و الندی قد كان سيفك للعداء عذابا

أبا الهداه الطیبین و من هم كانوا لهذا العالم الأقطابا

هذى الملائك حوله قد رفرفت زرفا تود تقبل الأعتابا

و القبه الزرقاء و دت أنها كانت لمثواه الکریم ترابا

و قوله:

ربه الفن و الخيال العتید ابعتی الفن ملهما فی نشیدی

أنت آمالي العذاب و وحى لحنته روح الهوى من جديد
أنت أحلامي اللذيذات فيه بسمه القلب و الخيال المديد
أنت أغنيه مع الفجر تسرى من هتافات عاليات البنود
فابعثى ربه البيان شعورا و اسكبيه منورا فى قصيدى
أين فكر عهدى به يرسل النور شعورا بملء صدر الوجود
و يطوف الحقول يسترق الحسن من الغصن ناعم الأملود
يتخطى على الغدير ليقراً فى ضفافيه ناضرات الخدود
و بشيم الورود يقرأ فيها بدعه الفن و الجمال البديد
و إذا رف للبلابل ثغر لعبت فيه نغمه الغريد
و إذا شم للزهور عطورا ضمخ الكون فى أريج الورود
و إذا مادت الغصون و ماست لطف الحقل فى بهاء البرود
ضحج باللحن يرسل الشعر داو جاوبته الطيور بالترديد
فإذا الكون فرحه و الهتافات تعالت لدى حداه البيد
همست ورده تقول لأخرى أنه قلب شاعر مكدود
أين فكر عهدى به يرسل النور شعاعا مذوبا فى نشيدى
يرسل الفكره الطليقه خلوا من أسار التقييد و التعقيد
ليرى الناس أن فى القفر ماء و سلافا أحلى من العنقود
و يرى الناس إن فى الصمت نطقا يملأ الكون بالشعور العتيد
أخذ الناس بالقشور فتاهوا وسط ثغر من العنا المنكود
نبذوا الدين فاستهانوا قواه و استمالوا لبرقه و رعود

نسجت غشوه الظلام عليهم و خبا النور مؤذنا بالشroud

صور ضاعت الحقائق فيها فترامت وراء أفق بعيد

مذ رأى الشاعر المقاييس ضاعت هجر الناس طالبا للنجود

مذ رأته الزهور فى الحقل فردا و هو يوحى بحسنها المعهود

همست زهره تقول لأخرى أنه قلب شاعر مكدود

وله:

قلب يرف هوى إلى إخوانه كالورد رف هوى على أغصانه

ص: ١٦٠

١- انظر أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٢٩٣-٣٩٥ بيروت دار التعارف للمطبوعات عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م. و هناك بعض الاضطراب فى اسم والد يحيى و نسبه فى أعيان الشيعة و الصحيح هو (النقيب أبو جعفر يحيى بن السيد النقيب أبو طالب محمد بن محمد بن أبي زيد الحسن الحسنى العلوى البصرى نقيب النقباء فى البصره أستاذ ابن أبى الحديد و الراوى عنه فى شرحه على نهج البلاغه و المعبر عنه (... كان النقيب أبو جعفر غزير العلم صحيح العقل منصفًا بالجدل غير متعصب فإنه كان علويا و كان يعترف بفضائل الصحابه و كان لا يجحد الفاضل فضله...) يقول عبد الحسين الصالحى: و هو من مشايخ السيد فخار بن معد الموسوى الحائرى كما نص فى (حجه الذاهب) قال حدثنى صاحب الترجمة بمدينه السلام سنه ٦٠٤ قال: أخبرنى والدى، قال: أخبرنى تاج الشرف محمد بن محمد بن محمد بن أبي الغنائم المعروف بابن السخظه النقيب العلوى البصرى، قال أخبرنى الشيخ الشريف الامام العالم على بن محمد بن الصوفى العلوى العمري النسابه (يعنى صاحب كتاب المجدى).

هم جل منيته و مطمح بعثه كالطير منيته لقي أخذانه
تحلو الحياه بهم فتبعث بسمه كالزهر بسمته ربيع زمانه
و هم الحياه سرورها و سعودها و هم الزمان الحلو فى نيسانه
و إذا الحياه وفت لهم بوعودها طفح السرور ففاض فى تبيانه
يا شعر إذ الحفل عنى نفثه من مكتو و لظاه من استجانه
و قل السلام عليكم من شيق بخلائق كالغيث فى تهتانه
قل للشباب زمانكم متحرك هل تأخذون القسط من دورانه
نادى الشباب و من بهم يرجى غدا و الخير موقوف على بنيانه
و نهضتم بالحى يسبق طيره طير السماء الحر فى طيرانه
فاض النبوغ على المدائن و القرى كجداول الفردوس فى جريانه
قم و انظر الجارات تجرى سرعا و تسابق النسرین فى كيوانه
سترى المعارف آهلات تزدهى بالنابعين تنعموا بجنانه
الساهرين على العلوم تشوقا مزقوا أحجاب الجهل من أرسانه
من كل غرس للفضيله و النهى بعلمه و بنانه و بيانه
و أشاد للأخلاق أعظم منبر سجدت له الدنيا على عيدانه
ركن من الأخلاق يدعمه النهى باق بقاء الدهر فى دورانه
يا نخبه الأدب الرفيع تشوفوا للنجم يشرق فى على لمعانه
و تطلعوا للصبح فجرا صادقا فى الجو و انتشقوا شذا ريحانه
ما قيمه الأدب الذى لا يبتنى إلا على ذكر الغضا أو بأنه
ليس الزمان زمان ذكرى دمنه أو ذكر ناعمه العقيق و آنه

النشء أن النشء أعظم ثروه فألقوا دروس العز في آذانه
آذانه تهفو لمقول (جرول) و فؤاده يهفو على (سحبانه)
يهفو إلى الأفق البعيد لعله يجد الذى يحنو على أوطانه
و يود لو طلع الهلال بافقه يمحو ظلام الجهل من شطانه
يا وحى إلهام الشعور تحيه من مخلص قد زف ود جناه

محمد حسن شهريار.

ولد فى تبريز سنه ١٩٠٤ م و توفى سنه ١٩٨٨ م.

أتم دراسته فى مدرسه دار الفنون، و انتسب إلى معهد الطب و ظل يتابع دراسته فيه حتى السنه الأخيره التى لم يتمها بعد أن تغلب عليه الاتجاه الشعرى.

و قد اكتشف شاعريته شاعر إيران الشهير بهار. و عند ما طبع باكورته الشعرية سنه ١٩٣١ م قدم لها بهار نفسه و اعتبره مفخره إيران فى المستقبل.

و حين بلغ الثانيه و العشرين من عمره نظم مثنويا بعنوان (روح بروانه) أى: روح الفراشه، و عند ما طبع و انتشر كان موضع الإعجاب و التقدير فى الأوساط الشعرية الإيرانية، على أنه انساق مع شعراء المديح الذين طالما كان يصغى إلى أشعارهم. و قد ترجم إلى اللغه الإنكليزية بعض أشعاره، و كذلك إلى اللغه الفرنسيه.

و عند إلقاء القنبله الذريه على هيروشيما أرسل رساله شعريه إلى (انشتاين) أسماها صوت الله دعا فيها إلى السلام و نبذ الحرب.

و كان يتقن اللغه الآذريه فنظم بها منظومتين هما: (حيدر باب يه [بابا]) و (سلام و ساولان) كان لهما الأثر البالغ لدى الآذربايجانيين و انتشرت فى أوساطهم انتشارا واسعا.

و عند ما قامت الحرب العراقية الإيرانية الأخيره شارك فيها بشعره الحماسى الذى كان يذاع فى الاذاعه و التلفزيون و يلقى فى المجتمعات العامه.

نظم شهريار قرابه خمسه عشر ألف بيت من الشعر، و كان شديد التعلق ببلدته تبريز، و تقديرا له أقامت جامعه تبريز حفلا لتكريمه سنه ١٩٨٤ م ساهم فيه صفوه من العلماء و الأدباء.

و يمكن تلخيص خصائصه بأنه يعد شاعر الغزل مع أنه نظم فى معظم الأغراض الشعرية، و أنه يبدع فى عرض الصور الفنيه الجميله فمن مثلا قصائده (مولانا فى منتجع شمس التبريزى) (تخت جمشيد) و (قيداتا الفردوس) و غير ذلك مما يعد نموذجا

فائقا لمنظوماته الإنشادية التي ابتعد بها عن التقليد و الابتدال.

كان شهريار عتيق المعرفه بالموسيقا الإيرانيه، و كان أيام شبابه يعزف على القيثاره، كما كان على صله بالفنانين أمثال (صبا) و (بنان) و غيرهما، و ربما كان تعمقه بالموسيقا و صلاته بالموسيقيين أثر في اختياره أرق التعابير في شعره، حتى غدت كلماته ذات جرس موسيقي جذاب، و كثيرا ما كان يترنم باشعاره بمرافقه مجموعه موسيقيه كان يتقن اللغه العربيه و ذا ثقافه فرنسيه واسعه.

الشيخ محمد حسن بن الشيخ ملا صفر على البارفروشي اللاهيجاني القزويني

المعروف بالشيخ الكبير.

ولد في قزوین حدود سنه ١٢٤٠ هـ و توفي في شهر شوال سنه ١٣٤٥ في بارفروش عن عمر طويل و دفن بمقبره بارفروش.

من أكابر العلماء و أئمه التقليد و الفتوى في عصره. مؤلف محقق من زعماء الدين المشاهير، ولد في بيت علم و فلسفه و نشأ على حب العلم و كان والده من أكابر فلاسفه قزوین المشاهير و مر ذكره في الجزء الثالث من مستدرکات أعيان الشيعة ص ١٠٥.

أخذ الأوليات و العلوم العربيه على أفاضل علماء قزوین ثم حضر في الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانی الحائري المتوفى سنه ١٢٧١ و شقيقه الشهيد البرغانی المستشهد في سنه ١٢٦٣ و أخذ الفلسفه و العرفان الالهی على والده الفيلسوف الشهير في عصره، ثم هاجر إلى العتبات المقدسه في العراق و توطن كربلاء و أخذ العلم عن العلمين الشيخ حسن البرغانی الحائري الصالحی و الشيخ محمد تقی الهروي الحائري المتوفى سنه ١٢٩٩.

ثم رجع إلى موطنه قزوین و بعد مده هاجر منها إلى مدينه بارفروش و تصدر هناك كرسى التدريس و الفتوى و كان مرجع الأمور الشرعيه في بارفروش و الزعيم الروحي بها حتى وفاته. ذكره الوزير الايراني الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه في مصاق أكابر علماء عصر ناصر الدين شاه القاجارى في كتابه المآثر و الآثار بما هذا تعريبه (الشيخ محمد حسن من أكابر العلماء في ناحيه بارفروش و المشهور هناك بعنوان الشيخ الكبير و في سنه ١٢٩٢ قابل السلطان ناصر الدين شاه القاجارى...)(١).

ص: ١٦١

١- الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ١٧٧ طهران الطبعة الحجرية الأولى سنه ١٣٠٦ هجرية.

ترك المترجم له مؤلفات كثيره بين مخطوط و مطبوع من مؤلفاته المطبوعه: ١ - نتیجه المقال في علم الرجال طبع في طهران سنة ١٢٨٤ طبعه حجرية. ٢ - حديقته الشيعه طبع في طهران. ٣ - حديقته العارفين طبعته الترجمة الفارسيه في طهران سنة ١٣٢٣. ٤ - سراج الأمة في شرح اللمعه طبع في طهران سنة ١٣٢٦. ٥ - تعليقه على شرح التصريف للتفتازاني طبع في طهران سنة ١٣١٣. ٦ - حاشيه على فرائد الأصول للشيخ مرتضى الأنصاري طبعته في طهران سنة ١٣٣٢ طبعه حجرية. ٧ - الرسالة العمليه باسم صراط النجاه و غيرها.

و المترجم له هو شقيق الشيخ الميرزا أحمد اللاهيجاني القزويني و الشيخ الميرزا حسين اللاهيجاني القزويني المذكورين في المآثر و الآثار أيضا(١).

الشيخ الميرزا محمد حسن بن محمد ولي بيك الافشار البكشولوي الأرومي.

توفي بعد سنة ١٢٦٠.

من أئمه الدين و الفتوى و أعلام عصره أديب متضلع و شاعر متكلم أخذ المقدمات و علوم العربية على أفضل علماء تبريز و منها هاجر إلى قزوين و تتلمذ في الفقه و الأصول و الحديث على الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه المستشهد سنة ١٢٦٣ و في حدود سنة ١٢٤٣ هاجر إلى كربلاء و التحق بحوزه شريف العلماء المازندراني الحائري المتوفى سنة ١٢٤٦ و بعد وفاه أستاذه المازندراني رجع إلى إيران و كان من المعاصرين للسلطان محمد شاه القاجاري المتوفى سنة ١٢٦٤ و قد ترجم باسمه المجلد الثالث عشر من بحار الأنوار للمجلس [للمجلس] إلى الفارسيه في حدود سنة ١٢٦٠(٢) و قد طبع مكررا في سنة ١٣٢٩.

و له مؤلفات و آثار منها ديوان شعر في مدح و رثاء الأئمة ع، عقد الفرائد في شرح القصائد: قال عنه في الذريعة: (عقد الفرائد في شرح القصائد: و هي قصائد خمس نظمها المولى محمد حسن بن محمد ولي الأرومي... كلها في مدائح أهل البيت ع) و كلها خاليه من الحروف المنقوطة فعمد إليها المولى علي بن علي رضا الخوئي الخاكرداني من قرى خوى المولد في ١٢٩٢ - و المتوفى في ١٣٥٠ فخمس تلك القصائد أولا- ثم شرح الخمسات الخمس جمعا فالأولى من الخمسات في مدح النبي و الوصي...

و عناوين الشرح: اللغة، الاعراب، البلاغه، العروض، المعنى، الترجمة الفارسيه... (٣) و للمترجم له شرح قصيده البرده للبوصيري المتوفى سنة ٦٥٦ هجرية شرحها باسم السلطان محمد شاه القاجاري(٤)

محمد رضا ابن الخواجه ظهير الدين عبد الله الأصفهاني

المشهور ب (شكيبى) من أعقاب خواجه عبد الله الامامى العارف، لذلك اشتهر بالامامى.

ولد سنة ٩٦٤ في أصفهان و توفي سنة ١٠٢٣ بهلى في الهند.

سافر إلى العراق و آذربايجان و خراسان، و قضى معظم حياته على سفر، و بقى مده في مشهد الرضا ع. و في مدينه هرات

درس فنون الأدب و الشعر و المطالب العلميه، و من هناك سافر إلى شیراز و درس عند مير تقى الدين النسابة الشيرازى، ثم تركها إلى أصفهان.

و فى سنة ٩٩٨ سافر إلى الهند بطريق البحر فوصل إلى ميناء جيول و ذهب إلى كجرات للقاء الميرزا عبد الرحيم خان خانان، و عند ما وصلها بلغه أنه سافر إلى العاصمه فتبعه إليها، فكان موضع احترامه، ثم سافر معه إلى السند و الدكن. ثم تركه و سافر إلى ولايه مالوه، و هناك اشتد عليه المرض فنذر أن شافاه الله أن يزور الحرمين، فلما شفى وفى نذره، و ظل ثلاث سنوات بين مكه و المدينه، ثم عاد إلى الهند. و فى مدينه برهان پور پور لازم خان خانان، و لم تطل إقامته هناك إذ سافر إلى دأگره [أگره]، و عن طريق مهابت خان تعرف على الملك نور الدين محمد جهانگیر سنة ١٠١٩ فقربه إليه كثيرا بحيث عين لولايه دهلى.

كان شاعرا متميزا، نظم (ساقى نامه) باسم عبد الرحيم خان خانان فأجازه بعشره آلاف ربيه. و كانت له مجالس ممتعه، و ترك عدده دواوين (٥)

محمد بن هانى الأندلسى

إشارة

مرت ترجمته فى المجلد العاشر، و مرت كلمه عنه فى المجلد الأول من (المستدرکات) و نشر هنا هذه الدارسه المكتوبه بقلم الدكتور منير ناجى:

لا- يعرف السبب الذى من أجله أهمل مؤرخو الأدب الأندلسى القدماء هذا الشاعر، و نحن لو تصفحنا كتب التاريخ الأدبى القديمه لا نكاد نظفر منها بما يغنى، لقد أهملوه فى الأندلس، و أهملوه بعيدا عن الأندلس، و نتساءل عن سبب هذا الإهمال فلا نجد لهم عذرا (٦) مع اعترافهم بأنه من أحسن شعراء الأندلس ديباجه شعريه، و أجودهم قريحه، و أعجب من هذا أنهم لم يتفقوا على مكان ولادته، و تاريخها فابن الأبار يؤرخ له على أنه محمد بن هانى بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسى، غلب ذلك عليه من أهل البيره و نشا بقرطبه، يكنى أبا القاسم، و هو من ولد المهلب بن أبى صفره..

و أبوه من قريه من قرى المهديه، دخل الأندلس، و ولد له ابنه أبو القاسم بها، و كان أكثر تادبه بقرطبه (٧) و واضح من هذا الكلام، أن الشاعر ولد بالبيره و تادب فى قرطبه، و لكن متى ولد؟ أمر لم يكن ليهم المؤرخ فلم يحقق به و ذكر مؤلفو المغرب فى حلى المغرب أن أصله بنى المهلب الذين ملكوا إفريقيا و انتقل أبوه منها إلى جزيره الأندلس و سكن البيره فولد له بها محمد بن هانى المذكور (٨) و صاحب بغيه الملتمس لا يكلف نفسه عناء التحقيق، فيكتفى بان يذكر أنه محمد بن هانى شاعر أندلسى، خرج عن الأندلسى، فشه شعره فى الغربه.. إلخ (٩)، دون أن يشير إلى تاريخ ولادته، و كيفيه نشاته، بيد أن ابن خلكان، يحدثنا شيئا عنه و عن أبيه فهو كما يقول أبو القاسم و أبو الحسن بن هانى الأزدي الأندلسى الشاعر المشهور قيل: أنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصه بن المهلب بن أبى صفره، و قيل بل هو من ولد أخيه روح بن

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- انظر الكرام البرره: ج ١ ص ٣٦٠ و مؤلفين كتب چاپى ج ٢ ص ٦٦٤ الطبعه الأولى.
- ٣- انظر الذريعه إلى تصانيف الشيعة: ج ١٥ ص ٢٩٣ بيروت دار الأضواء.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- تاريخ أدبيات إيران.
- ٦- أن تشيع ابن هانى هو الذى دعا إلى إهمالهم هذا الشاعر العظيم، و هكذا فعلت و ستظل تفعل العصبيات السوداء (ح).
- ٧- ابن الأبار: تكمله ج ١-٩ ص ١٠٣ رقم ٣٥٠. قال الحجارى: البيره كانت قاعده المملكه فى القديم.
- ٨- ابن سعيد المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٩٧٠.
- ٩- الضبى: بغيه الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ص ١٣٠ رقم ٣٠١. ابن سعيدالمغرب فى حلى المغرب ج ٢ - ص ٩٣.

حاتم، و كان أبوه من قريه من قرى المهديه بإفريقيه، و كان شاعرا أديبا، فانتقل إلى الأندلس فولد محمد المذكور بمدينه أشبيلية، و نشأ بها و اشتغل و حصل له حظ وافر من الأدب (1) و أما بالنسبه لياقوت الحموي فهو أبو القاسم الأزدي الأندلسي من ولد روح بن حاتم بن قبيصه بن المهلب: شاعر مفلق، و أشعر المتقدمين و المتأخرين من المغاربه، و هو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق، ولد بأشبيلية و نشأ بها و نال حظا واسعا من علوم الأدب و فنونه... إلخ (2) و صاحب الاحاطه يؤرخ له على أنه "محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدى الغرناطى، من أهل قريه سكون يكنى أبا القاسم و يعرف بالأندلسي، و كأنها تعرفه بينه و بين الحكم أبي نواس. قال غير واحد من المؤرخين و هو من ذريه يزيد بن حاتم بن المهلب بن أبي صفره و قيل من ولد روح بن حاتم... إلخ (3) و أما صاحب المطمح فيكتفى بجمل مسجعه منمقه، يقرظ فيها الشاعر، دون أن يشير إلى ما يتعلق بولادته و نشأته، فهو الأديب أبو القاسم محمد بن هاني، زخر خطير، و روض أدب مطير، غاص فى طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون، و بهرج بافتائه فيه كل الفنون.. إلخ (4) نقل المقرئ قول ابن خلكان فى المطمح نقلا- حرفيا دون زياده و لا نقصان (5) كما نقل صاحب شذرات الذهب ما جاء فى وفيات الأعيان عن ابن هاني (6) و ينفرد عن بقية هذه المصادر بذكر قصه لا تتركز على واقع تحدث فيها عن اجتماع ابن هاني بالمتنبي سنعرض لها فيما بعد.

هذا مجمل ما ذكره القدماء عن ابن هاني فما ذا نستخلص منه؟ أما أنه عربى فهذا لا شك فيه إذ أنه يقول:

فانى من العرب الأكرمين و فى أول الدهر ضاع الكرم

(7) و هو أيضا أزدى، و الأزد من القبائل اليمانيه.

تسير القوافى المذهبات أحوكها فتمضى و ان كانت على مجدكم وقفا

يمانيه فى نجرها أزدية أفصلها نظما و أحكمها رصفا

(8) و أما أن اسمه محمد بن هاني، و كنيته أبو القاسم، فعلى هذا كل المؤرخين، و لكن أين ولد؟ و متى؟ فلنا فى هذا رأى نميل إليه و لا نقطع به و ذلك بالنسبه لهذا التضارب فى الأقوال و الاختلاف فى الروايات.

ذكر أكثر المؤرخين أن ابن هاني ولد فى أشبيلية إلا أن ابن الأبار فى التكملة و ابن الخطيب فى الاحاطه فهو عند الأول من أهل البيره Elvira و نشأ فى قرطبه، هو عند الثانى، من أهل قريه سكون، و نشأ فى غرناطه و نحن بين هذا و ذاك و غيرهما، فى حيره من الأمر نحاول الاهتداء إلى نقطه ارتكاز نبني عليها آراءنا فلا نوفق، بيد أنه إذا ما عدنا إلى هاني و والد الشاعر، هذا الذى جاء من قريه من قرى المهديه فى إفريقيا إلى الأندلس و هو شاعر أديب نجيز لأنفسنا أن نعتقد بان هاني لا بد و أن يكون قد مر بمدارس المهديه التى تعلم الأصول الشيعيه فقال بما قال به الشيعه و لنا أن نفترض، بأنه ربما يكون قد اختير للدعوه فى أرض الأندلس التى كان الفاطميون يودون الاستيلاء عليها، و طبيعى أن يبحث الداعى عن مكان يجد فيه شيئا من الحريره فى القول و العمل، يساعده على ذلك طبيعه جميله، و من الضرورى أن يتعد هاني عن البلد المتمتت الذى يسيطر فيه المتمتون، و هم فى تزمهم لا- يسمحون بما لا يتفق مع آرائهم، و قرطبه فيها المنذر بن سعيد و أمثاله، لا يستطيع أن يعيش فيه من كان داعيه لغير مذهبهم، و لم تكن غرناطه بأقل حفاظا على ذلك لذا لم يبق أمام هاني بن محمد إلا اللجوء إلى أشبيلية البلد الجميل بطبيعته

الغنى بظرف أهله، الميالين للمرح، حيث يستطيع أن يعمل هناك بهدوء، غير خائف ولا مترقب، في هذا البلد يستطيع هانى بعيدا عن تزمّت أهل قرطبه، وجمود أهل غرناطه، و في أحضان طبيعه أشبيليه، أن يعمل آمنا لذا لا استبعد أن يكون هانى هذا اختار هذه المدينه مقرا له، وربما طوف في الأندلس كشان الدعاه في كل زمن، قبل أن يستقر في أشبيليه حيث ألقى عصا الترحال، و هناك أبصر ابنه أبو القاسم النور و نحن لا نعتقد بان هانى هذا، و قد جاء داعيه كما نرجح، يسكن قريه و هم الدعاه أن يكونوا حيث يكتر الناس و تناقش الآراء.

لم يتحدث المؤرخون الذين ذكروا شيئا عن ابن هانى عن تاريخ ولادته، و لكنهم اتفقوا على أنه مات في سنه إحدى و ستين أو اثنتين و ستين و ثلاثمائة(٩) و المؤرخون مع إجماعهم على أن وفاته كانت في حدود هذا التاريخ، اختلفوا في عمره فمنهم من قال: أنه توفى و له من العمر اثنتان و أربعون سنه(١٠) و منهم من لم يستطع البت في ذلك فقال: قيل توفى و هو ابن ست و ثلاثين سنه أو اثنتين و أربعين(١١)، و نحن لا سبيل لنا إلى الشك في تاريخ وفاته - مع أن صاحب كتاب شذرات الذهب نقل عن كتاب العبر القول الآتى: كان منغمسا في اللذات و المحرمات، متهما بدين الفلاسفه، شرب ليله عند ناس فأصبح مخنوقا، و هو في عشر الخمسين (انتهى) و على كل فنحن لا نشك بتاريخ وفاته.

شعر صباه

كنا نستطيع أن نغفر للمؤرخين إهمالهم لابن هانى لو أن الذين جمعوا ديوانه حفظوا لنا شيئا من شعر صباه، أى ما قاله في الأندلس، و لكن ما أن نمسك بالديوان لنقلب صفحاته حتى نعرف أنهم ما جمعوا له إلا ما قاله في إفريقيه مادحا أو راثيا، و هكذا لا نجد في ديوانه قصيده واحده تعود إلى عهده في الأندلس، و لا نقع لأى ذكر لتلك الطبيعه الجميله طبيعه أشبيليه التى نشأ بين أحضانها، و لقد أصاب صاحب بغيه الملمس في قوله عنه، "خرج عن الأندلس فشهريه شهره في الغربه"(١٢) إذن فنحن لا نظفر بطائل فيما يتعلق بشعر صباه مهما بذلنا من جهد، و ما أظننا نظفر بما ينقع الغليل، بيد أنى اعتقد أن شعره في صباه، ما كان يخرج عن الإطار المفروض في شعر أمثاله من الشباب، و لست أبعد إذا قلت أن ابن هانى ككل شاب، يحب الحياه بلهوها و مرحها، و يقبل عليها إقبال ٢.

ص: ١٤٣

- ١- ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٩.
- ٢- ياقوت الحموى: معجم الأدباء ج ١٩ ص ٩٢٠.
- ٣- ابن الخطيب: الاحاطه في أخبار غرناطه ج ٢ ص ٢١٢.
- ٤- ابن خاقان: مطمح الأنفس ص ٧٤.
- ٥- المقرئ: نفح الطيب ج ٤ ص ١٨٣.
- ٦- ابن العماد: شذرات الذهب ج ٣ ص ٤١-٤٣.
- ٧- ديوان ص ٧١٥ رقم ٥٠ بيت ٧٥.
- ٨- قصيده ٣١ ص ٤٥١ بيت ٥٨-٦٠.

- ٩- إحاظه ج ٢ ص ٢١٢. وفيات ج ٣ ص ٤٩. تكمله ج ١ ص ١٠٣ ترجمه ٣٥٠. معجم الأدياء ج ١١ ص ٩٢ شذرات الذهب ج ٣ ص ٤١-٤٣ تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٤٦.
- ١٠- إحاظه ج ٢ ص ٢١٢. ياقوت ج ١٩ ص ٩٢.
- ١١- وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٩.
- ١٢- الضبي - بغيه الملتمس ص ١٣٠ رقم ٣٠٢.

من يريد أن يروى غليلا من لذائدها.

إن نظره نلقيها على الكتب التي أرخت لابن هانئ ترينا أن الشاعر قد اضطهد فاضطر للهرب. و لكن لم اضطهد؟ هذا ما نريد أن نعرفه.

لو قرأنا ما قاله ابن البار في هذا الصدد لرأيناه لا يعرض للسبب الذي من أجله اضطهد، فهو يقول... ثم استوطن أبوه البيره، و خرج هو منها(1) اما لم خرج و متى و كيف فلم يهم المؤرخ، لذلك ضرب عنه صفحا.

أما ابن خاقان فيرد سبب اضطهاده، و نزوحه عن الأندلس، إلى ما كان يقول به من غلو، و ذلك بجمله منمقه موشاه بالسجع و المحسنات البديعيه، فيقول: و أبدى من الغلو، و تعدى الحق المجلو، فمجته الأنفس، و أزعجته عن الأندلس(2) أو ابن خلكان يرى أنه كان كثير الانهماك بالملاذ، متهما بمذهب الفلاسفه، و لما اشتهر ذلك عنه نقم عليه أهل أشبيلية(3) و لكن ياقوت الحموى يؤكد لنا أن ابن هانئ كان متهما بالفلسفه، يسلك في أقواله و أشعاره مسلك المعرى، و ما زال يغلو في ذلك حتى تعدى الحق، و خرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل، فأزعجه أهل الأندلس(4)، و ابن الخطيب لا يزيد على أن يصفه بأنه كان من فحول الشعراء، و أمثال النظم، و برهان البلاغه، لا يدرك شاوه، و لا يشق غباره، مع المشاركه في العلوم، و النفوذ في فك المعنى(5)، و لسنا نرى أن فحوله الشعر، و بلاغه المنطق، و المشاركه في العلوم، تسبب الاضطهاد. أما ما قاله المقرئ في هذا الموضوع فما كان إلا ما قاله ابن خاقان في مطمح الأنفس نقله نقلا حرفيا، لم يزد فيه و لم ينقص(6) هذا مجمل آراء الذين أرخوا له، و هذا ما يجعلنا أكيدين من أن الشاعر لم يخرج مختارا من الأندلس، بل فارقها كارها، أزعجه أهلها عنها، لأنه يقول بمقاله الفلاسفه، و ينهمك بملذاته و يغلو في أقواله إلى ما لا وجه له في التأويل، و القول بان الانغماس بالملذات سبب أساسى في حمله أهل الأندلس عليه، قول فيه كثير من المبالغه إذ أن في الأندلس لذلك العهد و ما بعده، أناسا انغمسوا حتى آخر حدود الانغماس في الملذات، فهم يشربون الخمره و يعاشرون النساء، و ربما انغمس بعضهم بحب الذكور، و ما رأينا الناس، و إن كرهوهم و لاكت سمعتهم الألسن، ازعجوهم عن ديارهم.

بقى علينا أن نناقش إذن السببين الأخيرين و هما القول بالفلسفه أو مشايحه الفلاسفه على آرائهم، و الغلو الذى لم يعد يمكن تأويله، فكيف نفهم هذا؟ و أى السببين كان العامل المباشر فى طرده من الأندلس؟ أنا لا- أعتقد أن ابن هانئ كان مشايحا للفلاسفه يقول بمقالتهم و يتبع آراءهم، حتى و لست أرى أنه درس الفلسفه لا متعمقا و لا متصفحاً، و هذا الرأى نستند فى دعمه إلى ديوان الرجل الذى لا- نرى فيه خاطره فلسفيه، و لا تفكيراً يدل على أن صاحبه عرف الفلسفه بمفاهيمها الشائعه فى ذلك الزمن، و لسنا نعتقد أن الإنسان يمكن أن ينسى ما كان قد اطلع عليه فى سنى دراسته من آراء مخالفه لمالوف الأكتريه، ثم إنه لا بد أن يخرج عن لسانه أقوال فيها مظهر فلسفى إذا ما كان قد آمن بالفلسفه فى شبابه، و إذا لم يؤمن فلا بد من أن يلمح فى بعض الأحيان إلى بعض هذه الآراء التى يمكن أن نعدها من قبيل الفلسفه، أو من قبيل التفكير الحر على الأقل.

و ديوان الشاعر الذى بين أيدينا لو تصفحناه لما وجدنا فيه فكره فلسفيه. ثم إن ابن هانئ لا يذكر فى شعره أى علم من أعلام الفلسفه كما يفعل المتنبي مثلا. بينما نراه يتحدث عن الحوادث و الأحداث التى مرت على الطالبين إلى كل ما يتعلق بالتأريخ الإسلامى كما يذكر بعض شعراء العربيه القدامى كعلقمه الفحل، و امرئ القيس أو بعض فرسانها كعمرو بن معديكرب مثلا، و كثيرا غير هؤلاء.

من كل هذا نستنتج أن ابن هانئ لم يعرف الفلسفه كفن قائم بذاته، دعامته التفكير الحر الطليق من كل قيد، بل رأى أنه عرف التشيع بتعاليمه أما على أيدي رجال متخصصين، أو أنه عرفه على أبيه و هذا ما نرجحه، فقال به مجاهرا و لم يتستر كما كان يفعل أبوه، فاغضب الأمويين، و عمال الأمويين، فكان من نتيجة هذا أن خرج إلى الأندلس ميمما وجهه شطر إفريقيا حيث دعاه المبدأ الفاطمي قويه هناك، و حيث تمارس العقيدة بحريه تامه. و لنستمع إليه يشير إلى ذلك بنفسه:

دعاني لكم ود فلبت عزائمي و عنسي و ليلي و النجوم الشوابك

و مستكبر لم يشعر الذل نفسه أبي، بابكار المهاول فاتك

رلو [و لو] علقته من أميه أحبل لجب سنام من بني الشعر تامك

و لما التقت أسيافها و رماحها شراعا و قد سدت على المسالك

أجزت عليها عابرا و تركتها كان المنيا تحت جنبى آرائك

و ما نقموا إلا قديم تشيعي فنجى هزبرا شده المتدارك

و البيت الأخير إقرار أوضح، بأنه كان شيعيا قبل خروجه، و ان هذا أثار نومه الأمويين و عمالهم و الأندلسيين المعتصمين فهرب الشاعر ناجيا بنفسه.

و هكذا كان ابن هانئ شيعيا، يجاهر بعقيدته فيكرهه اتباع الأمويين، فيغرون به صاحب أشبيلية، و يضطر هذا إلى أن يطلب من الشاعر أن يتوارى عن أنظار الناس في أشبيلية، فيهاجر ابن هانئ و هو موقن أنه لو علقت به حبال بني أميه لجب سنام من بني الشعر تامك.

خروجه من الأندلس – في عهد من و كم كان عمره

رأينا ابن هانئ ينزح عن مسقط رأسه بناء على رغبه حاكم أشبيلية الذي أشار عليه بالغيبه عن البلد مده ينسى فيها خبره (٧)، أو دراء للفتنه (٨)، بل و ربما تعرض الحاكم نفسه إلى مقت العامه و غضبهم لصحبته ابن هانئ (٩)، فيعم وجهه شطر المغرب الإفريقي، حيث حضره التشيع عامره، و حيث يدعى للعقيدة علانيه.

و يهمننا الآن أن نعرف ففى عهد أى حاكم من حكام أشبيلية خرج ابن هانئ من الأندلس.

لقد رجعنا إلى كتب التاريخ القديمه و التراجم علنا نجد شيئا شافيا بما يتعلق بمعرفه الحاكم الذى صحبه ابن هانئ، و غادر الأندلس فى عهده، فلم نوفق إلى ما يغنى، غير أن ابن الأبار يذكر أن عبد الرحمن بن بدر ولى

- ١- ابن الغرضى - تاريخ علماء الأندلس ج ١، ٣٢٦، ٣٣٧، ١٢٠.
- ٢- ابن الغرضى - تاريخ علماء الأندلس ج ١، ٣٢٦، ٣٣٧، ١٢٠.
- ٣- ابن الغرضى - تاريخ علماء الأندلس ج ١، ٣٢٦، ٣٣٧، ١٢٠.
- ٤- ابن الأبار - التكملة ج ١، ١٠٣.
- ٥- ابن خاقان - مطمح الأنفس ص ٧٤.
- ٦- ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٣، ٤٩.
- ٧- ياقوت الحموى - معجم الأدباء ج ١٩، ٩٢.
- ٨- ابن الخطيب - الاحاطه فى تاريخ غرناطه ج ٢، ٢١٢.
- ٩- المقرئ - نفتح الطيب ج ٥، ١٨٣.

للناصر الوزاره و الكتابه و العروض و الخزانه و صرفه فى عماره كوره أشبيليه (1) و لكن لا نعلم فى آيه سنه و ليها و لا متى أعفى منها، و هل لحق ابن هانئ عهدہ أم لا. و يذكر المؤلف رجلا آخر كان مولى نعمه لبنى أميه، هو إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد أبو بكر" ولى أشبيليه للناصر عبد الرحمن بن محمد و كان أثيرا لديه و منادما له و عاش إلى دوله ابنه الحكم المستنصر بالله... ذكره ابن الفرضى فى تاريخه و ذكر أن صناعه الشعر غلبت عليه و هو أحد المكثرين و له الناصر:

لو كان يعبد دون الله من أحد ما كان غيرك فى الدنيا بمعبود

قد فات قدرك وصف الواصفين فما ذكراك ألا بتحميد و تمجيد

لما ذكرتك يوما قلت فى جزل يا نعمه الله فى أيامه زبدي

(2) هذا الرجل الذى ولى للناصر أشبيليه، و عاش إلى أيام الحكم، حتى بعد خروج ابن هانئ من الأندلس، و كان شاعرا هل كانت بينه و بين ابن هانئ صداقه تربط بينهما، ثم هل جمعت بينهما صنعه الشعر فتصافيا و تحابا حتى لم يطلب منه إلا أن يتغيب حتى ينسى خبره؟ قد يجوز ذلك و لا أرى مانعا يحول دون هذه المصافاه، فالرجل شاعر و هو أمير، و للشعر و الشعراء عنده مكانه، و ما أرى إلا أنه اصطحب ابن هانئ حتى ساءت مقاله الناس فيه، فطلب الأمير من الشاعر أن يتغيب عن البلاد وقتا ينسى فيه خبره. هذا رأى نميل إليه و إن كنا لا نستطيع الجزم به ثم إن بينهما تشابه فى الاستعمالات الشعرية و المبالغات فايات إسماعيل بن بدر التى مرت معنا، نجد لها شبيها عند ابن هانئ وزنا و قافيه و معنى:

و عند ذى التاج بيض المكرمات و ما عندى له غير تمجيد و تحميد

اتبعتة فكرى حتى إذا بلغت غاياتها بين تصويب و تصعيد

رأيت موضع برهان يبين و ما رأيت موضع تكييف و تحديد

(3) فهل يكون هذا التشابه فى التفكير و التعبير دليلا على صداقتهما و عيشهما زمنا طويلا معا حتى أثر أحدهما فى الآخر؟ قد يكون ذلك و إن كنا لا نستطيع أن نجزم به مع ميلنا إليه.

و ثمه نقطه أخرى نود أن نعرض لها بالتفصيل - كنا قد أشرنا إليها سابقا، و هى كم كان عمر شاعرنا عند خروجه من الأندلس؟ يتفق صاحب الاحاطه فى أخبار غرناطه و صاحب وفيات الأعيان على أن ابن هانئ لما خرج من الأندلس كان عمره سبعا و عشرين سنه (4) و لم أجد غيرهما تعرض إلى ذكر عمره عند خروجه من الأندلس.

بيد أن من يطالع ديوان ابن هانئ يجد فيه إشارات إلى وقائع معينه إذا عرف تاريخ حدوثها أمكن تحديد الزمن الذى قيلت فيه على وجه التقريب، لا سيما و أن بعضها لا يحفل بآيه إشاره شيعيه، أو آيه تعابير عقائديه، فلنأخذ مثلا قصيدته التى مطلعها:

أرياك أم ردع من المسك صائك و لحظك أم حد من السيف باتك

(٥) و قد قالها فى مدح المعز، و نجد أن هذه القصيده خاليه من أيه إشاره إلى معركة حريبه بل فيها دعوه إلى موالاه الفتوحات:

و وال فتوحات البلاد كأنها مباسم ثغر تجتلى و مضاحك

و فيها أيضا تعريض بنى أميه الذين نقموا عليه تشيعه، و حاولوا الفتك به، فانهمزم، و مما يؤلف فى المديح أن يعدد الشاعر أعمال الممدوح المجيده، فإذا أغفل ذلك جاز لنا أن نعتقد بان الخليفه لم يكن له بعد من جليل الأعمال ما يستحق الذكر، و فى مثل هذه الحال كان لنا أن نرى أن اتصال ابن هانئ بالمعز كان عند توليه الأمور، و تسلمه زمام الحكم فى البلاد، و لم تكن للمعز بعد غزوه تذكر. و المعروف أن المعز تسلم زمام الخلافه سنه اثنتين و أربعين و ثلاثمائه (٦) و فى قصيده أخرى يشير إلى غزوه لجيوش المعز إلى أحد ثغور بنى أميه بقياده عامل المعز على صيقليه الحسن بن على، حيث نزل فى ساحل المريه، فغنم و عاد منصورا و قد وقعت هذه المعركه سنه ٣٤٤ - و فى هذه القصيده يقول ابن هانئ:

لقيت بنى مروان جانب ثغرهم و حظهم من ذاك خسر و تنبيا

(٧) بينما يشير فى قصيده أخرى إلى فشل بنى أميه فى النزول على ساحل المغرب انتقاما لما أصيبوا به من قبل جيش المعز، و فى هذه المناسبه يقول ابن هانئ:

خابت أميه منه بالذى طلبت كما يخيب برأس الأقرع المشط

و يظهر أن بنى أميه غضبوا لانتهاك حزمه بلادهم، لذلك "أخرج سيد الأندلس... أسطوله مع غالب مولاة إلى ساحل إفريقيه فمنعتهم العساكر" (٨) و قد حصلت هذه الوقعه فى سنه ٣٤٥ إذ أنها كانت ردا على غزوه الفاطميين للأندلس.

و مما نلاحظ هاتين القصيدتين أنهما خلتا من التعابير الشيعيه، و الإشارات العقائديه، إلا من مبالغات مالوفه لدى الشعراء.

كل هذا يحملنا على أن نقول بان اتصال ابن هانئ بالمعز كان حوالى سنه ثلاثمائه و أربع و أربعين ٣٤٤، أى عند ما كان عمره أربعاً و عشرين سنه على أبعد تقدير، لا كما ذكر ابن الخطيب و ابن خلكان من أنه كان ابن سبع و عشرين سنه لما خرج من الأندلس، ذلك لأننا وضعنا ولادته فى سنه ٣٢٠ (٩٣٢)، ثم إننا نعرف أنه اتصل أولا- بجعفر بن على بن حمدون و أقام زمنا يمدحه قبل أن يتصل بالمعز، غير أننا لا- نرى مانعا من أن يتصل بالمعز فى السنه التى اتصل فيها بجعفر بن على، إذ يقول ابن الخطيب أنه اتصل أولا- بجوهر قائد المعز و مدحه فلم يعجبه عطاؤه، فسأل عمن يفضله، فدل على جعفر بن على، فاتصل به و بقى عنده إلى أن وجهه جعفر إلى المعز (٩)، و هنا نحار أمام التاريخ إذ أن جوهر لم يغزه المعز إلا سنه ثلاثمائه و سبع و أربعين ٣٤٧ كما يقول ابن خلدون (١٠) و أن أول قائد للمعز من غلمانة هو قيصر الصقلى الذى تركه فى العساكر بعد جولته الأولى سنه ٣٤٢ ثلاثمائه و اثنتين و أربعين، ٦.

ص: ١٦٥

- ٢- ابن الأبار - الحله السبراء - ص ١٣٨.
- ٣- ديوان ق ١٢-٢١٠.
- ٤- ابن الخطيب، الاحاطه فى أخبار غرناطه ج - ٢-٢١٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان - ٣-٤٩.
- ٥- ديوان ق ٣٧.
- ٦- ابن خلدون تاريخ ج ٤-٤٦.
- ٧- ديوان ق ٣-٤٢.
- ٨- ابن خلدون تاريخ ج ٤-٤٦.
- ٩- ابن الخطيب إحاطه ج ٢-٢١٢.
- ١٠- ابن خلدون تاريخ ج ٤-٤٦.

يوم خرج إلى بنى كملان و مليله و هواره، ثم ولاه المعز أعمال باغايه(1) فهل يكون اتصال ابن هاني بقصر لا بجوهر أولا، ذلك أن جوهر كان كاتباً و وزيراً للمعز، ثم إن ابن هاني مدحه و عرض بمدحه في مدحه للمعز، و لو أنه لم يعجبه لا نصرف عنه و لما ذكره.

و هكذا نرى أن خروج ابن هاني من الأندلس، كان قبل أن يتجاوز الرابعه و العشرين من العمر، خرج منها شاباً لم تنضجه الخبره، و لم تعلمه الأيام ما يحتاج إليه في حياته من مداراه للناس، و لين جانب، و تستر على عقيدته، و عمل بالتقيه كما فعل أبوه، فاضطر، و هو الشاب المندفع أمام ضغط العامه و مقت الخاصه إلى الهرب، قبل أن تنضجه خبره السنين، و تفيدته الأيام حسن درايه و معرفه بأصول معاشره الناس.

موت ابن هاني

أكثر المؤرخين الذين تحدثوا عن ابن هاني متفقون على أن وفاته كانت في سنه اثنتين و ستين و ثلاثمائه ٣٦٢ (٩٧٢)(٢) ، و في مدينه برقه(٣) ، و لكنهم لم يتفقوا على كيفية الموت و لا سببه، فابن خلدون(٤) و أبو الفداء(٥) و ابن الأثير(٦) يقولون بأنه كان مع المعز عند ما توجه إلى مصر و لما وصل إلى برقه قتل ابن هاني غيله، هذا ما لا تذكره كتب التاريخ الأدبي فتخالف هذا الرأي، فيذكر ابن الخطيب أن ابن هاني توجه إلى مصر ليلحق بالمعز الذي كان آنذاك فيها و عند وصوله إلى برقه، سكر و نام عريانا و كان البرد شديدا فافلج و توفي في سنه إحدى و ستين و ثلاثمائه(٧) و يخالف هذه الروايه ياقوت الحموي، إذ يذكر أنه "وجد ملقى في سانيه من سوانى البلد مخنوقا بتكه سراويله، و لم يعرف سبب ذلك، و لا فاعله، و كانت وفاته كذلك يوم الأربعاء سنه اثنتين و ستين و ثلاثمائه"(٨) و يجمع ابن خلكان(٩) بين الروايتين دون أن يستطيع أن يرجح إحداهما على الأخرى.

من هذا نرى أن المؤرخين لم يتفقوا على كيفية موت الشاعر و أن اتفقوا على تاريخ هذه الوفاة و أحب أن أشير إلى أن ابن هاني لم يكن في صحبه المعز عند ما قتل، ذلك أن المعز كان قد سبقه إلى مصر و عاد الشاعر ليأخذ عياله و يلحق به و لما كان في برقه قتل غيله فبلغ ذلك المعز فقال - هذا الرجل كنا نود أن نفاخر به شعراء المشرق، فلم يقدر لنا ذلك(١٠) و من الجائز أن يكون جماعه من سكان برقه، من المتعصبين على الفاطميين، اغتتموا فرصه سفره بعيدا عن جيش المعز، فاغتالوه(١١).

شعر ابن هاني و الحياه الاجتماعيه

ابن هاني، ككل شاعر في كل عصر، لا يمكن أن نفصله عن بيئته أو نطلب إليه أن يتناسى أو يتجاهل ما يدور حوله، بل على النقيض من ذلك، نتوقع أن نرى شعره مرآه عصره و محيطه، و سجلا حافلا للأحداث التي مر بها، و العادات التي عرفها.

لقد قضى الشاعر ما يقرب من نصف عمره في بيئته غير البيئه التي أبصر فيها النور، في البيئه الإفريقيه، و في ظل دوله ناشئه هي الدوله الفاطميه، القائمه على الايمان بان الخلافه الإسلاميه حق من حقوق آل البيت من أبناء علي من زوجته فاطمه الزهراء، و كان يؤيد هذه الدعوه أناس اختلفوا جنسا و توحدوا غايه. هذا المجتمع الإفريقي لم يهمله ابن هاني، بل تحدث عنه و إن لم يسهب في الحديث. إن في شعر ابن هاني ما يدل على أن في هذا المجتمع كان يعيش العربي و البربري و المولى، و نحن إذا ما قرأنا شعره نراه يتحدث عن العرب باعجاب و اعتزاز، و لا- غرابه بذلك فالشاعر عربي، و الخليفه عربي، بل و من خيره قبائل العرب، بل و من خيره هذه القبيله، من هاشم بن عبد المطلب، و إنا لنلاحظ أن الشاعر ما اتصل إلا بالعرب، فقد اتصل بأبناء علي

بن حمدون و هم من جذام و جذام من عرب الجنوب كما اتصل بأبى الفرج الشيباني و هو من قبيله بنى شيبان. أما أبناء على بن حمدون فيثبت الشاعر أنهم أقرباؤه إذ يفتخر بهم و بهذا يقول:

فمهلا بنى عمى و أعيان معشرى و أملاك قومی و الخضارم من نجرى

و هؤلاء ينتسبون إلى جذام كما يتضح من قوله فى مدح إبراهيم بن جعفر بن على بن حمدون:

و إذا شاء قلده جذام شرف البيت من أواخ و سمك

و أما فى مدحه لأبى الفرج الشيباني فيفتخر بالنسب العرب، و يجعل هذا النسب سببا لنيل الشرف:

أبلغ ربيعه عن ذى الحى من يمن أنا تؤولف شملا ليس يفترق

إننا و إياكم فرعان من كرم قد بوركا و زكا الأثمار و الورق

انا لتشرف أيام الفخار بنا حتى يقول عدانا إننا الفلق

و أما الخليفة فالشك لا برقى [يرقى] إلى نسبه لأنه القطب الذى تدور حوله الدعوه الفاطميه.

و هناك طبقه أخرى هى طبقه غير العرب ممن ناصروا الدعوه الفاطميه و أيدوها، و قد كان من بين هؤلاء قبائل عديده أشهرها صنهاجه، و منها زيرى بن مناد، و ابنه يوسف بلكين، و كانا مقدمين عند المعز، و قائدين يعول عليهما فى الأمور الصعبة، و نحن لا نرى أن ابن هانئ يذكر هذين القائدين فى شعره و لم يمتدحهما أبدا، و ربما كان ذلك تعصبا منه للعرب أو لأن هذين كاتلهما من غير العرب، أو المستعربين لم يكونا يفهمان العربيه، لذلك انصرف عنهما الشاعر. و هناك قبائل أخرى كقبيله كتابه و زناته و بنى و أسول، و من هذه القبائل من كان يثور على المعز، فيرسل إليها الجيوش، و قد أشار ابن هانئ إلى هذه المعارك، و خاصه تلك المعارك التى جرت ضد الحروريين - و هم من الخوارج -، فقد حاربهم جعفر بن على، و انتصر عليهم، و استولى على قلعه كتابه التى كانت:

حروريه ما كبر الله خاطب عليها و لا حى بها ملكا وفد

كما أنه لما مدح أبا الفرج الشيباني لم ينس أن يذكر بلاءه فى قتال هذه القبائل

ص: ١٦٦

١- ابن خلدون تاريخ ج ٤-٤٦.

٢- ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٣-٤٩.

٣- ديوان ق ٣٢-٤٦٦.

- ٤- ابن خلدون المصدر السابق ص ٤٩.
- ٥- أبو الفداء تاريخ ج ١١٨٢.
- ٦- ابن الأثير الكامل ج ٨-٢٢٣.
- ٧- ابن الخطيب الاحاطه ج ٢-٢١٢.
- ٨- ياقوت معجم الأدباء ج ١٩-٩٢.
- ٩- ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٣-٤٩.
- ١٠- المصدر ذاته وفيات الأعيان ج ٣-٤٩.
- ١١- ما ذكره ابن الخطيب عن سبب موته لا يقصد به إلا التشنيع على ابن هاني، فالشاعر اغتيل اغتيالاً لأنه أصبح لسان الدوله الفاطميه (ح).

البربريه الخارجيه على الخلافه الفاطميه:

لم يجهلوا ما تلاقى فى التشيع من تحريض شاربه أو بأس شارى

و ما تذلل من أهل العناد لهم و ما تدارى من الدين الأباضى

و هناك طبقه أخرى تسهم فى بناء هذا المجتمع، هى طبقه الموالى و لا- سبيل إلى معرفه الكثير عنها، غير أن من الواضح أن بعض هؤلاء الموالى ممن كانوا فى خدمه الخلفاء، استطاعوا أن يكسبوا ثقه أسيادهم فتوصلوا إلى مراكز مرموقه و ما يقصر و جوهر قائدا المعز إلا- من هؤلاء الموالى، و ابن هانى عند ما يمدح جوهر - إذ أننا لا نراه يمدح غيره من الموالى -، لا يتعرض لنسب جوهر، بل يتحدث عن شجاعته و كرمه و رزاقته و حسن تصريفه للأموال، و عن اجتهاده فى محاربه الثائرين على المعز:

و أدركت سولا فى ابن و أسول عنوه و زحزحت منه يذبلأ فترزححا

و هو لا يتحدث عن نسب جوهر، ذلك لأن جوهر مولى، و الموالى لا نسب لهم يفخرون به إلا نسب الولاء.

من كل هذا نستخلص أن ابن هانى كان متعصبا للعرب، فهو لم يمدح بربريا و لم يذكر فضل هؤلاء على الخلافه الفاطميه، إذ كانوا دعائم وجودها الأول، و كذلك لم يمدح من الموالى إلا جوهر فهل كان ابن هانى يحتقر الموالى و البربر و يفضل عليهم العرب؟ قد يكون ذلك و قد يجوز أن يكون الموالى و البربر لا يحسنون فهم العريبه، و لذلك انصرف عنهم الشاعر(1)

المدح

المدح هو الفن الشعري الذى قامت عليه شهره ابن هانى، و أما الفنون الشعريه الأخرى فلم يولها أهميه.

كنا رأينا أن الشاعر خرج من الأندلس مضطرا، و جاء الغرب هاربا - كما يقول هو - من الأمويين و عمالهم الذين نعموا عليه تشيعه، خرج إلى عدوه المغرب حيث اتصل بجوهر قائد المعز و مدحه كما يقولون، بيد أن ابن الأبار لا يذكر أن ابن هانى اتصل بجوهر عند خروجه إلى عدوه المغرب، بل يقول: و اتصل بجعفر بن على بن حمدون الأندلسى و بأخيه يحيى. أما أنا فأرى أن ابن هانى لم يتصل أولا بجوهر، لأسباب منها أن جوهر هذا لم يغزه المعز إلا عند ما ثار ابن واسول محمد بن الفتح على المعز و تلقب بأمير المؤمنين(2)، و هو من سلاله ميمون بن مدار بن اليسع من بنى واسول المكناسى، تغلب على سلجماسه و دعا لنفسه، و أرى الناس أنه يدعو لبني العباس، و رفض الخارجيه، و لقب نفسه بأمير المؤمنين الشاكر بالله، و اتخذ السكه باسمه و لقبه، و بقى إلى أن قبض عليه جوهر سنه ٣٤٧ بعد أن تغلب على سلجماسه المدينه التى اتخذها الخوارج مركزا لهم بعد أن اختطوها سنه ١٤٠ هجرية و إلى هذا الحدث يشير ابن هانى فى قصيدته التى مدح بها جوهر و قد كنا رأينا أن خروجه من الأندلس كان حوالى سنه ٣٤٤، فهل يعقل أن يبقى ثلاث سنوات تائها قبل من الأندلس كان حوالى سنه ٣٤٤، فهل يعقل أن يبقى ثلاث سنوات تائها قبل أن يتصل بجوهر؟ لذلك اعتقد أن اتصاله كان أولا بجعفر بن على بن حمدون و أخيه يحيى قبل أن يتصل بجوهر بل ربما اتصل بقصر الصقلى الذى خلفه المعز على الجيش بعد جولته الأولى فى سنه ٣٤٢ إلى بنى كملان و مليه و هواره(3) قبل أن يتصل بجعفر أو بيحيى [بيحيى] ابنى على بن حمدون، و لكن ليس فى الديوان ما يثبت ذلك، و على

هذا فنحن سنقسم مدحه بالنسبة للممدوحين، و نبتدئ بمدح الشاعر لأبناء علي بن حمدون على اعتبار أنه أول شعر له قاله في المغرب، وربما كان أول مدح عرف و دون له، غير أنه لا- يجب أن نفهم من ذلك أن كل مدحه لهما كان قبل أن يتصل بالمعز، بل أنه مدحهما أيضا بعد اتصاله بالمعز، لخلال أعجب بها كانت بهم، من فهم للعربي، و أريحيه قحطانيه، و أبناء علي بن حمدون هم جعفر و أخوه يحيى و إبراهيم بن جعفر " و قد دخل جدهما الأندلس من الشام و سكن بكوره البيره، ثم تنقل حفيده حمدون جد جعفر هذا إلى بجايه، و صحب أبا عبد الله الشيعي الداعي، و دخل في مذهبه، فلما تغلب الشيعي على إفريقيا، ظهر علي بن حمدون... ثم ازداد ظهورا في أيام عبيد الله المهدي... و خرج معه إلى أرض المغرب فأمره ببناء مدينه المسيله و ولاه عليها و تولى ابنه جعفر المسيله من بعده، فلم يزل متوليا لها، رفيع المنزله عند سلطانه إلى أن قتل محمدا ابن خزر الزناتي القائم بدعوه بنى أميه، زيري بن مناد، فخاف جعفر من صاحب إفريقيا، فبادر إلى الفرار بنفسه مع أخيه يحيى و جميع أهله و ماله سنة ٣٦٠، فصار عند بنى خزر أمراء زناته، فشق جعفر الصحراء معهم قاصدين لزيري، فالتقوا معهم، و دارت بينهم حرب صعبه انجلت عن قتل زيري... و لما تم الأمر لأمراء زناته، و جعفر بن علي، بادر جعفر بمراسله الحكم إلى الأندلس ملقيا بنفسه عليه، معتصما بدعوته، ثم أرسل إليه أخاه يحيى ثم سار إليه بنفسه. فحظى عنده(٤) و هنا لا بد لنا من الإشارة إلى خلاف تاريخي بين صاحب البيان المغرب ابن عذارى و ابن خلدون إذ أن الأول يقرب بان الذي قتل محمد بن خزر الزناتي الذي كان جبارا عاتيا طاغيا هو زيري بن مناد بينما يقول ابن خلدون بان المعز أمر بلكين بن زيري بن مناد بغزوه فغزاه في بلاده...

و ذلك سنة ٣٦٠(٥) و زيري من قبيله إفريقيه تعرف بصنهاجه، استقدمه المعز إلى حضرته سنة ٣٤٣ فأكرمه و استخدمه في بعض المهام، و نحن لا نستطيع أن نثبت أيهما الذي قتل محمدا بن خزر الزناتي إلا إذا اعتبرنا كتب التاريخ أصدق من كتب الأدب في النواحي التاريخيه، و نحن يهمننا فقط أن نؤكد أن جعفرا و أخاه يحيى انتقضا على المعز و أيدا بنى أميه و ذلك عند ما بعد المعز عن المغرب و أصبح في مصر بعيدا عن المغرب و متوجها بكليته إلى الشرق.

هذان الرجلان اتصل بهما ابن هاني فاجزلا صلته و أحلاه منزله طيبه، فمدحهما.

الشاعر و ابنا علي بن حمدون

عرفنا أن جدهما الأعلى جاء إلى الأندلس، و سكن كوره البيره، و أن جدهما حمدون انتقل إلى إفريقيا، و صحب أبا عبد الله الشيعي، و احتل مركزا حسنا، و كذلك ابنه علي من بعده، و حفيده جعفر.

ص: ١٦٧

١- مثل ابن هاني في إسلامه و كياسته لا يمكن أن يحتقر الشعوب لا سيما منها المناضل المخلص، و لكن الحقيقه أن زعماء تلك الأقوام غير العربيه لم يكونوا يفهمون العربيه فهما صحيحا، فإذا فهموها بعض الفهم، فلم يكن لهم من هذا الفهم ما يجعلهم يتذوقون الشعر العربي و يدركون جمال أسلوبه و بعد مرامي معانيه ينفذ عندهم و يروج، لذلك لم يكن لابن هاني فيهم شيء من الشعر (ح).

٢- ابن خلدون: تاريخ ج ٤-٦٤.

٣- ابن خلدون: تاريخ ج ٤-٤٦.

٤- ابن عذاری: البیان المغرب ج. - ٢٤٢-٢٤٣.

٥- ابن خلدون تاریخ ج ٤-٤٨.

و فى جعفر يقول:

قد كنت قبل رضاك أزجى عارضا فاشيم منه الزبرج المنجبا

آليت أصدر عن بحارك بعد ما قست البحار بها فكن سرابا

و نظرا لشجاعه جعفر و حنكته و قدرته على تسيير الأمور فقد اختاره الامام لسد الثغور.

سد الامام بك الثغور و قبله هزم النبى بقومك الأحزابا

أنتم ذوو التيجان من يمن ذا عد الشريف أرومه و نصابا

و له فى جعفر هذا قصيده جميله، فيها من نفس المتنبي الشىء الكثير و جمالها فى هذه الألفاظ الفخمه و التراكيب الحلوه القويه مع دقه فى الوصف و إصابه فى تاديه المعنى:

القائد الخيل العتاق شوازبا خزرا إلى لحظ السنان الأخر

شعت النواصى حشره آذانها قب الأياطل ظاميات الأنسر

فى فتيه صدأ الدروع عبيرهم و خلوقهم علق النجيع الأحمر

لا يأكل السرحان شلو طعينهم مما عليه من القنا المتكسر

أنسوا بهجران الأنيس كأنهم فى عبقرى البيد جنه عبقر

قوم يبيت على الحشايا غيرهم و مبيتهم فوق الجياد الضمر

حى من الأعراب إلا أنهم يردون ماء الأمن غير مكدر

و كفاك من حب السماحه أنها منه بموضع مقله من محجر

فغمامه من رحمه و عراضه من جنه و يمينه من كوثر

و فى جعفر يقول:

كان لواء الشمس غره جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

و قد جاشت الدأماء بيضا صوارما و مارنه سمرا و فضفاضه زعفا

و جاءت عتاق الخيل تردى كأنها تخط لها أقلام آذانها صحفا

هنالك تلقى جعفرا غير جعفر و قد بدلت يمانه من رفقه ضعفا

و لم يقتصر ابن هانى فى مدحه على جعفر ككبير أسره آل على بن حمدون، و كامير للزباب، بل راح يتصل بأخيه يحيى كما اتصل بإبراهيم بن جعفر، يمدحهما و هما شابان يقاربانه سنا.

و من جميل ما قاله فى مدح إبراهيم:

متهلل و البدر فوق جبينه يلقاك بشر سماحه من دونه

و الدين و الدنيا جميعا و الندى و البؤس طوع شماله و يمينه

جدلان فالآداب فى حر كاته و الحلم فى أطراقه و سكونه

بادى الرضاء حذار منه معاودا غضبا يريك الموت بين جفونه

لين تساس به الخطوب و شده و النصل شده بأسه فى لينه

و لم يقتصر ابن هانى مدحه على هؤلاء فقط، بل راح يمدح غيرهم من القاده و الأمراء فقد اتصل الشاعر بجوهر، و هو مملوك رومى رباه المعز لدين الله و كناه بأبى الحسين و أعلى قدره و سيره فى رتبه الوزراء و جعله قائد الجيوش و بعثه فى صفر سنه ٣٤٧ - و معه عساكر كثيره إلى المغرب فافتتح مدنها و دوخ بلادها ثم جهزه المعز إلى مصر ففتحها و لما تمكن بمصر سير جعفر بن فلاح الذى كان معه إلى بلاد الشام فى العساكر ففتحها و بقى معززا عند الفاطميين حتى توفى سنه ٣٨١ - ٩٩٢. مدح الشاعر القائد و ذلك بمناسبة انتصاره على ابن واسول الذى ثار على المعز فأرسل هذا له جوهر فانتصر على الثائر و هنا الشاعر فقال:

و ابيض من سر الخلافه واضح تجلى فكان الشمس فى رونق الضحى

أريك به نهج الخلافه مهيعا يبين [يبين] و اعلام الخلافه وضحا

و لما اجتباه و الملائك جنده لمهلكهم درت على قطبها الرحي

فقلدها جم السياسه مدرها إذا شاء رام القصد أو قال أفصحا

و عند ما غادرها القائد القيروان إلى مصر شيعه المعز و مدحه الشاعر بقصيده اعتبره فيها أنه سيف بنى هاشم:

إلى أن تبدى سيف دوله هاشم على وجهه نور من الله يسطع

و ثمة رجل ثان هو محمد بن عمر الشيباني، و كنيته أبو الفرج، اتصل به الشاعر، و كان هذا الرجل صاحب أعمال الصعيد - كما يظهر من قول الشاعر - قبل اتصاله بالمعز، و فى هذا الرجل يقول ابن هانى:

الواهب الألف إلا أنها بدر و الطاعن الألف إلا أنها نسق

و من مواهبه الرايات خافقه و العاديات إلى الهيجاء تستبق

جم الأناه العفو مبتدر المعروف مدرع بالحزم منتطق

و فيه يقول:

ليث الكتيبه و الأبصار ترمقه و بيضه الخدر فى الليل الدجوجى

ثقت منه أديبا شاعرا لسنا شتى الأعاريض محذور الأحاجى

مستطلعا لجوابى من بديهته فما يجاوبه مثل النواسى

قريب عهد باعراب الجزيره لم ينطق بدارا و لم ينسب إلى عى

لا يشرح القوم وحشى الغريب له و لا يسائل عن تلك الأحاجى

و عند ما توجه جيش المعز لفتح مصر بقياده جوهر الصقلى، كان أبو الفرج فى جملة القواد، فمدحه الشاعر فى هذه المناسبه قائلا:

حلفت بالسابغات البيض و اليب و بالأسنه و الهنديه القضب

أنت السبيل إلى مصر و طاعتها و نصره الدين و الإسلام فى حلب

و أين عنك بأرض سستها زمنا و ازدان باسمك فيها منبر الخطب

ألست صاحب أعمال الصعيد بها قدما و قائد أهل الخيم و الطنب

أن لا تقد عظم ذا الجيش اللهم فقد شاركت قائده فى الدر و الحلب

فالناس غيرك اتباع له خول و أنت ثانيه فى العليا من الرتب

أيدته عضدا فيما يحاوله و كنتما واحدا فى الرأى و الأدب

فليس يسلك إلا ما سلكت و لا يسير إلا على أعلامك اللحب

فقد سرى بسراج منك فى ظلم و قد أعىن بسىل منك فى صىب

جرىتما فى العلى جرى السواء معا فجئتما أولا و الخلق فى الطلب

و أنتما كغراى صارم ذكر قد جردا أو كغرى لهزم ذرب

و قد عرف الشاعر رجلا آخر كان عاملا للمعز على برقه، اسمه أفلىح الناشب، و هو الذى قد وطا البلاد، و استعمل الجهاد، لمن خالف المعز من البربر و غيرهم فمدحه بقصيده واحده يصفه فيها بالعلم و الكرم حتى أن الناس:

ىردون جمه علمه و نواله فكأنهم حىث التقى البحران

ص: ١٦٨

و يذكر إخلاصه للمعز فيقول:

و إذا الذين أعدهم شيعا إذا قيسوا إليه كعبد الأوثان

نضحت حراره قلبه بموده ضربت عليه سراق الايمان

هذا هو مدح ابن هانى لمن كانوا عوناً للمعز، وزراء أو عمالاً أو قادة، و قد بقى علينا أن نرى مدحه للمعز، علنا نستخلص لهذا صورته، و أود أن أشير قبل ذلك إشارة خاطفه إلى أن ابن هانى لا- يتوكأ على الآيات القرآنيه فى مدح هؤلاء، مما سيجعلنا نستطيع التمييز بين مدحه للمعز و مدحه لغيره.

الشاعر و المعز لدين الله

اقترن اسم ابن هانى الأندلسى باسم المعز لدين الله الفاطمى، ذلك لأنه كان شاعره الذى أراد أن يفاخر به شعراء المشرق.

و من يتصفح ديوان ابن هانى، يعجب إذ لا يقع فيه إلا على إحدى و عشرين قصيده من أصل ستين قصيده فى الديوان الذى نشره الشاعر، زاهد على، مع بضع قصائد أخرى نسبت إليه و بعض المقاطع فى موضوعات مختلفه فى حين أن الشاعر عاش فى إفريقيا ما يقرب من ثمانى عشره سنه.

لقد مدح ابن هانى المعز بقصيده مطلعها:

أقول دمی و هى الحسان الرعايب و من دون أستار القباب محاريب

و فى هذه القصيده يشير إلى معارك خاضها جيش المعز مع الروم و انكسار بنى أميه أمام جيش المعز الذى أغار على بلادهم:

لقيت بنى مروان جانب ثغرهم و حظهم من ذاك خسر و تتيب

و قد وقعت هذه المعركه فى سنه أربع و أربعين و ثلاثمائة ٣٤٤ (٩٥٥) عند ما أغزى المعز عامله على صقلية ساحل المريه:

و لا مدح إلا للمعز حقيقه يفصل درا و المديح أساليب

نجار على البيت الإمامى معتل و حكم إلى العدل الربوبى منسوب

و لم أر زوارا كسيفك للعدى فهل عند هام الروم أهل و ترحيب

إذا ذكروا آثار سيفك فيهم فلا القطر معدود و لا الرمل محسوب

تشب لها حمراء قان أوارها سبوح لها ذيل على الماء مسحوب

و يعيب على بنى أميه تقاعسهم عن الدفاع عن أراضيهم ضد الغزاه و يعيرهم بالتخاذل و يتطرق إلى بنى العباس فى الشرق

فيرميهم بالعودة عن نصره الدين و تخاذلهم أمام جيوش الروم التي تهاجم الثغور في البلاد الإسلاميه و صرفهم أوقاتهم في الشرب و السماع:

و نوم بنى العباس فوق جنوبهم و لا نصر ألاقينه و أكايوب

لذا لا يبقى إلا المعز وحده يدافع عن الدين، و يحفظ حرمة المسلمين، و يرد عاديه المغيرين:

و لا عجب و الثغر ثغرك كله و أنت ولى الثار و الثار مطلوب

و أنت نظام الدين و ابن نبيه و ذو الأمر مدعو إليه فمندوب

و فى قصيده أخرى لاحقه فى التاريخ إلى السابقيه، يشير إلى اخفاق بنى أميه فى النزول على الساحل الإفريقي:

خابت أميه منه بالذى طلبت كما يخيب برأس الأقرع المشط

و حاولوا من حضيض الأرض إذ غضبوا كواكبا عن مرامى شاوها شحطوا

تالله لو كانت الأنواء تشبهه ما مر بؤس على الدنيا و لا قحط

امام عدل و فى فى كل ناحيه كما قضاوا فى الامام العدل و اشترطوا

لا يفتدى فرحا بالمال يجمعه و لا يبيت بدنيا و هو مغتبط

يا أفضل الناس من عرب و من عجم و آل أحمد أن شبا و ان شمطوا

ليهنك الفتح لا أنى سمعت به و لا على الله فيما شاء اشترط

و فى المعز يقول:

أفيقوا فما هى إلا اثنتان أما الرشاد و أما العمى

لكل بنى أحمد فضله و لكنك الواحد المجتبى

و ما لا يرى من جنود السماء حولك أكثر ممن يرى

ليعرفك من أنت منجاته إذا ما اتقى الله حق التقى

كان الهدى لم يكن كائنا إلى أن دعيت معز الهدى

و لم يحكك الغيث فى نائل و لكن رأى شيمه فاقتدى

شهدت حقيقه علم الشهيد بانك أكرم من يرتجى

فلو يجد البحر نهجا إليك لجاك مستسقيا من ظما

إلى مثل جدواك تنضى المطى و من مثل كفيك يرجى الغنى

(1) و نحن نلمس حراره الايمان فى مدائح ابن هانى للمعز مما يرتفع بها عن المدح المبذل الذى اعتاده الشعراء، فهى تعبير قوى عن الاعجاب و اليقين و الاعتقاد، و هى صدى لما يعتمل فى نفس الشاعر من تمجيد لمواقف المعز فى كفاح المعز للبيزنطيين و غيرهم من أعداء العربيه و الإسلام.

الهجاء

ليس لابن هانى فى هذا الفن إلا قصيده واحده قائمه بذاتها هجا بها الوهرانى كاتب جعفر بن على بن حمدون، و هناك قصيده أخرى يصف فيها أكولا بشكل مضحك، و فيما عدا ذلك فقد جاء الهجاء فى معرض المدح، و هذا فى القصائد التى مدح بها المعز لدين الله الفاطمى، إذ أنه كان مضطرا لأن يذكر خصوم الامام، بما يرضى عنه الامام.

و ابن هانى عند ما يعرض للأمويين يهجوهم، و يعتبرهم مغتصبى حق الفاطميين، و يذكر مكانتهم فى الإسلام، و يتحدث عن عجزهم فى حفظ ثغورهم:

إلا أن يوما هاشميا أظلمهم يطير فراش الهام عن كل مجثم

كيوم يزيد و السبايا طريده على كل موار الملاط عثم

و قد غصت البيداء بالعيس فوقها كرائم أبناء النبى المكرم

فما فى حريم بعدها من تخرج و لا هتك ستر بعدها بمحرم

و قد حملهم على هذا الأمر ذلك الحقد الموروث من أيام الجاهليه، و الضغينه التى لم يستطع الإسلام أن يمحوها من صدورهم، بل كتبها إلى زمن، حتى إذا وجدت منفرجا، خرجت قويه، و عملت فاتكه غير راحمه، فهم ينتقمون لقتلهم بيد:

و بالحقد حقد الجاهليه أنه إلى الآن لم يظعن و لم يتصرم

و بالثار فى بدر أريقت دماؤكم و قيد إليكم كل أجرد شيطم

و أما بنو العباس فليسوا أقل إيذاء لأحفاد على فقد كانوا يطالبون

١- مرت مدائح ابن هانئ فى المعز فى ترجمه ابن هانئ فى المجلد العاشر فلا نعيدها هنا (ح).

يارجاع الخلافة إلى أبناء علي، حتى إذا انتصروا، استأثروا بها دونهم، وراحوا يتعقبونهم و ينكلون بهم، فشردوا في الأرض أو استكانوا على مضاضه، و لذا راح الشاعر يطالبهم يارجاع هذا الحق إلى أهله، لأنهم ليسوا أهلا له، و يعيرهم عجزهم عن رد أعدائهم، و تقاعسهم عن نصره الدين، و اكتفائهم بشرب الخمره و سماع الغناء كأنهم بذلك يرجون النصر.

و نوم بنى العباس فوق جنوبهم و لا نصر إلا قينه و أكواب

و فى هذا القول سخرية مره، إذ يطلبون النصر من كوب يشربون به، أو قينه يسمعون إليها، و هذا منتهى العجز، بينما يذكر أن سيده المعز، هو الذى يدافع عن الدين، و يحفظ الشريعة، و يعيرهم كون جدهم العباس من الطلقاء، و ان جدتهم أمه تدعى نثله:

لستم كابناء الطليق المرتدى بالكفر حتى عض فيه أسار

أبناء نثله ما لكم و لمعشر هم دوحه الله الذى يختار

ردوا إليهم حقهم و تنكبوا و تحملوا فقد استحم بوار

و دعوا الطريق لفضلهم فهم الالى لهم بمجهله الطريق منار

كم تنهضون بعبء عار و اصم و العار يأنف منكم و النار

يلهيهم زمر المثنائى كلما ألهاكم المثنى و المزمار

و ليس لابن هانى فى الهجاء المستقل، إلا قصيده واحده، و هناك أخرى فى وصف أكله يصوره فيها تصويرا ساخرا.

و إذا كان الهجاء وصفا للعيوب من تجسيمها حتى تظهر نافرته تحمل على الاشتمزاز أو الاحتقار، فان قصيده ابن هانى فى هجاء الوهرانى تحوى الشروط التى يقتضيها فن الهجاء. و الوهرانى هو كاتب الأمير جعفر، ممدوح الشاعر، و اسمه أحمد، و يكنى بأبى جعفر، و يعرف بالوهرانى، و يظهر أن أسبابا حدثت، حملت الشاعر على هجاء هذا الرجل، و لكننا لا نستطيع تحديدها و لم يتعرض إلى غير هذا الرجل بهجاء إلا ذلك الأكل، الذى وصفه بشكل مضحك.

يبتدى ابن هانى هجاء الوهرانى بالفخر بنفسه، فيصبغ عليها صفات حميده كأنه يريد بذلك أن يبين الفرق بينه و بين المهجو حتى تظهر عيوب المهجو مجسمه:

طلب المجد من طريق السيوف شرف مؤنس لنفس الشريف

ان ذل العزيز أفضع مرأى بين عينيه من لقاء الحتوف

ليس غير الهيجاء و الضربه الأخدود فيها و الطعنه الأخطيف

أنا من صارم و طرف جواد لست من قبه و قصر منيف

ليس للمجد من يبيت على المجد بسعى وان و نفس عزوف

وعدتني الدنيا كثيرا فلم اظفر بغير المطال و التسويف

كلما قلب المحدد فيها اللحظ ولي بناظر مطروف

علمتني البيداء كيف ركوب الخيل و الليل كيف قطع التنوف

بهذه الأبيات الجميله الجزله يصف نفسه.

و بعد ذلك ينتقل إلى هجاء الوهراني الذي يسميه "أبا الجعر" و الجعر نجو الحيوانات، فيسب الأيام التي ساعدته على أن يصبح كاتباً للأمير، و يدعى أن الأيام إنما تساعد السخفاء الأغبياء، و تحارب الأذكياء، و ينعتة بالخسه و الدناءه، و سخافه الرأي، و الجهل، و العي، و الكذب، و الخنى، إلى ما هنالك من الصفات البذيئه السيئه ثم لا يكتفى بذلك، بل يحاول أن يثير الشاؤم في نفس الأمير جعفر من اصطحابه هذا الكاتب المشؤم، ليقيله من منصبه، بل يحضه على ذلك مخافه أن يلحقه شؤم هذا الكاتب:

إن أيام دهرنا سخفات فهي أعوان كل وغد سخيف

زمن أنت يا أبا الجعر فيه ليس من تالد و لا من طريف

ان دهرنا سموت فيه علوا لوضع الخطوب وغد الصروف

إن شاوا طلبته في زمان الملك عندي لشاو بين قذوف

إن رأيا تديره لمعنى بضلال الإمضاء و التوقيف

ان لفظا تلوكه لشبيه بك في منظر الخباء الجليف

كاذب الزعم مستحيل المعانى فاسد النظم فاسد التأليف

أنت لا تغتدى لتدبير ملك إنما تغتدى لرغم الأنوف

نلت ما نلت لا بعقل رصين في المساعى و لا برأى حصيف

أنت في دوله الحبيب إلينا فترقق بالماجد الغطريف

فإذا ما نعت شر نعيب فعلى غير ربه المألوف

لست أخشى إلا عليه فكن بالأريحي الرءوف جد رءوف

كيف صاحبته بأخلاق وغد لا يني في يوسه و جفوف

و خنى حالف بانك ما أصبحت يوما لغيره بحليف

و يفتش عن تهم يلصقها به تقوده إلى الموت، فلا يجد أقوى من اتهامه بمخالفه العقيدة الشيعيه، و مروقه من الدين، و تحالفه مع الأمويين، و كرهه للفاطميين:

إن فيه لشعبه من بنى مروان تنبى عن كل أمر مخوف

متخل من اثنتين برئ من إمام عدل و دين حنيف

و نشعر أن ابن هانى فى هجائه يصدر عن حقد قوى، و يرمى مهجوه بكل عيب، و يلصق به أبشع التهم، و أشدها على الإنسان، و قد تقوده إلى الموت، و على كل ففى القصيده جمال فى البناء، و جمال فى المعنى، إذا ما نظرنا إلى فن الهجاء بمقاييسه الخاصه. و للشاعر قصيده أخرى يصف فيها أكولا، فيعطينا صوره واضحه مضحكه حتى يبدو و كأنه مصور "كاريكاتورى" هزلى يعنى بالنواحي التى تثير الضحك، فيبرزها بشكل مشوه فاسمع إليه يصف هذا الأكل:

انظر إليه و فى التحريك تسكين كأنما التقتت عنه التنانين

تبارك الله ما أمضى اسنته كأنما كل فكك منه طاحون

كان بيت سلاح فيه مختزن مما أعدته للرسل الفراعين

كأنما الحمل المشوى فى يده ذو النون فى الماء لما عضه النون

لف الجداء بأيديها و أرجلها كأنما افترستن السراحين

و غادر البط من مثنى و واحده كأنما اختطفتهن الشواهين

الرثاء

ليس لشاعرنا فى هذا الفن إلا ثلاث مرات فى شخصين لا يمتان إليه بصله قربي، فقد رثى إبراهيم بن جعفر الذى مات صغيرا بقصيده واحده، و رثى أم جعفر فى القصيدتين الباقيتين، و نحن لم نفع له على رثاء قريب، و لذا لا نستطيع الحكم على عاطفته من رثائه لا- باعد عنه، إذ أن رثاء الأبعد لا- يمكن أن يكون قوى العاطفه كرثاء الأقارب، و يغلب على رثائه لابن إبراهيم بن جعفر و أم جعفر الاتزان العقلى، و التأمل الفكرى، و كأنه ينظر

إلى البعيد البعيد من أغوار الحياه و أعماقها، فيستخرج من ذلك حكما جميلا، و كذلك يغلب على رثائه نفحه من زهد فى هذه الحياه التى لا ترعى ذماما لأحد، و لا تحفظ عهدا، و كأنه يعزى بذلك السامعين من أهل الفقيه.

و الواقع أنه فى مثل هذا الموقف يعود الإنسان إلى نفسه ليتأمل الحياه عاربه من زخارف التصنع و بهارجه، و إذا به يرى الراحل مثلا سيحذو حذوه يوما على كره:

لا رجاء فى خلود كلنا وارد الماء الذى كان ورد

و أجمل ما فى رثاء ابن هانى، هو حسن اختياره لهذه الأوزان الخفيفه الصالحه للغناء، يحرك بانشادها أوتار نفسه، و أوتار نفوس السامعين.

مات ابن إبراهيم بن جعفر و له من العمر خمس سنوات، فرثاه ابن هانى قال:

مات من لو عاش فى سرباله غلب النور عليه فاتقد

سيد قوبل فيه معشر ليس فى أبنائهم من لم يسد

نافس الدهر عليه يعربا فرأى موضع حقد فحقد

هاب أن يجرى عليه حكمه فنوى الغدر له يوم ولد

حيث لم ينظر به ريعانه إنما استعجله قبل الأمد

قصده ترب خمس أسهم لو رمته ترب عشر لم تكد

نما [انما] كان شهابا ثاقبا صعق الليل له ثم خمد

جاورت روض ثراه ديمه تحمل اللؤلؤ رطبا لا البرد

ثم يعزى الشاعر الوالد، فيقول:

لا ملوم أنت فى بعض الأسى غير أن الحر أولى بالجلد

إلى أن يقول:

ان تسلنا ففريق ظاعن و ليالينا بنا عيس تخد

فلقد أسرع ركب لم يعج و لقد أدبر يوم لم يعد

أما قصيدته في رثاء والده جعفر فقد أكثر فيهما من الحكم و فيهما من البلاغه ما يدعو إلى الاعجاب، قال يرثيها:

أ عقيله الملك المشيعها هذا الثناء و هذه الزمر

شهد الغمام و ان سقاك حيا إن الغمام إليك مفتقر

كم من يد لك غير واحده لا الدمع يكفرها و لا المطر

و لقد نزلت بنيه علمت ما قد طوته فهي تفتخر

و بعد أن يعدد أياديها على الناس، يصف بكاء الناس عليها، و تأسفهم على فقدها، فكأنهم يحملون بين ضلوعهم جمرا، و كأنهم بفقدهم هذه المرأه الجميله، فقدروا خبره و الرأي السديد، و الكرم و حسن الأخلاق، فقد كانت يعتفيها الناس، فتغمرهم عطاء:

إذا سمعت بذكر سؤدها ليلا أتاك الفجر ينفجر

و لقد تكون و من بدائعها حكم و من أيامها سير

انا لنؤتى من تجاربها علما بما ناتي و ما نذر

قسمت على ابنيها مكارمها ان التراث المجد لا البدر

و في قصيدته الثانيه يرثيها قائلا:

إذا الودق في مثل هذا الرباب؟ و ذا البرق في مثل هذا السنا؟

إلا انهل هذا بماء القلوب و أوقد هذا بنار الحشا

و في ذى النواويس موج البحار و ما بالبحار إليه ظما

هلموا فذا مصرع العالمين فمن كل قلب عليه أسي

ثم يقول فيها:

فلو جاز حكمي في الغابرين و عدلت أقسام هذا الورى

لسميت بعض النساء الرجال و سميت بعض الرجال النسا

و هكذا نرى أن هذه المراثي الثلاث جميله و حلوه معنى و مبني، فجمال الأسلوب، لا يقل عن هذه المعاني جمالا، بيد أننا لا نحس أن الشاعر قد مس في عاطفته فبكي و ان تباكى.

ليست الحكمة عند ابن هانى وليده العلم و المعرفة الفلسفيه، و لكنها خلاصه خبره و نتيجته تأمل، و هى بسيطه للغايه، لا يظهر عليها أثر التصنع الفلسفى، و لا التعمل الفكرى العميق، و كانى بهذه الحكمة تساير ثقافه الشاعر العربيه الخالصه، التى لم تعقدها الفلسفه بافكارها المتنوعه، و هى حكمه مستمده من تجارب الحياه، و لا يعنى هذا أن الشاعر قد مر بالضروره فى هذه التجارب كلها فخير الحياه بحلوها و مرها، بل نرى أنه جرب و قرأ و تأمل و أخذ من تجارب غيره ما يحتاج، و من تأملاته ما رآه صوابا، فكانت حكمه لا- تحتاج إلى تفكير عميق لأنها تنبع من صميم الحياه، و لم يكثر منها كما أكثر المتنبي، بل كانت له ومضات قليله، طال بعضها، و قصر بعضها الآخر، و قد ورد فى قصائده أبيات متفرقه، و لكنه تعمد الحكمة تعمدًا فى الرثاء و كأنه يود أن ينقل أهل الفقيه من التفكير بهول المصيبه، إلى التفكير فى الحياه ذاتها، فيجدوا فى ذلك عزاء، و يبدو أن هذه التأملات هى التى صرفت ابن هانى عن الاتجاه العاطفى فى الرثاء، فظهر هادئا رزينا أمام المصيبه، فهو رجل يرى و يفكر و يعلم أن غايه كل حى إلى هذه الحفره من التراب، و يعلم أن البكاء لا يرد ميتا، فما النفع إذن من كل هذا البكاء، و ما ذا تعوضنا مداومه الأحران غير الهم و الكدر.

و ثقافه ابن هانى العربيه ثقافه واسعه، فقد أخذت من القرآن و علومه بأوفر نصيب، و ضربت فى علوم اللغه بسهم وافر، و كان له من تفكيره ما يقوده إلى هذه النتائج غير المفلسفه و لا المعقده. و هذه الحكم المتفرقه فى قصائده، و إن كانت قليله، تدل على نضجه الفكرى، و نظرتة الواقعيه للأمر، يرى الأيام فى تقلباتها و تصرفاتها، فإذا هى لا تقر إنسانا على حال، تفرحه اليوم فتبكيه غدا. تمر هذه التأملات فى ذهنه فإذا هى على لسانه أبيات من الشعر جميله، يتغنى بها لسانه، و يحسها فؤاده. نقرأ له:

و ما الناس إلا ظاعن و مودع و ثاو قريح الجفن يبكى لراجل

فهل هذه الأيام إلا كما خلا و هل نحن إلا كالقرون الأوائل

نساق من الدنيا إلى غير دائم و نبكى من الدنيا على غير طائل

فما عاجل ترجوه إلا كآجل و لا آجل تخشاه إلا كعاجل

(١) فنحس روحا تزهد فى الحياه، و تمل البقاء قبل أن تشيع من الحياه، أو تتملى من مباحج الدنيا، و هذه هى عمليه الفكر الواعى، يرى تصرفات الحياه فيعلم أنها لا ترضى إلا إذا مزجت لذائذ الحياه بمراره الصاب:

ص: ١٧١

و ليس ترضى الليالى فى تصرفها إلا إذا مزجت صابا بقنديد

و الأيام لن تغفل عن أذيتنا، و كر الجديدين يبسط لنا الحبل حيناً و يقبضه عنا حيناً آخر:

و للحدادين من طول و من قصر حبلان منقبض عنا و منبسط

يرى بام عينيه تقلبات الأيام، و تغييرات الدهر، و يعرف ما جبل عليه الناس من لؤم الطباع، و نكرانهم للمعروف، و يحز فى نفسه هذا، فيقول:

و يارب من تعليه و هو منافس و تسدى إليه العرف و هو كنود

و هذه المعانى التى يذكر فيها تقلبات الأيام و تصرفات القدر، تتردد كثيراً فى رثائه فتصبغه بصبغه الزاهد بالحياه، العازف عن ملاميتها و مفاتنها، الضارب فى التقوى بأوفر سهم، و أنت لا شك واجده فى هذه المراثيات الثلاث واعظاً زاهداً، و حكيماً يغلب عليه التأمل الفكرى ببساطته و بعده عن التعقيد الفلسفى. اسمع إليه يدعو الناس إلى أن لا ينتظروا من هذا الدهر المتقلب، و هذه الأيام التى تحمل معها النكد، خيراً و ذلك حيث يقول:

من يرجو زماناً دائماً نعرف البأساء منه و النكد

فإذا ما كدر العيش نما و إذا ما طيب الزاد نفذ

فلقد ذكر من كان سهواً و لقد نبه من كان رقد

منتض نضلاً إذا شاء مضى رائش سهماً إذا شاء قصد

و هى الأيام لا يأمنها حازم يأخذ من يوم لغد

أن تسلنا ففريق ظاعن و ليالينا بنا عيس تخذ

فلقد أسرع ركب لم يعج و لقد أدبر يوم لم يعد

و نحن لا- نرى فى هذه الأبيات المصطبغه بالزهد، و المكتسبه حكمه، أى أثر للعمليه العقلية، أو التفكير الفلسفى، إنما هى تجارب شخصيه، و تأملات واعيه، و إدراك لواقع الحياه. و فى مراثيته لأم جعفر كثير من الحكم البسيطة التى تروقنا بأسلوبها و بساطتها، و هى بمجملها تصور لنا الشاعر زاهداً ينصرف عن الحياه و زخارفها، و يعزف عن لذائذها، أو كأنه ذلك الواعظ الذى ينبه الناس لما هم فيه سادرون، حيث يقول:

انا و فى آمال أنفسنا طول و فى أعمارنا قصر

لنرى بأعيننا مصارعنا لو كانت الألباب تعتبر

مما دهانا أن حاضرنأ أجفاننا و الغائب الفكر

و جميل به أن يلوم أولئك الذين يرون بأعينهم تصرفات الأيام ثم لا يفكرون، كان على قلوب أفعالها، تبصر أعينهم، و لا تعى أفندتهم:

فإذا تدبرنا جوارحنا فاكلهن العين و النظر

لو كان للألباب ممتحن ما عد منها السمع و البصر

أى الحياه ألد عيشتها من بعد علمى أننا بشر

خرست لعمرى الله ألسننا لما تكلم فوقنا القدر

هل ينفعنى عز ذى يمن و حجوله و اليمن و الغرر

ها أنها كاس بشعت بها لا ملجا منها و لا وزر

فانبدوا شيجا و ارم ذا شطب لا البيض نافعه و لا السم

دنيا تجمعنا و أنفسنا شذر على أحكامها مذر

و لكل سابق حلبه أمد و لكل وارد نهله صدر

و حدود تعمير المعمر أن يسمو صعودا ثم ينحدر

و السيف يبلى و هو صاعقه و تنال منه إلهام و القصر

و المرء كالظل المديد ضحى و الفىء يحسره فينحسر

و لقد حلبت الدهر أشطره فالأعذبان الصاب و الصبر

و فى قصيده أخرى يرثى فيها أم جعفر أيضا حيث تبدو عليه سيماء الزهاد، و وقار الحكماء، و خبره ذوى التجربه، يقول:

إلا كل آت قريب المدى و كل حياه إلى منتهى

و ما غر نفسا سوى نفسها و عمر الفتى من أمانى الفتى

فأقصر فى العين من لفته و أسرع فى السمع من ذا و لا

و لم أر كالمراء و هو اللبيب يرى ملء عينيه ما لا يرى

و ليس النواظر إلا القلوب و أما العيون ففيها العمى

و من لى بمثل سلاح الزمان فاسطو عليه إذا ما سطا

يجد بنا و هو رسل العنان و يدركنا و هو داني الخطى

برى أسهما فبنا ما نبا فلم يبق إلا ارتهاف الظبي

تراش فترمى فتنمى فلا تحيد و تصمى و لا تدرى

و هذه الحكم فى قالبها الجميل، و أسلوبها السلس السهل، و معانيها البسيطة، تبدو متزنه وهينه لأن بها خبره مكتسبه من الحياه، و تجارب ماخوذه من الحياه، و تجارب ماخوذه من الأيام لا أثر فيها لعمل الفكر، و كانى بها و قد خرجت من أعماق أحاسيسه، و صدرت عن قلبه الوجل أمام تقلبات هذه الأيام، فأخذت من جمال الشعور، و جمال الأسلوب، و سمو المعنى مع بساطته، شيئا كثيرا. و هذه الحكمة لا نراها كثيره فى شعره، بل هى قليله جدا، و لو لا هذه المراثى الثلاث لما ظفرنا بهذا القدر من الحكم الجميله.

الوصف

لم ينصرف ابن هانى لذاته فيصور أحاسيسه، و يتحدث عن وجدانياته، لكنه سلك مسلكا ابتعد به عن نفسه فلم يفكر بها إلا لمحا، و هو كشاعر تطرق إلى فنون شعرية مختلفه بيد أنها لم تكن مستقلة، و من هذه الفنون الوصف، و نحن نعجب كثيرا إذ لا نرى أثرا للطبيعه فى شعره حتى نحس أنه نسى الطبيعه الأندلسيه الجميله أو أنها لم تحرك فيه أوتار نفسه، فلم يكن لها حتى انعكاسات بسيطه فى شعره. و يبدو أن طبيعه إفريقيه لم تتر اهتمامه، و لم تستهوه بجمالها، و هو لم يفتش عن الجمال فى الطبيعه، و فيها كل الجمال الذى يشعر به ذو الحساسيه المرهفه، أما إذا أراد أن يصف ما له علاقه بالممدوح، كمجلس أنس، أو زهره مثلا، جاء وصفه متكلفا متعملا.

و قد اضطر بحكم المدح أن يصف عظمه ممدوحه، فيصف جيشه و خيله و أسطوله، و أجاد كل الاجاده فى وصف الخيل، بشكل جعلنا نحس أنه مغرم باصائل الجياد، كثير الاعجاب بجمال خلقها، و حسن منظرها، ذلك أنه اندفع فى وصفها و كأنه يصف شيئا عزيزا عليه، يعجبه منها ألوانها و زينتها، سيرها و ركضها، و كأنها فى كل حركه من حركاتها تحرك و تترافى نفسه و تلمس شعورا فى قلبه، فتشعر و كأنه عاشق لها، ولوع بها، و هو لا ينسى أن يتحدث عن أولئك الذين امتطوا صهواتها، و جردوا سيوفهم، و اشرعوا رماحهم، و تهيئوا للزحف، و هكذا يصف الجيش. و هو قد رأى أسطول المعز بعدده و عدته، و شاهد سيره فى البحر فوصفه أيضا، و تصور معارك المسلمين مع الروم، فتحدث عن ذلك فكان له وصف المعارك

البحريه، لكنه إذا عرض لغير هذه الموضوعات، جاء قوله متصنعا متكلفا، وقد وصف النجوم فى قصيدته التى مطلعها:

أليلتنا إذ أرسلت واردا و حفا و بتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

و لم يسمع فى وصف النجوم أحسن من قصيدته هذه و هذا الشعر و ان جمع من التشبيهات ما لم يجمعه غيره فانك لا تجد فيه من حلاوه اللفظ و سهوله الحفظ (1) ما تجده فى غيره. و هذا مقياس نقدى مقبول إذا ما أردنا أن نعرف جمال القصيده من حيث المعنى و المبنى.

لقد وصف أن هانى الخيل، هذه الأعوجيات التى إذا ما ركضت بدت طائره أو سابحه، و تبقى سابقه فى ركضها، فهى جرد عناجيح، و أجمل ما قال فى وصف الخيل، هى قصيدته التى يمدح فيها الخليفه، و يتحدث عن هديه جوهر له، و فيها الكثير من الخيل التى كأنها الغايات تسير بزهو و كبرياء، ثم هى مكحوله المدامع، تنظر بمقله أحوى و فيها يقول:

ألا هكذا فلتجلب العيس بدنا الا هكذا فلتجنب الخيل ضمرا

مرفله يسحب أذيال يمنه و يركض ديباجا و وشيا محبرا

نراهن أمثال الظباء عواطيا لبسن بيبرين الربيع المنورا

يمشين مشى الغايات تهاديا عليهن زى الغايات مشهرا

و جررن أذيال الحسان سوابغا فعلمن فيهن الحسان تبخترا

ترى كل مكحول المدامع ناظرا بمقله أخرى ينفض الضال أحورا

و يتحدث بعد ذلك عن ألوانها المختلفه، إذ أن منها ما هو أبلق أو ورد أو أشقر، و منها الكميت و الأدهم، إلى غير ذلك من ألوان، و يتحدث بعد هذا عن شعوره أمام هذه الجياد الجميله، الحسنه الخلق، التامه التكوين، و إذا به يعترف قائلا:

يقر بعينى أن أرى من صفاتها و لا عجب أن يعجب العين ما ترى

أرى صوراً يستعبد النفس مثلها إذا وجدته أو رأته مصورا

أفكه منها الطرف فى كل شاهد بان دليل الله فى كل ما برا

فاخلص منها اللحظ كل مطهم ألد إلى عين المسهد من كرى

و يعجبه منظر الخيل و قد أعدت للركوب و هيئت للقتال فتطرب نفسه و تتفاعل مشاعره و إذا بلسانه يقول:

و الخيل تمرح فى الشكيم كأنها عقبان صاره شاقها الأوكار

من كل يعبوب سبوح سلهب حص السياط عنانه الطيار

لا يطبيه غير كبه معرك أو هبوه من ماقط و مغار

سلط السنابك باللجين مخدم و أذيب منه على الأديم نضار

و يتطلع إلى وفرته فإذا هي غدائر غاده جميله لم تهمل شعرها، و لم يمسها بؤس و لا إقتار:

و كان وفرته غدائر غاده لم يلقتها بؤس و لا إقتار

و يراها تركض، فيتساءل عن هذا الركض و نوعه لأنه يظن أنها تطير،

مرت لغايتها فلا و الله ماعلقت بها في عدوها الأبصار

و جرت فقلت أ سابع أم طائرهما استثار لوقعهن غبار

و هل من غرابه في ذلك و هي:

من آل أعوج و الصريح و داحس فيهن منها ميسم و نجار

و نقرأ له هذه الأبيات فنحس كأنه متمم بهذه الجياد:

من كل يعبوب يحيد فلا ترى الا قذالا ساميا و تليلا

و كان بين عنانه و لبانه رشا يريع إلى الكناس خذولا

لو تشرئب له عقيله ربرب ظنته جؤذر رملها المكحولا

تتنزل الأروى على صهواته و بيت في وكر العقاب نزيلا

يهوى بام الخشف بين فروجه و يقيد الإدمانه المطبولا

و كثيرا ما ياتي الشاعر بمبالغات فيها شيء من الإغراق القوى في القول، كقوله:

و أجل علم البرق فيها أنها مرت بجانحتيه و هي ظنون

و هو بحكم كونه شاعر المعز، رأى الجيش يعده المعز، و يزجيه كثيفا، حتى كأنه موكل بقضاء الله، و هذه الفتية الشيعيه التي نذرت نفسها لله، و آل بيت رسول الله، تعلقو صهوات هذه الجياد الجميله، و قد تقلدت سيوفها، و أشرعت رماحها، و وطدت نفسها على الحرب و الجهاد، في سبيل العقيده.

يرى ابن هانى كل هذا و يروقه المنظر فيقول:

عليها المغاوير فى السابغات ترفرف مثل متون الأضا

حتوف تلهى بأمثالها و أسد تغذ بأسد الشرى

تبخر فى عصف من دم و تخطر فى لبد من قنا

و يرى الأعادى سيوف هؤلاء فيتوهمونها سرجا أو نارا تصطلى:

و قال الأعادى أ أسيافهم أم النار مضرمه تصطلى

رأوا سرجا ثم لم يعلموا أ هندية قضب أم لظى

و منتقدات تذيب الشليل من فوق لابسه فى الوغى

من اللاء تأكل أغمادها و تلفح منهم جمر الغضا

أو يقول عن هؤلاء الشباب الذين علوا متن خيولهم:

و على مطاها فتيه شيعيه ما أن لها إلا الولاء شعار

من كل أغلب باسل متخبط كالليث فهو لقرنه هصار

قلق إلى يوم الهياج مغامر دم كل قيل فى ظباه جبار

أن تحب نار الحرب فهو بفتكه ميقادها مضرامها المغوار

فاداته فضفاضه و تريكه و مهند و مثقف بتار

أسد إذا زارت و جار تعالب ما أن لها إلا القلوب و جار

و إذا ما عرض للأسطول وصفه بقطعه الكثيره و قد نشرت أعلامه، و راح يمزح عباب البحر ليلقى العدو:

مؤاخر فى طامى العباب كأنه لعزمك بأس أو لكفكك جود

أنافت بها أعلامها و سما لها بناء على غير العراء مشيد

من الراسيات الشم لولا انتقالها فمنها قنان شمع و ريود

من الطير إلا أنهم جوارح فليس لها إلا النفوس مصيد
من القادحات النار تضرم للصلى فليس لها يوم اللقاء خمود
إذا زفرت غيظا ترامت بمارج كما شب من نار الجحيم وقود
فانفاسهن الحاميات صواعق و أفواههن الزافرات حديد.

ص: ١٧٣

١- ابن سعيد المغربي - رايات المبرزين و أخبار المميزين ص ٥٥.

و هذه الأبيات تعطينا فكره واضحه عن كيفيه تجهيز هذه المراكب الحربيه، بمدافع تبصق اللهب، صنعت من حديد، و ربما كانت تشبه المجانيق.

و تزين هذه المراكب بنقوش مختلفه، و أستار مفوفه، كتياب الخرد الكواعب، مما يدل على العنايه الزائده بها:

لها من شفوف العبقرى ملابس مفوفه فيها النضار جسيد

كما اشتملت فوق الأرائك خرد أو التفعت فوق المناير صيد

و قد صفحت بالحديد لتصد الأمواج:

لبوس تكف الموج و هو غطامط و تدرأ بأس أليم و هو شديد

فمنها دروع فوقها و جواشن و منها خفاتين لها و برود

و قد كانوا يطلون هذه السفن بالقار لحفظها، فتبدوا سوداء:

و سفن إذا ما خاضت أليم زاخرا جلت عن بياض النصر و هي غرايب

تشب لها حمراء قان أوارها سبوح لها ذيل على الماء مسحوب

و قد وصف النجوم فى قصيده أعجب بها القدماء، و لكنهم لاحظوا أن لا حلاوه فى لفظها، و لا سهوله فى حفظها، و مما قاله فى

وصفه لاقبال الصباح و أفول النجوم:

و قد ولت الظلماء تقفو نجومها و قد قام جيش الفجر لليل و اصطفوا

و ولت نجوم للثريا كأنها خواتيم تبدو فى بنان يد تخفى

ثم يتحدث عن النجوم، فيدهشنا بسعه معرفته لما كان يعرف فى زمانه من أسماء النجوم، من الشعرى العبور، إلى الدبران،

فالسماكين و بنات نعش و سهيل و السهى و النسر، و غير ذلك من أسماء.

و أما الحصرى فأريه فى هذه القصيده واضح من قوله: و قد احتذى طريقه - الضمير عائد إلى على بن محمد الكوفى - أبو

القاسم محمد بن هانى(1) و هذا يعنى أن ابن هانى توكا فى معانى قصيدته على المعانى التى وردت فى قصيده على بن محمد

الكوفى التى مدح فيها على بن داود حتى فى وصف النجوم حيث ينتقل من الوصف إلى المدح قائلا:

كان نذير الشمس يحكى ببشره على بن داود أخى و نسيبى

(2) و هذا يشبه تماما انتقال ابن هانى فى قصيدته تلك حيث يقول:

كان لواء الشمس غره جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

و قد وصف أيضا قصرا بناه إبراهيم بن جعفر فى قصيده هناه بها فقال:

و القبه البيضاء طائره به تهوى بمنخرق الصبا أعنانها

ضربت باروقه ترفرف فوقها تهوى بفتح قوادم خفقانها

علياء موفيه على عليائه فى حيث أسلم مقله إنسانها

نيطت أكاليل بها منظومه فغدا يضاحك درها مرجانها

و تعرضت دور الستور كأنها عذبات أو شحه يروق جمانها

و كان أفواف الرياض نثرن فى صفحاتها فتفوفت ألوانها

مير عماد الدين محمود بن مير رحمه الله الحسينى الأسدآبادى الهمدانى

المعروف بإلهى أسدآبادى.

توفى سنه ١٠٦٤.

من شعراء القرن الحادى عشر الهجرى المعروفين. درس أيام شبابه فى شيراز ثم سافر إلى العراق، ثم انتقل إلى أصفهان و قضى فيها سنه أو سنتين و اتصل هناك بالشعراء و منهم حكيم شفاى.

و مما ذكره نصرآبادى فى تذكرته نفهم أنه عمل مع الملا- شكوهى الهمدانى فى مقهى للشاى (قهوه خانه عرب) و ان الشاه عباس دخل عليهما و تكلم معهما، و سال أولا الملا شكوهى ما عملك؟ فأجاب: إنى شاعر، فطلب منه أن ينظم الشعر فنظم بيتا ارتاح له الشاه و استحسنة. ثم سال إلهى عن شهرته، فقال إلهى، فوضع الشاه يده على رأسه و قال: إلهى.

و الظاهر أن عطف الشاه لم يتجاوز الثناء عليه، لذا نراه يضطر لترك أصفهان و السفر إلى الهند، و عرج فى طريقه لمدته قصيره على قندهار و كابلسنه ١٠٢١.

و فى سنه ١٠٢٢ لازم (زمان بيك مهابت خان). و فى سنه ١٠٣٣ لازم (ظفر خان أحسن الله تربتى) فى كابل، و كان هذا حاكما فيها. و نجد فى ديوان المترجم أشعارا فى مدح مهابت خان.

و لم يلبث ظفر خان أن ترك كابل إلى اكره فى الهند، فتركها المترجم إلى الهند أيضا، و كان ذلك فى أواخر حياه جهانگير (١٠١٤ - ١٠٣٧).

و يقول مير عبد الرزاق فى كتابه (بهارستان سخن) أى: (ربيع الكلام) عن المترجم أنه كان عفيف النفس ذا همه عاليه، و لذلك استقبل من جهانگير بحفاوه بالغه.

عاشر فى الهند الحاجى مهرجان قدسى المشهدى فى عهد ملكيهشاه جهان (١٠٢٧ - ١٠٦٨) و كان من الشعراء البارزين فى بلاط شاه جهان، كما أنه لم يترك ملازمه ظفر خان أحسن، و لما عين هذا لحكومته كشمير، و كان محبا للشعراء مغرما بالشعر سافر معه مير إلهى و عاش هناك من الراتب البسيط الذى كان يتقاضاه من البلاط. ثم اعتزل الناس حتى وفاته.

توجد نسخه من ديوانه فى مكتبه المتحف البريطانى و فيها خمسه آلاف بيت من الشعر فى قصيده بمدح الأئمه ع، و مدح شاه جهان و مهابت خان و بعض الأمراء و الوزراء.

و فيه الغزل و التركيب و الترجيح و القطعه، و رساله الساقى، و عده مثنويات صغيره و بعض الرباعيات.

و له (كنز الخزان) و فيه منتخبات من شعر أربعمائه شاعر من شعراء القرن الثامن و التاسع و العاشر مع تراجم للشعراء.

أجمع الكتاب الذين التقوا به فى الهند على جمال شعره. و من خلال أشعاره ندرك مدى علمه و حبه للعلوم (٣).

الأمير فخر الدين محمود ابن الأمير يمين الدين الطغرائى المستوفى

المشهور و المتخلص ب (ابن يمين).

ص: ١٧٤

١- الحصرى - زهر الآداب و ثمر الألباب ج ٢ - ص ٧٥٥.

٢- الحصرى - زهر الآداب و ثمر الألباب ج ٢ - ص ٧٥٣.

٣- تاريخ أدبيات إيران.

ولد في أواخر القرن السابع في قرية فريومد من قرية سبزوار.

و توفي على ما رواه دولت شاه سنة ٧٤٥ و قبره في صومعه والده بقرية (فريومد).

هو أحد كبار شعراء إيران في القرن الثامن الهجري، و كان والده الأمير يمين الدين الطغرائي - على ما روى دولت شاه - رجلاً فاضلاً، أصله من الترك، استوطن في عهد محمد خدابنده (٧٠٣ - ٧١٦ هـ) قرية فرومد (فريومد) من قرية بيهق (سبزوار) و اشترى فيها عقارات و استقر فيها، و كان علاء الدين محمد فريومدي الذي عاش في عهد السلطان أبي سعيد و بعده في عصر طغا تيمور خان الذي كان صاحب ديوان و وزير خراسان يعطف عليه.

و يتحدث دولت شاه عن أهميه رسائل الأمير يمين الدين إلى ابنه الأمير محمود من الروم إلى خراسان، و أجوبه الابن إلى أبيه الذي توفي سنة ٧٢٢.

و كان المترجم منذ شبابه معدوداً بين الشعراء و الكتاب، و قد عهد إليه، كما كان عهد إلى والده قبله استيفاء و تحرير الطغراء لدى الخواجه علاء الدين محمد الفريومدي وزير خراسان الذي قتل في ٢٧ شعبان سنة ٧٤٢ عند حدود مازندران على أيدي السربداريين.

قضى المترجم أيام شبابه في خراسان، و سافر إلى تبريز [تبريز]، و حضر لدى غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله، الوزير الذي كان بيته ملتقى لأرباب الفضل في ذلك الزمان، و لكنه لم يبق هناك طويلاً، و نظم قصيده طلب فيها من الوزير أن يسمح له بالرجوع إلى وطنه. و نفهم من خلال أشعاره أنه عاش فتره في العراق دون أن يستقر فيه، كما نفهم منها أنه لم تطب له الحياه خارج خراسان، فبعد ذهابه إلى مدينه (السلطانيه) لم يطل فيها المقام. و كل ذلك يتجلى لنا من مطالعتنا لأشعاره.

و بعد رجوعه إلى خراسان عاش في قرية (فريومد)، و كانت له اتصالات مع وزراء منطقته خراسان فيمدحهم في أشعاره لا سيما منهم علاء الدين محمد الفريومدي وزير خراسان. و بعد أن قتل السربداريون (١) هذا الوزير في حدود گرگان (جرجان) و طبرستان في حرب بينهم و بين الطغا تيموريين، اتصل بالخواجه غياث الدين هندو الذي أصبح وزيراً بعد مقتل أخيه.

و في سنة ٧٤٣ نشبت الحرب في قرية حيدري بين الملك معز الدين حسين محمد كرت (٢) و الخواجه وجيه الدين مسعود السربداري و الشيخ حسن الجوري، و هرب الخواجه وجيه الدين مسعود. و في معارك هذه الحرب شرق ديوان ابن يمين، و يقول خواند مير إن جنود هرات أسروا ابن يمين، و عند ما أخذوه إلى الملك أراد تدبير أمره بمدح الملك معز الدين حسين كرت شعراً، أملاً باسترداد ديوان شعره، و لكنه لم يغز من ذلك بطائل، و الظاهر أن الديوان ضاع في الحرب. فراح يجمع شعره من هنا و هناك مرتباً ديواناً جديداً احتوى على ١٥ ألف بيت بين الغزل و الرباعيات و المقطعات و الترجيع و القصائد.

و قد قضى الشطر الأخير من حياته بين سبزوار و فريومد بقناعه كامله و اعتقادات أخلاقيه، بحيث تفرد من بين شعراء عصره بقصائده الأخلاقيه و يقول خواند مير أن هذه القصائد كانت تكتب على الألواح و الأبواب و تحفظ في القلوب.

و كان شعره بخلاف شعر معاصريه من الشعراء: سلساً بسيطاً من غير تكلف خالياً من الكلمات المتقعره. و هذا هو سبب رواج

شعره بين الجماهير في كل زمان.

و قد قام في هذا العصر الدكتور سعيد نفيسى بجمع شعره و آثاره حسب المستطاع (٣)

المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمر الثقفي،

إشاره

و كنيته أبو إسحاق:

ولد عام الهجره و قتل سنه ٦٧ في حربته مع مصعب بن الزبير.

ما هي حقيقته المختار؟ انه هو نفسه خير من يجيب على هذا السؤال.

و قد أجاب فعلا و هو في ساعاته الأخيره من الحياه حين رد على تساؤل رفيقه السائب بن مالك الأشعري فقال: "انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز، و رأيت ابن نجره وثب باليمامه، و مروان بالشام، و كنت فيها كأحدهم، إلا أني قد طلبت بثار أهل البيت إذ نامت عنه العرب".

و يقول عنه السيد محسن الأمين: "و الله أعلم بحقيقته أمره و على كل حال فقد شفى النفوس و أدرك الثار و انتقم الله به من الطغاه الفجره".

و إذا كنا نحن لا يمكن أن نزيد شيئا على ما قاله هو عن نفسه و ما قاله عنه السيد محسن الأمين فاننا ننشر هنا قصه أخذه بثار الحسين مما لا يخرج عن موضوع (المستدركات) مهما كان أمره و أمر الناس معه:

لما بعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفه نزل في دار المختار، فبايعه المختار في جمله من بايعه من أهل الكوفه و ناصحه و دعا الناس إليه، فلما خرج مسلم كان المختار في قريه له خارج الكوفه، لأن خروج مسلم كان قبل ميعاده بسبب ضرب ابن زياد لهاني بن عروه و حبسه فجاء الخبر إلى المختار عند الظهر بخروج مسلم فاقبل المختار في مواليه حتى دخل الكوفه و أتى إلى باب الفيل و هو من أبواب المسجد بعد المغرب و كان ابن زياد قد عقد لعمر بن حريث رايه و امره على الناس و أقعده في المسجد فمر بالمختار رجل من أصحاب ابن زياد يسمى هاني بن أبي حيه الوداعي فقال للمختار ما وقوفك هاهنا لا أنت مع الناس و لا أنت في بيتك فقال له المختار أصبح رأيي مرتجى لعظم خطيئتك فدخل هاني على عمرو بن حريث و أخبره بذلك فأرسل عمرو إلى المختار رجلا يأمره أن لا يجعل على نفسه سيلا فقال زائده ابن قدامه بن مسعود لعمر بن حريث و يأتيتك المختار على أنه آمن قال عمرو أما منى فهو آمن و ان بلغ الأمير عبيد الله عنه شيء شهدت عنده براءته و شفعت له أحسن الشفاعة فجاء المختار إلى ابن حريث و جلس تحت رايته حتى أصبح، و جاء عماره بن عقبه بن الوليد بن عقبه بن أبي معيط فأخبر ابن زياد بامر المختار فلما أذن ابن زياد للناس دخل عليه المختار في جمله من دخل فقال له ابن زياد أنت المقبل في الجموع لتنصر

١- راجع عن السربداريين ترجمه على بن المؤيد فى المجلد الثانى من المستدركات.

٢- آل كرت دوله نشات أثناء القرنين السابع و الثامن فى الركن الشمالى الشرقى من إيران و كان مقرها فى مدينه هرات و لكن نفوذها كان يمتد إلى الولايات القريبه فيشمل بعض بلاد الغور و إقليم غرجستان و ولايه سجستان. و معز الدين حسين هذا هو

الملك قبل الأخير من ملوكهم، إذ انتهى ملكهم بابنه غياث الدين الذى قتله تيمور لنك سنه ٧٨٥.

٣- تاريخ أدبيات إيران.

ابن عقيل فقال لم أفعل و لكنى أقبلت و قعدت تحت رايه عمرو بن حريث إلى الصباح و شهد له عمرو بن حريث بذلك فضربه ابن زياد بالقضيب على وجهه حتى أصاب عينه فشرها(1) و قال و الله لو لا- شهاده عمرو لك لضربت عنقك و أمر به إلى السجن فلم يزل المختار محبوسا حتى قتل الحسين (ع) فأرسل المختار رسولا إلى عبد الله بن عمر يطلب منه أن يكتب إلى يزيد ليكتب إلى ابن زياد بإطلاق المختار. فلما جاء الرسول إلى عبد الله بن عمر و علمت زوجته صفيه بحبس أخيها بكت و جزعت فرق لها عبد الله و كتب إلى يزيد يطلب منه أن يكتب إلى ابن زياد باطلاقه فكتب يزيد إلى ابن زياد: أما بعد فخل سبيل المختار ابن أبي عبيد حين تنظر في كتابي.

فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ثم قال له قد اجلتك ثلاثا فان أدركتك بالكوفه بعدها فقد برئت منك الذمه. فلما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز فلقه ابن العرق مولى ثقيف وراء واقصه فسلم عليه و ساله عن عينه فقال خبطها ابن الزانيه بالقضيب فصارت كما ترى ثم قال: قتلنى الله إن لم اقطع أنامله و أعضائه إربا إربا، ثم قال: إذا سمعت بمكان قد ظهرت به فى عصابه من المسلمين اطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين و ابن سيدها و ابن بنت سيد المسلمين الحسين بن على فو ربك لأقتلن بقتله عدو القتلنى التى قتلت على دم يحيى بن زكريا ع فجعل ابن العرق يتعجب من قوله: ثم سار المختار حتى وصل إلى مكه و ابن الزبير يدعو إلى نفسه سرا فكتب أمره عن المختار ففارقه المختار و غاب عنه سنه فسأل عنه ابن الزبير فقيل له انه بالطائف ثم حضر المختار و بايع ابن الزبير على شروط شرطها و أقام عنده و حارب معه أهل الشام و قاتل قتالا شديدا و كان أشد الناس على أهل الشام. فلما هلك يزيد و أطاع أهل العراق ابن الزبير أقام المختار عنده خمسة أشهر و أياما فقدم هانى بن أبى حيه الوداعى إلى مكه يريد العمره فى رمضان فسأله المختار عن أهل الكوفه فأخبره أنهم على طاعه ابن الزبير إلا- أن طائفه من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض فقال المختار: أنا أبو إسحاق أنا و الله لهم أن أجمعهم على الحق و ألقى بهم ركبان الباطل و أهلك بهم كل جبار عنيد. ثم ركب راحلته و أقبل نحو الكوفه حتى وصل إلى نهر الحيره يوم الجمعه فاغتسل و ادهن و لبس ثيابه و اعتم و تقلد سيفه و ركب راحلته و دخل الكوفه و جعل لا يمر على مجلس إلا سلم على أهله و قال أبشروا بالنصره و الفلح آتاكم ما تحبون و لقيه عبيده بن عمرو البدائى الكندى و كان من أشجع الناس و أشدهم تشيعا و حبا لعلى ع فقال له: أبشر بالنصر و الفلح. و كان سليمان بن صرد و أصحابه فى ذلك الوقت يستعدون للطلب بثار الحسين ع فلما خرج سليمان و أصحابه نحو الشام قال عمر بن سعد و شيبث بن ربعى و يزيد بن الحارث بن رويم و هم من قتله الحسين ع لعبد الله بن يزيد الخطمى و هو والى الكوفه من قبل ابن الزبير و إبراهيم بن محمد بن طلحه و هو أمير الخراج: أن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم و ان المختار يريد أن يثب عليكم فى مصركم فأوثقوه و اسجنوه فأتوا و أخذوه بغته و أراد إبراهيم أن يقيده و يمشيه حافيا فلم يقبل عبد الله و أتى بيغله دهماء فحمل عليها و قيل بل قيده. و لما قدم أصحاب سليمان بن صرد إلى الكوفه كتب إليهم المختار من الحبس: أما بعد فان الله أعظم لكم الأجر و حط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين و جهاد المحلين أنكم لم تنفقوا نفقه و لم تقطعوا عقبه و لم تخطوا خطوه إلا رفع الله لكم بها درجه و كتب لكم حسنه فأبشروا فانى لو خرجت إليكم جردت فيما بين المشرق و المغرب من عدوكم السيف باذن الله فجعلتهم ركاما و قتلتهم فذا و توأما فرحب الله لمن قارب و اهتدى و لا يبعد الله إلا من عصى و أبى و السلام يا أهل الهدى. و أرسل إليهم الكتاب مع رجل يقال له سبحان قد ادخله فى قلنسوته بين الظهاره و البطانه، فلما جاء الكتاب و وقف عليه جماعه من رؤساء القبائل أعادوا إليه الجواب مع عبد الله بن كامل و قالوا: قل له قد قرأنا كتابك و نحن حيث يسرك فان شئت إن نأتيك حتى نخرجك من الحبس فعلنا فأتاه فأخبره فسر لذلك و أرسل إليهم لا تفعلوا هذا فانى

أخرج في أيامى هذه. و كان المختار قد بعث غلاما له إلى عبد الله بن عمر زوج أخته و كتب إليه: أما بعد فانى قد حسبت مظلوما و ظن بى الولاة ظنونا كاذبه فاكتب فى يرحمك الله إلى هذين الظالمين يعنى إلى والى الكوفه و أمير خراجها كتابا لطيفا عسى الله أن يخلصنى من أيديهما بلطفك و بركتك و يمنك و السلام.

فكتب إليهما عبد الله بن عمر: أما بعد فقد علمتما الذى بينى و بين المختار من الصهر و الذى بينى و بينكما من الود فأقسمت عليكمما بحق ما بينى و بينكما لما خليتما سبيله حين تنظران فى كتابى هذا و السلام عليكمما و رحمه الله و بركاته.

فلما أتاهما كتاب ابن عمر طلبا من المختار كفلاء فاتى أناس كثير من أشراف الكوفه ليكفلوه فاختر عبد الله ابن يزيد منهم عشره من الأشراف فضمنوه فدعا به عبد الله بن يزيد و إبراهيم بن محمد بن طلحه و حلفاه أن لا يخرج عليهما فان خرج فعليه ألف بدنه ينحرها لدى رتاج الكعبه و مماليكه كلهم أحرار فحلف لهما بذلك و خرج إلى داره. و كان يقول بعد ذلك: قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أنى أفى لهم بايمانهم هذه، أما حلفى بالله فانى إذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها أكفر عن يمينى و خروجى عليهم خير من كفى عنهم و أما هدى ألف بدنه فهو أهون على من بصقه و أما عتق مماليكى فو الله لوددت أنه تم لى أمرى ثم لم أملك مملوكا أبدا. و لما استقر المختار فى داره أخذت الشيعة تختلف إليه و اتفقوا على الرضا به و كان أكثر من استجاب له همدان و قوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفه و كانوا يسمون الحمراء لحمرة و جوههم و كان منهم بالكوفه زهاء عشرين ألف رجل. و كان قد بويج للمختار و هو فى السجن و لم يزل أصحابه يكترون و أمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد و إبراهيم بن محمد بن طلحه و بعث عبد الله بن مطيع واليا على الكوفه. فلما قدمها جاءه إياس بن مضارب و قال له: لست آمن المختار أن يخرج عليك و قد بلغنى أن أمره قد تم فابعث إليه فاحبسه، فبعث إليه ابن مطيع زائده بن قدامه و حسين بن عبد الله من همدان فقالا له: أجب الأمير فدعا بثيابه و أمر باسراج دابته و هم بالذهاب معهما. فلما رأى ذلك زائده قرأ قوله تعالى: (و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين). ففهمها المختار فجلس ثم نزع ثيابه و قال: ألقوا على القטיפه ما أرانى إلا قد وعكت إنى لأجد قفقه شديده و تمثل بقول الشاعر:

إذا ما معشر تركوا ندامهم و لم يأتوا الكريهه لم يهابوا

و قال للرسولين: ارجعا إلى ابن مطيع فأخبراه بحالتي فرجعا فإذا أصحابه على بابيه و فى داره منهم جماعه كثيره، و قال حسين لزائده: انى قد فهمت قولك حين قرأت الآيه، فأنكر زائده أن يكون أراد شيئا. فقال له حسين: لا تخف فما كنت لأبلغ عنك و لا عنه شيئا تكرهانه، فأقبلا إلى ابنن.

ص: ١٧٦

مطيع فأخبراه بعلته فصدقهما و تركه. و قيل ان ابن مطيع بعث إلى المختار ما هذه الجماعات التي تغدو و تروح إليك، فقال المختار: مريض يعاد، و بعث المختار إلى أصحابه فاخذ يجمعهم في الدور حوله و أراد أن يشب بالكوفه في المحرم، فجاء رجل من شباح حى من همدان اسمه عبد الرحمن بن شريح و كان شريفا فاجتمع مع أربعة من الشيعة و قال لهم أن المختار يريد أن يخرج بنا و لا- ندرى أرسله ابن الحنفية أم لا فاتفق رأيهم على أن يأتوا ابن الحنفية فان أمرهم باتباع المختار اتبعوه و ان نهاهم عنه اجتنبوه فأتوا المدينة و أخبروا ابن الحنفية بذلك، فقال لهم: و الله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه فخرجوا من عنده و هم يقولون قد أذن لنا و لو كره لقال لا تفعلوا.

قال ابن نما رحمه الله تعالى: و قد رويت عن والدى أن ابن الحنفية قال لهم:

قوموا بنا إلى إمامي و إمامكم على بن الحسين ع فلما دخلوا عليه و أخبره الخبر قال يا عم لو أن عبدا زنجيا تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس موازرتة و قد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت فخرجوا و هم يقولون أذن لنا زين العابدين و محمد ابن الحنفية اه و روى المسعودى في مروج الذهب أن المختار كتب إلى على بن الحسين السجاد ع يريد به على أن يبيع له و يقول بإمامته و يظهر دعوته و انفذ إليه مالا- كثيرا فأبى على عأن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه و سبه على رؤوس الاشهاد فلما يئس المختار من على بن الحسين كتب إلى محمد بن الحنفية بمثل ذلك فأشار عليه على بن الحسين أن لا يجيبه إلى شىء من ذلك و أن يتبرأ منه كما فعل هو فاستشار ابن عباس فقال لا تفعل لأنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير فسكت عن المختار اه. و كان المختار علم بخروج من خرج إلى المدينة فشق ذلك عليه خوفا من أن لا- يجيبهم ابن الحنفية بما يحب فيتفرق عنه الناس فكان يريد النهوض بأصحابه قبل قدومهم من المدينة فلم يتيسر له ذلك فلم يكن إلا شهر أو زياده حتى قدموا الكوفه فدخلوا على المختار قبل دخولهم إلى بيوتهم فقال لهم ما وراءكم؟ قد فنتتم و ارتبتم. فقالوا له: إنا قد أمرنا بنصرتك فقال: الله أكبر أنا أبو إسحاق أجمعوا لى الشيعة فجمع منهم من كان قريبا إليه فقال لهم أن نفرا قد أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدى و النجيب المرتضى ابن خير من مشى حاشا النبى المجتبى فأعلمهم انى وزيره و ظهيره و رسوله و أمرهم باتباعى و طاعنى فيما دعوتكم إليه من قتال المحلين و الطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين فقال عبد الرحمن بن شريح و أخبرهم أن ابن الحنفية أمرهم بمظاهرتة و مؤازرتة و قال فليبلغ الشاهد الغائب و استعدوا و تأهبوا و قام أصحابه فتكلموا بنحو من كلامه و كان أول من أجاب المختار إلى ذلك عامر الشعبى و أبوه شراحيل. و قال جماعه للمختار أن أشرف أهل الكوفه مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع فان أجابنا إلى أمرنا إبراهيم بن مالك الأشتر رجونا القوه على عدونا فإنه فتى رئيس و ابن رجل شريف له عشيره ذات عز و عدد فقال لهم المختار فألقوه فادعوه و اعلموه الذى أمرنا به من الطلب بدم الحسين ع و أهل بيته فخرجوا إليه و معهم الشعبى فأتوه و اعلموه عزمهم على الطلب بدماء أهل البيت ع و سألوه مساعدتهم على ذلك و ذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء على ع و أهل بيته فقال لهم أنى قد أجبتمكم إلى الطلب بدم الحسين ع و أهل بيته على أن تولونى الأمر فقالوا له أنت أهل لذلك و لكن ليس إلى ذلك سبيل هذا المختار و قد جاءنا من قبل إمام الهدى و من نائبه محمد بن الحنفية و هو المأمور بالقتال و قد أمرنا بطاعته فسكت إبراهيم و لم يجيبهم فانصرفوا عنه و أخبروا المختار فمكث المختار ثلاثا ثم دعا جماعه من أصحابه فدخلوا عليه و بيده صحيفه مختومه بالرصاص فدفعها إلى الشعبى و قال لأصحابه انطلقوا بنا إلى إبراهيم بن الأشتر فسار فى بضعة عشر رجلا من وجوه أصحابه و فيهم الشعبى و أبوه فدخلوا على إبراهيم فالتقى لهم الوسائد فجلسوا عليها و جلس المختار معه على فراشه، فقال له المختار: إن الله أكرمك و أكرم أباك من قبلك بموالاه بنى هاشم و نصرتهم و معرفه

فضلهم و ما أوجب الله من حقهم و هذا كتاب محمد بن علي أمير المؤمنين و هو خير أهل الأرض اليوم و ابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله و رسله يأمرك أن تنصرنا و توازرنا فان فعلت اغتبطت و ان امتنعت فهذا الكتاب حجه عليك و سيغني الله محمدا و أهل بيته عنك. ثم قال للشعبي ادفع الكتاب إليه فدفعه إليه الشعبي فدعا بالمصباح و فض خاتمه و قرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني قد بعثت إليكم وزيرى و أمينى الذى أرتضيه لنفسى و قد أمرته بقتال عدوى و الطلب بدماء أهل بيتى فانهبض معه بنفسك و عشيرتك و من أطاعك فانك أن نصرتنى و أجت دعوتى كانت لك بذلك عندى فضيله و لك أعنه الخيل و كل جيش غاز و كل مصر و منبر و ثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة و أقصى بلاد الشام. فلما فرغ إبراهيم من قراءة الكتاب قال: قد كتب لى ابن الحنفية قبل اليوم و كتبت إليه فلم يكتب إلى إلا باسمه و اسم أبيه [أبيه] قال المختار ذلك زمان و هذا زمان قال إبراهيم فمن يعلم أن هذا كتابه؟ فشهد جماعه ممن معه بذلك منهم يزيد بن أنس و أحمر بن شميظ و عبد الله بن كامل و سكت الشعبي و أبوه فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش و أجلس المختار عليه و بايعه إبراهيم.

فقال المختار أ تأتينا أو نأتيك فى أمرنا فقال إبراهيم بل أنا آتيك كل يوم و دعا بفاكهه و شراب من عسل فأكلوا و شربوا و خرجوا فخرج معهم ابن الأشتر و ركب مع المختار ثم رجع إبراهيم و معه الشعبي إلى دار إبراهيم، فقال له:

يا شعبي إني قد رأيتك لم تشهد أنت و لا أبوك فترى هؤلاء شهدوا على حق؟ قال له الشعبي: قد شهدوا على ما رأيت و هم ساداه القراء و مشيخه المصر و فرسان العرب و لا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقا. قال الشعبي: قلت له هذه مقاله و أنا و الله لهم على شهادتهم متهم غير أنه يعجبني الخروج و أنا أرى رأى القوم و أحب تمام ذلك الأمر فلم اطلعه على ما فى نفسى. ثم كتب إبراهيم أسماءهم و تركها عنده. و كان إبراهيم ظاهر الشجاعه و ارى زناد الشهامه نافذ حد الصرامه مشمرا فى محبه أهل البيت عن ساقيه متلقيا غايه النصح لهم بكلتا يديه فجمع عشيرته و أخوانه و من أطاعه و أقبل يختلف إلى المختار كل عشيه عند المساء فى نفر من مواليه و خدمه يدبرون أمورهم فيبقون عامه الليل. و كان حميد بن مسلم الأسدى صديقا لإبراهيم بن الأشتر فكان يذهب به معه إلى المختار. و اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليله الخميس لأربع عشره بقيت من ربيع الأول و قيل لآخر سنه ست و ستين. فلما كانت ليله الثلاثاء و قيل الأربعاء عند المغرب قام إبراهيم فاذن و صلى المغرب بأصحابه ثم خرج يريد المختار و عليه و على أصحابه السلاح و كان إياس بن مضارب صاحب شرطه عبد الله بن مطيع أمير الكوفه فأتاه فقال له أن المختار خارج عليك فى إحدى هاتين الليلتين فخذ حذرک منه ثم خرج إياس فبعث ابنه راشدا إلى الكناسه و أقبل يسير حول السوق فى الشرط ثم دخل على ابن مطيع فقال له أنى قد بعثت ابني إلى الكناسه فلو بعثت فى كل جبانه عظيمه بالكوفه رجلا- من أصحابك فى جماعه من أهل الطاعه لهاب المختار و أصحابه الخروج عليك فبعث ابن مطيع إلى الجبانات من شحنها بالرجال و أوصى كلا منهم أن

يحفظ الجبهه التي هو فيها، و بعث شبت بن ربيعى إلى السبخه و قال إذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم و كان ذلك يوم الاثنين و خرج إبراهيم بن الأشرى يريد المختار ليله الثلاثاء و قد بلغه أن الجبانة قد ملئت رجلا و أن إياس بن مضارب فى الشرط قد أحاطوا بالسوق و القصر فاخذ معه من أصحابه نحو من مائه رجل عليهم الدروع و قد لبسوا عليها الأقيبه و تقلدوا بالسيوف. و قال له أصحابه: تجنب الطريق فقال و الله لأمرن وسط السوق بجانب القصر و لأرعبن به عدونا و لأرينهم هوانهم علينا فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقبهم إياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح فقال إياس ما هذا الجمع الذى معك و ما تريد و الله أن أمرك لمريب و قد بلغنى أنك تمر كل عشيه من هاهنا و ما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فيرى فيك رأيه. فقال إبراهيم خل سيلنا، فقال لا أفعل. و كان مع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن و كان يصحب أمراء الشرطه فهم يكرمونه و كان صديقا لابن الأشرى و من عشيرته. فقال له ابن الأشرى: ادن منى يا أبا قطن فظن أنه يريد أن يطلب منه أن يشفع له عند إياس فدنا منه و كان مع أبى قطن رمح طويل فتناوله منه ابن الأشرى و هو يقول: أن رمحك هذا الطويل و حمل به على إياس فطعنه فى ثغره نحره فصرعه و أمر رجلا من قومه فاحتر رأسه و انهزم أصحاب إياس و رجعوا إلى ابن مطيع فأخبروه، فبعث راشد بن إياس مكان أبيه على الشرط و بعث مكان راشد سويدا المنقرى إلى الكناسه، و أقبل ابن الأشرى إلى المختار و قال له انا اتعدنا الخروج فى الليله القابله و قد عرض أمر لا بد معه من الخروج الليله قال ما هو؟ قال: عرض لى إياس فى الطريق فقتلته و هذا رأسه مع أصحابى على الباب فاستبشر المختار بذلك و تفاعل بالنصر و الظفر و قال هذا أول الفتح إن شاء الله تعالى، ثم قال قم يا سعيد بن منقذ و أشعل النار فى القصب ثم ارفعها للمسلمين و أمر مناديه أن ينادى يا لثارات الحسين ثم دعا بدرعه و سلاحه فلبسه و هو يقول:

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحه الخدين عجزاء الكفل

انى غداه الروع مقدم بطل لا عاجز فيها و لا وغد فشل

ثم قال له إبراهيم إن هؤلاء الذين فى الجباين يمنعون أصحابنا من إتياننا فلو سرت إلى قومى بمن معى فيأتينى كل من بايعنى من قومى و سرت بهم فى نواحي الكوفه و دعوت بشعارنا لخروج إلينا من أراد الخروج فمن أتاك أبقيته عندك فان جاءك عدو كان معك من تمتنع به فإذا فرغت انا عجلت الرجوع إليك فقال له المختار افعل و عجل و إياك أن تسير إلى أميرهم تقاتله و لا تقاتل أحدا إذا أمكنك أن لا تقاتله إلا أن يبدأك أحد بقتال، فخرج إبراهيم فى الكتيبه التى جاء بها حتى أتى قومه و اجتمع إليه جل من كان أجابه فسار بهم فى سكك الكوفه طويلا من الليل و هو يتجنب المواضع التى فيها الأمراء الذين بعثهم ابن مطيع فلما وصل إلى مسجد السكون أتاه جماعه من خيل زحر بن قيس ليس عليهم أمير فحمل عليهم إبراهيم فكشفهم حتى أدخلهم جبانه كنده. فقال إبراهيم من صاحب الخيل فى جبانه كنده؟ فليل له زحر بن قيس فشد إبراهيم و أصحابه عليهم و هو يقول، اللهم أنك تعلم انا غضبنا لأهل بيت نبيك و ثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء و تتم لنا دعوتنا حتى انتهى إليهم هو و أصحابه فكشفوهم و ركب بعضهم بعضا كلما لقيهم زقاق دخل منهم طائفه. فقال إبراهيم لأصحابه انصرفوا بنا عنهم و سار إبراهيم حتى أتى جبانه أثير فوقف فيها و تنادى أصحابه بشعارهم فأتاه سويد بن عبد الرحمن المنقرى و رجا أن يصيبهم فيحظى بذلك عند ابن مطيع فلم يشعر إبراهيم إلا و هم معه فقال إبراهيم لأصحابه: يا شرطه الله أنزلوا فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا فى دماء أهل بيت نبيكم فترلوا ثم حمل عليهم إبراهيم حتى أخرجهم إلى الصحراء و لولا منهزمين يركب بعضهم بعضا و هم يتلاومون فقال قائل منهم إن هذا الأمر يراد ما يلقون لنا جماعه إلا هزموهم، فلم يزل إبراهيم يهزمهم حتى أدخلهم الكناسه

فقال له أصحابه اتبعهم فاغتنم ما دخلهم من الرعب فقال و لكن ناتي صاحبنا أى المختار يؤمن الله بنا وحشته و يعلم ما كان من نصرنا له فيزداد هو و أصحابه قوه و لا آمن أن يكون جاءه، اعداؤه. فسار إبراهيم حتى أتى باب المختار فسمع الأصوات عاليه و القوم يقتتلون، و كان قد جاء شيبث بن ربيعى من قبل السبخه فعبى له المختار يزيد بن أنس، و جاء حجار بن أبجر فجعل المختار فى وجهه أحمر بن شميظ فيبينما الناس يقتتلون إذ جاء إبراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا و أصحابه أن إبراهيم قد جاءهم من ورائهم فتنفروا فى الأزقه قبل أن يأتهم إبراهيم و جاء رجل من أصحاب المختار اسمه قيس بن طهفه النهدي فى قريب من مائه رجل من بنى نهد فحمل على شيبث و هو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم شيبث الطريق حتى اجتمعوا جميعا. و جاء عبد الله بن الحر الجعفى فى قومه لنصره المختار، ثم إن شيبثا ترك لهم السكه و أقبل إلى ابن مطيع فقال له أجمع الأمراء الذين فى الجبايين و جميع الناس ثم أخرج إلى هؤلاء القوم فقاتلهم فان أمرهم قد قوى و قد خرج المختار و ظهر و قوى أمره فلما بلغ المختار قوله خرج فى جماعه من أصحابه حتى نزل فى ظهر دير هند فى السبخه و خرج أبو عثمان النهدي من أصحاب المختار فنادى فى بنى شاكر و هم مجتمعون فى دورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب الخثعمى منهم و هو من أصحاب إياس و كان قد أخذ عليهم أفواه السكك فلما أتاهم أبو عثمان فى جماعه من أصحابه نادى با [يا] لثارات الحسين، يا منصور أمت، يا أيها الحى المهتدون إن أمين آل محمد و وزيرهم قد خرج فنزل دير هند و بعثنى إليكم داعيا و مبشرا فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا ينادون يا لثارات الحسين و قاتلوا كعبا حتى خلوا لهم الطريق فاقبلوا إلى المختار فنزلوا معه و خرج عبد الله بن قتاده الخثعمى فى نحو من مائتين فنزلوا مع المختار و كان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم و خرجت شبام و هم حى من همدان من آخر ليلتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فأرسل إليهم أن كنتم تريدون المختار فلا تمروا من ناحيتنا فلاحقوا بالمختار حتى اجتمع عنده ثلاثه آلاف و ثمانمائه قبل الفجر و كان قد بايعه اثنا عشر ألفا و كان ممن خرج معه حميد بن مسلم، فأصبح المختار و قد فرغ من تعبته جيشه فصلى بأصحابه فى الغلس (أى الظلمه) و أرسل ابن مطيع إلى من بالجبايين أن يأتوا المسجد.

و أمر راشد بن إياس صاحب شرطته فنادى فى الناس برئت الذمه من رجل لم يأت المسجد الليله، فاجتمعوا فبعث ابن مطيع شيبث بن ربيعى فى نحو ثلاثه آلاف إلى المختار و بعث راشدا أيضا فى أربعة آلاف من الشرط، هكذا ذكر الطبرى و غيره و زاد ابن نما رحمه الله أنه بعث حجار بن أبجر فى ثلاثه آلاف و ثلاثه آخرين فى ثلاثه آلاف و تتابعت العساكر إلى نحو من عشرين ألفا فلما صلى المختار الغداه سمعوا أصواتا مرتفعه فقال المختار من يأتينا بخبر هؤلاء؟ فقال له رجل أنا أصلحك الله، قال المختار فائق سلاحك و اذهب حتى تدخل فيهم كأنك متفرج و ائتنا بخبرهم قال الرجل فلما دنوت منهم إذا مؤذنهم يقيم و إذا شيبث بن ربيعى و معه خيل عظيمه فصلى بهم فقرأ إذا زلزلت الأرض زلزالها فقلت فى نفسى أما و الله أنى لأرجو أن يزلزل الله بكم ثم قرأ

و العاديات ضبحا. فقال له أناس من أصحابه لو كنت قرأت أطول من هاتين السورتين شيئا. فقال ترون الديلم قد نزلت بساحتكم و أنتم تقولون لو قرأت سورة البقره و آل عمران، مما دل على وقوع الرعب فى قلبه. فاقبل الرجل إلى المختار و أخبره بخبر شبت و أصحابه و أتاه أيضا سعر الحنفى يركض و كان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليله خرج خوفا من الحرس فلما أصبح أقبل على فرسه فاعترضه راشد بن إياس و أصحابه فركض على فرسه و أفلت منهم حتى أتى المختار فأخبره بخبرهم، فبعث المختار إبراهيم بن الأشتر إلى راشد بن إياس فى تسعمائه و قيل فى ستمائه فارس و ستمائه راجل، و بعث نعيم بن هبيرة أخا مصقله بن هبيرة إلى شبت بن ربيعى فى ثلاثمائة فارس و ستمائه راجل و أمرهما بتعجيل القتال و أن لا يقفا مقابله عدوهما لأنه أكثر منهما و قال لا- ترجعا حتى تظهرا أو تقتلا، فتوجه إبراهيم إلى راشد و توجه نعيم بن هبيرة إلى شبت و قدم المختار أمامه يزيد بن أنس فى تسعمائه، فاما نعيم فجعل سعر الحنفى على الخيل و مشى هو فى الرجاله و قاتل شبتا قتالا شديدا حتى أشرفت الشمس و انبسطت و ضربهم أصحاب نعيم حتى أدخلوهم البيوت منهزمين فناداهم شبت و حرضهم فرجع إليه منهم جماعه فحملوا على أصحاب نعيم و قد تفرقوا فانهم أصحاب نعيم و صبر هو فقتل و أسر سعر و معه رجلان أحدهما مولى فقتله شبت و أطلق الآخرين لأنهما عربيان فأتيا المختار. فاعتم أصحاب المختار لذلك غما شديدا و أخبره أحد الرجلين بما كان من أمره فقال له اسكت فليس هذا بمكان الحديث، و جاء شبت حتى أحاط المختار و يزيد بن أنس و بعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رويم فى ألفين فوقفوا فى أفواه السكك و ولى المختار يزيد بن أنس على الخيل و خرج هو فى الرجاله فحملت عليهم خيل شبت حملتين فلم يبرحوا من مكانهم، فقال لهم يزيد بن أنس: يا معشر الشيعة قد كنتم تقتلون و تقطع أيديكم و أرجلكم و تسمل أعينكم و ترفعون على جذوع النخل فى حب أهل بيت نبيكم و أنتم مقيمون فى بيوتكم مطيعون لعدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم إذا و الله لا- يدعون منكم عينا تطرف و ليقتلنكم صبيرا و لترون منهم فى أولادكم و أزواجكم و أموالكم ما الموت خير منه و الله لا ينجيكم منهم إلا الصدق و الصبر و الطعن الصائب فى أعينهم و الضرب الدراك على هامهم فتيسروا للشده و تهيئوا للحمله فإذا حركت رايتى مرتين فاحملوا، فتهيئوا و جثوا على الركب و انتظروا أمره. و أما إبراهيم بن الأشتر فإنه أقبل نحو راشد بن إياس فإذا معه أربعة آلاف فقال إبراهيم لأصحابه لا يهولنكم كثره هؤلاء فو الله لرب رجل خير من عشره و لرب فئه قليلة قد غلبت فئه كثيره باذن الله و الله مع الصابرين، ثم قال لخزيمه بن نصر سر إليهم فى الخيل و أخذ هو يمشى فى الرجاله و يقول لصاحب رايته تقدم برايتك امض بها قدما قدما و اقتتل الناس قتالا شديدا و حمل خزيمه بن نصر العبسى على راشد فطعنه فقتله ثم نادى قتلت راشدا و رب الكعبه و انهزم أصحاب راشد و أقبل إبراهيم بن الأشتر و خزيمه بن نصر و من معهما بعد قتل راشد نحو المختار و أرسل البشير إلى المختار بقتل راشد فكبر هو و أصحابه و قويت نفوسهم و دخل أصحاب ابن مطيع الفشل، و أرسل ابن مطيع حسانا العبسى فى نحو من ألفين ليعترض إبراهيم بن الأشتر فتقدم إليهم إبراهيم فانهمزوا من غير قتال و أقبل إبراهيم نحو المختار و شبت بن ربيعى محيط به فلما رآه يزيد بن الحارث الذى كان على أفواه السكك مقبلا نحو شبت أقبل نحوه ليرده عن شبت و أصحابه فبعث إبراهيم إليه طائفه من أصحابه مع خزيمه بن نصر و سار هو نحو شبت فيمن بقى معه فلما أقبل إبراهيم نحو شبت جعل شبت و أصحابه ينكصون إلى الورا قليلا قليلا فلما دنا منهم إبراهيم حمل عليهم و أمر يزيد بن أنس أن يحمل عليهم ففعل فانهمزوا حتى وصلوا إلى بيوت الكوفه و حمل خزيمه بن نصر على يزيد بن الحارث فهزمه و أصحابه و ازدحموا على أفواه السكك و كان يزيد بن الحارث قد وضع الرماه على أفواه السكك فوق البيوت، و أقبل المختار فلما انتهى إلى أفواه السكك رمته الرماه بالنبل فصدوه عن دخول الكوفه من ذلك الوجه، و رجع الناس منهزمين إلى ابن مطيع و جاءه قتل راشد بن إياس فسقط فى يده، فقال له عمرو بن الحجاج أيها الرجل لا تلق بيدك و اخرج إلى الناس و اندبهم إلى عدوك فان الناس كثير و كلهم معك إلا هذه الطائفه التى خرجت و الله يخزيها و أنا أول منتدب

فانتدب معى طائفه و مع غيرى طائفه فخرج ابن مطيع فقام فى الناس و وبخهم على هزيمتهم و أمرهم بالخروج إلى المختار و أصحابه. و أما المختار فإنه لما منعه الرماه من دخول الكوفه عدل إلى بيوت مزينه و احمس و بارق و بيوتهم منفرده فاستقبلوه بالماء فشرب أصحابه و لم يشرب هو لأنه كان صائما، فقال أحمر بن شميظ لابن كامل أ ترى الأمير صائما قال نعم قال لو أفطر كان أقوى له قال هو أعلم بما يصنع قال صدقت استغفر الله، فقال المختار نعم المكان للقتال هذا فقال له إبراهيم قد هزمهم الله و فلهم و ادخل الرعب فى قلوبهم و تنزل هاهنا سر بنا فو الله ما دون القصر مانع فترك المختار هناك كل شيخ ضعيف و كل ذى عله و ثقلهم و استخلف عليهم أبا عثمان النهدى و قدم إبراهيم أمامه و بعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج فى ألفين فخرج عليهم فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه و لا تقم عليه فطواه إبراهيم و أمر المختار يزيد بن أنس أن يصمد لعمرو بن الحجاج فمضى نحوه و سار المختار خلف إبراهيم ثم وقف المختار فى موضع مصلى خالد بن عبد الله و أمر إبراهيم أن يمضى على وجهه حتى يدخل الكوفه من جهه الكناسه فمضى فخرج إليه شمر ابن ذى الجوشن فى ألفين فسرح إليه المختار سعيد بن منقذ الهمدانى فواقعه و أرسل إلى إبراهيم أن اطوه و امض على وجهك فمضى حتى انتهى إلى سكه شبت فإذا نوفل بن مساحق فى ألفين و قيل خمسه آلاف قال الطبرى و هو الصحيح و كان ابن مطيع أمر مناديا فنادى فى الناس أن الحقوا باين مساحق و خرج ابن مطيع فوقف بالكناسه و استخلف شبت بن ربعى على القصر فدنا ابن الأشر من ابن مطيع فأمر أصحابه بالنزول فنزلوا فقال قربوا خيولكم بعضها من بعض ثم امشوا إليهم مصلتين بالسيوف و لا يهولنكم أن يقال جاء آل فلان و آل فلان و سمى بيوتات أهل الكوفه، ثم قال إن هؤلاء لو وجدوا حر السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ففعلوا ذلك و أخذ ابن الأشر أسفل قبائه فادخله فى منطقتة و كان قد لبس القباء فوق الدرع ثم قال لأصحابه شدوا عليهم فدى لكم عمى و خالى فلم يلبثوا أن انهزموا يركب بعضهم بعضا على أفواه السكك و ازدحموا و انتهى ابن الأشر إلى ابن مساحق فاخذ بلجام دابته و رفع السيف ليقتله فسأله أن يعفو عنه فخلى سبيله و قال اذكرها لى فكان يذكرها له و دخلوا الكناسه فى آثارهم حتى دخلوا السوق و المسجد و حصروا ابن مطيع و معه الأشراف غير عمرو بن حريث فإنه خرج إلى البر و جاء المختار حتى نزل جانب السوق و ولى إبراهيم ابن الأشر حصار القصر و معه يزيد بن أنس و أحمر بن شميظ فحصروا القصر من ثلاث جهات ثلاثه أيام، و أشرف رجل من أصحاب ابن مطيع عشيه على أصحاب المختار فجعل يشتمهم فرماه رجل منهم بسهم فأصاب حلقه فقطع الجلد فوقه ثم برأ بعد ذلك و جعل ابن مطيع يفرق على أصحابه الدقيق و هو محصور و اشتد عليهم الحصار و أقبلت همدان

حتى تسلقوا القصر بالحبال فلما رأى ابن مطيع و أصحابه ذلك أشار عليه شبت أن يأخذ لنفسه أمانا فكره ذلك فأشار عليه أن يخرج خفيه إلى دار من دور الكوفة ثم يلحق بابن الزبير فقبل و خرج ليلا فدخل دار أبي موسى و خلى القصر ففتح أصحابه الباب، و جاء ابن الأشر فطلب من بالقصر الأمان فامنهم فخرجوا فبايعوا المختار و جاء المختار حتى دخل القصر فبات فيه و أصبح الأشراف فى المسجد و على باب القصر. و خرج المختار فصعد المنبر و خطب الناس و قال: انا المسلط على المحليين الطالب بدم ابن نبى رب العالمين، إلى أن قال ادخلوا فبايعوا بيعة هدى فو الله ما بايعتم بعد بيعة على بن أبى طالب ع و آل على ع أهدي منها ثم نزل فدخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله و سنه رسوله (ص) و الطلب بدماء أهل البيت و جهاد المحليين و الدفع عن الضعفاء و قتال من قاتلنا و سلم من سالمنا، و أحسن المختار سيره جهده و فى ذلك يقول الشاعر:

و لما دعا المختار جئنا لنصره على الخيل تردى من كميته و أشقرا

دعا يا لثارات الحسين فأقبلت تعادى بفرسان الصياح لتثأرا

و بلغه أن ابن مطيع فى دار أبى موسى فأرسل إليه مائه ألف درهم و قال تجهز بها و كان بينهما صداقه فأخذها و مضى إلى البصرة، و وجد المختار فى بيت المال تسعة آلاف درهم. و فرق العمال على أرمينية و آذربايجان و الموصل و المدائن و حلوان و الرى و همدان و أصبهان و غيرها و دانت له البلاد كلها إلا الحجاز و الجزيرة و الشام و مصر و البصرة و استعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكرى و على حرسه كيسان أبا عمره مولى عرينه و صار يجلس للقضاء بين الناس ثم أقام شريحا للقضاء و كانوا يقولون أنه عثمانى و أنه ممن شهد على حجر بن عدى و أنه لم يبلغ عن هانى بن عروه ما أرسله به و أن عليا ع عزله عن القضاء فأراد المختار عزله فتمارض فعزله و جعل مكانه غيره، و قال عبد الله بن همام يذكر المختار و أصحابه و يمدحهم:

و فى ليله المختار ما يذهل الفتى و يلهيه عن رؤد الشباب شموع

دعا يا لثارات الحسين فأقبلت كتائب من همدان بعد هزيع

و من مدحج جاء الرئيس ابن مالك يقود جموعا أردفت بجموع

و من أسد وافى يزيد لنصره بكل فتى حامى الذمار منيع

و جاء نعيم خير شيبان كلها بامر لدى الهيجا أحد جميع

و ما ابن شميظ إذ يحرض قومه هناك بمخدول و لا بمضيع

و سار أبو النعمان لله سعيه إلى ابن إياس مصحرا لوقوع

بخيل عليها يوم هيجا دروعها و أخرى حسورا غير ذات دروع

فكر الخيول كره ثقفتهم و شد باولاها على ابن مطيع

فولى بضرب يشدخ الهام وقعه و طعن غداه السكتين وجيع

فحوصر فى دار الاماره باثيا بذل و ارغام له و خضوع

فمن وزير ابن الوصى عليهم و كان لهم فى الناس خير شفيح

و آب الهدى حقا إلى مستقره بخير إياب آبه و رجوع

إلى الهاشمى المهتدى المهتدى به فنحن له من سامع و مطيع

قتل المختار قتله الحسين عو المشايعين على قتله

كان مروان بن الحكم بعد أن بويع له بالشام أرسل عبيد الله بن زياد فى جيش إلى الجزيره فإذا فرغ منها سار إلى العراق و جعل له كل ما غلب عليه و أمره أن ينهب الكوفه إن ظفر بأهلها ثلاثا ثم كان من أمره مع التوايين ما كان و كان زفر بن الحارث الكلابى و معه قبيله تسمى قيس عجلان بالجزيره على طاعه ابن الزبير فلم يزل ابن زياد مشتغلا بهم عن العراق نحو سنه فهلك مروان و ولى بعده ابنه عبد الملك فأقر ابن زياد على ما كان أبوه و لاه فلما عجز ابن زياد عن زفر و من معه بالجزيره أقبل إلى الموصل و هى للمختار فتحنى عامل المختار إلى تكريت و كتب إلى المختار يخبره بذلك فكتب إليه المختار يصوب رأيه و يأمره أن لا يفارق مكانه حتى يأتيه أمره و أرسل المختار يزيد بن أنس الأسدى و انتخب معه ثلاثه آلاف فارس و وعده المدد متى احتاج و شيعه و قال إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم و إذا أمكنتك الفرصه فلا تؤخرها و ليكن خبرك كل يوم عندى و كتب إلى عامل الموصل أن يخلى بينه و بين البلاد فسار حتى أتى أرض الموصل فبلغ خبره ابن زياد فقال لأبعثن إلى كل ألف ألفين فأرسل إليه ستة آلاف ثلاثه مع ربيعه الغنوى و ثلاثه مع عبد الله بن جمه الخثعمى فسار ربيعه قبل عبد الله بيوم حتى لقي يزيد بن أنس فخرج يزيد بن أنس و هو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال فوقف على أصحابه و عباهم و حثهم على القتال ثم وشع بين الرجال على سرير و قال قاتلوا عن أميركم إن شئتم أو فروا عنه و جعل يأمر الناس بما يفعلونه ثم يغمى عليه ثم يفيق و يقتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفه فاشتد القتال إلى ارتفاع الضحى فانهمز أهل الشام و أخذ عسكرهم و وصل أهل العراق إلى أميرهم ربيعه و قد انهزم عنه أصحابه و هو يناديم و يحرضهم على القتال و يقول إنما تقاتلون من خرج من الإسلام فاجتمع إليه جماعه فقاتلوا معه و اشتد القتال و خرج رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه و هو يقول:

برئت من دين المحكمينا و ذاك فينا شر دين دينا

ثم انهزم أهل الشام و قتل أميرهم ربيعه فسار المنهزمون ساعه فلقهم عبد الله الخثعمى الأمير الثانى لأهل الشام فى ثلاثه آلاف فرد معه المنهزمين و جاء إلى الموضع الذى فيه أصحاب المختار فباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا يوم عيد الأضحى خرجوا إلى القتال و اقتتلوا قتالا شديدا ثم نزلوا فصلوا الظهر ثم عادوا إلى القتال فانهمز أهل الشام هزيمه قبيحه و قتلوا قتلا ذريعا و حوى أهل العراق عسكرهم حتى انتهوا إلى أميرهم عبد الله فقتلوه و أسروا منهم ثلاثمائه أسير فأمر يزيد بن أنس بقتلهم و هو فى آخر رمق فقتلوا ثم مات آخر النهار فدفنه أصحابه و كسر قلوبهم موته و كان قد استخلف عليهم ورقاء بن عازب الأسدى فقال لأصحابه ما ذا ترون أنه بلغنى أن ابن زياد قد أقبل إليكم فى ثمانين ألفا و إنى لا أرى لنا بأهل الشام طاقه فلو انصرفنا من تلقاء

أنفسنا لقالوا إنما رجعنا عنهم لموت أميرنا و لم يزالوا لنا هائبين فقالوا نعم ما رأيت فانصرفوا فبلغ ذلك المختار و أهل الكوفه فارجف الناس بالمختار و قالوا ان يزيد قتل و لم يصدقوا أنه مات فأرسل المختار إلى عامله بالمدائن يسأله عن ذلك فأخبره بموته و ان العسكر انصرف من غير هزيمه و لا كسره فطاب قلب المختار فدعا إبراهيم بن الأشتر و أرسله و قال إذا لقيت جيش يزيد بن أنس فأنت الأمير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد و أصحابه فتقاتلهم ثم ودعه و انصرف، فخرج إبراهيم فلما سار اجتمع أشراف الكوفه عند شبث بن ربعى و قالوا أن المختار تامر علينا بغير رضا منا و لقد أدنى موالينا أى عبيدنا فحملهم على الدواب و أعطاهم قيانا فقال لهم شبث دعونى حتى

ألقاه فذهب إليه فلم يدع شيئا أنكره إلا ذكره له و المختار يقول أنا أرضيهم و أفعل كلما أحبوا و لم يكن أصعب عليهم من مشاركته الموالى أى العبيد المعتقين لهم فى الفىء فقال المختار إن أنا تركت مواليكم و جعلت فينكم لكم تقاتلون معى بنى أميه و ابن الزبير و تعطونى العهد على ذلك فقال شبت حتى أرجع إلى أصحابى فأخبرهم فخرج و لم يرجع إلى المختار فاجمع رأيهم على قتاله و كان بقى مع المختار أربعة آلاف، فقال عبد الرحمن الأسدى لأهل الكوفه لا- تخرجوا على المختار فانى أخاف أن تختلفوا و تفرقوا و مع الرجل شجعانكم و مواليكم و كلمتهم واحده فانظروا قليلا يكفكم ذلك أهل الشام و أهل البصره فلم يقبلوا و خرجوا على المختار بعد مسير إبراهيم بالجبانات كل رئيس بجبانه و جاهروا بالعصيان و لم يبق أحد ممن شرك فى قتل الحسين ع و كان مختفيا إلا- ظهر فلما بلغ ذلك المختار أرسل رسولا مجدا إلى إبراهيم فلحقه و هو بساباط المدائن قريب بغداد و كتب إليه المختار أن لا تضع كتابى من يدك حتى تقبل إلى بجميع من معك و بعث إليهم المختار أن أخبرونى ما تريدون فانى أصنع كلما أحببتم قالوا نريد أن تعتز لنا فانك زعمت أن محمد بن الحنفية بعثك و لم يبعثك قال فأرسلوا إليه وفدا من قبلكم و أرسل إليه أنا وفدا و هو يريد أن يطاولهم حتى يقدم عليه إبراهيم و أمر أصحابه أن يكفوا أيديهم و قد أخذ عليهم أهل الكوفه بأفواه السكك فليس يصل إليهم من الماء إلا القليل، و لما سار رسول المختار وصل إلى ابن الأشتر فى عشيه ذلك اليوم فرجع ابن الأشتر بقيه عشيته تلك ثم نزل عند المساء فتعشى أصحابه و أراحوا دوابهم قليلا ثم سار ليلته كلها و اليوم الثانى حتى وصل إلى الكوفه عند العصر و بات فى المسجد و معه من أصحابه أهل القوه و الجلد، ثم إن المختار عبا أصحابه و أرسل ابن الأشتر إلى مضر و خشى أن يرسله إلى أهل اليمن فلا يبالغ فى قتالهم لأنهم قومه و سار المختار إلى أهل اليمن و قدم بين يديه أحمر بن شميظ و عبد الله بن كامل و أمر كلا- بلزوم طريق مخصوص و أسر إليهما أن شابا قد أرسلوا إليه يخبرونه أنهم يأتون القوم من ورائهم فمضيا إلى أهل اليمن و اقتتلوا أشد قتال رآه الناس ثم انهزم أصحاب أحمر و أصحاب ابن كامل و وصلوا إلى المختار فردهم و أقبل بهم نحو القوم ثم أرسل عبد الله بن قراد الخثعمى فى أربعمائيه إلى ابن كامل و قال له إن كان قد هلك فانت مكانه فقاتل القوم و إن كان حيا فترك عنده ثلاثمائيه و امض فى مائه حتى تأتى جبانه السبيع فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم فى جماعه قد صبروا معه فترك عنده ثلاثمائيه و سار فى مائه و بعث المختار مالك بن عمرو النهدى و كان شجاعا و عبد الله بن شريك النهدى فى أربعمائيه إلى أحمر بن شميظ فوصلوا إليه و قد غلبه القوم فاشتد قتالهم عند ذلك (و أما ابن الأشتر) فإنه مضى إلى مضر فلقى شبت بن ربيعى و من معه فقال لهم ويحكم انصرفوا فما أحب أن يصاب من مضر على يدى أحد فلا تهلكوا أنفسكم فأبوا فقاتلهم إبراهيم فهزمهم و أرسل إلى المختار يبشره بذلك فأرسل المختار إلى أحمر بن شميظ و ابن كامل يبشرهما فاشتد أمرهما، و اجتمعت شبام لياتوا اليمن من ورائهم كما أرسلوا إلى المختار و رأسوا عليهم أبا القلوص فقال بعضهم لو جعلتم جدكم على مضر أو ربيعه لكان أصوب فقال أبو القلوص قال الله تعالى قاتلوا الذين بلونكم من الكفار فسار نحو أهل اليمن فلقبهم الأعسر الشاكرى فقتلوه و نادوا يا لثارات الحسين فأجابهم أصحاب ابن شميظ يا لثارات الحسين فنادى يزيد بن عمر يا لثارات عثمان فقال لهم رفاعه بن شداد البجلي و كان معهم على المختار لا أقاتل مع قوم ييغون دم عثمان ثم رجع عنهم فقاتل مع المختار و هو يقول:

أنا ابن شداد على دين عليلست لعثمان بن أروى بولى

لأصلين اليوم فيمن يصطليبحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل.

و انهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة و استخرج من دور الوداعيين خمسمائه أسير فانى بهم المختار مكتفين فقال أعرضوهم على و انظروا كل من شهد قتل الحسين ع فاعلمونى به فقتل كل من شهد قتل الحسين ع قتل منهم مائتين و ثمانيه و أربعين رجلا فى مجلس واحد و أطلق الباقي (و نادى) منادى المختار من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلا شرك فى دم آل محمد.

هدم دور من شرك فى

قتل الحسين (ع)

و أمر المختار صاحب شرطته أبا عمره أن يجمع ألف رجل من الفعله بالمعاول و يتبع دور من خرج إلى قتال الحسين ع فيهدمها و كان أبو عمره بذلك عارفا فجعل يدور بالكوفه على دورهم فيهدم الدار فى لحظه فمن خرج إليه منها قتله حتى هدم دورا كثيره و قتل المختار أناسا كثيرين من قتله الحسين ع و جعل يطلب و يستقصى فمن ظفر به منهم قتله و جعل ماله و عطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه (و تجرد) لقتله الحسين ع و قال ما من ديننا أن نترك قتله الحسين ع أحياء بئس ناصر آل محمد (ص) أنا، أنا إذا الكذاب كما سمونى و أنى أستعين بالله عليهم فسموهم لى ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فإنه لا يسوغ لى الطعام و الشراب حتى أظهر الأرض منهم.

قتل الذين رضوا جسد

الحسين ع

فأول من بدء به المختار الذين رضوا جسد الحسين ع بخيولهم فاخذهم و طرحهم على ظهورهم و ضرب سلك الحديد فى أيديهم و أرجلهم و أجرى الخيل عليهم حتى قطعتهم ثم أحرقهم بالنار.

قتل عمرو بن الحجاج

الذى كان موكلا بالمشرعه

و كان عمرو بن الحجاج الزبيدى ممن شهد قتل الحسين ع فركب راحلته و أخذ طريق واقصه فلم يعلم له خبر حتى الساعة و قيل أدركه أصحاب المختار و قد سقط من شدة العطش فذبحوه و أخذوا رأسه و قيل أنه هرب يريد البصره و كان من رؤساء قتله الحسين ع فخاف الشماته فعدل إلى شراف فقال له أهل الماء ارحل عنا فانا لا نأمن المختار فارتحل عنهم فتلاوموا و قالوا قد أسانا فركب جماعه منهم ليردوه فلما رأهم ظن أنهم من أصحاب المختار فسلك الرمل بمكان يدعى البيضة و ذلك فى أشد ما يكون من حراره القيظ فيما بين بلاد كلب و بلاد طيبى فقال فيها فأهلكه و من معه العطش، و عمرو بن الحجاج هذا هو الذى كان على المشرعه يمنع الحسين ع من الماء فأهلكه الله تعالى عطشا فى الدنيا و لعذابه الآخرة أشد و أبقي.

قتل خولى بن يزيد الذى جاء

برأس الحسين ع

و بعث المختار أبا عمره فأحاط بدار خولى بن يزيد الأصبحى الذى حمل رأس الحسين ع إلى ابن زياد فاخبا فى بيت الخلاء و وضع على رأسه قوصره و هى ما يصنع من ورق النخل ليوضع فيه التمر فدخلوا الدار ليفتشوا عليه فخرجت امرأته إليهم و هى العيوف بنت مالك و قيل اسمها النوار و كان محبه لأهل البيت ع و كانت قد نصبت له العداوه من يوم جاء برأس الحسين ع فقالت ما تريدون فقالوا لها أين زوجك فقالت لا أدرى أين هو و أشارت بيدها إلى بيت الخلاء فوجدوه و قد وضع على رأسه القوصره فأخرجوه و كان المختار يسير فى الكوفه فجاء فى أثرهم فأرسلوا إليه يخبرونه فرده حتى قتله إلى جانب أهله ثم أحرقه بالنار و لم يبرح من مكانه حتى عاد رمادا.

قتل حكيم بن الطفيل

و بعث المختار عبد الله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل و هو الذى سلب العباس ع ثيابه و رمى الحسين ع بسهم فكان يقول تعلق سهمى بسرباله و لم يضره فأتاه ابن كامل فأخذه فذهب أهله إلى عدى بن حاتم ليشفع فيه فلحقهم فى الطريق فقالوا ليس أمره إلينا إنما أمره إلى المختار فمضى إلى المختار و كان المختار قد شفعه فى جماعه من قومه أسروا يوم قتال المختار مع أهل الكوفه لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين عو أهل بيته ع فقال أصحاب ابن كامل له إنا نخاف أن يشفعه الأمير فى هذا الخبيث و له من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله قال نعم فأتوا به و هو مكتوف و قالوا له سلبت ابن على ثيابه و الله لنسلبنك ثيابك و أنت حى تنظر فترعوا ثيابه و قالوا له رميت حسينا و اتخذته غرضا لنبلك و قلت تعلق سهمى بسرباله و لم يضره و الله لنرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزأك فجعلوه غرضا للنبل و رموه رشقا واحدا حتى صار كالقنفذ فخر ميتا، و دخل عدى على المختار فشفع فيه فقال له المختار أ تستحل أن تشفع فى قتله الحسين ع فقال أنه مكذوب عليه قال إذا ندعه لك فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله فأظهر لومهم على ذلك و لكنه سر بقتله فقال ابن كامل غلبتني عليه الشيعة فقال عدى كذبت و لكنك ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فيه فقتلته فسهب ابن كامل فنهاه المختار.

قتل مالك بن النسر

و رجلين معه

و دل المختار على عبد الله بن أسيد الجهنى و مالك بن النسر البدائى و حمل بن مالك المحاربى فبعث إليهم المختار مالك بن عمرو النهدى و كان من رؤساء أصحابه فأتاهم و هم بالقادسيه فاخذهم و أقبل بهم حتى أدخلهم على المختار عشاء فقال لهم المختار يا أعداء الله و أعداء كتابه و أعداء رسوله و أهل رسوله اين الحسين بن على أدوا إلى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاه عليه فى الصلاه فقالوا بعثنا و نحن كارهون فامنن علينا و استبقنا فقال فهلا منتم على الحسين ابن بنت نبيكم و استبقيتموه و سقيتموه، ثم قال لمالك بن النسر أنت صاحب برنس الحسين فقال له ابن كامل نعم هو هو فأمر بقطع يديه و رجله و تركه يضطرب فلم يزل ينزف الدم حتى هلك و أمر بالرجلين الآخرين فقتلا و عجل الله بأرواحهم إلى النار.

و كان شمر لعنه الله قد هرب من الكوفه و معه جماعه ممن شرك في قتل الحسين ع على خيول لهم مضمرة فأرسل إليه المختار عيدا [عبدا] له أسود يقال له زربي و كان شجاعا و قيل أنه مولى بجيله و معه مائه فارس على الخيل العتاق فجعل يجد السير حتى انقطع عن أصحابه إلا عشره فوارس فقال شمر لأصحابه تباعدوا عني لعل العبد يطمع في فتباعدوا عنه و لحقه العبد حتى إذا انقطع عن أصحابه حمل شمر فقتله و انهزم أصحابه العشره حتى لحق به الباقر ثم مضى شمر و أصحابه حتى نزلوا قريه يقال لها الكلتانيه قريبا من البصره على شاطئ نهر إلى جانب تل ثم أخذ شمر علجا من القريه و دفع إليه كتابا و قال عجل به إلى مصعب بن الزبير بالبصره و كتب عنوانه للأمير مصعب من شمر بن ذى الجوشن فمضى العلج حتى دخل قريه فيها أبو عمره صاحب المختار و كان قد أرسله المختار إلى تلك القريه في خمسمائه فارس ليكون مسلحه بينه و بين أهل البصره فلقى ذلك العلج علجا آخر من تلك القريه فجعل يشكو إليه ما لقي من شمر فبينما هو يكلمه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمره فرأى الكتاب مع العلج و عنوانه إلى مصعب من شمر فسألوا العلج عن مكان شمر فأخبرهم فإذا ليس بينه و بينهم إلا ثلاثه فراسخ فاقبلوا يسرون إليه و كان أصحاب شمر قالوا له تلك الليله لو ارتحلت بنا من هذه القريه فانا نتخوف منها فقال كل هذا فرعا من الكذاب يعنى المختار و الله لا أتحوّل منها ثلاثه أيام ملاً الله قلوبكم رعبا فبينما شمر و أصحابه نيام إذ سمع رجل من أصحابه كان بين النائم و اليقظان وقع حوافر الخيل فقال فى نفسه هذا صوت الدبى و هو الجراد الصغير و كان بذلك المكان دبى كثير ثم سمعه أشد من ذلك فانتبه و مسح عينيه و قال و الله ما هذا بالدبى و ذهب ليقوم فإذا بالخيل قد أشرفت عليهم من التل فكبروا و أحاطوا بالبيوت فهرب أصحاب شمر و تركوا خيلهم و قام شمر و هو عريان مؤتزر بإزار و كان أبرص و برصه يبدو من تحت الإزار و أعجلوه عن لبس ثيابه و سلاحه فجعل يقاتلهم بالرمح ثم ألقاه و أخذ السيف و جعل يقاتلهم به فلما بعد عنه أصحابه سمعوا التكبير و قائلا يقول قتل الله الخبيث و قتله عبد الرحمن بن أبى الكنود و هو الذى وجد الكتاب مع العلج ذبحه ذبحا كما ذبح الحسين ع و أوطئوا الخيل صدر شمر و ظهره ثم ألقيت جثته للكلاب و باء فى الدنيا قبل الآخره بالذل و سوء العذاب و قطعوا رأسه و أرسلوه إلى المختار فأرسله المختار إلى محمد بن الحنفية بالمدينه و قيل جاءه من أصحاب المختار خمسون فارسا و أمامهم نبطى يدلهم على الطريق و ذلك فى ليله مقمره فلما أحس بهم شمر دعا بفرسه فركبه و ركب من كان معه ليهربوا فأدركهم القوم فقاتلوهم فقتل شمر و جميع من كان معه و احتزوا رءوسهم و أتوا بها أميرهم فأرسلها إلى المختار فنصبها المختار فى رحبه الحدائين حذاء الجامع.

(و فى البحار عن أمالى الشيخ قدس سره) أن المختار لما طلب شمرا هرب إلى البادية فخرج إليه أبو عمره فى نفر من أصحابه فقاتلهم قتالا شديدا و أثختته الجراحه فأخذه أبو عمره أسيرا و بعث به إلى المختار فضرب عنقه و أغلى له دهنا فى قدر فقذفه فيها فتفسح و وطئ مولى لآل حارثه بن المضرِب وجهه و رأسه.

عن المنهال بن عمرو قال دخلت على زين العابدين ع أودعه و أنا أريد الانصراف من مكة فقال يا منهال ما فعل حرمله ابن كاهل و كان معي بشر بن غالب الأسدي فأخبره أنه حى بالكوفه فرفع يديه و قال اللهم أذقه حر الحديد اللهم أذقه حر النار، قال المنهال و قدمت الكوفه و قد ظهر المختار و كان لى صديقا فركبت إليه فلقيته خارجا من داره فقال يا منهال لم تشركنا فى ولايتنا هذه فعرفته أنى كنت بمكة فمشى حتى أتى الكناسه و وقف كأنه ينتظر شيئا فلم يلبث أن جاء قوم فقالوا أبشر أيها الأمير فقد أخذ حرمله فجىء به فقال لعنك الله الحمد لله الذى أمكننى منك ثم قال الجزار الجزار فاتى بجزار فأمره بقطع يديه و رجله فقطعهما ثم قال النار فاتى بنار و قصب فأحرقه فقلت سبحان الله سبحان الله فقال أن التسيح لحسن لم سبحت فأخبرته بقول زين العابدين ع فقال لى أسمعت على بن الحسين ع يقول هذا فقلت و الله لقد سمعته فنزل عن دابته و صلى ركعتين و أطال السجود و ركب و قد احترق حرمله و سار فحاذى دارى فطلبت منه أن ينزل و يأكل من طعامى فقال تعلمنى أن على بن الحسين ع دعا بأربع دعوات فأجابه الله على يدي ثم تدعونى إلى الطعام هذا يوم صوم شكر الله تعالى فقلت أحسن الله توفيقك.

قتل الذين نهبوا الورد من

رحل الحسين ع

و بعث المختار أصحابه فأتوه بجماعه من الذين كانوا نهبوا من الورد الذى كان مع الحسين ع و هم زياد بن مالك الضبعى و عمر بن خالد العنزى و عبد الرحمن بن أبى خشكاره البجلي و عبد الله بن قيس الخولانى فجاءوه بهم حتى أدخلوهم عليه فقال لهم يا قتله الصالحين و قتله سيد شباب أهل الجنة أ لا ترون الله قد أقاد منكم اليوم لقد جاءكم الورد بيوم نحس ثم أمر بهم فاخرجوا إلى السوق و ضربت أعناقهم.

قتل جماعه آخرين ممن شرك

فى قتل الحسين ع

و أرسل المختار خيلا فأتوه بعبد الله و عبد الرحمن ابنى صلخت و حميد بن مسلم و عبد الله بن وهب ابن عم أعشى همدان فقبضوا عليهم إلا حميد بن مسلم فإنه هرب و جىء بهم إلى المختار فأمر بهم فقتلوا فى السوق.

قتل من اشترك فى قتل

عبد الرحمن بن عقيل

و بعث المختار عبد الله بن كامل فى خيل إلى عثمان بن خالد الدهمانى و بشر بن سوط و كانا ممن شهد قتل الحسين ع و اشتركا فى دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب و سلبه فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بنى دهمان و أقسم أن يضرب أعناقهم عن آخرهم أن لم يأتوه بعثمان بن خالد فقالوا أمهلنا حتى نطلبه فخرجوا مع الخيل فى طلبه فوجدوه هو و بشر بن

سوط جالسين فى الجبانه و كانا يريدان أن يهربا إلى الجزيره فاتى بهما عبد الله بن كامل فقال الحمد لله الذى كفى المؤمنين القتال لو لم يجدوا هذا مع هذا لأتعبنا بالذهاب إلى منزله فى طلبه فالحمد لله الذى أمكن منك فخرج بهما و ضرب أعناقهما فى الطريق و رجع فأخبر المختار فأمره أن يرجع إليهما و يحرقهما بالنار و قال لا يدفنان حتى يحرقا فاحرقهما.

قتل عمر بن سعد

و كان عمر قد اختفى حين ظهور أمر المختار و كان عبد الله بن جعده بن هبيرة ابن أخت أمير المؤمنين على ع أكرم الناس على المختار لقربته من أمير المؤمنين على ع فطلب عمر بن سعد من عبد الله بن جعده أن يأخذ له أمانا من المختار ففعل و كتب له المختار أمانا و شرط فيه أن لا يحدث حدثا (قال الطبرى) و غيره فكان أبو جعفر محمد بن على الباقر يقول إنما أراد المختار بقوله إلا أن يحدث حدثا هو أن يدخل بيت الخلاء و يحدث فلما كتب المختار الأمان لابن سعد ظهر ابن سعد فكان المختار يدينه و يكرمه و يجلسه معه على سريره. و أتى يزيد بن شراحيل الأنصارى محمد بن الحنفية رضى الله عنه فجرى ذكر المختار فقال محمد يزعم أنه لنا شيعه و قتله الحسين ع عنده على الكراسى يحدثونه فلما قدم يزيد الكوفه أخبر المختار بذلك فعزم على قتل عمر بن سعد ثم أن المختار قال يوما لأصحابه لأقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مشرف الحاجبين يهزم الأرض برجله يسر قتله المؤمنين و الملائكه المقربين و كان عنده الهيثم النخعى فوقع فى نفسه أنه يريد عمر بن سعد فبعث ولده العريان إلى ابن سعد يعرفه ذلك فقال ابن سعد جزى الله أباك خيرا كيف يقتلنى بعد العهود و المواثيق ثم إن عمر بن سعد خرج ليلا فاتى حمامه (1) و أخبر مولى له بما كان من أمانه و بما بلغه عن المختار فقال له مولاه و أى حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك و رحلك و أتيت إلى هنا ارجع و لا تجعل للرجل عليك سبيلا فرجع إلى منزله. و جاء الخبر إلى المختار بخروجه فقال كلا أن فى عنقه سلسله سترده و قال المرزبانى أن ابن سعد لما بلغه قول المختار عزم على الخروج من الكوفه فاحضر رجلا من بنى تيم اللات اسمه مالك و كان شجاعا فأعطاه أربعمائى دينار و قال هذه معك لحوائجنا و خرجا فلما كانا عند حمام عمر أو نهر عبد الرحمن وقف عمر و قال أتدرى لم خرجت قال لا- قال خفت المختار قال هو أذل من أن يقتلك و ان هربت هدم دارك و انتهب عيالك و مالك و خربت ضياعك و أنت أعز العرب فاغتر بكلامه و دخل الكوفه مع الغداه و قيل أن عمر نام على الناقه فرجعت به و هو لا يدري حتى ردتة إلى الكوفه فأرسل عمر عند الصبح ابنه حفصا إلى المختار ليجدد له الأمان فقال له المختار أين أبوك فقال فى المنزل و لم يكن عمر بن سعد و ابنه حفص يجتمعان عند المختار فإذا حضر أحدهما غاب الآخر خوفا أن يجتمعا فيقتلها فقال حفص أبى يقول أتفى لنا بالأمان قال أجلس و طلب المختار أبا عمره كيسان فاقبل رجل قصير يتخشخش فى السلاح فأسر إليه المختار أن يقتل عمر بن سعد و بعث معه رجلين آخرين و قال له إذا دخلت و رأيته يقول يا غلام على بطيلسانى فإنه يريد السيف فبادره و اقتله فذهب أبو عمره إلى ابن سعد و قال له أجب الأمير فقام عمر فعثر فى جبه له فضربه أبو عمره بسيفه فقتله و قطع رأسه و حمله فى طرف قبائه حتى وضعه بين يدى المختار. فقال المختار لابنه حفص أتعرف هذا الرأس فاسترجع و قال

ص: ١٨٣

١- كذا وجدناه فى بعض الكتب و سياى بعد اسطر فلما كان عند حمام عمر و الظاهر أنه اسم موضع و الذى كتب حمامه ظن أن المراد بعمر فى قولهم حمام عمر هو عمر بن سعد فأضاف حمام إلى ضميره و لكننا لم نجد مكانا يسمى حمام عمر و يمكن

كونه حمام أعين فصحف أعينعمر ففى معجم البلدان حمام أعين بالكوفه ذكره فى الأخبار مشهور منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبى وقاص اه.

نعم و لا خير فى العيش بعده فقال له المختار صدقت و إنك لا تعيش بعده فأمر به فقتل و إذا رأسه مع رأس أبيه. و قال المختار هذا بالحسين و هذا بعلى بن الحسين و لا سواء و الله لو قتلت به ثلاثه أرباع قريش ما وفوا أنمله من أنامله.

ثم بعث المختار برأسى عمر بن سعد و ابنه إلى محمد بن الحنفية و كتب إليه يعلمه أنه قد قتل من قدر عليه و أنه فى طلب الباقيين ممن حضر قتل الحسين ع فبينما محمد بن الحنفية جالس مع أصحابه و هو يتعتب على المختار فما تم كلامه إلا و الرأسان عنده فخر ساجدا شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه و بسط كفيه و قال اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار و اجزه عن أهل بيت نبيك محمد خير الجزاء فو الله ما على المختار بعد هذا من عتب.

ما جرى لمره بن منقذ قاتل

على بن الحسين ع

و بعث المختار عبد الله بن كامل إلى مره بن منقذ قاتل على بن الحسين ع و كان شجاعا فأتاه ابن كامل بخيله فأحاط بداره فخرج إليهم و بيده الرمح و هو على فرس جواد فطعن رجلا من أصحاب المختار فصرعه و لم يضره و ضربه ابن كامل بالسيف فاتقاها بيده اليسرى فأسرع السيف فيها و عدا به الفرس فأفلت و هرب إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير و شلت يده بعد ذلك.

قتل زيد بن رقاد قاتل

عبد الله بن مسلم

و بعث المختار عبد الله بن كامل إلى زيد بن رقاد قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل الذى رماه بسهم و هو واضع كفه على جبهته فسمرها فلم يستطع تحريكها ثم رماه بسهم فقتله و جاءه و هو ميت فنزع السهم من جوفه و جعل ينضنض السهم الذى فى جبهته حتى نزعه و بقى النصل فى جبهته لم يقدر على نزعه فأحاط ابن كامل بداره و اقتحم الرجال عليه الدار فخرج إليهم بالسيف و كان شجاعا فقال ابن كامل لا تضربوه بسيف و لا تطعنوه برمح و لكن ارموه بالنبل و ارجموه بالحجاره ففعلوا ذلك به فسقط فأحرقوه حيا.

قتل بجدل بن سليم الكلبى الذى

أخذ خاتم الحسين ع

و قطع إصبعه مع الخاتم

و أتى المختار بجدل بن سليم الكلبى و عرفوه أنه أخذ خاتم الحسين ع و قطع إصبعه فأمر بقطع يديه و رجله فلم يزل ينزف الدم حتى مات.

قتل الذين أكلوا من لحوم

و كان شمر بن ذى الجوشن لعنه الله نهب من الإبل التى كانت مع الحسين ع فلما قدم الكوفه نحرها و قسم لحومها على قوم من أهل الكوفه فأمر المختار فاحصوا كل دار دخلها ذلك اللحم فقتل أهلها و هدمها و لم يزل المختار يتتبع قتله الحسين ع حتى قتل منهم خلقا كثيرا و قتلت العبيد موالىها الذين شركوا فى قتل الحسين ع و جاءوا إلى المختار فأعتقهم و كان العبد يسعى بمولاه أنه ممن شرك فى قتل الحسين ع فقتله المختار حتى أن العبد كان يقول لسيدة احملنى على عنقك فيحمله و يدلى رجله على صدره إهانته له لخوفه من سعائته به إلى المختار بأنه من قتله الحسين ع.

قتل عمرو

ابن صبيح

و طلب المختار عمرو بن صبيح و كان يقول لقد طعنت فيهم يعنى فى أصحاب الحسين ع و جرحت و ما قتلت منهم أحدا فأتوه ليلا و هو على سطحه بعد ما هدأت العيون و سيفه تحت رأسه فأخذوه و أخذوا سيفه فجىء به إلى المختار فحبسه فلما أصبح أذن للناس فدخلوا و جىء به و هو مقيد فقال المختار على بالرماح فاتى بها فقال اطعنوه حتى يموت فطعن بالرماح حتى مات.

قتل قيس بن الأشعث بن قيس الذى

أخذ قطيفه الحسين (ع)

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب الأخبار الطوال أن قيس بن الأشعث الذى أخذ قطيفه الحسين ع حين قتل فكان يسمى قيس القطيفه أنف من أن يأتى البصره فيشمت به أهلها فاتى الكوفه و استجار بعبد الله بن كامل و هو من أخص أصحاب المختار فأقبل ابن كامل إلى المختار و أخبره بأنه استجار به و أجاره فسكت المختار و شغله بالحديث ثم قال أرنى خاتمك فناوله إياه فجعله فى إصبعه ثم دعا أبا عمره فدفع إليه الخاتم و قال له سرا أن ينطلق إلى امرأه عبد الله بن كامل فيقول لها هذا خاتم بعلك علامه لتدخلينى إلى قيس بن الأشعث فانى أريد مناظرته فيما فيه خلاصه من المختار فأدخلته إليه فانتضى سيفه فضرب عنقه و أخذ رأسه فاتى به المختار و ألقاه بين يديه فقال المختار هذا بقطيفه الحسين ع فاسترجع ابن كامل و قال للمختار قتلت جارى فقال له المختار لله أبوك اسكت أ تستحل أن تجير قتله ابن بنت نبيك.

قتل سنان بن أنس النخعى

و طلب المختار ابن أنس النخعى فوجده قد هرب إلى البصره فهدم داره ثم خرج من البصره نحو القادسيه و كان عليه عيون فأخبروا المختار فأرسل إليه فأخذه بين العذيب و القادسيه فقطع أنامله ثم قطع يديه و رجله و أغلى له زيتا فى قدر و رماه فيها.

ذكر الذين هربوا من المختار فهدم

دورهم من قتله الحسين (ع)

و كان محمد بن الأشعث بن قيس فى قريه له إلى جنب القادسيه فبعث المختار إليه حوشبا فى مائه فخرج حتى أتى قصره فأحاط به و هرب محمد من القصر و هم لا يعلمون به فلحق بمصعب ثم دخلوا القصر فوجدوه قد هرب فرجعوا إلى المختار فأخبروه فأمر بهدم داره و قصره و أخذ ما فيها و بنى بلبن داره و طينها دار حجر بن عدى الكندى و كان زياد بن سميه قد هدمها و طلب المختار أيضا عبد الله بن عروه الخثعمى الذى كان يقول رميت فيهم يعنى فى أصحاب الحسين ع باثنى عشر سهما فهرب و لحق بمصعب بن الزبير

ص: ١٨٤

فهدم المختار داره و طلب المختار عبد الله بن عقبه الغنوى قاتل أبى بكر بن الحسن بن على بن أبى طالب ع فوجده قد هرب إلى الجزيره فهدم داره و بلغ المختار أن شبت بن ربيعى فى أناس من أشراف الكوفه قد أخذوا طريق البصره فأرسل خيلا فى طلبهم فقاتلوها ثم انهزموا و كان أسماء بن خارجة الفزارى ممن سعى فى قتل مسلم بن عقيل فقال المختار يوما أما و رب السماء و رب الضياء لتنزلن نار من السماء دهماء حراء سمحاء تحرق دار أسماء فبلغ ذلك أسماء فقال سجع بى أبو إسحاق ليس هاهنا مقام بعد هذا و كان المختار يستعمل السجع فى كلامه يذهب فى ذلك مذهب الكهان و خرج أسماء من داره هاربا إلى البادية فهدم داره و دور بنى عمه (و هرب) أشراف أهل الكوفه و الوجوه فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصره.

قتل عبيد الله بن زياد

و لما فرغ المختار من قتال الذين خالفوه من أهل الكوفه بعد رجوع إبراهيم بن الأشتر بقى إبراهيم بن الأشتر بعد ذلك يومين ثم وجهه المختار لقتال عبيد الله بن زياد و أهل الشام فسار إبراهيم لثمان بقين من ذى الحجه سنه ست و ستين و بعث معه المختار وجوه أصحابه و فرسانهم و ذوى البصائر منهم ممن قد شهدوا الحروب و جربوها قال الشيخ رحمه الله فى الأمالى أنه خرج فى تسعه آلاف و قيل فى اثنى عشر ألفا، و قال ابن نما أنه كان فى أقل من عشرين ألفا و خرج المختار مع إبراهيم يشيعه و أنشا المختار يقول:

أما و رب المرسلات عرفا لقتلن من بعد صف صفا

و بعد ألف قاسطين ألفا أنا و حق المرسلات عرفا

حقا و حق العاصفات عصفا لنعسفن من بغانا عسفا

حتى نسوم القوم منا خسفا زحفا إليهم لأنمل المزحفا

حتى نلاقى بعد صف صفا و بعد ألف قاسطين ألفا

نكشفهم لدى الهيجاء كشفا

ثم إن المختار ودع إبراهيم و قال له خذ عنى ثلاثا خف الله عز و جل فى سر أمرك و علانيتك و عجل السير و إذا لقيت عدوك فعجل القتال ساعه تلقاهم ليلا كان أو نهارا ثم رجع المختار و سار إبراهيم يجد السير ليلقى ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق و كان ابن زياد قد سار فى عسكر عظيم من الشام حتى وصل إلى الموصل و ملكها فسار إبراهيم حتى وصل إلى أرض الموصل و جعل لا- يسير إلا- على تعبیه حتى وصل إلى نهر الخازر فنزل قريه يقال لها باربيثا بينها و بين الموصل خمسه فراسخ و جاء ابن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ نهر الخازر فى ثلاثين ألفا على روايه سبط ابن الجوزى و على روايه ابن نما أنهم كانوا ثلاثه و ثمانين ألفا و أرسل رجل من رؤساء أصحاب ابن زياد يسمى عمير السلمى إلى ابن الأشتر أنى أريد ملاقاتك الليله و كانت عشيره عمير هذا حاقده على بنى مروان من أجل بعض الوقائع فاتى عمير إلى ابن الأشتر و معه رجل يسمى فرات بن سالم و كانا يمران بمسالح أهل الشام فيقولون لهما ما أنتما فيقولان طليعه للأمير الحصين بن نمير فأتيا إبراهيم و

قد أوقد النيران و هو قائم يعبى أصحابه و عليه قميص أصفر هروى و ملاءه مورده متوشحا بها متقلدا سيفه فدنا منه عمير فصار خلفه و احتضنه من ورائه فلم يعبا به إبراهيم و لا تحلحل عن موضعه غير أنه أمال رأسه و قال من هذا قال أنا عمير فقال أجلس حتى أفرغ فجلس فقال عمير لصاحبه هل رأيت رجلا- أربط جاشا و أشد قلبا منه تراه تحلحل من مكانه أو أكثرت بى و أنا محتضنه من خلفه فقال صاحبه ما رأيت مثله ثم بايعه عمير و أخبره أنه على ميسره ابن زياد و وعده أن ينهزم بالناس عند الحرب بعد أن اختبره إبراهيم و عرف نصحه ثم انصرف عمير، و بث ابن الأشتر الحرس تلك الليلة و لم يدخل عينه النوم فلما كان وقت السحر الأول عبا أصحابه و كتب كتائبه و أمر أمراءه فلما انفجر الفجر صلى بأصحابه صلاه الصبح وقت الغلس ثم خرج بهم فصفهم و الحق كل أمير بمكانه و نزل و هو يمشى و قال للناس ازحفوا فرحفوا و جعل يحرضهم و يمينهم الظفر و سار بهم رويدا حتى أشرف على تل عظيم مشرف على أهل الشام و إذا هم لم يتحرك منهم واحد بعد فأرسل إبراهيم فارسا من أصحابه يأتيه بخبرهم فلم يلبث إلا يسيرا حتى عاد إليه و قال له قد خرج القوم على دهش و فشل لقينى رجل منهم و ليس له كلام إلا يا شيعة أبى تراب يا شيعة المختار الكذاب فقلت ما بيننا و بينكم أجل من الشتم و دعا ابن الأشتر بفرس له فركبه ثم مر بأصحاب الرايات كلها فكلما مر على رايه وقف عليها ثم قال يا أنصار الدين و شيعة الحق هذا عبيد الله بن مرجانه قاتل الحسين بن على، بن [ابن] فاطمه بنت رسول الله ص حال بينه و بين بناته و نسائه و شيعته و بين ماء الفرات أن يشربوا منه و هم ينظرون إليه و منعه من الذهاب فى الأرض العريضة حتى قتله و قتل أهل بيته فو الله ما عمل فرعون بنجباء بنى إسرائيل ما عمل ابن مرجانه بأهل بيت رسول الله (ص) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فو الله أنى لأرجو أن يشفى الله صدوركم بسفك دمى على أيديكم فقد علم الله أنكم خرجتم غضبا لأهل بيت نبيكم فسار فيما بين الميمنه و الميسره و سار فى الناس كلهم يرغبهم فى الجهاد و يحرضهم على القتال ثم رجع إلى موضعه، و تقابل الجمعان فخرج من عسكر ابن زياد رجل يقال له ابن ضبعان الكلبي و نادى يا شيعة المختار الكذاب يا شيعة ابن الأشتر المرتاب و جعل يرتجز و يقول:

أنا ابن ضبعان الكريم المفضل من عصبه يبرون من دين على

كذاك كانوا فى الزمان الأول

فخرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني و هو يقول: (1)

أنا ابن شداد على دين على لست لعثمان بن أروى بولى

لأصلين اليوم فيمن يصطلى بحر نار الحرب حتى تنجلي

فقال للشامى ما أسمك فقال منازل الأبطال قال له الأحوص و أنا مقرب الآجال ثم حمل الأحوص عليه و ضربه فسقط قتيلًا ثم نادى هل من مبارز فخرج إليه داود الدمشقى و هو يقول:

أنا ابن من قاتل فى صفينا قتال قرن لم يكن غيبنا

بل كان فيها بطلا حرونا مجربا لدى الوغى مكينا

فأجابه الأحوص يقول:

يا ابن الذى قاتل فى صفينا و لم يكن فى دينه غبينا

كذبت قد كنت بها مغبونا مذذبنا فى أمره مفتونا

لا يعرف الحق و لا اليقينا بؤسا له لقد قضى ملعونا

ثم التقيا فضربه الأحوص فقتله ثم عاد إلى صفه، و زحف ابن زياد

ص: ١٨٥

١- قد تقدم أن رفاعه بن شداد ارتجز بهذه الأبيات بعينها سوى قوله فى البيت الأخير حتى تنجلي فذكر بدلها غير مؤتلى و الله أعلم لأيهما هى

إلى ابن الأشر فليما تءانى الصفاى حمل الءصفاى ابن نمر فى مفاىمى أهلى الشام على مفاىمى إبراهاىم وعلها على ابن مالءك الءءمى فءبى له هو بنفسه فءقل فااء راىته ولءه قره بن على فءقل فى رءال من أهلى البأس وانهزمى مفاىمى إبراهاىم فااء الراىه عبء الله بن ورقاء فاسءقبلى أهلى المفاىمى ءفاى انهزموا فءقال إلى فا شرطه الله فا قبل إلىه أءءرهم فءقال هءا أمفركم فءاال ابن زفااء ارءعوا بنا إلىه فرءعوا فااا إبراهاىم كاشف عن رأسه فااى إلى فا شرطه الله أنا ابن الأشءر أن ءفر فراركم كراركم لفا مفاىمى من اعءب فرءع إلىه أصءابه وءملء مفاىمى إبراهاىم على مفاىمى ابن زفااء و هم فرءون أن فنهزم عمفر صاءب مفاىمى ابن زفااء كما وءءهم فءاالهم عمفر ءالا شءفااء و انف من الفرار فلما رأى ذلك إبراهاىم قال لأصءابه افصءوا هءا السواء الأعظم فو الله لئن هزمنا لا نءفل من ءرونه فمىمه و فسره انءفال الطفر ااا ذعءته فمشفى أصءابه إلىهم فءااعنوا بالرماء ءم ءضاربوا بالسفوف و العمء و كان فسمع ضرب الءفااء على الءفااء كأصواء القصار و ءعل إبراهاىم فءمل على عسءر ابن زفااء و فضرب ففهم بسففه و هو فقول:

ءء علمء مءءء علما لا ءطل أنى ااا القرن لءفنى لا و كل

و لا ءزوع عنءها و لا نكل أروع مءءاما ااا النكس فشل

اضرب فى القوم ااا ءاء الأءل و اعءلى رأس الطرماء البطل

بالءكر البءار ءفى ففءءل

و كان إبراهاىم فقول لصاءب راىته انءمس براىءك ففهم ففقول لا أفءر على ءءءم ففقول له إبراهاىم بلى ففءءم فااا ءءءم شد إبراهاىم علهم بسففه فلا- فضرب رءالا إلا صرعه و ءعل إبراهاىم فطرء الرءال بفن ففءه كالمعزى و ءمل أصءابه ءمله رءل واءء و اشءء القءال ءفى صلوا صلاه الظهر بالءكففر و الإفماء و ءل من الفرفففن ءللى كءفره و انهزم أصءاب ابن زفااء، و كان أول من أن انهزم عمفر الءى وءء إبراهاىم أن فنهزم كما ءءءم و ففما ءال أولاف ءفى ففكون معءورا و ءمل إبراهاىم على عبفء الله بن زفااء و هو لا فرعه فضربه إبراهاىم ضربه ءءه بها نصففن و ذهءب رءاله فى المشرق و فءاه فى المغرب و عءل الله بروءه إلى النار، فلما انهزم أصءاب ابن زفااء قال إبراهاىم انى ءلء رءالا ءء راىه منفرءه على شاطىء نهر الءازر فالءمسوه فانى شمءم منه رائءه المسك شرقء فءاه و غربء رءاله فطلبوه فااا هو ابن زفااء ءفبلا بضربه إبراهاىم فءء ءءه نصففن فزهءب رءاله فى المشرق و فءاه فى المغرب كما قال إبراهاىم فاءءروا رأسه و آءءوه و اءرقوا ءءه.

و كانوا ءء اءفظلوا بءءسه طول اللفل فلما أصبحوا عرفه مهران مولى زفااء فلما رآه إبراهاىم قال الءمء لله الءى آءرى ءلءه على فءى (و فى رواىه) أن إبراهاىم رءمه الله صلبه منكوسا، و ءمل شرفك ءءلبلى على الءصفاى بن نمر و هو فظنه عبفء الله بن زفااء فاعءق كل واءء منهما صاءبه ففءاى ءءلبلى اءلءونى و ابن الزانىه فءلءوا الءصفاى و كان من ءلءه الءسفن ع، و قفل أن الءصفاى آءرء و هو فقول:

فا ءاه الكوفه أهلى المنءر و شفعه المءءار و ابن الأشءر

هل ففكم قرم كرفم العنصر مءءب فى قومه بمفءر

يبرز نحوى قاصدا لا يمتري

فخرج إليه شريك التغلبي و هو يقول:

يا قاتل الشيخ الكريم الأزهر بكر بلا يوم التقاء العسكر

أعنى حسينا ذا الثنا و المفخر و ابن النبي الطاهر المطهر

و ابن على البطل المظفر هذا فخذها من هزبر قسور

ضربه قرم ربي مضرى

فالتقيا بضربتين و جدله التغلبي سريعا، و قتل شرحبيل ابن ذى الكلاع الحميرى من رؤساء أهل الشام و لما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب إبراهيم فكان من غرق منهم أكثر ممن قتل و انتهوا عسكرهم و كان فيه من كل شىء، و أرسل إبراهيم البشاره إلى المختار و هو بالمدائن فكاد المختار يطير فرحا، و كانت الوقعه يوم عاشوراء سنه سبع و ستين فى اليوم الذى قتل فيه الحسين ع و لم يقتل من أهل الشام بعد صفين مثلما قتل فى هذه الوقعه (قال ابن نما رحمه الله تعالى) و جعلوا يعدون القتلى بالقصب يضعون عند كل قتيل قصبه فكانوا سبعين ألفا، و فرق إبراهيم عماله على بلاد الموصل و أقام هو بالموصل و قال سراقه بن مرداس البارقى يمدح إبراهيم بن الأشر و أصحابه فى قتلهم لعبيد الله بن زياد:

أتاكم غلام من عرائن مذحج جرى على الأعداء غير نكول

فيا ابن زياد بؤ بأعظم هالك (1) و ذق حد ماضى الشفرتين صقيل

ضربناك بالعضب الحسام بحده إذا ما أبانا قاتلا بقتيل

جزى الله خيرا شرطه الله أنهم شفوا من عبيد الله أمس غليلي

و قال أبو السفاح الزبيدى فى ذلك أيضا (2):

أتاكم غلام من عرائن مذحج جرى على الأعداء غير نكول

أتاه عبيد الله فى شر عصبه من الشام لما أن رضوا بقليل

فلما التقى الجمعان فى حومه الوغى و للموت فيهم ثم جر ذيول

فأصبحت قد ودعت هندا و أصبحت مولهه ما وجدها بقليل

و أخلق بهند أن تساق سبيه لها من أبى إسحاق شر حليل

تولى عبید الله خوفا من الردى و خشیه ماضى الشفرتین صقیل

جزى الله خيرا شرطه الله أنهم شفوا بعبید الله كل غلیل

یعنى بقوله هند بنت أسماء بن خارجة زوجة عبید الله بن زیاد و كانت معه فلما قتل حملها عتبه أخوها إلى الكوفة و أبو إسحاق هو المختار.

و قال عبید الله بن الزبير الأسدى بفتح الزای و قیل عبد الله بن عمرو الساعدی يمدح إبراهيم أيضا و يذكر هذه الوقعة:

الله أعطاك المهابة و التقى و أحل بيتك فى العدید الأكثر

و أقر عينك يوم وقعه خازر و الخیل تعثر بالقنا المتكسر

من ظالمین كفتهم آثامهم تركوا لعافیه و طیر حسر

(٣) ما كان اجراًهم جزاهم ربهم شر الجزاء على ارتكاب المنكر.

ص: ١٨٦

١- (مالك خ ل).

٢- هكذا ذكره ابن نما رحمه الله تعالى و لا يخفى أن فيها بعض أبيات سراقه و لعله توهم من الرواه.

٣- لحاجله و طيرا عشر خ ل.

و قال يزيد بن المفرغ في قتل ابن زياد:

إن المنايا إذا مازرن طاغيه هتكن أستار حجاب و أبواب

(١) أقول بعدا و سحقا عند مصرعه لابن الخبيثه و ابن الكودن(٢) الكابى

لا تقبل الأرض موتاهم إذا قبروا و كيف تقبل رجسا بين أثواب

إن الذى عاش غدارا بذمته و مات هزلا قتيل الله بالزباب

ما شق جيب و لا ناحتك نائحه و لا بكتك جياذ عند أسلاب

و قال عمير السلمى الذى كان على ميسره ابن زياد يذم جيش ابن زياد:

و ما كان جيش يجمع الخمر و الزنا محلا إذا لاقى العدو لينصرا

و أنفذ إبراهيم برأس عبيد الله بن زياد و رؤوس قواده و فيها رأس الحصين بن نمير إلى المختار و فى آذانهم رقاع فيها اسمائهم فقدموا عليه و هو يتغدى فحمد الله على الظفر فلما فرغ من الغداء قام فوطئ وجه ابن زياد بنعله ثم رمى بها إلى غلامه و قال اغسلها فانى وضعتها على وجه نجس كافر، و ألقيت الرؤوس فى القصر بين يديه فألقاها فى المكان الذى وضع فيه رأس الحسين ع و رؤوس أصحابه و نصب المختار رأس ابن زياد فى المكان الذى نصب فيه رأس الحسين ع ثم ألقاه فى اليوم الثانى فى الرحبه من الرؤوس، و لما وضع رأس ابن زياد أمام المختار جاءت حيه دقيقه فتخللت الرؤوس حتى دخلت فى فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره و دخلت فى منخره و خرجت من فيه فعلت هذا مرارا فقال المختار دعوها دعوها.

قال ابن الأثير أخرج هذا الترمذى فى جامعه، و عن أبى الطفيل عامر بن وائله قال وضعت الرؤوس عند السده بالكوفه عليها ثوب أبيض فكشفنا عنها الثوب و حيه تتغلغل فى رأس عبيد الله و نصبت الرؤوس فى الرحبه قال عامر و رأيت الحيه تدخل فى منافذ رأسه و هو مصلوب مرارا، قال سبط ابن الجوزى و فى روايه فعلت ذلك ثلاثه أيام، ثم إن المختار بعث برأس عبيد الله بن زياد و رأس الحصين بن نمير و رأس شراحيل بن ذى الكلاع إلى مكه إلى محمد بن الحنفية و معها ثلاثون ألف دينار و كتب إليه، إنى بعثت أنصاركم و شيعتكم إلى عدوكم فخرجوا محتسبين آسفين فقتلوهم.

فالحمد لله الذى أدرك لكم الثار و أهلكتهم فى كل فج عميق و شفى الله صدور قوم مؤمنين فلما قدمت عليه خر ساجدا لله و دعا للمختار و قال جزاه الله خير الجزاء فقد أدرك لنا ثارنا و وجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم و دعا لابن الأشر أيضا، و بعث برأس عبيد الله بن زياد و رأس آخر معه إلى على بن الحسين ع و كان يومئذ بمكه فدخل عليه و هو يتغدى فسجد شكرا لله و قال الحمد لله الذى أدرك لى ثارى من عدوى و جزى الله المختار خيرا أدخلت على عبيد الله بن زياد و هو يتغدى و رأس أبى بين يديه فقلت اللهم لا تمتنى حتى ترينى رأس ابن زياد، و

عن الصادق ع أنه قال ما اكتحلت هاشميه و لا اختصبت و لا رثى فى دار هاشمى دخان خمس سنين حتى قتل عبيد الله بن زياد،

و عن فاطمه بنت علي أمير المؤمنين ع أنها قالت ما تحنات امرأه منا و لا أجالت في عينها مرودا و لا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.

نهاية المختار

لما هرب أشراف الكوفة من وقعه السبيع أتى جماعه منهم إلى مصعب فأتاه شبت بن ربيعي على بغله قد قطع ذنبها و طرف أذنها و شق قباهه و هو ينادى: يا غزوتاه! فرجع خبره إلى مصعب، فقال: هذا شبت بن ربيعي، فادخل عليه، فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه و أخبروه بما اجتمعوا عليه و سألوه النصر لهم و المسير إلى المختار معهم.

و قدم عليه محمد بن الأشعث أيضا و استحثه على المسير، فأذناه مصعب و أكرمه لشرفه، و قال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه: لا أسير حتى ياتيني المهلب بن أبي صفرة. و كتب إليه، و هو عامله على فارس، يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار، فأبطأ المهلب و اعتل بشيء من الخراج لكراهيه الخروج، فأمر مصعب محمد بن الأشعث أن ياتي المهلب يستحثه، فأتاه محمد و معه كتاب مصعب، فلما قرأه قال له: أما وجد مصعب يريد غيرك؟ فقال: ما أنا بريد لأحد، غير أن نساءنا و أبناءنا و حرمانا غلبنا عليهم عبيدنا.

فاقبل المهلب معه بجموع كثيره و أموال عظيمه فقدم البصره، و أمر مصعب بالعسكر عند الجسر الأكبر، و أرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة فأمره أن يخرج إليه من قدر عليه و أن يثبط الناس عن المختار و يدعوهم إلى بيعه ابن الزبير سرا، ففعل، و دخل بيته مستترا، ثم سار مصعب فقدم أمامه عباد بن الحصين الحطمي التميمي، و بعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته، و المهلب على ميسرته، و جعل مالك بن مسمع على بكر، و مالك بن المنذر على عبد القيس، و الأحنف بن قيس على تميم، و زياد بن عمرو العتكي على الأزدي، و قيس بن الهيثم على أهل العالیه.

و بلغ الخبر المختار فقام في أصحابه فأعلمهم ذلك و ندبهم إلى الخروج مع أحمر بن شميظ، فخرج و عسكر بحمام أعين، و دعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميظ، فسار و على مقدمته ابن كامل الشاكري، فوصلوا إلى المذاو، و أتى مصعب فعسكر قريبا منه، و عبا كل واحد منهما جنده ثم تراحفا، فجعل ابن شميظ ابن كامل على ميمنته، و على الميسره عبد الله بن وهيب الجشمي، و جعل أبا عمره مولى عرينه على الموالي.

فجاء عبد الله بن وهيب الجشمي إلى ابن شميظ فقال له: إن الموالي و العبيد أولو خور(٣) عند المصدوقه، و إن معهم رجلا كثيرا على الخيل و أنت تمشي فمرهم فليمشوا معك فاني أتخوف أن يطيروا(٤) عليها و يسلموك. و كان هذا غشا منه للموالي لما كانوا لقوا منهم بالكوفة، فأحب إن كانت عليهم الهزيمة أن لا ينجو منهم أحد. فلم يتهمه ابن شميظ، ففعل ما أشار به، فنزل الموالي معه.

و جاء مصعب و قد جعل عباد بن الحصين على الخيل، فدنا عباد من أحمر و أصحابه و قال: إنا ندعوكم إلى كتاب الله و سنه رسوله و إلى بيعه المختار

-
- ١- هتكن عنه ستورا بعد أبواب خ ل.
 - ٢- الكودن الفرس الهجين أى غير العتيق.
 - ٣- جور.
 - ٤- يطر دوا.

و إلى أن نجعل هذا الأمر شورى فى آل الرسول. فرجع عباد فأخبر مصعبا، فقال له: ارجع فاحمل عليهم. فرجع و حمل على ابن شميظ و أصحابه، فلم ينزل منهم أحد، ثم انصرف إلى موقفه، و حمل المهلب على ابن كامل، فجال بعضهم فى بعض، فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب، ثم قال المهلب لأصحابه: كروا عليهم كره صادق، فحملوا عليهم حملة منكره، فولوا، و صبر ابن كامل فى رجال من همدان ساعه ثم انهزم، و حمل عمر بن عبيد الله على عبد الله بن أنس، فصبر ساعه ثم انصرف، و حمل الناس جميعا على ابن شميظ، فقاتل حتى قتل، و نادوا: يا معشر بجيله و خثعم الصبرا! فناداهم المهلب: الفرار اليوم أنجى لكم، علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد؟ ثم قال: و الله ما أرى كثرة القتل اليوم إلا فى قومي.

و مالت الخيل على رجاله ابن شميظ فانهزمت، و بعث مصعب عبادا على الخيل، فقال: أيما أسير أخذته فاضرب عنقه. و سرح محمد بن الأشعث فى خيل عظيمه من أهل الكوفة فقال: دونكم ثاركم. فكانوا أشد على المنهزمين من أهل البصره لا يدركون منهزما إلا قتلوه، و لا يأخذون أسيرا فيعفون عنه، فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفه أصحاب الخيل، و أما الرجال فاييدوا إلا قليلا.

قال معاويه بن قره المزني: انتهيت إلى رجل منهم فأدخلت السنان فى عينه فأخذت أخضخض عينه به. فقيل له: أ فعلت هذا؟ فقال: نعم، إنهم كانوا عندنا أحل دماء من الترك و الديلم. و كان معاويه هذا قاضى البصره.

فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط، و لم تكن بنيت بعد، فاخذ فى كسكر، ثم حمل الرجال و أثقالهم و الضعفاء فى السفن فأخذوا فى نهر خرشاد ثم خرجوا إلى نهر قوسان ثم خرجوا إلى الفرات.

و أتى المختار خبر الهزيمة و من قتل بها من فرسان أصحابه، فقال: ما من الموت بد، و ما من ميتة أحب إلى من أن أموت ميتة ابن شميظ. فعلموا أنه إن لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل.

و لما بلغه أن مصعبا قد أقبل إليه فى البر و البحر سار حتى وصل السيلحين و نظر إلى مجتمع الأنهار: نهر الحيره و نهر السيلحين و نهر القادسيه و نهر يوسف، فسار الفرات فذهب ماؤها فى هذه الأنهار و بقيت سفن أهل البصره فى الطين، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن إلى ذلك السكر فأصلحوه و قصدوا الكوفه، و سار المختار إليهم فنزل حروراء و حال بينهم و بين الكوفه، و كان قد حصن القصر و المسجد و أدخل إليه عدده الحصار.

و أقبل مصعب و قد جعل على ميمنته المهلب، و على يسرته عمر بن عبيد الله، و على الخيل عباد بن الحصين، و جعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي، و على يسرته سعيد بن منقذ الهمداني، و على الخيل عمرو بن عبد الله النهدي، و على الرجاله مالك بن عبد الله النهدي. و أقبل محمد بن الأشعث فيمن هرب من أهل الكوفه فنزل بين مصعب و المختار. فلما رأى ذلك المختار بعث إلى كل جيش من أهل البصره رجلا من أصحابه، و تدانى الناس، فحمل سعيد بن منقذ على بكر و عبد القيس و هم فى ميمنه مصعب فاقتلوا قتالا شديدا، فأرسل مصعب إلى المهلب ليحمل على من يازائه، فقال: ما كنت لأجزر الأزد خشيه أهل الكوفه حتى أرى فرصتى. و بعث المختار إلى عبد الله بن جعده بن هبيرة المخزومي، فحمل على من يازائه، و هم أهل العاليه، فكشفهم، فانتهاوا إلى مصعب، فجتا مصعب على ركبته و برك الناس عنده فقاتلوا ساعه و تحاجزوا.

ثم إن المهلب حمل في أصحابه على من بإزائه فحطموا أصحاب المختار حطمه منكره فكشفوهم. وقال عبد الله بن عمرو النهدي، و كان ممن شهد صفين: اللهم إني على ما كنت عليه بصفين، اللهم أبرأ إليك من فعل هؤلاء، لأصحابه (حين انهزموا)، و أبرأ إليك من أنفس هؤلاء، يعنى أصحاب مصعب، ثم جالد بسيفه حين قتل.

و انقصف أصحاب المختار كأنهم أجمه قصب فيها نار، و حمل مالك بن عمرو النهدي، و هو على الرجاله، و معه نحو خمسين رجلا، و ذلك عند المساء، على أصحاب ابن الأشعث حملة منكره، فقتل ابن الأشعث و قتل عامه أصحابه.

و قاتل المختار على فم سكه شبت عامه ليلته و قاتل معه رجال من أهل البأس و قاتلت معه همدان أشد قتال و تفرق الناس عن المختار، فقال له من معه: أيها الأمير اذهب إلى القصر، فجاء حتى دخله.

فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السبخه، ثم نزل السبخه فقطع عنهم الماء و الماده و قاتلهم المختار و أصحابه قتالا ضعيفا، و اجترأ الناس عليهم فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت و صبوا عليهم الماء القذر، و كان أكثر معاشهم من النساء، تأتي المرأه متخفيه و معها القليل من الطعام و الشراب إلى أهلها. ففطن مصعب بالنساء فمنعهن، فاشتد على المختار و أصحابه العطش، و كانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروى بعضهم.

ثم إن مصعبا أمر أصحابه فاقربوا من القصر و اشتد الحصار عليهم، فقال لهم المختار: ويحكم إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفا فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراما إن نحن قتلنا، فو الله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله. فضعفوا و لم يفعلوا. فقال لهم: أما أنا فو الله لا أعطى بيدي و لا أحكمهم في نفسى، و إذا خرجت فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفا و ذلا، فان نزلتم على حكمهم و ثبت أعداؤكم فقتلوكم و بعضكم ينظر إلى بعض فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار، و لو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطاتم الظفر متم كراما.

فلما رأى عبد الله بن جعده بن هبيره ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاخفى عندهم سرا. ثم إن المختار تطيب و تحنط و خرج من القصر فى تسعه عشر رجلا، منهم السائب بن مالك الأشعري.

فلما خرج المختار قال السائب: ما ذا ترى؟ قال: ما ترى أنت، قال: ويحك يا أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز، و رأيت ابن نجده وثب باليمامه، و مروان بالشام، و كنت فيها كأحدهم، إلا أنى قد طلبت بثار أهل البيت إذ نامت عنه العرب، فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نيه. فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون، ما كنت أصنع أن أقاتل على حسبى. ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل.

فلما كان الغد من قتله دعاهم بحير بن عبد الله المسكى و من معه بالقصر إلى ما دعاهم المختار فأبوا عليه و أمكنوا أصحاب مصعب من أنفسهم و نزلوا على حكمه، فاخرجوهم مكتفين، فأراد إطلاق العرب و قتل الموالى، فأبى أصحابه عليه، فعرضوا عليه فأمر بقتلهم، و عرض عليه بحير المسكى، فقال لمصعب: الحمد لله الذى ابتلانا بالأسر و ابتلاك بان تعفو عنا، هما منزلتان: إحداهما رضاء الله، و الأخرى سخطه، من عفا عفا الله عنه و زاد عزا، و من عاقب لم يأمن القصاص، يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم و على ملتكم و لسنا تركا و لا ديلما، فان خالفنا إخواننا من أهل مصرنا. فاما أن نكون أصبنا و أخطوا، و إما أن نكون أخطانا و أصابوا، فاقتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم ثم اجتمعوا، و كما اقتتل أهل البصره و اصطلحوا و اجتمعوا، و قد ملكتم فاسجحوا، و قد قدرتم فاعفوا. فما زال بهذا القول حتى رق لهم الناس و مصعب و أراد أن يخلى سبيلهم.

فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: أتخلى سبيلهم؟ اخترنا أو اخترهم. و قام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فقال مثله، و قام أشراف الكوفه فقالوا مثلهما، فأمر بقتلهم، فقالوا له: يا ابن الزبير، لا تقتلنا و اجعلنا على مقدمتك إلى أهل الشام غدا، فما بكم عنا غنى، فان قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم، و إن ظفرنا بهم كان ذلك لكم. فأبى عليهم.

فقال بحير المسكى: لا تخلط دمي بدمائهم إذ عصوني. فقتلهم.

و قال مسافر بن سعيد بن نمران الناعطى: ما تقول يا ابن الزبير لربك غدا و قد قتلت أمه من المسلمين حكموك فى أنفسهم صبرا؟ اقتلوا منا بعده من قتلنا منكم، ففينا رجال لم يشهدوا موطننا من حربنا يوما واحدا، كانوا فى السواد و جبايه الخراج و حفظ الطرق. فلم يسمع منه و أمر بقتله.

و لما أراد قتلهم استشار مصعب الأحنف بن قيس، فقال: أرى أن تعفو، فان العفو أقرب للتقوى. فقال أشراف أهل الكوفه: اقتلهم، و ضجوا، فقتلهم، فلما قتلوا قال الأحنف: ما أدركتم بقتلهم ثارا، فليته لا يكون فى الآخرة وبالا.

و بعث عائشه بنت طلحه امرأه مصعب إليه فى إطلاقهم، فوجدهم الرسول قد قتلوا.

ثم إن مصعبا دعا أم ثابت بنت سمره بن جندب امرأه المختار و عمره بنت النعمان بن بشير الأنصاريه امرأته الأخرى فأحضرهما و سألهما عن المختار. فقالت أم ثابت: نقول فيه بقولك أنت، فأطلقها، و قالت عمره:

رحمه الله، كان عبدا لله صالحا، فحبسها، و كتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير: إنها تزعم أنه نبى، فأمره بقتلها، فقتلت ليلا بين الكوفه و الحيره، قتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف و هى تقول: يا أبتاه! يا عترتاه! فرفع رجل يده فلطم القاتل و قال: يا ابن الزانيه عذبتنا! ثم تشحطت فماتت. فتعلق الشرطى بالرجل و حمله إلى مصعب، فقال: خلوه فقد رأى أمرا فظيعا.

و لما قتل المختار كان عمره سبعا و ستين سنه، و كان قتله لأربع عشره خلت من رمضان سنه سبع و ستين.

قيل: إن مصعبا لقى ابن عمر فسلم عليه و قال له: أنا ابن أخيك مصعب. فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة فى غداه واحده غير ما بدا لك. فقال مصعب: إنهم كانوا كفره فجره. فقال: و الله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا.

و قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس: أ لم يبلغك قتل الكذاب؟ قال:

و من الكذاب؟ قال: ابن أبي عبيد. قال: قد بلغني قتل المختار. قال:

كأنك أنكرت تسميته كذابا و متوجع له. قال: ذاك رجل قتل قتلنا و طلب ثارنا و شفى غليل صدورنا و ليس جزاؤه منا الشتم و الشماته(١)

نادر شاه الافشارى.

اشاره

بعد انقضاء عهد الشاه عباس الصفوى الكبير ساءت سياسته خلفائه و أهملوا تدبير أمور مملكتهم و إدارتها، و ساروا سيره المستبدين المستكبرين، و بلغ الفساد و الانحلال الروحى فى بلاط الملك إلى حيث أصبح سقوط الصفويين أمرا متوقعا مسلما به.

أخذ المتمردون من كل ناحيه يقومون بحركات انفصاليه. و بلغ الجهل و فساد التريه بالناس إلى طريق الانحطاط و الفناء. و نسيت الفنون الحريه و التنظيم العسكرى و أهمل الجيش، حتى كانت سنه ١١٠٦ هـ (١٦٩٤ م)، و هى السنه التى اعتلى فيها الشاه سلطان حسين ابن الشاه سليمان الصفوى عرش المملكه، سنه إعلان اضمحلال السلالة الصفويه.

فقد عمت الفتن أنحاء الدوله و عدم الناس الأمان و الراحة، إذ كان هذا الشاه عاجزا غير كفء للحكم. و فى عهده استولى الروس على كثير من إيلات الشمال و الشمال الغربى من إيران.

قال "الشوفاليه جان شاردان" السائح الفيلسوف الفرنسى فى مذكراته يصف أوضاع إيران فى تلك الحقبه:

"لن يتقدم الايرانيون خطوه عن مكانهم، لأنهم يرون أن الحياه الناعمه هى قبل كل شىء. لقد خسروا خصالهم الحريه و غرقوا فى اللذائذ و الشهوات، لا يرون لهم فائده فى التحركات العظيمة و اقتحام المصاعب و تجشم المشقات إلى غايه عليا. من أجل ذلك ما إن انقضت مده قليله و حلت سنه ١١١١ هـ حتى كانت قبائل "البلوش" فى "كرمان" و طوائف "الغلجائيين" الأفاغنه فى "قندهار" و الملك محمود السيستانى فى خراسان و العثمانيون فى شمال إيران و شمالها الغربى و التركمان فى "جرجان" و شمالى خراسان و الروس فى "جيلان" يثيرون الفتن و يخلون بالأمن و يحكمون حكما مستقلا كل الاستقلال".

و فى تلك الحقبه بعث الإمبراطور الروسى "بطرس الأكبر" بعثه جاسوسيه برئاسه "أرتمى فولنسكى" إلى إيران بصوره تجار. ثم رفعت هذه البعثه إلى الإمبراطور تقريرا جاء فيه أن إيران أصبحت على شفا منحدر السقوط و الاضمحلال. و أخذوا الروس يثيرون عليها القبائل الكرجيه و الداغستانيه و اللزكيه.

كانت قبيله "الغلجائيين" تسكن فى "قندهار" و نواحيها و قبيله

"الأبداليين" تسكن في "هرات" و نواحيها. و المدينتان تابعتان يومئذ لايران. و القبيلتان من أصل إيراني. و بينهما خصومات و حروب. و لكن كانتا كلتهما تشغبان على الحكومه المركزيه و ثوران عليها. و كان "أورنك زيب" أمبراطور الهند المغولي يساعدهما و يساندهما على إيران.

و في تلك السنه بعث الشاه حسين الصفوى حاكما حازما إلى "فندهار". و هو من أصل كرجى اسمه "جرجين خان". يقول المؤرخ الانكليزى العقيد "السير جان مالكم" سفير انكلترا فى بلاط "فتح على شاه" القاجارى: "كان هذا الحاكم من أشجع رؤساء إيران و أحسنهم تدبيرا".

و قد استطاع أن يضبط الأمور فيها، و اعتقل رأس الفتنه "مير ويس" أحد رؤساء "الغلجائين" و بعث به إلى أصفهان العاصمه فسجنه الشاه الصفوى(١). و لكنه استطاع أن يخدع الشاه الأبله فاطلقه، و أذن له بالسفر إلى مكه. و هناك حصل من علمائها على فتاوى و رسائل بان السنين يجوز لهم عند الضروره أن يشهروا السيف على الشيعة دفاعا عن أنفسهم. ثم عاد إلى أصفهان. و استطاع أن يحمل الشاه على الاذن له بالعوده إلى "فندهار".

و هناك دبر مكيدته قتل فيها حاكمها "جرجين خان"، ثم أطلع أهالى "فندهار" على فتوى علماء مكه فاثارهم و هجم فى سنه ١١١٢ ه على مقر الحاميه الإيرانيه و الكرجيه فقتل فريقا منهم و طرد الباقين من "فندهار" و نصب نفسه حاكما عليها. و قام "الأبداليون" بعمل مشابه فى "هرات" و تسلطوا عليها. و كان أمبراطور الهند يساعد القبيلتين و يساندهما فى هذه الثوره، إذ كان يطمع فى ضم "فندهار" و غيرها إلى أملاكه.

و فى سنه ١١٣١ ه احتل إمام مسقط جزائر البحرين. و تسلط طوائف "البلوش" على إيالتى "كرمان" و "لار" و هاجموا "بندر عباس" و خربوها. و عمت الفتن "کردستان" و "لرستان".

و فى سنه ١١٣٤ ه ثار إقليم "شيروان" (شمال إيران الغربى)، و ساعدت الدوله العثمانيه هذه الثوره. و تهيأت روسيا لتحقيق مطامع قديمه لها فى جنوب بلادها.

و فى ١٢ من المحرم سنه ١١٣٥ ه كان محمود الأفغانى رئيس قبيله "غلجائى" يحاصر أصفهان عاصمه المملكه الإيرانيه و يضطر الشاه حسين الصفوى الضعيف العاجز إلى التسليم و أن ينزع التاج عن رأسه و يضعه بيده على رأس الغازى الأفغانى. ثم حبسه هذا فى داخل القصر و ظل مسجوناً فيه سبع سنوات، ثم قتله الأفاغنه بعدها.

و روى "السير جان مالكم" أن محمودا الغلجائى هذا ارتكب بعد احتلاله أصفهان، و جلوسه على عرش الصفويين فظائع رهيبه فى أصفهان و غيرها، من قتل و نهب و تخريب. من ذلك قتله مائه و أربعه عشر رجلا من رؤساء القزلباش. و قتل بيده هو و واحد أو اثنين من خواصه أبناء الشاه، و هم واحد و ثلاثون أميرا فى إحدى ساحات القصر الملكى، و غير هؤلاء كثير، بلا ذنب منهم يحملهم على ذلك. بل إنه قبض على مائتى طفل صغير و قتلهم خارج المدينه. و نجا من هذه المذبحه "طهماسب ميرزا" ولى العهد إذ كان فى "قزوین". فلما بلغه خبر خلع أبيه أعلن توليه منصبه فى ١٤ صفر سنه ١١٣٥ ه. و كان محمود الأفغانى فى أثناء ذلك يواصل احتلال المدن الإيرانيه و يطارد الشاه الجديد.

و فى سنه ١١٣٦ هـ استولت روسيا على مدن القفقاس و "داغستان" و "طوالش" و "قراجه داغ" و "أردبيل" و "دربند" و "أنزلى" (بندر بهلوى) و "كرجستان" و "تفليس" و "باكو" و الايالات الساحليه على بحر قزوين، و هى "جيلان" و "تنكابن" و "مازندران".

و احتل العثمانيون "إيروان" و القسم الغربى من القفقاس و "تبريز" و "أروميه" و "کردستان" و "كرمانشاهان" و "لورستان" و "خوزستان" إلى شاطئ الخليج الفارسى.

و فى سنه ١١٣٨ هـ عقدت الدوله العثمانيه و الدوله الروسيه معاهده بينهما بان تكون ناحيه التركمان و سواحل غربى "مازندران" على بحر الخزر إلى ملتقى نهر "كر" و نهر "أرس" للدوله الروسيه. و تكون "كرجستان" و "كنجه" و "أذربيجان" و "کردستان" و "كرمانشاهان" و العراق و "خوزستان" للدوله العثمانيه.

و فى أوائل سنه ١١٤٢ هـ، فى أيام حكم الشاه "طهماسب" الثانى ابن الشاه حسين، كان العثمانيون قد استولوا على كل "كرجستان" و "أرمينيا" و "أذربيجان" و قسم من إياله "داغستان" و قسم من إياله "شيران" (القسم الآخر من هاتين الايالتين استولى عليه الروس) و أكثر عراق العجم و كل كردستان و "همدان" و "كرمانشاهان".

و فى سنه ١١٤٤ هـ. عقد الشاه "طهماسب" معاهده بينه و بين العثمانيون تقضى بان تكون "كنجه" (جنوب داغستان) و "تفليس" و "إيروان" و "نخجوان" (أذربيجان) و القسم الأكبر من إقليم "داغستان" و إقليم "شيران" (جنوبى داغستان غربى بحر الخزر) للعثمانيين.

و فى سنه ١١٤٥ هـ. عقد الشاه "طهماسب" معاهده بينه و بين روسيا تقضى بان تجلو روسيا عن كل الايالات التى تستولى عليها ما عدا النواحي الواقعه فى شمالى نهر "كر".

و إلى كل هذا كانت دسائس البلاطيين و الحكام لا تنفك تحيط بالشاه حسين ثم بخليفته الشاه "طهماسب" و تتلاعب به من كل جانب و يذهب ضحيتها المخلصون و الناصحون و يطلق العنان للخونه و الفاسدين.

و إلى ذلك كان قطاع الطرق و السلابون يعيشون بالأرض فسادا على هواهم، و غارات الأزابكه و التتر و غيرهم تتوالى على إيران.

مولد نادر شاه و أصله و نشأته

و فى ٢٨ من المحرم سنه ١١٠٠ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنه ١٦٨٨ م، أى فى أيام تلك الفتن، ولد نادر شاه فى قريه "دستجرد" الواقعه فى الشمال الشرقى من إيران فى سهول "درجز" الخصبه، مشتى قبيله "فرقلو"، قبيله نادر شاه.

قال اللورد "جورج غورزن": "هذا الإقليم كان لا ينفك تستغرقه).

١- على أن بعض المؤرخين الأيرانيين يرى في جرجين خان حاكماً ظالماً، و ان الشاه أخطأ بإرسال حاكم غير مسلم إلى منطقته إسلاميه متشدده (ح).

الفتن السياسيه و الحركات العسكريه، و يعد مكانا استراتيجيا مهما تتوالى فيه الأحداث حتى أصبحت حالته المعتاده هي الحرب و الغارات و الخصومات.

و قبيله "فرقلو"، قبيله نادر شاه، هي أحد فرعين كبيرين تنقسم إليها قبيله "أفشار" التركي، و كانت تقيم، مع قبائل أخرى من الأتراك، في الشمال الشرقي من إيران، ثم انتشروا في أكثر من ناحيه من نواحي تلك البلاد. و لكن الأرجح، بناء على قول بعض الثقات من المؤرخين، أن قبيله "أفشار" هذه تنتمي إلى "الأشكانيين" الأشداء الذين حكمت سلالتهم إيران من سنه ٢٥٠ قبل الميلاد إلى سنه ٢٢٦ بعد الميلاد، أي ما يقرب من خمسه قرون. و لكن اضطرار الافشاريين إلى معاشره الأتراك مدته طويله أنساهم لغتهم الأصلية فتكلموا بالتركيه.

و كانت ولاده هذا القائد العبقري في خيمه من خيام قبيله "فرقلو" هذه. و أبوه يدعى "إمام قلى"، رجل مغمور حامل الذكر، فقير شديد الفقر. و كان فراء على ما يظن. و سمى ابنه "ندر قلى" أو "نادر قلى" باسم جده. و لم يلبث الأب أن توفي بعد قليل من ولادته (١)، و عمر نادر أربع سنوات أو ست سنوات.

و كان لقبيله "أفشار" هذه مع غيرها من قبائل الترك الأخرى يد طولى في إقامه ملك الصفويين. انضموا إلى عسكر مؤسسه الشاه إسماعيل الأول الصفوى المعروفين باسم "قزلباش" و حاربوا معه و ساندوه في نشر المذهب الشيعى، و كانوا من أشد أنصار هذا المذهب.

و لما بلغ نادر السابعه عشر من عمره أسره الأزابكه في إحدى غاراتهم على تلك النواحي، و كانوا يغيرون عليها في كل سنه، و أسروا معه أمه، بعد أن أبلى في محاربتهم بلاء حسنا و خاطر بنفسه مظهرًا شجاعه خارقه.

و توفيت أمه في الأسر، و بقى هو فيه أربع سنوات استطاع بعدها أن يفر.

قاسى في مطلع شبابه فقراً كان يضطره إلى الاستدانه ليحصل على قوته الضرورى. و أحس، و هو في هذه السن، أن سلوك طريق أبيه في الحياه لا يتفق و علو همته و طاقاته، فسعى كثيرا إلى الالتحاق بخدمه "بابا على بك كوسه أحمد لو"، أحد رؤساء قبيله "أفشار" و حاكم "أبيورد" (خراسان) حتى تمكن من ذلك هو و أخ له اسمه إبراهيم في سنه ١١٢٢ هـ. فشارك المحاربين في قمع الفتن و المنازعات الكثيره التي كان يثيرها التركمان و الأكراد و الأزابكه و التتر و قبيلته هو، قبيله "أفشار" نفسها. فعرف بالاقدام و الشجاعه و تجلت مواهبه العسكريه الفائقه، و توالى انتصاراته على المغيرين و قطاع الطرق فأحبه "بابا على بك" و أكرمه و قربه إليه حين أنه زوجه بابنته.

و أخذ يوكل إليه مهمات الأمور من عسكريه و غير عسكريه فيقوم بها خير قيام. و بعث به أكثر من مره إلى مشهد إلى والى خراسان ليؤدى إليه رسائل و يقوم بمهمات مختلفه. و بعث به مره إلى العاصمه أصفهان إلى الشاه سلطان حسين الصفوى لمثل هذه الغايه.

و ترقى في خدمه رئيسه حتى وصل إلى درجه حاجب في حاشيته.

و أعجب به كثير من فتيان القبيله فاحبوه و أخلصوا له الصداقه و النصره، و نظم منهم كتيبه مسلحه بقيادته أخذت تدفع المغيرين و الغزاه و لا سيما التركمان و الأزابكه و تنتصر عليهم فى غالب الأحيان. و ظل أربع سنوات متواليه لا يغتر عن الحرب و المقاومه حتى قطع دابر المعتدين فلم يجرءوا بعدها على غزو الأفشاريين. و انتشر صيته فى كل مكان و أصبح اسمه يبعث الرعب فى قلوب المغيرين من التركستانيين و الأزابكه.

و فى أعقاب هذه السنوات الأربع احتل بلده "كلات"، من بلاد خراسان، و استولى على قلعتها، و هى قلعه منيعه. و قصه ذلك هى أن حاكم تلك البلده كان من حساد نادر يخشى تفوقه و تقدمه فأراد اعتقاله بحيله، فطلب منه أن يلتحق هو و فرسانه بخدمته، ليتوصل بذلك إلى وضع يده عليه ثم اعتقاله. فلم يعتن نادر بطلبه و أمهله. فعاد و دعاه إلى وليمه.

فأجاب نادر دعوته و هو يسىء الظن به. و ذهب مع فرسانه إلى "كلات" و دخل إلى مكان الوليمه مع نفر قليل منهم، و ترك الباقي كميناً فى خارج القلعه. ثم هجم على الحاكم فاعتقله و دخل الذين كانوا فى الخارج وراءهم فهجموا على حاميه القلعه و اعتقلوا رجالها، فتم لهم احتلال "كلات".

و بذلك أقام نادر لنفسه أساس إماره صغيره فى هذه البلده. ثم أخذ يجمع أنصارا له من قبيلته و غيرها حتى اكتملت له عدده منهم اتخذوا من "كلات" مقاما لهم و من قلعتها مقر قيادته العسكريه.

و يروى، فى جملة ما يروى عن هذا العبقرى، أنه لما عرف بما نزل بالأمه الإيرانيه من مصائب و ويلات جاءه إلهام بان عليه أن ينجى إيران مما نزل بها نجاه قاطعه، و أن يجعل من قلعه "كلات" مقر قيادته العسكريه.

و لذلك جمع حوله رجال القبائل المقيمه فى تلك النواحي من الأفشاريين و الأكراد و غيرهم، و أقام فى هذه القلعه لىتم مهمته التاريخيه هذه..

و تابع نادر غزواته حتى استولى على جميع البلدان و القرى الواقعه فى السفوح الشماليه من جبال "هزار مسجد".

عند حاكم مشهد

و فى سنه ١١٣٦ توفى "بابا على بك" و ترك أمواله إرثا لنادر. و لكن نادرا لم يستطع أن يخلف حماه فى مقامه لما قام به حساده و منافسوه من دسائس و ما أوجدوه فى القبيله من خلافات، و تعذر عليه البقاء فى "أبيورد".

و وقعت خلافات بين الأفشاريين و الأكراد، و رحل كثير من رؤساء الأفشاريين إلى مشهد و التحقوا بالملك محمود السيستانى حاكم الولايه ليكيدوا عنده لنادر. و كان محمود هذا خارجا على الشاه الصفوى مستقلا بالحكم فى خراسان و يرى نفسه أحق بالتاج من الصفويين لأنه كان يعتقد أنه من سلاله الصفاريين.

و أراد الملك محمود أن يتقوى بنادر و جيشه فاستدعاه إلى مشهد لينضم إليه. و كان نادر عارفا بسعى رؤساء الأفشاريين به عند محمود. و لكنه قبل دعوته غير هياب، و هيا خيلا و ذخائر و ذهب إلى مشهد و انضم إلى عسكريه و قبل بان يلازمه، و هو ينوى إسقاطه. و أخذ يتقرب إليه و يتحين الفرص و يهيا الوسائل إلى ذلك.

١- روى أحد المؤرخين أن نادر شاه لما وصل إلى مقام الملك بنى مسجداً في المكان الذي ولد فيه، وبنى في جوانبه ثلاث مآذن غشاها بصفائح الذهب، ورفع في أعلاه سيفاً من الذهب، يرمز بذلك إلى أن السيف قد ولد في هذا المكان. ولما انتهى بناء المسجد وتزيينه قال المعمار الذي بناه لنادر شاه: هذا البناء يناسبه أن يكون تاريخ الكتابه التي تنقش عليه مطابقاً لتاريخ ولاده الشاه. فضحك نادر شاه وقال: لما ولدت لم يكن في "كلات" كلها و "أبيورد" كلها مثل هذا المقدار من الذهب الذي أنفق على هذه التزيينات، فأى شيء كانت ثروته أسرتي! وعليه يجب أن يكون التاريخ هو اليوم الذي اكتمل فيه بناء المسجد "كلات" و "أبيورد" بلدتان من إقليم "درجز" في خراسان. قضى فيهما نادر أيام نشأته وشبابه).

و كان من رؤساء الأفشاريين الذين التحقوا بالملك محمود اثنان من أشد منافسى نادر و حساده هما "قليج خان" و "إمام قلى".
و لكن سعيهما بنادر عند الملك لم ينفعهما إذ كان الملك معجبا به يرى فيه قائدا عسكريا شجاعا عالى الهمه، فلم يصنع إلى
سعاياتهما. و كان نادر على علم كامل بنواياهما و سعاياتهما فترفق و تلتطف فى تصرفاته على نحو جنبه الوقوع فى شرهما و أبعده
عن أذاهما. و مع ذلك اضطر فى نهايه الأمر إلى قتلهما بتدبير بلغ فيه غايه المهاره، ثم فر عائدا إلى "أبيورد" و "كلات".

و قصه ذلك هى أن نادرا تظاهر بأنه لا يعرف شيئا عن نواياهما، و خدعهما بان صادقهما و أراهما من نفسه الإخلاص و الموده.
ثم اقترح عليهما تدبير مؤامره لإسقاط الملك محمود و استخلاص الحكم من يده لأنفسهم.

فطاب لهما هذا الاقتراح و اتفقوا على أن يغتالوا الملك و يوقعوا بعسكره فى احتفال كان مقررا أن يقام فى ميدان سباق الخيل و
أن يتسابق فيه نادر و الملك محمود. و جعلوا علامه الهجوم أن يمسك نادر عنان حصان محمود. و لكن اتفق أن نادرا لم
يستطع أن يمسك العنان حين أراد ذلك فحبطت خطتهم.

و ظل الملك محمود لا يدري شيئا عن هذه المؤامره، و عاد بعد الاحتفال مع حاشيته و عسكره إلى مشهد.

حرب الملك محمود

و لكن نادرا أيقن بان رفيقيه فى المؤامره لن يظلا ساكتين و أنهما سينتهى بهما الأمر إلى إفشائها لمحمود و من ثم يتوصلان إلى
إهلاك نادر لما يبطنان من حقد عليه و حسد له، فسعى هو إلى اهلاكهما قبل أن يتمكن منه. فدعاهما يوما إلى الصيد فى مكان
قريب من مشهد. و هناك انفرد كل منهم عن الآخر فى مطاردتهم للصيد. فما كان من نادر إلا أن تتبعهما، كلا على حده، و
قتلهما. ثم فر من هناك إلى "كلات" و "أبيورد". و هناك أخذ يجمع الرجال و العتاد لمحاربه الملك محمود، فأجابه جمع
كبير أمروه عليهم.

أما الملك محمود فبلغ به الغضب مبلغا عظيما حين علم بمقتل الزعيمين الأفشاريين و فرار نادر فبدأ محاربه و قتاله. و لكن نادرا
انتصر عليه فى أول معركة خاضها قرب بلده "فوشان"، فهزم حملته، و كانت تعد سته آلاف مقاتل و غنم ذخائرها و عتادها. و
توالت بعد ذلك هجمات الملك محمود عليه فى أماكن متعدده فانتصر فيها نادر كلها، و قضى أيضا على عده من حركات
التمرد قامت فى تلك النواحي، حتى أصبح اسمه يلقي الرعب فى قلوب أعدائه. و بقى عليه القضاء على الملك محمود و
حكومته فى مشهد.

و مما يدل على شهامه نادر حادثه وقعت فى مجرى إحدى المعارك التى خاضها فى قتال المتمردين، إذ كان يحاصر قلعه
تحصن فيها أحد المتمردين من زعماء الأفشاريين. و هى أن قافله من تجار خوارزم كانت تتجاز تلك النواحي قاصده إلى مشهد
بحراسه رجال موكلين من قبل الملك محمود. فوقع خلاف بينهم و بين رجال القافله فأغاروا عليها و نهبوا و قتلوا بعض رجالها.
فبعث والى خوارزم إلى نادر التماسا يستنجد فيه على المعتدين لاعتقالهم و استرجاع أموال القافله منهم. فتلقى نادر طلبه بالعطف
و الأريحيه و تعهد له بقضاء حاجته. ثم قام بمطارده المعتدين حتى اعتقلهم و استرجع أموال القافله منهم و سلمها إلى أصحابها و
بذل ما فى وسعه لارضائهم.

و حصل أول اتصال بين الشاه طهماسب الصفوي و نادر في سنة ١١٣٩ فقد بعث الشاه، و كان في مازندران، مندوبا من قبله للتحقق من أوضاع نادر و أحواله، بعد أن انتشر صيته في الآفاق. فتلقاه نادر بالإكرام و الإجلال، و حسن له أن يقوم الشاه بمهاجمه مشهد و احتلالها و اعتقال الملك محمود، و قال له إنه حاضر لمساعدته.

و قد أثرت شخصيه نادر في مندوب الشاه تأثيرا عظيما. و بناء على تقريره الذي رفعه إلى الشاه عين الشاه نادرا حاكما على "أبيورد". فلما أبلغ المندوب مرسوم الشاه إليه طلب من المندوب أن يحمل الشاه على التوجه بقواته إلى خراسان. فعاد المندوب فأبلغه أن الشاه قد تحركت ركابه متوجها إلى مشهد و أنه يرغب في ملاقاته - و كان نادر في طريقه إلى مشهد - فتوقف عن الزحف متهيئا لاستقبال الشاه. فلما وصل التحق به.

و حين أصبح من رجال الشاه أبدى غايه الذكاء و الحنكه و الصبر و التيقظ في إحباط المؤامرات و الدسائس و الفتن التي كان يدبرها الحساد و المنافسون و الانتهازيون لاسقاطه و الحيلولة بينه و بين تطلعاته العظيمة، فنجح نجاحا عجيبا في وقايه نفسه من تلك الشرور التي كان يعج بها ذلك البلاط الفاسد، و إزاحه حساده و منافسيه من طريق تقدمه و تفوقه، حتى أصبح في مده قصيره صاحب المقام الأول بين قواد الجيش و مستشار الشاه الخاص.

و كان هذا الشاه كايه لعبه في أيدي الوزراء و الحاكم، متقلبا ضعيف الرأي، قد يرفع أحدا إلى أعلى المراتب ثم لا يلبث في نزوه من نزواته أن يرمى به جانبا كشيء مهمل. و لم يكن نادر بمنجى من هذا المصير لو لا ما أبداه من دهاء في معاملة هذا الشاه. و آل به الأمر، بعد أن أزاح من طريقه كل منافسيه، إلى أن جمع زمام الأمور في يده و جعل الشاه بمعزل عن شئون الأمر و النهي، و عهد بالمناصب الحساسه إلى أنصاره و حصل لنفسه على منصب وزير التشريفات و لقب "طهماسب قلى" أي "غلام طهماسب" و هو لقب يعنى أنه من أخص خواص الشاه.

انكسار محمود و احتلال مشهد

و بعد أن خاض معارك رهيبه تجلت فيها شجاعته و عبقريته الحربيه على أكمل وجه تمكن من التغلب على الملك محمود و دخل مدينه مشهد مظفرا في ١٦ ربيع الثاني سنة ١١٣٩.

و لما دخل نادر مدينه مشهد أمر بتغشيه إيوان مقام الامام على الرضا (ع) بصفائح الذهب و بناء مناره أخرى تقابل المناره القديمه و تغشيتها بالذهب، و ذلك و فاء يمين كان قد حلفها.

و التجأ محمود إلى إحدى حجر الامام الرضا (ع). و أبقى عليه نادر لم يقتله.

تغير طهماسب

و لكن طهماسب، في تقلبه و ميوعته و نزواته، لم يلبث أن انقلب على نادر و أخذ يصغى إلى وشايات حساده و ينصاع إلى تحريضهم إياه على نادر.

و كان مبدأ ذلك أن نادرا بعث رسولا من قبله إلى بلده "قوشان" ليعقد قرانه على بنت أحد رؤساء الأكراد، و كان قد خطبها باقتراح من الأكراد، قبيل احتلال مشهد، لتكون هذه المصاهرة وسيلة إلى التصالح و رفع اختلافات و ثارات كانت بينه و بينهم. و لكن طهماسب كان يريد لها لنفسه من قبل ذلك، فمنع أهلها من تزويجها بنادر. فلما وصل رسول نادر إلى "قوشان"

ص: ١٩٢

طرده أكراد البلده فعاد إلى مشهد خائباً. فغضب نادر غضبا شديدا إذ فوجئ بسلوك الأكراد على هذا النهج العدائى. فهياً جيشا و توجه إلى "قوشان" بمعيه الشاه طهماسب لتأديب الأكراد. فلما قارب البلده خرج إليه أخو البنت و أراه الأمر الذى أصدره الشاه إليهم بشأنها. فلما دخل الليل انفصل طهماسب عن المعسكر و ذهب إلى "قوشان". فلما علم نادر بذهاب الشاه تقدم و حاصر البلده. فخرج إليه جماعه من مسلحي الأكراد كانوا من أنصار الشاه فكسروهم و اضطروهم أن يعودوا إلى البلده. ثم فك الحصار عنها احتراما للشاه و عاد إلى مشهد.

فلما أقام الشاه فى "قوشان" و أقام نادر فى مشهد خلا الجو للبلاطين من حاشيه الشاه و رؤساء العشائر للكيد لنادر. فحرضوا الشاه على أن يأمر الحكام فى مختلف الأقاليم بان ينجدوه على نادر لأنه يريد الفتنة. فانصاع لهم و كتب إلى الحكام و الرؤساء أمرا بالثوره عليه. و كان الملك محمود أحد الذين كتب إليهم الشاه بهذا المعنى. و كان محمود فى معيه نادر فاطلعه على أمر الشاه هذا. و كذلك حرضوا الشاه على أن يعقد قرانه على بنت ذلك الزعيم الكردى التى كانت مخطوبه لنادر.

أما نادر فقد أغضبه عمل الشاه و نفاقه و تقلبه، فتوجه بأقصى ما يستطيع من السرعه بجيشه إلى "قوشان" فحاصرها و أوقع بالأكراد المناصرين للشاه و أتباعه هزيمه منكره، فلم يجد طهماسب حينئذ بدا من مصالحه نادر.

و وعد بان يعود إلى مشهد بعد عوده نادر إليها. و فى عيد النوروز من سنه ١١٣٩ هـ وصل طهماسب إلى مشهد فاستقبله نادر استقبالا لائقا بالملوك و أمر باقامه حفلات الأنايس و السرور مده أسبوع احتفاء بقدمه.

ثورات و فتن

و لكن الفتن و الثورات لم تلبث أن قامت فى مختلف أنحاء الشمال. فثار عليه الأكراد مره ثانيه و ثار التتر و التركمان و غيرهم، فبعث إليهم نادر بجيش بقياده أخيه إبراهيم خان. ثم اضطروهم هو نفسه إلى التوجه إلى "أبيورد" لنجده أخيه، و قد حاصره الثوار فى مضيق هناك، فنجح فى فك الحصار عنه و فر الثوار فتبعهم إلى مسافه طويله. ثم لم يجد بدا من العوده إلى مشهد ليحول دون قيام ثوره هناك.

ثم ثار التتر فى "مرو" بتحريض من الملك محمود، و ثار الأكراد فى "قوشان" و غيرها. و يرى بعضهم أن ثوره الأكراد هذه كانت بتحريض من الشاه طهماسب نفسه. فبعث نادر بأخيه إبراهيم إلى فريق منهم و توجه هو فى صحبه طهماسب إلى فريق آخر. و لكن طهماسب انفصل عنه فى أثناء الطريق و قصد إلى "نيسابور" للاستجمام. و قد تمكن نادر من قمع تلك الفتن كلها بسرعه فائقه، ثم عاد من فورهِ إلى مشهد.

و مع أن تمرد الأكراد بدأ بامتناعهم عن تزويج بنت الزعيم الكردى لنادر و تبع ذلك ما تبعه من حرب و سفك دماء فان الأكراد، بعد انتهاء هذه الحرب، حملوا الفتاه إلى مشهد فى موكب فخم و زفوها إلى نادر! و بهذه المصاهره وضع الأكراد يدهم فى يد نادر و أصبحوا حلفاءه.

و لما كان التتر قد ثاروا بتحريض من الملك محمود السيستانى فقد قتله نادر و قتل معه أخويه الملك "إسحاق" و الملك "محمد على" و قامت ثورات فى أماكن أخرى استطاع أن يخمدتها بمثل تلك السرعه و الدرايه بفنون الحرب.

بعد ذلك توجه نادر إلى معاربه الأفغانه. و كانوا يحتلون العاصمة أصفهان كما مر. و كان محمود الأفغانى رئيس طائفه "الغلاجيين" الذى تنازل له الشاه حسين الصفوى عن العرش و توجه بيده بتاجه قد تمادى فى الطغيان حتى اختلت قواه العقلية و اضطر الأفغانه أنفسهم إلى تنحيته عن العرش و تنصيب ابن عمه "أشرف عرجائى"، و كان مسجوناً فى سجن محمود هذا، فى مكانه. و فى سنه ١١٣٧ قتله أشرف و استقل بالعرش.

و فى الثانى من صفر سنه ١١٤٠ هـ بدأ نادر حرب الأفغانه. و افتتح حملته هذه بالهجوم على بعض الثائرين المتمردين فى خراسان فهزمهم و احتل مدنهم و قلاعهم. و قتل الناكثين منهم الذين استامنوه فامنهم ثم غدروا به، و استولى على أموالهم. و فى إحدى هذه الوقائع، فى محاصرته ببلده "سنجان" كاد نادر يقتل إذ انفجر مدفع على بعد بضعة أقدام منه، فقتل المدفعى و بضعه جنود، و سلم نادر.

و بعد أن احتل "سنجان" جاءه خبر أن جيشاً أفغانياً من "الأبداليين عدته بين سبعة آلاف و ثمانية آلاف جندى قد خرج من "هرات" و وصل إلى "باخرز" و "نيزآباد" فى طريقه إلى إنجاد أهالى "سنجان". فتهيأ لقتالهم.

و كان عسكريه متعباً فرأى أنه لا يستطيع، و هو على هذه الحال، أن يحارب كما يجب أن تكون الحرب. و فوق هذا كان اسم الأفغان يبعث الرعب فى نفوس جنوده بسبب انتصاراتهم المتواليه على الايرانيين. فلم يخرج عسكريه إلى القتال بل أمرهم بالتزام خندق "سنجان" لا- يغادرونه. و اختار من بينهم خمسمائه فارس من المجرين، و حمل بهم على الأفغانه حمله ماهره. و بعد أربعة أيام بلياليها من الكر و الفر، لم يأذن فيها لأحد من جنده بالحرب غير هؤلاء الفرسان الخمسمائه، رد المغيرين على أعقابهم ففروا عائدين إلى "هرات". و عاد هو إلى مشهد لم يتبعهم إلى "هرات" إذ رأى أن ظروفه لا تمكنه من ذلك.

بعد هذه الوقعه أخذت العلاقات بين طهماسب و نادر تسير من سيئ إلى أسوأ، و وزراء الشاه يسعون بكل وسيله ممكنه إلى توسيع شقه الخلاف بينهما.

و خالفه طهماسب فى التخطيط لحرب الأفغان، ثم اتفقا على خطه لها.

و لكن حاشيه طهماسب أقنعتة بقطع صلته بنادر و الانصراف عما بينهما من تعاون ففعل. و طلب من نادر أن يتولى هو وحده قيادة الحمله على "هرات"، فقبل اقتراحه و لكنه تريت فى السير لعلمه أن خصومه من الوزراء و أصحاب النفوذ يدبرون مؤامره لايقاع الخلاف فى جيشه. أما طهماسب فغادر مشهد إلى "سبزوار".

ثم وصل خبر إلى نادر بان "الأبداليين" الأفغانه قاموا بهجوم آخر و وصلوا إلى مكان يقع على الطريق بين طهران و مشهد، فلم يجد بدا من السير إليهم على الفور. و لكنه عرف، و هو فى طريقه إليهم، أن طهماسب يهاجم أتراك محله "بوجارى" و هم من أنصار نادر. فبعث إليه نادر التماساً يرجوه فيه الانصراف عن معاربه أتباعه هؤلاء، و أن يتعاونوا معاً على حرب الأفغانه. فأجابه طهماسب بان أمره بالحضور إليه لوضع الترتيبات اللازمه لهذا التعاون. إلا أن طهماسب، مع ذلك، ظل يتابع هجومه على أنصار

نادر و احتل إحدى قلاعهم. فعرف نادر أن في الأمر مؤامرة عليه. و يقول محمد حسين قدوسی في كتابه "سيره نادر" إن هذه الساعه كانت أشد أيام نادر حساسيه. و من ثم انصرف عن متابعه السير إلى حرب الأفاغنه، و توجه إلى "سبزوار" حيث يقيم طهماسب، بناء على طلبه. و قبل أن يصل إليها بلغه أن طهماسب عمم على نواحى خراسان أمرا بالامتناع عن إطاعه أوامر نادر و أتباعه. فلما وصل إلى "سبزوار" وجد أبوابها قد أغلقت فى وجهه.

فلم يجد بدا من ضربها بالمدافع ثم احتلالها بالقوه. أما طهماسب فلم يجد لنفسه مخرجا غير مصالحه نادر. ثم حلف له يمينا أن لا يعود إلى مخلصته أبدا. و بعد يومين أرسله نادر إلى مشهد و وكل أحد أتباعه بملازمته باشد المراقبه. ثم عاد هو إلى مشهد منفصلا عنه.

و لكن لم يكف يستقر به المقام فى مشهد حتى ثار التركمان و بعض الأكراد فى نواحى مختلفه. فبعث إليهم بجيش بقيادة أخيه إبراهيم خان و رجل آخر. ثم اضطر هو نفسه إلى أن ينجدهما، فسار إلى الثائرين و أوقع بهم و شردهم. و قد صبر فى هذه الحمله على شدائد مضنيه من وعوره الطرق و شدة البرد و الثلج و الجليد. و علم أن أخاه و رفيقه قد قصرا فى الحرب فسجنهما مده، ثم أطلق سراحهما.

احتلال هرات

ثم بعث سفيرا باسم الشاه "طهماسب" إلى بلاط روسيا يطلب جلاء الروس عن "جيلان". و انصرف إلى تهيئه قواته لاستئناف حرب الأفاغنه.

و اتخذ فى هذا السبيل تخطيطا يدل على ذكاء و تفكير عسكري فائقين. و كان يرى منذ حملته الأولى التى هزم فيها الأفاغنه الأبداليين عند "سنجان"، أن يبدأ بمهاجمه "هرات" و إخضاع الأبداليين قبل مهاجمه أصفهان العاصمه و إنقاذها من الأفاغنه الغلجائيين الذين يحتلونها. و كان طهماسب يرى عكس هذا. فخالفه نادر إذ كان يرى أن ابتعاده هو و طهماسب من مشهد يتيح الفرصه للأبداليين لمهاجمتها و احتلالها. فالصواب البدء بالأبداليين فى "هرات" قبل الغلجائيين فى أصفهان.

و فى الرابع من شوال سنه ١١٤١ هـ تحرك جيش نادر، و عده رجاله ٢٥ ألفا ما بين فارس و راجل، إلى "هرات"، و تحرك من "هرات" إلى ملاقاته جيش الأبداليين، و عده رجاله ١٥ ألفا ما بين فارس و راجل.

و التقى الجمعان عند مدينه "كافر قلعه" - و هى اليوم اسمها "إسلام قلعه" تابعه لأفغانستان - حيث سبق أن التقى قبل عشر سنوات جيشا الصفويين و الأبداليين و دارت بينهما معركة انهزم فيها الصفويون شر هزيمه.

و بعد معارك طاحنه دارت بين جيش نادر و جيش الأبداليين انهزم الأبداليون و طلبوا الصلح. و بعثوا من قبلهم ثلاثه من رؤسائهم يحملون رساله من قائد جيشهم إلى نادر جاء فيها:

"لقد كانت طائفتا الغلجائيين و الأبداليين، و ما زالتا، من رعايا الدوله الإيرانيه الشاهنشاهيه. و قد شرع الغلجائيون الشريريون الخيانه بان تسلطوا أولا على "قندهار" ثم أصفهان. و لكن طائفه الأبداليين كانت دائما تحارب الغلجائيين و تخاصمهم، إخلاصا

منها للدولة الشاهنشاهيه. لهذا نلتمس من قائد إيران القادر أن يعفو عما سلف من ذنوبنا و ينزل عقوبته بزعماء الغلجائين جزاء سلوكهم الفظ بما ارتكبوه من خيانه و نكران للجميل.

و طائفه الأبداليين تضع في عنقها ربقه طاعه العبوديه لهذا القائد الشجاع. و هي حاضره لتكون فداء في سبيل تقدم القوات الإيرانيه المظفره".

فقبل نادر التماسهم و عفا عنهم بشرط أن يسلموه مدفعيتهم. و في اليوم الثاني وفد إلى معسكره ثلاثون رجلا من رؤساء الأبداليين يحملون إليه شيئا كثيرا من التحف و الهدايا. فأكرمهم و خلع عليهم، و جعل قائد جيش الأبداليين "الله يار خان" حاكما على "هرات". و أقام فيها شهرين ثم عاد إلى مشهد.

و مع أن هذه الحمله لم تكن حاسمه في الناحيه العسكريه إلا- أنها كانت بعيده الأثر في الناحيه المعنويه، إذ أنها أعادت إلى الايرانيين ثقتهم بأنفسهم و أبعدت عن أذهانهم أسطوره أن الأفاغنه لا يهزمون.

تحرير أصفهان

بعد هذه المعركه الرائعه استطاع نادر و عسكره أن يفكروا بعمل أعظم منها، و هو طرد الأفاغنه الغلجائين من أرض إيران و إجلاس طهماسب على عرش المملكه في أصفهان.

و كان "أشرف" الغلجائي المتسلط في أصفهان على وضع سيئ. فقد تورط في محاربه العثمانيين بسبب سوء تصرفه. و أرسل إليه "أحمد باشا" والي بغداد العثماني في سنه ١١٣٩ رساله يهدده فيها و يخبره بأنه قادم إلى حربيه ليخلص الشعب الايراني المتمدن من حكم الأفاغنه المتوحشين، و إعادته الشاه حسين إلى عرش إيران. و في هذه الحرب اضطر "أشرف" إلى التخلي عن قسم من أرض إيران للعثمانيين. و تورط "أشرف" أيضا في محاربه الروس.

و في صيف سنه ١١٤٢ هـ شاع في أصفهان أن "حسين سلطان" ابن عم "أشرف" - و كانت بينهما ثارات - يجمع العسكر في "فندهار" لمحاربه "أشرف". و في هذا الوقت تواترت الأخبار على أصفهان أن نادرا و طهماسب، بعد أن أوقعا بالأبداليين تلك الهزيمه الكاسحه، قد توجهوا إلى أصفهان لمهاجمته. فاضطرب "أشرف" اضطرابا شديدا، و حشد كل ما عنده من قوه و أسرع بها إلى حرب نادر.

و كان نادر، بعد عودته من "هرات" إلى مشهد قد عبا جيشه لمحاربه الأفاغنه. و لكنه قبل مسيره عقد اتفاقا بينه و بين طهماسب تعهد فيه طهماسب بان يعهد إليه، بعد تحرير أصفهان و طرد الأفاغنه من إيران، بالولايه على إيالات خراسان و مازندران و جرجان، مكافاه له على خدماته العظيمة.

و في ١٨ صفر سنه ١١٤٢ هـ غادر نادر و طهماسب مشهد بجيشهما، و عدته ثلاثون ألفا بين فارس و راجل، قاصدين مدينه "سمنان" من ولايه "دامغان" في غرب خراسان، و كان "أشرف" يحاصرها. فترك عندها قسما من جيشه يديم الحصار و سار هو بالقسم الآخر إلى "خاور" و "دامغان" لملاقاه جيش نادر و طهماسب.

والتقى الجمعان عند بلده "بسطام" و دارت هناك أول معركة بينهما.

و قاتل فيها من جيش أشرف مقدمته من الفرسان. فتغلب عليهم نادر و ردهم على أعقابهم، فعادوا إلى "سمنان"، إلى جيش "أشرف".

و تابع نادر تقدمه حتى وصل إلى قرب نهر يعرف باسم "مهمان دوست" في صباح يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول سنة ١١٤٢. و هناك دارت معركة بين الفريقين اتبع فيها نادر تكتيكا عسكريا بارعا ضعضع به صفوف الأفاغنه، و قتل فيها حامل لواء "أشرف"، فاضطر الأفاغنه إلى

ص: ١٩٤

الفرار و تركوا ذخائرهم و أسلحتهم غنيمه لنادر. و قدر الكاتب الفرنسى "أوتر" عدد الجيش الأفغانى فى هذه المعركه بخمسين ألفا و قدر "هانوى" (١) عدد الجيش الايرانى بخمسه و عشرين ألفا، و قدر "كوكل" و كيل "شركه الهند الشرقيه" الإنكليزيه فى إيران على عهد نادر، عدد القتلى باثنى عشر ألفا من الأفاغنه و أربعة آلاف من الايرانيين. و أراد الايرانيون تعقب المنهزمين فمنعهم نادر إذ لم تكن لهم فائده فى تعقبهم.

و بعد بضعه أيام بعث طهماسب و نادر برسول إلى القسطنطينيه ليطلب من العثمانيين الجلاء عن الولايات الإيرانيه التى احتلوها. و لكن الرسول توفى فى تبريز قبل وصوله.

ثم تابعا طريقهما إلى "سمنان". و فى مسيرهما هذا ذكر نادر طهماسب بما سلف بينهما من وقائع مره كدرت صفو العلاقه بينهما.

و تراجع "أشرف" عن "سمنان" إلى "ورامين". و فى نواحي "سمنان" دارت معركه بين نادر و جيش أفغانى كان قادما من طهران لنجده "أشرف" نجى فيها نادر جيشه من كمين مخيف. و كان عملا رائعا دل على شده تيقظه و تبصره فى الأمور و براعه تكتيکه العسكري. و انتهت المعركه بفوز الايرانيين و فرار الأفاغنه، و ذلك فى ٢١ ربيع الأول سنه ١١٤٢ هـ.

و تتبع نادر الأفاغنه إلى "ورامين" حيث يقيم "أشرف" فلم يجد هذا بدا من الفرار بقواته إلى أصفهان.

و قبل أن يتابع نادر سيره إلى أصفهان كف يد طهماسب عن العمل و بعث به إلى طهران، و كان الأفاغنه قد جلوا عنها.

أما "أشرف" فإنه، بعد أن وصل إلى أصفهان منهزما، قام فيها باعمال بلغت غايه الوحشيه. فقد قتل حوالى ثلاثه آلاف من العلماء و الأعيان، و أمر رجاله بالاغاره عليها بالسلب و النهب و إحراق الأسواق، و اعتقل موظفى الشركات الإنكليزيه و الهولنديه المقيمين فيها و سجنهم خشيه أن يساعدوا نادرا، و ظلوا مسجونين سبعة عشر يوما إذ سهل لهم الحراس سبيل الفرار.

و كان أحمد باشا والى بغداد العثمانى قد أرسل إلى "أشرف" الغلجائى، بناء على طلب منه، مددا من الرجال و المدافع. ثم غادر "أشرف" أصفهان مع قواته و عسكر فى ناحيه "مورشه خورت" فى الغرب الشمالى من أصفهان.

و أما نادر فتابع سيره إلى أصفهان حتى وصل إلى معسكر الأفاغنه فهاجمه و نشبت معركه رهيبه بلغت إلى القتال بالسلاح الأبيض و قام فيها الأفاغنه بحملات شديده. و لكن الدائره دارت عليهم فى النهايه، ففر "أشرف" بمن بقى من جنوده عائدا إلى أصفهان، و ترك أسلحته و كثيرا من الأسرى فى يد نادر، و كان بين الأسرى جماعه من العثمانيين فعاملهم نادر بالحسنى ثم أطلق سراحهم.

و لما وصل "أشرف" إلى أصفهان سارع إلى تهيئه وسائل الفرار و صادر كل ما فى المدينه من الدواب ليحمل عليها النساء و الأطفال و ذخائره من الجواهر و الأموال. و قبل فراره قتل الشاه حسين الصفوى، و كان سجينا فى قصره.

و دخل نادر أصفهان ظافرا فى الثانى و العشرين من ربيع الثانى سنه ١١٤٢ هـ. و شرع أول شىء بتطهير المدينه من آثار الأفاغنه. و أمر بهدم البناء الذى أقيم على قبر محمود الغلجائى الأفغانى و جعل مكانه مزبله.

ثم أبلغ نبا انتصاره إلى "طهماسب" و دعاه إلى أصفهان، فعاد إليها في الثامن من جمادى الأولى سنة ١١٤٢ هـ، بعد غيبه طالت مدة ثماني سنوات تقريبا، و استعاد لنفسه منصب أبيه و أجداده. و لكنه وجد قصر أبيه خرابا.

و لم يجد أحدا من نساء القصر سوى امرأه واحده تلقتة و احتضنته فرحانه مستبشرة، و إذا به يتبين أن هذه العجوز هي أمه، و كانت قد نجت من الأفاغنه بان جعلت من نفسها خادمه فلم يفتنوا إليها. و بهذا سلمت من الموت. و كانت أصفهان كلها قد أصبحت خرابا و غاب عنها أكثر سكانها ما بين قتل و هارب. و لما بلغ خبر انكسار أشرف إلى الأفاغنه المقيمين في "كرمان" عمدوا إلى تخريبها ثم فروا منها. إلا- أنه كان لهذه الانتصارات المتواليه أثر معنوى بالغ في نفوس الا-يرانيين، إذ ارتفعت معنوياتهم و عادت إليهم ثقتهم بأنفسهم.

تحرير شیراز

و بعد أن استراح نادر و جنده و هيا ما يلزم لمتابعه الهجوم سار في أفسى أيام البرد إلى شیراز لتعقب "أشرف" في الثالث من جمادى الثانيه سنة ١١٤٢ هـ. فتلقاه "أشرف" بعشرين ألف مقاتل من خيره المقاتلين.

و دارت بين الفريقين معركة هائله، استبسل فيها "أشرف" و أظهر خبره عسكريه فائقه، و لكن الدائره دارت عليه فعجز عن متابعه المقاومه. و بلغت خسائره من الرجال أكثر من خمسه آلاف بين قتل و جريح و أسير. عندئذ بعث إلى معسكر نادر بثلاثه سفراء من كبار رجاله يلتمسون منه وقف الحرب، فأجابهم نادر إلى طلبهم بشرط أن يطلق "أشرف" سراح من بقى حيا من أسره الشاه حسين و معهم سائر الأسرى و المعتقلين الإيرانيين. فأجاب "أشرف" إلى طلبه و أرسل إليه جميع هؤلاء و لكنه رفض تسليم نفسه إلى نادر. و حرضه قواده على أن يفر بمن بقى من رجاله إلى "قندهار" ففعل.

و علم نادر بذلك فانطلق إلى تعقبه فأدركه عند جسر "فسا" قريبا من شیراز، فأمر مقدمته من الفرسان و عددهم خمسمائه فارس بالهجوم على مؤخره جيش "أشرف" و عدتهم خمسه آلاف و نيف، و وقعت بينهما معركة أسر الايرانيون فيها جماعه منهم و غرق آخرون في النهر و قتل "بير محمد خان" شيخ محمود الغلجائي و أشرف و مرشدهما، و سملوا عيون جماعه من قوادهم. فعاد "أشرف" يطلب مصالحه نادر. فقبل بشرط أن يسلم "أشرف" نفسه إليه، فرفض "أشرف" و فر متوجها إلى "لار" في جنوب إيران.

مقتل أشرف و نهايه الأفاغنه

و ظل نادر في شیراز، و منها عمم على جميع النواحي أن تغلق كل المدن الإيرانيه أبوابها في وجه الأفاغنه. و أراد الأفاغنه أن يستعينوا بالعرب المقيمين في موانئ الخليج على الهرب بالبحر إلى بلدان الخليج العربيه، و لكن نادرا أمر موظفي "شركه الهند الشرقيه" بالامتناع عن حمل الهاربين على سفنهم، و أنذر الشيوخ الذين في المرافئ بان يوقعهم هم و عائلاتهم في الأسر و العبوديه إذا ساعدوا الأفاغنه على الهرب. و أراد أخ لأشرف، و كان يحمل كثيرا من

١- ﺗﺎﺟﺮ ﺍﻧﻜﻠﯩﺰﻯ ﺳﻜﻦ ﺇﻳﺮﺍﻥ ﻓﻲ ﻋﻬﺪ ﻧﺎﺩﺭ ﺷﺎﻩ ﻣﻦ ﺳﻨﻪ ١١٥٦ ﻩ ﺇﻟﻰ ﺳﻨﻪ ١١٦١ ﻩ ﻭ ﺃﻟﻒ ﻛﺘﺎﺏﺎ ﻧﻔﻴﺴﺎ ﻓﻲ ﺗﺎﺭﻳﺦ ﻧﺎﺩﺭ.

الجواهر، و رفاق له من الأفاغنه أن يستعينوا بهؤلاء الشيوخ على الهرب إلى بعض البلدان العربيه الواقعه على الخليج فامتنعوا. و لكن أحد الشيوخ، و يدعى أحمد المدنى، قبل أن يعطيهم سفينه تحملهم إلى هناك فانطلقوا بها إلى "رأس الخيمه". إلا أن عرب عمان قتلوا أكثرهم و استعبدوا من بقى منهم حيا.

و انطلق "أشرف" من "لار" شرقا مع ألفين من رجاله و عدده نساء.

و لكن رجاله أخذوا يتناقصون بالموت من الجوع و التعب حتى لم يبق منهم معه غير ثلاثه. ثم قتل في صحراء "بلوشستان" الشرقيه. قتله أحد رؤساء "البلوش". و يقول "مالكوم" إن القاتل قطع رأسه و بعث به إلى نادر و معه ماسه كبيره كان يضعها على عضده. و فى روايه أخرى عن "الميرزا مهدي خان" كاتب نادر و عن "مارتين فرنج" و كيل "شركه الهند الشرقيه" و "محمد خان" رئيس تشريفات "أشرف" - و قد رافقه حتى قتل - أن "أشرف" و هو فى حال فراره إلى "فندهار" تلقته فى بعض نواحيها قوه من عسكر ابن عمه عدوه "حسين سلطان" فقتلوه و جماعه من أصحابه.

و بهذا استطاع نادر أن يحقق أعظم انتصاراته و ينتهى إلى هذا النجاح الباهر بالقضاء على الجيش الأفغانى و تحرير إيران من طغيان هذا الغازى الفظيع. و قد استمر احتلال الأفاغنه لايران سبع سنوات ذهب ضحيه فيها مليونان من الايرانيين بين قتيل و أسير و خربت أجمل مدنها و أحلى عماراتها.

معاودة غزو هرات

و انصرف نادر بعد ذلك إلى معالجه أمور العثمانيين فسافر إلى "أذربيجان" لهذه الغايه. و فيما هو يحاول هناك حل تلك المشاكل بالحسنى وصله تقرير من مشهد من ابنه "رضا قلى ميرزا" أن الأبداليين فى "هرات" عادوا فنقضوا عهدهم الذى عاهدوه عليه، و أنهم عازمون على غزو مشهد.

هذا و قد أقدم الأبداليون بالفعل فى الثالث من شوال سنه ١١٤٣ هـ على طرد حاكم "هرات" الذى سبق أن عينه نادر لها. و ساقوا حملة على مشهد و عسكروا قريبا منها. فتوجه فورا من أذربيجان إلى خراسان. و قبل أن يبلغها كان الأفاغنه قد كسروا الجيش الايرانى المدافع، و كان يقوده إبراهيم أخو نادر، و ذلك لخطا فى التكتيك ارتكبه إبراهيم.

إلا أن نادرا تلقى تقريرا آخر من ابنه أن الابداليين انصرفوا عن مشهد عائدين إلى "هرات" لشغب الغلجائين عليهم، فانصرف نادر، موقتا، عن المضى إلى مشهد و توجه إلى قمم حركات بعض المتمردين فى نواحي أخرى.

ثم أعد عدته لمواجهة الأبداليين فى "هرات" نفسها، فتوجه إليها.

فلما علم الغلجائيون بمسيره هبوا إلى مساعده الأبداليين، تاركين خلافاتهم جانبا لمقاومه العدو المشترك.

و بعد معارك رهيبه دارت فى نواحي "هرات" تغلب عليهم و احتل المدينه فى غره رمضان سنه ١١٤٥ هـ، بعد أن حاصرها عشره أشهر و كاد يقتل فى محاصرته لها.

ثم انصرف إلى غزو الأفغانيين في نواحي أخرى فهزمهم واحتل بلده "فراه". و فيما هو مشغول بهذه الحروب جاءته الأخبار بان العثمانيين قد تغلبوا على الشاه "طهماسب" في "كوريجان" بالقرب من "همدان" وأنه وقع على معاهده صلح بينه وبينهم.

و بعد احتلال "هرات" نقل ستين ألفا من الأبداليين إلى نواحي مشهد و "نيسابور" و "دامغان"، و نقل أيضا إلى تلك النواحي ستين ألف عائلة من قبيله "أفشار" قبيلته. و قبل ذلك. يوم كان في "أذربيجان"، نقل ما بين خمسين ألفا و ستين ألفا من أسرها إلى خراسان. منهم اثنا عشر ألف أسره من قبيله "أفشار". و اختار ستة آلاف شاب من الأذربيجانيين فجندهم في جيشه.

احتلال قندهار

كان نادر، منذ أن أجلى الغلجائيين عن وسط إيران و جنوبها ينوى تطهير إياله "قندهار" من الأفاغنه و يتحين الفرصه لذلك. و حانت هذه الفرصه بانشغال العثمانيين و الروس عنه بحرب وقعت بينهما، و تمكنه من القضاء على حركات التمرد. فجهز جيشا من ثمانين ألف مقاتل، و سار به من أصفهان العاصمه قاصدا "قندهار"، في السابع عشر من شهر رجب سنه ١١٤٩ هـ، و صحب معه جماعه كبيره من أمراء البختياريين و الكرج رهائن، و لكن بعنوان متطوعين في الظاهر.

و احتل في مسيره هذا قبل وصوله إلى مدينه "قندهار"، بعض المدن و القلاع و أوقع بحامياتها. فلما وصل إلى "قندهار" أقام معسكره قريبا منها.

و بنى هناك مدينه كبيره أحاطها بأسوار عظيمه و أقام فيها سوقا و مسجدا و حماما، و سماها "نادرآباد".

و بدأ هجومه على "قندهار" في التاسع من شوال سنه ١١٥١ هـ.

و قام بالهجوم الحاسم صباح يوم الجمعه الثاني من ذى الحجه سنه ١١٥١.

و اختار من رجاله نخبه من الشجعان ليكونوا مقدمه الهجوم على أول برج من أبراج المدينه و احتلاله. و قال لهم: من دخل منكم البرج فاتحا فله جائزه ألف "نادرى" (نقد) و إن تراجعتم فسأجعلكم طعمه للكلاب. و كان من أشد المتطوعين للهجوم "ملا" (رجل دين) اسمه "الملا آدينه مستوفى".

فاحتار نادر في أمره و قال له: أنت رجل دين فما أنت و الحرب، و هى ليست من شانك و لا- عادتك؟! فقال الملا: جعلت فداك. ستري إن شاء الله بعينك!.

و بدأ الهجوم بمعركه رهيبه انتهت بتضعف المدافعين الأفغان فلم يجد قائدهم "سلطان حسين" - و هو زعيم الغلجائيين و ابن عم "أشرف" الذى مر ذكره - بدا من التسليم. فبعث بكبرى أخواته و اسمها "زينب" و معها جماعه من رؤساء الغلجائيين إلى نادر يطلبون منه الأمان له. فأكرم نادر وفادتهم و أحسن استقبالهم، و أمن "سلطان حسين" و أفراد عائلته.

ثم أعطى جنده الجوائز الذهبية التى وعدهم بها، و خص "الملا آدينه" بأكبر جائزه منها إذ كان من أشد المهاجمين شجاعه. و أمر بهدم المدينه و أجلى أهلها إلى "نادرآباد" و جعلها مركز الاياله. و أقام فيها مده شهرين بعد الفتح. و بذلك محا لطفه عار

الهزيمة التي أوقعها محمود الغلجائي و جنده قبل ستة عشر عاما بالایرانیین. و استطاع أن یسترد ما اغتصبوه من أرض ایران، مع تنزیه نفسه عن مثل ما ارتكبه الأفاغنه یومئذ من إیذاء الأبریاء و سفك دمائهم و نهب أموالهم.

و بعد أن تم له فتح "قندهار" هاجرت طوائف الأبدالیین القاطنین فی

ص: ۱۹۶

"نيسابور" و أماكن أخرى من خراسان إلى "قندهار" و هاجر الغلجائيون القاطنون في "قندهار" إلى خراسان، و دخل بضعه آلاف منهم في حرس نادر.

غزو الهند

في ربيع سنة ١١٥١ هـ بدأ نادر بغزو الهند، و كان يحكمها المغول التيموريون. غزاها لتأديب أمبراطورها "محمد شاه" إذ كان يجير المتمردين الفارين من وجه نادر و يؤويهم و يساعدهم و يحرضهم على الثورة، غير مصغ إلى إنذارات متكرره وجهها إليه نادر بان يمتنع عن ذلك، حتى أنه استبقى عنده سفيرا كان قد بعث به إليه نادر في تلك السنه لهذه الغايه، فلم يأذن له بالعوده إلى إيران. و سبق أيضا أن قتل أحد أعوانه من الأفاغنه سفيرا لنادر كان قد أرسله إليه، و في عودته من الهند اعتقله ذلك الأفغانى و قتله. و كانت لنادر أيضا غايه أخرى من غزو الهند، غايه أبعد من هذا، و هى أن يغنم من ثروات الهند الضخمه ما يجبر به خسائر إيران في تلك الحروب المتطاولة الدائمه.

كان الجيش الذى أعده لغزو الهند يتالف من ثلاثه آلاف و مائه ألف جندى، سار به من "نادرآباد" فاحتل أولا "غزنه" سلما ثم "كابل" بعد معارك جزئيه انتصر فيها على الأفاغنه المقاومين، ثم أقبل أعيان المدينه و حكامها يستقبلونه و يستسلمون إليه مرحبين.

و فى أثناء سيره هذا جاءه رسل من الهند يحملون رساله من "محمد شاه" يسأله فيها عن سبب سوقه هذا الجيش نحو الهند. فأجابهم نادر بقوله: سأجيب محمد شاه على هذا السؤال بنفسى فى عاصمه الهند! ثم انطلق حتى عبر حدود الهند من إقليم السند، و أخذ يحتل مدنه مدينه مدينه، بعضها صلحا و بعضها حربا.

و مما يدل على ذكائه و سرعه خاطره أنه لما اعترضه نهر السند، و هو واسع العرض جدا، جمع ما وجدته فى أيدي الناس من سفن و قوارب ليبنى منها جسرا لعبور النهر. و لكن الجبال التى كانت عنده لربط السفن لم تكفه.

فأمر بجز أعراف الخيل و شعر أذناها و فتلتها جبالا، و بذلك وجد حاجته من الجبال و بنى الجسر.

و من ماثره أنه كان، بعد انتصاره فى كل معركه، يؤمن أهل المدن المفتوحه، و يمنع جنده من التعدى على أحد، و يعفو عن قوادها العسكريين الذين قاوموه، حتى الذين اشتدوا فى القسوه و الشراسه و هم يقاومونه. بل كان يعيد حكامها إلى مناصبهم التى كانوا فيها.

و بعد أن فتح مدينه "لاهور" نادى نفسه آمرا على كل الهند.

و وصله، و هو فى "لاهور"، أن "محمد شاه" أمبراطور الهند يحشد قواته لملاقاته بالحرب. فبعث إليه نادر برساله أعلن له فيها أنه لا يقصد الهند بسوء. و ذكره بان الهند قاست على يد الأفاغنه أشد مما قاسته إيران من الشر. و ذكره بسوء معاملته للسفراء الايرانيين الذين كان يبعث بهم إليه.

و ختم رسالته بإنذار "محمد شاه" بأنه إذا حارب الجيش الهندى الجيش الايرانى فان الايرانيين سيؤدبونه كما يجب أن يكون

التأديب. و إن سالمهم نجا من العقاب.

و جرت المعركة الأخيرة الفاصله فى ناحيه تعرف باسم "كرنال" فى أواسط ذى القعدة سنه ١١٥١ هـ. و حشد فيها "محمد شاه" ثلاثمائه ألف جندى و ألفى فيل حربى و خمسمائه مدفع.

و روى "هانوى" أن الهنود ربطوا سكاكين بخراطيم الفيله، و قد دربت على أن تضرب بها فى الحرب، هذا و الخيول من شأنها أيضا أن تجفل من رؤيه أجسامها الضخمه. فأمر نادر بتهيئه كيزان تملأ نقطاً و مواد قابله للاشتعال. و حين تدور المعركة توقد هذه الكيزان و يلقى بها فى جيش العدو بين الفيله فتفزع منها و تفر.

و فى هذه المعركة أمر نادر أيضا، حين حميت الحرب، بإشعال النار فى التبن الذى تحشى به رحال الجمال التى تحمل المدافع ثم الدفع بالجمال نحو كتبه الفيله فى جيش العدو. فلما أشعلوا النار فى الرحال و أحست الجمال بحرارتها هبت واقفه مذعوره فطردوها نحو الفيله. ف وقعت بينها و هى تقفز و تتراكم هنا و هناك و تهدر بأصوات مرعبه و النار تنطلق من ظهورها، فارتاعت الفيله و فرت من مكانها المقرر فى المعركة، و انحازت إلى مكان بعيد متجمعه بعضها إلى بعض.

و انتهت تلك المعركة الهائله بانتصار نادر و فرار الهنود. و قدر بعضهم عدد قتلاهم فيها بعشره آلاف و قدره آخرون بثلاثين ألفا. و قدر عدد القتلى من الايرانيين بألفين و خمسمائه، و الجرحى بخمسه آلاف.

و صلى نادر بعد هذا الفتح صلاه شكر و تلا دعاء، و أعطى قواد عسكريه جوائز. و غير اسم ابنه الثانى "مرتضى قلى خان" باسم "نصر الله قلى خان" تذكارا لهذا النصر العظيم.

الصلح

و أراد قواد جيشه متابعه الزحف فرفض و قال لهم: إن محمد شاه لا يلبث أن يستسلم إلينا.

و بالفعل طلب الهنود الهدنه فى مساء ذلك اليوم، و هو السادس عشر من ذى القعدة سنه ١١٥١ هـ، و حضر إلى معسكر نادر مندوبان من قبل "محمد شاه" مفوضين منه بإمضاء شروط الهدنه بما يريان. و تم الاتفاق بين الطرفين على أن يعود نادر إلى إيران بهذه الشروط:

١ - يدفع الإمبراطور إلى إيران مبلغ خمسه ملايين روبينه (نقد هندى) غرامه حريه.

٢ - يدعو نادر محمد شاه إلى وليمه يقيمها له فى معسكره غدا و يوقع فيها على وثيقه الاتفاق ثم يعود إلى معسكره.

٣ - يلقى جنود الجيش الهندى سلاحهم.

٤ - تسلم المدفعية الهنديه و العتاد الحربى الهندى إلى الجيش الايرانى.

٥ - الجيش الايرانى متعب يحتاج إلى الراحة. و لذلك يجب أن يذهب إلى العاصمه الهنديه للاستجمام مده من الزمن.

و بناء على ذلك أمر "محمد شاه" بتسليم كل أسلحه الجيش الهندى إلى الجيش الايرانى. و أجاب الدعوه إلى وليمه نادر، فحضر إلى معسكره فى موكب فخم و حاشيه كبيره من رجاله و حرسه، فخرج إلى استقباله جماعه من فرسان الجيش الايرانى، و تلقاه "نصر الله ميرزا" ابن نادر شاه، و كان هو المعين للقيام على ضيافته، بكل احترام و تعظيم، و قادوه إلى الخيمه الخاصه

ص: ١٩٧

التي نصبت له، و خرج نادر نفسه إلى خارج الخيمة لاستقباله، و وضع يده في يده و دخل به إلى الخيمة فأجلسه إلى جانبه.

و بعد المجاملات أخذ نادر يوبخه على معاملته السيئه له و لسفرائه، و يلومه على ضعفه و إهماله شئون مملكته، ثم قال له: لن أسلب منك ملك الهند. و لكنك، إذ اضطررتي بلا مبالاةك و أثرتك إلى قطع طريق طويله و بذل نفقه فاحشه، و كان جيشنا منهكا بالسير، يعوزه الطعام و غيره من اللوازم، أرى من الضروري حضوري إلى عاصمه الهند و الإقامة فيها بضعه أيام يرتاح فيها الجيش و نتسلم عوض خسارات الحرب كما تم الاتفاق. ثم أدعك و شانك تتدبر أمورك.

ثم تناولا الطعام معا. و أعطى نادر "محمد شاه" صحفه طعامه بعد أن أكل منها شيئاً و أخذ صحفته ليطمئنه إلى أن الطعام غير مسموم. ثم أعيد إلى معسكره محروسا بحرس نادر.

دخول دهلي

و في غره ذى الحجه سنه ١١٥١ هـ سار نادر شاه و أمبراطور الهند من "كرنال" قاصدين العاصمه "دهلي". و كان موكب نادر يتقدم موكب "محمد شاه" بما يقرب من ثلاثه كيلومترات.

و توقف نادر شاه في ضواحي "دهلي" في "باغ شليمار" حيث فرشت طريقه إليها بالنفيس من المفروشات، و أعد مكان إقامته فيها بتجهيزات بلغت غايه الفخامه و الأبهه. و سبقه "محمد شاه" إلى "دهلي" لاعداد وسائل الضيافه. و في التاسع من ذى الحجه سنه ١١٥١ هـ سار نادر من "باغ شليمار" إلى "دهلي" فدخلها في ذلك اليوم في موكب عظيم من الفرسان و المشاه عليهم الألبسه المزينه الفاخره و مظاهر الخيلاء و الزهو. و دخل نادر من الياب [الباب] الخاص بالملوك لا يفتح لغيرهم، و أطلقت المدافع تحيه له.

و أنزل في القلعه الخاصه بسكنى "محمد شاه" زياده في تعظيمه و تكريمه.

ثم سلم حاكم المدينه مفاتيح خزائن المملكه و مفاتيح قلاعها و مخازنها إلى موفد نادر شاه، و قدمت إليه هدايا غاليه. و أعلن هو أن يلتزم بكل ما عاهد عليه "محمد شاه" في "كرنال"، و من ذلك إبقاؤه على عرش الهند.

فشكره "محمد شاه" و قدم إليه كل ما في الخزائن الملكيه من جواهر و أثاث و ذخائر أسلافه من السلاطين.

و أمر نادر شاه قواده بان يحسنوا معامله أهالي المدينه، و أنذر من يخالف منهم بعقاب شديد.

و خطب باسمه في المساجد، و ضربت باسمه نقود.

فتنه رهيبه

و لكن حدث في اليوم الثالث من وصوله أن شاع في المدينه أن نادرا قد قتل أو أن "محمد شاه" قد سجنه. و على أثر ذلك ثار فريق من أهالي المدينه و هجموا على جنوده فواقعوا برجال "قزلباش" مذبحه عظيمه. و تضععت معنويات المسلحين الايرانيين لسماهم نبا مقتل نادر فلم يستطيعوا مقاومه.

و قدر عدد من قتل من الايرانيين فى ذلك اليوم بثلاثة آلاف.

أما نادر فلم يصدق الخبر أول الأمر، و اتهم جنوده بأنهم اختلقوه ليجعلوه ذريعه لهم إلى نهب المدينة. فلما تحقق من صحة الخبر أمر قواده بحشد الجنود لآخماد الثورة. و لكنه أوصاهم بان لا يمسا الأبرياء بسوء، و أن يقتصر عملهم على حفظ النظام و ضبط المدينة.

و فى صباح الغد ارتدى ثوبا أحمر اعتاد أن يجعله علامه على الغضب، و امتطى حصانه و خرج بنفسه مع نخبه من جنده الأشداء و قصد إلى مركز الثاثرين. و قيل إنه، و هو فى سيره هذا، أطلقت عليه رصاصه من إيوان أحد المساجد فاخطاته و أصابت أحد ضباطه فقتلته. فاشتد غضب نادر و صعد إلى سطح المسجد و نادى جنده بان لا يبقوا على أحد حيا فى كل مكان قتل فيه جندى من "قرلباش".

و انطلق جنوده فى الأسواق و الأزقه ينفذون أمره فقاموا بمجزره عامه رهيبه. ثم نهبوا الأسواق و البيوت، و هدموا و أحرقوا كثيرا من الأبنيه، و نادر يقف فى المسجد شاهرا سيفه ينظر بنفسه إلى ما يجرى.

و استمرت هذه الغاره الهائله ست ساعات إلى أن أرسل "محمد شاه" أحد وزرائه و آخر من خواصه إلى نادر يتشفعان إليه و يلتمسان منه العفو و المسامحه. فأجابهما إلى طلبهما و استدعى حاكم المدينة و أمره أن يصحب جماعه من الحرس و يطوفوا فى الشوارع يأمرون الجنود بوقف الغاره. و قد امتثل الجنود الأمر فوراً، و هذا يدل على أن نادرا كان مسيطرا سيطره كامله على عسكره. يقول المؤرخ عبد الكريم البخارى: "إن إطاعه الجند لهذا الأمر إطاعه فوريه فى إبان الغاره و الفتنة أمر من الأعاجيب" و أمر أيضا باعاده كل الأسرى إلى أهاليهم. و قدر بعضهم عدد القتلى بأربعين ألفا، و بعضهم بعشرين ألفا، و بعضهم بثمانيه آلاف.

بعد ذلك عقد نادر قران ابنه "نصر الله ميرزا" على إحدى بنات العائله التيموريه المالكه، و أقيم لذلك عرس عظيم بين معالم الزينه، و الأضواء تشمل المدينه كلها، و أهدى "محمد شاه" إلى صهره شيئا كثيرا نفيسا من الجواهر و التحف، و أنعم على الضباط و العسكر الايرانيين بمبالغ كبيره من المال.

و كان من عاده المغول أن يكتبوا فى وثيقه الزواج سلسله نسب العريس إلى سبعة جدود. فطلبوا من العريس "نصر الله ميرزا" أن يذكر أسماء جدوده متسلسلين على هذا النحو. فجاء إلى أبيه و نقل إليه طلبهم هذا.

فقال له نادر: قل لهم إنك ابن السيف و حفيد السيف و نتيجة السيف.

و هكذا سلسل لهم أسلافك سيفا سيفا إلى سبعين جدا لا سبعة! ثم انصرف بعض رجال نادر إلى إحصاء الغنائم. و أمرهم بمعامله الناس بالحسنى و اجتناب كل ما من شأنه أن يؤذى شعورهم. و بلغت الغنائم مبلغا لا يتصور من النفاسه و الكثره، منها مبالغ ضخمه من النقد و منها "تخت طاوس" الشهير و لا يمكن تقديره بثمن، و منها ثلاث ماسات هى ماسه "كوه نور" (جبل النور) الشهيره و تسمى "ملكه الماس"، و هى اليوم فى لندن، و ماسه "درياي نور" (بحر النور) و هى اليوم فى إيران، و ماسه "أورلوف"، و هى اليوم فى موسكو. و من هذه الغنائم ستون ألف مخطوطه ثمينه.

و فى السادس عشر من ذى الحجه سنه ١١٥١ هـ بعث مع حامل بريده إلى إيران أمرا بإعفاء جميع الولايات الإيرانية من دفع الضرائب إلى مده ثلاث سنوات، و جعل ذلك حلوان انتصاره فى الهند. و أنعم على جنوده و خدمه بجوائز ماليه كثيره و خلع عليهم خلعا ثمينه.

ص: ١٩٨

و في صباح ٢١ ذى الحجه حضر، بامر من نادر شاه. إلى قصر "محمد شاه" في "باغ شليمار" كل عظماء الدوله و الجيش الايرانيين و الهنود. و حضر "محمد شاه" و وزراؤه مشاه. و هناك أمضى الملكان "معاهده شليمار" المعقوده بينهما، بحضور رؤساء الجيش الايراني و وزراء الهند و رجال بلاطها و حكام محافظاتهما و علمائها. فلما وقع الملكان على المعاهده صاح الجميع "شاد باش"، ثم انقضى المجلس. و هذا نص المعاهده:

"سبق أن أرسل وزراء صاحب الجلاله، بهرام الصوله، مريخ السطوه، بطل الزمان، سلطان سلاطين الأوان، ملك ملوك العالم، ظل الله ملاذ المسلمين، إسكندر العظمه، سمك السرير، السلطان العادل المنصف و الملك السماوى الفطره، نادر شاه أفشار خلد الله ملكه و سلطانه، سفراء كبارا إلى هذا البلاط لتسويه بعض الأمور. و كنا نحن أيضا نرغب في الوفاق. و بعد ذلك قدم أيضا محمد خان تركمان من قندهار للتذكير. و لكن وزراءنا و ممثلينا ماطلوا أولئك السفراء و أخروا جواب رساله صاحب الجلاله المعظم. و من هذه الطريق حصل نغار و سار جيشه المظفر إلى حدود الهند و تلاقينا في نقاط مختلفه و في صحراء كرنا. فاتقدت حرب عارمه. و من هناك طلعت، بتقدير إلهي، شمس الانتصار و الظفر من مشرق إقباله الذى لا- يزول. و إذ كان صاحب الجلاله جمشيد القدره المعظم منبع الرأفه و الفتوه فقد حصلت مسره الملاقاه بالاعتماد على شهامته و الاتكال على صحبته و حصلت بهجه الحديث في محفل كالفردوس. و بعد ذلك ترافقنا إلى شاه جهان (دهلي). و هناك عرضنا على نظره خزانه سلاطين الهند و جواهرها لنفسه و أهديناها كما يليق إليه. و قبل صاحب الجلاله المعظم بعضها بالتماس منا، و أبقى عرش الهند و تاجها في تصرفنا من علو همته و فرط محبته و التفاته إلى عظمه السلالة الجرجانيه و شرف شجره طرخان. و في إزاء هذه الملاطفه التى لا- تصدر من أب إلى ابنه و لا- من أخ إلى أخيه نضع في تصرف دوله إيران العليه خمسين و مائه كرور تومان (الكرور: خمسمائه ألف) خسائر الحرب و كل الأملاك الواقعه في غرب نهر آت تلك [تك] و ماء السند و نالاسنك و هو شعبه من شعب نهر السند يعنى بيشاور و ملحقاتها و إياله كابل و غزنه و كوهستان و أفغانستان و هزارجات و دربندا مع قلعه بكرسنك و خداداد و أراضي دربندا و مساكن الجوكيين و البلوش و غيرها و إياله تنه قلعه رام و قريه تربين و بلده رشن و سمولى و كترام مع كل الأراضي و القرى و القلاع و البنادر من ابتداء منبع نهر آت تك إلى نالاسنك حيث مصب النهر في البحر و كل القلاع و البلدان التى يحيط بها نهر آت تك و فروعها أى أن كل الأماكن الواقعه في غربى نهر آت تك و تلك النواحي و غربى نهر السند و نالاسنك هى جزء من أملاك هذا الملك القوى الشوكه. و من هذا التاريخ فصاعدا يدخل عماله و موظفوه النواحي المذكوره و يتصرفون بها و يتولون الحكومه و الولايه عليها و على أهلها. و على عمالنا و موظفينا إخلاء النواحي المذكوره و أن يعدوها خارجة عن أملاكنا و يعلموا أن كل حقوقهم الحاليه و الماضيه هناك قد سقطت. و قلعه لهرى بندر و كل الأملاك الواقعه في شرقى نهر آت تك و نهر السند و نالاسنك هى كما في السابق جزء من سلطنه الهند. في باغ شليمار - مؤرخه في ١١ المحرم الحرام سنه ١١٥٢ هجرية - محمد شاه التيمورى - نادر شاه أفشار".

و في الثالث من صفر سنه ١١٥٢ هيا نادر شاه مجلسا ملوكيا بالأبئه و الفخامه، و دعا إليه "محمد شاه" و سائر أعيان الهند. فلما استقر بهم المقام أخذ بيده تاج سلطان الهند و وضعه على رأس "محمد شاه" و نطقه بسيف و خنجر مرصعين، و ألبسه، جريا على عاده سلاطين الهند، وشاحا مرصعا بالجواهر. فشكره "محمد شاه" بهذه الكلمه:

" لقد أعطاني شاهنشاه إيران تاج ملك الهند و عرشه، فكان ذلك منه سماحه و علو نفس. و إن إعادتهما إلى يجعل الأسره الجرجانيه ترفع رأسها عاليا. و أنا أيضا أعلن على مشهدكم جميعا أنى لشكر هذا الجميل الذى لا نظير له، أسلم الدوله الإيرانيه الشاهنشاهيه إلى الأبد الأراضى الواقعه على ضفه نهر السند اليمنى، من بحر عمان إلى منبع نالاسنك، مع كل مدن تلك الأرض و قلاعها و سهولها و جبالها".

فرد عليه نادر بكلمه نصحه فيها بالاهتمام بشئون مملكته و تقويه جيشه و ضبط حساباته و الضرب على يد المتلاعبين من الوزراء و رجال البلاط.

و قطع له عهدا بان يسارع إلى نجدته كلما وجد حاجه إلى ذلك. ثم أصدر أمرا بالتوقف عن سك النقود و الخطبه باسمه و جعلهما مجددا باسم "محمد شاه".

عوده نادر إلى إيران

و لما فرغ نادر من أعماله فى الهند عزم على العوده إلى إيران. فبعث بجماعه من النجارين و السفانين إلى كابل و بلخ ليصنعوا له سفنا تحمل جنوده على نهر "جيحون" إلى غزو تركستان و خوارزم. و حمل معه جماعه كبيره من البنائين و النحاتين و الصاغه إذ كان ينوى أن يبنى فى إيران مدينه كدهلى، كما حمل معه جماعه من علماء الهند و أكابرها.

و فى الثامن من شهر صفر سنه ١١٥٢ هـ ترك "دهلى"، و كان قد أقام فيها ثمانيه و خمسين يوما، فى قافله هائله فيها ألوف من الدواب، أفيال و خيل و جمال و بغال. و حملت الذخائر فى ثلاثه عشر ألف صندوق. و امتطى نادر حصانا عراقيا و اعتمر بقلنسوه حمراء مرصعه و لف على عنقه شالا كشميريا أبيض، و اجتاز شوارع "دهلى" مزهوا مختالا، ينثر الروبيات بكلتا يديه على رؤوس الناس.

و قاسى فى عودته شدائد صعابا من الحر و العواصف و الأمطار الغزيره و الفيضانات و مقاومه قطاع الطرق، و مات بهذه العوامل كثير من رجاله. و لما وصل إلى نهر يعرف بنهر "شهناپ" هطلت أمطار غزيره، و كان جيشه يعبر النهر على جسر أقيم عليه من السفن. فلما عبر منهم إلى الضفه الأخرى ما يقرب من نصفهم كانت حواميل المطر السائله فى النهر قد طغت طغيانا عظيما فتضعض الجسر، و هو ينوء بتلك الأحمال الثقيله من الرجال و العتاد، و انشق فهوى فى الماء أكثر من ألفى جندى و غرقوا. و فى اليوم الثانى جرف التيار كل سفن الجسر. و اضطر نادر إلى إقامه جسر آخر جمع سفنه من تلك النواحي، و استغرق ذلك أربعين يوما.

و كان يرافقه حاكم "لاهور"، فسلم هناك من كان معه من الأسرى الهنود و أمره بالعوده بهم إلى بلادهم و مساعدتهم و تسليمهم إلى أهلهم، ثم الذهاب إلى "لاهور" مركز عمله.

و جاءه خبر من خراسان، و هو فى طريق عودته، أن والى خوارزم اغتتم فرصه غيبته فى الهند فاخذ يجمع جيشا من الأزابكه و الأتراك لغزو خراسان، فعزم على مهاجمه تركستان.

و لما وصل إلى " حسن آباد أتك " بعث برسولين أحدهما إلى السلطان العثماني و الآخر إلى القيصر الروسي و حملهما إليهما هدايا نفيسه من الجواهر، ليعلماهما بنيا فتحه بلاد الهند.

و تابع نادر سيره قاصدا "كابل". و اعترضه في طريقه، في بعض الجبال و في مضيق خيبر بعض طوائف الأفاغنه الشجعان بمقاومه شديده أريق فيها كثير من الدماء، فتغلب عليهم و قتل منهم كثيرا، ثم صالحهم، و انضم فريق منهم إلى جيشه.

و وصل إلى "كابل" في غره رمضان سنه ١١٥٢هـ، فخرج إلى استقباله كل أعيانها و رؤساء قبائل الأفاغنه و جمهور كبير من سائر رجالها، و أظهروا له كل مظاهر الإجلال و الاحترام. و تجند في جيشه أكثر من أربعين ألف أفغانى من "بيشاور" و "كابل" و "هزاره" و نواحى أخرى و أرسلوا إلى "هرات" ينتظرونه فيها.

إلا أن نادرا اضطر إلى تأديب أحد العصاه الأقوياء، هو حاكم "المينداور" السند. فجهز حمله كلفته خسائر جسيمه فى الأرواح و الأموال بسبب البرد و وعوره الطريق و نهوض المقاومين إلى محاربتة من كل جانب فى طريقه و منع الناس الأقوات عن جيشه. و لكنه استطاع أن يقهرهم حتى وصل إلى مقر العاصى فظفر به. و يرى "مينورسكى" (١) أن حمله نادر شاه هذه تعد من أروع أعمال حياته. و أسر نادر العاصى و قيده و حمله معه إلى أحد المنازل ثم عفا عنه، إذ أنه أحسن السلوك حتى رضى عنه، و أطلق سراحه، بل إنه أعاده حاكما على قسم من ولايته التى كان واليا عليها، و أخذ عليه عهدا بان يبعث إليه بمبلغ معين من المال و عدد من الجند و استبقى عنده اثنين من أبنائه رهيتين.

و من هناك سار قاصدا " نادرآباد " حيث استهل حملته على الهند، فوصلها فى السابع من صفر سنه ١١٥٣هـ، بعد أن غاب عنها فى تلك الحمله مده سنتين.

و فى العاشر من ربيع الأول سنه ١١٥٣هـ دخل إلى "هرات" قادما من " نادرآباد " فمكث فيها سته عشر يوما.

غزو تركستان

ثم سار إلى تركستان لتأديب المتمردين و الأخذ بثارات سابقه. فلما ابتعد عن "هرات" مسافه أمر ببناء قلعه حصينه هناك. فقال له أحد رجاله: إذا كان الشاه يتسلط على كل إيران و الهند و أفغانستان و كرجستان فما حاجته إلى قلعه حصينه؟! فأجابه نادر: ألترم الحيطه أن يخرج على عدو من الداخل لأن العدو الداخلى أشد خطرا من العدو الخارجى.

و لما وصل إلى نهر " جيحون " كانت السفن التى سبق أن أمر ببناؤها جاهزه لنقل الجند. و بدأ ببخارى بمعركه انتهت إلى انتصاره على جيش ملكها فاستسلم إليه على نحو ما استسلم "محمد شاه" فى الهند. فأحسن نادر معاملته و عفا عنه. و لما دخل بخارى خطب باسمه فى المساجد و ضرب النقد باسمه. و منع نادر جنده من التعدى على الناس و نهبهم، و رتب دوريات من الحرس للقيام على تنفيذ هذا الأمر. و هكذا أصبحت قواته تسيطر على إقليم ما وراء النهر كله، من شرقى بخارى و شمالها الشرقى إلى "سمرقند".

ثم بعث بجيش إلى "سمرقند" لاختضاع إحدى الطوائف المتمرده.

و أمر قائد هذا الجيش أن يذهب، بعد إتمام مهمته، إلى مشهد و أن يحمل معه إليها بلاطه قبر "تيمور" و أبواب مدرسه "سمرقند" المصنوعه من الشبهان. و لكن نادرا لما عاد، بعد ذلك، إلى مشهد ندم على نقل هذه الأشياء إليها، و أمر بردها إلى "سمرقند" و إعادتها إلى أمكنتها التي كانت فيها.

و أدخل في جيشه ثلاثين ألفا من الأزابكه و أمر عليهم أحد أقارب ملك بخارى. ثم خلع على الملك خلعه فاخره، و توجه بيده ملكا على بخارى.

غزو خوارزم

و بعث نادر من بخارى بثلاثه رسل إلى والى خوارزم يستدعيه إليه و يطلب منه ترك الخصومه و الانقياد إلى طاعته، إذ كان هذا الوالى معاندا له شديد المراس. فلما أبلغ الرسل إليه رساله نادر غضب و قتلهم.

فلما علم نادر بقتلهم ذهب إلى مشهد. و منها هيا جيشا سار به إلى خوارزم. و كان عليه أن يعبر جسرا على نهر "جيحون" عند "شير حاجى". و كان والى خوارزم قد بادر إلى تهيئه جيش عظيم أرسله سريعا إلى موضع الجسر ليهدموه قبل وصول نادر إليه. و لكن نادرا أبدى يقظه و همه عجيبين فى إدراكه لخطتهم و سبقهم إلى الجسر، فعبه قبل أن يصلوا إليه.

و كانت القوات التى لاقته فى بلاد خوارزم على درجه عظيمه من الشجاعه و الكثره و التهيؤ. و لكنه استطاع أن يهزمها فى جميع المعارك التى خاضها بحسن تدبيره و دفته فى اختيار الأماكن و الحالات التى تصلح للحرب و التى لا تصلح لها. و قتل والى خوارزم، و لكنه، كعادته، منع جنده من التعدى.

و فى مدينه "خيوه" من ذلك الإقليم حرر من الأسر ما لا يقل عن عشره آلاف خراسانى كانوا أسرى فيها و فى غيرها من بلاد خوارزم، و أحسن إليهم و زودهم بالمال و الخيل و الطعام، و بعث بهم إلى خراسان، و بنى لهم هناك مدينه فى شمال "أبيورد" شبيهه بمدينه "دهلى" عرفت فيما بعد باسم "خيوه آباد" و أسر جماعه كبيره من أهالى "خيوه" و بعث بهم معهم ليكونوا أرقاء فى خدمتهم انتقاما لهم من أسر بهم. و حرر أيضا عشره رجال من الروس كانوا أسرى هناك. و منح كل واحد منهم حصانا و خمسين روبلا روسيا ليتمكنوا من العوده إلى بلادهم، و جعلهم فى رعايه روسى عهد إليه بمرافقتهم إلا بلادهم و أهلهم.

و طلب إحضار جميع الأجانب الموجودين هناك فاحضروا، و كان بينهم اثنان من الإنكليز كتبا بعد ذلك تفاصيل هذا اللقاء. و سال هؤلاء الأجانب من أعمالهم فأجابوا بأنهم تجار. فأبدى لهم كثيرا من العطف و البشاشه و قال لهم: لكم الحرية بان تتاجروا أينما شئتم من البلاد التى أحكمها. و إن مسكم أحد بضر و قصر رجالى فى إنصافكم منه فارجعوا إلى مباشره.

العوده إلى خراسان

ثم غادر "خيوه" قاصدا "مرو" فى الرابع من شوال سنه ١١٥٣ هـ.

و فى "مرو" قام بأعمال عنيفه قاسيه. فعزل واليها و أقام آخر فى مكانه، و قتل جماعه من المعاندين، منهم رئيس اسمه "رحيم خان" اشتهر عنه أنه يحرض

١- فلاديمير مينورسكى مؤلف كتاب "تاريخ نادر شاه". أقام عدة سنوات فى إيران. و كان أستاذ الأدب الفارسى فى جامعه لندن.

"رضا قلى ميرزا" ابن نادر شاه على طلب منصب الملك لنفسه.

ثم انطلق إلى "دستجرد" مسقط رأسه، و كان قد بنى فيها عماره فخمه باسم "مولود خانه" تذكارا لولادته فيها، و نصب فى أعلاها سيفا من الذهب. ثم سار إلى "كلات" فأودع فى خزائنها ما حمله من كنوز الهند و جواهرها، و بنى فيها قبرا لنفسه من مرمر أسود حمله إليها من "مراغه" و كان مقدارا كبيرا، و جمل قلعتها بحديقه أنيقه. ثم زار المدينه الجديده "خيوه آباد" و تفقد سكانها من الأسرى السابقين بمقادير كبيره من اللباس و الطعام و النقود.

و من "كلات" ذهب إلى "أبيورد" و منها إلى مشهد فوصلها فى آخر شوال سنه ١١٥٣ هـ. و كان يعد مشهد بمنزله عاصمه لإمبراطوريته و يفضلها على أصفهان. و أهدى مقام الامام الرضا (ع) هدايا عظيمه، منها فرش كثير من الحرير و أربعة عشر قنديلا من الذهب الخالص، و بنى فى صحن المقام حوضا كبيرا من المرمر الأبيض النفيس جلبه من "هرات"، و شرط على من حمله منها أن يكون المرمر جاهزا للبناء فى مده اثنى عشر يوما.

و كان ملوك إيران يفحصون، حيناً بعد حين، حسابات الولايات.

و لكن هذه الحسابات لم تكن تضبط يومئذ فى دفاتر مخصوصه، بل كان الموظفون يجبون الضرائب على هواهم و يحتفظون بقسم منها لأنفسهم و يوصلون الباقي إلى خزانه الدوله. و هكذا كان الأمر فى زمان نادر. فقام بمحاسبه موظفى الجبايه محاسبه دقيقه. فتبين له أنهم تلاعبوا فيها، فغضب و قتل جماعه من المسئولين عن هذا التلاعب.

حرب نادر و العثمانيين

بدأ نادر بمحاربه العثمانيين سنه ١١٤٢ هـ. فبعد أن طرد الأفاغنه من شيراز فى تلك السنه عزم على إخراج العثمانيين أيضا من أرض إيران، إذ أن مفاوضاتهم لم تأت بنتيجه و ظلوا يحتلون بعض المدن الإيرانيه لا يجلبون عنها.

فجند جيشا من خمس و عشرين ألفا، بين فارس و راجل، و مدفعيه، و سار به من شيراز نحو "همدان" فى ١٨ شعبان سنه ١١٤٢ هـ.

فأغار أولا- على "نهاوند" تبيتا فى ٤ رمضان من تلك السنه و أباد حاميتها من العثمانيين و فرقائدهم "عثمان باشا" إلى "همدان". ثم تتبع العثمانيين فهزمهم عند "ملاير"، و كانت عدتهم تسعه و أربعين ألفا، قتل منهم حوالى سبعة آلاف، و فر الباقون إلى "همدان". فاتبعتهم إليها و احتلها بلا مقاومه، إذ كان قائدهم "عثمان باشا" كان قد فر بجنده إلى بغداد، و ترك ذخائره و عتاده الحربى غنيمه للجيش الأيرانى. و تتبعهم نادر إلى "كرمانشاهان" فاحتلها. و عزم أن يسير منها إلى إياله "أذربيجان" لطرده العثمانيين منها.

و فى أثناء ذلك وصل خبر حمله نادر على العثمانيين إلى القسطنطينيه فاعلنت الدوله العثمانيه الحرب على الدوله الأيرانيه رسميا، و كان ذلك فى السابع من المحرم سنه ١١٤٣ هـ.

و سار نادر إلى محل تمرکز العثمانيين فى "ميان دو آب" فى الجنوب الشرقى من بحيره "أروميه". و كانت عدده جيشه قد

أصبحت مائه ألف مقاتل. فرأى العثمانيون أن لا قبل لهم به ففروا إلى "مراغه" من غير أن يطلقوا رصاصه واحده. فقتلهم نادر و احتل "مراغه" و مدنا أخرى فى تلك النواحي، و غنم كثيرا من المعدات و أسر كثيرا من الجند و فر العثمانيون إلى ناحيه قريبه من تبريز، فقتلهم حتى احتل تبريز فى ٢٨ المحرم سنه ١١٤٣ هـ.

و كان جيش عثمانى آخر بامر قائد اسمه "رستم باشا" قادمًا لنجده العثمانيين فى تبريز، و هو لا يعلم بخروجهم منها و احتلال نادر لها. فخرج إليه الجيش الايرانى و أوقع به هزيمة شديده و أسر قائده و جماعه كبيره من ضباطه. ثم بعث نادر بسفير من قبله إلى القسطنطينيه يقترح على السلطان العثمانى عقد معاهده هدنه بين الدولتين.

و عامل نادر أسيره "رستم باشا" و ضباطه الأسرى بالحسنى ثم أطلق سراحهم. و خف مسرعا إلى خراسان.

و أوقعت انتصارات نادر تشويشا فى العاصمه العثمانيه، إذ أخذ البلاطيون و أصحاب النفوذ يتهم بعضهم بعضا بالتقصير و سوء التدبير فى سوق الجيش إلى إيران. و قتل الصدر الأعظم و خلع السلطان أحمد و بويع السلطان محمود، و قامت ثوره فى ألبانيا فشغل ذلك الدوله العثمانيه عن متابعه محاربتها لايران. كما أن نادرا عدل عن متابعه الحرب، بعد أن كان ينوى تعقب العثمانيين إلى "نخجوان" و "إيروان"، و ذلك لأخبار وصلته من مشهد بان حربا أهليه بين الأبداليين قد نشبت فى "هرات"، و أن الموالين له منهم قد أخرجوا منها. و أن الثائرين على وشك الهجوم على مشهد. و لذلك أسرع عائدا إلى خراسان.

خلع الشاه طهماسب

أسرع نادر إلى خراسان ليقمع ثوره الأبداليين على حين كان الشاه طهماسب يلهو فى أصفهان. ثم تمادى فقام بعمل جنونى إذ عزل نادرا عن قياده الجيش و جعل قيادته فى يده. و قرر أن يقتصر عمل نادر على إداره أمور خراسان فقط، و لا حاجه إليه فى استرجاع النواحي الإيرانيه التى استولى عليها العثمانيون و الروس. ثم جهز جيشا من ثمانيه عشر ألفا، و بدأ محاربه العثمانيين فى جمادى الآخره سنه ١١٤٤ هـ ليخرجهم من أرض إيران الشماليه الشرقيه. و خرج من أصفهان قاصدا "همدان". و منها بعث رسولا إلى القسطنطينيه لتهنئه السلطان محمود، السلطان الجديد، بجلوسه على لعرش [العرش]، و بعث بمندوب آخر إلى أحد اللزكيين من أعوان الدوله العثمانيه فى حدودها الجنوبيه، و لكن اللزكى ضرب عنق المندوب الايرانى و بعث برأسه إلى القسطنطينيه، إذ كان عارفا بنوايا طهماسب.

و ذهب طهماسب إلى تبريز فعزل حاكمها الذى عينه نادر و نصب فى مكانه أحد خواصه. ثم قصد بجيشه إلى "نخجوان" و "إيروان" فحاصرهما. و لكنه اضطر إلى التراجع إذ نفدت مئونه. ثم انتهت محاولاته كلها إلى الهزيمة، و استرد العثمانيون النواحي التى كان نادر قد استخلصها منهم و تابعوا تقدمهم فى أرض إيران، و عاد الشاه طهماسب إلى أصفهان منهزما. و قد قتل من جيشه خمسه آلاف جندى، و اضطر إلى عقد معاهده صلح بينه و بين العثمانيين تقضى بان تكون كل الأراضى الواقعه فى شمالى نهر "أرس" إلى "كرمانشاهان" ملكا للعثمانيين. و عقد معاهده أخرى فى مدينه "رشت" بينه و بين روسيا تقضى بان تتخلى إيران عن ولايه "باكو" و داغستان للروس.

و فى هذه الأثناء وصل إلى أصفهان رجل قال إن اسمه "إسماعيل ميرزا" و أن أخو الشاه طهماسب و أن أحد خدم القصر نجاه من القتل يوم قتل

محمود الغلجائي أبناء الشاه حسين حين احتلاله أصفهان. و بعد تحقيقات قام بها البلاط اعترف الشاه طهماسب ياخوته. و لكن حدث بعد مده وجيزه أن تامر جماعه من الوزراء و الفقهاء و نساء الشاه على أن يخلعوا طهماسب و يولوا "إسماعيل ميرزا" هذا منصبه. إلا أن الشاه طهماسب عرف بالمؤامره فقتل "إسماعيل ميرزا" و كل جماعه المؤامره.

و أما نادر، و كان يومئذ في نواحي "هرات" مشغولا بقمع الثورة، فقد غضب حين بلغ إليه نبا هزيمة الشاه طهماسب، و بعث بواسطة السفير العثماني، رساله شديده اللهجه إلى السلطان العثماني جاء فيها "إن معاهده الشاه طهماسب ليست لها قيمه سياسيه. فاما أن يعيد كل الأرض الإيرانيه أو فليتها للحرب".

و بعث برساله إلى "أحمد باشا" والى بغداد العثماني بأنه قادم إلى بغداد في القريب العاجل. و بعث رسولا إلى أصفهان أبلغ عزمه إلى رجال البلاط. و بعث برساله قاسيه إلى وزراء الشاه و أنبهم تأنيا شديدا على الطريقه التي نظروا بها إلى معاهده الصلح. و أذاع بيانا عاما وجهه إلى رؤساء إيران و أشرافها و شعبيها، و كتب فيه أن سيفه قد سخر، بعون الله المتعالى، مدنا و إيالات كثيره. فاحتلت قلعه هرات، و انكسر الأبداليون، و وضع غلجائيو قندهار في أعناقهم نير العبوديه، و سقنا ستين ألف عائله منهم إلى خراسان. و ندد بمعاهده الصلح و اعتبرها مهينه لشرف إيران و كرامتها مجحفه بحقوقها، و أعلن رفضه لها. و قال إن الحرب ستبدأ بعد عيد الفطر و ستنفذ مرحله مرحله. و أعلن في ختام البيان أن كل من تخلف عنه سيحرم من جميع الامتيازات الدينيه و تقع عليه العقوبه الالهيه و ينفى من جماعه المسلمين و بعد [يعد] من الخوارج.

و كان نادر لا يزال في "هرات". فلما انتهى من قمع الثورة و أقر الأمور هناك في يد أعوانه و أنصاره، عاد إلى مشهد في الخامس عشر من شهر رمضان سنه ١١٤٤ هـ. ثم بعث بوفد من قبله إلى أصفهان إلى الشاه طهماسب، كان من جمله مهمته أن يلتبس من الشاه ملاقاته في قم أو طهران. و أمر من معه من رؤساء الأبداليين بتهيئه جيش منهم يكون مستعدا للاغاره في وقتها، و أمرهم أن يطوفوا بهذا الجيش حول مقام الامام الرضا (ع) للتبرك.

ثم سار إلى طهران مع ستين ألف جندي ليلاقي الشاه طهماسب حسب طلبه السابق. و لكن الشاه رفض الخروج من أصفهان، فسار نادر توا إليها. فلما وصلها أدى مراسم التشريفات اللازمه للشاه ثم دعاه إلى مسكنه إلى وليمه يقيمها على شرفه، و هيا لها على أكمل وجه كل ما يقتضيه هذا المقام من آداب و سنن. ثم أخذ يتحدث إلى الضباط الحاضرين عن الشاه طهماسب و سال مستكرا: لما ذا خان الشاه وطنه بتوقيعه على معاهدتى بغداد و رشت، معاهدتى العار و الذل؟! و قال أيضا: في هذه المعاهده لم يأتوا على ذكر أحد من الضباط الايرانيين الذين وقعوا أسرى في يد العدو! و من العار أن تتخلى عن إخواننا هؤلاء و نتركهم في يد العدو! فاثار هذا الخطاب غضب الضباط و حميتهم و توجهوا كلهم باللوم و التفرغ إلى الشاه.

ثم حضر الشاه طهماسب و أذن للأعيان و رجال البلاط بالحضور، و أمر باعداد الشراب و إحضار المطربين و تهيئه أسباب الأونس. فقام نادر بإنفاذ الأوامر ملتزما كل الالتزام آداب الضيافه ممثلا بمنتهى التهذيب لكل ما يأمر به الشاه. و ظل الشاه ثلاثه أيام متواصله يلهو و يلعب و يعب الخمر مع رجال البلاط و أمثالهم من الفاسدين. و عرف الجميع، من رؤساء الجيوش و ضباطها أن الشاه طهماسب ظل يشرب الخمر حتى فقد عقله و حينئذ عقد نادر مجلسا من رؤساء الجيش و "قزلباش" بحثوا فيه حاله الشاه و اتفقوا كلهم على أنه عاجز عن الاستمرار في الحكم. و شهدت أيضا جماعه كبيره من أهل أصفهان بأنه غير أهل للملك، و اتفقوا كلهم على وجوب خلعه و إجلاس ابنه "عباس ميرزا" على عرش المملكه الإيرانيه، و كان ابنه هذا لا يزال طفلا رضيعا في

الشهر الثامن من عمره. و أبلغوا قرارهم هذا إلى الشاه فاستعفى من منصبه. فأمر نادر بإرساله و جميع حرمه و خدمه إلى مشهد تحت مراقبه شديده، يرافقه خمسه آلاف جندي.

و فى اليوم السابع من ربيع الأول سنة ١١٤٥ هـ توج الشاه عباس الثالث الصفوى فى قاعه من أحد القصور الملكيه على هذا النحو: وضع مهد الأمير الطفل الرضيع فى القاعه، و وضع نادر على رأسه شاره الملك و إلى جانبه سيف الشاه، ثم أدت له التشرىفات المتبعه. و أقيمت فى المدينه احتفالات الفرح و الابتهاج سبعة أيام بلياليها و خلعت الخلع الفاخره على الأمراء و الأعيان.

و كان من الطبيعى أن ينصب نائب عن صاحب العرش الجديد إلى أن يبلغ سن الرشد. و لم يكن أحد أليق من نادر بهذا المنصب. و بهذا استغنى نادر عن لقب "طهماسب قلى" الذى منحه إياه الشاه طهماسب سنة ١١٣٩ هـ، و اتخذ لنفسه لقب "وكيل الدوله و نائب السلطنه". و أبلغ نبا الانقلاب الجديد إلى الدوله العثمانيه و الدوله الروسيه. و جعل إقامة الشاه الجديد فى "دار السلطنه قزوین".

استئناف محاربه العثمانيين

ثم سار نادر إلى قمع ثوره محليه فقضى عليها. و توجه بعدها إلى استئناف محاربه العثمانيين. فسار إلى "كرمانشاه"^(١) و حاصرها فى التاسع من شهر جمادى الآخره سنة ١١٤٥ هـ، فقاومه العثمانيون قليلا ثم اضطروا إلى الجلاء عنها فاحتلها. و منها سار إلى "خانقين" و حدود العثمانيين فى العراق.

و سلك طريقا لم يكن العثمانيون يتوقعون أن يسلكها فلم يلتفتوا إلى تحصينها.

و انحرف عن الطريق المألوفه التى أقام فيها العثمانيون تحصينات قويه، و هاجمهم فى مواقع أخرى غيرها، فانتصر عليهم و قتل منهم كثيرين و أسر كثيرين، منهم أحد الباشوات كان حاكما على إقليم هناك. و بعث بقوه إلى "كر كوك" فحاصرتها.

و تابع سيره إلى بغداد فحاصرها فى الثانى من شهر رمضان سنة ١١٤٥ هـ، و وجه قوه احتلت سامراء و الحله و كربلاء و النجف و مدنا أخرى من العراق.

و وافق حلول عيد النوروز اليوم الثالث من شهر رمضان من تلك السنه، و بغداد فى الحصار. فأقام نادر احتفالا فى معسكره و خلع على رؤساء العسكر خلعا كثيره. و أراد السخرية من "أحمد باشا" والى بغداد العثماني، فبعث إليه ببضع قرب مملوءه بعصير البطيخ، فرد عليه "أحمد باشا" بان أرسل إليه أرغفه من أحسن خبز بغداد. و كان يفصل عن جيشه فى كل

ص: ٢٠٢

١- كرمانشاه، و كرمانشاهان: اسم واحد.

أسبوع أو أسبوعين حوالى عشره آلاف جندى، و يعيدهم فى الخفاء ليلا إلى الورا من حيث جاءوا، فيبتعدون بضعه كيلومترات و يمكنون هناك حتى الصباح، إذ يعودون إلى المعسكر فى جلبيه و ضوضاء رافعين رايات كثيره.

يفعل ليوهم العدو أنها نجدات و إمدادات جديده وصلت لمساعدته الجيش الايرانى.

و لم يحل آخر المحرم من سنه ١١٤٦ هـ حتى أصبح المحصورون عاجزين عن تحمل الحصار، فبعث "أحمد باشا" رئيس ديوانه و محافظ بغداد سفيرين من قبله إلى نادر لمفاوضته فى موضوع تسليم المدينه.

و لكن حدث فى هذه الأثناء أن جاءت نجده عظيمه من العثمانيين عدتها مائه ألف جندى يقودها "توبال عثمان باشا"، و هو من أعظم العسكرين العثمانيين، لمساعدته المحصورين فى بغداد. و كانت هذه النجده، و هى فى طريقها إلى بغداد، قد رفعت الحصار عن "كر كوك" و أرجعت عنها الجيش الايرانى المحاصر الذى كان نادر قد سيره لحصارها، و هو فى طريقه إلى بغداد. و من ثم رجع "أحمد باشا" عن تسليم المدينه و ثبت للحصار.

و لما قرب "توبال عثمان باشا" من بغداد بعث إليه نادر برسالة قال فيها إنه حاضر لمحاربهه أينما شاء. و لكن القائد العثمانى اعتقل الرسول و لم يجب على الرساله. و سار نادر بجيشه، ليله السادس من صفر سنه ١١٤٦ هـ، بعد أن أبقى قوه تديم الحصار، من خط المحاصره نحو الشمال حتى التقى بالجيش العثمانى على بعد ١٨٠ كيلو مترا من بغداد على شاطئ دجله، حيث دارت معركة رهيبه، انتهت بانتصار العثمانيين. و جرح فيها نادر و خسر شيئا كثيرا من العتاد و الرجال. و قدر عدد القتلى من الايرانيين بثلاثين ألفا و الأسرى أكثر من ثلاثه آلاف، و من العثمانيين بأكثر من عشرين ألف قتيل.

و دخلت القوه المنجده بغداد و غيرها من المدن التى احتلها الايرانيون.

و وصلت أنباء هزيمه نادر إلى إيران فجرأت خصومه و أنصار الشاه طهاسب على الخروج عليه.

إعاده الكره على العثمانيين

أما نادر فتلقى هذه الهزيمه بثبات و اتران. و كان يقول إن انكسار إيران كان مقدرًا من الله، و لا راد لقدره. و انصرف مره ثانيه إلى جمع قواته و تجديد جيشه، فبعث، و هو فى طريق العوده إلى إيران، بامر إلى حكام الايالات الايرانيه كلها أن يقوموا بتجميع الأسلحه و المهمات الحربيه، و أن تتمركز كل القوى و التجهيزات فى مدينه "همدان". و عزل بعض حكام الولايات.

و فى الثامن و العشرين من صفر سنه ١١٤٦ هـ ذهب إلى همدان ليشرف بنفسه على تفاصيل التجهيزات العسكريه. و أنعم على الجنود الذين شاركوا فى محاربه العثمانيين بمبلغ كبير من المال. و انتهى من مهمته هذه على أحسن وجه فى مده شهرين. و فى الثانى و العشرين من شهر ربيع الثانى سنه ١١٤٦ هـ تحرك نادر بجيشه الجديد من "همدان" قاصدا إلى "كرمانشاه".

و قد تغلب الايرانيون على العثمانيين فى أول معركة جرت فى نواحي "كر كوك". و قتل فى هذه المعركه "توبال عثمان باشا" قائد الحمله. و قطعوا رأسه و رفعوه على رمح و بعثوا به إلى نادر علامه على النصر. فلما رآه نادر غضب غضبا شديدا من إقدام جنده على قطع رأس هذا العسكرى الشجاع و القائد المجرب. ثم وضع الرأس مع بدنه فى تابوت بين مظاهر الاحترام و التجليل،

و بعث به في رعايه "عبد الكريم أفندي" قاضي العسكر العثماني - و كان أسيرا عنده - إلى بغداد حيث دفن عند قبر أبي حنيفة.

ثم أمر أحد قواده، و كان يعسكر قريبا من سامراء، باحتلال الحلة و النجف و كربلاء. و سار هو بثلاثين ألف جندي إلى بغداد. و احتل، و هو في طريقه إليها، السليمانية و كركوك و الموصل و كردستان العثمانية. و وصل إلى بغداد في الثامن من جمادى الآخرة سنة ١١٤٦ هـ. ثم انصرف عنها لطرده العثمانيين من قلاع احتلوها في الشمال، و احتل في طريقه "أربيل"، ثم عاد إلى محاصره بغداد.

و بعد بضعة أيام من وصوله إليها بعث إليه الوالي العثماني "أحمد باشا" في الخفاء مندوبا أراه و ثائق رسميه تخول الوالي عقد معاهده صلح بينهما بما يراه الوالي. و عرض عليه أن يعيد العثمانيون إلى إيران كل الأراضي التي استولوا عليها في مقابل انصراف الإيرانيين عن محاربتهم. و تم الاتفاق بينهما على ذلك و وقعا على معاهده به في شتاء سنة ١١٤٦ هـ. و سلم العثمانيون إلى نادر الإيرانيين الذين كانوا في أسرهم، و قدموا إليه هدايا لائقه. و طلب الوالي مهلة مده شهرين للحصول على موافقه دولته على المعاهده.

ثم زار نادر العتبات المقدسه في الكاظمين و كربلاء و النجف و انصرف عائدا إلى إيران.

و لكن تبين لنادر فيما بعد أن العثمانيين لا يريدون الصلح و أنهم ينوون الاحتفاظ بما استولوا عليه من أرض إيران و نقض المعاهده المعقوده بينه و بين والي بغداد. فتابع محاربتهم و محاربه أعوانهم في أذربيجان و كرجستان و القفقاس، و نواحى أخرى، و استولى على مدن و أقاليم هامه مثل "شماخي" عاصمه إقليم "شيران" الواقع في ساحل بحر قزوين الغربى و "إيروان" و "قارص" و "نفليس" و إقليم "داغستان" و غيرها. و في مطلع سنة ١١٤٨ هـ تمكن من عقد معاهده بينه و بين روسيا تعهدت روسيا فيها بالجلء عن "بادكوبا" و "دربند". و جلت عنهما بالفعل، و انتهى بذلك احتلال الروس لشمال إيران بعد أن دام ثلاث عشره سنه. و في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١١٤٨ هـ كان نادر قد استخلص إقليم القفقاس من أيدي العثمانيين و الروس و سيطر عليه كله. و أحمده ثورات في إيران و أفغانستان و الخليج و احتل جزائر البحرين.

و في التاسع من جمادى الآخرة سنة ١١٤٩ هـ عاد إلى أصفهان، فاستقبل بالزينات و مظاهر الفرح و الإجلال. ثم أخذ يتهيأ لغزو "قندهار" حتى فتحها سنة ١١٥١ هـ كما مر سابقا.

غزو داغستان

و في هذه السنه، سنه فتح "قندهار"، كان أخوه "إبراهيم خان" في إقليم داغستان يغزو متمردين من "اللزكيين" فقتل في هذا الغزو. و قطع نادر على نفسه عهدا بان ينتقم له من "اللزكيين". فأعد جيشا لذلك و خرج به من مشهد في ١٦ ذى الحجه سنة ١١٥٣ هـ، و معه ابنه الأكبر "رضا قلي ميرزا"، قاصدا وادى "جرجان" الواقع في نواحى "مازندران". و في هذا الوادى قاسى مشقات كبيره في عبور نهر "جرجان"، إذ طغى النهر بسيل عظيم، فغرق فيه جماعه كبيره من جنده و مئات من البغال التي تحمل الزاد و الذخائر. و ذهب الماء ببعض خيم الحرس الذين يحرسون خيمه نادر نفسها. فخشى أصحابه أن يصل الماء إلى خيمته، و لكنه رفض أن ينقلها إلى

مكان أرفع. و ظل هادئا متكئا على مسنده فيها ينظر إلى السيل حوله غير مكترث له.

و فى هذه الأثناء وصله تقرير من قائد جيش كان قد سيره إلى داغستان أن "اللكيين" تهيئوا للحرب فى السفوح الجنوبيه و الشماليه من جبال القفقاس. و نشبت معركة شديده انتهت بانهزام "اللكيين" و احتل الايرانيون أماكنهم. فبعث بخلع ثمنيه إلى ضباط الجيش و مكافات ماليه للجنود الأفاغنه، و كانوا يحاربون مع الايرانيين، ثم وصله تقرير آخر أن القوات الإيرانيه حملت على "اللكيين" مره ثانيه فى مكان آخر و انتصرت عليهم.

محاولة اغتيال نادر

و لما انخفض سيل الماء تابع نادر سيره إلى طهران. فلما وصل إلى غابه تعرف بغابه "سواد كوه" على مقربه من قلعه اسمها "أولاد" أطلقت عليه رصاصه من وراء شجره على بعد عشرين قدما منه فأصابته بجرح بسيط فى يده و أصابت حصانه فقتلته. و لم يمكن العثور على مطلق الرصاصه. و كان ذلك فى ٢٨ صفر سنه ١١٥٤ هـ. و لما وصل إلى طهران أبقي فيها ابنه "رضا قلى ميرزا" - و كان قد أصبح يسيء الظن به - ثم تابع سيره إلى قزوین.

و كان منذ مده يشكو اعتلالا فى صحته. و قد صحب معه من الهند طبيبا اسمه "علوى خان". و فى قزوین أذن لهذا الطبيب، بناء على وعد سابق منه، بان يتركه و يذهب إلى مكه لأداء فريضه الحج. و أصبح اعتلال صحته يزداد يوما بعد يوم، و يؤثر فى حالاته الروحيه و العصبيه.

متابعه الحمله على داغستان

و من قزوین تابع مسيره إلى إقليم داغستان. و فى أول جمادى الأولى سنه ١١٥٤ هـ كان قد أصبح فى قلب هذا الإقليم. و فى الخامس من شعبان من تلك السنه دخل "دربند" على شاطئ بحر الخزر الغربى.

و لكن حملته هذه منيت بنكبات كثيره من برد و سيول و وعوره طرق و نفاذ مئونه و أصيبت بهزائم عسكريه شديده.

و كان قد أقام معسكره فى نواحي "دربند" فسماه "إيران خراب" (١) لكثرة ما لقي من البلاء. ثم وقع فى عسكره الطاعون. و كاد هو نفسه يقتل و كانت نجاته المعجزه. بل وصل بعض المتمردين إلى خيمته نفسها و خطفوا بعض نسائه و سرقوا بعض الأثاث. و بلغ غضبه من هذه الحادثه إلى أن قتل جماعه من حرسه من ضباط و جنود. و بذل ممثل الدوله الروسيه فى إيران جهدا كبيرا ليثنيه عن متابعه الحمله لأنها ستفضى بايران إلى عواقب وخيمه فلم يصغ إليه.

رجوع نادر من داغستان

ثم بعث بقوه من جيشه لفتح مدينه "آوار" و هى مفتاح الدخول إلى داغستان، فأوقع "اللكيون" بحملته هزيمه شديده و كبدوها خسائر جسيمه. فغضب نادر إلى حد أنه قتل جماعه من ضباط تلك القوه، ثم قاد حمله ثانيه بنفسه، و لكن "اللكيين" اضطروه إلى التراجع أيضا. و رأى أن جميع الظروف غير مؤاتيه، فانصرف عن متابعه الغزو. و قد حصل فى هذه الغزوه على بعض الانتصارات، و احتفظ ببعض القلاع، و لكنها انتصارات جزئيه لا تساوى الخسائر التى تكبدها. و حطت نتائج هذه الغزوه

و كان نادر قد بعث فى السابق برسالة إلى السلطان محمود العثماني يطلب فيها الاعتراف بالمذهب الشيعى الجعفرى و السماح لأتباعه باقامه الجماعة إلى أحد أركان الكعبة أسوه بغيرهم من أهل المذاهب. فجاءه، و هو فى معسكره ذاك، سفير من قبل السلطان العثماني و أبلغ إليه أن السلطان يرفض هذا الطلب. و بلغه أيضا أن الدولة العثمانية بعثت بحشود عسكريه عظيمه إلى حدود إيران. فلم يجد بدا من الانصراف إلى محاربه العثمانيين. فغادر داغستان فى الخامس عشر من ذى الحجه سنه ١١٥٥ هـ متوجها نحو الجنوب.

استئناف محاربه العثمانيين

فلما استقر فى إيران جهز جيشا من ٣٧٥ ألف جندى. و فى سنه ١١٥٦ هـ بعث بقسم منه إلى العراق لاحتلال سامراء و الحله و النجف و مدن أخرى من أمهات المدن فى بلاد ما بين النهرين فاحتلها بلا مقاومه، و بعث قسم آخر إلى البصره فحاصرها. و سار هو بجيش إلى إقليم "شهر زور" (کردستان) فاحتله بلا مقاومه. ثم احتل مدينه "كر كوك"، و لم يتابع زحفه منها، إذ كان قد بعث إلى السلطان العثماني، بواسطه "أحمد باشا" والى بغداد، برسالة يقترح فيها عليه إيقاع الصلح بين الدولتين، و كان يأمل أن يوافق السلطان على هذا الاقتراح، فلا يضطر إلى متابعه الزحف. و لكن خاب أمله. فقد تلقى، و هو فى "كر كوك" جواب رسالته من السلطان بالرفض، و جاء فى هذا الجواب أن شيخ الإسلام العثماني أفتى بان قتل الايرانيين و أسرهم مباح لأن مذهبهم مخالف لدين الإسلام. و فى هذا الوقت بعث السلطان العثماني بامر إلى والى الموصل بان يستमित فى الدفاع عنها.

فلم يجد نادر بدا من الزحف، فسار إلى الموصل، و احتل جميع البلدان الواقعة على طريقه إليها بلا مقاومه تذكر. و كان فى جملة ما احتله محله "كارمليس"، و هى المكان الذى تغلب فيه الإسكندر الكبير على "داریوش" سنه ٣٣١ قبل الميلاد. و اعترضه "اليزيديون" عبده الشيطان بمقاومه شديده انتهت بانهزامهم. فلما وصل إلى الموصل ضرب عليها الحصار. و نشبت معركة هائله ثبت فيها الطرفان ثباتا شديدا. و ذلك فى الثامن من شعبان سنه ١١٥٦ هـ.

معاوده الصلح

و فيما المعركة دائره وصل إلى معسكر نادر مبعوث من قبل السلطان لعثماني [العثماني] يحمل منه رساله إليه يقول فيها: لا مفاوضه حتى تترك القوات لا-إيرانيه [الإيرانيه] أرض العثمانيين. فقبل نادر بذلك، و توقف فى الثانى من رمضان سنه ١١٥٦ هـ عن التقدم، و فك الحصار عن الموصل و تراجع بجيشه إلى "كر كوك" و "قره تبه". ثم انحدر إلى الجنوب لزياره العتبات المقدسه فى العراق و تهيئه المقدمات لعقد مؤتمر دينى سننى شيعى فى النجف للتوفيق بين الطائفتين. و هناك اجتمع بوالى بغداد و قال إنه مستعد لمفاوضه والى الموصل و إيقاف الحرب منتظرا مقترحاتهم للصلح. و بدأ بين إيران و الدوله العثمانية

١- كلمه "خراب" فى هذا الاسم وضعها فى مقابل كلمه "آباد" التى يجعلونها جزءا من أسماء كثير من البلدان، و معناها "معموره" مثل "نادرآباد" أى "معموره نادر". و إذ كان قد لقى كثيرا من النكبات فى هذه الغزوه سمى هذا المعسكر "إيران"

خراب "لا" ایران آباد".

عهد جديد من المجاملات. و تبع ذلك فك الحصار عن البصره.

عوده إلى الحرب

إلا أن نادرا أيقن بان السلطان العثماني لا ينوى الموافقه على معاهده الصلح، فاستأنف محاربه العثمانيين، و حاصر "قارص" فى سنه ١١٥٧ هـ. و فيما هو يحاصرها عاد العثمانيون فطلبوا الصلح. فانصرف عنها استجابة لهم، و ذهب للاقامه فى نواحي "إيروان"، فوصلها فى الثانى عشر من جمادى الآخره سنه ١١٥٨ هـ. و فى هذا السفر شعر باعراض مرض شخصه الطبيب بأنه مبادئ استسقاء. و اشتد به المرض حتى عجز فى بعض المنازل عن ركوب الخيل فحملوه على المحمل المعروف بالتخت روان.

و لكن العثمانيين عادوا فاصروا على الحرب، فعاد نادر إلى مهاجمه "قارص"، و نشبت معركة شديده عندها، انتهت بانهزام العثمانيين، فترجعوا إلى المدينه يتحصنون فى داخلها. و فيما هو يدير هذه المعركه تلقى خبرا من ابنه "نصر الله ميرزا" بأنه انتصر على العثمانيين انتصارا باهرا فى نواحي الموصل. فازدادت عزيمته شده. و بلغه أن وقع فى "قارص" شغب فى عسكر العثمانيين على قائده، و أنه قد قتل أو مات غما. و فى ذلك الوقت أمر نادر باقامه احتفال فخم لعقد قران ابنه الثالث "إمام قلى ميرزا" و قران "إبراهيم خان" ابن أخيه القليل "إبراهيم خان ظهير الدوله". ثم احتل المدينه.

و قتل فى معركة "قارص" هذه من العثمانيين اثنا عشر ألفا و أسر سته عشر ألفا. و كان بين القتلى ثلاثه باشوات و جماعه من كبار الضباط. و عامل نادر الأسرى بالحسنى و أوكل العناية بالجرحى إلى أحد رؤساء الجيش العثماني. و بعث بالأسرى إلى طهران و تبريز.

ثم بعث برساله و ديه إلى السلطان محمود العثماني جاء فيها: "يصرف النظر عن الاقتراح الذى سبق بشأن المذهب، إذ أوجد بين الشعبين المسلمين ضعيفه و سفك دماء. و من الآن فصاعدا تبقى صداقه الشعبين المتجاورين صداقه رساخه". ثم ذهب إلى أصفهان العاصمه فى السابع و العشرين من شهر رجب سنه ١١٥٨ هـ.

و فى أثناء حروبه هذه استطاع قواده و حكامه أن يقضوا على عدّه ثورات عنيفه نشبت فى نواحي بلاد الكرج و الأكراد و القفقاس و شيروان و غيرها.

و استقامت الأمور فيها. و انضم كثير من جنود الثوار إلى جيشه. و كذلك قامت ثورات عنيفه فى إيران نفسها ففضى عليها قواده العسكريون.

عوامل سلبيه

و كان الباعث على هذه الثورات أحيانا تدمر الناس من قسوه طرأت على أخلاق نادر بسبب مرضه و المشقات التى تحملها، فكلف الناس ما لا يطيقون من الضرائب و تعسف جباته فى تحصيلها. و استغل خصومه و حساده من الرؤساء نقمه الناس فخرجوا عليه و نصرهم كثير من الأهالى.

و كان من جمله الخارجين عليه ابن أخيه "على قلى خان" و قد رباه نادر فى حجره و أحسن إليه بعد مقتل أبيه "إبراهيم خان"

فى داغستان. أرسله إلى "سيستان" ليقمع ثوره قامت فيها فانضم إلى الثوار. و كان نادر قد صادر أموال أبيه إبراهيم و فرض عليه ضريبه مائه ألف تومان، فنقم عليه لذلك.

و انتشر نبا خروج "على قلى خان" على عمه بسرعه فى كل أنحاء إيران و آزره خلق كثير خرج بهم إلى "هرات" فوصلها فى أواسط ربيع الثانى سنه ١١٦٠ و انضم إليه كثير من أهل تلك النواحي. و أصبح بعد ذلك يعمل على استخلاص تاج إيران لنفسه.

تتويج نادر

فى الثامن من شهر رمضان سنه ١١٤٨ هـ بعث نادر برسائل إلى حكام بلاده و أعيانها و علمائها يقول فيها إن مساعيه لاسترداد الأراضي و المدن المغتصبه كانت تمنعه حتى الآن من إقرار حكومه منظمه فى المملكه. و أخبرهم أنه سيحضر قريبا إلى "تبريز" أو "قزوین" و يدعو الحكام و رؤساء قوات الأمن و عمد المدن و سائر المسئولين عن أمور الحكم، إلى الاجتماع هناك لوضع النظام لحكومه تبسط قوانينها على جميع أنحاء البلاد. و هذا ما يعرف اليوم باسم "الجمعيه التأسيسيه". و أعلمهم فى تلك الرسائل أنه، بعد إتمام هذا العمل، سيترك الحكم و يعتزل فى ركن من خراسان.

كان قد خلع الشاه طهماسب عن العرش، بعد إقدامه على محاربه العثمانيين بدون علم من نادر، و انهزامه فى تلك الحرب و اضطره إلى مصالحتهم بمعاهده جائره سنه ١١٤٤ كما مر، و نصب مكانه ابنه "عباس ميرزا"، و هو طفل رضيع، و أصبح نادر بعد ذلك فى منصب "نائب السلطنه و وكيل الدوله" فله الاماره على إيران كلها. ثم أغار على الأراضي التى استولى عليها العثمانيون فى غرب إيران فأخرجهم منها، و أضاف إلى أرض إيران قسما من كردستان و العراق العربى. و فى أوائل سنه ١١٤٧ هـ أغار على القفقاس، فما حل شهر رمضان من سنه ١١٤٨ هـ حتى كان قد استخلص أراضي ذلك الإقليم كلها من تسلط الروس و العثمانيين و تسلط الأمراء المحليين، و أخضع المتمردین فى مختلف نواحي بلاده، و بذلك استرد كل الأرض الإيرانيه المغتصبه، و بلغ غايه القدره و السيطره فى الحكم. فرأى أن الوقت وقت إحراز منصب الملك.

فدعا إلى اجتماع شامل يعقد فى "دشت مغان"، سهل فى جنوب أذربيجان يقع بين نهر "كر" و نهر "أرس". و أمر بتهيئه مكان واسع للاجتماع و تجهيزه باثنى عشر ألف منزل بعضها خيام و بعضها حجر من القصب و الخشب، و بناء حمامات و مساجد و سوق و غيرها من اللوازم، و منزل فخم له و لحاشيته، و جناح خاص لنسائه، و تهيئه ألبسه فاخره له و لحاشيته و جنده.

و فى ٢٩ رمضان سنه ١١٤٨ هـ الموافق ٢٥ كانون الثانى سنه ١٧٣٦ م وصل نادر إلى مكان الاجتماع فى "دشت مغان"، و قد بدا المكان فى منتهى الأبهه و الزينه و الاتساع. و بدأت التشریفات و استقبال المدعويين من حكام و أمراء جيش و أعيان و علماء و سفراء و روحانيين و وفود من ممالك و دول مختلفه. و كان بين الحضور السفير العثماني و السفير الروسى و الكاثوليكوس [الكاثوليكوس] الأرمنى "أبراهام الكرتى"، و كان نادر قد تعرف عليه فى نواحي "فارص" فى إحدى حروبه و العثمانيين. و قد كتب هذا الكاثوليكوس كتابا فى تاريخ نادر شاه و وصف اجتماع "دشت مغان" هذا وصفا مفصلا دقيقا. و قد قدر عدد الحضور بمائه ألف.

و فى الثانى من شوال سنه ١١٤٨ هـ أمر نادر ممثلى الولايات بالاجتماع و التشاور فيما بينهم لاختيار من يروونه الأنسب لمقام

السلطنة. و قال إنه، و قد أعانه الله فحرر أرض إيران من تسلط الأعداء و استطاع أن يبعد الأجنب إلى

ص: ٢٠٥

خارج حدودها، تجعله الشيخوخه و متاعب الحرب المتتابعه بحاجه إلى الراحة، فهو يرغب فى أن يذهب إلى خراسان و يقيم فى قلعه "كلايت"، و يقضى بقيه عمره فى دعاء الواحد الأحد لنفسه و لهم. فليختاروا "طهماسب ميرزا" (الشاه المخلوع) لمقام الملك. فان لم يريدوه فليختاروا من شاءوا من الأسره الصفويه.

و بعد المشاوره أجمعوا على الجواب بأنهم لا يرون أليق منه بهذا المنصب. و لكنه امتنع عن القبول و امتنعوا هم عن التراجع عن ترشيحه.

و دام الأخذ و الرد بينه و بينهم بضعه أيام، إذ أذعن لطلبهم و قبل بان يملك.

و لكنه اشترط عليهم شروطا أهمها و عمدتها الامتناع عن كل ما يؤذى شعور أهل السنه، و أنذر من يخالف هذا الأمر بالعقوبه الشديده. و نبههم إلى وجوب اعتبار أهل الدوله العثمانيه إخوانا لهم يجمع بين الأمتين جامع الإسلام و يحقن كل منهما دم الأخرى، و أن لا حروب بينهما بعد اليوم و لا سفك دماء و لا عداوه، و ليس إلا الموده و الإخاء، فإلهمم واحد و نبههم واحد و قرآنهم واحد.

فرد عليه ممثلو الايالات بالإيجاب و القبول لجميع شروطه. ثم حرر محضر بهذا الاجتماع وقع عليه المجتمعون كلهم. و تاريخ المحضر هو "٤ شوال المكرم سنه ١١٤٨ هـ". ثم ألبس نادر التاج، و أقيمت معالم الفرح و الاحتفال فى غايه الزينه و الأبهر.

و بعد التتويج بعث نادر بالشاه عباس الصفوى الذى كان قد توج، و هو طفل رضيع بعد خلع أبيه، إلى خراسان عند أبيه طهماسب.

المؤتمر السنى الشيعى

لما عرض السلطان محمود العثمانى على نادر شاه سنه ١١٥٦ هـ، بواسطه "أحمد باشا" والى بغداد، الصلح بشرط رجوعه عن أرض العثمانيين، و قبل نادر بذلك، انصرف عن محاصره البصره، و توقف عن التقدم فى أرض العثمانيين فى الثانى من رمضان سنه ١١٥٦ هـ، و تراجع بجيشه إلى "قره تبه" بالقرب من "كر كوك". ثم ترك جيشه معسكرا فيها، و ذهب إلى العراق لزياره العتبات المقدسه. فلما وصل إلى بغداد استقبله السفير العثمانى و والى العثمانى "أحمد باشا" و سائر رجال الدوله العثمانيه الذين فى بغداد.

ثم زار مقام الامام موسى الكاظم و الامام محمد التقى ع فى "الكاظميه" من ضواحي بغداد. و زار مقام الامام أبى حنيفه فى بغداد، عبر إليه دجله هو و مرافقوه على سفن أعدها لهم والى العثمانى و زينها زينه أنيقه مترفه. و فى أول شوال سنه ١١٥٦ هـ زار العتبات المقدسه فى كربلاء.

و تبرعت زوجته "رضيه بيغوم" بنت الشاه حسين الصفوى بمبلغ كبير لتعمير العتبات و ترميمها.

و بعد مده قصيره ذهب إلى النجف، و فى ركابه علماء من إيران و الأفغان و بلخ و بخارى، و سائر البلاد الإيرانيه. و هناك أمر بتغشيه مقام الامام على بن أبى طالب ع بالذهب.

و كانت له غاية أخرى من هذه الزيارة هي القيام بعمل حاسم لتحقيق اتحاد أهل السنة و الشيعة. و هي أمنيه قديمه في نفسه سعى إليها أكثر من مره، و نبه إليها بالتفصيل في خطابه يوم تتويجه في "دشت مغان" سنة ١١٤٨ هـ. و كان يجعلها دائما عمده شروطه لمصالحة العثمانيين. و من أجل ذلك طلب عقد مجلس في النجف يشترك فيه أهل السنة و الشيعة يتالف ممن معه من العلماء و علماء الديار المقدسه من بلاد ما بين النهرين، للنظر في المسائل التي هي موضع الاختلاف و إيجاد حل لها(١).

فاجعه ولي العهد

كان في نفس نادر شاه شيء من ابنه الأكبر ولي عهده "رضا قلي ميرزا"، لسوابق تلكا في بعضها عن إنفاذ أمر أبيه و عانده في بعضها.

و في شهر رجب سنة ١١٥١ هـ اختاره لمنصب نيابه السلطنه و منصب قياده الجيش الايراني.

و في تلك السنه سار نادر إلى غزو الهند و بقى ولي عهده في إيران نائبا عنه. و قبل مسيره أوصاه بأشياء و بين له حدود سلوكه و تصرفاته. و كان مما أوصاه به المحافظه على الشاه طهماسب، و كان في الإقامة الجبريه في مدينه "سبزوار" مع ابنه الشاه عباس الطفل و ابن آخر أصغر منه اسمه إسماعيل، و أن يختار حراسهم من المؤتمنين.

و لكن "رضا قلي ميرزا" سار في غيبه أبيه سيره على خلاف ما أوصاه به. فاستبد استبدادا أوقع الرعب في قلوب الناس. و اتخذ لنفسه من مظاهر الأبّه و الترف شيئا كثيرا. و عزل بعض خواص أبيه عن مناصبهم بتحريض ممن كانوا يتملقونه من خصومهم و خصوم أبيه فينخدع بهم.

و في سنة ١١٥٢ هـ انتشرت شائعه قويه في إيران أن نادرا لقي حتفه في الهند، و أن وباء قاتلا وقع في عسكره. فحسن أحد ندماء ولي العهد، و اسمه "محمد حسين خان القاجاري" له أن يحتاط لنفسه فيقتل الشاه طهماسب و ولديه، خوفا من أن يغتنم أنصار الصفويين فرصه موت نادر فيثوروا عليه ليعيدوا الملك إليهم. فقبل كلام هذا القاجاري و بعث به هو نفسه إلى "سبزوار" فقتلهم ثلاثتهم على نحو فظيع. و كان عمر الشاه عباس يومئذ ثمانى سنوات و أخوه إسماعيل أصغر منه. و كان "رضا قلي ميرزا" متزوجا من "فاطمه سلطان بيغوم" أخت الشاه طهماسب. فلما بلغها نبا مقتل أخيها و ابنه انتحرت. و الظاهر أنهم قتلوا سنة ١١٥٣ هـ.

و لما عاد نادر من الهند و رأى ما اتخذته ابنه من مظاهر البذخ و السلطان على خلاف ما أوصاه به و علم بمقتل الشاه طهماسب و ولديه غضب و ازداد شكه في نوايا ولي عهده و أحزنه مقتل الشاه و الطفلين، فعزله من ولايه العهد و جعلها لابنه "نصر الله ميرزا".

و بعد مضى سنه من إطلاق الرصاصه على نادر في غابه "سواد كوه" سنة ١١٥٤ هـ، و هو في طريقه إلى داغستان، عرف الجاني و قبض عليه و اعترف بذنبه. فلما سئل عن المحرض له على ذلك نفى أن يكون قد حرضه أحد، و أصر على أنه أقدم على محاوله القتل من تلقاء نفسه. فوعده نادر بالعفو عنه إن هو أقر باسم المحرض. عندئذ ذكر اسم "رضا قلي ميرزا".

و لكن الرأى الغالب عند المؤرخين، و منهم الأيب "لويس بازن" و الدكتور "ليرش" و هما من أوسع المؤرخين اطلاعا على تاريخ إيران، أن "رضا قلى ميرزا" برىء من هذه التهمه، و أن الجانى إنما ذكره لينجى نفسه من القتل

ص: ٢٠٦

١- ذكرت التفاصيل فى ترجمه على أكبر ملباشى فى المجلد الثامن من (أعيان الشيعة) فلا نعيدها هنا.

بناء على وعد نادر له. وقد وفى نادر بوعده فلم يقتله وإنما اكتفى باعمائه.

و فى تلك السنه، سنه ١١٥٤ هـ، كان نادر عرضه لازمه نفسيه، بسبب انكساراته فى داغستان و اشتداد مرضه بعد أن تركه طبيبه الهندى، و كان ينتفع به و يعتمد عليه، و توالى المشقات عليه فى حروبه المتصله، و طول مقاساته شدائد الحر و القر و غير ذلك من العوامل الطبيعه القاسيه، و الحوادث المؤلمه التى وقعت فى إيران فى أثناء غيابه فى الهند و الشيخوخه، كل ذلك جعل مزاجه عكرا عصبيا. فحكم بلا- رويه باعماء عينى ابنه "رضا قلى ميرزا". فاستدعاه من طهران إلى معسكره الذى أقامه فى داغستان على شاطئ بحر قزوين و سماه "إيران خراب" قريبا من مرفأ "در بند".

و الظاهر أن إنفاذ ذلك الحكم المشثوم قد وقع فى ذلك المعسكر. و أعميت عيننا الأمير التاسع بحضور أبيه و جماعه من رجاله فى خريف سنه ١١٥٤ هـ الموافق سنه ١٧٤٢ م.

و لكن نادرا عاد فندم ندما شديدا بعد إنفاذ الحكم. فما كان منه إلا أن بادر إلى قتل جماعه من رجاله كانوا حاضرين إجراء الحكم، لأن أحدا منهم لم يلتمس منه العفو عن ابنه و ينبهه إلى عاقبه هذا العمل. و بلغ منه الغم مبلغا شديدا، فاعتزل فى خيمته ثلاثه أيام لا يغادرها.

و كانت عاقبه الأمير الأعمى أن قتله و إخوته و أبناءه ابن عمهم "على قلى خان" سنه ١١٦٠ هـ، بعد مقتل نادر.

مقتل نادر

كان نادر، فى الأساس، جنديا، و أكثر مهارته تجلى فى القيادة العسكريه. و لكنه كان أيضا سياسيا كفا و إداريا حازما مدبرا لا يترك كبيره و لا صغيره من شئون ملكه إلا راقبها. لا يسمح لنفسه بإهمال شىء مهما قل شأنه. لا يمل من كثره العمل و لا يجبن عن اقتحام الصعاب، بل يجد متعه فى معالجه المشاكل و الاجتهاد فى حلها، حتى أصبح موضع الحمد و الثناء من أمته، قادرا على تملك قلوبهم و تصريفهم كيفما شاء. و لكن أكثر اهتمامه كان منصرفا إلى التطلع نحو الفتوحات العسكريه فقل اهتمامه بشئون الاداره.

و مع ذلك كان قد قام بمآثره عظيمه هى إحدى مآثره الكثيره، إذ استطاع أن ييسط النظام و الاستقرار على كل نواحي ملكه، و ضبط أمور الاداره بكل دقه، و عاقب المخالفين و المتلاعبين بلا هواده، و حصن الحدود الشماليه الشرقيه فى وجه حملات الغزو المتتابعه، حملات التركمان و الأنزابكه و قبائل "أفشار" و الأكراد و سائر القبائل المتمرده، و ما زال يضعفها شيئا فشيئا حتى استأصل شافتها.

و من مفاخره ما أقدم عليه من خطط ثوريه جديده. من ذلك سعيه قصارى جهده إلى رفع الاختلاف من بين أهل السنه و الشيعه. و منها نبذه طريقه الصفويين التى كانت متبعه فى تربيته أمراء البيت المالك، و هى أن يظلوا قعيدي القصر يتقبلون فى حياه الرفاه و الراحة إلى يوم تسلمهم زمام الحكم.

و مع أن مهاراته العسكريه قد أوصلت إيران إلى ذروه العظمه و حررتها من حكم الأجانب فان قلوب رعاياه لم تلبث أن أخذت

تبتعد عنه شيئاً فشيئاً لاستقلاله برأيه و فرض الضرائب الثقيله، خصوصاً في أواخر عمره. و زاد في نفور الناس منه إباده ابنه للأسره الصفويه على ذلك النحو الفطيع.

ظل نادر في صحه جيده و مزاج سليم إلى سن الخمسين. ففي هذه السن اعتل جسمه و أثرت العله في روحته تأثيراً سيئاً. و قبل حملته على الهند أصيب بمرض في معدته جعله متشائماً. و لم يفده طب الايرانيين فاستدعى أطباء أجنب. و عاينه في الهند طبيب حاذق اسمه "علوى خان" فانتفع به و صحبه معه إلى إيران و أصبح طبيبه الخاص يرافقه أينما ذهب. ثم فارقه سنه ١١٥٤ هـ و سافر إلى مكه لأداء فريضه الحج، فزاداد حاله نادر الصحيه سوءاً. فما حلت سنه ١١٥٦ هـ حتى كان قد تغير تغيراً عظيماً، و ظهرت عليه أعراض عصبية شديده. و كان حكمه على ابنه بذلك الحكم المشؤوم ثم ندمه حيث لا ينفع الندم قد جعله في حاله مزاجيه شديده الخطر. فأصبح دائم الغضب، و صدرت منه تصرفات مستغربه، منها أنه، بعد أن كان قد أمر بإعفاء الايرانيين من الضرائب إلى ثلاث سنوات، لم يلبث أن ألغى هذا الأمر.

يقول "هانوى":

"كان رسله إلى تحصيل الضرائب كرسل العذاب و اللعنه في نظر الناس. و إلى هذا كان لا ينفك يضيف إلى الملايين التي كثرها في "كلايت" مبالغ أخرى من النقد و المجوهرات. و يقينا لو أن فتح خزائنه التي في "كلايت" و بذل من ملايين النقود التي حصل عليها من الهند لجعل من عسكره سنداً له. و لم توجد دواع للتذمر. و واصلت إيران فائزه سعيدة عهدده المجيد الذي حققه إلى آخر سلسلته الطويله".

قلما اهتم نادر في أواخر عمره برفاه رعاياه، و لا فكر في توسعه المصادر الماديه لإمبراطوريته. و انصرف إلى جمع المال و العتاد لتجهيز قواته العسكريه العظيمه. و لما استوى على عرش السلطنه كانت إيران تقاسى عجزاً و فقراً شديدين بعد المعارك الطويله التي خاضتها في محاربه الأفاغنه و العثمانيين.

و كان نادر يستطيع، و قد عاد من الهند يحمل الملايين من النقد، أن يعفى الايرانيين من دفع الضرائب إلى مده سنين طويله. و لكنه، بدلاً من ذلك، أخذ ينفق أمواله الضخمه تبذيراً، و ازداد قسوه في فرض الضرائب. و أخذ التجار و الفلاحون يتذمرون من هذه الضرائب الباهظه و تكليفهم سد حاجات القوات العسكريه. و كان أمراً عجيباً أن لا يدرك رجل على مثل هذا الذكاء الحاد أنه باقدامه على مثل هذه الأمور إنما يسعى إلى الخيبه. و كل الدلائل تدل على أن تضعف قواه الفكرية الذي عراه في السنوات الأخيره من ملكه كان السبب في هذا الخبط.

و في سنه ١١٥٧ هـ كان يسير إلى غزو "إيروان" في أذربيجان فأصيب و هو في الطريق إليها بمرض شديد أعجزه عن متابعه السير، حتى أنهم اضطروا إلى حمله في بعض الطريق على محمل "التختران". و عالجه الطبيب حتى تحسنت حاله.

ثم اتصل به الأب "لويس بازن" (١)، و كان طبيباً، فلأزمه إلى آخر أيام حياته، و انتفع به. و لكنه بدا في آخر سنه من عمره منكسر النفس مغموماً. و تمادت به هذه الحال حتى كان في الشهرين الأخيرين من عمره قد خرج عن حالته المعتاده كلياً.

١- الأّب " لويس بازن " فرنسى كان مبشرا، و كان طبيبا أدخله نادر فى خدمته و انتفع بطفه حتى أصبح أول أطبائه. و قد بعث هذا الأّب إلى رئيسه فى فرنسا بتقارير تضمنت معلومات ثمينه عن حياه نادر شاه

كتب كاتب نادر "الميرزا مهدي خان" في كتاب له في تاريخ نادر شاه ما معناه:

"ظل نادر مثال الشهامه في السلطان و السيطره و العداله و الرفق بالعاجزين إلى يوم عاد فاتحا من خوارزم ثم توجه إلى داغستان فلم يكن توفيقه في حروبه في ذلك الإقليم كاملا. و استولت عليه الوسوس و الأوهام فأعمى عيني كبير أبنائه ولى عهده رضا قلى ميرزا ثم ندم. و من شدة الغصه تغيرت أحواله و أصبح ذا مزاج غاضب. و زاد في تغيير أحواله أنه، إذ كان ينوى أن ينصرف من داغستان و دربند إلى احتلال القسطنطينيه، قامت في إيران فتن و ثورات في نواحي مختلفه، قتل فيها فريق من خير رجاله.

فازدادت انفعالاته العصبيه حده و أدى ذلك إلى نفور الناس منه و ابتعادهم عنه. و بلغت به هذه الحال إلى أن أصبحت أفعاله و حر كاته غير طبيعیه.

و أخذ يوقع بموظفى الضرائب عقوبات قاسيه. و زاد في نقمه الناس عليه قسوه التدابير التى كان يتخذها لمنع الثورات، و الظلم الذى كان يرتكبه الجباه.

" و فى أوائل الشتاء من سنه ۱۱۵۹ هـ جاء نادر إلى أصفهان فأقام فيها بضعه أسابيع. و ألمت به وعكه، و هو يقاسى تلك المتاعب الروحيه و البدنيه من مشقات العمل الطويل و الحروب المتواليه و ما لقيه من نكران للجميل و من أكاذيب حاشيته، و خروج ابن أخيه "على قلى ميرزا" عليه، و قد رباه بعد مقتل أبيه فى حجره و رعايته. و كان قد بعث به إلى سيستان لآخاماد ثوره قامت هناك، فإذا به هو نفسه يثور عليه. فجعل كل ذلك نادرا حاد المزاج سيئ الخلق. و فرض على الأجانب المقيمين فى إيران ضرائب ثقيه.

" و فى سنه ۱۱۶۰ هـ غادر أصفهان إلى يزد و كرمان. و فى طريقه كان يقمع المتمردين بشده. ثم تابع سيره إلى مشهد. فاجتاز صحراء لوت القاحله، و مات كثير من جنده فيها جوعا و عطشا.

" فلما وصل إلى طبس، و هى أول مدن خراسان فى الجنوب، دعا إليه أبناءه و أحفاده، و كان قد أحضرهم إليها قبل ذلك. فاستعرضهم و دقق النظر فيهم. ثم عرض عليهم أن يكون التاج و العرش للأرشد منهم.

و كانوا كلهم يخشون أن يكون أبوهم قد نصب لهم فخا ليقع بهم. فامتنعوا كلهم عن القبول محتجين بصغر السن و قله التجربه
".اه.

و قال الأب " لويس بازن "الفرنسى طيب نادر فى إحدى رسائله التى بعث بها إلى رئيسه، فى كلامه عن قدوم نادر إلى مشهد فى تلك الرحله:

" لما وصل نادر إلى مشهد عمت خشيته كل الناس، من محليين و أجانب و حكام و ضباط و جنود. و بدئت المؤامرات السريه عليه من كل جانب. حتى أقاربه كانوا ينظلمون. و أخذ هو يشك فى حاشيته. و صعب عليه إلى حد بعيد انصراف كثير من الجند عنه. و دعا بعض حكام المدن إلى الحضور عنده، و عاقبهم عقابا شديدا و فرض عليهم أن يجمعوا له مبالغ ثقيه من المال.

" ثم سافر إلى كلات ففقد العمارات التى كان قد أمر ببنائها، و منها خزانات الأموال، فأودع فيها مما غنمه من النقود و الجواهر

و المفروشات الثمينه و ما أشبه ذلك شيئاً لا يقدر ثمنه. و قد استعمل فى إنشاء هذه العمارات حجاره كبيره جلبت من مراغه و بلغ وزن بعضها من سته عشر طناً إلى عشرين طناً". اه. ثم جهز جيشاً ليقمع ثوره قام بها الأكراد فى بلده "قوشان". و كأنما كان يشعر بالخطر الذى يهدده و أسرته، فبعث، قبل أن يغادر مشهد، بأولاده إلى "كلات" ليكونوا فى مأمن إن حدث شىء. و سار حتى وصل إلى "فتح آباد" على بعد اثنى عشر كيلو متراً من "قوشان" فعسكر فيها.

و ذكر الأب "لويس بازن" طيب نادر، و كان فى صحبته فى "فتح آباد" يومئذ:

" كأنما كان نادر عالماً بالمصير المشئوم الذى كان مقدرًا عليه فى هذا المكان. فقد ربط فى حرمه حصاناً مسرجاً مهياً دائماً للركوب. و عزم أكثر من مره على الفرار إلى كلات. و لكن حراسه حالوا بينه و بين الفرار، و نبهوه إلى ما للفرار من عواقب مشئومه، و عاهدوه على أن يبذلوا دماءهم حتى آخر قطره من أجل المحافظه على حياته. و ما زالوا به يطمئنونه حتى عدل عن الفرار". اه.

و كان فى مقدمه المحرضين عليه قريبه "محمد قلى خان أفشار" قائد حرسه الخاص و "صالح خان قرقلو أفشار" مدير شئون البلاط. و كان حرس معسكره يتألف من أربعة آلاف أفغانى يوالونه كلهم و يبطنون العداوه للايرانيين. فاحضر عنده رؤساء الأفاغنه و اختلى بهم، و قال لهم: أنا غير راض عن حرسى الخاص. أما أنتم فان شجاعتكم و صداقتكم أمر مسلم به عندى. و إنى أمركم بان تقبضوا غداً على ضباط حرسى كلهم و تقيدهم، فمن قاومكم منهم اقتلوه بلا تردد. و أوصاهم بالتيقظ فى المحافظه على حياته، إذ هو لا يعتمد على أحد غيرهم. فأجابوه بالسمع و الطاعه.

و انصرفوا متهيئين لانفاذ أمره.

و بدا نادر فى ذلك اليوم فى منتهى القلق و الاضطراب على خلاف المعهود منه، و كان لا ينفك يتردد بين حرمه و مجلسه لا يستقر به مكان. و لا يجرؤ أحد من جلسائه على سؤاله عن السبب. إلا أن أحد خواصه المقربين من أصحاب الداله عليه تجرأ فسأله عن سبب قلقه و اضطرابه. فاخلى به نادر و قال له:

" لقد رأيت حلماً أقصه عليه فلا تبح به لأحد:

" فى أول أمرى، قبل أن يهبني الله هذه الدوله، أرسلنى بابا على بيك كوسه أحمد لو حاكم أيبورد إلى أصفهان فى مهمه. فسرت إليها و معى بضعه نفر. فلما وصلنا إلى هذا المنزل، فتح آباد، نصبنا خيمه صغيره فى هذا المكان الذى ينتصب فيه الآن هذا الفسباط الملوكى. فلما نمنا رأيت فى ما يرى النائم أن شخصاً ينادينى أن أحضر إليه. فلما حضرت إليه قال لى: هيا معى فان الحضره تطلبك. فسرت معى حتى بدا لى فى الصحراء مكان مرتفع، يجلس فى أعلاه اثنا عشر رجلاً من الأجلاء، قد أزهرت الصحراء بنور وجوههم. فقدمنى ذلك الشخص و قال: هو حاضر. فقال أحد أولئك الأجلاء، و كان أكثرهم جلالاً، لآخر منهم: أحضر ذلك السيف. فامتثل لأمره و أحضر السيف إليه. فطلب منى أن أتقدم فامتثلت. فنطقنى بالسيف و قال: إنا أعطيناك رئاسه إيران، فاسلك بعباد الله مسلك الرويه. ثم أذن لى بالانصراف. فلما أفقت كتمت الرؤيا لم أقصصها على أحد. و ما زلت أتقدم و أعمالى تتم وفق المراد حتى بلغت إلى هذه الدوله الموهوبه من الله.

" و في الليله البارحه رأيت في نومي ذلك الشخص نفسه الذي أخذني

ص: ٢٠٨

إلى مجلس أولئك الاثنى عشر العظام. أقبل إلى و جرنى جرا عنيفا بمنتهى الشده إلى مجلسهم ذاك، و أوقفنى مواجها لهم. فلما وقع نظر ذلك العظيم الذى نطقنى بالسيف على عبس، و قال: جرد هذا الذى لا كفاءه له من السيف لأنه ليس أهلا له. و عبثا حاولت الاحتفاظ بالسيف، و انتزع منى جيرا، ثم طردونى. فانا لا أستطيع استقرارا و لا طمانينه منذ استيقظت من النوم. فلو أنى ذهبت إلى قلعه كلات و قضيت فيها يومين أو ثلاثه، و لم يحدث شىء، لزال عنى الكدر و عاودنى السرور".

فنصحته صاحبه بان لا يخاف من هذا المنام، و طمانه إلى أن لا مجال للمقارنه بينه و بين أعدائه. فهم مقهورون لا استقرار لهم. و قال: إن قلعه كلات قريبه، و لا بأس عليك من أى طريق سلكتها إليها. فقال له نادر:

ما أعرفه أنا لا تعرفه أنت و لا غيرك.

ثم دخل إلى حرمه لينام فى خيمه إحدى زوجاته، اسمها "جوكى" (شوقى) و هى قاجاريه. و قال لها: إن النعاس غلب على. و لكنى لا أستحسن النوم. فإذا رأيتنى استغرقت فى النوم فايقظينى. ثم أغفى.

و كان رؤساء الأفاغنه على أهبه الاستعداد ينتظرون يوم الغد. و لكن حديث نادر إليهم علم به جاسوس عليه، فنقله إلى عدويه "محمد قلى خان أفشار" قائد الحرس الملكى و "صالح خان" قرقلو أفشار" مدير شئون البلاط. فتعاهدا على أن يقضيا على عدوهم المشترك ليلا، و أن لا يتخلى أحدهما عن الآخر، و كتبا بذلك عهدا خطيا. ثم عرضا الأمر على بعض من يثقون بهم من أصدقائهم فوافقوهم و وقعوا على وثيقه العهد، و فيهم واحد قاجارى و اثنان أفشاريان. ثم عرضوا الوثيقه على ستين رجلا من رفاقهم من رجال البلاط فوقعوا عليها و تهيئوا جميعا لقتل نادر.

و فى تلك الليله، ليله الأحد ١١ جمادى الآخره سنه ١١٦٠ هـ دخلوا بعد منتصف الليل إلى مخيم حرمه. و كان أول الداخلين "صالح خان أفشار" و "محمد خان قاجار". و وجد صالح حارسا هناك فبادر إليه فأطبق بيده على فمه و أمسك به و قال له: إن أنت دللت على الخيمه التى ينام فيها نادر نجوت و إلا خنقتك. فأشار الحارس بعينه إلى خيمه "جوكى".

عندئذ خنقوا الحارس و تقدموا إلى الخيمه. و لكنهم لم يجرءوا، أول الأمر، على دخولها رهبه و تهيبا. ثم تجرأ "محمد خان قاجار" و "صالح خان" و بضعه رجال آخرين على التقدم، فشقوا الخباء بخنجر و دخلوه. و كانت "جوكى" زوجه نادر مستيقظه. فلما رأت سوادهم أمسكت برجل الشاه و هزته، فهب واقفا. و لما وقع نظره على "صالح خان" شتمه و جرد سيفه و هجم عليهم فقتل اثنين منهم. و لكن قدمه عثرت بطنب الخيمه فوقع على الأرض. و قبل أن يتمكن من النهوض عاجله "صالح خان" بضربه سيف وقعت على كتفه فقطعت يده. و وقف صالح مدهوشا لا يجرؤ على الاجهاز عليه. فتقدم "محمد خان قاجار" إليه و احتز رأسه.

و أمر صالح حملة البنادق من رجاله أن لا يسمحوا لأحد من حرس المعسكر بترك مكان حراسته و لا يجيزوا لأحد الدخول إلى الحرم و لا الخروج منه. فان خالفهم أحد قتلوه، ليبقى الحادث مكتوما إلى الصباح.

و أغار الجناه على حرمه فنهبوا كل ما وقعت عليه أيديهم من الجواهر.

و أسرعوا من الحرم إلى خيام وزرائه، و كانوا ثلاثه، فقتلوا اثنين منهم.

و مع كل الاحتياطات التى اتخذها المتأمرون فان الخبر ذاع فى تلك الليله نفسها، و لكن لم يصدق. و فى الصباح، إذ صح الخبر، أخذ الناس و جنود "قزلباش" و غيرهم ينهبون المعسكر و ينصرفون إلى بلادهم. فما حان وقت الظهر من ذلك اليوم حتى كان المعسكر و ما فيه من أثاث أثرا بعد عين.

أما حرس المعسكر من الأفاغنه فإنهم لما سمعوا بالخبر انطلقوا إلى الخيمه التى قتل فيها نادر فوجدوا سته آلاف جندى من "قزلباش" يسدون عليهم الطريق، ثم انضم إلى "قزلباش" أربعة آلاف جندى آخرين.

و لكن الأفاغنه استطاعوا أن يجدوا لهم طريقا إلى داخل الخيمه. فلما رأوا جثته نادر أخذهم الأسف و الياس، ثم خرجوا فتلقاهم جنود "قزلباش" بالحرب، و دارت معركة سال فيها كثير من الدماء، استطاع الأفاغنه بعدها الخلاص فانطلقوا نحو "قندهار".

و هكذا كانت عاقبه رجل من أعظم الرجال فى تاريخ إيران. يقول "السير جان مالكم":

"لم يبلغ أحد من سلاطين آسيا إلى عظمه هذه الفتوحات. و النصر الذى أحرزه فى الهند جدد عزه إيران و رفعتها القديمين، و أعلى صوت أبنائها. و زاد فتحه بخارى فى قوه الملك و الأمه و أبعده صيتهما. و ما أبداه من كرم فى وهبه التاج لشاه بخارى و سلطان الهند يدل على أنه كان يعتقد أن عماد اقتداره إنما هو فى صيت السيف و حسن التدبير، لا فى سعه الملك و بسط السلطان".

وقائع و عبر

و كان "على قلى خان أفشار" ابن أخى نادر يقيم فى "سيستان" مع المتمردين على عمه. و قد سبق أن طلب التاج لنفسه. فلما بلغ إليه خبر مقتل نادر أعلن نفسه ملكا على إيران و سار إلى مشهد. و انضم إليه عسكر "قزلباش" و الأفشاريون. فلما وصل إلى مشهد جلس على عرش السلطنه فى ٢٧ جمادى الآخره سنه ١١٦٠هـ، أى بعد مضى ١٦ يوما على مقتل نادر.

ثم بعث بحمله من البختياريين إلى "كلات" حيث يقيم أبناء نادر شاه. فحاصروها ثم احتلوها. و قبضوا على أولاد نادر و أحفاده. فأمر "على قلى خان" بقتلهم. فقتلوا كلهم، و فيهم خمسة أطفال أعمارهم بين الرابعه و الثانيه عشره، و فيهم "رضا قلى ميرزا" ابن نادر شاه الأعمى مع ثمانية عشر شخصا من أبنائه و أحفاده، ما بين طفل و شاب. و لم يبق على أحد منهم سوى "شاه رخ ميرزا" ابن "رضا قلى ميرزا"، و كان فى الرابعه عشره، وضعه سرا فى السجن و أشاع أنه قتل. و قد استحياه ليتدبر عاقبه أمره على هذا النحو: إن استتب له الملك و رضى به الناس قتله. و إن رفضه الناس و لم يستو أمره أخرج شاه رخ من السجن و أجلسه على العرش و نصب نفسه وصيا عليه و نائبا عنه، لظنه أن الناس لن يرفضوا ملكا من سلاله نادر.

و سائر الشاه الجديد "محمد قلى خان أفشار" رئيس حرس نادر الخاص و رأس المؤامره عليه، و تلتطف به مده، ثم اعتقله و سلمه إلى نساء حرم نادر فقطعنه قطعاه قطعاه! و لكن "على قلى خان أفشار"، و قد أصبح يدعى "على شاه" لم يلبث أن خرج عليه أخ له اسمه "إبراهيم خان" و طالب بالتاج لنفسه، و أعلن الحرب على أخيه، فهزمه و قبض عليه رجال "إبراهيم خان

"فاعموا عينيه و قيدوه و سلموه إلى أخيه.

ثم اتفق أهالي مشهد و رؤساء العسكر في خراسان على مبايعه حفيد

ص: ٢٠٩

نادر "شاه رخ ميرزا" المسجون فأخرجوه من السجن و نصبوه شاهها على إيران. و قد استطاع هذا الشاه الجديد أن يقبض على "إبراهيم خان" فأعمى عينيه ثم قتله. و سلم "على شاه" و [الأعمى إلى حريم نادر فقطعنه قطعه قطعه! ثم ثار جماعه على "شاه رخ شاه" فخلعوه و أعموا عينيه و سجنوه، و نصبوا في مكانه على العرش سبطا للشاه سليمان الصفوى. و لم يدم ملك هذا سوى أربعين يوما، إذ عادوا فخلعوه و قتلوه، و أعادوا "شاه رخ" الضرير إلى العرش! ثم حدثت انقلابات و فجائع أخرى لا مجال لذكرها هنا.

قبر نادر شاه

دفن نادر شاه في مشهد. و كان قد بنى في حياته لنفسه قبرا فيها و قبرا في "كلات". و الظاهر أنه إنما فعل ذلك احتياطا لاحتمال أن لا استطاع دفنه في إحداهما فيدفن في الأخرى.

و قد هدم قبره ابن أخيه "على قلى خان" بعد إعلان نفسه شاهها على إيران، و سمي نفسه "على شاه". ثم أعيد بناؤه في ملك "شاه رخ شاه" حفيد نادر. فلما ملك القاجاريون هدموه و هدموا أيضا العمارات الفخمة التي بناها نادر في "كلات" و منها ذلك المسجد الأنيق. و هي اليوم أطلال باليه، و ظل قبره منهدما إلى هذا العصر، إذ بنوا له قبرا و رفعوا تمثالا.

نقش خاتمه

و كان نقش خاتمه:

" لا فتى إلا على و لا سيف إلا ذو الفقار "

" نادر العصر أنا و بلطف الحق عبد الثمانية و الأربعة أنا " (1)

بعض خصائصه و تطلعاته

من أبرز الأمور في سيره نادر شاه حرصه الدائم على تهيئه الأسباب لتوحيد السنيين و الشيعة في مجتمع إسلامي واحد، و تجاوز الحدود القومية و المذهبية و القبليه التي تفرق بين المسلمين، إلى أمبراطوريه إسلاميه موحده تتأخر فيها قومياتهم و قبائلهم و مذاهبهم الدينيه.

و خطابه الذى تلى على الجمهور بعد حفل تتويجه، و رسائله إلى السلطان العثماني، و معاملته الأسرى العثمانيين بالحسنى ثم إطلاق سراحهم، و حسن معاملته للأفغانه السنيين، بعد غزوه لهم و غلبته عليهم في "هرات" و "قندهار" و "كابل" و غيرها، مع كل ما أوقعوه باليرانيين من نكبات و ظلم و قتل و تخريب، و حرصه على أن يكون جيشه مزيجا من أهل السنه و الشيعة، و نقله طوائف من الأفشاريين و البختياريين و الأذربيجانيين و الأفغانه و العراقيين إلى خراسان ليحصل تمازج و اختلاط بين أبناء تلك الطوائف، و دأبه على تنبيه الشيعة، بمنتهى الشده، إلى وجوب الامتناع عن كل ما يؤذى شعور أهل السنه، و تهديده المخالفين بالعقاب الشديد، كل ذلك كان توجيها إلى ذلك السبيل.

و المؤتمر السنى الشيعى الذى عقده فى النجف و المحضر الذى حرر بوقائع هذا المؤتمر و وقع عليه ممثلو أهل السنه و ممثلو الشيعة كان يرجو أن يكون الخطوه الحاسمه إلى هذه الغايه.

و من ثم كان فى محاربه العثمانيين يجعل عمدته شروطه عليهم للصلح رفع الاختلاف من بين أهل السنه و الشيعة. و لو استجاب له العثمانيون لوقوا العالم الإسلامى من كثير من الفواجع و الكوارث و رفعوا المسلمين إلى مكانه عزيزه.

و كانت حروب نادر شاه كلها من أجل استرداد أرض بلادته المغتصبه، و حمايه بلاده من دسائس الأجانب الطامعين فيها، و إخضاع الانفصاليين و العصاه. و لكنه كان دائما يفضل أن يحقق ذلك بالصلح و التفاهم، فلا يتوسل إليه بالحرب إلا مضطرا. و ما من مره اقترح فيها العدو عليه الصلح إلا و قبل بلا تردد و لو كان ذلك العدو قد سلف منه نقض لعهود الصلح.

و كان هادئا ثابتا فى مقابله المخاطر. و من مظاهر ذلك أنه لما أطلقت عليه الرصاصه فى غابه "سواد كوه" فجرحته فى يده جرحا بسيطا و قتلت حصانه، تظاهر بالموت ليحمل مطلق الرصاصه على الاكتفاء بها، إذ يكون همه المبادره إلى الفرار، فلا يثنى بغيرها. و لو رآه سالما لثنى.

و من ذلك أنه لما كان فى طريقه إلى غزو داغستان أقام معسكره مره على مقربه من نهر "جرجان". و اتفق أن طفى النهر بسيل عظيم و جرفت حواميل الماء كثيرا من الجند و الدواب و المعدات، بل جرف السيل خيام حرسه من حوله، و أصبحت خيمته نفسها معرضه للسيل، و لكنه رفض أن ينقلها إلى مكان أعلى، و ظل جالسا على متكته ينظر إلى السيل هادئا مطمئنا.

أما نظرتة إلى مهمه السلطان الحاكم فتتضح من هذه الكلمه التى تضمنها أحد مراسيمه. قال:

"ظاهر للعالمين أن وجود أمثالنا، نحن العباد الترابيين الذين وصلوا إلى مقام الرئاسة فى ظل الخالق، إنما هو من أجل إعانه الضعفاء و المرءوسين و مواساتهم، عملا بفحوى "كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته".

شهادات

كتب "نابليون بونابرت" فى رسالته إلى "فتح على شاه" الفاجارى:

كان نادر شاه محاربا عظيما استطاع أن يحصل على قدر كبير من القوه، يخشاه طلاب الفتنة و يدهش منه مريدو السوء من جيرانه. تغلب على أعداء وطنه، و تملك عزيزا.

و قال السائح الفرنسى الفيلسوف "الشوفاليه جان شاردان" فى كتابه له فى رحلاته:

قل نظير نادر فى كفاءته و خبرته. و هو، إلى ذلك، رجل حسن السليفه [السليقه] متقن لعمله. يكافئ العاملين الجادين، شديد فى تنبيهه للمتراخين المقصرين. قد أثبت فى كل مقام قام فيه كفاءه و إتقانا للعمل كما يجب أن تكون الكفاءه و الإتقان. و لما أصبح مقربا إلى بلاط الشاه دله على ما يجب عمله لتمييز المتملقين المجرمين عن غيرهم، و الطريق التى يجب اتباعها لمجازاتهم و إبعادهم عن البلاط.

وقال المؤرخ الانكليزي "جيمس فريزر" معاصرنا [معاصر] نادر شاه في كتابه "تاريخ نادر شاه أفشار":

ص: ٢١٠

١- لم يقل "الاثنى عشر" لأن الأصل الفارسي منظوم شعرا. و مراعاة الوزن و القافيه قضت بان يقول "الثمانيه و الأربعة".

لما كان نادر في الهند فاتحا أمر جنوده بان لا يأسروا هنديا، عسكريا كان أو غير عسكري، رجلا كان أو امراه، إلا أن يكون أحدهم قد اشترى رقيقا أو تزوج بامرأه بعقد شرعى. فمن اشترى رقيقا فعليه أن يحصل على سند من البائع يشهد بأنه قد باع رقيقه مختارا. و مع هذا لا يجوز لأحد من الايرانيين أن يحمل معه إلى إيران الرقيق و لا الزوجه الشرعيه إلا برضاهما.

و من خالف هذا الأمر فماله و دمه مباحان. و كان بعض رؤساء عسكريه قد تزوجوا بنساء هنديات. فلما تحركت ركابه من دهلى علم أن هؤلاء النساء يرغبن عن مرافقه أزواجهن إلى إيران، فأمر فوراً بردهن إلى أهلهن.

و قال فيه أيضا في كلام له عن وقائع نادر:

عجيب أن يحدث مثل هذه الوقائع الغريبه من رجلا لا مال له و لا نفرا! و قال:

كان نادر متسامحا عظيم التسامح، منطلق اليد و القلب. و فى شبابه بلغ به الاعدام و الفقر بحيث كان يضطر إلى الاقتراض. فلما شوهد ياوى إلى مثنواه الخاص قبل منتصف الليل. و لا يمكث فيه أكثر من خمس ساعات.

و قبل طلوع الشمس يكون قد انكب على العمل. طعامه بسيط قليل. و قد تشغله كثره عمله اليومي عن الطعام بالمره، و يكتفى بقليل من الحمص المحمص - و كان يحمله فى جيبه دائما - و قليل من الماء. و لا يستغرق طعامه من الوقت أكثر من نصف ساعه، ينصر بعده توا إلى العمل.

و قال المؤرخ الانكليزى "إدوار براون لكهارت" فى كتابه "تاريخ نادر":

كان نادر فى التكتيك الحربى أعلى بمراتب من نابليون و الإسكندر و تيمور و فردريك. و جنوده صفوه أكثر تجربه و أشجع من جنود نابليون. و من أعظم أعماله و أظهرها أنه أوجد فى مجال حكمه أمنا و استقرارا لا سابقه لهما.

و ذاد عن حدود إيران الشرقيه الغزاه المتوحشين و قطاع الطرق، حتى عادت خراسان مره أخرى موضع اهتمام أهل التجاره و طلاب السلام.

و قال:

كان نادر واحدا من أعظم نوابغ العالم العسكريين بما هو جندى لا نظير له و قائد عسكري عظيم. و إذ كان من أسره مغموره، و هو إلى ذلك، لم يتلق تعليما و لا توجيها تربويا من أحد، فلا شك بان نبوغه العسكري و روحه الحربيه هبه إلهيه.

و قال:

نبوغ نادر فى معركة "مهمان دوست" يبعث على الاعجاب، لا من جهه القياده و الاصابه فقط، بل من جهه دقه المراقبه فى نظم للعسكر و تحقيق انضباطهم بما لا- نظير له أيضا. و يمكن القول بحق إن حنكه قوات نادر، و لا سيما انضباطهم، كان لها آثار كالمعجزه. و ما نفخه هذا النابغه العظيم فى نفوس الجند من روح الشجاعه و الاقدام جعل الايرانيين، و قد كانوا إلى ذلك اليوم

يحسون فى قلوبهم برعب عظيم من قساوه قلوب الأفاغنه و إقدامهم، فى غايه الشجاعه و الثبات، بل أثبتوا أنهم محاربون أكفاء يخشى جانبهم. و مع ما كان عليه نادر من ثقه عجيبه بنفسه بما هو قائد عظيم، كانت له القدره على أن يحمل جنوده على التسليم بخبرته و كفاءته. و كان الأب " لويس بازن " مبشرا، و كان طبيبا يداوى نادرا. و قد بعث إلى رئيسه فى فرنسا بتقريرين مطولين جاء فى أحدهما:

مع أن نادرا ولد فى عائله من العائلات الدنيا فى المجتمع، فكأنما ولد ليكون قائدا. فقد جمعت فيه الطبيعه كل الصفات و الخصوصيات التى تؤهله لأن يكون آمرا و قائدا عسكريا عظيما. تلك الصفات التى تنقص كثيرا من الملوك. و قلما تجد فى التاريخ نابغه أقوى و أنفذ لبا و شجاعه من نادر. كانت كل خطئه واسعه، يهيا للفوز بمقاصده كل الوسائل اللازمه بمنتهى البراعه و الدقه.

و قال اللورد " غرزن ":

ما مضى على سقوط الأسره الصفويه غير عشرين عاما حتى وجدنا أنفسنا نواجه فاتحا إيرانيا متقدرا جعل من آسيا المركزيه ساحه للكر و الفر، و قلب الممالك و الأباطره.

و كتب " وليم كوكل " و كيل " شركه الهند الشرقيه " الإنكليزيه فى إيران أيام نادر شاه:

الموهبه العسكريه العجيبه عند هذا القائد مع حسن الطالع قد جمعا بين محبيه و أولئك الذين كانوا يخشونه، و أوقعا الخوف فى أعدائه و الرعب فى نفس الشاه.

و قال:

من أدل الدلائل على سعه فكر نادر و صحه أحكامه مخالفته سنه من سبقه من الملوك و سائر أمراء الشرق فى حجب أبنائهم داخل الحرم مع النسوان و الخصيان إلى يوم يتولون الحكم.

و قال:

مبلغ مهاره نادر و سرعته فى تشخيص المواضع الضعيفه من عدوه، و تفننه فى حمايه جنده أمر لا يصدق. و كان إذا تراجع أحد قواده بلا مسوغ علاه بالعصا و ظل يضرب على رأسه حتى يقع على الأرض. و حينئذ يوكل القياده إلى مأموره الذى تحت يده.

و قال الجنرال الروسى " كيشيشوف " فى كتابه " حمله نادر شاه إلى الهند ".

السبب الأول فى انتصارات نادر و تقدمه هو بعد همته و درايته.

و لا شك أن نادرا قد حرر وطنه من نير الأجانب و استعبادهم، و أضعف العثمانيين إلى حد بعيد بجيوشه التى قادها إلى محاربتهم، و أوجد فى الوقائع الأوروبية تحولات عظيمه. و فى الشرق زلزل قواعد الإمبراطوريه المغولييه فى الهند و جعل

سقوطها أمرا مسلما به. و انتهى إلى إعلاء إيران من حضيض الذل إلى أوج الرفعه و العظمه، و حولها من دوله ضعيفه إلى دوله من أقوى الدول. و إذ كان نادر يصرف أكثر أوقاته، بل كل أوقاته، في قياده القوى العسكريه و التفنن في تجهيزها و تسييرها، فقد أوكل أمور الدوله الاداريه إلى معاونيه. كان كلما استتب السلام و الاستقرار عاد إلى الانهماك في تهيئه المقدمات لحرب أخرى، و من ثم ينسى غيرها من شئون الدوله، فلا يهتم بها، إذ كان يشغله عنها حبه الشديد للحرب.

و قال:

ص: ٢١١

إلى ذلك الوقت لم يكن التاريخ قد ذكر أن القائد العام للجيش يحضر ميدان الكر و الفر جنباً إلى جنب مع أفراد العسكر و ينطلق فى المعركه متقدماً أوائل الجند.

و نقل الجنرال السير " برسى سايكس " فى كتابه " تاريخ إيران " عن " هانوى "، و هو تاجر إنكليزى سكن فى إيران فى عهد نادر، من سنه ١١٥٦ هـ إلى سنه ١١٦١ هـ:

نرى امرأ ذا أصل و نسب غامضين لا يمكن تبيينهما إلا بصعوبه. و قد قاد أحداثاً بعزم و ثبات، و بنى حياته الحافله على أساس من البصيره و النظر فى العواقب و التفكير الواقعى. و الخطط التى وضعها بالتأمل و التبصر، لتحقيق مستقبل سعيد مقبل له، أنفذها فى مجال الفرص السانحه بهمه لا تفتقر. من أجل ذلك أصبح، كغيره من الفاتحين قبله، يخيف آسيا. لقد أصبح، و لا شك، الأمر الناهى على الشرق، المتحكم فى مصائر أهله.

و قال العقيد السير " جان مالكم " سفير إنكلترا فى بلاط " فتح على شاه " القاجارى، فى كتابه " تاريخ إيران ".

شجاعه نادر و إقدامه فى الحروب و مروءته و فتوته فى معامله الأعداء، و أعمال عظيمه أخرى، تستحق الثناء و التقدير.

و كان نادر معروفاً بقوه صوته. و كان صوته كبير التأثير فى جنده إذا صاح بهم فى الحرب. و روى السير " جان مالكم " عنه هذه الفكاهه قال:

كان السلطان محمود العثمانى يعرف أن نادرا معجب بجهاره صوته.

فأرسل إلى بلاط سفيرا اشتهر فى البلاد العثمانيه بجهاره صوته. فلما استقبله نادر فى بلاطه تباريا فى قوه الصوت، فتفوق السفير عليه، و أقر نادر أن منافسه أقوى صوتاً منه و اثنى عليه. فلما أراد السفير الانصراف قال له نادر و هو يودعه: أبلغ السلطان محموداً عن لسانى أنى، إذ اكتشفت أن فى مجال حكمك رجلاً واحداً فقط، و أنك، مع هذا، اخترت هذا الرجل الواحد لبلاطى، فانا سعيد مسرور للغاية.

و قال السياسى الروسى المعروف " سير جى ديميتروفتش كولينزين " سفير روسيا فى بلاط نادر شاه فى تقرير رفعه إلى دولته:

إن قائد قوات إيران بلغ به الاعجاب بالنفس و عزه النفس إلى حيث يصعب أن يدعن لتوصيات غيره(١).

القاضى ناصر الدين ناصر بن أبى جعفر الامامى الدبلمى الأصل القزوينى

من الفقهاء فى القرن السادس للهجره و أكابر علماء الشيعة فى عصره.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته. أخذ العلم من فضلاء قزوين.

ذكره الشيخ عبد الجليل القزوينى فى كتابه النقض الذى ألفه فى حدود سنه ٥٦٠ ضمن أعظم علماء عصره(٢) و ذكره منتجب الدين بن بابويه فى الفهرست(٣) و نقل عنه الحر العاملى فى أمل الآمل ج ٢ ص ٣٣٣ و ذكره أيضاً صاحب رياض العلماء فى ج

٥ ص ٢٣٥ و الحائري الأردبيلي في جامع الرواه ج ٢ ص ٢٨٨.

يقول عبد الحسين الصالحى: فصل عن تاريخ أسرته العلميه العريقه آل الامامى فى قزوين و الديلم فى ترجمه أبى جعفر محمد بن على الامامى الديلمى و لعل المترجم له نجله.

نر كسى بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملائكه ابن الشيخ محمد

تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم البرغانى القزوينى الحائرى آل الصالحى.

ولدت حدود سنه ١٢٤٠ و توفيت فى كربلاء حدود سنه ١٣٢٢.

من ربوات الذكاء و الفطنه و سعه الإدراك، محدثه عالمه متفقه بصيره بالكلام حافظه للقرآن الكريم عالمه بتفسيره و تأويله عابده من الناسكات الزاهدات فى الدنيا.

أخذت النحو و الصرف و المنطق و العلوم العربيه و فنون الأدب عن أختها الشهيره قره العين ثم تخرجت فى الفقه و الأصول و التفسير على والدها الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ و عمها الشهيد الثالث المستشهد سنه ١٢٦٣ و أخذت العرفان و سائر العلوم عن عمها الآخر الشيخ الملا على البرغانى و الفيلسوفه عن الأخوند الشيخ الملا آغا الحكيمى القزوينى و أخيها الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى. و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها الشيخ جعفر ابن الشهيد الثالث من أعلام عصره (٤) و رزقت منه خديجه و سكينه اللتين كانتا فقيهتين عالمتين، من فواضل نساء عصرهن و لم تخلف أولادا ذكورا. هاجرت مع زوجها إلى كربلاء و تصدرت للتدريس و الوعظ و الإرشاد، و كانت تميل إلى الشيخيه و فى أواخر عمرها انقطعت للرياضه و التبتل و العبادات حتى توفيت فى كربلاء و دفنت فى الرواق الشرقى قريب من قبر السيد كاظم الرشتى (٥).

ميرزا نظام الدين ابن مير أمين الدين حسين دستغيب الشيرازى.

ولد سنه ٩٩٧ و توفى سنه ١٠٢٩ فى شيراز.

هو من السادات الدستغيبيه فى شيراز، اشتهر باسم نظام دست غيب. كان إلى شاعريته من كبار الخطاطين فى خط نستعليق، و على (عزى فيروز آبادى) فى شيراز تلقى المران على الشعر. و كان عزى ملما بالأدب العربى نظما و نثرا، فربى المترجم و نماه فى الشعر و كان موهوبا فاستوعب ما تلقاه و اشتهر و هو لا يزال فى عنفوان شبابه. له ديوان يحتوى على ثلاثه آلاف بيت من الشعر، و يقول صاحب كتاب (ميخانه) انها أربعه آلاف لا ثلاثه، و كان قد نظم ما فى هذا الديوان و هو لم يتجاوز الثمانيه و العشرين من عمره.

و له ديوان محفوظ فى المكتبه البريطانیه يحتوى على ألفى بيت مشتمله على الغزل و الترجيعات و رساله الساقى و التركيبات و قصائد فى مناقب الأئمه ع. و هذا الديوان جمعه (الحيان) سنه ١٠٣٠ أى بعد سنه واحده من وفاه الشاعر (٦).

-
- ١- ملخص عن محمد حسين قدوسى صاحب (نادرنامه).
 - ٢- انظر النقض ص ٢١١: تحقيق الدكتور السيد جلال الدين المحدث طهران منشورات انجمن آثار ملي.
 - ٣- الشيخ منتجب الدين على بن بابويه الرازى الفهرست ص ١٢٧ تحقيق الدكتور السيد جلال الدين المحدث قم منشورات المكتبه المرعشيه.
 - ٤- انظر نقباء البشر فى القرن الرابع عشر: ج ١ ص ٢٨٢.
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٦- تاريخ أدبيات إيران.

مرت ترجمته في المجلد العاشر من (الأعيان). و نشر عنه هنا هذه الدراسة بقلم السيد محمد رضا الجلالى:

لقد تعددت الفرق التى عد هشام بن الحكم منها.

فبينما يصرح الأكثرون بأنه من الشيعة باعتباره واحدا من كبار المتكلمين وفق هذا المذهب، بل من المنظرين لعقائده، و من رواه حديثه، و من حمله فقهه، و الخصوم يبنزوننه بأنه "رافضى" على هذا الأساس، نجد من عدّه فى "الغلامه" و "المجبره" (١) و "الجهميه" (٢) و "المشبهه" (٣) و "الحلوليه" (٤) و "الدهريه" (٥) و "الديصانيه الثنويه" (٦) إلا أن ما أكد عليه أكثر خصومه هو كونه من "المجسمه" (٧) و قد نسبوا إليه - فى مجال التجسيم - أمورا واضحه البطلان، حتى إن بعضهم نسب إليه تجويز "المحال الذى لا يتردد فى بطلانه ذو عقل" (٨) و نقلوا عن النظام قوله: إن هشاما قال فى التشبيه - فى سنه واحده - خمسّه أقاويل (٩) و لوضوح بطلان هذه الدعاوى، حيث أن هشاما أرفع شانا من أن يوصم بمثل هذه الترهات، و هو المتصدى لمناظره كبار العلماء، فانا نرجئ التعقيب عليها و على أمثالها إلى مجال آخر.

و على كل، فان (التجسيم) أصبح السمّه المشهوره التى تذكر مع هشام، و يحاول خصومه إلصاقها به، أو اتهامه بها، و لقد عبروا عن هذه التهمه بعبارات تقشعر منها جلود المؤمنين الموحدين!! و قد اتفقوا فى النقل عنه أنه قال: البارئ جل ذكره "جسم لا كالأجسام" و كأنهم لخصوا التهمه فى هذه الجملة، و جعلوها دليلا على ما ادعوه عليه من التجسيم! و لذلك، فانا نركز البحث عنها هنا، تحت العناوين التاليه:

١ - مصدر المقوله:

نقلت هذه المقوله عن هشام، فى مصادر عديده لمؤلفين قدماء:

١ - الرجال، للكشى، فقد ذكر بسنده عن عبد الملك بن هشام الحنات، قال: زعم هشام بن الحكم: أن الله "شئ لا كالأشياء" و أن الأشياء بائنه عنه، و هو بائن عن الأشياء.

و زعم: إن إثبات "الشئ" أن يقال: "جسم" فهو "جسم لا- كالأجسام" "شئ لا كالأشياء": ثابت موجود، غير مفقود، و لا معدوم، خارج عن الحدين: حد الابطال، و حد التشبيه (١٠) ٢ -

الكافى، للكلىنى، فقد روى بسنده عن الحسن بن عبد الرحمن الحمانى، قال: قلت لأبى الحسن موسى بن جعفر: إن هشام بن الحكم زعم: أن الله "جسم، ليس كمثل شئ" .. (١١).

فان مؤدى "ليس كمثل شئ" هو نفس مؤدى "لا كالأجسام" من دون أدنى تفاوت، و سيأتى توضيح هذه الجهه.

٣ - و قال الشيخ المفيد: لم يكن فى سلفنا من تدين بالتشبيه من طريق المعنى، و إنما خالف هشام و أصحابه جماعه أصحاب

أبي عبد الله عبقوله في "الجسم" فزعم: "إن الله تعالى" جسم لا كالأجسام" (١٢) ٤ - وقال السيد الشريف المرتضى: فاما ما رمى به هشام بن الحكم من القول بالتجسيم، فالظاهر من الحكاياه عنه القول ب: "جسم لا كالأجسام" (١٣) و بهذا يثبت صدور هذه المقولة من هشام، لأن كبار أعلام الشيعة نقلوها عنه. و قد نقلها علماء سائر الطوائف، كما يلي:

و قد نقلها علماء سائر الطوائف، كما يلي:

٥ - قال أبو الحسن الأشعري - صاحب المذهب - : حكى عنه (أى):

عن هشام) أنه قال: هو "جسم لا- كالأجسام" و معنى ذلك: أنه شيء موجود (١٤) و فى موضع آخر، عند ذكر الاختلاف فى التجسيم، عد الفرقه الأولى: "الهشاميه" و نقل عن هشام أنه قال: هو "جسم لا كالأجسام".

ثم عنون للفرقه الثانيه بقوله: يزعمون أن ربهم "ليس بصوره، و لا كالأجسام"، و إنما يذهبون فى قولهم: "إنه جسم" إلى: "أنه موجود" و لا- يثبتون الباريّ ذا أجزاء مؤتلفه، و أبعاض متلاصقه (١٥) فالملحظ: أن ما نسبه إلى الفرقه الثانيه لا يختلف عما تحتويه المقوله التى نقلها عن هشام فى ذكر الفرقه الأولى، و لا- عما نقله عنه فى الموضع السابق، و إنما هو هو بعينه، بلا أدنى بتفاوت، عدا التقديم و التأخير، و بعض التوضيح.

٦ - و ابن أبى الحديد المعتزلى - بعد أن نقل أنواع التهم الموجهه إلى هشام - قال: و أصحابه من الشيعة يدفعون - اليوم - هذه الحكايات عنه، و يزعمون: أنه لم يزد على قوله: إنه "جسم لا كالأجسام" و أنه إنما أراد بإطلاق هذا اللفظ عليه: إثباته (١٦)

ص: ٢١٣

١- تأويل مختلف الحديث: ٤٨، و الأنساب - للسمعاني: ظ ٥٩٠. و لسان الميزان ١٩٤/٦. و الملل و النحل ١٨٥/١.

٢- هامش الفهرست - للنديم -: ٢٢٤.

٣- الملل و النحل / ١٨٤، و الأنساب - للسمعاني -: ظ ٥٩٠.

٤- تاريخ الفرق الإسلاميه - للغرابي -: ٣٠٢.

٥- التنبيه و الرد - للملطي -: ٢٤.

٦- الانتصار - للخياط -: ٤٠-٤١.

٧- مقالات الإسلاميين - للأشعري - ٢٥٧/١، و لسان الميزان ١٩٦/٦. و لهج بهذه التهمه أكثر المتأخرين!

٨- لسان الميزان ١٩٤/٦.

٩- مقالات الإسلاميين ١٠٤/١، و انظر: تليس إبليس - لابن الجوزي: ٨٣.

١٠- اختيار معرفه الرجال: ٢٨٤ الفقره ٥٠٣.

١١- الكافي، كتاب التوحيد، باب ١١ ج ١ ص ٨٢ ح ٧. رواه الصدوق فى التوحيد، باب ٦، ح ٨، ص ١٠٠

١٢- الحكايات: ١٣١، الفصول المختاره: ٢٨٥.

١٣- الشافى - للسيد المرتضى -: ١٢.

١٤- مقالات الإسلاميين ٢٥٧/١.

١٥- مقالات الإسلاميين ١٠٤/١.

١٦- شرح نهج البلاغه ٢٢٤/٣ و ٢٢٨.

و قد نسبت هذه المقوله إلى آخرين غير هشام:

٧ - قال ابن أبي الحديد: و أما من قال: إنه "جسم لا كالأجسام" على معنى أنه بخلاف "العرض" الذى يستحيل أن يتوهم منه فعل، و نفوا عنه معنى الجسميه، و إنما أطلقوا هذه اللفظه لمعنى: أنه "شئ لا كالأجسام" و "ذات لا كالذوات".

فأمرهم سهل، لأن خلافهم فى العبارة، و هم: على بن منصور، و السكاك، و يونس بن عبد الرحمن، و الفضل بن شاذان.

و كل هؤلاء من قدماء رجال الشيعه(١) و نسبت المقوله إلى أشخاص ينتمون إلى فرق أخرى:

٨ - قال ابن أبي الحديد - بعد ذكر ما نقلنا عنه -: و قد قال بهذا القول "ابن كرام" و أصحابه(٢) و نسبت إلى داود الحوارى(٣)

٩ - قال الشهرستانى - فى "مشبهه الحشويه" نقلا عن الكعبى، عن داود الحوارى - رئيس "الحواريه" أنه يقول: إن الله سبحانه "جسم" و لحم، و دم، و له جوارح و أعضاء...

و هو مع هذا "ليس جمسا كالأجسام" و لا لحما كاللحوم... و كذلك جميع صفاته.

و هو سبحانه لا يشبه شيئا من المخلوقات، و لا يشبهه شئ(٤) و مع قطع النظر عن التناقض بين صدر هذا النقل و ذيله، فإنه يدل على وجوده المقوله "جسم لا كالأجسام" فى ما نقل عن داود.

و نقلت المقوله، بالمعنى، منسوبه إلى قائلين لها:

١٠ - ذكر الأشعرى فى اختلافهم فى البارئ تعالى هل هو فى مكان أو لا؟ فقال: و قال قائلون: هو "جسم خارج من جميع صفات الأجسام" ليس بطويل، و لا- عريض، و لا- عميق، و لا- يوصف بلون، و لا- طعم، و لا- مجسه، و لا- شئ من صفات الأجسام(٥) و حكيت المقوله عن غير المعتزله:

١١ - قال صاحب كتاب "فضيحه المعتزله": أيما أشنع؟ القول بان الله "جسم لا يشبه الأجسام" فى معانيها، و لا فى أنفسها، غير متناه القدره، و لا محدود العلم، لا يلحقه نقص، و لا يدخله تغيير، و لا تستحيل منه الأفعال، لا يزال قادرا عليها؟ أم القول... (٦)

و جاءت المقوله غير منسوبه: ١٢ - فيما ذكره الدوانى على العقائد العضديه، قال: و منهم - أى:

من المشبهه - من تستر بالبلكفه، فقال: هو "جسم لا كالأجسام" و له حيز لا كالأحياز، و نسبتبه إلى حيزه ليست كنسبه الأجسام إلى أحيازها، و هكذا "ينفى جميع خواص الجسم" عنه، حتى لا يبقى إلا اسم "الجسم".

و هؤلاء لا يكفرون، بخلاف المصرحين بالجسميه(٧) ١٣ - فيما ذكره القاضى عبد الجبار المعتزلى من إبطال المعتزله لقول من زعم: أن الله تعالى "جسم لا كالأجسام" قياسا على القول بأنه تعالى "شئ لا كالأشياء" (٨) و لكن سند ذكر أن مقوله "جسم لا كالأجسام" هى عند هشام بمعنى "شئ لا كالأشياء" و تساويها فى المعنى، فالدليل عليهما - عند هشام - واحد.

و على هذا فيمكن أن تعتبر مصادر "شئ لا كالأشياء" مكمله لمصادر مقوله "جسم لا كالأجسام".

و من الغريب أن البغدادي - صاحب "الفرق بين الفرق" - لم ينقل هذه المقولة عن هشام، مع نقله جملة من أشنع ما نسب إليه في بعض مصادرها السابقة! و أظن أنه إنما عمد إلى ترك ذكر هذه المقولة، لأنها تحتوى على ما ينسف كل تلك الأكاذيب المفتعلة، و الأباطيل المنسوبة إلى هشام، كما سيتضح في هذا البحث.

٢ - مصطلح هشام في كلمة "جسم":

"الجسم": في العرف اللغوي يدل على تجمع الشيء، و تكتله في الوجود الخارجي (٩) و هذا بالطبع يقتضى وجود الأبعاد من الطول و العرض و العمق في ما يطلق عليه هذا اللفظ.

و يراد منه في العرف العام: مجموعه البدن - لإنسان أو حيوان - متكونه من أعضاء و جوارح.

و بعد أن دخلت الفلسفة الأجنبية بلاد الإسلام. استحدثت لكلمه "الجسم" تفسير فلسفي هو: ما شغل حيزا و مكانا.

و قد اختلفت كلمات المتكلمين في معنى "الجسم" اختلافا كبيرا حيث يطلقونه في كتبهم، و تجرى على ألسنتهم.

قال ابن رشيد: الكراميه زعموا: أن معنى "الجسم" هو أنه "قائم بنفسه" (١٠) و الأشاعره ذهبوا إلى أن "الجسم": ما كان مؤلفا.

و رأى المعتزله: أن "الجسم" ما كان طويلا، عريضا، عميقا.

ص: ٢١٤

- ١- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.
- ٢- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.
- ٣- لقد اختلفت المصادر في إيراد هذا اللقب، و قد ورد "الحواري" في بعض المواضع، و "الجواربي" أو "الجواري" في مواضع أخرى، و الخوارزمي في مواضع ثالثة، فليلاحظ.
- ٤- الملل و النحل ١/١٠٥، و انظر: تاريخ الفرق الإسلاميه - للغرابي -: ٣٠٠-٣٠١.
- ٥- مقالات الإسلاميين ١/٢٦٠.
- ٦- الانتصار - للخياط -: ١٠٧.
- ٧- الشيخ محمد عبده بين الفلاسفه و الكلاميين: ٥٣٢.
- ٨- شرح الأصول الخمسه: ٢٢١، و انظر: في التوحيد - تكمله ديوان الأصول -: ٥٩٦.
- ٩- معجم مقاييس اللغه - لابن فارس - ١/٤٥٧.
- ١٠- ديوان الأصول: ٥٩٥، و لوامع البيئات - للرازي -: ٣٥٩.

و هذا هو رأى المجسمه أيضا(1) و قد اصطلح هشام بن الحكم و تلامذته فى "الجسم" معنى خاصا.

قال السيد أبو القاسم الخوئى - معقبا على مقوله "جسم، ليس كمثل شىء" - : إن نفي المماثلة يدل على أنه لا يريد من كلمه "الجسم" معناها المفهوم، و إلا: لم يصح نفي المماثلة، بل يريد معنى آخر غير ذلك(2) فما هو ذلك المعنى المصطلح؟ و هل يصح لهشام أن يصطلح لنفسه معنى يخالف العرف؟ و ما هو الدليل على صحه هذا التصرف؟ و لا بد - قبل الدخول فى هذه المباحث - من التذكير بان معرفه مصطلح كل مذهب، ضرورى جدا لفهم مقاصده، و إمكان معارضته، لأن أساس ذلك المذهب إنما يدور على محور مصطلحاته، و لا يصح - فى عرف العلماء - أن يحاسب أحد إلا على ما أظهره من مراده على مصطلحه، كما لا يجوز لأحد أن يحاسب الآخرين على أساس ما اتخذه هو مصطلحا لنفسه، بخلاف الآخرين.

و قديما قيل: "لا مشاحه فى الاصطلاح".

أما صحه الاصطلاح الخاص، فيمكن معرفتها من خلال ما يلى:

١ - قال القاضى عبد الجبار المعتزلى: قال شيوخنا: لو أن أهل اللغه بدا لهم فى العريبه على الوجه الذى تواضعوا عليه، و غيرهه حتى يجعلوا "قديما" مكان "محدث" و "عالما" مكان "جاهل" و "طويلا" مكان "قصير" كان لا يمنع(3) ٢ - و قال: قال شيوخنا: لو تواضع قوم على تسميه كل موجود:

"جوهر" أو "جسما" على تسميه "القائم بنفسه" بذلك، لحسن منهم وصف القديم تعالى بأنه "جسم" إلا أن يحصل نهى سمعى عن ذلك(4) أقول: أما مسأله النهى الشرعى، فلا مدخل لها فى صحه التواضع و عدمها، و سيأتى البحث عن توقيفيه أسماء الله تعالى، فى نهايه البحث.

و أما الفرد أو الجماعه الذين يصح منهم الاصطلاح و التواضع الخاص، فهم فى عباره القاضى الأولى "أهل اللغه" و ليس المراد بهم علماء اللغه، اللغويون الذين تخصصوا بمعرفتهم بها بالدراسه و البحث كعلم من العلوم، بل المراد بهم أهل اللسان الذين نشاوا عليها و نطقوا بها كلغه لهم، و منهم انطلقت مفرداتها، و أخذت تراكيبها، و تألفت قواميسها، فقد كان لهؤلاء الحق فى أن يضعوا - من البدايه - لكل معنى لفظا يدل عليه، ينتخبونه على حسب سلائقهم و ما يقارن الوضع من الأمور، باعتبار أنهم آباء اللغه و أولياؤها، و لو كانوا يضعون الأسماء على غير ما يعرف اليوم لها من المعانى، لما كان ممتنعا.

أما بعد ما حصل من التواضع، و ما تم إثباته فى متن اللغه، فليس لأحد من المتخصصين بعلم اللغه تغييره عما وضع عليه، و تبديله عما ثبت سماعه منهم أو قياسه عنهم.

و عباره القاضى الثانيه: تنظر إلى أهل الاختصاص بالعلوم، و لم يذكر الخصوصيات المشترط توقرها فى القائم بوضع الاصطلاح الخاص.

و الذى أراه أن ذلك مشروط بأمرين:

الأول: أن لا يكون التواضع الجديد على نقيض المعنى اللغوى، و لا معارضا له بالتباين.

فلو اشتركا في بعض الأفراد، أو ارتبطا بعلقه مجازيه، صح التواضع على غير المعنى اللغوي، و من هنا يعلم: أن كون القائم بالوضع الجديد عارفا بلغه التواضع، ليحقق هذا الشرط، هو أمر أساسي، كما لا يخفى.

الثاني: أن يكون التواضع الجديد مبتنيا على دليل منطقي، قابل للتصور، بان لا يكون منافيا لضروره العقل، أو قضيه وجدانيه.

قال الشيخ محمد عبده - في توقيفيه أسماء الله -: الألفاظ التي لا- تفهم إلا- الكمال، و لا تشوب ظاهرها شائبه النقص، فيجوز إطلاقها على الله تعالى، بلا حرج.

و أضاف: و لكل قوم أن يصطلحوا في ذلك على ما شاءوا، كيف؟ و لنا أن نستدل على إثبات صفات كماليه للواجب تعالى، ثم نعبّر عنها بمشتق؟ (٥) و من هنا، فان لهشام بن الحكم الحق في أن يصطلح معنى خاصا لكلمه "جسم" فيطلقها، إذا توفر فيه الشرطان، و لا- يمنع منه إلا- موضوع "توقيفيه أسماء الله تعالى". التي سنتحدث عنها في نهايه البحث، أما هنا فيجب أن نعرف "مصطلح هشام" ثم "الدليل على اختياره لهذا المصطلح".

أما مصطلحه:

فقد ذكروا: أن "الشيء" عنده لا يكون إلا "جسما" (٦) و نقلوا عنه:

أنه زعم: أن إثبات "الشيء" أن يقال: "جسم" (٧) و قالت فرقه من المعتزله: لا "شيء" إلا "جسم" (٨) و قال الأشعري - في الاختلاف في الدقيق، و "الجسم" -:

٩ - هشام بن الحكم، و كان يقول: أريد بقولي: "جسم" أنه "موجود" و أنه "شيء" و أنه "قائم بنفسه" (٩) هكذا جمع الأشعري بين هذه التفسيرات الثلاثه، في مصطلح هشام في "الجسم"، و ظاهر ذلك أنها كلها متساويه، و تعطى مفهوما واحدا.

و قد عرفت أن "الشيء" و "الجسم" واحد عند هشام، كما نسب ٤.

ص: ٢١٥

١- ديوان الأصول: ٥٩٥.

٢- معجم رجال الحديث ٣٥٨/١٩.

٣- المغنى - لعبد الجبار - ١٧٢/٥.

٤- المغنى - لعبد الجبار - ١٧٣/٥.

٥- الشيخ محمد عبده بين الفلاسفه و المتكلمين: ٦٠٤.

٦- الفرق بين الفرق: ٦٧.

٧- اختيار معرفه الرجال: ٢٨٤ رقم ٥٠٣.

٨- مقالات الإسلاميين ٢٤٥/١.

الأشعري ذلك إلى المشبهه(١) و أما تفسير "الجسم" ب "القائم بنفسه":

فقد ذكره عبد الجبار، فقال: و أما أن يكون (التجسيم) عن طريق العبارة، يجوز أن يقول: إن الله تعالى "جسم" ليس بطويل، و لا عريض، و لا عميق، و "لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام" من الصعود، و الهبوط، و الحركة، و السكون، و الانتقال من مكان إلى مكان، و لكن أسميه "جسما" لأنه "قائم بنفسه"(٢) و نسبة الشهرستاني إلى الكراميه، فقال: أطلق أكثرهم لفظ "الجسم" عليه تعالى، و المقاربون منهم قالوا: معنى بكونه "جسما" أنه "قائم بذاته" و هذا هو "الجسم" عندهم(٣) و قال الشهرستاني أيضا: و قد اجتهد محمد بن الهيصم في إرمام مقاله أبي عبد الله (ابن كرام) في كل مسأله، حتى ردها من المحال إلى نوع يفهم فيما بين العقلاء، مثل "التجسيم" فإنه قال: أراد ب "الجسم": "القائم بالذات"(٤) و أما تفسير "الجسم" ب "الموجود":

فقد نسبة الأشعري - في موضع - إلى هشام، فقال: زعم هشام بن الحكم أن معنى "موجود" في الباري تعالى أنه "جسم" لأنه "موجود":

"شئ"(٥) و نسب إلى قوم: أن معنى "الجسم"....هو "الشئ الموجود" و أن الباري لما كان "شيئا موجودا" كان "جسما"(٦) و ذكر الجويني ما نصه: معنى "الجسم": "الموجود" و أن المعنى بقولنا: إن الله "جسم" أنه "موجود"(٧) و نقل الإيجي هذا التفسير عن بعض الكراميه، و نقل التفسير السابق عن آخرين منهم، فقال: ذهب بعض الجهال إلى أنه "جسم" فالكراميه قالوا: هو "جسم" أي "موجود" و قوم قالوا: هو "جسم" أي "قائم بنفسه"(٨) و هكذا نجد التفاسير الثلاثة "للجسم" قد جمعها الأشعري في عبارته واحده، و نسبها إلى هشام، و كأنها بمعنى واحد: الشئ، و الموجود، و القائم بنفسه.

هذا، و من ناحيه أخرى نجدهم يفسرون كل واحد من هذه الثلاثة بالمعنى الآخر:

قال ابن حزم - في معنى قولنا "شئ" -: إنه "الموجود" ثم قال: إن قالوا: هو "الموجود" صاروا إلى الحق(٩) و قال الأشعري - في معنى: أنه تعالى "شئ" -: قال قائلون: معنى أن الله "شئ" :معنى أنه "موجود" و هذا مذهب من قال: لا "شئ" إلا "موجود"(١٠) و قال الرازي: من قال: المعدوم ليس بشئ، قال: الموجود شئ، فهما لفظان مترادفان، فإذا كان "موجودا" كان "شيئا"(١١) و ذكر - في معنى: أنه "موجود" أقوالا، منها:

٤ - "موجود" بمعنى: أنه "شئ".

٥ - "موجود" بمعنى: أنه "قائم بنفسه"(١٢) و احتمال القاضي عبد الجبار - في معنى "قائم بنفسه":

١ - أنه "موجود".

٢ - أو "موجود باق".

٣ - أو "لا- يحتاج وجوده إلى محل و مكان"(١٣) و قضيه قياس المساواه أن يقال: إن المعاني الثلاثة: الشئ، الموجود، القائم بنفسه، هي بمعنى "الجسم" كما نسب إلى هشام أولا.

و الحق أن مصداقها - على مصطلح هشام - واحد، و إن اختلف مفهوم كل عن الآخر، و إنما الاختلاف بالاعتبارات الدخيلة:

فباعتبار صحه الخبر عنه، و تعلق العلم به و إثباته، يسمى "شيئا".

و باعتبار تحققه، و اتصافه بالوجود، يسمى "موجودا".

و باعتبار استقلاله في التحقق، يسمى "قائما بنفسه".

و قد اعترف تلامذه هشام بهذا المصطلح، و أن إطلاق "الجسم" على البارئ سبحانه بمعنى "الشيء".

قال ابن أبي الحديد: و أما من قال: إنه "جسم لا كالأجسام" على معنى أنه بخلاف "العرض" الذي يستحيل أن يتوهم منه فعل، و نفوا عنه معنى الجسميه، و إنما أطلقوا هذه اللفظه لمعنى أنه "شيء لا كالأشياء" فأمرهم سهل، لأن خلافتهم في العبارة، و هم على بن منصور، و السكاك، و يونس بن عبد الرحمن، و الفضل بن شاذان، و كل هؤلاء من قدماء رجال الشيعة (١٤) و من المعقول - في العاده - أن يمثل التلامذه آراء أستاذهم (١٥) فهشام قد اصطاح للجسم معنى خاصا هو "الشيء".

و أما مناسبة هذا المعنى، للمعنى المفهوم لغه:

فلأن المعنى اللغوى - كما مر - هو: تجمع الشيء و تكتله في الخارج، ٩.

ص: ٢١٦

- ١- مقالات الإسلاميين ١٨٠/٢.
- ٢- شرح الأصول الخمسة: ٢١٨.
- ٣- الملل و النحل ١٠٩/١، و لوامع البينات - للرازي -: ٣٥٩.
- ٤- الملل و النحل ١١٢/١.
- ٥- مقالات الإسلاميين ١٨٢/٢.
- ٦- الشامل في أصول الدين: ١٦٦ - طبعه ريتز - الإسكندريه، و انظر: مذاهب الإسلاميين ٧٢/١.
- ٧- مقالات الإسلاميين ١٢٤/١.
- ٨- المواقف - بشرح السيد الشريف -: ٤٧٣.
- ٩- الفصل ٤٣/٥.
- ١٠- مقالات الإسلاميين ١٨٠/٢.
- ١١- لوامع البينات - للرازي -: ٣٥٧.
- ١٢- مقالات الإسلاميين ١٨٥/٢.
- ١٣- المغنى - لعبد الجبار - ١٨٠/٤.
- ١٤- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.

١٥- هشام بن الحكم - لنعمه -: ٦٩.

و هذا يحتوى على طرفين: الأول: أن يكون ذا أجزاء متكثله. الثانى: أن يكون متحققا فى الخارج، فما كان ذا أجزاء و تحقق فى الخارج، اشترك مع معنى الجسم اللغوى فى كلا الأمرين.

و إن لم يكن مادته، و ليس له أجزاء، و إنما له تحقق فى الخارج، فهو "شئ" بحقيقه الشئيه، و هى التحقق و الثبوت فى الخارج، و اشتراكه فى هذا مع "الجسم" يصحح إطلاق "الجسم" عليه فى عباره المقوله، و لا يحتاج إلى مادته، و لا تحيز، و لا غير ذلك من خواص الأجسام.

و قد اعترض الشيخ الصدوق على هذا التواضع، فقال: إن لم يرجع منه (أى من إطلاق "الجسم" على البارئ) إلا على التسميه فقط، كان واضعا للاسم فى غير موضعه، و كان كمن سمي الله عز و جل إنسانا، و لحما، و دما، ثم لم يثبت معناها، و جعل خلافه إيانا على الاسم، دون المعنى (١) أقول: و حاصل اعتراضه فى أمرين:

١ - فى أن هذا من باب وضع اللفظ فى غير موضعه.

فان كان مراده أنه استعمال للفظ فى غير ما وضع له، فلم يرد به المعنى الحقيقى، فهذا مع وضوحه، ليس مخالفا، إذا كان استعمالا مجازيا على أساس علقه مجازيه، كما شرحنا، لصحه المجاز بالوضع العام.

و ليست فيه مخالفه لأصل عقلاى معلوم، و لا معارضه فيه لفرع شرعى مستدل عليه، كما ذكر السيد الشريف المرتضى، حيث قال: فاما ما رمى به هشام بن الحكم من القول بالتجسيم، فالظاهر من الحكايه عنه القول ب "جسم لا كالأجسام" و لا خلاف فى أن هذا القول ليس بتشبيه، و لا ناقض لأصل، و لا معترض على فرع (٢) و ليس محرما على أحد أن يصطلح لنفسه لفظا يضعه على معنى خاص فى نظره.

نعم، بما أن الموضوع يتعلق بأسماء الله تعالى فهو يرتبط بمسأله توقيفه هذه الأسماء و ذلك خارج عن المخالفه الوضعيه، و سيأتى الحديث عن تلك المسأله.

٢ - فى تمثيله بما ذكر من الألفاظ، و استهجان إطلاقها على البارئ.

فالفرق بين تلك الألفاظ و بين لفظ "الجسم" واضح، حيث إن تلك الألفاظ لا تطلق بحقيقتها على الله كما هو واضح، و ليس لها معنى مجازى قابل للإطلاق عليه تعالى، يستحسنه الطبع، فإطلاقها عليه تعالى مستهجن لما فى معانيها الحقيقه من الحقاره و السقوط.

مع أنه يعترض عليه بإطلاق كلمه "شئ" التى وضع هشام لفظ "الجسم" بمعناها، و سيأتى الكلام فيها.

و القاضى عبد الجبار ذكر من أطلق اسم "الجسم" عن طريق عبارته و قال: أسميه "جسما" لأنه "قائم بنفسه". فاعترض عليه بقوله: فان كان خلافه من هذا الوجه، فالكلام عليه ما ذكرناه من أن الجسم إنما يكون طويلا، عريضا، عميقا، فلا يوصف به القديم تعالى (٣) أقول: و هذا خروج عن منهج المعارضه العلميه، لأنه خروج عن مصطلح المعارض، و قد ذكرنا سابقا أن المناقشه لا بد أن تبنى على المصطلح الخاص الذى قصده المعارض، و لا يجوز محاسبه أحد على ما لم يصطلحه و لم يتواضع

عليه، فلا "مشاحه فى الاصطلاح". إلا أن يكون اعتراضه على أصل الاصطلاح، وقد أثبتنا عدم مخالفته لشيء كما سيأتى ذكر الدليل عليه.

٣ - أصل هذه المقولة.

إن هذه المقولة تبنى أساساً على القول بان البارئ تعالى "شيء" و هشام زعم أن إثبات "الشيء" أن يقال: "جسم".

و على ذلك تكون مقوله "جسم لا كالأجسام" مأخوذه من "شيء لا كالأشياء" و بمعناها.

و أقدم نص شيعى احتوى على المقولة نقلاً عن هشام تضمن التسويه بينهما:

عن عبد الملك بن هشام الحنط: قلت لأبى الحسن الرضا: زعم هشام بن الحكم: أن الله "شيء لا كالأشياء" و أنها بئنه عنه، و هو بائن من الأشياء، و زعم أن إثبات "الشيء" أن يقال: "جسم" فهو "جسم لا- كالأجسام": "شيء لا- كالأشياء" ثابت موجود (٤) و كذلك ابن أبى الحديد فرض إطلاق هذه المقولة: "جسم لا كالأجسام" لمعنى أنه "شيء لا كالأشياء" (٥) و من قال بالتساوى بين "شيء" و "جسم" و أجاز إطلاق "شيء" على البارئ تعالى، يقول: إنه تعالى "شيء لا كالأشياء" فلا بد أن يقول بمقوله "جسم لا- كالأجسام" من جهة المعنى، و إن تعبد بالتوقيف فهو ممنوع من جهته لا- من جهة المعنى، و ذلك أمر آخر.

أما إطلاق اسم "الشيء" على البارئ تعالى فقد عنون المتكلمون له، و اختلفوا فيه على مقالتين:

فقال جهم، و بعض الزيديه: إن البارئ تعالى لا يقال له "شيء" لأن الشيء هو المخلوق الذى له مثل (٦) و أورد الرازى احتجاج جهم على مقالته بالقرآن، و المعقول:

أما القرآن، فأيتان:

الأولى: قوله تعالى: (الله خالق كل شيء) (سوره الرعد (١٣) الآية (١٦)).

فلو كان تعالى يسمى بلفظ "الشيء" لزم بحكم هذا الظاهر كونه خالقا لنفسه، و هو محال.

ص: ٢١٧

١- التوحيد - للصدوق -: ٣٠٠ رقم ٦.

٢- الشافى - للمرئضى -: ١٢.

٣- شرح الأصول الخمسه: ٢١٨.

٤- اختيار معرفه الرجال: ٢٨٤ رقم ٥٠٣.

٥- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.

الثانية: قوله تعالى: (ليس كمثلته شيء) (سوره الشورى (٤٢) الآية (١١)).

و مثل مثله هو "هو" فلما ذكر أن (ليس كمثلته شيء) لزم أن لا يكون هو مسمى باسم "شيء".

و قول من قال: "الكاف زائده" باطل، لأن هذا ذكر: هذا الكاف خطأ و فاسد، فمعلوم أن هذا لا يليق بكلام الله تعالى.

و أما المعقول:

فهو: أن أسماء الله تعالى داله على صفات الكمال و نعوت الجلال، و قال: (و لله الأسماء الحسنی فادعوه بها) (سوره الأعراف (١))
الآية (١٨٠).

و اسم "الشيء" لا- يفيد كمالا، و لا جلاله و لا معنى من المعاني الحسنه، فثبت أن كل ما كان من أسماء الله تعالى و جب أن يفيد حسنا، و لفظ "شيء" لا يفيد حسنا، فوجب أن لا يكون لله تعالى. (٢)

و لم يحاول الرازي الاجابه على كلام جهم هذا، فلنذكر - نحن - ما يبدو لنا فيه من المغالطه و الفساد:

أما عن احتجاجه بالآية الأولى:

فجوابه: أن ذلك الخطاب لا يشمل المتكلم به و هو الله تعالى شأنه، لأن ماده "الخلق" الواردة فيه تقتضى انصراف مؤداه إلى ما سواه جل ذكره، و هذا كما لو قال أحد: "من لبس ردائي عاقبته" حيث أنه لا يشمل المتكلم نفسه، لفرض أن الرداء هو له، و الغرض من إيراد هذا القول منع الأغيار من التصرف في الرداء.

فكذلك الآية الكريمة إنما سيقت للدلالة على قدره الله على ما سواه، و استيلائه على كل شيء مما عداه، لأنه خالق كل شيء، فهي منصرفة عنه هو جل جلاله:

و يدل على هذا المعنى، ما

روى عن الامام أبى جعفر محمد الباقر، و الامام أبى عبد الله جعفر الصادق ع، قالوا: كل ما وقع عليه اسم "شيء" - ما خلا الله عز و جل - فهو مخلوق، و (الله خالق كل شيء) تبارك الذى (ليس كمثلته شيء) (٣) و الجواب عن احتجاجه بالآية الثانية:

إن زياده الحروف ليس من باب الخطأ، و لا فساد فيه، بل "إنما زيدت لتوكيد نفى المثل، لأن زياده الحرف بمنزله إعاده الجملة ثانيا، قاله ابن جنى (٤) فالزياده أسلوب عربى، يؤدى دورا بلاغيا رائعا هو الأليق بكلامه تعالى.

و أما الجواب عن احتجاجه الذى سماه معقولا، فمن وجهين: الأول: أن المراد بالتسميه، ليس هو تعيين الاسم الخاص عليه تعالى، بل المراد إطلاق اللفظ عليه، و بهذا يختلف عن الأسماء الحسنی، فلا يسرى حكمها عليه، فالله، بما أنه موجود ثابت، فكما يطلق على كل ثابت أنه "شيء" فهو - تعالى - كذلك.

الثاني: أن الأسماء الحسنى، تلك، المذكورة لله تعالى، تدل على ما فيها من المعانى الحسنه، باعتبار أنها أوصاف، و أما ما يدل منها على مجرد الذات الربوبية فلا دليل على دلالة على ذلك إلا من جهة إضافته إليه جل ذكره.

و إطلاق "شئ" على فرض وروده من قبيل الثانى.

و قد ورد إطلاق اسم "الشئ" على البارئ تعالى:

- ١

فقد سئل الامام الصادق ع عن الله، ما هو؟ فقال: هو "شئ" بخلاف الأشياء " أرجع بقولى "شئ" إلى إثبات معنى، و أنه "شئ" بحقيقه الشئيه، غير أنه لا جسم، و لا صورته (٥) ٢ - و

سئل الامام الجواد ع: أ يجوز أن يقال: إن الله عز و جل "شئ"؟.

قال: نعم، يخرج عن الحدين: حد التعطيل، و حد التشبيه (٤) و قد استدل الرازى عليه بأمر من القرآن، و اللغه، و الإجماع:

أما القرآن: فقوله تعالى: (قل أى شئ أكبر شهادة قل الله) (سوره الأنعام (٧) الآية (١٩)).

و قوله تعالى: (كل شئ هالك إلا وجهه) (سوره القصص (٢٨) الآية (٨٨)).

قال: المراد بوجهه: ذاته، فقد استثنى ذاته من لفظ "الشئ" و الاستثناء خلاف الجنس خلاف الأصل.

و أما اللغه: فهى أن من قال: المعدوم ليس بشئ، قال: الموجود هو "الشئ" فهما لفظان مترادفان، فإذا كان "موجودا" كان "شيئا".

و من قال: المعدوم شئ، قال: الشئ: ما يصح أن يعلم و يخبر (٦) عنه، فكان "الموجود" أخص من "الشئ" و إن صدق الخاص صدق العام، فثبت أنه تعالى مسمى بالشئ (٧) و أما الإجماع: فالأولى أن يقال: أجمع الناس - قبل ظهور جهم - على كونه تعالى مسمى بهذا الاسم "الشئ" و الإجماع حجه (٨) و قال الأشعرى: قال المسلمون - كلهم - إن البارئ "شئ" لا كالأشياء (٩) ١.

ص: ٢١٨

١- لوامع البيئات - للرازى -: ٣٥٧.

٢- لوامع البيئات، المطبوع باسم "شرح أسماء الله الحسنى" للرازى: ٧-٣٥٨.

٣- التوحيد - للصدوق -: ١٠٥-١٠٦. ب ٧. ح ٣ و ٤ و ٥.

٤- مغنى اللبيب - لابن هشام -: ٢٣٨.

٥- التوحيد - للصدوق :- ١٠٤، ب ٧ ح ٢.

٦- التوحيد - للصدوق :- ١٠٤ ب ٧ ح ١، و ص ١٠٧ ح ٧.

٧- كذا الصواب، و كان فى المصدر: "يعبر" و لا معنى له، لاحظ التعريفات للجرجاني: ٥٧ و انظر: الحكايات: ١٢٢ و ١٤٤.

٨- لوامع البينات - للرازى :- ٣٥٨.

٩- مقالات الإسلاميين ١/٢٣٨.

وقال الناشئ: إن الباري "شئ" موجود في الحقيقة، وإن الباري "غير الأشياء" والأشياء غيره في الحقيقة (١) و قال عبد الله بن كلاب: إنه تعالى موجود لا بوجود، و "شئ" لا بمعنى له كان شيئاً (٢) و زعم الكعبي في (مقالته): إن المعتزلة اجتمعت على أن الله عز و جل "شئ" لا كالأشياء (٣) و قال أبو الحسين الصالحى - من المعتزلة - فى صفات الله معنى قولى:

"إن الله عالم لا كالعلماء" و "قادر لا كالقادرين" و "حى لا كالأحياء" إنه: "شئ" لا كالأشياء".

و كان يقول: إن معنى "شئ" لا كالأشياء" معنى "عالم لا كالعلماء" (٤) و قال بعضهم: لا أقول: العلم شئ، و لا أقول: الصفات أشياء، لأنى إذا قلت: الباري "شئ" بصفاته، استغنيت عن أن أقول: صفاته أشياء (٥) و قال ابن حزم الظاهرى: إن قالوا لنا: إنكم تقولون: إن الله عز و جل "شئ" لا كالأشياء "؟.

قلنا:.... لفظه "شئ" النص جاء بها، و البرهان أوجبها (٦) و قال الرازى: "الموجود" و "الشئ" هما من صفات الله الذاتيه، المراد منها الألقاب الداله على الذات (٧) و قد استدل الجبائى على ذلك: بان الشئ: سمه لكل معلوم، و لكل ما أمكن ذكره و الاخبار عنه، فلما كان الله عز و جل معلوما، يمكن ذكره و الاخبار عنه، و جب أنه "شئ" (٨) و

هشام أخذ مقوله "شئ" لا كالأشياء" من كلام الامام الصادق ع الذى نقلناه، حيث أجاب من ساله عن الله تعالى: ما هو؟ فقال: هو "شئ" بخلاف الأشياء".

فان هشاما هو راوى ذلك الحديث عن الصادق ع (٩) و إذا صح إطلاق "الشئ" على الله جل ذكره، فهو حسب اصطلاح هشام لا يكون إلا "جسما" (١٠) كما مر مفصلا.

و إذا ثبت أن الله "شئ" لا كالأشياء" فهو عند هشام، و من قال بمصطلحه: "جسم لا كأجسام".

و لقد جهد المعتزله الفصل بين المقولتين، و الحكم بعدم الملازمه بينهما:

قال القاضى عبد الجبار: فان قيل: أ ليس عندكم أنه تعالى: "شئ" لا كالأشياء" و قادر لا كالقادرين، و عالم لا كالعالمين، فهلا جاز أن يكون "جسما لا كأجسام"؟.

قيل له: إن "الشئ" اسم يقع على ما يصح أن يعلم و يخبر عنه، و يتناول المتماثل و المختلف و المتضاد، لهذا يقال فى السواد و البياض: أنهما "شيئان" متضادان، فإذا قلنا: إنه تعالى "شئ" لا كالأشياء" فلا يتناقض كلامنا، لأننا لم نثبت بأول كلامنا ما نفيناه بآخره، و كذا إذا قلنا: إنه تعالى قادر لا كالقادرين، و عالم لا كالعالمين، فالمراد به أنه قادر لذاته، و عالم لذاته، و غيره قادر لمعنى، و عالم لمعنى.

و ليس كذلك ما ذكرتموه، لأن الجسم هو: ما يكون طويلا عريضا عميقا، فإذا قلتم: إنه "جسم" فقد أثبتتم له الطول و العرض و العمق، ثم إذا قلتم: "لا كأجسام" فكأنكم قلتم: ليس بطويل و لا عريض و لا عميق، فقد نفيتم آخرا ما أثبتتموه أولا، و هذا هو حد المناقضه، ففارق أحدهما الآخر (١١) و قد ذكر الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده مثل هذا الكلام بعينه، و أضاف: و إذا كان قد قام الدليل على أنه ليس "جسما" فلا يصح القول:

إنه "جسم لا- كالأجسام" لأن حكم الأجسام واحد (١٢) و الجواب: إن "الجسم" عند هشام و في مصطلحه، و عند من يطلق مقوله "جسم لا- كالأجسام" على البارئ تعالى، هو بمعنى "الشيء" و ليس بمعنى "ما له الطول و العرض و العمق" كما فرضه المعتزله حتى يرد عليه ما ذكره، فكلامهم هذا كله خروج عن مصطلح هشام.

و إذا كان "الجسم" بمعنى "الشيء" فكما يصح إطلاق مقوله: "شيء لا كالأشياء" على البارئ باعتبار أن حقيقه الشئيه مشتركه بين البارئ و سائر الأشياء، و إنما يمتاز البارئ عنها بخاصيه وجوديه لا توجد فيها، فهو تعالى "شيء" بخلافها، و لا تشبهه و لا يشبهها، فمن جهه إثبات الشئيه له، خرج عن حد التعطيل، و من جهه نفى المثل له تعالى خرج عن حد التشبيه، فثبت له تعالى التنزيه الكامل، من دون تعارض بين صدر المقوله و ذيلها.

فكذلك مقوله "جسم لا- كالأجسام" على مصطلح هشام، فإن الجسميه - بمعنى إثبات الشئيه بحقيقتها - ثابتة للبارئ تعالى، مشتركه بينه و بين غيره من الأجسام، فإثباتها له يخرج عن حد التعطيل، و نفى المماثله بينه و بين الأجسام، يخرج عن حد التشبيه، و هو التنزيه الكامل، من دون معارضة بين صدر المقوله و ذيلها.

فظهر أن ما ذكره غير وارد على هشام، إذ أنهم أوردوا ذلك على مصطلحهم في الجسم، و هو: ما له الطول و العرض و العمق، لا على مصطلحه في "الجسم" و هو: "الشيء". ٦.

ص: ٢١٩

- ١- مقالات الإسلاميين ١/٢٤٠.
- ٢- مقالات الإسلاميين ١/٢٣٠.
- ٣- مقالات الإسلاميين ٢/١٨٠-١٨١، و الفرق بين الفرق: ١١٥، و مذاهب الإسلاميين ١/٥٠.
- ٤- مقالات الإسلاميين ١/٢٢٨.
- ٥- مقالات الإسلاميين ١/٢٣١.
- ٦- الفصل ١١٨/٢-١١٩.
- ٧- لوامع البينات - للرازي -: ٤٧.
- ٨- مقالات الإسلاميين ٢/١٨١.
- ٩- التوحيد - للصدوق -: ١٠٤، ب ٧، ح ٢.
- ١٠- الفرق بين الفرق: ٦٧.
- ١١- شرح الأصول الخمسه: ٢٢١.
- ١٢- في التوحيد، تكمله ديوان الأصول: ٥٩٦.

و هذا منهم خروج عن أبسط مناهج البحث و الجدل الصحيح.

و أما قولهم: و إذا كان قد قام الدليل على أنه - تعالى - ليس جسما، فواضح أنه مصادره على المطلوب، إذ أن هذا هو محل البحث و النزاع فكيف يؤخذ شرطا تترتب عليه النتيجة التي ذكروها.

ثم إن الأدلة التي أقامها المتكلمون على نفى الجسميه عن البارئ تعالى، كلها مبتنيه على أن المراد بالجسم هو ذو الأبعاد، و قد ذكروها في كتبهم.

و لهذا، لا يرد شئ منها على المقوله، بل نص كثير منهم على أن المقوله على مصطلح هشام لا تدل على التجسيم المعنوي، و ليس فيه مخالفه لأصل، و لا اعتراض على فرع، سوى مسأله توقيفيه الأسماء التي سنفصل ذكرها في نهايه البحث.

٤ - دليل هشام على اختيار

هذا المصطلح

نقل استدلال هشام على اصطلاحه في الجسم، في روايه يونس بن ظبيان، قال: دخلت على أبي عبد الله ع، فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً! إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً: يزعم أن الله "جسم" لأن الأشياء شيان: جسم، و فعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، و يجوز أن يكون بمعنى الفاعل (١) و مراده: أن الموجودات على قسمين:

إما أعراض، و قد عبر عنها هشام بكلمه "الفعل" و هو ما لا يستقل في وجوده، بل يحتاج إلى محل يعرض عليه أو يصدر منه.

و إما ذوات، و قد عبر عنه بكلمه "الجسم" و هو ما يستقل في وجوده.

و البارئ جل ذكره، لا يكون إلا من الموجودات المستقله بالوجود، و بما أن الأعراض لا تسمى عند هشام "أشياء" و الذوات عنده هي الأشياء، و قد عرفنا من مصطلحه أن الشئ عنده يسمى بالجسم.

و البارئ ليس عرضاً، بل ذات، و يسمى "شيئاً" فاذن يطلق عليه اسم "جسم"! هذا ما نفهمه من استدلال هشام في هذه الروايه، و هو الذي فهمه تلامذه هشام، و قد نقله ابن أبي الحديد عنهم، فقالوا: إنه "جسم لا كالأجسام" على معنى أنه بخلاف العرض الذي يستحيل أن يتوهم منه فعل، و نفوا عنه "معنى الجسميه" (٢) فنفي معنى الجسميه، يدل على أن المراد بقولهم "جسم" مجرد الاسم، و إذا انتفى عنه معنى الجسميه، و هي التكتل الخارجى المقتضى للأبعاد، كان "الجسم" في مقابل العرض، و بمعنى الذات المتقومه بنفسها، و هذا في مصطلح هشام هو "الشئ" المرادف لكلمه "الجسم".

و هذه الفكره معروفه عن هشام، بكل مقدماتها: فكان يقول: إن الأفعال صفات الفاعلين، و معان لهم، و ليست بأشياء و لا أجسام (٣) لأن الشئ عنده لا يكون إلا جسماً (٤) فهشام لا يرى العرض "شيئاً" بل يرى ما يقابله "شيئاً" و "الشئ" عنده هو "الجسم" و البارئ لا يكون عرضاً، بل هو ذات، فهو "جسم" أى "شئ" مستقل الوجود.

و كذلك كان هشام يرى أن "الحركه" ليست "جسماً" لأنها "فعل" و "الفعل" عرض ليس بشئ.

ذكر ذلك في مناظرته لأبي الهذيل العلاف الذى كان يرى الحركة "جسماً" (٥) و قد نقل القاضى عبد الجبار شبيهه للقائلين بالتجسيم، و هى أنهم قالوا: المعقول: إما الجسم، و إما العرض، و القديم تعالى يستحيل أن يكون عرضاً، فيجب أن يكون جسماً (٦) فنجد فى هذا الاستدلال نفس العناصر التى وجدناها فى الاستدلال المنقول عن هشام، فقد جعل فيه "الجسم" مقابل "العرض" و كان فى استدلال هشام مقابل "الفعل".

و الفعل، و العرض، مشتركان فى أنهما ليس لهما وجود مستقل بل الفعل نوع من العرض، و الذى يقابلهما هو الموجود الذى له استقلال فى التحقق و الوجود، و هو المسمى بـ "الذات" و بـ "الشيء" و فى اصطلاح هشام بـ "الجسم".

و حيث أن القديم تعالى ليس عرضاً و ليس فعلاً، بل هو موجود مستقل فى الوجود، قائم بذاته، و بنفسه، و لا يحتاج فى وجوده إلى محل يقوم به أو فيه، و هو "شيء فهو مرادف - عند هشام - لكلمه "جسم".

و ليس مفاد ذلك التجسيم المعنوى الذى يدعيه "المجسمه" بل هو إطلاق للفظ "الجسم" بمعنى "الشيء"، و لا محذور فيه سوى موضوع توقيفيه أسماء الله تعالى، و سيجىء.

و من هنا نعرف أن القاضى قد حرف هذا الاستدلال، و صورته استدلالاً على التجسيم المعنوى، باعتبارها الجسم المفروض فى الاستدلال مقابلاً للعرض، قسماً من الجوهر، فلهذا فرض فى جوابه عنه وجود قسم ثالث ليس بجسم و لا عرض، و أنه هو ذات معلوم أو يمكن اعتقاده، و هو القديم تعالى (٧) لكن المقابله المفروضه فى الاستدلال بين العرض و الجسم، توحى أن المراد بالجسم هو ما مستقل فى الوجود و إلا لم تصح المقابله، كما لا يصح الحصر، فكيف يصح الاستدلال، و كيف يفرض غفله المستدل عن ذلك؟ مع فرط وضوحه؟ و ليس له وجه صحه إلا ما ذكرنا، و حاصله: أن المعقول - و المراد به

ص: ٢٢٠

١- التوحيد - للصدوق -: ٩٩، ب ٦، ح ٧: و الحكايات - للمفيد -: ١٣٢.

٢- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.

٣- مقالات الإسلاميين ١١٣/١، و الفرق بين الفرق: ٦٧.

٤- الفرق بين الفرق: ٦٧.

٥- مروج الذهب: ٢٠/٥ رقم ٢٩١٧.

٦- شرح الأصول الخمسه: ٢٢٥.

٧- شرح الأصول الخمسه: ٢٢٥.

ما يمكن فرضه موجودا - إما أن يكون مستقلا بنفسه في الوجود، أو يكون غير مستقل، و الأول هو الذات، و يسميه المستدل "جسما" و الثاني هو العرض، و الباري تعالى لا يكون عرضا، فهو "الجسم".

و المراد بالعرض عند هشام هو "المعنى" و هو لا يراه "شيئا" كما عرفت (١) لأن العرض هو ما يعرض غيره في الوجود، و لا يجب لبثه كلبث الأجسام (٢) و هذه الحقيقة قد استدلت عليها القاضى نفسه، في بيان استحاله كون الباري تعالى "عرضا" (٣) و ظهر أن مراد هشام من "فعل الجسم" في استدلاله هو العرض، المقابل للجوهر، في اصطلاح الفلاسفه.

و القاضى عبد الجبار استعمل كلمه "فعل الجسم" بمعنى آخر، و استعمله في الاستدلال على أن الله تعالى لا يجوز أن يكون جسما، و قد فسره أبو رشيد بان المقصود من "فعل الجسم": إحداثه و اختراعه (٤) و هذا تفسير للفعل بمعناه اللغوى، و إضافته إلى مفعوله، كما أن مراده بالجسم هو المعنى المتداول، و على هذا فلا يرتبط باستدلال هشام و لا مصطلحه في كلتا الكلمتين: "الجسم" و "فعل الجسم".

و قد التزم بنفس استدلال هشام من علماء عصرنا الشيخ محمد عبده المصرى، فقال: إن أريد من "الجوهر" القائم بذاته، و من "العرض" القائم بغيره، لكان الباري "جوهرًا" و صفاته "عرضا". و لا منع إلا من جهة الإطلاق الشرعى، حينئذ (٥) فان جعله "الجوهر" - المفسر بالذات - في مقابل "العرض" هو مثل مقابله "الجسم" بمعنى الشىء القائم بالذات في مقابل "العرض" في كلام هشام.

و هذا أيضا يبنى على اصطلاح خاص في معنى "الجوهر" كما أن ذاك كان مبتنيا على اصطلاح خاص في معنى "الجسم".

و إلا فالجوهر بمعنى ما له ماهيه، لا يمكن إطلاقه على الباري جل ذكره.

و هشام بقوله "جسم" و إطلاقه على الباري تعالى، لا يثبت أيه ماده له تعالى، و لا أنه ماهيه، بل - ذكرنا - أراد بهذه اللفظه التعبير عن كونه تعالى "شيئا" بحقيقه الشئيه، و هو "الموجود" و "القائم بنفسه" فلا يصح عنده التعبير عنه تعالى بالجوهر. و يشهد لذلك أن هشاما كان ممن ينكر الجوهر الفرد.

قال الأشعري - و هو يتحدث عن من يزعم -: أن الجزء يتجزأ أبدا، و لا- جزء إلا- و له جزء، و ليس لذلك آخر إلا- من جهة المساحه، و أن لمساحه الجسم آخرا، و ليس لأجزائه آخر من باب التجزى، و القائل بهذا القول هشام بن الحكم و غيره (٦) فكل جوهر - عند هشام - لا بد أن يكون متالفا من أكثر من جزء، و كل متالف متحيز، و كل متحيز لا بد أن يكون يمينه غير يساره، و قدامه غير خلفه، و كل ما يتميز أحد جانبيه عن الآخر، فهو منقسم، و كل منقسم فليس ب "أحد" (٧) و الله جل ذكره يقول: (قل هو الله أحد) (سوره التوحيد (١١٢) الآية (١)).

و كما أن صدر المقوله "جسم لا كالأجسام" يثبت وجود الباري تعالى، فهو إخراج له عن حد التعطيل، فكذلك ذيلها ينفي عنه تبارك ذكره كل شبه للأجسام، و مماثله بينه و بينها، فهو إخراج له تعالى عن حد التشبيه، كما تدل عليه الآية الكريمة: (ليس كمثله شىء).

فهذه الآية نفت عن وجوده تعالى المماثلة لغيره من الأشياء. و مما يدل على أن قوله في ذيل المقوله: "لا كالأجسام" هو بمعنى (ليس كمثل شىء) هو وجود هذه الآية مكان ذلك الذيل في مورد نقل كلام هشام، في حديث الحمانى: إن هشام بن الحكم زعم أن الله (جسم ليس كمثل شىء) (٨) و هذا الذيل ضرورى لتكميل التنزيه، كما عرفت، و لذلك قال ابن حزم: لو أتانا نص بتسميته تعالى "جسما" لوجب علينا القول بذلك، و كنا حينئذ نقول: إنه "لا كالأجسام" (٩)

٥ - المقوله لا تدل على التجسيم

قد ثبت أن المقوله حسب مصطلح هشام لا تدل على عقيدة التجسيم، بل تدل على التنزيه الكامل عن حدى التعطيل و التشبيه، و غايه ما تدل عليه أن هشاما كان يطلق اسم "الجسم" على البارئ تعالى، و غرضه إثبات وجوده، و أنه "شىء" قائم بنفسه " و ليس "عرضا".

نعم تبقى المقوله مخالفه لمسأله توقيفيه أسماء الله تعالى، و ذاك أمر آخر سيأتى ذكره فى نهايه البحث.

و قد صرح المحققون من العلماء بعدم دلاله هذه المقوله على اعتقاد التجسيم:

١ - منهم الشيخ المفيد فقد ذكر ما نصه: لم يكن فى سلفنا من تدين بالتشبيه من طريق المعنى، و إنما خالف هشام و أصحابه جماعه أصحاب أبى عبد الله ع بقوله فى "الجسم" فزعم أن الله "جسم لا كالأجسام" (١٠) فنفى التشبيه من طريق المعنى، يشمل هشاما و غيره ممن اتهموا بذلك، و التشبيه من طريق المعنى هو التجسيم الحقيقى، و يقابله تنزيه

ص: ٢٢١

- ١- اللمع - للأشعرى -: ٣-٣٤.
- ٢- مذاهب الإسلاميين ١/٤١٧.
- ٣- شرح الأصول الخمسه: ٢٣١.
- ٤- انظر الاستدلال و توضيحه فى: ديوان الأصول: ٥٩٧.
- ٥- الشيخ محمد عبده: ٥٣١.
- ٦- مقالات الإسلاميين ١/١٢٤.
- ٧- اللوامع الالهيه - للفاضل المقداد -: ٨٧، و انظر: الفصل - لابن حزم - ٦٦/٥.
- ٨- التوحيد - للصدوق -: ١٠٠، ب ٦، ح ٨.
- ٩- الفصل ١١٨/٢-١١٩.
- ١٠- الحكايات: ١٣١.

البارئ تعالى عن كونه جسما كالأجسام، أما التجسيم الذى قال به هشام فهو "التجسيم اللفظى" و من جهة العبارة، و المراد به إطلاق اسم "الجسم" فقط عليه تعالى.

و قد يستفاد ذلك من تعبير الشيخ المفيد: إن هشاما خالف "بالقول فى الجسم" لا إنه خالف "فى القول بالجسم" الذى هو مذهب المجسمه.

و الحاصل أن المفيد ينسب بهذه العبارة إلى هشام قولاً قاله فى "الجسم" و اصطلاحاً خاصاً به فى تفسير الجسم، أطلقه بذلك على البارئ، مخالفاً لجميع الطائفة فى هذا، لا أنه قال بالجسم.

و إلا لكان كلام المفيد متناقضاً صدرًا و ذيلًا.

و يؤيد ما ذكرناه أن المفيد قال فى مقام آخر: كان هشام بن الحكمشيعياً، و إن خالف الشيعة - كإفهامه - فى أسماء الله تعالى (١) حيث يحصر مخالفه هشام فى موضوع الأسماء، و المعروف هو خلافه فى "الجسم" هل يسمى به البارئ أولاً؟ - ٢ - و قال الشريف المرتضى: فالظاهر من الحكاياه عنه القول بـ "جسم لا- كالأجسام" و لا- خلاف فى أن هذا القول ليس بتشبيه، و لا ناقض لأصل، و لا- معترض على فرع، و أنه غلط فى عبارته، يرجع فى إثباتها و نفيها إلى اللغة (٢) و واضح أن الشريف جعل المقوله من باب إطلاق لفظ "جسم" على البارئ باعتبار تفسيره بغير ما هو فى اللغة، و جعل المسألة لغويه، و هذا كاف فى إخراج البحث فيها عن علم الكلام.

مضافاً إلى أن نفي كونها تشبيهاً، أو ناقضه لأصل، يدل بوضوح على عدم كونها داله على اعتقاد التجسيم، و إلا كانت متناقضه لأصل التوحيد.

٣ - و قال القاضى الإيجى، و السيد الشريف، فى المواقف، و شرحه:

(إنه تعالى ليس بـ "جسم" و هو مذهب أهل الحق (و ذهب بعض الجهال إلى أنه "جسم") ثم اختلفوا:

(فالكلامية) أى بعضهم (قالوا: هو "جسم" أى: موجود).

(و قوم) آخرون منهم (قالوا: هو "جسم" أى: قائم بنفسه، فلا- نزاع معهم) على التفسيرين (إلا- فى التسميه) أى إطلاق لفظ "الجسم" عليه (٣) ٤ - و قال ابن أبى الحديد: من قال: إنه "جسم لا كالأجسام" على معنى أنه بخلاف "العرض" الذى يستحيل أن يتوهم منه فعل و نفوا عنه "معنى الجسميه" و إنما أطلقوا هذه اللفظه لمعنى أنه "شئ لا كالأشياء" و "ذات لا كالذوات" فأمرهم سهل، لأن خلافهم فى العبارة.

و المتعصبون لهشام بن الحكم من الشيعة فى وقتنا هذا يزعمون أنه لم يقل بالتجسيم المعنوى، و إنما قال: إنه "جسم لا كالأجسام" بالمعنى الذى ذكرناه (٤) و كلامه واضح فى إن المقوله أطلق فيها اسم "الجسم" على البارئ على أنه بمعنى "شئ لا" بمعنى ذى الأبعاد، حتى يكون تجسيمياً معنوياً.

لكن نسبة هذا التفسير للمقوله إلى خصوص الشيعة في وقته غير صحيح:

لأن هذا التفسير قد نسب إلى تلامذه هشام من قدماء الشيعة، وقد سبق أن قلنا: إن تلامذه الرجل لا يبعد أن يكونوا معبرين عن رأى أستاذهم، وخاصة إذا لاحظنا اتفاقهم على ذلك.

٢ - أن هذا التفسير لمقوله هشام مبتن على مصطلح هشام، وقد مضى نقله عن جمع من العلماء الذين ذكروا آراء هشام، فلا معنى لجعله قولاً - للشيعة في عصره فقط! ٥ - وقال الدواني - في شرحه على العقائد العضديه -: و من المشبهه من تستر "باللکفه" فقال: هو "جسم لا كأجسام" و له حيز لا كأحياز، و نسبته إلى حيزه ليست كنسبه الأجسام إلى حيزها، و هكذا ينفي جميع خواص الجسم منه، حتى لا يبقى إلا اسم "الجسم".

و هؤلاء لا يكفرون (٥) أقول: فقد صرح في النهاية بان المراد من "الجسم" هو مجرد الاسم، لا المعنى، و صرح بعدم كفر قائله المقوله، و لو كانت داله على التجسيم المعنوي، لكانوا كفره بلا خلاف.

لكنه قد أدخل في كلامه ما لا يطابق هذا التصريح:

١ - قوله: "و له حيز لا كأحياز، و نسبته إلى حيزه ليست كنسبه الأجسام إلى حيزها".

و هذه إضافه منه نسبها إلى أصحاب المقوله، و لم نجد لها مضافه إلى المقوله في شيء من مصادرها مطلقاً، و هي غلط تنافي تفسيرهم للمقوله، و ذلك:

لأن مرادهم بالجسم - كما صرح به الدواني أخيراً - هو مجرد الاسم، و معناه - كما مر مفصلاً - هو: الشيء، و قد نفوا بقولهم "لا- كأجسام" كل خواص الجسم - كما اعترف به الدواني أيضاً - فما معنى قوله "و له حيز" و من أين نسب إليهم إثبات الحيز، إن كانوا قد نفوا عنه كل خواص الأجسام؟ أليس الحيز من خواصها المنفيه؟ فلو كان يقول - نقلاً عنهم -: إنه "جسم لا كأجسام" ليس له حيز و لا أبعاد و هكذا ينفي جميع خواص الأجسام حتى لا يبقى إلا مجرد اسم "الجسم" لكان تفسيراً جيداً للمقوله حسب تفسيرهم.

و الحاصل أن قوله: "و له حيز... " يناقض تصريحه بكون المقوله تجسيميا لفظياً و عدم كفر قائلها.

٢ - قوله: "من تستر باللکفه" ٢.

ص: ٢٢٢

١- أوائل المقالات: ٤٣، طبع النجف، و ص ٣٧، طبع تبريز.

٢- الشافى - للشريف المرتضى -: ١٢.

٣- شرح المواقف - للسيد الشريف -: ٤٧٣، و ما بين الأقواس هو عبارته المواقف.

٤- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.

و هذه الكلمه مصدر جعلى من قولهم: "بلا- كيف" و قد استعمل السلفيون من العامه ذلك، حيث أثبتوا الله - جل و علا- أعضاء، كاليد، و الرجل، و العين، و سائر الجوارح و هكذا الاستواء، و النزول، و ما أشبه.

و خروجا عن تشبيهه تعالى بالخلق، قالوا: إن هذه الأعضاء هي "صفات" خبريه لله تعالى شأنه.

و إذا سئلوا عن حقيقه هذه الصفات؟ قالوا - مثلا -: لله يد بلا كيف.

و قد اشتهر عنهم قولهم: الاستواء معلوم، و الكيف مجهول، و الايمان به واجب و السؤال عنه بدعه(١) فالبلكفه "من مصطلحات الصفاتيه، و قد أصبحت عقيدته الأشاعره من بعدهم، و صار مذهباً لأهل السنه، و انتقلت سمه الصفاتيه إلى الأشعريه(٢) فقد تهربوا من الاجابه بتكميمهم الأفواه، و تستروا عن التشبيه الذى تدل عليه أسماء بادعائهم "اللاكيف".

و لذلك قال الشاعر فيهم:

قد شبهوه بخلقه و تخوفوا خوف الورى فتستروا بالبلكفه

لكن الدوانى غالط، و اعتبر قول القائل: "لا- كالأجسام" بلكفه، مع أن المنفى فى هذه المقوله ليس هو الكيف، و إنما المنفى صريحا هو التشبيه، و مع ذلك فالدوانى يعتبر المقوله "تشبيها".

فما أوضح هذا التهافت؟! و إذا كان لفظ "جسم" بمعنى "شئ" دلت المقوله على ما تدل عليه الآية الكريمة:(ليس كمثله شئ) (سوره الشورى (٤٢) الآية (١١) - كما سبق أن شرحناه - فهل يعتبر الدوانى هذا - أيضا - بلكفه؟! ٦ - و صرح ابن حزم بان المقوله لا- مانع فيها إلا من جهه توقيفيه الأسماء، فقال: و من قال: إن الله تعالى "جسم لا كالأجسام" فليس مشبها(٣) لكنه ألحد(٤) فى أسماء الله تعالى: إذ سماه عز و جل بما لم يسم به نفسه(٥) و قال: إن قالوا لنا: إنكم تقولون: إن الله عز و جل حى لا كالأحياء، و عليم لا كالعلماء، و قادر لا كالقادرين، و "شئ لا كالأشياء" فلم منعتم القول بأنه "جسم لا كالأجسام"؟.

قيل لهم - و بالله التوفيق -: لو لا النص الوارد بتسميته تعالى بأنه حى، و قدير، و عليم، ما سميناه بشئ من ذلك، لكن الوقوف عند النص فرض، و لم يأت نص بتسميته تعالى "جسما" و لا قام البرهان بتسميته "جسما" بل البرهان مانع من تسميته بذلك تعالى. و لو أتانا نص بتسميته تعالى "جسما" لوجب علينا القول بذلك، ركنا - حينئذ - نقول: إنه "... لا كالأجسام" (٦) و هذا صريح فى أن المانع من إطلاق لفظ "جسم" هو التوقيف، لعدم وروده فى النص، و أنه لو أطلق لزم إضافه ذيل المقوله عليه.

و أما قوله: بل البرهان مانع من تسميته بذلك تعالى، فليس بصحيح:

أولا: لو كان هناك مانع غير التوقيف، لما صح إطلاقه عليه تعالى بمجرد ورود النص به، كما فرضه هو.

و ثانيا: إن البرهان لا دخل له فى أمر الألفاظ و التسميات، لأن ذلك من شئون اللغه و الوضع، لا البرهان و العقل، كما سيأتى توضيحه فى مسأله توقيفيه الأسماء، إن شاء الله.

ثم إننا لم نقف على برهان عقلي على عدم صحه إطلاق اسم "الجسم" عليه تعالى! نعم، قد تم البرهان على نفى التجسيم عنه تبارك و تعالى، و أين هذا من التجسيم اللفظي!؟.

و الحاصل: أن المقوله لا تدل على التجسيم، بل تدل على التنزيه عن حد التعطيل، و عن حد التشبيه، فإطلاق النفي في قوله "لا كالأجسام" صريح في نفى كل أشكال التماثل و المشابهه بين البارئ تعالى و بين الخلق، و هذا بنفسه قرينه على صرف معنى "الجسم" عن المفهوم اللغوي و العرفي، إلى مصطلح هشام، و إرادته "الموجود" أو "الشيء" أو "القائم بالذات" فلا تكون المقوله إلا تعبيراً عن إثبات وجود البارئ و نفى كل تشبيه بخلقه عنه.

و قد احتوى أقدم نص نقل فيه كلام هشام هذا، على أنه زعم: أن إثبات "الشيء" أن يقال: "جسم" فهو "جسم لا كالأجسام": "شيء لا كالأشياء".

ثم أضاف: ثابت، موجود، غير مفقود، و لا معدوم، خارج عن الحدين: حد الابطال، و حد التشبيه (V) و هذا هو الغايه في البعد عن اعتقاد التجسيم، و نهايه التمسك بالتنزيه.

و

قد ورد في الحديث نفى القول بالتجسيم عن هشام، فيما رواه على بن إبراهيم القمي، قال: حدثني أبي، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن علي بن موسى الرضا ع، قال: قال: يا أحمد، ما الخلاف بينكم، و بين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد؟ فقلت: جعلت فداك - قلنا نحن ب "الصوره" للحديث الذي روى أن رسول الله ص رأى ربه صوره شاب.

و قال هشام بن الحكم ب "النفي للجسم".

فقال: يا أحمد، إن رسول الله ص لما أسرى به إلى السماء، و بلغ عند صدره المنتهى، خرق له في الحجب مثل سم الابره، ٣.

ص: ٢٢٣

١- الملل و النحل ٩٣/١. و لنا بحث طويل معهم في هذه المصطلحات، و موقف حاسم في عقائدهم هذه، وفقنا الله لنشره.

٢- الملل و النحل: ٩٣/١ و قبلها.

٣- في المصدر: "مشتبها" و هو غلط، كما لا يخفى.

٤- الإلحاد في الشيء: إدخال ما ليس منه فيه.

٥- الفصل ١٢٠/٢.

٦- الفصل ١١٨/٢-١١٩.

٧- اختيار معرفه الرجال: ٢٨ رقم ٥٠٣.

فرأى من نور العظمه ما شاء الله أن يرى، و أردتم - أنتم - التشبيه!؟.

دع هذا، يا أحمد، لا يفتح عليك، هذا أمر عظيم (1) ثم نفى التجسيم، و عدم إرادته المعنى اللغوي من كلمه "الجسم" بل اعتبره - على اصطلاح هشام - بمعنى "الشيء" و "الموجود" مع تكميله بنفى التشبيه فى قوله "...لا كالأجسام" يقتضى نفى "الصورة" عن البارئ، لوضوح أن "الصورة" من لوازم الأجسام و قد نفاه قوله "لا كالأجسام".

كما أن الامام الرضا ع جعل كلام هشام و من تبعه فى مقابل التشبيه فى الروايه التى احتوت على مقولته، و هى أول نص شيعى جاءت فيه، و إليك نصها:

قال عبد الملك بن هشام الحنط: قلت للرضا ع:

زعم هشام بن سالم: أن الله عز و جل صورته، و أن آدم خلق على مثال الرب.

و زعم يونس مولى آل يقطين، و هشام بن الحكم: أن الله "شئ لا كالأشياء"، و أن الأشياء بائنه منه، و هو بائن عن الأشياء، و زعما: أن إثبات "الشيء" أن يقال "جسم" فهو "جسم لا كالأجسام": "شئ لا كالأشياء" ثابت، موجود، غير مفقود، و لا معدوم، خارج عن الحدين:

حد الابطال، و حد التشبيه.

فباى القولين أقول؟! فقال ع: أراد هذا الإثبات.

و هذا شبه ربه تعالى بمخلوق، تعالى الله الذى ليس له شبيهه، و لا عدل، و لا مثل و لا نظير، و لا هو فى صفه المخلوقين.

لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم.

و قل بما قال مولى آل يقطين و صاحبه (2) و كلام الامام الرضا ع - مضافا إلى توضيحه مراد هشام، و تقريره لهذا المراد - يدل على بعد معتقد هشام عن كل تشبيهه، و منافاته لما قاله هشام بن سالم.

و قد ذكر المفهرسون أن لهشام بن الحكم كتاب "الرد على هشام بن سالم" (3) كما أن مقابله هشام، للبرنطى القائل بالصوره - فى روايه القمى - تدل بوضوح على أن هشاما كان لا يقول "بالصوره".

و كذلك "الرؤية" فإنها داخله فى خواص الأجسام، التى نفاها هشام بقوله: "...لا كالأجسام".

و قد صرح هشام بان "الرؤية" من لوازم "الجسميه" فى مناظرته لأبى الهذيل العلاف، فقال له: إذا زعمت: أن الحركة ترى، فلم لا- زعمت أنها تلمس؟ قال العلاف: لأنها ليس بجسم، فيلمس، لأن اللمس إنما يقع على الأجسام! قال هشام: فقل "إنها لا ترى" لأن الرؤية إنما تقع على الأجسام (4) فإذا نفى هشام خواص الأجسام عن البارئ بقوله: "...لا كالأجسام" فهو ينفى رؤيه البارئ تعالى قطعا.

و لذا لم ينقل عنه القول بالرؤية إلا ما حكاه بعض خصومه من المعتزله.

قال الشيخ المفيد: فاما نفى الرؤية عن الله عز و جل بالأبصار، فعليه إجماع الفقهاء و المتكلمين من العصابه كافه، إلا ما حكى عن هشام فى خلافه(٥) و الذى حكى هذا القول الشاذ هو القاضى عبد الجبار، فقال: و أما هشام بن الحكم و غيره من المجسمه فإنهم يجوزون أن يرى فى الحقيقه و يلمس(٦) مع أنا عرفنا مصطلح هشام فى "الجسم" و أنه أطلقه على معنى "الشيء" و "الموجود" و "القائم بنفسه" و نفى عنه خواص الأجسام بقوله "لا كالأجسام" و علمنا أن ذلك يقتضى نفى هشام ل "الصوره" و "الرؤية".

و القاضى - نفسه - اعترف بان معانى "الشيء" و "الموجود" و "القائم بنفسه" لا تؤدى إلى "التجسيم" و لا تلازم القول ب "الرؤية" (٧) و قد اعترف القاضى - أيضا - بأنه: لا أحد يدعى أنه يرى الله سبحانه إلا من يعتقد "جسما" مصورا بصوره مخصوصه "و يعتقد أنه يحل فى الأجسام(٨) فإذا وجدنا هشاما ينفى حقيقه الجسم، و ينفى الصوره، و ينفى كل لوازم الأجسام، فكيف ينسب القاضى إليه القول بالرؤية التى هى من أظهر خواص الأجسام، و ألزم لوازم القول باعتقاد التجسيم؟! و من الغريب أن بعض الكتاب غفل عن كل ما ذكرناه من الحقيقه، فنقل كلام المفيد فى نفى القول بالرؤية عن الطائفه كافه إلا ما حكى عن هشام، و قال: فان صحت الحكايه و النسبه (!) فهى نتيجة لقوله: إن الخالق "جسم لا- كالأجسام" لأن القول بكونه "جسما" يفضى إلى القول بجواز الرؤية.

لكن هذه الحكايه لم تثبت بطريق مقبول(٩) و قد عرفت بان هشاما لم يرد بكلمه "الجسم" ما هو المفهوم الظاهر منه، حتى يكون مفضيا إلى الرؤية، بل أراد "الشيء" و "الموجود" و هذا.

ص: ٢٢٤

١- تفسير القمى ٢٠/١.

٢- اختيار معرفه الرجال: ٢٨٥ رقم ٥٠٣.

٣- لاحظ: رجال النجاشى: ٤٣٣ رقم ١١٦٤ و الفهرست للطوسى: ٢٠٤ رقم ٧٨٢، و الفهرست - للنديم -: ٢٢٤.

٤- مروج الذهب ١٢/٥ رقم ٢٩١٧.

٥- الفصول المختاره ١٢١/٢. و أوائل المقالات: ٥٩.

٦- المغنى ١٣٩/٤.

٧- المغنى ١٨٠/٤.

٨- المغنى ٩٩/٤.

٩- هشام بن الحكم أستاذ القرن الثانى - لعبد الله نعمه -: ١٤٨.

باعتراف القاضي عبد الجبار - صاحب الحكاياه و النسبه - لا يقتضى القول بالرؤيه.

و قد صدر هذا من الكاتب نتيجة عدم وقوفه على مصطلح هشام، و عدم تدقيقه فى أبعاد هذا المصطلح، و لنا لقاء معه فى القسم الآتى من هذا البحث.

ثم إن جميع ما أورده المحققون من الفلاسفه و المتكلمين من البراهين و الأدله على نفى التجسيم عن الله تبارك و تعالى مبتن على نفى التأليف و التركيب و التحيز و الحاجه و الجزء، و ما أشبه ذلك، عن وجود البارئ جل و عز، لأن جميع ما ذكر هو من سمات الممكنات، و الله تعالى واجب الوجود.

و من الواضح أن شيئا من ذلك لا يرتبط بمسأله اللفظ و إطلاق كلمه "جسم" بمعنى "الشيء" عليه تعالى.

و أما مسأله توقيفيه أسمائه تعالى، فهذا أمر آخر، سيأتى التفصيل فيه، بعون الله.

٦ - مواقف الكلاميين من المقوله:

لقد عرفنا خلال عرضنا لمصطلح هشام مواقف العلماء الناقلين لذلك من المقوله، و رأينا هنا أن نستعرض تلك المواقف فى نظره سريعه:

أما الأشاعره:

فقد صرح رئيس مذهبهم أبو الحسن الأشعري بان هشاما قال: هو "جسم لا كالأجسام" و معنى ذلك: أنه "شيء موجود" (١) و هذا واضح فى تفسيره المصطلح بما لا يدل على التجسيم المعنوى، فان من يعبر عن الله تعالى بأنه "شيء موجود" لم يذكر بكلامه هذا إلا إثبات وجود الله تعالى، دون أن يعبر عن كون الله تعالى له صفه الجسميه أو غيرها، فكذلك المقوله التى تدل على معنى "شيء موجود" كما فسرنا الأشعري.

مضافا إلى أن ذيل المقوله يدل على نفى تشبيهه بالأجسام كلها، فهو أصرح، فى عدم التجسيم المعنوى.

و قد صرح الأشعري فى مورد آخر بان الذى يقول فى البارئ:

"جسم" بمعنى أنه "موجود": لا يثبت البارئ ذا أجزاء مؤتلفه، و لا أبعاد متلاصقه (٢) فهذا - على مصطلح هشام - صريح فى نفى المعنى اللغوى للجسم الدال على الأبعاد و الأجزاء و تالفها فى الوجود.

و أصرح من ذلك قوله: و قال قائلون: هو "جسم خارج من جميع صفات الأجسام" ليس بطويل، و لا عريض، و لا عميق، و لا يوصف بلون، و لا طعم، و لا مجسه، و لا شيء من صفات الأجسام، و أنه ليس فى الأجسام، و لا على العرش (٣)...

و هذا النص، و إن لم يفسر فيه الجسم بما اصطلح عليه هشام، إلا أن قوله: "خارج من جميع صفات الأجسام" إلى آخر العبارة، لازم لذلك، بل هذا هو توضيح لذيل المقوله: "...لا كالأجسام" كما هو واضح مما تقدم ذكره مكررا.

و مع هذا، فالأشعري ينسب إلى هشام القول بان ربه فى مكان دون مكان، تعالى الله عن ذلك، و كذلك ينسب إليه أقاويل تنافى هذه المقولة منافاه ظاهره، و يضيف على مقولته أقبح ما يقال فى هذا المجال، مما لا يخفى على عاقل، فكيف يخفى ذلك على الأشعري المتغافل؟! هذا، و قد اعترف كبار الأشاعره، المتقدمون و المتأخرون، بعدم دلالة المقولة على التجسيم، كما نقلناه عن الإيجي، و الجويني، و الدواني، و الرازي، و عبده.

و أما الظاهرية:

فقد عرفنا من أشهر شخصيه علميه فيهم، و هو ابن حزم الظاهري تصريحه بان: من قال: "جسم لا كالأجسام" فليس مشبها، لكنه ألحد فى أسماء الله تعالى، إذ سماه عز و جل بما لم يسم به نفسه (٤) مع أنه يوافق على مقوله "شئ لا كالأشياء" (٥) و قد عرفنا أن مقوله "جسم لا كالأجسام" هي مرادفه لمقوله "شئ لا كالأشياء" و بمعناها على مصطلح هشام فى "الجسم".

و أما المعتزله:

فقد أبدوا معارضه شديده للمقوله، باعتبارهم أكثر الناس عدااء لهشام و لما ينسب إليه من آراء.

و ذلك لأنه الرجل القوى الذى كان يقف فى وجههم و هم فى أوج قدرتهم و عزتهم، "فكان الشخصيه القويه الذى ناظرهم و ناظروه" (٦) و هو الوحيد الذى اضطر الخصوم للاعتراف له بأنه "صاحب غور فى الأصول" (٧) و بلغ من القوه بحيث قالوا فى حقه: "لا- يجوز أن يغفل عن إزاماته على المعتزله، فان الرجل وراء ما يلزم به على الخصم" (٨) و قد ذكر الشهرستاني أن هذه المقوله إنما أوردتها هشام فى إزام أبى الهذيل العلاف بالذات، و هو من كبار المعتزله المعاصرين لهشام، و له معه مناظرات عديده.

و المعتزله مع إجماعهم على مقوله "شئ لا كالأشياء" (٩) و مع أن بعضهم وافق على كبرى "لا شئ إلا و هو جسم" (١٠)، إلا أنهم أغفلوا مصطلح هشام، و عارضوا المقوله، و غلطوا فى حملها على غير مصطلح هشام، و قد أوضحنا سابقا مواقع المغالطه فى كلماتهم (١١).

ص: ٢٢٥

١- مقالات الإسلاميين ٢٥٧/١.

٢- مقالات الإسلاميين ١٠٤/١.

٣- مقالات الإسلاميين ٢٦٠/١.

٤- الفصل ١٢٠/٢.

٥- الفصل ١١٩-٨/٢.

٦- ضحى الإسلام - لأحمد أمين - ٢٦٨/٣.

٧- الملل و النحل ١٨٥/١.

٨- الملل و النحل ١/١٨٥.

٩- مقالات الإسلاميين ٢/١٨٠، و انظر موضع التعليقه رقم ٧٩.

١٠- مقالات الإسلاميين ١/٢٤٥.

١١- راجع (ص ٣٩) من هذا البحث.

لكن الجبائي - و هو من كبارهم - كان يزعم: أن العقل إذا دل على أن البارئ "عالم" فواجب أن نسميه "عالما" و إن لم يسم نفسه بذلك، إذا دل العقل على المعنى، و كذلك سائر الأسماء (١) فهو على هذا ملزم بالموافقه على المقوله، على مصطلح هشام، و لكن لم أجد تصريحاً له بذلك.

لكن واحداً من المعتزلة صرح بالحق في شأن المقوله، و هو ابن أبي الحديد، الذي صرح بان المقوله "جسم لا كالأجسام" إذا كانت على معنى: أن الله تعالى بخلاف العرض الذي يستحيل منه الفعل، فهو نفى لمعنى الجسميه، و إنما أطلقوا هذه اللفظه لمعنى أنه "شئ لا كالأشياء" و أمرهم سهل، لأنه خلاف في العبارة (٢) هذه مواقف عمده المذاهب الإسلاميه التي لها رأى في المباحث الكلاميه، من الذين يخالفون هشاماً في المعتقد، و خاصه في المذهب، و كما رأينا فإنهم متفقون على عدم منافاه مقوله هشام للحق، و لا اعتراض لهم على المقوله من حيث المعنى.

لكنهم بالرغم من ذلك نسبوا إلى هشام أنواعاً من التهم البشعه، و الخرافات المنافيه لأبسط القواعد العقليه، سعيًا في تشويه سمعته بين المسلمين الموحدين، و تضييعاً لأثره في الفكر و العقيد، و إخفاء لعظمته في تاريخ العلم و الثقافه الإسلاميه في عصورها المبكره.

و من هنا نعرف السبب في إغفال البغدادي صاحب "الفرق بين الفرق" لهذه المقوله عند ذكره لآراء هشام الكلاميه، فلم يذكرها مطلقاً، مع شهرتها عن هشام، بينما أبدى حقداً و بغضاً في جمع كل خرافه و باطل و كذب، و نسبه ذلك إلى هذا المفكر الموحد!

٧ - موقف الشيعة من المقوله:

أما الشيعة، الذين ينتمى إليهم هشام، فقد عرفنا اتفاقهم قداماً و متأخرين على أن المقوله لا تدل على التجسيم المعنوي، و إنما أريد من كلمه "الجسم" معنى آخر، غير مدلوله اللغوي المتفاهم، و قد أوضحنا أن المعنى الآخر قد اصطلح عليه هشام و أصحابه و تلاميذه، و أرادوا من كلمه "الجسم" معنى "الشئ" و "الموجود".

و قد صرح الشيخ المفيد، و السيد المرتضى، بان هشاماً لم يخالف في مقولته "جسم لا كالأجسام" التوحيد، و لا يرد عليه إلا إطلاقه لفظ "الجسم" على البارئ تعالى و إن كان بمعنى "الشئ" (٣) و قد ذكر ابن أبي الحديد: أن هذا المعنى الآخر قد اصطلح عليه هشام و أصحابه و تلاميذه، و أرادوا من كلمه "الجسم" معنى "الشئ" و "الموجود". و كذلك صرح كثير من علماء الطائفة، و آخرهم السيد الخوئي الذي قال في كتاب رجاله بعدم إرادته هشام من كلمه "الجسم" معناها المفهوم، بل أراد معنى آخر (٤) و لكن الذي يحز في النفس أن يتعرض للموضوع من لم يأخذ له أهفته اللازمه، ممن ينتمون إلى مذهب هشام، فغرتهم كثرة الأقاويل التي اختلقها كتاب الفرق و المقالات، و مؤرخو المذاهب و القضايا الاعتقاديه، و ملئوا بها الصحائف، فلم تفسح لهؤلاء مجالاً للتأمل في الموضوع بدقه و عمق، من حلال مصادرنا المأمونه لتمييز الصحيح من الفاسد، أولاً، و التوصل إلى الحق الذي أرادته هشام، ثانياً، فوقع هؤلاء في الفخاخ التي نصبها أولئك الحاقدون، و ما سطره في صحائفهم السوداء ضد هشام.

و أكثر ما نجد تناقل كتاب العصر لما لفته الخصوم عن معتقدات هشام، مما ينافي أبسط قواعد الايمان و الإسلام.

و ناقل الكفر و إن لم يكن كافرا - كما يقال - إلا أن تمريرها بالنقل، من دون تعرض لها بالنقد أو تزييف نقاط الضعف، أو تبين أوجه المغالطه فيها، جريمه لا- تغتفر، فضلا عن أن يبدى المؤلف رأيا يعارض الحق، و ينسبه إلى هشام! أو يتناقل تلکم الأکاذيب من دون نسبتها إلى مختلقیها، و كان الناقل يفرضها من مسلمات التاريخ أو العلم! فيما يعتذر من يعد في المذاهب مذهبا باسم "الهشاميه" ينسب إليه الغلو و التشبيه؟! مع العلم بان مؤلفی الفرق و مؤرخی المذاهب من الشيعة لم يذكروا فرقه بهذا الاسم أصلا، فضلا عن ينسبوا إليها تلکم التهم؟! و لو نقل ذلك عن مصادر المخالفين لهشام في المذهب، لكفانا مئونه هذه الكلمه المؤلمه! أما هشام، فلن تؤثر في عظمته هذه التصرفات، و لم تخفت نور الحق الذي التزم به كثره التشويش عليه، سواء من فعل الخصوم الحاقدين، أو من نقل أبناء طائفته الغافلين أو المتساهلين.

و لقد رأيت من واجبي أن أستعرض ما جاء في كتاب "هشام بن الحكم أستاذ القرن الثاني في الكلام و المناظره" مما وجدته مخالفا لما ثبت عن هشام من آراء، و ما توصلت إليه من حقائق.

و مع أن مؤلف هذا الكتاب كان متنبها إلى خطوره الموضوع، و صعوبه البحث فيه، إذ يقول: مع اعترافي بان ذلك محاوله نموذجيه قد لا- تبلغ من العمق و الشمول ما لا- يطلبه حديث رجل كهشام، و لا يتسع كثيرا للإيضاح، ذلك لأنه لم يحظ بعنايه المترجمين (٤) و مع ما يعهد من مؤلفه من معرفه و حسن نيه و جهد علمي. لكنه - مع هذا كله - وقع للأسف في شباك الأخطبوط المعادي لهشام! و نحن نذكر هنا ما يرتبط بمبحث التجسيم فقط! في انتخاب المصادر:

فهو ينقل عن مصادر متاخره جدا ما نقلوه عن مصادر قديمه، من دون

ص: ٢٢٤

١- مقالات الإسلاميين ١٨٥/٢، و انظر: مذاهب الإسلاميين ٥٠٠/١.

٢- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.

٣- الحكايات: ١٣١، و أوائل المقالات: ٤٣، و الشافي - للمرتضى -: ١٢.

٤- شرح نهج البلاغه ٢٢٨/٣.

٥- معجم رجال الحديث ٣٥٨/١٩.

٦- هشام بن الحكم: ٨-٩.

أن يتابع القضايا، و يراجعها في مصادرها الأصلية.

فمثلا: يعتبر المؤلف هشاما تلميذا لأبي شاعر الديصاني، و قد ذكر مستندا لهذا الاعتبار، و هو أربعة نصوص، أحدها منقول عن البرقي، و الثاني في روايه عن الامام الرضا ع، ثم الثالث عن ابن الخياط المعتزلي، و الرابع عن ابن تيميه الحراني، ثم قال: و بعد هذا، فان جميع النصوص المذكوره متفقه على أن هشاما كان على صله تامه بهذا الديصاني، و علاقته وثيقه به (١) أقول: و ليس شيء من هذه النصوص الأربعة حجه على ما يريد المؤلف إثباته، فالنصان: الثالث و الرابع، هما كلمتان لرجلين من ألد خصوم الشيعة، و ممن شنعوا على هشام بالخصوص، و ممن لم يتقوا الله في نسبه ما هوت نفوسهم إلى هشام و أتباع أهل البيت ع، و يشهد بذلك كتاباهما "الانتصار للخياط، و "المنهاج لابن تيميه! ثم متى صارت أقوال الخصوم حجه في حق خصومهم؟! و كيف صار اتفاق هذين الرجلين دليلا على اتهام هشام؟ (٢) و أما النص الأول: فقد نقله المؤلف عن المامقاني في تنقيح المقال ٣ / ٣٩٥.

و قد نقله المامقاني عن ابن داود الرجالي الحلبي، و لما راجعت "الرجال لابن داود وجدته ناقلا له عن البرقي، فراجعت رجال البرقي، فوجدت فيه: و في كتاب سعد: له كتاب، و كان من غلمان أبي شاعر الزنديق، جسمي، رؤيي.

و قد علق محقق الكتاب على هذه العبارة بان في نسخه تصحيحا (٣) و لم يميز في كتاب البرقي أن قوله: "و كان من غلمان... إلى آخره" منقول عن سعد، أو هو من كلام البرقي نفسه؟ فان كان منقولا عن سعد، فمن هو "سعد" هذا؟ فان كان هو سعد بن عبد الله الأشعري القمي! الذي له كتاب "رجال الشيعة" (٤) فهو في كتابه الآخر المسمى ب "المقالات و الفرق" لم يذكر عن هشام شيئا، إلا أنه عده في من ذكرهم من "وجوه أصحاب جعفر بن محمد، و أهل العلم منهم و الفقه و النظر، و هم الذين قالوا بامامه موسى بن جعفر عند وفاه أبيه" (٥) ثم إن ابن داود الذي نقل عن البرقي تلك العبارة، ناقش مضمونها في القسمين [القسمين] من رجاله:

فقال في القسم الثاني: هشام بن الحكم: لا وراء في جلالته، لكن البرقي نقل فيه غمزا، لمجرد كونه من تلاميذ أبي شاعر الزنديق، و لا اعتبار بذلك (٦) و قال في القسم الأول - بعد نقل عبارته البرقي المذكوره -: مع أني لا أستثبت ما قاله البرقي قدحا فيه، لأن حال عقيدته معلوم، و ثناء الأصحاب عليه متواتر، و كونه تلميذ الزنديق لا يستلزم اتباعه في ذلك، فان الحكمه تؤخذ حيث وجدت (٧) ثم إن المامقاني - بعد أن نقل ذلك - ذكر في دفع ذلك أمرين:

١ - أن رجال البرقي، الموجود عنده، خال عن ذكر تلميذه هشام لأبي شاعر، أولا.

٢ - أنه قد ورد في أخبار كثيره مناظرته لأبي شاعر، و احتجاجه عليه في التوحيد، على وجه يعلم عدم كونه تلميذا له، ثانيا (٨) و الحق أن المامقاني قد تبرأ من مضمون تلك العبارة.

و المؤلف، كيف يصرف النظر عن كل هذه المناقشات، و ينقل تلك العبارة، و يعتبرها نصا دالا على ما يريد إثباته من تلمذ هشام للديصاني؟! و أما النص الثاني، فهي روايه عن الامام الرضا ع، نقلها عن المامقاني أيضا (٩) لكن المامقاني نقل الروايه تلك عن الكشي، و هي موجوده في رجاله (١٠) و قد ذكر المامقاني: أن الروايه قاصره سند.

بالنظر إلى أن في السند: "عن بعض أصحابنا" وهم لا يعتبرون بمثله.

هذا، مع أن النص الموجود في رجال الكشي هو:.... من غلمان هشام، و هشام من غلمان أبي شاعر.. وليس في الرواية: "....هشام بن الحكم" و هكذا نقله المامقاني.

و لكن المؤلف أضاف كلمه "ابن الحكم" على متن الروايه، من دون إشاره إلى عدم وجودها في المصدر، و لا- في مصدر المصدر! هذه قيمه النصوص التي اعتمد عليها المؤلف في دعواه الخاطئه، أي كون هشام تلميذا للديصاني، و مع هذا يسلم للدعوى، و يبني على هذه النصوص بناء مهزوزا، هنا و في ما يلي من صفحات كتابه، و يستنتج آراء خاطئه ينسبها إلى هشام، و يقول بملء فيه: إن هذه الآراء وصلت إلى هشام، من أثر الفكر الرواقى، من طريق أبي شاعر الديصاني! و يقول: بل من الجائز أن تكون نزعتة "الحسيه" "الماديه" هي أصداء للنزعه الرواقيه، انعكست في تفكيره بواسطه الديصانيه(١١) و هذا كله مبني على وهم خاطئ، مصدره تلك النصوص التي عرفنا عدم حجيتها، و عدم قابليتها لاثبات تلك الدعوى! و بنفس الأسلوب يدعى أن هشاما اعتنق مذهب جهم بن صفوان،١.

ص: ٢٢٧

- ١- هشام بن الحكم: ٤٨-٤٩.
- ٢- انظر ما ذكره القاسمي في كتاب "تاريخ الجهميه و المعتزله" ص ٣٠ و ما بعدها، حول التساهل في نقل الآراء و المذاهب، و ما يجب أن يعتمد في ذلك.
- ٣- رجال البرقي: ٣٥.
- ٤- لاحظ: رجال النجاشي:....، و الفهرست - للطوسي -.
- ٥- المقالات و الفرق - لسعد -: ٨٨ رقم ١٦٨.
- ٦- رجال ابن داود - القسم الثاني -: ٦٠.
- ٧- رجال ابن داود - القسم الأول -: ٢٠٠ رقم ١٦٧٤.
- ٨- تنقيح المقال ٢٩٥/٣.
- ٩- يلاحظ أنه راجع إلى تنقيح المقال ٢٩٥/٣ بينما الروايه المذكوره في ص ٢٩٩ من المصدر.
- ١٠- اختيار معرفه الرجال: ٢٧٨ رقم ٤٩٧.
- ١١- هشام بن الحكم....: ٥٠-٥١.

و يستند إلى نصوص، لا- تخلو من مناقشات، و لكن المؤلف لم يلاحظ فيها شيئا، و يقول: فهشام، إذن، من دعاه الجهميه، ناظر على طريقتها، متحمسا لها(1) و يستند أخيرا إلى الشبه الموجود بين بعض آراء هشام و بين آراء الجهميه، التي ذكرها مؤلفو كتب الفرق، و يقول: من البعيد أن يكون ذلك عفوا و اتفاقا(2).

و لا بد أن نسأله هنا: بماذا يفسر الاختلاف بين هشام و بين جهم في آرائه الأخرى؟! هل يعتبرها عفوا أو اتفاقا؟! مع أن الموارد التي ادعى موافقه هشام لجهم فيها، و التي تمثل بها كشاهد على دعواه، ليس الأمر فيها كما زعم، بل هناك مخالفه بين رأييهما لم يدقق فيه المؤلف، فقد ادعى - نقلا عن مقالات الإسلاميين، للأشعري، ص ١٠٨ - أن هشاما نسب إليه القول: "بان الله لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه، و أن الأشياء لا تعلم قبل كونها..." ثم يقول: و هذا الرأي نفسه للجهم(3) أقول: هب أن هشاما يوافق الجهم إلى هذا الحد، لكن هل تنتهي المسأله إلى هنا؟ كلا، بل، إن هشاما يخالف جهما في نهايه المسأله نفسها:

فجهم يدعى فيها: "أن علم الله محدث، هو أحدثه، فعلم به، و أنه غير الله"(4) لكن هشاما يقول: إن الله يعلم الأشياء بعلم، و أن العلم صفه له، ليست هي هو، و لا غيره، و لا بعضه، و لا يجوز(5) أن يقال في العلم:

"إنه محدث أو قديم" لأنه صفه، و الصفه عند هشام لا توصف(6) و من الواضح أن من خالف أحدا في جزء دعواه، سواء في جزء الصغرى، أو جزء الكبرى، فهو مخالف له في النتيجة! فكيف تخفى هذه البديهيه على المؤلف.

و الغريب أنه جعل نفس هذا الأمر الذي اختلف فيه هشام و الجهم مثلا آخر لما يدعيه من توافقهما في الرأي! و بعد أن نقل كلام هشام في العلم، و تصريحه بأنه "لا يقال فيه محدث و لا قديم" يقول: و نجد في هذا شبيها بقول الجهم حين يستدل على ذلك فيقول: "إذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو: إما أن يحدث في ذاته تعالى، و..."(7) فانظر كيف يكون الشبه بين من ينفي الحدوث و القدم، و بين من يفرض الحدوث و يتكلم على أساسه؟! و الأغرب أن المؤلف لما ينقل قول هشام: ليس يخلو القديم من أن يكون لم يزل عالما لنفسه، كما قالت المعتزله، أو عالما بعلم قديم، كما قالت الزيديه، أو عالما على الوجه الذي أذهب إليه(8) يقول: و يقصد بالوجه الذي يذهب إليه: أن العلم حادث(9) و يقول - بكل جرأه -: فرأى هشام هنا مشتق من رأى جهم بكامله! أقول: لكن عرفت أن القول بحدوث علم الله هو رأى جهم فقط، و أما رأى هشام فهو أن العلم صفه، و هي لا توصف بحدوث و لا- قدم! فهو ينكر حدوث العلم! فكيف يجرؤ المؤلف على هذا التصريح الخطير! لا أجد جوابا لهذا، إلا أن أقول للمؤلف: "ما هكذا تورد يا سعد الإبل".

و لو شاء المؤلف أن يرى بام عينه اختلافات هشام و الجهم، فليقرأ في "مقالات الإسلاميين" للأشعري:

١ - أن الجهم يزعم أن الحركة جسم، و محال أن تكون غير جسم(10) ٢ - أن هشاما يقول: الحركات و أمثالها ليست أشياء و لا أجساما(11) و هذا ما عثرنا عليه في طريق بحثنا، و لم نتصد له، و لعل البحث المقصود يدلنا على الكثير جدا. و كيف كان، فهذا يكفى في تنفيذ مزاعم المؤلف، و دعواه مكررا أن هشاما كان ديصانيا أو جهميا حتى بنى على ذلك كثيرا من اتهاماته الصعبه ضد هشام.

كما يقول عند تعرضه لموضوع "التجسيم" في رأى هشام: فالنزعه الحسيه باديه على شيء من آرائه، فهو يجسم الأعراض، و

الجو، حتى الخالق تعالى و يضيف: و قد رجحنا وصول هذه الفلسفه إلى هشام من طريق الديصانيه... و بخاصه أن هشاما صحب أبا شاكر الديصاني، و لازمه حتى عد من غلمانه، كما سبق(١٢) و يقول بعنوان "ذاته" - بعد نقل الأقوال المتعارضه فى نسبه التجسيم إلى هشام - ما نصه: و إننا إذ نقف بين هذه النصوص المتضاربه، لا يمكننا أن ننزه هشاما عن القول بالتجسيم(١٣) ثم يستدل على ذلك بقوله:

١ - إن حكايه التجسيم عنه مستفيضه.

٢ - إن الصدوق روى فى كتابه "التوحيد" ما يشعر بذلك.

٣ - إن المفيد نسب إليه مقوله "جسم لا كالأجسام".

ثم يؤكد على أن هشاما كان جهميا ديصانيا، و يصل إلى هذه النتيجة:١.

ص: ٢٢٨

-
- ١- هشام بن الحكم...: ٥١.
 - ٢- هشام بن الحكم...: ٥١.
 - ٣- هشام بن الحكم...: ٥٢-١.
 - ٤- مقالات الإسلاميين ١٦٤/٢.
 - ٥- و ذكره فى المصدر - أيضا - فى ١٠٨/١ يلفظ "فيجوز أن يقال: العلم محدث أو قديم، لأنه صفة، و الصفة لا توصف...". و قد طبعها المحقق الألماني (ه، ريتز): "فيجوز" بالنصب، كى يكون منصوبا بان مقدره جوابا للنفى فى "ليست...". و معناه: فلا يجوز، كما جاء فى الموضوع التالى من المصدر. لكن المحقق المصرى (عبد الحميد) طبعها: "فيجوز" فناقض معنى الجمله السابقه، و معارضا للموضع الآخر الذى صرح فيه بقوله "لا يجوز" كما أثبتنا فى المتن، فلاحظ.
 - ٦- مقالات الإسلاميين ١٦٣/٢، و الملل و النحل ١٨٥/١.
 - ٧- هشام بن الحكم...: ٥٢.
 - ٨- هشام بن الحكم...: ١٢٨ نقلا عن الانتصار - للخياط -: ١٠٨.
 - ٩- هشام بن الحكم...: ١٢٨.
 - ١٠- مقالات الإسلاميين ٣٢/٢.
 - ١١- مقالات الإسلاميين ١١٣/١.
 - ١٢- هشام بن الحكم...: ٩٩.
 - ١٣- هشام بن الحكم...: ١٢١.

و على ذلك، يمكننا أن نقول: إن هشاما كان يذهب إلى أن الله تعالى "جسم لا كالأجسام" و ذلك قبل أن يدين بمذهب الصادق... و لكنه بعد ذلك رجع.

و اعتبر رأيه هذا جمعا بين الناسيين التجسيم إليه، و بين النافين لتلك النسبه عنه، و يقول: فكلا الفريقين، المتشيع عليه، و المتشيع له، قد يكون على صواب (1) و واضح أن شيئا من أدلته تلك لا تثبت مدعاه، و لا يصح ترتيب هذه النتيجة الخاطئه عليه:

فالحكايات المستفيضه: تنحل إلى أكثره اختلقها أهواء خصوم هشام، و اصطنعتها أغراضهم، و صاغتها أحقادهم، فلا قيمه إثباته لها على التحقيق، و لا تقاوم الجدل و البحث العلمي.

و تنقسم إلى مجموعه أخرى معرضه للاحتتمالات و الترددات، و التفسيرات المبعده لها عن إثبات ما يريد المؤلف.

فهل يسمى مثل هذا استفاضه؟! و هل تكون مثل هذه الاستفاضه حجه على شىء؟! نعم، هي بمجموعها تدل على ثبوت قضيه فى حق هشام، بنحو المعلوم الاجمالي، لكن جزئيات هذه القضيه و مفرداتها غير واضحه من خلال تلك الحكايات المستفيضه، و القدر الثابت الصحه منها هو أن هشاما أطلق تلك المقوله: "جسم لا كالأجسام" على البارئ جل و علا، و قد عرفت أنها - فى مصطلح هشام - لا تدل إلا على التنزيه المحض و التوحيد الكامل.

و أما الروايات التى نقلها الصدوق، فلا دلالة فى شىء منها على التزام هشام بالتجسيم المادى لله تعالى شأنه، و إنما احتوى قسم منها على أن له قولاً فى "الجسم"، و هذا لا يدل على أكثر من إطلاق اسم "الجسم". و قسم آخر بين فيه مصطلح هشام، أو تكرار لمقولته، و لم نجد فيها ما يتضمن نسبه التجسيم المادى إلى هشام (2) و أما كلام المفيد، فليس هو إلا نقلاً للمقوله عن هشام، و هو مدار بحثنا هذا، و قد عرفت أنها لا تدل إلا على التوحيد و التنزيه، فكيف يستدل به المؤلف على مدعاه؟! و يتعرض المؤلف لمسأله التجسيم المنسوب إلى هشام تحت عنوان "الأعراض" و يقول: لكن هشاما خالف ما هو المعروف فى الأعراض، فقد نسب إليه الشهرستانى و الأشعرى و البغدادى و ابن حزم الأندلسى، القول بان الألوان و الطعوم و الرائحة أجسام (3) و أشار فى الهامش إلى مصادر عديده، منها: الفصل - لابن حزم - (42/5)، و قد كان هذا الكتاب أمامى عند مطالعتى لهذا الكلام، و فتحته (فى نفس الجزء، و الصفحه) فعجبت لما لم أجد فى هذا المكان إلا قول ابن حزم - السطر 9 - قال أبو محمد: و قد اختلف الناس فى المعدوم، أ هو شىء أم لا؟ فقال أهل السنه، و طوائف من المرجئه، و الأشعريه، و غيرهم: ليس شيئا، و به يقول "هشام بن عمرو الفوطى" أحد شيوخ المعتزله.

و قال سائر المعتزله: المعدوم شىء، فقال: عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط: إن المعدوم جسم فى حال عدمه إلا أنه ليس متحركا و لا ساكنا و لا مخلوقا و لا محدثا فى حال عدمه (4) ثم نظرت فى الصفحه حتى آخرها فلم أجد ذكرا لهشام بن الحكم، و لا فى صفحات سابقه و لا لاحقه عليها! و لو سامحنا المؤلف، فى ذكره اسم هشام بن الحكم بدل هشام بن عمرو، فهل له عذر فى أنه ذكر الحديث عن مطلب الأعراض: اللون، و الطعم، الرائحة، نقلا عن هذا المصدر، فى تلك الصفحه، و لم نجد لها ذكرا فيها؟! فهل اعتمد طبعه أخرى من الكتاب؟! و هو لم يذكر فهرسا لطبعات مصادره؟! ثم ما ذا عن المصادر الأخرى؟ و عن المطالب الأخرى؟ و عن أرقام الصفحات و المجلدات؟ فهل مثل هذا الكتاب يعتمد عليه كمصدر أمين؟! و لو لا أن بعض المغرضين قد استند إلى ما فى هذا الكتاب من آراء حول هشام، و جعله دليلا على نسبه التجسيم المادى إليه!! و لو لا التخوف

من أن يصبح ما جاء في الكتاب - من آراء خاطئه - شاهدا لمن تسول له نفسه اتهام هشام بما لا يليق من أباطيل!! لو لا كل ذلك، لما تعرضنا لما فيه، لبعده المده التي مضت على طبعه، و لعل كلمتنا هذه توقف المؤلف على ما في كتابه، فيحاول أن ينقحه، ليؤدى هدفه - الذى لا- بد أن يكون خيرا - بأفضل مما كان عليه، و يقطع الطريق على من يسىء الاستفادة منه من المغرضين.

و لقد ألجأنا إلى هذا التعرض استشهاد بعض المؤلفين بما جاء فيه على اتهامه لهشام بالتجسيم المادى متبجحا بأنه لم يبق فى ساحه هذا الاتهام وحيدا بعد أن كان مؤلف كتاب "هشام بن الحكم..." يذهب إلى مثل ما ذهب إليه، و يقول بنفس مقالته.

بالرغم من أن هذا المؤلف لم يعتمد فى كتاباته إلا على مصادر ضعيفه، و مقدمات سخيغه، فبنى عليها نتائج موهومه، تصور أنها حقائق ثابتة.

فهذا مؤلف كتاب "الصله بين التشيع و التصوف" مع قربه من مصادر تراث الشيعة و معرفته بعلمائهم، تراه يخطب فى كتابه هذا خبط عشواء لا- يهدى سبيلا! و فى خصوص هشام بن الحكم يحاول أن يتفلسف لاثبات أقبح ما أتهم به من أعداء التشيع و خصومه، ألا و هو "التجسيم المادى".

و لئن عجز أولئك الحاقدون من إثبات هذه التهمه بصراحه و اضطروا - من حيث أرادوا أولا - إلى الاعتراف ببراءه هشام منها، إلا أن هذا حاول أنا.

ص: ٢٢٩

١- هشام بن الحكم...: ١٢٣.

٢- هشام بن الحكم...: ١٢٤، و سنذكر فى نهايه هذا البحث أكثر تلك الروايات و نوضح محاملها.

٣- هشام بن الحكم...: ١٦٢.

٤- الفصل ٤٢/٥ س ٩ فما بعدها.

يصور القضية بشكل معقول! هين! طبيعي! وقد حاول توفيق الفكيكي أن ينبهه إلى الصواب من خلال تصويب بعض أخطائه التي لا يهمنها منها سوى موضوع التجسيم، إلا أنه زاد على أخطائه في كتاب "الصلاه... خطأ أفحش، في رده على الأستاذ الفكيكي فيما نشره في مجله "الايمان" الصادره في النجف.

و لعلاقه ذلك بموضوع البحث رأينا التصدى له، فنقول:

أما ما ذكره في رده على الأستاذ الفكيكي، فهذا نصه:

إن هذا المتكلم (يعنى هشام بن الحكم) فلسف التجسيم قبل ظهور نفى الصفات عند أبى الهذيل العلاف المعتزلى (المتوفى ٢٣٥) (كذا) بحيث حصل منه نظريه هي إلى التجريد أقرب، وذلك دون نقض المعنى المادى، الذى يفهم من آيات التشبيه. و جاء ذلك من استغلال فكره النور التى كانت من تراث الشيعة.

فجعل هشام النور المدى الأقصى الذى يمكن تشبيه الأجسام به، و اعتبره "جسما لطيفا".

ثم جعل ما ليس بماده - كالعلوم، و الحركات - أجساما.

و بذلك (١) المعنى المجرد بالكائن المجرد فى لطافه الجسم.

و انحل الاشكال، و صارت الجسميه لله اعتبارا عقليا، و أمرا ذهنيا.

خالصا، ليس إلى تلمسه سبيل، كما أن العلم و الحركات أجسام لا تلمس.

و ذلك لأن الله تعالى - بقول هشام -: "جسم لا كالأجسام" و "صوره (٢) لا كالصور" تماما كما هو "عالم بعلم، و علمه ذاته" التى يستشهد بها المعتزله، دليلا على التجريد و التنزيه.

فاى ضير بعد فى أن يكون هشام مجسما عقليا؟ يقدم الدليل على أن الماده المعنيه إلهيه لا تدرك بالحواس؟ و أين الاشكال، إذن؟ ثم قال: يبقى شىء مهم جدا، هو أننى لم أنفرد بهذا الرأى فى هشام، و إن عرضت له على عجل فى رسالتى التى فرغت منها سنه (١٩٥٨) فقد توصل إليه الشيخ عبد الله نعمه بعد دراسه و استقصاء فى كتاب برأسه بدور حول "هشام بن الحكم..." طبع لبنان (١٩٥٩).

ثم أخذ بنقل كلام الشيخ نعمه بطوله (٣) أقول: إن الكاتب قد ادعى على هشام دعاوى طويله عريضه، و لم يقدم على واحد منها دليلا أو شاهدا، و هي:

١ - أن هشاما أثبت نظريته على أساس عدم نقض المعنى المادى الذى يفهم من آيات التشبيه.

٢ - استغلال هشام لفكره النور، و جعله النور المدى الأقصى الذى يمكن تشبيه الأجسام به. ٣ - اعتبار هشام للنور جسما لطيفا.

٤ - جعل هشام ما ليس ماده - كالحركه و العلم - جسما لطيفا.

٥ - بدل هشام المعنى المجرد بالكائن المجرد، فى لطفه الجسم.

٦ - صارت الجسميه اعتبارا عقليا خالصا، ليس إلى تلمسه سبيل، كما أن العلم و الحركات أجسام لا تلمس.

٧ - لأن الله تعالى - بقول هشام -: "جسم لا- كالأجسام" و "صوره لا- كالصور" تماما كما هو عالم بعلم و علمه ذاته، التى يستعملها المعتزله دليلا على التجريد و التنزيه.

٨ - إقامه الدليل على أن ماده المعينه إلهيه لا تدرك بالحواس.

و إليك تفصيل مناقشتنا لهذه الدعاوى:

١ - إن هشاما بنى نظريته على أساس عدم نقض المعنى المادى المفهوم من آيات التشبيه.

فيه بحثان:

الأول: إن الربط بين مقالة هشام و بين رأيه فى آيات التشبيه، و أن تلك الآيات و المعنى المادى المفهوم منها كانت مؤثره فى نظريته فى التجسيم! و هذا ما لم أجده فى أى مصدر من المصادر التى تعرضت لمقوله هشام، أن ذكر فيه ارتباط نظريه هشام برأيه فى آيات التشبيه، فلم تذكر تلك الآيات فى سباق مقولته، حتى يمكن فرض الربط بينهما. هذا من جهه.

و من جهه أخرى: فان مقوله هشام المحتويه على ذيل: "...لا- كالأجسام" تنفى كل تشبيه - على الإطلاق - بين الخالق و المخلوق - كما سبق أن أوضحناه مفصلا - و هذا وحده يدعو إلى الاعتقاد بان هشاما لا بد أن يكون من أهل تأويل تلك الآيات، و عدم فهم المعنى المادى منها.

و قد يشير إلى هذا أيضا عدم نقلهم خلافا عن هشام، للطائفة الشيعيه التى تلتزم بالتأويل كما هو واضح فى مقامه.

الثانى: إن نظريه هشام فى "الجسم" مبنيه على المعنى المادى، و عدم نقضه! إن مصطلح هشام فى "الجسم" و هو "الشيء" بحقيقه الشئيه التى هى "إثبات الذات" و "الموجود" و "المستقل بالنفس" كما أثبتناه مفصلا، يعنى: أن هشاما ينزه البارئ جل ذكره عن كل ماهيه ماديه موجوده فى أى جسم طبيعى آخر.

فكيف يجوز أن نسب إليه إدخال "المعنى المادى" فى نظريته حتى على فرض "اللطافه"؟! و فى هذه النقطة بالذات، يختلف ما قصده الكاتب عما ثبت عن هشام فى تفسير مقوله "جسم لا كالأجسام" حيث لم نجد فى كلمات الكاتب - كلها - ذكرا و لا إشاره إلى مصطلح هشام فى "الجسم" ذلك الذى تناقلته كاهه المصادر، و قررتة و أكدت نسبه إلى هشام! و من هذه النقطة يبدأ انحراف الكاتب عن التوجيه الصحيح لمقوله هشام، كما سنثبت فى النقاط التاليه:٤.

- ١- كذا وردت هذه الكلمه فى المصدر، و لعلها تصحيف من " و يدل "فلاحظ.
- ٢- المطبوع فى المصدر: " و صوت " .
- ٣- مجله " الايمان " النجفيه، السنه الأولى، سنه ١٣٨٣ هـ، العدد ٧-٨، ص ٦٠٤.

٢ - استغلال هشام لفكره النور، وجعله النور المدى الأقصى الذى يمكن تشبيه الأجسام به.

إن الكاتب لم يفسر فى كتاب "الصله..." (فكره النور) ولكنه فى كتاب "الفكر الشيعى" ذكرها بقوله: إن حركة الغلو شرعت للتصوف (فكره النور الالهى) الذى ينتقل عن طريق الأنبياء والأئمة من الله إلى قادتهم(١) و أعاد نفس الجمله فى حديثه عن الشلمغانى(٢) و ذكر أن الحلاج وصف النور الالهى بالشعشعانى(٣) و لم يذكر مصدرا يذكر فيه النور مرتبطا بنظريه هشام فى التجسيم! لكنى وجدت ذكر النور فى عرض حديثهم عن هشام فى المصادر التاليه:

قال الحميرى: قال هشام بن الحكم من القطعيه - و من قال بقوله :-

هو شىء جسيم، لا طويل ولا عريض، نور من الأنوار... (٤)

و قال ابن أبى الحديد: و أصحابه من الشيعة يدعون - اليوم - هذه الحكايات عنه، و يزعمون أنه لم يزد على قوله: "جسم لا كالأجسام" و أنه إنما أراد باطلاقه هذه اللفظه عليه "إثباته" و صدقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه "نورا" لقول الله سبحانه: "الله نور السموات و الأرض، مثل نوره..." (سوره النور (٢٤) الآيه (٣٥) (٥) و هذا بمجرد، لا يقتضى أن تكون هناك - عند هشام خاصة - فكره النور، و لا أن تكون هذه الفكره من تراث الشيعة، دون باقى المسلمين!! فالفكره - إن صح التعبير - موجوده فى الآيه القرآنيه، و "النور" أطلق على البارئ تعالى بنص القرآن، و أهل السنه و أصحاب الحديث يلتزمون بإطلاق "النور" عليه تعالى استنادا إلى نفس الآيه (٦) و كذلك بعض كبار المعتزله (٧) فمن أين أصبحت هذه الفكره شيعيه خاصه؟! ثم من أين جاء الكاتب بدعوى أن هشاما استغل هذه الفكره فى سبيل نظريته فى التجسيم؟! و إذا جاء شىء فى حق الحلاج و الشلمغانى و أمثالهما، فهل يحق لأحد أن ينسبه إلى كل الشيعة؟! نعم، إن ابن أبى الحديد نسب إلى هشام بن سالم - و ليس ابن الحكم - القول بان الله "نور" على صورته الإنسان، مع أنه أنكر أن يكون "جسما" (٨) و نسب الشهرستانى ذلك إلى محمد بن النعمان مؤمن الطاق (٩) فنسبه ما ذكره الكاتب إلى هشام بن الحكم دعوى عريضه، لم تذكر فى أى مصدر.

مع أن هذه النسبه تعنى أن هشاما كان بصدد تشبيه الذات الالهيه بالجسم النورى، بينما مقوله هشام "جسم لا كالأجسام" - كما عرفنا - بصدد تنزيه البارئ - سبحانه - من كل شبه بالأجسام، سواء الأجسام اللطيفه أو غيرها، و نفى عنه كل خواص الأجسام من المواد أو الأعراض، فنسبه الكاتب اللطافه، أو المعنى المادى، إلى هشام ينافى ذلك و يناقضه، و يعارض ما ثبت نسبته إلى هشام.

٣-٥ - اعتبار هشام للنور "جسما لطيفا".

و جعل هشام ما ليس ماده - كالعلوم و الحركات - أجساما.

و بدل المعنى المجرد بالكائن المجرد فى لطافه الجسم.

إن نسبه هذه الأفعال: (الاعتبار) و (الجعل) و (التبديل) إلى هشام، انفرد بها هذا الكاتب حيث لم نجد لها أثرا فى المصادر المتوفره للبحث عن هشام، بل ما وقفنا عليه من المصادر يدل على ضد النسبه الثانيه:

فقد صرحت كتب المقالات بان هشاما نفى أن تكون الحركات أجساما:

قال الأشعري: حكى عنه أنه قال: هي (أى أفعال الفاعلين) معان و ليست بأشياء و لا أجسام، و كذلك قوله فى صفات الأجسام، كالحركات، و السكنات، و الإرادات، و الكراهات، و الكلام، و الطاعة، و المعصية، و الكفر، و الايمان(١٠). بل الذى قال بان الحركة جسم، هم معارضو هشام و خصومه، كجهم(١١) و أقرب إلى ذلك النظام الذى قال: إن الصوت جسم(١٢) و فرقه من المعتزلة التى زعمت: أن كلام الله جسم، و أنه مخلوق(١٣) و من قال منهم برؤيه الأعراض(١٤) و أما ما نسبه إلى هشام من تبديل المعنى المجرد بالكائن المجرد: فلم يذكر الكاتب أنه من أين أخذه؟ هل وجده فى مصدر؟ أو أنه أخذه من آراء أخرى لهشام فاستنبط هذا منها؟ كما أنه لم يذكر وجه هذا التبديل! فان المعنى المجرد هو موجود ذهنى لا يمكن تحقيقه فى الخارج، و الكائن المجرد هو موجود خارجى و إن كان جسما لطيفا، فما معنى تبديل هذا بذاك؟ و ما هو دليله؟! و هكذا يسطر الكاتب مقدمات من نسج خياله، و ينسبها إلى هشام، لىبنى عليه رأيه المنهار، و ينسبه - بكل صلافة - إلى هشام.

٦ - صارت الجسميه اعتبارا عقليا خالصا، ليس إلى تلمسه سبيل، ٢.

ص: ٢٣١

- ١- الفكر الشيعى: ٢٦.
- ٢- الفكر الشيعى: ٢٠٢ نقلا عن معجم الأدباء ٢٣٥/١.
- ٣- الفكر الشيعى: ٣١٢، نقلا عن الفهرست - للنديم -: ١٩٠.
- ٤- الحور العين: ١٤٨.
- ٥- شرح نهج البلاغه ٢٢٤/٣.
- ٦- مقالات الإسلاميين ٢٦٠/١.
- ٧- مقالات الإسلاميين ١٩٢/٢.
- ٨- شرح نهج البلاغه ٢٢٤/٣.
- ٩- الملل و النحل ١٨٧/١.
- ١٠- مقالات الإسلاميين ١١٣/١، و الفرق بين الفرق: ٦٧.
- ١١- مقالات الإسلاميين ٣٢/٢.
- ١٢- مقالات الإسلاميين ١٠١/٢.
- ١٣- مقالات الإسلاميين ٢٤٥/١.
- ١٤- مقالات الإسلاميين ٤٦/٢.

كما أن العلم و الحركات أجسام لا تلمس.

إن الاشكال على التجسيم هو أن مقتضاه العرفى أن تكون للجسم أبعاد ثلاثه على الأقل: الطول و العرض و العمق، أو التأليف و التركيب و التجزى، و هذا هو الجسم باصطلاح المجسمه و المعتزله، على ما عرفت.

و لو اعتبرت الجسميه أمرا عقليا، كان هذا اصطلاحا آخر فى الجسم فلا بد له من دليل اعتبار.

و الكاتب كما أنه لم يذكر دليلا على هذا الاعتبار و الاصطلاح فهو لم يذكر قبل ذلك واحدا من المصادر كان قد ذكر ذلك منسوبا إلى هشام.

و إذا جعل الكاتب هذه النتيجة حتميه على أساس المقدمات السابقه و خاصه أن هشاما يرى أن الحركات أجسام، فقد عرفت عدم صحه نسبه شىء من تلك المقدمات إلى هشام، خاصه هذه المقدمه، فإنه خالفها بالقطع! مضافا إلى أن أساس هذا التفسير لنظريه هشام هو أنه يرى من ذات البارئ "ماده معينه" و هو ما لم يقله هشام، بل ينافى مقولته منافاه قاطعه، كما سيأتى.

و هذا بخلاف ما التزمناه من اصطلاح هشام فى "الجسم" بمعنى "الشىء" فمضافا إلى شهرته عنه، و إقامته الدليل عليه، كما سبق أن فصلناه، فهو بمعنى "شىء لا كالأشياء" المقوله التى التزمها كل المسلمين - عدا الشاذين - و هو يعبر عن مجرد وجود الذات الالهيه، منزها عن كل خواص الأجسام، فهو خارج عن حد التعطيل و حد التشبيه، كما قلنا.

٧- التعليل بان الله تعالى "جسم لا كأجسام" و "صوره لا كالصور" تماما كما هو "عالم بعلم، و علمه ذاته" التى يستشهد بها المعتزله دليلا على التجريد و التنزيه....

أقول: هذا التعليل منقول عن هشام فى إلزام أبى هذيل العلاف، كما نقله الشهرستانى، قال: هشام بن الحكم، صاحب غور(١) فى الأصول، لا يجوز أن يغفل عن إزماته على المعتزله، فان الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، و دون ما يظهره من التشبيه، و ذلك أنه ألزم العلاف، فقال له:

إنك تقول: البارئ تعالى "عالم بعلم، و علمه ذاته" فيشارك المحدثات فى "أنه عالم بعلم" و يبينها فى "أن علمه ذاته" فيكون "عالمًا لا كالعالمين" فلم لا تقول: "إنه جسم لا كأجسام" و "صوره لا كالصور" و له "قدر لا كأقدار" إلى غير ذلك(٢) بيان الإلزام فى هذا الكلام: أن أبا الهذيل التزم من بين المعتزله، بان الله يعلم الأشياء بعلم هو ذاته(٣) و لكن هشاما يقول: إن الله يعلم الأشياء بعلم، و علمه صفه له، ليست هى هو، و لا غيره، و لا بعضه(٤) فاختلفا فى أن علم الله عين ذاته، كما يقول العلاف، أو صفه للذات، كما يقول هشام.

فإذا كان علم الله عين ذاته، اختلف عن علم المخلوقين لأن علمهم صفه لهم، فإطلاق "عالم" على البارئ يختلف عن إطلاق "عالم" على المخلوقين، لاختلاف "العلم" بالحقيقه فى الموردين، و الحاصل أن كلمه "العلم" عند إطلاقها على البارئ تعالى ليست بمعنى العلم المفهوم عند المخلوقين، بل معناه أمر آخر خاص بالله تعالى، و مع هذا يصح إطلاق "عالم" على البارئ تعالى، إلا أنه لا بد أن يقال: "لا كالعالمين" حتى ينفى عنه أى شبه بالمخلوقين فى علمه و عالميته.

فان كان هذا التغيير فى معنى "العلم" و الاصطلاح على إرادته الذات منه، كافيا لصحة إطلاق اسم "عالم" عليه، فليكن إطلاق "جسم" عليه تعالى كذلك، بصرفه عن معناه اللغوى العرفى، و إرادته أصل "الشيء" و "الموجود" منه صحيحا، فيقال: إنه "جسم لا كالأجسام".

و إن لم يكن هذا التواضع كافيا، فلا بد أن لا يصح "عالم لا كالعالمين"!! فالعلاف إما أن يلتزم بكون علم الله ليس عين ذاته بل هو صفة مثل علم سائر العالمين، فهو تنازل عن رأيه فى العلم! أو يلتزم بإطلاق "جسم لا كالأجسام" على البارئ تعالى من دون حرج، و هذا اعتراف بصحة مقوله هشام فى الجسم! و قد عرف من شرحنا هذا أن هشاما لا يمكن أن يقيس مقولته "جسم لا كالأجسام" على قول العلاف "عالم بعلم، و علمه ذاته" و ذلك:

١ - أن هذا مخالف لرأى هشام فى العلم! ٢ - أن هذا ليس فيه أى إلزام على العلاف، فكيف يذكره الشهرستاني بعنوان أنه إلزام! كما عرف من خلال حديثنا أن قول: "عالم بعلم، و هو ذاته" ليس من كلام المعتزلة كلهم بل هو من كلام العلاف فقط! و قد خالفه فيه هشام و جماعه من المعتزلة أيضا.

٨ - فإى ضير - بعد - فى أن يكون هشام مجسما عقليا، يقدم الدليل على أن "المادة المعينه" إلهيه، لا تدرك بالحواس؟ و أين الاشكال إذن.

أقول: إن كان المراد من التجسيم العقلى، هو التجسيم المادى، لكون الذات الالهيه عنده ماده معينه لا تدرك بالحواس، كما هو صريح كلامه هنا، و هو الأمر المبني على المقدمات التى ذكرها الكاتب و رتبها للتوصل بها إلى هذه النتيجة! فهذا ما لم يقله هشام، بل هذا معارض لما فى مقولته من التجريد و التنزيه عن كل خواص الأجسام، و منها "الماده".

مع أن تلك المقدمات غير تامه، كما سبق أن قلنا.

و أما الضير فى هذه التهمه، فلا يتجه منه إلى هشام أى سوء، لأن ٢.

ص: ٢٣٢

١- كذا بالغين المعجمه فى طبعه المصدر، الموجوده بهامش الفصل، لكن المطبوع فى المصدر الذى راجعناه "عور" بالعين المهمله، فهل هو خطأ مطبعى؟!

٢- الممل و النحل ١/١٨٥.

٣- مقالات الإسلاميين ١/٢٢٥ و ٢٤٣.

٤- مقالات الإسلاميين ٢/١٦٣.

نسبه باطل هذه التهمة إلى حق هشام بن الحكم كنسبه الحجر إلى البحر في قول الشاعر:

لا يضر البحر أمسى زاخرا أن رمى فيه غلام بحجر

و كفى ما أوردنا دليلا على أن الكاتب لم يفهم مراد هشام، و لا وقف على مصطلحه! و أما: أين الاشكال؟ فيقال له: إنه كامن في عدم قدرتك على الخوض في موضوع كهذا، حساس، لم تخبره أبدا، و لم تعرف كيف تستخدم مصادره، و لا لك قدره على فهم عباراتهم، و كلماتهم، ثم تعتمد أساسا على مصادر الأعداء و تحاول أن تنسب ما فيها إلى هشام من دون مناقشه أو تفنيد.

و لو نظر هذا الرجل في مصادرنا الموثوقة، لوجد أن قضية "التجسيم" قد انتفت فلم يبق أى أثر للماده في كلمه "الجسم" لما وضعت على غير معناها المفهوم، و أريد منها معنى "الشيء" فليس هناك إلا ذكر للرب بلفظ "الجسم" و هذا هو المفهوم من مقوله "جسم لا كالأجسام" حسب تفسيرنا لها، على مصطلح هشام.

و أما مناقشه الكاتب في كتابه "الصله بين التشيع و التصوف..." فهذا نص عبارته:

أما التجسيم الذى قال به هشام فلا داعى للافاضه فيه، و نكتفى من ذلك بأنه قد بنى على فكره منطقيه تقول: "إن بين معبوده - أى هشام - و بين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه، و لو لا ذلك لما دلت عليه" (الملل و النحل ٢٠٨/١) و ينتهى إلى أنه "لا يشبه شيئا من المخلوقات و لا يشبهه شيء" (الملل و النحل ٢٠٨/١) يضاف إلى هذا أن أبا الحسن الأشعري، لما ذكر تجسيم هشام بن الحكم لله و أن له طولاً و عرضاً، أردف ذلك بقوله:

"على المجاز دون التحقيق" (مقالات الإسلاميين: ١٠٢). و أدخل من هذا فى بعد هشام بن الحكم عن التجسيم المادى لله ما ذكره على بن إبراهيم القمى من اختلاف هشام و أحمد بن محمد بن أبى نصر، فى كيفية رؤيته (كذا) النبى لله فى المعراج، فقال الآخر: نحن نقول بالصورة للحديث الذى روى أن رسول الله ص رأى ربه فى صورته شاب، و قال هشام بالنفى للجسم... " (تفسير على بن إبراهيم: ١٩). و قد حاول الشيعة، قدماء و محدثين، أن ينفوا عن هشام بن الحكم القول بالجسميه بكل ما أوتوا من قوه، غير أن الحججه أعتيمهم، و من هنا اعترف الشيخ المفيد بقوله بالجسميه، و قرن الشيعة ذلك بحكايتهم رجوع هشام عنها، و كان ذلك غايه ما بذلوه من جهد! (نشاه الفكر الفلسفى فى الإسلام، للدكتور على سامى النشار، ط ٢، مصر ١٩٦٤، ص ٢٤١).

و ذكر الشيخ عبد الله نعمه فى هشام أنه " فى آرائه الموجوده بين أيدينا اتجاه مادى، و نزعه حسيه قلما تخفى.... ثم هو يغرق فى نزعته الحسيه حتى حكى عنه القول بان الجوهر جسم رقيق... " (هشام بن الحكم، بيروت ١٩٥٩، ص ٩٨-٩٩).

و كذلك فعل الدكتور محمد جواد مشكور فى تحقيقه لكتاب "المقالات و الفرق" لسعد بن عبد الله الأشعري (طهران ١٩٦٣، ص ٣٢١) و قد أخذ توفيق الفكيكى فى شان هشام بن الحكم برأى الشيخ المفيد و أصر على نفى التجسيم عنه دون دليل واضح (انظر نقده للطبعه الأولى من هذا الكتاب فى مجله "الايمان" النجفيه، السنه الأولى، العدد ١٥ و السادس، ١٩٦٤، ص ٣٩٨، ٤٠٥) و من الغريب أن تهمة التجسيم لم تنف عن هشام على أيدي الشيعة و إنما فعل ذلك أهل السنه، فابو الحسن الأشعري و ابن حزم الظاهري قدما الماده الكلاميه لهذه البراءه، و الدكتور على سامى النشار وضعها على أساس منطقى فلسفى

مؤداه "أن الفعل لا يصح إلا من جسم، والله فاعل، فوجب أنه جسم" و أن "معنى الجسم أنه موجود" و كان هشام يقول: أريد بقولي: "جسم" أنه موجود، و أنه شيء، و أنه قائم بنفسه (نشاه الفكر الفلسفي، ص: ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٦). و يختم الدكتور النشار ذلك بحكمه من "أن الجسم عند هشام بمعنى الموجود، فكل موجود جسم... " و الله موجود، فهو جسم، لكنه لا كالأجسام" (ص ٢٤٦)(١) - قوله: فكره منطقيه تقول إن بين معبوده (أى هشام) و بين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه، و لو لا ذلك لما دلت عليه.

أقول: إن هذا الكلام نسبه الأشعري(٢) و الشهرستاني(٣) إلى هشام بن الحكم، نقلا عن ابن الراوندى.

و أضاف الشهرستاني فى موضع آخر إليه قوله: الأعراض لا- تصلح أن تكون دلالة (كذا، و الصواب داله) على الله تعالى، لأن منها ما يثبت استدلالا، و ما يستدل به على البارئ تعالى يجب أن يكون ضرورى الوجود لا استدلالا(٤) لكن هذه المقاله - بعين اللفظ - منقوله عن هشام بن عمرو الفوطى، فقد ذكر الشهرستاني فى فرقه "الهشاميه" من المعتزله، ما نصه:

و من بدعه فى الدلاله على البارئ تعالى قوله فى الأعراض لله لا تدل على كونه خالقا و لا تصلح دلالات، بل الأجسام تدل على كونه خالقا(٥) و ليس هذا أول خلط لهم بين الهشامين: ابن الحكم، و ابن عمرو الفوطى.

مع أن نسبه هذه المقاله إلى هشام بن الحكم لا يناسب مقولته المعروفه المذيله بقوله "لا كالأجسام" حيث ينفى فيها كل شبه بين الخالق و المخلوق.

و العجيب أن الكاتب يقول: "و ينتهى إلى أنه لا يشبه شيئا من المخلوقات، و لا يشبهه شيء".

فكيف ينتهى القول بالشبه بينهما إلى القول بعدم الشبه، أ ليس هذا "خلفا" كما يقول المناطقه؟! مع أن هذا ليس هو النهايه فى رأى هشام، بل هو يرى ذلك من ١.

ص: ٢٣٣

١- الصله بين التشيع و التصوف: ١٤٣.

٢- مقالات الإسلاميين ١/١٠٣.

٣- الممل و النحل ١/١٨٤.

٤- الممل و النحل ١/١٨٥.

٥- الممل و النحل ١/٧٢.

البدايه، أليس هو الذى ينفى كل شبه بين الخالق و المخلوق فى مقولته:

"جسم لا- كالأجسام" !التي هى أشهر ما نقل عنه فى هذا المجال؟! ٢ - قوله: و أدخل من هذا فى بعد هشام بن الحكم عن التجسيم المادى لله، ما ذكره على بن إبراهيم القمى...

أقول: فلما ذا لم يعتمد الكاتب و أمثاله على هذه الروايه لتكون أساسا واضحا لرأى هشام فى التجسيم، فينفوا عنه التجسيم المعنوى مطلقا، و هو مدلول مقولته "جسم لا كالأجسام" كما أوضحناه؟! و الكاتب لم يهمل هذه الروايه فقط بل خالفها و نسب إلى هشام القول بان "الماده المعينه إلهيه" لا تدرك بالحواس، كما نقلنا كلامه عن مجله "الايمان" النجفيه.

٣ - قوله: و قد حاول الشيعة - قدماء و محدثين - أن ينفوا عن هشام بن الحكم القول بالجسميه، بكل ما أوتوا من قوه، غير أن الحجج أعيتهم! أقول: إن الكاتب لم يحاول - أولا - إثبات القول بالجسميه على هشام من طريق الشيعة، حتى تصح له مطالبتهم بحججه على النفى. فانا لم نجد عند الشيعة نسبة التجسيم المطلق إلى هشام و أنه قال بالجسميه المعنويه، حتى يحتاجوا فى نفيها عنه إلى حجه، بل غايه ما فى الأمر أن الخصوم - و خاصه المعتزله - اتهموا هشاما باشكال من التجسيم، و قد يتناقضون فى ما نسبوه إليه، و إن كان أقوى و أصرح ما نسبوه هو القول "بجسم لا كالأجسام".

و قد أجمع كافه أهل الفرق على عدم دلالة ذلك على التجسيم المعنوى، بل غايه ما يفيد هو التجسيم اللفظى و الاسمى، كما فصلناه.

فمن أين جاء جزم الكاتب و أمثاله بثبوت القول بالتجسيم لهشام، حتى يحتاج لنفيه إلى حجه؟! ٤ - قوله: و من هنا اعترف الشيخ المفيد بقوله بالجسميه.

أقول: هذا من موارد تحريف الكاتب و أستاذه للحقيقه، حيث نقلوا عن الشيخ المفيد هذا الاعتراف، بينما كلامه لا يدل على ذلك، فهو فى هذا الصدد يقول: و إنما خالف هشام بن الحكم كافه أصحاب أبى عبد الله ع بقوله فى الجسم (١) و معناه: أن لهشام قولاً فى "الجسم" مخالفاً به الآخرين، و هذا القول فى الجسم، هو ما اصطلحه فيه من إرادته "الشيء" منه.

فأين هذا من القول بالجسميه؟! و إذا كان النشار - المصرى، أستاذ الكاتب - إلى هذا الحد من الجهل باللغه العربيه، فليس له الحق بالتدخل فى معالجه كلمات العلماء، فهو لا يميز الفرق بين "القول فى الجسم" و "القول بالجسم"! ٥ - قوله: و قرن الشيعة ذلك بحكايتهم رجوع هشام عنها، و كان ذلك غايه ما بذلوه من جهد.

أقول: إن حكايه الشيعة للرجوع ليس لما توهمه الكاتب من ثبوت اعتقاد هشام بالتجسيم، و إنما ذلك من جهه مخالفه هشام للحق فى ما التزمه بالنسبه إلى إطلاق اسم الجسم على البارئ، مع أنه لم يرد ذلك فى الشرع، فأسماء الله تعالى توقيفيه. كما سيأتى بيان ذلك فى الفقره التاليه.

٦ - قوله: و ذكر الشيخ عبد الله نعمه.

أقول: قد ذكرنا ملاحظتنا على أقوال الشيخ، فى كتابه.

٧ - قوله: و كذلك فعل الدكتور...

أقول: لم يكن هذا الدكتور بصدد التحقيق و التدقيق فيما يثبته، بل هو يحاول جمع ما فى المصادر و سردها تباعا من دون نقد لها، فليس ذكرها دليلا على قبول أو رد.

٨ - قوله: و قد أخذ الأستاذ توفيق الفكيكى....

أقول: يكفى فى فضل الأستاذ الفكيكى أنه قد نبهك على بعض أوهامك، و خاصة فى نسبتك إلى الشيخ المفيد الاعتراف بان هشاما قال بالجسميه، و لكنك أبيت التنبه إلى أن المفيد لم يعترف بمثل ذلك، و أنه إنما نسب إلى هشام خلافا فى التجسيم اللفظى فقط.

و لقد تقاعست عن الرجوع إلى المصادر إلى حد أنك تقول: من الغريب أن تهمة التجسيم لم تنف عن هشام على أيدي الشيعة، و إنما فعل ذلك أهل السنه، فابو الحسن الأشعري، و ابن حزم الظاهري، قدما ماده الكلاميه لهذه البراءه! إن تهمة التجسيم، و بالصوره التى نسبتها أنت و سلفك العامه إلى هشام، لم ترد فى شىء من المصادر الموثوقه عند الشيعة، حتى يكونوا بحاجة إلى نفيها، فأنت تغالط بهذه العبارة، و تريد أن تظهر أن الشيعة قد وافقوا على أصل التهمه و لكنهم لم ينفوها! بل تزعم أن الشيخ المفيد اعترف بها! و كأنك قد فرغت من هذا الإثبات و أنت منتظر للنفي منهم.

كلا، فان من أثبت التهمه ضد هشام ليس إلا خصومه، ممن لم يتقوا الله فى شىء، و ليسوا أمناء على شىء، بل كلماتهم متضاربه و متناقضه إلى حد السقوط، و لم يثبت شىء من تلك الاتهامات ضد هشام بطريق واحد من علماء الشيعة، سوى أنه أطلق مقوله "جسم لا كالأجسام" التى لم تدل على ما نسب إليه، بل دلت على التنزيه و التوحيد.

و قد اعترف جميع أهل المقالات بان المقوله لا تدل على التجسيم المعنوى المؤدى إلى الكفر، و فى مقدمتهم كبار الشيعة القدماء، و أعظم الشيعة المتأخرين.

فظهر أن ماده الكلاميه لبراءه هشام موجوده فى مقولته، و فى اصطلاحه فى "الجسم" أنه بمعنى "الشىء" و ليس أول من قدمها هم العامه، بل إنهم هم أول من قدم التهمه ضد هشام و أعلنوها عليه حربا شعواء، مبناها الاتهام الباطل، و التحريف للحقائق.

و إذا وجب أن يحاسب أحد فى هذا المجال، فهم هؤلاء الذين ملئوا صحفهم باتهام هشام، و ذكروا فى حقه خرافات لا يفوه بها ملى فضلا عن مسلم موحد مثل هشام، مع وقوفهم على مصطلح هشام فى "الجسم" الذى يصلح أساسا لبراءته عن وصمه "التجسيم".

و لو كانوا يعتقدون - حقا - ببراءه هشام، لما تناقلوا كل تلك الاتهامات الشنيعه، أو لتراجعوا عنها بكلمه.١.

و العجيب أن الكاتب لا يحاسبهم على تصرفاتهم المشبوهه هذه، و يريد أن يحاسب الشيعة - ظلما - على ما لم يقصروا فيه! ٩ -
قوله: و الدكتور سامى النشار وضعها على أساس منطقي فلسفي مؤداه "إن الفعل لا يصح إلا من جسم، و الله فاعل فوجب أنه
جسم" و أن معنى "الجسم" أنه "موجود" ...إلى آخره.

أقول: ليس الدكتور النشار هو الذى وضع هذا الأساس لنظريه هشام، بل هشام نفسه وضع هذا الأساس و استدل به على
اصطلاحه فى "الجسم" بمعنى "الشيء" و "الموجود"، كما ذكرناه سابقا مفصلا، و قد تناقلته المصادر القديمه.

و هذا دليل آخر على تقصير الكاتب فى تتبعه، و خاصه للمصادر القريبه منه، و اعتماده الأساسى على فكر الغربيين و أعداء
التشيع، و إلا فهذا كتاب الكشى من المصادر الأصيله، و كذلك كتاب "التوحيد" للشيخ الصدوق، و هو فى متناول يده، و
يحتوى على أهم ما يرتبط بالموضوع، فلما ذا يتركه و يلجا إلى كلمات النشار و أمثاله.

و لئن أخفى النشار مصدره الذى استقى منه هذه الفكره الفلسفيه، فان وجود ذلك لا- بد أن يكون مدعاه للكاتب إلى أن
ينصرف عن إصراره على أن يجعل من هشام رجلا- يقول بالتجسيم للبارئ، بمعنى اعتبار ماده المعينه إلهيه، لا- تدرک
بالحواس، كما انتهى إليه فى مجله "الايان" النجفيه.

٨ - موقف الأئمه من مقوله هشام:

إن لأئمه أهل البيت ع مواقف حاسمه فى الدفاع عن الحق، و بيان الحقيقه، و فى خصوص مجال التوحيد و التنزيه، و قد أفصحوا
عن ذلك بأقوال صريحه، قاطعه، محكمه، جمعتها صحف أصحابهم، و مؤلفات أوليائهم، و حفظتها صدور قوم مؤمنين، و هم
يتلونها على المنابر، و فى المجالس، على ألسنه المبلغين رسالات الله، فتطمئن بها قلوب رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

فهذا رسول الله ص يقول - و هو يخاطب الذين قالوا: إن الله يحل فى هياكل رجال كانوا على هذه الصور -: أخطاتم الطريق و
ضللتم، أما أنتم فقد وصفتم ربكم بصفه المخلوقات! أ و يحل ربكم فى شيء، حتى يحيط به ذلك الشيء؟! فإى فرق بينه - إذن
- و بين سائر ما يحل فيه من لونه، و طعمه، و رائحته، و لينه، و خشونته، و ثقله، و خفته؟! و لم صار هذا المحلول فيه محدثا، و
ذلك قديما، دون أن يكون ذلك محدثا و هذا قديما؟(١) و هذا أمير المؤمنين الامام على ع قد سبق كل الموحدين فى التوحيد
الكامل، و التنزيه الشامل، فى خطبه و بياناته، و المعتزله - المدعون للسبق فى ذلك - اعترفوا بان خطب الامام ع فى بيان التشبيه
و إثبات العدل أكثر من أن تحصى.

قال يحيى بن حمزه العلوى - من أئمه الزيديه -: و أعظم كلامه ما حواه كتاب "نهج البلاغه" و قد تواتر نقله عنه، و اتفق الكل
على صحته، و قد أورد فيه من الترغيب و الترهيب، و التخويف و التقريب، و المواعظ و الزجر، و خلاص التوحيد، و صريح
التنزيه، و لطائف الحكم، و مغاصات الأفهام، ما يبهر القرائح، و تحار فى إتقانه العقول، و يذهل الفهم(٢) فمن خطبه له:

أول الدين معرفته، و كمال معرفته التصديق به، و كمال تصديقه توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له
نفى الصفات عنه لشهاده كل صفه أنها غير الموصوف، و شهاده كل موصوف انه غير الصفه، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، و
من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزأه، و من جزأه فقد جهله، و من أشار إليه فقد حده، و من حده فقد عده، و من قال: فيم؟ فقد

ضمنه، و من قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمزايله(٣)و

فى خطبه أخرى: الحمد لله الذى لا يموت، و لا تنقضى عجائبه... و لم تقع عليه الأوهام فتقدره شبها مائلا، و لم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلا... (٤)

و

فى ثالثه: الحمد لله الذى لا- تدركه الشواهد، و لا- تحويه المشاهد، و لا تراه النواظر، و لا تحيط به السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، و بحدوث خلقه على وجوده، و باشتباههم على ألا شبه له (٥)و

قال الامام على بن الحسين زين العابدين ع: من كان ليس كمثلته شيء، و هو السميع البصير، كان نعتة لا يشبه نعت شيء فهو ذاك (٦)و

قال ع: إلهى يدك قدرتك، و التقدير على غير ما به وصفوك، و إنى برىء يا إلهى من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء إلهى، و لن يدركوك، و ظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك، و فى خلقك يا إلهى مندوحة أن يتناولوك، بل سووك بخلقك، و من ثم لم يعرفوك، و اتخذوا بعض آياتك ربا فبذلك وصفوك، تعاليت عما به المشبهون نعتوك (٧)و

قال الامام جعفر بن محمد الصادق ع - فى جواب من قال:

ما هو؟ -: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولى " شيء " إلى إثبات معنى، و أنه " شيء " بحقيقته الشئيه، غير أنه: لا جسم، و لا صورته، و لا- يحس، و لا- يجس، و لا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، و لا تنقصه الدهور، و لا يغيره الزمان... هو سميع بصير، سميع بغير جارحه، و بصير بغير آله.

و قد روى هذا الحديث: هشام بن الحكم (٨)و

فيما قرره الامام على بن محمد الهادى ع من الدين، الذى عرضه عليه عبد العظيم الحسنى: إن الله تبارك و تعالى واحد، ليس كمثلته ٥.

ص: ٢٣٥

١- الاحتجاج - للطبرسى -: ٢٧.

٢- مشكاه الأنوار - للعلوى -: ٥-١٧٦.

٣- نهج البلاغه: ٢٣٩-٤٠، الخطبه ١، و الاحتجاج - للطبرسى -: ١٩٩، و انظر: مشكاه الأنوار: ١٧٧.

٤- التوحيد - للصدوق -: ٣١.

٥- نهج البلاغه: ٢٦٩ الخطبه ١٨٥، مشكاه الأنوار: ١٧٦.

٦- بلاغه الامام على بن الحسين ع: ١٦.

٧- بلاغه الامام على بن الحسين ع: ١٧.

٨- التوحيد - للصدوق -: ٢٤٤-٢٤٥.

شئ، خارج عن الحدين: حد الابطال و حد التشبيه، و إنه ليس بجسم و لا صورته و لا عرض و لا جوهر، بل هو مجسم الأجسام، و مصور الصور، و خالق الأعراض و الجواهر، و رب كل شئ(1)و

قال الامام على بن موسى الرضا ع... لا تضبطه العقول، و لا تبلغه الأوهام، و لا تدركه الأبصار، و لا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، و كلت دونه الأبصار، و ضل فيه تصارييف الصفات، احتجب بغير حجاب محجوب، و استتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤيه، و وصف بغير صورته، و نعت بغير جسم، لا إله إلا الله، الكبير المتعال(2)و

قال الامام الصادق ع... تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك و تعالى بخلقه، المفترون على الله... فانف عن الله البطلان و التشبيه، فلا نفى، و لا تشبيه، هو الله، الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون... (3)

و الشيعة استهدوا بهدى أئمتهم ع فى ذلك، فهم يعتقدون بالتوحيد الكامل، و التنزيه الخالص، للخالق تعالى، عن كل تجسيم أو شبه بخلقه.

كما أنهم يقولون بتوقيفيه أسمائه تعالى، فلا يطلقون اسما عليه تعالى إلا ما ورد به الشرع المقدس.

قال الصدوق: أسماء الله تبارك و تعالى لا تؤخذ إلا عنه أو عن رسول الله ص، أو عن الأئمة الهداه ع(4) و قال الشيخ المفيد: لا يجوز تسميه البارئ تعالى إلا بما سمى نفسه فى كتابه، أو على لسان نبيه ص، أو سماه به حججه من خلفاء نبيه ع، و كذلك أقول فى الصفات، و عليه تطابقت الأخبار من آل محمد ص، و هو مذهب جماعه من الاماميه و كثير من الزيديه(5) و قد خالف الجبائى - من المعتزله - فى ذلك، فكان يزعم أن العقل إذا دل على أن البارئ عالم، فواجب أن نسماه عالما، و إن لم يسم نفسه بذلك، إذا دل على المعنى، و كذلك فى سائر الأسماء.

و خالفه البغداديون - من المعتزله - فزعموا أنه لا يجوز أن نسمى الله عز و جل باسم قد دل العقل على صحه معناه إلا أن يسمى نفسه بذلك(6) و قد كانت هذه المسأله بالخصوص سببا لانفصال أبى الحسن الأشعري عن المعتزله، حيث ناظر أستاذه الجبائى فيها، فقال الأشعري: إن طريقي فى ماخذ أسماء الله الاذن الشرعى، دون القياس اللغوى(7) و بهذا انضم الأشاعره إلى غيرهم من المسلمين فى توقيفيه الأسماء. و قد ذكر الغزالى فى هذا الباب تفصيلا، و هو يتحدث عن اسم "الجسم" و هذا نصه:

ندعى: أن صانع العالم ليس بجسم، لأن كل جسم فهو متالف من جوهرين متحيزين... و نحن لا نعى بالجسم إلا هذا.

فان سماه "جسما" و لم يرد هذا المعنى، كانت المضايقه معه بحق اللغه، أو بحق الشرع، لا بحق العقل: فان العقل لا يحكم فى إطلاق الألفاظ و نظم الحروف و الأصوات التى هى اصطلاحات(8) و قال فى موضع آخر: العقل عندنا لا يوجب الامتناع من إطلاق الألفاظ، و إنما يمنع عنه: إما لحق اللغه، و إما لحق الشرع:

أما حق اللغه: فذلك إذا ادعى أنه موافق لوضع اللسان، فيبحث عنه، فان ادعى واضعه له أنه اسمه على الحقيقه، أى واضع اللغه وضعه له فهو كاذب على اللسان، و إن زعم أنه استعاره، نظرا إلى المعنى الذى به شارك المستعار منه، فان صلح للاستعاره لم ينكر عليه بحق اللغه، و إن لم يصلح قيل له: أخطأت على اللغه، و لا- يستعظم ذلك إلا- بقدر استعظام صنيع من يبعد فى

الاستعارة، و النظر فى ذلك لا يلىق بمباحث المعقول.

و أما حق الشرع، و جواز ذلك و تحريمه، فهو بحث فقهى يجب طلبه على الفقهاء، إذ لا- فرق بين البحث عن جواز إطلاق الألفاظ من غير إرادته معنى فاسد، و بين البحث عن جواز الأفعال.

و فيه رأيان:

أحدهما: أن يقال: لا يطلق اسم فى حق الله تعالى إلا بالأذن، و هذا لم يرد فيه إذن.

و ثانيهما: أن يقال: لا يحرم إلا بالنهى، و هذا لم يرد فيه نهى.

فينظر: فان كان يوهم خطأ، فيجب الاحتراز منه، لأن إيهام الخطأ فى صفات الله تعالى حرام.

و إن لم يوهم خطأ لم يحكم بتحريمه.

فكلا الطريقتين محتمل.

ثم الإيهام يختلف باللغات و عادات الاستعمال، فرب لفظ يوهم عند قوم، و لا يوهم عند غيرهم (٩) و أجمع ما رأيت بهذا الصدد ما ذكره الشيخ الشهيد، و نقله الكفعمى، و هذا نصه: هنا فائده يحسن بهذا المقام أن نسفر قناعها، و نحدر لفاعها، و هى:

أن الأسماء التى ورد بها السمع، و لا شىء منها يوهم نقصا يجوز إطلاقها على الله تعالى إجماعا.

و ما عدا ذلك، فأقسامه ثلاثة:

الأول: ما لم يرد به السمع و يوهم نقصا فيمتنع إطلاقه على الله تعالى إجماعا، كالعارف، و العاقل، و الفطن، و الذكى. لأن المعرفة قد تشعر بسبق فكره، و العقل هو المنع عما لا يلىق، و الفطنة و الذكاء يشعران بسرعه ١.

ص: ٢٣٦

١- التوحيد - للصدوق -: ٨١.

٢- التوحيد - للصدوق -: ٩٨.

٣- التوحيد - للصدوق -: ١٠٢ ح ١٥.

٤- التوحيد - للصدوق -: ٣٠٠ رقم ٦.

٥- أوائل المقالات: ٥٨.

٦- مقالات الإسلاميين ١٨٥/٢.

٧- مذاهب الإسلاميين ٥٠١/١.

٨-الاقتصاد - للغزالي :- ٢١.

٩-الاقتصاد - للغزالي :- ٢٠-٢١.

الإدراك لما غاب عن المدرك.

و كذا المتواضع: لأنه يوهم الذله، و العلامه: لأنه يوهم التأنيث، و الدارى: لأنه يوهم تقدم الشك.

و ما

جاء فى الدعاء من قول الكاظم ع - فى دعاء يوم السبت - "يا من لا يعلم و لا يدرى كيف هو؟ إلا هو" يوهم (1) جواز هذا، فيكون مرادفا للعلم.

الثانى: ما ورد به السمع، و لكن إطلاقه فى غير مورده يوهم النقص، فلا يجوز، كان يقول: يا ماكر، و يا مستهزئ، أو يحلف به. قال الشهيد رحمه الله فى قواعده: و منع بعضهم أن يقول: "اللهم امكر بفلان" و قد ورد فى دعوات المصباح: "اللهم استهزئ به و لا تستهزئ بى".

الثالث: ما خلا عن الإيهام، إلا أنه لم يرد به السمع، كالنجى، و الأريحي.

قال الشهيد رحمه الله: و الأولى التوقف عما لم يثبت التسميه به، و إن جاز أن يطلق معناه عليه (2) إذا عرفت ذلك، فنقول:

قال الشيخ نصير الدين أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى فى فصوله:

كل اسم يليق بجلاله، و يناسب كماله مما لم يرد به إذن يجوز إطلاقه عليه تعالى، إلا أنه ليس من الأدب، لجواز أن لا يناسبه تعالى من وجه آخر (3) قلت: فعنده يجوز أن يطلق عليه الجوهر، لأن الجوهر قائم بذاته، غير مفتقر إلى الغير، و الله تعالى كذلك.

و قال الشيخ على بن يوسف بن عبد الجليل فى كتابه "منتهى السئول": لا يجوز أن يطلق على الواجب تعالى صفة لم يرد فى الشرع المطهر إطلاقها عليه، و إن صح اتصافه بها معنى، كالجوهر، مثلا، بمعنى القائم بذاته، لجواز أن يكون فى ذلك مفسده خفيه لا- نعلمها، فإنه لا يكفى فى إطلاق الصفة على الموصوف ثبوت معناها له، فان لفظتى: "عز" و "جل" لا يجوز إطلاقهما على النبى ص و إن كان عزيزا جليلا- فى قومه، لأنهما يختصان بالله تعالى، و لو لا- عناية الله و رأفته بعباده، فى إلهام أنبيائه أسماءه، لما جسر أحد من الخلق و لا يهيم، فى إطلاق شىء من هذه الأسماء و الصفات عليه سبحانه.

قلت: هذا القول أولى من قول صاحب "الفصول" المتقدم آنفا، لأنه إذا جاز عدم المناسبه - و لا ضروره داعيه إلى التسميه - و جب الامتناع ما لم يرد به نص شرعى من الأسماء، و هذا معنى قول العلماء: "إن أسماء الله تعالى توقيفيه" أى موقوفه على النص و الاذن الشرعى (4) و أما موقف هشام من مسأله الأسماء: و بعد أن عرفنا أن هشاما لم يخالف الحق فى مسأله التوحيد و التنزيه، و لكنه كان له رأى خاص فى كلمه "الجسم" حيث كان يطلقها على البارئ تعالى على معنى "شىء موجود" فى مقولته: "جسم لا كالأجسام" فهى عنده بمعنى "شىء لا كالأشياء"، فخالفه منحصر فى إطلاق اسم "الجسم" على البارئ من دون إرادته معناه المعروف.

و عرفنا - أيضا - أن أعلام الشيعة و كافة الفرق الإسلاميه اعترفوا بعدم دلاله هذه المقوله على التجسيم المعنوى لله تعالى.

لكن، بما أن الحق فى الأسماء أنها توقيفيه، فلا- يجوز إطلاق أى اسم على البارئ تعالى إلا بتوقيف، و ورود إذن من الشرع بذلك، و قد اتفقت كلمه المسلمين، إلا من شذ، على ذلك كما ذكرنا.

و قد تفرد هشام من بين الطائفه بمخالفته فى كلمه "الجسم" حيث اصطلح لها معنى "الشيء" فأطلقها على البارئ تعالى فى مقولته.

فأصبح لذلك موردا للنقد الشديد من قبل الأئمه ع و العلماء، و تركز نقدهم له على هذه النقطه بالذات، يعنى مخالفته للطائفه فى إطلاق الاسم على البارئ تعالى، كما قال المفيد: كان هشام بن الحكمشيعيا و إن خالف الشيعة كافة فى أسماء الله تعالى (٥).

ففى حديث محمد بن الفرغ الرخجى، قال: كتبت إلى أبى الحسن ع، أسأله عما قال هشام بن الحكم فى "الجسم"؟ و هشام بن سالم فى "الصوره"؟.

فكتب ع: دع عنك حيره الحيران، و استعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان(٦)فالملاحظ أن المنسوب إلى هشام فى كلام الراوى هو "القول فى الجسم" لا- "القول بالجسم" - و معناه: أن له مقاله فى لفظ "الجسم" و أنه يعنى به غير ما هو المفهوم المتعارف منه.

و إلا، فالذى يقول بالتجسيم الاعتقادى، فهو يقول: إنه جسم كالأجسام، بينما هشام يقول: إنه لا كالأجسام.

و الحاصل: أن الفرق واضح بين القول فى الجسم، و بين القول بالجسم، كما أشرنا سابقا.

و يمكن استفاده التركيز على هذه الجهه - أى كون خلاف هشام فى مسأله اللفظ - من قول الامام ع: "ليس القول ما قال الهشامان" حيث جعل التركيز فى النفى على القول، فلاحظ.

و يدل على أن الروايات المتهمه على هشام، إنما تنظر إلى قضيه مخالفه هشام فى الأسماء و اللفظ، أنها احتوت على المقوله، ثم عقب فيها الامام ع بما ذكره عن التجسيم، كما فى

حديث الحمانى قال: قلت لأبى الحسن موسى بن جعفر ع: إن هشام بن الحكم زعم: أن الله "جسم، ليس كمثل شىء" عالم، سميع، بصير، قادر، متكلم، ناطق، و الكلام و القدره و العلم تجرى مجرى واحدا، ليس شىء منها مخلوقا. ٢.

ص: ٢٣٧

١- كلمه "يوهم" ساقطه من نسخه المصباح، و وارده فى قواعد الشهيد.

٢- القواعد و الفوائد: ١٧٦/٢-١٧٨.

٣- الفصول النصيريه: ١٧-١٨.

٤- المصباح - للكفعمى :- ٨-٣٣٩.

٥- أوائل المقالات: ٤٣.

٦- التوحيد - للصدوق :- ٩٧ ح ٢.

فقال: قاتله الله، أما علم أن الجسم محدود، والكلام غير المتكلم، معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول، لا جسم، ولا صورته، ولا تحديد، وكل شيء سواه مخلوق، وإنما تكون الأشياء بإرادته ومشئته من غير كلام، ولا تردد في نفس، ولا نطق بلسان(١).

فإن المقوله على مصطلح هشام لا تدل على التجسيم المعنوي، كما أثبتنا مفصلاً، فلا يكون كلام الامام ع متوجهاً إلى هذه الجهة، بل إلى جهة المخالفه في كلامه، وهي مشكله إطلاقه اسم الجسم على البارئ تعالى.

و كذلك

روايه يونس بن ظبيان، قال: دخلت على أبي عبد الله ع فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً، إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً، يزعم: أن الله جسم، لأن الأشياء شيان: جسم وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل.

فقال أبو عبد الله ع: ويله، أما علم أن الجسم محدود متناه، والصوره محدوده متناهيه، فإذا احتمل الحد احتمال الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً.

قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم، ولا صورته، وهو مجسم الأجسام، ومصور الصور، لم يتجزأ، ولم يتناه، ولم يتزايد، ولم يتناقض(٢) لو كان كما يقول، لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشاه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئاً(٣) فكلام الامام ع "ويله... إلى آخره" مذكور بعد دليل مصطلح هشام الذي هو الأساس لمقولته، وقد عرفنا أن المقوله لا تدل إلا على التجسيم اللفظي والاسمي، فمقصود الامام ع الاستنكار على هشام أن يستعمل كلمه الجسم - ولو على مصطلحه - اسماً للبارئ تعالى، مع أن المفهوم العرفي العام للكلمه هو المحدود المتناهي! و

روايه الصقر بن أبي دلف، قال: سألت أبا الحسن (الهادي) على بن محمد بن علي بن موسى الرضاع عن التوحيد، وقلت له: إني أقول بقول هشام بن الحكم؟ فغضب ع ثم قال: ما لكم ولقول هشام! إنه ليس منا من زعم أن الله عز وجل "جسم" ونحن منه براء في الدنيا والآخرة.

يا بن أبي دلف: إن الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه(٤) حيث جعل المدار فيها على "قول هشام" وقد عرفنا أن قوله هو التجسيم الاسمي دون المعنوي.

ولعل ما ورد في الروايات من نسبه القول بالجسم (بنحو مطلق) إلى هشام، من أثر عدم درك بعض الرواه لمقوله هشام بشكلها الدقيق وتصورهم أنه يقول بالتجسيم المنصرف إلى الحقيقي، وعرضهم ذلك على الأئمه ع، فكان ذلك يستدعي هجوم الأئمه على ذلك، وعلى المنقول عنه الذي هو هشام(٥) وكذلك يمكن حمل الروايات المتضمنه لاختلاف الأصحاب في الجسم والصوره، على تنازعهم في إطلاق لفظي "الجسم" أو "الصوره" عليه تعالى لا القول بأنه جسم أو صورته(٦) لوضوح كون هذا القول كفراً مخرجاً عن المله، فكيف يمكن أن يقع في الطائفة نزاع كبير في ذلك، وهو لم ينقل عن أحد من رجال الشيعة، كما

نقل عن بعضهم القول بإطلاق اسم "الجسم".

ثم إن روايه نقلها الكشي، تحدث فيها عن مخاصمه جمع من كبار الأصحاب فيما اختلفوا فيه من التوحيد و صفه الله عز و جل، فكتب أحدهم إلى أبي الحسن موسى الكاظم ع يحكى له مخاطبتهم و كلامهم و يسأله أن يعلمه: ما القول الذى ينبغى أن ندين الله به من صفه الجبار؟ فأجابه فى عرض كتابه: إن الله أجل و أعلى و أعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، و كفوا عما سوى ذلك (٧) فالظاهر من السؤال و الجواب، هو أن البحث و المناظره و الخلاف الواقع بين الأصحاب إنما كان فى إطلاق الصفات على الله تعالى.

و هذا القدر من تصرف هشام، فى لفظ "جسم" و لو بالتواضع و الاصطلاح لم يكن مستساغاً من شخصيه علميه عظيمه مثل هشام، لأن شخصاً مقتدرًا قد تسنم القمه السماء فى علم الكلام، و المناظره، و هو منسوب إلى مذهب الشيعه، مذهب أهل البيت ع لا- بد أن لا- يغفل عن أن الأعداء مترصدون له و لأمثاله من أنصار الحق، لاقتناص أليه كلمه، ليقيموا الدنيا و لا يقعدوها، و يجعلوا من الحبه قبه - كما يقول المثل - و يغروا بنا كلابهم، و يثيروا علينا غوغاءهم، و يتهموا كل الطائفه، من أولها إلى آخرها، حتى الأئمه الأطهار سلام الله عليهم دعائم العدل و التوحيد.

فكان لا بد لهشام أن يتأبى من استعمال هذه الكلمه لأنها مدعاه لاتهامه بالتجسيم، و مغريه للجمله بالهجوم عليه، و على الطائفه التى ينتمى إليها.

فمع أنا عرفنا أن المقوله "جسم لا كالأجسام" ليست إلا دليلاً على التنزيه، نافية لحد التعطيل و حد التشبيه، و بالرغم من اعتراف كافة الفرق الإسلاميه بأنها لا- تدل على التجسيم الحقيقى، و إن دلت على التجسيم اللفظى الاسمى، فمع كل هذا نجد أن أصحاب الفرق قد حاكوا تلك الحكايات البشعه ضد هشام و نسبوها إليه زورا و بهتاناً، و اختلفوا مذهباً و همياً نسبوه إليه باسم "الهشاميه"، إلى آخر الترهات التى يندى لها الجبين.

فأجل مثل هذه الغفله من هشام، هذه الغفله التى سببت للأئمه ع هذه المشاكل، و للطائفه هذه العراقيل و الاتهامات، مما كانت فى غنى عنه، لجا الأئمه ع إلى توجيه العتاب الشديد إلى هشام.

ص: ٢٣٨

- ١- التوحيد - للصدوق :- ١٠٠ ح ٨
- ٢- إلى هنا أورد المفيد فى الحكايات: ١٣٢.
- ٣- التوحيد - للصدوق :- ٩٩ ح ٧.
- ٤- التوحيد - للصدوق :- ١٠٤ ح ٨.
- ٥- التوحيد - للصدوق :- ٩٨ ح ٤ و ٩٩ ح ٦.
- ٦- التوحيد - للصدوق :- ١٠٠ ح ٩ و ١٠١ ح ١٢ و ١٣ و ١٤.

٧- اختيار معرفه الرجال: ٢٧٩-٢٨٠ ح ٥٠٠.

و محاسبته على ذلك حسابا عسيرا، دفعا للاتهامات الواردة على الشيعة.

كما أن ما ذكره الأئمة ع فيه توجيه للأئمة إلى الحق في عقيدة التوحيد، و نفي التجسيم عن ساحه عقيدتهم، و في كثير منها توجيه بشكل أو آخر إلى أن فعل هشام إنما كان مصطلحا خاصا به، و أن إطلاقه كلمه "الجسم" كان على خلاف رغبه الشارع و إذنه، دون أن يكون له قول بالتجسيم الحقيقي.

و مهما يكن سبب تصرف هشام هذا، و سبب صدور هذه المقوله منه، فان تسيبها لمشاكل على الطائفة مما لا يرتاب فيه، و هي زله منه بلا ريب.

إلا أن من الأعلام من يعتقد أنه قد رجع حتى عن التجسيم بالاسم.

قال الشيخ المفيد: و قد روى أنه رجع عن القول بعد ذلك (١) و قال الكراجكي: و أما موالاتنا هشاما فهي لما شاع منه و استفاض من تركه القول بالجسم الذي كان ينصره، و رجوعه عنه، و إقراره بخطئه فيه، و توبته منه (٢) و قد يؤيد هذا بما

روى عن هشام بن الحكم أنه سال أبا عبد الله ع عن أسماء الله عز و جل و اشتقاقها؟ فقال له: "الله" مشتق من "إله" و "إله" يقتضى مالوها، و الاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئا، و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك و عبد الاثنين، و من عبد المعنى دون الاسم فذاك "التوحيد".

أفهمت يا هشام.

قال: قلت: زدنى.

قال: لله عز و جل تسعه و تسعون اسما، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها هو إلها، و لكن الله عز و جل معنى يدل عليه بهذه الأسماء و كلها غيره.

يا هشام، الخبز اسم للمأكل، و الماء اسم للمشروب، و الثوب اسم للملبوس، و النار اسم للمحرق.

أفهمت يا هشام فهما تدفع به عنا و تنافر أعداءنا و الملحدين في الله و المشركين مع الله عز و جل غيره.

قلت: نعم.

فقال: نفعك الله به، و ثبتك، يا هشام.

قال هشام: فو الله ما قهرنى أحد فى التوحيد حينئذ حتى قمت مقامى هذا (٣) و لا يظن بهشام: أن يكون بعد هذا الحديث الشريف ممن يصر على القول فى التجسيم بمصطلحه الخاص، أى التجسيم اللفظى الاسمى.

و كذلك دعاء الامام ع له بالثبات، فان ذلك لا- يمكن أن يكون لمن يخالف النصوص و يلتزم بالتجسيم اللفظى المخالف

لمسأله توقيفيه الأسماء، كما شرحناه.

مضافا إلى أن ما ورد في مدح هشام على لسان الأئمة و العلماء حتى المعاصرين يدل على عظمه هشام، وقوته في العلم والعمل، بما لا يصح معه فرض مخالفته في أمر الأسماء إلى حد العتاب! فهذا المدح يكشف عن رجوعه إلى الحق حتى في أمر الأسماء، ذلك الموضوع الذي أدى إلى حرازه استنكرت على هذا المفكر العملاق، فبرأ بالتوبه المنقوله ساحته عن كل تهمة و شبهه.

و قد أفصحت نصوص مادحه له عن أكثر من ذلك:

فقد قال المفيد: هشام بن الحكم كان من أكبر أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد ع، و كان فقيها، و روى حديثا كثيرا، و صحب أبا عبد الله ع و بعده أبا الحسن موسى ع، و بلغ من مرتبته و علوه عند أبي عبد الله جعفر بن محمد ع، أنه

دخل عليه بمنى، و هو غلام، أول ما اختط عارضاه، و في مجلسه شيوخ الشيعة... فرفعه على جماعتهم، و ليس فيهم إلا من هو أكبر سنا منه، فلما رأى أبو عبد الله ع أن ذلك الفعل قد كبر على أصحابه قال: هذا ناصرنا بقلبه، و لسانه، و يده(٤)و

روى المفيد عن الصادق ع أنه قال لهشام: مثلك من يكلم الناس(٥)و قال المرتضى: و مما يدل على براءة هشام من هذه التهم:.... ما

روى عن الامام الصادق في قوله ع: هشام بن الحكم رائد حقنا، و سابق قولنا، المؤيد لصدقنا، و الدماغ لباطل أعدائنا، من تبعه و تبع أثره تبعنا، و من خالفه، و ألحد فيه فقد عادانا و ألحد فينا(٦)و قال ابن النديم: هشام بن الحكم... من جله أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد ع، و هو من متكلمي الشيعة الاماميه، و بطائنتهم، و

ممن دعا له الصادق ع، فقال: أقول لك ما قال رسول الله ص لحسان، لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك" (٧)و في هذا الحديث إيماء إلى زله هشام في مسألة اللفظ، التي تبرأ منها برجوعه و يدل على ذلك بوضوح ما قاله زميله على بن إسماعيل الميثمي - لما بلغه مطارده الخليفة هارون العباسي لهشام -: إنا لله و إنا إليه راجعون، على ما يمضى من العلم إن قتل، فلقد كان عضدنا و شيخنا، و المنظور إليه بيننا(٨) و لئن استغل الأعداء بعمد، و بعض المغفلين من دون قصد، ظاهر المقوله في التهجم على هشام، فالأمل أن نكون قد وفقنا في هذا البحث لأن نبدي جانبا من عظمه الرجل، و براءته من كل ما اتهموه به، بشرحنا للمقوله، على مصطلحه.٧.

ص: ٢٣٩

١- الحكايات: ١٣١.

٢- كنز الفوائد - للكرجكي -: ١٩٧.

٣- التوحيد - للصدوق -: ٢٢٠ ح ١٣.

٤- الفصول المختاره: ٢٨.

٥- تصحيح الاعتقاد: ٢١٨، و الشافى - للمرتضى -: ١٢.

- ٦- الشافى - للمرطفى :- ١٢، و معالم العلماء: ١٢٨ رقم ٨٤٢.
- ٧- الفهرست - للندىم :- التكملة :- ٢٢٤، و انظر: الشافى - للمرطفى :- ١٢.
- ٨- اأأيار معرفه الرجال: ٢٤٣ رقم ٤٧٧.

الحاج ودای العطيہ.

ولد فی الشامیہ سنہ ۱۳۱۰ (۱۸۹۲ م). و توفي سنہ ۱۹۸۳ م عن ۹۲ سنہ.

قال الدكتور حسين علي محفوظ:

سكن كربلاء في مطلع العقد السابع من القرن الماضي، منذ سنه ۱۳۶۱ هـ (۱۹۴۲ م) و نسبه هكذا: "الحاج ودای عطيه آل غضبان آل مشيمش"، و كلمه (آل) و لفظ (آل) و "ابن" بمعنى واحد عند عشائر الفرات و الجنوب في العراق.

هو من رؤساء الحميدات في قضاء الشاميہ. و من أهم عشائر هذه البلده الأخرى: بنو حسن، و آل علي، و آل بدير، و آل قتله، و الكرد، و العوابد، و آل شبل، و الخزاعل، و آل زياد، و كعب، جبشه، و آل عياش، و بنو سلامه، و خفاجه. إضافة إلى السادات و هم (۲۹) بطنا و عشيره.

سكنت الحميدات أرض الرغيلة و ما يجاورها في الشاميہ منذ زمن غير قريب. و هم من بنى مالک القبيله العربيہ المعروفه في تاريخ العراق و المنتفق المعرقه في الأصاله و النسب و المشيخه. و قد ذكر (بنى مالک) النسابه السيد مهدي القزويني المتوفى سنہ ۱۳۰۰ هـ في كتابه (أنساب القبائل العراقيه).

و قد ذكر (بنى مالک) أيضا المؤرخ الباحث عباس العزاوي في الجزء الرابع من (عشائر العراق) كما خصص فصلا للحميدات أشار فيه إلى مشيمش من بيوتات الرئاسه، و الإخوه الأربعة الرؤساء من هذا البيت و هم الحاج ودای و أخوانه الحاج رائج، و الحاج سوادى، و أبا ذر، و عبد الكاظم.

كان الحاج ودای نسابه راويا واعيا محيطا بالأخبار و الروايات و النقول و النصوص و القصص و الأنساب و السلاسل و الطبقات و الوفيات.

روى جانباً من الأخبار و الحوادث و المعلومات عن العديد من المعمرين و المطلعين و المتبعين أحصى منهم في آخر تاريخ الديوانيه (۹۵) رجلاً. ذكر أسماءهم و أنسابهم و أمكنتهم و أعمارهم و حدد تواريخ وفياتهم. و هو فصل في غايه الأهميه و نهايه الامتاع.

ألف عدداً من الكتب عرفت منها تاريخ (الحوادث و الوقائع المهمه في الفرات) و (عشائر الفرات) و (مشجرات العلويين و رؤساء العشائر في الفرات) و (العشائر و رؤساء العشائر في الفرات) و (العشائر و الأسر العلويه في الفرات) و كتاب (وفيات الرؤساء و الزعماء) و مجموعات مشجره في الأنساب في مجلدات و دفاتر كثيره ضخمة، و قد طبع من مؤلفاته كتاب (تاريخ الديوانيه قديماً و حديثاً) سنہ ۱۹۴۵ في ۳۹۶ صفحہ. و كراسه (على هامش العراق بين احتلالين) في نقد الجزء الخامس من كتاب (تاريخ العراق بين احتلالين).

اهتم بالفرات، و الفرات يمثل جانباً مهماً جداً من تاريخ الأمه و تاريخ العراق و حضاره العراق. و قد فاز سكانه بمعانقه البادية و الجزيره و الصحراء.

و هو صله العراق بجزيه العرب أم العراق. و قد قامت على ضفتيه عشرات المدن و القرى المباركه و البلدان يعود تاريخ بعضها إلى تاريخ العراق القديم.

و يعود بعضها إلى بدايات الفتح و أيام الدول العربيه و الإسلاميه. تعتبر مؤلفات المترجم له فى تاريخ الفرات مخازن عامره بالمعلومات، و أرشيفا حافلا بصور الوثائق و الأسانيد و التواريخ، و بحورا تطمو بالأخبار و تزدهم بالحوادث و المعارف و النقول يحتاج الباحث و المتتبع إلى كل فقره فيها.

و الحق أن كتاب (تاريخ الديوانيه) يعد نموذجا كاملا للتواريخ المحليه. و قد ملأه المؤلف بسيل من المعلومات لو أن جماعه من الباحثين فرغوا لها ما استطاعوا جمع بعضها فى عشرات السنين.

استوعب الكتاب تاريخ البلد فحقق لفظ (الحسكه) أولا. و هى اسم الموضع الذى تقوم عليه (الديوانيه) الحاليه. و بين أخبار الحسكه هذه فى المصادر و المراجع و أن الكتب و صفت الحسكه بأنها من أحسن ضياع العراق فى سنه ١١١٧ هـ ١٧٠٥ م. و تابع تاريخها اعتبارا من أول القرن الثانى عشر.

و إليها ينسب (الشعر العامى) المعروف الذى يسمى (الحسكه).

يعود تاريخ الديوانيه فى هذا الكتاب إلى زمن حمد آل حمود المتوفى سنه ١١٩٢ هـ. و يرجع تاريخ رئاسته إلى حوالى سنه ١١٦٠ هـ. و (الديوانيه) فى كلام الأعراب هى المضيف المبنى بالآجر و الطين. و المضيف عندهم لا بد أن يتخذ من القصب و الحصر.

و قد بين أن الإشارات إلى الديوانيه فى الكتب و الرحلات من سنه ١١٦٨ هـ ١٧٥٤ م. و كان اسمها الأول (ديوانيه خزاعه) ثم جردت عن الإضافه و اكتفى بلفظ الديوانيه.

و فصل تاريخ الديوانيه فى أيام الدوله العثمانيه. و فى زمن الاحتلال البريطانى، و فى العهد الوطنى.

و لم أر كتابا يقارب هذا الكتاب فى كثره المعلومات و الوثائق و الأنساب و الأخبار. و يمثل فصل الأسر و البيوت نهايه الدقه و الاحاطه و الاستقصاء و التنوع الشامل العميق.

و أثبت المؤلف المصادر فى قائمه مفصله تحتوى على عشرات الكتب المخطوطه و المطبوعه و الوثائق و المجاميع و المجلات و السالنامات و الدواوين و الجرائد القديمه و الألواح و السجلات أثبتها فى (٨٣٥) فقره فضلا عن أسماء الأشخاص الذين سألهم و أخذ عنهم أطرافا من معلومات الكتاب.

ترك خزانه عامره بنخبه من الكتب النادره و المؤلفات و المعبره، و المصادر القيمه، و عددا من المؤلفات النفيسه تحتوى على أصول مهمه جديره بالاعتماد، و وثائق فريده قيمينه بالتوثيق. و قد تحدث المترجم عن نفسه قائلا:

نشأت فى كنف والدى بيت رئاسه معروف لقبيله مشهوره بالفرات و قد أرسلنى والدى الشيخ عطيه إلى الكتاتيب لتعلم القراءه و الكتابه، ثم تتلمذت على الشيخ على أصغر الشيرازى فأخذت على يده العلوم الدينيه و العربيه و زاد إقبالى على معرفه فكنت

أكثر التردد على النجف و أختلف إلى أعلامها و علمائها و كنت منذ صغرى أتتبع حوادث القبائل و أسال عن آثار الأوائل و ذلك عن فطره طبيعته لا يسوقنى إليها إلا حب الاطلاع.

أبو محمد يحيى بن أبى الحسين محمود الذى ادعى الخلافه فى نيسابور

و بويع له المتوفى سنه ٣٣٩) ابن أبى جعفر أحمد الملقب بزباره (لأنه كان إذا

غضب يقال: زبر الأسد) ابن محمد الأكبر بن عبد الله المفقود ابن الحسن

ص: ٢٤٠

المكفوف ابن الحسن الأفتس ابن على الأصغر ابن الامام زين العابدين بن

على بن أبى طالب ع، البيهقى النيسابورى.

المعروف بشيخ العتره، نقيب النقباء بنيسابور و متكلم الشيعة و فقيهم فى عصره و من مشاهيرهم فى القرن الرابع الهجرى.

أمه طاهره بنت الأمير على ابن الأمير طاهر بن الحسين، كما جاء فى (عمده الطالب ص ٣٤٧).

توفى سنه ٣٧٦.

أخذ العلم و الحديث على جماعه من أعلام أسرته بنى زياره [زباره] المعروفين بالفضل و الفقاهاه و الرئاسة فى نيشابور و بيهق و أفاضل علماء عصره فى تلك النواحي حتى نبغ فى جميع أبواب العلم و انتهى إليه كرسى التدريس و رئاسه المذهب فى خراسان. قال شيخ الطائفة أبى جعفر محمد الطوسى المتوفى سنه ٤٦٠ فى الفهرست: (يحيى العلوى يكنى أبا محمد من بنى زياره من أهل نيشابور جليل القدر عظيم الرئاسة متكلم حاذق زاهد ورع له كتب كثيره فى الامامه و غيرها... لقيت جماعه ممن لقوه و قرءوا عليه) (١) و قال النجاشى بعد ما سرد نسبه إلى الامام على بن أبى طالب ع: (... أبو محمد كان فقيها عالما متكلمًا سكن نيشابور و صنف كتبًا...) ثم ذكر مؤلفاته (٢) و قال النسابة السيد عزيز الدين أبى طالب إسماعيل المروزى المتوفى سنه ٦١٤ هجرية فى كتابه الفخرى: (... يحيى الفقيه المتكلم الكاتب العالم المحدث الأديب الدين الرئيس. و ظفر أبو المنصور الأعرج العالم الفاضل العابد الذكى الجواد الفارس، و عقبه قوم كثير بنيسابور علماء و فضلاء و شعراء... ثم ذكر أمهما و قال طاهره بنت محمد بن الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ذى اليمينين بن طلحه بن الطيب بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق مولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع.

و أمها أسماء بنت عبد الله بن محمد بن الطيب بن طلحه بن الطيب بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق) (٣).

و جاء بعض الاختلاف فى ذكر أسماء آباء أمه عما ذكره ابن عنبه. و ما ذكره صاحب كتاب الفخرى أدق.

و ذكره ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق (٤) و ذكر ابن عنبه المتوفى سنه ٨٢٨ و ذكر أولاده فقال: (... أبو محمد يحيى نقيب النقباء بنيشابور و كان يلقب شيخ العتره... أمه طاهره بنت الأمير على بن الأمير طاهر بن الأمير عبيد الله بن طاهر بن الحسين...

ثم ذكره أولاده قائلا: و أعقب أبو محمد يحيى بن أبى الحسين محمد النقيب من أبى الحسين محمد وحده و منه فى أربعه رجال و هم الأجل العالم أبو القاسم على، و أبو الفضل أحمد، و الحسين جوهر ك و أبو على محمد و أمهم أجمع عائشه بنت أبى الفضل البديع الهمدانى الشاعر و لكل منهم جلاله و رئاسه) (٥) و قال الامام فخر الرازى فى الشجره المباركه: (أما محمد أبو الحسن [الحسين] الأديب ابن أحمد زياره فعقبه من ثلاثه يحيى الفقيه المتكلم المحدث الرئيس بجرجان. و ظفر أبو منصور الأعرج العابد الذكى الجواد و الحسين أبو عبد الله قيل انقرض عقبه.

أما يحيى المتكلم فعقبه من رجل واحد: محمد أبو الحسين النقيب بنيسابور و كان عالما أديبا سخيا) (٦) قال تقى الدين الحسن

الحلى المعروف بابن داود فى رجاله (يحيى أبو محمد العلوى من بنى زباره من أهل نيسابور ثقه جليل القدر عظيم الرئاسة متكلم حاذق زاهد ورع له كتب كثيره فى الامامه و غيرها) (٧) وقال الأوردبيللى الحائرى فى جامع الرواه: (يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع أبو محمد كان فقيها عالما متكلم يسكن نيسابور إلا- أن فيما حضرني من نسخه يحيى بن أحمد بن محمد و لم يكرر بن على لكن ما أثبتنا هو الموافق لما فى عمده الطالب) (٨) قال شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة: (يحيى العلوى أبو محمد من بنى زباره كما فى الفهرست و جاء بقيه نسبه فى النجاشى و الخلاصه و إن اختلفا فى ذكر بعض الأجداد دون بعض و هو متكلم فقيه من أهل نيسابور له كتب كثيره... و فى نسخ النجاشى الموجوده يحيى بن أحمد بن محمد و لكن فى الخلاصه و رجال ابن داود جاء يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد فيظهر أنهما أخذاه من النسخ القديمه الصحيحه من النجاشى و وقع إسقاط أبيه محمد من النسخ المتأخره و لذا لم يذكر أخلافا من النجاشى و يكنى أبوه بأبى الحسين كما فى العمده و بأبى على كما فى أسانيد الصدوق...) (٩) و قال العلامة الحلى المتوفى سنه ٧٢٦: (يحيى العلوى المكنى أبا محمد من بنى زباره من أهل نيسابور جليل القدر عظيم الرئاسة متكلم حاذق زاهد ورع له كتب كثيره فى الامامه و غيرها) (١٠) و مر شقيقه السيد أبو منصور ظفر العالم المحدث فى نيسابور.

يقول عبد الحسين الصالحى: لقد أكدت لنا جميع المصادر أن له مؤلفات كثيره أشهرها كتاب مسح الرجلين كبير، كتاب أبطال القياس، كتاب التوحيد و سائر أبوابه، كتاب الأصول، كتاب الامامه كتاب الفرائض، كتاب الإيضاح فى المسح على الخفين.

السيد عماد الدين يحيى بن السيد ركن الدين أبى منصور هبه الله بن أبى

الحسن على بن أبى جعفر محمد الحسينى الزبارى البيهقى

من أحفاد أبى جعفر أحمد بن محمد الزباره بن عبد الله المفقود ابن الحسن المكفوف ابن الحسن الأفضس ابن على الأصغر ابن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

ص: ٢٤١

- ١- أبى جعفر محمد الطوسى: الفهرست ص ٢٠٩ تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم الطبعة الثانيه نجف ١٣٨٠ هجرية.
- ٢- أبو العباس النجاشى: رجال النجاشى ص ٣٠٩ بمبئى الطبعة الحجرية الأولى سنه ١٣١٧ هجرية.
- ٣- السيد عزيز الدين إسماعيل: الفخرى فى أنساب الطالبين تحقيق السيد مهدي الرجائى ص ٨٠-٨١ قم منشورات مكتبه المرعشيه
- ٤- أبو الحسن على البيهقى المعروف بابن الفندق: تاريخ بيهق ص ٥٤-٥٥ طهران الطبعة الأولى موسى دانش. و أثنى عليه ثناء كثيرا
- ٥- ابن عنبه: عمده الطالب ص ٣٤٧ الطبعة نجفيه منشورات الحيدريه.
- ٦- الامام فخر الرازى: الشجره المباركه فى أنساب الطالبية تحقيق السيد مهدي الرجائى ص ١٧٣ قم منشورات المرعشيه.
- ٧- تقى الدين الحسن الحلى المعروف بابن داود: رجال ابن داود ص ٣٧٦ تحقيق سيد جلال الدين الحسينى طهران الطبعة الأولى.

- ٨- الشيخ محمد على الأردبيلي الحائري: جامع الرواه ج ٢ ص ٣٣٩ الطبعة الأولى.
- ٩- الشيخ آغا بزرك الطهراني: نوابغ الرواه فى رابعه المئآت ص ٣٣٢ الطبعة الأولى بيروت ١٣٩٠ هجرية - ١٩٧١ م.
- ١٠- الحسن بن يوسف حلى المعروف بالعلامة الحلى: رجال العلامة الحلى ص ١٨١ الطبعة النجفيه ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

ولد ليله الثلاثاء السادس من رجب سنة ٤٧٧ و توفي يوم الاثنين ١٢ ذى القعدة سنة ٥٣٢.

من أعلام عصره أديب شاعر مشارك في أنواع العلوم فقيه متبحر رئيس أخذ العلم و فنون الأدب على رجال أسرته آل الزباره المعروفه بالفضل و العلم و الرئاسة في بيهق. ذكره ابن الفندق المتوفى سنة ٥٦٥ في كتابه تاريخ بيهق الذي ألفه سنة ٥٦٣ و قال ينظم باللغتين العربية و الفارسيه و لم يذكر شيئا من شعره و أثنى عليه بما تعريبه: (... الزاهد الورع و له ثروه علميه كثيره و أشعار بالعريه و الفارسيه و كانت أمه بنت الشيخ الرئيس الزكى على بن أبى نعيم أحمد بن محمد...)(١) و تخلف بابنه جلال الدين محمد المولود في شوال سنة ٤٦٩ [٤٩٦] و يستفاد من كلام ابن الفندق أن للمترجم له ديوان شعر بالعريه و ديوان شعر بالفارسيه و مر ذكر أخيه السيد عزيز العالم الفاضل الأديب الشاعر(٢).

الشيخ أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي.

كان حيا في ذى القعدة سنة ٤٠٣.

من أكابر علماء الشيعة فقيه متبحر أديب متضلع أخذ العلم و فنون الأدب من السيد علم الهدى الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٠٦ [٤٣٦] و أجازه السيد المرتضى إجازة مؤرخه في ذى القعدة سنة ٤٠٣ هجريه أن ينقل عنه كيف شاء و هذه الشهاده دليل على تبحره في الأدب و النحو و العلوم العريه و أشار إلى الإجازة شيخنا [في] الذريعه ضمن الإجازات للسيد علم الهدى الشريف المرتضى فقال: (إجازته للفييه أبي الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي بخطه في سنة ٤٠٣ في أول الجزء الثاني من ديوان المرتضى نسخته العتيقه عند داعى الإسلام السيد محمد على في حيدرآباد الدكن كما في تذكره النوادر)(٣) و نقل صورته الإجازة في الجزء التاسع من الذريعه عند ذكر ديوان علم الهدى الشريف المرتضى(٤) ثم ترجم للمترجم له في كتابه طبقات أعلام الشيعة فقال (يعقوب بن إبراهيم أبو الفرج البيهقي المجاز من السيد المرتضى علم الهدى كما وجد بخطه على الجزء الأول من ديوانه بهذه الصوره: (قرأ على الفييه أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي أدام الله توفيقه قطعه كبيره من ديوان شعرى و أجزته لروايه جميعه عنى فليروه كيف شاء. و كتب على بن الحسين بن موسى الموسوى بخطه في ذى القعدة سنة ثلاث و أربعمائ)(٥) و لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته كما لم أجد له ترجمه في كتب التراجم و لم يذكره المؤرخون الذين كتبوا عن تاريخ بيهق(٦).

تنبيه إلى خطأ في المجلد الثالث

١ - أبو الحسن كوشيار بن لبان جاء اسمه في آخر الصفحه السابعه ثم جاءت ترجمه السيد إبراهيم بن محسن في أول الصفحه الثامنه. ثم في أول الصفحه التاسعه أكملت ترجمه أبو الحسن كوشيار. فما جاء في آخر الصفحه السابعه يجب وضعه في أول الصفحه التاسعه.

٢ - في الصفحه السادسه ورد اسم آمنه بنت فتح على خان. و الصحيح أن الاسم هو: آسيه.

- ١- أبو الحسن علي بن زيد اليبهقي المعروف بابن الفندق: تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ٥٧ طهران الطبعة الأولى منشورات موسى دانش.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
- ٣- الشيخ آغا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ١ ص ٢١٦ بيروت دار الأضواء.
- ٤- نفس المصدر: ج ٩ القسم الثالث ص ٧٣٥.
- ٥- الشيخ آغا بزرك الطهراني: النابس في القرن الخامس ص ٢٠٧.
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

قلت فيما ذكرته في ملحق المجلد الثاني من (المستدركات) أن صلاح الدين الأيوبي أنهى الحرب مع الصليبيين بعد معركة حطين و اعترف بوجودهم فيما في أيديهم من بلاد، و زاد على ذلك بان أعاد إليهم حيفا و يافا و قيساريه و نصف الرمله و غير ذلك حتى لقد صار لهم من يافا إلى قيساريه إلى عكا إلى صور، بل صارت لهم فلسطين إلا أقل القليل و لم يكن لهم ذلك من قبل.

يقول ابن شداد في كتابه (الاعلاق الخطيره) و هو يتحدث عن حيفا (ص ١٧٧-١٧٨): "لم تزل في أيدي الفرنج إلى أن فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاثه و ثمانين، فلم تزل في يده إلى أن نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم في المهادنه التي وقعت بينه و بينهم، و ذلك سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه، ثم لم تزل في أيديهم".

و هكذا قال عن بقيه المدن التي أعادها صلاح الدين إلى الصليبيين مما مر ذكر بعضه في ملحق المجلد الثاني و لا نعيده هنا.

لما ذا فعل صلاح الدين ذلك؟ لما ذا أعاد إلى الصليبيين ما استرده منهم بعد معركة حطين؟!..

ذلك أن الخليفة العباسي الناصر (٥٧٥ - ٦٢٢) كان قد تخلص من السلاجقه و استقل بحكم الخلافه، و أصبح يسيطر على مملكه واسعه لها قوتها و بأسها، و لها جيشها الضخم المتحضر للقتال، و الذي انتصر على جميع المتمردين في الداخل و قمع ثوراتهم حتى لقد وصفه الشاعر ابن البنيه بشعر يقول فيه:

ملك إذا التظمت صفوف جيوشه أيقنت أن البر بحر مزبد

انفت صوارمه الجفون فأصبحت بالنصر في قمم الخوارج تغمد

و الواقع أنه قد بدأ ببيان هذا الجيش منذ عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ [٥٢٢] - ٥٢٩) حتى لقد بلغ تعداد المقيم منه في بغداد في عهد الناصر (١٥٠) ألفا، و قد خاض ذلك الجيش معارك كثيره في خلال (٤٧) سنة هي مده خلافه الناصر أسقط فيها دولا و أنشا دولا أخرى، و احتل أقطارا و مدنا و أغاث إمارات و ممالك و ولايات.

لم تنه معركة حطين الوجود الصليبي في البلاد، و لا كانت المعركة الفاصله يوم ذاك، بل ظل للصليبيين وجودهم القوي. و هنا رأى الخليفة الناصر أن يجد صلاح الدين بما لديه من قوى كبيره كانت كافيه للقضاء نهائيا على الصليبيين، و قطع دابرهم فأرسل إلى صلاح الدين يخبره باستعداد جيش بغداد للزحف إلى فلسطين و معاونته على استئصال شافه الصليبيين و القضاء النهائي على وجودهم.

و هنا ارتكب صلاح الدين نفس ما ارتكبه حين طلب إليه نور الدين أن يزحف بالجيش من مصر، و يزحف نور الدين بالجيش من الشام فيحصر الصليبيين بين الجيشين، فرفض صلاح الدين ذلك لأنه في حاله النصر على الصليبيين و زوالهم يصبح صلاح

الدين تابعا فعليا لنور الدين و عاملا من عماله. أما في حاله وجود الصليبيين فهو مستقل بحكم مصر، و ليس لنور الدين عليه سلطه فعليه، مما فصلناه فيما تقدم في ملحق المجلد الثاني من (المستدركات) و ذكرناه كذلك في ترجمه طلائع بن رزيك في المجلد الأول، فلا نعيد تفصيله هنا.

لقد رفض صلاح الدين طلب الخليفه الناصر انجاده بالجيس [بالجيش] العراقى القوى لأن انتصار هذا الجيش على الصليبيين و القضاء عليهم سيقوى نفوذ الخلافه فى فلسطين و بلاد الشام كلها، و يصبح صلاح الدين مجرد وال تابع للخليفه فى بغداد، لذلك أسرع لإنهاء حاله الحرب مع الصليبيين و سلم بوجودهم و خضع لشروطهم باعاده فلسطين كلها إليهم - ما عدا القدس - فعل كل ذلك ليتجرد لمقاتله الجيش العراقى إذا أصر الناصر على إرسال هذا الجيش لقتال الصليبيين.

و قصه طلب الناصر إرسال جيشه لقتال الصليبيين و رفض صلاح الدين لذلك ذكرها فيمن ذكرها من المؤرخين: مؤرخ هو أقرب الناس لصلاح الدين، حتى لقد كان بمثابة (سكرتير) شخصى له، هو عماد الدين الأصفهانى صاحب كتاب (الفتح القسى فى الفتح القدسى)، ذكر ذلك فى الصفحه ١٧٦ من طبعه مطبعه الاتحاد بالقاهره.

و قد تعلق صلاح الدين فى رفضه بان قواد جيشه غير موافقين على ذلك لأنهم ملوا الحرب.

و لكن صلاح الدين الذى زعم أن قواده قد ملوا الحرب، كان يعد لحرب جديده و لكن لغير قتال الصليبيين، و لغير تخليص البلاد منهم.

لقد أعاد فلسطين إلى الصليبيين و رفض انجاد الجيش العراقى له لانقاذ

البلاد من الاحتلال الصليبي، وراح يفتش عن مكان آخر يقاتل فيه، لأن إنقاذ الوطن الإسلامي من الصليبيين يحد من نفوذه و يقلل من هيمنته، أما القتال في مناطق أخرى فإنه يزيد من نفوذه و يكثر من هيمنته، فإذا ضمن ذلك فليبق الصليبيون في بلاد الشام.

و لو أن المناطق الأخرى التي عزم على القتال فيها هي مناطق أجنبيه، يريد إدخالها ضمن المناطق الإسلاميه لهان الأمر. و لكن صلاح الدين الذي سالم الصليبيين و أنهى الحرب معهم و اعترف بوجودهم، ثم زاد على ذلك فأعاد لهم ما كان قد أخذه منهم. صلاح الدين هذا عاد يخطط لغزو البلاد الإسلاميه و سفك دماء المسلمين تحقيقا لمطامعه الشخصيه.

ترك الصليبيين في أمان، و اتجه لترويع المسلمين الآمنين، و لكن الله الرحمن الرحيم أنقذهم منه، و نجاهم من السيوف التي أعدّها لذبّحهم توسيعا لملكه، و مدا لسلطانه.

قال ابن الأثير و هو يتحدث عن وفاه صلاح الدين:

"كان قبل مرضه قد أحضر ولده الأفضل عليا و أخاه الملك العادل أبا بكر و استشارهما فيما يفعل، و قال قد تفرغنا من الفرنج و ليس لنا في هذه البلاد شاغل، فأى جهة نقصد، فأشار عليه أخوه العادل بقصد خلاط لأنه كان قد وعده إذا أخذها أن يسلمها إليه. و أشار ولده الأفضل بقصد بلد الروم التي بيد أولاد قلعج ارسلان و قال هي أكثر بلادا و عسكريا و مالا و أسرع مأخذا و هي أيضا طريق الفرنج إذا خرجوا على البر فإذا ملكناها منعناهم من العبور فيها. فقال: كلا كما مقصر ناقص الهمه، بل أقصد أنا بلد الروم، و قال لأخيه تأخذ أنت بعض أولادى و بعض العسكر و تقصد خلاط فإذا فرغت أنا من بلد الروم جئت إليكم و ندخل منها آذربيجان و نتصل ببلاد العجم فما فيها من يمنع عنها، ثم أذن لأخيه العادل فى المضى إلى الكرك و كان له و قال له فجهز و احضر لنسير. فلما سار إلى الكرك مرض صلاح الدين و توفى قبل عوده" اه.

يقول صلاح الدين: لقد تفرغنا من الفرنج. و ليته كان قد تفرغ منهم باستئصالهم مستعينا عليهم بالجيش العراقى، و لكن تفرغ منهم بمصالحتهم و ترك البلاد لهم، و إعادته ما أخذه منها إليهم.

لقد تفرغ منهم بذلك و راح يحاول الانشغال عنهم بالمسلمين، و لكن عزرائيل كان قد تفرغ له، فحال بينه و بين الإيغال فى الآثام.

الذكريات

يرى القارئ بعد تمام هذا المجلد صفحه من حياه المؤلف، لا هي بالسيره الذاتيه و لا هي بالمذكرات، و إنما هي انطباعات عن بعض ما مر به فى هذه الحياه. ففضل أن يطلق عليها اسم (الذكريات).

و قد كان فى النيه أن تتضمن ما يشمل الأيام كلها حتى كتابه هذه السطور، ثم تطبع مع آخر مجلد من (المستدركات). و لما تبين أن نهايه (المستدركات) غير معلومه الأمد، و أنها حتى الآن مستمره، لذلك بادرت إلى إيداع قسم منها مع هذا المجلد، و تركت الباقي - و بعضه لم يدون بعد - إلى الآتى من (المستدركات).

وقد كان التعجيل فى نشر ما ينشر هنا هو أن العمر ماش إلى الغروب، و لا يعلم إلا الله ساعه هذا الغروب الدانيه، فحفظا لهذه (الذكريات) من الضياع بادرت إلى تسجيل ما هو مسجل فى آخر هذا المجلد، و هو ما سيراه القارئ فى الصفحات التاليه. و لعل الله يسمح بتدوين الباقي فى نهايه مجلدات المستدركات.

حسن الأمين

ص: ٢٤٤

فى

حياه حسن الأمين

ولدت سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) فى دمشق و انتقلت مع الأسره سنة ١٩١٤ بعد إعلان الحرب العالميه الأولى إلى بلده شقرا (جبل عامل) حيث ترعرعت و تكامل صباى.

لا أعى من أواخر الحرب العالميه الأولى إلا أشباحا غير مترابطه لا أستطيع أن أوّلف منها حدثا متكاملًا. فانا مثلا أذكر انتقالنا من دمشق إلى جبل عامل. و لكننى لا أذكر تفاصيل هذا الانتقال، و لا ما جرى لنا فى الطريق و لا كيف وصلنا إلى شقرا فى جبل عامل ثم أنا أعى أن أختى الأكبر كان فى سن الجنديه و أنه سعى له ليكون معلما فى شقرا و بذلك يعفى من الجنديه، كما أذكر أن رجلا استؤجر ليتولى مكانه أكثر الأوقات إذ كان يضيق ذرعا بتعليم الأطفال، و أذكر أننا تلقينا شيئا من التعليم عند هذا [هذا] المعلم المستأجر و أننا كنا نجلس أمام المعلم على الحصير المؤلف من البردى المعروف فى جبل عامل بالبابير.

كما أذكر نزوحنا أنا و أخ و أخت لى من شقرا إلى مقام صديق "بتشديد الدال" هربا من وباء الكوليرا، و لكن لا أذكر مقامنا هناك و لا عودنا.

على أن الصوره تأخذ فى ذهنى بالوضوح شيئا فشيئا ابتداء من نهايه الحرب. فإنه يصح لى أن أقول، أن أحداثى لا يمكن أن تسجل إلا ابتداء من سنة ١٩٢٠ لتذكرى للكثير من تفاصيل تلك الأحداث مما يمكن تسجيله و الحديث عنه.

فمما لا أنساه أبدا تلك الطلقات الناريه المتتابعه التى أخذت تنبعث من أحد بيوت بنى عمنا و نحن فى شقرا نهارا بصوره مثيره بدون انقطاع، فمضينا إلى مصدر الرصاص المنطلق فوجدنا قريينا يطلق النار من بنديته مبتهجا مسرورا، مما جمع الناس عليه، ففهمنا أن حدثا ضخما قد وقع فى دمشق، كان من صداه هذه الطلقات، و أن هذا الحدث هو شىء عظيم للبلاد. و لم أكن أدرك فى تلك السن حقيقه الاستقلال و حقيقه الحركات الوطنيه، و لكننى كنت مدركا أن الفرنسيين يحتلون البلاد و أن هذا شىء منكر.

و كان الحدث الضخم هو إعلان الاستقلال السورى فى الثامن من آذار سنة ١٩٢٠ و تتويج الأمير فيصل ملكا على المملكه العربيه السوريه!

فى مدرسه القرية

بنهايه الحرب العامه الأولى تتضح الصور فى ذهنى و تتكامل خطوطها جليه بارزه، و لعل مما يسجل من تلك الصور هو مشاهد من الحياه الدراسيه القرويه، فقد أقبل فى أوائل الاحتلال معلم حكومى على شقرا، فكان أول معلم يعين لمدرستها بعد انتهاء

الحرب، و كنا - على ما أذكر - جلوسا فيما يسمى في شقرا بساحة المدارس مع بعض كبار بنى عمنا و صغارهم، إذ أقبل رجل غريب معمم بعمامه بيضاء و مرتد بزه خاكيه اللون مفصله على الطراز الذى اعتاده المعممون فى لبس الحلل المدنيه تحت عمائمهم، و هى ذات معطف طويل و بنطال ككل البناتل المعروفه و صدرية ككل الصدارى و لكنها بدون رباط عنق.

أقبل هذا الرجل الغريب على الحلقة فكان طبيعيا أن يقف أهلها لرد تحيته على الطريقه العامليه، متسائلين فى أنفسهم عنم يكون هذا الطارق. و لم يلبث أن أعلن عن نفسه بأنه المعلم المعين لمدرسه شقرا، و أن اسمه محمد على الحومانى.

دخلنا مدرسه الحومانى، و كان هذا الرجل أبعد ما يكون عن العمل الجدى منصرفا إلى ما جبل عليه من النميمه و الدس و الفتنة بين الناس و إثارة الضغائن و الأحقاد، لذلك قلت الفائده منه لمن يريد الفائده، و مع أن كونه شاعرا و على اطلاع حسن على اللغه العربيه كان يمكن أن يؤثر فى تلاميذه و يثير مواهبهم و يصقل معارفهم فان الفائده منه كانت ضئيله و لم يخلف فى أى واحد من تلاميذه أثرا محسوسا.

لا أظننا أكملنا السنه فى مدرسه الحومانى التى خرجنا منها بدون طائل سوى تحسين الخط بعض التحسين. و كان سبب ترك المدرسه أننا انتقلنا إلى دمشق و ذلك أن الفرنسيين قرروا أن يسوقوا حملة لاختراع الجبل و تابعت أبناء استعداداتها و كان الوالد فى دمشق، فقرر الأخ الأكبر انتقالنا جميعا إلى دمشق حيث أن ذلك أدعى إلى الطمأنينه.

إلى القنيطره فدمشق

كان السفر إلى دمشق على الدواب فقد مضينا على ظهورها من شقرا مجتازين وادى السلوقى فى عرضه و صاعدين فى وادى الاصطبل مرورا بالقرب من قريه حولا فهونين، ثم هبوطا إلى الحوله فوصولا منها إلى بانياس، و لا أذكر إذا كنا قد بتنا فى بانياس أم لا، و أحسب أنه لم يكن ممكنا قطع الطريق فى مرحله واحده فلا بد أن نكون بتنا فى أحد المنازل، و ذلك لا يكون إلا فى

بانياس. و من بانياس وصلنا إلى القنيطرة.

و كانت القنيطرة في ذلك الوقت في حركة جيشه تغص بالجند و الناس، إذ أنها كانت آخر مدينه على الحدود بين المنطقه العربيه المستقله و المنطقه المحتله من الفرنسيين في الساحل و المنطقه المحتله من الإنكليز في فلسطين. فكانت لذلك منطلقا لكثير من التحركات.

و بتنا في القنيطرة في أحد الخانات التي كانت وحدها منازل للمسافرين و من القنيطرة واصلنا السفر إلى دمشق لا على الدواب هذه المره، بل تركنا الدواب في القنيطرة و عاد بها مرافقونا إلى شقرا، و أخذنا نحن إحدى العربات الكبيره المستطيله المتعدده المقاعد، و المجروره بالخيول، و التي كانت هي الوسيله الوحيده للمواصلات السريعه إذ لم تكن السيارات قد انتشرت بعد.

و بعد هذا التاريخ بسنه أو سنتين كانت هذه المركبات لا تزال في هذا الطريق، و إن تكن السيارات قد بدأت تشق سبلها فيه و لكن بقله و ندره.

ذلك أننا عدنا من دمشق إلى القنيطرة مع الوالد و أخى الأصغر و تلميذ الوالد الشيخ على الجمال. عدنا إلى القنيطرة في طريقنا إلى جبل عامل فركبنا نفس المركبه و حللنا القنيطرة، و لكن لا- في الخان هذه المره، بل في منزل امرأه قرويه عامليه كانت تسكن القنيطرة في بيت بسيط، و كانت تؤجر بعض غرفه إما للطائرين أو للمقيمين و هو بيت هزيل قروي بكل ما في القرويه القديمه من معني.

نزلنا في هذا البيت على أمل السفر في الغد على الدواب المستقدمه من شقرا سالكين نفس الطريق السابق و لكن الأمل لم يتحقق و طالت إقامتنا في القنيطرة أسابيع. ذلك أن وسيله إعلام شقراء بإرسال الدواب إلى القنيطرة كانت بإرسال برقيه من دمشق إلى صور و هي آخر مركز يصل إليه خط البرقيات يوم ذاك. و من صور ترسل البرقيه مع بعض الذاهبين إما إلى شقرا أو إلى قريه مجاوره و منها إلى شقرا. و المسافه ما بين صور و شقرا تتراوح بين الثمانى و العشر ساعات ركوبا على الخيل أو غيرها من الدواب أو مشيا على الأقدام. و كانت صور تحفل دائما بالقرويين الذين يعودون إلى بلادهم بعد أن يكونوا قد باعوا منتوجات أرضهم من قمح و شعير و عدس لتجار صور.

هذا في الصيف، و لا تخلو صور خلال السنه من واردين إليها بين الحين و الحين من القرى إما لمراجعته دوائر الحكومه أو لقضاء حاجاتهم. و مع واحد من هؤلاء العائدين من صور كانت ترسل البرقيات الوارده إلى صور و الموجهه إلى القرى.

و كان والدى يعتمد في إرسال برقيات على الشيخ عز الدين على عز الدين الذى يتولى إرسال البرقيه إلى شقرا. و كانت برقيه طلب الدواب من شقرا قد وصلت الشيخ عز الدين فأرسلها مع واحد من عملائه من أهالى مركبا التي تبعد أكثر من ساعتين عن شقرا. و لكن الرجل لم يوصل البرقيه. و وصلنا نحن القنيطرة و لم تصل الدواب و طال الانتظار و الدواب لا تصل و أقبل عيد الأضحى فقضينا في القنيطرة. و فى صبيحه العيد مضينا مع والدى إلى أرض فضاء في طرف القنيطرة حيث ازدحم المصلون من الشراكسه لأداء العيد فشار كناهم الصلاه.

و لما طال الانتظار صدف والدى رجلا من بلده الخيام ذاهبا إلى بلده البعيد عن شقرا فاستأجره الوالد ليمضى من الخيام إلى

شقرا برسالة بطلب الدواب، و لكن هذا الآخر مضى و لم يبلغ ما أؤتمن على إبلاغه و طالت إقامتنا فى منزل (أم نمر) و هو منزل لا- تحمد الإقامة فيه. و لما بلغ الياس مداه فتش الوالد عن حل للمشكلة فعلم أن فلاحين من قريه عين فيت القريه من القنيطره يحضرون العنب من قريتهم منقولاً- على الحمير لبيعه فى القنيطره ثم يعودون فارغين إلى قريتهم. فاستأجرنا حميرهم لتقلنا إلى هونين أول بلده فى جبل عامل من الطرف الشرقى المطل على الحوله. و لم يكن لا من اللائق و لا من المريح ركوب الحمير. و إنما هى الخيل التى تستعمل فى مثل هذا الانتقال، و لكن كان لا بد مما لا بد منه فركبنا حمير أهل عين فيت و بتنا ليله فى بانياس فى خان فيها معد للنزلاء، ثم صعدنا إلى هونين.

و الواقع أن دخولنا فى تلك الحال إلى هونين كان شيئاً عجيباً غير متوقع، فلم يكن يخطر لأهل هونين أن هذا الموكب القادم إلى بلدتهم على ظهور الحمير هو موكب السيد محسن الأمين. و أنه نفسه يسير على رأس هذا الركب الهزيل. و قد زاد الأمر غموضاً أن السيد كان يجلب عمامته و رأسه بعباءته السوداء الرقيقه (الخشيه) فلا يبين من ملامحه شىء. حتى إذا اجتاز الركب مداخل القريه و تقدم إلى وسطها نزع الوالد عباءته عن رأسه و ترجل و ترجلنا معه و مضينا، و هنا صاح أحد الناظرين إلى الموكب:

هذا السيد محسن. فتراكض الناس إليه دهشين. و انطلقنا إلى أحد المنازل.

ثم نعود بعد هذا الاستطراد إلى مواصلة الكلام:

فى دمشق

فى هذه الفتره كانت دمشق تغلى كالمرجل، فالفرنسيون طامعون بها يتحينون الفرص للانقضاض عليها و تحطيم الاستقلال الذى قام فيها.

و الوطنيون يحاولون تدعيم الاستقلال و المحافظه عليه و لن أتحدث عن تاريخ تلك الفتره إلا فى القليل منها، و إنما ساعرض فيما ياتى انطباعاتى عنها كطفل كان يرى مشاهدتها عن كذب بقدر ما تسمح له أوضاعه. فمن ذلك مثلاً أن بعض العاملين قد وصلوا دمشق بعد وصولنا بمدته، فرارا من الحمله الفرنسيه التى كانت قد انطلقت إلى الجبل للقضاء على العصابات المتمرده، تلك الحمله التى كانت تأخذ البرىء بجريه العاصى. و سكن بعض هؤلاء العاملين فى نفس حيناً.

كان العرب فى تلك الفتره يعيشون حلمهم الأكبر منتشين بما هم فيه من استقلال و تطلع إلى الوحده ثم بدأت الآمال تنهار و الحقائق المره تتجلى واحده بعد الأخرى!.

ثم جاء إنذار الجنرال غورو للحكومه الاستقلاليه يوضح الصوره و يجلو الواقع المر و يضع حدا لكل الأحلام.

فى اليوم الرابع عشر من تموز سنه ١٩٢٠ تلقى الملك فيصل لا بصفته ملكا لسوريا بل بوصفه قائد جيش الحجاز المحتل لسوريا إنذاراً يهدم كل الأمانى. و قبل أن نشير إلى نص الإنذار ننشر هذا البيان الذى ألقته الحكومه الاستقلاليه أمام المؤتمر السورى (الذى كان بمثابة المجلس النيابى) و ذلك بعد أن وضحت النيات الاستعماريه. و يتجلى فى هذا البيان ما كانت عليه الأفكار فى

تللك الأيام و ما كان يجول فى نفوس القاده.

و أحسب أن هذا البيان ألقى حوالى منتصف حزيران سنه ١٩٢٠ أى

ص: ٢٤٤

قبل حوالي شهر من إرسال الإنذار (١٤ تموز ١٩٢٠).

"أيها السادة. إننا نعتبر بأنه من واجبنا أن نطلعكم على الحالة في هذه الساعه الحرجه.

إنكم تعلمون أن سياسه الوزاره كانت و ما زالت أساسا لعملنا كما أنكم تعلمون أن هذه السياسه التي وافقتم عليها تتضمن الإبقاء على علاقات الصداقه مع الحلفاء و خاصه مع فرنسا و بريطانيا. و أن عملنا الدائم كان تحقيقا لتلك الرغبات التي أبدتها البلاد بواسطتكم.

لقد بوشر بالمفاوضه، و استمرت على أحسن الشروط. و كما تعلمون تلقينا قرار مؤتمر (سان ريمو) الذي يعترف بان سوريا تؤلف دوله مستقله، كما أعلمتنا بريطانيا - من جهه أخرى - بطريقه شبه رسميه، بأنها زياده على ذلك تعترف بصاحب الجلاله فيصل ملكا على سوريا.

لقد قررنا في هذه الأوقات أن نرسل بعثه إلى أوروبا لإتمام المفاوضات و الحصول على حل نهائي طبقا لرغباتنا الوطنيه، كما أن رغبتنا أيضا أن نثبت للعالم و للدول باننا لا نعادي أحدا، و لا نعارض قرارات مؤتمر الصلح، بعد أن تعهد بالمحافظة على شرفنا و استقلالنا.

لقد أبدى صاحب الجلاله رغبته بان يتوجه بنفسه إلى أوروبا، ليحصل على حل سريع للقضيه، و بفضل الاحترام الذي يتمتع به لدى رجال الدول المتحده، فاننا على ثقه تامه، و أمل مكين بان نرف قريبا إلى الشعب أخبارا ساره.

و لكن فجاه برزت الحاله الخطره الحاضره التي نبسطها لكم. أراد الجنرال غورو لأسباب نجهلها أن يفتنم مناسبه حشد جيوشه لكي يعارض، أو يمنع سفر صاحب الجلاله. فأبلغ مندوبنا بعض الشروط التي قال أنه يريد أن يطلبها منا و التي لم نتسلم نصها الرسمي حتى الآن و لذلك لم نتمكن من أن نبلغكم إياها و لا أن نعتبرها رسميه ما لم نتبلغ نصها المكتوب رسميا.

إن بعض هذه الشروط هي على كل حال مخالفه ليس فقط لرغبات البلاد و تصميمها الثابت على الاستقلال، و لكنها مخالفه أيضا لروح القرارات المتخذة في (سان ريمو) و للتعهدات الموقعه من فرنسا لأن في قبول هذه الشروط تقويضا لسياده البلاد و استقلالها من أساسه التي اعترفت بها الدول في سان ريمو.

حشد الجنرال غورو جيوشا على حدود المنطقه الشرقيه لجهتي الشمال و الغرب و من المحتمل أن يكون هذ الاجراء دعما للطلبات التي تقدم بها، و التي لم يصلنا نصها الرسمي، كما سبق و قلنا هذا عدا عن أنه أرسل جيوشا فرنسيه إلى رياق. و لقد أبلغ حاكم زحله العسكري قائد قواتنا في رياق:

بأنه احتل عسكريا هذا المركز، كما أن الجنرال غورو أعاد إقامه القوه الفرنسيه التي احتلت معلقه زحله في السنه السابقه ثم من جهه أخرى أبلغنا الكولونال كوس باسم الجنرال غورو بأنه احتل المركزين المذكورين بسبب وجود قواتنا في (مجدل عنجر). و لكن من المعلوم أن مركز مجدل عنجر كان أقيم للمحافظة على الأمن العام في الجوار منذ بدء الاحتلال و أنه عزز أخيرا بعد حشد الجيوش الفرنسيه على حدودنا. و عليه اعترضت حكومتنا على هذه التدابير التي اتخذها الجنرال غورو، و التي لا تتفق مع

التحالف و طالبت بعرض المسأله على الدول أولا- كما أننا نعلن الأمه و العالم أجمع - من على هذا المنبر - باننا لا نريد إلا السلم، و المحافظه على شرفنا و استقلالنا، و أننا لا نقبل بآيه شروط مقيده.

ثانيا - أننا نرفض كل شكوى يظن معها أو يكون فيها مجال للظن، باننا نرغب فى تعكير علاقات الصداقه التى تربطنا بحليفنا أو بحلفائنا.

ثالثا - أننا لا نرفض التفاوض و أننا على استعداد للمباشره به، و أن بعثنا التى يرأسها الملك فيصل هى على أتم الاستعداد للسفر إلى أوروبا لمواصله المفاوضات. و أننا نقبل بكل حل لا يسىء إلى شرفنا و لا إلى حريتنا و على أن يكون قائما على الحق.

رابعا - و أخيرا أننا على أتم الاستعداد و التصميم للدفاع عن شرفنا و حقوقنا بجميع القوى التى أنعم الله علينا بها." انتهى "

اليوم كالأمس

و أننا حين نقرأ هذا البيان و نتدبر ألفاظه و معانيه و مرامييه، لا يسعنا إلا التصفيق للذين تقدموا به و الذين تبوه و أيده. فهو يعلن الموقف الذى يجب أن يقفه أى شعب يهدد فى استقلاله و حريته و يتعرض لغزو استعمارى شرس. و هو الكلمه الفاصله التى يجب أن ترد بها أیه أمه كريمه على المتطاولين إلى النيل من كيانها و الانتقاص من إرادتها. لا سيما إذا كانت هذه الأمه كالأمه العربيه العريقه...

و لكننا و نحن نعيد تلاوه هذا البيان، و ندقق فى كل حرف من حروفه لا نستطيع أن نسترسل فى التصفيق لأصحابه، بل لا نستطيع إلا الوقوف موقف المؤنب الصارخ فى وجوههم: ما ذا أعددتم لتحقيق هذه الأحلام، و ما ذا بيتم للصمود بوجه الغزاه؟. و ما ذا كان عندكم غير الكلام ترسلونه بلا حساب، و غير الحماسه الفارغه من كل قوه و جوهر!..

و أننا و نحن نعيش حاضر أمتنا المنكوبه اليوم بعزتها و كرامتها، المفجوعه بأرضها و ترابها، المرزوه بشعب من شعوبها.

إننا و نحن نعيش اليوم هذا الحاضر المرير، كما عشناه من أوله منذ العام ١٩٤٧ يوم بدت طلائع الشر الصهيونى الرهيب، و منذ وضحت نيات التهام فلسطين و القضاء على شعبها. و منذ بدأ التنادى لدرس وسائل درء الخطر، و حفظ الوطن!. فعقدت المؤتمرات و زحرت المنتديات، و تدفقت الأقوال الحماسيه و التطمينات الكلاميه.

منذ مؤتمر بلودان و قراراته السريه، ثم منذ التهيؤ للحرب لمنع التقسيم، ثم منذ دخول الحرب و الخروج منها بالعار و الشنار!.

منذ أول يوم، و ما كان يعقب كل ندوه و مجتمع و مؤتمر من تصاريح و أقوال!.

إذا جمعنا الخطب و البيانات و القرارات. و قارناها بهذا البيان البليغ الفصيح الذى ألقته حكومه الأتاسى الاستقلاليه على برلمانها حين ساور الاستقلال الخطر، و أطل على الأمه أبشع ليل فى تاريخها الحديث!..

إذا أجرينا هذه المقارنه، فاننا نرى أنه منذ أكثر من خمسين سنه من

محن و أرزاء و نكبات و تجارب فان كلمات المسئولين هي نفس الكلمات و تعهداتهم هي نفس التعهدات و حماستهم نفس الحماسه!.

ثم النتيجة نفس النتيجة!.

إنك. حين تقرأ هذا البيان و تعيد قراءته و تنسى تاريخ صدوره و موضوع صدوره، إنك لتحسب أنه واحد من هذه البيانات التي اعتدت قراءتها بعد مؤتمرات القمة أو بعد اجتماعات وزراء الخارجيه أو وزراء الدفاع أو رؤساء الأركان.

بل أنك لتحسبه صادرا بعد هزيمة حزيران و ما أسموه بحرب الأيام الستة، و يخيل إليك أنه يتحدث عن قرار مجلس الأمن و التمسك به و الخوف من معارضته!.. و الحرص على كسب الرأى العام العالمى بتبنى السلام!.. و التشبث بالكلمات اللينه التي تصدر من هنا و هناك!..

أليس البيان يتضمن الإصرار على (الإبقاء على علاقته الصداقه مع الحلفاء و خاصه مع فرنسا و بريطانيا) فى حين أن بريطانيا كانت تحتل العراق و تقاتل أهله، و كانت قد وهبت فلسطين لليهود!.. و فرنسا هي التي تحشد جيوشها للقضاء على الاستقلال!..

تماما: كما ظل يعلن اليوم رجالنا عن حرصهم على صداقه أمريكا، و كما يدعو من يدعو فينا على التشبث بهذه الصداقه!..

ثم أليس يعلن البيان عن التعلق بالأوهام و الاستبشار بكلمه وهميه صدرت من قوى؟..

أليس يقول البيان: (... أعلمتنا بريطانيا بطريقه شبه رسميه، بأنها تعترف بصاحب الجلاله فيصل ملكا على سوريا)!..

فى حين. كانت بريطانيا تتامر مع فرنسا على اقتسام التركة، بعد وأد الاستقلال، فأخذت بريطانيا ما عرف باسم شرق الأردن، و أخذت فرنسا الباقي!..

ثم ألا- يعلن البيان تمسكه بقرارات مؤتمر سان ريمو، تماما كما نعلن اليوم تمسكنا بقرار مجلس الأمن، فى حين أن أس البلاء كان فى قرار مؤتمر سان ريمو!.

ثم ألا يعلن البيان ثقته بان المفاوضات تحل المشكلات!.

أى كما نامل اليوم بما أسميناه (الحل السلمى)! و ألا يعلن البيان تعجبه و استنكاره مخالفه الجنرال غورو لروح القرارات المتخذه فى سان ريمو!.. كما نعلن اليوم تعجبنا و استنكارنا لمخالفات إسرائيل لا- لروح القرارات المتخذه فى هيئه الأمم المتحده و مجلس الأمن، بل لنصوصها الصريحه!..

و أخيرا: أ لا تعجبك هذه الحماسه المعبره عن العزه القوميه الواجبه فى الشعوب: إننا على أتم الاستعداد و التصميم للدفاع عن شرفنا و حقوقنا بجميع القوى التي أنعم الله علينا بها!!.

هذا التعبير الذى يبدو أن سياسيينا منذ سنة ١٩٤٧ حتى اليوم قد استعاروه بنصه و روحه!.. لا سيما بعد ٥ حزيران و حرب الأيام

السته!.. فى الوقت الذى كانت حكومه الاستقلال تلقى هذا البيان، كانت البلاد غارقة فى فوضى لا مثيل لها. و لم يكن أحد يفكر فى إعداد خطه المواجهه، و لم يكن أحد يفكر بان فرنسا قد خرجت من الحرب هازمه لألمانيا، و أنها لا تقاوم بالبيانات، بل لا بد من الاعداد و التفتيش عن السلاح لا فى ساعه وقوع المعركه، بل قبلها بسنين!..

و أن كل ذلك يقتضيه إخلاص لا حد له، و عقول كبيره و أنظار بعيده، ترسم و تخطط و تنفذ!..

و هذا ما كان العرب يوم ذاك - كما هو اليوم - بعيدين عنه كل البعد!.

و يظهر أنهم سيظلون بعيدين عنه إلى وقت لا يعلمه إلا الله!.

العاصفه

صبيحه أحد الأيام جالت فى سماء العاصمه طياره فرنسيه و ألت على المدينه ألوف المنشورات التى لا أزال أذكر تناثرها من الطائره و تهاويها فى الفضاء هابطه إلى الأرض. و كان فى تلك المنشورات تشييط للعزائم ممزوج بالتهديد و الوعيد.

و كنا بعيد ووصولنا إلى دمشق قد انتقلنا إلى منزل مؤقت فى أقصى الصالحيه بسفح الجبل لأن إصلاحا كان يجرى فى منزلنا فى حى الخراب.

و كنا مساء كل يوم نمضى إلى الصالحيه للمبيت. و أذكر أننا لم نكد نتجاوز جسر بردى و ننطلق صاعدين إلى الطريق الموصل إلى مداخل الصالحيه ثم نصل إلى المستشفى العسكري حتى رأينا هرجا و مرجا و سمعنا طلقات الرصاص مما استحال معه دوام السير إلى الصالحيه فابنا راجعين. و لم أكن أعى تماما حقيقه ما يجرى. و لما وعيت بعد ذلك بسنين علمت أن الأمر كان ثوره جامحه اضطرت على أثر ما علم الشعب أن الحكومه القائمه اضطرت لقبول الإنذار الفرنسى الموجه إليها من الجنرال غورو و المحتوى على مطالب كثيره منها تسريح الجيش المرابط فى مرتفعات مجدل عنجر، فسرح الجيش و عاد أفراده بسلاحهم إلى دمشق معلنين حقيقه ما يجرى.

فثار الشعب دفاعا عن الاستقلال و انطلقت جموعه تهاجم مستودعات الأسلحه و أهمها داخل القلعه و وقع الاشتباك بين الشعب و حكومته!.

و لكن الفرنسيين ادعوا عدم وصول جواب حكومه دمشق فى الوقت المحدد فواصلوا زحفهم إلى دمشق التى لم يكن احتلالها من بين المطالب الفرنسيه المشتمل عليها الإنذار. لما رأت حكومه دمشق ما يجرى عادت فقررت المقاومه لئلا تتيح للفرنسيين دخول دمشق دخولا سلميا دون دفاع..

نص الإنذار

ننشر فيما يلى نص الإنذار الذى وجهه الجنرال غورو باسم فرنسا إلى الملك فيصل لا باعتباره ملكا لسوريا، بل باعتباره أميرا حجازيا يقود جيشا من جيوش الحرب و يحتل جزءا من البلاد المفتوحه، و نلاحظ أن الجنرال يسمى الجيش العربى السورى

بالجيش الشريفى نسه إلى اللقب الأول الذى كان يطلق على الملك حسين و ابنه الملك فيصل، كما يسمى الحكومه بالحكومه الشريفيه بهذا الاعتبار نفسه، أى أن فيصلا هو الشريف فيصل ابن الشريف حسين و ليس له إلا هذه الصفه.

ص: ٢٤٨

و قد أرقق الجنرال إنذاره برسالة، يستهل بها الإنذار:

يا صاحب السمو أتشرف بان أرسل مذكرتى المؤرخه ١٤ يوليو، أقدمها إلى سموكم الملكى و أناشد أخلاقكم الساميه و وطنيتكم الصحيحه و شعوركم الودى نحو فرنسا أن تقبلوها.

لقد برهنت فرنسا من جهتها على إخلاصها لسوريا بقبولها لمهمه إرشاد الدوله الجديده و قيادها بنزاهه. و لذلك أريد أن أظن أن سموكم الملكى سيصغى إلى صوت الحكمة فى معالجه هذه القضيه الخطيره فلا يتضامن مع حكومه لا تمثل سوى الأحزاب المتطرفه من الشعب.

و لا- أفكر أننى قادر على أن أعول فى تنفيذ الضمانات التى تشرفت بطلبها على سموكم إذا تولت ذلك الحكومه فبقاؤها فى مناصبها ينطوى على معنى العداء لفرنسا و قد بذلت جهودها لجر بلادكم إلى الحرب و إلقاءها فى أتون بلاياها و لن يعصمها سوى تصرف سموكم الملكى وحده.

و هذا نص الإنذار:

"باسم الحكومه الفرنسيه، لى الشرف بان أعرض على سموكم الملكى لآخر مره، موقف هذه الحكومه إزاء السلوك الذى سلكته حكومه دمشق منذ مطلع هذا العام.

" سادت السكينه سوريا إبان الاحتلال الانكليزى و لم يتعكر صفو الأمن و يبدأ الاضطراب فيها إلا لما حلت جنودنا محل الجنود البريطانيين و قد أخذت هذه الاضطرابات تزداد من ذلك الحين.

و لقد أثرت هذه الاضطرابات فى رقى سوريا و نظامها السياسى و الادارى و الاقتصادى أكثر من تأثيرها فى سلامه جنودنا و فى الاحتلال الفرنسى فى المنطقه الغربيه. فحكومه دمشق تحمل كل التبعه إزاء سكان سوريا الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا بان تمتعهم بحسنات إداره مؤسسه على الاستقلال و النظام و التساهل و الثروه، و أن أمانى الولاء و التعاون التى أظهرتها فرنسا لسموكم بتأييدها حقوق السكان الذين يتكلمون العربيه على اختلاف مذاهبهم و يقطنون القطر السورى بحكم أنفسهم كامه مستقله قد أجاب عليها سموكم معترفا بان لسكان سوريا مصلحه كبيره فى طلب المشوره و المساعدة من دوله كبيره لتحقيق وحدتهم و تنظيم شئون الأممه نظرا للتضعع الذى أصاب البلاد من الارهاق التركى و الأضرار التى نتجت عن الحرب، و تلك المشوره و المساعدة ستسجلها عصبه الأمم عند ما تتحقق بالفعل. و قد دعا سموكم الملكى فرنسا إلى القيام بهذه المهمه باسم الأممه السوريه. و لما كنتم تفاوضون الحكومه الفرنسيه فى شهر يناير الماضى و كانت العصابات الخارجه من دمشق تجتاح المنطقه الغربيه أرسل إلى مسيو كلمنصو البرقيه الآتيه:

"عند ما بلغنى خبر هجوم البدو فى جنوب سوريا و شمالها قلت للأمير فيصل أننى اتفقت معه مؤقتا على بعض المبادئ و أننى أحافظ أتم المحافظه على كلامى و لكن يجب أن يقابل خطتى هذه بمثل ما فيها من الإخلاص و أن يجعل سلطته محترمه على أنصاره فإذا لم ينفذ هذان الشرطان تنفيذًا دقيقًا فالحكومه الفرنسيه تستأنف العمل بحريه و تستعمل القوه لتأييد النظام و احترام الحقوق التى لها من المؤتمر ". و البيان الآتى يوضح جليا كيف أن حكومه دمشق لم تنقطع عن انتهاج خطه معاديه و مخالفه

تمام المخالفه لسياسه التعاون التي رمى إليها الوزراء و تعهدتم بتطبيقها.

١ - عداء جلى على قواتنا:

إن إصرار حكومه دمشق على رفض السماح للسلطه الفرنسيه باستعمال سكه رياق - حلب الحديديه هو عمل عدائى بحت. فالحكومه لا تجهل أن تلك السكه لا بد منها لاعاشه إحدى فرقنا الفرنسيه فى الشمال و تمكينها من القتال و هذه الفرقة تقاتل قوات معاديه تابعه لتركه التي انتزع الحلفاء الظافرون سوريا من ربقتها و دفاعا عن حدود حكومه سوريا الجديده التي يجب أن تربطنا بها روابط المصلحه و عرفان الجميل.

أن حكومه دمشق هي التي وضعت مبدأ تنظيم العصابات و استخدامها ضد جنودنا المحتله. و هذا المبدأ أعلنه قائد الفرقة الثالثه فى حلب صراحه يوم ١٣ ابريل بالقول الآتى:

"لما كنا لا- نستطيع أن نعلن الحرب رسميا على الفرنسيين يجب علينا أن نملاً- البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجيا و سيقود ضباطنا هذه العصابات فإذا استشهد أحدهم تعيل الحكومه عائلته".

و إليك الأدله الآتیه على دقه تنفيذ هذه الخطه:

فى ١٣ كانون الأول ديسمبر سنه ١٩١٩ هوجم موقعنا فى تل كلخ بتحريض السلطه الشريفيه فى حمص و فى أواخر ذاك الشهر ذبح بدو محمود الفاعور الذى قلتم لى يا صاحب السمو الملكى أنه صديقكم الشخصى مسيحي مرجعيون و هجم على جنودنا فى ١٤ يناير رافعا العلم الشريفي.

و فى ٢٥ منه سنه ١٩٢٠ تحقق وجود الجنود الشريفيه بين الذين هاجموا جنودنا تحت قياده ثريا بك (بركات) فى قريق خان ثم فى الحمام. و فى حزيران - يونيه ثبت وجود أمير الامى و يوزباشى و سته ملازمين و ٣١٧ رجلا- من الجيش الشريفي بين العصابات التي كانت تعمل فى ساحه مرجعيون و ثبت استعمال معدات ماخوذه من الجيش نفسه و هي أربعة رشاشات ثقيله و ثلاثه خفيفه و خمسون صندوق ذخيره و ظهر أيضا اشتراك محرضى المنطقه الشريفيه فى الاضطرابات التي امتازت بمذابح (عين إبل) و فتنه الشيعة فى شهر حزيران - يونيو.

ثم أن منظمى العصابات محترمون كل الاحترام فى دمشق لا سيما صبحى بركات الذى لا يجهل أحد إساءته إلينا.

و عند ما لم تكن العصابات ترسل من المنطقه الشريفيه كانت الفتنة تثار فى المنطقه الفرنسيه ذاتها.

و بهذه الأعمال وقعت اعتداءات عديده على المسيحيين لا سيما فى جسر القرعون فى ٢٩ كانون الأول - ديسمبر حيث تقع التبعه على الضابطين الشريفيين واجد بك و تحسين بك..

و قد ساعد الشيخ صالح (العلی) بطل الفوضى و البغضاء لنا مساعده مؤثره مستمره فى جبال النصيريه.

و من الممكن تعداد كثير من هذه الأمثلة و قد عرضناها على سموكم الملكى فى حينها.

ص: ٢٤٩

رأى سموكم الملكى إدخال أشخاص مشهورين بعدائهم لفرنسا فى حكومه دمشق و كان تأثير المحيط شديدا عليكم حتى أنكم لم تتمكنوا من السفر فى الوقت المناسب تلبيه لدعوه مؤتمر الصلح، و قد تألفت الوزاره من أناس من تلك الفئه التى لا تقتصر خطتها على إهانته فرنسا و رفض مساعدتها بل تتناول المجلس الأعلى الذى منح فرنسا الانتداب لسوريا.

إن رفض انتداب فرنسا رفضا باتا فى ١٨ أيار الماضى هو خطه عمياء تجر نتائجها المصائب على سوريا.

٣ - التدابير الاداريه ضد فرنسا:

إن التمتع الاقتصادى الظاهر فى رفض ورق النقد السورى الجديد الذى أصدره البنك السورى لحساب فرنسا و منع جميع المعاملات الشرقيه هو دليل جديد على عداء مضر بمصلحه البلاد.

و كذلك منع نقل الحبوب إلى المنطقه الفرنسيه مبتدئا من حماه فدمشقفحلب، ثم أن السلطه الشريفيه اجتازت حدود المنطقه الشرقيه و تقدمت تدريجيا داخل المنطقه لتظهر أنها توسعت توسعا يقصد به إخراجنا.

ففى شهر آذار مارس وضع مخفر شريفى فى الخالصه ثم رفع العلم الشريفى على القدموس بعد ذلك بقليل و فى نيسان جعلت حكومه حلب القصير قضاء شريفيا. ثم نصب قائم مقام شريفى فى جسر الشغور.

٤ - أعمال عدائيه موجهه رأسا إلى فرنسا:

إن من كان صديقا لفرنسا أو مواليا لها فى المنطقه الشرقيه يكون مشتبهها به من السلطه و يعامل معاملته سيئه فى أغلب الأحيان.

(و بعد أن يذكر الإنذار بعض الأمثله يعود فيقول):

و عدد سكان المنطقه الشرقيه الذين أكسبهم عداؤهم لنا عطف الحكومه عظيم جدا.

إن بث الدعوه ضد فرنسا فى المنطقه الغربيه قد ألبسته حكومه دمشق أشكالا خبيثه أرادت السلطه الفرنسيه أن تغمض عينها عنها لأنها قررت اتباع سياسه التساهل إلى النهايه.

و آخر هذه الأعمال و أظهرها شراء القسم الأعظم من أعضاء مجلس الاداره باثنين و أربعين ألف جنيه مصرى.

و لقد ألفت مخافرنا القبض على هؤلاء الأعضاء فى ١٠ تموز يوليو بينما كانوا ذاهبين إلى دمشق لبيع بلادهم منكرين الأمانى التى أعرب عنها مواطنوهم بالإجماع تقريبا منذ عهد بعيد.

إن صحافه دمشق التى تفرط الحكومه فى شد أزرها تواصل دائما حملاتها على كل ما هو فرنسى و تقبح السلطه المحتله فى المنطقه الغربيه و ترد كل مساعده تعرضها فرنسا على سوريا و تهيننى أقبح إهانته.

بمقتضى هذه الحقوق يجب على قائد جيش الحجاز المحتل قطرا سوريا لا بد أن يظل عثمانيا إلى أن يقتضى تنفيذ المعاهده بتغييره أن لا- يعمل بغير هذه الصفه و أن يحافظ على الحاله الراهنه و هو حارسها. و لكنه تصرف عكس ذلك متخذنا صفه السيادة العليا و قد تقرر التجنيد الاجبارى و نفذ منذ كانون الأول سنه ١٩١٩ مع أن البلاد لا تزال بلادا أجنبيه و هذا العبء الثقيل الذى لا يجدى نفعا قد أكره عليه الشعب حتى فى المناطق التى لها شكل خاص كالبقاع. و نفذ فى أناس مستثنين منه كاللبنانيين و المغاربه المقيمين فى المنطقه الشرقيه. و لاقى هذا التجنيد الباطل مقاومه نزيهه أدت فى بعض الأحيان إلى إراقه الدماء.

ثم أن المجلس الملقب بالمؤتمر السورى الذى تألف و اجتمع بصوره غير قانونيه يسن القوانين بل يحكم باسم حكومه و دوله لم يعترف بوجودها.

و فضلا عن ذلك فقد قدم اللقب الملكى لسموكم الملكى بدون حق و لا و كاله مما وضعكم كما عبرتم عن ذلك فى موقف التمرد على مؤتمر الصلح.

و لم تحترم الامتيازات الأجنبيه فان أحد رعايانا الأمير مختار الذى يمثل أسره كبيره اشتهرت منذ القدم باتصالها بفرنسا قد أوقف إيقافا معيبا.

و ليست الاتفاقات السياسيه محترمه أيضا. فان لواء من الجيش الشريفى أرسل إلى مجدل عنجر رغم الاتفاق الذى تم فى كانون الأول الماضى مع المسيو كليمنصو و الذى يقضى أن لا تحتل فى البقاع قوه شريفيه أو فرنسيه.

٦ - الأضرار التى أصابت فرنسا و سوريا من ذلك:

لم تستطع السلطه الفرنسيه حتى الآن أن تنظم البلاد التنظيم الذى تنتظره منها لأنها اضطرت إلى صرف قواها و جهودها لقمع الفتن المتواليه و مواصله المفاوضات السياسيه الجديه العقيمه مع حكومه دمشق، فهى و الحاله هذه غير مسئوله عن هذا التأخير بل تتحمل العبء العسكرى و المالى الذى تقضى به الحاله التى أوجدتها حكومه دمشق و لا يمكن إلا أن تؤثر على التكاليف فى الميزانيه السوريه سواء بفقد الدخل الذى ينشأ عن استمرار الفوضى أو الاشتراك فى نفقات السيادة التى تلحق بها فى المستقبل.

و لقد بلغت حاله الفوضى التى أوجدها مثيرو الفتن فى البلاد حدا دعا إلى استجلاب قوات كبيره أعظم عددا مما يدعو إليه استبدال جنود إنكليزيه و أن هذه الأسباب تدل دلالة كافيه على أنه لا يمكن بعد الآن أن نعتمد على حكومه جاهره فرنسا إبان السكينه بالعداء كل المجاهره و أخطات نحو بلادها خطأ عظيما بظهورها عاجزه عن تنظيمها و إدارتها.

لذلك ترى فرنسا أنها مضطره لأخذ الضمانات التى تكفل سلامه جنودها و سلامه السكان التى نالت من مؤتمر السلم مهمه الوكاله عليهم فاتشرف بان أبلغ سموكم الملكى أن هذه الضمانات هى كما ياتى:

١ - التصرف بسكه رياق - حلب الحديديه لإجراء النقلات التى تامر بها السلطه الفرنسيه و يؤمن هذا التصرف بان يراقب

مفوضون عسكريون فرنسيون جميع ما ينقل في محطات رفاق و بعلبك و حمص و حماه و حلب تعضدهم قوه مسلحه مخصصه للمحافظه على المحطه و احتلال مدينه حلب التى هى نقطه مواصلات هامه لا يسعنا أن نتركها تسقط فى يد الترك (1) ك.

ص: ٢٥٠

١- كانت السلطات السوريه قد رفضت أن تسهل للجنرال غورو استعمال السكه الحديديه لارسال القوات و المؤن و الذخائر إلى كيليكيه حيث كانت الجيوش الفرنسيه مشتبهه فى محاربه القوات التركيه الكماليه، و كانت نتيجه ذلك أن شعر الفرنسيون بحرج مركزهم فى كيليكيه فاتفقوا مع مصطفى كمال على الجلاء عنها و استرداد قواتهم منها، و دفعوا بها فجاه إلى سوريا. و يروى بعضهم أن بعض الفئآت كانت تدعو إلى تعاون سوريا و تركيا الكماليه لمقاتله الفرنسيين حتى النهايه و حملهم على الاعتراف باستقلال سوريا، و قد سافر يوسف العظمه و سعيد حيدر إلى إعزاز على الحدود التركيه و تباحث كل منهما مع مندوبى الحكومه الكماليه فى إنشاء تعاون عسكري بين الحكومتين، فوعده بان يطلعوا حكومتهم على اقتراحاته و يبلغوه الجواب، و لكن الهدنه التى عقدتها فرنسا مع الأتراك أوقفت المباحثات عند ذلك الحد. و قد كان امتناع الحكومه الوطنيه فى دمشق عن فتح السكه الحديديه أمام الفرنسيين للوصول إلى قتال الأتراك نابعا من الأصاله الوطنيه العربيه التى أبت مساعده الفرنسيين على الأتراك المقاتلين فى سبيل بلادهم. و تناسى العرب كل ما عانوه من فظائع الاتحاديين الأتراك خلال الحرب و رجعوا إلى ما يمليه عليهم شعورهم الوطنى البحث متجاهلين حتى مصلحتهم فى عدم إغضاب الفرنسيين. على أننى سمعت من رضا الركابى نفسه الذى كان فى ذلك الحين رئيسا للوزاره الاستقلاليه الأولى - سمعت منه بعد ذلك بسنين - أنه كان من رأيه التحالف مع الفرنسيين فى هذا الموقف الذى تجمع فيه المصلحه بين الفرنسيين و العرب، و أن لا مجال للعواطف أمام الحقائق. و أن حكومته استقالت لعدم الأخذ برأيه، فخلفتها وزاره الأتاسى التى يتحدث عنها الجنرال غورو. و يبدو أن الأتراك استغلوا مفاوضه السوريين لهم فاطلعوا الفرنسيين على ذلك، فكان أن تحالف الفريقان و انسحب الفرنسيون من كليكيا موجهين قواهم كلها لقتال السوريين. و لا شك أنه كان للتراحم الانكليزى الفرنسى أثر فى ذلك، فان الإنكليز كانوا أعوان اليونانيين فى غزوهم للأناضول، فرد الفرنسيون بتأييد الأتراك.

٢ - قبول الانتداب الفرنسي:

إن هذا الانتداب يحترم استقلال أهالي سوريا و لا يناقض مبدأ الحكم بسلطه سوريه تستمد قوتها من إرادته الشعب و لا يتضمن سوى معاونه بشكل مساعده و تعاون مع الدوله المنتدبه دون أن يتخذ مطلقا شكل استعمار أو إلحاق أو إداره تنفذ رأسا.

٣ - قبول الورق السوري:

تصبح هذه العمله وطنيه فى المنطقه الشرقيه فتلغى جميع الأحكام المتعلقة بالبنك السورى فى المنطقه الشرقيه.

٤ - تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عداء لفرنسا. (و يعدد الإنذار بعضهم).

و هذه الشروط تقدم جملة و يجب قبولها جملة أيضا بلا أدنى فرق خلال أربعة أيام تبتدى من نصف ليل ١٠ تموز (أى ١٤ منه الساعه ١٢ ليلا) و تنتهى فى ١٧ منه الساعه ٢٤ (أى الساعه ١٢ ليلا).

فإذا جاءنى علم من سموكم قبل هذا الموعد بقبول هذه الشروط فيجب أن تكون قد صدرت أوامركم فى الوقت نفسه إلى المراجع اللازمه لكى لا- تعارض جنودى الزاحفه لاحتلال المواقع المعينه، ثم أن قبول الشرط الثانى و الثالث و الرابع يجب أن يؤيد رسميا قبل ١٨ منه، أما تنفيذها بالتمام فيكون قبل ٣١ منه الساعه ٢٤ (نصف الليل).

و إذا كان سموكم الملكى لا يشعرنى فى الوقت اللازم بقبول هذه الشروط أتشرف بان أبلغه أن الحكومه الفرنسيه تكون مطلقه اليد فى العمل. و فى هذه الحاله لا أستطيع أن أؤكد أن الحكومه الفرنسيه تكتفى بهذه الضمانات المعتدله. و لا تقع على فرنسا تبعه المصائب التى تحل بالبلاد فهى قد برهنت على تساهلها من زمن طويل و فى الآونه الأخيره. فحكومه دمشق هى التى تتحمل جميع أعباء مسئولييه فصل الخطاب الذى لا انظر إليه إلا آسفا و لكنى مستعد له بمتانه لا تترزع.

جماهير الحرب

و أذكر الآن مناظر السناجق(١) مرفوعه أمام الجماهير و دقات الطبول التى اندفعت فى الأزقه و الشوارع تؤلب الناس ليتجمعوا للقتال. كما أذكر جماهير المتطوعين ذاهبه (بعراضاتها) إلى محطه البرامكه لتركب القطار الحديدي إلى أقرب محطه للجبهه الجديده فى ميسلون و هى (الهامه) حيث يواصلون السير من الهامه إلى ميسلون على أقدامهم. و كان يطيب لى مرافقه الذاهبين إلى المحطه باهازيجهم الحماسيه و هتافاتهم المدويه. و قد ظلت صور بعض الوجوه منطبعه فى ذهنى فكنت أشاهدها بعد مر السنين فى دمشق فاتذكر الزحف إلى محطه البرامكه.

بعد معركة ميسلون

و لا- أعى ما جرى بعد ذلك تمام الوعى، غير أننى أتذكر منظر رجال الشرطه و قد عصبوا زنودهم اليمنى بعصابات بيضاء مكتوب عليها كلمه "بوليس" و هم ينتقلون فى الشوارع. و قد علمت بعد ذلك أنه بعد الهزيمه فى ميسلون و انهيار الحكم الوطنى و ترقب دخول الفرنسيين دمشق كان لا بد من هذا التدبير ليظل رجال الشرطه محافظين على الأمن دون أن يثيروا ريبه

الفرنسيين بلباسهم العسكري و سلاحهم من المسدسات.

و كما شهدت زحف لجماهير إلى محطة البرامكه، فأننى أذكر الاستقبال الفخم الذى أعده بقايا صنائع الأجنبى للجنرال غورو فى دخوله إلى دمشق لأول مره و كيف حشدوا لناس على مدخل دمشق و فى (المنشيه) فدخل الجنرال دمشق دخول الفاتحين حقا تستقبله جماهيرها المكتظه و لم يكتفوا بذلك، بل أن (أبو شكرى الطباع) و رفاقا له فكوا خيول عربيه الجنرال و جروا العربيه بأنفسهم بدل الخيل. و كان الطباع يعتذر بعد ذلك بان قريبا له كان محكوما بالاعدام، و رجا بهذا التصرف إنقاذه!.

كما أذكر منظرا من مناظر تلك الأيام، و هى أننا كنا نسير مع والدى إلى دعوه على العشاء، و أن واحدا سلم على والدى ثم انفرد به ناحيه و أسر له بشيء و لما عاد الوالد كان وجهه يطفح بشرا على غير عادته فى تلك الأيام الكئيبه. و لما انتظم المجلس فى الدار المدعوين إليها أقبل خلال الليل رجل أسر للوالد بكلام أعاد إلى وجهه الكابه.

ثم علمت بان ما بعث البشر فى وجهه أول الأمر هو أن الرجل أسر إليه بان الجنرال غورو قد اغتيل و هو فى طريقه من دمشق إلى القنيطره لزياره محمود الفاعور شيخ عرب الفضل فى الجولان الذى كان قد أعد له

ص: ٢٥١

١- هذه السناجق كانت موجوده فى كل حى و توضع فى أكبر مساجد الحى أو عند قبر ولى مدفون فى الحى. و يبدو أن هذه السناجق تعود إلى العصر الأيوبى. و يتكون (السنجق) من قطعه قماش كبيره جدا ذات بطانه. يحمل الواحد منها الرجل القوى فى الحى من وسطها بعمود و يعينه فى الحمل آخرون من اليمين و اليسار بحبال ربطوها وسط العمود و أطراف (السنجق) ليتنشر السنجق انتشارا كاملا فيقرأ الناس، ما عليه من آيات و أدعيه و استنفارات. و قد سرق معظم هذه (السناجق) و نقلت إلى بلاد الغرب.

احتفالات حاشده و أن ما أعاده إلى الكابه في الليل هو أن الجنرال قد نجا من محاوله الاغتيال.

في المدرسه العلويه

بعد يومين أو ثلاثه من وصولنا إلى دمشق دخلت المدرسه العلويه، و أحسب أنى كنت فى الصف الثالث الابتدائى، و كنت على مستوى حسن مع طلاب الصف ما عدا شيئين اثنين هما اللغه الفرنسيه و الحساب. فقد كنت لم أدرس شيئا من الفرنسيه كما أن موهبتى فى الحساب كانت فى منتهى الضعف فضلا عن معلوماتى. و قد كان على أن أدرس أضعاف ما يدرسه التلاميذ فى اللغه لأستطيع مجاراتهم و كان ذلك فوق الطاقه، لذلك بقيت ضعيفا فى اللغه متعبا فى متابعه دراستها. أما الحساب فقد كانت مشكلته أعصى من أن تحل لأن فقدان الموهبه فيه لا يجدى معه أى درس أو تعب.

و لا أزال أذكر أنه خلال بقيه سنى الدراسه الابتدائيه كان يصادف درس الحساب أول ساعه من صباح يوم السبت. فكنت من هم التفكير فى اليوم المقبل لا- أستمتع باى استجمام فى عطله يوم الجمعه، حتى إذا دنا أصيل الجمعه و بدأ النهار يتقلص و ينفضى تراكت على مناعب التفكير فى الصباح الآتى و ما يحمله من درس الحساب، فلا يكاد الظلام ظلام يوم الجمعه يطبق حتى أحس بأنه قد أطبق على نفسى.

و قد ظللت حتى اليوم أتضايق من جمع عدددين أو طرحهما أو قسمتهما أو ضربهما و لا بد من أن أقع فى الخطا. و قد كان أكثر ما يخجلنى هو أننى إذا دفعت أكثر مما هو المطلوب منى على أن يعاد إلى الباقي ثم حسبت ما أعيد إلى وجدته ناقصا و راجعت الدافع فيعاود العد فيجده صحيحا!..

لذلك أصبحت لا أعد ما يعاد إلى، أو ما يدفع إلى رأسا. و قد استغل هذا الأمر فى نادل فى أحد مطاعم بغداد حين أقيمت فيها لفته، فقد لاحظت أنى لا أعد ما يعيده إلى و تكرر ذلك، فإذا بى أكتشف بعد حين أنه ينقص من حقى أشياء يحتفظ بها لنفسه! على أننى إذا كنت مقصرا فى الفرنسيه و الحساب متعبا بهما، فقد كنت متقدما فى اللغه العربيه و التاريخ مستعذبا لهما مرتاحا إليهما. و كذلك فى درس الهندسه.

و قد كان يتولى إداره المدرس العلويه فى أول دخولنا إليها مدير تقليدى من قدامى الرجال، و صدف أن مرض و تغيب، فوافق تغييره حادث حدث للأستاذ أديب التقى. إذ كان مديرا لمدرسه (البحصه) الابتدائيه فى دمشق. و كان الشعور العام معاديا للفرنسيين، فانفجر هذا الشعور بين تلاميذه فى أحد الأيام و ساعد بتصرفاته على هذا الانفجار مما ساء السلطات فاقالته من إداره المدرسه الحكوميه. ثم انتهى الأمر إلى أن عين مديرا للمدرسه العلويه. فكان ذلك حدثا فريدا فى حياه هذه المدرسه كما كان ذا أثر بعيد فى توجيهى الدراسى و الفكرى. فانا مدين لاثنين فى حياتى الثقافيه هما والدى ثم أديب التقى.

كان أديب التقى فذا فى الرجال، ذا خلق مستقيم و إداره حازمه و فكر نير، و كان إلى ذلك أديبا من أقوى أدباء العرب. و إذا كنت أستطيع أن أمسك القلم اليوم و قبل اليوم فان له فى ذلك الفضل الكبير. لقد تولى بنفسه تدريسينا ثلاثه دروس: الإنشاء و المحفوظات و التاريخ. فكان لنا من دروسه الثلاثه هذه خير موجه فى الأدب و الوطنيه و البحث. و قد وعيت بفضلله - على صغر سنى - أمورا ما كان لى أن أعيها لو لا توجيهه..

لقد عرف بدرس الإنشاء كيف يثير فينا الحس الأدبي و كيف يسير بنا في دروب الكتابه، و كيف يقوم أقلامنا و يثقف أسلوبنا. و عرف بنفس الدرس و بدرس المحفوظات و التاريخ كيف يثير فينا إلى جانب هذا كله الحس الوطني و الثوره على الانتداب و النقمه على الغاصبين.

لقد كنت متأثرا بمظاهر الثوره العامليه التي شهدت بعض فصولها خلال الإقامه في شقرا، ثم ازددت تأثرا بمظاهر الاستقلال بدمشق ثم بمظاهر الهزيمه بميسلون و ما تلاها من انهيار الاستقلال. و لكن ذلك لم يؤلف في ذهني صوره كامله لمعاني الوطنيه و الثوره على الاستعمار فلم أكن في مثل تلك السن لأتبين حقيقه ما جرى و ما يجري و لكنني في أعماقي كنت متأثرا بكل ذلك. فإذا بأديب التقى يقده في نفوسنا الشراره الكامنه و يركز الصوره غير المتكامله فتبدوا لنا جليه واضحه!.

جاءنا في أحد دروس الإنشاء في يوم مرت فيه في سماء دمشق طيارات فرنسيه، و كان مرور الطيارات في ذلك الحين يعتبر حدثا مثيرا.

و لم تكن العيون و الأفكار قد ألفت رؤيتها، فإذا امتد الدوى المنذر بوصولها اشرابت الأعناق إلى السماء لتتطلع بتعجب عميق إلى هذا الجرم السابح في الفضاء، الراكض في السماء! دخل أديب التقى علينا و طلب إلينا أن نكتب موضوعا عنوانه (عند

مشاهدتى الطياره) و يقصد بذلك أن ندون شعورنا عند ما نشاهد طياره.

و كان شعورنا شعور أطفال لا يتعد عن التصورات الصبانيه، فلا أذكر الآن ما ذا كتبنا.

و بعد أن اطلع أديب التقى على ما كتبنا جميعا، طلب إلينا أن نأخذ أقلامنا و نهيبى أوراقنا ثم أملى علينا قطعه تعتبر آيه من آيات البيان و مرجلا- من مراجل الوطنيه. و كم آسف أن لم يبق فى ذهنى منها سوى مقطعها الأخير، و كفى به دليلا- عليها، و كان المقطع الآتى...: فما كان أشد خفقان قلبى أسى حين أوحى إلى سميتها أنها أجنبيه... ليت لنا طيارات أيضا.

هذه القطعه كانت الشراره التى أوقدت فى نفسى جذوه الوطنيه، و أثارت فى عقلى العزه القوميه.

و لا أزال حتى الآن أحفظ فى ذاكرتى بعض ما لقننا إياه للاستظهار فمن ذلك مختارات من قصيده الشيبى (دمشق و بغداد) و مطلعها:

ما ذا بنا و يذى الديار يراد فقدت دمشق و قبلها بغداد

و كلها على هذا النسق الوطنى المثير، فضلا عن بلاغه الشعر و قوته.

و كذلك مختارات من قصيده شوقى فى سقوط أدرنه:

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافه عنك و الإسلام

إلى غير ذلك من هذا و أشباهه الباعث على شيئين: على تذوق أرقى الشعر، و على التغنى بالوطن.

مصر و السودان

و من التأثير بهذا انطلقت و أنا فى الدراسه الابتدائيه أمام الزعماء المصريين الفارين يوم ذاك من وجه الإنكليز فى مصر، انطلقت بذاك الجواب الذى هزهم هزا.

فإنه على أثر اغتيال لستاك باشا القائد الإنكليزى للجيش المصرى أيام رئاسه سعد زغلول للوزاره المصريه اتهم بعض زعماء الوفد و شبانه بأنهم هم المتآمرون على القائد فقبض على من قبض عليهم و فر من استطاع الفرار و لجئوا إلى دمشق.

و لا أدرى الآن سبب زيارتهم للمدرسه العلويه، و ربما كان ذلك ردا لزياره المدير الذى يمكن أن يكون قد زارهم فردوا له الزياره فى المدرسه، و لا أعرف الآن أسماءهم ما عدا واحدا منهم هو الدكتور محجوب ثابت، و سبب حفظى لاسمه، أن منظره كان متميزا فيهم بسبب لحيته الكثه و جسمه الممتلى!.

دخلوا علينا غرفه الدرس يصحبهم المدير و نحن فى درس الجغرافيا فكان من الطبيعى أن تكون أسئلتهم فى هذا الدرس. فاختار أحدهم تلميذا و قال له: عد لى مدن القطر المصرى. فارتبك التلميذ و اضطرب و ظهر عليه العى. فأسرعت أرفع يدي استعدادا

للإجابة فتوجه السائل بالسؤال إلى فانطلقت معددا: القاهرة، الإسكندرية، الخرطوم!.

و لم أكد أذكر اسم الخرطوم حتى صاح الدكتور محجوب بصوته الجمهورى: إيه... إيه... إيه... إيه... إيه الخرطوم، الخرطوم دى فى السودان.

فبادرته قائلا: نحن نعتبر مصر و السودان بلدا واحدا. و لأجل أن نعرف وقع هذا الجواب على الزعماء المصريين يجب أن نعرف أن الشعار الأول للكفاح المصرى كان يوم ذاك وحده مصر و السودان.

فأثار الزعماء المصريين أن يعى تلميذ صغير السن حقيقتهم الوطنيه و يهتف بشعارهم القومى و هم بعيدون عن بلدهم.

و لا أزال حتى الآن أتمثل فى ذهنى دموع الدكتور محجوب ثابت و قد تحدرت على وجنتيه و لحيته.

الخطاب المرتجل

وعدا عن درسى الإنشاء و المحفوظات فقد خصص أديب التقى بعد ظهر الاثنين من كل أسبوع لتعويدنا الخطابه بعد تمريننا على الكتابه، فكان بعد ظهر الاثنين ميدان للخطباء من التلاميذ يعرضون فيه مواهبهم و ينمونها بتوجيه أديب التقى الذى كان يستمع مع مجموع الأساتيد و التلاميذ إلى ما يلقي على منبر المدرسه، ثم يعلق على ما ألقى مشيرا إلى الحسنات و السيئات لتقويم الخطباء و تثقيفهم.

و قد كان يتخذ من هذا المنبر أيضا وسيله لتنمية الروح الوطنيه، و لا أزال أذكر أن أحد الخطباء من التلاميذ استعمل خلال كلامه كلمه (الشعب السورى)، فهب أديب التقى يعنى على الطالب هذا الإطلاق قائلا: أن لا شعب إلا الشعب العربى.

و من هذا و أمثاله كان إحساس الطلاب بقوميتهم و تأثرهم بوطنيتهم ينمون و يتفاعلان فى الوجدان و النفس.. فى مثل ذاك الجو الارهابى الاستعمارى الذى فرضه الفرنسيون على البلاد بعد معركة ميسلون و ما تلاها من سنين.

و لم يكن فينا من يحاول الارتجال فى مثل تلك السن، و لم نكن نجرؤ على مثل هذه الخطوه ما دما مستطيعين كتابه ما نريد أن نقوله.

و لكن فى إحدى الرحلات المدرسيه التى كانت تنظم بين الحين و الحين إلى بعض القرى، دعينا إلى الغداء على أن نتناوله بعد تأديه صلاه الجمعه فى مسجد البلده. و علمنا أن أمام المسجد سيرحب بنا خلال خطبه الجمعه لذلك عهد إلى باعداد كلمه تناسب الرد على ترحيب الخطيب، فكتبت كلمه موجزه و وضعتها فى إحدى جيوبى على ما اعتقدت، و لكن يبدو أننى إما قد أخطأت فتركتها فى مكان آخر أو أنها وقعت بعد ذلك من جيبي دون أن أدري.

و فى الموعد المعين ذهبنا إلى المسجد المكتظ بالناس و صعد الخطيب المنبر و ألقى خطبته مرحبا بضيوف البلده، و بعد انتهائه مباشرة هببت إلى المنبر العالى و وقفت على ذروته، و مددت يدي لآخذ الورقه المعده لهذا الموقف، و كانت الأبصار كلها شاخصه إلى متهيئه إلى ما سيقوله هذا التلميذ الصغير.

و لكننى لم أجد الورقه و فى لمحات مددت يدي إلى كل جيوبى عبثاً، فهالنى أول الأمر الموقف. و لكننى ملكت روعى و سيطرت على نفسى و انطلقت فى كلام ارتجالى كان عماده ما لا يزال عالقا فى ذهنى مما هو مكتوب فى الورقه.

ص: ٢٥٣

فشجعني هذا بعد ذلك على الارتجال و استسهلته و مضيت به بعد ذلك في حياتي كلها.

دمشق يوم ذاك

كانت مدينة دمشق في تلك الحقبة من مطالع القرن تعيش فتره انتقاليه، في عاداتها و تقاليدھا الاجتماعيه، ما بين المحدث و القديم الذي كان في أواخر أيامه و كانت وسائل النقل في المدينه تتنوع بين الترامواي و عربات الخيل و السيارات على قلتها و ندرتها، و هي للخاصه من القوم أما سيارات الأجره فكانت معدوده و مخصصه للانتقال بين المدن دمشق - بيروت على الأغلب، لأن طريق دمشق - حلب كانت بالقطار. و دمشق تلك الحقبة كانت في أحيائها و طراز بيوتها من أندر مدن العالم. و كان بعض القديم من بيوتها قائما كما كان منذ عقود كثيره من السنين. و قد زرت دمشق قبل أسبوع و أدهشني بقاء حينا و بعض الأحياء الأخرى على ما كان فيها من أزقه و دخلات، تعادل ما يسمونه في بيروت "الزوايب". أما البيوت فأمرها عجيب إذا رأيتها من الخارج فستظن إنك أمام خرائب لكن عند دخولك إليها ستفاجئك باحاتها الواسعه بما تحتويه من أشجار و نباتات مزهره و أحواض، إلى برکه في وسط الباحة. و حتى بيوت الفقراء كانت تحتوى على بحرہ و أشجار و نباتات مزهره و لا بد في كل بيت من وجود ما يسمونه "ليوان" يقع في وسط المنزل و يفضى إلى أرض الدار أو فسحتها، و هذا الترتيب للبيوت كان يتوخى على الأرجح، تعويض النساء عن عدم التنزه في المنتزهات العامه، إذ بجلوسهن في الليوان يشرفن على البحره و أحواض (الزريعة) و الأشجار. و منذ أواسط الثلاثينات بدأ الناس يخرجون من هذه البيوت، حتى الفخمه منها، إلى بيوت السكن الحديثه ذات الطوابق الكثيره. إلا- أن الفقراء و متوسطو الحال بقوا في تلك البيوت التي لا تزيد طوابقها عن اثنين الأرضى منهما للإقامه في الصيف للرتوبه فيه، لأن المياه تحيط دمشق من كل جانب، إلا أن النوم يكون في الطابق العلوى صيفا و شتاء بسبب شدة الرطوبة. و من أعقد و أغرب ما في دمشق نظام توزيع المياه على أحيائها و بيوتها منذ القديم. و هو نظام دقيق و محكم التنظيم و يستلزم أخصائيين لشرحه. ففي كل زقاق من أزقه دمشق كان يوجد ما يسمى "الطالع" و هو جرن مقفل تنصب فيه المياه الآتية من المركز الأساسى الذى يغذى المدينه. و لهذا الجرن فرضات متساويه على حافته الدائريه، منها تتغذى البيوت بالمياه بالتساوى و إلى مياه "الطالع"، كان في كل منزل دمشقى قديم بئر تستخرج منه مياه الاستعمال بالمضخه اليدويه. و إلى البحره القائمه في أرض الدار، كانت هناك بحرہ ثانيه تقوم في المطبخ، لا أدرى من أين كانت تزود بالمياه... كان دمشق كانت مدينه للمياه.

أزياء، مقاه و فرنسيون

كان الغالب على ملبس الجمهور الدمشقى حتى في أواسط الأثرياء من كبار التجار و زعماء الأحياء، ارتداء "القمباز" و ما يغلب على القنابيز هو حياكتها في دمشق. و لا- بد من شد وسط الرجل بزنا عريض. و في لباس الرأس، و لا سيما بين التجار، كان الطربوش ملفوفه عليه عمامه مطرزه صفراء اللون تعرف ب "الغبانى". على أن الأبناء من طلاب المدارس كانوا يلبسون اللباس المحدث، بينما بقى الأبناء الكبار السن، الذين لم يتسن لهم متابعه الدارسه، على أزياء آبائهم، لكن من غير لف طرابيشهم بالعمامه. و هكذا كان البيت الدمشقى يحتوى ثلاثه أنواع من الملابس. و في عهدنا بدأ التطور يظهر في تخلى الآباء عن العمامه و اكتفائهم بالطربوش، كما تخلى الأبناء الكبار عن القمباز لصالح لباس إخوانهم الصغار المحدث، إلى أن تخلى الآباء عن اللباس التقليدى لصالح الزى الرسمى المعروف الآن.

أما ملابس النساء فكانت واحده موحده تلتزمها الجده العجوز كما الفتاه الشابه، أو البنت التي بلغت الست السنوات. و الملاءه السوداء كانت تغطي الجميع، و النقاب الأسود يجب الوجوه، إلا أن ما يختلف بين النساء هو ما تحت الملاءه من ملابس.

و الملاهي لم تكن معروفه في دمشق، إلا تلك المخصصه للرواد من الفرنسيين و الأجانب و البعض من الدمشقيين ممن تطبعوا بطباعهم.

و بيروت كانت تزدهم بالدمشقيين أيام الجمعه من كل أسبوع، و على الأغلب منذ ما بعد ظهر نهار الخميس حتى صباح السبت الباكر. و كان لانتقال الدمشقيين إلى بيروت سببان: استيراد السلع من التجار، و اللهو و العبث في ملاهي بيروت التي كانت تستقبلهم ليلتين كاملتين، إذ يجدون فيها ما لا أثر له في دمشق. أما المقاهي الدمشقيه فكانت كثيره و تزدهم بالرواد في الآصال و الأماسي، و لا سيما بعد أن شق شارع بغداد و قامت على جانبيه بعض المقاهي الحديثه النظيفه الشبيهه بالمنتزهات. أما قلب الأحياء و أطرافها فكانت تحوى مقاهي الفقراء. و كانت شلل من الطلبة الدمشقيين، ممن تؤثر في "ميزانيتهم" القروش الخمسه، ترتاد هذه المقاهي و تساوم أصحابها على الجلوس فيها خلال الاستعداد لامتحانات من الصباح حتى المساء للمذاكره لقاء خمسه قروش من دون طلب أى شىء من المقهى.

أما المطاعم الدمشقيه فكانت محدوده و تقدم المآكل الدمشقيه المحليه الفاخره.

و من أشهرها كان "مطعم أسديه" في قلب سوق الحميديه الذى كانت تكثرفيه محلات بيع (البوظه) غير المعروفه إلا-في دمشق. و العابر سوق الحميديه كان يرى باعه البوظه ينهالون بمخايطهم الخشبيه الكبيره على ما فى داخل الأواني النحاسيه. و كانت هذه المحال تمتلئ بالناس، و فيها فقط كنت تشاهد النسوه يتناولن البوظه فى زاويه من المحل من تحت أنقبتهن السوداء. نقول (البوظه) لأنه الاسم المعروف فى لبنان للحليب المجمد.

أما فى دمشق فكان اسمه (القيمق).

و أبناء الجاليه الفرنسيه من ضباط و مستشارين، و من إليهم، كانوا لا يختلطون بالأهالى الذين ينفرون منهم و كانت للفرنسيين حياتهم الخاصه.

و من شده كره الناس لهم كان يتجنبون الظهور فى الشوارع و الأماكن العامه، خصوصا فى الأحياء. أما إقامتهم فكانت على أطراف دمشق، و فى حى الصالحيه على الغالب، و بالقرب مما سمي بالجسر الأبيض كان يقوم بيت المفوض السامى الذى كان مقره الأساسى فى بيروت.

من تقاليد دمشق

من الذكريات الدمشقيه الجميله فى ذلك العهد سهرات الأدوار فى ليالى الشتاء. فقد كان هناك تقليد دمشقى اجتماعى يسمى (الدور) و ذلك أن أرباب كل حرفه من الحرف أو أيه جماعات أخرى يرتبط بعضها ببعض برابط ما. كان يلتقى أفرادها فى ليالى الشتاء فى بيت أحدهم فى ليله معينه من الأسبوع فيظل هؤلاء ينتقلون طوال فصل الشتاء من بيت فى الأسبوع إلى بيت آخر

فى الأسبوع التالى حتى ياتى (الدور) على آخر

ص: ٢٥٤

بيت، ثم يعود فيبتدئ (الدور) من جديد.

كان لكل حي (أدواره) و لكل صنف من الناس (أدواره)، فيكون التلاقى في (الدور) فرصه لمن قد لا يتلاقون إلا في (الدور)، كما يكون وسيله لبحث ما يطرأ من الشئون العامه و الخاصه.

و كانت أدوار حي الخراب ثلاثه أدوار (دور) للكهول و الشيوخ و هم على الأغلب من التجار. و (دور) للشبان و أكثرتهم إما من التجار أو أبناء التجار. و (دور) ثالث لمحبي الثقافه و الأدب الراغبين في الاستزاده من المعرفه.

أما ما يجرى في (الدورين) الأولين فان الدور الأول يغلب عليه طابع الجدد، و كثيرا ما يتعدى الجدد إلى التنكيت و تبحر فيه شئون الحى و أهمها شان المدرسه العلويه و ما تشكو منه أو ما يؤدي إلى تقدمها.

و أما (الدور الثانى) فيغلب عليه طابع التنكيت و القيام ببعض الألعاب المشتركه و التسليلات الطريفه، ثم يكون للجد مكانه، و أهم ما يشغل أهله هو أمر المدرسه أيضا. و أطرف شخصيه كانت في هذا الدور هى شخصيه توفيق شمس المنكت البارع الطريف الذى أصبح بعد ذلك مختارا لحي الخراب.

و أما (الدور) الثالث فقد كان معينا له ليله الأربعاء و كان رواده أقل عددا بينهم شبه الأمل و شبه المتعلم و المثقف و العالم. و لكنهم كلهم يشتركون في أنهم أذكاء متفهمون راغبون بالمعرفه.

و كان منهجه أن يتلى فيه كتاب من كتب التاريخ أو الأدب، و يناقش ما يتلى أو يوضح. و كان لا بد من تلاوه شىء من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد. كما كان ينشد فيه الشعر الجيد من بعض ذوى الأصوات الجيده على الطريقه المعروفه في جبل عامل و العراق. و أطرف شخصيه في هذا (الدور) كانت شخصيه إبراهيم اللحام (أبى توفيق).

و كان لا بد في (الدورين) الأول و الثالث من حضور الوالد، أما (الدور) الثانى فلا يحضره إلا إذا كان حضوره ضروريا للبت في بعض الأمور.

و قد أنتج (الدور) الثالث الكثير من الشعر الطريف كان ناظموه الوالد و أديب التقى و أحمد صندوق، كما أنتجت ذكراه قصيدتين جميلتين للوالد و لأحمد صندوق إذ أرسل الوالد بعد إقامه طويله في جبل عامل قصيده يحن فيها إلى دمشق و يذكر ليالى الأربعاء. فأجابه أحمد صندوق بقصيده من رويها و قافيتها كانت تخليدا (ليله الأربعاء) كما أن لأحمد صندوق أكثر من قصيده في الحديث عن ليله الأربعاء.

و من أطرف ما جرى في إحدى الليالى أن اقترح أحدهم أن يفرض على كل واحد من الحاضرين أن ينشد شيئا من الشعر على طريقه الإنشاد المعروفه. و كانت معظم الأصوات منكره، مما أدى إلى ضحك طويل.

و كنت أنا صبيا يصطحبنى والدى معه لحضور ما يحضره لا سيما (دور) ليله الأربعاء. و قد أثرت في ليالى الأربعاء تأثيرا كبيرا و انطبع في ذهنى منها من المعلومات و من الشعر ما استفدت منه كثيرا. لقد زال (الدور) فيما زال من التقاليد الدمشقيه الشعبيه.

كانت المدرسه العلويه تجاورنا، بل كان أحد جدرانها يلاصق بيتنا، لذلك كنت أتباطأ في الذهاب إليها صباحا، فلا أمضى حتى أسمع صوت (الصفاره) معلنا التجمع لدخول الصفوف و عند ذلك أهب لأخذ كتيبي و دفاتري فاصل المدرسه في دقائق تكون كافيه لانتظامي بين التلاميذ الداخلين إلى صفوفهم.

و المدرسه و البيت يقعان في (دخله الشرفا) و قد يقال لها (دخله السيدا) بتشديد السين المكسوره و فتح الياء، و هي عباره عن ممر ضيق غير نافذ، ينتهي (بدخله) أخرى أكثر ضيقا و أقصر مسافه تكاد تكون مظلمه في النهار.

و يبدو أن الاسم (الشرفا) قد التصق بها لأن سكانها كانوا من الساده الأشراف، و هم في أكثريتهم من آل مرتضى و إن كانت منذ عرفناها غير مسكونه إلا من بيتين منهم فقط. أما البقيه فهم من آل اللحام، ثم من آل بيضون و بيت واحد من آل الجمال. و كان ألصق الجيران بنا الحاج مهدي (أبو أحمد اللحام)، الذي كثيرا ما كنت ألقاه بجسمه المربع الممتلى و عمامته (الغباني) منطلقا في الصباح بوجه يشع إيمانا و تقى و ابتسامه تفيض سماحه و بشرا فيملا نفسي حبا له و تعاطفا معه..

و لطالما خرجنا من (دخله الشرفا) و مشينا متجاوزينها و منطلقين إلى يميننا اجتيازا لزقاق المدار، ثم منحرفين إلى اليمين ماشين في الشارع الجديد المنشأ خلال الحرب العامه الأولى، ثم متتهين إلى السوق. و هو السوق الذي يبدأ من باب الجايه ثم ينتهي (باب شرقي) (الباب الشرقي).

و خلال امتداده الطويل هذا يتكيف تكيفات عديده و يتسمى بأسماء مختلفه.

فهو منذ باب الجايه سوق مسقوف تقوم على جانبيه المتاجر المنوعه و بعد أن يكون اسمه سوق مدحت باشا يصبح اسمه في امتداده ماذنه الشحم، ثم ينتهي سقفه، و لكنه هنا في ماذنه الشحم يبدل متاجره، فبعد أن كانت في سوق مدحت باشا متاجر عامه، تصبح في أوائل ماذنه الشحم بعد مدخل سوق البزوريه سوقا لاستيراد أبناء الغوطه و المرج، مما يطلق على أصحاب متاجره اسم (الجرادين) (بتشديد الراء) ثم يصبح فيما يلي ذلك سوقا خاصا بحى ماذنه الشحم ينزله للحامون و العطارون و الخبازون و السمانون و من إليهم، حى ماذنه الشحم: الحى الذى تتفرع أزقته منطلقه على يمين القادم من باب الجايه، و توغل في الانطلاق حتى تتصل بحى الشاغور و غيره.

أما عن يسار القادم من باب الجايه فتتفرع أسواق عديده يصل بعضها بين هذا الشارع الطويل و بين سوق الحميديه في تعاريح و أزقه و أحيانا (دخلات). و أشهر ما يتفرع عنه هو سوق (البزوريه).

و كل هذه الأسواق و الأزقه الكبير منها و الصغير، و الطويل و القصير ذات طابع دمشقى أصيل يميزها عن غيرها في كل البلدان، و يسبغ عليها من الروح الدمشقيه العريقه صفاء جميلا و حلاوه طيبه.

فله تلك الدروب ابتداء من دخله الشرفا إلى زقاق المدار إلى الشارع إلى السوق إلى ماذنه الشحم إلى سوق مدحت باشا إلى باب الجايه. إلى ما تفرع عنها و امتد منها من مسارب و مداخل و مخارج.

العروضات

لله تلك الدروب التي طالما غصت (بالعروضات) الدمشقيه الحماسيه التي لا يشبهها شىء فى الدنيا بما فيها من حداء (شامى) و فتوه عريبه.

العروضات التي تسير من حى إلى حى حتى إذا قاربت حدود الحى المجاور هتف هاتفها الرفيع الصوت بالتحية متجاوبه معه جمهره الرفاق.

و يا ما أعذب ذلك الصوت الهادر:

أبلى السلام عليكم: (أى: قبل كل شىء السلام عليكم).

حتى إذا دوى الصوت فى مسامع أبناء الحى المقصود تجمع من أمكن تجمعهم على جانب الشارع و هتف هاتفهم:

يا مرحبا فيجيبه المجتمعون حوله:

بلى جاي (بالذى هو آت) أهلا- و سهلا بلى جاي و لا يلبث أن يهرع على الصوت أكثر أبناء الحى تاركين أعمالهم أو بيوتهم للمشاركة بالترحيب بالقادمين و يكون القادمون نوعين: أما ضيوف عابرون فى طريقهم إلى حى آخر، ففى هذه الحاله إذا قاربوا تجاوز حدود الحى هتف هاتفهم، مودعا، و يتجاوب معه جميع رفاقه:

خاطر كم رائحين نروح، استروا ما شفتو منا فيجيب أبناء الحى بصوت واحد:

مع السلامه يا ضيوف و بالله تتمسوا عنا (تقضون المساء عندنا).

و إما أن يكون القادمون مدعويين إلى الحى نفسه و لن يتجاوزوه إلى غيره. و هذا يكون إما إجابته دعوه إلى حفلات المولد النبوى، أو لزياره حجاج الحى العائدين حديثا، أو إجابته دعوه إلى حفله زفاف كبيره مما يعرف فى العرف الشعبى باسم (تليسه). أو للصلح بين متخاصمين.

و فى هذه الحاله لا يكاد القادمون يلجون الحى حتى يتقدم إليهم اثنان من أهل الحى المزور من أبطال (لعبه السيف و الترس) التي كان الدمشقيون يبرعون بها كل البراعه. فيبدأ الاثنان متبارزين بسيفيهما و ترسيهما لدقائق و قد يتقدم معهما ثالث يكون غالبا بسيفين بدون ترس فيقف بينهما ليضاربهما معا، و شرطه أن يكون من أبرع المضاربين، و يعرفونه فى الحى باسم (أبو سيفين)، و فى كل حى من يلقب بأبى سيفين.

و تستمر لعبه أبناء الحى بضع دقائق ثم تنتهى ليتقدم أبرع أبناء الحى بسيفه فينتدب له من أبناء الحى الزائر أبرعهم، فيقدم له المزورون ترسا - لأن العاده جرت أن لا ينقل الضيوف معهم أتراسا - فتبدأ المضاربه بين الحيين و تفتح بهذا النص:

صحايف الله و الرسول و على بن أبى طالب.

ثم صحايف عالم الحى (و يسمونه باسمه).

ثم صحايف وجهاء الحى و عائلاته المشهوره (و يسمونهم بأسمائهم). ثم صحايف أهل الحى كبير و صغير (و يعبر عن الحى بلفظ "الحاره").

و يختتم ذلك بعباره: (بيض الله وشو) "وجهه" إذا كان المذكور واحدا.

و تستبدل كلمه "وشو" بكلمه "وشهم" إذا كانوا جماعه.

و فى هذه اللحظه ينطلق رصاص المسدسات من الفريقين بغزاره. محاولا- كل من الفريقين أن يكاثر الفريق الآخر برصاصه مما يمكن اعتباره نوعا من (عرض العضلات).

ثم تبدأ المضاربه بالسيف و الترس، و تنتهى على الأغلب بانتصار لـعب الحى المزور، بنوع من التفاهم الضمنى على ذلك لعرف سائد بين الأحياء كلها.

و بعد انتهاء الزياره و عند عزم الضيوف على العوده إلى حيههم يتجمعون و تبدأ (العراضه) من جديد فيهتف هاتفها متجاوبه معه جميع الأصوات الزائره المودعه:

خاطركم راتحين نروح استروا ما شفتو منا.

فترد أصوات المضيفين الجماعيه: (مع السلامه و الدرب سلطانى) و مدلول عباره (سلطانى) هنا: أن الدرب سهله سليمه مامونه، كالدروب المنسوبه إلى (السلطان).

سقى الله أيام (العراضات) التى أحسب أنها زالت مع ما زال من التقاليد الشعبيه الدمشقيه الجميله.

و لله تلك الدروب التى طالما غصت بالمظاهرات الوطنيه نغمه على المستعمرين و استقبال فيها الشبان الدمشقيون الرصاص بصدورهم، و تهاووا على الصعيد صرعى الكفاح الوطنى.

تلك المظاهرات التى أفضت مضاجع الفرنسيين و حرمتهم لذه الاستقرار.

السيران

من زقاق المدار إلى الشارع إلى السوق إلى ماذنه الشحم إلى باب الجاييه إلى شارع النصر إلى شارع الحجاز انطلاقا إلى خارج دمشق، إلى الربوه. طالما مشت بنا المركبات المجروره بالخيل فاجتزنا ذلك الوادى الجميل بين فروع بردى المتدفقه ثم انتهينا إلى مجلس من مجالس الربوه ففرشنا (السجادات) و اشتعل السماور و دارت أكواب الشاى ثم انتظمت المائده المحموله (بالمطبقيات) من البيوت، تلك (المطبقيات) ذات الصحون العميقه التى يوضع بعضها فوق بعض ثم تغطى من أعلاها بغطاء و تشد من جانبيها شدا محكما بما يربطها من أسفلها إلى أعلاها.

تلك (المطبخيات) التي تحمل ألوان الطعام الدمشقي اللذيذ من البيوت الكريمة السخيه فتتنوع المائده فى (السيران) و تكثر ألوانها و قد لا يحمل الطعام فى (المطبخيات) بل يتكفل أحد أصحاب (السيران) بدعوه رفاقه و نقل الطعام إليهم إما من صنع بيته، أو - على الأغلب - بان يكون الطعام من (الصفحه). المصنوعه عند اللحام و المنضجه فى الفرن

ص: ٢٥٦

و المنقوله مع علب اللبن الخشيه الأسطوانيه إلى مكان (السيران) حيث تكون وقعه دمشقيه عريقه تتميز ملاحم دمشق و أفرانها بإتقان صنعها!.

هاتان هما الطريقتان الوحيدتان فى صنع الطعام. أما جمع المال من الجميع بالتساوى للإنفاق على (السيران) فذلك ما ينكر فعله الدمشقيون و يتهمون به أهل حلب و يعيونهم به. و إذا أشاروا إلى شىء من ذلك قالوا: (عشره حلبيه).

و يتنوع أصحاب (السيارين) فاما أن يكونوا أصحابا متجانسين على تباعد ما بين أعمالهم و طبقاتهم. و أما أن يكونوا مجموعه من أصحاب الدكاكين المتجاورين. أو مجموعه من أصحاب حرفه واحده كتجار سوق البزوريه أو تجار سوق العصريه أو السكرية أو الرواسه (بائعى رؤوس اللحم) و الحباله (بائعى الحبال) و غيرهم، هذا فضلا عن (السيارين) العائليه التى تضم البيت كله: رب البيت و ربه و أبناءهما.

و قد يدعو صاحب العمل عماله جميعا إلى (سيران) يضمه و أولاده مع عماله كلهم. و قد تقوم مدرسه كامله بمديرها و معلميها و تلاميذها (بسيران) يجمعهم جميعا.

و قد يحدث أن يقوم أبناء حى باكثرية رجالهم (بسيران) مشترك يضمهم كلهم معا.

و فى هذه الحالات الثلاث و أشباهها لا بد من قضاء نهار كامل فى السيران يمتد من الصباح إلى المساء.

و كان الناس يستزيدون من طعامهم المنقول معهم إلى (السيران) لتوقع ضيف طارئ و ليشركوا فى طعامهم من يجدونه فى البساتين - إذا كان السيران فى بستان - من فلاحين أو ضامين أو مرابعين فى حين يتسابق هؤلاء فى تقديم الألبان و الفواكه و الخضار لتزلائهم.

و كثيرا ما يشتري الضيوف هذه الأشياء من هؤلاء و ينقلونها معهم حبا بمنفعه أصحابها.

على أننا و نحن فى معرض الحديث عن ولائم السيران لا بد لنا من أن نشير إلى الولائم التى كان يولمها صاحب العمل فى بيته لعماله جميعا، و غالبا ما تكون فى الشتاء فيقوم أهل بيته بأعداد الطعام بأنفسهم لضيوفهم و يتولى صاحب البيت مع أولاده خدمه ضيوفهم.

ثم يعد بعض الطعام ليرسل مع فقراء المدعويين إلى بيوتهم.

سيران الربوه

حتى إذا أمسى المساء فى (سيران) الربوه و دخل الليل كانت مشاهد (العربيات) أى المركبات و هى تمضى إما قادمه من المدينه لتعود بأهل (السيران)، أو ذاهبه بهم من الربوه إلى المدينه - كانت مشاهد (العربيات) بفوانيسها الضئيله المتلائمه و أصوات أبواقها المتتابعه و بما تبعته ضربات الحوافر و دوران العجلات من أصوات. كانت بكل ذلك - و نحن نطل عليها من عل - شيئا جميلا عذبا طالما سحرنى فى الربوه و أنا طفل و أنا يافع و أنا شاب!.

لقد زالت (العربيات) فيما زال من الأمور الدمشقيه.

تقاليد السيران

(و السيران) هو من المظاهر الدمشقيه المتميزه و كان الدمشقيون على اختلاف صنوفهم يعتبرونه جزء من حياتهم الرتيبه، و قد يقومون به فى الصباح مبكرين فيجتمعون ذاهبين إلى أحد المتزهات القريه حيث يحملون معهم طعام الصبوح فيتناولونه هناك تحت الشجر على ضفاف الماء، لا سيما فى أيام الربيع بين زهر المشمش المتفتح، ثم يعودون إلى بيوتهم من (الصبحيه) ثم يمضون إلى أعمالهم. و أكثر ما يكون (السيران) فى الآصال حيث تلتقى المجموعات المتجانسه فتمضى كل مجموعه إلى مكان تقصده إما إلى بساتين الغوطه و ما جاور دمشق من ماء و رياض أو فى الربوه إما على ضفه الماء أو بعيدا حيث تختار مكانا مطلا على الوادى فتبسط على الأرض ما تحمله من مفارش و تمضى فيما يسليها من أحاديث أو ألعاب خفيفه و تظل هكذا حتى الساعات الأولى من الليل حيث تبدأ (العربيات) بنقل العائدين فتصل (العربيه) إلى موقف تحت مكان جلوس جماعه السيران و تطلق (مزمارها) فى طلقات متتابعه يعلم منها الجالسون أن عربيتهم قد وصلت، و يكونون هم قبل ذلك قد هيئوا أنفسهم للعوده، إذ أن مجيء (العربيه) يكون على ميعاد معين. هذا عن الذاهيين فى (العربيات) أما الذاهبون مشيا على الأقدام فيملئون الطريق زرافات و وحدانا. و ليس السير مشيا هو بقصد توفير المال دائما. بل كثيرا ما يكون زياده بالاستمتاع بالطبيعه و إعمالا للرياضه الجسديه.

و كان يتميز (سيران) جماعه الوالد بأنه لا بد فيه من إنشاد الشعر على الطريقه العامليه العراقيه، و كان إنشاد الجماعه محصورا تقريبا باديب التقى و الشيخ على الجمال، و كان لا بد من نقل دواوين الشعر بين ما ينقل من أدوات السيران و لا بد من أن يكون بين هذه الدواوين ديوان الشريف الرضى، و ربما اقتصر عليه وحده.

و أول ما سمعت شعر الشريف الرضى و أنا طفل، إما فى ليالى الأربعاء، أو فى (السيران). و مع أن بين جماعه (السيران) كما فى جماعه ليله الأربعاء من هم شبه أميين، فقد كانوا ذوى قابليات تستوعب ما تسمعه و لطول المران فى ليلتى الأربعاء و فى (السيارين) أصبحوا يستحسنون الحسن من الشعر و يهترون له و يطربون!.

أما (سيارين) الأعياد فإنها تستمر طيله أيام العيد و تقصد إلى الأماكن البعيده العامره فى الفيجه أو عين الخضرا أو الهامه أو دمر أو حتى الزبدانى و قراها، حيث يمكن المبيت هناك طيله أيام (السيران)..

و فى أحد سيارين عيد الفطر صحبت الوالد و جماعته إلى عين (الخضراء) و كانت لا تزال على طبيعتها. و مضى الوالد فى أحد الأيام مصعدا فى الجبال و تبعه الأكثرون ثم بدءوا يتراجعون تعباً و فرقا، و لم يصل إلى أعلى الجبل غيره و كان المساء قد دنا فى العوده فلقى شداثد كثيره.

و حال المرأه فى السيران كان كحالها فى الأماكن العامه الأخرى بملاءتها و برقعها الأسودين. إلا أن حضورها نزهات السيران كان قليل الحدوث.

و على الرغم من غرام الدمشقيين بسيرانهم فان نساءهم كانت محرومه منه.

و من شده غرامهم بالسيران كانوا لا يكتفون بنزهات العصارى و العطل، بل أن فريقا منهم كان يجتمع للذهاب إلى السيران في
الفجر الباكر قبل الذهاب

ص: ٢٥٧

إلى العمل - كما تقدم - و في أماكن هذه التزهات الصباحيه نذكر اسم (الأحد عشرية).

الشارع و اليهود

من دخله الشرفا كنا نخرج فإذا انتهى طريقنا القصير فيها فاننا في نهايتها ندور إلى اليمين فنفاجا أول ما نفاجا بدان على المبيض القائم على الزاويه تماما في أول زقاق المدار، فنراه واقفا في نقره الدكان و تحت قدميه قدر من قدور النحاس التي يعهد إليه بتبييضها و هو يدور في القدر ضاغطا بقدميه فيه ليعود ناصع البياض! و قد لا يكون الأمر أمر قدر بل أمر مواعين صغيره فعند ذلك يعالجها بيديه!.

على أنه مهما كان الذي يعالجه، و سواء كانت قدماه هما العاملتين أم يدها هما العاملتين، فان شفتيه لا تتعطلان أبدا، بل تشاركان في العمل دائما، تشاركان إما القدمين و إما اليدين، تشاركان لا بتبييض النحاس، بل بالغناء الدائم المستمر!.

لقد انقضى عهد على المبيض فيما أحسب و طوى الزمن قدور النحاس و آنيه النحاس!.

و إذا كانت قدور (الضغط) و غير قدور الضغط قد حلت محل قدور النحاس، و استغنى الناس عن (المبيضين)، فمن ترى حل محل على المبيض في دكانه الصغير في أول زقاق المدار؟. و أيا كان هو الذي حل محله، فلا أحسب أن شيئا قد حل محل أغانيه، أو صوتا يمكن أن يشغل النفس بمثل ما كان يشغلها صوت على المبيض.. و بعد على المبيض نجد أمامنا طريقين: طريقا على اليد اليسرى هو مدخل حاره اليهود، حيث تتشعب هنا الأزقه و الدخلات و الدروب.

أما طريق اليد اليمنى فهو طريق زقاق المدار المنتهى إلى الشارع، و قد مر ذكر هذا الشارع دون تسميه و لم يكن له في تلك الأيام اسم و لم يكن معروفا إلا- باسم الشارع، فيقال مررت في الشارع و جئت من الشارع، و ذلك أنه كان الشارع الوحيد في تلك المنطقه، إذا كان المقصود من الشارع ما شق حديثا و وسع فيه القديم. و أنا لا- أعى شق هذا الشارع إذ أنه شق خلال الحرب و إنما أعى أنه كان لا يزال فيه بيوت متهدمه أطرافها لشق الشارع و كانت لم تبين بعد. و يبدو أنه كان زقاقا ضيقا وسعه الأ-تراك في أواخر عهدهم خلال الحرب، و هو في صميم حي الخراب، و لما كان شقه قد جرى خلال الحرب، و الناس في شاغل بفقرها و غربه شبابها، فقد طال أمد إعادة تعمير ما تهدم من بنيانه، و كان معظم المالكين من المسلمين الفقراء فاغتم اليهود هذه الفرصه و أخذوا يشترون الدور المتهدمه و يعيدون بناءها بشكل حديث حتى عمر الشارع بهم و أصبحوا فيه كثره. و لم يعد المسلمون يملكون إلا النزر القليل. أما ما تفرع عن الشارع، فقد ظل على حاله (دخلات) متداخل بعضها ببعض، و أزقه قديمه و بيوت عتيقه ظلت لأصحابها المسلمين. و كان أهم ما يتفرع عنه في وسطه (القساطليه)، و كان من أبرز سكانها آل صندوق الأسره العريقه بالذكاء و التقوى. و التي خرج منها في عصرنا مؤرخ و كاتب و شاعر مجيد هو الأستاذ أحمد صندوق فقيه المعى أديب هو الشيخ محمد على صندوق.

و تتفرع عن الشارع دخله معظم سكانها فرع من آل مرتضى يعرفون بيت الحنفى كان أبرزهم السيد عباس الحنفى الذي كان على قسط وافر من الشهامه و الذكاء و حسن الخلق و حلاوه الحديث و عدوبه المنطق، و كان من أبرز عناصر ليله الأربعاء و (السيارين).

سيطر اليهود على الشارع، و كان هذا الشارع وسيله الخروج بسكناهم من حارتهم القديمه ذات التعاريج و الأزقه و الدخلات على طريقه أزقه دمشق القديمه، و أصبح يعج بهم فى الأماسى لا-سيما فى ليالى السبت، شبانا و شابات يتزهون فيه. جيئه و ذهابا، بينما يجلس الكهول و الشيوخ نساء و رجالا على أبواب بيوتهم.

و استقووا بالاحتلال الفرنسى، فكان الاحتكاك بينهم و بين أهل حاره الخراب مستمرا.

و حاول مره الحاخام [الخابام] الأكبر أن يتودد لأهل الحاره ففاجأ والدى فى أحد الأعياد برسول يشعر بأنه قادم على أثر الرسول لزياره والدى و تهنئته بالعيد و لم يكذ الرسول ينصرف حتى خرج والدى من البيت، فجاء الحاخام [الخابام] فلم يجد أحدا.

و بالرغم من أن هذا التصرف كان جافا، و كان متنافيا مع أخلاق والدى، فقد كان لا بد منه فى رأى الوالد، لأن معنى قبول زياره الحاخام [الخابام] فى العيد و استقباله فى البيت أن الوالد سيضطر لمبادلتة الزياره فى عيدهم، ثم تتكرر الزيارات و الاتصالات. و كان هذا عند والدى أمرا لا يمكن أن يقع، فى الوقت الذى كشفت فيه الصهيونيه قناعها و أسفرت عن حقيقتها و كان اعتقاده أن كل يهودى صهيونى.

و بعكس ذلك فقد كانت الزيارات متبادله بين الوالد و بين بطيريك الأرثوذكس المجاور حيهم أيضا لحاره الخراب، و كان البادئ بالزياره البطيريك الكسندروس طحان مع لفيف من المطارنه و ذلك عند عوده الوالد من إيران و العراق، ثم بأدله الوالد الزياره فى إحدى المناسبات و تكرر ذلك أكثر من مره.

و استمر الاحتكاك و التحدى بين اليهود و أبناء الحى و بلغ أشده حين أراد اليهود إطلاق اسم أحد كبار رجالهم على الشارع بالتفاهم مع الفرنسيين و ألصقوا لوحه فى رأس الشارع تحمل الاسم، فاقتلها ليلا أهل (الحاره) إلى أن جاء الحكم الوطنى العام ١٩٣٧ فتقرر تبديل اسم حى الخراب و إطلاق اسم حى الأمين عليه تكريما من الحكم الوطنى لوالدى، و تبعاً لذلك أصبح اسم الشارع شارع الأمين.

بعد الاحتلال

كان دخول الفرنسيين دمشق و هدمهم الحكم الوطنى الذى قام فيها صدمه رهيبه ناءت بها سوريا وقتا طويلا، و صمت الناس على الاحتلال و مضى الزمن فى مسيرته هينا لينا كان شيئا لم يحدث، و كان الكارثه لم تكن بمثل هذا الروع. و حسب من حسب أن ما يسمى بالانتداب قد ركز دعائمه و أن التجزئه قد ثبتت. و أن سوريا العربيه الباسله قد قرت على الهوان، و أن دوله دمشق و دوله حلب اللتين قامتا على أنقاض المملكه العربيه السوريه، و دوله العلويين و دوله جبل الدروز قد استقر كيانهما!..

لا-سيما و أن دمشق المتمرده قد تطامنت و ألفت بيديها طائعه بعد ميسلون فرأى فيها غورو ما لم يكن يظن إنسان أن غورو سيلقى مثله من

استقبال جماهيري صاحب، إذا كان قد أعدده المتملقون، فإنهم على كل حال قد نجحوا في إعدادة النجاح الذي لم يكونوا يحلمون به.

ولا أستطيع الآن أن أصف حقيقه شعور الجماهير لأننى لم أكن يوم ذاك فى وعى يمكننى معه الاحساس بما يحمله الشعب من إحساس حقيقى.

ولكننى أذكر تماما أن وزاره علاء الدين الدروبي التى تألفت بعد يوم ميسلون، و التى أصبحت تحكم البلاد فى ظل الفرنسيين، أذكر أنها جوبهت بأول ثوره عليها و على الفرنسيين. و لم تكن هذه الثوره من صنع دمشق، و لا- من صنع غيرها من المدن الكبرى!.

لقد كانت تلك الثوره ثوره القرى و الأرياف، و بالتحديد ثوره حوران. فان صدى الاحتلال، و صدى انهيار الاستقلال كان مدويا فى حوران، لا- سيما و أن الملك فيصل كان قد تركز أولا- فى الكسوه على الطريق الموصل إلى حوران ثم فى درعا عاصمه حوران. و ربما لاح له فى ذلك الوقت أن يتخذ من موقعه هذا قاعده لقتال الفرنسيين. و لكن طيارات الفرنسيين أنذرت بمناشيرها الحورانيين بما سينالهم من شر إذ استجابوا لفيصل. و كان أن صمم فيصل على التوجه إلى حيفا ثم أوروبا. و لكن غضبه (الحوارنه) لم تسكن و ثورتهم لم تهدأ، فأرسل الفرنسيون رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي و وزراء لاقناع (الحوارنه) بالاستلام فكان الجواب قتل علاء الدين الدروبي و بعض وزرائه و نجاه من نجا بالاختباء فى شر مختبا. و استطاع وزير الداخليه عطا الأيوبي الفرار و لكن إلى حيفا لا إلى دمشق.

كان الوفد مؤلفا من كل من رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي و عبد الرحمن باشا اليوسف رئيس مجلس الشورى و عطا الأيوبي وزير الداخليه و الشيخ عبد القادر الخطيب و الشيخ عبد الجليل الدره.

و بوصولهم إلى محطه خربه الغزاله التى تبعد عن درعا خمسه و عشرين كيلو مترا، انقض على القطار جمع تتعالى أهازيجه و يرتفع حداؤه فخيّل للوفد أن الجمع جمع استقبال و تحيه، ثم لم يلبثوا أن أدركوا الحقيقه فحاول الدروبي الاحتماء بين ركاب الدرجه الثالثه و لكنه اكتشف فقتل، و فر عبد الرحمن اليوسف إلى دار المحطه فعرف و قتل أيضا و نجا الآخرون متوارين فارين..

فجردت السلطه حملة على حوران قضت على الثوره بعد التخريب و التقتيل و فرضت غرامه باهظه.

جرى ذلك فى محطه خربه الغزاله التى كانت مقرا لفريق من التجار الدمشقيين الذين يبدو أنه كانت لهم مشاركه فعاله فيما جرى.

و كانت ثوره حوران أول ما جابهه الفرنسيين من تمرد و عصيان. و ظلت أصداؤها تتجاوب فى أذهاننا و نحن فى تلك السن.

و هذه الثوره هى صورته عن الفوضى التى كانت تتخبط فيها البلاد و انعدام التنظيم و التوجيه و التخريط.

فقد كانت البلاد كلها شعله من الوطنيه الثائره على الفرنسيين و لكنها كانت كسفينه تتلاطمها أمواج المحيط بلا قائد و لا حكيم

و لا مدير. فمنذ حل الفرنسيون فيما أسموه المنطق الغربيه، بدأت الاضطرابات الموضوعيه غير المرتكزه على قاعده ثابتة مدبره فكان يسهل على الافرنسيين إخمادها و تدمير أهلها كما حدث فى حركات الجبل العلوى و جبل عامل و غيرهما، قبل سقوط دمشق و كما حدث فى ثورات الشمال و ثوره الحوارنه بعد سقوطها فلو أن جميع هذه القوى ادخرت للساعه الحاسمه، ساعه الصدام الذى لا بد منه مع المستعمرين لواجه هؤلاء قوى ضاربه منظمه مترابطه تثور عليهم فى وقت واحد يشغلهم فى كل مكان و يريهم ثوره رهيبه لا يستطيعون ضربها بمثل السهوله التى ضربوا بها ما ضربوه.

و يبدو أن أهل الحل و العقد كانوا حتى اللحظات الأخيره يطمعون بنوع من التفاهم و يرون أن الأمور لا تنتهى إلى صدام مسلح، فلم يعدوا للأمر عدته و لا واجهوه بتنظيم دقيق و لا كان لهم نظر بعيد.

فبينما كانت الاضطرابات تعم المنطقه المحتله بلا ترتيب و لا قياده، لم يفكر العسكريون فى دمشق بفقدان السلاح و فقدان الذخيره إلا فى الساعات الأخيره أو بالأحرى فى اللحظات الأخيره!.

فياسين الهاشمى الذى كان العسكري الأول آنذاك و الذى كان معهودا إليه بالإشراف الكامل على شئون الجيش و سلاحه. لم يعرب عن حقيقه تسليح الجيش إلا بعد وصول إنذار الجنرال غورو، ثم انسحب من المسئوليه و آثر الغزله!.

يروى محمد على العجلونى الذى كان شاهد عيان: أن ياسين الهاشمى صارح الملك فيصل فى الساعات الأخيره أن الجيش السورى لا يستطيع الثبات فنيا سوى بضع ساعات.

و يروى يوسف الحكيم الذى كان شاهد عيان أيضا: أن الضباط أركان الجيش أبلغوا مجلس الوزراء أن العتاد الحربى لدى الجيش لا يزيد عن مائتين و سبعين طلقة لكل بنديه حربه و ثمانين قبله لكل مدفع من المدافع السبعين.

و لا أدرى لما ذا لم يكتشف هؤلاء العسكريون هذا قبل آخر لحظه.

و لما ذا لم تكن الحكومه قد درست أمر جيشها و هى فى سعه من الوقت؟!.

منذ الساعات الأولى لقيام الحكم العربى الاستقلالى فى دمشق اتجهت الأنظار إلى العسكري الأول بين العرب فى ذلك الحين ياسين الهاشمى فعهد إليه بالشئون العسكريه كلها. و كان أول ما عمله أن حل جيش الثوره الذى فتح دمشق و سرح ضباطه. دون أن يكون قد اعتمد خطه معينه واثقا من نجاحها لانشاء جيش جديد، فبدأ التخبط العسكري منذ تلك الأيام. ثم اختطف الإنكليز ياسين الهاشمى بعد أن دعوه لتناول الشاى فى مقر القيادة العسكريه فى المزه و أرسلوه معتقلا إلى الرمله بفلسطين.

فعلوا ذلك و هم يتهيئون للجلاء عن دمشق، بل قبل أن يجلوا بساعات. ثم أعادوه بعد بضعه شهور.

و كان قد خلفه فى القيادة العسكريه يوسف العظمه فكان له رأى - على ما قيل - يختلف عن رأى ياسين الهاشمى فى الاعداد العسكريه.

و مهما يكن من شىء فان ياسين الهاشمى لم يتذكر أن يكشف على مستودعات أسلحه الجيش إلا فى الأيام الأخيره التى سبقت

معرکه میسلون، حیث رجعوا إلیه فی تولی القیاده فکشف علی مستودعات السلاح

ص: ۲۵۹

و قال أن لا سلاح يعتد به لدى الجيش. و من العجيب أنه طيله سنتين اثنتين من إلى لم يتنبه أحد إلى حقيقة السلاح الموجود و السعى لإيجاد غير الموجود!.

تماما كما حدث العام ١٩٤٨ حين صمم العرب على قتال الصهيونيين ثم اكتشفوا أنهم بحاجة إلى كل شيء، بعد أن كانت قد سدت في وجوههم مصادر كل شيء!.

و ظلت الأمور في تخطيط بلا تخطيط و لا إعداد حتى جاء اليوم الذي لا يجدى فيه إلا العمل، و كانت وسائل العمل في هباء.

و من العجيب أن أحدا لم يفكر منذ الأيام الأولى لجلاء الأتراك بالمستقبل البعيد و بإمكان الصدام مع الفرنسيين و وجوب الاستعداد لهذا الصدام!. مع أن طلائع الصدام قد أتت منذ أول ساعه حين طرد الفرنسيون الحكام الوطنيين في الساحل و أسفروا عن مطاعمهم في الساحل و الداخل!.

و يبدو أن حال القوم يوم ذاك كان كحالنا اليوم، كانوا يأملون بما اصطالحنا على تسميته (بالحل السلمي)، ثم انتهى بهم الأمل إلى ما انتهى. و لا يزال فينا اليوم (١٤ تشرين الأول ١٩٧٢) و بعد خمس سنوات من حدوث ما أسموه (حرب الأيام الستة)، و بعد قيام المستعمرات في كل مكان فيما احتله اليهود بعد تلك الحرب، و بعد تصريحاتهم العلنية الصريحة بأنهم باقون حيث هم، لا يزال فينا من يطمع بالحل السلمي.

اليوم كالأمس

هذا ما وعته ذاكرتي من أحداث تلك الأيام و ما انطبع فيها مما شاهدته بعيني و مما أمكن أن يعيه فكري الطفل. و قد عرفت بعد ذلك، بعد أن أدركت و وعيت حقيقة ما جرى مما أجمله فيما يلي:

أقبل قاده العرب من كل مكان إلى دمشق بعد الجلاء التركي.

فبعضهم جاء مع فيصل كالضباط العراقيين و البعض الآخر توافد إليها لأنها أصبحت مقر العمل العربي و مطمح آمال العرب و قاعده أول بقعه مستقلة في بلاد الشام و غير بلاد الشام بعد الحكم الأجنبي الطويل.

فكان فيها رجال العراق و رجال لبنان و رجال الساحل و رجال فلسطين (١)، كما كان فيها بعض من كان قد نرح إلى مصر من السوريين.

و التقى الجميع بآمال ضخمة و أمانى بعيدة يحسبون أن ساعه الدوله العربيه الكبرى قد دنت، و أنهم مؤسسوها و باعثو رفاتها.

كيف لا و جيشهم العربي الزاحف من قلب الحجاز هو المنتصر حليف المنتصرين، و ملء حقائبهم و عود مؤكده و موثيق وثيقه.

كان العرب يعيشون تلك الأيام التي بدأت عام ١٩١٨ ثم انتهت يوم الرابع و العشرين من تموز ١٩٢٠ أزهى أيامهم و أعذب أحلامهم. و كانوا في غمره هذا الفرح لا ينظرون إلى البعيد و لا يحسبون حسابا للغدر و الختل. ثم بدأت الحقائق تنجلي قليلا

قليلا فالحاكم العربي الذي ذهب إلى بيروت و رفع علمه على صروحها عاد مطرودا من الفرنسيين، و أنزل العلم ذليلا!..

و الحاكم الوطنيون الذين عينوا أنفسهم فى مناطقهم الساحليه معلنين الاستقلال لم يلبثوا أياما بل ساعات ثم دحرجوا عن كراسيهم.

و تقلص حجم الرقعه المستقله حتى انحصر فيما عرف بعد ذلك باسم المنطقه الشرقيه و هى لا تعدو دمشق و حمص و حماه و حلب و ما يتبعها و ينضوى إليها!.

و لكننا إذا نظرنا إلى العرب يوم ذاك نراهم فى واقع هو أفضل ألف مره مما صار إليه واقعهم المعنوى بعد ذلك.

كان الحديث يوم ذاك عن العرب و عن القضية العربيه و التوق كله إلى الوحده الشامله. و لم يكن للاقليميه مكان!.

فهذه بقعه صغيره من بلاد الشام أميرها ثم ملكها حجازى(٢) و رئيس برلمانها مصرى لبنانى الأصل(٣) و قائد جيشها عراقى(٤) و وزير داخليتها لبنانى(٥) و وزير خارجيتها فلسطينى(٦) و حكام مناطقها و ضباط جيشها مزيج من كل أرض عربيه. لا يدور بخلد أحد أن يسأل أحدا عن بلده أو أن يجد فى ذلك موضعا لاستغراب و مكانا لتساؤل!.

أليس الجميع عربا؟. أليسوا كلهم رجال قضيه واحده فهم جميعا فى أرضهم و جزء من وطنهم؟.

ثم هذا الترفع عن الطائفيات و عدم النظر إلى دين الشخص أو مذهبه. فهذه أول حكومه عربيه تقوم فى البلد الإسلامى العريق دمشق و تشمل سيادتها الأرض السوريه الداخليه التى لا يبلغ فيها المسيحيون ١ من ١٢ فتتكون من حاكم عسكري سنى دمشقى هو رضا الركابى و رئيس للشورى الحربيه سنى بغدادى هو ياسين الهاشمى و رئيس للعدليه مارونى من دير القمر هو إسكندر عمون و رئيس للماليه أرثوذكسى من الشويفات هو سعيد شقير و رئيس للأمن العام أرثوذكسى طرابلسى هو جبرائيل حداد و رئيس للخارجيه أرثوذكسى دمشقى هو توفيق شاميه و رئيس للصحه بروتستانتى من مواليد عبيه هو موصلى باشا.

خمس رئاسات أو بالأحرى خمس وزارات من سبع يشغلها مسيحيون، أربعة منهم من لبنان و واحد من دمشق(٧) و محكمه الاستئناف المدنيه التى تطبق مجله الأحكام العدليه المستمده من الشريعه الإسلاميه، محكمه الاستئناف هذه تتالف من ثلاثه قضاة كلهم

ص: ٢٦٠

١- كان الأردن جزء من سوريا.

٢- فيصل.

٣- رشيد رضا.

٤- ياسين الهاشمى.

٥- رضا الصلح.

٦- سعيد الحسينى.

٧- فور انسحاب الأتراك و دخول الجيش العربى بقياده فيصل إلى دمشق تألفت أول حكومه عربيه لم يسم اعضاؤها بالوزراء بل سموا رؤساء: رئيس العدليه، رئيس الداخليه... إلى آخره. و بعد تتويج فيصل تألفت الحكومه الدستوريه و أطلق على أعضائها اسم الوزراء.

مسيحيون، بينهم اثنان من لبنان هم: نجيب الأميوني من حاصبيا رئيسا و أسعد أبو شعر من دمشق عضوا و فائز الخورى من الكفير (حاصبيا) عضوا.

أما اليوم و بعد أن استقلت البلاد العربيه و قامت فيها دول و حكومات فاننا لا نطمح أن يعامل العربى فى أى قطر عربى بمثل ما يعامل به أبناء ذلك القطر، بل أن أكثر ما نطمح إليه هو أن يسمح العرب للعرب بدخول أقطار العرب بمثل ما يسمح به الأوربيوت [الأوربيون] بعضهم لبعض.

و أن تعامل حكومات العرب بعضها بمثل ما يتعامل به الأصدقاء و الجيران فى كل مكان بلا شحناء و لا تباغض و لا تقاتل! إننى و أنا أكتب هذه السطور أقرأ بلاغا لحكومته عربيه تباهى به أنها أسقطت لحكومته عربيه أخرى طياره و عطلت كذا دبابات و قتلت كذا رجالا!.. هذا و الحكومتان تحملان اسما واحدا و لكن تنتمى إحداهما إلى الشمال و الأخرى إلى الجنوب! و أسمع صيحات التثام و التشاجر تتعالى من هاهنا و هاهنا!

أقرأ و أسمع و أرى، فى نفس الحين الذى أقرأ فيه كلاما للمرأة العجوز غولدا مايير تهدد و تتوعد و تهزأ و تسخر! و إذا كان من غير المستغرب فى هذا العصر أن ترئس امرأه أية حكومه، و إذا كان فى العالم اليوم إلى جانب (الرئيسه) غولدا مايير رئيستان أخريان فى الهند و سيلان. فان من الإيغال فى الاذلال المعنوى أن يكون المههد المتوعد الهازئ الساخر بالعرب أجمعين و ملايينهم المائه و العشرين و جلالاتهم و فخاماتهم و سياداتهم هو امرأه عجوز!

و الآن و أنا أكتب هذه الذكريات فى خريف العام ١٩٧٢ أى بعد مرور اثنين و خمسين سنه على تلك الأحداث. و بعد أن شهدت الأمه العربيه ما شهدت و مر بها ما مر.

الآن أقرأ و صفا للضياع الذى كان فيه العرب يوم ذاك و التمزق الذى كانوا يعيشونه و هم يواجهون مرحله من أخطر مراحل وجودهم. أقرأ و صفا كتبه واحد ممن حضروا تلك الفتره و عانوها كل المعاناه.

الآن أقرأ ما كتبه أسعد داغر و هو يتحدث عن واقع العرب فى تلك الفتره الحرجه:

"و لكن زعماء العرب و مفكريهم بعد أن رفعوا شعور الأمه إلى هذا المستوى العالى لم يحسنوا الاستفاده منه. إما لنقص فى التجربه أو ضعف فى العزيمه أو خلاف فى الآراء أو تنافس بين الأفراد أو لكل هذه الأسباب مجتمعه فى وقت واحد. فبدلا من أن توضع خطه سياسيه بعيده المدى تتولى تنفيذها يد حازمه... لجئوا إلى الراحة و قضوا أوقاتهم الشمينه فى بحث النظريات العقيمه غير حاسبين للمستقبل أقل حساب فكانت النتيجة أن انقسموا على أنفسهم شيعا و أحزابا".

و لو أن إنسانا أراد أن يصف حال العرب اليوم بعد اثنين و خمسين سنه و هم يواجهون الصهيونيه، هل كان يمكن أن يكتب غير هذا القول؟!.

ثم همدت سوريا ما عدا معارك إبراهيم هنانو في الشمال و معارك صالح العلي في الجبل العلوي، ثم انتهى كل شيء!!.

و لقد كان عجيبياً أن تقر دمشق بعد كل تلك الحماسه و أن تستطيب الدعه بعد كل ذاك الاضطراب، و لكن الحقيقه أن الاحتلال فرق شمل المناضلين، ففرقوا فرارا من الفرنسيين في كل مكان أو انزوى منهم من انزوى ستراً للعيون المترصده.

ثم بدأ الشمل يجتمع، و بدأ بعض الراحلين يعودون، ثم أخذوا يتداولون و يجتمعون و يتهامون، ثم بدءوا يجهرن بعض الجهر.

أصبح الانفجار مؤكداً، و مواد الوقود جاهزه لا تحتاج إلا إلى الشراره التي تذكياها.

و كان قد حدث على أثر الاحتلال و مجيء الجنرال إلى دمشق، ثم عزمه على تلبيه دعوه محمود الفاعور شيخ عرب الفضل في الجولان و اتجاهه بطريق القنيطره إلى مقر محمود الفاعور. حدث أن بضعه شبان من المناضلين قد كمنوا له في الطريق و أطلقوا على موكبه الرصاص محاولين اغتياله بعمل بطولي، و كان يرافقه حقي العظم الذي كان قد نصبه الفرنسيون حاكماً لدوله دمشق. فلم يصب غورو و إنما أصيب مرافقه الضابط فقتل و أصيب رفيقه حقي العظم برصاصه فجرح جرحاً طفيفاً، كما مرت الإشاره إلى ذلك من قبل.

ثم قامت أحداث محدوده لم تلبث أن خمدت أو أخدمت كحادثه مدرسه البحصه التي عبر فيها التلاميذ عن نقيمتهم و أدت إلى إقاله مدير المدرسه أديب التقى. و ذلك أن الطلاب حطموا صوره الجنرال غورو التي أمرت السلطات برفعها في المكاتب الحكوميه و تغاضى أديب التقى عن ذلك فكان ما كان.

و أخيراً انطلقت الشراره التي كان لا بد أن تنطلق و مست البارود الهامد فانفجر انفجاراً مدوياً.

الصيحه الأولى

كانت المناسبه وصول المستر كراين في زياره لدمشق في شهر نيسان ١٩٢٢، و المستر كراين هو رئيس لجنه الاستفتاء التي جاءت إلى سوريا و لبنان في أعقاب الحرب العالميه الأولى و كان كراين هذا متوددا للعرب مظهراً الصداقه لهم، فجاء في تلك الفتره يزور البلاد التي جاءها في يوم من الأيام مستفتياً و أسبغ عليها من عواطفه ما أرضاها، فرأت دمشق أن تكرمه و تطور التكريم ففجر ما كان هامداً في النفوس من النقمه العارمه و الثوره الجياشه فانطلق الخطباء ينددون بالانتداب و يعلنون نقيمتهم على رجاله و ينادون بالاستقلال و يحيونه، فتجاوب الناس معهم، و دوى في أجواء دمشق لأول مره بعد ميسلون صوت الحريه و تعالي نداء الاستقلال.

ثم كان توديع كراين، فانقلب التوديع إلى مظاهره وطنيه صحابه، كانت الأولى من نوعها في وجه الفرنسيين. و كان المحركون لكل ذلك و المسببون له هم الدكتور عبد الرحمن شهبندر و سعيد حيدر و حسن الحكيم و من إليهم من شبان و إخوان.

فرأى الفرنسيون أن يأخذوا الأمر بالشده و أن يخمدوا الصوت قبل أن ينتشر فى كل الآفاق فاعتقلوا الثلاثة و اعتقلوا معهم من كان من أعوانهم.

فجاءت النتيجة عكس ما أمل الفرنسيون إذ كان اعتقال هؤلاء مثيرا للمظاهرات، مؤليا للجماهير!.

و كلما اتسع الاعتقال اتسع نطاق المظاهرات، و لا أزال أذكر مشهد المصفحات الفرنسيه و قد اخترقت سوق الحميديه ماضيه إلى قرب مدخل المسجد الأموى، حيث كان المتظاهرون يتجمعون أكثر ما يتجمعون هناك.

و انتهى الأمر بمحاكمه الثلاثة و محاكمه آخرين معهم و الحكم عليهم بالسجن مددا مختلفه و إرسالهم إلى جزيره أرواد ليقتلوا مده الحكم هناك.

و قد بقوا فى سجون أرواد حتى الثامن عشر من تشرين الأول العام ١٩٢٣ حيث أطلق سراحهم.

و هكذا كان هؤلاء الثلاثة كما عبر عنهم بعد ذلك نجيب الريس الذى كان رفيقهم فى سجون أرواد: أصحاب الصيحه الأولى.

أول مقال

و مضت الأيام و أنا لا- أزال أوصل الدراسه الابتدائيه فى المدرسه العلويه ثم أوشكت على إنهاؤها، و فى الصف الأخير منها (الصف السادس) يوم ذاك كتبت أول مقال نشرته لى مجله العرفان.

فقد طورتنى دروس الإنشاء التى كان يتولاها أديب التقى، و كتبت يوما موضوعا شعرت أنه أَرْضَى الأستاذ، فعدت و بيضته و طلبت إليه أن يرسله إلى مجله العرفان، فاستجاب أديب التقى لذلك، و أرسله لصاحب العرفان كما هو قائل فى تقديمه ما لا أزال أذكر بعضه: "هذه سانحه من سوانح التلاميذ أرسلها لكم على علاتها".

و كان من فضل الشيخ عارف الزين و تشجيعه أن نشرها (على علاتها) و ما أوضحها من علاات كما تبين لى بعد ذلك!.

و هكذا فتحت لى مجله العرفان باب الكتابه و جعلتنى أو من بانى أستطيع أن أكتب و أنشر. ثم تكرر الأمر أكثر من مره، و كل ما كان ينشر انما ينشر (على علاته)!!.

ذكرى الثامن من آذار

كانت الأحكام التى صدرت على الدكتور شهيندر و سعيد حيدر و حسن الحكيم و رفاقهم أحكاما بالسجن مددا مختلفه أقصاها عشرين سنه و أقلها خمس سنين.

و لم تلبث الحركه أن هدأت و المظاهرات أن انقطعت، و لا- أذكر أنه حدث بعد ذلك أى حادث وطنى، فيما عدا ما كانت تتململ به النفوس دون أن تبرزه أو تبوح به. وراق الفرنسيين هذا الركود و أراضاهم هذا الهمود فأطلقوا سراح مسجونى أرواد

بعد حوالي سنه و نصف السنه، فعادوا جميعا إلى دمشق. و لم يعودوا ليستسلموا، فما هي إلا برهه قصيره حتى عاودوا الحركه و عاد الناس يجهرون بما كانوا يضمرون، و بدأ التملل يتخذ مختلف المظاهر. ثم كان أن بدأ العمل المنظم فاصدر أحد أبرز معتقلي أرواد سعيد حيدر بالاتفاق مع شقيقه يوسف حيدر جريده المفيد. فكانت هذه الجريده الصوت الوطنى المتعالى و التف حولها شيوخ الكفاح و كهوله و شبانه فكانت لسانهم الناطق. بل كانت مدرسه الوطنيه الناجحه!.

و أعترف بانى كنت من أصغر تلاميذها و أنها لقتنى من الدروس ما كان له أعظم الأثر فى حياتى و أنها علمتنى ما لم أنسه و أنضجت فى ذهنى الفكره الوطنيه و أوضحت أمامى طريق الكفاح!.

لقد كانت مقالات سعيد حيدر نيراسا وهاجا ينير السبل أمام التائهين، و كان قلمه المحرك للهمم المثير للغزائم!.

و لم تكن المفيد بمستطيعه أن تقول كل شىء، و لا كانت قادره على أن تصرح بجميع ما يجب التصريح به، و الدعوه إلى كل ما تريد أن تدعو إليه، لأن سيف التعطيل الادارى كان مسلطا فوق رأسها يهددها عند أول بادره!..

لذلك كانت تلجأ إلى الرمز، و ما كان أوضح هذا الرمز عند النفوس المتعطشه إلى كل كلمه وطنيه.

و لن أنسى أبدا ما كتبه سعيد حيدر بتوقيع "س...س" و ما صور به فى المفيد بقلمه فى صباح الثامن من آذار!..

و ما صباح اليوم الثامن من آذار؟ أنه صباح اليوم الذى أعلنت فيه سوريا استقلالها التام الناجز و صرخت بوجه الدنيا متحديه قوى الاستعمار بأنها تريد أن تعيش حره سيده نفسها!..

و لم يلبث الحلم السعيد أن عاش بضعه شهور فقط، و لم يلبث الاستقلال أن هوى فى يوم ميسلون!.

و جاءت ذكرى الثامن من آذار و الاستعمار الفرنسى يجثم بكل شرسته على صدر الوطن الجريح!.

جاءت الذكرى العظيمه فكان لا بد لجريده المفيد و سعيد حيدر من أن يحتفل بها احتفالا يليق بجلالها!. احتفالا يوقظ النفوس و يلمس القلوب، و يوقظ الغافى و يهز الهامد، بل يثير و يستنفر!.

يفعل كل ذلك دون أن يثير ريبه المستعمرين أو يلفت أنظارهم لما يريد فيبطشوا بالمفيد! ولقد كان للمفيد و سعيد حيدر ما أرادوا و خرج مقاله فى صباح ٨ آذار قطعه أديبه رائعه و جذوه وطنيه لاهبه ملهبه!.

و كرمتم دمشق بلسان سعيد حيدر و قلمه، كرمتم ذكرى ٨ آذار أنضرت تكريم و أزكاه، أعنف تكريم و أقساه، كرمتم هذه الذكرى لأول مره بعد ثلاث سنين من دخول الفرنسيين دمشق و سيطرتهم على الوطن!. كرمتها بالرمز و التلميح، لأنها لا تستطيع البوح و التصريح!.

و أذكر أن سعيد حيدر ختم مقاله بهذين البيتين لمهيار الديلمى:

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

و اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع و عاف القدحا

لم تكن مقالات سعيد حيدر وحده هى التى تضحج بها المفيد، بل كانت كذلك مقالات أخيه يوسف حيدر و مقالات نجيب الرئيس الذى اكتشفته المفيد و قدمته لقراءها محررا ناشئا، و عهدت إليه بان يكتب كل يوم (حديث اليوم). و لا ننسى أن أرواد كانت قد جمعت بين سعيد حيدر و الفتى الناشئ نجيب الرئيس!.

و إذا كانت مجله العرفان أول مجله أكتب فيها، فقد كانت المفيد أول جريده أسطر فيها بعض الكلام، لم يكن ما كتبتة فيها مقالا، بل كان تعليقا محدود السطور على بعض تصرفات الجنود الفرنسيين!.

ثم يدور الزمن و تقوم الثورة السورية و يهاجر سعيد حيدر فيمن هاجر من الرجال فرارا من مطارده الفرنسيين بعد أن كان من أكبر المسئولين عن قيام الثورة، ثم تلجئه الأقدار إلى اسطمبول فى حياه من أفسى ما يمكن أن يمر على إنسان. و يصبح نجيب الرئيس يوما من الأيام ألمع صحفى سورى و يستقل بجريده القبس و يطلع كل يوم على القراء بمقاله الافتتاحى مختوما أبدا بيت من الشعر. و يلاحظ قراء القبس بين فتره و أخرى أنهم يقرءون فيما يقرءون فى مواضع القبس رساله صادرة من اسطمبول متوجه بهذه العبارة: بقلم مكاتب كبير. و لم يكن المكاتب الكبير سوى سعيد حيدر المحكوم من جديد بالاعدام من الفرنسيين، و العائش شريدا فى اسطمبول عيشا لا أمر و لا أنكد و لا أكثر شظفا منه!..(١)

الاتحاد السورى

كان تقسيم سوريا إلى خمس دول مهزله من مهازل الاستعمار أقدم عليها الجنرال غورو إمعانا فى الارهاق و التمزيق و تشتيت القوى. و قد كانت أهزل من أن يقبلها عقل إنسان، أو يقرها مجتمع متحضر!.

و قد أدرك غورو بعد حين الأبعاد الحقيقيه التى تصم فعلته أشنع الوصمات، فحاول أن يتلافى ذلك فاصدر فى الثانى و العشرين من حزيران سنه ١٩٢٢ قرارا بإنشاء اتحاد بين دول ثلاث من دول سوريا، هى دوله دمشق و دوله حلب و دوله العلويين، و كان لواء اسكندرون يدخل ضمنا مع هذا الاتحاد باعتبار ارتباطه بدوله حلب. و استثنى غورو دوله جبل الدروز من الدخول

فى الاتحاد.

و ظل الأمر كذلك حتى سافر غورو إلى فرنسا فى تشرين الثانى سنة ١٩٢٢ و حدثت فى فرنسا أحداث أدت إلى استقالته.

و ظلت المفوضيه الفرنسيه بلا مفوض حتى أوائل نيسان سنة ١٩٢٣ حيث عين الجنرال ويغان مفوضا جديدا، فوصل بيروت فى التاسع من أيار ١٩٢٣.

و فى الخامس من كانون الأول ١٩٢٤ أصدر ويغان قرارا بالغاء الاتحاد السورى و إعلان الوحده بين دولتى دمشق و حلب و أخرج منها دوله العلويين.

و جاء دمشق و خطب فى (المنشيه) فى حفل عام معلنا الوحده، متبسطا فى خطابه ممنيا، و ملمحا إلى الأمجاد العربيه السالفه.

و يتناول سعيد حيدر الخطاب فى جريده المفيد تحليلا و تفنيذا فى سلسله مقالات بعنوان: (الجنرال يتكلم) و بتوقيع (س...).

مع الجنرال ويغان

و كان لى حادث طريف مع الجنرال ويغان، ذلك أنه دعى إلى زياره جبل عامل عند ما كنا نقضى الصيف فى شقرا. و حشدت لهذه الزياره جماهير الناس مشاه و فرسانا على أن يكون اللقاء على ينايع رأس العين فى صور حيث يتناول هناك طعام الغداء.

فذهبت مع الذاهيين فارسا مع فرسان من بنى عمنا، حيث قضينا ليلتنا فى صور، و كنت قد بيت أمرا أردت أن أكسب فيه هذه المناسبه التى حشر فيها الناس حشرا فى حيث لا يصح أن يحشروا، أردت أن أكسبها فيه معنى يزيل ما فى هذا الاحتشاد من تزلف و استخذاء!.

و كنت خلال متابعتى الدراسه فى المدرسه العلويه قد أخذت شيئا من اللغه الفرنسيه. فكتبت كلمه باللغه العربيه ضمنيتها مطالب معينه هى من صميم حاجه البلاد، و أشرت إلى ما تشكوه البلاد من حرمان و جور.

و ذهبنا فى الليل إلى صيدلى فى صور أو طيب، مما لا- أتحققه الآن، و طلبنا إليه أن يترجم لنا هذه الكلمه الموجه إلى اللغه الفرنسيه. فلما قرأها قال:

أنا أحجل بلغتى الفرنسيه أمام الجنرال، فانا لا أتقن الترجمه الصحيحه الفصيحه، فقلنا له: لن تكون أنت مسئولا عن الترجمه، بل هى ستنسب إلى، فاستجاب لنا. و قضيت الليل فى حفظ النص الفرنسى عن ظهر قلب، ثم تابعت ذلك فى الصباح.

و مضينا إلى رأس العين مع الماضين، و هناك كان الحشد الكثيف، و قد أعدت مائده للجنرال و حاشيته و بعض الرسميين. و لم يكد يجلس الجنرال على المائده، حتى تقدمت الصفوف إلى أن صرت غير بعيد عن مجلسه، فأثارت هذه الحركه انتباهه و انتباه الناس كلهم، و حاولت أن أتكلم. فإذا بى قد أنسى النص الفرنسى الذى قضيت الليل و الصباح فى استظهاره، و لم يفتح الله على منه بكلمه!.

١- و كانت المره الأولى التى حكم فيها سعيد حيدر بالاعدام هى اتر [اثر] دخول الفرنسيين دمشق فاضطر للفرار، ثم شمله العفو العام الذى أعلنه الفرنسيون. فعاد إلى دمشق فلم يلبث أن حكم بالسجن فى أرواد. ثم عاد إلى دمشق فلم يلبث أن كان النافخ فى شراره الثورة السوريه لتتاجج ضراما عارما، فيحكم بالاعدام من جديد!..

و كانت الأنظار كلها متجهه إلى هذا الصبي متسائله عما يريد أن يفعل! فلم ارتبك، إذ كان أقل ارتباك أو تضعضع سيحيل الأمر إلى مهزله تنتهى بإبعادى عن مكاني على أسوأ حال. لذلك توكلت على الله و انطلقت بما أعرفه من كلمات فرنسيه محدوده معبرا فيها عن بعض ما أريد قوله "فقلت ما معناه مخاطبا الجنرال:

"إنك لا تستطيع أن تذهب إلى أبعد من صور لأن طريق السيارات ينتهى بصور، و إذا استطعت الوصول باحدى الوسائل إلى ما هو أبعد من صور. فإذا مرضت هناك فلا طبيب يعودك. و إذا كان لك ولد هناك فلا مدرسه تأويه. نريد طرقا و مدارس و أطباء". و الحقيقه أننى كنت أريد المطالبه بأكثر من هذا و لكننى عجزت عن الاسترسال فى المطالب باللغه الفرنسيه فسكت عند هذا الحد.

و قد انفعل الجنرال و حاشيته لهذا الكلام كل الانفعال و أثر فى نفسه أبعد التأثير، فأشار إلى رئيس غرفته المدنيه المسيو (جيسكار) بان يحضرنى إليه، فأسرع آخذا بيدي إلى الجنرال، الذى ربت على كتفى مبتسما و مشجعا، ثم خاطبنى بكلام لم أستطع متابعته و فهمه. و أدرك ذلك بعض من كان فى حاشيته قريبا منه فأسرع يترجم لى كلام الجنرال، فإذا به يقول أيهم تفضل أولا، الطريق أم الطبيب أم المدرسه؟.

فقلت: الطريق لأنها هى ستاتى بالمدرسه و الطبيب. فقال ستاتى الطريق. و لكن أين هى قرينتك؟. قلت يجب أن تنتهى الطريق لا فى قرينتى بل فى بنت جبيل.

و اندفع رئيس غرفته يصورنى صورته فتوغرافيه و لا- أدرى أ كان ذلك منه أم بايعاز من الجنرال. و سألنى عن عنوانى لبعث لى بالصوره. فأعطيته عنوانى فى المدرسه العلويه فى دمشق.

و قد أضاع هذا الذى جرى - أضاع على منظمى الاحتشاد المترلفين به المستغلين للشعب السائقين له سوق الأنعام لتحقيق مآربهم، أضاع عليهم رونق ما قصدوه و أفسد عليهم مخططهم، و ضاعوا فى خضم ما جرى!.

و لم نلبث أن عدنا إلى دمشق، فإذا بى أتلقى الصوره و هى المنشوره مع هذا الكلام، و معها تحيه من رئيس غرفه الجنرال باسم الجنرال و وعد بتحقيق شق الطريق.

و كنت يوما أسير فى سوق الحميديه بدمشق، فإذا بى وجها لوجه أمام المسيو جيسكار الذى عرفنى قبل أن أعرفه مع أننى كنت فى صور أرتدى الكوفيه و العقال، و كنت فى دمشق أرتدى الطربوش، فاقبل على مندفعاً مصافحا، و قال لى أن الجنرال هنا فهلم معى لزيارته، فانطلقنا فى سيارته إلى حيث كان ينزل الجنرال قرب الجسر الأبيض فى الصالحيه، فإذا بالجنرال يعرفنى فيقبل على مرحبا مشجعا.

و يبدو أنه أدرك ضعفى باللغه الفرنسيه فنادى مترجما له قال لى عن لسانه أنه قد أمر بإنفاذ تعبيد الطريق.

و بالفعل بدئ بالتعبيد، و لكن المنفذين كانوا يتباطئون به حتى أوصلوه بعد جهد إلى جوياء. و ظل الطريق متوقفا فى جوياء زمنا طويلا، على أننا بعد أن كنا نصل بالسيارات إلى صور و نأخذ الدواب منها إلى شقرا. صرنا الآن نصل إلى جوياء، و بذلك قربت

شقه الطريق.

و بعد عهود و عهود أكمل الطريق إلى بنت جبيل.

و حشد الناس لاستقبال الجنرال هو مثال لما كان المستغلون المتسلطون يتعاملون به مع الشعب سواء في العهد التركي أو العهد الفرنسي ثم في عهد الاستقلال.

فقد كانت السلطات تطلق يد رجل واحد في المنطقه كلها، فتعطى من يريد إعطاءه و تمنع من يريد منعه. و يقوم في كل قريه من يطلقون عليه اسم (الأفندي) يكون هو يد المتسلط الأ-كبر في محيط القريه التي يقيم فيها، و تكون أدوات الحكومه من جباه و درك تحت تصرفه، فينال بالضر من يخالفونه و بالنفع من يطيعونه. ثم هو ينفذ أوامر سيده الكبير الذي يعاونه بدوره على تركيز تسلطه. و هكذا يتجمع النفوذ في يد واحده عليا توزع هي النفوذ على يد في كل قريه.

متابعه الحركة الوطنيه

و كنت أتابع الحركة الوطنيه من خلال مطالعاتي لجريده المفيد التي كانت تصلنا بانتظام، و التي كانت تصاب بتعطيل السلطات لها بين حين و آخر، مما كان يبھظها ماليا، و لكنها ظلت صامده مستمره. فكنت أتابع ما يجري في البلاد و ما يفكر به الوطنيون مما كنت أقرأه يوميا في المفيد.

أول احتفال بذكرى ميسلون

و كما جاءت ذكرى ٨ آذار فاحتفلت بها المفيد احتفالا بيانيا بليغا - كما مر - و كانت تلك هي المره الأولى بعد الاحتلال التي يتعرض فيها متعرض لذكر ٨ آذار. كذلك جاءت الآن ذكرى اليوم الآخر المعاكس ليوم ٨ آذار، اليوم الذي هدم فيه استقلال سوريا في ميسلون يوم ٢٤ تموز. و كان أديب التقى قد نظم بعد معركة ميسلون نشيدا رمزيا لتحيه هذه الذكرى، لم يذكر فيه اسم ميسلون و لا- اسم يوسف العظمه، بل جعل عنوانه أمين الشهيد، فيه وصف لمعركه و قتال و استشهاد رجل أطلق عليه اسم أمين، و جاء في ختام النشيد:

وصى رفاقه و حياهم تحيه الحزين

يقول أ ما قدر الله وعدتم سالمين

قولوا لأهلى قد قضى تحت القنابل " أمين "

قضى شهيدا غازيا قد أدرك الفوز المبين

فلتتش الأمه و ليحيى الوطن دوما حصين

و كنا نحن فى المدرسه العلويه نحفظ هذا النشيد و نعلم أن المقصود بامين الشهيد هو يوسف العظمه، و أن ما جاء فيه من الحديث عن المعركه و العساكر كان المقصود به معركه ميسلون.

و لم يكن النشيد يثير ريبه الفرنسيين، لما فيه من غموض المقصد لغير العارف. و كان أديب التقى قد طبع هذا النشيد مع مجموعه أناشيد سماها أغاريد التلاميذ، و من هنا سار النشيد إلى كل مدرسه و الكل يعلم ما هو و من هو المقصود بالنشيد. و لم يكن فى ذلك الوقت الحرج مستطاعا أكثر من هذا.

و جاء يوم ٢٤ تموز سنه ١٩٢٤ بعد ذاك الكبت المرهق، و جاءت الذكرى و قد آن أوان الاحتفال بها علنا على رؤوس الأشهاد بعد مرور أربع سنوات على المعركه.

و لا أدرى الآن بمن كان اتصالى و لا كيف عرفت بأنه تقرر تحدى الفرنسيين و الذهاب إلى ميسلون و الاحتفال بالذكرى على قبر يوسف العظمه نفسه و فى ميسلون نفسها، و لكننى أذكر أننى بعد الظهر كنت فى المرجه ملتقيا باثنين من رواد الاحتفال لا أذكر الآن من هما و أننا كنا نفتش عن اثنين آخرين ليملنا معنا السياره التى ستنقلنا إلى ميسلون.

و بعد لحظات وجدناهما و مضت بنا السياره إلى ميسلون حيث وجدنا غيرنا قد سبقنا، و حيث تتالى وصول السيارات حتى اجتمع بضع مئات من الشبان و الكهول. و كنت أصغر الجميع سنا. و كان أبرز الحاضرين الدكتور خالد الخطيب أحد معتقلى أرواد الذى مر ذكرهم.

و كان الدكتور خالد جمره من الجمرات الوطنيه الذكيه المتلائمه، و قد أعطاه الله بسطه فى الجسم و العقل، و وهبه صوتا جهوريا مؤثرا و أداه خطاييه فاعله.

و تقدم قارئ للقرآن يتلو بصوت رخيم آيا من الذكر الحكيم فيها:

وا أسفا على يوسف!.

ثم برز الدكتور خالد الخطيب يرتجل خطابا استمده من نار ميسلون و دمها، و كفى بذلك..

ثم انبرى الجميع ينشدون بصوت واحد نشيد (أمين الشهيد) و هنا فوجئت بتغلغل النشيد فى جميع الأوساط الوطنيه و أن كل من فى دمشق و ربما فى غير دمشق أيضا يحفظون النشيد و يرددونه!.

و صحيح أن النشيد كان رمزيا ليس فيه اسم يوسف و لا اسم ميسلون و لكن قيمته كانت فى أنه مكتوب بمداد تحس أنه من تراب ميسلون و أنفاس يوسف العظمه!.

و قد كان صغر سننى و ما يبدو على من مظاهر الانفعال و التأثير سببا فى أن الجميع كانوا يحيطوننى بعطف و حنان و يدفوننى

إلى التقدم إلى جانب الضريح أثناء الاحتفال، حيث كان التواحم للوصول إليه ملموسا.

و كان بعض الحاضرين قد أحضروا معهم طاقات الورد و بعض الأكاليل، أما الأكاليل فوضعت على القبر و أما الطاقات فبقيت محموله بأيدي أصحابها. و تاثر أحد حاملي الطاقات بمنظرى فأسرع يقدم لى طاقة الورد التى كانت معه لأحملها بيدي.

و يبدو أنه كان مقررا أن يخطب الدكتور خالد الخطيب وحده، لذلك لم يتكلم أحد فيما عدا نصح الخرسا الذى استاذن بإلقاء بعض المقترحات..

ثم انتظم الجميع فى موكب واحد عاد فى مجموع سياراته فدخل دمشق دخولا حماسيا أثار تصفيق المشاهدين و ذكرهم باليوم الرهيب!.

هكذا جرى أول احتفال بيوم ميسلون بعد مرور بضع سنين على أحداثه. و هكذا مر أكبر تحد للفرنسيين فى ذلك الوقت.

أما خالد الخطيب فقد التحق بعد ذلك بالثوره السوريه، ثم مات بعيدا عن وطنه، و لم يعد إلى بلده حماه إلا جثه هامده!.

و أما نصح الخرسا فلم أعد أسمع عنه بعد ذلك شيئا.

كان الاحتفال بيوم ميسلون مؤثرا فى نفسى إلى حد أنطقنى لأول مره بالشعر، فلما عدنا من ميسلون نظمت أبياتا لا أزال أذكر صدر مطلعها و هو:

(سلاما أيها الثاوى سلاما)

أول مظاهره

بلفور صاحب الوعد الذى وهب فيه فلسطين لليهود، و الذى لا يوجد فى تاريخ العرب الحديث و ربما القديم من هو أشد إجراما، و أعظم إيذاء للعرب منه!.

بلفور هذا دعاه اليهود ليشهد احتفالهم بافتتاح جامعتهم العبريه فى القدس، دعوه تكريما له و تقديرا لما أداه لهم. و جاء بلفور فمر بمصر مجتازا إياها إلى فلسطين، و لم يثر وصوله إلى مصر أى شىء و لم يقابل باى تحرك أو احتجاج، إذ كانت مصر إذ ذاك بعيده عن الحس العربى لا يعينها فى شىء بلفور و وعده و تحركاته. و لو لا أن نفرا من الفلسطينيين و رفاقا لهم مضوا إلى محطه القطار الذاهب إلى فلسطين و المقل لبلفور فهتفوا هتافا ضعيفا ضاع فى زحمة الوداع الرسمى و ضجيج الحياه الصاخبه لو لا هذا لما كان لمرور بلفور فى مصر و نزوله القاهره أى صدى احتجاج أو غضب و شتان بين الأمس و اليوم فى تحسس مصر العربى. و وصل بلفور فلسطين فقابله العرب بالسخط مضربين متظاهرين، و قد كان من حقه أن لا يخرج من فلسطين حيا، ثم ها هو فى دمشق!.

إن مروره في مصر تحدى للشعور العربي أى تحدى، ثم أن تجوله في فلسطين إيغال في التحدى!

و ظل يوغل في التحدى هابطا إلى دمشق، نازلا في العاصمه العربيه الباسله، و قبلت دمشق التحدى و خرجت إلى بلفور، خرجت إليه بالقلب العربي المؤمن و الدم الشامى الفائرا!

خرجت إليه بكل عراقتها، و مشت بكل أصالتها، و اندفعت في الليل بمظاهراتها (و عراضاتها) شيبا و شبانا و فتيانا و صبيانا تحاول أن تقتحم عليه فندقه على ضفاف بردى!

و مشى النذير إلى الفرنسيين فاخرجوا بلفور من الفندق قبل وصول المظاهرات و مشوا به في طريق بيروت دالينه على الطريق إليها...

و استمرت دمشق طول الليل تغلى كالمرجل، و تجددت المظاهرات في النهار، و لم يكن لي نصيب في الاشتراك بمظاهرات الليل، و لكنني قمت في الصباح منطلقا مع المنطلقين حتى بلغنا أواسط شارع النصر، و هناك هاجمنا فرسان المغاربه بخيولهم و سيوفهم شاقين بها صفوف المتظاهرين، ضارين بالسيوف على الشمال و اليمين. و تشتت المظاهره بعد أن كادت ضربه سيف تلامس وجهي لو لا إلقائي بنفسى على الشجيرات الممتده في قلب الشارع.

و هكذا لم يستطع بلفور أن ينعم بالقرار في دمشق و لا استطاع أن يتخذ من ثراها مهجعا و لو ليله واحده.

و كانت هذه المره الأولى التي أشارك فيها بالمظاهرات مشاركته عمليه و أسير فيها مع السائرين و كان ذلك في أوائل سنه ١٩٢٥ على ما أذكر. ثم كانت لنا بعد ذلك مع المظاهرات أحداث و أحداث!

قراءات

و لا بد لي أن أشير هنا إلى أنى كنت أتوق إلى مطالعه كل ما هو جديد من الكتب، فعدا الصحف اليوميه التي كانت محصوره على الأغلب بجريده المفيد، و عدا المجلات الشهرية التي كانت هي الأخرى محصوره بمجله العرفان، فقد كنت أدخر كل ما أستطيع إدخاره من المال القليل الذي كان يصل إلى لشراء الكتب الحديثه. فمما قرأته في تلك السن.

كتاب مذكرات جمال باشا، و ما رأيت و ما سمعت للزركلي، و ملوك العرب للريحاني. و هذا الكتاب الأخير كان له في توجيهي النثرى أعظم الأثر، و تأثرت به إلى أبعد حدود التأثر، إذ حبب إلى أدب الرحلات و عند ما بدأت أجرب كتابه هذا النوع من الأدب كان أسلوب الريحاني فيه يجذبني فاحاول احتذائه منفعلا بتعاييره و طريقته. إلى أن أولعت بعد ذلك بالرحلات و كتابه انطباعاتي فيها بأسلوب مستقل.

و قد كان من فضل هذا الكتاب أن حملني على تسجيل معظم رحلاتي حتى توفر لي من ذلك كتاب كامل نشر كله مقالات متفرقه، و أرجو أن يتاح لي جمعها و طبعتها [\(١\)](#) و إذا كنت قد أشرت من قبل إلى فضل أديب التقى في تثقيف قلمي و دفعي إلى الكتابه، فأننى أود أن أشير هنا إلى أن الفضل في تحقيق ذلك كان لمجله العرفان التي احتضنت قلمي و كان لا يزال غضبا

طريا، و شجعتنى ما وسعها التشجيع. و أولى رحلاتى نشرت فى العرفان، ثم تتابع نشرها فيها، و ما كان لها أن تنشر فى غيرها لأسباب منها: أننى أنا نفسى لم أكن لأجرأ على بعث ما أكتبه لغير العرفان، ثم لنوعيه الرحلات، إذ كانت رحلات محدوده المكان و الزمان، لا تهتم غير قارئ العرفان فى الغالب.

و لما توسعت الرحلات و انتشرت فى كل مكان و أصبحت شيئا مذكورا، ظللت وفاء للعرفان و صاحبها لا أنشرها إلا فيها على الأكثر.

و من مطالعاتى المبكره تلك الأيام التى كان لها أبعد الأثر فى نفسى.

و وجهتنى بعد ذلك إلى التوغل فى دراسه التاريخ الإسلامى، هو ما كنت أطلعه فى كتب والدى التى كان ينشرها فى ذلك الحين و أخص منها كتابه المجالس السنيه الذى كنت أقرأه حين صدوره ملزمه ملزمه، و ربما قابلت معه التجارب التى تأتيه من المطبعه (البروقات)، فتنتطع فى نفسى الأحداث و يشوقنى ذلك للشغف فى قراءه أمثالها. و قد بلغ الأمر فى اطمئنان والدى إلى، أن اضطر مره للسفر إلى بيروت بينما كان يطبع الجزء الثانى من كتابه المجالس السنيه فعهد إلى أن أتولى - و أنا فى تلك السن - تصحيح التجارب و إعادتها إلى المطبعه، فقامت بالمهمه أحسن قيام، و عاد والدى بعد أيام و رأى العمل مستمرا لم يتوقف فى غيابه.

و أذكر أن مما أثر فى نفسى خلال قراءتى للمجالس، قصه مصرع حجر بن عدى، و قصه الحضين بن المنذر و ما قاله فيه أمير المؤمنين من الشعر يوم صفين، إذ كانت مع الحضين رايه ربيعه، و كان شابا صغير السن، فزحف بالرأيه فأعجب عليا زحفه فقال فيه هذه الأبيات التى هى من الشعر القليل الثابت أنه لأمر المؤمنين، و التى استظهرتها حين قراءتها:

لمن رايه حمراء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما

فيقدمها فى الصف حتى يزيها حياض المنايا تقطر الموت و الدما

تراه إذا ما كان يوم عظيمه أبى فيه إلا عزه و تكرما

جزى الله قوما صابروا فى لقائهم لدى البأس خيرا ما أعف و أكرما

و أحزم صبورا حين يدعى إلى الوغى إذا كان أصوات الرجال تغمغما

ربيعه أعنى أنهم أهل نجده و بأس إذا لاقوا خميسا عرمرما

و كذلك فقد كان لقراءتى كتاب (الامامه و السياسه) يد فى انجذابى إلى التاريخ و انفعلت كل الانفعال لقراءتى فيه قصه وقعه الحره. و ظللت أتابع قراءه كل ما تقع عليه يدي من كتب التاريخ فى مكتبه والدى.

و عدا ذلك فقد شغفت بقراءه الشعر و استظهاره، و بدأت أعد دفاترى لتسجيل ما استحسنته من الشعر، فاستظهرت منه فى تلك

السن قدرا صالحا. و إنى لآسف أن كل تلك المجاميع التي دونتها قد ضاعت.

و مما لا يزال عالقا فى ذهنى من مستظهرات تلك الأيام قصيده لخير الدين الزركلى الذى كان فىمن اضطروا لهجر البلاد بعد معركة ميسلون و استقر فى مصر، و التقى فيها بعادل أرسلان فتطارحا الشعر الوجدانى الرقيق المعبر عن شوقهما لوطنهما و حينئذ إلى بلدهما، و شعورهما بالغربة و الوحشه، و تحسرهما على ما آل إليه أمر أمتهم.

فقد نشرت جريده المفيد قصيده الزركلى و جواب أرسلان فمما أحفظه

ص: ٢٦٦

١- طبع الكتاب بعد ذلك باسم: (من بلد إلى بلد).

من قصيده الزركلى منذ ذلك الحين و أكتبه الآن من ذاكرتى هذه الأبيات:

العين بعد فراقها الوطن لا ساكنا ألفت و لا سكنا

ريانه بالدمع أقلقها أن لا تحس كرى و لا وسنا

و القلب لو لا أنه صعدت أنكرته و شككت فيه أنا

يا طائرا غنى على غصن و النيل يسقى ذلك الغصنا

زدنى وهج ما شئت من شجنى إن كنت مثلى تعرف الشجنا

أذكرتنى بردى و واديه و الطير أحادا به و ثنا

و احبه أسررت من كلفى و هواى فيهم لاجعا كمننا

ما كنت أحسبني مفارقهم حتى تفارق روحى البدنا

يا موطنا عبث الزمان به من ذا الذى أغرى بك الزمنا

عطفوا عليك فإوسعوك أذى و هم يسمون الأذى مننا

و حنوا عليك فجردوا قضا مسنونه و تقدموا بقنا

كم ذا أغالبه و يغلبنى دمع إذا كفكفته هتنا

و من قصيده عادل أرسلان:

يا خير مهلا لا تثر شجنا حسبى و حسبك لوعه و ضنا

النيل ماء الشرق قاطبه لكنهم قد كدروه لنا

و لقد حبيت إلى هذه القصيد شعر خير الدين الزركلى، و خير الدين نفسه و صرت أتابع شعره فوقع لى منه قصيدته الدالية التى

نظمها فى أعقاب يوم ميسلون و التى يقول فيها:

غلت المراحل فاستشاطت أمه عربيه غضبى و ثار وقود

و لقد رأيت جموعها و ثابه لو كان يدفع بالصدور حديد

على أننا لم نلبث أن فوجئنا بهجوم النجديين على الحجاز و إسقاطهم الملك حسين و إخراجه من بلاده. و قد كان الحسين يمثل فى نظرنا الصمود العربى الأصيل فى وجه المطامع الاستعماريه. و كان عناده و رفضه التسليم بواقع الانتداب الانكليزى فى فلسطين و ما وراءه من وعد بلفور مع ما يهدده من غضب الإنكليز من خسران للملك.

كان هذا الصمود من الحسين مثار إعجابنا و موضع تقديرنا، لذلك كان سقوطه صدمه قويه لنا، فإذا بالزركلى يشمت بالحسين، و يحمله و زر مغاضبه ولده عبد الله له، فينظم قصيده مطلعها:

صبر العظيم على العظيم جبار زمزم و الحطيم

هذه القصيده التى قالت عنها مجله العرفان يوم ذاك: "...و بمداد التشفى و قله النصف نظمت قصيده الزركلى".

فكرهنا الزركلى و أعرضنا عن شعره.

و لكن لم تلبث الثورة السورىه بعد ذلك أن اشتعلت فإذا بالزركلى شاعرها الغريد. و إذا بى أعود لاستظهار شعر الزركلى و لحب الزركلى، و هو حب اتصل بعد ذلك، إلى أن لقيته بعد سنين و سنين فزاد اللقاء الحب حبا.

و تنتهى الثورة السورىه فيلجأ بطلها سلطان الأطرش و عادل أرسلان إلى النبك فى صحراء الجوف. و هناك فى ذلك المتأى الكئيب يفاجأ عادل أرسلان بموت أخيه نسيب فيرثيه بقصيده تصل إلى فاستظهرها، و فيها يقول:

نفى النوم ما هاج الضمير المناجيا أ فى الغيب ما أخشى و إلا فماليا

و ذى تلعات النبك لاقت نواظرى تمثل فيها ضاحك الروض باكيا

على النخلات الخمس يطغين فى الضحى يشرن إلى المشتاق أن لا تلاقيا

تمايل من هوج الرياح كأنها نوادب يحثين التراب بواكيا

بلى قد مضى و القلب يهفو لذكره نسيب و خلى أهل الربع خاليا

فيا نائيا أواه لو أن نظره تزودتها من قبل أن صرت نائيا

و يا جدثا فوق الشويفات مشرفا بروض من الريحان ريان عاليا

طواك على الرمح الردينى خالق و أعمد فيك السيف عضبا يمانيا

و كنت أرجيها رساله واله على أمل اللقيا فكانت مراثيا

فيا لك من شعر سداه مدامع و لحمته نفس تذوب قوافيا

تحول قسرا فى النسب مراثيا و يا ليت لى ألفاظه و المعانبا

شقيقك من يعرفك يعرف مصابه و يرثى له راثيك حالا و آتيا

رأبت صدوع الدهر فى مواسيا و كنت لنفسى بالتعهد آسيا

بدرت لأمر كنت تعرف سره و تجعل منه للرجال مناحيا

و لولاه لم أصبر على البعد ساعه فعفوك عن بعدى سنينا ثمانيا

تطلعت أبغى من ذرى الشوف نظره فاعيت و قد أبعدت فيها المراميا

رمونا بديناميت حتى تقلقت جبال على حوران كانت رواسيا

فما غيروا القلب الذى كان مخلصا و لا أوهنوا العزم الذى كان ماضيا

و دبوا بابرّاج الحديد كأنها سلاحف ما يمشين إلا تهاديا

دوارع يلقاها الفتى و هو حاسر يصادمها بالفأس جذلان حاديا

فبيننا تراها زاحفات أذابها أسافلها صارت عليها أعاليا

توارىخها مسطوره فى متونها متونا بافعال الطبى و حواشيا

أقول لمن يبلو لدى الخطب صبرنا ترى الصبر فينا شيمه و تواسيا

و نركب للغايات قبل خيولنا من العزم و الاقدام جردا مذاكيا

هذا بعض ما لا أزال أتذكره من تلك القصيده الفريده.

و قد نشرتها أول ما نشرتها جريده الجامعه العربيه فى القدس و عنها نقلها جبران التوينى فى جريدته الأحرار و قدم لها بمقدمه طيبه و من الأحرار أخذتها و حفظتها.

و فى صحراء النبك التقى من جديد خير الدين الزركلى و عادل أرسلان. و عاد الزركلى من هناك فأرسل لعادل قصيده يقول فيها:

إلى بطلى فخر العروبه عادل مجير الحمى و الفارس الندب سلطان

إلى عصبه تأبى الغضاضه خيلها و فرسانها أكرم بخيل و فرسان

فأجابه عادل بقصيده يقول فيها:

بقيه أبطال لو أن زمانهم تقدم لم تسمع بعبس و ذبيان

قرأت لهم شعر الزركلى فيهم فهز بهم من نجده أى أغصان

و هموا فلو لا حكمه لا أذيعها سمعت الوغى ما بين حوط و عرمان

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليله و ليس بسوريا مقر "لغملان"

و من المؤسف أن شعر عادل أرسلان قد ضاع فلم يوجد بين أهله و عشيرته من يجمعه و ينشره، كما أن شعر الزركلى مطوى على الرفوف لا ينشر و لا يذاع.

ص: ٢٦٧

الاصطياف في جبل عامل

في خلال ما مر من الأحداث كانت الأسره تنتقل في أغلب الأعوام إلى جبل عامل في الصيف. و إذا كنت قد تحدثت عن انتقالنا في إحدى المرات من دمشق إلى جبل عامل عن طريق القنيطرة و كان هذا الانتقال في العربات حتى القنيطرة، ثم على الدواب من القنيطرة إلى شقرا، فأنى أقول هنا أننا صرنا في عهد انتشار السيارات و تكاثرها لذلك أصبحت الرحله من دمشق إلى بيروت تتم في السياره و أحيانا في القطار. و بالرغم من بطء قطار دمشق - بيروت فقد كان مألوفاً في السفر إلى بيروت لأن السيارات لم تبلغ من الكثره حدا يلغى السفر في القطار.

أما بالنسبه لنا فان تكاثر السيارات قد سهل لنا الانتقال فيها من بيروت حتى صور. و بذلك لم يعد السفر بطريق القنيطرة ذى موضوع لأن المسافه منها إلى شقرا على الدواب سفر طويل. و بسلو كذا طريق بيروت - صور كان علينا أن نأخذ الدواب من صور حتى شقرا.

لذلك كنا نأخذ سياره تضم العائله كلها إلى بيروت أو نأخذ القطار بدل السياره. ثم نأخذ السياره من بيروت إلى صور. و في صور نبيت ليلتنا.

و كان الوالد يختار منزل الشيخ عز الدين على عز الدين. و هو رجل على جانب كبير من الشهامه و الكرم و النبيل. و هو سليل أسره علميه دينيه من أشهر أسر جبل عامل.

و تكون قد وصلته برقيه من الوالد ليرسلها إلى شقرا لتكون الخيل جاهزه في صور. و في الصباح نأخذ الخيل مواصلين السير في الآكام و الجبال و الوهاد ممضين ما لا يقل عن سبع ساعات بين صور و شقرا.

مفوض سام جديد

نقل الفرنسيون مفوضهم السامى الجنرال ويغان. و جاء مفوض جديد هو الجنرال ساراي و وصل في ٢٢ كانون الأول ١٩٢٤. و كنت أتابع الأحداث أكثر ما أتابعها من خلال جريده المفيد كما مر.

جاء ساراي، و بدت تصريحاته باعته للأمل، كما أعلن عن إجراءات جديده كانت تبدو فيها عقليه جديده تختلف عن السابق. و ظهر بتصرفات في لبنان جعلت فريقاً من الموالين للفرنسيين على حذر منه، ثم على نفره و مقاومه.

و كانت الأوضاع في دمشق قد أخذت بالتبلور، و بدأ فريق من الوطنيين العاملين يستقربون الرأى العام و يتكتلون و يجتمعون. و شجعت تصريحات ساراي و تصرفاته على التجمع و التذاكر. فكان أن تألف وفد دمشقى للذهاب إلى بيروت و نقل المطالب الوطنيه للمفوض الجديد.

و عاد الوفد متفائلاً و كان مما دعاهم إليه المفوض هو تأليف الأحزاب، فكان لهذه الدعوه أثرها البالغ.

و تدارس الوطنيون الوضع فقرروا تأليف حزب سياسى وطنى يقود الحركه الوطنيه و يعمل على تنظيمها.

و كانت حوادث (كراين) التي تقدم ذكرها قد بلورت الزعامه الوطنيه، و كان للذين اعتقلوا في أرواد ثم عفى عنهم و عادوا إلى دمشق مكان الصداره، و كان يتقدمهم ثلاثه عبد الرحمن شهنيدر و سعيد حيدر و حسن الحكيم. فكان هؤلاء الثلاثه زعماء الحزب الجديد الذي أطلق عليه اسم (حزب الشعب) و انتخب عبد الرحمن شهنيدر رئيسا له و إحسان الشريف أمينا عاما، ثم أصبح حسن الحكيم هو الأمين العام و احتفل الحزب بانشائه احتفالا شعبيا خطب فيه فيمن خطب فارس الخورى الذي كان من أبرز رجال الحزب.

و استقطب الحزب كل المتحمسين بالفكره الوطنيه المتحمسين لها و أصبحت جريده المفيد لسان الحزب دون أن تسمى نفسها بذلك.

و كانت تصل إلينا أبناء لبنان و ما يلاقيه سراى من مقاومه عنيفه من الأكليروس المارونى و من يقول بقوله، حيث امتنع ساراى عن أن يخص البطريرك المارونى بما كان يخصه به أسلافه و امتنع عن ابتدائه بالزياره، و أعلن أن فى لبنان كذا من رجال الدين فلن يقضى وقته فى زيارتهم.

و كان قد عزل حاكم لبنان الفرنسى و عين مكانه حاكما فرنسيا جديدا يقول بقوله و يرى رأيه. و كانت اتجاهات ساراى و معاونيه اتجاهات لا- نقول إنها أقرب إلى تشجيع العمل الوطنى، بل يمكن القول أنها غير شرسه فى مقاومته، و كان أبعد عن الروح الاستعماريه المتغترسه لو لا الظروف الفريده التي انفجرت فجاه كما سيأتى.

و الحمله اللبنانيه على ساراى كان يقودها صنائع الاستعماريين الفرنسيين و بعض المتعصبه الحقودين الذين رأوا فى تصرفات ساراى شيئا لم يالفوه من قبل. و يؤسفنى أن أذكر أن ما ينسب إلى أصحاب بعض الصحف اللبنانيه من مواقف فى مواجهه حاكم لبنان الجديد (كايل)، ليست فى بواعثها مما يشرفهم، فقد كان ميشال زكور يصدر مجله المعرض الأسبوعيه فتصدت للسياسه الجديده التي بدأها ساراى و أخذ يطبقها (كيلا)، و لم يكن تصديها هذا عن دوافع وطنيه، بل عن دوافع إقليميه طائفيه ضيقه لا تشرف أصحابها.

و إلا فأين كان ميشيل زكور و أين كانت المعرض فى عهد غورو أو ويغان؟.

كنت أتابع أخبار حزب الشعب بشغف شديد، و أقرأ مقالات نجيب الرئيس اليوميه فى حديث اليوم فى جريده المفيد و مقالات يوسف حيدر التي كان يكتبها كل يوم و مقالات شقيقه سعيد حيدر التي كانت تظهر بين الحين و الحين. و لكن الجريده لم تسلم هذه المره أيضا من التعطيل، و أذكر أنه جاء الصيف صيف سنه ١٩٢٥ و المفيد معطله. و أن موعد سفرنا إلى جبل عامل قد حل و المفيد معطله.

إلى جبل عامل

و تركنا دمشق هذه المره فى سياره مضت فى طريق بيروت ثم انحرفت قبل الوصول إلى بيروت واصله إلى صيدا، و لا أدرى الآن من أين انحرفت السياره، و ما هو الطريق الذى سلكته فأوصلها إلى صيدا و وفر عليها مسافه كان لا بد لها من قطعها لتصل إلى بيروت ثم تخرج منها إلى صيدا. و من صيدا وصلنا إلى صور. و لم نبت هذه المره فيها فى منزل

الشيخ عز الدين بل واصلنا السير على الخيل إلى قرية طيردبا حيث مقر الشيخ حسين مغنيه و هناك حللنا لنعاود السير في صباح الغد إلى شقرا.

و كان والدى و الشيخ حسين مغنيه ألفين متحابين و صديقين متلازمين درسا في بنت جليل معا في مدرسه الشيخ موسى شراره، و سافرا إلى النجف معا، و عاشا هناك عشر سنين معا، و عادا من النجف معا، فاستقر الوالد في دمشق، و استقر الشيخ حسين في قرية طيردبا.

و كان الشيخ حسين إنسانا فريدا بعلمه و هديه و استقامته، و أصبح في جبل عامل علما باذخا، و رجل دين يمثل أنبل ما في الدين من فض الخصومات و الترفع عن الدنيا و السعى في الخير و خدمه الناس.

و كنت في كل مر أراه فيها سواء في طيردبا أو شقرا أمتلى من رؤيته شعورا بحبه و احترامه، و أشعر بانعطاف روحى إليه و أستمتع بحديثه و مجلسه أقصى ما يمكن أن يستمتع من هو في مثل سنى.

بتنا في بيت الشيخ حسين مغنيه، و لم تكن هي المره الأولى التى نبيت فيها فى بيته و نزل ضيوفا عليه. و قد كان بيته من أكرم البيوت و أنصعها، و هو ككل بيوت الجبل المعروفه لا بد فيه من العدد الوافر من الحشايا و ما إليها من وسائل النوم ليكون على استعداد دائم لاستقبال الضيوف النازلين.

و البيوت المضيافه كانت متهيئه دائما لمثل هذا، و كثيرا ما يتعاون الناس على تسهيل أمور بعضهم البعض فى مثل هذه الحالات. فربما نزل عدد من الضيوف كان من الكثره بحيث لا تستوعبه وسائل النوم العتيده. و هنا يكون من المؤلف أن يستعير المضيفون من خلصائهم فى القرية ما يرون أنهم بحاجه إليه من الحشايا و توابعها.

و ربما مررت فى موضع آخر بشىء من تقاليد الضيافه القرويه الكريمه.

لا تتضح الآن فى ذهنى معالم الطريق كلها من صور حتى شقرا، و لا أستطيع تعداد المراحل التى كنا نمر بها طيله الست الساعات أو السبع التى كنا نمضيها على ظهر الخيل فى ذلك الطريق. و قد أنساني الدهر تفاصيلها على كثره ما عبرتها.

غير أننى أذكر أنه كان لا- بد لنا بعد الخروج من قرية طيردبا من المرور بقرية معركه، و لا- أزال أتذكر أنه كان على جانب الطريق قرب معركه بضع شجرات من التين متفرده عن الكروم، كنا لا نحجم عن أن نقطف و نحن عابرون بعض أثمارها اليانعه.

ثم أننى أذكر من مراحل الطريق (عين الراموح) التى كنا نجتازها غير متوقفين. و يخيل إلى أننا كنا نمر قريبا من عين دير كيفا. غير أننى لا- أتحقق إلا- أننا كنا ننتهى إلى وادى السامر مارين قبله بعين الجرانيف قرب قرية خربه سلم، ثم بالزياتيه و هى مكان لعدد من شجر الزيتون.

على أننى أتذكر أننا كثيرا ما صعدا أو هبطنا (عقبه الطباله) الملاصقه لخربه سلم. و لا أدرى الآن هل كنا نصعدا ذاهبين إلى صور، و نهبطها قادمين منها. أم أن مرورنا بها كان فى سفرات أخرى؟ أرجح الرأى الأخير.

و كانوا يعللون لنا اسم (عقبه الطباله)، أنها كانت المكان الذى يستقبل فيه (الطبالون) بطبولهم الحكام الاقطاعيين العائدين إلى مقرهم.

و بعضهم كان يقول أنها ماخوذه من كلمه طبل (بتشديد ألباء) و ذلك أنها لشده ارتفاعها و صعوبه ارتقائها، كانت تحمل العاجزين على التظليل. و فى الاصطلاحات العامليه العاميه، أن يقال (طبل فلان) بتشديد ألباء، أى: أعيا و عجز عن السير. و بعد اجتياز وادى السامر كنا نصعد الثنيه واصلين إلى بير حميد.

و هناك تلوح لنا شقرا. ثم نهبط من بير حميد واصلين إلى الوادى المتصل بوادى نحله، و الذى هو جزء منه، فنقطع الوادى الضيق فى عرضه صاعدين فى عقبه الكاداء. و بمجرد دخولنا إلى الوادى نكون قد صرنا فى أرض شقرا، و يتتالى صعودنا حتى نصل إلى العين الفوقا أو (عين الفوقا) كما يطلق عليها هناك، و يكون المنتزه و عينه إلى يسارنا، ثم نكون بين كروم التين ماشين إلى المنازل.

و هذه البقعه من (عين الفوقا) و المنتزه إلى كروم التين ما قبل حريبه و بعد حريبه إلى ما يليها و ينحدر عنها و يتفرع منها تتصل بالنفس باعذب الذكريات و أحلاها، مما سيطول الحديث عنه فى الآتى من القول فى الذكريات العامليه.

على أنه لا بد هنا من كلمه فى وادى السامر الذى مر ذكره. و يلفظونه هناك بفتح الميم. و أحسب أن أصل الكلمه بدون ألف بعد السين، فيكون: (وادى السمر).

و هذا الوادى يقع بين عدّه قرى بين أهلها تواصل و تواد، فربما كان ملتقى للكثيرين منهم فى ليالى الصيف و الربيع حيث يسرون فيه، فأطلقوا عليه اسم (السمر).

و هو واد يكاد يربط بين (شقرا) و (الصوانه)، و لا يفصله عن الصوانه إلا (خله الداليه) حيث ينتهى الوادى قبلها فى خله السيده و زيتونات الزياتيه، ثم يصل السائر منها إلى (خله الداليه) فيصعدها واصلًا إلى الصوانه.

أما من ناحيه شقرا فينتهى الوادى قبيل (بير حميد)، حيث يصعد الصاعد منه فى الثنيه إلى بير حميد، ثم يهبط إلى الوادى الموصل بأرض شقرا.

فهو إذن الطريق المستقيم الواصل بين القريتين، و لا يوجد بينهما طريق يحمل اسما مستقلا يدانيه بالطول و بعد المسافه، بل أن الأسماء الأخرى تشغل جزءا لا يذكر أمام حيزه. و بذلك كثر ترديده فى شقرا و فى الصوانه على السواء. لما يربط بين أهل القريتين من روابط القربى فى أسره من

الأسر التي تتوزع بين القريتين، و هي الأسره التي ينتمى إليها صاحب هذه الكلمات.

لله تلك العهود التي كان لا- يمضى يوم فيها إلا و اسم وادى السامر مذكور فيه، و لله تلك الرحلات الجميله بين القريتين أيام الربيع و الصيف!. و لله تلك الساعات التي يقال فيها فى شقرا:(سياد الصوانه) هنا فتتعقد الحلقات و تعلق الضحكات و تطول الأحاديث!..

بل ربما كان مجيئهم و مجيء غيرهم من أفراد الأسره من عشرون و مجدل سلم مبعثا لكثير من الشعر الطريف الذى يمثل الحياه العامليه بكل ما فيها من ترف و شطف و جد و لعب!.

و قد ضاع كل ذاك الشعر فيما ضاع من التراث العاملى لأن أحدا لم يعن بتدوينه و إنما تلى بوقته، و سجل فى وريقات، ثم ضاع!.

و أذكر من هذا أبياتا من قصيده قيلت فى بعض من قدموا من عشرون و الصوانه، راكبين على خيل ربطوها، ثم غابوا فلم يعودوا على العشاء عند مضيئهم الذى كان ينتظرهم، فقال فيهم قصيده لا أزال أحفظ منها هذه الأبيات:

خذوا القواديش لا تبقوا القواديشا و لا تخلوا لنا الجرد (المفاليشا)

و فيها يقول:

لو أن (سلعا و باريشا) لنا بلد عفنا لأجلكم سلعا و باريشا

و لو فعلتم كهذا الفعل فى بلد ألقوا عليكم (برابيشا بارابيشا)

و الذى يعرف المصطلحات العامليه و يعرف ما تعنيه كلمه (المفاليش) و (البرابيش) يدري ما فى هذا الشعر من طرافه!..

و سلعا و باريش قريتان فى جبل عامل.

شقرا

و وصلنا إلى شقرا على أمل العوده إلى دمشق فى نهايه الصيف دون أن ندري ما كان يخبئه القدر للبلاد كلها، و دون أن نعلم أن مجيئنا هذه المره يختلف فى مصيره عن كل مره.

و كان أشد ما يملأ نفسى هما هو انقطاعى عن تتبع الحركه الوطنيه تتبعها كاملا بسبب انقطاع وصول الجرائد إلى و ندره الحصول عليها.

و إذا وقع و حصلت على بعضها كان الحصول متأخرا.

ثم أن الجرائد التي كانت تصل هي جرائد بيروت و لم يكن منها في ذلك الحين من يمثل الفكره الوطنيه إلا جريده الحقيقه لصاحبها كمال عباس التي كانت تمثل الدعوه الاستقلاليه العربيه أبلغ تمثيل، و إلا جريده الأحرار التي كان المشرف الفعال عليها جبران تويني. و كانت الأحرار قد أصدرتها شركه مساهمه فيها جبران تويني و ترك تحريرها له. و كان صدور هذه الجريده حدثا صحفيا ضخما، إذ أن التويني كان صحفيا موهوبا فطور الصحف البيروتيه تطورا كبيرا و قفز بها قفزات جعلت منها شيئا جديدا لا سابقه له في البلاد. و فضلا عن التطوير في التحرير و التبويب، فقد كان التويني يتفرد بمماشاه الصف الوطنى و الترويج له و الدعوه إليه. و كانت جريدته صدى للحركات الوطنيه فى سوريا و لبنان على السواء.

و هو أول من اتخذ للجرائد مراسلين فى الخارج، فاختار نجيب الرئيس مراسلا له فى دمشق. و صارت رساله دمشق تحمل أخبار التحركات الوطنيه فتنشر فى الأحرار موزعه فى كل مكان. و كنت إذا سافر مسافر من شقرا فان أعظم ما أوصيه عليه هو أن يحضر لى معه فى عودته جريده.

على أن ما فاتنى من متابعه الاطلاع على الجرائد اليوميه كنت أعوضه بعض التعويض بمتابعه الاطلاع على مجله العرفات [العرفان] التي كانت تصلنا شهريا. فقد كانت تسد جزءا من الفراغ الذى صرنا فيه من انعدام المطالعه اليوميه للصحف...

الثوره

لم نكد نستقر فى شقرا، و لم نكد نحصل على بعض الصحف حتى رحنا نطالع فيها طلائع تحرك ضخم فى سوريا. و أخذت الأنباء منقلبه على الشفاه، و محموله من مكان إلى مكان تصل إلينا، و فيها ما يشعر بان جبل الدروز غاضب على السلطات الحاكمه.

و لم نكن نستطيع أن نعنى حقيقه ما يجرى لأن الصحف لا تحمل الأنباء الصريحه، كما أن ما تتداوله المجالس التي نحضرها لم يكن واضحا كل الوضوح.

و من ذلك أن رجلين دمشقيين جاء إلى شقرا كنت أعرف أحدهما لأنه كان من صحابه والدى المقربين إليه و لم أكن أعرف الآخر، و لم أكن قد رأيت من قبل، ثم اختلى الرجلان بوالدى خلوه طويله لم ندر ما دار بينهما و بينه فيها من أحاديث و بات الرجلان فى شقرا و فى الصباح الباكر غادراها عائدين إلى دمشق دون أن نعرف شيئا عن مهمتهما. ثم عرفنا بعد ذلك أن مهمتهما كانت إبلاغ والدى عما يجرى من إعداد للثوره و التشاور معه فى شئون هذا الاعداد.

ثم تتابعت الأنباء - شيئا فشيئا فعرفنا أن الثوره الفعلية قد نشبت فى جبل الدروز، و أن المعارك مشتعله. و فجاء وصلت إحدى الصحف البيروتيه و فيها النداء البليغ الذى أذاعه سلطان الأطرش داعيا السوريين جميعا إلى حمل السلاح و الثوره على الانتداب.

و قد تكررت فيه كلمه: إلى السلاح...

و علقنا الصحف على النداء قائله بما معناه: أن الحقيقه كما هو معلوم أن القوم ثاروا لغير هذا الهدف. و أحسب الآن أن الصحف قالت أنها تنقله عن جريده المقطم المصريه، و أن التعليق كان للمقطم نفسها.

و بت متلهفا على تتبع أنباء الثورة، و لم يكن الفرنسيون قد أعلنوا الرقابه على الصحف بعد، لذلك كانت الصحف تنشر كل يوم ما يبلغها من أخبار. ثم علمت بما جرى للجنرال ميشو و حملته و ما انتهى إليه أمر جيشه من الهزيمة النكراء.

ثم أخذت أخبار الثورة تتوضح و تنجلي على أبرز حال. و أريد أن

ص: ٢٧٠

أسجل هنا بأنه كان لجبران التويني و لجريده الأحرار الفضل بتعميم أبناء الثورة بشكل صريح. و كان نجيب الريس لا يزال مراسلا في دمشق فكان يمدّها بالأخبار الثوريه فتفتح الأحرار صدرها على أوسع ما يمكن.

و لم تكن تصلني الأحرار بانتظام، و لكن ما كان يصلني منها كان ينعش نفسي و يرضى شعوري!.

ثم علمنا أن الفرنسيين أطبقوا على قاده حزب الشعب في دمشق ففر منهم من فر و قبض على من قبض عليه. و كان إعلان الثورة قد اتفق عليه بين زعماء الجبل و بين وطنيي دمشق بعد أن تعهد هؤلاء بالانضمام إلى الثورة في حاله بدء الزحف، و تواعد الدمشقيون على اللقاء في الغوطه و الوصول إلى الجبل، فخرج من خرج و على رأسهم الدكتور عبد الرحمن شهيندر و سعيد حيدر و حسن الحكيم و قبض الفرنسيون على من بقى و بينهم يوسف حيدر صاحب المفيد و نجيب الريس محررها الأول و مراسل الأحرار في دمشق. كما قبضوا على الوطنيين في غير دمشق و نفى الجميع إلى جزيره أرواد.

و أذكر من أخبار الثورة في تلك الأيام تقدم فرسان الدروز إلى دمشق، ثم إعلان الفرنسيين صدهم بالطائرات و المصفحات بعد اعترافهم بأنهم لم يكونوا بعيدين عن دمشق.

و توالى أحداث الثورة و توالى انتصاراتها، و بدأت تعم البلاد و تمشي من بلد إلى بلد. و كنت حين ذاك أحس بفيض من الزهو يملأ نفسي لما كان ينزل بالفرنسيين من هزائم.

ثم وضحت صورته الثورة أمام أبصارنا و عرفنا من حقيقه معارك الجبل ما لم نكن قد سمعنا عنه إلا القليل. فقد كانت هزيمه الجنرال ميشو هزيمه كبرى ذبح فيها جيشه أو تشرّد و استولى الثوار على المدافع و كل الأسلحة و أضحت فرنسا في البلاد بلا جيش يرد عنها الهزائم.

و مشت الثورة إلى الغوطه و انضم إليها الدمشقيون و الغوطيون، و تالق اسم حسن الخراط الحارس الدمشقي البسيط و أصبح بطل معارك الغوطه و زعيم عصابتها، ينازل الفرنسيين و يرعبهم.

و استضعف الثوار قوه الفرنسيين فقرروا اقتحام دمشق، و اقتحموا بالفعل و نفذوا إليها من كل جانب، و قصدوا إلى مقر الجنرال ساراي من قصر العظم قرب البزوريه حيث كان بيت طيله أيام الثورة و حاولوا أسره و لكنه استطاع النجاه قبيل وصولهم. ثم أمر مدافعه المنصوبه على الفمم المطله على دمشق أن تصب حممها على المدينه الباسله، فانهالت القنابل تحرق و تدمر، قنابل المدافع و قنابل الطائرات.

و وصلتنا الأخبار بتفاصيلها، و علمنا فيما علمناه أن حيناً قد كان عرضه للقنابل، و أن (دخله الشرفا) نفسها أصابتها النار الغاشمه، و أن صحابا لنا من الجيران قد فقدوا أبناءهم و أطفالهم!..

ثم إذا بالثوره تطل علينا نحن، و إذا بها تغدو على مقربه منا، فقد تقدم الثوار بقياده زيد الأطرش و احتلوا وادي التيم و نزلوا حاصبيا و مشوا إلى كوكبا فقاومتهم فضاولوها فنالها ما ينال من يقف مثل موقفها. فاستغل الفرنسيون و أذناهم الحادث و عملوا على تشويه وجه الثورة الناصع، و أثاروها طائفه بشعه!..

و فى يوم كنا فى شقرا نستطلع الأخبار، و نتوقع الحوادث فإذا بنا نشاهد عن بعد دخانا كثيفا يتعالى فى الجو و يمتد ثم يمتد إلى العلاء فحدس الحادسون بان جديده مرجعيون تحترق. و قد صح حدسهم، فان ضابطا لبنانيا أرعن كان يقود قطعه مما سماه الفرنسيون (القناصه اللبنانيه) و هم جنود لبنانيون تطوعوا فى الجيش الفرنسى - إن هذا الضابط أبى إلا المقاومه فى الجديده. و لكنه لم يلبث أن هزم هو و قناصته و دخل الثوار الجديده دخول المنتصرين مما أدى إلى إحداث الحرائق التى شهدنا دخانها من تلك المسافه البعيده.

و قد آلمتنا أحداث كوكبا و الجديده. و أذكر أن شاعرا متفرنسا نظم مقطوعه يحيى بها كوكبا و يحمل على الثوار نشرتها له مجله المعرض، لا أزال أذكر ختامها و هو هذا البيت:

أو شئت تشهد معقل الأبطال فاقصد "كوكبا"

فأثارتنى ذلك فرددت عليه بمقطوعه جعلتها فى تحيه مجدل شمس التى كان أبناؤها فى طليعه الثوار:

إن رمت تظفر بالألى بذلوا النفوس و ما غلا

من كل أروع باسل متن الفخار قد اعتلى

يحمى بصفحته إذا حمى الوطيس المعقلا

يرد الوغى و شعاره إما الممات أو العلى

أو شئت تشهد معقل الأبطال فانح "المجدلا"

و من البديهي أن مقطوعتى لم تظهر إلا لبعض الأصدقاء.

أما مجدل شمس التى سميتها معقل الأبطال، فهى اليوم ترزح تحت الاحتلال الصهيونى!.

ألا: سلام على تلك الأيام التى كانت البلاد تضطرم فيها بنار الثورة:

نار الآباء و الشهامه و البطوله و الشمم.

سلام على تلك العهود التى حمل فيها الشعب الأعزل ما تيسر له من سلاح و مضى يذود عن شرف بلاده و كرامه وطنه و يقاتل فى سبيل حريته و استقلاله مناضلا أعظم قوه عسكريه فى ذلك العصر. القوه التى هزمت قبل بضع سنوات قوه ألمانيا الجباره و عطلت آلتها الحريه!.

الشعب الذى لم ينتظر مؤتمرات القمه، و لا ثرثره الثرثارين، و لا بيانات الجبناء، و بلاغات المتخاذلين. بل نادى: إلى السلاح! و ما كان سلاحه إلا بنادق متباينه و مسدسات متغايره صمد بها فى وجه المدفع و الرشاش و قاتل بها الدبابه و المصفحه. و هزم بها

(الجزرالات).

سلام على تلك الأيام، و البلاد تنوء بالاستعمار، و ترزح تحت الانتداب. و لكنها تقاتل و تحارب!..

و لا سلام على هذه الأيام، و البلاد تنعم بالاستقلال و لكنها تستكين للسلم الذليل!.

و فى هذه الفترة كانت قد بلغت الثورة أوجها و سيطر الثوار على ما يقرب من نصف سوريا، و ها هم الساعه يطلعون على لبنان و يوغلون فيه، حتى لقد كتبت المعرض مقالا عنوانه: هل نحن على بركان؟!.

ص: ٢٧١

و كثرت الإشاعات و توالى الارهاصات، لقد بدت طلّائع تحركات فى الشوف، إذا كانت ذات صبغه فرديه و محاور محدوده، فقد كانت ذات دلالة كبرى. و بدأ أن الخطوه التاليه بعد مرجعيون هى النبطيه...

على أنه من ناحيه ثانيه كانت الامدادات الفرنسيه قد وصلت بطريق البحر و انطلقت فى اتجاه جنوب لبنان لصد المد الثورى، و كانت إمدادات قويه يحسب لها كل حساب.

و لكن الموقف الحاسم الذى أوقف تقدم الثوار، ثم ردهم عن مرجعيون نفسها، كان الفشل الذى أحاق بهم فى محاولتهم احتلال قلعه راشيا الوادى، حيث كانت تقيم قوه فرنسيه حاصرها الثوار، ثم حاولوا الصعود إلى القلعه على السلالم التى نصبوها، فكانوا كلما احتشدوا على السلم حصدتهم الرشاشات فتهاووا صرعى إلى الأرض. و مع ذلك فقد استطاع فريق منهم الوصول إلى القلعه و دخولها مما أربع الفرنسيين.

و كانت النجدات الفرنسيه تسرع فى الوصول إلى القلعه فتقدمت طائره ألقّت برساله فوق القلعه، و لكن الريح حملتها إلى الخارج فسقطت بعيدا عن القلعه. و كانت راهبه لبنانيه قد رأتها تسقط فالتقطتها و حملتها إلى من فى القلعه. و يبدو أن الثوار ترفعوا عن أن يتصدوا لامرأه تحاول اللجوء إلى القلعه، لا سيما و هى فى ثياب الراهبات، فتركوها.

و كان فى الرساله دعوه للمحصورين إلى الصمود لأن النجدات أصبحت وشيكه الوصول إليهم. و هكذا صمد الفرنسيون بعد أن كادوا يستسلمون، ثم فوجئ الثوار بالجنود ينقض عليهم من الخارج بينما النار تنصب عليهم من الداخل، فكان ذلك كافيا لتشتتهم، بعد أن أبدوا من البطولات ما كان خليقا بنى معروف الأنجاد، و ما هو إلى الأساطير أقرب منه إلى الحقائق لما فيه من البساله المنقطعه النظير، و الاستهانه بالموت استهانه رائعه!..

و كانت معركة راشيا هذه حدا فاصلا فى تاريخ الثوره، أخذت بعده تتراجع تدريجيا. و لو قدر للثوار الفوز بالسيطره على القلعه و اقتحامها لكان للثوره شان أى شان...

و قد جاءت أنباء راشيا تملأ نفسى هما و أسى ظلا يطغيان عليها يوما بعد يوم، لأن أنباء الانتصارات كانت تمتزج بانباء الفشل، حتى عاد الأمر بعد ذلك كله فشلا و تراجعاً.

و فى هذه الأثناء شاع شعر الشاعر القروى رشيد سليم الخورى و شعر الياس فرحات الثوريين و حفظنا قصائدهما عن ظهر قلب، بل و يمكن القول أننى سمعت باسم القروى لأول مره مع سماعى لقصيدته العينيه إذ كنت فى صيدا لأمر خاص، و فى إداره مجله العرفان اطلعت على القصيده و نقلتها معى و أذعتها فى جبل عامل، فانتشرت فى كل مكان فيه.

و إليك ما وعته الذاكره من تلك القصيده التى خاطب فيها سلطان الأطرش:

خففت لنجده العانى سريعا غضوبا لو رآك الليث ريعا

و حولك من بنى معروف جمع بهم و بدونهم تفنى الجموعا

كأنك قائد منهم هضابا تبعن إلى الوغى جبلا منيعا
ألم يلبس عداك (التنك) درعا فسلهم هل وقى لهم ضلوعا
و مذ هطل الرصاص عليك سحا كوسمى جلوت به ربيعا
وثبت إلى سنام التنك وثبا عجيبا علم النسر الوقوعا
و كهربت البطاح بحد سيف بهرت به العدى فهووا ركوعا
كان به إلى الافرنج جوعا و سيفك مثل ضيفك لن يجوعا
تكفل للثرى بالخصب لما هفا برقا فامطرهم نجيعا
فخر الجند فوق "التنك" صرعى و خر التنك تحتهم صريعا
فيا لك غاره لو لم يذعها أعادينا لكذبنا المذيعا
و يا لك "أطرشا" لما دعينا لثاثر كنت أسمعنا جميعا

كيف نارت الثورة

الواقع أن نوايا الجنرال ساراي لم تكن من السوء إلى الدرجة الذى أظهرتها الأحداث التى رافقت وجوده فى سوريا و لبنان، و حين نريد أن نصف فان علينا القول بأنه شتان بينه و بين سلفيه غورو و ويغان. و يكفى أنه طلب إلى الوطنيين الذين قابلوه أن ينظموا صفوفهم أولا- و أن يؤلفوا حزبا سياسيا يوحد كلمتهم و يحدد مناهجهم. و يكفى أنه لم يتوقف أبدا فى إجازة حزب الشعب مع علمه بماضى رجاله و أهدافهم الاستقلالية.

و لكن الأمور سارت بعد ذلك بعكس هذا الاتجاه، و تطورت الأحوال إلى الحد الذى جعل من ساراي جزارا من جزارى سوريا، دون أن يقصد ذلك أو يتعمده..

و لا شك أن لحاشيه السوء التى كانت تحيط بالجنرال و التى لم يكن فى تصوره التخلص منها و لا فى علمه شىء من نواياها، هذه الحاشيه التى صورت له الأمور على غير حقيقتها، و لم تشأ أن توضح له ما يجب إيضاحه، و أن تبين المحاذير التى ستنتجم عن بعض التصرفات. بل على العكس، ربما تكون هى التى قادتة إلى المزالق التى وجد نفسه فيها، و التى دهورتة إلى أسوأ مصير..

قلنا فيما تقدم أن غورو أعلن جبل الدروز دوله منفصله عن سوريا، و لارضاء الدروز عين الجنرال حاكما منهم للجبل هو الأمير سليم الأطرش، ثم لم يلبث أن مات، فعين الفرنسيون مكانه ضابطا من ضباطهم الرعناء المهوسين، ممن يبدو أنهم نشاوا و سادوا

فى حكم المستعمرات و ألفوا الغطرسة و الاذلال. فسار فى حكم جبل الدروز سيرا كله شطط و رعونه و شراسه و إرهاق، مما كان له أسوأ الأثر فى نفوس الدروز الأشداء.. و لم تفد الشكاوى بل زادته غطرسه و تجبرا.

و حين جاء ساراي، رأى زعماء الدروز أن الوقت مناسب للمطالب بتنحيه كاربيه، و لكن الأمل فى نفوسهم كان ضعيفا، و كانت الحركة الوطنيه بعد تأليف حزب الشعب قد انتظم أمرها، و بدأت الاتصالات و توسعت المناهج و الخطط، فكان أن عقد اجتماع تمهيدى فى أوائل شهر أيار سنه ١٩٢٥ فى أحد البيوت الدمشقيه حضره فريق من زعماء الجبل مع فريق من قاده الوطنيين فى دمشق بحث فيه بتوحيد جهود العاملين، و أشير فيه لأول مره إلى القيام بثوره مسلحه.

و يبدو أن الفكره لقيت تجاوبا عند زعماء الجبل فتلا هذا الاجتماع اجتماع آخر موسع ضم معظم رجالات الجبل بمن فيهم شيخ مسيحي الجبل

ص: ٢٧٢

(عقله القطامي) تعاهد فيه الجميع على العمل يدا واحده لا من أجل تنجيه كاريبه فحسب بل من أجل الوحده و الاستقلال، و اختمرت في النفوس فكره الثوره و تقرر أنها هي الطريق الوحيد للوصول إلى الحق.

و في ١٥ أيار سافر الكابتن كاريبه باجازه إلى فرنسا، و قد رأى زعماء الجبل و جوب الاتصال بالسلطات الفرنسيه لوضع حد لطغيان كاريبه و الخلاص من الوضع القائم فأمر وفد منهم دمشق و منها أبرقوا للجنرال ساراي طالبين موعدا لمقابلته. ثم قصدوا إلى بيروت و لكن ساراي رفض مقابلتهم، و بعد توسطات أحالهم على الأمين العام، فلم يصنع شيئا فعادوا محنقين.

و تتالت الأحداث فلجا ساراي إلى أمر مشين، إذ بعث بتاريخ ١١ تموز إلى مندوبه في دمشق ليدعو إليه عددا من الزعماء الكبار باسم التفاوض و إنهاء الأمر حتى إذا وصلوا اعتبرهم مسئولين عن كل ما يمكن أن يحدث في الجبل، ثم أبقاهم بيديه رهائن يعتقلهم في أحد المعتقلات..

و هكذا تم له ما أراد فنفي بعضهم إلى تدمر و بعضهم إلى الحسكه..

على أن أخطر الزعماء (سلطان الأطرش) أبي القدوم إلى دمشق و بذلك ظل في منجاة من الاعتقال.

و حسب الفرنسيون أنهم يستطيعون القبض على سلطان فجهزوا حملة صغيره يناهز عددها المائتي جندي و ضابط بقياده النقيب نورمان، فهاجمهم سلطان في الثاني و العشرين من شهر تموز ١٩٢٥ أي بعد خمس سنين من يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ يوم معركة ميسلون. فلم يثبت الفرنسيون لسلطان فاييدوا. ثم جمعوا قواهم كلها في قلعه السويداء و تقدم سلطان إلى السويداء فدخلها و بدأ حصار قلعتها.

و لكن كان على ساراي أن يفك الحصار عن قلعه السويداء فجهز حملة بقياده الجنرال ميشو أيقن أنها كافيه لانتهاء التمرد و التغلب عليه. و من بلده أزرع تقدمت الحملة و عددها سبعة آلاف جندي مجهزه بكل أدوات القتال، و مشت في أول آب ١٩٢٥ متجهه إلى السويداء فلاقها بنو معروف ببسالتهم المعروفه فلم تصمد لهم و كان نصيبها نصيب حملة نورمان على فرق ما بين الحملتين من حيث العدد و العدد.

و غنم الثوار من سلاحها ما كان لهم عتادا يعز مثيله لا سيما من المدافع بدخاثرها.

و كان في هذه الحملة جل ما يملك الفرنسيون من قوى فلو واصل الثوار زحفهم إلى دمشق لدخولها منتصرين.

و بالرغم من التكتم الشديد الذي حاول الفرنسيون به إخفاء حقيقه النصر الباهر الذي أحرزه الثائرون فقد تسربت أنباء هذه المعركة إلى كل مكان، و وصلتنا أخبارها.

و بعدها أدرك ساراي أنه كان مخطئا في سوء معاملته لرجال الجبل فحاول مفاوضتهم و استرضاءهم و أطلق المعتقلين منهم في تدمر و الحسكه منذ ١٣ تموز فعادوا إلى الجبل.

ثم أرسل وفدا من دروز لبنان إلى الجبل لوضع حد للأعمال الثوريه و في نفس الوقت [الوقت] طلب من فرنسا تعزيزا عسكريا.

وقد التقى في الجبل نوعان من الوافدين نوع لبناني يمهد للسلام و نوع دمشقى يدعو لاستمرار القتال. و فى الوقت الذى كاد السلم أن يتحقق وصل الدمشقيون فرجحت كفه القتال.

مفوض سام جديد

بعد فاجعه دمشق و قصفها بالطيران و المدافع و تشعب الأمور و امتداد الثورة قررت الحكومة الفرنسيه استدعاء ساراي، و أرسلت بدلا منه لأول مره منذ الاحتلال الفرنسي مفوضا مدنيا ليعالج الأمور و يصلح ما فسد منها، هو دو جوفنيل. و فى نفس الوقت كانت الامدادات الفرنسيه يتوالى وصولها قادمه بطريق البحر إلى بيروت و منها مرسله إلى مختلف المناطق.

و قدم جوفنيل معرجا على مصر ليقابل من بها من السوريين للتفاهم و التفاوض و لكن لم يكن لذلك من نتيجته. ثم وصل بيروت فى أول كانون الأول ١٩٢٥ و قامت محاولات للتفاوض و التوفيق و مضى وفد لبنانى دمشقى للاتصال بالثائرين فقصد درعا و منها إلى عرى و التقى بالزعماء الذين عرضوا أدنى ما يمكنهم قبوله. و تألف وفد دمشقى للاتصال بالمفوض فى بيروت، و حدد مطالبه، و لكن هذا الاتصال لم يؤد إلى شىء. و هنا أعلن رئيس الاتحاد السورى استقالته فعجز المفوض عن إيجاد خلف له، لذلك أعلن تعيين فرنسى حاكما لسوريا. ثم حاول المفوض أن يفصل بين قضيه جبل الدروز و القضيه السوريه لمخاطبه الدروز رأسا و لكن المحاولة لم تثمر.

و حاول أن يجرى انتخابات فى سوريا ففشل، و كان يبدو متخبطا لا يدرى ما يصنع.

و لستر الاخفاق قرر الاعتماد على العمل اللباني فقرر إعلان الجمهوريه اللبانيه و استبدال رئيس لبنانى لها بالحاكم الفرنسي و إنشاء مجلس شيوخ إلى جانب المجلس النيابى و إعطائها كل بهارج الجمهوريات دون حقائقها.

و اعتقد أنه بهذه المظاهر الجمهوريه يمكن أن يغرى الثائرين. و لكنه لم يصل إلى أيه نتيجته فرأى من الأفضل له أن يعود من حيث أتى. فغادر البلاد فى الثامن و العشرين من شهر نوار ١٩٢٦.

موقف مجلس لبنان من الثورة

عند ما وصل الثوار إلى أطراف لبنان و اشتبكوا مع القوات الفرنسيه ثم تقدموا داخل لبنان اجتمع المجلس التمثيلى اللباني فى أول كانون الأول ١٩٢٥ و أصدر قرارا باقتراح النائب شبل دموس خالفه كل من النواب: فؤاد أرسلان و عمر بيهم و عمر الداوق و جميل تلحوق.

و هذا نص القرار:

"لما كانت حوادث العصيان التى ابتدأت فى جبل حوران قد تطاير شررها إلى الأطراف الجنوبيه الشرقيه من لبنان فتناولت حاصبيا و راشيا و ما يتبعهما من القرى المجاوره فألحقت بالبلاد ضررا فادحا بالأموال و الأرواح.

و لما كانت هذه الحوادث فى قرانا التى على الحدود غير مستنده إلى مبدأ يبررها.

و لما كانت حكومه لبنان المحليه غير مجهزه بجيش نظامى يرد غزوات الطامعين و كانت على ثقه تامه من حمايه الدوله المنتدبه للبلاد عند الحاجه قياما يعهدا الذى قطعته مع جمعيه الأمم.

ص: ٢٧٣

و لما كانت قوه الجندرمه المحليه على قله عددها قد قامت بواجبها أثناء مهاجمه الحدود. و لما كان لبنان بانفصاله سياسيا عن جارته سوريا و جبل الدروز يرغب فى البقاء فى عزلته و حياده التأمين. و يعتبر تصدى الخوارج لمهاجمه أطرافه تعديا على استقلاله و افتراء محضا على حريته و مصالحه فان هذا المجلس يقرر ما يلى:

١ - إن هذا المجلس يعتبر هجوم الثوار على حاصبيا و مرجعيون و راشيا تعديا على استقلال لبنان و حريه سكانه.

٢ - يرفع هذا المجلس شكره بالنيابه عن البلاد إلى الدوله المنتدبه الكريمه لما قامت به حتى الساعه من التضحيات بالأرواح و الأموال للذود عن حياض لبنان و العمل على سلامه سكانه و ضمان استقلاله.

٣ - يقدر مفاده الجندرمه اللبانيه حق قدرها و يثنى على ثباتها و شجاعته.

٤ - يؤكد هذا المجلس للدوله المنتدبه بقاء البلاد على ولائها لها و محبتها التقليديه غير المترعزه.

٥ - يطلب هذا المجلس من دوله الحاكم إبلاغ الدوله المنتدبه هذا القرار بالصوره الرسميه.

الحليشه

وصلنا إلى شقرا فى مطالع الصيف، و للصيف فى القرى العامليه حياه شيقه حلوه. فمنذ تبدأ حقول (القطانه) بالاصفرار، ثم تيبس تلك الأباطح المكسوه بنبات العدس و الباقيه و الكرسنه. يبدأ فى القرية موسم (الحليشه)، و هو أول موسم من مواسم الحصاد، و لكن هذا الحصاد لا يقتضى له مناجل و مقاطع، و لا زنود قويه و سواعد فتيه، بل أن الأيدى الناعمه هى التى تتولى حصاد حقول (القطانه) و ذلك لقصر سيقان العدس و الباقيه و الكرسنه و ضعف تكوينها و سهوله اقتلاعها. لهذا تتولى (الحليشه) فتيات القرية لافتيانها، و صباياها لا شبانها، و قد يشارك بذلك عجائزها لا شيوخها!..

فانى صعدت فى الذروات، و أنى صوبت فى الوهدات، و أنى أصغيت فى الإسناد و الأصواح و السفوح، فانك ستسمع أبدا أصوات الصبايا منطلقه بالأغانى القرويه الجميله!.

هاهنا تنطلق النفوس المكبوتة التى أضواها الحب فلم تستطع التعبير عنه فى المجالس و الندوات، هاهنا تنطلق معبره عنه تعبيراً شاعرياً أخاذاً، هاهنا يتنوع الشعر فهو إما رمزى خجول يأخذ بالكنايات و التوريات أو صريح واضح، و لكن صراحه مهذبه خجلى!..

هاهنا تنطلق الأصوات باغانيتها العاطفيه على مداها الواسع لا تحدها الجدران، و لا توقفها السدود، بل أن لها فى البر المديد ما تظل تدوى به ما شاء البر لها أن تدوى! يا لروعه أيام (الحليشه) فى القرية، و قد اصفرت الحقول، و يبست الزروع، و استحالت البرارى الواسعه من مروج خضراء، إلى سهوب صفراء، لتنتقل فيها الأيدى الناعمه باجتثاث سيقان العدس و الباقيه و الكرسنه، راکضه ركضا و متلاحقه تلاحقا و متوثبه توثباً! و يا لبهجه تلك الأرض، و قد علت فيها أغانى الصبايا و صيحات الفتيات، و يا لعظمه القرويه العامله، و قد انقلبت من ناعمه مستكينه، إلى جباره صاحبه تدق بقدميها الأرض و تقتلع بيديها الزرع، و هى فى

كل ذلك عاطفيه شائقه مشوقه!..

الأيدى الناعمه!. لا- ليست ناعمه تلك الأيدى التى تعمل فى الحقل و فى الغابه و فى الكرم و على البيدر و فى التنور!... إنها قاسيه قسوه الحياه فى هذه القرى، إنها صلبه صلابه العيش فى هذه الجبال!..

و لكننى فى حياتى كلها ما لمست يدا، كانت فى نفسى أرق من تلك اليد القاسيه، و لا احتويت كفا كان فى وجدانى أكثر نعومه من ذلك الكف الصلب!.. و لا- هفوت إلى حسن كان فى عيني أروع من ذلك الحسن العامل المجهد المكدود!.. و لا خفت قلبى بوجد كان أكثر إلهاما من الوجد بتينك العينين الشاردتين فى مدى الحقول، الهائمتين على ذروات الجبال و جنبات الأودية!..

الحصيده

فإذا انطوت (الحليشه) و عادت حقول (القطانه) جرداء إلا- من (أغمار) الزرع اليابس، و صارت صامته خرساء لا تسمع فيها إلا صوت الذكريات!.

فان حياه جديده تنتظر جوانب أخرى من جوانب القرية، و إن حقولا أخرى لا تزال خضراء يانعه تتهياً أن تيبس و تصفر. و تكون سواعد الشبان و زنود الفتيان قد تهيأت و هيأت مناجلها، ثم لا تبرح أن تمضى مع تالق الفجر و تبلج النور و تراكم الندى إلى الحقول اليابسه الصفراء ممسكه بسيقان القمح اليابس المصفر ملء أيديها اليسرى، معمله فيها بأيديها اليمنى مناجلها، فإذا بالحياه تدب فى ذاك الجماد و ذاك النبات!. و إذا بالأرض الصامته الخرساء تنقلب إلى حركه عارمه و صيحات متعاليه و مناجاه متتابعه و أفراح متضحكه!.

إنه عرس الحقول يحييه هؤلاء الفتيان بسواعدهم القويه و أكفهم الشديده و أجسامهم المديده!.

إنه عرس الحقول يتعالى فيه الشدو و تنفجر الحماسه و تفور القوه و تتجلى الحياه على أشرف مثلها و أنبل أهدافها!..

و هل أشرف من هذا العرق المتجمع حبيبات على هذه الجباه الشامخه و المتساقط ذرات على هذا التراب الطيب!.

و هل أنبل من هذه الأكف تجمع من الأرض غذاء أهل الأرض!.

الرجيده

و بعد (الحليشه) و (الحصيده) تجمع الزروع المحصوده كتلا صغيره تسمى كل كتله منها (الغمر) (بضم الغين و تسكين الميم) و تترك إلى حين، إلى الوقت الذى ينتهى فيه موسم الحصاد و تكون جميع الحقول مهياه لنقل الزروع الحصيده منها، و عند ذلك يخرج الفلاحون مع إطلاله الفجر، حيث يكون الندى متراكما فوق كتل الحصيد فتغدو به طريقه لا تتساقط سنابلها بالتحريك، فيعود التجميع من جديد تجميعا أكبر و تكتيلا أضخم، و عند ذلك تسمى الكتله اسما جديدا هو (البندك)، فيجمع كل

بندكين متوازيين بحيث يترك بينهما مريض للجمل، ثم تشد (البنادك) بحبال (البابير) المنقوع بالماء ليلين، ثم يؤتى بالجمال ليحمل كل جمل بندكين بعد بندكين، ناقلا (البنادك) إلى البيادر وهذا ما يسمى باصطلاح القرية (بالرجيده).

وقبل ذلك، وقبل إطلاء الصيف تكون تجاره الجمال قد راجت في كل القرى، وتكون قوافل الجمال المعده للبيع قد أصبحت تنتقل من قرية إلى قرية ليشتري الشارون ما يعدونه (لرجد) البنادك...

وهذه القوافل يتاجر بها تجار متخصصون يذهبون كل عام قبيل الصيف إلى دمشق القريه من البادية، حيث يفند الأعراب بجمالهم إليها فيقفونها في أسواقها الخاصه في الميدان، فيقبل التجار بأموالهم لشرائها، ثم يعودون إلى الجبل كل بما اشترى فيدورون على القرى للبيع..

وقد كان للجمل شان أى شان في القرية، فصاحب الجمل هو كصاحب الشاحنه اليوم، فعلى جملة (يرجد)، وعلى جملة تنقل الأغلال إلى صور وغير صور لتباع هناك إلى التجار، ثم يعود الجمل محملا بما أعده أصحاب الدكاكين الصغيره في القرية، أو بما أوصى عليه غير أصحاب الدكاكين مما يسد حاجاتهم اليوميه وغير اليوميه.

و صور هي أقرب ما يقصده الجمالون في الرحلات البعيده وإلا فقصدهم صيدا مألوف وكذلك قصدهم بيروت. وحتى بعد شيوع استعمال السيارات ظل للجمل شانه حينما في الوصول إلى صيدا و بيروت!

و اليوم لا- (رجيده) بين الحقول والبيادر إلا- في النادر النادر، و اليوم لا جمال تقطع الطريق بين شقرا و صور. بل اليوم لا رغاء للجمل يتعالى في دروب القرية وعلى بيادرها و في حقولها!..

بل نكاد نقول أن لا- (حليشه) و لا- (حصيده) إلا في بعض حقول القرية و جزء من أرضها الواسعه. لأن الأرض لم تعد تسد بغلاتها حاجه الناس، بعد أن تطور الناس و تطورت حاجاتهم، ولأن الناس لا يستطيعون تطوير نتائج الأرض بوسائلهم الخاصه تبعا لتطور الحياه والحاجات، ولأن الحكم والمسيطرين على الحكم ليسوا بالمستوى المخلص الواعى الذى ينهض بالأرض و أصحاب الأرض!..

لذلك هجرت الأرض و عادت بورا لا تمتد إليها يد بزرع و لا حصد، و الذين كانوا يعملون فيها ارتحلوا عنها إلى حيث يفتشون عن الرزق الأوسع فنجح بعضهم و لم ينجح أكثرهم!..

و حين ترسل ببصرك من شقرا نفسها فتتطلع اليوم إلى (المناره) التى اشتراها اليهود و كانت بالأمس القريب قطعه من جبل عامل! كانت أرضا جرداء و حقولا- لا تخضر إلا في الشتاء و الربيع، حين تتطلع إليها اليوم فترى العمارات المتلائنه و الغابات النضيره و الأرض الشجيريه و المياه الغزيره، تراها كذلك في الصيف و الشتاء و الربيع و الخريف، تدرك من الحقائق ما يمزق نفسك أسى و أسفا!.. و تعلم ما جناه و يجنيه على الأمه من تسلطوا عليها حاكمين، و من وثوا على رزقها متسلطين، و من تركوها للفقر غانمين!..

اليوم لا- أغاني الفتيات تتعالى من بين (أغمار) العدس، و لا شفاهن تتحرك صداحه من خلال (شمائل) (الباقية)، و لا تلك

الأودية تتجاوب باناشيد الهوى المكبوت مترنحه بارق الألحان!. و اليوم لا أهازيح للفتيان تدوى فى السفح و على القمه و خلال الوادى!.

لقد عاد كل شىء صامتا أخرس، و آبت الحياه إلى الهمود و الركود!.

البيادر

و فى البيادر تتجمع (البنادك) مثنى مثنى و تراكم الواحد إلى جنب الآخر حتى تغص بها تلك البقعه التى كانت طوال العام خاليه خاويه، فإذا بها فى الصيف تضج بالحركه و الحيويه، قد نصبت فيها خيام الرند (الغوردل)، فسهر فيها الساهرون و نام النائمون. أما فى النهار فان أصوات الصبيان على نوارجهم تملأ الأذان بترجيعها الحلو، و قد جلس أو وقف كل واحد منهم على النورج و يميناه مقود يوجه به الثورين ساحبى النورج، و يبسراه عود يحركه على جلد الثور المتباطئ أو المتحرف، حتى إذا مل رتابه الساعات أرسل فى الجو صوتا رقيقا باهزوجه مخصوصه للبيادر بحيث تصلح للحوار، فإذا سمعها جاره الأقرب رد عليها مقطعا بمقطع!.

حتى إذا أخذ وجه (الطرحه) بالاندراس جاء الرجال يقبلونها بالشوايعب!.

و كانت البيادر فى شقرا يشغل معظمها القسم الشمالى من الأرض المتصله بالعمران، و يشغل بعضها القسم الغربى الجنوبى، و بعضها و هو الأقل القسم الشمالى الشرقى.

و لحكمه عمليه أقيمت (عين الناقه) قريه من البيادر الشماليه و الشماليه الشرقيه لتكون موردا للبقر العامل على البيادر الغربيه أما البقر العامل على البيادر الشرقيه الشماليه فيرد البركه.

و البيادر الشماليه التى تشمل معظم زروع القرية، و تقوم عليها أغلال كبار الفلاحين هى فى الصيف (برلمان) القرية و دار الندوه فيها، فهناك وسط البيادر و تحت الجوزه العريقه يلتقى الشيوخ و بعض الشبان فيتدارسون شئون قريتهم إن كان هناك من شئون، و يتحدثون و يتنادرون إن لم يكن لديهم من شئون. أما فى الليل فحيويه القرية كلها تنتقل إلى البيادر، إذ تعود خيامها مسكن الفلاحين الذين يحرسون فيها غلالهم. و لعل الأصح أن نقول أن حيويه القرية تتقاسمها فى ليلالى الصيف كل من البيادر و السحارى و الكروم، و هى فى معظمها متقاربه متصله و من هنا كانت حياه هذه البرارى فى الصيف متشابكه متداخله.

و للبيادر الشرقيه الشماليه هى الأخرى ندوتها و مجالسها و رجالها، أما البيادر الشماليه الشرقيه فلقله من فيها و لقربها من الغربيه فلا ندوه خاصه بها، بل أن رجالها يشاركون الغريبين فى ندواتهم و مجالسهم!.

لقد أدركت شيوخ القرية على البيادر الغربيه و أدركت أمثالهم على البيادر الأخرى.

و جالستهم و أنا صبى و يافع و شاب، فربما نسيت كل المجالس و الأنديه و غابت عنى مع الزمن كل الأصوات فيها و انطوت من ذهنى كل الصور عليها. أما أولئك الشيوخ شيوخ شقرا، و مجالسهم على البيادر و سامرهم فى الحى، فلن أنساهم أبدا!!!.

و لشده تأثرى بحيويه البيادر أيام موسمها، ثم لشده تأثرى بانتهاء موسمها أذكر أننى فى إحدى السنين نظمت قصيده أودع فيها البيادر و أقف على أطلال القمح و آثار الخيام و ذكريات الناس، لا أذكر سوى بيتين منها، و قد أنستنى الأيام سائرهما، و مع أنها من شعر الصبا غير الناضج فما أسفت على شىء كما أسفت على أنى لم أحفظها بين أوراقى لتكون صورته حيه من صور المواقف العاطفيه. أما البيتان فهما:

خلت البيادر بعد طول عجيج و محت بها الأيام كل ضجيج

لا سامر الأحباب ثمه سامر أنسا و لا ليل الهوى ببهيج

أما اليوم فقد خلت البيادر بعد طول عجيج، لا خلوا إلى حين، بل خلوا فى كل حين!.

و عادت تلك البقعه جزءا من عمائر القرية و امتلأت بالمنازل، و اقتلعت الجوزة و انطوت الندوات و غابت المجالس و الأسمارا!.

الكروم و السحارى

أما ليالى الصيف فى القرية، الليالى الاضحيانه، فهى ليالى الكروم أولا و ليالى السحارى ثانيا. فمنذ أوائل الصيف ينتقل الكثير من الحياه إلى كروم التين، فتنصب فيها خيام الرند المعروف هناك باسم (الغوردل) أو الملول و السنديان. على أن الرند هو الأصل لاتساع أوراقه و كبرها بالنسبه إلى أوراق الملول و السنديان. و هذه الخيام نوعان منها ما هو طبقه أرضيه تمهد الأرض أمامها لتكون صالحه لنشر التين عليها ليحفظ و يبس فيكون منه مئونه الشتاء. و الخيمه هى المأوى الذى يفىء إليه أصحاب الكرم أو ضامنوه، ففيها يقبلون و فيها يبيتون. و قد تكون بعض الخيام مرتفعه عن الأرض و مقامه على قواعد عاليه من جذوع الشجر فتسمى عند ذلك (السري).

فإذا عسعس الليل أشعلت القناديل أمام الخيام و تحلق السامرون فى أفئتها متحاورين متنادين، و انتقل جزء كبير من حياه القرية إلى الكروم حيث الهواء الطلق و النسيم العليل و الأفق الرحيب!.

فإذا تنفس الصبح امتدت الأيدى إلى ثمار التين الناضجه تقطفها لتمتلى بها السلال القصبيه الصغيره و الكبيره، فبعضها يحمل إلى البيوت فأكهه شهيه، و بعضها يطرح للتجفيف غذاء لما ياتى من الأيام.

أما السحارى (جمع سحرا) فهى حقول الكوسى و الخيار و القثاء و البطيخ التى تنصب فيها الخيام هى الأخرى مقيلا للقائلين و مبيتا للباثين و منزلا للضيوف المستجمعين.

السحارى و كروم التين فى حريبه و وادى الملول و وردة و الدواوير و عقبه عين الحمرا و شواثا و جل زكو... زالت إلا بقايا لا تجمع سامرا، و لا تؤلف مجلسا و لا تلفت انتباها.

فلا- القناديل تنير دجى الليل البهيم، فتجذب ببصيصها الضئيل النفوس قبل العيون، و لا "الشبابات" ترن فى أجواز الغسق فيلج رنينها القلوب قبل الآذان!.

و فى أماسى الصيف يعود الرعاه بقطعانهم إلى القرية. يعود قطع البقر مجتازا بالبركه حيث ترد الأبقار من مائها لترتوى طيله الليل بما شربت فى المساء، ثم يمضى الرعاه على رأس القطيع و على آخر القطيع بعصيم الطويله ذات الشعب مجتازين بمقبره القرية الشرقيه و شاقين الطريق الطويل منها بين البيوت الشماليه، و ما هو أن ينحصر القطيع بين جدران البيوت حتى يغدو لوقع أظلافه ضجيج مسموع بعد أن كان هذا الضجيج يتلاشى فى الفضاء الواسع قبل الولوج بين الجدران التى تحصره بينها فيصل إلى الآذان برتابته المشوشه. و كثيرا ما كنت أكون فى الغرفه اللصيقه بالطريق فاصغى إلى القطيع يدب باظلافه على الأرض فيثير الغبار و يثير الضجيج معا، و ينتهى السير إلى (الصيره) و هى أرض فضاء مسوره بجدران ينحصر بينها القطيع طوال الليل!.

و ما هو أن يصل القطيع إلى (الصيره) حتى تبدأ القرويات بالوصول إليها لتأخذ كل قرويه بقرتها أو بقراتها إلى المنزل حيث تحلبها ثم تعيدها إلى (الصيره) بين أترابها من البقر حيث يبيت الجميع حتى إطلاله الفجر و مع الفجر يعاود الكل الرحله إلى المروج من جديد يتقدمهم و يسوقهم الرعاه بعصيم الطويله ذات الشعب!.

و على خطوات القطيع، و على حفيف وقع أظلافه كنت أستيقظ كل صباح!.

و لعل من أطرف طرائف القرية أن انطلاق القطيع و إياب القطيع هما مما يحدد به الزمن فى القرية، و قطع البقر يطلقون عليه اسم (العجال) (بتشديد الجيم). لذلك يقولون مثلا: وصل فلان تحويله (العجال) و سافر فلان سرحه (العجال)!.. و من العجيب أن (السرحه) (و التحويله) لا يتبدل زمانها و لا يتقدم و لا يتأخر، بالرغم من فقدان الساعات فى أيدي الرعاه لذلك كانت من أصح ما يحدد به الزمن!..

و لتحديد الزمن فى القرية طرفه أخرى: أنهم يحددونه (بمعالاه المجدره) و ذلك أن (المجدره) المؤلفه من العدس و البرغل و الزيت و البصل هى الوقعه الأصيله فى القرية لأن ما تؤلف منه هو من نتاج القرية نفسها و مما يحصل عليه كل بيت، فهى أرخص طعام و أكثر توفرا!.. و هل يطلب الفلاح الفقير فى طعامه إلا الرخص و التوفر؟!.

و لا بد فى معظم البيوت من أن (يعلى) قدر المجدره على الموقد فى المساء لتكون المجدره حاضره على العشاء، و بالتكرار صار ميعاد (معالاتها) محدودا معروفا لا يحتاج تعيينه إلى الساعه، بل صار هو الساعه التى تعين الزمن!.. لذلك يقال مثلا: وصل فلان: معالاه المجدره!.

و تحديد الزمن بسرحه العجال و تحويله العجال و معالاه المجدره دليل على ندره الساعات و افتقادها إلا فى الأقل الأقل من البيوت، أو بالأحرى دليل على الفقر و الفاقه!.

"و لصيره العجال" فى القرية شان آخر، فبعد أن يمضى الليل فى الظلام و تمضى ساعاته الأولى، يكون البقر قد أفرغ ما فى أحشائه من بقايا الحشيش الذى تغذى به طيله النهار. و هنا يقبل على (الصيره) بعض النسوه لجمع الأرواث ثم لتبيسها لتكون وقودا للطبخ أو الاصطلاء.

و يحاول النسوه جهدهن أن لا يثرن البقر لئلا يغضب الرعاه النائمون على ما مهدوه فى جدران الصيره.. و لكن البقر كثيرا ما يثور
من حركات النسوه

ص: ٢٧٤

فيقوم و يجول و يقعد فيستيقظ الرعاه و يدور التلاسن بين الرعاه و النسوه و تقوم المشاجر و يعلو الصباح!

هذا الذى ذكرته عن "العجال" إنما يكون كذلك خلال الصيف و ربما بعض الخريف. أما حين يبدأ الجو بالاكفهرار و تبدأ نذر المطر، فلا- مكان "للعجال" فى الصيره، و لا- سير له مجتمعاً فى أزقه القرية. إذ أن (الصيره) دائماً مكشوفه كما أن مرآقه الرعاه فيها مكسوه بالأغصان اليابسه وحدها. لذلك فان مكان تجمع (العجال) فى الشتاء هو فى أعلى المقبره الشرقيه قرب زيتونه الفرسي العاديه العمر، حيث يبكر الرعاه بالوقوف فى العراء منتظرين إقبال الناس بأبقارهم فيسوق كل إنسان أو إنسانه بقرته إلى موقف الرعاه حيث تتجمع الأبقار كلها، ثم يسوقها الرعاه إلى المراعى.

و فى المساء يعودون بها حتى مداخل البلده و هناك يتخلون عنها فتنتلق كل بقره إلى بيت صاحبها و هذا كله فى إناثى البقر. أما الذكران فمأواها البيت صيفا شتاء لأنها فى الشتاء تعد للحراثة عليها فتعلف ليلاً بالكرسنه و الباقيه فضلاً عن التبن، ثم تساق فى الصباح إلى الحقل للحراثة. و فى الصيف تعد (لتدرس) عليها أكوام الزرع اليابس.

و المكان الذى تبيت فيه الأبقار فى البيوت شتاء هو نفس الغرف الواسعه التى يبيت فيها أهل البيت، و يتميز مكان أهل البيت بأنه يرتفع قليلاً عن مستوى الأرض، و يترك المنخفض للأبقار و غيرها من الدواب.

و هكذا يتعايش الإنسان و الحيوان، أو بالأحرى الفلاح و الحيوان فى القرى فى غرفه واحده و بيت واحد.

و يعلل الفلاحون أنفسهم بان هذه المشاركه من بواعث الدفء فى الغرفه الواسعه التى تضم العائله كلها مع حيواناتها!. و يا له من دفء بائس تبعثه أنفاس الأبقار!.

المعزى و الغنم

و فى المساء أيضاً تعود قطعان الماعز و الغنم مع رعاتها، و لكن عودتها لا- تشبه عوده قطع البقر. فبقر القرية كله يجتمع فى (عجال) واحد و يذهب كله معا و يعود كله معا..

أما الماعز و الغنم فقطعان متعدده يكون كل قطع مملوكاً لمالك واحد يشاركه الراعى فى ملكيته. و الذين يملكون عدداً محدوداً يبدأ من واحده فأكثر يضمون ما يملكون إلى القطيع الكبير. و يسمون أصحاب (العره) بتشديد الراء تمييزاً لهم عن أصحاب (الشلعه). إذ كما أطلق القرويون على قطع البقر اسم (العجال) أطلقوا على قطع الماعز أو الغنم اسم (الشلعه). و إذا كانت (صيره العجال) ملك القرية كلها، فان لكل صاحب شلعه (صيره لشلعته) مملوكه منه.

و إذا كانت عوده (العجال) عوده هادئه لا تثير إلا وقع الأظلاف على الأرض، فان عوده (شلعات) المعزى و الغنم عوده شعريه عاطفيه!.

فمنذ تقبل (الشلعه) على القرية و تجد الأمهات ريح السخال يتعالى ثغاؤها جياشا باروع صور الأمومه!.

فما من عنزه أو غنمه لها أولاد تنتظرها إلا و ترسل ذاك الصوت العاطفى الشعري الذى لا تدرى أ هو نداء أو هتاف أو إعلام،

أو هو مزيج من هذا كله!. فتشتبك الأصوات كلها متعاليه من هاهنا و هاهنا فتشكل مجتمعه مظهرا من أجلى مظاهر الشوق و الحنين و الحذب و العطف، تعبر فيه هذه العجاوات أصدق تعبير و تبين فيه أوضح إبانة!..

فإذا دنا القطيع من مقره و أصبح على قيد خطوات من (الصيره) و سمعت السخال ثغاء الأمهات ردت عليها بثغاء أشجى و نداء أرق!.

ألا لله تلك الأماسى الشاعريه العاطفيه التى لم يبق منها اليوم إلا بقايا!..

الصيف فى القرية

كان لحياء الصيف فى القرية الذى تحدثت عنه فيما سبق جانب آخر لا يخصها وحدها بل يعم الجبل كله. فكروم التين فى شقرا كروم محدوده ليست لأكثر من سد حاجه الناس بالتين كفاكهه صيفيه بحتة. و هذا لا يمنع أن الكثيرين كانوا يعدون التين لفصل الشتاء بعد تبيسه فى الصيف و لكن لا تين شقرا و لا تين غيرها من القرى البعيده عن الساحل كان يعتبر من التين الجيد القابل للادخار للشتاء. و إنما كان التين الجيد هو تين القرى الساحليه. و منذ أن تبدو طلائع الصيف و يصبح موسم التين قريب الحلول تتهيا صبايا القرية للذهاب إلى (الساحل) حيث يمكن هناك طيله موسم التين. تذهب الصبايا كل إلى القرية الساحليه التى اختارتها حيث يعملن هناك فى كروم التين قطفًا و نشرًا و تبيسا. لذلك تتحول كروم التين فى الساحل إلى مجامع قرويه جياشه حيث لا- يخلو بيت من أن يملك شيئا من شجر التين أو يعمل فى شجر التين، و تنصب الخيام فى الكروم و تنتقل إليها أسر بكاملها من بيوت القرية، ينضاف إليها الفتيات العاملات القادمات من القرى الجبلية. فتدب فى تلك الكروم حياه زاهيه نضيره متالقه، و تشيع فى تلك السهوب روح من الانشراح و المرح و النشاط.

و فى ظلال التين تنشد أحلى أغانى الغرام، و فى ضوء القمر تفتح أعذب أمانى القلوب فتموج الدنيا كلها بالبهجه و الحبور.

و لما تأخذ أشجار التين بالاقفار من الثمار، و يأخذ الصيف بالاقلاع من تلك الديرار، يأخذ النزلاء بالتهيؤ للرحيل. ثم تقفر الأشجار و يناى الصيف، و تمضى الفتيات عائدات إلى (الجبل) و فى جيوبهن ما ادخرن من مال و على دوابهن أو على رءوسهن ما جمعن من تين يابس يدخر لأيام الشتاء.

أما اليوم فقد انقضى صيف التين. و استؤصلت أشجاره فى الساحل و عفى الزمن على ذاك اللون من الحياه العاملية لأن التين اليابس بوسائل تحضيره البدائيه لم يعد مجديا و صار لبنان كله يستورد التين اليابس من كل مكان، لأن التين فى كل مكان استحدثت لصنعه الوسائل الحديثه و أصبح صناعه من الصناعات!.

الماء

و كان من أوجع ما تعانيه القرية العاملية خلال الصيف هو أمر الماء.

فالينابيع فى الجبل قليله جدا. و حين توجد فى قرية من القرى - على قله ما توجد - فإنما توجد بماء قليل لا يكاد يفى بحاجه

القرية. و كان الناس يعالجون هذا بإنشاء العيون المصطنعه و البرك المفتعله فهم يختارون أماكن

ص: ٢٧٧

معينه فى ظاهر القرية يحفرون فيها الأرض بشكل دائرى لتكون الحفرة مجمعا لماء المطر يسمى (العين). و لما كان فى كل قرية أكثر من عين واحده لذلك كان لا بد من إطلاق اسم معين على كل عين.

و لا يستفاد من ماء هذه العيون إلا خلال الشتاء، و ربما إلى أوائل الربيع، حيث تفد إليها صبايا القرية و قد حملن الجرار على رءوسهن فيردن العين ناقلات منها الماء بالجرار. و لا بد فى كل عين من درج حجرى تهبط الصبايا درجاته كلما هبط الماء. و هذه العيون عيون قديمه العهد لا يعرفها الناس إلا هكذا و ربما عن لأحدهم أحيانا أن ينشئ عينا جديده يطلق عليها اسمه و هذا قليل الحدوث.

ثم هناك فى كل قرية مجمع كبير للماء يطلق عليه اسم (البركه) تتدفق إليه سيول الشتاء فتملأه ليكون موردا لمواشى القرية و أبقارها و خيولها و حميرها، و لرى مزارع الدخان. ثم هو مكان غسل الأواني، و مكان غسل الثياب.

و إذا كان ماء العيون سائغ المنظر لأنه ينقل جديدا، فان ماء البرك ماء تعاف منظره العيون و هو مملوء بما يتولد فيه لقذارته من أنواع حيه تعيش فيه طوال العام.

و إذا كان ماء العيون يسد بعض الحاجه خلال الشتاء، فقد كان لا بد من سبيل لسد الحاجه كلها خلال بقية فصول السنه. لذلك عمدت معظم البيوت إلى إنشاء آبار فيها ففى كل بيت بئر تتجمع فيها مياه الأمطار خلال الشتاء ليكون مشربا لأهل ذاك البيت خلال السنه.

و هكذا تظل الأمور سائره و الناس راضيه. و لكن المحنه الكبرى حين يتأخر هطول المطر و تأخذ مياه الآبار بالنفاد، ثم تنفد!. فعند ذلك يفتش الناس عن الينابيع فى القرى البعيده فيقصدونها بدوابهم لينقلوا منها ما يسد بعض حاجاتهم!.

و حين تبدأ مياه أقرب الينابيع البعيده بالتضاؤل، لكثره ما ينقل منها، يقيم أهل القرية النواطير لمنع الغرباء من ارتياد العين. و عند ذلك يفتش العطاشى عن ينابيع أكثر بعدا!.

ففى شقرا مثلا كان الأهلون يبدءون بنقل الماء من (عيون الخان) الواقعه فى سهل الخان تحت تبنين إلى شرقها و المملوكه لأهل تبنين. ثم يتقدمون إلى عين المزراب فى غرب تبنين، ثم ينتشرون بعد ذلك فى كل مكان بحثا عن الماء!.

العيون منتزهات القرية

عيون القرية المجموعه من ماء المطر هى فى أيام الصحو منتزهات القرية، فما هو أن ينبت العشب على حوافيها المدوره و يمتد حول تلك الحوافى على مساحات غير واسع، و ما هو أن تخضر تلك الجوانب بما نبت عليها من العشب. ثم ما هو أن ينقطع المطر و يطول انقطاعه أياما ينشف فيها العشب و تجف الأرض حتى تصبح حوافى تلك العيون مقصد رواد الاستجمام و منطلق هواه الاستمتاع بالهدوء و السكون.

و أكثر ما تكون تلك العيون فى مواقع طبيعيه مشرفه على ما انحدر تحتها من سفوح أو ما انبسط أمامها من حقول، مما يزيد من

جاذبيتها للمتزهين. و عيون شقرا المشهوره هي ثلاثه: (عين الحمرا، و عين الفوقا، و عين التحتا).

و وصفت الأولى بالحمراء لأنها تقع في أرض ترابها أحمر. أما الثانيه و الثالثه: فان الأولى وصفت (بالفوقا) لأنها أعلى من الثانيه التي هي أسفل منها، و التي يوصلها بها خط مستقيم يمر عبر الكروم و الحقول يمتد من الفوقا إلى التحتا.

و يختلف رواد هذه العيون و المتزهون فيها: أما الوقورون فأكثر ما يقصدون (عين الفوقا) لأنها أبعد عن البلد و لا تقصد من الواردات إلا بعد أن تنضب أو تكاد (عين التحتا) فيبقى أهل الوقار فيها على وقارهم، فلا تخدش هذا الوقار رؤيه أسراب الصبايا متهاديات على طريق العين ثم واصلات إليها بجرارهن الجميله المنبطحه على رءوسهن فارغه في الورود، و المستقيمه المتعالیه مملوءه على تلك الرءوس في الصدور. و من لا يباليون بالوقار، أو من ليس شأنهم الوقار، يقصدون أكثر ما يقصدون (عين التحتا).

و قد يتناول القادمون طعام الغداء إذا ذهبوا ظهرا أو قبل الظهر. و قد يتناولون الشاي إذا ذهبوا عصرا أو أصيلا، و قد لا يتناولون لا هذا و لا ذاك، بل يقتصرون على التحدث و التناذر و في مجالس الوقار لا بد من الشاي، و لا بد من منشد للشعر العربي الأصيل يرتله على الطريقه العامليه العراقيه الأصيله ترتيبا جميلا يكسب الشعر تأثيرا في النفوس، و يثير فيها الاستمتاع باطياب القول.

و كان أعلى المنشدين صوتا و أنداهم ترتيبا و أعمارهم حنجره، في عهدنا هو السيد محمد حسين خلف، الذي كان إذا انطلق في إنشاده الشعر يدوي صوته الدوي المعجب المثير.

و كنا في تلك السن نتنازع (العينين) (الفوقا و التحتا) فإذا صحبنا أهل الوقار كنا على (الفوقا) و إذا انفردنا كنا على (التحتا).

على أن (عين الحمرا) شانا آخر فهي أبعد العيون كلها عن القرية، لذلك كان قلما يقصدها المتزهون، إذا كانوا كلهم من شقرا. و لكنها مكان مناسب لالتقاء متزهين من أكثر من قرية تتوسط عين الحمرا المسافه بينها جميعا، فيتواعدون على الالتقاء عليها. و هي الأخرى ملتقى أهل الوقار...

و من طرائف لقاءات هذه العين أنها كانت يوما مقصدا للسيد محمد محمود الأمين العالم الزاهد مع رفقه له ذبحوا عليها ديكا و كان غيرهم من أصحابه قد قصدوا متزها آخر هو (بركه المرج). و كانوا قد ذبحوا هناك لطعامهم عزرا، فبلغهم ما جرى على (عين الحمرا) فأرسل شاعرهم السيد هاشم عباس إلى السيد محمد أبياتا منها:

أم أين من ذا المرج عين أصبحت "حمراء" ذات قذى لها بجفون

فكأنما القوم الأولى حجوا لها لم يانفوا من موضع التعفين

و عهدتهم شم الأنوف و ما أبوا نتنا أتى من مائها المحقون

فأعجب لهم حلوا بسفح مضيقها يتقاسمون الديك بالسكين

ما كان ديككم كعنز محمد يكفى مئين تتابعت بمئين

و على ذكر السيد محمد محمود الأمين هذا أقول: أنه كان وجهها أصيلا من وجوه هذا الجبل يجمع إلى الزهد حب الاستمتاع
بجمال الطبيعه. وقد

ص: ٢٧٨

حملة ذلك على أن خص أرضا له تناوح (عين الفوقا) فسامها المنتزه و حفر فيها عينا، فكانت ملتقى النخبة فى الأصل الجميله، و على رأسهم هو بالمعيته و طيب مجلسه.

و أحسب أن الذى دعاه إلى إيجاد العين هو الرغبه فى البعد عن رؤيه الواردات إلى العين بجرارهن، مع حب الاستمتاع بالطبيعه...

و بالفعل لم تكن عين المنتزه مقصدا للواردات، بل كن يكتفين بالوصول إلى (عين الفوقا) غير البعيده عن عين المنتزه.

و فى يوم من أيام الربيع أرسل السيد محمد إلى والدى أبياتا يقول فيها:

ما ترى الأرض أينعت بالأقاحى و الأزاهير فى جميع النواحي

و بها العندليب يشدو بلحن مطرب للنفوس و الأرواح

فقد العزم و اقتعده ذلولا - يا زعيم الكرام - سلس الجماح

و تعجل فاننا فى انتظار قبل تشويشها بلفح الرياح

و لك الاختيار فى أى أرض أنت تهواه يا حليف السماح

و صحيح أنه جعل له الاختيار فى المكان، و لكن المكان كان معينا أما (عين التحتا) فهى خارجه من هذا الاختيار حتما، و أما (عين الحمرا) فهى بعيده لا بد فى الوصول إليها من هبوط عقبه ثم صعود هذه العقبه فى الرجوع.

(و عين الفوقا) و عين المنتزه متجاورتان، و لكن الثانيه أخلى، إذن فهى المعينه، لذلك أجابه والدى بأبيات قال فيها:

إننى للدعاء منك ملب و إلى ما طلبته ذو ارتياح

و قد اخترت أرض (منتزه) النفس محلا لنزهه و انشراح

الشتاء فى القرية

يقبل الشتاء على القرية حاملا الرى و الخصب و ممهدا للرزق و العيش، و ما من شىء فى القرية يعدل ذاك المطر المتساقط من السماء نعمه وراء نعمه...

فالإنسان يترقبه ليطمئن أول ما يطمئن على أرواء الأوام، ثم لينبت له الزرع و يحفظ الضرع لذلك عبروا عن المطر بالخير فإذا دعوا الله بان يبعث الخير فإنما يعنون بالخير المطر فإذا تأخر الخير عن مواعده عمت الكابه الوجوه و ملاً الهم النفوس، و التجأ الناس إلى الله يسألونه الرحمه بهم و الإشفاق عليهم.

و الفلاحون يبدءون الزراعة أول ما يبدءون قبل إقبال المطر أملا بان ياتي بعد ذلك هاطلا باموايه الريا. و يسمون الزراعة قبل المطر: الزراعة على (عفير) و هذه الزراعة المبكره التي هي زراعه القمح، هي أكثر الزراعة تأثرا بتأخر المطر، و بتقدمه معا.

فإذا جاء المطر مبكرا كانت مواسم (العفير) أكثر المواسم إقبالا و أعظمها إنتاجا. و إذا تأخر المطر كان نصيبها الادبار، و أحيانا الاندثار..

و من هنا كانت نوعا من المغامر، و لكنها مغامرة لا بد منها و لا غنى عنها. و هي نوع من التسليم للقضاء و القدر الذى يفعل ما يشاء. و تأخر المطر فيها نوعان: إما أن يتساقط مبكرا و لكن بكميات غير كافيه ثم ينقطع هطوله أمدا طويلا فيوقع الفلاح بذلك فى الكارثة. لأن المطر القليل المتساقط أول الأمر يكون كافيا لانبات حبات القمح بحيث تظل من تحت التراب خضراء زاهيه، ثم لا تجد ما ترتوى به فتموت فيضطر الفلاح لتجديد الزراعة بعد المطر و بعد خسران ماله و إتعابه.

و النوع الثانى أخف ضررا و أقل خطرا، و ذلك بان تخضر الأرض بزروعها، ثم يتأخر هطول المطر تاخرا لا تكون معه الزروع ماتت و لكن ضعفت، فإذا جاء المطر قبل الموت عادت تستأنف الحياه و لكن ضعيفه كليله، و كان نتاجها بالتالى ضعيفا ممحلا...

أما النعمه الكبرى، فهى أن يهطل المطر مبكرا و ابلا- ثجاجة متتابعا لأ-كثر من يوم و ليله، فيحصل بذلك ما يدعونه (الريه) فيقولون: (أروت الدنيا) و يطمثون عند ذلك لموسم (العفير). (و للريه) عند الفلا-حين حدود يعرفونها هم، و لا أعلم أنا عن تفاصيلها أكثر من اسمها. و يوم (الريه) يصبح تاريخا للسنة، تؤرخ به أحداثها، فيقال: تزوج فلان بعد (الريه) بشهرين مثلا، و توفى فلان بعدها بشهور، إلى غير ذلك من التواريخ المتصله بشئون القرية و أهلها.

و كذلك يقولون: مثلا: تأخرت (ريه) هذه السنه عن (ريه) السنه الماضيه أو تقدمت عليها.

و عند ما يوغل فصل الشتاء فى التقدم توغل السماء بالمطر الغزير مما قد يظل متواصلا أياما متتابعه و ربما أسابيع، تواصلا لا يضعف و لا- يهوى، بل يظل على قوته و عنفه مصحوبا بالرياح و الرعود و البروق و يسمى عند ذلك (العيانه)، فيقال: استمرت (العيانه) كذا يوما أو كذا أسبوعا. و كثيرا ما منعت (العيانه) الناس من الخروج من بيوتهم و حرمتهم من التواصل و التزاور فيقول فى ذلك الشاعر ابن شقرا:

منعتنا عن الوصال جوار نشرت فرعها على الآفاق

لابسات سود البرود حدادا يوم جد المصيف بالانطلاق

مرسلات ودقا إثر ودق من جفون مغرورقات المآقى

أو يقول:

بين جزر من البروق و مد هدرت فى السما شقاشق رعد

و غوادی السحاب و هی ثقال طوت الأفق بین نص و وخذ

ربما یسرع المروع اختشاء و هو فی حالتی عناء و جهد

فارتوی عاطش و أینع روض و ازدهی فی ردائه المستجد

قد قعدنا عن الوصال اضطرارا رب بعد ینكون عن غیر عمد

و أيام (العیانات) أيام مشهوده فی القریه فعند ما تتلبد السماء بالعیوم و تنذر بهطول المطر ثم یبدأ یتساقط، یحاذر الناس، أول ما یحاذرون من تساقط الدلف داخل البیوت لذلك ینهرعون جمیعا إلى أسطحه المنازل حیث یعالجونها (بالحدیله)، ذلك أن الأسطحه هی من تراب، و هذا التراب یتشقق بالجفاف فإذا هطل المطر تخلل الماء الشقوق، و بدأت نقاط منه تهبط إلى داخل [داخل] الغرف. و الحدیله تكون بالمحدله و هی حجر أسطوانی الشكل منقور من طرفیه بمقدار ما یدخل فیهِ طرفا (الماعوص). و (الماعوص) عودان من خشب متصلان برأسهما و منفرجان بعد ذلك بحیث یشکلان زاویه

ص: ۲۷۹

حاده تنتهى بطرفين معكوفين يوضعان فى نقرتى (المحدله) فيشدانها من طرفيها بحيث تتماسك فى (الماعوص) فيجرها الرجل أو المرأه أحيانا أو يدفعها أمامه فتتجر أو تندفع بثقلها على التراب و قد بلله المطر مما يساعد على سد الثقوب و تفادى الدلف...

و ساعات (الحديله) ساعات طريفه جدا، إذ يصعد على كل سطح من سطوح القرية إنسان، فتغدو الأسطحه كغابه متحركه من الناس، ثم يتعالى من دوران الحادلين (بالمواعيص) صرير يسمع من الطريق، فلا ترى العينان سوى شخوص تتحرك مسرعه، و لا تسمع الأذنان سوى صرير و رنين. فإذا توالى المطر و عاد الطل وابلًا مغرقًا تراكض الناس هابطين من الأسطحه إلى داخل المنازل.

و لكن هل تغنى (الحديله) فتمنع تساقط الدلف؟.. إنها فى الكثير من الأحيان لا تغنى كل الغناء، فيكون لا بد من تساقط الدلف، و لكن بنسب مختلفه بحسب العناية بالأسطحه و قله العناية بها، و قصه الدلف هى الأخرى قصه طريفه: فعند ما تسقط النقطه الأولى يسرع أهل البيت فيضعون تحتها إناء، ثم تتابع النقاط المتساقطه و يتتابع وضع الأوانى، و تبعًا لذلك تضيق الرقعاه السليمه فيبدأ السكان بالانكماش و التجمع فيما لا يزال سليما. و قد يعم الدلف فينطوى الناس على أنفسهم فى الزوايا.

و يصبح لتساقط الدلف على الأوانى التى تمتلئ ثم تفرغ ثم تمتلئ، يصبح تساقط الدلف عليها مصدرا لأصوات رتيبه متتابعه متكائفه كأنها نغم واحد..

و لما كان كل شىء فى جبل عامل محركا لقرائح الشعراء، فقد كان للدلف أثره فى الشعر العاملى فمما قال فيه شاعر من شقرا:

الدلف قد أودى بنا وقعه يا رب خلصنا من الدلف

و سقف بيتى لم يزل و اكفا فهو يبارى السحب بالوكف

كأنما تنور نوح غدا يفور بالماء من السقف

و كلما قلت كفى ما جرى منك علينا قال لا يكفى

كأنما الغيث إذا ما همى يتلو عليه وقعه (الطف)

كأنه و هو بلا صبوه صب بكى من فرقه الألف

قد ملأ البيت جميعا و لم يقنع بثلث لا و لا نصف

و صرت أحتاج إلى زورق يسوقه الملاح للجرف

منهمر تنقر قطراته فى الأرض كالنقر على الدف

من عن يمينى و شمالى و من فوقى و قدامى و من خلفى

و كلما السقف بكى أصبحت ترقص بين اللهو و القصف

تحسبها أصوات من سبحوا فى عدد يربو على الألف

و كلما قلت انتهى و كفها و انقشعت زادت على الضعف

لست و إن أطبت فى وصفها أبلغ منها منتهى الوصف

ما زلت مما نابنى حائرا أصفق بالكف على الكف

و بت ليلى قلقا ساهرا لا أغمض العين و لا أغفى

و لقد انتهى الدلف و قصص الدلف و مشاكل الدلف، و زالت الأسطحه الترابيه، و حلت محلها أسطحه (الاسمنت)، و انقضى عهد المحادل...

ليالى الشتاء

ليالى (العيانه) فى الشتاء تحبس الناس فى بيوتهم ملتصقين (بالدواخين)، (و الداخون) هو موقد النار الذى يصطلى به الناس فى القر، دافعين البرد عن أنفسهم بما يؤججون فيه من نيران، و ما يوقدون من حطب.

و الداخون يقام دائما فى زاويه الغرفه، حيث يمتد كعبله مثلثه الجوانب تبدأ من علو حول المتر عن الأرض مرتفعه حتى سقف الغرفه حيث يكون السقف مثقوبا بمقدار سعه الداخون فيندفع الدخان من الثقب الكبير متعاليا فى الجو.

و ما دام (الداخون) محصورا فى الزاويه فحرارته لا تمتد إلى كل جوانب الغرفه، بل لا تكاد تشمل إلا جوانب الزاويه و كل ما تفعله فى سعه الغرفه أن تمتص القليل القليل من البروده المتعاضمه، لذلك تكون السهره هى فى الجلوس حول (الداخون) على شكل قوس ينحنى حتى يلاصق طرفاه جانبى الزاويه و بذلك يصطلى الجميع بالتقرب من النار المضطرمه.

أما من يفوز بالجلوس على أحد جانبى الزاويه تماما (فى القرنه) فهو الفائز الأكبر فى تلك السهرات الشتائيه الباردة، إذ يكون حظه عدا الاصطلاء هو أن يجلس مستندا إلى الجدار و لا يفوز بهذا المغنم إلا اثنان يشكلان نهايه القوس البشرى.

فإذا كانت السهره عائليه بحته، فالجنبان لرب البيت و لربته وحدهما، و إذا غابا عن السهره أو غاب أحدهما، إما لوجوده فى غرفه أخرى أو فى منزل مجاور، تسابق الآخرون على الفوز (بالقرنه)، و من سبق لا يغادرها إلا أن يبلغ اضطاراه حدا لا يقاوم.

و حول (الداخون) تقص الأفاصيص على الأطفال أو تنوع الأحاديث، و تتبادل الآراء...

و إذا كان رواد الغرفه أكثر من أن يتسع لهم قوس (الداخون) يكون لا- بد من وضع (منقل) وسط الغرفه تنتقل إليه بعض (الأحطاب) التى تكون بدأت تشتعل فى (الداخون) و هذا النقل يلازمه تعالى الدخان فى الغرفه تعاليا طاغيا، و عند ما تبدأ

الدموع تتساقط من العيون بفعل الدخان يردد الجالسون المثل القروي العاملي (دخان يعمى ولا يبرد يضنى)...

على أنه قد يستعمل الفحم أحيانا وسط الغرفة، و يكون هذا فى البيوت الميسوره...

أما وقود (الداخون) فهو نوعان: إما خشب الزيتون اليابس الذى لم يعد يصلح للحياه فيقطع و يدخر للشتاء، و هذا أفضل أنواع الحطب. و إما الحطب المستورد من بقايا الأحرش. و كانت هذه كلها خارج شقرا. إذ أن أحرش شقرا قد أبيت و لم ندر كئ نحن منها شيئا، و كان الشيوخ يتحدثون عن بقاياها التى أدركوها.

و أقرب مكان كان يقصد للحطب من شقرا هو حرش قريه حولا الممتد فى وادى السلوقى شمالا و جنوبا أو فى وادى الاصطبل شرقا. و حرش وادى الاصطبل هو الحرش الذى مر فيه ابن جبير و وصفه و صفا جميلا.

ص: ٢٨٠

و نقل الحطب من الأحراش يكون على رؤوس صبايا القرية، حيث ينطلقن فى مطالع الصيف سربا وراء سرب إلى الوادى الجميل حيث يفترض فيهن أن يجمعن ما يبس و تساقط أو كاد من الأغصان. و مع أن هذا محظور عليهن لأنهن من قرية غير قرية الحرش فقد يتساهل به نواطير الأحراش.

و لكنهن لا- يتقيدن بذلك إذ كثيرا ما امتدت أيديهن إلى الأغصان الغضة اليانعه فيأخذن يقطعنها، مغتلمات غياب الناطور أو ابتعاده.

و كم من مشاكل تقع بينهن و بين النواطير و كم من متاعب جرها التحطيب من (الوعر). (و الوعر) هو الاسم الذى يطلق فى القرى على الحرش، فإذا قيل ذهبنا إلى (الوعر) فالمقصود هو الحرش.

فمن يمر فى مطالع النهار فى وادى السلوقى سائرا بين تلك القلل الشجيريه و التلالل النضيره. و من يجتاز فى متوع الضحى بهاتييك المربع، تملأ مسامعه أغاريد الصبايا و قد عكفن على الحطب جمعا أو قطفاء، حتى إذا اجتمع لكل واحده ما يقوى رأسها على حملة، كتلت ما جمعته كتله أسطوانيه الشكل مديده الحجم، و ربطتها بحبال (البابير) ثم تناولتها بكلتا يديها و رفعتها إلى رأسها و مشت تدق الأرض بقدميها فى خطوات وئيده تتمثل فيها أشرف خطوات يخطوها إنسان.

و هل أشرف من خطوات هذه الفتيات اللواتى يمشين إلى العمل منذ الصباح برءوس مرفوعه و وجوه متعالیه يبسطن الأنامل منقبات عن الأعواد و يطوين السواعد حاملات للأحطاب.

يمشين من الوادى و قد أخذ الصمت يرين عليهن بعد الغناء الطويل، حتى إذا بلغن عقبه (السكيكه) و انطلقن فيها مصعدات، أخذ العرق يتصبب من تلك الوجوه الجميله بما ناءت به الرءوس من حمل، و ما أعت به الأقدام من تصعيد. يمشين صاممات قارات، و لكن فى صمتهن أبلغ بيان...

و فى القرى المحرومه من الأحراش، أو البعيده عنها قد يستعاض عن الحطب بالبلاان، و لكن البلاان لا يستعمل للاصطلاء لسرعه هبوبه فسرعه هموده، و لكنه يستعمل لنار المطابخ. و كما أن الصبايا ينقلن الحطب من الوديان ذات الأشجار، كذلك ينقلن البلاان على رءوسهن من الوديان ذات البلاان. و التقى مره شاعر بفتاه تنقل البلاان على رأسها من واد يسمى (وادى عراجا) فى بلده الخيام فأنشد:

ته دلالا بلاان وادى عراجا حيث أصبحت للمليحه تاجا

لقد انقضى عهد الداخون فلا تسابق إلى (القرنه) و لا تحلق حول النار. و انتهى زمن الحطب فلا هبوط إلى الوادى و لا صعود فى عقبه...

لقد حل (المازوت) مشكله البرد و حلت مدافئه محل (الدواخين)...

كان والدى حريصا على اتقاننا اللغة العربية و قواعدها، كما كان حريصا على أن نتابع دراسه الفقه مع متابعه المدارس الابتدائيه فى الوقت نفسه. فكنت و نحن فى دمشق ألتقى فى الصباح الباكر قبل ابتداء الدروس فى المدرسه العلويه - ألتقى بنفر من التلاميذ الدمشقيين عند والدى حيث نتلقى عليه دروس النحو فى الكتب القديمه. فبعد حفظنا للاجروميه ثم دراستنا كتاب (القطر). صرنا و نحن فى الصف الابتدائى الأخير نتلقى الدروس فى كتاب (الألفيه) شرح ابن الناظم. فنحفظ النص الشعري ثم ندرس الشرح. و ننهى الدرس قبل أن يحين موعد (دوام) المدرسه.

و كان والدى يحرص أثناء ذلك على تلقينا بعض القصائد العربيه القديمه التى يختارها بنفسه لنستظهرها ثم نتلوها أمامه ليتأكد من أننا استظهرناها. فمما استظهرته فى تلك الفتره (لاميه العرب) و أبيات قتيله بنت الحارث التى ترثى بها أخاها النضر بن الحارث بن كلده الذى أسر يوم بدر ثم قتل.

و كنا عند انتقالنا فى الصيف إلى شقرا، يظل والدى حريصا على أن نتابع الدروس خلال إقامتنا فى شقرا. و فى الانتقال الأخير الذى طال و طال بسبب ظروف الثوره السوريه ظللنا ندرس الألفيه و نحفظ شعرها. و كنت أشارك فى هذه الدروس أنا و أخى جعفر. و كان جعفر متبرما بهذه الدروس، يقبل عليها لا عن رضا و رغبه، و يود لو تخلص منها.

و كانت لنا فى شقرا خلال الربيع أيام نقضيها فى التنزه فى البريه جماعه يلتقى فيها كل أتراب الأسره ممن هم فى مثل سننا أو أكبر قليلا أو أصغر قليلا. فنقصد مجتمعين أحد الأماكن البعيده عن القرية حيث نقضى النهار بكامله فى تسليه و لعب. و كثيرا ما كنا نتواعد مع رفاق لنا من أبناء قريه (حولا) حيث يوافوننا إلى (دوبيه) الواقعه بين شقرا و حولا. فنتخذ من القلعه و جوارها متنزها لنا طول النهار و يصنع الغذاء جماعيا فى المتنزه و هو على الغالب (مجدره) يتولى طبخها بعض العارفين من الرفقه.

و فى يوم التقينا فى (دوبيه) و أمضينا النهار و تغدينا المجدره، و كان يوما أنسنا فيه كل الأنس. و لما عدنا استوحى جعفر من ذلك اليوم قصيده طريفه لا أزال أذكر منها:

يا من يقضى عمره و يضيع منه أكثره

بين الدفاتر و المحابر قل أن لا تنظره

حب القراءه دأبه أقصى مناه (الشحبره)

ما ذا يفيد تعلم الغلم عندى مسخره

لا سيما النحو الذى ما فيه إلا النحوره

أشجى فؤادى درسه و كداك قلبى مرمره

لو جئت إحدى السيدات و قد لزمتم القنعره

أدمتك من قبقابها و علتك منها (الكندره)

ريح الذى دوما غدا فى غير أنس لم تره

قل للذى لا يرعوى لنصيحتي ما أحمره

لو كنت تبصرنا و قد سرنا بقصد (الكزدره)

نبغى مكانا لائقا بجنابنا كى نعبره

كان المقام بقلعه مهجوره و مكر كره

فيها أقمنا يومنا من أنسه ما أقصره

إن كنت تسأل ما الطعام أقول كان (مجدره)

لكنها ممتازه محمره (و مذرذره)

و كثيره أيضا و قد ملأت فناء الطنجره

و الكل منا جائع و الحال منه مكدره

ص: ٢٨١

أسناننا مسنونه و كذا الكروش مهيره

حتى إذا نضج الطبخ علت لذاك (الهوبره)

و كذا النفوس استبشرت من بعد (عوف التزكره)

ما كنت تسمع حين نأكل غير صوت الشخوره

حتى حسبنا أنه بلغ الطعام الحنجره

ثم انكفانا راجعين كما أتينا القهقره

هذا حديث ذهابنا أغناك عن أن تحضره

إن كنت فيه مقصرا فإلى الرفاق المعذره

و بلغت القصيده والده فضحك لها طويلا و أعلن إعفاء جعفر من حضور درس الالفيه. و لقد أفادتني هذه الدروس في قابل أيامي سواء منها دروس النحو أو دروس الفقه. على أنني لم أكن أقبل عليها إقبالا كاملا و لم أكن أعطيها ما يجب أن تعطى من عناية و اهتمام. و إنما كنت أتابعها مسيره منى لوالدى و تنفيذاً لرغباته. ثم أدركت بعد أن وعيت تمام الوعى كم كنت مخطئا بقله عكوفى على تلك الدروس و عدم الانكباب عليها. فان ما ظل عالقا في ذهنى منها أرانى كم كان يمكن أن تكون فائده الكثير و الأكثر.

الإعلان فى القرية

كان إذا احتيج فى القرية إلى إبلاغ الأهلين جميعا أمرا من الأمور التى تتعلق بهم كلهم من شئونهم العامه أو الخاصه. استخدمت لذلك المناداه العامه من على سطح مسجد القرية أو أى مكان عال آخر و يكون ذلك ليلا حيث يقف ناظر القرية فيبدأ المناداه قائلا:

يا أهل البلد أجمعين أولكم محمد و ثانيكم على

و ثالثكم فاطمه بنت النبى

و يكون هذا القول تمهيدا لما يريد أن يقوله و لفتا للأسماع و اجتذابا للآذان.

ثم يشرع بعد ذلك بإبلاغ ما يراد إبلاغه.

على أن هناك إعلانات خاصه تتعلق بالمعلمين أنفسهم و تجرى لمصلحتهم. و هذا يحصل مثلا بان يكون اليوم يوما مطيرا يتعذر

معه المكث خارج البيوت. و يكون أحد القضايين قد أعد ذبيحه لبيع لحمها. و العاده فى الأيام العاديه هى أن يجرى ذلك فى (الساحه) التى هى سوق القرية و مجتمعها، حيث يلتقى جميع أصحاب الحاجات بما فيهم المفتشون عن اللحم.

و لكن حين يتعذر الخروج و المكث تحت المطر لا يستطيع القصاب تعليق ذبيحته فى الساحه، و لا يدري الناس إذا كان اللحم موجودا أم لا، و لا من هو القصاب الذى ذبح اليوم. فى هذه الحاله، يرسل القصاب ولدا أو ولدين يغتمون فرصه انقطاع المطر لفترات فيجولون أزقه القرية صارخين:

يا الله على اللحم... عند السيد إبراهيم عاشور... (مثلا).

و عند ما يتعالى النداء يرهف الناس آذانهم ليستوعبوا ما يقال. فحين يفهمون يهرعون للتزود باللحوم و أكثر ما يكون النداء على اللحم، و قد يكون لغير اللحم.

طبقات القرية

الطبقية فى القرية العامليه لها مفهوم غير المفهوم الذى يمكن أن تدل عليه عند إطلاق كلمه طبقية. فهى طبقية و لكنها ليست ذات امتيازات اجتماعيه تتمتع بها طبقه دون طبقه بل هى طبقية تدل على طبيعه العيش و إمكانيه الحياه.

فمعظم القرى مملوكة لمجموع أهلها، و قد تكون فيها ملكيات كبيره لأسره من الأسر، و لكنها ملكيات لا تحول دون تملك الآخرين. و مع ذلك يظل فريق دون تملك للأرض. و من هنا جاء تقسيم الناس فى القرية.

فمعظم القرى يقسم سكانها إلى أربعة أقسام ملاكين، فلاحين، شكريه، فلتيه.

أما الملاكين فهم الذين يملكون الأرض و لا يعملون فيها و إنما يعمل الفلاحون و يكون لكل فريق نصيب من غله الأرض و يسمى هؤلاء الفلاحون (المرايعون) لأن حصتهم لقاء العمل هى ربع المحصول. و الفلاحون هم نوعان: نوع يملك الأرض و يعمل فيها بنفسه، و نوع لا يملك الأرض فهو يعمل فى أرض الملاكين. و أما (الشكريه) فهم الذين لا يملكون الأرض و يعملون فى مصالح أخرى و لكنهم يستأجرون الفلاحين و أدواتهم ليزرعوا لهم فى أرض الملاكين ما يسمونه (شكاره) يكون من نتاجها أكثر ما يحتاجونه من قمح و برغل. و أما (الفلتيه) فهم الذين لا يملكون الأرض و لا يعملون مرابعين و لا أجراء و لا يزرعون (شكاير).

و من هؤلاء يكون العمال الزراعيون فى الحرث و الحصد، و العمال غير الزراعيين كعمال البناء.

العرس فى القرية

الزواج فى القرية هو على الأعم زواج حب، و يندر أن يكون زواج مصلحه أو زواج صدفه. فالناس يعرفون بعضهم بعضا و ينشئون متلاقين إما على البركه أو على طريق العين أو فى الحقل أو فى (السهره) و ما دامت القرويه شريكه فى العمل تقوم بسهم وافر من الجهد سواء أيام الزرع بنثرها بذور الفول و الذره فى الحقل وراء زوجها العاكف على محراثه، أو أيام الصيف باجتثاثها

سيقان العدس و أشباه العدس عند (الحليشه) أو بالتقاطها ما تساقط من سنايل القمح و جمعها (شمائل) عند (الحصيده).

ما دامت القرويات قسيمات العمل فى الحقول و البيادر و الكروم و (السحارى). فان الاختلاط محتوم و التعارف مفروض، و سفور الوجوه قائم...

و من هنا كان زواج القرية على الأعم زواج حب... و قد يطول و قد يقصر زمن الحب، و قد يلاقى زواج الحب عراقيل يصمد معها الحب حتى يتجاوزها.

و تبدأ الشكليات بايفاد كبير فى القرية للخطبه، فإذا لقى الاستجابه، ذهب من يحدد موعد القران و يسمونه فى القرية (العقد). و ينطلق فريق من أقارب (العريس) على بيوت القرية يدعون الناس لحضور القران و هو إما أن يكون عصرا أو ليلا.

ص: ٢٨٢

و فى الموعد المحدد يلتقى الرجال فى مكان من منزل (العروس).

و يمضى (فقيه) القرية أو عالمها متصدرا المجلس. و إذا كان أهل العريس على شىء من الوجاهه لم يقنعوا بالفقيه أو العالم المحلى و إنما يستدعون المرجع الكبير فى البلاد. و لم تكن (شقرا) تستدعى أحدا لأن المرجع كان فيها دائما و كان يدعى إلى غيرها من المدن و القرى.

و بعد أن يكتمل الجمع يدعى الفقيه من بين الرجال للذهاب إلى الغرفة الموجوده فيها (العروس) مع أهلها و أترابها و المدعوات من نساء القرية، و يرافقه أقرباء العروس كاعمامها و أخوالها أو غيرهم و هناك يجلس وحده مقابل العروس محاطا بالأقرباء و قوفا. ثم يبدأ بالطلب إليها أن توكله بإجراء عقدها. و يكون الطلب بصيغه معينه تنتهى عاده بقوله: (فان كنت راضيه فقولى نعم). و ربما استبدل كلمه: (فقولى أنت و كيلى) بكلمه: (فقولى نعم).

و هنا تبدأ مسرحيه طريفه: فبالرغم من أن الفتاه تكون على أحر من الجمر فى انتظار هذه اللحظات لتصبح قرينه لمن تحب، و بالرغم من أنه لم يعد من كلفه بينها و بين الفتى المنشود، فإنه لا بد من إظهار الدلال و التمتع و التظاهر بالخجل و عدم التسرع. فيظل السؤال بدون جواب و يرين الصمت على الفتاه. فيعاد السؤال من جديد و لكن لا جواب.. و يعاد السؤال للمره الثالثه. و قبل أن يطرح هذه المره تنبه الفتاه إلى أن هذه هى آخر مره، و أن عليها الآن أن تجيب. و بالفعل فإنها تجيب بنعم، سواء كان السؤال مطروحا عليها بشكل: (فقولى: أنت و كيلى) أو بشكل:

(فقولى: نعم). لأن (نعم) أكثر اختصارا و أقل كلفه.

على أن بعض الفتيات ترفض أحيانا أن تجيب عند طرح السؤال عليها لثالث مره، و تظل مصره على الصمت حتى المره الخامسه...

و عند ما تلفظ كلمه (نعم) يكون على باب المنزل حامل بندقيه صيد فما أن يقال له: (وكلت) حتى يطلق البندقيه فى الهواء معلنه لسكان القرية أجمعين أن (التوكيل) قد حصل.

ثم ينتقل (الوكيل) مع صحبه إلى مجلس الرجال. و هنا إما أن يطلب إلى (العريس) أن يوكل أحدا عنه، أو أن يتولى هو الاجابه بنفسه، ردا على صيغه العقد بقوله: (قبلت).

و مع أن لفظ (زوجتك) هو وحده كاف لإتمام الزواج، فان العاقدين يضيفون على هذه الصيغه صيغا عديده بألفاظ مختلفه و لكنها لا تخرج فى الحقيقه عن مفهوم الصيغه الأولى.

و يختم العاقد صيغه الإيجاب و القبول بقوله: (مبارك إن شاء الله).

إيدانا بانهاء كل شىء. و هنا ينطلق البارود للمره الثانيه...

و يقبل العريس يد الفقيه العاقد. ثم يدور على الحاضرين فيقبل أيدي الشيوخ منهم و يصافح غيرهم أو يقبلهم و يقبلونه...

و من طريف ما حدث فى مناسبه من هذه المناسبات أن قرويا ينظم الشعر قد أحب فتاه فلم يوفق للزواج بها فكان مما قاله واصفا حاله هذا البيت:

عشيه أصغت للعدول مطيعه و قالت لشيخ السوء (أنت و كيلى)

و عند ما يقبل الليل تقام الأفراح مستمره ثلاث ليال، تعقد فى كل ليله فيها حفله (الدبكه) صاحبه ضاجه، تضرب الأقدام بها الأرض على نفحات (المجوز) أو (الشبابه) ضربا قويا عنيفا متماديا و يشترك فى الحفله الواحده فتیان القرية و فتياتها معا و لكن لا- مختلطين، بل يشكل الفتیان قوسا فى الحلقه و الفتيات قوسا آخر يرتبطان معا بفتاه بأول قوس الفتيات و بفتى بآخر قوس الفتیان هما و حدهما اللذان تتشابك أصابع يديهما معا فى مسيره الحلقه المتواصله.

أما بقيه الأيدى، فاصابع الفتى تتشابك مع أصابع الفتى و أصابع الفتاه مع أصابع الفتاه...

و أعذب ما فى الدبكه حين تنبرى صاحبه أعذب صوت بين الفتيات فغنى الأغانى القرويه منطلقا معها صوت المجوز أو صوت الشبابه باللحن نفسه. و تبلغ العذوبه ذروتها حين تتولى ذلك لا فتاه واحده بل فتاتان ينبعث صوتاهما معا بغناء واحد...

المطاحن

فى تلك الأيام لم تكن المطاحن الآليه معروفه و كانت المطاحن المداره بالماء هى التى تتولى طحن القمح. و الماء الذى يمكن أن يدير المطاحن لم يكن قريبا من معظم القرى. و كان أقرب ماء إلينا فى شقرا هو ماء وادى الحجير الذى تفور ينباعه أيام الشتاء دفاقه غزيره، و تظل كافيه طيله فصل الربيع بعد أن تكون قد بدأت تغور يوما بعد يوم (1) و بعد نضوب الحجير يبعد أصحاب القمح بقمحهم من وادى الحجير إلى مطاحن الليطانى التى تظل تدور على مدار السنه. لذلك كان (للطحن) شىء من الأهميه تقتضى التهيؤ له و إعداد (الدواب)، و كان الأمر عباره عن رحله إلى وادى الحجير يقضى فيها الذهابون ليله خارج قريتهم، و يؤلفون موكبا مؤلفا من عدده حمير ربما التقى سائقوها على موعد و ربما على غير موعد. و كان فى الحجير عدده مطاحن تحمل كل مطحنه اسما معينتا متداولتا على أوسع نطاق فى أوساط القرية، إذ ما من بيت إلا و له فى واحده من هذه المطاحن المنتشره فى الوادى الجميل نصيب.

و عوده موكب (الطحين) له فى البيت لا- سيما عند صغاره شىء من البهجه، إذ أن العائدين يحملون معهم إلى البيت نوعا من الأرفعه لا يصنع إلا هناك، يطلق عليه اسم (المشاطيح) واحدها (مشطاح). و هى من الخبز السميكة غير المألوف فى القرية التى لا تعرف إلا الخبز الرقيق (المرقوق) المخبوز على (الصاج). و قد لا تكون (المشاطيح) أفضل من (المرقوق) و لكنه طلب التنوع، و الرغبة فى غير المألوف.

و خبز القرية نوعان: الأعم الأغلب و هو ما يصنع فى البيوت حيث (يرق) العجين و يمدد على الأكف النسائية بحركات سريعه متعاقبه، ثم يطرح على (الكاره)، و هى غلاف مدور على سعه الرغيف، من نسيج، محشو بقطع النسيج. و من (الكاره) يطرح على (الصاج) المحمى بالنيران الموقده تحته

١- الحجير بلفظ تصغير حجر: واد طويل عميق مبدؤه من آخر وادي السلوقي ومنتهاه نهر الليطاني قرب قرية القاعية يخرج فيه إذا كثر المطر نبع ماء من جانب حجر كبير - و لعله ينسب إليه - من الحول إلى الحول، وقد يجف أو لا- يخرج من قله المطر، عليه أرحيه كثيره (خطط جبل عامل).

و هناك حالات استثنائية يعجن فيها العجين فى البيوت، ثم يرسل إلى (التنور) ممزوجا به سمسم و كمون و زيت مما يجعله متميزا عن الخبز البسيط. و شرط الخبز فى التنور أن يرسل مع العجين كميه من الحطب تكفى لإنضاجه، إذ أن التنور لا يقدم الحطب و فى هذه الحاله تكون الأرفعه شبيهه (بالمشاطيح) أى سميكه غير رقيقه، و لكنها تختلف عن (المشاطيح) بشيئين اثنين: بالتسميه أولا، لأن الرغيف هنا يسمى (بعقه) لا (مشطاحا) ثم بالشكل إذ أن (المشطاح) طويل ممتد، و أما (البقه) فمدوره غير متسعه.

و التنور الشهير فى شقرا كان تنور (جميله)، فطالما حملت إليه أوعيه العجين من البيت، و طالما عادت نضيجه شهيه، و طالما ترقبنا عودها لتتخاطف (البقعات) حاره ثم لنتهمها دون أن نضيف إليها أى شىء.

و التنور يختلف عن الفرن، فى أنه نقره فى الأرض مطليه بالكلس توقد فى قعرها النار حتى تحمى من أسفلها إلى أعلاها، فتناول (جميله) أو ابتها (صفيه) قطع العجين الممدد بعض التمديد و تضعها على الكاره ثم تمد يدها بها إلى جانب من جوانب التنور فتلصق عليها العجين، و يظل ملتصقا حتى ينضج...

و عدا عن خبز (البقعات)، فمما يصنع فى التنور (الكعكات) و يتميز عن البقعات بان العجين ممزوج بالحليب و السكر، و توضع كل قطعه منه فى قالب خاص يكسبها خطوطا و تخاريم منوعه و لا يصنع الكعك إلا فى العيد.

البرغل

البرغل فى القريه شىء أساسى و جزء من حياه القروى، بل هو عماد قوته اليومى و ركيزه غذائه على مدار السنه. فمنه تصنع (المجدره) و منه تصنع (الكبه) على اختلاف أنواعها ابتداء من (الكبه النيه) إلى (الكبه بالصينيه) إلى (كبه اللبنيه) إلى الأقراص المقلبه إلى غيرها...

و منه يصنع الطعام الذى يطلق عليه اسم (البقله) و هو صنوف. فإذا أطلق اسم البقله دون أن يضاف إلى اسم آخر عنى به طيبخ البرغل مع مجموعه من الأعشاب البريه الخضراء. و هذا لا يكون إلا شتاء، و ذلك عند ما يبدأ تساقط المطر و تبدأ الزروع و الأعشاب بالاطلال من تحت التراب. فعند ذلك تخرج فتيات القريه و قد أخذت كل واحده منهن سله بيسارها و سكيناً يمينها، و ينطلقن فى البرارى يفتشن عما نجم من العشب البرى حيث يخترقن الأرض بسكاكينهن على جذور الأعشاب مقتلعات للأعشاب من جذورها و مائثات بها سلالهن. و ليست كل عشبه تصلح لذلك، فبعض الأعشاب لا تؤكل. و الفتيات يعرفن ما يؤكل و ما لا- يؤكل و يحسن انتقاء ذلك. و هذا الخروج إلى البريه و اقتلاع الأعشاب و العوده بها إلى البيت يعرف باسم (السليق) فيقال: خرجت فلانه إلى (السليق) (1) و ذهب (تسلق) بتشديد اللام (و السليق) المجموع ينظف و يقطع و يطبخ مع البرغل مضافا إليه قطع البصل و زيت الزيتون فيخرج من ذلك طعام (البقله). و قد يضاف اسم (البقله) إلى صنف آخر مطبوخ مع البرغل، فيقال (بقله حمص) أو (بقله فول) إذا كان المطبوخ مع البرغل حمصا أو فولاً.

و سواء أ كان الطعام (بقله) أو بقله فول أو بقله حمص فهو أبدا خال من اللحم. و بذلك يكون نتاجا قرويا محضا مما أنبتته أرض القريه و عملت فى إنباته يد الفلاح. لذلك فهو قليل التكاليف رخيص الثمن.

و البرغل يستعمل أيضا مطبوخا وحده أو مضافا إليه من قطع البصل و هو بذلك يقوم مقام الأرز، و يكثر في هذه الحال أن يطبخ معه نوع من المرق المؤلف من اللحم و بعض الخضار، كما يصنع حين طبخ الأرز.

و يسمى البرغل المطبوخ في هذه الحالة (صايت). و أكثر ما يكون هذا في الولايم. و أدركنا من يطبخون (الصايت) ثم يجللونه بطبقه من الأرز غير كثيفه فإذا أزيلت بدا البرغل تحتها. و يفعلون هذا تجملا..

و أدركنا من روى لنا أن الأرز لسدرته و غلاء ثمنه بالنسبه لثروه الفلاح، كان يعتبر دخوله بيوت الفلاحين نتيجة ضروره مؤذيه. ذلك أنه كان يوصف طعاما للمرضى، و كانت الفلاحه إذا ذكرت الأرز في مجتمع أعقت ذكره بقولها: (الله لا يدخله بيتكم)...

هكذا نرى أن حياه الفلاح في القرية تدور على البرغل و أنه الطعام اليومي الذي لا مناص منه، على مختلف الأسماء التي تطلق على مطبوخه..

و من هنا كانت مواسم البرغل في القرية مواسم حافله.

أن للبرغل في القرية موسمين: الموسم الأول هو موسم (سلقه)، فبعد أن تنتهي البيادر و يجمع القمح و ينقل إلى البيوت، يبدأ الاستعداد لإنتاج البرغل. ففي كل قرية من يمتلكون (الخلايق) جمع (خلقينه).

(و الخلقينه) وعاء نحاسي ضخم كروي الشكل عميق القعر كبير المحيط حتى ليكاد يكون حوضا. و صاحب (الخلقينه) هو الذي يتولى سلق القمح و إعداده ليكون برغلا، لقاء أجر معلوم هو حصه من البرغل نفسه، و عمليه السلق تبدأ بان تركز (الخلقينه) على موقد كبير يتسع لها ثم تثبت عليه تثبيتا محكما، و عند ما يراد سلق القمح تملأ الخلقينه ماء و يوضع فيها القمح و توقد تحتها النيران إلى أن ينضج القمح فيفرغ من الخلقينه، و ينشر في الشمس إما في مكان يعده صاحب الخلقينه نفسه، أو على أسطحه أصحاب البرغل، و يظل في الشمس إلى أن يجف و يبس و عند ذلك يرفع إلى البيوت و يجرد منه اسم القمح، و يصبح اسمه برغلا، و ينتظر فيه الموسم الثاني و هو موسم (الجراشه).

و من الطريف هجوم العصفير على القمح المنشور على الأسطحه فهي فرصه ثمينه للعصفير أن ترى الأسطحه و قد تالأا عليها القمح في نور الشمس فتتأدى من كل مكان للانقضاض على السطح و الفوز بالتهام أقصى ما تستطيع التهامه من هذا الغذاء اللذيذ، فتراها و قد أقلت رفا بعد رف و حطت على السطح مستعده للغميمه التي لا تكون دائما بارده، بل هي على الأغلب حاميه، إذ أن أصحاب الأسطحه لا بد لهم من أن يضعوا على السطح ولدا تكون مهمته مطارده العصفير بما تصل إليه يده، و هنا تبدأ المعركه، فبينما الولد يطارد العصفير من أمام يكون غيرها منقضا من وراء أو من اليمين أو من الشمال...

ص: ٢٨٤

و خلال موسم السلق تكون القرية فى حركة دائمه متصله، فمن ناقلين قمحا إلى الخلاقين بالأكياس على الدواب، و من عاملين فى الخلاقين و من ناقلين القمح مسلوقا من الخلاقين إلى الأسطحه، و هذا يجرى بالأوعيه النحاسيه منقوله على رؤوس الفتيات.

و الذى كان يعيننا نحن الأطفال من موسم (السلق) أننا كنا نحصل فيه على (الإلبه) (بكسر الهمزه و سكون اللام و فتح الباء) (و الإلبه) الاسم الذى يطلق على القمح بعد نضجه بالسلق و قبل أن يجف، فهى الاسم الذى يتوسط القمح و البرغل. و فى هذه الحال يكون القمح ناضجا طريا يسهل مضغه و يعذب طعمه، فيستحضر الأطفال الأوانى الصغيره و يذهبون بها إلى قمع أهلهم المسلوق حيث تملأ لهم من (الإلبه).

و هنا يكتفى بعضهم بأكل (الإلبه) منفرده، و لا يكتفى غيرهم بذلك بل يضيفون إليها السكر الناعم فتصبح (الإلبه) محلاه...

و الموسم الثانى للبرغل هو موسم (الجرشه). و لم تكن المطاحن الآليه قد عرفت بعد و لا يمكن نقل البرغل إلى مطاحن الحجر أو الليطانى، لأن هذه غير معدة لمثل هذا الأمر لأن لطحن البرغل طريقه معينه هى غير طريقه طحن القمح، فالثانى يغدو طحينا فى حين أن الأول يظل خشنا و على أنواع من الخشونه.

لذلك كان فى كل بيت (جاروشه) معدة لطحن البرغل، و هذا (الجرش) لا يجرى إفراديا و لا يقوم به كل بيت لقضاء حاجته الخاصه، لأن مجموع ما (يجرشه) البيت تضيق به جاروشه واحده لذلك كان لا بد من التعاون فى ذلك بين بيوت القرية كلها، فإذا عزم أحد البيوت على (جرش) برغله بعث يدعو بيوت القرية للمساهمه فى عمليه (الجرش) فتقبل صبايا البيوت و قد حملن (الجواريش) على رءوسهن منقوله إلى بيت الداعى، و حيث أن (الجاروشه) تحتاج لأكثر من يدين لادارتها و لا بد من أن تتعاون أربع أيدي أو ست أيدي، لذلك يقبل من البيت المدعو جميع (صبايا) و يلتقى الجميع ليلا فى أوسع غرف البيت حيث تكون قد فرشت الغرفه فراشا يستطيع تلقى (الجرش). و هناك تصف الجواريش واحده جنب الأخرى حتى تمتلئ بها الغرفه و تضاء السرج و تجلس (الصبايا) متحلقات حول الجواريش، ثم تدبر أيديهن الجواريش مترنمات بالأغانى القرويه، و منطلقات بالعمل و الإنشاد أتم انطلاق...

و لا ينتهى الهزيع الأول من الليل حتى يكن قد أنهين ما أعد (للجرشه) و قمن بنفض أذيالهن مما علق بها من آثار البرغل المجروش، ثم تقدم الحلويات و ما أعد للضيافه.

كانت ليالى (الجرشه) من ليالى القرية المشهوده، و القريب من مكان (الجرشه) يتحسسها بجوارحه و هو يصغى إلى ضجيج (الجواريش) ممزوجا بأصوات الفتيات فى تلك الليالى القرويه الماتعه..

بنات آوى الواويه

من الأصوات التى كانت مالوفه فى القرية هى أصوات بنات آوى، فما هو أن يسدف الليل حتى تتجاوب الأوديه و الرحاب بأصوات بنات آوى صارخه فى الظلمه الداجيه، أو الليله الأضحياه لا فرق فى الحاليتين.. و ما هو أن تسمع كلاب القرية أصوات (بنات آوى) حتى تجاوبها راده عليها ردا عنيقا. و إذا كان نباح الكلاب هو تهديد و وعيد و إنذار، فما من أحد يعرف الحكمه التى تتوخاها بنات آوى بالإعلان عن نفسها بهذا الصياح العجيب، و الإشارة إلى وجودها بهذا النداء الغريب. على أن بعض

(فلاسفه) القرية فسر ذلك بأنه نوع من استكشاف قوى العدو و معرفه حقيقه هذه القوى و مدى فعاليتها، و ذلك بما تجيب به الكلاب من نباح يكثر أو يقل بحسب كثرتها أو قلتها...

و عند ما يتعالى هتاف (ابن آوى) الخبيث فان أول ما يتبادر إلى ذهن القروى هو ذكر دجاجاته، ففرائس (بنات آوى) هى دائما الدجاجات.

و مهما حصنها صاحبها، و مهما أحاط (القن) بما يحسب معه أن الاقتحام أصبح متعذرا، و رغما عن وجود الكلب، الحارس الأمين، فسيظل (الواوى) يجد منفذا يصل منه إلى (قن الدجاج) و الفوز بصيد ثمين...

و إذا كانت (بنات آوى) تتصايح فى أول الليل، فهى تسكت حينما تهجع العيون، ففى تلك الساعات تدرکها الحكمة و يعود إليها التعقل و تمتلكها الرزانه، فلا- تعود تعلن عن وجودها و تدل على مكانها، بل تأخذ بالتهيؤ و الاستعداد للتسلل إلى (قن الدجاج) محاذره أشد ما تحاذر أن لا تثير انتباه الكلاب، لتمرق إلى غايتها آمنه مطمئنه، و كثير ما نجحت خططها فى استغلال الكلاب و اقتحام الدجاج بلا خوف منها، و لكن الويل لها إذا أحس الكلب (بواو) قريب منه، ثم فاجاه بالهجوم عليه، فان معركة (الواوى) معه خاسره حتما، لا يخرج منها إلا مهشما ممزقا داميا...

أما إذا استطاع الافلات و الركض هاربا من الكلب و عدا الكلب وراءه، فان الكلب لن يدركه أبدا، و سيظل هو أسرع من الكلب، و يظل راکضا حتى يصبح فى الحقول الواسعه المتراميه، فيرجع عنه الكلب خائبا...

و هنا يؤلف القرويون ما يشبه المثل، بان يقولوا: أن سائلا سال (الواوى) لما ذا تستطيع دائما النجاه من براثن الكلب إذا حاول اللحاق بك؟. فأجاب (الواوى): لأننى أركض لنفسى و الكلب يركض لغيره...

و كما كان يسطو (الواوى) ليلا على الدجاج فكذلك كثيرا ما كان يسطو الذئب على الغنم و المعزى فى حظائرها فيفوز بفريسته جارا لها إلى البرارى...

و الكلب هنا لا- يستطيع مقارعه الذئب لذلك لا- يدخل معه فى معركة أما ما يعمله فهو أن يوالى النباح عنيفا صارخا ليوقظ النائمين، فيهبوا لحمايه ماشيتهم...

لقد صممت (بنات آوى)، و لم يعد يسمع لها صياح فى محاجر القرية و حقولها الدانيه، و أمنت الدجاجات فلم تعد تبيت قلقه مروعه، و انعدمت الحاجه إلى الكلاب، فلم يعد لها ذاك المجد باعتبارها الحراس الشجاعه.

فتواتر عن القرى و غابت عن بيوتها.

أشياء كثيره تبدلت فى القرية، و حالات عديده زالت فيها من

الوجود، فلم يترك هذا التبديل و هذا الزوال إلا ذكرى ضئيله خائيه، و إلا خيالات تأخذ في الانمحاء يوما بعد يوم.. و لكن كر الأيام و تعاقب السنين، لا يمكن أن يطمس ذكرى أشياء و حالات أخرى...

لا يمكن أبدا أن يطمس ذكرى الإقبال على القرية في الليالي و قد صمت كل شيء، و هدأت كل حركه، إلا أصواتا لم تصمت، و حركات لم تهدأ، أصواتا تشق أجواز الفضاء إلى الآذان في هدأه الليل ماشيه إلى البعيد البعيد، فتكون إشاره الأمن و شعاع الوصول... أصواتا إذا كانت غير مرضيه من قريب فإنها تبعث الرضا كل الرضا في الليل البهيم من بعيد...

تلك هي أصوات كلاب القرية التي طالما سمعناها على ظهور الخيل، ماشين إلى القرية في اعتكار الظلام...

لم ينته وجود الكلاب في القرية كل الانتهاء، بل لا يزال لها وجود محدود. و لكن النوع تبدل و العمل تحول...

و الكلاب الموجوده اليوم في القرية هي كلاب الصيادين، كلاب تنام في الليل مع النائمين، و تهدأ مع الهادئين. و بعد أن كانت مهمه الكلب حمايه الضعفاء و رد المعتدين، صارت كيد الضعيف و عضد المعتدى...

سباق الخيل

كانت الخيول كثيره في القرية، و كانت هي وسيله الانتقال من قرية إلى قرية أخرى، و بعض الخيول كان يعد (لدراسه) سنابل القمح، و لكن هذا النوع قليل، (فدراسه) السنابل على البيادر تتولاها ثيران البقر التي كانت تولت زراعتها. على أن خيول الدراسه حين توجد لا تكون من النوع الأصيل، فالأصائل لا تستعمل لغير الركوب.

و اجتماع عدد من الأصائل في القرية تكون نتائجه أن تقام في القرية ميادين السباق أصيل كل يوم في الكثير من أيام السنه. و أسلوب هذا السباق هو أن ينقسم الفرسان إلى صفيين متقابلين، فيبرز من هذا الصف فارس بفرسه قاصدا الصف الآخر، و لا يكاد يدنو منه حتى يلوى عنان الفرس راجعا بأقصى سرعته، فينتدب له فارس يعدو بفرسه وراءه متسابقين، حتى إذا دنا الفارس من صفه انضم إليه، و لوى الآخر عنان الفرس راجعا فيتعقبه فارس من الصف، و هكذا بين كر و فر طوال الوقت.

و قد كان اقتناء الخيول موضع تباه و تنافس بين البارزين في القرية، كل يحاول أن يقتنى الأكثر أصاله و الألف شكلا و الأسرع ركضا، و كان ذلك من دلائل الوجاهه، فلا بد في (التوجه) في القرية من اقتناء الفرس...

على أن أعظم ميادين السباق كانت تعقد في الأيام الحاشده حيث يشترك في السباق فرسان أكثر من قرية واحده، و ذلك أيام الأعراس الكبرى حيث تدعى إلى حضور عقد الزواج قرى بكاملها، فتقدم القرية بعلمها و رجالتها و فرسانها و صباياها في موكب واحد و ما أن يطل الموكب على القرية الداعيه حتى يأخذ فرسانه بالتبارى على ظهور الخيل جائلين في كل رحبه، و يأخذ الرجاله بإطلاق أصواتهم بحدائهم الجميل الذي كانوا يسمونه (الرويد)، حيث يتقدمهم اثنان من ذوى الأصوات العامره بهتاف يردده الجمهور بصوت واحد و من ورائهم الصبايا بهتافات أخرى... و ما أن تسمع القرية الداعيه صوت (الرويد) يقترب منها، حتى تنطلق بجمهورها لاستقبال القادمين (برويد) مقابل فإذا التقت القرى المدعوه كلها، عقدت كل قرية حلقة للدبكه وحدها، فيما يجتمع فرسان كل القرى منقسمين إلى صفيين متقابلين.

و كثيرا ما كنا ننطلق من شقرا في موكب من الفرسان في زياره لقرية اخرى بمناسبة من المناسبات في موكب جميل وقور هادئ. على أننى ما كنت فارسا معدودا، فبالرغم من أننا كنا نقتنى دائما فرسا أصيله و كنت كثير التنقل عليها، فاننى لم أكن أشارك بالميادين و دخول الحلبات، و إذا شاركت كنت بين الضعف، و ذلك لأن الفروسية يقتضى لها مران دائم منذ الصغر. و لم يتيسر لى ذلك بسبب نشوئى فى دمشق، و عدم تفرغى للخيل إلا خلال الصيف. و لما طالت إقامتنا فى شقرا خلال الثورة السورية و بعدها لم أتفرغ لذلك فظلت غير ملم بالأصول غير متمرس بما يجب أن يكون...

لقد انقضت الخيول من القرى انقراضا كاملا. و انقضت الدعوات الجماعية للأعراس الكبرى، و صمت (الرويد)، و إن ظلت الدبكه تطل بين الحين و الحين إطلالات ضعيفه...

الحركة الوطنية

أخذت الثورة السورية تتلاشى يوما بعد يوم، و إذا كنت لم أنس أن آخر بطل من أبطالها كان عز الدين الجزائرى الذى حاول اقتحام الغوطه من جديد بعصابته التى لا تعدو العشرات فتلقاه الفرنسيون و انجلى القتال عن مصرعه و تشتت رجاله و نزح سلطان الأطرش إلى الأزرق ثم إلى صحراء النبك و تفرق بقيه الزعماء بين مصر و العراق و الأردن و تركيا. و كان أكثرهم فى مصر، و انجلى الأمر عن شقاق مؤلم انشطر فيه القوم إلى فريقين يتشامان و يتبادلان التهم على صفحات الجرائد.

و جاء مفوض فرنسى جديد هو المسيو بونسو و أعلنت فرنسا العفو عن فريق من الثائرين فعادوا إلى الجبل و دمشق و غيرهما. و أعلن بونسو قيام مرحله جديده و دعا إلى انتخاب مجلس تاسيسى يضع دستورا لسوريا تدخل فيه عهدا لا يشبه عهودها السابقه. و تكتل الوطنيون السوريون و جمعوا صفوفهم فكان ذلك ميلاد الكتله الوطنيه التى قادت سوريا بعد ذلك فى نضالها مع الفرنسيين حتى آخر عهودهم.

و رحنا و نحن فى جبل عامل نرقب ما يجرى فى دمشق و سوريا كلها فاسفرت النتائج عن فوز الكتله الوطنيه باغلبه مقاعد المجلس التأسيسى و سيطرتها على قياده المجلس..

و لما بدئ بوضع الدستور و تتالت موادها بعد ماده ثم انتهى وضعه أسفر الفرنسيون عن نواياهم، إذ جاء الدستور دستورا استقلاليا واضحا مما لم يقبله الفرنسيون و طلبوا تعديل بعض موادها و هى ست مواد كانت هى جوهره و روحه و فى تعديلها كما يريد الفرنسيون تكريس للانتداب و اعتراف قانونى بوجوده.

و لما طال الأخذ و الرد و أصر كل فريق على موقفه، راح الفرنسيون يؤجلون جلسات المجلس ثم حلوه حلا نهائيا...

و عادت سوريا إلى الكفاح من جديد و قامت المظاهرات فى جميع المدن

السوريه و اشتبكت بالفرنسيين و اعتقل الشبان و الطلاب و سجنوا و عذبوا.

و كانت الأخبار تصلنا فننفعل بها انفعالا- كاملا- دون أن نستطيع المشاركه العمليه. لأن الرأى العام عندنا لم يكن مهينا لأيه مشاركه من هذا القبيل، و لأن الفرنسيين قد تسلطوا على البلاد عن طريق وجاهات خلقوها أو دعموها و جعلوها تتحكم بمصائر الناس و مضارهم و منافعهم.

فى النباطيه

و فى يوم من الأيام مضيت من شقرا إلى النباطيه - و كثيرا ما مضيت إليها - فركبت الفرس من شقرا مصطحبا معى رجلا ليعود بها، فمررنا بالبركه فى طرف القرية الشرقى لنهبط عقبه السكيكه.

و البركه فى شقرا - كما فى كل القرى - من أطرف ما فى القرى، فهذا الماء الآسن المتجمع خلال الشتاء مما يتدفق سواء من أزقه القرية أو خارج القرية من فيوض المطر، و المتكون حوضا واسعا راكدا، إنما يصلح فى القرية لكل شىء فى حين أنه فى الواقع لا يصلح لشىء.

و لأى شىء يمكن أن يصلح ماء ركذ فى حيز معين فتولد فيه ما لا يعلمه إلا الله من صنوف الأحياء التى يمكن أن تتولد فى الماء الراكد الآسن، مما تراه العين صغيرا و كبيرا أسود و أحمر و من كل لون. أو مما لا تراه العين أصلا...

و لكنه كما قلت يصلح فى القرية العامليه لكل شىء: إنه أولا و قبل كل شىء مورد لكل ما فى القرية من خيول و حمير و بقر و غنم و ماعز، و ما أكثر ما فى القرية من هذه الصنوف.

ثم هو مشرع لشيئين اثنين أساسيين من حاجات القرية اليوميه، فيه تغسل أوانى البيوت جميعا. فى هذا الماء القدر تنظف أوانى القرية...

و منه تغسل ملابس القرية، فمنذ الصباح الباكر تنظم الأثافى و توقد فيها النيران و توضع عليها القدور فيسخن الماء و يغلى به ما حملته القرويات من منازلهن أثوابا و ملاحف و كل ما حفل به البيت القروى مما يتسخ فيغسل...

فإذا أقبلت صباحا من القرية هابطا إلى الشرق فى اتجاه البركه، أبصرت الدخان يتعالى من جميع أطرافها الدائريه من مواقد الغسيل...

و هذا الماء نفسه هو مسبح القرية يتدرب فيه صبيانها على السباحه ثم يتقنها فيه فتيانها و شبانها.

و من هذا الماء تروى مشاتل (الدخان)، ثم أغراس الدخان...

و فيه ينقع البايير الجاف ليلين فيصلح لربط (البنادك) و غير البنادك و لعل له منافع أخرى غابت عن معرفتى، فمن منفعه - فيما أذكر - أنه مغتسل للموسوسين الذين لا يطمثون لصحه الغسل الترتيبى فيقصدون البركه ليغتسلوا ارتماسا، صيفا و شتاء...

و مغتسل لغير الموسوسين ممن تضطهرهم قله الماء فى بيوتهم فيغتسلون فى البركه ليوفروا الماء.. أقول: مررنا بالبركه صباحا، و موافدها عامره و قدورها متضمره و تجاوزناها إلى مطلع عقبه السكيكه واصلين إلى وادى السلوقى و منه إلى وادى الحجير حيث ينتهى عند مشارف الليطانى. و من هناك عبرنا جسر القاعقيه على نهر الليطانى حيث يفترق الطريق الموصل إلى النباطيه إلى شعبتين فاما أن يسلك السالك طريق (القاعقيه)، و أما أن يسلك طريق (زوطر) و لا- بد فى كلا- الطريقين من تسلق عقبتين كئودين، فاما العقبه الأولى فأقل مشقه، و لكن طريقها الأطول فى الوصول إلى النباطيه. و أما الثانيه فإنها جبل شامخ متدرج فى الارتفاع تدرجا عاموديا مضنيا، و لكن طريقها فى النهايه هو الأقصر. لذلك كنا فى ذهابنا إلى النباطيه نسلك طريق عقبه زوطر مصعدين على ظهور الخيل تصعيدا بطيئا مقلقا، حتى ننتهى إلى قريه زوطر فنجتازها عابرين فى السبل الموصل إلى النباطيه فلا نصلها إلا بعد حوالى سبع ساعات من خروجنا من شقرا.

و أذكر أننا كنا عند ما نصل إلى مرتفع مشرف على النباطيه حيث تبدو لنا منه البلده فجاءه، ندرک أننا فى المرحله الأخيره من سفرنا هذا و هنا نزل عن الخيل فنبدل ملابسنا أو على الأصح بعض ملابسنا و نترك ما كان علينا، لما كان يمكن أن يكون قد لحقه من أوضار خلال الطريق من عرق الخيل و غير عرق الخيل، ثم نمضى إلى النباطيه واصلين رأسا إلى (الخان) حيث نودع الدواب فيه لنعود عليها بعد يوم أو أيام إذا كانت عودتنا قريبه [قريبه]، أو لنعيدها مع من يكون قد صحبنا من الرجاله، إذا كانت إقامتنا ستطول، أو أننا سنغادر النباطيه إلى صيدا أو بيروت أو غيرها فى غيبه طويله.

و النباطيه كانت مقرا لاثنين من أعلام جبل عامل علما و خلقا و أدبا و وطنيه، هم الشيخ أحمد رضا و الشيخ سليمان ظاهر. و كنا حين نجىء النباطيه فأول شىء نفكر فيه هو حضور مجلس الشيخ أحمد رضا الذى تلتقى فيه نخبه من رجال النباطيه كل يوم إما عصرا و إما ليلا، أو بالأحرى عصرا و ليلا هناك فى منزله الكريم على الجاده قريبا من ساحه البلده العامه. المنزل المحاط ببستان البرتقال الأخضر و المسقوف بقطع (القرميد) الأحمر و الممتد طولا بطبقه واحده تضم غرف المنزل الداخليه، و أولا و قبل كل شىء فى المدخل غرفه (الشيخ) الخاصه بمكتبته و سريره بحيث يغمض عينيه ليلا، فيكون آخر ما يشاهد رفوف الكتب، ثم يفتحها صباحا، فيكون أول ما يشاهد تلك الرفوف، ثم يعيش نهاره محاطا بها و القلم بيده و الورق تحت بصره... إلا أن يفاجاه اثنان اختلفا على حد فى أرضهما، أو تنازعا على شان من شئونهما، فيهب معهما مستجيبا هاشا باشا...

عناك فى منزله تحت أغصان شجره الياسمين النضيره بزهرها الأبيض العابق المتفتح، و أغصانها الخضر الظليله، و حول الحوض المترع بنافورته الصغيره المتشامخه.

و ما هو أكثر نضاره و أفوح أرجا و أروى على الظما: حديث الشيخ أحمد رضا و خلقه و علمه و أدبه.

مجلس الشيخ أحمد رضا تحت شجره الياسمين و حول حوض الماء، كان ندوه من أزهى الندوات العربيه و أكثرها خصبا و أبعدا أثرا. و إذا كان قد قدر لكثير من الندوات فى شتى بلاد العرب أن يشار إليها و يكتب عنها و ينتشر ذكرها فإنه لم يقدر لندوه الشيخ أحمد رضا أن تنال شيئا من هذا الحظ.

بل أن منزل الشيخ أحمد رضا الذى طالما ضم أفضل العلماء و أعذب

الشعراء و ألبق المحدثين، و الذى كان منبعا للوطنية و ملتقى لرجالها. أن هذا المنزل الذى يمثّل صفحته من أنقى الصفحات فى تاريخ جبل عامل، بل فى تاريخ لبنان و تاريخ العرب العلمى و الأدبى و النضالى، إن هذا المنزل الذى كتب فيه الشيخ أحمد رضا معجمه (متن اللغة) و أبحاثه فى التاريخ و الفقه و الأدب، إن هذا المنزل قد أزيل من الوجود، و أصبح أثرا بعد عين كما يقول الأقدمون.

و كان من حقه على بلده و على بلاده كلها أن يحفظ أثرا من آثارها التاريخيه و متحفا من متاحفها الوطنيه.

فسلام على الشيخ أحمد رضا حيا و ميتا، و سلام على منزله صرحا عامرا و ظللا دائرا...

كان أبرز رواد مجلس الشيخ أحمد رضا: تربه و زميله، بل أخوه الذى لم تلده أمه الشيخ سليمان ظاهر، و قد عاش هذان الشيخان منذ وعيا الحياه أخوين فى الله و العلم و الحق. عاشا معا طالبين فعالين فمكافحين.

عاشا معا حياه حافله بأشرف ما تحفل به حياه الرجال من علم و عمل و إخلاص. و كان لا يذكر أحدهما إلا و يذكر الآخر معه، حتى لقد استعيض عن تسميتهما باسميهما عند ذكرهما فكان يقال: جاء المشايخ و ذهب المشايخ، و قال المشايخ و فعل المشايخ. فيفهم السامع أن المقصود هو الشيخ أحمد رضا و الشيخ سليمان ظاهر.

و كانا يكمل أحدهما الآخر، فكلاهما شاعر كاتب مؤرخ لغوى، و لكن الصفه المتفوقه فى الشيخ سليمان ظاهر (الشاعر) و فى الشيخ أحمد رضا (اللغوى).

و على الرغم من أنهما كانا على مزاجين مختلفين فإنهما فى حياتهما الطويله كلها لم يتكدر ما بينهما بذره من التكدر، بل ظلّا فى كل لحظه من تلك الحياه المعطاء الجواده على أصفى ما يكون الأصفياء، و أشهى ما يكون المتحابون.

و توفى الشيخ أحمد رضا قبل الشيخ سليمان ظاهر بسنين، فظل الشيخ سليمان ما عاش طويل الكابه عميق الحزن مستشعرا الوحده، مفردا بين الجماهير.

أيها الشيخان، بل أيها المشايخ كما كان يحلو للناس أن يتحدثوا عنكما...

إذا كان لكل منكما عشرات السجايا التى تكفى كل واحده منها لتضع الرجل أكرم موضع فاحسب أن من أجل سجاياكما أن كنتما كما تحدث القرآن عن أهل الجنة:

(و نزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين).

أيها الشيخان:

كم يطيب لى الحديث عنكما و أكتفى اليوم من ذلك بقول شوقى: و هو يرثى صديقا له:

(يا ليت شعرى هل قلت الذى أجد)

جئت النباطيه فى تلك الفتره و كانت قد تألفت فيها جمعيه باسم (جمعيه النهضه العامليه) ضمت عصبه من الشباب النباطى، فكانت أول جمعيه من نوعها بعد (جمعيه المقاصد الخيره) التى أسسها الشيخ أحمد و الشيخ سليمان ظاهر منذ شبابهما فأقامت مدرستين: مدرسه للبنين و مدرسه للبنات، فعاشت الجمعيه طيله حياتهما، ثم بعد وفاتهما و استطاعا بنزاهتهما أن يوجد لها أملاكا جمه ذات موارد غزيره.

و لقد علمت عند وصولى للنباطيه بان جمعيه (النهضه العامليه) تتهيا لاقامه حفل تكريمى لأحد شباب المنطقه لمناسبه نيله (إجازة الحقوق) من معهد دمشق.

و كان نيل إجازة الحقوق يعتبر فى ذلك الوقت فى جبل عامل حدثا يستحق بان يشاد بصاحبه و يدعى الناس للاحتفاء به..

و رآنى الداعون إلى الحفل، فشاءوا أن أكون فى عداد المتكلمين. و لم يكن فى ذهن أحد أن أحدا من الخطباء سيتجاوز فيما يقوله الحديث عن المحتفى به و ما إلى ذلك من شئون. و لكننى قد كنت منفعا باحداث دمشق، و ما يجرى فى سوريا كلها من صراع بين الوطنيين و الفرنسيين، و متأثرا بالمظاهرات و الاعتقالات، متأسفا على أن لا أكون قد شاركت فى شىء مما يتأجج فى ديار الشام فصممت على أن يكون خطابى مستوحى من صميم الأحداث السوريه، و على أن أجعل منه قبله تنفجر فى ذاك الحفل، فتصيب شظاياها من تصيب...

و قد كان ذلك فألقيت كلمه مكتوبه بداتها بالحديث عن موضوع الاحتفال فاتخذت من تخرج المحتفى به من معهد حقوق دمشق سبيلا للحديث عن دمشق و ما يجرى فيها...

فران على الجميع صمت رهيب هو مزيج من الدهشه و الخوف و الاستنكار و الاستحسان، و قد كنت أطلع كل ذلك فى وجوه السامعين...

و نزلت عن المنبر و عدت إلى مكاني و اتخذت من الإطراق وسيله للتخلص من العيون الشاخصه إلى بشتى بواعث الشخوص...

و أذكر أن الخطيب الذى تلانى خرج إلى المنبر متعثرا و بدا فى كلامه متلجلجا، و ظهر عليه أنه يخشى أن يؤخذ بجريرتى و يشرك فى مسئوليتى...

و انتهت الحفله و عدت إلى طبيعتى و وقفت مع الواقفين استعدادا للخروج، و من الطبيعى أن يتصافح الخارجون، فرأيت كيف تجنبنى حتى أمس الناس صله بى...

مر الحادث خلافا لما توقع الناس و لما توقعت أنا نفسى، ما خلا العتاب ممن ينتمون إلى منظمى الحفل على أن ورطتهم فى هذا الأمر، و أنهم يتوقعون شرا لا يدرون كيف سيقع.

و لكن الشر لم يقع و حرصت على أن أبقى فى النباطيه أكثر من يوم لأكون ماثلا لكل سؤال. و بدا لنا بعد ذلك أن السلطات لم يكن فى ذهنها حدوث ما حدث، لذلك لم تحرص على إرسال المخبرين المتجسسين، و أن أحدا من الحاضرين لم يتبرع بالابلاغ، لذلك ظل الأمر محصورا ضمن إطار محدود و لم يترك ذيو لا...

لم تكن النباطيه وحدها هي المكان البعيد الوحيد الذي نقصده على ظهور الخيل في أسفارنا، فعدا عما يجاورنا من قرى كان أبعد ما نقصده هو صور و جديده مرجعيون. و تكلمت فيما تقدم عن سفرنا بين صور و شقرا.

أما جديده مرجعيون فقد كنا نقصدها في حالتين: إحداهما أنه بعد ما تم شق الطرق الموصله بين الجديده فباناس فالقنيطره التي كانت الطريق تصلها بدمشق، فاننا صرنا أحيانا نختر في الذهاب إلى دمشق و المجيء منها طريق الجديده فالقنيطره آخذين السيارات من الجديده حتى القنيطر ثم منتقلين إلى سيارات أخرى تنقلنا من القنيطره إلى دمشق.

و مر فيما تقدم أننا كنا من قبل نركب الدواب حتى القنيطره، و منها نأخذ العربات المجروره بالخيال أولا، ثم السيارات بعد ذلك. و في غير أسفارنا إلى دمشق كنا نقصد الجديده لأن شقرا كانت في فتره طويله تتبعها إداريا، فكان لا بد لنا من الذهاب إليها أحيانا لمتابعه بعض المهام فتمضى بنا الخيل منحدره في عقبه السكيكه، فوادي السلوقي، ثم منحرفه إلى اليمين في الطريق المؤدى إلى (مركبا) مارين بما يسمى (قدام مشعرون)، ماضين صعدا حتى نصل إلى (مركبا) فنمر في طرف البلده دون أن نخرج عليها. ثم نوغل في السير مضيا إلى بلده (عديسه). و هنا يختلف الأمر.

فاما أن يكون خروجنا من شقرا مبكرين في الصباح، و معنى ذلك أننا سنصل الجديده في مرحله واحده دون التعرّيج على (عديسه)، و إما أن نكون قد تعمدا الخروج من شقرا عصرا أو أصيلا، و معنى ذلك أننا مصممون على أن نقسم الطريق إلى مرحلتين، تكون إحداهما عديسه، و في هذه الحال فان المنزل الكريم الذي سنحل به هو منزل السيد طعان خليل.

و منزل السيد طعان خليل يقوم على الجاده و كان الشاعر إنما عناه بقوله:

نصبوا بمدرجه الطريق قبابهم يتسابقون على قرى الضيفان

فما هو أن نقبل على المنزل حتى يتلقانا السيد طعان بقامته المديده و وجهه المشرق و ترحيبه الصميمي.

كان السيد طعان يمثل في (عديسه) الصوره التي رسمها العرب في شعرهم و نثرهم للعربي الجواد المضيف الذي يرى إكرام الضيف أجل المزايا. و ما قرأت بيتا من الشعر العربي في الضيافه و أربابها إلا و تمثل أمامي السيد طعان و بيته و أخلاقه.

إنني أحسه مثلا و أنا أقرأ:

بشاشه وجه المرء خير من القرى فكيف بمن ياتي بها و هو ضاحك

فالبشاشه أول ما كان يطالعك به السيد طعان، البشاشه التي تشعرك بمقدار السرور الذي أدخلته عليه و أنت تنزل ضيفا عليه، البشاشه المنبعثه من القلب صورا على الوجه.

ثم بعد ذلك: الذكاء الفطري و الحديث العذب و الخلق الرضى و الود الصافي. كان بيت السيد طعان في (عديسه) ملتقى

لضروب شتى من الناس، قد لا يربط بينهم إلا لقاءهم على قصد ذاك البيت فى غدوهم و رواحهم، و لطالما التقى فيه على غير موعد الخصوم المتنافرون، و الأضداد المتنافسون، و الأعداء المتزاحمون.

و الذين لا يجمعهم مكان، و لا يظلمهم سقف واحد، كان المكان الذى يجمعهم، و السقف الواحد الذى يظلمهم هو مكان السيد طعان، و سقف غرف بيت السيد طعان...

فظالما تشاكس نافذان فى قريه، أو غير نافذين، ثم مضيا إلى (الجديده) يشكو أحدهما الآخر، أو ليستعدى كل منهما السلطه على مشاكسه، ثم إذا بهما يلتقيان مساء ذاهبين أو آئبين على مائده السيد طعان و على ما هيا لهما من أرائكك، و بسط لهما من حشايا و وسائل.

كل هذا و السيد طعان رقيق الحال قليل المال...

لقد مضى السيد طعان و خلت منه (عديسه)، و قبل أن يمضى السيد طعان و قبل أن تخلو منه عديسه خلا الطريق من الخيل، و انقضى عهد التنقل على ظهورها، فصرنا نمر بعديسه فى السياره، و لم يعد من حاجه للضيافه، و لا من ضروره للمبيت عند السيد طعان، و لكننى ظللت طول حياه السيد طعان و مرورى بعديسه ألزم سائق السياره بالوقوف على باب المنزل الذى طالما وقفنا عليه مجهدين و حللناه متعبين، فكان لنا ملاذا من الجهد، و مراحا من التعب. كنت ألزم سائق السياره بالوقوف على بابه ثم ألج المنزل الكريم محييا صاحبه العزيز جالسا إليه بعض الوقت، فلا يفوتنى أن أحس ملامح المراره على قسما و وجهه، لأن الضيوف اليوم غيرهم بالأمس، لأن كوبا من الشاي أو رشفه من القهوه تكفى لقراهم...

البقاء فى شقرا

كان استمرار الثوره السوريه سنتين و استمرار وقوع المعارك فى قلب دمشق سببا لاستمرار والدى و العائله فى الإقامه فى شقرا، و بعد أن مضى ما يقرب من سنه على قيام الثوره، و بدا أنها ستطول إلى مدى لا يعلمه إلا الله، لم يصبر والدى على البعد عن مكتبته، و هو الذى اعتاد الجلوس إليها ليلا نهارا، لا سيما و قد كانت لديه مخططات لتدوين بعض مؤلفاته، و أهمها فى ذلك الحين كتابه (كشف الارتياب)، لذلك أرسل إلى دمشق يطلب أن يرسلوا إليه إلى شقرا مكتبته كلها، فشحت المكتبه من دمشق إلى بيروت بالقطار، و من بيروت إلى صور بالسياره، و من صور إلى شقرا على ظهور الجمال.

و كان وصول المكتبه إلى شقرا باعثا على استقرار الوالد فيها، فانتهدت الثوره خلال سنتين، فلم يفكر بالعوده إلى دمشق، فما دامت كتبه عنده، و ما دام مطمئنا إلى سير مشاريعه فى دمشق سيرا مطردا بما كان قد أعد لها من جمعيات تشرف عليها، فلم يكن له باعث قوى على ترك شقرا.

و هكذا توالى علينا الأيام فى شقرا، و استفادتى الثقافيه الوحيدة فيها هى ما كنت أتلقاه على والدى من دروس اللغه العربيه، و دروس الفقه الإسلامى، و كان المستقبل أمامى مجهولا، بل قاتما، إذ لم يكن لدى ما أتجهز به لهذا المستقبل، و كنت أتوق لترك شقرا باى وسيله، و لم تكن لى أىه وسيله.

و إذا بي أتلقى دون سابق طلب أو رغبة قرارا بتعييني مساعدا قضائيا لمحكمة النباطيه الشرعيه، و ذلك أن أحد النافذين كان قد زارنا في شقرا و عرف تضجري من الإقامه فيها على ذلك الشكل، فاستصدر مرسوما بتعييني في تلك الوظيفه، ففوجئت بذلك، و لم تكن هذه الوظيفه لتحقيق شيئا مما أبتغيه في الحياه، بل كانت تبدو و كأنها قد حددت مصيرى بما لا يمكن أن أرتضيه لقبال أيامى.

و قد كانت لى مطامح ثقافيه بعيده فان طول جلوسى إلى جانب والدى سواء فى مكتبته، و رؤيته عاكفا ليلا نهارا على القلم و الورق و الكتاب، و انتشار كتبه فى أنحاء العالم الإسلامى، كل ذلك ركز فى نفسى الطموح الثقافى وحده، و كان أكثر ما يستهوينى الاطلاع [الاطلاع] على التاريخ، و أسس هذا الاستهواء فى نفسى شيئا: قراءه ما قرأته فى مكتبته والدى، ثم الدروس التى كان يلقيا علينا أستاذ التاريخ فى المدارس الابتدائيه فى المدرسه العلويه (أديب التقى) فقد كان إلى جانب إدارته للمدرسه يتولى فيها درس التاريخ و درس الإنشاء - كما تقدم - و كان هو نفسه مؤلفا فى التاريخ المدرسى، مشبعا بالحس التاريخى العميق، بارعا فى إلقاءه و ترسيخه فى الذهن، فكان لهذين العاملين الأثر الكبير فى ميولى التاريخيه.

و عند ما انتميت بعد ذلك إلى الجامعه السوريه، لم يكن لى بد من الانتماء إلى معهد الحقوق، لأنه كان هو وحده الموجود - عدا معهد الطب و الصيدله - و لم يكن فى الجامعه معهد للآداب و التاريخ، و لو كان ذلك موجودا لانتميت حتما إلى معهد التاريخ و لما درست الحقوق.

التردد فى قبول الوظيفه

ثم القبول

عند ما فوجئت بقرار تعيينى مساعدا قضائيا لمحكمة النباطيه الشرعيه، صممت لأبول وهله على الرفض تصورا منى أن هذه الوظيفه قد حددت مصيرى غير المرضى منى، ثم لم ألبث أن تارجحت بين القبول و الرفض، ذاك أن مجرد تصور الخروج من شقرا و من حياه الضجر و القلق التى أعيشها فيها كان كافيا لرجوعى عن الرفض و ميلى إلى القبول. ثم عاد التردد استقرارا على القبول، مقتنعا أن هذه الوظيفه لن تسد أمامى باب المستقبل، بل يمكن أن أجعل منها مفتاح ذلك المستقبل، و هذا ما كان.

و من هنا أستطيع أن أقول أن تلك الوظيفه الصغيره ذات الراتب القليل القليل، و ذات المركز الاجتماعى الهزيل، و التى كنت أخجل بها أمام المعارف و الأصحاب فاتوارى منهم. إن تلك الوظيفه هى التى أوصلتنى إلى ما وصلت إليه، و هى التى حققت لى المطمح الثقافى الكبير فى إصدار (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه) و (الموسوعه الإسلاميه)، و التحقيقات التاريخيه التى شفيت بها الغليل من مزورى التاريخ و العابئين به.

فلو لم أخرج تلك السنه من شقرا، ثم أسعى لمتابعه الدراسه الثانويه، ثم أؤدى امتحان الجامعه و أدخلها - كما سيأتى -، لما علم غير الله أى مصير سىء كان يمكن أن أصير إليه. ففى السنه التاليه لدخولى الجامعه ألغى امتحان الجامعه، و صار على كل طالب لدخولها أن يحمل شهاده القسم الثانى من البكالوريا، و هو ما كان من المستحيل أن أحققه.

فى النباطيه

كان قاضى المحكمه الشيخ محمد رضا الزين، و هو إنسان دمث الأخلاق طيب الذات لطيف المعشر، و كان لنا من قبل صديقا وفيما مخلصا، فلم يكن من صعوبه فى العمل معه، و كان الراتب خمسا و عشرين ليره و رقيه، و هو راتب زهيد لا يسد حتى الحاجات الضروريه، لذلك كان على أن أتكيف مع هذا الراتب، مصمما على عدم الاستمرار فى عملى إلا بمقدار ما أجد سيلا للانطلاق فى الميدان الذى أرغب فيه، و كان هذا الميدان محصورا فى متابعه الدراسه الثانويه للالتحاق بالجامعه. و لم يكن ذلك بالأمر السهل، بل كان يبدو أن دونه خرط القتاد - كما يقول الأقدمون - إذ كان قد مضى على إنهاء دراستى الابتدائيه سنوات انقطعت فيها عن متابعه الدراسه، و لو أننى واصلتها لكنت الآن فى نهايه الدراسه الثانويه، فكيف لى أن أستدرك ما فاتنى، و هل من المعقول فى هذه السن أن أبدأ الدراسه الثانويه فى الصفوف مع الصغار؟!.

ثم أن هناك مشكله كبرى كانت تبدو مستحيله الحل، هى ذات شقين: الأول و هو الأخطر، أن اللغه الفرنسيه صارت أساسا فى نيل شهاده الدراسه الثانويه (البكالوريا)، و ليست اللغه وحدها هى المفروضه بل أدبها أيضا. و كانت كل معرفتى باللغه الفرنسيه هو القليل الذى تلقيناه فى الدراسه الابتدائيه، فكيف أنجح فى نيل الشهاده الثانويه و أنا على هذا الجهل باللغه الفرنسيه، و كيف يتسنى لى دراسه اللغه و آدابها فى فتره وجيزه، و هب أن مدرسه قبلتنى فهل من المعقول أن أستطيع متابعه الدراسه و النجاح فى النهايه؟.

و الشق الثانى هو شق طريف كل الطرافه، و هو أننى لست ذا ذهن رياضى بحيث أنه كان يشق على جمع عددين أو ضربهما أو طرحهما، فإذا كان من الممكن مثلا أن أجد فى دراسه الدروس الأخرى، و هو ما كنت مستعدا له كل الاستعداد، و أن أنال فيها أعلى الدرجات، فلم يكن ذلك ممكنا فى دراسه الحساب و الجبر، لأن هذين الدرسين لا يجدى فيهما الجد، و لا يفيد الانكباب ليلا- نهارا على مطالعتهما، لأنهما شىء لا يخضع للمطالعه و المتابعه، بل للقابليه و الموهبه، و قابليتى و موهبتى فيهما عدم فى عدم!..

و لكن لا بد من تحصيل الشهاده الثانويه و دخول الجامعه [الجامعه]!. فلنعلق الآمال على المجهول و لتتكلم على الله لعله يجد لنا مخرجا.

و الواقع أن كل شىء كان ينفى وجود هذا المخرج، و أن التفكير فيه كان ضربا من الأحلام التى لا- يمكن أن يعتمد عليها الواقعيون العمليون!..

و مضت الأيام فى المحكمه الشرعيه رتيبه، و كان العمل فيها قليلا، و الدعاوى لا تشغل إلا حيزا ضيقا من الوقت، و كنت أعمل أنا لا على أساس الاستمرار، بل على أساس أنها أيام معدوده لا بد من تمضيته قبل الوصول إلى الطريق المنشود.

لذلك كان غريبا كل الغرابه عند الناس أن ينصرف موظف فى حكومه نخضع للانتداب الفرنسي، أن ينصرف إلى أعمال تتعارض مع هذا الانتداب و تقاومه، فقد استطعنا تكتيل فريق من تلاميذ البلده الذين كانوا يواصلون دراساتهم الثانويه فى بيروت، و كانوا كلهم تلاميذ مدرسه واحده

هي (الكليه الإسلاميه)، و كانوا يحضرون أيام العطل إلى النباطيه، فالتقى بهم و ننظم سهرات و لقاءات كان الحديث فيها لا يتعدى الحديث الوطنى الحماسى، و لم يلبث الصيف أن جاء و انقطعوا عن الذهاب إلى بيروت، و عادت اللقاءات يوميه، و عاد الحديث الوطنى أكثر تشعبا و تواسلا، و قد كنا نخرج إلى ظاهر النباطيه، فنشد الأناشيد الحماسيه الثوريه التى تورى الهمم و تحفز العزائم. ثم رفعنا علم الاستقلال العربى السورى المربع الألوان ذا النجمه البيضاء وسط لونه الأحمر، و هو العلم الذى كان من قبل علم الثورة العربيه، ثم أضيف إليه عند إعلان استقلال سوريا بملكه الملك فيصل بن الحسين، نجمه سباعيه، ثم طوى بعد قضاء الفرنسيين على الاستقلال السورى و احتلالهم البلاد، و أصبح رفعه جريمه من الجرائم السياسيه الكبرى.

اقترحت أن نرفع هذا العلم فى اجتماعاتنا لا- سيما فى ظاهر البلد، فجمع أحد الرفاق ألوانه و شده إلى رمح خشبى طويل، و أحضره إلينا ملفوفا على رمحه، فاحتفلنا بنشره احتفالا- حماسيا صاخبا، و كان قد كثر عددنا، و لم يبق محصورا فى التلاميذ و حدهم، بل انضم إلينا بعض الفتيان و اليافعين و شاركونا فى اجتماعاتنا و ساهموا فى لقاءاتنا.

و هنا لا- بد من الإشارة إلى أمر هام، و هو أن جميع رفاقنا التلاميذ كانوا تلاميذ مدرسه وطنيه واحده، فكانوا متالفين لا تفرق بينهم المناهج المدرسيه المختلفه التوجيه، و كان من أبناء البلده تلميذ واحد يتلقى دراسته فى الجامعه الأمريكيه، و لما حاولنا ضمه إلى صفنا لم يستجب إلى ذلك، و بقى وحده منفردا بعيدا عن مجموعته تلاميذ بلده، فأدركت عند ذلك سبب تشعب الاتجاهات و الميول فى لبنان، فان انقسام المدارس بين توجيه فرنسى أو إنكليزى أو أمريكى، و بين يسوعى و علمانى و إسلامى و كاثوليكي و بروتستنتى كان يقسم التلاميذ و يسير بهم فى اتجاهات متباينه متعارضه، فى حين أن بلاد الدنيا كلها تسيطر الدوله فيها على التعليم فى منهج واحد و توجيه واحد، فيتخرج الرجال و طنيين أولا ذوى ميول واحده، و إذا اختلفوا فإنما يختلفون فى كيفيه تنفيذ تلك الميول.

الجهر بعد الإخفات

ظلت اجتماعاتنا و لقاءاتنا فى أوائل الصيف محصوره فينا، ثم رأينا بعد أن أصبحنا كتله ذات عدد لا بأس به، أن نجهر بين الناس بما لا- زلنا نخفت به بينهم، و لا- نجهر بها إلا بيننا، و فكرنا فى إيجاد المناسبه، فإذا بها تأتينا على رجليها، فقد كان بيننا و بين ذكرى المولد النبوى بضعه أيم فرأينا أن نعلن الاحتفال بمرور هذه الذكرى احتفالا جماهيريا شاملا، فنظمنا أنفسنا فى ليله المولد و حشدنا فيها كل من نستطيع حشده من الرفاق و من غيرهم فكنا جمهورا لا- بأس به، و بدأنا مسيرتنا فى الليل فانضم إلينا الفضوليون و من راقتهم هذه المسيره، فإذا بنا جمعا كثيفا يخترق شارع النباطيه العام من أول البلده هازجا منشدا متحمسا، و كنا كلما تقدمنا فى السير ازداد عددنا حتى اخترقنا البلده و انتهى بنا المسير إلى الطرف الآخر من البلده، ثم عدنا راجعين إلى الساحه العامه حيث تفرقنا متواعدين على اللقاء عصر الغد فى الحسينيه فى حفله خطابه تمجد هذه الذكرى المجيده، و كنا قبل ذلك قد وزعنا الدعوات لحضور هذه الحفله على الناس.

و قد فكرنا أول الأمر بان نرفع أمام مسيرتنا علم الاستقلال العربى السورى، ثم عدلنا عن هذه الفكره لأنها ستلفت الأنظار إلى غاياتنا، و تنبه عملاء الانتداب الفرنسى إلى أهدافنا، و قررنا أن تؤخر رفعه إلى مناسبه أخرى.

و فى عصر اليوم الثانى احتشد الناس فى الحسينيه حتى غصت بهم على رجليها، و دعونا إلى الخطابه فى الحفله الشيخ أحمد

رضا، و تكلم بعض الشبان، و ختمت أنا الحفله بخطاب حماسى عنيف، فكانت المسيره الليله و الحفله النهاريه شيئا جديدا على البلده لم تالفه فى مرور ذكرى المولد النبوى. و كان من أغرب ما رآه الناس أن موظفا حكوميا يقف هذا الموقف، و لا يخشى على وظيفته غير عالمين أن هذا الموظف يعد الأيام لينهى حياه الوظيفه و ينطلق فى طريقه الجديد الذى لم تتضح له معالمه بعد.

ثم رأينا أن قد آن لنا أن نرفع علم الاستقلال رفعا علنيا، فقد عرفنا أن رياض الصلح كان يزور قريه له من قرى النباطيه هى قريه الشرقيه، و أنه سيمر عائدا فى النباطيه، و كان رياض ممن يعملون يوم ذاك فى الحقل الوطنى، فقررنا أن نشعره بوجودنا، فخرجنا فى أربع سيارات رافعين العلم الاستقلالى على ساريتيه العالیه، و انتظرنا رياض فى ظاهر النباطيه، فلما وصل إلينا أوقفنا سيارته فنزل منها و كان يرافقه محمد جابر و هو من المختصين به من رجالات النباطيه، فخطبت أمامه خطابا وطنيا حماسيا، ثم شيعناه بساراتنا [بسياراتنا] رافعين فى السياره الأولى علم الاستقلال يخفق أمام عيون القرويين الذاهبين و الآئيين و المقيمين حتى قريه حبوش. و منها عدنا و معنا محمد جابر الذى لم يخف عنا ذعر رياض من رفع علم الاستقلال، و قال أن رياضاً قال له: أن رفع العلم مخاطره، فاخرقنا بسياراتنا شارع النباطيه العام منشدين الأناشيد الحماسيه و العلم فى المقدمه يتماوج عاليا شامخا، و الناس تتجمع على جوانب الشارع لترى ما هذا الذى يحدث.

لم يمر هذا الحادث مرورا سهلا، بل كان له ما بعده، فقد كان وقوفنا فى ظاهر النباطيه على مفترق طريق يؤدى إلى بلده نافذ قوى، و كان وقوفنا

لا يبعد كثيرا عن قريه النافذ الذي كان ككل النافذين فى ذلك الوقت يستند نفوذہ على صداقته للسلطه و مماشاته لها، و كان يعتبر أكبر النافذين و أقربهم إلى السلطه و أوسعهم اتصالا بالناس، و كان على عداوه شخصيه متاصله لرياض الصلح ترجع إلى أيام الحرب العالميه الأولى، فرأى فى فعلتنا تحديا عارما له، أولا لشده عداوته لرياض، ثم لما فى فعلتنا من استهتار بالسلطه و مجاهره فى عداؤها، و هو ما كان هو ضامنا عكسه، فكنا فيما فعلنا دالين على تقلص تأثيره فى الناس، و أن تقرب السلطه له و لأمثاله ليس معناه السيطرة على الشعب و التكفل بعدم رفع صوته فى وجه السلطه.

فقام النافذ و لم يقعد و هاج و ماج و تهدد و توعد، و أرسل إلى أنه يعتبرنى مسئولا عما حصل، و أن أقل ما سينالنى هو الاقتلاع من الوظيفه، و أن تحقيقا سيجرى مع المشاركين، و أن الاعتقال و السجن سيكون جزاءهم الأكيد.

و لكنه لم يستطع أن يفعل شيئا فقد جاءه من ينصحہ بان النباطيه تعتبر من معاقله، و أن جمهورها من أنصاره و فيهم من هم من خلص أصدقائه و أعوانه، و أنه ليس بين هؤلاء أحد إلا و له ابن أو أخ قد اشترك فى مظاهره التحدى هذه، و أنه إنما سيؤذى جماعته إن حرض السلطه على أولادهم و إخوتهم، و بذلك سينقلبون عليه و يؤذى نفسه. أما فيما يتعلق بى فقد أخبروه بان إقاتلى ستثير عليه من تضره إثارتهم - و لم يكن يعلم أنى أنا نفسى ساقيل نفسى بعد أسابيع -، لذلك اضطر إلى السكوت على مضض و كظم غيظه و نقمته، و كل ما فعله أنه أنب المنتمين إليه على ما فعله أبناؤهم و إخوتهم تأنيا عنيفا.

بصيص من النور

أخذت شهور الصيف تمضى و أيامه تتقلص، و بدأ العام الدراسى يدنو و أنا لم أهتد بعد إلى الطريق الذى يمكن معه الحصول على شهاده الدراسه الثانويه (البكالوريا)، و كان شبح اللغه الفرنسيه و الجبر يتراءى لى رهيبا حائلا بينى و بين سلوك أى طريق، فقررت الذهاب إلى دمشق، لتلمس ما يمكن أن يزحزح الياس الذى يكاد يسيطر على، فإذا بى أكتشف بصيصا من النور ما لبث أن أصبح شعاعا مضيئا ينير بعض جوانب الطريق.

ذلك أنى عرفت أن الجامعه السوريه لا- تشترط فى غير السوريين الذين يريدون الانتماء إليها أن يكونوا حائزين على شهاده القسم الثانى من (البكالوريا) الحكوميه، بل يكفى أن يكون طالب الدخول حاملا شهاده إنهاء الدراسه الثانويه من أيه مدرسه ثانويه، و أنه فى حال حصوله على هذه الشهاده يمكنه الاشتراك فى امتحان عام تجريه الجامعه لحاملى هذه الشهاده، و هو امتحان لا يختلف فى مواد عن مواد القسم الثانى من (البكالوريا) الحكوميه إلا فى اللغه الفرنسيه حيث تخلو مواد هذا الامتحان من ماده الترجمة من اللغه العربيه إلى اللغه الفرنسيه، و من الفرنسيه إلى العربيه. و أن مدرسه أهليه فى دمشق قد خصصت صفا من صفوفها الثانويه أسمته (صف الجامعه) يقصده غير حاملى الجنسيه السوريه، و حاملو الجنسيه السوريه من الحائزين على شهاده القسم الأول من (البكالوريا) الحكوميه، إذ أن الجامعه تعاملهم معاملة غير حاملين للجنسيه السوريه فتقبل اشتراكهم فى امتحانها دون حصولهم على القسم الثانى من (البكالوريا) الحكوميه. و هكذا كثر المنتمون إلى (صف الجامعه)، و كان معتبرا أبناء المنطقه التى أسموها منطقه (العلوين) من غير حاملى الجنسيه السوريه، إذ كانت لهم حكومه مستقله عن الحكومه السورى حكما حكم (لبنان). و من هنا احتشد عدد غفير من التلاميذ فى هذا الصف كان فيهم عراقيون أيضا.

و من حسنات هذا (الصف) أنه يقبل كل طالب انتماء اليه، دون أن يثبت أنه قد تدرج فى دراسته الثانويه من صف إلى صف

حتى وصل إلى الصف النهائي، فكل طالب انتماء يقبل، و هو في النهاية مسئول عن نفسه في الامتحان الذي تقيمه هذه المدرسه في نهاية العام الدراسي، و الذي تمنح الناجحين فيه شهاده إنهاء الدراسه الثانويه.

و قد أغرى هذا التصرف غير الأكفاء، و لكن هؤلاء بدءوا يتسللون منذ الأسابيع الأولى الواحد بعد الآخر، متخليين عن الدراسه، مقتنعين أن الأمر ليس بالسهوله التي تخيلوها.

و قد كان عمل المدرسه عملا تجاريا بحثا تقصد به اجتناء الربح فقط حيث كان يحتشد في قسمها الداخلى العدد الكثير من التلاميذ الذين يعودون عليها بأموال أى أموال. و لكن هذا القصد التجارى قد أفاد الكثيرين من الأكفاء الذين لم تقدر لهم الدراسه الثانويه المنتظمه، فأمكنهم اختصارها بالانتماء إلى هذا الصف الذى كانت موادده فى الحقيقه تشمل مواد الدراسه الثانويه فى جميع مراحلها.

لقد كان هذا الحل بصيصا من النور - كما قلت - فإذا أمكن الانتماء إلى (صف الجامعه) و متابعه الدراسه فيه، فكيف تحل عقده اللغه الفرنسيه و عقده (الجبر)؟ صحيح أن المطلوب فيه من اللغه الفرنسيه هو أخف بكثير من المطلوب فى امتحان (البكالوريا) الحكوميه، و لكن الصحيح أيضا أن هذا الأخف هو الأثقل على من لا يعرف من اللغه الفرنسيه إلا القليل القليل، بل أقل من القليل. و يكفى أن يكون فيه أداء امتحان فى الأدب الفرنسى و تاريخه. و لكننى اتكلت على الله و انتميت إلى (صف الجامعه) تاركا للأقدار أن تجد الحلول للعقدتين اللتين تبدوان و كان لا حل لهما.

دراسه ثانويه

(١) و كان من المصادفات الحسنه أن فوجئنا بان أستاذ اللغه العربيه و آدابها هو الشاعر خليل مردم، و كنت أعرف عن شعره الشىء الكثير، و لما التقيته فى الصف و تابعت دروسه الأولى بدا لى رجلا على شىء كثير من طيب الذات و عذوبه الحديث و صفاء النفس فضلا عن الكفاءه، مما يجعله من أقرب الناس إلى القلب و أحبهم إلى طالب العلم، و لقد أفادنا فى الدروس القليله التى حضرناها عليه، ما لو استمر لكانت فائدته كبيره.

و لكنه تخلى عن تدريسننا بعد أقل من شهر من ابتدائه به، و ذلك أن عددنا كان كبيرا جدا، مضافا إلينا طلاب القسم الثانى من البكالوريا، الذين كانوا يتابعون نفس الدرس، و كان يفرض علينا كتابه مواضيع لا بد له من قراءتها و تصحيحها، و كان ذلك فوق طاقته، و فوق طاقه أى أستاذ لكثره عدد التلاميذ، لذلك اعتذر عن تدريس هذه المجموعه الكثيره الأفراد، غير المتجانسه و المختلفه الكفاءات. و اقتصر على تدريس تلاميذ

ص: ٢٩٢

صف القسم الثاني من البكالوريا. و بذلك حررنا من متابعه دروس خليل مردم فحررنا من فوائد كثيره.

و لقد نلت من تشجيعه في تلك الفتره القليله ما أذكره دائما، ذلك أنه في أول درس (إنشاء) طلب إلينا أن نكتب عن حياتنا الأدبيه و تفكيرنا فيها و ميولنا، فكتبت فيمن كتب، فجاء في الدرس الثاني و سال من منكم حسن الأمين؟. فوقف و إذا ما كتبتة في يده، فقال: إن هذا أحسن ما كتب في هذا الموضوع و إنى أهنتك عليه...

و الواقع أننى لم أغترر بهذا الكلام و لم أزه به، فليس معنى أن ما كتبت كان أحسن ما كتب التلاميذ، أنه شىء جيد، بل ربما كان أقل رداءه مما كتبه الآخرون...

و أذكر أن ما كتبتة كان مطولا بلغ عده صفحات، و إنى ختمته بالاعراب عن سرورى بان يكون أستاذ الأدب العربى عندنا هو شاعر الشام و أديب الفيحاء "الخليل" ثم تمثلت بقول الشاعر:

كانت مسامره الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر

حتى التقينا فلا و الله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

و فى الحقيقه ليس هذا الثناء عليه هو الذى حمله على مقابله الثناء بالثناء، و لا أنا كنت متملقا له فيما كتبت، فقد كان ما كتبتة معبرا عن حقيقه شعورى تجاهه.

و لقد جاءنا بعد خليل مردم من لم نحمده و لا استفدنا منه، و كنت أنا معتمدا على نفسى فى دراسه الأدب العربى.

دروس الجبر

و جاء أول درس فى الجبر، و كان أستاذ الدرس معتادا على وجود الجهلاء فى الصف، فأول شىء قاله أن سال عما إذا كان فينا من لم يدرس الجبر قبل الآن، فخجلت من الاعتراف بذلك و ظللت صامتا، و لا شك أنه كان هناك غيرى ممن خجلوا فصمتوا، و لكنه كان هناك واحد لم يجبن عن الاعتراف بالحقيقه، فرفع يده مقرا بجهله، فكان بذلك على الأستاذ أن يبدأ بتدريس الجبر من أوله. و لكن سواء أبدأه من أوله أم آخره، فلم يكن ذلك شيئا مفهوما لدى و كان على البحث عن حل، فوجدته بتناول درس خصوصى خارج المدرسه، و كنت لا أستطيع احتمال مصاريف جديده تقتضيها أجره المدرس، و لكن كان لى صديق حميم هو من أهل هذا الفن و كان يسره أداء أى شىء يعيننى على النجاح فى مهمتى فتطوع باعطائى دروس الجبر بلا أجر، فعكفت عليها عكوف النهمة إليها و تابعتها متابعه الظمان الراكض وراء الماء فإذا بى بعد حين أحل كل معادلاتها، مكتفيا من ذلك بوضع الحل دون الدخول فى التفاصيل من ضرب و طرح و قسمه، ان ذلك مما لا أقوى عليه. و هكذا اطمأنت إلى (الجبر). و لكن لم تحل ساعه الامتحان بعد ذلك و دخلنا القاعه المعده له فى الجامعه، حتى تملكنتى الرهبه المطبقه، فلم أستطع إقناع نفسى بانى يمكن أن أحل معادلات الجبر، و ضاعت منى كل ثقه بالنفس فى هذا الأمر، و عدت إلى حقيقتى التى تعجز عن أى عمل حسابى مهما خف أمره.

فى هذه الزعزعه النفسىه و التضعضع الفكرى جلست على المقعد أنتظر السؤال المطروح، و قد كان فى الحقيقه من أهون ما كنت قد حللته أيام الدراسه الخاصه، و لكن شتان بين تلك الأيام المفعمه بروح الصمود و الأمل، و بين هذا اليوم الذى واجهت فىه الحقيقه المائله: حقيقه حل المسأله الجبرىه، و التعامل مع الأرقام فى امتحان حكومى يهيبى صاحبه لدخول الجامعه!..

لقد انهار كل شىء و لم يبق إلا ذلك الفتى المشلول الفكر أمام الأعداد الحسابيه!. و لم يكن فى مقدورى أن أخط كلمه أو أن أدون رقما و بقيت هامدا يتمثل لى (الصفير) الذى سيوشح و رقتى الامتحانيه البيضاء التى لن يمسسها اسوداد منقذ...

و فجاه امتدت يد حانيه، كانت تعلم مشاكلى مع الأرقام، و عجزى عن استيعاب أى شان من شئونها، و تعرف أنى لا أتأخر فى هذا المضممار كسلا و قلّه درس، بل فقدانا للموهبه ليس إلا، و كان يعز عليها أن أضيع بسبب عله لا يد لى فى تجنبها، و كانت تحسن الظن فيما يمكن أن يكون منى فى يوم من الأيام.

كانت هذه اليد الحانيه قد أعدت نفسها لمثل هذه الساعه الرهيبه التى أعيشها و حسبت حسابها، فكانت متهيئه للطارئ الصاعق الذى يوشك أن ينقض على، فلم تلبث أن تدخلت فى اللحظه المناسبه، تدخلت إذا كان معدودا فى النظام غير مشروع، فهو فى المدى الإنسانى الرائع مشروع أى مشروع...

و هكذا انطوى شبح (الجبر)، و خرجت من قاعه الامتحان و أنا لا أكاد أصدق أنى قد نجوت من الهول.

اللغه الفرنسيه

قلت أننى لجات فى أمر (الجبر) إلى مدرس خاص، و كان قد بقى أمر اللغه الفرنسيه، و إذا كان من المعقول أن يدرس الجبر فى فتره شهور، فهل من المعقول أن تتقن هذه اللغه، ثم تتقن آدابها و تاريخ شعرائها و مفكريها فى مثل تلك الشهور؟ لم يكن ذلك معقولا أبدا، و حرت فى الوصول إلى المخرج، و لكن تبين أنى لست وحدى الذى أعانى من هذا الهم المقيم المقعد، و أنه قد سبقنى إلى معاناته سابقون و يزامننى فى معاناته الآن آخرون...

و اهتدينا إلى الطريق الذى سلكه من تقدمنا، و هو أن هناك استاذا قديرا متخصصا فى هذا الأمر، فهو بعد ملخصات للشعراء الفرنسيين المطلوب أداء الامتحان فى حياتهم و أدبهم، و يتولى تدريس التلاميذ هذه الملخصات على أن يفهموا معانيها المترجمه إلى العربيه، ثم يفرض عليهم

استظهارها و إتقان إملائها، بعد أن يكون قد قسمها أقساما كل قسم لدرس واحد يتلو فيه التلميذ عليه ما استظهره فيقوم له ما يحتاج إلى التقويم، و يصحح ما يحتاج إلى التصحيح، فلا ياتي وقت دخول امتحان الجامعة حتى يكون التلميذ قد استظهر ذلك كله استظهارا متقنا، فإذا طرح السؤال و هو دائما عن شاعر من الشعراء صب التلميذ على ورقه الامتحان ما كان قد استظهره صبا متلاحقا دون توقف، فيوصله ذلك لا إلى التخلص من (الصفرة) فقط، بل إلى نيل قليل من الدرجات تكون كافيته بضمها إلى درجات ما يتقنه من الموضوعات الأخرى لانجاحه، و قد كنت أنا لا أطلب إلا التخلص من الصفرة، لأنى كنت واثقا بان ما سأناله من موضوع الأدب العربى و من موضوع التاريخ وحده كاف لضمان نجاحى، بشرط أن لا- أنال (صفرا) فى موضوع من الموضوعات الأخرى، و لم يكن (الصفرة) متوقعا لى إلا فى الجبر و الأدب الفرنسى، و بهذه الطريقة أنجو على الأقل من الصفرة فى الأدب الفرنسى.

و تابعا الدرس على هذا النسق، و كنا أربعة، اثنان سوريان من مدينه حماه، و اثنان لبنانيان أحدهما أنا. و لما جاء وقت الامتحان الجامعى لم يكن له فى نفسى شىء من الرهبة، و لا كنت مباليا أيه مبالاه، لأن الأمر هنا أمر جد و اجتهاد، لا أمر موهبه لا ينفع فى فقدانها أى جد و أى اجتهاد. و لم يكن قد نقصنى شىء من الجد و الاجتهاد طوال العام.

و دخلت القاعه و جلست على المقعد لا أنتظر أيه مفاجاه، و لا أتوقع أيه نازله!

و لم يخطر لى أن الشاعر العربى كان قد قال: (و تقدرون فتضحك الأقدار)، و هب أن هذا القول قد خطر فى بالى فايه أقدار يمكن أن تضحك الآن من تقديرى؟.

ليس هنا تقدير، بل هنا واقع راهن: لقد استظهرت كل ما يفيدنى فى الجواب على أى سؤال يمكن أن يطرح علينا الآن: سيطرح علينا سؤالان، علينا أن نختار الجواب على واحد منهما، و لن يعدو كل من السؤالين الطلب عن كتابه سيره واحد من الشعراء، و التعريف بشعره و أدبه و فكره، و هذا ما أتقنته كل الإتقان حافظا له عن ظهر قلب، و ما على عند طرح السؤال سوى أن أنطلق انطلاقا لا توقف فيه و لا تأمل يعيقه، و لا تفكر يبطئه.

صحيح أن ما أستظهره ليس مطولا، و لكنه ليس موجزا إيجازا مخلا، فقد كثف لنا الأستاذ المادة تكثيفا يجعلنا على تخوم الاجاده...

أ تضحك الأقدار الآن و فى هذه الساعه؟ و لما ذا تضحك الأقدار؟. إنه الجد كل الجد، الجد الذى لا مجال معه للضحك، بل لا مجال معه حتى للبسمه الخفيفه!!.

بل أنا الآن الذى أضحك من الأقدار التى حالت بينى و بين إتقان اللغه الفرنسيه فتغلبت عليها بهذا الأسلوب اللطيف: أسلوب استظهار خلاصه للماده المطلوبه!.

كنت أجلس على المقعد غير مشغول الذهن بشىء يكدره، و إذا بالصاعقه تنقض على انقضاها المروع المدمر. و إذا بى أسمع لاضحك الأقدار، بل قهقهتها الصاخه!. أ تضحك من الأقدار!.

ها هي الأقدار تواجهك الآن فاجرؤ على الضحك منها!.

لقد كان المتعارف في امتحانات الجامعة في الأدب الفرنسي أن يطرح اسم الشاعر المختار و يطلب إلى التلاميذ الكتابه عنه، و درسنا طوال العام على هذا الأساس و استظهرنا ما استظهرناه معتمدين على هذا العرف.

و لكن الأقدار كانت لنا بالمرصاد، فقد شاء المستشار الفرنسي لوزاره المعارف أن يطور امتحانات الجامعة في الأدب الفرنسي ابتداء من هذا العام، و ذلك بان يجعلها تدور لا على الادلاء بما يعرفه التلميذ عن الشاعر و شعره، بل على استنتاجات تحليليه فكريه، لا يقدر عليها إلا المتصلعون بالأدب الفرنسي، و أين أنا من ذلك؟! لقد ألقى السؤال الأول فلم أفهم منه شيئاً حتى و لا كلمه واحده، ثم ألقى السؤال الثاني ففهمت منه ثلاث كلمات يفهمها حتى أشباه الأميين:

لقد فهمت منه كلمه:(روسو) و كلمه (قولتير) و كلمه (فلسفه)!..

لقد كنت قبل اليوم لا أستوعب المدلول الحقيقي لكلمه: (أسقط في يده)، و لا أتفهم وضع من تطلق عليه. أما في هذه الساعه فانا الصوره الواضحه لمن أسقط في يده!...

وضعت كل الضياع و شلت الصدمه كل تفكيرى و بقيت لفته هامدا فوق المقعد همود القانطين، و لم ألبث أن توكلت على الله، و قلت في نفسى ما دام قد ورد في السؤال اسم (روسو) و اسم (قولتير) فلا شك أنه يتعلق بشيء منهما، فلأفرغ هنا كل ما اخترنته في صدرى عنهما، فلا بد أن تجيء جملته لها علاقه بالسؤال تنجيني من نيل الصفر، و هكذا كان فانطلق قلمي دون توقف يملأ الصفحات التى فى يدى كلما فرنسيا، الله وحده يعلم ما ذا سيقول عنه مصحح هذه الأوراق، أظنه سينسبني إلى الغباء حين يقارن بين السؤال و بين هذا الكلام الذى يشبه فى نظره الهديان!.

و لكن أظن فى الوقت نفسه أنه ستاخذه الشفقه على هذا الغبى الذى يهذى و يهذى فلا يجعل نصيبه منه (الصفر). على أنه من يدرى فربما كان قاسى القلب فيغيظه هذا الغباء و هذا الهديان الذين شغلا وقته دون طائل فينتقم ممن أغاظه فيجعل جزاءه: (الصفر)!..

و إذا كنا قد سلمنا للأقدار و اعترفنا بأنها تضحك منا حين نحسب أنها فى صميم الجدد، ثم يعن لها فتجد حين نحسب أنها فى صميم الضحك!.. فلنسلم الأمر لها تلعب بنا كيف تشاء.

و بدا أن الأقدار قد اكتفت بما ضحكت، فألانت قلب المصحح فلم يوش صفحاتنا السوداء بصفره الوضاء!...

و من طريف ما حدث أنه كان يجلس فى المقعد الذى وراء مقعدى أحد خريجي معهد (الفرير) فى بيروت و هم من هم فى اللغة الفرنسيه و آدابها فرآنى أعكف على الورق كتابه متصله دون توقف، فى حين أنه يقتضى للاجابه شيء من التبصر و التركيز و الأناه، فحسب أنى نابغه من النوابع فى الأدب الفرنسي لا-أحتاج إلى ما يحتاج إليه أمثاله من الرويه، بل أن كفاءتى العظيمة تجعلنى أنطلق هذا الانطلاق المتتابع، ثم زاده فى هذا الاعتقاد أنه رآنى أملاً ست صفحات كامله، فى حين أن الجواب لا يمكن أن يعدو

الثلاث الصفحات على أكثر تقدير. فشاقيه أن يتعرف على هذا النابغه فى الأدب الفرنسى و أن يسترشده فى شئونه فانتظرنى فى الخارج عند باب القاعه، فلما خرجت تلقانى و عرفنى بنفسه. ثم سالى: عن أى السؤالين كتبت فقلت: عن السؤال الثانى. فقال: أنه كتب عن نفس السؤال، و أنه لم يستطع أن يملأ أكثر من ثلاث صفحات فى حين ملأت أنا ست صفحات بسرعه فائقه!.

فقلت له: أنه سؤال مهم جدا يجب التوسع فى الاجابه عليه، فقال:

أنه بدأ يشكك بسلامه جوابه، ثم أراد أن يزداد إيضاحا و شرحا فتهربت منه و انطلقت مسرعا.

و عند ما نجحنا و دخلنا الجامعه فتشت عنه لا لأبلغه الحقيقه، فلم أره بين الناجحين، فعرفت أنه لم يكتب له النجاح و أنه فشل و لكن فى غير الأدب [الأدب] الفرنسى طبعاً.

رفيقى يقبض على

و مضت الدراسه فى المدرسه الثانويه رتيبه مع متابعه درسى الجبر و اللغه الفرنسيه خارجها. و مما حدث فى هذه الأثناء: عزمى على المشاركه العمليه فى نضال الانتداب الفرنسى، و كان سبيل ذلك المساهمه فى إعداد المظاهرات و تنظيمها ثم السير فى صفوفها تحريضا و توجيهها، و نزلت إلى الميدان و جاءت أولى المناسبات، و صادف أن كانت فى شهر رمضان، فكان علينا اغتنام فرصه تجمع الناس ليلا فى المسجد الأموى، فخطبنا فيهم و هجناهم للخروج فى مظاهره صاخبه فاستجابوا، و كنت مع من كان فى طليعه المظاهره، و سرنا فى سوق الحميديه لنخرج منه إلى شارع النصر، و كانت هذه أول تجربه لى فى المظاهرات، لذلك كانت خبرتى فيها قليله، و لم أكن أعلم أن عيون الفرنسيين ماثوئه محكمه البث فى صفوف المتظاهرين تراقب المسئولين عن التحريض و التهيج حتى إذا تشتتت المظاهره بعد اصطدامها بقوى السلطه انقضوا على المحرضين فقبضوا عليهم و ساقوهم إلى السجن فالمحاكمه.

و كان الذين سبقونا قد وقعوا فى هذه التجارب، لذلك كانوا يحكمون انتقالهم فى صفوف المتظاهرين فلا يلبثون فى مكان واحد سوى دقائق لا- تلفت النظر، و يظنون ينتقلون فهم طورا فى المقدمه و طورا فى الوسط و طورا فى المؤخره. تاره فى هذا الصف و تاره فى صف آخر و بذلك تضع آثارهم فلا- تتعرف عليهم عيون الجواسيس المنتشرين فى كل ناحيه من نواحي المظاهره.

و كنت من بين الأغرار الذين لا خبره لهم فى هذه الشئون، لذلك ثبت فى موقعى فى المقدمه مثيرا مهيجا، مؤلفا للشعارات، ثم ارتايت - و قد بلغت الحماسه أقصاها - أن نأخذ نحن الذين فى الصف الأول بايدى بعضنا البعض فنشكل سلسله متماسكه تثبت عند الاصطدام المترقب بعد الخروج من سوق الحميديه الضيق و الوصول إلى شارع النصر المتسع الذى يستطيع فيه الجنود أن يصلوا و يجولوا مهاجمين المتظاهرين.

و ظللت ممسكا بيد شاب كان يبدو على كثير من الحماسه و الاندفاع، و رحى أتشاور معه على تدبير الصمود عند اشتباكنا بالجنود، و لبثنا كذلك إلى أن خرجنا من سوق الحميديه، و كان الجنود ينتظروننا فى الشارع و بدأت المعركه، و ظللنا نتدافع إلى أن وصلنا إلى نهايه الشارع قريبا من محطه الحجاز، و هناك استطاعوا تفريقنا، و عدنا شراذم مشتته، و انطلقت وحدى، فإذا

بثلاثه يسرعون إلى، و يقول أحدهم: (هذا هو أبو البدله البيضاء)، و كنت أرتدى فى تلك الليله بزه بيضاء. فانقضوا على و أمسكوا بى، فإذا أحدهم ذلك الشاب الذى كنت أمسك بيده طول الوقت و الذى كان يبدو متحمسا كل التحمس!.

و ساقونى مع من قبضوا عليهم إلى السجن حيث بقينا فيه ليله واحده، حولونا بعدها إلى المحكمه، و كان الذى ينظر فى هذه الأمور قضاه و طنيون، فكانوا يحكمون بترئه الموقوفين، بعد أن يوجهوا إليهم النصح بالكف عن هذه التصرفات.

فتنبه الفرنسيون لهذا الأمر، فاصدروا قانونا قاسيا سموه (قانون قمع الجرائم) يحاكم بموجه المتهمون أمام محاكم فرنسيه، و تقضى مواده بان كل من يرى موجودا فى مكان المظاهره حتى و إن لم يثبت أنه كان مشاركا فيها يجب أن يحكم عليه بالسجن، و لا يجوز أن يكون الحكم أقل من سبعة أشهر.

و لو كان هذا القانون موجودا يوم حوكمنا لكننا قضينا فى السجن سبعة أشهر على أقل تقدير.

و من ذلك اليوم صرت حريصا كل الحرص على التخفى بين المتظاهرين فلا يرى مكانى بارزا. و أذكر أننا بعد أن دخلنا معهد الحقوق، و حاول الفرنسيون فرض المعاهده التى عرفت بمعاهده (الشعبانى)، و كان لا بد من تهيج الشعب لمقاومتها. و كان مسكن المفوض السامى الفرنسى عند ما يكون فى دمشق بالصالحيه، كما كانت منازل عملاء الفرنسيين هناك، فصممنا - نحن بضعه طلاب فى معهد الحقوق - على وجوب تسيير مظاهره صاحبه تصل إلى منزل المفوض السامى نفسه و بيوت عملائه، و كان ذلك متعذرا إذا كان مكان انطلاق المظاهره من قلب المدينه، لأن المسافه بعيده بين مكان انطلاقها و بين هدفها، فيمكن تشتيتها قبل وصولها إلى الهدف، لذلك فكرنا بتشكيل مظاهره تنطلق من الصالحيه نفسها لتصل بسرعه إلى منزل المفوض السامى، و كان تشكيل مثل هذه المظاهره صعبا جدا، إن لم نقل أنه مستحيل، لعدم إمكان حشد جمع كثيف تشكل منه المظاهره فى الصالحيه.

و بعد التفكير رأينا أن تكون المظاهره ليلا و أن تنطلق بعد صلاه العشاء من مسجد (الشيخ محيى الدين) حيث يكون المصلون فيه نواتها، ثم يتجمع عليهم الناس شيئا فشيئا خلال مسير المظاهره. فضلا عن أن هذا المكان بعيد عن تفكير السلطه بحدوث مظاهرات فيه، لذلك سيركبها انطلاق مظاهره منه كانت لا تظن أبدا أن ذلك ممكن الحدوث.

و انطلقنا إلى المسجد قبيل صلاه العشاء، و تقاسمنا الأدوار - و كنا خمس - فعهدنا إلى عبد القادر الميدانى أن يصعد فور انتهاء الصلاه إلى المنبر فيحرض المصلين، و كان سبب اختياره أنه كان ذا صوت رهيب، إذا أطلقه ينطلق كأنه الرعد المدوى. و تقاسمنا نحن الأربعة زوايا المسجد فاخذ كل واحد منا مكانه فى زاويه، فما أن تعالى صوت عبد القادر بالنداء حتى صحننا بأعلى أصواتنا من كل زاويه: الله أكبر، و كررنا الصيحه فنفذت إلى

قلوب المصلين فإذا بكل واحد منهم يصيح: الله أكبر، ثم خرجنا من المسجد بين المجتمعين فيه بين صياح: الله أكبر، و صياح بسقوط المعاهده، و مشينا فى الأنزقه التى كانت تضيق أحيانا و تتسع أحيانا، و كلما خطونا خطوه انضم إلينا جماعه و لم نبلغ الشارع العام المؤدى إلى قصر المفوض السامى حتى كانت الحشود قد تكاثفت، و من الطبيعى أننى هذ المره لم أمسك بيد أحد يقودنى بعد ذلك إلى السجن، ثم وجهنا المظاهره فى الاتجاه الموصل إلى القصر، و لما اطمأنا إلى ذلك أسرع كل منا ركضا إلى (الترامواى) الهابط إلى المدينه.

و لما رأنا أحد المتظاهرين نصعد مسرعين إلى (الترامواى) صاح بأعلى صوته بحيث سمعناه واضحا: (وين حميتوها و هربتو)!!
لقد كان هذا الصائح طريفا جدا، و صادقا جدا، فقد (حميناها) و هربنا فعلا! لأن شبح قانون قمع الجرائم كان يطاردنا، و لأن تخيل سبعة أشهر سجن كان يحث خطانا على الهرب السريع!
و بعد القبض على فى المظاهره الأولى لم أقع فى أيدي عمال السلطه مره ثانيه لأنه لم يعد يستهوينى تماسك الأيدي فى المظاهرات!

فى الدراسه الثانويه

و أخذ العام الدراسى يتوالى يوما بعد يوم، و أخذ يوم الحسم يدنو شيئا فشيئا، و من طرائف الدراسه أن مدرس التاريخ كان عجوزا من بقايا ضباط الجيش العثمانى المتقاعدين، و نشا نشاه تعليميه بعيده عن جو اللغه العربيه، فهو بالرغم من أنه دمشقى عريق كان يتعثر فى النطق خلال الدرس باللغه الفصحى فيأتى بجمل تدعو إلى الضحك، فكان من تعابيره مثلا ما قاله أحد الملوك الفرنسيين، فقد أورده المدرس بهذا اللفظ. إن تلك التاج يؤلمنى!

و من طرائف ما جرى لنا معه أنه كان يطلب منا فى كل درس أن نكون مستعدين للاجابه فى الدرس المقبل، و من الأكيد أننا لم نكن كلنا مستعدين للاجابه، فكان متروكا للتلميذ الذى ينادى المدرس اسمه من ورقه أمامه كانت تحتوى أسماء التلاميذ جميعا، كان متروكا للتلميذ إذا كان غير مستعد للجواب، أن يرد على النداء بكلمه: (غير موجود)، فكان المدرس يضع إشاره أمام اسمه ليعلم غيابه. و صدف يوما أن معظمنا، بل ربما كنا كلنا غير مستعدين للجواب، و كان الصف غاصا بالتلاميذ، فكان كلما نودى على اسم يجيب التلميذ بنفسه: غير موجود... إلى أن امتلأت الورقه بأسماء التلاميذ الغائبين، بينما كان الصف ممتلئا بهم!..

دخول الجامعه

و أقبل يوم امتحان (الجامعه) و جرى لى فيه فى درسى الجبر و اللغه الفرنسيه ما قصصته على القارئ من قبل، و انتهى الأمر بالنجاح و دخلت الجامعه، و تحقق الأمل الذى كنت أظنه غير ممكن التحقيق! و لم أشعر ببهجه تشبه البهجه التى عرفتها يوم إعلان النتيجة، و إن كانت أيام البهجات أقل من القليل!

و كان من عوامل التنغيص عقوق العاقين، و جحود الجاحدين، و لؤم اللؤماء! و حسبك أن واحدا من أولئك كنت ملازما له

أيام الاضطهاد و القله، لا- يأنس إلا- بي، حتى إذا انقطعت عنه مضطرا يومين متتابعين أرسل يبحث عني و يتساءل عن سبب انقطاعي. و سعدت و إياه يوما إلى (الترامواي) وسيله النقل الشعبيه الوحيده في بيروت ثم هبطنا و سرنا مشيا على الأقدام في أوائل الليل لزياره بعض أقربائه فمررنا تحت قصر عامر كان يشع بأنوار الكهراء، و يزدحم الطريق المؤدى إليه بسيارات الزائرين، و كان رجلا لا يستطاب مجلسه، فقلت للرفيق السائر معي على قدميه: إنني لأعجب كيف يجد هذا الرجل من يجالسه، فضلا عن أن يزدحم مجلسه! فاجابني رفيق أيام النضال و الاضطهاد قائلا: أ تعجب من أن يزدحم مجلسه بالناس و قد باع بالأمس أرضه الواسعه لليهود في فلسطين، فقبض مئات الألوف و امتلاء- و طابه بالمال، و أصبح يرجى و يخشى؟ أ تعجب من ذلك؟ لا، لا تعجب فليس هنا مكان العجب، بل العجب أن أجد أنا القليل المال، أنا الذي لا يرجى و لا يخشى، أن أجدك أنت تمشى إلى جانبي و تصلني في منزلي!..

و تدور الأيام فإذا هذا الذي كنت أزامله في ركوب (الترامواي) و في السير على الأقدام في شوارع بيروت، و الذي كان يكبر صلتى له في منزله حيث لا يرجى و لا يخشى، و الذي طالما استمدني عند الشدائد، إذا به في يوم من الأيام لا يسير في الشوارع على قدميه، بل يسير في السياره الضخمه الفخمه التي يرف عليها العلم!.. بينما كنت أنا لا أزال أواصل السير على قدمي في رحله الحياه الطويله الشاقه، و لما جاء يوم كنت في حاجه لنجدته، كان هو في عالم آخر يزهو بالأعوان و الأنصار الجدد الذين لا يزاملونه في السير على الأقدام، و كان إنجاده لى لا يزيد في سلطانه، و عدم إنجاده لا يقلل من أعوانه فزوى وجهه و تجاهل الأنجاد!.

طالما سرت على قدمي مع رياض الصلح، و طالما زاحمنا الناس معا في (ترامواي) بيروت، حتى إذا انتقل هو من السير على القدمين و من ركوب الترامواي إلى ركوب (الكاديلاك)، لم يعد يذكر الماضي و من كان فيه و ما كان فيه.

و قد كانت آخر الأيام الشعبيه مع رياض الصلح، يوم تقرررت الانتخابات النيابيه سنه ١٩٤٣ و هى السنه التي تم فيها الاستقلال، و كان يتنازع النفوذ في لبنان: الإنكليز و الفرنسيون. و من هنا كان لا بد من أن

تكون الانتخابات حرة لأن لا سلطه واحده تستطيع أن تحسم الأمور لمصلحتها. و كان رياض الصلح حائرا لا يدري ما يفعل، أ يرشح نفسه في بيروت، أم يرشح نفسه في جبل عامل (أى ما أطلقوا عليه اسم الجنوب)؟..

لقد كان يصدده عن الترشيح في بيروت أنه كان يخشى أن يتالب عليه المسيحيون مع خصومه من المسلمين فيسقطوه، لأن المسيحيين يرون فيه الرجل القوى، و أهم من ذلك فان قريبه سامى الصلح عازم على الترشيح في بيروت، و لسامى قواعد شعبيه متينه، فلم يكن من المعقول أن يترشح صلحيان في قائمه واحده و لا أن يتقارعا في قائمتين متضادتين.

و كان يصدده عن الترشيح في جبل عامل أن لا قاعده شعبيه له فيه حتى و لا في مدينه صيدا المعتره مدينه أسرته و مدينه أبيه من قبله و مدينته هو نفسه، و ذلك لأنه هجرها و لم تبق له ركيزه فيها.

و كنت إذ ذاك أعمل في القضاء في محكمه (النباطيه)، فأرسل إلى يطلب حضوري إلى بيروت بأسرع ما أستطيع من الوقت، فجيئته في الحال، فخلا- بي في منزله و عرض على الموقف و حيرته فيه، فقلت له: هل ستكون الانتخابات حرة، أم هناك مجال لتدخل السلطه؟. فقال ستكون الانتخابات حرة مائه بالمائه فابد رأيك بناء على هذا الأساس.

فقلت له: إذا كنت موقنا بان الانتخابات ستكون حرة فلا تتردد لحظه واحده في الترشيح في جبل عامل، فان لك فيه قواعد شعبيه تجهلها أنت، و سنتفانى نحن أصدقاءك في تأييدك و الدعوه إليك، و سيستجيب الناس و سمعتك و سمعه أسرته طيبه و ستنجح باذن الله.

و كان المتنافسان الرئيسيان يوم ذاك في جبل عامل هما أحمد الأسعد و عادل عسيران، و كان أحمد الأسعد مرشح الفرنسيين، و عادل عسيران مرشح الإنكليز، و كانا عدوين لدودين، يسعى كل منهما لتأليف لائحه تنافس لائحه عدوه، فقلت له: أن الأمر سيكون أهون مما تتصور، لأن الموقف في نظري هو كالآتى:

إن كلا من أحمد الأسعد و عادل عسيران يتهيب المعركه لأن أحدا منهما لم يجرب بعد قوته الذاتيه، فاحمد الأسعد نجح في الانتخابات الماضيه لأنه كان واحدا من جماعه ضمتهم السلطه الفرنسيه في قائمه واحده نجحوا جميعا لأن السلطه فرضتهم. و عادل عسيران سقط في تلك الانتخابات لأن مزاحمه في القائمه كان كبير الأسره عمه نجيب.

إن هذا التهيب من المعركه يجعل الاثنين أحمد و عادل قابلين بسهولة للدخول في قائمه واحده إذا وجد من يعرف كيف يمهد الطريق لذلك، فكل منهما لا يطمح الآن لأكثر من أن يفوز هو نفسه و لا يهمله الآخرون، و انضمامهما في قائمه واحده ينهى المعركه و يضمن لكل منهما الفوز، و الأمر يحتاج إلى رجل لبق يدخل بينهما، و هل في الدنيا من هو أكثر لباقة منك، فأقدم و لا تتردد. فتهلل وجهه بشرا و انزاح عن صدره الحمل الثقيل.

و طلب إلى أن أبقى إلى جانبه عصر ذلك اليوم و الليله و النهار القادمين، لعل الأمر يحتاج لأن يستوضحنى في بعض التفاصيل، و هكذا كان. ثم تم الأمر كما قدرته.

فنجح أحمد و عادل في قائمه واحده كان فيها رياض.

سنة و بعض السنه مضى على ذلك، كان فيها رياض الصلح قد أصبح رئيسا للوزاره و صار الأمر الناهى، و عاد راكب (الكاديلاك) بعد ركوب الترامواى، و أصبح عشير الرؤساء و رفيق الوزراء و خليط النواب!..

بعد سنة و بعض السنه كان رياض الصلح يشيخ بوجهه و يلوى عنقه و تتمعر طلعتة ثم يدير ظهره أمام الاستنجداد به...

لقد مر فى خاطرى شريط الذكريات منذ اللقاء الأول برياض فى ظاهر النباطيه يوم تحديث السلطات و النافذين فى تكريمه حتى ساعه الاستنجداد هذه.

و لم تكن هذه أولى غدرات رياض الصلح باصدقائه، و لا آخر غدراته، فقد تبين أنه مطبوع على الغدر، و على ما هو شر من الغدر.

يوم الانتخاب فى دمشق

مضت دراسه الحقوق مضيا رتبيا، و تالفنا هناك بضعه طلاب لا يزيد عددنا على العشره، متخذين لنا منهجا، فيه أن نلتقى فى المنازل لقاءات أسبوعيه لا- تخلو من التسليه البريئه، و أهم ما فيها تنظيم الكفاح الوطنى و مقاومه الافرنسيين، فإذا ألم بالبلاد حادث كان علينا أن نحزم أمرنا و نقود فيه جبهه فاعله تقرر و تفتح.

و مما يذكر مما كانت مشاركتنا فيه فعاله، هو يوم قرر المفوض الفرنسى (بونسو) إجراء انتخابات عامه فى سوريا فى ٢٠ كانون الأول سنه ١٩٣١ تمهيدا لتصفيه القضيه الوطنيه بتزوير الانتخابات و إخراج مجلس نيابى مطواع يقر معاهده معده لا تختلف عن الانتداب إلا بالاسم، و هى المعاهده التى عرفت يوم ذاك باسم (معاهده الشعبانى) نسبة لوزير الداخليه شاعر نعمت الشعبانى الذى تبنها و تعهد تصديقها من المجلس.

و جاء يوم الانتخاب و أعد الفرنسيون عدتهم للتزوير فى سوريا كلها، و أعد الطلاب عدتهم للمعركه، و قضينا ليله يوم الانتخاب نجول من حى إلى حى نشحذ الهمم و نستفز النفوس، و فى الصباح كنا نتوزع فى الأحياء حول مراكز الاقتراع، و قد كان كل شىء مهيا للمعركه، و لا تحتاج النار العتيده إلا إلى عود من الكبريت لتضطرم اضطرامها المروع. و قد كان، فبدأ (١) الهجوم على المراكز و أخذ الرصاص يدوى من بنادق الجنود حماه المراكز، و انطلقت الجموع فى شوارع دمشق مهدده متوعده و بدأ الصدام

ص: ٢٩٧

١- عن الإنصاف أن نذكر أن الذى أشعل عود الكبريت هو زكى الخطيب الذى كان يوم ذاك من أركان الكتله الوطنيه و أحد مرشحيها، فقد جاء مبكرا إلى مركز الاقتراع و جلس وراء الصندوق و أبى أن يتزحزح عن مكانه، و لم يفد معه أى جهد، و لما صاولوه قال لهم: لقد كتبت وصيتى قبل أن أخرج من بيتى، ثم خرج إلى المجتمعين فى الخارج و قال لهم: لقد بدأ التزوير فاحموا انتخاباتكم، فاشتعلت النار. ثم انفصل بعد ذلك زكى الخطيب عن الكتله عند ما أحكم جميل مردم قبضته عليها.

عنيفا، و كان مكاني من المعركه بالقرب من محطه الحجاز، و كنا قد وصلنا إليه دون مقاومه تذكر، و كانت قوه الجند تعسكر على جسر بردى الموصل بين آخر شارع الحجاز و أول الشارع الصاعد إلى طريق الصالحيه، و كانوا يقفون هناك متأهين لصد المظاهره الزاحفه منه لتصل إلى (السراي) المقيم فيها وزير الداخليه و الجهاز الحكومى كله، فإذا بهم يفاجئون بنا نزحف من محطه الحجاز هابطين للوصول إلى نفس الهدف. و كان سلاح المتظاهرين الحجاره التي تفرغ لتجميعها و إحضارها فريق من الفتيان لا- تتعدى أعمار أكثرهم الرابعه عشره فما دونها، و كان يدهشنا ما نرى منهم، و نساءل كيف كان يتسنى لهم جمع ما يجمعون من الحجاره، و كيف يتأتى لهم بعد جمعها نقلها و توزيعها على الجبهات المتعدده.

إنها دمشق... دمشق البطله... دمشق التي لا- يعرف حقائقها إلا- من خبرها... دمشق التي أفضت مضاجع الفرنسيين على مدى وجودهم فيها..

لقد كنت من موقفي قرب محطه الحجاز أشاهد المعركه على الجبهه المقابله، فكانت مشاهد لا يمكن أن تمنحني من الذهن بساله و تفننا و كرا و فرا، كان المتظاهرون يكرون على الجند بالحجاره كرا عنيفا، فإذا تقدم الجنود مبهدين لتقدمهم بإطلاق الرصاص، انكفأ المتظاهرون غير منهزمين بل متغلغلين في الأزقه الجانيه المتفرعه من الشارع الكبير، فيخلو هذا الشارع منهم تماما، فلا يجد الجنود أمامهم من يقاثلونه فيعودون إلى موقعهم على شاطئ بردى، فإذا رآهم المتظاهرون قد عادوا و توقفوا عادوا الكر عليهم بالحجاره، فيعود الجنود إلى مهاجمتهم، و يعودون هم إلى إخلاء الشارع و التغلغل في الأزقه الجانيه.

أما عملنا نحن على الجبهه المقابله فكنا إذا رأينا الجنود يتقدمون مهاجمين كرزنا [كررنا] نحن عليهم بالحجاره، فإذا ارتدوا عن رفاقنا إلينا ارتدنا نحن إلى مواقعنا متباعدين عنهم إلى الشوارع الفرعيه.

و ظل الأمر على هذه الحال كرا و فرا إلى أن رأينا من موقفنا منظرا عجبا، ذلك أن ضابطا فرنسيا تقدم منفردا رافعا بيده اليمنى منديلا أبيض أخذ يلوح به ماشيا وحده صوب المتظاهرين الذين لم يتعرضوا له بسوء، و تقدم بعضهم منه و بدا لنا أن الجميع يتحاورون، ثم لم يلبث المتظاهرون أن توقفوا عن كل حركه فمشى الجنود منسحبين، فلم ندر ما ذا جرى و يجري، و أسرعنا بعد انسحاب الجنود إلى أصحابنا فعلمنا منهم أن الضابط أنبأهم بأنه تلقى أوامر بوقف التعرض للمتظاهرين و الانسحاب إلى الشكنات.

و لم تلبث أن انتشرت التفاصيل، فان المفوض الفرنسي (بونسو) المقيم في بيروت عند ما بلغه نبا ما جرى في دمشق تملكه الهلع و أيقن أن ذلك مقدمه ثوره شامله، فأسرع في الحال إلى إعلان إيقاف عمليه الانتخاب و إبطال ما جرى منها، و لم يكن يوم ذاك إذاعه تنقل القرار، فعلق صور عنه على جدران الشوارع و الأحياء و عرفه الناس جميعا، فانقلبت المظاهرات الحريه إلى مهرجانات سرور و ابتهاج، و كان يوم من أيام دمشق المعدوده في تاريخها النضالي الباسل.

و لا بد من الإشاده برجال الدرك السوريين الذين كانوا عند ما يتلقون الأمر بالهجوم و إطلاق الرصاص، كان رصاصهم ينطلق أكثر ما ينطلق في الهواء متظاهرين بتنفيذ الأوامر، في حين أنهم كانوا يجنبون رصاصهم أجساد الناس، لذلك لم تكثر الإصابات، و كان عدد القتلى دون العشره.

و فى اليوم الثانى خرجت دمشق عن بكره أبيها تشيع الشهداء إلى قبورهم، و كان يسير فى طليعه حاملى نعوش شيخ معمم بعمامه بيضاء يحمل على يديه جثه طفل يبدو أنه فى حوالى الخامسه من سنى حياته، فكان منظره يستنزف الدموع من عيون المشاهدين و يثير عظيم النقمه على الفرنسيين الذين قتلوا فيمن قتلوا: الأطفال.

ثم تبين لنا بعد ذلك أن هذا الطفل كان قد مات فى المستشفى موتا طبيعيا، و أن هذا الشيخ قد تعمد إثارة النفوس على الفرنسيين فاخرج جثه الطفل مع نعوش القتلى فكان له ما أراد.

و كنت فى ذلك الحين أنظم الشعر بين آونه و أخرى فاوحت لى معركة الانتخابات بقصيده ضاع أكثرها و لم يبق فى ذاكرتى منها إلا هذه الأبيات:

بذلوا ليوم الانتخاب جهودا ضمنوا لأنفسهم بها التأيدا

و عدوا فما حفظوا الوعود و لا رعوا فينا بيوم الانتخاب عهدا

قد أوقدوها فتنه ناربه كانوا لها عند اللقاء وقودا

و منها:

باتوا سرورا ناعمين بليهم و دمشق باتت تشتكى التهيدا

ترنو مفعجه إلى فتانها تستنجد الشم الاباه الصيدا

فتدافعوا متواثبين و أقبلوا متسارعين إلى المنون ورودا

لله يومهم غداه تقدموا تتلو الوفود إلى النزال وفودا

من كل أعزل يتقى بنانه و بصدرة يستقبل البارودا

يرمى الحجاره صارخا بجموعهم فيرد جمعهم التنظيم بديدا

و لرب طاويه على أشجانها وارت يداها فى التراب وحيدا

دفعت بفلذتها لمعترك اللظى و أبت عليه أن يعود طريدا

أبنى دافع عن بلادك أنه ليقر عينى أن أراك شهيدا

أحمل على النيران حمله ضيغم و استقبل الخصم الشديد شديدا

وقد أسفت لضياع معظم أبيات القصيده، و أنه لم يبق في ذاكرتى منها إلا هذه الأبيات، فالمناسبه التى نظمت فيها القصيده من أغلى المناسبات فى حياتى.

نتائج الانتخابات

أعلنت نتائج الانتخابات فى بقيه المناطق السوريه فإذا بمرشحي الفرنسيين يفوزون فى كل مكان ما عدا أفرادا محدودين استطاعوا التغلب على التزوير.

يفوزون حتى فى حلب قلعه إبراهيم هنانو و سعد الله الجابرى و عبد الرحمن الكيالى، و استطاع الفرنسيون أن يسقطوا قائمتهم و ينجحوا قائمه العملاء و على رأسها صبحى بركات.

فلم يتصد الشعب فى حلب بمثل ما تصدى فى دمشق، فلم تقم فى الأولى ثوره عارمه كما قامت فى الثانيه، و اقتصر الأمر فيها على الغضب،

ص: ٢٩٨

مجرد الغضب و الاحتجاج، مجرد الاحتجاج، و هما لا يردعان ظالما و لا يكبحان مستعمرا، و الأمر كما قال أبو تمام:

(السيف أصدق أنباء من الكتب)

و إذا لم يكن السيف متيسرا فقد أثبت الحجارة أنها يمكن أن تحل محله، و أن تكون (أصدق أنباء من الغضب و الاحتجاج)!.
.

و حاولت حلب بعد ذلك و بعد أن تم أمر الانتخاب و أعلنت النتائج و انتهى كل شيء، و بعد أن رأت ما أدت إليه ثوره دمشق، حاولت حلب أن تفتنى أثر دمشق، فقامت فيها المظاهرات الصاخبه و اشتعلت فيها المعارك الداميه، و لكن ما تم قد تم، و لم يكن من الممكن إعادته عقرب الساعه إلى الوراء، فذهبت محاولات حلب سدى، و لو أن ما فعلته حلب بعد الانتخابات فعلت بعضه قبل الانتخابات لتغير الأمر و تباينت النتائج.

و لك أن تتساءل لما إذا ثارت دمشق و لم تثر حلب، مع أن في حلب شعبا لا يقل وطنيه و شجاعه عمن في دمشق، و مع أن في حلب قاده أبطال صليين، و حسبك أن يكون فيهم إبراهيم هنانو و سعد الله الجابري و عبد الرحمن الكيالي، و في حين كان في دمشق رجل مثل جميل مردم!.
.

كيف قدر لحلب إبراهيم هنانو و سعد الله الجابري و عبد الرحمن الكيالي أن تتأخر عن دمشق جميل مردم!؟.

إننى أجب: كان ذلك لأنه كان في دمشق عصبه من الطلاب نذروا أنفسهم لوطنهم العربى، و نظموا أمورهم تنظيما دقيقا، و تحسبوا لكل شيء، ثم انبثوا في الأوساط الدمشقيه ليله الانتخابات يشرحون و يحرضون و يجمعون، ثم انطلقوا في الصباح في كل مكان يؤلبون و يرتبون، حتى إذا اجتمعت الجماعات قادوا خطواتها قياده واعيه مضحيه فتقدموها في اقتحام الهول فاستجابت لهم، فكان ما كان.

و ربما ساعد على أن يكون في دمشق ما كان، أنه كان فيها (الجامعه السوريه) التي تستطيع أن تكتل الطلاب و تصهرهم معا مما لم يكن مثله في حلب، إذ لم تكن فيها جامعه بعد.

انتخابات جديده

و قد كان لا بد للافرنسيين من أن يحددوا يوما جديدا لإجراء انتخابات دمشق، و قد كان، و تعين يوم الانتخاب و بدأت المداوله بأسماء المرشحين و إداره المعركه المقبله. و هنا يبرز دور جميل مردم.

لم يكن بين رجال الكتله الوطنيه في دمشق رجل قوى، و إن كان فيهم المخلصون.

لذلك خلا الميدان لجميل مردم الداهيه المتماسك الألبان، المستعد للتلون بالف لون.

و لم يكن من هم جميل مردم التفكير بالنضال و الكفاح، بل كان من همه الوصول بأهون سبيل، و أقل تعب. و قد صار الحال

الآن إلى أن يكون هو المقرر الأقوى لقرارات الكتلة الوطنية في دمشق فعوضاً عن أن يستغل النصر الدمشقي الثوري، فيقود انتخابات دمشق القادمة إلى نصر شعبي كاسح، أخذ يفاوض الفرنسيين على أن يكون لمرشحيهم مكان في القائمة الدمشقيه الوطنيه، لئلا يكون هناك معركه انتخابيه متعبه، فيدخل هو المجلس على رأس القائمه دخولا مريحاً، مع ما في ذلك من كسب ورد الفرنسيين الذين سيحتاج إليه - كما تبين بعد ذلك - في الأيام القادمه، و ليثبت لهم حسن نواياه فيطمئنوا إليه. و هكذا كان!...

فإذا بالقائمه الوطنيه تعلن و بين مرشحيها محمد على العابد و حقي العظم، نعم حقي العظم!.. و إذا لم يكن للأول السجل الأسود الذي للثاني، مما جعل الناس ينسون اسمه فلا يستفظعون ذكره أمام اسم حقي العظم، فقد كان لوجود اسم هذا الآخر في القائمه الوطنيه وقع الصاعقه في جميع أوساط المخلصين.

فحقي العظم صنيعه الفرنسيين و عميلهم و رجلهم الأول، و الذي أقاموه على أنقاض الحكم الاستقلالي بعد يوم ميسلون حاكماً لدوله دمشق، و الذي كان مجرد ذكر اسمه يثير في النفوس التقزز و القرف و الإنكار،؟ حقي العظم هذا عضو مرشح في القائمه الوطنيه!...

و تساءل الناس هل قامت ثوره دمشق، و سفكت فيها الدماء الزكيه التي سفكت من أجل أن يكون حقي العظم [العظم] نائباً عن دمشق؟! و محمد على العابد أيضاً؟!.

هكذا يريد جميل مردم و كان له ما أراد!..

و جاء يوم الانتخاب و لم يكن للقائمه مزاحمون أشداء ففازت باعضائها جميعاً و فيهم محمد على العابد و حقي العظم...

و حاول جميل مردم و أعوانه أن يعتبر الناس فوزها فوزاً وطنياً باعتبارها قائمه الكتله الوطنيه و أن يحملهم على الابتهاج الشعبي، و لكن هيهات...

و آن للمجلس النيابي أن يجتمع و كان فيه ثلاث تجمعات: تجمع وطني يبلغ عدد نوابه سبعة عشر نائباً من أصل ثمانية و ستين نائباً هم مجموع نواب المجلس.

و تجمعان يضمان النواب الذين عملت على إنجاحهم السلطه الفرنسيه، على رأس أحدهما صبحي بركات، و هو يضم نواب حلب و أفضيتها، و على رأس الثاني حقي العظم و هو يضم نواب بقيه المناطق و هم خليط يجمعه الخضوع للسلطه الفرنسيه.

و كان أمام المجلس مهمه كبرى هي إبرام المعاهده التي أعدها الفرنسيون، على أن عليه أولاً- أن ينهي أمراً أولياً هو انتخاب رئيس له، ثم انتخاب رئيس للجمهوريه، ثم يلي ذلك اختيار رئيس للوزراء.

و كان للفرنسيين رجلاين هما صبحي بركات و حقي العظم، و كان عليهم أن يختاروا واحدا منهم لرئاسه الجمهوري، و كان يطمح إليها الاثنان معاً، و كان الفرنسيون يريدون أعرق الرجلين في خدمتهم، و أبعدهم صيتاً في الخيانه، و هو حقي العظم. و لكن صبحي بركات لم يسلم لهم في ذلك. و أخذ التنافس و التزاحم ماخذهما، فأراد صبحي بركات أن يثبت قوته و سيطرته

على العدد الأكثر من النواب فرشح نفسه لرئاسه المجلس، و عضده فى ذلك النواب الوطنىون ففاز بالرئاسه.

ص: ٢٩٩

و هكذا هزلت الحركة الوطنية حتى أصبحت مساهمه فى ترجيح فوز مرشح للسلطه الفرنسيه على مرشح آخر لها.

و بدا للفرنسيين واضحا أن صبحى بركات سيفوز برئاسة الجمهوريه بتأييد النواب الوطنيين له، و كان الشرخ قد وقع بينه و بين الفرنسيين بترجيحهم حقى العظم عليه، و إن لم ينقطع الأمر بينه و بينهم.

و هنا بدأت المناورات و المداورات فاسفر الحال عن الاتفاق على حل وسط يضمن للفرنسيين رئيسا لهم و يبعد المتنافسين المحسوبين عليهم عن التخاصم و التضاحم، على أن توفر رئاسه الوزراء لحقى العظم، بعد أن توفرت رئاسه المجلس لصبحى بركات. و هكذا قسموا الرئاسات الثلاث بين رجالهم بمعاونه النواب الوطنيين الذين أوصلهم جميل مردم إلى هذه المواقف، و كان ذلك من حظ محمد على العابد الذى جاءته رئاسه الجمهوريه فى ١١ حزيران ١٩٣٢ من حيث لا يحتسب. و تحققت أمنيته جميل مردم فأصبح وزيرا للماليه فى وزاره حقى العظم.

و فى ذلك يقول الشاعر السورى المبعد عن سوريا خير الدين الزركلى مخاطبا النواب الوطنيين الذين كانوا يقولون أن من أهدافهم من المشاركة فى هذه الأمور الحصول على العفو عن المبعدين السوريين، من قصيده لا أزال أستظهر منها: (١)

تبارك الله أحسنتم بفعلتكم كل الرئاسات فى أيدي المرائيس

ما كان أغناكم عن خوض معترك ترأست فيه أذنان الفرنسييس

تالله لا خير يرجى من نيابتكم و إنما هى رزق للمفالس

و لا رئاسه فى أيدي ثلاثتكم و إنما هى نقش فى القراطيس

أبات (مردم) من أوزار أمته يسعى إلى الغنم سعيا غير معكوس

يرضى بما لاح من صيد و من قنص و الكيس فى الكف غير الكف فى الكيسر [الكيس]

يا طالبى العفو عنا هونوا و قفوا و جنبوا أمرنا من كل تلبيس

إننا لنصبر ما عاش الزمان على غير الهوان فعيشوا فى الفراديس

ثم اضطر جميل مردم بضغط هاشم الأتاسى و إبراهيم هنانو مجتمعين على الاستقاله من وزاره حقى العظم فى ٦ نيسان ١٩٣٣.

يوم المعاهده

و بعد الانتهاء من أمر الرئاسات و أصل المجلس اجتماعاته ليحقق الغايه التى انتخب من أجلها و هى إقرار المعاهده التى أعدها الفرنسيون، و عين يوم عرض المعاهده على المجلس، و كان الفرنسيون واثقين من النتيجة فأكثره نواب المجلس مؤلفه من الأشخاص الذين جاءوا بهم إلى النيابة. و قرر الطلاب إفساد أمر المعاهده، و استطاعوا فى اليوم السابق ليوم عرض المعاهده على

المجلس أن يجمعوا معظم طلاب معهد الحقوق و طلاب معهد الطب في مسيره يمرون بها على النواب فردا فردا للضغط عليهم ضغطا معنويا باستثارة كوامنهم الراكده من بقايا شهامة و وطنيه، و كان النواب موزعين على فنادق المدينه، فمشينا بجمعنا إلى حيث ينزل كل واحد منهم، و كان بعض الفنادق يضم اثنين أو ثلاثة أو أربعة، فنطلب لقاء من نعرف أنه في الفندق فلا يسعه إلا الاستجابة لطلبنا، فينبى الخطباء منا إلى تبيان شرو المعاهد، ثم يناشدون النائب بان لا يلقي الوطن المصير السيئ على يديه، و يذكرونه بلعنه التاريخ التي ستلحقه و بالعار الذي سيصيب أبناءه و أحفاده، فلا ينتهى الخطيب من كلامه حتى تكون كل كوامن الخير قد انطلقت في نفس النائب، و حتى يكون قد نسي أن الفرنسيين هم الذين جاءوا به إلى النيايه، فيعاهدنا بصوت متهدج بأنه لن يوافق على المعاهده، و كان بعضهم لا يستطيع حبس دموعه.

و أذكر اننا التقينا بمجموعه من نواب العشائر في فندق واحد، و كان هؤلاء النواب من أهم الركائز الذي يستند إليها الفرنسيون، فقابلوا مجيئنا أول الأمر بشيء من الاستنكار، و الاستهانه بهؤلاء الأولاد الذين يتناولون إلى ما لا يعينهم، فحاولوا عدم الإصغاء إلينا و الترفع عن الدخول في مناقشات معنا، فلم نزل بهم حتى سمعوا ما نريد أن نقوله، و انتهى الأمر بان وقف أبرز واحد فيهم (مجمحم بن مهيد) و سل سيفه من غمده و قال بلهفته البدويه ما معناه: و الله يا أولادى أننى لا أستطيع مخاطبتكم بمثل هذه الألفاظ التي تتكلمون بها، و لكنى أقول لكم أن من يجرؤ على الموافقه على المعاهده لن يكون له إلا هذا السيف. فكان بهذا القول أبلغ خطيب...

و قصدنا إلى الفندق الذي ينزل به أحد نواب حلب (هنرى هنديه)، فرفض أول الأمر الخروج من غرفته لمقابلتنا، و أمام إصرارنا و تلويحنا بالتهديد و الوعيد، خرج (بيجامته و روبه) و وقف فى أعلى الدرج و نحن فى البهو الذى فى أول الدرج فقال بلغته العاميه ما معناه: ما أنتم و هذه الشئون. فلم ندعه يتم كلامه بل صعدنا الدرجات راكضين اليه فولى هاربا يملكه الذعر، و اقتحمنا غرفته فلم نجده بها، و لم نعلم أين اختبأ، فاكثفينا بذلك.

و عدا هذا النائب فقد تمرد على طلبنا أربعة نواب آخرين من مجموع النواب، و كان تمرد ثلاثة منهم ممزوجا باللين و الملاطفه و التظاهر بالاحترام، فأخذنا نجادلهم فأبوا أن يعدوا برفض المعاهده. فعند ذلك لوحنا لهم بالانتقام من كل من يوافق على المعاهده و تركناهم.

أما الرابع فقد حاول أن يقف موقف هنرى هنديه فانتهى به الأمر إلى الفرار و التوارى. و يؤسفنى أننى لا أتذكر أسماء هؤلاء الأربعة لأسجل عليهم هذا الموقف.

و انتهت جولتنا و فى يقيننا أننا قد حققنا ما نبيغه، و قد كان كذلك، فلما عقدت الجلسه فى اليوم الثانى أدرك الفرنسيون بان المجلس سيرفض المعاهده فاصدروا قرارا بفض المجلس و إيقاف جلساته قبل أن تبدأ المناقشه.

ص: ٣٠٠

١- تحدث فارس الخورى عن جميل مردم فقال: "كان جميل مردم يتصرف بالمصاريف المستوره على هواه و ربما يخص نفسه بمعظمها إن لم يكن كلها فقد كان يحب المال حبا جما، و يمد يده إليه عن أى طريق. دخل الحكم سنه ١٩٣٦ يلاحقه الدائنون

فى كل مكان باشعارات الحجز على أمواله و خرج مليونيرا (الصفحه ٤٠١ من كتاب: فارس الخورى و أيام لا تنسى).

ثوره حمرا

و من الذكريات الشعريه فى تلك العهود التى تعبر عما كانت تعتمل به نفوسنا من حماسه و أمل و تطلع أذكر هذه الأبيات التى نظمتها فى ساعه من تلك الساعه المفعمه بالشعور الثورى الوطنى:

سنقلب هذه الدنيا فنجعل بطنها ظهرا

سنملاً من جنود العرب منها السهل و الوعرا

سنملك بعد تشريد و ترويع بها الأمرأ

سنخضب من دم الافرنج منها البر و البحرا

سنملؤها بنا عدلا كما ملئت بهم جورا

سنطلع من بريق البيض فى ليل الدجى فجرا

سنشعلها على ظلم الفرنجه ثوره حمرا

مع دى مارتيل

على أثر المظاهرات الداميه التى قام بها العرب فى فلسطين و التى مشى على رأسها زعيم فلسطين موسى كاظم الحسينى احتجاجا على السياسه الصهيونيه. و على أثر مجزره يافا التى سقط فيها نفر من رجال العرب المتظاهرين صرعى برصاص الإنكليز، قامت فى دمشق المظاهرات الاحتجاجيه الصاخبه، فاصطدم المتظاهرون بالشرطه فوقع القتلى و الجرحى. و كان قد خطب بالمتظاهرين زكى الخطيب و أحمد الشهابى و غيرهما. فاصدر المفوض السامى الفرنسى الكونت دى مارتيل و كان حديث عهد بالبلاد، بلاغا كله تهديد و وعيد، و اعتقل زكى الخطيب و رفاقه فى سجن القلعه، فاضربت دمشق أياما، و صدرت البيانات الاحتجاجيه، فاجتمع طلاب الحقوق فى منزل أحدهم و كلفونى بان أرد باسمهم، فوضعت هذا البيان و وزع على الصحف فحذفت بعض مقاطعه عند نشره. و ذلك فى خريف سنه ١٩٣٣:

تابع طلاب الحقوق فى دمشق بدهشه بلاغ فخامتكم المنشور فى الصحف المحليه، و قد استغربوا كل الاستغراب هذه اللهجه الشديده تواجه بها البلاد فى مفتتح عهد يقال أنه عهد جديد يختلف عن العهود السابقه، فإذا كانت فخامتكم تعتقد أن مثل هذه اللهجه يمكن أن توهن عزائم السوريين فتصرفهم عن تطلاب حقهم المنشود فقد ضللتهم فى ذلك السبيل. فالسوريون الذين درسوا وقائع الثوره الفرنسيه دراسه وافيه و تلقنوا تعاليم رجالها بما فيها من صبر و ثبات لن تضعفهم لهجات الوعيد و عبارات التهديد. و الطلاب السوريون و طلاب الحقوق منهم بخاصه، و هم الذين تلقوا على مقاعد الدرس آراء علماء فرنسا فى دحض نظريات (نيتشه) التى لا ترى الحق إلا فى أفواه المدافع و على رؤوس الحراب و فوق أشلاء الضعفاء - لا يسعهم إلا أن يعجبوا كل العجب من هذا التناقض بين آراء علماء فرنسا و بين أعمال سياسيينها الذين يزعمون أنهم إنما هبطوا سوريا لارشادها و

يا فخامه المفوض، إن سوريا العربيه التي قطعت شوطا بعيدا فى الثقافه و التي قدمت على مذابح الاستقلال زهرات شبابها و التي يلوح لها من خلال الأجيال ماضيها اللامع بكل ما فيه من قوه و جلال لن يثنى من أعتها بيان تهديدى و بلاغ إرهابى، بل أن ذلك لينفخ فيها روح الحماسه و الكرامه و يدفعها للعمل الاستقلالى المستمر.

لقد كنا نترقب أن لا- تستند بلاغاتكم إلى أشخاص تدفعهم وظائفهم لاتهام الناس و تشويه الحقائق تبريرا لأعمالهم و زلفى لأسيادهم. فقد جاء فى البلاغ (أن المتظاهرين هاجموا مخفر باب توما بتأثير الخطب التي ألقىت فى المسجد)، فى حين أن المتظاهرين كانوا مسالمين لم يهاجموا أحدا و لم يطلقوا نارا، و فى حين أن الخطب دعت الناس إلى عدم العنف. و قد أثبتت المشاهده و التقارير الطبيه أن الشهداء أصيبوا فى ظهورهم مما يدل على أن رجال الشرطه هم المعتدون.

أما قولكم: " أن اعتداءات كهذه لا يمكن أن تغطى تحت ستار مظاهره تضامن و تأييد بمناسبه حوادث تقع خارج البلاد، بل هو تحد للسلطه ليس فى الوسع احتمالاه "، فقد عرف أن ليس هناك اعتداءات، و لم تكن غايه المتظاهرين مهاجمه المخافر و الاستيلاء على الذخائر - كما زعم البلاغ - بل أرادوا الاعراب عن شعورهم بمظاهره سلميه فقبولوا بالنار و الرصاص.

و الحوادث التي تظاهروا لأجلها ليست خارج بلادهم، بل هى فى قلب بلادهم فان فلسطين جزء الشام الذى لا يتجزأ.

و قد ألقىتم فى بلاغكم المسئوليه على أشخاص معينين أمرتم بتعقبهم فى كل حاله. و معنى ذلك أنكم لم تتركوا المجال فسيحا للقضاء ليستلهم من حقيقه الواقع لا من الأوامر الصادره إليه. و قد كان اعتقال الأستاذ زكى الخطيب و إخوانه نتيجته فعلية لهذا الأمر.

فطلاب الحقوق الذين يؤلمهم مخالفه نصوص القوانين و انتهاك الحريات يلفتون نظر فخامتكم إلى جميع ذلك و يؤيدون بيانهم باعلانهم هذا النهار إضرابا يشمل جميع فروع الجامعه السوريه.

زياره أحمد رامى

خلال دراسه الحقوق زار دمشق الشاعر المصرى أحمد رامى فأقيمت له حفلات فيها، و قد حيته بهذه القصيده:

وطن العروبه لا تلين قناته و بنو القريض الشعرون حداته

هاجوا الغفاه النائمين عن الحمى فاستيقظت لصدى القريض غفاته

و لرب شاعر أمه مهضومه بعثت بأمتة الابا أبياته

بيكى على الحق السليب بعبره شعره فتثيرها عبراته

يا نازلا و الشعر يعبق نشره من رده فتهدنا نفحاته

السفح مفتر إليك تضاحكت أصواحه و تهللت هضباته

حيتك بالزهر النضير تلاعه و استقبلتك بوردها ربواته

يحنو الخلاف به عليك مرحبا و يؤهل الوادى و منعطفاته

بردى و أى تحيه مسكيه بعثت إليك مع الصبا صفاته

حنت خمائله إليك تشوقا و حنت عليك بطلها دوحاته

غنيته الشعر الطورب فصفقت أمواهه و تارجت نسّماته

سر الجمال تراه حول ضفافه و السحر ما برزت به غاباته

تحنو الغياض على الوفود و تنحنى بظلالها و ثمارها شجراته

ترد الحسان على الضفاف سوافرا عن كل وجه أشرقت قسماته

يحلو لها الوادى و عذب نسيمه و يروقها بردى و مخضلاته

فتمر بالوادى فتاتلق الربى و تطيب من أعرافها جنباته

من كل فاتنه توردد خدها و تالقت في ثغرها بسماته
انزل بصفته و رجع منشدا شعرا تهيج قلوبنا نغماته
حدث عن النيل الشقيق فنيلكم تشتاقه و تحبه أخواته
ما باله يجفو العروبه إنها تدمى قلوب بني أبيه جفاته
لهفى على بردى تكدر ماؤه بعد الصفاء و صوحت جناته
لا الخيل في يوم الرهان خيوله و كلا و لا تلك الطباه ظباته
سله عن المجد الذي عصفت به غير الزمان فنسكت راياته
و اليوم تغزى أرضه من بعد ما بلغت أقاصى المغربين غزاته
سله عن الميدان أين جنوده يوم النضال و أين عنه حماته
صرح تهاوت للحضيض بنوده و تناثرت فوق الثرى شرفاته
يا ويح قلبى كم يكابد حسره حتى تكاد تذيبه حسراته
بشكو [يشكو] تباريح الزمان و ربما أجت بأطراف اليراع شكاته
أ ترى تعود ليعرب أمجادها و يعود فيها ملكها و بناته

وداع الدروس

و أخيرا أنهينا السنوات الثلاث في معهد الحقوق سنة ١٩٣٤، و خرجنا إلى الحياه العامه نكافح فيها الزمن و صروفه و أحداثه. و قد ودعت عهد الدراسه بهذه القصيده:

حسبى و حسبك ما لقيت و ما بى فلقد أذبت فتوتى و شبابى
علقت آرابى عليك و لا أرى أنى سأظفر منك بالآراب
و سهرت فيك الليل أجمع دونه مر العذاب و ما سواك عذابى
كم ليله ليلاء بت أجوزها بحشا مروعه و وجه خابى

متلفعا برد الهموم مقلبا بانامل الفزع الممض كتابي
قلق أحاط بيقظتى فاحالها صورا مروعه من الإرهاب
و عدا على نومي فما عقد الكرى إلا على أشباحه أهداي
أرنو لمطلع الصباح بمهجه حرى و قلب بالهموم مشاب
يا أيها الليل الطويل أ تنجلي عن فجر ترويع و صبح عذاب
أم تحمل البشرى فتنعش معشرا ستموك خدن متاعب و صعاب
أوهت جسمهم الدروس و أعملت فى كل قلب مثل حد الناب
وقفوا على الأبواب وقفه هالع يترقبون تفتح الأبواب
يا خيبه الآمال ثم لفاشل جم العناء و ضيعه الأتعاب
فشل تذوب له النفوس مضاضه و تطيش منه رواسخ الألباب
اليوم لا "فحص" نبيت لأجله منقلبين على الغضا للهاب
و اليوم ودعنا الدروس فحسره لمودع لا يرتجى لا ياب
لهفى على تلك العهود و ليتها عادت بما فيها من الأوصاب
إنى لأذكرها فاذا ذكر عندها خير الرفاق و أفضل الأصحاب
أيام تجمعنا على صفو الهوى متالفين شمائل الأحباب
نرتاد (دمر) ضاحكين إلى الربى (و نروح أسرابا إلى أسراب)
و نؤم من بردى الرياض نضيره فواحه الأعراف و الأطياب
يا أيها النهر المرقق لا ذوت فى ضفتيك نواضر الأعشاب
مهوى القلوب على وهادك و الربى و منى النفوس بمائك المنساب
قد كدروك على الاباه فما لهم من وردك الصافى نمير شراب

لا تستطاب لذى الإباء متالع فى ضفتك و لا تشوق رواىى
ولت لىالى "الامتحان" و أفقرت تلك الملاعب من جموع صحابى
لا الدار بعدهم تلذ لسامر فىها و لا تحلو الرياض لصابى
من للبشاشه و الكياسه بعدهم من للهوى و البشر و الترحاب
من للحماسه يستشير كمينها من للتظاهر ثم و الاضراب
المسجد الزاهى يحن لفتيه شم الأنوف غطارف انجاب
قاموا بليلهم على أعواده يستنفرون شمائل الأعراب
شدوا بكل مصابر مستبسل و مشوا بكل موائب غلاب

(١)

أول المعارك الوطنيه

كانت أول المعارك الوطنيه بعد التخرج من معهد الحقوق تلك المعركه التى أعدت للصدام لأول مره فى جبل عامل بالفرنسيين بعد استقرارهم فى البلاد.

ففى الانتخابات اللبنانيه سنه ١٩٣٤ و كنت لا أزال طالبا فى معهد

ص: ٣٠٢

١- راجع أخبار المظاهرات و الاضرابات و ما جرى فى المسجد فيما مر من الكلام.

الحقوق قدم الفرنسيون مرشحهم لتلك الانتخابات، و تقدم في كل المناطق مرشحو معارضون سقط أكثرهم و فاز بعضهم، إلا في جبل عامل فإنه لم يترشح معارض واحد، - و كان لجبل عامل نائبان فقط - ففاز مرشحا الفرنسيين بما يسمى (بالتركية).

و كنا و نحن في دمشق نتحرق لأن منطقته جبل عامل هي وحدها التي لم تجر فيها معركة انتخابيه، و لم يجرؤ مرشح فيها على أن يتحدى الفرنسيين.

ثم حدث في السنه التاليه (١٩٣٥) و كنت قد تخرجت من معهد الحقوق أن توفي واحد من نائبي جبل عامل، فإذا بنا وجهنا لوجه أمام المعركه التي كنا بالأمس نتالم لعدم وقوعها، فقبلنا التحدى و صممنا على إشعالها، و كان لا بد لنا من أن نتذاكر في الأمر مع بعض العناصر الوطنيه الفاعله في بيروت، أو بالأحرى مع رياض الصلح.

و كان أهم الأمور هو إيجاد المرشح التقليدي الذي يقبل بترشيح نفسه معارضا لمرشح الفرنسيين، و كان ذلك أمرا بالغ الصعوبه، و لم يكن من المستحسن تجاوز المرشحين التقليديين إلى مرشح شاب يفاجا به الناس، لذلك كان لا بد من المرشح التقليدي.

و قد تداولنا أكثر من اسم فتيين أن من يمكن خوض المعركه به هو أحد اثنين: يوسف الزين أو عبد اللطيف الأسعد. و كانت هناك عوامل عديده تحول دون ترشيح الأول، فانحصر الأمر بالثاني.

فتقرر في آخر لقاء لي مع رياض الصلح(١) أن أذهب لمقابله عبد اللطيف الأسعد و أقنعه بالحضور إلى بيروت، و عند حضوره يمكننا إقناعه مثيرين فيه رواسب فروسيه يمكن أن تكون عائقه في نفسه من ماضى بعض رجال أسرته القدامى، فذهبت أول الأمر إلى صيدا لأستفسر عن مكان وجوده، فإذا بي أعلم أنه موجود في صيدا نفسها، فأسرعت إليه في دكان حلاق في بوابه صيدا الفوقا فتلقاني بالترحاب و شكرني على أنني أشدت بجده الأعلى ناصيف النصار في خطاب تاييني كنت قد ألقيته منذ شهر و كان قد حضره و لم يتسن له رؤيتي بعد الخطاب ليشكرني على ما قلت، و ها هو يغتنم فرصه هذا اللقاء ليؤدي هذا الشكر. و بعد تبادل المجاملات، قلت له أراك في صيدا فما ذا تفعل؟ أجب: إنى أريد أن أرشح نفسي للانتخابات و قد جئت استأذن المستشار الفرنسي (بشكوف)(٢) في ذلك لعله يأذن لي، و موعدى معه بعد ساعه. فقلت له فان لم يأذن لك؟ قال: أذهب و أقعد في بيتي. فقلت له: لقد سمعتنى قبل شهر أشيد على المنبر بجذك الشهيد ناصيف النصار بعد موته بأكثر من مائتى سنه، فهل تظن أن جذك هذا لو كانت سيرته أن يذهب فيستأذن طغاه الحكام في تصرفاته فان أذنوا له فعل، و إن لم ياذنوا ذهب فقعد في بيته، هل تظن أنه لو كانت سيرته هذه السيره، أ كان يشاد بذكركه على المنابر بعد مائتى سنه من موته؟.

فصمت بعض الصمت ثم قال لي و ما أستطيع أن أفعل إن لم أفعل ذلك؟.

فقلت له: إنك سليل الأسره التي كان لها أكبر الشأن في جبل عامل و أخرجت من أخرجت فيه من الرجال الذي سادوه عشرات السنين، و يكفيك منهم ناصيف النصار و حمد المحمود، و أنت اليوم حامل ميراث تلك الأسره، و من هو بشكوف؟ إنه دعى من أدياء الفرنسيين سلطوه على البلاد، أ يليق بورث ناصيف النصار أن يسمع له و يطيع!؟.

فشعرت أن هذا الكلام قد حرك كوامنه، فقال لي: أشر على.

فقلت له أنك ذاهب بعد قليل لمقابله بشكوف فلا تكلمه مستأذنا، بل قل له: إنى مصمم ترشيح نفسى للانتخابات، و جئت من باب اللياقه أخبرك بذلك.

و ليكن كلامك له بنبره عاليه فيها العزه و الشموخ، و تمثل نفسك و أنت تكلمه بانك خليفه ناصيف النصار.

ثم قلت له: إذا أراد أن يناقشك فافرض مناقشته، و قل له: لم أجيئ لمناقشتك بل جئت لأخبرك بالأمر الواقع و ها أنا منصرف لتنظيم معركتى الانتخابيه. فتحمس عبد اللطيف و قال: سأفعل ذلك.ف.

ص: ٣٠٣

١- كان شبان آل الصلح فى ذلك الوقت الأشقاء عادل و كاظم و تقى الدين و عمادهم المتصدون لنضال الفرنسيين المعرضين أنفسهم لغضبهم و انتقامهم، و قد ورثوا عن والدهم عقارات و مزارع كان يمكن أن تجعل منهم أثرى الأثرياء لو أنهم احتفظوا بها و استكانوا إلى الراحة و الهدوء. و لكن وطنيتهم و إخلاصهم للقضية العربيه كلها أيا عليهم إلا- التجرد للجهاد الوطنى فحاربهم الفرنسيون فى أرزاقهم، فما زالوا يبيعون ما يملكون قطعه وراء قطعه حتى باعوا جميع ما يملكون و أنفقوا أثمانه فى الكفاح الوطنى الطويل، و حسبك أنه كان من أملاكهم فى بيروت منطقه (الروشه) فباعوها بابخس الأثمان، ثم أصبح ثمن الشبر من ترابها يعادل ثروه، كما باعوا مزارعهم فى جبل عامل، و عاشوا عيش الكفاف. و لما تحقق الاستقلال الذى تفتانوا فى سبيل تحقيقه، و افتقروا من أجل إنجازه كان جزاؤهم من أمتهم و ممن وثبوا على مغانمها جزاء سنمار. فإذا ببيشاره الخورى الذى قضى حياته كلها مطيه للفرنسيين يحكم باسمهم و ينفذ أوامرهم، ثم أصبح هو و زمره من عملاء الاستعمار أصبحوا فى غفله من الزمن و بدعم من الإنكليز يسمون أنفسهم أبطال الاستقلال، إذا ببيشاره الخورى هذا و هو رئيس لجمهوريه الاستقلال!! يحول بسلطانه دون البطل الاستقلالى المناضل كاظم الصلح و بين الوصول إلى النياحه فينجح صلاح البزرى. و يفشل كاظم الصلح، و ينجح بعد ذلك فى بيروت أحد النكرات و يفشل تقى الدين الصلح. و لما اجتمعت بعد زمن عده عوامل ضاغظه كان لا بد معها من تكليف تقى الدين بتولى رئاسه الوزراء كان المسئولون يبدون و كأنهم يمنون عليه بذلك. و قد عمل تقى الدين فى رئاسه الوزاره بذهنيه رجل الدوله لا- بذهنيه المتسلط، فكان من أول ما فكر فيه إنشاء مجلس أعلى للثقافه، و قد نفذ فكرته فألف المجلس من نخبه من رجال الفكر، و إبعادا للفكره عن كل الاستغلال، فقد جعل أعضاء المجلس متطوعين فى عملهم لا يتناولون أى راتب أو تعويض مما لم يعهد له مثل فيما سسمى بالجمهوريه اللبنانيه، إذ كانت تتخذ مثل هذه الأمور و سيله لاثرء الأتباع و الأنصار كما جرى من قبل فيما سسمى بالمجلس الأعلى للسياحه. و لكن الأمر لم يطل فوضعت العراقيل فى وجه تقى الدين فأثر الاستقاله، و انتهى باستقالته أمر مجلس الثقافه.

٢- هو الطاغيه الفرنسى الذى كان أول أمره مستشارا فى صور، ترقى فصار مستشارا فى صيدا فطغى و بغى و فيه أقول: وا لهفتاه لأوطان ممزقهينهى و يأمر فيها العليج بشكوف انظر إليه تراه بينهم ضبعاظا و هم بين أيديه خواريف يا للرجال أما فى القوم ذو وشمياًبى الهوان أما فى القوم غطريف.

و كان وقت مقابلته لبشكوف قد دنا فأسرع ذاهبا إليه و انتظرته في دكان الحلاق.

فما هو غير قليل حتى عاد بمثل ما ذهب به من الحماسه، و قال لى: لقد طبقت تعليماتك حرفيا و تركت بشكوف يغلى غليانا من الغيظ، فما هو العمل الآن؟ و كيف لى بتحمل غيظ المستشار و غضب الافرنسيين؟..

فقلت له: و هل أنت أول من غاظ المستشار و أغضب فرنسا؟ ألا- ترى ما يجرى فى سوريا؟ ألا- ترى زعماءها يجاهرون الفرنسيين بالعصيان و التمرد، فما ذا استطاعت فرنسا بكل جيروتها أن تفعل بهم؟ لقد نفت بعضهم لبعض الوقت ثم اضطرت إلى إعادتهم، فعادوا معززين مكرمين من مواطنيهم. و أنت لست دونهم و مواطنوك ليسوا دون مواطنيهم...

فقال: و كيف نتصرف الآن؟ فقلت له: الرأى أن نذهب الآن إلى بيروت، و هناك سنلتقى بدوى الرأى و نستمع إلى آرائهم، و نتكل على الله و نبدأ بإشعال المعركة. فشعرت أن الأمر قد هاله، فصمت صمتا طويلا، ثم قال امهلنى إلى ما بعد الظهر.

فخشيت أن تهمد حماسته و يتردد، و أن يقابل بعض الانهزاميين الخانعين فيثنوه عن عزمه. فقلت له: لا مجال للامهال، و علينا أن نغتنم كل ساعه للعمل الجدى، فهلم بنا إلى بيروت، فاستجاب و مشى معى بخطوات بطيئه و همه فاتره مستهولا ما هو مقدم عليه.

و أخيرا كنا فى السياره متجهين إلى بيروت، و كنت قد اتفقت مع أحد الأصدقاء أنه بمجرد أن يرانا نصعد السياره، يتصل بالهاتف بمنزل رياض الصلح ببيروت و يخبره بتوجهنا إليها.

و كان لعبد اللطيف فى بيروت ابن أخت هو فى الوقت نفسه صهره يسكن بيتا متواضعا فى محله البسطه فذهبنا إليه رأسا. و لما استقر بنا المقام و قبل أن يسالنى عن الخطوه التاليه قلت له: أن فتى من آل الصلح قد توفى، و يصادف هذا المساء يوم أربعينه، فالرأى أن نذهب إلى منزلهم معزين مشاركين فى ذكرى الأربعين.

و كنت أعلم سلفا بالصعوبه التى تنتظرنى فى إقناعه بتنفيذ هذا الاقتراح، لأن عداء مستحكما كان بين كامل الأسعد شقيق عبد اللطيف و بين رضا الصلح عميد آل الصلح، و مع أن الاثنين كانا قد انتقلا إلى رحمه الله منذ سنين، فان من المفروض أن تكون العداوه موروثه.

و صح ما توقعته فاستنكر هذا الاقتراح استنكارا صارما، و قال كيف يمكن أن أبدأ آل الصلح بالزياره! و لا سيما رياض ابن رضا و بيننا و بينهم ما تعلم؟!.

فلم أزل فى محاورته و تقريب الأمور إليه و تذكيره بان الدنيا تغيرت و أن لنا كل المصلحه فى هذه الزياره فيما نحن مقدمون عليه. فلان و قال لى ضاحكا: لقد هورتنى منذ مقابله بشكوف و لا بد لى من السير معك فى هذا التهور إلى النهايه لنرى إلى أين ستوصلنى فى النتيجة...

و كان من المتفق عليه أن يستقبل فى المنزل بحفاوه و أن يكون جماعه من وجهاء أحياء بيروت و فريق من الشبان حاضرين و أن يرحب الجميع به.

و فى أوائل الليل ذهبنا إلى منزل رياض الصلح فلقى هناك من التكریم و الترحیب ما أرضى كبرياءه، و آثار سروره فبدا منشرحا كل الانشراح.

و بعد أن أقمنا حوالى الساعه، التفت إلى مشيرا بان قد آن لنا أن نغادر المنزل، و كان الناس قد أخذوا بالانصراف، فهمست فى أذنه بضروره البقاء لأن اجتماعا سيضمنا مع بعض النخبه بعد انصراف الجمهور لندرس الخطوات التاليه. و هكذا كان، فلما لم يبق سوى المطلوب بقاؤهم التف حوله الحاضرون و ذاكروه فيما هو مقدم عليه و شجعوه و وضعوا أنفسهم فى تصرفه.

و قد كان لا بد من جمع بعض أقربائه حوله لئلا يشعر فى نفسه فى أنه وحيد، و كان من يمكن جمعهم هم ابنه أحمد و ابنا أختيه أحمد الناصيف و رياض التامر. و كان ابنه أحمد فى ذلك الحين شيئا مهملا لا يحس أحد بوجوده، و كان يسكن فى بيروت فى مكان على سطح فندق السترتال، فصار يحضر اجتماعاتنا و يرافق أباه فى تنقلاته، ثم تبين بعد ذلك أن الافرنسيين اتصلوا به و جعلوا منه جاسوسا على أبيه و علينا فكان ينقل إليهم أخبار كل تحركاتنا. و الذى كشف المسأله، أنه تقرر إقامه حفله لعبد اللطيف الأسعد فى منزل محمد مطر و هو أحد العاملين الساكنين فى بيروت. و لم يعلم بهذا القرار سوى رياض الصلح و عبد اللطيف و ابنه أحمد و أنا، و تفرقنا ليلا كل إلى منزله على أن يتم الاتصال بصاحب المنزل غدا.

و فى الساعه الثامنه صباحا كان صاحب المنزل يستدعى إلى مديره الأمن العام الفرنسى و يقال له أن حفله ستقام فى منزله لعبد اللطيف الأسعد، و أن هذا يثير عليه غضب السلطات، و أنه إذا وافق على إقامه الحفله فلا يلومن إلا نفسه.

فأبدى لهم استغرابه و أنه لا علم له بشيء من هذا. فقالوا له: اسال رياض الصلح أو حسن الأمين فعندهما الخبر اليقين.

و حوالى الساعه التاسعه و النصف كان يوافينا إلى منزل رياض الصلح و يقص علينا ما جرى مبديا استعداداه لتحمل مسئوليته الحفله فاعفينا من إقامه الحفله، و بقينا حائرين فيمن أوصل الخبر إلى إداره الأمن العام بهذه السرعه، و من هو المطلع على كل خطواتنا.

فإذا بنا أمام الحقيقه المره، و إذا بأحمد بن عبد اللطيف يتجسس على أبيه، مضافا إلى مهمته الأخرى و هى العمل على تثبيط عزمه أبيه و محاوله تثنيه عن خوض المعركه.

و قبل ذلك عند ما قررنا أن ينتقل عبد اللطيف إلى جبل عامل ليعلن هناك عزمه على ما عزم عليه، و أن ينقل الخبر بنفسه إلى العاملين و أن يكون طريقه على النباطيه، و هناك يوافيه ولده أحمد و ابن أخته رياض التامر بمجموعه من الفرسان تنتقل معه من النباطيه مارا بها على أكبر عدد من القرى، فيدخلون القرية بخيولهم المطههه و حدائهم الفروسى الحماسى، فيثيرون العزائم و يستفزون النفوس.

و قسمت منطقته (بلاد بشاره) (١) أى ما يقع جنوب نهر الليطاني إلى قسمين: قسم يقصده رياض و قسم يقصده أحمد فيجمع كل منهما ما يستطيع جمعه من الفرسان - و كانت القرى يوم ذاك مملوءه بالخييل - ثم يسلكد.

١- هى المنطقه التى يكشر فىها أصدقاء آل الأسعد.

رياض طريق وادى السلوقى فوادى الحجير فجسر القاعيه فعقبه زوطر وصولا إلى النباطيه.

و يسلك أحمد طريق تل النحاس فجسر الخردله ثم صعودا إلى كفر تبنيت فالنباطيه. ثم يدخل الاثنان النباطيه كل من ناحيته بالأهازيج الحماسيه المثيره المتحديه، ثم يصطحبون جميعا عبد اللطيف منطلقين معه بموكبهم الفروسى إلى الطيبه. و يوم ذاك أطلقنا الحداء الذى اشتهر بعد ذلك فى جبل عامل، و الذى كان على الفرسان أن يرددوه و فيه ما فيه من التحدى العنيف لبشكوف بخاصه، و لفرنسا كلها بعامه.

و لقد اعتبره بعض الناس تحديا جزافيا مضحكا، و لكنه كان يوم ذاك أفضل ما ينشد و خير ما يهتف به فى مثل الظروف التى كنا فيها، و إذا كانت البلاغه - كما قالوا - مطابقه الكلام لمقتضى الحال، فلم يكن فى تلك الفتره أبلغ من ذلك الشيد:

بشكوف خبر دولتك سلطاننا عبد اللطيف

باريس مربوط خيلنا و رصاصنا يوصل جنيف

و لكن أحمد الأسعد أفسد الخطه كلها، فما أن وصل بفرسانه إلى تل النحاس، و كان فيه مخفر للدرك حتى استوقفه رقيب المخفر و قال أنه مكلف بان يرجوه بان يتصل هاتفيا بصيدا. و دخل أحمد إلى الهاتف. و روى الرقيب بعد ذلك ما سمعه: بأنه كان يسمع صوت أحمد و هو يقول:

أمرك... أمرك... و يكررها بين فتره و فتره.

و أخيرا قال: لا يكون إلا ما يرضيك.

و خرج أحمد إلى فرسانه و قال لهم: لقد تبدلت الخطه و عليكم التفرق إلى قراكم.

ثم اختار اثنين منهم و طلب إلى أحدهم أن يسرع فيلاقى رياض التامر قبل وصوله إلى النباطيه و يطلب إليه و إلى فرسانه العوده من حيث أتوا.

و يقصد الثانى أباه عبد اللطيف فى النباطيه ليطلب إليه العوده إلى بيروت.

و لما لقيت رياضا بعد ذلك و لمته على عودته، قال لى أنه فهم أن ذلك تقرر باتفاق الجميع، و أنه لو لم يستنتج هذا الاستنتاج و علم أن المصدر هو أحمد لواصل سيره إلى النباطيه.

ثم تبين بعد ذلك أن الذى كلم أحمد هو محافظ صيدا أسعد عقل، و لم يدر أحد بتفصيل الحديث الذى كان طويلا بينهما، و لم يظهر منه سوى كلمه: أمرك، و لا يكون إلا ما يرضيك التى سمعها رقيب الدرك.

و من ذلك اليوم بدأ أحمد يتجسس على والده و علينا، و يثبط عزائم والده و يحاول أن يثنيه عن إكمال الطريق.

قلت فيما تقدم أنه كان لا بد من جمع بعض أقرباء عبد اللطيف حوله، وأنه كان ممن يمكن جمعه هم ابنه أحمد و ابنا شقيقته أحمد الناصيف و رياض التامر. و بالفعل فقد رافق هؤلاء الثلاثة في أول الأمر عبد اللطيف.

أما ابنه أحمد فقد رأينا ما كان موقفه، و أما ابن شقيقته أحمد الناصيف فلم يلبث أن نكص على عقبيه و تخلى عن خاله. و بقى ابن شقيقته الآخر رياض التامر صامدا مع خاله لم يثنه وعد و لا وعيد، ملازما له في حله و ترحاله. و كان مثل هذا الموقف في تلك الأيام التي كان فيها مجرد ذكر اسم (بشكوف) كافيا لدب الذعر فيمن يعتبرون أنفسهم من الشجعان - كان مثل هذا الموقف من رياض التامر نوعا من البطوله.

رحم الله رياض التامر ما كان أطيب شمائله و أصفى حديثه و أشجع قلبه و أسمى وفاءه و أعذب مجلسه.

رحمه الله بقدر ما كان نائيا عن الصغائر مولعا بالفضائل...

و نحن لم نتوقع أن ينجح عبد اللطيف في الانتخاب، لأن في يد السلطه كل الوسائل لاسقاطه مهما نال من أصوات الناخبين، و كان كل همنا أن لا يفوز مرشح السلطه بالتركيه، و كل خوفنا أن لا ترى السلطه معارضا يقف في وجهها.

على أن النتيجة فاقت ما توقعنا فقد لقي عبد اللطيف من الإقبال عليه و من التحمس له في أوساط الشعب ما لم يكن منتظرا. و لأول مره لا يبالي الجمهور غضب السلطه فيخرج على إرادتها.

و هكذا نجحت الحركه كل النجاح، و انكسرت حده بشكوف.

على أن بشكوف لم يسكت فعول على الانتقام من القرى التي تحمست لعبد اللطيف، فسلط عليها رجال الدرك ينكلون بأهلها، و راحوا يتفتنون بذلك فمن غرامات ماليه تفرض على الناس، و من سجن و اضطهاد و إذلال.

و وصلتنا أخبار ذلك إلى بيروت، فكتبت نص برقيه و عرضتها على عبد اللطيف ليوقعها، و كانت بهذا النص:

فخامه المفوض السامي.

لم يكف بشكوف أن زور الانتخابات لانجاح مرشحه حتى عمد اليوم إلى التكيل بالناس و إرهابهم و حجز حرياتهم و الانتقام منهم سالكا في كل ذلك مسلك كاربييه [كاربييه] في جبل الدروز.

فسألني عبد اللطيف من هو كاربييه [كاربييه] هذا؟ فقلت: هو الضابط الفرنسي الذي كان حاكما لجبل الدروز فطغى فيه مما كان السبب في الثوره الدرزيه الشهير على الفرنسيين سنة ١٩٢٥. فأعجبه ذلك و وقع البرقيه في الحال.

و عملت نسحا من البرقيه تصل إلى الصحف البيروتية كلها لعل واحده تجرؤ فتنشرها، فلم تنشرها إلا جريده واحده، و ذلك أنها كانت قد عزمت على التوقف نهائيا بعد أيام. فأقدمت على نشر البرقيه مما أمكن إيصالها إلى الناس في جبل عامل.

و أذكر أننا زرنا في اليوم الثاني لارسال البرقيه أحد الصحفيين في إداره جريدته فقال: لما وصلتني البرقيه كادت يدي ترتجف و

أنا أمسك بها.

إذ أن البرقيه كانت تهديدا بالشوره المسلحه.

ثم كنت مضطرا لترك بيروت و الذهاب إلى دمشق لأنى كنت أتابع التدرج فى المحامات الذى لا بد منه بعد نيل إجازة الحقوق. و بعد شهر من وصولى إلى دمشق علمت أن الخانعين المتزلفين و فى طليعتهم أحمد

ص: ٣٠٥

الأسعد ابن عبد اللطيف نفسه حملوا عبد اللطيف على زياره بشكوف مما كان يعتبر توبه عما جرى!..

و لكن كان المقصود من الحركة قد حصل و اهتزت هيبه بشكوف و أمكن إيجاد معارضه مناهضه للفرنسيين.

مره أخرى مع عبد اللطيف الأسعد

تلقيت و أنا فى دمشق رساله من عبد اللطيف الأسعد يرجونى فيها أن أحضر إلى بيروت لمقابله لأمر هام، و قد أكد هذا الرجاء كل التأكيد.

و عين لى المكان و الزمان الذين ألقاه فيهما. فكان لا بد لى من الذهاب إلى بيروت لأرى ما ذا يريد عبد اللطيف.

و وصلت فى الوقت المحدد، فوجدت عبد اللطيف الأسعد و ابنه أحمد و معهما رجلان آخران إخوان هما (ر.ب) و (م.ب)، فتعجبت من التقاء هؤلاء الأربعة فى مكان واحد مع أن لا رابطه بين الرجلين الأخوين و بين عبد اللطيف و ابنه، و لكن عجبى زال حين بادرنى عبد اللطيف بقوله: أنه لا ينسى الأيام التى صحبته فيها و التى كانت مشرفه له، و أنه لا ينسى ما بذلته من جهد فى سبيله لذلك فقد عزم على أن أكون و كيله و وكيل شركائه فيما يريدون بيعه من أراض شاسعه واسع، ثم شرح الأمر قائلا:

لقد عزمنا على بيع المناره و هونين و ما يلى ذلك من مساحات ممتده من قمه الجبل حتى سهل الحوله إلى شركه صهيونيه و أن هذين الحاضرين هما السمساران. و لما كان مالكو الأرض هم عديد من الشركات ورثوها عن جددهم خليل الأسعد، كما يشاركهم فى بعضها آل الخورى، لذلك طلبت الشركه أن يوكل الجميع و كيلا عنهم يجرى معاملات البيع باسمهم و يقبض باسمهم و يسجل باسمهم. و أنه (أى عبد اللطيف) قد طلب من جميع الشركاء أن أكون الوكيل لائتمانه إياى، و وفاء لى على ما عملته من أجله، و أنه أصر على أن لا تكون أجره هذا التوكيل هى ما تعرف عليه، بل تكون مبلغا كبيرا، و أن السمسارين قد قبضا عربونا لهذا البيع و سيدفع لى حالا هذا المبلغ من أصل العربون المقبوض.

و هنا قال أحد السمسارين أن المبلغ عنده و إنى أستطيع أن أقبضه متى شئت. و كنت فى ذلك الوقت فى ضيق مالى شديد اضطررت معه لأن أستدين نفقات السفر إلى بيروت من أحد أصدقائى الدمشقيين. و لكننى لم أكد أسمع هذا القول من عبد اللطيف الأسعد و من السمسار حتى انتفضت غاضبا و صحت فى الحاضرين: إنى لا أسمح لنفسى بان أقيم لحظه واحده فى هذا المجلس الدنس. ثم خرجت.

و بسبب رفضى قبول التوكيل تردد عبد اللطيف فى اختيار وكيل آخر و ظل فى ترده أكثر من شهر، ثم إذا به يصاب بشلل فى جنبه فينقل إلى المستشفى و لا يلبث أن يموت.

و بعد موته أقنع ابنه أحمد الورثه بان يكون هو الوكيل عن الجميع، و هكذا كان، فباع باسمه و اسم موكله تلك الأراضى للصهاينه (1) و بعد استقلال لبنان سنة ١٩٤٣ و خروج الفرنسيين منه أصبح أحمد بائع الأرض للصهاينه و زيرا فى الوزارات التى كان يؤلفها رياض الصلح و غيره، ثم أصبح رئيسا للمجلس النيابى. كما أصبح أحد السمسارين الأخوين و زيرا عده مرات، ينادى باسمه بين الزعماء.

كما كان أحمد الأسعد نفسه في إحدى المرات عضوا في الوفد اللبناني الذي ذهب برئاسة رياض الصلح لحضور أحد اجتماعات الجامعة العربية التي كانت تعقد في القاهرة للبحث في شؤون فلسطين المغتصبة من الصهاينة.

في العراق

العام ١٩٣٨ كان الشيخ محمد رضا الشيبى وزيرا للمعارف العراقيه في وزاره جميل المدفعى التي ألفها بعد اغتيال بكر صدقى و سقوط وزاره حكمت سليمان. و قد كان وجود الشيبى في وزاره المعارف عاملا في انتقالى إلى العراق للتدريس في معاهده. و كان لا بد من هذه الخطوه. فانا عند ما دخلت معهد الحقوق في الجامعة السورىه لم يكن في ذهنى العمل في المحاماه بعد التخرج لعدده عوامل منها: أن المحامات يقتضى التفرغ لها تفرغا كاملا مما كان سيشغل كل أوقاتي فيصرفنى عن تنفيذ ما كنت أشغل به ذهنى من البحث التاريخى بعد أن استهوانى هذا البحث كل الاستهواء. و منها أن التفوق في المحاماه في لبنان كان لا يمكن لمن لا يجيد اللغه الفرنسيه، فان كثيرا من الأحداث كان أمر الفصل بها يعود إلى ما سمي بالمحاكم المختلطه، و هى المحاكم التي تتالف من قضاة فرنسيين و لبنانيين و يرئسها الفرنسيون و منها محكمه التمييز، و المرافعات في هذه المحاكم باللغه الفرنسيه التي كانت معتبره لغه رسميه في جميع دوائر الحكومه حتى في مجلس النواب.

و معنى ذلك أن المحامى الذى لا يجيد اللغه الفرنسيه لن يكون في الصفوف الأولى من المحامين، و أن ذلك محصور بخريجى معهد الحقوق في الجامعة اليسوعيه في بيروت، و لم يكن بإمكانى التسليم بالقيام بعمل لا يكون باب التفوق فيه مفتوحا أمامى.

و منها أن طبعى بعيد عن الانغماس في مشاكل الناس و خلافاتهم و الانشغال بخصوصياتهم، و هى خصومات بيعتها التكالب المادى، و أنه إن صح أن المحامى يستطيع أحيانا أن ينقذ بريئا أو يرد حقا سلبيا فإنه في كثير من الأحيان سيدافع عن مجرم و سيناظر ظالما و يدعم مغتصبا. و لم أكن أحتمل أن يكون عماد حياتى قائما على هذا الأساس.

و كنت أتذكر دائما ما رواه (اتلى) أحد رؤساء حزب العمال البريطانى و مترئس وزاراته من أن الذى صرفه عن المحاماه بعد أن كان قد بدأ العمل فيها ناجحا، أنه في أوائل عهده في المحاماه دافع عن متهم بجنايه كان قد أقنعه بأنه برىء و استطاع تبرئته مما اتهم به، ثم تبين له أن صاحبه مجرم عريق في الاجرام.

لهذا كله لم يكن في ذهنى أن أعمل محاميا، و في الوقت نفسه كانت الأبواب الأخرى مسدوده أمام أمثالنا في عهد الانتداب الفرنسى، و لم يكن في إمكانى الانصراف إلى ما يستهوينى من الدراسات و البحوث لا سيما

ص: ٣٠٦

١- كان معظم هذه الأراضي داخلا ضمن فلسطين، و مساحه منه ضمن لبنان، و كانت إسرائيل لم تقسم بعد، و كان هم الصهاينه شراء أقصى ما يستطيعون شراءه من الأرض العربيه. و لما قامت إسرائيل بعد ذلك و أريد تحديد حدودها مع لبنان أصر اليهود على أن تكون حدود دولتهم على مستوى الأرض التي اشتروها مما هو داخل في لبنان و بذلك استولوا على ما يقرب من ثلث

أراضى قرى: عديسه، و مركبا، و حولا، و ميس، و بليدا، و عيترون، استولوا عليه اغتصابا بحجه تسويه الحدود. كل ذلك بسبب ما ارتكب أحمد الأسعد.

التاريخيه منها، فرأيت في التدريس في معاهد العراق ما يقربني مما أحاوله.

لذلك ذهبت إلى العراق مرتاحا منشرحاً، فكان أن عهد إلى التدريس في ثانويه مدينه الحله المنشأه في نفس العام.

في الحله

و كان العراق يستقدم معظم مدرسيه من مصر إذ كانت حكوماته تنشئ في كل عام مدارس جديده، لذلك كانت محتاجه في كل عام إلى مدرسين جدد، فكانت تواصل استدعاء المدرسين من الخارج و كان اعتمادها في ذلك على مصر.

و من طريف ما كان يجري أحيانا أن المدرسه كان يصلها من المدرسين العدد الذي تحتاجه دون أن يراعى الاختصاص فيجد مدير المدرسه أمامه مثلا مدرسا للغه الإنكليزيه في حين أنه يحتاج إلى مدرس للتاريخ فيضطر إلى أن يسد فراغ التاريخ بغير المختص بالتاريخ.

و هناك قصه تروى عن مدرس لبناني عهد إليه بتدريس التاريخ و هو لا صل له بهذا العلم، فكان من مواضيع تدريسه موضوع الدوله البويهيه فكان يلفظ كلمه (بويه) المضمومه ألباء المفتوحه الواو الساكنه الياء، كان يلفظها مضمومه ألباء و يجعل الواو حرف مد، و الياء مفتوحه و الهاء ساكنه (بويه). و كذلك يلفظ كلمه (المغول) المفتوحه الميم، المضمومه الغين، و التي واوها واو مد، كان يلفظها مكسوره الميم ساكنه الغين مفتوحه الواو ساكنه اللام (مغول).

و لما جئت مدينه الحله كان مدير الثانويه عبد الوهاب الركابي و هو من أكفأ رجال المعارف، إداري حازم جيد الثقافه على جانب من طيب الذات و حسن الخلق و إنصاف الناس.

جئت أنا على أساس أني مدرس للأدب العربي، و لكن المدير وجد أن لديه شواغر في الأدب العربي و في التاريخ الحديث و في الاقتصاد، فقسم دروسى بين هذه الثلاثه.

و قد وقع اختيارى لمدينه الحله موقعا حسنا في نفسى، فاسرتنا في الأصل عراقيه من الحله نفسها أو من ضواحيها جاء جدنا الأعلى منها إلى جبل عامل و استقر في شقرا.

و إلى الحله ينتمى العلامه الحلبي و المحقق الحلبي و صفى الدين الحلبي و السيد حيدر الحلبي و السيد جعفر الحلبي و غيرهم، و هى أسماء تتردد كثيرا في بيوتنا و مجالسنا، لذلك وجدتنى مسرورا بان أكون في منابت أولئك الرجال و فى الأرض التي خرجت منها أسرنا.

و لم تخيب الحله اغتباطى بوجودى فيها، فقد كان يغلب على سكانها الاتصاف بالصفات الحسنه، و كان كل من اتصل بهم يبعث الاتصال به الثناء عليه، فضلا عن وجود مجموعه طيبه المعشر أنيسه المجلس نيره الفكر.

لذلك كانت أيامى في الحله و تلك السنه الدراسيه التي أمضيتها فيها من أمتع أيامى و أعذبها.

و الحله فضلا عن ذلك من أجمل المدن بفراتها و نخيلها و رياضها و بساطينها، مما كان مبعثا للشعر و النثر فى نفسى فكان مما قلته فيها قصيده فقدت منى و أتذكر منها هذه الأبيات:

ظل على شط الفرات ظليل و مرايع فتانه و حقول
ليست تمل العين رائح حسنها إذ كل حسن غيرها مملول
و زها الفرات لرائديه و أمرعت فى صفتيه تناؤف و سهول
تحلو على الأجراف ثمه بكره و يطيب فى ظل النخيل أصيل
يا صاحبى قفا فثمه موقف فى الجسر فواح الأريج ظليل
تترقق الأمواه فيه دوافقا فيروق مجرى دافق و مسيل
و يلذ للوارد عذب نسيمه و تشوقهم فيه صبا و قبول
مناظر الشط الجميله كم حلا فى جانبك لرائدك مقيل
كم وقفه فى الجسر عاطه الشذى و الماء رهو و النسيم عليل
طال الوقوف بنا عليك عشيه إن الوقوف على الجمال يطول
يا نازلين على لشام و إنكم بين الجوانح فى الفؤاد نزول
ما لذ ورد للمشوق و لا ارتوى من بعدكم للمستهام غليل
يهتاجه الزهر النضير إليكم و يهزه فى الرافدين نخيل
أ و ما تزال على كروم (حريبه) ترد الملاح عشيه و تقيل
و هل العيون الدافقات كعهدنا تجرى على خضر الربى و تسيل
إنى ليصينى الخزام على النوى و يشوقنى الزيتون و الملول
و جد على شحط المزار مبرح و شجى بطيات الضلوع دخيل

و الواقع أن الفتره التى قضيتها بين التخرج من معهد الحقوق سنه ١٩٣٤ و بين وصولى إلى الحله سنه ١٩٣٨ كانت فتره ركود فى إنتاجى الكتابى و لا أستطيع أن أعد منها شيئا يذكر.

وكان عهدى الجديد خصبا فى هذا الإنتاج افتتحته بمقال فى وصف الرحله من دمشق إلى بغداد، و كان هذا أول مقال لى فى أدب الرحلات الذى كنت مولعا به مطالعه و طامحا إلى الكتابه فيه، ثم تتابعت بعده مقالات الرحلات التى كنت أقوم بها داخل العراق مما يؤلف جزءا كبيرا فى

ص: ٣٠٧

كتاب رحلاتي الذي أصدرته بعد ذلك و سميته (من بلد إلى بلد).

و كانت ثانى المقالات فى وصف رحله قمت بها مع الطلاب من الحله إلى سامراء.

و عدا القصيده اللاميه التى مر ذكرها نظمت قبلها قصيده كانت من وحي أول عيد يمر على و أنا بعيد عن الوطن و الأهل و منها:

أطل علينا كالح الوجه خايبا يثير شجوننا فى الضمير سواجيا

أطل فلا القلب الطروب كعهده طروب و لا غر الليالى كما هيا

يهيم بحوراء اللحاظ و يجتلى على طلعه العيد الحسان الروانیا

لقد حال ذاك البشر غما و بدلت ضواحك نفسى فى الحياه بواكيا

فلا العيد بساما يهيج صبايتى و لا الحسن وضاء يثير غراميا

تلفت للعيد المطل فلم أجد على جنبات العيد إلا ماسيا

ورائى من الأشواق ثم مفاوز و بحر من الأشجان طام أماميا

تلفت من شط الفرات فراغنى على جنبات الشط ألا لا تلاقيا

لئن لذ للوراد عذب فراتهم فان فؤادى فيه ما زال ظاميا

يحن لماء البركتين و يشتهى مشارع فى تلك الذرى و مساقيا

له الله خفاقا على غارب النوى يصارع أياما و يشكو لياليا

لقد شفه بعد المزار و هاجه إلى شجرات الرند إن ليس دانيا

فيا شجرات الرند فى سامق الذرى سقيت على البعد الغمام الغواديا

فما راقنى بعد (الدواوير) مربع و لا اعتضت عن (وادى السلوقى) واديا

و لا شاقنى من بعد (غره) مبسم يشوق و لا هاج الغرام فؤاديا

سقى (الحومه) الخضراء صوب سحائب و روى هطول المزن ثم (الدغاليا)

مرايع يطلعن (السكوكع) أبيضاً و يزهين (بالدحنون) أحمر قانيا

نناجى مغانيها النصيره لو وعت على متاى الدار المشوق المناجيا

و نسأل عنها الركب هل كان زاهرا ربيع الحمى فيها و هل كان زاهيا

و الدواوير، و وادى السلوقى و الحومه، و الدغالى: أماكن فى شقرا، و السكوكع و الدحنون من أزاهيره البريه.

و للمقايسه بين هذا الإنتاج الشعري فى الحله و بينه بعد التخرج من معهد الحقوق يكفى أن تعلم أن آخر قصيده كنت قد نظمتها كانت وداعا للدروس عند التخرج ثم انقطعت بعدها عن الشعر إلى أن كانت القصيده اللاميه - ثم اليائيه فى الحله.

و كذلك الحال فى النثر. و لا يزال من أحب ما كتبه من النثر إلى نفسى، قطعه عاطفيه كتبتها فى الحله عند سماعى فى المذيع زجلا لعلى الحاج مذاعا من بيروت يقول فيه:

عطشان و قلبى محروق اسقيني من إبريقك ميا

و قد ضمنت هذه مقاله إلى كتاب (من بلد إلى بلد)، و هى و إن لم تكن من أدب الرحلات و لكنها لصيقه به.

و صرت بعد ذلك لا يصدر جزء من أجزاء مجله العرفان الشهريه إلا و لى فيه مقال، أما فى الأدب العربى أو فى أدب الرحلات، و مما نشرته فيها فى تلك الفتره دراسات عن الشاعر ابن هانى الأندلسى، و هى فيما أحسب أول دراسات تنشر عن هذا الشاعر المظلوم. و كذلك دراسات عن الشاعر ابن زيدون نشرت فى بعض المجلات البيروتية.

و ممن عرفتهم فى الحله متصرفها السيد سعد صالح، و هو من رجال الأمه العربيه المعدودين، فقد نشا عصاميا و كون نفسه بنفسه، و كان يجمع الذكاء الوقاد و الموهبه الأديبه و الخطاييه و الحنكه السياسيه و الرأى الراجح و الوطنيه الصادقه. و كان كل ما فيه يؤهله للزعامه الشعبيه النافذه. و لما احتيج إليه ليكون وزيرا للدخليه رفض قبول الوزاره ما لم تطلق حريه تشكيل الأحزاب فكان له ما أراد. و لما استقال من الوزاره و انصرف إلى المعارضه المنظمه كانت قد تهيأت له كل وسائل القياده الشعبيه الراسخه و أصبح ينظر إليه نظره الزعيم الذى أخذت تتجمع حوله القلوب، و بينما هو يخطو خطواته المتتابعه انقض عليه داء عضال بدأ يهدده طيله سنتين هدا بطيئا و لكن متمكنا، و لم تنجح فى مقاومته علاجات العراق و أوروبا، حتى انظفا سراج سعد فى غير أوانه! فانطفات بانطفائه شعله مروءات و نخوات و أريحيات و ألمعيات.

و من الطرائف فى الحله أن الحى الذى سكناه أنا و زميلان مصريان كان اسمه حى (التعيس)، و لا أدرى من هو هذا التعيس الذى أطلق الحليون لقبه على هذا الحى، و لا ما هو نوع تعاسته و لا ما هى أسبابها.

و لو كنا ممن يتشاءمون من الأسماء و المناظر على الصوره التى يتهمون ابن الرومى بها لرفضنا أن يكون منزلنا فى حى (التعيس)، و لكننا لم نكن كذلك و رضينا بان نقيم فى المكان الذى كان يوما مصدرا لتعاسه الناس.

و إنصافا لهذا الحى فاننا نشهد أن التعاسه لم تطرقنا فيه، بل كنا على الكثير من السعاده و البشر، و هو الجو العام الذى كانت تضيفه علينا الحله سواء من حيث جمالها الطبيعى الناضر، أو من حيث أصاله أهلها فى خلال الخير.

و من ذكريات الحله أننا فوجئنا فى صباح ٤ نيسان سنه ١٩٣٩ بنبا مصرع الملك غازى مصرعا مروعا، و كان لغازى حب فى نفوس الناس و كانوا يعقدون عليه آمالا كبيره، لذلك كان لموته فى عنفوان شبابه صدى حزن عميق أثار الجماهير أى إثارة.

و بعد مرور ثلاثه أيام على وفاته أقيمت له فى الحله حفله حافله دعيت إلى الخطابه فيها، فألقيت كلمه أنقلها هنا ليرى القارئ كيف كنا نفكر فى تلك الأيام. و قبيل وفاه غازى كانت الاضطرابات فى سوريا قائمه على الفرنسيين، و قد انتصر العراقيون لإخوانهم فى بلاد الشام فعدوا الاجتماعات و قدموا الاحتجاجات و أقاموا المظاهرات.

و كانت للملك غازى محطه إذاعه خاصه فى قصره (قصر الزهور) كان يشرف عليها بنفسه و كانت صدى لكفاح السوريين تنشر أخبارهم و تثير همهم. و فى يوم من الأيام ألقى منها أحد المدرسين السوريين خطابا حماسيا أستصرخ فيه الملك غازى، فكان يكرر فى خطابته نداء: يا غازى... يا غازى... مستنصرًا به على الفرنسيين، مستنجدًا به للسوريين. و فى اللحظه التى أنهى فيها الخطيب خطابته تعالى صوت فى المذياع: لييك... لييك.

و كانت مواقف غازى الوطنيه و مجاهرته بالعداء للانكليز و للفرنسيين معا، هذه المجاهره التى كانت تتجلى أكثر ما تتجلى فى إذاعه (قصر الزهور) تخرج الحكومه العراقيه و تثير غضب الإنكليز. لذلك شاع يوم ذاك أن موت غازى لم يكن طبيعيا و أن أمرا دبر للتخلص منه.

و هذه هى كلمتى فى حفله تأبين الملك غازى:

إننى يا ساده باسم تلك العصب من الفتيان النضر الذين يهونون تحت الرصاص فى بلاد الشام أنحنى أمام هول الفاجعه فى العراق، و أننى باسم ذاك الدم الموار على سهول الغوطتين و فى محافى النيربين أخشع أمام دم الغازى.

و إننى من أعماق القلب أحيى هذا الجمع الكريم و أحيى هذه الأرض الطيبه و أشكر الظرف الذى ساقنى إليها فتعرفت إلى هذه الوجوه النيره و الطلعات المشرقه.

بالأمس هب العراق يواسى الشام فى فجيعتها، و تدافع بنوه غضبا للظلم النازل بها، فما أدرى إن كان فى موقفى هذا بعض المقابله بالمثل.

و لكن كلا- يا ساده: فان غازى لم يكن للعراق فحسب، فابن الشام شريك ابن العراق فى هذا المصاب، و غازى قبل أن يكون ولى عهد العراق فى حياه أبيه كان ولى عهد الشام. و فيصل قبل أن يكون ملك العراق كان ملك الشام، فموقفى بينكم ليس إلا موقف المفجوع بمليكه لا موقف المعزى لإخوانه.

إنكم لتسمعون تلك الصيحات الناريه التى تدوى بها بطاح الشام، و ترون ذاك الصراع الدموى فوق ثرى بردى.

إنها صيحات الشعب الأنوف يأبى أن يمد يديه للأغلال و رجليه للأصفاد. إنها أصوات فتيان العرب الغطاريف يأنفون ذله الاستعباد و عار الهوان، قد أجمعوا أمرهم على الوثبه، فإذا فاتتهم الحياه الشريفه فلن يفوتهم الموت الشريف.

لقد قيل قديما:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده و لا الصبابه إلا من يعانيتها

فإذا ما حدثتكم حديث الجهاد فقد كابدتم هذا الجهاد و عانيتموه و برزتم فيه، فإخوانكم اليوم لا يزالون من حيث ابتداءوا يناضلون المستعمر بالدم و المال، و لقد كان لهم من أبى الغازى ثم من الغازى بعده حصنا حصينا و سندا معيننا، و لقد تعالى صياحهم بالأمس: وا غزياه مستصرخين، ثم تلفتوا فصاحوا: وا غزياه... و لكن متفجعين، فشتان بين الصيحتين!...

يا فتيان العراق: إن أمتين كبيرتين هما اليوم حديث العالم، كانتا حيننا من الدهر و كل واحده منهما قبائل و شعوب، فهبت فى إحداهما (بروسيا) و هبت فى الثانيه (بيدمنت) فقادت الأولى ألمانيا إلى وحدتها الجباره، و قادت الثانيه إيطاليا.

و إننا نحن العرب الطامحين إلى مملكتنا الكبرى نتلفت إلى القطر العربى الذى يستطيع أن يمثل فى العرب دور بروسيا فى ألمانيا

و بيدمنت فى إيطاليا فلا نجده إلا فى العراق.

لقد كانت سوريا تستطيع أن تكونه، و لكن سوريا الشهيدة رماها الله بعدو جاهل ظل على حربها طوال عشرين عاما حربا لا تهدأ. فسوريا لا تستطيع ذلك ما دامت و فى كل واد منها دم مظلول و ثار مطلوب.

فليس فى الميدان اليوم إلا-العراق. إن حدودكم ليست فى قلب الصحراء على أبواب الرطبه، إن حدودكم على ساحل البحر المتوسط، و ليس مرفا بغداد هو البصره: إن مرفا بغداد هو بيروت و حيفا.

يا فتیان العراق: ليست المملكه المؤلفه من خمسہ ملايين هى المملكه التى تروى الظما القومى و ترضى الطموح الوطنى، بل هى المملكه التى تضم العشره الملايين ثم عشرات الملايين، هى المملكه التى تضم العراق و سوريا و فلسطين أولا، ثم البلاد العربيه جميعا ثانيا.

فهذه كانت أمنيه فيصل و أمنيه الغازى. و إذا كان فيصل الأول و شبل فيصل الأول قد ماتا قبل أن يرياها، فان فيصلا الثانى سيرها إن شاء الله (انتهى الخطاب).

تعيين الوصى

و لما كان ولى العهد فيصل قاصرا كان لا بد من تعيين وصى له يتولى شئون الملك. و كانت أنظار الناس كلها متجهه إلى الأمير زيد عم غازى باعتباره أكبر رجل فى الأسره سنا و تجربه و قرابه، و لكن فوجئ الناس بتعيين عبد الإله خال فيصل.

و قد تبين أن الأمير جرى على هذه الصوره: كان رئيس الوزراء يوم ذاك هو نورى السعيد و له بحكم منصبه و بحكم أشياء أخرى القول الفصل فى هذا الموضوع و كان هواه مع عبد الإله لا حبا بعد [بعبد] الإله، بل لأنه كان يرى فى الأمير زيد رجلا متمرسا بالحياه لا يسلس القياد، بينما يرى فى عبد الإله شابا غرا من السهل تطويعه، و لنورى السعيد مطامعه فى السيطرة على حكم العراق، و هذه السيطرة لا تتم بوجود رجل قوى الشكيمه مجرب كالأمير زيد.

و قيل يوم ذاك أن لنورى السعيد تجاربه مع الأمير زيد أيام كانا يعملان معا فى دمشق بعد انتهاء الحرب العالميه الأولى.

و لما كان نورى السعيد لا يستطيع التظاهر بالانفراد فى اختيار الوصى لذلك دعا رؤساء الوزراء السابقين و بعض من إليهم من غيرهم و طرح عليهم أمر اختيار الوصى، فكان الجميع مع اختيار الأمير زيد، ما عدا طه الهاشمى الذى اعترض بشده على هذا الاختيار محتجا لذلك بان الأمير زيد أيام كان وزيرا مفوضا فى أنقره أحب زوجه موظف تركى و بادلته الحب فسعى لتطبيقها من زوجها و تزوجها، فلا يجوز أن يكون الوصى على عرش العراق زوجا لمثل هذه المرأه...

فاقتنص نورى السعيد هذا الرأى و أعلن ميله إليه، ثم دعم رأيه بان للملكه عاليه أم فيصل رأيا الذى يجب احترامه فى هذا الاختيار، و أنها أبلغت إليه بان غازى كان قد أسر إليها بأنه إذا طرأ عليه طارئ فإنه يختار عبد الإله للوصايه على فيصل.

و سواء أضح ما زعمه نوري السعيد من رأى غازى أم لا يضح، فمن

ص: ٣٠٩

الطبيعي أن يكون ميل الملكة عاليه إلى أخيها أكثر من ميلها إلى عمها، فاجتمع رأى نوري و رأى عاليه إلى حجه طه الهاشمي، و أيقن الحاضرون بان نوري مصمم على اختيار عبد الإله فكان أن طلبوا إلى نوري أن يبقى أمر آرائهم سرا لئلا يغضبوا عبد الإله عليهم و كل منهم يطمح بالتقرب إلى من ستؤول إليه الوصايه على عرش العراق، و بالرغم من أن نوري وعدهم بذلك فان الأمر لم يبق سرا.

و من تصارييف القدر العجيبه أن الأمر انتهى بين عبد الإله و نوري السعيد إلى التنافر و التخاصم، و صار لهذا جماعته و لهذا جماعته، حتى أن مرشحي السلطه للانتخابات النيابيه - حين يكون نوري رئيسا للوزراء - كانوا قسمين: مرشحي البلاط، كما كانوا يسمونهم و مرشحي الحكومه.

كما أن الأمر انتهى بين طه الهاشمي و عبد الإله إلى الشر، و يكفي أن نشير هنا إلى ما ذكره كامل الجادرجي في مذكراته عن الاجتماع الذي دعى إلى حضوره رؤساء الوزراء السابقون و رئيس الوزراء العامل مصطفى العمري مساء الثالث من تشرين سنه ١٩٥٢ و الذي حضره أيضا رؤساء الأحزاب المعارضه: طه الهاشمي رئيس الجبهه الشعبيه، و مهدي كبه رئيس حزب الاستقلال، و كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديموقراطي.

قال كامل الجادرجي في الصفحه ٥٥١ من مذكراته:

"اجتمعت بطه الهاشمي و مهدي كبه فاتفقنا على أن نكون مستمعين أكثر منا متكلمين و أن يقتصر بحثنا فيما إذا اضطررنا إلى الاجابه المسهبه على شرح المذكرات التي قدمناها".

و بعد أن يستعرض الجادرجي أقوال الآخرين في الاجتماع المذكور يقول:

"و تكلمت أنا و شرحت وجهه نظر الحزب التي جاءت في المذكرة شرحا مسهبا نوعا ما كما مهدي كبه... ثم تكلم طه الهاشمي فقال: من منكم أو منا كان حرا في تأليف وزارته؟ و من منا كان حرا في الكثير من أعماله؟. إن الحكم يجب أن يكون بعيدا عن الاستغلال، ثم استدرك بقوله: إننا جميعا لم نبتعد عن استغلال النفوذ فيجب أن ينتهي هذا الدور...

و كان قد تكرر خروج الأمير من الاجتماع و عودته إليه، فلما عاد أخيرا إليه قال: كلكم تكذبون متى أنا تدخلت في أمور الدوله؟ متى أبديتم النصح لي و لم أسمع؟. متى استغليت نفوذى؟.

ثم وجه الخطاب إلى طه الهاشمي قائلا: أنت تتهمني باستغلال النفوذ. أنت كذاب، أنت استغليت ضعفى فى الوثبه و كتبت فى الجرائد ذلك المقال ضدى كان كله كذبا. أنت كذاب. تقول أنه سيقع فى العراق مثل ما وقع فى مصر. أنا لا أخاف ذلك. أنا لا أهتم بهذه الأمور...

ثم دخل الأمير مع طه بمشاجره حول أمور وقعت سنه ١٩٤١ فأنكرها طه فقال الأمير: ما أقوله هو الصحيح أنت تكذب. أنت كذاب...

و قد أراد طه أن يترك القاعه - عند ما بدأ الأمير بتوجيه الاهانات إليه - و لكن الأمير صرخ بوجهه قائلا: اجلس اجلس... لا

تخرج... تحمل ما سأقوله لك، فأطاع الهاشمي الأمير طاعه عسكريه و جلس".

و كذلك فان الملكة عاليه نفسها بدت و كأنها نادمه على ما ورطت به أباها في وصايه العرش بعد أن ساءت الحاله العراقيه و ما عرض لعبد الإله من مشاكل و متاعب و اتهامات و نقمه لا سيما بعد الحركه التي عرفت بحركه رشيد عالي الكيلاني و اضطرار عبد الإله إلى اللجوء إلى قاعده الحبانيه و انتقاله بعد ذلك إلى الأردن، ثم عودته إلى بغداد إثر فشل الحركه، و ما بدا به من أنه عاد في ظل الجيش الانكليزي. ثم ما توالى بعد ذلك من انتفاضات شعبيه لم تهدأ، مما جعل عبد الإله و كأنه المسئول عن كل ذلك.

و كانت عميده معهدنا (أمت السعيد) على صله وثيقه بالملكه عاليه و بعبد الإله و بقيه الأميرات إذ أنه كان قد عهد إليها بتعليمهم و الاشراف على تربيتهم أيام طفولتهم فظلت لصيقه بهم بعد ذلك تقضى أوقاتا كثيره في مجالسه الملكه عاليه و الأمير عبد الإله.

و كنت موضع ثقه العميده و اعتمادها في المعهد، فكانت تحدثني في جلسات خاصه عن كثير من شؤون الأسره المالكه. و مما قصته على: أن الملكه عاليه كانت تتألم لأخيها موقعه اللوم على نفسها بأنها كانت السبب في تحمله مسئوليه الوصايه و ما جرته عليه.

و مما حدثتني به العميده: أن عبد الإله كان شديد التألم من مواقف عمه الأمير ثم الملك عبد الله، و أنه كان يقول: أن عمي يورطنا في تصرفاته فيتصرف هو و نحمل نحن جميعا تبعه تصرفاته، و أن عبد الإله كان أحيانا يضرب جبهته بيده غيظا من عمه عبد الله و يصرخ مستنكرا، و لكنه يكتم ذلك عن الناس.

و كان سبب خلاف عبد الإله مع نوري السعيد، إنكاره على نوري الاستسلام الكامل للانكليز، و عند ما كان يهيم باقضاء نوري - و قد أقصاه في بعض الحالات - كان الإنكليز يفرضونه عليه فرضا.

و أذكر أنه عند ما دخلت الجيوش العربيه فلسطين سنه ١٩٤٨ كان الملك فيصل مع والدته في لندن يتابع دراسته، و كانت ترافقهم هناك العميده أمت السعيد، و كانت تراسلني من لندن إلى بغداد، و مما فهمته من رسائلها أن عاليه كانت مغتبطه كل الاغتياب من حماسه أخيها عبد الإله لدخول الجيش العراقي إلى فلسطين و من خطابه في قطعات الجيش العراقي الزاحقه خطابا عاطفيا حماسيا مؤثرا.

كما كانت مغتبطه من قبل من ذهب أخيها إلى القاهره و مساهمته في إقناع المصريين في المشاركه في الحرب مساهمه كانت فعاله، بما في ذلك من تضحيه شخصيه منه بقاء الحاج أمين الحسيني في حين أن عبد الإله يعتقد - عن صواب - أن مصائبه في اضطراره للجوء إلى قاعده الحبانيه ثم الذهاب إلى الأردن، ثم الظهور في العوده إلى بغداد كمن هو عائد بفضل الحراب البريطانيه، إن مصائبه هذه كان سببها الرئيسي الحاج أمين.

و كان اغتياب الملكه عاليه بمواقف أخيها هذه يرجع إلى أنها ستكون عاملا في تقريبه من الشعب.

وقد كتبت إلى العميده أمت السعيد فيما كتبت من لندن أن أبعث

ص: ٣١٠

إليها بقصاصات من الصحف التي تتحدث عن مواقف عبد الإله لا سيما الصحف غير العراقية، كما سالتني في بعض رسائلها أن أكتب لها عما أتصوره عن موقف الرأي العام العربي من عبد الإله في هذه الظروف.

ولم أكن أشك في أن كل ما كتبه العميده كان بطلب من الملكة عاليه، و أن الملكة كانت تطلع على رسائلها لي و على أجوبتي لها.

و لعدم شكى بذلك كنت أتعمد مصارحتها بالحقائق، فكان في بعض ما كتبت إليها: أن مواقف الأمير تلقى صدى حسنا و لكن ليس من السهولة و لا بهذه السرعة يمكن أن يزول من النفوس ما كان عالقا بها - سواء بالحق أو بالباطل - من تأثير الدعايات القويه المؤثره. و أن ثقه الناس و اكتساب حبههم و عطفهم تحتاج إلى أعمال بطوليه متتابعه...

و كان من حسن حظ الملكة عاليه أنها ماتت قبل أن تشهد ما حل بابنها و أخيها بعد ذلك.

استطراد لا بد منه

و ما دمنا في الحديث عن حرب سنه ١٩٤٨ و دخول الجيوش العربيه إلى فلسطين فلا بد من إشاره موجزه إلى بعض الأضاليل التي نشرت فانتشرت عن تلك الحرب و التي تريك أن التاريخ زيف في زيف و أن الناس كتبه حسب أهوائهم، و يكتبونه الآن حسب أهوائهم و سيظلون يكتبونه حسب أهوائهم...

و أنه إذا قيل من قبل أن التاريخ يكتبه المنتصرون، فاننا نستطيع أن نقول اليوم بان التاريخ يكتبه لا المنتصرون فحسب. بل يكتبه الأبرع في الادعاء و الأقوى في البث و الأنشطة في النشر و الأوسع حيله في التضليل و الأهمر في الاستهواء.

لقد كتب يوم ذاك عن موقف الجيش العراقي ما كتب من الشر المريع و اتهم قادته بما اتهموا به، و انتشرت كلمه (ما كو أوامر) التي نسبت إلى أولئك القاده زاعما من اخترعها أن القاده العراقيين كانوا يجيئون بها من يطلب إليهم التقدم.

إن ما فعله الجيش العراقي و ما أنكر على ذلك الجيش ما فعله، و ما أشاعه المشيعون عنه، و ما سجله المسجلون و أذاعه المذيعون و كتبه الكاتيون مما لا يزال منتشرًا بين الناس حتى اليوم و سيظل هو الحقيقه بين الناس حتى آخر يوم.

أن هذا وحده هو الدليل على زيف كل ما كتبه كتب التاريخ عند من عرفوا حقائق ما جرى للجيش العراقي في ذلك الوقت.

و قد كنت بحكم اتصالي الوثيق بالسفاره اللبنانيه يوم ذاك - إذ كان سفيرها المناضل الوطني و المفكر العربي كاظم الصلح - مطلعًا على كثير من الحقائق و المفاوضات، و إنى للأسف كل الأسف إنى لم أسجل في تلك الفتره الأحداث اليوميه حدثًا حدثًا. و لم أكتب وقائعها واقعه واقعه، و بذلك ضاع كثر من الأمور التي لو سجلت يومها لكان فيها جلاء ما لم يجلب من الحقائق و نقض ما برز من الأضاليل.

و قبل الدخول في هذا الموضوع لا بد لي من الإشاره العابره إلى موضوع آخر هو وثيق الصله بموضوعنا، و هو الحقيقه في تحول مصر من الابتعاد عن العروبه إلى الاقتراب منها ثم الدخول في صميمها و المشاركه في حروبها، فقد تجوهر الرجال الذين

حققوا ذلك و نسى مدونوا التاريخ ما فعله أولئك الرجال، لأن التدوين كان فى أيدى من يكرهونهم و يريدون الغض منهم...

و من حقى هنا أن أقول إنى لم أكن أحب أكثر أولئك الرجال، و إنى كنت فى عواطفى من خصومهم، لا لشيء سوى إنكارى عليهم تصرفاتهم الأخرى، و لقد سرنى سقوط من سقط منهم.

و لكن ذلك لا يمكن أن يحولنى عن تسجيل ما لهم من فضل و حفظ ما لهم من حق. و إذا كنت قد عاديتهم فى الحق، فانى أنصفهم فى الحق...

فانا مثلا كنت و لا أزال معجبا (بالوفد) و رئيسه مصطفى النحاس، مقدرًا كل التقدير لنضاله الوطنى و قيادته الشعب المصرى فى الحرب على الإنكليز و على استبداد الملك فاروق.

فانا وفدى متحمس للوفد مناضل عنه فى حين أن لا صله عمليه لى بنجاحه أو فشله، و لا صله شخصيه بأحد من رجاله. و لكن متابعتى لمسيره الوفد و رئيسه مصطفى النحاس جعلتني (وفديا) و أنا فى لبنان ككل الوفديين فى مصر.

و بهذه الروح وحدها، و بهذا الخط وحده أنصفت و ساظلت أنصف أعداء الوفد الألداء فيما فعلوه من خير.

فانا أكره على ماهر، و هذا الكره متسبب عن عداته للوفد و رئيسه مصطفى النحاس و دسه الدسائس عليه، و لما كان هذا هو مصدر الكره، فإذا فعل على ماهر فعلا حسنا فانى أسجله له و أحياه من أجله.

و كذلك الملك فاروق، و لكن هذا لا يمنعنى من أن أنصف فاروقا حيث يجب إنصافه.

لقد نسب الناسون إلى من نسبوا إدخال مصر فى الحظيره العربيه و مشاركتها فى معارك العرب و إعلانها أنها جزء من الأمه العربيه، و مع أن فضل هؤلاء فى هذا الموضوع لا ينكر أبدا بل هو موضع تقدير كبير، فان من الحق أن نقول أنهم ليسوا هم من فعل ذلك، بل جاءواهم [جاءوهم] و وجدوا مصر فى قلب الأمه العربيه و فى صميم معاركها، فاستمروا فى هذا المسار و أكسبوه كثيرا من البريق.

إن أول من تبنى قضيه فلسطين من المصريين و اعتبرها جزءا من همه و موضوعا أصيلا من مواضعه الكفاحيه هو مصطفى النحاس عند ما كان رئيسا للوزاره المصريه سنة ١٩٣٧. و كانت مصر قد عقدت معاهدتها مع بريطانيا و دخلت عصبه الأمم، فأوعز النحاس لمندوب مصر فى العصبه أن يتبنى قضيه فلسطين فى جلسات العصبه و يدافع عنها.

و لأجل أن نقايس بين موقف مصطفى النحاس و بين وقف من جاءوا بعده يكفى أن نقول أنه بعد انتهاء الحرب العالميه الثانيه أخذ الإنكليز يصفون مخلفات الحرب و يتخلصون منها ببيعها بابخس الأثمان. و كان من ذلك فرقه مدرعات كامله عرضوا على إسماعيل صدقى رئيس الوزاره المصريه يوم ذاك

أن تشتريها الحكومة المصريه. و كان من أسموا أنفسهم (السعديين) مشاركين فى تلك الوزاره و كان رئيسهم محمود فهمى النقراشى عضوا فيها، فرفض إسماعيل صدقى هذا الطلب، و قال لما ذا نشترى فرقه مدرعات فنحن لن نحارب أحدا. قال هذا لأن فلسطين لم تكن فى ذهنه أبدا.

و هكذا ضاعت الصفقه البخسه الثمن من العرب لأن إسماعيل صدقى و حكومته لا يرون لهم علاقه بفلسطين. و يقدر بعض العسكريين العرب ما كان يمكن أن يكون لهذه الفرقة المدرعه من نتائج حاسمه لو أنها دخلت مع الجيش المصرى فى معاركه فى فلسطين مع اليهود.

هكذا كانت نظره بعض المصريين و الحكم المصرى الفلسطين، و هكذا رأوا أن الجيش المصرى لا يحتاج إلى فرقه مدرعات بخسه الثمن لأنه لن يحارب أحدا.

و لكن النحاس كان يرى عكس ذلك فى تبنيه قضيه فلسطين.

و إذا كانت خطوه النحاس هى الخطوه الأولى، فقد خطت مصر فى عهد الحكم المسيطر عليه فاروق الخطوه الكبرى نحو عروبه مصر و اعتبار شعب مصر جزءا من الأمه العربيه التى تعتبر قضيه فلسطين قضيتها.

ففى أوائل سنه ١٩٣٩ و قد بدت طلائع الحرب العالميه الثانيه و بدا أن لا بد من وقوعها، أراد الإنكليز أن لا يدخلوا تلك الحرب، و هم فى عدااء مستحكم مع العرب، بسبب قضيه فلسطين، فدعوا إلى مؤتمر فى لندن يتمثل فيه جميع العرب ليكون الحل - إذا وقع الحل - حلا عربيا جماعيا.

و لما كان النحاس قد أدخل قضيه فلسطين فى صلب القضايا المصريه و أصبحت مصر من العرب المسئولين عنها، فقد دعيت مصر إلى حضور هذا المؤتمر مثلما دعيت كل الحكومات العربيه. و كان فاروق هو المسيطر على الحكم المصرى فى تلك الفتره، و قد كانت هذه السيطره تتم له حين يستطيع إقصاء الوفد عن الحكم و الإتيان بوزاره منتميه إلى (أحزاب الأقلية) كما كان يعبر عنها يوم ذاك و هى حزب الأحرار الدستوريين و حزب السعديين و من إليهم التى تصل إلى الحكم باراده فاروق بعد تزوير الانتخابات و التلاعب باراده الشعب.

و لكى بيدى فاروق اهتمامه بهذا المؤتمر و تبنيه له انتدب له فيمن انتدب اثنين ينتميان إليه شخصيا و يمثلانه هو بالذات أكثر مما يمثلان الحكومه، و هما الأمير محمد عبد المنعم أحد أمراء العائله المالكة و ابن الخديوى السابق عباس حلمى و جعله رئيسا للوفد، و كان سبب اختياره له أن وفدين عربيين آخرين هما الوفد اليمنى و الوفد السعودى كان يرئس كلا منهما أمير من أمراء العائله المالكة فأراد أن يبيهما فى تبني القضيه الفلسطينيه و أن يدل بأنها من اهتمام أسرته المالكة بالذات.

و الرجل الثانى الذى اختاره هو رئيس الديوان الملكى على ماهر، و بذلك كان حضور فاروق الشخصى فى الوفد حضورا بارزا.

و إذا كان الأمير محمد عبد المنعم هو رئيس الوفد فان المحرك الفعلى له هو على ماهر، و قد كانت مواقف على ماهر فى إداره الوفد مواقف عربيه أصيله بارعه.

و من موافقه يوم ذاك أن الإنكليز عرضوا على العرب أن يسمحوا بدخول ٧٥ ألف يهودى إلى فلسطين خلال خمس سنوات و بعد ذلك تمنع الهجرة.

و كانت قضيه هجره اليهود إلى فلسطين هى أهم شىء فى نظر العرب، فرفض الوفد الفلسطينى هذا العرض بشده فسأيرته الوفود العربيه كلها فى هذا الرفض، و الوحيد الذى قبل العرض و لم يسأير الوفد الفلسطينى كان على ماهر، و أدى الأمر إلى حصول تشاد بينه و بين الوفود العربيه، و لكنه ما زال بهم حتى وافقوه.

و يقول على ماهر فيما تحدث به بعد فشل المؤتمر و انفضاضه: "كنت أريد أخذ إمضاء بريطانيا على صك رسمى يحدد الهجرة و يغلق أبواب فلسطين، و لا- خوف بعد ذلك على البلاد.. فلما قلنا للإنكليز أننا نوافق على اقتراحكم و نقبل هجره العدد الذى تطلبونه، إذا بهم ينكلون و يعلنون فض المؤتمر، و بذلك صحت نظيرتى فى الإنكليز".

و الحقيقه أن الإنكليز كانوا يريدون أن ينسبوا فشل المؤتمر إلى العرب فعرضوا الاقتراح المذكور لاعتقادهم أن الوفد الفلسطينى سيرفضه و ستسأيره الوفود العربيه، و هذا ما حصل، و لكن على ماهر أفسد خطتهم، و أظهر أنهم هم الذين لا يريدون حل قضيه فلسطين إلا وفق ما يريد اليهود.

أما الخطوه الكبرى نحو تعريب مصر و إبرازها عربيه صريحه، و اعتبارها جزءا لا يتجزأ من الأمه العربيه فهى الخطوه التى خطأها مصطفى النحاس يوم كان رئيسا للوزراء سنه ١٩٤٣. فدعا الحكومات العربيه إلى ما أسماه (مفاوضات الوحده العربيه)، و هى أول مره ينطق بها مصرى بهذه الجمله (الوحده العربيه) باعتبار مصر جزءا من تلك الوحده.

نطق بها النحاس لا فى مجلس خاص و لا فى تصريحات عابره، بل نطق بها باعتباره رئيسا للوزاره المصريه، و كان نطقه بها فى مجلس ممثل للشعب المصرى.

ففى ٣٠ آذار سنه ١٩٤٣ ألقى صبرى أبو علم وزير العدل المصرى فى مجلس الشيوخ باسم مصطفى النحاس بيانا رسميا قال فيه و هو يتحدث عن دعوه الحكومات العربيه للمفاوضات: "...و انتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومه المصريه أن تبادر باتخاذ خطوات رسميه فى هذا السبيل فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربيه المختلفه فيما ترى من آمال، كل على حدها. ثم تبذل جهودها للتوفيق و التقريب بين آرائها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ثم ندعوهم بعد ذلك إلى مصر معا فى اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ المسعى للوحده العربيه...".

و من الطريف فى هذا الموضوع أن النحاس فى بيانه هذا و هو يدعو للوحده العربيه، سسمى العرب:(الأمم العربيه). إذ ختم بيانه بقوله:

"و إنى أسأل الله أن يلهم السداد قاده الأمم العربيه...".

و ذلك من رواسب الماضى الذى كان يعتبر العرب أمما لا شعوبا يجمعها جميعا اسم (الأمم العربيه). و يبدو أنه وجد من نبه إلى هذا الأمر فقد زالت بعد ذلك كلمه:(الأمم العربيه) و حلت محلها كلمه (الشعوب العربيه).

و مما يجب ذكره أن النحاس اعتبر فلسطين كواحدة من الدول العربية،

ص: ٣١٢

فدعا مندوبا عنها للمشاوره و المذاكره كاي مندوب لأى دوله عربييه. و قد جرى هذا لأول مره.

و إذا كان الأمر قد انتهى بعد ذلك إلى قيام الجامعه العربيه لا (الوحده العربيه)، فذلك لعوامل من أهمها العامل اللبناني.

و لكن يكفى النحاس أنه أقام الجامعه العربيه التي كانت برغم عيوبها المظهر البارز لأمه عربيه واحده منها مصر.

أما إدخال مصر فى صميم العمل العربى الواحد إلى حد إراقه الدم المصرى إلى جانب الدماء العربيه الأخرى المراقه فى سبيل هدف واحد و قضيه واحده فقد كان العامل فيه هو الملك فاروق.

أقول هذا، و أنا من أشد الناس مقتا لفاروق، و من أكثرهم استبشارا بزوال عرشه، و لكنى كما مقته فى الحق فان الحق وحده هو الذى يحملنى على إنصافه حيث يجب الإنصاف.

و ذلك أنه عند ما قرر العرب دخول جيوشهم إلى فلسطين سنه ١٩٤٨ أعلن النقراشى رئيس الوزاره المصريه أن مصر لا شان لها بذلك، و أن أقصى ما يمكن أن تفعله هو أن ترسل قطعه من جيشها إلى الحدود مع فلسطين كنوع من المظاهر التأيديه المعنويه لا أكثر من ذلك. و فى خريف سنه ١٩٤٧، و خلال دوره الجمعيه العامه للأمم المتحده بدا الاتجاه نحو تقسيم فلسطين و إنشاء دوله يهوديه فيها، فكان على العرب أن يعملوا فى ميدانين: ميدان هيئه الأمم المتحده لمنع اتخاذ قرار بالتقسيم، و هذه المهمه كانت موكوله إلى وفود الدول العربيه و ما يقومون به من اتصالات مع وفود الدول المختلفه أعضاء الهيئه (١) أما الميدان الثانى فهو ميدان القوه العسكريه فى حال إقرار التقسيم، أى أن يحال بالحرب دون تحقيق التقسيم و قيام دوله اليهود و لدرس الوسائل المؤديه إلى إحراز القوه العسكريه المطلوبه دعى مجلس جامعه الدول العربيه إلى عقد دوره لبحث الأوضاع السياسيه و شتى نواحي القضيه الفلسطينيه و مناقشات الجمعيه العامه للأمم المتحده بشأنها، و بصوره خاصه لدراسه موضوع الدفاع عن فلسطين.

و انعقد مجلس الجامعه فى ٧ تشرين الأول ١٩٤٧ فى عاليه بلبنان، و حضرته وفود عن جميع الدول العربيه على أعلى المستويات فيهم عدد من رؤساء الوزارات و وزراء الخارجيه و الدفاع.

و عند ما تناول المجلس بالبحث موضوع الدفاع عن فلسطين تحمس عدد من أعضاء الوفود لا سيما صالح جبر رئيس الوزاره العراقيه و رئيس الوفد العراقى و نادوا بوجوب تدخل الجيوش العربيه النظاميه لانقاذ فلسطين. و فى غمره الحماسه التي سادت المجلس وقف محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر و رئيس وفدها إلى الجامعه حين ذاك و قال مخاطبا المجلس:

"أرجو من الاخوان الاتزان و التفكير السليم و أن لا يقرروا اليوم أمرا لا يستطيعون تنفيذه غدا. إنى أرجو من حضرات المجتمعين و بصوره خاصه من أعضاء وفد فلسطين أن يعلموا بان مصر لن تتدخل عسكريا فى فلسطين و لن تخوض غمار حرب دفاعا عنها، و لكنها مستعده أن تساهم مع سائر الدول العربيه فى عمليه جديده و معقوله للدفاع عن فلسطين و إنقاذها. أقول هذا بصراحه و صدق لكى لا ينخدع أحد بمظاهر الحماسه التي انطلقت فى هذا المجلس".

و ظل هذا رأى النقراشى و حكومته.

ثم توافد بعض قادة العرب إلى مصر للتداول مع حكومتها فى هذا الأمر، فكان أن حسم الملك فاروق الموضوع بان أرغم

النقراشى و حكومته على تبديل موقفهما، و كما قلنا من قبل فان حكومات (أحزاب الأقلية) كان فاروق هو الذى يفرضها على الشعب، و كان هو الموجه و الحاكم الفعلى فيها، فلم يسع النقراشى و حكومته إلا الخضوع لأوامر فاروق.".

ص: ٣١٣

١- يحسن هنا أن نشير إلى موقف السعوديين فى هذا الموضوع: يروى فارس الخورى الذى كان مندوب سوريا فى هيئة الأمم المتحدة عند ما عرضت قضية فلسطين على الهيئه، و كانت أمريكا تحمل لواء الدعوه إلى تقسيم فلسطين و قيام دوله اليهود، و كان العرب يناضلون لمنع ذلك - يروى فارس الخورى فى مذكراته أنه حين كان يحاول إقناع رؤساء وفود الدول بتأييد حق العرب فى فلسطين و منع التقسيم - قال له مندوب كولومبيا: لما ذا تسالوننا الوقوف إلى جانبكم و قضيتكم فى يدكم. إن هذا الرجل وحده، و أشار إلى فيصل بن عبد العزيز السعودى لو ذهب إلى البيت الأبيض و هدد بقطع البترول و كان جادا فى تهديده لانقلبت سياسه أمريكا رأسا على عقب و لوقفت منكم محايدة إذا لم تقف مؤيده. إن القضية فى أيديكم وحدكم و أنتم تدركون هذه الحقيقه فلما ذا تتجاهلونها؟! و يستطرد فارس الخورى فيقول بأنه اجتمع أكثر من مره بالأمر فيصل بن عبد العزيز رئيس وفد بلاده لدى الأمم المتحدة و قال له أرجوك أن تكتب إلى والدك برجائنا و إلحاحنا بقطع البترول عن أمريكا، و الأفضل لو يقطعه فعلا مع التهديد بعدم إعادته ضحكه ما لم تصن الحقوق العربيه صيانه كامله فى فلسطين. و أنه أكد للأمر فيصل أن هذا العمل سوف يساعده إلى حد كبير فى جعل الأمريكان يفكرون ألف مره و يترددون قبل أن يقدموا على عمل فيه إجحاف بحقوق عرب فلسطين. و يقول فارس الخورى أنه التقى بعد أيام بفيصل و ساله عن جواب والده على ذلك الاقتراح فأرسل يديه فى الهواء علامه الياس. و ينهى فارس الخورق [الخورى] كلامه بقوله: فكان أن خسرنا قضية فلسطين (فارس الخورى و أيام لا تنسى، الصفحه ٣٠٥). و قد كانت هذه مواقف السعوديين فى كل أدوار ثوره فلسطين و أحداثها، فمما يرويه المناضل الفلسطينى أكرم زعيتير فى يومياته عن ثوره فلسطين سنه ١٩٣٧ - أنه بلغ من تنكر عبد العزيز بن السعود لفلسطين و ثوارها أن منع جريدته (أم القرى) التى تصدر فى مكه حتى من مجرد ذكر أخبار الثوره و أخبار رجالها فقد قال أكرم زعيتير فى الصفحه ٤٢٦ من كتابه ما نصه: "أتابع منذ مده جريده أم القرى التى تصدر فى المملكه السعوديه. و قد اشتبهت أن أقرأ فيها كلمه واحده عن فلسطين و ثورتها. و كنت قد أشرت إلى هذا باستغراب فى جريده العمل القومى، و لفت نظر الأستاذ محمد على صاحب الشورى المقروءه فى البلاد العربيه إلى هذا، فكتب فى (شوراه) عدده مرات. " و كتبت فى العمل القومى تحت عنوان (جائزه) كلمه أنهيتها بقولى: اننى أقدم جائزه هى اشتراك سنه فى هذه الصحف أو فى أى صحيفه أخرى لمن يكتشف كلمه فلسطين فى جريده أم القرى. " و اليوم قرأت فى العدد ١٤٥٦ من جريده النهار (بيروت) المؤرخ فى ١١ آب ١٩٣٨ مقالا افتتاحيا بقلم صاحبها الأستاذ جبران التوينى، حياه الله جعل عنوانه: (بعد زياره وزير المستعمرات لفلسطين، أم القرى تنشر أخبار الحرب فى إسبانيا و الصين و لكنها لا تنشر حرفا واحدا عن ماسى فلسطين). " و قد ختم الأستاذ التوينى مقاله بقوله: أمامنا العدد الأخير من أم القرى و قد ملئت صفحاته الثمان بأخبار نجد و الحجاز و أخبار الحرب فى الصين و الحرب فى اسبانيا، و ليس فيه كلمه واحده عن المآسى التى تقع فى فلسطين، أفلا تستحق فلسطين العربيه فى نظر أم القرى أن تذكر حوادثها على الأقل كما تذكر حوادث اسبانيا و الصين، و ما ذا يقول الناس عند ما يشهدون هذا الإهمال الفاضح لعرب فلسطين فى جريده تصدر فى معهد العروبه؟ ".

و صرح فاروق تصريحاً قويا في هذا الشأن، و كان مما قاله ما معناه: أن موقفنا من دول العالم سيكون حسب موقف كل منها من قضيتنا و حربنا.

و كان تصريحه هذا - و يؤسفني أنى لا أحتفظ بنسخه من نصه - يبرزه ملكا عربيا كاعرق الناس في العروبه و أشدهم التزاما بكل أمر من أمورهما حتى دخول الحرب من أجل ذلك.

و من المؤسف أن موقف فاروق هذا استغل بعد ذلك لمحاربه سمعته أبشع استغلال فنسب إليه ما سموه بقضيه (الأسلحه الفاسده) و زعموا أنه هو الذى دبر أمرها و اشتراها مع علمه بفسادها جنيا للمال. و صدقهم الناس و تداولتها صحافتهم و مجالسهم فى كل مكان، و نسى هؤلاء الباهتون أن أمجاد الجيش المصرى حين يحقق أمجادا بانتصاراته هى أمجاد لفاروق قبل أن تكون أمجادا لغيره، و أن محن ذلك الجيش هى محن لفاروق. و أن أمجادا كهذه الأمجاد لا يبيعها فاروق و لا غير فاروق ممن هو فى منزلته أو دون منزلته بحفنه من الجنيهات، و أن تلك المحن لا يشتريها أى إنسان لنفسه مهما كان شأنه.

هكذا يكتب التاريخ لا سيما تاريخ العرب و الإسلام فى كل زمان!...

أقول هذا، و يعلم الله أننى من أشد الناس مقتا لفاروق - كما كررت القول - و من أكثرهم استبشارا بسقوط عرشه، و لكن الحق فوق كل شىء فإذا مقتنا فاروق لسيئاته، فعلينا أن لا ننكر حسناته.

و من مواقف فاروق العرييه التى تذكر له تدبيره لجوء عبد الكريم الخطابى بطل ثوره المغرب على الاسبان، تدبير لجوئه إلى مصر. و قد روى محمد على الطاهر قصه هذا اللجوء لإحدى الصحف بما تلخصه فيما يلى:

عزمت فرنسا سنه ١٩٤٧ على نقل الأمير عبد الكريم و أسرته من منفاهم فى جزيره (رونيون) فى المحيط الهادى إلى جنوب فرنسا. يقول الطاهر: فى ذات يوم أظنه ٢٣ أيار (مايو) سنه ١٩٤٧ تلقيت برقيه من صديق لى فى عدن هو السيد حسين الأهدل يقول فيها: أن الأمير عبد الكريم الخطابى أبحر من عدن إلى فرنسا فى باخره ذكر اسمها، فتأملت تلك البرقيه و أخذت أتصور صوراً شتى لغرض صديقنا من إرسالها...

ثم يقول الطاهر: كلفت أحد أصدقائى و هو يشتغل فى القصر الملكى كاتبا عند رئيس الديون، بان يستفهم من هنا و هناك أين يسهر الملك فاروق فى ذلك المساء و متى يعود، و فى أى قصر ينام فى تلك الليله، فعاد و هو يقول أن الملك سيسهر كعادته فى (مربع الأوبرج) و يغادره حوالى الثانيه صباحا إلى قصر القبه..

و فى منتصف الليل أبرقت إلى الملك فاروق بقصر القبه أقول له أن الأمير عبد الكريم الخطابى مجاهد الريف العظيم و أسير فرنسا سيمر بقناه السويس فى الباخره (كاتومبا) يوم ٣٠ أيار ١٩٤٧. ثم ناشدت الملك فاروق أن ينقذ الأمير و أسرته من الأسر، و أن ينزله فى كنفه.

و يسترسل الطاهر قائلاً:

و فى صباح اليوم التالى طلبت من صديقى أن يذهب إلى مدير قصر القبه و يستفهم منه عن مصير البرقيه. و بعد ساعات عاد و

هو يقول أن الملك فاروق وصل بعد الثانيه صباحا فوجد رئيس الحرس ينتظره، فسلمه البرقيه. و أن فاروق قال: ابعثوا إلى رئيس الوزراء و رئيس الديوان الملكي بان يحضرا قبل الظهر لمقابلتي.

و يكمل الطاهر حديثه: أترك الكلام عما جرى بعد ذلك للوزير كريم ثابت المستشار الصحافي للملك فاروق لأنه كان يعيش في صميم القصر.

و كانت حكومه الثوره قد سجنت كريم ثابت بعد ترحيل فاروق فخطر لها أن تستفيد من معلومات كريم ثابت عن أمور الملك الداخليه فطلبت منه أن يدون لها أهم ما كان من ذلك التاريخ، فكتب ذكرياته فنشروها في جريده الجمهوريه تباعا. و قد قال عن قضيه الأمير عبد الكريم في العدد الصادر في ٢ أيار (مايو) ١٩٥٦ ما نصه:....

فلو لا برقيه تلقاها الملك فاروق لما عرف أن عبد الكريم سيمر بمصر إلا بعد مروره بها، أو لما خطر له أن يقدم على ما أقدم عليه. فقد أبلغه مرسل البرقيه أن عبد الكريم بطل المغرب سيمر بالسويس يوم كذا في الباخره كذا في طريقه من منفاه إلى فرنسا و استحلفه باسم العروبه و الجهاد في سبيل الله أن يعمل على إنقاذه و إنزاله في مصر و استضافته فيها ليعيش هو و أهله تحت حمايه مصر و ضيافته.

و كذلك عرفت البرقيه الملك فاروق بالنبا و الخطه التي تتبع لانقاذه في آن واحد، فأعجبتة الفكره و قرر تنفيذها فوراً، فدعا إليه الأمير ألابى محمد حلمى حسين و أمره أن يقابل الأمير عبد الكريم سرا عند وصوله بآخرته إلى ميناء السويس، و يبلغه أنه أوفده إليه ليقترح عليه الالتجاء إلى مصر و الاحتماء بملكها.

و اتصل حلمى بك بالقصر الملكى تلفونيا من السويس و أبلغه أنه اجتمع بعبد الكريم و كاشفه بموضوع مهمته خلسه فوعده بالتفكير فيه و الرد عليه عند وصول الباخره إلى بور سعيد.

و فى بور سعيد صعد الأمير ألابى حلمى حسين بك إلى الباخره مره أخرى - و كان قد سبقها بالقطار - ليقف على رأى الأمير الخطابى، فقال له الأمير أن رأيه استقر على قبول دعوه الملك مع الشكر و الامتنان. و عند ذلك لقنه حلمى بك تفاصيل التمثيليه التي مثلت بعد ذلك لكى تستطيع السلطات المصريه أن تقول أن عبد الكريم و شقيقه الأمير محمد وضعها أمام الأمر الواقع بالتجائهما للملك (انتهى)..

و من الظلم الفاحش ما جرى على من بقى ممن شاركوا فاروق فى مسئوليته إدخال مصر فى تلك الحرب و منهم إبراهيم عبد الهادى الذى أعقب النقراشى فى رئاسه الوزاره المصريه.

كانت أولى التهم الموجهه إلى إبراهيم عبد الهادى بهذا النص:

" أتى أعمالا تعتبر خيانه للوطن و ضد سلامته فى الداخل و ساعدت على تمكين الاستعمار بالبلاد، و ذلك أنه خلال سنه ١٩٤٨ أثناء توليه رئاسه ديوان الملك السابق عمل على تنفيذ أهوائه بان زج جيش مصر فى معركة فلسطين قبل أن يتخذ الجيش أهبتة لخوض غمارها "

و فى هذا اعتراف صريح بان فاروق هو الذى أدخل جيش مصر فى معركة فلسطين.

و مع أننى انظر إلى إبراهيم عبد الهادى خلال توليه الحكم نظره ملؤها الكره و التقرير لما جنت يدها من مظالم و مغارم و اعتبر سجنه بعض ما يستحقه من دهره، فاننى أنكر على من عدوا مشاركته فى مسئوليته إدخال مصر فى الحرب الفلسطينيه تهمه يجب أن يسأل عنها و أن غلقوا ذلك بغلاف عدم الاستعداد للحرب.

و على هذا الأساس يجب أن يحاكم جميع من يخسرون الحروب بحجه أنهم دخلوا الحرب دون الاستعداد لها.

و إذا كان الذين أشركوا مصر فى حرب سنه ١٩٤٨ يجب أن يحاكموا على هذا الأساس، فما هو الشأن إذن فى الذين استدرجوا بطيشهم و رعونتهم و غوغائيتهم و خفتهم و قصر نظرهم إلى حرب سنه ١٩٦٧.

هذا استطراد كان لا بد منه و نحن نمر بذكر حرب سنه ١٩٤٨ و موقف العراق منها.

بعض الحقائق

قلت أن حكومه النقراشى دخلت الحرب بغير إرادتها، و كان من سوء الحظ أن قياده الجيش المصرى عهدت إلى (المواوى) و هو كما قيل عنه قد يصلح لكل شىء و لكن لا يصلح لقياده تلك الحرب، فكان همه التقدم و إذاعه البلاغات عن توغل جيشه فى فلسطين تاركا وراءه المستعمرات اليهوديه الحصينه، و قد أدت خطته إلى توزيع الجيش هنا و هناك و جعله قطعاً مشتتة يبعد بعضها عن البعض الآخر مما سهل على اليهود الانقضاض على تلك القطع تعاونهم مستعمراتهم المنتشره وراء الجيش المصرى، مما أضاع على هذا الجيش بساله ضباطه و جنوده و جعلها عبثاً.

و لما استبدلوا بالمواوى بعد ذلك القائد فؤاد صادق الذى كان كفوء فى القياده استطاع أن يصمد بجيشه صمود الأكفاء.

و قد استغل النقراشى هزائم الجيش المصرى ليتخلص من الحرب فتلقت منه الحكومه العراقيه برقيه مطوله تعرض الواقع دون أن تحدد المطالب، بل أحاطت ذلك بغموض مقصود مما كان موضع استغراب، و لا شك أن الحكومات العربيه الأخرى تلقت مثل هذه البرقيه، و لكن لا شك أيضاً أن المقصود بالبرقيه هو العراق أولاً لأن قوته كانت هى الأولى.

و قد كانت الحكومه العراقيه تشرك فى كل الشئون الفلسطينيه خلال الحرب السفير اللبنانى كاظم الصلح، و منه عرفت أمر البرقيه و ما تلاها من أحداث.

فبعد تلقى البرقيه عقدت وزاره العراقيه جلسه برئاسة الأمير عبد الإله دعت إليها فريقاً من الخبراء العسكريين و شهدها جانبياً كاظم الصلح و بعد طول تذاكر تقرر الرد على البرقيه بما معناه: أننا لم نعرف ما هو المطلوب منا و لا ما ستقرره مصر فى هذا الشأن لنحدد موقفنا، و قد افترضنا ثلاثه احتمالات (و هنا يذكر الاحتمالين الأولين)، ثم يصلون إلى الاحتمال الثالث و هو مواصلة القتال، و يقولون (العراقيون) أن هذا رأينا الذى نشير به، و لثلاثه يطول الوقت بتبادل البرقيات فاننا أعددنا العده لكل الاحتمالات و منها الاحتمال الثالث فصدرت الأوامر إلى قطعات جيشنا فى فلسطين ليكون على تمام الاهبه لانجادكم حيث

تطلبون، كما بدأنا هنا باعداد نجدات لارسالها فوراً إلى فلسطين. و في اللحظة التي تتلقى بها جوابكم ينفذ كل شيء.

و كنا نحن ننتظر في السفارة اللبنانية القرار العراقي و إذا بالسفير يصل حاملاً إلينا صورته عن نص البرقيه.

و أكرر القول هنا أنني في تلك الأيام لم أهتم بتسجيل النصوص و الوقائع، و لكنني أؤكد كل التأكيد أن نص البرقيه لا يخرج عن المحتوى الذي ذكرته.

و بعد أن اطمأنا إلى ما جرى مضيئنا إلى منازلنا و في الصباح كان كاظم الصلح يتصل بوزاره الخارجيه ليعرف الجواب المصري، و مضى النهار دون أن يصل الجواب، ثم لم نلبث أن عرفنا أن حكومه النقراشي أذاعت من إذاعتها في القاهره نص برقيتها زاعمه أنها بقيت بدون جواب، فدهشنا لذلك، و أدركنا أن النقراشي يمهد للانسحاب من الحرب متذرعاً بخذلان العرب له، و أنه حين أرسل برقيته كان بحسب أن الجواب العراقي سيكون مائعاً فيتمسك به و يجعله من مبررات استسلامه، و لكن لما وجده حازماً صارماً تجاهله و زعم أنه لم يتلق جواباً.

و بالفعل لم تطل الساعات حتى أعلن النقراشي قبول حكومته للهدنه و استعدادها للمفاوضات و ذهب وفدها إلى رودس و جرى ما جرى (1)

الجيش العراقي المظلوم

كان قرار دخول الجيوش العربيه إلى فلسطين لابطال التقسيم و الحؤول دون قيام الدوله اليهوديه منعشاً لآمالنا فعلقنا تلك الآمال على الجيوش المتحفزه و على ما يمكن أن تحققه من نصر يحفظ للعرب وطنهم و شرفهم.

و لقد طلب منى أحد الأصدقاء من الضباط العراقيين أن أنظم نشيداً ينشده جنوده في زحفهم المرتقب، و ليدرك القارئ مدى ما كانت تجش به نفوسنا من طموحات النصر أذكر هذا النشيد هنا و هو:

تل أبيب جاءك اليوم العصيب

لن نثوب أو يواريك اللهب

لا قرار في الديار أو يوافيك الدمار

الفرار للبحار سدت اليوم الدروب

الجنود في الحدود لن تحيد أو تبيد

سنعيد بالحديد حقنا الماضي السليب

يا علم لا تضم و ترنج في القمم

١- فى سنة ١٩٤٩ صرح عبد الرحمن الراقعى و زير التموين فى حكومه حسين سرى أنه لم يكن من مصلحه مصر الحرب مع اليهود و أن الجامعه العربيه كانت ضررا على مصر.

إن لى من على صوله المستقل

فاحمل تنجل غمره الهول الرهيب

الرجال كالرمال فى السهول و الجبال

القتال النضال كلنا داع مجيب

لن يسود لن يسود فى فلسطين اليهود

يا أسود للحدود دونكم تل أبيب

تل أبيب تل أبيب جاء اليوم العصب

لن نثوب أو يواريك اللهب

و زحفت الجيوش و توهجت مع زحفها آماننا، و تعلقت قلوبنا بكل خطوه تخطوها، و لم يخف بعض أصحابنا عدم ثقتهم بما يجرى، و كانوا يخشون مكر اليهود و طول استعدادهم لهذا اليوم، كما كانوا يتخوفون من سطحيه العرب و هوجهم فى مثل هذا الموقف، و يتحدثون عن خطوات اليهود المدروسه المحكمه منذ حلت طلائعهم فى فلسطين، و عن ارتجالات العرب فى كل ما فعلوا...

كان بعض أصحابنا يقولون هذا بجمجمه و تخافت و بحسره و ألم.

و لكن الناس - جميع الناس - و نحن منهم، أخذوا أول الأمر بما يذاع عن التقدم و التوغل، و لم يؤخذوا بالحذر و التخوف.

ثم أخذت الأنباء تتوالى و فيها ما يريب، ثم صار فيها ما يخيف، ثم صار فيها ما يبعث على الياس.

و أذكر أنى كنت أسير يوما فى شارع الرشيد على قدمى، و صدف أن كان مرورى أمام أحد المتاجر فى اللحظه التى كانت فيها إذاعه الشرق الأدنى تبدأ باذاعه الأخبار، فتوقفت لأستمع أخبارها، فإذا أول خبر تذييعه هو احتلال اليهود لمدينه (جنين)، و لن أنسى أبدا وقع هذا الخبر على.

و فى المساء كنا نستمع إلى أخبار إذاعه بغداد، فإذا بصوت المذيع يجلجل معلنا أن (جنين) فى قبضه القوات العراقيه، و أن هذه القوات تطارد العدو فى أنحاء (المثلث)، و اسم المثلث فى ذلك الحين يعنى ما يعنيه اليوم اسم (الضفه الغربيه)، و هم يقصدون به مثلث نابلس، جنين، طول كرم.

و بالرغم من أن الاذاعه العراقيه كانت رصينه إلى حد ما، فلم تكن تكثر من التبجح الباطل، و كانت أخبارها أقرب إلى الثقه بها، فاننا حسبنا أول الأمر أن هذا الخبر يراد به تهوين النازله بالادعاء بحصول ما لم يحصل... هذا فضلا عن أن أخبار إذاعه الشرق

الأدنى كانت دائما هي المصدر لأخبار الحرب الحقيقيه باعتبارها غير منتميه لأحد الفريقين.

و هي إذاعه قويه أنشأها الإنكليز في قبرص و حشدوا لها طاقه كبرى:

إخباريه و ثقافيه، فكانت هي المسيطره على مسامع المتعاطشين إلى الأخبار، فلم يكن من المعقول أن تذيع خبر سقوط جنين في حين أنها لم تسقط. ثم لم تلبث الحقائق أن انجلى: فلم تكن إذاعه الشرق الأدنى كاذبه، و لا كانت إذاعه بغداد هي الأخرى كاذبه.

و ذلك أن اليهود فاجئوا جنين بقوات كثيفه و لم تكن فيها إلا- حاميه عراقيه لا يتجاوز عدد أفرادها العشرات فاستطاع اليهود النفاذ إلى مداخل جنين مما اعتقد معه مراسلو الشرق الأدنى أنها سقطت بأيديهم.

و لكن الحاميه العراقيه القليله العدد ظلت تتصدى لليهود و تعيق تقدمهم، و في الوقت نفسه أرسلت استغاثة إلى القائد العراقي عمر على الذي كان يسير بقواته في اتجاه آخر. و تلقى عمر على الاستغاثة فغير اتجاهه و أسرع إلى جنين فتلقاها اليهود بقواتهم، و صمد لهم عمر على بوقاته و تصارعت القوتان بالأسلحه الناريه ثم تغامستا بالحرب.

و تلالأت الحراب العراقيه و تضرجت بالدم، دم اليهود التي طالما اشتاقت هذه الحراب لأن تضرج به، و جاءتها الساعه التي وضعتها وجها لوجه أمام أعدائها الألداء المتوحشين، و هذه هي فرصتها لتنتقم لمجازر دير ياسين، و لتعيد إلى الشرف العربي شموخه و رفعتة، و لن تضيع هذه الفرصه أبدا...

و أحسن البطل عمر على قيادتها و أحسنت هي الاستجابه له. و انجلى الأمر عن الهزيمه الماحقه لليهود بعد أن ارتوى الصعيد العربي بدمائهم و انتشرت جثثهم في أطرافه من كل ناحيه.

و خاب أمل اليهود في الاستيلاء على الضفنه الغربيه، فسلمها الجيش العراقي للعرب سنه ١٩٤٨ عريه خالصه، و أعادها إليهم عزيزه مكرمه.

ثم سلمها العرب لليهود سنه ١٩٦٧ ذليله مهانه...

و من ماسى الدهر العربيه أو مهازله أو فواجعه أو ما شئت من نعوت أن البطل عمر على، بطل إنقاذ الضفنه الغربيه، و حامى حمى جنين و نابلس و طول كرم، سيق بعد ذلك في يوم من الأيام مقهورا مصفدا منكوس الرأس ليحاكمه السفينه (المهداوى).

في دار المعلمين الريفيه

لم يستطع مرور الزمن أن ينسيني أيام الحله، و كنت قد صممت على أن أتابع حياتي التدريسيه فيها و لا أنتقل منها إلى مكان آخر، و لكنني فوجئت في ابتداء العام الدراسي الثاني بنقلى إلى دار المعلمين الريفيه التي تقع في منطقه الرستميه من ضواحي بغداد فلم أشأ أن أعترض على ذلك، فواصلت العمل فيها، و كانت تقع على ضفنه نهر (ديالى) في موقع جميل تحوطه المروج الخضراء و الشجر الغضيفض.

و كما أوحى الحله شعرا فقد أوحى مثله (الرستميه)، و كان كله حنيناً إلى الأوطان و الأحباب.

و إذا كانت القصيده اليائيه المتقدمه المنظومه فى الحله تفيض أسى و لوعه، فالحقيقه أنها لا تمثل حياتى فى الحله التى كانت بشرا و سرورا و بهجه، و لكنها تمثل فتره معينه من تلك الحياه، هى فتره وصولى الأولى إلى الحله إذ كان لم يمض شهر على وصولى إليها حتى أتى العيد و كنت لم أمتزج بأحد من أهلها فشعرت بالغربه الأليمه و الشوق الشديد و الوحده الموحشه، فكانت تلك القصيده من وحي ذلك كله.

ص: ٣١٦

و إني لأظلم الحله إذا كانت القصيده اليائه تمثل حياتي فيها، و إنما تمثلها بعض التمثيل القصيده اللاميه التي آسف لفقداني لبعض أبياتها.

و من وحى شواطئ (ديالى) فى الرستميه هذه الأبيات:

سقت سرح (الدواوير) الغوادى و جاد رياضها المطر السكوب

تحب النفس مغناها و يهوى مسارحها الفؤاد و يستطيب

فكم راق العيون بها شروق و طاب على محانيها غروب

و فى تلعاتها كم رف ثغر و كم خفقت بواديه قلوب

يعاودنا إذا خطرت حنين و إن ذكرت يهيج بنا و جيب

أسرح التين هل فى الواد شاد و هل فى السفح غريد طروب

و هل تمشى إليك على الليالى (سروب الغيد تتبعها سروب)

أ تزهو بعدنا ثم المغانى أ يحلو السفح و الوادى الخصب

خلت تلك الخيام فلا محب يعاطيه الهوى فيها حبيب

و عطلت المراع بعد أنس و صوح بعدنا الروض العشب

ذكرناكم على شطى (ديالى) فطاب لنا بذكركم النسيب

و كنتم فى النوى ريحان قلب على شحط النوى و جدا يذوب

نايتم فالمنازل موحشات و بنتم فالربيع بها جديب

لئن طابت لياليكم فليست ليالينا لبعدهم تطيب

و أن تردوا المناهل صافيات فانا فى مناهلنا نلوب

إذا عذب الفرات لواردية يغص به على الناي الغريب

و كذلك كان مما أوحى به (الرستميه) بعد فراقها و الرحيل عنها هذه القطعه التي فقد بعضها و لم يبق منها إلا هذا الذى أذكره هنا، و هو حنين إليها و إلى ديالى خاصه و إلى العراق عامه:

دالت الدنيا علينا يا ديالى فهجرنا "الشط" و الماء الزلالا

و تركنا فى محانيك انظلالا وارفات تملأ الوادى جمالا

كم أطلنا فى النوى عنها السؤالا و سهرنا الليل شوقا و هياما

أين فى "الفيحاء" عن عيني النخيل أين وادى دجله أين السهول

و ديالى العذب فياضا يسيل أين بغداد و شاطيها الجميل

يا ليالى الشط و الناي طويل اذكرى ما عشت صبا مستهما

أين عن عيني وادى "الرستميه" أين سحر الصبح فيها و العشي

أين روضات مغانيها النديه و لييلات محانيها الوضيه

لم تزل نفسى على البعد وفيه تعشق الشط و تهوه مقاما

و أحسب أن هذه أول مره يذكر فيها ديالى و الرستميه فى الشعر العربى.

كانت دار المعلمين الرفيحه طرفه من الطرائف فيها يجتمع المئات من التلاميذ القادمين إليها من كل قريه فى العراق، من زاخو إلى الفاو كما يعبرون فى العراق. فيهم العربى القادم من الشمال و الجنوب(1) و الوسط. و فيهم التركى القادم من منطقه كركوك و فيهم الكردى القادم من كردستان. و كان تدريس قواعد اللغه العربيه و آدابها لهذه المجموعات مهمه من أشق المهمات، و لكنها فى الوقت نفسه تشتمل على أنواع من الطرف المضحكه.

و كان التلاميذ الأكراد و الأتراك يأتون إلينا و كل محصولهم من اللغه العربيه هو أنهم أصبحوا يحسنون النطق بها، و كان علينا أن نعلم هؤلاء قواعد اللغه العربيه و آدابها. و هنا كانت المشاق و ما يتخللها أحيانا من الطرف.

و قد حدثنا أحد زملائنا من مدرسى اللغه العربيه أنه اختار للاستظهار قصيده الشاعر المصرى على الجارم التى يقول فى مطلعها:

(بغداد يا بلد الرشيد)

و أنه بعد أن فسر للتلاميذ ألفاظها و شرح معانى أبياتها، و أكد فى الشرح على معنى (لوح الوجود) الوارد ذكره فى القصيده، و سأل التلاميذ هل فهمتم معنى لوح الوجود فأجابوا بالإجماع: نعم. فاطمان لذلك، ثم خطر له ليزداد اطمئنانا أن يسأل أحد التلاميذ هذا السؤال: أين هو لوح الوجود؟ و صدف أن كان المسئول تلميذا كرديا، فأجابه التلميذ: موجود فى الإداره.

و يعنى بالاداره مكتب المدير.

و مثل هذا كان يحصل دائما.

على أننا نعلم التلاميذ الأتراك و الأكراد إذا اعتبرناهم وحدهم فى هذا المستوى من المعرفة باللغة العربيه و آدابها. فقد كان بين التلاميذ العرب من هو أعرق فى الجهاله من هؤلاء. و التلاميذ الأكراد و الأتراك معذورون لأن اللغة ليست لغتهم. و لكن ما عذر التلاميذ العرب؟.

لقد كان جهدنا منصبا على أن يعرف هذا الخليط من التلاميذ مواقع الرفع و النصب و الجر من الأسماء، و مواقع الرفع و الجزم و النصب من الأفعال، و قد كانت هذه المهمه من أصعب المهام و أشقها، و كانت تحتاج منا إلى صبر و جلد و تحمل، و كنا بهذا الصبر و الجلد و التحمل نحقق الكثير من النجاح، و من الطبيعى و هذا الحال حالنا و حال تلاميذنا أننا كنا نبتعد بهم عن تعقيدات النحو لأنها ستحملهم على كره هذا الدرس و استثقاله و تنفرهم منه، بينما كنا نسعى لتحييه إليهم و جعلهم يألّفون دروسه، و أما فى الأدب فقد كنا نختار لهم من الشعر ما كان سهل الفهم واضح المعنى صريح الألفاظ.

مدرسه الفقراء

لقد كانت دار المعلمين الريفيه مدرسه الفقراء، و القرويين منهم بصفه خاصه، فهؤلاء لم يكن باستطاعتهم بعد أن يتموا دراستهم فى قراهم، أن يتحملوا الإنفاق على أنفسهم خارج قريتهم ليتابعوا الدراسه الثانويه، بذلك كانوا يقبلون إلى دار المعلمين الريفيه التى تتكفل بمساكنهم و طعامهم و ملابسهم.

ثم تضمن لهم بعد أربع سنوات تعيينهم فى القرى معلمين براتب خمسه دنانير لكل منهم. و قد كان الوصول إلى قبض هذا الراتب حلمهم الذهبى

ص: ٣١٧

١- كما كان فيها تلاميذ من اليمن و حضرموت.

الذى يتشوقون إلى تحقيقه، فالواحد منهم الذى ولد فى الفقر و نشأ فيه و أمضى طفولته و صباه محروما، و الذى لم تجتمع لأبيه فى يوم من الأيام خمسة دنائير كتله واحده. كان حلمه كما كان حلم أهله أن يروا فى آخر كل شهر خمسة دنائير تنهل عليهم متدافعه بين أيديهم.

و إذا كان بين هذا الخليط العجيب من التلاميذ من ذكرنا من أمره ما ذكرناه فقد كان فيهم العديد من المتفوقين بل النوايح. و قد كان يحز فى نفسى أن أتصور ضياع هذه المواهب غدا فى حياه القرى النائيه و فى تعليم صبيانها، فأخذت على نفسى إنقاذ من أستطيع إنقاذه منهم. و قد كان طريق فريق منهم معبدا، و هم الأذكاء من غير أصحاب المواهب الأدبيه، فلم يكن عليهم إلا أن يصبروا أنفسهم على تحمل الفقر سنين أخرى، و أن يرضوا بالتخلى عن قبض خمسة دنائير فى كل شهر عما قريب، و أن يرجئوا ذلك إلى مده أبعد كى يقبضوا لا خمسة دنائير، بل أضعافها، و ذلك بان يتقدموا إلى امتحانات الشهاده المتوسطة التى يؤهلهم النجاح فيها إلى دخول دار المعلمين الابتدائيه، إلا على درجه، و الأكثر راتبا عند التخرج منها.

ثم إذا كانوا يستطيعون أن يكونوا أكثر صبورا و تحملا، أن يتقدموا إلى امتحانات الشهاده الثانويه عند تخرجهم من دار المعلمين الابتدائيه، التى يؤهلها نجاحهم فيها إلى دخول دار المعلمين العاليه (الجامعيه) و بذلك يصبحون مدرسين فى المدارس الثانويه ذات الرواتب المرتفعه.

و فى هاتين المرحلتين سيكون مضمونا لهم المسكن و المأكل المجانيين، على ما هو عليه الحال فى دار المعلمين الريفيه.

ثم إذا وطنا النفس على الصبر الأطول و جدوا و اجتهدوا فقد يرسلون فى بعثات علميه حكوميه إلى الخارج فيرجعون بشهاده الدكتوراه التى يصبحون بها أساتذه جامعيين.

لقد أغرى هذا الحال فريقا قليلا فوطدوا العزم على تحقيق ما يدعو إليه، فوصل بعضهم إلى دار المعلمين الابتدائيه و تخرج منها، و لكنه لم يطلق الصبر أكثر من ذلك فوقف عند هذا الحد. و واصل بعضهم السير و راض نفسه على الصبر، فتخرجوا من دار المعلمين العاليه. و صبر الأقل الأقل منهم فعادوا بشهادات الدكتوراه من جامعات أوروبا و أمريكا.

و قد كان من أطف ما صادفتنى أن بعض من عرفتهم تلاميذ فى دار المعلمين الريفيه عرفتهم فيما بعد و هم طلاب فى دار المعلمين العاليه أيام تدريسى فيها بعد ذلك.

أما أصحاب المواهب الأدبيه، فقد كان الأمر مهم صعبا كل الصعوبه، و لم أتمكن إلا من إنقاذ واحد منهم فقط. و قد كان فيهم من يمكن أن يكون فى قابل أيامه من أبرع الكتاب سواء فى الصحافه أو القصة أو الأدب أو تاريخ الأدب.

و مشكلتهم أنهم إذا أرادوا التخلى عن دار المعلمين الريفيه، فلم يكن أمامهم مواصله الدراسه فى دار المعلمين الابتدائيه ثم دار المعلمين العاليه، بل كان عليهم أن يبدءوا فى شق طريقهم الأدبيه منذ الآن، و ذلك بان يلتحقوا بمؤسسه صحفيه تكتشف مواهبهم تدريجيا حتى يكون لهم فيها المكان المؤهلين له، و هذا لم يكن ميسورا، و كان إذا تيسر لا ينتج إلا راتبا قليلا لا يكفى النفقات اليوميه، و هذا ما لم يكونوا يجرءون على الاقدام عليه.

و لكثرة ما واصلت تشجيع أحدهم صادق الأزدي جاءني في يوم من الأيام و قال أنه وجد عملا في إحدى المؤسسات الصحفية براتب شهري قدره ثلاثة دنانير و لكنه عمل لا يتصل بالكتابة في الصحيفة بل ببعض شئونها الأخرى، لذلك قرر رفضه لأن الدنانير الثلاثة لا تعني شيئا في الحياه البغداديه التي عليه أن يحياها و لأن عمله لن يكون تحريريا تبرز فيه مواهبه.

فأنكرت عليه رفضه، و قلت له اذهب الآن فاقبل العمل بشرط أن تبدأ منذ الأسبوع الأول من مباشرتك العمل بان تكتب فيما يتصل بالشئون الصحفيه، و تقدم ما تكتبه إلى رئيس التحرير رأسا، و أكد لك أنه ما أن يتأكد رئيس التحرير بانك صاحب هذه الكتابه حتى ينقلك إلى التحرير في الجريده و حتى يتضاعف راتبك ثم يتضاعف.

و بالفعل فان راتب الدنانير الثلاثة لم يكن إلا شهرا واحدا، إذ أصبح في الشهر الثاني خمسه ثم تضاعف و تضاعف، ثم جاء وقت أصبح فيه صادق الأزدي رئيس تحرير جريده من أكبر جرائد بغداد، و في الوقت نفسه كان صاحب مجله أسبوعيه سياسيه من أكثر المجلات رواجاً و شهره.

و الوفاء العراقي الأصيل كان في صميم صادق الأزدي فلقد لقيت من وفائه ما هو حري بابن الرافدين دجله و الفرات...

و من بين الذين أعياني أمرهم كان غانم الدباغ، فان غانم هذا كان أديبا موهوبا لا سيما في القصة، و قد حاولت إنقاذه من المصير الذي سيصير إليه معلما قرويا منبوذا في قريه قصيه موحشه تقتل فيها النفس قبل المواهب، و قد عز علي أن تخسر العربيه مثل هذا الكاتب المبدع، فحاولت شتى المحاولات دون جدوى.

و كان من أهم عوامل الفشل هو جبن غانم نفسه، و هو جبن لا يلام عليه، فقد كان يصعب عليه التخلي عن الحياه المطمئنه التي يحياها الآن

خليا من هموم المطعم و المسكن و الملبس... التخلي عن ذلك إلى المجهول... و قد كان شيخ الفقر الذى ظل يلاحقه منذ ولد إلى هذه الساعه، كان هذا الشيخ يلوح له فى الأفق القريب و البعيد فيرتجف رعبا منه فينهار كل طموحه.

و تخرج غانم الدباغ من دار المعلمين الريفية و عين معلما فى قريه من قرى الموصل و راح يتناول الدنانير الخمسه فى آخر كل شهر، و تركت أنا العراق فى المره الأولى، ثم عدت إليه بعد سنتين. و كان اسم غانم الدباغ لم يفارق مخيلتى، فكان أول ما فكرت به أن أعرف مصير هذا الكاتب المبدع، و كان كل ما أعرفه عنه أنه يعيش فى قريه من قرى الموصل، و لكن لا أعرف فى أى قريه هو. فأرسلت له رساله جعلت عنوانها باسم مدير معارف الموصل و رجوته فيها أن يتفضل بإرسالها إلى صاحبها، ففعل، و جاءنى جوانب غانم، فإذا هو فى قريه اسمها (الموالى)، و أن لقبه صار معلم أول، بعد أن كان مجرد معلم. و أننى أنشر هنا نص هذه الرساله لما فيها من دلالات و ذكريات:

الموالى (من قرى الموصل) فى ١٩٤٧/١/٣١ أستاذى:

تحية طيبه. حمل إلى البريد رسالتك و أنا فى شوق لها، و حملت لى سطورها هذا الخط الحبيب إلى نفسى و الذى كثيرا ما هدانى إلى محجه الصواب أيام الدراسه... و كيف لا يهفو قلبى إلى ذكراك و هى عاطره فى ذهنى كعطر الأنسام، و شهد الله أن ضميرى ليحمل آلاما ثقالا من هذا الذى قد لا يكون عقوقا، و لكنه نوع من الإهمال الذى يسيطر على مجرى حياتى فى شتى صورها و ألوانها... فليس غيابك أمدا خارج العراق و رجوعك إليه، و لحاقى وراء خبز الحياه فى أطراف الصحارى، ليس كل هذا قد محا الصورة الهادئه الوديعه المستقره فى ذاكرتى عنك.. لا و الله، و ليشهد قلمي المضطرب الآن، بين يدي أنه خط لك رسائل و لكن لأقرأها أنا فقط...

و حياتى؟! حياتى فى هذه البقعه المقفره؟! أنها فراغ هائل عميق و جسد يتهافت على بعضه، و نفس حائره فى طواياها بين الضجر و الألم و قد خلقت منها المقادير حلقه مفرغه لا تستقر على حال من الهدوء و الطمأنينه، و أيام الصبا و الشباب تذهب بها دوره الزمان المجنونه نحو الفناء و الاضمحلال لتستقر بها فى ظلمات من الحيره المبهمه و القلق الصامت المكتوم!.

لا- يؤنسنى فيها إلا- ألحان المزمارة... فهذا أعرابى يناجى صاحبتة على أنغامه و القريه نائمه على الظلام.. إن هذا الصوت الذى ينساب فى أنغام ساذجه ليشجيني كما يؤلمنى أنه يفتح فى القلب جراحات عميقه ينكأها فى الصميم، أنه يكاد يرهق سمعى و يهد أعصابى المكدوره...

و أيام الشتاء تقبل على القريه، ما أفضع لياليها! و أنا بين جدران أربعه يعبق فى جوها أريج الطين و عطر الأرض النفاذ، و قد فغرت ثقوب الكوخ أفواهاها، و الريح ترسل عويلا يمتد و يتلوى فى أنين خافت..

و الليل مظلم كئيب يقطع سكونه نباح الكلاب ثم تدوب أصواتها بعيدا فى الفضاء.. السكون العميق يلفنى، و يطغى على حواسى، و يبعث فى أذنى هذا الوشيش الناعم الذى ليس إلا صدى الرهبه العميقه، و تحت ضربات الريح العابته يئن الباب و قد كلت أخشابه المتداعيه فيرسل صريرا خافتا... لقد نامت القريه و هجع سمارها، و ذو القلب المعنى لا يهجع، و القلم لا ينقطع عن الصرير فيخطط ذوب هذه النفس الحبيسه...! و أحسبني أطلت عليك و أثقلت فى ثرثره قد لا- تكون فى الواقع إلا- صدى لما

أعاني، وإلا شكوى أبثها لمن يتسع قلبه الكبير لشكائى...

لقد هصرتنى هذه الأعوام الثلاثة و أحالتنى بشرا تبدو على فمه البسمه لكثيره، و ينشج قلبه بالبكاء.. و بكاء القلب من أمر البكاء..

أيامى هنا يا صفى القلب، ضنى للقلب و العقل و الروح.. و كبت للرغبات و موت للآمال.. أيامى تضيع بين دمي من البشر تقسو حتى فى نظراتها..

و لا يجيب صراخى المكبوت إلا صدهاء المعذب، و لا أسمع إلا قهقهات القدر تتسع و تتضخم فى تهاويل بشعه، فتحيلنى إلى صخره صماء و قد تبلدت فى نفسى عواطف الإنسان الشاعر، و شاب قلبى الفتى فى غير أوانه...

أشعر كان جسمى و روحى معا يريدان الانطلاق من هذا الجحر الأعمى يريدان العالم الحر الفسيح، يريدان الحياه بين الناس، بين أنس الصداقه، بين لهو الخلق و صحب البشر.. و لكن!! لم يبق فى جعبتى من لذه العيش و أحلامه الرغيده إلا هذه الذكريات أسدر سابحا فى بيدائها التى عفت عليها الأيام.. أناجيتها إذ أخلو إلى نفسى، و أستعيدها فترق لها روحى و تطيب، نعم لم يعد لى من لذه الحياه و هناءه العمر، إلا هذه اللحظات التى عبرت شاطئى حياتى كالوهم، و قد أتساءل أحيانا أعشت فيها حقاً؟!..

المفتش

فى يوم من الأيام دخل علينا الصف مفتش اللغه العربيه بهجت الأثرى، دخل بجسمه الطويل و لكن غير العريض و بعمامته البيضاء المشدوده على الطربوش الأحمر و بنظارته المتلائمه، دخل متعازما يتكلف الوقار و الهيبه، فكانت اسئلته للتلاميذ أسئله لا يراد بها إلا التظاهر بالعلم و التفوق و إلا محاوله أن يجد ثغره ينفذ منها إلى التجريح، و إلا أن يجد وسيله يقول فيها أنه كتب تقريراً.

و كان مركب النقص عند هذا الفريق من المفتشين الذين لم يعرفوا شيئاً من الدراسات الحديثه، و الذين يعلمون أنهم دون من (يفتشونهم) علما و تجربه، و الذين نشئوا على حب الاستعلاء دون أن تكون لهم كفاءات الاستعلاء، كان مركب النقص هذا عندهم يحملهم على ركوب المراكب لخشنه و التعامل بغلظه و فظاظه محاوله لستر نقصهم.

لم يجد بهجت الأثرى ما يسال به التلاميذ من مواضيع النحو إلا

الإعلال و الأبدال و أمثال ذلك من المواضيع المربكه التي كنا نتجنب الخوض فيها مع التلاميذ لثلا يتيهوا فيما لا يجوز أن يتيهوا فيه، و كنا نمر بها في تدريسينا لماما و نتجاوزها دون التعمق و الإيغال. لأنه كان حسبنا من أولئك التلاميذ أن يصلوا معنا إلى إتقان المرفوعات و المنصوبات و المجزورات و المجزومات. أما متى تقلب الواو ياء، و متى تقلب الواو و الياء همزه أو ألفا، و متى تقلب الواو و الياء تاء، مضافا إلى أمور الأبدال، فقد كنا نعتبرها أمورا ثانويه مشوشه لأذهان التلاميذ بدون طائل، و أنه ينبغي العناية بها مع التلاميذ الذين يتقنون قواعد اللغه إتقاننا جيدا لا مع التلاميذ الذين يجهلون أبسط قواعد اللغه. و قد كان بين التلاميذ من لهم قابليه تفهم تلك الأمور و كانوا قله، فكننت أخصهم بأوقات خارج أوقات الدرس أشرح لهم فيها ما لا يفيد شرحه لمجموع التلاميذ.

قلت أن بهجت الأثرى لم يجد من مسائل النحو ما يسأل به إلا- تلك المشاكل، هذا في النحو و أما في الأدب فقد كان أمره أعجب و أغرب و أضحك: لقد كان سؤاله الوحيد أن اختار تلميذا و صدف أن كان كرديا من النوع الذى يجب عن مكان (لوح الوجود)، أنه في الاداره، و سأل: هل للشمس حاجب؟.

لقد تاه المسكين أى تيهان، إنهم لم يدرسوه في دروس الأدب العربى ما إذا كان للشمس حواجب و عيون و آذان و أناف أم لا. فما هذه الورطه؟.

لقد كان صاحبنا المفتش الهمام يقصد على ما يبدو بيت الشعر الوارد في قصيده البحترى التى يصف بها بركه سامراء و التى يقول فيها:

(و حاجب الشمس أحيانا يضاحكها)

، فبدلا من أن يسأل التلميذ عن معنى البيت و ينتظر تفسيره له، لم يجد وسيله ليقال أنه كتب تقريرا أو أبدى رأيا، و لا طريقا للغمز و اللمز سوى هذا الأسلوب فى السؤال الذى كان موقنا بأنه سيريك التلميذ فيكون ذلك منفذه إلى ما يبغي.

و كما دخل بهجت الأثرى متعاضما متشامخا، خرج و قد ازداد تعاضمه و تشامخه.

و من الطريف أن الدكتور زكى مبارك، و قد كان يوما مفتشا للغه العربيه اعترف فى بعض ما كتبه بما كان يتعسف به أساتذته هذه اللغه إرضاء لحافز التسلط فى نفسه، و أورد أمثله طريفه على ذلك.

و لكن إذا غلب حافز التسلط على الدكتور مبارك فان وراءه دكتوراه من جامعه القاهره و دكتوراه من جامعه الصوريون. و وراءه كتاب (النثر الفنى) و أمثاله، فما ذا وراء بهجت الأثرى؟.

من أيام دار المعلمين

و من أيام دار المعلمين المعدوده يوم الفيضان الرهيب الذى طغى فيه ماء نهر دىالى حتى أغرق معسكر الرشيد المجاور لنا ثم أخذ يمشى إلينا مهددا لنا بالغرق، و قد كان لتزلاء المعسكر منفذ إلى بغداد أنقذهم من الموت غرقا أما نحن فقد أصبحنا

محصورين بالماء من كل جوانبا ولا- منفذ لنا حتى جاءت ساعات أيقنا فيها بالهلا-ك لو لا- أن الماء اتجهت قوته باتجاه (الزعرانيه) فمشى إلينا ضعيفا متباطئا مما أنجانا منه. و في حالات الياس تلك وقف واحد منا و أخذ ينشد قصيده مالك ابن الريب التي رثى نفسه بها، و هي التي يقول فيها:

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه و ليت الغضا ماشى الركاب لياليا

تذكرت من يبكى على فلم أجد سوى السيف و الرمح الردينى باكيا

و أشقر خنذيذ يجرع عنانه إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

فقلت له: لا ينبغي أن نرثى أنفسنا بشعر غيرنا، بل علينا أن نرثى أنفسنا بشعرنا، و أخذت أرتجل قصيده طريفه أهملها من كتبها، و لم يبق عالقا منها فى ذهني سوى هذين البيتين:

فليت طريق النهر لم تجر فوقه مياه تريك الموت أحمر قانيا

تذكرت من يبكى على فلم أجد سوى الكتب و الأقلام حولى بواكيا

فى القضاء

و فى هذه الأثناء كانت الحرب العالميه الثانيه قد أعلنت و حلت الهزيمة بفرنسا و فقدت سيطرتها الفعلية على سوريا و لبنان و اضطرت إلى الموافقه على قيام حكم يضعف فيه نفوذ المستشارين الفرنسيين و يكون للوطنيين فيه الكثير من التأثير، لذلك رغبت فى دخول القضاء، فكان أن عينت حاكما لمحكمة (النباطيه).

و قد تمت هزيمة فرنسا بذلك الشكل المهين و أنا فى بغداد، فكانت أبناء توالى الهزائم الفرنسيه و معها القوى الإنكليزيه تبعث فى نفوسنا الفرح العظيم، ثم كانت الهزيمة النهائيه التي سلمت فيها فرنسا و وقع مندوبوها على التسليم، فبلغ سرورنا مداه.

و كانت شماتتنا بالغه بالجنرال (غاملان) القائد العام للجيش الفرنسيه، الذى كانت فرنسا قد عينته سنة ١٩٢٦ قائدا عاما لجيشها فى سوريا و لبنان ليخمد الثوره السوريه. و كان لما ناله من الذل و العزل أطيب الوقع فى نفوسنا(١)، فنظم أحد رفاقنا الطرفاء أبياتا بذئيه الألفاظ لا يمكن ذكرها هنا، و لكنها مضحكه، فيها الشماته بفرنسا و الهزاء بها، و من أطرف ما فيها ذكر دخول إيطاليا الحرب بعد تضعف فرنسا، فقد ذكر ذلك بيت واحد يغرق السامع فيه بالضحك بعد أن يتحمل بذاءه ألفاظه، و كان فريق من اللبنانيين يلقب فرنسا بلقب الأمم الحنون لذلك جاء مطلع الأبيات هكذا:

أكلت أمك الحنون..... ها و دهاها من هتلر ما دهاها

و أرى أن لا بأس بذكر البيت المتعلق بدخول إيطاليا الحرب بعد تبديل كلمتين فيه:

(نالها) من أمام وجهها لوجه و أتى (الدوتشى) (فنال) قفاها

و الضمير فى (نالها) يعود إلى هتلر. و الدوتشى هو لقب موسولينى.

و إذا كنت أبيع لنفسى ذكر هذين البيتين و فيهما ما فيهما فذلك لتصوير ما كان يعتلج فى النفوس تجاه فرنسا و أفاعيلها فى سوريا و لبنان. و إنى

ص: ٣٢٠

١- فى الجنرال عاملان هذا يقول أحد الشعراء الثوار خلال الثورة السورية: ألا- ليت شعرى هل أبيتن ليلهو ليس بسوريا مقرر لغملان.

لأكتبيهما و أنا خجل كل الخجل، طالبا من القارئ الوقور أن يقدر ظروفنا يوم ذاك...

و جئت (النباطيه) التي تكاد تعتبر قاعده جبل عامل، و إذا بي وجها لوجه أمام مشاكل سخيغه و قضايا تافهه هي شغل الناس الشاغل، و إذا على أن أنغمر في هذه المشاكل و أنشغل في هذه القضايا، و إذا هي عملي اليومي ليلا نهارا، نهارا بسماع أقوال أصحابها، و ليلا بتدوين الأحكام.

و إذا بقلمى الذى اعتاد أن يدون خواطرى و أفكارى و دراساتى، يدون ما لا صله له بذلك، يدون نتيجة الخصام على الأرض و التقاتل فى القرية، و التشاكس بين المترعمين.

و إذا بي لا أجد فسحة لقراءه كتاب فى التاريخ و بحث فى الأدب و قصيده من الشعر، و إذا على بدلا من ذلك أن أقرأ الكتب الجافه و المجلات السمجه: كتب القوانين، و مجلات أحكام المحاكم. فضاقت نفسى بذلك.

لا- سيما و أن منطقته النباطيه كانت مجالا لتنافس ثلاث أسر متنافسه على وجاهه البلاد و متزاحمه على مقاعدها النيابيه، و كان لكل أسره أنصارها المتصارعون يوميا و المتعادون دائما و المتقاتلون أسبوعيا.

دعاوى طريفه

و كان الأمر لا يخلو أحيانا من دعاوى طريفه و أخرى مضحكه. فمن ذلك دعوى خلاصتها أن عاملا يشتغل فى حيفا أرسل مع أحد أبناء بلده (ستره) لأخيه الموجود فى البلده و الذى كان هو الآخر يشتغل فى حيفا، و قد رأى ناقل الستره أن يتجمل بها فى القرية قبل أن يسلمها لصاحبها فلبسها و صار يخرج بها و عرفها الناس عليه و فيهم المرسله إليه. و بعد شهر أوصلها إلى صاحبها، فلما رآها عرف بها (الستره) الملبوسه من المرسله معه فأقام عليه دعوى يطالبه بتعويض عن الأيام التى لبس بها الستره، و كان لا بد من تعيين جلسه للنظر بالدعوى، فلما رأيتها أمامى حسبت أن الباعث عليها غضب فورى لا يلبث أن يزول فيرجع المدعى عن دعواه، لذلك ابتدأت بها و وجهت إلى المدعى عليه كلمه تأنيب على تصرفه بما ليس له، و حسبت أن فى ذلك ما يكفى لرضا المدعى فينتهى الأمر. و لكن تبين أن المدعى جاد كل الجد فى دعواه و أنه قد سمي شهوده فى حال إنكار المدعى عليه استعمال (الستره)، و لم تفد كل محاولاتي فى رجوعه عن دعواه. و طال الأخذ و الرد، و أمامنا سيل من الدعاوى علينا إنهاؤها.

و كان علينا للسير فى الدعوى أن نستدعى الشهود و أن نعين خبيرا يحدد ما يستحقه المدعى من تعويض، و كان ذلك أمرا مضحكا.

و ثار غضبى بشكل لم أعهدده فى حياتى، لا- سيما على منصفه القضاء التى كنت أتغلب فيها على كل ما يثير الغضب خوفا من تصرف يبعثه الغضب، ففتحت فى الحال تحقيقا سألت فيه المدعى عليه هل سافرت إلى فلسطين بجواز سفر فقال: لا.

و سألت المدعى: أ لم تسافر قبل اليوم إلى فلسطين؟ فقال سافرت أكثر من مره. فقلت: هل كان معك جواز سفر فى آخر مره؟ فقال: لا.

و بذلك يجب محاكمتهما بتهمة اجتياز الحدود بصورة غير قانونية.

فقلت للمتداعيين انتظرا إلى ما بعد انتهاء الفصل بالدعوى لإكمال التحقيق معكما، فانتظرا.

و لما انتهت من الدعوى ثابت إلى نفسى و تذكرت أن الأمر سينتهى بكل منهما إلى حبس شهر و دفع غرامه خمسين ليره بعد إحالة دعوى أحدهما على محكمه بنت جبيل لأنه اجتاز الحدود من منطقتها، و دعوى الآخر على محكمه مرجعيون. و كان ما سجل فى المحضر قد سجل و لا يمكن تبديله، فأصبح همى الآن إنقاذهما من السجن و الغرامه، و بعد تفكير قليل رأيت أن أجعل تاريخ اجتيازهما الحدود فى زمن يشمل العفو الذى كان قد صدر قبل مده.

و فى أثناء ذلك لقيت من أفهمهما ما سيلقيان من السجن و الغرامه، فلما دخلا على الواحد بعد الآخر، قال المدعى: لقد تنازلت عن الدعوى، و قال المدعى عليه إنى مستعد أن أدفع التعويض.

و لكن كان ما كتب قد كتب.

و لما سألت كلا منهما عن تاريخ عبوره الحدود حدد التاريخ الصحيح، و هذا التاريخ لم يكن مما يشمل العفو. فقلت: لا، إنك عبرتها بالتاريخ الفلانى. و سجلنا ذلك.

و لم يسعهما الاعتراض، و هما لا يعلمان السر فى تغيير التاريخ، و ربما حسابه إمعانا فى أذاهما.

و من طرائف دعاوى الاختلاف على الإرث هذه الدعوى التى تريك مدى ثروات الفلاحين و قيمه ما يتركونه من تركات يتنازع عليها بعدهم الورثه:

فقد أقامت فاطمه مدلىج دعوى على مواطنتها عليا حسن من قريه كفر رمان تطالبها فيها بحصتها من مخلفات زوجها المشترك يوسف أحمد حمزه. و من العجيب أن هذا الزوج الذى سترى مقدار ما خلفه من ثروه لم يكن قانعا بزوجه واحده، بل كان له زوجتان.

ص: ٣٢١

أما المدعى به فهو كما جاء فى ورقه الدعوى: ما جرى تحريره بمعرفه محكمه النباطيه الشرعيه و هو: بقره شراكه مناصفه مع داود سليمان فى مزرعه الجرمق (أى نصف البقره لداود سليمان، و نصفها الثانى لزوج صاحبه الدعوى).

حماره شراكه مع البصار مناصفه، طنجره كبيره مع غطاها، طنجره عربيه بدون غطا، و ثلاثه لحف و ثلاث فرش، لكن صغير للعجين (لكن: بفتح اللام بدون مد، و فتح الكاف) هو (الوعاء الذى يعجن فيه العجين)، و طاستان صغيرتان، و صحن، و كيله حليب، و كرسى قش، و خمسه فناجين قهوه بدايويه، و إبريق شاي، و ثلاثه فناجين شاي، و غلايه قهوه، و جاروشه، و غربال، و خرج شعر.

و من طرائف الدعاوى الجزائيه دعوى مستوحاه من البلاغات الحربيه التى كانت تصدرها الدول المتحاربه، إذ كنا فى عنفوان الحرب العالميه الثانيه، و هذا نصها:

أن المدعى عليهم قاموا بهجوم عام، من الجهات الأربع بتاريخ نهار الأحد الواقع فى ١٧ تموز الساعه السابعه زواليه صباحا، على الحاكوره الشرقيه المزروعه من قبلى. و بهذا الهجوم السريع و المفاجئ سيطروا على الحاكوره و أخذوا يقلعون البطاطا و البندوره و اللوبيا و الباذنجان... إلى آخر ما جاء فى الدعوى.

و لو أن بلاغا صادرا عن مقر أحد الجنرالات فى هذه الحرب، لما كان أكثر دقه فى تعيين الزمان و المكان و تصوير نوعيه الهجوم... من هذا البلاغ الادعائى الطريف.

و لكن إذا كانت البلاغات الحربيه تنتهى دائما برد المهاجمين على أعقابهم، و تكييدهم أفدح الخسائر، و إذا كانت تحاول أن تضع أصحابها مواضع المنتصرين، فان هذا (البلاغ) من مصلحته أن يكون متواضعا معترفا بالهزيمه:

فالمهاجمون عادوا جميعا ظافرين!... و إذا كانت المصلحه الحربيه تذكر دائما القيام بهجوم معاكس. فان مصلحه صاحب هذا (البلاغ) لا تذكر إلا الاستسلام و كثره الجرحى.

و تلقيت يوما بلاغا من رقيب مخفر الدرك فى إحدى القرى لأتخذ ما يقتضى اتخاذه من إجراءات جزائيه بحق من وردت أسماؤهم فيه.

و إذا عنوان البلاغ هكذا: (حفل غناء و رقص بدون إجازة).

و لقد دهشت لهذا العنوان و استغربت أمره، فإنه لم يبلغنى أن أم كلثوم و لا محمد عبد الوهاب و لا غيرهما قد حضر أحد منهم إلى قريه من قرى هذه المحكمه للطرب و الغناء. و لم أسمع أن أحدا دعا إلى حفله راقصه فى هذه الدساكر المنتشره على رؤوس التلال و سفوح الجبال. بل الذى أعرفه أن أهالى هذه الضياع لهم من شقائهم و سوء علاقاتهم مع حكوماتهم ما يصرفهم عن التفكير فى شئون الرقص و الطرب!.

إذن ما شان حفله الغناء و الرقص التى يذكرها محضر الدرك؟.

أ تراها فتحا جديدا فى الحياه القرويه غاب عنا أمره؟! و أين كنت أنا لأطير إليها و لو كانت مخالفه للقانون؟...

و رحى أقرأ المحضر فإذا فيه ما يلى بالحرف الواحد:

"أثناء وجودنا أمام المخفر سسمعنا ضوضاء و غوغاء، فتوجهنا فشاهدنا ما يزيد على الأربعمائه شخص من رجال و نساء جالسين على الكراسى و منهم ناس على الحجاره و القسم الآخر واقفون. و هناك ثلاثه رجال من العجر و معهم امرأه عجريه يعزفون على آلات الطرب و ينقرون على الطبول و الدفوف و المرأه ترقص و مقيمين بذلك حفله غناء و رقص، و ذلك قرب مقهى عبد النبى. فطلبنا صاحب المقهى فحاول الاختفاء و لدى سؤاله عما إذا كان لديه رخصه باحياء هذه الحفله أجاب سلبا. و بناء على ما ذكر صار تنظيم هذا المحضر".

و بهت عند ما أنهيت قراءه هذا المحضر، و عرفت ما هى الحفله التى عنها، و هذه خلاصه الحكايه:

مر جماعه من العجر المتجولين فى القرى، فنقروا على الدفوف و ضربوا بالطبول، فاجتمع عليهم أهل القرية و فرحوا بما رأوه و سمعوه من رقص و عزف و غناء. فتساءل صاحبنا رقيب مخفر الدرك عما إذا كان لدى صاحب المقهى الذى اجتمع الناس بقربه رخصه باحياء هذه الحفله "حفله الغناء و الرقص" كما سماها، فخشى صاحب المقهى العواقب فتوارى فى بادئ الأمر، ثم استسلم صاغرا ذليلا- ليحاسب على جريمته الشنعاء... و هى اجتماع الناس لمشاهده الرقص و الاستماع إلى الغناء بجوار مقهاه دون أن يكون معه إجازة، مع أن أكثرهم باعتراف المحضرين إما واقفون على أفدامهم أو جالسون على الحجاره...

و سألت عما جرى فى ذلك اليوم المشؤوم فى القرية الوادعه، فعلمت ما يلى:

حين قبض البواسل على صاحب المقهى لمحاسبته دب الذعر فى أهل القرية المجتمعين هناك فلاذوا بالفرار، و خاف العجر فأمعنوا فى الرقص... و انفخت الدفوف و تفرق العشاق...

و هكذا تحولت الحفله البريئه اللطيفه إلى حزن...

و أعجب صاحبنا رقيب المخفر بنفسه لأنه كان أمينا على تطبيق القانون... حريصا على إباده الرقص و الغناء و الفرحة... إذا كانت بدون رخصه...

و كثرت التوسلات، و عظم الرجاء، ليصفح و يعفو و يغفر... و لكنه أبى و رفض و ثبت فى رفضه و إباءه... فتشتت الناس و ساق "المخالف" سوق المجرمين ليرتدع كل من يفكر بعد ذلك بان يفرح أو يغنى أو يضحك...

شهود الزور

و من المؤسف أن شهاده الزور كانت متفشيه، و كان ذلك من أعظم ما يضللى و يجعلنى أتردد فى الأحكام المستنده إلى شهاده الشهود، فما يدرينى أن هؤلاء الشهود يشهدون بحق أو بباطل، و فى دعوى واحده جاء ثمانيه شهود يشهد كل أربعة منهم بما يناقض شهاده الأربعة الآخرين.

فقد كان موضوع الدعوى يتعلق فيما إذا كانت الأرض مزروعة حمصا أو قمحا، فشهد أربعة بأنها كانت مزروعة قمحا و شهد أربعة بأنها كانت مزروعة حمصا، فكيف تطمئن إلى مثل هذه الشهادات التى تتكرر فى كل يوم.

و قد عمدت إلى الاتصال باثنين من الفقهاء الموثوقين عندى هما الشيخ على حلاوى فى قاعيه الجسر، و الشيخ محمد على نعمه فى حبوش، فكننت أبعث فاسالهما سرا عما يعلمان من أمر الشهود، و هذا أشبه بما كان يعرف فى القديم بتركيه الشهود. فكان يخبرنى كل منهما بما يعلم من أمر الشاهد المسئول عنه، و كانت لهما اتصالات بالقرى المجاوره لقريتيهما و يعرفان الكثير من أحوالها.

بيوع الأرض

و مما واجهنى فى الأيام الأولى لبدء العمل فاربكنى كل الإرباك هو أن بيوع الأرض فى قرى جبل عامل يتم تسجيلها على ورقه يوقعها البائع، و يوقع معه فقيه القرية و ثلاثه أو أربعة من القرية بصفتهم شهود على البيع، فتصبح هذه الورقه البسيطة أوثق و ثيقه.

و جاءت الحرب العالميه الثانيه فارتفع سعر الأرض و هبطت قيمه العمله الورقيه فكشّر الطامعون من البائعين عن أنيابهم فتقدموا بدعاوى يطالبون بها باسترداد الأرض و استعدادهم لاعاده ما قبضوه من الثمن. و كان هذا البيع باطلا فى نظر القانون، لأن بيع الأرض لا يتم بهذه الطريقه البسيطة، بل له شروط غير مجتمعه فى هذه البيوع القرويه.

فكيف أسمح لنفسى أنا بان أحكم برد الأرض المباعه إلى بائعها، و سلبها من مشتريها بعد أن يرد إليه الثمن الذى أصبحت قيمته أقل من نصف ما كانت عليه أيام البيع.

و فكرت فى أول الأمر بان أحكم بصحه البيع و أترك لمحكمه الاستئناف أن تبطل حكمى فتكون هى التى حكمت لا أنا. و لكنى لم أجد فى هذه الطريقه حلا معقولا.

و بعد أسبوع من بدء عملى فى القضاء كان أمامى أكثر من عشرين دعوى فى هذا الموضوع معظمها من قرية أنصار، فأجلت هذه الدعاوى إلى أكثر من شهر لعلى أجد فى هذه المده حلا. و وجدت الحل فالقانون كان معربا عن القانون الفرنسى، و فيه نص بان الأرض تنتقل من مالك إلى مالك فيما تنتقل به (بمفعول العقود). و الشارع الفرنسى حين وضع القانون كان ينظر إلى الواقع الفرنسى حيث تجرى عقود بيع الأرض فى الدوائر الحكوميه و بموجب عقود و وثائق حكوميه، لا فى ديوان فقيه القرية و بموجب وثيقه قرويه تحمل توابع الفقيه و بعض أهل القرية. لذلك لم يقيد العقد باى قيد.

و ما دام (مفعول العقود) غير مقيد بشىء و غير مشروط فيه شىء، فهذا عقد صريح واضح. و ليس العقد إلا إيجابا و قبولا، و الإيجاب و القبول هما أساس هذه الورقه القرويه التى يستند إليها هذا المشتري القروى.

و صدرت الأحكام على هذا الأساس، و لكى أضمن عدم وجود ثغره فيها تنفذ منها محكمه الاستئناف، فقد عللت كل حكم تعليلا دقيقا مفصلا، مبينا فيه فيما بينت تقاليد القرى و عرفها فى مثل هذه البيوع. و قد كشفت لى هذه الدعاوى عن حقائق كثير من الناس المتظاهرين بالصلاح، فقد كان بعضهم فى أول من طالب باعاده الأرض إليه.

و جاءنى أحدهم و كان ذا مظهر وقور من عمامه و جبه و لحيه و سن متقدمه، فاستقبلته فى المنزل ظانا أنها زياره شخصيه، و لكن تبين أنه هو الآخر يريد استرداد أرضه معللا ذلك بأنه باع الأرض و أرسل بئمنها ولده إلى إفريقيا مهاجرا فى طلب الرزق، و أن ابنه لم ينجح فى مهجره، كان مشتري الأرض مسئول عن نجاح ابنه و عدم نجاحه.

و رحى أنتظر قرارات محكمه الاستئناف، فإذا بها تقر أحكامى، فارتحت عند ذلك كل الارتياح.

ثم إذا بى أفاجأ بشىء جديد: ذلك أن معظم المشتريين كانوا قد بدءوا يسيئون الظن بالناس، و يشعرون بان طلائع ضياع الثقة قد أطلت، و أن الزمن آخذ بالتغير، لذلك احتاطوا لحفظ حقهم بان ضاعفوا ذكر الثمن فى ورقه البيع. فإذا كان الثمن الحقيقى مثلا ألف ليره، ذكروه فى ورقه البيع ألفى ليره، و ذلك زجرا للبائعين عن أن يقدموا على طلب إعاده الأرض إليهم خوفا من دفع الثمن المضاعف الذى أقروا فى الورقه بأنهم قبضوه.

و لكن هذا الاحتراز لم يفد شيئا لأن ثمن الأرض قد ازداد أثناء الحرب أكثر من الضعف، كما أن النقد الورقى قد هبطت قيمته، لذلك فان البائع كان مستعدا لأن يدفع ضعف ما قبضه من ثمن أرضه على أن ستردها.

لقد فوجئت بان هؤلاء البائعين قد أقاموا دعاوى جديده يقولون فيها بأنهم لم يقبضوا ثمن أرضهم المسجل فى ورقه البيع كاملا، و أنهم يطلبون تحليف الشهود اليمين بأنهم دفعوا هذا الثمن بتمامه.

و قد كان هذا تديرا شيطانيا بارعا، و رأيت أنا أن المشتريين سيكونون بين أمرين: إما أن يحلفوا يمينا كاذبه فينجوا من دفع ثمن الأرض مضاعفا، أو أن يتورعوا من حلف هذه اليمين فيغرموا المال.

و لكننى وجدت الحل لذلك بان حددت نص اليمين على هذا الشكل:

(احلف بالله العظيم أن ذمتى بريئه من ثمن هذه الأرض).

و قد حاول أحد المحامين الاعتراض على هذا النص، و لكننى لم أبال به، و هكذا نجا المشترون من دفع ثمن ما اشتروه مرتين، و نجوا من حلف اليمين الكاذبه.

و على ذكر اليمين، فقد حدث مره أن وقعت فى إحدى القرى وقعه داميه استعمل فيها السلاح النارى و أدى الأمر إلى وقوع جرحى خطرين، فحضر من صيدا قاضى التحقيق و المدعى العام و بعد أن بدءا التحقيق فى القرية القريبه من النباطيه جاء يكملانه فى مكتبى و استدعى الشهود و المدعى عليهم واحدا واحدا. و كان قاضى التحقيق يحلف الشهود اليمين المعتاده، فيحلفوها، و الله أعلم بعد ذلك بصحه شهادتهم أو زورها.

و كنت أعرف أنا أن الكثيرين يرون أن اليمين التى يحلفها الشاهد هى يمين باطله، لأن لا يمين شرعا على الشهاده، و حالف اليمين فى مثل هذا

الموقف ليس منكرا ليصح تحليفه اليمين، لذلك كانوا لا- يبالون بان يحلفوا يمين الشهاده، ثم يشهدوا بما يشاءون مستهينين بشهادة الزور، و من يستهين بشهادة الزور لا تهمة تلك اليمين.

و بدأ. أحد الشهود يؤدي شهاده خطره ستؤدي إذا كانت كاذبه إلى اتهام بريئين تهما جنائيه كبيره. و كنت شبه موقن بأنه يشهد زورا فاقترحت على المدعى العام و على قاضى التحقيق بان يوقفا الشاهد عن إكمال شهادته، و أن يتركا لى تحليفه يمينا خاصه يكمل بعدها شهادته فوافقا على ذلك.

فقلت له قل: إنى برىء من الله و رسوله محمد بن عبد الله و من أمير المؤمنين على بن أبى طالب و فاطمه الزهراء و الحسن و الحسين و باقى الأئمه الاثنى عشر إذا كان ما أشهد به غير صحيح.

فبدا عليه الاضطراب و التمللم و التردد، و لما رأى المدعى العام و قاضى التحقيق ما بدا عليه أصرا بان يردد ما أقوله له، ففعل. ثم ظهر التراجع واضحا فيما يدلى به.

و بعد ذلك صار المدعى العام و قاضى التحقيق بعد أن يحلفا الشاهد اليمين المعتاده يطلبان إلى أن أحلفه اليمين الخاصه.

و هذا نظير ما ذكره محمد سيرجيه عما جرى له عند ما كان قاضيا للتحقيق فى أدلب حينما شكك بشهاده الشهود فى إحدى القضايا فسأل أحد العارفين بأحوالهم قائلا له: كيف تجرأ الشهود على حلف اليمين الكاذبه أمامى، فكان جواب المسؤل: "إحنا البدو نعتبر أن الحكومه عدوه لنا و قد جرى العرف عندنا على جواز الحلف كذبا أمام الأعداء و هم موظفو الحكومه، و لو كان ذلك على القرآن العظيم، فإذا شئت أن تكتشف الحقيقه فيجب عليك أن تحلف الشهود اليمين التى يقدسونها و بالطريقه التى تعارفوا عليها. و فى هذه الحاله يجب أن يحلفوا أمامى بصفتى زعيم عشيرتهم اليمين التاليه:" و حق العود و الرب المعبود و سليمان بن داود اللى صبغ العبيد و اللى لين الحديد و اللى رفع السما من غير عمود".

و يقول القاضى سيرجيه أنه فعل ما أشار به زعيم العشيره فذكر الشهود عند ذلك الحقيقه و رجعوا عن شهاداتهم السابقه.

خلافات القرى

و كانت إحدى القرى مشهوره بنزاعات أهلها المنقسمين إلى أسرتين متنافستين، و كانت الدعاوى بينهم لا تنقطع، و قل أن يخلو أسبوع دون أن يكون لدى المحكمه دعوى من تلك القرية.

و جاءنا يوما أن شجارا عنيفا عاما حدث فيها اشترك فيه جميع رجال الأسرتين و أدى إلى جرحى كثيرين، فذهبت و معى ضابط الدرک و بدأت بإجراء التحقيق، ثم أمرت بتوقيف كل من ورد ذكره فى التحقيق و فى الطليعه رئيسا الأسرتين، و شمل التوقيف معظم رجال الأسرتين، و لم أستثن من التوقيف إلا الشيوخ و سقنا الجميع إلى سجن النباطيه و كان عباره عن غرفه واحده.

و بعد أن صار الجميع فى السجن قلت لهم: لن تخرجوا من هنا إلا متصالحين، فاصروا على عدائهم أسبوعا واحدا، و لما ضاق بهم الأمر فى السجن أخذوا يتعاتبون ثم انتهى بهم الأمر إلى المصالحه التامه، فأرسلوا إلى أن تم الصلح بيننا فافرجت عنهم، و

منذ تلك الحادته لم نعد نسمع شيئاً عن خلافاتهم و انقطعت دعاواهم عن المحكمه.

مبدأ وطني

و كان من مشاكلي في المحكمه، شكل عقائدي لا قضائي، هو أننا كنا في ذلك الوقت لا نؤمن بالكيان اللبناني، و كنا نرى أن منطقتنا (جبل عامل) قد ألحقت به غصبا و بالقوه الفرنسيه، و كانت أهدافنا الوحده السوريه في المرحله الأولى، ثم الوحده العربيه في المرحله الثانيه.

لذلك لم نكن نقر تسميه جبل عامل باسم (لبنان الجنوبي) أو (الجنوب) باعتباره جنوب لبنان، و نرى أن كلمه (الجنوب) تعنى عندنا جنوب الجزيره العربيه أى اليمن.

و عند ما توليت أمر محكمه النباطيه كان لا بد لي من أن أرسل بين الوقت و الآخر مذكرات إلى المدعى العام الذي كان لقبه (مدعى عام لبنان الجنوبي) أو إلى غيره من الدوائر التي كانت تحمل كلها صفه (لبنان الجنوبي) أو (الجنوب).

و كان مما لا يتفق مع مبادئ الوطنيه أن أعترف باسم (لبنان الجنوبي) أو (الجنوب) اسما لجبل عامل و أن أسجل هذا الاعتراف على أوراق رسميه موقعه مني.

و لم يطل أمر إيجاد الحل، فكانت رسائله الموجهه إلى المدعى العام تصفه بهذه الصفه: (مدعى عام صيدا)، و كذلك الموجهه إلى غيره من الدوائر الرسميه.

و لم ينتبه أحد إلى ذلك و ظل الأمر مستمرا حتى تركت محكمه النباطيه.

ثم عدنا بعد ذلك نؤمن بلبنان العربي المنضم إلى الجامعه العربيه، و إن ظللت حتى الساعه أرفض استبدال اسم (الجنوب) باسم (جبل عامل)، و قد عبرت عن هذا الرفض في كثير مما كتبت في الصحف، و ليس لهذا الرفض علاقته بالكيان اللبناني، بل هو حرص مني على هذا الاسم التاريخي الذي عاش على الزمن مناره من منارات العلم و الأدب على أنه كان لي في هذا الموضوع مشكل آخر، فقد كنت أبعث بمقالات إلى مجله الرساله المصريه، و من الطبيعي أن أوقع تلك المقالات مضيئا إلى التوقيع اسم البلد الذي أقيم فيه و هو (النباطيه). و قد كان اسم (النباطيه) وحدها لا يعنى شيئاً لقراء الرساله خارج لبنان، فلا بد في التعريف بها من ذكر اسم القطر الكائنه فيه، و قد كان محرما عندي أن أذكر النباطيه مضافه إلى لبنان، و فكرت طويلا في هذا المشكل، و أذكر أن المقال الأول المعد لرساله إلى مجله الرساله بقي مطويا عندي أكثر من شهر لأجد الحل.

و أخيرا جازفت بان ذكرت النباطيه مقرونه باسم (بلاد الشام). و لم ينتبه أحد من (الرسميين) لذلك لأن هؤلاء ليسوا من قراء مجله الرساله.

من الأحكام

و من طرائف الأحكام القضائيه التي أصدرتها الحكم التالي:

و هذا نصه:

أساس ٢١٩ قرار ٢٣٤ المدعى الحق العام المدعى عليه على يوسف الحائك - عدشيت باسم الشعب اللبناني فى المحاكمة العلنية تبين أن ما نسب إلى المدعى عليه على يوسف الحائك من عدشيت هو أنه كان يحرق الأرض على رأس بقر و حمار، و أن فى هذا عدم رفق بالحمار ينطبق على القرار ٣٠١٦.

و حيث أنه قبل أن تعلن العقوبة التى يستحقها المدعى عليه، علينا أن نرجع إلى النص القانونى الذى استند إليه الدرك فى تجريمهم للمدعى عليه، فان المادة الأولى من القرار ٣٠١٦ تصرح بأنه يعاقب من ثمانية إلى ستة أشهر، و بجزء نقدى من ليرتين إلى خمس و عشرين ليره، كل من يسىء معاملة حيوان بلا ضروره، أو بإتيان عمل غير جائز للبلوغ إلى غايه مقبوله، سواء كان بضربه أو بتعذيبه و كل من يحمل حيوانا على القيام بعمل يفوق مقدرته أو يؤلمه إلى آخر ما جاء فى المادة المذكوره. فهل ينطبق هذا النص القانونى على عمل المدعى عليه؟.

إن هذه المحكمة تجيب على هذا بكلمه "لا-"، و هى مطمئنه إلى هذا الجواب. فالماده القانونيه تنص على أن يكون هناك إساءه للحيوان، و أن تكون هذه الاساءه بلا ضروره، فهل فى الحرائه على الحمار إساءه إليه؟.

إذا كان المشترع يقصد الاساءه المعنويه، أو بعبارة أوضح الاهانته، فلا شك أنه ليس فى الحرائه على الحمار إهانته له، بل ربما كان فيها تكريم له، و ذلك يرفعه عن مستوى بنى جنسه الحمير و قرنه إلى فصيله أعلى هى البقر!.

و مهما يكن من أمر، فمن ذا يستطيع أن يقول أن وضع النير على العنق هو أكثر إهانته من الركوب على الظهر؟ و إذا كان المشترع يقصد الاساءه الماديه، فأغلب الظن أن لا فرق عند الحمار بين أن توقره بالأحمال الثقيله، و بين أن تشد إليه المحراث. بل ربما كانت الثانيه أقل مشقه و أخف كلفه. و على كل فمرجع ذلك إلى الحمار وحده و ما دام الحمار عاجزا عن إيضاح هذه النقطة فتظل موضع شك و فى حاله الشك لا بد من مراعاة جانب المدعى عليه.

و حيث أن الشرط الثانى الذى تشترطه ماده إلى جانب الاساءه، هو أن تكون الاساءه بلا ضروره. و نحن نفهم من الضروره أنها هى التى تلجئ الإنسان إلى الاقدام على ما أقدم عليه. فايه ضروره ملجئه أكثر من ضروره هذا الهرم، ذى الأطمار الباليه و الفقر المدقع، و أيه ضروره أعظم من ضروره هذا الفلاح المتهمم الذى يعلن فى المحكمة أنه فقد ثوره، فعجز عن شراء غيره؟.

و حيث أنه بعد أن رأينا هذه الفقره لا تنطبق على حال المدعى عليه، فهل تنطبق عليه الفقرات الأخرى؟. أن الفقره الثانيه تنص على أن ياتى الإنسان عملا غير جائز للبلوغ غايه مقبوله.

و حيث أن القانون لم يحدد الجواز و عدم الجواز. و لم يوضح كيف يكون العمل جائزا، فنحن لا نستطيع أن نقول أن عمل المدعى عليه غير جائز، بل نرى فيه الجواز كل الجواز: فلاح فقير يموت ثوره، و لا- يملك نقودا، بل يملك حمارا، فيتدب حماره العتيد مكان ثوره الفقيد، إلى أن يفرجها الله عليه، فيفرجها هو على الحمار. فاي شىء فى هذا غير جائز؟.

و حيث أنه بقى علينا أن نرى الفقره التى تقول: "كل من يحمل حيوانا على القيام بعمل يفوق مقدرته أو يؤلمه". و من ذا الذى

يستطيع أن يبين لنا ما إذا كانت الحرائث تفوق مقدره الحمار أو تؤلمه أم لا؟ فالحمار الذى يحمل أثقل الأحمال و أضخم الرجال، لا يمكن أن تفوق الحرائث مقدرته. و الحمار الذى لا تؤلمه الجبال المشدوده لا تؤلمه كذلك الخشبات الممدوده!

و حيث أن المحكمه فضلا عما تقدم، ترى للقضيه وجها آخر، فهى تتساءل: أيهما فى نظر القانون أبعد عن الرفق، أ هو أن تقذف بهذا العجوز إلى ظلمات السجن، أم أن يحرق هو على الحمار.

أما هذه المحكمه، فترى إنقاذ جسم هذا الشيخ الفقير من الحبس و جيبه من الجزاء، أقرب للرفق من إنقاذ الحمار من الحرائث، ما دام الحمار إذا لم يحرق، فسيحمل. و ترى أن حبات من القمح يزرعها المدعى عليه على حماره، فتخرج سنابلها و تؤتى أكلها، فيكون فيها فى هذه الأيام السود لقمه لجائع و بلغه لفقير، هى أجدى على القانون و على المجتمع من إلقاءه فى السجن و تغريمه بالجزاء و إراحه حماره!

لذلك، حكمت ببراءه المدعى عليه حكما وجاهيا، قابلا الاستئناف، و أعطى و أفهم علنا.

الحاكم: حسن الأمين

فى طريق الاستقاله

و فى خلال العمل فى محكمه النباطيه كان الصهاينه نشطين فى عمليات تهريب اليهود إلى فلسطين، ذلك أن الإنكليز كانوا يسمحون للصهاينه بإدخال عدد محدود من اليهود يبلغ عشرات الألوف كل عام، و هذا ما كان يسمى يوم ذاك بالهجره القانونيه، و لكن الصهاينه كانوا يعملون على إدخال المهاجرين إلى فلسطين زياده عن العدد المسموح به، و ذلك بتهريبهم عبر الحدود البريه من لبنان، فتنبته لذلك، و مع أن سلطتى فى المنطقه هى سلطه قضائيه بحته، و لا سلطه إداريه لى لأتدخل فى هذا الموضوع فقد صممت على أن أحارب هذا التهريب بكل وسيله، و كانت السلطه الاداريه يوم ذاك تتمثل بضابط للدرك، و لم يكن هذا الضابط ممن يهتمون بهذه الأمور، و لكننى استطعت أن أحمله على التعاون معى فى مقاومه تهريب اليهود، و طلبت إليه أن ينظم (دوريه) ليليه تراقب مداخل النباطيه، لأن الطريق الوحيد للمهربين هى طريق النباطيه، ففعل الضابط ذلك. و فى أول ليله تولت فيها (الدوريه) عملها قبضت على قافله من السيارات كانت منطلقه باليهود إلى الحدود الفلسطينيه، و كان بينهم يهود من أوروبا و يهود من العراق و يهود من سوريا نساء و رجالا و شبانا، فأوقف الدرك

القافلة و ساقوا الجميع إلى السجن بمن فيهم اللبنانيون سائقو السيارات التي كانت تقل اليهود.

و بكر الضابط إلى منزلي ليخبرني بما جرى و ليقول أنه كان عند حسن ظني فنفذ جميع تعليماتي.

و من العجيب أنه لم يكد الضابط يخرج حتى فوجئت و أنا على باب منزلي برجلين غربيين كانا على وشك الدخول على إلى المنزل، فتقدم أحدهما و عرف بنفسه بأنه صاحب فندق شهير في بحدون و قال أن رفيقه عراقي، فحسبت الرجل العراقي ممن سمع بي أيام إقامتي في العراق و أنه جاء يزورني، إذ كثيرا ما كنت أسعد بزياره بعض العراقيين ممن عرفتهم في العراق و ممن لم أعرفهم، فحسبت القادم واحدا منهم فهمت بالعوده إلى المنزل، و لكنني شعرت بان صاحب الفندق و رفيقه مرتبكين جدا و أنهما يحاولان الكلام، و لا أدري كيف أحسست في الحال بان الأمر يتعلق بالقافلة المقبوض عليها، فاستفسرتهم فاعترفا بذلك. و لوح الفندقى بالمال فطردهما طردا قبيحا.

و الذى حيرنى هو أن القافلة قبض عليها حول انتصاف الليل، فكيف بلغ الخبر لليهودى فى الفندق و كيف استطاع هو و الفندقى الحضور خلال هذه المده القصيره. فأدركت خطر الشبكه الصهيونيه و امتداد جذورها و تنظيم أمورها التنظيم الرهيب.

و مضيت إلى المحكمه فوجدت أمامى ملف القضية و كان الضابط قد نظمه و تركه بتصرفى. و لم أكد أبدأ بقراءته حتى طرق الباب و دخل على صديق حميم، فعجبت من دخوله، و كانت عادتى منع موظفى المحكمه أن لا يسمحوا بدخول أحد على صباحا، أيا كان طالب الاذن بالدخول، و ذلك أنى علمت بان بعض محترفى الواجهه فى القرى كانوا يوهمون المتداعين بأنهم يستطيعون التوسط لهم عندى فى دعاواهم، فكانوا يعتنمون فرصه وجودى فى الصباح قبل خروجى إلى كرسى الحكم فيدخلون على و لا يتكلمون بشىء سوى المجاملات و الاستفسار عن الصحه و الراحة و ما أشبه ذلك حتى إنهم لا يجلسون بل أن الواحد منهم يتكلم بمثل هذا الكلام ثم يمضى مسرعا، فيقابل أحد المتداعيين و يطمئنه بأنه توسط لدى فى قضيته فان جاء الحكم لصالحه أوهمه بان ذلك كان نتيجة توسطه، و إن لم يجىء لصالحه قال له بان القضية صعبه جدا.

و لقد رابنى دخول هؤلاء على فى الصباح و بعد التحرى علمت الحقيقه فمنعت أيا كان من الدخول على فى الصباح، لذلك بدوت ممتعضا من دخول هذا الصديق، فقال أنه وجد صعوبه فى الدخول على و أن الموظفين لم يسمحوا له بالدخول إلا بعد أن أقنعهم بأنه ذاهب إلى دمشق و إنى ربما رغبت بان أوصيه بشىء لوالدى. ثم دخل فى الموضوع بدون مقدمات و قال بأنه مفوض بان يدفع لى مبلغا ضخما حدده، و أن هذا المبلغ قابل للزيادة فيما إذا تساهلت فى قضيه اليهود، فطرده شر الطرد.

و قبل الإفاضه فى الحديث عما جرى، لا بد لى من أن أوضح للقارئ أن أى تساهل فى شأنهم لا يخشى معه من أيه مسئوليه.

و إنى لو أطلقتهم فى الحال و حددت يوما يحضرون فيه جلسه محاكمتهم، لما كان فى ذلك أى مؤاخذه، و إن أردت أن اتشدد قليلا فإطلقهم بكفاله كان ذلك صحيحا أيضا.

و مع رغبتى فى التشديد عليهم كنت أعلم أن إمكانيه هذه الرغبه محدوده جدا، و أنى لو حكمتهم بأقصى العقوبه و هو ثلاثه أشهر و مائه و خمسين ليره لبنانيه على كل واحد منهم لأمكنهم استئناف الحكم، و بذلك يخرجون عن يدي، و كنت واثقا أن محكمه الاستئناف ستطلقهم بمجرد وصولهم إليها. لذلك أردت أن أستعمل أقصى ما يسمح به لى القانون من التشديد عليهم

قبل أن يطلق غيرى سراحهم، و كانت وسيلتي الوحيده لذلك هي أن أقرر محاكمتهم موقوفين فييقون في السجن حتى يوم محاكمتهم و الحكم عليهم، و بعد ذلك فليفعل بهم غيرى ما يشاء.

و كما دهشت لسرعه وصول الخبر إلى ذويهم في بحمدون دهشت لسرعه اهتدائهم إلى اسم صديقي النباطي و اختياره هو بالذات للتوسط لدى.

و أدركت أن الشبكة الصهيونية ستتسع و تمتد و لن تتركني هادئا لحظه واحده، لذلك أسرع في الحال إلى الاتصال هاتفيا بالمدعى العام في صيدا فيكتور عيسى و لم يكن مع الأسف ممن يثيرهم ذكر اليهود و الصهيونية، لذلك لم آت على ذكر هذا الاسم، بل أثرت في نفسه المنطق القانوني فقط فقلت له أننا في منطق الحدود التي يكثر فيها تهريب الناس إلى الخارج، و أن تحت يدي الآن قافله كانت تحاول اجتياز الحدود تهريبا و إنى رأيت أن أتشدد مع أفرادها فقررت محاكمتهم و محاكمه أدلائهم و سائقي السيارات موقوفين فهل أنت موافق على ذلك؟. فقال نعم ما تصنع و ضروري أن تتشدد في الموضوع.

سألته هذا السؤال و سمعت منه هذا الجواب و أنا أعلم علم اليقين بأنه بعد أيام سيكون في طليعه من يطالبني بالتساهل معهم!..

و لم يمض يومان على توقيفهم حتى انهالت على التدخلات من كل جانب و جاءتني الوساطات و البطاقات و الرسائل من بيروت ممن لم يكن يخطر ببالي أن يتوسطوا في مثل هذه الأمور، بل في غيرها من الأمور، و اشتد الضغط من كل ناحيه.

و كنت في كل يوم أزداد علما بمدى امتداد الأخطبوط الصهيوني و مدى أحكام أمره في كل ناحيه.

و في اليوم الخامس من توقيفهم صح ما توقعته فاتصل بي مدعى عام صيدا هاتفيا و كلمني بشيء من الخجل طالبا إلى التساهل و إطلاق سبيل الموقوفين بكفاله!..

فأجبتة بكل هدوء بانى لا أرى ذلك و سأحاکمهم موقوفين... و مضى يومان آخران كان الضغط فيهما لم ينقطع، و إذا بالمدعى العام يعاود الاتصال بي مصرا على التساهل، و هنا تركت هدوئى و تكلمت بكثير من الصخب و قلت له: ليس معنى اتصالى بك من قبل أنى مقيد برأيك، و قد أبديت رأيك أولا ثم بدلته ثانيا، و أنا لست ملزما بالعمل بالرأى الثانى.

فاجابنى بكل صراحه: أن بيروت تضغط على لأكلمك و أنا أفعل بناء على ضغطها، و لم أساله عنى ببيروت، بل قلت له: أننى غير مستعد للإصغاء لهذا الضغط، و أقفلت سماعه الهاتف.

و بعد يومين كانت بيروت نفسها تتنازل فتكلمنى: فلما نوديت إلى الهاتف حدثت بان الطالب هو بيروت، و إذا بالمتكلم مدعى عام الاستئناف و قال بأنه يكلمنى بلسان الرئيس الأول آلفرد ثابت.

و اصطلاح الرئيس الأول كان يطلق على رئيس محكمه التمييز، و لم يكن يومئذ ما اصطلاح على تسميته بعد ذلك (مجلس القضاء الأعلى) المؤلف من مجموعه قضاة كبار، بل أن صلاحية هذا المجلس كانت كلها بيد من يسمى (الرئيس الأول) لذلك كان ذكر اسمه مخيفاً، لقوه سلطته و اتساع صلاحياته، و كان اسمه أوقع فى نفوس القضاة من اسم وزير العدل، لأن وزير العدل ليس بدائم فى وزارته فهو يتبدل بتبدل الوزارات [الوزارات] و ما كان أكثر تبدلها فى لبنان. أما الرئيس الأول فهو القابع الدائم فوق كرسيه...

و طال النقاش بينى و بين مدعى عام الاستئناف، و لم أتزحج عن موقفى، ثم قال: أن الرئيس يريد أن يكلمك بنفسه، و بدا صوته أول الأمر هادئاً حياً، و لما لم أكن عاد مرتفعاً على شىء من الوقاحه، فارتفع صوتى على صوته و لكن على شىء من التهذيب. ثم أقفل السماعه.

و كنت قد حدثت بما سيجرى فدعوت ضابط الدرك ليكون الشاهد على المحادثه، و ذلك أنه كان للهاتف اليدوى يوم ذاك سماعتان يتكلم المتكلم من إحدهما و يسمع فى وقت واحد، و يضع الثانيه على أذنه الأخرى ليكون الصوت أكثر وضوحاً، فأعطيت السماعه الأخرى إلى الضابط فكان يسمع كل ما يقال، و لما ارتفع صوتى على صوت الرئيس الأول هال الضابط هذا الارتفاع - و هو الموظف المتدرج فى وظيفته من رتبه إلى رتبه، و المعتاد على الانصياع لرؤسائه - هاله أن يرتفع صوتى على صوت الرئيس فاخذ يشدنى من سترتى و يقول لى راجياً: طول بالك... طول بالك...

و منذ ذلك اليوم توقف سيل الضغوط، و لم أعين جلسه للمحاكمه إلا بعد ورود السجلات العدليه التى كان علينا طلبها من بيروت، فلما وصلت حددت موعد الجلسة، و جاء يوم المحاكمه فكان يوماً مشهوداً فى النباطيه احتشد فيه الناس ليروا النتيجة بعد أن شاع أمر الضغوط، كما حضر عدد من محامى بيروت و صيدا للدفاع، و مما أسفت له حضور من كنت أعتقد أنهم لا يمكن أن يكونوا مدافعين عن الصهاينه. و كان قد مضى على توقيف المدعى عليهم أكثر من شهر، و كان هذا أكثر ما أستطيع فعله، ثم أصدرت الحكم على كل واحد من الجميع بأقصى العقوبه و هو ثلاثة أشهر و مائه و خمسين ليره لبنانيه. و كان بين الموقوفين فتى عراقى من آل شماش و هى أسرته من أغنىاء بغداد فلما سمع الحكم أخذ يبكى، و الله وحده يعلم كم تفعل الدموع فى نفسى، و كيف أضعف أمامها و أحنو على أصحابها مواسيا مشاركا، و الله وحده يعلم أى قلب بين جنبى، قلب ينفع للمهمومين و ينفطر للموجعين...

و لكن الدمع المترقق هذه المره من العيون الصهيونيه كان له فى نفسى أثر غير الأثر الذى عرفته من قبل، و لأول مره فى حياتى أجد للدمع مثل هذا الشعور اللطيف!.. ما ذا؟! أ تبدلت إنسانيتى؟! أ تحجرت عاطفتى؟! أ عدت رجلاً غير الرجل الأول الحساس المرهف الحس؟! أ بعد أن كنت أبكى للدموع، عدت أنا نفسى أثير الدموع!.

و تطلعت فى حنايى، و جلت فى أعماقى، و تلفت فى خاطرى، و حدثت فى وجدانى، فرأيت أنى لا أزال ذاك الرجل العريق فى إنسانيته، الرجل الذى يبكى للباكين!.

الرجل الذى لا يطيق احتمال الدمع فى عينى إنسان، بل يحس و كأنه شهب من نار تنصب على جوانحه!.

و أدركت للتو أن إنسانيتى وحدها هى التى جعلتنى أستطيب الدمع هذا النهار!. و إننى و أنا أفجر الدموع فى هذه العيون الصهيونيه إنما أحاول أن أحبسها فى عيون الألوف من العرب الذين سيبيكهم هؤلاء الأوغاد على أرضهم و أهلهم.

و بمجرد صدور الحكم استأنفه المحامون، فكان علينا أن نرسل المحكومين موقوفين إلى صيدا، و شاقنى أن أتبع أمرهم. و كان الفصل صيفا، و رئيس محكمه صيدا و أعضاؤها متفرقون فى مصايفهم بسبب العطلة القضائيه، فواحد فى بلده سير الضنيه فى الشمال و واحد فى بلده روم فى الجنوب، و آخر فى البترون، و بسحر ساحر جمعوهم فى نفس اليوم من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، فلما اجتمعوا نظروا فى طلب إخلاء السبيل المقدم إليهم من المحكومين الموقوفين فقررروا بالإجماع إخلاء سبيلهم فانطلقوا أحرارا يعاودون محاوله الوصول إلى فلسطين، و قد وصلوا إليها - و لا شك - مع من وصلها...

و هنا قررت أن أستقيل من القضاء.

و بينا أنا أتھيا لتقديم الاستقاله و ألملم أوراقى و أستجمع أمورى صدر قرار بنقلى إلى محكمه زحله فانتدبنى رئيسها لإشغال محكمه راشيا، ثم أرسلت استقالتى و لم أنتظر قبولها، بل تركت العمل بمجرد إرسال الاستقاله.

و فى خلال ترددى على راشيا نظمت القصيده التاليه:

على القنن السماء فى الثلج نازح تغاديه أبكار الأسى و تراوح

و فى التيم من عليا البقاع متيم رمته براشيا الخطوب الفوادح

و حط به فى لجه البعد و النوى زمان كما يهوى اللثام منافع

على التيم تضوينى الهموم فاغتندى و فى الصدر من جمر الصبابه لافح

و انظر حولى لا حبيب أبته هواى و لا خل بهمى أصارح

لك الله يا قلبى أمضتلك صابرا سوانح هم فى النوى و بوارح

غرام و شوق و اضطهاد و غربه أ صخر أصم هذه أم جوانح

تطلعت أبغى من أحباى نظره فحالت جبال دونها و أباطح

و أشرفت من شم الرعان فهزنى لعينيك شوق يا (هنيده) فاضح

و أطلت فى التيم البعيد فراعنى على التيم أنى عن ديارك نازح

متى تسنح الغيد الحسان استفزنى إليك من الغيد الحسان سوانح
و إن هبت الأنسام صباحا أثارنى إليك من الأنسام فى الصبح نافع
و إن لاح بدر التم أهفو لأنه بحسنىك بدر التم فى الليل لائح
و استاف أعراف الخزامى لأنها بطيبك أعراف الخزامى فوائح

ص: ٣٢٧

و اعشق فى الدوح الطيور لأنها بصوتك فى الدوح الطيور صواح
على كل روض من صباك مشابه و فى كل حسن من سناك ملامح
أبتك فى التيم البعيد خواطرى و أشكو تباريح الهوى و أطرح
و أهوى على التيم البعيد لو أننى إليك مع الركب المغذين رائح
تكاد بوادى التيم من لوعه الأسى تغالب عيني الدموع السوافح
تطول ليالينا على التيم أنها ليال بأوقار الهموم روازح
و ما كان وادى التيم فى النفس زاهرا و لكنه فى النفس أسود كالح
شعاب حباها الله خير محاسن و لكنها عند المشوق مقابح
تطل على الوادى الثلوج نواصعا فتشرق فى الوادى الذرى و البطائح
و تلمع فى السفح الصخور كأنها درارى فى سود الربى و مصابح
و تمرع بالزرع السهول نضيره و تعبق بالأطيباب فيها الروائح
لقد كنت قبل اليوم بالحسن شاديا و لكننى فى التيم بالحسن نائح
فهيها أن تحلو لعيني ساعه مطالع حسن فى القرى و مسارح
ستخمد فى التيم الجميل نفوسنا و تجمد عن وصف الجمال القرائح

إلى مصر

و كانت استقالتى فى أواخر شهر شباط سنة ١٩٤٥ و كانت قد بلغت أخبارى أصدقاء لى فى العراق فدعونى إلى الحضور إلى بغداد، فأجبتهم، و لكننى فضلت أن يكون ذلك فى مفتتح السنه الدراسيه. و كنت لم أزر مصر بعد فرأيت أن أفضى ما تبقى من شهور السنه حتى أوائل الصيف فى مصر.

فسافرت من دمشق فى القطار إلى حيفا، و منها انتقلت إلى القدسفيافا، ثم إيابا إلى حيفا.

و فى تلك الرحله أدركت حقيقه التغلغل الصهيونى فى فلسطين و مقدار ما أعده اليهود من وسائل للاستيلاء عليها. كما أدركت الفوضى العربيه فى مقاومتهم، و التنظيم فى جهودهم و حياتهم، فكان حزنى عظيما على قطعه من وطنى استحکم فيها أمر هؤلاء

الغرباء الذين ينذر وجودهم بشر مستطير...

و استأنفت السفر بالقطار من حيفا إلى القاهرة فعبر بنا صحراء سينا حتى انتهينا إلى قاهره المعز الباذخه.

و فى القاهره آثرت العزله و الاستمتاع بمعالم المدينه، و التغلغل فى الأوساط الشعبيه المصريه و ما فيها من ظرف و طرافه.

و كان أول الظرفاء صاحب الفندق الذى آوانى ليله واحده، و ذلك أننى سألت قبل سفرى صديقا دمشقيا أقام فتره فى مصر عن فندق أنزل به فاعطانى اسم (فندق ريش).

فلما وصلته كان مظهره الخارجى لا بأس به، و لكننى لما دخلته تبين لى عدم صلاحه، و لما كنت متعبا بعد ليله فى القطار، رأيت قضاء ليله فيه على أن أغادره فى الصباح.

فطلبت من صاحبه إعطائى غرفه بسرير واحد، فأجاب بان لا غرفه عنده بسرير واحد. فقلت إنى أستأجر السريرين معا، فأبى ذلك متعللا بأنه إذا رفض قبول أحد زبائنه فسيذهب إلى فندق آخر يعتاد بعد ذلك عليه فيفقد هو أحد زبائنه الدائمين. فاستسلمت للأمر الواقع على أمل أن لا ياتى أحد. و لكن لم أكد أستلقى على الفراش حتى فوجئت بقادم لم يكذ يغمض عينيه حتى اندفع بشخير رهيب فلم أنم طول الليل.

و فى الصباح عنفت صاحب الفندق على ذلك و ذهبت فحجزت غرفه فى فندق الكونتينتال و عدت إلى فندق ريش لأخذ متاعى.

فسألنى صاحب الفندق عن الفندق الذى سأنتقل إليه فأخبرته بأنه فندق الكونتينتال، و سألته أليس هو أحسن من فندقك؟.

و هنا بدت النكته المصريه، فأجاب: الكنيف هناك أحسن من هنا.

ثم قلت له: ثم لا يوجد هناك من يشخر.

فقال: حتى لو كان يشخر، ذا شخيره يبقى مزيكه.

و فى فندق الكونتينتال لاحظت أن أحد المولجين بالمصعد يبدو على عكس زملائه عابسا صامتا لا يجامل الزبائن لا بإشاره و لا بكلمه.

فاستغربت أمره و خطر لى أن أستطلع أحواله، فسألته يوما أنت اسمك إيه؟ فبدا الغضب على وجهه لهذا الفضول، و لكنه لم يستطع إلا الاجابه، فقال بنفور: محمد.

و فى صباح اليوم الثانى فاجأته قائلا بكل رقه: صباح الخير يا محمد.

فلان قليلا، و أجاب: صباح الخير. و لكن الغضب و النفور لم يفارقه لحسابه ذلك فضولا مغیظا.

و لاحظت أنه يحمل دائما فى يده جريده أو مجله. و كانت جرائد الصباح تصلنى دائما إلى الغرفه فحملتها معى و فاجأته كما بالأمس قائلا: صباح الخير يا محمد، خذ هذه الجرائد و اقرأها.

فلان كل اللين، و أجاب: صباح الخير. شكرا. و شعرت أن هذا الكلام صادر من أعماق قلبه.

و فى الغد سبقنى هو بقول: صباح الخير، و أخذ الجرائد شاكرا.

ثم صرنا صديقين حميمين و تبين لى أنه على جانب كبير من الذكاء و خفه الروح و الاطلاع.

و كانت نغمته و عبوسه بسبب ما يراه فى الفندق الكبير من بطر و كبرياء و استعلاء و تامر، فى حين أن نصيبه من الفندق خدمه البطرين المتكبرين المستعلين المتأمرين.

و كانت الحرب العالميه الثانيه فى أيامها الأخيره، و كان رئيس الوزاره المصرى فى ذلك الوقت أحمد ماهر. و كان محمد هذا يكرهه كرها شديدا.

و فى يوم من الأيام أعلنت مصر الحرب على ألمانيا أسوه بغيرها من الدول التى أخذت تتسابق لاعلان الحرب لكى يكون لها مكان فى مؤتمر السلم القادم.

فاغتاظ محمد غيظا شديدا من إعلان الحرب على ألمانيا، فسألته و لما ذا هذا الغيظ؟.

فاجابنى بهذا الجواب الحكيم الرائع:

ده لا حرب دين و لا حرب وطن، اللى يموت فيها يموت فطيس.

و فى المساء اغتيل أحمد ماهر، فسالت محمدا عن الأخبار فاختر الموقف بهاتين الكلمتين: اتلخبطت خالص.

و قد كانت له تعليقات على نزلاء الفندق و تحركاتهم هى غايه فى الطرافه و الحكمه و السخرية.

فمن ذلك أنى كنت أجلس غير بعيد عن المصعد، فخرجت من المصعد الهابط ثلاث سيدات تجر كل منهن وراءها كلبا بمقود، فأيقنت أنه لا بد لمحمد من تعليق على هذا المشهد. فسألته: إزاي الحال يا محمد؟.

فقال:

و لا مؤاخذه من سيادتكم، زى ما أنت شايف، نطلع كلاب و ننزل كلاب (بتشديد اللام فى نطلع، و الزاء فى ننزل).

و فى القاهره نظمت القصيده التاليه:

صورتها

أ صورتها أين الحيبه و الهويو أين ليالى الدل و البسمات

أ صورتها أين العشايا زواهراو أين تلاقينا على الشرفات

و أين على الشباك مجلى جمالهاو مشرقها الوضاء فى الغرفات

غداه تشنى فى الرحاب طروبهو تختال فى أترابها الخفرات

و ترنو بعينيها إلى صبابهفتكسر من لحظى و من نظراتى

أ صورتها أين الخمائل غضهو أين سنا الأحباب فى الربوات

و أين على الروضات مطلع سربهمو مسراهم الزاهى إلى الحرجات

أ صورتها لم يبق غير تصورلفتنه عينيها و للوجنات

لقد أطبق الهم المبرح و انطويغفؤادى على الأشجان و الحسرات

أراك فتهاجين كامن لوعتيو تذكين من وجدى و من لهفاتى

و انظر عينيها عليك هوامداو عهدى بها بالحب مؤتلقات

أ صورتها ما كنت ناقعه الحشا إذا ثارت الأشواق مضطرمات

فأين كالألاء الصباح جبينهاو أين شذا أعرافها العطرات
و أين من النائى البعيد حدودهاو أين الثنايا الغر مبتسمات
و أين كمخضل الورود شفاهاتروى غليل القلب بالقبلات
لقد كنت أشكو الوجد و هى قريبهفكيف أداوى الوجد فى غرباتى
و كانت على قرب المزار مروعهفكيف و قد صرنا معا لشتات
هنيدة!.. أن تاسى على فانيفقدت بأدواء الزمان أساتى
و أن تحملى هم الفراق فإنها تقضى على الهم الطويل حياتى
يراوغنى الدهر اللثيم لعلها تلين، و لكن لن تلين قناتى
عدمنا على الدهر الكرام فما بهسوى معشر غلف القلوب جفاه
يورون بالترحيب كامن غدرهمو يخفون لؤم النفس يا لبسمات
تضيع لديهم كل نفس عزيزهو يشقى بهم فى الناس خير أباه
تلفت أستجلى جمال أحبتي على البعد فارتدت أسى لفتاتى
وددت لو أن الصبح يحمل عرفهمإلى مع الأرواح و النسومات
و إنى على الوادى أطالع حسنهمو ألمحهم فى السفح و الذروات
ذكرتك فى (النيل) البعيد فلم يطبعلى (النيل) ليلى ساهرا و غداتى
و شارفت أزهار الربى فتجهمتبعينى أزهار الربى النصرات
و طالعت فى السهل النخيل فما حلالبعذك عنى منظر النخلات
لأنت على الصبح الجميل جمالهو أنت سنا الآصال و الغدوات
إذا الفتيات الهيف رنحها الهويلويت عنانى عن هوى الفتيات
و إن غرد الشادى اقض مضاجعيو أذكى صباباتى و هاج شكاتى

فهل كنت بعدى بالغدير ملمهو هل جزت بالوادي و بالشجرات

و هل نعمت منك الرياض بنظرو طالعتها بالبشر و البسمات

القاهره آذار سنه ١٩٤٥

إلى العراق مره ثانيه

و قبيل ابتداء السنه الدراسيه سافرت إلى بغداد.

كانت أسر عراقيه محافظه تتجنب إرسال بناتها إلى التعليم العالى المختلط، فتقرر إنشاء فرع لهذا التعليم يقتصر القبول فيه على الطالبات فقط، و أطلق عليه اسم معهد الملكه عاليه و اخترت لأكون أستاذة فى هذا الفرع.

فكان عهدى الثانى فى العراق

من ذكريات معهد الملكه عاليه

من ذكريات معهد الملكه عاليه المظاهرة الرائعه التى قام بها طالباته عند ما بدت بوادر تقسيم فلسطين سنه ١٩٤٧ و شاركهن فيها طالبات الثانويه القريبه من المعهد. فقد تجمع الطالبات فى باحه المعهد و عزمن على القيام بالمظاهرة و أصررن على أن أكون معهن، و لخشيتى أن يندس فى المظاهرة بعض المندسين فيفسدون غايتها لم أجب طلب الطالبات، و لكنهن أصررن على أن أكون معهن كل الإصرار و كانت حماستهن فوق أن تقاوم، فقلت لهن ساسير معكن، و لكنى فى هذه الحال ساكون المسئول عن كل ما يجرى فى المظاهرة، و لا أحسب أن فيكن من ترضى بالاساءه إلى، لذلك سنحدد الشعارات فلا تتعدى فلسطين و قضيتها، و نحدد طرق السير فلا تتعدى شارع الرشيد و ما إليه ثم الوصول إلى دور السفارات التى أيدت العرب فى هيئه الأمم المتحده و رفضت التقسيم. فكان صوتهن واحدا بالموافقه، و قلت ساسير أنا فى أول المظاهرة فحيث اتجهت تتجه المظاهرة، على أن يكون السير فى صفوف منظمه. و هكذا كان.

و كنت بين الحين و الآخر أترك المقدمه و أرجع إلى الورا لملاحظه الهتافات، فإذا ما توجست منه قد وقع، إذ سمعت صوتا يصرخ: ما ذا تريدون؟ فتجيبه بضعه أصوات: الحريه و الخبز.

فأسرعت نحو صاحبه الصوت و بمجرد وصولى إليها كان صوتها قد انطلق: ما ذا تريدون؟ و كنت قد صرت وراءها تماما، فأهويت بكفى على رقبتها صائحا: نريد أن نخرسى.

و إذا بها ترانى فخجلت و انطوت على نفسها.

و كان من السفارات التى وصلنا إليها: السفاره التركيه، لأن تركيا يوم ذاك أيدت العرب فى رفض التقسيم، و لن أنسى حماسه الطالبات التركيات المنتميات إلى محافظه كركوك أمام السفاره التركيه عند ما وقعت

عيونهن عليها و هتافاتهن العاليه باللغه التركيه بمجرد أن رأين العلم التركي يرفرف عليها.

و طلبت إلى إحداهن أن تخطب باللغه التركيه باسمنا شاكره تركيا و أن تطلب إلى السفير رفع هذا الشكر إلى حكومته، ففعلت.

و من وحي تلك المظاهره و شده تأثرى بها كانت القصيده التاليه:

ردد على حديثه و أعد لسمعي ذكره

يا من يسائل كيف هنه أ و ما رأيت جموعه

لما مشين غواضبا يذكي العزائم مشينه

متوثبات لا تلين على الخطوب قناته

أكرم بهن و قد نفرن ثوائر أكرم بهنه

هجن الحماسه فالتطت منا النفوس المستكنه

و مشت رجال للنزال يثيرها إنشاده

إيه فلسطين الشهيده لو سمعت هتافه

و شهدت فى سوح الكرامه و الاباء ندائه

يدعون للحرب العوان و للفتوح رجاله

و يثرن بأس الثائرين إلى النضال ببأسه

إيه فلسطين الشهيده لو شهدت دموعه

يبكين لا جزعا و لكن الأسى يهتاجه

فيلدن بالدمع الغزير يرد غرب همومنه

قرى عيوننا إنهن بنات يعرب انه

الوثبات إلى الطيبي الثائرات إلى الأعنه

هن الحمائم يبعث الشجو الكمين هديلنه

فإذا غضبن فهن لبوات يصن عرينهنه

هن الحرائر مثل ماء المزن طهرا خلقهنه

و كما يضوع المسك طيبا فى المحامل ذكرهنه

هن الكرائم حى فى يوم الفخار كرامهنه

قد أنجوبهم للعلى فازدانت العليا بهنه

إنى سأذكر ما حبيت على الزمان جهادهنه

و معاهدا قد زانها آدابهن و علمهنه

هيهات تسينى الليالى المنسيات دروسهنه

و من تلك الذكريات أن طالبتين من طالبات مديه الموصل تخرجتا من المعهد و ذهبتا إلى مدينتهما على أمل التعيين فى التدريس، و كانتا من الأوائل المتفوقات، فإذا بهما تصطدمان بما يصطدم به كل الناس فى البلاد العرييه - و ربما فى غيرها - بالوساطات النافذه التى هى أكثر فعلا- من التفوق و التقدم، فتعينت رفيقاتهما المتأخرات عنهما كل واحده منهن فى بلدتها، و عرض عليهما التعيين فى أماكن نائية.

و إذا بى أفاجا بوصول الرساله الآتية إلى. و أنى لأذكرها بحروفها لما تدل كل جملة فيها على أسلوب معين و معنى معين:

حضره الفاضل أستاذنا السيد حسن الأمين الأكرم، بعد التحيه و السلام و السؤال عن صحتك و أحوالك متمنين لك حياه طيبه تحف بالنعيم و الرفاه، إننا خريجات معهد الملكه عاليه لهذا العام. لقد ضاقت بنا الأحوال و انسدت أمامنا الأبواب من جهه تعييننا، و قد لاقينا من الصعوبات أشدها فى هذه المده، فلجأنا إلى حضرتك الفاضله لتسعفنا بهذه القضيه و تمديد المساعده إلينا. و الواقع الذى شجعنا على إرسال كتابنا هذا هو سمو أخلاقك و صفاء قلبك و حنانك لأخوى تجاهنا.

و ها نحن لا نزال رهن الدار غير ملتحقتين بمدرسه ما. مع العلم أننا المتقدمات، و من حق المتقدمات التقدم و لا سيما الثانيه و الثالثه، مع العلم أن معظم المتخرجات اللواتى معنا قد عين بمراكز ألويتهن. أ من العداله أيها الأستاذ أن تتعين المتأخرات و تؤخر المتقدمات؟.

أين العداله و أين نجدها؟ عند ما نراجع الدوائر المختصه يقدمون لنا قضاءين واقعين فى أقصى الحدود العراقيه قرب الحدود الإيرانيه و التركيه. أ هذا هو جزاء المتقدمات؟ أمثال... (و هنا تذكر أن أسماء بعض الطالبات المتأخرات) قد عين فى مركز لواء كركوك منذ شهرين. أما نحن فيعدوننا من يوم إلى يوم. و لم نحصل على فائده من هذا الانتظار، و اتضح لنا أخيرا أن وعدهم فاشل و أصبح لا أمل للتعيين عندنا.

فـرجـو من أستاذنا الفاضل أن يسعفنا و يـنـجـدنا في هذا الموقف الحرج و يسعى لتعييننا في مدارس مدينتنا (الموصل) أسوه ببقية رفاقنا، و جزاء لانتظارنا و تفوقنا و لك منا جزيل الشكر و فائق الاحترام.

طالبـتـاك المخلصـتان لطفـيه مجيد لاوندفاطمه أحمد سلطان ١٩٤٦/١٢/٩

ص: ٣٣٠

لقد رأيت في هذه الرسالة ضرباً من الوفاء لا تكليفاً بمهمه متعبه، لذلك تقبلتها بكل ترحيب و عزمت على إنجاز الفتاتين مهما كلفني ذلك من جهد و مراجعه، بل و توسل.

لقد كان شيئاً طبيعياً أن ترسل مثل هذه الرسالة إلى أستاذ عراقي في المعهد، فالطالبان عراقيتان، و الأستاذ العراقي أولى بان يستنجد به في هذا الاهتضام...

أما أن تستنجد الطالبتان العراقيتان الموصليتان باستاذهن اللبناني لانقاذهما من مازقهما فهو غير الطبيعي و غير المنتظر. و لكن هذا ما وقع!.. لقد كان الوفاء وحده، الوفاء العراقي الأصيل هو الدافع لذلك.

إنني نشرت الرسالة بنصها، مع ما فيها من ثناء على، و هذا ممجوج عندي، ممجوج أن ينشر الإنسان بنفسه الثناء على نفسه، و قد يرى القارئ في الكلام الآتي شيئاً من الثناء على النفس و هو أشد مجاجه عندي. و لكني متحمل لهذه المجاجه لأنها ستوصلني إلى ذكر ما أكبره من الوفاء العراقي.

لقد تذكرت هاتان الطالبتان و هما في محنتهما ما كانت تلقاه الطالبات منى من الرعايه لأموهمن و العنايه بشئونهن، فكانت رسالتهما إعلاناً لذلك، و كان تكليفي دليلاً على أنهما تحفظان لي ذلك.

و من هنا قلت أني فهمت الرسالة و فاء لا إشغالا لي بما ينبغي أن يشغل به غيري.

فانطلقت متصلاً بكل من له تأثير من أصدقائي، فكانوا يستغربون اهتمامي بطالبتين موصليتين هذا الاهتمام الشديد، بل أن نافذا عراقياً في وزاره المعارف لم يتردد بان يتكلم بما يدل على أن من الفضول أن يهتم أستاذ لبناني بطالبتين عراقيتين.

و لم يكن الأمر سهلاً و مضى الوقت و لم نصل إلى النتيجة، و لم أجب الطالبتين على رسالتهما لأنني أردت أن يكون الجواب مقروناً بالنجاح.

و لم تحسب الطالبتان عدم إجابتي لهن إهمالاً مني، و لا خطر لهما أن طول المده ناتج عن عدم العنايه بامرهما. لذلك أرسلتا رساله أخرى كلها أمل و استحثاث.

و لما تحقق ما نريده كتبت لهما جواباً و قلت لهما لن يطول الأمر أكثر من يومين أو ثلاثه حتى يصلهما أمر تعيينهما. و قد كان ذلك.

و كانت إحداهما: لطفيه غير قويه في النحو، و كان يربكها التمييز بين (لا) النافيه للجنس و (لا) النافيه للوحده. فلم أزل بها في الدرس حتى استقام الأمر لها، لذلك ختمت كتابي متسائلاً مماًرحاً: كيف حال لطفيه الآن مع (لا)؟.

فجاءني منهما جواب تقولان فيه:

لقد تحقق رجاؤنا بفضل مساعيك فشكراً لك على عنايتك بأمرنا و ألف شكر. ابتدأنا بمباشره العمل يوم ٢١/١٢/٤٦.

ثم تسترسلان فى ثناء طويل، و أخيرا تختتمان رسالتهما قائلتين: إن لطفه لا تزال تتذكر (لا) النافيه للجنس و (لا) النافيه للوحده و الفرق بينهما و هاك أمثله على ذلك:

لا النافيه للجنس: لا خير فى علم لا ينتفع به.

لا النافيه للوحده: لا رجل فى البيت بل رجلان.

و من تلك الذكريات أن المتخرجات كن يطلبن إلى أن أسجل لهن كلمه تبقى ذكرى لعهد الدراسه، كما كان بعض من لم يتخرجن يطلبن مثل ذلك. فمما سجلته للمتخرجات هذه الكلمه:

"لطفه المفتى من الطالبات اللواتى أذكرهن بكل خير لما تجلى لى فيها من الروح الأدبيه الصحيحه، فقد لفت نظرى لأول مره عند ما كلفتها مع رفيقاتها و كن فى الصف الأول أن يصفن سفرهن و عودهن فى عطلة العيد، فكتبت عن ذلك قطعه جميله. و لم أكن أحسب أن فيها موهبه شعريه حتى فاجاتنى فى أواخر هذا العام بشعر فيه كل مزايا الشعر الصحيح.

على أن لطفه تجمع فى شخصها المتناقضات، فهى تنثر و تنظم، و لكن بينها و بين سيويه و قواعد سيويه عداء مستحكما فهى لا تبالى أن ترفع المنسوب و تنصب المرفوع، و هى بقدر ما تتذوق الأدب و تهضمه، لا تتذوق النحو و لا تهضمه!...

و إذا ما تذكرت دائما نثرها العذب و شعرها الحسن، فانى إلى جانب ذلك سأذكر دائما أجوبتها النحويه الطريفه التى لا تربطها بالنحو رابطه و لا- تجمعها به صلته!.. و سأذكر دائما أيام الصف الثانى (الفرع الانكليزى)، صف لطفه و زميلاتنا، و ما كان فى ذلك الصف من خلق كريم و أدب رفيع و كسل متواصل... "اه.

و مما سجلته لغير المتخرجات هذه الكلمه:

"تصرمت الأعوام و توالى الأيام، و ها هى السنه الثالثه فى معهد الملكه عاليه آخذه بالانسلاخ، و عما قريب تنقضى السنه الرابعه فينتشر هذا الجيل الكريم من الفتيات بعد أن يكون قد عب من موارد العلم ما عب، و غدا لا يبقى من كل هذه السنوات إلا أطياف تترأى من وراء الزمن، فايه أحاسيس يمكن أن تلتمع فى الذهن لمن قدر له أن يقف من هذا الجيل الصاعد موقف المعلم؟.

غدا عند ما نعود فنضرب فى آفاق الأرض و قد أصبح لكل منا وجهه هو موليتها، غدا عند ما يفصلنا عن تلميذاتنا ما لا يحصى من الأبعاد و الأزمان، غدا ستتذكر أنه كان لنا فى سالف الأيام تلميذات جمعن إلى رصانه الخلق رجاحه العقل، و ضمنن إلى التهذيب العلم الجم، و سنذكر أنه كان لنا بعض اليد فى إعدادهن لمستقبلهن العتيد، غدا ستكون هذه الذكرى من أحب الذكريات إلى خواطرننا.

و إذا كنت لن أنسى أيام العراق ما حييت فاننى لن أنسى - على الأخص - أيام معهد الملكه عاليه، و لن أنسى أن فتيات اللواتى ملأن نفسى ثقه بمستقبل الفئه العربيه و أفعمن جوانحي اعتزازا بها و إكبارا لها. و قد كانت نجلاء الخطيب فى الطليه.

و إذا كان لى ما أحثها عليه فهو أن لا تهمل موهبتها الأديبه و أن تعمل على استكمال قريحتها النثريه و الشعريه.

ص: ٣٣١

و لا عجب أن تجيد و هي سليه بيت طلع منه الشعر و الأدب " اه.

آخر الذكريات

قبل يومين من تاريخ كتابه هذه الذكريات كانت آخر ذكرياتي في معهد الملكة عاليه، و عند ما أقول من يومين، فليس معنى ذلك أن تاريخ هذه الذكرى يعود إلى ما قبل يومين، بل أن تاريخها يعود إلى سنين بعيدة، فكم قد مضى من سنين على تركى معهد الملكة عاليه، و كم تقلبت بى الأحوال بعد مغادرتى العراق. و مع ذلك فان هذه الذكرى تعود إلى ما قبل يومين:

فى مطلع السنه الدراسيه الثانيه فى معهد الملكة عاليه كان عدد طالبات الانتساب إلى المعهد أكثر مما يستطيع المعهد استيعابه فى الصف الأول، لذلك تقرر تأليف لجنة تتولى غربله طالبات الانتساب من حاملات شهاده الدراسه الثانويه.

و تألفت اللجنه من ثلاثه أساتذه عراقى و مصرى و لبنانى هو أنا مع وجود عميده المعهد.

و عهد إلى بسكرتيريه اللجنه فكان بيدى السجل الذى نكتب فيه أسماء المقبولات. و كانت طريقتنا فى الغربله أن نطرح أسئله عامه على الطالبه نختبر بها شخصيتها و ذكاءها و عمق ثقافتها و اطلاعها العام إلى أمثال ذلك.

و دخلت إحدى الطالبت [الطالبات] فسألناها عن اسمها فقالت: م. س. ع، و لا أريد هنا أن أصرح باسمها إذ لعلها تطلع صدفه على ما أكتبه هنا و أنا لا- أريد أن تعرف حقيقه ما جرى بشأنها، و لا بد لى من أن أقول أنها لم تكن على شىء من الجمال، فطرحنا عليها ما شئنا من الأسئلة فإذا بها تجيب أعلى إجابته، و إذا بها كذلك تتوقد ذكاء، و برزت شخصيتها القويه منذ ساعه دخولها.

و لما كان فى اسمها الذى ذكرته حرف (س) إذ أن اسم أبيها سلمان فقد ظهر أنها لا تستطيع أن تنطق (السين) نطقا صحيحا، بل تلفظها و كأنها (ثاء).

و لما خرجت أخذت القلم لأسجل اسمها بين المقبولات بعد أن أدت ما طلب إليها أداءه أحسن أداء، لاعتقادی أنها ستكون مقبوله بالإجماع، إذ كانت طريقتنا أن نقرر القبول أو الرفض باكثرية الأصوات، و كانت العميده تفضل عدم الاشتراك بالتصويت و تترك لنا نحن الثلاثة أن نقرر ما نشاء، و حتى هذه اللحظه لم تختلف آراؤنا فكانت قراراتنا بالإجماع.

و لما أخذت القلم استعدادا لتسجيل اسمها اعترض الأستاذ العراقى بشده، و قال أن فيها عيبا يمنع قبولها و ذلك أنها لا تحسن النطق بالسين نطقا صحيحا، و هى ستغدو فى المستقبل مدرسه فى التدريس الثانوى و عييبها هذا سيقبل من احترام الطالبات لها فيجب رفضها.

و انضم الأستاذ المصرى إلى الأستاذ العراقى لا لشىء إلا لأنه فى رأيه الأقوى فهو ابن البلد و أنا الغريب عن البلد، فتأييده للعراقى أضمن لمصلحته.

و أصررت أنا على قبولها و قلت لهما: لقد أدت ما يطلب منها تأديته أحسن أداء، فما ذنبها إذا كان الله قد خلق فى لسانها هذا

العيب؟ ثم لمن تتركها مستقبلاً و أنتم ترون أنها غير مقبولة للزواج على الأرجح، أ ترميها في الشارع و هي الذكيه المثقفه أحسن ثقافه؟.

و قلت لهما عن عيها: أن كفاءتها ستغطي هذا العيب، و قد كان في لسان أحد أساتذتنا في الجماعه عيب أشد من هذا العيب، ذلك أنه و هو مسترسل في الكلام يصاب فجاه بما نسميه نحن (الوأه) إذ يعجز عن النطق و تظل شفتاه تتحركان بتصويت (وأ، وأ، وأ)، و يستمر ذلك لحظات و أحيانا دقائق. و لكن كفاءته كانت فوق أن يؤثر عليها هذا الضعف و أقوى من أن تقلل من احترامه في نفوسنا.

فلم يلتفتا لذلك و أصرا و أصررت، و أكملنا عملنا و خرجنا، و خرجا هما، و هما يعتقدان بان الأمر قد انتهى و أنها رفضت باغلبه الأصوات، و خرجت أنا و أنا مصمم على قبولها بالرغم من كل شيء، إذ أن رفضها كان جريمه أعظم من أن يتحملها ضميري، و كنت مستعدا للاستقاله من عملي في التدريس إذا كان لا بد من رفضها لأنني لا أقوى أبدا على أن أكتب بيدي قرار رفضها، و صممت على تحمل مسئوليته قبولها و لو أدى الأمر إلى إغضاب العميده. و كانت الوسيله إلى ذلك هي أن أضع اسمها مع المقبولات و أتخذ في الحال إجراءات إعلان أسماء المقبولات مما يجعل الجميع أمام الأمر الواقع الذي لا يستطيع أحد نقضه.

فأول ما فعلته أن طلبت إلى أحد الفراشين أن يعلق القائمه على باب المعهد كما هي العاده، ثم أرسلت نسخا عنها إلى الصحف و إلى الاذاعه.

و في المساء كان المذيع يذيع أسماء المقبولات و فيهن (م. س. ع)، و في الصباح كانت الصحف تنشر أسماءهن و فيهن اسمها. و لكن ذلك لم يلفت الأستاذ العراقي فلم يسمع الاذاعه و لا قرأ الصحف، و إنما استرعى انتباهه في الصباح رؤيه القائمه معلقه على الباب فقرأها فإذا بالاسم الذي أصر على رفض قبول صاحبه موجود بين الأسماء فدخل صائحا معريدا قائلا بان هذه فوضى و عدم احترام للنظام، و مثل هذا الكلام، و كنت أنا أسمع صياحه مرتاح الضمير قرير العين.

و كل ما كنت أحاذره هو غضب العميده و ما يجره من مشاكل و متاعب، و لكن تبين أن العميده كانت في قراره نفسها راضيه عما فعلته بعد أن شهدت بنفسها كفاء (م. س. ع) لذلك سكتت و لم تعلن الرضا و لا أظهرت الغضب. و في نهايه العام الدراسي و إعلان نتائج الامتحان كانت (م. س. ع) الأولى بين جميع الطالبات في مختلف فروع الدراسه.

و مضت الأيام و كرت الأعوام و نسيت أسماء جميع الطالبات و غابت صورهن عن ذهني، إلا اسما واحدا هو (م. س. ع) و إلا صورته واحده هي صورتها و هي تستمع إلى محاضراتي في الدروس باصغاء و استيعاب.

و ما زالت الأيام تكرر و الأعوام تمضي، و إذا بي أقرأ و أنا في بيروت قبل يومين من كتابه هذه السطور خيرا في مجله بغداديه بان (م. س. ع) قد نالت الدكتوراه بدرجة جيد جدا من جامعه بغداد.

يوم عزمى على ترك العراق كتبت فى الصحف ما يلى:

ص: ٣٣٢

منذ أربع سنوات عند ما تناءت عن عيني مشاهد الشام و غابت معالم السهول و الجبال و احتوتني الصحراء بوحشها تلفت إلى
الوراء منشدا:

فقلت لقلبي حين خف به الهوى و كاد من الوجد الممض يطير

فهذا و لما تمض للبين ليله فكيف إذا مرت عليك شهور

و أصبح أعلام الأحبه دونها من الأرض غول نازح و مسير

و رحت أمعن في القفر الأجرد واجما مكروبا، و طفقت أمشى في البيد ساهما مطرقا أفكر فيما أنا مقدم عليه من عمل جديد و
ناى مديد حتى طلعت (الرطبه) باضوائها المتلائنه فكانت ابتسامه الصحراء القطوب و ضحكه الأمل الخابي بل كانت بادره الخير
في هذا السفر المضمنى. و قد أشرقت نفسى لاشراق الرطبه فحسبته إشراق الراحه بعد العناء و النور بعد الظلام و لم أدر أنه إشراق
عهد من أعذب عهود حياتى و تالق زمن من أحلى أزمان عيشى حتى بدت نخلات (الرمادى) و تلالأت صفحه (الفرات) و أطل
سواد (الفلوجه) و لمعت ماذن (الكاظميه) و ظهرت معاهد بغداد و ماجت غوارب دجله و زخر شارع الرشيد فكانت حياتى
العراقيه التى ينطوى الزمن و لا- تنطوى من ذهنى و تتمحى الأيام و لا- تتمحى من خاطرى و يتلاشى العيش و لا- تتلاشى من
ضميرى!.

أربعة أعوام فى العراق نزلت فيها بغداد و الحله وجبت فيها كربلاء و النجف و الكوفه و عفك و الديوانيه و الناصريه و رحلت
إلى البصره و أبى الخصيب و القرنه و الفاو و شاهدت الرافدين من ملتقاهما حتى مصبهما و تنقلت فى الغراف و حواضره و
نزلت بعقوبه و كركوك و أربيل و السلیمانیه و الموصل بل تغلغت فى صميم الأرياف و القرى فبت فى العنبيكه و وصلت إلى
شفاثا و الأخيضر.

أربعة أعوام فى العراق توالى على فكانت أزهر صفحه فى دهري و أنضر صورته فى ذهنى و أجمل مشهد فى نفسى و عند ما
أذنت هذه السنون بالزوال و مالت إلى الانطواء و عند ما ختمت حياتى العراقيه و مشيت أعاود قطع الصحراء آثبا كما عاودته
ذاهبا - إذا بي و قد (تناولت عن عيني مشاهد العراق و غابت معالم السهول و الجبال و احتوتني الصحراء بوحشها) أتلفت إلى
الوراء منشدا:

و لو قال لى الغادون ما أنت مشته غداه جزعنا الرمل قلت أعود

أ تطلب يا قلبى العراق من الحمى ليهنك من مرمى عليك بعيد

ترى اليوم فى بغداد أنديه الهوى لها مبدئ من بعدنا و معيد

و إذا بي بعد أربع سنين عند تركى (الرمادى) و تخليفى ورائى سواد الفرات أقف نفس الموقف الأليم الذى وقفته عند تركى
(ضمير) و تخليفى ورائى خضره الغوطه و إذا بالحنين الذى ملك على نفسى و أنا أفرى الصحراء قاصدا العراق يملك على
نفسى و أنا أفرى الصحراء عائدا من العراق و إذا بالشوق الذى أضناني و أنا أهجر الشام و أوم العراق يضمنى و أنا أهجر العراق

و أوام الشام و إذا بي لا أكاد أدري أين هو ترابى أفى قمم (قاسيون) و ذروات لبنان و سهول الغوطه أم هو فى قمم (حمرين) و سهول (الرافدين) و إذا بي لا- أكاد أعلم أين هم أهلى و صحبى أ على ضفاف الليطانى و بردى و الحجير أم على ضفاف الفراتين و دىالى و الغراف، فإذا ما حن الناس إلى أرضهم و أهلهم جنتت إلى أرضين و أهلين و إذا ما اشتاقوا بلادهم و قومهم اشتقت بلادين و قومين.

لقد غابت بغداد عن عيني و لكن بغداد لا تغيب عن نفسى فلا أزال أرى دجله متدفقا بين الرياض و المروج و لا أزال أبصر نخلها متمايلا مع النسائم و الأرواح و لا تزال صورها الحلوه تتعاقب فى خاطرى غضة طريه الألوان.

و لقد انطوى العراق عن ناظرى و لكن العراق لا ينطوى من ذهنى فلا أزال أشاهده ناضر الصفحه زاهر الجبين و لا أزال أتطلع إلى الرافدين يشقان أديمه الأخضر و لا- أزال أطل على ضفافهما الكاسيه العامره فأرى الدوح الفارد و الأيكة الدائح و انظر جموع الفتيان و صفوف الشيوخ و الكهول.

لقد بعد العراق عن بصرى و لكن العراق لن يبعد عن قلبى.

وداع العراق شعرا

ثم نشرت القصيده التاليه:

إنى عهدتك فى النوى متجلدا هيهات هذا اليوم أن تتجلدا

أرق الدموع فلست أول شاعر يبكى الأحبه و الديار توجدا

لمن الدموع تصونها إن لم تكن لفراقهم و لمن تجود بها غدا

و دع شذا بغداد و دع دجله و الألمعيه و البساله و الندى

لن تبصر النخل النضير و لن ترى فى الجزرتين سناءها المتوقدا

هفت النواظر للعراق فلم تبين خضر الضفاف و لا النخيل بها بدا

نات الرصافه و اختفت أعلامها و الكرخ عن عيني أوغل مبعدا

بغداد غابت و انطوى نخل الربى و الشمل شمل الأوفياء تبددا

هيهات بعد اليوم وجدك ينقضى هيهات شوقك أن يلين و ييردا

تلك الضفاف و كم مرحت بظلمها شغفاؤكم حن الفؤاد و كم شدا

النخل كالوسنان أسبل جفنه و النهر كالسكران هاج معريدا
و الورد كالجدلان يبسم ثغره و الطير كالولهان يهتف منشدا
و الظل كالهيمنان مد ذراعه شوقا و عاوده الحيا فترددا
قل للأحبه و الديار بعيده هيهات قلبي بعدكم أن يسعدا
الصبح يعلم كم هفوت مروعا و الليل يدري كم سهرت مسهدا
هذا الفؤاد المستهام بحبكم هيهات يخمد حبه إلا الردى
بينى و بينكم القفار قصيه ما أطول المسرى على و أبعدا
ما زلتم أدنا إلى و لم تزل أيامكم أهنا لدى و أرغدا
تلك الشواطئ ما نسيت عهدوها تلك الخمائيل ما جحدت لها يدا
يا نخل ما أبهاك عندى منظرا يا ماء دجله ما أذك موردا
ساطل أرسل فى هواك قصائدى ساطل بالحب الوفى مغردا
ساطل بالنخل النضير متيما سيظل قلبى فى الهوى متبغدا

نخيل العراق

ثم القصيده التاليه:

حى النخيل سهوله و هضابا و الشاطئين مضاربا و قبابا
و املاً من الحسن البهى نواظرا ظمأى إلى الحسن البهى سغابا
تهواه فى نور الخميلاه وادعا و على العباب موثبا غلابا
ظلا على الوجنات رف و منهلا و على الشفاه الحالامات سرايا

هذا النخيل و ما أدركت [أدركت] عهوده ألا أدركت أحبه و صحابا

كم قد وقفت عليه أتلو حسنه شعرا و أقرأ ضفته كتابا

يوحى الحياه جمالها و جلالها و العيش حربا و الزمان غلابا

يعلو هلى هوج الرياح و ينتخى كالثائرين مطامحا و رغابا

و يرق عاطفه و يعذب مبسما و يطيب ظلا وارفاه و رحابا

و دنا فكان على البسيطة روضه و علا فكان على السماء سحابا

و لكم نزلناه فكان على الأسى بشرا و كان على الأوام شرابا

هذا النخيل تباركت عذباته ما كان أروع حسننها الخلابا

تسمو على هام الفضاء غدائرا و ترف فى عين السما أهدابا

و تميمس فى كف النسيم عرائسا و تصول فى أيدى الرياح حرابا

يا نخل طبت على السهول مناظرا و عذبت فى أرج الصبا أطيابا

و فتنتنى فإلى ظلالك ينتمى قلبى و تهوى نظرتى إعجابا

و ملأت نفسى فى الحياه بشاشه و لطلما ملئت أسى و عذابا

أهوى على التلعات فجرك و الضحى و البدر سال على الغصون و ذابا

و أهيم بالشاطى النضير و أشتهى فى الضفتين ربيعك المخصابا

كم قد هفت نفسى إليك و ناشدت فى البعد نهرك دافقا و الغابا

يا نخل و افاك الربيع و أقبلت أسراب حسن تفتنى أسرابا

قد عاد للربوات ناظر حسننها و زهت رباع كن أمس يبابا

النهر يشدو للرياض قصائدا تنسى المغرد لحنه المطرابا

و يسير بين الضفتين مغمما و يمر مذعور الخطى و ثابا

و الزورق الغافى ترنحه الصبا فتمايل الأعطاف فيه طرابا
أهلا بمنصور الربيع و مرحبا بالزهر ينسج للرياض ثيابا
و يعيد للأرض الموات حياتها و يرد للدنيا صبا و شبابا
أيقظ على النخلات غافيه الشذا و استنهض الأزهار و الأعشابا
و أذع لنا سر الورود نضيره و انشر لنا النسرين و العنابا
أطلع لنا فى كل أرض روضه و بكل أفق من سناك شهابا
يا نخل قد طال الفراق فهل ترى بعد الفراق لنا إليك إيابا
سنظل نذكر فى رباك صحابه هيهات نبغى بعدهم أصحابا

أعذب أيام حياتى

إن أيام التدريس فى العراق كانت أعذب أيام حياتى، و لم أر قبلها أو بعدها أياما تضاهيها فى ذلك، سواء منها عهد التدريس الثانوى فى ثانويه الحله و دار المعلمين الريفية، أو عهد التدريس الجامعى فى معهد الملكة عاليه، و دار المعلمين العاليه. أستثنى من ذلك الأيام التى بدأت فيها أجزاء (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه) تبرز إلى الوجود جزءا بعد جزء، ثم اكتملت بمجلداتها الكبار، ثم طبعت طبعتها الثالثه.

لقد فاقت أيام (دائره المعارف) بسعادتها كل الأيام إذ حققت فيها حلم الحياه، و لا أزال أنعم بسعاده تحقيق هذا الحلم و أطمح إلى الاستزاده منه، بما أضيفه كل آن من زيادات على ما أنجز.

و سبب عدوبه أيام التدريس العراقيه ثلاثه أشياء:

أولاً: مطابقه العمل فى التدريس لميولى سواء منها الأدبيه أو التاريخيه.. ثانياً: ما انطبع عليه العراقيون من الوفاء. و هو الخصله التى تسمو على كل خصله فى الإنسان، فما رأيت كالعراقى وفاء، و الوفاء ينير النفس مهما أدلهم فيها من ظلام. و أنا الذى ذقت العقوق و الجحود و الغدر فى وطنى أمر مذاق، لم يكن يحلو فى نفسى شىء كالوفاء.

ثالثاً: ما لقيت من تعاملت معهم من تقدير للإخلاص فى العمل و الكفاءه فيه، و ما داموا هم مخلصين أكفاء فقد كان طبيعياً أن يقدروا الإخلاص و الكفاءه.

حين يكون تعاملك مع المدرء: عبد الوهاب الركابى، و جعفر الخياط، و رشيد سلبى و مع العميده (أمه السعيد)، فلن تشعر أبداً بالغبن.

و لكن حين يكون تعاملك مع ألفرد ثابت، و أنيس صالح، و فكتور عيسى، فستشعر بالغبن، فتسعد و أنت مدرس بعيد عن وطنك، و تشقى و أنت قاض فى صميم وطنك:

أضحكتنا و رب ضحكك بكاء فتره من زماننا عمياء

خلقت من خشاره الناس رهطا عرفت بعد خلقه الآباء

لمه من بنى الشوارع عاشت حيث عاش الأعيار و اللقطاء

حشرات طلعت من طبقات الأرض لما استتبت الظلماء

و جراثيم حين لاءمها الماء تفشى من سمهن الوباء

و شتان بين أن يكون وزير الوزاره التى ينتمى عملك إليها رجل مثل الشيخ محمد رضا الشيبى و نجيب الراوى، و بين أن يكون رجل مثل حبيب أبو شهلا.

و ما أسعدك يوم يكون النافذ فى محيطك الذى تعيش فيه رجل مثل سعد صالح، و ما أشقاك يوم يكون هذا النافذ مثل أحمد الأسعد و عادل عسيان:

و كذاك اعتلاء من ليس أهلا للمعالى مصيبه و بلاء

كيف لا ترقبن كل عثار من قصير عليه طال الرداء

مطرق إن مشى كمن شغلته لحلول المشاكل الآراء

لو تصفحته وجدت ثيابا فوق جسم كأنه المومياء

-- با كالسباخ -- ل خير جل ما فى جرابه الكبرياء

أخرجوا من المغايض زهرا و نبات المغايض الحلفاء

و كذا يبتر الرخاء خفيف الوزن من حيث لم يسعه الإناء

رب داء ترى من العار شكواه و شكوى يشنيك عنها الآباء

لقد كانت العميده أمه السعيد و المدرء عبد الوهاب الركابى و جعفر الخياط و رشيد سلبى: الواحات الخضر فى صحراء حياتى الوقيد.

و كان الشيخ محمد رضا الشيبى و الشيخ على الشرقى و سعد صالح و نجيب الراوى: الضلال الوارفه التى طالما وقتنى لوافح الهجير.

أ لا طبتم و أنتم أحياء فى دوركم و مكاتبكم، الدور و المكاتب التى كانت فيها كلمه: (أهلا و سهلا) أشهى من الماء الخصر للظامئ الحران، و التى كانت تنبعث من أعماق قلوبكم لا من مظاهر شفاهكم.

ص: ٣٣٤

و طبتم و أنتم أموات في أجدائكم، الأجدات التي انطوت على أشرف ما تنطوي عليه الأجدات من شهامة و مروءة و نخوة.

و إذا كان قد حال بيني و بينكم بعد الديار، ثم المقابر التي احتوتكم و ستحتويني، فلن يحول شيء دون أن أردد ذكركم بالجميل و أنا حي، و أن تردده هذه الأوراق على الدهر و أنا ميت.

البحث و التأليف

كنت خلال إقامتي في النباطية أعتنم بعض أوقات الفراغ فاكتب بعض البحوث التاريخية و الأدبية و أنشرها في مجله (الرساله) القاهرية الأسبوعيه، و كانت يوم ذاك أوسع المجلات العربية انتشارا، و مما نشرته فيها مناقشتي لعباس محمود العقاد في بعض ما ورد في كتابه (عبقريه الامام)، و قد بلغ من دقه تلك المناقشه و صوابها و تهذيب عباراتها، أن العقاد المعروف بعناده مع من ينتقده و شدته على من يناقشه، و عدم تحمله لأيه ملاحظه - أن العقاد هذا سلم لأول مره في حياته الأدبيه، و ربما لآخر مره - سلم بصواب ما اعترضت به عليه في العدد التالي من مجله الرساله الصادر في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٣، و جعل عنوان رده (خلاف يستحق الاختلاف)، و هذا العنوان وحده كاف بتسليم العقاد بصحة ملاحظاتي.

و صدف أن نشرت الرساله في نفس العدد الذي نشرت فيه مقالي - نشرت مقالا للعقاد يرد به على شيخ أزهري كان قد ناقشه في بعض ما ورد في كتابه (الصديقه بنت الصديق)، فحمل العقاد على ذلك المناقش حمله شعواء بقلمه الجبار، فقال بعض أصدقائي مخاطبا لي: انتظر دورك في العدد القادم!... فرددت: لا- أحسب ذلك واقعا، لأنني أظن أن العقاد إنما كان يهاجم منتقديه لأنه يستشعر من خلال كلامهم التعريض به و الإقلال من شأنه، و يعتقد فيهم سوء النيه لا حب الوصول إلى الحقيقه، لذلك كان يعاملهم بما يعاملهم، و أظنه هذه المره سيلمس العكس، و سترون... و صح ما توقعته فكان جواب العقاد منصفا كل الإنصاف... و واصلت و أنا في بغداد النشر في الرساله و في الصحف العراقيه و مجله العرفان اللبنانيه و استمرت حياتي الجديده في بغداد أربع سنين دراسيه: رأيت بعدها أن على أن لا أفارق والدي بعد أن بلغ تلك السن العاليه و بدأ الضعف يتسرب إلى جسمه، فلزمته معاوننا له في إعداد موسوعته الكبرى (أعيان الشيعة) حتى توفي بعد سنتين (سنه ١٣٧١ -).

الاتصاف الانصراف إلى البحث و التأليف

ألقت وفاه والدي على عبئا ثقيلا، فقد وجدت أمامي موسوعه (أعيان الشيعة) و قد وصل فيها الوالد إلى نهايه حرف السنين في خمسه و ثلاثين جزءا و ترك بقيه المواد مسودات أكثرها مشوش، و بعض التراجم لم يكتمل، و بعضها لم يكتب أصلا، فعكفت على تنسيق المسودات و ضمها بعضها إلى بعض و إلى إكمال ما لم يكتمل من الترجمات، و كتابه ما لم يكتب منها.

و بعد كفاح أكثر من أربع سنين نشرت الجزء السادس و الثلاثين من (أعيان الشيعة) مبدوءا بحرف الشين، و كان المفترض أن يتواصل السير مطردا، و لكنه كان كثير التعثر لما يعترضه من الصعوبات الماليه، و ظللت أكافح و أناضل حتى كمل (أعيان الشيعة). ثم خرج بعد ذلك بطبعته الحديثه الأنيقه.

و كنت مع ذلك عاكفا على مواصلة البحوث التاريخيه متخذنا من مجله (العربي) الكويتيه أوسع المجلات العربية انتشارا، مجالا

لقلمي مظهرها خفايا التاريخ الإسلامي و مصححا كثيرا من الأغلط الشائعه التي هي على عكس ما اشتهرت به، متناولا بعض البحوث التي تنشر بما فيها من الأضاليل، بالنقد و النقض، و ظل الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير (العربي) يحثني على المتابعه إذا استشعر منى تباطؤا، إلى أن توفي الدكتور أحمد زكي و قامت الأحداث اللبنانيه سنه ١٩٥٧ و انقطع خروج الرسائل البريديه من لبنان طيله سنتين كاملتين فانقطعت صلتى بمجله (العربي).

كما أخرجت كتاب (الغزو المغولي) و هو أول دراسه مستوفاه لتلك الأحداث التاريخيه الرهيبه حوى من التفاصيل و الايضاحات و التصحيحات ما جعله من أوسع المراجع للاطلاع على عصر الطاغيتين جنكيز و حفيده هولوكو.

كما أصدرت (الموسوعه الإسلاميه) و قد أردت منها أن تكون مرجعا موجزا يسهل الرجوع إليه سواء لطالب العلم و للعالم و الباحث.

و قد عنيت بتدوين رحلاتي فأخرجت من ذلك كتابا سميته (من بلد إلى بلد). و اهتمت بتاريخ (جبل عامل) الأدبي فأخرجت فى هذا الموضوع كتاب باسم (عصر حمد المحمود و الحياه الشعريه فى جبل عامل).

كما أن لى ديوانا شعريا لا يزال مخطوطا.

دائرته المعارف

الإسلاميه الشيعيه

على أن أهم منجزاتي هو إصدار دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه التي كان الدافع لاصدارها هو قراءاتي فى (دائرته المعارف الإسلاميه) التي كتبها المستشرقون بعده لغات أجنبيه ثم ترجمها المصريون إلى اللغه العربيه، فقد رأيت فى دائره المعارف هذه من الأخطاء الفظيحه التي كان الدافع إليها سوء

ص: ٣٣٥

النيه ككل ما كتبه (لامانس) اليسوعى البلجيكي (1)، و الأخطاء التي كان الدافع إليها الجهل و قله الاطلاع مما كتبه غيره من المستشرقين.

و رأيت أن مترجمي دائره المعارف إلى اللغة العربيه قد علقوا على الأخطاء المتعلقة بغير الشيعه بما يصححها، و تركوا الأخطاء المتعلقة بالشيعه بدون أى تعليق ما عدا تعليقا واحدا للشيخ أحمد محمد شاكر فى بحث التقيه كان منصفاً فيه كل الإنصاف.

بل أن بعض المعلقين المصريين لم يكتفوا بشرور المستشرقين، بل زادوا تلك الشرور شرورا بما افتروا به فى تعليقاتهم عن الشيعه.

و العجيب فيهم أنهم استعانوا ببعض شيوخ الخوارج كالشيخ إبراهيم طفيش ليعلقوا على ما كتب بشأن الخوارج، و لم يفكروا بالاستعانه ببعض علماء الشيعه ليعلق على ما كتب بشأن الشيعه، مع أن ما كتبه لامانس و غير لامانس عن الشئون الشيعيه و عن رجال الشيعه هو الأحق بالتعليق لفضاعه ما فيه و عظم افتراءاته.

هذا فضلا عن مواضع شيعيه يجب أن تكتب و تبحث فى دائره المعارف، و لكنها لم تكتب و لم تبحث.

و عند ما أخذت فى تدوين تعليقاتى وجدت أنه قد تجمع لدى ماده غزيره فحرت كيف أنشرها، و أخيرا قررت أن أصدر (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه)، فصدرت و طبعت حتى الآن ثلاث طبعات.

و هنا لا بد من الرد على الذين ظلوا يأخذون على تخصيصى المواضيع الشيعيه التاريخيه بالعنايه، و يرون فى ذلك أمرا مذهيبا، و أكتفى فى الرد عليهم باعاده نشر مقطع من الحديث الطويل الذى أدليت به لمجله (العالم)، و هو المقطع المتعلق بهذا الموضوع و هو:

و هنا لا بد لى من أن أشير إلى من طالما اعترضوا على اندفاعى للدفاع عن حقائق اعتبروها شيعيه، و رأوا فى ذلك اتجاها مذهيبا. لهؤلاء أقول:

أن الدفاع عن تلك الحقائق لم يكن لأنها شيعيه، بل لأنها حقائق، مجرد حقائق زيفها المزيفون جهلا أو عمدا، فكان دفاعى عن الحقيقه وحدها.

و الدليل على ذلك أنى دافعت بنفس الحماسه و الاندفاع عن حقائق زيفت و لم يكن لأصحابها علاقه بالشيعه كحقيقه الملك المظفر قطز بطل معركة عين جالوت. ففى أذهان الناس جميعا أن قائد المعركه هو الظاهر بيبرس.

و آخر ما قرأته من ذلك كتاب فيليب حتى و آخر ما سمعته من أسابيع هو قول أستاذ تاريخ فى بلد عربى، سال المتسابقين فى التلفزيون عن اسم قائد معركة عين جالوت فعجزوا عن الاجابه، فقال لهم: هو الظاهر بيبرس.

و هذا القول لا نصيب له مطلقا من الحقيقه التاريخيه. و من المؤسف أن كل ما يتعلق بمعركه عين جالوت قد شوه تماما. و الذى قاد المعركه بل الذى لولاه لما جرت أصلا ليس الظاهر بيبرس أنه الملك المظفر قطز.

و الواقع أننى لم أتحمس لأحد كما تحمست للملك المظفر قطز و لم أكتب عن أحد أربع مقالات كما كتبت عنه و هو ليس بشيى و لا علاقه له بالشيعه.

بل لأن هذا الرجل ظلمه التاريخ و المؤرخون بصورة فظيحه. لقد أهملوه تماما فى حين أنه هو الذى لولاه لما جرت معركة عين جالوت و هو الذى قادها و هو الذى انتصر فيها!.

و هذا مثل على تزوير الحقائق التاريخيه و على ظلم المؤرخين للرجال من أمثال الملك المظفر قطز. و أنا عند ما تبينت لى هذه الحقائق التى أوردها على سبيل المثال كان لا بد من أن أتحمس للملك المظفر قطز و إعادته الاعتبار إلى موقفه و قراره و قيادته و انتصاره فى معركة عين جالوت. مع أنه - كما قلت - ليس بشيى فالانتصار للحقيقه وحده هو الدافع.

بشاره الخورى فى مذكراته

نشر بشاره الخورى مذكراته باسم (حقائق لبنانيه)، و قد حاول فى هذه المذكرات الظهور بمظهر البطل، و لكنه عجز عن إخفاء الحقائق، فلا بد له من الاعتراف بان الفرنسيين اختاروه أداه لتنفيذ سياستهم الاستعماريه فى البلاد فعينوه أمينا عاما لحكومته لبنان، و هو يعترف بان لا قيمه لما يقرره إذا لم يوافق عليه حاكم المنطقه الفرنسى الكولونيل نياجر.

و عند ما يصل إلى ذكر اعتقال الفرنسيين لأعضاء مجلس الاداره الذى كانوا حقيقه طلاب استقلال، و رأوا بصفتهم النيابيه الممثله للشعب اللبنانى تمثيلا صحيحا أن يجاهروا بطلب هذا الاستقلال و أنهم غير مستطيعين ذلك فى ظل الحراب الفرنسيه فى وطنهم، فقرررو التسلل إلى دمشق و منها إلى حيفا ليركبوا البحر إلى أوروبا مطالبين بالاستقلال فاكشف الفرنسيون أمرهم فاعتقلوهم.

عند ما يصل بشاره الخورى إلى ذكر هذه الحادته - و كان يوم ذاك فى خدمه الفرنسيين أمينا عاما لحكومته لبنان - يقول:

"اطلعت على الوثيقه التاريخيه التى ضبطت مع الأعضاء المعتقلين، و لا- شك أنى كنت أوقع عليها بيدى لو لا احتواؤها على وجوب الخروج من لبنان و التوجه إلى دمشق لملاحقه المطالب الوارده فيها مما يثير اللبس".

بمثل هذا الدجل يريد بشاره الخورى أن يبرر خدمته للاستعمار الفرنسى فى الوقت الذى كان الأحرار يناضلون من أجل الاستقلال.

و نحن نقول له: و ما ذا منعك من أن توقع وثيقه أخرى لا- تحتوى على وجوب الخروج من لبنان و تواجه بها الفرنسيين و أنت فى بيروت دون الذهاب إلى دمشق؟!.

إن الذى منعك أنك كنت فى خدمه الفرنسيين و رجلا من رجالهم المؤتمرين بأمرهم و المنفذين لسياستهم.

١- كتب فردينان توتل اليسوعى فى العدد الصادر فى ٨٧/٥/٢٠ من جريده النهار البيروتية بمناسبة مرور خمسين سنه على وفاه لامانس ما يلى: "كتب الأيب هنرى لامانس (١٨٤٢ - ١٩٣٧) عن رجال الحملات الصليبيه فذكر الفلمند أجداده من شدوا الرحال إلى الأراضى المقدسه جنودا و أمراء و خرجوا من سهول الشمال البلجيكي، فهجروا الآل و تركوا المال و تفرقوا، و وجهتهم الجهاد فى سبيل الله و اليوم الآخر. و إن تلك العاطفه النبيله التى دفعت السواد الأعظم من رجال الغرب إلى قبر المسيح إنما هى التى دبت فى قلب الفتى، و أوحى إليه التضحيه بحياته و بما فيها من مواهب من بها الرحمن عليه، ليسير جنديا، لا بالسيف و الرمح، شان الصليبيين، و لكن بالقلم، يفتح فتوحات العلم" (انتهى). هذا ما كتبه اليسوعى فردينان توتل عن اليسوعى لامانس. و لم يكن كلام أصدق فى وصف مهمه لامانس من هذا الكلام. فالمهمه التى جرد الصليبيون سيوفهم لتحقيقها، هى المهمه نفسها التى جرد لامانس قلمه لتحقيقها. و من ذلك جميع ما كتبه فى دائره المعارف الإسلاميه.

كان من سوء حظ لبنان أن الذين قفزوا فيه إلى السلطة و استولوا على زمام الحكم في عهد الاستقلال كانوا ممن قضى حياته السابقة في خدمه الاستعمار الفرنسي مستهدفا مصالحه الشخصية، لا يفهم من المنصب إلا أنه مغنم شخصي يجب أن يفوز فيه بأكثر ما يمكن من المغنم، و أن فكره (الدوله) و التخطيط لانشائها و تركيز قواعدها على أسس سليمه تكفل تطورها من حسن إلى أحسن، أن هذه الفكره لم تكن في ذهن أحد منهم.

و في الطليعه من هؤلاء بشاره الخورى الذى سار فى ركاب الفرنسيين منذ حلوا فى البلاد، فتدرج فى وظائفهم من أمين عام إلى قاض إلى وزير للداخلية إلى رئيس للوزراء يأتى فى كل ذلك باوامرهم و ينتهى عما ينهون عنه، و يطبق سياستهم الاستعماريه التى سموها (الانتداب). و لم يعرف فى طول تلك الفتره أن كلمه (الاستقلال) خرجت من فمه، أو عن له مفهومها على بال. و ظل كذلك إلى أن انتهى الأمر إلى أن يتنافس مع إميل إده على منصب رئاسه الجمهوريه التى كانت فى ذلك الحين مجرد وظيفه كبيره تابعه لإداره المفوض السامى الفرنسى، و راح هو و إميل إده يتسابقان على كسب رضا (ده مارتيل) و ما يمثل منصبه من تسلط فرنسى، و لا يستطيع بشاره الخورى أن يزعم أنه كان له يوم ذاك برنامج يختلف عن برنامج منافسه، أو أن له شروطا تباين شروطه، أو أنه نطق بكلمه واحده تتنافى مع الاستسلام للفرنسيين. فقد كان هو و إميل إده فرسى رهان فى تنفيذ المخططات الاستعماريه توصلا إلى المناصب و النفوذ.

و كان لا بد للمفوض السامى الفرنسى (ده مارتيل) من أن يختار بين رجلية الاثنين المتنافسين، و كان ده مارتيل هذا مستهترا و كان متعلقا بزوجه أحد القناصل فى بيروت، و استطاع إميل إده أن يضمن تأييدها ففرضته على ده مارتيل، و ما ذا يهم ده مارتيل إذا كان إميل إده رئيسا للجمهوريه أو كان بشاره الخورى ما دام كل واحد منهما طوع إشارته، و لكن إذا كان فى اختيار أحدهما إرضاء للفاتنه الجميله، فعند ذلك يكون الأفضل هو اختيار من تختاره و هكذا كان ففاز إميل إده على بشاره الخورى.

و يئس بشاره الخورى من المنصب، و مع ذلك فلم يخرج عن عبوديته للفرنسيين، و كل ما فعله أنه كان يردد كلمه (الدستور)، و أى قيمه لدستور فى ظل الحكم الاستعمارى، و ما فائده العمل بالدستور الذى وضعه الفرنسيون و عملاؤهم إذا كان على العامل به أن ينفذ فى العمل به إرادة الفرنسيين!؟.

و كان ترديده لكلمه الدستور مخرجا لتخبطه بعد فشله فى منافسه إميل إده، و لو أنه كان هو الذى اختاره (ده مارتيل) لما عنت له كلمه الدستور و لا خرجت من شفثيه، و كان حلالا كل الحلال أن يسير كما سار إميل إده. و لو أن إميل إده كان هو الفاشل لوجد هو الآخر شيئا يتشبت به و يدعيه!..

و ما دمنا قد تعرضنا للمنافسه بين إميل إده و بشاره الخورى، و ذكرنا كيف أن الفصل فى اختيار رئيس الجمهوريه كان فى أيدي الخليلات الجميلات، فاننا نرى أن نذكر شيئا مما يتعلق بذاك الأمر قدر لنا أن نشارك فيه، نذكره لنرى كيف كانت تقرر مصائر الأمور. لقد كنت فى تلك الأيام مرتبطا فى العمل الوطنى برياض الصلح و كنا نعمل فى خط واحد لمقاومه الفرنسيين و محاربه انتدابهم، و كان رأينا متفقا فيما يتعلق بانتخابات رئاسه الجمهوريه، و هو أن لا- مصلحه وطنيه تدفعنا لتأييد أحد المرشحين ما دام منهجها واحدا: هو الاستسلام للفرنسيين، فوقفنا فى أول الأمر موقف المتفرجين، ثم لما تبين أن قرار دى

مارتيل قد استقر على اختيار إميل إده، ارتأى رياض الصلح أن نناصر بشاره الخورى نكايه بدى مارتيل، فلم أوافقه أول الأمر على هذه الفكرة، ثم لما رأيت أن فى رأيه بعض المنطق عزمنا على خوض المعركة إلى جانب بشاره الخورى لأشياء إلا أن فى ذلك نوعا من المعاكسه للسلطه الفرنسيه.

و كانت تربط رياض الصلح بنائب طرابلس أمين المقدم رابطه قري و صداقه متاصله، فأرسل له من ينبئه بأنه واقف إلى جانب بشاره الخورى و أنه يأمل من قريه و صديقه الحميم أن يكون له الموقف نفسه.

فأقر أمين المقدم رياض الصلح عينا و أرسل إليه أنه ليس من المعقول أن يكون له موقف يناقض موقفه، و أنه يستطيع أن يطمئن إلى ذلك و أن يطمئن من يشاء. و اتصل رياض بشاره الخورى و أنباه أنه حين يحسب أنصاره فله أن يحسب منهم أمين المقدم.

ثم أخذت الأمور تتبلور و أخذ الكر و الفر يجريان من هنا و هناك حتى استقر الحال على تعادل الكفتين. و كان المجلس مؤلفا من خمس و عشرين نائبا، فإذا إلى جانب إميل إده اثنا عشر نائبا، و إلى جانب بشاره الخورى نفس العدد، و بقى كل منهما يحتاج إلى نائب واحد ليفوز بالرئاسه، و كان النائب المجهول الموقف، و الذى لا يدري أحد إلى من سينضم فيرجح الكفه هو أمين المقدم. و كان بشاره الخورى مطمئنا إلى وعد رياض الصلح، و رياض الصلح مطمئنا إلى وعد أمين المقدم، و لما لم يبق لحلول يوم الانتخاب إلا- أيام، أرسل رياض الصلح إلى أمين المقدم طالبا إليه وجوب الحضور إلى بيروت، فأجاب أمين أنه سيحضر صباح بعد الغد.

و خطر لرياض الصلح و لجماعه بشاره الخورى أن يرسلوا إليه من يتلقاه قبل الوصول إلى بيروت و أن يوصلوه رأسا إلى بيت رياض، فتولى هذه المهمه النائب محمد العبود و خرج يلتقى أمين المقدم.

و جئنا إلى بيت رياض مبكرين بانتظار وصول أمين المقدم، و مر الضحى و ارتفع النهار و لم يصل أمين المقدم، و مر الظهر و صرنا على مشارف الأصيل و لم يصل أمين، و طال انتظار محمد العبود و من معه فملوا الانتظار و جاءوا بعد الأصيل و حدهم إلى بيت رياض، و كثر التساؤل عما أخر أمين المقدم، و بينما نحن فى حيره من الأمر، إذا بقادم حوالى الغروب، يفاجئنا بان أمين المقدم هو الآن فى بيت إميل إده، و قد وصل إليه بعيد شروق الشمس مصحوبا ببعض أعوان إميل إده الذين رافقوه من طرابلس و مضوا به رأسا إلى بيت إميل إده، و منعوا أيا كان من الاتصال به فضلا عن الإصرار على عدم خروجه من البيت...

ثم تبين أن المساعى قد حولته إلى صف إميل إده، و اختلف فى تحديد هذه المساعى فقيل أنها الضغط الفرنسي، و قيل أنها المال، و قيل أنهما معا..

و خاف إميل إده من أن يتبدل رأى أمين المقدم تبديلا جديدا، لذلك حجزه فى البيت و منع من أن يتصل به أحد.

و أسقط فى يد بشاره الخورى و يئس من الفوز، و كان لم يبق لموعد الانتخاب سوى يومين فقط. و هنا خطر لأحد أصدقاء رياض الصلح من أبناء النباطيه رأى هو أنه يمكن استجلاب بهيج الفضل إلى صف بشاره الخورى إذا أمكن أن يؤمن له مبلغ كبير من المال، و قال أن بهيجا ضعيف الشخصيه و فقير فيمكن إغراؤه بالمال، و لما عرض رياض الفكرة على أشرت برفضها، و قلت فيما قلته فى تعليل أسباب الرفض: أن ضعف شخصيه بهيج الفضل الذى يراه المشير سببا فى قبوله العرض، أراه أنا سببا فى رفضه له، و ذلك أن موقفا كهذا، و انقلابا كهذا الانقلاب الحاسم من صف إلى صف يحتاج إلى أعصاب قويه، و إرادته حازمه، و إلى رجل يستطيع اتخاذ المواقف الحاسمه، و بهيج الفضل عكس ذلك تماما.

و أصر الحاضرون على تنفيذ هذه الخطه و صادفت هوى فى نفس رياض، فلم يكن بد من تنفيذها، فأرسل رياض رجلا من قبله إلى بيت بشاره الخورى الذى ظل يتابع اجتماعاته الليليه مع جماعته فى منزله، و قال لهذا الرجل أن يقابل خالد شهاب و يعرض عليه الفكرة.

فعاد الرسول يقول أنهم مستعدون أن يدفعوا مبلغا إذا كان بهيج الفضل مستعدا أن ينتخب بشاره الخورى، و أنهم يدفعون أقل إذا وضع ورقه بيضاء أو غاب عن الجلسه.

فلما جاء هذا الجواب بقى التفكير بمن يفتح بهيج الفضل بذلك، و كان بهيج محتجزا مع المحتجزين فى بيت إميل إده و ممنوعا من الاتصال بأحد أو اتصال أحد به. و ذلك أن إميل إده خاف من الضعاف و تأثير المؤثرين عليهم فابقاهم بضعه ليال فى بيته يأكلون و ينامون و لا يخرجون...

فقال أحد أبناء النباطيه أن للدكتور بهجت الميرزا الطيب فى النباطيه تأثيرا قويا على بهيج الفضل و أنه وحده يستطيع إقناعه، و أردف هذا القول بقول آخر: و هو أن فلانا - يعينى - هو الذى يستطيع إقناع الدكتور بهجت الميرزا بالقيام بهذه المهمه.

فرفضت أنا أول الأمر هذا التكليف، و لكن رياض ما زال بى ملحا على إجابته هذا الطلب حتى اضطرتت إلى الموافقه طالبا أن يصحبنى رياض التامر الذى كان حاضرا فى المنزل.

فاستأجرت و رياض التامر سياره توصلنا إلى النباطيه و تنتظرنا فيها ثم تعيدنا إلى بيروت على أن ندفع لصاحبها خمس ليرات و رقيه. و جئنا الدكتور بهجت الميرزا، و تركت لرياض التامر أمر محادثته و إقناعه و كان رياض ذكيا فأحسن الحوار و اقتنع الميرزا بالمجىء معنا و القيام بالمهمه، و عدنا به إلى بيروت و أنزلناه من السياره فى مكان يقصد منه إلى بيت إميل إده، و قصدت و رياض التامر بيت رياض الصلح، و لما نزلنا من السياره مددت يدي إلى جيبى و أخرجت محفظه نقودى لندفع أجره السياره فلم يكن فيها إلا ليره واحده، و كان رياض قد فعل ما فعلت فلم يكن عنده أكثر مما عندى، فحزنا فى الأمر، و كان لا بد لنا من الدخول على رياض الصلح فصعدنا إليه فاستطال سائق السياره غيابنا فأطلق بوق سيارته إطلاقا متتابعا فأدرك رياض الصلح الأمر فقال: السائق لم يأخذ أجرته؟. كم هى الأجره؟.

قلنا خمس ليرات. فإذا برياض الصلح نفسه لا يملك هذا المبلغ ففكر هنيهه و نادى خادمه منزله و قال لها اذهبي إلى فلان - و

كان من آل دوغان صاحب دكان قريبه من منزل رياض - و استدينى لى منه خمس ليرات، فذهبت و عادت بالليرات الخمس.

و هكذا و نحن نحاول أن نلعب بمقدرات البلد، و أن نرشو بألوف الليرات الذهبية، كنا لا نملك خمس ليرات ورقية!..

أما ما كان من أمر بهجت الميرزا فإنه عاد إلينا خائبا، و لم نسأل عن سبب خيبته، هل لأنهم منعه من الانفراد ببهيج الفضل، أم لأن بهيجا رفض العرض.

و لما تم بعد ذلك انتخاب إميل إده كنت و رياض الصلح نخرج فى صباح ثانى يوم الانتخاب من منزله فلما بلغنا المنعطف الموصل إلى محطة الناصره، إذا بنا نرى أمين المقدم مقبلا- فى اتجاهنا، فلما وصل إلينا قال لرياض أنه قادم لزيارته، و كنا غير بعيدين عن منزل رياض فعاد معه إلى المنزل، و تركتهما أنا و غبت أكثر من ساعه و عدت إلى منزل رياض فاخبرنى بان أمين المقدم جاء معتذرا و أنه قال له: أننى حين كتبت اسم إميل إده و ذهبت لأضع و رقتى فى صندوق الاقتراع مررت بمقعد إميل إده و أريته الورقه و قلت له أنى أنتخبك لأن رياض الصلح أمرنى بذلك...

و لم يخب رياض الصلح فى موقف كما خاب فى هذا الموقف. فهو لم يكن يريد أن يتظاهر بمناصره بشاره الخورى، و لكن خصوم بشاره عرفوا ذلك، كما أن أنصار بشاره اتهموه بأنه لم يكن مخلصا فى مناصرته لهم و أن أمين المقدم لا يمكن أن يخرج على إرادته.

و جاءت الحرب العالميه الثانيه، و كانت هزيمه فرنسا و سيطره الإنكليز و حلولهم محل الفرنسيين فى سوريا و لبنان مع مشاركه لجماعه ده غول. و كان الإنكليز قد صمموا على إقامه (إسرائيل) على أن يرضوا السوريين و اللبنانيين باقامه حكم وطنى فيهما، فاثروا التعاون مع بشاره الخورى فى لبنان، و لو أن إميل إده هو الذى فشل فى الوصول إلى رئاسه الجمهوريه فى عهد دى مارتيل لكان هو الذى يختاره الإنكليز، و لمثل الدور الذى مثله بعد ذلك بشاره الخورى. و لكن صح فى بشاره الخورى قول: و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم.

و الخلاصه أن بشاره الخورى وصل إلى رئاسه الجمهوريه، و كان الحكم الاستقلالى ففهمه بشاره الخورى تسلطا شخصيا و لم تعن له فكره (الدوله) ببال، و لم يفكر لحظه واحده فى التخطيط لها، بل انصب همه على كسب الأعوان و الأنصار الذين يستطيع بهم إطاله حكمه و تركيز تسلطه. و كان طريقه فى ذلك ذى شعبتين: الأولى أن يضمن فى المجلس النيابى مجموعه يستطيع بها أن يسيطر على المجلس. و الثانيه أن يضمن فى الأوساط الشعبيه مجموعه تدعمه عند الحاجه إلى الدعم الشعبى.

و فكر طويلا- فى السير فى الشعبه الأولى فهدها التفكير إلى أن اختار فريقا من النواب الذين لا مطامح لهم إلا استغلال النفوذ فاستصفاهم لنفسه و أطلق أيديهم فى مناطقهم يفعلون ما يشاءون، يقربون من يشاءون و يبعدون من يشاءون، يعطون من يشاءون و يمنعون من يشاءون. لا سيما

ثلاثة منهم كان أحمد الأسعد أحدهم.

أما فى السىر فى الشعه الثانىه فكانت إغداق الأموال على المحاسىب و الأنصار و إباحه أموال الدوله لهم، و إليك مثالا عما عرفناه مما كان يجرى:

فقد حدثنى أحد كبار المقاولىن الذىن كانوا يتعهدون تنفيذ مشاريع الدوله الكبرى فى شق الطرق، و هو بقاعى أنه أعلن عن إجراء مناقصه لمشروع ضخم تقدر نفقاته بالملاىىن، فتقدم كعادته للاشتراك فى المناقصه، فجاءه بعض المنتمىن إلى الحكم يطلب إليه بان لا يشترك، فقال كيف لا أشارك و هذا عملى، فقال: إنى أنصحك بان لا تشترك، فقال: إنى لا أقبل نصيحتك و ساشترك، فتركه و مضى...

و فى اليوم الثانى استدعاه وزير الأشغال العامه و كرر عليه النصيحه فأبى قبولها، فقال الوزير - و كان يومئذ أحمد الأسعد -: إنى أقول لك بصراحه تامه: أنك إذا أصررت على الاشتراك فى هذه المناقصه، فستحرم منها حتما، و ستحرم فى المستقبل من الاشتراك فى أىه مناقصه، و سنجد ألف وسيله لحرمانك.

فتمللم المقاول و تضجر و استنكر. فقال له الوزير: افهم ما أقول لك، و لأنك شيعى مثلى و يهمنى أمرك و لا أريد لك أن تخسر المقاولات فى المستقبل فانى أزيدك صراحه: إن لمسئول كبير فى الدوله رجلا يريد أن يغدق عليه مبلغا كبيرا من المال، و هذه أفضل طريقه لتحقيق ذلك، فيتقدم وحده للمناقصه بدون منافس، و بذلك يحصل على المال بأسلوب قانونى لا مؤاخذه فيه... أفهمت الآن؟ فقال: لقد فهمت... ثم انسحب من المناقصه، ورسا المشروع على المحظوظ وحده، و فاز بالملاىىن بأسهل طريقه!..

أحمد الأسعد و عادل عسىران

قلنا أن بشاره الخورى اختار فريقا من النواب لا سيما ثلاثة للسىر فى الشعبه الأولى من طريقه و أن أحد أولئك الثلاثة كان أحمد الأسعد.

و هنا لا بد من بعض الحديث عما كان من أمر هذا الشخص و أمر منافسه عادل عسىران، و عما عاينا به فى جبل عامل، و ما جنياه على هذه البقعه العزىزه.

و من العجائب أن سلفى هذين الاثنىن و هما كامل الأسعد عم أحمد الأسعد، و عبد الله عسىران والد عادل عسىران قد اتفقا على الخيانه فارتكبا مجتمعىن جريمه من أقذر الجرائم هى وشايتهما أثناء الحرب العالميه الأولى بالزعيم العربى المناضل عبد الكرىم الخليل عند جمال باشا و ترتىبهما من يشهد عليه و يدينه، مما أدى إلى شنقه مما لىس هنا مكان تفصيله.

ثم اختلف خلفاهما حين آل الأمر إليهما على اقتسام الغنائم و الاستئثار بالأسلاب و تنابذا و تعاديا فى ذلك، فشقى بهما جبل عامل و ضاعت حقوقه و اهتضم أهله و امتهنت كرامته على أيديهما.

لقد سلط بشاره الخورى أحمد الأسعد على جبل عامل و حكمه فى البلاد و العباد و وضع كل قوى السلطه فى خدمته للانتقام من كل من يقف فى وجهه.

فكان من فظائع بشاره الخورى أنه سلط على بقعه مليئه بذوى المروءه و النخوه و الشهامه و كرم النفس، سلط عليها من هو صفر من هذه الصفات:

لو لا زمان خثون فى تصرفه و دوله ظلمت ما كنت إنسانا

شر العصور و فى العصور تفاوت عصر به تتقدم الأوغاد

و لم تكن أى معامله تجرى فى دوائر الحكومه لأى إنسان إذا لم يأت بتوصيه من أحمد الأسعد، فطغى هذا و بغى، و قد كان يمكن أن يستغل هذا الموقف لمصلحه البلاد و أهلها، و لكنه كان أتفه من أن يفكر فى ذلك!.

و بينما لم يستطع أحمد الأسعد فى أول انتخابات حره تجرى فى البلاد فى ظل الحكم المزدوج إنكليزيا و فرنسايا خلال الحرب العالميه الثانيه لم يستطع إلا أن يكون واحدا من قائمه تضم سته نواب، و لكى يتضح لك الأمر يكفى أن تعلم أن القائمه كانت تضم كلا من محمد الفضل و على العبد الله و عادل عسيان و كاظم الخليل و رشيد بيضون، و ليس بين هؤلاء واحد يمكن أن يكون محسوبا على أحمد الأسعد، بل كان كل واحد منهم مستقلا بنفسه عن الآخرين. بينما كان الأمر كذلك فى أول انتخابات حره، إذا بالأمر ينتهى بعد أن سلط بشاره الخورى أحمد الأسعد على البلاد و العباد أربع سنوات إلى أن الذى جاء فى الانتخابات الحره منفردا، يجىء فى هذه الانتخابات على رأس قائمه من المطاويح ينجح كل أفرادها و يسقط خصومه كلهم!...

و عند ما سقط بشاره الخورى و جاء عدوه كميل شمعون، قرب إليه عادل عسيان منافس أحمد الأسعد، و سلطه على البلاد و العباد تسليط بشاره الخورى لأحمد الأسعد، و إذ بأحمد الناجح على رأس قائمه فى انتخابات بشاره الخورى، يسقط فى انتخابات كميل شمعون، و ينجح عادل عسيان.

و كما طغى و بغى أحمد الأسعد فى عهد بشاره الخورى، طغى و بغى عادل عسيان فى عهد كميل شمعون.

و ضاعت البلاد و مصالحها و كرامتها و كرامه أبنائها بين الطاغيين الباغيين.

و قد كان فى جبله عادل عسيان فى الأصل جبروت و تكبر و عجرفه و غرور، ثم جاءه المنصب فزاده ذلك على هذه الصفات استعلاء على الناس، لذلك تحاماه كل من يحس بكرامته و شخصيته، مثلما تحاموا منافسه أحمد الأسعد.

و قد اضطر أحد الكرام بعد أن أوقعه الزمن فى متاعب لم يكن له قبل بها، لأن يلجا إلى عادل عسيان مستنجدا به، و كان هذا الكريم شاعرا فعاد بخيبته من عجرفه عادل و استعلائه و جبروته، عاد ناظما هذه الأبيات الثلاثه:

علقت آمالى على عادل فلم أجد عدلا و إحسانا

أوقفنى الدهر على بابه و الدهر قد يوقف أحيانا

فرحت استعطف ذا غلظه و أسال اليسر "عسيرانا"

و هذا هو شان العاملين يكون الشعر حاضرا عندهم فى كل ما ينوبهم من أحداث.

ص: ٣٣٩

و لم تكن هذه الأبيات الثلاثة هي كل ما قاله شعراء جبل عامل في عادل عسيران، فقد سبق له أيام كان مضطهدا من بشاره الخورى أن كان يصاحب الشاعرين موسى الزين شراره و عبد الحسين عبد الله، فلما تولى كميل شمعون و زال عنه الاضطهاد و أصبح رئيسا للمجلس النيابي، صدف أن كان الشاعران يقفان معا، فإذا بهما يريان سياره عادل عسيران [عسيران] مقبله باتجاههما، فكان من الطبيعي عندهما أن يحييهما متذكرا مواساتهما له في أيامه الماضيه، و لكنه مر دون أن يلتفت إليهما و دون أن يتنازل فيحييهما و لو من بعيد، فارتجل عبد الحسين هذين البيتين:

أيا سياره المغرور سيري ففي مسراك (طن) من غرور

لقد مر (الرئيس) و لم يسلم على موسى و لا العبد الفقير

و كما كان عادل عسيران موضوعا للشعراء العاملين، كان كذلك أحمد الأسعد، و يؤسفني أن لا يحضرني الآن شيء مما قيل فيه (1) و مما يختلف فيه أحمد الأسعد عن عادل عسيران أن أحمد الأسعد كان مقرا بقدر نفسه فلا يتفهبق و لا يتشدد بالوطنيه، في حين أن عادل عسيران كان في أول المنتخبين لمرشح الصهاينه و مرشح رئيسهم (بيغن) لرئاسه الجمهوريه اللبانيه (بشير الجميل)، فعل ذلك عادل عسيران [عسيران] لأنه توهم أن النفوذ الاسرائيلي سيبقى هو المسيطر، فمصالحه تقضى بالسير في الركاب الاسرائيلي.

ثم لما عرض ما سمي باتفاق (١٧ أيار) على المجلس النيابي، كان عادل عسيران في أول المسارعين إلى الموافقه عليه، و هو الاتفاق الذي يعترف باسرائيل و يقر الصلح معها و بحكم نفوذها على لبنان.

ثم لما جلا الاسرائيليون عن لبنان و استعاد السوريون نفوذهم عليه إذا بعادل عسيران منتخبا مرشح الصهاينه لرئاسه الجمهوريه و المعترف باسرائيل الداعي إلى الصلح و التعامل معها و أحكام نفوذها على لبنان، إذا بعادل عسيران هذا، يعود متشدقا متفهبقا بالوطنيه.

و لم يسكت الشبان الوطنيون المناضلون على فعله عادل عسيران فهاجموا مكتبه في بيروت مع مكاتب و بيوت غيره من رموز الخيانه و أحرقوها.

ندوات أدبيه في شقرا

كانت قد أقيمت في بلده شقرا حسنيه كبيره رحبه، فرأيت أن نتخذ منها قاعه محاضرات، فكنت بين الفينه و الفينه أدعو أبناء القرى المجاوره إلى حضور محاضره فيها تتعلق بتاريخ جبل عامل الأدبي و السياسى.

و في إحدى المرات دعوت إلى مهرجان شعري عاملى احتفالا بمرور ألف عام على ذكرى الشريف الرضى. فاحتشد لذلك مجموعه من شعراء جبل عامل الشبان، و توسعنا في الدعوه لحضوره توسعا كبيرا، و كان مأمولا أن يكون من أعمار المهرجانات الشعريه العرييه و أبعدها صدى.

و قبل اليوم الموعود لاقامه المهرجان بيوم واحد، و بينما كنت فى الصباح فى بيروت أعد حقيبتى للذهاب إلى شقرا للاشراف على إعدادة إذ بانباء الصباح تذيع أن اجتياحا إسرائيليا للحدود قد بدأ، و أن الاجتياح قد تجاوز قرى الحدود موعلا فى أعماق الجبل، و كانت شقرا فيما شمله الاجتياح، و هكذا تعطل المهرجان، و كنت قد أعددت كلمه الافتتاح و أعقبته بالقصيده التاليه:

شقراء ما برح الهوى غلابا شقراء ما زالت نواك عذابا

هذى التلال الخضر كم لذ الهوى فيها و كم عذب النضال و طابا

(و الحومه) الخضراء و الوادى و ما ضمت خياما فى الذرا و قبابا

و ظلال (شواثا) و من ساروا بها (أسراب حسن تفتفى أسرابا)

شقراء أن تغب الجسوم فإنما شوق الأحبه فى النوى ما غابا

يتلفتون لعل فى أرج الصبا من واديبك على الصباح ملابا

و لعل منك على البعاد تحيه و لعل منك على الكتاب جوابا

شقراء ما زلنا بحبك فتيه متوقدين حماسه و شبابا

إن شاب هذا الشعر هما فالهوى غض و قلبى فى المنى ما شابا

شقراء كرمت (الرضى) و طالما كانت رباعك للرضى مثابا

ص: ٣٤٠

١- مما يذكر لراشد عسيران شقيق عبد الله عسيران و عم عادل أنه وقف موقفا نبيلًا كله رجوله و شهامه حين أرادته السلطات التركيه أن يشهد على عبد الكريم الخليل و رضا الصلح أمام المجلس العرفى فى عاليه، فقد أبى أن يتهمهما و نفى ما نسب إليهما و أصر على براءتهما. و قد كان اعتماد السلطات فى تسميته للشهاده أنه شقيق عبد الله، و على أن عداء شديدا كان قائما فى صيدا بين آل الصلح و آل عسيران. و لكن راشد عسيران أبى إلا أن يكون رجل المروءه و النبيل فتمرد على السلطات و وقف إلى جانب الأحرار. و كم لهذا الرجل الذى عاش فى الظل من مكرمات...

كم غرد الشادى به و لكم هفت فى نادىك قلوبنا إعجابا

فهنا على الذروات رف قصيده و هناك فى الندوات شع كتبا

و هنا تفرق بالهوى أغروده و هنا تالق بالآباء شهابا

فى الليل للسمار منه منادم يجلو الهموم و يطرد الأوصابا

و يعيد للقلب المشت يقينه و يرد للغاوى هدى و متابا

هو فى الهدايه و التقى علم الذرا و هو المجيب إذا الصريخ أهابا

هو فى القريض مناره السارى إذا عم الظلام و كل نور غابا

هو فى الالباء إذا النفوس تخاذلت طود يظل إلى العلى و ثابا

شقراء كرمت الرضى و طالما كان الرضى لكل فضل بابا

تلك الحجازيات و الغرر التى كانت لكل متيم محرابا

شقراء كم غردتها أنشوده و تلوتها فى الناديين خطابا

و لكم بكيت لدمعه فى كربلاء يرثى الهدى و الأهل و الأصحابا

أهلا بالويه القريض و مرحبا بالوافدين أحبه و صحابا

فى المؤتمرات العلميه

دعيت للمشاركة و المحاضره فى بعض المؤتمرات العلميه منها:

١ - المؤتمر العلمى العالمى الذى دعت إليه جامعه خراسان فى مدينه (مشهد) لمرور ألف سنه على ميلاد أبى جعفر الطوسى و قد حضرته وفود من أنحاء العالم الإسلامى و من المستشرقين و أساتذہ الجامعات الغربيه المهتمين بالدراسات الإسلاميه و حضره من المغرب علال الفاسى السياسى المعروف، و قد بالغ منظمو المؤتمر فى تكريمه و العناية به، و خرجوا على الأصول المتبعه فى مثل هذه المؤتمرات بان يتولى رئاسه كل جلسه واحد من وفود البلدان المدعوه، فجعلوه رئيسا دائما للمؤتمر. و لكنه مع ذلك لم ينس أنهم يخالفونه فى المذهب فلم يسلموا منه. فقد حاضر فى إحدى الجلسات عالم كندى متخصص بالدراسات الإسلاميه فأبدى إعجابه ببعض الأفكار الشيعيه، فاغضب هذا الكلام علالا فلم يملك نفسه من أن يعلق على كلام المحاضر محاولا نقضه.

و صادف فى إحدى الجلسات أن كانت فى يوم جمعه، و قبيل حلول موعد الصلاه طلب أحد العلماء الايرانيين الحاضرين رفع

الجلسه لأداء صلاة الجمعة فرجع علال الجلسة و طلب إلى الحاضرين الالتقاء جميعا لحضور الصلاة فذهبنا جميعا و معنا علال و كان بيننا مندوب يمانى و كان مسرورا بهذا المؤتمر و مشاركته فيه و متعاطفا كل التعاطف مع منظميه، و كان مرتاحا كل الارتياح للانتباه لموعد صلاة الجمعة، و كان علال قد ألفه فكان يبوح إليه بالكثير مما فى نفسه، و مما أسر به إليه أنه بعد الانتهاء من صلاة الجمعة عاد إلى الفندق فأعاد صلاته.

هذا و فى مذهب علال الفاسى أن الصلاة تصح وراء البر و الفاجر و لكنها لم تصح عنده وراء الامام الشيعى.

و قد كان وقع كلام علال أليما فى نفس صديقه اليمانى، فلم يستطع إخفاءه عنى.

لقد نجح المؤتمر كل النجاح، و كان موضع إعجاب جميع المنصفين، و كان للشيخ محمد واعظزاده الخراسانى أمين عام المؤتمر فضل كبير فى هذا النجاح. ٢ - الملتقى التاريخى الذى دعت إليه وزاره الثقافه التونسيه لدراسه التاريخ الفاطمى، و انعقد هذا اللقاء فى مدينه (المهديه) العاصمه الفاطميه التى بناها الخليفه الفاطمى عبد الله المهدي، و سمى لقاء (القاضى النعمان) و هو عالم الدوله الفاطميه و قاضيهها.

و قد حدث لى شىء طريف فى وصولى إلى العاصمه تونس. فقد حددت للسفاره التونسيه فى بيروت يوم سفرى بعد أن طلبوا منى ذلك ليخبروا به تونس، و ليكون مندوب منهم فى وداعى. و كنا فى تلك الأيام نعيش الأحداث اللبنانیه الأليمه و دوى الرصاص ينطلق من كل مكان، و فى فتره هداً فيها الدوى و كان ذلك قبل الموعد المحدد لسفر الطائره بساعتين، رأيت أن أبكر فى الذهاب إلى المطار فذهبت و أنهيت معاملات السفر ثم مضيت إلى قاعه المسافرين. و بعد ذلك جاء مندوب السفاره فلم يجدنى بين المسافرين المتهيين لانتهاء معاملاتهم، فاعتقد أنى عدلت عن السفر فى هذا اليوم فرجع إلى السفاره دون أن يرسل (التلكس) إلى تونس منبثا بموعد وصولى (١) و لما هبطت فى مطار تونس لم أجد أحدا فى انتظارى فتعجبت من ذلك و رأيت شرطيا فقصصت عليه الأمر فمضى بى إلى رئيسه فى مخفر المطار الذى رحب بى و اتصل بمحافظ المطار - كما يسمونه هناك - فدعانى إلى مكتبه و لا أدرى مع من تهاتف، ثم قال لى بكل أدب: أنهم يسألون هل معك بطاقة الدعوه، فسألته مع من تهاتفت؟ فقال مع رؤسائه. فقلت أن الأمر لا يتعلق برؤسائك، إنه يتعلق بوزاره الثقافه.

و كان قد مضى علينا أكثر من ساعتين فى أخذ و رد، و كان المساء قد دنا، و لا أحد من وزاره الثقافه بمكتبه، و لا أدرى بمن أتصل بعد ذلك، ثم قال لى: بعد قليل يكون هنا مندوب وزاره الثقافه و هم يأسفون جدا لما حصل، ثم وصل المندوب معتذرا متعجبا من عدم وصول الخبر إليهم، ثم مضى بى إلى الفندق، و قال أن مكان انعقاد الملتقى هو مدينه المهديه و ستاتى فى صباح الغد سياره لتوصلنى إلى المهديه.

و فى الصباح سافرت إلى (المهديه) و أنزلونا فى فندق (المهدى).

و كان التونسيون الذين لقيتهم سواء فى العاصمه أو فى المهديه على أعلى درجات التهذيب و اللياقه و الكياسه.

و لقد شعرت فى المهديه و فى فندق المهدي بانسراح نفسانى كبير، و عدت إلى الماضى البعيد إلى العصور الأولى للدوله الفاطميه لا سيما عصر الخليفه العظيم المعز لدين الله و عصر شاعره المبدع محمد بن هانى الأندلسى.

هذه الدوله التي لم تلق دوله من ظلم الناس مثلما لقيت، و يكفى أن أعدى أعدائها هم الذين كتبوا تاريخها فسعوا إلى طمس فضائلها و تشويه محاسنها و اختلاق المساوى لها.

و كنت عند ما أسير فى شوارع المهديه و أتذكر أن هذه الدروب كانت دروب المعز و هذه المسالك هى التي كان يسلكها، و أنه من هنا انطلق لتحقيق الوحده العربيه الكبرى التي حققها هو و من تلاه، محاولا أن يعيد بها وحده العالم الإسلامى.

ثم أتذكر كيف أن الجيش الفاطمى قد استرد من البيزنطيين ما احتلوه فى شمال بلاد الشام، ثم ردهم فى محاولاتهم المتكرره لاحتلال بلاد الشام

ص: ٣٤١

١- عرفت ذلك بعد رجوعى إلى بيروت.

كلها، ثم صدهم مرتين عن محاولتهم الوصول إلى القدس.

و أتذكر الأسطول الفاطمي العظيم الذي أصبح سيد البحر المتوسط فهزم البيزنطيين في البحر كما هزمهم الجيش في البر.

و أتذكر قصائد ابن هاني في وصف المعارك البريه و البحريه و انتصاراتها العظيمه، لا سيما قصيدته في وصف الأسطول، و قصيدته في معركة (المجاز).

و أتذكر أن كل ذلك كان انطلاقه الأول من هنا من المهديه، من بين هذه البيوت المتراصه حولي، و من على هذه الطرق الممتده أمامي.

ثم أتذكر ذلك الوهج العلمي المتألق الذي شع على العالم الإسلامي من قاهره المعز و الذي عبر عنه المؤرخ المصري الدكتور محمد كامل حسين بقوله في بعض ما قال: (فالقاهره الفاطميه أصبحت مطمح أنظار العلماء، و محط رحال الطلاب. و في العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامه العالم الإسلامي في الحياه العلميه).

و أتذكر أن الشعاع الأول لكل ذلك قد انبثق من هنا من هذه المدينه التي أسير الآن في دروبها.

ثم أتذكر ما جناه الجانون على ذلك التاريخ باحقادهم و عصبياتهم و افتراءاتهم، فيتجاذبنى في المهديه عاملان: عامل الزهو بوقوفى على مرابع الفاطميين الأولى، و عامل الأسي على ما انصب على تاريخهم المجيد من ظلم و بغى.

و انعقد اللقاء في جلسته الأولى، و كانت السفاره التونسيه قد سلمتني قائمه بعناوين الموضوعات التي ترى وزاره الثقافه أن يبحثها المحاضرون، فاخترت منها هذا العنوان: (المهديه قاعده حكم و عقيدته).

و جعل المشرفون على اللقاء محاضرتي المحاضره الأولى حيث افتتحوا بها الملتقى، فتحدثت فيها بايجاز لا يسمح الوقت بأكثر منه عن المهديه قاعده الحكم و العقيدته مدعما أقوالى بما لا يستطيع نقضه من الوثائق التاريخيه الثابته.

و لم تكن قاعه المحاضرات واسعه لأن الدعوه كانت مختصه بطبقه معينه من المثقفين لا سيما في التاريخ. و أشهد أن الحاضرين قابلوا المحاضره بمنتهى التقدير و صفقوا لها طويلا معترفين بحقائقها المجلوه أمامهم، و قد جرى بعدها نقاشات طويله كانت تستزيد التفصيل في بعض ما أوجزت به فأزيد تفصيلا و إيضاحا.

و كان بين شهود الملتقى وزير الداخليه طاهر بلخجه لأنه من أهل المهديه، فدعانا إلى وليمه فخمه، و تنوع الحديث فقلت موجهها الكلام إليه في الدرجه الأولى: أنه لشيء مسر أن تنتبه تونس إلى تاريخ الفاطميين فتحاول إنصافه و من أولى منها بذلك، و عسى أن يكون هذا اللقاء الخطوه الأولى في سبيل الإنصاف.

فلم يعجبه هذا الكلام و رد عليه: بان في الأمر سلبيات و إيجابيات.

فلم أشأ أن أساله عن هذه السلبيات لأنى أعرفها حق المعرفه، و هى سلبيات لا يمكن تحويلها إلى إيجابيات بعد أن ترسخت في

النفوس مهما كان لديك من حجج دامغه. و أدركت عقم البحث فسكت.

و دعانا والى المهديه إلى وليمه حضرها رئيس الجمهوريه الحبيب بورقيبه، و كنت قد لقيته سنه ١٩٤٧ فى بغداد فى حفله تكريم أقامتها له نقابه المحامين حين كان يطوف البلاد العربيه فى سبيل استقلال تونس فتحدثنا هناك مليا و قارنا بين الاستعمار الفرنسى فى سوريا و لبنان و بينه فى تونس، و قلت له يوم ذاك: أرجو أن نلتقى فى تونس و قد نالت استقلالها.

و كان الفرنسيون قد رفضوا إعطائى سمه دخول (فيزا) عند ما طلبتها و أنا فى باريس، فقلت له: سيأتى اليوم الذى أطلب فيه هذه السمه من السفاره التونسيه و أدخل تونس.

و لم أشأ و نحن على المائده و كنا نجلس متقابلين أن أذكره بهذا لأنه اليوم فى عالم آخر لا يذكر فيه شيئا من ذلك الماضى.

و تذكرت ما جرى للأديب العراقى مشكور الأسدى الذى كان فى القاهره طالبا فى جامعته عند ما كان الحبيب بورقيبه لاجئا إليها، شريدا معدما يكاد لا يجد قوت يومه، و كيف أنهما تحابا و تصافيا فكان الحبيب يلزمه و لا يفارقه لا سيما على وجبات الغداء التى لم تكن تتجاوز يوميا صحننا من الفول المدمس الذى كان الحبيب يرى حصوله عليه نعمه يتمنى دوامها.

و قد كان مشكور الأسدى مغتبطا بما صار إليه رفيقه القديم من رئاسه و نعيم و نفوذ، و كان يمنى النفس بان يزور تونس يوما ليرى رفيق البؤس فى أسعد أيامه.

و جاءت الفرصه و ذهب مشكور فى مهمه صحفيه فاعرض عنه الحبيب و تجاهله، لأن رؤيته له و مجالسته تذكره بالأيام السود و هو لا يريد أن يتذكرها.

٣ - مؤتمر أدباء العرب و مهرجان الشعر العربى الذين انعقدوا معا فى بغداد، و قد دعيت إليه شاعرا لا ناثرا فألقيت فيه قصيده باسم لبنان هى الآتيه:

حب يظل على المدى متجددا و هوى يعود به الوفاء كما بدا

بغداد يا حلم النفوس إذا هفت شوقا و يا لحن المحب إذا شدا

الوجد فيك كما عهدت و لم يزل شوق الأوجه ما عرفت توقدا

من رافديك كما تبسم دجله عبر الضحى و كما الفرات تنهدا

بالحب بالعهد الوثيق و بالوفا صبغنا القلوب موده و الأكبدا

كم كان طيفك للأوجه مسعفا إن لجج شوقهم و ذكرك مسعدا

هذى العروبه فى مواكب زحفها هبت إليك تجمعا و تحشدا

صوت من الأدب الرفيع يشدهم و نداء صدق فى حماك تردددا

صوت (الرضى) إذا ترنم بالهوى و إذا استجاش إلى الوغى و إذا حدا

صوت تردده الشعاب و تنتخى قمم الجبال تحفزا و توعدا

للثار للمجد المهيض لساعه فى ضفه الأردن تنتظر العدا

يا هاتفا فى الواد عز مجيبه و مناديا فى السفح طال به النداء

من ضفه الأردن يصرخ داعيا و من المهامه و الذرا مستنجدا

من مطلع (النقب) العزيز مذلا بيد العدا و من الحمى مستعبدا

من أربع هانت فلا متصبر بعد الهوان بها و لا متجلدا

يا هاتفا ما الياس يخفت صوته و مناديا للثار ما نادى سدى

ص: ٣٤٢

لن يشرب النقب الرحيب و يرتوى يوما بغير دم اليهود مبدا
تلك الربوع المعرقات عروبه تأبى لها النخوات أن تنهوا
هذا العراق و ما رأيت كمجده أبقى على مر الزمان و أخلدا
سل فى البيان العبرى أ مثله من رتل الآيات فيه وجودا
البصره الفيحاء أبصر ثغرها فى ظلمه التاريخ يلمع فرقا
و جرير يهتف بالغرام و ينثنى صوت الفرزدق بالمفاخر منشدا
كانت على الأيام أسطع كوكب علما و أزهاه تقى و تعبدا
أنى لأسمع فى الخيال هتافها و أرى مواكبها تؤم المرابدا
و الكوفه الخضراء ألمح وجهها عبر الزمان نضاره و توردا
فى كل زاويه تريك حضاره و بكل ركن ثم تبصر معهدا
رعت البيان فضيله و محبه و حوته حين حوته فى الدنيا هدى
يا كوفه الجند استطالت عزه و شات طريفا فى الحياه و متلدا
جددت سالفه المنابر شاعرا فذ القويض و ناثرا متفردا
من قبيك و من منارات العلى شعت على الكون الهدايه فاهتدى
حيث أرضك مهطعا لجلالها و لثمت تربك خاشعا متعبدا
متخيلا نور (الامام)، و وجهه جلى بمشرقه الضلال و بددا
أعلى ميادين الكفاح بطوله و أنار داجيه الظلام تهجدا
أرنبو إلى الأطلال عل بها سنا من نور غرته و عل بها صدى
إنى لأستوحى الطلول فخارها شرف الكتاب و مجده و السؤودا
و الألمعيون استفاض حديثهم بحرا تدفق بالمعارف مزبدا

متحلقين على الحقيقه ما رأوا فى دهرهم إلا الحقيقه مقصدا

ذكرى (على) فى رحابك غصه و سبيل نهجك لا يزال موطدا

لا تتركى القصد القديم فر بما كان القديم تقدما و تجددا

و فى هذا المهرجان لقيت الشعر اليمانى الزيدى إبراهيم الحضرانى فأنست به كل الأنس، و عرفت منه الكثير من شئون اليمن، و مما عرفته شيوع قصيده (الأزريه) هناك و أن الكثيرين يحفظونها عن ظهر قلب و قد أنشدنى هو ما يحفظه منها.

كما أنشدنى قصيده تمثل حنين اليمنيين إلى النجف و من فى تراه و أتذكر منها هذين البيتين:

آن أن تلثم الشفاه البقاعا بعد أن شأقت القلوب سماعا

قد رضعنا هوى مغانيك أطفالا و همنا بها أفاعا

٤ - المؤتمر الإسلامى العالمى الذى دعا إليه الداعى الفاطمى محمد برهان الدين أمام البهره فى بومباى بالهند.

و البهره هم بقايا الحكم الفاطمى الذين انتقل معظمهم إلى الهند و استقروا فيها و صار اسمهم (البهره) و رئيسهم سلطان البهره. و السبب فى تخليهم عن اسم (الإسماعيليين)، أن الذين انشقوا عن الفاطميين بقياده الحسن الصباح، ثم خرجوا عن العقيدته الإسلاميه بالغائهم الواجبات الإسلاميه و إدخالهم فى عقيدتهم ما يتناقض مع الإسلام، و الذين عرفوا فى الماضى باسم (النزاريين)، ثم فى هذه العصور باسم (الآغاخانيين) - إن هؤلاء قد انتحلوا اسم الإسماعيليين و اشتهروا به و أصبحوا لا يعرفون إلا به، و هم على ما هم عليه من العقائد المتناقضه مع عقائد الفاطميين و إسلامهم و مذهبهم، لذلك رضى بقايا الحكم الفاطمى باسم (البهره) ابتعادا عن النسبه إلى من انتحلوا اسم الإسماعيليين.

و الحقيقه أن هؤلاء الإسماعيليين (النزاريين)(الآغاخانيين) كانوا من أكبر العوامل التى أستغلها المستغلون لتشويه عقيدته الفاطميين، إذ نسبوا إليهم عقائد النزاريين فى حين أن النزاريين كانوا أعدى أعداء الفاطميين و فى حين أن عقيدتهم ظهرت بعد زوال الفاطميين.

و كانت دعوه سلطان البهره لعقد هذا المؤتمر الإسلامى الكبير محاوله لتبيان حقيقتهم، فحشدوا له من استطاعوا حشده من كبار رجال الفكر الإسلامى و حسبك أنه كان من حاضريه شيخ الأزهر الحالى و اثنان من شيوخه السابقين و مفتى الديار المصريه، مضافا إلى المصريين الآخرين من أساتذته جامعيين و مثقفين و مقراءين، إلى غيرهم من أمثالهم من وفود البلاد الإسلاميه و العربيه.

و لكن الحقيقه أن كل ذلك لم يفسد شيئا فالأموال الكثيره التى أنفقت و الجهود الكبيره التى بذلت لم تغير من التهجم على كل ما يمت إلى التشيع بصله، فقد كنت أسمع باذننى ما كان يتناول به بعض الضيوف العرب لا

سيما من أبناء الخليج مضيفيهم من الطعن و التجريح و سبى القول.

و صدف أن واحدا من هؤلاء الضيوف شاقه أن يحضر صلاه الجماعه فى مسجد البهره مؤتما بسلطان البهره نفسه فرأى من صلاتهم و خشوعهم و تسييحهم ما أعاده إلى فطرته السليمه فعبر عن ذلك فى كلمه ألقاها فى أحد الاجتماعات قائلا فيها ما معناه: أنه تخيل نفسه يصلى مؤتما بكبير من كبراء أئمه المسلمين السالفين.

و بعد انتهاء الاجتماع و العوده إلى الفندق لقي من تأنيب الآخرين و تفريعهم له على هذا الكلام ما كنت أسمع به باذنى، و لم يفد دفاعه عن نفسه بأنه كان أمام مشهد إسلامى رائع يجلو حقيقه البهره الفاطميين لا ما يتقوله عليهم المتقولون و أنه رأى من واجبه أن يعلن الحقيقه كما هى بعد أن رآها بنفسه. و كان الرد عليه بان مجرد حضوره إلى مسجدهم و صلاته معهم هو شىء لا يغتفر، فكيف بثناؤه عليهم.

و فى إحدى الجلسات العامه للمؤتمر وقف الشيخ الصالح اللبنانى على منصفه الخطابه و راح يتحدث بلا مناسبه عن القرآن و تفسير القرآن متعاليا حتى لقد قال الدكتور أحمد الحوفى المصرى الذى كان يجلس بجانبى ما الداعى لهذا الكلام الآن و هل نحن تلاميذ أمامه ليتكلم بهذا الأسلوب.

ثم انتقل الصالح فجاء إلى مهاجمه مضيفيه دون أن يسميهم ملقبا إياهم بالباطنيين. ثم قال و هو يتحدث عن تفسير القرآن: إن زنادقه الفرس الذين عبثوا بالقرآن باسم تفسير القرآن...

و لم يصل إلى هذه الكلمه حتى كان صبرى قد نفذ، و لم يعد من مجال للسكوت فقفزت بسرعه إلى المنصفه التى يقف عليها و صحت به: اسكت إننا نعرف من تعنى بزنادقه الفرس، إن هؤلاء الذين تسميهم زنادقه الفرس قد أخرجوا للعالم الإسلامى فى القديم تفسيرين للقرآن هما التبيان و مجمع البيان. ثم أخرجوا فى هذا العصر تفسيرا ثالثا هو الميزان و أنا أتحداك أن تجد فى كل ما كتب المسلمون من تفاسير ما هو خير من هذه التفاسير.

ثم قلت له: أننا الآن فى آخر الجلسه و لا يتسع الوقت للافاضه فى القول، و سأريك غدا أن كلامك هو الزندقه. و نزلت.

و فى الليل جاءنى الدكتور نجم الدين شقيق سلطان البهره و طلب إلى أن أكتفى بما كان و أن أصبر كما صبروا و أتحمل كما تحملوا، و قال إنه قدرنا فما ذا نصنع. فنزلت عند طلبه و اكتفيت بما كان.

و قد برهن البهره فى هذا المؤتمر عن كفاءه فى التنظيم و عن تعاون و تعاضد عظيمين و عن كرم فى الإنفاق و البذل فنفقات المؤتمر كانت باهظه لا تقوم بمثلها إلا الدول.

و كانت مناظرهم داخل الفندق شييا و شبانا ذاهيين آتئين مشرفين على الصغيره و الكبيره، واضعين أنفسهم فى تلبيه طلبات الضيوف، كانت مناظرهم تدعو إلى احترامهم و حبههم.

على أن الشىء غير المحبب إلى النفس هو تعاضم سلطان البهره مما يوصله إلى حد العجرفه الممجوجه.

٥ - الموسم الثقافى الذى كانت تدعو إليه سنويا وزاره الاعلام و الثقافه فى دوله الأمارات العربيه المتحده، و كان يدعى إليه كل عام واحد ممن تختارهم تلك الوزاره ليحاضر فى العاصمه (أبو ظبى) و فى الجامعه بمدينه (العين)، و كنت ممن دعوا فألقيت هناك محاضرتين تاريخيتين.

ص: ٣٤٤

٦ - مؤتمر نهج البلاغه الذى انعقد فى طهران. و من حسن المصادفات أننى التقيت فيه كلا من الشيخ محمد نجف و الشيخ مهدي الأنصارى و الشيخ محمد رضا الأنصارى. و الأول منهما من أحفاد الشيخ محمد طه نجف أحد كبار أعلام النجف فى عصره و من أساتذته والدى عند ما كان طالبا فى النجف، و قد كان والدى يردد ذكره دائما فى مجالسه مثنيا عليه كل الثناء، ذاكرًا تلمذه عليه بكل خير. و لقد سررت ببقاء حفيد أستاذ والدى لا سيما و هو على صفات تليق بمن ينتسب إلى ذاك الجد الكريم و كذلك كان سرورى بقاء الأنصاريين بعد أن عرفت أنهما من سلالات الأشعريين الذين عمرت بهم (قم) علما و إيمانا و كفاحا، و كان هذان الأشعريان الإخوان صوره عما حدثنا عنه التاريخ عن أسلافهما من العلم و الايمان و الشهامة و الإخلاص و حسن الخلق.

٧ - مؤتمر قداسه الحرم و أمنه المنعقد فى طهران. و قد حضرته وفود من جميع أنحاء العالم الإسلامى ما عدا بعض البلاد العربية، و قد تجلت فيه الرابطة الإسلاميه العميقه التى تشد المسلمين بعضهم إلى بعض بجميع ألوانهم و لغاتهم، فكانوا فى هذا المؤتمر يبدون أمه واحده تجمعها عاطفه واحده و آمال واحده.

و كان من أبرز مظاهره سياده اللغة العربيه بين وفود إفريقيا السوداء، فرأينا وفد نيجيريا مثلا يلتقى وفد السنغال فتكون كلمه: السلام عليكم فاتحه اللقاء، ثم يتحاوران بلغه القرآن.

٨ - مؤتمر الشهيد السيد حسن المدرس الذى انعقد فى طهران بمناسبة مرور خمسين عاما على استشهاده.

٩ - مؤتمر الفكر الإسلامى السادس المنعقد فى طهران، و كان موضوع بحوثه: (حقوق الإنسان فى الإسلام).

مع الناشرين

باشرت طبع و نشر مخطوطات أعيان الشيعة بما تجمع لدى من مال قليل، و استمرت هكذا مواصلا النشر فى فترات قد تتقارب و قد تتباعد بحسب ما يتيسر من المال.

و كان لا بد لى فى هذه الحال من التعامل مع أصحاب المكتبات بائعى الكتب و مشتريها، سواء منهم من كان فى لبنان أو العراق أو إيران. و قد تكشف لى فى التعامل مع هؤلاء أعجب الأعاجيب من استحلالهم أكل المال الحرام، فالواحد منهم لا يحجم عن ذلك ما استطاع إليه سبيلا.

و على العكس منهم أصحاب هذه المهنة من الغربيين، فقد تلقيت يوما طلبا من مكتبه فى مدينه (وسبادن) فى ألمانيا تطلب فيه إرسال عدده مجموعات من الكتب، فأعرضت عن إجابته الطلب بعد تجاربي مع من طلبوا أمثال هذا الطلب فى لبنان و العراق و إيران [إيران]، فانم [فإنهم] بعد أن يصلهم ما يطلبون يمتنعون عن إرسال الثمن، مطمئنين إلى أن من يطالبهم بعيد عنهم لا يصل إليهم.

و بعد مضى فتره حدثت صديقا لى ذى تجارب فى هذا الموضوع، فحثنى على إرسال ما تطلبه مكتبه (وسبادن)، لأنها بمجرد أن تستلم الكتب المطلوبه سترسل الثمن فى الحال، و هكذا كان، و تكررت طلباتها و تكررت إجابته هذه الطلبات.

ثم وقع لى حادث غريب إذ أننى تلقيت طلبا من مكتبه جامعه برنستن فى أمريكا فأرسلت لها ما طلبت فأرسلت لى الثمن، ثم عاودت الطلب فأرسلت لها أيضا ما طلبت، و كان ثمن ما طلبته فى المره الثانيه أكثر من ضعف ثمن ما طلبته فى المره الأولى. و كانت الطلبات تأتى موقعه من (رودلف ماخ) و مكتوبه بلغه عرييه سليمه. و انتظرت وصول الثمن فلم يصل، فأرسلت رساله تذكير، فلم أتلق أى جواب و تكرر التذكير و تكرر الامتناع عن الاجابه.

و حدثت صديقا لى أقام فتره فى أمريكا بهذا الأمر، فقال لى: إن رودلف ماخ هذا هو يهودى، فعند ذلك زال العجب.

و أستطيع أن أقرن هذا اليهودى الأمريكى بمن يتظاهرون بالورع و يتسمون بالأسماء الدينيه من الناشرين بائعى الكتب و مشتريها متخذين من تلك الأسماء وسيلتهم لخداع الناس بمظاهرههم و أسمائهم. فمن سموا مؤسستهم (الدار الإسلاميه) فى بيروت، و زيد فرحات الذى أطلق لحيته و ضخم عمامته و من تسمى باسم سيف الله فى قم و أشباههم هم قرناء (رودلف ماخ) اليهودى الأمريكى، و قس على ذلك...

قصائد منوعه

أشواق

يا ويح قلبى كم يلقى و كم يجد و كم تكابد هما هذه الكبد

لمن أرتل أشعارى و أنظمها و من يقرض أبياتى و ينتقد

كتمت حبك فى صدرى فضايق به صدر بجمر نواك اليوم يتقد

أن تغف عينك عن همى فان لها عينا يطول عليها بعدك السهد

الدار بعدك لا تحلو مطالعها و لا بطيب لعينى فى الهوى البلد

و الكون بعدك لا حسن و لا أرج للمستهام و لا نعمى و لا رغد

يا سرحه الحب لا ماء الصبا غدق بعد الرحيل و لا طير الهوى غرد

هذه الحياه فلا ظل ألوذ به على الهجير و لا ربا فابترد

أين المراع بالسمار حافله و أين أحبابنا من بعدنا قصدوا

هل شاقهم بعدنا للحب شائقه يوما و هل وجدوا بعض الذى نجد

وددت لو طالعت عيناي مطلعهم و شاهدت فى الربى الروض الذى شهدوا

و إننى فى الجبال الشم أرقبهم و إننى أرد الماء الذى وردوا

ص: ٣٤٥

هيهات يعذب عيشى بعد بينهم أو أستطيب غراما بعد ما بعدوا
أين (الرويس) و روضات الحمى أنفا و الذروتان و صداح الربى الغرد
و ثغر (ظمياء) خلف الروض مبتسم و شعرها الجعد حول الوجه منعقد
و وجنتاها و قد مال الدلال بها كالجمرتين بنار الحسن تتقد
يا شط دجله و الذكرى تورقنا قد طال فيك على أشواقنا الأمد
هل فى ظلالك للأشجان مطرح أم فى ضفافك للحران مبرد
ضافت على سهول الرافدين جوى (1) بعد الأحبه و الآكام و النجد
و استوحش الشط لا تروى منايله قلبا يلوب و نفسا كاللظى تقد
يا من حفظنا على بعد عهدهم لا ينسينكم أيامنا البعد
القلب فى الحب لا يهفو لغيركم و لا يثير سواكم شوقه أحد

بعقوبه

"هى مدينه عراقيه تقع على ضفه نهر دىالى و يخرقها فرع منه يسمى نهر خريسان (تصغير خرسان)".

هيا بعقوبه الزهر و يا ريحانه الدهر

أحب جمالك الشعرى و أعشق جوك العطرى

أفيضى الحسن ريانا و مدى الظل فينانا

فقد تروين طمانا يعانى غله العمر

دىالى نهرك العذب عليه رفرى الحب

و طاب الزهر و العشب على حافات الخضر

أزاهير و أثمار و روضات و أنهار

و فى الضففات سمار تناجى مطلع البدر
على روضاتك الفيح نضت أشجانها روى
و فى الأجراف و السوح نضت أشجانها روى
أحب ربيعك الصافى و مورد مائك الصافى
ألا يا ليت آلا فى معى فى ضفه النهر
أيا مجلى الأزاهير و يا مغدى الشحارير
و يا مئوى المغاوير عليك تحيه الشعر

ذكريات شعريه

و من ذكريات بغداد تلك الأيام هذه الذكرى الشعريه فى ساعه من ساعات الأصيل على ضفاف دجله فى الكرايه الشرقيه:(٢)

كرايه الشرق البهيج تالقى حول الضفاف الزاهرات و أشرقى
هيجت أشجان الفؤاد الشيق لما طلعت بكل حسن موق
يا ليت أحبابى بسفحى جلق يدرون ما يلقي المحب و ما لقي
كم يستطاب على شواطيك السمر و تلذلى فيك الأصائل و البكر
كم يستشير كوامنى ضوء القمر و يهيج تحنانى الظلام المعتكر
ما أجمل الصفصاف و النخل النضر متدليا بالزهر يعبق و الثمر
حول الضفاف أزاهر تتفتق و مفاتن تجلى و حسن يشرق
و على العباب مراكب تتالق و مواكب تشدو هوى و تصفق
يا نهر: كم يحلو عليك الزورق مترنحا بيد النسائم يخفق
النهر منصور الضفاف منور تزهو عليه الباسقات و ثمر

و الليل معطار النسائم مقمر يلهو الجمال بصفتيه و يسمر
سمراء رنحها الدلال و أسمر يلويهما كالغصن حب مسكر
ما أروع الشط المرقوق ساجيا طورا و طورا بالأواذى طاغيا
كم كان فى الهم الطويل عزائيا و لكم لمست بصفتيه شفائيا
ما أعذب الملاح يغدو شاديا و يروح فى الليل البهيم مناجيا
ملاح: يا حلو الشمائل أنشد ما شئت من لحن الغرام و ردد
يهتاجنى فى الليل زورقك الندى و يبيل شدوك غله القلب الصدى
أنا سامع بفؤادى المتوجد فاهتف بلحنك فى الضفاف و غرد
أنا فى الضفاف على شجونى مفرد لا طلعه تحنو على و لا يد
الأمس أضوانى فهل يضوى الغد أ فكلما خلق الأسى يتجدد
يا ليل هل يدرى هناك الهجد إنى بوادى الرافدين مسهد
ص: ٣٤٦

١- المقصود أن اليهود أقاموا قصورهم على قبورنا.

٢- الكراهه الشرقيه من ضواحي بغداد.

على عباب البحر الأبيض المتوسط

ذكرتكم و الهم فى الليل مركب و نفسى على جمر الأسى تتقلب
و من دوننا بحر إذا ثار موجه تخال الجبال الراسيات توثب
أ أحبابنا نمشى على الهم بعدكم و نالف أشجان الحياه و نصحب
و عهدكم ما لان فى البعد عهدنا بلى إنه فى البعد أمضى و أصلب
تطالعنا الذكرى على كل وجهه فندنو و إن شط المزار و نقرب
رمتنا على هوج البحار مقادر تصعد ما شاءت بنا و تصوب
إذا ما ظلام الليل أرخى سدوله علينا و عم الكون فى البحر غيب
و زمجرت الأمواج غضبى ثواترا و ما جد أواذى تضج و تصخب
و أفقرت الدنيا فلا السفح ناضر و لا النهر رقرق و لا الروض معشب
و رحنا على الأمواج نطفو و تاره نخال بانا للحضيض سنرسب
ذكرتكم فى وحشتى و تلفتت لأرضكم عيناي تشكو و تعتب
أ أحبابنا النائين لا كانت النوى و لا كان يوم عنكم نتغرب
ذكرتكم و البحر بينى و بينكم فكدت لذكراكم من الوجد أنحب
طلعنا باثينا على الصبح نجتلى محاسن ما أبقى الزمان المخرب
فلاحت على (الاکربل)⁽¹⁾ منها مشاهد يحار لا فكر اللبيب و يعجب
و ذكرنى الشام الحبيبه موقف على قمه "الاکربل" عال و ملعب
فحن فؤادى المستهام و هزنى إلى أرض أحبابى خيال محب
و عدنا إلى اللجاه نسبح فوقها حيارى بقفر ما لنا فيه مهرب
إذا ما مضى الصعب الممض رأيتنا نحاذر أن ياتى على الأثر أصعب

إذا ما تلفتنا على اليم لم نجد سوى لجج يعيا بهن المعجب
فانا تضيق النفس فيها و تاره ألد من الحلم النضير و أرحب
و طورا تراها العين أشام منظر و طورا تروق الناظرين و تعجب
و مالت إلى الغرب الغزاله ترتدى على شفق كالنار أو هو أعجب
و سارت فبحر باللجين مفضض يشع وافق بالنضار مذهب
و ذابت على الأمواج فالماء جمره شرارتها نجم يند و كوكب
ذبيحه حد السيف فالكون واجم لماتمها و الأفق منها مخضب
و صرنا على بحرین ماء و ظلمه يسير بنا فلکان وجد و مرکب
توالى علينا الهم لا الماء ينقضى و لا الصبر يأتينا و لا الليل يذهب
إذا ما انتهى يوم علينا تعاقبت ليال و أيام تمض و تكرب
و مرت على الليل البهيم "صقلیه" كما مر بالاشراق و الزهو موكب
تفيض على الشطين نور أو بهجه فترهر ضففات و تلمع أهضب
فيا لك مرأى فى "مسینا"^(٢) كأنه على ظلمات البحر أهل و مرحب
تبسم ثغر الليل فيه و طالما توالى على الأدلاج و هو مقطب
و طالعنا الصبح الأغر بجذوه على فوهه البركان^(٣) تلظى و تلهب
تسيل كما سالت من العين عبره يؤججها بالوجد قلب معذب
ثلاثه أيام تمر و لا نرى سوى الماء يعوى فى البحار و ينبع
فأين الجبال الشم ناوى لظلها و أين الفرات العذب نسقى و نشرب
و أين سهول الغوطتين نضيره و أين على بغداد صبح و مغرب
رباع على قلبى ألد من الهوى و أشهى من النعمى و أندى و أطيب

ألا أيها البحر المديد تحيه يشيد بها قلبي وفاء و يطنب
صبحناك لا قالين عهدا تصرمت عليك لياليه يلذ و يعذب
فعدرا إذا ما ملت النفس فالجوى يمض مشوقا و التنائى يعذب
أنسى على الأمواج صباحا كأنه وجوه الحسن البيض بل هو أعذب
و عصر اجلاه للنواظر مبدع أظل له أنى تلفت أعجب
و انسام ليل حين تسرى نديه نهيم لمسراها و نشى و نظرب
ألا أيها البحر المديد أذاكر صحابا تغنوا بالجمال و أعجبوا
تلاقوا كما مرت رؤى فمشرق طوته الليالى هائما و مغرب
صبحناك حرا لا يهون و لا ينى على غمزت الدهر و الحر يصحب

على السنين

فؤادى لن تراع و لن تلوبا فقدهم المسافر أن يئوبا
غدا يا قلب نقطعها جبالا منصره و نطويها سهوبا
غدا نلقى الربوع غدا نراها و نبصر ثمة الوجه الحيبا
ألا تلهيك يا قلبى الليالى تفيض بشاشه و رؤى و طيبا
تطلع هل ترى ألا ضحوكا و الا لاهيا فيها طروبا
نزلت (السين) لا يروى غراما و جئت (الألب) لا يهدى نسيبا
تحن إلى الربوع و رب صحب تناسوا أو نسوا العهد القريبا
تحن "إليهم" فى "السين" نضوا و تذكرهم بباريس كئيبا

ليله سهاد

طال السرى و بشير الفجر ما بانا يا ويح طرفى يقضى الليل يقظانا
يهفو إلى نحلات الشط ناضره و يشتهى الرند و الصفصاف و البانا
إذا استقرت عيون الناس روعه فى الليل أن حبيب النفس قد بانا
يا ساهرين لياليكم على دعه ما زلت بعدكم بالهم سهرانا
أرنو لأرضكم و البعد دونكم فاستحيل تباريحا و أشجانا

إلى جدت والدى

مشوق على (باريس) روعه البعد و أورت حناياه الكابه و الوجد
إذا ضحك السمار هاجت شجونه و إن شدت الأوتار ييكيه ما يشدو
يحن إلى الأحباب شطت ديارهم و يهفو إلى الأوطان غيبها البعد
تثير ماسيه على الشام تربه و يشجيه ما يشجيه فى جلق لحد
فيا نائيا لم ينسى الناي طلعه تفيض بها النعمى و يزكو بها السعد
و يا غائبا ما غبت عنى ساعه و لا انطوت الذكري و لا انصرم العهد
حرام على قلبى السرور و إنما يطيب له من بعدك الهم و السهد
و يا جدثا فى الشام أنت لى الهوى و أنت لى النجوى و أنت لى القصد

هواجس بارانا Parana

"بارانا نهر جميل يخترق مدينه الروساريو الأرجنتينيه فتتمثل فيه أروع

ص: ٣٤٧

١- الأكروبول فى أثينا و من قمته يرى الناظر أثينا تحته كما يرى دمشق من قاسيون.

٢- مضيق مسينا.

مناظر الطبيعه. و قد وقفت عليه ساعات، و كنت قادمًا إلى الأرجنتين من بغداد:

يا قلب روعك النوى ما روعا تغفو على سفر و تصحو مزما

فى كل يوم فرقه لو أنها مرت على قلب الصفا لتصدعا

طال النوى يا ويح أيام النوى ما كان أقساها على و أوجعا

كم لذت بالبدر المنير أبته شكوى النوى لو أنه يوما وعى

و لكم أطفت على الضفاف مناجيا و لكم لجات إلى الصبا متضرعا

و تفجر القلب الجليد تشوقا و استسلم العزم الأبى توجعا

و الليل كم عريت فيه عواطفًا موجتها لو لا التجلد أدمعا

حيث "بارانا" المرقق و الدجى بغلائل القمر المنير تبرعا

و سلاسل الأنوار مرت مثلما مر الخيال الحلو ليلا مسرعا

و الساهرون مضوا على غلوائهم يتمايلون على الشواطئ رتعا

و الساهرات كأنهن كواكب منثوره أو كن منها أسطعا

أ شواطئ "الباران" ما أزكى الربى وشى الربيع صدورهن فابدعا

تلك الخمائل قد ذكرت بحسناها حسنا بدجله كان أزهى مطالعا

إن رفت الأشجار حولك غضه و ترقق النهر الخصب و أمرعا

و طلعت بالحسن المدل كأنما شطاك بالغيد النواهد رصعا

فلقد أثرت بى الحنين و طالما حن الفؤاد لدجله و تطلعا

أنا إن هفوت إلى رمالك ساعه و شممت عرف نسيملك المتضوعا

لم أنس دجله و الهوى و لياليا كانت ألد من النعيم و أمتعا

ذاك النخيل على الضفاف كأنه سرب الحسان على الضفاف تجمعا

أطلقن للنسمات خضر ذوائب و أبحن للأطيار ثغرا أمنعا

حيث "بارانا" تحيه شاعر يهوى الجمال و يستجيب إذا دعا

النهر و الروض النضير سميره و الطير بالشجو المثير مرجعا

و السحر فى نجل العيون و فى اللمى و الطهر فى الخد الأسيل مشعشا

أ شواطئ "الباران" حسبك فى الهوى إن قد شربت هواك جاما مترعا

كم قد لويت عن الغرام أعنتى و ثنيت طرفى عن رؤاه ترفعا

يا غاده "الباران" أذكيت الهوى لولاك هذا القلب ظل ممنعا

أسلمت للعينين صعب مقادتى و مشيت للخدين أسعى طيعا

إن ضاق فهمى عن لغاك فإنما قلبى يعى ما كان قلبك قد وعى

أشجى الأغانى ما يردد حبنا أشهى الأمانى ما نعيش لها معا

قلب ببارانا و شاطئ دجله ما زال بالحب العنيف موزعا

إلى نيليدا شراره

هى شاعره أرجنتينية من أصل عربى من جبل عامل، عايشة قضيه العرب (فلسطين) و تحمست لهم فى صراعهم مع الصهيونيه و تغنت ببطولتهم و أمجادهم حتى كانت الكارثة عام ١٩٤٨ و ضاعت فلسطين فانقلبت يائسه منهم ناقمه عليهم. و لما التقيتها فى مدينه (الروساريو)، كانت تشكو مر الشكوى و توجهت إلى بعده قصائد إسبانيه ترجمت لى إلى اللغه العربيه، فتوجهت للشاعره بهذه القصيده:

غنيت بالشعر آفاق الهوى طربا و للكرامه هجت الشرق و العربا

قمرية الدوح أنت اليوم شاديه أم أنت لبوه غاب تنتخى غضبا

لا يوهنك ما أودى بموطننا فيوم ثارتنا الحمراء قد قربا

هذى فلسطين إن نامت فوارسها و كوكب العز فيها بالهوان خبا

فلا و عمرك لم تخمد عزائمنا و لا نزلنا على حكم العدا رهبا

هيهات نهجع عن (حيفا) مصفده أو أن ننام عن (اللطرون) معتصبا
غدا نطالع بالرايات قانيه (عكا) و نفتح (باب الواد) و (النقبا)
أما و حقك أنا لم نزل عربا ملء الأكف ندى ملء النفوس إبا
هبت على من (الروسار) نافحه كانت ألد من الأحلام عرف صبا
و هيمنت فى حنايا النفس خافقه تذكى الفؤاد و توحى الشعر و الأدبا
و طالعتنى فى الأسحار هازجه فكدت ألمس من زهوى بها الشهبأ
(نيليد) فيك من الأعراب واشجه أكرم بها حسبأ أعظم بها نسبأ
كم قد وفيت لها أسمى الوفاء فما هانت لديك و لا أنكرتها سببأ
أذكيت شعرك بالآمال واثبه حتى قرأنا على أبياتك اللهمأ
و صحت بالعرب و الآفاق داجيه صوتأ ينير لنا الأجيال و الحقبأ
أثنت بالشر و الأشعار معجبه و كنت أنت بنا الإكبار و العجبأ
الموعد (القدس) يا (نيليدا) ثأثره (و اللد) مضطربأ (و الواد) مضطربأ
ففضدى الزهر للأبطال ظافره و نظمى الشعر بشرا و اثرى الخطبأ

وحده

فى جزيره برمودا
وحدى أقلب ناظرى هنا و أسائل المجهول أين أنا
الحلم مر فليت لى جفنا من بعده يستعذب الوسنا
و الأغنيات هوت و ما اكتملت ألعانهن و لا انتظمن غنا
يا طلعه كانت لنا أملا غضا و كانت فى النوى وطنأ

مدت إلى يدا تطوقني و الكون بالأحلام طوقنا
و الخد رف فما تشاء شذا و الثغر شع فما تشاء سنا
المهرجان و أين سورته مرت و أين مضت رؤاه بنا
عيناك حالمتان تسعره وجدا و تنديه هوى وهنا
و يفيض صدرك بالحنان فما أشكو الجوى إلا هفا و دنا
المهرجان مضى فليت لنا من بعده أملا و ليت لنا
وحدى أقلب ناظري هنا و أسائل المجهول أين أنا
وحدى أغالب لوعه غلبت وحدى أصارع بالأسى الزمنا
يا ليت أحبابي و قد بعدوا يدرون ما يلقي الحبيب هنا
سكنت حواشي الليل غير أسى فى صدرى الحران ما سكنا
أرنو لعل على الدجى حلما قلب الحبيب له هناك رنا
هذا الجمال و لست أنكره ما كان قلبى فيه مفتتنا
أجد الربى و البحر منفردا و الغيد و الأمواج و السفنا
قفرا يضح بخاطري شجنا صحراء تزخر لوعه و ضنا

رعشات

أطل الصباح و لم ترجعى و أظلم ليلى و لم تطلعى
تكاد إذا هاجت الذكريات تفجر من لوعه أدمعى
رويت فؤادى هوى عارما أظل الحياه به حالما

فانى رنوت و أنى مشيت أرى وجهك المشرق الباسما

إلى المهرجان مشينا معا نخال النجوم لنا مهيعا

و نحسبها حلما شاردا و لحنا بثغر الهوى ممتعا

خبا النور و انتثر السامر و غاب الندى فلا حاضر

و لا خدك الحلو يحنو على و لا نهديك القلق الثائر

رأيتك فاهتز قلبى جوى و مر بنفسى خيال النوى

سارحل عنك بعيدا فمن يهدهد بعدك هذا الهوى

جفونك نديانه بالدموع و فى شفتيك النداء الصريع

و قلبك يصرخ هل من رجوع و يعلم قلبك أن لا رجوع

يداك تلوح خلف القطار و عيناك تشخص عبر القفار

و صوتك أخفاه عنى المدى و لم يبق منك سوى الادرار

مضيت على لوعتى مطرقا أرى أن ليل الأسى أطبقا

و أن العهود العذاب انقضت و لم يبق من أمل فى اللقا

ساناى إلى عالم مبهم و دهر كليلى الأسى مظلم

و حسبى حين تضج الهموم و تطغى الفواجع أن تبسمى

ساناى و حبك يهدى خطاى و طيفك فى البعد يذكى هواى

سأسأل عنك الدجى و الصبا ليشرق ليلى و تزكو صباى

ساناى و لم ترو منك العيون و لا بحت يوما بحبى الكمين

ساناى و يبقى الهوى نغمه على الثغر أو حلما فى الجفون

أ يمضى الزمان و لا نلتقى و يظما هوانا و لا نستقى

و تبقيين فى الغرب هيمانه و أمشى بشوقى إلى المشرق
ساوهى بحبك عزم السنين نجى الهيام أليف الحنين
ترفين فى خطرات الخيال فاهتف باسمك هل تسمعين؟؟
سارنو إليك وراء الغيوب سأسأل عنك الضحى و الغروب
سأسأل عنك الربى و الشذا سأسأل عنك الصوى و الدروب
سأسأل أين مضت سادره و أين استقلت بها الهاجره
سهرت على حبها ذاكره كما سهرت ليلها ذاكره
ساحيا بحبك غض الجنان رحيب الحياه نضير البيان
سيبقى غرامك فى الخالدين و يفنى الزمان و أهل الزمان
سارنو لعل سناك يبين و أعلم أن السنا لا يبين
ساهتف باسمك أن ترجعى و أعلم أنك لا ترجعين

الصحارى

إنى لتصبينى الصحارى سمحه و تروقنى فيها الظبى و الأينق
و يهيج و جدى الليل فى تلعاتها و يهزنى فيها الصباح المشرق
و تثيرنى و النخل أتلع جيده عصفوره فوق النخيل ترقزق
و مواكب يشدو جرير حولها طربا و يهتف بالفخار فرزدق
و تشوقنى و الذاريات عواصف نار القرى بين البيوت تحرق
شبت لمقرورين يصطليانها "أعشى" أضربه السرى "و محلق"
و الطلعه السمراء لوحها الضحى و لوى معاطفها الغرام المحرق

و ربابه الراعى الطروب و نغمه يشدو بها فى الليل صب شيق
و تثير أشواقى و تبعث صبوتى أطلال رame و النقا و الأبرق
و أحن للعرب الذين تحدرروا منا فسادوا فى الورى و تفوقوا

الحنين إلى الرويس

سقىا لأيام الرويس فطالما كانت لأدواء الفؤاد دواء
نلقى الجمال الغض فى ذرواته و على السفوح الماء و الخضراء
و يشوقنا الإصباح فى أفيائه و نطيب حول كرومه إمساء
قد جئته قلبا ينوء بدهره هما و يرزح شقوه و عناء
عبست له الدنيا فلم ير باسما للناس إلا أن يكون رياء
رضى الشجون من الحياه صحابه و من الزمان همومه خلطاء
حتى إذا برز الرويس و أقبلت دنياه تزخر متعه و رجاء
بعثت هوى القلب القديم و هيجت للحب فيه الوجد و البرحاء
و جلت لنا الحسن الرفيع و اطلعت فى كل أفق كوكبا وضاء
يتالق الجبل الأشم به سنا و السفح و الوادى الأغن سناء
و طلعت يا ظمياء فى مرجح الصبا وجهها أغر و مقله نجلاء
و كسوت ذروات الرويس بشاشه و ملأت واديه الظليل هناء
و دعوت للحب المبرح و الجوى قلبا خليا من هواك فجاء
أحببت أفياء الرويس و إنما أحببت من حبي لك الأفياء
فالليله القمرء فيه لم تكن إلا بوجهك ليله قمرء

و الروضه الغناء ما كانت لنا إلا بحسنك روضه غناء
لم يحل لولاك الرويس و لم يطب أرضا و لم يعذب لدى سماء
قد كنت بهجته و كنت رواءه فسمما بعيني بهجه و رواء
تمشين فى الأرجاء عاطره الشذا فتعطين بعرفك الأرجاء
و يطل وجهك فى السجوف كأنما ألق السعاده فى السجوف تراءى
و أراك فى غسق الزمان فاجتلى نور الضحى من مقلتيك أضاء
يا أيها الجبل الأشم أ سامع نجوى يرددها الفؤاد وفاء
إنى لأطرح فى ذراك كابتى و أرد عن قلبى بك البأساء
و أحب سفحك ما حيت و أشتهى بعد الرحيل تلا لك الزهراء
و تهيجنى ظمياء فيك ملاحه و تثير أشواقى لها إغراء
كانت ليالينا عليك ضواحكا أبدا و أيام الهوى غراء
أرشفتنا العذب الزلال على الظما و منعتنا الاكدار و الأقداء
و لمست فى واديك غر مباحجى و عرفت تحت ظلالك السراء
إن تحبنى العيش الرغيد فلن أنى أشد و بذكرك فى الحياه غناء
و أرتل الشعر الرفيع منمقا بجمالك الإنشاد و الإنشاء

حنين

أ تذكر سمراء (الفراتين) أم سلت عهود محب ما تناسى لها عهدا
أقام على الذكرى يناجى خيالها و يسأل عنها الروض و النهر و الورد
و يلمح فى الأشعار طيف جمالها و يقرأ فيها اللحظ و الثغر و الخدا

أ تعلم سمراء (الفراتين) أنني وفيت لها قربا و لم أسلها بعدا

تراءت على الدنيا فكانت رواءها و كانت بها النعمى و كان بها الرغدا

صخره

هى يا فؤادى صخره صماء لا ظلها دان و لا الأنداء

لمعت على حر الأوام كأنها بهجير عيشك واحه خضراء

ص: ٣٤٩

و رأيتها فى اليبىء فارتء الظما ربا و شاعت بسمه و رءاء
ألقب بذبوب علىه من نور الضحى قبس و من زهر الربىع رواء
أضنتك با قلبى الفقار مءهله و شءتلك أشباح بها نكراء
ءتى إذا أبصرتها قلت المنى رفت و قلت تبلءت نعماء
هى با فؤاءى صءره صماء لا ظلها ءان و لا الأءاء
فاظما كما شاء الهوى فبربقها و قء و ءفق ظلالها رمضاء
با صءره الواءى النضبر و طالما قء سال من قلب الصءور الماء
و ضنت لا ظل و لا أءاء و قسوت لا ماء و لا ءضراء

أشواق

سلى اللبل هل أشءاء ءبر ملاحنى و هل هزه إلا هوأى و تهبامى
و هل ءرء الواءى بءبر قصائءى و هل نضرت أءواءه ءبر أنءامى
سلى اللبل ربان النسائم هل روت نسائمه شوقى إلبك و آلامى
ءكرتك با "ظمباء" فىه مسهءا فكنت على الءكرى نشبىءى و إلهامى
و طارت إلى الشطبن نفسى و رفرفت على النءلات الءضبر روى و أءلامى

بوم ءلا الفرنسبون عن لبنان و نحن فى بءءاء

أ أبءر القوم عن لبنان و ابتءءوا أءاءروا الشاطئ الساءى و ما قفلوا
أبن المعائل بالأءءاء زاآره و أبن ءولهم الأءناء و الءول
و أبن زهوبهم بالءبش منتصرا فى "مبسلون" و ما تاهوا و ما ءءلوا
و أبن "روءبه" برمى النار مءببطا بان ءلق بالنبران تءءل

يهتاجه الحقد نشوانا فان خمدت فيها الحرائق أذكاها له الثمل

و هزه البشر و النيران طاغيه على المقاصير و البارود يعتمل

و البيض مرهفه و الخيل مرسله و الجند سادره فى الهول تقتل

و للقواذف أنى ترمى حمم و للمدافع أنى تنتحى شعل

تساءل القوم لما جاش جائشهم أ للشآم بما ترمى به قبل؟

أ تسكتين على العدوان ضارعه للظالمين أ تستخذى أ تنخذل

و أقبل الناس يلقون الوغى كشفا و يصطلون مناياها و هم عزل

فاسفر الصبح و الطغيان مندحر و الظالمون بصبر الشام قد خذلوا

أنا صمدنا لهم فى الروع لا خور عند اللقاء و لا جين و لا وجل

فاليوم نهتف و الدنيا مهلهه يا للبشائر إن القوم قد رحلوا

يا سارى الريح و الأفراح قائمه ما ذا وراءك كيف الصحب؟ ما فعلوا؟

عج بالرياض التى طابت مطالعها و لذ للعين منها مربع خضل

و احمل إلينا من الذروات نافحه تروى بعاطرها الأشواق و الغلل

كيف الأحبه فى الوادى و سامرهم كيف الشواطىء و الكثبان و القلل

أنى تطيب ليالينا و قد بعدوا عن العيون و أنى تعذب الأصل

أنا لندكرهم و الشوق مضطرم و القلب مضطرب و الدمع منهمل

و نستديم هواهم إن هم قطعوا و نستريد هياما إن هم وصلوا

ما كان يشغلنا عن ذكرهم طرب بعد الفراق و لا يهتاجنا غزل

هيهات بعدهم نهفو لغيرهم أو أن تثير هوانا الأعين النجل

أ يذكرون ليالينا التى سلفت أم عادهم بعدنا النسيان و الممل

وفينا و إن كان الوفاء عذابا ألا ضل من خان العهود و خابا
تراءى لنا الينبوع ثرا و لم نكن لنحسب تلك البارقات سرايا
و لاح فأحيا فى الهجير جوانحا ظماء إليه فى الهجير سغابا
يموج على الصحراء ريا و روضه و يلمع فى الليل البهيم شهابا
حدونا إليه الركب أنضاء غله تراه و قد عز الشراب شرابا
و سرنا إليه و المهامه دونه يزيد بعادا إن نرده طلابا
تضييق لبالينا فان لاح ماؤه بدت فيه آفاق الحياه رحابا
و نياس فى الدنيا فان عن ذكره تعود لنا الدنيا منى و رغابا
ألا يا صفاء النبع هل جفت الربى و هل عادت الروضات فيك يبابا
و هل صوح الوادى فلا الطير حوما عليك و لا أهل الصفاء طرابا
ألا يا صفاء النبع و النبع دافق يسيل كما سال النضار مذابا
و يجرى على الرضراض وردا و نرجسا و يسرى إذا هب النسيم ملابا
أ نلقى عليك الحسن هما و كربه و نبصر أضواء الجمال ضبابا
أ تكدر يا نبع الصفاء لظامى و تلقى على الروض النضير حجابا
و تنضب إذ هم المشوق برشفه و تيبس إذ عاد المشوق و آبا
أنبع الصفاء الثر لا زلت دافقا تفيض فتونا فى الهوى و شبابا
و لا زال نوار الخمائل ناضرا عليك و أغصان الربيع رطابا
سنرعاك يا نبع الصفاء أحبه و فيين إن لان الأنام صلابا
إذا ذكروا السلسال فاضت قلوبهم حيننا و رفت لوعه و عذابا

فلا تذكر الغدر الممض فربما لقيت من الوافين فيك عجابا

سلام على ينبوع لا جف ماؤه و لذ على ورد الهيام و طابا

و إن ينضب ينبوع يوما فاننا سنرويه من ماء الوفاء عبايا

حماسه و أمل و استنجد

العام ١٩٤٨ كنا في بغداد و كانت البلاد العربيه تضطرم اضطراما بما شاع عن العزم على تقسيم فلسطين و إقامة الدوله الصهيونيه.

و تتابعت أخبار معارك العرب الفلسطينيين مع الصهاينه دفاعا بطوليا عن وطنهم العزيز. كما تتابعت أخبار الحماسه السوريه، و كانت النفوس تفور بالأمل و تتفجر بالعزائم. فكانت هذه القصيده من وحي كل ذلك:

ردت على مباحج الأعياد و طوت حدادي بعد طول حدادي

بشرى تجاوزت الربى بدويها و مشت على الأغوار و الأنجاد

طلعت من الشامات تهزج بالهنا و تضج بالتغريد و الإنشاد

غنت بها مصر و ردد صوتها طربا ندى الصيد في بغداد

و تهللت بطحاء مكه و ازدهت بالبشر ثم حواضر و بوادي

و تالقت في قاسيون مرايع خضر و ضجت بالسرور نوادي

الناعمات الغيد بعد وجومها متضاحكات للحياه شوادي

يهتفن للحرب العوان ثائرا و يهجن بأس الفتيه الأنجاد

فيجيبهن رصاص أبطال الحمى متتابع الأبراق و الأرعاد

فتميد في البر المديد جباله و يسيل بالنيران قلب الوادي

يا ليتني في الشام ارتاد الذرى و أهيم في الاجزاع و الاسناد

استاف عرف أحبتي و أراهم متسابقين لغاره و طراد

و أشارك الغازين فيها غزوه عربيه الإصدار و الإيراد

أغدو على الثكنات ثم مصاولا و أروح بين الخيل و الأجناد

ص: ٣٥٠

أ مطالع النسمات ما هبت صبا إلا ذكرت بها نسيم بلادى
و تطلعت نفسى إلى ذرواتها و هفا لواديتها البهيج فؤادى
و تمثلت لى الصافنات مغيره و سمعت صوت الجحفل المتنادى
يمشى لنا بلس الأبيه صارخا القوم قومى و البلاد بلادى
أحمى بنيران المدافع حقها و أذود عنها بالرصاص العادى
من يستبيح حماى من يسطو على حقى و من يلوى رفيع عمادى
صممتا فقد نطق الرصاص و حسبنا أن الرصاص إلى القتال ينادى
فى سفح نابلس لهيب معارك و على جبال القدس صوت جهاد
كل يلوذ بنخوه عربيه كل يردد صرخه استنجد
يا نائرا بالنار يحمى أرضه و يذب عنها جاهدا و يفادى
لم يستكن للغاصبين و لم يدع علجا يدوس مراقد الأجداد
أنشدتنى لحن الرصاص و ربما أشجاك فى ليل الوغى إنشادى
قد صبغت فيك الشعر حرا نائرا يذكى الجبان و يستهيج الهادى
أرنو إليك فمن لظاك قصائدى نظمت و من قانى دماك مدادى
إن فاتنى بالأمس يومك أننى أهفو إليك بعدتى و عتادى
فلعل لى يوما بجنبك يرتوى فيه من الثارات قلبى الصادى
و لعلنى ألقاك فى رهج الوغى و لعلنى أمشى إلى استشهادى
ردد على الأسماع أنغام الطبى ناريه الترجيع و الترداد
قل للغفاه عن القتال أ لم تروا ما ذا يراوح (قدسكم) و يغادى
أ أموت فى كف اللثام و أنتم حولى و لم يهزركم استنجدى

أرد عن وردى أقتل صابرا بيد اليهود أ تستباح بلادى
يا نائمين على الحرير و ما دروا أنا ننام على فراش قتاد
متلفعين دم المعارك ما لنا إلا الحصا فى القفر ظهر و ساد
نغدو على النيران يذكيها لنا غدر اللثام و خسه الأوغاد
و نبيت لا ندرى أ نصبح بعدها أم أن عين الموت بالمرصاد
يا نائمين و ما دروا أنا هنا لسنا نذوق اليوم طعم رقاد
إخواننا و الدهر فرق بيننا مدوا لنا منكم يد الأنجاد
هذى منازلنا الشوامخ ترمى هدمها على الفتيات و الأولاد
تتصاعد الأنات فى جنباتها و تطيح بالهجمات و الأعضاء
هيوأ إلينا بالبنادق بالظبى بالمال بالأرواح بالأعتاد

ربيع السيوف

و جاء الربيع و المعارك تترى فى فلسطين، و الفلسطينيون يقاتلون، و نحن نعيش فى بغداد نفس الأمل و الحماسه و الاستنجاد، و بغداد و العراق كله يتلظى إياء و حميه، فجاءت هذه الأبيات و كأنها متممه للقصيده السابقه:

حييت طالعه الربيع و إنما أزكى ربيعنا ربيع جهاد
ثارت به يافا و هبت غزه و تصايح الأجناد بالأجناد
قومى ربيعهم السيوف و عيدهم فى كل واد صرخه استشهاد
زانت دماؤهم الجبال و نضرت أشلاؤهم وجه التراب الصادى
سل عنهم ريا السهول و طيبها و غضاره الأغوار و الأنجاد
هل غير محمر الدماء زهورهم و غناؤهم غير الرصاص الشادى
لو أنهم ملكوا السلاح لنازعوا جباره الدنيا زمام قياد

أربيع طبت ففى نسيمك عقبه من صوت كل مناضل ذواد
و على رياضك من جراحه يعرب فى القدس طاقات من الأوراد
أربيع لن تهتاج غير حماسى بجمالك الزاهى و غير ذىادى
هيهات تلونى إليك مشاهد خضر و قومى للقتال تنادى
لا الزهر فواح العبير يهزنى فى الوادين و لا النسيم الغادى
يا منشدا غر القصائد هاتها من فيك شعرا ملهب الإنشاد
حدث عن الأبطال عن غزواتهم عن كل مقدم و كل جواد
حدث عن الوطن الذبيح و أهله كم يستغيث و يرتجى و ينادى

آمال

و جاء قرار مجلس الأمن بالتقسيم، و قال العرب "كلا" و أعدوا العده للتدخل العسكرى بعد ما ناضلوا بالقول فى مجلس الأمن:
أعيا البيان و خاب فيك المنطق النار أجدى فى الكفاح و أصدق
طيبى فلسطين الأبيه و اسلمى وطنه له يعنو الزمان و يطرق
لا تياسى فعلى يمينك فيلق ملء الربى و على يسارك فيلق
اليعربون الأباه توابوا من كل فج للوغى و تدفقوا
يهتاجهم للباس أروع مشتم و يهزهم للأريحيه معرق
نسلتهم الصحراء أبطالا إذا ساروا إلى غاياتهم لم يلحقوا
قولوا لمن ملأ الزمان تشدقا بالعدل أين العدل يا متشدق
أ من العدالة أن تقسم أرضنا و يباد فيها قومنا و يمزقوا
و تببت ترتع فى حماك مسودا و حماى للشذاذ نهب مطلق

أبيحهم وطنى الكريم و أمتى متزلف لنوالهم متملق
أين المواثيق العذاب و أين ما قد نمقوا فيها و ما قد زوقوا
صبرا فلسطين الصبور لقد دنا يوم يمض الظالمين و يرهق
المغرب الأقصى المروع هاجه أن تستضامى عنوه و المشرق
ستثور مصر و العراق و مكه ستهب عمان إليك و جلق
ستغص بالقتلى السهول و ترتوى شم الجبال من الدماء و تغرق
يا نسمة الشام الحبيبه هدهدى روحا بصاليه الجوى تتحرق
أنا فى هواى بجلق متبغدد و على الفرات و دجله متدمشق
فتحملى من (قاسيون) نوافحا يشفى بعاطرها الفؤاد الشيق
و اتلى على من الحميه قصه يزهو بها وجه الاباء و يشرق
أمشت دمشق إلى النضال أ أقبلت منها الزواحف و الخيول السبق
أسرت إلى الثغر المنيع أ أسرع للفتح تحتوش العدى و تطوق
يا نسمة الشام الحبيبه عللى قلبا على الوجد المبرح يخفق
يرنو إليك و شوقه متضرم ملء الضلوع و دمعه مترقرق
هبي على من الجبال لعلى استاف عرف الظاعنين و انشق
الواردى الماء الفرات و ما دروا أنا نغص على الفرات و نشرق
و العاتيين و ما دروا أنا لهم أوفى على العهد القديم و أوثق

حديث الرزايا

و أطلت أخبار الرزايا فاستسلمت حيفا ثم يافا و تتابع الاستسلام، و لكن الأمل ظل يعيش بتهيؤ الجيوش العربيه لدخول فلسطين:

بانفحه من رياض الواد طالعه و نسمة حملت ريا فلسطينا

تروى حديث الرزايا عن منازلنا و تحمل الدمع من أجفان أهلينا

عن مطلع النار فى (حيفا) و ما شربت أرض (الجليل) دمء من أصحابنا

من السفوح من الذروات داميه من المروعين فيها و المذودينا

ما كان عرفك إلا صرخه حملت للتائرين هتاف المستثيرينا

و لا أريجك إلا الحقد مضطرا و لا عبيرك إلا النار تذكينا

أن يلونا الغدر عن آمالنا زمنا أو يثننا الوهن حيننا عن أمانينا

ففى الجوانح عزم من فواجعنا و فى النفوس عرام من ماسينا

تلك المراع كم طافت فوارسنا فيها و كم رغمت فيها أعادينا

و كم هتفتنا على ذرواتها مرحا و كم رتعنا على الصفات شاديننا

و كم صبونا بها حبا و عاطفه و كم جنينا بها وردا و نسرينا

و كم أطافت بها أكبادنا شغفا و كم أرقنا دموعا من ماقينا

تلك المراع نفنى دون حوزتها و نستमित بها فى الهول غازينا

قل للميادين و الأيام غالبه نظار نملاً بالقتلى المياديننا

و نفعم الجو طيارين إن نفروا إلى السماء أحالوها براكيننا

نظار تطلع فى الدنيا كتائبنا على المعازل تجتاح الصهاييننا

مناجاه حيفا بعد استسلامها

أ حيفا الأبيه طال النزوح فكيف الشطوط و كيف السفوح

أهانت على الخطب ملتاعه أدانت لفاتها المستبيح

إذا هب في الليل منك الهواء ذرفنا عليك دموع الابهاء

و لذنا بأسيافنا ثائرين و سرنا فلا ننتنى للوراء

يلبيك منا الكمي العنيد و يهتف باسمك صوت الشهيد

و نصرخ في الهول مستقتلين سنحفظ أوطاننا أو نبید

لئن عثرت ببنيك الجدود و كانوا الابهاء و كانوا الأسود

فصبرا توافيك أسيافنا لوامع تفرى هوادى اليهود

سنرجع بعد الغياب الطويل فتشرق حيفا و يزهو الجليل

فصبرا تصبحك أعلامنا خوفاق فوق الربى و السهول

يهوذا خسئت فلست لنا نظيرا نخضب منه القنا

سياط الاسار و ذل السبا على عارضيك و عار الخنا

لئن حكم الدهر أن تغتدى خصيما يمد يد المعتدى

فزله هذا الزمان اللئيم ستغسلها كفنا فى غد

يا نخل دجله و الفرات

أهلا باشراق الملاك قد كان حلما أن أراك

يا عاشق الليل الطويل تباركت فيه رؤاك

تهوى النجوم لو أنها لثمت على شغف ثراك

و عنادل الروض النضير تود لو كانت صداك

بوركت ما عشق الدجى و وفى له أحد سواك

يا عاشق الليل الطويل و ما سلوت و ما سلاك

أ تفر موجتك الطليقه و الدجى عان هناك

هيهات ما جلى الدجى إلا شعاع من سناك

كلا و لا عقب القريض العذب إلا من شذاك

إن الذى خلق البيان العبرى له اصطفاك

من لى على درب القريض بان أسير على خطاك

لم تمل إلا السحر شعرا حينما تملى يداك

غرد فان قلوبنا تشدو المنمق من غناك

أهلا بسلسال القريض العذب يجرى فى مداك

يا نخل دجله و الفرات لكم هفوت إلى لقاك

و تطلعت نفسى إليك لعلها يوما تراك

يا نخل دجله ما نسيت على النوى أبدا هواك

كنا فى باريس عند ما ذاع أن العرب كسروا احتكار السلاح، و أنهم اشتروه من الشرق بعد أن منعه عنهم الغرب، و أن وفدا غربيا جاء يعالج الأمر و يسأل العرب ما ذا يريدون و أن الغرب فى ضجه من هذا الأمر:

يستفهمون و قد بحت حناجرهم و يسألون و قد أعيوا و قد تعبوا

ما تطلبون؟ و قد كنا نطالبهم حتى مللنا و حتى ملنا الطلب

تلك (اللقيطه) شدتم من دعائمها حتى استقامت على أجداثنا القبيب

(1) هذى حرا بكم منها هم طعنوا و ذى سيوفكم منها هم ضربوا

النار فى شرفات القدس لاهبه و فى شوارع حيفا القتل و السلب

دور الأعزه فى يافا و فى صنفذ ذلت لفاتحها الأطلال و الخرب

تهفو لغائبها شوقا و عاطفه حتى تكاد بها الأحجار تنتحب

و تستكين إلى الشكوى مناجيه و ترتجى عوده النائي و ترتقب
فى دير ياسين ثار لا تنام له منا العيون و لا ينسى له طلب
عزلا نقابل بالأجساد ناركم لا الصبر يعصمها منكم و لا الهرب
و اللاجئون على الأبواب ما طعموا إلا الهوان بأيديكم و ما شربوا
ثاراتنا الحمر فيكم كاللظى حنقا و حقدنا المر كالبركان يلتهب
هذا السلاح الذى تحمى بوارقه يوم الكريهه ما خطوا و ما كتبوا
هبت على النخوات الحمر نائره و جلجل البأس فيها و التظى الغضب
و ماجت اليد بالتكبير و انطلقت بعد الهوان إلى ثارتها العرب

حماسه و رثاء

كان الاعداد يجرى فى دمشق للقتال فى فلسطين سنه ١٩٤٨ و نحن فى العراق فإذا بدمشق تفاجا بوباء الكوليرا:

أ يروع أمنك يا دمشق وباء و تمضك الأوجاع و الارزاء
"لا در درك يا زمان أ هكذا" ختلا تغال الحره السماء
أ كذا تموت الأسد فى آجامها أ كذا تبيد على الكناس ظباء
تهوى الفوارس ما نضت سيفا و لم يرفع لها فوق الخميس لواء
و تطيح واهيه العزائم بعد ما رجفت بماضى عزمها الغبراء
يا ويح قلبى كيف قومى فى الحمى كيف الأحبه ثم و العشراء
إنى لأذكرهم على أهوالها فيكاد يغلب ناظرى بكاء
كانت تثير مفاخرى أنباؤهم و اليوم تبعث حسرتى الأنباء
أ مشارف الشامات هل أرج الذرى زاك و هل ربا السفوح رخاء

أعلى الظلال الوارفات بشاشه و على المروج الحائثات رواء

ص: ٣٥٢

١- المقصود بالقبب قصور الأعداء التي قامت فوق أجداث العرب.

هل فى محانى الغوطتىن كعهدنا للواردين مباحج و هناع
أم نابها الءاء الممض و راعها قءر يروع إذا أتى و قضاء
تللك البءولة كم زهء بجمالها سوح الوغى و تباهء الهىءاء
كم رفرء النصر الممنع فوعها كم ذل حول قباها الأءاء
تللك البءولة فى ءمشق فرىسه للموء تنهش قلبها الأءاء
وا لهفءاه لءاثرىن ءحملوا للءرب عن أوءانهم و ءناءوا
ىءلفءون و فى الصءور لواعج ءذكى الهموم و فى النفوس مضاء
ىءساء لون عن الءىار و رزءها كىف الأبوه بعء و الأبناء
ءءى إذا ءار النضال ءواءبوا للنار لا ءور و لا إعىاء
صبرا ءمشق و ما اسءكء لظالم ءوما و لا هاءء بك العلىاء
ذل الطغاه على ءماك و سمءهم ءسفا به ىءصاغر الكبراء
بأس على الهول المروع صابر و ءمىه ملء الءمى و إباء
قء كان شعرى فى بنىك ءماسه و الءوم شعرى فى بنىك رءاء

شاكبه

وىء الءىاه أ أنء الءوم شاكبه هم الءىاه و هءا الءسن ظمآن
أ وءهك العءب أشءان مبرءه و قلبك الغض بالآلام بركان
ظمىاء و الشعر مءل السءر منءلق من فىك و الءسن فى عىنىك فءان
و فى جىنىك من نور الصبا ألق و للءمال على ءءىك ألوان
أ ءءزىن و منك البءر مءلعه و ءظمىىن و منك الكون رىان

و تشتكين تباريح الأسي و لكم زالت بيسمتهك الغراء أحزان

عودى

عودى إلى فصول الحب يدعوننا و نغمه الشعر لم تبرح تناديننا
تهوى الرياض على شوق تواعدنا و يشتهى السفح و الوادى تلاقينا
سنملاً الكون شعرا من صبابتنا و نترع الدهر عطرا من تناجيننا
عودى إلى فلم أبرح كما علمت هذى النجوم محبا فيك مفتونا
ألقي الجمال على عينيك مزدهرا و فى جبينك أستجلى التحاسينا

غضب و رضا

لما التقينا على نار من الغضب تذكى الجوانح بالتقريع و العتب
قالت أ أنت نجى الليل و الشهب أنت المعنى بنا أم أنت ذو الطرب
تشدو بشعرك لا وجد و لا حرق على الغرام و لكن فتنه الأدب
أنت الفراشه من زهر إلى ثمر طول الحياه و من جد إلى لعب
أنا الفراشه يا ظمياء هائمه و ليس وجهك غير النور و اللهب
ثم افترقنا و بسمات الرضا نغم فى الثغر أو حلم نديان فى الهدب

الخامس من حزيران

حدثت حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ و أنا فى مدينه كراتشى فكان من وقع أنبائها هذه القصيده:

جل المصاب عن البكاء فكفكفى دمع الدليل و عبره المستضعف
يا أمه هانت فكم من شامت فى يومها الداجى و كم من مشرف

لهف العروبه و العروبه جذوه أورى على الحدثان من أن تنطفى
للثائرين استسلموا لمذلل للشامخين تذللوا المعنف
لمقاتلين تقصفت هاماتهم فى القدس تحت الراعد المتقصف
للمطعمين استطعت راحتهم و استعطفت فى الروع من لم يعطف
للمسجد الأقصى لمحراب الهدى للطائفين على البراق لعكف
خفت الأذان على المآذن و انطوى فى المسجد الأقصى نداء المصحف
و هوى على المحراب خفق نعالهم و طغى على الترتيل صوت المعزف
لا تلکم الجمع الحسان و لا صدی آياتها للعابد المتكشف
يا أمه نامت على أحلامها أودى اليهود بعزك المتغترف
و هويت من وقفات مجدك و العلى لامض مما عرف الورى من موقف
شدى على الغمرات لا تستيئسى و امضى على الهبوات لا تتوقفى
أن يعنف الخطب الملم فداوه من عزمك الماضى بخطب أعنف
يا نشء يا أمل النفوس و يا سنا ما أنفك يبرق فى الظلام المسدف
لا تجز عن قرب يوم عاصف تختال فيه بكل سيف مرهف
و لرب يوم للعروبه ثائر و لرب يوم بالفخار مفوف
القدس يجار بالشكاه مذه و يهود بالنصر المؤزر تحتفى
و المسجد الأقصى يطأطئ راغما و القوم قومك بالتصايح [بالنصائح] تكتفى
يا نشء جد فلا اصطبار و لا ونى يا نشء لا تغرر و لا تتعسف

ايلات...

بعد فاجعه الخامس من حزيران ١٩٦٧ كنت فى لندن فحملت لنا الأنباء خبر اشتعال الدارعه اليهوديه (ايلات) بالنار المصريه، فى عرض البحر و هى تحاول الدخول فى المياه العرييه:

ايلات!.. صوتك فى الظلام الأبعد أورى من العزمات ما لم يخمد

نار تشب على البحار كأنها فى الحندس الداجى مناره معبد

سالت على الأمواج تحرق أهلها و تريهم أن القيامه فى غد

نار و لا نار المجوس كرامه و لظى و لا برد النعيم المخلد

خشعت لها النفس الكريمه و ارتوى بعد الأوام بوهجها القلب الصدى

هى أن قنت إلى الإله محجتى و لها - على الإسلام - طول تعبدى

أيلات!.. أى يد رمتك بناها نار الجحيم و أى همه سيد

للخير، للضيف الملم، لنخوه للهول، للباس الشديد لمعتد

ردتك عن باب الكرامه و ارتمت بالنار توقد فيك ما لم يوقد

و أرتك ما لم تبصرى فى غاره يوما و ما لم تشهدى فى مشهد

نذر من الثارات إن هبت غدا وردت باسرائيل أشقى مورد

إيلات!.. أى المغرقين قذفتهم فى اليم بين محرق و مبدد

صفر من النخوات إلا أنهم ملء البرود نذاله المتهود

عزاء..

ذكرتك فى تباريح المصاب و وجهك بعد ذاك النور خابى

ذكرتك و الأسى يذوى شبابا فداه بكل نازله شبابى

فليت جراح قلبك فى فؤادى و ليت عذابك المضنى عذابى

أيا ألق الرجاء بليل ياسى و يا أسنى الأمانى و الرغاب

لقد كنت البشاشه فى حياتى و أنت اليوم همى و اكتبابى

ص: ٣٥٣

لا تصمتى فيباني منك منبتق و من عيونك وحى الشعر منطلق
كم قد شكتك ليالى الوجد صامته و كم أفاض الأسى و استرسل القلق
لا تصمتى و لغات الحب ناطقه أحنا الأحبه من أن عوتبوا نطقوا
رفت عليك صباباتي و ما برحت بنار حسنك هذى النفس تحترق
ناجيت قلبك أستجلى كوامنه لو أن قلبك فى شكواه ينطلق

من الذكريات

اشاره

فى السابع من تموز سنه ١٩٩٠ نشرت جريده السفير البيروتية ترجمه قصيده للشاعر الصهيونى أفرايم تسيدون هذا نصها:

"لن نحاور"

يا مردخاى غور ساقص عليك قصه
حتى لو تخلت المنظمه عن ميثاقها حتى لو حول ياسر عرفات
اسمه فى احتفال رسمى ليكون موشيه
و حتى لو تخلى الفدائيون عن أسلحتهم و عقيدتهم و أرسلوا بطاقات التهئه
لكل بيت يهودى فى رأس السنه العبريه
حتى لو شاركتنا المنظمه فى بناء المستوطنات لليهود القادمين الجدد
و حتى لو أعلنوا أمام الملاء ان الضفه الغربيه أرض يهوديه
و حتى لو قامت نساء فتح بنسج قبعات الصوف لجنود إسرائيل
و حتى لو استقبل أهالى الضفه جماعات غوش امونيم بالأغانى

و الزغاريد و حتى لو اعترفوا بالدوله اليهوديه و قدموا لنا كل أموال التبرعات التي يتلقونها

و حتى لو التزم ياسر عرفات أمام الملاً باننا الذئب و هم الغنم

و حتى لو نقلوا اللاجئین إلى القطب الشمالی و رفعوا رايات الهزيمة أياما و ليالى

و حتى لو تحولت سيوفهم إلى أقلام و مساطر

فلن نجالسهم أبدا و لن نحاور

فرددت عليه بالقصيده التاليه:

لا سلم

لا سلم حتى تستباح دياركم بشبا القواضب و البنادق و المدى

و تدك بالبارود تل أبيبكم و يعود مغناها لظى متوقدا

و نردكم فى الخافقين أذله و نعيدكم انى تكونوا عبدا

بالفيلق العربى يزحف هادرا و يكر فى رهج المعامع منشدا

ثارات يعرب لن تطل دماؤها و لظى الحفائظ لن يبوخ و يخمدا

شدوا ففى حيفا المراح على السرى غلسا و ان على ثراها الموعدا

أن يظما الوطن الجريح فلن ترى إلا دماهم للعطاشى موردا

يا شاعر السوءات دون فارتقب يوما من الولايات مرا اسودا

لا.. لن تحاور بل تكمم صاغرا و تقاد للجلاد ثم مصفدا

مؤتمرات القمه

فى أواخر شهر أيار سنه ١٩٩٠ عقد فى بغداد ما يسمونه مؤتمر القمه فعلقت على عقده بهذا المقال:

يوم وصل اليهود إلى ضفه القناه سنه ١٩٦٧ فيما اسموه بحرب الأيام الستة، و وقفوا هناك متطلعین إلى ما وراء القناه من سهوب شاسعه و آفاق بعيده كانت فى متناول أيديهم فيما يحسبون، لو أنهم تجاوزوا هذا الماء الفاصل بينهم و بينها و ما كان أسهل عليهم أن يتجاوزوه بعد أن تمزق كل شىء، و انهارت القوى... القوى كلها ما كان منها ماده صلده تموج و تمور على وجه

الصعيد، أو كان معنى كامنا فى الصدور! يوم وصل اليهود إلى ضفة القناه بجيشهم المنتشى بخمره النصر الهين و جلسوا يستريحون هناك، كان كبرأؤهم يجلسون على مقاعدهم وراء مكاتبهم ينتظرون رنين الهواتف المؤذنه بالاستسلام لهم، و المعترفه بالواقع المرير الذى ضاع معه كل شىء.

و لكن الهواتف لم ترن و طال صمتها، و إذا بالصوت الذى حسبوه سيصلهم ذليلا خانعا على سماعات الهواتف، إذا به يجلس فى الآفاق صارخا فى وجوههم بلاءاته الثلاث: لا... لا... لا. كانت لاءات قمه (الخرطوم) يوم ذاك هى التى تتمثل فيها شمائل العرب: شمما و حميه و قوه عزم و بساله. كانت هى مظهر هذه الأمه الممتده بعشرات ملايينها من المحيط إلى الخليج... كانت هى الرد الحاسم على الذين تباشروا بوصولهم إلى جدار هيكل سليمان ليخطوا الخطوه التاليه التى تحتويهم من النيل إلى الفرات.

الرهوس التى نكسها صدى انات الهزيمة على رمال سينا و صحور الجولان عادت ترفعها صرخات النخوه فى أجواء الخرطوم.

و انتظر العرب، و انتظروا فإذا باللاءات تنقلص و إذا ب (لا) الأولى تتحول إلى (نعم).

و لم ينتظروا تحول (اللاءين) الأخيرين إلى (نعمين)، إذ أن التحول الأول محاهما.

واجه هذا الوطن فى تاريخه سنه ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) يوما كيوم وصول اليهود إلى ضفة القناه فى سنه ١٩٦٧.

بل لنا أن نقول أن ذاك اليوم سنه ١٢٦٠ كان أشد هولاً من يوم سنه ١٩٦٧ فإذا كان اليوم الثانى نتج من هزيمه واحده فان اليوم الأول كان ناتجا من سلسله هزائم متتابعه أضاعت الوطن فى معظه و لم تبق لبنيه امتدادا يلوذون به ليتهاوا للكره على عدوهم، لم تبق لبنيه امتدادا إلا رقعته هيهات أن تحمى و تجير.

كان الوطن يوم ذاك فى مواجهه الغزو المغولى المدمر الذى اجتاح الوطن الكبير بلدا بعد بلد حتى بلغ أبواب مصر نازله طلائعه فى مدينه (غزه).

و عند ذلك أرسل (هولاكو)، إلى حاكم مصر الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزى إنذارا رهيبا حملة واحد و أربعون رجلا- من رجاله الغلاظ الشداد، هذا نصه: "إن الله تعالى قد رفع شان جنكيز خان و أسرته، و منحنا ممالك الأرض برمتها، و كل من يتمرد علينا و يعصى أمرنا يقضى عليه مع نساءه و أبنائه و أقاربه و المتصلين به و بلاده و رعاياه، كما بلغ ذلك أسماع الجميع. أما صيت جيشنا، الذى لا حصر له فقد بلغ الشهره كقصه رستم و إسفنديار.

فإذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا، فأرسل إلينا الجزية، و أقدم بنفسك لطلب الشحنة، و إلا فكن مستعدا للقتال".

هذا هو الإنذار المخيف الذى حملة الواحد و الأربعون مغوليا إلى الحاكم المصرى، و هذا هو التهديد المروع الذى وصل إلى القاهره.

و قد كانت كل جملة فى هذا الإنذار صحيحه صادقه، فقد دانت لهم ممالك الأرض، و كل من تمرد عليهم قضى عليه و خربت بلاده. و كبراء الناس قد صاروا خدم الحضرة المغوليه.

و هبط الوفد مصر جبارا متكبرا، يزلزل بروعته العزائم و يوهى الهمم.

هبط مصر و هبط معه تاريخ أسود من الانتصارات الكاسحه، و ماض بشع من التسلط المهول، كانا كافيين للتسليم و الخذلان.

كان الأمر أخطر من أن يقطع به إنسان واحد، و كانت مصر آخر معقل، فإذا هوت لم تقم بعدها قائمه. لذلك لم يجرؤ رجل فرد، مهما أوتى من سداد الرأى و قوه العزم أن ينفرد بالقرار.

و هنا كانت الدعوه إلى ما يمكن أن نسميه (مؤتمر قمه)، مؤتمر قمه لا بمقاييسنا فى هذا العصر، بل بمقاييس ذلك الزمان.

لم يكن المدعوون إليه من أصحاب الجلاله و الفخامه و السمو و السياده، ممن لم يكن لهم وجود يومئذ، بل كان المدعوون إليه حكام المناطق المصريه، و أمراء الجيش، مضافا إليهم من انهزموا أمام المغول من حكام البلاد الأخرى و لجئوا إلى مصر.

دعا إلى مؤتمر القمه هذا، ملك مصر سيف الدين قطز. و قد حفظت لنا بعض المصادر ما يمكن أن نسميه محضرا لما جرى من النقاش و التداول فى الجلسه الوحيده التى عقدها المؤتمرون.

افتتح المؤتمر الملك المصرى متكلمنا بصراحه يقتضيها الموقف الخطير الذى وصلت إليه البلاد، فقال:

"لقد توجه هولاكو من طوران إلى إيران بجيش جرار، و لم يكن لأى مخلوق من الخلفاء و السلاطين و الملوك طاقه على مقاومته، و استولى على جميع البلاد، ثم جاء إلى دمشق و لو لم يبلغه نعى أخيه لألحق مصر بالبلاد الأخرى، و مع هذا فقد ترك فى هذه النواحي (كيتو بوقا)، و هو كالأسد الهصور و التنين القوى فى الكمين، و إذا قصد مصر فلن يكون لأحد قدره على مقاومته، فيجب أن تتدبروا الأمر قبل فوات الفرصه".

لقد كان الملك سيف الدين قطز يعرف أن أكثر المؤتمرين انهزاميون قد استولت عليهم الرهبه من المغول، و أنهم ميالون إلى

التسليم، و لم يكن هذا من رأيه، بل كان رأيه المقاومه و القتال، و خشى إذا طرح الأمر على التصويت أن ينتهى التصويت إلى صالح الانهزاميين. لذلك بدا من كلمته أنه هو الآخر ميال إلى التسليم، فاطمان الانهزاميون إلى قراره، فلم يحزموا أمرهم و يكتلوا قوتهم بل ظل موقفهم مائعا بعض كما سنرى فى الآتى من القول:

و قد كان فى المؤتمرين رجل واحد قوى النفس، لم تؤثر فى قوته انتصارات المغول المتتابعه، و لا أضعف يقينه التهديد و الوعيد، فلما لمس لنا فى موقف رئيس المؤتمر، و لمح فى كلمته امارات الانهزام النفسى، تصدى له بقوه و حزم. هذا الرجل هو ناصر الدين القيمرى الذى رد على كلمه الرئيس بما يلى:

"ان البلاد الممتده من تخوم الصين إلى باب مصر هى الآن كلها فى قبضه هولوكو، فلو ذهبنا إليه لطلب الأمان فليس فى ذلك عيب و عار، و لكن تناول السم بخداع النفس و استقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل. انه ليس بالإنسان الذى يطمأن إليه، و هو لا يفى بعهده و ميثاقه، فإنه قتل فجاه خور شاه، و حسام الدين عكه، و صاحب اربل بعد أن أعطاهم العهد و الميثاق، فإذا سرنا إليه فسيكون مصيرنا مصيرهم".

فلم يرد أحد من الانهزاميين على ناصر الدين القيمرى و تركوا أمر مصاولته إلى رئيس المؤتمر بعد أن صار فى ظنهم أنه فى صفهم.

و بالفعل تولى الرئيس بنفسه الرد على القيمرى. و انحصر النقاش فى المؤتمر بين الاثنىن القويين: سيف الدين قطز، و ناصر الدين القيمرى.

فرد الرئيس على القيمرى قائلا:

"ان كافه بلاد ديار بكر و ربيعه و الشام ممتلئه بالمناحات و الفجائع.

و أضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا و يبايا. و قد قضى على جميع من فيها من حرث و نسل، فلو اننا تقدمنا لقتالهم فسوف تخرب مصر خرابا تاما كغيرها.

و ينبغى أن نختار مع هذه الجماعه التى تريد بلادنا، واحدا من ثلاثه: الصلح أو القتال أو الجلاء عن الوطن. أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر، و ذلك لأنه لا يمكن أن نجد مقرا لنا إلا المغرب و بيننا و بينه مسافات بعيدة".

يبدو الملك سيف الدين قطز من هذا الكلام على أعلى مستوى من الحنكه و الدهاء السياسى، بل يبدو دبلوماسيا قديرا يعرف كيف يناور و يحاور، ثم يحتفظ بالموقف السليم الثابت لآخر لحظه، هى اللحظه الحاسمه.

لقد قال ان أمامهم ثلاثه خيارات: الجلاء أو التسليم أو الحرب. ثم يرهن أن الجلاء غير ممكن، و قد كان عليه بحسب ظاهر الحال أن يبين رأيه فى الخيارين الآخرين، و لكنه لم يفعل.

انه أراد أن لا يفاجئ الانهزاميين برأيه فى وجوب المقاومه لئلا يهبوا فى وجهه هبه واحده و هم أكثره الحاضرين:

بل ترك ذلك لناصر الدين القيمرى ليزداد الانهزاميون اطمئنانا إلى موقفه هو.

لقد أسقط هو الخيار الأول (الجلاء)، فكان لزاما على ناصر الدين القيمرى أن يتولى إسقاط خيار التسليم، و قد كان ذلك، فرد القيمرى قائلا بحزم و ثبات:

" و ليس هناك مصلحه أيضا فى مصالحتهم إذ أنه لا يوثق بعهودهم "

و هنا التفت الرئيس إلى الانهزاميين ليقولوا كلمتهم، فقالوها و لكنهم

ص: ٣٥٥

شفعوها بكلام أبطل مفعولها. و كان ذلك نتيجة المناوره البارعه التى قام بها الرئيس العظيم سيف الدين قطز، و التى أوهم فيها الانهزاميين أنه من رأيهم.

كان جواب الانهزاميين ردا على كلمه القيمرى متوجهين بها إلى رئيس المؤتمر:

"ليس لنا قدره و لا طاقه على مقاومتهم، فمر بما يقتضيه رأيك".

لقد كانوا يعتقدون أنهم بكلمتهم هذه يسلحون الرئيس بسلاح قوى ليقرر التسليم مستندا إلى رأى الأكثرية، و كانوا يتصورون أنه ينتظر كلمتهم هذه لتكون حجته فيما يعزم عليه من الخضوع للمغول.

لقد كان فى الواقع ينتظر كلمتهم ليحزم أمره فى القرار، و لكنهم وقعوا فى الشرك الذى نصبه لهم ببراعته و دقه مخادعته. لم ينتبهوا أنه استدرجهم لتكون كلمتهم ذات شقين، و أنه أصبح حرا فى أى شق شاء من هذين الشقين.

لقد قالوا بالتسليم، و فى الوقت نفسه قالوا له: "فمر بما يقتضيه فأمر بما يقتضيه رأيه، فقال:

" ان الرأى عندى هو أن تتوجه جميعا إلى القتال، فإذا ظفرنا فهو المراد و إلا فلن نكون ملومين أمام الخالق".

أمام هذا الجواب الحازم صمت الانهزاميون، أ لم يقولوا له: "مر بما يقتضيه رأيك". انه ينفذ ما طلبوه إليه.

إذا كان مؤتمر الخرطوم سنة ١٩٦٧ قد انجلى عن ثلاث (لاءات)، امحت كلها مع الأيام، و صار يحل محلها فى كل مؤتمر (نعم)، فيكون جواب الأعداء عنها: (لا).

إذا كان الأمر كذلك فان مؤتمر القاهره سنة ١٢٦٠ أوجز الجواب ب (لا) واحده، لم يكتبها بالحبر الذى تمحوه الأيام، بل كتبها بالدم الذى لا تمحو الأيام ما يكتب به. كتبها سيوف (عين جالوت).

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديد آورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديد آور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو المجلد الخامس من (مستدركات أعيان الشيعة) نضعه بين يدي القارئ موفين بوعدنا له على مواصلة السير متجاوزين العقاب مذللين الصعاب.

وقد جهدنا على أن نضمه التاريخ العلمى و الفكرى و الأدبى و السياسى و العسكرى لما تجاوز المنطقه العربيه إلى المناطق التركيه و الإيرانيه و الباكستانيه و الهنديه. ما رأى بعضه القارئ فى بعض المجلدات السابقه، و ما يراه هنا بشكل أوسع و أشمل، و ما سيراه فى القادم من المجلدات متصل الشمول و الاتساع. و بذلك نسد فراغا كبيرا فى التاريخ الإسلامى العام، كان هذا التاريخ بأمس الحاجه إلى سده ليبرز متكامل الجنبات، متماسك الحلقات.

و نودع القارئ فى هذه الصفحات على أمل اللقاء فى صفحات المجلد السادس إن شاء الله.

حسن الأمين

ص: ٥

آخوند مالك

توفى حدود سنه ١٤٠٠.

كان نافذ الكلمه، زعيم الشيعه فى منطقته بتركيا، موفقا فى ترويج المذهب و تبليغ أحكام الشريعه، معلنا صوت الشيعه فى ربوع محافظه "گارس" التى يسكنها العدد الكبير من الشيعه و قد وقف فى وجه "آتاتورك"، و ألقى عليه القبض مرات عديده، و اجتلب من گارس إلى "أنقره" و لكنه بدل المحكمه إلى مدرسه، و ناقش الحاكم و أدانه بالأدله القاطعه.

له آثار مطبوعه، منها: "دوغرو يول" أى الصراط المستقيم.

و قد أسس مساجد و مدارس و مشاريع فى گارس (تركيا) و ضواحيها، و ربي طلابا و تلاميذ، من أجلهم قدرا و أعظمهم شاناً، الشيخ عزيز، المقيم فى گارس و الخلف الصالح لآخوند مالك طاب ثراه. (١)

السيد آغا

ولد سنه ١٢٥٠ و توفى سنه ١٣٢١.

كان عالما فاضلا مكافحا فى سبيل التشيع، و هو من سكان (الله آباد) فى الهند. له من المؤلفات: ١ - الحقيقه و الخلافه ٢ - تقرير الليلتين ٣ - أساس الايمان.

السيد آقا حسن

ولد سنه ١٢٨٢ فى لكهنو و توفى سنه ١٣٤٨ و دفن فى حسنيه غفران مآب.

درس دراسته الأولى فى لكهنو ثم انتقل إلى العراق لإكمال الدراسه فكان من أساتذته الشيخ حسين المازندراني و الشيخ زين العابدين الحائرى و الشيخ محمد حسين المامقانى و السيد محمد حسين الشهرستانى. ثم عاد إلى بلده لكهنو حيث مارس نشاطه فى مسجد آصف الدوله. و من مآثره إنشاء (جمعيه الشيعه فى الهند) التى سجلت باسم (آل انديا شيعه كانفراس) و لا تزال قائمه حتى الآن. و تحريك فكره بناء (شيعه كالج) و تم بناؤها أخيرا، و هى إحدى المدارس المعترف بها رسميا عند الدوله، و يدرس فيها فقه الشيعه و عقائدهم إلى جانب العلوم الحديثه. و فى ٢٧ ربيع الأول سنه ١٣٢٨ أسس جمعيه العلماء فى الهند و كان من أولى مهماته طباعه الكتب الشيعيه القيمه.

قام بتنظيم إدارى للمدرسه الجعفرية بحيث انتظم أمر تعيين المدرسين و تحديد الدروس.

آقا محمد قاجار

إشاره

هو أول ملوك الأسره القاجاريه التى بدأ ملكها فى إيران سنه ١١٩٣ هـ. ابن "محمد حسن قاجار قوانلو" بن "فتح على خان

"ابن شاه قلى خان" ابن "مهدى خان" ابن "ولى خان" ابن "محمد قلى خان".

و الأربعة الأخيرون من أجداده لا ذكر لهم فى التاريخ سوى أن مؤرخى العهد القاجارى من الايرانيين أثبتوا أسماءهم فى شجره النسب هذه من غير أن يذكروا مستندهم التاريخى فى ذلك. و لا يعلم هل كان لهم وجود حقيقى فى التاريخ أم لا.

"آغا محمد خان" هو أكبر إخوته. ولد فى "جرجان" فى شهر المحرم سنة ١١٥٥ هـ. و فى سنة ١١٦٠ هـ. غزا "على شاه أفشار" المتلقب بـ "عادل شاه"، و هو ابن أخى "نادر شاه" أفشار - و كان يملك فى خراسان - مازندران لاخضاع "محمد حسن خان" (٢) أبى "آغا محمد حسن خان" (، أو بسبب ما وقع يومئذ فى خراسان من قحط و غلاء. و خشى "محمد حسن خان" من أن يقع أسيرا فى يد "على شاه" ففر من مازندران إلى صحراء جرجان. و أسر "على شاه" (٣) ولديه و أمر بخصاء الأكبر منهما "آغا محمد خان"، و كان فى الخامسة أو السادسة من عمره، فخصى فى سنة ١٦٦١ هـ. (٤)

و قد أثر فيه هذا الحادث تأثيرا سيئا على ما هو معروف فى علم النفس.

فأصبح من ذلك الحين ردىء الأخلاق شرسا فظا غليظ القلب سفاحا حقودا منافقا سيئ الظن.

بعد ذلك خرج "إبراهيم خان أفشار" أخو "على شاه أفشار" على أخيه و وقعت بينهما حرب. ثم انتهى أمرهما كليهما إلى القتل. و فر "آغا محمد خان" من خراسان و التحق بآبيه "محمد حسن خان". و خلا الميدان، بموت الأخوين الأفشاريين، ل "محمد حسن خان" فاستولى على جرجان و مازندران و جيلان، و أخذ يسعى للوصول إلى العرش. و كان ينافس على ذلك "كريم خان زند". و وقعت بينهما حروب انتهت بهزيمة "محمد حسن خان" و مقتله فى مازندران سنة ١١٧٢ هـ، و استقام الملك ل "كريم

ص: ٧

١- الشيخ على أكبر مهدى پور.

٢- كتب المؤرخ الفرنسى (جان غوره) كتابا فى سيره آغا محمد خان بعنوان (الخصى المتوج) خالف فيه بعض المشهور من الروايات و الآراء فى هذه السيره، و ترجم ذبيح الله منصورى هذا الكتاب إلى الفارسى. و هو من مصادرنا الرئيسيه فى كتابه هذه الترجمة، مضافا إلى ما كتبه كل من سعيد نفيسى فى كتابه (تاريخ إيران الاجتماعى و السياسى)، و مهدى بامداد فى كتابه (شرح حال رجال إيران).

٣- راجع ترجمته و ترجمه كريم خان زند.

٤- نقل المؤرخ الفرنسى "جان غوره" روايه أخرى فى خصاء "آقا محمد خان" ياتى ذكرها

خان". و كان "آغا محمد خان" يرافق أباه في كل وقائعه.

و أقام "آغا محمد خان" بعد مقتل أبيه مع أخيه الشقيق. "حسين قلى خان" (أبى فتح على شاه) و إخوته لأبيه الآخرين و بضعه نفر من أقاربه مده فى صحراء جرجان و صحراء "قشاق" بين طائفه "جعفر باى" التركمانيه، متسترا حائرا.

و فى سنه ١١٧٥ هـ، و كان فى العشرين من عمره، أغار مع جماعه من التركمان على جرجان بقصد السلب و النهب، و لكنه رجع عنها خائبا إذ تصدى لدفعه حاكمها المقتدر عدو طائفه "قاجار قوانلو" اللدود "محمد حسين خان قاجار دولو" (١). و عاد "آغا محمد خان" إلى ما كان عليه من تستر و حيره.

و كان على مازندران حاكم مقتدر من قبل "كريم خان زند" اسمه "محمد خان سوادكوهى" و اشتهر باسم "دادو". (٢) فعلم بمجىء "آغا محمد خان" إلى جرجان و عرف المكان الذى فر إليه. فأرسل جماعه من الفرسان فاعتقلوه و جاءوا به إلى "بابل". و أرسل هذا الحاكم إلى "كريم خان"، و كان فى طهران، تقريرا بذلك، فأمره بإرسال "آغا محمد خان" إلى طهران، ففعل.

و استقبل "كريم خان" أسيره هذا استقبالا كريما و عامله بالحسنى و بالغ فى الرفق به و استمالته و أمنه حتى جعله يطمئن إليه كل الاطمئنان. ثم طلب منه أن يذهب بنفسه إلى جرجان فيأتى بإخوته و أقاربه كلهم إلى طهران.

فذهب إليها و جاء بهم كما طلب منه. و أقامهم "كريم خان" فى طهران أياما ريثما استراحوا ثم أرسلهم إلى ولايه "دامغان" فأسكنهم فى "تويه دروار".

و ظل "آغا خان" و أقاربه فى "دامغان" من سنه ١١٧٥ هـ إلى سنه ١١٧٧ هـ، و هم مراقبون. و كان "محمد حسين خان دولو" حاكم جرجان، و هى قريبه من "دامغان" حيث يسكن "آغا محمد خان قوانلو" و إخوته أبناء "محمد حسن خان قوانلو" و أقربائهم، قد سبق أن أرسل إلى "كريم خان" تقريرا أشار عليه فيه أن لا يغالى فى الاطمئنان إلى هؤلاء، و أن يزيد فى مراقبتهم و الحذر منهم. و بناء على هذا أمر "كريم خان" باعادتهم إلى طهران فأعيدوا.

و رأى "كريم خان" أن يفرق بينهم، فقسّمهم إلى فريقين، فريق من "آغا محمد خان"، و كان يومئذ فى الثلاثين من عمره، و أخيه الشقيق "حسين قلى خان" و أقربائهما من خئولتهما، و حملهم معه إلى شيراز، و فريق من سائر أبناء "محمد حسن خان" إخوه "آغا محمد خان" لأبيه و أقربائهم، و أرسلهم إلى قزوین و أسكنهم فيها.

و أكرم "كريم خان" مثنوى "آغا محمد خان" و أقربائه و مرافقيه و بلغ فى معاملته غايه المحبه و العطف، حتى إنه كان يستشيره أحيانا فى بعض أموره، و يناديه باسم "بيران ويسه" (٣) و مكث "آغا محمد خان" فى شيراز مده سته عشر عاما، من سنه ١١٧٧ هـ إلى سنه ١١٩٣ هـ، محترما ناعم البال مرفه الحال هو و ذووه، و لكنه مراقب. و ظل فى أوائل إقامته ممنوعا من مغادره المدينه. ثم ما زال يحصل شيئا فشيئا على الثقه به و الاطمئنان إليه من "كريم خان"، و خصوصا فى أواخر حياه هذا، حتى سمح له بمغادره المدينه و الخروج إلى الصيد و النزّه متى شاء، و أن يختار لركوبه أحسن جياذ الاصلب.

و بعد وفاه " كريم خان زند " سنة ١١٩٣ هـ فر " آغا محمد خان " من شيراز إلى أصفهان.

مساعي " آغا محمد خان "

وصل " آغا محمد خان " إلى أصفهان، و لم يمكث فيها إلا مده يسيره اجتمع فيها بفريق من رجاله، ثم تابع سيره إلى " ورامين " حيث ضم إليه من كان فيها من القاجاريين.

و حين وصل إلى أصفهان في فراره هذا ذهب إلى علاف فيها اسمه " محمد حسين " كانت بينه و بين رؤساء القاجاريين معاملته، فطلب منه أن يبيعه علفا لحصانه بنسيئته. فمنحه ما طلب بلا تردد. و لما وصل " آقا محمد خان " إلى منصب الملك كفا العلاف على ما أسلفه من جميل بان قربه إليه ثم ارتفع إلى منصب الصدر الأعظم و لقب بلقب " اعتماد الدوله ".

مضى " آقا محمد خان " برجاله من أصفهان توا إلى طهران فأقام فيها يوما واحدا ثم سار إلى مازندران حيث انضم إليه جماعه من القاجاريين.

و لكن القاجاريين لم يكونوا كلهم مؤيدين له و لا سيما قرابته الأذنون. فإنه أراد المضى من مازندران إلى جرجان فقاوموه. و قام أحد إخوته " مرتضى قلى خان " بنفسه بمنعه من دخول جرجان. و وقعت بينهما حروب دامت اربع سنوات كانت بينهما سجالات. و في إحدى هذه الحروب انكسر " آقا محمد خان " و أسر و أوشك أعداؤه أن يعموا عينيه، و لكنه استطاع النجاه، و عاود حربهم. و كانت عده من استطاع تجييشهم من القاجاريين، بعد فراره من شيراز و التحاقه بالقبيله القاجاريه، ثلاثين ألفا قاسا في جمعهم مشقات شديده.

قام " آقا محمد خان " في سعيه إلى الملك بجهود مضنيه حتى يمكن القول إنها امتدت إلى آخر عمره. و وقعت عده حروب بينه و بين إخوته و بينه و بين الزنديين من خلفاء " كريم خان زند " مثل " على مراد خان " و " جعفر خان "، و كان أهم هؤلاء في مقاومته " لطف على خان " آخر ملوك الزنديين. و انتهت به دقه تدبيره و دأبه على العمل إلى التفوق عليهم كلهم.

و في سنة ١٢٠٣ هـ اختار " آغا محمد خان " طهران عاصمه له. و في شهر ذى القعدة سنة ١٢٠٩ هـ أصبح ملكا على إيران بلا منازع، و هو ما سنذكره في الآتى من القول مفصلا.

و من ذى القعدة سنة ١٢٠٩ هـ إلى ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤ هـ، و هى سنة خلع " أحمد شاه قاجار " آخر ملوك القاجاريين، كان قد انقضى على تملك هذه الأسره ١٣٤ سنة و ٤ أشهر و بضعه أيام بحساب التقويم القمري. و لكن المؤرخين الايرانيين من متحلقى البلاط القاجارى قدموا بدايه ملكهم فجعلوها بدايه تملك قبيله " آق قويونلو " فى أذربيجان سنة ٧٨٠ هـ و جعلها آخرون سنة ١١٣٣ هـ سنة خروج " فتح على خان " فى

ص: ٨

١- كان القاجاريون ينقسمون إلى شعب و طوائف. إحداها طائفه "قوانلو" أو "قويونلو"، و إليها ينتمى "آقا محمد خان" و

- خلفاؤه فى ملك إيران. و طائفه أخرى تعرف باسم "دولو" و كان بين الطائفتين عداوه شديده.
- ٢- " دادو " معناها: العبد. و لعل اسلافه كانوا من العبيد فعرفت أسرته بهذه الشهره.
- ٣- اسم وزير "أفراسياب" ملك "توران" على ما فى "الشاهنامه".

عهد الشاه "سلطان حسين الصفوى". و هو قول مردود لا يصح.

حروب أخرى

بعد أن تغلب "آقا محمد خان" على "لطف على خان" - كما سيأتى تفصيله - تيسر له أن يسيطر على مختلف نواحي إيران. و لم يبق خارجا عن يده غير خراسان حيث كان يملك أعقاب "نادر شاه أفشار". و كان المالك يومئذ حفيده "شاه رخ شاه". و حين كانت أسرته "زند" تملك على إيران لم يتعرض أحد للأمراء الأفشاريين المالكيين هناك.

كان رئيس طوائف الأفشاريين يومئذ "على خان أفشار"، و كان يقيم فى أذربيجان. فاغتنم فرصه تضعضع الأحوال فقام يطلب الملك لنفسه، و جمع حوله جماعه يناصرونه. فسار "آقا محمد خان" بجيش إلى محاربتة. فلما صار قريبا منه أرسل إليه رسولا يمينه بالمواعيد و ما زال به يخادعه حتى انخدع الأفشارى به و سالمه و صافاه.

و فى يوم من الأيام استدرجه "آقا محمد خان" إلى منزله، فلما وصل انقض عليه جماعه كان قد هياهم فاقتلعوا عينيه. و فى اليوم التالى هجم "آقا محمد خان" على رجاله فقتلهم.

و بعد ذلك أراد "آقا محمد خان" أن يأمن جانب إخوته. ففر ثلاثة منهم إلى خارج إيران خوفا منه. و ظفر بآخر منهم فأعمى عينيه. و لم يبق أحد من إخوته سوى "جعفر قلى خان". و كان الفضل فى أهم انتصاراته يعود إلى أخيه هذا. و لكن "آقا محمد خان" كان قد نصب لولايه عهده "فتح قلى خان" المعروف بلقب "بابا خان". (1) و هو ابن أخيه الشقيق "حسين قلى خان" المعروف بلقب "جهان سوز" (أى حارق الدنيا)، و قد خشى "آقا محمد خان" أن يقصى أخوه "جعفر قلى خان" بعد وفاته ابن أخيه هذا عن الملك و يلحق به الأذى. و لذلك أراد التخلص منه. و كان جعفر هذا حاكما على مازندران. و كان "آقا محمد خان" فى طهران. فاستدعى أخاه هذا إليه، فامتنع فى بادئ الأمر من الحضور خوفا من أن يكون قد بيت له شرا. و لكن "آقا محمد خان" ما زال به يخادعه حتى حضر إليه. ثم قتله اغتيالا.

و بعد مقتله سار "آقا محمد خان" بجيش إلى محاربه التركمان. مع أن التركمان كانوا على مدى سنين متطاوله ينصرون أسرته. و كانوا دائما أعوانا لأبيه. و لكنه نقم عليهم نصرتهم لأخيه "جعفر قلى خان" فأراد الانتقام منهم. و قد سفك دماء كثيرة فى هذه الحرب. و أسر كثيرا من نساء التركمان و أطفالهم و حملهم معه فى عودته. و انتحرت جماعه من النساء فى أثناء الطريق أبين أن يخضعن للأسر و العبوديه. و من ذلك اليوم حمل تركمان إيران أشد الحقد على الأسره القاجاريه. و ما زالوا على مدى المده التى ملك فيها القاجاريون يغيرون على النواحي التى تجاورهم كلما استطاعوا الاغاره. و لا سيما الطريق ما بين خراسان و طهران، فقد ظلت دائما هدفا لغاراتهم، يسلبون المسافرين و يأسرون أبناءهم و نساءهم، و يجعلون ذلك انتقاما لتلك الواقعة. و كان موظفو الدوله، فى المقابل، يجددون تلك الواقعة كلما تغلبوا على التركمان. و إلى اليوم الذى منعت فيه النخاسه فى إيران كان النخاسون يتعاطون المتاجره بالإماء التركمانيات فى مدن إيران المركزيه.

غزو القفقاس

ظلت بلاد الكرج حتى السواحل الشرقيه من البحر الأسود جزءا من أرض إيران فى كل المده التى ملك فيها الصفويون. و كان

ملوك الكرجنصاري و كان الصفويون يمنحونهم شيئا من الاستقلال. و كان أولياء العهد الكرجيون و بعض أمراء البيت الكرجي المالك يقيمون دائما في البلاط الصفوي باصفهان رهائن. و لكنهم يعاملون بمنتهى الاحترام. فإذا مات الملك الكرجي حمل ولى عهده من أصفهان محاطا بكل ما يقضيه منصبه من التشريفات الملكيه إلى عاصمه الكرج "تفليس" ليخلف أباه على العرش.

بل كان بين الأسر الكرجيه النبيله و مثيلاتها من أسر أصفهان قرابه. فأكثر رجال هذه الأسر الإيرانيه كانوا أصهار الكرجيين. و اتخذ الملوك و الأمراء الصفويون زوجات لهم من أميرات الكرج و نبيلاتهم.

فلما انقرض الصفويون و ضعف البلاط الايراني أخذت فكره الاستقلال تساور ملوك الكرج شيئا فشيئا. و من جهه أخرى أضافت روسيا أرضا أخرى إلى ما كانت تحتله من أرض في جنوبها حتى صارت تجاور الشمال من بلاد الكرج. و اقتضى ذلك أن صار ملوك الكرج يسعون إلى التقرب من البلاط الروسي و التقوى به كلما ساء ظنهم بالبلاط الايراني و خافوا منه شرا.

و لما خرج "آقا محمد خان" على الاسره الزنديه اغتتم "هراكليوس" الثاني عشر ملك الكرج فرصه تضعع الأوضاع في إيران، فانحاز إلى روسيا و استظل بحمايتها. و لما ارتفع شان "آقا محمد خان" و انتصر في سنه ١٢٠٩ هـ أخذ يعد العده لغزو بلاد الكرج و إخضاع ملكها.

و كان يعتمد أسلوب المباغته في الحرب، و يتقن هذا الأسلوب إلى درجه فائقه. فسار بجيشه من طهران بمنتهى السرعه المستطاعه متجها شمالا: و أخضع بلدانا و أقام فيها حاميات، و تابع سيره بأربعين ألف جندي قاصدا "تفليس" عاصمه بلاد الكرج.

و لما بلغ نبا هذا الغزو إلى "هراكليوس" كان الأمر قد سبقه فلم يجد وقتا يستطيع فيه الاستنجد بروسيا. و دهمه "آقا محمد خان" فلم يستطع دفاعا مع ما أبداه جنده من شجاعه عظيمه في دفاعهم. فانهمزوا من وجه الغازي و فر "هراكليوس" إلى الجبال القائمه في نواحي "تفليس".

و لما احتل "آقا محمد خان" المدينه أعمل السيف في أهلها و قتل منهم خلقا كثيرا، و أسر ستة عشر ألفا من أطفالها و بناتها و حملهم معه إلى إيران.

و قد ألحقت هذه الفظاظه بايران ضرا كبيرا، إذ أنها ملأت قلوب الكرجيين حقدًا على إيران، فابعدتهم عنها. و انفصلت بلاد الكرج بعد ذلك عن إيران فلم تعد إليها.

تويج "آقا محمد خان"

إلى ما قبل تلك الوقعه لم يكن "آقا محمد خان قاجار" قد طلب لنفسه منصب الملك على إيران. و لكن انتصاره في تلك الغزوه بلغ به الغايه من الاعتزاز بنفسه. فعاد لا يرى مانعا له من إعلان نفسه ملكا على إيران.

و لذلك دعا في سنه ١٢١٠ هـ رؤساء عسكريه إلى الحضور في طهران.

و عقد منهم مجلسا. و أخذ بيده تاجا كان قد سبق أن صيغ له، و قال لهم:
إن كنتم ترضون بي ملكا وضعت التاج على رأسي، و لكن لي شرطا عليكم

ص: ٩

١- إذ كان سمى جده الأعلى فقد عرف في العائلة باسم "بابا خان".

هو أن يقسم كل الحاضرين على أن لا يتقاعسوا عن نصرتي و الوفاء لي ما داموا أحياء. فاقسموا. و حينئذ وضع التاج على رأسه. و كانوا قد أحضروا سيف الشاه إسماعيل الصفوي مؤسس السلسله الصفويه الملكيه، و كان السيف موضوعا عند رأس قبره، فتقلده "آقا محمد خان". و بذلك جعل نفسه خليفه الصفويين و الملك المملك. و ضرب النقد باسمه.

و قال بعضهم إنه توج سنه ١٢٠٩ هـ بعد اعتقال "لطف علي خان" و مقتله.

انقراض ملك الأفشاريين

و في أواخر سنه ١٢١٠ هـ سار "آغا محمد خان" إلى خراسان لزياره ضريح الامام الرضا (ع) في الظاهر، و ضم خراسان إلى سائر النواحي التي يحكمها من إيران في الواقع، إذ كانت خراسان لا تزال في حكم "شاه رخ شاه أفشار" الأعمى آخر ملوك الأفشاريين و ابن "رضا قلي ميرزا" ابن "نادر شاه" و كذلك الاستيلاء على ما في يد "شاه رخ شاه" من بقايا جواهر "نادر شاه أفشار" الغاليه.

فلما قرب "آقا محمد خان" من (مشهد) رأى "شاه رخ شاه" مصلحته في أن يستجير به ليبقي آمنا. فاجاره "آقا محمد خان" و أقسم له في رواق مقام الامام الرضا (ع). بحضور أعيان خراسان على أن لا يمسه بسوء. و لكنه لم يلبث، بعد أن اطمأن إليه، أن طالبه بما يحتفظ به من الجواهر، فرفض "شاه رخ شاه" طلبه. فما كان من آقا محمد خان "إلا أن وضعه في العذاب. و استمر في تعذيبه حتى أوشك أن يموت. و حينئذ لم يجد وسيله للسلامه من الموت سوى التسليم، فذله على مخبا الجواهر و استولى "آقا محمد خان" عليها. و ذكروا أن بعض هذه الجواهر كان ياقوتات كبيره مما كان "أورنك زيب" ملك الهند التيموري يرصع بها تاجه من جواهر و قد حملها "نادر شاه أفشار" معه من الهند في جملة ما حملة من نفائس.

و بعد أن استولى "آقا محمد خان" على جواهر "شاه رخ شاه" أرسله مع رجاله كلهم إلى مازندران و لكن "شاه رخ شاه" مات في الطريق متأثرا بالجراح التي أوقعها به التعذيب. و كان عمره يومئذ أربعة و ستين عاما. و بذلك انقرضت أسرته "نادر شاه أفشار" الملكيه في سنه ١٢١٠ هـ.

الغزو الثاني للكرج

بعد أن بلغ "آغا محمد خان" غايته بضم خراسان إلى ملكه و القضاء على ملك الأفشاريين و حيازه جواهر "نادر شاه" الغاليه، كان أكثر اهتمامه باعاده حدود إيران إلى ما كانت عليه أيام السلاطين الصفويين و "نادر شاه"، و استرجاع الأجزاء التي انفصلت عن إيران أيام الفتن و الثورات بعد أن كانت جزءا منها مده قرون طويله.

من أجل ذلك أرسل بعض رؤساء عسكره المعتمدين إلى الملوك الذين يحكمون في بلاد الأفغان و بخارى ينذرهم باعاده المدن الإيرانيه التي فصلت عن خراسان و ألحقت بمجال حكمهم. فأجابوه كلهم بالموافقه على طلبه.

و أراد المضى إلى بلاد ما وراء النهر لاختضاع خان بخارى الذي استقل عن إيران بعد مقتل "نادر شاه".

و لكن وصله قبل تحركه من (مشهد) لهذا الغرض خبر بان روسيا أرسلت نجده إلى ملك الكرج و أن الكرج عادوا فاستولوا

على النواحي التي كان قد احتلها و أن العسكر الروسي دخل القفقاس و اجتاز نهر "آرس" و وصل إلى أذربيجان. و بذلك انتقضت خطه "آغا محمد خان" كليا، و عزم على معاودة غزو القفقاس لدفع الروس و إخضاع الرؤساء و الخانات المحليين الذين واطئوهم. فسار في أواسط ذى القعدة سنة ١٢١١ هـ إلى أذربيجان، و منها سار إلى "قراباغ".

و في أثناء هذا الغزو أسعفت الظروف "آقا محمد خان" بان ماتت "كاترين" الثانية أمبراطوره روسيا (في تشرين الثاني سنة ١٧٩٦ و جمادى الأولى سنة ١٢١١ هـ) و كانت سندا قويا للكرج، و خلفها ابنها "بولس" الأول. و على أثر ذلك جلا العسكر الروسي عما احتله من أرض و عاد إلى روسيا. و بذلك خفت على "آقا محمد خان" الموانع التي تعترض طريقه.

و كان "إبراهيم الخليل جوان شير" حاكم "قراباغ" قد ارتبط سرا بروسيا و انحاز إليها. فلما علم بقدوم "آغا محمد خان" إلى "قراباغ" أمر بتخريب الجسر المعقود على نهر "آرس" ليمنع "آغا محمد خان" من عبوره.

ثم حول مياه النهر إلى الأراضي التي تقع في طريقه فاغرقتها. و مع ذلك ينصرف "آغا محمد خان" عن عزمه و ظل ثابتا على تصميمه. فبادر إلى صدار الأمر بتهيئه القوارب و السفن للعبور عليها. و مع أن جماعه من عسكره غرقوا بسبب طغيان الماء فإنه تمكن من عبور النهر بجيشه و احتل مدينه "شيشه" مقر الحاكم و قبل أن يدخلها خرج منها الحاكم و فر إلى داغستان.

مقتل "آغا محمد خان"

دخل "آغا محمد خان" إلى "شيشه" في ١٧ ذى الحجه سنة ١٢١١ هـ و بعد أربعة أيام من دخوله، أى في ٢١ ذى الحجه من تلك السنه قتل. قتله ثلاثه من خدمه و هو في السابع و الخمسين من عمره. و بعد قتله على هذا النحو الفجائي تفرق جنده كلهم و أغار أهالي "قراباغ" على معسكره فنهبوا ما بقى فيه. و كان له معسكر كبير آخر على الساحل الآخر من النهر في إمرة "حسين قلى خان قاجار" أخى "فتح على شاه" و "سليمان خان قاجار" "اعتضاد الدوله" و "الحاج إبراهيم خان اعتماد الدوله" فتفرق جنود هذا المعسكر أيضا، و لم يعد من ذلك الجيش أحد سوى البندقيين (١)، الذى هم من أهل فارس و مازندران. عاد بهم "الحاج إبراهيم اعتماد الدوله" بما هياه من تدابير صائبه إلى طهران.

أما سبب اغتيال "آغا محمد خان" فهو أن ثلاثه من خدمه ارتكبوا في مساء يوم خميس ذنبا فأمر بقتلهم. فنبهه "صادق خان شقاقى" (٢) إلى أن الوقت ليله الجمعة، و طلب منه تأجيل قتلهم إلى يوم آخر مراعاة لحرمة الجمعة فقبل. و لكنه لم يوقفهم بل تركهم طليقين يقومون بأعمالهم المعتاده ريثما يحل ميعاد قتلهم. و قيل فى سبب هذا التفريط الفاحش إنه شده غروره بنفسه فلم يخطر بباله أن أحدا منهم يمكن أن يتجرأ عليه. و قال "الحاج إبراهيم اعتماد الدوله الشيرازى" إن سببه اختلال فى قواه العقليه كان قد اعتراه فى تلك الأيام.

ص: ١٠

١- المحاربون بالبنادق.

٢- كان منافسا فسأله "آغا محمد خان" و حاربه و انكسر. ثم عفا عنه "آقا محمد خان" فالتحق به.

و إذ رأى الخدم الثلاثة أنهم مقتولون لا محاله فقد تواطئوا على اغتياله ليلا بالسكاكين و الخناجر. فلما أغفى دخلوا عليه و طعنه أحدهم، و هو كرجى اسمه "صادق". بالسكين فقتله. و كان أول من أطلعوه على هذه الواقعة "صادق خان شقاقى". و لكنه لم يصدقهم فى بادئ الأمر حتى احضروا إليه صندوقه من الجواهر دأب "آغا محمد خان" على حملها دائما معه و وضعها فى فراشه حين ينام، و سلموها إليه فصدقهم، و أخذ الجواهر، و لم يخبر أحدا بالواقعه، و انطلق فى الفور خارجا من "شيشه" إلى "سراب" مسقط رأسه و محل سكناه، و أخذ يعد العده لمعاودة طلب العرش و الخروج على "فتح على شاه" خليفه "آغا محمد خان".

و أما الذنب الذى استوجب الحكم بقتل الخدم الثلاثة فقد قيلت فيه أقوال كثيرة مختلفه. منها أن مقدارا من (الخربوز) (١) كان مودعا فى بيت السقايه من محل إقامته. و كان "آغا محمد خان" يعرف مقداره. و بناء على حسابه قرر أنه يكفى إلى مده معينه. و لكن (الخربوز) نفذ قبل استيفاء الوقت المعين. و ثبت أن الشرابى مع اثنين آخرين من الخدم البيتين هم الذين فرطوا به، فحكم بقتلهم. (٢)

و ذكروا فى سبب قتله أقوالا أخرى منها أن أحد الخدم القاتلين، و هو كرجى اسمه "صادق" اتفق أن أراق ماء على مسند "آقا محمد خان" فغضب عليه. و اتفق أن وقع بعد أيام نزاع بين هذا الخادم و خادم آخر هو الفراش "خداداد [خداداد]" على دراهم و علت أصواتهما، فازداد غضب "آقا محمد خان" و أمر بقتلها. فشفع لهما "صادق خان شقاقى" و أجل قتلها إلى اليوم التالى، كما مر.

و ذكر "السرجان ملكم" نقلا عن بعض المقربين إلى "آقا محمد خان" أن سبب أمره بقتل الخادمين هو اختلال فى عقله اعتراه فى أيامه الأخيره.

فكانت تصدر منه أعمال تدل على الجنون.. و منها هذا العمل. و انتهى الأمر إلى أن تواطأ هذان الخادمان و خادم آخر مازندرانى اسمه "عباس على" على قتله، و قتلوه.

و ذكر بعضهم أن محرضهم على القتل هو "صادق خان شقاقى" نفسه. و لذلك بادر إليه المتآمرون بعد أن قتلوا "آقا محمد خان" و حملوا إليه جواهره و احتموا به. ثم لم يلبث أن نهض فى أذربيجان يطلب الملك لنفسه.

و دفن "آقا محمد خان" فى "شوشى". فلما تملك "فتح على شاه" أمر بنقل جثمانه من "شوشى" إلى طهران. فاحضر و شيعه "فتح على شاه" تشييعا حافلا إلى مقام "عبد العظيم الحسنى" حيث دفن موقتا. و فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢١٢ هـ أرسله إلى النجف حيث دفن قريبا من مقام الامام على بن أبى طالب (ع).

و فى شهر ربيع الأول سنة ١٢١٢ هـ اعتقل قتله "آغا محمد خان"، و كانوا قد فروا متوارين فى المدن، و جىء بهم إلى "فتح على شاه"، فأمر بخلع مفاصلهم ثم إحراقهم، فأنفذ أمره فى الحال.

و كان "فتح على خان" ابن أخى "آقا محمد خان" وليا لعهدده، و قد نازعه الملك أخوه "حسين قلى خان" بعد مقتل عمهما. و كان "محمد خان زند" بن "زكى خان زند" مقيما فى البصره. فلما سمع بمقتل "آقا محمد خان" عاد إلى إيران و ذهب إلى أصفهان مطالبا بالعرش لنفسه. و لكن هؤلاء الثلاثة خابوا فى مسعاهم، و استقر ولى العهد على العرش باسم "فتح على شاه".

فى ليله من ليالى سنه ١٧٤٢ م توافق الثانى عشر من شهر ربيع الثانى سنه ١١٥٥ هـ ظهر مذب "هالى". و خرج كل أبناء طائفه "أشاقه باش" (٣) القاجاريه المقيمين فى الصحراء التركمانيه من الرجال و النساء و الأطفال ليلتذ من مساكنهم إلى الفضاء ينظرون إلى المذب متطيرين هالعين من ظهوره يتوقعون حدوث الويلات و الكوارث لهم من شؤمه، إلا- "جيران" (٤) امرأه رئيس القبيله "محمد حسن خان قاجار قوانلو" فإنها لظمت بيتها معتكفه تتجنب النظر إلى المذب إذ كانت حاملا تنتظر الوضع. و هم يعتقدون أن الحامل إذا نظرت إلى المذب وضعت حملها مذنبا.

مولد "آقا محمد خان"

فى تلك الليله وضعت "جيران" حملها. و كان صبيا دعى باسم "محمد" (٥) و هو الذى عرف فيما بعد باسم "آغا محمد خان" و أصبح أول ملوك الأسره القاجاريه.

و قد وقع ما كان يحذره أبناء "أشاقه باش" من شؤم المذب. ففى منتصف تلك الليله، ليله الثالث عشر من ربيع الثانى، هبطت درجه الحراره و هطلت أمطار غزيره استمر هطولها إلى غروب اليوم التالى. فتعالت مياه نهر "أترك" و فروعه، و طغت على ما يليها من أرض بطوفان كاسح.

و لمثل هذا الطوفان سوابق فى حياتهم كان الماء فيها يجرف مواشيهم و بيوتهم و يغرق فيه فريق منهم. فيلجئون إلى المرتفعات التماسا للنجاه من الغرق.

و رأى "محمد حسن خان" أن يؤمن زوجته و ابنه من الخطر فأرسلهما إلى مدينه "أسترآباد" ريشما ينقش السيل.

و كان على "أسترآباد" حاكم من قبل "نادر شاه" اسمه "سبز على بيك"، كان فى مبدأ أمره أجييرا فى دار السقايه فى بلاط الشاه "طهماسب" الثانى الصفوى. و هناك عرفه "نادر شاه" فى ترده على البلاط يوم كان لا يزال قائدا عسكريا من قواد الشاه "طهماسب" و كان الأجير يبالغ فى تملق نادر و إكرامه حتى انعقدت بينهما صداقه قويه. و لما علا أمر نادر ألحق الأجير بخدمته.

و بعد تملك "نادر شاه" سنه ١١٤٨ هـ. عزم فى سنه ١١٤٩ هـ على قتل "طهماسب شاه" الثانى المخلوع، و كان مسجوناً. فاختر لهذه المهمه

ص: ١١

١- نوع من الشامم المسمى فى سوريه بالبطيخ الأصفر، يكثر فى إيران.

٢- ليس هذا هو القول الفصل فى سبب قتل آقا محمد خان، و سترد فى تضاعيف هذا البحث تفاصيل أخرى.

٣- من انقسامات القاجاريين انقسامهم إلى طائفتين، طائفه "أشاقه باش"، و معناها "المساكن السفلى" و طائفه "بوخارى باش"، و معناها "المساكن العليا. و سبب التسميه هو أن قسما منهم سكن فى القديم فى الناحيه السفلى من سواحل نهر "أترك"

و سكن قسم آخر فى الناحيه العليا منها.

٤- " جيران " معناها: الظبيہ.

٥- ذكر مہدی بامداد إن ولادته كانت فى شهر المحرم من تلك السنہ.

"سبز على بيك". و قام هذا بالمهمه و قتل الشاه "طهماسب" الثاني. (1).

و انتهى أمر "سبز على بيك" إلى أن أصبح حاكم "أستراآباد" من قبل "نادر شاه".

و أخذ سبز على يضايق قبيله (أشاقه باش)، فرأت أن تهاجر إلى حيث يقيم التركمان فى الشمال. فحلت هناك فى سهل (فالق) حيث يشقو التركمان، فاستقبلهم هؤلاء استقبالا حسنا و أعانوهم على أمور الحياه و تعلموا الزراعة من التركمان فأخذوا يتعاونها بعد أن كان عملهم يقتصر على رعايه الماشيه فقط.

و دامت إقامه "محمد حسن خان" و طائفه "أشاقه باش" بين التركمان مده أربع سنوات. إلى أن قتل "نادر شاه". فعادوا إلى "أستراآباد" بعد أن حصلوا على أمان من خليفه "على شاه أفشار" المتلقب بلقب "عادل شاه".

و بذلك قصرت يد عدوهم "سبز على بيك" حاكم "أستراآباد" عنهم.

و لكن طائفه "يوخارى باش" - و كانت تقيم فى ناحيه أخرى من صحراء "أستراآباد" - لم تلبث أن أغارت عليهم تبغى إجلاءهم عن أرضهم و احتلالها إذ كانت هذه الأرض أفضل من أرض الناحيه التى تسكنها "يوخارى باش". إلا أن "أشاقه باش" ردتهم فعادوا منهزمين.

و لكن "سبز على بيك" و رئيس طائفه "يوخارى باش" سعيًا عند "عادل شاه" بطائفه "أشاقه باش" و رئيسها "محمد حسن خان" و أفنعاها بأنهم معتدون. فأمر "عادل شاه" حاكم أستراآباد "سبز على بيك" باعتقال "محمد حسن خان" و إرساله إلى العاصمه "مشهد". و أرسل الحاكم إليه يأمره بالحضور إلى "أستراآباد" لينقل منها إلى "مشهد" إنفاذا لأمر الشاه.

فرفض "محمد حسن خان" أمره لعلمه أن عاقبته ستكون القتل أو العمى. و تهيأت "أشاقه باش" للحرب.

و سار إليهم جيش "عادل شاه" و "سبز على بيك" أربع مرات فهزموه و عجز عن إخضاعهم. و بعد ذلك لم تقتصر حرب "أشاقه باش" على الدفاع بل تعدت طبيعه هذا الكر و الفر إلى الهجوم و الغزو أيضا. و التحق بهم جماعه من المرتزقه. و ما زال شأنهم يعلو حتى أصبحوا قوه يخشى بأسها.

و قاموا بغزو مدن من خراسان ينهبون ما تصل إليه أيديهم. و أترى "محمد حسن خان" رئيس "أشاقه باش" مما كان ينهبه حتى أصبح يستطيع استئجار المحاربين.

و بلغ من قوته أن عزم على احتلال مدينه "أستراآباد" نفسها، و اعتقال "سبز على بيك" و الانتقام منه. ثم هاجمها و احتلها، و لكن "سبز على بيك" فر منها إلى مشهد قبل أن يقع فى يده. و احتل "محمد حسن خان" بعد ذلك قسما من مازندران و "شاهرود" و "بسطام". و ما زال مجال سيطرته يتسع حتى شمل قسما آخر من مازندران و قسما من مغرب خراسان.

و أصبح وضع "أشاقه باش" مشكله سياسيه عسكريه كبيره تعترض "عادل شاه".

ولما وصل "سبز علي بيك" إلى "مشهد" حرض "عادل شاه" على المسارعة إلى قمع "محمد حسن خان" قبل أن يستفحل أمره أكثر مما استفحل، و يتمكن من القضاء على ملكه. فسير إليه جيشا إلى "أسترآباد" فهزمه "محمد حسن خان". ولكنه استطاع أن يستخلص منه "شاهرود" و "بسطام".

و أراد "عادل شاه" معاودة الحرب. و لكن خرج عليه أخوه "إبراهيم خان أفشار" و اعتقله و أعمى عينيه. و حين وصل نبا اعتقال "عادل شاه" إلى مشهد نودي ب "شاه رخ" حفيد "نادر شاه" ملكا على إيران. و نادى "إبراهيم خان أفشار" و كان في طهران، بنفسه ملكا باسم "إبراهيم شاه".

و كان لا بد من الحرب بين الشاهين المتنازعين. إلا أن كفه "شاه رخ شاه" كانت هي الراجحة. و كان ممن هب إلى نصرته "محمد حسن خان قاجار" رئيس طائفه "أشاقه باش"، بعد ان تخلص من عدوه الشرس "عادل شاه". و هو يخشى جانب "إبراهيم شاه" إذ لم يكن خيرا من أخيه.

و بادر "محمد حسن خان" فأرسل إلى "شاه رخ شاه" يهنئه بمنصب الملك و يعلن بولائه و ولاء طائفته له، و أنه إنما خرج في السابق اضطرارا و دفعا لما ألحقه بهم حكم "عادل شاه" على "أسترآباد" من ظلم و تعد.

و هو و كل طائفته يدخلون اليوم في طاعه "شاه رخ شاه".

و كان "شاه رخ شاه" بحاجة إلى الأنصار ليقمع "إبراهيم شاه".

فسرته رساله "محمد حسن خان". فأرسل إليه يشكره، و عينه حاكما على "أسترآباد" و خلع عليه. و جهز "محمد حسن خان" جيشا من رجال "أشاقه باش" و سار به إلى "شاه رخ شاه" ينصره على "إبراهيم شاه". و إذ كان "شاه رخ شاه" صغير السن قليل التجربة فقد استشار رجاله فأجمعته.

ص: ١٢

١- ذكر "مهدي بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" في ترجمه الشاه "طهماسب" الثاني الصفوي و في ترجمه "رضا قلي ميرزا" ولي عهد "نادر شاه" أن "نادر شاه" كان يوم قتل الشاه "طهماسب" نمائيا في غزو الهند. و ذكر أن القتل وقع في سنة ١١٥٢ هـ و ذكر مثل هذا أيضا "محمد حسين قوسي [قدوسي]" في كتابه "نادرنامه". و قال أيضا إن "نادر شاه" أوصى قبل سفره إلى الهند ابنه "رضا قلي ميرزا" بالمحافظة على الشاه "طهماسب". و ذكر "مهدي بامداد" و "محمد حسين قدوسي" أيضا أن الذي اتخذ قرار القتل إنما هو "آضا [رضا] قلي ميرزا" و أنه أمر؟ "محمد حسين قاجار دولو" والي أسترآباد" بإنفاذه ففعل و قتل الشاه "طهماسب" الثاني و ولديه "عباس ميرزا" و "سليمان ميرزا". و ذكر "مهدي بامداد" الواقعة في ترجمه الشاه "طهماسب" على هذا النحو: "في أوائل سنة ١١٥٢ هـ. ق (و في ترجمته لرضا قلي ميرزا قال: في سنة ١١٥١ هـ) شاع "في إيران خطا أن نادر شاه قد قتل في الهند. فخشى ولي عهد نائبه رضا قلي ميرزا أن يثور الناس عليه لما للصفويين في نفوسهم من حب فينحازوا عنه إليهم و يعيدوهم إلى الملك فاحتاط لذلك بان أمر محمد حسين قاجار دولو حاكم أسترآباد من قبل نادر شاه

بقتل الشاه طهماسب المخلوع - و كان فى الإقامه الجبريه بسبزوار. و قتل ولديه الشاه عباس الثالث، و عمره يومئذ سبع سنوات، و سليمان ميرزا، و عمره ست سنوات، فقتلهم". و قال "محمد محسن [حسين] قدوسى" فى كتابه "نادرنامه" إن نادر شاه لما عاد من الهند علم بما فعله ولى عهده من قتل الأسره الصفوى غضب و استنكر فعله. و كان ذلك أحد الأسباب التى احفظته على ولى عهده و حملته على إعماء عينيه. أما "مهدى بامداد" فيقول فى كتابه "شرح حال رجال إيران" فى ترجمه "رضا قلى ميرزا" إن نادر شاه لم يستنكر عمل ابنه. و ما أغضبه عليه لم يكن قتله للشاه و ولديه بل المقدمات التى مهد بها طريقه إلى اعتلاء العرش. و زاد "مهدى بامداد" على ذلك قوله إن بعضهم ذكر أن نادر شاه نفسه كان قد أوصى ولى عهده بان يستأصل الأسره الصفويه إذا اتفق أن قضى نجه فى الهند. و فى روايه أخرى أن "نادر شاه" أراد قتل الشاه "طهماسب" الثانى فأمر ابنه "رضا قلى ميرزا" بذلك. و هذا أمر "سبز على بيك" بقتله فقتله.

آراؤهم على أن "محمد حسن قاجار" أليق رجال العسكر بهذا المنصب، فعينه فيه. وقاد المعركة إلى أحسن وجه.

وتغلب "شاه رخ شاه" على "إبراهيم شاه" واعتقله وأمر باعمائه وحمله إلى مشهد، فأعمى. ولكنه انتحر بقطع شرايينه وخلقومه بسكين استطاع الحصول عليها. وقيل إن جنوده الذين تركوه والتحقوا بعسكر "شاه رخ شاه" قتلوه انتقاما لما سبق أن أوقع بهم وبقارب لهم من ظلم. وقيل إنه مرض ومات بمرضه. ومهما كان الصحيح فإنه مات قبل أن يصل إلى مشهد. وقتل "شاه رخ شاه" أخاه الأعمى "عادل شاه" أيضا.

و كافي "محمد حسن خان" على وفائه بان أدى إليه ما تكلفه من مال نفقه للجيش الذي ساقه لنصرته. وأقره على حكمه "أستراآباد" كما كان.

و أنعم عليه بمائه ألف نادري (نوع من النقد) و سيف مرصع. و أنعم على سراة "أشاقه باش" بجوائز.

و بعد خلع "شاه رخ شاه أفسار" و إعمائه سنة ١١٦٣ هـ. ق بمؤامره قام بها حموه متولى المقام الرضوى الميرزا السيد محمد سبط الشاه "سليمان الصفوى"، نصب المتأمرين حماه هذا ملكا باسم "الشاه سليمان الثانى" (١).

و كان مما قام به الشاه الجديد عزل الحكام المواليين ل "شاه رخ شاه".

و منهم "محمد حسن خان قاجار" عزله عن حكمه "أستراآباد" و عين آخر من أنصاره فى مكانه. و عزل أيضا كل الموظفين الذين عينهم "محمد حسن خان" من طائفه "أشاقه باش" فى مجال حكمه. و عزل أمير "طبس".

و أرسل هذا إلى "محمد حسن خان" يواطئه على الثورة و الخروج على الشاه الجديد. فاستجاب له.

و بدأ عمله بان هاجم "أستراآباد" و احتلها، و هرب حاكمها إلى مشهد ثم اتجه إلى خراسان.

و استنجد "محمد حسن خان" بالأكراد الذين سبق أن أقامهم "نادر شاه" فى شمال خراسان، و كانوا من أشد الناس ولاء ل "نادر شاه"، و ظلوا على ولائهم لحفيده "شاه رخ شاه" المخلوع. و استجاب له أولئك الأكراد و واطاه على خلع "الميرزا السيد محمد" و إعاده "شاه رخ شاه" إلى العرش.

و فى صباح الثامن عشر من جمادى الأولى دخل "محمد حسن خان" بعسكر "أشاقه باش" و من معه من الأكراد، و دخل حاكم "طبس" إلى مشهد، فاحتلها سلما إذ استسلمت حاميتها إليهم لما علمت أنهم قادمون لنصره "شاه رخ شاه". و لم يقتل سوى ثلاثة من حراس القلعة التى يقيم فيها "الميرزا السيد محمد" أو "الشاه سليمان الثانى"، إذ أرادوا المقاومة فقتلهم المهاجمون. و اعتقل جنود حاكم "طبس" "الميرزا السيد محمد".

و عند الظهر كانت المعركة قد انتهت و سيطر "محمد حسن خان" و خليفه حاكم "طبس" على المدينه [المدينه]. و أقام "شاه رخ شاه" على العرش. و لم يسبق فى تاريخ إيران أن تملك عليها أعمى غيره. و ارتأى "محمد حسن خان" و حاكم "طبس" تأليف مجلس باسم "مجلس الشورى" لمساعدته الشاه الضيرير فى أعماله. و أنعم "شاه رخ شاه" عليهما و على قواد جيشهما

بهدايا فاخره، و منح كل واحد من الجنود مبلغا من المال. و أقر "محمد حسن خان" و حاكم "طبس" على عملهما السابق في الولاية.

في ذلك الحين وصلت إلى "محمد حسن خان" رساله من (جيران) تنبئه فيها أنها علمت بان "كريم خان زند" عازم على غزو "أستراآباد" و احتلال مازندران.

و كان "كريم خان" قد احتل أصفهان. و نصب رجلا اسمه "الميرزا أبو تراب" ملكا باسم "الشاه إسماعيل الثالث". و كان هذا بائع قرطاسيه فى "دكان صغيره فى السوق. و كان أبوه قد تزوج إحدى بنات الشاه "السلطان حسين الصفوى" الذى قتله الأفاغنه. و كانت أرملة. فولدت له "أبو تراب" هذا. فأراد "كريم خان زند" أن يعيد الملك إلى الأسره الصفويه، فلم يجد منهم بقيه غير هذا الرجل فنصبه ملكا.

و بعد ذلك عزم "كريم خان" على احتلال النواحي المركزيه من إيران و "أستراآباد" و مازندران. فخف محمد حسن خان مسرعا إلى "أستراآباد". و سار منها فى طريق طهران.

و من ذلك الحين أصبحت حروب "محمد حسن خان" و "كريم خان" أبرز الوقائع فى تاريخ إيران. و فى ذلك الحين أيضا كان يحكم إيران أربعه ملوك هم "شاه رخ شاه" الضرير فى خراسان و "الشاه إسماعيل الثالث" الأبله فى أصفهان، و يمتد مجال حكمه أحيانا إلى سفوح جبل "ألبرز".

و فى الرابع عشر من شهر صفر سنه ١١٦٥ هـ التقى الجيشان، جيش "كريم خان" و جيش "محمد حسن خان" عند "شاهرود". و نشبت معركة هائله قيل إن عدد قتلاها من الطرفين بلغ سبعين ألفا. و انتهت بهزيمه "كريم خان زند". فتفرق عنه جنده و فر وحيدا. و فيما هو جالس وحده فى بعض الطريق صادفه "سبز على بيك" حاكم "أستراآباد" السابق و عدو "محمد حسن خان" اللدود، فالتحق به و وضع نفسه فى خدمته و انطلقا معا بلا جند إلى طهران و منها قصدا إلى أصفهان.

آقا محمد خان قاجار

و فى سنه ١١٦٨ هـ كان "كريم خان زند" فى أصفهان مشغولا ببعض الأعمال العمرانيه. و كان يومئذ قد تمكن وضعه و استقوى و قضى على بعض الفتن و منها غزو قام به "آزاد شاه" الأفغانى لأصفهان.

و بلغه أن "محمد حسن خان قاجار" رئيس طائفه "أشاقه باش" قد احتل طهران. و أنه عازم على غزو أصفهان.

و ذلك أن "محمد حسن خان"، بعد أن سيطر على إيالات "أستراآباد" و مازندران و "جیلان" عزم على غزو طهران. فسار إليها بجيش قوى. و جعل ابنه "محمد خان" الذى عرف بعد ذلك باسم "آقا محمد

ص: ١٣

خان " قائد طليعه الفرسان.

و مع أن " آقا محمد خان " لم يكن قد تجاوز يومئذ الثالثه عشره من عمره فقد كان معدودا من أمهر الرماه فى عسكر " محمد حسن خان ". لقد وضعت أمه " جيران " البندقية فى يده فى اليوم الذى أصبح فيه قادرا على الإمساك بالبندقية. كانت أمه أول معلم له. علمته الأبجديه و علمته كيف يمسك بالقلم للكتابه. و علمته سور القرآن القصار. كانت هى من رياه لا- أبوه، على خلاف المعهود فى حياه العشائر البدويه، إذ يكون الأب هو المربى. و كان " محمد حسن خان " دائم السفر أو الحرب فلم يقدر أن يتفرغ لتربيته ولده هذا.

يقول السائح الإنكليزى [الإنكليزى] المحقق " فارستر " و قد جاء إلى إيران فى تلك الحقبه، فى كتاب له: " كل ما كان فى آقا محمد خان من الصفات الحسنه إنما اكتسبه من أمه جيران. و قد هيأته هذه الأم ليكون ملكا. و قد حرصت كل الحرص على تبصيره بأصول الاقتصاد و تدبير المعاش ". و يقول ذلك المحقق الإنكليزى أيضا: " كانت جيران زوجه محمد حسن خان قاجار أم آقا محمد خان من عظيمات نساء العالم. و ليس لها نظير فى تاريخ أوروبا. و قد تتفوق بعض الأوروبيات فى بعض الأمور و لكنهن لم يبلغن ما بلغت إليه " جيران " من شمول التفوق. كانت جيران عالمه شجاعه صبورا بصيره بأصول الاقتصاد. و قد تلقى آقا محمد خان من أمه كل صفاتها المفيده. و لولاها لما بلغ محمد حسن خان إلى ما بلغ إليه من اقتدار و لا وصل آقا محمد خان إلى منصب الملك ".

و حين بلغ " آقا محمد خان " الثانيه عشره من عمره أمرته أمه بان يصحب أباه دائما فى سفره و حروبه ليتمرس بالحياه العمليه التى أعدته لها.

فانطلق مع أبيه كما أمرته. و قد تبين فيه أبوه الاستقامه و الصبر على المتاعب و الشجاعه و أنه، على صغر سنه، أهل للقيام باعمال عظيمه. و لذلك جعله قائد طليعه الفرسان حين سار من طهران قاصدا أصفهان، لمحاربه " كريم خان زند ". و هذا المنصب، فى مثل هذا السفر الحربى، إنما يعهد به فى العاده إلى المجربين لما يقتضيه من دقه و سرعه خاطر و معرفه و تجربه سابقتين.

و لما قارب جيش " محمد حسن خان " أصفهان خرج إليه " كريم خان " بجيشه. و انتهت المعركه بانتصار " محمد حسن خان "، و انهزام " كريم خان " فمضى عائدا إلى فارس. و دخل " محمد حسن خان " إلى أصفهان و احتلها، و بذلك أصبح ملكا على إيران المركزيه و الايالات الشماليه: أسترآباد و مازندران و جيلان.

حرب الملوك

بعد هزيمه " كريم خان زند " هذه فى سنه ١١٦٨ هـ. فى أصفهان و عودته إلى شيراز أصبحت إيران، ما عدا خراسان، إلى بضع سنوات ميدان عراك بين ثلاثه ملوك، " محمد حسن خان قاجار " و " كريم خان زند " و " آزاد شاه " الأفغانى، و كان هذا قد سبق أن جاء من أذربيجان يغزو أصفهان و احتلها، ثم طرده منها " كريم خان زند "، فعاد إلى أذربيجان.

و كان مجال الحرب بينهم يمتد من ساحل الخليج و بحر عمان أى ساحل بحر الخزر و أذربيجان و فى أيام هذه الحرب قتل مئات الألوف من فلاحى إيران فى الايالات الجنوبيه و المركزيه و الشماليه، و بادت أسر كثيره و خربت قصبات و قرى. و كان

"كريم خان زند" وحده من بين هؤلاء الثلاثة يتجنب ما أمكنه التجنب إلحاق الأذى بالناس. أما الآخرون فلم يكونوا يحجمان عن جريمته، أيا كان نوعها، من قتل و تخريب، من أجل الحصول على النصر، و لو بإبادة الناس جميعا! و حين كان "محمد حسن خان" و ابنه الأكبر في أصفهان، بعد هزيمه "كريم خان زند" غزا "أحمد شاه الأبدالي" ملك أفغانستان خراسان متظاهرا بأنه يريد تثبيت ملك "شاه رخ شاه"، إذ كان "مجلس الشورى" الذي أقيم لمساعدته في الحكم، قد استقل دونه بالحكم و لم يبق له من الملك غير العنوان. و قد سبق أن كان "أحمد شاه" هذا ضابطا في جيش "نادر شاه" و بعد مقتله عاد إلى أفغانستان و نصب نفسه ملكا عليها. و قد ادعى أنه يغزو خراسان لتثبيت ملك شاه رخ شاه" و فاء منه لجده "نادر شاه" و الواقع أنه إنما جاء إليها ليسلب رؤساء العشائر الخراسانية ثرواتهم.

و لذلك بادر أربعة من هؤلاء الرؤساء كانوا موضع أطماعه أكثر من غيرهم. إلى الفرار من وجهه. فروا بعشائرهم من خراسان إلى "أستراآباد" ليلجئوا إلى "محمد حسن خان قاجار أشاقه باش". فلما وصلوا إلى "أستراآباد" كان "محمد حسن خان" لا يزال غائبا عنها. فتلقته زوجته "جيران" نائبة في الحكم و أكرمت مثنوهم، و عينت لهم أمكنه لسكنى عشائرهم أما "أحمد شاه الأبدالي" فقد كف يد "مجلس الشورى" و أطلق يد "شاه رخ شاه" في الحكم ثم عاد إلى بلاده، و قد أفلت من كان يطمع بهم من يده. و حين وصل خبر الغزو الأفغاني لخراسان إلى محمد حسن خان" و هو في أصفهان كان الوضع في خراسان هادئا، و العشائر الأربع المذكوره قد هاجرت إلى "أستراآباد".

و في ذلك الحين وصل إلى "محمد حسن خان" خبر آخر بان "آزاد شاه" الأفغاني يقصد غزو "جيلان". فأقام أحد أمراء القاجاريين من طائفه "دولو" اسمه "محمد حسين خان قاجار دولو" حاكما على أصفهان، و أوصاه بالتشدد في محاربه "كريم خان زند" إذا حدثته نفسه بغزو أصفهان.

ثم سار و ابنه الأكبر "آقا محمد خان" إلى طهران، و ابنه هذا على قياده طليعه الفرسان. و من طهران سارا إلى قزوین يتعقبان "آزاد شاه" الأفغاني.

إلا- أنهما أضعاء أثره و خفى عليهما مكانه. فقد كانت خطه هذا المتمرد هي الخطه المعروفه اليوم بحرب العصابات. يضرب حيث يتمكن من الضرب. فإذا ضويق فر إلى مكان آمن. و قد جهد "محمد حسن خان" في تعقبه إلى آخر حياته فلم يتمكن منه. و ظل يغير و ينهب و يقتل و يفر من مكان إلى مكان إلى أن قتل "محمد حسن خان" سنة ١١٧٢ هـ و استتب الأمر لـ "كريم خان زند".

و استمرت الحرب سجالات بين "محمد حسن خان" و "كريم خان" من سنة ١١٦٨ هـ. إلى سنة ١١٧٢ هـ و هما يتداولان المدن، و لا سيما المدن المركزيه، تاره بيد هذا و تاره بيد هذا. و في سنوات تلك الحرب كلها كان "آقا محمد خان" يلازم أباه دائما. و مع أن العسكريين قلما يرغبون في الكتاب فان "آقا محمد خان" كان يحمل معه في الحرب بضعه كتب يطالعها في المساء إذا أوى إلى فراشه. و هي عادة غرستها فيه أمه "جيران". فكان لا يستطيع مفارقه الكتب. و بعد أن وصل إلى منصب الملك ظل هذا دأبه. حتى إنه في

الليله التي قتل فيها في "شوشى" كان قد استمع إلى قراءه من كتاب.

و قد أكسبته سنوات الحرب التي لازم فيها أباه خلقا قويا كالفولاذ المسقى، من تحمل مشاق السفر و الحرب و التمرس بالانضباط.

و يوم ذهب "محمد حسن خان" في سنة ١١٧٢ هـ إلى مازندران لمحاربه "الشيخ على خان" نصب ابنه "آقا محمد خان" حاكما على "أستراآباد".

مقتل محمد حسن خان قاجار

جهز "كريم خان زند" جيشا جعل على قيادته "الشيخ على خان زند" فسار به إلى مازندران ليمضى إلى "أستراآباد" و يقيم "محمد حسن خان قاجار".

و لما علم "محمد حسن خان" بذلك جهز جيشا من ثمانية عشر ألف جندي و سار به من "أستراآباد" يريد صد "الشيخ على زند خان" عنها قبل الوصول إليها. و التقى الجمعان عند مدينه "أشرف" من مدن مازندران.

و كان "سبز على بيك" في جيش الزنديين. بل كان حاضرا في جيشهم في كل الحروب التي وقعت بين "كريم خان زند" و "محمد حسن خان قاجار" من سنة ١١٦٩ هـ. إلى سنة ١١٧٢.

و وقعت معركة انهزم فيها "محمد حسن قاجار" و فر يريد العوده إلى "أستراآباد"، و لم يكن معه أكثر من عشرة فرسان، فتنبعه "سبز على بيك" و معه ثلاثمائة فارس، فأدركوه و حاصروه. و استطاع "سبز على بيك" أن يضربه على عنقه بالسيف فصرعه و ترجل "سبز على بيك" و احتز عنقه.

و كان مقتله يوم ١٥ جمادى الثانيه سنة ١١٧٢ هـ الموافق سنة ١٧٥٨ م.

و حمل "سبز على بيك" الرأس مع رساله من "الشيخ على خان زند" تنبئ بالنصر إلى "كريم خان زند"، و كان مقيما في طهران.

و أراد "سبز على بيك" إلقاء الرأس في أحد مجارى المياه القذره، فنهاه "كريم خان"، و أمر خادما بغسله و دفنه عند مقام "عبد العظيم".

و حين وصل خبر مقتل "محمد حسن خان" إلى ابنه "آقا محمد خان" في "أستراآباد" أشارت عليه أمه بالفرار إلى صحراء التركمان مره ثانيه.

فذهب بها و بأخيه "حسين قلى خان" إلى تلك الصحراء. و حين دخل "الشيخ على خان زند" إلى "أستراآباد" لم يجد فيها أحدا من أسره "محمد حسن خان". و كان "كريم خان" قد أمره باعتقال "آقا محمد خان" فأفلت من يده.

تمرد آقا محمد خان

بعد أن انتقلت أسره "محمد حسن خان قاجار" القتييل إلى صحراء التركمان اختار ابنه "آقا محمد خان" ألف فارس من "أشاقه باش" و التركمان و أنشا منهم عصابه مسلحه للغزو.

و أخذ يباغت بهم نواحي "أسترآباد" بالاغاره فينهبون ما تصل إليه أيديهم و يقتلون من يقاومهم ثم يعودون إلى مقرهم.

و كان من أشد هذه الاغارات وقعا في نفس حاكم "أسترآباد" و "كريم خان زند" إغاره "آقا محمد خان" على قافله كانت تحمل أموال ضرائب من الولايات الشماليه إلى خزانه "كريم خان" مقدارها خمسون و مائتا ألف تومان، فنهب رجاله الأموال و قتلوا رجال القافله.

اعتقال آقا محمد خان

و أهمت هذه الواقعة "كريم خان زند" و وجد أن لا بد له من حسم أمر "آقا محمد خان" لتثبيت ملكه. فأرسل إلى "محمد خان قاجار" في "أسترآباد" رساله أنذره فيها بالعزل أو القتل إن هو عجز عن قمع "آقا محمد خان"، ثم أمده بعشرين ألف جندي. و بلغ مجموع ما عنده من الجنود ثلاثين ألفا سار بهم إلى آقا محمد خان". و كان "سبز علي بيك" يعاونه في التخطيط.

و قام حاكم "أسترآباد" بسد منافذ الهرب على "آقا محمد خان" في كل النواحي. و لم يبق في يده وسيله للنجاه غير اختراق الحصار، و هي مغامره شديده أقرب إلى أن تكون انتحارا. و لكنه أقدم عليها و فضلها على الاستسلام بشجاعه خارقه. و كان الحصار في جهه المغرب أضعف منه في الجهات الأخرى. فاخترها طريقا للفرار.

في تلك الجبهه، في مكان من توابع "أسترآباد" يعرف باسم "خوته" أو "خطه"، أقام الزنديون أربعه آلاف جندي لقطع طريق الفرار على "آقا محمد خان". و عند الظهر من اليوم السابع من شهر شعبان سنه ١١٧٥ هـ. وصل "آقا محمد خان" إلى ذلك المكان، و معه خمسمائه فارس من رجاله. و بعد معركة رهيبه أظهر فيها ضروبا من الشجاعه و الاقدام استطاع خرق الحصار و الفرار.

و قيل إن من بقى معه من رجاله حين فراره كانت عدتهم عشره، و ذهب الآخرون بين قتييل و أسير. و كان إفلاته من ذلك الحصار من أعجب وقائع الشجاعه و الحرب.

و كان يرجو أن يديم فراره غربا إلى "جيلان" ليلجأ إلى حاكمها "نظر علي خان" (١)، و كان صديقا له. و لكن كان لا بد من المرور بمازندران، و حاكمها يومئذ "محمد خان سوادكوهي" عدو طائفه "أشاقه باش"، و كان "كريم خان زند" قد أمره بالقبض على "آقا محمد خان" إن هو قدم إلى مازندران. فلما وصل هذا إلى محله تعرف باسم "أشرف" من أعمال مازندران قبض عليه جنود "محمد خان سوادكوهي" في قريه اسمها "تنغ سر"، في الخامس عشر من شهر شعبان سنه ١١٧٥ هـ.

خصاء آقا محمد خان

لم يذكر مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون شيئاً عن قضيه خصاء "آقا محمد خان". و انفرد من بينهم بذكرها مؤلف "روضه الصفاء". قال إن "على شاه أفشار" المتلقب بلقب "عادل شاه" خصى "آقا محمد خان" و هو فى السابعه أو الثامنه من عمره. و لكنه لم يذكر لما ذا خصاه وحده و لم يخص معه أخاه "حسين على خان". فان كان قصده قطع نسل "محمد حسن خان" فقد كان عليه أن يلحق به أخاه هذا الذى لقب فيها بعد بلقب

ص: ١٥

١- "نظر على خان" هذا هو أخو "الشيخ على خان زند" الذى ساق جيشاً للقضاء على "محمد حسن خان قاجار أشاقه باش" أبى "آقا محمد خان". و لكنه، مع ذلك كان صديقاً ودوداً لـ "آقا محمد خان".

"جهان سوز" (حارق الدنيا).

وقال العقيد "غولد اسميث" الانكليزي إن "آقا محمد خان" قد خصى بجرح أصابه و هو يقاوم جنود "محمد خان سوادكوهي" حين جاءوا يعتقلونه.

و ذكر إنكليزي آخر اسمه "تيلور طامسون" روايه أخرى في موضوع خصاء "آقا محمد خان". و هي أنه كان قد عشق بنتا للشيخ علي خان زند و عشقته و تواملا في الخفاء. فلما نغلب "الشيخ علي خان زند" علي "محمد حسن خان" في معركة "أشرف" و قتل هذا في نهايه المعركه، وقع ابنه "آقا محمد خان" و أمه "جيران"، و كانا يرافقانه، في الأسر. و أراد "الشيخ علي خان" أن يقتل أسيره انتقاما لشرفه لتعديه علي ابنته. و لكن "جيران" تضرعت إليه ملتتمسه عفوهِ عن ابنها. فأجابها بان لا مجال للعفو عن دنس عرضه. و لكنه يوقع به أخف عقوبه توقع بمن يرتكب مثل هذا العمل و هي الخصاء. و أمر الجلاد بخصائه ففعل. ثم أطلق سراحه و أمه يذهبان حيث شاء (1) هذه هي روايه "تيلور طامسون". أما تفاصيل صلته "آقا محمد خان" ببنت "الشيخ علي خان زند"، كيف كانت و أين كانت و متى كانت، فلا شيء عنها في التاريخ.

و يقول "تيلور طامسون" إن "جيران"، بعد قتل "محمد حسن خان" و خصاء ابنه "آقا محمد خان"، طلبت من ابنها أن يقسم علي القرآن و السيف بان لا يبقى علي أحد من الزنديين و من يتصل بهم حتى السبب السابع من القرابه، حتى الأطفال منهم. فأقسم.

و قد وفي "آقا محمد خان" بقسمه لما تملك، فقتل "لطف علي خان" آخر ملوك الزنديين و تتبع الزنديين يستأصلهم. بل هو لم يكتف بهم ففضى أيضا علي كل خدمهم من رجال و نساءهم و أبناءهم. و أنذر كل حكام إيران بان يطلعوه علي كل من في مجال حكمهم من الزنديين و من يتصل بهم حتى السبب السابع من القرابه، و إلا فالموت جزاء من لا يطيع هذا الأمر من الحكام. و هذا الحقد الخارق العاده الذي حملة "آقا محمد خان" علي الزنديين يقوى روايه "تيلور طامسون" الانكليزي.

لقد سبق أن كان "نادر شاه أفسار" السبب في قتل جده "فتح علي خان أشاقه باش". و مع ذلك لم يبلغ حقه علي أعقابه ما بلغه علي الزنديين. و ظل هؤلاء الأعقاب يحكمون في خراسان إلى زمن "فتح علي شاه"، إذ قضى هذا علي كل حكم لهم هناك. و لو كان "علي شاه" ابن أخى "نادر شاه" هو الذي خصى هذا الرجل العنيد الحازم الحقود فهل يعقل أن يترك النادرين حكاما علي خراسان، و هو الذي بلغ من انتقامه من الزنديين أن قتل حتى خدمهم الذي يخدمون في منازلهم؟! فهل يمكن أن يبقى في حكم خراسان أقارب من أوقع به محنه الخصاء؟! و لو كان "آقا محمد خان" قد خصى في طفولته لفقد وسامته و شأته خلقتة. و لكنه ظل علي وسامته و اعتدال قامته و تناسب جسمه إلى أن بلغ عنفوان الشباب. و لما خصى، و هو في هذه السن شأته خلقتة و عاد شكل وجهه شبيها بوجه امرأه عجوز.

آقا محمد خان في طهران

اعتقل عسكر "محمد خان سوادكوهي" في الخامس عشر من شعبان سنه ١١٧٥ هـ "آقا محمد خان قاجار". و أرسل حاكم مازندران خبرا باعتقاله إلى "كريم خان زند". فأرسل هذا مائه فارس من طهران حيث كان يقيم، و علي قيادتهم "أحمد بيك فندرسكي"، لاحضار "آقا محمد خان" إلى طهران. فلما وصل ألقى به في السجن، و ظل مسجوناً مده أسبوع. ثم نقل من

السجن إلى قرية في ضواحي طهران اسمها "كن" حيث كان يقيم "كريم خان زند"، فادخل عليه. و أبلغه "كريم خان" أنه مفروض عليه الإقامه الجبريه في طهران، و أن مسكنه في نفس القلعه التي يسكنها. و سمح له بالخروج منها إلى حيث شاء من المدينه على أن يرافقه جنديان دائما. و مكث "آقا محمد خان" في القلعه ثلاثة أيام لا يخرج منها.

و خرج في اليوم الرابع يتجول في أنحاء المدينه. و مر في تجواله على أحد المقامات المقدسه حيث قبر أحد العلويين اسمه "زيد". و رأى في ساحة المقام أحد العلماء يلقي درسا على طلاب. فاستمع إليه و أعجبه ما سمع من علمه، و عزم على استئذان "كريم خان" في حضور هذا الدرس أيام انعقاده. فاذن له و أخذ يواظب على حضوره و الجنديان يرافقانه دائما. و كان درس العالم، و اسمه "الشيخ على التجريشى"، لا يقتصر على الفقه و الحديث، بل كان يشمل أيضا الحكمة، و الفلسفه. و كان معجبا بفلسفه "ابن طفيل" أكثر من غيره. و لذلك كان "آقا محمد خان" يعرف عن "ابن طفيل" أكثر مما يعرف عن غيره من الفلاسفه. و لما وصل إلى منصب الملك كان رجال حاشيته يتملقونه بالإكثار من الحديث عن "ابن طفيل". و "آقا محمد خان" هو وحده من بين ملوك القاجاريين كلهم من كان له اطلاع على الفلسفه. و قد قرأ كل آثار "ابن طفيل". و كان كتاب "حي بن يقظان" لا يفارقه و يحمله معه في أسفاره. و ينقل إلى رجال حاشيته أجزاء من هذا الكتاب و أخبارا من سيره "ابن طفيل" كلما تيسر له ذلك.

ثم استاذن "كريم خان" في أن يسكن في بيت مستقل خارج القلعه فاذن له. و استاجر بيتا صغيرا له و للجنديين المرافقين. و كان "كريم خان زند" يكثر عليه، لا بخلا منه بل خوفا من أن تمكنه التوسعه عليه من الفرار، و يمنع وصول معونه ماله إليه من ذويه في "أسترآباد".

و كان يشتري "زيتا" من دكان قريبه ليطبخ طعاما بسيطا. و كان صاحب الدكان يعطيه زيتا رديئا فنبهه إلى ذلك. فقال له صاحب الدكان إن لم يعجبك زيتي فاشتر من غيري. و لم يكن في تلك النواحي من دكان قريبه غير دكانه. فيضطر إلى قبول ما يعطيه صاحب الدكان من الزيت الرديء كارها، و حقه عليه يتعاضم يوما بعد يوم.

فلما وصل "آقا محمد خان" إلى منصب الملك أحضر صاحب الدكان هذا إليه، و سأل: هل تعرفني؟ و كان "آقا محمد خان" قد تغير كثيرا عما كان عليه، فلم يعرفه صاحب الدكان. فقال له "آقا محمد خان": أنا ذلك المشتري الذي كنت ترغمه على أن يقبل زيتك الرديء. و قلت لي حين نبهتك إلى ذلك إن لم يعجبك زيتي فاشتر من غيري، مستهينا بي لاني فقير.

فلما عرف صاحب الدكان أن الذي أمامه هو ذلك المشتري القديم أخذته الرعده، و قال: أيها الملك العظيم لك على أن أعيد إليك ما أخذته منك ثمنا للزيت مضاعفا، فقال "آقا محمد خان": لست بحاجة إلى دراهمك اليوم،

ص: ١٦

١- يرى المؤرخ الفرنسي "جان غوره" أن هذه الروايه أقرب الروايات إلى التصديق.

و يوم كنت محتاجا إلى زيتك و طلبته منك بالثمن لا بالمجان بخلت على و أكرهتنى على قبول زيت لا يصلح لغير الارقاه فى التراب. فاسترحمه الدكانى أن يعفو عنه. فقال: لو أنك فعلت بى هذا الفعل مره أو مرتين أو أكثر لعفوت. و لكن ظلمك لى دام كل المده التى كنت فيها محتاجا. و لم تستجب لى حين طلبت منك الإنصاف. و لذا لا- أعفو عنك اليوم و أعاقبك على ظلمك.

ثم أمر "آقا محمد خان" بإحضار قدر كبير و أمر بجلب كل ما فى دكان الرجل من زيت و إلقائه فى القدر، و إيقاد النار تحته. فلما حمى الزيت، و كان مقداره يبلغ إلى منتصف فضاء القدر، أمر بتقييد يدى الدكانى و رجله و إلقائه فى الزيت الغالى، هذا و الدكانى يبكى و يسترحم و يصرخ و "آقا محمد خان" يقسم بكل مقدس أنه لا يعفو عنه، ثم ألقى به فى الزيت و جعل يصرخ صراخا يقطع القلوب، و "آقا محمد خان" ينظر إليه هادئا مطمئنا إلى أن خمد صراخه و مات.

و بعد سنه من إقامه "آقا محمد خان" فى طهران أخذت تظهر عليه آثار الخصاء شيئا فشيئا فتساقطت لحيته و شارباه. و تشوه منظر حاجبيه و غابت فى عينيه تلك النظرة الجذابه و أصبح منظرهما منظر عينين دائمتى البكاء. و بعد أربع سنوات لم يبق فى "آقا محمد خان قاجار" أثر من وسامته السابقه. و عاد ذلك الشاب على الشكل الذى نراه له فى التصاوير اليوم. و كان له صوت رجولى قوى فأصبح شبيها بصوت النساء. حتى إنه لما وصل إلى منصب الملك كان يتحاشى مناداه خدمه إذا أراد استدعاءهم، بخلاف العاده المتبعه يومئذ. إذ كان الأعيان، و لا سيما الملوك، يعدون جهازه الصوت فى مناداه الخدم من علامات الرئاسة و التفوق، فينادونهم إذا أرادوا استدعاءهم بصوت جهير. أما "آقا محمد خان"، و قد حرم من هذه الميزه فقد اتخذ لنفسه شيئا كالطلب يضعه إلى جانبه يضرب عليه إذا أراد استدعاء أحد من الخدم ليخفى ما فى صوته من نقص فلا يستهينوا به. و لذلك كان أعداؤه يسمونه "الخصى الطبال". و مع أنه اشترك بعد وفاه "كريم خان" فى عدو حروب كان فيها القائد، فقد كان يتجنب إصدار الأوامر بصوته كى لا يسخر منه الجنود إذا سمعوا صوته النسائى.

و لكن "آقا محمد خان"، مع كل ما أصابه من تشويه، استطاع أن يتجنب الترهل و تراخى الأعضاء مما يصاب به الخصيان فى العاده، إذ يعوضون ما حرموه من متعه جنسيه بالإكثار من الأكل و الإقبال على تناول مختلف الأطايب من الطعام. و قد فطن "آقا محمد خان" إلى هذا الأمر ففرض على نفسه حميه قاسيه، و تجنب المآكل الدسمه و جعل طعامه مقدارا معينا لا يتجاوزه لقمه واحده، حتى إنه كان يزن وجبته بالميزان لكيلا تزيد عن المقدار المعين. و قد سبق - إذ فطن لهذا الأمر - معارف أهل زمانه بقرنين من الزمان. و هو دليل قاطع على نبوغه و تفوق ذكائه. و قد جعلت هذه الحميه التى فرضها على نفسه و وزنه لطعامه بالميزان الايرانيين يظنون به البخل، و ما هو بالبخل، فزياده لقمه أو لقمتين فى وجبه الطعام لا تقدم و لا تؤخر فى الاقتصاد. و لو كان بخيلا لقتل على جنوده. و قد كان يمنحهم كفايتهم من الطعام كميته و نوعا. و إذ اتبع هذه الخطه فى الطعام فقد ظل محتفظا برشاقه جسمه كما كانت، مع كل ما أصابه من تشويه. و يوم قتل، و هو فى الخامسة و الخمسين من عمره، كان تناسب جسمه و رشاقته، كما كان و هو فى العشرين من عمره.

آقا محمد خان فى شيراز

ثم انتقل "كريم خان زند" من طهران إلى شيراز، و حمل معه إليها "آقا محمد خان". و كان هذا، بعد أن آل أمره إلى تلك الحال، قد سقط، فى نظر "كريم خان" و غيره من الناس، من حساب الطامعين فى الرئاسة و الملك و الفادرين على التمرد و

العصيان فليس يعقل فى عرف تلك الأيام، أن يصل مخصى فى إيران إلى منصب من مناصب الرئاسة، فضلا عن أن يصبح ملكا و كل اقتدار و نفوذ يمكن أن يحصل عليه المخصى لا يخرج عن دائره الحریم.

و مع ذلك استطاع "آقا محمد خان" المخصى أن يملك. فایه همه و إرادته و أى حزم و ثبات اقتضاها سعى هذا الرجل المحروم المطرود الذى حكم العرف و العاده و التقاليد بنزده و إبعاده عن كل مقام عال، حتى قدر أن يصل إلى أعلى منصب فى الدوله، و أن يمكن أسرته من تداول الملك بعده خلفا عن سلف!! ليس بين عظماء العالم العصاميين الذين ارتقوا من الدرجات الدنيا إلى المقامات العاليه من كانت له همه "آقا محمد خان قاجار" و ثباته و تنظيمه و انضباطه و صبره على المشقه. كان ظاهره خارقه للعاده. لقد ظل من يوم حلوله فى طهران إلى وفاه "كريم خان زند" مواظبا على القيام ببرنامج يومى وضعه لنفسه لم يعطه يوما واحدا.

كان ينهض كل يوم من نومه عند الفجر، فيسبغ الوضوء و يصلی. ثم يمارس بعض أنواع الرياضه البدنيه المتداوله فى إيران و يسبح و يمشى. فإذا انتهى من رياضته تناول فطوره، و هو أبدا لقيمات من الخبز و الجبنه و جرعه من الماء، لا يتجاوزها إلى أكثر. و يعين مقداره بالوزن - كما تقدم - لكيلا يزيد عن المقدار الذى فرضه على نفسه. و كذلك يزن غدائه و عشاءه على هذا النحو. فإذا تناول فطوره اتخذ سبيله إلى حلقه الدرس فى مقام "زيد" (يوم كان فى طهران) و إلى المدرسه (يوم انتقل إلى شیراز)، فاستمع إلى درس الأستاذ و شارك الطلاب فى المباحثه، ثم عاد إلى بيته، فكتب أجوبه ما ورد إليه من رسائل. فإذا حان وقت الغداء تغدى ثم انصرف إلى المطالعه حتى ساعه العصر. و عندئذ يمتطى حصانه و يخرج من المدينه للنزهه، أو يحمل معه شاهينا يصطاد به. و كان "كريم خان زند" منحه حربه أكثر و أذن له بالخروج من المدينه، إذ أصبح لا يخشاه و قد آلت حاله إلى ما آلت إليه و صار مظهره مظهر المخصيان و شكله شكلهم. و لكنه لم يسمح له بالتغيب أكثر من ثلاثه أيام. فإذا أراد إطاله الغيبه فعليه استئذانه، و لا بد من أن يصحبه عندئذ حراس يراقبونه. و كل ما قام بها "آقا محمد خان" فى تلك الحقبه و ذكره مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين كان يتم على هذا النحو. و لكن هؤلاء المؤرخين لم يذكروا أنه كان محظورا عليه السفر ما لم يكن فى مراقبه الحرس، لثلا يكون فى ذلك حط من شان القاجاريين.

و من يقرأ ما كتبه مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين يخيّل إليه أن "آقا محمد خان" كان عند "كريم خان زند" ضيفا مبعجا، و أنه كان يستشيريه فى تدبير شئون الدوله حتى أصبح يعد من أعلى مستشاريه مقاما. و لم يكن الأمر الواقع مصدرهم فى هذا الذى ذكروه، بل الخوف على حياتهم أو الحذر من انقطاع المنفعه عنهم، فكتبوا ما كتبوا تملقا و قلبوا حقائق ذلك التاريخ. و لا لوم عليهم فى ذلك.

أما المؤرخون الأجانب الذين كانوا مقيمين في إيران أو مروا بها في تلك الحقبة فقد ذكروا أن وضع "آقا محمد خان" في بلاط "كريم خان زند" كان على نحو آخر. فهو لم يكن ضيفا مبعثا ولا مستشارا مقدا، بل أسيرا رهينه. و أن حياته في شيراز لم تكن محفوفة بالجلال و العظمة. كما ذكر مؤرخو العهد القاجاري من الايرانيين. و كان يسكن بيتا صغيرا حقيرا. و كل ما كان لديه من مظاهر التجمل هو اقتناء شاهين يصطاد به. و لكن اقتناء شواهين الصيد لم يكن من خصائص الأعيان. فقد كان في شيراز أناس غيره يقتنون الشواهين و لم يكونوا أعيانا و لا أمراء. كان "آقا محمد خان قاجار" مجبرا على الاكتفاء بحياه حقيره محدوده في شيراز. و لو أن "كريم خان زند" لم يمنع إمداده بالمال من "أسترآباد" لاستطاع أن يحيا في شيراز حياه طيبه تناسب ما لطائفته من سمعه و مكانه. و لكن "كريم خان زند" كان يأبى عليه التوسعه في حياته و جمع حاشيه حوله.

و واطب "آقا محمد خان"، و هو في شيراز على طلب العلم حتى أصبح يعد من العلماء المحترمين. و لم يسبق أن خرج قبله من بين الايرانيين عالم خصى. و أهم "كريم خان زند" ما حصل عليه ابن "محمد حسن خان أشاقه باش" من احترام بين أعيان شيراز. و يوم كان في طهران كان مطمئنا إلى أن الخصى لا يلقى من الناس غير الاستهان به. و لم يخطر بباله أن "آقا محمد خان"، و قد أصبح عالما، سيصبح موضع الاحترام من أعيان المجتمع. و زاد في احترام الناس له أنه كان، إلى علمه، صادق القول محافظا على المواعيد منضبطا. فهو لا يخلف و عدا وعده و يؤدي قرضه في وقته، لا يكذب و لا يغتاب. و الأبواب مفتوحه في وجهه يستقبله الناس في بيوتهم بالترحاب و يدخلونه على نسائهم إذ هم يعلمون أنه خصى يقول مؤرخو العهد القاجاري من الايرانيين إن "آقا محمد خان"، بعد أن أقام مده في بلاط الشاه الزندي أرسله هذا إلى "أسترآباد" محفوقا بالأبهر و الجلال ليزور أمه و إخوته. ثم عاد بإخوته فأقامهم "كريم خان زند" في الولايات المركزيه، و حمل "آقا محمد خان" و أخاه "حسين قلى خان" (الذى لقب بعد ذلك بحارق الدنيا) معه إلى شيراز.

و لكن المؤرخين الأجانب يذكرون هذه الواقعة على نحو آخر. و العقل يحكم بان ما ذكره هؤلاء المؤرخون هو الصحيح. إذ يستبعد أن يترك الشاه الزندي "آقا محمد خان" طليقا يعود إلى "أسترآباد" و يلحق بامه و إخوته.

يقول المؤرخون الأجانب إن "كريم خان زند" أهمه ما حصل عليه "آقا محمد خان قاجار" من محبه الناس في شيراز. فرأى إبعاده عنها.

و وصلتته أيضا في ذلك الحين أخبار سيئه من "أسترآباد" و هى أن "جيران" أم "آقا محمد خان"، مع أنها كانت قد ابتليت بمرض السكر،⁽¹⁾ تهيئ الأسباب للحصول على قوه في "أسترآباد".

فأرسل إليها "كريم خان زند" رساله ينذر فيها بان تكف عن التامر عليه و لإقتل ابنها "آقا محمد خان" و بعت [بعث] برأسه إليها. فتوقفت عن مساعيها و كفت عن التامر خوفا على ولدها. و مع ذلك فان "كريم خان زند" لم يطمئن خاطره من جهه "جيران" و إخوه "آقا محمد خان". و رأى أنه لا يجوز بقاؤهم في "أسترآباد" إذ هى مسقط رأسهم و فيها أصلهم.

و يحتمل دائما أن يتوروا عليه فيها. و أن المصلحه في نقلهم إلى النواحي المركزيه من إيران.

و ذكر العقيد "غولدا سميث" الانكليزي أن كريم خان زند" إذ عزم على نقل جيران و إخوه آقا محمد خان من أسترآباد إلى

النواحي المركزيه، إنما أراد ضرب عصفورين بحجر واحد. أحدهما إبعاد آقا محمد خان عن شیراز حيث اكتسب محبه الأهالی. والآخر أن ترى أمه و يرى إخوته و يرى سكان أسترآباد و طائفه أشاقه باش بل ترى طائفه یوخاری باش أيضا بأعينهم إلى أی حال أوصل الخضاء أكبر أبناء محمد حسن خان أشاقه باش، فيقطعوا أملهم منه و يعرفوا أن من المحال أن يحل هذا الرجل الخصى فی محل أبيه.

السفر إلى أسترآباد

كان "کریم خان زند" يعلم أن "جیران" و إخوه "آقا محمد خان" و رجال "أشاقه باش" و أهل "أسترآباد" يتصورون "آقا محمد خان" على ذلك الشكل الذي كانوا يرونه منه، و لا يعلمون أی تغير تغيرته سحنه ذلك الشاب و كيف أصبح شبيها بامرأه عجوز. فإذا رأوه أيقنوا أنه لن ياتی يوم يستطيع فيه أن يتقدم و يتبعه ذووه ماضيا إلى احتلال مكان أبيه. و كان ل "کریم خان زند" غايه أخرى هي أن يخرج "جیران" و إخوه "آقا محمد خان" من "أسترآباد" و يقيمهم فی أماكن متفرقه من ولايات إيران المركزيه ليقطعهم عن "أسترآباد" و طائفه "أشاقه باش". من أجل ذلك عزم "کریم خان زند" على إرسال "آقا محمد خان" إلى "أسترآباد".

و كان "آقا محمد خان" يعرف أی تغير طرأ على سحنته، و يعلم أن أمه نفسها لن تعرفه. فقد تغير حتى صوته فأصبح غير صوته المعهود.

و لكنه، إذ كان عازما على أن يحتل يوما ما مكان أبيه، فقد رأى أن لا بد له من أن يظهر نفسه لأهل "أسترآباد" و رجال طائفه "أشاقه باش" و غيرهم، فيروا سحنته الجديده و يعلموا أن ابن "محمد حسن خان" الأكبر قد صار إلى هذا الشكل.

فإذا وصل إلى مكان أبيه لم ينكره أحد. و كان يتوقع أن يكون بعد عودته إلى "أسترآباد" موضع الاستهانه، و أن أولئك الذي يجعلون من مصائب الناس موضوعا للتسلية سيلسعونه بألسنتهم و سخریتهم. و لكنه وطن نفسه على تحمل ذلك كله لكيلا ينكر الناس هويته فی المستقبل و ليعلموا أنه حقا ابن "محمد حسن خان قاجار أشاقه باش" الأكبر.

و حين سار من شیراز قاصدا "أسترآباد" إنما كان سجيناً ينقل من سجن إلى سجن، بخلاف ما ذكره مؤرخو العهد القاجاری من الایرانيين من أنه سار محفوفاً بالأبهبه و الجلال. فقد كان محاطا بحراسه شديده. و أوصى "کریم خان" حراسه باليقظه التامه لمنعه من الفرار إذا حاوله. و أمرهم بان يقيدوه بالسلسله إذا حاول الفرار و أن يدخلوا به "أسترآباد" مقيدا بها.

و دخل "آقا محمد خان" إلى "أسترآباد". و كان قبل خروجه من شیراز قد أرسل رساله إلى أمه يعلمها بسفره. و لكن "جیران" توفيت بمرض السكر قبل وصوله بثلاثة أيام. و أراد "آقا محمد خان" أن يحمل جثمانها إلى النجف أو كربلاء لتدفن هناك. و لكن حاكم "أسترآباد" رفض أن يأذن له بذلك. فاستأذنه فی حملها إلى قم أو مشهد فلم يأذن له. فاضطر إلى دفنها فی

كان جيران فارسه ترمى بالرصاص و تحارب. فلما ابتليت بمرض السكر قالوا إنها سبق أن قتلت أناسا فابتلاها الله بالسكر كفاره
عن قتلهم.

"أسترآباد" موقتا إلى أن يتيسر له نقلها إلى إحدى البقاع المقدسه.

و بموت "جيران" استراح خاطر "كريم خان زند" من جهه هذه الأسره. فالأم، وقد كانت الدماغ المدبر فيهم، ماتت. و "آقا محمد خان" كل من رآه حكم بأنه غير أهل لأن يخلف أباه. و إخوته أصغر سنا من أن يفكروا فى الثوره و التمرد.

و بعد أن أقام "آقا محمد خان" فى "أسترآباد" عشره أيام أرسله حاكمها مع إخوته مخفورين إلى طهران. و فيها توفى أصغرهم "عباس قلى خان" و هو فى السابعة من عمره، و دفن عند رأس أبيه فى مقام "شاه عبد العظيم".

و أرسل "كريم خان زند" أمرا إلى حاكم طهران بإرسال أبناء "محمد حسن خان أشاقه باش" إلى قزوين للاقامه فيها ما عدا "آقا محمد خان" و أخاه الشقيق "حسين قلى خان"، فقد أمره بارسالهما إلى شيراز.

و "حسين قلى خان" هذا هو الذى لقب بعد ذلك بلقب "حارق الدنيا"، و ولد له ولد سماه "فتح على خان" باسم جد الأسره الذى قتل فى صاحيه مشهد و دفن فى المحله المعروفه باسم "خواجه ربيع" كما مر. و قد عرف "فتح على خان" هذا فى الأسره باسم "خان بابا" و خلف عمه "آقا محمد خان" على سرير الملك باسم "فتح على شاه"، و لقب يومئذ بلقب "شاه بابا" أيضا.

و أقام الإخوان فى شيراز مراقبين. و عاد "آقا محمد خان" إلى ممارسه برنامجه اليومي، و تحصيل العلم. و أما أخوه "حسين قلى خان" فلم تكن به رغبه فى العلم، و كان يصرف أوقاته فى البطاله.

تمرد حاكم أسترآباد

كان "محمد خان قاجار دولو" حاكم "أسترآباد" من قبل "كريم خان زند" قد جمع، فى مده حكومته، ثروه كبيره. و بعد أن أنفذ أوامر "كريم خان زند" بشأن إقامه أسره "آقا محمد خان"، حدثته نفسه بالتمرد، فان يكن "محمد حسن خان قاجار قوانلو" أشاقه باش" قد استطاع أن يملك عده سنوات فى شمال إيران، فهو. حاكم "أسترآباد"، لا يقل عنه نسبا و لا حسبا و لا وسامه و لا- ثروه، فلما ذا يبقى قانعا بحكومته "أسترآباد" تابعا للشاه الزندى؟ و بدأ تمرده بان توقف عن إرسال خراج ولايته إلى "كريم خان زند" ثلاث سنوات متواليه متعللا بالقحط و الجفاف.

و كان "كريم خان زند" قد اطمأن كل الاطمئنان من جهه "آقا محمد خان"، إذ أيقن أنه يستحيل عليه بعد اليوم أن يسعى إلى منصب الرئاسة و الملك. و كان "آقا محمد خان" قد سار سيره تبعد عنه كل شبهه. و لذلك تبدلت معامله "كريم خان زند"، و أخذ يرفق به و يوليه عنايه أكثر من السابق، بل كان أحيانا يستشيره فى بعض الأمور التى يعهد أنه خبير بها.

فأحضره إليه و أخبره بما فعل "محمد خان قاجار دولو". و بعد تداول حديث طويل بينهما أفتعه "آقا محمد خان" بالدليل البين أن حاكم "أسترآباد" كاذب فى ما يتعلل به. و أفتعه أيضا بان اعتماده على رجل من "أشاقه باش" خير له من اعتماده على هذا الحاكم. و "أشاقه باش" اليوم لا رئيس لها بجمع كلمتها و يضعها فى خدمه الشاه الزندى. و رأى "كريم خان زند" أن يعامل محمد خان قاجار دولو "حاكم" "أسترآباد" بالمداراه. فقرر أن لا يعزله من منصبه لئلا يعلن التمرد. و اتخذ تدبيرا آخر يرفع به من شان "أشاقه باش" لتكون منافسا له. فاصدر مرسوما بنصب "حسين قلى خان" أخى "آقا محمد خان" حاكما على "دامغان"

على أن يحق له الحضور إلى "أستراآباد" متى شاء.

و ذهب "حسين قلى خان" إلى مقر عمله فى "دامغان"^(١) وعرف هذا المولود لذلك باسم "خان بابا". ثم خلف "آقا محمد خان" فى الملك باسم "فتح على شاه" - كما تقدم - وقيل إن ولادته كانت فى سنة ١١٨٤ وقيل فى سنة ١١٨٥ هـ. ق. و لكن المؤرخين متفقون على أن ولادته كانت فى دامغان. و أرسل منها رساله إلى "محمد خان قاجار دولو" يخبره عازم على الحضور إلى "أستراآباد" و تفقد رجال طائفته "أشاقه باش". و لكن "محمد خان قاجار دولو" منعه من الحضور. و كان هذا المنع إعلانا منه بعزمه على التمرد.

إلا أن جماعه من رجال "أشاقه باش" استطاعوا السفر إلى "دامغان" و الاجتماع بحاكمها الجديد. و حدثت حركه أنعشت هذه الطائفة و وجهت آمالها إلى "حسين قلى خان" فى أن يخلف أباه فى رئاستها.

و استطاع "آقا محمد خان" إقناع "كريم خان زند" بان يسمح بنقل إخوته المحتجزين فى قزوين إلى "دامغان" ليقيموا مع أخيهم. و بهذا أفلت من يد "كريم خان زند" كل الرهائن الذين يحتجزهم من هذه الأسره ما عدا "آقا محمد خان".

و وجد "كريم خان زند" أن لا بد له من محاربه "محمد خان قاجار دولو". و استطاع "حسين قلى خان" حاكم "دامغان" أن يجمع، بمساعدته "كريم خان زند"، جيشا من سته آلاف جندى، كان بينهم جماعه من طائفه "أشاقه باش". و كان "آقا محمد خان" قد أفهم أخاه قبل سفره إلى "دامغان" أن إقامته فى هذا المنصب إنما هى فرصه عليه أن يغتتمها للتمرد على "كريم خان زند" و استخلاص الملك من يده.

سار "حسين قلى خان" بجيشه من "دامغان" قاصدا إلى "أستراآباد". و كان أكبر ما يعوقه قلعه تعرف باسم "قلعه نمكه" تقع فى الطريق بين البلدين. فتمكن من فتحها ثم ضربها و تابع سيره إلى "أستراآباد" فاحتلها و فر حاكمها "محمد خان قاجار دولو".

تمرد حسين قلى خان

و حين دخل "حسين قلى خان" إلى "أستراآباد" التف حوله رجال طائفته "أشاقه باش". و بادر هو إلى دعوه "كمال على بيك" رئيس طائفه "بوخارى باش" إلى إيقاع الصلح بين الطائفتين فاستجاب له و تصالحت الطائفتان على أن تكون رئاستها ل "حسين قلى خان" يتولى الشؤون السياسيه و الاقتصاديه و تكون اداره الشؤون الداخليه الحقيقه و القضائيه و أمثالها فى بد [يد] "كمال على بيك" و يكون له عنوان "العمده".

و تعاهد الرجلان على خلع طاعه "كريم خان زند" و الاستقلال بحكم

ص: ١٩

١- فى سنة ١١٨٢ هـ الموافق و سنة ١٧٦٨ م تزوج "حسين قلى خان" فى "دامغان" من بنت لأحد رؤساء القاجاريين. و فى سنة ١١٨٣ هـ. ولدت له صبيا سماه "فتح على خان" باسم جد الأسره الذى قتل بحكم من "نادر شاه أفشار".

"أستراآباد" و إعلان التمرد فى الوقت المناسب.

ثم عاد "حسين قلى خان" إلى مقر عمله فى "دامغان" و أناب عنه "كمال على بيك" على حكومه أسترآباد"، و أرسل تقريراً بذلك إلى "كريم خان زند". فاقره هذا على ما فعل و شكره و أهداه خنجراً مرصعاً.

و أخذت الرسل تتردد بين الرئيسين القاجاريين يتبادلان الرأى فى تدبير الثورة و تهيئه مقدماتها. و كانا يختاران رسلهما من أعيان القاجاريين الموثوقين و أهل الرأى و المشورة فيهم، و كانت رسائلهما كلها شفهيه حذراً من وقوع وثيقه خطيه فى يد "كريم خان زند" تكشف تأمرهما.

و رفع جواسيس "كريم خان زند" إليه تقريراً بتردد الرسل بين دامغان مقر حكومه "حسين قلى خان" و "أسترآباد" مقر حكومه "كمال على بيك". فأرسل من قبله رجلاً اسمه "الله يار زند" يتحرى الأمر، و أمره باعتقال من يترددون بين الرجلين و مصادره ما فى حوزتهم من أوراق و إرسالها إليه. ففعل ما أمره به و لكنه لم يعثر على شىء من الأوراق معهم.

و إذ كان يرتاب فى هؤلاء الرسل. و عجز عن الحصول على مستمسك عليهم، فقد عمد يوماً إلى اعتقال أحدهم. و عند استجوابه فى التحقيق لم يحصل على اعتراف منه بشىء، فأمر بضربه فلحقا على باطن قدميه. و إذ كان المضروب من سراة القاجاريين فقد غضب "حسين قلى خان" و استدعى "الله يار زند" إليه و أمر بضربه فلحقا، فضربوه حتى أغمى عليه، ثم ألقوه خارج دار الحكومه و هو مغمى عليه. و لما تمكن من أن يستوى على قدميه مضى إلى "كريم خان" فأعلمه بالواقعه.

و مضى "حسين قلى خان" من "دامغان" إلى "أسترآباد" و أعلن بالعصيان، و دعا نفسه "جهان سوز شاه" أى "الشاه حارق الدنيا". و لم يستطع "كريم خان زند" أن يسير بنفسه إلى محاربه بسبب مرضه. فنصب "محمد خان قاجار دولو" حاكم "أسترآباد" السابق حاكماً على مازندران، و أمره بالسير إلى محاربه "حسين قلى خان". و لكن "حسين قلى خان" تغلب عليه و تتبعه حتى حاصره فى إحدى القلاع، و انتهى الحصار باحتلال "جهان سوز" للقلاع و مقتل "محمد خان قاجار دولو".

و لما بلغ خبر الهزيمه إلى "كريم خان زند" استدعى "آقا محمد خان" و أمره بان يكتب رساله إلى أخيه "حسين قلى خان" يقول له فيها عن لسانه إن جزاءه، إذ تمرد و عصى و قتل عامله على مازندران، القتل. و لكنه يعفو عنه إن هو حضر إلى شيراز و أدى إلى ورثه القتل ديتة. فكتب "آقا محمد خان" رساله لأم فيها أخاه على فعله، و قال له إن أسرنا كانت موضع عطف "كريم خان زند" و عفوه و إكرامه. و قد جعلك والياً على "دامغان" ثم أضاف إليها ولايه "أسترآباد". و لكنك عصيته و تمردت عليه بدلاً من أن نشكره و ترعى حقه. و الآن خير لك أن تحضر إلى شيراز و تؤدى الديه إلى ورثه القتل، و إلا أنزل بك أشد العقوبه.

و لم يكن لهذه الرساله من وقع فى نفس "حسين قلى خان" لأنه كان و أخاه قد تواطأ على العصيان قبل سفره إلى "دامغان"، و كان "آقا محمد خان" قد أوصاه أن لا يدعن ل "كريم خان زند" بوجه من الوجوه.

و "حسين قلى خان" يعلم أن أخاه لا يعنى مما كتبه فى هذه الرساله شيئاً، و أنه إنما كتبها مضطراً. و لذلك أجاب على الرساله بأنه حاضر ليجىء إلى شيراز حين يتيسر له جمع المال اللازم للديه، و أنه الآن مشغول بتهيئته.

و لكن الوقت طال و لم يحضر "حسين قلى خان" إلى شيراز و لا وصل منه خبر آخر إليها. فاستدعى "كريم خان زند" أخاه "آقا محمد خان" و قال له اكتب إليه مره أخرى و قل له إنه إن لم يحضر قتلتك أنت. فكتب ما أمره به.

و حين وصل الساعى حامل الرساله إلى "أسترآباد" كان "حسين قلى خان" فى أحد مرافى مازندران يسعى إلى إنشاء أسطول حربى. فأوصلها الساعى إليه. و كتب فى جوابها يستعطف "كريم خان زند" أن يبقى على أخيه و يعده بالحضور فى أقرب وقت ممكن.

اعتصام آقا محمد خان

بعد أن كان "كريم خان زند" قد خفف القيود عن "آقا محمد خان" و سمح له بالخروج من شيراز للنزهه و الصيد، عاد فى تلك الحقبه، فضيق عليه و منعه من الخروج إلى خارج المدينه. و رأى "آقا محمد خان" أن من الممكن أن يقدم "كريم خان زند" على قتله فاعتصم فى مقام "شاه چراغ" (1) إذ كان اللاجئون إلى هذا المقام ممن يطلبهم السلطان يوقف عنهم الطلب احتراماً له.

و إذ كان "آقا محمد خان" محترماً عند الشيرازيين لمكانته العلميه و الأدبيه و حسن تصرفه الاجتماعى، فقد بادر أعيانهم إلى إمداده باطايب الطعام و فاخر اللباس، و لكنه رفض ذلك كله و ظل يقتصر فى طعامه و لباسه على ما اعتاده من بساطه. و جعل الفضلاء و طلاب العلم يختلفون إليه زائرين متفقدين أحواله، إذ أن "كريم خان زند" لم يحظر على أحد زيارته.

فتتعد عندة فى مقام "شاه چراغ" مجالس بحث علمى و أدبى و تاريخى.

و فى إحدى الليالى كان "كريم خان زند" ناشطاً للسمر، و عنده بعض فضلاء فارس. فتلا بيتين من الشعر هذا تعريبهما:

معشوقه خضراء الوجه ضيقه الفم تزيد فى نشاط الشيخ و نشاط الشاب إذا أنت حسرت المعجر عن رأسها أخذها الغضب فتدافع الزبد من فمها و أراد "كريم خان زند" أن يمتحن الحاضرين فسألهم من هو قائل هذين البيتين، و ما هو معناهما؟ فلم يعرفوا جواباً. فقال "كريم خان زند": لو كان آقا محمد خان قاجار حاضراً لعرف معناهما و ذكر اسم قائلهما. ثم قال: إن هذا التاعس يخشانا على نفسه. و غدا سأذهب إلى "شاه چراغ" للزياره و أخرجه من معتصمه آمناً.

و فى اليوم التالى ذهب "كريم خان زند" مع أولئك الفضلاء الذين كانوا سماره فى الليله البارحه إلى مقام "شاه چراغ". و بعد أن قرأ زيارته استدعى إليه "آقا محمد خان" و روى له واقعه الليله البارحه و سأل عن قائل هذين البيتين، فأجابه على الفور: هو الطاهر بن الفضل بن محمد بن المظفر ابن المحتاج الشغانى المكنى بـ "أبو المظفر" المتوفى سنه سبع و سبعين و ثلاثمائه هجرية و هو فى السبعين من عمره.

ص: ٢٠

فاستحسن "كريم خان زند" جوابه. و ساله عن معنى البيتين.

فأجابه "آقا محمد خان" بان ذكر معناهما هنا ينافى حرمه هذا المقام المقدس.

فقال "كريم خان زند" أنت هنا معتصم، فكيف ترضى أن تخرج من هنا لتشرح لنا معنى البيتين؟! فقال "آقا محمد خان": إن شملنى الملك بعطفه و رحمته خرجت من هذا المقام. و فى خارجه أشرح معنى البيتين. فقال "كريم خان زند": قد شملناك بعطفنا و رحمتنا، و خرج مصطحبا معه "آقا محمد خان" و مضى به إلى قصر الملك. و فى المساء انعقد المجلس الأدبى فى حضره "كريم خان زند" و شرح "آقا محمد خان" معنى البيتين بان الشاعر قالهما فى وصف زجاجة الفقاع و فوران الزبد منها حين فتحها. و هكذا كان شعره شاعر فى القرن الرابع الهجرى سببا فى تذكر الشاه الزندى ل "آقا محمد خان" و إخراجهم من معتصمه. و وفى "كريم خان زند" بوعده فلم يمس "آقا محمد خان" بأذى.

مقتل حسين قلى خان قاجار

و ظل "حسين قلى خان" يماطل فى الحضور حتى أيقن "كريم خان زند" أنه عازم على الاستمرار فى التمرد و أنه لن يحضر إليه طوعا. و لا بد من الحرب.

و كان "حسين قلى خان" قد تمكن و استقوى حتى سيطر على مساحه واسعه من شمال إيران و امتدت يده إلى مازندران و "جیلان" و أصبح يملك قوه بحريه صغيره لا تنفك تستقوى شيئا فشيئا، و بذلك استطاع أن يمد نفوذه على سواحل شمال إيران من "دربند" إلى خليج "قره باغاز". و حاول "كريم خان زند" مرارا. أن يقهره بحكام تلك الأقاليم المحليين فلم يفلح، إذ كان "جهان سوز" يتغلب عليهم دائما. حتى إنه أصبح يهدد طهران نفسها.

و رأى "كريم خان زند" أنه لا قبل له بمحاربه "جهان سوز" فاستشار بعض رجاله فى أمره. فأشار عليه أحدهم أن يقضى على "حسين قلى خان" بقتله اغتيلًا من غير ان يسوق جيشا إلى محاربه. فراقت له الفكرة. و أرسل رجلا اسمه "على خان دولو" إلى "أستراآباد" ليتولى تدبير مؤامره الاغتيال. فاستاجر هذا رجلا تركمانيا اسمه "آرتق" كان "حسين قلى خان" قد قتل أخا و ابنا له، فاستوقفه و هو راكب متظاهرا بان يرفع إليه ظلامه، و وثب إليه على ظهر الفرس فقتله ضربا بالسكين، و قتل مرافقه "آرتق". و ذلك فى سنة ١١٨٩ هـ الموافق سنة ١٧٧٥ م، و عمره يومئذ ست و عشرون سنه. منها ست سنوات مده حكمه و ملكه. و قيل إنه قتل فى اليوم العشرين من شهر صفر سنة ١١٩١ هـ، و قيل فى الثانى عشر من شهر صفر سنة ١١٩٢ هـ. و قيل إن من قتله ثلاثه من التركمان من قبيله "يموت". و بعد قتله نصب "كريم خان زند" مدبر المؤامره "على خان دولو" حاكما على "أستراآباد".

و عادت، بعد مقتل "جهان سوز"، طائفتا "أشاقه باش" و "بوخارى باش" إلى "ما كائنا عليه من خلاف. و كان حاكم "أستراآباد" الجديد يحركه و يوسع شقته.

و عزم أحد خدم "حسين قلى خان"، و اسمه "يوسف"، على الأخذ بثار سيده. فاخذ يترصد "على خان دولو"، حتى كان هذا يوما راكبا يتنزه على شاطئ نهر "جرجان"، فامتطى "يوسف" حصانا و تبعه و أطلق عليه رصاصه، و فر إلى صحراء التركمان. و وقع "على خان دولو" جريحا. و بعد يومين قضى نجه. و قيل إن "على خان دولو" قتل فى دار الحكومه فى "أستراآباد". و ظل

القاتل متواريا إلى أن ملك "آقا محمد خان"، فعاد إليه و حصل منه على مكافاه و منصب.

فرار آقا محمد خان

كان "آقا محمد خان"، بما هو مخصى، مأذونا له أن يدخل إلى حرم "كريم خان زند". و إلى هذا كانت إحدى زوجات الشاه الزندی عمته.

و في أواخر حياه هذا عرف "آقا محمد خان" من عمته أن مرض "كريم خان زند" يشتد يوما عن يوم و أن حاله لا تنفك تزداد سوءا، و أنه مائت عن قريب بسبب المرض و الشيخوخه.

و يومئذ، في سنة ١١٩١ هـ الموافق سنة ١٧٧٧ م، أرسل "آقا محمد خان" في السر رسولا إلى "أسترآباد" و معه رساله إلى "عباس قلى بيك أشاقه باش" أحد رؤساء "أشاقه باش" و من أشد الموالين لآقا محمد خان إخلاصا. و أمره في هذه الرساله بان يبادر إلى السفر مع نخبه من رجال "أشاقه باش" إلى مدينه "ورامين" قاعده ناحيه "ورامين" الواقعه في شرقى طهران قريبا منها. و أعلمه في هذه الرساله بان موت "كريم خان زند" بات وشيكا، و أنه سيلحق به فور انقضاء أجله.

و كان "آقا محمد خان" يقضى تلك الأيام الأواخر من حياه "كريم خان زند" خارج شيراز متظاهرا بأنه يصطاد. و لكنه، إذ كان يتوقع موت "كريم خان زند" بين ساعه و ساعه، كان يريد أن يبقى خارج المدينه حين موته ليتيسر له الفرار ساعتئذ. و كان "كريم خان زند" بعد مقتل "حسين قلى خان"، قد أحضر جماعه من أقارب "آقا محمد خان" إلى شيراز و أبقاهم فيها رهائن. و لم يكن مسموحا لأحد منهم بالخروج من المدينه سوى "آقا محمد خان". و قد أعلمهم هذا بأنه سيكون حين موت "كريم خان زند" خارج المدينه، و أوصاهم بان يبادروا حينئذ إلى اللحاق به في مكان عينه لهم، معتمين فرصه انشغال الزنديين بوفاه ملكهم و ما يصحب ذلك من بلبله و تشويش، فلا يتنبه لهم أحد حين فرارهم.

و في الثالث عشر من شهر صفر سنة ١١٩٢ هـ (١) توفي "كريم خان زند". و كان "آقا محمد خان قاجار" خارج المدينه. فلما علم بخبر وفاته أقام في المكان الموعود ينتظر قدوم ذويه الرهائن.

و لكن انتظاره طال و لم يحضر أحد منهم فأيقن أنهم منعوا من الخروج.

أما ما حدث لأولئك الأمراء القاجاريين فهو أن "أبو الفتح خان زند" حاكم شيراز، و هو ابن "كريم خان زند"، كان قد بث عليهم عيوننا تراقبهم من قبل أن يتوفى أبوه. فلما توفي حاول ثلاثة منهم الخروج من المدينه فقبض عليهم. و هم "عيسى خان" و "موسى خان" و "سليمان خان"، و هذا الأخير كان في العاشره من عمره. و أمر "أبو الفتح خان زند" بقتل الأولين فقتلا، و أبقى على الثالث لصغر سنه، و وضعه في المراقبه مع سائر الأمراء القاجاريين من طائفه "أشاقه باش" المحتجزين رهائن.

فلما أيس "آقا محمد خان" من حضور أقربائه ترك مكانه ليلاه الرابع

١- ذكر "سعيد نفيسى" فى كتابه "تاريخ إيران الاجتماعى و السياسى" و "مهدى بامداد" فى كتاب "شرح حال رجال إيران"
أن وفاه "كريم خان" كانت سنه ١١٩٣ هـ.

عشر من صفر منطلقا إلى أصفهان ليضى منها إلى طهران و يلتحق بأنصاره هناك.

فلما وصل إلى أصفهان بعد مشقات و أهوال عاناها في الطريق تبين له أن خبر موت "كريم خان زند" لم يبلغ إليها بعد فتابع السير إلى طهران.

و في سفره هذا كان يستقصى الأخبار في كل بلدة يمر بها فيتبين أن نبا موت "كريم خان زند" لم يصل إليها بعد، و لم يدخل طهران، بل عرج على مقام (عبد العظيم)، ثم اتجه إلى (ورامين).

و لما وصل وجد "عباس قلى بيك أشاقه باش" و رؤساء طائفته في انتظاره. فلما وقع نظرهم عليه علموا أن "كريم خان زند" قد توفي، إذ لو كان لا يزال حيا لما استطاع "آقا محمد خان" الفرار.

هذا و قد ظل "آقا محمد خان" أسيرا في شیراز عند "كريم خان زند" مدة ست عشرة سنة. و ملك "كريم خان زند" مدة عشرين سنة تقريبا (1) ثم عاد "آقا محمد خان" برجاله من "ورامين" إلى طهران و لم يكن نبا موت "كريم خان زند" قد وصلها بعد، فإذاعوه في الناس. و فر "تقى خان زند" عامل "كريم خان زند" على طهران. فأمر "آقا محمد خان" بتعقبه و اعتقاله. فاعتقل و أعيد إلى طهران و أحضر إلى مجلس "آقا محمد خان"، فأمر بضربه فلما ثم أطلقه، فذهب إلى شیراز.

و المؤرخ الانكليزي "واطسون" يقول إن "تقى خان زند" كان على علم بوفاه "كريم خان زند"، و أنه خرج من طهران قاصدا شیراز ليعلم، حسب العادة المتبعة، بولائه لخليفه الملك المتوفى "أبو الفتح خان زند" الذى نصب ملكا بعد أبيه، و يلتمس منه تثبيتته في منصبه. و لم يخرج فارا من وجه "آقا محمد خان". و لكن اتفق أن كان دخول "آقا محمد خان" إلى طهران حين سفره إلى شیراز.

و مهما يكن فان "آقا محمد خان قاجار" انتقل من "ورامين" إلى طهران، و لحق به جماعه أخرى من طائفه "أشاقه باش". و إذ كان حاكم طهران الزندى غائبا عنها، فقد أصبح هو حاكما عليها. و بادر إلى جبايه الضرائب من الأهالى، إذ كان بحاجة إلى المال. و أرسل المنادين ينادون في أنحاء المدينة و فى القرى و القصبات المجاوره لها بأنه يقبل الأوانى الفضية و النحاسيه ضريبه بدلا من النقد. و إذ كان القرويون لا يملكون شيئا من أوانى الفضة، و كان الذى يملكون منها شيئا فى طهران قلائل، و هم يفضلون إعطاء الأوانى النحاسيه و الاحتفاظ بالفضيه، فقد كان كل ما تجمع عنده من هذه الضريبه نحاسا. و ظل الناس متعجبين يتساءلون: ما ذا يصنع الخصى القاجارى بالنحاس؟! ثم تبين لهم مراده، إذ أمر بصهر النحاس و سكه نقدا. فكان أول نقد ضربه "آقا محمد خان" من النحاس. و ضربه، أول ما ضربه، فى طهران. و جعل "آقا محمد خان" نفقته الخاصه منه لا تزيد على عشره فلوس لفظوره و غذائه و عشائه. و يومئذ انتشر عنه ما انتشر من سمعه الشح و التقدير. و إذ ظل رجال حاشيته بعيدين عنه مدة سته عشره: سنه فهم يجهلون ما ألزم به نفسه من عادات، فقد نظروا إليه بعين النفور و التعجب إذ رأوه، و هو ابن "محمد حسن خان أشاقه باش"، يزن طعامه بالميزان. فقد ظنوه يفعل ذلك من شح و حساسه إذ كانوا يجهلون فائدته.

كان "آقا محمد خان" قد تعلم الاقتصاد و الانضباط من أمه، و ظل ملتزما بهذه الخصال إلى آخر حياته. و لم يكن قط شحيحا مقترا، بل مقتصدا منضبطا. يقول أعداؤه إنه بذل حياته فى مدينه "شوشى" فى القفقاس من أجل حزه من (الخبوز). و لكنهم

غفلوا عن أن ملكا مقتدرا مثل "آقا محمد خان" لا يمكن أن تهمة حزه خربوزه فيهدد خدمه بالقتل من أجلها، ثم يقدم خدمه على قتله خوفا على حياتهم. و كل ما فى الأمر أن الرجل كان يعلم أن بعض الناس لا انضباط لهم. و هو حريص على مراعاة النظام فى بيته و أن لا يترك الخدم على هواهم يفعلون ما يشاءون. و استهانته الخدم بامر من أمور البيت، مهما يكن حقيقا تافها، علامه على الإهمال و عدم الانضباط.

السفر إلى مازندران

رأى "آقا محمد خان" أن سعيه إلى كسب القوه يقتضيه الذهاب إلى "أستراآباد" حيث يعرفه الجميع بما هو ابن "محمد حسن خان أشاقه" الأكبر. و حيث اعترفت به طائفه "أشاقه باش" رئيسا لها، و إن يكن خصيا و قد غاب عن معارفه مده سته عشره سنه. و حيث يتوقع أن تلتحق به الطوائف الأخرى و يقبل به الجميع رئيسا لهم أو ملكا عليهم. و لذلك قطع إقامته فى طهران و سار إلى مازندران.

و بعد مسيره بقليل عين "أبو الفتح خان زند" ابن "كريم خان زند" و خليفته "على مراد خان" حاكما على أصفهان و كاشان و طهران و قزوین.

و هذا الحاكم هو ابن أخت "زكى خان زند" أخى "كريم خان زند". و كان "زكى" هذا قد جمع، بعد وفاه "كريم خان زند"، كل شئون الحكم فى يده و قتل جماعه من الأمراء الزنديين ليستولى على أموالهم، و لم يبق ل "أبو الفتح خان زند" من الملك غير العنوان.

و كان "على مراد خان زند" لا يحسب حسابا ل "آقا محمد خان قاجار" و لا يبالى به، و لا يتوقع أن يكون لمثل هذا الخصى شان كشان أخيه و أبیه من قبله. و ما كان يهमे هو أحد كبار الرؤساء من إقليم "خمسه" الواقع فى شمال إيران، و اسمه "ذو الفقار خان أفشار" سار إلى قزوین و استولى عليها إذ كان يرى أنه أحق بها من "على مراد خان زند". و لكن هذا استخلصها منه بلا حرب، إذا استجاب "ذو الفقار خان" لآلتماس أهالى قزوین أن يجنب مدينتهم ويلات الحرب و الحصار، فغادرها بلا حرب و احتلها "على مراد خان زند".

ثم سار "على مراد خان زند" من قزوین إلى طهران مزهوا مختالا.

و أمر الطهرانيين بتزيين المدينه ثلاثه أيام بالأضواء و غيرها من أنواع الزينه ابتهاجا بفتح قزوین. فالتمسوا منه الطهرانيون إعفاءهم من التزيين لما هم فيه من ضيق، إذ كان "آقا محمد خان" قد أجبرهم على أداء ضريبه السنه القادمه قبل حلول موعدها، ثم أجبرهم "على مراد خان زند" أيضا على بذل شىء من المال له. و لكنه أصر على طلبه و اضطر الطهرانيون إلى إقامه الزينه.

و فى أيام هذه الزينه قدم إلى طهران اثنان من رؤساء "لاريجان"

١- قال المؤرخ الفرنسي "جان غوره" إن الخلاف وقع بين الأمراء الزنديين فور وفاه "كريم خان زند" على نحو رهيب من الشراسة و الطمع، حتى أن جثته ظلت ثلاثة أيام ملقاه لا يهتم أحد بدفنها لانشغالهم بالتقاتل و التنايد [التنابد] حتى أنتنت الجثته.

أحدهما اسمه محمد قلى خان الأبيض، والثانى: محمد قلى خان الأسود وأخيرا "على مراد خان" أن "آقا محمد خان" منهمك فى جمع رؤساء مازندران حوله و أن شانه يرتفع يوما بعد يوم، و يخشى منه على ملكك الزنديين، بل إنه، من اليوم، بدأ يرى نفسه ملكا، و حاشيته تعامله معاملة الملوك. و قبل أن يغادر طهران أعلن بأنه سيجعل منها عاصمه له.

و لكن "على مراد خان زند" ظل يستهين بالخصى القاجارى.

و إذ أصر المحمدان اللارىجانيان، على وجوب قمع "آقا محمد خان" قبل أن يستفحل أمره أكثر مما استفحل، فقد قرر "على مراد خان زند" أن يكتب رساله إلى "أبو الفتح خان زند" و رساله إلى خاله "زكى خان زند" يطلعهما على الأمر، و أن يكتب رساله إلى "آقا محمد خان" بهذا المعنى:

"إذ اشتهر أن آقا محمد خان ابن المرحوم محمد حسن خان رجل ذو كفاءه فليس يجوز أن يظل وجوده متعطلا لا يستفاد منه. و الخير فى أن يحضر إلى طهران حين اطلاعه على ما أوليناه من مراحم ليسند إليه ما هو له أهل من المقام و المرتبه و يكون موضع الاعتماد فى الانشغال بالخدمه".

و لكن "آقا محمد خان" لم يرد عليه جوابا. فثنى "على مراد خان زند" برساله أخرى فلم يتلق جوابا. فأيقن عندئذ أنه عازم على التمرد. و كتب بذلك إلى "أبو الفتح خان زند" و خاله "زكى خان زند". فاجابه بانك، و قد استطعت التغلب على ذو الفقار خان أمير خمسه، يسهل عليك التغلب على "آقا محمد خان فهبى جيشا و أرسله إلى مازندران و أومر بحمل "آقا محمد خان" منها إلى طهران مكتوفا، أو حمل رأسه

نهزام انهزام على مراد خان زند

و جهز "على مراد خان زند" جيشا جعل على قيادته كلا من "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" اللارىجانيين. و كان هذان يعاديان "آقا محمد خان قاجار" و يخشيانه على نفوذهما و أموالهما فى "لارىجان". و قد بدلا مقدارا كبيرا من مالهما الخاص لتجهيز الجيش، إذ كان "على مراد خان زند" يعوزه المال اللازم لذلك.

و ذكر مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين أن عدده هذا الجيش الذى ساقه "على مراد خان زند" إلى حرب "آقا محمد خان" كانت ثمانين ألفا.

و لكنه قول لا يقبله العقل. فقد كان كل ما يملكه "على خان زند" و ما بذله حليفاه من مال لا يفى بتجهيز مثل هذا الجيش. و قد بالغ أولئك المؤرخون هذه المبالغه تملقا للملوك القاجاريين على عاداتهم، ليقال إن "آقا محمد خان" بلغ من الشجاعه و الخبره الحربيه ما جعله يتغلب بالعدده القليله من رجاله على هذا الجيش العرمرم! و القرائن تدل على أن عدده جيش "على مراد خان زند" لم تتجاوز عشره آلاف أو خمسه عشر ألفا. و لكنه كان جيشا قويا، و التحق به أيضا جماعه من أهل "لارىجان".

و لما بلغ خبر تهيو "على مراد خان زند" لغزو مازندران إلى "آقا محمد خان" هيا جيشا و جعل على قيادته أخاه "جعفر قلى خان" و هيا الإخوان خطه محكمه لا يقاع الجيش الغازى فى الكمين. و كانت طريق هذا الجيش فى مضيق جبلى من جبال

مازندران الشجاء يعرف بمضيق "عباس آباد".

و وضع "جعفر قلى خان قاجار" كمينه فى الأعلى المحيطه بهذا المضيق. فلما توسطه الجيش الغازى رماه الكمين من الأعلى بالرصاص و دحرجه الصخور و جذوع الأشجار. فلم يستطع دفاعا و ألقى سلاحه، و تبدد بين قتيل و أسير و فار. و استطاع القائدان اللاريجانيان الفرار، إذ كانا فى مؤخره عسكرهما، و عرفا بالكمين من أصوات الرصاص، فعادا أدراجهما قبل أن يدخلوا فى المضيق.

و يمكن القول إن انتصار جيش "آقا محمد خان" يرجع إلى دقته و دقه أخيه فى التخطيط و خبرتهما العسكريه الفائقه من جهه، و غفله القائدين اللاريجانيين و غرورهما و جهلهما بالفنون الحربيه من جهه أخرى.

و بهذا النصر انفتحت الطريق إلى طهران لآقا محمد خان، فسار من مازندران إلى "ورامين" ثم انطلق منها إلى طهران فدخلها و اتخذ مسكنا له فى العمارات التى أقامها "كريم خان زند" خارج السور الذى أقامه لها الشاه "طهماسب" الأول الصفوى.

و ذكر "غولدا سميث" الانكليزى أن تاجرا فرنسيا اسمه "نوه" ورد إلى طهران حين ورود "آقا محمد خان" إليها، و معه كتاب توصيه من "كاترين الثانيه" أمبراطوره روسيا، ترجو فيه رؤساء إيران تسهيل أعماله و إكرام مثواه. و دخل هذا التاجر على "آقا محمد خان" فسر به و رحب. و إذ كان يجهل اللغه الفارسيه، و لم يكن فى إيران يومئذ من يعرف اللغه الفرنسيه فيكون ترجمانا بينهما، و كان هذا التاجر قد سبق أن أقام مده فى إستانبول و تعلم اللغه التركيه، فقد دار الحديث بينه و بين "آقا محمد خان" بهذه اللغه. و طلب "آقا محمد خان" من زائره أن يطلعه على خارطه أوروبا و خارطه فرنسا ففعل. و شرح له بعض الأمور عن النظام الملكى الفرنسي، و أخبره أن الملك اليوم فى فرنسا هو "لويس السادس عشر". و قد شوقت هذه الزياره "آقا محمد خان" إلى تعلم اللغه الفرنسيه. و كان ملما بعض الإلمام باللغه الروسيه العاميه بسبب إقامته فى "أسترآباد" و اتصاله بالملاحين و التجار الروس. فطلب من ضيفه الفرنسي "نوه" أن يعلمه اللغه الفرنسيه، و أخذ يتلقى عليه دروسا فيها. فتعلم الألفباء و تهجئته الكلمات.

و لكن مشاغل الملك صرفته عن متابعه الدرس. و هو من بين ملوك القاجاريين، أو من أقدم على تعلم لسان أوروبى غير اللسان الروسى.

تمرد ذو الفقار خان أفشار

و فى تلك الأيام بلغ إلى "آقا محمد خان" أن "ذو الفقار خان أفشار" أحد كبار أمراء "خمسه" - و قد مر ذكره - يهيا جيشا عرموما يغزو به طهران.

فاستعد "آقا محمد خان" للدفاع بان أقام فى طهران حاميه عسكريه و أوكل قيادتها إلى أخيه "جعفر قلى خان"، و أمر الطهرانيين بالتمون و حفر الآبار لاستنباط ماء الشرب، احتياطا للحصار إذا وقع على المدينه. و انطلق هو إلى "ورامين" لتجنيد الرجال. و كانت خطته أنه إذا حوصرت طهران قاوم أخوه الجيش المحاصر من الداخل و هاجمه هو من الخارج.

و لما بدت مقدمه جيش "ذو الفقار خان أفشار" كانت الطليعه التي أرسلها "جعفر قلى خان" للاستكشاف قد قامت بمهمتها على أكمل وجه.

و أبدى قائدها، و اسمه "فاسم خان فيروزكوهى"، من الفنون العسكريه البارعه ما يجعله فى مقدمه القواد العسكريين، و هو الذى لم يدخل مدرسه حربه فى حياته، و لا تخرج من معهد عسكري.

و الناس يخالون أن فن "التمويه" الحربى هو من ابتكارات الغربيين.

ص: ٢٣

و لكن الواقع أن الشرقيين سبقوا الغربيين إليه، و استعملوه من قديم الزمان قبل أن يعرفه الغربيون. و قد استعمله "قاسم خان فيروزكوهي" في استكشافه على نحو بارع معجب. فكان جنوده يستترون بالأعشاب و أغصان الشجر بكل مهاره، و يحصلون على ما يريدون الحصول عليه من معلومات و العدو غافل عنهم.

و يوم بدأ "ذو الفقار خان أفشار" تجيش جيشه هذا شاع أن عدده جنوده بلغت مائه ألف جندي. و لكن، بعد أن اقترب هذا الجيش من طهران، تأكد لقائد الطليعه القاجاريه "قاسم خان فيروزكوهي" أن عدتهم لا تتجاوز اثني عشر ألفا. و لذلك عزم "جعفر قلى خان" على الخروج بجيشه من طهران و مباغته "ذو الفقار خان أفشار" بالهجوم قبل الوصول إليها.

فبيته في نواحي بلده "كرج" و تغلب عليه و عاد إلى طهران ظافرا. و أرسل رسولا إلى "ورامين" ينبئ "آقا محمد خان" بالنصر. و عاد هذا إلى طهران.

تمرد رضا خان قاجار

و بعد بضعة أسابيع من توقف "آقا محمد خان" في طهران ذهب إلى مازندران في سنة ١١٩٥ هـ الموافق سنة ١٧٨٠ م و أقام في "بارفروش".

و في تلك السنه عصى "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" اللاريجانيان في بلديهما "لاريجان". و قد ذكرنا آنفا أنهما كانا حليفى "على مراد خان زند" في محاربتة "آقا محمد خان" و كانا قائدى جيشه اللذى هزمه "آقا محمد خان" في مضيق "عباس آباد".

أعلن هذان العصيان على "آقا محمد خان قاجار" و استقلا عنه و لكنهما لم يطلبوا الملك. و بلغ خبرهما إلى "آقا محمد خان"، و بلغه أيضا أنهما يصنعان البنادق و عن قريب سيحصلان على عشرات الألوف منها.

فاستدعى "آقا محمد خان" - و كان لا يزال في "بارفروش" - إليه أخاه "رضا قلى خان" و أمر باصطحاب جماعه من الفرسان إلى "لاريجان" و اعتقال "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" و إحضارهما مكتوفين إلى "بارفروش".

فلما وصل "رضا قلى خان" إلى "لاريجان" و علم المطلوبان بقصده أرسلوا إليه أنهما حاضران للتسليم و لكنهما يلتزمان منه أولا الاجتماع به ليطلعاه على بعض الأمور. فقبل.

فلما اجتمعوا ثلاثتهم أبلغاه أنهما لا ينويان عصيانا و لا خروجا عن الطاعة، بل يطلبان حقا مغصوبا لهما. و ذلك أن أباه "محمد حسن خان أشاقه باش" سلبهما أملاكهما في "لاريجان" توارثاها أبا عن جد. و أن "آقا محمد خان" يرفض إعادتها إليهم.

و كان لهما قصد آخر من هذه المذاكره. و هو أن يحسنا له طلب الملك لنفسه. فقال له "محمد قلى خان الأبيض":

"لقد قرأنا في الشاهنامه أن منصب الملك في إيران تولته النساء مرارا.

و بعضهن معدودات من خير ملوك هذه الدوله. و كن يعاملن الناس بالعدل. و لكن هذا الرجل الذى يريد اليوم أن يملك علينا

لا هو رجل ولا هو امرأة. ولو كان رجلا أو كان امرأة لما أوقع في الناس هذا الظلم. فكل رجل فيه صفات الرجولة، وكل امرأة فيها صفات الأنوثة. وهذا الرجل لا له صفات الرجولة ولا صفات الأنوثة. وبدلا من أن تكون أنت، رضا قلى خان، ملك هذه البلاد، يريد هذا المخنث أن يحتل مكان ملوك إيران الماضين".

و أول من وصف آقا محمد خان " بكلمه "مخنث" هو "محمد قلى خان الأبيض" هذا. ثم درجت بعد ذلك على الألسنه و الأقلام.

و قال "محمد قلى خان الأسود":

"إن ملك إيران حله تليق بقامتك. و أنت من هو أهل لأن يضع تاج ملك إيران على رأسه، لا رجل خصى".

و قد غضب "رضا قلى خان" حين وصف "محمد قلى خان الأبيض" أخاه بالمخنث. و لكن غضبه لم يلبث أن خمد حين مناه "الأسود" بالملك.

و كذلك احتمل منهما اتهامهما أباه باغتصاب أملاكهما، لهذا السبب. و تبين اللاريجانيان من تغاضبه عما قالاه فى شان أبيه و أخيه أن تمنيتهما له بالملك قد راقته. فتابعا إغراءه. و قال له "الأبيض" منهما إن آقا محمد خان، و إن يكن هو أكبر إخوته و أحقهم بخلافه أبيه، ليس أهلا- لذلك لأنه ناقص الخلقه، لا يعد رجلا بين الرجال و لا امرأه بين النساء. و مثله لا يجوز الشرع الإسلامى أن يملك على الناس، لأن الحاكم يجب أن يكون راشدا و هذا لا يعد راشدا. و لو استطاع التملك بالقهر و الغلبه فإنه لن يجد بين علماء الشرع من يعترف له بحقه فى التملك. و قطعاه له عهدا بان ينصراه إذا خرج على أخيه و طلب الملك لنفسه. و ما زالاه حتى أفضاه بالخروج.

و انضم إليهما كردى اسمه "أبدال خان"، و هيا الثلاثه جيشا من ألفى جندى. و كان مع "رضا قلى خان" ثلاثمائه جندى، و ساروا بهم إلى "بارفروش" مازندران حيث يقيم "آقا محمد خان". و لم يكن يتوقع مثل هذا الهجوم، و لذلك كان غير مستعد للدفاع، فاستطاع جيش أخيه "رضا قلى خان" المهاجم احتلال "بارفروش" بسهولة. و حاصروا بيت "آقا محمد خان" و اضطروه إلى التسليم.

و كان بين ضباط الكتيبه التى رافقت "رضا خان قلى خان" يوم أرسله "آقا محمد خان" إلى "لاريجان" لاعتقال "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود" ضابط اسمه "حاجى خان حلال خور" من أهالى محله اسمها "بندقى"، و قد سبقت عنده يد من "آقا محمد خان" إذ أنقذه مره من الموت، و ما زال يحفظ له هذا الجميل. فالتمس من "رضا قلى خان" أن يكون مع الذين يرسلهم لاعتقال "آقا محمد خان"، و هم "أبدال خان" الكردى و جماعه من رجاله. و كانت غايه "حاجى خان حلال خور" حمايه "آقا محمد خان" من الأذى. فقبل "رضا قلى خان" التماسه و هو يجهل غايته.

و بعد اعتقال "آقا محمد خان" استطاع "حاجى خان حلال خور" أن يقنع "رضا قلى خان" بان يعهد إليه بحراسه "آقا محمد خان" فى محبسه.

و جعل معه عشره مسلحين يقومون لحراسته. و حين خلا "حاجى خان حلال خور" باسيره عاهده على أن لا يدخر وسعا فى حمايته و الذب عنه.

و كان "رضا قلى خان" يريد الإبقاء على حياه أخيه و سلامته، لا يقتله و لا يعميه، بل يكتفى بحجزه فى مكان منعزل. إلا أن اللاريجانيين، الأبيض و الأسود، كانا حريصين على قتله. فاعطيا "أبدال خان" الكردى

ص: ٢٤

مالا كثيرا، فوطاهما على قتله، و"رضا قلى خان" غافل عن ذلك.

و كان لا بد للكردى من الحصول على موافقه "حاجى خان حلال خور" إذ كان "آقا محمد خان" فى عهده و هو مسئول عن حراسته. فتظاهر "حاجى خان حلال خور" بالموافقه. و لكى يوهم "أبدال خان" بأنه جاد فى الموافقه و يبعد عنه الشك فى نيته، اشترط فى طلب حصته من المال. و طالت المساومه بينهما، و "حاجى خان حلال خور" يطلع آقا محمد خان "إذا خلا به على ما يدور من حديث المساومه بينه و بين "أبدال خان". و يتشاوران فى رسم خطه النجاه.

و لم يكن فى يد "أبدال خان"، إذا قتل "آقا محمد خان"، من حجه يسوغ بها قتله عند "رضا قلى خان"، غير الادعاء بأنه إنما قتله لانه كان يحاول الفرار و هذا يقتضى قتله خارج المحبس، و هو سائر فى الطريق، إذ لا يعقل بأنه قد حاول الفرار، و هو محبوس بين أربعة جدران يحرسه عشره مسلحين. و إخراجه إلى الطريق غير ممكن فى "بارفروش" و لكنه ممكن فى غيرها. و لهذا اقترح "أبدال خان" على "حاجى خان حلال خور" إخراج "آقا محمد خان" من "بارفروش" إلى مكان آخر.

و كان هذا الأمر فرصه قرر "آقا محمد خان" و "حاجى خان حلال خور" اغتنامها لابعاد "آقا محمد خان" عن متناول يد اللارىجانيين و "رضا قلى خان". فإذا ابتعدا عن "بارفروش" تيسرت لهما مدافعه "أبدال خان". و خفت قيود المراقبه عليهما فنظرا فى الاقدام على ما يمكن الاقدام عليه من تدابير للخلاص. و قرر رأيهما على الانتقال من "بارفروش" إلى "بندقى" موطن "حاجى خان حلال خور" و محل نفوذه.

و قر الرأى على أن يتمارض "آقا محمد خان" و يدعى أن مناخ "بارفروش" أثر فى مزاجه تأثيرا سيئا. و تمارض "آقا محمد خان" و طلب الانتقال إلى "بندقى". و بعد أخذ و رد و معاينات طبيه وافق "رضا قلى خان" على نقله إليها.

و اتفق "حاجى خان حلال خور" و "أبدال خان" على أن يلحق هذا بهما بعد يوم من وصولهما إلى "بندقى" ليغتال "آقا محمد خان".

و حمل "آقا محمد خان" على "تخت روان" فى حراسه محكمه و نقل إلى "بندقى"، و معه "حاجى خان حلال خور". و حين أذن "رضا قلى خان" بانتقال أخيه من "بارفروش" أنذر "حاجى خان حلال خور" بان يقضى عليه و على كل من يتصل به بقرابه إذا تمكن "آقا محمد خان" من الفرار.

و أسكن "حاجى خان حلال خور" أسيره أو ضيفه فى أحسن بيت فى "بندقى" و أخذ يعامله بما تقتضيه معامله الملوك من التشريفات، و هيا له عده كتب للمطالعه. و قيل إنه فى أيام سكناه فى "بندقى" شرع فى كتابه تفسير للقرآن، و أنه كتب قسما منه. و لكنه اليوم مفقود. و لا يستبعد أن يقدم رجل فاضل مثل "آقا محمد خان" على كتابه تفسير للقرآن. و لكن.

إذا كانت الروحيه قد بلغت عند هذا الخصى ذلك المبلغ العظيم، فان تفكير هذا المحارب فى كتابه تفسير القرآن أمر محير! و كان إقدامه على كتابه تفسير للقرآن، و هو فى "بندقى" آخر محاوله له للكتابه. و قد سبق له أن فكر مرارا بتأليف كتاب و لكنه لم يفعل. و فى أيام إقامته الطويله فى شيراز لم يكتب شيئا. و إن كان قد كتب شيئا فهو اليوم مفقود. و يستبعد أن يكون قد أهمل الكتابه يوم كان فى شيراز، و هو ذلك الرجل الجلد المتقن المجتمع الشئون، هذا مع موافقه ذوقه لمثل هذا العمل. و بعد

خروجه من "بندقى" إلى آخر حياته لم تسنح له فرصة للكتابة، و لكنه ظل مواظبا على المطالعه. و فى كل رحلاته الحربيه كان يصحب معه كتبا.

و كان "حاجى خان حلال خور" قد عزم على اعتقال "أبدال خان" و إلقاءه فى السجن ساعه حضوره إلى "بندقى". و لكن "أبدال خان" مرض فى ليله اليوم المقرر لسفره إليها. و كان مرضه الحصبه، فلم يستطع السفر فى الموعد المقرر. فلما تأخر عن الحضور أيقن "حاجى خان حلال خور" أن واقعه عرضت له منعتة من الحضور، لا أنه عدل عن قتل "آقا محمد خان"، إذ لا يعقل أن يتخلى امرؤ مثل "أبدال خان" عن الجائزه المالىه الضخمه المؤجله التى وعده بها اللاريجانيان إذا قتل "آقا محمد خان". و كان قد أسلفه قسما مقدما منها.

و رأى "حاجى خان حلال خور" أن يهيا نجاهه لاعانه "آقا محمد خان" على الخلاص من محتته. فبعث برساله إلى أخيه الآخر "جعفر قلى خان"، و كان يقيم فى "لاهبان"، و أوصى حاملها بمضغها و ابتلاعها عند الضروره إذا خاف وقوعها فى يد أحد غير صاحبها.

و بين "حاجى خان حلال خور" فى رساله وضع أخيه و أن حاشيه "رضا قلى خان" تسعى إلى قتله، و استصرخه أن ينجده.

و كان "جعفر قلى خان" قد سكت عن تمرد "رضا قلى خان" و لم يحرك ساكنا حين هاجم أخاه الأكبر فتغلب عليه و اعتقله. و سائر "رضا قلى خان" فلم يستنكر عمله و طلب منه تعيينه حاكما على "جیلان" فرفض و عينه حاكما على "لاهبان" و ولى رجلا- آخر على "جیلان". و يقول "غبريل بر" الانكليزى إن الذى تولى حكومه "جیلان" حصل على هذا المنصب برشوه "رضا قلى خان" و حرم منه "جعفر قلى خان" لانه لم يعطه رشوه. و لذلك أصبح "جعفر قلى خان" غير راض عن أخيه "رضا قلى خان".

فلما وصلت رساله "حاجى خان حلال خور" إلى "جعفر قلى خان" قبل أن يساعد "آقا محمد خان"، و لكن لا بدافع الأخوه و البر بالرحم كما يزعم مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين، بل بدافع الطمع و المزايدة.

و لو كان إقدامه على نصره "آقا محمد خان" قياما منه بما هو مكلف به من البر بأخيه لبادر إلى إنجاده يوم هاجمه "رضا قلى خان" و اعتقله فى "بارفروش".

و لكن لا- لوم على أولئك المؤرخين لأنهم كانوا مضطرين إلى إرضاء أولياء الأمر من القاجاريين أيام حكمهم، و إلا قطعت رقابهم، أو، على الأقل، أرزاقهم.

أما دافع "جعفر قلى خان" إلى نصره "آقا محمد خان" فهو سخطه على "رضا قلى خان" من جهه و طمعه فى الحصول على مكافاه كبيره من جهه أخرى. و لذلك أراد أن يعرف، قبل الاقدام على مساعدته "آقا محمد خان"، ما هى مكافاته على هذه المساعدته، و هل هى تساوى مغامرته بالخروج على "رضا قلى خان" و هو يومئذ يملك على كل شمال إيران، أم لا؟ و لذلك كان جوابه إلى "حاجى خان حلال خور" إيجابيا، بشرط أن يوليه "آقا محمد خان" حكومه "جیلان" و مازندران، بعد قمع "رضا قلى خان". و طلب جوابا بخط "آقا محمد خان" نفسه يتعهد فيه بذلك.

فأجابه هذا إلى طلبه و لكنه طلب منه أن يرضى بولاية "جيلان" و "طالش"

ص: ٢٥

و تبقى إدارة مازندران إلى مده في يده، يد "آقا محمد خان". فرضى بذلك.

و استدعى "جعفر قلى خان" أخويه "مصطفى قلى خان" و "مرتضى قلى خان" و استدعى أيضا "عباس قلى خان" أحد رؤساء "أشاقه باش" و من أشد الموالين ل "آقا محمد خان" و إخلاصا له، و هو الذى جمع رجاله و استقبل بهم "آقا محمد خان" فى "ورامين" بعد فراره من شيراز.

استدعاهم "جعفر قلى خان" و هيئوا جيشا لنجده "آقا محمد خان" و قمع "رضا قلى خان". و كان ذلك فى سنه ١١٩٥ هـ. الموافقه سنه ١٧٨٠ م.

و كان موضع تجمع الجيش فى "لاهبجان" و "أسترآباد".

و فيما كانوا منهمكين فى تجييش الجيش وصل "أبدال خان" الكردى مع عشره جنود إلى "بندقى" للقيام بمهمته، فتلقاهم "حاجى خان حلال خور" و حاصرهم هو و جماعه من أهل البلده و اعتقلوهم و نزعوا سلاح جنوده و ألقى ب "أبدال خان" فى السجن. ثم كتب رساله إلى "رضا قلى خان" قال فيها إن "أبدال خان" جاء إلى "بندقى" لقتل "آقا محمد خان" فاعتقله و سجنه، و أنه ينتظر أوامر الشاه (يعنى "رضا قلى خان"). و كانت قرائن الحال كلها تبعد الشبهه عن "حاجى خان حلال خور" و توجه التهمه إلى "أبدال خان". فانخدع "رضا قلى خان" بقول "حاجى خان حلال خور" و أرسل إليه أمره بإرسال "أبدال خان" إلى "بارفروش". فنباطا "حاجى خان حلال خور" فى إنفاذ الأمر خوفا من أن تظهر الحقيقه عند استجواب "أبدال خان" فى التحقيق. و ماطل فى الجواب منتظرا أن تصل النجده قبل أن يضطر إلى إرسال "أبدال خان" إلى "بارفروش". و كان الأمر كما توقع.

فقد أقبل رؤساء "أشاقه باش" إلى مازندران بجيش من جهه الشرق و جيش من جهه الغرب، و وجد "رضا قلى خان" نفسه محصورا فى طوق قوى من محاربين لا-قبل له بهم. فاضطر إلى التسليم. فكتب رساله إلى "آقا محمد خان" يلتمس فيها العفو منه، ثم سار من "بارفروش" إلى "بندقى". ليستسلم إلى أخيه.

فى هذه الأثناء التقى الجيشان المهاجمان، أحدهما بقيادة "مصطفى قلى خان أشاقه باش" و الآخر بقيادة "مرتضى قلى خان أشاقه باش" أخوى "آقا محمد خان". و ناديا به ملكا على إيران، باسم "آقا محمد شاه". ثم سارا، و معهما "عباس قلى بيك" إلى "بندقى" لملاقاه "آقا محمد خان".

ثم عرض عليهم رساله "رضا قلى خان"، و سالهم ما ذا تفعلون لو كان أحدكم فى مكانى؟ فبادر "مصطفى قلى خان" إلى إجابته باللغه العربيه، و كان يعرفها، قائلا: "أرحم! (١) فعفا عنه و لكنه اشترط أن يغيب عنه لا يرى له وجهها، لانه إن رآه قد لا يتمكن من ضبط نفسه فيقتله.

و إذ قطع "رضا قلى خان" رجاءه من "آقا محمد خان" فقد عزم على الالتحاق بخدمه أعدائه الزنديين. و لكن هؤلاء لم يعتنوا به. فقصده إلى خراسان ليلتحق بخدمه الأسره الأفشاريه النادرية الحاكمه هناك. فلم يعتن هؤلاء أيضا به. ثم لم يلبث أن قضى نحبه هناك و دفن فى مشهد.

بعد هذا الانتصار عاد "آقا محمد خان" من "بندقى" إلى "بارفروش". و كافا كل الذين ساعدوه فى الوصول إلى عرش الملك.

و نصب "حاجى خان حلال خور" حاكما على "بندقى" و رتب له معاشا سنويا مقداره ألفا تومان ظل يعطاه إلى آخر حياته. و لم يعاقب أحدا من أعدائه سوى "أبدال خان" الكردى، اعتقله و حاكمه ثم أمر بقتله فقتل.

ثم انتقل من "بارفروش" إلى مدينة "سارى". و فى هذه المدينة توج فى يوم عيد النيروز، الموافق الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١٩٥ هـ و قد صنع تاجه صاغه "سارى". ثم أعيد تتويجه بعد بضع سنوات فى طهران. و كافا كل إخوته الذين ساعدوه، و عفا عن أصغرهم "مهدي قلى خان".

و أنشا معسكرات فى أماكن مختلفه لتدريب الجنود تدريبا يوميا. و أظهر فى تهيئه برامج التدريب مهاره و نبوغا فائقين. و أخذ يستعد لمهاجمه الولايات المركزيه من إيران و استخلاصها من يد الزنديين.

تمرد أمير جونه خان

و لكنه اضطر إلى خوض حرب أخرى. فقد كان نصب أحد إخوته حاكما على "طارم". إلا أن أحد رؤسائها، و اسمه "أمير جونه خان"، رفض إطاعته. و لم يكن هذا طامعا فى منصب الحاكم، بل كان يتطلع إلى منصب الملك. و انضم إليه أيضا "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود". و هيا الثلاثة جيشا لغزوه.

و علم "آقا محمد خان" بأمرهم، فسار بجيش إلى مدينة "آمل" لملاقاتهم فيها. فوصلها فى أول شهر جمادى الثانيه سنة ١١٩٦ هـ و فى الحادى عشر من هذا الشهر وصل جيش "أمير جونه خان" و فيه اللاريجانيان، الأبيض و الأسود، إلى قرب "آمل" فعسكر هناك وقت المساء. و هيا "آقا محمد خان" جيشه ليلا على نحو عجيب من التفنن فى الترتيب و الاستعداد.

و فى الصباح نشبت المعركه. و سرعان ما أوقع تخطيط "آقا محمد خان" البارع البلبله فى جيش عدوه. و أصابت رصاصه "أمير جونه خان" فوق عن حصانه ثم حملة رجاله إلى خارج الميدان. و كذلك أصابت رصاصه اخرى "محمد قلى خان الأبيض" فقتلته. و أسر "محمد قلى خان الأسود". و تفرق جيشهم بين قتيل و أسير و هارب. و فر "أمير جونه خان". و هو جريح. إلى "جیلان". فلما وصلها وقع طريق الأرض لا يستطيع حراكا لما نرف من دمه و ما لقى من مشقه السير. فوضعه على سرير. و ظل ملقى على السرير لا يستطيع النهوض كل حياته إلى أن مات.

و أحضر "آقا محمد خان" أسيره "محمد قلى خان الأسود" للتحقيق.

و بعد استجوابه حكم عليه بالقتل. و خيريه فى طريقه قتله. فطلب أن يقتل إغراقا فى ماء النهر - و "آمل" تقع على شاطئ نهر "هراز" - فأمر "آقا محمد خان" يجمع يديه و جمع رجليه، و ربط بقدميه حجرا ثقيلًا، و شد على جسمه جبلا من أحد طرفيه و أمر بالإمساك بطرفه الآخر ليبقى خارج الماء

١- يقول المؤرخ الفرنسي "جان غويه" إن هذه الكلمه ظلت بعد ذلك باقيه فى تاريخ القاجاريين تقال بلفظها العربى فى مثل هذه المواقف. من ذلك أن "فتح على شاه" لما توفى خلفه حفيده "محمد شاه". و نازعه الملك عمه "ظل السلطان" ابن "فتح على شاه". ثم ظفر به "محمد شاه" و أراد معاقبته باعماء عينيه. فقال له وزيره، و كان مقربا إليه و له يد عنده: "ارحم!". فعفا عنه. و كان ذلك فى سنه ١٢٥٠ هـ الموافق سنه ١٧٣٤.

لانتشال جثه الغريق بعد موته. و ألقى "محمد قلى خان الأسود" فى النهر.

و بعد ساعه انتشلت جثته و سلمت إلى ذويه فدفنوها فى "لاريجان" عند قبر أبيه و جده حسب وصيته.

و استولى "آقا محمد خان" على أملاك "محمد قلى خان الأبيض" و "محمد قلى خان الأسود". و انتقلت منه إلى خليفته من بعده "فتح على شاه". ثم تقاسمها من بعده أبناؤه و بناته.

عنايه آقا محمد خان بالزراعة

ليس بين ملوك القاجاريين من كان معنيا بالزراعة عنايه "آقا محمد خان" بها. و كما سبق زمانه بقرن و نصف القرن فى معرفه أمور من أصول المحافظه على الصحه لم يعرفها الأوروبيون أنفسهم إلا فى هذا القرن، كذلك سبق زمانه فى معرفه أمور من علم الزراعة، لم تعرف فى أوروبا نفسها إلا بعد مده من زمانه. و هو أول من وضع علم تصنيف التربه بحسب خصائصها فى الشرق، أو، على الأقل، فى إيران. و كان يرشد الفلاحين إلى كيفية معرفه خصائص كل نوع من أنواع التربه، و زرعه بالمزروعات التى يلائمها. و إذ كان فلاحوه يزرعون أرض أملاكه حسب توجيهاته فقد كان محصولها أحسن المحاصيل فى إيران.

وضع الزنديين

فى سنه ١١٩٦ هـ ١٧٨١ م كان فى إيران ملكان يعدان من الكبار نسييا. أحدهما "آقا محمد خان قاجار" فى الشمال و الآخر "أبو الفتح خان زند" ابن "كريم خان زند" فى الجنوب.

و كان فيها أيضا بضعه ملوك آخرين أصغر منهما. و إنما نطق عليهم صفه "ملك" لأنهم كانوا هم أنفسهم يجعلون من أنفسهم ملوكا. منهم "على مراد خان زند" فى أصفهان. و منهم من كانوا فى خراسان من الأمراء الأفشاريين النادريين الذين يدعون أن الملك حق لهم. و منهم رؤساء كانوا فى أذربيجان و "لرستان" و "فهبستان" (جنوب خراسان) و "خوزستان" يجعلون من أنفسهم أيضا ملوكا و يتسمى كل منهم باسم "ملك".

كان "أبو الفتح خان زند" لا يؤذى أحدا. و لعل السبب فى ذلك إقامته على اللهو و القصف و الشراب و المنادمه. إلا أن عمه "زكى خان زند" أخوا "كريم خان زند" كان ظلما. كان حاكما على شيراز، هذا هو منصبه الرسمى. و لكنه كان يجيز لنفسه التدخل فى كل شئون الدوله. و كل ضريبه، أيا كان مصدرها، يجب أن تحول إليه، و قد حمل الناس ضرائب ثقيله. و كان "كريم خان زند" قد منع المتاجره بالخمير و صنعها. فكانت تباع فى زمانه فى السر. و قد أباح "زكى خان زند" المتاجره بها، و لكنه وضع عليها ضريبه ثقيله. و قد ساء ذلك الشيرازيين، إذ كانت شيراز تعد مدينه علميه دينيه.

و أرسل "زكى خان زند" إلى "على مراد خان زند" الذى نصب نفسه ملكا فى أصفهان رساله يأمره فيها بإرسال ضرائب أصفهان إليه فى شيراز.

فأجاب "على مراد خان زند" برساله قال له فيها "الأسد لا يعطى الجزيه لابن آوى". فعزم "زكى خان زند" على محاربتة و سار بعسكره إليه.

و صحب معه "أبو الفتح خان زند"، مع ندمائه و عشرائه و ما يحتاجه من خمور، ليعده عن شيراز، إذ كان يعلم أن الشيرازيين ناقمون عليه سيرته فهو يخشى أن يغتنموا فرصه غيابه فيحملوا "أبو الفتح خان زند" على عزله و إبعاده، بل قد يتمكنون من قتله. و في أثناء السير ظل "أبو الفتح خان زند" مقيما على لهوه و قصفه و سكره، يسير متثاقلا، و في الصباح ينهض من نومه مكرها مضععا من أثر السكر، و "زكى خان زند" يلازمه دائما لئلا يتركة و يعود إلى شيراز إذ كان يفضل عيشه اللهو على ممارسه الحرب.

فلما وصلوا إلى بلده "إيزد خواست" توقف "زكى خان زند" عندها ليجمع فرقه عسكر من المرتزقه. و دعا إليه وجوه البلده، فجاءه ثمانيه عشر رجلا- من الوجهاء اختارهم الأهالي مندوبين عنهم. فطلب منهم "زكى خان زند" تهيئه مبلغ كبير من المال ليستاجر به من يحتاجه من الجند. و لكنهم كانوا عاجزين عن تهيئه شىء من المال. و كان فيهم عالم دين. و كان شريفا شيخا كبيرا. فاعتذر هذا إليه بان الأهالي قد أدوا ما عليهم من ضرائب السنه الحاليه. فطلب "زكى خان زند" أن يؤدي إليه ضرائب السنه القادمه تسليفا. فقال له ذلك العالم إن محصول السنه الزراعى لم يثن أوان جنيه بعد و ليس فى يد الناس فضله من مال. فأجابه "زكى خان زند" بقوله إنك امرؤ طويل اللسان. و قد أمهلتكم إلى ما بعد الغد. فان لم تؤدوا إلى المبلغ المطلوب قصرت لسانك! و انقضت المهله و حل الموعد المعين و الأهالي عاجزون عن تهيئه المبلغ المطلوب. فاحضر "زكى خان زند" أولئك الرجال الثمانيه عشر فضرب أعناقهم و ألقى أجسادهم فى الصحراء. و جاء بذلك العالم الشريف الشيخ و أمر ببقر بطنه و هو حى، فبقرت و أمر بإخراج أمعائه من جوفه فأخرجت و عرضت أمام عينيه، و ظل يتلوى من الألم المبرح حتى قضى نجه. ثم أمر "زكى خان زند" بسبى زوجته و بناته و إسلامهن إلى الجند فسين.

و لكن خان على خان قائد حرسه الخاص - و كانوا كلهم من قبيله "مافى" المازندرانيه استنكر هذه الأعمال، و قال لجنوده قد رأيتم ما فعل بهذا الشريف الشيخ و كيف قتل أولئك الرجال الثمانيه عشر، و كلهم أبرياء لا ذنب لهم. و الآن، إذ وضعت فى أيديكم نساء ذلك الشيخ الشهيد، عليكم بالمحافظه عليهن و معاملتهن بالاحترام اللائق بسليلات البيت النبوى.

فعاذه الجنود على أن يتجنبوا كل عمل يغضب الله تعالى.

و فى المساء، إذ كان "زكى خان زند" جالسا إلى سفره العشاء، علم بما قاله "خان على خان" لجنوده، فاستدعاه إليه، و هو لا يزال جالسا إلى السفره، و قال له: لقد علمت بما قلته للجنود فى شان نساء الشريف الايزد خواستى. و لكن أقسم بهذه النعمه - و أشار بيده إلى الخبز - إن لم تنفذوا أمرى هذه الليله قتلتك أنت و كل الضباط المافيين.

و خرج "خان على خان" من حضرته، و أخبر رفاقه من الضباط بما قاله. و تواطؤوا كلهم على قتل "زكى خان زند". فلما آوى إلى فراشه و أغفى انسلوا إلى خيمته و قتلوه ضربا بالسيوف. ثم خرجوا من المعسكر و ساروا فى طريق أصفهان، و توقفوا غير بعيد عن "إيزدخواست" ينتظرون ما يكون من "أبو الفتح خان زند" حين يستيقظ من نومه و يعلم بمقتل "زكى خان زند". فان تبينوا أنه يعفو عنهم عادوا إليه و إلا تابعوا سيرهم و التحقوا بعلى مراد خان زند فى أصفهان.

و أصبح الصباح و "أبو الفتح خان زند" لم يفق بعد من سكره و نومه.

و ظل نائما إلى الظهر. فلما أفاق أخبروه بان الضباط المافيين قتلوا "زكى خان زند". فقال: رحم الله آباءهم إذ أراحوني من الذهاب إلى أصفهان و محاربه على مراد خان زند. ثم أمر العسكر بشد الرحال و العوده إلى شیراز.

و فى شیراز أقام "أبو الفتح خان زند" على شربه و ندمائه لا يضايقه اليوم شىء من "زكى خان زند". و كان له عم آخر اسمه "صادق خان زند" هارب من أخيه "زكى خان زند" يقيم فى "كرمان". فلما بلغه خبر مقتل أخيه هذا عاد إلى شیراز. و إذ كان "أبو الفتح خان زند" لا طاقه له بالقيام بشئون المملكة، فقد أقام عمه صادق خان زند "هذا معاونا له.

و لكنه فى الواقع أصبح هو الملك إذ كان كل شىء فى يده و ليس ل "أبو الفتح خان زند" من الملك غير العنوان.

أما الضباط المافيون قتله "زكى خان زند" فقد أحجموا عن الالتحاق ب "أبو الفتح خان زند" إذ علموا أن "صادق خان زند" يصير على محاكمتهم و معاقبتهم لاقدامهم على قتل أخيه. و لذلك ذهبوا إلى أصفهان و التحقوا ب "على مراد خان زند".

و لم يتخذ "أبو الفتح خان زند" لنفسه عنوان "الشاه"، شأنه فى ذلك ككشان أبيه "كريم خان زند". و لكنه كان يحيط نفسه بكل التشريفات الشاهانية.

و كان "صادق خان زند" امرأ صلبا متشددا، فكان لا ينفك يلوم "أبو الفتح خان زند" على إدمانه الشراب، و لكنه لا يرتدع. فعزم "صادق خان زند" على خلعه من منصب ملك الجنوب من إيران و الاستيلاء على هذا المنصب لنفسه. و أراد تهيئه الرأى العام "رجال الدين و وجهاء المجتمع لتقبل هذا الأمر. فدعا جماعه منهم إلى المنزل الذى فيه مجلس شراب "أبو الفتح خان زند" و أجلسهم فى مكان مخفى يرون منه مجلس الشراب. و كان الملك و ندمائه عاكفين عليه. فلما رأوا ما يجرى فى هذا المجلس من شرب و سكر و مجون و سخافات قاموا و انصرفوا و هم يقولون إن رؤيه هذه المناظر أمر لا نقدر عليه.

و من ذلك اليوم اشتهر من ألسن أولئك التقاه فى طول شیراز و عرضها ما كان مستورا من مجون "أبو الفتح خان زند" و استهتاره و سخافته، فنفر منه الشيرازيون و كرهوه. و أصبحوا متهيئين لتقبل تنحيته عن سرير الملك و إجلاس "صادق خان زند" فى مكانه.

و فى صباح يوم من الأيام أرسل "صادق خان زند" المنادين ينادون فى أنحاء المدينه بخلع "أبو الفتح خان زند" و إقامه "صادق خان زند" على سرير الملك. ثم اتخذ هذا لنفسه اسم "صادق شاه".

هجوم على مراد خان زند على شیراز

و أرسل "صادق شاه"، على حسب العاده المتبعه يومئذ، رسائل إلى حكام الولايات يخبرهم فيها بخلع "أبو الفتح خان" و توليه الملك، و أن طاعتهم، من الآن فصاعدا، تكون له، و الضرائب تجبى إليه. و كان فى من أرسل إليه بذلك "على مراد خان زند". و كان هذا حاكما على أصفهان و يسيطر على المدن الواقعه بين أصفهان و طهران. و قد استطاع أن يوسع حدود ملكه إلى همذان و كرمانشاهان. و لكنه تجنب التعرض لشيراز أيام كان "أبو الفتح خان زند" يملك على جنوب إيران، و لم يفكر فى تنحيه هذا عن العرش، إذ كان يعده الوارث القانونى للتاج.

فلما خلع "أبو الفتح خان زند و تولى الملك "صادق شاه" نوى أن يغزو شیراز و يستخلص ملك الجنوب لنفسه و يضم جنوب إيران إلى الولايات المركزيه التى يسيطر عليها. و لما وصلتته رساله "صادق شاه" غضب و عزم على التعجيل بإنفاذ نيته. فجهز جيشا كثيفا قيل إن عدته كانت ثلاثين ألفا و قيل أربعين ألفا. و انطلق به إلى شیراز فحاصرها فى سنه ١١٩٦ هـ.

و كان حصارا رهيبا قطع فيه "على خان زند" الماء عن شیراز، و نفذ ما عند أهلها من طعام و وقعوا فى مجاعه هائله. و مات الألو ف من الجند المدافع و الأهالى المدنيين قتلا و جوعا.

و فى أول شهر المحرم سنه ١١٩٧ هـ. اضطر "صادق شاه" إلى التسليم، و تعهد له "على مراد خان زند" بان لا يمس أحدا من أهالى شیراز بسوء و أن لا يوقع به و لا بأحد من ذويه و أبنائه و لا ب "أبو الفتح خان" و لا بأحد من ذوى "كريم خان زند" شيئا من العقوبه على الإطلاق.

و دخل "على مراد خان زند" إلى شیراز فى ثانى شهر المحرم سنه ١١٩٧ هـ. (١) و لكنه لم يف بتعهده ل "صادق شاه". فقد بادر بالأمر باعتقاله و اعتقال ابنه "على نقى خان" و "أبو الفتح خان" الشاه السابق ابن "كريم خان زند" و كل أقرباء "كريم خان زند". و أباح البلده لجنوده يهبونها. ثم أمر بقتل "صادق شاه" فقتل، و إعماء ابنه "على نقى خان" و إعماء "أبو الفتح خان زند" و إخوته فاعموا. (٢)

محاصره آقا محمد خان ل طهران

يوم كان "على مراد خان زند" يحاصر شیراز كان "آقا محمد خان" يحاصر طهران. فقد كان ينوى احتلالها و جعلها عاصمه لملكه من زمن بعيد. فلما سمع أن "على مراد خان زند" سار إلى شیراز و أنه مشغول بمحاصرتها و أن غيبته هذه فى إقليم فارس ستطول عزم على اغتنام الفرصه و احتلال طهران، و كانت فى يد "على مراد خان زند" و عليها حاكم من قبله اسمه "غفور خان".

جهز "آقا محمد خان" جيشا من خمسه و ثلاثين ألف جندى و سار به إلى طهران. فحاصرها. و فيما هو يحاصرها وقع فى عسكره وباء "الكوليرا". و أشار عليه طبيبه بالابتعاد عن طهران و إلا أعدى. فغادر معسكره و فر إلى نواحى "دامغان" فأقام فى ناحيه تسمى ششمه على".

و ظل جيشه يحاصر طهران بقياده إخوته.

ص: ٢٨

١- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" أن "على مراد خان زند" فتح شیراز سنه ١١٩٦ هـ و دخلها بعد احتلال جنده لها باربعه أيام. و كان دخوله يوم الخميس ٢٢ ربيع الأول من تلك السنه.

٢- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" فى ترجمه "صادق خان زند" أن "على مراد خان زند" لما تغلب على "صادق خان زند" تحصن هذا فى القلعه التى يسكنها فى شیراز. و بادر إلى إصدار أمر باعماء أبناء أخيه "كريم خان

زند"، و هم "أبو الفتح خان" و "محمد على خان" و "إبراهيم خان"، و كانوا مسجونين فاعموا. و بعد يومين من هذا الحادث أمر "على مراد خان"، و كان قد احتل شيراز، "أكبر خان زند" ابن "زكى خان زند" باعماء "صادق خان زند" و ابنه "على نقى خان" و "نقى خان" فأعماهم. و بعد بضع ساعات من إعمائهم قتلهم ثلاثتهم.

إلا أن الوباء فشأ في العسكر حتى اضطر "آقا محمد خان" إلى الإيعاز إلى إخوته بترك الجنود المرضى في أمكنتهم و الابتعاد بالجنود الأصحاء عن طهران. ففعلا. و قد مات أكثر المرضى من العسكر و نجح العلاج في قليل منهم.

و كانت طهران في مجاعه لانقطاع الأغذيه عنها بسبب الحصار. فلما ارتفع الحصار عنها بادر "غفور خان" حاكمها إلى فتح بواباتها لجلب الأغذيه إليها. و لكن دخل إليها مع الأغذيه الوباء أيضا. و كان من أوائل الذين أصيبوا به "غفور خان" فقضى نخبه [نخبه]، فتولى مكانه ابن أخ له اسمه "محمد خان".

و هجر كل من استطاع المهاجره من الطهرانيين بلدتهم. و استمر الوباء متفشيا فيها إلى سنه ١١٩٧ هـ. الموافق سنه ١٧٨٢ م، إذ حل فصل الخريف و برد الهواء. و انقطع الوباء، فعاد المهاجرون من طهران إليها.

و لكن دهمهم الشتاء و ثلوجه و هم غير مستعدين له بما اعتادوا الاستعداد به من الوقود و وقعوا من ذلك في مضيعه عظيمه.

و هكذا أعجز الوباء "آقا محمد خان" عن الرجوع من "ششمه على" إلى طهران و احتلالها. بعد انقضاء المرض كان الوقت المناسب لتجيش الجيش قد فات بسبب حلول فصل الشتاء. فترك "آقا محمد خان" محله "ششمه على" قاصدا مازندران على أن يعاود الهجوم على طهران لاحتلالها حين ارتفاع البرد و اعتدال الهواء.

أما "على مراد خان زند" فحين بلغه نبا غزو "آقا محمد خان" و هو يحاصر شیراز ظل مطمئنا إلى اقتدار حاكمها من قبيله "غفور خان" على المقاومه و رد المهاجم. و عزم على إنجاده بجيش قوى بعد الاستيلاء على شیراز.

و بعد استيلائه عليها و قتله من قتل و إعمائه من أعمى عهد بحكومتها إلى أحد معتمديه و عاد منها إلى أصفهان. و إذ دهمه فصل الشتاء ببرده و ثلوجه فقد تريت ينتظر فصل الدفاء. فلما اعتدل الهواء سار بجيشه إلى طهران.

و هناك أنعم على حاكمها "محمد خان" جزاء ما أبداه هو و عمه "غفور خان" من شجاعه و أقطع أبناء "غفور خان" أرضا في فارس ليكونوا بعيدين عن مجال حروب "آقا محمد خان".

و كانت خطه "على مراد خان زند" الاستيلاء على "جيلان" و "مازندران" و "أستراآباد" و ضمها إلى أقاليم ملكه. و كان مال "آقا محمد خان قاجار" هناك من قدره يحول بينه و بين غايته هذه. و إلى هذا كانت الولايات المركزيه التي في يده دائما معرضه لغارات "آقا محمد خان". فقرر "على مراد خان زند" القضاء عليه بالاغاره عليه من أكثر من ناحيه واحده.

و أخذ يجمع حوله الناقمين على "آقا محمد خان" من الذين صادر أموالهم و ألحق بهم الأذى في مختلف النواحي. و أوكل "على مراد خان زند" إلى ابنه "الشيخ ويس" مهمه تدريبهم على الأعمال العسكريه.

ثوره بسبب اللحي

لما أمر "على مراد خان زند" ابنه "الشيخ ويس" بتهيئه حمله يقوم بها على "آقا محمد خان" ذهب إلى "مازندران" لهذه الغايه. و كان الرجال في "مازندران" و "أستراآباد"، بل النساء أيضا، غاضبين على "آقا محمد خان". و ذلك لسبب قد يبدو لنا

مضحكا لا أهميه له. و لكنه كان فى تلك الأيام أمرا مهما.

كان "آقا محمد خان" أمعط الوجه، بلا لحيه و لا شاربين، إذ كان خصيا. و للحيه يومئذ فى إيران مقام كبير. و يعدون حلقتها مثله. و لذلك كان الرجال يطلقون لحاهم و يعتزون بها و يعدونها من مظاهر الرجوله و التفوق. بل كانت النساء يحتقرن الرجل حليق اللحيه. و الشبان المرد لا ينفكون يشتاقون الساعه التى تنبت فيها لحاهم ليتنظموا فى سلك الرجال.

و لهذا كان "آقا محمد خان" يشعر بالحقاره و النقصان، إذ هو لا له لحيه و لا شاربان. و كان يرى ملاحين من الروس فى ترددهم على سواحل الشمال من إيران و هم ينقلون البضائع التجاريه المتبادله على البواخر، و هم حليقون بلا لحي و لا شوارب. فاستنتج من ذلك أن الروس لا يعدون فقدان اللحيه و الشاربين نقصا فى الرجل يستلزم الاحتقار و السخرية، كما هى الحال فى إيران. فأراد "آقا محمد خان" أن يحمل الايرانيين على اتباع هذا العرف ليصون نفسه من الاحتقار و السخرية. و يتساوى هو و غيره من الرجال فى فقدان اللحيه و الشاربين. و قد سبق أن أقدم رجال الديوان الرسمى فى عهد الشاه "عباس الأول" الصفوى و خلفائه على حلق لحاهم من غير أن يصبحوا لذلك موضع الاحتقار و السخرية.

و لذلك أمر "آقا محمد خان" بان يحلق الرجال لحاهم، مقتديا بما فعله "بطرس الأكبر" قيصر روسيا قبله بثمانين عاما. و لكن بفارق، هو أن "بطرس" جعل حلق اللحي إجباريا، أما "آقا محمد خان" فقد خير الرجال بين أن يحلقوا لحاهم و بين أن يؤدوا ضريبه عليها إذا أرادوا إطلاقها.

و أمهلهم شهرين ليتخذ كل منهم قراره، هل يحلق أو يؤدى الضريبه؟ و جعل مقدار الضريبه متفاوتا على سته مقادير، بحسب حاله الرجل المالىه. و أقلها كان الضريبه المفروضه على لحي القرويين. و كانت مقادير ثقيه، حتى ما فرض على القرويين كان فوق طاقتهم.

و للخلاص من هذه المحنه لجأ الرجال إلى رجال الدين و جعلوهم وسيلتهم إلى "آقا محمد خان" ليعفيهم من هذه الضريبه. فكتب هؤلاء إليه رساله ذكروا فيها أن استيفاء هذه الضريبه غير جائز فى الشرع، و أن الله تعالى إنما فرض الزكاه على الأموال لا على أعضاء جسم الإنسان.

و وصل "الشيخ ويس خان زند" ابن "على مراد خان زند" إلى "مازندران" و شرع فى تهيئه الحمله على "آقا محمد خان" حين كان جباه الضريبه الجديده قد بدءوا عملهم. و كانت طريقتهم فى الجبايه أن يجلس بضعه رجال منهم فى نقاط معينه من كل مدينه، و يؤتى إليهم بكل رجل ملتج، فيجبرونه على أداء ضريبه اللحيه أو يحلقون لحيته إذا رفض أداءها.

و كان الرجال يصعب عليهم أن توقع بهم مثله الحلق و يصبحوا موضع احتقار نسائهم، فيضطرون إلى تحميل أنفسهم فوق طاقتها بتاديه الضريبه أو استقراض المال إن كانوا معدمين لتأديتها. ثم يعطون إيصالا يثبت أنهم أدوا الضريبه.

و ضج الناس بالشكوى من "آقا محمد خان" و اشتغلوا بالغضب

عليه، و تمنى كل إنسان القضاء عليه. و لذلك اتبعوا "الشيخ ويس خان زند" و انقادوا إليه و حملوا السلاح معه و تهيئوا للثوره على "آقا محمد خان".

و إذ رأى "آقا محمد خان" نفسه فى هذا الحرج اضطر إلى إلغاء أمره بشأن اللحي و أخلى مراكز الجبايه من الجباه.

و حين ألغى هذا الأمر كان المازندرانىون قد ثاروا و جيش "الشيخ ويس خان زند" يقترب مسرعا من مدينه "سارى" و الناس يتقاطرون إليه للالتحاق به من كل نواحي "مازندران" لمحاربه "آقا محمد خان". و قد قتلوا فى بعض مراكز الجبايه فريقا من جباه ضريبه اللحي. و فى نواحي أخرى هاجموا أنصار "آقا محمد خان". و ضاق الفضاء على "آقا محمد خان" حتى اضطر، على شجاعته، إلى الفرار من "سارى"، فاحتلها "الشيخ ويس خان زند". و لم يتمكن "آقا محمد خان" بعد فراره من البقاء فى "مازندران" فغادرها إلى "أستراباد". و قيل إنه فر من "سارى" متسترا بلباس النساء، إذ لم يكن قادرا على الظهور، و كل من فى "مازندران" متعطش إلى دمه و دم جنوده.

و لما وصل إلى "أستراباد" أبلغ أعيانها و مخاتيرها أنه ألغى ضريبه اللحي، و بعث المنادين ينادون فى الناس بذلك، و أن ملتجيا لن يجبر بعد الآن على أداء ضريبه عن لحيته. و بذلك اطمان الأسترابادىون و ركنوا إلى السلام و انصرفوا عما كانوا يعدونه من أسباب الثوره على "آقا محمد خان".

اختلاف الاخوه

فلما اطمان "آقا محمد خان" إلى هدوء الوضع فى "أستراباد" أراد الاستنجاد بأبناء طائفته و التركمان. و لكن مهمته هذه كانت صعبه. فحين وصل إلى "أستراباد" لم يكن معه غير عدده قليله من الرجال. و كانت حاله حين وصلها تشبه حاله حين وصل طهران فارا من شيراز بعد وفاه "كريم خان زند"، سوى أنه وصل إلى طهران يومئذ وحده و وصل إلى "أستراباد" اليوم و معه جماعه قليله من الرجال.

و قد استطاع إخوته الذين كانوا معه فى "مازندران" الفرار أيضا سوى اثنين منهم هما "مرتضى قلى خان" و "رضا قلى خان". و لما تبين هذان أن الناس سيقتلونهما إن وقعا فى أيديهم التحقاب "الشيخ ويس" و وضعوا أنفسهما فى خدمته و طعنا فى "آقا محمد خان" عنده، و قالوا له إنهما كانا ينيوان قتله و لو لم يبادر إلى الفرار لقتلاه. و أنهما الآن يتجندان فى جيش الزنديين، ليحاربا "آقا محمد خان". فقبلهما "الشيخ ويس خان زند" و نصبهما آميرين على قسم من جيشه.

مهاجمه الزنديين لأستراباد

بعد أن سيطر "الشيخ ويس خان" ابن "على مراد خان زند" على "مازندران" عزم على سوق جيش إلى "أستراباد" للقضاء على "آقا محمد خان قاجار". فجهز جيشا جعل على قيادته "محمد ظاهر خان زند" و أرسله يهاجم "أستراباد" و بقى هو فى مدينه "سارى".

و "محمد ظاهر خان زند" هذا هو الذى سبق أن قتل فى شيراز الأميرين القاجاريين "عيسى خان" و "موسى خان" حين أراد

الفرار من شيراز و الالتحاق ب "آقا محمد خان" لما فر من شيراز بعد أن تحقق من موت "كريم خان زند". و سار "محمد ظاهر خان زند" بجيشه قاصدا "أسترآباد". و كانت عده جيشه ثلاثين ألف جندي. أما "آقا محمد خان قاجار" فيقول مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون إنه استطاع أن يجند مائه ألف تركمانى.

و هو رقم نقطع بأنه مبالغ فيه، لأن جميع من كان فى "أسترآباد" و الصحراء التركمانيه من التركمان لم يكن يبلغ يومئذ هذا المقدار. و لا كان "آقا محمد خان" يومئذ على قدر من التمول يمكنه من الإنفاق على هذا الجيش. و لا نستطيع اليوم أن نخمن عده جيشه. و لكننا نقطع بأنها لم تبلغ إلى ثلاثين ألفا، أى عده جيش الزنديين. و مع ذلك كان "آقا محمد خان" يتفوق على "محمد ظاهر خان زند" فى أصول قياده الجيش و تنظيم تحركاته، لأنه كان عارفا بكل شبر من أراضى "أسترآباد" خبيراً بطبيعتها و تحصيناتها، ففيها مسقط رأسه و فيها قضى أيام طفولته و شبابه، على حين كان "محمد ظاهر خان زند" و جنوده يجهلون كل شىء عنها.

و رأى "آقا محمد خان" أن مدينه "أسترآباد" لا تصلح للتحصن فيها. فقرر الخروج منها و ملاقاته الجيش المهاجم فى خارجها. و بعد خروجه من المدينه، أرسل فرقه من فرسان التركمان بقياده عسكري شجاع فطن منهم اسمه "حمزه سلطان أنزاني" و أمره باختراق أحد جناحي الجيش الزندى و الانطلاق إلى ما وراء هذا الجيش و التمرکز فى مكان مناسب على نحو يقطع خط الرجعه على الجيش الزندى إذا أراد التراجع.

فكر "حمزه سلطان أنزاني" على الجناح بحمله شديده فشقه و بعثره و نفذ إلى ما وراء الجيش الزندى و سار حتى وصل إلى خندق حربى كان الشاه "عباس الصفوى الكبير" قد حفره هناك لأغراض عسكريه، فتمركز فيه.

و أصبح جيش "محمد ظاهر خان زند" محصوراً بين جيش "آقا محمد خان" من أمامه و عسكري "حمزه سلطان أنزاني" من ورائه.

و حينئذ تقدم "آقا محمد خان" مهاجماً و معه ستة عشر مدفعاً. و أظهر "محمد ظاهر خان زند" شجاعه فائقه فى المقاومه، و لكن مدافع "آقا محمد خان" من جهه و رشاقه التركمان و سرعه حركاتهم فى الكر و الفر من جهه أخرى جعلت شجاعه القائد الزندى و جنوده بلا-فائده، حتى التحم الفريقان يتحاربون بالسلاح الأبيض، و تفوق جيش "آقا محمد خان" و أخذ عسكري الزنديين يستسلم جماعه جماعه، و وقع "محمد ظاهر خان" نفسه أسيراً و انتهت المعركه بانتصار "آقا محمد خان".

ثم عاد "آقا محمد خان" إلى "أسترآباد". و هناك قتل أسيره محمد ظاهر خان زند.

فرار الشيخ ويس خان زند و إعمائه

و بعد أن حصل "آقا محمد خان" على هذا النصر سار من "أسترآباد" إلى "مازندران". و كان "الشيخ ويس خان زند" فى مدينه "سارى" فرأى أنه لا-قبل له ب "آقا محمد خان" و جنوده، فغادر "سارى" إلى طهران حيث كان يقيم أبوه "على مراد خان زند"، فأنبه أبوه على هزيمته ثم تفارقا و لم يلتقيا.

و أمر "علی مراد خان زند" أحد أمراء الزنדיين، "رستم خان"، بسوق جيش إلى "مازندران" لاستئصال "آقا محمد خان"، و
أمله بان المازندرانيين سيهبون إلى مساعدته لكرههم "آقا محمد خان". فان لم يفعلوا

ص: ٣٠

أكرههم على المساعدة بالقوه، بإجبار رجالهم على التجند و مصادره أموالهم.

و قد تسرع فى إصدار هذا الأمر على غير تدبر لما استولى عليه من غضب و هياج.

فقد غضب المازندرانىون على "آقا محمد خان" بسبب ضريبه اللحي، و قد رفعها عنهم و زال غضبهم عليه. و هم فقراء لا يستطيعون المساعدة.

و مصادره أموالهم سيجعل منهم أعداء للزندان لا نصراء لهم. و من جهة أخرى كان "آقا محمد خان" قد استولى على كل "مازندران" و تمكن من السيطرة عليها، و يتعذر التمرد عليه. فانفاذ أمر "على مراد خان زند" غير ممكن إلا بمعجزه.

و لما وصل "رستم خان" إلى "مازندران" لم يجد أموالا- للمصادره غير مواشى الفلاحين، فصادرها. و أجبر الرجال على التجنيد، فكانوا يفرون من وجهه فعمم أمرا على القرى أن كل من فر من الجنديه تسبى نساؤه و يقتل أبناؤه.

و لما قرب "رستم خان" من "سارى" خرج "آقا محمد خان" إلى ملاقاته. و لما حمل جنده على جيش الزندانين بادر من فيهم من المازندرانين الذين أجبروا على التجند إلى إلقاء أسلحتهم و الاستسلام لجيش "آقا محمد خان". و لم يستطع من بقى مع "رستم خان" الثبات فتضعضعوا و تفرقوا سريعا و أسر فريق منهم، و لما يمض على بدء المعركه غير ساعات قليله. و فر "رستم خان"، و لكنه لم يجرؤ على العوده إلى طهران و مواجهه "على مراد خان زند" منكسرا، و قد رأى بعينه كيف استقبل هذا ابنه بعد عودته إليه منكسرا. فذهب إلى أصفهان.

و رأى المازندرانىون فى "آقا محمد خان" منقذا لهم فعادت نعمتهم السابقه عليه حبا له. و زادهم حبا له أنه وضع فى أيديهم ما غنمه من "رستم خان"، و فيه المواشى التى صودرت منهم فاستعادوها. و لم يسبق أن وهب عسكري منتصر غنائمه للناس و أعاد إليهم ما خسروه فى الحرب. فأخذوا يدعون له فى المساجد بالسلامه و النصر و طول العمر.

و أبلغ ضباط جيش "رستم خان" و جنوده المنهزمون حين عادوا إلى طهران "على مراد خان زند" نبا الهزيمة. و كان هذا مريضا بداء السكر.

فاشتد به المرض لما ركب من غم هذا الخبر المشؤوم.

و زاده غما على غم نبا آخر وصله بان حاكم أصفهان من قبله قد عصى و خرج عليه. فعزم "على مراد خان زند" على السير إلى أصفهان لقمع الحاكم المتمرّد. و بعد مسيره ثلاثه أيام عجز عن مواصلة ركوب الخيل بسبب مرضه. فحمل على "تخت روان" مسطحا على ظهره. و لكنه لم يلبث أن عجز عن البقاء منسطحا لأورام نبتت فى ظهره فاضطر إلى البقاء منبطحا على وجهه. فلما وصل إلى قصبه اسمها "مورشه خورت" فى نواحي أصفهان أغمى عليه. و لم يفق بعد ذلك من إغمائه قط إلى أن مات فى الثانى عشر من شهر رمضان سنه ١١٩٨ هـ.

و بموته استراح "آقا محمد خان" من خصم عنيد. و لعل "آقا محمد خان" لم يكن مستطيعا الوصول إلى منصب الملك لو ظل "على خان زند" حيا، لما اتصف به من ثبات و رباطه جاش و قوه إرادته.

و كان الأمراء الزنديون في حياته مضطرين إلى الخضوع له لتفوقه عليهم. فلما مات حدث بينهم ما حدث بعد وفاه "كريم خان زند"، فعادوا إلى التناوب والتدابيح. فيما بينهم. و كل من طالت يده أحدا منهم قتله أو أعماه. من ذلك أن "جعفر خان زند"، و كان قد حصل في شيراز على شيء من الاقتدار، اعتقل "الشيخ خان زند" ابن "علي مراد خان زند" فأعماه، مع أن "الشيخ ويس خان زند" كان ابن عمه، و لم يكن يطلب لنفسه شيئا من شئون السيطره و الحكم، و لا طامعا في شيء منها. و لكن "جعفر خان زند" احتمل أن يأتي يوم تحدته نفسه فيه بطلب الملك فيصبح عاقبا في طريقه، فأقدم على اعماء هذا الشاب و هو في إبان شبابه و وسامته.

مصير أخوي آقا محمد خان

مر أن "الشيخ ويس خان زند" لما تغلب على "آقا محمد خان" أيام ضريبه اللحي، و فر هذا من مازندران إلى "أسترآباد"، التحق أخوه "مرتضى قلى خان" و "رضا قلى خان" بالشيخ ويس خان زند و حصلوا منه على منصب في الجيش.

فلما تغلب "آقا محمد خان" على "الشيخ ويس خان زند" في معركة "أسترآباد" و فر هذا إلى طهران توارى أخوا "آقا محمد خان" عن الأنظار، و ذهب "مرتضى قلى خان" إلى "خمسه" و منها إلى "تبريز". ثم ذهب من هناك إلى روسيا فبقى فيها إلى أن مات هناك. و مضى أخوه الآخر "رضا قلى خان" إلى خراسان ليلتحق بالشاه الأعمى "شاه رخ أفسار"، و كان لا يزال يحكم في خراسان. و لم يكن لآقا محمد خان يومئذ شيء من السلطان على خراسان، فامل "رضا قلى خان" أن يكون هناك بعيدا عن متناول يده.

و لكن "شاه رخ شاه" لم يطمئن إليه فجافاه و أبعده عنه، و قال لحاشيته إن من خان أخاه جدير بان يكون أكثر جرأه على خيانتى. و إذ قطع "رضا قلى خان قاجار" أمله من "شاه رخ شاه"، و كانت صلته بأخيه مقطوعه فقد ضاق به أمر معاشه فأرسل رساله إلى أخيه "آقا محمد خان" أعلن فيها بتوبته و ندامته على ما كان منه و التمس منه العفو و المسامحه. و لكن "آقا محمد خان" لم يجبه على رسالته.

و كان "رضا قلى خان" قد اتفق له أن تعلم في شبابه صنعه لم تكن يومئذ تليق بالأمراء، و هى صنعه النقش على المعادن بالحفر. فعزم على أن يتعيش منها. و لكن كان عليه لممارسه صنعته أن يجلس إلى دكه صغيره مكشوفه للريح و الشمس كما هى حال أصحاب هذه الصنعه يومئذ. و إذ كان معروفا في مشهد، و كان جلوسه هذا المجلس يعرضه لسخرية الناس لأن اتخاذ الأمراء لأنفسهم صناعه يدويه كان يعد عارا في الشرف يومئذ، فقد رأى أن يمارس صنعته و يتعيش منها في مكان لا يعرفه فيه أحد.. فخرج من مشهد و ذهب إلى مدينه "هرات" حيث يجهل الناس من هو، و اتخذ مجلسا في مقبره اعتاد أصحاب هذه الصنعه و الذين يتعاطون مهنة كتابه الرسائل و العرائض للناس أن يجلسوا فيها، و أخذ يمارس صنعته. و ظل في هذا العمل مده سبع سنوات. و بعدها عفا عنه "آقا محمد خان قاجار" و أمده بمال و دعاه إلى الحضور إلى طهران.

عندئذ عهد "رضا قلى خان" بدكانه إلى أجير كان عنده و اشترى حصانا و مضى إلى مشهد ليذهب منها إلى طهران. فلما وصل إلى مشهد وعك، و كان فصل الشتاء أيضا قد حل فتعذرت عليه مواصلة السفر و مكث في مشهد و سكن في بيت عاش فيه وحده و تقوم بخدمته امرأه عجوز. ثم

قضى نجه هناك ولا يعرف أين دفن. وحين توفي كان أخوه "آقا محمد خان" قد أصبح ملك إيران وجعل طهران عاصمه له. إلا أن "شاه رخ شاه أفشار" الأعمى كان لا يزال يحكم في خراسان.

محاصره طهران ثانی مره

يوم عزم "آقا محمد خان قاجار"، بعد انتصاره في "مازندران"، على غزو طهران، وعزم "علي مراد خان زند"، وهو مريض بداء السكر، على الخروج من طهران إلى أصفهان، عين هذا حاكما على طهران اسمه "محمد خان"، وهو ابن أخي "غفور خان" الذي مر ذكره في حصار "آقا محمد خان" لطهران أول مره.

وقد لقي الطهرانيون في ذلك الحصار الأول أهوالا من المجاعة التي وقعت في مدينتهم ومات جماعه منهم جوعا. وفي سنه ١١٩٩ ه عادوا فوقعوا مره أخرى في حصار "آقا محمد خان". وما بين اليوم الذي قتل فيه "نادر شاه أفشار" واليوم الذي استقوى فيه "آقا محمد خان" وتمكنت سيطرته لقيت طهران كثيرا من المشقات والمخاطر. فموقعها الجغرافي كان يعرضها في المحاربات التي حدثت في تلك الحقبه لغزوات متتابعه. فهي لا تنفك متداوله من يد إلى يد. وفي كل محاربه و كل محاصره يموت فريق من الطهرانيين بالقتل أو بالجوع أو بالمرض.

وبعد هلاك "علي مراد خان زند" في "مورشه خورت" التي هي من أعمال أصفهان أصبح "جعفر خان زند" مقدا بين أمراء الزنديين، واستطاع الحصول على قدر من القوه بقتل بعض من يخشى منافستهم وإعفاء بعض آخر منهم، وفيهم "الشيخ ويس خان زند" ابن "علي مراد خان زند" كما مر.

ثم دعا "جعفر خان زند" من بقى من الأمراء الزنديين إلى الاجتماع في أصفهان. أرسل إليهم رساله أقسم لهم فيها أنه لا ينوي قتل أحد منهم ولا- إلحاق شيء من الأذى بهم على الإطلاق. وإنما مراده إنشاء عهد جديد من التفاهم والتأخي بين الأمراء الزنديين.

وأجاب هؤلاء دعوته واجتمعوا في أصفهان. فدعاهم "جعفر خان زند" إلى نسيان الماضي و جمع كلمتهم. وقال لهم إن الشقاق والتقاطع هو الذي أضعفهم حتى آل أمرهم إلى أن تطلع إلى منصب الملك خصي قاجاري لا يعد رجلا بين الرجال ولا امرأه بين النساء، وحزم أمره على منابذتهم والقضاء عليهم، مع أنهم هم ورثه ملك إيران.

وأطال الكلام و ضرب الأمثله في هذا الموضوع. وعاهدهم على أن ينعم عليهم برفع المناصب لا ينتزعها منهم ما دام حيا، إن هم ساعدوه في الوصول إلى عرش الملك. فأجابوه بالسمع والطاعة. و شرع هو فورا باعداد مراسيم تعيينهم في مناصب مختلفه من الحكم.

وبعد بضعه أيام دعاهم مره أخرى و شرح لهم خطته إلى غايته.

وقال: نحن الآن نملك من طهران إلى ساحل الخليج. ولكن "جيلان" و "مازندران" و "أسترآباد" خارجه عن أيدينا. وفي خراسان تحكم الأسره النادرية. و خطتي هي احتلال أرض إيران كلها وإيكال حكومه كل من ولاياتها إلى أمير من أمراء

الزنديين. و ليس لنا منافس قوى سوى آقا محمد خان الخصى. فعلينا إخضاعه و القضاء عليه. فأجابهم "نجف خان زند"، بانى حاصر لمحاربه "آقا محمد خان قاجار" و حمل رأسه إليك. فعهد إليه "جعفر خان زند" بقياده جيش، و فوض إليه أن يفعل كل ما يراه مناسباً للحصول على النصر.

و سار "نجف خان زند" بجيشه من أصفهان قاصداً "مازندران" ليعاقل "آقا محمد خان" بالهجوم قبل أن يتحرك هذا إلى إنقاذ خطته بالهجوم على الولايات المركزيه. و فى أثناء سيره أوقع بسكان القرى مظالم كثيره إذ كان يسلب منهم الطعام لجنده و العليق لدوابه، فلا يجرءون على الاعتراض.

و لما وصل "نجف خان زند" إلى كاشان "بلغه أن" آقا محمد خان "قد حاصر طهران. فعزم على مهاجمته ليحصره بين نارين، الجيش المدافع عن طهران و هو تابع للزنديين، و جيشه المهاجم من خارجها.

و كان "آقا محمد خان" قد حاصر طهران فى شهر ربيع الأول سنة ١١٩٩ هـ. و هو لا- ينفك يتحرى أخبار الزنديين و الاحتياط لنفسه منهم.

فلما بلغه مسير "نجف خان زند" إليه تنبه لخطر انحصاره بين الجيش المدافع و الجيش المهاجم. فترك قسماً من جيشه على حصار طهران و سار بقسم آخر إلى ملاقاه "نجف خان زند" بعيداً عنها، ليتفادى الانحصارين الجيشين العدوين.

محاصره قم و ثوره القميين

و سار "آقا محمد خان" من طهران قاصداً "نجف خان زند" فى "كاشان". و كانت طريقه على مدينه "قم". و كان يتوقع أنه، بعد اجتيازه "قم"، سيجد "نجف خان زند" فى نواحي مدينه "كاشان".

و لكنه حين وصل إلى "قم" وجد أبوابها مغلقه، و أن "نجف خان زند" متحصن فيها. و ذلك أن "نجف خان زند" إذ كان ماضياً فى إنفاذ خطته و متابعه السير إلى طهران، بوغت، على غير توقع، بمسير "آقا محمد خان قاجار" إليه، فاضطر إلى تغيير خطته تغييراً مرتجلاً- و ذلك بالتحصن فى "قم". فدخلها و تحصن فيها على غير استعداد. و لذلك أعوزته المئونه اللازمه. فصادر كل ما وقعت عليه يده من أرزاق القميين، و أوقع بالأهالى مظالم فاحشه. و وقعت مجاعه شديده.

أما "آقا محمد خان" فقد ضرب على المدينه حصاراً. و أيس القميون من حصول الفرج. و كان فيهم رجل من سلالة الزهراء (ع)، و جيه من أهل الرأى و التدبير، يرمى مصالح الناس و يرجعون إليه فى حل مشاكلهم اسمه "مير السيد على القمى". ففزعوا إليه للنظر فى مخرج من هذا الضيق.

فاقترح عليهم القيام بعمل صعب فيه مخاطره و يلزمه كثير من الدقه و سرعه الخاطر و الشجاعه. و لكن لم يكن فى اليد حيله غيره فقبلوا به و عزموا عليه. و تعهد "مير السيد على القمى" بان يقوم بأصعب قسم من هذه الخطه.

و كانت خطه "مير السيد على القمى" هى مواطاه "آقا محمد خان" على أن يهجم هو من الخارج و يهجم القميون من الداخل على بوابه معينه من بوابات السور فى وقت واحد و التغلب على حراسها و فتحها فى وجه "آقا محمد خان".

أما طريقه إيصال الخبر إلى "آقا محمد خان" فقد رتبها "مير السيد علي

ص: ٣٢

القمى " على هذا النحو:

كان الناس من كل الطبقات فى تلك الأيام يعتقدون اعتقادا راسخا بأثر الدعاء فى قضاء الحاجات، كشفاء الأمراض و تيسير الرزق و التغلب على العدو و وجدان الضائع و ما أشبه ذلك. و فى المأثور أن أنسب الأوقات للدعاء هو الليل.

و كان "نجف خان زند" يراعى جانب "مير السيد على القمى" لما له من نفوذ و احترام فى "قم". و كان يسمح له بالصعود إلى ظهر السور إذا أراد، إذ لم يكن فى صعوده ما ينافى أعماله العسكرية. و مع ذلك أحتاط "مير السيد على القمى" ليبعد عنه كل شبهة محتملة، فأرسل إلى "نجف خان زند" رساله يستأذنه فى الصعود ليلا. إلى ظهر السور ليتوجه بوجهه نحو معسكر "آقا محمد خان" و يدعو عليه بان ينزل به بلاء ينجى المدينة من شره. يفعل ذلك سبع ليال متتابعه، فاذن له.

فلما حل الليل صعد "مير السيد على القمى" إلى ظهر السور و اشتغل بالدعاء و هو ينتقل من مكان إلى مكان حتى تبين أن لا أحد متنبه إليه، فاخرج من داخل عباءته قوسا و سهما كان قد أعدهما و أنشب رأس السهم برساله كتبها إلى "آقا محمد خان"، و أعلمه بخطه القميين، و طلب أن يحمل المهاجمون معهم سلالم للصعود عليها إلى برجى البوابه. و جعل العلامة على موافقه "آقا محمد خان" على الخطه إضاءه مشعل فى الغد من نحو بوابه "الرى" و إطفاءه خمس مرات، بعد انقضاء أربع ساعات من الليل. فإذا رفعت له هذه العلامة أطلق إليه سهما آخر مع رساله يعلمه فيها بالوقت المعين و المكان المعين للهجوم. و ذكر فى الرساله ما يقاسيه القميون من ظلم و إذلال و مجاعه و أنهم ينتظرون الفرج على يديه. ثم أطلق السهم نحو معسكر "آقا محمد خان".

و فى الصباح عثر أحد جنود "آقا محمد خان" على الرساله فحملها إليه. و قام "آقا محمد خان" بتحريرات واسعه حتى تأكد عنده أنها بخط "مير السيد على القمى" حقا.

و فى المساء، بعد انقضاء أربع ساعات من الليل، رفعت العلامة المتفق عليها من معسكر "آقا محمد خان"، فأطلق "مير السيد على القمى" سهما يحمل الرساله الثانيه بتعيين الوقت و المكان للهجوم. و كان الوقت الذى عينوه ليله الثامن و العشرين من ربيع الآخر بعد انقضاء أربع ساعات من الليل، و المكان "بوابه الرى" من سور قم. و جعلوا علامه الموافقه إضاءه مشعل فى الغد، بعد انقضاء أربع ساعات من الليل، من نحو "بوابه الرى" و إطفاءه سبع مرات. و فى الوعد المعين رفعت هذه العلامة فعلم "مير السيد على القمى" أن الموافقه قد حصلت.

و فى ليله الثامن و العشرين من ربيع الآخر تسلم "مير السيد على" و رفاقه. و جعلهم ثلاث فرق، فرقتان منها لمهاجمه برجى البوابه، و الفرقه الأخرى لازاحه الحجاره التى ركمها "نجف خان زند" وراء البوابه. و باغتوا حراس البوابه بالهجوم و حمل عليها "آقا محمد خان" من الخارج، فوقعت البلبله فى الحرس و أعجلوا عن الاستعداد للدفاع، و أيقظت صيحات الجنود و أصوات الرصاص "نجف خان زند" من نومه. فلما علم أن القميين يشاركون "آقا محمد خان" فى الهجوم من الداخل أمر جنده بانزال القتل العام فيهم. و لو لا الليل و توارى الناس فى بيوتهم و تغلق أبوابها لفنى القميون عن آخرهم.

و لكن الظلام حجبهم عن أعين الجنود و كذلك اختفاؤهم فى داخل منازلهم، فلم يقتل غير جماعه من رجال "مير السيد على"

و استطاع المهاجمون القضاء على حراس البرجين و احتلالهما و إزاحه الصخور من خلف البوابة، كما تمكن جند "آقا محمد خان" من الصعود إلى البرجين بسلاالم فما حل الصباح حتى كانت البوابة قد فتحت و دخل جند القاجاريين إلى "قم". و أبدى "نجف خان زند" شجاعه فائقه فى الدفاع، و لكنه حوصر فلم يقدر على شىء، و أسر جميع عسكره. و لكنه استطاع الفرار على نحو عجيب، فقد كانت جميع طرق الفرار مقطوعه عليه فكأنما انشقت الأرض و ابتلعتة. و قال بعض المؤرخين إنه كان فى قم يومئذ دهليز تحت الأرض ينفذ خارج السور على نحو ما كان فى بعض القلاع فى القديم، فسكله "نجف خان زند" و قتل إنه لجا إلى بيت صديق فى قم فاختنفى فيه، و بعد بضعه أيام خرج منها متنكرا.

و تجند فى جيش "آقا محمد خان" كل العساكر و الضباط الذين أسرههم من جند "نجف خان زند"، إذ كانوا كلهم من المرتزقه لا يبالون فى أى جيش يحاربون، و همهم الحصول على أجورهم على الحرب.

و أصيب "مير السيد على" برصاصتين. و مع ذلك ثبت و ظل يحارب و دمه ينزف إلى أن تم استيلاء "آقا محمد خان قاجار" على المدينة. و عندئذ ألقى السلاح و قد خارت قواه فنقل إلى منزله، و بعد بضعه أيام توفى. و لولا شجاعته و شهامته و حسن تدبيره لفضى كل القميين جوعا.

و خص "آقا محمد خان" أعقاب "مير السيد على القمى" و أعقاب رفاقه الذين قتلوا وراء "بوابة الرى" برواتب دائمه. و كان هذا دأب "آقا محمد خان قاجار" فى مكافاه كل محارب كفاء و كل من كانت له عليه يد.

لقد اتهم آقا محمد خان قاجار" من أبناء زمانه، و لا يزال إلى اليوم، بالشح و التقير. و الحق أنه إنما كان مقتصدا، تعلم الاقتصاد من أمه "جيران" و لم يكن شحيحا و لا مقترا. و لا أهمل أحدا أدى إليه خدمه كبيره، فلم يكافئه عليها.

روى أن رجلا- أدى إلى "آقا محمد خان" خدمه كبيره، فلم يكافئه عليها. و ظن الرجل أنه نسيه. فجعل يقف له فى الطريق و يديم النظر إليه كلما رآه، يذكره بنفسه و يتوقع الحصول منه على المكافاه. و فى يوم غضب "آقا محمد خان" من تكرار نظر هذا الرجل إليه، و قال لا أطيق أن أرى بعد اليوم نظره هذا الرجل و ما فيها من توقع، ثم أمر باعمائه فاعمى.

و هى روايه نقطع باختلافها فالذين رووها لم يذكروا اسم الرجل و لا- ذكروا تاريخ وقوع الحادثه. و لم تذكر فى التواريخ المعبره. و مثلها ما اتهم به من إقامته مشاهد أخلاقه قبيحه. فهى تهمه باطله أيضا.

فتح طهران

و اتفق أن تلقى "آقا محمد خان"، و هو مستبشر بفتح مدينه "قم"،

بشاره أخرى هي تمكن جيشه الذي تركه عند طهران يحاصرها من فتح تلك المدينة أيضا. فبادر إلى إرسال رساله إلى قائد ذلك الجيش أنعم فيها عليه بلقب "خان" و نصبه حاكما على طهران، و أخبره بأنه ينوى جعل طهران عاصمه ملكه. فيكون بذلك قد أصبح حاكم العاصمه.

و استقوت روحه "آقا محمد خان" بهذين الفتحين حتى إنه عزم على السير إلى أصفهان و التخلص من خطر ملك الجنوب "جعفر خان زند" كليا.

معركة نصر آباد

لما علم "جعفر خان زند" بتمزق جيشه في "قم"، جهز جيشا آخر و جعل على قيادته "أحمد خان" ابن "آزاد شاه الأفغاني" الذي مر ذكره.

و قال له لا بد لنا من القضاء على آقا محمد خان قاجار و لإقضى علينا. لقد أرسلت نجف خان زند لياتيني برأس آقا محمد خان، فارتكب، لجهله، خطأ خسره به جيشه و عتاده و فر منهزما وحيدا. و عليك الاتعاظ به و تجنب الوقوع في مثل خطئه. فسر إلى آقا محمد خان و ابعث إلى برأسه. و إن ظفرت به حيا فاحمله إلى أصفهان مقيدا.

و جعل لقائد جيشه هذا "أحمد خان" معاونا اسمه "تقى خان زند".

و كان شجاعا تروى عن شجاعته العجائب و كانت إحدى يديه مقطوعه.

و مع ذلك يحارب بيد واحده، و يثبت في القتال ثباتا يشبه الأساطير.

و خرج جيش "جعفر خان زند" من أصفهان قاصدا نواحي "قم" و "كاشان". و حين خروجه هذا كان جيش "آقا محمد خان" قد خرج أيضا من "قم" قاصدا أصفهان. و التقى الجمعان بالقرب من "نصرآباد" في نواحي "كاشان". و كانت عده جيش "آقا محمد خان قاجار" ثلاثين ألفا، و جيش "جعفر خان زند" خمسه عشر ألفا.

و نشبت بين الفريقين معركة أدار فيها "آقا محمد خان" تحركات عسكريه على أدق و أبرع ما تقتضيه الفنون العسكريه يومئذ من دقه و براعه. و كانت هذه المعركة بين كل المعارك الحربيه التي خاضها أحسنها تنظيما و تخطيطا.

و رتب خطه محكمه لتطويق جيش العدو. و رأى "أحمد خان" و معاونه "تقى خان زند" أنهما واقعان في الطوق لا محاله، و لا مخرج لهما منه إلى غير القتل أو الأسر. فاما "أحمد خان" فقد امتطى حصانه و فر هاربا. و أما "تقى خان زند" فقد أبت له همته و إباؤه أن يفر و عزم على الثبات حتى الموت، هذا و هو يحارب بيد واحده لا يقدر على الإمساك بالبندقية، و سلاحه السيف و "الطنبجه".

فلما رأى أن عسكر القاجارى أخذ في محاصرته من كل جانب، امتطى حصانه، و هجم مع جماعه من فرسان الزنديين على جهه القلب من العسكر القاجارى، و هو يعلم أنه سائر إلى الموت. و أخذ العدو يرميهم بالرصاص فقتلت خيولهم. و أدام "تقى خان

زند" و رجاله الهجوم راجلين. ثم أصابت رصاصه "تقى خان زند" فى فخذه، فوقع على الأرض لا يقدر على النهوض. ثم أخذوه أسيرا.

و انتهت المعركة بانتصار "آقا محمد خان" و هزيمة الجيش الزندى. و لم يتوقف "آقا محمد خان" فى "نصرآباد"، بل تابع سيره فور انتهاء المعركة، إلى مدينة "كاشان" لينطلق منها إلى أصفهان. و فى "كاشان" أمر "آقا محمد خان" بإحضار "تقى خان زند" إليه، و كانوا قد ضمدوا جرحه. و لكنه كان جرحا لا يرجى شفاؤه و بات متيقنا أن "تقى خان زند" ميت به لا محاله فلما أحضروه قال له "آقا محمد خان":

هل عرفتنى؟ فقال "تقى خان زند": "أجل. فقال القاجارى: أ تذكر إذ قلت لى يوما فى شيراز" يا قرد"؟ فقال الزندى: و الآن أنت فى عينى قرد أيضا! فقال القاجارى: كنت أنوى الإبقاء عليك حيا لا أفتلك، لأنك مقطوع اليد جريح. و لكن تبين لى أنك أسفه مما كنت أتصور! و من كان على هذا القدر من الوقاحه لا يجوز أن يبقى حيا! ثم دعا "آقا محمد خان" الجلاد و قال له: أقطع أولا لسان هذا الوقح لكيلا يستطيع بعدها التلفظ بما لا يليق. فلما قطع لسانه قال له: و الآن أقطع رأسه. فما كان من "تقى خان زند" إلا أن توجه نحو "آقا محمد خان" رابط الجأش غير جازع، و بصق عليه. و لكن بصاقه لم يكن غير الدم الجارى من لسانه المقطوع! ثم قطع الجلاد رأسه!

العاصمة طهران

ثم غادر "آقا محمد خان" "كاشان" إلى أصفهان و كان "جعفر خان زند" قد فر هاربا منها. و بذلك أصبحت أصفهان تابعه لملك "آقا محمد خان". و مكث فيها أربعين يوما ثم غادرها إلى طهران. و هناك أنعم على فاتحها الذى عينه حاكما عليها بخنجر مرصع. و قتل حاكمها السابق "محمد خان" الذى كان عليها من قبل الزنديين، و أعمى اثنين من ضباط جيشه.

ثم أخذ يهيا طهران لتكون عاصمه له. فأمر ببناء أربعه أسواق فيها و إنشاء مصنع كبير للماء و إقامة بعض العمارات فى أطرافها الشماليه لتكون مصطافا له.

و فى يوم الأحد حادى عشر شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠٠ هـ الموافق سنة ١٧٨٥ م - و كان يوم عيد النيروز - نودى به ملكا على إيران ثانى مره.

و كانت المره الأولى فى "مازندران" كما مر. و لكن لم تقم له مراسم التتويج المعتاده بل أقيمت هذه فيما بعد، و سيأتى ذكر ذلك. و فى ذلك اليوم نفسه أصدر مرسوما باتخاذ طهران عاصمه لملكه، و ضرب النقود باسمه و خطب له على المنابر. و فى ذلك اليوم أيضا نصب ابن أخيه "فتح على خان" الملقب ب "خان بابا خان جهان بانى" الذى أصبح بعد ذلك "فتح على شاه" نائبا عنه يقوم بمهام الملك كلما تغيب "آقا محمد خان" عن العاصمه. و قيل بل نصبه فى هذا المنصب فى يوم آخر من تلك السنه.

و ينسب مؤرخو العهد القاجارى الإيرانيون إلى "آقا محمد خان" القيام باعمال عمرانيه ضخمه كثيره فى طهران غير ما ذكرنا و أنه وسع مساحتها.

و كل القرائن تجعلنا نقطع بأنها مزاعم غير صحيحه. و ما حدث في طهران من إعمار و خدمات أخرى كجر المياه إليها إنما حدث في عهد "فتح على شاه" و "محمد شاه" و "ناصر الدين شاه".

و في ليله الخامس عشر من شهر جمادى الثانيه سنه ١٣٠٠ [١٢٠٠] هـ، و كان "آقا محمد خان" نائما في إحدى العمارات التي أقامها "كريم خان زند" في طهران، زلزلت أرض العاصمه و اهتزت العماره و سائر البيوت مده بضع ثوان. فخاف "آقا محمد خان" مع شجاعته إذ لم يكن قد عرف زلزه قبل ذلك. و من تلك الليله أخذ ينام في خيمه نصبت له في ساحه مكشوفه من العماره. ثم أمر ببناء منام له لا تؤثر فيه الزلازل على نحو ما في بعض

ص: ٣٤

نواحي خراسان حيث تكثر الزلازل. و ظل ينال في الخيمه إلى أن تم بناء المنام الذي أمر به.

آقا محمد خان و الحكام

في سنة ١٢٠٠ هـ، إذ اتخذ "آقا محمد خان" طهران عاصمه له، كان مجال حكمه يشمل نواحي "بسطام" و "شاهرود" و "جیلان" و "طالش" و "كرمانشاهان" و "أصفهان" و "أستراآباد" و "مازندران" أما سائر النواحي فكان يحكمها أمراء مستقلون. و بعضهم كان يتخذ لنفسه لقب "الملك".

ففي خراسان كان يحكم "شاه رخ شاه" حفيد "نادر شاه". و في "کردستان" يحكم "خسرو خان" و يدعو أتباعه "خسرو شاه". و في جنوب إيران يحكم الزنديون على ما بينهم من خلاف. و في آذربيجان جماعه من الأمراء المحليين و رؤساء القبائل مستقلون بالحكم عن المركز. و قد ظل "آقا محمد خان" إلى سنة ١٢٠٥ هـ لا يستطيع دخول تبريز.

بل كانت حاشيه "آقا محمد خان قاجار" أنفسهم في بدء ملكه لا ينقادون إليه يشغبون عليه و يثرون، إذ كانوا يأنفون من الانقياد لخصي.

و من سنة ١٢٠٠ هـ، إذ اتخذ "آقا محمد خان" طهران عاصمه له و نودي به ملكا، إلى سنة ١٢١٢ أو سنة ١٢١١ هـ، إذ قتل في مدينه "شوشى" في القفقاس، اتفق مرارا أن خرج عليه حكام كان قد نصبهم لإداره شئون بعض الولايات. و كل ما كان يحملهم على التمرد عليه هو كونه خصيا.

فيستهيون به، إذ يرون أنفسهم رجالا- أسوياء فيحسبون أنهم، لذلك، قادرون على التغلب عليه و استخلاص الملك من يده، غافلين عن نبوغه و قدرته على إتقان أعماله. و من هؤلاء إخوته الآخرون، غير دينك الذين انتهى أمر أحدهما إلى التعيش من الحفر على المعادن ثم مات في خراسان، و انتهى أمر الآخر إلى الفرار من إيران إلى روسيا و المكث فيها إلى أن مات.

فقد خرج عليه اثنان آخران من إخوته، فقتل أحدهما و أعمى الآخر.

إن "آقا محمد خان"، و قد خصي - في أصح الروايات - في مطلع شبابه، و سلم - و لم يكد - من الموت و العمى، و بات أسيرا عند "كريم خان زند"، كان يعاني من ذلك عقده و لا شك. و من مظاهر هذه العقده أنه لم ير ضاحكا قط. إلا أنه حين كان أيام أسره يحضر في بلاط "كريم خان زند" و يتفق أن يضحك لشيء يسايره "آقا محمد خان" بضحكه مغتصبه تادبا. فلما تحرر من الأسر ثم أصبح ملك إيران لم ير ضاحكا قط، و لا- انفرجت شفثاه ببسمه أو ضحكه مهما سمع أو رأى من المضحكات. و كذلك لم ير باكيا قط إلا في مجالس تعزیه الحسين (ع). و زاد في عقده شدة خيبه أمله برجاله و من كان يراهم موضع ثقته و اعتماده، إذ كانت خيانتهم له لا- تنقطع، حتى عاد امرأ قاسيا لا يرحم. و أخبار قساوته و فظاظته في معاقبه خصومه تقشع من ذكرها الأبدان.

و يوم فر من شيراز ثم مضى إلى "أستراآباد" لم يكن هذا شأنه. و تغيرت حاله أى القساوه و الفظاظه سنة ١٢٠٢ هـ، و ظل هذا شأنه مده عشر سنوات، إلى آخر حياته. و يحتمل احتمالا قريبا من اليقين أن عله قساوته ناشئه مما لقيه من خيانه إخوته و رجاله

المقربين الذين جعلهم موضع ثقته.

و لم تقتصر الخيانه له على حكام الولايات و الإيالات الذين كان ينصبهم، ثم لا يلبثون أن ينقلبوا عليه عاصين متمردين بل تعدتهم إلى حكام النواحي الصغيره مثل "جسکر" و "منجیل" و "آباده" فإنهم كانوا لا يلبثون أن يتمردوا عليه كلما أصبح بعيدا عنهم. و لم يلق حاكم ما لقيه "آقا محمد خان" من سوء معامله رجاله له. فهو، من هذه الجبهه، أسوأ الحكام حظا.

و من أجل أن يهرب غيرهم فلا يقدموا على ما أقدم عليه هؤلاء من خيانه كان يعاقب من الرجال الذين وضع فيهم ثقته بان يقطع أحدهم نصفين (١) أو يدفنه حيا أو يلقيه فى الماء الغالى. و أخف عقوباته كان الإعماء! و كان ابن أخيه "فتح على خان قاجار" الملقب بلقب "خان بابا خان جهان بانى" و فيا له ثابتا على و لائه مطيعا لأوامره، فأصبح أقرب المقربين إليه. و هو الذى نصبه فى سنه ١٢٠٠ هـ نائبا عنه، و نصبه سنه ١٢٠٤.

وليا لعهد، و تولى الملك بعد وفاته باسم "فتح على شاه". و قد تربى على يدى عمه و تعلم منه فن الحرب و الإدارة. و كان، كعمه، مقتصدا. (٢)

مواصله الحرب

بعد أن أقام "آقا محمد خان" فى طهران قليلا- بلغه أن جعفر خان زند"، بعد أن فر من أصفهان إلى شیراز، عاد فسار إلى أصفهان ينوى احتلالها.

فعهد "آقا محمد خان" إلى نائبه "خان باب جهان بانى" بمهام الملك، و سار هو قاصدا أصفهان. و كان "جعفر خان زند" قد اقترب بجيشه منها. فلما علم أن "آقا محمد خان" سائر إليها تراجع و ذهب إلى "بروجرد".

و كان عالم فاضل أديب اسمه "الشيخ جعفر التنكابنى" قد ظهر فى بلاط "آقا محمد خان" فى سنه ١٢٠٠ هـ و أصبح من حاشيته. و لا يعلم مبدأ صلته به. و كان عمله الرسمى فى البلاط هو قراءه الكتب ل "آقا محمد خان". إلا أنه كان يستشيره أيضا فى بعض شئون الحكم.

و قد ذكرنا أن "آقا محمد خان" كان على اطلاع جيد على فلسفه "ابن طفيل". و زاده التنكابنى علما بان أطلعه على فلسفه "الغزالي". و قبل خروجه من طهران إلى حرب "جعفر خان زند" أعطاه التنكابنى حرزا منسوبا

ص: ٣٥

١- عقوبه رهيبه. كانت تجرى على هذا النحو: يعلق المحكوم عليه منكوسا بشجرتين متقابلتين أو عمودين نصبان متقابلين، و ذلك بربط إحدى قدميه برأس إحدى الشجرتين أو رأس أحد العمودين، و القدم الأخرى برأس الشجره أو العمود الآخر على نحو يجعله منفرج الفخذين. ثم يضرب بساطور قدا بين فخذه إلى أن ينشطر إلى شطرين.

٢- ذكر المؤرخ الفرنسى "جان غوره" أن "فتح على شاه"، و قد رباه عمه "آقا محمد خان"، كان مقتصدا، تعلم الاقتصاد من

عمه. و حين اعتلى العرش ظل سائرا على خطاه، لا يسخو بالمال إلا فى أمرين. أحدهما جوائز الشعراء. إلا أن تعيين مخصصات لجوائز الشعراء لم يكن يعد يومئذ سخاء لأن منح هذه الجوائز كان يعد من السن المفروضه فى حياه البلاط. و مع ذلك كان ما يناله الشعراء من جوائز فتح على شاه مقدارا قليلا من المال. و الأمر الآخر الذى كان يسخو له فتح على شاه بالمال هو نفقات الحریم. و كانت مقدارا كبيراً. و ينقل "جان غوره" عن العقيد الإنكليزى "غولد اسميث" قوله إن مخصصات حریم فتح على شاه كانت أكثر من مخصصات جيشه. و لو أنه أنفق على جيشه بمقدار ما كان ينفق على سرايات نسائه لانتتهت محارباته لأباطره روسيا إلى مصير آخر غير ما انتتهت إليه!

إلى "الغزالي" و معروفًا باسم "مربع الغزالي"، و طلب منه أن يحمله فينتصر به على عدوه.

و لكن "آقا محمد خان" عجب من هذا الطلب و قال للتكابني:

عهدي بك أنك أعلى مقاما من أن تكون كاتب أحرار! و متى كان النصر في الحرب يكتسب بالأحراز؟! فأجابه التكابني بان ما في هذا الحرز إنما هو أعداد ترمز إلى أن المعصومين الأربعة عشر (ع) الذين يتولاهم الشيعة هم بعين الله و رعايته و رضاه. و القصد من حمل هذا الحرز هو تقوية الروحيه فيكون ذلك مساعدا على الثبات في ميدان الحرب. و عندئذ أذعن "آقا محمد خان" لقول "الشيخ جعفر التكابني" و حمل الحرز و ظل يحمله إلى آخر حياته.

أما "جعفر خان زند" فقد أقام على "بروجرد" حاكما من قبله اسمه "إسماعيل خان زند". ثم غادر "بروجرد" يسعى إلى جمع المال من أماكن أخرى. و قبل سفره أوصى حاكمه هذا بجمع مقدار معين من المال من الأهالي، و عين له تاريخا يتم فيه جمعه.

و كان مقدارا ضخما يعجز الأهالي، و كلهم رعاه و فلاحون فقراء، عن تأديته. و أمر "إسماعيل خان زند" كلا من مختير القرى باطلاعهم على عدد سكان قريته. ثم قسم مقدار المال المطلوب عليهم، و عين ما يجب على كل منهم تأديته ليتيها من مجموع ذلك القدر المطلوب من المال. و أنذرهم بان من أدى ما عليه سلم و من لم يؤديه قتل. و اتبع إنذاره بالفعل. فقتل من قتل و هرب من استطاع الهرب إذ كانوا كلهم عاجزين عن تاديه ما فرض عليهم.

و أما "آقا محمد خان" فقد وصل إلى أصفهان بلا عائق يعوقه. و هناك علم أن الزنديين يحكمون في "بروجرد". فأرسل إليها فرقه من جيشه و بقي هو في أصفهان. و أمرهم باعتقال كل من تطاله يدهم من الزنديين و إرساله مخفورا إلى أصفهان.

فلما اقترب جيش "آقا محمد خان" من "بروجرد"، خرج إليه جماعه من نساء القرويين و أطفالهم يستصرخونه، و قد لطمخوا وجوههم و رءوسهم بالطين، يخمشون وجوههم و يبكون و يعولون. و لم يكونوا يعلمون من هو "آقا محمد خان قاجار" و لا من هو قائد جيشه هذا القادم إلى "بروجرد". و كل ما كانوا يعرفونه هو أنه جيش قادم لقمع "إسماعيل خان زند"، فاجتأوا إليه يستصرخون و يتظلمون.

و لم يكن "إسماعيل خان زند" مستعدا لمقاومه جيش "آقا محمد خان"، فأراد أن يفر. و لكن أهالي "بروجرد" حالوا بينه و بين الفرار، و تمكن جيش "آقا محمد خان" من اعتقاله، و استولى على "بروجرد".

و لما أرادوا حمل "إسماعيل خان زند" إلى أصفهان، إلى "آقا محمد خان"، سار معهم وفد من أهالي "بروجرد" و أهالي قراها ليرفعوا ظلامتهم إلى "آقا محمد خان قاجار". و لكن هذا لم يستطع أن يستخلص من أسيره الأموال التي سلبها و يعيدها إلى أصحابها إذ كان قد أرسلها إلى "جعفر خان زند" في فارس. و اكتفى "آقا محمد خان" بأعمائه.

و أراد "آقا محمد خان" متابعه غزوه إلى فارس. و لكن بلغه أن "علي خان أفشار"، و هو من أنسباء "نادر شاه" الأباعد، و أحد أمراء "خمسه" الأقوياء، يطلب الملك لنفسه، و أنه جهز جيشا ليحتل قزوین و طهران. و قد انضم إليه جماعه من أمراء "خمسه". و عندئذ قرر "آقا محمد خان" التوقف عن متابعه حرب الزنديين موقتا، إذ رأى الأولى أن يتفرغ لقمع "علي خان أفشار" قبلهم.

فترك أصفهان و خف إلى طهران فوصلها قبل أن يتحرك "علي خان أفشار" من "خمسه". و جهز جيشا قويا و سار به قاصدا إلى "خمسه".

و كان "علي خان أفشار" واقعا فى الخطا الذى وقع فيه أكثر الذين حاربوا "آقا محمد خان". و هو أن هذا الخصى القاجارى ليس كفوا له.

و صورته التى فى ذهنه هى صورة خصيان القصور المترهلين العاجزين العاكفين على أطائب الطعام، غافلا عما حصل عليه "آقا محمد خان" من انتصارات تدل على نبوغ و ذكاء و شجاعه خارقه. فكان "علي خان أفشار" يقول لرجاله: حسب آقا محمد خان أن يعلم بتحركنا من خمسه ليولى الأديبار! و لكن "علي خان أفشار" لم يلبث أن علم أن جيشا جرارا يقترب من "خمسه". ثم وصل هذا الجيش إلى قزوین و علم "علي خان أفشار" أن جيش "آقا محمد خان" قادم إلى حربه. ثم سار الجيش من قزوین قاصدا إلى "زنجان"، و كان "علي أفشار خان" و جماعه من أمراء "خمسه" يومئذ فى "زنجان"، فاضطروا إلى مغادرتها إذ لم يكونوا مستعدين للمقاومه.

و دخل "آقا محمد خان" إلى "زنجان" لا يلقى مقاومه و توقف فيها.

و أرسل قائدا شجاعا من رجاله المقربين مع خمسه عشر ألف جندى من المشاه و الفرسان يتعقبون "علي خان أفشار". و بعد عشره أيام وقعت فيها مناوشات بسيطه استطاعوا محاصرته مع من كان معه من أمراء "خمسه".

و إذ رأى "علي خان أفشار" أنه مقبوض عليه لا- محاله. و أن عاقبته ستكون القتل أو الإعدام، أرسل إلى قائد الجيش الذى يحاصره رساله أنكر فيها أنه كان يريد التمرد على شاه إيران و تبرأ من ذلك و وصف ما قيل عنه بأنه دسيسه عليه من أعدائه، و أعلن بأنه ليس غير خادم من خدم شاه إيران، حاضر لبذل حياته فداء له.

فأجابه القائد برساله قال فيها إن كان هو كما يقول فى رسالته فعليه تسليم نفسه إلى شاه إيران. فأجابه "علي خان أفشار" بان خصومه قد أظهروه فى نظر الشاه بمظهر الباغى المتمرد و يخشى إن هو سلم نفسه أن يوقع به عقوبه القتل أو غيرها من العقوبات. فأجابه القائد بان قطع له على نفسه عهدا بان يشفع له عند "آقا محمد خان" و يصونه من كل أذى.

و إذ كان "علي خان أفشار" قد عدم كل وسيله أخرى للنجاه، فقد اضطر إلى الإذعان و سار مع ابنه الأكبر للنجاه، إلى قائد جيش "آقا محمد خان" فسلم نفسه إليه. و حملهما القائد إلى "زنجان" و هناك دخل القائد على "آقا محمد خان" و أخبره بأنه شفع للمتمرد على أن يتنازل عن كل أملاكه ل "آقا محمد خان" و يبقى ابنه رهينه عنده. فقبل "آقا محمد خان" شفاعته و عفا عن "علي خان أفشار".

ثم أدخل هذا على "آقا محمد خان" على الصورة التى تقتضيها السنه التى كانت متبعه فى تلك الأيام. و هى أن يدخل المذنب الراجى للعفو على الملك حافيا معصوب العينين. و دخل "علي خان أفشار" و هو على هذا الوضع، و ابنه ممسك بيده يقوده. فوبخه "آقا محمد خان" على ما كان منه ثم أخبره بأنه قبل شفاعه قائده به و عفا عنه. و أمر برفع العصابه عن عينيه.

وقال له: إذ كنت قد أظهرت الندامة و التوبه فاني أقبل توبتك و أعفو عما مضى، و أجعلك موضعا لثقتي و اعتمادي و أنصبك من اليوم قائد فوج خمسه.

فان أخلصت الخدمه رفعتك في المستقبل إلى مناصب أعلى. و ألحق ابنه

ص: ٣٦

بخدمته في البلاط. ثم قفل عائدا إلى طهران.

و لكنه ما إن وصل إلى طهران حتى بلغه خبر بان "هدايت الله خان" حاكم "جیلان" من قبله قد خرج عليه. فجهز جيشا أرسله إلى "رشت" حيث كان يقيم ذلك الحاكم فحاصره فيها. و لكن الحاكم فر منها بان سلك المجرى الذى تنصرف منه المياه المستعمله إلى خارج المدينة. و تبعه أيضا جماعه من رجاله خارجين من نفس المجرى. و من لم يتمكن منهم من الخروج سلم للجيش القاجارى.

و انطلق "هدايت الله خان" مع رجاله الفارين من مرفا "أنزلى" على بحر قزوين. و أخذ يغير على مختلف النواحي المجاوره فيسطو و ينهب و يخيف. و صعب على جيش "آقا محمد خان" تعقبه، خصوصا أنه كان يضطر أحيانا إلى أن تكون تنقلاته في البحر و رجاله يجهلون قياده السفن و الملاحة. و حل فصل الشتاء و قطعت الثلوج الطريق بين طهران و "رشت"، و طالت غيبه الجيش الغازى و أخباره مقطوعه عن "آقا محمد خان".

بعد ذلك عهد بقياده جيش إلى أخيه "مصطفى قلى" و أرسله ينجد الجيش الأول. و التقى الجيشان في قريه "غازيان" من نواحي جیلان على شاطئ بحر قزوين، و دارت بينهم و بين عصابه "هدايت الله خان" مناوشات صعبه، إلى أن علقته مره سفن كانت تحمل "هدايت الله خان" و رجالا له بقاع البحر، و طغى عليهم موج هائل و كسر سفنهم و غرقوا جميعا. و بعد بضعة أيام لفظت الأمواج جثثهم على الساحل، و فيها جثه "هدايت الله خان". فالتقط الناس تلك الجثث و حملوها إلى المقبره فدفنت.

و أوصل "مصطفى قلى خان" خبر موت "هدايت الله خان" إلى أخيه "آقا محمد خان" في طهران. و بذلك انقطعت فتنته.

و فى سنه ١٢٠١ هـ الموافق سنه ١٧٨٦ م أراد "آقا محمد خان" السير إلى "کردستان" لاختضاع و إليها "خسرو خان" إذ كان هذا يحكم مستقلا.

و كان إخضاعه جزءا من خطه نوى "آقا محمد خان" على تحقيقها. و هى توحيد نواحي إيران و جمعها على حكم مركزى واحد على نحو ما كان عليه وضعها أيام الصفويين و أيام "نادر شاه".

و لكن وصله قبل مسيره خبر من "بروجرد"، بوقوع فتنه فيها. فعدل عن السير إلى "کردستان" و عزم على السير إلى "بروجرد" من طريق أصفهان. و كان معلوما عند كل جنده أن غيبته ستطول فى هذا السفر.

و فى الليله التى عزم "آقا محمد خان" على السير فى صباحها إلى أصفهان دعا إليه قائدا مشهورا من قواده يعرف باسم "المجنون الفازوكى". (١) و سأل: أتذكر أنى يوم شفعت عندى لعلى خان أفشار عفوت عنه فلم أعاقبه و نصبته قائدا لفوج خمسه؟ فأجاب "المجنون الفازوكى": نعم، أذكر ذلك. فقال "آقا محمد خان": إن على خان أفشار، إذ علم أن غيبتى عن طهران فى هذا السفر ستطول، فقد حدثته نفسه بمعاودة التمرد. ثم أراه رساله و قال: هذه الرساله تثبت ما أقول.

و كان "آقا محمد خان" قد أمر فى السر البريذى الرسمى أن يدفع إليه بكل رساله يبعث بها "على خان أفشار" معه. فيقرؤها قبل نقلها إلى من أرسلت إليه، لعل فيها حديث خيانه.

وقد وقع ما كان يحذر منه. فان "علي خان أفشار" بعث بهذه الرسالة إلى أحد أمراء "خمسه" ليبلغ مضمونها أيضا إلى سائر الأمراء، و هو دعوتهم إلى اغتنام فرصة غياب "آقا محمد خان" في هذه الحمله و القيام بهجوم على طهران و احتلالها و خلع الشاه القاجارى. و بلغت الغفله ب "علي خان أفشار" إلى أن أرسل رسالته مع البريدى الرسمى و لم يحتط لنفسه فيرسلها مع رسول خاص من رجاله.

و فى اليوم التالى أمر "آقا محمد خان" باعتقال "علي خان أفشار" و إعمائه. فاعتقل و أعمى. ثم سار "آقا محمد خان" إلى أصفهان و منها إلى "بروجرد". و بعد عودته منها سار قاصدا همذان سنه ١٢٠١ هـ ليمضى منها إلى كردستان فيضمها إلى مجال ملكه.

و لكن "خسرو خان" والى كردستان تدارك أمره، إذ عرف أنه عاجز عن المقاومه، فبعث برساله إلى "آقا محمد خان" قبل أن يغادر همذان، أعلن فيها بولائه لشاه إيران، و أنه حاضر لتحويل مال الضرائب التى من كردستان إليه فى همذان، و يلتمس منه قبول ابنه فى خدمته. ثم أرسل ابنه إلى همذان يحمل إلى "آقا محمد خان" مال الضرائب عن سنه أو سنتين، و اعتذر بالمرض عن الحضور بنفسه إلى همذان، فقبل "آقا محمد خان" عذره و أقره على عمله و بعث إليه بخلعه، و أدخل ابنه فى خدمته.

و ذكر مؤرخو العهد القاجارى أن أحد أبناء "خسرو خان" قتل فى سنه ١٢٠٣ هـ. و هو يقوم بقمع قبيله كرديه كانت تغير على الناس بالسلب و القتل. و كان مقتله صدمه لأبيه ضعفت حواسه و قواه العقلية. و ظل على هذه الحال حتى مات فى سنه ١٣٠٦ هـ [١٢٠٦] فنصب "آقا محمد خان" ابنا آخر له اسمه "أمان الله خان" واليا على كردستان خلفا لأبيه.

الترياق دواء الكوليرا

و عاد "آقا محمد خان" من همذان إلى طهران فى نفس تلك السنه، سنه ١٢٠١ هـ و مع وصوله إليها وقع فيها وباء "الكوليرا". و كان أطباء ذلك الزمان يداوون هذا الوباء بابتلاع الترياق (الأفيون). فأشار طبيب "آقا محمد خان" عليه بالمواظبه على ابتلاع شىء من الترياق لوقايه نفسه من الوباء. فرفض "آقا محمد خان" أن يفعل. و قال للطبيب إن وقانى الترياق من الوباء فسيوقعنى فى شر آخر هو الإدمان و ما يترتب عليه من ضعف القوى النفسية و العقلية و الجسمانية و إطاله النوم و الخمول. ثم غادر طهران إلى "فيروزكوه" يقيم فيها ريثما ينقطع الوباء عن طهران. و ظل مقيما هناك إلى أن حل فصل الشتاء و برد الهواء و انقطع المرض، فعاد إلى طهران، و فى كل بيت منها ماتم و على كل وجه سيما الغم و الحزن.

ص: ٣٧

١- هو رجل من أهل "فازوك"، و هى ناحيه تقع فى شمال طهران. و هو الذى أقامه "آقا محمد خان" على حصار طهران، و فتحها يوم كان "آقا محمد خان" يحاصر مدينه "قم"، كما مر. ثم عينه حاكما على طهران. و هو الذى قمع فتنه "علي خان أفشار" فى "خمسه" و شفع له عند "آقا محمد خان"، كما مر أيضا. و سبب تسميته بالمجنون هو أنه عشق فى شبابه صبيه من "فازوك" و تدله فى جها حتى هجر أهله و دياره و هام فى الصحراء، وحده عدّه سنوات، على نحو ما يروى من فعل مجنون ليلي العامرى. و لذلك دعى بالمجنون تشبيها بقيس العامرى، و ظل هذا الاسم ملازما له. و كان أميا لا يقرأ و لا يكتب. و لكنه

كان على درجه عاليه من الفطانه و الشجاعه و المعرفه بفنون الحرب. و كان شديد الإخلاص ل "آقا محمد خان".

تغير جعفر قلى خان قاجار

بعد عوده آقا محمد خان " إلى طهران ساوره أول مره سوء الظن بأخيه " جعفر قلى خان ". و كان هذا، من بين أبناء " محمد حسن خان أشاقه باش "، أجملهم و أهيبهم منظرا. و كان محاربا شجاعا. فهو فى نظر من يراه المناسب لمنصب الملك لا أخوه الخصى. و كان من حوله من رجال حاشيته يلقون فى سمعه مثل هذا الكلام. حتى استقر فى نفسه شيئا فشيئا أن يطلب الملك لنفسه، و عزم على تهيئه خطه تمكنه من تنحيه أخيه من عرش الملك.

و من ذلك أنه واطا فى سنه ١٢٠١ هـ على ذلك جماعه من رؤساء القبائل الخراسانيه و جماعه من رؤساء القبائل الجيلانيه و لكن " آقا محمد خان " كان من دقه التدبير و إتقان العمل بحيث لم يلبث أن عرف بالمؤامره فور وقوعها.

فبث العيون و الجواسيس يراقبون " جعفر قلى خان " لا يغفلون عنه ليل نهار و هو لا يدري. و ما بين سنه ١٢٠١ و سنه ١٢٠٥ هـ كان " آقا محمد خان " يعزم مرارا على قتله ثم يبدو له أن يؤجله.

الأمير الزندى الشجاع الوسيم

فى تلك السنه، إذ ساء ظن " آقا محمد خان " بأخيه " جعفر قلى خان "، سمع " آقا محمد خان قاجار " باسم " لطف على خان زند " أول مره.

كان هذا ابن " جعفر خان زند ". و فى تلك السنه عهد إليه أبوه بقياده جيش من جيوشه.

كان " لطف على خان زند " أجمل شبان شيراز، على كثره من فيها من الشبان الوسام. و كان لا ينفك يزداد جمالا يوما فيوما. يقول العقيد " غولدا سميث " الانكليزى: " لم ير فى إيران، من بدء عهد الصفويين إلى ذلك اليوم، أمير له وسامه لطف على خان زند ".

و يوم سمع " آقا محمد خان قاجار " باسم " لطف على خان زند " أول مره لم يحدس فى سوف يوقعه به هذا الشاب الشجاع الوسيم من الدواهى و المعضلات فى المستقبل.

كان " لطف على خان زند " من أمراء الشرق الأبطال. و لكن مؤرخى العهد القاجارى الايرانيين كتموا أخباره و عجائب بطولته. و سكتوا عن الفظائع التى أوقعها به " آقا محمد خان " بعد اعتقاله إياه، لئلا يغضبوا القاجارين المالكين. و مراجعه المصادر الغربيه التى كتبها الكتاب و السواح الأورويون فى تاريخ " لطف على خان زند " أنفع فى كسب المعلومات عنه من المصادر الإيرانيه.

إن الوقائع الخارقه من بطوله هذا الشاب الوسيم الشجاع تجعله شبيها بأبطال الأساطير الذين كان أحدهم إذا أصبح وحيدا فى ميدان الحرب، و جيش عدوه ينيف على الألف، بادر إلى الحمله عليه، فشق صفه و خرج من بينهم سالما.

هذه الصوره تروى أسطوره. و لكن " لطف على خان زند " حققها بالفعل و الواقع لا مره واحده بل مرارا.

كان " آقا محمد خان " عازما على فتح شيراز و القضاء على ملك الزنديين. و ظل مقيما فى طهران ثلاثه عشر يوما بعد عيد "

النيروز"، وهو أول السنه الإيرانيه الشمسيه. و يومئذ سار من طهران قاصدا أصفهان فوصلها في آخر شهر شعبان سنه ١٢٠٢ هـ. ثم انهمك في تقويه عسكره و تجهيزه ثم سار قاصدا شيراز لفتحها و إخضاع إقليم فارس لملكه. و لما وصل إلى شيراز ضرب عليها حصارا، و كان "جعفر خان زند" فيها.

إلا أن ابنه "لطف علي خان" اختار نخبه من الجنود و أخذ يغير بهم على العسكر المحاصر ممارسا الحرب المعروفه اليوم بحرب العصابات، فيقتل و ينهب ثم يتوارى. و كان يقوم باغارته أحيانا في النهار و أحيانا في الليل. و قد أتعبت كراته هذه "آقا محمد خان" كثيرا. و اضطرت الغارات الليليه إلى مضاعفه حرسه الساهر.

و كان رجال عصابه "لطف علي خان زند" في غاراتهم الليليه يتنادون و يتفاهمون بتقليد أصوات الحيوانات كبنات آوى و الضباع و البوم على نحو متفق عليه فيما بينهم. و سماع أصوات هذه الحيوانات مستمره طول الليل كان مألوفا في تلك النواحي. فلم يفتن جند "آقا محمد خان" أول الأمر إلى خدعه العصابه الزنديه. و في أول غاره قاموا بها و هم يقلدون هذه الأصوات باغتوا العدو على حين غفله فقتلوا سبعين و جرحوا مائتين من جنوده. و غنموا مقادارا من الأسلحه. و بات جنود "آقا محمد خان". يهبون فزعين و يأخذون سلاحهم متأهين كلما سمعوا تلك الأصوات و لو كانت أصواتا لحيوانات حقيقه.

و تتابعت غارات العصابه لا تنقطع. و في كل غاره قتل و جرح و نهب يوقعونه في جيش "آقا محمد خان". و في إحدى الغارات الليليه استطاع الأمير الزندي الشاب أن يغنم من معسكر "آقا محمد خان" مدفعين من نوع المدافع الصغيره. و لما بلغ الخبر إلى "آقا محمد خان" سال: من الذين كان المدفعان في عهدهم؟ فقيل له: كانا في عهده جنديين و قد قتلا: فقال: لو لم يقتلا لأمرت أنا بقتلهما! و كان "لطف علي خان زند" يستدرج متعقبه حين فراره بعد الإغاره، إلى أماكن سبق أن نصب فيها فخاخا مما يستعمل في صيد الوحوش أو حفر فيها حفرا عميقه و ستر أعلاها حتى ساوى وجه الأرض لا يبين، فإذا وصلوا إليها أطبقت الفخاخ على أرجلهم فكسرتها أو بترتها، و سقطوا في الحفر فمنهم جريح و منهم قتل.

و كان "لطف علي خان زند" لا ينفك يترصد جند "آقا محمد خان" حتى إذا استفرد أحدا منهم انقض عليه فاخطفه و استطلعه عن أوضاع جيش "آقا محمد خان" بالتفصيل. و لذلك كان دائم الاطلاع على أحوال جيش العدو.

و طالت حرب العصابات التي شنها "لطف علي خان زند" على "آقا محمد خان" و كثرت بلاياها عليه حتى ضاق به ذرعا. و زاد في متاعبه و ضيقه شده، حادثه مهمه أخرى، هي وصول خبر إليه بخروج أخيه "مصطفى قلى خان" عليه في إقليم "طالش".
[\(١\) فعزم على فك الحصار عن شيراز و الانصراف عنها.](#)

ص: ٣٨

١- إقليم في شمالي إيران جنوبي بحر قزوين. و هو اليوم تابع ما كان يسمى بالاتحاد السوفياتي.

ثوره مصطفى قلى خان قاجار

خرج " مصطفى قلى خان قاجار " على أخيه " آقا محمد خان " فى إقليم " طالش " وعزم على احتلال " جيلان " و " مازندران " و " أسترآباد "، و منها يمضى إلى احتلال سائر نواحي إيران.

و كان إقليم " طالش "، من قديم العهود، موطن قوم من أشد المحاربين مراسا. و فى القرون الأخيرة، و لا سيما عهد الصفويين، كان لمحاربتهم صيت بعيد. و تردد اسمهم فى تاريخ إيران القديم. و ذكروا أنهم " كانوا يومئذ يصحبون معهم إلى الحرب كلابا مفترسه. و فى إحدى الحروب التى وقعت أيام الصفويين سحب الجنود الطالشيون معهم أيضا كلابا مفترسه. و كان سكان " طالش " فى القديم يقتنون الوعول الأهليه كما يقتنى الناس البقر.

أما يوم خرج عندهم " مصطفى قلى خان قاجار " فكانوا قد تخلوا عن اقتناء الوعول و اصطحاب الكلاب المفترسه معهم إلى الحرب. و لكنهم كانوا لا يزالون كأبائهم محاربين شجعانا.

كان " مصطفى قلى خان " كاخيه " جعفر قلى خان " يرى نفسه أليق بالملك من أخيه " آقا محمد خان " الخصى. و قد استطاع أن يقنع الطالشين بأنه أحق بالملك. و قال لهم إن من يملك على إيران اليوم رجل خصى، و هو إلى ذلك شحيح حتى إنه يزن طعامه بالميزان. و أن دأبه المحاربه و سفك الدماء و الاغاره على البلدان، و لن ترتفع هذه الفتن عن إيران ما دام هو الملك المتسلط. و من أجل بسط السلام و الاستقرار على إيران يجب تنحيته عن هذا المنصب. و أمثال هذا من الكلام و المواعيد.

و لم يلبث " مصطفى قلى خان " أن سار بمن تجند معه من الطالشين إلى " جيلان " فاحتلها. و اقتضى تكتيكة العسكرى أن يحتل بعدها العاصمه طهران قبل غيرها.

معاوده فتح طهران

أما " آقا محمد خان " فقد تراجع عن شيراز قاصدا طهران بمنتهى ما يقدر عليه من السرعه. و بلغ من سرعته أنه وصل إلى مدينه " قم "، و " مصطفى قلى خان " يحسب أنه لا يزال يحاصر شيراز. فلما بلغه خبر مسير " آقا محمد خان " إلى طهران، بادر إلى إغلاق بواباتها متحصنا فيها.

فلما بلغها " آقا محمد خان " ضرب عليها حصارا. و هكذا ما كاد الطهرايون يتخلصون من شر الوباء الذى اجتاح بلدتهم فى السنه الماضيه حتى دهمهم شر هذا الحصار! و كان " المجنون الفازوكى " المحارب الذكى الرشيق الشجاع على قياده جيش " آقا محمد خان ". فرأى أن محاوله التسلل إلى المدينه فى الخفاء أنجح فى تحقيق النصر من الاعتماد على السلاح وحده. فأمر جنده بقطع ما حول المدينه من الأشجار و صنع سلالم منها. و لما تهيأ له ما يحتاجه من السلالم انتظر حتى انتصف الليل. فأمر بقطع الماء عن القنوات التى تمد المدينه بالماء من خارجها. و هى قنوات واسععه يتمكن الرجال من عبورها. و كانت مستوره لا تنكشف إلا- فى سوق المدينه فى داخلها. و فى تلك الساعه كان الناس نياما فلم ينتبه أحد إلى انقطاع الماء حيث تنكشف القنوات. و لو فعل ذلك نهارا لتنبه الناس إلى انقطاع الماء و علموا بخظه الجيش المحاصر.

و فى منتصف الليل تسلل فريق من جند " آقا محمد خان " فى داخل القنوات إلى قلب المدينه، على حين أمر " المجنون

الفازوكى " بايقاد المشاعل و المبادره إلى نصب السلالم فى أماكن معينه على السور. و بدأت المعركه و كثر القتل فى المدافعين و المهاجمين على السواء. و استطاع المتسلقون احتلال بعض أبراج السور. و فى تلك الساعه خرج المتسللون من القنوت و انطلقوا بمعداتهم إلى بوابه تعرف باسم بوابه خراسان، و الناس و الجيش المدافع غافلون عنهم، ففتحوها و دخل جيش "آقا محمد خان" منها إلى المدينه. و لم يستغرق وصولهم إلى البوابه و فتحها و دخول الجيش منها أكثر من ربع ساعه.

و بعد احتلال المدينه استمر جند "مصطفى قلى خان" فى المقاومه و قاتلوا فى الأزقه قتال الأبطال و قتل جماعه منهم. و لجا "مصطفى قلى خان" إلى مقام "زيد" حيث كان "آقا محمد خان" يحضر دروس "الشيخ على التجريشى" فى الفقه و الحديث و فلسفه "ابن طفيل" أيام كان أسيرا عند "كريم خان زند".

و أنذر "آقا محمد خان" أخاه مصطفى قلى خان "بان يسلم نفسه بلا قيد و لا شرط و إلا حاربه و لو كان معتصما فى مقام "زيد". فاضطر إلى التسليم. و تم ل "آقا محمد خان" احتلال طهران. ثم غادرها، بسبب الحر، إلى ضاحيه "شميران"، فمكث فيها أسبوعا ثم عاد إلى طهران.

مقتل جعفر خان زند

و كان أول خبر تلقاه بعد عودته إلى العاصمه هو خبر مقتل "جعفر خان زند". و سبب مقتل هذا هو عزمه على قتل جماعه من الأمراء الزنديين كانوا فى سجنه. و هم "ويس مراد خان" و "شاه مداد خان" و "صيد مراد خان".

و فى الليله التى كان عازما على قتلهم فى صباحها رشوا السجن ففتح لهم باب السجن و أطلقهم، فدخلوا على "جعفر خان زند" و هو سكران نائم فقتلوه. (١) و نصبوا "صيد مراد خان" ملكا فى مكانه.

و كان "لطف على خان زند" غائبا عن شیراز يوم قتل أبوه. و عاد إليها بعد أسبوع من مقتله. و قيل بعد عشره أيام. و قيل بعد شهر. عاد إليها.

فى ٢٧ جمادى الأولى سنه ١٢٠٢ هـ. و معه تلك العصابه من الجنود الشبان الذين كان قد اصطفاهم، و كانوا يرافقونه دائما فى القتال و فى رحلات الصيد.

و أراد "صيد مراد خان" الشاه الجديد أن يقاومه. و لكن الشيرازيين لم

ص: ٣٩

١- ذكر "مهدي بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" أنه قتل فى ليله الخميس ٢٥ جمادى الأولى سنه ١٢٠٣ هـ على الأصح. و نقل أيضا روايه أخرى تقول إن القتل كان فى سنه ١٢٠٢ هـ.

يمكنوه من المقاومة و ثاروا عليه و هبوا إلى نصره "لطف على خان". و حاصروا القلعة التي يسكنها "صيد مراد خان" و احتلها "لطف على خان" ثم قتله و قتل رفيقيه اللذين شاركاه في قتل "جعفر خان زند".

إعلاء مصطفى قلى خان

لما استسلم "مصطفى قلى خان" فى مقام "زيد" إلى "المجنون الفازوكى" سار به هذا مخفورا إلى أخيه. و لكنه لم يقيد يديه احتراما لنسبته إلى "آقا محمد خان".

فلما رآه "آقا محمد خان"، و هو فى مجلسه، قادما من بعيد أرسل إلى "المجنون الفازوكى" أن لا يدخله عليه، بل يحبسه فى مكان آخر إذ خشى أن تبعث رؤيه أخيه فى نفسه رأفه به، أو يسمع منه كلاما يلين قلبه عليه، فيصرف النظر عن مجازاته و يعفو عنه.

و فى اليوم التالى استدعى إليه "المجنون الفازوكى" و سألته عن حال أخيه. و قال "المجنون": هيات له بالأمس ما يلزم من طعام و وسائل للنوم، و ها هو الآن مقيم فى عزفته محروسا. و قد قال لى صباح اليوم إنه يريد الحضور إليك و عرض مطالب ضروريه عليك. فقال "آقا محمد خان":

أسمح له بالحضور عندى و لكن بعد ساعه. فقال "المجنون الفازوكى":

إذن أحضره إليك بعد ساعه؟ فقال "آقا محمد خان": نعم، بعد أن يقوم الجلاذ بمهمته. فعلم "الفازوكى" أن "آقا محمد خان" ينوى الأمر بمعاقبه أخيه. فقال: السمع و الطاعه لما يأمر به الشاه! و استدعى "آقا محمد خان" الجلاذ و قال له: أصحاب المجنون و أعم عيني المذنب الذى يدللك عليه. و قال للمجنون: بعد إعماؤه آذن لك بإحضاره إلى.

فلما وقع نظر "مصطفى قلى خان" على الجلاذ و معه أدوات الاعماء و رأى "الفازوكى" يرافقه علم بما يراد به. فقال للمجنون الفازوكى: هل جئت لتعاقبنى؟ فوضع "المجنون الفازوكى" يديه متصلبتين على صدره و طأطأ رأسه علامه الخضوع و الاحترام و قال: أنا أقل من أن أقدر على معاقبه رجل مثلك! ما أنا إلا مأمور، و معذور أنا! فسأله "مصطفى قلى خان":

بما ذا أمر بى أخى؟ فقال "الفازوكى": أمر باعلاء عينيك. فقال "مصطفى قلى خان": اذهب إلى أخى و اطلب منه أن يسمح بحضورى إليه. فقال "المجنون الفازوكى": أخوك لم يأذن لى باحضارك إليه إلا بعد إتمام المهمه.

فقال "مصطفى قلى خان": قل له إن كان لا بد من إيقاع العقوبه بى فليعم إحدى عيني و يبق على الأخرى. فقال المجنون: لقد منعى أخوك من مراجعته فى شانك هذا. و أمرنى بان لا- أعود إليه إلا- بعد إتمام المهمه. فقال "مصطفى قلى خان": لقد أمرك بهذا و هو غضب و أنبهك إلى أنه سيندم عليه و سيؤخذك على أنك لم تطلعه على التماسى.

و مع أن "المجنون الفازوكى" كان يعلم أن "آقا محمد خان" ليس ممن يصدرن أمرا بإيقاع العقوبه بأحد، و هم فى حال الغضب، و أنه لا- ينفك متبصرا مالكا نفسه، فقد عهد ب "مصطفى قلى خان" إلى الحراس و ذهب إلى "آقا محمد خان" فاطلعه على مقالته. فأجاب "آقا محمد خان" بقوله: لو لا ما سبق من خدماتك لأمرت باعمائك أنت أيضا اذهب و افعل ما

أمرت به! فعاد "المجنون الفازوكي" و أبلغ إلى الجلالد أمر "آقا محمد خان".

فعمد الجلالد إلى يدى "مصطفى قلى خان" و رجله فقيدها. ثم أمر ميلا محميا على حدقتى عينيه. و لما حلوا قيوده كانت الدنيا قد أصبحت ظلما فى ناظره!

معاودة غزو فارس

تعد سنه ١٢٠٣ هـ فى تاريخ "آقا محمد خان" من أيام حياته المهمه.

ففيها عزم على القضاء على ملك الزنديين فى جنوب إيران. و لا شك فى أن خصومه "آقا محمد خان" للزنديين ناشئه عن عقده نفسيه فيه. فقد كان أعقاب "نادر شاه" يحكمون فى خراسان، و لم يكن "آقا محمد خان" يخاصمهم مع أن نادر شاه " قتل جده الكبير "فتح على خان".

و مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون يرون أن غزو "آقا محمد خان" ل "لطف على خان زند" سببه مصلحه سياسيه. إذ كان يريد جمع كل إيران فى طاعه الحكومه المركزيه، و لهذا السبب سار إلى محاربه "لطف على خان زند".

و الحق أن كل حرب تقع لها محرك سياسى أو اقتصادى. و لا نستثنى من هذا الحكم محاربه "آقا محمد خان" للأمير الزندى "لطف على خان". إلا أن هذا السبب ياتى فى الدرجه الثانيه من الأهميه بين الأسباب التى دفعت "آقا محمد خان" إلى محاربه "لطف على خان زند". أما السبب الذى ياتى فى الدرجه الأولى من الأهميه فهو ما كان يحمله "آقا محمد خان" فى نفسه من حقد على "لطف على خان زند". و زاد فى حقه هذا ما لقيه منه من أذى قبل سنه إذ كان يحاصر شيراز. و لعل الحسد أيضا كان له أثر فى ذلك. فقد كان "لطف على خان" أشجع منه. و كان بصيرا دقيق النظر بعيد الهمه فى التخطيط للعمران و الإصلاح و البراعه فى السياسه و الاداره و التوجيه الاجتماعى. و لو لا- مضاده الظروف له لكان من أعظم المصلحين بين من حكموا إيران. و هى مواهب كان "آقا محمد خان" محروما منها. و تفوق موهبته يقتصر على الحرب و مطالعه الكتب و تحصيل المعارف النظرية.

و فوق هذا كان "آقا محمد خان" قبيح الشكل لما امتحن به من عاهه الخضاء، على حين كان "لطف على خان زند" معدودا من أجمل شبان إيران. و لكل هذه المزاي يمكن القول إن "آقا محمد خان" كان يحسد "لطف على خان زند".

و أقوى دليل على أن "آقا محمد خان قاجار" كان يحسد "لطف على خان زند" و يحمل عليه حقدا شخصيا لا علاقه له بالمصالح السياسيه و لا بالمصالح الاقتصاديه، ما أوقعه به بعد أن ظفر به من معامله شنيعه متنته.

و قد سبق أن ظفر "آقا محمد خان" بأعداء له قبل ظفره ب "لطف على خان زند" و بعد ظفره به، فقتل بعضهم و أعمى بعضهم، و لكنه لم يعامل أحدا منهم بمثل ما عامل به "لطف على خان زند"! أعد "آقا محمد خان" جيشا قويا. و قبل خروجه من طهران أرسل جيشا بقياده ابن أخيه "خان بابا جهان بانى" إلى "مازندران" لقمع فتنه

حدثت هناك. ثم خرج بجيشه قاصدا إقليم فارس ليقتضى على ملك الزندين.

و كان مسيره فى رمضان سنه ١٢٠٣ هـ و قيل سنه ١٢٠٤ هـ و كانت طريقه على مدينه "قم". و قبل وصوله إليها اضطر إلى قطع طريق صحراويه ليلا ليصل إلى الماء فى أحد المنازل. و لكنهم ضلوا الطريق و هبت عواصف شديده نشرت الرمال فى الفضاء حتى ضاقت أنفاسهم و مات بعضهم اختناقا. و تشتتوا فى الصحراء لا يهتدى بعضهم إلى بعض. و أمضهم و خيولهم العطش و فقدان العلف لدوابهم. و لما أصبح الصباح وجد "آقا محمد خان" أن قسما كبيرا من جيشه مفقود و لم يبق معه غير بعض هذا الجيش و قاسوا مشقات عظيمه من التعب و العطش، و هم يتلمسون الطريق حتى اهدوا إليها، فتابعوا سيرهم إلى "قم" فوجدوا أن المفقودين كانوا قد استطاعوا الوصول إليها، و لكن سبعمائه جندى منهم ظلوا مفقودين لم يعثر لهم على أثر و لا ظهر منهم أحد. ثم تابع "آقا محمد خان" السير بجيشه من "قم" إلى إقليم فارس.

فلما اقترب من شيراز ارتأى "لطف على خان زند" أن يخرج إلى محاربه خارج المدينه ليتفادى المحاصره و ما يترتب عليها من ضيق فى الطعام و غيره من الحاجات. فخرج و أقام جنده فى سهل مستو سبق أن كان قبل خمس قرون من ذلك التاريخ ميدانا للحرب التى وقعت بين "تيمور لنك" و "السلطان منصور المظفرى" آخر ملوك "آل المظفر".

و تراءى الجمعان فى العاشر من شهر شوال سنه ١٢٠٣ هـ. و فى صباح اليوم التالى ١١ شوال سنه ١٢٠٣ هـ حمل "لطف على خان زند" على الجيش القاجارى و إذ كان جند الزندين من الفرسان فقد كانوا معرضين كثيرا.

لقذائف الرماه من البندقيين و المدفيعين، فوقعوا فيهم قتلا ذريعا. و لكن "لطف على خان زند" تابع الهجوم بفرسانه، و هو فى مقدمتهم، لا يتراجع، و قصده الالتحام بالعدو، إذ، فى هذه الحاله، يتعطل السلاح النارى، و لا يبقى من وسيله للمحاربه غير السلاح الأبيض. و هو بهذا السلاح متفوق على خصمه. و لو استطاع متابعه هجومه هذا لكان انتصاره و انهزام "آقا محمد خان" أمرا محققا.

و لكن تبين، و هو فى هجومه، أن "آقا محمد خان" أرسل فرقه من عسكره إلى ما وراء فرسان المهاجمين ليحصرهم بين جيش أمامه و جيش ورائه، و بهذا هلاك جيشه لا محاله فبادر فوراً إلى أمر جنوده بقطع الهجوم و التراجع. و كان تراجعهم هذا دليلا على عقله و معرفته بفنون الحرب. و لو لم يتراجع لعرض جيشه للفناء، و إن يكن مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون يزعمون إن تراجعهم هذا كان باعته الخوف و الجبن. و لكنه قول مردود لا يعتنى به. فما أكثر الوقائع الحربيه التى تراجع فيها جيش عن عدوه و كان تراجعهم فى الحقيقه انتصارا له لا انكسارا لأنه أحبط به خطه لعدو أعدها للإيقاع به.

و أمثله هذا كثيره فى الحروب القديمه و الحروب الحديثه.

و اضطر "لطف على خان زند" إلى العوده إلى شيراز و التحصن فيها.

و تقدم "آقا محمد خان" فضرب الحصار عليها. و لكن سرعان ما أعوزته الذخيريه من الطعام لجنده و خيوله، على حين كان "لطف على خان" قد أحاط قبل خروجه إلى ملاقاته "آقا محمد خان" بأن أمر بجمع مقادير كافيه من المئونه تحسبا لمثل هذه الحاله. و لذلك كانت الذخيريه متوفره فى داخل المدينه. و أمر "آقا محمد خان" جنده بالاغاره على القرى و المزارع المجاوره

و مصادره كل ما يجدونه فى بيوت الفلاحين من الطعام و العلف، فأغاروا عليها و نهبوا و أوقعوا بالأهالى أذى كثيرا من الالهانه و الجلد و أمثال ذلك، حتى اضطروهم إلى الفرار من قراهم و مزارعهم، و خلت بيوتهم من السكان.

و لكن ما نهبوه من بيوت الفلاحين من ذخيره كفاهم أياما معدوده، لم يجدوا بعدها ما ينهبونه، فاضطر "آقا محمد خان" إلى رفع الحصار عن شيراز و الرجوع عنها إلى طهران. و هكذا خاب سعيه إلى فتح شيراز مره أخرى. و ازداد حقدا على حقد على "لطف على خان زند".

و قدر بعض المؤرخين الشرقيين عدد من قتل يومئذ من جند "لطف على خان زند" بثمانيه آلاف. و آخرون منهم قدروا عدد القتلى بألفين و عدد الأسرى بثمانيه آلاف.

و لما وصل "آقا محمد خان" إلى طهران كان الفصل فصل الشتاء، و ليس هو الوقت المناسب لتسيير الجيش. فمكث فى العاصمه ينتظر حلول الربيع ليعاود فيه غزو فارس للقضاء على "لطف على خان زند". و لو كان غرضه من غزو فارس توسعه مجال حكمه لغزا آذربيجان و احتل ذلك الإقليم الواسع، و غزوه أهون عليه من غزو فارس. أو غزا خراسان و احتلها.

و شأنها من هذه الجبهه كشان آذربيجان. و بلغ عداؤه لشخص "لطف على خان زند" بحيث قال مره للشيخ جعفر التنكابنى، و هو الذى كان يسامره فى لياالى الشتاء الطويله بقراءه الكتب له: لن أقدم على القيام بعمل من الأعمال العظيمة ما لم أقض على "لطف على خان زند"! فسأله "الشيخ جعفر التنكابنى": لو دخل "لطف على خان زند" فى طاعتك و طلب منك العفو فايه معامله كنت تعامله؟ فقال "آقا محمد خان": إن هذا الشاب الجسور المزهو لن يطيع أبدا! فقال "الشيخ جعفر التنكابنى": فما أنت صانع به ان أطاع؟ فقال "آقا محمد خان": إن أطاع سامحته. و لعلى أجعله معاونا خاصا لى. فقال "الشيخ جعفر التنكابنى": هل تأذن لى بان أكتب إليه رساله أوصيه فيها بان يسألك العفو عنه و يدخل فى طاعتك لتعفو عن ذنوبه الماضيه و يصبح مشمولاً برحمه شاه إيران؟ فقال "آقا محمد خان": اكتب إليه و إن كنت أعلم أنه لن ينزل عن مكانه من الغرور إلا يوم يمثل أمامى مقيدا.

فكتب "الشيخ جعفر التنكابنى" إلى "لطف على خان زند" رساله مطوله منمقه ذكر له فيها أنه لن يستطيع مقاومه ملك مثل "آقا محمد خان".

و خير له أن ينصرف عن غروره و عناده و يكفى نفسه و أسرته الخطر. و أوصاه فى ختام الرساله أن يكتب بخطه رساله إلى الشاه و يلتمس منه العفو، و ليطمئن إلى أنه بعد كتابه هذه الرساله سيكون موضع العفو، و يمنحه الشاه القاجارى عملا- فى البلاط يكون مناسبا لشبابه و عنصره.

و أرسل "لطف على خان زند" الجواب رسالتين إحداهما إلى "الشيخ جعفر التنكابنى" و الأخرى إلى "آقا محمد خان". فاما رسالته إلى "التنكابنى" فقد خاطبه فيها متأدبا و قال إنه يعلم بان ما حملة على الكتابه إليه إنما هو حسن النيه و ظنه بأنه يؤدى إليه خدمه. و أما رسالته إلى "آقا محمد خان" فقال فيها إن ملك إيران حق وراثى للأسره الزنديه. و أنا اليوم أعلى سره الزنديين منزله. و لذلك كان ملك إيران حقا لى. و لو فرضنا أن الأسره

الزنديه لا حق لها في هذا الملك، فاننا، ونحن سلالة زند، لن نقبل بان يملك علينا خصى. و إيران، و الحمد لله، لا يزال فيها رجال حقيقيون يستطيعون اعتلاء العرش. و لم يعدم الايرانيون الرجال فيضطروا إلى الرضا بتملك الخصيان عليهم. و في حاله انعدام الرجال و اضطرار الناس إلى الرضا بتملك خصى، فاننا، نحن الزنديين، لن نقبل به، و نفضل تملك امرأه على تملك خصى.

و قال "آقا محمد خان" للشيخ جعفر التنكابني معلقا على جواب "لطف على خان زند": "لو أمكن تطويع المعاندين بالنصائح لما صنع السيف و لا اخترعت البندقية و المدفع. ثم قال: إني و إن كنت خصيا، سأثبت لهذا المتمرد الوقح يوم يقع في يدي أني قادر على أن أصنع ما يصنعه الفحول!

تراجع آخر

و ما إن حل فصل الربيع حتى بادر "آقا محمد خان" إلى السير بجيشه إلى غزو فارس من طريق "قم" و أصفهان. فلما وصل إلى أصفهان بلغه أن "لطف على خان زند" غائب عن شیراز و كان هذا قد غادرها إلى الأقاليم الصحراويه الواقعه في النواحي الجنوبيه من فارس، ليجمع من أهلها متطوعين يعوض بهم من فقد من جيشه في محاربه الماضيه ل "آقا محمد خان".

و كانت ل "لطف على خان" غايه أخرى من سفره إلى جنوب فارس، غير جمع المتطوعه لجيشه. و هي النظر في شئون التجاره الإيرانيه في مرفأ "بوشهر". فقد كان هذا المرفأ مركز تلك التجاره في جنوب إيران، و اكتسب أهميته التجاريه من عهد "نادر شاه أفشار" إذ جعله مركز القوه البحريه الإيرانيه الناشئه.

و في سفر "لطف على خان زند" هذا إلى جنوب فارس ذهب إلى "بوشهر"، و قام باستطلاع شامل عن الأوضاع التجاريه في الخليج و في بحر عمان. و اجتمع بأهل التجاره فيه، فعرضوا عليه احتياجاتهم و مشاكلهم.

فتبين من هذا التحقيق أن لا بد له من بناء أسطول تجاري و آخر حربي لتتغلب التجاره الإيرانيه و ما يتصل بها من شئون على ما يعترضها من صعوبات و إشكالات في الخليج و في بحر عمان. و عزم على إنفاذ خطته هذه. و مثل هذا التفكير و التخطيط كانت تقصر عنه تطلعات "آقا محمد خان قاجار".

يوم غادر "لطف على خان زند" شیراز إلى جنوب فارس كان خالي الذهن من احتمال غزو يقوم به "آقا محمد خان" بمثل هذه السرعه لشیراز.

و لذلك سافر، و هو مطمئن، للبدء بهذه التدابير العسكريه و العمرانيه. و لو تبين قرينه تدل على نيه خصمه على غزوه لما غادر هذا البطل المغوار عاصمه ملكه. و لكن مؤرخي العهد القاجاري الايرانيين يزعمون أنه خاف من "آقا محمد خان" ففر إلى الجنوب. و في هذا الافتراء ما فيه من ظلم لشجاعه هذا الشاب و بعد نظره و علو همته في طلب الإصلاح، و إن تكن الأيام و الأحداث المضاده قد أعجزته عن أن يبذل نبوغه و حسن نواياه في سبيل راحه شعبه و تقدمه! فلما وصل إلى "لطف على خان زند" خبر بان "آقا محمد خان" قد بلغ في مسيره إلى أصفهان، كان في "بوشهر" فما عثم أن خف عائدا إلى شیراز. و بعد ثلاثه أيام من وصوله إليها خرج بجيشه منها لملاقاه "آقا محمد خان" في خارجها، كما فعل في الحرب السابقيه، ليجنب الشيرازيين

ويلايت الحصار و يجنب ما حولها من القرى و المزارع النكبات التي أوقعتهم فيها جند "آقا محمد خان" في تلك الحرب السابقة.

و تبين "آقا محمد خان" أن جيش "لطف على خان زند" أقوى من جيشه، و كان يوم سار إليه يحسب العكس، فتجنب المغامرة، و غادر أصفهان منصرفاً عن الحرب. إلا- أن مؤرخى العهد القاجارى الايرانيين ينسبون تراجعهم إلى عامل آخر لثلاً يعترفوا بأنه خشى تفوق "لطف على خان زند" عليه، و ذلك تملقاً منهم للملوك القاجاريين. فيقولون إن جماعه من أعيان شیراز ذهبوا إلى "آقا محمد خان" و هو فى أصفهان، فقدموا إليه هدايا. و قالوا له: إن خوف "لطف على خان زند" ملك إيران قد جعله يفر من شیراز و يلجأ إلى النواحي الصحراويه فى الجنوب. و مع ذلك فمصلحه شاه إيران تقضى بان ينصرف عن غزو شیراز و يؤجله إلى وقت آخر. و قد قبل "آقا محمد خان" التماسهم و قفل راجعاً من أصفهان.

و هو قول متهافت. إذ لو صح أن "لطف على خان زند" خرج من شیراز فراراً من "آقا محمد خان"، إذ وجد هذا أقوى منه فخافه، لكان ذلك فرصه "آقا محمد خان" للظفر به. و هل كان المتوقع أن ينتظر "آقا محمد خان" استقواء "لطف على خان زند" حتى يهاجمه؟! و متى عهد، فى جميع العصور، أن جيشاً عاد عن مهاجمه خصمه لأنه وجده ضعيفاً؟! و هل يعقل أن يضيع عسكري نابغه مجرب مثل "آقا محمد خان" هذه الفرصه من يده، فرصه ضعف خصمه و فراره من وجهه، فلا يقدم على احتلال شیراز؟! خصوصاً أنه كان لا ينفك يتحرق شوقاً إلى الساعه التى يظفر فيها بالعدو الذى يخصه باشد حقه! لقد اقتصرت روايه المؤرخين المذكورين على أن الوفد الشيرازى أخبر "آقا محمد خان" بان "لطف على خان زند" ضعيف، و أن خروجه كان خوفاً من "آقا محمد خان"، و أن الوفد المذكور التمس من "آقا محمد خان" تأجيل مهاجمه شیراز إلى وقت آخر، و أن "آقا محمد خان" قبل التماسهم.

و لكن أولئك المؤرخين لم يذكروا سبب هذا الالتماس و لا سبب قبول "آقا محمد خان" لهذا الالتماس! فان كان السبب هو الرأفه بالشيرازيين فمتى كان طاغيه جبار مثل "آقا محمد خان قاجار" يقيم وزناً لهذه الاعتبارات الإنسانيه، و هو الذى ارتكب ما ارتكب من الفظائع فى "كرمان" يوم كان يتعقب "لطف على خان" فيها. و سيأتى ذكر ذلك؟! لم يكن تراجع "آقا محمد خان" يومئذ عن محاربه "لطف على خان زند" جيناً فيتكلف مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون الأعداء المتهافته لتسويغه. إذ ليس كل تراجع فى الحرب يعد جيناً. و لم يكن "آقا محمد خان" تنقصه الشجاعه و لا كان هيباً. و لو كان أولئك المؤرخون و حكامهم من القاجاريين أبعد نظر أو أكثر موضوعيه لوجدوا فى هذا التراجع مدعاه للثناء و التحسين، على عكس ما تصوروا. فقد كان تراجع "آقا محمد خان" يومئذ عن غزو شیراز تعقلاً و حسن تدبير إذ وجد أن خصمه أقوى منه فراجع عن حربيه ليتقوى و يهياً جيشه على نحو يجعله كفئاً للقتال. هذا هو السبب المعقول.

و كيف ينسب أولئك المؤرخون إلى رجال الوفد الشيرازى الذين زاروا "آقا محمد خان" فى أصفهان قولهم له إن "لطف على خان زند" فر من

شيراز حين سمع بقدم "آقا محمد خان" إلى أصفهان، و الحال أن "لطف على خان زند" كان يومئذ في شيراز، عاد إليها فوراً من الجنوب ليقابل خصمه بالحرب حين عرف بمسيره إليه؟!

تذهيب مقام على ع

بعد عوده "آقا محمد خان" من أصفهان طلب إحضار أمهر صاغه إيران إليه. فاحضروا من كل من أصفهان و "كرمان شاه" و "بروجرد" ثلاثة منهم. فأمرهم بصنع ضريح من الذهب لمقام الامام على بن أبي طالب (ع) و خصص له مبلغ سبعين ألف تومان. و تظهر ضخامه هذا المبلغ بالنسبه إلى قيمه النقد في تلك الأيام إذا علمنا أن راتب "قائد الفوج" - و هو من أعلى المناصب العسكريه - كان يومئذ عشره تومانات في الشهر. فقاموا بصنع الضريح و حمل إلى النجف حيث نصب في مقام الامام.

نصب ولي العهد

و مما قام به من أعمال أيضا بعد عودته من أصفهان نصبه ابن أخيه "فتح على خان" المعروف بلقب "خان بابا جهان باني" وليا لعهد. و كان "آقا محمد خان" لا يعتقد بالطوالع التي يقول بها المنجمون و لا بخصائص الأيام من سعد و نحس. بخلاف غيره من ملوك تلك الأيام و من سبقهم من الملوك إذ كانوا لا يعزمون على الأمور المهمه إلا بعد استشاره المنجمين و تعيينهم اليوم الموافق للقيام بالعمل.

و لكن حاشيته ما زالت تلح عليه بان يستشير المنجمين لتعيين يوم سعد لنصب ولي العهد حتى أذعن لهم. و رأى المنجم أن السابع و العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠٤ هـ - يوم السعد الصالح لنصب ولي العهد.

فاصدر مرسوم تعيينه في ذلك اليوم. و جلس ولي العهد يتقبل تهاني أعيان إيران بحصوله على هذا المنصب.

على أن بين المؤرخين الإيرانيين اختلافا في تعيين تاريخ نصب "فتح على خان" وليا للعهد. فمنهم من قال سنة ١٢٠٤ هـ، كما ذكرنا. و منهم من قال سنة ١٢٠٨ هـ و منهم من قال سنة ١٢١١ هـ.

و ذكروا أن إقدامه على نصب ولي عهد هو إحساسه بشيء من التوعك في مزاجه. فخشى أن يصيبه أمر قبل تعيين ولي عهد يخلفه، و يقع النزاع بين أمراء الأسره على خلافته، و قد ينحى عنها "فتح على خان" خلافا لإرادته، إذا كان، من بادئ أمره، يرشحه لخلافته. فبادر إلى حسم هذا النزاع المحتمل قبل وقوعه.

و حين شعر بالتوعك شخص طبيبه سبب المرض بأنه الحميه التي يواظب عليها "آقا محمد خان". و أشار عليه بان يزيد في مقدار الطعام الذي يتناوله، فرفض و ظل متبعا نظامه المعتاد في الطعام. و الظاهر أن مرضه ذاك هو ما يعرف اليوم بانخفاض ضغط الدم.

مقتل جعفر قلى خان قاجار

في سنة ١٢٠٤ هـ - و هى سنة نصب "خان بابا جهان باني" وليا للعهد بناء على إحدى الروايات - عزم "آقا محمد خان" على

قتل أخيه "جعفر قلى خان قاجار". و كان هذا قد أحسن من "آقا محمد خان" سوء الظن به، فكان، لذلك، لا يستبعد أن يقدم أخوه على إعمائه كما فعل بأخيه الآخر "مصطفى قلى خان". و لذلك امتنع عن الحضور إلى طهران (1) و الاجتماع بأخيه.

و كان "آقا محمد خان" قد أقام جماعه من الجواسيس على مراقبه أخيه "جعفر قلى خان" يطلعونه على أعماله يوما فيوما. و علم منهم أن "جعفر قلى خان" يجمع جنودا. فلم ير "آقا محمد خان" من غايه وراء هذا العمل سوى التهيؤ للثوره عليه. و لذلك عزم على القضاء عليه.

و من أجل أن يحمل "آقا محمد خان" أخاه "جعفر قلى خان" على الحضور إلى طهران أصدر مرسوما بتعيينه قائدا للجيش و بعث إليه برسالة قال له فيها إنه عازم على غزو فارس لمحاربه "لطف على خان"، و لذلك فإنه يعهد إليه بامر الجيش، و يطلب منه أن يبادر بالحضور مع جيشه إلى طهران فينضم إلى جيشه، جيش "آقا محمد خان"، و يحصلان من اتحاد الجيشين على جيش قوى تكون قيادته "لجعفر قلى خان" فيسير به إلى غزو فارس مفضا بان يفعل كل ما يراه لازما لإتمام مهمته إلى أن يقضى على "لطف على خان". و أهده أيضا سيفا مرصعا و اثني عشر ألف تومان.

و طمانت الهديه خاطر "جعفر قلى خان قاجار". و جعله مرسوم تعيينه قائدا للجيش يعتقد بان أخاه بحاجه إليه فى محاربه "لطف على خان زند". و كان حقد "جعفر قلى خان" على "لطف على خان زند" لا يقل عن حقد "آقا محمد خان" عليه، شأنه فى ذلك كشان أبناء "محمد حسن خان أشاقه باش" كلهم، إذ كان مده أسيرا عند "كريم خان زند" و يشتهى الانتقام من الزنديين. و لذلك أجاب دعوه أخيه "آقا محمد خان" و سار بجيشه إلى طهران فوصلها فى اليوم التاسع من شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٥ هـ. فاستقبله أخوه بمظاهر المحبه و السرور و أصبح مطمئنا كل الاطمئنان إليه.

و كان "آقا محمد خان" يصاب بين الفينه و الفينه بألم عرق النسا فيعجز عن الوقوف و السير بضعه عشر يوما. و أخبر أخاه بذلك و قال إنه مضطر إلى التخلف عن السير معه إلى فارس لأن الوجع أخذه. و أمره بالسير وحده إليها قائدا مطلق اليد لجيشه. و تم الاتفاق على أن يمضى إلى الغزو بعد أسبوع.

ثم أذن له بالانصراف.

فلما خرج دنا منه أحد رجال البلاط و دعاه إلى تناول الطعام فى أحد القصور الملكيه بما هو ضيف الملك. و هناك أدخله إلى إحدى الغرف فدخل، و فى ظنه أنها غرفه [غرفه] الطعام. و لكن لم يلبث أن أنقض عليه جماعه فأمسكوا به فدخل أحدهم فى فمه شيئا ذا شعبتين يمنعه من إطباق فمه.

و جاء بمنديل فجمعه كتله و دسه فى حلقومه و دفعه فيه بوتد و جعل يضرب على طرف الوتد الخارج بمطرقه حتى دخل فى قصبه الرئه. و ظلوا يمسكون به حتى اختنق و همد. فأخبروا "آقا محمد خان" بموته، فدخل عليه و عاينه و تيقن من موته. ثم دعا حاشيته الذين صحبوه إلى طهران و قال لهم إن جعفر قلى خان مات بالسكته. ثم أمر بدفنه فدفن فى مقام "زيد" و قيل فى مقام "عبد العظيم".

و بمقتل "جعفر قلى خان قاجار" أمن "آقا محمد خان" جانب أقربائه إذ لم يكن بين من بقى حيا منهم من له تطلعات "جعفر

١- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" أنه كان مقيما فى بسطام".

و مقدرته على طلب الرئاسه.

فى أذربيجان

إلى ذلك اليوم ظلت أذربيجان خارج يد "آقا محمد خان". و كانت ضرائبها تجبى إلى أمرائها المحليين. و بعد مقتل "جعفر قلى خان قاجار" باثنى عشر يوما سار "آقا محمد خان" إلى أذربيجان لاختضاع أمرائها. و قبل مسيره أرسل ابن أخيه "خان بابا جهان بانى" بجيش إلى أصفهان تحسبا من قيام "لطف على خان زند" بهجوم عليها.

و من أجل أن يتمكن من السيطرة على أذربيجان كان عليه أن يبدأ بالسيطره على إقليم "طالش" و رجاله الأشداء قبل أذربيجان. و كان أمراء هذا الإقليم قد توقعوا، بعد مقتل "نادر شاه أفشار"، عن إرسال الضرائب إلى الحكومه المركزيه.

فأرسل "آقا محمد خان" أحد رؤساء عسكره اسمه "سليمان خان قاجار" إلى "طالش" بجيش عدته خمسه آلاف جندى لتحصيل ما على ذلك الإقليم من ضرائب السنه الجاريه و السنه الماضيه. و سار هو إلى أذربيجان.

و قبل وصول "سليمان خان قاجار" إلى "طالش" أرسل إلى حاكمها "مصطفى خان الطالشى" ينبئه بقدمه، متوقعا أن يخرج الحاكم إلى استقبالهم و ينزله ضيفا عليه معززا مكرما و لكن الحاكم لم يعتن به و لا خرج إلى استقباله. فكانت هذه المعامله إعلانا بالتمرد. و لذلك عزم "سليمان خان قاجار" على محاربتة، و هو فى بلاده و فى مكان يتمتع فيه "مصطفى خان" بنفوذ فائق، و يفديه الناس بأرواحهم لما كان يبذله لهم من رعايه أبويه و سهر على مصالحهم و الآخذ بيد المحاويج منهم.

و أراد "سليمان خان قاجار" إرهاب الطالشين فعمد إلى إحراق بعض بيوتهم و مصادرهم مواشيهم. فغضب الطالشيون، و بيتوا معسكر "سليمان خان قاجار" و قتلوا جماعه من جنده و فر هو مع من بقى منهم و خرج بهم من إقليم "طالش".

و يومئذ كان "آقا محمد خان" فى "سراب" من أعمال أذربيجان.

و اتفق فى إحدى الليالى أن كان "الشيخ جعفر التنكابنى" يقرأ له فى كتاب.

و أراد "آقا محمد خان" أن يقول شيئا، و إذا بلسانه ينعقد فلا يستطيع كلاما. ثم يقع مغمى عليه بنوبه قلبيه. و كان ذلك فى اليوم ٢٩ من شهر صفر سنه ١٢٠٥ هـ بناء على قول بعض المؤرخين. و قال آخرون إن هذه الواقعة حدثت فى طهران فى شهر ربيع الأول سنه ١٢٠٦ هـ.

و تولى الأطباء مداواته حتى شفى، فغادر "سراب" قاصدا إلى "أردبيل"، و هى تقع على بعد أربعين و مائه كيلومتر من تبريز إلى جهه الشرق منها. فلما وصلها نزل فى قلعتها. و توافد أعيان "أردبيل" إلى زيارته. و فى هذا الاجتماع أبلغ "آقا محمد خان" زواره بأنه يعفى مدينتهم من تاديه الضرائب المتاخره من السنين الماضيه و لكنه يطلب تاديه الضرائب عن السنه الجاريه، و أمهلهم خمسه أيام لتهيئتها من سكان المدينه و خمسه عشر يوما لتهيئتها من سكان النواحي الأخرى التابعه لها. و قد أرهقهم بهذا الطلب إذ كان أوان الجنى و الحصاد لا يزال بعيدا و ليس فى أيديهم فضله من مال. و لكنهم اضطروا إلى الرضوخ فجمعوا الضريبه بشق الأنفس. أما "سليمان خان قاجار" الهارب من "طالش" فقد سار قاصدا "أردبيل". فلما قرب منها علم أن "آقا

محمد خان" فيها. فخاف على نفسه من عقابه فتوقف عن دخولها إلى أن علم أن "آقا محمد خان" قد غادرها إلى تبريز، و عندئذ دخلها. و أرسل منها رساله إلى "آقا محمد خان" قال فيها إن عسكر الطالبيين كانت عدته عشره أضعاف عده جيشه و لذلك عجز عن التغلب على "مصطفى خان" الطالشي، فقتل جماعه من جيشه و جرح جماعه و أسر جماعه. و أن لا بد، للتغلب على الطالبيين، من إمداده بجيش قوى.

و أما "آقا محمد خان" فكما دخل إلى "أردبيل" سلما لم يلق مقاومه، كذلك اقترب من تبريز لا يلقى مقاومه. و قبل أن يدخلها سارع إليه حاكمها "حسين خان بيكلر بيكى" يستقبله على بعد ثلاثه فراسخ منها. و استقبله و هو على هذا الوضع: ملا كل فرده من جزمته ترابا و ربط إحداهما بطرف من حبل و ربط الأخرى بطرفه الآخر و جعل الحبل على عنقه بحيث تتدلى الفردتان على صدره و عصب عينيه بمنديل و تقدم نحو "آقا محمد خان" حافيا يقوده من يده أحد مرافقيه. و هذا الوضع كان يتخذ في تلك الأيام المذنب الراجي للعتو إذا حضر عند من أذنب إليه.

فلما رآه "آقا محمد خان" على هذه الحال قال له: أراك تتقدم إلى على شكل مذنب يعترف بذنبه، فما هو الذنب الذى أذنبته؟ فقال "حسين خان بيكلر بيكى": ذنبي أنى تأخرت فى الاطلاع على تملك الملك السعيد فلم أبادر إلى الحضور إلى طهران و وضع نفسى فى خدمته فى الوقت اللازم.

و قد نفعت هذه الحيله "حسين خان بيكلر بيكى"، إذ سر بها "آقا محمد خان". و سبب سروره و هو حاله نفسانيه خاصه. أنه، مع كل ما كان يتصف به من صفات عاليه، كان لا ينفك مبتلى بما يسمى اليوم فى علم النفس بعقده الصغار، بسبب خصائه، و ما يلقاه أحيانا من سخرية و استهانه لاصابته بهذه العاهه. فإذا أبدى له رجل كبير كامل الرجوله خضوعا و استكانه وجد فى ذلك شفاء لنفسه.

و كان "حسين بيكلر بيكى" مذنبا حقا بمقتضى السنن و الرسوم التى كانت متبعه يومئذ. فإنه لم يبادر، حين تملك "آقا محمد خان"، إلى إظهار الخضوع و الطاعه له و إرسال الضرائب المستوفاه إليه. و قيل إن عله استقبال "حسين خان بيكلر بيكى" ل "آقا محمد خان" و هو على هذه الحاله هى أن "آقا محمد خان قاجار" ارتكب لما قدم إلى أذربيجان أعمالا قاسيه، فقتل فريقا من الرؤساء و الأمراء و أعمى فريقا منهم. فأراد "حسين خان بيكلر بيكى" تملقه و استعطافه ليعفو عنه. و قيل أيضا إن "آقا محمد خان" ارتكب بعد دخوله إلى تبريز أعمالا أخرى من هذا القبيل.

و مهما يكن فان "آقا محمد خان" أولى "حسين خان بيكلر بيكى" عنايته و أكرمه حتى إنه أعفاه من تاديه ضرائب تبريز إليه. إذ وقعت معامله "حسين خان بيكلر بيكى" له موقعا حسنا من نفسه.

و كان النافذون فى أذربيجان يومئذ جماعه من الرؤساء المحليين ياتى فى مقدمتهم "حسين خان بيكلر بيكى" حاكم تبريز و "محمد على خان بيكلر بيكى" حاكم "أروميه".

مؤامره لقتل آقا محمد خان قاجار

دخل "آقا محمد خان قاجار" إلى تبريز و نزل في قلعتها. و في ليله الثامن و العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠٥ هـ. انعقد مجلس في بيت "محمد علي خان جوجوق" أحد رؤساء أذربيجان، حضره جماعه من الرجال كان الأعيان فيهم خمسة هم صاحب المنزل و حفيده "محمد تقى خان شام بياتى" و "محمد علي خان بيكلر بيكى"، و كان قد حضر من "أروميه" لاستقبال "آقا محمد خان قاجار" و الإعلان بطاعته له - و "محمد خان عز الدين لو" و أخوه "محمد زمان خان" و "محمد ولى آقا". و حضره أيضا غيرهم ممن هم دونهم فى المرتبه.

فى هذا المجلس اتفق الحاضرون على وجوب قتل "آقا محمد خان".

بان يطلبوا منه إذنا بالدخول عليه لتقديم هدايا إليه. فإذا دخلوا انقضوا عليه و قتلوه. و عين "آقا محمد خان" لهم موعدا للدخول عليه يوم ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٢٠٥ هـ.

و لكن أحدهم "محمد علي خان بيكلر بيكى" حاكم "أروميه" أطلع "آقا محمد خان" على المؤامره فتهيا لها. فلما حضروا إلى القلعه - و كانت عدتهم ستة عشر - أطبق عليهم رجال "آقا محمد خان" ليعتقلوهم. و لكنهم قاوموهم و قتلوا بعضهم. و سقط من المتأمرين ستة بين قتيل و جريح.

و اعتقل التسعه الباقون. فأمر "آقا محمد خان" بقتل اثنين منهم و إعماء ثلاثة و العفو عن الباقين.

زحف الخان الزندى إلى أصفهان

قبل ذهاب "آقا محمد خان" إلى أذربيجان أرسل ابن أخيه "فتح علي خان قاجار" الملقب بـ "خان بابا جهان بانى" بجيش إلى أصفهان يربط فيها تحسبا لهجوم يقوم به "لطف علي خان زند" عليها. و فى أول شهر جمادى الآخره سنة ١٢٠٥ هـ بلغ إلى فتح علي خان "خبر بان" لطف علي خان زند "سار بجيش قيل إن عدته كانت عشرين ألف فارس قاصدا إلى أصفهان.

فبادر إلى ملاقاته فى خارج أصفهان ليتفادى الحصار. و قيل إن عدده جيشه كانت خمسين ألفا بين راجل و فارس. و التقى الجمعان عند محله معروفه باسم "سميرم" يوم الرابع عشر من شهر جمادى الآخره سنة ١٢٠٥ هـ.

و فى اليوم التالى (١٥ جمادى الآخره) بدأ "لطف علي خان زند" الهجوم و أبدى جنده شجاعه فائقه و استطاعوا الوصول إلى بعض أقسام الجيش القاجارى حيث دارت الحرب بالسلاح الأبيض. و لكن الجيش القاجارى لقيهم بمقاومه شديده و أوقع بهم قتلا كثيرا، فرأى "لطف علي خان زند" أن يتراجع و إلا عرض جيشه للنفاء، فترجع، و أخذ يعيد تنظيم جيشه و يستقدم نجدات. و استقر كل من الجيشين فى مكانه، لا يقدم على عمل حربى سوى عمليات الاستكشاف مده عشره أيام.

و رأى "خان بابا جهان بانى" أن خصمه قوى قد لا يقدر عليه. خصوصا حين بلغه أن جندا من أهل ولايه "بوير" (١) الشجعان قد قدموا إلى نجدته. عندئذ ارتأى "خان بابا جهان بانى" أن يضعف خصمه بإيقاع الاختلال فى داخل عسكره. فبعث برسالة إلى "عبد الرحيم خان" الشيرازى أحد وجهاء الإقليم المحاربين، و كان لديه جماعه من البندقين يأمر عليهم. و هو أخو "الحاج

إبراهيم الشيرازى " كلانتر شيراز، و قد مر ذكره فى ما سبق من هذا البحث. و أرسل إليه مع الرساله ألف ليره ذهبية. و طلب منه الحضور إليه للمذاكره فى موضوع مهم.

و أجاب " عبد الرحيم " الدعوه و حضر إلى " خان بابا جهان بانى " .

و اتفقا على أن يلتحق "عبد الرحيم" بجند "لطف على خان زند" ليقوم باعمال تخريب من الداخل. و مضى "عبد الرحيم خان الشيرازى إلى "لطف على خان زند" فانخدع به و قبله فى حزمته. و كانت نتيجة دسائسه أن منى "لطف على خان زند" بالهزيمة فى حملته مباغته قام بها " خان بابا جهان بانى " على معسكره ليله الخامس و العشرين من شهر جمادى الآخره سنه ١٢٠٥ هـ ع [ق]. (٢) و كان "لطف على خان زند" ينوى القيام بالهجوم على العسكر القاجارى فى صباح تلك الليله.

الخان الزندى بعد الهزيمة

كان "لطف على خان زند" من متانه الخلق بحيث لا تضعضه النوائب و لا يستخفه النصر و الفوز، بل يبقى أبدا على مظهره المعهود متيقظا مجتمع الشئون فى جميع حالات الشده و الفرج. و هكذا كانت حاله بعد تلك الهزيمة الهائله. فكانت طباعه و تصرفاته فى اليوم التالى، و هو شريد طريد، هى نفسها طباعه و تصرفاته التى كانت له فى اليوم السابق، و هو فى مقدمه فرسانه الكماه الشجعان!

ص: ٤٥

١- ولاية فى إقليم فارس يعد أهلها أشجع أهالى ذلك الإقليم. ارتد عنها كل الفاتحين منهزمين. و لم يقدر على احتلالها أحد سوى "تيمور لنك"، و لكن بعد أن تكبد خسائر جسيمه. و مع ذلك عجز عن الاستقرار فيها إذ استمر أهلها فى مقاومته حتى اضطر إلى إحراق غابتها العظيمه الملتفه، و كان البويريون يتخذون منها حصنا. و بعد إحراقها لم يستطع أيضا إدامه الاحتلال و اضطره البويريون إلى الجلاء عنها.

٢- ذكر "جان غوره" مؤلف كتاب "الخصى المتوج" أن "عبد الرحيم خان" الشيرازى واطا " خان بابا جهان بانى " فى السر على أن يهيا هذا جمالا تنصب على ظهورها مشاعل. فإذا حل الليل أوقدت هذه المشاعل ثم طردت الجمال بالصياح و النخس و ضرب الطبول صوب معسكر "لطف على خان زند" حيث تقوم مرابط خيول الفرسان، على حين يكون رجال "عبد الرحيم خان" قد قطعوا الجبال التى تشدها إلى المرابط. فتذعر الخيل من منظر الجمال المشتعله، و الخيل، بطبيعتها، تنفر أيضا من رائحه الجمال، و تركض هائمه على غير هدى، و جند "لطف على خان زند" نيام، فندوس الخيل من ندوس منهم و تهدم من الخيام ما تهدم، و يقع العسكر فى المباغته و التشويش و البلبله و التشتت، على حين يقوم عسكر " خان بابا جهان بانى " بالهجوم على المعسكر و يستولى عليه و يتحقق له النصر. فهيا " خان بابا جهان بانى " أربعمائيه جمل و نصب على ظهورها المشاعل. و فى ليله الخامس و العشرين من شهر جمادى الآخره سنه ١٢٠٥ هـ أنفذت هذه الخطه. و تحقق النصر للجيش القاجارى و تراجع "لطف على خان زند" منهزما كما توقعوا. و لكنها قصه نراها أشبه بالأسطوره منها بالحقيقه. و قد رويت واقعه شبيهه بها قيل إن "نادر شاه أفشار" قام بها و هو يغزو الهند، و أوقع الذعر بالفيله من جيش العدو بإطلاق الجمال المشتعله نحوها. و المحقق هو أن "عبد الرحيم خان" الشيرازى و غيره من ذوى "حاج إبراهيم كلانتر" الذين اندسوا فى عسكر "لطف على خان زند" قد أوقعوا فيه

اختلالاً بتعمد الاساءه فى تدبيره الخطط أو فى إنفاذها و فى التوجيه و بمخالفتهم أوامر "لطف على خان زند". فانتهى أمره إلى الهزيمة.

و يوم خرج "لطف على خان زند" من شیراز قاصدا إلى "سميرم" لمحاربه "خان بابا جهان باني" عهد إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" بتصريف الأمور في شیراز في غيبته، لم يخطر في باله احتمال أن يكون هذا يضمّر له نيه الغدر به. فلما عاد إلى شیراز بعد هزيمته وجد أبوابها مغلقة في وجهه. فلم تخرجه هذه الصدمه الطاحنه المفاجئه عن طوره المعتاد، بل تبسم و تمثل بيت من شعر حافظ الشيرازي.

ثم طلب حضور "الحاج إبراهيم خان كلانتر" ليخاطبه مشافهه، فحضر و أخذ يخاطب "لطف على خان زند" بالبوق من فوق السور. و جرى بينهما حوار طويل تبين منه الخان الزندي أن خصمه مصر على التمرد عليه و عصيانه. و كان من بقى مع "لطف على خان زند" من جنده ثلاثمائة فارس فقط. و هم أقل من أن يستطيعوا فتح المدينه بالقوه، فانصرف عنها إلى "بوشهر" يحاول جمع جيش يهاجم به شیراز.

كان "الحاج إبراهيم خان كلانتر" قد ناصر "لطف على خان زند" على "صيد مراد خان زند" بعد أن قتل هذا أباه "جعفر خان زند" و تملك في مكانه. و شارك مشاركه فعاله في إيصال "لطف على خان زند" إلى منصب الملك. أما عله انحرافه عنه بعد ذلك و مواطاته "آقا محمد خان قاجار" عليه فقيلت فيها أشياء، أرجحها أن "الحاج إبراهيم خان" كان يأمل أن يصبح "لطف على خان" آله في يده، إذ سبقت منه هذه المنه عليه، فيكون عنوان الملك للخان الزندي و الأمر و النهي في يده، يد "الحاج إبراهيم خان". و لكن تبين أن هذا الأمير الشاب، في قوه شخصيته و نبوغه و مروءته و شجاعته و وسامته، أعلى شانا من يكون آله مسيره في يده، فخاب أمله فيه.

كان "لطف على خان زند" سمح الخلق عادلا سخيا مفطورا على الخير رحيمًا ساعيا إلى تحسين أحوال المجتمع. و كان يقول: يصعب على أن أرى وجهها مغموما، و لا أطيق أن أبيت شعبان [شعبان] و بنو قمومي [قومي] جياع. و لما كان في شیراز كان في بعض الليالي يتنكر و يخرج من قصره يتفقد المحتاجين و يحمل إليهم مساعده. و لعله أول من فكر في الشرق بإنشاء ما يسمى اليوم "الضمان الاجتماعي". و لو طال به العمر لأنشا مثل هذه المؤسسه. و كان ينوى أن يجعل في بيت المال راتبا لكل عاجز عن العمل و تحصيل المعاش. من أجل ذلك تبين "الحاج إبراهيم خان" أن لا أمل في إمكان التسلط على إرادته هذا الرجل فنفض يده منه.

و سبب آخر جعل "الحاج إبراهيم خان" ينحرف عن "لطف على خان" هو أنه أيقن بعد انكساره في وقعه "سميرم" أن الدنيا قد أدبرت عن الأمير الزندي الشاب و أنها مقبله على "آقا محمد خان". و قد تفرق جيش "لطف على خان زند" شذر مذر، و سيطول به الوقت ريثما يجمع جيشا آخر، على حين لا يزال جيش "آقا محمد خان" في الذروه من قوته و اجتماع شمله.

وصل "لطف على خان زند" إلى "بوشهر" - و كان حاكمها صديقا له - فساعده على تجهيز جيش كان جنوده يعدون من أشجع أهل فارس، و سار به عائدا إلى شیراز.

أما "آقا محمد خان" فقد أبلغ إليه ابن أخيه "خان بابا جهان باني" نبا انكسار "لطف على خان زند" في "سميرم" فأنعم عليه باهداء خنجر مرصع إليه، و أنعم على "الحاج إبراهيم خان كلانتر" بنصبه حاكما على شیراز و تلقيبه بلقب "اعتماد الدوله" و أنعم على أخيه "عبد الرحيم خان" الشيرازي بنصبه حاكما على جزء من فارس.

و أرسل أحد رجال البلاط إلى شیراز لإحصاء مقتنيات "لطف على خان زند" و مصادرتها. و كان يحسب أن لديه مالا كثيرا و أن كل ثروه "كریم خان زند" قد آلت إليه. و لكن تبين بعد الإحصاء أن تلك الأموال قد تناهبتها الأيدي فى الحروب الأهليه التى وقعت بين الزنديين. و أن كل ما بقى فى يد "لطف على خان زند" هو أربعة بيوت فى شیراز و ثلاثه بساتين فى خارجها و بعض الأثاث البيتى من فرش و غيره.

قالوا إن "آقا محمد خان" يوم كان أسيرا عند "كریم خان زند" فى شیراز كان يشفى حقه بتقطيع المفروشات الملكيه الثمينه بالسكين. و لما صودرت له مفروشات "لطف على خان زند" التى ورثها من بلاط "كریم خان زند" قال "آقا محمد خان": لو علمت أن هذه المفروشات ستؤول إلى لما أقدمت على إتلافها بالسكين! و هو قول مردود، إذ لا يعقل أن يقدم رجل جدى متين الخلق مثل "آقا محمد خان" على القيام بهذا العمل الصبيانى.

و مع هذا كان القيم على أثاث بلاط "كریم خان زند" رجلا حريصا شديد الكراهيه ل "آقا محمد خان" فليس يعقل أن يغفل عن قيامه بهذا العمل، و ليس يعقل أن لا يفتن "آقا محمد خان"، و هو الفطن الذكى، إلى أن القيم على الأثاث لا يمكن أن يغفل عنه! و أمر "آقا محمد خان" بنقل نساء "لطف على خان زند" و أبنائه من شیراز إلى طهران لينقلوا منها إلى "أسترآباد". و قيل إنهم نقلوا من شیراز إلى "أسترآباد" بعد اعتقال "لطف على خان زند".

و إذ كان "الحاج إبراهيم كلانتر" يتوقع عوده "لطف على خان زند" إلى مهاجمه شیراز فقد طلب من آقا محمد خان "مددا فامده بجيش قیل إن عدته كانت عشرين ألفا و قیل خمسه آلاف، يقودهم "مصطفى خان قاجار".

أما "لطف على خان زند" فقد عاد من "بوشهر" بالف فارس قاصدا إلى شیراز لاحتلالها. و خرج "مصطفى خان قاجار" إلى لقاءه خارج المدينه ليتفادى الحصار و ترك الدفاع عنها فى عهده "الحاج إبراهيم خان" إذا هوجمت.

و قبل أن يصل "لطف على خان زند" إلى شیراز تلقاه "مصطفى خان قاجار" فى خارجها. و كان ذلك فى سنه ١٢٠٥ أو ١٢٠٦ ه و كان بين ضباط "لطف على خان زند" ضابط شاب شجاع اسمه "أبدال خان" و يلقب بلقب "عبد الملكى". و كان من أشد الجنود إخلاصا للأمير الزندى الشاب. و مع أن جيش "لطف على خان زند" لم يكن عدده يتجاوز ألف فارس و جند القاجاريين عدته، على الأقل، خمسه آلاف جندى، فإنه لم يتراجع عن الحرب. فأفرد خمسمائه جندى من فرسانه جعلهم فى قيادته على حده. و أمر "أبدال خان" بالهجوم بخمسمائه فارس. ففكر على جند "مصطفى خان قاجار" بحمله صادقه أوقعت فيهم مقتله عظيمه و لكنهم ثبتوا و عجز "أبدال خان" عن اختراق صفهم، فتراجع عنهم لتنظيم فرسانه و إعدادهم لحمله أخرى. و ليس فى المصادر التاريخيه ما يفيد تفصيلا عن هذه الحمله و خطه "أبدال خان" فى الهجوم و التراجع. ثم قيامه فى الحمله

الثانية، سوى أن أحد المؤرخين الفرنسيين ذكر أن "أبدال خان" لما أعاد الكرّه ثاني مره على جيش "مصطفى خان قاجار" لم يكن قد بقي معه من فرسانه غير ثلاثمائة فارس، و أن مائتين ممن كانوا معه فى الحمله الأولى قد ذهبوا بين قتيل و جريح. فلم يكن هجومه. الثانى غير إقدام على الانتحار، إذ كيف يستطيع ثلاثمائة فارس زعزعه جيش مجهز لا تقل عدته عن خمسة آلاف محارب؟! و كانت نتيجة هذه الحمله أن أيبّد جند "أبدال خان" عن آخرهم. و أصيب "أبدال خان" بثلاث رصاصات ففضى نحيبه.

معركة مرج إيرج

أصبح من غير المعقول أن يتابع "لطف على خان زند" الهجوم على شیراز. و لكنه انصرف إلى ممارسه حرب العصابات. فكان يغير ليلا و نهارا على مواقع "مصطفى خان قاجار" فيقتل و ينهب ثم يتوارى مبديا منتهى البراعه و الخفه و الشجاعه. و أخذ يقطع الطريق على حاملى العلوفه و المثونه من نواحي فارس إلى الجيش القاجارى فيسلبها منهم، و من قاومه قتله.

و لكنه كان يعف عن التعدى على غيرهم من المسافرين المترددين بين البلاد لا- يتعرض لهم بسوء و لا يسلب منهم شيئا مما يحملون. و قد أتعبت هذه الغارات المتواصله "مصطفى خان قاجار" و اضطرتة إلى تجنيد فرقه قويه من الجند ترافق حاملى العلوفه و المثونه. و فى أثناء ذلك كان "لطف على خان زند" لا ينفك يجمع حوله الرجال و يجندهم فى جيشه، و جيشه يزداد عدده يوما فيوما، و ينتظر الوقت الذى يحصل فيه على جيش قوى يستطيع أن يهاجم به شیراز و يحتلها. و كان "مصطفى خان قاجار" لا ينفك يتعقبه من مكان إلى مكان محاولا اعتقاله فلا يظفر به، إذ كان يفر من مكان إلى مكان بكل براعه و خفه حتى أعجزه.

عندئذ أرسل "مصطفى خان قاجار" رساله إلى "آقا محمد خان" يطلب فيها نجده، و إلا استحال عليه القبض على الأمير الزندى. فبعث إليه "آقا محمد خان" جيشا من ستة آلاف جندى يقودهم "جان محمد خان قاجار". و فى إحدى الليالى أغار "لطف على خان زند" على معسكر "مصطفى خان قاجار" و أوشك "جان محمد خان قاجار" أن يقتل، و فر جميع جنوده.

و ظل "لطف على خان زند" يمارس حرب العصابات و يجمع حوله الرجال إلى سنه ١٢٠٦ هـ إذ أناب "آقا محمد خان" ابن أخيه "خان بابا جهان بانى" عنه فى الحكم، أو نصبه حاكما على طهران كما فى روايه أخرى، و جهز جيشا سار به بنفسه قاصدا إلى فارس ليقمع "لطف على خان زند".

فلما وصل "آقا محمد خان" إلى مرج يعرف باسم "مرج إيرج" علم أن "لطف على خان زند" قصده بجيشه ليهاجمه فى ذلك المرج. و كان الوصول إلى المرج يقتضى عبور واد بين جبلين يعرف باسم "مضيق إيرج". فأقام "آقا محمد خان" على مدخل المضيق فرقه من جيشه تصد المهاجمين عن الدخول فيه. و أقام فرقه أخرى على طرف المضيق الآخر النافذ إلى المرج.

و بذلك قطع الطريق على "لطف على خان زند". و لكن هذا سعد مع فريق من جنوده من وراء التلال المحيطة بالمضيق من الجانبين إلى أعالى التلال.

صعدوا إليها زحفا على صدورهم بمنتهى الحذر خوفا من أن يكون "آقا محمد خان" قد أقام عليها حرسا. و أبقى "لطف على

خان زند " فريقا آخر من جنده قريبا من مدخل المضيق. فلما وجدوا أعالي التلال خاليه من الحرس انحدر "لطف على خان زند" مع رفاقه منها إلى قاع الوادى. و كانت العلامه بينهم و بين من ظلوا خارج المضيق أن يطلقوا أصواتا كأصوات طير الفاخته، و كان سماع صوتها ليلا مألوفا في تلك النواحي. و كان المضيق نفسه خاليا من جند "آقا محمد خان"، إذ اكتفى بحراسه طرفيه ليمنع الدخول فيه و النفوذ منه.

و أطلق الذين انحدروا إلى أرض المضيق أصوات الفاخته، و هجموا على حراس طرفى المضيق من الداخل و هجم رفاقهم من الخارج على حرس المدخل، فتغلبوا عليهم و قتلوا أكثرهم و جرح آخرون و أسر الباقي و كان بين القتلى قائد الجند المكلف بحراسه المضيق. و وقعت هذه المعركه فى ليله الثانى و العشرين من شهر صفر سنه ١٢٠٦ هـ، و لم تطل أكثر من ساعه واحده، دخل بعدها "لطف على خان" إلى المرج.

و كانت عدده فرسانه ألفى فارس، أفرد منهم سبعمائه فارس على حده و جعلهم احتياطا، و هجم بثلاثمائة و ألف فارس على معسكر "آقا محمد خان". و اقترب من خيمته. و لو لا استماته حرس هذا فى الدفاع عنه لقتله "لطف على خان". و أحاط حوالى ألف جندى من جنود القاجارى ب "لطف على خان" حتى قطعوه عن رجاله و ظل وحيدا بينهم. و لو لا ظلام الليل و امتناعهم عن إطلاق الرصاص عليه محاذره أن يصيب بعضهم بعضا بالرصاص بسبب الظلام لقتل "لطف على خان زند" لا محاله. و كان هو أيضا غير قادر على محاربتهم بالسلاح النارى إذ كان ما فى يده منه قد خلا من الرصاص و قد أعجله ضيق الوقت عن ملئه، فهجم على محاصريه بالطبر و استطاع أن يشق صفهم و أفلت من حصارهم. و غادر معسكر "آقا محمد خان" و التحق بالاحتياطي الذى كان قد أفرد على حده من جنده، و خرج بهم من مرج "إيرج"، و سار قاصدا إلى "كرمان". و لم يقصد إلى شيراز لأن ذهابه إليها سيوقعه بين نارين، جيش "الحاج إبراهيم خان كلانتر" من داخل شيراز و جيش "آقا محمد خان" من خارجها. و قد أصبح عاجزا عن معاوده حرب العصابات بسبب كثافه الجيوش التى تجمعت فى فارس لحربه. فكانت "كرمان" أنسب مكان يستطيع فيه جمع جيش جديد للحرب.

دخول آقا محمد خان إلى شيراز

بعد انكسار "لطف على خان زند" فى مرج "إيرج"، و انطلاقه فى طريق "كرمان"، سار "آقا محمد خان" قاصدا إلى شيراز. فخرج "الحاج إبراهيم كلانتر" إلى استقباله على بعد خمسه فراسخ من شيراز. و نصب الفساطيط لاستقباله. فلما رآه هوى بوجهه إلى الأرض و قبل التراب بين يديه. ثم دخل "آقا محمد خان" إلى شيراز بين مظاهر التجليل و الإعظام.

و فى روايه أن "آقا محمد خان" أمر، بعد دخوله إلى شيراز باجلاء نساء "لطف على خان" و أبناءه إلى "أسترآباد". و ذكر جماعه من المؤرخين أن نساءه هتكت أستارهن.

ثم أرسل رساله إلى "أبو الحسن خان" (١) حاكم "كرمان" يأمره فيها

باعتقال "لطف [لطف] على خان زند" إذا حضر إلى "كرمان" وإرساله مخفورا إلى شيراز. فان لم يقدر على اعتقاله فليمنعه من دخول "كرمان".

مسير الخان الزندي إلى كرمان

الطريق ما بين فارس و "كرمان" تقع في صحراء وسيعة قاحله. و في قطعها مشقه عظيمه. و سار فيها "لطف على خان زند" يقطع الفيافي و القفار مؤملا أن يحصل من "أبو الحسن خان" حاكم "كرمان" على شيء من العون، أو، على الأقل، يستطيع تجديد قومه فيها و هو مطمئن الخاطر.

و لكنه حين وصل إلى "كرمان" وجد أبوابها مسدوده في وجهه، و حاكمها يرفض فتحها له، امتثالا لأوامر "آقا محمد خان". فأقام في خارج السور.

و أرسل حاكم "كرمان" رساله إلى "آقا محمد خان" بان "لطف على خان زند" مقيم عند سور المدينة، و قد منعه من دخولها و لكنى لم أستطع اعتقاله.

إلا أن "لطف على خان زند"، بعد أن يئس من دخول المدينة لم يطل موقفه عندها، و انصرف عنها متوجها نحو الشمال منها قاصدا إلى "راور"، و هى تقع في أقصى الشمال من ولايه "كرمان". و فى شمالها تقع الصحراء الإيرانية الكبرى المعروفة.

و كان الخان الزندي الشاب يأمل فى أن يحالف "محمد خان الراورى" حاكم "راور" و يجند من الرماه بالبنادق الراوريين المشاهير جيشا صغيرا يستعين به على حرب "آقا محمد خان قاجار"، أو أن يستأجر من رجال "راور" الشجعان محاربين معه إذا امتنع الحاكم عن مخالفته على خصمه.

إلا أن "محمد خان" "راور" كان قد تلقى، قبل وصول "لطف على خان زند" إليها، رساله من "آقا محمد خان" يأمره فيها باعتقال "لطف على خان زند" إذا حضر إلى "راور". و تلقى مثل هذه الرساله أيضا من "الحاج إبراهيم كلانتر" و كانت تصله به صداقه متينه.

فلما وصل "لطف على خان زند" إلى راور" تلقاه "محمد خان" حاكمها بالحرب. و ليس فى اليد من المصادر التاريخيه ما نعرف منه تفاصيل هذه الحرب سوى أن "لطف على خان زند" فوجئ بها على غير توقع منه و أن جماعه من جنده قد قتلوا فيها و أسر آخرون.

فى المغازه الرهيبه

بعد هذه الواقعة وجد "لطف على خان زند" نفسه محرجا لا سبيل أمامه غير المضى فى طريق الصحراء الكبرى الرهيبه المعروفة باسم "صحراء لوط" إلى مدينه "طبس" فى خراسان يستنجد بحاكمها "الأمير حسن خان". (1) و كان صديقا له. و هو من كبار الممولين.

و كانت عده من بقى معه من رجاله ثمانين فارسا، سار بهم فى تلك المفازة الرهيبة، و لقوا فيها أهوالا من العطش و الجوع و إضاعه الطريق، و كادوا يهلكون هم و خيولهم. و قتل منهم ثلاثه فرسان، قتلهم بعض قطاع الطريق. و لكنه استطاع الإمساك بالقتله فحملهم معه إلى "طبس" ليوكل أمر عقابهم إلى حاكمها الشرعى مراعاة منه لحرمة إذ كان الحاكم هو صاحب الحق فى محاكمه المجرمين و معاقبتهم. و غرهم السراب مره فانتعشت نفوسهم إذ حسبوا أنهم قد اقتربوا من الماء و العمران، و لكن سرعان ما خاب أملهم حين تبينت لهم الحقيقة.

و لما اقترب "لطف على خان زند" من "طبس" بعث برسالة إلى "الأمير حسن خان" يؤذنه بوصوله. فخرج هذا لاستقباله إلى مسافة بعيدة و تلقاه بالإكرام و المودة و دخل به إلى "طبس" معززا مبجلا و أكرم مثواه غاية الإكرام. و عرض عليه الإقامة عنده على أن يضع فى تصرفه أحسن أملاكه و يقيم آمنًا مطمئنًا. و لكن "لطف على خان زند" شكره و أصر على العوده إلى فارس لمحاربه "آقا محمد خان قاجار". و أمده "الأمير حسن خان" بثلاثمائة فارس من خيره الفرسان. و أشار عليه بالذهاب إلى "يزد" و استمداد حاكمها تقى خان (٢)، اليزدى، و تعهد له بان يحمل هذا الحاكم على إجابته طلبه بتوصيه منه، إذ كان صديقا له، و أعطاه رساله إلى "تقى خان" بهذا المعنى و سار "لطف على خان زند" بفرسانه قاصدا إلى "يزد".

و فى الرابع و العشرين من شهر رمضان سنة ١٢٠٦ هـ خيم قبيل الظهر عند سفح جبل يعرف باسم "كوه كبود" (الجبل الأزرق). و استلقى ليسترىح. و فيما هو نائم لسعته أفعى فى قدمه. و أجريت له الاسعافات المعروفة. و لكن قدمه ورمت و أخذته الحمى ثلاثة أيام. و مع ذلك تابع سيره لا يتوقف. ثم ارتفعت عنه الحمى و زال الورم. و فى سفره هذا مات ثلاثة شبان من فرسانه فى أثناء الطريق بمرض الحصبة.

معاربه تقى خان اليزدى

لما علم "الحاج إبراهيم كلانتر" بسفر "لطف على خان زند" إلى "طبس" بادر إلى اطلاع "آقا محمد خان" على ذلك. و عمم على أصدقائه فى بلاد فارس و "يزد" و "كرمان" تحذيرا من الاقدام على مساعده "لطف على خان زند" و إلا حل بهم غضب "آقا محمد خان" و انتقامه. و كان فى جملة من حذرهم "تقى خان" حاكم "يزد".

و لما اقترب "لطف على خان زند" من مدينه "يزد" أرسل إلى "تقى خان" نسخه عن الكتاب الذى يحمله إليه من "الأمير حسن خان" حاكم "طبس". و كان "تقى خان" قد تلقى قبل ذلك التحذير من "الحاج إبراهيم خان كلانتر". فرد على "لطف على خان زند" ردا جافيا. و بعث، فى نفس الوقت برسالة مستعجله إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" ينبئه فيها باقتراب "لطف على خان زند" من "يزد"، و طلب المساعدة منه. فأجابته "الحاج إبراهيم خان كلانتر" برسالة أوعده فيها بانتقام "آقا محمد خان" إن هو أقدم على مساعده "لطف على خان زند" و مناه بالمكافاه العظيمه إن هو أقدم على قمعه و حربته. و أنجده أيضا بفرقه من الفرسان.

خان". كانت إقامته في نواحي "طبس". و كان الأب و الابن كلاهما من كبار أمراء خراسان و أقواهم.
٢- ذكره "مهدى بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" في ترجمه "لطف على خان زند" باسم "على خان الباقي".

أما "لطف علي خان زند" فاستاء من جواب "تقي خان" وعزم على مهاجمته، و كل عسكريه عدتهم سبعون و ثلاثمائة فارس. و خرج إليه "تقي خان" بجيش من ثلاثة آلاف، و قيل أربعة آلاف جندي فارس و راجل.

و وقعت حرب شديده اضطر فيها "لطف علي خان زند" إلى التراجع تفاديا للانحصار. و لكن "تقي خان" كان قادرا على محاصرته على نحو آخر في مجال أوسع. إلا أن "لطف علي خان زند" استطاع الإفلات ببراعه و خفه و انسل تحت جنح الظلام و خصمه لا يشعر به. و في الصباح لم يجد له أثرا و هو يحسب أنه أصبح في قبضه يده! (1) و بعث "تقي خان" برسالة إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" و رساله إلى "آقا محمد خان" يعلمهما بانضمام "لطف علي خان زند" فأنعم "آقا محمد خان" عليه بلقب "معمد الديوان".

معركة خرمن كوه

و انطلق "لطف علي خان زند" إلى نواحي أخرى يستنجد أصدقاء و معارف له من أمرائها. و استطاع أن يحصل منهم على معونه ماليه و عسكريه.

و بلغت أخبار ذلك إلى "الحاج إبراهيم خان كلانتر" و "تقي خان" اليزدي و "آقا محمد خان قاجار". و كان هذا قد ضاق به ذرعا و عزم على القيام بعمل حاسم. فجهز جيشا من سبعة آلاف جندي بين فارس و راجل، و جعل على قيادته "محمد حسين قوانلو"، و أمره بتعقب "لطف علي خان زند" أينما كان و القبض عليه و إرساله إليه حيا أو ميتا.

فسار "محمد حسين قوانلو" بجيشه إلى شیراز. و منها سار إلى "أبرقو" في شمال إقليم فارس حيث كان "لطف علي خان زند" مشغولا بتجهيز جيشه للحمله على شیراز. و اتبع "آقا محمد خان" جيشه هذا بنجده أخرى من ثلاثة آلاف جندي بين فارس و راجل. (2)

و لما علم "لطف علي خان زند" بمسير ذلك الجيش إليه رأى أن موقعه في "أبرقو" لا يصلح للمقاومه، فانطلق منها إلى ناحيه "نيريز". و في هذه الناحيه جبل يعرف باسم "خرمن كوه" و فيه واد يجرى فيه نهر. و جانبه مرتفعات عموديه صعبه المرتقى. و طرفاه ضيقان إذا حرسا بقوه مسلحه تعذر الدخول إليه. و قد اختار "لطف علي خان زند" هذا الوادي حصنا يمتنع فيه في محاربتة للجيش القاجاري، فاحتله و رابط فيه.

و لكن "محمد حسين خان قوانلو" قائد جيش "آقا محمد خان" دبر خطه بارعه و نفذها بحزم و جرأه، مستعينا ببعض السكان المحليين الخبيرين بتسلق الجبال، و استطاع إشغال الجيش الزندي بمناوشات تمثليه عما يقوم به في الخفاء و ظلام الليل من تجهيزات شاقه تمكنه من ارتقاء المرتفعات ثم الهبوط إلى الوادي و احتلاله، و تفرق جند "لطف علي خان زند" بعد أن أوقع به مقتله عظيمه. و لكن الأمير الزندي استطاع، كعادته أن يفلت من أيديهم بتلك الشجاعه النادره المأثوره عنه. و تعد خطه "محمد حسين خان قوانلو" هذه من أعظم الأعمال العسكريه.

و أرسل "محمد حسين خان قوانلو" خبرا بهذا النصر إلى "آقا محمد خان"، فأنعم عليه بهديه هي إبريق من الذهب وزنه مقدار كيلو غرامين و أربعمائه غرام. و ظل هذا الإبريق يتوارثه أبناؤه من بعده إلى زمن "ناصر الدين شاه" فاهدوه إليه أو باعوه إياه.

وقيل إن مده حرب "خرمن كوه" هذه كانت خمسه عشر يوما وقيل كانت شهرا.

السير إلى كرمان

أما "لطف علي خان زند" فذهب إلى مدينه "قاين" و أقام فيها إقامه مؤقتة. (٣)

و في إقامته هذه في "قاين" بدأت المقدمات التي أودت به بعد ذلك.

ففيها تقرر مصيره المشؤوم حين عزم على الذهاب إلى "كرمان".

فقد عرض عليه، و هو في "قاين"، أحد أمراء "سيستان" و اسمه "جهانجير خان" أن يكون عوناً له و أن ينجده بالف فارس. و اقترح عليه أن يجعل من ولايه "كرمان" مقراً لحكمه، و منها ينطلق إلى احتلال ولايه فارس.

فقد كان الكرمانيون يقاسون ظلماً شديداً من حاكمهم "مرتضى قلى خان" المنصوب على ولايتهم من قبل "آقا محمد خان" و مثله معاونه "محمد إبراهيم آقا قاجار" قائد الحاميه. و كان "لطف علي خان زند" محبوباً في "كرمان"، إذ كان عادلاً ذا مروءه و شهامه محباً للإصلاح و العمران.

و الكرمانيون يعرفون فيه هذه الصفات، و يتمنون أن يكون حكمهم في يده.

و لكن الكرمانيين، من جهه أخرى، كانوا معروفين في إيران

ص: ٤٩

١- ذكر "مهدي بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" في ترجمه "لطف علي خان زند" أن حاكم "يزد" انكسر في هذه المعركه و فر من وجه "لطف علي خان زند" و دخل "يزد" فتحصن فيها. عندئذ غادرها "لطف علي خان زند" قاصداً إلى شيراز.

٢- ذكر "جان غوره" الفرنسي في كتابه "الخصى المتوج" أن "آقا محمد خان قاجار" بعد أن سير هذين الجيشين تلقى من العراق من أهالي مدينه كربلاء رساله ينبئونه فيها بان قبه مقام الحسين (ع) قد أصابها تصدع و يستجدون لاصلاحها. فبادر فوراً إلى إرسال بعثه من أهل الاختصاص لترميم القبه و تذهيبها، و خصص لذلك مبلغ مائه ألف تومان. و قامت البعثه بمهمتها فرممت القبه و ذهبتها.

٣- قال "جان غوره" الفرنسي في كتابه "الخصى المتوج": "بعد وصول لطف علي خان زند إلى قاين ببضعه أيام حضر إليها من الهند رجل مشهور اسمه السيد علي بن مير رضی الدين الأسدآبادي. و قال إن غايته من الحضور إلى إيران هي أن يعود إلى مسقط رأسه أسدآباد همذان. و توافد أعيان فأين إلى زيارته نظراً لمكانته. و أحب لطف علي خان زند التعرف عليه فزاره أيضاً. و قد ارتاح الأمير الزندي إليه و أنس به و أحله ضيفاً عليه في بيته. ثم سافر السيد علي مير رضی الدين إلى مشهد لزياره الامام الرضا (ع) ثم المضى من هناك إلى مسقط رأسه في أسدآباد همذان. و السيد علي مير رضی الدين هذا كان له ولد اسمه السيد

صفدر و السيد صفدر هو والد السيد جمال الدين الأسدآبادى المعروف بالأفغانى فالسيد على مير رضى الدين ضيف لطف على خان زند هو جد السيد جمال الدين الأفغانى. و لا شك فى أنه ولد فى أسدآباد همذان، و قبور أجداده لا تزال قائمه فيها إلى اليوم. و قد تتلمذ مده على أبيه فى أسدآباد. ثم ذهب مع أبيه السيد صفدر إلى قزوین سنة ١٢٦٤ هـ، و هو فى العاشره من عمره. فأقام فى قزوین سنتين ذهب بعدهما مع والده إلى طهران و هو فى الثانيه عشره، و حلا فى منزل "سليمان خان صاحب اختيار". و كان و هو فى طهران يعتمر "الكلاه". و قد عممه بيده أحد علماء طهران اسمه آقا السيد صادق، إذ رأى فيه من مخايل الذكاء و حسن الاستعداد ما أعجبه. و قال له أنت أهل لأن تتخذ سيما العلماء. بعد ذلك ذهب به أبوه إلى النجف حيث كان يحضر درس الشيخ مرتضى الأنصارى. يقول حسن الأمير [الأمين]: خلال زيارتى لقزوین سنة ١٩٩١ زرت المدرسه التى كان السيد جمال الدين يقيم فيها و يدرس، و هى معروفه مشهوره فى قزوین.

بالمسالمة و الصبر و تجنب الشغب فلم يخطر لهم على بال أن يخرجوا على حاكمهم ثائرين عليه، و إن يكن مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون قد سوغوا الفظائع الرهيبة التي أوقعها "آقا محمد خان" بالكرمانيين، بعد احتلاله "كرمان"، بأنها كانت عقوبه لهم على أنهم ثاروا على حاكمه.

لقد حدثت حقا ثوره فى "كرمان" على حاكمها "مرتضى قلى خان" و حاصر الثائرون هذا الحاكم فى قلعه المدينه. و لكن لم يكن الكرمانيون هم الذين قاموا بهذه الثوره، بل قام بها رجال "الحاج إبراهيم كلانتر" الشيرازى.

بتدبير و إيعاز منه، لأنه كان يريد نصب أحد أصدقائه حاكما على "كرمان" بدلا من الحاكم المنسوب.

و حين اقتنع "لطف على خان زند" برغبه أهالى "كرمان" فى حكمه، و كان الواسطه بينه و بينهم "جهانجير خان" السيستانى، و أيقن بمساعدته "جهانجير خان" له عزم على السير إلى "كرمان" فسار إليها و احتل المدينه فى سنه ١٢٠٨ هـ و أعلن أكثر حكام الولاية بتأييدهم له، و نودى به ملكا على إيران.

و كان "آقا محمد خان" يومئذ عازما على غزو خراسان. فلما بلغه نبا احتلال "لطف على خان زند" لكرمان و المناداه به ملكا انصرف عن غزو خراسان و بعث ابن أخيه "خان بابا جهان باني" بخمسه آلاف فارس إلى "كرمان". و فى الرابع من شهر شوال من تلك السنه، خرج "آقا محمد خان" من طهران على أثره بجيش قيل إن عدته كانت خمسين ألفا و مائه ألف جندى و ازدادوا عشره آلاف جندى حين وصل بهم إلى فارس. و لكنه رقم مبالغ فيه بلا شك، بالقياس إلى ما يلزم لهذا الجمع الغفير من الجند من مئونه و علوفه و سلاح و إمكانيات ذلك الزمان.

فلما وصل "آقا محمد خان" إلى "كرمان" ضرب عليها الحصار فى سنه ١٢٠٨ هـ أو فى شهر المحرم سنه ١٢٠٩ هـ. و كان ل "لطف على خان زند" أنصار أقوياء فى جميع أنحاء ولايه "كرمان". و لكنه أعجل عن جمع عساكرهم فى جيش موحد إذ دهمته الحوادث فلم يجد متسعا من الوقت لجمعهم. فكان "آقا محمد خان" يحاصره فى "كرمان" منقطعا عن أنصاره فى خارجها. و "خان باب جهان باني" يغزو أولئك الأنصار كلا فى بلده بمفرده، فيتغلب عليهم واحدا واحدا و يمعن فيهم قتلا، ثم يقطع رءوسهم و يرسل بها إلى "آقا محمد خان". و قد بلغ ما جمع به إلى عمه من الرءوس المقطوعه مقدارا حمل "آقا محمد خان" على أن يكتب إليه أن حسبك! كف عن إرسال الرءوس المقطوعه إلى! ذكر "السير برسى سايكس" فى كتابه عن تاريخ إيران أن عشره أقاليم من تلك النواحي هب أمراؤها بألوف من عساكرهم إلى نصره "لطف على خان زند". و لكنهم كانوا متفرقين متباعدين لم يتمكنوا من جمع أنفسهم فى جيش موحد. فكانت عساكر "آقا محمد خان" تقصدهم و تقضى عليهم واحدا بعد آخر. و كانوا على أشد الولاء للخان الزندى، و كثيرون منهم ثبتوا فى مقاومه الخصى القاجارى لا يتراجعون حتى قتلوا عن آخرهم.

محاصره كرمانيون و فتحها

قاسى "آقا محمد خان" فى محاصره كرمانيون مشقات كبيره أفتقد فيها "المجنون الفازوكى" و شجاعته و خفته و رشاقته و براعته فى تسور الأسوار. و ذكر ما فعله من ذلك يوم محاصره طهران. و لكن الفازوكى العاشق المجنون المحارب كان يومئذ يعيش فى ظلام دامس، إذ كان "آقا محمد خان قاجار" قد أعماه قبل مده، متهما إياه، بالحق أو بالباطل، بالتسلل ليلا إلى غرفه نومه

فى قلعه طهران لقتله. فلما انطفأت باصرتاه عاد إلى مسقط رأسه "فازوك" فى نواحى دماوند و أقام فيها إلى أن مات.

و من روائع الأحداث النادره المثلث التي وقعت فى هذا الحصار تطوع مائه من جند "لطف على خان زند" لعمل انتحارى أقدموا عليه بمنتهى الرجوله و الشجاعه فأفسدوا على "آقا محمد خان" خطه بذل فى إنفاذها جهدا عظيما، و حفظوا سور المدينه من الانخراق و دخول الجند القاجارى إليها.

و ذلك أن "آقا محمد خان" حفر نفقا من خارج السور لينتهى به إلى أسفل السور حيث يفرغ فيه البارود ثم يفجره فيحدث فجوه فى السور يدخل منها إلى المدينه. و كان عملا شاقا مع ما اقتضاه من التكتم و الحذر. و لكن "لطف على خان زند" علم بالخطه فغزم على تفجير النفق قبل الوصول به إلى أساس السور. و هو عمل يقتضى اقتحام الجند القاجارى خارج السور.

و كانت خطته أن ينزل بعض جنوده ليلا من أعلى السور على سلالم من الحبال تدلى فى الخارج، و معهم أكياس من البارود و أسلحه، فإذا وصلوا إلى الأرض رفعت السلالم، و مضوا إلى النفق فصبوا فيه البارود ثم فجروه، على حين يكون فريق آخر من رفاقهم فى أعلى السور مصوبين بنادقهم نحو جيش العدو، فإذا هجم أحد منه على رفاقهم الذين فى الخارج رموه بالرصاص ليحموا رفاقهم. و بعد القيام بمهمه التفجير تدلى السلالم مره اخرى ليعود عليها رفاقهم - إذا عادوا - إلى مواقعهم فى داخل السور.

و طلب "لطف على خان زند" متطوعين لهذا العمل الفدائى فتقدم له مائه شاب. و فى ليله التاسع عشر من شهر صفر سنه ١٢٠٩ هـ، بناء على قول بعض المؤرخين، قام هؤلاء الأبطال بهذه المهمه على أكمل وجه. أما الذين عادوا منهم فكانت عدتهم سبعة عشر جنديا فقط و قتل رفاقهم الآخرون و قتل أيضا كل الجنود القاجاريين الذين كانوا داخل النفق حين تفجيره.

أما أسامى هؤلاء الأبطال الأفذاذ فقد أغفلها التاريخ سوى أن "غولد سميث" ذكر أن اسم قائدهم "صادق" و يعرف ب "كاكا صادق"، و كان بين المفقودين! فكيف يصح هذا الاغفال؟! ألم يكن الأجدد بالمؤرخين أن يحفظوا أسماء هؤلاء العظماء لتبقى قره عين و مناط افتخار لأعقابهم؟! و لكن مؤرخى الشرق دأبوا على إغفال أسماء مثل هؤلاء الجنود الأبطال فى ذكرهم للوقائع الحربيه، و نسبوا مفاخر كل الأعمال الحربيه العظيمه إلى أصحاب المناصب العاليه.

طالت محاصرته "آقا محمد خان" لمدينه "كرمان" حوالى خمسه أشهر (١) (من ١٧ ذى القعدة سنه ١٢٠٨ هـ إلى غره ربيع الثانى سنه ١٢٠٩ هـ).

و وقع فيها الجوع و مرض النفوس [التيفوس] و كثر الموت فيها جوعا و مرضا و انقطعت عنها المؤن و الوقود، و هى شديده البرد و الوقت يومئذ أوائل الشتاء. و قطع

ص: ٥٠

عنها "آقا محمد خان" القنوات التي تمدها بالماء، فأكتفى الأهالي بما لديهم من آبار و حفروا آبارا جديدة.

و كان الكرمانيون يتوقعون قدوم نجدات من مدن كرمان الأخرى.

و لكن انتظارهم طال حتى قطعوا الأمل. و كان "آقا محمد خان" يبعث المنادين ينادون، بين الفينه و الفينه من حيث يسمعونهم الكرمانيون يعلنون بسقوط المدن و القلاع الكرمانيه فى يد حنده [جنده] واحده بعد أخرى، حتى خمدت معنوياتهم و تولاهم القنوط.

و مع ذلك كانت كل هجمات "آقا محمد خان" على المدينة تنتهى به دائما إلى الانكسار لما كان يلقاه به "لطف على خان زند" من شجاعه و ثبات فى الدفاع، حتى إنه فكر مرارا فى رفع الحصار عن المدينة و الانصراف بجيشه عنها.

و كان الكرمانيون لا- ينفكون يسمعون "آقا محمد خان" و جنوده من فوق الأسوار و من ورائها بالشتائم المقذعه. و أكثر ما كانوا يعيرون ب "آقا محمد خان" خصاؤه. فيكون لذلك وقع أليم شديد فى نفسه، و كل ما أوقعه بالكرمانيين من فظائع بعد أن تم له فتحها كان سببه الحقد الهائل الذى كان يبعثه فى نفسه تعبيرهم له بهذه العاهه. و بلغ من حساسيته من هذا الأمر أن رجاله و حاشيته كانوا يتحاشون كل كلمه و كل إشارة تفيد معنى الخصاء.

و حزم "آقا محمد خان" أمره و عزم على القيام بعمل حاسم لفتح "كرمان" و تم له فتحها. و لكن المؤرخين لم يذكروا، الخطه التى اتبعها "آقا محمد خان" حتى تم له الفتح. و كل ما ذكروه هو أن بعض أصحاب "لطف على خان زند" خانه، و أن الجوع و المرض قد هد قوى المحصورين. فكان ذلك سببا فى استسلام المدينة للغازى.

و لسنا ننفى وجود خونه بين رجال "لطف على خان زند". فوجود هؤلاء أمر مألوف معقول فى كل حدث من مثل هذه الأحداث. و لكن الخيانه لا تكون فاعله الا إذا ترتبت عليها ثوره و تمرد و تخريب. و هذا أمر لم يقع فى جند "لطف على خان زند". بل ظل الناس، بصورة عامه، على ولائهم له.

و مجرد نيه الخيانه عند بعض رجال "لطف على خان زند" لا- يكفى لفتح أبواب "كرمان" فى وجه "آقا محمد خان". و كذلك تفشى المجاعه و الموت بالجوع. هذا مع أن المجاعه اقتصرت على المدنيين. أما الجنود فكانوا يحاربون و هم شباع أقوياء.

كان الخندق المحيط بالسور من أكبر العوائق التى تعرقل هجمات "آقا محمد خان". و لذلك أمر بملء مواضع منه بالتراب حتى ساوت وجه الأرض، و أصبحت ممرات يسهل عبورها إلى السور. و كانت خطته أن يسير أبراجا متحركه على هذه الممرات مع جنود يحملون سلالم و أكياسا من البارود، فإذا وصلوا إلى أسفل السور نصبوا السلالم عليه، و كان قليل الارتفاع، و صعدوا إلى أعاليه فأحدثوا حفرا فيها و ملئوها بالبارود و فجروها و خرخوا فى السور مدخلا إلى المدينة. و قد نجح "آقا محمد خان" فى إنفاذ هذه الخطه. و بديهي أن عدد من قتل من الطرفين فى هذا الهجوم كان كبيرا. و كان أثر انفجار البارود شديدا اهترت به النواحي المحيطه بالمدينه على مدى بضعه كيلومترات منها. و انهارت بضعه منازل قريبه من السور. و دخل الجند القاجارى من هذه الثغرات إلى المدينة. و أمرهم "آقا محمد خان" بالمبادره إلى إزاله ما وراء البوابات من صخور و دعامات، و قتل كل

إنسان يقع في طريقهم. و أمرهم باجتنا ب كل نوع من أنواع التعدى ما دام فى المدينه مقاومه. فإذا توقفت المقاومه و ألقى الناس سلاحهم أبيضت لهم الأموال ينهبونها و الأعراض يهتكونها و الرقاب يسترقونها!

خروج الخان الزندى من كرمان

كان "لطف على خان زند" من أول أمره، قبل وصول "آقا محمد خان" إلى ولايه "كرمان"، يرفض التحصن فى مدينه "كرمان"، و يرى مصلحته فى محاربه خصمه فى ميدان مكشوف. و لكن "جهانجير خان" و أنصاره الآخرين ما زالوا به حتى أقنعوه بالتحصن فى المدينه إذ كانوا يتوقعون أن لا-يقو "آقا محمد خان" على إدامه الحصار حين يحل فصل الشتاء، و كان قريبا، بسبب البرد الشديد الذى يقع فيها شتاء.

و لما دخل جند "آقا محمد خان" إلى "كرمان" كان "لطف على خان زند" فى قلعتها. فبادر إلى الخروج منها مع حاشيته و حرسه الخاص. إذ كانت المقاومه فيها أمرا مستحيلا. و كل ما كان يرجوه هو أن يتمكن من الافلات من يد عدوه. و كان كل من معه من الحرس مائه رجل فقط، فى أصح الروايات. و وضع "آقا محمد خان" جائزه لمن يقبض على "لطف على خان زند" حيا مقدارها عشره آلاف تومان. و هى مبلغ ضخم يعادل أربعة ملايين فرنك فرنسى تقريبا من نقد اليوم. و من جاء برأسه لا جائزه له.

و لذلك تجنب كل الذين تعقبوه و قاوموه أن يصيبوه بالرصاص رجاء أن يقبضوا عليه حيا و يحصلوا على الجائزه. و لو لا ذلك لاستطاعوا قتله، و هم ألوف قادرون على صب وابل من الرصاص عليه من كل جانب. و كان "آقا محمد خان" يحرص على الإمساك به حيا ليستمتع بالنظر إلى تعذيبه أطول ما يمكن من الوقت. و كان يقول إن قتل "لطف على خان زند" هو أهون عقوبه توقع به، فهى لا تكفى لشفاء ما فى صدرى من حقد، و لو استطعت إطاله مده تعذيبه مائه عام لفعلت! و كان جند "آقا محمد خان" يسيطرون على كل ممر فى المدينه.

و بوابات السور لا تزال مسدوده. و الخندق المحيط بالسور يتعذر على الهارب اجتيازه. و لا منفذ ل "لطف على خان زند" إلى الخارج غير الثغره التى أحدثها الانفجار فى السور. و لا وسيله لاجتياز الخندق غير ذلك الجزء منه الكائن وراء الثغره الذى سبق أن ملأه "آقا محمد خان" بالتراب حتى ساوى الأرض و عبر عليه إلى السور.

و انطلق "لطف على خان" على حصانه "گران" يشق الصفوف و حوله حرسه المائه يحمونه بأنفسهم حتى قتلوا دونه كلهم لم يسلم منهم أحد. و كانت استماتتهم فى الدفاع عنه من روائع أعمال الوفاء.

كان "لطف على خان زند" يهجم على المحاربين المجريين شاهرا سيفه، و هو يصيح: أنا لطف على خان زند تابع الشيخ الشبسترى!^(١)

توفى "الشيخ محمود الشبسترى" فى النصف الأول من القرن الهجرى الثامن.

١- كان "لطف على خان زند" من أهل الثقافة و المعرفة، و ينظم الشعر. و كان معجبا بالعارف "الشيخ محمود الشبستري" مطالعا على أحواله و أخباره و يقتنى مؤلفاته

فيوقع صوته الرعب في قلوبهم و ينفرجون من بين يديه مذعورين متباعدين عن طريقه. و هذا أمر اعترف به مؤرخو العهد القاجارى الايرانيون أنفسهم، و هم الذين أجبروا على كتمان فضائل "لطف على خان زند" خضوعا لاراده الحاكمين. و ذكره الكاتب الانكليزى "جيمس موريه" الذى ساح فى إيران مرتين و كتب كتابين عن سياحته. و هو مؤلف الروايه المشهوره " حاجى بابا أصفهان".

و استمر "لطف على خان زند" يصول بسيفه و يشق الصفوف وحيدا، بعد أن قتل حرسه المائه، حتى نفذ من ثغره السور و أصبح خارج "كرمان"، و معه بضعة من رؤساء حاشيته منهم "جهانجير خان". و حين أصبحوا خارج السور لم يهتد هؤلاء إلى مكانه بسبب البلبله و التشتت و حلول الظلام. و بقى وحيدا. و بذلك انتهت تلك الحرب الرهيبه. و فى اليوم الثانى قطعوا رؤوس رفاقه المائه و نصبوها على سور المدينه. و لما بلغ خبر إفلات "لطف على خان زند" إلى "آقا محمد خان قاجار" غضب و عض على يده من الغيظ عضه أدمت يده!

إباحه كرمان و إعماء الكرمانيين

حين انتهت الحرب فى "كرمان" أطلق الخصى المتوج أيدى جنوده فى "كرمان" يستبيحون منها ما شاءوا. فبدأت حملته القتل و النهب، و قد أهدرت دماء الناس و أعراضهم و أموالهم. فالجندى منهم يقتل من يروق له قتله من الرجال و يهتك ستر من يحلو له هتك سترها من النساء و ينهب ما يعجبه نهبه من الأموال. و أغلق بعض الأهالى أبواب بيوتهم على أنفسهم و ظلوا مقيمين فيها. و داهمها جنود "آقا محمد خان" فوجدوا كل من فيها من النساء قتيلًا. لقد أقدم آباؤهن و إخوتهن و أزواجهن على قتلهن ليحفظوا شرفهن بالموت! فكان الجنود المداهمين يتمون المجزره بتعذيب من يجدونه فى تلك البيوت من الرجال. ليحملوهم على الإقرار بما يحتمل أن يكونوا قد خبئوه من ذهب و فضه و جواهر، ثم يقتلونهم، و ينهبون ما يجدونه من مال و متاع.

و بعد أن نهب جنود الخصى القاجارى كل شىء، حتى القدر الحقيقه من بيت أفقر فقير فى "كرمان"، و قتلوا كل من أبدى مقاومه، و عذبوا كل من ظنوا به الغنى ليحملوه على الإقرار بما عنده من مال حتى مات جماعه كبيره منهم بالتعذيب، و هتكوا أستار النساء و الأبكار، أمر الخصى القاجارى جنده بوقف الغاره فوقففت. و قيل إن هذه الغاره دامت يوما واحدا و قيل يومين اثنين و قيل ثلاثه أيام.

و قال بعض مؤرخى العهد القاجارى من الايرانيين إن "آقا محمد خان" إنما أباح "كرمان" لما استولى عليه من الغضب بسبب فرار "لطف على خان زند". فلما بلغه نبا بان "لطف على خان زند" قد اعتقل سكن غضبه فأمر بوقف الغاره.

و هو قول مردود. لأن "لطف على خان زند" فر إلى بلده "بم" فى الجنوب الشرقى من "كرمان". و قد استغرق وصوله إليها يوما و ليله.

و قبض عليه بعد ثلاثه أيام من إقامته فيها. فهذه أربعه أيام. و إيصال خبر القبض عليه إلى "آقا محمد خان" يستغرق، فى أقل تقدير، يوما و ليله.

فهذه خمسه أيام. و أولئك المؤرخون من مؤرخى العهد القاجارى يقولون إن نبا القبض على "لطف على خان زند" وصل إلى

"آقا محمد خان" بعد يوم من بدء الغاره، أى يوم فرار "لطف على خان زند"، أو بعد يومين أو ثلاثة، فسكن غضبه و أوقف الغاره، مع أن وصول نبا القبض على الهارب لا بد أن يستغرق أياما كما رأيت. و حتى لو جعلنا مده الغاره ثلاثة أيام فهى غير كافيه لإيصال الخبر إلى "آقا محمد خان".

ثم إن "آقا محمد خان" عاد فأمر، بعد وقف الغاره، باعماء الكرمانيين كلهم. فما الذى أغضبه حتى أصدر هذا الأمر؟! ألم يكن غضبه قد سكن بعد معرفته بنبا القبض على "لطف على خان زند" كما قالوا؟! إن إقدام "آقا محمد خان" على إصدار هذا الأمر يصعب تعليله.

و ليس فى اليد أثر باق منه يمكن أن يستنتج منه تعليل أو تكهن. و هو لم يكتف بالأمر باعماء الكرمانيين أمرا مطلقا. بل أمر بان يكون الاعماء على أفضع كفيات هذا العمل الرهيب.

كانت الطريقه المتبعه قديما فى إعماء المحكوم عليهم هى إحماء ميل دقيق من المعدن و لسع حدقه العين به فيفقد المحكوم عليه بصره و لكن تبقى عيناه فى مكانهما و على شكلهما. أما "آقا محمد خان" فقد أمر بان يكون الاعماء باقتلاع العين بالإصبع من مكانها! كان الاعماء الجماعى نادر الوقوع جدا فى تاريخ إيران. و لكنه كان شائعا فى حكم الخانات فى بلاد تركستان و ما وراء النهر. و قد تعذر على المؤرخين الأجانب تبين السبب الذى حمل "آقا محمد خان" على القيام بهذا العمل الفظيع. و يقول "روبرت غرانت واطسون" الانكليزى لا يمكن افتراض سبب لذلك سوى إرادته "آقا محمد خان قاجار" الاقتداء بمن سلف من أولئك السلاطين، إذ لم تكن له فائده حربيه أو غير حربيه من هذا العمل. فما أفضعه من عمل و ما أعظمها من حماقه! كان جنود الخصى القاجارى يمسون بالناس فيربطون أيديهم و أرجلهم ثم يقتلعون عيونهم بالأصابع، و يقطعون ما بقى عالقا بمكان العين من أعصاب و عروق بالسكين. و كان بعض هؤلاء التعساء يموتون من النزيف و بعضهم بالغر غرينا. و قد غطت هذه الفظاعات جميع حسنات "آقا محمد خان قاجار". فلا يذكره أحد اليوم بشىء سوى أنه ظالم طاغية. لا يذكره أحد بما هو عالم ذكى حازم مالك لهوى نفسه، و أنه كان، بعد "نادر شاه أفشار"، موحد إيران.

لطف على خان زند فى "بم"

تابع "لطف على خان زند" سيره قاصدا إلى "بم" و هى مدينه صغيره تقع إلى الجنوب الشرقى من مدينه "كرمان". و كان حاكما عليها رجل اسمه "محمد على خان"، و هو أخو "جهانجير خان" السيستانى الذى مر ذكره.

و اختلفت الروايات فى عدد من صحب "لطف على خان زند" من رجاله إليها. و أضحها أنه لما وصل إلى "بم" كان وحيدا.

وفى "بم" نزل ضيفا على الحاكم "محمد على خان" فاستقبله هذا بالإكرام و الاحترام. ثم روى له "لطف على خان زند" وقائع حرب "كرمان". و ساله عن أخيه "جهانجير خان" فأخبره بأنه خرج من "كرمان" سالما لا يلبث أن يلحق به.

و أدرك "محمد علي خان" أن "آقا محمد خان قاجار" لن ينصرف عن تعقب "لطف علي خان زند" حتى يعتقله أو يقتله. و كان يخشى أيضا علي أخيه "جهانجير خان" من انتقام "آقا محمد خان" لمخالفته "لطف علي خان زند" عليه. فرأى أنه لو اعتقل الخان الزندي و سلمه إلى "آقا محمد خان" لحصل، في مقابل ذلك، علي العفو عن أخيه من "آقا محمد خان". إلا أن المؤرخين الغربيين مجمعون علي أن تفكير "محمد علي خان" في الغدر بضيفه و تسليمه إلى عدوه لم يكن الدافع إليه رجاء الحصول علي العفو عن أخيه فقط، بل كان له دافع آخر أيضا هو الحصول علي الجائزه من "آقا محمد خان". فقد كان هذا أعلن سنه ١٢٠٥ هـ. الموافق سنه ١٧٩٠ م، بعد وقعه "سميرم" بين "لطف علي خان زند" و "خان بابا جهان باني"، بأنه سيتمنح: جائزه كبيره لمن يأتيه ب "لطف علي خان زند" حيا أو ميتا. بل قال أولئك المؤرخون إن اهتمام "محمد علي خان" بالحصول علي الجائزه كان أقوى في نفسه من اهتمامه بالحصول علي العفو عن أخيه. و لهم علي ذلك أدله قويه، منها أن "محمد علي خان" لما تمكن من اعتقال "لطف علي خان زند" أرسل رساله إلى "آقا محمد خان" يشره فيها بذلك. و لكنه لم يأت فيها علي ذكر أخيه بشيء، و إنما اقتصر علي تذكيره بوعده بالجائزه و مطالبته بالوفاء بهذا الوعد!

اعتقال لطف علي خان زند

عزم "محمد علي خان" علي الغدر بضيفه باعتقاله و تسليمه إلى "آقا محمد خان". فلما أراد "لطف علي خان زند" استئناف السفر، و كان يقصد إلى "سيستان"، استمهله بحجج مصطنعه. و ظل يستمهله حتى آخره ثلاثة أيام، إذ عزم "لطف علي خان زند" عزما قاطعا علي استئناف السفر.

و ذهب إلى الاصبطل، و كان الوقت ظهرا، فأسرح حصانه "گران"، و فيما هويهم بامتطائه رأى جماعه من الرجال مقبلين إلى الإصبطل شاهري السيوف فاستطاعوا بعد معركه بطوليه القبض عليه جريحا و حمل إلى منزل "محمد علي خان". و أرسل هذا رساله "إلى كرمان" إلى "آقا محمد خان" يخبره باعتقال "لطف علي خان زند".

و في صباح اليوم التالي حملوه إلى بلده اسمها "دارزين" تقع علي الطريق بين "بم" و "كرمان"، و هو محموم. و رافقه "محمد علي خان" و أخ آخر له غير "جهانجير خان"، و جماعه من الحرس. و أقاموا في تلك البلده ينتظرون جواب "آقا محمد خان قاجار" و أوامره. و فيما هم ينتظرون وصل إلى "دارزين" "جهانجير خان"، و هو يقصد إلى "بم"، و كان قد تخلف عن "لطف علي خان زند" بعد فرارهما من "كرمان". فلما علم أن أخويه قد غدرا بالخان الزندي و اعتقاله لم ينكر عليهما عملهما. ثم وصل رسول من "آقا محمد خان" يحمل جواب رساله "محمد علي خان"، و فيه يأمره بتسليم الأسير إلى رسول قادم من قبله اسمه محمد ولي خان قاجار ليحمله إلى "كرمان".

فلما وصل تسلّم "لطف علي خان زند" من آسريه و قبيل وصولهم إلى معسكر "آقا محمد خان"، وضعوا في عنقه رسنا، و سلسلوه بزنجير يزن ما يعادل خمسه عشر كيلو غراما من أوزان اليوم، أفلوا أحد طرفيه علي يديه و الآخر علي قدميه.

آقا محمد خان يتجلبب بالعار!

فلما بدا "آقا محمد خان" لأنظارهم أمر "محمد ولي خان قاجار" أسيره "لطف علي خان زند" بالسجود له. فقال: أنا لا أسجد لغير الله! فما كان من "محمد ولي خان قاجار" إلا أن ضربه علي رأسه، و صاح به: آمرك بالسجود! فقال الأمير الزندي: قلت

لك أنا لا اسجد لغير الله وحده! فشد "محمد ولي خان قاجار" يديه على رأس الأسير الجريح العاجز حتى طأه و ألقاه على الأرض و أخذ يمرغ وجهه فى التراب! و قد ذكرنا أن "آقا محمد خان" كان يتجنب إعلاء صوته لشباهته بصوت النساء بسبب خصائه، فلا يسخر منه سامعوه. فإذا أراد استدعاء الخدم استدعاهم بالضرب على صنج أو طبل ليخفى ما فى صوته من خنوته.

و لكنه فى تلك الساعة، و قد رأى عدوه بين يديه، لم يستطع أن يملك نفسه فصاح بأعلى صوته: أى لطف على! أرى أنك لا تزال على غطرستك لم يزايلك الغرور! و ها أنا أفعل بك الآن ما لا- تستطيع أن ترفع رأسك بعده أبدا! ثم أمر الخصى القاجارى العالم المتدين الفقيه بإحضار جماعه من الاصلطيل! و إن المرء ليحتر كيف يقدم رجل مثل "آقا محمد قاجار"، و هو الفاضل المتشدد فى إجراء أحكام الإسلام الذى لم يترك صلاه قط، على إصدار مثل هذا الأمر لا يستحى من عاره! هذا الأمر الذى لم يجرؤ مؤرخ على التصريح بمضمونه، و لا نجرؤ نحن أيضا على ذلك! لقد خيل إلى ذلك الخصى أنه سيوقع، بإصداره ذلك الأمر، رجلا مثل "لطف على خان زند" فى العار. و الحال أن الذى وقع فى العار إنما هو "آقا محمد خان قاجار" نفسه! و لم يذكر المؤرخون تاريخ اليوم الذى أدخل فيه "لطف على خان زند" على "آقا محمد خان" فى "كرمان". و قال بعضهم كان ذلك فى سنة ١٢٠٨ م. - و قال آخرون سنة ١٢٠٩ هـ. و لكن لا يستبعد أن يكون ذلك قد [قد] حدث فى أواخر شتاء سنة ١٧٩٣ م أو سنة ١٧٩٤ م. أما "محمد على خان" و أخوه "جهانجير خان" فلم يحضرا إلى "كرمان" بعد أن سلما أسيرهما إلى "محمد ولي خان قاجار".

بعد تلك الواقعة وضع "لطف على خان زند" فى الاصلطيل، و هو يغلى بالحمى و يده و قدماه فى الزنجير و عنقه فى الرسن. و كان يشكو العطش. و لكن خدم الاصلطيل امتنعوا عن إسقائه الماء خوفا من غضب "آقا محمد خان".

و فى اليوم التالى أمر "آقا محمد خان" بإحضاره إليه. فجاءوا به يمسكونه من عضديه، إذ كان عاجزا عن الوقوف و السير، يجر جر قيوده و الرسن فى عنقه، و ألقوه أمام "آقا محمد خان". فقال له هذا: لطف على، قل لى أ ما زالت بك غطرسه، أم زايلتك غطرستك؟! فما كان من "لطف على خان زند" إلا أن تحامل، مع ما به من ضعف و عجز و مرض، و رفع رأسه و بصق فى وجه "آقا محمد خان قاجار"، و قال له: أيها الخصى الحقير، أنا لا أخشاك! و كان تعبيره بالخصاء أعظم ما يؤذيه. حتى كان كل المتصلين به يتجنبون كل كلمه و كل إشارة تفيد معنى الخساء من قريب أو بعيد، و إلا

أوقع بهم عقوبه القتل. وقد قالها له "لطف على خان زند" بمسمع من كل الرؤساء والأعيان الذين هم في حاشيه "آقا محمد خان".

عندئذ أمر "آقا محمد خان" بإحضار الجلاد فاحضر. فأمره باقتلاع عيني "لطف على خان زند". فربط الجلاد يدي الأسير ورجليه على نحو لا يستطيع معه حراكا. ثم نهض "آقا محمد خان" من مجلسه ووقف على رأس الأسير ليستمتع عن قرب بالنظر إلى اجراء العمل الفظيع الذي أمر به. و لعل وقفته هذه هي التي أوهمت بعضهم بأنه هو الذي قام بهذا العمل. ثم اقتلع الجلاد عينيه بأصابعه. وعندئذ قال "آقا محمد خان" مخاطبا "لطف على خان زند": "الآن دورى فى أن أبصق فى وجهك ثم بصق على وجهه. ولكن "لطف على خان زند" لم يسمع كلامه ولا شعر ببصاقه لأنه كان مغمى عليه! وأعلن "آقا محمد خان" أنه يريد الإبقاء على "لطف على خان زند" حيا ليستمتع بتعذيبه، وأنه يريد أن يصحبه معه فى أسفاره ماشيا والرسن فى عنقه. فقبل له إن حالته لا تسمح بذلك وهو موشك أن يموت، ولا بد من مداواته إذا أريد له أن يبقى حيا. عندئذ أمر "آقا محمد خان" بمداواته، وانطلق هو إلى شيراز. ومنعوا عن "لطف على خان زند" الطعام سوى قليل من الخبز والماء وأفضوا مضجعه. وكان أحيانا يسكن أوجاع محنته بالتغنى باشعار "الشيخ محمود الشبستري" أو أشعار العارف "بابا طاهر عريان" ينشدها بنغمه شجيحه محزنه.

ثم أمر "آقا محمد خان" بنقله إلى طهران، وكان قد عاد إليها من شيراز، فنقل إليها. وأحدثت إقامته فى طهران عطفًا فى نفوس الطهرانيين عليه. بل كان بعضهم يجاهر بأنه أحق بالملك. فهو وريث "كريم خان زند". وقد ملك هذا مده على طهران. وأن إعماء "لطف على خان زند" لا يمنع من تملكه عليهم. فان "شاه رخ شاه أفشار" يملك فى خراسان وهو أعمى.

وقد خشى "آقا محمد خان قاجار" من تطور هذه المشاعر والأحاديث إلى ما لا تحمد عقباه، فأمر بقتل "لطف على خان زند". فربط الجلاد يديه ورجليه، ثم جاء بخرقه فجمعها على شكل كره وأدخلها فى فمه و دسها فى حلقومه وأتبعها بوتد أدخل طرفه فى الحلقوم فوق الخرقه وأخذ يضرب على طرفه الآخر بمطرقة من الخارج حتى دخلت قصبه الرئه، ولم يلبث أن مات.

و دفن فى مقام "زيد" فى طهران و عفى قبره و كان موته سنه ١٢٠٩ هـ.

و عمره ٢٩ سنه و بموته انقرض ملك الزنديين. و قد دام ثلاثا و أربعين سنه.

حرب "شوشى" فى القفقاس

فى تلك الأيام كان نهر "أرس" الواقع فى شمال آذربيجان نهرا إيرانيا.

و حد إيران الشمالى خط يمتد من "سوخوم" على ساحل البحر الأسود فى جهة الغرب إلى مصب نهر "ترك" فى بحر الخزر من جهة الشرق. أما اليوم فان الأراضى الواقعة فى جنوب هذا الخط إلى ساحل نهر "أرس" تابعه لما كان يعرق بالاتحاد السوفياتى. و كانت فى عهد "آقا محمد خان قاجار" جزءا من أرض إيران. و كان ملوك إيران يقبلون بان يكون حكام الولايات الواقعة فى شمال نهر "أرس" من أهلها. و قد ينصبون عليها أحيانا حكاما من أهل تبريز أو قزوین أو أصفهان أو طهران أو غيرها. و لم يكن الملوك يتدخلون فى شئون تلك الولايات الداخليه إلا إذا خرج عليهم أحد حكامها أو امتنع عن تاديه

الضرائب إليهم. و كانت تقسيماتها غير ثابتة. و لكنها، بوجه الإجمال، كانت تعرف بأسماء "كرجستان" و "أرمينيا" و "قرباغ".

و بعد قتل "لطف على خان زند" ببضعه أشهر بلغ إلى "آقا محمد خان" خبر بان "إبراهيم خليل خان" حاكم "قرباغ" الملقب بـ "جوان شير" قد خرج عليه و امتنع عن أداء ضرائب الولاية إلى عماله و أنه أخذ في تحصين مدينه "شوشى" عاصمه الولاية.

فسار إليه "آقا محمد خان" لاختضاعه^(١) و حاصر عاصمه الولاية مدينه "شوشى". و خرج "إبراهيم خليل خان" بجيشه من المدينه و وقعت معركة خارج السور كانت خسائرها، فى أصح الروايات، من قتيلى و جريح، حوالى ألف جندى من عسكر "آقا محمد خان قاجار"، و مثلهم من عسكر "إبراهيم خليل جوان شير".

و رأى "آقا محمد خان" أن المصالحة خير له من إدامه الحرب، فأرسل مندوبا عنه إلى "إبراهيم خليل جوان شير"، يفاوضه على الصلح. و تم الاتفاق على أن يبعث حاكم "شوشى" رساله إلى "آقا محمد خان" يعلن فيها بطاعته و تاديه ما عليه من الضرائب. و أن يعلن بذلك أيضا من على سور المدينه لجنود "آقا محمد خان".

و بعد أن كتب الرساله و بعث بها إلى الخان القاجارى، صعد فى ١٩ من شهر المحرم سنة ١٢٠٩ أو ١٢١٠ هـ. إلى ظهر السور بحيث يشرف على معسكر "آقا محمد خان"، و قد لبس كفنا، و "آقا محمد خان" على ظهر حصانه تحت السور، و نادى بدخوله فى طاعه الملك القاجارى و وعده بان لا يخرج أبدا على إرادته و أن يواظب على أداء ما يترتب عليه من الضرائب.

و إذ كان "آقا محمد خان" يتجنب رفع صوته بالكلام لئلا يتبين السامعون ما فيه من خنوته فيستخفوا به و يسخروا منه، فقد أناب عنه أحد رجال حاشيته يجيب "إبراهيم خليل جوان شير" بالرضا عنه و تقبل ما أرسله إليه من هدايا و رفع الحصار عن مدينه "شوشى". و هكذا انتهت هذه الحرب^(٢).

نكبه تفليس

يقول العقيد الانكليزى "غولدا سميث" إن لانفصال الولايات الواقعه فى شمال نهر "أرس" عن إيران سببين اثنين من الأسباب الاجتماعيه المعنويه. السبب الأول هو ما ارتكبه "آقا محمد خان قاجار" فى "تفليس" من فجائع و فظائع. و السبب الثانى هو انغماس "فتح على شاه" فى الشهوات.

و انصرف "آقا محمد خان قاجار" عن "شوشى" فى الثالث و العشرين من شهر المحرم سنة ١٢٠٩ أو ١٢١٠ هـ. و ترك فى "قرباغ" ثلاثه آلاف جندى بين راجل و فارس احتياطا من أن يعاود "إبراهيم خليل خان" التمرد و يقوم بحمله عليه من ورائه. و سار قاصدا إلى "هرقل" أمير "كرجستان" لاختضاعه. و "كرجستان" هى الحد الشمالى الأعلى لأرض القفقاس التى

ص: ٥٤

١- لم نجد ذكرا للتاريخ مسير "آقا محمد خان" إلى محاربه "إبراهيم خان جوان شير". و لكن يستفاد من بعض النصوص أن "آقا محمد خان" كان أواسط شهر المحرم سنة ١٢٠٩ أو ١٢١٠ هـ يحاصر مدينه "شوشى".

٢- ذكرنا في ما مر بعض التفاصيل عن هذه الواقعة.

دخلها الإسلام. فعندها وقف امتداد الإسلام. وعاصمتها "تفليس" ومعناها في اللغة الكرجية "الماء الحار". و سبب التسميه وجود حمات(1) في هذه المدينه.

و كان جيش "آقا محمد خان" ثمانين ألف جندي بين راجل و فارس.

و جيش "هرقل" خمسه عشر ألفا، منهم ثلاثه عشر ألفا مشاه و ألفا فارس. و كان حين عزم على الخروج على "آقا محمد خان" قد استنجد بامبراطوره روسيا "كاترين الثانيه". و لكنها لم تنجده لأسباب سياسيه و عسكريه و شخصيه. و كان بين جنده فرقه من "الشركس"، و كانت هذه الفرقة عمدت جيشه شجاعه و مهاره في المحاربه.

و إذ كانت "تفليس" بلا سور فقد خرج "هرقل" إلى ملاقه "آقا محمد خان" على بعد سته فراسخ من "تفليس". و في صباح السابع و العشرين من شهر صفر سنه ١٢١٠ أو ١٢١١ هـ. استفتح "آقا محمد خان" بالقرآن فجاء مضمون الآيه مبشرا بالنصر(٢)، فسره ذلك و أيقن أنه منتصر لا محاله.

و وقعت معركة دامت من الصباح إلى العصر، إذ بدت بوادر الضعف على جيش "هرقل". عندئذ أمر "آقا محمد خان" بهجوم شامل عليه، فما حل الغروب حتى كانت الحرب قد انتهت بانهزام الجيش الكرجي و تشتته.

و كان بين جنود "هرقل" ألفان من الشركس لم يعد منهم أحد، إذ كان كل منهم يثب لا يفر و لا يتراجع حتى يقتل أو يقع جريحا أو يؤسر. و فر "هرقل" و عائلته إلى خارج "كرجستان".

و لم يستطع "آقا محمد خان" أن يدفن قتلى جيشه لحلول الظلام، فأجل ذلك إلى الصباح. و في الصباح وجد أن الضباع قد أكلت من أجساد جماعه منهم.

ثم سار "آقا محمد خان" قاصدا إلى "تفليس". و قبيل وصوله إليها تلقاه سبعون رجلا من أعيانها، و أعلموه بأنهم يجعلون مدينتهم مدينه مفتوحه و أن أهلها يلقون إليه السلام لا يقاومونه.

و مع أن التقاليد الحربيه ما زالت تقضى، قديما و حديثا، بان يكف الجيش الفاتح الأذى عن البلدان التي تعلن مفتوحه، فان "آقا محمد خان قاجار" لما دخل إلى "تفليس" أمر جنده بإيقاع مذبحه عامه بأهلها و نهبها.

و أمر بضرب أعناق الأعيان السبعين الذين وفدوا عليه لاعلان "تفليس" مدينه مفتوحه.

و انطلق جنوده يقتلون كل من يقع في أيديهم، و استحيوا الشبان لاسترقاقهم. و هذه أمور اعترف بها مؤرخو العهد القاجاري من الايرانيين أنفسهم.

و انطلق "آقا محمد خان" من "تفليس" إلى سائر مدن "كرجستان" فاحتلها بلا مقاومه. ثم اجتاز نهر "أرس" إلى صحراء "مغان". و لما أراد متابعه السير إلى طهران بلغه أن وباء "الكوليرا" قد وقع فيها. فعدل عنها إلى "طالش"، و منها إلى "جيلان" و "مازندران". و في نهايه فصل الخريف ارتفع الوباء فعاد إلى طهران. و في تلك السنه قرر أن يتوج في فصل الربيع بعد انقضاء

تتويج آقا محمد خان قاجار

رسم "آقا محمد خان قاجار" شكل التاج الذى يريده لنفسه بيده.

وجعله ثلاث طبقات شبيها بتاج البابا. واستدعى بعض الصاغة و تجار الجواهر من أصفهان و "كرمانشاه" و طهران و أمرهم بصياغة التاج على الشكل الذى رسمه. و نظر الصاغة فى الرسم و حسبوا ما يلزم للتاج من الذهب فتبين لهم أن مقداره يبلغ خمسة عشر منا، أى ما يعادل خمسة و أربعين كيلو غراما من الذهب. و هو ثقل لا يستطيع الرأس حمله. فرسم الخصى القاجارى شكلا- آخر قدروا وزنه بمن و نصف المن، أى ما يعادل أربعة كيلو غرامات و نصف الكيلو غرام. و إذ كان "آقا محمد خان" امرأ عمليا فقد صنع "كلاها" ثقيلًا يزن هذا المقدار، و جعل يعتمر به كل يوم مده ليمرن رأسه على القدره على النهوض بثقل التاج يوم التتويج.

و أمر جماعه من الخياطين باعداد قباء له منسوج بالذهب مرصع بالزمرد و الماس و اللؤلؤ.

و اختلفت الروايات فى تاريخ تتويجه. فمنهم من قال إنه توج فى أواخر سنة ١٢٠٩ هـ. و منهم من قال يوم عيد النوروز سنة ١٩١٠ [١١٧٤] هـ. و منهم من قال بعد ثلاثة عشر يوما من النوروز من تلك السنة و منهم من قال فى أول الشهر الثانى من فصل الربيع من تلك السنة.

و أقيمت حفله التتويج فى قلعه طهران، و هى قلعه بناها "كريم خان زند". جلس "آقا محمد خان قاجار" على العرش و وضع التاج على رأسه.

و ظل مده ساعه فى مجلسه و هو ممسك بصولجان مرصع، و قصف إطلاق المدافع متواصل، و الطبول و الأبواق تعزف عند باب القلعه، على حين تذبح الأضاحى من الغنم عشره عشره، عن كل سنه من سنوات عمره عشره رؤوس من الغنم، و تطهى فى المطابخ الملكيه. و تناول الطهرانيون طعام يومهم ذاك من مطبخ "آقا محمد خان قاجار". و أنعم على الأعيان الذين حضروا مراسم التتويج بنقود من الذهب.

السفر إلى مشهد

حين كان الصاغة و الخياطون مشغولين باختيار ما يناسب تاج "آقا محمد خان" و قباءه من الجواهر جرى حديث عن الجواهر التى حملها "نادر شاه أفشار" من الهند. و ذكر أن هذه الجواهر فى حوزة حفيده "شاه رخ شاه" الأعمى المالك على خراسان. و أن من هذه الجواهر ما لا يقدر بثمن لنفاسته.

فأرسل "آقا محمد خان قاجار" رساله وديه إلى "شاه رخ شاه" يطلب منه إعارته هذه الجواهر لأجل حفله تتويجه على أن تعاد إليه بعد التتويج.

و دعاه أيضا إلى حضور حفله التتويج. فأجابه "شاه رخ شاه" بان لا شيء من جواهر "نادر شاه" عنده و أن الجميع يعلمون أن ما كنزه "نادر شاه" من ذهب و جواهر في "كلايت" قد نهب كله بعد قتله. و أما حضوره حفله التتويج فقال إنه غير قادر عليه، معتذرا بعماه.

و قد قبل "آقا محمد خان" عذر "شاه رخ شاه" عن عدم الحضور.

و لكنه لم يقبل ما قاله عن جواهر "نادر شاه"، و ظل موقنا بان هذه الجواهر

ص: ٥٥

١- الحماة جمع حمه (بفتح الحاء و تشديد الميم): العين الحاره الماء.

٢- الظاهر من المعنى الذى ذكره جان غوره للآيه أنها آيه "إِنَّ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ".

فى حوزته. و لذلك عزم أن يذهب، بعد حفله التتويج، إلى خراسان ليصادر جواهر "نادر شاه أفشار" من حفيده "شاه رخ شاه". و لكنه تظاهر بان سبب هذا السفر هو زياره مقام الامام الثامن (ع).

و فى أثناء ذلك بلغه خبر بان الأزابكه قد أغاروا على شمال خراسان و وصلوا إلى "مرو"، يقتلون الناس و ينهبون الأموال. و فى شهر ذى القعدة سنه ١٢١٠ هـ. سار بجيش من طهران قاصدا إلى خراسان. فلما وصل إلى "شاهرود" انطلق منها إلى صحراء "أستراباد" مسقط رأسه، و حيث تقيم طوائف التركمان. و هناك قام بتحقيق حتى عرف من كان الذين قاموا بتلك الغاره. و كانت عدتهم اثنين و ستين و مائه تركمانى. فقبض عليهم و أمر بان يدفنوا أحياء فى الجص فى جانب الطريق المؤديه إلى خراسان حيث قطعوا الطريق على المسافرين و قتلوهم و نهبوا أموالهم. فدفنوا كما أمر فى نفس المكان الذى ارتكبوا فيه جنائيتهم. و بعد مقتل "آقا محمد خان قاجار" ظل المسافرون إلى خراسان إلى سنوات كثيره إذا وصلوا إلى ذلك المكان بدت لهم فى جانب من الجاده اثنتان و ستون و مائه دكه بيضاء، يعرفون أنها قبور أولئك الجماعه من قطاع الطرق.

و لكن هذا العقاب الرهيب لم يقطع تعديتات التركمان على المسافرين إلى خراسان. فكانوا كلما تبينوا فى الحكومه المركزيه ضعفا عاودوا غاراتهم على المسافرين، فيضطر الطهرانيون الذين يريدون زياره مقام الامام فى مشهد إلى سلوك الطريق إليها من أرض روسيا.

و كان "آقا محمد خان" بعد عودته من "نفليس"، قد سيطر على كل إيران، ما عدا خراسان - و كانت خراسان يومئذ تشمل قسما مما هو اليوم من أرض تركستان و أفغانستان - و عمم على كل حكام الولايات بلاغا بالمناداه به ملكا على إيران. و كان فى جملة من أبلغهم ذلك "شاه رخ شاه أفشار". و قد عمم الحكام هذا البلاغ على أهالى ولاياتهم و بادروا إلى الاعتراف بتملكه.

و لكن "شاه رخ شاه" كتم هذا البلاغ عن أهالى مشهد فظلوا على غير علم بان "آقا محمد خان قاجار" قد أصبح ملكا على إيران، بل إن بعض المشهدين لم يكن قد سمع باسم "آقا محمد خان" بعد، و ذلك بسبب بعد المسافات و قصور المواصلات و قتلها يومئذ.

و فى أثناء سير "آقا محمد خان" إلى مشهد كان الحكام و الرؤساء من مختلف الولايات و الأقاليم يتبادرون إلى الالتحاق به و إمداده بالجند و المال.

و يخرجون إلى استقباله إلى مسافات بعيدة قبل وصوله إلى بلدانهم التى تقع على طريقه.

فلما قارب مشهد أشارت حاشيه "شاه رخ شاه" عليه بان يخرج إلى استقباله فرفض محتجا بعماه. و لكن رجاله أفهموه بان "آقا محمد خان" سيعد تخلفه عن الخروج إلى استقباله إهانه كبرى له، و هو رجل قاس لا يرحم، و قد يوقع به أذى عظيما لذلك، فقبل بالخروج. و أشاروا عليه بان يحمل إليه معه هديه فرفض. و طلب من المرجع الدينى الأول فى مشهد "الحاج ميرزا مهدي" أن يصحبه، ففعل. و خرج "شاه رخ شاه" إلى استقبال "آقا محمد خان" على بعد فرسخين من مشهد. فلما دخل عليه عاتبه على تاخره فى الخروج إلى استقباله، فاعتذر "شاه رخ شاه" بشيخوخته و عماه، و تمثل ببيتين من الشعر أرضيا غرور "آقا محمد

خان".

ثم دخل "آقا محمد خان" إلى مشهد و زار مقام الامام الثامن (ع). و دعاه "شاه رخ شاه" إلى النزول في مسكنه فرفض و اتخذ لنفسه منزلا خاصا.

و بعد ثلاثه أيام بعث برسالة إلى "شاه رخ شاه" مكتوبه بلهجه لطيفه يطلب فيها تسليم جواهر "نادر شاه" إليه بما هي بعض ممتلكات المملكة و ليست ملكا خاصا لأحد. و أوصى حامل الرسالة بان يسلمها إلى "شاه رخ شاه" بمظهر الاحترام و أن لا يصر عليه بتسليم الجواهر إليه.

تعذيب شاه رخ شاه

و أجاب "شاه رخ شاه" الرسول بأنه حاضر لبذل حياته في سبيل الملك بطييه خاطر، فكيف يبخل عليه بالجواهر. و لكنه يلتمس أن يأذن له بالحضور عنده ليوضح له هذا الأمر مشافهه.

و أجابه "آقا محمد خان" إلى طلبه و أحضره إليه. و لكنه أحاطه بجماعه من رجاله و أمرهم. بحجزه إذا أراد الفرار. و روى "شاه رخ شاه" له تفاصيل إغاره رؤساء عسكر "نادر شاه" على أمواله بعد مقتله، و أنكر أن يكون لديه شيء منها.

فأجابه "آقا محمد خان" بأنه يمهل، مراعاه لشيخوخته، مده يومين لتسليم جواهر نادر إليه، و إلا فلا لوم عليه إن هو عامله على نحو آخر! ثم أذن له بالانصراف فعاد إلى مسكنه في القلعه، و لكن رجال "آقا محمد خان" ظلوا قائمين على مراقبته. و أرسل "شاه رخ شاه" إلى المرجع الديني "الحاج ميرزا مهدي" أن يشفع له عند "آقا محمد خان"، إذ كان يبدي احتراما لرجال الدين. و لكن "آقا محمد خان" لم يشفعه. و أصر على القول بان "شاه رخ شاه" كاذب في ادعائه. و روى بعض المؤرخين أن "آقا محمد خان" وقع نظره في أثناء الحديث على خاتم من الزمرد في إصبع مجتهد مشهد المرجع، فطلب منه أن يريه إياه فنزعه من إصبعه و ناوله إياه، فنظر "آقا محمد خان" إلى زمرد الخاتم و قال: زمرد جميله! و كان يتوقع أن يجيبه المجتهد، كما هو مقتضى العاده المتبعه، بقوله: هو هديه مني إليك. و لكن المجتهد لم يقل شيئا إذ كان هذا الخاتم عزيزا عليه. فما كان من "آقا محمد خان" إلا- تناول آله خاصه مما يستعمله الصاغه في صناعتهم فاقتلع بها حجر الخاتم ثم أعاد إليه الخاتم خاليا و قال له: أنت رجل دين روحاني لا يليق بك التختم بالزمرد. و العقيق أليق بك.

عندئذ آيس "الحاج ميرزا مهدي" فاستأذن و انصرف إلى "شاه رخ شاه" فأشار عليه أن لا يعاند "آقا محمد خان"، و أن كان لديه شيء من جواهر "نادر شاه" فليدفعه إليه ليكف شره عنه.

و بعد انقضاء مهله اليومين انتقل "آقا محمد خان" من مسكنه إلى قلعه. مشهد. و قيل إنه أمر، بعد انتقاله، بالبحث عن قبر "نادر شاه"، إذ كان مكانه مجهولا. و الذين يعرفونه لا يبوحن به خوفا من أن ينبشه أعداؤه. (1) و لكنهم بحثوا كثيرا فلم يهتدوا إليه. و الظاهر أنه كان يريد نبش القبر و أن يفعل بعظام "نادر شاه" ما فعله بعظام "كريم خان زند".

و لما استقر "آقا محمد خان قاجار" في مسكنه في قلعه مشهد أمر بوضع

١- يقول "جان غوره" الكاتب الفرنسي مؤلف كتاب "الخصى المتوج" "أن مكان قبر "نادر شاه" ظل مجهولا- لا- يبوح به العارفون به إلى زمن "ناصر الدين شاه" إذ أظهوره و قد أمنوا عليه من النيش.

"شاه رخ شاه" فى العذاب حتى يسلم إليه جواهر "نادر شاه". و بدأ تعذيبه بان كانوا ينتظرونه حتى يغفوا. فإذا غفا أيقظوه. يفعلون به ذلك كلما غفا.

و ألح به السهاد حتى صار النوم يغلب عليه فلا يستيقظ إذا أيقظوه. فجعلوا يوقظونه بصب الماء البارد عليه إذا غفا. ثم صار الماء البارد لا يوقظه أيضا فجعلوا يخزونه بالمناخس إذا غفا.

و لكن هذا العجوز الأعمى كان يتحمل كل هذا العذاب و لا يقر بالجواهر فأخبر أصحاب العذاب الخصى الفاجارى بأنه مصر على الإنكار صابر على العذاب. فأمر "آقا محمد خان" بصب الرصاص المصهور على بدنه. فجعلوا يصهرون الرصاص و يصبونه على مواضع من بدنه فيصرخ و يستغيث و لكنه يصبر على الإنكار.

فأمر "آقا محمد خان" بان يحضروا عجينه كبيره و يضعوها على رأس "شاه رخ شاه" و يقعوها حتى تصبح على شكل إناء، ثم يصبوا فيها الرصاص المصهور. ففعلوا. فكان عذابا لم يستطع "شاه رخ شاه" عليه صبرا. فصاح: كفوا عنى و سأخبركم أين هى جواهر نادر! كانت الجواهر مدفونه فى سرداب فى القلعه فدلهم عليها، و لكن "آقا محمد خان" كان يعتقد بان هذه بعض الجواهر لا كلها. و لم يكن ممكنا إيقاع العذاب مره أخرى ب "شاه رخ شاه" و إلا مات، إذ أصبح عاجزا عن تحمل العذاب. و كان "آقا محمد خان" يحتمل أن يكون قسم من هذه الجواهر عند "نادر ميرزا" ابن "شاه رخ شاه". و لكن هذا قد هاجر مع نسائه و أبنائه إلى "هرات" فهو لا يستطيع اعتقاله. ثم أمر بمداواه "شاه رخ شاه".

و استمرت مداواته مده شهرين حتى شفيت جراحه. و لكن الجرح الذى فى رأسه لم يبرأ براء كاملا، و ظل ينز بالصديد و القيح طول حياته.

و عزم "آقا محمد خان" على إخراج جميع أعقاب "نادر شاه" من خراسان إلى طهران لثلا تحدث أحدا منهم نفسه بالخروج عليه. فأمر "شاه رخ شاه" بان يبعث إلى ابنه "نادر ميرزا" المقيم فى "هرات" برسالة يستدعيه إلى خراسان. و أن يقول له فيها إنك إن لم تحضر فانا مقتول.

فقال "شاه رخ شاه": "أكتب إليه و لكنى أعلم أنه لن يطيعنى. فقال "آقا محمد خان" إن لم يحضر سقت إليه جيشا إلى "هرات" لاختضاعه.

ففعل ما أمره به. و لكن "نادر ميرزا" أجاب بانى لا أرى ضروره لحضورى إلى مشهد و أنا هنا فى راحه.

عندئذ سير إليه "آقا محمد خان قاجار" جيشا إلى "هرات" ففر منها إلى "كابل". فأرسل "آقا محمد خان" إلى قائد جيشه هذا يأمره بتعقب "نادر ميرزا" إلى "كابل" و لكنه كان أمرا يستحيل إنفاذه بسبب فقدان العلوفه و المئونه و وعوره الطريق و حلول برد الشتاء و مقاومه سكان شجعان أشداء. فاضطر "آقا محمد خان" إلى استدعاء جيشه من "هرات" و صرف النظر عن اعتقال "نادر ميرزا أفسار".

و هكذا سلم "نادر ميرزا" من شر "آقا محمد خان". و بعد سفر هذا من خراسان عاد "نادر ميرزا" إليها و ملك فى مكان أبيه. و

لم يمهل العمر "آقا محمد خان" فيعاود غزو [غزو] خراسان مره أخرى و يقضى على "نادر ميرزا" كما قضى على أبيه قبله.

العودة إلى آذربيجان

و أراد "آقا محمد خان"، و هو فى خراسان، قمع بعض الخارجين عليه. و منهم الزعيم الأذربكى "مراد بك خان" فقد كان قد هاجم بجماعته من الأزابكه مدينه "مرو" فاحتلها و أقام فيها و نادى بنفسه ملكا باسم "الشاه مراد بك خان".

و جهز "آقا محمد خان" جيشا من عشره آلاف جندى بقياده "محمد ولى خان قاجار" ليعث به إلى "مرو" لقمع الخارج. و فى ذلك الحين وصله نبا بان الجيش الروسى احتل "دربند" ثم دخل "دشت مغان" فى آذربيجان. و كان ذلك فى عهد الإمبراطوره "كاترين الثانيه". و كان فى جملة الدوافع إلى هذا الغزو الانتقام لأهالى "تفليس" لما أوقعه بهم "آقا محمد خان".

عندئذ أقام "آقا محمد خان" الجيش الذى هياه لغزو "مرو" فى خراسان و أمره بمقاومه "مراد بك خان" الأذربكى إذا حاول الاغاره على تلك النواحي. و تهيأ لمغادره خراسان.

و قبل خروجه منها أمر بحمل "شاه رخ شاه" و كل أبناء الأسره النادريه إلى "أسترآباد"، و قيل إلى "مازندران"، مخفورين. و مع الخفراء جلاد أمره بقتل "شاه رخ شاه" خنقا عند وصولهم إلى قصبه تسمى "مزينان"، و أن يذيعوا بأنه مات موتا طبيعيا بسبب الشيخوخه و المرض. فلما وصلوا إلى تلك القصبه عمد الجلاد إلى يدى ذلك الشيخ الأعمى و رجله فقيدهما.

و دس فى فمه خرقة جمعها على شكل كره و دفع بها بوتد إلى حلقة، و أخذ يضرب على طرف الوتد الخارج بمطرقة حتى دخلت الخرقة فى قصبه الرئه و اختنق ذلك المنكود الحظ "شاه رخ شاه". ثم أشاعوا بين الناس أنه مات موتا طبيعيا. و مؤرخو العهد القاجارى من الايرانيين زعموا أيضا أن موته طبيعى.

و علل المؤرخون الأوروبيون قتل "آقا محمد خان" ل "شاه رخ شاه" بسببين أحدهما أنه حفيد "نادر شاه" و الآخر أنه أبو "نادر ميرزا". فاما "نادر شاه" فهو الذى حكم بقتل "فتح على قاجار" جد "آقا محمد خان قاجار" عند محله "خواجه ربيع" فى ظاهر مشهد. و أما "نادر ميرزا" فيرى "آقا محمد خان" أنه امتنع عن الحضور من "هرات" إلى مشهد و تسليم ما لديه من جواهر جده باشاره من أبيه "شاه رخ شاه" و لو أراد أبوه إحضاره لاطاعه.

و أقدم أيضا قبل مغادرته خراسان على أمر آخر هو إعلان النفي العام بواسطه رسل سيرهم إلى الرؤساء و الأمراء فى مختلف نواحي إيران لتجهيز جيش لمحاربه الروس.

ثم عاد "آقا محمد خان" إلى طهران، و انهمك فى تجهيز جيشه العظيم. و أرسل فرقه من خمسمائه و ألف جندى تقيم على طريق الجيش إلى آذربيجان مراكز للتموين و العلوفه، و تستقصى أخبار الجيش لروس الغازى. و سارت هذه الفرقة فى مهمتها، و بلغت إلى آذربيجان حتى ساحل نهر "أرس"، و لكنها لم تتبين أثرا من الجيش الروسى. ثم تحقق لقائد الفرقة أن الروس قد أدخلوا جميع النواحي التى احتلوها و رحلوا عن أرض إيران.

فبادر إلى أخبار "آقا محمد خان" بهذه البشاره.

و لم يستطع أحد من الايرانيين أن يتبين السبب فى إقدام روسيا على الجلاء عن الأرض الإيرانية يومئذ. و لكن الأوروبيين يعرفون هذا السبب.

و هو أن "كاترين الثانية" أمبراطوره روسيا التى أمرت بسوق جيشها إلى إيران

ص: ٥٧

ماتت فى أثناء ذلك و خلفها على العرش ابنها "بولس الأول". و كان هذا راغبا عن غزو إيران لأسباب سياسيه و اقتصاديه و شخصيه. فلم يلبث حين اعتلى العرش أن أصدر أمره إلى الجيش الغازى بالتراجع عن إيران. و بذلك استراح "آقا محمد خان" من هم عظيم.

و أراد "آقا محمد خان" إرسال جيش إلى بخارى لقمع أميرها "الشاه سعيد خان"، و كان قد تمرد و أعلن استقلال بلاده عن حكم "آقا محمد خان". و لكن بلغه أن "إبراهيم خليل خان"، حاكم "قراباغ" قد عاد فعصى و نقض عهد الصلح الذى رفع "آقا محمد خان" بمقتضاه الحصار عن "شوشى" و مضى عنها كما ذكرنا سابقا. فانصرف "آقا محمد خان" عن غزو بخارى و عزم على مهاجمه "إبراهيم خان" فى "شوشى" عاصمه ولايه "قراباغ".

و سير الجيش الذى كان قد أعده لمحاربه الروس إلى آذربيجان ليعبر نهر "أرس" إلى "شوشى" لاختصاع "إبراهيم خليل خان".

و لما بلغ خبر مسيره إلى حاكم "قراباغ" عمد إلى تخريب الجسر المعقود على النهر، كما فعل فى الحرب السابقه، ليمنع "آقا محمد خان" من عبوره إلى "شوشى". و هى تقع وراء ساحل النهر الشمالى. و طريق "آقا محمد خان قاجار" تنتهى إلى ساحله الجنوبى، فعليه أن يعبر النهر إليها.

و عسكر "آقا محمد خان" فى جنوب النهر بعيدا عن الساحل. و أخذ يعد عدته لجمع ما يحتاجه من الزوارق لنقل جنوده إلى الساحل الشمالى، و كان هذا العمل يقتضيه وقتا طويلا.

فاغتنم "إبراهيم خليل خان" الفرصه و حقق خطه حربيه هى مغامره عجيبه تذكر بمغامره "أنيبال" و مغامره "نابليون" باجتيازهما جبال الألب.

حمل "إبراهيم خليل خان" زوارق صغيره من النواحي السفلى من النهر التى ينحدر الماء نحوها، و صعد بها إلى النواحي العليا التى ينحدر الماء منها. حملها على عربات سارت بها على الياسه، إذ كان إصعاعها فى الماء متعذرا بسبب قوه التيار، و الوقت ربيع وقت الفيضان، فهى لا تقوى على معارضه الماء. و وضع الزوارق على الساحل الشمالى فى موازاه معسكر "آقا محمد خان" القائم وراء الساحل الجنوبى.

و وصل بجوانب الزوارق ألواحا عاليه من الخشب جعلت جوانب الزوارق مرتفعه كالجدران. و ثبت أحد الزوارق تثبيتا متينا على الأرض و وصله بزورق آخر ألقاه فى الماء. و وصل به آخر. و هكذا جعل يصل زورقا بزورق حتى انتهى بآخرها إلى الساحل الجنوبى فثبته فى الأرض تثبيتا محكما.

و ملأ الزوارق بالحجاره. و جعل بين الحجاره فجوه يستطيع أن يجلس رجل فيها. فعل ذلك كله ليلا لئلا يكشفه معسكر "آقا محمد خان". و أجلس فى كل زورق جنديا. فلما انتهى العمل خرق الجنود الذين فى الزوارق قعورها فاندفع الماء إليها. و وثب الجنود منها إلى زوارق أخرى كانت معده لحملهم إلى الشاطئ. و غرقت الزوارق المحزوقه فى الماء و ثبتت فى القعر لثقلها، و ظلت الألواح التى وصلت بجوانبها قائمه على وجه الماء كالسد، تحول دون اطراد الماء. فانحرف معظم الماء إلى الساحل

الجنوبى إذ كان فى ذلك المكان أوطا من الساحل الشمالى. و كان نهر "أرس" العظيم يومئذ فى إب [إبان] فيضانه. فاندفع ماؤه سيلا جارفا إلى معسكر "آقا محمد خان" فأطبق عليه، و الوقت بعيد منتصف الليل و العسكر نيام.

و أفاق "آقا محمد خان" و جنوده مذعورين و تعالت ضوضاء الصياح من كل جانب: سيل! سيل! و تفرق الجند هاربين فى كل النواحي، و تخلصت خيولهم من الماء، و قد غمرها حتى صدورها، و غرق المعسكر كله، من متاع و عتاد و سلاح و خيام، فى السيل، و سلمت المدافع فقط، إذ كانت قد أقيمت على مرتفعات، و الجند يتساءلون من أين جاء السيل؟! و لم يتبينوا مصدر السيل إلا حين أصبح الصباح. و عندئذ أمر "آقا محمد خان" بضرب ذلك السد الخشبى بالمدافع فهدمه و انقطع السيل عن معسكره، و لكن بعد أن أوقع فيه خسائر جسيمة و حمل الجند مشقات كبيره فى استخلاص السلاح و المتاع من الماء و الوحل و غسلها و تجفيفها، و جرف كل ما فيه من مؤن و علوفه، و بعض الأسلحة و التجهيزات الأخرى. و تبين لهم بعد جمع ما أبقى عليه السيل أنهم أصبحوا بحاجه إلى أربعة آلاف بنديقه و طبنجه و حوالى خمسه آلاف لحاف و أشياء أخرى.

بعد ذلك أمر "آقا محمد خان" بنقل جنوده بالزوارق إلى الشاطئ الآخر الشمالى.

فتح قلعه فناه آباد

ثم عزم على السير إلى "شوشى" حيث يتحصن "إبراهيم خليل خان" لفتحها و القبض على الحاكم المتمرد. و كانت طريقه إلى "شوشى" تعترضها قلعه صغيره، قبل الوصول إليها، معروفه باسم "فناه آباد". و كان عليه أن يستولى عليها قبل الوصول إلى "شوشى"، و كان "إبراهيم خليل خان" قد أقام فيها حاميه.

و حين وصل "آقا محمد خان" إلى "فناه آباد" هاجمها بضربها بالمدافع.

و دافع عنها جنودها دفاعا مجيدا شجاعا. و لكن "آقا محمد خان" تمكن من فتحها، بعد أن قتل من جنوده ألفان. و دارت عند أبوابها معركة رهيبه بالسلاح الأبيض و الأيدى. و أسر من جنودها سبعة و مائتا جندى. أما الباقي فقد قتلوا كلهم. و كانت عدتهم، فى بعض الأقوال، سته آلاف.

محاصره شوشى

و تابع "آقا محمد خان" سيره إلى "شوشى" فحاصرها و ضربها بالمدافع. و فى هذا الحصار قام "إبراهيم خان جوان شير" بمغامره أخرى، إذ خرج من المدينه على رأس جماعه من جنده و انقض على مدافع "آقا محمد خان" فدمرها بتفجيرها بالبارود. و هى حادثه تعد من نوادر الحوادث فى حروب الشرق و الغرب. و لكن "آقا محمد خان قاجار" و إن يكن قد أصابته هذه الواقعه بضربه شديده، استطاع قطع "إبراهيم خليل خان" عن المدينه فعجز عن الرجوع إليها، و اضطر إلى الفرار فسلك سبيل "داغستان"، و قد فقد أكثر جنوده الذين هجم بهم على المدافع. و كانت نجاته من القتل أمرا عجيبا. و تيسرت الطريق ل "آقا محمد خان" إلى فتح "شوشى". و بذلك كانت الفائده التى حصل عليها إبراهيم خليل خان من هذه المغامره أقل من الخساره التى نزلت به منها.

و أذاع "آقا محمد خان قاجار" فى أهل المدينه و المدافعين عنها بواسطه المنادين و الرسائل يرمى بها إلى داخل المدينه بالسهم، خبر فرار "إبراهيم خليل خان"، و دعاهم إلى ترك المقاومة و التسليم و وعدهم بالأمان. و كان(١)

ص: ٥٨

١- ذكر "مهدى بامداد" فى كتابه "شرح حال رجال إيران" أن مسير هذا الجيش كان فى أواسط شهر ذى القعدة سنه ١٢١١ هـ.

يريد التعجيل بحسم هذه الحرب، إذ كانت قوته قد ضعفت بتخريب مدافعه و كان يخشى أن يعود "إبراهيم خليل خان" بنجده من "داغستان".

و كان أهل المدينة قد ضعضع غياب قائدهم الشجاع المرجو معنوياتهم و أقل من حماستهم و باتوا فى حيره من أمرهم. و كانوا ميالين إلى التسليم لولا- خوفهم من غدر "آقا محمد خان" بهم. فقد سبق له أن غدر بأهل "تفليس"، بعد أن سلموها له و أعلنوها مدينه مفتوحه. و لكنه، مع ذلك أوقع بها تلك الغاره الفظيحه، مخالفا بذلك السنن الحربيه المتبعه من قديم الزمان عند كل المحاربين. و سبق له أن فعل ما فعل باهالى "كرمان".

مفاوضه آقا محمد خان

ثم قر رأيهم على إرسال مجتهد المدينه المرجع الدينى "حاجى بابك" إلى "آقا محمد خان" لمفاوضته فى موضوع التسليم بشرط الحصول منه على ما يضمن الوفاء بوعدته بتامين المدينه. و قبل المجتهد القيام بهذه المهمه الصعبه و كتب رساله إلى "آقا محمد خان" ألقيت إلى معسكره من وراء السور يطلب فيها الاذن له بالحضور إليه. فاذن له.

و أدلى بالمجتهد فى صندوق مكشوف من أعلى السور إلى خارجه.

و مضوا به إلى فسطاط "آقا محمد خان قاجار".

كان "آقا محمد خان" على جبروته و طغيانه، مسلما راسخ العقيده، مواظبا على الصلاه لم يتفق أن تركها مره فى حياته. و كان يحترم رجال الدين احتراما حقيقيا لا احترام محاباه و تزلف إلى العامه. و كان "حاجى بابك" امرأ فطنا لبقا. و جرى بين الرجلين حوار طويل تحمل فيه "حاجى بابك" مشقه عظيمه فى اختيار الألفاظ و تنسيق المطالب التى هى موضوع الحديث تنسيقا منطقيا معقولا حتى ألان قلب ذلك الطاغيه فاذعن له و قبل بإعطاء ضمانه بالوفاء بوعد الأمان. و لكنه اشترط أن يدفع إليه أهالى "شوشى" بغرامه حربيه باهظه هى خمسمائه ألف أشرفى ذهبى (نوع من النقده).

و لكن المجتهد ما زال به حتى أقنعه بتخفيض المبلغ إلى مائتى ألف أشرفى.

أما الضمانه التى أعطاها "آقا محمد خان" لأهالى "شوشى" فهى أنه أحضر نسخه من القرآن و ختم على ظهرها بخاتمه الخاص و سلمها إلى "حاجى بابك" ليحملها إلى أهالى "شوشى".

فتح شوشى

و عاد "حاجى بابك" إلى المدينه. و أرى زعماءها و قوادها العسكريين القرآن و على ظهره خاتم "آقا محمد خان" فاطمأنوا إلى صدقه. و خرجوا إلى بوابات المدينه، و فى مقدمتهم "حاجى بابك" ففتحوها و وقفوا يستقبلون "آقا محمد خان"، و قد جمعوا كل أسلحتهم و جعلوها كومه فى مكان واحد و دخل "آقا محمد خان" إلى المدينه، و عرضوا على أنظاره الأسلحه إيذانا بأنهم يسلمونها إليه. و نحرت الذبائح عند قدميه، و ساروا به إلى منزل "إبراهيم خان" فاحلوه فيه.

و أمر "آقا محمد خان" باقامه حاميه من جنده داخل المدينة. و وفي بوعده بالأمان، فأمر ببقاء سائر الجنود في خارج المدينة حيث كانوا لا يسمح لهم بدخول المدينة، على أن يدخلوها بعد ذلك بالتدريج. و أمر بان كل جندي و كل ضابط يريد أن يشتري شيئاً لنفسه عليه أن يؤدي ثمنه إلى البائع. و اتفق في أول يوم من دخوله أن اشترى اثنان من جنوده شيئاً و لم يؤدي الثمن إلى البائع. فلما علم "آقا محمد خان" بذلك أوقع بالجنديين عقوبه شديده.

حرب شيروان

"شيروان" إقليم يقع في شرقي جبال القفقاس على ساحل بحر الخزر. و اشتهر على ألسنه الناس من أزمنه قديمه أن هذا الإقليم فيه "عين الحياه"، و فيه الصخره التي أوى إليها موسى و غلامه و ذكرت في القرآن الكريم في سوره الكهف في آيه: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ .

"الآيه". و قال بعض الجغرافيين المسلمين القدماء إن الإسكندر المقدوني ذهب إلى "شيروان" ليشرب من "عين الحياه" و يحصل على الخلود في الحياه. و ذكر آخرون أن الصخره التي أوى إليها موسى و غلامه تقع في "دربند" في شمال "شيروان" على شاطئ البحر.

و عاصمه إقليم "شيروان" مدينه "شماخي". و من مدينها الشهيره مرفا "دربند" و يسميها العرب "باب الأبواب".

و اختلف المؤرخون في تاريخ غزو "آقا محمد خان" لاقليم "شيروان". فمنهم من قال إنه كان قبل احتلال "شوشى" و منهم من قال بعده.

و جعل "آقا محمد خان" على قياده جيشه "محمد حسين قاجار" و امره بالمسير إلى "شماخي" عاصمه "شيروان". و ظل هو في "شوشى" لمرض أصابه. فسار إليها و حاصرها و ضربها بالمدافع.

و بعد أيام برئ آقا محمد خان من علته فتبع الجيش الغازى إلى "شماخي". و تمكنت مدافعه من خرق سور "شماخي" و دخل جيشه إليها، بعد مقاومه شديده و فر حاكمها و استولى "آقا محمد خان" عليها.

و مع أن "شماخي" قاومت و فتحت بالقوه، فان "آقا محمد خان" حطر، بخلاف عادته، على جنده استباحه شىء منها و حقن دماء أبنائها و حفظ عليهم أموالهم، بل إنه أعفاهم من الغرامه أيضا. و هو يدل على انقلاب كبير في أخلاقه. و قد يكون للبيانات المنطقيه التي سمعها من المرجع الدينى "حاجى بابك" في "شوشى" أثر في ذلك. هذا على فرض أن "شوشى" فتحت قبل "شماخي". و إلا ظل هذا الانقلاب لا تخمن له عله! إلا أن تكون الأيام و التجارب و الممارسات قد غيرت و بدلت من نزعاته و عوامله النفسانيه.

و قد ذكره ضباط جيشه بان جنوده يتوقعون، كما هي العاده في كل الحروب، أن يعوضوا ما تحملوه من مشقات و ما تعرضوا له من مخاطرات بما يغمنونه من البلد المغلوب، و أنهم اليوم يشعرون بالخيبه و الخساره. و عندئذ أمر "آقا محمد خان" بالانعام على الجنود من ماله الخاص. و كان أمرا تلقاه الجنود بالتعجب، إذ اشتهر عن "آقا محمد خان" أنه بخيل مقتر. و الواقع أنه لم

يكن بخيلا و لا مقترا، بل كان مقتصدا حسن التدبير.

و فى أواخر عمره كان، على شده ولعه بالمال و حرصه على جمعه، يأخذ المكلفين باللين و التساهل فى استيفاء الضرائب منهم. و حين وقوع النكبات الطبيعیه أو غيرها فى المزروعات كان يعفى أصحابها من تاديه الضرائب. و لم يتفق مره أن أجبر أحدا من الممولين على تاديه شىء من ماله إلى بيت المال إذا احتاج إلى مخصصات لأمر من أمور الدوله. و اغتصاب المال من الممولين قلما

ص: ٥٩

أحجم عنه ملك من ملوك عهود الاستبداد. و لم يعهد عنه أنه أوقع ظلما بأحد من الناس العاديين المسالمين المنصرفين إلى أعمالهم الخاصة لا دخل لهم في سياسته و لا مرام لهم في حكم. و هذه وقائع لم نأخذها من مصادر مؤرخيالعهد القاجارى من الايرانيين دأبوا على تزكيه "آقا محمد خان" و خلفائه و تغطيه سيئاتهم و نشر فضائلهم بالحق أو بالباطل تملقا منهم للملوك و الأمراء الحاكمين، بل أخذناها من مصادر المؤرخين الأوروبيين الذين ساحوا في إيران و كتبوا الوقائع كتابه موضوعيه خاليه من الغرض. و مع أن هؤلاء المؤرخين الأجانب لم يغفلوا سيئاته و لا غفلوا عن طغيانه، بل ذكروا كل شىء عنها، فإنهم مجمعون على أن سلوكه، بوجه عام، كان بالنسبه إلى الناس سلوكا معتدلا. و أن رجال الدين كانوا راضين عنه. و كان عطوفا عليهم يبر الفقراء منهم برواتب دائمه.

مقدمه قتل آقا محمد خان

الموظفون الذين يديرون أعمال دار السقايه و الفرش و المكتبه و أمثالها في البلاط يسمونهم "عمال الخلوه". و هم، بطبيعه عملهم يظنون قريبين من الملك لأن مهمتهم هي تاديه الأعمال الخاصه بشخصه. و كان من عمال خلوه "آقا محمد خان" رجل اسمه "صادق خان النهاوندى".

و قد ذكرنا أن "آقا محمد خان" قد صان "شماخى" بعد فتحها من الاغاره عليها و حظر على الجند أعمال السلب و القتل و السبى فيها. و قد ذكر العقيد الانكليزى "غولدا سميث" أن "صادق خان" هذا - و كان ذا نفوذ في حاشيه الخصى القاجارى - و اثنين آخرين من عمال الخلوه(1)، ذهبوا، بعد احتلال "شماخى"، إلى بيت أحد أغنيائها و سلبوا منه خمسه آلاف تومان و حلى ذهبيه مدعين أن "آقا محمد خان" أمرهم بذلك. و قد فعلوا ذلك في الليله التى عزم "آقا محمد خان" على العوده في فجرها إلى "شوشى".

و لذلك كان "صادق خان" و رفيقاه مطمئنين إلى أن الرجل المسلوب لن يستطيع الوصول إلى "آقا محمد خان" لرفع شكواه إليه.

و في الصباح ذهب المسلوب قاصدا إلى "آقا محمد خان" ليرفع إليه شكواه. و لكن هذا كان قد سارت ركابه قاصده "شوشى" فلم يستطع الوصول إليه. فانطلق في أثره إلى "شوشى". و هناك لم ينفعه أحد ممن شكاهم ظلامته في هدايته إلى وسيله تمكنه من إيصال شكواه إلى "آقا محمد خان"، إلى أن أشار عليه أحدهم بمراجعته المجتهد "حاجى بابك".

فذهب إليه. و ساله "حاجى بابك" إن كان يعرف أسماء المعتدين أو بعضها فأجاب بالنفى. فسأله عن أشكالهم، فقال على أنف أحدهم ندبه.

فقال: هل تعرفه إذا رأيته؟ فقال: نعم. فقال المجتهد: عيد الغدير يقع بعد ثلاثه أيام. و سأذهب يوم العيد لتهنئته "آقا محمد خان" بالعيد و أسلمه رساله بشكواك.

و كتب "حاجى بابك" رساله إلى "آقا محمد خان" بالظلامه و أخبره بالعلامه التى ذكر الشاكى أنها على أنف أحد المعتدين و بين مقدار المال المسلوب. و في يوم عيد الغدير ذهب إلى مجلس "آقا محمد خان" لتهنئته. و لما أراد الانصراف من

المجلس ناوله الرسالة و مضى. فلما قرأ "آقا محمد خان" الرسالة ظن أن أحد المعتدين هو "صادق خان النهاوندى" إذ كان على أنفه مثل تلك العلامه. فكتب إلى "حاجى بابك" يطلب إرسال المعتدى عليه إليه فى صباح الغد وقت الصلاه. و أمر "صادق خان النهاوندى" نفسه بإيصال هذه الرسالة إلى حاجى بابك".

فلما حضر الشاكى أوقفه "آقا محمد خان" فى جانب من المجلس بحيث لا تبين سحنته للرائى، و قال له سأدعو الآن رجلا إلى الحضور.

و احرص أنت على أن لا- تجعله يتبين وجهك. و لكن دق النظر فيه و تبين هل هو أحد الرجال الذين سلبوك أم لا. ثم أمر بإحضار "صادق خان النهاوندى" فحضر. فسأله "آقا محمد خان": هل وصلت الرسالة التى أعطيتك إياها البارحه إلى يد "حاجى بابك"؟ فقال: نعم. فقال "آقا محمد خان": أخرجوا هذه القناديل إذ قد أضاء النهار و لا حاجة إليها.

فتقدم "صادق خان" و رفع القناديل و خرج بها. عندئذ التفت "آقا محمد خان" إلى الشاكى و ساله: هل هذا هو الشخص الذى سلبك؟ فقال:

نعم. عرفت سحنته و عرفت صوته أيضا. فقال له "آقا محمد خان":

امض إلى منزلك و امكث فيه إلى أن يصلك خبر منى. و احرص، و أنت خارج، على إخفاء وجهك لا يتبينه أحد ممن يراك.

و حين علا النهار أحضر "آقا محمد خان" الخادم "صادق خان النهاوندى" و أمره بان يذهب إلى قريه قريبه و يأتيه بشيء من المشمش. فمضى إليها. و انتظر "آقا محمد خان" حتى ابتعد "صادق خان" عن المدينه فأمر بكبس بيته. فوجدوا فيه الحلى الذهبى المسلوبه من الشماخى المتظلم و حملوها إلى "آقا محمد خان".

و أحضر الشاكى و عرضت عليه الحلى المصادره. فلما رآها قال: نعم هذه الحلى بعض ما سلب منى فى تلك الليله. فقال "آقا محمد خان": بقيه المسروقات عند الرجلين الآخرين و غدا صباحا ساعرف من هما أيضا، و تستعيد أنت كل ما سلب منك. و يلقى المعتدون جزاءهم.

و فى صباح اليوم التالى عاد "صادق النهاوندى" بالمشمش. و قبل أن يدخل على "آقا محمد خان" تلقاه رفيقاه و أخبراه بكبس منزله و العثور على الذهب فيه. و عندئذ أدرك "صادق خان" كل شيء.

و فيما الثلاثه يتشاورون فى ما يفعلون للخروج من المأزق جاء من ينادى "صادق خان" للحضور عند "آقا محمد خان" يبلغه عن لسانه أنه ينتظر المشمس الذى أوصى عليه. و طمانت هذه الدعوه "صادق خان" إذ رأى أن اهتمام "آقا محمد خان" بالمشمش معناه أنه غير مهتم بموضوع الشكوى.

فحمل المشمس إليه. و نظر "آقا محمد خان" فيه ثم ذاقه، و أخذ يحدث "صادق خان" عن خواص المشمس الصحيه و أى الأوقات هى الأفضل لتناوله.

و بعد أن أكل منه قليلا- أمره أن يحمله إلى دار السقايه. و عاد إلى رفيقيه، و كان ينتظر انه بفارغ الصبر. فطمانهما و قال إنه لا يتوقع أن يقدم "آقا محمد خان" على عمل غير مقاسمتهم ما سلبوه من الرجل، و أنه يحتمل أن يرضى بالنصف، فان لم يرض به وهبوه المال المسلوب كله و ظلوا في عملهم في خدمته.

و كان "آقا محمد خان" قد وضع عيوننا على "صادق خان" لينظروا من هو أول من يلقاه و يحدثه حين يصل من القرية، و من الذي يلقاه و يحدثه أيضا

ص: ٦٠

١- ذكرهم "مهدي بامداد" في كتابه "شرح حال رجال إيران" نقلا- عن كتاب "روضه الصفاء" تأليف "رضا قلى خان هدايت"، بأسماء: "صادق الكرجى" و "خداداد الأصفهاني" و "عباس المازندراني".

حين خروجه من حضرته، فأخبره الجواسيس بما رأوا. و أخبروه بان عاملى الخلوه الآخرين حين حدثاه ساعه وصوله من القريه ظهر عليه الجزع. فعد "آقا محمد خان" ذلك إماره على أنهما هما شريكاه فى الجريمه.

و عند الغروب استدعى آقا محمد خان " ذلك الرجل الشماخى المسلوب فحضر. و استدعى "صادق خان النهاوندى" و رفيقيه فحضروا. و لما وقع نظرهم على الشماخى أخذتهم الرعده. فقال لهم "آقا محمد خان": إن قسما مما سلبتموه من هذا الرجل قد عثر عليه فى منزل صادق خان. و عليكم أن تعيدوا إليه بقيه ماله فاعادوه. و قال له "آقا محمد خان" عد مالك، هل هو كل ما سلبوه منك؟ فقال الرجل: ينقص منه مائتا تومان. فأمر "آقا محمد خان" بتاديتها إليه من ماله الخاص، و قال للرجل: سأستوفيهَا من مال هؤلاء الثلاثة بعد قتلهم. فلما سمعوا هذه الكلمه أيقنوا أنهم مقتولون فى الصباح.(١)

آخر ليله من حياه آقا محمد خان

حدث ذلك فى ليله السبت الواحد و العشرين من شهر ذى الحجه سنه ١٢١١ هـ أو سنه ١٢١٢ هـ (اختلاف فى الروايات" و هى آخر ليله من حياه "آقا محمد خان". فى تلك الليله تابع الخصى القاجارى برنامج المعتمد فى كل ليله. فصلى المغرب و العشاء. ثم استمع إلى تقرير عرضه عليه بعض كبار موظفى الولايات. ثم تناول عشاءه وحده. ثم دخل غرفه نومه و استدعى "الشيخ جعفر التنكابنى"، على عادته فى كل ليله، ليقرأ له شيئا من كتاب قبل أن ينام.

و حبس الثلاثة المحكوم عليهم فى غرفه مخفورين. و وضعوا فى عهده رئيس عمال الخلوه. و لكنه لم يقيدهم و اكتفى باقامه حارس فى مواجهه باب الغرفه، و تركهم طليقين فى داخل الغرفه. و لعله فعل ذلك مراعا لما بينه و بينهم من صداقه و زماله.

و بعد محاوره سريره طويله جرت بين المحبوسين قرروا قتل "آقا محمد خان". و رتبوا خطه محكمه لاغتيال من يعترض طريقهم إلى غرفه نومه من الحراس، من غير إحداث صوت. و نفذوا الخطه بدقه، و دخلوا عليه، و هو نائم فطعنه "صادق خان النهاوندى" بالسكين فى عنقه، و أتبع رفيقاه طعنته بطعنات أخرى بالسكاكين حتى قضوا عليه. و أخذوا كل ما وقع فى أيديهم من مال و جواهر. و انطلقوا خارجين من العماره. و لم يتعرضهم الحارس القائم على بابها الخارجى إذ ادعوا أنهم مكلفون بمهمه عاجله، و كان الحارس يعرفهم، و منها انطلقوا إلى بوابه المدينه ففتحتها الحراس لهم إذ ادعوا لديهم بمثل هذه الدعوى، و كان هؤلاء الحراس يعرفونهم أيضا. فانطلقوا هاربين.(٢)

و فيما هم فى الطريق لقيهم "صادق شقاقى"(٣) قادما من المعسكر، و كان المعسكر يقيم خارج المدينه. فاستوقفهم و حادثهم و استراب بهم، فاعتقلهم و عاد بهم إلى المعسكر. و هناك أقروا له بما فعلوا. ففتشهم و استولى على ما أخذوه من غرفه "آقا محمد خان" من مال و جواهر، و أبقاهم عنده.

و حين انتشر نبا مقتل "آقا محمد خان" فى المدينه وقع الاضطراب و الهرج فى رجاله. و فر قسم منهم خوفا من الفتنة و انتقام ذوى الأحقاد بهم بعضهم من بعض. و حار آخرون لا يدرون ما ذا يفعلون. و تحرك أهل المدينه للثوره. و لو لا تدخل المجتهد "حاجى بابك" لأوقع أهلها برجال "آقا محمد خان" مذبحه عامه. و لكنه تمكن من تهدئتهم بما له فى نفوسهم من احترام و بما أوتيته من حكمه و فطانه. و تولى أيضا المحافظه على جثه "آقا محمد خان"، و لولاه لأحرقها الشوشيون.

و كان "الحاج إبراهيم خان اعتماد الدوله" الشيرازى وحده من بين رجال "آقا محمد خان" من ملك نفسه وقام بتصريف الأمور برباطه جاش و بصيره. فهو الذى بادر إلى وضع الجثه أمانه فى عهده "حاجى بابك" ريشما يقرر ذوو القتل مكان دفنه. و حفظ الخزانه و الجواهر الملكيه من النهب، إلا شيئاً قليلاً منها، و هيا لها جماعه من الحراس برعايه أبناء "خان بابا جهان بانى"، و حملوها إلى طهران. و أرسل رساله إلى "خان بابا جهان بانى" ولى العهد، و كان فى شيراز حاكماً عليها، ينبئه بمقتل عمه. و هو أمر لم يفتن له أحد، غيره، إذ شغل الناس بما وقعوا فيه من اضطراب و بلبله و حيره.

و كان إرسال الرساله مع ساع ممن تخصصوا بالقيام بمثل هذه الأسفار مشاه، اسمه "بابا يوسف" فى الخمسين من عمره. و كان إيصالها من أعاجيب المواصلات، إذ قطع حوالى ثمانمائه و ألف كيلومتر فى مده أحد عشر يوماً راجلاً! خرج من "شوشى" عصر يوم السبت ٢١ ذى الحجه و وصل إلى شيراز فى اليوم الثانى من المحرم.

و فى يوم عيد الفطر سنه ١٢١٢ هـ الموافق سنه ١٧٩٧ م نودى ب "خان بابا جهان بانى" ملكاً على إيران باسم "فتح على شاه". و اتفق أن كان وقوع عيد الفطر فى تلك السنه فى يوم النوروز. و فى ذلك اليوم نفسه احتفل بتتويجه فى طهران.

و نقل جثمان "آقا محمد خان" من "شوشى" إلى طهران فوصلوا به إليها فى ١ جمادى الآخره سنه ١٢١٢ هـ. و دفن مؤقتاً فى مقام "شاه عبد العظيم". ثم أرسل الجثمان إلى النجف ليدفن عند مقام الامام على بن أبى طالب (ع)، فوصل إليها فى ١٩ رجب سنه ٢١٢ هـ. و فى يوم ٢٠ رجب فى تلك السنه و ورى الثرى.

ص: ٤١

١- بنفى العقيد "غولدا سميث" الذى ينقل عنه "جان غوره" هذه الوقائع، الروايه القائله إن حكم "آقا محمد خان" بالقتل على أولئك الثلاثة إنما كان سببه أكلهم حزه من الخربوز كان قد أوصاهم بالاحتفاظ بها - كما تقدم -، لأن الفصل لم يكن فصل الخربوز. و ينفى كذلك الروايه الأخرى القائله إن المأكول كان شيئاً من المشمش الذى أحضره "صادق خان النهاوندى" من القرية، لا الخربوز، و دليله أن مطبخ "آقا محمد خان" و دار سقايته كانا حيثما حل يشكلان مدينه صغيره تتوفر فيهما الأطعمة و الأشربه لمرافقيه و خدمه، و يتناولون على سفرته فى كل يوم و جبتين من الطعام الوافر المتنوع. فليس يعقل أن يحكم بقتل ثلاثة من خدمه من أجل حزه من الخربوز أو قليل من المشمش.

٢- قال المؤرخ الفرنسى "جان غوره" فى كتابه "الخصى المتوج" "روى أن أحد كبار المنجمين نهى آقا محمد خان، قبل سفره الأول إلى قراباغ، عن الذهاب إلى هناك. و قال له: فى قراباغ ينتظر ك نحس". و لم يكن آقا محمد خان يؤمن بمثل هذه الأشياء فيثنى عن عزمه. و لكن الوقائع بينت أن نحسا كان فى انتظاره فى قراباغ حقاً.

٣- "صادق خان شقاقى" هو ابن أحد الرؤساء فى عسكر "كريم خان" زند. خرج على "آقا محمد خان" سنه ١٢٠٥ هـ. و لكنه انهزم. ثم شفع له أحد الخانات عند "آقا محمد خان" فعفا عنه، و التعق به فى تلك السنه نفسها، و أصبح بعد ذلك من كبار قواده العسكرين.

و كان عمر "آقا محمد خان" يوم قتل سبعة و خمسين عاما تقريبا.

و ملك ثمانى عشره سنه و بضعه أشهر.

اشتهر عنه أنه كان بخيلا- مقترا. و الواقع أنه كان - كما تقدم - مقتصدا غير مسرف و لم يكن بخيلا. و قل من كان مثله فى ملوك الشرق و فى القاجاريين خاصة يؤدى رواتب الموظفين و الجنود كامله فى مواعيدها. و كان هذا النظام سببا فى أن أحبه موظفوه و جنوده و أخلصوا له.

أما فظاظته و قساوه قلبه فى الانتقام كما فعل فى "كرمان" و "تفليس" فسببها العقده النفسيه الرهيبه التى أوجدها فيه خصاؤه. فكان لا يحتمل كلمه أو إشاره تفيد معنى الخصاء. فإذا حدث شىء من ذلك أصبح كالسبع الهائج لا يبالي أين يضرب. و قد دأب الكرمانيون و دأب التفليسيون حين محاصرته المدينتين على تعبيره بالخصاء جهارا.

مره واحد فقط دفعه الحقد لسبب غير التعبير بالخصاء إلى إيقاع انتقام رهيب. و ذلك انتقامه من ذلك (السمان) الذى كان يغشه بالبيع يوم كان فى الإقامة الجبريه فى طهران أيام حكم "كريم خان زند". فقد قتل ذلك السمان التاعس بإلقائه فى الزيت الغالى. و قد مر ذكر الحادثه.

و كان "آقا محمد خان" من أهل العلم و المعرفه محبا للقراءه و المطالعه.

و أحاديثه الأدبيه و العلميه قبل تملكه و بعد تملكه كانت موضع إعجاب مستمعيه. و لذلك كانت له منزله محترمه بين العلماء.

و لكن تلطخت حياته بحادثتين منكرتين هما طريقه انتقامه الكريهه "من لطف على خان زند" و نبشه قبر "كريم خان زند" و استخراج عظامه و دفنها تحت بلاط الممر الذى يمر منه ليجعله تحت قدميه كلما اجتاز ذلك الممر.

و كذلك إباحته مدينه "تفليس" للقتل العام و السلب و النهب بعد أن أعلنها أهلها مدينه مفتوحه.

آمنه بيگم بنت الآغا محمد باقر بن محمد أكمل البهبهانى الحائرى:

ولدت فى كربلاء حدود سنه ١١٦٠ و توفيت بها حدود سنه ١٢٤٣ و دفنت عند نجلها السيد محمد المجاهد المتوفى سنه ١٢٤٢ فى المقبره الخاصه المجاوره لمدرسه البقعه فى سوق التجار فيما بين الحرمين و قبره مزور مشهور عليه قبه عظيمه من القاشانى الأزرق.

من أفضه نساء عصرها متكلمه واعظه أصوليه محققه محدثه جليله ذات سند قويوم كثيره الزهد عظيمه الورع ولدت و نشأت فى كربلاء و أخذت المقدمات و فنون الأدب و علوم العرييه على أعلام أسرتها و تخرجت فى الفقه و الأصول و الحديث على والدها المؤسس الوحيد الآغا محمد باقر البهبهانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٠٥. و لما بلغت سن الرشد زفوها لابن عمته السيد على الطباطبائى الحائرى المتوفى سنه ١٢٣١ صاحب الرياض و رزقت منه ولدان السيد محمد المجاهد المتوفى سنه ١٢٤٢ و السيد مهدي الطباطبائى الحائرى المتوفى سنه ١٢٥٠ و ذكرها فى أعيان الشيعه الجزء التاسع صفحه ٤٤٣ فى ذيل ترجمه ابنها

السيد محمد المجاهد قائلًا (... و لصاحب الترجمة أخ اسمه السيد محمد مهدي أصغر منه كان أيضا عالما جليلا أمهما بنت الآغا البهبهاني كانت عالمة فقيهة).

يقول عبد الحسين الصالحى: و لها مؤلفات فى الفقه و الأصول منها مبحث الحيض من كتاب الرياض لزوجها السيد على الطباطبائى الحائرى و رساله فى النفاس و كتاب الطهاره و غيرها و كلها موجوده فى مكتبه آل صاحب الرياض فى كربلاء.

آمنه الكبرى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب ع.

توفيت بعد سنه ١٨٦.

نشأت فى حجر أبيها الإمام موسى الكاظم ع و اختلف المؤرخون و علماء النسب فى عدد اولاد الامام موسى الكاظم ع قال على بن عيسى الإربلى فى كشف الغمه أن للإمام ع عشرين ولدا و ثمانى عشره بنتا و ذكر ابن شهر آشوب تسع عشره بنتا و يضيف إليهن أم وجيه. و ضبط سبط ابن الجوزى عشرين بنتا و نقل فى أعيان الشيعة الجزء الثانى صفحه ٥ عن المفيد تسع عشره بنتا ثم نقل أكثر الأقوال، و ذكر ملا حسين الكاشفى فى روضه الشهداء سبعا و ثلاثين بنتا و مما يجدر ذكره هنا ذكر المؤرخين ثلاث بنات باسم آمنه الصغرى و آمنه الوسطى و آمنه الكبرى و أما آمنه الوسطى فنسب لها قبر فى مصر فى القاهره و أما آمنه الكبرى ففى قروين و لها روضه قديمه تقع فى وسط محله پنه ريسه ريسه احدى المحلات القديمه فى قروين و تعرف هذه المحله فى العصر الحاضر باسمها (محله آمنه خاتون) و على القبر قبه كبيره قديمه مزينه بالقاشانى البديع الصنع و له حرم واسع يمتلى بالزوار الذين يقصدونه من كل مكان.

ذكره السيد محمد على گلريز القزوينى فى كتابه مينودر و نسب القبر خطأ إلى آمنه بنت الامام جعفر الصادق ع و قد أجمع علماء النسب أنه لم يكن بنت باسم آمنه للإمام جعفر الصادق ع و إنما هذه الروضه هى لآمنه بنت الامام موسى الكاظم ع كما نص على ذلك فى لوحه القبر القديمه. (١)

آمنه الوسطى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع:

توفيت بعد سنه ١٨٦.

نشأت فى حجر أبيها الامام موسى الكاظم ع و قد أجمع العلماء و المؤرخون و النسابون أن للإمام موسى الكاظم ع بنت باسم آمنه و ذهب جماعه أن للإمام موسى الكاظم ع ثلاث بنات باسم آمنه هن آمنه الصغرى و آمنه الوسطى و آمنه الكبرى و قال النسابه الشهير أبو الحسن العمري من أعلام القرن الخامس حين ذكر أعقاب الامام الكاظم ع: فأسماء بناته... آمنه قالوا: قبرها بمصر و قال ياقوت الحموى المتوفى سنه ٦٢٦ (... فى مصر بالقرب من القرافه الصغرى...

قبر آمنه بنت موسى الكاظم فى مشهد...) و ضبط السيد عبد الرزاق الكمونه فى كتابه مشاهد العتره أن المدفونه فى مصر هى آمنه الوسطى و قال (آمنه الوسطى بنت الامام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد الصادق ع ذكر أبو الحسن العمري فى المجدى

قالوا قبرها بمصر و في معجم

ص: ٦٢

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

البلدان في مصر بالقرب من القرافه الصغرى، قبر آمنه بنت الامام موسى الكاظم في مشهد...) و يقول عمر رضا كحاله في أعلام النساء الجزء الأول صفحه ١٧ عن الكواكب السياره لابن الزيات: (آمنه بنت موسى الكاظم بن جعفر الصادق من ربات العباده و الصلاح. ذكرها الأسعد النسابة و عدها القرشى في طبقه الأشراف و حكى عن خادمها أنه كان يسمع عندها قراءه القرآن في الليل و ينسب إليها المشهد المعروف باسمها).

ذكر عباس قلى خان السپهر في كتابه المعروف ناسخ التواريخ بنات الامام موسى الكاظم ع المسميات بامنه الصغرى و الوسطى و الكبرى ثم ذكر بعض الكرامات التي ظهرت في روضه آمنه الوسطى المدفونه في مصر. (١)

السيد إبراهيم بن السيد إسماعيل آل باليل الموسوى الدورقى

توفى في البصره سنه ١٢٦٣ كان من فضلاء الفلاحيه و أدبائها. و كان مولده فيها في العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجرى قرأ على علمائها و على غيرهم، و عاصر من علمائها جماعه منهم الشاعر الشهير الشيخ هاشم الكعبى و الشيخ أحمد بن محمد المحسنى الاحسائى الفلاحى و ابنه الشيخ حسن.

له على حاشيه الملا عبد الله تعاليق و حواشى، و كانت عنده مكتبه فيها نقائس [نقائس] المخطوطات، يقول عنها حفيده السيد هادى بن السيد ياسين: لم يصل لنا منها الا شىء يسير، منه (شرح الشيخ جواد رحمه الله على زبده الأصول) كتب على ظهر النسخه العبارة التاليه: "انتقل بمن الله إلى إبراهيم ابن أبى ليل الموسوى فصار فى ملكه فى سنه ١٢٤٩، و ختم بخاتمه و نقشه (سلام على إبراهيم)". و النسخه من مخطوطات أواخر القرن الحادى عشر تملك جماعه من العلماء و رأيت مكتوبا على ظهر نسخه كتاب (حاشيه الملا عبد الله) التي كتبها المترجم فى القرن له بخطه العبارة التاليه:

"بسم الله، الكتب التي لنا عند الشيخ محمد بن قعود، ١ - قواعد العلامه، ٢ - شريح [شرح] الشيخ جواد، ٣ - معالم الزلفى، ٥ - كتاب آخر فى المنطق، ٦ - تصريح شرح التوضيح على الفيه ابن مالك". و من هنا يظهر أن معاصريه من العلماء كانوا يستعبرون بعض الكتب من مكتبته.

إبراهيم حسين باروى

ولد سنه ١٣٢٠ و توفى سنه ١٣٧٥.

هو من قريه باره التابعه قضاء غاريبور (و الهند). و قد درس المدرسه الناظميه فى لكهنو و حصل على شهاده (ممتا [ممتاز] الأفاضل). و هى الشهاده التي تعطى لمن أكمل دراسه كتب: الكفايه و الرسائل و المكاسب.

كان خطيبا متفوقا، مشهورا بذلك فى الهند كلها، و كان كاتبنا نشر فى المجالات و الجرائد الهنديه كثيرا من المقالات الإسلاميه.

أقام أولا فى لكهنو، ثم استقر فى حيدرآباد حتى وفاته.

إبراهيم خان أيوب

توفى سنة ١١٢١ و لم يعلم تاريخ ولادته كان إلى جانب شخصيته العلميه سياسيا إداريا تقلد عدة مناصب فقد عين سنة ١٠٧٢ محافظا لكشمير، ثم تنقل بنفس العمل بينها وبين لاهور و البنغال. ثم استقر فى بلده إبراهيم آباد حتى وفاته.

له كتاب (بياض إبراهيمى) فى سبعة مجلدات تدور بحوثه على ولاية الأئمة و أصول الدين و فروعه، و يوجد فى معظم مدارس الشيعة فى الهند و الباكستان.

إبراهيم فخرائى بن الحاج رضا

ولد برشت سنة ١٣١٧ و توفى فى طهران عام ١٤٠٧، سافر إلى دمشق حيث درس فى أحد المعاهد اليونانية فتعلم العربية، كما أجاد الفرنسية و الروسية ثم عاد إلى طهران و درس الطب فى مدرسه دار الفنون و بعد أن عاد إلى جيلان (إحدى مقاطعات إيران الشماليه) التحق بمعسكر ميرزا كوجك خان قائد ثوره الغابه، و كان يضم للذين كانوا يناهضون سلطه حكم رضا خان البهلوى و الاستعمار البريطانى و الروسى فى شمال إيران، فصار سكرتيرا لزعيم الحركه [الحركه] ثم مسئولاً عن الشؤون الماليه لها و أخيرا صار مسئولاً عن الشؤون الثقافيه و التعليميه للثوار.

و بعد فشل الثوره قضى فتره فى السجن ثم بعد الإفراج عنه اتجه إلى التعليم فصار مديرا لإحدى المدارس، ثم توجه إلى الصحافه فصدر جريده (بيام النداء) ثم جريده (طلوع)، ثم مجله (فروغ) و نشر فيها و فى غيرها عشرات المقالات و التحقيقات عن الأدب و التاريخ و المراثى و قام بتوسعه مكتبه رشت الوطنيه. ثم انتقل إلى طهران و درس الحقوق و مارس المحاماه و تولى القضاء فى جيلان و قزوین و أردبيل و بروجرد و عبادان و ملایر و أراک و غيرها، ثم انتقل إلى محكمه الاستئناف و عمل بها إلى حين تقاعده.

له مؤلفات عديده أهمها: عن حياه قائد ثوره الغابه حيث شرح فيها تاريخ الثوره التى قادها ميرزا كوجك خان و يعتبر هذا الكتاب المصدر الموثوق الوحيد عن هذه الحركه الثوريه و قد طبع أكثر من عشر مرات. (٢)

السيد إبراهيم الموسوى التبريزى ابن السيد مهدي

ولد سنة ١٣١٣ فى تبريز و توفى سنة ١٣٨١ فى طهران و دفن فى قم.

كان عالما مبتحرا [مبتحرا] فقيها محدثا ثقه أدبيا شاعرا باللغه العربيه.

نشا فى بيته الجليل على والده. و درس اللغه العربيه و آدابها، و العلوم الإسلاميه، فكان من أساتذته الحاج ميرزا حسن المجتهد التبريزى المتوفى سنة ١٣٣٨ و السيد أبو الحسن الحسينى المتوفى سنة ١٣٥٧ و أجزى من أستاذه و من شيخ الشريعه الأصفهانى و الشيخ عبد الله المامقانى و الشيخ محمد تقى الشيرازى و الشيخ عبد الكريم الحائرى و السيد أبو الحسن الأصفهانى. و له تعليقات على الرسائل و المكاسب، و حواش على شرح اللغه و المطول و المغنى و غيرها، و لكن لم يقدر له تنسيق ذلك و طبعه.

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

ولد سنه ١٣٢٢ فى بلده جارجه التابعه لمنطقه (بلند شهر) فى الهند.

و توفى سنه ١٣٩٣ فى كراتشى.

توفى والده و هو فى الخامسة من عمره فرعاه جده، كانت دراسته الأولى فى (رام بور) و (لاهور) و قد اتقن اللغتين العربيه و الإنكليزيه. ثم انتمى إلى جامعه على كراتشى حصل منها على الدكتوراه. و انتهى إلى أن كان فقيها، مثقفا، مفكرا، خطيبا. و كان معروفا بحدته الذهن و قوه الفهم، فتسلم عدده مسئوليات هامه فى المؤسسات العلميه و الجمعيات الثقافيه و طرح أفكارا جديده فى هذه المؤسسات و الجمعيات كان لها أثرها فى محاربه الجمود فى الوسط الإسلامى الشيعى.

يقول العالم المؤرخ السيد مرتضى حسين فيما كتبه عنه: " كنت أجمع كثيرا معه و أستمع إلى أفكاره، فرحت أفكر كيف يمكن أن أساعده فى تحقيق ما يود تحقيقه. و بعد تفكير طويل استطعت تأسيس (كل هند شيعه عربيه جمعيه طلبا) أى (الجمعيه العربيه لطلبه الشيعه فى الهند). ثم بدأت الاتصالات المكثفه بجميع المدارس الشيعيه و الشخصيات المعنيه و دعوت العلماء و الأفاضل و المثقفين إلى حضور اجتماع كبير عقد سنه ١٩٤٦ فى جلستين ترأس إحدهما مولانا كلب حسين من كبار علماء الهند و ترأس الثانيه ابن حسن جارجوى. و انتهت الاجتماعات بصدور قرارات هامه معظمه تتعلق بما يجب أن تسير عليه مدارس الشيعه فى الهند من أسلوب جديد، و هو ما كان يهدف إليه المترجم.

و قد كان للمترجم [للمترجم] دور كبير فى إقامه باكستان فقد عمل مع محمد على جناح الذى كان يكن له احتراما كبيرا. و لكنه بعد التقسيم آثر الإقامه فى الهند بمدينة لكهنؤ، فلحق كثيرا من المضايقات و المعاملات السيئه فانتقل إلى باكستان حيث قوبل بحفاوه كبيره و استقر فى كراتشى و أخذ يمارس فيها نشاطه العلمى و الاجتماعى و السياسى، و كانت حياته مبرمجه منظمه فى تحركاته بمختلف ميادين الحياه، بحيث لم يكن لديه وقت ضائع. و كان من بين ما تولاه تدريس عقائد الشيعه فى جامعه كراتشى.

و قد تعاورته فى أواخر حياته أمراض لازمه حتى وفاته. ترك من الأولاد كلا من: السيد محمد و السيد مشهور و السيد على، و بنتين اثنتين.

له من المؤلفات: ١ - مقدمه فلسفه آل محمد ٢ - فلسفه آل محمد فى سته مجلدات ٣ - كتاب فى المجالس الحسينيه قدم له السيد مرتضى حسين ٤ - شهيد نينوى ٥ - قراءه التعزیه بأسلوب حديث ٦ - أسلوب حياه الامام على باللغتين الأردويه و الإنكليزيه. كما نشر الكثير من المقالات فى الصحف فى شتى المواضيع الإسلاميه. كما أنه أصدر فى دهلى مجله (رهبر). (١)

أخذ المقدمات فى مسقط رأسه ثم هاجر لطلب العلم إلى السند و لاهور و دهلى و على كره و حضر فى هذه المدن على جماعه

من علماء الشيعة و في عام ١٩٣٣ م عين استاذا في (جامعه مليه دهلي) و كان يدرس العلوم الإسلاميه فيها حتى سنه ١٩٣٨ م حيث أصبح رئيس كليه الشيعه في لكهنو (شيعه دگری گالچ) ثم أسس مركز التحقيقات الإسلاميه في كراتشي و هو من أهم المراكز العلميه في باكستان و أوصى أن يدفن فيه. و بعد وفاته نفذت وصيته و مع ممارساته الجامعيه فكان من كبار خطباء و وعاظ المنبر الحسيني في شبه القاره الهنديه و كان يجيد اللغه الفارسيه و الأردويه و الهنديه و الإنكليزيه و نشرت له مقالات و بحوث بهذه اللغات.

ابن حسن بن مير حسين رضا جايسی

ولد في لكهنو سنه ١٢٩١ و توفي فيها سنه ١٣٦٨.

و ابن حسن اسمه، تلقى دراسته الأولى في لكهنو ثم سافر إلى العراق لمتابعه الدراسه، فتنقل بين النجف و كربلاء و سامراء، و كان من أساتذته كل من السيد كاظم الطباطبائي و الآخوند محمد كاظم الخراساني و شيخ الشريعه الأصفهاني و غيرهم. ثم عاد إلى الهند و استقر في لكهنو ممارسا نشاطه في التدريس و الخطابه حتى وفاته.

و له من المؤلفات: ١ - الرأي السديد في مسائل الاجتهاد و التقليد، و هو باللغه العربيه ٢ - الامام الراتب، و هو باللغه الأردويه ٣ - نهايه الأصول، و هو حاشيه على كفايه الأصول. و غير ذلك.

ابن يوسف الشيرازي

ولد بشيراز عام ١٣٢٣ و توفي سنه ١٤٠٧ درس العلوم الإسلاميه في مسقط رأسه ثم في أصفهان ثم في قم و أخيرا في مشهد بخراسان ثم حاز على شهاده الليسانس من كليه المعقول و المنقول (كليه الإلهيات بطهران) و صار مدرسا في مدرسه سبهاسالار و مدرسه مروى بطهران.

كان خبيرا بالمخطوطات و قام بفهرسه بعض الخزائن المخطوطه بايرانكفهرست مخطوطات مدرسه سبهاسالار و فهرست مخطوطات مكتبه البرلمان الايراني. (٢)

أبو البقاء إبراهيم بن حسين بن إبراهيم البصري:

كان حيا في المحرم سنه ٥١٦.

من أكابر المحدثين الشيعه و علمائهم. أخذ العلم عن الشيخ أبي طالب محمد بن الحسن بن عتبه و هو يروى عن أستاذه المذكور. تصدر كرسى التدريس في النجف الأشرف و تخرج عليه جماعه منهم الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم علي بن محمد الطبري الآملي صاحب كتاب بشاره المصطفى لشيعه المرتضى و ذكر استاذه المترجم له في حديث وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع لكميل بن زياد و قال أنه قرأ عليه بمشهد أمير المؤمنين ع في المحرم سنه ٥١٦ هجريه و ذكره شيخنا الأستاذ في

١- مطلع أنوار.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

السيد كمال الدين أبو الحسن بن السيد بهاء الدين محمد بن السيد على الحسيني الأفتس الزباري البيهقي:

كان حيا عام ٥٦٣هـ.

من العلماء و أهل الفضل و الكمال أديب شاعر، له نظم فى اللغة العربيه و الفارسيه أخذ العلم عن أكابر علماء بيهق ثم نبغ فى الأدب و الشعر.

و هو من أسره آل زباره البيهقيين أو آل الزباري و هم من ذريه السيد محمد زباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفتس بن على الأصغر بن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع فى بيهق نبغ من هذه الأسره نقباء و علماء و فقهاء و شعراء سيأتى ذكر كل منهم فى محله و كان والد المترجم له السيد بهاء الدين محمد المتوفى سنه ٥٤٩ من علماء بيهق و عمه السيد ضياء الدين على من شعراء هذا البيت الجليل.

ذكر المترجم له ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و كان أديبا شاعرا له ديوان شعر بالعربيه و ديوان شعر بالفارسيه و من قصائده بالعربيه:

الله يشهد انا معشر نجب حلت بعقوتنا العلياء و الكرم

ما ضرنا اننا قلت دراهمنا و البيت منزلنا و الحل و الحرم

بيوتنا بنيت للمجد مذ بنيت ترى لديها رقاب المال تهتضم

فقل لمعتسف يرجو للحاق بنا تسعى كثيرا و عقبى سعيك الندم (٢)

أبو الحسن أبو صاحب بن محمد بن على شاه الكشميرى

ولد سنه ١٢٦٠ فى لكهنو (الهند) و توفى فى كربلاء سنه ١٣١٣.

من مشاهير فقهاء الهند، توفى والده و عمره تسع سنوات، درس كتاب (عماد الإسلام) على السيد محمد سلطان العلماء و درس الفقه و الأصول على ممتاز العلماء السيد محمد تقى، و كان من أساتذته أيضا المفتى محمد عباس.

أسس فى لكهنو سنه ١٢٨٩ (المدرسه الايمانيه) و لكنها لم تعمر غير بضعه شهور، كما أسس مدارس دينيه فى لكهنو منها المدرسه الناظميه التى فوض أمرها للسيد نجم الحسن، و مدرسه سلطان المدارس التابعه لوقف حسين آباد، و لا تزال المدرستان عامرتين حتى الآن، و قد تخرج من هاتين المدرستين الكثير من العلماء و الأفاضل.

و فى ١٤ رمضان من سنه ٣١٢ [١٣١٢] پ و كان هذا السفر هو سفره السادس إلى كربلاء، كما كان آخر سفر له حيث ظل فيها

حتى وفاته.

ترك من الأولاد كلا من السيد زين العابدين المتوفى فى كربلاء سنة ١٣١٣ و السيد محمد جعفر المتوفى سنة ١٣١٠ و السيد محمد الباقر المتوفى فى كربلاء سنة ١٣٤٦ و السيد محمد هدى هادى المتوفى فى كربلاء سنة ١٣٥٧ من تلاميذه السيد محمد صادق الكهجورى، و السيد نجم الحسن، و السيد عابد حسين، و سبط الحسن الكربلايى الجونبورى، و السيد محمد كاظم الكشميرى، و السيد أحفاد حسين ببيره غاديبور، و غيرهم.

و من مؤفاته: ١ - شرح الفصول (إلى بحث النبوه) ٢ - الأربعين و شرح الأربعين ٣ - الدر الثمين (شرح أربعين الشيخ البهائى) ٤ - حواش على رسائل الشيخ الأنصارى ٥ - حواش على قوانين الأصول ٦ - تعليقات على منهج اليقين للعلامه الحلى ٧ - تراجم علماء الكاظمين ٨ - الخلاصه الصافيه فى حل لغز الكافيه ٨ - شقائق الحقائق (تحقيقات فى أحاديث مشكله) ٩ - التقريب فى شرح التهذيب. و غير ذلك.

أبو الحسن تانا شاه

توفى سنة ١١١١ و لم يعرف تاريخ مولده كان عالما فاضلا، بدأ حياته زاهدا قليل المخالطه للناس، ذا شخصيه قويه شجاعا. و اتصل خبره بملك حيدرآباد الدكن (الهند) عبد الله قطب شاه فقربه إليه و زوجه ابنته، و لما توفى الملك حل مكانه فى الملك و عاش حياه السلطه و الحكم أربعه عشر عاما، ثم غزاه (أورنگ زيب) و تغلب عليه و سجنه و ظل فى السجن أربعه عشر عاما حتى وفاته. و قبل ذلك كانت له وقائع مع تيمور لنگ لم يتغلب فيها تيمور.

من مؤلفاته: ١ - حواش على تفسير الكشاف باللغه العربيه ٢ - ديوان شعر باللغتين العربيه و الفارسيه، و غير ذلك من المؤلفات المطبوعه.

الشيخ أبو الحسن بن الحسين الباقى اليزدى الحائرى:

توفى فى كربلاء حدود سنة ١٢٤٣.

من أكابر علماء عصره، رجالى محدث، فقيه متبحر. أخذ الفقه و الأصول عن المؤسس الوحيد آغا باقر البهبهانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٠٥ و السيد على الطباطبائى الحائرى صاحب الرياض المتوفى سنة ١٢٣١ و حضر فى الجهاد على روسيا القيصره فى سنة ١٢٤٢ و كان له رئاسه فى كربلاء و شغل كرسى التدريس و الفتوى فيها حتى توفى ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعه و وصفه بأنه من العلماء الماهرين فى الحديث و الرجال و ذكره فى طبقه تلاميذ الوحيد البهبهانى و ذكره أيضا فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه ج ٢٥ ص ٤٨ و قال كانت وفاته بين سنة ١٢٣٧ و ١٢٤٤ و أشار إليه أيضا فى مصفى المقال فى مصفى علم الرجال ص ٢٧، و من مؤلفاته كتاب الوجيزه فى الدرايه انتهى من تليفه فى شعبان سنة ١٢٣٧ و له رساله فى (الفقه الرضوى) تكلم فيها نفيا و إثباتا و لم يطمئن بأحدهما. ذكرته فى كتابى كربلاء فى حاضرها و ماضيها". (٣)

أبو الحسن ممتاز العلماء ابن دلداز على

وللد [ولد] سنه ١٢٤٨ فى لكهنؤ (الهند) و توفى فىها سنه ١٣٠٩.

هو من الأسره الشهيره (غفران مآب)، و قد تربى و ترعرع فى محيط

ص: ٤٥

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

العلم والفضل، و درس على مشاهير العلماء مولانا على نقى و مولانا السيد حسين و مولانا كمال الدين فضلا عن والده. ثم سافر إلى العراق لمتابعه الدراسه و سكن كربلاء. و قد أجزى من الشيخ زين العابدين المازندراني و غيره و عند ما عاد إلى بلاده كان فيها مرجعا دينيا بارزا محط الأنظار في شبه القاره الهنديه. و كان متوليا أوقاف (غفران مآب)، و عند ما بنى بيگك مير حسن من سكان محمودآباد بنايه بقصد جعلها مدرسه دينيه سلمها له، كما أنه كان يشرف على (المدرسه الايمانيه) التي كانت بنظارته و إدارته.

و قد تولى تدريس (بحث الخارج) و كان يحضر درسه نخبه من الأفاضل أمثال المولوى على نقى صاحب و المولوى محمد حسين صاحب و المولوى السيد محمد حسين صاحب و المولوى السيد محمد صاحب و المولوى حسن رضا صاحب و المولوى السيد محمد باقر صاحب و المولوى ظهور حسين صاحب بارهوى و غيرهم.

و واجد على شاه هو الذى لقبه: ممتاز العلماء، و هو اللقب الذى اشتهر به.

ترك من الأولاد: ملا محمد طاهر صاحب، و السيد صاحب، و المولوى السيد عابد على صاحب.

و من تلامذته: السيد نجم الحسن، و السيد ظهور حسين و هما أبرز تلامذته و أشهرهم.

و من مؤلفاته: تنفيذ العقود فى حل شبهه عامه الورود، و حاشيه على ملا جامى و غير ذلك.

الشيخ أبو الحسن الشعرانى ابن الشيخ محمد بن غلام حسين بن أبو الحسن الطهرانى

. و جده لاهمه محمد إبراهيم نواب:

ولد سنة ١٣٢٠ فى طهران، و توفى سنة ١٣٩٣ على أثر مرض ألم به اضطره للسفر إلى ألمانيا حيث فارق الحياه هناك. و نقل جثمانه إلى إيران و دفن إلى جوار السيد عبد العظيم الحسنى فى ضواحي طهران.

سار على نهج علماء السلف فى جمع العلوم النقليه و العقليه، فتعمق فى الفقه و أصول الفقه و المنطق و الكلام و الحكمة، كما سير أغوار الرياضيات القديمه و الفلك و مقدار من الطب.

درس الفقه و الأصول على جماعه من العلماء منهم: الميرزا محمود القمى، و الشيخ محمد رضا قمشه اى، و الميرزا طاهر التنكاينى [التنكاينى]، و الميرزا على أكبر اليزدى فى مدينه قم.

فى سنة ١٣٤٦ إذ توفى والده، هاجر إلى النجف الأشرف و درس علم الرجال و الحديث على السيد أبو تراب الخونسارى، و استفاد من دروس أساتذته آخرين فى الحوزه العلميه لهذه المدينه، ثم عاد إلى وطنه، فأثر فيه الانصراف إلى التحقيق و التأليف و التدريس، و كان يشغل إضافه إلى الأعمال العلميه، إمامه مسجد من مساجد طهران القديمه المعروف بمسجد حوض فى شارع سيروس قرب السوق الكبير للعاصمه.

يقول عنه صاحب كتاب " گنجينه دانشمندان " أى خزانه العلماء:

" إن العلامة الشعراني كان من نوادر العلماء المعاصرين، عاش حياه بساطه بعيده عن زخارف الدنيا و بهارجها، و أتيحت له الفرص كى يكون من ذوى المناصب الاجتماعيه الهامه. لكنه آثر الانشغال بالأمور العلميه.

كان حاذقا فى اللغه العربيه و اللغه العبريه و اللغه الفرنسيه..

و تربى على يده عدد من العلماء أشهرهم الشيخ حسن زاده الآملى من كبار علماء الحوزه العلميه فى قم.
مما خلفه من أعمال علميه:

١ - تعليقات على تفسير أبى الفتوح الرازى فى ١٣ مجلدا.

٢ - تعليقات على تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسى فى ١٠ مجلدات.

٣ - تعليقات على كتاب الوافى للمحدث الفيض فى ٣ مجلدات.

٤ - تعليقات على كتاب وسائل الشيعه للحر العاملى.

٥ - ترجمه تبصره علامه الحللى إلى الفارسيه مع تعليقات عليها فى جزءين.

٦ - تعليقات على شرح أصول الكافى للملا صالح المازندراني فى ١٣ مجلدا.

٧ - مفردات القرآن من الألف إلى الظاء. (و تم إكماله إلى حرف الياء و طبعه).

٨ - طريق السعاده فى إثبات الله و النبوه و الولايه و المعاد.

٩ - تعليقات على تفسير منهج الصادقين فى ١٠ مجلدات.

١٠ - تعليقات على تفسير الصافى فى مجلدين.

١١ - تعليقات على كتاب (أسرار الحكم) للحكيم السبزوارى.

١٢ - ترجمه و شرح تجريد الأحكام للشيخ نصير الدين الطوسى.

و عشرات التعليقات و الحواشى على الكتب العلميه الأخرى.

أبو الحسن الكشميرى

توفى سنه ١٣٠٠ و لم يعلم تاريخ ولادته.

كان عالما فاضلا جليل القدر، درس في لكهنو (الهند)، ثم ذهب إلى مدينة مرشدآباد في البنغال فنشر فيها العلوم الإسلاميه و أصبح من مشاهير علماء البنغال، التي عرفت بعد ذلك باسم (بنغلادش).

السيد أبو الحسن الكشميري ابن السيد نقي

ولد سنة ١٢٦٢ في الهند و توفي سنة ١٣٤٢.

درس في الهند و كان من أساتذته فيها المفتي محمد عباس. ثم سافر إلى العراق للدراسة فكان من أساتذته هناك الشيخ حسين المزاندراني [المازندراني] و السيد حسين الشهرستاني.

من مؤلفاته: ١ - إسعاف المأمول في شرح زبده الأصول ٢ - سواء السبيل في شرح الزاد القليل. و هو في الكلام ٣ - حل المغلقات في شرح السبع المعلقات ٤ - إزالة الشبهات ٥ - رساله في رد التناسخ. و غير ذلك.

كان يجيد اللغة العربيه و الفارسيه و كان خطيفا [خطيبا].

أبو الحسن ميرن صاحب ابن المولوى نیاز حسن برستى

ولد سنة ١٢٨٠ في جنوب حيدرآباد (الهند) و توفي سنة ١٣٤٠ في حيدرآباد درس العلوم الأوليه من نحو و صرف و منطق على السيد أكابر حسين ريدبورى. و فى سنة ١٢٩٩ جاء إلى لكهنو لإكمال دراسته فلم تطل

إقامته فيها بل عاد إلى بلدته حيث تابع الدراسة على والده، ثم هاجر إلى العراق فدرس على كل من الشيخ محمد حسن المامقاني و السيد الشهرستاني، و عاد بعد ذلك إلى وطنه، و منه سافر إلى شرق إفريقيا حيث أقام فترة رجع بعدها إلى الهند، و كانت له يد طولى فى ترميم و تجديد عمارات المؤسسات الدينيه كالمدارس و المساجد و الحسينيات، و كان خطيبا جذابا و مرجعا للناس فى أمور دينهم و دنياهم.

من مؤلفاته: (مخزن طهاره) باللغه الأردويه.

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزاري

ولد سنة ٦٣٤ فى القاهره و توفى فيها سنة ٧١٠.

كان تاجرا بقيساريه جهار كس بالقاهره، و كان أدبيا بارعا لا سيما فى نظم الموشحات، و كان يتشيع و يظهر تشيعه فى شعره فمن ذلك قوله:

إذا أنا لم أبت دامي الأماقي عليه و أدنى الكمى القصى

و أمسى فيه ذا وسن ضنين و أصبح فيه ذا شجن شجى

فلا سارت بقافيه ركابى و لا عادت بناجحه مطيى

و إلا لا اعتقدت ولا على و لا أضمرت حب بنى على

أناس أدركوا أمل المعالى و نالوا رتبه الشرف العلى

هم سحب الندى يوم العطايا و يوم الفخر أقمار الندى

إذا كررت ذكرهم كانى فتقت لطائم المسك الزكى

أبوهم ذو الجلاله من قريش و ذو النسب الصحيح من النبى

و ناصر دينه سرا و جهرا خلافا للفريق الجاهلى

و قاهر كل كفار عنيد و قاتل كل جبار عتى

و ضارب يوم صفين و بدر أعالى هامه البطل الكمى

و كاشف كل مشكله و لبس و غامضه بلا حصر و عى

أ للباغى عليهم يوم فخر كاصلهم و فرعهم الزكى

أ للباغى بهم نحو المنايا كقدرهم و مجدهم العلى
أ تقدر ظلمه الليل الديقى تغطى آيه الصبح الجلى
ترى بعد الحسين يسوغ ماء و يخلو مورد العيش الهنى
و آيه عيشه تحلو و تصفو و قد جار العدو على الولى
لقد ظلموا و ما حازوا حقوقا لفاطمه البتول و لا الوصى
بكم يا آل ياسين و طه تحط خطيه الجانى المسى
و يحظى بالشفاعة كل عاص و يسعد كل مجترم شقى
سلام الله و الرضوان منه عليكم فى الغدو و فى العشى

الشيخ أبو عبد الله بن جلاب البغدادى:

استشهد سنة ٤٤٩ ببغداد.

من علماء الشيعة فى بغداد أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على جماعه من أفاضل علماء عصره و سكن فى محله الكرخ ببغداد و كان من أكابر زعماء الدين فى عصره قال شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة نقلا عن كتاب أحسن القصص: (كان من كبراء علماء الشيعة فى محله الكرخ ببغداد و قتل بها فى الفتنه التى وقعت بين الشيعة و السنة عام ٤٤٩...) و قد قتل فى هذا العام كثير من العلماء الشيعة و أحرقت مكاتبهم. و فى هذه السنة هرب الشيخ الطوسى إلى كربلاء و منها استقر فى النجف الأشرف بعد أن أحرقت كرسى تدرسه و كتبه. (١)

أبو على الأمروهى

ولد سنة ١٢٠٢ فى دلهى و توفى سنة ١٢٧٢.

فاضل طبيب. درس العلوم الإسلاميه على السيد محمد عبادت و غيره و درس الطب على رضى الدين الأمروهى، ثم قام بالتدريس فى (بأنده) خمسا و عشرين سنة.

من مؤلفاته: ١ - هادى المخالفين فى الرد على تحفه المسلمين ٢ - حجيه الايمان ٣ - كشف الدين فى إثبات عزاء الحسين ٤ - الفوائد الحسينيه فى المفردات ٥ - حواشى على طب أكبر.

أبو الفتح الجيلانى ابن عبد الرزاق

ولد سنة ٩٥٥ في جيلان (إيران) و توفي سنة ٩٩٢ في كشمير.

من مشاهير علماء عصر محمد أكبر في الهند، اشتهر بالحكمة و الفلسفه و الطب.

و هو ابن السيد عبد الرزاق الجيلاني مولدا الشيرازي موطنا و الدهلوي مسكنا، مؤلف مصباح الشريعة، و مصباح الحقيقه. جاء مع والده إلى شيراز ثم إلى الهند، و قد التحق برجال الملك أكبر باعتباره طبيبا، ثم أصبح من مديري سياسته. و في سنة ٩٨٧ صار مسئولا عن (بنغال)، ثم استدعى ليكون إلى جانب الملك مستشاره المعتمد عليه، و يفهم من كتابه (رقعات أبو الفتح) أنه كان صديقا حميما للقاضي نور الله الشوشتری صاحب كتاب (احقاق الحق)، و يبدو ذلك من رسائله الموجهه إلى القاضي. (٢)

كان إلى جانب علمه سياسيا فطنا حسن التدبير للأمر، كبير المنزله عند أكبر.

من مؤلفاته: ١ - فتاحي شرح قانونجه ٢ - قياسييه، شرح أخلاق ناصري على ضوء القرآن و الحديث النبوي ٣ - چهار باغ (رقعات أبو الفتح) ٤ - إفادات الحكيم أبو الفتح ٥ - مظهر الأسرار ٦ - مثنوى. (٣)

أبو الفضل بن الشيخ مبارك بن الشيخ خضر اليماني الأصل الهندي المسكن و المدفن

مرت ترجمته في الصفحه ٣٩٩ من المجلد الثاني من (الأعيان):

و نضيف هنا إلى ما هنالك ما ذكره السيد مرتضى حسين في كتابه (مطلع أنوار):

سنة ١٠١١ عند ما هاجم جهانگیر الهند استولى على البلد كله فأمر أبا الفضل بالقدوم إليه من الدكن (حيدرآباد) إلى (إله آباد) حيث كان يسكن جهانگیر، فلما وصل أبو الفضل إلى بلده (كواليار) في طريقه إلى

ص: ٦٧

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٢- نقل هذه الرسائل في رقعاته المطبوعه في لاهور.

٣- مطلع أنوار.

جهانگیر، أوقفه أحد جلاوزه جهانگیر وقتله و بعث برأسه إلى جهانگیر في إله آباد، و دفنت جثته في بلده (انترى).

و يعدد السيد مرتضى مؤلفاته هكذا: ١ - أكبرنامه (تاريخ عهد أكبر) ٢ - آيين أكبرى (فى الثقافه و التاريخ) ٣ - عيار دانش (خلاصه أنوار سهيلى) ٤ - ديباجه رزم نامه (مقدمه كتاب فى الحرب) ٥ - ترجمه الإنجيل إلى الفارسيه ٦ - مناجاه (أشعار فارسيه) ٧ - مكاتبات علامى ٨ - رقعات أبو الفضل.

أبو الفيض، و يقال: فيضى، و فياضى

ولد فى آكره (الهند) سنه ٩٥٤ و توفى فيها سنه ١٠٠٤.

مرت ترجمه له فى موضعها من (الأعيان) و نشر هنا أسماء مؤلفاته:

١ - سواطع الإلهام، و هو تفسير للقرآن باللغه العربيه، بدون نقط، و قد قرضه فيمن قرضه القاضى نور الله الشوشترى و قد أكمله سنه ١٠٠٢ و هو مطبوع ٢ - موارد الكلم باللغه العربيه ٣ - صنعت مهمله (فى علم الأخلاق) ٤ - مثنوى مركز، باللغتين الأردويه و الفارسيه، و هو فى التصوف ٥ - مثنوى تل و من ٦ - لطيفه فياضى ٧ - كليات، و هو مجموعه القصائد و الرباعيات باللغه الفارسيه ٨ - دربار اكبرى ٩ - فكارستان، باللغه الفارسيه. و غير ذلك.

أبو القاسم النجفى ابن عبد الحكيم

ولد سنه ١٢٧٥ و توفى سنه ١٣٥٠ فى كربلاء.

درس فى النجف و كربلاء و سامراء، و قد طلبه أهالى بمبئى للمجىء إليهم، فكلفه المرجح [المرجع] الشيخ زين العابدين المازندرانى بالذهاب، فبقى فى بمبئى إحدى و أربعين سنه، ثم عهد بأمر مسجد الخوجه الاثنى عشرية إلى ولده الشيخ محمد حسين و جاء إلى كربلاء و بقى فيها حتى وفاته و قد ترك مخطوطات كثيره فى اللغتين العربيه و الفارسيه.

السيد أبو المعالى

ولد سنه ١٠٠٤ و توفى سنه ١٠٤٦ فى بنگاله (الهند) هو من أبناء القاضى نور الله الشوشترى المرعشى، و كان من كبار العلماء فقيها محدثا أديبا. و قد ترك عدده مؤلفات منها: ١ - أحوال شهاده القاضى نور الله المرعشى ٢ - تفسير سوره الإخلاص ٣ - رساله نفى الرؤيه ٤ - أنموذج العلوم ٥ - ديوان شعر بالفارسيه.

ميرزا أبو المعالى

المشهور بعالى النيسابورى المتصل نسبه بفريد الدين العطار:

الشاعر، العالم الفاضل العارف. لازم (فرخ سير) قبل توليه الملك، و فى عهد سلطنته (١١٢٤ - ١١٣١) كان له المقام الكبير المرموق، و لقب بالوزير الخان.

و ديوانه المحفوظ في مكتبه المتحف البريطاني يشتمل على ٣٣٠٠ بيت من القصائد و الغزل و الرباعيات و المفردات و مديح فرخ سير، كما أنه يحتوي على مسائل تاريخيه و ذكر الزيجات و الولادات في البيوت الملكيه.

و له القصائد في مدح النبي (ص) و الأئمه ع و رجال. و له ذم للزاهدين رياء و المعممين المرائين، و ربما كان وراء ذلك أمور معينه.

و مما قيل في شعره أنه تغلب عليه اللهجه الخراسانيه، و أنه سهل سلس، و أن غزلياته حاره تلمس القلب.

أحفاد الحسين بن جواد على

ولد سنه ١٢٨٣ في لكهنو (الهند) و توفي فيها سنه ١٣٣٢.

تربى برعايه والده المتوفى سنه ١٣٠٦ و درس عليه و على غيره من علماء لكهنو. كان مشتهرا بالطب و الشعر و الخطابه. ثم حل محل أبيه في إمامه مسجد نواب على خان حسين آباد من توابع (مونگیر). ترك عدده مؤلفات بالعربيه و الفارسيه لم تطبع و ضاعت بعد وفاته. (١)

أحسن الله

الملقب بظفر خان و المشهور بأحسن الترتبي:

هو ابن ركن السلطنه خواجه أبو الحسن تربتي من أصل خراساني.

و المترجم من شعراء القرن الحادي عشر في الهند، و كان أبوه خواجه أبو الحسن (٩٧٢ - ١٠٤٢) سافر إلى الهند في عهد جلال الدين أكبر (٩٦٣ - ١٠١٤) و عهد إليه هناك بصداره الدكن. و في عهد جهانگیر (١٠١٤ - ١٠٣٧) ترك الدكن إلى العاصمه، فعهد إليه باماره منطقه (مير بخستي) المعتبره من المناصب العاليه. و بعد وفاه اعتماد الدوله الطهراني ارتقى إلى منصب الوزاره العاليه (الديوان الكلي)، ثم عهد إليه بمسئوليته (كابل) مضافا إلى ما يشغله من مسئوليه. و بالنظر إلى المهام الكبرى المعهوده إليه، عين ابنه المترجم أحسن الله (ظفر خان) نائبا عنه في كابل. و في عهدشاه جهان (١٠٣٧ - ١٠٦٨) عين في كشمير، و لتقدمه في العمر أحال المنصب الجديد إلى ابنه، ثم توفي الأب سنه ١٠٤٢ عن عمر يناهز السبعين سنه و ظل ابنه المترجم حاكما لكشمير.

و في أواخر حياته اعتزل حتى وفاته سنه ١٠٧٣.

لم يكن أبوه شيعيا و مع ذلك فقد كان هو شيعيا صلبا في تشيعه. و كان شاعرا ينظم بالفارسيه و يروج لها، و كان الشعراء يقصدونه من البلاد البعيده لكرمه و جوده، و من الشعراء في عهده، كل من مهمنى، و كلیم، و قدسى، و صائب. و كان ميرزا محمد على صائب صديقا حميما له.

كان ينظم القصيده و الغزل، و له مثنوى في وصف كشمير، و قصائد و غزليات في وصف مناطق كشمير و قصورها.

كانت ولادته في إيران سنة ١١٩١ و توفي سنة ١٢٣٥.

في سنة ١٢٢٣ سافر إلى حيدرآباد و لكهنو و فيض آباد و فرح آباد من بلاد الهند. بدأ دراسته على أبيه ثم سافر إلى العراق للدرس في النجف و عاد إلى الوطن لفته قصيره ثم رجع إلى النجف و منها إلى قم مواصلا دراسته.

من مؤلفاته: ١ - حاشيه على الصمديه ٢ - ربيع الأزهار، في مسائل متفرقه من أصول الفقه ٣ - تحفه المحيين في مراتب الأئمه الطاهرين. ٤ - عقد جواهر الحسان في أجوبه مسائل حيدرآباد الدكن ٥ - مرآه الأحوال و غير ذلك. (٢)

ص: ٦٨

١- مطلع أنوار.

٢- مطلع أنوار.

أحمد بن حسن بن سليمان العاملي

توفي بعد سنة ١٠٨٣.

عالم جليل قرأ المبادئ و المقدمات في موطنه ثم سافر إلى أصفهان و درس على أعلامها رايت من ممتلكاته و استنساخه كتاب الدر المنثور كتبه عن خط المؤلف و قابله في ٢٧ ربيع ١٠٨٢ - توفي بعد هذا التاريخ، و هذا غير أحمد بن حسن بن سليمان العاملي النباطي الذي ذكر في الأعيان: ٢/٤٩٤. (١)

أحمد حسن كاظميني ابن المولوي صدر حسين

ولد حوالي سنة ١٣٢٥ في الهند و توفي سنة ١٣٨٤.

لقب بالكاظميني لأنه كان يسكن حى (الكاظمين) في لكهنؤ، و هو خريج مدرسه (سلطان المدارس) بدرجه (صدر الأفاضل)، كما نال شهادات المدارس الحديثه.

كان شاعرا ناثرا باللغه العربيه، كما كان يجيد اللغه الإنكليزيه، و تولى التدريس الدينى فى (شيعه كالج) فى لكهنؤ، و الاشراف على مجله (الأديب) فى لكهنؤ أيضا. و ذهب بعد ذلك من لكهنؤ إلى (كمباله) فى اغونده بشرق إفريقيا و بقى فيها حوالي عشر سنوات. و فى سنة ١٩٦٢ م عاد إلى كراتشى حيث توفي فيها. (٢)

أحمد حسين أمروهي

ولد حدود سنة ١٢٧٠ فى أمروهه (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٢٨ العالم الشهير الزاهد العابد. درس علوم اللغه العربيه على المولوى السيد على، و الكتب الطيبه على الحكيم أمجد على خان رئيس أمروهه، و فى لكهنؤ درس شرح اللمعه و الشرح الكبير و معالم الأصول و القوانين على بنده حسين، و تفسير الطبرسى على فردوس مآب حامد حسين، و نهج البلاغه و المسالك على المفتى محمد عباس. و قد أجازته هؤلاء كلهم كما أجازته ممتاز العلماء السيد محمد تقى.

و فى سنة ١٢٨٨ عاد إلى وطنه لانحراف صحته، و بتكليف من المفتى محمد عباس تولى أعمالا قضائيه، كما أن الحكيم أمجد على اختاره لتعليم أولاده. ثم طلبه رئيس () التابعه لفيض آباد ليكون إماما للجمعه و الجماعة سنة ١٣١٣، و لما عزم الرئيس المذكور على زياره مقامات الأئمه (ع) اصطحبه معه. و لما أسس أمجد على مدرسه () اختاره مدرسا فيها على أن رئيس () أصر عليه بالاستمرار بامامه الجمعه و الجماعة فى بلده. و فى ١٣ شعبان سنة ١٣٢٨ تدهورت صحته فعاد إلى بلده حيث توفي فيها.

ترك من المؤلفات: ١ - شرح نهج البلاغه ٢ - حواش على المختصر النافع ٣ - أعظم المطالب فى آيات المناقب ٤ - مناقب الأبرار ٥ - هديه سنيه (هديه الصدر) ٦ - جواب لا- جواب ٧ - فرق الفريقيين فى تمسك الثقيلين ٨ - تنقيد الأخبار و تعديل الأخبار. (٣)

أحمد حسين بن كدا بن كاظم حسين

ولد حدود سنة ١٣١٠ و توفي حدود سنة ١٣٨٥ فى وطنه لكهنو (الهند) هو من أسره معروفه بالعلم والعمل فى لكهنو. وقد اشتهر بإنشاء الأشعار فى رثاء [رثاء] أهل البيت (ع).

كانت دراسته العلوم الإسلاميه فى مدرسه (سلطان المدارس) فى لكهنو و نال منها شهادة (صدر الأفاضل)، ثم كان مدرسا فيها، و من تلاميذه فيها العالم المؤرخ المحقق السيد مرتضى حسين صدر الأفاضل.

و فى سنة ١٩٥٠ م غادر لكهنو للاقامه فى كربلاء، و لكن عاوده الحنين إلى وطنه فعاد إلى لكهنو حيث توفي فيها. (٤)

أحمد حسين خان

ولد سنة ١٢٩٠ فى الهند و توفي سنة ١٢٦٤.

هو من بلده بريانون قرب رائي بريلي (الهند) و كان من كبار الاقطاعيين فيها، و قد ولد و نشأ على غير التشيع، كما درس العلوم الإسلاميه على غير علماء الشيعة، ثم مال إلى التشيع و اتخذ مذهبها.

له كتب قيمه فى التاريخ و الفقه و العقائد، و له دراسات معمقه فى المسائل الفقيهيه. و قد كتب كثيرا فى فهرست الكتب و أسماء المؤلفين، و كانت له مكتبه ضخمة تحتوى على كتب كثيره أهدها ولده بعده إلى المكتبه الناصريه فى (لكهنو).

كان ذواقه للشعر استظهر ديوان (حافظ) كله. و من مؤلفاته:

١ - آيات بينات ٢ - تفسير آيات فى فضائل أمير المؤمنين (ع) ٣ - تاريخ أحمدى فى تاريخ الإسلام ٤ - رفع الحجب عن أسامى الكتب ٥ - الموافقه و المصالحه، و هو مقابله بين فقه الشيعة و فقه السنه ٦ - معرفه العلماء ٧ - أسماء الرجال ٨ - اثنا عشر برج شمس الامامه ٩ - تصحيح الاغلاط ١٠ - ديوان ١١ - شرح مفاتيح الأقفال ١٢ - جذبات مذاق. (٥)

أحمد بن حسين خوانى امانت خوانى

ولد سنة ١٠٢٠ و توفي سنة ١٠٩٥ فى أورنگ آباد (الهند).

كان فقيها فاضلا إلى كونه سياسيا. شغل مناصب حكوميه فى كل من (اجمير) و (قندهار) و (ملتان). ثم فى المؤسسه العسكريه فى (كابل).

ترجم إلى اللغه الفارسيه كتاب (شرائع الإسلام).

السيد أحمد الحسينى

توفى بعد سنة ١٣١٢ فى النجف الأشرف قرأ على الأعلام فى النجف الأشرف و اختص بالميرزا حبيب الله الرشتى (الجيلانى) و الشيخ عبد الله المازندراني و نال قسطا وافرا من العلم و الفضل - من تأليفاته حاشيه على المكاسب ألفها فى حياه أستاذه الرشتى و أتمها بعد وفاته و ذكر فيها آراء أستاذه الرشتى و المازندراني. (٦)

- ١- الشيخ محمد السماوى.
- ٢- مطلع أنوار.
- ٣- مطلع أنوار.
- ٤- مطلع أنوار.
- ٥- مطلع أنوار.
- ٦- الشيخ محمد السماوى.

الشيخ أحمد ديوبندي ابن وجيه الدين

توفي سنة ١٣١٥ على الأرجح و لم يعرف تاريخ ولادته.

درس في ديوبند (الهند) و كان يجيد العربية و الفارسيه، عالما فاضلا كاتبا. من مؤلفاته: كتاب ضخم باسم (تاريخ الأنبياء في أقوال الأصفياء) كتبه أولا بالفارسيه ثم ترجمه إلى الأردويه. و له كتاب (تشریف الأنوار) في مجلدين.

أحمد راد

ولد عام ١٣١٥ و توفي ١٤٠٥ بدأ حياته العلميه في مدارس طهران حيث كان معلما فيها ثم انتقل إلى عدّه مدن إيرانيه فصار مديرا للتعليم في شيراز و مشهد و غيرها. و في مدينه رشت التقى بميرزا كوجك خان قائد ثوره الغابه و عمل في حكومته للجمارك - ثم صار مشرفا على مدرسه سپهسالار بطهران - و كان ديوانه في تلك المدرسه في يوم الأربعاء مشهورا حيث كان يجتمع مع تله من المفكرين و المثقفين الإسلاميين في يوم الأربعاء في تلك المدرسه و يتباحثون حول القضايا الثقافيه و العلميه. له مؤلفات تزيد على ٣٠ كتابا و له مقالات عديده في المجلات الإيرانيه. (١)

أحمد حسين زنگي بوري بن السيد أكرم حسين زنگي بوري

ولد سنة ١٢٤٦ في زنگي پور من توابع غازي بدر في الهند و توفي سنة ١٢٧٢ في لكهنو درس في فيض آباد و في سنة ١٢٦٢ توفي والده فجاء إلى لكهنو و درس هناك شرح اللمعه على السيد حسين صاحب، و أصول الكافي على الأستاذ قائمه الدين، و أصول الفقه على ولي الله صاحب، كما كان من أساتذته تراب على صاحب و كان أستاذه هذا يفاخر به و يعده من أرشد تلاميذه.

اشتهر بالتقوى و صفاء الباطن.

من مؤلفاته: ١ - حاشيه على (شمس بازغه) ٢ - شرح التهذيب في المنطق. (٢)

أحمد حسين سرسوي

توفي حدود سنة ١٣٥٠ في موطنه الهند.

كان محاضرا في الجامعه العثمانيه بالقسم الإسلامى. و كان عالما، أدبيا في اللغة العربيه، و قد كتب رساله في العوامل النحويه، و كانت له اليد الطولى في الفقه و الحديث. (٣)

أحمد حسين سند يلوى

ولد حدود سنة ١٢٥٠ و توفي حدود سنة ١٣٠٤.

هو من أولاد ملا حمد الله شارح (سلم العلوم)، من بلده (سنديله) في منطقه (لكهنو) بالهند.

درس على مشاهير العلماء فى لكهنؤ مثل المولوى عبد الحق خيرآبادى. ثم ذهب إلى حيدرآباد الدكن و تولى التدريس فى مدرسه دار العلوم.

كان عارفا بالفقه و الحديث و التفسير و المنطق و الفلسفه.(٤)

الشيخ أحمد الشمرانى اليمنى بن محمد بن على بن إبراهيم

ولد سنه ١٢٠٠ فى الحديده (اليمن) و توفى سنه ١٢٥٦ فى الهند.

كان مجيدا للأدب العربى و العلوم الإسلاميه، و كان قد درس علوم اللغه و الأدب على محسن بن عيسى النجفى و بهاء الدين بن محسن العاملى، و الفقه الشافعى على الشيخ على بن يحيى عفيف اليمانى و السيد زين العابدين بن علوى المدنى، و الفقه الجعفرى على أبيه. ثم جاء إلى كلكته فى الهند و درس فيها شرح الشمسيه على حيدر على التوتكى كما درس عليه نخبه الفكر. ثم تجول فى شبه القاره الهنديه و عاد إلى كلكته، ثم ذهب إلى لكهنؤ و اتصل بالسلطان غازى الدين، و كانت مجالس الشعر و النثر يوم ذاك عامره، فكتب هناك كتابين فسر به السلطان و عين له راتباً شهرياً، و بعد وفاه السلطان طلبه جنود دلال بيگ إلى الدكن فاعترضه قطاع الطرق و سلبوه كل ما كان لديه.

توفى بين بمبئى و بنارس و بونا من بلاد الهند.

له من المؤلفات: ١ - المناقب الحيدريه ٢ - المحامد الحيدريه ٣ - نفحه اليمنى ٤ - حديقه الأفراح ٥ - العجب العجاب ٦ - منهج البيان ٧ - الشافى فى العروض و القوافى ٨ - الجوهر الوقاد فى شرح بانة سعاد.(٥)

السيد أحمد الشهرستانى ابن السيد على أصغر

ولد سنه ١٣٢٤ فى النجف الأشرف و توفى سنه ١٤١٢ فى طهران و دفن فى قم درس فى النجف فكان من اساتذته السيد أبو الحسن الاصفهانى و الشيخ حسين النائينى و الشيخ ضياء الدين العراقى و الميرزا أبو الحسن المشكينى. و فى سنه ١٣٦٤ انتقل إلى طهران فكان يقيم صلاه الجماعه فى مسجد (باب الحق) فى مجله [محلّه] مولوى. كما كان يقضى فى السنه شهرين فى بلده (نور) من توابع طهران.

ترك بعض المؤلفات، منها: شرح الوقت و القبلة من متون كتاب اللمعه، و شرح على كتاب اللمعه، و شرح على كتاب الكفايه.

ميرزا أحمد على أمرتسرى

ولد حدود سنه ١٣٠٠ فى (أمرتسر) من البنجاب بالهند و توفى سنه ١٣٩٠ فى لاهور بالباكستان درس الدراسه الحديثه حتى صار جنرالاً فى الجيش، و كان له أنس شديد بالعلوم الدينيه [الدينيه] من صغره و تعلق شديد بالإسلام، و بالرغم من انصرافه إلى عمله العسكري لم يترك العمل الإسلامى، و قد لقى عنتاً كثيراً و كان يخطب كثيراً فى عامه الشعب و يتصدى للآراء الباطله إذ كان خطيباً بليغاً.

ترك بلدته أمرتسر و جاء إلى كشمير و انتقل إلى الحجاز و العراق و إيران، و كانت له منزله عاليه لدى علماء لكهنو فى الهند و علماء النجف و علماء قم.

أصدر بالاتفاق مع اخوان له فى مدينه (لاهور) جريده (الشيعة).

ص: ٧٠

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٢- مطلع أنوار.

٣- مطلع أنوار.

٤- مطلع أنوار.

٥- مطلع أنوار.

و المعروف أنه ألف ما يقرب من الخمسين كتابا و لكن لم يعرف منها إلا:

(تعارف البهائيه) و (برواز قياس) و (دستور العمل الإسلامى) و (معارف إقبال) و (شيعه باك بك) و هو كتاب فى التعريف بالشيعه. (١)

أحمد على سجادى فاخاتى

من فضلاء الهند الذين جمعوا بين الدراستين الحديثه و القديمه و كان يجيد اللغه العربيه كثير القراءه للقرآن. أسس ميما باسم (الميتم الحسينى). له بعض المؤلفات، و من أكبر مؤلفاته كتاب ضخيم باللغه الإنكليزيه عن سيره الحسين (ع)، و له تفسير القرآن باللغه الإنكليزيه.

لم نصل إلى معرفه لا تاريخ ولادته و لا تاريخ وفاته و لا مكانهما.

السيد أحمد على محمد آبادى بن عنایت حيدر بن السيد على

ولد سنه ١٢٠٦ فى بلده محمدآباد التابعه لأعظم كده فى الهند و توفى سنه ١٢٩٥ فى لكهنو.

ولد فى بيت العلم و العمل و درس دراسته الأولى فى بيته ثم انتقل إلى فيض آباد طلبا للعلم فدرس على المولى السيد عبد العلى ديوكفتوى. و فى سنه ١٢٢٥ جاء إلى لكهنو فدرس المنطق و الفلسفه على المفتى ظهور الله، و الفقه و الأصول على غفران مآب. ثم صار من كبار مدرسى لكهنو، و كان بيته فى حى (بائى نالى) بلكهنو مقصدا لطالبي العلم و المعرفه، و كان بارزا فى تدريس التفسير و الحديث و الأصول و الفقه و المنطق و الفلسفه. كان ضليعا فى الأدب العربى.

فى سنه ١٢٧٤ سافر إلى الحج و زار العتبات المقدسه فى العراق و اتصل بكبار العلماء من أمثال الشيخ مرتضى الأنصارى و ميرزا على الطباطبائى الحائرى و ميرزا لطف الله المازندرانى و استفاد من معارفهم.

له من المؤلفات: ١ - تحفه المعجزات، و هو فى السيره النبويه ٢ - الأسئلة المحمدآباديه و هى أجوبه على مسائل للمولى أمانه على ٣ - الرد على الاخباريه ٤ - شرح رساله الامام الرضا (ع) ٥ - الرحله الحجازيه ٦ - حاشيه على تحرير العلامه ٧ - رساله فى التجويد و القراءه ٨ - رد بعض أبواب التحفه ٩ - رد منتهى الكلام لحيدر على ١٠ - ديوان شعر. و غير ذلك. (٢)

المفتى أحمد على ابن المفتى محمد عباس

ولد سنه ١٣٠٣ فى لكهنو و توفى فيها سنه ١٣٨٨.

من كبار علماء لكهنو و مراجع الهند توفى والده و هو صغير السن فربته والدته بتوجيه (أبو صاحب) أحد تلامذه والده. و فى سنه ١٣١٢ دخل مدرسه سلطان المدارس فكان أستاذه فيها المولى جعفر حسين و ظل فيها حتى سنه ١٣١٧ حيث جاء ابن عمه نجم العلماء فتولى رعايته و أدخله المدرسه الناظميه. و فى سنه ١٣١٩ ذهب مع أمه إلى العراق فسكن كربلاء و بدأ فيها دراسته فكان من أساتذته فيها كل من الشيخ غلام حسين المازندرانى الحائرى و السيد كاظم البهبهانى ثم انتقل إلى النجف و حضر هناك

دروس الشيخ ضياء العراقى و السيد كاظم اليزدى. ثم رجع إلى كربلاء و صار يدرس فيها الطلاب الهنود كتب الرسائل و شرح اللمعه و القوانين، ثم عاد إلى الهند و لكنه لم يلبث أن عاد إلى العراق مدرسا. ثم دعاه السيد نجم الحسن إلى لكهنو و عهد إليه فيها بتدريس الفقه و الأصول. و فى سنة ١٣٥٩ توفى نجم العلماء فتولى هو أمور المدرسه. و نتيجة لانحياز البلد سياسيا و اقتصاديا ضعف أمر المدرسه فسافر لأجلها إلى إفريقيا و كشمير و العراق و إيران، فاستطاع بمعونات من تلك البلاد أن يحفظ أمر المدرسه و يعاود سيرها.

كان يرتجل الشعر فارسيا و عربيا و أردويا. (٣)

أحمد بن عيسى الرادعى:

هو صاحب الأرجوزه الطويله، أرجوزه الحج التى ختم الهمدانى بها كتابه "صفه جزيره العرب"، و هى تدل على أن الرادعى كان جهبذا و مؤرخا و جغرافيا و ذا ملكه بيانيه، و تقع فى ستمائه و خمس و ثلاثين بيتا، و فى مائه و سبعة و عشرين مقطعا كل مقطع خمس آيات و بين كل مقطع و آخر، تفسير لما ورد فيه من غريب، أو اسم مكان، و شرح للمعنى إن كان يفتقر إلى ذلك و قد استشهد الهمدانى ببعض آياتها فى كتابه الإكليل، و قال و هو يقدم لها فى خاتمه "صفه الجزيره" ما يلى:

"و لا نعلم أحدا وصف من جزيره العرب مسافه أربعه و عشرين يوما بشعر طبعى، و نشر بصفه الإبل و الفلوات، سوى أحمد بن عيسى الرادعى رحمه الله من خولان العاليه، و كان يسكن برادع من أرض اليمن، و منها وصف البلاد إلى مكه على محجه صنعاء فى أرض نجد العليا، و قد سمعت لرجل من البصريين شيئا فى صفه طريق البصره غير مرتضى، بل ضعيفا، و كان أبو يوسف ابن أبي فضاله الأناوى جد أبى يوسف الذى كان فى زمن محمد بن يعفر قد قال فى محجه صنعاء شعرا أرجوزه ضعيفه فاهتجرت و أذيلت حتى درست، و فقد من ينشدها غير الأبيات التى لا-قوه بها و لا طبع، و كان كثير من أهل صنعاء لا سيما الأبناء قد غيروا فى قصيده الرادعى أشياء نفاسه و حسدا فلم يكن بصنعاء لها نسخه على الاستواء، فلم أزل ألتمس صحتها حتى سمعتها من أحمد بن محمد بن عبيد من بنى ليف من الفرس، و كان لا يدخل فى عصبيه، و لا يلت أحدا حقه، و كان آل ليف فرقتين، فرقه تسكن برادع، و فرقه بصنعاء، فقال لى: روانيها أحمد بن عيسى برادع عشره آيات، عشره آيات، حتى حفظتها و أنا حدث فلم تزل عنى، و هى على ما سمعت بجميع لغاته إلا- ما كان منها معينا من جهه الاضطرار، و لا فائده فيه فقد ثقفته، و فسرت منها ما لم يسقط إلى العامه لغته، و هذه الأرجوزه فرده فى فنها إلا أن يقفوها قاف مجيد و شاعر مفلق، و قد كان له سواها شعر لا بأس به".

و قد حرصت على سرد هذا التقديم كاملا، لأننا نستنتج منه فوائد شتى:

أولا: أن الأرجوزه فرده فى فنها، شمولاً و بيانا و قوه سبك و إن كان قد سبق "الرادعى" رجل من البصره و أبو يوسف الأناوى لكن شعرهما كان ضعيفا لا قوه به و لا طبع فاندرس ما قالاه.

و ثانيا: إن بعض المتعصبين كانوا قد غيروا أرجوزه الرادعى، و هذا

١- مطلع أنوار.

٢- مطلع أنوار.

٣- مطلع أنوار.

يؤكد أن الكثير من النصوص القديمة قد عبث بها روايتها و إن من اللازم التثبت في تحقيقها، و تزييف ما يدل على عصبية، و نعرف أيضا شده حرص الهمداني على التماس الصحة فيما كان يتلقاه من معارف و يرويه من أشعار.

و ثالثا: نستفيد أن الأرجوزه مع أشعار البصرى و الأبنوى قد كانت من مصادر الهمداني فى تاليفه لكتابه "صفه جزيره العرب".

و رابعا: نفهم مقدار حرص القدماء على معرفه أسماء البلدان و تسجيل الأحساب و الأنساب و تعليمها للأحداث و حملهم على استظهارها و لو لا ذلك لما تمكن الهمداني من روايتها عن سمعها عن الرادعى.

و خامسا: أنه كان يوجد - و رغم تفاقم النعرات العنصريه و الطائفية - فى القرنين الثانى و الثالث إلى حد التجرى على تشويه و تغيير النصوص و تحريفها، من لا يندفع فى متاهات العصبية، من الفضلاء الذين لا يغمطون حق أحد، أمثال راوى الأرجوزه - و هو من الأبناء - لأبى محمد الهمداني.

و سادسا: نعرف من الروايه أن الشاعر أحمد الرادعى قد عاش فى أواخر القرن الثانى و النصف الأول من القرن الثالث الهجرى و حتى سنه ٢٧٠هـ، لأنه أسمع أرجوزته لأحمد بن محمد و هو حدث السن، و نحن نعلم أن الهمداني لم يمت قبل سنه ٣٤٤هـ و انه قد عثر على النسخه الصحيحه من الأرجوزه فى أواخر القرن الثالث الهجرى من أحمد هذا الذى أصبح شيخا و راويه.

و سابعا: إن للرادعى آثار شعريه أخرى غير هذه الأرجوز [الأرجوزه] و لا ندرى ما قصد الهمداني بقوله "و هى على ما سمعت بجميع لغاته إلا- ما كان منها معيبا"؟ و هل نفهم أنه قد ثقف و أصلح بعض ألفاظ الأرجوزه؟ و هل ما ورد فى الأرجوزه من تفسيرات لغويه أو إيضاحات جغرافيه من صنع الرادعى أم الهمداني؟ و قد أراد بقوله، "و فسرت منها ما لم يسقط إلى العامه لغته"، انه قد شرح ما يعده غريبا لدى العامه، و إن كان معروفا لدى الخاصه أى العلماء و الأدباء، و لعل الراوى عند ما قال "عشره أبيات عشره أبيات" اقد جعل كل شطر من الأرجوزه بيتا فيكون مجموع أبياتها ألف شطر و مائتين و سبعين شطرا. و قد افتتحها بقوله:

أول ما أبدأ من مقالى بالحمد للمنعم ذى الجلال

و المن و الآلاء و الإفضال و الملك و الجد الرفيع العالى

و لما وصل إلى ذكر "صنعاء" فى المقطع الرابع عشر قال:

صنعاء أعنى جنه الجنان بحيث شيد القصر من غمدان

أرض التقى و البر و الإحسان بها مقبلى، و بها إخوانى

و استطرذ بعد ذلك يقول:

صنعاء ذات الدور و الآطام و القدم الأقدم ذى القدم

و العز عن ذى السطوه الغشام أست بعلم لاين نوح سام

بعلم رب ملكك علام إذ رادها سام بلا توهاام

و رادها من قبل ألفى عام ما بين سفحى "نقم" النقام

و بين "عيان" المعين السامى فاسها فى سالف الأيام

ثم خصها باربعه مقاطع مادحا مشيدا بمفاخرها و خصائصها حتى قال فى المقطع التاسع عشر يؤكد "المقوله المتداوله" إن صنعاء محروسه تقهر الطغاه من غزاتها.

ان رابها من حدث الزمان ريب عدو حرب الأضغان

قام فحامى دونها حيان "قحطان"، و الأحرار من "ساسان"

قبيلتا صدق إذا ما الجانى أشعل نار الحرب بالإعلان

كانوا كأسد الغاب من خفان ظلت بها غير المضل الوانى

قرير عين بصلاح شانى فى فتيه مثل القنا المران،

و لما أشرف على "صعده" فى المقطع الخامس بعد الثلاثين قال:

خوارجا من جنح ليل داجى مخيسات القلص النواجى

مهريه أعيانها سواجى حزائقا بالرفق الحجاج

نواسلا يرقنن فى دماج ناجيتها فى بعض ما أناجى:

ناق.. صلى التهجير بالإدلاج ما لك عن صعده من معاج

ما لم تجودى بدم الأوداج حتى تزورى البيت ذا الرتاج!

و قال فى المقطع السادس و الثلاثين:

"صعد" سقيت الغيث من مكان طاب المقييل لكم إخوانى،

فى رطب صلح، و فى رمان، و القت فى أسواقها المجان!

بما بنى بيت "أكيل" باني و "يرسم" فرعان من خولان،

و قد ظل بتعايره الجزله، و ألفاظه المنتقاه، يقف بنا عند كل مكان و ثنيه و جبل و ماء، واصفا بدقه القافله و رجالها و جمالها و حداتها مناجيا ربه متبتلا خاشعا أو متذكرا أهله و أحبابه فى شجو و شوق. و ما إن أكمل وصف أعمال الحج و مناسكه و مواقفه و أماكنه و مشاعره قائلا:

دعا فاشجاني لنفر داعى و قد رميت بحصى تباع

الجمرات غير ما مضىاع ألتمس السنه باتباع

ثم نميت الكور ذا الأنساع على أمون حره ملاع

ثم أتيت البيت للوداع فقلت يا قابل سعى الساعى

انى دنا عن بيتك انتجاعى، فاغفر ذنوبى، يا مجيب الداعى

حتى يلتفت فى المقطع رقم - ٩٦ - متحدثا عن بيوت "قريش" و يقول:

ص: ٧٢

و لا شك أن الناقد لا بد أن يلمس عاطفه الشاعر الفياضه بمحبه أهل البيت و مودتهم التي لا يشوبها غلو و لا إفراط، و كان قد سبق أن قال فى مطلع أرجوزته:

أدعوك يا ذا السؤدد الممجد و ذا العلا فى عزه المؤبد
من لم يزل قدما و لما ينفد، و لم يلد ولدا، و من لم يولد
صل على الهادى النبى المهتدى على النبى المصطفى محمد
و ابعثه يا ذا المن يوم المشهد مقامه المحمود غير الأندك
و أعطه من عزك المؤبد حضا ممضا لقلوب الحسد
و أخلفه فى عترته و آله، رب، و من والهم فواله
و زده إجلالا إلى إجلاله و ابسط عليه الرزق من حلاله
و أعطه منك الثرى فى ماله رب، و من عاداهم فقاله
بفعله يا رب أو مقاله و خذه فى العمياء من ضلاله
و احتل به يا رب فى احتياله و حل به يا رب عن محاله

ثم يعود أدراجه مع قافلته يعلو بها البطاح، و يقطع الفيافى، و لا يعرج طويلا على المدن و القرى حتى يصل وطنه "رداع" (١).

أحمد الناصر لدين الله العباسى

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان) و نضيف هنا إلى ما هنا لك هذا البحث عن الوظائف الاداريه فى دولته مكتوبا بقلم صادق حسن السودانى:

يعتبر الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء من أشهر خلفاء بنى العباس و أطولهم حكما إذ حكم سبعا و أربعين سنه بين ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ. و كان من المهمين بشئون الدوله العباسيه خاصه الاداريه منها.

كانت دوله الناصر لدين الله تدار من قبل عدد كبير من الموظفين مختلفى المناصب و الرتب مختلفى الأسماء، لذا كثيرا ما نرى فى وظائف هذه الدوله التشابه بين مهام وظيفه و أخرى و قد يتعدى صاحب الوظيفه حدود وظيفته إلى أخرى سواء أقصد ذلك أم لم يقصده شعر بذلك أم لم يشعر لعدم وجود حدود لكل وظيفه تحدد مهامها و أين تتوقف الصلاحيات المنوطه بها و الموظف الذى يديرها. و الوظائف الاداريه التي لازمت دوله الناصر و عهدته هي:

الوزاره:

الوزر: الحمل الثقيل، و الوزير: حبا الملك الذى يحمل ثقله و يعينه برأيه و قد استوزره و وازره على الأمر أى أعانه و قواه و الأصل آزره. و وزير الخليفه معناه الذى يعتمد على رأيه فى أموره و يلتجئ إليه، و قيل لوزير السلطان وزير لأنه يزر عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكه أى يحمل ذلك. (٢)

من المعروف بان هذا المنصب استحدث فى الدوله العربيه الإسلاميه فى إطلاله الدوله العباسيه حين استوزر أبو العباس السفاح ١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م لأول مره أبا سلمه الخلال الذى سمي بوزير آل محمد و ظل هذا المنصب موجودا منذ ذلك العهد و طيله بقاء الخلافه العباسيه المنهاره على يد المغول سنه ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م. لقد ولى منصب الوزاره فى عهد الناصر لدين الله عدّه وزراء و لكن عددهم القليل لا يتناسب مع فتره حكمه الطويله و الممتده سبعا و أربعين سنه و السبب فى ذلك اعتماد الناصر على نواب (٣) الوزراء أى أنه كان يولى الوزاره شخصا يديرها اسمه نائب الوزاره و هى تشبه اليوم و كيل الوزاره إلا أن الفرق هو أن نائب الوزاره كان يقوم باعباء الوزاره بينما فى الوقت الحاضر و كيل الوزير لا يوجد إلا بوجود الوزير. و الواقع أن نائب الوزير كما يبدو كان أقل سلطه من الوزير و أكثر ارتباطا بالخليفه و الرجوع إلى أوامره و نواهيّه، و يمكن تبرير فعل الناصر بعدم استخدام الوزراء إلا قليلا بأنه نوع من السياسه الفرديه أو نهج من هذا القبيل أو بعدم ثقته بمن حوله حتى يولىه مثل هذا المنصب الحساس و الخطير الذى يلى منصب الخلافه قوه و تسلطا أو لاعتقاد الناصر بان ليس هناك الشخص الكفوء الذى يستطيع ملء هذا المنصب و إدارته إدارة تعتمد على الحصافه و المقدره بحيث تليق بهذا المنصب السامى.

أحد هذه الأسباب أو كلها مجتمعه قد تبرر سلوك الناصر لدين الله.

و هكذا نجد أن أكثر الذين قاموا بدور الوزير لم يكونوا وزراء إنما كانوا نواب وزراء. و الملاحظ على فتره حكم الناصر شيوع أسلوب العزل خاصه فيما يتعلق الأمر بالوزراء أو نواب الوزراء، فيقول ابن دحيه بهذا الخصوص "ان الناصر أوقع بوزراء السوء على الإطلاق" (٤) إلا- أن الحقيقه أن أسبابا كثيره كانت تجتمع لخلع وزير أو نائب منها جمعه للمال بصوره غير شرعيه أو استهتاره بمنصبه و مهامه و تعديده و سوء استغلاله لهذا المنصب أحيانا حاجه الناصر للمال تدفعه لتنجيه الوزير أو النائب و مصادره أمواله خاصه فى أوقات الضيق المالىه التى يعانيتها الخليفه و كان الناصر بذلك يضرب عصفورين بحجر، التخلص من الوزير أو النائب خاصه من جمع أمواله بصوره مريبه ثم الاستفاده مما معه بمصادرته. و لا ريب أن للوشايه و الشك دورا كبيرا فى الاقصاء.

و قد أورد الإربلى و غيره من المؤرخين أسماء اللذين [الذين] تولوا الوزاره و نيابه الوزاره أو عزلوا منهما لأسباب متباينه ظاهره أحيانا و أخرى خفيه، و هم:

استتاب الخليفه الناصر لدين الله أولا داود بن سليمان بن ساورس ثم عزله. (٥)

و استتاب محمد بن هبه الله بن البخارى إلى أن توفى سنه ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م. (٦)

و استتاب أبا الفتح صدقه ثم عزله. و قد توفى هذا سنه ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م.

(٧) و استناب محمد بن عبد الباقي بن الداريج ثم عزله.

و استوزر أبا المظفر عبيد الله بن يونس إلى أن خرج مع العسكر لقتال

ص: ٧٣

١- تاريخ اليمن الفكرى.

٢- ابن منظور، لسان العرب، ٥/٢٨٢-٢٨٣ (ماده "وزر").

٣- يقول ناجى معروف عن النائب بأنه "دون الوزير و هو الذى ينفذ أوامر الخليفه" انظر كتابه تاريخ علماء المستنصرىه، ص ٣٣٨.

٤- ابن دحيه، النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس، ص ١٦٥.

٥- الإربلى، خلاصه الذهب المسبوك، ص ٢٨٣، يقول ابن الطقطقى فى كتابه الفخرى فى الآداب السلطانيه ص ٢٨٦: لما بويع الناصر بالخلافه أقر ابن العطار وزير أبيه على قاعدته أياما يسيره ثم نكبه و قبض عليه و حبسه فى باطن دار الخلافه ثم أخرجه ميتا.

٦- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣، ابن الساعى، الجامع المختصر، ٩/٦٠.

٧- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣، ابن الساعى، الجامع المختصر، ٩/٦٠.

طغرک و حصل فی أسره. (١) و يقول ابن خلدون فی کیفیه مجيء ابن یونس للوزاره "قتل الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن الصاحب سنه ٥٨٣هـ/١١٨٨ م و أخذ أمواله بوشايه من عبید الله بن یونس و هو من أصحابه فلم یزل یسعی فیہ عند الناصر حتی أمر بقتله و استوزر ابن یونس هذا و لقبه جلال الدین و کنیته أبو المظفر و مشى أرباب الدوله فی خدمته حتی قاضى القضاء" (٢) و قد استقبل ابن یونس سنه ٥٨٦هـ/١١٩٠ م ابن السلطان طغرل الثالث السلجوقى و أكرمه. (٣)

ثم استتاب قاضى القضاء على بن البخارى ثم عزله.

و استوزر أبا المعالى سعد بن جديره إلى أن عزله.

و استتاب بعد الاستيزار أبا المظفر عبید الله بن یونس إلى أن عزله.

و استتاب محمد بن على بن القصاب ثم قلده الوزاره. (٤) و يقول ابن خلدون أنه فی سنه ٥٨٨هـ/١١٩٢ م استتاب الناصر فی الوزاره، بعد أسر ابن یونس، أبا عبد الله محمد بن على المعروف بابن القصاب و كان قد ولى الأعمال فی خوزستان و غيرها. (٥) و هو أعجمى الأصل كان أبوه یبيع اللحم ببغداد و نشا مشغلا بالعلوم و الآداب و برع فی الحساب و المساحات و المقاسات. و قد توفى ابن القصاب أثناء حربہ مع خوارزم شاه سنه ٥٩٢هـ/١١٩٦ م. (٦) و قد استتاب الناصر ولده أبا الفضل أحمد ثم عزله.

و استتاب صاحب المخزن الحسن بن نصر بن الناقد المعروف بابن قنبر إلى أن عزله عن النیابه. (٧) و يقول سبط بن الجوزى "توفى فی سنه ٦٠٤هـ/٢٠٧ [١٢٠٧] م شرف الدین بن الناقد بن قنبر و اسمه الحسن بن أبى طالب و لاه الخلیفه حجه الباب و ناب فی الوزاره ثم و لاه صاحب المخزن فتجير و طغى و بنى دارا ببغداد و تباهى فی بنائها فلم یکن فی بغداد مثلها و شرع فی الظلم فرفع أمره إلى الخلیفه فقبض علیه و استأصله و حبسه ثم أخرج میتا من الحبس".

و استتاب أبا الحسن ناصر بن مهدى العلوى ثم قلده الوزاره ثم عزله. و هذا الوزير مازندرانى (٨) المولد و الأصل رازى (٩) المنشأ بغدادى التدبر و الوفاء. و هو من أهل الرى من بیت أماره و قد جاء إلى بغداد فی فتره استيزار ابن القصاب فجعله الخلیفه نائبا للوزاره و ذلك سنه ٥٩٧هـ/١٢٠٠ م ثم استوزره سنه ٦٠٢هـ/ و خلع علیه خلع الوزاره و القمیص و الدراعه (١٠) و العمامه و ضرب له الطبول و البوقات (١١) و جعل ابنه صاحب المخزن فتحکم فی الدوله و أساء إلى الأكابر من موالى الناصر و لما حج مظفر الدین سنقر المعروف بوجه السبع و كان أمیرا للحج سنه ٦٠٣هـ/١٢٠٦ م أرسل إلى الناصر یخبره بان الوزير نصیر الدین یرید أن یدعى الخلافه فعزله الناصر و ألزمه بیته ثم سمح له بالخروج. و یعلل لنا سبط بن الجوزى عزله بأنه كان یرسل الأموال للعجم (الخوارزمیین) لیجهزوا العساكر و یقیموا ملكا و یقصدوا بغداد و كان عزله سنه ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م. (١٢) أما ابن الأثیر فیرى بان ازدياد ثروته و أملاکه سببا الشک فی نزاهته فعزل من الوزاره. (١٣)

و استتاب صاحب الديوان أبا البدر محمد بن أسینا الواسطى و عزله فی سنه ٦٠٦هـ/١٣٠٩ م و نقل إلى المخزن على سبيل الاستظهار. (١٤) و ولى مكانه أبا الحسن محمد بن محمد القمى (١٥) و كان على ذلك إلى آخر أيامه.

و كان هذا كاتباً للإنشاء فلقب مؤيد الدين و نقل إلى دار الوزاره مقابل باب النبى. (١٦) و هو قمى الأصل و المولد بغدادى المنشأ و الوفاء ینتسب إلى المقداد بن الأسود الکندى، كان خبيرا بأدوات الرئاسه عالما بالقوانين خبيرا بالحساب و الأدب و

الأسفار و ظل فى الوزاره عهد الناصر و الظاهر ثم المستنصر حين قبض عليه هذا و حبسه فى باطن دار الخلافه مدته ثم أخرج مريضا فمات سنه ٦٢٩هـ / ١٢٣٢ م.

و هكذا نجد أن أغلب من تولى منصب الوزاره كان نائبا للوزاره أما الوزراء فهم أربعة كما مروا بنا أبو المظفر عبيد الله بن يونس و أبو المعالى سعد بن جديره و محمد بن على بن القصاب و أبو الحسن ناصر بن محمد العلوى.

[الحجابه]

حجب: منع، و حجبته: منعه من الدخول و الحجاب: الستر، و الحاجب: البواب. يقول ابن خلدون عن لقب أو مهمه الحجابه " هذا اللقب كان مخصوصا فى الدوله الأمويه و العباسيه بمن يحجب السلطان عن العامه و يغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره فى موافيقته و كانت هذه منزله يومئذ عن الخطط مرءوسه لها إذ الوزير متصرف فيها بما يراه ". و يدعى الحاجب أحيانا أمير الستر.

و يلاحظ على دوله الناصر وجود درجات خاصه بالحجابه أو أسماء أو ألقاب معينه يحملها بعض الحجاب و هذه الدرجات تحدد مهام الحاجب و اختصاصاته. و أهم هذه الدرجات: ٩.

ص: ٧٤

- ١- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- ٢- ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٩٩/٢.
- ٣- سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان، ح ٨ ق ٢ ص ٤٠٠.
- ٤- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- ٥- ابن خلدون، العبر، مح ٣ ح ٥ ص ١٠٩٢.
- ٦- ابن الطقطقى، الفخرى، ص ٢٨٧.
- ٧- سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان، ح ٨ ق ٢ ص ٤٥٠، ابن خلدون، العبر، مح ٣ ح ٥ ص ١٠٩٣.
- ٨- نسبه لمازندران و هو اسم لولاية طبرستان شمال إيران. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٤١/٥.
- ٩- نسبه إلى الرى و هى من مدن بلاد فارس المشهوره سابقا و هى اليوم على مقربه من طهران الحاليه.
- ١٠- ضرب من الثياب التى تلبس و قيل جبه مشقوقه المقدم. انظر ابن منظور، لسان العرب، ٨٢/٨.
- ١١- [الجامع] المختصر، ٤٤/٩.
- ١٢- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ح ٨ ق ٢ ص ٥٢٥.
- ١٣- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ١١٥/١٢.
- ١٤- استظهر به أى استعان، الاستظهار: الاستعانه، انظر ابن منظور، لسان العرب، ٥٢٥/٤.
- ١٥- نسبه إلى مدينه قم شمال شرقى إيران و هى من المدن ذات المركز الدينى المهم فى إيران.
- ١٦- أحد أبواب مدينه بغداد و يعرف أيضا بباب العتبه فقد كانت فيه العتبه التى يقبلها الرسل و الأمراء و الملوك و رؤساء الحجاج إذا قدموا بغداد. و كان هذا الباب فى بعض الأدوار بابا رئيسا للقصور. و يبدو أنه كان قريبا عن منطقه الميدان الحاليه

في صوب الرصافه. انظر الدكتور مصطفى جواد و أحمد سوسه، دليل خارطه بغداد، ص ١٥٨-١٥٩.

١ - الحاجب: وردت هذه الكلمه بلا إضافه بل كل الذى ذكر أن الناصر اتخذ له حجابا و يبدو أن هؤلاء خاصين بالناصر نفسه دون مهام أخرى أو مناطق أخرى. و هم:

أبو طالب يحيى بن زياده ثم عزله.

و استحجب أبا الفتح أحمد بن هبیر و عزله.

و أعاد ابن زياده ثم نقله إلى أستاذ داره.

ثم استحجب أبا شجاع محمد بن سعيد الظهيرى ثم عزله.

و استحجب أبا القاسم الحسين نصر بن قنبر إلى أن نقله إلى صدریه المخزن.

و استحجب عمه أبا جعفر بن على بن أحمد ثم عزله.

و استحجب أبا جعفر محمد بن محمد بن الناعم ثم عزله.

و استحجب أبا القاسم قثم بن طلحه الزينبي ثم عزله.

و استحجب أبا على طلحه بن عبد الله بن حمزه ابن طلحه ثم عزله فى جمادى الأولى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩ م و لم يستحجب أحدا بعده إلى أن توفى. (١) أى أن الناصر ظل لمدته ست سنوات تقريبا بلا حاجب و لكن ليس معنى هذا أن ليس هناك من يقوم بوظيفه الحاجب للخليفه الناصر و إن لم يحمل لقبها و اسمها. و يبدو لى أن أسباب العزل لا تشذ على العموم عن الأسباب التى مر ذكرها بالنسبه لعزل الوزراء أو نوابهم.

٢ - الحجاب بالديوان العزيز أى دار الخلافه و هى على نوعين: - ١ - حاجب بالديوان العزيز: ذكر ابن الساعى عن أبى الهيجاء المتوفى سنة ٥٦٩هـ/١٩٩ م و الملقب بابن الأثير أنه كان أحد الحجاب بالديوان العزيز جعله مؤيد الدين محمد بن القصاب حاجب المجلس، و يبدو أنه مجلس الخليفه، فبقى على ذلك إلى أن مات ابن القصاب و فى أيام الوزير ناصر بن مهدى جعل من جملة حجاب المناطق. (٢) و من الذين تولوا منصب حاجب بالديوان العزيز أبو المظفر بن القائى المتوفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣. (٣) و أحمد بن المقرنى. (٤) و أبو تمام محمد بن يوسف الهاشمى المتوفى سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦ م. (٥)

ب - حاجب الحجاب بالديوان العزيز: و يبدو أن هذا كان يشرف على حجاب دار الخلافه حيث يكثر الحجاب. و من الذين ولوا هذا المنصب أبو المعالى أحمد بن جعفر و ذلك فى ١٤ محرم سنة ٥٩٨هـ/١٤ (٦) تشرين الأول ١٢٠١ م. و رضى الدين عمر بن أبى القاسم التبريزى الذى رتب حاجبا لحجاب الديوان العزيز فى ١١ جمادى الأولى سنة ٦٠١هـ/كانون الثانى ١٢٠٤ م و كان يومئذ أحد فقهاء النظاميه. و هى المدرسه التى بناها نظام الملك الوزير السلجوقى المشهور وزير السلطان ألب أرسلان.

٣ - حجاب المناطق: و المقصود بها كما يبدو مناطق بغداد خاصه أبوابها الشهيره و بشكل خاص باب النوبى. و يبدو أن حجاب

المناطق في بغداد كانت لهم سلطات تدخل ضمن صلاحيات الشرطه أو صاحب الشرطه حيث يقول ابن الساعى في حوادث ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م أن أهل باب البصره (٧) في هذه السنه و ثبوا على حامى محلتهم المعروف بابن الشراب فقتلوه. و يبدو أن هذا بسبب ظلمه و قسوته، و قتلوا أيضا أربعة أفراد و سبوههم و ألقوههم في دجله فقبض حاجب باب النوبى أبو جعفر بن الناعم على جماعه من أهل المحله و عاقبهم و ألزمهم بمال قرره عليهم. (٨) و من حجاب هذا الباب أبو الفتح صدقه الملقب ظهير الدين حيث أنه قبل أن يتولى نيابه الوزاره في ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م كان حاجبا لباب النوبى. (٩) و فى سنه ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ولى شرف الدين الفضل بن يحيى العلوى المعروف بابن الموصلى حجه باب النوبى. (١٠)

القضاء

كان للقضاء فى عهد الناصر لدين الله ثلاث رتب فى بغداد و مرتبه واحده فى غيرها أما أولاها فى بغداد فرتبه قاضى القضاء (١١) و لقاضى القضاء مجلس ديوان الحكم و أما المرتبه الثانيه فهى أفضى القضاء (١٢) و الرتبه الثالثه القاضى كان يكون الفقيه قاضيا فى ربع من أرباع بغداد كربع حريك دار الخلافه و ربع باب الأزج (١٣) و قاضى البلده يحكم أيضا باسم قاضى القضاء إلا إذا خلا منصبه فإنه يسجل الخليفه رأسا و للقای شهود معدلون (١٤) أى منسوبون إلى العدل بان يزيكهم قبل التعيين شهود عدول و القاعده فى ذلك أن يكون المزكون شاهدين اثنين و هؤلاء المعدلون يتولون الشهاده أمام القاضى لاثبات الحكم.

و من الذين تولوا منصب قاضى القضاء فى عهد الخليفه الناصر: أبو طالب على بن أبى الحسين على البخارى و قد عزل عن قضاء القضاء فى يوم الجمعة ١٤ رمضان ٥٨٤ هـ / ٦ تشرين الثانى ١١٨٨ م و توفى فى سنه،

ص: ٧٥

- ١- ابن الطقطقى، الفخرى، ص ٢٨٩.
- ٢- ابن منظور، لسان العرب، ١/٢٩٨.
- ٣- ابن خلدون، المقدمه، ص ٢٠٨-٢٠٩.
- ٤- الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٤.
- ٥- ابن الساعى، الجامع المختصر، ٩/٤٢.
- ٦- المصدر السابق، ٩/١٢٦.
- ٧- المصدر السابق، ٩/١٩٩.
- ٨- المصدر السابق، ٩/٢١٦.
- ٩- المصدر السابق، ٩/٨٠.
- ١٠- من أبواب مدينه بغداد. و هو الباب الجنوبى الشرقى (فى صوب الكرخ). و يبدو أنها كانت شمال محله الجعيفر الحالى. انظر دليل خارطه بغداد، ص ٤٨ و ص ١٦٨.

١١- ظهر هذا المنصب فى عهد الرشيد. و يعتبر من أرفع الوظائف الدينيه و أعلاها قدرا و أجلها رتبه. و من يتولى قضاء القضاء فى الدوله العباسيه يكون إليه أمر توليه القضاء و لا- يكون لغيره. انظر عبد الرزاق الأنبارى، منصب قاضى القضاء فى الدوله

العباسيه، أطروحه ماجستير من جامعه بغداد، كليه الآداب، قسم التاريخ، ص ١٠٧.

١٢- ان أفضى القضاة يسجل أحكامه باسم قاضى القضاة فإذا ما خلا مجلس الحكم من قاضى القضاة فله أن يسجل باسم الخليفة إلى حين تولى قاضى القضاة لمنصبه الجديد فاما أن يقر أفضى القضاة فى منصبه أو أن يعزله. انظر الأنبارى، منصب قاضى القضاة، ص ٢٨٣.

١٣- هى منطقه باب الشيخ و رأس الساقية و قسم من المربعه الحاليه. انظر دليل خارطه بغداد، ص ١٧٦.

١٤- إذا عدل الشاهد أمام قاضى القضاة قيل له المعدل أى الشاهد المزكى بشاهدين عدلين و تكون الشهاده عند قاضى القضاة و فى مجلسه. انظر الأنبارى، منصب قاضى القضاة،

و ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن يحيى الشهرزورى و قد قلد هذا المنصب سنه ٥٩٥هـ/١١٩٨م و لكنه فى ١١٩٨م [] و لكنه فى ٥٩٧هـ / ١٣٠٠ [١٢٠٠]م طلب الاستعفاء و الرجوع إلى وطنه فأجيب إلى ذلك. (٢).

و أبو الحسن على بن سلمان الحلبي و قد قلد يوم ١٤ صفر ٥٩٨هـ/١٣ تشرين الثاني ١٢٠١م قضاء القضاء شرقا و غربا. (٣).

و فى ١٥ رمضان سنه ٦٠٣هـ/١٥ نيسان ١٢٠٧م قلد عماد الدين أبو القاسم عبد الله بن الدامغانى قضاء القضاء. (٤).

و من الذين تولوا هذا المنصب بعد الدامغانى أبو الحسن محمد بن جعفر العباسى. (٥).

أما من الذين تولوا منصب أفضى القضاء و الذى يلى منصب قاضى القضاء درجه فهو أبو الفضل أحمد بن على بن على بن البخارى الذى عزل عما كان إليه من القضاء و الحكم فى ذى الحجه من سنه ٥٩٥هـ/أيلول ١١٩٩م. (٦) و قلد ثانيه فى ذى الحجه من سنه ٥٩٩هـ/آب ١٢٠٣م نفس المنصب. (٧).

أما من الذين تولوا منصب القضاء و هو الدرجه الثالثه من درجات السلم القضائى فى زمن الخلافه العباسيه على عهد الناصر لدين الله فهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الجليل بن محمد بن الحسن السماوى و قد ولى هذا القضاء بحريم دار الخلافه من قبل قاضى قضاء المستضىء على بن الدامغانى المتوفى سنه ٥٨٣هـ/١١٨٨م، ثم خلفه القاضى عبد الله بن الحسين الدامغانى على الحكم بمدينة السلام فى سنه ٥٨٦هـ/١١٩١م. (٨).

و من الذين ولوا القضاء برقع الأزج شرف الدين أبو الفتوح عبد اللطيف بن البخارى و ذلك فى ١٠ شوال سنه ٦١٠هـ/١٢١٤م ٢٢ شباط. (٩).

و من الذين تولوا القضاء بواسط أبو منصور محمد بن على بن ينيق النعمانى حيث قلد من قبل قاضى القضاء الشهرزورى فى ٥٩٧هـ/١٢٠٠م و لكنه عزل بعد شهر و جىء به من واسط تحت الاستظهار. و كان قضاء واسط عبد اللطيف بن نصر بن الكيال الذى قلد القضاء فيها سنه ٥٩٨هـ/١٢٠١م. (١٠) و قد عزل هذا فى سنه ٦٠٣هـ/١٢٠٦م و عين بدلا منه تاج الدين أبو الفتح محمد بن المندائى و قد استنابه قاضى القضاء فى ذلك، (١١) إلى أن عين أبا الفضائل على بن يوسف بن الآمدى قاضيا لواسط سنه ٦٠٤هـ/١٢٠٧م. (١٢).

و من قضاء الأقاليم أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن الثقفى قاضى نهر عيسى (١٣) و توفى هذا فى ١٧ محرم سنه ٥٩٧هـ/٢٨ تشرين الأول ١٢٠٠م. أما قاضى الدجيل فكان أبو محمد ابن المأمون و قد عزل عنه فى ٦٠٤هـ/١٢٠٧م. أما قضاء الأنبار فقد تولاه أبو على يحيى بن الحسن ابن الشاطر الأنبارى و قد توفى هذا فى تسع من ذى القعدة سنه ٦٠٤هـ/٢٧ مايس ١٢٠٨م. أما قاضى البصره فكان أبو المناقب محمود الجوى الذى توفى فى ١٣ محرم سنه ٦٠٥هـ/٢٨ تموز ١٢٠٨م.

الحسبه: الأجر، و أنه لحسن الحسبه فى الأمر أى حسن التدبير و النظر فيه، و فلان محتسب البلد لا محسبه.

قال الماوردى " كان القضاء و الحسبه يسندان بعض الأحيان إلى رجل واحد مع ما بين العاملين من التباين فعمل القاضى مبنى على التحقيق و الأناه فى الحكم. أما عمل المحتسب فمبنى على الشده و السرعه فى الفصل ".

و قد أجمل ابن خلدون أعمال المحتسب بقوله " أنه يحول دون مضايقه الناس فى الطرقات و يمنع الحماليين و أهل السفن من المبالغه فى الحمل أو شحن السفن و يحكم بهدم المباني المتداعيه للسقوط حتى لا تقع على الماره و يمنع معلمى الكتاتيب من ضرب الصبيان و يحكم فى الدعاوى المتعلقة بالغش و التدليس و يحمل المماطلين على أداء ما عليهم من الديون ". و من هذا يظهر لنا بان هذه الوظيفه تجمع بين صلاحيات القاضى و الشرطه و كذلك صلاحيات بلديه بل و حتى تفتيشيه تربويه تعليميه... إلخ. و كذلك من مهام المحتسب مراقبه المكاييل و الموازين و يحول دون ارتفاع مباني أهل الذمه على مباني المسلمين.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى جانبى مدينه السلام سنه ٦٠٤/٥ ١٢٠٧ م محى الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزى و كان شاعرا و لاه الخليفه الناصر لدين الله حسبه بغداد و أنعم عليه إنعاما عظيما و رزق حظا و لم يزل فى ترق إلى أن ولى أستاذه الدار للخليفه و ترسل عنه إلى ملوك الأقاليم و حصلت له الوجاهه التامه. ٥.

ص: ٧٤

١- مصطفى جواد، فصل ضمن كتاب الجامع المختصر لابن الساعى، ص: يب، يج.

٢- ابن الساعى، الجامع المختصر، ٩/٩، الإربلى، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

٣- ابن الساعى، الجامع المختصر، ٤٥/٩، الإربلى، المصدر السابق، ص ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

٤- ابن الساعى، المصدر السابق، ٨٠/٩-٨١.

٥- المصدر السابق، ٢٠١/٩.

٦- المصدر السابق، ٢٠٧/٩.

٧- المصدر السابق، ٣/٩.

٨- المصدر السابق، ٩٩/٩.

٩- المصدر السابق، ٢٣/٩. و انظر ابن الأثير، الكامل، حوادث سنه ٥٨٣ هـ.

١٠- المصدر السابق، ١٤٩/٩.

١١- أغلب النصوص عن قاضى واسط تشير إلى أنه كان يمارس مسئوليه القضاء فى واسط دون أن تكون له ارتباطات قضائيه فى مدن أخرى و أن أكثر قضائياتها كانوا من بغداد. انظر الأنبارى، المصدر السابق، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

١٢- ابن الساعى، المصدر السابق، ٤٥/٩.

١٣- المقصود به نهر عيسى بن على بن عبد الله بن العباس. و هى كوره، منطقه أو موضع، و قرى كثيره و عمل واسع فى غربى بغداد (الكرخ) تعرف بهذا الاسم. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٣٣٢/٥.

قال ابن برى: وقول العامه فى الشحنة أنه الأمير غلط. وقال الأزهرى: شحنة الكوره من فيهم الكفايه لضبطها من أولياء السلطان.

الشحنة وظيفه سلجوقيه جديده استحدثها السلاجقه و يعين صاحبها من قبل السلطان و هذه الوظيفه أشبه ما تكون بوظيفه (المحافظ) فى عصرنا الحاضر يتمتع شاغلها بسلطات بوليسيه و إداريه و هو مسئول عن إداره المدينه و المحافظه على أمنها و استقرارها، و ملاحظه الخارجين على النظام و معاقبه المسيئين. و من معانيها الرئيس أو الرقيب قالوا " وجعه شحنة على الحكماء الذين يلوذون به لعمل الكيمياء " .

و من الذين تولوا منصب الشحنة فى بغداد قيطرمش بن عبد الله المستجدى و كان هذا شحنة من أيام المستضىء و قد توفى فى سنه ٥٨٩هـ/١١٩٤ م و كان شجاعا مهيبا و له هيبه عظيمه على المفسدين.

و عند ما حدثت فتنه بين أهل سوق السلطان(١) و الجعفرية(٢) استطاع شحنة بغداد الأمير فخرى الدين أيبك الأرنباى أن يهدأها بحبس بعض المشتبه بهم.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى البصره الأمير رسبه الناصرى و كان قد شرف بالخلعه من ملابس و غيرها و انحدر إلى البصره فتوفى هناك سنه ٥٩٦هـ/١١٩٩. و فى سنه ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م رتب شمس الدين أبو طالب بن عطاف شحنة للبصره و واليا لها فانحدر إليها.

أما سنقر الطويل فقد تولى شحنيه أصبهان للخليفه و قتل سنه ٥٩٢هـ/١١٩٥ م رئيس الشافعيه فيها صدر الدين بن عبد اللطيف بن محمد الخجندى لوحشه بينهما(٣).

أما الأمير صبه [أصبه] فقد تولى شحنيه واسط و كان أصبه هذا أحد المماليك المستجديه، نسبه للخليفه المستجبد. و كان ذا شجاعه و حسن تدبير و قد توفى سنه ٥٩٦هـ/١٩٩ م.(٤)

و يبدو أن هناك علاقته ما بين منصب أو وظيفه الشحنة و منصب نائب الشرطه إلا أن أتباع الأول من الجند و أتباع الثانى من الشرطه و فى الوقت الذى يعتمد فيه الأول على السيف و التحقيق يعتمد الثانى على التحقيق و التفتيش و التجسس و ينفق الاثنان حينما يحدث اضطراب كما تتفق اليوم الشرطه و الأجناد إذا اضطرت الدوله.(٥) و يعتقد بان نائب الشرطه فى منطقه باب النوبى أبو بكر يحيى المعروف بابن المرأه و قد صرف منه فى ١٧ جمادى الأول سنه ٥٩٦هـ ٦ آذار ١٢٠٠ م و ولى عوضه كمال الدين أبو جعفر محمد بن الناعم.(٦) و فى ١١ رجب سنه ٦٠٠هـ ١٥ آذار ١٢٠٤ م صرف الحسن على بن البورى عن نيابه الشرطه بباب النوبى و رتب عوضه أبا منصور بن الطحان و خلع عليه فارتاع الناس منه لما كانوا يعلمونه من ظلمه و غشمه و قسوه قلبه.(٧) و فى سنه ٦٠٠هـ/١٢٠٤ م توفى أبو منصور الطحان نائب الشرطه و كان مجبا للظلم و لم أسمع، كما يقول ابن الساعى، أحدا يترحم عليه.(٨)

يقول الدكتور مصطفى جواد: كان للخليفة أستاذ دار و وكيل أما أستاذ الدار فيتولى شئون دار الخلافة و نفقاتها و أمور الأسره العباسيه القصوره فى دار الخلافة كاخوان الخليفه و أعمامه و أبناء أعمامه و أما وكيل الخليفه فيمضى المعاهدات و المعاهدات و البياعات نيابه عنه.(٩) و يعرف الأستاذ ناجى معروف الأستاذ داريه و متوليها بقوله هي "رئاسه ديوان الخليفه و هو بمثابة رئيس الديوان الملكى أو القصر الجمهورى.(١٠) و كانت هذه الوظيفه ذات مركز حساس فى دوله الناصر لدين الله، و صاحبها يتمتع بمركز مرموق و مهم و يكون أقرب إلى الخليفه و حاشيته من غيره.

و من أساتذته الدار فى عهد الناصر لدين الله:

أبو الفضل بن الصاحب و قد تولى هذا أستاذه الدار فى عهد المستضىءسنه ٥٧١هـ/١١٧٦ م و ظل فى منصبه فى عهد الناصر لأنه من الذين ساندوه أبان الترشيح لولاية العهد بعد المستضىء. و لكنه عزل سنه ٥٨٣هـ/١١٨٧ م و قتل من قبل الناصر بعد أن اتهم بجمع المال و أخذت أمواله كلها منه.(١١) و كان يتشيع فوصفه اليافعى بأنه كان "رافضيا سبابا لما تمكن أحيا شعار الإماميه و اشتهر بأشياء قبيحه فقتل و أخذت حواصله من جملتها ألف ألف دينار. بينما يقول ابن خلدون أنه قتل من أجل تحكمه حيث استحوذ على الأمور و لم يبق للخيفه معه كلمه تطاع و مع هذا كان عفيفا عن الأموال جيد السيره. و هكذا يتضح التناقض فى تعليل عزله و قتله بين ما يقوله اليافعى و ما يقوله ابن خلدون و إن كان تعليل الأخير أقرب إلى الصواب و المنطق. و كان أبو الفضل ممن لعبوا دورا كبيرا فى أخذ البيعه للناصر بعد وفاه أبيه المستضىء.

و من الذين تولوا استاذه الدار عبيد الله بن يونس الذى أسر من قبل السلطان طغرل الثالث.(١٢)

و كذلك ولى هذا المنصب حسبه بغداد محيى الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الحوزى.(١٣)٣.

ص: ٧٧

- ١- هو سوق الميدان الحالى. انظر دليل خارطه بغداد، ص ١٨٥.
- ٢- منسوبه إلى جعفر بن المقتدى بامر الله. محله كبيره مشهوره فى الجانب الشرقى من بغداد(رصفاه). انظر ياقوت، معجم البلدان، ١٤٤/٢ و مكانها فى موضع محله تحت التكيه اليوم. انظر دليل خارطه بغداد، ص ١٦٤
- ٣- المصدر السابق، ٢٦٥/٩.
- ٤- ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ١١١/٢.
- ٥- ابن الساعى، المصدر السابق، ٤٣/٩.
- ٦- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: يب.
- ٧- انظر ص ٤٠، ١١٦-١١٧، ١٣٢ فى الجامع المختصر لابن الساعى.
- ٨- ابن الساعى، المصدر السابق، ٣٠/٩.
- ٩- المصدر السابق، ١١٦/٩-١١٧.
- ١٠- المصدر السابق، ١٣٢/٩.
- ١١- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: يب.

١٢- ابن الوردى، تاريخ، ٩٩/٢.

١٣- اليافعى، مرآه الجنان و عبره اليقظان، ٢٤٦/٣.

و وليها كذلك أبو الفتح رزين و لكنه عزل عنها سنة ١٢٠٩/٥٦٠٦ م فخلفه بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك. (١)

صدرية المخزن

يعتقد الدكتور مصطفى جواد أن ديوان الخراج أصبح يسمى في عهد الناصر (المخزن) و صدر المخزن كوزير الماليه اليوم. و يسمى صدر المخزن هذا أحيانا بصاحب المخزن. (٢) و يعرف ناجي معروف متولى هذه الوظيفة بقوله رئيس أكبر من الناظر. يتولى صدرية أحد الدواوين الكبرى كصدرية المخزن الذى يشبه وزاره الماليه أو التموين. أو إداره إحدى الولايات كصدرية الأعمال الفراتيه أو صدرية واسط أو صدرية الوقوف. (٣) و الذى اعتقده أنه كان يشرف على مخزونات الدوله و يديرها فهو مشرف على اقتصاد البلد، مخزونه، قابلياته الاقتصادية.

أما الذين تولوا هذا المنصب المهم فهم ظهير الدين بن العطار الذى يسميه ابن كثير صاحب المخزن و لكنه عزل فى سبع ذى القعدة من سنة ٥٧٥/٤ نيسان ١١٨٠ م أى بعد تولي الناصر لدين الله الخلافة بأيام قليله و أهين غايه الاهانته. (٤) و ذلك لأنه وقف فى الترشيح لخلافه المستضىء إلى جانب أبى منصور هاشم الملقب بالأمين أخى الناصر لدين الله الأصغر فانتقم الناصر منه بعد توليه الخلافة بتحريض و تأييد من أستاذ داره أبى الفضل بن الصاحب.

و كذلك ولى هذا المنصب شرف الدين أبو القاسم بن الناقد. (٥)

و لكنه عزل فى سادس جمادى الأولى سنة ٥٩٨/١ شباط ١٢٠٢ م عن صدرية المخزن. و ولى عوضه زعيم الدين أبو المعالى أحمد بن جعفر نقلا من جحبه [حجبه] الحجاب (٦)، بعد أن بذل مالا على أن يولى صدرية المخزن فولى و توفى فى ١٣ محرم سنة ٦٠٠/٢٢ أيلول ١٣٠٣ م و هذا يدل على أهميه صدرية المخزن إذ أن مجال الإثراء فيها أكثر من غيره و المتولى قادر بلا شك على تعويض ما بذله أضعافا.

ثم ولى هذا المنصب أحمد بن عباس و كان أحد المتصرفين باعمال السواد (٧) و قد ظل فى هذا المنصب سنتين ثم عزل عنه و لم يستخدم بعدها إلى أن توفى فى ٤ شوال سنة ٦٠٠/٥ حزيران ١٣٠٤ م ثم ولى ركن الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير نصير الدين ناصر بن مهدى صدرية المخزن (٨) و عزل منه ١١ جمادى الآخرة سنة ٦٠٤/٢ كانون فى ١٢٠٨ م. فولى عوضه قوام الدين أبو الفوارس نصر بن ناصر المدائنى. (٩)

ثم جاء بعده أبو الحسن على بن عبد الجبار بن صالح الملقب شمس الدين و توفى هذا فى ٢ صفر ٦٠٦/٦ آب ١٢٠٩ م.

الدواوين

الديوان لغه مجتمع الصحف، أبو عبيده: هو فارسى معرب، قال ابن الأثير: هو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء الجيش و أهل العطاء. (١٠)

من الدواوين المعروفه فى فتره حكم الناصر لدين الله ديوان الزمام و ديوان التركات و ديوان الجوالى و ديوان الأبنيه و ديوان عرض الجيش و ديوان الإنشاء الذى كان يسمى فى صدر الدوله العباسيه بديوان الرسائل، و ديوان الحسبه الذى هو أشبه ما

يكون بنظام أمانه العاصمه و البلديات، مع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، اليوم.

ديوان الزمام: يبدو أن هذا الديوان ذو مهام ماليه يقوم، إلى حد ما، بما تقوم به اليوم بعض دوائر وزاره الماليه خاصه مديره الأملاك و الأراضي الأميريه حيث أن المقطعين أرضا كانوا يعاهدون الدوله على أن يدفعوا مبلغا من المال إلى ديوان الزمام. و يعتقد الدكتور مصطفى جواد بان ديوان الزمام هو مجلس الوزير أو نائب الوزاره و المتصل بينه و بين الأمه و بين الخيفه. (١١)

و من الذين تولوا هذا المنصب فى عهد الناصر، صفى الدين يونس بن الأرموى و قد خلع عليه فى دار الوزير و ركب إلى الديوان و ذلك فى سادس شعبان سنه ٦٠٣هـ/ ٨ آذار ١٢٠٧ م. (١٢)

و وليه كذلك فخر الدين أبو البدر بن أمسينا (١٣) و فى منتصف رمضان سنه ٦٠٤هـ/ أوائل نيسان ١٢٠٨ م وليه جلال الدين أبو الحسن محمد بن الباباى البصرى. (١٤)

و فى ربيع الآخر سنه ٦٠٦هـ/ ١٥ تشرين الأول ١٢٠٩ م ولى جلال الدين أبو محمد الحسن بن مسعود بن خلود. (١٥)

ديوان التركات: يتولى ارث من لا وارث له من الرعيه لأن الدوله كانت ترثهم بحكم الشرع الإسلامى. (١٦)

و من الذين تولوا منصب ناظر ديوان التركات العدل يوسف بن هبه الله و ذلك سنه ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧ م. (١٧)

ديوان الجوالى: الجوالى جمع جاليه و هم أهل الذمه فى بلاد الإسلام و يؤدون للخليفه الجزيه بمقتضى الشريعه. (١٨) و يستوفى هذا الديوان الجزيه ٩.

ص: ٧٨

- ١- ابن كثير، البدايه و النهايه، ٣٢٨/١٢.
- ٢- انظر سبط ابن الجوزى، المصدر السابق، ح ٨ ق ٢ ص ٤٣٨.
- ٣- اليونينى، ذيل مرآه الزمان، ٣٣٤/١.
- ٤- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٨٥/٩.
- ٥- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.
- ٦- ناجى معروف، تاريخ علماء المستنصرىه، ٣٣٧.
- ٧- السواد رستاق العراق و ضياعها التى افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب سمي بذلك لسواده بالزروع و النخيل و الأشجار... و حد السواد من مدينه الموصل إلى عبادان طولاً و من العذيب بالقادسيه إلى حلوان عرضاً. انظر ياقوت معجم البلدان ٢٧٢/٣.
- ٨- المصدر السابق، ١٢٧/٩.
- ٩- ابن الساعى، المصدر السابق، ١٣٧/٩.
- ١٠- المصدر السابق، ١٤٣/٩.

- ١١- المصدر السابق، ٢٢٠/٩.
- ١٢- المصدر السابق، ٢٨٩/٩.
- ١٣- ابن منظور، لسان العرب، ١٦٦/١٣. ماده "دون".
- ١٤- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ذ - ظ.
- ١٥- ابن الساعي، المصدر السابق، ٢٠١/٩.
- ١٦- المصدر السابق، ٢٠٢/٩.
- ١٧- المصدر السابق، ٢٣٠/٩.
- ١٨- المصدر السابق، ٢٨٧/٩.

من أهل الذمه على مذهب الامام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) الذي لا يجوز في مذهبه أن يؤخذ من ذى ذمه أقل من دينار إذا كان فقيرا و إن كان متوسط الحال أخذ منه ديناران و إن كان غنيا أخذ منه أربعة دنائير. و كان صاحب الذمه يقف بين يدي صاحب ديوان الجوالي إلى أن توزن جزيته فيعطى وصولا و لا يغنى ابن عن أبيه في تاديه و لا قريب عن ذى قرابته. (١)

و يبدو أن هذه مبالغه إذ أن الدوله تريد و أرادا سواء دفع في ذلك الأب أم الابن أم القريب خاصه إذا كان مستعدا لذلك ألا أنه كما يتراءى لى أن صفه الإكراه أو حمل القريب على الدفع عن قريبه غير وارده.

و من الذين تولوا منصب ناظر أو صاحب ديوان الجوالي أحمد بن زهير و ذلك سنة ٦٠٤/٥١٢٠٧ م - ١٢٠٨ م. (٢)

ديوان الأبنيه: كان هذا الديوان يتولى عمارات أو إنشاءات الدوله و ترميماتها و يعين له مهندس أو أكثر مع غيره من الموظفين الذى يقيمون أمره. (٣)

و من الذين ولوا هذا المنصب أبو الحسن جعفر بن محمد القطاع و ذلك للعماراه بديوان الأبنيه و القسمه و الهندسه و يعرف طرفا من علم الكلام و كان شيعيا، و قد توفى سنة ٦٠٢/٥١٢٠٥ م. (٤)

ديوان عرض الجيش: عرض الشىء عليه: أراه إياه. و عرضت الجند عرض العين إذا أمرتهم عليك و نظرت ما حالهم و قد عرض العارض الجند و اعترضوا هم... و قيل هو من عرض الجند بين يدي السلطان لاظهارهم و اختبار أحوالهم. (٥) و عارض الجيش هو المتولى لشئون العساكر الخليفه. (٦) و يشبه اليوم رئيس أركان الجيش. (٧)

و من الذين ولوا هذا المنصب أبو غالب هبه الله ابن المبارك بن دقسى الذى عزل عنه فى ١١ شعبان ٦٠٤/١٥ آذار ١٢٠٨ م (٨)، فولى محله جمال الدين أبو الحسن بن عبد الله و خلع عليه و لقب ظهير الدين. (٩)

الكتاب

كان هؤلاء يتولون مهمه الكتابه فى دار الخلافه و دوائر الدوله الأخرى و منهم كاتب الإنشاء أو ما كان يعرف بكاتب الرسائل فى أيام الدوله العباسيه الأولى و فى أواسطها.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى عهد الناصر أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمى و ذلك فى سنة ٦٠٢ هـ. (١٠) و ظل فى هذا المنصب إلى سنة ٦٠٦/٥١٢٠٩ م حين ولى نيابه الوزاره و لقب مؤيد الدين. (١١)

و من كتاب دار الخلافه أبو البدر بن الياقونى حيث ولى الكتابه بالديوان العزيز و توفى سنة ٥٩٥/٥١١٩٨ م. (١٢)

و من الكتاب المعروفين فى عهد الناصر محمد بن الأستاذ كاتب البدرية الشريفه (١٣) إذ تولى هذا المنصب سنة ٥٩٧/٥١٢٠٠ م. (١٤)

و فى جمادى الأولى سنة ٦٠٠/٥١٨ كانون الثانى ١٢٠٤ م ولى الرضا بن الحسن كاتباً بالمخزن و كان كاتباً ضابطاً متواضعا قبل

ذلك هو حسن الكتابه. و كان يتولى شئون الدواوين الأنفه عدد من الكتاب.

و من الكتاب الذين كانت لهم منزله فى عهد الناصر كاتب السله و المراد بالسله هنا ما تحفظ فيه بعض الكتابات الديوانيه بديوان الزمام و كاتب السله هو الذى يرقمها. قال ابن خلكان فى ترجمه طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى " و جمع فى حال انقطاعه سله كبيره فى النحو قيل أنها لو بيضت قاربت خمس عشره مجلد(١٥) فكان السله كانت عندهم مجمعا للمسودات.

و من الذين تولوا هذا المنصب فى عهد الناصر أبو محمد عبد الملك بن ورد المتوفى فى ١٣ صفر سنه ٥٩٨هـ/١٢ تشرين الثانى ١٢٠١(١٦)و أبو غالب بن زطينا المسلم الذى كان نصرانيا و المتوفى سنه ١٢٠٤هـ/٥٦١ م. (١٧)و كان هذا نصرانيا و لكن الناصر حين أصدر أمره بعدم استخدام أى ذمى فى دوائر الدوله دخل هذا فى الديانه الإسلاميه تاركا نصرانيته. و الجمال بن موسى الذى عزل عن منصبه سنه ١٢٠٧هـ/٥٦٢ م.

النقباء

اشتهرت على عهد الخليفه الناصر لدين الله ثلاث نقابات الأولى نقابه العباسيين و الثانيه نقابه الطالبين أو العلويين و الثالثه نقابه النقباء. و كانت هناك نقابه رابعه فى عهد الناصر تعرف بنقباه مشهد موسى بن جعفر. و الذى أظنه أنه كان لكل مشهد من المشاهد المقدسه فى العراق فى سامراء و كربلاء و النجف نقابات تمثلها خاصه فى عهد الناصر.

و قد فصل ابن الأثير وظائف النقباه حين أورد نصابا بتعيين نقيب/٢

ص: ٧٩

- ١- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.
- ٢- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٥٩/٩.
- ٣- المصدر السابق، ٣٥٩/٩.
- ٤- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.
- ٥- ابن منظور، لسان العرب، ١٦٦/٧-١٦٧ (ماده " عرض ").
- ٦- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ظ، ض.
- ٧- ابن الساعى، المصدر السابق، ١٨٤/٩.
- ٨- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٥٩/٩.
- ٩- مصطفى جواد، المصدر السابق، ص: ض.
- ١٠- ناجى معروف، المصدر السابق، ص ٣٣٨.
- ١١- ابن الساعى، المصدر السابق، ٢٢٨/٩.
- ١٢- المصدر السابق، ٢٢٩/٩.
- ١٣- لما ضاق جامع المنصور، الذى كان فى السابق ديوان الخليفه المنصور، بمصليه أمر الخليفه المعتضد فى سنه ٢٨٠هـ/٨٩٣ م

بتوسيعه و اهتم بذلك مولاه بدر فعرفت الزيادات و الترميمات باسم البدرية نسبة لمولى المعتضد بدر. انظر دليل خارطه بغداد، ص ٥٨.

١٤- ابن الساعى، المصدر السابق، ٧٧/٩.

١٥- المصدر السابق، ١٣٠/٩.

١٦- المصدر السابق، ٢٢٩/٩.

١٧- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٩٩/٢.

الطالبين فى عهد الطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ / ٩٧٤ - ٩٩١ م) أى أيام البويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٦ - ١٠٥٥ م) و هذا العهد كان لمحمد بن الحسين بن موسى العلوى الموسوى. و مما جاء فيه "قلده ما كان داخلا فى أعمال أبيه من نقابه الطالبين أجمعين بمدينه السلام و سائر الأعمال و الأمصار شرقا و غربا و بعدا و قربا" و هى هنا نشبه إلى حد كبير وظيفه إداريه و يضيف "و أمره أن يتصفح أحوال من ولى عليهم من استقراء مذاهبهم و البحث عن بواطنهم و دخائلهم... و أمره بحياطه أهل النسب الأظهر و الشرف الأفخر عن أن يدعيه الأدياء أو يدخل فيه الدخلاء... و أن يحصن الفروج عن مناكحه من ليس كفوا لها فى شرفها و فخرها حتى لا- يطمح فى المرأه الحسيه النسبيه إلا- من كان مثلا لها مساويا و نظيرا موازيا" و من مهامه "الأخذ للمظلوم من الظالم و أن يجلس للمترافعين إليه جلوسا عاما... و أمره أن يسير حجيج بيت الله عز و جل إلى قصدهم و يحميهم فى بدأتهم و عودتهم و يرتبهم فى مسيرهم و مسلكتهم و يرعاهم فى ليلهم و نهارهم حتى لا تنالهم شدة و لا تصل إليهم مضرة و أن يريحهم فى المنازل و يوردهم المناهل... و أمره أن يراعى أمور المساجد بمدينه السلام و أطرافها و أقطارها و أكتافها و أن يجبى أموال وقفها و يستقصى جميع حقوقها و أن يلم شعثها و أن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها و يذكر اسمه بعده بان عمارتها جرت على يده... و أمره أن يستخلف على ما يعمره منها و يذكر اسمه بعده بان عمارتها جرت على يده...

و أمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الأعمال فى الأمصار الدانيه و النائيه". (١).

يظهر لنا مما سبق أن هذا المنصب إدارى إلى حد كبير و أنه أشبه ما يكون بممثل العلويين عند الخلفه أو عند الدوله فهو الناطق بلسانهم و اسمهم فى دار الخلفه و هذا المنصب، بالنسبه للعلويين، كان يزدهر و ينمو فى الفترات الذى تكون فيه علاقته الخليفه بهم جيده طبيه و العكس بالعكس لذا ظهرت فى عهد الخلفاء الذين تربطهم بالعلويين علاقته جيده أو على الأقل غير سيئه. و يمكن القول أن مفهوم و مهام نقيب العباسيين لا- تختلف عنها بالنسبه للعلويين أما نقيب النقباء فإنه كما يبدو يمثل الاثنين أو أعلى منهما درجه و صلاحيه و نقيب النقباء يكون فى العاده عباسيا.

و من الذين تولوا منصب نقيب الطالبين عهد الناصر فخر الدين أبو الحسن محمد بن المختار الكوفى حيث قلد فى ١٧ ربيع الأول سنه ٦٠٣ هـ / ٢٢ تشرين الأول ١٢٠٦ م و خلع عليه فى دار الوزير ناصر الدين بن مهدي العلوى و سلم إليه عهده. (٢).

و من الذين تولوا منصب النقباء عن مشهد موسى بن جعفر عدنان بن المعمر بن المختار الكوفى الذى عزل عنها فى ١١ ربيع الأول سنه ٦٠٦ هـ / ١٣ أيلول ١٢٠٩ م. (٣).

و من الذين تولوا منصب نقيب النقباء ملد بن المبارك بن النشال المتوفى فى ١٣ ربيع الآخر سنه ٦٠٣ هـ / ١٧ تشرين الثانى ١٢٠٦ م (٤) و مما سبق يتضح لنا بان النقباءه منصب متوليها بعين و يعزل بامر الخليفه كاي موظف آخر من موظفى الدوله.

المقطعون

كان بعض الأشخاص، فى عهد الناصر لدين الله يقطعون بعض الأراضي لقاء دفع مبلغ، كثيرا ما يحدد، من المال و يصبح ذلك المقطع حر التصرف فى جمع هذا المبلغ من المال و لربما أضعافه فالمفروض بهذا المقطع أو الضامن أو الملمزم أن يربح و لذلك كان المقطعون يتبعون طرقا غير سليمه بل رقاسيه فى جمع المال حتى أن الخليفه كثيرا ما يضطر لافصائهم أو معاقبتهم

على أفعالهم. و هذا يوضح لنا أن الاقطاع فى عهد الناصر كان أشبه ما يكون بضمان أراضى الدوله من قبل أشخاص و لكن الرقبه أو ملكيه الأرض تبقى للدوله و هى حره فى خلع الضامن أو إعطائها لغيره إن أخل بالشروط أو العهد المتفق أو إن شاءت الدوله ذلك لسبب أو آخر، لذا كثيرا ما كانوا يعزلون من إقطاعاتهم بل و حتى مناصبهم إن كانت لهم مناصب.

و من الأمثله على ظلم هؤلاء المقطعين ما يذكره لنا ابن الساعى فى حوادث سنه ٦٠٠هـ/١٢٠٣ م حيث يقول عن أحدهم و هو الأمير أى أبه بن عبد الله التركى المعروف بالشاهين أحد الأمراء الناصريه، نسبه للخليفه الناصر، المتوفى فى شهر ربيع الأول سنه ٦٠٠هـ/١٢٠٣ م باقطاعه بواسط بأنه "كان قاسيا مقدما على المعاصى بلغنى أنه أخذ شيخا من إقطاعه فضربه ألف خشبه (عصا) فلم يتأخر بعد هذه الحاله موته". (٥) و من المرجح إن سبب ضربه هو تاخره فى دفع ما عليه لسوء أحواله و ارتباكها أو شيئا من هذا القبيل.

و من الذين أقطعوا أرضا أو بالأحرى عقد لهم ضمان البصره الأمير عماد الدين طغرل و ذلك فى رجب سنه ٥٩٧هـ/نيسان ١٢٠١ م بما مبلغه مائه و خمسه عشر ألف دينار. (٦) و قد توفى مقطع البصره هذا فى ١١ ذى القعدة من سنه ٦٠٣هـ/٩ حزيران ١٢٠٧ م. (٧) أما الأمير ملك الدين سنقر الطويل الناصرى فقد أقطع دقوق (٨) و تكريت و بين النهريين (٩) و قد توفى بدقوق فى شهر ربيع الأول سنه ٥٩٦هـ/كانون الأول ١١٩٩ م.

نظار المناطق و ولاء و أمراء الأقاليم

كانت مناطق أو أقاليم الخلافه العباسيه تدار من قبل أشخاص تساعدهم مجموعه من الجند و الشرطه و يعرف هؤلاء الأشخاص باسم النظار، جمع ناظر، أو أمراء الأقاليم أو عمال الخليفه و يبدو أن بعض هؤلاء كانوا يقومون بجبايه الضرائب على الحاصلات الزراعيه من المزارعين حيث جاء فى ترجمه ابن الساعى لأفصح بن أفصح ناظر قوسان قوله "كان فيه جلاده و جراه على أخذ الأموال لنفسه و كان يؤخذ و يحبس ثم يخرج فيعود إلى ما كان عليه إذا رتب فى شغل. قال الحاجب قيصر: حدثنى النصير ٩.

ص: ٨٠

- ١- ابن الساعى، المصدر السابق، ٩/٩٦.
- ٢- المصدر السابق، ٩/١٦٢.
- ٣- المصدر السابق، ٩/٢٢٩.
- ٤- ابن الأثير الجزرى، المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر، ١/٢٨٧-٢٩٥.
- ٥- ابن الساعى، المصدر السابق، ٩/١٩٣.
- ٦- المصدر السابق، ٩/٢٠٩.
- ٧- المصدر السابق، ٩/٢٠٩.
- ٨- دقوق أو دقوقاء: مدينه بين أربل و بغداد معروفه لها ذكر فى الأخبار و الفتوح كان بها وقع للخوارج، انظر ياقوت، معجم البلدان، ٢/٤٥٩.
- ٩- المصدر السابق، ٩/٢١٥.

السامري مشرف ديوان الزمام المعمور عن المذكور حكاية عجيبة و ذاك أنه قال: أخرجوني معه إلى قوسان و أنا يومئذ أحد المعدلين بمدينة السلام حتى تقدر البلد و تكمل ارتفاعه فأول ما خرجنا ضايق المعاملين و استوفى عشره آلاف دينار ما منها مع الكاتب و المشرف شيء فقلت له: ما هذا المال الذي جمعه ما جرى له ذكر في الحساب؟ فقال: هذا المال لي و للكاتب و للمشرف و البراطيل و نفقه الحبس. فقلت له: ما معنى هذا الكلام. فقال: هذا البلد مضمن علي بكذا و كذا ألف دينار أريد أتعجل لنفسي بهذه العشرة آلاف دينار، أعطيك أنت منها ألفا و للمشرف ألفا و للكاتب ألفا و أ برطل بالف و أنفق على نفسي في الحبس ألفا و بقي ورائي لعيالي خمسة آلاف فان خسرت في آخر السنة هذه العشرة آلاف سهل الحال و إن كان أكثر من ذلك حصلت لنفسي هذا المقدار. قال فقلت: يا شيخ و الله أن الحراميه لا يعتمدون ذلك و لا يقدمون عليه بشهادة العدول، و الله يا شيخ لا أقتم معك لئلا يلحقني، شرك. فقال لي: أنت رجل مجنون محشف الدماغ محروم لهذه الألف.

فانفصلت عنه و طالعت بالحال فاخرج إليه من أحتاط عليه و على المال و كفيت أنا المخاطره. و قد توفي أفلح في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م.

و كان ناظر نهر عيسى تاج الدين العلوي و ذلك في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م و قد قتل شخص من الأنبار يعرف بابن مهدويه في منطقته فألزم أهل الأنبار ديته و طالبهم بمال فقطع على خمسة نفر خمسة آلاف دينار ثم ألزم الضعفاء ألف دينار: على الجليله خمسة (لعل الصحيح خمسمائة فهي نصف الألف) و على الصنفارين خمسمائة و درك بذلك شيخ كل محله فضايقتهم و أخذ أموالهم فهربوا إلى هيت و الحديثه و الحله و أدخلوا بيوتهم فأوقر الزواريق من رحلهم و ثيابهم فلما وصلت إلى بغداد لتباع أنهي ذلك إلى علم الخليفه الناصر لدين الله فأنكره غايه الإنكار و كتب برد ما أخذ من أموال الناس و يقتصد من ذلك على ديه المقتول و هي ألف دينار تؤخذ من عاقلته(١) و لا يزداد على ذلك الحبه الفرد هذا حكم الشرع المطهر في ذلك.

و في المحرم من سنة ٥٩٧ هـ / تشرين الأول ١٢٠٠ م صلب إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الناظر باعمال السواد بالجانب الغربي على شاطئ نهر عيسى و سبب ذلك أنه تكلم في الحبس بقدر الدوله فلم تقتض السياسه التغاضي عنه ففعل به ذلك.

و من نظار الدجيل عز الدين بن أبي الهيجاء ثم رتب ناظرا في معاملات خوزستان و توفي في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م. و من نظار الدجيل أيضا أبو الحسن علي بن يحيى بن الصلايا و كان مشكور السيره محمود الطريقه و كانت وفاته في ثالث شعبان من سنة ٥٩٨ هـ / ٢٨ نيسان ١٢٠٢ م.(٢)

و أبو الغنائم نصر بن ساوه النصراني الذي صلب في ١٨ جمادى الأولى سنة ٦٠٤ هـ / ١٠ كانون الأول ١٢٠٧ م و سبب صلبه أنه كان على علاقته بمقتل الأمير علاء الدين تنامش الناصري بالسسم ثم أحرق بعد صلبه و كان هذا الأمير مقطع دقوق أو دقوقا حينئذ فلما مات مسموما نسب ذلك لابن ساوه.(٣) أي أنه أراد الاستيلاء على ما بيده فقتله أو أوغز إلى من قام بذلك و فعلا استولى على دقوق فضلا عن الدجيل إلا أن الشبهات حامت حوله حتى قبض عليه و أعدم.

و من نظار الحله أبو الفرج بن الحداد الذي توفي في شعبان سنة ٦٠٣ هـ / آذار ١٢٠٧ م.(٤) و في شهر ربيع الأول من سنة ٦٠٤ هـ / أيلول ١٢٠٧ م رتب أبو الميامره علي بن أحمد بن أمسينا ناظرا بديوان واسط متوليا لأعمالها و خلع عليه بها.(٥) و من نظار واسط الآخرين أبو الشكر محمود بن أحمد بن سعاده الملقب ظهير الدين و كان موصوفا بالجود و السماح.

و من نظار نهر الملك (٤) مقال خادم الفيروزيه ابنه الخليفه المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م) و كان موصوفا بالذكاء و الجلايه و كان قبل ذلك ناظرا بمعامله باجسرى ثم أعيد إليها إلى أن توفي سنه ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م. و من نظار نهر الملك الآخرين أبو القاسم بن حماد و كان ذلك في سنه ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م.

أما الذين تولوا منصب الوالى فى البصره فمنهم ابن كنكر و كان من الرجال الأجلء و عمر البصره و أحبه أهلها و قد توفي فى شعبان سنه ٦٠١ هـ / آذار ١٢٠٥ م. و يبدو أنه كان لين المعامله مع الناس عادلا.

و من أمراء الديوانيه أو ولاتها أبو إسحاق إبراهيم بن برجم و قد قتل سنه ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م من قبل باطنى.

و من رؤساء همذان فى عهد الناصر همايون العلوى الملقب مجد الدين المتوفى سنه ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م.

و من الذين تولوا إماره عرب الشام أبو داود محمد بن قروان البدرى، و كان ممن أنفذ عساكره لمساعدته الناصر فى همذان و قد توفي سنه و من أمراء خفاجه زمن الناصر لدين الله زياد بن عبيد و قد خلع عليه فى الديوان العزيز و سلمت إليه حمايه البلاد الفراتيه (٧) فمضى مخلوعا عليه و حضر عند جمال الدين قشتمر الناصرى بالحله مظهرا للتعزز بخلع الديوان العزيز و توفي سنه ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م.

و من عمال أو ولاءه أو متصرفى معامله الأحمريه (٨) أبو البركات بن ٤.

ص: ٨١

١- العقل فى كلام العرب الديه. و العاقله هم العصبه و هم القرابه من قبل الأب الذين يعطون ديه قتل الخطا و هى صفه جماعه عاقله. و يقول أحمد بن حنبل العاقله: القبيله إلا أنهم يحملون بقدر ما يطيقون. انظر ابن منظور، لسان العرب، ١١/٤٦٠ - ٤٦١. ماده "عقل".

٢- المصدر السابق، ٩/٤٤.

٣- المصدر السابق، ٩/١٧.

٤- المصدر السابق، ٩/٩٠.

٥- المصدر السابق، ٩/٢١٩.

٦- نهر الملك كوره واسعه ببغداد بعد نهر عيسى يقال إنه يشتمل على ثلاثمائه و ستين قريه على عدد أيام السنه. و هناك خلاف على من حفره. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٥/٣٢٤.

٧- يبدو أنه يقصد بها منطقه الفرات اليوم خاصه الحله.

٨- الاحمريه: من نواحي بغداد فى أقصى كوره الخالص من الجانب الشرقى - عمرت أيام الناصر لدين الله. و فى دار الخلافه موضع آخر يقال له قصر الأحمريه. انظر ياقوت، معجم البلدان، ٤/٣٥٥.

وظائف أخرى

و من الوظائف الاداريه الاخرى فى عهد الناصر لدين الله :-

١ - آمر العقار الخاص: أى متولى عقار الخليفه و ممتلكاته و أراضييه، ففى صفر سنة ٥٩٦هـ/تشرين الثانى ١١٩٩ م رد أمر العقار الخاص و جبايته و النظر فيه إلى كمال الدين أبى جعفر بن الناعم و هو يومئذ ناظر خزانه الغلات بباب المراتب المحروس فاستوفى البقايا و زاد على السكان فتكامل فى ذلك مبلغ له قدر و كان ينظر فيه ابن الرسى.

٢ - ناظر خزانه الغلات: و هو المشرف على خزن أو على المخزن الذى تخزن فيه الغلال التى ترد على الدوله سواء على شكل ضريبه عينيه أو من ممتلكات الخلافه و الدوله. و من الذين تولوا هذا المنصب القوام بن الزاهد و كان أحد المتصرفين فى الأعمال الديوانيه و قد رتب ناظرا لخزانه الغلات بباب المراتب المحروس.

٣ - وكيل ولى العهد: و ممن تولى هذا المنصب القوام بن الزاهد الذى رتب و كيلا لولى العهد عدده الدنيا و الدين أبو نصر محمد. ثم خلفه فى منصبه محمد بن مبشر بن أبى الفتوح و كان عالما فيلسوفا عارفا بالفرائض توفى سنة ٦٨١هـ/١٢٢١ م ببغداد و هو على منزلته. و هكذا يبدو لنا أن هناك وظيفه هى أشبه ما تكون بمساعد ولى العهد أو سكرتيره يدير شؤنه و ينظم أموره.

٤ - عميد بغداد: و كان هذا يقوم بوظيفه أقرب إلى الجبايه و الاداره فى مركز الدوله و هو أقرب ما يكون لنائب الوزاره و منصبه. و يبدو لى أنها تشبه كثيرا فى يومنا الحاضر منصب أمين العاصمه. و من الذين تولوا هذا المنصب الركن عبد السلام بن عبد القادر الجبلى و ذلك فى ١٣ رجب سنة ٦٠٠هـ/١٧ آذار ١٣٠٤ م و خلع عليه و جعل له ديوانا مفردا ورد إليه استيفاء الأموال و أسكن الدار المقابله لباب العامه (١) المجاوره لجامع القصر الشريف.

٥ - المشرف على أموال الأيتام: و هذه الوظيفه يقابلها فى يومنا الحاضر مديره أموال القاصرين التى تشرف على أموال القاصرين من الأيتام لحين وصولهم سن الرشد و البلوغ فتسلمهم حقوقهم و أموالهم إذ يصبحون بعدها أحرارا بالتصرف بها. و من الذين تولوا هذا المنصب أبو إسحاق خليل بن محمود بن خليل التبريزى و قد ولاه قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى و ظل إلى أن توفى فى ١٥ ذى الحجه سنة ٦٠٠هـ/١٤ آب ١٢٠٤ م.

٦ - وكيل الخدمه الناصريه: يبدو أن هذه الوظيفه كانت مهمه متوليها الاشراف على خدمه قصر الخلافه خاصه تحضير ما كولاته. و يقول ابن الساعى فى أحداث شوال سنة ٥٩٦هـ/تموز و آب ١٢٠٠ م أنه رد النظر فى أملاك الطباق الشريف إلى العدل على بن رشيد الحربوى و كيل الخدمه الشريفه الناصريه فاستتاب فيه الفقيه فخر الدين إسماعيل غلام بن المنى و بسط يده فيه فظهرت فيه جلاده و توفر حاصله معه.

أحمد ناصر الدين شاه قاجار:

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نذكرها هنا بتفاصيل أوسع:

اسمه أحمد، و ناصر الدين الذي اشتهر به هو لقبه.

ولد سنة ١٢٤٧ و اغتيل سنة ١٣١٣ هـ.

هو رابع ملوك الأسره القاجاريه التي حكمت فى إيران.

فى سنة ١٢٥٠ هـ تملك أبوه "محمد شاه قاجار". و فى سنة ١٢٥١ هـ نصب ابنه هذا "ناصر الدين ميرزا"، و هو أكبر أبناءه و أُرشد هم، وليا للعهد، و له من العمر خمس سنوات. و فى سنة ١٢٦٣ هـ عينه حاكما على أذربيجان.

و فى سنة ١٢٦٤ هـ توفى "محمد شاه قاجار". و نودى بابنه ولى العهد "ناصر الدين ميرزا" ملكا ليله الرابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٦٤ هـ، و هو فى تبريز، و له من العمر سبعة عشر عاما. ثم حضر إلى العاصمة طهران فى ٢١ ذى القعدة [١٢٦٤] من تلك السنة، و جرى الاحتفال الكبير بتنصيبه ليله السبت ٢٢ ذى القعدة [١٢٦٤] و جلس للناس جلوسا عاما فى قاعة قصر "نخت المرمز" فى ذلك اليوم.

كان فى أول عهده بالملك كأكثر الشبان إذ يحاولون الظهور بمظهر من هم أكبر منهم سنا. فكان يتعهد لحيته متعجلا تكاملها بصبر نافذ. فلما بلغ الثانية و العشرين كانت له لحيه وافر كثة. و لكنه عاد فحلقتها بالموسى حين بلغ من العمر بضعة و خمسين عاما. و هو أول من حلق لحيته من ملوك القاجاريين.

كان "ناصر الدين شاه" مفرطا فى حب السياحه و السفر و النزاهة و الإكثار من الزوجات. و هو أول من سافر إلى أوروبا من ملوك إيران.

و هو، بعد "فتح على شاه"، أكثر ملوك القاجاريين نساء.

يقول مؤرخ إيرانى أنه قيل إنه صار له ١١٠ زوجات أربع منهن بالعقد الدائم و الباقى بزواج المتعه. و مات عن ٨٥ زوجة. و لكن هل نستطيع أن نسلم بهذا القول الذى قيل بعد زوال سلطانه و سلطان أسرته؟ لا أدرى.

ثم لنا أن نتساءل: هل هذا معقول؟ لا أدرى. ثم يقول هذا المؤرخ:

و لكن عدد النساء فى حريمه لم يكن يقل قط عن ١٦٠٠ امرأة هن نساؤه و جواريه و الخادمت و من يزور نساءه يوميا من نسيباتهن و صديقاتهن. و ولد له سبعة و عشرون ولدا ما بين ذكر و أنثى. و كانت زوجاته مصنفات على ثلاث درجات. فنساء الدرجة الأولى لكل منهن عماره خاصه و ساحه أمامها. و الأخريات تتفاوت مساكنهن من حجره واحده إلى ثلاث حجر لكل منهن. و كان فى حريمه تسعون خصيا من البيض و السود. و لكل من نساء

ص: ٨٢

١- أحد أبواب دار الخلفه بيغداد كان من أجل أبوابها و أشرفها. و كان حاجبه عظيم القدر و نافذ الأمر إلا أنه أهمل، كما

يؤكد ياقوت، على عهدہ (توفى ياقوت سنه ٦٢٦هـ/١٢٢٨ م). انظر ياقوت، معجم البلدان، ٣١٢/١.

الدرجة الأولى ثلاث خصيان أو أربعة يخدمونها. و لكل من نساء الدرجة الثانية خصى أو اثنان. و نساء الدرجة الثالثة لا خصيان لهن. و لكل من زوجاته راتب شهري يتفاوت من خمسين و سبعمائة تومان إلى خمسين و مائه تومان حسب درجتها. و لكل من بناته الكيبرات راتب سنوي مقداره أربعة آلاف تومان. و يسكن في حريمه أربعة آلاف نسمة. و له في كل سنة رحله للاصطياف، و يقيم حوله في مصيفه حشد من رجاله و نسائه يتكون من سبعة آلاف إلى عشرة آلاف نسمة، و يصحب معه اليه نصف زوجاته تقريبا.

على أن مؤرخا إيرانيا آخر يقول عنه: قد اكتست إيران في أيامه حله من البهاء و الجلال، و كان مقدرًا للعلماء الروحانيين و الأدباء و الشعراء، و قرر اصلاحات سياسيه في نظام المملكة. اه.

ورد السيد محسن الأمين في كتابه (معادن الجواهر) على هذا المؤرخ قائلا: و لسنا نعرف ما هو هذا البهاء و الجلال الذي اكتسبته إيران في أيامه سوى أن الجنديه كانت منحطه إلى درجه مخجله، و نفوذ روسيا و انكلترا يزداد يوما فيوما حتى كان لانكلترا بريد و خط برقي في إيران و سوى القروض من روسيا و انكلترا التي كانت تصرف على السياحات في الممالك الأجنبيةه و سوى إعطاء امتياز حصر التبناك للانكليز لو لا أن حالت دون ذلك فتوى الامام الشيرازي.

كان "ناصر الدين شاه" يتخلى غالبا عن القيام بمهام منصبه و ينصرف إلى تقضيه أوقاته في الصيد و النزهه و ركوب الخيل و اللعب و الزواج. و من ملامه مشاهده أمراء البيت المالک يقامرون في حضوره. و أكثر مقامرتهم كان بالنرد. و قد يشاركهم أحيانا في المقامرة.

و من أسوأ أعماله قتله في أوائل سلطنته "الميرزا تقى خان" الفراهاني الصدر الأعظم المشهور المعروف باسم "أمير كبير". بل لعل هذا العمل كان أسوأ أعماله على الإطلاق. فقد كان قتل هذا الرجل العظيم المصلح خساره كبيره نزلت بايران. و لو أبقى عليه لحققت إيران شيئا كثيرا من آمالها في الرقي و التقدم و الصلاح. و لكن تضافر عليه حساد من المحليين و أعداء من الأجانب حتى حملوا الشاه على كف يده عن العمل ثم قتله! في ٢٨ شوال سنة ١٢٤٨ هـ حاول البايون اغتيال "ناصر الدين شاه" بإطلاق الرصاص عليه و هو يجتاز الطريق في إحدى ضواحي طهران. و لكنه لم يصب بأذى سوى جرح بسيط. فأمر "ناصر الدين" بقتل البايين قتلا عاما، فقتل أكثرهم في جميع نواحي إيران. و من ذلك التاريخ بدأت هجره البايين إلى خارج إيران.

في سنة ١٢٧٥ هـ عزل "ناصر الدين شاه" الصدر الأعظم "الميرزا آقا خان نوري" (١) عن منصبه. ثم أُلّف هيئه من ستة وزراء لست وزارات باسم "مجلس شورى الوزراء"، و في سنة ١٢٧٦ هـ أُلّف هيئه أخرى من أحد عشر عضوا باسم "مجلس شورى الدوله"، و تقرر أن تحول إلى المجلسين أمور المملكة المطروحه للبحث فينظران فيها ثم ترسل إلى الشاه للموافقه. و لكن هذا التدبير كان تدبيرا موقتا مثل تدابير و قوانين أخرى اتخذها. إذ لم يلبث كل شيء أن عاد إلى ما كان عليه يقضى فيه برأيه و نظره الخاص.

و أنشا أيضا مع هذين المجلسين ندوه أمر بان يكون أعضاؤها من العلماء و الرجال المجريين، و جعل خاله "عيسى خان اعتماد الدوله" رئيسا لها، و أمر بان تنعقد هذه الندوه يوميا تنظر في أمور المملكة و تتباحث في وسائل تقدمها. و لكنها كانت إجراء شكليا لم تصنع شيئا.

و فى سنه ١٢٨١ هـ أمر بوضع صندوق سماه "صندوق العدالة" فى "ميدان أرك"، و هو ساحه كبيره فى طهران. و كل من كانت له مظلمه أو مطلب يريد رفعه إلى الشاه كتبه فى عريضه و وضعها فى ذلك الصندوق.

و لكن الموظفين المعينين لهذا الصندوق كانوا لا يجدون فيه حين يفتحونه غير اللعنات إذ كان الناس آيسين لا يحملون مثل هذا العمل على محمل الجد بل يعدونه خداعا. و من ثم أمر "ناصر الدين شاه" بالغائه و فى سنه ١٢٨٣ هـ أراد القيام بعمل إصلاحى شامل لأمر المملكه، يحقق التزام المسئوليات و يحدد لكل مجال عمله حسب ما هو مكلف به.

و لكن التشيكلات التى أنشأها لتحقيق هذه الغايه لم تلبث أن انحلت و ظل كل شىء على ما هو عليه.

و أنشا فى سنه ١٢٩١ هـ دائره باسم "ديوان المظالم" ثم غير اسمها باسم "صناديق عداله الولايات" ليضع فيها أصحاب الحاجات و الظلمات فى الولايات كلها ما يريدون رفعه إلى الشاه من حاجاتهم و ظلاماتهم. و لكنها لم تأت بفائده لانعدام ثقه الناس بهذا الأمر، فألغيت.

و فى سنه ١٢٩٤ هـ رأى "ناصر الدين شاه" أن تكون أمور المملكه بعهد وزارتين، وزاره الأمور المدنيه و عهد بها إلى "الميرزا يوسف مستوفى الممالك"، و وزاره الأمور العسكريه و عهد بها إلى قائد الجيش "الحاج الميرزا حسين خان". (٢)

كان "ناصر الدين شاه" كثير النساء ميالا إلى القصف و اللهوه. و من أجل ذلك احتاج إلى أبنيه لإسكان نسائه و إقامة مقاصفه و ملاهيه. و قد مكته طول المده التى ملك فيها من إقامة عده أبنيه فى طهران و ضواحيها لهذه الغايه.هـ"

ص: ٨٣

١- هو "الميرزا نصر الله خان نوري" المعروف باسم "الميرزا آقا خان" الملقب ب "اعتماد الدوله". من أصحاب المناصب العاليه و النفوذ القوى فى البلاط فى عهد "فتح على شاه" و "محمد شاه" و "ناصر الدين شاه". كان له أثر كبير فى حمل "ناصر الدين شاه" على قتل الصدر الأعظم المصلح "الميرزا تقى خان أمير كبير". كان آله طيعه فى يد الإنكليز و أضر بايران كثيرا خدمه لهم. عاقبه "محمد شاه قاجار" إذ ثبت له تجسسه للإنكليز، و فرض عليه الإقامة الجبريه فى مدينه "كاشان". فلما ملك "ناصر الدين شاه" بعد أبيه "محمد شاه" عاد إلى طهران من غير أن يؤذن له بالعوده. فأراد "الميرزا تقى خان" إعادته إلى منفاه، فلجا إلى السفاره الإنكليزيه، و منحه السفاره الجنسيه الإنكليزيه لكيلا يطاله الحكم عليه بالنفى و يبقى فى العاصمه. و بعد مقتل "أمير كبير" توصل إلى منصب الصدر الأعظم ل "ناصر الدين شاه" و تخلى عن الجنسيه الإنكليزيه، ثم عزله الشاه، بعد أن أوقع بايران شرا كبيرا.

٢- من كبار رجال الاداره. و "مستوفى الممالك" تعنى فى اصطلاح اليوم "وزير المالىه". و كان فى هذا المنصب مده فى عهد "ناصر الدين شاه"

و كان مبتلى بالبواسير، إذ كان نهما شاربا للخمر كثير الرفث إلى النساء. روى أنه شكا يوما إلى طبيبه الفرنسي الخاص "تولوزان" بعض الانحراف في مزاجه، وقال: الظاهر أنه بسبب التداخل في الطعام. فأجابه الطبيب: طعام صاحب الجلاله متواصل لا ينقطع فكيف يمكن أن يحدث فيه التداخل! وفي سنة ١٢٨٧ هـ سافر "ناصر الدين شاه" إلى بغداد لزياره قبور الأئمه ع، و استغرقت هذه الرحله حوالي خمس شهر.

و في سنة ١٢٩٠ هـ سافر إلى أوروبا و صحب معه جماعه من أبنائه و أعيان المملكه. و زار روسيا و ألمانيا و بلجيكا و إنكلترا و فرنسا و سويسرا و إيطاليا و النمسا و تركيا. و استغرقت رحلته هذه حوالي خمس أشهر.

و كان قد صحب معه أيضا إحدى نساته الأثيرات "أنيس الدوله" و لكنه أعادها إلى إيران من موسكو، إذ أن رؤيتها متحجبه أمر مستهجن عند الأوروبيين، و لا بد من تحجبه على عادته تلك الأيام. و قد نالت هذه المرأه مكانه عاليه عند "ناصر الدين شاه"، و أصبحت موضع الاهتمام و بلغت درجه ساميه من الوجاهه و الغنى، إذ كانت عاقله حسنه التدبير ذكيه.

و كانت لها حاشيه و أمر و نهى، و بلغت مكانتها إلى أن أصبحت رئيسه على نساء الشاه كلهن، و أعطيت مقام "ملكه". و هي بنت طحان من إحدى ضواحي طهران، رآها "ناصر الدين شاه" يوما، و هو خارج في موكب ملوكي، فعشقها. و عقد عليها بعقد المتعه. و أراد أكثر من مره أن يعقد عليها بعقد الزواج الدائم فكانت ترفض و تقول له إن الساعه التي مرت فيها معدوده من نساء الشاه المستمتع بهن هي ساعه سعد و يمن و لا أريد الخروج من هذا الزواج الذي أسعدني. و كان الشاه يستشيرها أحيانا في بعض شئون الحكم.

و في رحله "ناصر الدين شاه" هذه إلى أوروبا كان يتزين ببعض الجواهر كمامه "درياي نور" (بحر النور) و غيرها. و حين كان في ألمانيا سال يوما أمبراطورها "غليوم الأول" عن جواهره، فلم يجبه بشيء. ثم شهدا، الشاه و الإمبراطور، عرضا عسكريا فالتفت الإمبراطور إلى الشاه، و هو يشير إلى جنوده، قائلا: هذه هي جواهرى! و في سنة ١٢٩٥ هـ قام "ناصر الدين شاه" برحله أخرى إلى أوروبا استغرقت حوالي أربعة أشهر. و لما مر بالقفقاس و إيروان شاهد عسكر "القوزاق" الروسي فأعجبه لباسهم العسكري و تنظيمهم. فلما عاد إلى إيران أمر بتشكيل فرقه على مثالهم يتولى تديبها ضباط روسيون و تكون حرسه الخاص. و كانت له غايه أخرى أيضا هي إرضاء الروس بجعل هذا العمل امتيازاً لهم في إيران. و لكن ذلك جر على إيران، فيما بعد، متاعب كثيره.

و استخدم أيضا أربعة عشر ضابطا نمسويا لتدريب الجيش الإيراني.

و استدعى الضابط الايطالي "الكونت دومونت فورته" إلى إيران ليقوم بتشكيل فرقه الشرطه و فرقه الدرك و تأسيس البلديه. و قد ظل هذا الضابط يتولى رئاسه هذه المؤسسات أكثر من اثنتي عشره سنه. و كان أيضا من نتائج رحلته الثانيه هذه إلى أوروبا إدخال الإناره الكهربائيه و الإناره الغازيه إلى إيران. و في عهد "ناصر الدين شاه" مد خط حديدي للقطار بين طهران و بلده "الري". حيث ضريح "عبد العظيم الحسنى" (رض). قامت بمده شركه بلجيكيه، بعد تمنع و تعلل بان في هذا العمل صعوبات كثيره، مع أن المسافه بين البلدين لا تتجاوز بضعه كيلومترات، و بعد أن فرضت بضعه شروط منها أن يتعهد الإيرانيون بان لا يتجاوزوا بالخط إلى أبعد من "الري"! و في سنة ١٣٠٥ هـ، في عهد "ناصر الدين شاه"، انتهى مد هذا الخط و جرى عليه القطار.

و لكن لابست إجراءه حادثه مهمه فى أوائل سنه ١٣٠٦ هـ فى يوم ذكرى وفاه الرسول (ص) و شهاده الامام الحسن ع، و هو يوم تعطيل عام، كانت جموع غفيره تؤم ضريح "عبد العظيم الحسنى" (رض) للزياره، و القطار مكتظ بالركاب. و اتفق أن سارع أحد الركاب إلى النزول منه قبيل توقفه فى المحطه فعلقت عباة به بعجله القطار فانجر إلى تحت العجله و قتل. فهاج الناس و هجموا على المحطه يريدون قتل العاملين فى القطار.

و أطلق قاطع التذاكر فى القطار الرصاص على الأهالى فقتل واحدا منهم. فزاد ذلك فى هياج المهاجمين، و فر موظفو القطار هارين و صب المهاجمون نفطا على القطار و أشعلوا فيه النار. و سبب هذا الحادث للحكومه القائمه كثيرا من المشاكل فى مسئوليتها أمام الشركه البلجيكيه.

و فى سنه ١٣٠٦ هـ قام "ناصر الدين شاه" برحله ثالته إلى أوروبا، استغرقت سته شهور و بعض الشهر. بدأها بزياره روسيا بدعوه من امبراطورها جاءته بناء على طلب منه. و صحب معه ثنتين من زوجاته هما "أنيس الدوله" و "أمينه أقدس" و إحدى بناته و هى "توران آغا فخر الدوله". و لكنه أعادهن إلى طهران من الحدود. و زار، بعد روسيا، بولونيا و ألمانيا و النمسا و فرنسا و بلجيكا و هولندا و إنكلترا.

و عاد "ناصر الدين شاه" من هذه الرحله إلى إيران سنه ١٣٠٧ هـ، و بعد عودته أرسل بعثه طلابيه إلى أوروبا للدراسه فيها على نفقه الدوله.

و فى هذه الرحله الثالثه أعطى "ناصر الدين شاه" شركه إنكليزيه امتياز انحصار التبغ و التباك (الريجى). ذلك الامتياز الذى يعد بما ترتب عليه من أحداث، من الوقائع العظيمه فى تاريخ إيران. فقد ثار الناس ثوره عارمه داميه لا سيما فى طهران و تبريز استنكارا لما فيه من إجحاف بحق إيران. و أصدر المرجع الدينى الشيعى الأكبر "الميرزا حسن الشيرازى" يومئذ من مقره فى مدينه "سامراء" العراقيه فتوى بتحريم تدخين التبغ و التباك فى إيران، و أطاع الجمهور و رجال الدين هذه الفتوى و امتنعوا عن استعمالهما، حتى اضطرت الحكومه الإيرانيه إلى إلغاء هذا الامتياز سنه ١٣٠٩ (١٨٩٢ م) و تعد هذه الثوره أول ثوره شعبيه على أعمال الخيانه التى دأبت حكومتهم على ارتكابها.

و اغتتم الروس الفرصه فهبوا أيضا يحرضون على الثوره بكل ما لديهم من الوسائل، إذ كان إعطاء هذا الامتياز لمنافسيهم الإنكليز صدمه شديده لهم.

و لكن إلغاءه كلف إيران دفع مبلغ ضخم من المال تعويضا للشركه صاحبه الامتياز.

وقد بلغ من إطاعه الناس لفتوى تحريم التبغ و التباك أن نساء الشاه أنفسهن انقطعن عن التدخين. فلامهن الشاه و أمرهن بالتدخين، و سألهن قائلاً: من ذا الذى حرم التدخين؟! فقالت له إحداهن، و كانت امرأه تقيه رزأنا: حرمه علينا من حللنا لك! فقال: ها أنا ذا أدخن فدخن أنتن أيضا كما أدخن أنا. فقالت له: و أنت تجمع بين الأختين. و ليس يجوز للناس أن يقلدوك فيجمعوا بينهما! هذا و كان "ناصر الدين شاه" يجمع بين أختين إحداهما اسمها عائشه و الأخرى ليلي.

و كان "ناصر الدين شاه" قد سبق أن منح الإنكليز امتيازاً بإنشاء بنك لهم فى إيران باسم "البنك الشرقى". و فى أثناء إقامته فى انكلترا فى رحلته الثالثة هذه تقرر تغيير اسم هذا البنك باسم "البنك الشاهنشاهى"، و إعطائه امتيازاً بإصدار النقد الورقى. و قد سهل هذا الامتياز عمليه تسرب الذهب الايرانى إلى أيدي الأجانب. و دفع بالروس إلى إجبار إيران على إعطائهم امتيازاً مماثلاً لما حصل عليه منافسوهم الإنكليز، فحصلوا فى سنة ١٣٠٨ هـ على امتياز بإنشاء "بنك الرهون"، و هو شعبه من مؤسسات وزاره الماليه الروسيه. و تساهل هذا البنك فى منح القروض إغراء للناس بالاستقراض و رهن أموالهم غير المنقوله، كالأراضى، بلا ترو، ثم يعجزون عن إيفاء القرض و يغلق الرهن بيد البنك، اى بيد وزاره الماليه الروسيه.

و لوحظ أن النفوذ الانكليزى فى إيران ازداد كثيراً بعد رجوع "ناصر الدين شاه" من رحلته هذه الأخيره. و قد أعطى "ناصر الدين شاه" الإنكليز هذه الامتيازات فى إيران:

١ - إنشاء خط برق الهند و أوروبا، و امتداده: بغداد - طهران - بوشهر. ثم اتصل ببلاد غيرها بعد ذلك.

٢ - الملاحه فى نهر كارون.

٣ - إنشاء "البنك الشاهنشاهى" إلى مده ستين عاماً. و قد اشترت الحكومه الإيرانيه هذا الامتياز فى عهد "رضا شاه بهلوى" و تولت هى إصدار النقد الورقى.

٤ - امتياز انحصار التبغ و التباك. و قد آل أمره إلى الإلغاء بسبب فتوى التحريم التى أصدرها الميرزا حسن الشيرازى كما تقدم.

٥ - إعطاء قرض لايران برهن جمارك الجنوب.

٦ - شق طريق بين طهران و خرمشهر.

و أعطى الروس هذه الامتيازات:

١ - إنشاء فرقه القوزاق.

٢ - استثمار مصائد بحر الخزر.

٣ - إنشاء بنك الرهون.

٤ - شق طريق من "عشق آباد" إلى "مشهد".

بعد أن أذن للروس بتشكيل كتيبه القوزاق في إيران سنة ١٢٩٥ هـ قدمت إلى طهران سنة ١٢٩٦ هـ بعثه من الضباط الروس برئاسة العقيد "ديمانتو فيتش"، وشكلوا وحده عسكريه على طراز القوزاق الروسيين من خمسين وثمانمائه فارس اختاروهم من المهاجرين. وهؤلاء المهاجرون كانوا جماعه من القفقاسيين جاءوا إلى إيران بعد أن خرجت مدن القفقاس من يد إيران وضمته روسيا إلى بلادها بحسب معاهده "تركمان شاي". فتركوا بلادهم، بعضهم بدافع من الأنفه الدينيه و بعضهم كانوا أيام الحرب قد سبقت لهم خدمات لايران. و من ثم رأوا أن صلاح أمرهم في اللجوء إلى إيران فقدموها و في نفوسهم آمال كثيره. و لكنهم وقعوا في الخيبه إذ أنهم أهملوا و لم يجدوا عند المسئولين عنايه تذكر، و ظلوا حيارى مشردين. إلى أن أعطى "ناصر الدين شاه" الروس امتياز تشكيل كتيبه قوزاق في إيران، و قدمت البعثه العسكريه الروسيه فأمر الشاه باختيار أفرادها من بين المهاجرين هؤلاء. و شيئاً فشيئاً كان عدد المجندين فيها يزداد يوماً بعد يوم. و في سنة ١٣١١ هـ جاء إلى إيران عقيد آخر اسمه "كاساكوفسكى" رئيساً للكتيبه فأقامها على وضع آخر مختلف كل الاختلاف عن السابق، إذ أنه فصلها عن وزاره الحربيه الإيرانيه و جعل لها كيانا خاصا مستقلا، و بنى لها عماره خاصه لتكون ثكنه لها و سور إحدى ساحات العاصمه و جعلها مكانا لتدريب الكتيبه و أخذ من الحكومه قسرا يعرف بـ "قصر قاجار" و جعله معسكرا لها. و في سنة ١٣١٨ هـ رفع الإمبراطور الروسى رتبه هذا الضابط بناء على طلب من "مظفر الدين شاه". و كان الاتفاق الذى وقع بين الدولتين بشأن هذه الكتيبه ينص على أن لا يبقى رئيسها في إيران أكثر من ثلاث سنوات. و لكن "كاساكوفسكى" هذا ظل في إيران تسع سنوات رئيسا لها. و مع أنه كان مطلق التصرف خارجا عن سيطره الدوله الإيرانيه يرجع بصوره مباشره إلى الدوله الروسيه فى كل شئونه فان نفقات الكتيبه كلها كانت تؤخذ من خزينه الدوله الإيرانيه و لم يقدم قط فى يوم كشافا حساييا يبين وجوه الإنفاق! يقول الدكتور "فوفريه" طبيب "ناصر الدين شاه" الخاص فى كتابه " ثلاث سنوات فى بلاط إيران":

" يبدو أن إيران ستنتهى، بإعطاء هذه الامتيازات المتلاحقه، إلى أن تقع كلها فى يد الأجانب ".

و يقول "براون" فى كتابه " انقلاب إيران":

" كل هذه الامتيازات التى أعطيت للأجانب تنتهى إلى مصير واحد، هو انتفاع الشاه و رجال بلاطه انتفاعا زائلا بالقليل الزهيد و الإضرار بأهل إيران إضرارا دائما ".

كان "ناصر الدين شاه"، مع استبداده المفرط، يتسع صدره أحيانا للكلام الجارح و التوبيخ يوجهه إليه أناس من الطبقات الدنيا فيتحمله و يغضى عليه. من ذلك أن زردشتيا اسمه " خاراداد" كان بستانيا فى إحدى عماراته المسماه " سلطنت آباد"، قتلت زوجته و هى تجتاز إحدى الطرقات ليلا. و مر "ناصر الدين شاه" يوما فى بستان تلك العماره فرأى ذلك البستاني فقال له:

كيف صح عندك أن ترسل زوجتك إلى الخارج ليلا حتى سببت بذلك قتلها؟! فبادره البستاني بالجواب فورا قائلا: كنت أحسب أن الليل و النهار فى مملكتك سواء. إذا نمنا فأنت ساهر. و لذلك كنت مطمئنا عليها فارسلتها. فلم يقل "ناصر الدين" شيئاً و ساق فرسه منصرفا.

كان "ناصر الدين شاه" حسن الخط حسن الإنشاء. يعرف من الألسنه الأجنبيه قليلا من الفرنسيه. أحد تراجمته "محمد حسن خان اعتماد السلطنه"، و هو ملحق عسكري سابق بسفاره إيران فى باريس، يقول فى مذكراته متهكما بـ "ناصر الدين شاه":

" ما زلت من خمسة عشر عاما ألقى عليه درسا. وقبلى علمه معتمد الملك عشره أعوام. وقبله الطيب كلوكه (فرنسى). وفى أيام ولايته للعهد حين كان واليا على تبريز علمه جماعه آخرون. ما شاء الله! انه، لشده العمل، أو لتشتت الفكر، لا يعرف، مع ذلك، شيئا من الفرنسيه! لأنه، كدأبه فى كل أعماله، لا يسلك إليها طريق أصولها. إنه يتصور أن التربيه و التعليم هما كاستقلال بالملك على إيران يمكن تحصيلهما بنزوات الهوس و الرغبات. الدرس، لعمري، شىء آخر! "

كان "ناصر الدين شاه" شديد الرغبه فى تعلم اللغات الأجنبية، و لكنه كان يتوسل إلى ذلك بعقلية الملك الذى يأمر فيطاع لا بعقلية الطالب.

كانت رغبته هذه نزوات عارضه لا تلبث أن تزول. أراد مره تعلم اللغه الألمانية مدفوعا ببعض الاعتبارات السياسيه فتلقى بعض الدروس ثم انصرف عنها. و أراد تعلم اللغه الروسيه فبدأ دراستها ثم انصرف عنها.

و كذلك اللغه الإنكليزيه. و لم يحصل من كل تلك الدروس سوى بضع كلمات من الروسيه و الإنكليزيه. كان إذا أراد التوجه إلى الإنكليز أخذ فى تعلم الإنكليزيه. و أرسل الروس "الأمير دالفوروكى" سفيرا لهم إلى إيران فقرر الشاه تعلم اللغه الروسيه لأن المبعوث الروسى شخصيته كبيره بما هو أمير! و اعتاد "ناصر الدين شاه" أن يزور فى كل أسبوع أو أكثر منزل أحد الأعيان أو منزل أحد أبنائه أو أحد أمراء الدرجه الأولى من الأسره المالكه.

و جرت العاده أن يقدم إليه صاحب المنزل فى كل زياره مبلغا من النقود و شيئا من التحف هديه.

و كان فى معيته بضعه أطباء من الايرانيين. و استخدم أيضا بضعه أطباء من الأجانب واحدا بعد آخر. منهم طيب فرنسى اسمه "كلوكه" و بعده طيب نمساوى اسمه "بولاك" و قد كتب هذا الطيب مؤلفات عن إيران و بعده فرنسى اسمه "تولوزان" و فرنسى آخر اسمه "فوفريه".

عاش "ناصر الدين شاه" سبعة و ستين عاما. و ملك تسعه و أربعين سنه و شهرا و ثلاثه أيام. و فى يوم الجمعة ١٧ ذى القعدة سنه ١٣١٣ هـ الموافق أول أيار (مايس) سنه ١٨٩٦ م أطلق عليه رجل اسمه "الميرزا رضا الكرمانى" رصاصه من مسدس، و هو قائم للزياره فى حرم "عبد العظيم الحسنى" (رض)، فارداه قتيلا.

و أودع جثمانه قصر "گلستان" ريشما هيئ قبره قرب مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض). و فى سنه ١٣١٤ هـ حمل جثمانه إلى هناك و دفن عند قبر احدى زوجاته الأثيرات، المسماه "جيران".

ذكر ترجمانه "محمد حسن خان اعتماد السلطنه" فى مذكراته اليوميه قصه غريبه قال:

" اليوم (٢٨ محرم سنه ١٣٠٠ هـ) روى لى الشاه حلما رآه قبل بضع ليال. رأى حيوانا كبيرا، أكبر من الفيل، يهجم عليه. فأطلق الشاه نحوه بازيا كان فى يده، فانشب البازى منسره فى حلق الحيوان فقطعه، و سال منه دم كثير و وقع الحيوان على الأرض و مات. و ابتعد الشاه عنه كارها ما انبعث من دمه من رائحه كريهه. ثم إذا بالحيوان يرفع رأسه و يقول للشاه: سأبعث حيا بعد أربعه عشر عاما و ألقاك ". و بعد أربعه عشر عاما قتل "ناصر الدين شاه" برصاصه مسدس. أما القاتل "الميرزا رضا الكرمانى" فرجل

جسور مقدم من أهل كرمان كان قد فر منها بعد أحداث قاسيه مرت به و استقر في طهران، حيث تعرف على السيد جمال الدين الأفغانى حين إقامته فيها و أصبح من أشد مرديه تعلقا به. ثم نفى الأفغانى من إيران إلى إسلامبول. ثم وقعت أحداث امتياز التبغ و التباك فشارك "الميرزا رضا الكرمانى" معارضى الامتياز فى معارضتهم و قام بنشاط فى هذا المجال، فقبض عليه و سجن و لقي فى سجنه أهوالا و عذبا كثيرا. و كان يشتغل فى طهران ببيع بعض المنسوجات الكرمانيه فاشترى منه الأمير "كامران ميرزا" ابن "ناصر الدين شاه" و نائبه شيئا منها دينا. و كان بعد ذلك إذا طالب بدينه لم يلق جوابا غير الالهانه و الضرب حتى اضطر إلى أن شكاه إلى مؤسسه العداله الجديده التى أنشأها الشاه، فاجبروا الأمير على تاديه الدين إليه، فأداه. و لكن "الميرزا رضا" تلقى مع كل تومان قبضه صفعه، و كان دينه ألف تومان، حتى أصيب برجفه دائمه فى رأسه و عنقه لازمته مده من الزمن. فزادته هذه المظالم جساره و تمردا و نقمه.

ثم استطاع أن يفر من إيران و يلتحق بالسيد جمال الدين الأفغانى فى إسلامبول. ثم عاد إلى إيران عازما على اغتيال "ناصر الدين شاه". و فى استجواب المحققين له أصر إصرارا قاطعا على أن الذى حرضه على القتل هو السيد جمال الدين و أن أحدا لم يكن على علم بالمؤامرة غيره.

و يرى "إدوار براون" فى كتابه "انقلاب إيران" أن المحرك الأصيل غير المباشر على الاغتيال هو السياسه الإنكليزيه و السياسه الروسيه. و كذلك احتمال مخبر جريده "المانشستر غارديان" هذا الاحتمال. و يرى مؤرخون آخرون أن للسلطان عبد الحميد العثمانى ضلعا فى المؤامرة أيضا.

و قد ظل "الميرزا رضا الكرمانى" القاتل حوالى ثلاثه أشهر فى السجن و التعذيب حتى حكم عليه بالموت، فشنق فى يوم الأربعاء الثانى من ربيع الأول سنه ١٣١٤ هـ الموافق ١٢ آب (أغسطس) سنه ١٨٨٦ م فى أحد ميادين طهران، و ظل معلقا يومين.

أم "ناصر الدين شاه" اسمها "ملك جهان خانم" و لقبها "مهد عليا". و هى من القاجاريين. كان زوجها "محمد شاه قاجار" ضعيفا عليلا. فكانت، لذلك تتجاوزته و تتدخل فى شئون الدوله. فتعزل و تنصب و تقطع أصدقاءها الاقطاعات من أملاك الدوله إلى أمثال هذه الأمور. و لكن لما تولى المصلح "الميرزا تقى خان أمير كبير" منصب الصدر الأعظم فى أول حكم "ناصر الدين شاه" أوقفها عند حدها و ألغى كل أحكامها و مراسيمها، و كف يدها عن التدخل فى شئون الدوله. فحاولت استجلابه ببعض التملقات فلم يذعن لها. فاعتمدت طريقا آخر بان اقترحت عليه تزويجه من ابنتها أخت "ناصر الدين شاه" راجيه أن تسيطر عليه بهذه المصاهره. فقبل بهذا الاقتراح و تزوج من ابنتها راجيا أن يحكم بذلك مكانته عند الشاه. و لكن رجاء "مهد عليا" خاب أيضا. إذ أن صهرها كان يرد كل وساطاتها و توصياتها غير ملتفت إلى شىء منها قاضيا فى تحقيق خطته الاصلاحيه فى تنقيه جهاز الحكم من الفساد. و من ثم حنقت عليه و أخذت هى و حساد له آخرون فى دس الدسائس و إثارة الفتن عليه حتى تمكنت من حمل الشاه على عزله ثم قتله.

و كان لتدخلاتها فى شئون الحكم و سيرتها الخاصه أثر كبير فى نشر الفساد فى البلاط و جهاز الحكومه. توفيت فى ٦ ربيع الثانى سنه ١٢٩٠ هـ فى

طهران و "ناصر الدين شاه" في أوروبا في رحلته الأولى إليها. و دفنت في مقبره زوجها "محمد شاه" في قم.

أحمد شاه القاجارى

احمد شاه قاجار آخر ملوك الأسره القاجاريه، و ثانى أبناء محمد على شاه المخلوع. ولد في تبريز سنه ١٣١٤ هـ. و نصب ملكا على إيران سنه ١٣٢٧ هـ، و له من العمر اثنا عشر عاما، بعد خلع أبيه.

و إذ كان يومئذ دون سن البلوغ فقد أقيم عليه وصيان يتوليان شئون السلطنه بالنيابه عنه. أحدهما "عضد الملك قاجار" و قد تولاهما من ٢٨ جمادى الآخره سنه ١٣٢٧ هـ إلى ١٧ رمضان سنه ١٣٢٨ هـ، و الآخر "أبو القاسم خان ناصر الملك قره گوزلو"، و قد تولاهما مده أربع سنوات.

و فى سنه ١٣٣٢ هـ بلغ السن القانونيه و تولى سلطاته بنفسه. و كان ذلك قبل ثمانيه أيام من نشوب الحرب الكونيه الأولى سنه ١٩١٤ م.

و استمر فى الملك مده اثنتى عشره سنه خلع بعدها عن العرش فى سنه ١٣٤٤ هـ.

و سافر إلى أوروبا ثلاث مرات كانت أولاهما سنه ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) فى عهد وزاره "حسن وثوق" الملقب بـ "وثوق الدوله" الثانيه. و هى الوزاره المعروفه باسم "وزاره المعاهده"، سميت بذلك لأنها أرادت أن تعاقدا انكلترا بمعاهده تضع إيران فى حمايه الإنكليز. و من أجل ذلك بعثوا به إلى لندن ليعلن موافقته على المعاهده و أمره بانفاذها. و رافقه فى هذا السفر وزير خارجيته "فيروز ميرزا نصره الدوله". و قد اجتهد هذا و "أبو القاسم ناصر الملك" غايه الجهد لحمله على إعلان موافقته على تلك المعاهده المشثومه فى مجلس رسمى، ثم التوقيع عليها، فرفض. و أصر الإنكليز على ذلك فثبت لهم و ظل على صلابته و تشدده فى الامتناع. و أقامت له بلديه لندن مادبه رسميه خطب فيها رئيس البلديه و اللورد "كرزن" وزير خارجيه انكلترا. فلما أجابهما على خطابيهما تجنب كل إشاره قريبه أو بعيده إلى هذا الموضوع. حتى أن "ناصر الملك" همس فى أذنه أنه إن لم يوافق على المعاهده و لم يوقع عليها فمن الممكن أن يعود عليه ذلك بالضرر. و مع ذلك ظل ثابتا على موقفه يأبى التوقيع على مثل هذه المعاهده المذله.

و قد صح ما تنبأ به "ناصر الملك" فقد انتهى به إباؤه إلى الإضرار به.

ففى يوم السبت الثالث عشر من ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ عقد المجلس النيابى فى الدوره الخامسه جلسه غير قانونيه و قررت الأكثريه خلع أحمد شاه قاجار عن العرش. و عارض هذا القرار معارضه شديده فريق من عيون النواب، و لكن معارضتهم لم تأت بنتيجته.

و فى مساء ذلك اليوم ختمت غرف البلاط و قصر "گلستان" بالشمع و أخرجوا ولى العهد "محمد حسن ميرزا" من قصر "گلستان" مهانا ذليلا و نقلوه مخفورا إلى حدود العراق، خارج إيران. و قد توفى ولى العهد هذا فى سن ٤٢ فى لندن موتا فجائيا و حملت جنازته إلى كربلاء حيث دفن فى حرم الامام الحسين (ع).

وانتهت بخلع أحمد شاه سلطنه الأسره القاجاريه بعد أن دامت مائه و خمسين عاما. و خلفه على عرش إيران "السردار رضا خان"، و كان يومئذ رئيسا للوزاره و قائد الجيش العام. و أقام أحمد شاه بعد خلعه فى باريس، و ظل مده يتداوى من مرض به إلى أن توفى بسبب ورم فى كليته فى مستشفى بالقرب من العاصمه الفرنسيه فى ٢٦ رمضان سنه ١٣٤٨ هـ و هو فى الرابعه و الثلاثين من عمره، و حمل جثمانه إلى كربلاء حيث دفن فى مقبره أبيه و جدّه فى حرم الامام الحسين (ع).

و يعد أحمد شاه من خيره الملوك الذين تعاقبوا على حكم إيران. كان دقيقا فى تنظيم أموره ملتزما بالقانون و طنيا مخلصا لوطنه. و ما عرف عنه يدل على أنه كان شابا مؤدبا رحيم القلب عطوفا. هادئا متأنيا فى حديثه. و إذ كان جسمه قابلا للسمنه فقد كان يقل من الطعام. و يفضل الطعام الايرانى على الطعام الفرنجى. يكره المشروبات الكحوليه، زاهد فى التشريفات البلاطيه، بسيط السلوك، ديمقراطى الفطره، يحب الصيد و لعبه البليار و التنس، مولعا بالموسيقى الكلاسيكيه، و كان هيابا حذرا بعيد الغور واسع الحيله متحفظا مقتصدا بالفطره، مهتما بكنز الذهب و الفضة، يقتطع قسما من مخصصاته الشهريه، و هى ثلاثون ألف تومان، فيخزنه. و استطاع أن يجمع ثوره جيده عن طريق المضاربه فى البورصه و المتاجره بالذهب. و كان شديد التعلق بارحامه، و لا سيما أبوه و أمه. و كان مبرئا من معايب محمد على شاه.

و كان نقش خاتمه:

"الحمد لله الغنى المجيد".

"إذ أراد الله أن يستعيد الملك و الدين رونقهما".

"فقد صار اسم السلطان أحمد قاجار نقشا لهذا الحجر الكريم".

و له خاتم آخر نقشه:

"الملك لله".

"السلطان أحمد قاجار سنه ١٣٣٢".

"أراد الله أن يصبح الملك عامرا بالعدل و الإنصاف".

"فاعطى خاتم السلطنه السلطان أحمد قاجار سنه ١٣٣٢". (١)

أحمد كبير سيد بن فتح حسين بن قربان على

ولد سنه ١٢٦٥ فى بيزه التابعه ليجنور (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٦٠.

من شعراء أهل البيت و له مجموعه كبيره من القصائد فى مدحهم و رثائهم.

درس فى (كواليار) ثم جاء مع ابن عمه إلى لاهور و أصبح مدرسا فى احدى المدارس الحديثه، ثم عاد إلى وطنه حيث توفى. (٢).

أحمد بن ماجد

مرت ترجمته فى المجلد الرابع من (المستدرکات) و نضيف إلى ما هنالك ما يلى:

يقول الدكتور أنور عبد العليم فى مقال له فى العدد ٤٠٤ الصفحه ٨٠ و ما بعدها من مجله العربى (تموز ١٩٩٢):

لدينا تراث عربى قديم فى مجال علوم البحار، التسميه نفسها عربيه أما

ص: ٨٧

١- مهدي بامداد.

٢- مطلع أنوار.

الاسم الأعجمي (Occomography) فلم يعرفه الأوروبيون إلا- أخيرا في القرن التاسع عشر، بعد رحله الاستكشاف البحريه (تسالنجر)، التسميه العرييه جاءت قبل ذلك بكثير على يد (ابن ماجد)، عنوان كتابه (الفوائد في أصول علم البحار و القواعد). و عنوان الكتاب الثاني: (حاويه الاختصار في أصول على البحار).

هو إذن صاحب التسميه العرييه لهذا الاسم.

يقول الدكتور عبد العليم:...

و بدأت أتبع تاريخ و حياه ابن ماجد و أصدرت كتابي عنه (ابن ماجد الملاح). كنت متشككا في أنه هو الذي أرشد الملاح البرتغالي (فاسكو دي غاما)، و فعلا، لم يكن هو مرشده، و إنما بحار هندي.

و لم يكن ابن ماجد مجرد ملاح، فقد درس بعض الظواهر الطبيعیه في البحر مثل التيارات، و لون ماء البحر، كما وصف طبيعته القاع، و رصد بعض أنواع الحيوانات و الطيور البحريه، و وضع أسماء و مصطلحات عرييه علميه جميله.

أبو جعفر أحمد بن محمد المروزي أو المروزي

إشاره

هذا القاضي الشاعر الذي صحب الخلفاء الفاطميين الثلاثة: المهدي و القائم ثم المنصور، يدعى أيضا "المرودي" فلا نثق إذن بلقبه. كان أبوه "محمد بن عمر المروزي" أول قاض شيعي بالقيروان. و يقول أبو العرب في طبقاته أنه "تطاول على رجال صالحين فضربهم و حبسهم، و أتى عبيد الله من سجلماسه فآقره على القضاء...". و يظهر أنه تمادى في التنكيل بأهل السنه حتى كثر منه التشكى إلى المهدي فعزله و عذبه ثم قتله.

و تولى ابنه القضاء إلى زمن المنصور، فنجد بعض أخباره في سيره الأستاذ جوذر (٢٥). و يروى لنا ابن خلكان في ترجمه المنصور العبيدي شاهدا على بديهه المروزي في استحضاره من الشعر المأثور ما يناسب المقام.

و هي روايه وردت أيضا مفصله في "اتعاظ الحنفاء" للمقريزي.

و لم نجد من شعر المروزي إلا- بضعه أبيات من أرجوزه مطوله تغنى فيها بمناقب الفاطميين، و تعرض في هذه الأبيات إلى انتصار المنصور على أبي يزيد. و عثرنا على أبيات أخرى في مدح المنصور، في تاريخ ابن حماد.

المقطوعه الأولى:

سرنا و قد حل بقرب طبنه و صار منه أهلها في محنه

فأعظم الله العزيز المنه و بدلوا من بعد نار جنه...

و بعدها باجه أيضا أفسدا و أهلها أجلي و منها شردا

و هدم الأسواق و القصورا و الدور قد فتش و القبورا

ثم إلى مدينه مرضيه أسست على التقوى مرضيه

فحل في عسكره المسيله في هيئه كامله جميله

ثم أتى بسكره النخيل قد اغتدى في زيه الجميل

المصدر:

البكرى المغرب ص ٥١ إلى ٥٩.

المقطوعه الثانيه:

لما قرب المنصور منها (من باغايه) أنشده أبو يعلى المروزي:

لقد تاهت بطلعتك الغروبكما ابتهجت بدولتك القلوب

لقد زهت الخلافه إذ حداها نجيب راح يحمله النجيب

المصدر:

ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، نشر فوندار هايدن، الجزائر ١٩٢٧ ص ٢٥.

المقطوعه الثالثه:

بعد قتل أبي يزيد قال أبو يعلى المروزي:

يا خير من وهب العهود بعهده و حكى لنا بالعهد سيره جده

عجبا لمعتوه يحدث نفسه بوساوس فيها شقاوه جده

عاداك، و انسلخ الشقى من الهدى حتى أمرت بسلحه من جلده

المصدر:

ابن حماد: أخبار... ص ٢٧.

الأقرب إلى الظن عندنا أن أبا يعلى هذا - و أيضا أبو جعفر و أبو يحيى - إنما هو المروروذى شاعر المنصور و قاضيه. المعلوم أن المروروذى رافق المنصور أثناء مطاردته لصاحب الحمار. و هو فى المقطوعه الأخيره، يشير إلى عمليه سلخه و حشو إهابه بالتبن للتشفى منه. و قد رأينا وصفا لهذه النهايه الفظيعه عند الأيادى.

الشيخ أحمد المطهر الساوجى

ولد فى سنه ١٣٥٥ و توفى أول رمضان ١٤١١ قرأ المقدمات و المبادئ فى قم ثم حضر على أعلامها منهم السيد محمد الداماد و السيد محمد حسين الطباطبائى و فى حدود ١٣٨٥ هاجر إلى النجف الأشرف و حضر على السيد أبو القاسم الخوئى ثم اشتغل بالتدريس و التأليف و عاد مدرسا و مؤلفا و بعد الثوره الإسلاميه عينه الامام الخمينى إماما للجمعه فى مدينه ساوه. له مؤلفات عديده بالفارسيه و العربيه أهمها: مستند تحرير الوسيله فى عده مجلدات طبع فى قم. (١)

أحمد ملا الأعرج

توفى سنه ١٣٠١.

من فضلاء الهند، و أصله من كشمير و قدم فى شبابه إلى لكهنو و أكمل دراسته فيها و أجزى من بعض علمائها، و كانت شهرته فى علم النحو، و من مؤلفاته: حل غايه البيان، و هو فى علم الصرف العربى، و له حاشيه على الصحيفه الكامله.

أحمد الشيخ مهذب الدين الحيدر آبادى البصرى ابن عبد الرضا أو رضا

ولد سنه ١٠٢٠ و توفى سنه ١٠٨٥ على الأرجح فى التاريخين.

كان فقيها أصوليا محدثا متقنا لعلمى المعانى و البيان و الفلكيات. و من سنه ١٠٦٨ إلى سنه ١٠٨٠ وجد فى خراسان و يرجح أنه وجد سنه ١٠٨١ فى

ص: ٨٨

دلهى و سنه ١٠٨٥ فى حيدرآباد. و نسبته (البصرى) ربما كانت لأنه ذهب إلى البصره. له من المؤلفات: ١ - "الرساله الاعتقاديه" كتبها فى إحدى القرى الواقعه قرب مشهد الرضا (ع) و هذه الرساله موجوده فى مكتبه الشيخ هادى كاشف الغطاء فى النجف الأشرف - ٢ - الدرہ النجفيه فى الأصول مع تقریظ الشيخ الحر العاملی موجوده فى مكتبه الشيخ هادى كاشف الغطاء فى النجف أيضا ٣ - الرساله الفلكيه ألفها سنه ١٠٧٧. ٤ - عهده الاعتماده فى كیفیه الاجتهاد ألفها سنه ١٠٨٠ فى كابل ٥ - كليات الطب سنه ١٠٨١. ٦ - رساله الحساب ٧ - رساله القیافه ٨ - رساله آداب المناظره ٩ - الزبده (فى المعانى و البيان) ١٠ - خلاصه الزبده ١١ - رساله رسم الخط ١٢ - رساله حساب العقود ١٣ - رساله الأخلاق ١٤ - جوابات المسائل ١٥ - غوث العالم فى حدود العالم ١٦ - رساله الحد ١٧ - تحفه ذخائر كنوز الأخبار ١٨ - رساله فى القراءه ١٩ - المنهج القويم.

السید أحمد هادى بن السید محمد

ولد سنه ١٣١٦ فى مدينه لكهنو (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٩٢.

كان والده عالما جليلا فدرس عليه ثم انتمى إلى مدرسه (سلطان المدارس) حيث تخرج منها بشهاده (صدر الأفاضل) ثم صار مدرسا للأدب العربى فيها، و كان ينظم الشعر العربى. (١)

الشيخ أسد الله بن محمد صادق البروجردى النجفى الحائرى:

توفى حدود سنه ١٢٩٥.

من أكابر علماء عصره و مراجع التقليد. أخذ الأوليات على أفاضل علماء كربلاء ثم تخرج فى الفقه و الأصول على السيد إبراهيم القزوينى الحائرى صاحب الضوابط المتوفى سنه ١٢٦١ و ملا محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ فى كربلاء ثم سكن النجف الأشرف و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و الأمور الشرعيه. له مؤلفات منها كتاب صحيفه الشيعه فى أصول الدين، و مجمع الأحكام رساله عمليه لمقلديه. ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعه و الذريعه إلى تصانيف الشيعه. (٢)

أسماء صحابه و راويه للحديث:

روت عن رسول الله (ص) فى باب دعاء الكرب و الهم و الحزن و الخوف، كما روى عنها جماعه منهم ثابت

قال أبو جعفر محمد الكلينى المتوفى سنه ٣٢٨ فى أصول الكافى (عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبى نجران، عن عاصم بن حميد، عن ثابت، عن أسماء قالت: قال رسول الله (ص) من أصابه هم أو غم أو كرب أو بلاء أو لأواء فليقل: (الله ربى و لا أشرك به شيئا توكلت على الحى الذى لا يموت).

و هى محدثه ثقه روت الحديث المذكور و ذكرها السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث الجزء الثالث و العشرون صفحه ١٧٠.

(٣)

ملا إسماعيل ذبيحى، أو ذبيح اليزدى:

من شعراء أواخر القرن الحادى عشر، و من المعاصرين لمحمد طاهر النصير آبادى صاحب التذكرة:

جمعت مثنوياته القديمه و الحديثه سنه ١١٧٠ و هى محفوظه فى مكتبه المتحف البريطانى.

له: هديه الأحياب، و هى فى الغزل، و الزكسدان، و المثنوى نرجسدان، و هو مكون من ٦٥٠ بيتا فى قصه نرجس خاتون أم الامام الثانى عشر.

إسماعيل رآين

ولد عام ١٢٩٨ هـ و اغتيل عام ١٣٩٩ هـ و هو صاحب أشهر مؤلف عن الماسونيه فى إيران بدأ عمله كصحفى و مراسل ثم استمر فى دراسته عن تاريخ الأسره القاجاريه و له عدة كتب.

ترجع شهرته إلى كتابه عن الماسونيه فى إيران باسم (فراموش خانه و فراماسونرى در إيران) فإنه طبع الكتاب أولا بايطاليا فى نسخ معدوده لتعذر طبعه فى إيران فى العهد الملكى ثم طبع فى إيران و انتشر بسرعه مذهله و تلقفته الأيدى و كان لهذا الكتاب تأثيرات اجتماعيه و سياسيه كثيره حيث كشف عن أسماء الأسر و الشخصيات الماسونيه المرتبطه بالاستعمار - كما أنه قام بعد ذلك بطبع كتاب عن السياسه النفطيه البريطانيه فى إيران و قد أثار هذا الكتاب أيضا جدلا سياسيا واسعا فى إيران و له كتاب ثالث باسم (حقوق بگيران انگليس در إيران) حيث يتعرض للأسر التى كانت تقبض الأموال و الرواتب من بريطانيا أيام أمبراطوريتها فى الشرق و قد أثار هذا الكتاب أيضا حفيظه كثير من الأسر الأرستقراطيه. و أخيرا اغتيل فى ظروف غامضه حيث وجد مخنوقا فى أحد أزقه طهران.(٤)

الشيخ الميرزا إسماعيل الصوفى الاصفهانى:

كان حيا سنه ١٠٤٩ من أكابر الصوفيه و المرتاضين و فحول العلماء فى المعقول، أديب شاعر حكيم فيلسوف.

أخذ العلم فى أصفهان ثم هاجر إلى الهند و اشتغل فى الرياضيات حتى اشتهر أمره و طار ذكره فى الآفاق استقر فى كشمير و كان من مشاهير تلك البلاد. قابله صاحب كتاب (دبستان مذاهب) فى كشمير سنه ١٠٤٩ ثم اتهمه جماعه بالغلو و الإلحاد و دافع عن نفسه و رد على خصومه قائلا: (...)

نحمد الله أنا لم نلتق فى هذه الدنيا، و تزعم أنى ملحد و من أهل النار فى يوم القيامة، فلن نلتقى أيضا فى الجنه، فعليك أن تشكرنى لأنى تركت لك الدنيا و الآخره...). و من آثاره ديوان شعر و هذا البيت من نظمه:

بشكستم هر بتى كه در راهم بود باقيست بت خدا پرستيدن من

و كان له صولات و جولات فى ميدان التصوف، و هو من المؤسسين فيه و له أصحاب و تابعون فى كشمير

١- مطلع الأنوار.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

أشرف على بلگرامي

توفي في حدود سنة ١٢٧٠ في الهند.

من علماء الهند وفضلائها، أديبا باللغه العربيه، و هو من تلاميذ غفران مآب دلدار على. له عدده مؤلفات.

السيد أصغر حسين زنگي بوري

توفي بعد سنة ١٢٧٠.

كان يقيم في (بيته) التابعه لمحافظة (بهار) بالهند إماما للجمعه و الجماعه فيها. و هو من الفضلاء الشعراء من تلاميذ المفتي محمد عباس، و كان يجيد اللغه الفارسيه، و له فيها تقرير شعري على مثنوى أستاذه المفتي (بيت الحزن).

أصغر حسين بن السيد فخر الدين

ولد في حدود سنة ١٣٢٥ في الهند و توفي سنة ١٣٦٢.

من سكان بلده (جندن بنى) التابعه لقضاء (دربهنكا) بالهند. عالم أديب خطيب. درس في لكهنو بالمدرسه الناظميه و كان من أساتذته: سبط الحسن و المفتي محمد على. ثم صار من مدرسيها.

من مؤلفاته: حواش على نقد الشعر لابن قدامه، و ديوان القصائد، و شرح قصيده الشنفرى.

المولوى اعجاز حسن حاجي أمروهي ابن المولوى محمد

ولد سنة ١٢٦٦ في أمروهه التابعه لقضاء مرادآباد (الهند) و توفي سنة ١٣٤٠.

درس في أمروهه على السيد أحمد حسين المتوفى سنة ١٣٢٨ ثم جاء إلى لكهنو فدرس على المفتي محمد عباس. و في سنة ١٣٢٠ وقعت فتنه مذهبيه أدت إلى التقاتل فنال بسببها ضرر كبير.

كان من المساهمين في تأسيس مدرسه (سيد المدارس) و عمل على تقدمها و رفع شأنها، كما كان له مساهمه كبرى في مسار (شيعه كالج) و إيصالها إلى ما وصلت إليه، و كان يساعد في طباعه الكتب الإسلاميه و نشرها.

له من المؤلفات: ١ - مفاتيح الطالب في خلافة على بن أبى طالب، باللغه الفارسيه ٢ - كشف الخلافه ٣ - تفسير الآيات ٤ - معارج العرفان في علوم القرآن ٥ - الشهابه في معرفه الصحابه ٦ - كلمه الله العليا، و هو في رد وحده الوجود ٧ - معيار الفضائل ٨ - ترجمه من لا يحضره الفقيه ٩ - تشقيق الأخبار في رد الطاعنين على أحاديث الأئمه الأطهار، و غير ذلك. و كتبه مكتوبه اما بالعربيه أو الأردويه أو الفارسيه.

أعظم على بنگوروى

توفى حدود سنه ١٣٨٠.

هو من سكان بلده (بنگوره) التابعه لدهلى فى الهند، و أكثر سكان هذه البلده هم من سلاله الرسول (ص)، و هو من تلاميذ غفران مآب دلدار على. له من المؤلفات: بحث الحب، النساء و البنون، و غير ذلك.

السيد أكبر على الحسينى

توفى حدود سنه ١٣٣٠ فى الهند.

من مشاهير علماء الهند، و هو من تلاميذ غفران مآب دلدار على، و كان أديبا فى اللغه العربيه. له كتاب (ضياء الأبصار) فى مقتل الحسين (ع) باللغه العربيه.

أكبر مهدي سليم بن حيدر مهدي

ولد حدود سنه ١٣٠٠ فى جرول (قضاء لكهنو) بالهند و توفى فيها سنه ١٣٦٦.

من فقهاء الهند الذين أجادوا اللغه العربيه و اللغه الفارسيه مع اللغه الأردويه. له كتاب (جواهر البيان) وضعه لقراء التعزیه فى مجالس العزاء.

السيد أكرم على بنارسى

توفى فى بنارس بالهند.

من أنجب تلاميذ غفران مآب دلدار على، كان مشهورا بالفقه و العقائد له من المؤلفات: الشواهد الفلكيه، و هو رد على (تبصره المسلمینلسلامه على بنارسى).

ألف حسين

توفى حدود سنه ١٣٥٠ من فضلاء الهند. من مؤلفاته: كتاب (معجزه الفرقان).

أم أحمد بنت موسى زوجة الامام موسى بن جعفر ع و وصيته:

توفيت بعد سنه ١٢٩ [١٩٢].

عالمه فاضله من رواه الحديث و أصحاب الامام موسى بن جعفر ع و وصيته كما نص فى وصيه الامام ع المذكوره فى عيون أخبار الرضا الجزء الأول صفحه ٣٤ و روت فى باب غسل يوم الجمعة عن الامام موسى بن جعفر ع.

قال أبو جعفر محمد الكليني فى فروع الكافي: (عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن موسى عن أمه و أم أحمد بنت موسى قالتا: كنا مع أبى الحسن ع بالباده و نحن نريد بغداد فقال لنا يوم الخميس اغتسلا اليوم لغد يوم الجمعة فان الماء بها

غدا قليل، فاغتسلنا يوم الخميس ليوم الجمعة).

ذكرها جماعه من الرواه فى الكتب الرجاليه منهم الأردبيلى الحائرى فى جامع الرواه الجزء الثانى صفحه ٤٥٥ و السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٢-١٧٣ و قال الشيخ ذبيح الله المحلاتى فى كتابه رياحين الشريعه الجزء الثالث صفحه ٣٥٨-٣٥٩ ما هو تعريبه: من أعظم نساء عصرها و زوجها الامام موسى بن جعفر و كانت صاحبه دهاء و حزم و عقل راجح. عند ما أراد الامام السفر إلى العراق جعلها وصيته و وضع وديعه الامامه عندها... ثم يقول و هى أم الشاه زاده أحمد دفين شيراز المعروف ب (شاه چراغ) و قبره مزار معروف فى إيران يقصده الوافدون من كل حدب و صوب و له كرامات معروفه. (١)

ص: ٩٠

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

أم بردة و اسمها خوله مشهوره بكنيتها بنت المنذر بن زيد بن ليبد بن حراث بن عامر بن عدى بن النجار الأنصاريه النجاريه.

قال ابن سعد فى الطبقات الكبرى... لما ولد إبراهيم (ابن رسول الله) تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله (ص) إلى أم بردة بنت المنذر... و زوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار فكانت ترضعه و كان يكون عند أبويه فى بنى النجار و ياتى رسول الله (ص) أم بردة فيقبل عندها و يؤتى بإبراهيم...).

و قال عز الدين بن الأثير فى أسد الغابه ج ٧ ص ٣٠٥ و قال ابن حجر فى الاصابه ج ٤ ص ٤١٧ اسمها خوله مشهوره بكنيتها أم بردة الأنصاريه أمها زينب بنت سفيان بن قيس بن زعوراء من بنى عدى بن النجار تزوجها البراء بن أوس بن الجعد بن عوف بن مبدول و هى التى أرضعت إبراهيم بن النبى (ص) دفعه إليها لما وضعت ماريه فلم تزل ترضعه حتى مات عنها...

ولد إبراهيم فى ذى الحجه سنه ثمان للهجره.(١)

أم بكر:

من راويات الحديث روت عن أبى عبد الله الامام جعفر الصادق ع ذكرها أبو جعفر احمد البرقى فى رجاله ص ٦٢ و السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٤.(٢)

أم حبيب بنت ربيعه:

زوجه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع، رزقت منه عمر و رقيه توأمين و تزوج رقيه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ع، و صحبت أولادها مع سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع من المدينه إلى كربلاء.(٣)

أم حبيبه:

من راويات الحديث ذكرها الشيخ الطوسى المتوفى سنه ٤٦٠ فى رجاله ص ٣٢ من الطبعه النجفيه من أصحاب رسول الله و تقى الدين الحسن الحلى المعروف بابن داود فى رجاله من أصحاب رسول الله (ص) و ذكرها جماعه منهم الأردبلى [الأردبلى] الحائرى فى جامع الرواه ج ٢ ص ٤٥٥ و السيد الخوئى فى معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٥ و غيرهم.(٤)

أم حذيفه اليمان القطعى

من صحايات رسول الله (ص):

من راويات الحديث، قال فى أعيان الشيعة فى ترجمه ابنه حذيفه بن اليمان القطعى العيسى (... فى الاستيعاب أمه امرأه من الأنصار من الأوس من بنى عبد الأشهل اسمها الرباب بنت كعب بن عدى بن عبد الأشهل، و نحوه فى الطبقات و تاريخ بغداد...).

قال المؤرخ المعاصر الشيخ ذبيح الله المحلاتى فى الجزء الثالث من رياحين الشريعة صفحه ٣٧٦ نقلا عن ابن منده و أبو نعيم انها

روت عن ابنها حذيفه عن رسول الله (ص) أن الحسنو الحسين ع سيدا شباب أهل الجنة و فاطمه الزهراء ع سيده نساء العالمين.

(٥)

أم الحسن بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع:

أمها أم سعيد بنت عروه بن مسعود الثقفي تزوجت ابن عمتها جعده بن أبي هبيرة بن أبي وهب المخزومي، و أم جعده هي أم هاني بنت أبي طالب أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع، و بعد وفاه جعده تزوجها جعفر بن عقيل. (٤)

أم الحسن النخعيه:

محدثه ثقة، روى عنها عثمان بن عيسى عن أبي زهره عنها عن أمير المؤمنين ع في باب النوادر في آخر كتاب المعيشه و في كتاب التهذيب باب المكاسب.

قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠:

(محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي عن عثمان بن عيسى عن أبي زهره عن أم الحسن النخعيه قالت: مر بي أمير المؤمنين ع فقال: أى شيء تصنعين يا أم الحسن قلت: أغزل، قالت:

فقال أما أنه أحل الكسب).

ذكرها الأردبيلي الحائري في جامع الرواه ج ٢ ص ٤٥٥ و سيدنا الأستاذ في معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٧٥ و غيرهم. (٧)

أم الحسين بنت السيد الحسن بن السيد علي بن السيد الحسن الحسينى المدنى:

توفيت بعد سنة ٩٨٣.

أخذت العلم و فنون الأدب عن رجال أسرتها حتى نبغت و كانت من فواضل نساء عصرها. أجازها الشيخ عز الدين الحسين بن الشيخ عبد الصمد بن الشيخ شمس الدين محمد الجبى العاملى الحارثى الهمدانى المتوفى سنة ٩٨٤ والد الشيخ البهائى باشتراك مع والدها و أخوتها باجازه مؤرخه سنة ٩٨٣ فى سفر الحج بمكة المكرمه و ذكر الإجازة شيخنا الأستاذ آقا بزرك الطهرانى فى موسوعته الذريعه و قال: (إجازته للسيد الحسن بن علي بن الحسن المشهور بابن شدم المدنى و لأولاده السيد محمد و السيد علي و السيد حسين و أختهم أم الحسين كتبها لهم عام تشرفه بمكة المعظمه و نزوله بدار المجاز بعد يوم الغدير سنة ٩٨٣ مختصره أوردها فى الرياض فى ترجمه المجاز له).

أقول: و يظهر من القرائن أنها كانت عالمه محدثه ذكرها صاحب رياحين الشريعة و غيره. (٨)

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر:

زوجه القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار، ورزقت منه داود بن القاسم المشهور بأبي هاشم الجعفرى. قال ابن داود الحلبي في رجاله: (داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبو هاشم الجعفرى عظيم المنزله شريف القدر ثقته). أقول وقد أدرك الامام الرضا ع و لازم الامام الجواد والعسكريين ع. ذكره في أعيان الشيعة الجزء السادس صفحه ٣٧٧-٣٨١. كما ذكره ابن الأثير ثم ذكر قسما من شعره. و أم حكيم المترجم لها هي أخت أم فروه أم الامام جعفر الصادق ع و أمهم أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. و كان القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة و من أصحاب الامام زين العابدين على بن الحسين ع. (١)

أم كلثوم بنت الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب ع:

نشأت في حجر أبيها الامام زين العابدين ع و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى داود بن الحسن المثنى بن الامام الحسن السبط بن على بن أبي طالب ع و رزقت ولدان هما سليمان و عبد الله. و حفيدها محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى هو الذى خرج بالمدينه.

و كان داود بن الحسن المثنى زوج أم كلثوم ولى صدقات أمير المؤمنين ع نيابه عن أخيه عبد الله المحض كما نص على ذلك أبو الحسن العمري في كتابه المجدي و قال ابن عنبه المتوفى سنه ٨٢٨ فى عمده الطالب: (... داود بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبي طالب ع و يكنى أبا سليمان كان يلى صدقات أمير المؤمنين ع نيابه عن أخيه عبد الله المحض، و كان رضيع جعفر الصادق ع و حبسه المنصور الدوانيقي فأفلت منه بالدعاء الذى علمه الصادق ع لأمه أم داود و يعرف بدعاء أم داود و بدعاء يوم الاستفتاح و هو النصف من رجب و توفى داود بالمدينه و هو ابن ستين سنه و عقبه من ابنه سليمان بن داود، أمه أم كلثوم بنت زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب ع و أعقب سليمان من ابنه محمد بن سليمان، و يلقب البربرى و خرج بالمدينه أيام أبي السرايا...). و جاء ذكرها فى جميع كتب الأنساب. (٢)

أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب ع:

نشأت فى حجر أبيها و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم ع. ذكرها الأستاذ عمر رضا كحاله فى أعلام النساء عن خطط المقرئى و سماها كلثوم، و قال (كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق: من ربات العباده و الصلاح و الزهد و الورع لها مشهد فى مصر) (٣) و قال المؤرخ المعاصر الشيخ ذبيح الله فى كتابه رياحين الشريعه الجزء الثالث صفحه ٤٣٣ ما هو تعريبه: أم كلثوم بنت قاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ع تزوجها موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم ع و رزقت منه جعفر بن موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم ع و كانت من ربات الزهد و العباده و لها مشهد فى القاهره قريب من خندق فى مقابر قریش.

السيد أمجد حسين الله آبادى بن منور على

ولد حدود سنه ١٢٨٠ فى مدينه الله آباد (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٥٠.

كان والده فاضلاً وجيهاً وبدأ ابنه المترجم دراسته عليه ثم جاء إلى لكهنو لمتابعه الدراسه فكان من أساتذته فيها المفتي محمد عباس و السيد أحمد علي آبادي وغيرهما. ثم عاد إلى الله آباد و صار فيها إماماً للجمعه و الجماعه.

ثم سافر إلى العراق فدرس على اعلام النجف كالشيخ محمد الرشتي و الشيخ محمد طه نجف و السيد محمد كاظم الطباطبائي و أجاز منهم. و بعد إقامه عشر سنوات و سته أشهر في النجف عاد إلى الهند و استقر في الله آباد.

من مؤلفاته: زبده المعارف (في أصول الدين)، وسيله النجاه في أحكام الصلاة، خلاصه الطاعات في أحكام الجمعه و الجماعات، الحاشيه الرضيه على البهجه المرضيه.

امداد إمام

ولد سنه ١٢٦٥ في قضاء بتنه التابع لمحافظة بهار في الهند و توفي فيها سنه ١٣٥٣ هو من نسل فيروز جنك الحاجي محمد سعيد خان رئيس أركان دوله (شاه جهان) و (أدرنگ [اورنگ] زيب). و اجداره [أجداده] من أمراء المغول. و كان والده كذلك من الأمراء و هو عالم فاضل.

درس المترجم في (بهار) ركان يجيد اللغات العربيه و الإنكليزيه و الفارسيه مضافاً إلى الأرديه، و جمع بين الدراستين الحديثه و القديمه، و كان يتعاطى الطب. له من المؤلفات: ١ - مصباح الظلم ٢ - ديوان كليات أثر ٣ - كاشف الحقائق ٤ - مرآه الحكماء ٥ - كتاب الأثمار ٦ - منظر المصائب.

السيد امداد حسين كاظمي بن عباس علي

ولد سنه ٣١٩ [١٣١٩] [پ] في البنجاب (الهند) و توفي فيها سنه ١٣٩٥.

كان جده السيد رمضان علي من كبار الفقهاء في عصره، و كان خطيباً مؤثراً. درس المترجم في (وزير آباد) و (كوجرا نواله) و (لاهور)، و انتمى إلى جامعه البنجاب و تخرج منها.

كان يقوم بجولات تبليغيه في الهند، في آسام و مدارس و البنغال، كما كان يوالى صحف الهند و الباكستان بمقالاته الإسلاميه و الاجتماعيه. و تولى لفته إداره مجله (صوفي)، و كتب في بعض المجالات الصادره باللغه الإنكليزيه في لندن.

كان يميل إلى الطريقه الاخباريه، و أصيب في أواخر حياته بالفالج، و لكن ذلك لم يمنعه من إدامه القراره و الكتابه. و كانت لديه مكتبه حافله.

و من مخطوطاتها كتاب (الكافي) و عليه إجازة بخط الشيخ محمد باقر المجلسي منحها للشيخ محمد الأردبيلي.

من مؤلفاته: ١ - ترجمه و تفسير للقرآن باللغه الأردويه ٢ - فتنه التفسير

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

بالرأى ٣ - فاطمه ٤ - بركات محرم و هو فى الرد على كتاب: بدعات محرم ٥ - تطبيق الشهاده ٦ - الأعمال الواجبه ٧ - معلم الإسلام ٨ - أخلاق المعصومين ٩ - استقرار حق عزادارى.

و أغلب هذه الكتب باللغه الأردويه.

الراجه امداد على بن رحمان بخش

ولد فى لكهنو (الهند) و توفى فيها ١٢٩٢.

هو من راجات الهند درس فى لكهنو على السيد على حسن كنتورى ثم على أعظم على أحد تلاميذ غفران مآب دلدار على. و قد انصرف إلى التفسير و الأدب. من مؤلفاته: ١ - منهج السداد (تفسير للقرآن) ٢ - شرح الخطبه الشقشقيه ٣ - شرح مقامات الحريرى ٤ - رساله فى المنطق.

إنشاء الله خان

ولد سنه ١١٧٠ فى مرشدآباد (الهند) و توفى سنه ١٢٣٥.

والده نجفى الأصل جاء فى عصر (شاه عالم) إلى دلهى ثم انتقل إلى لكهنو، و قد ولد ولده المترجم فى مرشدآباد و لكنه نشأ فى لكهنو. ترك من المؤلفات ١ - كليات، و هو مجموعه شعريه باللغات العربيه و الفارسيه و الأردويه ٢ - دربائى [درياي] لطافت (لطافه البحر) و هو فى الشعر ٣ - لطائف السعاده ٤ - سلك گوهر (سلك الجواهر).

أنور حسين

توفى قبل سنه ١٣٦١.

هو من بلده (سرما) التابعه لقضاء (شاه آباد) فى الهند. كان معدود من علماء و فضلاء الهند، تخرج من المدرسه النازميه و كان من أساتذته كل من مظاهر حسين و المفتى أحمد على.

كان شاعرا باللغه العربيه و قد شرح احدى قصائد السيد الحميرى.

أولاد حسين الأمروهى

ولد سنه ١٢٦٨ فى (أمروهه) التابعه لقضاء (مرارآباد) فى الهند. و توفى سنه ١٣٣٨.

ولد فى بيت علمى دينى و قد درس أولاً فى أمروهه ثم جاء إلى لكهنو لإكمال الدراسه فتخرج فى العلوم المعقوله و المنقوله على علمائها و عاد إلى بلده. كانت له مكتبه كبيره، و كان شاعرا اسمه الشعرى (سليم) و قد نظم الشعر بالعربيه و الفارسيه فضلا عن الأردويه، و اشتهر بما كان ينظمه فى تاريخ الوفيات و الولادات.

له من المؤلفات: ١ - نيرنگ زمانه (عصر جديد) ٢ - طرفه العين ٣ - دلائل الحسين ٤ - جراغ ايمان (مصباح الايمان) ٥ - الاشاعه فى شرح نهج البلاغه ٦ - نظم الفرائض.

أولاد حسين لكهنوى

توفى سنة ١٣٧٣ فى الهند.

خطيب و شاعر هندی. له كتاب (تذکره الأصحاب).

أولاد حيدر

توفى سنة ١٣٦١ فى الهند.

خان بهادر سيد اولاد حيدر، هكذا كان يقال له، و هو من الوجهاء النافذين فى بلده بلگرام بالهند، و على الرغم من أنه لم يدرس دراسه منتظمه فقد كانت له رغبه شديده فى التاريخ و سير النبي (ص) و الأئمه (ع) فكان يقرأ كثيراً، ثم انصرف إلى التأليف عن الأئمه (ع)، و يقال أن ما كتبه عنهم باللغه الأردويه لم يبار به أحد.

و مؤلفاته هي: ١ - تفسير القرآن ٢ - أسوه الرسول، و هو فى سيره النبي (ص) فى ثلاثه مجلدات ضخمة ٣ - سراج مبین، و هو فى سيره أمير المؤمنين على (ع) ٤ - سرو چمن، و هو فى سيره الحسن (ع) ٥ - ذبح عظيم، و هو فى سيره الحسين (ع) ٦ - صحيفه العابدين، و هو فى سيره على بن الحسين (ع). و هكذا إلى آخر سير الأئمه.

و عدا ذلك فله: تاريخ محافظه بهارواريه، و گلدسته مؤمنين، و هو قصائد فى الأئمه.

السيد أولاد حيدر البلگرامى الهندى:

من فحول محققى الشيعة فى الهند و أكابر العلماء الأجلاء فى القرن الرابع عشر للهجره. مؤلف مكثر.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته. أخذ العلوم الإسلاميه على أكابر علماء الهند ثم قضى عمره فى التحقيق و التأليف و الإرشاد و بث المعارف الشيعيه فى الهند. له مؤلفات كثيره مطبوعه و مخطوطه. من مؤلفاته المطبوعه التى ذكر قسما منها شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة: ترجمه القرآن إلى الأردو، الآثار الجعفرية فى سوانح الامام الصادق ع، أسوه الرسول (ص)، التحفه الرضويه فى سوانح الامام الرضاع، الدر المقصود، الذبح العظيم، الزهراء فى سوانح و تاريخ حياتها، سرور چمن فى سوانح و حياه الامام الحسن العسكري ع، المآثر الباقيه، المحاسن، سيره الامام على النقى ع و غيرهما [غيرها] من الكتب المطبوعه. (١)

ايرج ميرزا:

توفى سنة ١٩٢٥ م.

عاصر إيرج ميرزا حركة البعث الأدبي و أسهم بنصيب كبير في تطوير الشعر الفارسي، فكان من أوائل من حملوا لواء التجديد فيه و يعد شعره مثالا رائعا للشعر الغنائي الوجداني في العصر الحديث، و يمثل في الأدب الفارسي مدرسه الشاعر أحمد شوقي في الشعر العربي، و كان شعره صدى لعصره يمثل واقعيه صادقه، و يترجم عن مشاعر الشعب و أحاسيسه، و يقل عنده شعر المناسبات.

و لقد عالج "إيرج" - إلى جانب الشعر الوجداني و الوطني و الاجتماعي - الشعر المسرحي فوفق فيه إلى حد كبير، و من مسرحياته الجيده

ص: ٩٣

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

"زهرة و منوچهر" و هي مسرحيه غراميه من الأدب الواقعي تصور عاطفه الحب بمعناه المادى حين يقع فى سن الشباب، و تكتمل له بواعثه و دواعيه.

و من قصائده المشهوره نشير إلى بعضها بالعناوين الآتية.

بيچاره مادر (مسكينه أمى) و آه از اين مستى (آه من هذا السكر!) كارگر و كار فرما (العامل و صاحب العمل) - قوى و ضعيف - دو روباه (ثعلبان).

و حينما يحس "إيرج" أن أيامه الباقية فى هذه الحياه الدنيا أصبحت قليله، يودعها بنظره آسفه على الماضى، و أمل فى أن يذكره الأحياء الذين يستمتعون بعده بمباهجها، و هذه ظاهره تغلب على كثيرين من الشعراء الايرانيين.

و يرسل إيرج وداعه ذاك لحنا يفيض رقه و عذوبه، و يسرى فيه الأسى و الحسره، و إليك بعض أبيات هذه القصيده التى جعل عنوانها "اكتبوا على قبرى".

إن الراقد فى هذا القبر هو إيرج! إيرج المغنى الحلو اللسان...! قد غطى التراب عينيه...! لقد انطوى قبر هذا المحب الصادق على دنيا من الحب مدفونه كان العشق فنى و أنا حى و لذا، فان قبرى مدفن العشق ها أنا ذا فى الموت كما كنت فى الحياه احتضن كل ثنيه شعر شقراء، و كل وجه مليح أننى أنا الرجل نفسه الذى عرفتموه الرجل الذى قضى كل ساعه من العمر معكم فما ذا لو تركت هذا العالم إننى على الطريق انتظر الانضمام إليكم و مهما يكن مرقدى فى هذا القبر فان عينى مفتوحه تترقبكم فلتجلسوا عند قبرى لحظه و لتمر أقدامكم فوق ثراى (و حسبى منكم) أن تذكرونى فى حديثكم حينما فتسعدوا قلبى: و هو فى قلب الثرى".

السيد باقر حسين

توفى بعد سنه ١٣٢٠ فى الهند.

كان من وجهاء (جون پور) بالهند. ترجم إلى الأردويه كتاب مقتل أبى مخنف، و كتاب اللهوف، و كان ينظم الشعر باللغه العربيه، ميالا إلى دراسه التاريخ.

السيد باقر و يقال محمد باقر الشخص ابن على

ولد فى القاره من قرى الإحساء سنه ١٣١٥ و توفى سنه ١٣٨١ فى النجف اصطحبه والده و هو طفل مع أخويه السيد أحمد و السيد عبد الحسين إلى النجف سنه ١٣٢١ فنشأ فيها و درس المقدمات على بعض الأفاضل، ثم كان من أساتذته كل من السيد ناصر الاحسائى و الميرزا حسين النائينى و الشيخ ضياء العراقى و غيرهم. و أجزى عده إجازات. ثم استقل بالتدريس طيله خمسين سنه فتخرج عليه كثير من الفضلاء العراقيين و العاملين، و ترك عده مؤلفات بينها تقارير بعض أساتذته، و كتاب فى تمام الأصول العمليه، و كتاب فى الأوامر و النواهي، و رساله فى الاجتهاد و التقليد، و كتاب فى المكاسب المحرمه و غير ذلك.

و مما رثى به قول الشيخ محمد على اليعقوبى من قصيده:

إذا عقد النادى و عدت رجاله فأول ما تننى عليك الخناصر

السيد باقر مهدي ابن السيد ظفر

ولد سنة ١٢٧٦ فى الهند و توفى سنة ١٣١٢.

هو من قضاء بهرائج فى الهند. كان فقيها فاضلا محدثا خطيبا شاعرا، يقوم بامامه الجمعة و الجماعة فى بلده. له من المؤلفات: مواظ باقرية، مجموعته خطوط عربية.

بدر جهان بنت محمد جعفر العرب:

كانت حيه سنة ١٢٢٠.

صاحبه خيرات و ميرات و محبه للعلم و العلماء ولدت و نشأت فى بلاط أبيها محمد جعفر خان العرب حاكم بسطام و عند ما بلغت سن الرشد زفوها إلى السلطان فتح على شاه القاجارى و هى زوجته الأولى و كانت من أظهر نساء البلاط القاجارى و هى والده حسين على ميرزا فرمان فرما و حسن على ميرزا شجاع السلطنة و ثلاث بنات و هم همايون سلطان خانم و بيگم خان خانم و و سيد بيگم خانم. ذكرها ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنة فى كتابه خيرات حسان.

عند ما هاجم الوهايون كربلاء سنة ١٢١٦ و قتلوا النفوس و أحرقوا و هدموا و خلفوا وراءهم الدمار و سلبوا و نهبوا مدينه الحسين ع هرعت لنجده كربلاء و أقامت بها تعميرات واسعة فى الروضة الحسينيه و المدارس الدينيه و دور للفضلاء و طلاب العلوم الدينيه. و عينت رواتب شهرية للفقراء و المعوزين ثم أوقفت الدور على العلماء و الفضلاء و ذلك سنة ١٢٢٠ و رأيت بعض الوقفيات عند فضلاء كربلاء و عندنا وقفه جعلت فيها التوليه بيد أعلم علماء كربلاء مؤرخه فى رجب سنة ١٢٢٠. (١)

بدر جهان بيگم بنت السيد محمد خان الصفوى:

توفيت سنة ١٠٦٢ فى أصفهان و دفنت فى بقعه شاهزادگان (الأمراء).

من فواضل نساء الشيعة فى عصرها ذات دين و صلاح و من أهل البر و الإحسان ولدت و ترعرعت فى البلاط الصفوى و أخذت العلم و الفضل من علماء أصفهان و اختلطت بالعلماء و الشعراء و كانت دارها مجمع الأدباء و الشعراء و مركز العلماء و الفضلاء و هى حفيده زبيده بيگم بنت الشاه عباس

ص: ٩٤

الصفوى ذكرها جماعه من المؤرخين منهم السيد مصلح الدين المهدي في كتابه تذكره القبور صحيفه ٢٩ و ٣٣ و صاحب كتاب گنجينه آثار تاريخي أصفهان الصفحه ٦٠٣ و رثاها جماعه من الشعراء و الأدباء و جاء في تاريخ وفاتها شعرا:

فشاند از پی تاریخ آشک تیره که زود نمود چهره نهان بدر همچو یکشنبه ماه

١٠٦٢ هجرية (١)

بليغه الشيرازيه:

أديبه فاضله متكلمه شاعره.

توفيت حدود سنه ١٢٦٠.

لم أقف على تاريخ ولادتها كانت من شاعرات النصف الثاني من القرن الثالث عشر معاصره للسلطان فتح على شاه القاجارى الذى استلم العرش عام ١٢١٢ و المتوفى سنه ١٢٥٠ و الشاعر قره العين المقتوله فى سنه ١٢٦٨ و من أقدم المصادر التى ذكرتها ما ذكره محمد مظفر حسين بن مولوى محمد يوسف على المتوفى سنه ١٢٩٧ فى كتابه (روز روشن) صفحه ١١٨ و نقل عنه الوزير محمد حسن خان اعتماد السلطنه المتوفى سنه ١٣١٣ فى كتاب خيرات حسان و وصفها بأنها أديبه شاعره متكلمه فصيححه ثم ذكر عن صاحب كتاب روز روشن نموذجا من شعرها الفارسى هذا البيت:

شب سگ کويت بهر جائى که پهلو مى نهد روز خورشيد آن زمين را بوسه و رومى نهد

و ذكرها جماعه من أهل الفضل منهم محمد حسين آدميت فى كتابه دانشمندان و سخن سرايان فارس صفحه ٤٦٠ و صاحب كتاب پرده نشينان سخنگوى صفحه ٨٦ و غيرهما من المحققين و المؤرخين. (٢)

بنت حسام سالار:

عالمه فاضله أديبه من شواعر الشيعة فى مطلع القرن الحادى عشر للهجره لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها إلا أنها كانت معاصره للشاه عباس الكبير الصفوى المولود فى سنه ٩٧٨ و المتوفى سنه ١٠٣٨ أخذت العلم و فنون الأدب من أفاضل علماء عصرها و نبغت فى فنون الأدب و الشعر ذكرها شيخنا الأستاذ فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة الجزء التاسع القسم الأول صحيفه ١٤٢ نقلا عن كتاب گلشن ص ٦٨. (٣)

بنت الشيخ عزيز الله بن الشيخ محمد تقى المجلسى الأول ابن مقصود على المجلسى الاصفهانى:

توفيت بعد سنه ١١١٠ فقيهه محدثه عالمه فاضله بصيره بالكلام و من ربات الفصاحه و البلاغه. ذكرها فى أعيان الشيعة الجزء الثالث ص ٦٠٧ و قال: لم نعرف اسمها و نزيد على ذلك ما يلى: لم أقف على اسمها و تاريخ ولادتها و وفاتها إلا أنها ولدت فى أصفهان فى بيت علم و فضل و ترعرعت فى أحضان الفضل بين آل المجلسى من أرفع بيوت العلم و أعرق الأسر العلميه فى أصفهان حيث نبغ منهم جمهور كبير من حملة لواء العلم و كان والدها الشيخ عزيز الله المجلسى المتوفى سنه ١٠٧٤ المترجم فى

أعيان الشيعة ج ٨ ص ١٤٤ من أعلام أصفهان و عمها الشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١٠ صاحب البحار شيخ الإسلام في عصره و جدها الشيخ محمد تقي المجلسي الأولى من مشايخ علمائنا و عمتها آمنه بيگم المار ذكرها من أعلام نساء عصرها.

أخذت المقدمات و العربية و فنون الأدب على أعلام أسرتها و تخرجت في الفقه و الحديث على والدها و عمتها آمنه بيگم و سائر رجال بيتها الجليل.

ذكرها الشيخ محمد على المدرس التبريزي في ریحانه الأدب الجزء السادس ص ٣٦٦ و ترجم لها السيد مصلح الدين المهدوي و وصفها في كتابه تذكره القبور قائلًا (... من أرباب الكمال و كانت في مصاف العلماء المعدودين و أعلام نساء عصرها...).

لها مؤلفات و تحقيقات منها مجموعه المسائل الفقهية، تعاليق على كتاب من لا يحضره الفقيه، مجموعه رسائل. (٤).

بنت عمر بن يزيد:

عالمه محدثه راويه للحديث روت عن أبيها عن الامام أبي عبد الله جعفر الصادق ع و روى عنها عدة من أصحابنا.

ذكرها السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ج ٢٣ ص ١٨٢.

بهادر على ميرزا حيدر آبادي بن محمد رضا

ولد سنة ١٢٩٤ في حيدرآباد (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٥٧ من فضلاء الهند، أسس مدرسه باب العلوم و مكتبه كبيره، و تولى التدريس في (جاگیر دار كالج) حتى وفاته.

له من المؤلفات: طريق الشريعة. رباعيات صفى. عرفان صفيتههيل المنطق. مصباح الهداية. تسييح فاطمه. أخلاق آصفى.

السيد أكبر شاه بن السيد مختار

و يتصل نسبه بأبي الفتح الجيلاني توفي سنة ١٣٠٩.

درس في لكهنو (الهند) و كان أديبا طبييا يجيد اللغة العربية، ميالا إلى التاريخ. له من المؤلفات: سبيكه الذهب في معيار الأدب. و كتاب في التاريخ، عنى فيه. بسيره أبي الفتح الجيلاني.

السيد إقبال رضا بن السيد محمد

(٥) توفي [ولد] حدود سنة ١٣١٥ في لكهنو (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٦٢ كان أديبا شاعرا فاضلا، طبييا على الطريقة القديمه.

درس في مدرسه سلطان المدارس، و نظم في مدح الأئمه (ع) شعرا

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- هذه الترجمة و التى قبلها آخرتا عن مكانهما سهوا.

باللغات الأردويه و العربيه و الفارسيه.

بي بي و يقال بيدلى الأنصاريه الهرايه:

توفيت قبل سنه ٨٩٥.

عالمه فاضله أديبه شاعره فقيهه لم أقف على تاريخ ولادتها إلا- أنها كانت من مشاهير شواعر الشيعة فى أواخر القرن التاسع للهجره. أخذت العلم و فنون الأدب و الشعر عن أفاضل علماء (هرات) ثم نبغت فى فنون الشعر و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ عبد الله المعروف بالديوانه(١) و رزقت منه ولدا هو الشيخ زاده الأنصاري من أعلام عصره و كبار الشعراء اختلف المؤرخون فى نسبتها حيث ذكر خطأ الوزير الايراني الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه المتوفى سنه ١٣١٣ فى كتابه خيرات حسان أنها أخت الشيخ عبد الله ديوانه(٢) و نقل عنه صاحب كتاب تذكره الخواتين(٣) و أما صاحب جواهر العجائب و الوزير الايراني المعاصر لها الأمير نظام الدين على شير نوائى المتوفى سنه ٩٠٦ فقال أنها زوجة الشيخ عبد الله ديوانه و هو الصحيح ثم أضاف و كان لها ولد باسم الشيخ زاده الأنصاري ابن الشيخ عبد الله ديوانه الذى كان أيضا من كبار شعراء عصره و أضاف قائلا و كان تخلصها فى شعرها باسم بيدلى(٤) و نقل عنه شيخنا فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة القسم الأول من الجزء التاسع صفحه ١٥٣ و قال: و هى زوجة الشيخ عبد الله ديوانه و أم الشيخ زاده الأنصاري:

و كانت لها قصائد فارسيه بسبك قوى و أسلوب سلس فمن شعرها:

روم بباغ و ز نرگس دو دیده وام کنم که تا نظاره آن سرو خوش خرام کنم

(٥)

بيجه الكرمانيه:

توفيت حدود سنه ٩٠٠.

عالمه فاضله أديبه شاعره من علماء الفلك و الرياضيات فى أواخر القرن التاسع للهجره أخذت فنون الأدب و الشعر و علوم الرياضيات و الهيئه و النجوم عن أكابر علماء عصرها و نبغت فى الشعر و الرياضيات و علم الفلك و هى أخت الشيخ علاء الدين الكرمانى و ذكرها شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرگ الطهرانى فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة و قال (... كانت منجمه عالمه استخرجت التويم و هى أخت علاء الدين الكرمانى و قد بنت مسجدا جنب دار الجامى...) يقول عبد الحسين الصالحى: ذكرها المعاصر لها الوزير المير نظام الدين على شير النوائى المتوفى سنه ٩٠٦ فى كتابه مجالس النفائس بما تعريبه (... و لها فضائل لا تعد و لا تحصى و كانت تستخرج التويم و تنظم الشعر بأسلوب متين رائع و هى أخت مولانا علاء الدين الكرمانى و كانت تعيش فى عصر السلطان حسين بايقرا (٨٦٣ - ٩١٢ هجرية) و معاصره لمولانا الشيخ نور الدين عبد الرحمن الجامى المتوفى سنه ٨٩٨ هجرية الشاعر المعروف و قامت ببناء مسجد ضخم جنب دار مولانا جامى و طلبت من مولانا جامى أن يكون إماما فى المسجد يصلى فيه فامتنع جامى من الصلاة فى مسجدها و نظم شعرا فى هجوها و وضعه فى محراب المسجد المذكور

و مطلع الشعر هذا البيت:

نگزارم بمسجد تو نماز زانکه محراب... نمازی نیست

و تعریبه: (لم أصل فی هذا المسجد التی بنیته لأن هذا المحراب لم یکن للصلاه) و عند ما علمت بیجه بهجو جامی و امتناعه عن الصلاه فی المسجد المذكور ردت علیه قائله:

جامیا زین سان خری چندی که در گرد تواند گر تو خر گردی تخلص سازی از جامی بهست

و لها آثار منها المسجد الجامع فی هرات و دیوان شعر و التقویم و غیر ذلك. (٤)

تفضل حسین خان بن أسد الله

ولد حدود سنه ١١٤٠ فی سیالکوت (هی الیوم فی الباکستان) و توفی سنه ١٢١٥ کان عالما فی المعقولات و المنقولات، درس فی (لاهور) ثم انتقل إلى دلهی. و فی الثامنه عشره من عمره جاء إلى لکهنو للدراسه، و کان أهم أساتذته فیها الشیخ علی حزین المتوفی سنه ١١٨١، و قد کان الشیخ الحزین عالما جلیلا حکیما.

اتقن المترجم [المترجم] اللغه الإنکلیزیه و تعلم اللاتینیة، و فی سنه ١٢١٢ حصل علی نیابه وزاره آورد [أوده] و لکن لم یطل أمره فیها إذ فضل التفرغ للعلم، علی أنه اختیر بعد ذلك سفیرا لحکومه أود [أوده] فی کلکته فذهب إليها.

قام بجولات فی البلاد الهندیة و تنقل بین دلهی و لاهور و لکهنو و بنارسو گواکلباد و بریلی و غیرها. و بینما کان عائدا من کلکته إلى مرشدآباد مات فی الطریق و دفن فی مدینه بنارس.

ترک عده مؤلفات و لکن أكثرها مفقود، و من مؤلفاته: رسالتان فی علم الجبر و الطبیعیات، و ترجم عن الإنکلیزیه إلى الفارسیه کتابا لنیوتن.

الشیخ توفیق البلاغی

ولد سنه ١٨٧٨ م فی صور و توفی فیها سنه ١٩٥٢ م. هو من أسره عراقیه الأصل خرج منها العديد من الفقهاء و الشعراء، و قد نشأ فی صور نشأه بسیطه فتعاطی صید السمک لضمان حیاته، و راح یجالس الأدباء و الفقهاء فیفید من مجالسهم، و یثقف نفسه من معارفهم، نظم الشعر بدون دراسه لقواعد اللغه، فراقت مجالسه و طابت، و شارک بشعره فی أحداث بلاده فمدح أحياءها و ثی [رثی] أمواتها. كما نظم فی بعض أحداث البلاد الإسلامیه کقصیدته فی انتصار الأتراك علی اليونانیین فی الأناضول فی أعقاب الحرب العالمیه الأولى و لم یجمع شعره، و قد نشر قلیل منه فی مجله (العرفان)

ص: ٩٦

- ٢- انظر خيرات حسان ج ١ ص ١٥٩ الطبعه الحجريه طهران سنه ١٣٠٤ هـ.
- ٣- انظر تذكره الخواتين ص ٧٠ الطبعه الحجريه بمبئي سنه ١٣٠٦ هـ.
- ٤- الأمير نظام الدين على شير نوائي: مجالس النفايس تحقيق على أصغر حكمت ص ١٠٢ طهران الطبعه الأولى.
- ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي عن كتابه المخطوط (رياحين الشيعة)
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

فمن شعره قوله راثيا من قصيده:

أ عليك يسطو الدهر أو يعدو الردى يا (بعلبك) و قد سموت الفرقدا

أ مدينة الشمس التي لم يستطع عادى الزمان بان يمد لها يدا

أ إلى علاك الحادثات تطلعت و على حماك الدهر أقدم و اعتدى

و المجد فى الدنيا لمجدك ينتمى منه اغتذى و له اقتفى و به اقتدى

يا (أسعد) الأمجاد لو تفدى بما فى الأرض من غال لما عز الفدا

جاهدت فى الدنيا جهادا صادقا و فتحت للآمال بابا موصدا

و من قصيدته فى انتصار مصطفى كمال على اليونانيين:

الله أنقذ خلقه بالمصطفى و لدينه جمع الشتات و ألفا

ما أنصف اليونان فى أفعالهم لكن سيف الحق منهم أنصفا

ظلموا و عاثوا فى البلاد و أفسدوا فى الأرض حتى أوشكت أن تخسفا

و قال فى السيد محسن الأمين مؤلف (أعيان الشيعة):

مقامك لا يدانيه مقام و فضلك منه يمتار الغمام

و فضلك نوره عم البرايا و شأوك لا ينال و لا يرام

بك افترت تغور الدهر انسا كأنك فى فم الدهر ابتسام

(أ محسن) قد أقتت عماد مجد به للدين و الدنيا اعتصام

تحج إليه صنعاء و مصر و بغداد و تونس و الشام

يراعك عند معترك القضايا به فصل القضية لا الحسام

لقد جاهدت فى الرحمن طوعا و ما ألهاك مال أو حطام

و ليس يقاس من سهر الليالى بمن قطعوا الحياه و هم نيام
سلكت سبيل جدك و هو نهج عليه تتابع الرسل الكرام
و جاوزت الورى عملا و علما و حول حماك أهل العلم حاموا
إذا البدر المنير عراه خسف فوجهك دائما بدر تمام
و إن غاب الامام فدته نفسى فأنت لكل شيعى إمام
و قال فيه أيضا:

يراك الاله لنفع البشر فأظهرت من علمه ما استتر
فأنت لأحمد نعم الحفيد أتى بالهدى فاقتفيت الأثر
و أعطاك حيدر صمصامه من الحق تأتي على من كفر
رعاك المهيمن من (محسن) به الله منقذنا من سقر
يشع لنا فى دياجى الدجى سناك إذا ما فقدنا القمر
(أ محسن) أنت لدى المشكلات إذا ما تعاصت صحيح النظر
إذا نام غيرك عن فرضه سهرت و إن نال منك السهر
لك الله من عالم عامل ينوب عن الحججه المنتظر
حماك المهيمن ما أشرقت شمس و ما لاح نجم السحر

الشيخ جابر بن الشيخ مهدي آل عبد الغفار:

اشاره

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نضيف إلى ما هنالك ما ياتى:

ذكر هناك أن وفاته كانت سنه ١٣٢٢، و يرى بعضهم أن وفاته كانت سنه ١٣١٩.

شعره

قال يمدح السيد عباس البغدادي الخطيب و يهنيه بقدمه من زياره الرضاع سنه ١٣١٢:

حججت و قد زرت النبي و آله و سارعت مشتاقا إلى جدك (الرضا)

نزلت به ضيفا فعجل بالقرى و نلت الرضا فيمن أفاض و فيضا

فقل للذي زار الرضا فزت بالرضا من الله و الغفران عن ذب ما مضى

به نال "عباس" - و خدمه جده - علا لم ينله من تأخر أو مضى

إمام به بيت النبوه قد زها و فى نوره أفق الامامه قد أضا

قضى ذو العلى فضلا لزوار قبره على نفسه حتما بأكرم ما قضى

هو العروه الوثقى التى قد تمسكت يداه بها لم يخش من مبرم القضا

فهن به أكناف طوس فطالما بفيض نداه ذابل الروض روضا

و سرح به سرح النواظر راعيا رياضا أحالت أسود الليل أبيضاً

ترى خدها بالأرجوان مذهبا و مبسمها بالأقحوان مفضضا

بزاد التقى عباس زار تقربا بتاريخه "لله زار به الرضا"

و قال يمدحه و يهنيه أيضا:

تباشرت الزوراء فى أى قادم و أى همام من سلالة هاشم

قد ابتسمت بعد التعبس مذ رأت بها ثغر "عباس" العلى أى باسم

بمقدم ميمون النقيب طيب الأرومه زاكى الأصل فرع الأكارم

و أشرف ذى عز و أعظم ذى على و أقدم ذى مجد و أكرم قادم

لقد كانت الزوراء من بعد نايه بساهر طرف سائل الدمع ساجم

فاضحت بقلب مثلج غير مضمزم و عادت بطرف جامد الدمع نائم

محافلها كالروض من عندليه لأن عدن صفرا أو هديل الحمامم

فما هي إلا الهيم قد كظها الظما فعاودها بالوكف فيض الغمام

يفوه بلحن العندليب و تاره بغنه ظبي بالترنم باغم

فتى بالمزايا طرز الفضل مثلما يطرز نور الدوح خضر الكمام

ترعرع في ظل الأكارم مجده و شبت علاه بين أيدي المكارم

فكم من لئال منه في سلوك خاطر قد انتظمت مذ شابته عقد ناظم

و كم كبد فت النوى لمتيم به و سقاه الناي سم الأرقام

و مذ أم بيت الله شاهده به بطرف حجى فيه ارتسام العوالم

مصوره أن لا يصور إذ هو المصور أرواح الملا و النسائم

غدا الموسم الموسوم من نور جده سنا منه موسوما بأسنى المواسم

رمى جمرات الموت فى أكبد العدى برمى الجمار السبع جمره هاشم

فلو كان ذا ذنب لمحى مآثما ببعض الذى قد بثه فى المآثم

لقد زار شوقا كعبه لمهول و ما هو إلا كعبه للمكارم

إلى عاكف فيها و باد مثوبه من الله كم سارت لمحو المآثم

و كم فيه من ذنب محا الله مثلما محا فيضان الغيث رسم المعالم

و قد طاف سبعا ثم لله قد سعى و كم قد سعى لله سعى الأكارم

كما طاف فى مغناه للغنم معشر تراه مطافا فيه نيل المغانم

و لما أتى مولاه مستسقى ندى سحائب فضل بالأيدى السواجم

لرحمته حلت يد العفو عقده من الفضل فانهلت سحاب المراحم

رأى من كنين الفضل طلعه بارز و من مستكن المن برزه كاتم

فتى أخواه النيران و ما له أخ فى العلى - لولاهما - و المكارم

أحل و لكن عن جميع محلل و أحرم لكن عن جميع المحارم
و آب إلى أبيات آبائه الألى بهم قام بيت الله على الدعائم
و قد عرفته قبل عرفانه لها به عرفات فى المدى المتقادم
و مذ تم فى بيت الإله مرامه و أعماله فازت بأزكى الخواتم
لخاتم رسل الله عاج ليثرب و آباء صدق مع جدود أكارم
بدور محت أنوارهم كل ظلمه و كل علت عليها عن وهم واهم
و ودعهم لا عن ملال ميمما بروج نجوم فى العراق نواجم
مراقد ما زالت فراقدها بها تضىء بوجه باهر النور دائم
و منها لبرج البدر آب وافقه الرفيع ، و برج البدر هام النسائم
من القوم قد عم الوجودات جودهم و أنوارهم قد أشرقت فى العوالم
لهم أوجه مثل الكواكب نورها و مجدهم لا يرتقى بالسلام
ألا قل لهذا الدهر سالم فانى لعباس سلم و اخش أن لم تسالم
أبو الفضل صنو المكرمات أخو الندى سليل " على " ذى العلى و المكارم
فتى حصنت فيه المناقب مثلما تحصن أبناء العلى بالتمائم
فامضى من الماضى الغرار... لدى الروع ماضى الرأى ماضى العزائم
إذا ما أتى قوم بأعظم مفخر و جاءوا باجداد كرام أعظم
أتاهم بأزكى ولد آدم كلها و مبدا الملا طرا و أكرم خاتم
و جاء بمن فات الوصيين فى العلى و ساد بنى (حوا) و أبناء (آدم)
أت ترسم العلىا به شذقيه و كم رسمت مجدا أكف الرواسم
فصافح كف المجد غير ممنع و واصل بكر الفضل غير مزاحم

أبى "على" الندب والده الذى له خضعت صيد الملوك الخضارم
أيا من بنى العلياء من بعد هدمها و كم من مقيم للمعالى و هادم
أقم ما بقيت الدهر باليمن رافلا و فى صفو عيش دائم الظل فاعم
و قال يمدح السيد على البغدادى المتوفى سنة ١٣١٦:
بشراك يا دهر ألا قد أشرقت سود لياليك بأنوار الهنا
و تلك آمال بنى الدهر فقد عدن فابلغن من الدهر المنى
العيش عاد صفوه من بعد ما كرره البين المشت بيننا
يوم به عاد السرور باسماء يملأ زوراء العراق بالسنى
بزوره الندب العلى قدره الهمام سامى المجد موئل الثنا
أبى "أبى الفضل" الذى بفضلته فاق ذوى الفضل فاضحى علنا
ذاك أخو الندى و من إلى ندى يديه للعفاه ينتمى الغنى
فتى سما هام السما بسؤدد تقصر عن مداه ألسن الثنا
كم حكما بليغه لما غدا عنها لسان البلغاء ألكنا
أبانها فى محكم من قوله فعاد مجمل البيان بينا
كم أنطق الناس بمدحه و كم أحرص باللحن الفصيح اللسنا
من معشر ذوى علا قد أسسوا منازل العليا و شيدوا البنا
أكارم تقلدوا مكارما و اعتقلوا المجد الأثيل لا القنا
مسود ساد الأنام يافعا و عاد كهلا بالتقى مقترنا
فكم نهى النفس عن الهوى تقى و كم أجاب ربه المهيمنا
و كم وفى بعهدده و لم يخن عهدا له كان عليه ائتمنا

فمذ رءاه أنه قد اهتدى إلى هداه، و اتقى و أحسنا
أولاه أنعما عقيب أنعم ثم حباه من لدنه بالغنى
لذاك أدناه مكانا أسعدت ثوبه من أدنى إليه فدنا
قربه من بيته ليجتنى منه الذى ليس يكاد يجتنى
فطاف بالبيت الحرام بعد ما أبلغه منه بلاغا حسنا
و حاز بالسعد الصفا لدى الصفا و أدرك المنى هناك فى منى
و طاب نفحه بنشر طيبه فعاد طيبا شذاه و انثنى
يسفر عن بهجه وجه مشرق كأنما بدر السما تضمنا
فكم جلا ظلمه ليل و لكم أقر منا بلقاه الأعينا
و كم أعاد للقلوب بهجه كما أعاد للعدى عيد ضنى
فليهن فيه جابر القلوب من قلد جيد الدهر منه فتنا
وليهن مهدي الهدى بماجد غدا علاه للمعالى ما منا
فالساده الغر الكرام هنهم به فقد عاد لهم عيد الهنا
و خير عم عم فيض جوده شرقا و غربا سهلها و الحزنا
بشراكم اليوم فعنكم العنا غاب به و غائب البشر دنا
و قال يمدحه أيضا و يهنيه بقدمه من الحج: -

"على" تبدى و هو بدر الغياهبفاضحى العلى فى أنفه أى ثاقب
فاضحى الهدى من نوره أى مشرقو أمسى الندى من جوده غير خائب
فقرت به عين المكارم و العليكما انشرت فيه صدور المناقب
و قد قررت الأجاب طرا باوبهكما فيه قد قررت عيون الأجانب

و فيه أضاءت و جنبه الدهر مثلما أضاء بنور الشمس وجه الغياهب
و أصبح فيه غائب الجود آثباو غائب شخص المجد ليس بغائب
همام به للحق زمت رواحلو آبت به لله حوص الركائب
رءاه بعين العقل لا عين رأسهو شاهد نورا فى ظلام الغياهب
أيا فلكا شمس العلى منه أشرفتكما ازدهرت فيه درارى الكواكب
لأنت الذى ألقيت ظلا على العليأحاطت ذراه فى جميع الجوانب
من العصبه الغر الألى شيدوا العليبسمر عواليهم و بيض القواضب
و قد أسسوها قبل تشييدهم لها بصم الصفا من شاهقات المناقب
كرام تردوا فى برود مكارمو قد سحبوها فوق هام السحاب
أقاموا ييمن ما أقاموا مدى المديو فى ظل عيش دائم الصفور دائب
به جانبا بغداد طارا مسرهو كانت بقلب لاهب الشوق ذائب
فكان لديها حاضرا غير حاضرو كان لديها غائبا غير غائب
لقد حج بيت الله من هو كعبتهحج لها الوفاذ من كل جانب
بظل علاها كل عال و هابطو قصد حماها كل ماش و راكب
و طاف كما طاف العلى منه كعبهيطوف بها فضل الإله لطالب
و فاض نداءه مثلما فاض من منيحجيج لبيت مبتنى للرغائب
و لو لم يعجل بالمسير لكعبهلهجت حمى منه لنيل المطالب
به هن عباس العلى بل وهنهعباس ماضى البأس شمس المناقب
و هن الشقيقين العريقين فى العليو كل شهاب صنوغر الكواكب

بيگم جان خانم بنت السلطان فتح على شاه القاجارى:

توفیت بعد سنه ۱۲۵۰.

ص: ۹۸

ولدت و نشأت في بلاط أبيها فتح على شاه الذي حكم عام ١٢١٢ و أخذت العلم و فنون الأدب على أفاضل علماء طهران حتى حصلت على درجه عاليه من العلم و الفضل و أمها بدر جهان خانم بنت محمد جعفر خان عرب حاكم بسطام المار ذكرها و هي أكبر بنات الشاه القاجارى و عند ما بلغت سن الرشد زفوها إلى محمد قاسم خان قوانلو و لازمت أباهما في السفر و الحضر و كان الشاه يحبها حبا شديدا و يشاورها في إداره أمور الدوله و يأخذ برأيها و كانت في الأعياد و الاحتفالات الرسميه في مقدمه المستقبليين و كان زوجها من كبار مرافقى الشاه معظما عنده و من أشهر أولادها الذكور سليمان خان الملقب بخان خانان الذى كانت بنته أم ناصر الدين شاه القاجارى.

ذكرها ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه في كتابه خيرات حسان و زاد على ما تقدم بأنها مالت إلى أهل العرفان و التصوف و كانت من أنصار المرحوم الحاج ملا رضا الهمداني الذى كان من أكابر مشايخ عصره و كانت تدفع له في كل عام مبالغ خطيره من المال يقول عبد الحسين الصالحى و كانت تصرف مبالغ طائله في كل شهر في العتبات المقدسه في العراق و عينت رواتب شهريه لجمع من أهل الفضل و العلماء و كان لها مضيف في الروضه العلويه و الروضه الحسينيه للدرراويز و الفقراء و الزائرين يعد فيها الطعام ظهرا و عشاء. (١)

جعفر حسن بدايونى بن على حسين

ولد سنه ١٢٤٠ في بدايون (الهند) و توفى سنه ١٣٣٢ في جلالى التابعه قضاء على كمر.

درس العلوم الإسلاميه في كهنو، و سافر إلى الحج و إلى العراق فأجيز من الشيخ زين العابدين المازندراني و الشيخ حسن آل ياسين. أسس في الهند عدده مدارس بقى منها مدرسه في ميرن پور، و هناك مدرسه اشتهرت في لوگانوان (قضاء مرادآباد). و أصدر في مظفر نگر جريده (الصادقين).

السيد جعفر حسين شاه بن المولى السيد مير جعفر

ولد في حدود سنه ١٢ [١٣١٢] في بابان التابعه لقضاء كوهان في الهند و توفى حدود سنه ١٣٦٠.

درس على أبيه ثم صار معلما في إحدى المدارس الحكوميه، و التقى سنه ١٩٢٦ م بالميرزا يوسف فدرس عليه اللغه العربيه ثم رافقه إلى (باواتشمار) مواصله الدراسه عنده، كما استفاد علميا من إسماعيل خان في بلده (ديره).

كان يجيد العربيه و الفارسيه و الإنكليزيه، و كان شاعرا عرف باسمه الشعري (ريختونى)، و معناه: (صادق القول).

و في آخر حياته قضى أربع سنوات في ترجمه القرآن منظوما بلغه (پشتو) و طبعت الترجمة و اشتهرت، و صدف أن محمد بنى بخش في نفس هذا الوقت كان يترجم القرآن منظوما إلى اللغه البنجابيه.

السيد جعفر رشتيان

الفنان الايراني الكبير حيث كان يرسم نقوش السجاد الايراني ولد عام ١٣٤٧ في أصفهان من عائله عريقه، قديمه في امتهان فن

الرسم و النقش يعتبر أحد كبار الفنانين فى فن الرسم على القاشانى و السجاد و له آثار فى كثير من المساجد، يعتبر السجاد المعروف باسم (ثار الله) أشهر أعماله الفنيه حيث رسم عليه حادثه شهاده الحسين بكر بلا بصوره رمزيه و قد كتب على وسط السجاده عبارته:

* (إن الحسين مصباح الهدى و سفينه النجاه) و قد عرض هذا السجاد فى عده متاحف و معارض.

توفى عام ١٤٠٨. (٢)

السيد جعفر على جارجوى ابن السيد أفضل على

ولد سنه ٢٢٧ فى جارجه (الهند) و توفى سنه ١٣١٤ فى دلهى.

بدأ سنه فى دلهى، ثم فى لكهنو فى آخر عصر غفران مآب فتلمذ على (عليين مكان) و كانت أكثر دراسته عليه. و درس التجويد على القارئ محمد الأصفهانى التبريزى الذى كان مقيما فى لكهنو. ثم اشتهر بصفته قارئا مجودا، و ساعده على الاشتهار رخامه صوته. و كان يجتمع على قراءه فى مسجد حامد على فى دلهى كبار القوم.

تولى التدريس فى المدرسه المنصبيه و فى (دلهى كالج). و ساهم فى ثوره التحرير الكبرى على الإنكليز سنه ١٨٥٧ و بعد إخمادها اعتقله الإنكليز و سجنه مع غيره من سادات جارجه. و بعد خروجه من السجن عانى الفقر.

كان له أثر كبير فى الهدايه و الإرشاد، و تخرج عليه كثيرون فى تجويد القرآن.

جعفر بن فلاح الكتامى

(٣) قال الدكتور موسى لقبال: آن الغموض يكتنف حياه هذا القائد و دوره فى الدور المغربى للخلافه الفاطميه. فنسبته كما وردت فى المصادر القليله التى أشارت إليه كانت ذات صبغه عامه و من ثم يوصف فيها بالكتامى، مساعد جوهر.

و لم نظفر رغم استشاره كثير من المصادر، على نسبه الخاصه بين فروع كتامه المعروفه. و قد لاحظنا أن كثيرا من قاده كتامه و رجالاتها فى الدور المغربى ينسبون إلى عشائره الخاصه و الأمثله على ذلك، أبو مدين بن فروخ اللهيصى، و أبو زاكى الأجانى، و عروبه الملوسى، و أبو القاسم السكتانى، و القله منهم هم الذين جاءت نسبتهم ذات صبغه عامه مثل جعفر بن فلاح، و عبد الله بن يخلف، و تشيع هذه الظاهره خاصه فى الدور المشرقى للخلافه الفاطميه. و يزداد الأمر غموضا عند ما يكتفى بمجرد ذكر النسبه المغربيه و يستثنى من ذلك حالات قليله ياتى فيها ذكر النسبه الخاصه لأحد فروع كتامه، و من الأمثله على ذلك عسلوج بن الحسن الدنهاجى، و ابن لبون الدنهاجى و جبر بن القاسم المسالتى (٤)، و غيرهم ممن ازدهر فى عصر الحاكم سواء كانوا من عنصر دنهاجه فى مصر أو من أسره ابن ثعبان من فروع

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
- ٣- راجع الحاشيه فى ترجمه جوهـر الصقلى.
- ٤- المقرئزى: اتعاظ ١، ٢١٦ و قد ورد بصيغه المسالمى.

جميله (1)، الذين أدركوا مجدا في بدايه عصر الظاهر لإعزاز دين الله في بلاد الشام.

و بالنسبه لجعفر بن فلاح، نلاحظ أن المصادر القليله التي أشارت إليه، لم تفدنا بشيء، نير السبيل حول نشاته و حياته عند ما ظهرت الحركه فى منطقته كتامه، و إفريقيا، و لا عن نشاطه فى خدمه الدوله الفاطميه قبل اشتراكه فى الحمله الكبرى ضد مصر الإخشيديه، فلم نصادف إشاره إليه ضمن قاده كتامه فى بلاد المغرب الذين اشتركوا إلى جانب جوهر أثناء حركته الكبرى سنه ٣٥٤٧ [٣٤٧] هـ/٩٥٨ - ، هذا بينما نلاحظ إشاره عن اشتراك زيرى بن مناد فى الحمله و مسئوليته القياديه و دوره فى اقتحام مدينه فاس.

فهل أن جعفر بن فلاح لم يقم فعلا باى دور إيجابى لفائده الدوله قبل اشتراكه فى الحمله ضد مصر، التي لم يفصلها عن حمله بلاد المغرب غير فارق زمنى يسير، مداه إحدى عشره سنه، ربما كان خلالها جعفر صغير السن نسبيا، يشق طريقه إلى الظهور فى الميدان السياسى تدريجيا، و هذا احتمال قريب، أو أن المصادر التاريخيه انسقت وراء الروايات الخاصه التي تبرز قيمه جوهر و أهميته عند المعز لدين الله الذى حرص على خضوع الجميع إليه و إظهاره دون غيره فى ميدان القياده فى بلاد المغرب حيث ينافس الكثيرون من أولياء الدوله و عصبيتها، من رجالات كتامه خاصه، الذين كانوا بارزين مثله، و كرهوا أن يظهر عليهم فجاه مع أنه لم يصل إلى مستواهم فى القدم و التاريخيه و قوه العصبيه. و لعل ذلك هو سر إهمال الحديث عنه و عن غيره فى ميدان المغرب.

أما فى مصر فيبدو أن وجود مجموعات قبله أخرى غير كتاميه، ساعد على ظهوره كقائد لبنى قومه الذين كان دورهم البطولى إلى جانبه فى بدايه ظهور حركه المقاومه عند منيه شلقان، دورا مشرفا.

و يبدو أن جعفرا بن فلاح كان من بين قاده الدوله و رجالها فى بلاد المغرب، لكنه لم يلق العناية التي يستحقها لاعتبارات خاصه، لأنه من غير المقبول بسهوله أن يظهر فجاه فى قمه الميدان السياسى و العسكرى مساعدا مباشرا لجوهر فى قياده أضخم حمله ضد مصر و أساسا ترتكز عليه جهود الفاطميين فى مصر ثم فى بلاد الشام إذا لم يكن المعز لدين الله قد عرفه من قبل معرفه جيده و خبره فى ميدان القياده فتبينت له قدراته و مهارته فى الحرب، و إخلاصه للنظام و التزامه بسياسه التوسع لإيجاد مناطق للنفوذ الفاطمى فى بلاد المغرب و المشرق.

و على أقرب الاحتمالات فان جعفر بن فلاح كانت أهميته فى بلاد المغرب لا- تقل عما أداه من خدمات للدوله فى ميدان المشرق و هو من بين الرعيل [الرعيلى] الأول، للجيل الذى أشرف المعز لدين الله على تربيته و تكوينه من أبناء كتامه و شبابهم، و يؤيد ذلك مجموعه اعتبارات فى مقدمتها:

- ان مركز جعفر فى قياده الحمله ضد مصر، كان يلى مباشره (٢) مركز القائد الأعلى، و هو جوهر لذلك وقع الاختيار عليه ليقوم دون غيره بأكبر دور ضد الكافوريه و الاخشيديه، الذين تجمعوا لمقاومه عبور الحمله إلى الجانب الآخر من النيل، و هذا يشير إلى أنه كان بمثابة رئيس أركان الحمله حسب المفهوم العسكرى الحديث.

- و قد اعترف القائد جوهر باهميه اشتراكه فى الحمله و دوره الايجابى، و لمح إلى دواعى اختيار الخليفه المعز لدين الله له دون

غيره إذ خاطبه بقوله "لهذا اليوم أرادك المعز لدين الله". (٣)

- وقد انتدب جعفر، لكي يتتبع فلول الكافوريه و الاخشيديه و يضم بلاد الشام إلى النفوذ الفاطمي، و هذا يعني أن جوهرًا كان يعترف بقيمته الخاصه و أهميته لكي يضم قطرا متسعا و يقف فيه حارسا له و لمصر، من بقايا عناصر السلطه القديمه و من أطماع القرامطه و تطوعات العباسيين، و إغارات الروم البيزنطيين. (٤)

- و يلاحظ أن المنافسه بين القائدين كانت قويه و مثلت أحد العوامل لترشيح جعفر لمهمه في بلاد الشام، أبعادا له من مصر. (٥)

و مع ما كان يوجد من تنافس فان جوهرًا حرص على إرضاء مساعده و مشاركته عاطفيا، فقد حضر جنازه أحد أبنائه في مصر اعتبارا لشخصه كما حضرها كبار القاده من الكافوريه و الاخشيديه. (٦) و يلاحظ أن هذا الابن الذي توفي في مصر كان أحد أبناء جعفر الأربعة الذين صحبوه أو ألحقوا به فيما بعد و هذا في حد ذاته يبرهن على أن هذا القائد الكتامى كان كبير السن نسيبا، عند ما اشترك في الحمله، و قد ظهر دور أحد أبنائه في ميدان القيادة مباشره، و هو أبو محمود إبراهيم.

و لو لم يكن جعفر في مستوى القيادة و على درجه لا- تقل عن قيمه جوهر ما تطلعت نفسه إلى الرئاسة العليا و إلى الاستقلال ببلاد الشام عن التبعية لجوهر في مصر، فقد حرص على الاتصال مباشره بالخليفه المعز لدين الله في المنصوريه دون وساطه جوهر.

و إذا كان الخليفه المعز قد سار في خط معين لم يتزحزح عنه و من ثم كره تصرفات جعفر، و وقوعه في جوهر، و سارع إلى رد رسائله، و لامه و حثه على الكتابه إليه عن طريق القائد الأعلى، فإنه أوضح له أن حسن التغيير لا يقتضى استفساد قلب جوهر مع إخلاصه للنظام، و ثباته على العهد "قد أخطات الرأى لنفسك، نحن أنفذنا له مع قائدنا جوهر، فاكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده قرأناه، و لا تتجاوز به بعد". (٧)

و عند ما اتضح للمعز لدين الله ما بين القائدين من تنافس و جفاء، و كان يعرف قيمه جعفر و طموحه إلى السلطه و الاستبداد بالأمر لم يشأ أن يوسع الهوه بينهما بتغذيه طموح جعفر لئلا- يغضب جوهر، و نظرا لأهميه كل منهما للنظام الفاطمي فقد التزم الخليفه بالمبدأ الذي رسمه من قبل و هو إضفاء كل الأهميه على قائده جوهر و في نفس الوقت أرضى خاطر جعفر، بتمجيد دوره و خاطبه بقوله "فلسنا نفعل ذلك على الوجه الذي أردته و إن كنت أهله عندنا". ه.

ص: ١٠٠

١- ابن العديم: زبده الحلب في تاريخ حلب ١، ٢٢٢. ط دمشق ١٩٥١.

٢- ابن منجب الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزاره ٨٢-٨٣ و يشير إلى أن مقدار ما أعطى لابن هانئ من طرف ابن فلاح كان مائتي دينار و هو نفس ما أعطاه إياه جوهر.

٣- أبو المحاسن: المصدر السابق ٤، ٣١.

٤- نفسه ٤، ٢٧، النويري: المصدر السابق ٢٦ ورقه ٤١-٤٢.

٥- على إبراهيم حسن: تاريخ جوهر ٣٩-٤٠.

٦- المقریزی: اتعاظ الحنفا ١، ١١٨.

٧- نفسه، الخطط ١، ٣٧٨.

لم تشر النصوص إلى صفاء الجوينين القائدين، و لذلك لم يطلب جعفر نجدات من جوهر، كما لم يخف الأخير، لمساعدته عند ما لاحت الأخطار.

و كانت هزيمه جوهر بعد ذلك في ميدان الشام بسبب تخاذل كتامه بمثابه الثار الذي استوفاه رجال هذه القبيله منه لموقفه المعادى لأكبر قادتهم في بلاد الشام، و كان أبعاده تدريجيا عن مركز النفوذ بعد سنه ٣٦٤ هـ (٩٧٤ - ٩٨٥ م) تديبرا سياسيا خاصا قصد به ترصيه أسره ابن فلاح، التي استاءت من موت رئيسها في ظروف محزنه، كما كان بدايه لسياسه جديده بمقتضاها، بدأ اصطناع وجوه جديده عوضا عن القاده القدامى الذين استنفدوا طاقتهم و أدوارهم، و هذه السياسه أدرکها جوهر و عبر عنها في قوله للحسن بن عمار الكلبي، " لكل زمان دوله و رجال، أنريد نحن أن نأخذ دولتنا و دوله غيرنا" (١). و كان ابن فلاح أحد الجعفرين (٢) اللذين مدحهما ابن هانئ شاعر المعز لدين الله في قوله:

كانت مساء له الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيّب الخبر

حتى التقينا فلا و الله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصرى

و بما أن ابن هانئ قد قتل غيله في برقه، أي لم يقدر له اللقاء بابن فلاح في مصر، فضلا عن بلاد الشام، فان المؤكد على كل حال أن يكون مدحه له في فتره مبكره، دليلا على ظهوره في الميدان السياسى و العسكرى كشخصيه قويه في عصر المعز لدين الله و ذلك قبل أن يشترك في الحرب في ميدان مصر و الشام، و كان اللقاء بين الشاعر و القائد قد تم في أرض المغرب تأكيدا حسب إشاره الشاعر نفسه (٣).

و ما أشار إليه ابن هانئ عن قيمه جعفر بن فلاح، أكدته بعض النصوص التي أوضحت بان ابن فلاح لم يكن فقط قائدا عسكريا ماهرا و إنما كان أيضا شاعرا قديرا له عواطف رقيقه خاصه تجاه أهل البيت حتى أن عدوه القرمطى بكاه بعد قتله، تأثرا و اعترافا بقيمته (٤).

و لعل هذه الاعتبارات جميعها تؤيد ما نعتده من ظهور جعفر بن فلاح في ميدان المغرب قائدا كبيرا لا تقل أهميته عن زيرى بن مناد، و لا عن جوهر الصقلى، الذى حظى بالقياده العليا في المغرب و فى مصر، عن غير اقتناع من القائد الكتامى الذى حاول من مركزه في بلاد الشام أن يبرهن للخليفه المعز لدين الله على أنه أهم من غيره إخلاصا للنظام و نجاعه عند الأخطار.

و قد لا- يبعد عن الصواب القول بان الخلفاء الفاطميين بعد الذى جرى لهم مع كتامه أصبحوا يحتاطون من طموح قادتهم و يجاهدون من أجل إبعادهم عن مراكز التوجيه العليا، خوفا على سلطانهم أن يتأثر لأن كتامه يدلون على الخلفاء بسبب دورهم التاريخى في نصره الحركه الفاطميه و كونهم أقدم عهدا بها إذا قيسوا بطبقه الفتيان الصقالبه الذين كانوا غرباء عن البيئه و مفتقرين إلى التاريخيه و إلى العصبيه و من ثم كانت لا- تطمح نفوسهم إلى شىء مما تطمح إليه نفوس الكتاميين، و كانوا يرضون دائما بدور التابع الذليل، و لذلك استصفاهم الخلفاء و اعتمدوا عليهم اعتمادا كليا حتى بلغ منهم قيصر و مظفر مكانه كبرى في عصر المنصور و المعز، و مثلهما جوذر الذى كان مستودعا لثلاثه خلفاء و ناب عن المنصور في تسيير سياسه الدوله و كان عمده المعز في التعرف على سير الحياه السياسيه و الاداريه، و لو امتد به العمر لكان له شان كبير في مصر و قد هم المعز

لدين الله باستخلافه على بلاد المغرب بعد رحيله لو لا امتناعه، و رغبته فى البقاء إلى جانبه فى مصر كما أشرنا.

و ظواهر التجديد فى القيادة و اصطناع الوجوه الجديده و التركيز على من لم تكن لهم عصبية سارت مع الخلافة الفاطمية منذ قيامها فى بلاد المغرب حتى سقوطها فى نهايه الأمر.(٥)

و يرتبط بشخصيه جعفر بن فلاح، تحقيق اسمه الكامل، فقد جاء فى أغلب المصادر التى أشارت إليه مختصراً، أى على النحو التالى "جعفر بن فلاح الكتامى".(٦) و يضيف بعضها إليه كنيه أبى على، لأن أحد أبنائه يعرف بهذا الاسم.(٧) بينما تذكر بعض النصوص كنيه أخرى لهذا القائد فهو أبو الفضل،(٨) و هو فيما يبدو اسم أحد أبنائه الذى توفى فى مصر و حضر جنازته كبار رجال الدوله بما فيهم القائد جوهر،(٩) لأنه لم يظهر له دور ما فى مصر أو بلاد الشام على عكس إخوته على، و إبراهيم و سليمان، و نجد اسمه أكمل من ذلك فى بعض النصوص التى تشير إلى جده، أبى مرزوق.(١٠)

و لما كانت بلاد الشام بحكم كونها منطقه نفوذ للأخشيديين و آلت نظرياً، و عن طريق الإرث بعد تصفيه نظامهم فى مصر إلى الفاطميين، و فيه.

ص: ١٠١

١- المقرئى، الخطط ١، ٣٧٩. و قد جرى ذلك عند ما أمر الجميع بالترجل لمنجوتكين و ظهر الانفعال و التأثر على القائد الكلبى الذى زفر زفره كادت تتقطع لها نياط قلبه.

٢- و عن جعفر بن على بن حمدون الأندلسى أمير الزاب: انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ١، ٣١١. و فيه يقول ابن هانى. و يا ملك الزاب الرفيع عماد هبقت لجمع المجد و هو فريق على ملك الزاب السلام مردداو ريحان مسك بالسلام فتيق

٣- أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٣١ هامش ٣. ابن خلكان: المصدر السابق ١، ١١٢، ١١٣، ابن الأبار، الحله السراء، ٤٣٤. ط. بيروت ١٩٦٢. الجيلانى: المرجع السابق ١، ١١٨، العينى: عقد الجمان ١٩ (ق ٢) ورقه ٢٤٧-٢٤٨.

٤- أبو المحاسن: النجوم ٤، ٣٣، ٥٨-٥٩، الذهبى: المصدر السابق ٣ ورقه ١٩٠، العينى: المصدر السابق و الورقات، و قد نسب إليه شعر وجهه إلى يعقوب بن كلس منه: ولى صديق ما مسنى عدممذ نظرت عينه إلى عدمى أعطى و أفنى و لم يكلفني تقبيل كف له و لا قدم

٥- و اعتماد الخلفاء على الأسر الكبيره كان ظاهره أخرى خاصه فى بلاد المغرب، و من هذه الأسر، و أسره ابن خنزير و أسره الكلبيين، و أسره النعمان و أسره ابن أبى المنهال، و أسره ابن الفلاح و أسره ابن ثعبان. و بعض هذه الأسر امتد نشاط أفرادها إلى مصر و بلاد الشام، و كان القدر المشترك بين هذه الأسر أو عنصر الوحده هو الولاء للخليفه الفاطمى، الذى ينتمى إلى عتره الرسول (ص).

٦- ابن عذارى ١، ٣١٥-٣١٦. ابن خلدون: العبر ٤، ١٠٠-١٠١، المقرئى بالخطط ١، ٣٧٨، الزركلى: الأعلام ٦، ٧١. حسن إبراهيم: الدوله الفاطميه ١٣٥ هامش ١. عمر كمال توفيق: العدوان الصليبي على الشرق ٦٩، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين

E.I.ArtFatimides,T.٢,P.١٠٩..٩٤

٧- ابن خلكان: المصدر السابق ١، ١١٣، الجيلالى: المرجع السابق ١، ٣١٧، (نقلا عنه) ط ثانيه ١٩٦٥.

٨- ابن الأبار: الحله السبراء ٤٣٤ ترجمه رقم ١٤٥.

٩- المقریزی: اتعاظ ١، ١١٨ س ٣.

١٠- نفسه ١، ١٢٠ س ٤. و مما یلاحظ أن ابن عذارى ١، ٢٦٣، أشار إلى قائد باسم قمون بن فلاح. أما نسبه جعفر بن فلاح لفرع من بین فروع كتامه، فتبقى لغزا محیرا، غیر أنه لا- یتبعد أن یكون من بین عناصر مسألته أو دنهجاه الدین هاجروا إلى مصر باعداد ضخمه و عرف من بینهم قاده كثیرون استأصل منهم الحاکم بامر الله مجموعه و الحق بهم علی بن جعفر بن فلاح فی ظروف غامضه.

نفس الوقت كانت منطقه هامه فى حرب الثغور، و أصبحت بعد فتح مصر ملجا لفلول المنهزمين من الكافوريه و الإخشيديه الذين ضموا جهودهم إلى عناصر السلطه القديمه فى بلاد الشام، و أصبح الخطر من جهتهم متوقعا فقد بادر جوهر بضمها إلى مصر، تامينا للحدود و توسيعا للنفوذ الفاطمى، الذى امتدت خطوط دفاعه "فأصبحت فى بلاد الشام و ليست فى مصر".

(١) و كان نائبه فى قياده الحمله الكبرى جعفر بن فلاح هو الرجل الأول الذى عهد إليه بتصفيه بقايا الإخشيديه و الكافوريه و ضم بلاد الشام فعليا إلى نفوذ الخلافه الفاطميه.(٢)

و كان يشرف على بلاد الشام كبير الأسره الإخشيديه، أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج الذى كان مركزه دمشق، و كان على طبريه و حوران و البنيه(٣) و لاه من عرب بنى عقيل، و منهم شبيب و ظالم، و ملهم، الذى كان يشرف عن طريق غلامه فاتك على طبريه و كان على بيت المقدس عامل أخشيدى هو الصباحى، و لما كانت الرمله و دمشق أهم مدن الإقليم التابع للأخشيديين فقد كان والى بلاد الشام يوصف أحيانا بصاحب دمشق و الرمله التى هى مدينه جنوب فلسطين العظمى، (٤) و قد ظفرت بمركز ممتاز فاق أهميه بيت المقدس بسبب موقعها الاستراتيجى و قربها من حدود مصر، و قد تعرضت أكثر من مره لغارات قرامطه البحرين و غدت بعد فتح مصر قاعده حربه لمواجهة الغزو الفاطمى من جهه مصر، إذ استقر فيها الحسن بن عبيد الله بن طغج منذ شهر رمضان ٣٥٨ هـ/ يولييه ٩٦٨ م ليخطط للمعركه القادمه مع جعفر بن فلاح، و ترك دمشق فى عهده أحد موالى الإخشيديين، و هو شمول، و لأن الأخير، كان يحقد على الحسن مكانته السياسيه و سعه سلطانه، و ينتظر به فرصه قدوم طلائع الجيش الفاطمى ليخذه، و يظهر ما بيته له، فقد اتصل بجوهر سرا و كشف له عورات البلاد و أبان عن وجهه نظره فى الحسن بن عبيد الله، ثم تقاعد عنه و رفض مساعدته فى الرمله رغم إلحاحه عليه و على الصباحى و فاتك فى سرعه المجيء، بسبب قرب العسكر الفاطميه، و تركوه مع ثله من مساعديه يواجهون الهزيمه، و محنه الأسر على يد جعفر بن فلاح، منذ منتصف رجب ٣٥٩ هـ/ ماى ٩٧٠ م و قد أرسلوا مقيدين إلى مصر، و منها واصلوا الرحله صحبه الهديه التى أنفذها جوهر إلى بلاد المغرب.(٥)

و يبدو أن حزم جعفر بن فلاح و سياسته و دعوته لولاه الإخشيديين لاعلان الولاء و الطاعه للمعز لدين الله، هى التى صرفت كثيرا منهم عن مساعده ابن طغج و أدته إلى الاستسلام لقوات جعفر دون مقاومه تذكر، إلا فى مدينه طبريه، التى يبدو أن واليها فاتكا غلام ملهم العقيلى، بيت على مقاومه قوات الفاطميين، (٦) و لذلك تحصن جعفر فى نقطه استراتيجيه تسيطر على الجسر و بنى معسكرا اتخذه منطلقا لحرب فاتك، رغم أن ملهما مال إلى الموادعه و تظاهر بالولاء و الطاعه للفاطميين. (٧) و عند ما تم قتل فاتك غدرا، تظاهر جعفر بأنه فوجئ بالحدث الذى لم يكن له به علم، و تحفظ على عناصر التامر من الأعراب، و قدمهم إلى ملهم، ليقتص منهم، فتحاشى الأخير قتلهم، و عفا عنهم، خوفا من الإيقاع به(٨) أما سكان المدينه فقد استاءوا للحدث، و التحموا مع قوات جعفر، و شهدت طبريه فتنه كبرى، لم تقتصر آثارها على عناصر الخلاف و إنما شملت من جاء إلى المدينه فى هذا الظرف الدقيق، و هم ممثلو سكان مدينه دمشق، الذين غادرهم شمول الإخشيدى، و انضم إلى قوات جعفر بن فلاح فى طبريه، (٩) فارتاع السكان و أرسلوا إلى جعفر، وفدا من شيوخهم لاعلان الولاء، و رغم أن القائد الكتامى استقبلهم بحفاوه و تبسط معهم فى الحديث فإنهم تألموا من سوء المعامله، و عند ما رجعوا إلى دمشق "غير شاكرين، و لا راضين" عن قوم جفاه قباح المناظر و الزى و الكلام، ليس لهم عقول يرجعون إليها "نقلوا إلى سكان المدينه صورته قائمه و انطباعا سيئا آذى مشاعرهم، و أدخل الرعب فى نفوسهم(١٠)، و جعلهم يستعدون للمقاومه الجديه بتوجيه أشراف دمشق و بمساعدته بقايا الإخشيديه و الكافوريه

الذين لم يرافقوا شمولاً، ثم عنصر الأحداث و الشطار" الذين كانوا بمثابة قوه دفاعيه مدنيه من بين عامه السكان، و قد استغلوا حاله القلق فى المدينه و الفراغ السياسى بعد انسحاب شمول،(١١) و تفرق جنده، لكى يظهر او عنصرا فعالا فى حمايه المدينه من الغزو الخارجى و يبرزوا إلى الحياه السياسيه و يمثلوا دورا هاما فى مدن الشام الأخرى قبل و بعد الفتح الفاطمى.

و يبدو أن أوضاع دمشق و حاله الاستعداد للمقاومه هى التى أملت على ابن فلاح خطه أساسها الانتقاص من أطراف دمشق، و كسر مقاومه بنى عقيل فى حوران و البثنيه، و سكان الغوطه بجهد مشترك بين جزء من قواته و أعراب مره و فزاره، و ذلك قبل اقتحام المدينه بقوات الحمله الرئيسيه.

و عند ما شعر بأنه أبعد بنى عقيل عن الميدان إلى حمص، و نال رجاله من ضواحي دمشق بعد خسائر تكبدها خف بكامل قواته(١٢)، منذ يوم الخميس ٤.

ص: ١٠٢

١- عمر كامل توفيق: مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربى ٤٦-٤٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٢٠، ابن خلدون، العبر ٤، ١٠٠، ابن الأثير، الكامل ٨، ٢١٢، النويرى، نهايه الإرب ٢٦ ورقه ٤١-٤٢، يحيى بن سعيد الأنطاكى: المصدر السابق ٣٤٩ و ما بعدها.

٢- عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ١٠٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام و العراق ١٦ و ما بعدها.

٣- و البثنيه من كوره دمشق انظر: مدينه دمشق عند الجغرافيين و الرحاله ١٣.

٤- ابن حوقل: صورته الأرض ١٧١.

٥- المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٢١ و ما بعدها، أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٢٧، ٣٢-٣٣، ابن أيبك الدوادارى: الدرره المضيئه ٦، ١٢٣-١٢٥ - الذهبى: تاريخ الإسلام ٣ ورقه ١٩٠. بيبرس الدوادارى: زبده الفكره ٦ ورقه ٢٠٤-٢٠٥، ابن الجوزى: مرأه الزمان ج ١١ و رقات ٥، ١٥، العينى: المصدر السابق ج ١٩ (قسم ٢) ورقه ٢٣٣-٢٣٤، ابن القلانسى، ذبل تاريخ دمشق ١، ابن الأثير، الكامل ٨، ٢١٢، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ١٠٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ١٨.

٦- نفسه ١، ١٢٣.

٧- القريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٢١، ابن خلدون العبر، ٤، ١٠٠، ابن أيبك الدوادارى، الدرره المضيئه ٦، ١٢٥، ابن الأثير الكامل ٨، ٢١٢، بيبرس الدوادار: زبده الفكره ٦ ورقه ٢٠٥.

٨- ابن أيبك الدوادارى: المصدر السابق ٦، ١٢٦ و قد كان رد ملهم على جعفر " هو غلامى و قد وهبته " بيبرس الدوادار: المصدر السابق و الورقه، و يلاحظ أن جعفر ترك طبريه إلى دمشق، لأن ملهما أقام الدعوه باسم المعز لدين الله دون أن يشير إلى قتل فاتك.

٩- المقريزى: اتعاظ الحنفا، ١، ١٢٤ س ١.

١٠- نفسه، ١، ١٢٣. أس ١٧-١٩، ابن أيبك الدوادارى: الدرره المضيئه ٦، ١٢٦، جمال سرور: النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ١٨ و ما بعدها.

١١- نفسه ١، ١٢٤. س ١-٢.

١٢- ابن أيبك الدوادارى: الدرر المضية ٦، ١٢٦-١٢٧، المقرئى، ااعاظ الءنفا ١، ١٢٤.

لثمان خلون من ذى الحجه ٣٥٩هـ، و فرض حصارا على المدينة، و اتخذ من يوم السبت ١٠ ذى الحجه [٣٥٩] معسكره، و مقر قيادته بحى الشماسيه و من هناك أشرف على المعركه ضد أحداث دمشق و أشرفها و جندها الذين قاوموا ضغط جند كتامه فتره ثم بدءوا يميلون لانهاء حاله الحرب و الحصار فى إطار الاعتراف بالسياده الفاطميه، غير أن جعفر بن فلاح، لم يستجب لهم بسهولة، قصدا لما عرفه من تقلب أهوائهم و سيطره الشطار و الأحداث، و الأشراف، و سائر عملاء العباسيين على الوضع الداخلى، و لذلك لقى وفد سكان المدينة معامله سيئه أثناء محاولتهم الاتصال به فى حى الشماسيه للحصول على الأمان، كما قبلوا بالتهديد و الوعيد من جانبه عند ما قابلهم بنفسه و كان هدفه فيما يبدو أن يكون هؤلاء أداءه تبليغ لسكان المدينة و لعناصر الشغب المتطرفين، ليشتد خوفهم و تزداد حيرتهم، عند ما يعرفون مدى تصميم القائد على إخضاعهم بالقوه القاهره، و ربما كان يريد بهذا التشدد أن ينصرف السكان عن المشاغبين، و يتخلصوا منهم، و بذلك تتبلور اتجاهات السلام و الصلح على أساس متين و يبدو أنه نجح فى خطته إلى حد بعيد، لأن السكان و قد هالهم هذا التشدد و احتاروا فى معالجه الوضع، لم يجدوا غير مشايخ البلد و أشرفها و كان جعفر بن فلاح يميل إليهم و يقدرهم لأنهم من آل البيت، و قد نجحت وساطتهم لانهاء حاله الحرب إنما بعد تشدد، و عند ما عرف استعدادهم لتنفيذ كل ما يطلبه، بدأ يتراجع عن موقف الشده الذى اصطنعه حتى هذا الوقت، و تبسط فى الحديث مع الوفد، و قرر أن يشرف بنفسه على إقامه الدعوه للمعز لدين الله فى الجامع الأموى فى يوم الجمعة و يتفقد شئون المدينة تطيبا لخاطر السكان، ثم يرجع إلى معسكره بالشماسيه.

و كان أعضاء الوفد قد بلغوا ذلك، و رغبوا من عنصر الشطار أن يلازموا بيوتهم، غير أن هؤلاء لم يستجيبوا لهذه الرغبه و استغلوا فرصه انتشار عسكر كتامه فى أحياء المدينة و أسواقها أثر الصلاه و قتلوا منهم كثيرين بحجه الدفاع عن النفس و عن الأموال، فتأثر جعفر للحادث و اعتبر ما حصل حركه عدائيه مقصوده لنقض عهد الأمان الذى تقرر مع وفد المدينة، و أنكر على المشايخ و الأشراف ما حصل من الغدر برجال أمير المؤمنين و تهددهم و لم تهدأ ثورته إلا عند ما اعتذروا عن الحادث و وافقوا على ما اقترحه من دفع ديات ضخمه، فديه لمن قتل من عسكره و تكلفوا بجمع المال من السكان.

و تشير النصوص إلى ثوره عامه شهدتها مدينة دمشق فى الجمعه الثانيه أى بعد الاتفاق على مبدأ الصلح و قد تزعمها عنصر الأشراف بقياده أبى القاسم بن أبى يعلى، الذى كان بمثابة رئيس المدينة ينتهى السكان عند رأيه، و يطيعه الشطار، و قد انضم إليه عرب بنى عقيل و منهم ظالم بن موهوب و أبناء عصودا، محمد، و إسحاق، و كان مظهر الثوره قطع الدعوه للمعز لدين الله و إزالة شعار الفاطميين و إرجاع الدعوه للمطيع العباسى و لبس شعار السواد، و كانت الثوره من الخطوره بحيث أن جعفر واجهها بقوه، و اجتهد فى إخمادها و فى القبض على رؤوس الفتنة و مشيرى الشغب، و يبدو أن جهوده أثمرت فى النهايه، و فشلت الثوره و فر زعمائها خارج دمشق، و بينما نجا محمد بن عصودا، و ظالم بن موهوب العقيل بالفرار إلى الإحساء حيث نجح فى الكيد للنفوذ الفاطمى بتاليب القرامطه و تشجيعهم على العوده إلى بلاد الشام و فشل الشريف أبو القاسم بن أبى يعلى، فى النجاه بنفسه إلى بغداد، فأدرکه ابن عليان العدوى، فى صحراء تدمر، و أرجعه إلى دمشق لکی ينال الجزاء من قائد الفاطميين، و قد قام جعفر بن فلاح بتشهييره فى المدينة على جمل، ثم أودعه السجن و أخضعه لامتحان عسير حتى رق لحاله و تآثر من مصيره و وعده التوسط عند جوهر لتخفيف العقوبه عنه و حرم ابن عليان من المكافاه و خاطب رجاله مستنكرا عليهم بقوله: "غدرتم بالرجل" ثم صرفهم عنه بدون مال، و أرسل الشريف و بعض "الأحداث" إلى مصر، أما الباقون و معهم إسحاق بن عصودا، فقد قتلوا و صلبوا و احتزت رءوسهم و علقت على أبواب المدينة، و فى الميادين الكبرى، و كان فشل هذه الثوره عاملا هاما فى

تشريد عنصر الأشراف و الحد من تطرف الأحداث، و شغب السكان فى دمشق التى استقرت أوضاعها مؤقتا، و عادت الدعوة الفاطمية إليها، كما كانت من قبل.

و عند ما بدا لجعفر بن فلاح أنه سيطر على الوضع الداخلى بتحطيم عناصر المقاومه، بدأ يرسى قواعد السيطره الفاطميه و يطبق مظاهر التحول الجديد، فى الدعوه، و فى الآذان و الإقامه. و تصرف على نحو يشعر بأنه اطمأن على الوضع فانتقل من معسكره بحى الشماسيه إلى الدكه فوق نهر يزيد، بظهر سور دمشق، و أشرف على حركه التعمير و البناء، فاتخذ لنفسه قصرا عجيبا بناه بالحجاره و تفنن فى بنائه حتى جعله " شاهقا فى الهواء غريب البناء " و حوله بنى الجند مساكنهم و معسكراتهم و نشطت حركه البيع و الشراء فى أسواقهم و اتسعت خطتهم و انبثت الحياه بين أظهرهم حتى صارت خطتهم " شبه المدينه "، و عنى بالجبهه الشماليه، و بمنطقه الثغور، فأرسل بعوثا عسكريه بقياده بعض مساعديه ضد الروم البيزنطيين فى الاسكندرونه و أنطاكيه التى احتلوا منذ فتره سابقه (محرم ٣٥٩هـ / نوفمبر [نوامبر] ٩٦٩م).

و بدءوا يضغطون بشده على مدن شمال الشام و حلب خاصه، استضعافا للحمدانيين، بعد وفاه سيف الدوله (٣٢٢) سنه ٣٥٦هـ - ٩٦٧م، و كان قد أرسل من قبل داعيا هو أبو طالب التنوخى إلى أبى تغلب ناصر الدوله بن حمدان فى الموصل يعرفه بأنه فى طريقه لاعلان الدعوه الفاطميه فى بلاده، فرفض بشده على أساس قرب المنطقه من بغداد، و من ضغط القوات العباسيه، و لخص رأيه فى قوله: " هذا ما لا- يتم، لأننا فى دهليز بغداد و العساكر قريه منا و لكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم ".

و رغم أن بلاد الشام حسب مظاهر السلطه الماديه و التغييرات المذهبيه، التى فرضت فى عهد جعفر بن فلاح، قد أصبحت ولايه تابعه لنظام الفاطميين، فإنها لم تبق عضوا صالحا و لم تحظ بميزه الاستقرار بل غدت منطقه اضطراب، و نقطه ضعف بارزه. و انصرف الخلفاء إلى معالجه مشاكلها، و صرف طاقتهم الكبرى فى ميادينها، أثر على نفوذهم فى بلاد المغرب خاصه، التى انحط شأنها و أصبحت نسيا منسيا، و مجالا حرا لتصرفات الزيريين.

و كان يمكن أن تتحطم جميع مشاريع المخالفين و يتغلب جعفر بن فلاح على المشاكل الداخليه و الخارجيه لو استعد و نسق مع نائب المعز لدين الله و راقب الوضع الداخلى و لم يثر خلافا مع بنى حمدان غير أنه أخطأ التقدير و أثار خلافات جانبيه و لذلك انهار بنيانه و لقي مصيره عند أول اصطدام بعناصر المعارضه للحكم الفاطمى التى أغراها الانتصار السريع فى بلاد الشام بمتابعه نشاطها لتصفيه ما للفاطميين من نفوذ فى مصر.

كانت أخطر المشاكل التي واجهتهم في بدايه اتصالحهم بهذه البلاد. و قد تحولت إلى حركة صراع مرير، لم يقتصر على بلاد الشام و إنما تجاوزها إلى مصر، و كان ذلك في عصر أبي على الحسن بن أحمد بن أبي سعيد بن بهرام، المعروف بالأعصم الذي ولى الاماره بعد وفاه أبيه سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩ - ٩٧٠ م و قد بنى سياسته الخارجيه على أسس منها:

التحرر تدريجيا من التبعية للفاطميين، و تأكيداً لهذا الاتجاه، أبعده الحسن بن أحمد العناصر المواليه للفاطميين من أسره أبي طاهر و جمعهم في جزيره (أوال) حتى لا يعتمد الفاطميون على ولائهم في التمهيد لاحداث الشقاق الداخلى، كما لم يعترض أثناء وجوده في مكه (٣٥٩هـ) على إقامه الدعوه باسم الخليفه المطيع العباسى، مع أن أشراف مكه كانوا يدعون للمعز لدين الله و يتقلدون الحكم باسمه منذ أن تدخل لفض خلافاتهم و دفع ديات قتلاهم، و لا يفسر موقف الحسن بن أحمد، إلا على أساس أنه محاوله للتقرب من العباسيين و بنى بويه، على حساب الفاطميين، و عند ما بدأ المعز لدين الله في التحرك ضد الحسن بن أحمد بتشجيع أسره سابور أبي طاهر رد عليه بحذف اسمه من الخطبه و الدعوه للمطيع و إعلان الولاء للعباسيين نكايه في الفاطميين.

الاحتفاظ بالمركز السياسى للقرامطه في بلاد الشام كان ركنا سياسيا في سياسته الحسن الأعصم، تمسكا بحق الفتح على أساس أن ذلك يتيح لهم مجالا للتوسع، و ميزات اقتصاديه هامه تمون خزينتهم بمبالغ ماليه ضخمه.

و هذا الاتجاه جعل الحسن الأعصم يقف موقفا معارضا لمد النفوذ الفاطمى في بلاد الشام.

و لكى يبرر نشاطه ضد النفوذ الفاطمى، و يمهده للاصطدام الذى أعد له، طلب من جعفر بن فلاح (١) الاستمرار في دفع الأموال إلى القرامطه اعتبارا بان البلاد ما زالت تابعه لهم في إطار سياسته الصلح التى قررها أحمد بن أبي سعيد، و الحسن بن عبيد الله بن طنج، و يعنى هذا الطلب المثير أن يصبح جعفر بن فلاح، معترفا بنفوذهم و متحملا لنتائج ترتبت عن توسعه باسم الفاطميين، في أرض ارتبطت مع القرامطه برباط الصلح نظير دفع الأموال، (٢) و على هذا الاعتبار يصير القرامطه برباط الصلح للفاطميين في بلاد الشام أتباعا لهم في الإحساء، و لأن الطلب غريب و انبنى على تجاهل متعمد للوضع الجديد في بلاد الشام فقد رفضه جعفر و اعتبره غير معقول و ترتب على الإلحاح من ناحيه القرامطه و الرفض الحاسم من جهه جعفر الاصطدام المباشر في ميدان الشام و يبدو أن جعفرا لم يتصور تدخلهم العسكرى بسرعه، و لذلك لم يستعد لمواجهةهم حتى فاجئوه و هو في قله من أنصاره.

و قد مهد القرامطه للتدخل في شئون الشام بترحيبهم بالزعماء الفارين منها، عقب فشل ثورتهم في دمشق، و من هؤلاء محمد بن عسودا، و ظالم ابن موهوب، اللذان بسطا للقرامطه حقيقه الوضع السياسى و موقف السكان من الفاطميين و حثا الحسن بن أحمد على سرعه التدخل لنجده سكان البلاد من بطش المغاربه. و فرار هؤلاء الزعماء إلى الإحساء، كان يعلم به القائد الكتامى لكنه لم يدرس عواقبه و يحذر نتائجه، أما الحسن الأعصم فقد اهتبل الفرصه، و تظاهر بأنه منقذ لسكان الشام و منفذ لرغبات زعمائهم، و لم يكن في الواقع حريصا على غير تحقيق أهدافه في البلاد على نحو يبقياها تحت دائره نفوذه السياسى و الاقتصادى و لو بالتحالف المؤقت مع العباسيين.

و في الوقت الذى التام فيه شمل الأحداث بقياده الحسن الأعصم، الذى أصبح في حاله تعبئه كامله من الناحيتين الماديه و المعنويه و صار يتظاهر بأنه يتصرف بوحى من الإراده الشعبيه في بلاد الشام و في إطار الشرعيه لتصحيح الأوضاع المنحرفه،

حيث اتخذ الأعلام السود شعارا و عليها اسم الخليفه المطيع، و تحته شعار القرامطه الجديد "الساده الراجعون إلى الحق" و زحف إلى دمشق.

و لم تكن قوات جعفر بن فلاح مجتمعه في دمشق، بل أغلبها كان في النواحي أو في منطقه الإسكندريه لحرب الروم، و من ثم لم يتم له استرجاعها إلى دمشق و حشدها ضد الأحلاف المعاديه على الوجه الذى أراد، و هكذا فوجئ بقوات ضخمه لم يكن يتوقعها و هو في قله من الأعوان. "فلم يكن إلا كرجع الطرف أو دونه حتى انهزمت المغاربه".

و يلاحظ أن جعفرا لم ينظم قواته و لم يختبر الحاله السائده بينهم كما لم يقدر قوه أعدائه، لأنه لم يرتب طلائع لتقصي أخبارهم و حركاتهم و ذلك بدافع الاستهانه بهم، و من ثم "لم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق". (٣)

و قد أخذ جعفر برأى بعض أعوانه، ففارق مركزه الحصين في مدينه دمشق و لقي قوات الأحلاف خارج المدينه "بطرف البريه"، (٤) و هذا جعل جانبه ضعيفا بسبب كثره أعدائه، و ربما لو أنه ترك الأمر لأحد مساعديه، و بقى في المدينه يمدده بالنجادات، و لم يخرج بنفسه على حالتي الاستعجال، و الارتجال، و ربما كان مريضا، (٥) لأمكن الصمود، و تدبير الدفاع عن المدينه من داخل الأبواب. و لو لفته يسيره، و لما وقع الانهيار السريع لخطوط دفاعه، عند أول لقاء بالقوات المهاجمه في قريه الدكه على نهر يزيد حيث هزمت قواته و تفرق رجاله و أصبحوا بين قتيل، و أسير، و فار، كما قتل - هو - في ظروف غامضه، و احتز رأسه محمد بن عسودا، و صلب جثته على حائط داره، انتقاما منه لقتله أخاه إسحاق بن عسودا أثناء فشل ثوره الشريف أبى يعلى. (٦) ٨.

ص: ١٠٤

١- ابن الجوزى و يشير إلى مكاتبه الحسن بن أحمد للقائد الكتامى و تضمنت قوله يهدده: الكتب معذره و الرسل مخبرهو الحق متبع و الخير موجود و الحد ساكنه و الخيل صافنهو السلم مبتذل و الظل ممدود و أن أنبتم فمقبول إنابتمو إن أبيتتم فهذا الكور مشدود على ظهور المطايا أو يردن بنادمشق و الباب مهدوم و مردود.

٢- و كان مقدارها سنويا ثلاثمائة ألف دينار و قدرها الذهبى بمائه ألف و عشرين ألفا (تاريخ الإسلام ٣، ورقه ١٨٩).

٣- بيبس الدوادار: زبده الفكره ٦ ورقه ١١٦، المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٨٧ س ٦-٧ وهنا يصور الوضع بقوله "تفرق الناس عن جعفر إلى مواضعهم، و لم يفكروا بالموكلين على الطرق" ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ١.

٤- المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٨٧-١٨٨، ابن ظافر: المصدر السابق ورقه ٤٨ و فيه عن مسرح المعركه قوله: لقيه جعفر دونها "

٥- ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١ ورفات ١٥، ١٨، النويزى: نهايه الإرب ٢٦ ورقه ٤١-٤٢.

٦- ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ٢ هامش ١، و تعرف الدكه بالدواسه أيضا، و قد اعتبرت من عجائب دمشق، ابن ظافر أخبار المنقطعه ورقه ٤٨، عمر كمال توفيق: المرجع السابق ٧٨.

و أصبحت دمشق منذ ٦ ذى القعدة ٣٦٠ هـ/أغسطس ٩٧٠ م، منطقته نفوذ للحسن بن أحمد القرمطى الذى باشر جبايه المال من سكان المزه، و منح الأمان لهم و لسكان دمشق، كما أعلن الدعوه للمطيع العباسى، و تظاهر بأنه أمير مفوض من طرفه و أعاد شعار السواد، و الخطبه فى كل المدن التى استرجعها من ولاة الفاطميين، و أهمها الرمله التى فارقها سعادة بن حيان و تحصن فى يافا و لما انصرف عنها الحسن بن أحمد ترك لحصارها ظالما بن موهوب العقيلى و أبا الهيجاء بن المنجا القرمطى، و يظهر أن الأمر لم يطل بسعادة بن حيان، حيث تركها إلى مصر، (١) التى أصبحت هدفا مباشرا للقرامطه بعد سقوط بلاد الشام. (انتهى).

و إذا كان المقصود فى هذا المقال هو الحديث عن جعفر بن فلاح، فاننا نرى تماما للفائده مواصله الكلام عما آل عليه أمر القرامطه فى صراعهم مع الفاطميين بعد مقتل جعفر بن فلاح:

و قد استخلص جوهر الصقلى، العبره من قتل جعفر بن فلاح على يد القرامطه و تحاشى سعادة بن حيان الاصطدام بهم، بسبب تفوقهم العددي و بذل جهودا جباره من أجل تقوية مركزه فى القاهره، فاحتفر خندقا فى الجبهه الشاميه ليمنع نفاذ القرامطه إلى المدينه، و نصب عليه بايين من حديد، و بنى القنطره على الخليج و فرق السلاح على المغاربه و المتطوعين المصريين، و تحفظ على ابن الفرات و وكل به من يلازمه حتى فى داره، و يصاحبه حيثما سار. ثم أجبره على البقاء فى القاهره. كما راقب بقايا الكافوريه و الإخشيديه فى مصر، و كان هدفه من هذه الاجراءات، و من التحصين بمدينه القاهره " أن تصير - هذه - حصنا فيما بين القرامطه و مدينه مصر ليقاتلهم من دونها".

و كانت هذه الاجراءات ضروريه، لأن ضغط القرامطه على حدود مصر هيا لعناصر المعارضه فى الداخل فرصه التحرك، و فى الوقت الذى ثار سكان تينس ضد واليهم و استغلوا فرصه سيطره القرامطه على القلزم (ذى الحجه ٣٦٠ هـ)، و على الفرما (محرم ٣٦١ هـ) فخلعوا طاعه جوهر و أظهروا الدعوه للمطيع العباسى، و شعار السواد، و زعت مناشير وجد شىء منها فى الجامع العتيق، و تضمنت التشهير بجوهر و تحذير السكان منه، و ظهرت ثوره عباسيه فى الصعيد. و تحرك سواد الرعيه لترديد بعض الشعارات المعاديه، كما مال الجند المصريون إلى العصيان.

و قد واجه جوهر هذه التحركات المعاديه بحزم و بحكمه فادب ثوار تينس، و الصعيد، و وبخ السكان على ترويجهم للدعايات السيئه، و أثارتهم للعنف استغلالا للظروف الدقيقه، و قد اعتذر السكان، و رجع الهدوء إلى مدينه الفسطاط و استقر الوضع الداخلى حتى مستهل ربيع الأول ٣٦١ هـ حيث بدأت المعركه الحاسمه مع القرامطه حول الخندق، و بعد قتال عنيف استمر عدّه أيام انتهت المعركه لصالح جوهر، و انهزم الحسن الأعصم و أحلافه من بنى عقيل و طى، و بقايا الكافوريه، و انسحب ليلا عن طريق القلزم إلى بلاد الشام، و منها إلى الإحساء، بعد أن ترك أبا الهيجاء عبد الله بن المنجا فى دمشق يساعده ظالم بن موهوب العقيلى، و مهمتهما المحافظه على ولاء بلاد الشام و جبايه خراجها، و كان الحسن يقرب أبا الهيجاء، و يعتمده، و ذلك ما أغضب ظالما و جعله ينسحب من الحلف و يبقى فى بعلبك بعيدا عن نفوذ القرامطه و الفاطميين إلى حين.

و إذا كانت جهود جوهر قد كللت بالنجاح فان رغبته فى قتل الحسن الأعصم أو أسره حيا، لم تتحقق رغم أنه رصد لمن ينجح فى ذلك، ثلاثمائة ألف درهم و خمسين خلعه و خمسين سرجا بحلى على دوابها.

و معنى ذلك أن المشكله لم تجد حلها النهائى بعد، ذلك أن الحسن الأعصم الذى انسحب مؤقتا، لمزيد من الأعداد، دبر خطه

جديده أساسها الضغط على مصر بحرا، و برا، و شعورا جوهر بحده المشكله دفعه إلى مكاتبه المعز لدين الله يستحثه على القدوم إلى مصر، فاستجاب و أسرع " و هو يظن أنها ستخرج من يده قبل وصوله إليها". كما أمد جوهرًا بنجدات بريه هامه.

و بفضل إخلاص جند كتامه و شجاعتهم و بأس ابن عمار تحطمت مشاريع القرامطه، ففشل الغزو البحري لمصر عن طريق تنيس و غيرها من سواحل مصر، و أنزلت بهم هزيمه في (الحواف). و أسر كثير من رجالهم و احتجزت سفنهم و أعلامهم و عدتهم.

و يبدو أن المعز لدين الله لم يكن يتصور مدى خطوره الحركه و هو في بلاد المغرب، لأن تفاصيلها لم تبلغه كما وقعت فعلا، فلما استقر في القاهره و عرف تأثير الحركه و أبعادها، حاول أن يعالج مشكله العلاقه مع القرامطه، بالطرق السلميه، فأرسل بيانا سياسيا مطولا إلى الحسن بن أحمد، ينكر عليه الاتجاه التخريبي، الذي تبناه على غير سبب معقول أو أساس مقبول، إلا سفك دماء الأبرياء تعطشا إلى السلطه.(٢)

و لما كان رد الحسن الأعصم على بادره المعز لدين الله جافا و معبرا عن الاستمرار في السياسه العدائيه و متضمنا للسخرية منه، لأطابته في الحديث دون فائده و نصه "وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله و قل تحصيله، و نحن سائرون إليك على أثره و السلام، لم يبق غير المواجهه الحقيقه في ميدان الحرب.

و قد جرت المعركه هذه المره منذ شهر رجب ٣٦٣ هـ/ آذار ٩٧٤ - في ظروف تختلف عن ظروف الحرب الأولى، فالجبهه الداخليه في مصر أصبحت أكثر تماسكا بسبب إشراف المعز لدين الله بنفسه على المعركه و قد أراد الحسن الأعصم أن تكون الثوره شامله للصعيد و للدلتا، و اعتمد خاصه على تفجير الوضع الداخلي، و النيل من الجبهه، باستماله عناصر المعارضه، و قد نجح في جذب فريق من الأشراف يتزعمهم عبد الله بن عبيد الله أخو مسلم، الذي أعلن ثوره في الصعيد، و جبي الأموال و نكل بجند كتامه، و استقر في أحميم، و لم يبرحها إلى الشام، ثم إلى الإحساء، حيث لقي مصيره قرب البصره، (٣) إلا بعد أن سمع خبر هزيمه القرامطه أمام خندق القاهره، ثم انسحاب الحسن بن أحمد، على حاله سيئه، إلى الإحساء عبر بلاد الشام، بعد أن تفرق عنه رجاله و تامر عليه بنو طيئ و زعيمهم حسان بن مفرج لقاء أموال كثيره و عدوا بها من طرف المعز لدين الله الذين.

ص: ١٠٥

١- و لم يفارق سعادته بن حيان مصر حتى توفي لعشر بقين من محرم ٣٦٢ هـ، أي قبل وصول المعز لدين الله، و لذلك لم يقدر له أن يشترك إلى جانب جوهر و المغاربه في الدفاع عن القاهره ضد القرامطه أثناء حملتهم الثانيه.

٢- ابن أبيك الدواداري: الدرر المضيئه ٦، ١٤٩-١٥٦، بيبس الدوادار: زبده الفكره ٦ ورقه ١١٤-١١٥، و قد تضمن قول المعز يخاطب الحسن " فاما أت أيها الغادر البائن.. الخارج عن الجماعه و السنه".

٣- نفسه ١، ٢٠٢-٢٠٥ في مكان سمي النصيريه. و قد سمه القرامطه لاختلافهم معه في الرأي حول التبعثه للحرب ضد الفاطميين.

هالته قوه الأحلاف، و لم يجد وسيله للنجاه غير تفريق كلمتهم و تخذيل بعضهم عن بعض.(1)

و لم يبق أمام المعز لدين الله - وقد نجح فى حمايه القاهره من السقوط إلا تصفيه آثار القرامطه و نفوذهم فى بلاد الشام و إعادتها ولايه فاطميه كما كانت، و قد تولى تنفيذ هذه المهمه، أبو محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح بمعيه قوه من كتامه، و بمساعدته ظالم بن موهوب العقيلي، الذى مال إلى التعاون مع الفاطميين، و بالتنسيق بين هذين القائدين بناء على رغبه المعز لدين الله ألقى القبض على أبى الهيجاء و بقايا القرامطه و أعوانهم من بين الأحداث، و فيهم محمد بن أحمد النابلسى الفقيه المالكى و أرسل الجميع إلى القاهره حيث طيف بهم على الإبل بالبرانس و القيود(2) و بينما اكتفى المعز لدين الله باعتقال القرامطه فتره، ثم أطلق سراحهم و خلع عليهم قتل النابلسى.

و كانت هذه الحركه مقصوده، للتأثير على القرامطه حتى يراجعوا سياستهم تجاه الفاطميين، و فى هذا المعنى أنفذ رسولا إلى الإحصاء منذ شهر شوال ٣٦٤ هـ (٣٦٧) و قد تلقى جوابا منهم فى منتصف ذى القعدة ٣٦٤ هـ/يوليه. " فخلع على الرسول، و على جماعه معه و حملوا"، و قد أكده الحسن الأعصم برساله إلى المعز فى ربيع الآخر ٣٦٥ هـ/ديسمبر - ٩٧٥ م و تضمنت الرجوع إلى الطاعه. و استمر الوضع على هذا النحو حتى توفى المعز لدين الله. و رغم أن القرامطه لم يقطعوا صلتهم ببلاد الشام بسبب مكاتبتهم للمغامر أفتكين يعدونه بالعوده إلى الميدان، فى أخريات حياه المعز لدين الله، و هو الأمر الذى لم يخف عليه، فان وفاته كانت حدا فاصلا، جعلهم أحرارا فى الحركه إلى بلاد الشام، نصره للعناصر المعارضه للحكم الفاطمى فيها، و توالى النجيدات، بقياده إسحاق و كسرى، و جعفر من قاده القرامطه ثم انضم الحسن الأعصم إليهم فى نهايه الأمر، و كان ظهوره، بدايه لانقلاب بالوضع فى بلاد الشام لغير صالح الفاطميين، و قائدهم جوهر الصقلى.

و عند ما نجح العزيز بالله فى إزاله خطر المغامر أفتكين و ضمه إلى صنائعه و أدخله إلى مصر، لم يستجب الحسن الأعصم لنداء الخليفه بالاجتماع به و لم يستغل القرامطه بعد وفاه الحسن الأعصم مشاكل الفاطميين فى بلاد الشام، و استمر الأمر حتى عصر الحاكم بامر الله إذ تشير بعض النصوص إلى توتر العلاقه بين القرامطه و الفاطميين فى عصره و قد كان عنوان التوتر، رساله أرسلها زعيم القرامطه إلى الحاكم بامر الله يهدده، و يتوعده شرا، و يطلب منه الاستسلام، " لتكون آمننا على النفس و المال و الأهل و الولد " فأجابه الحاكم مسفها رأيه و مستهينا بقوته و مهددا له بسوء العاقبه بقوله " فيجب أن تعلم أن قد أحاط بك البلاء و نزل بك الفناء، فما أنت جئت بل الله جاء بك " و عند هذا الحد، لا تشير النصوص بعد ذلك إلى حركات أو زخوف قرمطيه ضد مصر أو الشام بسبب انصرافهم إلى مشاكلهم الداخليه، و إلى معالجه الأخطار الخارجيه التى تعرضوا لها منذ زمن طويل، من جهه بنى بويه(3) و بعض المغامرين و من ثم لم تشر إلى نتيجة توتر العلاقه بينهم و بين الحاكم بامر الله.

و لم يستطع القرامطه الوصول إلى أهدافهم بإرجاع السيطره على بلاد الشام، و الضغط منها لإسقاط نظام الخلافه الفاطميه فى مصر و أصبحت القاهره حصنا حصينا يقى السلطه الشرعيه من أيه حركه انفصاليه.

و هزائمهم المتواليه أمامها أصابت هيبتهم و حطمت كبرياءهم و وضعت حدا لتوسعهم و كانت بدايه لمتاعبهم الداخليه (راجع: جوهر الصقلى).

ولد سنة ١٣٢٣ و توفي سنة ١٣٩٩.

نال (الدكتوراه) من كلية الإلهيات في جامعه طهران [طهران]، ثم اختير مدرسا فيها. كان من البارزين في مجال التحقيق، و قد قام بتحقيق ٣٠ كتابا خلال أربعين سنة من نشاطه العلمى. و كان مسئولاً عن المخطوطات في المكتبة الوطنيه مده طويله.(٤)

جلال همایى

ولد عام ١٣٠٧ و توفي عام ١٣٩٩.

العالم المتتبع الخبير المتضلع فى الأدب و العرفان و الحكمة و الهيئه و النجوم و الشعر. يعد أحد كبار المثقفين الجامعيين فى القرن الأخير درس العلوم الإسلاميه ثم صار معلما فى مدارس طهران و أصفهان و تبريز ثم صار أستاذا فى جامعه طهران.

أجازه كثير من العلماء الكبار كالشيخ مرتضى الآشتياني و غيره. له أكثر من ٣٠ مؤلفا و عشرات المقالات فى المجالات الاختصاصيه الإيرانيه.(٥)

السيد جواد المصطفى

أستاذ علم الحديث و الدرايه بجامعه خراسان ولد عام ١٣٤٠ بأحد ضواحي مدينه مشهد. درس المقدمات عند أبيه الذى كان إمام القرية ثم هاجر مع عائلته إلى مشهد و درس هناك فى حوزتها ثم سافر إلى طهران و أكمل دراساته فى جامعه طهران و حاز على درجه الدكتوراه من كلية الإلهيات و الشريعة كان عالما فاضلا خلوقا محبا للعلم و العلماء - له مؤلفات عديده.

توفى عام ١٤٠٩ هـ و دفن بخراسان.(٦)

ص: ١٠٦

١- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٢٠٢-٢٠٦، ٢٣٠، ابن أيبك الدوادارى: الدرہ المضيه ١٥٩.٦-١٦٠ ببيرس الدوادار: زبده الفكره ٦، ورقه ٢١٥-٢١٦، ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ٤. و جهود المعز فى ميدان الحرب ضد القرامطه التى اشترك فيها ابنه و حجته عبد الله، و جند كتامه و عنصر الأشراف و المتطوعون المصريون و بذله الأموال بسخاء و توزيعه السلاح على الرجال كانت من بين العوامل الأساسيه فى الهزيمة التى منى بها الحسن الأعصم و ذلك قبل انسحاب بنى طيى من الميدان.

٢- نفسه ١، ٢٠٦، ٢٠٨، و قد اتصل النابلسى بجعفر بن فلاح فى الرمله، و نهاه عن أمور له، ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ١ س ١١، ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١ ورقه ١٧. و قد نقل عن النابلسى قوله: "لو أن معى عشره أسهم، لرميت تسعه فى المغاربه و واحدا فى الروم" و قد اعترف بذلك أمام المعز لدين الله.

٣- ابن الأثير: الكامل ٩، ١٥-٢١ و قد أشير فى النصوص إلى محاوله غزو بويهى للإحساء فى عهد عضد الدوله بن بويه كما وقع صدام بين القرامطه و البويهيين حول الكوفه، و تعرضت الإحساء لغزو خارجى تزعمه بنو المنتفق، بقياده الأصفر و قد انهزم القرامطه فانكسرت شوكتهم "و زال من حينئذ بأسهم".

٤- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٥- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٦- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

(١) قال الدكتور موسى لقبال:

جوهـر القائد الذى أشرف على فتح مصر و بناء مدينه القاهره و مسجدھا، هو من مسلمى جزيره صقلية، لذلك عرف بالصقلي، كما وصف بالرومى، لأن جزءا من الجزيره كان بايدى الروم، و بالصقلبي أيضا، كان من بين موالى الخليفه الفاطمى المنصور المقربين إليه.

لم يظهر لجوهر دور هام و لم يلقب فيما يبدو، قبل عصر المعز [المعز] لدين اللهالذى عينه كاتبا فى بدء خلافته و من ثم عرف بلقب الكاتب. و بالقائد أو قائد أبى تميم، و عبد المعز و مولى أمير المؤمنين مثل جوذر الصقلي الذى ظفر بهذا اللقب بعد موقعه كنايه، و علت قيمته قبيل إرساله على رأس حملته ضد الثوار فى أرجاء بلاد المغرب حتى قيل إنه رقى إلى رتبه الوزاره تشريفا له، لكنه لم يلقب بلقب الوزير و لا- بالإشراف على الدواوين و إنما كان بمثابة الواسطه بين الخليفه المعز لدين الله و كبار رجال الدوله حتى أن القاضى النعمان لما استطلع رأى المعز عما يقرأه يوم الجمعة من علوم أهل البيت على جماعه المؤمنين رد عليه بقوله: "أخرجنا لك ما تقرأه اليوم و اجتمع بجوهر يكتبه لك".

و قد عاده المعز دين الله أثناء مرضه الخطير مبالغه فى العناية به كما أسند إليه قياده أضخم حملته لفتح مصر و فوض إليه التصرف فى شئونها بعد الفتح و الاشراف على حركه التوسع منها، فى بلاد الشام.

و قد أمر المعز لدين الله، جميع رجال الدوله بما فيهم أولاده و إخوته و حجتة عبد الله، بان يترجلوا له، و كان ذلك حدثا لم تجربه الرسوم. و قد ألزم بذلك سائر الولاة، و الحكام، و قد أمر حجاب جوهر جميع الوفود لاستقباله فى الجيزه بالترجل له باستثناء الوزير ابن الفرات، و الشريف أبى مسلم. كذلك ترجل له سعادته بن حيان عند ما قدم على رأس نجده من بلاد المغرب.

و عرف قبل انتقال المعز لدين الله بلقب النائب و خليفه المعز و كان إلى جانب الخليفه المعز على المنبر أثناء خطبه أول عيد فطر يقام بعد انتقاله إلى مصر.

و عند ما منع المعز لدين الله من النداء عن زياده منسوب النيل حتى يصل إلى مستواه العادى و هو ستة عشر ذراعا أمر بان لا يكتب بذلك إلا إليه أو إلى القائد الجوهر.

و يبدو أن بروز أهميه عسلوج بن الحسن الصنهاجى، و يعقوب بن كلس، فى سياسه الدواوين و الأشراف على الأموال كان يعنى الحد من صلاحيات جوهر القائد الذى احتفظ بنفوذه خاصه فى الميدان العسكرى.

و كانت هزيمته أمام القرامطه فى بلاد الشام، أثناء حركه أفتكين بمثابة شاره على تراجع أمره، و ضعف سلطانه و قد اعتمد العزيز بالله على ابن كلس فى تدبير شئون الدوله و أبعده جوهر عنه لكنه كان يستشيريه باطنا.(٢)

و لعل أوضح دليل على انصراف العزيز عنه أنه أمر كغيره من القاده بالترجل لمنجوتكين الذى قربه العزيز بالله. و قد شعر جوهر بما لحقه من مهانه فكان يدعو الله على نفسه بالموت: "و ها أنا اليوم أمشى راجلا بين يدي منجوتكين، اغزونا و أغزوا بنا غيرنا،

و بعد هذا فأقول: اللهم قرب أجلى و مدتى فقد أنفت على الثمانين أو أنا فيها". و قد استجاب الله دعاءه فتوفى سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ - ٩٩٢ م).

و لما كان أعظم حدث فى حياه (جوهر) هو فتحه لمصر، فاننا نذكر فيما يلى المحاولات الأولى لهذا الفتح، تلك المحاولات التى لم تنجح، ثم نجحت على يد جوهر، مكتوبا ذلك بقلم الدكتور موسى لقبال:

لم يكن للدعوه الفاطميه التى انتشرت من دار الهجره فى سلميه إلى الآفاق البعيده فى المشرق، و فى المغرب، هدف مباشر و نهائى فى دار الإسلام، غير إسقاط نظام الخلافه العباسيه و إحلال الخلافه العلويه محلها، إحياء لمجد العلويين فى المشرق، و إنصافا لهم من الغاصبين.(٣)

و لما كان هذا الهدف لا يتحقق إلا فى ظل نظام سياسى علوى قار، يكون فى منطقه ما من بلاد المشرق، أو فى إقليم وثيق الصله به مثل مصر، فقد اتجهت العناية فى المرحله الأولى من التوسع على حساب العباسيين لتحقيق الهدف نحو تأسيس أنظمه سياسيه فى الأطراف، حيث تكون هذه بعيده عن مركز الثقل العباسى، و حيث توفر الأمن، و يوجد استعداد من السكان الذين كانوا يميلون إلى تأييد دعوى العلويين بدافع حبهم لآل البيت و كانت هذه الخطه متقنه و حكيمة، لأن الفاطميين استغلوا الأوضاع المختلفه فى المناطق البعيده فى التمكين لأنفسهم و لحركتهم و فى الأعداد و فى التهيئه المعنويه و الماديه، قصد التسرب إلى المناطق الأخرى المجاوره، تدريجيا كل ذلك فى إطار الاحتراز من الاحتمالات السيئه و المفاجئات غير الساره.

و من ثم لم يكن رجال الدعوه الفاطميه منذ البدء راغبين فى استقرار الدوله الفاطميه باليمن، لفقرها و تطرفها حتى لو حصلت هجره عبد الله المهدي إليها، و أعلن منها الدوله العلويه، كما لم يفكر أى خليفه من خلفاء الفاطميين فى الاستقرار نهائيا فى بلاد المغرب رغم أهميه موقعه و غناه و سعه مجالاته و تفتح أراضيه على عالم البحر المتوسط و إفريقيا، و الأرض الكبيره.

و إنما كان الفاطميون يعدون ليوم العوده إلى بيئتهم الشرقيه التى غادروها مضطرين. و فى المشرق أنصارهم و مؤيدوهم و دعواتهم المنتشرون فى الجزائر المختلفه و منها مصر، و باقى أراضى الخلافه العباسيه.

و من ثم لم يكن للفاطميين خطه أخرى، ثم حملهم عداء المالكيه و ثورات زناته و بعدهم عن المشرق، على تغييرها لأن الوجهه المشرقيه للحركه الفاطميه، ظهرت منذ عصر مبكر، على لسان عبد الله المهدي قبل دخوله أرض مصر أثناء فراره إلى بلاد المغرب. فقد خاطب أحد ولاء الرمله المتشيعين الذى خشى عليه من رقباء العباسيين فى الطريق، بقوله: "طب نفسا، و قر عينا، فو الذى نفسى بيده، لا وصلوا إلى أبدا، و لنملكن أنا و ولدى نواصى ولد العباس، و لتدوسن خيولى بطونهم".(٤) و مثل هذا القول، لا يدل إلا على وجود خطه ثابتة ضد العباسيين فى المشرق، كان من المفروض لها فيما يبدو أن تنفذ من سلميه لو لا انكشاف أمر الحركه

ص: ١٠٧

الأصل من ذكره لبعض كبار رجال الشيعة من الزيديين و الفاطميين (ح).

٢- كان ابن كلس من الناقلين على جوهر.

٣- المقرئ: اتعاظ ٢، ٥٣ ص ط ١٩٦١.

٤- اليماني: سيره جعفر ١١٢.

للعباسيين، و كانت "هجرة المهدي إلى المغرب، مفاجاه مذهله لأخلص رجاله، و أكبر دعائه لأنهم كانوا على علم بالخطه الأصليه و باهداف الحركه الفاطميه، و لم يكن من بينها فيما يبدو، إعلان الخلافه العلويه فى أقصى دار الإسلام أى فى بلاد المغرب.

و تصرفات المهدي بعد إعلان الخلافه الفاطميه فى رقادہ و إرساله الحملات ضد برقه، و مصر أكثر من مره و مجازفته بحياه ابنه أبى القاسم فى ميادين بعيده عنه كانت التزاما بالخطه الأصليه.(١)

و كان رد المهدي على ابنه الذى تردد و خاطب أباه " يا أمير المؤمنين قد حولك الله، و ملكك و أعطاك من الدنيا ما فيه سعه و كفايه فعلا م تغم نفسك، و تشغل صدرك، دع هذا حتى ياتى الله به عفوا " ردا حازما و عمليا فقد قبض يده اليسرى و قال: " نعم هذا المغرب فى قبضتى هذه، و بسط اليمين و قال: و لكن كفى هذه من المشرق صفر، إن ثقل عليك ما أمرتك به، خرجت له بنفسى ".(٢)

و مثل هذا الرد لا يدل على غير الإصرار على مضايقه العباسيين و الرغبه فى تعبيد طريق المشرق لمن ياتى بعده، رغم أنه كان يعلم أنه ينطلق من قواعد غير مستقره، إلى مناطق يسودها الأمن و الاستقرار فى ظل ولاه مصر العباسيين، و أن الخلافه العباسيه فى هذه الفتره على جانب كبير من القوه تمكنها من الاحتفاظ باراضيها و رد الأخطار عنها،(٣) لم يشأ ابنه أن يشذ عن الاتجاه العام، فاستجاب لرغبه أبيه، رغم اقتناعه بعدم جدوى العمل فى هذا الوقت و ناضل ضد ولاه العباسيين فى مصر بالقلم و السيف و لقي الهزائم المنكره و قوبل بالسخرية،(٤) و غير من طرف السكان،(٥) و كان المهدي يقابل كل ذلك بعدم الاكتراث، لأنه مقيد بخطه قديمه بانته ملامحها فى بلاد المغرب فى أول صلاه جمعه دعى له بامرہ المؤمنين " اللهم فانصره على أعدائك المارقين، و افتح له مشارق الأرض، و مغاربها كما وعدته، و أيدہ على العصاه الضالين ".(٦)

و اهتمام المهدي و خلفائه باقليم برقه يدخل فى إطار السياسه الشرقيه للخلافه الفاطميه. و من برقه، انطلقت البعوث الاستطلاعيه ضد حدود مصر، و الحملات العسكريه البريه و البحريه لضم أراضيها فى الجنوب، و فى الشمال، و إليها التجأت العناصر المواليه للفاطميين، و الثائره ضد ولاه العباسيين فى مصر.

و أهميه قاعده برقه، باب مصر فى الاستراتيجيه الفاطميه للنضال ضد العباسيين فى المشرق، تماثلها أهميه قاعدتى فاس و طنجه، باب الأندلس، للنيل من الأمويين، ثم صقليه، و قلوريه باب أروبا، للنشاط الثغرى ضد البيزنطيين.

و لم يرث القائم بامر الله عن أبيه، لقب الخلافه فقط بل أصبح ملتزما بنفس سياسته و اتجاهاته الشرقيه، و باقلاق راحه العباسيين من مركزهم فى مصر، غير أنه - بعد أن خبر ميدان الحرب فى الجبهه المصريه - كان يميل أيضا لاستخدام أساليب السياسه و الدعوه الهادئه لكسب ولاء مصر،(٧) و جلب ولايتها الإخشيديين للاعتراف بالسياده الفاطميه، و التعاون مع الفاطميين جيرانهم فى المغرب، و لذلك أرسل إلى محمد بن طغج الإخشيد الذى أنزل هزيمه منكره من قبل برجاله، يطلب منه الاعتراف بالولاء للفاطميين، بوصفه تابعا و حليفا، أو جارا صديقا، إثارا لجانب السلم بين الجيران و إشاعه لروح الموده و الألفه، و التعاون بينهم ضد الأخطار، و لم ينس أن يهون عليه مسأله الانفصال عن العباسيين، باعتبار أن الولاء لهم أصبح عاده تقليديه قديمه، فضلا عن كونهم لا يقدرون قيمه المخلصين من رجالهم.

و لقد تضمنت الرقعه التي كتبها القائم بامر الله بخطه و لم يطلع عليها أحدا قوله: يخاطب الإخشيد: "قد خاطبتك أعز الله، في كتابي المشتمل على هذه الرقعه بما لم يجز لي في عقد الدين، و ما جرى به الرسم من سياسه أنصار يستجلبون، و ضمن رقعتي ما لم يطلع عليه أحد من كتابي، و ذوى المكانه عندي. و أرجو أن تردك صحه عزيمةك و حسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على ميلي و إثاري لك و رغبتى في مشاطرتك ما حوته يميني و احتوى عليه ملكي، و ليس يتوجه لك بالعدو في التخلف عن إجابتي، لأنك قد استفرغت مجهودك في مناصحه قوم لا- يرون إحسانك و لا- يشكرون إخلاصك، يخلفون وعدك و يخفرون ذمتك، لم يعتقد منهم أحد حسن المكافاه، و لا جميل المجازاه، و ليس ينبغي لك أن تعدل عن منهج من نصحك و إثار من آثرك إلى من يجهل موضعك، و يضيع حسن سعيك، و أنا أعلم أن طول العاده في طاعتهم قد كره إليك العدول عنهم فان لم تجد من نفسك معونه على اتباع الحق و لزوم الصدق فأننى أراضى منك بالموده و الأمر و الطاعه حتى تقيمنى مقام رئيس من أهلكت تسكن إليه في أمرك و تعول بمثل ذلك، و إذا تدبرت هذا الأمر علمت أن الذى يحملنى على التواطؤ لك و قبول الميسور منك، إنما هو الرغبه فيك، و أنت حقيق بحسن مجازاتى على ما بذلته و الله يريك حسن الاختيار، فى جميع أمرك و هو حسنا و نعم الوكيل". (٨)

و رغم أن الإخشيد، تاثر بمضمون الرساله إلا أنه كان بعيد النظر، عند ما لم يسارع بالاجابه عنها، و اعتذر بأنه أمي، و من الصعب عليه نظرا لعلاقاته الخاصه بالعباسيين، أن ييوح بسر خطير، لأى كاتب من كتابه،(٩) قد يستغله عليه. و ترك نفسه حر التصرف، يتأمل أبعاد المشروع الجديد و مكاسبه، و يبدو أنه مال فى فتره ما من صفاء ذهنه، إلى البقاء على موقف التحفظ، لأن ارتباطه بالعباسيين يتيح له قدرا كبيرا من الاستقلال بالتدبير، أما عند ما طلع نجم محمد بن رائق الخزرى، و قلده ٩٠.

ص: ١٠٨

- ١- و قد عبر بعض الباحثين عن بعض أهداف الفاطميين بقوله: إن فتح مصر كان هدفا رئيسيا. (Objectif principale) انظر: Huart op,cit TI,p.٣٤٠.
- ٢- النعمان: المجالس و المسائرات، ١، ورقه ١٩-٢٠، و قد كان رد أبى القاسم على أبيه "بل أنفذ لما أمرت به يا أمير المؤمنين و أسارع إليه".
- ٣- نفسه، و قد عبر المعز لدين الله عن نشاط المهدي ضد مصر بقوله: "علم المهدي أنه لا يصل إلى ذلك لكنه أحب الا يضيع الحزم".
- ٤- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٦٩، و من فرط تأثره نهجو الصولى و تجريحه له قال: و الله لا- أزال حتى أملكك صدر الطائر و رأسه أن قدرت و إلا أهلك دونه" و من هذا القول تتضح الأهداف البعيده للدعوه الفاطميه.
- ٥- ابن عذارى: البيان ١، ٢٦ ص ١٨.
- ٦- ابن أبى الضياف: إتحاف أهل الزمان ١، ١٢٢.
- ٧- و قد شغله عن مصر، اضطراب وضع بلاد المغرب و دسائس الأمويين: انظر، عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين ٩٨-١٠٠.
- ٨- ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب ١، ١٧٥ و ما بعدها، و عن قصائد القوائم و مكاتباته لأهل مصر ليخذلهم عن التبعية

للعباسيين، وانظر عريب بن سعد، صله تاريخ الطبرى، ٤١-٤٣، و من ضمنها ما ورد به الصولى على القائم بامر الله.
٩- نفسه، ١، ١٧٦، عاشور، مصر فى العصور الوسطى ١٨٩.

الخليفة العباسي ولايه الشام التي تعتبر امتدادا لنفوذ الإخشيديين و مجالاً حيويًا لتوسيعهم، فإنه هم بقطع الصلة مع الخلافة العباسية و إعلان الخطبه للقائم بامر الله الفاطمي، (١) لو لا أن رجاله نصحوه بالعدول عن تنفيذ هذا الاتجاه الخطير، الذي سيزيد بدون شك - من غضب العباسيين، و يعلى شان خصمه ابن رائق، الذي قد ينقلب إلى بطل إنقاذ، و يرمى به في ميدان مصر الثائر ضد السلطه الشرعيه في بغداد. (٢)

و إذا كان الإخشيد قد استجاب لرأى المخلصين من نصائحه، فأبقى على الرباط الشكلي، مع العباسيين، و احتفظ باستقلاله عن الفاطميين، فإنه استجاب إلى حد ما، للعرض الثاني الذي تضمنته رساله الخليفه الفاطمي، حيث اقترح في رده على القائم، أن يقبل الأخير زواج ابنه، و حجته ولى عهد المسلمين أبى الطاهر إسماعيل بابتته، فاستجاب القائم بامر الله و حبذا لفكره على أساس أنها تتيح فرصه لربط المغرب بمصر، عن طريق المصاهره، التي تتضمن الحلف و التبعية في نظره، و لذلك نلاحظ أنه عند ما انطلق بالفكره، إلى أبعادها السياسيه و أرسل إلى الإخشيد يقول له: " وصل كتابك، و قد قبلنا ما بذلت، و هي وديعه لنا عندك، و قد نحلناها من بيت مالنا قبلك مائه ألف دينار فوصل ذلك إليها". (٣) لم يرتح لمضمون الرد، الذي انبنى على أساس تبعيته للفاطميين، و كان ينتظر من الخليفه القائم أن يقبل مشروع الزواج، تشريفا له، و طريقا للمصافاه بين البلدين، و أن يهاديه بأموال، و أطفاف كثيره، نظير هذا العرض السخي، ليفاخر بها، و يزايد أمام بعض خصومه و ليشعر الخليفه العباسي باهميه مركزه، و عظمته، و قوته فلا يبالغ في إضفاء كل الأهميه على خصمه محمد بن رائق.

و ما دام الأمر لم يتم مع القائم بامر الله، كما توقعه الإخشيد، مكسبا ماديا و أدبيا، فإنه بقي على تحفظه، و وضعه القديم واليا مستكفيا من طرف العباسيين. (٤)

و كان يمكن للخليفه المنصور أن يواصل العمل في نفس الخط الذي رسمه أبوه، و جده، نضالا بالقلم، و بالسيف، في سبيل نشر الدعوه، و تنفيذ مشاريع الدوله، و إعلاء كلمتها في المشرق العباسي، لو لا "التيث أمر بلاد المغرب، (٥) بسبب ثوره أبى يزيد، و ابنه فضل، و انتفاض محمد بن خزر، و اضطراب أوضاع صقلية، و عند ما تغلب على معظم هذه المشاكل (٦) لم يمتد به أجله، و مع ذلك فان اهتمامه بإرجاع الحجر الأسود إلى مكانه، أكسب خلفاء الفاطميين سمعه في المشرق، فتعاطف معهم جمهور غفير من سكانه، و كان خير وسيله للابانه عن أهميتهم للإبقاء على سلامه المقدسات الإسلاميه، بعيدا عن أيدي المغامرين، و قد أوصى ابنه و حجته المعز لدين الله، بالاهتمام بامر مصر، و المشرق، تنفيذًا لوصيه جده القائم (٧) و باشراف المعز لدين الله، ثم تنفيذ الخطه الأصليه للحركه الفاطميه ضد العباسيين في المشرق.

و قد كان هذا الخليفه أوفر خلفاء الفاطميين نشاطا في العمل ضد العباسيين، فلم يقتصر على ميدان الدعوه و إرسال الدعاه لتخذيل رعاياهم و استفساد ولائهم، و تمهيد نفوسهم لقبول التشيع أو الولاء للخلافه الفاطميه، بل أرسل الجيوش لنجده سكان أقریطش التابعين لهم، كي يظهرهم على حقيقتهم عاجزين عن حمايه الإسلام أو عن فرض هيمنتهم على بعض ولائهم في مصر الذين تباطؤوا في نجده سكان الجزيره، و عند ما استقبل رسول ملك الروم، في المنصوريه، أوعز إليه بسر خطير " لتدخلن على و أنا بمصر مالكا لها". (٨)

و تركزت خطته لتحقيق هذه الغايه، على التمهيد الكامل لذلك، في بيئه المغرب، بحشد القوى و تربيته جيل جديد من كتامه، يكون جديرا بان يمثل رجاله الدور الايجابي في المشرق، نظير ما فعله أسلافهم في بيئه المغرب، أما التمهيد لذلك في بيئه

المشرق، فيكون بمتابعه نشاط الدعاه، و تسقط أخبارهم، و الاعتماد على الماهرين منهم في اكتساب ثقه و لاه مصرالإخشيديين، و من هؤلاء أبو جعفر بن نصر الذي أثر على أحمد بن علي بن طنج، و حوله إلى المذهب الشيعي، و حمله على مكاتبه المعز لدين الله بعد أن صوره أمامه بمثابه والد رحيم، سوف يخفف عنه مشقات الحكم، و عبث الجند،(٩) و بواسطه هذا الداعي و غيره كان يعرف المعز لدين الله، سير الأوضاع في مصر. و عن بعض مكاتباتهم، و ردوده عنهم، تحدث إلى شيوخ كتابه بقوله " و إنني مشغول بكتب ترد على من المشرق و المغرب أوجب عليها بخطي ".(١٠)

و في أكثر من مره كان يشرح أمام شيوخ كتابه ما يعلقه من آمال في ميدان مصر و المشرق، بعد ان تحقق الشيء الكثير على أيدي أسلافهم في المغرب " و اعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق، كما قرب أمر المغرب بكم ".(١١)

و لشعوره بان التبعثه الماديه، و المعنويه لم تكتملا بعد، لم يستجب لرغبه دعائه في المشرق، بان ينتقل بسرعته إلى مصر لتطور الأوضاع في صالح الحركه الفاطميه، " إننا لم نتخلف عن ذلك إلا انتظارا للمده التي وعدنا الله الظهور فيها، و لو حضرت ما تخلفنا " و كى يوضح أمامهم أن التأخر لحكمه، و أن الانتقال إلى مصر هدف أساسى للحركه الفاطميه، ذكرهم بالسابقه التاريخيه التي ارتبطت بالمهدى جد الخلفاء الفاطميين، تعبيرا عن وجوده السياسى، بأنه و إن لم ينجح - هو صاحب حق شرعى في هذه البلاد،٢.

ص: ١٠٩

١- نفسه، س ٤ و قد عبر عن موقفه بقوله "قد تأذيت بالراضى، و بهذا الصبى ابن رائق، و قد أمرت الخطيب أن يدعو لأبى القاسم صاحب المغرب".

٢- ابن سعيد، ١، ١٧٧ س ١٦-١٧ و قد قالوا للأخشيدي "لأنك إذا عملت هذا كاتبه من مصر، من يكره هذا، و كتب بذلك إلى العراق فان كان الراضى لم يقلده قلده و أنفذ إليه الأموال و العساكر و صيرت له شيعه و خاصه و لكن دع هذا إلى وقت آخر".
٣- نفسه، المغرب في حلى المغرب ١، ١٧٧.

٤- و بموت الخليفه الراضى ٣٢٩هـ، و موت محمد بن رائق، صفا الجو السياسى للأخشيدي و خلصت له ولايتا مصر و بلاد الشام. انظر ابن سعيد: المصدر السابق ١، ١٧٩.

٥- عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين و سقوطها، ٩٨-١٠٠.

٦- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٩١، و يشير إلى أن المنصور الفاطمى، يشبهه في الحزم و تصفيه المشاكل، سميه أبا جعفر المنصور العباسى.

٧- نفسه ١، ٦٩.

٨- نفسه ١، ٢٦٦، ابن الأثير: المصدر السابق ٨، ٢٣٩-٢٤٠.

٩- سبط ابن الحوزى [الجوزى]: مرأه الزمان ج ١١ ورقه ٢٤٠، خ دار الكتب رقم ٥٥١، أبو المحاسن، النجوم الزاهره ٤، ٧٣٠. كامل حسين: فى أدب مصر الفاطميه ١٦، المقرئى: اتعاظ، ١، ١٣٩، و قد أصبح أبو جعفر، من بين المقرئين إلى المعز لدين الله، و من مرافقيه.

١٠- المقريزي: اتعاظ، ١، ٩٥.

١١- المقريزي: اتعاظ، ١، ٩٢.

و ذلك ما أصبح تقليدا متبعا بالنسبة لخلفائه و أمانه موروثه عنه.(1)

و عند ما شعر المعز لدين الله بأنه أصبح فى مركز قوه، بعد اكتمال الاستعدادات الماديه، و المعنويه، افتعل حادثه الجاريه التى قيل أن أم الأمراء، و جهتها من المغرب لتباع فى مصر، فاشترتها امرأه مثلها هى بنت الإخشيد، لتتبع بها. و قد كانت هذه الحادثه محورا لحديث دعائى قوى شنع فيه على و لاه مصر، و نظام العباسيين، و على المجتمع المصرى، أمام جمع من شيوخ كتامه، و قادتها، و قد ختمه بقوله يا إخواننا انهضوا إليهم، فلن يحول بينكم و بينهم شىء، و إذا كان قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأه من بنات ملوكهم تخرج و تشتري لنفسها جاريه تتمتع بها فقد ضعفت نفوس رجالهم، و ذهبت الغيره منهم". (2) و هذا الأسلوب الدعائى الملتهب، كان جزءا من خطه كامله، غايتها التمهيد لغزو مصر و لانتقال الخلافة الفاطميه إليها، أما الوسيله، فكانت التشهير بالمجتمع، و الاساءه إلى عناصر السلطه الداخليه، و الخارجيه، حتى كان المعز لدين الله فى مجالسه يصف العباسيين بالملاعين، و يحرض على أن يتحرف رجاله بما يحط من قيمتهم كخلفاء، و من ذلك ما لاحظته من أن كتب التاريخ، و الأخبار، التى سجلت عن العباسيين و اطلع عليها، تذكر ميل بعض الخلفاء إلى اللهو و الشرب و التمتع بالغلتمان، و عقب على ذلك بقوله "هذه محاسن القوم فكيف بمساوئهم و هذا قول من قصد بقوله مدحهم، فكيف بمن قصد ذمهم". (3)

و لم يتورع عن الطعن فى مشروعيه خلافتهم، أو عن الإشاره إلى أن هدف الخطه الفاطميه منذ عصر المهدي، كان القضاء عليهم " لو أراد الله بنى العباس خيرا لقطع أمرهم يومئذ على يديه و هم فى عنقوان أمرهم، و تمام سلطانهم و عزهم". (4)

و تدل بعض التوقعات التى أصدرها المعز لدين الله إلى النعمان بن محمد، يمينه بالخير الكثير، و البناء الرفيع فى مصر، ردا على طلبه الحصول على أرض للبناء ليجمع شمل أسرته بالمنصوريه، على أنه كان يعتبر نفسه مؤقتا فى بلاد المغرب، و أن ساعه الانتقال إلى مصر قريبا، " فالله يهبك السلامه حتى تبتنى فى أيامنا، و معنا، حيث يختاره الله و يرضاه له من أرض المشرق الأرض الواسعه" (5) و من هذا القبيل قوله أمام جمع من رجاله و جدهم عند جوهر متأثرين لمرضه الشديد، " لا تغتموا، فإنه يبرأ، و يفتح مصر بمشيئه الله". (6)

و يرتبط بالخطه الأصليه للحركه الفاطميه، فى عصر المعز لدين الله، التدخل فى شئون الحجاز، تمهيدا لفرص الحمايه على الحرمين الشريفين، و اكتساب موده الأشراف، إذ تشير بعض النصوص إلى توسط المعز لدين الله لتحقيق الصلح بين فرعى بنى الحسن، و بنى جعفر بن أبى طالب، الذين اقتتلوا فيما بينهم، و قد انفذ أموالا و رجالا و تحمل ديات القتلى و كان أكثرهم من بنى الحسن، " فصار ذلك جميلا عند بنى الحسن للمعز" قابله بالدعاء له فى مكه عقب فتح مصر، و تولى ذلك منهم حسن بن جعفر الحسنى، الذى أرسل إليه المعز لدين الله " بتقليد الحرم و أعماله". (7)

و كانت مكاتبات الدعاه، و بعض عناصر المجتمع فى مصر، لا تنقطع عن المعز لدين الله و من هؤلاء الوزير، أبو الفضل جعفر بن الفرات، المعروف بابن حنزابه، الذى حثه على فتح مصر، نكايه فى الأمير الإخشيدى: الحسن بن عبيد الله بن طغج أمير الرمله و الشام، الذى ضيق عليه، و آذاه، و قصد به شرا. (8) و تضمنت بعض المكاتبات تعبيرا عن سهوله فتح مصر و طواعيه سكانها للفاطميين، بعد اختفاء كافور الإخشيدى، قولا نصه "إذا زال الحجر الأسود، ملك مولانا المعز لدين الله مصر"، (9) و كان هذا الخادم المتغلب الذى عرف بالأستاذ، و كنى بأبى المسك و قلد مصر نهائيا من طرف الخليفه العباسى، بعد وفاه ابنى الإخشيد، من الدهاء و الحكمه بحيث أدرك قوه تأثير الحركه الفاطميه فى مصر (10) و أحس بثقل الفاطميين المجاورين له فى برقه، فلم

يظهر العداء، لكنه لم يتعاون مع المعز لدين الله لنجده مسلمى أقریطش خوفا من غضب العباسيين، واحتفظ بتوازنه أمام القوتين المتصارعتين، فكان يهادى المعز صاحب المغرب، و يظهر ميله إليه، و كذا يدعن بالطاعة لبني العباس، و يدارى، و يخدع هؤلاء و هؤلاء.^(١١) و ما كان من أمر بقى خافيا فى مصر و يريد المعز لدين الله أن يعرفه، قبل إرسال حملة جوهر الضاربه، فقد استفاده أخيرا من يعقوب بن كلس، الذى فر من مصر ناجيا بنفسه، من فتك الوزير ابن الفرات، إلى بلاط المعز لدين الله فى المنصوريه.^(١٢) و لم يرجع إلى مصر إلا فى ركابه.

و قد ظهر التعبير العملى عن أهداف الخطه الفاطميه فى المشرق، فى الأعمال العسكريه التى وجهت ضد مصر، منذ عصر المهدي و استمرت حتى أواخر عصر المعز لدين الله و كانت مصر فى نظر الحركه هى الطريق الطبيعى للنفوذ إلى قلب الخلافه العباسيه فى بغداد، بعد التهام أطرافها فى الحجاز و الشام.

و لم تكن حملة جوهر، فى عصر المعز لدين الله، غير الحلقه الأخيره فى سلسله طويله من الجهود العسكريه استهلها المهدي بإرسال حملتين قادهما ابنه أبو القاسم، و كان صاحب مقدمته فى الحمله الأولى و مساعدته فى القيادة، أبا داود حباسه بن يوسف الملوسى، و اشترك إلى جانبه كثير من قبيله ملوزه و ظهر من بين قادة كتامه أبو فردين، و كانت هذه الحمله بريه، كما ظهر .

ص: ١١٠

١- النعمان: المجالس و المسائرات ٢، ورقه ٤٧٤ و ما بعدها، أما النعمان فقد عبر عن الوضع قبيل فتح مصر بقوله " ما يمنع أمير المؤمنين من المشرق،.. إلا أنه لم ير العزم فى أمره، فاما لو عزم على ذلك لما حال دونه حائل.

٢- المقريزى: اتعاظ، ١، ١٠٠.

٣- النعمان: المجالس و المسائرات ١ ورقه ١٧٠-١٧١.

٤- نفسه ٢، ٤٧٨ و ما بعدها.

٥- نفسه، ٢، ٦٣٤-٦٣٥.

٦- لمعه فى سيره المعز ورقه ٣، مخطوط مكتبه جامعه القاهره رقم ٢٢٠٢٤.

٧- المقريزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٠١.

٨- ابن أبيك الدوادارى: الدرر المضيئه ٦، ١٢٠-١٢١، العينى، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ج ١٩، القسم ٢ ورقات ٢٢١-٢٢٢. ٥٠٧-٥٠٨ من القسم ٣.

٩- العينى: المصدر السابق ج ١٩ (ق ٢) ورقه ٢٦٦-٢٦٧، سبط ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١، ٢٣ و فيه "الدنيا كلها" ،المقريزى: اتعاظ ١، ١٠٢، نقلا عن ابن زولاق، و فيه "الأرض كلها" .

١٠- و كان من جلسائه أنشط دعاه الفاطميين و هو أبو جعفر بن نصر الذى أثر عنه قوله: "كافور الأسود غدا يؤخذ باذنه إنما بنيت هذه الدار لصاحب المغرب تؤخذ فيها البيعه على كل تابع و متبوع، و ذيل مرفوع تغير فيها الأحوال و تحمل إليها الأموال" .انظر كامل حسين: أدب مصر الفاطميه ١٦.

١١- أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٦.

١٢- ابن الجوزى: المصدر السابق ج ١١ ورقه ١٥٢-١٥٣، العينى: المصدر السابق، ١٩ (ق ٣) -٥٠٨..٣٤٣. Huart:Op.cit,t.p.

نشاط الأسطول الفاطمي في السيطرة على موانئ برقه، والإسكندريه، و من ثم وصفت في بعض النصوص، بأنها: بريه بحريه.(١)

و كانت القوه الفاطميه ضخمه(٢)، و من سهل عليها تحطيم المقاومه في برقه، و هزيمه ولاه الإقليم المعتمدين من طرف أبي منصور تكين الخاصه والى مصر، فانسحب أبو النمر أحمد بن صالح، لأنه عزل عن الولايه، و لحق به خلفه خير المنصوري، ثم خصمه عبد العزيز بن كليب، اللذان تحاسدا، و خذل كل منهما الآخر، كما واصلت الحمله سيرها نحو الإسكندريه و اقتحمتها في محرم ٣٠٢ هـ/يوليه ٩١٤ م بدون مقاومه، لأن أغلب أهلها تركوها إلى جهات مختلفه بما خف من أموالهم و أمتعتهم، و لم يجد أبو منصور تكين، أسلوب التخذيّل الذي اصطنعه مع رجال الحمله، عند ما أرسل إلى حباسه باسم الخليفه العباسي المقتدر بالله، يدعوه إلى الطاعه كما لم يغن عنه ما بذله من جهد لرد القوه المهاجمه التي ضيق جزء منها على الفسطاط، من مركز مشتل،(٣) و سار الجزء الآخر بقياده أبي القاسم و معه أبو فريدن نحو الفيوم،(٤) و كانت الحرب سجالا بين الفريقين، لم ترجح كفه أحدهما حتى وصل مؤنس الخادم في رمضان ٣٠٢ هـ،(٥) بعد انسحاب حباسه مغاضبا لأبي القاسم،(٦) الذي أيس من النصر، و بانت له استحاله بقاءه في الفيوم بعد النكبات التي حلت به و برجاله في الوقت الذي تدعم فيه موقف والى مصر، بنجده مؤنس الخادم، و لم يجد مفرا من التستر على فشله و ذلك باتهام حباسه، ثم بانسحابه يجر أذيال الخيبه إلى رقادته التي وصلها في ذى القعدة ٣٠٢ هـ(٧)/مايو ٩١٤ م.

و أثر هذه الحمله الفاشله، انتدب لولايه مصر ذكا الأعور منذ صفر ٣٠٣ هـ/أغسطس ٩١٥ م خلفا لأبي منصور تكين الخاصه، فاهتم بمدينه الإسكندريه و ترك فيها ابنه مظفرا، عاملا- مقيما مع قوه كبيره، و في الفسطاط نكل بكل العناصر المتشيعه، أو المشبوهه، التي يشك في أن لها اتصالا بالحركه الفاطميه في المغرب.(٨)

و أما المهدي، فقد أرسل إلى برقه، أبا مديني بن فروخ اللهيصى، الذي أمن الإقليم، و ضمه إلى الفاطميين و انطلق منه نحو النشاط على حدود مصر، و تشير بعض النصوص إلى أن سكان لوبيه، و مراقيه تركوا المنطقه، و دخلوا مدينه الإسكندريه القريبه منهم منذ شوال ٣٠٤ هـ/مارس ٩١٦ م - بدافع الخوف من والى برقه الذي كان دائب النشاط و الحركه و يضغط على حدود مصر، و على مدينه الإسكندريه التي هي باب مصر، و أول ميناء هام يتصل بالمغرب(٩) و قد بدا لذكا الأعور، و لابنه مظفر عامل الثغر، أن المهدي لن يبقى مكتوف الأيدي ما بقيت عنده قوه، و أنه هو الذي أوحى إلى و إليه في برقه، بمواصله نشاطه على حدود مصر، تمهيدا للحمله الثانيه التي انطلقت من رقادته منذ شهر ذى القعدة ٣٠٦ هـ/إبريل ٩١٨ م و اشتركت فيها حشود من كتامه، مع عرب إفريقيه، و بربرها، و بعض القاده المشهورين، مثل خليل بن إسحاق، و أبي غانم الكاتب و من ابن الحسن بن أبي خنزير، و جوذر الصقلبي،(١٠) و كانت حمله بريه، بحريه، و تولى قياده المقدمه و مساعدته أبي القاسم، سليمان بن كافي الخادم،(١١) الذي كان له أيضا الاشراف على الاسطول الذي باشر قيادته يعقوب الكتامي.(١٢)

و قد تمكنت قوات الفاطميين من دخول الإسكندريه بدون مقاومه، لأن معظم سكانها القادرين على الدفاع غادروها إلى جهات مختلفه مثل المره الأولى كما غادرها مظفر بن ذكا، إلى وجهه غير معروفه، و بينما تقدم سليمان بن كافي نحو مدينه الفيوم و اقتحمها عنوه، بقي أبو القاسم في الإسكندريه فتره استقبال أثناءها نجدات كبرى، حتى "اجتمع إليه عدد يجمل عن الإحصاء" و بهم سار نحو الفيوم، و الأشمونين التي وصلها في رجب ٣٠٧ هـ(١٣)/نوفمبر ٩١٩ م و يبدو أنه أحس بحاجه الإسكندريه إلى قائد كفء يحافظ عليها، و يراقب حركات العباسيين و يتولى العنايه بالاسطول، لذلك بقي وحده في الأشمونين و أرسل ابن كافي

إلى الإسكندرية لينضم إلى يعقوب الكتامي.

و رغم سوء حاله ذكا الأعور، لخلافه مع الرعبه بسبب تصرفات الجند، و شغب هؤلاء عليه بسبب تأخر الأرزاق، فإنه وجد سندا قويا من القوه الشعبيه التي شجعتة على المقاومه و التحصن في الجيزه، و بناء استحكامات حول معسكره، و بقى في وضع المتأهب للقتال، يساعده محمد بن طاهر، و الماذرائي، حتى توفي في ربيع الآخر ٣٠٧هـ/أغسطس ٩١٩ م فخلفه أبو منصور تكين في الولايه بتقليد من المقتدر بالله العباسي، و أشرف على تقويه جانب الدفاع بناء على خطه سلفه، و تولى الماذرائي إيهام أبي القاسم، بأنه على الطاعه، و أن مصر خاليه من الجند و أن الاستيلاء عليها هين و لا يخشى الخطر إلا من جانب " العوام " و كان قصده أن يتيح لنفسه فرصه واسعه لكي تكتمل استعدادات مصر بوصول مؤنس الخادم على رأس القوات العباسيه، (١٤) و بوصوله فعلا بدأ الهجوم ضد مراكز القوه ٥.

ص: ١١١

- ١- الذهبي: تاريخ الإسلام ج ٣، ورقه ٥-٦ (أحداث سنه ٣٠١ هـ) خ دار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ.
- ٢- الكندي: الولاه و القضاء ٢٦٨ و ما بعدها و قد قدر قوه حباسه بمائه ألف و زياده، و لم يشر إلى أبي القاسم في هذه الحمله، الذهبي: نفس المصدر السابق، و قد قدر القوه الفاطميه بأربعين ألفا، و أشار إلى أبي القاسم و وصف حباسه بصاحب مقدمته ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٣٥ و ما بعدها، ٢٣٨ و ما بعدها. و يلاحظ إمداد المهدي لحباسه بالجيش باستمرار، و أنه خرج قبل أبي القاسم، و التقيا معا في الإسكندريه، المقريزي: اتعاظ ١، ٦٨، ٦٩، و يجعل خروج أبي القاسم سابقا على خروج حباسه، الذي قاد الحمله البحريه منذ ٣٠٢ هـ، الطبري: المصدر السابق ١١، ٤٠٨-٤٠٩، و وصف حباسه بقائد ابن البصري، عريب سعد: المصدر السابق ٢٧-٣٦.
- ٣- الكندي: المصدر السابق ٢٦٩-٢٧٠ و قد لاحظ هزيمة قوه حباسه أولا ثم انتقامها من أهل مصر ثانيا.
- ٤- ابن عذارى، ١، ٢٣ س ١، ٤.
- ٥- نفسه ١، ٢٣٩ س ١١.
- ٦- نفسه، س ٥، ٧-٨، و عن حملات المهدي ضد مصر انظر أيضا: سعيد عاشور: مصر في العصور الوسطى ١٨٧ و ماريوس كثار في مقال: EI.ArtFatimidesT.٢٠٨٧٣٢ Edition.
- ٧- ابن عذارى: البيان ١، ٢٣٩ س ١٠، ١٢ و انظر ص ٢٤٠ س ١٧-١٨، و عن بعض مظاهر التخريب التي تسبب فيها جند كتامه انظر البكري: المغرب ٢.
- ٨- الكندي: الولاه و القضاء ٢٧٣-٢٧٤.
- ٩- نفسه. والدي يلاحظ أن اسم القائد الكتامي (أبي مديني) جاء مصحفا في المتن و الهامش أيضا، انظر ٢٧٤ هامش ١ منه، و عن كوره لوبيه و مراقبه و من منازلها الرماده، انظر اليعقوبي: البلدان ٩٥، عمر بن محمد الكندي: فضائل مصر ٤٧-٤٨ (ط ١٩٧١): تحقيق إبراهيم العدوي.
- ١٠- ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٥٣، العزيزي الجوزري: المصدر السابق ٤٣، تعليق ٣٥، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافه الفاطميين ٩٦ و ما بعدها.

- ١١- نفسه ١، ٢٥٤. عريب بن سعد: صله تاريخ الطبرى ٤١-٤٢. وابن كافي من عنصر الصقالبه، العزيز: المصدر السابق ٣٥ تعليق ١٠.
- ١٢- الكندى: المصدر السابق ٢٧٦ و ما بعدها، المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ٧١.
- ١٣- ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٥٥.
- ١٤- نفسه، ابن سعيد: المصدر السابق ١، ١٧٥.

الفاطمية فى الأشمونين، و الفيوم، و الإسكندريه أيضا، غير أن القاده الذين كلفوا بالقتال فى الفيوم، و الأشمونين لم ينجحوا فى مهمتهم لأن قوات أبى القاسم كانت ضاربه و مسيطره على المنطقه.(١) بينما، نجح ثمل الفتى صاحب مراكب طرسوس فى الحاق هزيمه بحريه بقاده الاسطول الفاطمى فى رشيد و الإسكندريه و تحطمت معظم قطع الاسطول التى عبثت بها الرياح، و ألفتها قرب البر، فأسر من فيها باليد، و سلم قاده الاسطول أنفسهم إلى ثمل الفتى الذى صحبهم إلى الفسطاط و دخلوا المقس أواخر شوال ٣٠٧هـ، فمن والى مصر على أهل القيروان و طرابلس، و برقه و صقلية، لأنهم أرغموا على الاشتراك و عرفوا بمقتهم للحكم الفاطمى، بينما أمر بقتل عناصر كتامه و المشتيعين مثلهم، و اكتفى بتشهير قاده الاسطول فى شوارع مدينه الفسطاط قبل إيداعهم السجن.(٢)

و يبدو أن هذا الانتصار البحرى، يضاف إليه صيروره أبى القاسم فى شبه عزله فى الفيوم و الأشمونين و قد طال مقامه و انتشرت الأمراض و الأوبئه بين رجاله و سادت بينهم روح الملل، و التذمر، و يبدو أن هذه العوامل التى شجعت مؤنس الفتى، و تكين الخاصه، و جنى الصفوانى على مهاجمه القوات الفاطميه فى الفيوم و الأشمونين، أثرت أيضا على معنويات أبى القاسم، فتحاشى الاصطدام بالقوه المهاجمه و فضل الانسحاب إلى إفريقيه عبر برقه، فأدرك المهديه فى شهر رجب ٣٠٩ هـ/نوفمبر ٩٢١ م بعد غيبه استمرت نحو سنتين و ثمانيه أشهر.(٣)

و تلاه مؤنس الفتى، و تكين الذى عزل عن الولايه، فانسحبوا جميعا عن مصر، التى وليها لفته قصيره، هلال بن بدر حتى سنه ٣١١ هـ/٩٢٣ - ٩٢٤ م، ثم خلفه لمدته سنه، أحمد بن كيغلى، و أثرها عاد أبو منصور(٤) تكين الخاصه إلى ولايه مصر و بقى فيها حتى توفى سنه ٣٢١ هـ/٩٣٣، فوليها بتقليد من القاهر العباسى محمد بن تكين، الذى لم يتم له الأمر طويلا بسبب معارضه الماذرائى، و تأييد عنصر المغاربه فى الجيش، و كان رئيسهم هو أبو مالك حبشى بن أحمد، الذى بان تطرفه أيضا أثناء ولايه محمد بن طغج الإخشيد، فكره الخضوع له، و انسحب مع جنده، و المؤيدى لهم من الأتراك و استقروا فى الإسكندريه، و سرعان ما فارقوها إلى برقه بعد فشل محاولتهم لغزو الفسطاط، و من إقليم برقه، الموالى للفاطميين، اتصلوا بالقائم بامر الله، و زينوا له العوده إلى العمل العسكرى على مصر، بمساعدتهم "لأنهم يعلمون وجوه الحرب! و كيفيه الوصول إليها".(٥)

و بقاء القوه المعارضه لوالى مصر فى برقه كان منسجما مع الاستراتيجيه الفاطميه الجديده التى ظهرت بعد انسحاب القائم بامر الله من مصر، إذ غدت هذه القاعده هى التى تشرف على النشاط العسكرى و توجهه على أراضى مصر، و قد أشارت بعض النصوص إلى حركه عسكريه قادها فى بدايه ٣١٠ هـ/٩٢٢ - ٩٢٣ م، فلاح بن قمون الكتامى، ضد حدود مصر فاصطدم بجندها، بذات الحمام و نال منهم و كانت من الأهميه بحيث قرئت أخبارها فى جامع القيروان،(٦) تلتها حركه أخرى ضد منطقته الواحات فى صعيد مصر، منذ بدايه ٣١١ هـ/٩٢٣ - ٩٢٤ م و قادها، مسرور بن سليمان بن كافى، الذى استولى على الحصون القريبه، و هزم عامل المنطقه و هو الكرمازى و أسر ابنه، و ابن أخيه و سيطر على المنطقه و كان فى نيته فيما يبدو توسيع نشاطه فى أرض صعيد مصر، لولا- ظهور الأوبئه فى جنده، و هو الذى حملته على الانسحاب إلى قاعده انطلاقه فى برقه، إنما بعد أن خرب الاستحكامات العسكريه، و بعض مظاهر العمران.(٧) و قد وقعت الإشاده فى القيروان و أعمالها بما أنجزه مسرور بن سليمان، من أعمال هامه، فى أراضى مصر، انتقاما لهزيمه الحمله الفاطميه الثانيه.(٨) و ربما تلتها حركات أخرى ضد مدن و حصون مصر، و هى التى جذبت بعض المغامرين الذين عارضوا ولايه ابن طغج و أرادوا النيل منه تحت ستار مساعدته الفاطميين، و لم يشأ القائم بامر الله أن يرفض هذه الفرصه، لأنها تحقق بعض أهدافه، و لا- تتنافى مع الخطه الأصلية للحركه الفاطميه، و لذلك جهز قوه

كبيره من كتامه أشرف عليها مولاه زيدان، الذى انضم إليه فى برقه عامر المجنون، و أبو زراره، و يعيش مع قوات حاميه برقه الكتاميه، و يبدو أن القيادة أصبحت ليعيش الكتامى الذى سار مع القوات المعارضه لحكم ابن طغج يتقدمهم بجكم و استولوا على الإسكندريه بدون صعوبه.(٩)

و قد خيل للقوات المتحالفه أن ابن طغج سوف يستسلم بسهولة و يترك الولايه إلى الشام أو إلى العراق خاصه و أن عناصر من المشاركة و المتشيعين كانوا ضده، بيد أن ذلك كان حلما بددته عزيمه هذا الوالى الشجاع الذى أسرع بإرسال قوات كبيره إلى الإسكندريه قادها أخوه الحسن بن طغج، بمساعدته صالح بن نافع، و فى اللقاء الذى تم بين هذه القوه و بين قوات الحلف قرب قروجه، انهزم هؤلاء و قتل يعيش أمير الجيش، و بعض مساعديه، و أسر منهم كثيرون من بينهم عامر المجنون، أما بجكم و بعض رجاله فقد تركوا ميدان القتال فرارا بأنفسهم إلى برقه حيث استقروا فى منزل الرماده، الموالى للفاطميين، (١٠) فتره، ثم دخلوا مصر بأمان ابن طغج(١١) سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ - كما أن قاده كتامه الذين أسروا أثناء الحمله، أطلق ابن طغج سراحهم سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨-٩٣٩ م لثقتة بنفسه و بقوه مركزه فى مصر.(١٢)٧.

ص: ١١٢

- ١- الكندى: المصدر السابق ٢٧٦-٢٧٧، الذهبى: المصدر السابق ٣، ورقه ١٤، المقرئى: اتعاض الحنفا ١، ٧١.
- ٢- الكندى: المصدر السابق ٢٧٧، ابن عذارى: البيان ١، ٢٥٥، الذهبى: المصدر السابق ٣ ورقه ١٦، المقرئى: المصدر السابق ١، ٧١. و بينما مات سليمان ابن كافى فى السجن، فر يعقوب الكتامى من سجن بغداد، إلى إفريقيه، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافه ٩٨، و لقب مؤنس بالمظفر.
- ٣- نفسه، ٢٧٨، ابن عذارى ١، ٢٦٠، الذهبى: المصدر السابق ٣، ورقتا ١٥، ١٦ و يلاحظ الذهبى أن ابن المدينى القاضى قتل لأنه كان يدعو إلى المهدي مع جماعه آخرين.
- ٤- نفسه ٢٧٨-٢٧٩، السيوطى، حسن المحاضره فى أخبار مصر و القاهره ٣، ١١، الذهبى: المصدر السابق ج ٣ ورقه ١٦.
- ٥- نفسه، ٢٨٠-٢٨٧، السيوطى: المصدر السابق ٢، ١٣.
- ٦- ابن عذارى: المصدر السابق ١، ٢٦٣ و يبدو أن القائد هو أبو جعفر بن فلاح الذى ازدهر فى عصر المعز لدين الله و سحب جوهر إلى مصر.
- ٧- نفسه ١، ٢٦٥، و بذلك انتقم مسرور لهزيمة أبيه و أسره و يبدو أن هدف حركته هو الضغط على والى مصر الذى بقى محتفظا بوالده فى السجن.
- ٨- نفسه ١، ٢٦٧، العزيرى: المصدر السابق ١٥٢، تعليق ١٠.
- ٩- يشير الكندى إلى وفاه حبشى بن أحمد بالرماده قبل وصول حملته القائم بامر الله، النويرى: المصدر السابق ٢٦ ورقه ١٦.
- ١٠- ابن عذارى ١، ٢٩٦، الكندى: المصدر السابق ٢٨٦-٢٨٨، حسن إبراهيم: عبيد الله المهدي ١٨١ و ما بعدها، و هنا يشير إلى أن قائد الحمله كان هو حبشى بن أحمد على خلاف ما ورد فى الكندى و ابن عذارى.
- ١١- الكندى: المصدر السابق ٢٨٩.
- ١٢- نفسه، ٢٨٧.

و على هذه الصورة المحزنه، انتهت آخر محاوله فاطميه، للاستيلاء على مصر، بالاعتماد على قوه المعارضه الداخليه و على اضطراب أوضاع مصر بسبب نزاع الجند و على حاميه برقه القويه و كان فشل هذه المحاوله بسبب تنافر العناصر المهاجمه و اختلاف أغراضهم، و حزم ابن طغج، و إخلاص أعوانه مدعاه للانصراف عن شئون مصر إلى المغرب و صقلية، لتهدئه أرضهما، و حشد إمكانياتهما الماديه و البشريه لتوجيهها حسب خطه منظمه نحو خدمه أهداف الدوله فى بلاد المشرق.

و لئن كان البناء الداخلى فى مصر بقى متماسكا طيله حياه محمد بن طغج الإخشيد، فان وفاته سنه ٣٣٤ هـ/٩٤٥ - ٩٤٦ م فى نفس الوقت الذى قام فيه نظام شيعى فى بغداد هو نظام بنى بويه الذى استبد أمراؤه بالخلفاء العباسيين كان بدايه لتصدع ما اجتهد من قبل فى تفويته و أساء إلى أعماله فى مصر، سوء المعامله التى تعرض لها أبناء أبو القاسم أنوجور (ت ٣٤٧ هـ/٩٥٨ - ٩٥٩ م) و أبو الحسن على (ت ٣٥٥ هـ/٩٦٥ - ٩٦٦) من طرف خادمه أبى المسك كافور، و ما قابله به هذان الأميران من استهانه بشأنه و احتقار له حتى توفى كل منهما و فى نفسه ألم و حزن للحجر عليهما و حرمانهما من التمتع بمباهج السلطه،^(١) كانت له أصداء قويه فى صفوف أنصار أبيهما، و هم الإخشيديه، الذين احتفظوا بكراهيتهم لأنصار أبى المسك، و هم الكافوريه.

و عرفت مصر، فصولا- من صراع هؤلاء، سواء فى حياه كافور، أو بعد وفاته فى جمادى الأولى ٣٥٧ هـ/مايو ٩٦٧ م،^(٢) و قد صيرهم النزاع الداخلى عاجزين عن صد الاخطار الخارجيه سواء منها التى ظهرت من جهه النوبه،^(٣) أو من جهه برقه، و قد رجحت كفه الإخشيديه بعد رجوع الأمر إلى أبى الفوارس أحمد بن على بن طغج الذى ضيق عليهم، فتركوا مصر إلى الرمله، يشكون إلى الحسن بن عبيد الله بن طغج كبير الاسره، فلم يلتفت إليهم و لم يستسلم لآرائهم فى وجوب قتال أبى الفوارس و ذلك لقربته منه،^(٤) و وصايته عليه،^(٥) و يبدو أن ابن الفرات الذى كان مستبدا بشئون الاداره المدنيه و شمول الإخشيدي الذى كان مشرفا على النواحي العسكريه هما اللذان كانا سببا فيما حل بزعماء الكافوريه من اضطهاد و نكال.

و صراع الجند و شغبهم ضد السلطه و ظهور الأزمات الاقتصاديه و انتشار الأوبئه، و المجاعات، و غلبه ظاهره الجفاف بسبب انخفاض ماء النيل و شيوع ظاهره السلب و النهب، و اختلال الأمن فى العاصمه، و فى الأقاليم و نجاح دعاه الشيعة الفاطميين فى التمكين لأنفسهم، و فى بث آرائهم و رجالهم فى عده جهات من البلاد خاصه الإسكندريه، التى اكتسبت بهم، و بالعناصر المغربيه التى استقرت فيها، تحت ستار التجاره، و الروايه و طلب العلم، أو التعليم طابعا مغربيا واضحا، هذه كلها بعض أعراض الضعف فى البناء الداخلى التى سهلت على الفاطميين مهمتهم، منذ سنه ٣٥٨ هـ/٨٦٨ - ٩٦٩ م.^(٦)

وفد استخلص الفاطميون دروسا من فشل الحملات السابقه و اتضح لهم أنها، و إن فشلت فى فتح مصر و ضمها نهائيا إلى بلاد المغرب، إلا أنها كانت خير تمهيد لارساء قواعد الفتح على أسس متينه، و بسببها غدت المسالك معروفه، و البلاد معهوده، و أصبح بين سكانها عناصر متشيعه، أو مواليه للنفوذ الشيعى بسبب بطولات قاده الحملات الفاطميه، و جرأتهم المنقطع النظير، و قد ضم هؤلاء جهودهم إلى دعاه الشيعة و رجالهم القدامى فى مصر، من أجل تهيئه التربه للبذر الحقيقى، و إلى هؤلاء أرسل المعز لدين الله بنودا تحمل شعارات الخلافه الفاطميه، كى يظهرها فى الأماكن الهامه و فى الوقت المناسب، و لتكون أيضا شاره على الولاء للدعوه الفاطميه،^(٧) و لعل أوضح دليل على استعداد النفوس فى مصر لتقبل التحول الجديد، الذى كان يبشر به الدعاه الفاطميون، و أشار إليه القائم بامر الله من قبل فى قصائده و مراسلاته مع سكان مصر و الشرق العربى، هو اتفاق أهل الرأى، و المشوره، و كبار رجال الدوله، و الأشراف و زعماء الجند على إعلان الولاء للخلافه الفاطميه، و طلب الأمان من قائد

و مع أن المعز لدين الله كان يعلم ظروف مصر السيئه، و أنها غنيمه سهله، فإنه بدا استعداداته لتوجيه الحمله الكبرى، منذ وقت مبكر، و كان قد كلف جوهر أثناء تجواله فى بلاد المغرب ٣٤٧ هـ / ٣٥٨ - ٩٥٩ م بحشد الرجال الأكفاء. (٨) كما أمر عماله فى مدن قابس، و طرابلس و برقه بان يتعاون كل منهم مع الآخر فى إطار إقليمه من أجل حفر الينابيع و الآبار، و بناء استراحه فى كل منزل. (٩) و رصد أموالا- كثيره، بلغ مجموعها حوالى أربعه و عشرين مليون دينار، وضعها فى صناديق خاصه، و ختم عليها بخاتمها، و كلف بها ابن مهذب صاحب بيت المال، و بلغ مجموع ما حشده من جند كتامه، و عبيد زويله، و طبقه الفتيان نحو مائه ألف (١٠)، هذا عدا النجيدات التى تقاطرت على مصر بعد مسير الحمله، و قادها كل من ٩.

ص: ١١٣

- ١- المقریزی: الخطط ١، ٣٢٩.
- ٢- أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ١٠، المقریزی: اتعاظ الحنفا، ١، ٩٦.
- ٣- و يلاحظ أن المعز لدين الله واجه الخطر النوبى، بالطرق السلميه، فأرسل بعد استقراره فى مصر سفاره إلى جورج ملك النوبه، يدعوه إلى الإسلام. و قد تولى رئاسه الوفد عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى. انظر: زاهر رياض، اتجاهات مصر الافريقيه فى العصور الوسطى ٧١، المجله التاريخيه، مجلد ٢٠، مايو ١٩٥٨.
- ٤- الذهبى: المصدر السابق ٣ ورقه ١٨٦ (حوادث ٣٥٧ هـ).
- ٥- العينى: عقد الجمان ج ١٩ (ق ٢) ورقه ٢١٩-٢٢٠ (حوادث ٣٥٧ هـ).
- ٦- سيده إسماعيل كاشف: مصر فى عصر الإخشيديين ٣٦٠-٣٧٠، المقریزی، الخطط ١، ٣٣٠، عبد الله الشرقاوى: تحفه الناظرين فيمن ولى مصر من الولاه و السلاطين ورقه ٥٨ (ص ١٠١ ط العثمانيه ١٣٠٤ هـ). و هى على هامش كتاب لطائف أخبار الأول للاسحاقى المتوفى، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٥٢ هامش ١، (القسم الثالث منه ط الدار البيضاء ١٩٦٤. تحقيق مختار العبادى و الكنانى) يحيى بن سعيد الأنطاكى: تاريخ الذيل ٨١٢ ط كراتشوفسكى و فازلييف، ابن أبيك الدوادارى: الدرر المضيئه ١٢٠-١٢١، الاسحاقى: لطائف أخبار الأول، ١١٤ ط العثمانيه ١٣٠٤ هـ، المقریزی: إغاثه الأعمه لكشف الغمه ١٢-١٣ ط حمص ١٩٥٦ جمال الدين الشيبان: الصلات الثقافيه بين المغرب و مدينه الإسكندريه ١٤٥-١٥٤. مجله كليه الآداب، جامعه الإسكندريه، مجلد ١٥ سنه ١٩٦١.
- ٧- المقریزی: اتعاظ الحنفا، ١، ١٠٢.
- ٨- ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعه ورقه ٤٧. مخطوط دار الكتب، بيبس الدوادار: المصدر السابق ٦، ورقه ٢٠.
- ٩- المقریزی: اتعاظ ١، ٩٦. على إبراهيم حسن تاريخ جوهر الصقلى ٢٧، جمال سرور، الدوله الفاطميه فى مصر ٦٦.
- ١٠- نفسه، ١، ٩٧، لمعه (لمجهول) ورقه ٣. على إبراهيم حسن: المرجع السابق ٢٧، و عند ما سئل الشريف أبو جعفر مسلم من طرف المؤرخ ابن زولاق عن عدد الجيش الذى رآه مع جوهر، أجاب "هم مثل جمع عرفات كثره و عده. انظر المقریزی: اتعاظ ١، ١٠٧، س ٢٣-٢٤، الشرقاوى: المصدر السابق ورقه ٥٩.

سعاده بن حيان من جهه و الحسن بن عمار من جهه أخرى.

و لم يغفل شان الجند، فشحن هممهم، و جباهم بالطاقه، و احتفل بلقائهم أكثر من مره، قبل توجههم إلى مصر، أما قائد الحمله، جوهر الصقلی، فقد بالغ في إضفاء الأهميه على شخصه، و على عظمه دوره في مصر، كى يخلص الجند في طاعته، و يترفق به زعماء كتامه، و قادتها، و كان أظهرهم شخصيه هو جعفر بن فلاح الذى رافقه أبناؤه و بقيه المشاركين في الحمله.

و يبدو أن قول المعز لدين الله أمام جند كتامه " و الله لو خرج هذا وحده لفتح مصر، و ليدخلن بالاراده من غير حرب، و لينزلن في خرابات ابن طولون، و بينى مدينه تسمى القاهره تقهر الدنيا" (١) يتجاوز المبالغه في المدح، و تهدئه ثائره قاده كتامه الذين طمحت أنفسهم إلى القياده إلى بيان ملامح الخطه السياسيه التى سيسير عليها جوهر بعد الفتح، و تضمنت أمرا، لبناء دار الهجره الجديده أو عاصمه الخلافه الفاطميه التى اقترح اسمها الجديد، و حدد مكانها نسييا و هذا مما يبعد الروايات الاسطوريه عن سبب التسميه و القول بان المعز لدين الله كره موقع مدينه القاهره عند ما حضر إلى مصر، كما لم يقر التسميه التى اختارها قائده مجامله له باحياء ذكرى المنصور. (٢)

و فى القول دليل واضح على مدى معرفه المعز لدين الله لأوضاع الجبهه المصريه، فضلا عن كونه كان يريد تهوين المشروع على رجاله، و تطمين أنفسهم من الأخطار الداخليه و الخارجيه.

و قد كان تصور المعز لدين الله صحيحا، و فى محله، إذ أن الحمله الكبرى، لم تصادف أيه صعوبه فى نفاذها من برقه إلى مصر، بسبب هدوء الوضع، و نجاعه حاميه برقه التى كان رجالها أعرف بالحرب و بالمسالك فى أطراف مصر و فى دواخلها من غيرهم.

و كانت الرحله إلى مصر أشبه بنزعه عسكريه طويله الأمد، تخللتها الإقامه المتقطعه على طول الطريق.

و أمام مدينه الإسكندريه التى تكرر سقوطها فى أيدي رجال الحملات السابقه دون مقاومه ارتاح السكان لظهور الحمله و فتحوا أبواب المدينه للجند و لم تبدر منهم أيه بادره مقاومه، و لقد كان جوهر بعيد النظر عند ما سيطر على الوضع، و منع الجند الكتامين الميالين إلى السلب و النهب من مد أيديهم إلى أرزاق الناس أو الاحتكاك بهم. (٣)

أما صدى وصول الحمله إلى الإسكندريه بين سكان الفسطاط فقد عبر عنه تحرك الوزير ابن الفرات، بسرعه لمواجهتها، بالطرق السلميه و كان هذا أيضا رأى من استشارهم من زعماء المجتمع فى مصر الذين كلفوه بالاتصال بقائد الحمله للحصول على الأمان العام، فأتاب عنه وفدا ترعمه الشريف أبو جعفر مسلم العلوى، و انضم إليه بعض كبار الدعاه الفاطميين و منهم أبو جعفر أحمد بن نصر.

و بعد أن تلقى الوفد التفويض من سائر طبقات المجتمع بحيث لم يتأخر عن تشييعهم قائد، و لا كاتب، و لا عالم، و لا شاهد، و لا تاجر (٤) عرضوا على القائد جوهر فى قريه تروجه رغبات السكان و ما يشترطونه نظير إعلان الولاء و الطاعه للخليفه الفاطمى، فاستجاب لجميع ما اقترح عليه و كتب نص الأمان العام، (٥) باسم أمير المؤمنين المعز لدين الله، و أشهد على نفسه جميع الحاضرين، و فى الأمان تأكيد لما طلبه السكان، مع توضيح بعض أهداف الحمله الفاطميه، و منها الدفاع عن دار الإسلام التى

نال منها الروم و المغامرين بسبب استخذاء العباسيين و ضعفهم.

و عند ما عرف زعماء الكافوريه، و الإخشيديه ما تضمنه عهد الأمان، و لم يكن فيه ما يرضى جشعهم إلى الأموال و إلى الاقطاعات،(٦) عارضوه، و ردوا على الشريف، ردا جافا، خفف من وطاته ابن الفرات الذى ذكرهم بأنهم هم سبب التفاوض لطلب الأمان، و تلتطف مع الشريف، و ناجاه، بينما مال المعارضون إلى الصخب و الضجيج و تمسكوا بشعار واحد، هو " ما بيننا و بين جوهر إلا السيف ".(٧) و انصرفوا عن الوزير، و عن أبى الفوارس أحمد بن على، و بدءوا بزعامه تحرير شويزان يهيئون لمقاومه حمله جوهر، (٨) نفسه ١، ١٠٩ أس ١-٣.

الذى تصرف بحكمه عند ما عرف هذه التطورات، فطلب إرجاع نسخه الأمان و التمس من القاضى أبى الطاهر الدهلى، رأيه فى مشروعيه قتالهم فأفتاه بحليه قتال من يمنع المسلمين من الدفاع عن حدود أرضهم ضد الروم، و عندئذ اقتنع جوهر بتأييد وجوه المجتمع لمبدأ الولاء للخلافه الفاطميه. و بدأ يعد لتأديب هؤلاء القوم الذين أضلهم الغرور و أعماهم التعصب و رفعوا رايه الثوره و ضللوها جانبا من السكان، و ذلك من مركزه الحصين فى منيه شلقان - شرقى القناطر الخيرييه - التى أراد منها العبور إلى الفسطاط، و فيها تحفظ على كل المراكب التى وصلت من دمياط و الوجه البحرى، و جزيره تيس و وجهتها الفسطاط، و كلف مساعده فى قياده الحمله، جعفر بن فلاح بالعبور إلى الجانب الآخر من النيل، بقوله: "لهذا اليوم أرادك المعز لدين الله"(٨) و ذلك للقاء القوه المعاديه و بعد أن تمكن جعفر مع جمع من رجال كتامه المغامرين من عبور النيل سباحه و هم عراه ليس عليهم الا" سراويل"(٩)٦.

ص: ١١٤

١- لمعه (لمجهول) ورقه ٣-٤، ابن ظهيره: الفضائل الباهره فى محاسن مصر و القاهره ورقه ٧٣-٧٤ ص ٤١-٤٢ ط ١٩٦٩. و يلاحظ أن المعز لم يخرج بنفسه لفتح مصر خوفا من آثار هزيمته على وضعه فى بلاد المغرب" و خاف أن يغزو بنفسه و يخيب سعيه فيفوته المغرب و لا تحصل له مصر".

٢- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ١١١-١١٣، الخطط ١، ٣٦١، أبو المحاسن: النجوم الزاهره ٤، ٤١-٤٢. لمعه (لمجهول) ورقه ٤. ابن ظهيره: المصدر السابق ورقه ٧٥، عبد الرحمن زكى: القاهره تاريخها و آثارها ١٠-١١.

٣- يحيى بن سعيد الأنطاكى: المصدر السابق ٨١٨ و ما بعدها.

٤- المقرئى: اتعاظ الحنفا، ١، ١٠٢، ١٠٣.

٥- نفسه، ١، ١٠٣-١٠٧، بيبرس الدودار: زبده الفكره ٦، ورقه ٢٠١-٢٠٢ ابن مسكويه: تجارب الأمم ٦، ٢٥٧، ابن حماد: أخبار ملوك بنى عبيد ٤١-٤٤. النويرى: نهايه الإرب ٢٦ ورقه ٣٨ و ما بعدها.

٦- بيبرس الدودار: المصدر السابق ٦، ورقه ٢٠٠-٢٠١ و يلاحظ هنا أن تحرير اشترط ألا- يجتمع بجوهر، و تكون الأشمونين إقطاعا خاصا به، و يقلد مكه و المدينه و أعمالها و يقيم هناك.

٧- المقرئى: اتعاظ الحنفا ١، ١٠٨ س ٢٣، و انظر بيبرس الدودار: المصدر السابق ٦، ٢٠٠ - عن بعض أعداء المذهب الفاطمى الذى حث الناس على الفتك بابن الفرات، و شنع على جوهر الصقلى و خاطب الناس بقوله "أيها الناس قد أظلكم من أخرج فاسا، و سبى أهلها، فألقوا هذا الرجل المغرور" ابن الفرات فإنه شرع فى إتلاف بلدكم و سفك دمائكم بمراسله هذا الرجل".

٨- أبو المحاسن: المصدر السابق ٤، ٣١.

٩- المقرئزى: اتعاظ الحنفا ١، ١٠٩ س ٥-٦.

بدد شمل قوات الثورة و قتل بعض زعمائها و منهم نحرير الأرعلى و مشير الإخشيدى، و يمن الطويل، و انسحب بعضهم دون قتال تاركين جماعه من "المصريين" يلقون مصيرهم و أخلى الجميع قواعد تمرکزهم فى الجزيره لأنهم عرفوا أن الأمر فى غير صالحهم، و تفرقوا فى الأنحاء و منهم من التجأ إلى الشام.

و هكذا عاد السكان إلى الشريف أبى جعفر مسلم الذى توسط عند جوهر الذى أكد سياسه الأمان، بشرط التحفظ على أموال و ممتلكات زعماء الثورة الفارين حتى يعلنوا الولاء للخلافه الفاطميه، و يرضوا بما رضى به عامه السكان.(١) و تلا- ذلك دخوله المدينه يوم السبت ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ على رأس قواته، وفق ترتيب خاص، حيث تمرکز فى موضع المناخ و وضع هنا أساس العاصمه الجديده و قصر مولاه المعز لدين الله، مباشره. و أثر ذلك تقبل تهانى السكان، لكنه رفض الهدايا و الضيافه إلا من طرف الشريف أبى جعفر مسلم (٢) نفسه ١، ١١١. الذى اتخذت داره مركزا لتجميع الفقراء المعوزين بواسطه النداء حيث فرقت عليهم أموال كثيره فى الجامع العتيق، احتفاء بمناسبة الفتح(٣) الذى أرسلت البشائر به إلى المعز لدين الله فى المنصوريه.(٤)

أما الاجراءات التى عبرت عن وضع مصر الجديد كولايه فاطميه فاهمها:

- إزاله شعار العباسيين و قطع الخطبه للمطيع العباسى و الدعوه للمعز لدين الله، و لآبائه ابتداء من عشرين شعبان ٣٥٨ هـ فى المسجد العتيق و كان ذلك بحضور جوهر الصقلى كما دعى له فى جامع ابن طولون و سائر منابر مصر.

- استهلت دار الضرب نشاطها بعد فتحها بامر من القائد جوهر بسك دنانير جيده العيار سجل عليها تاريخ الفتح و اسم المعز لدين الله، و الدعاء له، و شعار العلويين و هو: "على أفضل الوصيين، و وزير خير المرسلين".

- و قد انتدب جوهر، عمالا- للخراج، و الضياع، و الحسبه، و الشرطه، أما المظالم فتولاها بنفسه فتره حيث كان يجلس لسماع الشكوى كل يوم سبت، ثم تركها إلى أبى عيسى مرشد تحت نظره، كما استعان بجهود ابن الفرات الذى أقره على خطته السابقه.

و قد أرسى تقاليد الشيعه فى الدعاء لأصحاب الكساء، قبل الدعاء للخليفه الفاطمى، و فى عدم التكبير بعد صلاه الجمعة، و فى الأذان و الإقامه و غير ذلك.

و لما فتحت مصر قال محمد بن هانى الأندلسى من قصيده:

يقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

و قد جاوز الإسكندريه جوهر تطالعه البشرى و يقدمه النصر

و قد أوفدت مصر إليه وفودها و زيد إلى المعقود من جسرهما جسر

فما جاء هذا البرم إلا و قد غدت و أيديكم منها و من غيرها صفر

فلا تكثروا ذكر الزمان الذى خلا فذلك عصر قد تقضى و ذا عصر

و قد أشرفت خيل الإله طوالعا على الدين و الدنيا كما طلع الفجر

لقد دالت الدنيا لآل محمد و قد جررت أذيالها الدوله البكر

و رد حقوق الطالبين من زكت صنائعه فى آله و زكا الذخر

فكل إمامى يجىء كأنما على خده الشعرى و فى وجهه البدر

(راجع: جعفر بن فلاح)

حاجى آل محمد

توفى سنه ١٢٣٤.

هو من بلده (امروهه) فى الهند، أنهى دراسته الأولى فى بلده ثم سافر إلى لكهنؤ للدراسه ثم غادرها إلى النجف و كربلاء للغرض نفسه، ثم عاد إلى بلده.

كان أديبا فى اللغات الثلاث الأردويه و الفارسيه و العربيه و له من المؤلفات: ١ - سبحة الجواهر و هو فى أحوال العلماء ٢ - دافع الشكوك فى الامامه ٣ - مثنوى نان خشك (عربى و فارسى) و غير ذلك.

حبيب يغمائى.

ولد سنه ١٣٢١ فى قريه (خور) إحدى قرى صحراء (جندق) و (بيابانك) بايران. و توفى سنه ١٤٠٤ و دفن فى قريته فى الأرض التى اشتراها و جعلها مقبره.

عند ما بلغ الخامسة عشره من عمره ذهب إلى دامغان و شاهرود لدراسه العلوم القديمه. و بعد خمسه أعوام ذهب إلى طهران للدراسه فى مدرسه (الأليانس) ثم دخل دار المعلمين و أثناء ذلك صار عضوا فى الاتحاد الأدبى الايرانى.

و فى العام ١٣٤٤ ساهم مع الشاعر فرخى يزدى فى العمل فى جريده (طوفان)، ثم درس الحقوق و العلوم السياسيه. و عين بعد ذلك رئيسا للأوقاف و المعارف فى مدينه سمنان.

و فى العام ١٣٥٠ أصبح مدرسا للغه الفارسيه فى مدرسه دار الفنون و مدارس أخرى فى طهران، ثم أصبح مديرا لمجله التربيه و التعليم. ثم أصدر مجله (كرانستگ نعيما [يغما]) التى استمرت فى الصدور ٣١ عاما، كما تولى التدريس فى كليات طهران و معاهدها. و قد منحتة جامعه طهران الدكتوراه الفخرية فى الآداب و العلوم الإنسانيه.

له من المؤلفات: (١) جغرافيه منطقه جندق و بيابانك، (٢) سيره نعيما الجندقى، (٣) تصحيح گرشاسب نامه أسدى طوسى، (٤)

نموذج النظم و النشر الفارسى، (٤) فردوسى و الشاهنامه و غير ذلك. (٥)

حسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى.

اشاره

ولد سنه ٢٨٠ و توفى سنه ٣٤٠ (٨٩٤ - ٩٥٢ م) مرت ترجمته فى الصفحه ١٧ من المجلد الخامس من (الأعيان)،

ص: ١١٥

١- نفسه ١، ١١٠. و يلاحظ أن البنود التى تحمل اسم المعز كانت قد فرقت على أنصار الدعوه لذلك "نشر كل من عنده بند بنده فى درب حارته" انظر س ٢-٣، أبو المحاسن: المصدر السابق ٤، ٨ و ما بعدها، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ١٠٣-١٠٤، عطيه مشرفه: نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين، ٦٠، عمر كمال توفيق: مقدمات العدوان الصليبي ٦٦ و ما بعدها.

٢- نفسه ١، ١١٤.

٣- القضاء: المصدر السابق ورقه ١٧٩.

٤- فاضل بهزاديان.

و ذكر هناك أن بعض المعاصرين ذكره في علماء الشيعة و قال انه سجن لأجل تشييعه.

ثم يقول في الأعيان و هو بذكر [يذكر] ما أصابه من السجن: أنه هاجى شعراء صعده فنسبوه إلى أنه هجا النبي (ص) فسجن. يقول في الأعيان: "إن الهجو المزعوم لا يمكن أن يصدر ممن يتظاهر بالإسلام، و لكن المظنون أنهم التمسوا لحبسه عذرا من هذا النوع كما هي العاده في التحامل على شيعة أهل البيت و ربما يؤيد ذلك وصف الخزرجي له بالاحاطه بالمناقب و المثالب، فان المثالب يغلب استعمالها في مثالب أعداء أهل البيت و المناقب في مناقبهم".

و في الدراسة التاليه التي كتبها الكاتب اليماني الزيدى الأستاذ أحمد الشامي يثبت تشييعه.

قال الأستاذ الشامي:

كان الهمداني مؤرخا شاعرا نسابه فيلسوفا نحويا محدثا رحاله، و هو إلى ذلك سياسي، و ما بين أيدينا من آثاره شعرا و نثرا يعرب عن علم جم، و معارف واسع، و تبحر في الروايه، و بصيره في الدرايه، و ما ضاع منها أو ما لا يزال مفقودا - و هو الكثير بينها ديوان شعره في ستة مجلدات يخول لنا القول بأنها لو وصلت إلينا - أو لو اكتشفناها - لازدادت معارف الناس عن اليمن و تاريخها و آدابها [آدابها]، و أزدنا إجلالا- لذلك العلم الشامخ لذي أطلق عليه الأوائل و الأواخر بجداره لا تمارى "لسان اليمن".

و قد ذاع صيت الهمداني و انتشر ذكره في أنحاء العالم الإسلامي أيام حياته و بعد وفاته، لأنه كان ذا نشاط جاد، يواصل و يرسل علماء و أدباء الحجاز و الشام و العراق، و كان كثير الأسفار و التجوال، و كان بمزاجه العلمي، و ذوقه الأدبي، و حسه الشاعر يسجل كلما يراه أو يقرؤه أو يسمعه و لذلك ظهرت كتبه و كأنه يؤلفها للمسلمين في كل زمان و مكان، و ليس لأبناء قومه من اليمنيين فقط، و إن كان قد وهب قلبه، و حسه، و علمه لوطنه و قومه و إلى حد يراه بعض النقاد و المؤرخين من القدامى و المحدثين أنه قد أفضى به إلى التعصب الأعمى، و العنصريه المشينه!

نشأته و مذهبه

يكاد المحققون من المؤرخين أن يجمعوا على أنه قد ولد في أوائل عام (٢٨٠ هـ) (٨٩٤ م) و هي من الفترات الرهيبه في تاريخ اليمن و الجزيره العربيه حين بدأ الحكم العباسي يتضعضع، و تشعبت الملل و النحل،! و إنها لصدفه عجيبه لا يغفلها "الفلكيون" القدامى - و قد كان الهمداني منهم - أن تكون ولادته في نفس السنه التي خرج فيها الامام الهادي يحيى بن الحسين خرجته الأولى إلى اليمن، ثم انقلب راجعا إلى الحجاز و اكتسحت الفتن اليمن، و غادرها والى صنعاء من قبل العباسيين، و ظلت نهبا بين "القرامطه" و "الدعام" و "بنى يعفر" و غيرهم حتى عاد الهادي من جديد و كتب إليه صاحب صنعاء "أبو العتاهيه" ليستقدمه، و دخلها سنه (٢٨٨ هـ).

و "الهمداني" يشاهد كل ذلك بعقله الواعي، و شبابه المتحفز و فطرته السليمه. و تهيب منه الأقدار شخصا سيلعب دورا كبيرا في احداث فترته و تاريخها و يتحمل من بؤسها و نعيمها، و خيرها و شرها، ما لا يتحملة إلا المحظوظون من نوابغ البشر.

وقد ثابر الشاب الهمداني في "صنعاء" على دراسته العلم و كسب المعارف لم يشغله عن ذلك شاغل و كان ذا لاقطه حافظه، و ذاكره واعيه، سجلت معظم ما شاهده أو سمعه من أحداث صباه، و منها كارثة القحط التي حلت باليمن سنه: (٢٩٠هـ) (٩٠٣م) و هو لا يزال في العاشره فقد ذكرها في الكتاب العاشر من "الإكليل" فقال و هو يتحدث عن أنساب آل أبي حبش: "فنوا جميعا في حطمه التسعين و مائتين باليمن و ذلك أن ما لهم فنى، و رقت وجوههم من المسأله فاعتقدوا، و أوصدوا عليهم و على أهاليهم و عيالهم أبوابهم فماتوا رحمهم الله، فلم يبق منهم أحد سوى طفله درجت من خلل بين حجرين فأخذها بعض بنى الأزهر بن عبد الرحمن فرشحت عندهم و زوجت فيهم، و سوى رجل كان نازحا عنهم". ص ٢٠٠-٢٠١:١٠ - تحقيق الخطيب و قال يحيى بن الحسين في "غايه الأمانى" ص ١٩٠: "و فى هذه السنه (٢٩٠هـ) اشتد القحط فى اليمن حتى أكل الناس بعضهم بعضا و مات خلق كثير و خرجت عدّه قري" ثم ذكر حادثه اعتقاد آل أبي حبش (أو جيش) و أسندها إلى "الهمداني" و نحن نعلم أن الإكليل من آخر تأليف لسان اليمن بعد عام (٣٣١هـ) فهو قد ألفه بعد الحادثه بأكثر من أربعين عاما و لو لا أنه قد سجلها لما علمها و لا أشار إليها أحد من المؤرخين. فيما عدا مؤلف سيره الهادى.

و توفى الهادى عام (٢٩٨هـ) و الهمداني فى عنفوان شبابه يزحف إلى العشرين و لا شك لدى أنه قد حضر مجالسه و أخذ عنه و عرف طبيعه الصراع بينه و بين بقيه المشايخ و السلاطين و ميز بين الخير و الشر، و الحق و الباطل، (١) و فى أيامه سنه (٣٠٦هـ) ذهب إلى مكه المكرمه للحج و جاور فيها مده و كتب صدرا من الحديث و الفقه و تعرف على الكثير من علماء الحجاز و الشام و العراق و لما عاد إلى "صعده" ظل يكاتبهم... و يرأسهم و ذكر القفطى و غيره أنه قد رحل إلى "بغداد" و "الكوفه" (و هذا بعيد)، و أنه قد اختلف مرارا بين "صعده" و "مكه" و قد اختار "صعده" له سكنا و ظل فيها كما يقول عشرين حولا لأن حكامها أمثال "الهادى" و "المرتضى" و "الناصر" كانوا أقرب إلى روحه و طبيعته اليمنيه المستقله، و إلى مذهبه من "القرامطه" و "آل زياد" أتباع بنى "العباس" بل و من آل يعفر الذين كانوا كما قال الأستاذ حمد الجاسر "يميلون مع هؤلاء آونه و مع أولئك أخرى، و ينضمون إلى غير الفئتين فى بعض الأحيان"؟ (مقدمه صفه جزيره العرب) و الهمداني الفيلسوف لا يستطيع أن يطمئن إلى أمثال هؤلاء، و لذلك استقر فى "صعده" و لا شك أن علاقته و د كانت تربط بينه و بين الناصر و قد أشار فى كتبه إلى مدائح الشاعر "ابن الحدوبه" فيه و فى أبيه الهادى و ذكر أشعار غيره و لو أن كتب الهمداني قد وصلت إلينا دون تحريف، أ و لو ظفرنا بديوان شعره كاملا لوجدنا فيها الكثير مما يجحد التخرصات و الاختلافات و يقر الحقائق التى تتلاءم و تنسجم مع أخلاق الهمداني الأصيله و طبيعه مثله فى مثل تلك الفتره المضطربه التى نتحدث عن آدابها و رجالها.

و لا بد من القول: أن خيرا كثيرا قد حجب عنا عمدا، و أن كثيرا من المؤرخين قد أعماهم التعصب، أو التحيز لفئه ما، أو مذهب ما، و لذلك فعلى من يريد أن يدرس تاريخ اليمن و آدابها أن لا يقتصر على كتب فئه من الفئات، أو مؤرخى دوله من الدول، بل عليه أن يتحرى، و يتتبع آثار كل فئه من كتب مؤرخيها و أدبائها، و أنه لمن دواعى الأسف أن نذكر أن أغلبه مؤرخينا - قدامى و محدثين - هم من المتعصبين و المتحيزين، و معظمهم تأثروا بما يحيط بهم، و تضحج به مجتمعاتهم من تعصبات مذهبيه، أو دعوات

سلاطيه، وقل أن تجد فيهم من يستطيع أن يتحرر من قيود بيئته، أو ينصف غير أبناء طائفته، و يتفاوتون، بين مغرق يتعسف، و خائف يتعثر، و عالم يتجاهل، و جاهل يتعالم، و قد يبلغ بالبعض التطاول إلى التكفير و التفسيق، و بآخرين الانسياق وراء الخرافات و السخافات، و يقوم الهبوط إلى مهاوى التضليل و الدجل و يستوى في ذلك المحذون و الأقدمون.

العمود الفقري لحياه الهمداني

لقد امترست الآراء و الألسن، و اختلفت و تضاربت و تجادلت بالكلام عن "الهمداني" ثناء و مدحا، و تجريحا و قدحا، شأنها في كل زمان و مكان مع الأفضاذ، و قد ترجمه من القدامى صاعد الأندلسي، و القفطي. و يحيى بن الحسين، و اهتم به و بكتبه المستشرقون، و أثنى عليه ناقدا محب الدين الخطيب و حمد الجاسر و مجده و قدسه محمد بن علي الأكوغ، و تحدثت عنه أولا في كتابي "قصه لأدب في اليمن" و ثانيا في كتابي "دامغه الدوامغ" ثم ثالثا في كتابي "جنايه الأكوغ على ذخائر الهمداني" و فيه زيفت بعض ما ينسب إليه من قبل من لم يعرفوا قدره، و فندت من يزعم أنه كان منحرفا عن آل الرسول (ص)، و أنه كان من أصحاب الهادي و أولاده "المرتضى" و "الناصر"، و أن تشييعه لم يتأثر بعصبيته لقومه "قحطان" ضد "العديانيين"، و لا بسوء التفاهم الذي حدث بينه و بين الناصر في أواخر أيامه بصعده بسعايه و وشايه خصومه القوميين و السياسيين.

على أن جل ما قيل عن الهمداني قبل اكتشاف بعض مقالات كتابه "سرائر الحكمة" كان لا يخلو من العاطفه و الهوى، و التأثير بما قاله محبوه أو خصومه، و لا سيما في معرفه مولده و نشأته الأولى و قضيه سجنه، أما بعد العثور على "سرائر الحكمة" فان حياه الهمداني لم تعد محاطه بالغموض لأنه قد تحدث بنفسه عن نفسه، و سجل كتاب سيره بأسلوب روائي بديع نستطيع مما جاء فيه... أن نستجلي صورته الهمداني و نحدد معالمها فيما يلي:

١ - ولد بصنعاء في يوم الأربعاء ١٩ / صفر سنة (٢٨٠ هـ) و هو العام الذي خرج فيه الهادي يحيى بن الحسين إلى اليمن للمره الأولى.

٢ - حدثت به عله ليست بشديده و هو في الخامسة من عمره، و لم يكذ يبلغ السابعة إلا و هو يحدث نفسه بالأسفار.

٣ - كان أبوه رحاله دخل الكوفه و البصره و بغداد و عمان و مصر و كان لأسرته بصر بالإبل منذ كانوا في "مشرق اليمن" و لما انتقلوا إلى صنعاء اشتغلوا بالجماله و التجاره و نقل الحاج بين جنوب الجزيرة و شمالها.

٤ - انتقل من "صنعاء" و هو في الخامسة عشره، أي عام (٢٩٥ هـ) إلى صعده قبل وفاه الامام الهادي ببضع سنوات و في صعده شارك أهله في عملهم و هو نقل الحجيج و التجار ما بين صعده و مكه. و في صعده بلغ سن الرشده و جنح إلى متع الحياه و طبياتها و شغف بمخالطه الناس و مجالسه الغرباء خاصه و اكتسب من ذلك معارف و تجارب.

٥ - بعد عشره أعوام من استقراره في صعده أي حوالي سنة (٣٠٥ هـ) و هو في الخامسة و العشرين و قد أمر أمره، و كثر أصدقاؤه و حاسدوه و أشقاه الكد، و أضناه الترحال و اكتسب حده الطباع، و حب الجدل و النقاش فنال من مخالطه المنافسين و معارضه الخلاء و عدواتهم ما زين له "السفر الكبير" فارتحل إلى مكه طالبا للعلم و مجاورا للبيت الحرام... و نعلم أنه أثناء رحلته هذه قد أصابه مرض شديد أشرف به على الموت و لكنه واصل الرحله حتى وصل "مكه".

٦ - جاور في مكة حوالي سبع سنوات أي إلى عام (٣١١هـ)، وفي مكة تفتحت له آفاق المعرفة، و اتسعت بسطته في العلم، و عرف الكثير من علماء الحجاز و العراق و الشام و مصر و الأندلس و تلقى العلم عن بعضهم و أخذ شيئاً من علم الأخبار و المنطق و الحديث و الفقه و اقتنى بعض كتب السيره و دواوين الشعر، و رغم أنه فقد في مكة رفاهيه "صعده" و لذاتها، و تعرض لأذى حرها و هجيرها، كما يقول في مقاله العاشره عن نفسه ألا أن فتره إقامته بها كانت من أخصب سنى التحصيل العلمى و النضوج الثقافى.

٧ - فى عام (٣١١هـ) أو العام الذى يليه رجع إلى اليمن و نزل صعده و هى يومئذ قاعده الامام الناصر بن الهادى (١) الذى كان أثناء غياب الهمدانى فى مكة - قد قضى على سطوه القرامطه، و اجتث شوكتهم فى وقعه "نغاش"، و أصبحت "صعده" أكبر مراكز العلم و الأدب فى اليمن، و تكتظ بالافئاذ من العلماء و الشعراء و الفقهاء، كما أنها أصبحت أهم المحطات التجاريه، و أكبر مراكزها ما بين مختلف الجهات اليمنيه، بل و طريق قوافل الحجاج و التجار من جنوب الجزيره إلى شمالها، و قد رحبت صعده بالهمدانى من جديد، " و عمر بها داراً، و امتلك عقارا "، و طاب له العيش و المقام بها وراق، و ساهم فى إحياء الحركه العلميه و الثقافيه، و شارك فى الأمور السياسيه و التجاريه، و كان له حظ لدى الناصر، و مكانه بين العلماء و الشعراء، و وجاهه لدى زعماء القبائل، و أخذ عن العلماء و أخذوا عنه، و أرفدهم بما تعلمه و هو بمكة، و بما أورده معه من كتب تاريخيه و فقهيه و لغويه و دواوين شعر، و ارتفع قدره و عرض جاهه، و كانت "صنعاء" و ما صاقبها تحت حكم أسعد بن يعقوب " زبيد" يحكمها "ابن زياد"، و هناك عدد من المشايخ و السلاطين يحكمون قبائلهم بتقاليد عشائريه، و أسلوب جاهلى يولون هذا تاره و ذلك أخرى، و الجميع يتصارعون على حطام الحكم و السلطه، و مدنهم و قراهم تتعرض للفتن و النهب و الدمار، بينما كانت "صعده" عند ما عاد الهمدانى تتمتع بشىء من الرخاء و الاستقرار السياسى و تزدهر بنشاط ثقافى حى، و حاكمها إمام مبرز فى علوم المعقول و المنقول.

و لذلك كله اطمأن الهمدانى إلى الاستقرار بها كما هاجر إليها استاذة أبو نصر الحنبصى فرارا من "القرامطه" و "الحواليين". و هناك قرءا معا "سجل بن أبان" و أخذ عن شيخه الطاعن فى السن ما أخذ فى علم الأنساب.

٨ - ما بين عام (٣١١هـ) و سنه (٣١٥هـ) و بعد أن شب أولاد الامام الناصر، و برز إلى الساحه مجموعه من الوزراء و القواد و المشايخ بدأت تنجم قرون الصراع و الخلاف بين المتطلعين إلى "وراثه السلطه" إذا ما انتقل "الامام الناصر" إلى جوار ربه، كما أن الخلافات القديمه بين قبائل منطقته صعده و التى كانت سببا من أسباب ذهاب وفود تلك القبائل إلى "الرس" و تنصيب الهادى إماما لهم سنه (٢٨٤هـ) بدأت أيضا تثار من جديد، و نشأت معارك كلاميه نشب بسببها صراع بيانى مرير بين شعراء التعصبات العريقيه، و الدعوات الجاهليه و التفاخير بين "القحطانيه" التى ينتسب إليها عرب جنوب الجزيره، و "العدنانيه" التى يعترى إليها عرب شمالها، إلى جدل كلامى و فقهى بين أصحاب المذاهب و النحل، و شبت المعارك اللسانيه

ص: ١١٧

بالحجج و "الدوامغ الشعريه". و ما كان للهمداني أن يسكت أو يظل محايدا، و أنا له ذلك و هو يعتبر نفسه بل و يعتبره الآخرون "لسان اليمن"! و ليس ذلك فحسب بل و قد نالت ألسنه الشعراء من قومه، و ربما أن بعض حاسديه و منافسيه قد نالوا منه شخصا و نزوه بألقاب "الجمال" و "الحائك" و "ابن؟! الدمينه" فما كان منه إلا أن نضا شبا اليراع، و جرد سيف لسانه الصقيل و خاض المعركه البيانيه شعرا و نثرا و كان لهم الصاع صاعين، و لعل بعض شعراء "اليرسميين" و "الهشميين" و "العدويين" و "التمميمين" قد لفقوا ضده ما أوغر قلب "الإمام الناصر" الذي كان قد أرهقته الحروب مع "القرامطه" و "اليعافره" و الموالي و المشايخ، و غيرهم، و ضاق ذرعا بالجدل البيزنطي "السخيف بين الشعراء حول من هو الإكرام أ عرب "قحطان" أو عرب "عدنان"؟ و كان مثل الصدر بهموم "الامامه الزيديه" و مصيرها، و يخشى على "اليمن" من التمزق و الضياع، و الفتن و الأطماع تتربص بها الدوائر، و ربما أنه قد خشى أيضا أن يكون بين هؤلاء الشعراء المتفاخرين "بقحطان" و "عدنان" و "مذحج" و "جرهم" من غرضه الفتنة و المكر، و هدفه تمزيق العرب و المسلمين و لذلك فقد انفع "الناصر" أمر بوقف تلك المفاخرات و المشاحنات العريه و العصبيه، و التي تجانف روح الدين الحنيف، بل و أمر بسجن بعض الشعراء منهم "الهمداني" في يوم الثلاثاء ١١ / رجب سنه (٣١٥هـ) و لكنه سرعان ما أفرج عنه، و لم يمكث في السجن غير عشره أيام،(١) و ربما أن الناصر قد توعدده، لو عاد إلى إثارة المعارك اللسانيه بين "قحطان" و "عدنان" و ربما أنه قد تخوف على مستقبله و ليس من شراسه خصومه السياسيين و منافسيه من الأدباء و العلماء بل و مما قد تتعرض له صعده بعد موت "الناصر"، و هو يرى الأطماع، و الأهواء و الخلافات و التعصبات تتربص. بل و تعمل لمصير مرعب مجهول. و لذلك قرر التزوح إلى "صنعاء" مسقط رأسه و كان يحكمها - واليا من قبل السلطان أسعد بن أبي يعفر - ابن أخيه أبو الفتوح الخطاب اليعفري، و ظن الهمداني أنه سينعم عند "آل يعفر" الحواليين، الحميريين بالجاه و حمايه لأنهم من قحطان و الهمداني لسانها، و ما لجا من صعده إليهم إلا بعد الملاحاه العنيفه، و تحت وعيد الناصر بالعقاب إذا ما عاد إلى إثارة تلك المشاحنات السلاليه، و المفاخرات التي ضمنها قصيدته "الدامغه" و لكنه ما إن وصل صنعاء حتى اشتغل خلال العامين (و ٣١٧هـ) بشرح قصيدته الدامغه في كتاب حافل بشتى فضائل قحطان. غير هيب و لا وجل لأنه في حمى سلطان حميرى قحطاني.

٩ - لكن سرعان ما خاب أمل الهمداني في آل يعفر الحواليين و كان معهم كالمستجير من الرمضاء بالنار، إذ كان يظن أنه بنجاته من "صعده" حيث الشعراء و العلماء و الفقهاء الذين يتعصبون لعدنان و التحاقه بصنعاء حيث الحاكم فيها "تبعي" "قحطاني" سيبعده عن أى احتمال لمكروه يحل به، أو شر يراد له، غير أن الذي حدث كان عكس ما ظن و تصور، فقد أمر السلطان أسعد بن أبي يعفر ابن أخيه أميره على صنعاء في يوم الاثنين ٢٤ / شوال سنه (٣١٩هـ) بإلقاء القبض على الهمداني و تكييله بالقيود و الزج به في أعماق سجن رهيب، و قد وصف الهمداني سجنه في مقاله العاشره من "سرائر الحكمه" فقال أن السلطان غضب عليه في صنعاء في التاريخ المذكور آنفا و أنه "كثرت المطالبه من الأشراف و ذوى النجده، بالحسنى و بالشده، لإخراجه من السجن فكان أن سمح له في ابتناء مسكن يتسع فيه، و فسح له في زياره الإخوان، و قضاء الحوائج و ذلك بعد مضى سبعة أشهر و أربعة أيام - أى أنه ظل تلك الفتره في سجن انفرادى" - قال:

"ثم أطلق من القيد الخفيف بعد أربعة و عشرين يوما و نقل من السجن العظيم إلى ما هو في عداد المنزل" ثم بدا للسلطان "الحوالى" ما بدا فعاد إلى التشديد عليه و التنكيل به قال الهمداني: "ثم تبدلت به الحال الرضيه إلى حال ضيق، فنقل من بلد إلى بلد و طيف به مصفدا إلى مواضع غربه، فلقى من ذلك الأمرين، و كان ذلك بعد ستة عشر شهرا و ثمانية عشر يوما من

مدخله السجن، ثم أدخل عليه بعض الراحة بعد سبعة عشر شهرا و ثمانية عشر يوما، و احترك في الطلب فيه العظماء من الناس فنفذت فيه الشفاعة و أذن باطلاقه و أخرج "،" ثم رد إلى السجن ثانيه، ثم أطلق من "الموضع" و بعث به مغربا مع حفظه أينما وصلوا من قريه سجنوه فأقام على ذلك ثمانية أيام، ثم فلت من النهج الذى قصد له به، و ملك نفسه (كأنه يعنى أنه تمكن من الفرار من الحفظه الذى يطوفون به مكبلا فى مملكه الحوالى) و ذلك بعد ستمائه و ٢٢ يوما تكون شهورا تامه - ٢١ شهرا و ١٩ - يوما "قال: " ثم كان وقوعه فى مأمنه و خلوده للراحه بعد فلتته شهرين و يومين "، أمضاها فى تشرذ و تخفى و خوف. (٢).

و إشاره الهمدانى إلى فراره من السجن تفسر بعض الروايات القائله بان سلطان "زبيد" قد ساعده على الخلاص من ذلك السجن و التنكيل!.

و بمتابعه قيودات الهمدانى التاريخيه نعرف أنه قد فلت من سجن "اليعافره" فى أواخر شعبان سنه (٣٢١، ٩٣٤ هـ) و لكنه ظل هاربا خائفا يتربح حتى شهر ذى القعدة عام (٣٢١ هـ) و لجا إلى مأمنه فى "ريده" جوار سيد "حاشد" يومها أبو جعفر أحمد بن الضحاك. و لا- تفسير يعقل لما ذا لم يهبط على السلطان ابن زياد فى "زبيد" إذا كان حقا قد ساعده على الفرار من سجن اليعفرى إلا إذا كان قد أدرك أن "آل زياد" على وشك الاضمحلال و الاستسلام لمواليهم من الأحباش و هو ما لا تطيقه نفسه الهمدانى".

شهاده "قصيده الجار"

تلك هى فقرات عمود حياه "الهمدانى" و سيرته منذ طفولته و حتى بلغ قمه هرم الحياه، و جاوز الأربعين، و خلد إلى كتابه "الإكليل" فى أسفاره العشره و مؤلفه الذى لم يصل إلينا كاملا أيضا "صفه جزيره العرب"، و فى جوار ابن الضحاك "بريده".

و بهذا نعرف أن الهمدانى قد سجن مرتين الأولى فى "صعده" و لم يمكث فيه غير عشره أيام، و السجن الرهيب الثانى مع التنكيل كان فى "صنعاء" على يد السلطان أسعد بن أبى يعفر، و تتلاشى التخرصات و الدعاوى التى تريد أن تلقى تبعه ما قاساه و عاناه فى ذلك السجن على الامام الناصر بن الهادى. (٣).

و أما ما ورد فى الجزء الأول من "الإكليل" مما يوحى أن الهمدانى نفسه

ص: ١١٨

١- لقائل أن يقول أن سجنه كان لعدم إقراره الامامه المتمثله بالناصر (ح).

٢- كل هذا يدل على أن اضطهاده سواء كان على يد الناصر أو يد أسعد بن أبى يعفر إنما كان لتشييع بعيد الغور أبعد مما يراه الكاتب (ح).

٣- لا يبلغ ما يقوله الكاتب حد اليقين (ح).

قد ذكر أن "أسعد بن أبي يعفر" قد ذكر أنه إنما سجنه بامر "الناصر" فلا شك عندى أن تلك العبارات لم يزبرها قلم الهمداني، و إنما من كلام مختصر الإكليل محمد بن نشوان(1) الذى أقر أنه قد تصرف فى الكتاب، و حذف و غير و بدل لأسباب فصلتها فى كتابى "جنايه الأكوغ على ذخائر الهمداني" و قلت "أن تشدد الحوالبين فى تعذيبه كما ذكر فى مقاله العاشره من "سرائر الحكمة" لا يمكن أن يقوم به الا ذو حقد شخصى نحو عدو لدود، و لا يمكن أن يكون ذلك مجامله لعدو قديم - و هو الناصر - الذى زعموا أنه أصبح صديقا!!" و فى نفس الوقت قد يجوز أن "أمراء آل يعفر" الذين تولوا حبس الهمداني و تعذيبه قد حاولوا بعد إطلاق سراحه، أو على الأصح فراره من سجنهم أن يقولوا له إنهم إنما عملوا ما عملوا عن أمر الناصر، أو بإشارته دسا و كيدا! و زعم "الحوالى" ما زعم تنصلا و تبريرا! على أن كل ذلك من باب الافتراضات و الجدل، و إلا فقد بين الهمداني نفسه أن سجنه كان على يد السلطان اليعفرى فى كتابه سرائر الحكمة، بل و سجل ذلك شعرا فى قصيدته الطويله التى سماها "الجار" و أثبتها المحقق "الأكوغ" فى مقدمه الجزء الأول من الإكليل و أولها:

خلىلى إنى مخبر فتخبرا بذله كهلان، و حيره حميرا

، إلى أن يقول بعد ذكر ما قاساه من ويلات و ما نزل على أهله و "بنياته" من كرب و بلاء، و مذكرا لفتحطان مناضلته عنهم و عن أمجادهم:

كان لم تقولوا يوم ناضلت دونكم لئن ثارت "عدنان" منك لثارا

أ "مسلم" لا تلحق "معدا" ملامه، فانى أراهم من قبلى أعذرا

و كأنه يفند العذر السخيف الذى زعمه "اليعفرى" بان "الناصر" قد طلب منه حبسه! و يشير أيضا إلى قصيدته "الدامغه" التى تعصب فيها لفتحطان و هاجم "الأمويين" و "العباسيين" بما كانوا يصنعونه بال الرسول (ص)، ثم وجه اللوم و العتاب إلى السلطان بن أبي يعفر فقال:

فليس بمنجيهم من الخزى موتهم إذا كان حر الشعر فيهم معمرا

و يسقط ضعفى ذاك فى حى حمير و سيدها المنظور فيها "ابن يعفرا

أنخت به خوف العداه و غدرهم فألفيته فيهم على الأمن أعذرا!

فملكهم منى مناط قلاذتى و أسلمنى فيهم باذنى، فيعذرا!

و لكنه أغضى على الذل عينه و فرط فى حق الجوار، و قصرا!

و أصلح بى ما كان من قبل بينه و بين "قريش" الأكرمين تغيرا!

و قد ذل من جارى بدمه جاره و أسلمه فيما يخاف، فاخفرا!

و هو يعنى بقريش هنا "العباسيين" و أتباعهم فى اليمن و قد كان لهم "اليعفريون" عمالا- على صنعاء قبل أن ينقلب عليهم السلطان أسعد و يتحالف مع على بن الفضل كما هو مذكور فى كتب التاريخ.

و قصيده الجار حوالى مائه بيت و هى من الشعر القصصى البديع و لكنهم كما نشرها الأكوخ - مفعمه بالأخطاء، و تحريفات النساخ و لم يبذل المحقق أى جهد فى تصحيحها.

أهم أسباب حبس الهمداني

و يحق لأى منا أن يتساءل: لما ذا ترى ذلك السخط الوحشى الذى استبد بقلوب أمراء "آل يعفر" على "لسان اليمن" الهمداني؟ و ما ذا كان بين السلطان أسعد و بين أبى محمد من تراث؟ و ما هى الدوافع التى جعلته يعامله بذلك التنكيل الشديد، و القسوة التى لا- ترحم و لا تلين؟ صحيح أن الظلمه فى الغالب لا يسألون فى الدنيا عما يقترفون، أو على الأصح عن أسباب و دوافع ما يجتريحون، قد عودنا أسعد بن أبى يعفر و آباؤه و أولاده على إتيان ما لا يرضى به ضمير إنسانى، أو خلق دينى، أو وزع عقلى، و موافقهم فى الغدر و الفتك مع "التراخم" و "الدعام" بل و مع أهلهم و ذويهم لم يرو أبشع منها فى تاريخ الظلمه من حكام اليمن عبر العصور.

و لكننا لم نسمع أن أبا محمد الهمداني قد زاحمهم على جاه أو سلطان فقد كان عالما مؤرخا يشتغل بالتجاره و نقل قوافل الحجاج و المسافرين بين مدن "اليمن"، و بينها و بين "مكه" المكرمه! و إذا فلا بد من افتراض سبب جوهرى دخيل متوارث تغذى حزازته ضروع "النكت" و "المروق" على مر العصور.

و يخيل إلى، و أظن - و قد يبلغ هذا الظن درجه اليقين -، أن التحاق الهمداني بصعده، و اعتناقه للمذهب الزيدى، و مناصرته للهادى و الناصر، قد أوغر عليه قلوب بنى يعفر "الحواليين" جميعا، و يكفينا أن نلقى نظره واحده فاحصه على قصيده الهمداني "الدامغه" و التى نافح فيها عن "قحطان" و سجل فضائلها، و مفاخرها، و هتك بها حرمت القبائل "العدنانيه"، و التى سببت له العداوات و أثارت ضده بعض علماء و شعراء "صعده"، و أوجدت سوء التفاهم بينه و بين "الامام الناصر" لما أسلفنا ذكره من أسباب و سوف نستشف سر ذلك السبب الأصيل!.

نعم: نظره إلى ما ورد فى "الدامغه" من تشيع و ولاء لأمير المؤمنين "على" بن أبى طالب (ع)، و تفيده لما عمله "الأمويون" و "العباسيون" بأولاده و بنيه، و وصفه لعلى بالوصى، و نبزه لمن حاربوه و ناصبوه العدا "بالناكثين" و "المارقين" و "الخوارج"، (٢) لأن ذلك أو بعضه يكفى لا يغار قلوب "آل يعفر" عليه، إذ أنهم كانوا مع "الأمويين بنى زياد" و "العباسيين" و كان على صاحبنا الهمداني أن يقدر ذلك قبل أن يهاجر من "صعده" إلى "صنعاء" و يترك قاعده "الناصر" العلوى، إلى حمى "جوار" السلطان "الحوالى"، و إن كان قد أشار إلى ذلك فى قصيدته "الجار" إذ قال:

و أصلح بى ما كان من قبل بينه و بين قريش الأكرمين تغيرا

و لكنه لم يفتن لذلك إلا بعد المأساه، و سبق السيف للعدل.

يقول الهمداني في قصيدته الدامغه:

و كان "المصطفى" بأبي و أمي بأفخر مفخر للآدمينا،

و لم يك في "معد" له نظير و لا "قحطان"، غير مجممينا

و آويناه إذ أخرجتموه و كنا فيه منكم ثائرينا،

ص: ١١٩

١- إذا كان الشك عند الكاتب قد زال، فهو لم يستطع أن يزيله عند غيره، و الأمر - كما قدمنا - لم يبلغ حد اليقين، بل لا يزال الشك شكا (ح).

٢- هذا يدل على تشيع بعيد الغور، أبعد مما يرى الكاتب (ح).

و أسلمتم بحد سيوف قومي على جدع المعاطس صاغرنا
و كنتم حين أرمس في ثراه له في "الأهل" بئس الخالفينا؟

غدرتم بابنه فقتلتموه، و فتيانا من "المتهشمينا"

و أعليتم بجهته سنانا إلى الآفاق ما إن ترعوونا

و كنتم لابنه كي تنظروه أ أنبت تقتلوه كاشفينا؟

و أشخصتم كرائمه اعتداء على الأقتاب غير مساترينا

و ها أنتم إلى ذا اليوم عما يسوء المصطفى ما تقلعوننا

فطورا تطبخون "بنيه" طبخا بزيت، ثم طورا تسمرونا

فهم في النجل للأخيار دأبا و أنتم غير شك تحصدونا

كان الله صيرهم هدايا لمنسككم و أنتم تنسكونا!

و قد أراد بهذه الأبيات و أمثالها أن يستثنى الرسول (ص) و أهل بيته الكرام مما سيقوله، أو قد قاله في "فريش" و هو يفاخر
بقومه، و يفضلهم عليهم، و أن يستل المصطفى و آله من بينهم، كما أنه في الشرح قد فصل ما قاساه "الطالبيون" على يد
القرشيين من "امويين" و "عباسيين" حتى يومه الذي ألف فيه الدماغه في مطلع القرن الرابع الهجري و بأسلوب لا- يقوله إلا
"الشيعة" المخلصون و ليس ذلك فحسب، بل أنه يعود فيجعل من مؤازره "اليمنيين" "الأمير المؤمنين على (ع) شعار فخر، و
يستعمل عبارات "الشيعة" التي يطلقونها على من خرج على على أيام "الجمل" و "صفين" و "النهروان" فيقول:

و وازرنا "أبا حسن" عليا على "المراق" بعد "الناكثينا"

و سار إلى "العراق" بنا فسرنا كمثل السيل نحطم ما لقينا

علينا اللام، ليس يبين منا بها غير العيون لناظرينا!

فارخصنا الجماجم يوم ذاكم و ما كنا لهن مثمانينا!

و أجحفنا "بضبه" يوم صلنا فصاروا من أقل "الخندفينا"

و طائرنا الأكف على خطام فما شبهتها إلا القلينا!

و ينتقل من واقعه " الجمل " إلى معارك " صفين " فيقول:

و عبانا الخيول إلى " ابن هند " نطالب نفسه، أو أن يدينا

و ظلنا نقتل الزنديين حتى أطارا ضرمه للمضرمينا...

و نادينا " معاويه " اقتربنا بجمعك إننا لك موفدونا،

و أمت دونه جمرات قومي و من دون " الوصي " محافظينا

و يوم " النهروان " فأى يوم فللنا فيه ناب " المارقينا "

و قومنا " أميه " فاستقامت و كانوا قبلها متاودينا...!

و قلنا " الهاشمون " أحق منكم و نحن لهم عليكم ما يلونا

فقام بنصرهم منا " جديع " و كان لحزبهم حصنا حصينا

إلى آخر ما قال مما يبرز شخصيه الهمداني في إطارها الصحيح و يثبت أنه كما قلنا في " الجنايه " رغم اعتزازه باليمن و قوميته " القحطانيه " كان من الذين يعترفون بمحبه على و بنيه، و إنه قد سلك في مناقضته لثونيه " الكميت، العدناني الشيعي " مسلك " دعبل " " القحطاني " الشيعي، و السيد " الحميري " القحطاني " الشيعي، من قبل " الهمداني " و مسلك من جاء بعده من شعراء قحطان أمثال " الأسلمي " و " ابن العليف " و " الهبل " و المئات غيرهم. و هذا الإطار لشخصيه " الهمداني " سينصفه و ينفذ عن اسمه غبار الدعاوى التي ظل يراكمها عليه من لم يعرفوا تاريخ ذلك العلامة التحرير و الأديب الفذ، و لا تعمقوا في دراسه أشعاره و أخباره، و لا فهموا طبيعه عصره و بيئته سواء ممن نقده قادحا، أو بالغ و أغرق في تمجيده مادحا.

أو انفعل بتحريفات محمد بن نشوان.

جواره لابن الضحاك في ريده

قلنا أن الوشايات قد أفسدت بين " الهمداني " و " الناصر " و إن ذلك و مع ضيقه بمنافسه الحاسدين من العلماء و الفقهاء و الأدباء بصعده، إلى تخوفه مما عسى أن يحدث بعد وفاه الناصر، قد دفعه إلى النزوح إلى " صنعاء " و مجاوره " الحواليين "، و أنه قد كان كالمستجير من الرمضاء بالنار للأسباب التي ذكرناها و لأخرى لم نطلع عليها بعد، و لقد مات الناصر بعد ذلك و اختلف أولاده على السلطه، و عادت الفتن كما كانت هائج مائج بين قبائل " صعده "، و بدأ ملك بني زياد يتلاشى في زييد و يمتلك الأمر جواريههم و مواليهم من " الأحباش " و كان قد صنع أسعد بن أبي يعفر و ذووه بالهمداني ما وصفه نفسه في " سرائر الحكمة " و هنا لم يجد ظلًا وارفًا يلجا إليه غير ابن الضحاك أحمد بن محمد الذي كانت " ريده " مركز سلطنته القبليه، و قد انتزع " صنعاء " من أيدي الحواليين، و هو هو [] الذي لجا إليه العالم الزيدي الكبير أحمد بن موسى الطبري بعد وفاه " الناصر "، و قال عنه: إنه بين سلاطين و زعماء عصره كان كالأسد بين الذئاب و الثعالب و النعاج، و لعل الكثير من نبغاء و أفذاذ ذلك العهد

و الذين لم يستسيغوا تصلب " ورثه النظرية الهدويه " و اختلافاتهم و صراعاتهم و ظنونهم بان الأمر تركه يتقسمونها بمجرد النسب، و لا- اطمأنوا إلى موالى " بنى زياد "، و لا إلى مكر " الحوالمين " و تفاهه و ارتزاق المشايخ الآخرين قد لجئوا أيضا إلى ظل " ابن الضحاك " مع " الطبرى " و " الهمدانى " و ربما شيخه " أبى نصر الحنبسى ". و الطبريون منهم عادوا إلى طبرستان و لقد خلد لسان اليمن إلى التأليف و الكتابه فى " ريده " حيث ألف " الإكليل " و " صفه جزيره العرب " و الكثير من الأشعار حتى توفى بها سنه (٣٣٤ هـ) (٩٤٦ م) و قيل بل عاش إلى ما بعد سنه (٣٤٤ هـ) (٩٥٦ م) و انظر مقدمه حمد الجاسر لكتاب " صفه جزيره العرب " و الذى اطمأن إليه أنه توفى حوالى " (٣٤٠ هـ) .

إبراز صورته الحقيقيه

و على كل فقد اضطربت الأقوال و التخمينات فى تحديد سنه وفاته و سواء كانت عام (٣٣٤ هـ) أو بعد عام (٣٤٠ هـ) أو فى وقت بين بين، فذلك ليس من أهدافنا تحقيقه الآن لأننا لن نستطيع أن نقطع برأى جازم بل نرجح أنه و السلطان أحمد قد توفيا عام (٣٤٠ هـ) قبل أن يضعف سلطان آل الضحاك و هدفنا الآن هو إبراز صورته " الهمدانى " فى إطارها الحقيقى، و أن نفض عنها غبار القادحين و المادحين المغالين، و تشنجات دعاوى المتعصبين، من كل الفئات. عرفنا أنه قد ولد بصنعاء و لكنه هاجر شابا إلى " صعده " و عاش فى كنف " الامام الهادى "، ثم كان من أصحاب " المرتضى " و " الناصر " حتى هاجر إلى " مكه " لطلب العلم و حين عاد بعد بضع سنوات لم يقصد " صنعاء " و لا " زييد " بل فضل البقاء فى " صعده " مقام الناصر و أن العيش قد طاب له و راق حين ذاك " و عمر دارا و امتلك عقارا " و نظم قصيدته التى رد بها على نونيه الكميت و سماها " الدامغه "،

و التي أغضبت عليه شعراء "عدنان" فهجوه و هجاهم، فاختلفوا وشايات أوغروا بها عليه قلب الناصر، لأن الدماغه نفسها لا يمكن أن تكون هي التي أوغرت عليه قلب الناصر، و غيرت ما بينهما من ود و تقدير، لأنها و إن كانت تعبر عن تعصبه الشديد للقحطانيه ضد العدنانيه إلا أنها تنم بل تصرخ بصوت جهير بتشيعه و إخلاصه في محبه آل الرسول (ص)، و قد أوردنا أبياتا منها آنفا، و لا نستطيع أن نتصور "الناصر" و هو "ابن الهادي"، و من نسل الحسن بن علي ع غير راض عن موقف الهمداني هذا، و أن لا يسعده أن الهمداني لسان اليمن قد أثبت "الوصايه" للإمام علي، و ذكر مشنعا باعمال "الأمويين" و خلفاء بني العباس الذين كانوا لا يزالون يحكمون من "بغداد" معظم العالم الإسلامي، و يعدد ما صنعهه بالطالبيين، بل و يفاخر بان اليمن وقفت مع "الإمام علي" في حروب "الجمال" و "صفين" و "النهران" و ينيز الخارجين عليه بالناكثين و المارقين، لا نستطيع أن نتصور ذلك، و مجرد افتراضه لا ينسجم مع منطق و لا ذوق و لا تفكير سليم! و إذا كان قد ورد شيء يوحى بذلك في الجزء الأول أو الثاني من الإكليل فهو من وضع محمد بن نشوان الذي اختصر الإكليل و حذف منه ما يهوى و زاد ما يريد.

إعادة النظر في كتبه

إن كتب "الهمداني" أو الموجود منها تفتقر إلى عناية جديده و إعاده نظر، و تحقيق علمي، و ضبط دقيق، و تجريدها من الهوامش و الحواشي و الفضول الذي أسرف بها من قام بطبعها، و بدلا عن كل ذلك توضع لها الفهارس، و يترجم للمجهولين من رجالها و تخرج إخراجا جديدا يليق بما فيها من علم كثير و أدب جم.

هذا و من أراد أن يعرف ما لم نفضله، أو نتحدث عنه، مما يتعلق بأسره الهمداني، و حياته في مكه و من لقي فيها من العلماء و من أخذ عنه من المشايخ، و الهمداني الجغرافي، و النسابه و الأثرى، و اللغوي، و أسماء مؤلفاته فليراجع مقدمه الأستاذ حمد الجاسر لكتاب صفه جزيره العرب، و مقدمه محب الدين الخطيب للكتاب العاشر من "الإكليل" و بكل إخلاص، و لوجه العلم أحذر من الاعتماد على معظم تعليقات و هوامش محمد بن علي الأكوخ التي أثقل بها ما تولى نشره من أجزاء الإكليل و كتاب "شرح الدماغه" فإنه ممن يلقون الكلام على عواهنه، و يدفعهم التعصب إلى الإغراق، و لا ننكر حبه للهمداني لكي يكفر به سيئات تنكيل جده "الحوالي" بلسان اليمن، و الحب يعمى و يصم و من الحب ما قتل!.

مختارات من شعر الهمداني

للهمداني ديوان شعر في سته أجزاء نقل ذلك السيوطي عن المؤرخ الخزرجي، و قال القفطي: "و لما دخل الحسين بن خالويه الهمداني النحوي إلى اليمن" توفي ابن خالويه سنة (٣٧٠هـ)، و أقام بها في ذمار جمع ديون شعره و عربه و أعربه و هذا الديوان بهذا الشرح و هذا الاعراب موجود عند أهل اليمن و هم به بخلاء". و لو وجد ديوان الهمداني سواء ما ذكره "الخزرجي" أو بشرح و إعراب "ابن خالويه" لعرفنا عن حياه ذلك العلم الشامخ ما حاول "الغلامه" أو "المتحاملون"، و "العنصريون" أو "المتعصبون" طمسه و تحريفه من مؤلفات الهمداني و الأحداث التي مارسها و ما ساهم به في حركات عصره. و قد أوردنا أبياتا من قصيدته "الدماغه" التي هي في مخطوطتنا ستمائه و سبعة و أربعون بيتا و التي مطلعها:

ألا يا دار لو لا تنطقينا فانا سائلوك، فخبيرنا

و قد سجل المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي في كتابه "طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان الزمن" نقلا عن المؤرخ الشاعر

محمد بن الحسن الكلاعي (ت ٤٠٤هـ) أبياتا مما دار بين الهمداني و شعراء صعده من ملاحاه و مشاجره.

قال: و كان بها - أي بصعده - عدّه من الشعراء المنتسبين إلى عدنان منهم أبو العساف الحسين بن علي بن الحسن بن القاسم الرسي، و أبو أيوب بن أبي الأسد السلمي، و أيوب بن محمد بن محمد اليرسمى، و كان ينسب إلى الفرس فبلغ الحسن بن أحمد الهمداني أثناء إقامته في صعده أن هؤلاء يتعصبون على قبائل اليمن و يتناولون أعراضهم بالأذى فقال لأبي العساف:

أبا العساف غرك فضل قومي و إنك من رؤوس الهاشمينا

و إنك لا تخاف و لا تجارى و لا تلقى بما قدمت هونا...

إليك، إليك عرضك عن شداتي لكي لا أطبع الحسب المصونا

و أقسم إن رملت إليك بيتا لتغتمزن قناتك، أو تلينا

أما الشاعر "السلمي" فقد أرسل إليه الهمداني أبياتا منها:

ألا أصحابوا بني عدنان من سكراتكم و إلا علمتم من أجن و أسكرا

بني أختنا لا تقطعوا ثدى أمكم فشر ثدى القوم ما كان أبترا

و أما أيوب بن محمد اليرسمى و هو فارسي النسب فقد رد عليه بقوله:

أجبت نزارا على ذمها بدم يسد سمام النفس

فلم يملك القوم رجح الجواب إلينا و ما بهم من خرس

مخافه نكس إلى دائهم و شر السقام سقام نكس

و أضحى شياطين من فارس تهمهم حولي كمثل البسس

فكم من ذباب هوى ميتا بنهم الهزبر إذا ما عطس

و لم أك معتمدا فارسا بفخر يجد لها ما درس

و قد ساله سائل من أبوك فقال من اللؤم: خالى الفرس

و من مختار شعره قوله في "اليمن":

أرض تخيرها سام و أوطنها، و أس غمدان فيها بعد ما احتفرا

أم العيون فلا عين تقدمها و لا علا حجر من قبلها حجرا...

لا القيظ يكمل فيها فصل ساعته و لا الشتاء يمسيها إذا قصرا!

و قال فى "صنعاء" و قصرها "غمدان":

ما زال سام يرود الأرض مطلبا للطيب خير بقاع الأرض بينها

حتى تبوأ "غمدانا" و شيدها عشرين سقفا يناغى النجم عاليها

فان تكن جنه الفردوس عاليه فوق السماء فغمدان يحاذيها

و إن تكن فوق وجه الأرض قد خلقت فذاك بالقرب منها أو يصالها

و له فى رثاء سلم بن صعصعه:

ص: ١٢١

دعاه دعا من رأس "تلقم" ناعيا: إلا رحم الرحمن سلم بن صعصعا!

و جاوبه من رأس "ناعط" هاتف فرن له الطودان صوتا و رجعا

و له:

عمرتم بمهدى على الأمن سرقة و بيتهم همدان، و ابن حزام

ثلاثه أبطال تريك وجوههم إذ أسفرت ما تحت كل ظلام!

و له يمدح المسلم بن عباد بن عبد الله الخولاني الأكيلى:

إلى امرئ نصبت قحطان رايتها بالكف منه و رأس العز منكوس،

فقام فيها مقاما لا يقوم به عمرو بن هند، و لا هند و قابوس

مكلم بخمashes الحروب له، كأنه زلم بالعجم مضروس

مبرا ليس فيه للعيوب إذا ما عيب عيب، و لا فى العرض تدنيس

ينمى به فوق "خولان" و يرفعه عليهم حسب فى الدهر قدموس

و كل ساع إذا يسعى لهتمته فقد يساعده فى سعيه البوس

و لم يزل فى "أكيل" من أبوته نافي المذله عن خولان عتريس

حجر، و حجر، و عمرو، كلهم رأسوا حبي قضاءه ما فى القوم مرموس

تلقاك منهم وجوه إن نزلت بهم مثل الأهله ما فيهن تعبيس

سجيه لا يزال العسر بنبتها و الطبع قبل اكتساب العقل ماسوس

يوصى أكابرهم منهم أصاغرهم بسوره المجده، أن المجد محروس

حماهم، و حماه عند دعوته من "مغرق" صنوه و الفتية الشوس

و كل تلعاء تعلقو كف ملجمها و مخطف، خطوه دقق و تكديس

مشرف الهاد يرتاح الندى له فبالأكف له مسح و تحسيس

و له يستغيث من السجن يزيد بن أبي العباس:

يا زيد زيد الخير يا ابن محمد ما كنت لاسمك إذ عرفت بناسي

بل كنت أول من هتفت به إلى إحياء نفسى ساعه الإبلاس

فابدر إلى نقذ الغريق فإنه أ لا تحث يعوم عوم الغاسي

و ليلحقتى منك بعده مالك في جاره المزني، أو جساس

و اطلب بطائلتى طلاب مهلهل، و زهير عبس ثاره في شاس

و قال من مرثيه طويله في زيد هذا:

لا رمت يعرب بسهم شديد بعد زيد أخي الفعال الحميد

خير "خولان" بل "قضاعه"، بل "حمير" بل "قحطن" الشريف بن "هود"

فانعياه بكل ملكك عظيم يرحم الله خير ميت و مودى

عقمت بعد هللكه رحم الأرض فليست لمثله بولود

من أقوال العلماء فيه

اشاره

يقول "ابن فهد" في الدر الكمين! "لم يولد في اليمن مثله علما و فهما و لسانا و شعرا، و روايه و ذكرا، و إحاطه بعلوم العرب من النحو و اللغه و الغريب و الشعر و الأيام و الأنساب و السير و الأخبار، و المناقب و المثالب، مع علوم العجم من النجوم و المساحه و الهندسه و الاستنباطات الفلسفيه و الأحكام الفلكيه".

و قال القفطى في "أنباء الرواه":

"الأديب النحوى الطيب المنجم الاخبارى اللغوى، نادره زمانه، و فاضل أوانه، الكبير القدر، الرفيع الذكر، صاحب الكتب الجليله، و المؤلفات الجميله، لو قال قائل: أنه لم يخرج اليمن مثله لم يزل، لأن المنجم من أهلها لا خطر له في الطب، و الطيب لا يدلّه في الفقه، و الفقيه لا يدلّه في علم العرييه، و أيام العرب و أنسابها و أشعارها و هو قد جمع هذه الأنواع.

و قال صاعد الأندلسى في كتاب "طبقات الأمم" عن العرب: "و أما علم الفلسفه فلم يمنحهم الله منه شيئا، و لا هيا طباعهم للعنايه به، و لا أعلم أحدا من صميم العرب شهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى، و أبا محمد الحسن بن أحمد

الهمداني و خط المسند

هل كان يعرف الكتابه الحميريه، و خط المسند؟ أما القدماء فلا يشكون في ذلك " و له - كما قال الأستاذ حمد الجاسر - أهميه عظيمه عند علماء اللغات و المنقبين عن الآثار القديمه لذكره في كتبه الكتابات العتيقه بالخط المسند الحميرى، و نقوش الأحجار كما يفعل علماء أوروبا الباحثون عن الآثار القديمه ". " و قراءه النصوص التى أوردها فى "الإكليل" تدل على معرفته التامه ". (مقدمه صفه جزيره العرب).

و قد كان يقرأ الخط المسند قراءه عربيه فصيحاه و لا تربكه المصطلحات من علامات التعريف و التنكير و التأنيث و التذكير و الأفراد و الجمع و هى حروف يلصقونها بالكلمات فيظن من لا خبره له و لا معرفه بقواعد خط المسند أن تلك العلامات تنطق، أو أن حذف بعض الحروف من بعض الكلمات يستلزم عدم نطقها، فيذهب بهم الجهل و الوهم إلى أن لغه اليمن قديما لم تكن عربيه فصيحاه، و إنها تختلف اختلافا كبيرا عن لغه شمال الجزيره و نجد و الحجاز و ذلك ما وقع فيه بعض "المستشرفين" و جر الدكتور طه حسين إلى القول بان اللغه التى كان اليمنيون قبل الإسلام يتكلمون بها لم تكن العربيه، و قد ناقشت هذا الموضوع باسهاب فى كتابى "قصه الأدب فى اليمن"، و أثبت بما لا يقبل الشك أن لغه اليمنيين كانت هى العربيه التى نزل بها القرآن الكريم، و إن رسم الخط الذى يسمونه "المسند" هو الذى يسبب الإرباك لمن لا يدري تلك القواعد و إنهم كانوا يكتبون ما لا ينطقون من حروف، و يحذفون ما لا يهملون النطق به، كما نقرأ نحن "الم" ألف لام ميم، و نكتب "الرحمن" و ننطقها الرحمن " و نحو ذلك و قد نبه الهمداني نفسه إلى ذلك فى أكثر من مكان من كتابه "الإكليل".

و يقول إغناطوس كراتشوفسكى، فى كتابه "تاريخ الأدب الجغرافى العربى": " و مما يدعو إلى الدهشه حقا أن الهمداني استطاع فك رموز الكتابه العربيه القديمه فى جنوب الجزيره " و للدكتور جواد على رأى فى الموضوع.

يقول الدكتور جواد على (ص: ٩١):

طريقه قراءه الكتابات لاستنباط التواريخ منها، فقد سبقه غيره فى هذه القراءات، و كانوا مثله ييغون الوقوف على ما جاء فيها، و معرفه تواريخها.

و قد أشار (الهمدانى) نفسه إليهم و ذكرهم بأسمائهم، مثل (أحمد بن الأغر الشهابى من كنده) و (محمد ابن أحمد الأوسانى) و (مسلمه بن يوسف بن مسلمه الخيوانى) و غيرهم. فهم مثله يستحقون الثناء و التقدير أيضا، و هم بطريقتهم هذه فى جمع ماده التاريخ يكونون على شاكلة الآثاريين المحدثين فى إدراك أهميه دراسات الآثار و الكتابات بالنسبه إلى اكتشاف تواريخ العاديات، و هم بطريقتهم هذه يكونون قد فاقوا غيرهم من المؤرخين العرب فى الأمكنه الأخرى بهذه الطريقه، فقلما نجد مؤرخين فى الأماكن الأخرى لجئوا إلى دراسه الآثار و دراسه الكتابات و وصف الأمكنه الآثاريه لاستنباط التواريخ منها كما يفعل الآثاريون فى الزمن الحاضر.

و بعد أن أورد ثناء الهمدانى على شيخه و استاذه "أبى نصر الحنبسى"، و ذكر أن الأسماء اليمانيه القديمه كانت ثقلت على ألسنه الناس فى أيامه و قبلها و إن فى ذلك دلالة على حدوث تغير فى عقليه أهل اليمن بعد الميلاد و على حصول تقارب بين لهجتهم و بقيه لهجات العرب فى الشمال قال: (ص):

(٩٦): عن أبى نصر هذا:

أما علمه بالمساند و مدى وقوفه عليها، فانا اعتقد أن علمه بها لا يختلف عن علم غيره من أهل اليمن: وقوف على الحروف، و تمكن من قراءه الكلمات، و إحاطه عامه بالمسند. أما فهم النصوص و استنباط معانيها بوجه صحيح دقيق، فأرى أنه لم يكن ذا قدره فى ذلك، و هو عندى فى هذا الباب مثل غيره من قراء الخط الحميرى. و دليل على ذلك أن القراءات المنسوبه إليهم هى قراءات لا- يمكن أن تكون قراءات لنصوص جاهليه، و إن تضمنت بعض أسماء يمانيه قديمه، لسبب بسيط، هو أن أساليبها و معانيها و نسقها لا تتفق أبدا مع الأساليب و المعانى المألوفه فى الكتابات الجاهليه، فقراءات أبى نصر و أمثاله قراءات بعيده جدا عن النصوص المعهوده، هى قراءات إسلاميه فيها زهد و تصوف و توحيد و حض على الابتعاد عن الدنيا. أما نصوص المسند التى عثر عليها حتى الآن، فإنها نصوص و ثنيه لا تعرف هذه المعانى، و أسلوبها فى الكتابه لا يتفق مع ذلك الأسلوب. و هى فى أمور أخرى شخصيه أو حكوميه لا صلح لها بمثل هذه الآراء و المعتقدات.

ثم قال (ص: ٩٧-٩٨):

و لكننى لا أريد هنا أن أكتفى بتقديم التقدير إلى الهمدانى و إلى الباقين من علماء اليمن الذين سبقوه أو جاءوا من بعده و الثناء على طريقتهم المذكوره، بل لا بد لى من التحدث عن درجه علم هؤلاء العلماء بالمسند، و بقراءه الكتابات و بعلمهم بمعانيها، أى علمهم بقواعد و أصول اللهجات التى كتبت بها مثل اللهجه المعينيه أو السبئيه أو القتبانيه أو الحضرميه و غيرها من بقيه اللهجات، و ذلك ليكون كلامنا كلاما علميا صادرا عن درس و نقد و فهم بعلم أولئك العلماء بتاريخ اليمن القديم.

و لن يكون مثل هذا الحكم ممكنا إلا بالرجوع إلى مؤلفات (الهمدانى) و غيره من علماء اليمن لدراستها دراسه نقد عميقه. و مقابله ما ورد فيها من قراءات للنصوص مع قراءات العلماء المحدثين المتخصصين بالعربيات الجنوبيه لتلك النصوص إن كانت

أصولها أو صورها موجوده محفوظه، و عندئذ يمكن الحكم حكما علميا سليما على مقدار علم أولئك العلماء بلغات اليمن القديمه و بتاريخها المندرس. و لكننا و يا للأسف لا نملك كل أجزاء كتاب (الإكليل) و لا كل مؤلفات الهمداني أو غيره من علماء اليمن، فالجزء السابع من الإكليل مثلا و هو جزء خصص بأمثال حمير و بحكمها باللسان الحميري و بحروف المسند، هو جزء ما زال مختفيا، فلم نر وجهه، و هو كما يظهر من وصف محتوياته مهم بالنسبه إلينا، و قد يكون دليلا و مرشدا لنا فى إصدار حكم على علم الهمداني بلغه حمير. و لكن ما ذا نصنع و نفعّل، و قد حررنا رؤيه هذا الجزء، و ليس فى مقدورنا نشره و بعثه، فهل نسكت و نجلس انتظارا للمستقبل، عسى أن يبعث إلى عالم الوجود؟ هذا، و قد طبع الجزء الثامن من الإكليل و كذلك الجزء العاشر منه، فاستفاد منهما المولعون بتاريخ اليمن القديم و بتاريخ بقيه أجزاء العرييه الجنوبيه، و طبع الجزء الأول من هذا الكتاب حديثا بروايه (محمد بن نشوان بن سعيد الحميري)، و قد ذكر أنه اختصر شيئا فى مواضع الاختلاف و فى النسب مما ليس له شان فى نظره دون أن يؤثر على الكتاب.

و طبع الجزء الثانى من الإكليل أيضا، أخرجه ناشر الجزء الأول:

"محمد بن على الأكوخ الحوالى" من عهد غير بعيد، و ليس لنا الآن إلا أن نرجو نشر الأجزاء الباقية من هذا الكتاب، ليكون فى وسعنا الحكم على ما جاء فيه من أخبار عن أهل اليمن الجاهليين.

إن أقصى ما نستطيع فى الزمن الحاضر فعله و عمله لتكوين رأى تقريبي تخمينى من علم الهمداني و علم بقيه علماء اليمن بلهجات أهل اليمن القديمه و بتاريخهم القديم، هو أن نرجع إلى المتيسر المطبوع من مؤلفاتهم، لدراسته دراسه نقد علميه عميقه، لاستخراج هذا الرأى منها. و هو و إن كان أقل من الضائع بكثير، و لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، و الموجود خير من المعدوم، و فى استطاعته تقديم هذا الرأى التخمينى التقريبي.

فلنبحث إذن فى هذا المطبوع لنرى ما جاء فيه.

أما بخصوص الخط المسند، فقد ذكر "الهمداني" أن جماعه من العلماء فى أيامه كانت تقرأ المسند، غير أن أولئك العلماء كانوا يختلفون فيما بينهم فى القراءة، و كان سبب ذلك - على رأيه - اختلاف صور الحروف، (لأنه ربما كان للحرف أربع صور و خمس، و يكون الذى يقرأ لا يعرف إلا صورته واحده)، و قد عرف (الهمداني) أن كتاب المسند كانوا يفصلون بين كل كلمه و كلمه فى السطر بخط قائم، و ذكر أنهم كانوا يقرءون كل سطر بخط.

غير أنه لم يذكر عدد الحروف. و صرح أنهم "كانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط الحرف، مثل ألف همدان و ألف رثام، فيكتبون رثم و همدن، و يثبتون ضمه آخر الحرف و واو عليهمو". و هى ملاحظات تدل على إحاطه عامه بالمسند، سوى ما ذكره من أنه ربما كان للحرف أربع صور و خمس، و يظهر أنه و غيره قد توصلوا إلى هذا الرأى من اختلاف أيدى الكتاب فى رسم الحروف و نقرها على الحجر، كالذى يحدث عندنا من تباين الخطوط باختلاف خطوط كتبه، فادى تباين الخط هذا إلى اختلافهم فى القراءة، و إلى ذهابهم إلى هذا الرأى، أو أنهم اختلفوا فيها من جراء تشابه بعض الحروف مثل حرف الهاء و الحاء، فان هذين الحرفين متشابهان فى الشكل، فكلاهما على هيئه كاس يرتكز على رجل، و الفرق بينهما، هو فى وجود خط عمودى فى وسط الكأس هو امتداد لرجل الكأس، و ذلك فى حرف (الحاء)، أما الهاء، فلا يوجد فيه هذا الخط الذى يقسم باطن الكأس

إلى نصفين. و يشبه

ص: ١٢٣

حرف (الحاء) حرف (الهاء) في رسم رأس الكأس، ولكنه يختلف عنه في القاعده، إذ يرتكز هذا الرأس على قاعده ليست خطا مستقيما، بل على قاعده تشبه كرسى الجلوس ذى الظهر. ومثل التشابه بين حرفي الصاد و السين، فكلاهما على هيئه كاس وضعت وضعا مقلوبا، بحيث صارت القاعده التي ترتكز الكأس عليها إلى أعلى. أما الرأس، وهو باطن الكأس، فقد وضع في اتجاه الأرض. ولكن قاعده (الصاد) هي على هيئه رقم خمسة في عربيتنا، أى على هيئه دائره أو كره بينما قاعده حرف السين هي خط مستقيم، أما باطن كاس حرف (الصاد)، ففيه خط يقسمه إلى قسمين وذلك في الغالب، وقد يهمل هذا الخط المقسم، أما حرف السين، فلا يوجد فيه هذا الخط. "ص: ٩٩".

ثم قال في ص: ١٠٠ ما يلي:

و مما يؤسف عليه كثيرا إننا لا نملك النسخ الأصلية التي كتبها أولئك العلماء بخط أيديهم، حتى نرى رسمهم لحروف المسند. فان الصور المرسومة في المخطوطات الموجوده و في النسخ المطبوعه، ليست من خط المؤلفين، بل من خط النساخ، فلا استبعد وقوع المسخ في صور حروف المسند في أثناء النقل، ولا سيما إذا تعددت أيدي النساخ بنسخ أحدهم عن ناسخ آخر. وهكذا، فليس للنساخ علم بالمسند، ولذا لا استبعد وقوعهم في الخطا. و من هنا فان من غير الممكن إصدار رأى في مقدار إتقان الهمداني و بقيه العلماء لرسم حروف الخط المسند.

وقد أشار "الدكتور كرنكو" إلى هذه الحقيقه، إذ ذكر أن صور الحروف الحميريه في "الإكليل" تختلف باختلاف النسخ اختلافًا كبيرًا، فقد صور كل ناسخ تلك الحروف على رغبته و على قدرته على محاكاة النقوش، و من هنا تباينت و تعددت، فاضاعت علينا الصور الأصلية التي رسمها الهمداني لتلك الحروف.

و تابع كلامه قائلا (ص ١٠١-١٠٢):

و خلاصه ما توصلت إليه من دراستي الاجماليه للاجزاء المطبوعه من مؤلفات "الهمداني" أن الهمداني، و إن كان يحسن قراءه حروف المسند، و يعرف القواعد المتعلقة بالخط الحميري، إلا أنه لم يكن ملما بالسنة المسند.

و لم يتمكن من ترجمه النصوص التي نقلها ترجمه صحيحه، و لم يعرف على ما يتبين منها كذلك ما كان قد ورد فيها و ما قصد منها، فجعل (تألبا)، و هو اسم آله من آل اليمن المشهوره، و معبود قبيله (همدان) الرئيس، اسم رجل من رجال الأسره المالكيه لهمدان. و جعل (رياما)، و هو اسم مكان من الأمكنه المشهوره، و كان به معبد معروف للآله (تالب)، ابنا من أبناء (نهفان)، و من أبناء (تالب). و لم يبخل الهمداني عليه، فوهب له أما قال لها: (ترعه بنت بازل بن شرحيل بن سار بن أبى شرح يحضب بن الصوار).

و يظهر على كل حال أن قراء المسند (و قد قلت إنهم يحسنون في أيام الهمداني قراءه حروف المسند) لم يكونوا على اطلاع بقواعد الحميريه، و لا- باللسان الحميري، أو الألسنه العربيه الجنوبيه الأخرى. خذ مثلا- على ذلك: (بن) و هي حرف جر عند العرب الجنوبيين، و تعنى (من) و (عن) بلغتنا قد أوقعتهم هذه الكلمه في مشكلات خطيره. فقد تصور القوم عند قراءتهم لها، أنها تعنى أبدا (ابنا) على نحو ما يفهم من هذه الكلمه في لغتنا. و فسروها بهذا التفسير. ففسروا (بن بتع) أو (بن همدان) و ما شابه

ذلك (ابن يتع) أو (ابن همدان)، و المقصود من الجملتين هو (من يتع) و (من همدان)، و بذلك تغير المعنى تماما، و من هنا وقع القوم - على ما أعتقد - فى أغلاط حين حسبوا أسماء القبائل و أسماء الأماكن الواردة قبل (بن) و بعده، أسماء أشخاص و أعيان، و أدخلوها فى مشجرات الأنساب. فاقصر علمهم على الأبجديه و جهلهم باللغه، أوقعهم فى مشكلات كثيره، و سبب ظهور هذا الخلط.

و جاء الهمدانى بنصوص آخر ذكر أنها كانت مكتوبه بالحميريه، مثل النص الذى زعم أن مسلمه بن يوسف بن مسلمه الخيوانى قرأه على حجر فى مسجد خيوان، و هذا نصه: (شرح ما، و أخوه ما، و بنوه ما، يقول شهر ان بنو هجر، هم معته بدار القلعه). و أمثال ذلك من النصوص. و لا أعتقد أنك ستقول: إن هذا نص حميرى، و لا يسع امرأ له إلمام بالحميريه أن يوافق على وجود مثل هذه العائله عائله ما، أو يسلم بان هذه قراءه صحيحه لنص حميرى. بل لا بد من وجود أخطاء فى القراءه و فى التفسير.

و لا- أريد أن أتجاوز على رجل مشى إلى ربه، فلعله كان يحسن قراءه بعض الحروف و الكلمات، و يتصور أنه أحسن قراءه النص كله و فهمه، فجاء بهذه العبارة، و على كل، إن كل الذى جاء فى النصوص التى وقفت عليها فى كتب الهمدانى لا يمكن أن يعطى غير هذا الانطباع، و لعلنا سنغير رأينا فى المستقبل إذا تهيأت لنا نصوص من شأنها أن تغيره.

ثم يقول ناقدا (ص ١٠٣-١٠٤-١٠٥):

و ياتى (الهمدانى) أحيانا بأبيات شعر زاعما أنها من المسند. ففى أثناء كلامه مثلا على قصر (شحرار) قال: و فى بعض مساند هذا البنيان بحرف المسند:

شحرار قصر العلا المنيف أسسه تبع ينوف

يسكنه القيل ذى معاهر تخر قدامه الأنوف

أما نحن، فلم نعر حتى اليوم على أية كتابه بالمسند، ورد فيها شعر، لا- بيت واحد و لا- أكثر من بيت. و أما متن البيتين المذكورين، فليس حميريا و لا- سبثيا و لا معينيا و ليس هو بآيه لهجه يمانيه أخرى قديمه، و إنما هو بعربيتنا هذه، أى بالعربيه التى نزل بها القرآن الكريم، نظمه من نظمه من المحدثين بهذه اللغه البعيده عن لغات أهل اليمن.

أما الباب الذى عقده فى الجزء الثامن بعنوان: (باب القبوريات)، فقد استمد مادته من روايات و أخبار (هشام بن محمد بن السائب الكلبى)، و (ابن لهيعه) و (موهبة بن الدعام) من همدان و (أبى نصر) و (وهب بن منبه) و (كعب الأحبار) و (عبد الله بن سلام). و قد أورد فيه نصوصا زعم أنها ترجمات لنصوص المسند، عثر عليها فى القبور عند الأحداث.

و أورد بعضها شعرا، زعم أنه مما وجد فى تلك القبور، كالذى ذكره عند حديثه عن قبر (مرشد بن شداد)، و عن قبرين جاهليين عثر عليها ب (الجند) و قد نص على أن الشعر المذكور كان مكتوبا بالمسند و قد دونه.

و هو وكل الأشعار الأخرى و منها المراثى منظوم بعربيه القرآن. و أما النثر، فإنه بهذه العربيه أيضا، و هو فى الزهد و المواعظه و الندم و الحث على ترك الدنيا، فكان أصحاب القبور، من الوعاظ المتصوفين الزهاد، ماتوا ليعظوا

الأحياء من خلال القبور، و لم يكونوا من الجاهليين من عبده الأصنام و الأوثان.

و هو قسم بارد سخي، يدل على ضعف أحلام روايته، و على ضعف ملكه النقد عند (الهمداني) و على نزوله إلى مستوى القصاص و السمار و الأخباريين الذين يروون اخبارا و يثبتونها و إن كانت مخالفة للعقل. إذ أنه لا يختلف عنهم هنا بى شىء كان.

و مجمل رأيي في (الهمداني) أنه قد أفادنا و لا شك بوصفه للعاديات التي رآها بنصه على ذكر أسمائها، و أفادنا أيضا في إيراده ألفاظا يمانية كانت مستعمله في أيامه استعمال الجاهليين لها: و قد وردت في نصوص المسند، فترجمها علماء العرييات الجنوبيه ترجمه غير صحيحه، فمن الممكن تصحيحها الآن على ضوء استعمالها في مؤلفات الهمداني و في مؤلفات غيره من علماء اليمن. أما من حيث علمه بتاريخ اليمن القديم، فإنه و أن عرف بعض الأسماء إلا أنه خلط فيها في الغالب، فجعل اسم الرجل الواحد اسمين، و صير الأماكن آباء و أجدادا، و جعل أسماء القبائل أسماء رجال، ثم هو لا يختلف عن غيره في جهله بتاريخ اليمن القديم، فملا الفراغ بإيراده الأساطير و الخرافات و المبالغات. و أما علمه بالمسند فقد ذكرت أنه ربما قرأ الكلمات، و لكنه لم يكن يفقه المعاني، و لم يكن ملما بقواعد اللهجات اليمنية القديمه، و قد حاولت العثور على ترجمه واحده تشير إلى أنها ترجمه صحيحه لنص من نصوص المسند، فلم أتمكن من ذلك و با [يا] للأسف.

و يختتم حديثه عن الهمداني قائلا:

" و علم (الهمداني) بجغرافيه اليمن و العرييه الجنوبيه، يفوق كثيرا علمه بتاريخ هذه الأرض القديم، فقد خبر أكثرها بنفسه و سافر فيها، فاكسب علمه بالتجربه. أما علمه بجغرافيه الأقسام الشماليه من جزيره العرب، فإنه دون هذا العلم".

و هذا قبل أن يطلع على ملاحظات الأستاذ محمد عبد القادر بالمطرف عن معارف الهمداني الجغرافيه و يعرف أنها بنيت على السماع، و استندت إلى ما يدور على ألسنه الناس و ليس إلى المشاهده و العيان، و لم يخبر أكثرها بنفسه، و لا سافر فيها فاكسب علمه بالتجربه.

أما أنا فلا يسعني إلا أن أتذكر ما سبق أن قلته قبل ربع قرن في كتابي قصه الأدب في اليمن و أنا أتحدث عن الهمداني:

" و لكنه على كل أحواله، منصفاً كان أو متحيزاً، مخلصاً أم مغرضاً كان يمثل العبقرية و الكمال، أحب بلده و قومه، و تعمق في دراسته تاريخ وطنه و أهله، و ورث علومهم و آدابهم و أعطى من نفسه كثيراً باحثاً متجولاً و كاتباً ساهراً، و مجادلاً صائلاً، و مناوياً و ثائراً، و لا تزال كتبه مصدراً كريماً للباحثين و العلماء، و ينبوعاً ثراً يستقى منه رواد المعرفة و المؤرخون و النقاد".

و كان بحق و جداره "لسان اليمن".

كتابه الإكليل

من أعظم الكتب العربية القديمه، و هو في أنساب حمير و أيام ملوكها، و هو في الحقيقه عنوان لعشره أجزاء في الكلام على ماضى اليمن من جميع الوجوه مفصله كالاتى: الأول: مختصر من المبتدأ و أصول الأنساب.

الثانى: فى نسب ولد الهميسع بن حمير.

الثالث: فى فضائل قحطان.

الرابع: فى السيره القديمه إلى عهد أسعد تبع أبى كرب.

الخامس: فى السيره الوسطى من أول أيام أسعد تبع إلى ذى نواس.

السادس: فى السيره الأخيره إلى ظهور الإسلام.

السابع: فى التنبيه على الأخبار الباطله و الحكايات المستحيله.

الثامن: فى ذكر ملوك حمير و محافظها و مدنها و دفتائها، و هنا حفظ من شعر علقمه بن ذى جدن.

التاسع: فى أمثال حمير و حكمها و اللسان الحميرى و حروف المسند.

العاشر: فى معارك همدان و أنسابها و عيون أخبارها.

و المطبوع من هذه الأجزاء أربعه فقط، هى الأول و الثانى و الثامن و العاشر، و تعتبر الأجزاء الأخرى بحكم المفقوده.

على أن نسخه كامله من الإكليل باجزائه العشره كانت موجوده فى مكتبه الامام يحيى حميد الدين، و الله أعلم أين انتهى أمرها بعد اضطرابات اليمن و حروبه الأخيره.

السيد حسن الامامى

ولد بطهران و كان من عائله إمام الجمعه المعروفه حيث كان آباؤه من علماء طهران و تقلدوا منصب إمام جمعه العاصمه منذ قرن و أصلهم من مدينه خوى بأذربيجان. ولد المترجم له بطهران و كان جده زوج ابنه الشاه ناصر الدين القاجارى ملك إيران. درس الحقوق فى طهران و باريس و تزوج فرنسيه ثم دخل سلك القضاء و صار أستاذا فى كليه الحقوق و صار إماما لجمعه العاصمه بعد وفاه أبيه و دخل معترك السياسه و صار نائبا فى البرلمان و كان رئيسا له مده من الزمن و كان يعد من أعوان الشاه و من المؤيدين للنظام الإمبراطورى و بعد الثوره الإسلاميه هرب إلى خارج إيران و توفى فى سويسرا عام ١٣٩٩ هـ.

له كتاب قيم فى عشر مجلدات و هو شرح للقانون المدنى الايرانى و يعد مرجعا فى بابيه لا يستغنى عنه. (١)

حسن على الحاجى

توفى بعد سنه ١٢٦١.

هو من سكان لكهنو بالهند.

كان فاضلا محدثا فقيها اخبارى المسلك. و قبل سنه ١٢٤١ سافر إلى الحجاز و العراق و إيران للحج و الزياره فلقى هناك العلماء. كان شاعرا باللغتين الفارسيه و الأردويه متخلصا باسم (الجعفرى).

من مالفاته [مؤلفاته]: تحفه العوام فى الفقه و أعمال الشهور و الزيارات و الأخلاق و العقائد. و لا يخلو بيت فى الهند و الباكستان منه. و له كتاب أحكام الأئمه و كتاب التحفه الجعفرية.

الدكتور السيد حسن السادات الناصرى

ولد سنه ١٣٤٦ فى طهران و توفى سنه ١٤١٠.

كانت ولادته من أب معلم و أم معلمه فأصبح هو أيضا حاذقا، مجبا

ص: ١٢٥

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

للعلم و المعرفة. و قد حاز شهادات الليسانس و الماجستير و الدكتوراه من جامعه طهران فى الأدب. و كان عنوان رساله الدكتوراه (الترابط بين أفكار حافظ و مولانا) باشراف الأستاذ بديع الزمان فروزانفر. و كان من أساتذته: أحمد بهمنيار و جلال همایی، و الدكتور محمد معين.

و خلال عمله فى التدريس فى مدينه قم كان يتملذ فى حلقاتها العلميه مما أكسبه مزيدا من العلم فى العلوم الإسلاميه و قد عين بعد ذلك أستاذا فى جامعه طهران بكلية الآداب [الأداب] و العلوم الإنسانيه.

كان شاعرا، ناثرا، أدبيا كبيرا. و كان بيته ملقى للعلماء و الشعراء. و فى يوم من أيام سنه ١٤١٠ عين رئيسا لهيئه علميه تسافر إلى أفغانستان للاطلاع على المراكز الثقافيه و الأدبيه هناك، و فى احتفال أقيم فى كابل لتكريمه فى المراكز الثقافيه الايرانى و بحضور وزير الثقافه الأفغانى توفى فجاء بنوبه قلبيه أمام الحاضرين، و قد نقلت جثته إلى طهران و دفنت فى مزار ابن بابويه.

ترك من المؤلفات: ١ - البديع و القافيه، ٢ - كتب مدرسيه فى قواعد اللغه الفارسيه للسنين المتوسطه ٣ - تحقيق و تحشيه كتاب (آتشكده آذر) ٤ - تحقيق ديوان الواعظ القزوينى، و ديوان على أصغر حكمت، و ديوان لطف على بيگك آذر بيگك دلى و ديوان صائب تبريزى، و قصص الخاقانى.

و له أيضا كتاب: هزار سال تفسير فارسى.

الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله بن الشيخ على بن أحمد آل عيثن الأحسائى القارى.

(١) ولد فى قريه (القاره) من قرى الأحساء عام ١٢٧٦ و توفى سنه ١٣٤٨ و بها نشأ و ترعرع، فدخل الكتاتيب و قرأ القرآن، و تعلم مبادئ القراءه و الكتابه.

و أخذ هو و أخوه الشيخ على - و كان يكبره سنا - على يد ابن عمهما الشيخ على ابن أحمد آل عيثن، فقرأ عنده مبادئ العلوم من نحو و صرف و غيرهما، ثم بعد عوده أخيهما الأ-كبر الشيخ محمد - و كان من أهل الفضل - حضرا عنده فى الفقه و الأصول.

و عرف المترجم بعد ذلك بفضيلته العلميه و الأدبيه، و كان يزاول الخطابه الحسينيه.

كما كان شاعرا نظم الشعر فى أكثر من مناسبه، إلا أن أغلب شعره قد فقد و لم يبق منه إلا النزر اليسير.

فمن شعره قوله يرثى الحسين (ع):

تذكرت المعاهد و الربوعا ففارقت المسره و الهجوعا

منازل أفقرت من ساكنيها فما ترجو لساكنها رجوعا

وقفت بها فما وقفت دموعى أسائلها كان بها سميعا

و ما ذا تنكر العرصات منى و قد رويت ساحتها دموعا

سقى الله الديار ملث وبل سحابا مغدقا خضلا هموعا

و ما برحت بروق المزن تهيمى إلى الأطلال بارقه لموعا

و ركب من سراه بنى على عن الأوطان قد رحلوا جميعا

يؤمهم فتى العليا حسين قد اتخذ الحسام له ضجيجا

بدور أشرقت و النقع ليل و قد جعلوا القلوب لهم دروعا

تخالهم على الجرد العوادى كواكب حلت الفلك الرفيعا

متى انقضت لرجم بنى زياد تكاد تطير أنفسهم نزوعا

و مما أكل الدنيا و أجرى مدامعها دما قان نجيعا

تساهمهم سجال الحرب حتى تهاووا فى ثرى الرمضا وقوعا

و رب مروعه برزت و لما تجد غير السياط حمى منيعا

و تهتف بالسراه بنى نزار فما وجدت لدعوتها سميعا

عناها ما تعانى من أيامى و أيتام كسرب قطا أريعا

و قال يمدح السيد ناصر الأحسائي عند عودته من العراق إلى الأحساء من قصيده:

أبا حسن يهنيك فى جنه الخلد قدوم ابنك العلامة العلم الفرد

به (هجر) خفت بأسعد طائر من اللطف و التأيد و الطالع السعد

و بات يباهى النيران ترابها و تختال فى ثوب من الشكر و الحمد

لكم فى العلى بيت رفيع عماده إلى الحشر باق لم يزل كعبه الوفد

إذا أمه السارى و مطلبه القرى بأنواره لا بالكواكب يستهدى

و قال من قصيده يرثى بها السيد ناصر الأحسائي الممدوح بالقصيده السابقه:

عقدت عليك المكرمات لواءها و كستك من حبل الكمال رداءها
يا سيدا مذ غاب عن أبصارنا قذيت و مذ شهدته كان دواءها
إن القلوب مريضه فالطف بها و ابعث لها تيک القلوب شفاءها
كادت تذوب من الفراق صبابه و لها عليك فما تبارح داءها
هذى يتامى آل بيت محمد تشكو إليك من الزمان بلاءها
مرفوعه الأیدی تكرر فى الدعاء لك بالبقاء لأن فيه بقاءها
لله من قمر بدا فى وجهه نور النبوه قد محا ظلماءها
إن المعالى تصطفى أربابها دون الأنام و تنتقى أبناءها
يا يوم طلعه نور بهجه هاشم نشرت عليك النيرات ضياءها
فيك الملائك هللت و تهللت ديم السحاب و أمطرت أنواءها
هذى البلاد و أهلها فى موكب ملا الفجاج مطبقا أرجاءها
كادت لرؤيته تغيب عقولها و تميط ربات الخدور حياءها
أهلا بطلعه سيد من ساده تمشى الملائك و الملوک و راءها
عم البلاد من الجهاله غاسق حلكت غياهبه فكان جلاءها
و لكم على التقوى بيوت أسست فعلت إلى أن جاوزت جوزاءها
أذن الإله بان ينوه باسمنه فيها فعلى فى البيوت بناءها
عرفت بركن المستجار و سميت أمن النزيل إذا يحل فناءها

(٢)

الحاج الميرزا حسن عظيم آبادى

توفى سنه ١٢٦٠ فى الله آباد بالهند.

كان فقيها فاضلا زاهدا. درس أولا في الهند، ثم سافر إلى كربلاء فأقام فيها و ذلك على عهد الشيخ أحمد الأحسائي و السيد
كاظم الرشتي فدرس

ص: ١٢٦

-
- ١- آل عيتان [عيتان] من الأسر المعروفة في الإحساء اشتهر كثير من أفرادها بالفقه و الأدب
 - ٢- الشيخ جعفر الهلالي.

عليهما، ثم عاد سنة ١٢٥٢ إلى لكهنو. و يقول صاحب كتاب (مطلع أنوار) أنه نتيجة لبعض الأحداث في لكهنو سافر إلى الله آباد و استقر فيها حتى وفاته.

و لم يشر صاحب (المطلع) إلى حقيقه تلك الأحداث، و ربما كانت منبعثه عن تأثره بآراء الأحسائي و الرشتي.

له من المؤلفات: رساله في صلاه الجمعه و رساله في الصوم.

السيد حسن المعروف ب باخدا ابن السيد علي حسين

ولد سنة ١٢٥٦ في الهند و توفي سنة ١٣١٦.

تعتبر بلده (كهجوه) التابعه لقضاء (سارن) في محافظه (بهار) من قواعد الشيعه العريقه في الهند، و فيها الكثير من الأسر المنحدره من السلالة النبويه، و الكثير من العلماء، كما أن فيها الكثير من الأسر الاقطاعيه.

و من أكبر الأسر القاطنه في (مرشدآباد) و (عظيم آباد) من انتشروا منها إلى مختلف البلدان: مثل السند و لكهنو و غيرهما. و كان من كبار الاقطاعيين في (كهجوه) السيد علي حسين الذي ولد له ابنه (حسن)، ثم مات عنه يتيما فتربى برعايه والدته و جده فنشأ نقياً ورعاً و لذلك عرف ب (باخدا)، أي (مع الله)، و واصل الدراسه، فذهب من أجل ذلك إلى (كان بور). ثم إلى لكهنو و كان من أبرز أساتذته فيها السيد أحمد علي و ممتاز العلماء و السيد حامد حسين. و في سنة ١٢٨٤ عاد إلى وطنه لمرض زوجته فتعطل عن الدراسه سنه و نصف السنه عاد بعدها إلى لكهنو حيث أتم دراسته و عاد إلى وطنه نهائياً. و في سنة ١٢٩٥ ذهب إلى الحج و سنه ١٢٧٥ سافر إلى العراق و إيران لزياره العتبات المقدسه. و في سنة ١٣٠٢ عاد إلى لكهنو.

و من آثاره تأسيس بعض المدارس و الحسينيات و المكتبات العامه، و إقامه مجالس تعزیه خاصه للنساء. و كان على غناه و مكانته الاجتماعيه يعيش عيش الزهد و الهدايه و الإرشاد.

الحسن بن علي الكلبی

(١) قال الدكتور موسى لقبال:

جزيره صقلية من المناطق التي آلت إلى الخلفه الفاطميه بمجرد فرار آخر الأمراء الأغالبه في رقاده.

و غداه دخول الداعي رقاده أقر عامل الجزيره عليا بن أبي الفوارس و أمره بالغزو في البر و البحر و خص جزيره صقلية في كتاب الأمان الذي منح لأهل إفريقيه باشاره هامه تضمنت الوعد بإصلاح شئونها و تحصينها و شحنها بالمجاهدين، لتستمر الحرب المقدسه، و الجهاد و حركه نشر الإسلام ضد مراكز نفوذ الروم في جنوب إيطاليا.

و عند ما استقر المهدي في رقاده، أرسل الحسن بن أحمد بن علي بن كليب، المعروف بابن خنزير، ليكون واليا عليها و كان في معيته أخوه علي و حاميه كتاميه كبيره، و قاضي الجزيره الجديد إسحاق بن أبي المنهال.

و بينما استقر الحسن منذ عاشر ذى الحجه ٢٩٧ هـ/يوليو ٩١٠ م فى مازر على الساحل الغربى من الجزيره، عين أخاه على مدينه جرجنت التى وقعت جنوبها. و بدون شك استقر قاضى الجزيره إلى جانب عاملها فى مازر.

أما الحاميه الكتاميه، فقد وزعت على المدينتين.

و يلاحظ أن دخول عناصر السلطه الجديده إلى الجزيره لم يقترن بأدنى مقاومه، لا من طرف السكان و لا من جهه بقايا الأغالبه و مواليهم و جنودهم. و هذا الوضع الهادئ استغله والى الجزيره فى التوسع ضد دمنش و غيرها.

و لهذه الاعترابات ظهرت مقاومه عنيفه لحكم بنى خنزير، و كان طابعها سياسيا مذهبيا.

و هكذا أثمرت حركه المقاومه، فأسر ابنا خنزير و حبسا ثم طردا خارج الجزيره غير أن الثوار خشوا عاقبه الثوره و حلول النقمه بهم، فشرحوا وضعيتهم للمهدى و أوضحوا له أن حركتهم الاحتجاجيه لا تحمل طابع العصيان أو الثوره السياسيه أو المذهبيه ضد سلطان الفاطميين و إنما هى لفت نظر للسلطه الجديده تجاه نوع الولاه الذين يسيئون إلى نفوذها، و قد طلب السكان العفو فاستجاب لهم المهدى، و عين على بلادهم عليا بن عمر البلوى، و كان شيخا عربيا طاعنا فى السن يميل إلى السلم و يكره العنف، و فى طبعه لين، فوصل مازر آخر ذى الحجه ٢٩٩ هـ/٩١١ - ٩١٢ م.

و فى عهد هذا الوالى، الذى ترقق بالسكان و صانعهم، بدأت اتجاهات الثوره الانفصاليه تظهر فى مدن الجزيره يدفع سكانها إلى ذلك، و رغبه بقايا أسره بنى الأغلب فى الثار لسقوط الاماره و انفصال إفريقيه عن سلطان الخلافه العباسيه السنيه فى بغداد، من جهه أخرى، هذا إلى جانب استضعاف السكان لوالى المهدى، الذى لم يكن من رجال الحرب، و من ثم أطاحوا به بسهولة و قدموا من تلقاء أنفسهم، و حسب خطه موضوعه رجلا من بقايا بنى الأغلب، هو أحمد بن زياده الله بن قرهب سنه ٣٠٠ هـ/٩١٢ - ٩١٣ م، و فى عهده صار الانفصال السياسى و المذهبى لجزيره صقليه، حقيقه ملموسه، و أمرا واقعا، إذ بعد فتره أعداد نفسى، و تهيئه ماديته، تأكد أثناءها من ثقته الناس فيه، و إجماعهم حوله، و على ما يتخذ من خطوات سياسيه فى الجزيره أعلن الثوره ضد الفاطميين.

و من مركزه الحصين فى جزيره صقليه. مارس نشاطا ثغريا، فى أرض قلوريه، و ضد طبرمين على الساحل الشرقى من الجزيره منذ سنه ٣٠٠ هـ.

كما قام باعمال كبرى ضد سواحل بلاد المغرب، ترضيه للعباسيين، و إذا كان لم يقدر لابنه على - الذى أرسل لفتح طبرمين، و حاصرها ثلاثه أشهر، أن ينجح فى مهمته لحصانه المدينه و اختلاف الجند عليه، و رغبه بعضهم فى التخلص منه، فان ابن قرهب نجح فى ميدان بلاد المغرب، حيث أحرق رجاله، أسطول الفاطميين فى مرسى لمطه، (٢) و أسروا كثيرا من بحارته، و قتل أمير الأسطول و هو عامل صقليه القديم، الحسن بن أحمد بن أبى خنزير، و حملوا رأسه نكايه فيه إلى ابن قرهب فى صقليه، و هذا الانتصار أغرى ابن قرهب، بتوسيع مجال عمله التخريبي ضد سواحل بلاد المغرب،

١- راجع الحاشيه فى ترجمه جوهر الصقلى.

٢- تقع لمطه قرب محرس المنستير، و هو أجل محارس إفريقيه و أربطتها و قصورها. و قد أشار البكرى إليها باسم ملاحه لمطه، و اعتبر ملحها أجود من غيره، و كان سلعه للتصدير: انظر المغرب ٨٤. يقول حسن الأمين: تجاهل هؤلاء الانفصاليون المذهبيون الخطر الفرنجى الجاثم حولهم و تركوا أساطيله [أساطيله] سالمه مطمئنه و شفوا حقدهم المذهبى بإحراق أسطول المسلمين و تخريب موانئهم و القرصنه فى سواحلهم، ثم أكملوا مخازيهم بالاستنجد بالبيزنطيين.

إرهابا للفاطميين الذين كانت قوتهم البحرية في هذه الفترة ضعيفة و موزعه، خاصة بعد الخسائر الأخيره.

و هكذا حرب أسطوله ميناء صفاقس، و نفذ إلى طرابلس لنفس المهمه ثم انصرف عنها لأسباب خاصه، لكنه بقى يمارس نشاطا بحريا واسعا، و حركة قرصنه ضد سواحل الفاطميين حتى حلت به الهزيمه، و أخذت معظم قطعه غنيمه خالصه للفاطميين، و عندئذ بدا نجم ابن قرهب فى الأفول، و أمره فى التراجع و الخمول، و تنكر له سكان الجزيره قبل غيرهم، لأنهم إذا كانوا قد خشوا بأسه لظفره فى الحرب فى قلوريه، و ضد إفريقيه فإنهم الآن بعد انكساره، و ضياع أسطوله أصبحوا يفكرون فى وسيله للتقرب من المهدي، و التخلص منه، و تحميله مسئوليه ما حصل فى الجزيره و تصدرت مدينه جرجنت، و هى التى سوف تبقى قلعه ثوريه ضد الولاة - حركة العصيان ضده، و ربطت صلاتها بالمهدي، و أعلنت ولاءها و اقتدى بها سائر سكان المدن الأخرى، خوفا من عاقبه الاستمرار فى الانفصال و الثوره ضد الفاطميين.

و فى عمره الفتن بين أنصار ابن قرهب، الذى رغب فى مغادره الجزيره و معارضيه، تغلب الأخيرون و تحفظوا عليه و على ابنه على و قاضيه ابن الخامى، و على بعض خاصته، و أرسلوهم مقيدين إلى سوسه، رجاء فى العفو، و طلبوا عاملا و قاضيا و رفضوا استقبال الجند، و تظاهروا بالاستغناء عن المعونات الماليه من الدوله.

و كان رد المهدي - على سكان صقلية، كفتا لتقلب أهوائهم و شغبهم و استعدادهم للعصيان فى كل حين، حيث رماهم بحشد من كتامه و شيوخها و بقائد حازم هو أبو سعيد موسى بن أحمد الضيف.

و بوصول هذا القائد، إلى صقلية اشتعلت نار الثوره فى طرابلس و جرجنتى، و بالرم، و سائر مدن صقلية، و أصبح الموقف خطيرا، إذ استعصى السكان و تمنعوا عليه، بعد حصار عده أشهر اضطر الثوار للاستسلام و لم يضعفوا حتى اشتدت الضغوط عليهم من كل جانب، و كثرت حشود كتامه، و تقاطرت نجدات المهدي على قائد الحصار، فرجع موسى بن أحمد الضيف إلى رقادته بعد أن ترك حاميه كتامه و مستخلفا عنه فى الجزيره، و هو سالم بن أبى راشد، الذى عين أثر ذلك عاملا رسميا من طرف المهدي.

و أهميه سالم بن أبى راشد، فى صقلية تظهر فيما مارسه من نشاط ثغرى فى جنوب إيطاليا، و فى مساعدته للبعوث البحريه التى ألحت على هذا الإقليم منذ سنه ٣٠٥/٩١٧ - ٩١٨ م فقد تمكن مسعود الفتى سنه ٣١٠/٩٢٢ - ٩٢٣ م من القيام بغزو بحرى ناجح افتتح أثناءه مدينه أغاى SantaAFati و غنم منها غنائم ثم انصرف إلى المهديه (٢٢٠)، و تلاه جعفر بن عبيد الحاجب ففتح مدينه وارى (Aria) بعد معركة حاسمه جرت سنه ٣١٣/٩٢٣ - ٩٢٤ م و قتل أثناءها خلق كثيره، كما غنم غنائم، و أخذ سبايا، و أسر بطريق المدينه، الذى افتدى نفسه، بخمسه آلاف مثقال.

و يبدو أن الهدوء النسبى الذى عرفته الجزيره حتى سنه ٣١٣ هـ، و التوفيق الذى حصل عليه قاده الحملات الثغريه هو الذى دفعه إلى القيام بحركه توسعيه كبرى فى إقليم أنكربيده(١) و خليج تارتو، تمكن أثناءها من فتح عده مراكز و قلاع، و من إقرار الوضع فى قلوريه Calabria التى أصبحت مركزا للراحه إلى ما يليها من مراكز الروم فى جنوب إيطاليا، و أكمل مهمته بعد انسحابه إلى بالرم، صابر الفتى الذى ابتداء منذ سنه ٣١٥/٩٢٧ - ٩٢٨ م، سلسله من الحملات البحريه، ضد مراكز الروم، فغنم غنائم كثيره، و فتح مدنا، و قلاعا، و شدد الحصار على سليير (سالونر) و على نابل (نابلى) و لم ينصرف عنهما ٣١٦/٩٢٨ - ٩٢٩

م إلا بعد صلح طلبه سكانهما مقابل أموال و أمتعه نفيسه، و بعد أن استراح الجند، قام بفتح مدينه ترموله ٣١٧ هـ ٩٢٩ - ٩٣٠ م بعد هزيمه أنزلها بالسردغوس Serguis قائد البحريه المعاديه، و أثر ذلك رجع إلى المهديه. فواصل النشاط الثغرى بعده، سالم بن أبى راشد، ثم يعقوب بن إسحاق، الذى كلف فى بدايه عصر القائم بأمر الله بمواصله النشاط الثغرى ضد الروم حيث يرتبط باسمه فتح كبرى مدن جنوب إيطاليا و هى جنوه، كما أوقع رجاله بسكان جزيره سردينيه، و أحرقوا مراكبهم و مراكب كورسيكه و عادوا ظافرين.

و فى ظل اضطراب أوضاع صقلية، بسبب قسوه الولاة، أو ضعفهم و انقسام سكانها، إلى جنسيات مختلفه، و نحل متعدده تهيأت الظروف المناسبه لظهور قوى سياسيه جديده، و انبعث النشاط فى جانب الروم الذى استنجد بهم ثوار جرجنتى من قبل.

و قد انضاف إلى ذلك، الفراغ السياسى الهائل الذى تركه خليل بن إسحاق بعد انسحابه سنه ٣٢٩ هـ لأن عطافا الأزدي بعده، عجز عن كبح جماح الأسر الاقطاعيه، و الزعامات المحليه، التى عطلت نفوذه، كما أن سكان قلوريه استغلوا هذه الظروف، أوقفوا أموال الهدنه التى قررت عليهم من قبل. و بدأ جانب المسلمين أثناء هذه الفتره ضعيفا، لأن الغزو الثغرى توقف، و انشغل السكان بالفتن و بتأييد الزعامات المحليه التى اشتهر من بينها: أسره بنى الطبرى، و بنى ماضوض، و بنى أخيه، و الذين لم يكتفوا بالتحجير على عطافا الأزدي و اغتصاب سلطانه بل ثاروا ضده و ألجئوه إلى قلعه الخالصه و استولوا على ذخائره و أموال الولايه، و بقى حتى عزله المنصور و عين على الجزيره واليا عربيا، هو الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبي ابتداء من سنه ٣٣٦ هـ/ ٩٤٧ - ٩٤٨ م مكافاه له على إخلاصه للدوله و دوره فى إنهاء ثوره أبى يزيد و هو الذى أصبح رأس أسره عربيه جديده فى صقلية هى أسره الكلبيين.

و بمهارته و إخلاص جند كتامه له، تمكن من فرض سلطانه على سكان الجزيره، فامنهم من الأخطار الخارجيه و استأنف سكان قلوريه إرسال أموال الجزيره إليه كما تتبع عناصر الشغب و زعماء الفتنه، و شرد كثيرا منهم، و قتل آخرين، بعد أن استرجع منهم ما أخذوه من أموال، فى عهد سلفه عطافا الأزدي. (٢)، العزيزى: المصدر السابق ٧١-٧٢ و ضمن وصيه المنصور للحسن استعمال الصرامه و الشده لاسترجاع هيبه الدوله لأنه "فى بلد قد أسكرت أهله النعمه و أبطروهم الإحسان، و اعتادوا مع خليل أشياء لا يخرجها من رءوسهم إلا السيوف"، ابن الأثير:

الكامل، ٨، ١٦٩-١٧٠ (٤٧١ ط. بيروت، ريزيتانو، ٥٤، أبو الفداء ٢، ١٠١-١٠٢).

و بعد أن اطمأن على الوضع الداخلى استأنف النشاط الثغرى فى جنوب ايطاليا الذى أسفر عن عده نتائج هامه فى مقدمتها: ٤٣:

ص: ١٢٨

١- اسم لجنوب إيطاليا ابتداء من نابلى حتى أقصى الساحل الجنوبي.

٢- أمارى: المصدر السابق ٢٥٧-٢٥٨ (نقلا عن ابن الأثير)، ابن خلدون: العبر، ٤، ٤٤٣ و ما بعدها، عبد المنعم ماجد: العلاقات،

١٠٨، المدنى: ١٤٢-١٤٣

اتخذ الحسن الكلبى منذ ٣٤٠هـ / ٩٥١ - ٩٥٢ م مسينا مركزا هاما للانطلاقه و الراحه، فى فصل الشتاء، و منها عبر البحر إلى ريو Reggio فانساح المسلمون فى قلوريه، و الجاوا "جراجه" لدفع الجزيه مقابل فك الحصار عنها، كما تبعوا البيزنطيين حتى اضطروهم إلى الاتجاء إلى قاعدتهم فى بارى - على بحر البنادقه (الأدرياتيكي) دون أن يجرءوا على مواجهه قوه المسلمين.

و عند ما عاد الروم، واجههم الحسن الكلبى بجوار جراجه، فهزم السرغوس، و أعيد حصار المدينه و لم ينصرف المسلمون عنها إلا- بعد أن طلب الامبراطور قسطنطين ٧ بروفر وجنتيوس الهدنه الحسن الكلبى [الكلبى] الذى وافق و رجع إلى ريو، التى أصبحت خالصه للمسلمين، فبنى فيها مسجدا بمئذنه، و اشترط لبقاء الهدنه، احترام عقائد المسلمين فيها، و على أن يكون لهم الحرية فى ممارسه عقائدهم و توسيع مسجدهم إذا أرادوا، و إلا يدخله نصرانى، و من دخله من أسرى المسلمين، و لو كان مرتدا، تكون له الحصانه، ثم أن بقاء كنائس الروم فى صقلية و إفريقيه رهن بقاء هذا المسجد. و قد بقى الروم أوفياء لهذه الشروط طيله ولايته التى انتهت بعد وفاه المنصور. ٣٤١هـ / ٩٥٢ - ٩٥٣ م.

و عند ما نقض الروم الهدنه أثناء ولايه ابنه أحمد، و استولوا على عدّه مراكز، و حاصروا نابولى المحالفه للمسلمين و هدموا مسجد ريو، عاد الحسن من جديد سنه ٣٤٥هـ / ٣٥٦ [٩٥٦] - ٣٥٦ [٩٥٧] م فارجع الوضع إلى سالف عهده، و ألجأ الروم إلى طلب الهدنه، على أن يستمر دفع الجزيه، كما كان من طرف سكان قلوريه الذين احتفظوا بدينهم.

و قد استغل أحمد قوه مركز المسلمين، و هدوء الوضعيه، فى القيام بحركه توسع كبرى فى شرق الجزيره، على حساب الروم ففتحت طبرمين بعد حصار طويل فى ذى القعدّه ٣٥١هـ / ديسمبر ٩٦٢ م - و أخرج سكانها منها، فالتجئوا إلى رمطه القريه منها ثم عمرت بجاليات إسلاميه و سميت المعزيه.

و حول رمطه التى استعصت على المسلمين منذ أن بدءوا حصارها فى رجب ٣٥٢هـ / يوليه ٩٦٣ م بقياده الحسن بن عمار، بسبب مناعتها و عناد سكانها، و من انضم إليهم من طبرمين و الروم، تحول الصراع من أجل افتتاحها، أو تحريرها من قبضه المسلمين، إلى مواجهه كبرى، بين قوه الجناح الغربى من دار الإسلام، و قوه دار الحرب التى كانت تمثلها الامبراطوريه البيزنطيه، التى خيل لامبراطورها، نفقور فوكاس، من الاسره المقدونيه أن الفرصه مؤاتيه لضرب دار الإسلام فى الغرب، كما سبق أن ضربها بنجاح فى الجبهه الشرقيه، فأرسل مانويل على رأس قوات ضخمه كما أسندت قياده الأسطول الإسلامى إلى الحسن الكلبى، الذى تمركز فى بالرمو، و أنجد قائد صار رمطه بقوات كافيه لكنها كانت دون قوه الروم الذين خيل إليهم أنهم يستطيعون تحطم قوه ابن عمار، بعد تبديد شمل قواته، و بالتالى يحررون رمطه التى قويت مقاومتها بوصولهم غير أن إدراك ابن عمار لوضعه الدقيق جعله يقاتل فى جبهتين، لأحكام حصار رمطه، ثم لدحر الروم، و قد تمكن ببراعته من هزيمة الروم و قتل قائدهم، و تبديد شمل قواتهم فى معركة عرفت باسم معركة رمطه، و الحفره أيضا، و انهزم الروم أقبح هزيمه، فأكثر المسلمون فيهم القتل، كما أنهى حصار رمطه، و اقتحمها بقواته و أدب سكانها و صبغها بصبغه إسلاميه.

أما فلول الروم و بقايا السيوف من سكان رمطه الذين غادروا ريو بحرا فى طريقهم إلى بارى أو إلى بيزنطه، فقد اقتفى أثرهم والى الجزيره أحمد بن الحسن، و غامر بقواته و دخل البحر و اشتبك معهم، و أنزل بهم هزيمه عند مضيق مسينا، سنه ٣٥٤هـ / ٩٥٦ م عرفت بموقعه المجاز. (١)

و هكذا كانت النتائج عظيمه و تمثلت فى:

ظهور قوه المسلمين و الإسلام فى الجزيره و فيما جاورها.

تأكيد مبدأ تبعيه قلوبيه مع مراكز أخرى فى إطار دفع الجزيره لولاه الفاطميين فى الجزيره. و يلاحظ أن مركز المسلمين فى الجزيره لم يتأثر بوفاه الحسن الكلبى عقب الانتصار، لأن ابنه أحمد، بقى محافظا على المكاسب الإسلاميه فى الجزيره حتى استقدمه المعز لدين الله سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ - ٩٦٩ م لنفس السبب الذى استقدم به أباه من قبل، و هو أن يشرف على رئاسه الاسطول الفاطمى، و عين على الجزيره مولى من موالى أبيه يسمى يعيش. و قد أدى الأمر إلى حاله من الفوضى و الاضطراب و انعدام الأمن بسبب ثوره السكان ضد يعيش الذى عجز عن التوفيق بين جند الدوله و موالىها من جهة، و بين الثائرين فى مدن بالرمو و سرقوسه، و غيرها من قلاع صقلية.

و أمام هذه الوضعيه السيئه، سلك الخليفه مسلكا وسطا، فابعد يعيش عن الولايه لاستضعاف السكان له و أقر من حيث المبدأ، ولايه أحمد بن الحسن على الجزيره سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ - ٩٧٠ م، لكنه احتفظ به إلى جانبه، للقيام بالمهمه التى أسندت إليه من قبل، و أرسله إلى مصر، حيث توفى فى طرابلس و أرسل إلى الجزيره مستخلفا عنه، أخاه أبا القاسم بن الحسن، الذى تجلى عند ظهوره فى الجزيره، صدى ما يكتنه سكانها من حب و تقدير لأسرته، فمالوا إلى السلم، و الهدوء فى إطار التبعيه له حتى توفى فى سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ - ٩٨٣، فولىها ابنه جابر، ثم قريبه جعفر بتقليد من العزيز بالله منذ ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ - ٩٨٤ م. و استقر الحكم فى الاسره الكلبيه وراثه، إنما فى إطار التبعيه السياسيه و المذهبيه للخلفاء الفاطميين فى مصر. (٢). به

ص: ١٢٩

١- و فى هذه الوقعه يقول ابن هانى الأندلسى: يوم عريض فى الفخار طويللا تنقضى غرر له و حجول مسحت ثغور الشام أدمعها بهو لقد تبل الترب و هى همول قل للدستق مورد الجمع الذيما أوردته له قنا و نصول سل رهط (منويل) و أنت غررتهى أى معركه ثوى (منويل) منع الجنود من القفول رواجعاتا له بالمنديات قفول و بعثت بالأسطول يحمل عدهفائنا بالعهده الأسطول أدى إلينا ما جمعت موفراثم انثنى باليم و هو جفول و مضى يخف على الجنائب حملهو لقد يرى بالجيش و هو ثقيل لم يتركوا فيها بجعجاج الرديالا النجيع على النجيع يسيل نحرب بها العرب الأعاجم أنهارمح أمق و صارم مصقول.

٢- ابن عذارى: البيان، ١، ٣٤٠، أبو الفداء، ٢، ١٠٢-١٠٣، و بعد جعفر ٣٧٥ هـ وليها عبد الله بن محمد (ت ٣٧٩ هـ) ثم ابنه أبو الفتوح يوسف بن عبد الله الذى أدرك شطرا من خلافة الحاكم، و وساطه قريبه الحسن بن عمار، و بعد وفاته عين ابنه جعفر بسجل من الحاكم و لقب بتاج الدوله و أثر عصيان السكان له، وليها أخوه تأييد الدوله أحمد الأكل منذ ٤١٠ هـ و عند ما قتل ٤٢٧ هـ و ولى أخوه صمصام الدوله الحسن، اضطربت أمورها حتى آلت إلى النورمان، و قد واجه معظمهم محاولات الروم للعوده إلى الجزيره، و نشاط البابويه، و الامبراطوريه، و حركات النورمان المخربه

الشيخ أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان البخاري الأصل المروزي

ولد في مدينة مرو سنة (٤٦٥ هـ) واستشهد على يد التركمان خنقا في فتنه الغز في رجب سنة (٥٤٨ هـ) و دفن في مرو.

من علماء الشيعة في مرو و فحول أطباء عصره كان عالما باللغه و النحو و الأدب و الحكمة و الهندسه. ذكره السيوطي في كتابه (البعية) نقلا عن ياقوت الحموي و وصفه بقوله: (... كان فاضلا عالما باللغه و الأدب و الطب و علوم الأوائل المهجوره و كان ينصر مذهبهم و يميل إليهم شيئا كبيرا محترما يأخذ بأطراف من العلوم و غلب عليه اسم الطب و له في كل نوع تصنيف مأثور و تأليف بين أهل مرو مشهور و كان يقعد للتطبيب و يؤذى الناس و يشتمهم إذا سئل عن شيء من المداواه و كان اشتغل بالفقه و الحديث في ابتداء عمره ثم أعرض عن ذلك و كان يسمع الحديث على كبر سنه و يشتغل به تسترا و إظهارا للرجبه في العلوم الشرعيه و الله تعالى أعلم بالعقيده الباطنه و له تصانيف منها العروض مشجر نسب أبي طالب. و غير ذلك...)(١)

و ذهب شيخنا الأستاذ الامام الطهراني إلى تشييعه و ذكره في كتابه طبقات أعلام الشيعة و علق على كلام ياقوت و السيوطي الذين قالوا: (... و كان يميل إلى علوم الأوائل و ينصر مذهبهم و يتستر بسماع الحديث بقوله: أقول:

تصنيفه في نسب أبي طالب و تستره كاشفان عن حسن حاله)(٢)

ذكره صاحب تاريخ حكماء الإسلام في صفحه ١٥٦ و نقل عنه الزركلي في الأعلام قال: (... عين الزمان المروزي: طيب له علم بالحكمه و الهندسه و الأدب أصله من بخاري و مولده و وفاته بمرو قبض عليه الغز لما تغلبوا على مرو فجعل يشتمهم و هم يلقون التراب في فمه حتى مات...)(٣)

أقول: استشهد على يد التركمان عند ما هاجموا مدينة مرو فدمروها و كان يحرض الناس على قتال التركمان فقبضوا عليه و حشوا فمه بالتراب حتى مات. و له مؤلفات منها كتاب الدوحه في الأنساب، و كتاب مشجر آل أبي طالب، و رسائل في الطب، و كتاب كيهان سياحت ألفه بالفارسيه في الهيئه و النجوم، و كتاب العروض بالعربيه، و غيرها من المؤلفات.(٤)

الحسن بن علي بن ورصد النحلي.

هكذا ورد اسمه في المجلد الخامس من (الأعيان). و ذكر في الأعيان أن اسمه ورد في نسخه لسان الميزان المطبوعه (ابن وصيد البجلي)، و قال أنه تصحيف.

و قد أوردت هذا الاسم دائره المعارف الإسلاميه في النسخه المعربه ملقبا بالبجلي، و جعلت جده ورسند بدلا من ورصد، و لا شك أن هذا ناتج بسبب النقل عن الحروف اللاتينيه التي ليس فيها حرف (ص). و قالت عنه دائره المعارف ما يلي: مؤسس فرقه البجليه الموجوده بين البربر في مراکش، و ذكر البكري أن البجلي ابتداء حياته تلك قبل وصول أبي عبد الله الشيعي، و كان البجلي من أهل نفضه، و التف حوله أتباع كثيرون من بني لماس. أما مذهبه فهو مذهب الروافض، إلا أنه يقول إن الامامه لا تكون إلا في نسل الحسن. و هذا ما يذكره البكري و ابن حزم، و هو يناقض ما ذكره ابن حوقل الذي يؤكد أن البجلي كان

موسوى المذهب، أعنى أنه كان يقول بامامه موسى بن جعفر من نسل الحسين.

وقد حارب عبد الله بن ياسين (مؤسس دوله المرابطين) فيما بعد البجليه (انتهى).

ومن الطبيعى أن نقول: أن فى هذا الكلام الكثير من التخليط و الجهل، فراجع ما ورد عنه فى محله فى المجلد السادس من (الأعيان).

ولكن الملفت للنظر فى قول دائره المعارف هو أن عبد الله بن ياسين حارب فيما بعد البجليه و قضى عليهم.

حسن بن على بن جابر الهبل

اشاره

ولد بصنعاء سنه ١٠٤٨ (١٦٣٩ م) و نشا فيها و بها توفى سنه ١٠٧٩ (١٦٦٨ م).

ذكره المؤرخ أحمد بن صالح بن أبى الرجال - و هو من معاصريه - فى الجزء الثالث من كتابه (مطلع البدور) (ص ١٢٥ مخطوطه زباره) أثناء ترجمته للقاضى على بن سعيد الهبل فقال: "ورثاه الفقيه الفاضل بديع الزمان الحسن بن على بن جابر الهبل رحمه الله بمرثيه فاضله و هى:

أ تدرى من تخرمت المنون و من أرقت لمصرعه العيون

و بعد أن أورد المرثاه قال: و ناظم هذه القصيده هو الناظم لكل فريده بديع الزمان و قريع الأوان من لا عيب فيه الأقرب بلاده و قرب ميلاده، فالمندل الرطب فى أوطانه خشب، إلا- عند قوم ميزوا ما خلص مما اتشب، و فرقوا بين النفيس و المخشلب، غير معولين على البلاد و لا ناظرين إلى الميلاد. أما الصغر فله أبو الطيب حيث يقول:

ليس الحدائه من حلم بمانعه قد يوجد الحلم فى الشبان و الشيب

و أما بعد البلاد فأمر لا يعتبره الحذاق، و إن قالوا القرب المفرط مانع لادراك الأهداف. و قال بعض الناس:

عذيرى من عصبه بالعراق قلوبهم بالجفا قلب

يرون العجيب كلام الغريب و أما القريب فلا يعجب

و عذرهم عند توبيخهم مغنيه الحى لا تطرب

ثم قال: نشا رحمه الله على العباده و الزهاده و على موده آل محمد (ص)، لا يلويه عن ذلك لاو، و اشتغل بالعلوم و الآداب حتى برع عن المشيخه القرح فضلا عن الأتراب. و له ديوان شعر فائق و سحر حلال رائق فى كل معنى ملىح، نهج مناهج الأدباء و جاراهم فى رقيقهم و زجلهم و جداهم و هزلهم، و هو مع ذلك السابق المجلى، و لقد رأيت له مقاطع و قصائد ياهره [باهره]، و

نفسه أشبه بشعر الأديب الحسين بن حجاج غير أنه مصون عن الأفداع، وإنما الفصاحة و النصاعه و جوده الصناعه، و لقد كان يقال أن ابن حجاج نفسه نفس امرئ القيس بن حجراه.

ص: ١٣٠

-
- ١- جلال الدين عبد الرحمن السيوطى: بغيه الوعاه: ص ٢٢٤: بيروت دار المعرفه.
 - ٢- الشيخ آقا بزرك الطهرانى: الثقات العيون فى سادس القرون ص ٦٥ بيروت دار الكتاب العربى.
 - ٣- خير الدين الزركلى: الأعلام ج ٢ ص ٢٠٢ بيروت دار العلم للملايين الطبعة السادسة عام (١٩٨٤ م).
 - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ثم اختار من شعره عدة قصائد.

أما الشوكاني في (البدر للطالع [الطالع]) ج ١-١٩٩ فقال: الحسن بن علي بن جابر الهبل اليماني الشاعر المفلق الفائق المكثّر المجيد، ولد سنة ١٠٤٨، وله شعر يكاد يسيل رقه و لطفه و جوده سبك و حسن معاني، و غالبه الجوده، و له ديوان شعر موجود بأيدي الناس.

و بعد أن اختار قطعاً منه قال: و له القصيده الطنانه التي مطلعها:

لو كان يعلم أنها الأحداق يوم النقا ما خاطر المشتاق

و كلها غرر لو لا ما كدرها من ثلب الأعراض المصونه، أعراض خير القرون. و لما ارتفعت درجته عند الامام المهدي أحمد بن الحسن، و كان كالوزير له قبل الخلافه و تصدى للقعود في دستها توفي سنة ١٠٧٩ هـ فيكون عمره إحدى و ثلاثين سنة، و لو طال عمر هذا الشاب الظريف، و لو لم يشب صافي شعره بذلك المشرب السخيف لكان أشعر شعراء اليمن بعد الألف على الإطلاق، و أصله من قربه بني (الهبل) و هي هجره من هجر خولان، و محله و محلي (يقصد شوكان)، واحد ليس بينهما مسافه، بل بينهما من القرب بحيث يسمع كل واحد من فيها كلام الآخر.

و ختم الشوكاني كلامه قائلاً:

و قد بالغ صاحب (نسمه السحر) في حقه فقال: إنه لم يوجد باليمن أشعر منه من أول الإسلام.

و(١) قد علق الباحث المعاصر أحمد الشامي على كلام الشوكاني قائلاً فيما قال:...

و نحن نعلم أن مثل هذا التعريض البياني لا يخطر ببال من لا يتعصبون لغرض، أو ينفعلون لهوى عند ما يؤرخون أو ينتقدون أو يحكمون.

و يقول الأستاذ الشامي أيضاً: فقصاص ديوانه (الهبل) كلها غرر و إن شابها ما شابها مما لا يرضى الشوكاني من الناحية المذهبية.

و رغم هذه النظره المذهبيه سيظل الهبل أشعر شعراء اليمن كما قال الشاعر الناقد يوسف بن يحيى في كتابه القيم (نسمه السحر) و هو الأقرب إلى الإنصاف و الصواب عند دarsi آداب اليمن.

ثم يوالى الأستاذ الشامي الكلام قائلاً:

و موضوعاً آخر أود أن أناقشه مع الشوكاني، و ذلك ما قاله من أن الهبل لما ارتفعت درجته عند الامام المهدي أحمد بن الحسن و كان كالوزير له قبل الخلافه و تصدى للقعود في دستها توفي! و أنا لا أدري كيف يصدر مثل هذا القول من مثل الشوكاني؟! و لا أدري من أين استقى هذا الخبر؟! فاستاذ الهبل و معاصره و الذي كان يخاطبه في شعره مخاطبه الوالد لولده القاضي العالم المؤرخ الشاعر أحمد بن صالح ابن أبي الرجال قد حكى لنا في كتابه "مطلع البدور" عن سوء حظه و محاربه

الدهر له ما سبق أن سجلناه، و صديقه الحميم فى الشعر و الرأى و المذهب أحمد بن ناصر المخلافى جامع ديوانه، قد وصف لنا ما كان يعانى من هموم الفقر، و الديوان، حتى اخترمته المنيه شهيد الغم و القهر و الوشايات، و كل ذلك صريح واضح فى مقدمه الديوان، و فى تقديماته لبعض قصائده، بل و الشاعر نفسه قد أعرب عن كل ما يؤكده هذا. فقال فى طويلته الدالیه التى بعث بها إلى صديقه و جامع ديوانه فى شوال سنه ١٠٧٨ هـ أى قبل وفاته بحوالى عام.

و دهر رمانى بالمصائب صرفه و أضنى فؤادى خطبه المتماذى

أطال حروبى بالمضرات و الأذى و لا طول حرب الحارث بن عباد

يحاول إهمالى و إسقاط رتبى و يسعى حثيثا فى خمود زنادى

و ثقل ديون للورى يا بن "ناصر" يراوحنى همى بها و يغادى

ملأن فؤادى بالأسى، و سلبنى رقادى، و ملكن الرجال قيادى

فأصبحت رهنا فى "أزال" لأجلها و غير "أزال" بغيتى و مرادى،

و إن كان فيها منشئى و ولادتى و مسقط رأسى، فهى غيلا بلادى!

و هى صرخه يأس مدويه لا يمكن أن تصدر من شخص تحسنت حالته، أو ارتفعت مكانته، و تصدى للقعود على دست الوزاره كما يقول الشوكانى و يمضى فيقول:

و ما بلدى إلا الذى فيه أعتدى و عرضى مصون عن مقال أعادى

بلاد بها لا أختشى الذل أن غدت على لأحداث الزمان عوادى

أ أقعد فى قوم أرى الشعر بينهم يباع ببخس ظاهر و كساد

لنبهتهم بالمدح للجود و الندى فتحسبى حركت صخره وادى

و حركتهم بالشعر فى كل ساعه و قد ملئت أجفانهم برقاد

إلى آخرها، و لو ذهبت أدلل و أستكثر بالشواهد لأوردت ثلث الديوان. غير أنه لا بد من التنويه بقصيدته الهمزيه التى كتبها إلى صديقه الشاعر العالم السيد أحمد بن محمد الإنسى و لكنه آخرها و لم يطلع عليها الإنسى إلا بعد وفاه الهبل و مطلعها:

أذن الندى عن نداء الشعر صماء فليس يجديك إنشاد و إنشاء

و فيها سخره لاذعه، و نقد قارس للحكام البخلاء، و تحسر و أسى مثل قوله:

و يا مرجى نوالا، أنت فى زمن فى المكارم و العلياء أسماء

إياك إياك، أن تدلى بسابقه فان ذلك إن حقيقته الداء

و لا تقل إن أردت النجاح قد قتلت أمامكم لى أجداد و آباء

يقصى المحب و يدنى من عقيدته: نصب، و جبر، و تشبيه، و إرجاء إلى آخرها و هى طويله و ذات مغاز بعيده و لو تأملها الشوكانى لعرف ما كان يكابده صاحبنا، بل لو تذكر أن ابن أحمد الأنسى هذا الذى أراد الشاعر أن يبعث بهذه الهمزيه إليه، قد كان مصيره السجن ثم الفرار إلى مكه حيث حاز قصبه السبق فى مباراه شعرية، مع شعراء من سائر الأقطار العربية، و لما عاد إلى وطنه "جرت له خطوب كثيره مع المهدي صاحب المواهب" ثم نفاه إلى جزيره "زيلع" حيث مات هناك سنه ١١١٩ هـ. (و انظر البدر الطالع ص ٣٦-٣٧ ج ١ للشوكانى نفسه).

و الذى سيتامل ما ورد فى الديوان سيعرف أن مثل الهبل لا يمكن أن ينجح بمبادئه فى مثل زمنه، و إن مصيره كان سيزداد سوءا لو عاش، و لا سيما و قد كبرت الانحرافات التى كان يتحسبها، و يحذر منها، و يدعو إلى.

ص: ١٣١

١- مقدمه الديوان للشامى.

محاربتها، على أن موقف الشوكاني من الهبل لن يكون واضحاً ما لم نشر إلى قضيه غريبه أشار إليها في ترجمته للسيد [السيد] يحيى بن الحسين بن المؤيد في الجزء الثاني من البدر الطالع و لم أجد لها في سواه قال: "وله تلامذه نبلاء، منهم القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي و الأديب أحمد بن محمد الإنسي المتقدم ذكره، و كذلك الشاعر المشهور الحسن بن علي بن جابر الهبل، و كان يعنى السيد يحيى بن الحسين) متظاهراً بالرفض، و ثلب الأعراس المصونه من أكابر الصحابه و مشى على طريقته تلامذته و رأيت بخط السيد يحيى بن الحسين بن الامام القاسم المذكور قبله، أن صاحب الترجمة توطأ هو و تلامذته على حذف أبواب من مجموع زيد بن علي و هو ما فيه ذكر الرفع و الضم و التأمين، و نحو ذلك ثم جعلوا نسخاً و بثوها في الناس، و هذا أمر عظيم و جنايه كبيره، و في ذلك دلالة على مزيد الجهل، و فرط التعصب، و هذه النسخ التي بثوها في الناس موجوده الآن، فلا حول و لا قوة إلا بالله" انتهى - . كلام الشوكاني ص ٣٣٠ - البدر الطالع ج ٢ و لا أريد أن أشكك في كلام الشوكاني من أن السيد يحيى بن الحسين بن المؤيد أستاذ الثالث المذكور كان يتظاهر بالرفض، و لا أجادله في ذلك، إذ لا علم لي به، كما أنه قد ورد فيما نقل إلينا من أشعار الهبل، و المخلافي، بعض ما أشار إليه الشوكاني، و نقل إلينا أيضاً أن المخلافي نفسه اعتدل و رجع عن "جاروديته". و لكن الشوكاني، لم يذكر اين قرأ الكلام الذي نسبه إلى العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم و هو كلام خطير، و تهمه تشكك في أهم مرجع للزيديه، و هو "مجموع زيد بن علي" (ع)، و مخطوطاته المتداوله كثيره، و قد طبع مرتين أحدثها طبعه "المؤيد" في خمس مجلدات و عليها شرح القاضي الحسين بن أحمد السياغي (١١٨٠ - ١٢٢١ هـ) و الذي سماه "الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير، و قد ترجم الشوكاني للسياغي في البدر الطالع: ج ١ ص ٢١٤ و قال: "هو رفيقي في بعض مسموعاتي على شيوخى" ثم قال: "و قرأ مجموع الامام زيد بن علي على القاضي العلامة يحيى السحولي، و على آخرين و برع في هذه المعارف كلها و فاق و صار من أعيان علماء العصر المفيدين في عده فنون" مع ذهن قوى، و فهم صحيح، و إدراك جيد، و سمت حسن، و رصانه عقل، و متانه دين." ثم قال: "و هو الآن يشرح مجموع الامام زيد بن علي شرحاً حافلاً و بينى و بينه مكاتبات و مشاعرات و مباحثات في عده مسائل" ثم يستأنف الأستاذ الشامي كلامه قائلاً:

لقد كنت أشعر - مثل سائر زملائي - نحو عائلته "الهبل" المتواضعه الحال، بكثير من الإجلال و التقدير، لأنهم كما قيل لنا، أسره شاعر "أهل البيت"، و كانت قصائده يترنم بها في الاحتفالات، و مناسبات "العرس" أو "العزاء".

و الهبل كما قال شيخه أحمد بن صالح بن أبي الرجال: "نشا على موده آل محمد (ص) لا يلويه عن ذلك لاو"، فالتشيع مفتاح شخصيته، فيه يوالى، و به يعادى، و يحب و يكره، و يسخط و يرضى، و يخطئ و يصيب، و هو زيدى الرأى و الأصول، و لكنه - و ذلك ما ينطق به شعره - كان متطرفاً ينهج نهج "الجاروديين"، و لأنه نشأ في بيئه فروسيه و زهد و في ظلال أسره و جماعه يلتفون مع قبيلتهم حول "الامام القاسم بن محمد المنصور"، و كان لأبيه و عمه و غيرهم من أفراد أسرته الحظ الوافر من الجهاد و النضال ضد الأتراك و السلاطين و "الاقطاعيين" و "العملاء"، الذين كانوا يوالونهم في بعض الأصقاع اليمنيه، و العمل باللسان و السنان لتكوين الدوله "القاسميه" التي ما إن توفى مؤسسها "القاسم" حتى تمكن أولاده "الحسين" و "الحسن" و "المؤيد" و "المتوكل"، و حفيده "أحمد بن الحسن" ممدوح "الهبل"، و الذي أصبح إماماً بعد وفاه شاعره و تلقب بالمهدى.. من رفع رايه "اليمن الكبرى" على كل أقطارها، و أحاط البحر بدولتها من الشرق و الغرب و الجنوب. بل إن الشاعر نفسه قد شارك أميره أحمد بن الحسن "سيل الليل"، في بعض الحروب التي خاضها، و رافقه في قمع التمردات القبليه هنا و هناك، و حضر بعض المعارك، و وصفها وصفاً بديعاً كما فعل شاعر العربيه الأول أبو الطيب المتنبي مع أميره سيف الدوله، و كان

"الهبيل" قد كتب على سيفه البتار هذين البيتين:

أنا السيف لا تختشى نبوتى إذا خشيت نبوه القاضب

إلى "ذى الفقار" اعترائى كما إلى "حيدر" يعتزى صاحبى

و كأنه لتفانيه فى حب "على" سيد الفرسان لم يكتف بذلك، بل جعل سيفه "شيعيا" لسيف "على" "ذى الفقار" و أنطقه بهذين البيتين الرائعين.

لقد ظلم الشاعر الهبل حيا و ميتا، فإنه، و هو العالم الذى قال "ابن أبى الرجال" إنه "اشتغل بالعلوم و الآداب حتى برع على المشيخه القرخ، فضلا عن الاتراب"، قد اعتنق مذهب "الثوره" و الخروج على الظلمه و المنحرفين، و ألزم نفسه محاربه الفساد بلسانه و سنانه كما جهر بنقده المنحرفين و الفاسدين، فكرا، أو عقيده، أو سلوكا - نقدا لاذعا مريرا، و عند ما رأهم يحاولون جرحه القائمين بالأمر إلى ما يخشاه على جوهر الحكم لم يصمت، و لم يجامل بل نصح و حذر، ثم حرض من يحسبه قادرا على الإصلاح و التغيير شانه شان المصلحين، و أصحاب المبادئ فى كل زمان و مكان.

و كل ذلك قد جر عليه الويل، فحاربه - بل و حارب ديوان شعره - من لا يقول برأيه من الفقهاء و ذوى السلطه حتى و لو كانوا من أبناء و أتباع فرقته و طائفته.

لقد التقى المتنافرون رأيا، و مذهبا، و مزاجا، عن وعى، و عن غير وعى، و بقصد، و بدون قصد، على غمط الهبل، و تحاشى ذكره أو الاستشهاد بشىء من شعره، جمعهم على ذلك قاسم مشترك، و حد بين المتنافرين رأيا و مذهبا، و المختلفين هوى و شعورا، و المتباينين ثقافه و تفكيرا، على مدى الأيام و العصور، و حل بذلك على شاعر اليمن "الهبيل" ظلم كبير.

ثم يمضى الأستاذ الشامى فى كلامه متحدثا عن الديوان المخطوط الذى جمعه أحمد بن ناصر الخلفى صديق الشاعر:

أين شعر الهبل؟

ص: ١٣٢

إلى نظيره "و إذا فما بين أيدينا الآن إنما هو النزر اليسير من شعر الهبل، و كان الهبل نفسه قد مزق الكثير من أشعاره المتقدمه - أى التى أنشأها و هو فى عنفوان شبابه الشعرى، كما أعدم بعض ما قاله فى أخريات أيامه، و لا شك أن فيها ما يؤسف عليه من شعره السياسى و الاجتماعى، و أن الذى دفعه إلى إعدامها ليس الاستهجان، و لكنه الحذر، أو الندم، أو الخوف، غير أن قول جامع الديوان بأنه سيلحق ما يظفر به من شعره بنظيره فى الديوان يجعلنا نتساءل هل أضاف إلى ما جمعه بعد وفاه صاحبه شيئاً جديداً و لا سيما و قد عاش بعده و فيا لذكره ثمانيه و ثلاثين عاماً؟؟ و إذا كان قد ظل مع تتابع السنين يضيف ما يظفر به إلى نظيره، فهل هناك نسخ تختلف مع اختلاف السنين و تتابع الإضافات؟ و إذا كان "المخلافى" قد شغلته ظروفه، و قد ابتلى و سجن، فأين ما كان يطمع أنه سيظفر به، و وعد بأنه سيلحقه بنظيره؟ أسئلة ليس عندي جوابها الآن. كل ما أستطيع أن أقوله: إنه من الحرام أن يظل للهبل شعر موءود، و إن من سيساهم فى إخراجه من قبور الإهمال سيقدم يداً للأدب اليمنى، و ها قد نشرت الموجود، فليفضل أدباء اليمن بالبحث عن المفقود، إما فى النسخ المتعدده إذا كان يوجد فيها ما ليس فى النسختين اللتين اعتمدت عليهما، أو فى "السفن"، و المجاميع المخطوطه فى الخزائن العامه و الخاصه داخل اليمن و خارجها.

هذا بالنسبه للشعر الحكيمى المعرب الذى قاله الهبل على طريقه امرئ القيس، و البحترى، و الشريف الرضى، و بقى أن أتساءل هل كان للهبل شعر "حمينى" بلغه صنعاء الدارجة؟ إننى لا أشك فى أن "الهبل" ابن صنعا "الرقيق الطبع، الخفيف الروح، العاشق المزاج، قد قال شعراً حمينياً كثيراً و رائعاً.

أ يكون من شعراء العصر الذى عاش فيه "الهندي" و "شعبان سليم" و "حيدر آغا" و "الرقيجى" و جاء بعد "ابن شرف الدين" ثم لا ينظم شعراً غنائياً حمينياً؟؟ إن هذا فى نظرى من المستحيل...؟؟ نعم لقد نسب الدكتور محمد عبده غانم فى كتابه "شعر الغناء الصناعى" قصيده:

"يا قلبى المضى عيش ترتاب ثق بالذى للمشكلات حلا

إلى الهبل، لكن من يعرف نفس "الهبل" لا- يستطيع أن يطمئن إلى أنها حقاً من شعر الهبل الذى يتميز بنفس عال لا ترقى القصيده المذكوره إلى مستواه الفنى و الشعرى، و لا سيما و قد ذكر الدكتور غانم نفسه أن مخطوطه الحوثى قد نسبت القصيده إلى محمد بن أحمد حميد الدين المتوفى سنة ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) أى بعد الهبل بحوالى مائه و خمسين عاماً، و قال إن مخطوطه القاضى محمد العمرى تنسب هذه القصيده إلى قاسم عبد الرب المتوفى سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م).

و إذن: فأين ديوان الهبل الحمينى؟ و إذا ظلت الأسئلة تتوافد فان السؤال الكبير هو: هل يمكن أن يقول "الهبل" هذا الشعر "دو بيت".

كم أكرم لوعتى، و كم أخفيها؟ و الدمع إذا جرى دما يديها!

يا مالك مهجتى رويدا بشحها مهجته لديك فانظر فيها

فيبدع و يحسن جهد الإبداع و الإحسان، ثم لا يكون له فى هذا الفن "الدوبيت" إلا هذه المقطوعه النادره؟ أما أنا فلا أستطيع أن أصدق أن مثل ذلك يكون! و إذن... فأين شعر "الهبل" الدوبيت؟ أين ما لا يزال موءوداً من شعره الحكيمى؟ و أين ديوانه

الحميني؟ و أين "الدوبيت" يا أدباء اليمن؟ و مما ينبغى الإشارة إليه ما ورد فى تقديم جامع الديوان للقصيد "البائيه" و ذلك فى النسخه "ف" فقد قال أنها أولى قصائد الهبل العلويه، و أنه قد أنشدها فى غره شهر رمضان سنه ١٠٧٥ هـ و نحن نعلم أنه توفى سنه ١٠٧٩ هـ فتكون كل قصائده العلويه و الزيديه قد نظمها بعد أن جاوز السادسة و العشرين، و فى بحر ثلاث سنوات و بضعه أشهر، و ربما فرارا من المديح الذى لم يربح منه شيئا... أو تذكيرا للحكام بصفات من عليهم أن يتخذوا منهم قدوه فى الحكم و السلوك.

و بعد فان الشاعر إنما هو شعره و هذا هو الهبل فى شعره الذى لم يشغل اليمنيين شعر أى شاعر فى تاريخهم الأدبى كما شغلهم، ثم يواصل الأستاذ الشامى كلامه قائلا:

و لن يفوتنى - و قد فاتنى الكثير مما كان على أن أذكره - أن أشير إلى أن أول ما شاع الحديث فى صنعاء عن طبع ديوان الهبل كان سنه ١٣٥٧ هـ (١٩٣٩ م) و أن الامام يحيى و رئيس وزرائه عبد الله العمري قد كلفا السيد الشاعر محمد عبد الرحمن كوكبان أن يرتبه و ينقحه و يحذف منه ما يدل على "جاروديته" هكذا سمعت يومها، و لا أدرى ما صنع السيد محمد كوكبان بالديوان؟ و لا أين نسخته؟ التى اشتغل بها زمنا. و اعلم أيضا أن زميلي الشاعر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشامى كان قد كلف من قبل الامام أحمد سنه ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) أن يقوم بنفس العمل، و كان قد راجعنى فى مسائل لا أذكرها الآن عند ما كنا نلتقى فى "صنعاء" أو "القاهره"، و لا شك فى أنه قد قطع شوطا فى عمله، و لو أن ما عمله هذان الأديبان الكبيران قد وصل إلى يدي لأغنانى عن التعب المضنى الذى قاسيته خلال تنقيحى لهذا الديوان، و رغم حرصى على معرفه ما عملاه لم أوفق، و لا أدرى أين ذلك الجهد الذى صرفا فيه سواد و بياض سنوات.

نسخه الديوان المعتمده

و يقول الأستاذ الشامى: كنت قد نسخت ديوان الهبل فى سنه ١٣٦٠ هـ (١٩٤٢ م) على إحدى النسخ القديمه المضبوطه المصححه ثم قرأتها مع زميلي الأخ الأديب الشاعر عبد الرحمن عبد الصمد و قابلتها على نسخه قديمه كانت فى حوزته، و قد ضاعت مع ما ضاع من كتبى عند ما انتهت القبائل "صنعاء" فى شهر جمادى الأولى سنه ١٣٦٧ هـ (آذار ١٩٤٨ م) و أثر فشل ثوره الدستور.

و طال أمد الفراق بينى و بين ديوان الهبل حوالى سبعة عشر عاما لا ألتقى بصاحبه إلا عند ما أسمع شعره يتلى أو ينشد، أو أقرؤه فى المجاميع و المخطوطات اليمنيه، أو حين أترنم بما أحفظه منه إذا ألم بى هم، أو طفح كيل الأسى.

ص: ١٣٣

مخطوطات أخرى - من إحدى خرائن الكتب فى "صعده" قبل أن يلتهمها الحريق أثناء الغارات الجوية خلال الحرب المصريه
اليمنيه و لقد كان سرورى به سرور من يلتقى بصديق عزيز بعد طول فراق.

و قررت أن أنسخه، و أن أرتب قصائده و مقاطعه ترتيبا أبجديا، مستغنيا عن مقدمات جامعه، و أن أجعل لكل قصيده أو مقطع
عنوانا مناسباً، و أفسر ألفاظه الغريبه، أو التى تفتقر إلى تفسير.

شعره

قال فى ذكر قتل أبى عبد الله الحسين السبط و حفيده أبى الحسين زيد بن على:

لو كان يعلم أنها الأحداق يوم النقا ما خاطر المشتاق

جهل الهوى حتى غدا فى أسره و الحب ما لأسيره إطلاق

يا صاحبي، و ما الرفيق بصاحب إن لم يكن من دأبه الإشفاق

هذا النقا حيث النفوس تباح و الألباب تسلب، و الدماء تراق

حيث الطباء لهن سوق فى الهوى فيها لألباب الرجال نفاق

فخذنا يمينا عن مضاربه، فمن دون المضارب.. تضرب الأعناق

و حذار من تلك الطباء، فما لها فى الحب، لا عهد، و لا ميثاق

و بمهجتي من شاركتنى لومى و جدا عليه، فكلنا عشاق

كالبدر، إلا أنه فى تمه، لا يختشى أن يعتربه محاق

كالغصن، لكن حسنه فى ذاته و الغصن زانت قده الأوراق

مهما شكوت له الجفاء، يقول لى ما الحب إلا جفوه و فراق

أو اشتكى سهرى عليه، يقل: متى نامت لمن حمل الهوى آماق

أو قلت: قد أشرفتني بمدامعى قال: الأهله شأنها الإشراق

ما كنت أدري قبله أن الهوى مهج تصدع، أو دم مهراق

كنت الخلى فعرضتنى للهوى يوم النقا الوجنات و الأحداق

و من التدله فى الغرام و هكذا سكر الصبا به ما له إفراف
إنى أعبى بالنقا عن غيره و أقول: "شام" و المراد "عراق"
ما للنقا قصدى، و لا بمحجر و جدى، و لا أنا للحمى مشتاق
برح الخفا، "نعمان" أقصى مطلبى لو ساعدتنى صحبه و رفاق
يا برق "نعمان" أفق، حتى متى؟ و إلى متى الإرعاد و الابراق
قل لى عن الأحباب، هل عهدى على عهدى؟ و هل ميثاقى الميثاق
يا ليت شعرى، أن لىت و أختها لسمير من لعبت به الأشواق
أ يعود لى بعد الصدود تواصل و يعاد لى بعد البعاد عناق
إنى أقول لعصبه "زيديه" و خدت بهم نحو "العراق" نياق
بأبى و بى، و بطارفى و بتالدى من يمموه و من إليه ساقوا
هل منه فى حمل جسم حل فى أرض "الغرى" فؤاده الخفاق
أسمعتهم ذكر "الغرى" و قد سرت بعقولهم خمر السرى فافاقوا
حبا لمن يسقى الأنام غدا، و من تشفى بترب نعاله الأحداق
لمن استقامت مله البارى به و علت و قامت للعلى أسواق
و لمن إليه حديث كل فضيله من بعد خير المرسلين يساق
لمحطم الردن الرماح و قد غدا للنقع من فوق الرماح رواق
لفتى، تحيته لعظم جلاله من زائريه الصمت و الاطراق
صهر النبى و صنوه، يا حبذا صنوان قد وشجتهم الأعراف
و أبو الأولى فاقوا و راقوا، و الالى بمدىحهم تترين الأوراف
انظر إلى غايات كل سياده.. أسواه كان جوادها السباق

و امدحه لا متحرجا فى مدحه إذ لا مبالغه، و لا إغراق
ولاه أحمد فى "الغدير" و لايه أضحت مطوقه بها الأعناق
حتى إذا أجرى إليها طرفه حادوه عن سنن الطريق و عاقوا
ما كان أسرع ما تناسوا عهده ظلما، و حلت تلکم الأطواق؟
شهدوا بها يوم "الغدير" لحيدر إذ عم من أنوارها الإشراق

.....

حتى إذا قبض المذل سطاهم و غدت عليه من الثرى أطباق

.....

يا ليت سعري [شعري]، ما يكون جوابهم حين الخلائق للحساب تساق

حين الخصيم "محمد" و شهوده أهل السماء، و الحاكم الخلاق

قد قيدت إذ ذاك ألسنهم بما نكثوا العهود.. فما لها إطلاق

و تظل تذرف بالدماء آماقهم للكرب، لا رقأت لهم آماق

راموا شفاعه أحمد من بعد ما سفكوا دما أبناءه، و أراقوا

فهنالك يدعو، كيف كانت فيكم تلك العهود و ذلك الميثاق

الآن؟ حين نكثتم عهدي و ذاق أقاربي من ظلمكم ما ذاقوا

و "أخى" غدت تسعى له من نكثكم حيات غدر سمهن زعاق

و أصاب "بنتى" من دفائن غدركم و جفائكم دهياء ليس تطاق

و سننتم من ظلم أهلى سنه بكم اقتدى فى فعلها الفساق

و بسعيكم رمى "الحسين" و أهله بكتائب غصت بها الآفاق

فغدت تنوشهم هناك ذوابل سمر و مرهفه المتون رفاق

و كذاك "زيد" أحرقتة معاشر ما إن لهم يوم الحساب خلاق

من ذلك الحطب الذى جمعتم يوم (الفعيله) ذلك الإحراق

و لكم دم (شركتم) فى وزره لبنى فى الحرم الشريف يراق

و لكم أسير منهم، و أسيره تدعو: الأمن؟ إلا إعتاق

أجزاء نصحى أن ينال أقاربى من بعدى الإبعاد و الإزهاق

فالآن. جئتم تطلبون شفاعتى لما علا كرب، و ضاق خناق

أ ترون بعد صنيعكم يرجى لكم أبدا خلاص، أو يحل وثاق

يا رب جرعههم بعدلكك غب ما قد جرعهه أقاربى، و أذاقوا

و قال فى أمير المؤمنين (ع) و يتجرم عليه من أعدائه و يفتخر بما له من الخئولة فى بنى هاشم، و بنسبه الحميرى، و شعره، و

افتتحها بالتجرم من زمانه:

غير مستنكر من الأيام ما أرى من إهانتى و اهتضامى

هكذا لم تزل تحط الكرام الصيد عن رتبه الخسار اللثام

أخرتنى على نباهه قدرى عن أناس عن المعالى نيام

و تحملت على نباهه قدرى عن أناس عن المعالى نيام

و تحملت - فى الحدائه - من أحداثها ما يهد ركنى شمام

غير أنى حملت نفسا أرتنى ليس يدرى غناى من إعدامى

لست أرجو من الأنام نوالا، أننى فى غنى برب الأنام

كيف ترضى بان ترى باذلا ماء محياك فى يسير حطام

ليس فقر الكريم ينقص شيئا من فخار الأحوال و الأعمام

أيها السائلون عنى مهلا أنا من نبعه المليك الهمام

"أسعد الكامل" الذى كان فى الشرق و فى الغرب نافذ الأحكام

ذاك جدى إذا افتخرت و أخوالى " بنو هاشم " نجوم الظلام

من ترى مثل " أسعد " كان، أو من مثل قومى تراه فى الأقوام

أنا من معشر أتاحهم الله.. لنصر النبى و الإسلام

من أناس كانوا ملوك البرايا كل كهل منهم، و كل غلام

ناصروا سيد الأنام، و أفنوا دونه كل ذابل و حسام

حين لا تنكر الأنجم الزهر إذا قلت: فوقهن مقامى

و أبى، فلو رأيت الدنابا فى منامى، إذا هجرت منامى

و كريم بما وجدت على فقرى و كم باخل برد السلام

و لعوب بالشعر، يستنزل العصم من الشاهق الأشم كلامى

تتوقى نوافثى عصب النصب كانى أرميهم بسهام

و كفانى حب الوصى فخارا فهو إن أظلم السبيل امامى

لا تلمنى، إذا مدحت " عليا إن أولى من لامنى بالمام

أنا فى حبه لعمر ك "عمار" ، فلم لا أبنى بيوت نظامى

هات، قل لى بالله: من كأبى " السبطين " أن أدبر الهزبر المحامى

بدر أفق الوغى، إذا ما استهلته برءوس من العداة، و هام

ضارب الهام فى الكريهه، ثبت يتحاماه كل جيش لهام

بمزيد الجلال دون البرايا خصه ذو الجلال و الإكرام

لست أحصى لذى الجلال ثناء إذ هدانا بال خير الأنام

أذهب الله عنهم الرجس حتى طهروا من بواطن الآثام

فهم الساده المطاعيم، و القاده و الصيد و البحور الطوامى

إن دعوا، خلتهم غيوث نوال، أو دعوا، خلتهم ليوث صدام

أخذوا دين ربهم عن أبيهم لم يشيخوا حلاله بحرام

من يكن ضل فى الغرام، فانى ليس إلا لهم جعلت غرامى

فعليهم منى التحيه تبقى ببقاء الشهور و الأعوام

.....

آه من غصه، تردد فى الحلق، و جرح بين الجوانح دامى

للذى جاءت " ... " من غدر شنيع أو هى قوى الإسلام

غدره أقدمت عليها الأذلون الأقلون ساعه الاقدام

.....

يا لها سبه مدى الدهر شنعاء أتت من أولئك الأغنام

قال و قد بلغه أن بعض "الناصبه". قال فيه لما لزمه دين فى المكارم:

" ما ربح إلا الفقر من حب على "!

قالوا: إلام تحب آل " محمد " و تظل مشغوفاً بهم و تبيت؟

فأجبتهم: كفوا الملام فانى أرشدت نهج و دادهم، فهديت

قالوا: فان الفقر حظ محبهم أ رضيت؟ قلت: نعم، رضيت، رضيت

إنى ملكت ذخائرا أحرزتها من " كيمياء " و دادهم.. فغنيت!

فدعوا الملام، فقد أهاب بمهجتي داعى الهدى، فأجبت حين دعيت.

و قال يمدح أمير المؤمنين عليا (ع):

حدثانى عن " على " حدثانى و دعانى عن فلان و فلان!

و انظرا هل تريا ما عشتما غيره للمصطفى المختار ثاني؟
كيف أخفى حبه: و هو الذى قرن البارى تعالى بالقران؟
إن دينى و اعتقادى حبه، و نجاتى يوم حشرى، و أمانى،
أيها السائل عنى، جاهلا أنا من قد علم الناس مكانى،
قسما لو لم يكن لى مفخر غير حبى لعلى.. لكفانى،
مع أننى فى أعالى ذروه كل عن غاياتها مرمى العيان،
أنا من أخواله من "هاشم" ضمير الحلبه فى يوم الرهان،
أنجبتة ساده من "حمير" ينثنى عن فخرهم كل مدانى،
أهل بيت المصطفى، ودى لكم دون أهل الأرض من قاص و دانى
لامنى قوم على مدحى لكم، و به أحوى فراديس الجنان..!
إن يكن مدح "على" منكرا، فمن الأولى بابكار المعانى؟
سوف أرى ما استطال العمر من حبه، ما أبواى استودعانى،!
سأوالى مدحى فيه، و فى آله، ما ملك النطق لسانى
و قال و هما من أول شعره:

مدحى لكم، يا آل "طه" مذهبى و به أفوز لدى الإله، و أفلح
و أود - من حبى لكم - لو أن لى فى كل جارحه لسانا يمدح
و قال:

لكم آل الرسول جعلت ودى و ذاك أجل أسباب السعاده
و لو أنى استطعت لزدت حبا و لكن، لا سبيل إلى الزيادة
أعيش، و جبكم فرضى و نفلى و أحشر، و هو فى عنقى قلاده

أناضل عن مكارمكم لأنى كريم الأصل ميمون الولاده!

أظل مجاهدا لحليف " نصب " ، أضل بيغضكم أبدا رشاده،

فان أسلم، فاجر لم يفتنى، و أن أقتل، فتهنئى الشهاده!

و قال:

خذوا بيدي فى الحشر، يا آل " أحمد " فانى لكم ما طال عمرى خادم

و عندى لسان مرهف إن سللته غدت تتحاماه السيوف الصوارم

تقلدت منه مرهف الحد صارما أذب به عن مجدكم، و أصارم

و قال، و هى من أول ما قاله فى أمير المؤمنين (ع):

من ترى غير " على " كان صنوا للنبي

من ترى، من بعد خير الأنبياء... خير وصى

من ترى، فاز " بخم " بالفخار الأبدى

من ترى و لاه خير الرسل عن أمر العلى

من ترى، كان إمام الخلق بالنص الجلى

من ترى، السابق فى دين القديم الأزلى

من ترى قاتل عمرو، (١) ذى الثبات العامرى

من ترى أسر عمرو، (٢) عند إجمام الكمى

من ترى ردت له الشمس فتى... غير على

من تراه.. حاط دين " المصطفى " بالمشرفى (٣)

أ به المله (٤) حيطت؟ أم " بيتيم " و " عدى " ن.

١- عمرو بن ود العامري.

٢- عمرو بن معديكرب.

٣- المشرفي: السيف المنسوب إلى "مشارف" قريه باليمن.

٤- المله: الدين.

قل لنا، فالامر إن أنصفتنا.. غير خفى

و قال جوابا على أبيات جاءت من أحد أصدقائه:

ألمت، فهاجت لوعه بفؤادى و زادت غراما أدمعى و سهادى

بيوت بها أقوت بيوت تجلدى و قام اصطبارى بالرحيل ينادى

هى السحر أو كالسحر فعلا، فمذ أتت أفض لشوقى مضجعى و وسادى

تذكرنى عهدا لنا و منازل سقاها من الوسمى صوب عهد

أدام إله العرش فىنا ظلاله و أبقاه للإسلام خير عماد

و قد بعث العبد الجواب تجاريا و إن كان يكبو عن مداك جوادى

فخذ من جوابى النزر ما كان حاضرا و أنت إذا أندى، لأنك بادى،

و عذرا، فقد قابلت درك بالحصى و ساجلت بحرا زاخرا بشماد

فاغض و سامح منعما عن قبيح ما بدا لك من عيب به و فساد

فأنت الذى قدت القوافى طوائعا و غيرك لم تنقد له بمقاد

و أنت الذى جليت فى حلبه العلى على كل جحجاج طويل نجاد

لدهر رمانى بالمصائب صرفه و أضنى فؤادى خطبه المتمادى

أطال حروبى بالمضرات و الأذى و لا طول حرب "الحارث بن عباد"!

يحاول إهمالى و إسقاط رتبتي و يسعى حثيثا فى خمود زنادى

و ثقل ديون للورى "يا بن ناصر"، يراوحنى همى بها، و يغادى

ملان فؤادى بالاسى، و سلبننى رقادى، و ملكن الرجال قيادى

فأصبحت رهنا فى "أزال" لأجلها و غير أزال(1) بغيتى و مرادى

و إن كان فيها منشئى و ولادتي و مسقط رأسى، فهى غير بلادى

و ما بلدى إلا الذى فيه أعتدى و عرضى مصون عن مقال أعادى

بلاد بها لا أختشى الذل إن غدت على لأحداث الزمان عوادى

أ أقعد فى قوم أرى الشعر بينهم يباع ببخس ظاهر و كساد!؟

لنبهتهم بالمدح للجود و الندى و قد ملئت أجفانهم برقادا!

على أننى قد صرت بعدك أعجما و إن كنت أزرى لهجه بزياد

فاحللتها من ناظرى و مهجتى سويداء قلبى، أو سواد سوادى

فيا باعنا لى الوجد فى طى مهرق رويدك ما قلبى الشجى بجمادا!

و يا مالكا رقى بنعماه دائما فكم نعم عندى له و أيادى!

أياد لعمرى أهملت ذكر "حاتم" و "كعب" الندی فى طيى و "أياد"!

و يا ماجدا أعطيته عهد صحبتى و اصفيته الغيب محض ودادى

أ تحسب أنى بعد بعدك ساليا يطيب معاشى، أو يلذ رقادى؟

أبى البين إلا أن أرى فيك لابسا ليالى أحزانى ثياب حداد

فغاد من الدمع الهتون و رائح و خاف من الشوق الشديد و بادى

و لو أننى سافرت شرقا و مغربا لما كان إلا طيب ذكرك زادى

فراقك أشجانى و هد قواى، لا تغنى هزار، أو ترنم حادى

و لا الغاده الهيفا لها بين شبهها من المائسات الناعمات تهادى

و لا الأهيف الفتان يعبث قده و ناظره الساجى بكل فؤاد

و لا القرقف الصهباء حثت كنوسها أكف مهى هيف الخصور خراد

أخى، و نصيرى فى النوائب و الذى أناديه للأحداث حين أنادى

فدى لك أهلى الأقربون و معشرى و ما بيدى من طارف و تلاد

أتنتى من تلقاء سوحك قطعه بنفسى سوح قد حلت و نادى
هى الروض بل أبهى من الروض بهجه إذا جاده ربا أكف غوادى
بعثت بها من سوح نعمه خالقى على حاضر فى العالمين و بادى
عماد الهدى، رب العلى، هادى الورى إلى خير منهاج، و قول سداد
و حرکتهم بالشعر فى كل ساعه فتحسبى حرکت صخر وادى
فلم ألق من نظم القريض سوى عنا و شغله أوقات، و طول سهاد
فلا كانت الأمداح من شافع، و لا جرى قلم فى كتبها بمداد
أروم بها نيل السعاده و الغنى، و قد أشبهت نحسا لىالى "عاد"
و أورد فکرى كل بحر غطمطم فيصدر حران الجوانح صادى
لعل اللىالى أن تمن برحله إلى أصيد رحب الفناء جواد
من البدو تذكى للملمين ناره ترى حوله منها جبال رماد
يفيض على العافين نائل كفه فمن إبل مزوموه و جیاد
و ما المرء إلا من يؤمله الورى لقتل عداه، أو لبذل عتاد
و عش ما دعا لله داع من الورى و ناداه للكرب العظيم منادى
و أساله من فضله جمع شملنا.. و أن لا قضى ما بيننا ببعاد
و قال:

رما الفخار فلنا منه ما شينا لما مشى فى طريق المجد ماشينا
نحن الكرام و أبناء الكرام فان تجهل مكارمنا، فاسال أعادينا
و أسال لسان المعالى، ما تلا فينا و قل للاحقنا: ما أنت لافينا(٢)

فرب مجد تلافينا بناه و قد و هى، فمن ذا تلافاه تلافينا(٣)

الشمس و البدر أدنى من مراتبنا، و الأنجم الشهب غارت من مساعينا

سعى إلى غايه العليا واضحه يسير رائحنا فيها و غادينا

يسير فى طرق العلياء سائرنا فيهدى بنجوم من أيادينا

و كم بخيل تراه فى الأنام، و لا و الله لا كان لا منا، و لا فينا

هل يعرف المجد إلا فى منازلنا، و هل يحل الندى إلا بنادينا

ما إن سئلنا مدى الأيام بذل قري إلا وجدنا بما تحويه أيدينا

لا نسأم الضيف إن طالت إقامته، و لا نخيب فينا ظن راجينا

نمشى إلى الموت فى يوم الوغى قدما، و هاتف النصر بالبشرى ينادينا

لنا عزائم تدنى ما نروم فما أدنى "خراسان" إن رمناه و "الصينا"!

لا يستميل الهوى منا النفوس، و لا حب البقاء عن سبيل المجد يثينا!

ما ذا يعيب العدا منا سوى حسب ضخم، به ساد قاصينا و دانيينا؟

و إننا لو دعونا الدهر نأمره لقام طوعا يلبي صوت داعينا،

ما ناب جارا لنا فى الدهر نائبه إلا و كنا إذن عنه المحامينا!

يا من يسائل عن قومى، رويدك ما جهلت إلا العلى و المجد و الدنيا!

قومى الألى ما انتصوا أسياهم لوغى، إلا و عادوا لآى النصر تالينا،

قوم إذا لبسوا ثوب القتام غدت أعداؤهم، فى ثياب النصر عارينا!

إن تلقهم تلق أحبارا جهابذه، أو طاعنين العدا شزرا، و رامينا!

و حب آل رسول الله شيمتنا، و فخر حاضرنا دوما و بادينا،

سل "الائمه" عنا أى ملحمه لسنا بارواحنا فيها مواسينا؟

مضت على حب "أهل البيت" أسرتنا: و نحن نمشى على آثار ماضيينا، اظ

-
- ١- أزال: من أسماء صنعاء.
 - ٢- " ما تلا- فينا": ما قرا من أخبار المجد و الرفعه فى تاريخنا و "لافينا" فى ما أنت "لافينا" من لفى يلفى: لغه صنعانيه بمعنى أدرك، أى لن تدركنا.
 - ٣- تلافى الأمر: تداركه، و التلافى: الإدراك و قد تلاعب فى البيتين بالألفاظ

فمن يفاخرنا؟ أم من يساجلنا؟ أم من يطاولنا؟ أم من يدانينا؟

يكفيك أن لنا الفخر الطويل على كل الوري ما عدى "الآل" الميامينا!

عليهم بعد خير الرسل جدهم أزكى و أفضل ما صلى المصلونا..

و قال يمدح أمير المؤمنين عليا (ع) و يتجرم لأهل البيت:

ملكتم فؤادا ليس يدخله العدل فذكر سواكم كلما مر لا يحلوا!

يؤنبنى فى حبكم كل فارغ و لى بهواكم عن ملامتهم شغل

و ما ذا عسى تجدى الملامه فى الهوى لمن لا له فى الحب لب و لا عقل؟

لئن فرضوا منى السلو جهاله فحبكم عندى، هو الفرض و النفل

أ أسلو و لا صبغ المشيب بعارضى يلوح، و لا صبغ الشيبه منحل؟

و لو فى سواكم أهل بيت محمد غرامى لكان العدل عندى هو العدل

حملت هواكم فى زمان شيبتي و قد كنت طفلا و الغرام بكم طفل

فيا عاذلى فى حب آل محمد رويدك إنى عنهم قط لا أسلو

أ أسلو هوى قوم قضى باجتائهم، و تفضيلهم بين الورى العقل و النقل

أولئك أبناء النبى محمد، فقل ما تشا فيهم، فانك لا تغلو

فروع تسامت، أصلها سيد الورى، و "حيدرته"، يا حبذا الفرع و الأصل

تفانوا على إظهار دين أبيهم كراما، و لا جبن لديهم و لا بخل

إلى الله أشكو عصبه قد تحاملوا عليهم، و دانوا بالأباطيل و اعتلوا

يرومون إطفاء لأنوار فضلهم و ما برحت أنوار فضلهم تغلو

و هم أنكروا فى شأنه بعد "أحمد" من النص أمرا ليس ينكره العقل

و قد نوه "المختار" طه" بذكره و قال لهم: هذا الخليفه و الأهل

و ولاه فى يوم "الغدیر" ولایه على الخلق طرا ما له أبدا عزل

و نص علیه بالإمامه دونهم و لو لم یکن نصا لقدمه الفضل

أ لیس أخاه، و المواسى بنفسه إذا ما التقى يوم الوغى الخیل و الرجل

أ ما كان أدناهم إلیه قرابه و أكثرهم علما، إذا عظم الجهل

أ ما كان أوفاهم إذا قال ذمه و أعظمهم حلما إذا زلت النعل

و أفصحهم عند التلاحى، و خیرهم نوالا إذا ما شیم نائله الجزل

یحجون "أنصار" الاله: باننا قرابته، منا به اتصل الجبل

و هل كانت "الأصحاب" أدنى قرابه، و أقرب رحما لو عقلتم أم الأهل

و هم أخذوا بعد النبى محمد من "ابنته" ما كان أنحلها قبل

تمالوا علیها غاصبین لحقها و قالوا: معاذ الله إن ثورت الرسل

و حکمهم لا شك فى ذاك باطل، و کیف یصح الفرع و الأصل مختل

أ لیس أمير المؤمنین هو الذى له دونهم فى ذلك العقد و الحل؟

و هم قتلوا من آل أحمد ساده كراما بهم یستدفع الضر و الأزل!

سقوا كل أرض من دماء رقابهم و شیعتهم، حتى ارتوى الحزن و السهل

فصبوا "بنی المختار"، إن أمامنا لموقف عدل عنده یقع الفصل

و عندى لمن عادا کم نصل مقول إذا ما انبرى يوما یحاذره النصل

حسن نراقى

من أسره نراقى المشهوره فى كاشان ولد عام ۱۳۱۰ فى كاشان و درس المقدمات و العلوم الإسلامیه فى مدارسها ثم رحل إلى

طهران و زاول نشاطا فى المجالات الثقافیه التعليمیه. له عدده مؤلفات منها: الآثار التاريخیه لمدينتى كاشان و نطنز، تاریخ أسره

نراقى، قام بتحقیق عدده كتب تراثیه منها:

نخبه البیان، قره العيون، اللمه الالاهيه [الإلهيه]، الكلمات الوجيزه، كتاب مشكلات العلوم و غيرها من الكتب - كما أن له

مقالات عديدة في مجال الآثار و الأبنية التاريخيه.

و كان له اختصاص في الآثار و الأبنية و كان من مؤسسى (لجنه إحياء آثار مدينه كاشان) و قد سعى في تأسيس متحف مدينه كاشان توفى عام ١٤٠٩ بطهران و دفن في مدرسه آغا بزرگ بكاشان.(١)

السيد ركن الدين الحسن بن محمد بن يحيى بن هبه الله بن أبى الحسن على بن أبى جعفر محمد الحسينى الزبارى البيهقى

من أحفاد أبى جعفر أحمد بن محمد الزباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفتس بن على الأصغر بن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

توفى يوم الاثنين ٢١ ربيع الأول سنه (٥٤٣هـ).

من أكابر العلماء أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على رجال أسرته و أفاضل بيهق حتى انتهت إليه الرئاسة الدينيه و الاجتماعيه و كان نقيب النقباء الطالبين فى بيهق و هو من أعلام أسرته البارزين آل الزباره و هم من أشرف البيوت العلويه و أعرق الأسر العلميه اشتهر هذا البيت الجليل فى بيهق من القرن الخامس للهجره و نبغ منه علماء أعلام و شعراء مجيدون.

منهم النقباء و زعماء العلويين و منهم شقيق المترجم له السيد أبو الحسن على الحسينى الزبارى البيهقى نقيب الطالبين فى بيهق الذى أهدى إليه ابن الفندق البيهقى شرحه على النهج البلاغه الآتى ذكره و منهم السيد الامام الرئيس ضياء الدين على الشاعر الأديب و منهم الشاعر الكبير السيد كمال الدين أبو الحسن الحسينى الزبارى البيهقى المتوفى بعد سنه (٥٤٣هـ).

و تخلف المترجم له بولدين عالمين فاضلين هما السيد جلال الدين محمد المتوفى سنه (٥٥٣هـ) و جمال الدين الحسين.(٢)

أبو سعد الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى.

توفى فى يوم السبت ١٠ جمادى الأول سنه (٥٤٦هـ).

من شيوخ الشيعة فى بغداد عالم فاضل أديب محقق كاتب محاسب أخذ العلم و الأدب من أفاضل عصره فى بغداد ثم تزعم ديوان محاسبات الدوله العباسيه و كان من شيوخ الكتاب فى البلاط العباسى.

و هو رأس آل ابن حمدون فى بغداد و هم من الأسر الشيعيه المعروفه التى بزغ بدرها فى أواخر القرن الخامس و مطلع القرن السادس للهجره نبغ منها علماء و شعراء و أول من اشتهر و نبه و عرف من رجالها هو المترجم له و هو والد العالمين العلمين الشيخ الرئيس أبو المعالى بهاء الدين محمد الملقب بكافى الكفاه و المتوفى فى سجن المستنجد بالله العباسى مظلوما فى سنه (٥٤٢هـ) لتشييعه صاحب كتاب التذكرة الحمدونيه و الشيخ أبى نصر محمد الملقب غرس الدوله المتوفى سنه (٥٤٢ [٥٤٥] هـ) ذكره ابن خلكان فى ترجمه ولده الشيخ أبو المعالى بهاء الدين محمد كافى الكفاه، قال: (و كان والدهما من شيوخ الكتاب

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

و العارفين بقواعد التصرف و الحساب و له تصنيف فى معرفه الأعمال و عمر طويلا و توفى يوم السبت عشر جمادى الأولى سنه ست و أربعين و خمسمائه رحمهم الله تعالى أجمعين). (١)

و لم يذكر ابن خلكان محل دفن المترجم له و أما ولداه المذكوران فقد دفنا فى الكاظمين عند الإمامين محمد الجواد و موسى الكاظم ع و لا يستبعد أن يكون المترجم له دفن أيضا فى مقابر قريش عند ولده المتوفى سنه (٥٤٥ هـ) غرس الدوله الذى صرح ابن خلكان بأنه دفن فى مقابر قريش و كانت وفاه المترجم له بعد وفاه ولده غرس الدوله بسنه واحده. (٢)

حسن بن محمود الكاشانى الأملى

المعروف بحسن كاشى.

من شعراء القرن الثامن الهجرى. كان منصرفا إلى مدح الأئمة ع لا سيما أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع). و قدم [قد] لقب فى كتاب (مؤنس الأحرار) بجمال الدين، و فى كتاب (الأقاليم السبعه) بكمال الدين، و لكنه اشتهر فى جميع المصادر بكاشى، و يتخلص أيضا فى شعره بكاشى.

جده و أبوه من كاشان، أما هو فقد ولد فى آمل و نشأ فيها، و هو يشير إلى ذلك فى أشعاره. و قال دولت شاه السمرقندى بأنه كان معاصرا للسلطان محمد خدابنده (٧٠٣ - ٧١٦)، و على هذا يكون قد عاش فتره من حياته فى القرن السابع، و لعدم وجود تاريخ دقيق لوفاته، فاننا لا نعرف مقدار السنين التى عاشها فى القرن الثامن.

و مع كونه شاعرا كبيرا فإنه لم يتكسب بشعره و لم يجعله طريقا إلى الارتزاق أو سيلا إلى البروز و الظهور، بل كان مؤمنا متقيا قانعا يعيش [بعيش] بسيط.

سافر إلى مكه و المدينه و النجف. و له قصيده من سبعة أبيات مشهوره كتبها القاضى نور الله فى مجالس المؤمنين و قال عنها: "هناك درر من الشعر فى مدح الامام، و لكن السباعيه الكاشيه أجمل و ألطف ما قيل فى هذا المضمون".

و أشعاره معروفه عند علماء الشيعة، و عند الشعراء من قديم الأيام حتى هذا اليوم.

لا تعرف تاريخ وفاته، أما مدفنه فى مدينه (السلطانيه). و ذكر المؤرخون أن الشاه إسماعيل الصفوى أمر ببناء مرقده و إقامه حديقته بجانبه و كان قبره مقصد الزياره.

و بالرغم من خراب مدينه السلطانيه و صيرورتها قريه بسيطه، فان قبره لا يزال قائما فى جانب من السهل الواسع الذى كانت تقوم عليه السلطانيه أيام عمرانها.

السيد حسن ميرخانى.

ولد فى طهران سنه (١٣٣٢ هـ) و توفى سنه (١٤١١ هـ).

كبير أساتذته الخط في إيران في هذا العصر، لقب بسراج الكتاب، و هو من أسره مشهوره رجالها بفنون الخط و الرسم و العرفان، تتلمذ على يد الميرزا محمد رضا كلهر و تعلم الخط و هو في صغر سنه عند أبيه في حين كان يتابع دراسته المنتظمه في المدارس الحديثه، و قد ترك ثلاثه و عشرين أثرا خطيا جميلا و طيله خمسين سنه ظل منشغلا بكتابه دواوين شعرية و كتب نثرية.

أسس معاهد لتعلم الخط، و كان عضوا بارزا في مؤسسه الخطاطين في طهران و هو من أوائل مؤسسيها و قد خلف تلاميذ كبارا في الخط، و من آثاره الخطيه المهمه:

ديوان سعدي، مثنوى المولوي، خمسه النظامي، ديوان حافظ، زبده الأسرار، ديوان موافق ميرزا علي أكبر الملقب ب توافق على شاه، رساله النصائح لسعدي، أشعار بابا طاهر، نماذج الخط، الأئمه الاثنا عشر لخواجه نصير الدين الطوسي - المجموعه الفنيه للخط، منتخب اللغه، خلاصه شرح أحوال مولانا.

الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم البصري.

كان حيا في حدود سنه (٤٢٣هـ).

من أكابر العلماء أخذ الفقه و الحديث على أفاضل علماء عصره و في سنه (٣٨٠هـ) التقى في المدينه أبا الحسين يحيى بن محمد الحقيني و أخذ عنه و روى عنه و ذكره النسابة السيد فخار بن معد الموسوي الحائري في كتابه الحججه على الذاهب إلى تكفير أبي طالب. و تولى المترجم له كرسى التدريس في البصره و تخرج عليه جماعه أشهرهم النسابة السيد الشريف نجم الدين أبي الحسن علي بن محمد العمري المعروف بابن الصوفي صاحب كتاب (المجدى في أنساب الطالبين) كما صرح في كتابه و قال: (فحدثني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم الفقيه الامامى البصرى رحمه الله و كان لا يسأل إذا أرسل ثقه و اضطلاعا...)(٣).

كان المترجم له عالما و عارفا بقصص العرب و أخبارهم و أشعارهم نقل عنه تلميذه العمري أشعار السيد أبي القاسم أحمد بن الحسين بن علي السكران الأفضسى الحسيني الشاعر الأديب قال: (أنشدني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن إبراهيم الفقيه البصرى رحمه الله له)(٤) ذكره شيخنا في طبقات أعلام الشيعة مره عن ابن عنبه(٥) في ترجمه مستقلة باسم الحسن بن أحمد(٦) و هو من خطا الناسخ و مره عن النسابة السيد فخار بن معد الموسوي الحائري المتوفى سنه (٦٣٠هـ) عن كتابه الحججه على الذاهب إلى تكفير أبي طالب تحت عنوان الحسين بن أحمد(٧) و هو الصحيح حيث جاء في غير موضع من مواضيع كتاب المجدى لتلميذ العمري في الطبعة المحققه باسم الحسين بن أحمد و ذكر المترجم له السيد المرعشى النجفي في مقدمه كتاب المجدى مع مشايخ العمري باسم الحسين بن أحمد و لم ينتبه إلى النسخه المطبوعه من كتاب عمده الطالب الذى ذكر فيها باسم الحسن بن أحمد الذى

ص: ١٣٨

- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- أبى الحسن على بن محمد العمرى: المجدى فى أنساب الطالبين تحقيق الدكتور أحمد المهدوى ص ١٣٦ قم منشورات المكتبة المرعشيه.
- ٤- نفس المصدر ص ٢١٤.
- ٥- جمال الدين أحمد المعروف بابن عنبه: عمده الطالب تحقيق السيد محمد حسن الطالقانى ص ٣٤٥ النجف منشورات الحيدريه.
- ٦- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: النابس فى القرن الخامس ص ٤٨ بيروت دار الكتاب العربى.
- ٧- نفس المصدر ص ٥٧.

أدى إلى التباس على شيخنا الطهراني و ذكره في ترجمتين مستقلتين في طبقات أعلام الشيعة. (١)

الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي الحاكم النيسابوري.

توفي بعد سنة (٣٥٢ هـ). مر ذكره في أعيان الشيعة ج ٥ ص ٤١٨ و نزيد على ذلك ما يلي:

من فحول المحدثين و أكابر فقهاء الشيعة و حاكم مدينه بيهق. أخذ العلم من أفاضل عصره و كان يروى عن محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة (٣٣٥ هـ).

و المترجم له من مشايخ الصدوق كما جاء فى رياض العلماء ج ٢ ص ١٠ و فى المجلس ٩٤ من كتاب (الأمالي) و أكثر الصدوق من الروايه عنه فى كتابه (عيون أخبار الرضا) قال (حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي نيسابور فى سنة (٣٥٢ هـ) قال حدثنى محمد بن يحيى الصولى الذى توفى سنة (٣٣٥ هـ) و ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة. (٢)

حسين إسلاميان

يعد من أكبر الفنانين فى فن التذهيب منذ عهد الصفويين إلى الآن ولد فى أصفهان عام ١٣٣٤ و كان أبوه و جده من الفنانين فى هذه المهنة درس و تعلم مهنته عند خيره أساتذه فن التذهيب فى أصفهان حتى فاق أساتذته.

له أعمال كثيره بيعت أكثرها فى المعارض و المزادات العالميه خارج إيران أو أعطيت هدايا للزعماء و رؤساء الدول الذين زاروا إيران توفى سنة ١٤٠٠. (٣)

السيد حسين بلگرامى الملقب عماد الملك

ولد سنه [سنه] ١٢٦٠ فى الهند و توفى سنة ١٣٤٠.

كان عالما فاضلا يتقن اللغات: العربيه و الفارسيه و الإنكليزيه، أديبا باللغه الأردويه. ترجم القرآن إلى اللغه الإنكليزيه.

الدكتور حسين الحاتمي

أستاذ كليه الحقوق فى جامعه إستانبول، و الشائع صيته فى الأوساط العلميه التركيه و المعروف بتحقيقاته و تأليفاته، و الذى يضرب به المثل فى قوه التحقيق و جوده التأليف، و حسن السلوك و شده التقيد بالأحكام الدينيه له تأليف منها:

١ - الحكومه الإسلاميه: دراسه بعيده الجذور فى مواضيع الحكومه الإسلاميه، فى كل أبعادها على ضوء الكتاب و السنه، و هو أحسن كتاب رأيته فى موضوع الحكومه الإسلاميه، انتشر فى إستانبول قبل عشرين سنة.

٢ - الأحوال الشخصيه، بحث مقارن بين الفقه الشيعى و القانون العثمانى و القانون الأوروبى، نشرته كليه الحقوق فى جامعه إستانبول.

٣ - أدب الطباعة، كتاب مبتكر فى فنه، لم يسبقه كتاب فيما أعلم، بحث مقارن بين الأخلاق الساميه الإسلاميه و القوانين الأورويه و العثمانيه، فى شتى المجالات المتعلقة بعالم المطبوعات. ٤ - المجتمع فى نظر الإسلام، بحث اجتماعى قيم على ضوء الكتاب و السنه حول المجتمع:

٥ - حقوق المرأه فى الكتاب و السنه، و هو مبسوط محاضره قيمه.

ألقاها فى مؤتمر ثقافى حافل، انعقد فى إستانبول، و اشترك فيه جم غفير من الشخصيات الإسلاميه و الرجال العلميه، قبل عشره أعوام. و له آثار مطبوعه آخر لا تحضرنى أسماؤها:

و قد نقل إلى التركى كتبا كثيرا، منها:

٦ - الحكومه الإسلاميه لقائد الثوره الإسلاميه.

٧ - الدستور الايرانى.

٨ - كراسات عديده لراقم السطور.

و له مقالات دينيه و أخرى علميه انتشرت فى الجرائد و المجلات، كما أن له محاضرات قيمه ألقاها فى إيران و ألمانيا الغربيه و تركيا.

انتهى ما كتبه لنا الشيخ على أكبر مهدي پور عن المترجم. و لم يذكر تاريخ ولادته و لا ما إذا كان لا يزال حيا أم لا. و ما كتبه لنا كان سنه ١٤٠٨ و نحن الآن فى سنه ١٤١١ و نحن مع رجائنا للمترجم طول العمر، و أن يكون حيا حين كتابه هذه الكلمه، نشرنا هذه الترجمة مع من ننشر تراجمهم من غير الأحياء لأننا لا نترجم للأحياء - حفظا لذكر المترجم من الضياع إذا لم ننشر ترجمته الآن. و كلنا فى النهايه للموت.

الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى، أبى عبد الله الكوفى،

توفى سنه ٢٨٦.

ترجم له ابن شهر آشوب - المتوفى سنه ٥٨٨ هـ - فى معالم العلماء و قال: "له كتاب: ما نزل من القرآن فى أهل البيت (ع)". كما ذكر له كتاب "المسند" أو "المستند".

ضبطه ابن مأكولا فى الإكمال ٤١/٣: فقال: "أما الحبرى، بكسر الحاء المهمله و فتح ألباء المعجمه بواحد و بالراء فهو "الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى الكوفى، يروى عن إسماعيل بن أبان و أبى حفص الأعشى...".

و فى أنساب السمعانى ٤٤/٤ نحوه.

و هو ثقه، وثقه الدارقطنى فى "سؤالات الحاكم النيسابورى عنه" ص ١١٤ فقال: "الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى، ثقه.

له كتاب ما نزل من القرآن فى حق على منه:

١ - مخطوطه فى طشقند بالاتحاد السوفيتى، سميت بالتنزيل أو تنزيل الآيات، جاء فى نهايتها: "آخر التنزيل جمع الحبرى،... هذه النسخه نقلت من الخزانة الشريفه المستنصرية من نسخه بخط ابن هلال الكاتب المعروف بابن البواب رحمه الله.

فرغ من نسخها العبد الفقير إلى الله محمد بن الحسن ابن النعائم، يوم السادس من شوال سنه ٦٦١هـ.

و عليها ختم فيها رقم الكتاب ٣٢١٦، و كتب فيه: "بوخارا دولت كوتوبخانه سننك انباريدن تالندى" أى أخذ من مخزن مكتبه بخارى الحكوميه.

ص: ١٣٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

و هي من وقف خواجه بارسا محمد بن محمد بن محمود الحافظ البخارى، المتوفى سنة ٨٦٥هـ، و عليها ختمه، و قد ظفر بها الدكتور حسين على محفوظ عند سفره إلى الاتحاد السوفيتى، و جدها فى المجمع العلمى الأورزبكى فى طشقند، ضمن المجموعه رقم ٢٩٨٨، فصورها بالميكروفيلم و هي بخط نسخ و ثلث جيد خشن.

٢ - نسخه بخط ياقوت بخط نسخ جميل رائع، جاء فى نهايتها:

"آخر ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، جمع الحبرى، كتبه الفقير إلى رحمه ربه الغنى ياقوت المستعصمى بالخزانه المستنصرية... فى تاسع شهر رمضان سنة ست و ... عمائه [سبعمائه]".

و هذه النسخه فى مكتبه مجلس الأعيان الايرانى السابق (سنا) برقم ٤٠١، ذكرت فى فهرستها.

و قد نشره لأول مره السيد أحمد الحسينى الاشكورى، فطبعه فى قمسنة ١٣٩٥. باسم "ما نزل من القرآن فى أهل البيت (ع)".

و نشر مره ثانيه فى بيروت بتحقيق السيد محمد رضا الحسينى الجلالى.

و صدر من منشورات مؤسسه آل البيت - (ع) - لإحياء التراث/فرع بيروتسنة ١٤٠٨ ١٩٨٧ باسم "تفسير الحبرى"! مع مقدمه إضافيه و دراسه شامله عن الكتاب و مؤلفه و استدراقات و تخريجات و فهارس فنيه.

حسين الخالص الأصفهاني

توفى سنة ١١٢٢.

كان عالما فاضلا، إيراني الأصل، ثم اختار السكن فى دلهى و أكره فى الهند. كان شاعرا يتخلص باسم (خالص) فاشتهر به.

السيد حسين بن نور الدين الجزائرى

توفى حدود سنة ١١٨٠.

هو أخو السيد نعمه الله الجزائرى. كان عالما فاضلا شاعرا باللغه الفارسيه. سكن دلهى ثم جاء إلى البنغال ثم انتقل إلى النجف. أمضى حياته فى العباده و المطالعه و التحقيق.

حسين خديو جم

ولد فى مشهد (خراسان) و توفى بها عام ١٤٠٦ درس العلوم الإسلاميه فى حوزة خراسان ثم عمل مده فى المكتبه الوطنيه بطهران و قام بكتابه مقالات عديده حول الأدب و التاريخ و التراث فى مجلات أدبيه و اختير أخيرا مستشارا ثقافيا فى السفاره الإيرانيه بكابل.

كان يعد مترجما بارعا فقد ترجم عده كتب من العربيه إلى الفارسيه منها فيلسوف المعره لعمر فروخ و إحياء علوم الدين للغزالي

و حقائق الأخبار للخور هو جى. كما ترجم بعض مؤلفات طه حسين منها كتابه الأيام حيث يعد نص ترجمته من روائع الأدب الفارسی فی ایران، كما قام بتحقيق مجموعه من الكتب التراثيه مثل (كيمياء سعادته للغزالي) وغيره. (1)

ابن سينا الحسين بن عبد الله بن علي

مرت ترجمته في الصفحة ٦٩ من المجلد السادس من (الأعيان) ثم مر بحث عنه في الجزء الأول من (المستدرجات) ثم بحث في المجلد الثاني منها.

و ننشر هنا دراسته عن مرض الميلانخوليا (السوداويه) بين قانون ابن سينا و الرؤيه الطبيه الحديثه بقلم الدكتور محمد أحمد النابلسي:

الميلانخوليا في قانون ابن سينا

إن التزام ابن سينا بنظريه طبيه فلسفيه كان يدفعه إلى إيراد تطبيقاتها على فصول قانونه و مواضيعه. و بالرغم من أن نظريته في الأخلاط لا تزال موضع احترام فاننا لن نتطرق إليها لأن هدفنا هو تحديد مفهومه للميلانخوليا و تصنيفه لها و التمييز بين دلالات المصطلحات لديه و بين دلالاتها الحاليه و على هذا الأساس نعود إلى قانون ابن سينا فنجد أنه يتناول موضوع الميلانخوليا على النحو التالي:

تعريف الميلانخوليا

هي تغير الظنون و الفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد و إلى الخوف و رداءه المزاج... و إذا تركت مالنخوليا مع ضجر و توثب و شراره انتقل فسمى مانيا (هوس)... و منها ما يسمى مالنخوليا مراقبه... و المراق إذا استحکم فالتفزع و سوء الظنون و الغم و الوحشه و الكرب و هنيان كلام و شيق لكثرة الريح و أصناف من الخوف مما لا يكون أو يكون و أكثر خوفه مما لا يخاف في العاده. و تكون هذه الأصناف غير محدوده و بعضهم يخاف سقوط الشيء عليه و بعضهم يخاف ابتلاع الأرض إياه و بعضهم يخاف الجن و بعضهم يخاف السلطان و بعضهم يخاف اللصوص و بعضهم يتقى الأ- يدخل عليه سبع. و قد يكون للأمر الماضيه في ذلك تأثير.

ثم منهم من يضحك... لأنه يتخيل ما يلذه و يسره و منهم من يبكي خصوصا الذي مالنخولياه سوداوى محض و منهم من يحب الموت و منهم من يبغضه و علاقته ما كان خاص بالدماع إفراط في الفكره و دوام الوسواس و نظر دائم إلى الشيء الواحد و إلى الأرض.

تصنيف الميلانخوليا

لدى مراجعتنا لتصنيف ابن سينا للميلانخوليا نجد ارتباكا يعود في أساسه إلى نظريته في الأخلاط فهو يصر على تصنيف أنواع الميلانخوليا وفق هذه النظرية و باختصار يمكننا إنجاز تصنيف الميلانخوليا لدى ابن سينا على النحو التالي:

١ - الميلائنخوليا السؤءاوية. المفضه (و هي ءعادل ما نسميه اليوم بالكآبه).

٢ - الميلائنخوليا السؤءاوية، الدمويه: مع فرح و ضحك (و هي ءعادل الهوس الانهيارى).

٣ - الميلائنخوليا السؤءاوية. البلغميه مع قله حركة و كسل و سكون (و ءعادل الانهيار).

٤ - الميلائنخوليا السؤءاوية. الصفراويه: و هي أءنى جنونا (و ءعادل

ص: ١٤٠

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

الفصام المزاجي).

٥ - الميلانخوليا المراقبه (و يصفها ابن سينا بنفس أوصاف الخوف من فقدان التوازن العقلي لدى المصابين بالوساوس المرضيه).

و هذا التصنيف كما نلاحظ يكاد يتطابق مع التصنيفات الحديثه للطب النفسى فإذا ما أردنا نقده فى ضوء المعاصره فلا بد أن يراعى النقد مجموعه من النقاط أهمها:

إن مرض الفصام لم يعرف و لم يحدد إلا فى بدايات القرن العشرين و قبل هذا التاريخ كان العلماء يخلطون بين الفصام و الكابه خصوصا فى الحالات التى يكون فيها الفصام من النوع المزاجى حتى أن هذا الخلط لا يزال واردا، فى بدايات المرض، لغايه اليوم ذلك أن حالات فصاميه عده تبدأ بصوره تدريجيه و تتخفى خلف الوسواس أو خلف اضطراب المزاج. و هكذا كان من الطبيعى أن نجد ابن سينا و هو يخلط بين الفصام و الميلانخوليا.

ب - إن أى اكتشاف علمى يجب أن يستند إلى فكر متعال قادر على تشكيل الفكره الإبداعيه و إن كانت هذه الفكره لا تظهر إلى حيز الوجود، محققه الإبداع إلا بعد حصول عمليه الاستبصار و من الأفكار الابداعيه لابن سينا فى الميلانخوليا تذكر: ربطه بين القامه و لون الجلد و مرض الميلانخوليا:

فهو يرى أن الميلانخوليا الصفراويه تقل لدى البيض السمان و تكثر لدى الأدم القضاة...، و هذا ما تشير إليه الأبحاث الحديثه التى تؤكد زياده نسبة الفصام بين المتطاولين و انخفاضها لدى المربوعين كما تشير إلى ارتفاع هذه النسبه كلما اتجهنا من الغرب نحو الشرق.

اعتماده مبدأ الاضطراب المزاجى الفصلى: يسجل ابن سينا ملاحظات عده تربط بين الميلانخوليا و بين فصول السنه و من ذلك قوله أن البلغميين (المنهارين) هم أصحاب عله تقل فى الشتاء و تكثر فى الصيف و الخريف و قد تهيج فى الربيع...

و معلوم أن مبدأ الانهيار الفصلى بات يناقش جديا فى الأبحاث النفسيه، و إن كانت هذه الأبحاث تشير إلى احتمالات زياده الانهيار فى فصل الشتاء (و تقترح له علاجا بتعريض المريض للضوء) و هنا لا بد من أن تأخذ فى عين الاعتبار الاختلاف بين صقيع الشتاء و غياب الشمس (فى البلاد التى تجرى فيها هذه الأبحاث) و بين الشتاء الدافئ و شمس الساطعه فى البلدان التى عاش فيها ابن سينا و مرضاه.

علاج الميلانخوليا عند ابن سينا

يعتمد علاج ابن سينا لحالات الميلانخوليا على طب الأعشاب و تحديدا على بعض و صفات كانت معروفه قبله و أضاف هو بعضها. و لكننا، قبل مناقشه الاقتراحات العلاجيه - الدوائيه، نود مناقشه منهجيه العلاج الذى يقترحه ابن سينا و التى تتلخص فى أقواله:

١ - " يجب أن يبادر بعلاجه قبل أن يستحكم فإنه سهل الابتداء صعب عند الاستحكام. و يجب على كل حال أن يفرح صاحبه و

يطرب و يجلس فى المواضع المعتدله و يرطب هواء مسكنه... إلخ".

٢- " و لا أضر له من الفراغ و الخلو.. فان نفس إعراضهم عن الفكر (بمعنى إلهائهم عنه) علاج لهم أصيل.. إلخ "٣- " يتغير العلاج باختلاف نوع الميلانخوليا... إلخ".

٤- " ...فالنوم أفضل علاجات الميلانخوليا و يتدارك بما يفيد من الصلاح... إلخ".

و تجدر الإشارة هنا إلى أن عددا من الباحثين المعاصرين يميل لاعتبار اضطراب النوم سببا رئيسيا فى تعقيد حاله الميلانخوليا و تطورها نحو الأسوأ.

و على هذا الأساس ينصح هؤلاء باخضاع المريض لدورات نوم (بحيث يتم تنويمه ٢٠/٢٤ ساعه لمده لا تقل عن أسبوعين). و لقد تدعمت هذه الآراء من خلال الدراسات التى تناولت " النوم".

أما عن العلاج الدوائى الذى يقترحه ابن سينا لعلاج الميلانخوليا (و هى أدويه عشبيه بحتة) فإنه يركز على النارينج (فاليريانا). و هذا العلاج أثبت فاعليه جعلته يفرض نفسه فى العياده الحديثه. و هو، و أن كان أقل مفعولا من الأدويه الحديثه التى عرفناها منذ مطلع الخمسينات فقط يمتاز عنها لجبهه عدم تسببه بالآثار الجانبيه التى تسببها الأدويه الحديثه و بخاصه التأثير على القلب أن يلعب النارينج مفعولا علاجيا على عكس العديد من الأدويه الحديثه. كما نذكر نصيحه ابن سينا باستعمال الخشخاش و لكن مع التنبه إلى مضاره.

و بلغ اهتمامه ابن سينا بالغذاء. و استخداماته فى علاج الميلانخوليا، ما دفعه إلى تحديد أصناف المأكولات التى تنفع و تلك الواجب تجنبها من قبل المريض. و صفاته فى هذا المجال تشبه إلى حد بعيد و صفات الطب التجانسى المعاصر، و من أمثله اهتمامه باستخدام الغذاء فى العلاج تلك الحيله التى استخدمها فى علاج مريض الميلانخوليا الضعيف الذى كان يظن أنه بقره.

إذ عمد ابن سينا إلى الإيحاء بقناعته بضروره ذبح المريض - البقره - و لكنه أجل ذبحه بسبب هزاله و اشترط تسمينه حتى يذبحه، فإذا ما أكل المريض و استعاد عافيته الجسديه تمكن من تخطى أزمته النفسيه و شفى.

حاله عياديه

معالج هذه الحاله هو " أوحد الزمان أبو البركات هبه الله بن على " الذى عاصر الخليفه العباسى المستنجد بالله و عمل فى خدمته، و الحاله تتعلق بابن أحد الأثرياء البغداديين. إذ أصيب بالميلانخوليا و كان يعتقد أن على رأسه جره لا تفارقه، فإذا سار فإنه يتحايد المواضع التى سقوفها واطئه و يمشى برفق و لا- يترك أحدا يدنو منه حتى لا- تقع الجره عن رأسه. و قد بقى فى هذا المرض مده و اهله فى شدة منه.

و بعد عرضه على مجموعه من الأطباء نصح أهل الفتى بالاستعانه بالطبيب "أوحد الزمان"، فقصدوه راجين معالجه ابنهم و باذلين له المال الكثير. و بعد معاينته للمريض قال للأب: "ما أرى لابنك إلا علاجا واحدا أرجو أن ينفعه. سأتيكم فى الغد و قد هيات أمرا فإذا دخلت عليك فائتنى بابنك برفق و أنه للسلام على و سترى ما أفعل و على الله الاتكال".

فوق رأسه قائلاً: أ رأيت لم يبق شىء؟ و عندها صاح الفتى: "أى و الله لقد زالت الجره عن رأسى" و قام يدوس قطعها المتناثره على الأرض تشفياً.

التعليق على الحالة

فى حينه صنفت هذه الحاله على أنها ميلانخوليا. و لكننا إذ نقرأها اليوم فان الخطوه الأولى هى العمل على فهم الحاله و تشخيصها وفق التصنيفات الحديثه. فإذا ما رجعنا للمعطيات القليله الوارده فيها أمكننا تصنيف الحاله فى خانة "الانهيار الذهاني" إذ تتمازج فيها مظاهر اضطراب بالمزاج مع الأفكار غير المنطقيه.

و هذا التصنيف يطرح السؤال: كيف أمكن شفاء هذه الحانه عن طريق العلاج الايحائي لوحده؟ هذا علما بان هذا النوع من الانهيار يستجيب للعلاج الدوائى فقط و الجواب فى رأينا هو إن هذا الانهيار كان من النوع الدورى (بمعنى أنه يتكرر كل فتره) و عند ما قبل "أوحد الزمان" هذا المريض كان هذا الأخير اجتاز المرحله الانهياريه و لكنه كان يواجه إشكاليه تبرير مظاهره غير المنطقيه. بمعنى أنه كان يريد العوده إلى عالم الأصحاء من دون أن يدين نفسه بنفسه، لأن هذه الادانه تعنى اعترافه بجنونه فى مقاييس تلك الأيام (و ربما فى بعض المقاييس الحاضره).

و لكننا لا- نستطيع تدعيم فرضيتنا هذه لأننا لا- نملك المعطيات الكافيه لتأكيدنا خصوصاً لجهه معرفه ما إذا عاد المريض و تعرض لنوبات انهياريه أخرى إلا أننا نستطيع أن تؤكد أن الاشكاليه التى طرحها هذا المريض كانت و ستظل مطروحه فى العياده النفسيه. إذ أن جميع المعانين من وطاه أفكار لا منطقيه يعانون أزمة لدى وعيهم لهذه الأفكار. و من مظاهر هذه الأزمه "الحزن على الذات" و التى بات الآخرون ينظرون إليها على أنها مجنونه حتى أن بعض هؤلاء المرضى يتنحرو فى هذه المرحله فى حين يفضل بعضهم العوده إلى احضان المرض و اللامنطق و يبقى قسم ثالث منهم بانتظار الفرص لمنطقه لا- منطقهم و لإيجاد التبريرات له. و الحاله الأخيره هى حاله مريض "أوحد الزمان".

الميلانخوليا فى أدبيات التراث العربى

لدى متابعتنا قراءه قانون ابن سينا نلاحظ أنه يضيف إلى أنواع الميلانخوليا الخمسه المذكوره أعلاه نوعين آخرين هما:

١ - القطرب (كآبه شديده مع رغبه فى الموت و زياره المقابر).

٢ - العشق (و يعتبره ابن سينا مرضاً وسواسياً موازياً للميلانخوليا).

و بهذه الزيادة يكون ابن سينا أطلق تعبير (البيسيكياتريه) و نلاحظ أنه يدرج فى هذه الخانه علائم الأمراض العقليه التاليه: ١ - الفصام بأنواعه. ٢ - الانهيار بأنواعه، ٣ - الكابه. ٤ - الهوس الانهيارى. ٥ - الهوس الدورى. الهذيان الهذائى.

و انطلاقاً من هذا التعميم يمكننا اعتبار الميلانخوليا بمنزله "الموجز فى الطب النفسى لدى ابن سينا". و بما أن الشيخ الرئيس أثر فى علماء عصره و العصور التى تلت، و لغايه اليوم، فان نظرتيه هذه امتدت لتطال أطباء عديدين فى تراثنا. و هذا ما يحدونا للدعوه إلى عدم إهمال تحقيق مخطوطات مهمه مثل مخطوطه "فى الميلانخوليا" لأحمد بن أبى الأشعث و "مقال فى معرض

المركيه "السعيد بن أبي بشر... إلخ، و ذلك فى ضوء المعطيات البسيكياتريه المعاصره.

الشيخ جمال الدين الحسين بن على البيهقى

كان حيا فى جمادى الأولى سنه ٥٥٢.

من علماء الشيعة فى بيهق و مشاهيرهم فى عصره أخذ العلم و المعارف الإسلاميه عن جماعه من أفاضل علماء عصره و هو من أحفاد على بن حمزه بن عبد الله الكسائى النحوى الكوفى أحد القراء السبعه المتوفى فى قريه زنبوريه فى نواحي مدينه الرى سنه ١٨٩ (١) و بنت المترجم له المعروفه بام العزيز كانت زوجه السيد عماد الدين على بن محمد بن يحيى بن هبه الله البيهقى (٢) الذى ألف أبو الحسن على بن زيد البيهقى المعروف بابن الفندق شرح نهج البلاغه باسمها. (٣)

حسين على رزم آرا بن محمد

ولد فى طهران سنه ١٣١١.

درس فى إيران و تخرج من المدارس العسكريه، ثم سافر للدراسه فى فرنسا و تخصص بالجغرافيا و الخرائط، ثم عاد إلى إيران. صدر له من المؤلفات: معجم إيران الجغرافى فى عشره مجلدات، و جعبه رزم آرا، و طريقه رزم آرا. و هى لتعليم عمليات التخطيط و عمل الخرائط، إلى غير ذلك.

و من ابتكاراته: بوصله القبله، المعروفه ب (قبله نامه رزم آرا) التى تحدد القبله لجميع البلاد.

الشيخ حسين بن الشيخ على بن الشيخ الحسن بن الشيخ على بن الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد آل حاجى البلادى البحرانى القطيفى

المعروف بالقديحى.

ولد فى النجف الأشرف ١٨ شوال سنه ١٣٠٢ و توفى فى القديح ٢ ذى القعدة الحرام سنه ١٣٨٧ من أئمه الدين و أفاضل العلماء فى القديح. أديب شاعر مؤلف.

قرأ المقدمات و فنون الأدب على علماء عصره و تخرج على أبيه صاحب أنوار البدرين المتوفى سنه ١٣٤٠ و غيره من أعلام القطيف ثم هاجر مع والده إلى القديح و أولع بالتأليف و التصنيف و انتهت إليه الرئاسة بعد وفاه أبيه.

ترك المترجم له آثارا و ماثر منها بناء حسينية ضخمة فى مدينه القديح و أسس لها مكتبه عامه و تقام فيها حفلات دينيه فى مناسبات مختلفه، كما و طبع له كثير من مؤلفاته المختلفه نظما و نثرا منها كتاب رياض المدح و الرثاء للسادات النجباء، كنز الفوائد و مجمع الزوائد فى المواعظ و الخطب، كنز المناقب و المصائب، إظهار الحزن المتراكم فى وفاه الامام موسى بن جعفر (ع)، التحفه الحسينيه فى المواعظ و المناقب، كنز الدرر و مجمع الغرر نظير الكشكول، منجى العباد فى يوم المعاد أدعيه و

أذكار، نزهه الناظر، تفريح القلوب، سعادة الدارين، نعم المتجر، روح الجنان، سفينة المسكين، مهيج الأشجان، منظومه في الامامه، منظومه في أصول الدين، منظومه في آداب الأكل و الشرب، و له مقاتل لسيدنا العباس (ع) و على الأكبر

ص: ١٤٢

١- أبو الحسن على بن زيد البيهقي تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ٥٨.

٢- نفس المصدر ص ٥٨.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و القاسم، ديوان شعر فى مرأى الأئمه ع فى مجلدات عديده.

الشيخ حسين على راشد

ولد فى مدينه تربت حيدريره من مدن شرق خراسان سنه ١٣٢٤ و توفى بطهران عام ١٣٩٩.

درس العلوم الإسلاميه فى مسقط رأسه ثم فى مشهد خراسان ثم فى النجف و بعد أن عاد من العراق زاول الوعظ و الإرشاد و الخطابه و بعد تأسيس الاذاعه الإيرانيه صار خطيبها الرسمى فى ليالى الجمعه و المناسبات الدينيه و استمر على ذلك مده ٤٠ سنه حيث كسب شهره واسعده داخل إيران لحسن بيانه و جمال حديثه و تناسب المواضيع التى كان يطرحها و طيله هذه العقود الأربعه لم يسمع منه خلال حديثه مدح أو ذم لأحد و يروى أن ملكك أفغانستان (ظاهر شاه) كان من المستمعين له و كان يقوم من مجلس وزرائه ليستمع إلى وعظه من إذاعه طهران.

كان أستاذًا فى كليه الإلهيات بجامعة طهران سنين طويله. كف بصره فى أواخر حياته و قد طبع قسم من أحاديثه الاذاعيه فى خمس مجلدات باسم (سخنرانى هاى راشد در راديو طهران). (١)

باد شاه حسين بن فدا حسين

توفى سنه ١٣٥٦ فى سيتابور (الهند).

من فضلاء الهند كان يجيد الأردويه و العربيه و الفارسيه و الإنكليزيه و السنسكريتيه.

قام بتفسير القرآن باللغه الإنكليزيه و مات قبل أن يتمه، و قد طبع بعض ما أتمه فى عده مجلدات و بقى الباقي مخطوطا فى مكتبه مدرسه الواعظين. و بعد وفاته أكمل افتخار حسين بتكليف من السيد نجم الحسن تفسير الباقي و لكنه لم يطبع.

كمال الدين حسين بن محمد ضميرى.

توفى سنه ٩٧٣ على ما ذكره إسماعيل باشا فى (إيضاح المكنون) أو سنه ١٠٠٠ على ما فى تذكره الغنى و لكن هذا الرأى مستبعد. هو من مشهورى شعراء الفرس فى القرن العاشر الهجرى. على أن هناك ضميريا آخر معاصر له، هو من مدينه همذان.

قال سام ميرزا عن المترجم: فاضل لا نظير له فى علم النجوم، دقيق فى الحديث، ذو طبع عال، اشتهر منذ أوائل شبابه بالعلم و الأدب. تتلمذ عليه مير غياث الدين و منصور دشتكى الشيرازى فى الطب و الرياضيات و النجوم.

و بمواهبه العلميه الأديبه اتصل بالشاه طهماسب و بالعائله المالكة حتى آخر حياته، و كان صديقا لشعراء وقته سواء منهم الذين انتموا للقصر الصفوى أو الذين لم ينتموا إليه، مثل شرف، و محتشم، و حسابى.

كان متفوقا فى القصيده و فى المثنوى و فى الغزل، يشبهونه بأمير خسرو الدهلوى، لذلك لقب بخسرو الثانى. دون أمين الرازى لضميرى مائه ألف بيت من الشعر: سبعون ألفا فى الغزل، و اثنى عشر ألف قصيده فى مدح أئمه أهل البيت ع، و ثمانيه عشر

ألف في المثنوى.

له عدة دواوين و لكل واحد منها اسم، كان في بعضها على طريقه غيره من الشعراء، و في بعضها الآخر غير متبع طريقه أحد. و تقى الدين كاشى الذى سافر إلى أصفهان ليجمع أشعار ضميرى هناك و حل ضيفا عليه، رأى جميع دواوينه و اختار منها ألف بيت، نقلها في كتابه (خلاصه الأشعار) و عدد أسماء بعض دواوينه، فمن الغزل و المثنوى: سفينه الإقبال، و صوره الحال، و كنز الأقوال، و صيقل الحلال، و عشق اللازوال، و مقال العذر، و خصال القدس، و مجموعه الإجلال، و في جواب شعر سعدى الشيرازى، و الطاهرات، و الصنائع، و بدايه الشعر، و نهايه السحر، و عيون الزلال في جواب حافظ الشيرازى، و مرآه الجهل في جواب بابا فغانى، و معراج الآمال في جواب الجامى، و أنيس الليالى في جواب الشاعر لسانى، و السحر الحلال في جواب الشاعر شاهى، و فراغ البال في جواب بنائى، و مثال الدرر في جواب مير صالح، و سحاب الحلال في جواب الشاعر آصفى، و الفال الممتاز في جواب شهيدى، و لوامع الخيال في جواب مير همايون، و موسيقى الوصال في جواب ميرزا شرف، و إحياء الكمال في جواب الشيخ كمال، و آخر في جواب أمير خسرو، و حسن المال في جواب حسن. و دواوين أخرى مثل: ليلى و المجنون، حيه الأخبار، و الربيع و الهواء الجميل، و رسائل الإسكندر.

و له ديوانان في مدح أئمه أهل البيت ع اسماهما:

(صحائف الأعمال) و (صدف الآل).

و لكن لم يصل إلينا أى واحد من دواوينه. و كتب إسماعيل باشا في فصل الدواوين عن ضميرى: "هو كمال الدين حسين بن محمد الاصبهانى المتوفى سنة ٩٧٣ له سفينه إقبال".

و الظاهر أنه لم ير إلا (سفينه الإقبال)، أو ربما لم يسمع إلا بها، أو لم يعجبه سوى هذا الديوان.

و مهما كان الأمر فان المائة ألف بيت التى نظمها ضميرى لم يبق منها إلا أبيات قليلة. و السبب فى ذلك - كما يقول تقى الدين الأحدى البليانى - أن ابن ضميرى ملا ميرك الاصفهانى قد ترك مسودات أبيه الشعريه عند البقال و بائع الحلوى عربونا لشراء كميته من الأفيون...

الشيخ حسين مع ناصر.

ولد فى قريه من قريه كربلاء فى العراق اسمها الدوبهيه و استشهد سنة ١٣٩٩ على أيدى نظام الطغيان التكريتى فى العراق. بعد إتمامه دراسته الابتدائيه انتمى إلى الحوزه العلميه فى كربلاء ثم فى النجف فكان من أساتذته فيها السيد أبو القاسم الخوئى و السيد محمد باقر الصدر، كما درس عليه بعض الطلاب. ثم أرسله السيد الصدر و كيلا عنه إلى مدينه الحله. و بدأت مطارده السلطات له فاضطر للتوارى حوالى ست سنوات متنقلا من مكان إلى مكان. و لما خفت حده المطارده عاد يتابع الدراسه فى

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

النجف باسم غير اسمه هو فاروق محمد. و لكن السلطات قبضت عليه و هو منتحل لهذا الاسم فحوكم على اعتبار أنه المعلم فاروق محمد، و بعد تعذيب طويل حكم عليه بالسجن المؤبد، و نقل إلى سجن أبي غريب و بعد قضائه سبعين يوما هناك تم التعرف عليه من قبل أحد السجناء فحوكم هذه المره باسمه الحقيقي فحكم عليه بالموت و دفن في النجف الأشرف.

ترك عده بحوث و دراسات بقى بعضها مخطوطا. منها: الحريه في الإسلام، و العلاقه الفقهيه في الاقتصاد الإسلامي، و بحث في نظريه المعرفه.

و قد طبع من آثاره: نظرات في الأعداد الروحي.

و مما قيل فيه:

بينك الآن يا شهيد و بيني شبح الموت أو مغاور سجنى

ربما كنت لا أراك و لكنك تسمى ما بين عيني و جفنى

ربما كنت شاعرا ضائع الوجه فاعطيتنى هويه فنى

فحملت الرؤى على ظهري الخاوى و لملت ما تناثر منى

أنت توجت جبهتى بالأزاهير و أسكرت بالتلاحين أذنى

أنت علمتنى الحياه أو الموت و أفعمت بالحقيقه ظنى

و سألت التاريخ كيف يراه فتوارى و قال لى: لا تسلىنى

غرس البذره الحسين و أضحت ترتوى من دماء ألف حسين

القاضى كمال الدين مير حسين بن معين الدين الحسينى الميبدى اليزدى.

توفى سنه ٩٠٩.

من كبار علماء القرن التاسع، له مؤلفات كثيره فى شتى المواضيع لا سيما: الحكمه، و المنطق، و الخطابه و قد بقيت جل مؤلفاته مخطوطه لم تنشر.

كان أبوه الخواجه معين الدين على يشغل منصب وزير دار العباده فى (نيرد). و بعد ما أنهى المترجم دراسته الأولى فى ميبد سافر إلى شيراز لمتابعه الدراسه فيها، و هناك تلمذ على كبار علمائها لا سيما جلال الدين الدوانى (٨٣٠ - ٩٠٨). و عند ما سافر

استاذة الدوانى إلى العاصمة تبريز تلبيه لدعوه سلطان (آق قويونلو) ذهب المترجم معه، و فى خلال إقامته هناك جرى بحث علمى بحضور السلطان بين كل من جلال الدوانى و الشيخ إسحاق التبريزى، ثم أتم المترجم البحث مكان الدوانى فنال إعجاب السلطان و الحاضرين. و أثر ذلك و بطلب من الدوانى عين السلطان المترجم قاضيا لمدينه نيرد و توابعها، و أضاف إلى منصب القضاء الأشراف على الأوقاف.

و هكذا أمضى المترجم بقيه حياته فى نيرد.

نذكر من مؤلفاته: "١" شرح باللغه الفارسيه على الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) مع مقدمه مفصله و أبحاث موجزه فى العقائد و العرفان و الأخلاق، مضافا إلى ذلك فقد ترجم إلى اللغه الفارسيه أشعار الديوان بشكل رباعيات. و قد أتم تأليفه سنه (٨٩٠).

"٢" شرح الشمسيه فى المنطق، "٣" شرح الطواع فى علم البلاغه، "٤" شرح الهدايه الأثيريه فى الحكمه، "٥" شرح كافيه ابن الحاجب فى علم النحو، "٦" شرح خطب الامام الحسن العسكري (ع)، "٧" شرح آداب البحث، "٨" ديوان الألغاز، "٩" المنشآت، و هى مجموعه رسائله، "١٠" مرآه الكون. و هى رساله موجزه باللغه الفارسيه فى موضوع الحكمه و الفلسفه تتحدث عن الإلهيات و الطبيعيات. و قد ترجم إلى اللغه الفرنسيه.

السيد حشمت على بن الحاج جماعت على

و قد عمر والده ما يقرب من ١٢٥ سنه ولد المترجم سنه ١٢٧٥ فى بلده خيرالله پور فى الباكستان و توفى فيها سنه ١٣٥٣.

عرفت أسرتهم باسم (شيرازيا) لانتمائها إلى السيد نوروز الشيرازى الذى صحب (همايون) حين ذهب بعد انكساره فى الهند إلى إيران مستنجدا بالشاه طهماسب الذى أنجده فعاد إلى الهند و نجح فى تشييد ملكه.

و كان فيمن جاء معه من إيران السيد نوروز الشيرازى الذى كان تقيا عابدا ورعا، فكان همايون يتبرك به، و بعد نجاح همايون و استقرار سلطته فى الهند، ترك للسيد نوروز اختيار المكان الذى يود الإقامة فيه، مع تكفله بأمور حياته، فاختار بلده (رسول پور) القريبه من قضاء سيالكوت (فى الباكستان اليوم). و تكاثر أولاده هناك و قامت خمس قرى متقاربه، منها خير الله پور سيدان، و فيها ولد المترجم و لحق به لقب (شيرازبا).

تلقى دراسته الأولى فى بلدته فى مدرسه مولانا عبد الرشيد، ثم عزم والده على توجهه إلى الدراسه الإسلاميه، و كان فى (لاهور) مدرسه دينيه فى مسجد نواب صاحب يتولى أمرها أبو القاسم الحائرى فقصدتها المترجم للدراسه.

و قد أعجب به النواب نوازش على خان قزلباش فتولى رعايه أموره.

و انتمى فى الوقت نفسه إلى معهد (أورنيل كالج) فى لاهور حيث حصل على شهاده (مولوى فاضل). كما درس على أبى القاسم الحائرى التفسير و الحديث و الفقه، و ذهب بعد ذلك إلى (لكهنو) حيث تابع عند علمائها دراسه الأصول و الفقه. ثم ذهب إلى (ديوبند) و فيها معاهد تدريس المذاهب الأربعة فدرس على علمائها ثم عاد إلى وطنه.

و أخيراً قصد العراق لاستكمال دراسته، فمضى على طريق كراتشيفالبصره، و منها إلى كربلاء و النجف، فكان من أساتذته هناك كل من السيد مهدي القزويني و الشيخ محمد حسن المامقاني و السيد محمد حسين الشهرستاني.

و كان ذلك في عصر المرجع الأعلى السيد محمد حسن الشيرازي الذي كان يقيم في سامراء، فتقرب به و تولى أمر مراسلاته إلى الخارج.

و بعد أن قضى في العراق ست سنوات عاد إلى وطنه حيث قضى فيه سنه عاد بعدها إلى العراق و تابع دراسته فيه ست سنوات أخرى. و سائر إلى اسطنبول فأقام فيها سنه دارسا مستطعاً. و هكذا بعد انقضاء ثلاث عشره سنه في الاغتراب عاد إلى وطنه مرجعاً دينياً في منطقته. و يبدو أنه - لظروف حساسه - كما يقول صاحب (مطلع أنوار) لم يعترفوا هناك بعلمه، فلم يشتهر هناك فقيهاً، بل اشتهر بما يسمى بعلم (المعقول) لا سيما في دراسته لفلسفه (ملا صدرا). على أنه لم يستقر في مكان واحد، بل كان دائم التنقل من بلد إلى بلد. ثم كان عضواً في المجلس الشيعي في مدينه (امروهه) في قضاء مرادآباد.

ص: ١٤٤

فى جامعته (على كرى) نشاطات ثقافيه، و فى سنه ١٣٤٤ سافر إلى العراق للزياره، و بعد رجوعه كان ميدان نشاطه فى النجاب لا سيما فى قضاء سيالكوت، و بالأخص بلده (ناردوال).

من مؤلفاته: ١ - المعراجيه. ٢ - الحاجه إلى الامام. ٣ - شرح حديث الطينه. ٤ - رساله العرشيه. ٥ - أصول الدين فى خمس مجلدات. (١)

السيد حمايت حسين

توفى حدود سنه ١٢٨٠ فى الهند.

كان عالما فاضلا و جيها فى (كنتور) بالهند، أديا باللغه العربيه نثرا و نظما، حتى إنهم كانوا يلقبونه هناك: امرأ القيس، كما كان له إمام بعلم الطب.

ترجم كتاب (أساس الأصول) لغفران مآب و هو فى أصول الفقه - ترجمه من العربيه إلى الأردويه، فكان أول من حول علم الأصول من العربيه إلى الأردويه.

حمد الله الملقب بفضل الله خان بن الحكيم شكر الله بن الشيخ دانيال

توفى سنه ١١٦٠ فى الهند.

كان من سكان (سنديله) قرب (لكهنو) بالهند و كان من تلاميذ ملا نظام سهالوى.

هو من مشاهير علماء الفلسفه و المنطق، و من المتأثرين بالسيد باقر الداماد، و قد شرح كتاب (سلم العلوم) فى المنطق و اشتهر بهذا الشرح، و كتب حاشيه على (شرح حكمه العين) لملا صدرا، و شرح كتاب (زبد الأصول) باللغه العربيه. كما أنه أسس مدرسه كبيره فى سنديله.

السيد جمال الدين حمزه بن أبى منصور ظفر بن محمد بن أبى على أحمد بن أبى الحسن الزاهد الغازى پلاس يوش ابن محمد بن أبى منصور ظفر بن محمد بن أبى جعفر أحمد زباره الحسينى البيهقى.

توفى قبل عام ٥٦٣ فى بيهق.

من أعلام أسرته و أفاضل علماء عصره فى القرن السادس للهجره أخذ العلم و فنون الأدب على رجال أسرته بنى زباره الذى نبغ منهم علماء أعلام و انتهت إليه الرئاسة و لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته إلا أنه ذكره ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق الذى ألفه فى سنه ٥٦٣ و قال أنه أى المترجم له هو البطن الثامن إلى أحمد زباره الحسينى و هو أقرب نسبا إلى النبى (ص) من غيره من أهل بيته و يقصد بنى زباره فى بيهق. (٢)

و المترجم له ابن أخت طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى.

و بنو زياره البيهقيون من الأسر العلميه العلويه المعروفه فى خراسان و نيشابور و بيهق نبغ منهم علماء أعلام و شعراء مجيدون و نقباء أشرف عم صيتهم الآفاق و طار ذكرهم و قد هربوا من مدينه جدهم رسول الله (ص) خوفا من ظلم بنى أميه و بنى العباس و سكنوا خراسان آخر حدود الدوله الإسلاميه آنذاك و سادوا هناك و سوف نذكر كلا منهم فى محله إن شاء الله، كما ذكر بعضهم فى أعيان الشيعه منهم السيد عز الدين شرف شاه بن محمد الحسينى الأفتسى النيسابورى المعروف بزياره المدفون بالغرى و ذلك فى المجلد السابع ص ٣٣٧.(٣)

الحاج حيدر بن حبيب الله الموسوى النيشابورى الكنتورى

ولد سنه ١٢٥٥ فى الهند و توفى سنه ١٣٠٤.

هو من أسره المفتى محمد قلى و قد درس العلوم الإسلاميه متقنا لها إلى جانب كونه من كبار الاقطاعيين فى (كنتور) بالهند، كما كان يلقى الدروس على الطلاب فى تلك العلوم.

له من المؤلفات: القديره، تحقيق حول الشهيد على الأكبر، شرح زياره الناحيه الكبرى، رساله العطش، بيان الايمان، المعانى و الاحتمالات النهويه.

حيدر حسين نكته

ولد حدود سنه ١٣١٥ و توفى حدود سنه ١٣٩٠ فى لكهنو بالهند كان عالما فاضلا خطيبا أدبيا شاعرا بالاردويه و العربيه و الفارسيه. تولى التدريس فتره فى المدرسه الناظميه و فى سلطان المدارس، و كان يمضى للتبليغ و الوعظ إلى بمبئى.

حيدر خان جراغ برقى أو "بمبئى"

المعروف ب "حيدر خان عمو أوغلى"، و اسم أسرته الأصلى "تارى ويرديوف".

كان "حيدر خان" المذكور من رؤساء المناضلين الأجانب المعتمدين الذين تطوعوا بالقدوم إلى إيران فى أوائل تأسيس النظام البرلمانى (المشروطه) للمشاركة فى مكافحه من كان يطلق عليهم فى تلك الأيام اسم "المستبدين". و كان من هؤلاء المتطوعين القفقاسيون و الكرجيون و الأرمن. و قد قتلوا كثيرا من أولئك الجماعه المستبدين.

و يرى كثيرون أن "حيدر خان عمو أوغلى" إيرانى الأصل، و أبوه هو "مشهدى ميرزا على أكبر" الأرومى، أو السلماسى. و جده لأبيه اسمه "حاجى ملا على تارى ويرديوف". كان يقيم فى مدينه "الكساندروبل" الأرمنيه. و فيها اشتهرت أسرتهم باسم "تارى ويرديوف".(٤)

أما سبب تسميه المترجم له ب "عمو أوغلى" فيقال إن أصدقاء "مشهدى على أكبر" و معارفه كانوا ينادونه "عمو" (أى: العم).

فأصبحوا يسمون ابنه حيدر خان "عمو أوغلى" أى "ابن العم".

كان "حيدر خان عمو أوغلي" يسكن في القفقاس التابعه لروسيا القيصريه. و في القفقاس أتم دراسته حتى أصبح مهندس كهرباء، و عين

ص: ١٤٥

١- مطلع أنوار.

٢- انظر تاريخ بيهق لابن الفندق ص ٥٥ تحقيق أحمد بهمنيار طهران الطبعة الأولى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٤- يرى بعضهم أن "الحاج ملا- علي تاري ويرديوف" هو أبو "مشهدى علي أكبر"، و يرى بعضهم أنه أخوه. و مدينه "الكساندروبل" من مدن أرمينيا السوفياتيه الصناعيه. سكانها ثلاثه آلاف و مائه ألف. و يوم كانت في يد العثمانيين كانوا يسمونها "كمري". ثم احتلها الروس. و حين حكم البلاشفه سموها "لنينا كان".

موظفا في أحد مصانع "بادكوبا".

و كان الموظفون القيصريون يظلمون مسلمي القفقاس و يعتدون عليهم و يعاملونهم بالاذلال، فدفعه ذلك هو و جماعه آخرون من أباه المسلمين إلى تشكيل حزب سياسي لمكافحة المستبدين المحليين و الأجانب.

فانشأوا سنه (١٣١٧ هـ) (١٩٠٠ م) هيئه باسم "اللجنه الاجتماعيه الشعبيه" برعايه "ناريمان ناريمان بكف"، و أنشأوا لها فروعاً في كل مدن القفقاس، و منها فرع في "بادكوبا". و كان "حيدر خان عمو أوغلي" عضواً في هذا الفرع. ثم اتصل جماعه من أحرار إيران، خصوصاً آذربيجان، بهذه اللجنه سرا، و أنشأوا لها فرعاً في تبريز.

في سنه (١٣١٨ هـ)، عند رجوع "مظفر الدين شاه" و الصدر الأعظم "الميرزا علي أصغر خان" من سفر الشاه الأول إلى أوروبا، عرفهما بعضهم بحيدر خان، بما هو مهندس كهرباء في "بادكوبا"، فاستخدماه و بعثا به في تلك السنه إلى مشهد لإداره مصنع كهرباء الاضاءه فيها.

و بعد أن أقام فيها بضع سنوات غادرها إلى طهران ف قضى فيها خمس أشهر بلا عمل، ثم استخدم في مصلحه سكه حديد شاه عبد العظيم، ثم في مؤسسه النقلات التجاربه الروسيه، ثم في إداره كهرباء الحاج حسين آقا أمين الضرب.

و كان لا-يفتا في أثناء ذلك يتحرى عن أناس يهيئهم للثوره على النظام الملكى الاستبدادى و التامر لقتل رؤساء الاستبداد. و اشترك بالفعل في تهيئه محاولات اغتيال بعض الرؤساء العسكريين و السياسيين و حوادث اغتيال بعض آخر. فهو الذى وضع خطه مقتل الميرزا "علي أصغر خان" (١) و محاوله اغتيال محمد علي شاه و محاوله اغتيال "علاء الدوله". و بالإجمال شارك "حيدر عمو أوغلي" في جميع الحركات الثوريه التى وقعت أيام الانقلاب البرلمانى (المشروطه)، و لم يكن يداخله أقل خوف أو تردد في الاقدام على قتل كل من خالف حركات التحرر من الاستبداد.

كان "حيدر خان" يتقن اللغه الكرجيه و الأرمنيه و الروسيه كاتقانه لغته الأم. و تعلم أيضاً اللغه التركيه و الفارسيه، فأصبح يتقن خمس سنه.

و كان له نفوذ روحى خارق يجذب إليه كل من حادثه فياتمر بامرّه. حتى إن الزعيم الشعبى البطل المشهور "ستار خان" (٢) تأثر به فكان لا يفتا يردد:

القول ما يقوله عمو أوغلي! بعد أن ضرب محمد علي شاه المجلس النيابى بالمدافع في ٢٣ جمادى الأولى سنه (١٣٢٦ هـ) ذهب "حيدر خان" إلى "بادكوبا". و هناك أخذ يكتب مقالات باللسان الكرجى و ينشرها في الصحف داعياً إلى تأييد النظام البرلمانى في إيران و محاربه معارضيه، فاستنفر بذلك كثيراً من المتطوعين و الفدائيين قدم بهم إلى إيران لمقاومه محمد علي شاه و مساعده المجاهدين و المحصورين في تبريز. ثم لم يلبث أن أصبح من أركان الثوره في آذربيجان.

و كان أعظم عمل قام به في هذه الأيام هو تدبير مقتل "شكر الله خان" الملقب ب "شجاع نظام" (شجاع العسكر) المرندى. و كان هذا من كبار القواد العسكريين و أشد المعارضين للنظام الديمقراتى البرلمانى و من أخلص الموالين لمحمد علي شاه.

فقتله "حيدر خان" بإرسال طرد بريدى إليه وضع فى داخله متفجرات، فلما فتحه انفجرت فقتلته و قتل أحد أبنائه.

و لما قدمت القوى الشعبيه الثائره من الشمال و الجنوب تهاجم العاصمه طهران و احتلتها كان لحيدر خان مشاركه فى هذه الوقائع. و هو من مؤسسى "الحزب الديمقراطى الايرانى" و رئيس "منظمه الإرهاب"، و قد وضعت مقدماتها من قبيل إعداد البرنامج و أمثال ذلك، فى تبريز ثم تشكلت فى طهران.

و لما قتل السيد عبد الله البهبهانى(٣) زعيم "المعتدلين" فى التاسع من رجب سنه (١٣٢٨ هـ) اتهم "حيدر عمو أوغلى" بأنه أحد القتل، فاعتقل و هو يحاول الفرار من طهران متنكرا، فأوقف مده شهر ثم أفرج عنه.

و بعد قليل أرسله الحزب الديمقراطى بمهمه سرية إلى قبيله بختيار.

و عاد منها إلى طهران فى ربيع الأول سنه (١٣٢٩ هـ)، و اضطر إلى الاختفاء.

و أرسل رئيس شرطه طهران بالسرى فى إحدى الليالى - و كان هواه مع الحزب الديمقراطى - إلى أحد أصدقاء "حيدر خان"، و كان هذا مختبئا فى بيته، يشير عليه بخروج "حيدر خان" سريعا من إيران لأن المراجع الحكوميه المختصه وصلتها أخبار عن مكان اختبائه. فخرج متنكرا من طهران إلى مشهد و منها إلى روسيا و منها إلى فرنسا و سويسرا. و فى أوروبا اتصل بأعوان "لينين".

فى الثامن من ربيع الأول سنه (١٣٢٨ هـ) اضطرت أسباب سياسيه الزعيم الشعبى "ستار خان" الذى مر ذكره إلى الحضور إلى طهران مع رجاله فاستقبل فيها استقبالا حافلا و أنزل فى محله "بارك أتابك". و كان "ستار خان" هذا يميل إلى جماعه "المعتدلين"، و الحكومه يومئذ بيد الحزب الديمقراطى الذى ينتمى إليه "حيدر عمو أوغلى".

و قد سبق أن رد المعتدلون على قتل زعيمهم السيد عبد الله البهبهانى بقتل اثنين من كبار الديمقراطيين. و كان هذان الحادثان سببا فى وقوع نزاع مسلح بين رجال الشرطه، شرطه الديمقراطيين الحاكمين، و المجاهدين النازلين فى "بارك أتابك" رجال "ستار خان". و قد شارك "حيدر عمو أوغلى" فى هذه الحرب مع جيش الحكومه. و هكذا أقدم على محاربه "ستار خان" مع كل ما كان بينها من صداقه قديمه و موده سابقه.

ص: ١٤٦

١- رئيس الوزاره فى عهد محمد على شاه، و من أصحاب الألقاب الكبيره. كان له دور سياسى و إدارى كبير فى عهد ناصر الدين شاه و من بعده.

٢- فتى من عامه الشعب من أهالى تبريز. لما عطل محمد على شاه الحياه النيابيه و ضرب المجلس النيابى بالمدافع بعث بجيش عدته تقرب من أربعين ألف جندى إلى تبريز لاختضاع طلاب النظام البرلمانى و اعتقال رؤسائهم. فكان أول من هب إلى مقاومتهم "ستار خان" هذا. فجند التبارزه و قادهم إلى المقاومه أحسن قياده. و حاصر الجيش الحكومى المدينه و ثبت "ستار خان" فى المقاومه أحد عشر شهرا لم يستطع الجيش الحكومى فيها احتلال المدينه و لا رجع الجيش الشعبى عن المقاومه. و

عمت شهره "ستار خان" العالم و تردد اسمه كثيرا فى الصفحات الأولى من صحف أوروبا و أميركا.
٣- من رجال الدين. كان من طلاب النظام البرلماني، و من كبار العاملين فى حركة الانقلاب البرلمانيه "المشروطه" فى إيران. و
قد انقسم هؤلاء إلى فريقين متخاصمين، أحدهما "الحزب الديمقراطي"، و منهم "حيدر عمو أوغلى" و الآخر أطلق على رجاله
اسم "المعتدلون".

ثم سقطت حكومه الديمقراطيين و تولى الحكم بعدها فى ١٠ ربيع الأول سنه (١٣٢٩ هـ) حكومه تخاصمهم. فتقوى بها المعتدلون و أجبروها على قمع رؤساء الديمقراطيين من أمثال "حيدر عمو أوغلى". فصدر أمر بنفيه من إيران، فذهب إلى القفقاس و منها إلى روسيا و منها إلى أوروبا.

فى سنه (١٣٢٩ هـ)، بعد سنتين تقريبا من استعفاء محمد على شاه القاجارى من المنصب الشاهانى، كان هذا الشاه فى "أوديسا"، و الروس يسعون إلى إعادته إلى عرش إيران. و كان "حيدر خان" يومئذ وسيا [فى روسيا]، و معه صديق له من أهل اللهو و المجون محدث عذب الحديث اسمه "محمد تقى صادقوف". و كان فى أكثر أيامه مفلسا بسبب حياه الاستهتار التى يحياها. و من أجل أن يحصل على المال من محمد على شاه أفنع "حيدر عمو أوغلى" بزياره الشاه فصحبه إليه و أفنع الشاه بأنه يستطيع إعادته حيدر إلى إيران ليساعد فى المساعى القائمه لإعادته إلى عرش إيران. و حصلا كلاهما من الشاه على مبلغ كبير من المال. و قد أقر "حيدر عمو أوغلى" بذلك مره لبعض معارفه، و لكنه استدرك بان قبوله المال من محمد على شاه لم يكن قصده منه القيام بخدمه له بل قبله لينقص مال هذا الشاه و اقتداره، إذ هو جرثومه الفساد.

و بعد استقرار النظام البرلمانى فى إيران ظل "حيدر عمو أوغلى" مدته طويله فى باريس. و فى أوائل الحرب العالميه الأولى ذهب إلى برلين فأقام فيها سنتين أو ثلاثا. و ترك برلين فى إبان تلك الحرب إلى إسلامبول فتطوع فى الجيش التركى برتبه ضابط و ذهب إلى الجبهه يحارب ضد روسيا القيصرية.

و بلغ فى رحلاته الحربيه إلى بغداد و كرمانشاه. ثم عاد إلى ألمانيا و أقام فى برلين. و فى أثناء إقامته هذه شاعت أخبار الثوره الروسيه، ثوره اكتوبر. و إذ سبق أن كان قد التقى لينين فى سويسرا و كانت بينهما معرفه كامله، فقد بادر إلى السفر إلى روسيا، و هناك شارك فى ثوره اكتوبر سنه (١٩١٧ م) إلى جانب لينين إذ كان من أقرب المقربين إليه. و كان يثير الفقراء المحرومين بخطب حماسيه فى مختلف المدن الروسيه.

كان "حيدر خان عمو أوغلى" فائق الشجاعه مغامرا ثابت الجأش لا يخشى المخاطر، بل كان يتحرى المخاطر ليلقى بنفسه فيها. و فى سنه (١٣٤٠ هـ) جاء إلى جيلان مرسلا من قبل أتراك "بادكوبا" الثوريين و بلشفيكها. و اختلط باتباع "الميرزا كوشك خان" الجنكلى. و قد ارتاب به هؤلاء الأتباع فقتلوه فى أوائل سنه (١٣٤٠ هـ). (١)

حيدر على سند يلوى بن حمد الله

توفى حدود سنه ١٢٢٥ فى سنديله (الهند) كان عالما مشهورا فى (سنديله) بعد أبيه، و هو من أساتذته العالم الشهير دلدار على غفران مآب.

و كان له و لأبيه من قبله منزله كبيره فى مجتمع لكهنو و أوساطها العلميه.

له من المؤلفات: ١ - تكمله شرح سلم العلوم ٢ - حاشيه شرح السلم و بعض الحواشى الأخرى.

حيدر على لكهنوى بن محمد على

ولد سنة ١٢٥٠ و توفي سنة ١٣٠٢ في لكهنو (الهند).

كان والده من كبار العلماء فدرس عليه و على غيره من أمثال تراب على حنفى و أحمد على محمد آبادى و المفتى محمد عباس و السيد محمد تقى ممتاز العلماء.

تولى التدريس فى المدرسه الايمانيه التى أنشأها غلام حسين كنتورى.

و كان يقسم سنته بين (تبه) فيبقى فيها سنته أشهر يقيم هناك الجمعة و الجماعه. و سنته أشهر فى لكهنو.

ترك من المؤلفات: شرح زبده الأصول، حاشيه على شرح اللمعه، ديوان شعر باللغه العربيه و غير ذلك.

حيدر يغمای نيشابورى

ولد عام ١٣٤٧ فى قريه من قري نيسابور - كان شاعرا ينظم القصائد و المقطوعات الشعرية ارتجالا و كان له حافظه قويه و كان يستنكف عن أن يرتزق بشعره و لم يسمع له مديح لأحد و قد عاش طوال حياته فقيرا معدما يعمل بكده و لم يطلب معونه أحد من الناس. توفي عام ١٤٠٦ هـ (٢).

خادم حسين فيض آبادى بن السيد عالم حسين

ولد حدود سنة ١٣٢٨ فى فيض آباد بالهند و توفي حدود سنة ١٣٨٠ كان فقيها أديبا شاعرا يجيد العربيه و الفارسيه. درس فى مدرسه سلطان المدارس و فى جامعه لكهنو. و تولى التدريس فى (سلطان المدارس). و هاجر مده إلى إفريقيا الشرقيه فمارس فيها التوجيه الدينى.

السيد خاقان حسين بن مظفر حسين الرضوى

ولد سنة ١٢٩٣ فى الهند و توفي حوالى سنة ١٣٧٤ درس الفقه و المنطق و الأدب و اللغه العربيه و الفارسيه على آقا أحمد آذربايجانى، كما كان يحسن اللغه الإنكليزيه.

عرف من مؤلفاته: الجانب العملى لمذهب الشيعه، معدن الأسرار، العلم و العمل، الحكمة اللدنيه.

خان بايامشار

المفهرس الكبير ولد بطهران و بعد إكمال الدراسه عمل فى وزاره الماليه مده ٢١ سنه ثم استقال و عمل فى الزراعه. و كان أثناء عمله فى وزاره الماليه يدرس العلوم الإسلاميه اشتهر اسمه فى إيران بكتابه (فهرست كتابهاى چاپى فارسى) و (فهرست كتابهاى چاپى عربى در إيران) حيث قام بفهرسه جميع الكتب باللغه الفارسيه و العربيه المطبوعه فى إيران مع شرح موجز عن مؤلفيها. (٣)

الخليل بن أحمد الفراهيدى

مرت ترجمته فى المجلد السادس، من (الأعيان) كما مرت دراسه عن

ص: ١٤٧

١- مهدي بامداد.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

مختصر كتابه (العين) فى المجلد الثامن من المستدركات و دراسه عن كتاب العين نفسه فى المجلد الثالث و نشر هنا هذه الدراسه المكتوبه بقلم ميشال زكريا:

قال الزجاجى فى كتاب "إيضاح علل النحو".

"ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد، رحمه الله سئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو، فقبل له عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك، فقال: إن العرب نطقت على سجيته و طباعها و عرفت مواقع كلامها و قام فى عقولها علله و إن لم ينقل ذلك عنها. و اعتلت أنا بما عندى إنه عله لما علته منه. فان أكن أصبت فهو الذى التمس و إن تكن هناك عله له فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمه البناء عجيبه النظم و الأقسام، و قد صحت عنده حكمه يأتيها بالخبر الصادق و بالبراهين الواضحه و الحجج اللائحه فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شىء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا و كذا و لسبب كذا و كذا و سنحت له و خطرت بباله محتمله لذلك. فجاثر أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعله التى ذكرها هذا الذى دخل الدار، و جاثر أن يكون فعله لغير تلك العله، إلا أن ذلك مما ذكره الرجل محتمل أن يكون عله لذلك. فان سنح لغيرى عله لما علته من النحو هى أليق بالمعلول فليأت بها".

يتبين لنا من خلال إعادة قراءه هذا النص قراءه معاصره فى ضوء التطور الحاصل فى مجال الألسنيه أو علم اللغه الحديث أن الخليل نظر إلى اللغه نظره متطوره جدا، و اعتمد فى تحاليله اللغويه منهجيه علميه دقيقه و يكون هذا النص فى الواقع جوابا قد يكون أراده الخليل و افيا لسؤال طرح عليه فى ما يتعلق باستقراء القواعد العربيه و تفسيرها. و ما يجدر لفت الانتباه إليه هو أن هذا النص الموجز يقدم أحويه [أجوبه] دقيقه لمسائل مهمه هى فى صميم الاهتمامات الألسنيه الحاليه، و بخاصه فى إطار النظرية التوليديه و التحوليه لمؤسسها الألسنى نعوم تشومسكى. و بإمكاننا بالاستناد إلى هذا النص التطرق إلى خمس مسائل ألسنيه هى حاليا من أهم هذه المسائل: الملكة اللسانيه و قواعد اللغه، اللغه بنيه منتظمه، عمل اللغوى، اعتماد المنهجيه التفسيريه فى التحليل اللغوى، تعدد القواعد للمسأله الواحده و مسأله تقييم القواعد.

الملكة اللغويه

يقول الخليل "إن العرب نطقت على سجيته و طباعها، السجيه عباره عن ملكه ثابتة فى النفس، و الطباع عباره عما طبع عليه الإنسان، فىكون معنى كلام الخليل هذا أن العربى حين يتكلم إنما يصدر كلامه عن سجيته أى عن ملكه ثابتة قد طبع عليها، و هذه الملكة مقدره كلاميه جبل بها العربى فهى قائمه لديه بشكل طبيعى. و هذا ما يفسر إمام العرب بشكل طبيعى بلغتهم. و العرب عرفت مواقع كلامها "فالعربى الذى يتكلم لغته على سجيته يعرف مواقع الكلام أى قواعد اللغه و المقدره على التكلم عند العربى، أو الملكة اللغويه كما تمكن تسميتها، هى المعرفه بقواعد اللغه. و ذلك لأن العرب يضيف الخليل "قام فى عقولها عللها" (الهاء عائده إلى الكلام).

فالملكة إذا هى فى عقل العربى، و بالتالى، مقدره عقليه قائمه فى عقل المتكلم و فى رأى الخليل تفسر بقدره العربى على التكلم فالمتكلم من العرب امتلك، و الحال هذه، ملكه لغويه قائمه فى عقله هى كناية عن معرفه بمواقع الكلام أو بقواعد اللغه. و يؤكد الخليل وجود هذه المعرفه بقواعد اللغه عن العرب "و إن لم ينقل ذلك عنها". و الخليل يرى هنا، أن هذه المعرفه معرفه ضمنيّه

قائمه فى عقل المتكلم و ليست، فى الواقع، معرفه مباشره بالإمكان نقلها عن صاحبها.

فالملكه اللغويه كما بمقدورنا الاستنتاج من قول الخليل هنا، معرفه ضمنيه قائمه فى عقل المتكلم من العرب و هى بالذات معرفه بقواعد الكلام.

و عمليه التكلم عند العربى إنما تتم على السجيه و الطباع أى بواسطه هذه الملكه اللغويه التى - هى كما توضح لنا - كنايه عن المعرفه الضمنيه بقواعد اللغه.

نصل هنا إلى تحديد لعمليه التكلم مشابه، عند الخليل، لتحديد هذه العمليه عند تشومسكى مؤسس النظرية الألسنيه التوليديه و التحويليه، أحدث نظريه السنيه و أعمقها معمول بها حاليا.

يسمى تشومسكى المقدره على التكلم بالملكه اللغويه فيقول: "يشير مصطلح الملكه اللغويه إلى قدره المتكلم - المستمع المثالى على أن يجمع بين الأصوات اللغويه و بين المعانى، فى تناسق و ثيق مع قواعد لغته". (١) و هذه الملكه اللغويه ينطبع عليها الإنسان منذ طفولته و خلال مراحل اكتسابه اللغه و ترتبط بصوره و ثيقه بقواعد اللغه كما يقول تشومسكى: "فمن الواضح جدا أن للجمل معنى خاصا تحددده القاعده اللغويه و أن كل من يمتلك لغه معينه اكتسب فى ذاته و بصوره ما، تنظيم قواعد تحدد الشكل الصوتى للجمله و محتواها الدلالى الخاص، فهذا الإنسان قد طور فى ذاته ما نسميه بالملكه اللغويه الخاصه". (٢)

اللغه بنيه منتظمه

يشبه الخليل بن أحمد الفراهيدى اللغه "بدار محكمه البناء عجيبيه النظم و الأقسام"، ففى نظره تكون اللغه بنيه قائمه على أصول ثابتة و متينه و تماسك عناصرها و تتسق. و اللغه "عجيبيه النظم و الأقسام" فانتظام العناصر فى هذه البنيه عجيبيه بمعنى أنه يتم على نحو أقل ما يقال عنه أنه غير بسيط و نفهم هنا كلمه عجيبيه بمعنى غير عادى، فالبنيه اللغويه إذا غنيه جدا و معقده و أقسامها أيضا "عجيبيه" فهى بنيه قائمه على عناصر منتظمه و على أقسام أو مستويات. و عجيبيه من حيث انتظام العناصر و تماسك المستويات.

و ما لا شك فيه أنه ينبغى لمن يحاول دراستها القيام بمجهود قوى.

ينظر الخليل فى هذا النص إلى اللغه من حيث أنها ملكه بشريه رائعه و خارقه يمتلكها الإنسان و يمتاز بها عن سائر المخلوقات، و بالتالى تشكل موضوع دراسته علميه ينبغى على العالم اللغوى أن يقوم بها لاكتشاف قوانينها و تفسيرها.

و بالإمكان ملاحظه هذه النظرة إلى اللغه فى النظرية الألسنيه التوليديه و التحويليه. يقول تشومسكى فى هذا الصدد: "واضح أن اللغه التى يكتسبها كل إنسان هى بنيه غنيه و معقده و لا يمكن تحديدها عبر المظاهر اللغويه المتوافره و المجزأه. لذلك يبدو البحث العلمى فى طبيعه اللغه صعبا و محددته نتائجه". (٣)

٢٦ صفحه LA Linguistique Cartesienne (١٩٦٩) Paris Sevil Noam Chomsky -١

-٢- المرجع السابق صفحه ١٢٥.

-٣- Reflexions on Language New York. (١٩٧٥) Noam Chomsky

" و اعتلت أنا بما عندى أنه عله لما علته " فعمل الخليل و الحال هذه تحليل اللغه من خلال ماده الكلاميه التى ينتجها العربى الذى " ينطق على سجيته و طباعه " فالعربى يتكلم بالعوده إلى ملكته اللغويه أو معرفته الضمنيه بالقواعد، فياتى بعد ذلك دور اللغوى الذى يحاول من خلال هذه ماده المتوافره لديه و التى هى كلام العرب الموثوق بهم بطبيعته الحال، أن يتوصل إلى أصول قواعد اللغه العربيه، فالخليل إذا يعتل أى يبين عله المسائل اللغويه فيذكر الأوجه من الإعلال و هو فى ذلك يقوم بتفسير اللغه. و ما يجدر لفت الانتباه إليه أنه لا يجزم بان العله التى يتبينها هى التفسير الوحيد إنما التفسير الذى توصل إليه من خلال تحليل ماده التى يتناولها.

اعتماد المنهجيه التفسيريه فى التحليل اللغوى

" و قد صحت عنده (الرجل الحكيم) حكمه بانها بالخبر الصادق بالبراهين الواضحه و الحجج اللائحه. فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شىء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا و كذا و لسبب كذا و كذا سنحت له و خطرت بباله "

يتبين لنا من قول الخليل هذا أنه يعتمد منهجيه تفسيريه فى مجال التحليل اللغوى. فاللغوى حين يقف على مسائل اللغه إنما يحاول أن يحللها و يفسرها، و يستند فى عمله هذا على الخبر الصادق و البراهين الواضحه و الحجج اللائحه.

تقوم منهجيه الخليل التفسيريه بالذات على اعتماد الأدله المتنوعه، و هى منهجيه علميه دقيقه تركز على كل مسأله و تفسرها و تستخرج العله و السبب و يتم إقرار المسائل من خلال تقديم البراهين و الحجج التى بإمكانها إثباتها.

فالخليل لا- يكتفى بوصف المعطيات اللغويه إنما يحاول تفسيرها. و القواعد التى يستنبطها قواعد تفسيريه تضع الفرضيات التفسيريه لقضايا اللغه.

إذا تأملنا عمليه التحليل الألسنى، فى ظل النظرية الألسنيه التوليديه و التحويليه، وجدنا أن هذه العمليه قائمه على منهجيه اعتماد الأدله و الحجج المتنوعه لدراسه اللغه. الباحث فى هذا الإطار ينطلق من وصف المعطيات اللغويه فيحاول وضع فرضيات تفسيريه لتفسير هذه المعطيات و يسعى إلى الإتيان بأكبر عدد ممكن من الأدله لإقرار هذه الفرضيات و إخضاعها من ثم للتجربه ليتحقق منها و يعدل فيها إلى أن يصل إلى اعتماد الفرضيات التى بإمكانها تفسير المعطيات اللغويه، التحليل الألسنى هذا يستند إلى الحجج و الأدله لإقرار التحليل. و من النادر جدا أن يكتفى التحليل بإيراد الحجه الواحده بل غالبا ما يقوم على تراكم الأدله و تلاقيها. فالحجه إنما تكتسب قدرتها الإقناعيه حين تندرج ضمن مجموعه من الحجج تبرهن مجتمعه ملاءمه التحليل للقضايا اللغويه. جمله القول أن التحليل الألسنى فى ظل النظرية التوليديه و التحويليه يتخذ شكل إقرار المعطيات استنادا إلى البراهين و الحجج المتنوعه بهدف تفسير قضايا اللغه، و نلاحظ أن الخليل بن أحمد فى نصه هذا يعتمد منهجيه تفسيريه فى مجال التحليل اللغوى لا تبتعد كثيرا عن المنهجيه المعتمده فى إطار الألسنيه التوليديه و التحويليه.

تعدد القواعد للمسأله الواحده و مسأله تقييم القواعد.

"سنحت له (العله) و خطرت بباله محتمله لذلك". واضح هنا أن الخليل لا يجزم بان تفسيره للمسائل اللغويه هو التفسير الوحيد. و ما يتطلبه من التفسير الذى ياتى به للقضايا اللغويه هو أن يكون محتملا لهذه القضايا بكلام آخر ينبغى أن يكون هذا التفسير قابلا لأن يعتبر تفسيراً مقنعاً للمسائل التى يحللها، و ليس بالتالى التفسير الوحيد إذ بالإمكان أن يكون للمسألة الواحده أكثر من تفسير واحد. يقول الخليل "فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعله التى ذكرها هذا الذى دخل الدار، و جائز أن يكون فعله لغير تلك العله، إلا- أن ذلك مما ذكره الرجل محتمل أن يكون عله لذلك". فالمسألة الأساسيه فى عمليه استنباط القواعد ليست فى اكتشاف القواعد الوحيده التى تفسر مقدره التكلم عند العرب إنما فى اكتشاف قواعد متماسكه بالإمكان القول عند التحقق منها أنها صالحه لأن تكون قواعد للقضايا اللغويه التى أخضعت للبحث و التحليل، فالخليل و عى إمكان الإتيان بأكثر من قاعده تفسر المسألة الواحده، كما و عى أن تعدد القواعد التى تفسر المسألة الواحده لا يسيء إلى البحث اللغوى. إلا أنه ينبغى فى هذه الحال اعتماد معايير ثابتة لإتمام عمليه الاختيار بين هذه القواعد.

نلاحظ أن الخليل يعتمد معياراً ثابتاً لاختيار القواعد الأنسب.

يقول: "فان سنح لغيرى عله لما علته من النحو هى أليق بالمعلول فليأت بها" فالمعيار المعتمد هو مدى التصاق القاعده بالقضايا اللغويه و مناسبتها لها.

القاعده ينبغى أن تكون أليق أى أكثر التصاقاً بالمعلول (لاق بالشىء بمعنى لاذ به و لصق به و علق به) لكى يتبناها اللغوى.

وعى الخليل هذه المسألة التى ترتدى حالياً أهميه بالغه فى التحليل الألسنى. أكثر من ذلك اعتمد معياراً ثابتاً لتفضيل قاعده على أخرى، و هو معيار اللياقه أو الملاءمه، إذ ينبغى على القاعده للأخذ بها أن تكون "أليق بالمعلول" أى ملائمته على نحو أفضل للمعلول، و المعلول هنا كلام العرب الصادر عن الملكة اللغويه و المناسب للقواعد المضنيه القائمه فى عقل المتكلم و ضمن ملكته اللغويه.

تهتم النظرية التوليدية و التحويلية بموضوع تقييم القواعد و التأكد من صحتها. و يعود الفضل إلى هذه النظرية فى وضع معايير و مبادئ عامه و دقيقه بالإمكان - وفقاً - اعتماد القواعد الملائمه التى بإمكانها وصف المعطيات اللغويه. و السؤال المطروح فى هذا المجال هو التالى: كيف بإمكان الباحث أن يختار بين قواعد عده صالحه لتفسير المعطيات اللغويه؟ و الجواب على هذا السؤال يكمن فى اختيار القواعد الأكثر ملاءمه للمعطيات اللغويه.

تميز النظرية فى هذا المجال بين الملاءمه الخارجيه و الملاءمه الذاتيه.

و يقصد بالملاءمه الخارجيه ملاءمه القواعد للماده اللغويه التى تحللها هذه القواعد. و فى هذا الصدد يقول تشومسكى: "يمكن اعتبار القواعد بمثابة نظريه اللغه. تكون ملائمته من الناحيه الوصفيه حين تصف بشكل صحيح الملكة اللغويه الضمنيه العائده إلى متكلم اللغه المثالى" (1) و لاحظنا أن الخليل يعتمد بالذات هذا المعيار. كما يقصد فى المقابل بالملاءمه الذاتيه تناسب القواعد مع بعض المعايير المنهجيه و أهمها البساطه و التعميم الألسنى و الشمول و سهوله التطبيق. إلا- أننا لن نتطرق هنا إلى هذه

Aspects of the Theory of Syntax (١٩٦٥) Noam Chomsky Cambridge ,Mass - ١

٢٤ صفحه . The.M.I.T.Press

بقى القول أخيرا أن إعادته قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء التطور الحاصل في الفكر اللغوي العالمي، و المتمثل حاليا بالألسنيه، ينبغي أن يتم بهدف إحياء التراث من خلال التركيز على المساهمات اللغويه المتطورة و المتعمقه التي أتى بها اللغويون العرب القدامى في مجال تحليل اللغه العربيه و النهوض بها إلى واجهه اهتماماتنا الحديثه بتطوير ألسنيه عربيه ذاتيه تهتم بدراسه قضايا لغتنا العربيه و بحل مسائلها.

السيد خورشيد حسن

ولد سنه ١٣١١ في لكهنو (الهند) و توفي سنه ١٣٤٠ في أمروهه.

هو ابن شقيق المرجع الكبير السيد نجم الحسن. كان عالما خطيبا، درس في المدرسه النظاميه، ثم أكمل دراسته في العراق و عاد إلى لكهنو فتولى إداره مدرسه (نور المدارس) في أمروهه، ثم صار إمام الجمعه و الجماعه في (گيا) من محافظه بهار فأقام فيها أربعين سنه، ثم رجع إلى امروهه فبقى فيها حتى وفاته.

له من المؤلفات: تنبيه الغافلين، شرح نهج البلاغه، نجم الزائر.

خير الدين اله آبادي

توفي سنه ١٢٥٠ و يبدو أن وفاته كانت في العراق في هجره له إليه كان معروفا باسم خير الدين جون بوري و لكنه اشتهر بلقب إله آبادي كان عالما في التفسير و الحديث و الفقه و الأدب و التاريخ.

له من المؤلفات: تاريخ بنارس، تذكره العلماء، نقد البلاغه في شرح تلخيص المعالي للقزويني، و قد ألفه في جون پور سنه ١٢١٥ على قول أو سنه ١٢٢٥ على قول آخر.

ميرزا داراب بيك،

المشهور بجويا ابن ملا سامري.

من شعراء أواخر القرن الحادى عشر و أوائل القرن الثانى عشر الهجريين في الهند. أصل أسرته من تبريز، و منها ذهبت إلى الهند و سكنت كشمير و ولد هو فيها.

و هو تلميذ الشعراء الايرانيين في الهند، و من ملازمته لهم تعلم الأدب، و كان من مشوقيه إليه ميرزا إبراهيم خان حاكم كشمير، و هو الذى رباه و رعاه و اهتم به.

له: كليات جويا تتضمن قصائد في توحيد الله و مدح الأئمه ع. (١).

الشيخ الميرزا داود بن الشيخ أسد الله بن عبد الله البروجردى.

توفي حدود سنه (١٢٩٨ هـ).

من مراجع التقليد و أكابر الفقهاء و أساتذته العلم و الأدب المبرزين النابهين. درس المقدمات على جماعه من أفاضل علماء عصره ثم حضر فى الفقه و الأصول على والده ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى العتبات المقدسه فسكن كربلاء و التحق بحوزه السيد محمد المجاهد المتوفى سنه (١٢٤٢ هـ) و عند ما أصدر استاذه المذكور فتواه بالجهاد فى الحرب الإيرانيه الروسيه عام (١٢٤٠ - ١٢٤٢ هـ) شارك مع استاذه فى الجهاد و عند رجوعه من ساحات القتال سكن قزوین و حضر فى الفقه و الأصول و التفسير على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه (١٢٧١ هـ) و شقيقه الشهيد البرغانى المستشهد سنه (١٢٦٣ هـ) و أخذ الحكمة و الفلسفه و العرفان عن حوزه الملا- آغا الحكيمى القزوينى و الميرزا عبد الوهاب البرغانى آل الصالحى ثم شغل كرسى التدريس و الفتوى و انتهت إليه الرئاسه الروحيه ذكره الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار معتبرا إياه من أكابر علماء عصر السلطان ناصر الدين شاه القاجارى و قال ما هو تعريبه (الشيخ الميرزا داود و هو أرشد أولاد الشيخ أسد الله البروجردى المعروف بحجه الإسلام و كان المترجم له من مشاهير العلماء و وحيد عصره من الأعلام المروجين لأحكام الدين و نال شرف مصاهره بنت المرحوم السيد محمد مهدى بحر العلوم). (٢)

يقول عبد الحسين الصالحى: لم يخلف السيد مهدى بحر العلوم سوى بنت واحده تزوجها السيد محمد المجاهد بن السيد على الطباطبائى الحائرى المتوفى سنه (١٢٤٢ هـ) و أما زوجه المترجم له فهى بنت السيد محمد رضا بن السيد مهدى بحر العلوم المتوفى سنه (١٢٥٣ هـ) كما ضبطه السيد محمد صادق آل بحر العلوم فى مقدمه رجال السيد بحر العلوم.

أشار فى أعيان الشيعة إلى والد المترجم له الشيخ الملا أسد الله البروجردى فى المجلد الثالث صفحه ٢٨٦ و قال و تزوج ابنه صاحب القوانينو خلف ثلاثه أولاد ذكور من ابنه الميرزا القمى صاحب القوانين و هم المحمدون الثلاثه الميرزا فخر الدين محمد و جمال الدين محمد و نور الدين محمد أجازهم أبوهم باجازه واحده و صرح باجتهدهم أ. ه.

يقول عبد الحسين الصالحى: و قد خلف الشيخ ملا أسد الله البروجردى والد المترجم له سته أولاد ذكور أكبرهم المترجم له و هو من زوجته الأولى غير ابنه المحقق القمى صاحب القوانين و كذا أخوه الميرزا الشيخ ضياء الدين و الباقون كلهم من ابنه الميرزا أبو القاسم القمى صاحب القوانين. (٣)

ميرزا دبیر سلامت علی بن غلام حسین

ولد سنه ١٢١٨ فى دلهى و توفى سنه ١٢٩٢ فى لكهنو.

هو من أولاد أهلى الشيرازى. جاء من شيراز إلى دلهى أحد أجداده الملا رفيع شاه. درس المترجم على غلام ضامن و الميرزا كاظم على المتوفى سنه ١٢٤٩ و الملا مهدى المازندرانى المتوفى سنه ١٢٥٩ و المولى كاظم على الأخبارى.

كان يجيد العربيه و الفارسيه و اشتهر بمراثيه فى أهل البيت. و يقال أنه كان أخباريا.

له من المؤلفات: المراثى و القصائد، المثنويات و الرباعيات و المقطعات باللغه العربيه و الفارسيه و الأردويه.

١- تاريخ أدبيات إيران.

٢- انظر مقدمه رجال السيد بحر العلوم ج ١ ص ١٢٩ بيروت دار الزهراء.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ذاكر حسين بهرپلوى

ولد سنه ١٣١٥ و توفي سنه ١٣٧٢ فى الهند.

من سادات (بهرپله)، كان يتقن اللغه العربيه و اللغه الفارسيه و ترجم منهما إلى اللغه الأردويه عدده كتب. و اشتهرت ترجمته لكتاب نهج البلاغه، و صارت هذه الترجمة هى المعول عليها فى جميع الأوساط.

السيد ذاكر حسين زيدى البارھوى ابن گوهر على خان

ولد سنه ١٢٨٤ و توفي سنه ١٣٤٩ فى لكهنو كان عالما فاضلا مبلغا تقيا ورعا. و كان يرتجل الشعر باللغتين العربيه و الفارسيه. له تعليقات و تصنيفات فقدت.

ذاكر على جون بورى

توفى سنه ١٢١١ فى الهند.

هو من الأسره العريقه أسره المفتى أبو البقاء فى قضاء جون پور فى الهند.

كان عالما فاضلا يجيد الأدب العربى و الأدب الفارسى. و أقام فتره فى مدينه لكهنو ثم عاد إلى جون پور. من مؤلفاته: دريعة [ذريعه] المغفره، ترجمه شرائع الإسلام.

ذبيح الله المنصورى

الكاتب المترجم و الصحفى الايرانى الشهير ولد فى رشت و درس بفرنسا - يعد أشهر مترجم إیرانى حيث نالت ترجماته برغم عدم دقته فى التقييد بالنص الأصيل للكتاب و إضافة مواد إليه. نالت ترجماته التى تجاوزت ١٥٠ كتابا و ١٠٠٠ مقاله عن اللغات العربيه و الفرنسيه و الإنكليزيه شهره واسع فى إيران.

كان أسلوبه قصصيا أخاذا يشد القارئ إليه - و كانت مؤلفاته و ترجماته تطبع عشرات المرات. عاش حياه صعبه حيث كان يكابد الجوع و الفقر طوال حياته و قد ربح آخرون من ترجماته و مؤلفاته الملايين و لكنه لم يستفد من تعب شيئا و لم يتزوج إلى آخر حياته. و توفي عام ١٤٠٦ هـ عن عمر يناهز ٧٧. (١)

الشيخ ذو الفقار خان بن على أكبر البسطامى.

توفى حدود سنه (١٢٩٥ هـ).

من أعيان العلماء و أعلام الدين، حكيم فيلسوف أديب شاعر. أصله من مدينه بسطام و نرح إلى خراسان لطلب العلم و منها هاجر إلى قزوین فاخذ الفقه و الأصول عن الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه (١٢٧١ هـ) و شقيقه الشهيد البرغانى ثم

حضر في الفلسفه و العرفان على الشيخ آغا الحكمی القزوينی و الميرزا عبد الوهاب البرغانی آل الصالحی ثم هاجر إلى العتبات المقدسه في العراق و تجول في كربلاء، و النجف الأشرف و الكاظمين ثم توجه إلى حج بيت الله الحرام و من هناك رجع إلى إيران.

شاهدت له بعض الرسائل في العلوم العقلية منها رساله سال فيها الفيلسوف الشهير ملا هادی السبزواری صاحب المنظومه المتوفى سنه (١٢٨٩ هـ) أن يشرح له الحديث المعروف بالنورانيه المروي عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع في المجلد السابع من البحار للمجلسي في الباب الرابع و الثمانين فكتب له سؤاله في رساله مفصله ثم ذكر فيها موارد إشكالاته على الحديث مبسوطا و أورد فيها الحديث بتمامه و ختمه بقصيده فارسيه في مدح السبزواری مطلعها:

أى مرغ دل پير سوى گلزار سبزواری نظاره کن نصارت أزهار سبزواری

إلى قوله:

(هادی) که از هدایت او بر صراط عدل جار الله است هر که شود جار سبزواری

(أسرار) (٢) کردگار چه در وی شد آشکار یار حق است هر که بود پار [یار] کردگار

ترجم له شيخنا الطهراني في كتابه طبقات أعلام الشيعة و علق على الرساله المذكور و قال (و من الرساله و البيان تظهر براعه المترجم له و مكانته...) (٣) و له بعض الرسائل الأخرى و رساله أرسلها إلى استاذه ملا آغا الحكمی. (٤)

السيد راحت حسين الرضوي بن محمد إبراهيم

ولد سنه ١٣٠٦ في الهند و توفي في سنه ١٣٧٨.

توفى والده و عمره ثلاث سنوات فتولاه السيد بشارت على حيث درس عليه الأوليات، ثم اللغة العربية على خاله السيد محمد مهدي بهيک بوری، ثم ذهب إلى (تبنه) فدخل المدرسه السلیمانيه، ثم انتمى إلى مدرسه (سلطان المدارس) و حصل على الإجازة سنه ١٣٣٤. و أصبح مدير ال (مؤسسه الشيعة في الهند)، ثم تابع الدرسة في (رام پور). و في سنه ١٣٣٦ تولى إداره جريده (أخبار شيعة اثنا عشرى) في دلهي. و في سنه ١٣٤٠ عاد إلى بلده ثم ذهب إلى إفريقيا الشرقية للإرشاد و التبليغ.

رتن سنگوه بن بالك رام بريلوي

ولد سنه ١١٩٠ في الهند و توفي فيها سنه ١٢٦٧.

هو هندوسى الأصل كما كان كذلك أستاذه الميرزا قتيل فأسلم أستاذه و تبعه التلميذ.

كان المترجم عالما لا سيما في الرياضيات و الفلك، و الفلسفه، أديبا باللغه الفارسيه محسنا للعرييه و التركييه، معدودا في علماء الشيعة البارزين.

له من المؤلفات: سلطان التواريخ باللغه الفارسيه بقى مخطوطا و منه نسخه فى مكتبه جامعه البنجاب بلاهور، و نسخه فى جامعه لكهنو. و كتاب (حدائق النجوم) باللغه الفارسيه (مخطوط)، و كان تاليفه لهذا الكتاب سنه ١٢٥٣ بتكليف من أمير أود محمد على. و هو فى ٥٦ جزءا. و له ديوان شعر باللغه الفارسيه طبع فى لكهنو سنه ١٢٥٣.

رستم حيدر

ولد فى بعلبك سنه ١٨٨٩ م و اغتيل سنه ١٩٤٠ فى بغداد.

اسمه فى الأصل (محمد) و اسم أبيه رستم و كان يدعى محمد رستم

ص: ١٥١

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٢- أسرار: هو تخلص ملا هادى السيزوارى فى شعره الفارسى.

٣- انظر الكرام البرهه ج ٢ ص ٥٢٤.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و لما كانت الأسماء المركبه المقرونه ب (محمد) شائعه مثل: محمد علي، محمد صادق و أمثالها، فقد عرف في أول الأمر باسم محمد رستم علي اعتبار أن رستم جزء من اسم مركب فصار رفاقه يدعونه به اختصارا حتى غلب عليه هذا الاسم و اشتهر به.

بدأ دراسته الأولى في بعلبك و أكمل الدراسه الثانويه في دمشق و الدراسه العليا في اسطنبول بالمدرسه الملكيه التي كانت تعد خريجها للوظائف الاداريه و تخرج منها سنه ١٩١٠ فذهب في بعثه إلى باريس لمتابعه الدراسه فيها، فكان يتابع دراسه التاريخ في (السوربون)، و دراسه الماليه و السياسه في معهد العلوم السياسيه.

و فيما يلي دراسه عن هذه الشخصيه العربيه الفريده مكتوبه بقلم نجده فتحى صفوه: محمد رستم حيدر شخصيه فذه في تاريخ النهضه العربيه و تاريخ العراق الحديث، اجتمعت فيه صفات جعلته نسيج وحده بين رجالات العرب و ساسه العراق. فقد كان دوره المبكر في الحركه العربيه بتأسيس جمعيه (العربيه الفتاه)، ثم التحاقه بفيصل الأول في حملته العسكريه على سوريه، و دوره في مؤتمر الصلح في باريس، و خلال قيام الحكومه العربيه السوريه في عهد فيصل، ثم في دوله العراق الحديثه، دورا أساسيا و إيجابيا في كل فتره من هذه الفترات الثلاث من تاريخ البلاد العربيه القريب.

و على الرغم من أن حياه رستم حيدر انتهت بصوره مفاجئه و مؤلمه برصاصه معتال أثيم و هو في منصب من أرفع مناصبه، فإنه لم يكن رجل الدوله الوحيد الذي لقي مثل هذه النهايه المحزنه و هو في أوج نشاطه و قمه نضجه.

كان رستم حيدر يوم مقتله في الحاديه و الخمسين من عمره، أعزب لا زوج له و لا ولد، يعيش بمفرده. و شيع جثمانه باحتفال مهيب و دفن [دفن] في المقبره الملكيه إلى جانب فيصل الأول و غازى. و كان كل ما تركه من مال دارا صغيره مرهونه و مبلغ ٣٢٠ دينارا كانت كل ما يملك هذا الرجل الذى قضى ما يقرب من ربع قرن من الزمان في معيه فيصل الأول، ثم ابنه غازى، و شغل طيله تلك الفتره أعلى المناصب: رئيسا للديوان الملكى و وزيرا خطيرا في عدّه وزارات، و عضوا في مجلس النواب، ثم في مجلس الأعيان. و كان من أهم موجهى سياسه الدوله العراقيه منذ بدايه نشوئها، و المستشار الرئيسى للملك فيصل الأول، و كاتب خطبه، و كاتم أسراره.

بدايه النضال

في اسطنبول أيام الدراسه التقى محمد رستم حيدر البعلبكي بشابين عربيين آخرين يدرسان فيها أيضا، هما عونى عبد الهادى، و هو فلسطينى من نابلس كان يدرس الحقوق، و أحمد قدرى، و هو سورى من دمشق كان يدرس الطب. فكان ذلك بدايه صداقه طويله و زماله في العمل السياسى و القومى استمرنا حتى نهايه حياتهم.

و في ذلك الوقت كان حزب "الاتحاد و الترقى" قد تولى مقاليد الحكم في الدوله العثمانيه، و أعلن الدستور العثماني في سنه ١٩٠٨ و هم في إسطنبول.

و تخرج رستم حيدر في "المدرسه الملكيه الشاهانيه" في سنه ١٩١٠ فذهب في بعثه لإكمال دراسته العليا في باريس، و سافر صحبه زميل عربى آخر له هو "رفيق التميمى" - و هو فلسطينى من نابلس - و لحق بهما هناك عونى عبد الهادى الذى ذهب لإكمال دراسته في الحقوق، ثم أحمد قدرى للتخصص في بعض فروع الطب.

و أخذ رستم حيدر يحضر دروس التاريخ فى السوربون، و المالىه و السياسه فى مدرسه العلوم السياسيه. و لم تنقطع صلته خلال وجوده فى باريس بزميليه عونى عبد الهادى و أحمد قدرى، كما أنه كان على صله وثيقه بغيرهما من العرب المقيمين فى باريس من طلاب و غيرهم، و إضافه إلى "جمعيه العربيه الفتاه" فإنه اشترك فى باريس بتأسيس جمعيه اخرى هى "جمعيه التهذييات العربيه" و شارك فى نشاطها مساهمه فعاله.

و قد ذكر الدكتور محمود عزمى فى مقاله كتبها فى جريده "الاهرام" بمناسه [بمناسبه] اغتيال رستم حيدر تضمنت بعض ذكرياته عنه حينما كان الاثنان يطلبان العلم فى باريس، ان الطلبة الشرقيين كانت تتقاسمهم جمعيات يتميز بعضها بالحصريه الجنسيه، كالجمعيه المصريه، و الجمعيه الإيرانيه، و جمعيه الصينيين، و يكتف بعضها الآخر الشمول الدينى كجمعيه الإخاء الإسلامى. و كان من المصريين من لا ينتمون إلى تلك الجمعيات و لكنهم يتوقون إلى أن تضمهم وحده و تؤويهم جماعه مع إخوانهم العرب، فاسسوا جمعيه ثقافيه أسموها "جمعيه التهذييات العربيه" - و لم تكن كلمه "الثقافه" شائعه فى ذلك الوقت - و اتخذوا لها مقرا فى قاعه خاصه من قاعات أحد مقاهى الحى اللاتينى، و أنها ضمت بين من ضمت رستم حيدر، و سيد كامل، و توفيق الصاوى، و منصور فهمى، و أحمد ضيف، و أحمد قدرى، و عونى عبد الهادى، و توفيق الناظر، و محمود عزمى.

و قال الدكتور محمود عزمى:

"أشهد أن الفضل كله فى تأسيس تلك الجمعيه، و فيما تجلى خلال اجتماعاتها من حياه، و ماجد من بحوث - و قد استمرت تكفل العرب و العروبه علما و اجتماعا و سياسه إلى اليوم - إنما يرجع لمثابره فذين اثنين:

أحدهما رستم حيدر، و ثانيهما سيد كامل.^(١)

أما "جمعيه العربيه الفتاه" التى كان رستم أحد مؤسسيها الثلاثه الأوائل، فقد كانت جمعيه سياسيه سريه، و هى غير "جمعيه التهذييات" التى كانت جمعيه ثقافيه و ليست سياسيه.

جمعيه العربيه الفتاه

كان العرب فى الدوله العثمانيه يعيشون فى ظل الرابطه الإسلاميه، شركاء متساوين فى دوله واحده، يجمعهم الولاء للخلافه. فلما تولى حزب "الاتحاد و الترقى" مقاليد الحكم، أخذ الاتحاديون يتحولون تدريجيا من تلك الرابطه التى انتظمت القوميات العديده التى تتألف منها الدوله العثمانيه، و خاصه القوميتين الرئيسيتين التركيه و العربيه، إلى فكره التمييز بين العنصر التركى و غيره، و بذلك تغيرت الدوله من كيان إسلامى ذى قوميات متعدده، متساويه فى الحقوق و الواجبات، إلى دوله تركيه تضم رعايا من قوميات أخرى.٠.

ص: ١٥٢

١- محمود عزمى، مقاله بعنوان "ذكريات عن رستم حيدر - المجاهد الصابر"، "الاهرام"، القايره، ٢٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٤٠.

و عندئذ تساءل العربي عن مكانه في هذه الدوله أين يكون، و عن حالته ما هي؟ أ هو أشبه بالألماني أو الفرنسي أو الايطالي في الدوله السويسريه، أم هي أقرب إلى حاله الهندي في الامبراطوريه البريطانيه؟ و لم يقتصر هذا الشعور و التساؤل على العرب بين رعايا الدوله العثمانيه و حدهم، بل ساد أبناء القوميات الأخرى التي كانت تضمها تلك الدوله، كالأكراد مثلا. و يقول الوزير المؤرخ الكردي محمد أمين زكي الذي كان ضابطا لامعا في الجيش العثماني:

"لما زالت كلمه (العثماني) من الوجود في تركيه، و حلت محلها كلمتا التركي و الطوراني، شعرت أنا أيضا بطبيعته الحال - كسائر أفراد العناصر العثمانيه غير التركي - شعورا قويا بقوميتي المستقله عن الترك". (١)

و كان في الدوله العثمانيه، و بين رجال عبد الحميد المقربين شخصيات عربيه ارتقت مراتب الدوله و تدرجت في مناصبها. بينها - مثلا - عزت باشا العابد، و أبو الهدى الصيادي، و غيرهما. فلما خلع الاتحاديون عبد الحميد و أخذوا يهاجمون حكمه و يشهرون بمظالمه، كان من الطبيعي أن يتناول الهجوم رجال "عهده البائد" المقربين إليه، و الذين كان يستعين بهم في تدوير أموره و يستخدمهم في توطيد حكمه، أو قمع معارضيه. و لما كان بعض رجال عبد الحميد المهمين من العرب، فقد أخذ غلاه الاتحاديين من قومه أولئك الرجال سبه، و من عروبتهم مطعنا. و يروي الدكتور أحمد قدرى مثلا أنه سمع في اسطنبول، مع زميله عوني عبد الهادي، عقيب إعلان الدستور، ضابطا تركيا يلقي في جمهور غفير من الناس خطابا يتغنى فيه بالدستور و حسناته، ثم لا يلبث أن يتحامل على رجال عبد الحميد السابقين من العرب بقوله: الخائن "عرب عزت"، و الخائن "عرب أبو الهدى"، بينما لم يندد بالأتراك الذين كانوا يخدمون عبد الحميد و هم، بطبيعته الحال، أكثر عددا، و إذا فعل فلا يذكر قوميتهم أو يطعن فيها. و تساءل الشاب العثماني العربي السوري أحمد قدرى: إذا كان الخطيب يندد بالرجلين لشخصهما فلما ذا يذكر اسميهما مقرونا بقوميتهما؟ (٢)

و لم تكن هذه الحادته الوحيده من نوعها طبعاً، بل أنها كانت أنموذجاً لتفكير الاتحاديين في ذلك الوقت، و كان هذا الطراز من التفكير يظهر بوضوح في خطب رجال ذلك العهد، و أقوال صحافته. و لا شك أن تمسك الأتراك بقوميتهم و تعصبهم لها، و حصرهم سياستهم في إعلاء شأنها، و تفضيلها على غيرها، و الاعتماد على أبنائهم و حدهم، كان سبباً طبيعياً لاستفزاز أبناء القوميات الأخرى التي كانت حتى ذلك الوقت تعيش متاخيه مع الأتراك في ظل الخلافه العثمانيه، تجمعهم الرابطة الإسلاميه. و قد أدى ذلك إلى إذكاء الشعور القومي بين رعايا الدوله من غير الأتراك، و لما كان العرب يؤلفون أكبر نسبة بين رعايا الدوله العثمانيه، كان من الطبيعي أن تكون ردود الفعل للنعره التي أثارها الاتحاديون أقوى بينهم منها بين غيرهم من القوميات. و قد روى الشبان العربيان أحمد قدرى و عوني عبد الهادي ما شاهدها لزميلهما الثالث رستم حيدر، و زادهم الحادث شعوراً بالمراره نحو الاتحاديين و سياستهم العنصريه، و غيره على أمتهم العربيه و حالتها، و تحدثوا بما يمكنهم القيام به لاعطاء عنصرهم العربي شخصيته في هذا المعترك، ففقدوا العزم على العمل من أجل بعث روح النهوض القومي في أمتهم، و فكروا في تأليف جمعيه عربيه سياسيه سريره يكون اسمها "جمعيه العربيه الفتاه" - مقابل جمعيه "تركيه الفتاه" - و كان ذلك بعد إعلان الدستور العثماني باربعه أيام فقط، كما يروي أحدهم - أحمد قدرى - في مذكراته. (٣)

و لما عاد أحمد قدرى إلى دمشق فاتح "عارف الشهابي" الذي كان معاوناً لوالى سوريه، بفكره الجمعيه، فوافق عليها و استحسناها، و شجع على المضي في تحقيقها. (٤)

كانت "العربيه الفتاه" من أوائل الجمعيات العربيه السريه التي تألفت بعد إعلان الدستور العثماني، و كان رستم حيدر أحد مؤسسيها الثلاثة الأوائل، و بذلك كان من رواد الحركه العربيه فى العصر الحديث.

و كان شعار الجمعيه فى بدايه تاليفها "العمل للنهوض بالأمه العربيه إلى مصاف الأمم الحيه، و اغتنام الفرص لتحقيق هذه الأمنيه، و عدم الانفصال عن الترك". على أن هذا الشعار أو البرنامج تعدل بعد إعلان الحرب فاتجهت النيه إلى العمل من أجل استقلال بلاد العرب و تحريرها من الحكم العثماني.(٥)

و هنالك شىء من الاختلاف فى تاريخ تأسيس "العربيه الفتاه". فبينما يذكر أحمد قدرى أنها تأسست فى اسطنبول بعد إعلان الدستور العثماني باربعه أيام فقط(٦)، تروى الدكتور خيرييه قاسميه أن عونى عبد الهادى أكد لها فى مقابله خاصه أن فكره الجمعيه لم تتحقق إلا فى باريس عام ١٩١١.

و من المحتمل أن تكون فكره الجمعيه ولدت فى اسطنبول، و نواتها تكونت فيها، و لكنها "تحققت" بصوره رسميه فى باريس. و قد ضمت الجمعيه فى البدايه، إلى جانب مؤسسيها الثلاثة، كلا من رفيق التيمى، و محمد المحمصانى، و عبد الغنى العريسي، و صبرى الخوجه، و توفيق الناطور. و من بين هؤلاء تألفت أول هيئه إداريه للجمعيه فى باريس سنه ١٩١١، انضم إليهم فيما بعد جميل مردم بك، و صبحى الحسيبى، و الأمير مصطفى الشهابى، و توفيق فائد. و لم يزد عدد الأعضاء حتى نهايه الحرب عن ٦٠ عضوا كان أكثرهم من أبناء سوريه الطبيعيه.

و فى رساله بعث بها عبد الغنى العريسي من باريس إلى محب الدين الخطيب مؤرخه فى ٢ كانون الثانى (يناير) ١٩١٣ وصف لمبادئ الجمعيه بأنها "تحرير الأمه العربيه حسب الأحوال و الظروف فخطوه بخطوه بكل الوسائل الشرعيه و غير الشرعيه".(٧)

و كان من الخطط الداخليه للجمعيه أن لا يعرف الداخل فيها سوى الذى أدخله، كما كانت لها كلمات رمزيه اصطلاحت عليها للمكاتبات و الاتصالات، و سجلات منظمه باداره سكرتيرها العام محمد محمصانى.٣.

ص: ١٥٣

١- محمد أمين زكى، خلاصه تاريخ الكرد و كردستان، تعريب محمد على عونى، القايره، ١٩٣٦ (المقدمه).

٢- الدكتور أحمد قدرى، مذكراتى عن الثوره العربيه الكبرى، دمشق، ١٩٥٦، ص ٦ -

٣- أحمد قدرى، المرجع السابق، ص ٦-٧.

٤- أمين سعيد، الثوره العربيه الكبرى، القايره، المجلد الأول، ص ٩.

٥- أحمد قدرى، المرجع سالف الذكر، ص ٦-٧.

٦- خيرييه قاسميه، الحكومه العربيه فى دمشق، القايره، ١٩٧١، ص ٢٠.

٧- نقلا عن سليمان موسى، الحركه العربيه، بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٣.

و كان تجتمع أسبوعيا بانتظام، و تدون قراراتها فى سجل خاص.

و قد انتقل مركز الجمعيه إلى سوريا بعد عوده مؤسسيتها إلى بلادهم فى سنة ١٩١٣ و اتخذت بيروت مقرا رئيسيا لها. و تولى الدكتور أحمد قدرى إداره فرعها فى دمشق، فأتسع نطاقها و كثر عدد أعضائها، و تضاعف نشاطها بعد إعلان الحرب العالميه الأولى، و خصوصا مع انتقال مقرها العام من بيروت إلى دمشق بسبب الهجره، إذ انتقل معظم رجالها إلى دمشق.

و من الذين دخلوا فيها بعد انتقالها إلى سورياه قبل إعلان الحرب:

نسيب البكرى، الأمير عارف الشهابى، توفيق الناطور، محمد الشريقى، عمر حمد، توفيق البساط، رفيق رزق سلوم، سيف الدين الخطيب، صالح حيدر، الشيخ كامل القصاب. و انتمى إليها بعد إعلان الحرب الأمير فيصل بن الحسين، و على رضا الركابى، و ياسين الهاشمى، كما انتمى إليها بعد انتهاء الحرب كثيرون غيرهم. و كان من جملة قواعدها أن توزع إلى أعضائها بالاتصال بالجمعيات العربيه الأخرى و الدخول فيها لتكون على معرفه بكل حركة تحدث. (١)

و كانت الجمعيه تدقق أشد التدقيق فى اختيار أعضائها لكى يظل سرها مصونا فلا يبلغ مسامع الحكومه. و مما يدل على حسن تنظيمها أن الأتراك لم يعلموا بأمرها حتى نهايه الحرب، و قد حافظ أعضاؤها على السرفلم ببوحوا به، و لم يش أحد منهم برفيق له على الرغم من المحاكمات العسكريه، و الإرهاب، و التعذيب، و أحكام الاعدام. (٢) و قد شفق جمال باشا من أعضائها: عبد الغنى العريسى، و محمد المحمصانى، و سيف الدين الخطيب، و رفيق رزق سلوم، و توفيق البساط، و عارف الشهابى، و عمر حمد، و صالح حيدر.

و قد ساهمت "العربيه الفتاه" فى كثير من الحركات القوميه و الأعمال التى استهدفت نهضه الأمه العربيه، و قام رستم حيدر و زملاؤه بأكبر نصيب فى تحقيق هذه الغايات متصلين بالوطنيين فى البلاد العربيه و العواصم الأوروبيه، و المهاجر الأمريكيه، و كانوا بحق من رواد الفكره العربيه الأوائل.

فى الوطن

أكمل رستم حيدر دراسته فى باريس سنة ١٩١٢ بعد أن قدم أطروحه باللغه الفرنسيه موضوعها "محمد على باشا الكبير فى سورياه"، و هى مطبوعه، و عاد إلى وطنه، فعين مديرا للمدرسه السلطانيه فى "خربوط".

و كانت قد قامت فى سورياه بعد الحرب البلقانيه حركه إصلاحيه كان من جملة أعمالها إنشاء مدرسه "سلطانيه" فى دمشق باسم "مدرسه التجهيز العربيه" تدرس فيها العلوم باللغه العربيه. و قد اختير رستم حيدر مديرا لهذه المدرسه، لأنه كان من الشبان العرب القلائل الذين درسوا فى أوروبا دراسه عاليه، فأظهر فى عمله كفاءه مشهوده، (٣) و كان بنفس الوقت يعمل سرا مع إخوانه فى سورياه الداخليه و الساحليه على تنفيذ البرنامج الواسع الذى رسموه و هم على مقاعد الدراسه فى اسطنبول و باريس للنهوض العربى، ففتحت فروع عديده لجمعيه "العربيه الفتاه" فى سورياه و لبنان و فلسطين، و قوى اتصالها بالجمعيات العربيه الاستقلاليه الأخرى فى الشام و العراق و مصر. (٤)

على أن نشوب الحرب العظمى و تجنيد المعلمين و المتعلمين من طلاب الصفوف العليا حال دون مواصلة التدريس فى مدرسه التجهيز العربيه فى دمشق، و أدى إلى غلق هذا المعهد.

و فى أواخر سنه ١٩١٤ وردت الأوامر من الاستانه بنفى أسره حيدر من بعلبك لموقفهم المعادى من الاتحاديين، و تخوف الحكومه من نفوذهم. و كان رستم حيدر الوحيد الذى استثنى من أبناء العائله من ذلك النفى بسبب دراسته العاليه و مؤهلاته التى كانت نادره بين رجال سوريه فى ذلك الوقت، و لرغبه السلطات فى الاستفادة من خدماته.(٥)

و قد سار الاتحاديون أثناء الحرب العامه على سياسه اجتذاب قلوب العالم الإسلامى، و الحصول على أوسع تأييد ممكن. و على الرغم من سياستهم العنصريه، فإنهم حاولوا أيضا استغلال الشعور الدينى، فاعلنوا الجهاد المقدس على دول الحلفاء، و أخذوا يبتون الدعايه الإسلاميه بقصد استماله المسلمين إليهم فى كل مكان.

و قد حسن الشيخ عبد العزيز شوايش (٤) لجمال باشا أن يؤسس مدرسه دينيه فى القدس لتخريج أناس لهم القدره الكافيه على بث الروح الإسلاميه و تقويه الشعور الدينى ترسيخا لكيان الدوله العثمانيه و مقام السلطنه، فلقبت الفكره إعجابا من جمال باشا و قرر تنفيذها. و كانت فى القدس مدرسه قديمه باسم "مدرسه أتباع الامام الشافعى" غير أن معالمها و أحوالها تغيرت مع الزمن. فأعاد جمال باشا هذه المدرسه باسم "الكلية الصلاحيه" - نسبة إلى صلاح الدين - و جعلها مرتبطه مباشرة بمقام شيخ الإسلام و بوزاره الأوقاف، فأصبحت أشبه بكلية دينيه عصريه تدرس فيها العلوم الدينيه و اللغات، و يتخرج فيها علماء فى الشريعه الإسلاميه، و خطباء فى الجوامع، و قضاة فى المحاكم الشرعيه.(٧)

و قد أعار جمال باشا هذه الكلية اهتمامه الشخصى، و اختار لها مديرا هو جميل بك النبال الحلبي، أستاذ القانون الدولى العام فى كلية الحقوق ٦.

ص: ١٥٤

١- أمين سعيد، المرجع سالف الذكر، المجلد الأول، ص ١٠.

٢- سليمان موسى، المرجع سالف الذكر، ص ٢٠.

٣- أمين سعيد، مقاله بعنوان "اتحاد سوريه و العراق - من أحاديث معالى رستم بك حيدر"، جريده "صدى العهد"، بغداد، السنه الثانيه، العدد ٣٥٥، ١٥ تشرين الأول ١٩٣٠.

٤- رفائيل بطى، مقاله فى جريده "البلاد" رستم حيدر - كاتم سر الملك فيصل الأول - أحد رواد النهضه العربيه " فى عدديها الصادرين فى ١٨ و ١٩ كانون الثانى ١٩٤٢ بمناسبة الذكرى الثانيه لوفاته.

٥- من المعلومات التى أدلى بها إلينا الأستاذ جودت حيدر فى بيروت بتاريخ ٢٥ آب ١٩٧٤.

٦- الشيخ عبد العزيز شوايش (١٨٧٦ - ١٩٢٩) تونسى الأصل ولد بالاسكندريه و تعلم فى الأزهر و دار العلوم و اختير أستاذا للأدب العربى فى جامعه كمبردج، ثم عاد إلى مصر فاشتغل بالتعليم و اتصل بمصطفى كامل و تولى تحرير جريده "اللواء" سنه ١٩٠٨، فحوكم و سجن مرارا. و رحل إلى الآستانه فاصدر فيها جريده "الهلال" فمجله "الهدايه" ثم مجله "العالم الإسلامى"، و أرسلته الحكومه العثمانيه خلال الحرب العالميه الأولى إلى برلين للدعايه. و دخل مصر خلسه بعد الحرب، ثم أظهر نفسه، فعين

مراقبا عاما للتعليم الثانوى و توفى بالقاهره.

٧- أحمد عزت الأعظمى، القضية العربيه - أسبابها، مقدماتها، تطوراتها، نتائجها، بغداد، الجزء السادس، ص ١٥-١٦.

بالأستانه، كما عين لها مجموعه من الأساتذه و الموظفين، كان بينهم رستم حيدر الذى أصبح معاوناً للمدير. ولما عاد مدير الكليه إلى الأستانه، أوصى الشيخ عبد العزيز شاوليش بتعيين رستم حيدر مديراً لما أظهره فى الكليه من مقدره و ذكاء، فعين لهذا المنصب، على الرغم من انتمائه إلى أسرته "حيدر" التى كان الاتحاديون يرتابون فى أفرادها كل الارتباب.

و كان رستم حيدر خلال توليه إداره المدرسه يقوم إلى جانب الاداره بإلقاء دروس فى التاريخ. و قد جمع دروسه فى كتب سماها "التاريخ القديم"، و "تاريخ الإسلام و القرون الوسطى"، و "فجر التاريخ الحديث"، و هى غير مطبوعه.

الالتحاق بفيصل

كان التحاق رستم حيدر بالأمير فيصل نقطه تحول خطيره فى حياته، و بدايه عهد جديد فى سيرته، تبدل رستم فيه من طالب العلم المجد، و عضو جمعيه العربيه الفتاه السريه، و المعلم الهادئ، إلى سياسى ناضج، و رجل دوله من الطراز الأول.

و قد بقى رستم مديراً "لللكيه الصلاحيه" حتى سنه ١٩١٧، و فى تلك السنه أصبح القدس مهددا بالسقوط بيد الإنكليز، فغادره و عاد إلى دمشق، و قضى فيها أسابيع كان خلالها على اتصال بمن كان موجوداً فيها من أعضاء "العربيه الفتاه". و هناك قرر الالتحاق بفيصل مع عدد من رفاقه.

و كان (الأمير) فيصل قد وصل من الحجاز إلى "أبى اللسن" على رأس "الجيش الشمالى"، و احتل مرتفعات "سمنه" التى تشرف على "معان"، و بذلك أصبح الاتصال بين سوريه و الأمير فيصل أسهل من ذى قبل. و فى تلك الأثناء نقلت القطعه التركيه التى يقودها ياسين الهاشمى إلى جبهه فلسطين قرب عمان. فتم الاتصال به بواسطة الملازم سليم عبد الرحمن (١) لاستشارته فيما يمكن عمله، فأبدى ياسين تحفظاً شديداً كعادته، و أبدى أن الأمر أصبح بيد فيصل. فقررت زمره من أعضاء "العربيه الفتاه" الموجودين الاتصال بالأمير فيصل و استشارته فى أمر الالتحاق به. فجاء الرد بأنه إذا لم يعد بالإمكان القيام بأى عمل إيجابى فى دمشق فليتحققوا به فى "أبى اللسن".

و بدأت الاستعدادات لتهيئه الحمله للالتحاق بمقر الأمير فيصل على طريق الصحراء و عبر جبل الدروز. و كان فى الحمله الدكتور أحمد قدرى، و أخوه تحسين قدرى الذى كان ضابطاً فى جبهه فلسطين فعاد إلى دمشق متنكراً. و كان رستم أحد أعضائها. أما الآخرون فهم: رفيق التميمى، و سليم عبد الرحمن، و الملازم الأول محمود المغربى، و المعلم خليل السكاكيني (الأديب الفلسطينى المعروف) و سعيد البانى، و لطفى العسلى و أخواه.

و استعانت الحمله بسليم بن يوسف عبيد من "جرمانا" لتهيئه الخيل و السلاح و العتاد للمتطوعين، و بلغت التكاليف حداً باهظاً.

و فى ١٠ آب ١٩١٨ قصدوا، متفرقين، بستان "اليونسيه"، أحد بساتين جرمانا بغوطه دمشق، فاجمعوا أمرهم و غيروا زيهم، و غادروا تحت جناح الليل متجهين إلى قريه "خلخله" (٢) و على الرغم من إحاطه أمر الحمله بالكتمان الشديد، فقد بلغ أمر مغادره هؤلاء الفتيان السلطه العسكريه فى دمشق، فجدت فى ملاحظتهم، و وضعت جائزه قدرها خمسمائه ليره ذهبه لكل من ياتى برأس واحد منهم، حياً أو ميتاً.

و تبدأ مذكرات رستم حيدر - أو ما بأيدينا منها - منذ يوم مغادره الحمله بستان اليونسيه في ١٠ آب ١٩١٨، فقد دون ذكرياته و انطباعاته يوما بعد يوم خلال السفره الطويله التي قطعوا خلالها الصحراء على ظهور الإبل مارين بجبل الدروز، حيث حلوا ضيوفا على سلطان الأطرش أياما. و يصف رستم حيدر كثيرا من عادات الدروز و يقدم صوره ناطقه عن حياتهم و يسجل عنهم ملاحظات طريفه، كما يصف الأهوال و المصاعب التي مروا بها في الطريق.

و خلال هذه الأيام نظم السكاكيني نشيده المشهور: "أيها المولى العظيم" لينشد أمام فيصل عند وصول البعثه إلى مقره.

و واصلت الحمله بعد ذلك سيرها حتى بلغت مقدمه الجيش العربى التي كانت مخيمه في "وهيده" مقابل معان في ٣٠ آب، بعد حل و ترحال استمر عشرين يوما، شهد أعضاؤها خلالها عناء عظيما، و مشقات بالغه. و قد استقبلهم قائد المفزعه الشماليه على جودت. (٣) و بعد أن استراحوا لديه قليلا أرسلهم إلى مقر الأمير فيصل في "سمنه" ذكر نوري السعيد - الذى كان مع الأمير فيصل - وصولهم قائلا:

".. و قبيل زحف الجحفل وصلنا بعض المتطوعين عن طريق الصحراء من جبل الدروز، و هم رستم حيدر، و رفيق التميمي، و أحمد قدرى، و تحسين قدرى الذى عينته مرافقا لى". (٤)

الدخول إلى دمشق

و يواصل رستم حيدر تدوين يومياته فيصف المسيره نحو درعافدمشق، و ما رافقها من أحداث، حتى دخول دمشق في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٨. و على أثر وصول فيصل إلى دمشق عين أمير اللواء على رضا (باشا) الركابى حاكما عسكريا عاما لسوريه، و أوفد أمير اللواء شكرى (باشا) الايوبى و رستم حيدر إلى بيروت لاعلان قيام الحكومه العربيه فيها.

و قد دون رستم حيدر تفاصيل هذه المهمه في يومياته، إذ وصلا إلى بيروت يوم ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨، و تم إعلان انضمام لبنان إلى الحكومه العربيه، و عين حبيب باشا السعد حاكما مدنيا، كما أعلن ذلك في المدن الأخرى. ففي صيدا ألف الأهلون إداره عربيه موقته و رفعوا العلم العربى، ثم وصل مندوب الحكومه العربيه قادما من دمشق، و حدث الأمر ذاته في اللاذقيه و فى طرابلس و صور و بقيه المدن الساحليه.

و لكن السلطات الفرنسيه التي كانت متمسكه ببنود معاهده سايكس - بيكو احتجت على هذه الاجراءات، و أيدت بريطانيه موقف حليفاتها، فاصدر الجنرال اللنبى أمرا بتعيين الكولونيل بياباب الفرنسي حاكما عسكريا للمنطقه الغربيه، و طلب إلى الأيوبى أن ينزل العلم العربى و ينسحب، فلما.

ص: ١٥٥

١- سليم عبد الرحمن: من المناضلين الفلسطينيين.

٢- أحمد قدرى، المرجع سالف الذكر، ص ٦٤-٦٥.

٣- رئيس وزراء العراق فيما بعد.

٤- نوري السعيد، محاضرات عن الحركات العسكريه للجيش العربي في الحجاز و سوريه، ألقيت على طلبه كليه الأركان ببغداد
في مايس سنه ١٩٤٧، مطبعه الجيش بغداد، ص ٥٧.

رفض الأيوبي ذلك، أمر النبي بانزال الأعلام العربيه فى بيروت و المدن الساحليه الأخرى عنوه، و أرسل فيصل برقيه احتجاج طويله إلى النبي، و عاد شكرى الأيوبي و رستم حيدر إلى دمشق.

فى مؤتمر الصلح

و لما عقدت الهدنه العامه بين ألمانيا و الحلفاء، و بدأت الاستعدادات لعقد مؤتمر الصلح فى باريس، استفسرت وزاره الخارجيه البريطانيه من النبي فى دمشق، و وينغيت فى القاهره، عن رأيهما فى توجيه الدعوه إلى الملك حسين، ملك الحجاز، للمشاركة فى مؤتمر الصلح، باعتباره مساهما فى المجهود الحربى للحلفاء، على أن يمثله ابنه الأمير فيصل، فلما أيدا الفكره أبرق الملك حسين إلى فيصل طالبا إليه حضور المؤتمر مندوبا عنه، فتوجه فيصل إلى فرنسا فى يوم ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨ على ظهر الطراد " غلوستر " قاصدا فرنسا و كان يرافقه نورى السعيد و رستم حيدر و الدكتور أحمد قدرى و فائز الغصين.

و قد وصل الطراد إلى مارسيليا يوم ٢٦ تشرين الثانى [١٩١٨]، و كان فى استقبال فيصل لورنس موفدا من الحكومه البريطانيه، و المسيو برتران عن الحكومه الفرنسيه. و لما وصل فيصل مدينه ليون أبلغه الكولونيل بريمون - المندوب الفرنسى الثانى - أنه ليست لدى فرنسا أيه معلومات عن المهمه الرسميه التى أنيطت به فى فرساي " و لذلك فليس من المرغوب فيه أن تواصل سفرى إلى باريس " (١) و كان ذلك صدمه كبيره لفيصل.

و بعد أن قضى فيصل فى فرنسا عشره أيام زار خلالها بعض المدن الفرنسيه، و ميادين الحرب، و جهت إليه الدعوه أخيرا لزياره باريس بنتيجه ضغط شديد من بريطانيا، فسافر إليها و استقبله رئيس الجمهوريه بوانكاريه و فى مساء يوم ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨ غادر فيصل و حاشيته فرنسا إلى انكلترا، فوصل لندن فى اليوم التالى.

و يستأنف رستم حيدر تدوين مذكراته فى لندن ابتداء من يوم ١٥ كانون الأول ١٩١٨ بعد أن انقطعت منذ ٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٨ فى دمشق، فيصف مدينه لندن، كما بدت فى ذلك الوقت، و يدون تفاصيل اجتماعات فيصل باللورد كرزى فى وزاره الخارجيه، و عاد فيصل إلى باريس فى ٧ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ لحضور مؤتمر الصلح مندوبا عن الحجاز، و كان رستم حيدر المندوب الثانى.

و افتتح المؤتمر فى ١٨ كانون الثانى، و فى ٦ شباط (فبراير) ألقى فيصل فى المؤتمر كلمته التى عرض فيها وجهه النظر العربيه أمام " مجلس العشره " بحضور الرئيس الأمريكى وودرو ويلسن، و رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج، و رئيس وزراء فرنسا كليمانصو، و رئيس وزراء ايطاليا أورلاندو الذين كان يشار إليهم باسم (الأربعه الكبار).

و فى ٢٣ نيسان (أبريل) ١٩١٩ غادر فيصل باريس عائدا إلى سوريا، بعد أن قضى فى أوروبا خمسه أشهر تقريبا، و تختلف رستم حيدر فى باريس و أصبح مندوبا للحجاز فى المؤتمر، كما أصبح عونى عبد الهادى المندوب الثانى.

و خلال هذه المده كانت الأحداث فى سوريا تتوالى، و السياسه الدوليه تجاهها تمر بتقلبات مؤلمه، و دارت حولها مساومات لا تمت إلى مصالحها بسبب، بل كانت صراعا بين الدول الكبرى على اقتسام غنائم الحرب.

و وجدت بريطانيا إزاء تعنت فرنسا، أنها لا تستطيع أن تضحي بحليفاتها من أجل العرب مهما كانت تعهداتها لهم في ساعه الشده. و اقترح الرئيس الأمريكى و يلسن إرسال لجنة تحقيق لمعرفة رغبات سكان المنطقه، فرفضت فرنسا الاشتراك فى اللجنه، أما بريطانيا فإنها بعد أن وافقت على الفكره مبدئيا، عادت فتخلفت عن إرسال ممثليها. و سافرت لجنه التحقيق التى اشتهرت باسم عضويها الرئيسيين "كينغ و كراين" بعد الملابس التى رافقت تأسيسها و ايفادها.

و بعد عوده اللجنه و تقديمها تقريرها الذى وضع على الرف، دعت الحكومه البريطانىه الأمير فيصل لزياره أوروبا مره اخرى للتداول مع لويد جورج و اللنبى و كليمانصو حول القضيه السوريه، و إبلاغه بموضوع انسحاب القوات البريطانىه من سوريه و ترك المجال لفرنسا كليا. فوصل فيصل إلى لندن فى ١٩ أيلول (سبتمبر) و عقد سلسله من المباحثات مع الحكومه البريطانىه استمرت حتى ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٩، و اشترك فى المباحثات من الجانب البريطانى رئيس الوزراء لويد جورج، و وزير الخارجيه اللورد كرزى الذى خلف بلفور فى منصبه حديثا، و اللنبى، و ستورز، و كورنواليس. أما الوفد العربى فكان مؤلفا من فيصل، و الجنرال حداد (باشا)، و فؤاد الخطيب، و رستم حيدر، و عونى عبد الهادى.

و يروى رستم حيدر فى يومياته تفاصيل اجتماعات فيصل بالمسئولين البريطانيين و كيفيه قضائه أوقاته فى لندن يوما بيوم، و يدون ملاحظاته و انطباعاته عنها.

و من لندن سافر فيصل إلى باريس بناء على نصيحه كرزى لمفاوضه كليمانصو للحصول على أفضل الشروط الممكنه. و دارت المفاوضات باشراف كليمانصو، و كان يقوم بها مسيو "غو" مدير الشؤون الشرقيه فى وزاره الخارجيه، و برتلو المدير العام لوزاره الخارجيه، و رويير دو كيه الذى دبر حمله الصحافه لدعم الادعاءات الفرنسيه فى سوريا. كما كان رستم حيدر و عونى عبد الهادى يفاوضان باشراف فيصل و توجيهه. و كانت مفاوضات صعبه وجه فيها الفرنسيون اهتمامهم الأول إلى حمل فيصل على الاعتراف بان سوريا يجب أن تقع ضمن منطقه النفوذ الفرنسى.

و مرت هذه المفاوضات بمراحل عديده، و استغرقت عده شهور، و غادر فيصل باريس فى ٧ كانون الأول (يناير) ١٩٢٠ على ظهر سفينه حريه فرنسيه أيضا، و بقى رستم حيدر و نورى السعيد فى باريس يواصلان الاتصالات و المباحثات، ثم عاد نورى السعيد أيضا إلى دمشق بعد مده قصيره.

و على أثر وصول فيصل إلى دمشق اجتمع "المؤتمر السورى" فى ٨ آذار (مارس) و أعلن استقلال سوريه و مبايعه فيصل ملكا. و فى الوقت نفسه اجتمع، فى دمشق أيضا، "مؤتمر عراقى" قرر فيه العراقيون - الذين كان فى سوريا عدد غير يسير منهم - إعلان استقلال العراق و ملكيه الأمير عبد الله بن ٩٧

ص: ١٥٦

الحسين عليه، على أن يكون متحدا سياسيا واقتصاديا مع سوريا، متطابقا في ذلك مع ما قرره "المؤتمر السوري" بالنسبة للعراق. وقد أذيع هذا القرار في اليوم نفسه و أعلن فيصل تأييده له. و لكن الحكومتين الفرنسيه و البريطانيه رفضتا الاعتراف بشرعيه قرارات المؤتمر في دمشق، و أصرتا على اعتبار فيصل أميرا هاشميا يدير البلاد بصفته قائدا لأحد جيوش الحلفاء.

و حدد موعد للاجتماع الثانى لمؤتمر الصلح (مجلس الحلفاء الأعلى) فى "سان ريمو" فى ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٢٠، و دعى فيصل لحضوره، و لكنه رفض الذهاب و أوفد رستم حيدر و نورى السعيد و نجيب شقير ممثلين له، فوصلوا سان ريمو فى ٢٣ نيسان، و أجروا اتصالات كثيره، و حثوا من تمكنوا من الاتصال بهم على ضروره أخذ رغبات السكان فى البلاد التى ستوضع تحت الانتداب بعين الاعتبار، و لكن حججهم لم تجد أذنا صاغيه، بل رفض أعضاء المؤتمر أن يعترفوا للمندوبين العرب بآيه صفه رسميه و لم يسمحوا لهم بعرض و جهات نظرهم. و انتهى المؤتمر بتوزيع الانتدابات بين فرنسا و بريطانيا على النحو المعروف، بانتداب فرنسا على سوريا و لبنان، و بريطانيا على العراق و فلسطين، و بذلك تم ترسيخ الاتفاقات السريه التى عقدت إبان الحرب، و لم يكن نظام الانتداب الجديد سوى "بديل عن الاستعمار القديم" حسب اعتراف لويد جورج نفسه،^(١) و كان ذلك، كما قال اللورد بيرد وود: "مكافاه غريبه تأتى من دول الحلفاء التى تجاهلت تعهداتها السابقه لمن ساعدوهم فى تحقيق النصر".^(٢)

و أعقب ذلك ما أعقبه من أزمه إنذار غوروى، و موقعه ميسلون، و خروج فيصل فى ٢٤ تموز من دمشق التى دخلها دخول الفاتحين قبل اثنين و عشرين شهرا.

و كان الفرنسيون يريدون ليفصل، بعد خروجه من دمشق، أن يتوجه إلى الحجاز، و يلتحق بوالده فيه، فيكون بعيدا عن الأنظار، و ينسأه الرأى العام العالمى، ليبقى المجال مفتوحا أمامهم لتنفيذ مخططاتهم الاستعماريه فى سوريا، و توطيد أقدامهم فيها تحت ستار الانتداب بدون آيه مشاكل.

و لذلك أعدوا له قطارا يقبله، مع عائلته و حاشيته، نحو الجنوب، فغادر دمشق إلى درعا، و بقى فيها ثلاثه أيام مترددا بين السفر غربا إلى حيفا و أوروبا، أو جنوبا إلى عمان فالحجاز. و لكنه قرر أخيرا أن يسافر إلى سويسرا للاتصال بمجلس السلم و بعصبه الأمم. و لما كان سفره إلى سويسرا عن طريق فرنسا متعذرا، نظرا لما حدث بينه و بين الفرنسيين، فارتأى أن يسافر إليها عن طريق ايطاليا، فغادر درعا إلى حيفا، ثم إلى بور سعيد، حيث استقل باخره تجاريه مسافره إلى ايطاليا. و لم يستصحب فيصل معه فى هذه السفره سوى عدد قليل من رجاله و هم نورى السعيد و إحسان الجابرى و ساطع الحصرى، كما كان معه أخوه الأمير زيد، و مرافقا أخيه، صبيح نجيب و راسم سردست.

و نزل فيصل و حاشيته فى ميناء "البندقية"، ثم سافروا إلى روما، فميلانو، و منها استقلوا القطار متجهين إلى سويسرا. و قبل وصولهم إلى الحدود السويسريه، استقبلهم فى الطريق حداد باشا الذى كان فيصل قد أوفده إلى لندن معتمدا موقتا له، و أبلغهم رساله شفويه من الجنرال كلايتن تتضمن أن "رئيس وزراء بريطانيا مشغول الآن فى سويسرا باجتماعات و مذاكرات هامه، و إن وصل الملك فيصل إلى هناك فى هذه الآونه، يربك هذه الاجتماعات و المذاكرات، و يؤدى إلى مشاكل كثيره ليس من مصلحه أحد اثارها فى الأحوال الحاضره. و لهذا السبب يرجو لويد جورج من الملك فيصل أن يعدل عن السفر إلى سويسرا. و أن يترث فى ايطاليا الشماليه بعض الوقت...". و على أثر ذلك قرر فيصل البقاء فى ايطاليا، و اختار مدينه "جرونوبيو" الواقعه

على بحيره "كومو" قرب الحدود الايطاليه - السويسريه مقاما له بانتظار تطور الأحداث. و كان رستم حيدر قد سافر من باريس إلى لوسرن، فميلانو، و كان في استقبال فيصل فيها، ثم ذهب معه إلى جنوبيو.

و في هذه الآونه كانت الحكومه البريطانيه تدرس موضوع تأسيس حكومه عربيه في العراق، و اختيار مرشح مناسب لعرشه. و كان الرأي العام البريطاني قد ضج من عبء النفقات التي تتحملها بريطانيا في العراق، كما أن الثوره العراقيه (ثوره العشرين) كانت تكبد البريطانيين خسائر كبيره في الأموال و الأرواح. و كان المرشحون الذين يمكن اختيارهم لعرش العراق أو الذين يطمحون إليه، عديدين. و إلى جانب مزايا كل واحد منهم، كانت له عيوبه، و عليه مأخذه من وجهه نظر بريطانيا، أو الشعب العراقي أو الاعتبارات العمليه أو الشخصيه الأخرى.

و قد أظهر إخراج الفرنسيين للملك فيصل من سوريا إلى الميدان مرشحا جديدا لم يكن في الحسابان، لو لم تتخذ الأوضاع في سوريا المجري الذي اتخذته، أو تنته إلى النتيجة التي انتهت إليها.

على أن فكره نصب أحد أبناء الملك حسين على عرش العراق لم تكن جديده، فمنذ أن كان فيصل يحضر مؤتمر الصلح في باريس سنه ١٩١٩، أرسل إليه بعض العراقيين عددا من المضابط لكي يعرضها على المؤتمر، و فيها طالبوا " باستقلال العراق تحت ملوكيه أحد أنجال الحسين ". غير أن وزاره الهند، التي كانت تتولى إداره العراق، لم تكن راغبه في التخلي عن حكم العراق المباشر، و لذلك قاومت تلك الفكره في بدايه ظهورها أشد المقاومه، و بقيت على موقفها هذا حتى قيام الثوره العراقيه التي أجبرت الحكومه البريطانيه على إعاده النظر في سياستها العراقيه.

و من الغريب أن يكون أول من اقترح ترشيح فيصل ملكا للعراق هو السر آرنولد ويلسن الحاكم المدني العام في العراق بالوكاله، و الذي كان في السابق من دعاه الحكم البريطاني المباشر، و أدت أساليبه الاستعماريه إلى قيام الثوره العراقيه. و قد جاء اقتراحه هذا في برقيه بعث بها إلى وزاره الهند على أثر إخراج الفرنسيين فيصلا من دمشق. (٣) و قد تقبل وزير شئون الهند، مونتاغيو، هذا الاقتراح تقبلا حسنا، و لكن لم يكن بالإمكان اتخاذ أى إجراء عملي بشأنه لأن وزير الخارجيه، اللورد كرزن، كان معارضا للفكره، و أنه ٠٦.

ص: ١٥٧

١- P. ٦٢٢. Lloyd George.David,The Truth about the peace Treaties, Vol.I London .

٢- P. ١١٠. Lord Birdwood.Nure As Said:A Study in Arab Leadership, London, .

٣- Wilson.Sir Aronld.Loyalites, Meswpotamia ,Vol.II.١٩١٧,(A Clsh of .Loyalties),London,١٩٣٦,P.٣٠٥-٣٠٦.

على الرغم من شجبه بشده قرار المؤتمرين العراقيين في دمشق بانتخاب الأمير عبد الله ملكا على العراق، كان لا يزال يعد عبد الله أميرا منتظرا للعراق.

ولذلك تلكا في قبول مقترحات ويلسن التي ضمنها برقيته. و لكن كرزن أخذ في الشهور التاليه يتحول عن موقفه القديم تدريجيا، و يميل إلى تفضيل فيصل.

و كانت العقبه الكداء دون هذا الاختيار تتمثل في الموقف الذي ينتظر أن تتخذه فرنسا، لأنها كانت تعد فيصلا عدوا لدودا لها. و لما فاتح كرزن (في ٨ آب ١٩٢٠) الحكومه الفرنسيه في موضوع نصب فيصل ملكا على العراق جسا لنبضها كان ردها "أنها تعترض على ذلك كل الاعتراض....

ان تنصيب الأمير فيصل في العراق بعد إخراجه من سوريا مباشره، هو في نظر الفرنسيين عمل غير ودي...". (١).

و ما لبثت الحكومه البريطانيه أن كررت المحاوله، ففاتحت فرنسا بشأن فيصل مره أخرى، مبديه أنها ترى مجيئه إلى انكلترا أفضل من بقاءه في ايطاليا حيث يخشى أن يجرى اتصالات مع الأتراك أو الطليان تعود بالضرر على المصالح البريطانيه و الفرنسيه، (٢) فاعترضت فرنسا على زياره فيصل إلى انكلترا بحجه أنها ستخلق سوء تفاهم بين البلدين، (٣) و لكن الحكومه البريطانيه قررت أخيرا المضي في دعوه فيصل إلى انكلترا على الرغم من كل اعتراضات الفرنسيين، فتسلم فيصل الدعوه في ١١ تشرين الثاني، بعد انتظار في ايطاليا دام أكثر من ثلاثه أشهر، و لما استعد للسفر علم أن الحكومه السويسريه لن تسمح له بالسفر عبر أراضيها، و كان ذلك نزولا- عند طلب من الحكومه الفرنسيه التي كانت لا ترغب في مرور فيصل من سويسرا في الوقت الذي كانت فيه عصبه الأمم تعقد اجتماعاتها في جنيف، و خوفا من ظهوره أمام العصبه و مهاجمته فرنسا على ما قامت به في سوريا، أو على الأقل إدلائه للصحف بتصريحات تحرج موقفها خلال اجتماعات العصبه. و لذلك لم يبق أمام فيصل إلا أن يسافر إلى انكلترا بطريق أخرى، أطول بكثير، مارا بالمانيا و بلجيكا، لتفادي المرور بالأراضي السويسريه و الفرنسيه.

و أوفدت وزاره الخارجيه الألمانيه موظفا شابا، له معرفه بالشؤون الشرقيه، و سبقت له الخدمه في سوريا خلال الحرب، لمرافقه فيصل و حاشيته خلال مرورهم بالأراضي الألمانيه. و هذا الموظف هو الدكتور فريتر غروبا، الذي كان سيقدر له بعد ذلك بسنوات أن يقدم أوراق اعتماده إلى فيصل الأول "ملك العراق" بصفه أول وزير مفوض لألمانيه في بغداد. (٤) و وصل فيصل - معه رستم حيدر و مرافقوه الآخرون - إلى انكلترا في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠، و كان في استقباله في "دوفر" كورنواليس، و حداد باشا، و فهمي المدرس، و منها استقل القطار إلى لندن. و قد قابل فيصل الملك جورج الخامس في زياره مجامله، و قضى في لندن أسبوعا كاملا قابل خلاله عددا من الشخصيات البريطانيه.

و في يوم ٦ كانون الثاني (يناير) دون رستم حيدر في يومياته أن لويد جورج أرسل إلى فيصل من يستفهم منه عن رأيه في موضوع العراق، و قد ظهر أن الإنكليز يريدون فيصلا للعراق، ثم اجتمع فيصل بهيوبرت يونغ، و قد أرسله كرزن لاستجلاء رأيه في الأمر، فقال فيصل أنه لا يستطيع ترشيح نفسه لعرش العراق بعد أن انتخب له أخوه. أما إذا قرر أهل العراق انتخابه فعندها ينظر في القضيه. و علق رستم قائلا: "...و كان المسأله دخلت الآن في طورها الحقيقي".

و كانت المسأله قد دخلت "طورها الحقيقي" فعلا. ففي اليوم التالي، أى فى ٧ كانون الثانى ١٩٢١، حضر كورنواليس إلى فندق "كلاريج" مساء لمقابله فيصل بدون موعد سابق. و كان فيصل خارج الفندق يشهد تمثليه فى أحد المسارح، فجلس كورنواليس ينتظر عودته حتى منتصف الليل، فلما حضر جلس معه و امتد الحديث بينهما حتى الساعه الثالثه صباحا. و قال كورنواليس لفيصل إنه جاء لاستطلاع رأيه فى الوضع، و إن الحكومه ليس لها علم بذلك. و لكن الوثائق البريطانیه التى فتحت مؤخرا أظهرت أن الحكومه البريطانیه هى التى أوعزت إلى كورنواليس بالذهاب لمقابله فيصل، بل أنها زودته بتعليمات "تحريريه" مفصله صادرة عن اللورد كرزى - وزير الخارجيه - حول كيفيه مفاتحه فيصل فى موضوع عرش العراق، و جس نبضه بشأنه، و أكدت عليه فيها بان لا يتحدث إليه بصوره رسميه.

بل كصديق شخصى. و فى صباح اليوم التالي قدم كورنواليس إلى وزير الخارجيه كرزى تقريرا مفصلا عن مقابله.

و بعد هذا الاجتماع المبدئى مع كورنواليس غادر فيصل لندن فى اليوم التالي إلى ضاحيه تبعد عنها بخمسين ميلا بدعوه من صديقه القديم اللورد و نترين لقضاء عطله نهايه الأسبوع فى منزله الريفى. و أغلب الظن أن هذه الدعوه كانت بايعاز من اللورد كرزى أيضا، لمفاتحه فيصل فى الموضوع نفسه. و قد ذهب معه حداد باشا - الذى كان يجيد الإنكليزيه - و تخلف رستم حيدر فى لندن. و وجد فيصل هناك لورنس، و اورمبى غور (وكيل وزاره الهند، و والتر غينيس (اللورد موين فيما بعد)،" و بعد ساعات طويله من البحث وافق فيصل على أن يصبح ملكا على العراق...".

أما اللورد كرزى نفسه فإنه لم يستقبل فيصل إلا بعد هذا الاتفاق المبدئى، و التعرف على موقفه بدرجه لا بأس بها. فقد عاد فيصل إلى لندن يوم الاثنين ١٠ كانون الثانى (ديسمبر) مسرورا، و حدد كرزى موعدا لمقابله بعد ذلك بثلاثه أيام. و بعد هذه المقابله مع كرزى أجرى فيصل محادثات عديده أخرى، رسميه و غير رسميه، مع لورنس، و ستورز، و وكيل وزاره الخارجيه لندسى، حضرها رستم جميعا و دون انطباعاته عنها فى يومياته.

مؤتمر القاهره

بينما كان فيصل منهمكا فى محادثاته و اتصالاته فى لندن، كانت الحكومه البريطانیه تدرس بصوره جديده إحداث تعديلات إداريه أساسيه فى جهازها٣.

ص: ١٥٨

١- برقيه وزاره الهند المرقمه ١٥٣٩ إلى السر برسى كوكس بواسطه نائب الملك فى الهند(سميلا) بتاريخ ١٠ أيلول ١٩٢٠، محفوظه فى وثاق وزاره الخارجيه رقم: ٣٧١٥٠٤٠. (D. F (١١٢٥٢ E).

٢- محضر مقابله بين اللورد هاردنغ و السفير الفرنسى فى لندن بتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٢٠ فى: Documents on British Foreign Policy Vol.XIII.p.٣٤٨.

٣- مذكره من القائم بالأعمال الفرنسى فى لندن إلى اللورد كرزى بتاريخ ٩ تشرين الأول ١٩٢٠: Ibid.pp.٣٥٥-٣٥٦.

٤- سرد غروبا ذكرياته عن هذه السفره المثيره و عن رستم حيدر فى مذكراته التى نشرت سنه ١٩٦٧: Grobba, Frits

.,Manner und Machi im Orint, Frakfurt.1967,p.173

المسئول عن سياستها في الشرق الأوسط. و كانت السيطرة على الشرق الأوسط و توجيه سياسته بريطانيا فيه حتى ذلك الوقت موزعه بين وزارات "الخارجيه" و "الهند" و "الحرب"، مما كان يؤدي إلى كثير من الارتباك و التضارب في وجهات النظر. و قد أدى ازدياد الاضطرابات و تفاقم المشكلات في أنحاء العالم العربي إلى ضروره التخلي عن هذا الأسلوب، و إناطه مسئولي المنطقه بوزاره واحده و باشراف وزير واحد، و قد وجد أن هذه المسئوليه أقرب إلى مهام وزاره المستعمرات من غيرها من الوزارات، فتقررت إناطتها بها، و احداث دائره جديده فيها تختص بشئون المناطق التي هي تحت الانتداب. و تقرر أيضا نقل وزير الحرب "ونستن تشرشل" وزيرا للمستعمرات، خلفا ل "اللورد ميلنر" الذي كان يعتزم اعتزال منصبه.

و قد تسلم تشرشل مسئولياته الجديده في إعادة تنظيم السياسه البريطانيه في الشرق الأوسط بحماسه و نشاط، و أحاط نفسه بمجموعه من أكفاء الموظفين و الخبراء في شئون المنطقه، و تمكن أيضا من اقناع "لورانس" بان يكون مستشارا له في الشئون العربيه.

و قرر تشرشل فور تسلمه منصبه الجديده أن يجتمع بمثلي بريطانيه و قادتها العسكريين في الشرق الأوسط، و استطلاع آرائهم في موقف بريطانيا و سياستها الجديده، و مباحثتهم في الترتيبات الماليه و العسكريه للمناطق التي أصبحت تحت الانتداب البريطاني، فعقد المؤتمر الذي عرف بمؤتمر الشرق الأوسط أو مؤتمر القاهره، في القاهره أولا (في ٢ آب آذار ١٩٢١)، و استمر اثني عشر يوما، ثم انتقل إلى القدس في ٢٣ منه، حيث بحث موضوع فلسطين و شرق الأردن بصوره خاصه، و دعى (الأمير) عبد الله لحضور بعض اجتماعاته.

و كان الغرض الرئيسي لمؤتمر القاهره، كما وصفه تشرشل فيما بعد، هو الحفاظ على سيطره بريطانيه قويه، و بأقل ما يمكن من النفقات. و فيما يتعلق بالعراق وضعت في المؤتمر الخطط اللازمه لنقل مسئولي الدفاع عنه من الجيش إلى القوه الجويه، كما رسمت الخطوط الرئيسيه للمعاهده التي سيجري التفاوض بشأنها مع حكومه العراق المقبله. أما في موضوع رئاسه الدوله الجديده التي ستقام في العراق، فقد وجد المؤتمر من الضروري أن تصدر عن بريطانيه مبادره تعين الاتجاه الذي تفضله. و على الرغم من أن ترشيح فيصل لرئاسه الدوله الجديده كان قد أصبح أمرا مقروا تقريبا، فقد تم الاتفاق في المؤتمر على أسلوب الاتصالات الشكليه التاليه التي يجب إجراؤها مع فيصل، و كيفيه مفاتحه عبد الله بنيه الحكومه البريطانيه في تأييد ترشيح فيصل، لأن الأمير عبد الله، الذي سبق أن رشح في "المؤتمر العراقي" في دمشق لعرش العراق كان يتوقع إسناد بريطانيه لهذا الترشيح.^(١)

و لما انتهت مباحثات فيصل في لندن، و اجتماعات مؤتمر القاهره، و تقرر مبدئيا أن يرشح فيصل نفسه لعرش العراق، طلب إليه أن يذهب إلى الحجاز، و يبعث بترشيحه من هناك، ثم يذهب إلى العراق. فسافر إلى القاهره أولا و منها إلى الحجاز، و أحاط والده علما بنتائج مباحثاته في لندن، ثم توجه إلى العراق عن طريق الخليج فالبصره. و قد عاد معه رستم حيدر من لندن و رافقه إلى الحجاز فالعراق.

و لكن مذكرات رستم حيدر - أو ما بأيدينا منها - تنقطع في آخر يوميه كتبها في ٢٥ آذار ١٩٢١، أي قبل مغادرته لندن بمعيه فيصل ببضعه أيام.

رستم حيدر في العراق

وصل رستم حيدر إلى العراق يوم ٢٣ حزيران ١٩٢١، على الباخرة "نورث بروك" التي كانت تقل الأمير فيصل من الحجاز. و كان رستم حيدر سكرتيره الخاص. و كان يرافق فيصلا عدد من زعماء الثورة العراقيه الذي فروا من وجه الإنكليز.

و كانت هذه هي المره الأولى التي يظأ فيها رستم حيدر أرض البلد الذي قدر له أن يعمل فيه، و يصبح مواطنا من مواطنيه، و يتسلم فيه أعلى المناصب، ثم يلقي حتفه مقتولا بيد أحد أبنائه، و يدفن في ثراه، بعد ذلك بعشرين عاما.

و بقي رستم حيدر سكرتيرا خاصا لفیصل بعد تتويجه ملكا، ثم أصبح رئيسا للديوان الملكي إضافة إلى سكرتير الملك.

و قضى رستم حيدر في منصبه الخطير الحساس تسع سنوات كان خلالها أقرب مستشاري فيصل إليه، و أكثرهم تمتعا بثقته، و كاتب خطبه و تصريحاته، و كاتم أسراره. فكان بهذه الصفة من أقوى موجهي سياسه الدوله العراقيه الفتية.

و يروى أن أحد أقطاب المعارضه سال الملك فيصل الأول: كيف تسنى له أن يقف على كل صغيره و كبيره من سلوك السياسيين في البلد - كما يبدو من أحاديثه مع نخبتهم - فأجاب الملك: إن واجب الراعي هو أن يسهر على أمانته، و إذا فاتني شيء فعندی حيدر، فما شعرت أنه أغفل أمرا مما يضطرم في تيار السياسه، و لا تواني لحظه في اطلاعي عليه. (٢).

و يظهر مدى النفوذ الذي كان رستم يتمتع به من عباره قالها الملك فيصل الأول في أحد الأيام للسفير البريطاني في مقابله خاصه بينهما جرت في ١٧ آذار ١٩٣٣، كانا يبحثان خلالها الوضع السياسي في العراق، و نقل السفير ما دار فيها بتقرير بعث به إلى وزاره الخارجيه. قال فيصل للسفير:

"إنه يود أن يرى فيما إذا كان رجال البلد يستطيعون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم حقا. فقد كانت الحكومه خلال السنوات الأخيره عباره عن دكتاتوريه ثلاثه أشخاص: نوري، و رستم، و هو نفسه. و هذا الوضع لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهايه..." (٣).

رستم حيدر وزيرا

ألف نوري السعيد وزارته الأولى في ٢٣ آذار ١٩٣٠، و كان وزير).

ص: ١٥٩

١- محاضر اجتماعات مؤتمر الشرق الأوسط في القاهره و القدس محفوظه مع وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه - الإضبارة رقم

٦٣٤٣ (٣٧١) F.O.

٢- رفائيل بطي، "في ذكرى رستم حيدر"، مقاله في جريده (البلاد)، العدد ٤٥٥٣، السنه ٢٧، بغداد ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦.

٣- تقرير سرى من السر فرانسيس همفريز إلى السرجون سايمون، مؤرخ في ٢٢ آذار ١٩٣٣ - وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه

(الوثيقه رقم ١٧٢٤ E فى الملف رقم ٣٧١ (١٦٩٠٣ F.O).

الماليه فى تكك الوزاره هو على جودت الأيوبى. و على الرغم من أن على جودت كان صديقا شخصيا قديما لنورى السعيد، و رفيق سلاح له فى الثوره العربيه، فإنه ما لبث أن استقال من منصبه احتجاجا على توقيع رئيس الوزراء على الاتفاقية الماليه مع الحكومه البريطانيه فى لندن، فتولى وزاره الماليه بالوكاله وزير العدله جمال بابان، ثم جميل المدفعى.

و كان الملك فيصل الأول قد بدأ يشعر أن رستم قضى فى رئاسه الديوان الملكى مده طويله جدا. فاقترح أن تعهد إليه وزاره الماليه، و ذلك تدعيما للوزاره بعنصر قوى تتوافر فيه الناحيه العلميه و الكفايه الشخصيه. و يكون بنفس الوقت موضع ثقته التامه. و من جهه أخرى، كان الملك فيصل يرى أن نورى السعيد قد أصبح أقوى مما ينبغى، و أنه إذا أطلق له العنان قد يتحكم فى الأمور و ميل إلى الطغيان، فادخل رستم حيدر فى الوزاره، و هو يده اليمنى و عينه الساهره، ليحد بشخصيته القويه، و كفاءته العاليه، من طغيان نورى.

و هكذا أصبح رستم وزيرا للمره الأولى فى أول تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٠، فى وزاره نورى السعيد الأولى، و كانت وزاره الماليه التى تولاه شاعره منذ استقاله على جودت فى ٣٠ حزيران (يونيه) من السنه نفسها، و تدار بالوكاله.

و خلال السنوات العشر التاليه، و حتى مقتله فى كانون الأول (ديسمبر) سنه ١٩٤٠، اشترك رستم حيدر وزيرا فى سبع وزارات. و كان فى أربع منها وزيرا للماليه، و فى ثلاث وزيرا للاقتصاد و المواصلات. أربع منها فى وزارات ترأسها نورى السعيد، و اثنتين ترأسهما رشيد على الكيلانى، و واحده برئاسه جميل المدفعى. (١)

و على الرغم من عدد المرات التى تسلم فيها رستم حيدر منصب الوزاره فى العراق، فان المده التى قضاها وزيرا لم تزد فى مجموعها عن أربع سنوات تقريبا، و ذلك بسبب قصر أعمار الوزارات فى العهد الملكى.

كان رستم حيدر يضطلع باعباء الوزاره فى كل مره بجداره و توافر عظيمين، و لم يكن هنا لك ما يؤخذ على كفاءته، و لا شائبه تشوب نزاهته. و مع ذلك فإنه تعرض لكثير من الهجمات من جانب خصومه أو خصوم الوزارات التى اشترك فيها، و لم يسلم من التحامل و الطعن فى إخلاصه، و ذلك أمر لم يسلم منه سياسى تسنم مناصب رفيعه، و خاصه فى الشرق.

ففى المره الأولى التى أصبح فيها رستم وزيرا للماليه. و هى وزاره نورى السعيد الأولى، كانت المعارضه تلمس أيه وسيله للهجوم على تلك الوزاره التى أبرمت معاهده سنه ١٩٣٠ مع بريطانيا، و كان اشتراك رستم حيدر فيها فرصه ذهبية فى يدها لشن حملات جديده عليها فى شخص الوزير الجديد. و إن كان قد دخلها بعد التوقيع على المعاهده، و استقاله وزير الماليه على جودت. و كانت ذريعتها فى هجماتها كونه سورى الأصل.

و فى اليوم التالى لاستيزار رستم حيدر كتبت جريده (صدى الاستقلال) لسان حال الحزب الوطنى (و هى جريده شهرت نفسها بنزعتها القوميه العربيه!) كلمه اعترضت فيها على تعيين رستم حيدر لأنه "حديث عهد بالجنسيه العراقيه" - فى حين أنه لم يكن أحدث عهدا بها من الملك فيصل نفسه - و قالت الجريده:

"و نحن مع احترامنا لرستم بك لم نكن من المرشحين بوزارته، لأنه لم يختلط بجميع طبقات الشعب العراقى، و لأنه حديث عهد بالجنسيه العراقيه. هذا من جهه، و من جهه أخرى فاننا نرغب فى أن نكون مع إخواننا السوريين على وئام، و أن وجود سورى

مثل سعادته فى منصب عراقى ذى مسئوليته مما يجر العراقيين إلى أن ينقدوه، و ربما يتعداه الانتقاد إلى كل سورى، لأننا لا نعتقد بان أحرار سوريا يقبلون بمعاهده مثل المعاهده الجديده التى سيظهر سعادته عما قريب مدافعا عنها فى مجلس جامعه آل البيت.(٢)

و طبيعى أن يكون ظهوره هذا عاملا للاستياء و الاشتباه فى نوايا أخواننا السوريين".(٣)

كلمه حق أريد بها باطل!

و لما دافع بعض الصحف الحكوميه عن استيزار رستم حيدر، و نشرت مقالات فى الرد على كلمه "صدى الاستقلال"، و نشرت هذه الجريده مقاله شديده بقلم المحامى (على محمود الشيخ على) مدير تحرير الجريده، بعنوان "تملق لا- أثر للكرامه فيه" (٤) توسع بها فيما سبق أن كتبتة الجريده عن استيزار رستم حيدر قائلا:

"لم ترحب هذه الجريده بتوزير رستم بك حيدر رئيس الديوان الملكى لأنها رأت فى توزيره ضررا بليغا فى الوحده العربيه التى ينشدها أبناء القطرين الشقيقين العراق و سوريا، ذلك لأنه تقلد منصبا يعرض صاحبه للنقد السياسى، و لربما يفسر النقد الذى سيوجه ضده أى غير قصده الحقيقى فى سوريا، فيكون هذا التفسير معولا لهدم فكره الوحده العربيه التى بدأت ثمارها تينع فى البلدين".٥.

ص: ١٦٠

١- و ذلك على النحو التالى: ١- وزير المالىه من ١٩٣٠/١٠/١ إلى ١٩٣٠/١٠/١٩ (فى وزاره نورى السعيد الأولى). ٢- وزير المالىه من ١٩٣٠/١٠/١٩ إلى ١٩٣٢/١١/٢٧ (فى وزاره نورى السعيد الثانيه). ٣- وزير الاقتصاد و المواصلات من ١٩٣٣/٣/٢٠ إلى ١٩٣٣/٩/٩ (فى وزاره رشيد على الكيلانى الأولى). ٤- وزير الاقتصاد و المواصلات من ١٩٣٣/٩/٩ إلى ١٩٣٣/١١/٩ (فى وزاره رشيد على الكيلانى الثانيه). ٥- وزير الاقتصاد و المواصلات من ١٩٣٣/١١/٩ إلى ١٩٣٤/٤/١٣ (فى وزاره جميل المدفعى الأولى) (رئيس الديوان الملكى للمره الثانيه فى ١٩٣٤/٤/٢٥). ٦- وزير المالىه من ١٩٣٨/١٢/٢٥ إلى ١٣٩/٤/٦ (فى وزاره نورى السعيد الثالثه). ٧- وزير المالىه من ١٩٣٩/٤/٦ إلى حين اغتياله و وفاته فى ١٩٤٠/١/٢٢ (فى وزاره نورى السعيد الرابعه).

٢- كان مجلس النواب قد انتقل من بنيته فى الكرخ إلى البنايه التى كانت تشغلها جامعه آل البيت الملغاه، و كانت بعض صحف المعارضه قد دأبت على تسميته "مجلس جامعه آل البيت" بدلا من "مجلس النواب" أو "مجلس الأيمه" على سبيل الازدراء و التهكم.

٣- صدى الاستقلال (بغداد) العدد ٣٩، السنه الأولى، ٤ تشرين الثانى ١٩٣٠.

٤- صدى الاستقلال، العدد ٤٢، السنه الأولى، ٢٢ تشرين الثانى ١٩٣٠.

ثم قال إن انتقاد العراقيين للوزراء العراقيين لا يؤثر في الوحدة العربية، و لكن خصام العراقيين مع أخ سوري لهم، وجدوه جديرا بالنقد، و حريا بالمخاصمه قد يؤثر تأثيرا كبيرا في القطر الشقيق. فليس إذن من مصلحة البلدين الشقيقين، و لا من مصلحة رستم بك نفسه أن يتولى منصبا خطيرا ذا مسئوليه في العراق".

و لم يكن لهذه الحملات أثر كبير في أضعاف مكانه رستم حيدر (سوى ما لا بد أن كانت تسببه له من ألم نفسى). فقد كان الملك وراه، و كانت كفاءته العاليه، و ثقافته التي كانت نادره بين زملائه العراقيين في ذلك الوقت، و نزاهته، و استقامته، تجعله في موقف صلب منيع. بدليل أنه اشترك في ست وزارات أخرى خلال السنوات العشر التاليه، كما أنه شغل منصب رئيس الوزراء بالوكالة مرتين خلال غياب الرئيس عن العراق.

و مع ذلك، فان رستم حيدر خلال عمله في العراق - مده عشرين عاما تقريبا - عانى من نقطتى ضعف في شخصيته التي كانت مستكملة صفات رجل الدوله من نزاهه و كفاءه و خبره و ذكاء و إخلاص. الأولى أصله السورى، و الثانى اتهامه بالطائفية.

قال توفيق السويدى - و هو من أبرز رجال السياسه في العراق في العهد الملكى، و قد عاصر أحداثها منذ تأسيس الدوله العراقيه حتى انهيار النظام الملكى في سنه ١٩٥٨، و كان رئيسا للوزراء ثلاث مرات - في كتاب مخطوط له بعنوان "وجوه عراقيه" عن رستم حيدر أنه:

"لم ينفك عن التفكير بكونه رجلا- غير عراقى، جاء إلى العراق و هو لا يعرف عنه شيئا. و لما أخذ في استقصاء أموره وجدته متأخرا، جاهلا، و وجد نفسه منساقا إلى مجاراه السياسه الطائفية لاعتقاده أن الأكثرية، و هم الجعفرية، بعيدون عن الحكم. و لا أعتقد أن تأييده لهذه السياسه منبعث من شيعيته، بل سببه أنه جاء من الخارج، و اعتقد لا بد من حساب الأغلبيه، و لكنه تسرع في أعداد العناصر اللازمه لتطبيق هذه السياسه، فاخذ ياتى بشبان من الشيعه من المقاهى و الحوانيت، و هم متعلمون تعليما بسيطا لإدخالهم في خدمه الدوله...". (١)

و فى كتاب مخطوط آخر، هو مذكرات المرحوم خير الدين العمرى، رئيس بلديه الموصل الأسبق، جاء عن رستم حيدر ما ياتى:

"..و هو السورى - اللبناى الوحيد الذى استوزر في العراق و اشترك في الهيئات التشريعيه كعين و نائب. و لم يكن دخول هذا الرجل الفذ الذى ساهم في خدمه القضيه العربيه الشامله، المعترك السياسى المباشر ثقيلًا على قلوب العراقيين لو لم ينحز إلى الشيعه، و يدخل الوزارات و المجالس التشريعيه كعضو شيعى ممثل للشيعه في تقسيم هذه الكراسى. و يحق للناس أن يحتاروا فى التوفيق بين دخول رستم فى صميم السياسه العراقيه استنادا على الوحده العربيه الشامله التى لا تفرق بين العراقى و السورى و الفلسطينى و غيرهم، و بين ظهوره بمظهر الممثل لطائفه من طوائف العراق. (٢) و استفسر كاتب هذه السطور من السيد محمود صبحى الدفترى عن رأيه فى رستم حيدر، و هو من الشخصيات المرموقه التى رافقت الحياه السياسيه فى العراق فى العهد الملكى، و شغل وزارات و مناصب مهمه، و كان صديقا حميما لرستم حيدر، بل لعله كان أقرب أصدقائه و خلصائه فى العراق.

قال الدفترى: "كان رستم حيدر أهم و أخلص شخصيه فى البلاد العربيه".

فسأله كاتب هذه السطور: "هل كان طائفا حقا كما يقال عنه أحيانا؟".

ففكر الدفترى لحظات، ثم قال: "نعم، ولا" و مضى قائلاً:

"لم يكن رستم طائفياً بالمعنى الضيق القائم على التمييز بين أبناء البلد على أساس مذاهبهم الدينيه، أو التحيز لأبناء طائفه معينه. و لم يكن ذلك ممكناً لشخص فى مثل ثقافه رستم و عقليته و خلفيته. و لكنه كان يرى أن الشيعة فى العراق حرموا من فرص التعليم خلال الحكم العثمانى الطويل، و بالتالى كانوا بعيدين عن وظائف الدوله و مناصب الجيش، و اتجهوا إلى التجاره و المهن الحره الأخرى. فلما تأسست الدوله العراقيه لم يكن فى الجهاز الادارى الذى ورثه عن الدوله العثمانيه، و بين الرجال الذين يمكن الاستعانه بهم للعمل فى جهاز الدوله الجديده، من الشيعة عدد يوازى نسبتهم العدديه إلى سكان البلاد، و لذلك كان رستم حيدر يرى من الضرورى تعديل هذا الوضع بصوره تدريجيه. فإذا وجد شاباً من الشيعة يتوسم فيه الخير، و رأى أن لديه الكفاءه لأن يكون فى المستقبل موظفاً جيداً، أو رجل دوله صالحاً، قدمه و أسنده، و بذلك يكون قد أسهم فى تصحيح الوضع من جهه، و جمع حوله عدداً من الذين يدينون له بالولاء. و لكن الكثيرين اعتبروه يعين الشيعة أو يسندهم لمجرد أنهم شيعة، فاتهموه بالطائفية" (٣).

كما أعرب عن الرأى نفسه تقريباً السيد أحمد زكى الخياط (٤) الذى كان من الشبان الذين توسم فيهم رستم حيدر الخير. و قد صح تقديره، و تقدم السيد أحمد زكى الخياط من مناصب الدوله و كان من خيره موظفيها الكبار. و هنالك عدد كبير من الشبان الذين عنى رستم حيدر باسنادهم، و عينهم، أو ساعد فى تعيينهم بوظائف الدوله، فتقدموا بعد ذلك و وصلوا إلى أعلى مراكزها، مما حمل خصوم رستم على اتهامه بالطائفية، و هو أمر يبدو بعيداً عن تفكيره، غريباً على عقليته.

و لما قتل رستم حيدر فى سنه ١٩٤٠ كتب أحمد حسن الزيات مقاله فى "الرساله" يرثيه فيها. و كان الزيات قد قضى سنوات فى التعليم فى العراق، و كان على صله و وثيقه بكثير من رجالاته المهمين. و جاء فى مقاله الزيات قوله:!

ص: ١٦١

١- توفيق السويدي، كتاب مخطوط بعنوان "وجوه عراقية".

٢- مذكرات خير الدين العمرى، الجزء الأول، ص ٧٠ (مذكرات غير منشوره فى جزءين مطبوعه على الآله الكاتبه، تفضل باعارتنا إياها قريبه الأستاذ خيرى العمرى، و توجد نسخ منها لدى آخرين).

٣- مقابله مع محمود صبحى الدفترى فى داره بتاريخ ٥ مايس ١٩٧٦.

٤- مقابلات عديده مع أحمد زكى الخياط، و كان مهتماً بموضوع نشر مذكرات رستم حيدر، متتبعا لسير العمل فى إعدادها، و قد أبدى لنا كثيراً من الملاحظات المهمه، و استقصى لنا معلومات مفيده، و لكن الله اختاره إلى جواره قبل أن يتم نشرها.

".. كان من سياسته رستم الاعتماد بعد التاميز على الفرات قبل دجله، لأن الفرات شيعي المذهب، و على ضفافه الخصيبه تنزل القبائل البدويه القويه. و فى تقويه بالشيعة حيطه من نجد و موده لايران.

" و كان يشيخ بوجهه عن مصر، لأن هواها فى ثوره الحسين على الترك كان مع الخلافه، و لأن اشتغال طلبتها بالسياسه كان فى رأيه محرضاً لا ينبغى أن تسرى عدواه إلى العراق. و لعله كان السياسى العراقى الوحيد الذى لا يهتم بأحوال مصر، و لا يتصل برجال مصر...".^(١)

و لما وصلت (الرساله) إلى بغداد، كتب الأستاذ سلمان الصفوانى مقالتين فى الرد على ما كتبه الزيات، نشرهما فى جريده (الرأى العام) البغداديه. و جاء فى رده على الفقرتين السابقتين:

"..لا، فما كان رستم فى العراق شيعيا و لا سنيا قط، و إنما كان عربيا فحسب. و ربما كان تمسكه بعروبته المطلقه من أخطائه فى بلد لتلك النزعات فيه المقام الأول مع الأسف! و بالجملة فقد كانت سياسته رستم مشتقه من سياسته فيصل الخالد، و هى السياسه التى لا تفرق بين أبناء الأمه العربيه أينما كانت أوطانهم، و كيفما كانت عقائدهم..".

ثم قال:

" و لو كان رستم على رأى الزيات يتقوى بشيعيه الفرات لكان له غير هذا الموقف السلبي من قبائل الفرات الثائره فى عام ١٩٣٥ -....

"أما أنه كان رحمه الله يشيخ بوجهه عن مصر، فذلك لأن مصر كانت يومئذ تشيخ بوجهها عن العرب و تقول بالفرعونيه... مضافا إلى أن هواها كان مع الترك فى ثوره الحسين العربيه... إلخ".^(٢)

أما أصله السورى فقد سبب له كثيرا من المتاعب أيضا، بل أنه كان نقطه الضعف الرئيسيه التى عانى منها طيله حياته، و ربما قتل بسببها، على الرغم من كل ما يتمتع به من صفات جيده.

و مع ذلك فلم يكن لمشاغبات المشاغبين و الحاسدين، و تعليقات "الاقليميين"، أثر فى زعزعه مركز رستم حيدر كما ذكرنا، لأنه كان يتمتع بثقه الملك الكامله، و كانت تربطه صلات قويه من الزمالة و الصداقه بمعظم رجال الحكم الذين شاركهم السراء و الضراء تحت لواء فيصل قبل دخول الشام، إضافة إلى ما كان يتمتع به من مؤهلات شخصيه عاليه، و نضج سياسى و فكرى. و لم يتعد الأمر أنه كانت تند عن بعضهم أحيانا عبارات أو تلميحات لا ريب فى أنها كانت تؤثر فيه نفسيا، و لكن أثرها يبقى دفيئا، و يتحملها بصبر و حكمه.

روى لنا الأستاذ محمود شويليه، سكرتير مجلس الأعيان العراقى السابق أنه صادف أن اجتمع فى غرفته بالمجلس جميل المدفعى - الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس الأعيان - و رستم حيدر الذى كان وزيرا للماليه و عضوا فى مجلس الأعيان. و كان بعض النواب قد تقدموا إلى المجلس باقتراح بتمديد مده قانون يتعلق بالحقوق التقاعديه للموظفين العراقيين الذين ظلوا فى تركيه و لم يعودوا إلى العراق بعد قيام الحكومه العراقيه. و كان قانون التقاعد قد حدد مده معينه لعودتهم إلى العراق و اكتسابهم

الجنسيه العراقيه، إذا أرادوا التمتع بحقوقهم التقاعديه عن خدماتهم فى العهد العثماني. فلما تأخر بعضهم عن العوده تقرر تمديد مده القانون فتره أخرى، ثم تكرر التمديد عدة مرات. و كان رستم حيدر، بصفته وزيراً للماليه، معارضاً فى التمديد مره أخرى، لمضى مده كافيه على تأسيس الحكومه العراقيه، و كان من رأيه أن من كان يرغب فى العوده إلى وطنه خلال هذه المده كان بوسعهم أن يفعل ذلك، و لا يصح تعديل القانون كلما ظهر شخص أو بضعه أشخاص ممن لهم أصدقاء أو أقارب فى الحكومه و رغبوا فى العوده. فالح عليه جميل المدفعى بالموافقه على التمديد الجديد بدافع العطف على بعض العراقيين الذين تأخروا طيله هذه المده، ثم ندموا و قرروا العوده لغرض الحصول على رواتب تقاعديه من الحكومه العراقيه. فلما رأى تصلب رستم حيدر قال له:

"إنك سورى و لا تشعر بتألم العراقيين أو بالعطف على مصالحهم!" فتأثر رستم لهذا القول، و أجابه: "يا جميل بك، أننا حينما التحقنا بالثوره العربيه لم نلتحق بها كسوريين أو عراقيين، و إنما جمعنا فكره عربيه واحده، و لم نفكر بكوننا سوريين و عراقيين، و يؤسفنى أن أسمع منك هذا، و أنت أحد الرجال الذين أسهموا فى تلك الثوره و أبلوا فيها بلاء حسناً. فحجل جميل المدفعى مما بدر منه من قول، و اعتذر لرستم بحراره" (٣).

و روى الأستاذ عبد الكريم الأزرى عن رستم حيدر - فى مقاله كتبها بمناسبة الذكرى الثانيه لمقتله - كلمه تعبر تعبيراً صادقاً عن حقيقه شعور رستم حيدر فى العراق:

"..قال لى مره خلال حديثه قولاً لا أنساه:

"يا إمكان العراقيين المولودين فى العراق أن يتدللوا. أما أنا فليس لى ذلك، لأننى أشعر بانى يجب أن أبرر كل يوم، بل كل ساعه، بل كل دقيقه من وجودى فى العراق بخدمه صادقاً أسديها له..." (٤).

و يقول مراقب محايد، لم يكن طرفاً. فى أى موقف، و هو الدكتور فريتز غروبا، وزير ألمانيا المفوض فى العراق [العراق] فى عهدى فيصل و غازى فى مذكراته، و هو يتحدث عن رستم حيدر الذى كان يعرفه منذ مده طويله:

"كان رستم حيدر على قدر عظيم من الذكاء و الثقافه، و من أحسن الأدمغه فى البلاد، و لكن (الذنب) الذى كان يلصق به دائماً هو أنه غير عراقى، لأنه كان مولوداً فى سوريه" (٥).

جنسيه رستم حيدر من الناحيه القانونيه

على الرغم من اللغظ الذى كان يثيره خصوم رستم حيدر متخذين من أصله السورى مأخذاً عليه، و ما هو بمأخذ على عربى فى قطر عربى، فان رستم حيدر كان بموجب قوانين الجنسيه العراقيه، عراقياً أصيلاً، و ليس "متجنساً" ٥.

ص: ١٦٢

- ٢- سلمان الصفواني، "رستم حيدر كما عرفته"، جريده (الرأى العام)، بغداد، العددان ٣٤٣ و ٣٤٤، شباط ١٩٤٠.
- ٣- لقاء مع الأستاذ محمود شويليه فى دار كاتب هذه السطور بتاريخ ١/١/١٩٧٧.
- ٤- عبد الكريم الأزرى، "رستم حيدر" مقاله فى جريده (البلاد) بغداد العدد ١٧٢٤ الصادر ٢٣ كانون الثانى ١٩٤٢.
- ٥- الدكتور فريتز غروبا، المرجع سالف الذكر ص ١٧٥.

فقد نصت المادة الثالثة من قانون الجنسية العراقي الصادر سنة ١٩٢٤ على أن "كل من كان في اليوم السادس من آب سنة ١٩٢٤ من الجنسية العثمانية، و ساكنا عاده في العراق، تزول عنه الجنسية العثمانية و يعد حائزا على الجنسية العراقية ابتداء من التاريخ المذكور". و لم تفرق هذه المادة بين من كان مولودا في العراق أو خارجه.

أما شرط "السكنى المعتاده" في العراق فيتوافر إذا كان محل إقامه الشخص في العراق منذ اليوم الثالث و العشرين من شهر آب ١٩٢١ (و هو يوم تأسيس دوله العراق الحديثه) و استمر في هذه الإقامة حتى يوم ٦ آب ١٩٢٤ (و هو اليوم الذي وضعت فيه معاهده لوزان موضع التنفيذ) و ذلك بموجب الفقرة (هـ) من قانون الجنسية العراقي التي تنص على "أن الساكن في العراق عاده، تعبير يشمل كل من كان محل إقامته المعتاده في العراق منذ اليوم الثالث و العشرين من آب ١٩٢١...".

و جاء في البند الثالث من تعليمات وزاره الداخليه أن "كل عثمانى التبعه كان محل إقامته المعتاده في العراق من يوم ٢٣ آب ١٩٢١ إلى يوم ٦ آب ١٩٢٤ يعتبر مكتسبا الجنسية العراقيه في ٦ آب ١٩٢١ بمقتضى المادة الثالثه من قانون الجنسية "التي ورد نصها أعلاه.

إضافه إلى ذلك، فقد نص قانون تعديل قانون الجنسية العراقي رقم (٦٦) لسنة ١٩٣٢ على أنه يعتبر عراقيا "كل من كان في اليوم السادس من شهر آب ١٩٢٤ من الجنسية العثمانية و ساكنا في العراق إذا كان مستخدما في الحكومه كموظف عراقي في ذلك التاريخ أو قبله، و إن لم تكن قد بلغت المده الوارده في الفقرة (هـ)...".

و كان رستم حيدر:

١ - عثمانى الجنسية قبل اكتسابه الجنسية العراقيه.

٢ - وصل إلى العراق (مع الملك فيصل) يوم ٢٣ حزيران (أى قبل ٢٣ آب ١٩٢١ المنصوص عنها في الفقرة "هـ").

٣ - بقى مقيما فيه إقامة اعتياديه إلى ما بعد ٦ آب ١٩٢٤.

٤ - كان موظفا في الحكومه العراقيه منذ وصوله إلى العراق.

و لذلك كله فإنه، بموجب نصوص قانون الجنسية العراقي و التعليمات الصادره بموجبه، يعد عراقيا أصيلا، و ليس "متجنسا" أو مكتسبا للجنسية العراقيه بعد أن كان في السابق يحمل جنسيه دوله أخرى.

أما إذا كان رستم حيدر قد اكتسب خلال الفتره التي أعقبت التحاقه بالأمير فيصل خلال الثوره، جنسيه أخرى، كالجنسيه الحجازيه أو الجنسيه السوريه، فليست بأيدينا وثائق تلتقى أى ضوء على ذلك. على أن تمتعه بالجنسيه العثمانية منذ ولادته أمر لا شك فيه، كما أن الدولتين الحجازيه و العربيه السوريه قد زالتا من الوجود بعد ذلك، و لما كان رستم غير مقيم في إحداهما عند زوالهما، و لم يكن هنالك ما يدل على سقوط الجنسيه العثمانية عنه، فإنه يعتبر مستمرا في حمل تلك الجنسيه عند قدومه إلى العراق للمره الأولى، و بالتالى حائزا للجنسيه العراقيه، كاي عراقي كان في السابق عثمانى الجنسية و مقيما في العراق قبل التاريخ الذى اشترطه قانون الجنسية العراقي.

و الحقيقة أن بواعث المحتجين على استيزار رستم حيدر، و الطاعنين في "عراقيته"، لم يكن في جوهرها مستنده إلى هذه النواحي القانونيه. فكم من عراقي كان في يوم ٦ آب ١٩٢٤ في سوريا فأصبح سوري الجنسيه، أو في تركيه، فأصبح تركي الجنسيه، و حين عاد إلى العراق بعد التاريخ المحدد أصبح "عراقيا بالتجنس". و إنما كانت تلك الحملات تستند إلى حجج أخرى من التظاهر بالحرص على الوفاق بين العراقيين و السوريين، و تحاشي ما قد يجرح شعور السوريين في حاله توجيه النقد إلى وزير مسئول سوري الأصل، أو إلى حجج مماثله أخرى.

و مما يلاحظ أن فيصل الأول حينما كان ملكا في سوريا، كان معظم المقربين منه، من العراقيين فعلا، مثل ياسين الهاشمي، و جعفر العسكري. و نوري السعيد، و مولود مخلص، و جميل المدفعي، و طه الهاشمي و غيرهم من الضباط العراقيين الذين التحقوا بالثوره العربيه، في حين أنه لما أصبح ملكا على العراق كان معظم حاشيته من السوريين. فإلى جانب سكرتيره الخاص و رئيس ديوانه رستم حيدر، كان مرافقه الشخصي ثم رئيس تشريفاته تحسين قدرى، و ناظر الخزينه الملكيه الخاصه صفوه (باشا) العوا، و معاون رئيس الديوان الملكي أمين كسباني و عبد الله الحاج، و طبيبه الخاص أمين (باشا) المعلوف، و قبله أحمد قدرى، و قد اختار له مدرسا يدرسه اللغه الإنكليزيه هو إبراهيم الدباس.

أسلوبه في العمل و منجزاته

كان رستم حيدر خلال وزاراته يعمل بطريقه عصريه و علميه تعد متطوره جدا بالنسبه لزمانها، و تختلف اختلافا كبيرا عن طريقه غيره من الوزراء الذين نشاوا في العهد العثماني. و لا- شك أن دراسته المبكره في باريس كان لها أثرها في طراز تفكيره و أسلوب علمه و معالجته للأمر. و لعله في ذلك الوقت كان الوزير الوحيد الذي تلقى دراسته العاليه في جامعه أوروبيه مهمه كجامعه باريس، باستثناء توفيق السويدي.

و يروى عنه أنه كان لا- يميل إلى حصر جميع السلطات و الصلاحيات في يديه كما كان سائر الوزراء يفعلون، بل كان ينيط بالمديرين العامين المسئوليه بحسب اختصاصهم، و في نطاق عملهم و صلاحياتهم، فلا يعرض عليه للارتياح أو البت إلا القضايا الجوهريه، أو ذات الخطوره الاداريه، أو الماسه بالمبادئ الأساسيه لسياسه الدوله.

و كان من عادته. و هو وزير للماليه، أن يجمع المديرين العامين التابعين لوزارته مساء كل أربعاء بشكل مؤتمر ليتداولوا في الشؤون المتعلقة بوزاره الماليه و أعمالها، فيتناقش الحاضرون في آراء و ملاحظات و مشروعات قانونيه أو في قضايا يعرضها الوزير أو أي من المديرين، و يصلوا في مناقشاتهم إلى نتيجة مدروسه يعمل بها الوزير. و هذا أسلوب قد يبدو اعتياديا أو مألوفاً في الوقت الحاضر، و لكنه كان على وجه التأكيد غير معروف في الوزارات الأخرى في ذلك العهد المبكر من حياه الدوله حين كان معظم الوزراء يجدون غضاضه في استشاره مرءوسيههم.

و كان رستم حيدر، على أدبه الجرم، قويا في مواقفه، واثقا من نفسه، لا يتساهل فيما يمس المصلحه العامه، و لا يخشى في الحق لومه لأثم.

كتب عنه رفائيل بطي مره:

خصوصاً عنفوا في خصومته، إلا أن الأيام برهنت للجميع على أن تمسكه بالقانون، و اليد القويه في الحكم كانت في مصلحه البلد
(١)."

و من الأمثله الكثيره على شجاعه رستم حيدر و صلابته خلال خدمته الطويله في العراق، ايعازه بحجز أموال الملك فيصل الأول
حينما كان وزيراً للماليه.

و قصه ذلك أن رستم حيدر كان قد أصدر قانوناً جديداً لتحصيل الديون المتأخره للحكومه، و كان معظم الذين تأخر تحصيل
الديون منهم من ذوى النفوذ: من الخزينه (الملكيه) الخاصه، إلى الوزراء، و شيوخ العشائر و غيرهم. و بدأ رستم أول ما بدأ
بتطبيق القانون على الخزينه الملكيه الخاصه، فانذرها بدفع المتخلف عليها، و كان يبلغ حوالى عشره آلاف روبيه. فاعترض ناظر
الخزينه الخاصه، صفوه العوا مستنكراً إنذار الخزينه الملكيه الخاصه بسداد دين متأخر. و عندها طلب رستم وضع الحجز على
أملاك الملك في الحارثيه، و أنذر ناظر الخزينه الخاصه بالتنفيذ، فهرع الناظر إلى الملك فيصل و شكوا الأمر إليه.

و كان عبد الله الحاج، من رجال الملك فيصل في العراق في ذلك الوقت، مساعداً لرئيس الديوان الملكي، و مدرسا في دار
المعلمين. و قد روى هذه الحادته التي شهدها بنفسه في حديث أدلى به في بغداد إلى صحيفه عراقيه، مع طرف من ذكرياته عن
فيصل و العراق، خلال زياره قام بها إلى العراق بعد ذلك بأكثر من عشرين عاماً، فقال إن ناظر الخزينه الخاصه ربما صور
المسأله للملك بشكل مشير، مما أثر في نفس الملك، و لكنه فيما يبدو لم يرغب في مفاتحه رستم بالأمر بنفسه، فكلف عبد الله
الحاج بذلك. قال عبد الله الحاج:

" قال رستم عند ما كلمته بالأمر: إننى أنفذ إرادته جلالته، فهو الذى وقع القانون بيده، و أنا أعمل على تشريف توقيع جلالته
بالحجز على الحارثيه. فإذا سمح جلالته بذلك فإنه يكون قد وضع الحجر الأساسى لاحترام القانون فى الدوله. فعدت و عرضت
ذلك حرفياً على جلاله الملك فيصل فارتاح للأمر و زال أكثر الأثر الذى تركه لديه الشكل الذى وضع به القضييه ناظر الخزينه
الخاصه. و عندها أصدر جلالته تعليماته للناظر بوجوب الدفع و احترام القانون " (٢).

و حدث بعد انقلاب بكر صدقى في العراق أن بدأت تكتلات جديده في الجيش، و أخذ رجال السياسه يحاولون اجتذاب عدد
من ضباطه إلى جانبهم، و استغلت في هذا المجال صلات القربى و الصداقه و الجوار، بعد أن وجد أولئك الساسه أن المناورات
السياسيه تنهار أمام القوه العسكريه، كما حدث في ذلك الانقلاب. و قد أدرك هذا الوضع، و شهد الحالات النفسيه التي
ترافقه، رجل ذكى كرستم حيدر، و كان بعد سقوط حكومه الانقلاب قد أصبح في سنه ١٩٣٨ رئيساً للجنه الماليه في مجلس
النواب، فدخل في تقريرها حول ميزانيه تلك السنه فصلاً شديداً الديباچه في وجوب الحيلولة دون تدخل الجيش في السياسه،
مما أثار غضب بعض رجال الجيش في ذلك العهد، و كانوا لا يزالون مسيطرين على الوضع السياسى إلى حد بعيد، فلم يبال
رستم بشيء من ذلك. (٣)

و من غريب الصدف أن يفاجأ رستم نفسه بزياده ضابط برتبه (نقيب) في وزاره الماليه، بملابسه العسكريه، بعد أن أصبح رستم
وزيراً لها في وزاره نوري السعيد (الثالثه) فيطلب أن يمنح أقاربه أراضى، فيسأله رستم بآيه صفه يكلمه، فيجيبه: بصفه ضابط في
الجيش، و أن له فضلاً في مجيء رستم و غيره إلى وزاره. فيجيبه رستم إن هذا الضابط لا يجهل أن له أمراء في الجيش أعلى

منه رتبه، و أنه إذا قدر لرستم أن يوزع الأراضي بالأوامر العسكريه فالأحرى أن تأتي هذه الأوامر على الأقل من كبار أمراء الجيش الذين يآتمر هذا الضابط بأوامرهم.

و قد نقل رستم هذا الحديث إلى أحد أركان الكتله العسكريه، فثارت ثائرتة على هذا الضابط، و أفهمه أنهم ليسوا عصابه جاءت لابتزاز الأموال و انتهاب الأراضي، فسخط الضابط و انقلب ولاؤه إلى عداء شديد، و اشترك في المؤامرات التاليه ضد أولئك الضباط.

مشروع العمله الوطنيه

و من منجزات رستم حيدر في وزاره الماليه هو قانون العمله العراقيه الذى تبنى مشروعه و نفذه، فحقق بذلك للعراق استقلاله النقدي.

و كانت العمله المتداوله في العراق منذ الاحتلال البريطاني هي " الروبييه " الهنديه و توابعها، التى فرضتها حكومه الاحتلال، و بقيت عمله رسميه في العراق. و قد شعر رستم حيدر أن من الضروري إحداث عمله خاصه بالعراق بعد أن أصبح دوله مستقله، كما أن القانون الأساسى (الدستور) كان قد نص على وجوب سك عمله وطنيه للدوله. و قد تمكنت وزاره نوري السعيد الأولى، بمبادره من وزير الماليه رستم حيدر، من تحقيق هذه الأمنيه الوطنيه، فسنت " قانون العمله العراقيه " الذى أصبح بموجبه الدينار، العراقي و توابعه من قطع النقد الوطنى، عمله رسميه للعراق اعتباراً من أول نيسان ١٩٣٢، و كان رستم حيدر هو الذى وضع هذا المشروع و دافع عنه في البرلمان. و قد عارض المشروع بعض رجال السياسه، و كان منهم من يعارضه لمجرد أن صاحبه هو رستم حيدر. (٤)

مشروع الغراف و الخلاف عليه

كان مشروع الغراف من أهم المشروعات التى حاولت الحكومات المتعاقبه على الحكم في العراق تحقيقه، كما أنه من أهم الأعمال التى تبنها رستم حيدر، و كان لهذا المشروع أثر حاسم في حياته السياسيه، و علاقته بنوري السعيد.

و " الغراف " نهر قديم أحدثت فيه الفيضانات المتعاقبه ترسبات أدت إلى ارتفاع قعره، و انخفاض مياهه، و جفاف معظم الأراضي الزراعيه التى ٧.

ص: ١٦٤

١- رفائيل بطى، المرجع سالف الذكر.

٢- حديث للأستاذ عبد الله الحاج، النائب اللبناني السابق، و عضو الجبهه الاشتراكيه في لبنان، إلى جريده (الشعب)، بغداد، السنه ٩، العدد ٢٥١٥ الصادر في ٢ مايس ١٩٥٣.

٣- رفائيل بطى، "رستم حيدر" - مقاله في جريده (البلاد) السنه ٢٧، العدد ٤٥٥٣ الصادر في ١٩٥٦/١/٢٢، بمناسبة الذكرى السادسه عشره لوفاه رستم حيدر.

٤- ساطع الحصرى، مذكراتى فى العراق، الجزء الثانى، دار الطليعه، بيروت، ١٩٦٨ ص ٥٧٦-٥٧٧.

كان يرويها، مما حمل معظم القبائل التي استوطنت ضفتيه على الهجره.

و لذلك ظهرت فكره إقامه ناظم على صدره، و بناء سد أمام فتحته، لتأمين جريان المياه فيه صيفا و شتاء، و إحياء الأراضي المحيطة به و الإفاده منها.

و قد تم التفاهم على تنفيذ هذا المشروع قبل تأليف وزاره جميل المدفعي الأولى في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٣، فلما تألفت هذه الوزاره أُنيط منصب وزير الاقتصاد و المواصلات برستم حيدر ليضطلع بتنفيذه. و حينما وضع المشروع في المناقصه الدوليه، احتج وزير الماليه، نصرت الفارسي، لأنه كان يرى من الواجب الاتصال به قبل الإعلان، للتأكد من وجود المخصصات التي يتطلبها المشروع. كما ذهب أيضا إلى أن تسليح الجيش العراقي أهم من مشروع الغراف بنظره، و أيده في هذا الرأي وزير الداخليه ناجي شوكت.

و يقول ناجي شوكت في مذكراته إن وزير الماليه فوجئ بالإعلان الذي نشرته الصحف المحليه عن مناقصه المشروع، و أن ذلك قد تم قبل التأكد من وجود الاعتمادات اللازمه في الخزينه، و دون الحصول على موافقه وزير الماليه مسبقا " فلما عرض الخلاف على المجلس طلبت الكلام و أيدت وزير الماليه... و اعترضت على المشروع من حيث الأساس، موضحا. أنه لا يجوز الشروع باى عمل على دجله في جنوبي بغداد ما لم يوضع مشروع متكامل للسدود التي يجب أن تقوم على هذا النهر الكبير ابتداء من شمال العاصمه لوقايه بغداد من الغرق الذي تتعرض له في كل سنه أو سنتين "

" و قد رد على رستم حيدر، وزير الاقتصاد و المواصلات، مذكرا إياي بقول يؤثر عن الملك فيصل، إذ قال في إحدى خطبه (لا مشروع قبل الغراف). فأجبتة أني لا- أظن أن الملك فيصل قال مثل هذا القول، و لنفرض أنه قاله لسبب أو باعتبار زمني، فان أقوال الملوك لا- ترتفع في قدسيتهما إلى نصوص القرآن أو الأحاديث النبويه واجبه الاتباع. إن هذا المشروع الجبار سوف لا يحقق إلا أهدافا إقطاعيه ينتفع منها أربعه أشخاص أو خمسه " (١).

و أيد نوري السعيد، الذي كان وزيرا للخارجيه، هذا الرأي أيضا، في حين أن صالح جبر، وزير المعارف، و بقيه الوزراء أيدوا رستم حيدر.

و قد اتخذ الخلاف أبعادا طائفيه مؤسفه.

و على أثر هذا الانشقاق في الوزاره قدم رئيس الوزراء جميل المدفعي استقالته في شباط (فبراير) ١٩٣٤، فحاول الملك غازي أن يوفق بين آراء المتخاصمين، و لكنه لم ينجح في ذلك، فاضطر الملك إلى قبول استقاله المدفعي، و لكنه عهد إليه بتأليف الوزاره مره أخرى. و قد ارتأى المدفعي أن يحل ناجي السويدي، و هو رئيس وزراء سابق، محل رستم حيدر في الوزاره الجديده، و لكن السويدي اشترط على المدفعي أن يستبعد من وزارته جميع الوزراء الذين كانوا طرفا في الأزمه، لكي لا يتهم بان غرضه من الاستقاله كان التخلص من رستم حيدر فقط، فاقنع المدفعي بهذا الرأي، و تخلى عن وزرائه السابقين كافه، باستثناء جمال بابان، وزير العدليه (٢). و هنا بدأت فتره من العلاقات السيئه بين نوري السعيد و رستم حيدر و لعلها كانت المره الأولى التي يختلف فيها الرجلان أو تقوم بينهما خصومه قويه. و في وثائق وزاره الطيران البريطانيه برقيه كتبها ضابط استخبارات

القوة الجوية البريطانية في بغداد حول هذه الأزمة الوزاريه جاء فيها:

إن الخلافات التي نشبت في وزاره السابقه أخذت الآن شكلا خطرا.

"نورى باشا هاجم رستم حيدر بصوره مستمره و خاصه في جريده (العقاب) بواسطه صاحبها يونس بحرى الذى هو صنيعته.^(٣)

و تلقى رستم زيارات من عده شخصيات شيعيه بارزه عرضت عليه تأييدها. و قد تقبل رستم ذلك و لكنه لم يشجعهم على القيام باى عمل فى الوقت الحاضر.

"إن الأمر الذى كان فى بدايته غيره شخصيه و تطور إلى خصومه سياسيه، قد ينتهى بان يصبح نزاعا طائفيا.

"حاول جميل المدفعى إدخال نورى و رستم فى وزارته الجديده و لكن نورى رفض الدخول إذا أدخل فيها رستم..."^(٤)

و بقى رستم حيدر بعد استقاله هذه الوزاره بدون منصب رسمى حتى أواخر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٤، حين عين رئيسا للديوان الملكى للمره الثانيه.

رستم حيدر و الملك غازى

توفى الملك فيصل الأول فى ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣ فى العاصمه السويسريه برن، و كان قد قصدها للمعالجه و الاستجمام. و على الرغم من أن رستم حيدر كان يستمد قوته من ثقته الملك فيصل الذى كان سنده الرئيسى، فإنه احتفظ بمركزه المرموق فى الدوله بعد وفاه فيصل بسبب ما حققه لنفسه من مكانه بين رجالات البلد، و ما كونه من علاقات وثيقه بمعظم زعمائه.

و كان رستم حيدر قد بقى بدون منصب منذ استقاله وزاره جميل المدفعى بسبب الخلاف الذى نشب بين أعضائها على مشروع الغراف. فلما استقالت وزاره جميل المدفعى الثانيه فى ٢٥ آب عهد الملك غازى بتأليفه.

ص: ١٦٥

١- عبد الرزاق الحسنى، المرجع سالف الذكر، الجزء الرابع، ص ١٥.

٢- ناجى شوكت، سيره و ذكريات، الطبعة الثالثه، مطبعه دار الكتب، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٤٩-٢٥٠.

٣- نشرت جريده (العقاب) خلال أزمه مشروع الغراف عده مقالات و تعليقات عرضت فيها بمن أسمتهم "الدخلاء" أو "الغرباء"، كما أنها تضمنت إشارات إلى "الحيه الرقطاء" و كان المقصود بهذه الإشاره رستم حيدر. ففي ٧ شباط ١٩٣٤ نشرت تعليقا جاء فيه: "روى لى فضولى بان هناك اجتماعات نهاريه و سهرات ليليه يقيمها نفر من المرتزقه تحت قياده (الحيه الرقطاء) لتدبير الخطط و المناهج للهدس و الفتنه و الدجل و التفریق متسترين بالاقداس الوطنيه." أما نحن العرب الخالص و إن آلتنا على أنفسنا كشف الغطاء من أعمال (الحيه الرقطاء) و شرذمتها من جماعه (عبي بحبيك) فان هذا لا يمنعنا من الترحيب بالمجاهدين الأبرار من أبناء الأقطار العربيه و الذين يضطهدهم الاستعمار الغاشم".

٤- وثائق وزاره الطيران البريطانيه - من ضابط الارتباط الجوى ببغداد إلى استخبارات أركان الطيران، مقر القوة الجوية - هنيدى.

التقرير المرقم ٩٥ و المؤرخ فى ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٤ (الملف رقم ٨٠٦ AIR ٢٣) ص ٢٨.

الوزاره الجديده إلى رئيس الديوان الملكي على جودت، فألفها بتاريخ ٢٧ آب، و قد اشترك فيها نوري السعيد وزيرا للخارجيه، و جميل المدفعي، رئيس الوزراء المستقبل، وزيرا للدفاع. و قد شغرت رئاسه الديوان الملكي بإسناد رئاسه الوزاره إلى على جودت. و قد تردد في حينه أن على جودت اشترط إبقاء هذا المنصب شاغرا ليعود إلى أشغاله إذا استقالت وزارته، كما أن نوري السعيد كان يرشح له صهره جعفر العسكري. و لم يكن من الممكن إبقاء رئاسه الديوان الملكي شاغره لمدته طويله، فاتجهت إليه إلى تعيين رستم حيدر الذي سبق له أن شغل هذا المنصب نحو عشر سنوات بكفاءه اعترف بها الجميع. فصدرت الإراداه الملكيه بذلك في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٤.

و جاء في تقرير سرى لاستخبارات القوه الجويه البريطانيه في العراق عن السياسه الداخليه ما يأتي:

" ١ - كان تعيين رستم حيدر في منصب رئيس الديوان الملكي و سكرتير جلاله الملك سببا في خلاف آخر في الوزاره.

٢ - كان رستم حيدر شخصا مناسباً للمنصب بصورة واضحه إذ كان من الضروري ملء هذا المنصب. و لكن تعيينه المفاجيء، بدون استشاره مجلس الوزراء حسب العاده الجاريه، كان قد أساء إلى كرامه المجلس، و خاصه نوري السعيد الذي كان يحاول الاحتفاظ بالمنصب شاغرا لصهره جعفر". (١)

و كان الملك غازي، منذ ارتقائه العرش، يعير الجيش اهتماما خاصا، و أصبحت له علاقات شخصيه مع ضباطه. و قد أثار هذا التوجه الجديد من جانب الملك قلق السفاره البريطانيه، خاصه و أن الملك غازي، في رأيها على الأقل، لم يكن يعير شئون البلد الأخرى مثل ذلك الاهتمام، فأخذت ترصيد تركيزه على تفتيش وحدات الجيش، و انتهازه كل مناسبه للالتقاء بضباطه. و كتب السفير البريطاني في بغداد في تقريره السنوي عن أحداث العراق خلال عام ١٩٣٥ ما يأتي:

" الفقره ١١٠ - أظهر الملك خلال سنه ١٩٣٥ اهتماما كبيرا بالجيش.

و في نهايه العمليات التي قام بها الجيش في منطقه الفرات، قام بتفتيش الوحدات التي اشتركت فيها، و أثنى عليها بحاراه. و بمناسبة ذكرى اعتلائه العرش أقيم تحت رعايته عرض كبير اشتركت فيه جميع وحدات الجيش.

و كان اهتمام الملك محل تقدير كبير من الجيش، و ذلك على النقيض من قله اهتمام الملك الراحل فيصل به.

" الفقره ١١١ - و مع ذلك فإنه، لسوء الحظ، لا- يبدى اهتماما مماثلا بشئون البلاد الأخرى. و على الرغم من أنه - بمساعدته سكرتيره الخاص الرئيسي رستم بك حيدر - نجح في معالجه أزميتين سياسيتين حدثتا في الربيع، فإنه لم يظهر خلال السنه دلائل كثيره على أنه ورث صفات أبيه كزعيم و رجل دوله". (٢)

و من الجدير بالذكر أن من جمله أسباب اهتمام الملك غازي بالجيش و علاقاته الشخصيه مع ضباطه، و خاصه الشبان منهم، هو أن الملك غازي نفسه قد درس في الكليه العسكريه و تخرج فيها، و كان له بين الضباط زملاء ربطته بهم علاقات الصداقه و الزمالة المدرسيه، و ذلك أمر طبيعي يبدو أنه فات السفاره البريطانيه، أو أنها تجاهلته. و كان مبعث قلق الإنكليز الحقيقي من هذا الاتجاه - كما لاحظ مراقب إنكليزي ذكي - شعورهم بان "الملك غازي نفسه أصبح رمزا لحماسه ضباط الجيش الذين كان

معظمهم مؤمنين إيماناً قويا بالفكر القومي و بوجود اخوه تجمع العرب كلهم" (٣) و لكن الإنكليز، في الوقت نفسه، ظلموا يأملون أن يكون لوجود رستم حيدر في رئاسه الديوان الملكي أثر مفيد للملك غازي و توجيه اهتمامه إلى شئون البلاد الأخرى، و إلى الأخذ بنصائحه، بدلا من الأخذ بآراء ضباط الجيش المحيطين به.

و لكن السفاره البريطانيه وجدت أن رستم حيدر غير قادر على ممارسه ذلك النفوذ لأن رئيس الوزراء، ياسين الهاشمي، لا يحبه و لا يثق به.

فتدخلت السفاره و أقنعت ياسين، في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٥، بان رستم حيدر يمكن أن يمارس خيره تأثير على الملك لو وجد المجال لذلك، و لكن تأثيره في الواقع كان ضعيفا. و كان السبب في ذلك هو أن الملك لم يول رستم حيدر ثقته مثلما فعل مع رئيس ديوانه السابق على جودت.

و لما استقالت وزاره على جودت تحت ضغط الأحداث، ألفت الوزاره الجديده جميل المدفعي مره أخرى، و لكنه اضطر إلى الاستقاله بعد اثني عشر يوما من تاليفها. و انتهى الأمر بانتصار الجبهه المعارضه التي كان يتزعمها ياسين الهاشمي، فاضطر الملك غازي إلى أن يعهد إليه بتأليف الوزاره الجديده، فألفها في ١٧ آذار ١٩٣٥.

و يروي الأستاذ عبد الكريم الأزرى في مذكراته - و كان في ذلك الوقت معاوناً لرئيس الديوان الملكي - أنه أخذ يلاحظ "ازديادا في التقارب و التعاون بين الهاشمي و رستم حيدر. و أن الهاشمي كان ياتي كل يوم تقريبا إلى مكتب حيدر في البلاط الملكي، و بعد أن يقضى فيه بعض الوقت يذهب الاثنان معا إلى مكتب الملك غازي و يقضيان وقتا غير قليل هناك".

ثم يقول:

"و لكن أكثر ما كان يزعج ياسين الهاشمي و رستم حيدر و بقيه الساسه حسب ما اعتقد اتصال الضباط العسكريين بالملك مباشره و اختلاطهم به، ذلك لأن هذا الاختلاط، بالاضافه إلى تأثيره السيئ في حياه الملك الخاصه، و إلى إمكان استغلال سلطته و مقامه الملكي استغلالا غير مشروع، فإنه كان مخلا بالانضباط العسكري، و ينطوي على مخاطر و مضاعفات سياسيه..." (٤).

رستم حيدر و انقلاب بكر صدقي

بقيت وزاره ياسين الهاشمس [الهاشمي] في الحكم تسعه عشر شهرا، و هي مده طويله بالنسبه لأعمار الوزارات في ذلك العهد، فلما وقع الانقلاب العسكري ٨.

ص: ١٦٦

١- وثائق وزاره الطيران البريطانيه - من ضباط الارتباط الجوي ببغداد إلى استخبارات أركان الطيران، مقر القوه الجويه، هنيدي. التقرير المرقم ١٨٢ و المؤرخ في ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٤ (الملف رقم ٢٣٨٠٦ AIR) ص ٢٩.

Annual Report.British Embassy.Baghdad:F.O.٣٧١٢٠٠١٠(E٨٥١).P January ١٩٣٦ ٣٣.٣١. -٢

. P ١٩٥٩ James Morris.The Hashimite Kings(Faber and Faber).London. ١٥٠. -٣

٤- عبد الكريم الأزرى، تاريخ و ذكريات - العراق: ١٩٣٠ - ١٩٥٨، الجزء الأول، بيروت ١٩٨٢، ص ٧٨.

بقيادة بكر صدقي في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦، كان رستم حيدر لا يزال رئيسا للديوان الملكي. ولكنه وجد أن بقاءه في هذا المنصب أصبح مستحيلا، فاستقال منه بعد مده قصيره لعدم ارتياحه لتصرفات بكر صدقي، وعين إبراهيم كمال (١) رئيسا للديوان الملكي، وأخذت بعض الصحف المؤيده للانقلاب تهاجم رستم حيدر. وتطعن في إخلاصه، و كان بعضها يشير إليه بعبارة "فتى بعلبك".

وقد أشار السفير البريطاني في بغداد إلى استقاله رستم حيدر في رساله بعث بها إلى مدير الدائره الشرقيه في وزاره الخارجيه بلندن، جاء فيها:

"استقال رستم حيدر من منصب رئيس الديوان الملكي وخلفه فيه إبراهيم كمال، مدير الكمارك والمكوس العام.

"ومن الطبيعي أن (الثوره) أظهرت مسأله بقاء حيدر في البلاط، ولكن نوري في حديثه معي، قد سماه (الحيه) واتهمه بالاشتراك في مؤامره حكمت - بكر، وكان هذا إشاره إلى أنه قد يبقى في منصبه ويعمل مع الحكومه الجديده. ومع ذلك فقد أخبرني تحسين قدرى مؤخرا أن حكمت لا يثق بتأييد حيدر له، وأنه هو الذي طلب إلى الملك إقصاءه.

"و روايه أخرى تصف الملك بأنه المسئول الوحيد عن سقوط حيدر.

وقد قيل إن جلالته كان منزعجا لأنه لم ينبه إلى قوه الشعور العام الذي تصاعد ضد الحكومه السابقه، وأن رستم قد ارتكب خطأ جسيما في الحكم بان نصحه بالاستمرار في منح ياسين ثقته.

"إن الاستنتاج الذي أميل إليه هو أن حيدر في الواقع ربما حاول جهده إعطاء الملك نصيحه خاليه من الغرض، و كنتيجة لذلك فإنه يجد نفسه الآن بدون أصدقاء.

"وقد عرض عليه منصب وزير العراق المفوض في باريس، ولكنه رفضه. وهو الآن (قاعد في بيته) وهو تعبير محلي معناه مراقبه الأحداث، والتشفي لمشاعره المجرحه، مستعرضا الصعوبات التي يواجهها أولئك الذين أقصوه، والأخطاء التي يرتكبونها... إلخ". (٢)

وشعر رستم حيدر بعد استقالته بضغط كبير يوجه إليه لمغادره العراق، فقاوم فتره من الزمن، ولكنه اضطر إلى مغادره العراق أخيرا، فسافر إلى لبنان، وبقى فيه حتى مقتل بكر صدقي، ثم عاد مع عاد من السياسيين الذين غادروا العراق بعد الانقلاب.

و على أثر استقاله وزاره حكمت سليمان بعد مقتل بكر صدقي، ألف الوزاره الجديده جميل المدفعي في ١٧ آب ١٩٣٧، واستمرت هذه الوزاره في الحكم حتى ٢٤ كانون الأول ١٩٣٨، فلما استقال جميل المدفعي عهد بتأليف الوزاره إلى نوري السعيد، فألف وزارته الثالثه في ٢٥ كانون الأول ١٩٣٨، واشترك فيها رستم حيدر وزيرا للماليه، وكانت علاقته بنوري السعيد قد عادت إلى الصفاء بعد انقلاب بكر صدقي.

وفي عهد هذه الوزاره قتل الملك غازي في حادث السياره المعروف، في ٤ نيسان ١٩٣٩، فانتقل العرش إلى الملك فيصل الثاني الذي كان طفلا - صغيرا، واختير خاله الأمير عبد الإله وصيا على العرش. فاستقالت وزاره نوري السعيد عملا بالتقاليد

الدستوريه التي تقضى بانسحاب الوزاره عند انتقال العرش إلى ملك جديد. فعهد إلى نوري السعيد بتشكيل الوزاره مره أخرى، و هي وزارته الرابعه. و قد احتفظ فيها رستم حيدر بوزاره الماليه، و بقي فيها حتى وفاته.

شخصيه رستم حيدر

روى محمود صبحى الدفترى لكاتب هذه السطور أن نوري السعيد قال له مره - و هو يعلم بعلاقه الصداقه القويه التي تربطه برستم حيدر :-

" آن رستم حيدر، و هو وزير برئاستى، يتصرف معى تصرف رئيس وزراء مع أحد وزرائه، بلباقته، و مهارته، و علمه، و شخصيته المؤثره." (٣)

كذلك قال نجيب الراوى، و قد كان من أصدقاء رستم حيدر أيضا: " أنه كان أنزه و أكفا سياسى عراقى." (٤)

و قال الأستاذ عبد الكريم الأزرى الذى عرف رستم حيدر معرفه شخصيه و عمل معه، إن أكثر ما كان يمتاز به رستم حيدر هو " اتصافه بالفضيله السياسيه التي جعلته طيله حياته يترفع عن المناورات الدينئه.

و عند ما يذكر رفاقه و خصومه فى السياسه فلا يذكر إلا فضائلهم. و فى خلال المده التي خالطته فيها، و هي مده قصيره، لا أتذكر فى يوم من الأيام أنه ذكر رجلا- من الرجال إلا و عدد فضائله قبل أن يعدد نقاط ضعفه... قال لى مره: يجب أن نحكم على الشخص بمجموع أوصافه و بمجموع أعماله. لا- أن نركز أبصارنا و تفكيرنا على هفوه من هفواته أو نقص من نواقصه... (٥)

و لعل من أدق الأوصاف التي كتبت عن شخصيه رستم حيدر، ما كتبه أحمد حسن الزيات الذى كان منتدبا للتدريس فى العراق، و أصبحت له صله وثيقه بعدد من رجالاته، و منهم رستم حيدر، قال الزيات:

" كان رستم حيدر ظاهر الوقار، دائم الانقباض، كثير الصمت، خافض الصوت، هادئ الحركه. و لكن هدوءه كان كهدير الماء العميق، تضرب فى جوانبه الأفكار و الأسرار، و هو ساكن السطح، بارد الأديم." (٦)

و كان الصحفى و الكاتب العراقى الكبير رفائيل بطى من المعجبين برستم حيدر و شخصيته، و كتب عنه الكثير فى جريدته (البلاد) بمناسبة مقتله، و كلما حلت ذكرى وفاته، و مما كتبه عن شخصيه رستم حيدر قوله:

" ..و عند تحليلنا عناصر شخصيه حيدر، نجد أنه فوق مواهبه الفياضه و دراساته العليا فى اسطنبول و باريس، كان يؤمن بان العلم عدهر.

ص: ١٦٧

٢- السر آجيبولڊ كلارك كير إلى المسٲر جورج رنڊل (E٧٤٨٣)ber F.O.٣٧١٢٠٠١٤

٣- محمود صبحى الڊفٲرى فى مقابله الأستاز معه بتاريخ ٥ مايس ١٩٧٦.

٤- الأستاز نجيب الراوى نقيب المحامين و وزير المعارف، و العدل و سفير العراق فى مصر و فرنسا و تركيا فى أعاڊيٲ عڊيه معه.

٥- الأستاز عبد الكريم الأزرى، مقاله بعنوان "رستم حيدر" فى جريده (البلاد) البغڊايه، العءء ١٧٢٤ الصاڊر فى ١/٢٣.١٩٤٤.

٦- أحمء حسن الزيٲاٲ، المرآع سالف الءكر.

رجل الدوله، فلم يكتف بما تعلمه فى الجامعات، بل ما فتئ يتابع القراءه و الدرس فى المراجع الوثيقه، فى كتب التاريخ و السياسه و المجالات الأوروييه و الأمريكيه المختصه بالسياسه و الاقتصاد إلى يوم مصرعه... إلخ". (1)

و كان رستم شخصا قليل الكلام، قليل الاتصال بالناس، و كان له عدد محدود من الأصدقاء الشخصيين الذين يلتقى بهم فى حياته الخاصه.

و هو لم يتزوج، و كان يقيم بمفرده فى دار صغيره فى منطقه (الصالحيه) ببغداد، و يمارس رياضه السير على الأقدام بمفرده يوميا.

مقتل رستم حيدر

علم الشعب العراقى بمقتل رستم حيدر فى مكتبه الرسمى بوزاره المالىه من بيان رسمى أصدرته "مديره الدعايه العامه" فى يوم ١٨ كانون الثانى ١٩٤٠.

و احتار الناس فى تفسير هذه الحادثه الغريبه، و ذهبت بهم الظنون كل مذهب، و شاعت بينهم شتى التأويلات، و فسرتها كل فئه حسب أهوائها و ظنونها. و كان الرجل بصوره عامه مسالما، و لم تكن له خصومات قويه، و ان كان هنالك من لا يرتاحون إليه لصلابته و جديته، أو لما يتهمونه به من نزعه طائفية، كما قد يكون له بعض الحاسدين.

و قد ذكر ناجى شوكت، رئيس وزاره العراق الأسبق، لكاتب هذه السطور، أنه حينما كان وزيرا للداخلية فى وزاره نورى السعيد الثالثه التى كان رستم حيدر وزيرا للماليه فيها، علم من تقارير الشرطه أن رستم حيدر اعتاد السير على قدميه بعد مساء كل يوم بين داره فى الصالحيه قرب الجسر، و محطه قطار بغداد - البصره، و أنه حذره مما قد يصيبه من ضرر ممن يناصرونه الكراهيه أو العداء أو لا يرتاحون إليه. فأجابه رستم حيدر أنه لم يسىء إلى أحد فى حياته، و لا يعتقد أنه له أعداء، و لو أراد أحد الاعتداء عليه لاستطاع أن يفعل ذلك أينما كان، و مهما كانت الحراسه عليه قويه. قال المرحوم ناجى شوكت أنه أمر بان تدبر له الشرطه حراسه غير منظوره بدون علمه و خلافا لرغبته، فكان هنالك خفر على الدار، و آخر يسير وراءه عن بعد، أثناء خروجه للسير.

و قد صح ما ذهب إليه رستم حيدر، فقد جرى الاعتداء عليه، ليس بين بساتين الصالحيه، و شوارعها الخاليه، و لكن فى مكتبه الرسمى بوزاره المالىه.

و توفى يوم ٢٢ كانون الثانى ١٩٤٠ بعد أن قضى فى المستشفى أربعه أيام.

رشيد ترابى بن شرف حسين

ولد سنه ١٣٢٦ فى حيدرآباد بالهند و توفى سنه ١٣٩٣ فى لاهور بالباكستان.

من أشهر خطباء الهند و الباكستان الحسينيين. شغل فى أول أمره منصبا نيابيا و بعض الأعمال الحكوميه، ثم تغلبت عليه نزعه الخطابه الحسينيه، فبدأ ذلك فى حى (شاه خراسان) من أحياء بمبئى المشهوره و هو حى ذو أغلبيه شيعيه و ظل كذلك من سنه

١٩٣٩ م حتى ١٩٤٨ سنة انفصال الباكستان عن الهند فانتقل إلى الباكستان، و بدأ تفوقه الخطابي بالبروز حتى بلغ الأمر إلى أنهم كانوا يختارون لمجالسه الحسينيه ساحه واسعه متشعبه الشوارع لا- سيما في أيام عاشوراء فتكتظ بالناس، فضلا عن مواكبه المستمعين في البيوت لخطبه في الاذاعه و التلفزيون حتى خارج الباكستان.

و في آخر سفر له إلى لاهور سنة ١٩٧٢ م تحدث عن حياته فقال إنه درس على السيد أبو بكر بن شهاب في حيدرآباد، و على حيدر نظم طباطبائي، و ضامن الكتوري، و سبط الحسن اللكهنوي، و محمد هادي رسوا.

أما في النجف فقد درس على الشيخ محمد حسين النائيني و الميرزا علي الشيرازي و الآقا الإصطهباناتي و آقا بزرك الطهراني و السيد هبه الدين الشهرستاني و كان على معرفه بالتفسير و الحديث و علم الرجال و التاريخ الإسلامي.

له من المؤلفات باللغه الأردويه: كنز نجفي، طب معصومين، صحارى حيدرآباد، دستور علمي أخلاقي و غير ذلك.

رضا شاه بهلوي، بن عباس قلي خان سوادكوهي المشهور بداداش بيك

اشاره

(٢) ولد سنة ١٢٩٥ هـ ق (١٢٥٦ هـ ش) في قصبه "الاشت" من توابع "سوادكوه" مازندران.

بدأ أمره جنديا في فوج "سوادكوه". و في الثانيه و العشرين من عمره دخل في كتبه "القوزاق" (٣) و ظل يترقى في مناصبها مؤديا بعض المهام في بعض المدن إلى أن أصبح في سنة ١٢٩٤ هـ. ش رئيسا لفوج قوزاقهمدان.

و في الثالث من شهر إسفند (٤) سنة ١٢٩٩ هـ. قام هو و الصحفى السيد "ضياء الدين الطباطبائي" بانقلاب عسكري تاريخي أصبح بعده قائدا للجيش و رئيسا لكل كتبه القوزاق.

ثم صار وزيرا للحريه في أول وزاره تشكلت بعد الانقلاب. و ظل في هذا المنصب في ثلاث وزارات جاءت بعدها، إلى ٢٦ خرداد (٥) سنة ١٣٠٢ هـ. ش.

و في ١٦ آبان (٦) سنة ١٣٠٢ هـ. ش. أصبح رئيسا للوزراء و ظلت بيده وزاره الحريه. و بقي في هذا المنصب إلى ١٧ مرداد (٧) سنة ١٣٠٤ هـ. ش.

و في ٥ آذر (٨) من تلك السنه استطاع أن يحمل الجمعيه التأسيسيه على

ص: ١٦٨

١- رفائيل بطي، مقاله في جريده البلاد.

٢- "داداش" معناه "أخ". و سبب التسميه أنه كانت له أخوات ينادينه بهذا الاسم فاشتهر في الأسره ثم اشتهر به بين الناس. و كلمه "بيك" للتعظيم.

- ٣- كتيبه القوزاق أنشأها "ناصر الدين شاه" سنه ١٢٢٩ [١٢٩٩] هـ. ق. (١٨٨٢ م) على طراز القوزاق الروسى فى اللباس و التنظيم.
- ٤- اسم الشهر الثانى عشر من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٥- اسم الشهر الثالث من الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٦- اسم الشهر الثامن من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله أيلول و تشرين الأول.
- ٧- اسم الشهر الخامس من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله تموز و آب.
- ٨- اسم الشهر التاسع من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.

اختياره ملكا على إيران و خلع "أحمد شاه قاجار". و بذلك انتهى عهد الأسره القاجاريه الملكى و بدأ عهد الأسره [الأسره] البهلويه. و فى ٢٥ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش تولى مهام العرش. و فى ٤ أرديهشت (١) سنه ١٣٠٥ هـ. ش. توج.

و فى أوائل الحرب الكونيه الثانيه اتفقت انكلترا و روسيا على احتلال إيران نظرا لأهميتها الاستراتيجيه. فدخلت إليها روسيا من الشمال و انكلترا من الجنوب فى الثالث من شهريور (٢) سنه ١٣٢٠ هـ. ش. و أقالوا "رضا شاه" من منصبه، إذ كان هوامع أعدائهم النازيين الألمان. و ذلك فى ٢٥ أرديهشت سنه ١٣٢٠. و أحلوا ابنه ولى عهده "محمد رضا" فى محله. و غادر طهران فى نفس ذلك اليوم.

و فى الخامس من شهر مهر (٣) سنه ١٣٢٠ هـ. ش. أبحر من مرفا "بندر عباس" على باخره انكليزيه مع أبنائه و زوجته إلى منفاه فى جزيره موريشس. ثم نقل منها إلى مدينه "يوهانسبورغ" فى إفريقيا الجنوبيه. و فيها توفى فى الرابع من شهر مرداد سنه ١٣٢٣ هـ. ش. (١٩٤٤ م). و نقل جثمانه منها إلى القاهره فدفن فى مسجد الرفاعى. ثم نقل من القاهره إلى طهران فوصلها فى ١٧ أرديهشت سنه ١٣٣٢ هـ. ش. سنه (١٩٥٠ م) و دفن عند مقام عبد العظيم الحسنى (رض) فى ضاحيه طهران. و كانت مده ملكه سته عشر عاما.

كان الانقلاب الذى قام به الضابط القوزاقى "رضا خان" الذى أصبح فيما بعد ملكا على إيران باسم "رضا شاه بهلوى" حدثا على جانب عظيم من الأهميه فى تاريخ إيران. و هذا ملخص عن ملابساته و وقائعه:

معاهده سنه ١٩١٩ م

فى غره ذى القعدہ سنه ١٣٣٦ هـ. ق. الموافق مطلع صيف سنه ١٢٩٧ هـ. ش. عهد ملك إيران "أحمد شاه قاجار" إلى أحد رؤساء الوزراء السابقين "الميرزا حسن خان" الملقب بـ "و ثوق الدوله" بتشكيل الوزاره. فشكلها بين ظروف صعبه و أوضاع عالميه جديده كان لها أثر بعيد فى إيران.

كان ذلك فى أواخر الحرب الكونيه الأولى. و ألمانيا على وشك التسليم. و روسيا انفصلت عن الحلفاء و صالحت الألمان بعد أن وقع فيها الانقلاب البلشفي، و انقلاب أكتوبر سنه ١٩١٧ م، و خرجت من مسرح السياسه الإيرانيه، و خلاه الجو للانكليز و حدهم فى إيران. و كانت عساكرهم تحتل أهم النواحي منها. فالأمر و النهى لهم و حدهم. و الأمن مختل فى طول البلاء و عرضها، بين قطاع الطرق و القائمين بثورات مسلحه فى أذربيجان و جيلان و غيرهما، ثوران [ثورات] انقلابيه و انفصاليه، و منظمات سريه تمارس الاغتيال و تنشر الرعب و الإرهاب، و مندسين فى تلك الحركات من اليساريين المتأثرين بانتصار الثوره البلشفيه فى روسيا، و مستغلين لنفور الناس من الفساد يحولونه إلى شغب و فتنه. و الضرائب لا تصل إلى خزانه الدوله.

و هى خاليه تحتاج إلى مد خارجى. و قد قابل "و ثوق الدوله" هذه الصعوبات بشده و حزم، و وفق إلى حد لا بأس به إلى إقرار الأمن الداخلى. و استطاع حل أزمة الخبز فى طهران، و قد وقعت هذه الأزمه فى عهد سلفه.

و الظاهر أن نجاح "و ثوق الدوله" و وضوح كفاءته للحكم حمل الإنكليز على ترشيحه لمعاونتهم فى إقرار وضعهم فى إيران على ما يرغبون فيه. فبادروا إلى مسانده و تشجيعه برساله أرسلتها إليه سفارتهم فى السادس من ربيع الأول سنه ١٣٣٧ هـ. ق

الموافق ١٣ آذر (٤) سنة ١٢٩٧ هـ. ش. تتعهد فيها إنكلترا بضمان وحده إيران و استقلالها، و إلغاء معاهده سنة ١٩٠٧ م المعقوده بينها و بين روسيا على تقاسم إيران بينهما و تعديل وضع الكتيبه المسلحه القائمه فى جنوب إيران المعروفه باسم "شرطه الجنوب". (٥) و أسعف الإنكليز أيضا "وثوق الدوله" برفع مقدار الاعانه الماليه التى كانوا يمنحونها إيران بمقتضى اتفقيه "لجنه ميكس" إلى ثلاثمائى ألف تومان فى الشهر.

فى تلك الحقبه كانت مضاربات الحكام الايرانيين بين النفوذ الروسى و النفوذ الانكليزى قد زالت، إذ شغل الانقلاب البلشفى روسيا بأمرها الداخليه. و توقفت تحرشات العثمانيين و غزواتهم لايران، إذ تقطعت أمبراطوريتهم أجزاء بيد الحلفاء. و بلغت انكلترا أوج اقتدارها بعد انتصارها على الألمان. و لا معامله بين إيران و أحد غيرها. و "وثوق الدوله" بحاجه إلى قرض ليستطيع المضى فى تحقيق خطته. و انكلترا بحاجه إلى بسط نفوذها كاملا على إيران لاقرار مصالحها العسكريه و الاقتصاديه. و من ذلك جعل إيران سدا فى وجه المد البلشفى الجديد.

و من ثم أوعز وزير الخارجيه انكلترا "اللورد كرزى" إلى سفير انكلترا فى طهران أن يقوم بمفاوضه الحكومه الإيرانيه على عقد معاهده بين بلديهما.

و كان فى حكومه "وثوق الدوله" وزيران من أنصار الإنكليز، هما الأميران القاجاريان "صارم الدوله" و "نصره الدوله".

و اقتصر تمثيل الجانب الايرانى فى المفاوضات على رئيس الوزراء "وثوق الدوله" و هذين الأمرين. و كان "وثوق الدوله" يستشير أيضا فى السر السيد ضياء الدين الطباطبائى فى مواضع المفاوضات. و كان الطباطبائى يصدر يومئذ

ص: ١٦٩

- ١- اسم الشهر الثانى من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله نيسان و أيار.
- ٢- الشهر السادس من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله آب و أيلول.
- ٣- اسم الشهر السابع من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٤- اسم الشهر التاسع من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.
- ٥- فى سنة ١٣٣٤ هـ. ق. تولى رئاسه الوزاره "محمد ولى خان التنكابنى" المعروف بلقب "السردار الأكرم" و "السبهسالار الأعظم" و فى عهد وزارته هذا أجبره الإنكليز و الروس على إمضاء اتفقيه تقضى بوضع شئون إيران الماليه و الاداريه تحت إشراف الإنكليز، و إنشاء كتيبتين مسلحتين بالبنادق، إحداهما فى جنوب إيران و ضباطها من الإنكليز، و الأخرى فى الشمال و ضباطها من الروس. و تكون الكتيبتان تابعتين لوزاره الحريه الإيرانيه. و فى مقابل ذلك تمنح إنكلترا إيران مساعده مقدارها مائتا ألف تومان فى الشهر. و تألفت لجنه للقيام بإنفاذ هذه الاتفقيه من خمسه رجال: بلجيكى، و هو الرئيس، و روسى و إنكليزى و إيرانيين اثنين. و دعيت باسم "لجنه ميكس". و لكن الكتيبه الشماليه لم تتحقق، بسبب وقوع انقلاب أكتوبر البلشفى فى روسيا و تغير نهج السياسه الروسيه. و أنشئت كتيبه الجنوب الإنكليزيه باسم "بندقيو الجنوب". و فى عهد وزاره "وثوق الدوله" غير اسمها إلى "شرطه الجنوب" و أصبحت جزءا من القوات الايرانيه العسكريه. (توضيح: لقب "سردار" و "سبهسالار" الملقب بها "محمد ولى خان التنكابنى" المذكور هما من الرتب العسكريه العاليه. و لكنهما و أمثالهما من الرتب العسكريه أصبحت تمنح

يومئذ لغير العسكريين أيضا كالقباة الشرف الةى كانت تمنح لنبلاء أوروبا فى القرون الوسطى، أو يرثها الأبناء عن آباءهم. و
رئيس الوزاره هذا لم يكن عسكريا، و ألقابه هذه لمجرد التفخيم).

جريده باسم "رعد" و كانت داعيه للانكليز.

و انتهت المفاوضات إلى عقد معاهده بين إيران و انكلترا وقع عليها فى طهران يوم ١٧ مرداد(١) سنة ١٢٩٨ هـ. ش. الموافق ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٣٧ هـ. ق. و ٩ آب سنة ١٩١٩ م، بعد عام انتهاء الحرب الكونيه الأولى. و نال كل من "وثوق الدوله" و "صارم الدوله" و "نصره الدوله" رشوه ماليه ضخمة من الإنكليز.

و بمقتضى هذه المعاهده تصبح إيران تحت السيطره الإنكليزيه الكامله فى شئونها الاقتصاديه و العسكريه و الفنيه. و تعهدت فيها انكلترا بإعطاء إيران قرضا ترتهن انكلترا فى مقابله جمارك إيران أو غيرها من الموارد الاقتصاديه.

و تبع هذه المعاهده ملحق يقضى بمنح انكلترا إيران قرضا مقداره مليوناً ليره بفائده سبعة بالمائه. و تبعها أيضاً رسائل تبودلت بين الحكومه الإيرانيه و السفاره الإنكليزيه تعهدت فيها انكلترا بحل "شرطه الجنوب" و إلغاء المحاكم القنصليه و إعاده النظر فى المعاهدات السابقه التى بين الدولتين، و تأييد مطالب إيران فى مؤتمر الصلح و تعويض إيران الخسائر التى أصابتها بسبب الحرب، و أشياء اخرى.

و مع أن تلك المعاهده لم تكن قد أصبحت قانونيه، إذ أنها لم تكن قد عرضت على المجلس النيابى بعد، و لا وقع عليها الشاه، فقد بادرت انكلترا إلى إرسال خبرائها العسكريين و غير العسكريين إلى إيران، و أقامت لهم مكاتب و شرعت بإنفاذ المعاهده فوراً.

و لكن الرأى العام الايرانى عارض المعاهده معارضه شديده. و قامت تظاهرات عظيمه مضاده لها اشترك فيها الناس من كل الطبقات. و هب الخطباء و الشعراء و رجال الدين فى المساجد و المجمع يهاجمون "وثوق الدوله" و "صارم الدوله" و "نصره الدوله" و يرمونهم بالخيانه و مؤامره العدو على الوطن.

و كان يقود حركه المعارضه مجتهد صلب شجاع زاهد هو "السيد حسن المدرس". و عارض المعاهده أيضاً معارضه شديده كل من الولايات المتحده الأمريكيه و فرنسا، و عدتها أميركا مناقضه لاستقلال إيران، و انتقدت فى مجلس الشيوخ الأمريكى. و أذاعت السفاره الأمريكيه فى طهران فى ١٩ شهر يور [شهر يور](٢) سنة ١٢٩٨ هـ. ش. الموافق ١٥ ذى الحجه سنة ١٣٣٧ هـ. ق.

و أيلول سنة ١٩١٩ م بيانا أظهرت فيها معارضتها للمعاهده، و انتقدها السفير الأمريكى فى حديث صحفى. و اعتبرها ساسه فرنسا مخالفه لروح مقررات عصبه الأمم. و رفضها أيضاً "أحمد شاه" نفسه و امتنع عن التوقيع عليها أو إعلان موافقته. فشجع ذلك كله المعارضين و زادهم ثباتاً فى معارضتهم.

و لكن السيد "ضياء الدين الطباطبائى" ثابر على متابعه نشر سلسله من المقالات فى جريدته يؤيد فيها المعاهده و يدافع عنها.

إلا أن "وثوق الدوله" لم يستسلم و قابل الشده بالشده فلم ينفعه ذلك و أيس من التمكن من فرض المعاهده فرضاً. و مثله آيس الإنكليز. فلم يجد بدا من الاستقاله. و كان "أحمد شاه" يومئذ فى أوروبا، سافر إليها بعد نشر المعاهده ببضعه أيام. فبات "وثوق الدوله" ينتظر عودته ليقدم إليه استقالته. فلما عاد بادر إلى الاستقاله، فى شوال سنة ١٣٣٨ هـ. ق.

الموافق ٤ تير (٣) سنة ١٢٩٩ هـ. ش. و عهد الشاه إلى "الميرزا حسن خان"، و يعرف أيضا باسم "حسن بيرنيا" و يلقب بـ "مشير الدوله"، بتشكيل الوزارة.

و يرى فريق من المؤرخين (٤) أن إقدام "وثوق الدوله" على عقد تلك المعاهده لم يكن خيانه منه بل كان امتثالا لأمر لا مفر منه، مصداق القول الحكيم "لا بد مما ليس منه بد". و من ثم يرون أن قبوله حمل المسئوليه فى تلك الظروف الصعبه كان تضحيه منه و إثارة، و أن إقدامه على عقد المعاهده كان شجاعه منه فى مواجهه المسئوليه و ثباتا فى تحمل ظروف غير مؤاتيه لانقاذ ما يمكن إنقاذه. و لا يأخذون عليه سوى قبوله الرشوه، و إن يكن قد بذلها فى شراء أملاك و هبها الدوله. بل إن السيد "حسن المدرس" زعيم المعارضه الصلب و أشد المعارضين نكيرا على المعاهده لم يقبل، يوم أصبح نائبا فى المجلس بعد ذلك، أن يرمى "وثوق الدوله" بالخيانه. و كان بعض من النواب قد رماه بهذه التهمه و اعترض على إشراكه بالوزارة. فرد عليه السيد المدرس بان ما صدر عن "وثوق الدوله" إنما كان قصورا و تقصيرا لا خيانه.

وزارة "مشير الدوله"

شكل "مشير الدوله" وزارته فى ٧ تير (٥) سنة ١٢٩٩ هـ. ش. بعد أن حصل من السفاره الإنكليزيه على وعد بوقف إجراءات إنفاذ المعاهده و تعليق إنفاذها على موافقه المجلس النيابى و وعد بامداد مالى من شركه النفط.

و كان من نتائج عجز "وثوق الدوله" عن إنفاذ المعاهده أن استدعت الحكومه الإنكليزيه سفيرها فى طهران، السفير الذى تولى عقد المعاهده و استبدلت به سفيرا آخر. و بادر "وثوق الدوله" إلى مغادره إيران إلى أوروبا.

و كان هم الوزارة الجديده الأول تسكين الخواطر الثائره. فبدأت عملها بإصدار بيان بان هذه المعاهده، ما لم يقرها المجلس النيابى، لا يمكن ان تكون نافذه، و أن السفاره البريطانيه توافق على ذلك، و هى لا تنوى إنفاذ المعاهده حتى يقرها المجلس النيابى. (٦) أى قبل خمس سنوات من عقد المعاهده. فأحدث هذا البيان الأثر المطلوب و سكنت الخواطر الثائره.

و أفرج "مشير الدوله" عن المساجين المعارضين الذين حبسهم "وثوق الدوله" و أطلق سراح المبعدين منهم. و أفرج عن الصحف التى عطلها سلفه بسبب معارضتها. و كفى أكثر المستشارين العسكريين و الماليين الإنكليز الذين كانوا قد قدموا إلى إيران بمقتضى معاهده سنة ١٩١٩ م.

و أراد "مشير الدوله" تقويه مركزه و تخفيف السيطره الإنكليزيه.

فارتأى تخطيطا ذكيا جريئا هو إقامة توازن فى إيران بين تطلعات الدول

ص: ١٧٠

١- الشهر الخامس من السنه الإيرانيه الشمسيه، يقابله تموز و آب.

٢- الشهر السادس من السنه الشمسيه الإيرانيه. قابله آب و أيلول.

- ٣- الشهر الرابع من السنه الهجريه الإيرانيه.
- ٤- إبراهيم صفائي في كتابه " رهبران مشروطه " .
- ٥- الشهر الرابع من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه.
- ٦- كان المجلس النيابي معطلا من سنه ١٢٩٤ هـ .ش.

الأجنبي، و ذلك باعتراف إيران بحكومته الانقلاب البلشفي و إقامة علاقات دبلوماسية بينها و بين بلاده. و بذلك يحصل على مراعاة السوفيات لحكومته بتوقفهم عن مساعده حركات التمرد القائم في نواحي من إيران(١) فيتفرغ للعمل على الخلاص منها بالقوه أو بالمصالحة. و عرض الفكره على "أحمد شاه" فوافق عليها. ثم أوعز "مشير الدوله" إلى سفير دولته في استنبول بالسفر إلى موسكو لمفاوضه المسؤولين فيها على هذا الموضوع، فسافر إليها في ٢ مرداد سنة ١٢٩٩ هـ. ش.(٢)

و وقع اقتراح "مشير الدوله" من نفوس المسؤولين السوفيات موقعا حسنا و استقبلوا المندوب الايراني استقبالا وديا فخما.

و أرسل المندوب الايراني من موسكو إلى حكومته تقريرا يفيد أنه وفق إلى الحصول على موافقه الروس البلاشفه على أساس لمعاهده تعقد بين الدولتين. و هذا الأساس كله يتفق و مصلحه إيران. و من ذلك إصدار السوفيات أمرا باسترجاع جميع القوى التي كانوا قد أرسلوها إلى شمال إيران لمساعدته الثوار.

و وقع إقدام "مشير الدوله" على اتخاذ هذا التدبير وقعا سيئا في نفوس الإنكليز، إذ رأوا أن إقامة مثل هذا التوازن بينهم و بين السوفيات قصر بهم عن التمكن من فرض معاهده سنة ١٩١٩ م أو فرض بديل لها على الايرانيين.

ثم أراد (مشير الدوله) القضاء على الثورات في نواحي إيران و كان أهمها ثوره الشيخ محمد الخياباني(٣) في تبريز و ثوره "الميرزا كوشك خان"(٤) في جيلان و كانت ثوره هذا بريئه غايتها رفع الفساد و ترسيخ الحياه الديمقراطية.

و لكن الشيوعيين المحليين و البلاشفه القادمين من "بادكوبا" اندمجوا فيها و حاولوا الانحراف بها عن غايتها.

و كل ما كان لدى إيران يومئذ من القوات المسلحه هو ثمانيه آلاف جندي من القوزاق(٥) و ثمانيه آلاف و اربعمائه جندي من الدرک. و استطاعز.

ص: ١٧١

١- في أواخر أيام رئاسه "وثوق الدوله" للوزاره، في شهر أديبهشت (الشهر الثاني من السنه الهجريه الشمسيه الايرانيه و يقابله نيسان و أيار) سنة ١٢٩٩ هـ. ش. ضربت البوارج البحريه البلشفيه مرفأى "غازيان" و "أنزلى" الايرانيين على بحر قزوين بالقنابل. و في أواسط شهر خرداد (الشهر الثالث من السنه الهجريه الشمسيه الايرانيه) من تلك السنه أنشا شيوعيو جيلان، بمساعدته عناصر غريبه مشبووه لجنه باسم "لجنه الثوره الحمراء". و حالفوا التأثير "الميرزا كوشك خان". و أعلنوا بقيام "حكومه جيلان الاشتراكيه" و شكلوا هيئه "مفوضى الشعب" (الوزاره) و أمدها بالمعونه و قد عجزت حكومه "وثوق الدوله" عن قمع هذه الثوره يومئذ. و كان عجزه عن ذلك أحد أسباب استقالته. هذا و قد انقلب "الميرزا كوشك خان" على حلفائه هؤلاء و انفصل عنهم بعد ذلك لما تبين له سوء نواياهم. و ستاتي تفاصيل اخرى عن الميرزا كوشك خان.

٢- الشهر الخامس من السنه الهجريه الشمسيه الايرانيه، يقابله تموز و آب.

٣- رجل دين ورع شجاع من خيره علماء أذربيجان و أدبائها، انتخب نائبا في المجلس النيابي الثاني الذى انتخب بعد خلع "محمد على شاه" سنة ١٣٢٧ هـ. ق. و اعتقله العثمانيون إذ احتلوا تبريز سنة ١٣٣٧ هـ. ق. و أرادوا ضم أذربيجان إلى أرضهم

فقاومهم، و حبسوه فى "أروميه". و بعد جلائهم عن تبريز أطلقوا سراحه. كان "الشيخ محمد الخيابانى" من رؤساء "الحزب الديمقراطى" فى أذربيجان. و انتهت إليه رئاسه جميع المعارضين هناك المتظلمون من جور الحكام. و حين تولى "وثوق الدوله" رئاسه الوزاره و عقد معاهده ١٩١٩ م عزم على حل هذا الحزب فى أذربيجان و قمع رؤسائه إذ كانوا هم المؤهلين للنيايه عن أذربيجان و هم معارضون يحسب حسابهم. فشاروا و هاجموا إدارات الحكومه كلها و احتلوها و طردوا الوالى "محمد حسن ميرزا"، و هو أخو الشاه و لى عهد. و كانت ولايه أذربيجان من أول حكم القاجاويين [القاجاريين] يختص بها و لى العهد. و انضم إلى الثوار رئيس الشرطه. و أنشا الخيابانى حرسا مسلحا متحد اللباس. و ظلوا مسيطرين على تبريز سته أشهر. و غيروا اسم أذربيجان فجعلوه "آزاديستان" (أرض الحريه). بل قيل إنهم أصدروا طابعا بريديا بهذا الاسم. و فى هذه الأثناء استقال "وثوق الدوله" و شكل الوزاره "مشير الدوله" فحاول مده طويله مصالحه الخيابانى سلما فلم يفلح أصر الخيابانى على رفض تعيين وال لأذربيجان من قبل الحكومه المركزيه. فأرسل "مشير الدوله" واليا من قبله مع كتيبه مسلحه، فهاجموا مراكز قوات [قوات الخيابانى و تغلبوا عليها، و قتل الخيابانى، و قيل إنه انتحر. و اختلفت الأقوال فيه. منهم من قال إنه انفصالى، و كان هو ينكر هذه التهمه أشد الإنكار. و منهم من قال إنه يسارى متأثر بالأفكار الاشتراكيه. و منهم من جزم بأنه قاوم الدعايات الشيوعيه و الشيوعيين أشد مقاومه و أنه برىء من اليساريه. و لكن الجميع متفقون على علو مكانته فى العلم و المعرفه. مجتمعون على خلوص نيته و نبل غايته. و كان لا ينفك يردد بان غايته إنما ترسيخ قواعد الحياه النيايه الدستوريه، و إعلاء شان إيران، و إنصاف الأذربيجانيين.

٤- اسمه "يونس" ابن "الميرزا بزرگ"، و اشتهر باسم "الميرزا كوشك خان". من أشهر الشخصيات الإيرانيه فى ذلك العهد و من أطيهم سمعه. ولد سنه ١٢٩٨ هـ. ق فى رشت. مثقف تلقى قسطا من التعليم الدينى. مسلم متدين راسخ الايمان. وطنى طاهر الذيل. شجاع خبير بالفنون العسكريه. ذكى سريع الخاطر حازم. شارك فى حركه المطالبه بالنظام النيايى الدستورى مشاركه فعاله و جرح فى إحدى معاركها جرحا بليغا. و فى سنه ١٣٣٣ هـ. ق. فى أوائل الحرب الكونيه الأولى، أجاب دعوه حزب إسلامى جديد اسمه "اتحاد إسلام"، و أقام فى رشت يشتغل بإنشاء فروع له. و سلح جماعه جعلهم جيشا له. حارب الإنكليز و الروس المحتلين مده طويله. و أتعبههم. و بعد الانقلاب البلشفى الذى وقع فى روسيا أراد البلاشفه استغلاله فساعدوه و حالفوه. و لكنه لم يلبث أن انقلب عليهم إذ تبين له سوء نواياهم. أنشا فى جيلان مدرسه عسكريه اجتمع فيها جماعه كبيره من الشبان يتعلمون الفنون العسكريه، و أقام فى جيلان حكومه بعنوان جمهوريه. و كان على قياده جنده ضابط ألمانى اسمه "فون باسشن" و يقوم بتدريبه عسكريون نمساويون. و صحبه أيضا عسكري ألمانى اسمه "كاويوك" أعجب به و أحبه كثيرا. استمرت حكومه "الميرزا كوشك خان" و حروبه إلى سنه ١٣٤٠ هـ. ق، أيام وزاره "قوام السلطنه" إذ أتاحت الفرصه لمصالحته مع مراعه كراميه و شعبيته الواسعه، و قد عمت إيران كلها. و لكن حدث سوء تصرف أفسد خطه المصالحه هذه. قيل إن سوء التصرف صدر عن "كوشك خان" نفسه، إذ هاجم موقعا حكوميا فى أثناء المفاوضات. و قيل إن وزير الحريه "رضا خان" (الذى أصبح بعد ذلك رضا شاه بهلوى) غدر به بعد أن أمنوه و أن للانكليز ضلعا فى ذلك. و اضطر "الميرزا كوشك خان" إلى إلقاء السلاح، فصرف رجاله. و كان فى معيته إيرانيين من كبار مساعديه. فاما أحدهما فلجا إلى الاتحاد السوفياتى، و أما الآخر فاستسلم إلى الحكومه المركزيه. و أما "الميرزا كوشك خان" فقد أبى أن يلجا إلى الاتحاد السوفياتى و أبى أن يستسلم. و ذهب فى جبال "تالش" (بلاد فى إقليم جيلان جنوبى بحر قزوين. و هى اليوم تابعه للاتحاد السوفياتى) ليلجأ إلى أحد رؤساء العشائر. و أبى صديقه الألمانى "كايك" أن يتركه فانطلق معه. و لكن زحمتها الثلوج و العواصف بين الجبال فماتا دنقا فى الثانى من ربيع الثانى سنه ١٣٤٠ هـ. ق الموافق ١١ بهمن [١٣٠٠] [الشهر الحادى عشر من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه]، و عمر "كوشك خان" يومئذ ٤٢ سنه. و

احتز فرسان "تالش" رأس "الميرزا كوشك خان" و أرسلوه إلى رشت و دفنوا الجسد حيث مات. و من رشت أرسل الرأس إلى طهران. فطافوا به في شوارعها. و بعث هذا العمل الدنيء الغضب و النفرة في نفوس الناس. ثم دفنوه في إحدى المقابر العامه. و بعد مده أخرج فريق من الأحرار المعجيين به الرأس و الجسد من مدفنيهما [مدفنيهما] و دفنوهما معا في "سليمان داراب" حسب وصيته.

٥- إنشاء كتيبه القوزاق الإيرانيه امتياز منحه "ناصر الدين شاه" لروسيا سنه ١٢٩٩ هـ. ق. و ١٨٨٢ م، على أن تكون في إمره ضباط من الروس. و قد سببت هذه الفرقة لايران متاعب كثيره، و كانت وسيله فعاله من وسائل الروس للسيطره على إيران. و لكنها في عهد "مشير الدوله" أصبحت، مع كتيبه الدرک، وسيله الحكومه الإيرانيه إلى إقرار الأمن، و انقطعت صلتها بروسيا بعد الانقلاب البلشفي. و كان على قيادتها في عهد "مشير الدوله" ضابط روسي اسمه "الكولونيل إستار ولسكى". و كانت موزعه أفواجا في طهران و قزوین و همدان و تبريز.

"مشير الدوله" إخماد تمرد تبريز. فى ٢٤ مهر (١) سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و بدا حملته على ثوار الشمال فى شهر تير [١٢٩٩] (٢) من تلك السنه. و أرسل إلى جيلان كتيبه من القوزاق بقياده "إستار ولسكى" لاختضاع الشيوعيين الانفصاليين.

و أرسل رسولا- إلى "الميرزا كوشك خان" لمفاوضته على الصلح، فاستجاب هذا للرسول و جمع رجاله و انفصل عن الشيوعيين، و كان قد تبين خيانتهم و هالته الفجائع التى يرتكبونها حيث يحكمون.

و أما الشيوعيين فقد قاوموا ثم انهزموا. و فى شهر مرداد (٣) من تلك السنه كان القوزاق يحتلون مواقعهم موقعا موقعا. و منها مدينه رشت. و قد نهب الشيوعيون هذه المدينه قبل جلائهم عنها و أوقعوا بها جرائم فظيعة ثم أحرقوها. و تعقبهم القوزاق إلى نواحى مرفا "أنزلى" و أصبحوا على وشك النصر التام و القضاء على حكومه المتمردين فى الشمال. و كان اثنان من كبار زعماء المتمردين قد انتهى أمرهما إذ جرح أحدهما و قتل الآخر، و فيما القوزاق يخطون آخر خطواتهم إلى النصر الكامل إذا ببارجه روسيه بلشفيه تطلع عليهم و ترميهم بقذائف المدافع، و جماعه من جنود الجيش الأحمر ينزلون فى نواحى مرفا "غازيان". و كان يقابلهم فوج القوزاق الهمدانى بقياده العقيد رضا خان" الذى أصبح فيما بعد "رضا شاه بهلوى" و عدد جنوده حوالى سبعمائه، فأوقع الحمر به خسائر جسيمه. ثم أمرهم "أستار ولسكى" بالتراجع. و فى أثناء تراجعهم أمطروهم العسكر الإنكليز من أحد مواقعه بوابل من القنابل. و اعتذرت السفاره الإنكليزيه بعد ذلك بان هذا العمل كان اشتباها، إذ حسب الجيش الإنكليزى القوزاق الايرانى من عسكر البلاشفه. و قد تراجع "العقيد رضا خان" بفوجه إلى نواحى قزوین حتى استقر فى قريه اسمها "آق بابا".

و كان للانكليز جيش متركز فى "منجيل" فتراجع عنها بلا حرب.

و عاد المتمردون الشماليون إلى مواقعهم التى أخرجوا منها، و منها مدينه رشت. و أوقعت هذه الهزيمه الرعب فى أهالى جيلان ففروا منها جماعات جماعات متفرقين فى مختلف النواحى. و اتهم الضباط الايرانيون "الكولونيل إستار ولسكى" بأنه تعمد الخطا فى التكتيك ليوقع الهزيمه بالقوزاق، و أنه واطا الإنكليز عليهم.

و هكذا منى "مشير الدوله" بالخيبه فى جيلان قبل أن يتمكن من تحقيق خطته الصائبه بإيجاد توازن بين السياسات الخارجيه فى بلاده، بعقد معاهده صداقه بين الاتحاد السوفياتى و بلاده، إذ زحمته الحوادث و مؤامرات الإنكليز فاضطر إلى الاستقاله، و سفيره فى موسكو مشغول بمفاوضته السوفيات حتى تمكن من تهيئه معاهده من ٢٦ ماده كلها فى مصلحه إيران. و لو تمكن "مشير الدوله" من توقيعها و إنفاذها لاتخذت الحوادث مجرى آخر.

كانت روسيا بعد الانقلاب البلشفي، قد خرجت من مسرح السياسه الإيرانيه. و لكنها لم تلبث أن عادت إليه بوجه آخر. خرجت بما هى دوله الإمبراطوريه الرأسماليه الاستعماريه، و عادت بما هى دوله الاتحاد السوفياتى الاشتراكي الثورى. فأخذت تثير حركات انفصاليه فى شمال إيران و تمدها بالسلاح و الرجال. و كان تدخلها هذا هو السبب فى خيبه "مشير الدوله" فى حملته على متمردي الشمال، كما كان السبب فى خيبه "وثوق الدوله" قبله.

و كانت السياسه الإنكليزيه تتوخى تشكيل حكومه قويه فى إيران تبسط سيطرتها على كل البلاد و تقطع دابر المتمردين، على أن تكون تابعه لانكلترا، و كان الإنكليز مستعدين لمساعدتها بالمال و الرجال و السلاح. و كان "وثوق الدوله" أهلا لهذه المهمه و

لكنه، مع كل شدته و حزمه، عجز عن فرض معاهده سنة ١٩١٩ م. و جاء بعده "مشير الدوله". و كان قادرا على تشكيل مثل تلك الحكومه القويه المطلوبه. و لكنه لم يكن قادرا على التبعيه للانكليز.

فناوهم فى أشياء، منها رفضه إسناد قياده الكتيبه القوزاقيه إليهم. و منها رفضه الاعتراف بشرعيه "شرطه الجنوب". و منها مسيرته لمعارضى معاهده سنة ١٩١٩ م و منها إقدامه على مفاوضه السوفيات، و أشياء اخرى.

و من ثم لم يجد الإنكليز بدا من تنحيه "مشير الدوله" عن الحكم.

فحملوا "أحمد شاه"، بالاحراج و الإكراه، على أن يوعز إليه بالاستقاله، فرفض "مشير الدوله" و علق إقدامه على الاستقاله على موافقه زملائه الوزراء، و هم لا- يوافقون عليها. و الأرجح أن هذا الطلب و الرد كانا مواطاه بين الشاه و رئيس وزرائه يتخلص به الشاه من إحراج الإنكليز، إذ كان الشاه و "مشير الدوله" فى خط سياسى واحد.

و من ثم أقدم الإنكليز على عمل حاسم يضطر "مشير الدوله" إلى التنحي من الحكم. فهددوا الشاه بأنهم سيخلون قزوين أيضا و يتركونها للشيعيين. ثم قطعوا المعونه الماليه التى ما زالوا يمنحونها إيران من سنوات.

و لم يكن "مشير الدوله" قادرا على الاستمرار فى الحكم بغير هذه المعونه.

فاضطر إلى الاستقاله فى ١٤ صفر سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٥ آبان (٤) سنة ١٢٩٩ هـ. ش. و لما يمض على حكومته غير ثلاثه أشهر تقريبا.

كان الإنكليز آيسين من وزاره "مشير الدوله" من يوم تشكيلها مع كل ما أظهرته سفارتهم يومئذ من إيجابيه فى معاملتها. فان تصرفهم يوم حملة القوزاق على ثوار الشمال، و قبله تعليقاتهم الصحفيه و بعض بيانات وزير خارجيتهم "اللورد كرزن" الرسميه، كانت تدل على أنهم لا- يرجون خيرا من هذه الوزاره. فرئيسها و أعضاؤها نخبه ممتازه موثوق بها من ساسه إيران، ضنينون بشعبيتهم و سمعتهم لا يمكن أن يهدروها بالسعى إلى إنفاذ معاهده سنة ١٩١٩ م. و الشاه مصر على رفضها، مع ما أطعمه به الإنكليز من مال. و الأوضاع الراهنه توحى بان المجلس المنتظر لا يرجى أن يكون مناط أمل. و معارضه الرأى العام لا يستطاع تجاهلها.

لقد كان قيام حكومه "مشير الدوله" إيذانا بسقوط تلك المعاهده.

و من ثم صرف الإنكليز النظر إلى اتخاذ خطه اخرى تكون بديلا لها لتحقيق سيادتهم على إيران.

و فى مده حكم "مشير الدوله" دأب أنصار المعاهده، و فى مقدمتهم السيد ضياء الدين الطباطبائى، على عقد جلسات و مشاورات برعايه السفاره الإنكليزيه لزعزه حكومه "مشير الدوله" و التخطيط لمشروع بديل للمعاهده. فلما قطعت انكلترا معونتها الماليه عن إيران، و اضطر "مشير الدوله" إلى الاستقاله كان المشروع الجديد جاهزا.

حكومه إيرانيه لا تستطيع فرض معاهده ١٩١٩ م. بل انكلترا نفسها.

- ١- الشهر السابع من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه.
- ٢- الشهر الرابع من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه.
- ٣- الشهر الخامس من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه، يقابله تموز و آب.
- ٤- الشهر الثامن من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه. يقابله أيلول و تشرين الأول.

أصبحت ترغب عن إنفاذ المعاهده بالإكراه لكيلا تظهر في مظهر المستعمر الغاصب، و لكنها مصممه على تحقيق مصالحها المتوخاه في إيران لا- تتراجع عنها. فلتخرج هذه المصالح بوجه آخر غير وجه المعاهده. و إخراجها بهذا الوجه لا- يكون إلا بانقلاب. انقلاب إيراني الوجه محلي العنوان تسانده و تحركه في الخفاء أيد إنكليزيه. و يعقبه حكم موال للانكليز و يحقق مصالحهم بعنوان إيراني لا بعنوان إنكليزي. و هذا هو المشروع الجديد البديل لمعاهده ١٩١٩ م. يقول الجنرال "آيرن سايد"^(١) في مذكراته: "الانقلاب خير دواء للوضع الحاضر في إيران".

وزارة "السبهدار"

و كلف "أحمد شاه" عده رجال بتشكيل الوزارة فرفضوا كلهم النهوض بهذه المهمه الصعبه. ثم قبل بها سياسى ثرى ضعيف الشخصيه متخاذل موال للانكليز هو "فتح الله أكبر" الملقب ب "السبهدار الأعظم". و ألف وزارته يوم ٢٢ آبان^(٢) سنة ١٢٩٩ هـ. ش.

و كان أول عمل قام به هو عزل "أستار ولسكى" الروسى عن قياده كتيبه القوزاق و إسناد قيادتها إلى "فاسم خان والى" المعروف باسم "السرदार همايون" استجابته منه لطلب السفاره الإنكليزيه. و كان عزل القائد الروسى عن هذا المنصب غايه قديمه تتوخاها هذه السفاره لتجعل الكتيبه فى تصرف الإنكليز. و لم يستجب لها "مشير الدوله" و لا سلفه "وثوق الدوله".

و كانت إيران لا تملك من القوات المسلحه غير هذه الكتيبه و كتيبه الدرك.

و هذه متفرقه فى نواحى مختلفه لاقرار الأمن.

و عزل القائد الايرانى الجديد للكتيبه القوزاقيه تسعه عشر ضابطا روسيا من ضباط الكتيبه و عين فى مكانهم ضباطا إيرانيين. ثم أصدر بعد ذلك "السبهدار" رئيس الوزارة قرارا بعزل جميع ضباط الكتيبه الروسيين.

و حضرت السفاره الإنكليزيه على "إستار ولسكى" الإقامه فى إيران، فغادرها فورا إلى بغداد و منها إلى باريس مقر الحكومه الروسيه القيصرية المهاجره.

و تلقى الناس الوزارة الجديده بالاعتراض و الخشيه من إقدامها على إنفاذ معاهده ١٩١٩ م، فاضربت الأسواق و عبر الناس من اعتراضهم بالتظاهر و غيره من مظاهر الاعتراض. فاضطر "السبهدار" إلى إصدار بيان بان المعاهده لا يمكن أن تكون نافذه ما لم يوافق عليها المجلس النيابى و أن خطته فى هذا الموضوع هى خطه سلفه.

و سافر "السرदार همايون" إلى قزوین حيث كان مقر قياده سلفه الروسى لتسلم منصبه الجديد. و حصل جنود الكتيبه القوزاقيه على مائه ألف تومان رواتب لهم، و كانت رواتبهم قد انقطعت بعد قطع الإنكليز المعونه المالىه عن الحكومه الإيرانيه فى عهد "مشير الدوله". و حصلوا على أعطيات من الحنطه و الشعير. و كان السيد "ضياء الدين الطباطبائى" واسطه الحصول على هذا المال و الغلال من الإنكليز. و حضر إلى قزوین أيضا الجنرال "ديكسن"^(٣) الانكليزى. و تولى تعريف جنود الكتيبه القوزاقيه بقائدهم الجديد "السرदार همايون". و خطب فيهم. قال: "إن هذا اليوم يوم فخر للقوزاق، إذ تحرروا من مخالف ضباط البلاط

القيصري، المخالب التي ما زالت تأسرهم من أربعين عاما. و الآن ها أنتم لا يأمر عليكم روسى و لا إنكليزى بل يرئسكم ضابط إيرانى". و استقرت قوى القوزاق فى أطراف قزوین فى إمره الضابط القوزاقى "رضا خان" (الذى أصبح فيما بعد رضا شاه بهلوى).

و كان "السبهدار الأعظم" يديم استشاره السيد "ضياء الدين الطباطبائى" و السيد "محمد صادق الطباطبائى" (٤) فى جميع أعماله الحكوميه و يشاركانه فى مساعيه و تخطيطاته بصوره شخصيه، إذ لم تكن لهما صفة رسميه فى حكومته.

و نشر "السبهدار" بيانه الوزارى لا على المجلس النيابى، إذ كان هذا المجلس معطلا، بل على الرأى العام مباشره. و فيه تذكير بسوء الأحوال و تعقد المشاكل و صعوبه العمل. و فيه وعد بافتتاح المجلس النيابى فى أسرع وقت ممكن نتسلم إليه مقدرات الأممه.

و لم تلبث هذه وزاره، و هى فى زحمه الصعاب و المخاوف، إن تلتقت من الحكومه الإنكليزيه مذكره تطلب فيها وضع كتيبه القوزاق تحت إمره قياده إنكليزيه، و تذكر أن منح الحكومه الإنكليزيه إيران مساعده ماليه أصبح موضع اعتراض من مجلس العموم الانكليزى و رجال السياسيه الإنكليز. و أن الإلحاح يشتد على الحكومه الإنكليزيه بوجوب استدعاء العسكر الانكليزى من إيران. و فى المذكره إنذار بان الحكومه الإيرانيه إن كانت راغبه عن صداقه انكلترا مستغنيه عن مساعدتها فانكلترا تعد ذلك مصلحه لها تغتنمها و تتنحى من إيران.

و كان الفصل فى موضوع هذه المذكره من شان المجلس النيابى وحده.

و إذ كان المجلس معطلا- فقد ارتأى "أحمد شاه" تشكيل مجلس شورى ينوب موقتا عن المجلس النيابى للفصل فى هذا الموضوع. و هو تدبير له سابقه فى تاريخ تلك الحقبة فى إيران.

و تشكل المجلس من نخبه من الأمراء و الوزراء و رجال الدين و التجار و الأعيان و النواب. و عقد جلسه فى يوم السبت ١٦ ربيع الأول سنه ١٣٣٨ هـ. ق. و افتتح الجلسه "أحمد شاه" ببيان مختصر ثم غادرها.

و انتهت أبحاث هذا المجلس إلى الإجماع على أن لا حق لهم فى الفصل فى موضوع المذكره الإنكليزيه، و أن الحق فى ذلك هو للمجلس النيابى وحده، و من ثم أوصوا رئيس الوزراء بالاسراع بافتتاح المجلس.

فى هذه الأثناء، كانت مفاوضات مندوب "مشير الدوله" لمسئولى الحكومه البلشفيه فى موسكو قد انتهت إلى نتيجة طيبه، إذ وفق فى أوائل سنه ١٩٢١ م إلى تنظيم معاهده بين إيران و الاتحاد السوفياتى تحفظ حق إيران كاملا- فى علاقتها بالاتحاد السوفياتى. و تتالف من ٢٦ ماده. و أرسل مندوب إيران فى موسكو نسخه عنها إلى حكومته للموافقه.

و أوقع تنظيم هذه المعاهده "السبهدار" رئيس وزاره فى الحرج

- ١- قائد الجيش الانكليزي في إيران سنة ١٩٢٠ م و هو المدير الأول للانقلاب الذي حصل بعد ذلك.
- ٢- الشهر الثامن من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله أيلول و تشرين الأول.
- ٣- هو أحد العسكريين الذين حضروا إلى إيران بعد عقد معاهده ١٩١٩ في عهد وزاره " وثوق الدوله " للتحضير لانشاء الجيش الايراني و تولى الشؤون العسكريه التي نصت عليها المعاهده. و كان يومئذ في حكم المستشار في وزاره الحربيه الإيرانيه.
- ٤- نائب سابق في المجلس النيابي الذي انتخب سنة ١٣٢٧ هـ. ق. بعد خلع محمد علي شاه. ثم سفير إيران في أنقره، ثم رئيس الجمعیه التأسيسيه سنة ١٣٢٨ هـ. ش.

فالموافق عليها تغضب الإنكليز و هو حريص على إرضائهم. و رفضها يغضب الشعب الايراني و يعده خيانه له، إذ هي معاهده تقيم بين الدولتين علاقات مستقيمه طيبه تحفظ حق إيران و كرامتها.

فاخذ "السبهدار" يماطل في الجواب لعله يجد مخرجا. و ظل يماطل إلى أن أزمه المندوب الايراني في موسكو بوجوب المبادره إلى الجواب لأن المسئولين السوفيات عيل صبرهم من المماطله. فلم يجد "السبهدار" وسيله سوى أن يعهد بالفصل في أمر هذه المعاهده إلى مجلس الشورى الآنف الذكر فيتخلص من المسئوليه عند السفاره الإنكليزيه إن كانت النتيجة إيجابيه و عند الشعب إن كانت سلبيه.

أما السفاره الإنكليزيه، و قد خاب سعيها في توسيع الشقه بين دولتي روسيا و إيران، فكانت تعلم أن مجلس الشورى لا يستطيع رفض المعاهده لأن ليس فيها ما يضر بايران بل فيها منفعه كبيره لها. و من ثم عمدت إلى تدبير آخر. فدعت في أوائل سنه ١٩٢١ م الموافق للنصف الأول من شهر دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش. الرعايا الإنكليز و سائر الأوربيين المقيمين في طهران إلى مغادرتها لاحتمال غزو البلاشفه لها. و نشر "البنك الشاهنشاهي" ^(١) بيانا دعا فيه أصحاب الودائع إلى استرداد ودايعهم منه.

و كان ذلك كله قبل يومين من عرض المعاهده الإيرانيه السوفياتيه على مجلس الشورى. و القصد منه التحويل بان الجيش الانكليزي عازم على الخروج من إيران و تركها فريسه للبلاشفه. و شيء آخر هو التلويح لمجلس الشورى بأنه إن وافق على تلك المعاهده تصبح بريطانيا في حل من عهدتها بالدفاع عن إيران، إذ أن إيران نفسها اختارت الارتباط بالبلاشفه. و من ثم يتردد المجلس في إبرامها خشيه أن تتخلى إنكلترا عن إيران و تركها فريسه للروس.

و لكن مجلس الشورى اجتمع في الثامن من كانون الأول سنه ١٩٢١ م الموافق ١٨ دى ^(٢) سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و وافق على المعاهده الإيرانيه السوفياتيه و آذنت الحكومه مندوبها في موسكو بذلك. ^(٣)

و شاع في طهران أن الرعايا الإنكليز عازمون على الرحيل عن إيران و أن "البنك الشاهنشاهي" قد ألغيت فروعه في بعض المحافظات تمهيدا لاغلاقه بل أخذ بعض الإنكليز يبيعون أثاث بيوتهم. و استدعت السفاره الإنكليزيه رؤساء الادارات و المتاجر الإنكليزيه فعدوا جلسه أبلغتهم فيها السفاره أن على كل إنكليزي يمكن الاستغناء عن خدماته المبادره إلى السفر من إيران.

و جاءت هذه الحوادث ضغثا على إباله الفساد المزمن و الأزمت المتلاحقه، و زادت في نقمه الناس و نفورهم، خصوصا حين شاع بينهم خبر المذكرة التي بعثت بها السفاره الإنكليزيه إلى الحكومه و شاع أن الإنكليز قطعوا مساعدتهم الماليه عن إيران. فقامت تظاهرات في طهران و غيرها من الولايات. و الأمور على هذا المنوال تسير من سيئ إلى أسوأ.

و أمر "أحمد شاه" بانعقاد مجلس الشورى للنظر في حل يرثيه أهل الفكر و رجال السياسه و الاقتصاد. فعقد هذا المجلس ثلاث جلسات ما بين التاسع عشر و الرابع و العشرين من شهر دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش. فلم يحصلوا على شيء. و قام زعيم كردى بثوره مسلحه في كردستان و أذربيجان.

و عجز "السبهدار" رئيس الوزاره عن مواجهه الصعوبات فلم يجد بدا من الاستقاله. فاستقال في الخامس و العشرين من شهر دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

فى عهد هذه الوزارة كان توقع حدوث انقلاب عام. بل أقدم بعض الساسه و الرؤساء على تهيئه مقدماته و محاولته من عهد وزاره "وثوق الدوله" ثم "مشير الدوله". و لكن الظروف لم تؤاتهم. بل حاول "أستار ولسكى" الروسى قائد فرقه القوزاق نفسه أن يقوم بانقلاب فى عهد وزاره "مشير الدوله" و يقطع طريق الإنكليز و نضجت فكره الانقلاب عند ساسه الإنكليز حتى أصبحت نيه قاطعه. بل ذكر بعض الصحف الأوربيه يومئذ أن الجنرال "إسمايلز" (٤) و الجنرال "يكسن" (٥) الإنكليزيين يقومان بنشاط يتوخى هذه الغايه، و كثر الحديث فى إيران أن السيد "ضياء الدين الطباطبائى" يشار كهما فى هذا النشاط.

سياسه بريطانيا فى إيران

كانت انكلترا قررت سنه ١٩٢٠ م تخفيض نفقات قواتها المسلحه.

و لذلك قررت استدعاء عساكرها من إيران بعد تمهيد الأمور فيها بما يكفل تحقيق مصالحها. و ضربت موعدا للجلاء أول شهر نيسان من سنه ١٩٢١ م الموافق ١٠ فروردين (٦) سنه ١٣٠٠ هـ. ش.

و لكن تطور الأوضاع فى روسيا بعد انتصار الثوره البلشفيه و تزايد قوه الاتحاد السوفياتى. يوما فيوما، و هو جار إيران، حملها على انتهاج تخطيط آخر تقتضيه التطورات الجديده. و انتهى البحث و التفكير عند ساستها إلى وجوب إحاطه الاتحاد السوفياتى بحكومات مواليه لانكلترا، معاديه للسوفيات. حكومات قويه متسلطه تحكم الدول التى تجاور الاتحاد السوفياتى و تكون سدا منيعا فى وجهه. و هذا ما أرادت فعله فى إيران قبل استدعاء عساكرها منها.

و هو يقتضى إقامه قوه عسكريه محليه متمكنه. و كانت وسيلتها إلى ذلك توحيد الكتيبتين العسكريتين اللتين لا تملك إيران غيرهما، و هما كتيبه القوزاق و كتيبه الدرك، فى كتيبه عسكريه واحده يتولى قيادتها ضباط إنكليز.

و التمهيد من ثم لانشاء جيش إيرانى برعايتهم و توجيههم. و لذلك كان الإنكليز لا ينفكون يطلبون من المسئولين الايرانيين عزل الضباط الروس عن قياده الكتيبه القوزاقيه و وضعها تحت قيادتهم، إذ أنهم لا يستطيعون السيطرة عليها ما دامت فى أيدى هؤلاء الضباط، و إن كانوا قد قطعوا صلتهم بروسيا البلشفيه. و الإنكليز لا يطمنون أيضا إلى مواليه هذه الكتيبه لهم و لو تنحى الروس عن قيادتها، إلا- إذا نظمت وفق تخطيطهم. فعليهم إذن إبعاد قادتها الروس، و عليهم نزع سلاحها و دمجها فى القوه العسكريه الموحداه المنوى إنشاؤها. ثم تسليح هذه القوه و تدريبها وفق خططهم.

ص: ١٧٤

١- بنك إنكليزى حصل الإنكليز على امتيازاه فى زمن "ناصر الدين شاه" سنه ١٨٨٩ م و ١٣٠٦ هـ. ق. و كان يتولى إصدار النقد الورقى.

٢- الشهر العاشر من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه و يقابله كانون الأول و كانون الثانى.

٣- بعد عام تقريبا من هذا التاريخ عرضت هذه المعاهده على المجلس النيابى فوافق عليها بالإجماع. و قد وفى الاتحاد السوفياتى بتعهداته التى فيها فور الموافقه عليها من مجلس الشورى و قبل عرضها على المجلس النيابى.

٤- كان "إسمايلز" موظفا فى قياده كتيبه الدرك الإيرانيه. و كان "ديكسن" فى وزاره الحريه. و كلاهما من بقايا الخبراء و

المستشارين الذين وفدوا إلى إيران فور عقد معاهده سنه ١٩١٩ م.

٥- كان "إسمائيلز" موظفا في قياده كتيبه الدرڪ الإيرانيه. و كان "ديكسن" في وزاره الحربيه. و كلاهما من بقايا الخبراء و

المستشارين الذين وفدوا إلى إيران فور عقد معاهده سنه ١٩١٩ م.

٦- الشهر الأول من السنه الهجريه الشمسيه الإيرانيه.

و أمر آخر أهم الساسه الإنكليز هو تبينهم ضعف عسكريهم المقيم في إيران، بعد انهزامهم من وجه البلاشفه في الشمال على ذلك النحو المعيب.

فقد ظل الجيش الانكليزي في إيران ليدفع عنها غزوا بلشيفيا محتملا. و لكن جنوده فروا سريعا بمجرد نزول الجنود الحمر في مرفا "أنزلى"، فاخلوا هذا المرفا و أخلوا بعده رشت و سلموهما إلى البلاشفه. و لذلك يمكن أن لا- يثبت هذا الجيش في وجه البلاشفه إذا اتحدوا.

المقابلة التاريخيه

و قد قضت هذه الانكسارات على معنويات الجنود الإنكليز و أفقدتهم الثقة بأنفسهم. و لذلك استدعت الحكومه الإنكليزيه في ١ تشرين الأول سنة ١٩٢٠ م قائد جيشها المقيم في إيران و أرسلت إليها بدلا منه الجنرال "السير إدموند آيرن سايد". و كانت مهمته إنعاش معنويات الجنود الإنكليز، و وقف تقدم البلاشفه من جيلان إلى الجنوب، و انتزاع قياده القوزاق من يد الروس و إنشاء قوه عسكريه محليه موحدته تسند قيادتها إلى الإنكليز و تكون دعامة حكومه إيرانيه قويه مواليه لهم تبسط سيطرتها على جميع نواحي البلاد و تقف سدا في وجه المد البلشفي. و بعد الاطمئنان إلى تمكن هذه التدابير تجلو العساكر البريطانيه عن إيران. و كان عدد الجيش الانكليزي المقيم في إيران سته آلاف جندي منتشرين فرقا في الشمال.

و قبل استقاله وزاره "مشير الدوله" ببضعه أيام ذهب "الجنرال آيرن سايد" في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ م إلى "آق بابا" حيث يعسكر القوزاق، و أحاط معسكرهم بقسم من جنوده مسلحين بالرشاشات.

فعل ذلك لا- بقصد المحاربه بل من باب الاحتياط خوفا من وقوع حوادث ليست في الحسبان. ثم دخل المعسكر و معه "الكولونيل كاظم خان" أحد ضباط الدرک. و طلب مقابله كبار ضباط القوزاق لمباحثتهم في أمور مهمه.

فلما حضروا عرض عليهم على شكل اقتراح في الظاهر ما كان أمرا مقررا في الواقع. و كان "كاظم خان" يترجم كلامه إلى الفارسيه. قال:

جئت أبلغكم أننا ننوي مساعدتكم بعزل الضباط الروس المستخدمين عند الدوله و إحلال ضباط إنكليز في محلهم يقومون بإنشاء تشكيلات عسكريه منظمه، و توفير كل وسائل الراحة و القوه اللازمه لكم. و من أجل ذلك لا بد من نزع سلاح القوزاق الايراني مؤقتا ريثما يصل المدربون الإنكليز و يتسلموا مهمتهم و يعاد تشكيل القوزاق على نحو جديد.

فسكت الضباط القوزاقيون و لم يجيبوا بشيء إلا أن العقيد "رضا خان" قطع هذا السكوت و أجاب بجرأه متناهيه و نبره جمهوريه قائلا: نحن قوزاق صاحب الجلاله الشاهانيه و خدام دوله إيران. و في كل الأمور لا نطيع غير الأوامر التي تصدر إلينا من الحكومه المركزيه. و لذلك لا نستطيع الرد على اقتراحكم بالإيجاب. فان يكن عندكم اقتراح أو مطلب فاعرضوه على الحكومه المركزيه فان وافقت عليه أمرتنا به فأطعناه. أما الآن فلا نستطيع قبول شيء من أوامرکم و هي تعرض علينا بهذه الكيفيه.

و عندئذ اتخذ الجنرال "آيرن سايد" مظهرها وديا بشوشا، و أجاب بالغلغه الفارسيه - و كان ملما بها - و هو يتسم متوددا:

المعذرة! فان المترجم لم يحسن إفهامكم مرادى. فانا لم أكن أقصد ما أفاده كلامه. و كل مرادى هو أن نتعاون، يدا بيد، لانقاذ وطنكم من الفتن.

ثم ودعهم متوددا إليهم مصافحهم واحدا واحدا، و انصرف بلا نتيجته. و لكنه أعجب بجرأه "رضا خان" و ثبات جاشه و قرر أن يستفيد منه فى تحقيق خطته. و كانت هذه المقابلة مبدأ انطلاق "رضا خان" فيما بعد إلى عرش إيران! و بعد بضعة أيام من هذه الواقعة أرسلت السفاره الإنكليزيه إلى حكومه "مشير الدوله" هذه المقترحات التى عرضها "آيرن سايد" على الضباط القوزاق فى معسكرهم بقريه "آق بابا". أرسلتها على شكل اقتراح أو مذكره و طلبت المبادره فورا إلى عزل الضباط الروس عن قياده القوزاق.

فرفضها "مشير الدوله". و كان رفضه لها السبب فى مضايقه الإنكليز له حتى اضطروه إلى الاستقاله. ثم أرسلتها السفاره بصوره مذكره إلى وزاره "السبهدار" كما تقدم.

و كان القوزاق على وضع مادى و نفسى سيئ جدا. فقد انقطعت عنهم رواتبهم حين قطع الإنكليز مساعدتهم المالىه عن إيران فى أواخر عهد "مشير الدوله" و كانت رواتب القوزاق تعطى من هذه المساعده، و كذلك أسقطت هزيمتهم فى الشمال معنوياتهم. و كان "آيرن سايد" يسعى إلى كسبهم بوعدهم بتلافى هذه النقائص، و من ثم تكرر اجتماعه بالرؤساء العسكريين الايرانيين فى معسكر القوزاق فى "آق بابا".

"رضا خان" قائد الانقلاب

بدأ تحضير الإنكليز للانقلاب فى إيران من أواخر عهد وزاره "مشير الدوله". و كانت قزوين مركز نشاطهم الأول. ففيها المقر الأصلى لجيشهم. و قد بلغت سيطرتهم عليها إلى أن سمووا شوارعها و أزقتها بأسماء إنكليزيه. و بعد أن قلب المخططون، من انكليز و إيرانيين، النظر كثيرا فى اختيار الأداة العسكريه للانقلاب استقر رأيهم على ترشيح كتيبه القوزاق لهذه المهمه و اختيار رئيس فوج همدان القوزاق "رضا خان" لقيادتها. و كان هذا يقيم مع فوجه فى نواحى قزوين. و فيها أيضا عمده الكتيبه القوزاقيه من ضباط و جنود. و لذلك كان مدبر و الانقلاب، و منهم السيد "ضياء الدين الطباطبائى" يترددون إلى قزوين لتهيئه وسائل الانقلاب ثم كانت هذه المدينه نقطه انطلاقه.

و استمر التحضير مده وزاره "السبهدار". و كان المدبر الأول له الجنرال "آيرن سايد". و فى هذه المده أصبح هذا قائد القوزاق الأعلى بصوره مؤقته ربما [ربما] تحضر من إنكلترا هيئه دائمه لقيادتهم. و كان يعاونه ضابط إنكليزى اسمه "الكولونيل اسمائس". و أصبحت كل شئون القوزاق المهمه فى يد الإنكليز.

و اجتمع "آيرن سايد" أكثر من مره بالضابط القوزاقى "رضا خان" و صادقاه و استماله إليه. و كان شديد الاعجاب به، و مثله "الكولونيل إسمايس". و أبعد هذان "السرदार همايون" رئيس الكتيبه القوزاقيه عن قزوين، و فوضا أمور هذه الكتيبه إلى "رضا خان".

و ذكر "آيرن سايد" فى مذكراته أن آخر اجتماع حصل بينه و بين "رضا خان" كان فى يوم ١٢ شباط سنه ١٩٢١ م الموافق ٢٣

دی سنه ۱۲۹۹ ه. ش. (أی قبل یومین من استقاله وزاره "السبهدار" فی (گراند اوتیل) فی قزوین. و ذکر أنه لم یر أحدا من ضباط ایران له صراحه رضا خان و استقامته و أنه أبلغه أنه ینوی إطلاق یده فی العمل بلا سيطرة منه علیه. و أنه أخذ علیه تعهدا بان لا یتعمل ما بضعه الإنکلیز فی تصرفه من

ص: ۱۷۵

أسلحه و عدد لظعنهم بها غدرا من وراء ظهورهم. و تعهدا بان لا يقدم بعد حضوره إلى طهران على خلع الشاه بوجه من الوجوه. (1) و فى ختام الجلسه أمر "آيرن سايد" الكولونيل "إسمائيس" أن لا يمنع "رضا خان" من الاقدام على كل عمل يريد أن يقوم به.

و قال "آيرن سايد" أيضا فى مذاكراته:

"الحق أن ديكتاتوراً عسكرياً يحكم فى إيران يحل كل مشاكلنا الحاضره، و يفسح المجال للجيش الانكليزى أن يغادر أرض إيران بلا مشقه و لا مخاطره".

و بعد يومين من اجتماع "آيرن سايد" و "رضا خان" فى "جراند أوتيل" استدعت الحكومه الإنكليزيه "آيرن سايد" إلى مهمه فى بغداد.

فذهب قبل سفره إلى طهران ليستأذن الشاه. و يودعه. و حسن للشاه إحضاره العقيد "رضا خان" إلى طهران. و قال له: خساره أن يبقى مثل هذا الضابط الكفاء فى قزوين متعطلاً لا يستفاد من كفاءته و مواهبه فى محل مثمر.

و ذهب "آيرن سايد" إلى السفاره الإنكليزيه ليودع السفير. و هناك روى للسفير تفاصيل الخطه التى اختطها للقيام بالانقلاب. يقول "آيرن سايد" فى مذاكراته: "لما رويت للسفير ما اتفقنا عليه أنا و رضا خان ذعر السفير و قال: إذا حضر هذا الرجل إلى طهران فلا بد من أن يسقط الشاه عن عرش السلطنه.

و هكذا رأى الإنكليز، بعد سلسله من المداولات و الاختبارات و المباحثات السريه، أن "رضا خان" أليق المرشحين لقياده الانقلاب العسكري، لما امتاز به فى نظرهم من جرأه و رباطه جاش و ذكاء، و من مهابه فى مظهره العسكري، فتقرر إسناد هذه المهمه إليه. و تقرر أيضا أن يكون "السيد ضياء الدين الطباطبائى" القائد المدنى للانقلاب يتولى رئاسه الوزاره بعد القيام به. و على هذا حصل الاتفاق بين العسكريين الإنكليز و رضا خان مع ما كان يكتنم هذا من احتقار للطباطبائى.

و لما تم الاتفاق على ذلك أصدرت السفاره البريطانيه بيانا كذبت فيه الاشاعه التى سبق أن نشرتها هى نفسها، و هى أنها أشارت على الرعايا الإنكليز و الأوروبيين بمغادره إيران، و أن "البنك الشاهنشاهى" سيغلق.

و كانت هذه الاشاعه قد زيد فيها أيضا أن السفاره نفسها عازمه على الانتقال من العاصمه لاحتمال وصول البلاشفه إليها و احتلالهم لها. فكذبت السفاره ذلك كله و طمانت الطهرانيين و كل الايرانيين إلى أن ليس فى النيه شىء من ذلك و أصبح القوزاق يعطون روايتهم بانتظام، و تحسنت أحوال معيشتهم من لبس و طعام و أمثال ذلك. و تعاهد السيد "ضياء الدين الطباطبائى" و العقيد "رضا خان" و ثلاثه من الضباط الايرانيين على الاتحاد فى القيام بالانقلاب و أقسموا يمينا على ذلك و مهروا بأختامهم على ظهر القرآن.

التمهيد للعمل العسكري

و أراد الانقلابيون أن لا يتعرضوا لمقاومه حين ورودهم طهران. و كان ورودهم بغير إذن من الحكومه المركزيه يعد غير شرعى،

و من ثم لا- بد من أن تتصدى الحكومه لمنعهم من دخول العاصمه. فان رفضوا قاومهم جند طهران من الدرك و الشرطه و القوزاق. و هم يريدون تجنب القتال و سفك الدماء.

و من أجل ذلك ارتأوا أن يوهموا "أحمد شاه" أن جماعه من السياسيين قد واطئوا جماعه من ضباط الدرك فى العاصمه على القيام بانقلاب. و من الخير له أن يستقدم خمسمائه جندى من القوزاق المقيمين فى قزوین إلى طهران يكونون بالمرصاد لمن تحدته نفسه بالسوء. فان قبل الشاه كلامهم استطاعوا أن يجعلوا الخمسمائه من القوزاق المطلوبين ألفين و خمسمائه هم القوه المهياه للقيام بالانقلاب.

و صدق "أحمد شاه" كلامهم و بادر فوراً إلى إرسال أمر إلى قزوین يأذن فيه لخمسمائه قوزاقى بالحضور إلى طهران متظاهرين بأنهم يريدون زياره عائلاتهم و قبض رواتبهم.

و حملوا الشاه أيضا على أن يأمر بعض ضباط الدرك فى العاصمه - و كانوا من السويديين - بان لا يتعرضوا للقوزاق إذا قدموا إلى طهران. أمرهم بذلك فى السر. كما أن الانقلابيين واطئوا فريقا آخر من ضباط الدر كالسويديين و الايرانيين على السماح للقوزاق بدخول طهران. و استطاعوا أن ينزعوا زناد المدافع المستقره فى مركز مدفيعه الدرك.

و أرسلوا فرقه من العسكر الانكليزى المقيم فى قزوین إلى مدينه كرج بالقرب من طهران لتكون عوناً للقوزاق المهاجمين إذا اقتضى الأمر ذلك.

و قد تم تحضير كل هذا بمنتهى الاحتياط و الكتمان. و ما حل يوم ٢٥ بهمن سنه ١٢٩٩ هـ. ش. إلا كان كل شىء جاهزاً. و فى هذا اليوم سافر السيد "ضياء الدين الطباطبائى" من طهران إلى قزوین لتهيئه مقدمات العمل.

وزاره "السبهدار" الثانيه

و فى يوم ٢٨ بهمن (٢) سنه ١٢٩٩ هـ. ش أى بعد سفر الطباطبائى إلى قزوین بثلاثه أيام، شكل "السبهدار" الوزاره مره ثانيه. و قد تقدم أن وزاره "السبهدار" الأولى استقالت فى ١٤ شباط سنه ١٩٢١ من الموافق ٢٥ دى سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

و بعد استقالتها يوم ذاك طلب "أحمد شاه" من بضعه رجال من السياسيين تشكيل الوزاره فرفضوا كلهم. و كان السبب الأول لرفضهم هو عجزهم عن التوفيق بين المطالب الإنكليزيه و الإراده الشعبيه. فطلب الشاه من نواب المجلس المعطل الحاضرين فى طهران عقد جلسه غير رسميه، و كان عددهم يحقق النصاب القانونى، و استشارهم فى أن يعهد إلى "السبهدار

ص: ١٧٦

١- ذكر "السيردنييس رايت" و هو سفير سابق لبريطانيا فى إيران، فى كتابه له بعنوان "الإنكليز بين الايرانيين" أن "رضا خان" لما تمكنت أموره فى طهران أرسل أحد خواصه إلى لندن يلتمس من الجنرال "آيرن سايد" أن يحله من هذا العهد الذى عاهده فى تلك الليله التاريخيه من ١٢ شباط سنه ١٩٢١ م. فأجابه "آيرن سايد" يثنى على هذه الاستقامه فى خلقه، و يقول: إذ أننى

علمت بنفسى من مصادر موثوق بها كل الثقه أن الأممه الإيرانيه راغبه فى تغيير الاسره الملكيه، فان العقيد "البهلوى" (رضا خان) فى حل من العهد الذى عاهد.

٢- اسم الشهر الحادى عشر من السنه الهجرية الشمسيه الإيرانيه.

الأعظم" مره ثانيه بتشكيل الوزاره فوافقوا. و هكذا كان. و طالت مشاورات "السبهدار" مده شهر تقريبا حتى شكل الوزاره.

و فى اليوم الرابع من تشكيل الوزاره أعلن "السبهدار" قيام الحكم العسكرى فى البلاد و توسيع صلاحيات الشرطه و أمثالهم من رجال الأمن باعطائهم صلاحيات قضائيه فى تعقب المطلوبين و مجازاتهم. و المشهور أن بيان "السبهدار" الذين نشره بهذا الشأن و سائر بياناته كان يكتبها له السيد "ضياء الدين الطباطبائى".

فى ذلك الحين كان توقع حدوث انقلاب عاما. انقلاب يفرض نوعا من الحكم بالقوه و السلاح. و فى ذلك الحين نشطت السفاره الإنكليزيه إلى حث الرعايا الإنكليز على مغادره إيران. و بدت مظاهر تهيتهم للرحيل واضحه، و استمر "البنك الشاهنشاهى" فى إجراءاته التى تحسب تمهيدا لاغلاقه، و رأى غير الإنكليز من الأوروبيين المقيمين فى إيران أن ما ينطبق على الإنكليز ينطبق عليهم فعليهم أن يرحلوا أيضا. و راجعوا سفاراتهم بهذا الشأن، فكان رأى بعض السفارات أن لا خوف عليهم، و أن للسفاره الإنكليزيه غايه أخرى من هذا غير وقايه رعاياها من خطر محتمل الوقوع. (١)

و تكررت مقابلات السفير الإنكليز للشاه، و قل أن مر يوم لم يزر فيه هذا السفير الشاه. و أخذ الشاه على أثر هذه الزيارات يبدو كاسف الحال مستوحشا. و فكر فى أن يترك طهران و يجعل شيراز عاصمه للمملكه، و أن يسافر إلى أوروبا أو إلى جنوب إيران. و زادت هذه الأخبار فى خوف الناس و يأسهم. ثم صرف الشاه عن عزمه جماعه من رجاله أقتعوه بالبقاء فى طهران. و لكن السفاره الإنكليزيه كانت قد حققت ما ترجوه من إخافه الشاه و الرعيه و زعزعه طمأنينتهم و معنوياتهم و خشيتهم من تسلط البلاشفه.

الزحف إلى طهران

فى منتصف الساعه السادسه من مساء اليوم التاسع و العشرين من شهر بهمن سنه ١٢٩٩ هـ. ش. الموافق ٢٢ شباط سنه ١٩٢١ م (ثانى يوم تشكيل وزاره "السبهدار") تحركت وحدات القوزاق المقيمه فى قزوین، و عدتها بين ٢٥٠٠ و ثلاثه آلاف، بقيادة العقيد "رضا خان" من قزوین قاصده إلى طهران، و معها أربع عربات مدافع و تجهيزات حربه أخرى.

و ساروا حتى وصلوا إلى محله تعرف باسم "ينجى إمام" فعسكروا فيها.

و يجدر بالذكر أن القيادة العسكريه الإنكليزيه كانت قد استقدمت إلى قزوین، قبل تحرك القوزاق منها ببضعه أيام، ثلاثه آلاف جندى من عسكرها ليشغلوا المراكز التى ستخلو من القوزاق حين زحفهم إلى طهران.

و فى اليوم الأول من شهر إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. تركوا "ينجى إمام" و ساروا متوجهين إلى العاصمه. و قبل مسيرهم قطعوا كل الأسلاك البرقيه و التلغرافيه الممتده بين طهران و قزوین.

و فى ذلك اليوم نفسه تلقت الحكومه خبر هذا الزحف. فبادرت فورا إلى إرسال رئيس الكتيبه القوزاقيه "السردار همايون" فى طريق قزوین لمنع القوزاق القادمين من دخول طهران. فلما وصل إليهم اعتقلوه و أهانوه ثم أطلقوا سراحه. و فى اليوم الثانى من شهر إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. عقدت الوزاره اجتماعا طويلا. و بعد المذاكره و انفضاض الجلسه أصدر وزير الحربه التعليمات

اللازمه إلى موظفيه و أمر باتخاذ التدابير التي يقتضيها هذا الظرف.

و في ذلك اليوم نفسه، أى الثانى من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

شاع فى طهران أن الفرقة القوزاقية المقيمه فى قزوین و يرئسها "رضا خان"، و عدد أفرادها ١٥٠٠ جندى تقريبا، قد تحركت من قزوین قاصده طهران من غير أن تتلقى أمرا بذلك من المراجع الرسميه المختصه.

و ذهب مخبرو الصحف يستطلعون الأمر و عادوا بانباء تفيد أن قدوم القوزاق سببه استيائهم من بعض التصرفات، و منها تأخير روايتهم. و أنهم لن يتعرضوا للأهالى بأذى.

و أمر رئيس الوزراء بمراعاة قوانين الحكم العسكرى فى المدينه و تطبيقها تطبيقا كاملا، و سير درويات من الحرس الفرسان و المشاه تحفظ النظام فيها و أصدر رئيس الوزراء فى ذلك اليوم أيضا بيانا أعلن فيه أنه أقال، بناء على أمر ملكى، "السرदार همايون" من رئاسه كتيبه القوزاق. و أعلن فيه أيضا أن سبب ذلك هو أن جماعه من كبار الضباط القوزاق كانوا قد استقالوا من مناصبهم على أثر اختلاف فى الرأى بينهم و بين رئيسهم. و أن رئيسهم "السرदार همايون" قبل استقالتهم من غير أن يرجع إلى من فوقه من الرؤساء. و لهذا سيعادون إلى مناصبهم التى كانوا فيها. و كان القصد من هذا البيان استرضاء القوزاق و استمالتهم.

أما الشاه فقد ظل يجهل كل شىء عن هذه المؤامره إلى أن بلغه خبر وصول القوزاق إلى "ينجى إمام" و أن عددهم حوالى ٢٥٠٠ جندى، فارتاب فى الأمر. و كانت قد بلغته أشياء عرف منها أن ما زعموه من تامر ضباط من الدرک و بعض السياسيين عليه كان كذبه أريد بها خداعه لافساح طريق القوزاق إلى طهران. و أراد أن يكلم رئيس معسكر القوزاق الذين فى "ينجى إمام" ليأمره بالعوده إلى قزوین. فاخذ سماعه التلفون بنفسه و طلبه فقبل له إن الرئيس غائب. و أراد أن يكلم غيره من الضباط فتجاهلوه و لم يصغوا إليه.

و لم يكن رئيس الوزاره "السبهدار الأعظم" يتصور أن حركه القوزاق على هذه الدرجه من الأهميه، إذ كان ظاهر أمرهم أنهم قادمون لزياره أرحامهم بعد طول الغياب، و ليرفعوا شكواهم إلى المراجع المسئوله من طول إهمالهم، و ليطالبوا بتحسين أحوالهم و إنصافهم. و فى غروب اليوم الثالث من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. عقدت وزاره "السبهدار" جلسه استثنائيه عرف فيها "السبهدار" أن مجىء القوزاق ليس على هذا النحو من البساطه، و أن وراءه أمرا أعظم. و شاع فى المدينه أن القوزاق القادمين قد حالفوا الثوار الشيوعيين، و أنهم قادمون لاحتلال طهران و نهبها و التكنيل بأهلها. فذب الرعب فى أنحاء المدينه.

و أهم قدوم القوزاق "السبهدار" و أخافه. فارتأى، بعد انقضاء بضع ساعات من الليل، إرسال وفد من قبله إليهم لمفاوضتهم و إقناعهم بالرجوع عن طهران.

فى تلك الساعه من ذلك اليوم (٣ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش.) كان جيش القوزاق بقياده "رضا خان" قد حط رحاله و عسكر فى مجله [مجله]

١- بعد اتفاق مخططى الانقلاب الإنكليز و "رضا خان" و السيد "ضياء الدين الطباطبائى" عادت السفاره فكذبت هذه الأمور كما تقدم.

"مهرآباد" قريبا من طهران. و كان السيد "ضياء الدين الطباطبائي" قد أعلن هناك أيضا أن الضابط "رضا خان" هو من الآن فصاعدا رئيس كتية القوزاق و هو قائدها العسكري. فتلقى ضباط القوزاق و جنودهم هذا الاعلام بالحماسه و الهتاف.

و شكل "السبهدار" وفده من ضابطين إنكليزيين و معاون في هيئه الوزاره، انطلقوا إلى "مهرآباد". و هناك تلقاهم حرس القوزاق القائم على مداخل المعسكر. و جرى حوار بين الطرفين لم يحصل منه الوفد على نتيجة و لا تمكن من مقابله المسئولين عن الجيش، فعاد إلى طهران و أطلع رئيس الوزاره على ما جرى. و وجد هذا نفسه في مازق لا مخرج منه، و أهمته نفسه حتى أنه فكر في الفرار، و قيل إنه التجأ إلى السفارة الإنكليزيه.

و في منتصف الساعه الثامنه من تلك الليله جاءت إلى معسكر القوزاق في "مهرآباد" أيضا سيارتان تحمل إحداهما مندوبين، مندوب من قبل الشاه و مندوب من قبل رئيس الوزراء، و الأخرى تحمل مندوبين من قبل السفاره الإنكليزيه جاءوا يحاولون ثني قياده القوزاق عن عزمها على دخول طهران.

و طلبوا مقابله القائد العام. (1)

و لكن السيد "ضياء الدين الطباطبائي" جعلهم ينتظرون ساعه كامله. فقد كان المقرر أن يتحرك القوزاق إلى طهران في تمام الساعه التاسعه. فأراد الطباطبائي تأخير المقابله إلى ما قبيل هذه الساعه فلا يتسع الوقت الفاصل بين بدء المذاكره و موعد الحركه لاستكمال الحوار بين الوفدين و "رضا خان"، إذ يحل الموعد و يتحرك الجيش قبل انتهاء المذاكره و الوصول إلى نتيجة، فيضع الوفدين في الأمر الواقع. بل يضع "رضا خان" نفسه أيضا في الأمر الواقع إذا حدثته نفسه بان يلين لهم. و كان قد لقن "رضا خان" ما عليه أن يقوله جوابا على خطاب الوفدين. فلما حانت الساعه التاسعه، و المذاكره لا تزال جاريه، أمر السيد "ضياء الدين الطباطبائي" حامل البوق بان يؤذن الجيش بالتحرك، ففعل. و تحرك الجيش و المذاكره لا تزال دائره لما تنته بعد، و سبق السيف العذل.. و سار الجيش القوزاقى إلى طهران.

تحرك الجيش قاصدا طهران و بقى السيد "ضياء الدين الطباطبائي" في "مهرآباد" يحتجز رجال الوفدين لا يسمح لهم بالعوده إلى طهران زاعما أنه لا- يأمن عليهم الطريق إذ هي مشغوله بالجنود و يخشى أن يتعرض لهم أحد بسوء. و أصر وفد السفاره الإنكليزيه، و هو يتالف من ضابطين كبيرين، على طلب السماح له بالعوده ليحول دون إراقه الدماء إذا أقدمت حاميه طهران على المقاومه، و لكن الطباطبائي رفض السماح له.

و فيما هم في ذلك إذا برضا خان يعود إلى "مهرآباد" و يخبر الطباطبائي بان رجالا- من حاميه طهران تلقوهم عند مدخل المدينه و أبلغوهم أنهم مأمورون بمنعهم من دخول العاصمه. و أنه عاد ليسأل ما هو تكليفه. فلم يتردد الطباطبائي و أمره فورا بالمقاومه و مقابله القوه بالقوه.

و ظل الطباطبائي يحتجز مندوبى الشاه و رئيس الوزراء و مندوبى السفاره الإنكليزيه إلى الساعه الحاديه عشره من الليل. و حينئذ أذن للانكليزيين بالعوده بعد أن أخبره رسل "رضا خان" أن جيش القوزاق احتل طهران بلا مقاومه. و استبقى لديه مندوب الشاه و مندوب رئيس الوزراء.

و فى تلك الليله، فى "مهرآباد" خلع السيد "ضياء الدين الطباطبائى" العمامه عن رأسه و اعتمر "الكلاه" و غير زيّه، زى رجال الدين. (٢)

احتلال طهران

ثم احتلال القوزاق لطهران حوالى منتصف الليل بلا-مقاومه مع أن حاميه طهران من الدرك و الشرطه كانت كافيه يومئذ لصدّهم عن العاصمه.

بل كانت قادره على حصارهم و أخذهم أسارى، إذ كانوا متعيين مكشوفين.

لكن ضباط الدرك من السويديين كانوا قد واطئوا المهاجمين على التسليم.

و كان فريق من فرسان الدرك مع القوزاق الذين زحفوا من قزوین إلى طهران.

و عند منتصف الليل ترك السيد "ضياء الدين الطباطبائى" محله "مهرآباد" قاصدا طهران ليلى بالجيّش الفاتح. فركب سياره و ركب إلى جانبه أحد ضباط القوزاق. و أركب المندوبين المحتجزين، مندوب الشاه و مندوب رئيس الوزراء، فى سيارتهما و جعلها وراء سيارته، و وراءهم مائه جندي من القوزاق و مائه جندي من الدرك و ساروا الهوينا إلى طهران.

و نحو طهران ترجل السيد "ضياء الدين الطباطبائى" من السياره و ركب حصانا و سار بموكبه إلى ثكنه القوزاق. و هناك أطلق سراح المندوبين المحتجزين بعد أن احتجزهم مده فى الثكنه. ثم اختلى ب "رضا خان" و أحد كبار ضباط القوزاق.

و بعد قليل دخل عليهم جندي قوزاقى يؤذن "رضا خان" بان الأمير "عبد الحسين ميرزا" المشهور بلقب "فرمان فرما" (٣) يطلب مقابلته، و أراد "رضا خان" أن يستقبله و لكن السيد "ضياء الدين الطباطبائى" منعه و أمر الجندي بصرفه، فانصرف خائبا. و كان هذا الأمير أراد الالتجاء إلى السفاره البريطانيه خوفا من مكروه يصيبه و لكنه وجد القوزاق على باب السفاره فمنعوه من دخولها.

و كان الشاه ساعثئذ يقيم فى قصر محله "فرح آباد" خارج المدينه.

و سد المحتلون مداخل المدينه كلها و أقاموا عليها جندا أمروا بان لا يسمحوا لأحد بالخروج منها. ثم أرادوا إيدان الطهرانيين باحتلالهم العاصمه فأطلقوا

ص: ١٧٨

١- من الاعيب السياسه أن الإنكليز هم الذين هيئوا لانقلاب، و هم الآن يتظاهرون بمخالفته. و لو كان الإنكليز غير راضين عن حركه جيش القوزاق لما استطاع هذا الجيش الخروج من قزوین، و هم المسيطرون عليه، بل هم المسيطرون على كل شىء فى قزوین حتى أسماء شوارعها و أزقتها - كما قال مؤرخ فرنسى - و ليس يعقل أن يخرج هذا الجيش الضخم منها و هم غافلون. و لو كانوا على غير علم بنوايا جيش القوزاق لما استعدوا قبيل حركته لملء مراكزه التى ستخلو منه بجنودهم، فاستقدموا إلى

قزوين ثلاثه آلاف منهم لهذه الغايه (عدددهم بمقدار عدد جنود القوزاق الزاحفين)، و لا استقدموا إلى مدنيه [مدينه] كرج نجده احتياطيه من جنودهم لتكون مددا للانقلابيين حين ورودهم إلى طهران إذا اقتضى الأمر.

٢- كان أبو الطباطبائي من العلماء رجال الدين، و كان ابنه هذا معمما في سلك رجال الدين.

٣- من الأمراء القاجاريين، صهر "مظفر الدين شاه". وزير و رئيس وزاره سابق. من أصحاب الرتب العسكريه العاليه. تولى عدّه مرات منصب الولاية. و كان مدّه واليا على "كرمانشاه" و كان "رضا خان"، و هو في هذه الولاية، أحد رجال حرسه الخاص مدّه سنتين. فله به معرفه سابقه. و كان "فرمان فرما" مواليا للانكليز. فهو و الطباطبائي من هذه الجبهه في خط واحد. و قد سبق أن أثنى الطباطبائي على سياسته و وطنيته في جريدته "رعد".

القنابل من المدافع. و ارتجت المدينة بأصواتها. و هب الناس من مضاجعهم مذعورين.

و بادر رؤساء القوزاق إلى إرسال فرق من جندهم إلى مخافر الشرطة و أمرهم باحتلالها و اعتقال رجالها. فاستسلمت المخافر كلها إليهم بلا- مقاومه. إلا- أن دائره الشرطة المركزيه قاومت قليلا. و قاوم أحد المخافر أيضا مداه ساعه تقريبا. و انجلى هذه المقاومه عن عشره قتلى من رجال الشرطة و ثلاثه قتلى و جريح واحد من القوزاق.

و قيل إن "رضا خان" خاف خوفا شديدا حين نهض رجال ذلك المخفر إلى المقاومه، و قال لمن حوله: إن اقتدى مخفر أو أكثر بهذا المخفر و هب رجاله إلى المقاومه فسيطلع الصباح و نحن فى أماكننا عاجزين عن التسلط على المدينة. و عندئذ نؤسر. فخير لنا أن نفر الآن. و لكن رفاقه ثبتوه و صرفوه من هذا الرأى.

و لما احتل القوزاق إداره الشرطة فتحوا باب السجن و أطلقوا المحاييس. و توهم أحد المحاييس أن القادمين هم الثوار الشيوعيون قد احتلوا المدينة، فصاح يتملقهم "زنده باد بلشفيك" (عاش البلاشفه).

و كان ردهم على تحيته رصاصه أطلقوها عليه فأردته قتيلا! و اجتمع مدير الشرطة العام و رؤساء المهاجمين من القوزاق فطلبوا أن يأمر رجال الشرطة بموافقه القوزاق و معاونتهم، فعلق إجابتهم إلى طلبهم على حصوله على إذن من الشاه. و تعهد لهم، بناء على طلبهم، بان لا يتدخل فى مجرى الوقائع الجديده. و فى الصباح بكر مدير الشرطة إلى قصر الشاه و أطلعه على ما دار بينه و بين رؤساء القوزاق من حديث. فاذن الشاه بان يتعاون رجال الشرطة و القوزاق فى حفظ الأمن و النظام.

و يستفاد من وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه أن السفير الانكليزى زار الشاه حين دخول القوزاق إلى العاصمه فوجده شديد الهم و تشوش الخاطر.

و استشاره الشاه فى ما يفعل فطمانه السفير إلى حسن مقاصد قاده الانقلاب.

و أشار عليه بان يبادر إلى مسالمتهم و الارتباط بهم و الاطلاع على نواياهم و مطالبهم و إجابتهم إلى كل ما يلتمسونه منه بلا تردد، لأن وضع العاصمه الحاضر قد جعل القوزاق متسلطين على كل شىء. و ما يستطيع الشاه أن يتخذه من خطه عمليه هو هذا التصرف و لا شىء غيره. و وافق الشاه السفير على رأيه.

و فى الصباح (٤ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) أقيمت على كل شىء بوابه من بوابات المدينة و على كل مدخل من مداخل السفارات جماعه من الحرس يمنعون الدخول و الخروج لا يسمحون به لأحد سوى موظفى السفارات بالدخول إلى سفاراتهم و الخروج منها.

و أغلقوا أبواب الوزارات و الدوائر الحكوميه و منعوا دخول الموظفين إليها. و قطعوا كل أسلاك تليفونات المدينة. و ختموا بالشمع الأحمر مراكز التليفونات التى فى خارج طهران المستعمله للاتصال بالولايات ليمنعوا وصول الخبر إلى الولايات. و تاخروا فى ختم مركز خط قم لبعده فأمكن إيصال الخبر إليها. و كان ما وصل إلى قم هو أن الثوار الشيوعيين هم الذين احتلوا العاصمه. فدب الذعر فى قم و أخلى التجار دكاكينهم مما فيها و نقلوه إلى بيوتهم. و فى ذلك الصباح استطاع جماعه أن يلجئوا إلى

السفارة الأميركية.

و استطاع "السبهدار" رئيس الوزارة أن يلجا إلى السفارة الإنكليزية. ثم بلغه أن اسمه ليس في قائمه المراد اعتقالهم، فخرج من السفارة في نفس اليوم.

و ظل الناس في بيوتهم لا يجرءون على الخروج بضع ساعات بعد طلوع النهار. ثم أخذوا، شيئاً فشيئاً، يترددون في الشوارع. و لكن الطرقات ظلت خاليه من كل وسائل النقل كالحناتير و غيرها. إذ منع المحتلون سيرها لثلا يستعملها الذين تقرر اعتقالهم للفرار. و كان إغلاق أبواب المدينه و إقامة الحرس عندها و عند مداخل السفارات من أجل هذه الغايه أيضا.

و عند العصر شاهد الناس السيد "ضياء الدين الطباطبائي" يستقل سياره رئاسه الوزاره، و قد أصلح شعر رأسه و بقيه لحيته و اعتمر "الكلاه" يتجول في شوارع طهران.

مطالب الانقلابيين من الشاه

و عند غروب ذلك اليوم (٤ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) كان ضابط قوزاقى يستأذن على الشاه في قصر "فرح آباد" خارج طهران مندوبا عن السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و رضا خان" ليقوم بأول اتصال بين الشاه و الانقلابيين و ليعرض على الشاه مطالب الانقلابيين.

و كانت مطالبهم:

- تعيين السيد "ضياء الدين الطباطبائي" صاحب جريده "رعد" رئيسا للوزاره.

- منح الضابط "رضا خان" رتبه قائد الجيش.

- تعيين يوم يستعرض فيه الشاه جنود القوزاق كلهم.

و قد قبل الشاه كل هذه المطالب على مضض، و لا سيما تعيين الطباطبائي لرئاسه الوزاره.

و لما دخل الطباطبائي على الشاه أول مره بعد أن تقرر تعيينه رئيسا للوزاره اقترح على الشاه أن يجعل عنوانه الرسمي في مرسوم التعيين "دكتاتور إيران" بدلا من "رئيس الوزاره". فرفض الشاه طلبه و أفهمه أن إعطاءه هذا العنوان إنما هو حط من شان المقام الملكي.

تدابير الانقلابيين

أعلن الانقلابيون الأحكام العرفيه ساعه تم استلاؤهم على طهران.

و في الصباح (٤ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) بدءوا حمله اعتقالات، فاعتقلوا جماعه و ألقوا بهم في السجون. و في عصر ذلك اليوم

عمموا على كل الولايات إعلاماً بقيام الحكم العسكري فيها، فأرسلوا إلى كل ولاية حاكماً عسكرياً من طهران.

و عند غروب اليوم التالي (٥ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش) نشر "رضا خان" بياناً مطبوعاً على الجدران في كل نواحي طهران وفيه تعليمات يأمر الناس بالتقييد بها، و بدأ هذا البيان بكلمه "آمر بكذا". و ختم بالتوقيع عليها هكذا "رئيس كتيبه قوزاق صاحب الجلاله و القائد العام للقوات - رضا".

و في هذه التعليمات أمر بوجوب التزام الطاعه لأحكام الحكم العسكري

ص: ١٧٩

وعدم الاعتراض. و أمر بمنع التجول بعد الثامنة مساء، و وقف إصدار الصحف و المطبوعات إلى ما بعد تشكيل الوزارة و وضع قانون خاص بالمطبوعات، و أمر بمنع التجمع فى المنازل و الطرقات لأكثر من ثلاثة أشخاص، و أمر باغلاق متاجر المشروبات الكحوليه و المسارح و دور السينما و محلات التصوير الفوتوغرافى و أندية القمار، و تعطيل جميع الدوائر الحكوميه من العمل، و منها دائرة البرق و البريد و التلفون، إلى أن تتشكل الوزارة الجديده. و فيها إنذار بمحاكمه المخالفين فى المحكمه العسكريه و إنزال أشد العقوبات بهم. و فيها إعلام بتعيين أحد الضباط حاكما عسكريا على المدينه.

و كان السيد " ضياء الدين الطباطبائى " قد هيا قبل الانقلاب لائحه باسمى من يريد اعتقالهم من الأعيان و الوجهاء و الأثرياء و سلمها إلى " رضا خان " لانفاذها. فلما استتب الأمر للانقلابيين أمر " رضا خان " ضباط القوزاق باعتقالهم. فبدءوا حملته الاعتقال فى صباح الرابع من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. بعد احتلال طهران بوضع ساعات. و فى اليوم السادس من إسفند بلغ عدد المعتقلين مائتين من كبار السياسيين و العسكريين و رجال الدين و النواب. منهم الأمير القاجارى " عبد الحسين ميرزا " المعروف بلقب " فرمان فرما " و ابنه " نصرت الدوله ". و كان هذا وزيرا للخارجيه فى وزاره " وثوق الدوله " التى عقدت معاهده سنه ١٩١٩ م، المعاهده التى كان السيد " ضياء الدين الطباطبائى " لا ينفك يؤيدها و يجندها فى جريدته " رعد ". و منهم " تيمور طاش " (١) المعروف باسم " السردار المعظم الخراسانى " و كان بين كبار العلماء رجال الدين الذين اعتقلوا السيد " حسن المدرس ". و أرادوا اعتقال الحاج الخوئى إمام الجمعه ففر و تحصن فى مقام " عبد العظيم الحسنى " (رض). و طولب الأقرباء من المعتقلين بأموال. فمن أدى إليهم ما طلب منه أطلقوا سراحه، و من امتنع أبقوه فى السجن، و أغاروا على بيته فصادروا منها ما وقع فى أيديهم من مال. و كان من الممتنعين الأمير " فرمان فرما " و ابنه " نصرت الدوله "، فضلا فى السجن و أغير على منزلتهما.

و تجاوزت حملته الاعتقال لائحه السيد " ضياء الدين الطباطبائى " إلى كل من ظنوا به مخالفتهم و توقعوا أن يعارضهم فى المستقبل، فاعتقلوا عشرات، من مثقفين و أدباء و صحفيين و أصحاب نزعات ديمقراطيه و مهتمين بالشئون السياسيه. فما انقضى شهر على وزاره الطباطبائى. حتى ضاقت سجون العاصمه عن استيعاب المساجين فجعلوا يرسلون الفائض منهم إلى سجون بلدان أخرى. و ترك كثير من الأعيان من ذوى السمع الطيبه بيوتهم فاختبئوا فى أماكن خفيه خوفا من أن يعتقلوا. و ظلوا متوارين عن الأنظار فى مده تولى الطباطبائى رئاسه وزاره كلها.

وزارة الطباطبائى

صدر المرسوم الشاهانى بتعيين السيد " ضياء الدين الطباطبائى " لرئاسه وزاره يوم ٤ إسفند سنه ١٢٣٩ [١٢٩٩] هـ. ش. الموافق ١٣ جمادى الثانيه سنه ١٣٣٩ هـ. ق. (سمى بعضهم وزارته بالوزارة السوداء).

و فى الثامن من شهر إسفند من تلك السنه، نشر، قبل أن ينتهى من اختيار أعضاء وزارته، بيانا مطولا ألصقه على الجدران فى كل ناحيه من المدينه. و أمر بإبلاغه إلى المحافظات ليبلغه حكامها العسكريون إلى الأهالى. و كانت وسيله الحكام إلى ذلك دعوه الأهالى إلى المساجد و قراءه البيان على المنبر.

و كان بيانا ككل البيانات التى يصوغها حكام الشرق و حكام الأنظمه الدكتاتوريه، وعدا بكل خير و عهدا على سلوك أحسن الطرق و عزمًا على خلق إيران خلقا سويا جديدا لا عوج فيه. و فى البيان يعد بتوزيع أراضي الدوله على الفلاحين و إنصاف

و أراد الطبائى أن يظهر بمظهر البطل الوطنى فاعلم الرأى العام فى بيانه هذا بالغائه المعاهده الإيرانيه الإنكليزيه التى عقدت فى آب سنة ١٩١٩ م فى عهد وزاره " وثوق الدوله ". و قال إن الظروف التى اقتضت عقدها قد تغيرت.

و لكن أهل الاطلاع كانوا يعلمون أن هذه المعاهده قد سقطت و ألغيت فى عهد وزاره " مشير الدوله ". بل كان الإنكليز أنفسهم قد صرفوا النظر عنها. فالغاء الطبائى لها اليوم تحصيل الحاصل. أما يوم كان فى نفوس الإنكليز و الموالين لهم من الايرانيين أمل فى إمكان الموافقه عليها و إنفاذها فقد كان الطبائى أول المدافعين عنها المؤيدين لها.

ثم إن الطبائى و رفاقه الانقلابيين عوضوا الإنكليز عنها بما أجروه من تعديلات فى أجهزة الوزارات، و لا سيما وزاره المالىه و الحريه. تعديلات كانت تطبيقا عمليا لمقتضيات معاهده سنة ١٩١٩ م، إذ أنها وضعت هاتين الوزارتين فى تصرف الخبراء و المستشارين الإنكليز يوجهونهما كيفما شاءوا.

و هذا ما كانت تبتغيه إنكلترا من تلك المعاهده.

و كم الطبائى أفواه المعارضين لهذه السياسه بإلقائهم فى السجون و تعطيل الصحف. حقا انه اعتقل أيضا بعض أتباع الإنكليز ممن كانوا يؤيدون المعاهده مثل " فرمان فرما " و ابنه الأمير " نصرت الدوله ". و لكن اعتقالهم لم يكن فيه ضير على السياسه الإنكليزيه، إذ كانت قد استغنت عنهم. هذا من جهه. و من جهه أخرى كان يطمع فى ابتزازهم بان يفتدوا أنفسهم بدفع أموالهم اليه.

و أراد الطبائى أن يتملق " رضا خان " فالتمس من الشاه، حين ذهب إلى قصر " فرح آباد " ليتسلم مرسوم تعيينه رئيسا للوزاره، أن يسلمه أيضا مرسوم تعيين " رضا خان " قائدا للجيش و رئيسا لكتيبه القوزاق، ليحمل المرسوم بنفسه إلى " رضا خان ". فأجابه الشاه إلى طلبه. و حمل المرسوم فى نفس اليوم (٤ إسفند سنة ١٢٩٩ هـ. ش) إلى ثكنه القوزاق. و صعد إلى منبر هناك و قرأ المرسوم، ثم أمر بعزف النشيد الوطنى حين تعليق حمائل رئاسه القوزاق على كتف " رضا خان ".

و نشر " رضا خان " أيضا لهذه المناسبه بيانا ضمنه عبارات حماسيه و وعودا جذابه. و اشتهر أن السيد " ضياء الدين الطبائى " كتب له هذا البيان، لأن مستوى " رضا خان " الثقافى لا يمكنه من صياغه ما تضمنه من عبارات أديبه مصقوله.

و شكل السيد " ضياء الدين الطبائى " وزارته من تسعه وزراء.

و فى صباح ١١ إسفند سنة ١٢٩٩ هـ. ش. ذهب بهم إلى قصر " فرح آباد " ليعرف الشاه بهم. و كانوا فى غالبيتهم من الضعفاء المغمورين.

و بعد ذلك ببضعه أيام اعترف بعض الدول الأجنبيه رسميا بالحكومته

١- اسمه "عبد الحسين". من العسكريين. نائب سابق.

الجديده. و اعترفت بريطانيا بها بعد خمسه عشر يوما من تشكيل الوزاره.

و لكن السفير الانكليزي كان لا- ينفك يزور مقر رئاسه الوزاره و يجتمع بالطباطبائي من اليوم الثالث من إسفند [١٢٩٩]، يوم الانقلاب.

و كان الانقلابيون قد عطلوا عمل الوزارات و أغلقوا أبوابها من صباح الرابع من إسفند [١٢٩٩]. و بعد تشكيل الوزاره أمر رئيس الوزراء بحل أجهزه وزاره العدليه و وزاره الماليه و وزاره الحريه. و أمر بتشكيل لجنه لكل وزاره من هذه الوزارات تتولى التخطيط لإنشاء جهاز جديد و القيام بالاصلاحات اللازمه.

و كان من جملة ذلك قرار اتخذه لجنه وزاره الحريه بدمج حامييه طهران بكتيبه القوزاق.

و أمر بحل أجهزه حاكميه طهران و قزوين و سمنان و دامغان و قم و كاشان، و فوضت أمورها إلى حكام عسكريين. و أسند قياده الدرك إلى ضباط جدد. و شكل لجنه لتعديل أوضاع بلديه طهران.

و فصلت تلك اللجان جميع الموظفين الذين لا تطمئن إلى إخلاصهم للعهد الجديد و استبدلت بهم موظفين من أنصارها. و احتل الإنكليز، من بين الخبراء و المستشارين الفنيين الأجانب الذين تحتاج إليهم الوزارات، عمده المناصب.

و كان الطباطبائي، من يوم الانقلاب، يزور السفاره البريطانيه في كل يوم. و في ذهابه إليها و إيايه منها يرافق سيارته حرس من الفرسان المسلحين من الأرامنه الطاشناق. و تعود صلته بالطاشناق إلى سنه ١٣٢٧ هـ. ق.

سنه اقتحام أنصار البرلمان طهران و خلع "محمد علي شاه".

و في ١٢ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. فتحت أبواب إدارات البرق و البريد و عادت إلى العمل. و آخر موعد منع التجول إلى الساعه التاسعه مساء. و كان مواعده الساعه الثامنه قبلا.

و أمر الطباطبائي بمداهمه البيوت التي يشتبه بان فيها أسلحه و تفتيشها و مصادره ما فيها من سلاح. و عمم بيانا يدعو فيه كل من كان في حوزته أسلحه أن يسلمها إلى مخافر الشرطه. فمن خالف جوزى بعقاب شديد قد يصل إلى الاعدام، و دوهمت بيوت و صودرت أسلحه كثيره.

و استمر تعطيل الصحف سوى بضع صحف عادت إلى الصدور و لكنها أجبرت على مداومه الثناء و التحييد لأعمال الحكومه و بيانات السيد "ضياء الدين الطباطبائي". و نشرت جريده "رعد"، الداعيه الإنكليزيه، جريده الطباطبائي، بيانا بأنها توقفت عن الصدور.

و في ٢٨ جمادى الثانيه سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ١٩ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. وصل خبر إلى هذه الحكومه من سفير إيران في موسكو أن المسئولين السوفيات وقعوا في ١٧ جمادى الآخره سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٨ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. على المعاهده الإيرانيه. الروسيه التي سبق أن وافق عليها مجلس الشورى الايراني في عهد حكومه "السبهدار" كما تقدم.

ثم عين الاتحاد السوفياتى سفيرا له فى إيران اسمه "رتشتين" وأصبح وصوله إلى إيران من طريق تركستان و مشهد وشيكا. فبادرت حكومه الطبائى إلى طرد جماعه كبيره من الروس من إيران قبل وصوله، تزلفا منها للانكليز و إظهارا للجفاء منها للسوفيات. و لكن الطهرانيين استقبلوا السفير السوفياتى حين وصوله استقبالا حسنا، لا حبا بالبلاشفه بل كرها بالانكليز. (1)

و أحسن السوفيات اغتنام الفرصه. و أرادت بعثتهم الدبلوماسيه أن تثبت للطهرانيين أنهم أهل لما استقبلتهم به عاصمه القاجارين من بشاشه و ترحيب، فالتزموا فى حياتهم طريق الجلال و الوقار و بسطوا للناس يد التودد و الترفق و تجنبوا إحراج الحكومه بشىء من المطالب و التصرفات التى كان يمارسها أسلافهم فى العهد القيصرى. و نجحوا فى رفع ما قر فى أذهان الناس من خوف و رعب من البلاشفه. و بذلك تيسرت لهم مضايقه الإنكليز، و تيسر لهم نشر الدعايه الاشتراكيه.

و وقع سفير إيران فى موسكو فى أواخر شهر إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش على معاهده سنه ١٩٢١ م، أى المعاهده الإيرانيه السوفياتيه التى تقدم ذكرها. فبادر الاتحاد السوفياتى إلى إنفاذها فورا فجلت جنوده عما تحتله من بلاد جيلان.

و فى أواخر شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أخذ العسكر الانكليزى أيضا بجلو عما يحتله من أرض فى شمال إيران، إذ كانت إنكلترا قد اطمأنت إلى حد لا بأس به إلى أن التجهيزات العسكريه الإيرانيه الجديده يمكن الاعتماد عليها فى المحافظه على طريق الهند، و أن الاتحاد السوفياتى و قد سالم إيران لا يمكن أن يخترق حدودها بعد عقد تلك المعاهده، فأصبحت إنكلترا فى غير حاجه إلى حراستها بجيشها. هذا من جهه و من جهه أخرى كانت المعاهده الإيرانيه السوفياتيه تحوى ماده تنص على أن الاتحاد السوفياتى يحق له أن يدخل جيشه إيران إذا احتل أرضها عدو له لإخراجه منها. فأرادت إنكلترا أن لا تجعل من بقاء جيشها فى إيران ذريعه فى يد السوفيات إلى احتلال أرض إيران. و يجدر بالذكر أن هذه النتيجة الطيبه كان سببها سياسه "مشير الدوله" الرشيديه يوم أقدم على إنشاء علاقات دبلوماسيه بين إيران و الاتحاد السوفياتى لإيجاد توازن بين تطلعات الدول الأجنبيه فى إيران.

و فى ٢٧ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. أقدمت حكومه الطبائى على عمل أخلاقى حسن. فقد أصدرت قرارا بمنع استيراد المشروبات الكحوليه من الخارج إلى إيران. و عهد إلى وزاره المالىه بإبلاغ هذا القرار إلى دوائر الجمارك مع أمر بوجوب التشدد إلى أقصى حد فى منع دخول هذه المشروبات إلى البلاد.

و بعد بضعه أيام أصدرت أمرا بتحريم شرب الخمر كلها، سواء أ كانت من صنع إيران أم أجنبيه. و أمرت باغلاق الخمارات و متاجر الخمر.

و الاقتصار على شرب المرطبات فقط فى المآدب الرسميه. و قد تلقى الناس هذا القرار باستحسان. و لكن تقريرا أرسله السفير الانكليزى إلى وزير خارجيه بلاده يذكر أن السيد "ضياء الدين الطبائى" باحثه فى هذا الأمر قبل إصدار قرار التحريم هذا. و ذكر له أن يرى لزوم إحياء شعائر الدين و تقويتها فى نفوس الناس لابعادهم عن النفوذ البلشفى. و أنه رأى أيضا أن جند القوزاق يمكن أن يفرطوا فى تعاطى المسكرات فيشغبوا على الناس و يضايقوهم. و أن السفير الانكليزى استحسّن رأيه و وافقه عليه.

و أصدرت حكومه الطبائى أيضا أمرا بوجوب تعطيل المتاجر يوم الجمعة، حتى متاجر غير المسلمين، ما عدا محلات بيع

١- وصل السفير السوفياتى إلى طهران يوم ٦ أربيهشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش.

يرفع كل تاجر الرايه الايرانيه على متجره يوم التعطيل هذا. و أصدرت أمرا بمنع استعمال الحروف اللاتينيه فى ما يكتب على اللوحات التى ترفع فى أعلى مداخل المتاجر و الدكاكين و واجهاتها و الاقتصار على اللغه الفارسيه و حروفها.

و أصدرت أيضا أمرا بمنع الخادماى المسلمات من الخدمه فى بيوت الأوروبيين و غيرهم غير المسلمين.

و أصدرت أمرا حرمت فيه على الموظفین العسكريين تدخين الترياق (الأفيون) و كان استعماله شائعا مباحا فى إيران يومئذ.

و أصدرت أمرا إلى مخافر الشرطه بتوقيف كل امرأه مسلمه تبدو فى خارج بيتها غير كامله الحجاب، حتى الوجه لا يجوز كشفه. بل أوجبت على المسلمات الاستمرار فى لبس "الشاقشور". و هو سروال طويل أسود يتصل طرفاه عند الكعيبين بجوربين فيكون قطعه واحده من باطن القدمين إلى الخصر. و كان بعض النسوه قد تخلين عن لبسه فى تلك الحقبه و استبدلن به الجوارب المعروفه، و القين البراقع عن وجوههن. فأمرت وزاره الطباطبائى بمنعهن عن ذلك و توقيف كل مسلمه تبدو سافره الوجه مرتديه الجورب.

و حدد الحكام العسكريون أسعار السلع فمن خالف التعرفه و باع بأكثر من السعر المحدد عوقب بخمسين جلدته فى إحدى الساحات العامه.

و ظهر وباء التيفوس فى إحدى نواحي خراسان فبادرت الحكومه إلى مكافحته بتدابير واسعه فعاله حتى طهرت النواحي المصابه منه فى بضعه أيام.

و نفعت التشكيلات الجديده فى البلديه، فانيرت شوارع طهران بالمصابيح الكهربائيه، و طهرت مجارى مياه الشرب حسب الأصول الصحيه الحديثه بكل دقه. و أنشأت البلديه دارا للأيتام تتولى تربيتهم و تعليمهم.

إلغاء معاهده ١٩١٩ م رسميا

فى الثالث من شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أرسل وزير الخارجيه فى حكومه السيد ضياء الدين الطباطبائى " رساله إلى السفاره الإنكليزيه يؤذنها بقرار الحكومه الإيرانيه إلغاء المعاهده الإيرانيه الإنكليزيه، معاهده سنه ١٩١٩ م، و يطلب موافقه الحكومه الإنكليزيه على هذا القرار. فجاء جواب السفاره بعد بضعه أيام بالموافق على قرار الإلغاء، مع إظهار رضا الحكومه الإنكليزيه عن تشكيلات وزاره الطباطبائى و إصلاحاتها الجديده و تصرفاتها القائمه.

فبادر الطباطبائى إلى نشر بيان فى العاصمه أرسلت منه نسخ إلى جميع الولايات يبشر فيه الايرانيين بالغاء المعاهده إلغاء رسميا من قبل الدولتين المتعاقدتين. و إذا اتفق حصول هذا الإلغاء أيام عبد النيروز فقد قال الطباطبائى فى بيانه إنه يضاعف، بنشر هذا البيان، أفراح العيد.

و لكن السفير البريطانى أرسل إلى وزير خارجيه بلاده "اللورد كرزن" برقيه بشأن فرار [قرار] الإلغاء قال فيها:

"أرى أن إلغاء المعاهده لن يغير شيئا فى الوضع. فمستشارونا قائمون على العمل فى وزاره المالىه. و الضباط الإنكليز يتدخلون

فالمعاهده قد أنفذت عمليا. فلا تتأخروا فى الموافقه". و كان السفير البريطانى قبل ذلك قد أرسل أيضا إلى وزير خارجيه بلاده، يوم عهد الشاه إلى السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بتشكيل الوزاره برقيه جاء فيها:

"قال لى السيد ضياء الدين الطباطبائى إن المعاهده قد ابتدئت. و لن تستطيع الحكومه الجديده عملا إلا بالغائها. و قال: سأبادر فورا إلى تشكيل قوه عسكريه من خمسه آلاف جندى بقياده ضباط إنكليز. و أضيف إلى رجال الشرطه خمسمائه آخرين بعنوان محافظين على السفارات فى الظاهر و تكون مهمتهم مراقبه ممثلى البلاشفه فى الواقع. و أعهد بالنظر فى الشئون المالىه إلى المستشارين الإنكليز. و يكون استخدام هؤلاء المستشارين المالىين و الضباط العسكريين بعقد اتفقيه خاصه، من غير ذكر للمعاهده الإيرانيه الإنكليزيه السابقه. و نستخدم فى الوزارات الأخرى غير المهمه مستشارين من دول أخرى مثل فرنسا و أمريكا. بل يمكن أن نستخدم فيها مستشارين من الروس أيضا. و نبقى الوزارتان المهمتان، المالىه و الحربيه، تحت نظر المستشارين و الضباط الإنكليز. و قال: إن الحكومه الجديده تنوى سد العجز المالى الحاصل بتغريم المعتقلين الأموال اللازمه".

و احتفل السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بحدث إلغاء معاهده ١٩١٩ م باقامه مادبه عشاء فخمه فى البلاط الملكى ليله العشرين من شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش.

دعى إليها ممثلو الدول الأجنبيه و من بقى خارج السجن من رجال السياسه و الأعيان. و لم يجب الدعوه إليها بعض الوزراء و رؤساء الوزاره السابقين. و لم يقدم فيها من الشراب غير المخيض و المرطبات.

و كانت وزاره "مشير الدوله" قد عينت مندوبا لایران فى عصبه الأمم و أرسلته إلى جنيف. و ألقى خطابا باسم إيران فى مقر العصبه فى الخامس من ربيع الأول سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٢٦ آبان سنه ١٢٩٩ هـ. ش.

و ١٨ تشرين الثانى سنه ١٩٢٠ م. و أرسل تقريرا بذلك إلى طهران. و وصل التقرير بعد استقاله وزاره "مشير الدوله" و وزارتى "السبهدار" فى ٨ إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. فى عهد وزاره السيد "ضياء الدين الطباطبائى" الانقلابيه.

و استمر السيد "ضياء الدين الطباطبائى" فى حملته الاعتقالات للتخلص من الخصوم و المنافسين من كبار الساسه و الأعيان. فأضاف إلى المعتقلين السابقين "أحمد قوام" المشهور بلقب "قوام السلطنه" (١) و كان يومئذ واليا على خراسان. و اعتقل أيضا الأمير القاجارى "أكبر ميرزا" المعروف بلقب "صارم الدوله" و هو حفيد "ناصر الدين شاه". و كان وزيرا فى وزاره "وثوق الدوله" التى عقدت معاهده سنه ١٩١٩ م. و كان يوم اعتقاله حاكما على كرمانشاه. و أراد اعتقال "أمير أفشار" المشهور باسم "جهان شاه خان". أحد كبار الرؤساء فى نواحى زنجان. و لكن هذا فر إلى قزوین و أرسل منها برقيه إلى طهران إلى "رضا خان" - و كانت بينهما صداقه - يستأمنه فيها ثم حضر إلى طهران و لجا إلى منزل "رضا خان".

و اعتقلت حكومه الطباطبائى العسكريه فى ٢٣ فروردين سنه

١- من مشاهير رجال [رجال] الحكم [الحكم] و السياسة الا-إيرانيين. وزير و رئيس وزاره و نائب سابق. له أثر كبير فى توجيه السياسة الإيرانيه فى النصف الأول من هذا القرن الميلادى. و هو أخو " وثوق الدوله " عاقد معاهده سنه ١٩١٩ م.

١٣٠٠ هـ. ش. مدير جريده "نوروز" لنشرها مقالا انتقدت به حكومه الطباطبائى. و بعد أن أوقف فى سجن الشرطه بضعه أيام نقل إلى مستشفى الأمراض العقليه. وقالوا إنه جن.

مخالفه "رضا خان" للطباطبائى

و أراد الطباطبائى قتل بضعه عشر رجلا من المعتقلين، منهم الأمير القاجارى "فرمان فرما" و ابنه "نصرت الدوله". و أمر إداره الدرک بقتلهم فى فجر يوم عينه لهم، بلا- محاكمه. و لكن أحد الوزراء أبلغ هذا الخبر فى السر إلى رجال من ذوى المعتقلين، فبادروا فوراً إلى القصر الملكى و أبلغوه إلى الملك "أحمد شاه". فتأثر الملك و استنكر هذا العمل. و قال: باى حق يقتل الأبرياء بلا محاكمه فى دوله برلمانيه ديمقراطيه؟! ثم أمر بطلب قائد الجيش "رضا خان" بالتلفون [بالتلفون]. فلما حضر أطلعه على القضيه، و أمره بان يبادر فوراً إلى منع الدرک من إنفاذ أمر الطباطبائى بقتل أولئك المعتقلين فبادر "رضا خان" إلى إنفاذ أمر الشاه، و أمر بوقف أمر الطباطبائى و المحافظه على سلامه المعتقلين، و كانوا على وشك أن يساقوا إلى الموت.

و كان عمل "رضا خان" هذا مبدأ خلاف بينه و بين الطباطبائى. إذ ظهر منه أن "رضا خان" ينحاز إلى الشاه و الأمراء و لا يبالى بأوامر الطباطبائى. و بهذا اكتسب "رضا خان" إلى جانبه جماعه كبيره من أهل الوجاهه و النفوذ. و اكتسب أيضا رضا الشاه عنه.

كان قائد الجيش رئيس كتيبه القوزاق "رضا خان" فى أول الأمر يتبع السيد "ضياء الدين الطباطبائى" تبعه كامله. و لكنه، حين أخذ يطلع شيئا فشيئا على الأوضاع و يزداد خبره، و يتقوى مكانه شيئا ما، و يتصل شيئا فشيئا برجال البلاط و ذوى المعتقلين و الملك "أحمد شاه" اتسع مجال تفكيره و أراد ترقيه مقامه. و من ثم عزم على مخالفه رئيس الوزراء و تحدى وزير الحربيه رئيسه، و الاستقلال عنهما.

و كان "أحمد شاه"، من بادئ أمره يسىء الظن بالطباطبائى. و قد أقامه رئيسا للوزاره بالإكراه. و زاد فى نغمته عليه تجربؤه على البيت المالک باعتقاله بعض الأمراء القاجاريين و حبسهم بلا ذنب. و كان يعتمد الاستهانه بالشاه فيحضر إلى قصره بلا موعد سابق، بل دأب على الحضور فى أوقات استراحه الشاه. فلما نبهه إلى ذلك قال: لا حيله لى فى الأمر. فان انشغالى باداره أعمال الدوله لا يترك لى وقتا للحضور فى البلاط غير هذا الوقت.

و أخذ الطباطبائى يسعى إلى الإيقاع بين الشاه و أخيه "محمد حسن ميرزا" ولى العهد، لحمله على مواطاته على أخيه و خلعه عن العرش.

من ذلك إنفاصه مبلغا من راتب "أحمد شاه" و رواتب رجال البلاط بزعم الاقتصاد فى نفقات الميزانيه، و زيادته مبلغا فى راتب ولى العهد ليتقرب بهذا إلى ولى العهد. و كان إذا حضر عند الشاه لا يلتزم بالقواعد المرعيه فى احترام المقام الملكى، فإذا لقى ولى العهد عامله بكل إجلال و تعظيم. و نبه رجال البلاط الشاه إلى مقاصد الطباطبائى فازداد كرها له و حذرا منه.

و كان المتتبعون لسير الحوادث من رجال البلاط و غيرهم يرون أن الطباطبائى يسعى بإيقاع الخلاف بين الأخوين، الملك و

ولى عهده إلى غاية أبعد من خلع الشاه عن العرش، و هي إضعاف الأخوين كليهما ثم القيام بانقلاب جمهورى يكون هو رئيس الجمهوريه فيه. و كانوا لا يستبعدون أن تكون هذه الغايه متوخاه من الطباطبائى من حين التخطيط لانقلاب الثالث من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و لا- يستبعدون أن قائد الجيش "رضا خان" نفسه كان على علم بها، إما لأنه كان شريك الطباطبائى فى القصد إليها و التخطيط لها و إما لأن أحدا أعلمه بعد ذلك بنوايا الطباطبائى.

و من ثم أخذ "رضا خان" يسعى إلى أبعاد السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بالاستعانه عليه بالشاه و رجال البلاط، ليقوم هو نفسه بهذا الانقلاب. و قد حاول بالفعل بعد ذلك فى سنه ١٣٠٢ هـ. ش. القيام بانقلاب جمهورى، و لكن الظروف قصرت يده و اتخذت الحوادث مجرى آخر.

و مهد الطباطبائى لانفاذ خطته بسجن جميع من يخشاهم من الأعيان و الوجهاء و طلاب الحريه فلم يبق فى الميدان أحد يستطيع مقاومته. أما "رضا خان" فكان أكثر تعقلا و أكثر تأنبا منه. فظل على تظاهره بالولاء للشاه و إطاعه أوامره.

و مع أن الشاه كان يسيء الظن بقائد الجيش و بجميع رجال الانقلاب فقد رأى أن لا وسيله لديه للوقايه من خطر الطباطبائى غير إبعاد "رضا خان" عنه. فقد كانت فى يد هذا قوه القوزاق، و لو اتحد هو و الطباطبائى و ظلا على ما كانا عليه فى أول الأمر من اتفاق لنجح الطباطبائى فى إنفاذ خطته قطعاً.

و كان رجال البلاط أيضا على هذا رأى. و من ثم أخذ الشاه يعامل "رضا خان" بعطف و عنايه. من ذلك ما فعله فى اليوم الأول من شهر فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. فى احتفال رسمى أقيم فى القصر الملكى لمناسبه عيد النيروز. فقد أثنى على "رضا خان" بمسمع و مشهد من الحضور و حمد له خدماته و اجتهاده و كفاءته و أنعم عليه بسيف مرصع القبضه. و كان هذا السيف يعد من أعظم الإنعامات الملكيه على العسكريين. و قال له، و هو يدفع إليه السيف "لقد أثبت و أوضحت أن الايرانى أهل لاداره الجيش".

و قد نجحت حاشيه الشاه فى إيقاع الخلاف بين الطباطبائى و "رضا خان". فكان تسرع الطباطبائى و شدته فى اتخاذ تدابير من جهه، و مخالفه "رضا خان" له من جهه أخرى السبب فى إحباط مسعى الطباطبائى.

و لكن الشاه، و قد نجا من مؤامره الطباطبائى، عاد بعد ذلك فوقع فى حبال "رضا خان" الذى نجاه منها. فقد كان قصد هذا تنحيه الطباطبائى من طريقه ليكون هو صاحب الانقلاب على الشاه.

و بعد عشرين يوما من الإنعام على "رضا خان" بالسيف أقام فى ٢١ فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. مناوره عسكريه واسعاه فى ظاهر طهران بحضور "أحمد شاه" و رئيس الوزراء و الوزراء و ممثلى الدول الأجنبيه.

و بذلك أفهم خصمه أن زمام القوه العسكريه فى يده.

و اتسعت شقه الخلاف بين الرجلين حين علم الطباطبائى أن "رضا خان" قد أمن طلبته "جهان شاه خان" (أمير أفشار) الزنجانى و أجاره فى بيته. و سكت الطباطبائى عن هذا الأمر بضعه أيام إلى أن اجتمع بقائد الجيش "رضا خان" و بعض الوزراء فى جلسه

لبحث شؤون الجيش.

و بعد انتهاء البحث سال الطباطبائي "رضا خان": هل من جديد لديك؟ فقال: نعم. تلقيت برقيه من قزوين من "جهان شاه خان" يستأمنني فيها فامنته، ثم حضر إلى طهران و هو الآن في بيتي.

ص: ١٨٣

فقال له الطباطبائي: الخير في أن تتصرف إلى ما هو من اختصاصك من الأعمال و تتجنب التدخل في الأمور السياسيّه. فاغظ له "رضا خان" الجواب حتى أنه شتمه ثم غادر غرفه الاجتماع غاضبا.

و أخاف هذا الحادث الوزراء الحاضرين. و قال السيد "ضياء الدين الطباطبائي": من الممكن أن يقدم قائد الجيش على مقاومتنا و الانتهاء بالوزاره إلى السقوط، إذ أن كل قوى الجيش بيده. و قر رأى الوزراء. بعد المذاكره، على وجوب السعى إلى مصالحته و رفع الخلاف من بين الطرفين.

و من ثم ذهب فريق منهم إلى منزل "رضا خان" يسترضونه، و يلتمسون منه الحضور معهم إلى حيث يجتمع الوزراء لاحلال الصفاء و الصلح فيما بينهم و إزاله أسباب الجفاء و التنافر.

و لكن "رضا خان" رفض الذهاب إلى محضر الطباطبائي. و لم يكتف بهذا بل شتمهم أيضا و هدد الطباطبائي بان يفعل و يفعل...

و لما أبلغ الوزراء إلى رئيسهم هذه النتيجة تقرر، بعد المذاكره، أن يذهب السيد "ضياء الدين الطباطبائي" إلى منزل "رضا خان" يسترضيه و يصالحه. و لكنها كانت مصالحه ظاهريه. فقد دأب الطباطبائي من ذلك اليوم على التفكير في وسيله يبعد بها "رضا خان" عن القوه التي تسنده، أى رئاسه كتيبه القوزاق.

و دأب "رضا خان" على التفكير فى وسائل تمكن مكانه و تقويه فى هذه الكتيبه ليصبح أقدر على مقاومه السيد "ضياء الدين الطباطبائي". من ذلك أن أخذ يعيد إليها ضباطا كانوا قد خرجوا منها أيام رئاسه الضباط الروس لها. و قد تركوها لاستيائهم من أوضاعها التي كانت عليها يومئذ. و من ثم تكون إعادتهم إليها يدا ل "رضا خان" عندهم فيكسبهم إلى جانبه.

و فى ١٢ فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أمر وزير الحربيه "رضا خان" بإرسال مائه جندي لمرافقه أحد الضباط فى مهمه كلف القيام بها فى بعض الولايات. فلما وصل الأمر إليه رفض أن يرسل أكثر من ثلاثين جنديا. و بعد جدل طويل قبل أن يرفع العدد إلى خمسين جنديا.

و فى ٢٦ فروردين سنه ١٣٠٠ هـ. ش. أرسل إليه وزير الحربيه أمرا خطيا مستعجلا فخرقه، و أمر أحد الضباط باصطحاب أربعين قوزاقيا إلى وزاره الحربيه و اعتقال الوزير و جلبه إلى الثكنه مقيد اليدين و لكن جماعه من الضباط توسطوا و ما زالوا به حتى صرفوه عن إنفاذ هذا الأمر. و بعد بضعه أيام اجتمع قائد الجيش "رضا خان" و وزير الحربيه، و كان رئيس الوزاره حاضرا أيضا. فشغب "رضا خان" على الوزير و أغظ له الكلام و أهانه.

و أخرج هذا الوضع السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و أخذ يفكر فى وسيله يقلل بها قوه هذا الخصم. فاستشار وزير الحربيه و أحد ضباط الدرّك.

و بعد مذاكرات طويله جرت بينهم ارتأوا أن خير وسيله إلى ذلك هى تعيين "رضا خان" وزيرا للحربيه. فيتخلى عن رئاسه كتيبه القوزاق و تنقطع صلته بهذه القوه التي يعتمد عليها، و تسند رئاستها إلى رجل آخر. فإذا استحكّم مكان الرئيس الجديد أمكن

تنحيه "رضا خان" و الخلاص منه.

و فى اليوم الثانى استقال وزير الحريه من منصبه. و فى الرابع من شهر أربيهشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. الموافق ١٥ شعبان سنه ١٣٣٩ هـ. ق أصبح "رضا خان" وزيراً للحريه. و لكن سعى هؤلاء الثلاثة خاب، إذ أن وزير الحريه الجديد ظل محتفظاً برئاسه كتيبه القوزاق مع وزاره الحريه.

فازداد قوه على قوه، و أخذ نفوذه يزداد يوماً بعد يوم.

و استمر الخلاف بين وزير الحريه "رضا خان" و رئيس الوزراء السيد "ضياء الدين الطباطبائى" فى داخل الوزاره. و بلغ الخلاف إلى أن يحتاط "رضا خان" لنفسه، خوفاً من أن يبيت له الطباطبائى سوءاً. فقاطع جلسات الوزاره لا يحضرها لثلاثاً يقدم الطباطبائى يوماً على اعتقاله و إلقاءه فى السجن. و غير حرس الوزاره فاستبدل بهم حرساً آخر ممن يثق بهم من الجنود. و عجل بنقل الكتيبه القوزاقيه إلى ثكنتها الصيفيه المعتاده قبل حلول الصيف، إذ كانت هذه الثكنه أمنع. بل كان من يوم قدومه من قزوین إلى طهران يحتاط لنفسه. من ذلك أنه كان ينام فى الثكنه لا فى منزله، و أمر جماعه من ضباط القوزاق أيضاً أن يكون مبيتهم ليلاً فيها. و أن يكون مبيت بعضهم قريباً من غرفه نومه.

و فى كل خلاف وقع بين "رضا خان" و الطباطبائى كان هذا يسعى إلى استرضائه و مصالحته. من ذلك أن صالحه، بعد خلاف من تلك الخلافات، بان فصل كتيبه الدرک، و هى ثانى قوه بعد القوزاق، عن وزاره الداخليه و ألحقها بوزاره الحريه. و بذلك أمسك "رضا خان" بزمام القوه العسكريه كلها. و فى هذه المصالحه أقسم كلاهما يميناً، و بينهما القرآن، بان لا يخون أحدهما الآخر.

و لكن الخلاف عاد فتجدد بينهما. فقد وصلت إلى صندوق البلديه أموال بعض الضرائب. فطلبها "رضا خان" لانفاقها فى بعض شئون الجيش. فرفض رئيس البلديه دفعها إليه بغير إذن من رؤسائه فى الحكومه.

فما كان من "رضا خان" إلا أن أرسل جماعه من القوزاق إلى دار البلديه فاجبروا المسئولين فيها على دفعها إليهم بالقوه. فكان هذا العمل تمرداً صريحاً على الطباطبائى و إهانته له. و قد ظل هذا الخلاف بلا مصالحه إلى أن استقالت وزاره الطباطبائى.

و فى يوم ٢٨ أربيهشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. قام "رضا خان" بجوله تفتيش فى ثكنه القوزاق. فرأى أن بعض التجهيزات الحريه غير كافيه. فبادر إلى طلب حاجته من هذه التجهيزات من قزوین و إرسالها مع أول وسيله نقل تغادرها إلى طهران. فبادر معسكر قزوین إلى إجابته طلبه فى الحال و أرسل التجهيزات المطلوبه على أربع من عربات الشحن.

و علم السيد "ضياء الدين الطباطبائى" بذلك. فأرسل إلى قائد فرقه قزوین يأمره باستعادة العربات. فلما علم "رضا خان" بما أمر به الطباطبائى أرسل ضابطاً كبيراً من ضباطه بالسياره فاحضر العربات إلى طهران غير معتن بامر الطباطبائى.

و عندئذ أيقن الطباطبائى أن خصمه لن يسالمة: فاخذ يعد عدته لمقاومته. و شرع بإفساد ما بينه و بين كبار ضباط القوزاق الذين فى قزوین.

و نجح فى مسعاى و كادت تقع الواقعه بينهما لولا اضطرار الطباطبائى الى الاستقاله فانحسم ما بينهما اضطرارا.

و فى ٨ رمضان سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٢٧ أربيهشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. نقل "رضا خان" (وزير الحربى) الضابط الدركى "كاظم خان" من منصب حاكم طهران العسكرى الى وزاره الحربى و جعله رئيس القياده العسكرىه العليا (أركان الحرب). و "كاظم خان" هذا كان

ص: ١٨٤

سابقا مرافقا للكولونيل الانكليزى "إسمائس".

تزعرع وزاره الطباطبائى

عم الاستياء من دكتاتوريه السيد " ضياء الدين الطباطبائى " .

فالعود البراقه التى وعد بها، كتوزيع الأراضى الحكوميه على الفلاحين لم يتحقق شىء منها، و معاهد سنه ١٩١٩ م خرجت من الباب لتدخل من الشباك. و حرية الكلام ممنوعه. و اعتقال الناس و سجنهم لا- يستند إلى قانون. و المجلس النيابى لا يزال معطلا- و القرارات الصالحه الأخرى، كتحریم تدخين الترياق (الأفيون) على الموظفين و تحريم شرب الخمر و المتاجره بها، و إقامه دار الأيتام و إناره الشوارع بالكهرباء و مكافحه التيفوس، فان ما فيها من إحسان لا يغطى ما يقوم إلى جانبها من إساءات ضخمه. و القرارات الديماغوجيه الأخرى، التى أريد منها تملق شعور العامه، كالتعطيل يوم الجمعة و منع استعمال الحروف اللاتينيه و التشدد فى حجاب النساء، سرعان ما خمدت الحماسه لها بالقياس إلى ما قاساه الناس من زياده الضرائب على ضروريات الحياه و جور بعض حكام الولايات و تعديهم على أموال الناس كحاكم قزوین و حاكم زنجان و غيرهما. و ما أشبه ذلك من تصرفات جائره.

و زاد فى متاعب السيد "ضياء الدين الطباطبائى" انصراف رفيقه القديم "رضا خان" إلى مخاصمته. فقد كان هذا العسكرى ساعده الأيمن فى تحقيق ماربته. و كان الطباطبائى يرجو أن يكون الدماغ المسير لهذا الجندى القوى، فإذا به ينقلب عليه. و حرمة جلاء العسكر الانكليزى عن إيران من دعامة قويه من دعامات حكمه. و تكتل فى معارضته نخبه من كبار السياسيين و الأعيان و أصحاب النفوذ و رجال الدين.

و أصبحت دكتاتوريه الطباطبائى عبئا يشعر بثقله كل إيرانى. و قام رجال الدين و غيرهم من أهل الوجاهه و المعرفه يتحدثون إلى الناس فى المجالس و المجمع عن استبداده و خيائته. و لم يبق فى يد الطباطبائى من وسيله للاحتفاظ بمقامه غير القوه و الإكراه. و أما السفاره الإنكليزيه فلم يبد منها ما يدل على أنها غير راضيه عن خطته.

و الصحف التى عادت تصدر أكرهت على التزام التحسين لسياسه الحكومه؛ فمن أبى منها أوقف. إلا أن بعض صحف الأقاليم البعيده عن المركز تجرأ على انتقاد الوضع لقصور يد السلطه المركزيه عنها بسبب البعد.

و صودرت إحداها مره فى إداره البريد فى طهران لنشرها نقدا شديدا لسياسه الحكومه و دعوتها الناس إلى إسقاط حكومه السيد "ضياء الدين الطباطبائى".

و أخذ المعارضون يبتون فى السر ليلناشير يحرضون بها الناس على الحكومه و يشرحون أعمالها الاستبداديه. و انفجرت قبله عند إحدى البوابات، و عجزت الحكومه عن اكتشاف الفاعل.

و أخذ رجال الدين و غيرهم يعقدون اجتماعات سرية يتداولون فيها البحث فى طريقه إلى الخلاص. و ارتأوا مره أن يظهروا معارضتهم بالاعتصام فى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) أو فى مدينه قم أو فى إحدى السفارات الأجنبيه. ثم أحجموا إذ

تبينوا أن الحكومة قادره على منعهم من إنفاذ قرارهم واعتقالهم.

وقامت مظاهرات فى بعض الولايات. فاضربت مدينه قم و تجمع أهلها فى ساحه مقام " المعصومه " إظهارا لمعارضتهم. و تجددت الثوره فى مازندران. بل بلغ سوء الحال إلى أن اعترض السفير السوفياتى بصوره شخصيه غير رسميه، على تشوش الأوضاع، فسأل: ما هو نوع الحكم فى إيران؟ إن يكن هذا الحكم ملكيا فرديا فعلى أن أرجع فى معاملاتى الرسميه إلى الشاه. و إن يكن برلمانيا فالواجب أن تحصل أعمال الحكومه كلها على موافقه المجلس النيابى لتكون شرعيه، لا أن تنفرد الحكومه برأيها و تصنع ما يحلو لها.

و خشى "أحمد شاه" عواقب الحال، فاستدعى رئيس الوزراء و نبهه إلى سوء أحوال الدوله. فأجابه الطباطبائى بقوله: "إن مثل هذا التدخل من صاحب الجلاله فى شئون الدوله هو الذى يفسدها. و قوانين المملكه لا تسمح للشاه بان يتدخل فى شئونها، و توجب منح رئيس الوزراء الحريه فى تصريف الأمور ليستطيع إقامه مركزيه قويه، و يقصر يد المتمردين".

و أرسل "قوام السلطنه" من سجنه الذى ألقاه فيها الطباطبائى رساله إلى الشاه شرح له فيها وضع البلاد الحقيقى. فكان لهذه الرساله أثر كبير فى نفس الشاه و زادت فى نفرتة من الطباطبائى.

مساءى الطباطبائى

فى الثامن و العشرين من شهر أردبهبشت سنه ١٣٠٠ هـ. ش. بعد حوالى ثلاثه أشهر من تولى السيد "ضياء الدين الطباطبائى" رئاسه الوزاره، أيس الطباطبائى من استطاعته الاستمرار فى الحكم، و قد جافاه الشاه و ناصبه "رضا خان" العدا. و استاءت منه أكثرية الناس. ففكر بالقيام بانقلاب مسلح. على الشاه و "رضا خان". و فاتح أرمن طهران الطاشناق بهذه الفكره، و اقترح عليهم أن يسلحهم لهذه الغايه. و لكن أكثريتهم رفضت الاقتراح لأن عدتهم لا تكفى لهذه المهمه.(١)

و لكن الطباطبائى عزم على المضى فى مغامرته، فأرسل برقيات رمزيه إلى رؤساء جنود الدرک المقيمين فى الولايات القريبه من طهران، كقم و قزوین و سمنان و غيرها، أمرهم فيها بان يتحركوا بجنودهم إلى أماكن عينها لهم، فيتوقفوا فيها إلى أن يأتيهم من طهران من يلقى إليهم بكلمه سر. فإذا ألقاها إليهم تبعوه و ائتمروا بامرهم. و لكن بلغهم نبا سقوط وزاره الطباطبائى قبل وصولهم إلى الأماكن المعينه، فعادوا إلى أماكنهم التى خرجوا منها.

و سعى الطباطبائى إلى مواطاه أخى الشاه ولى عهدة "محمد حسن ميرزا" على التخلص من الشاه بالاغتيال أو الخلع و توليته الملك فى مكانه.

و أخذ يفاوض ولى العهد فى السر. و لكن الحرس القوزاق الذين يرافقون ولى العهد أعلموا "رضا خان" ثم أعلموا الشاه باجتماعات السيد "ضياء الدين الطباطبائى" السريه بولى العهد. فعزم الشاه على عزل الطباطبائى و إبعاد ولى العهد.

عزل الطباطبائى

كان "أحمد شاه" يرغب فى عزل الطباطبائى قبل وقوع هذه الحوادث، و لكن السفاره الإنكليزيه كانت تكرهه على إبقائه فى

منصب رئاسه الوزراء. و أرسل إليه مره يأمره بالاستقاله فرفض، و أمتنع عن الحضور إلى البلاط مدعيا المرض. فلما ضاق الشاه ذرعا بهذا الوضع عزم على مغادره

ص: ١٨٥

١- في إيران جاليه أرمنيه كبيره جاءتھا في عهد الشاه عباس الأول.

إيران و الإقامة في أوروبا. و أعلن بعزمه هذا في اليوم السابق ليوم الاحتفال بذكرى تتويجه الذي أقيم في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ١٦ أربديهشت سنة ١٣٠٠ هـ. ش.

و حاول الطباطبائي ثنى الشاه عن عزمه إذ كان في سفره هذا إحراج له، فلم يوفق، فاستنجد بالسفير الانكليزي ليقنع الشاه بالعدول عن السفر. و كان في جملة ما قاله السفير للشاه أن أوضاعهم لا تمكنهم من توفير أسباب الأمن للشاه في إنكلترا. فقال له الشاه لا أطلب منكم توفير شيء من أسباب الأمن، و لا بد من السفر. فقال له السفير: لعلك تنوى التنازل عن العرش؟ فقال الشاه: نعم! فقال السفير: و لما ذا لا تعلن بتنازلك هنا في إيران؟ فقال الشاه: هنا لا أستطيع أن أذكر أسباب إقدامي على التنازل.

أما في أوروبا فاستطيع أن أعلم الدنيا بأسبابه. و إذ ألح السفير على الشاه في طلب معرفه الأسباب قال له الشاه: السبب إنما هو تدخلاتك في شئون إيران. فاهم هذا الجواب السفير الانكليزي، و اضطر إلى الرضوخ و الموافقه على استقاله السيد "ضياء الدين الطباطبائي". و لكنه طلب من الشاه تكليف قائد الجيش "رضا خان" بتشكيل الوزارة الجديده. فرفض الشاه و قال: الأفضل أن يبقى كما هو وزيراً للحريه. و بهذا تحرر الشاه شيئاً ما من السيطره الإنكليزيه. و عزم عزمًا قاطعًا على عزل السيد "ضياء الدين الطباطبائي".

و في ١٦ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق الموافق ٣ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش كان جمهور كبير من الأهالي مجتمعين في مسجد الشاه، و هو من أكبر مساجد طهران، كعادتهم إذ يجتمعون في المساجد أيام شهر الصيام.

فاغتمت جماعه فرصه اجتماعهم ليحولوه إلى مظاهره معارضه لحكومته الطباطبائي. و صعد بعض رجال الدين و غيرهم المنبر و انتقدوا الحكومه و سياسه إنكلترا انتقاداً شديداً. و حمسوا الحاضرين، و كانوا حوالى ثلاثه آلاف فأخذوا يصيحون مكررين هذا الهتاف: نرفض السيد ضياء الدين...

كان في طباع الطباطبائي عجله و غرور و استبداد بالرأى. و كان رفاقه من الوزراء و الحاشيه ضعفاء منقادين إليه لا يحسنون نصحه. و كان بحكم ميوله السياسيه يعادى السوفيات و يصانع الإنكليز. و لكن سعيه في هذه السياسه كان بعيداً عن اللباقه و النضج و الروح الدبلوماسيه. و حمل هذا السلوك السوفيات على الحذر منه. من ذلك أن السفير السوفياتي طلب منه أن يبقى المندوب الايرانى الذى استقبله باسم الحكومه الإيرانيه عند الحدود و صحبه إلى طهران في معيته بضعه أيام أخرى. فأجابه الطباطبائي بان في سفارتكم معاونين إيرانيين أكفاء فارجع إليهم و لا حاجه بك إلى غيرهم.

و كان الطباطبائي قد واطا اثنين من هؤلاء المعاونين على أن يكونا جاسوسين له على السفير ينقلان إليه أخبار السفاره.

فاستاء السفير السوفياتي من هذا التصرف. و كان قبل ذلك شكاً من التشويش الحاصل في أوضاع الحكومه، التشويش الذى حيره في معاملاته الرسميه. و نقل السفير إلى الشاه ما يلقاه من جفاء في معاملته الطباطبائي له.

و كان الشاه أيضاً يخالف مثل هذا السلوك. و أرسل السفير الايرانى في موسكو إلى الشاه ينبهه إلى خطأ هذه السياسه و يعرفه باستياء المسئولين السوفيات من تصرفات الحكومه الإيرانيه و ينصحه بتغيير وزاره. و من ثم كان لموقف السوفيات أثر في زعزعه حكومه السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و تصميم الشاه على تنحيته.

و فى ٣٠ أرببهبشت أو أول خرداد سنه ١٣٠٠ هـ. ش. حضر السيد " ضياء الدين الطباطبائى " إلى القصر الملكى ليجتمع بالشاه. فدخل إلى غرفته و السيكاره بين شففيه و جلس قبل أن يأذن له الشاه بالجلوس. فغضب الشاه و استدعى أحد رجال القصر و أمره قائلاً: انزع هذه السيكاره من فم هذا السيد و ألق بها بعيداً. ففعل ثم أمر الشاه الطباطبائى بالانصراف فانصرف. و كان هذا اللقاء آخر لقاء بينهما.

ثم استدعى الشاه قائد الجيش " رضا خان ". فلما حضر روى الشاه الواقعه و عقب بقوله: ليس فى الإمكان بعد اليوم مداراه هذا الرجل و مسالمته. لقد مللت. فأجابته " رضا خان " بقوله: كنا نحسب أن تصرفاته لا تخالف رغبه الملك. أما، إذ تبين الآن أنها على غير ما يهوى صاحب الجلاله، فليأمر جلالته يطع. فما أنا إلا جندى مطيع أضع سيفى فى تصرفه كلما أمرنى. فقال له " أحمد شاه ": اذهب و هبى لوازم سفر السيد ضياء إلى خارج البلاد.

و فى يوم ١٧ رمضان سنه ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٤ خرداد سنه ١٣٠٠ هـ. ش، أى ثانى يوم مظاهره مسجد الشاه، أصدر " أحمد شاه " مرسوما بعزل السيد " ضياء الدين الطباطبائى " من رئاسه الوزاره.

و فى صباح ذلك اليوم نفسه ذهب " رضا خان " و فى معيته بضعه ضباط و بضعه جنود من القوزاق، إلى بيت السيد " ضياء الدين الطباطبائى " و سيق مع بضعه رجال من رفاقه مخفورين إلى قزوین. و اعتقل فريق آخر منهم فى طهران. و ختم باب مكتب الطباطبائى فى دار الحكومه و مكاتب سائر الوزراء بالشمع الأحمر.

و من قزوین سيق الطباطبائى إلى الحدود. و من هناك تابع سفره إلى بغداد و منها إلى البصره فالمحمره فأوروبا. و تولى الإنكليز تهيئه وسائل سفره إلى أوروبا فأرسلوا من مرفا " بوشهر " الايرانى إلى المحمره سفينه حربيه كانت لقنصليتهم فى " بوشهر " نقلته إلى أوروبا. و فى المحمره نزل ضيفا على القنصل الانكليزى و ندم " رضا خان " بعد سفر الطباطبائى على أنه خلى سبيله و لم يعتقله. فأرسل إلى قزوین برقيه يأمر فيها بمنعه من السفر و اعتقاله، و أرسل أحد رجاله من طهران ليعود به إليها و لكن " أحمد شاه " رفض أن يعتقل و أمر بان لا يتعرض له أحد. فأبرق " رضا خان " إلى قزوین بالغاء أمره الأول. و انتهى الأمر بالسيد " ضياء الدين الطباطبائى " إلى النفى من إيران بعد أن ظل فى رئاسه الوزاره ثلاثه أشهر.

وزاره "قوام السلطنه"

و كلف " أحمد شاه " اثنين من رؤساء الوزاره السابقين بتشكيل الوزاره فرفضوا. و رشح لها وزير البلاط الحالى فرفضته السفاره الإنكليزيه و سئل السفير السوفياتى فقال رأينا ما يرتئيه الشاه و لا اعتراض لنا على من يختاره لرئاسه الوزاره.

ثم قر الرأى على تكليف "قوام السلطنه" بتشكيلها و كان مسجوناً بامر السيد " ضياء الدين الطباطبائى ". فاستدعى الشاه أحد أمراء البيت المالک و أمره بالذهاب إلى سجن "قوام السلطنه" و إبلاغه الأمر الملكى بتكليفه بتشكيل الوزاره، مع التنبيه إلى وجوب اجتنابه الاستسلام إلى سياسه

الإنكليز و سلوك الطريقه التي يطيب لهم سلوكها. فان قبل فاصطحبه إلى قصر "فرح آباد" لاصدار مرسوم تعيينه في منصب الرئاسة.

و ذهب الأمير القاجارى في ٢١ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق الموافق ٨ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش. إلى السجن. فلما دخل على "قوام السلطنه" وجده قائما يصلى. فلما فرغ من صلاته أبلغه الرسول أمر الشاه فأجاب بالقبول. ثم امتطيا إحدى السيارات الملكيه إلى البلاط. و اطمأن الشاه إلى عزم "قوام السلطنه" على أن تكون سياسته مقاومه لسياسه الإنكليز الاستعماريه. و في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ٩ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش. صدر المرسوم الشاهانى بتعيينه رئيسا للوزاره. و هكذا خرج [خرج] "قوام السلطنه" من السجن إلى مسند الرئاسة! و في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق. الموافق ١٠ خرداد سنة ١٢٩٩ هـ. ش. فتح "قوام السلطنه"، بأمر من "أحمد شاه" أبواب السجن و أفرج عن كل المعتقلين الذين حبسهم السيد "ضياء الدين الطباطبائى"، و جلس الشاه فى قصر "فرح آباد" لاستقبالهم. فوفدوا عليه و هم فى حاله محزنه من الضعف و الهوان و القذاره، فلاطفهم و طيب خواطرهم.

و فى ٢٧ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ. ق الموافق ١٤ خرداد سنة ١٣٠٠ هـ. ش انتهى "قوام السلطنه" من تشكيل وزارته، و ظل رضا خان "وزيرا للحريه فيها.

خبيه السياسه الإنكليزيه

انقلاب الثالث من إسفند سنة ١٢٩٩ هـ. ش الذى هياه الإنكليز انتهى بسياستهم فى إيران إلى الخبيه. و وصف أحد المستشارين الإنكليز الذين جاءوا إلى إيران بمقتضى معاهده سنة ١٩١٩ م فى كتاب له تلك السياسه و ما تبعها من خروج السيد "ضياء الدين الطباطبائى" من إيران بأنها أعمال تركت إنكلترا بلا صديق فى إيران، و جعلت صفوه السياسيين و المفكرين و الوطنيين الايرانيين ينحازون إلى معارضتها.

بل بدأت معارضه هذه السياسه فى أوساط الساسه الإنكليز و صحف إنكلترا من أوساط عهد وزاره الطباطبائى. بل كان فريق من السياسيين و العسكريين الإنكليز المقيمين فى إيران يعارضون فكره الانقلاب من يوم البدء فى التخطيط له، إذ كانوا يرونه مضرا بانكلترا. و وصف بعضهم خطه الجنرال "آيرن سايد" المخطط الأول للانقلاب، بأنها خيانه لانكلترا.

من أجل ذلك اضطرت الحكومه الإنكليزيه إلى استدعاء سفيرها من طهران، باعتباره أحد المسئولين عن خبيتها، و استبدلت به سفيرا آخر.

نشاط رضا خان

أما "رضا خان" فكان لا يفتك [ينفك] مثابرا على تقويه مكانته و جميع الأنصار حوله. و قبيل سقوط وزاره الطباطبائى بيضعه عشر يوما كان قد بلغ من نشاطه مجالا بعيدا، فاتصل بجماعه من أهل النفوذ و أحكم صلاته بهم. و أمر جماعه من المختصين به من ضباط القوزاق بالاتصال بالزعماء الشعبيين و أصحاب الكلمه المسموعه من الوطنيين و السياسيين و مصافاتهم و مداراتهم و إحكام الروابط بهم. و قد وفق فى مسعاه هذا كثيرا، حتى أن أربعين نائبا من نواب المجلس المعطل نشروا بيانا بعد سقوط وزاره

الطباطبائي أزروا فيه بالطباطبائي و عابوه و وصفوه بأنه مجرم و أنه معدوم الوجدان مأجور للأجنبي و استنكروا انقلاب الثالث من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و لكنهم تملقوا "رضا خان" و براءوه من مؤامره الانقلاب و قالوا إنه إنما قدم بجيش القوزاق إلى طهران يومئذ لظنه أنه يستجيب لأمر الشاه، فكان مخدوعا. و وصفوه بالوطنيه و لقبوه بألقاب التعظيم.

و لما أصبح "رضا خان" وزيرا للحريه في وزاره "قوام السلطنه" حرص على أن يكون حكام الولايات الجدد من أعوانه و أنصاره و بادر فور تشكيل الوزاره الجديده إلى إرسال أحدهم حاكما على قزوین.

و أخذ يعد العده لدمج الدرک و القوزاق فيه وحده عسكريه واحده و من ثم تصيح القوه العسكريه كلها في إمرته. و وسع تشكيلات الكتيبه القوزاقيه حتى عجزت ميزانيه الدوله - و كانت في ضائقه - عن إمدادها بكل احتياجاتها من النفقات. و لكنه ألح في الطلب حتى اضطر الوزاره إلى اتخاذ قرار بجعل نفقات الادارات العسكريه مقدمه على جميع إدارات الدوله. و أوكلت إلى وزارته، وزاره الحريه، إداره مصلحه الضرائب المباشره و إداره عائدات أملاك الدوله. و كان هذا الوضع يعجز الحكومه أحيانا عن صرف رواتب الموظفين المدنيين، و لكنه زاد في تقويه الجيش إلى حد بعيد و ترسيخ قواعد "رضا خان"، حتى أصبح مستطيعا أن يفرض كلمته على الوزاره فرضا.

و يبدو "رضا خان" في تلك الحقبه، من بين كل السياسيين و الحكام الايرانيين، أكثرهم براعه في التخطيط العملي للوصول إلى غاياته. فيشتد و يعنف بلا هواده حين تمكنه الشده و العنف و يسالم و يدارى إلى أقصى حد حين تقتضى مصلحته المسالمه و المداراه.

و قد بدأت أصول دكتاتوريته التي انتهت به، فيما بعد، إلى سيطرته سيطره كامله على إيران من اليوم الذي انفصل فيه عن السيد "ضياء الدين الطباطبائي" و ناصبه و ناصب وزير حربيته العدا، حتى اضطرهما و اضطر الشاه أيضا، إلى تجنب إغضابه و معاداته، مع ما كانوا يكونونه من كراهيه له و حذر منه. من ذلك اليوم أخذ يفرض إرادته [إرادته] فرضا و يتقدم نحو غايته خطوه خطوه حتى انتهى إلى الدكتاتوريه المطلقه.

و كان من أبعده غايته صياغه إيران في وحده متماسكه تلم البلاد من جميع أطرافها حول مركزيه قويه مسيطره. و من ثم أقدم، فيما بعد، على قمع الانفصاليين و استئصال نفوذ العشائر المتحكمه، فقام بحمله عسكريه حاسمه في خراسان و جيلان و أذربيجان و لورستان انتهت بانتصاره، و تحقيق غايته.

و لم يكن في سياسته هذه ما يضايق سياسه الإنكليز الجديده بعد تغيير سفيرهم. فقد كان يتجنب كل ما يغضبهم و يحملهم على الحذر منه. و كان على اتصال دائم بالسفير الانكليزي. بل كان توحيد إيران على هذا النحو غايه قديمه عند الإنكليز إذ يسهل ذلك عليهم ما بينهم و بين إيران من معامله. و كذلك تقويه الجيش الايراني كانت غايه لهم إذ يغنيهم ذلك عن إبقاء جيشهم في إيران لحفظ طريق الهند و صد السوفيات عن إيران. و كان ايقانهم بصدق "رضا خان" في معاداه السياسه السوفياتيه البلشفيه يحملهم على مناصرته و الاطمئنان إليه.

و لو لا ما ارتكبه، يوم انتهت إليه السلطه المطلقه، من استبداد و ظلم و غرور و سوء خلق، و ما خامر بعض تدابيريه الاصلاحيه من

فجاجة و قصر نظر لأدى لايران خدمه وطنيه كبرى. و قد انتهت كل تلك المقدمات التي برع

ص: ١٨٧

فى تهيتها لاقامه الملك بهلوى ببلاده إلى حاله مؤيسه من الركود و الانحلال و فساد الحكم و سلب الحريات العامه.

بعض الأحداث

و فى ١ من شهر تير سنه ١٣٠٠ هـ. ش. الموافق ١٥ شوال سنه ١٣٣٩ هـ. ق. افتتحت حكومه "قوام السلطنه" المجلس النيابى المعطل.

و هو رابع مجلس انتخب بعد إقامه النظام البرلمانى فى عهد "مظفر الدين شاه". افتتحة "أحمد شاه" بكلمه مفصله. ثم ألغى قانون منع التجول.

و لكن الحكم العسكرى ظل قائما.

و فى ٩ تموز سنه ١٩٢١ م الموافق ١٧ تير سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و ذى القعدة سنه ١٣٣٩ هـ. ق جلا العسكر الروسى عن مدينه رشت. ثم تمكنت الحكومه من القضاء على حركات التمرد فى مختلف الأقاليم.

أيام العزاء الحسينى

و فى مطلع شهر المحرم من سنه ١٣٤٠ هـ. ق أقيمت فى حسينيه الثكنه القوزاقيه مراسم العزاء الحسينى المعتاده. فى إيران. و وقف قائد الجيش وزير الحربيه "رضا خان" يستقبل مواكب العزاء موكبا موكبا. و كل موكب منها ينتمى إلى فئه من الأهالى. و هى مواكب تطوف فى المدينه أيام المحرم، و تؤم فى أثناء طوافها المجالس التى يعقدها الأعيان و العلماء للعزاء الحسينى، فتتوقف فيها قليلا ثم تمضى فى طوافها. فكان "رضا خان" كلما دخل موكب منها إلى الثكنه استقبله بالبشاشه و التودد، و أهدى رئيسه شالا.

و دعا إلى قراءه السيره الحسينيه فى الثكنه كل فراء [قراء] التعزیه فى طهران، و أهدى كل واحد منهم مبلغا من المال. و أقبل الناس على حضور هذا المجلس إقبالا عظيما من كل الطبقات، حتى إن الشاه نفسه حضر إليه فى اليوم الثامن من المحرم.

و فى يوم عاشوراء شكل القوزاق موكب عزاء منهم. و جعلوا فى أوله فرقه موسيقيه تعزف لحنا حزينا. و سار فى مقدمته "رضا خان" و قد حسر عن رأسه و عفره بالتراب، علامه الحزن، و وراءه الضباط و راءهم الجنود، و قد فعلوا فعله، حسروا عن رءوسهم و عفروها بالتراب، و أخذوا يطوفون فى المدينه. و كان "رضا خان" يواظب على حضور المجالس الأخرى، و أكثر حضوره كان فى مجلس أصحاب الحرف. و كان بعض الوعاظ و قراء التعزیه إذا حضر مجلسا ذكروا اسمه على المنبر و أثنوا عليه و دعوا له، فيعرف الجمهور أن وزير الحربيه حاضر فى المجلس.

و فى مساء اليوم العاشر ليله الحادى عشر من المحرم المعروفه عند الايرانيين باسم "شام غريبان" أمسيه المغربين"، خرج وزير الحربيه قائد الجيش "رضا خان"، على عادته الايرانيين فى تلك الليله، حاسر الرأس حافيا و فى يده شمعته و وراءه جنود القوزاق حاسرين حفاه و فى يد كل منهم شمعته، و ساروا إلى مجلس التعزیه الذى يقام فى المسجد الجامع و المجلس الذى يقام فى مسجد الشيخ عبد الحسين، و هما من أكبر مجالس طهران، فطافوا، و هم على هذا الوضع، حول كل من المجلسين.

و قد فعلت هذه المظاهر فعلها في نفوس العامه، و اكتسب "رضا خان" شعبيه واسعه. إذ أن ولاء أهل البيت متمكن في نفوس الايرانيين، و لهم عنايه فائقه باقامه مراسم العزاء الحسيني و حرص شديد على المشاركه فيها و إدامتها. و ثبت في نفوسهم أنه ناصر للدين. و ظل مواظبا على هذه المظاهر في أشهر المحرم من كل سنه. و كانت هذه السيره إحدى وسائله لتثبيت مكانه.

أحوال العماد

لم يكن كل المتمردين في الأقاليم في تلك الحقبه من أهل الفتنة و طلاب المنافع الشخصيه الخاصه. بل كان فريق منهم من كرام الوطنيين الأحرار، ثاروا دفاعا عن الكرامه و الحريه و نقمه على الفساد و الاستبداد و التدخل الأجنبي الاستعماري، مثل "الشيخ محمد الخياباني" (١) في أذربيجان و "الميرزا كوشك خان" في جيلان و ضابط الدرک الكولونيل "محمد تقى خان" (٢) في خراسان و "أمير مؤيد سواد كوهي" (٣) في مازندران. و سواء

ص: ١٨٨

١- قتل في عهد وزاره "مشير الدوله". و قد مرت كلمه مفصله عنه.

٢- من خير العسكريين الايرانيين في تلك الحقبه، انضباطا و شجاعه، و من أوسعهم ثقافه عسكريه. جاءته مره رساله من أحد أصدقائه و هو في الجبهه يحارب فريقا من المتمردين. فأجابه عليها برساله أدبيه شجيه استشهد فيها بيت المتنبي المشهور: الخيل و الليلو البيداء "تعرفنا" و السيف "و الضيف" و القرطاس و القلم كان رئيسا لفرقه درك خراسان في زمن وزاره السيد "ضياء الدين الطباطبائي". خرج في خراسان على الحكومه المركزيه في عهد وزاره "قوام السلطنه". و كان "رضا خان" وزير الحريه يحقد عليه لأسباب شخصيه. سير إليه هذا حمله من القوزاق و ساعدهم عليه أيضا مسلحون من أكراد "قوشان". و وقعت بين الفريقين معركه عنيفه بالقرب منها. و قام الأكراد بالقسط الأكبر من الحرب. و تغلبوا عليه. و قتلوا من رجاله مائه دركي و أسروا الباقي، و لم يبق معه غير ثلاثه من رجال الدرک. و مع ذلك ظل يقاوم إلى أن قتل هؤلاء الثلاثه أيضا و بقي وحده. و انهال الرصاص عليه من كل جانب فوق صريعا. و قطع الأكراد رأسه ضربا بالسيوف و علقوه على شجره. و حملوا جسده فألقوه في منزل أحد رؤسائهم. و ظل ملقى فيه مده يومين. و كان ذلك في غره صفر سنه ١٣٤٠ هـ. ق. و لما بلغ خبر مقتله مدينه مشهد عمها الحزن. و بادر أهلها إلى حمل الجسد و الرأس إلى مدينتهم في الخامس من صفر. و في السادس منه تعطلت كل الأعمال في مشهد. و حمل الأهالي الجثمان على عربه مدفع و خرجوا عن بكره أبيهم في تشييعه يحملون أكاليل الزهر و ساروا به على إيقاع موسيقى حزينه، و مدفع يرسل طلقات متواصله، إلى أن بلغوا به مقبره "نادر شاه" فدفنوه فيها. و بعد شهر تقريبا جاءت إلى مشهد فرقه من القوزاق فاعتقلوا جماعه من أهلها. و في ١٤ آبان سنه ١٣٠٠ هـ. ش. ذهب القوزاق ليلا- إلى مقبره نادر شاه فنبشوا قبر الكولونيل "محمد تقى خان" و أخرجوا جثمانه منه و دفنوه في المقبره العامه و عفوا أثره. و لكن الأهالي ظلوا يلتمسون مكان القبر حتى وجدوه، فآظروه و عمروه و نصبوا عليه شاهدا. و من ذلك اليوم أصبح قبره محججه الخراسانيين يزورونه أفواجا، يقرءون له الفاتحه، و تلقى عنده الخطب الوطنيه الحماسيه و تتناقلها صفحات الجرائد، إلى أن استتب الحكم الدكتاتوري لرضا خان، فأمر بتحويل تلك المقبره إلى حديقته عامه و تسويه أرضها، فضاء القبر.

٣- من زعماء مازندران و من أهل الثقافه. عصى الحكومه المركزيه فسير إليه "رضا خان" وزير الحريه حمله عسكريه في ١٦ تير سنه ١٣٠٠ هـ. ش. فهزمته و تفرق جنده و فر هو و ولدان له و بعض رفاقه إلى الغابات. و إذ كان هذا الثائر من زعماء الإقليم

راسخ الأصول فيه محبوبا وطنيا طيب السمعه و كانت الحكومه لذلك تخشى من أن يعود إلى العصيان، فقد ارتات أن تصالحه و تستقدمه إلى طهران مكرما فتأمن جانبه و تستجلب قلوب أنصاره إليها. فأرسلت إليه وفدا من كرام الوطنيين أمنوه باسم الحكومه و أقنعوه بان فى مصالحتها خيرا لايران لأن أهم أسباب تدمره، و هى تدخل الأجانب فى شاون البلاد، قد زالت.. فروسيا السوفياتيه قد تخلت عن سياسته روسيا القيصريه السابقه و تركت إيران و شأنها. واضطرت بريطانيا أن تحذو حذوها. و الحكومه الإيرانيه بحاجه إلى مساعدته لها. و لا مانع بعد اليوم بمنعه من ذلك. فافتنع بهذا المنطق و قدم إلى طهران على هذه النيه. و زاد "رضا خان" فى تكريمه فأنزله ضيفا عليه فى بيته. و اقترح عليه إدخال ولديه فى الجيش، فقبل و عينهما "رضا خان" فى فرقه جرجان العسكريه. و لكن "رضا خان" لم يلبث، يوم أصبح رئيسا للوزاره بعد ذلك، أن غدر به. فقتل ولديه ليلا بزعم أنهما فرا من مكان خدمتهما. فلما بلغ خبرهما إلى أبيهما ضربته صدمه نفسيه أفقدته الذاكره و تولته حاله من الذهول لم يلبث بعدها إلا قليلا. و مات و صادر "رضا خان" كل أملاكه و أمواله فى مازندران. و يتصل بهذه القصة المؤلمه - كما يروى - واقعه من أغرب الوقائع. و هى أن "أمير مؤيد سوادكوهى" هذا كان يوما، قبل أحداث عصيانه بمدى طويله، راكبا مع جماعه من فرسانه يتفقد أملاكه و شئون ولايته. فسمع، و هو فى الطريق بين "سوادكوه" و مازندران صوتا من امرأه تبكى و تستغيث منبعثا من داخل غابه. فأمر رجاله بتقصى الخبر. فدخلوا الغابه ثم عادوا و معهم امرأه شريده فى هيئه محزنه من الدهشه و التألم و الخوف. فاستفسرها "أمير مؤيد" عن أمرها فأخبرته بأنها زوجه "داداش بيك" (أبى رضا خان) و زوجها غائب فأخذوا يؤذونها فى طهران. و أنها حامل و لزوجها امرأه أخرى و لها أولاد. و أن ضررتها و أولادها اغتموا فرصه غياب زوجها فأخذوا يؤذونها و يحاولون إسقاط جنينها ففرت منهم. فتالم "أمير مؤيد سوادكوهى" من ذلك. و كان يعرف زوجها معرفه تامه إذ هو من رجال قبيلته و من ماموريه. فأمر بحمل المرأه إلى منزله لتقيم بين أهله فحملت إليه. و تابع "أمير مؤيد" سفره. و بعد عودته وضعت زوجه "داداش بيك" فى بيته و بين أهله صبيبا هو "رضا خان" هذا نفسه. و ظل مع أمه فى بيت "أمير مؤيد" إلى أن عاد "داداش بيك" من طهران إلى مازندران فنقلهما إلى بيته.

أ كانت الطريقة التي اختارها هؤلاء لمقاومه الفساد خاطئه أم مصيبه فقد كانوا شرفاء في مقاصدهم، محبوبين عند الناس. و قد استعملت في محاربتهم و التنكيل بهم وسائل دينيه، من الغدر بعد التأمين و التمثيل بالجثث. و من ثم عم الأسف عليهم. و روى الشعراء "محمد تقى خان" خاصه بقصائد شجيه. و نشر أحد الصحفيين فى هذا الموضوع مقاله أغضبت وزير الحريه "رضا خان" فأمر اثنين من جنود القوزاق إذ كان الحكم العسكرى لا يزال قائما، بالذهاب إلى إداره تلك الجريده و اعتقال صاحبها. فاعتقلوا [فاعتقلوه] و جاءوا به إلى ثكنه القوزاق. فجعل "رضا خان" يشتمه شتما قبيحا ثم أمر بجلده فجلد حتى أغمى عليه مرتين. ثم أمر بحبسه فى إصطبل الدواب. و على أثر هذه الحادثه أقدم جماعه من الصحفيين على الاعتصام فى السفاره الروسيه و المجلس النيابى مطالبين بإنفاذ القانون الأساسى.

تعديل الوزاره

و وقع الخلاف بين رئيس الوزاره "قوام السلطنه" و وزير الحريه "رضا خان"، كما كان متوقعا. و السبب الأول هو استنكاف رئيس الوزاره عن الرضوخ لمحاولات "رضا خان" فرض سيطرته المتزايد على الوزاره و إصرار هذا على أن يكون هو المهيم على كل الأمور. و كان مما يجمع بينهما مؤقتا عداوتهما المشتركه للضابط "محمد تقى خان" فلما قضى عليه انفصم ما بينهما من جامع و عادا إلى التصارع. و كان كل منهما عنيدا صعب المراس.

و زاد فى حرج رئيس الوزاره اعتراضات عليه من بعض النواب فعزم على الاستقاله فى يوم ٢٠ من شهر المحرم سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٣١ شهر يور سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و لكن "أحمد شاه" تدارك الأمر لكيلا يتنحى "قوام السلطنه" عن منصبه إذ كان هو وحده من يراه أهلا لمعارضه "رضا خان" و تقصير يده. فدعاها إلى و أصلح بينهما. و سعى هذا المسعى أيضا نائب رئيس المجلس النيابى السيد حسن المدرس و نواب آخرون. و بقى "قوام السلطنه" فى رئاسه الوزاره مع تغيير بعض الوزراء.

و ثابر "رضا خان" على تقويه جيشه و زيادته حتى أصبحت عده القوزاق حوالى ثلاثين ألف جندى يأترون بامرهم. و سعى إلى السيطرة على كتيبه الشرطه فنقل بعض ضباط القوزاق إلى سلك الشرطه و نقل بعض ضباط الشرطه إلى سلك القوزاق. فكان هذا العمل مقدمه للسيطره التى يسعى إليها. و قد أفاده بعد ذلك فائده كبيره.

نهايه "الميرزا كوشك خان"

بعد تثبيت الوزاره و تعديلها تابع "رضا خان" حملاته لقمع المتمردين فى الولايات، فوفق فيها كلها. و بقى عليه القضاء على الحكومه التى أقامها "الميرزا كوشك خان" فى الشمال. و كانت الحكومه المركزيه فى عهد وزاره "مشير الدوله" و فى عهد وزاره "قوام السلطنه" هذه تفضل معامله هذا الثائر بالمفاوضه و المصالحه نظرا لمكانته و شعبيته و حسن نواياه. فاستأنفت ما بدأه "مشير الدوله" من المفاوضات و كلفت السفير السوفياتى "رتشتين" بمساعدتها على ذلك، إذ سبق أن كان "الميرزا كوشك خان" على صلح بالبلاشفه، فأجاب السفير طلبها و أرسل إليه رساله مطوله نصحه فيها بالمصالحه و تقويه الحكومه المركزيه. و أجابه "الميرزا كوشك خان" برساله استجاب فيها لطلبه و تقرر أن يوفد مندوبا عنه إلى رشت لمفاوضه وزير الحريه "رضا خان"، و كان قد حضر إلى رشت قبلا. و كذلك كان قد أرسل إليها فرقه من القوزاق. فلما حضر مندوب "الميرزا كوشك خان" أمر "رضا خان" باعتقاله و أرسله مخفورا إلى طهران. و بذلك انقطعت المفاوضات و وقعت الحرب بين الطرفين.

و فى روايه تاريخيه اخرى أن "الميرزا كوشك خان" انهزم فى معركة وقعت بينه و بين القوزاق فى نواحى رشت و وجد نفسه عاجزا عن متابعه المقاومه. فأرسل جماعه من رجاله إلى وزير الحربيه يعلمه بعزمه على التسليم و الدخول فى طاعه الحكومه. فتلقاهم "رضا خان" بالرعايه و الموده و أنه حاضر لاستقبال "الميرزا كوشك خان" بالتامين و العفو و الاحترام. بل وعد بان يمنحه رتبه عسكريه عاليه و يضع فى قيادته وحده عسكريه صغيره. و لكن بعض رجال "الميرزا كوشك خان" غرروا به فهاجم أحد مواقع القوزاق قبل أن يتم هذا الاتفاق. و بذلك انقطعت المفاوضات.

و المتفق عليه هو أن معركة وقعت يومئذ بين "الميرزا كوشك خان" و جند القوزاق فى محله اسمها "بسيخان" فى نواحى رشت. و تغلب فيها القوزاق على "الميرزا كوشك خان" و تفرق عنه رجاله. و كان بين رجاله اثنان من كبار خاصته و جندى ألمانى اسمه "كايوك" أحبه و أعجب به. فاما أحد الرجلين فلجا إلى الاتحاد السوفياتى. و أما الثانى فاستسلم إلى الحكومه. و أما "الميرزا كوشك خان" فأبى أن يلجا إلى الاتحاد السوفياتى و أبى أن يستسلم إلى الحكومه و فضل أن يلجا إلى أحد رؤساء العشائر. و أبى الجندى الألمانى أن يتخلى عنه و ظل ملازما له. و ذهبوا معا فى جبال "طالش" (بلاد فى إقليم جيلان) ليلجأ إلى رئيس العشيره. و لكن الثلوج زحمتها فماتا دنقا فى ٢ ربيع الثانى سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١١ بهمن سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و عمر "الميرزا كوشك خان" يومئذ ٤٢ سنه.

و قطع فرسان "طالش" رأس "الميرزا كوشك خان" و أرسلوه إلى رشت، و دفن الجسد حيث مات. و أرسل الرأس إلى طهران و طافوا به مرفوعا فى شوارعها. ثم دفنوه فى المقبره العامه. و أسخط هذا العمل الناس و بعث فى نفوسهم الكراهيه لمن قاموا به. و بعد مده أخرج جماعه من الأحرار المعجبين بهذا الثائر العظيم جسده و رأسه من مدفيهما و دفنوهما معا فى "سليمان داراب" حسب وصيته.

سيطره الحكم العسكرى

فى ٢٢ من شهر المحرم سنه ١٣٤٠ هـ. ق. أصدر حاكم طهران

العسكري أمرا بتوقيف أكثر من خمسة عشر رجلا- من كبار الشخصيات، من سياسيين و وزراء سابقين، و منهم عالم من كبار رجال الدين هو "ظهير الإسلام" صهر " مظفر الدين شاه" فوقفوا و جلبوا إلى ثكنة القوزاق، بتهمه إنشاء جمعيه إرهابيه سريه تريد اغتيال رئيس الوزراء "قوام السلطنه" و وزير الحريه قائد الجيش "رضا خان". و تشكلت لجنه من ممثلين لوزاره العدليه و الشرطه و الكتيبه القوزاقيه لاستجوابهم و التحقيق فى أمرهم، و عينت مكان انعقادها فى ثكنه القوزاق. و نشر الحاكم العسكري بيانا عاما بذلك.

و بعد التحقيق برأت اللجنه فريقا منهم و أطلقت سراحهم. و حكمت بنفى فريق آخر إلى خارج إيران. و كان بعض الموقوفين يرد على أسئله المحققين بعنف و غلظه.

و أصدر "رضا خان" بعد ذلك بقليل بيانا عنيفا بتوقيعه أعلن فيه أنه أوقع حكم القتل رميا بالرصاص فى أربعة من العسكريين منهم اثنان من الدرك اعتديا على فتاه و اثنان من القوزاق فرا من خدمه المملكه و الوطن.

و ختم بيانه بان توعده كل من خالف رجال الجيش الذين وقفوا أنفسهم على حفظ أمن المملكه و الوطن و حمايه حدوده بمصير مثل هذا المصير.

و فى ١٤ آذر سنه ١٣٠٠ هـ. ش الموافق ٧ ربيع الثانى سنه ١٣٤٠ هـ. ق. قام "رضا خان"، على غير ما يهوى "قوام السلطنه" و الشاه، بعمل حاسم لتحقيق أمنيته القديمه فى توحيد الدرك و القوزاق فى كتيبه عسكريه واحده تكون فى إمرته. فدعا ضباط الدرك إلى ثكنه القوزاق و ألقى عليهم خطابا مفصلا قال فيه: يجب أن يكون جيش إيران متحد الزى. و على هذا يجب أن يرتدى رجال الدرك الزى القوزاقى. و أن تنحل مديره الدرك. و فى اليوم التالى صرف قائد الدرك السويدي الكولونيل "غلروب" من الخدمه و تولى هو رئاسه هذه الكتيبه مع رئاسه القوزاق.

و قد سبق هذا التدبير خلاف بين رئيس الوزراء "قوام السلطنه" و وزير الحريه "رضا خان"، إذ كان رئيس الوزراء غير موافق عليه خوفا من تعاضم قوه وزير الحريه. و جر ذلك إلى مناقشه حاميه بينهما. و اضطر الشاه، مع تأييده ل "قوام السلطنه" و معارضته ل "رضا خان"، إلى استدعائها و مصالحتها. و مع ذلك فان وزير الحريه أغلظ الكلام لرئيس الوزراء، و هو يمتطى سيارته، بعد خروجهما من حضره الشاه، و رد الرئيس له جوابا مماثلا. ثم أقدم "رضا خان" على إنفاذ قراره بتوحيد الكتيبتين مستبدا برأيه لا يبالى بمعارضه "قوام السلطنه".

و على هذا النحو كانت قدره "رضا خان" تتعاضم يوما فيوما حتى عاد قوه تصعب معارضتها.

سفر الشاه إلى أوروبا

و مع تعاضم قوه "رضا خان" و اتساع مجال نفوذه كان مجال التصرف يضيق يوما فيوما على "أحمد شاه" و "قوام السلطنه". و أصبح الشاه على يقين من سوء نوايا "رضا خان" و مطامعه و تطلعاته. و ضاق به الأمر فلم يجد مخرجا إلا أن يعتزل هذا الجو الذى يحيط به مؤقتا فى انتظار ما تأتى به الأيام.

و من ثم قرر فى ١٣ ربيع الأول سنه ١٣٤٠ هـ. ق. أن يسافر إلى أوروبا.

و لما انتشر نبا عزمه على السفر تلقاه الناس من كل الأوساط بالخشييه و التخوف لاحتمالهم أن يكون سفره مقدمه للتخلى عن العرش. و رجوا أن يعدل الشاه عن عزمه فقاموا بمساعى كثيره متواصله لحمله على العدول و لكنه ظل مصرا على عزمه. و بذل السفير السوفياتى خاصه جهودا كثيره لاقتاعه بالعدول عن السفر فلم يحصل على نتيجه. و لعل حرص السفير على بقاء الشاه فى ميدان السياسه كان الدافع إليه هو إيقانه بمناقضه الشاه للانكليز.

و سعى هذا المسعى أيضا جماعه كبيره من النواب من رجال البلاط و أقارب الشاه. و أرسل إليه جماعه العلماء رجال الدين يطلبون عدوله عن السفر، و لكن الشاه ظل مصرا على عزمه.

أما "رضا خان" فكان وحده، من بين أولئك جميعا، مرتاحا إلى سفر الشاه. حتى إنه أرسل إلى جماعه العلماء رسولا خاصا من قبله يأمرهم بان يمتنعوا عن معارضه السفر. فأجابوه بقولهم: نحن لم نعارض سفر الشاه و إنما نقلنا إليه إرادته الأمه. و لما صدر مرسوم قرار السفر نشرت إحدى الصحف مقالا عنيفا عارضت به هذا السفر. فغضب "رضا خان" و أمر بتعطيل تلك الجريده.

و فى ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ. ق. صدر مرسوم ملكى بقرار سفر الشاه إلى أوروبا لأسباب صحيه و تعيين يوم ٢٦ جمادى الأولى سنه ١٣٤٠ هـ. ق. موعدا له.

استقاله الوزاره

و فى يوم ٢٠ جمادى الأولى سنه ١٣٤٠ هـ. ق. استقالت وزاره "قوام السلطنه" على أثر مشاده وقعت فى المجلس النيابى بين فريق من النواب و أحد الوزراء، و بسبب مخالفه النواب لسفر الشاه. و كلف الشاه "حسن بيرنيا" الملقب ب "مشير الدوله" بتشكيل الوزاره. و انتهى من تشكيلها فى ٥ بهمن سنه ١٣٠٠ هـ. ش الموافق ٢٥ جمادى الأولى سنه ١٣٤٠ هـ. ق.

و ظل "رضا خان" وزيرا للحريه فيها.

و بعد استقاله وزاره "قوام السلطنه" و قبل تشكيل الوزاره الجديده أمر "رضا خان" أحد ضباط القوزاق بتسلم مستودع الغلال الحكومى الذى فى جملة مهامه توزيع الدقيق على الأفران، و جعله فى إداره "رضا خان" لا يتصرف به أحد إلا بأمر منه. و بذلك أضاف إلى سلطاته سلطه جديده يرتبط بها مرفق من أهم مرافق الحياه العامه اليوميه.

و فى الموعد المعين، يوم ٢٦ جمادى الأولى سنه ١٣٤٠ هـ. ق. تحرك ركب "أحمد شاه" مرتحلا إلى أوروبا، و خرج "رضا خان" يشيعه بمظاهر التملق يرجو بها أن يبعده عن سوء الظن. من ذلك أن سياره الشاه كانت تعلق عجلاتها أحيانا فى طين الطريق و حفرها فيترجل "رضا خان" من سيارته و يباشر بيده عمل تخليصها مما علقته به. فلما بلغ فى تشييعه إلى "قصر شيرين" و أراد العوده إلى طهران ودع الشاه بان أكب على قدميه فقبلهما، ثم أقسم له على أن يبقى أمينا مخلصا لعرشه.

المطالبه برفع الحكم العسكرى

بعد سفر الشاه أخذ أكثر صحف طهران يخوض في حديث انقلاب الثالث من إسفند سنه ١٢٩٩ هـ. ش. و يحمل على مسيبيه بمقالات عنيفه.

و لكن وزير الحربيه "رضا خان" أراد حسم الموضوع و قطع الكلام فيه فنشر بلاغا رسميا في الثالث من إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. الموافق ٢٤ جمادى الآخره سنه ١٣٤٠ هـ. ق. و أعلن فيه بأنه هو سبب الانقلاب الحقيقي،

ص: ١٩٠

و أن الدافع إليه كان إرادته القضاء على الفساد الداخلى و الظلم الخارجى و التدخل الأجنبى. و ذكر أن ماضيه كان كفاحا و تضحية و إثارا و صبرا على المشقات و المخاطر فى سبيل إيران. و أذدر فى آخر البيان الصحف بوجوب الكف عن البحث فى موضوع الانقلاب. و كل صحيفه تخالف هذا الأمر تعطل و يعاقب صاحبها و الكاتب فيها. و من كان عنده اعتراض أو كانت فى نفسه شبهه فى موضوع الانقلاب فليرجع إليه شخصا.

هذا ما جاء فى بلاغ "رضا خان" وزير الحربيه. و لكن الجنرال "آيرن سايد" يقول فى مذكراته إن المسبب الحقيقى للانقلاب إنما هو الحكومه الإنكليزيه، و أن المخطط الأسمى له إنما هو "آيرن سايد" نفسه! و علق أحد النواب و اسمه "ضياء الواعظين" على بلاغ وزير الحربيه بمقال فى إحدى الجرائد خاطب فيه "رضا خان" قائلا: فى بيانات إسفند الماضى (شهر الانقلاب) مواعيد و عدت بها الأمة الإيرانيه. و إذ عرف اليوم المسبب الحقيقى للانقلاب فيحسن أن تفى بتلك المواعيد فيحمدك الناس.

و نشر آخر فى جريده أخرى مقالا خاطب فيه "رضا خان" بقوله:

"لست أنت من صنع الانقلاب. و إنما صنعه الإنكليز و نصرت الدوله. و لو لم تقدم أنت على ما أقدمت عليه لجاؤوا بضابط آخر غيرك. و إذ كنت أعلم أنك ستعتقلنى فانا أتوارى و أنت افعل ما شئت". فاصدر "رضا خان" أمرا باعتقال كاتب مقاله و وضع جائزه ماليه لمن يدل عليه.

و تابعت صحف أخرى نشر مقالات تنتقد أعمال وزير الحربيه و سلوكه و أفعاله غير القانونيه. و اشتدت الحكومه العسكريه بأخذ هؤلاء المخالفين بالتهديد و التوقيف و الضرب و الشتم. و نشرت فى الثامن من رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٧ إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. بيانا شديد اللهجه توعدت فيه بكسر أفلام المخالفين و قطع ألسنتهم.

و فى اليوم التالى نشر صحفى فى جريدته مقالا عنيفا فى انتقاد وزير الحربيه و ذكر ما ارتكبه من مخالفات للقانون. و فى عصر ذلك اليوم أرسل الحاكم العسكري بضعه جنود من القوزاق لاعتقال الكاتب و إحضاره إلى الثكنه. و إذ علم هذا بالأمر التجأ مع جماعه من رفاقه إلى السفاره السوفياتيه. و بعد بضعه أيام نشر صحفى آخر فى جريدته مقالا من هذا القبيل و نقل معه المقال الآنف الذكر. ثم ذهب مع آخرين من أصحابه إلى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) فتحصنوا فيه. و هناك تحدثوا علنا بخطابات عنيفه هاجموا فيها "رضا خان" و الحكومه. ثم انسلوا فى السر من المقام، إذ خافوا أن تطالهم هناك يد الحكم العسكري، و لجئوا إلى السفاره السوفياتيه. و هكذا اجتمع فى هذه السفاره جماعه كبيره من الصحفيين و طلاب الحربيه و معارضى "رضا خان". و شرعوا فى العمل على تحقيق مطالبهم و هى: رفع الحكم العسكري و عزل "رضا خان" و إنفاذ القانون الأساسى.

و الظاهر أن "رضا خان" خشى أن يعلق فى الأذهان شىء من هذه الصيحه فأراد أن يبرئ نفسه. فدعا إلى منزله جماعه من العلماء رجال الدين و من الوعاظ و الخطباء فى ٢١ رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٢٩ إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و شرح لهم فى حديث مطول ما قام به من خدمات لبلاده. و ختم حديثه بقوله: و الآن، إذ أرى جماعه من المفسدين يحولون بينى و بين القيام بعمل لخدمه البلاد، فقد عزمت على الاستقاله. و فى اليوم التالى اجتمع السفير السوفياتى بوزير الحربيه فباحثه فى شئون الوضع الراهن و حرضه على إلغاء الحكم العسكري و الكف عن حجز الحريات. فوعده باجابه طلبه و عدا قاطعا. (١)

و لكن "رضا خان" لم يلبث أن وجد عذرا للتفقت من وعده و مسوغا لادامه الحكم العسكري. فقد وقعت فتنه بين المسلمين و اليهود فى طهران و عجز الحراس المعتادون عن قمعها حتى تدخل القوزاق بإرسال مائتين من جندهم فقتلوا على الفتنه. فكان هذا الحادث حجه بيد وزير الحربيه، فلو أنه ألغى الحكم العسكري لاختل حبل الأمن و عجز الحكم المدني عن ضبط الأمور كما يجب.

و فى ١٦ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق الموافق ٢٤ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. أرسل "رضا خان" وزير العدليه "عبد الحسين تيمور طاش" الملقب ب "السرदार المعظم" الخراسانى إلى السفاره الروسيه ليقنع المتحصنين فيها بالحسنى بمغادره السفاره. و لكن المتحصنين رفضوا مغادرتها.

و فى ١٩ شعبان ذهب "رضا خان" نفسه إلى السفاره الروسيه و فاضهم و قطع لهم عهدا بان يحقق لهم مطالبهم. و تم الاتفاق على أن يكتبوا تلك المطالب و يرسلوها إليه. و لكن "رضا خان" أبلغهم فى ٢١ شعبان برساله خطيه أن البحث فى مطالبهم يجرى بعد مغادرتهم السفاره.

فرفض المتحصنون هذا العرض. إلا أن نزاعا نشب بينهم بعد ذلك و غادر السفاره جماعه منهم.د.

ص: ١٩١

١- يحسن هنا أن نأخذ ما كتبه الشاعر الايرانى أبو القاسم لاهوتى الذى انضم إلى الشيوعيين فتره طويله ثم خرج منهم و كتب مذكراته عن فترته الشيوعيه التى صادفت بدء وصول رضا خان إلى السلطه من وزاره الحربيه حتى العرش الايرانى. و قد ترجمت هذه المذاكرات إلى اللغه العربيه و ما نأخذه هو عن النص العربى المطبوع فى بغداد سنه ١٩٥٦. قال لاهوتى فى الصفحه ٢٧ عن منظمه (كى. بى. أو) التى يقول أن مركزها كان فى مدينه (رشت) و أنه كان لها مراكز سريره فى طهران و قزوین. " كانت مهمه هذه المنظمات تنفيذ المقررات التى اتخذها الحزب ضد أشخاص معينين. ففى أوائل عهد (رضا خان) أيقن الحزب بان مجيء هذا الشخص إلى الحكم بمثابة تمهيد لحكومته اشتراكيه، لذلك أوعز الحزب إلى جميع المنظمات بان تتخذ الاجراءات الصارمه ضد جميع الأشخاص من البارريين [البارزين] الذين يعارضون رضا خان سواء أ كانوا سباسبين [سياسيين] أو غير سياسيين. و هكذا نظمت قوائم و أضاير لهؤلاء الأشخاص فهددوا بالقتل إذا اقتضى الأمر و كان (أحمد قوام السلطنه) رئيس الوزراء حين ذاك أحد أولئك الذين وقعوا فى فخ هذه المنظمات التى اتخذت تدابير صارمه ضد الأحرار و المعلمين الذين أبوا الانضمام إلى الحزب و القيام بالأعمال التى يراها الحرب ضروريه. اما الأسلوب الذى سارت عليه هذه المنظمات فهو تدبير مؤامره للشخص و توجيه تهمة التمرد على "رضا خان" إليه ثم إيداع آثار الجريمه المفتعله إلى الشرطه السريه للقبض عليه و النيل منه، و قد ذهب (ميرزا عشقى) الشاعر المعروف ضحيه من ضحايا هذه المؤامرات. لقد كان ميرزا عشقى يتعاون مع عباس إسكندر يوم كان هذا الأخير يحرق جريده (سباست [سياست]) إلا أن عشقى لم يكن ليرضخ للدعايات الشيوعيه و استمر فى مقاومتها. لذلك اتخذت شرطه رضا خان السريه المؤامره المدبره على عشقى حقيقه واقعه و قتلته ". ثم قال فى الصفحه ٤٠ " كان الزعماء السوفيات ينظرون إلى حكومه رضا خان فى أول الأمر نظره حسنه و ذلك ما بين سنه ١٩٢٢ - أى فى أوائل أيام ارتقائه العرش، و كانت الكتب الماديه و الديالكيتيكيه نادره جدا فى عهد الحكومه القاجاريه كما كانت إيران فى ذلك العهد نصف مستعمره،

و ما حصل فيها من تحولات كان لتغيير الحاله من ملوك الطوائف إلى رأسماليه المركزه، و لهذا السبب كانت روسيا تنوى إحداث انقلاب فى إيران باى شكل كان للحيلوله دون تحقيق هذا التغيير، إلا أن روسيا كما تقدم نبا القول رأت أن الوضع فى إيران لم يكن ليساعد على الانقلاب ". و لأبى القاسم لاهوتى آراء أخرى سنوردها فيما بعد.

فى ليله التاسع من رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٨ إسفند سنه ١٣٠٠ هـ. ش. وقعت حادثه غريبه فى طهران. فقد حضر اثنان من موظفى السفاره الإنكليزيه إلى مجلس هيأته لهما اثنان من مومسات طهران فى منزلهما و عرف بذلك الحراس الليليون القرييون من المنزل. و كان دخول الافرنج إلى بيت امرأه إيرانيه ممنوعا. فكبس الحراس المنزل. و لما عرفوا هويه الرجلين أطلقوهما، و أحضروا المومسين إلى دائر الشرطه فوقفوهما. و ما حل الصباح حتى كان الخبر قد عم طهران، و ثارت ضجه استنكار شديد و قامت مظاهرات. و ذهبت جماعه من الأهالى إلى منزل أحد المراجع الدينين النافذين و طلبوا إقامه الحد الشرعى على المومسين. فكتب المرجع إلى "رضا خان" يطلب إقامه الحد الشرعى عليهما. فبادر "رضا خان" إلى إجابته طلبه و أمر بإقامه الحد. فاحضرتا إلى إحدى الساحات العامه و جلدتهما ضابط قوزاقى جلدا شديدا. ثم أبعدا إلى خارج طهران، و صودر أثاث منزلهما، و كانتا متمولتين، و نقل إلى تكنه القوزاق. ثم أصدر "رضا خان" أمرا بإبعاد جميع المومسات إلى خارج طهران.

و ظل هذا الحادث حديث الطهرانيين مده طويله. و اكسب "رضا خان" شعبيه و حمدا بين الناس. و بادرت الحكومه الإنكليزيه إلى استدعاء الموظفين المذكورين من إيران.

استقاله "مشير الدوله"

أعقبت هذه الوقائع حركه مدبره ترمى إلى زعزعه الوزاره و تشويه سمعه "أحمد شاه". فقد انتشرت شائعه بان الشاه حمل معه إلى أوروبا قدرا كبيرا من الجواهر الملكيه. و استجوب بعض النواب رئيس الوزاره فى هذا الموضوع و قالوا إن ثبت هذا الأمر فرئيس الوزاره مسئول عنه. فأجاب هذا بان الاستجواب يقتضى تشكيل لجنة للتحقيق. و شكل المجلس لجنه من خمس نواب و مندوب عن وزاره الماليه. و قد تبينت هذه اللجنه بطلان الشائعه و فى ١٨ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. خطب النائب "صياء [صياء الواعظين" فى أحد نوادى طهران مهاجم الحكومه و المجلس النيابى و الشاه، و دعا الناس إلى الثوره على الحكومه. و انتشرت شائعات بان الشاه قد خلع نفسه من العرش. و نشرت جريده تناصر "رضا خان" خبرا نقلته عن جريده إنكليزيه بان "أحمد شاه" ينوى الاستقاله من منصبه.

و قبل ذلك، فى الخامس عشر من رجب سنه ١٣٤٠ هـ. ق. وقعت مشاده بين أحد النواب و رئيس الوزاره ثم بين رئيس المجلس و رئيس الوزاره، و غادر هذا المجلس النيابى غاضبا و ذهب إلى بيته و قد عزم على الاستقاله. و لكن جماعه من النواب، و معهم "رضا خان" ذهبوا إلى منزله و اقنعوه بالانصراف عن عزمه.

و أراد "رضا خان" وزير الحربيه أن يدعم مكانه و يرد على ما سبق أن رماه به معارضوه من نقد و تشهير فى الصحف و ما اتهمه به المتحصنون من مخالفات للقانون، و أن يثبت للمراقبين قوته و شعبيته فأوعز إلى رجال من خاصته بالسعى إلى جمع توقيع من كل الطبقات على بيان بتأييده و تم له ما أراد و حصل على عشرات من التوقيع أشاد أصحابها بخدماته و إخلاصه فى سبيل الوطن و دين الإسلام. و طبع البيان و وزع فى ١ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٩ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. و نشرته بنصه الكامل جرائد تؤيد "رضا خان".

و فى ٢٢ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٣٠ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. تجمع الناس بتحرير من أنصار "رضا خان" فى ساحه

وزاره العدليه على رجل صعد شجره و أخذ يندد برئيس الوزاره "مشير الدوله" و أعمال الحكومه على نحو تهريجى تمثيلى استجلب خواطر الناس، فتكاثروا حوله و ثارت ضجه واسعه و عجز الحرس عن إسكاته و تفريق المجتمعين و قام مؤيدوا "رضا خان" فى نواحى أخرى من المدينه بمظاهرات معارضه لرئيس الوزاره. و كان ذلك كله أماره على أن "رضا خان" يمهد الطريق للوصول إلى رئاسه الوزاره. و من جهه ثانيه تابع خطته فى قمع الحريات و إسكات الصحف المعارضه له بالتهديد و الوعيد.

و كان "مشير الدوله" رئيس الوزاره غير راض عن تفاقم نفوذ "رضا خان" و تعاضم قوته. و مثله كثيرون من رجال السياسه و الصحفيين و غيرهم. و لكنهم كانوا عاجزين عن مقاومته، إذ كانت كل الظروف الخارجيه و الداخليه مؤاتيه له، و فى مقدمتها سيطرته التامه على الجيش.

و فى ٢٠ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٢٩ فروردين سنه ١٣٠١ هـ. ش. ذهب جماعه من رجال السياسه و الصحفيين المعارضين لوزير الحريه إلى المجلس النيابى، و عقدوا فيه اجتماعا و ألقوا خطبا عنيفه طالبوا فيها بالغاء الحكم العسكرى و إنفاذ القانون الأساسى و عزل "رضا خان" من مناصبه، و أعلنوا بعزمهم على التحصن فى دار المجلس النيابى حتى يجابوا إلى مطالبهم و شجعهم رئيس الوزاره "مشير الدوله" و رئيس المجلس. و أمر هذا موظفى المجلس بتعهدهم بتهيئه كل لوازمهم من طعام و غيره على نفقه المجلس فى مده تحصنهم كلها.

و أهم تحصنهم "رضا خان" فأرسل إليهم رسولا يقنعهم بمغادره المجلس. و تردد الرسول بينه و بينهم أكثر من مره. و توسل إلى إقناعهم بالوعد و الوعيد، حتى انه توعدهم مره بالقتل فلم يذعنوا. و ثبتهم "مشير الدوله" و أفهمهم أنه مقدم على الاستقاله و أن المرشح لخلافته فى رئاسه الوزاره هو "قوام السلطنه" و أن هذا سيامر حين توليه المنصب بالغاء الحكم العسكرى و إنفاذ القانون الأساسى، و حينئذ يغادرون المجلس و كرامتهم محفوظه. و قد وفى "قوام السلطنه" حين تولى رئاسه الوزاره بهذا الوعد و أرسل إلى المتحصنين رساله رسميه تتضمن عزمه على إجابته طلبهم. و لكن "رضا خان" عارضه فلم يستطع إنفاذ أمره. و فى ٢٦ شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٥ أربيهشت سنه ١٣٠١ هـ. ش. خطب النائب "ضياء الواعظين" فى أحد نوادى طهران فانتقد "مشير الدوله" و مدح "رضا خان". فرد عليه خطيب آخر فدافع عن "مشير الدوله" و ندب "رضا خان" و جر الكلام إلى مشاجره بين الحاضرين. ثم اندفع نحو من مائه رجل خارجين من النادى و قصدوا إلى المجلس النيابى. فأغلق الحرس أبوابه فى وجوههم. و لكنهم هددوا بان يلجئوا إلى السفاره الروسيه أو تفتح أبواب المجلس. فاضطر الحرس إلى فتحها. و دخل المتظاهرون إلى ساحه المجلس، فأطلقوا هتافات و ألقوا خطبا معارضين بها وزاره "مشير الدوله" ثم خرجوا.

و تتابعت المصاعب على "مشير الدوله" فاضرب حراس طهران الليليون و تركوا مواقع حراستهم اعتراضا على تأخير روايتهم. و تشكل وفد من مائه رجل تقريبا من أصحاب الصناعات و التجار و الأعيان و اجتمعوا برئيس الوزراء و باحثوه فى موضوع المتحصنين فى مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) و فى المجلس النيابى و فى السفاره السوفياتيه، و سألوه عما فعلته الحكومه للخلاص من مثل هذه الأحداث. و انفرد به بضعه رجال منهم، و شكوا إليه، فى السر، ما يلقاه الناس من تحكم وزير الحريه و تعدياته على الحريات. فلم يستطع رئيس الوزراء أن يجيب بقول حاسم سوى الوعد ببذل كل الجهود الممكنه لاصلاح الوضع.

و فى أواخر شهر شعبان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. استدعى "رضا خان" أحد كبار الواعظين، و كان له منبر للوعظ فى المسجد الجامع، و طلب منه أن بثى عليه و يدعو له فى مواعظه التى يلقاها فى شهر رمضان [١٣٤٠]، و أعطاه مبلغا من المال. فرفض الواعظ المال و قال له: أنا لا أتدخل فى شئون السياسه.

و فى أوائل رمضان [١٣٤٠] أرسل إليه "رضا خان"، و هو يعظ على المنبر، و رقه يأمره فيها بالتوقف عن صعود المنبر. فكتب الواعظ على حاشيه الورقه "سمعا و طاعه"، و أعادها إليه و نزل عن المنبر.

و فى أوائل شهر رمضان [١٣٤٠] من تلك السنه أخذ الناس يتجمعون كل يوم فى "مسجد الشاه" و "مسجد سبهسالار" و هما من أكبر مساجد طهران، على عاداتهم فى هذا الشهر. فأراد بعض أنصار "رضا خان" استغلال هذه التجمعات فوقفوا يخطبون الناس فى "مسجد الشاه" منددين برئيس الوزراء. و لكن الشرطه أسكتتهم و ساقطتهم إلى المخفر. و وقف آخرون منهم يخطبون فى "مسجد سبهسالار" بالثناء على "رضا خان" و تمجيد، و لكن الحاضرين أخذوا يرفعون أصواتهم متواصله بالصلوات على النبى (ص) فحجبوا أصوات الخطباء عن الأسماع.

و ذكرت إحدى الصحف أن رئيس دار السلاح ارتكب اختلاسات.

و استنكرت قيام بعض الضباط باستغلال مناصبهم لمنافعهم الشخصيه.

و كان كلام الصحيفه ينال "رضا خان" بشىء من الشبهه. فطلب هذا من رئيس الوزراء تعطيل تلك الجريده التى نشرت الخبر فرفض طلبه. فأرسل إليه مع أحد كبار الضباط ثم مع حاكم طهران العسكري يندره: إما أن تعطل الجريده و إما أن أقطع عليك الطريق إلى السراى.

فلم يجد "مشير الدوله" بدا من الاستقاله. فاستقال فى العاشر من شهر رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١٨ أربيهشت سنه ١٣٠١ هـ. ش. و أرسل باستقالته برقيا إلى أوروبا إلى الشاه.

و لكن "رضا خان" ذهب ليله الرابع عشر من رمضان [١٣٤٠] إلى المجلس النيابى. و اجتمع بأعضاء لجنه كان "مشير الدوله" قد طلب قبل استقالته، تشكيلها من النواب لمشاركه الوزراء فى النظر فى إيجاد حلول للمشاكل القائمه. و ذكر "رضا خان" لهم أن فى الأمر سوء تفاهم. و أن رسالته لم تكن على النحو المذكور. و أن الذى قاله فى رسالته هو أن الجريده إذا لم تعطل و ظل الصحفيون يكتبون بهذا الأسلوب فسيقطعون علينا الطريق إلى السراى. و أعلنهم بأنه لا يمكن أن يخالف إرادته المجلس النيابى و طريقته هى إطاعه كل أمر يقرره هذا المجلس. ذهب وفد من النواب إلى منزل "مشير الدوله" و أبلغوه هذا التوضيح فقبله. و

طلبوا منه العدول عن الاستقالة فرفض.

و بعد مداوالات طويله و إصرار من المجلس النيابى و من الشاه على "مشير الدوله" بان يعيد تشكيل الوزاره أذعن لهم و بدأ مشاورته. و فى أثناء هذه المشاورات اجتمع ب "رضا خان" مساء الخامس و العشرين من رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ١ خرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش. و دام اجتماعهما إلى ما بعد منتصف الليل. و فى اليوم التالى عاد "مشير الدوله" فاستقال مره ثانيه. و قيل إن سبب استقالته هو أن "رضا خان" أراد أن يفرض عليه توليه بعض القرارات لمن يختارهم "رضا خان". و كان "مشير الدوله" غير قادر على قبول هذا الطلب لأن ذلك يجعله مقيدا باراده وزير الحريه. و كان غير قادر على الرفض إذ لا قبل له بمخالفه "رضا خان"، فاستقال فى السادس و العشرين من رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق. الموافق ٢ خرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش.

وزاره قوام السلطنه

و قر الرأى، بعد مداوالات طويله معقده، على تكليف "قوام السلطنه" بتشكيل الوزاره. فشكلها فى ١٨ رمضان سنه ١٣٤٠ هـ. ق.

الموافق ٢٦ خرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش. و ظل "رضا خان" وزيرا للحريه فيها.

و فى ٣٠ خرداد من تلك السنه سير "رضا خان" جيشا إلى إقليم "لورستان" لاختصاع قبائله. و دامت محاربتهم لهم إلى سنه ١٣٠٧ هـ. ش. إذ تم إخضاعهم و تجريدهم من السلاح.

و سير جيشا إلى أذربيجان لاختصاع الأكراد المتمردين. فتغلب عليهم و فتح فى ٢٠ مرداد سنه ١٣٠١ هـ. ش. قلعه "جهريق" الجبكيه أمنع حصونهم. و كان الأكراد يعدونها دائما حصنا لا يقهر. كان لهذا الفتح دوى عظيم فى كل نواحي إيران. فتواترت برقيات التهنته على رئيس الوزاره و وزير الحريه من كل الولايات، و أقيمت مظاهر الزينه و الاحتفال فى أكثر المدن.

و احتفل "رضا خان" بهذا النصر باقامه عرض عسكري فخم فى ٢٨ مرداد [١٣٠١] من تلك السنه فى العاصمه و اشترك فيه جميع الضباط و ألقى "رضا خان" خطابا منمقا مطولا.

و ظهرت فى عهد وزاره "قوام السلطنه" الجديده تعليقات و انتقادات فى بعض الصحف منبعثه من تحريكات أجنبيه و داخلية مشبوهه، منها تعليقات متناقضه على موافقه المجلس، فى عهد وزاره "قوام السلطنه" السابقه، على منح شركه أميركيه امتياز استخراج نפט الشمال، و منها طعن فى الاسره القاجاريه و "أحمد شاه"، و وصفه بأنه رجل لعب و لهو تافه. (١)

و أمثال ذلك مما يراد به التشويش على وزاره "قوام السلطنه" و الشاه. و لهذا أنذر رئيس الوزاره أصحاب الصحف بيان رسمى بان يمتنعوا عن تجاوز

ص: ١٩٣

١- كان "أحمد شاه قاجار" من خيره الملوك الذين حكموا إيران. كان رجل جد و ثقافه و مطالعه. تنزه عن كل المعائب و المظالم التى ارتكبها كثير من أسلافه. لم يشرب خمرا و لا انصرف إلى النساء و لا امتدت كفه إلى تناول رشوه و لا تلطخت يده

بدم برىء دمقراطى عف اليدىن. و يكره مظاهر الفخفخه و الغطرسه. حريص على ترسيخ النظام الدستورى النيابى. مسلم ثابت
الايمان.

الحدود المشروعه من تعرض للمراجع العليا و غيرها من الطبقات بالطعن و التشهير، و نصحهم بالانصراف إلى تاديه واجيهم الوطنى فى التوجيه و الإرشاد، و هددهم بتعطيل صحفهم فى حاله المخالفه. و طالب المجلس النيابى بالاسراع بالموافقه على قانون المطبوعات و تشكيل محكمه خاصه يحال إليها المخالفون من أصحاب الصحف و الناشرين.

هديه من العباس ع

و أعلن يوما أن العباس بن على (ع) أهدى سيفا إلى قائد الجيش الايرانى "رضا خان" - و للعباس (ع) فى نفوس الايرانيين مكانه عاليه - و أن اثنين من كبار موظفى الأوقاف الإيرانيه هما "ناظر التوليه" و "معاون التوليه" حملا السيف من عتبات العراق إلى إيران. ثم دخلا به إلى طهران محاطا بتنظيمات خاصه من التشريف و التعظيم.

و فى التاسع من ذى القعدة سنه ١٣٤٠ هـ. ش. نطق "رضا خان" بالسيف فى منزله، و ألبس خلعه أنعم عليه بها تفضلا من العباس، و وسط مظاهر من التعظيم قامت بها جماعه من العسكر و ظل الناس مده يومين يتوافدون إلى منزله من جميع الطبقات للتهنئه. و اكتسب محبه و صيتا طيبا عند العامه.

استقاله رضا خان

بعد أن حل "رضا خان" كتيبه الدرک فى عهد وزاره "قوام السلطنه" السابقه حاول أيضا أن يفصل الشرطه عن وزاره الداخليه و يلحقها بوزارته وزاره الحريه ليجرد الحكومه من كل القوى العسكريه و يصبح وحده المسيطر على كل المؤسسات العسكريه. و لكن "قوام السلطنه" صده عن ذلك.

و أعاد المحاوله فى عهد وزاره "مشير الدوله" فلم يوفق. و فى عهد وزاره "قوام السلطنه" الثانيه وقعت بين "رضا خان" و رئيس الشرطه - و هو سويدى - مشاده كلاميه فى دائره الشرطه. و خرج "رضا خان" غاضبا.

و كرر محاولته عند "قوام السلطنه" فرفض هذا الإذعان لطلبه. و زاد ذلك فى ما بين الرجلين من خلاف.

و على أثر ذلك وجد رجل مقتولا بالقرب من إحدى الحدائق العامه.

ثم تكررت حوادث القتل فى نواحى أخرى من العاصمه. و أدى ذلك إلى انتشار الخوف بين الناس. و قيل إن "رضا خان" هو الذى دبر هذه الحوادث ليظهر الشرطه بمظهر العاجز عن حفظ الأمن. و سواء أصح هذا الظن أم لم يصح فان النتيجة التى ترتبت عليه هى ازدياد الخوف و التذمر من نوايا "رضا خان" و تصرفاته و اتساع سيطرته.

أصبح وزير الحريه يتدخل فى كل شؤون الدوله العسكريه و الاداريه و الماليه. فعائدات الضرائب المباشره و عائدات الممتلكات الحكوميه لا تدخل الخزانه العامه بل تودع مباشره فى صندوق مخصصات وزاره الحريه. و مخازن تموين العاصمه فى يده و لم يكتف "رضا خان" بمنع "قوام السلطنه" من إنجاز وعده للمتحصنين فى المجلس النيابى بالغاء الحكم العسكري و إنفاذ القانون الأساسى، بل أمر باقامه الحكم العسكري فى بعض مدن أذربيجان و غيرها أيضا. و تكررت حوادث تعطيل الصحف المعارضه له و توقيف أصحابها و ضربهم و توقيف غيرهم من المواطنين على نحو مخالف للقانون.

و كان النواب المعارضون لوزير الحريه لا يجرون على استجوابه فى المجلس النيابى، إذ كان له أنصار من النواب من جهه. و من جهه أخرى كانت أكثره النواب، و رئيسها السيد حسن المدرس، تحرص على استمرار حكومه "قوام السلطنه"، فهى، من ثم، مضطره إلى غض النظر عن تصرفات وزير الحريه لثلاثه تحرج الحكومه. و من ثم سكت المعارضون عن استجواب "رضا خان". إلى أن عيل صبر أحد نواب أذربيجان فالقى من على منبر المجلس النيابى يوم الثانى عشر من شهر مهر سنه ١٣٠١ هـ. ش.

كلمه شامله مفصله مؤثره اتهم فيها المجلس بالتقصير عن القيام بواجبه و نعى عليه سكوته عن الأوضاع الراهنه، و منها استمرار الحكم العسكرى و عجز رئيس الوزاره عن إنجاز وعده للمتحصنين فى المجلس برفع الحكم العسكرى و إنفاذ القانون الاساسى.

و رد زعيم الأكثره السيد حسن المدرس على هذا النائب بكلمه دافع فيها عن المجلس. و قال عن "رضا خان" ما محصله: علينا أن نقيس أعماله بمقياس القانون فان كان مقصرا فلا شىء يمنع المجلس من محاسبته و إن كان غير مقصر فلا سبيل للمجلس عليه.

و كان لهذه الجلسه دوى بعيد فى المجلس و فى نواحي المجتمع العام.

اما وزير الحريه "رضا خان" فاستدعى كل الضباط العسكرين إلى الحضور فى وزاره الحريه صباح الخامس عشر من شهر مهر سنه ١٣٠١ هـ. ش.

الموافق ١٦ صفر سنه ١٣٤٠ هـ. ق. و هناك خطب فيهم شارحا خدماته فى إقرار الأمن و النظام و قمع الفتن التى كانت ناشبه فى أطراف المملكه، و استخلاص فرقتي القوزاق و الدررك من يد القيادات الأجنبيه و وضعها فى يد قياده إيرانيه تابعه لوزاره الحريه، و غير ذلك. و اتهم معارضيه بأنهم مأجورون للأجانب يحركونهم عليه لأن سياسته الوطنيه تناقض أطماع الأجانب و تمنعهم من فرض سيطرتهم على إيران. ثم أعلن الحاضرين بأنه يستقيل اليوم من مناصبه، و أنه سيرفع استقالته إلى الشاه بما هو قائد الجيش الأعلى.

فأجابته كبار الضباط على خطابه بالتفديه و إعلانه بولائهم المطلق و تبعيتهم التامه له حتى الموت. و قال أحدهم له فى جملة جوابه: إن استقلت أحرقتا المدينه بالنار! و لكن "رضا خان" أسكتهم، و أوصاهم بان يكون قيامهم بواجبهم الوطنى المقدس مقدما عندهم على كل اعتبار شخصى. ثم كرر إعلانهم باصراره على الاستقاله، و انصرف إلى منزله. و فى أثناء ذلك كان حاكم طهران العسكرى قد استقال من منصبه أيضا.

و فى نفس ذلك الصباح من ذلك اليوم صدر أمر عسكرى إلى جنود المخافر القائمه فى أطراف المدينه باخلاء مخافهم و التمرکز فى الثكنه العسكريه. و كذلك صدر أمر إلى حرس الدوائر الحكومه بترك مراكزهم و التمرکز فى الثكنه. و قامت فرق مسلحه من العسكر الفرسان و المشاه و المدفيعيين مع فرقه الموسيقى العسكريه تطوف فى شوارع المدينه، و مرت أمام المجلس النيابى. و فى الليل وقعت حوادث قتل و سرقات فى طهران و ما حولها من الضواحي، و استمرت متتابعه بضع ليال بعد ذلك، و عم الخوف المدينه. و قيل إن التحقيق أثبت أن حوادث القتل قام بها جنود ارتدوا الملابس المدينه.

و توالى هذا النشاط العسكرى، فأرسلت فور استقاله "رضا خان" برقيات من الثكنه المركزيه إلى ضباط الجيش و القوزاق

بخبر الاستقاله و توصيات بتنظيم تظاهرات تأييد له و اعتراض على استقالته.

و على أثر ذلك عم الاضراب بعض هذه الولايات و المدن مثل "جیلان" و "لورستان" و "أنزلی" و "بروجرد" و "كلبايكان" و (قزوین) و غيرها.

و توالت برقيات من مختلف نواحي إيران على المجلس النيابی و رئاسه الوزاره و ولی العهد تطلب رفض استقاله "رضا خان".

و نشرت الصحف المؤيده لوزير الحربيه "رضا خان" مقالات عنيفه هددت بها المجلس باوخم العواقب إن قبلت استقالته، إلا أن الصحف المعارضه له هاجمته هجوما عنيفا وردت على التهديد بمثله.

المصالحه

و على هذا النحو أثبت "رضا خان" أن له قوه و سيطره لا تقاوم.

و وجد المجلس النيابی نفسه يواجه مشكله صعبه. فرأت أكثرية النواب أن أفضل طريقه لانهاء الخلاف هي معاملة "رضا خان" بالحسنى و مفاوضته على أساس المصالحه.

و استدعى ولی العهد "محمد حسن ميرزا" رئيس الوزاره "قوام السلطنه" و وزير الحربيه "رضا خان" و عقد ثلاثتهم اجتماعا يوم السادس عشر من مهر سنه ۱۳۰۱ هـ. ش. الموافق ۱۷ صفر سنه ۱۳۴۰ هـ. ق.

تقرر فيه أن يذهب "رضا خان" إلى المجلس النيابی و يعلن من على منبره أنه سيتقيد من الآن فصاعدا بمقتضيات القانون الأساسی، و يلغى الحكم العسكري، و يلحق بوزاره الماليه ما هو ملحق بوزاره الحربيه من الادارات الماليه. و فى يوم ۲۴ مهر سنه ۱۳۰۱ هـ. ش. حضر "رضا خان" جلسه المجلس النيابی و خطب على منبره و أعلن بعزمه على التقيد بهذه القرارات.

و استقبله رئيس المجلس و النواب بمظاهر التملق و التأييد و التعظيم و أعلن رئيس المجلس فى ختام الجلسه أن الأموال التى تخصص للجيش ستبقى كما كانت فى السابق لا تنقص، و إن تكن عائدات الممتلكات الحكوميه و عائدات بعض الضرائب التى كانت تحول إلى صندوق وزاره الحربيه قد أصبحت تحول إلى صندوق وزاره الماليه.

و عاد "أحمد شاه" من أوروبا و وصل إلى طهران يوم ۲۵ آذر سنه ۱۳۰۱ هـ. ش. الموافق ۲۷ ربيع الثانى سنه ۱۳۴۱ هـ. ق. و احتفلت إيران كلها بمقدمه احتفالا- عظيما بين مظاهر الزينه و الأضواء و تلقى من جميع الولايات برقيات بتهنئته و الترحيب به و إظهار الإخلاص و الحب له.

و كأنما أحس "رضا خان" أن فى هذا الترحيب الفائق إشاره إلى أن خطه الشاه فى رعايه الدستور و الحكم النيابی الديمقراطى هي الطريق إلى كسب قلوب الناس، لا- العنف و الإ-كراه. و من ثم غير سلوكه و تخلى عن الأساليب التى كان يتبعها فى عهد وزاره "مشير الدوله"، و حرص على أن يسعى إلى غاياته مراعيًا المظهر القانونى التام. و تقرب إلى حزب كان يعرف باسم "الحزب الاشتراكي" و صادق بعض رؤسائه.

و هكذا مضى "رضا خان" فى تحقيق خطته للوصول إلى غاياته بعزم ثابت و إرادته راسخه، يحسن المناوره و اغتنام الفرصه، و يزداد قوه يوما فيوما. أما علاقته بالانكليز فيدل عليها تقرير سرى مطول أرسله السفير الانكليزى فى طهران فى ٥ كانون الثانى سنه ١٩٢٣ م الموافق ٩ أدى سنه ١٣٠١ هـ. ش، و ٢٢ جمادى الأولى سنه ١٣٤١ هـ. ق. إلى نائب الملك فى الهند و فيه يشير السفير على نائب الملك بالاعتماد كليا على "رضا خان"، إذ أنه مطمئن إلى صدقه فى معاملتهم. و أن تقويتهم له تخفف عنهم عبء كثير من المسئوليات، و تمكينه من توحيد إيران حول مركزيه قويه يغنيهم عن معامله رؤساء العشائر المتعددى الأماكن و المشارب، إذ تصبح صلتهم مقتصره على جهاز واحد و مكان واحد فيسهل التعامل.

و فى تقرير آخر أرسله السفير الانكليزى إلى وزير خارجيه إنكلترا فى ٢١ أيار سنه ١٩٢٣ م الموافق ٣١ أربيهشت سنه ١٣٠٢ هـ. ش. يكرر السفير رأيه هذا. و يقول أيضا: إن "رضا خان" قد أصبح قادرا على ترؤس الوزارة و تعطيل المجلس النيابى و أن يحكم حكما ديكتاتوريا. بل أصبح قادرا على أن يخلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران.

و فى ٢٧ دى سنه ١٣٠١ هـ. ش. الموافق آخر سنه ١٣٤١ هـ. ق. أقام وزير الحربيه "رضا خان" عرضا عسكريا فخما حضره الشاه و ولى العهد و سفراء الدول الأجنبيه و جمهور غفير من الأهلين. فزاد هذا العرض فى مقامه.

استقاله قوام السلطنه

فى الخامس من شهر بهمن سنه ١٣٠١ هـ. ش. الموافق ٧ جمادى الثانيه سنه ١٣٤١ هـ. ق. استقالت وزاره "قوام السلطنه" الثانيه بسبب نزاع طويل كان لا ينفك ناشبا بينه و بين نواب الأقلية، و لا سيما النواب الاشتراكيون نزاع أتعبه حتى حمله على الاستقاله.

و رشح المجلس النيابى لخلافته "الميرزا حسن خان" الملقب بـ "مستوفى الممالك"^(١)، فكلفه الشاه بتشكيل الوزارة. و انتهى من تشكيلها فى ٢٥ بهمن سنه ١٣٠١ هـ. ش. الموافق ٢٧ جمادى الثانيه سنه ١٣٤١ هـ. ق. و ظل "رضا خان" وزيرا للحربيه فيها.

و لكن "مستوفى الممالك" لم يلبث أن اضطر إلى الاستقاله فى ٢١ خرداد سنه ١٣٠٢ هـ. ش. مع أن أكثره المجلس كانت تؤيده. غير أن أقلية دأبت على مهاجمته و التشويش عليه. بل أن السيد "حسن المدرس" زعيم الأ-كثريه انحاز إلى الأقلية فعارضه. و ما زالوا به حتى ضجر، و أعلن استقالته فى إحدى الجلسات و خرج من المجلس غاضبا و تبعه سائر الوزراء إلا وزير الحربيه "رضا خان" فإنه ظل جالسا فى مقعده، مقعد الوزراء.

وزاره مشير الدوله

و فى ٢٤ خرداد سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق أواخر ذى الحجه سنه ١٣٤١ هـ. ق. كلف الشاه "الميرزا حسن خان بيرنيا مشير الدوله" بتشكيل الوزارة فشكلها فى ٢٦ خرداد سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١ ذى القعدة سنه ١٣٤١ هـ. ق. و ظل "رضا خان" وزيرا للحربيه فيها. و لكنه تخلف عن مرافقه الوزراء حين حضروا عند الشاه بعد تأليف الوزارة كما هى التقاليد المتبعه. و تخلف أيضا عن الحضور إلى مكتب الوزارة مده يومين معذرا عن ذلك بالمرض.

١- من الوزراء و رؤساء الوزراء السابقين. و كلمه " مستوفى الممالك " كانت تعنى ما تعنيه كلمه " وزير المالىه " اليوم. و كان "الميرزا حسن خان" فى هذا المنصب فى زمن "ناصر الدين شاه". و ظل هذا اللقب ملازما له.

ذروه الصراع

تولى "مشير الدوله" رئاسه الوزاره و المجلس النيابى، المجلس الرابع، فى آخر أيام مدته. و لم يحضر "مشير الدوله" جلسه واحده هى آخر جلساته، عقدت فى ٧ ذى القعدة سنه ١٣٤١ هـ. ق. الموافق ١ تير سنه ١٣٠٢ هـ. ش.

و المجلس الجديد، المجلس الخامس، لم يجتمع بعد، و الانتخابات لم تكتمل فى بعض الولايات. و ما انتهى منها كان لتدخل العسكريين أثر فى تعيين نتائجه. و من ثم لم تكن انتخابات حره. و إن كان المجلس المنتهى قد منح ثقته للوزاره الجديده فان المجلس المقبل غير معلوم رأيه.

و فى تلك الحقبه كان "رضا خان" قد بلغ غايه بعيده من القوه و الاقتدار. فالشاه و المجلس و رئيس الوزاره مضطرون إلى مداراته و تحمله و الرضوخ لأوامره مع أنهم جميعا كارهون له موقنون بأنه لا يضمهم خيرا.

و كان "رضا خان" يتغيب أحيانا عن اجتماع الوزراء و ينيب أحد رجاله عنه. و حضر نائبه هذا يوما جلسه وزاريه. و فى أثناء البحث أغلظ الكلام ل "مشير الدوله" و لوح له بوجوب تنحيه عن رئاسه الوزاره.

و كان من عاده الملوك القاجاريين أن يعهدوا بولايه أذربيجان إلى ولى العهد و تكون إقامته فى عاصمتها تبريز كل مده ولايه عهده. و لكن "محمد حسن ميرزا" أخوا "أحمد شاه" و ولى عهده لم يتيسر له السفر إلى أذربيجان و الاستقرار فيها حسب السنه المتبعه بسبب غيبته فى أوروبا بعد انقلاب سنه ١٢٩٩ هـ. ش. ثم اضطاره بعد ذلك إلى البقاء فى طهران نائبا عن الشاه بعد سفر هذا إلى أوروبا. و فى عهد وزاره "مشير الدوله" هذه تقرر أن يسافر ولى العهد إلى أذربيجان حسب السنه المتبعه. و صدر مرسوم ملكى بذلك.

و هيئت وسائل السفر و عينت الحاشيه التى ترافقه، و عين موعد السفر رسميا. و فى الموعد المعين خرج الشاه لوداع ولى عهده، و خرج رئيس الوزاره و غيره لوداعه أيضا، و إذا بوزير الحريه "رضا خان" يبلغ الشاه و الوزراء بلهجه تهديد أنه غير موافق على سفر ولى العهد و يضطروهم إلى إيقاف سفره. و عاد ولى العهد إلى بيته. و بعدئذ عاتب الشاه "رضا خان" على هذا العمل، فأجابته بان صاحب الجلاله لم يستشرنى فى موضوع تعيين ولى العهد لولايه أذربيجان. و لو أنه استشارنى لما وافقت عليه لأنى لا أرى فيه صلاحا.

اعتقال قوام السلطنه

كان "رضا خان" يطوى طريقه إلى غايته خطوه خطوه بعزم راسخ و بصيره نافذه و ذكاء خارق و جرأه نادره. و فى ٢٧ صفر سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ١٦ صهر سنه ١٣٠٢ هـ. ش. أقدم على عمل جرىء جدا كان خطوه حاسمه فى تقرير مصيره. فقد أمر بجلب رئيس الوزاره الأسبق "قوام السلطنه" إلى وزاره الحريه ثم أمر بتوقيفه فى السجن. و حجته فى ذلك اكتشاف جمعيه إرهابيه سريه أنشأها "قوام السلطنه" غايتها اغتيال "رضا خان". و نظم المحققون فى هذه القضيه محضرا مطولا مفصلا ذكروا فيه أن تحقيقهم فى بعض حوادث الإخلال بالأمن أدى بهم إلى اكتشاف هذه الجمعيه. و يحلل بعض المؤرخين (١) هذه الوقعه على هذا النحو:

كان "قوام السلطنة" خصما قويا لـ "رضا خان" فأراد إبعاده عن ميدان السياسة الإيرانية. فيتخلص منه من جهة، و يربح خصومه الآخرين من جهة أخرى. و لم يكن "رضا خان" يخشى معارضة السوفيات و الإنكليز لابعاده، بل كان يعلم أن إبعاده يرضيهم. فالسوفيات غير راضين عنه و يعدونه خصما لهم. و لهم على ذلك أدله، منها قطعه، يوم كان رئيسا للوزارة، مفاوضات كانت جارية بينهم و بين إيران لعقد اتفاقية تجاريه كانت ضروريه للاتحاد السوفياتي و أمور أخرى ياخذونها عليه. و كانت إذاعه موسكو تنتقد سياسه "قوام السلطنة" و تعدها مضره بالاتحاد السوفياتي.

و الإنكليز أيضا غير راضين عن "قوام السلطنة" لأنه سعى سعيا مشمرا إلى تحقيق التوازن بين تطلعات السياسه الأجنبيه في إيران، فادخل في ميدان السياسه الإيرانيه منافسا جديدا للإنكليز هو أميركا. فقد منح امتياز استخراج نبط الشمال لشركة أميركيه و استقدم خبراء أميركيين للعمل في بعض الوزارات.

و كان "رضا خان" مرضيا عنه عند الإنكليز و السوفيات كليهما. أما الإنكليز فيظهر رأيهم فيه من تقريرى السفير الإنكليزى اللذين أرسلهما إلى نائب الملك فى الهند و وزير خارجيه بريطانيا. و قد مر ذكرهما. و أما السوفيات فان مقاومه "رضا خان" لـ "قوام السلطنة" قد قربت "رضا خان" إليهم إذ عدوه خصما لخصمهم. و كان "رضا خان" قد أحكم صلته بزعماء اليسار من الايرانيين، و منهم النائبان "سليمان ميرزا" و السيد "محمد صادق الطباطبائي". و هؤلاء كانوا على صله دائمه بالسفاره السوفياتيه. و قد أقنعوا السفير بحسن نوايا "رضا خان" (٢).

بل يذهب هذا المؤرخ إلى أبعد من ذلك. فيؤكد أن "رضا خان" عرض فى السر على السفاره السوفياتيه موضوع اعتقال "قوام السلطنة" فوافقوه، و شجعوه على اعتقاله. و يذكر أن السفير السوفياتى زار عند غروب اليوم الذى سبق يوم اعتقال "قوام السلطنة" الزعيم الاشتراكى النائب السيد "محمد صادق الطباطبائي"، و هو من أشد خصوم "قوام السلطنة"

ص: ١٩٦

- ١- حسين مكى فى كتابه "تاريخ بيست ساله إيران" (عشرون سنه من تاريخ إيران).
- ٢- ذكرنا فيما تقدم بعض ما كتبه أبو القاسم لاهوتى الذى كان فى تلك الأيام شيوعيا عريقا فى شيوعيته ثم ارتد بعد ذلك بزمن عن الشيوعيه - ذكرنا بعض ما كتبه فى مذكراته عن أحداث تلك العهود، و نشر هنا شيئا آخر مما كتبه. قال لاهوتى فى الصفحه ٤١: "إن تولى رضا خان الحكم قد غير فى الواقع هذه الحاله تغييرا تاما بحيث يمكن من الجبهه الواحده اعتبار مجيئه للحكم كرد فعل قوى أمام ملوك الطوائف. و منه الجبهه الثانيه كحركه تحريره للأحرار ضد الاستعمار. و على كل فقد استقر الرأى النهائى على أنه لما كان جهاز الحكم الفاجارى الفاسد لا بد من انهياره فان هذا التحول يعتمد فى حد ذاته خطوه نحو هدف الاشتراكيه. و كنا فى الوقت نفسه نغذى الروح العدائيه للإنكليز نسعى لنشرها بين الناس و كان موظفونا فى إيران يشيعون بين الشعب أن المعارضين لرضا خان هم خدمه الاستعمار البريطانى. و صدرت الايعازات إلى الحزب الشيوعى الايرانى بوجوب تأييد رضا خان كما أوعز إلى أحس موظفينا فى إيران سليمان ميرزا اسكندرى و كان يومئذ نائبا فى البرلمان أن يتخذ التدابير اللازمه فى هذا الشأن و قد تسلم اسكندرى بواسطه أخيه عباس اسكندرى مبالغ طائله من منظمه (كى. بى. أو) و كان يدفع قسما منها إلى النواب الذين يتعاونون معه. لم يكن سليمان ميرزا اسكندرى على وفاق مع رضا خان و لهذا كان ينفذ الأوامر الصادره

إليه مكرها و علي كل فقد صوت و خمسة عشر نائبا لرضا خان فتم بذلك انتخاب رضا خان ملكا علي إيران".

مخاصمه له، فى منزله و بادره السفير بقوله: "البشاره! غدا يعتقل قوام السلطنه". ثم ذهبا كلاهما، السفير و الطباطبائى و معهما ترجمان السفاره إلى منزل الزعيم الاشتراكى الآخر النائب "سليمان ميرزا" و مكثوا عنده مده.

و يذكر المؤرخ أيضا أنه سال بنفسه السيد "محمد صادق الطباطبائى" عن هذا اللقاء فأثبتته و لم يكذبه. سوى أن استدرك بقوله: لقد آلمنى هذا الخبر ساعه سمعته من السفير. و قلت فى نفسى: إنى، و إن كنا نخالف قوام السلطنه، لا أرى مناسبه تحمل الأجانب على أن يعدوا اعتقاله سببا إلى سرورنا يقتضى تهنتنا!

نفي قوام السلطنه

قرر "رضا خان" إبعاد "قوام السلطنه" عن إيران. و اضطر رئيس الوزاره "مشير الدوله" و اضطر الشاه إلى موافقته. و أصدر "مشير الدوله" بلاغا بان "قوام السلطنه" التمس أن يؤذن له بالسفر إلى أوروبا للاستشفاء، و أن الشاه أمر وزير الحربيه بالسماح له بالسفر، و أمره أيضا بان يصرف النظر عن حقه فى متابعه التحقيق، و أن وزير الحربيه امثل للأمر الهمايونى.

و الحق "رضا خان" وزير الحربيه بهذا البلاغ بيانا بأنه امثل لأمر جلاله الملك، و أنه نزل عند طلب الهيئه الوزاريه منه أن يتنازل عن حقه فى معاقبه "قوام السلطنه"، و أن أمر دائره الشرطه بنشر المحضر المدونه فيه نتائج التحقيق فى هذه القضيه ليكون الناس على بينه منها و ينتقى من الأذهان كل ما يمكن أن ينشأ من أوهام عنه مما يشيعه أصحاب الأغراض الخاصه.

ثم أطلق سراح "قوام السلطنه" بعد أن أوقف فى السجن بضعه أيام، و أمر بالتهيؤ للسفر. و فى ٣١ مهر سنه ١٣٠٢ هـ. ش. سافر من طهران إلى بغداد و منها إلى أوروبا.

استقاله مشير الدوله

أصبح تحدى "رضا خان" للوزاره صريحا. من ذلك إقدام بعض ضباط العسكر على إنذار "مشير الدوله" و غيره من الوزراء بان يستقيلوا و إفعالوا و فعلوا! و فى يوم ٢٩ مهر سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١١ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. و ٢٢ تشرين الأول سنه ١٩٢٩ م رفع "مشير الدوله" استقالته إلى الشاه. و فى اليوم التالى تبعه سائر الوزراء.

إبعاد علماء العراق

و فى عهد وزاره "مشير الدوله" هذه نفى الإنكليز حوالى ثلاثين عالما من رجال الدين من العراق إلى إيران لمقاومتهم احتلال الإنكليز للعراق.

و منهم أكبر مراجع الشيعه يومئذ: السيد أبو الحسن الأصفهانى و الميرزا حسين النائينى. و وصلوا كرمانشاه فى ١٥ تير سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ٢٢ ذى القعده سنه ١٣٤١ هـ. ق. و منها إلى طهران. و قد تلقاهم الشاه و الحكومه و الشعب من ساعه وصولهم إلى الحدود حتى دخولهم العاصمه، باستقبال فى منتهى الحفاوه و الإكرام و التعظيم.

وزاره رضا خان

حاول الشاه إقناع مشير الدوله باعاده تشكيل الوزاره فرفض. و كلف غيره من رؤساء الوزاره السابقين المعتمدين فلم يقبل التكليف أحد منهم. إذ كان قبول أحدهم تشكيل الوزاره يعنى تحدى "رضا خان". و ليس لأحد منهم قبل بتحديه، فقد بلغت قوته العسكريه مبلغا مكنه من فرض إرادته على الشاه، فمنعه من نصب ولى عهدته واليا على أذربيجان و أجبر ولى العهد على التزام بيته، و مكنه من نفى "قوام السلطنه" من إيران، و مكنه من فرض إرادته على "مشير الدوله" و إرغامه على الاستقاله. و لم يبق أحد يجرؤ على تولى رئاسه الوزاره غير "رضا خان" فاضطر "أحمد شاه" إلى تكليفه بتشكيل الوزاره، و هو كاره.

و صدر مرسوم الشاه بتعيين "رضا خان" رئيسا للوزاره فى ٣ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١٦ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. و ٢٧ تشرين الأول سنه ١٩٢٣ م.

سفر الشاه إلى أوروبا

و فى نفس ذلك اليوم نشر رئيس الوزاره الجديد بلاغا أعلن فيه أن الشاه قرر السفر إلى أوروبا للاستشفاء. و نشر مع هذا البلاغ بلاغ الشاه بعزمه على السفر و تعيين يوم ٢٤ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ١١ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. موعدا له. و بعد يومين انتهى "رضا خان" من تشكيل وزارته.

و فى ٢١ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق الموافق ٨ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. ذهب "أحمد شاه" إلى مدينه قم لوداع مراجع الدين قبل سفره إلى أوروبا. فقام أولا- بزياره مقام السيده "معصومه". ثم استقبل العلماء المراجع فى ساحه المقام. ثم عاد فى نفس اليوم إلى طهران. و كان "رضا خان" فى معيته.

و فى ٢٢ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق الموافق ٩ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. أقامت وزاره الحربيه عرضا عسكريا فى أحد ميادين طهران اشتركت فيه كل الفرق العسكريه و حضره "أحمد شاه" و سفراء الدول الأجنبيه و كبار موظفى الدوله.

و فى ٢٤ ربيع الأول سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ١١ آبان سنه ١٣٠٢ هـ. ش. سافر "أحمد شاه" إلى أوروبا، و رافقه رئيس الوزاره "رضا خان" إلى الحدود.

و نشر "رضا خان" حين صدور المرسوم الملكى بتعيينه رئيسا للوزاره بيانا لخص فيه برنامجه بأمرين اثنين: المحافظه على حقوق المملكه و إنفاذ القانون.

توسع سيطره رضا خان

كان تحضير العشائر إحدى غايات "رضا خان". و لكنه سلك إلى هذه الغايه المحموده طرقا منكره، كالاغاره على خيام العشائر بالقنابل و تقتيلهم و تشريدهم و شتى زعمائهم و سجنهم و نهب أموالهم كما فعل فى "لورستان" و غيرها. على حين كان مسورا له الوصول إلى غايته بالعمل السلمى و استغلال شجاعه رجال العشائر و مروءتهم لخير الوطن. فوجودهم فى مجتمع بدوى ولدوا و نشاوا فيه على غير إرادته منهم لم يكن ذنبا يؤاخذون عليه. و المضار المترتبه على هذا المجتمع يجيب أن تتلافى بالإرشاد و التوجيه و التأنى و المداراه و تهيينته أسباب الحضاره لهم. و حركات العصيان التى كانوا يقومون بها انسياقا مع طبيعتهم البدويه

يجب أن تقابل بالمسامحه و التفاهم

ص: ١٩٧

و العذر و فوق هذا كانت لهؤلاء العشائر سوابق حميده فى حفظ الثغور و الحدود.

و حين تولى "رضا خان" رئاسه الوزاره كانت الحرب التى شنها على قبائل اللور سنه ١٣٠١ هـ. ش. و ١٣٤٠ هـ. ق، يوم كان وزيراً للحريه فى وزاره "قوام السلطنه"، لا تزال قائمه على أشد ما تكون.

و من تلك العشائر التى أراد "رضا خان" إخضاعها قبيله كرديه اسمها "شكاك". كانت تسكن فى ناحيه "ماكو" على الحدود بين إيران و تركيا و روسيا و عرف رجالها بالشجاعه و من هذه العشيره أسره من الخانات ما زالت تتولى رئاستها من عهد الملوك الصفويين، و فى عهدتها حمايه الحدود. و لها سوابق فى محاربه الروس و الأتراك و حفظ ثغور تلك الناحيه. و لما عقدت معاهده الصلح المعروفه بمعاهده "گلستان" بين إيران و روسيا اتفقت كل من إيران و روسيا و تركيا على ترك الخيار لخانات "ماكو" يلتحقون بمن شاءوا من الدول الثلاث. و قد اختار هؤلاء الخانات الانضمام إلى إيران.

و كانت إنعامات الملوك تتوالى على هؤلاء الخانات فى عهد الصفويين فكنزوا ثروه ضخمه من النقد و التحف و الجواهر يتوارثونها خلفاً عن سلف.

و اشتهر أمر هذه الثروه حتى ضرب بها المثل و بلغ الحديث عنها إلى أن قيلت فيها الأساطير. و كانوا أهل عمران جعلوا من قصبه "ماكو"، و هى عاصمه إقليمهم، بلده زاهيه بالعمارات الجميله المزخره، و حشدوا لذلك مجموعه من الصناع المهرة جلبوهم من روسيا. و استعملوا الاسمنت قبل أن تعرفه طهران نفسها. و مدوا إلى أبنيتهم أنابيب المياه و زودوها بالمدافئ الحديدية. و احتكروا نوعاً ممتازاً من الغنم لا يسمحون لغيرهم أن تتسل غنمه منها. لقد كانوا، فى الواقع، شبه دوله مستقله يرتبطون بإيران بالاسم.

و لكن علاقتهم بالحكومه الإيرانيه كانت، بوجه الإجمال، حسنه دائماً.

و كانت كذلك يوم تولى "رضا خان" الوزاره ثم رئاسه الوزاره.

و اتفق أن عزم "رضا خان" على التنكيل بالاسره الحاكمه فى "ماكو" وقت كلف بتشكيل الوزاره. و كان الخان الحاكم يومئذ فى ذلك الإقليم اسمه "مرتضى قلى خان" إقبال السلطنه. و كان رجلاً لبقاً حسن المعشر متخلقاً بأخلاق مدنيه. فأوعز "رضا خان" فى السر، إلى "عبد الله خان طهماسبى" والى أذربيجان العسكرى باستدراجه بالخديعه إلى تبريز و اعتقاله. و كانت بين الوالى و "إقبال السلطنه" معرفه و صداقه. فدعاه الوالى إلى تبريز لمباحثته فى أمر خاص. فأجاب دعوته غافلاً عما يراد به. فلما وصل بادر الوالى إلى اعتقاله و ألقاه فى السجن. و بعد مده قليله مات مسموماً فى السجن.

و أغار الجند على خزائنه فنقلوها كلها إلى طهران. و لم يعلم مصيرها بعد ذلك. و أراد النائب السيد "حسن المدرس" مره أن يستجوب وزاره "رضا خان" عن مصير خزائن "إقبال السلطنه" هذه فأثيرت ضجه مصطنعه فى داخل المجلس و خارجه طمست استجوابه. و لم يجرؤ بعدها أحد على إعاده الكره. و قيل إن الإنكليز صادروها من يد "رضا خان" و نقلوها إلى إنكلترا يوم خلعوه عن العرش و نفوه إلى جزيره "موريشس" فى أوائل الحرب الكونيه الثانيه. و نشر رئيس الوزاره "رضا خان" بياناً عنف فيه من سبقه من الحكام المنقادين لسياسه الأجنبي و أزرى بالمتوسلين بالأجانب المؤتمرين بأمرهم من أجل حفظ منافعهم

الخاصه. و أن هذه السياسه أدخلت الفساد فى خلق الأمه الإيرانيه و الضعف فى شعورها الوطنى.

ثم نشر بلاغا آخر أنذر به المتظلمين بان كل شكوى و كل تظلم ينشر بواسطه الجرائد و المطبوعات لن يسمع و لن يعتنى به، و على كل شاك و كل متظلم أن يرفع ظلامته بمعامله رسميه قانونيه إلى مراجعها الحكوميه المسئوله. و حظر على موظفى الدوله أن يعرضوا شكواهم و تظلماتهم بواسطه النشر فى الجرائد أو بوسيله أخرى غير الوسائل المقرره قانونيا لهذه الأمور.

فمن خالف حوكم و عوقب بشده.

ثم حقق حلمه القديم بالسيطره على إداره الشرطه فعزل رئيسها السويدي و عهد برئاستها إلى أحد أعوانه. و بذلك سيطر على جميع القوى العسكريه.

محاولة انقلاب جمهورى

قبيل افتتاح المجلس النيابى الجديد ظهرت فى بعض الصحف المواليه لرئيس الوزاره "رضا خان" كتابات تقارن بين "أحمد شاه" و غيره من ملوك العصر، و فيها انتقاد له. و أرسل "رضا خان" اثنين من رجاله إلى أوروبا و أمرهما بان يحصلوا على صورته ل "أحمد شاه" و هو معتمر القبعه الفرنجيه ليذيعها بين الناس فتسوء سمعه الشاه، إذ كان اعتمار هذه القبعه يومئذ بعد خروجها على الآداب الإسلاميه.

و قوى نشاط طلاب النظام الجمهورى من النواب و غيرهم بين الناس. و كلهم كانوا من أنصار "رضا خان" و هى قرائن تدل على أن "رضا خان" كان يمهّد لانقلاب جمهورى. يوصله إلى رئاسه الجمهوريه.

بل بلغ الأمر إلى أبعد من هذا. فقد هيا طلاب النظام الجمهورى نقدا ذهبيا و فضيا مضروبا باسم الجمهوريه ليكون عيديه رئيس الجمهوريه للمعايدين يوم النوروز، و كان هذا العيد قريبا. و حملت الأجهزه العسكريه المنتشره فى مختلف الولايات فريقا من الأهالى على إرسال برقيات إلى المجلس النيابى يعلنون بها رفضهم للأسره القاجاريه.

و استطاع "رضا خان" الحصول على موافقه أكثرية النواب له. فقد كان فريق منهم من طلاب النظام الجمهورى فى الأصل. و فريق منهم انتخب بجماعه العسكريين، و فريق استجلب بالوعد و الوعيد. و بقى المعارضون للانقلاب أقلية فى مقدمتهم النائب الجريء العالم المجتهد السيد "حسن المدرس".

و افتتح المجلس الجديد فى اليوم الخامس من رجب سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ٢٢ بهمن سنه ١٣٠٢ هـ. ش. بخطاب من "محمد حسن ميرزا" ولى العهد و نائب الملك. و كان عرض موضوع تغيير النظام الملكى بنظام جمهورى على المجلس قد أصبح أمرا ثابتا.

و شرعت الأقلية المعارضه تأخذ الأمر بالمناوره و المداوره و تعويق مقدمات استقرار المجلس لتتاح لها زياده فى الوقت. و فى يوم ٢٧ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق ١١ شعبان سنه ١٣٤٢ هـ. ق. عقد المجلس ماكو: ولايه فى أقصى الشمال الغربى من إيران تقع على حدود ما كان يسمى الاتحاد السوفياتى.

النيابي جلسته الخامسة. و في أثناء توقف الجلسة للاستراحة أقدم أحد النواب المؤيدين لرئيس الوزراء "رضا خان" على صفع النائب المعارض السيد "حسن المدرس". فأحدث هذا العمل استياء و استنكارا عاما في الناس، إذ كان المدرس من أوسع السياسيين شعبيه و أطيهم سمعه محبوبا موثوقا به عند الناس. و قد سئل مره: لما ذا تعارض النظام الجمهوري؟ فقال: أنا لا أخالف الجمهوريه الحقيقيه. و قد كانت الحكومه في صدر الإسلام جمهوريه. و لكن هذه الجمهوريه التي يريدون فرضها علينا لم تنبعث من إرادته الأيمه الإيرانيه بل إن الإنكليز يريدون فرضها على هذه الأيمه ليقيموا في إيران حكومه تابعه لارادتهم عامله باوامرهم. و كل ذنب أحمد شاه هو أنه رفض معاهده ١٩١٩ م و قاوم تدخلات الإنكليز في شؤون إيران. و لو كان المرشح لقياده الجمهوريه و طنيا حرا لما عارضته.

و أحدث ضرب المدرس أيضا استياء في المجلس النيابي. فترجع بعض نواب الأكثرية عن تأييدها استنكارا للحادث و انضموا إلى الأقلية المعارضه.

و استقال نائب من أكثر النواب وجاهه هو الشاعر "محمد تقى" المعروف باسم "بهار" و الملقب ب "ملك الشعراء"، استنكارا لضرب المدرس.

و في يوم ٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش، و هو آخر شهور السنه الإيرانيه الهجريه الشمسيه أقدم "رضا خان" على إبلاغ الأسره القاجاريه نيته على خلعها عن عرش الحكم صراحه، إذ أرسل من قبله وفدا إلى ولي العهد نائب الملك "محمد حسن ميرزا" يطلب منه الاستقاله من منصبه، فرفض.

فأعاد "رضا خان" الوفد إلى ولي العهد مره ثانيه لحمله على الاستقاله بالرضا أو بالإكراه. و لكن ولي العهد ظل ثابتا على رفضه و لم يبال بتهديدهم.

و في عصر ذلك اليوم نفسه قامت جماعه من طلاب الجمهوريه و معهم جماعه من رجال "رضا خان" و جماعه من العسكر، و قد ارتدى هؤلاء فوق بزاتهم العسكريه قمصانا حمراء، بمظاهره سارت إلى مبنى المجلس النيابي و رفعوا أصواتهم بطلب النظام الجمهوري، و خطب فيهم بعض معاريف السياسه خطبا مهيجه مظهرين نفورهم من ملك القاجاريين مطالبين بإقرار النظام الجمهوري.

و في ذلك اليوم اجتمع كل رؤساء الدوائر الوزاريه و مدير و الوزارات العامون و ذهبوا إلى "رضا خان" و أعلنوه برفضهم لملك العائله القاجاريه و مطالبتهم بالنظام الجمهوري. و نظم سجل في كل مكتب من مكاتب الوزارات، و طلب من موظفيه تسجيل أسمائهم فيه على أنهم من طلاب النظام الجمهوري. بل ذهب بعض موظفي البلاط نفسه إلى منزل رئيس الوزراء "رضا خان" و أعلنوه بتأييدهم للنظام الجمهوري.

و في ذلك اليوم أيضا (٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش) سارت مظاهره تجوب أنحاء طهران، و قد ارتدى المتظاهرون لباسا أحمر و حملوا رايات حمراء كتبوا عليها "زنده باد جمهوري" (عاشت الجمهوريه).

و سارت عده من السيارات كسيت أغشيه حمراء و رفعت عليها رايات حمراء تطوف شوارع المدينه و تنشر على الناس مناشير

بطلب النظام الجمهورى.

و صدر أمر بتعطيل كل المؤسسات الحكوميه من ظهر ذلك اليوم إلى المساء على أن يشارك موظفوها فى مظاهرات طلب الجمهوريه.

من جهه أخرى نهض المعارضون للنظام الجمهورى من كل الطبقات يعلنون برفضهم لهذا النظام. فأخذوا يفتدون جماعات جماعات إلى بيوت المراجع الدينيه صاخبين مستنكرين، و يتداولون الحديث و المذاكره فى تهيئه وسائل المقاومه. و فى عصر كل يوم يتجمعون فى مسجد الشاه حيث تلقى خطب مهيجه بالتنديد بالنظام الجمهورى و رئيس الوزاره "رضا خان" و المؤيدين له من النواب. و فى يوم ٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش. بلغ عدد المتجمعين فى مسجد الشاه حوالى ثمانيه آلاف. و انتشر نبا ضرب السيد "حسن المدرس" فى المدينه بمثل دوى الرعد. فزادت الخواطر هياجا و تضاعفت الكراهيه للجمهوريه و طلابها.

و فى ذلك اليوم أيضا (٢٨ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش) حاولت جماعه من الجمهوريين إكراه التجار على تعطيل الأسواق (١) لاطهارها بمظهر المؤيد للنظام الجمهورى فلم تفلح. و رد عليهم التجار بالجفاء و الرفض.

و فى اليوم التالى (٢٩ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش) عاود الجمهوريون المحاولة. و جرى نقاش عنيف بينهم و بين التجار. و جر النقاش إلى العراك. و أطلق الجمهوريون بضع عبارات ناريه. و حضر رئيس الشرطه مع جماعه من رجاله إلى السوق، و أمر بسد أبواب المساجد المهمه - و مسجد الشاه الكبير يقع بالقرب من السوق - و فى أثناء ذلك حضر إلى السوق الشيخ "محمد الخالصى"، و هو فى طريقه إلى مسجد الشاه للصلاه، و معه جماعه منهم الواعظ الشيخ "حسين اللكرانى"، و كان هذا قد دأب على الحضور إلى المسجد كل يوم يخطب منددا بالجمهوريه و الجمهوريين. و إذ وجد الخالصى باب المسجد مغلقا و شاهد الشرطه فى السوق أيقن أنه معتقل لا- محاله. فما كان منه إلا أن بسط عباءته فى وسط السوق و أمر مرافقيه برفع الأذان و وصف قدميه للصلاه. و سمع البازاريون صوت الأذان فقصدوه و اصطفوا وراء الخالصى يأتون به. و ما زالوا يقبلون و يصطفون للصلاه حتى تشكلت منهم جماعه كبيره. فما انتهت الصلاه حتى كان عدد المجتمعين حوالى ثمانيه آلاف. فخطب فيهم الخالصى و ندد بالجمهوريه و الجمهوريين و النواب المؤيدين لهم، ثم دعا هذا الجمهور إلى الذهاب إلى المجلس و إعلان مخالفتهم للنظام الجمهورى فأجابوه كلهم. و لم يتعرض لهم رجال الشرطه إذ كان تفريقهم فوق طاقتهم. و ساروا إلى المجلس. و هناك دخل الخالصى إلى غرفه رئاسه المجلس و طلب الاجتماع بالنواب لابلاغهم إرادته الجمهور. و كان النواب فى جلسه رسميه. و بلغ خبر مجيء الخالصى إلى بعضهم. فخرج بضعه نواب من الجمهوريين من الجلسه و دخلوا على الخالصى و تناولوه بالضرب.

و شيئا فشيئا تسرب الخبر بان الخالصى يضرب فى داخل المجلس إلى الجمهور فى الخارج فثاروا و حاولوا اقتحام المجلس من كل منافذه. و عندئذ اضطر الضاربون إلى إطلاق الخالصى فخرج من المجلس.

و حين علم رئيس المجلس بالواقعه عرض القضيه فورا على النواب و تقرر إبلاغ الجمهور أن المجلس عين عصر يوم الثانى من شهر فروردين، سنه ١٣٠٣ هـ. ش، أى بعد ثلاثه أيام موعدا لاستقبالهم و مباحثتهم فى مطالبتهم. و رفعت الجلسه.

و فى ذلك اليوم أيضا (٢٩ إسفند سنه ١٣١٢ [١٣٠٢] هـ. ش) أعاد "رضا خان" محاولته حمل ولى العهد على الاستقاله، فأرسل إليه الوفد الذى أرسله فى اليوم السابق، و مناه بالعود ليقنعه بالحضور إلى المجلس النيابى و الإعلان باستقالته من منصبه. فكان جواب ولى العهد أن قولوا لـ "رضا خان": "طريقك إلى تخت السلطان إنما يكون على جثتى! فأعاد "رضا خان" الوفد إليه فى نفس اليوم ليبلغه أن لا بد من خروجه من قصر "گلستان" (القصر الملكى).

فاستدعى ولى العهد رئيس المجلس و بعض النواب فى نفس ذلك اليوم إلى قصره و اختلى بهم. فلما خرجوا من عنده أمر رئيس المجلس بعقد المجلس النيابى، فانعقد منذ غروب الشمس و افتتح رئيس المجلس الجلسة، و قد بدت عليه مظاهر الغم و الحزن، بقوله إن صاحب السمو ولى العهد استدعانى و بعض النواب، و قال لنا: لقد طلب منى الخروج من القصر الملكى. و إذ كنت ولىا للعهد فى حكومه دستوريه نيابيه فانا أستطلع رأى المجلس النيابى فى هذا الموضوع. و عقب رئيس المجلس بقوله: و لهذا أعرض القضييه على الساده النواب.

و تلقى المجلس كلمه الرئيس بالوجوم و الدهشه. ثم قطع أحد النواب السكوت بكلمه وافق بها على إقاله ولى العهد، و صاغها بأسلوب فيه سخرية منه.

و ترددت بعده مناقشات بين مؤيد و معارض. إلى أن تجرأ أحد النواب المعارضين و سال رئيس المجلس: و من ذا الذى طلب من سمو ولى العهد الخروج من القصر الملكى؟ فسكت الرئيس و لم يجاب بشىء. و لكن أحد النواب الجمهوريين رد عليه بكلمه شتم فيها الأسره القاجاريه، و هدد بقوله: إن لم يخرج القاجاريون من عمارات الحكم أخرجهم غدا الناس و طلاب الجمهوريه بالقوه و اجتثوا أصول الفساد منها. ثم تكلم آخرون من الطرفين و انفضت الجلسة بلا نتيجته.

و فى ٣٠ إسفند سنه ١٣٠٢ هـ. ش الموافق ١٤ شعبان سنه ١٣٤٢ هـ. ق. عقد المجلس النيابى جلسه تقرر فيها تعيين عصر اليوم الثانى من شهر فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش. موعدا للبت فى موضوع إلغاء النظام الملكى و إقرار النظام الجمهورى.

و أخذ الناس فى ذلك اليوم يفتدون إلى ساحه المجلس من الساعه الثانيه بعد الظهر، و فى مقدمتهم العلماء رجال الدين و الرؤساء، و كان هؤلاء يقصدون إلى غرفه رئاسه المجلس فيجلسون فيها و يبقى الآخرون فى الساحه الخارجيه و ظل الناس يتوافدون حتى اكتظت الساحه بهم. و أمر الحرس باغلاق الباب الخارجى، و لكن الوافدين لم يمكنهم و أبقوا الباب مفتوحا بالقوه. و تكاثر الناس يفتدون جماعات جماعات و كل جماعه منهم ترفع علامه خاصه تدل عليها. و كان الشعور الغالب ينذر الجمهوريين بالشر. فالمظاهر كلها تدل على أن الغالبية تخالف الجمهوريه. و رفع بعض المواكب شعار "زنده باد أحمد شاه مرده باد جمهورى" (عاش أحمد شاه. تبت الجمهوريه). و انتشر الخطباء بين الجمهور ينددون بالجمهوريه و الجمهوريين و يعلنون بالتأييد للأسره القاجاريه. حتى اليهود شكلوا مظاهره و لما وصلوا إلى مكان التجمع أخذوا يهتفون "نتبع القرآن. نرفض الجمهوريه" و احتشد الناس احتشادا عظيما و امتد حشدهم فى مسافات بعيدة فى كل الشوارع و الميادين المتصله بالمجلس النيابى. فما حانت الساعه الرابعه حتى أصبح احتشاد الناس هائلا ينذر النواب الجمهوريين بعاقبه وخيمه. و استنجدوا بالتلفون بمرشحهم المنتظر لرئاسه الجمهوريه "رضا خان" و طلبوا منه الحضور إلى المجلس لتعيين تكليفهم.

و كان "رضا خان" قد استعد لهذا الحادث، إذ كان يحتمل وقوعه، و هيا فرقه مسلحه من العساكر، و فيها جماعه من الأرمن.

فأمرهم بالذهاب إلى دار المجلس النيابي. و في منتصف الساعه الخامسه كان هؤلاء العساكر يحاصرون المجلس من جميع أطرافه. و شق ٣٥٠ جنديا من القوزاق عند باب المجلس الخارجى طريقا بين الجمهور ليمر منها "رضا خان" إلى داخل المجلس. ثم وصل "رضا خان" يرافقه جماعه من ضباط القوزاق و رئيس الشرطه فمروا بين صفين من العسكر و دخلوا دار البرلمان. و حين مرورهم تعالى الهتاف من الجمهور "تبت الجمهوريه!". و رأى "رضا خان" واعظا يخطب الناس منددا بالجمهوريه فضربه بسوط كان فى يده و أمر بانزاله عن مكان الخطابه. عندئذ رمى أحدهم "رضا خان" بحجر فأصابه فى ظهره.

و أمر "رضا خان" العسكر بتفريق الناس بضربهم بالحرايب، ثم مضى فى طريقه إلى داخل المجلس. و وقعت معركه داميه كان سلاح الأهالى فيها فروع الأشجار القائمه فى حديقته المجلس. و قتل فريق منهم و جرح آخرون.

و وصل الخبر إلى رئيس المجلس فخرج يستطلع فالتقى على الدرج المؤدى إلى داخل المجلس ب "رضا خان". فبادره غاضبا بقوله: أى شىء هذا! لما ذا تضرب الناس فى بيت هو بينهم بسلاح هو سلاحهم؟! فأجابه "رضا خان": أنا رئيس الحكومه و فى عهدتى حفظ النظام و قمع الفتن! فرد عليه رئيس المجلس و هو يرتجف غضبا: حفظ النظام هنا من شانى لا من شانك! فأجابه "رضا خان": و شانى أنا حفظ نظام المملكه! فازداد رئيس المجلس غضبا و أجابه: الآن أعلمك بما هو واجب عليك و ما هو من شانك. ثم نادى أحد الموظفين، و قال له: أقرع الجرس لدعوه النواب إلى الاجتماع لأبين لهذا الرجل ما هو واجبه و أفهمه أن المجلس ليس محلا لهذه الأعمال! يعنى بذلك حجب الثقه عنه و إسقاطه.

و أخاف هذا التهديد "رضا خان". فبادر إلى تلافى هذا الخلاف و توسل ببعض النواب ليتوسطوا له عند رئيس المجلس النيابى بان يسامحه و أن يقبل اعتذاره. و جاء به هؤلاء إلى رئيس المجلس فاعتذر إليه. فقال له الرئيس لا لزوم لاعتذارك إلى و عليك أن تعتذر إلى العلماء و الرؤساء الجالسين فى غرفه الرئاسة الذين يمثلون أفكار الناس. فذهب "رضا خان" إليهم و اعتذر. و قال: الآن، إذ تبين أن الأيمه الإيرانيه لا تريد الجمهوريه، فانى أصرف النظر عنها. ثم تبادلوا القبل. و طلب العلماء من "رضا خان" المبادره إلى إطلاق المعتقلين فى الشرطه من المتظاهرين، و عددهم حوالى الألف، فأجابهم بالطاعه.

و كان فريق من المتظاهرين قد فروا ساعه وقوع المعركه. فذهبوا إلى بيوتهم و تسلحوا بالعصى و السياط و عادوا إلى المجلس ليعودوا بالعلماء و الرؤساء الذين يمثلونهم إلى بيوتهم. و كانوا يهتفون و هم يسيرون إلى المجلس "تبت الجمهوريه. نريد دين النبى. نرفض الجمهوريه". ثم دخلوا إلى المجلس و عادوا بمثلهم إلى بيوتهم.

و فى مساء ذلك اليوم (٢ فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش) تبين للناس

أن جماعه من المعتقلين فى أحد مخافر الشرطه ما زالوا محبوسين لم يطلقوا. و فى صباح اليوم التالى شاع الخبر فى المدينه، فاضرب البازار استنكارا لذلك و توافد الناس إلى منازل المراجع الدينيه، و أعلنوا أنهم يرفضون "رضا خان"، و يطلبون إحالته إلى المحاكمه.

بيان "رضا خان"

و ذهب "رضا خان" إلى بلده "سعدآباد" فاعتزل فيها بضعه أيام، ثم ذهب منها إلى مدينه قم فاجتمع بمن فيها من العلماء و رجال الدين، و فيهم المراجع المبعدون من العراق، و تودد إليهم. و جعل السبب الظاهر لذهابه إلى قم قيامه بواجب توديع هؤلاء المراجع، إذ كان موعد عودتهم إلى العراق قريبا. و قد التمس منهم إرسال برفيه إلى طهران تساعد على تهدئه الخواطر.

فأرسل المراجع الثلاثه: السيد أبو الحسن الاصفهاني و الميرزا محمد حسين الغروي النائيني و الشيخ عبد الكريم الحائري برفيه نشرت فى العاصمه يوم ٥ فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش. موجهه إلى العلماء و الأعيان و التجار و جميع طبقات الأمه. و فيها أنهم طلبوا من "رضا خان" حين جاء إلى قم لوداعهم نقض مطلب الجمهوريه و إلغاء المظاهر التى ترتبت عليه، إذ تبين أن الرأى العام غير راض عنها. و أنها لا- تنفق و مقتضيات المملكه. و أن رئيس الوزاره استجاب لطلبهم. و رجوا أن تكون هذه النعمه موضع التقدير و أن تكون هذه العنايه موضع الشكر.

و بعد عوده "رضا خان" من قم إلى طهران نشر فى يوم ١٢ فروردين سنه ١٣٠٣ هـ. ش. بيانا قال فيه "إن حكومته الحاضره قد تجنبت حتى اليوم صد الناس عن إبراز إحساساتهم المنبعثه من كل جانب. و ذلك التزاما منها بالأصل المقرر و هو أن أولياء الأمور لا- يجوز لهم أبدا أن يخالفوا الرأى العام و يناقضوه". و قال: "و إذ كنت منذ البدء و لا أزال أبتغى غايه واحده هى أن أحفظ و أحرس عظمه الإسلام و استقلال إيران و أرى مصالح المملكه و الأمه رعايه كامله. و كل من خالف هذا النهج أعده عدوا أسعى إلى قمعه.

و إذ كنت عازما على إدامه هذا النهج، و إذ كان ما فى الأذهان العامه اليوم من تشتت و اشتباه يمكن أن يؤدى إلى نتائج مخالفه لما أكنه فى خاطرى من حرص على حفظ النظام و الأمان و استحكام أساس الدوله، و إذ كنت و كل أفراد الجيش لانزال منذ البدء نعتبر المحافظه على أبهه الإسلام و صيانتها من أعظم واجباتنا و نضع هذا الواجب نصب أعيننا، فقد كنا دائما نسعى إلى ازدياد رقى الإسلام و تعالیه يوما فيوما و مراعاة مقام الروحانيين و احترامهم مراعاة كامله. و من ثم باحث الساده حجج الإسلام و العلماء الأعلام، حين تشرفنا بزياره السيده "المعصومه" (ع)، لتوديعهم، فى موضوع الحدث الحاضر، و تبادلنا الأفكار. و فى النهايه تم رأينا على أن أوصى عموم الناس بوقف الدعوه إلى الجمهوريه، و أن نصرف جهودنا إلى إزالة موانع إصلاح المملكه و ترقيتها و أن يعاضدونى و يساعدونى فى الوصول إلى الغايه المقدسه، و هى إحكام أساس الديانه و استقلال المملكه و الحكومه الوطنيه. فانا أنصح كل الوطنيين و محبى تلك الغايه المقدسه بصرف النظر عن المطالبه بالجمهوريه، و أن يكونوا معى يدا واحده لنيل المقصد العالى الذى نتفق عليه كلنا".

عزل رضا خان

بعد عوده "رضا خان" من قم إلى طهران أصبح قليل الأمل بالمجلس النيابي. فالأكثرية التى تناصره مزعزه. و الأقلية التى

تخالفه قد اشتدت و عزمت على الثبات في مقاومته. و أظهر فريق من النواب سوء ظنهم به صراحة. ثم وصلت برقيه من "أحمد شاه" من باريس بعزله عن الوزارة و تفويض المجلس النيابي اختيار مرشح آخر لرئاستها. فتنحى "رضا خان" عن منصبه في يوم ١٨ فروردين سنة ١٢٠٣ هـ. ش. و سافر إلى ناحيه "رودهن" و اعتزل فيها.

و روى أحد نواب تلك الدورة، و كان من أنصار "رضا خان" في مذكراته أن "رضا خان" أصبح، بعد عزله و تضافر المعارضين و تشدهم في مقاومته، آيسا من النجاح فعزم على مغادره إيران. و حزم أمتعته و هيا سيارته للسفر و فيما هو موشك أن ينطلق جاءه جماعه من أخص أصدقائه. و فيهم كاتب المذكرات نفسه و الزعيم الاشتراكي "سليمان ميرزا" و اختلى به ساعه فلما عاد بدأ "رضا خان" مستبشرا و عدل عن السفر.

تكليف رضا خان بتشكيل الوزارة

انصرف "رضا خان" انصرافا قاطعا عن أمنيته نظام جمهوري يكون هو رئيسا له. و لكن القرائن كانت تدل على أنه لم ينصرف عن أمنيته الوصول إلى الرئاسة الدكتاتورية و إسقاط الأسره القاجاريه عن العرش.

فبعد عزله عن رئاسه الوزارة أخذت الصحف المواليه له تنشر مقالات عنيفه تندد فيها بمن خالف الجمهوريه و من خالف "رضا خان"، و تبالغ في الثناء عليه و بيان خدماته للمملكه و تطلب بقاءه في منصب رئاسه الوزارة.

و قام فريق من ضباط القوزاق بعقد اجتماعات في الساحات العامه و ألقوا خطبا عنيفه نددوا فيها بمخالفى "رضا خان" و أرسلوا رساله تهديد إلى المجلس النيابي طلبوا فيها إعادته إلى رئاسه الوزارة و إلا- فعلاوا. و كذلك أرسل أمراء العسكر و ضباط القوزاق من أغلب الولايات برقيات تهديد صريحه إلى المجلس، و أعلنوا بأنهم سيفسدون أمن البلاد إن لم يعد "رضا خان". إلى رئاسه الوزارة. و نشرت الصحف المواليه له أخبارا بان ننحيه عن منصب الحكم جرا أهل الفتنة فقاموا باعمال محله بالأمن. و نشرت إحداها خبرا بان أذربيجان أعلنت استقلالها عن إيران و أقامت حكومه جمهوريه.

و عقد المجلس النيابي جلسه خاصه لاختيار مرشح لرئاسه الوزارة.

كانت النتيجة معروفه فالأكثرية تؤيد "رضا خان" و سيطره العسكريين تمنع ترشيح غيره. فابعد أنصار "رضا خان" النائب السيد "حسن المدرس" عن الجلسه بخدعه فلم يحضرها. و كان المدرس أشد خصوم "رضا خان" و أجرأهم عليه. و هو الذى سبق أن عوق بمناوراته عرض مشروع الجمهوريه على المجلس للتصويت حتى تهيأت الأسباب لقيام مظاهره الثانى من فروردين سنة ١٣٠٣ هـ. ش. التى أسقطت المشروع و قضت على فكره الجمهوريه نهائيا. و لذلك أبعده عن تلك الجلسه ليامنوا معارضته العنيفه و أسرعوا في إقرار اختيار "رضا خان" لرئاسه الوزارة بلا مناقشه.

و تم اختيار هذا لها بأكثرية الأصوات. و أبلغت النتيجة برقيا إلى "أحمد شاه" و هو فى باريس. فجاء الجواب منه بقبول اختيار المجلس و تكليف "رضا خان" بتشكيل الوزارة.

و أرسل المجلس النيابي وفدا من النواب إلى "رودهن" إلى "رضا خان" لابلاغه قرار المجلس فى ٢١ فروردين سنة ١٣٠٣ هـ.

ش.

ص: ٢٠١

فامتنع فى بادئ الأمر من القبول، ثم قبل بشروط. وفى اليوم التالى عاد إلى طهران. وفى يوم ٢٤ فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. حضر المجلس النيابى مع وزرائه و عرفهم إلى المجلس، و كان أحد هؤلاء الوزراء ضابطا قوزاقيا.

بعد الوزارة الثانية

و ارتأى فريق من النواب المخلصين أن يصلحوا ما بين البلاط و رئيس الوزارة "رضا خان" بشرط أن يتعهد هذا بالاطاعة و تجنب ما يسيء إلى البلاط. و وافقت أكثرية النواب على هذا الاقتراح، و قررت إرسال "الدكتور مصدق" إلى ولى العهد "محمد حسن ميرزا" ليعرض عليه الاقتراح. و بعد المذاكره قبل ولى العهد بالمصالحة. و فى الليله التالى ذهب "الدكتور مصدق" و "رضا خان" إلى البلاط و اجتمعا بولى العهد. ثم تركهما "مصدق" و خرج من القصر. و لم يعرف ما دار بينهما من حديث فى تلك الليله.

و ظل "رضا خان" محافظا على رابطته بالقصر بصوره حسنه. ثم تقرر أن يعود الشاه إلى إيران و بدأ بمعامله السفر، ثم توقف. و قيل إن رسولا أرسل إليه و أبلغه أن عودته مشروطه بشروط عليه أن يقبلها. و أن الشاه أجاب بان تنازله عن العرش خير له من قبول هذه الشروط. ثم لم يعد بعدها قط إلى إيران.

و كانت تركيا مطمئنه إلى حكم القاجاريين فى إيران راغبه فى استمراره. إذ كان عهدهم عهد صفاء و سلام بين الدولتين. و فيه توقفت الحروب التى كانت لا تنفك ناشبه بينهما فى عهود من سبقهم من الأسر المالكة. و كانت تحسن الظن بسياسه "أحمد شاه". فلما وقعت حوادث الثانى فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و أصبح الشاه فى وضع حرج و برزت صعوبات تمنع عودته إلى إيران رأت الحكومه التركيه أن من مصلحتها أن تساعد بتسهيل طريق عودته. فأرسل "مصطفى كمال" وزير خارجيته "رشدى آراس" إلى باريس ليعرض على "أحمد شاه" مساعده تركيا له بتجنيد حوالى ثلاثين ألفا من أكراد تركيا يرافقونه من كردستان تركيا إلى كردستان إيران و منها إلى طهران بعنوان حرس مشيع من قبل الحكومه التركيه. فشكره "أحمد شاه" ثم قال له: ليس فى استطاعتى قبول هذا العرض إذ ليس من عاده القاجاريين أن يحصلوا على التاج و العرش و يحتفظوا بهما بيد غير يدهم.

و فى يوم ١٦ فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. توفى فى باريس "محمد على شاه" ملك إيران السابق المخلوع أبو "أحمد شاه". و أبلغ نبا وفاته إلى إيران، ما قامت الحكومه مجلس فاتحه رسميا له فى مسجد الشاه يومى ٢٠ و ٢١ فروردین سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و كان حضور الناس هذه الفاتحه يدل على أن الآثار السيئه التى تركها فى نفوسهم تصرف "رضا خان" يوم الثانى من فروردین [١٣٠٣] عند المجلس النيابى ما زالت تملؤهم حقدًا. و من ثم كانت هذه الفاتحه مظاهره ولاء ضخمه للشاه و تحدى ل "رضا خان". أقبل الناس جموعا غفيره من كل الطبقات يشاركون فيها حتى اكتظ بهم المسجد و ساحته - و هو من أكبر مساجد طهران - و امتلأت الأزقه و الأسواق المتصله به بالوافدين. و كان مظهر التحدى ل "رضا خان" واضحا فى الجمهور. فحين حضوره إلى الفاتحه لا يكثرث به أحد. بل كانوا لا يفسحون الطريق للدخول إلى المسجد فيضطر إلى سلوك الطريق محشورا بينهم، أو يصيح بهم غاضبا يطلب إفساح الطريق له. و كان خطيب الفاتحه أحد مشاهير الوعاظ فى طهران معروفًا بالجرأه و جهاره الصوت. و كان يضمن خطبته تعريضات ب "رضا خان" و تأييدا للشاه.

و بعد انقضاء مجلسى الفاتحه اقترح النواب المعارضون ل "رضا خان" على المجلس النيابى إرسال برقيه تعزيه إلى "أحمد شاه"

و لكن النواب المؤيدين ل " رضا خان " المعارضين للشاه انقصوا عدد النواب الحاضرين إلى ما دون النصاب فتعطل الاقتراح.

و فى أواخر سنه ١٣٠٣ هـ. ش. استطاع " رضا خان " أن ينتزع من الشاه منصب القيادة العليا للقوات المسلحه. و هو منصب يختص به، فى العاده، رئيس الدوله الذى هو الشاه.

و استمرت الصحف المؤيده ل " رضا خان " فى تنديدها بالقاجاريين و أنصارهم، و أطلقت لها حريه القول بما تشاء. و اشتدت المراقبه و التضيق على الصحف المعارضه. بل أن نشرات الأخبار اللاسلكيه السوفياتيه دأبت على التنديد بمعارضى " رضا خان " و صحافتهم و وصفهم بالرجعيين(١) إذ كان رجال الدين و التجار معادين له موالين للشاه. و اشتد التضيق على الصحف المعارضه حتى اضطر أصحابها إلى التحصن فى المجلس النيابى. و يومئذ أذاعت نشره الأخبار اللاسلكيه السوفياتيه هذا الخبر فى ٨ تموز سنه ١٩٢٤ م الموافق ١٧ تير سنه ١٣٠٣ هـ. ش. بعنوان " اضطرابات دينيه فى إيران " هكذا:

ص: ٢٠٢

١- بعد استيلاء " رضا خان " على عرش إيران تبينت الحكومه السوفياتيه أن تأييدها له يوم كان رئيسا للوزاره و يوم حاول القيام بالانقلاب الجمهورى كان خلاف مصلحتها. و أن مندوبيها فى طهران قد انخدعوا يومئذ به، فكانت تزكيتهم له فى تقاريرهم خطأ حوكموا عليه و حكم عليهم بالقتل عقابا لهم. و منهم " شومياتسكى " سفير الاتحاد السوفياتى فى طهران أيام وقائع الانقلاب الجمهورى. يقول أبو القاسم لاهوتى الشيعى النائب الذى مر ذكره فيما تقدم من الحواشى - يقول فى مذكراته عن تلك الأيام فى الصفحه ٤١: " على أن رضا خان بعد أن تسلّم العرش و فرض الحكم الدكتاتورى فى البلاد أى من الضرورى اعاده النظره فى سياسته مع روسيا. و قد أدى فجاه إلى نشوء اختلاف شديد بين أعضاء الكومنترن فى موسكو فيما يتعلق بسياسه الاستعمار، و بلغ هذا الاختلاف حدا لم يشهد له مثل منذ عام ١٩٢٧ و ما بعده طوال حكم ستالين. و قد عكست جريده برافدا و مجله نوى فستوك على صفحاتها آراء مختلفه فى هذا الصدد. فكان " فياسانف " يعتقد بان تسلّم رضا خان زمام الحكم قد أدى ليس إلى إحباط الانقلاب الاجتماعى المطلوب فحسب و إنما إلى بقاء العناصر التى أوجدت نظام ملوك الطوائف و استمرارها أيضا، و أن رضا خان نفسه يعتبر خادما من خدام الاستعمار البريطانى. و كان (فياسانف) يصر على أن روسيا يجب أن تقضى على هذا النظام بواسطه أحداث انقلاب بين الفلاحين باى شكل كان ثم يشير الكاتب إلى وجود معارضين كثيرين لرأى " فياسانف " و أن (رأس كل نيكف الذى كانت معلوماته بسيطه عن الجمهوريه السوفياتيه فى (كيلان) كتب مقالا فى جريده (برافدا) أشار فيه إلى أن جيش رضا خان مؤلف من رجال يفوق مستوى معلوماتهم مستوى الفلاحين و لهذا ينبغى أن نعتبر حركه رضا خان انقلابا برجوازيا موقفا من وجهه النظر الروسيه. ثم يقول لاهوتى فى الصفحه ٨١: " علمنا مؤخرا أن أحد الفروع كان قد أرسل عددا من المهندسين الفرنسيين و الألمان إلى إيران لاستطلاع حاله الشيوعيه هناك. و كانت نتيجة التحقيق الذى قام به هؤلاء أن رضا خان عدو الشيوعيه اللدود، و أنه هو نفسه الذى يحول دون منح أيه إجازة لتأسيس الجمعيات و ليس باستطاعه أيه جريده أن تنتقده. و كنا جميعا متفقين على أن رضا خان لا يكتفى باتباع الأساليب الدكتاتوريه كمن سبق من الملوك القاجاريين و إنما يفوقهم و يمتاز عليهم بتطبيقه وسائل التعذيب المتبعه فى روسيا كالانتحار الاجبارى و السجن لأجل غير مسمى و النفى و الابعاد

وما إلى ذلك".

"... و تفيد معلومات أخرى أن أصل هذه الاضطرابات هم الرجعيون يسعون، بمساعدة رجال الدين، إلى إثارة التعصب الديني عند الجماهير ليسخروهم في محاربه الحكومه. و قد تحصن كل مديري الجرائد الرجعيه المعارضه في المجلس في اليوم الثامن من هذا الشهر "اه.

و تمادى بعض الصحف المواليه فاخذ بنشر مقالات في نقد الدين و السخرية من العقائد الدينيه. و لكن "رضا خان" تنبه إلى ما في هذا الأمر من أخطار عليه، إذ هو يحمل العامه على مخالفته و النفور منه. فأوعز إلى هذه الصحف بالكف عن نشر مثل هذه المقالات. بل أمرها بتحسين إقامه الشعائر الدينيه و الدعوه إليها. و اتفق أن كان ذلك في شهر رمضان، فأمر بنصب فسطاط كبير في ثكنه القوزاق و دعا الوعاظ و قراء السيره الحسينيه إلى الوعظ و قراءه السيره فيها. و كان هو نفسه يحضر هذه المجالس. و أوعز إلى الصحف المواليه له بالتحدث عن هذه المجالس و الإشاده بورعه و حرصه على رعايه الدين.

هديه من النجف

و كان "رضا خان" قد أرسل مع المراجع المنفيين من العراق حين عودتهم إليه أحد ضباط القوزاق يرافقهم إلى النجف. و عاد هذا من النجف في أواخر شهر شوال سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق أواسط شهر خرداد سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و معه رساله من "الميرزا محمد حسين النائيني" إلى "رضا خان" يشكره فيها على رعايته لهم و حسن ضيافه الحكومه الإيرانيه.

و مع الرساله هديه هي صوره قديمه للإمام على بن أبي طالب (ع) كانت محفوظه في خزانة العتبه العلويه فطلبها "النائيني" من قيم الخزانة و أرسلها هديه إلى "رضا خان". و قد وصلت هذه الهديه في وقت الحاجه إليها.

فقرر "رضا خان" أن يحسن استغلالها لتزكيه نفسه عند الصحافه و المتدينين بأنه يحترم الدين و مقدساته. فأمر بان يهيا لتسلمه الصوره مجلس يكون مهرجانا فخما. و طبع بطاقات دعوه أرسلها إلى الكبراء و سفراء الدول الإسلاميه. و نشر دعوه عامه إلى كل المسلمين و العلماء و الأعيان و رجال المملكه. و نصب في حديقته "باغشاه" فساطيط يختص كل منها بفئه من المدعويين. و أمر الصحف المواليه له بنشر خبر المهرجان بعبارات التعظيم و التشويق. و هذا نموذج من أقوال تلك الصحف نشرته إحداها في الصدر منها:

"اليوم يوم أكبر أعياد الايرانيين. ففيه يتم إعطاء أعظم جنود إيران المؤثرين على أنفسهم أعظم مكافاه و أجمل إنعام من أعظم أئمه عالم الإسلام و أشجع شجاعانه. اليوم يسطع في مركز المملكه الشيعيه نور الايمان المشعشع بعد أن ظل مستورا قرونا.

"اليوم سل ذو الفقار من غمده و حط على كتف قائد الجيش ملاطفا لا معا كالبرق، احتفاء بتعليق أعظم أوسمه التقدير على صدر أعظم مجاهدى الإسلام في العصر الحاضر.

"اليوم يحفظ أسد الله الغالب على بن أبي طالب بصورته المباركه وجود رضا بهلوى البهى من شر شياطين الجن و الإنس".

"يا للحرز المبارك! يا للتعويذه الميمونه! هم العلماء الأعلام و المجتهدون العظام التمسوا، قلبا واحدا و قولاً واحدا، من أعتاب ملك الشجاعه هذه المرحمه العظمى لقائد الجيش، و عادوا مفتخرين رافعي الرأس بان قبل أمير المؤمنين التماسهم".

و في الموعد المعين ذهب "رضا خان" رئيس الوزراء و الوزراء و بعض العلماء إلى مقام "عبد العظيم الحسنی" (رض) فعلقوا الصورة على صدره بين مظاهر التعظيم و الاحترام و عادوا به إلى مكان الاحتفال و قد بدا مشعا بالأنوار زاهيا بالزينات و احتشد فيه خلق كثير و جلست كل فئه في فسطاطها المختص بها. و خطب سفير تركيا. و شكره "رضا خان" بخطبه. و كان مدار الخطبتين كليهما الإسلام و الأخوة الإسلاميه. و كان أحدهم قد أناخ بعيرا عند مدخل الحديقه. فلما انتهى الاحتفال و خرج "رضا خان" نحر الرجل ذلك البعير عند قدميه.

و أمر "رضا خان" بإنشاء منصب "ناظر الشرعيات" و مهمته مراقبه المنشورات و المطبوعات و التمثيليات و أمثال هذا و إجبار أصحابها على التقيد بالأحكام الشرعيه و التزام الآداب الإسلاميه.

و لكن كل تلك المظاهر كانت رياء لاكتساب قلوب العامه و تملق رجال الدين إذ كان مضطرا إلى مسالمتهم لأن نفوذهم كان عظيما في نفوس الناس لا قبل له بمقاومتهم. فلما استتب له الأمر بعد ذلك و أمسك بيده زمام سلطه دكتاتوريه مطلقه لم يال جهدا في طمس معالم الدين و التنكيل برجال الدين و المتدينين.

أول تمرد في المجلس النيابي

و امتد التنديد بالشاه من الصحف المؤيده لرئيس الوزراء إلى المجلس النيابي ففي جلسه عقدها في ٢٩ خرداد سنه ١٣٠٣ هـ. ش. بتر أحد النواب من اليمين القانونيه التي يجب أن يحلفها النواب عباره مفادها التعهد بالوفاء للشاه و تجنب خيانتة. و امتنع بعضهم عن حلف اليمين أصلا لأنه يتضمن هذه عباره. و لكن رئيس المجلس ألزمهم بالحلف الكامل و إلا كان امتناعهم تمردا على القانون الأساسى.

و اغتيل معارض شاب كان من أعلام الثقافه و الأدب هو الشاعر الصحافى "ميرزاده عشقى". و كان لقتله وقع مؤلم شمل طهران. و قدر [قدر] عدد مشيعيه بحوالى ثلاثين ألفا. و يجدر بالذكر أن هذا الشاب الأديب كان من أشد الناس حماسه للجمهوريه. و له مواقف وطنيه مشهوده من يوم عقد معاهده سنه ١٩١٩ م. و لكنه انقلب على الجمهوريه و طلابها إذ تبين أنها لم تكن غير ذريعه إلى إيصال "رضا خان" إلى مقام الدكتاتور المطلق، و أن النظام الملكى القائم أحفظ للدستور و الحكم النيابى من هذه الجمهوريه المزوره. و من ثم أصبح من أتباع السيد "حسن المدرس" المخلصين بعد أن كان من خصومه. و مثل هذا الشاب كثيرون.

فى يوم ١٥ ذى الحجه سنه ١٣٤٢ هـ. ق. الموافق ٢٧ تير سنه ١٣٠٣ هـ. ش. و ١٩ تموز سنه ١٩٢٤ م قتل فى طهران المأجور "إيمبرى ويس" قنصل الولايات المتحده الأميركيه. قتله الناس ضربا بالعصى و هو يلتقط صورته فتغرافيه عند سبيل ماء شاع أنه حدثت عنده معجزه شفاء، إذ كانت لهذا السبيل صفه مقدسه. و تجمع عنده جمهور غفير من الأهالى، و جاء هذا الأميركى يلتقط صورته من هذا المشهد يطرف بها الأميركيين. و جاء من اندس بين الناس و أشاع أن هذا الأميركى يريد وضع السم فى ماء السبيل.

و يعد قتل هذا القنصل من الأحداث السياسيّه المهمه في تاريخ إيران الحديث. و ظلت الدوافع الحقيقيه إلى قتله مجهوله. و اختلفت الأقوال في الحدس بها. و لكنها كلها مجمعه على أنها دوافع سياسيّه. و منها أن قتله كان دسيسه إنكليزيّه. و بعد هذا الحادث غادر إيران كل موظفي الشركه الأميركيه التي حصلت على امتياز استنباط نפט [نפט] الشمال خوفا على أنفسهم و توقفت أعمال الحفر و التنقيب.

و قد استغلت حكومه "رضا خان" هذا الحادث إذ جعلته حجه للعوده إلى فرض الحكم العسكري على طهران و توابعها. فبدأت حمله واسع من الاعتقال و النفي و التعذيب و تعطيل الصحف المعارضه.

و هكذا جمع "رضا خان" في يده قوه عظيمه. فأكثره المجلس النيابي تويده. و هو القائد الأعلى للقوات المسلحه تأتمر بامرّه وحده. و القانون عطل بحكمه العسكري. و من الغريب أن نشرات الأخبار السوفياتيه دأبت على تأييده و تزكيته و اعتبار حكمه هو الأمثل، و التنييد بمعارضيه و وصفهم بالرجعيه و التعصب الديني و أمثال ذلك. و أصبحت المعارضه في داخل المجلس النيابي و في خارجه في موقف صعب من القهر و الاختناق.

و بلغ الأمر إلى أن أقدم "رضا خان" في إحدى جلسات المجلس النيابي على محاوله ضرب النائب السيد "حسن المدرس" لو لا- أن ثناه عن المحاوله أحد أنصاره. و لكنه أشار إلى المدرس بيده مهددا و قال له "أنت محكوم عليك بالموت. و سوف أقضى عليك!".

كان ذلك على أثر منافره وقعت بينه و بين المدرس، إذ كان هذا و فريق من النواب المعارضين، منهم الشاعر "محمد تقى" المعروف باسم "بهار" و لقب "ملك الشعراء"، قد قدموا إلى رئاسه المجلس استجوابا يحاسبون به الحكومه في موضوع الأحوال الراهنه.

و لما أنفضت الجلسة و خرج النواب اتفق أن سار السيد "حسن المدرس" و اثنان من النواب المعارضين الذين وقعوا على الاستجواب معا في طريقهم إلى بيوتهم. و وصلوا إلى أحد الأزقه و إذا بجماعه من الأوباش كانوا كامنين فيه يهجمون عليهم و يوسعونهم ضربا بالأيدى و العصي. و إذ رأى الناس هذه الوقعه تقاطروا من كل الجهات لحمايه النواب، و هجموا على المعتدين و أشبعوهم ضربا و اضطروهم إلى الفرار. و رافق الجمهور النواب إلى بيوتهم بالاحترام و الإكرام.

و في الجلسة المخصصه للاستجواب عجز النواب المعارضون عن التمكن من حضورها، إذ كانت الحكومه قد حشدت في شرفه المتفرجين و نشرت حول المجلس و في ساحته جمهورا كبيرا من الأوباش يندرونهم بعاقبه و خيمه. بل كانت الظواهر تدل على أن النواب المؤيدين أنفسهم متهيئون للرد على الاستجواب بالضرب و العراك. و اقتصر المعارضون على إرسال النائب "محمد تقى" ملك الشعراء" لحضور الجلسة. و ألقى هذا فيها بيانا مطولا صريحا قال فيه "إن أقلية النواب المعارضه ما زالت، من يوم إعلان الحكم العسكري محرجه بمضائق تجعلها واقعه تحت نوع من المراقبه. هذا عدا توقيف مطبوعات من يوافق أفكارنا و حبسهم و نفيهم. و كلما دخل أحد منزل نائب من نواب الأقلية اعتقل. و إن دخل نائب من نوابها منزل أحد من الناس اعتقل صاحب المنزل و عد استقباله للنائب جريمه يحاسب عليها. ففي هذه الأوضاع و هذه الأحداث، إذ أركان القانون الأساسى لا يمكن صيانتها بوجه من الوجوه، كيف يستطيع نواب الأقلية الحضور و كيف يستطيعون الاستجواب؟!".

و كانت نتيجة هذه الجلسة أن طلب رئيس الوزراء "رضا خان" طرح موضوع الثقة بحكومته على التصويت فوافق المجلس و حصلت الحكومه على ثقه الأكتريه و تعطل الاستجواب. و على هذا النحو كانت الحياه النيايه تسير.

و بعد مده دبرت مؤامره لاغتيال النائب "محمد تقى ملك الشعراء".

و لكن القاتل أخطا فقتل صحفيا اسمه "الواعظ القزوينى" و هو يظنه "ملك الشعراء". و قد سكتت كل الصحف عن ذكر خبر مقتل هذا الزميل. أما تحقيقات الشرطه فى حوادث الاغتيال و التعدى تلك فكانت صوريه لا تؤدى إلى نتيجة إذ أن الشرطه نفسها هى التى دبرتها. و حوادث التعذيب كانت تقع فى دائره الشرطه نفسها.

و أمر أمير عسكر المشرق فى خراسان بقتل "السردار معزز البجنوردى" حاكم "بجنورد" و اثنين من إخوته بتهمه تحريض التركمان على التمرد.

فقتلهم و قتل معهم أربعة آخرين من رؤساء العشائر فى ٣١ تير سنه ١٣٠٤ هـ. ش. بعد محاكمه صوريه. و بعد قتلهم أقدم أمير عسكر المشرق المذكور على قتل جماعه كبيره من أهل "بجنورد" و نواحيها. قتلهم بلا محاكمه و على كيفيه فظيحه جدا من غير ذنب ارتكبه، و نكب الناس بتعدييات مختلفه. و صادر "رضا خان" أموال "السردار معزز" و إخوته و كانوا من كبار الأثرياء.

تمرد "الشيخ خزعل"

و كان "الشيخ خزعل" أمير إقليم خوزستان يعارض "رضا خان" و تطلعاته، و يؤيد "أحمد شاه" فحالف رؤساء عشائر البختياريين المتمردين، و جند عشائر خوزستان العرييه معه، و كانوا كلهم يأترون بامر، و هيا جيشا عظيما لمحاربه "رضا خان" و كسر شوكته. و أرسل من قبله رسولا- إلى باريس إلى "أحمد شاه" يبلغه أنه قادر على توفير كل أسباب الاطمئنان و الأمان اللازمه لعودته إلى إيران. و لكن الشاه رفض أن يأذن لهذا الرسول بالدخول عليه مع كثره إلحاحه بطلب الاذن. و كان الشاه يردده دائما "أذن له بعد استقرار الأمور فى خوزستان". و لو أن الشاه استجاب للشيخ خزعل لاستطاع العوده إلى إيران و التغلب على "رضا خان". غير أنه لم يستحب له إذ كان يأبى أن تكون عودته سببا فى وقوع حرب أهليه.

و كان الوطنيون المخلصون من معارضى "رضا خان" أيضا غير راضين عن حركه "الشيخ خزعل" إذ كان لماضيه و ماضى أكثر حلفائه البختياريين سمعه سيئه من الظلم و التعدى و الاستبداد، فانتصارهم و انتصار "رضا خان" سواء من حيث النتيجة. و خشى هؤلاء الوطنيون أن يتأثر الشاه بالتماس "الشيخ خزعل" فيعود إلى إيران فى حمايته فتسوء سمعته. و لذلك بعثوا من قبلهم رسولا إلى باريس إلى الشاه يستطلعون أمره و ينصحونه بان لا يستجيب لالتماس "الشيخ خزعل" لأنهم يضمنون بكرامته، و هو الملك الديمقراطى الحريص على صيانه الدستور، أن يعود إلى بلاده بهذه الطريقه.

و لما دخل رسولهم على الشاه قال له الرسول: مع أن كل مجبى الحريه

يرون عوده جلالتك إلى إيران أمرا ضروريا فإنهم غير راضين عن التمرد الحاصل في خوزستان. و يرون أن تدخل مثل هذه الأيدي مضر بحركتهم الراميه إلى التقدم في نشر الفكر الحر.

فما كان من "أحمد شاه" إلا أن تناول محفظه من على طاولة، و أخرج منها مجموعه من البرقيات نثرها أمام الرسول. و إذا هي برقيات من "الشيخ خزعل" يكرر فيها التماسه السابق من الشاه. و قال الشاه للرسول:

"أنا امرؤ إيراني و ملكك دوله دستوريه، لا أستطيع الخروج على حكومه تحكم بمرسوم صادر عنى. إنى لأعلم أن هذا الرجل (رئيس الوزاره) عدو للحرية و أن مجلس النواب أيضا ليس مجلسا حقيقيا. و لكن علمى هذا لا يكفى. فان أنا أقدمت على قلب هذه الحكومه التى تسلمت زمام الأمور بالقهر و الدسيسه كان من حق الناس أن يعدونى متجاوزا للقانون. و يوم أقدم هذا الرجل على كسر حرمة المجلس و حكم الناس بالقهر و الإكراه أبديت رأبى فى ذلك. و التاريخ و المستقبل هو الحكم. و لن أفعل أكثر من هذا.

و قد أرسلت إلى الشيخ خزعل برقيه أن يتجنب الاقدام على كل عمل من شأنه أن يضعف المملكه".

و سير "رضا خان" إلى حرب "الشيخ خزعل" و حلفائه البختياريين جيشا قاده بنفسه و خرج به من طهران يوم ١٣ آبان سنه ١٣٠٣ هـ. ش.

الموافق ٧ ربيع الثانى سنه ١٣٤٣ هـ. ق. و بعد بضعه و عشرين يوما وصل "رضا خان" بجيشه إلى حدود خوزستان. و إذا ب "الشيخ خزعل" يستسلم إليه بلا مقاومه، مع أنه كان قادرا على الحرب متهيئا لها مصمما عليها. و قيل إن سبب استسلامه هو أن الإنكليز - و كان "الشيخ خزعل" صنيعتهم - أوغزوا إليه بالاستسلام إذ كانت الحرب خلاف مصلحتهم، و طمانوه بان يوغزوا إلى "رضا خان" بتأمينه. و قد أمنه بالفعل و بقى "الشيخ خزعل" فى المحمره فى خوزستان. و لكن "رضا خان" لم يلبث، بعد قليل، ان أمر قائد عسكر خوزستان بتوقيفه، فاعتقله و سيره إلى طهران. فوضع فى الإقامة الجبريه فيها بضع سنين سلبه فيها "رضا خان" كل ثروته، ثم أمر رجالا من الشرطه فقتلوه خنقا (كان "رضا خان" يومئذ قد أصبح ملكا).

و سار "رضا خان" من خوزستان إلى البصره و منها إلى بغداد و منها إلى طهران. و قيل فى سبب سلوكه فى عودته هذه الطريق أنه أراد أن يتملق قلوب الايرانيين بزياره مراجع التقليد الذين فى العراق و كذلك زياره العتبات المقدسه القائمه هناك، و لأولئك المراجع و تلك العتبات مقام عظيم مقدس عند الايرانيين.

و فى يوم ١١ دى سنه ١٣٠٣ هـ. ش. وصل إلى طهران. و جعل أنصاره من يوم عودته يوما مشهودا. أقاموا فيه أقواس النصر و الزينات و الأضواء على طول الشوارع التى يمر فيها موكبه من مدخل المدينه إلى بيته.

و نحروا جمالا و بقرا و غنما أضاحى عند قدميه. و نشروا فرقا تعزف الموسيقى و حين صار فى وسط الجمهور ترجل من السياره و امتطى حصانا

اضطر "أحمد شاه" إلى التغيّب عن إيران و الإقامة في فرنسا مدة سنتين تقريبا. و في أواخر هذه المده ترددت عليه رسل و برقيات من إيران تطلب منه التعجيل في العوده. و لكنه كان يترث تحاميا للدسائس التي كان يقوم بها "رضا خان" و أنصاره في المجلس النيابي و خارجه، الدسائس الراميه إلى مضايقتة و زعزعه عرشه، حتى شاع أن "رضا خان" أقنع "محمد حسن ميرزا" ولى العهد بخلع أخيه و نصبه ملكا في مكانه.

و في أواسط سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق سنه ١٣٤٤ هـ. ق. عزم "أحمد شاه" على السفر إلى إيران من طريق مرفا "بمباي" الهندي. و أبرق إلى "رضا خان" رئيس الوزاره يخبره بعزمه. فأجابه هذا ببرقيه رحب فيها بقدمه و أظهر السرور به. و حزم الشاه أمتعته و اشترى بطاقات السفر له و لحاشيته و ذويه، و سبقته أمه فسافرت على طريق بيروت.

و لكن وقعت في ذلك الحين و الشاه على أهبة السفر، فتنه عظيمه في طهران دامت بضعه أيام بسبب فقدان الخبز. و سارت مظاهرات ضخمة قتل فيها بضعه رجال و جرح آخرون، و سار بضعه آلاف من نساء الأحياء الشعبيه إلى المجلس النيابي في يومين متتاليين فشتمن النواب و هددنهم و توافد الناس بالألوف إلى بيوت العلماء المراجع شاكين ضاجين، و تدخل الجيش لاختماد الفتنة. و اعتقلت الحكومه العسكريه جماعه كبيره و كانت القرائن تدل على أنها أزمه مفتعله. افتعلتها الشرطه بتدبير من "رضا خان" لإيجاد الفتنة و التشويش على الشاه و المعارضه و تأخير عوده الشاه إلى إيران لإتمام تدابير مؤامره متوقعه.

و قبل أن تصل إلى الشاه أخبار هذه الفتنة كان قد أرسل إلى "محمد حسن ميرزا" ولى العهد عده برقيات بالشفره يستوضحه فيها بعض القضايا. و لكن هذه البرقيات ظلت بلا جواب إلى أن قرأ في الأخبار الصحفيه ما يستفاد منه أن الوضع في طهران غير مرض. فأرسل برقيه بالشفره إلى ولى العهد و برقيه صريحه إلى رئيس الوزاره يستوضحهما الأمر.

فأجابه ولى العهد ببرقيه صريحه بان القضيه هي ما يعرضه على جلالتك رئيس الوزاره في برقيته. فاستدل الشاه من هذه البرقيه على أن في طهران تقع حوادث مهمه، و أن ولى العهد لم يستطع أن يوضحها له حتى بالشفره لأنه محجور عليه.

و أما "رضا خان" فأبرق إلى الشاه جوابا مطولا على برقيته قال فيه إن التحقيق أثبت أن للروس يدا في تحريك الفتنة و أنهم يسعون إلى إشعال ثوره. و أن استكمال التحقيق اقتضى توقيف بعض رجال البلاط للاشتباه بان لهم علاقات ببعض الأوساط الأجنبيه، فوقفوا بعد إعلام ولى العهد بأمرهم و بعد التحقيق أطلق سراحهم.

و تبودلت بعدها عده برقيات بين الرجلين في هذا الموضوع و في كل منها كان "رضا خان" يطمئن الشاه إلى أن الحاله الأمنيه جيده تمكنه من العوده إلى إيران. و لكنه كان ينذر الشاه، ضمنا لا صراحه، بأنه هو وحده "رضا خان" القادر على حفظ الأمن و تسلّم زمام السلطه. و في إحدى هذه البرقيات أنباه أن في أذربيجان حركه مخالفه لعودته، و أن برقيات وردت من أذربيجان تتضمن المعارضه له.

و رأى الشاه نفسه غير قادر على العوده إلى إيران في هذه الأحوال.

و كان فريق من أعيان الايرانيين و غيرهم، و منهم "آقا خان"، قد أشاروا عليه بتأخير عودته لأن الظروف الداخليه في إيران غير مؤاتيه بسبب حركات

"رضا خان" و تصرفاته المناهضة للشاه و من ثم عدل عن العوده و أجل موعد سفره إلى وقت غير معين، و أبلغ قراره إلى طهران. و قد حدثت هذه الأمور في أواسط شهر مهر سنه ۱۳۰۴ هـ. ش. الموافق شهر ربيع الأول سنه ۱۳۴۴ هـ. ق. و استجرت إلى أواخر هذين الشهرين.

خلع الأسره القاجاريه

في تلك الأيام كانت كل الوقائع تسير بالملكيه القاجاريه إلى الزوال، و تفتح في وجه "رضا خان" طريق الوصول إلى غايته. فالسلطه في الداخل كلها في يده بواسطه الجيش و واسطه المجلس النيابي. و في أيام فتنه أزمه الخبز اعتقل و جهاء معارضيه المؤيدين للشاه بحجه المحافظه على الأمن و ألقاهم في السجن فأمن جانبيهم. بل تجاسر فاعتقل بعض رجال البلاط مستهينا بالشاه و نائبه ولى العهد. و السياسه الخارجيه الفعاله في إيران، أى سياسه السوفييات و سلياسه [سياسه] الإنكليز، تؤيده و تناقض الشاه. و كان هذا قد استدعى إليه سفير إيران في لندن أكثر من مره و باحثه في موضوع عودته. و كان السفير يفهمه في كل مره أن الإنكليز لا يوافقون على عودته. بل صرح الشاه مره بان الإنكليز أبلغوه صراحه لا كتابه أن لا سبيل إلى التعامل بينهم و بينه.

و نشرات الأخبار السوفيائيه لا تنفك تؤيد "رضا خان" و تصف خصومه بالرجعيه. و من ثم كان الشاه و أنصاره من الايرانيين، و إن كانوا أكثرية، عاجزين لا- سبيل لهم إلى المقاومه. و أصبح واضحاً أن إقدام "رضا خان" على القيام بخطوته الأخيره أمر وشيك الوقوع.

و أيقن رئيس المجلس "الميرزا حسين خان بيرنيا مؤتمن الملك" - و هو أخو النائب "الميرزا حسن خان بيرنيا مشير الدوله" رئيس الوزاره الأسبق - مما لديه من معلومات و وثائق، أن موضوع خلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران سيعرض على المجلس النيابي لا- محاله، و أن المجلس سيصوت بالإيجاب، فبادر إلى الاستقاله من رئاسه المجلس ليتجنب مشاركه النواب في مخالفه القانون الأساسى، إذ أن إقدام المجلس على ذلك ينقض هذا القانون. و ليس من حق المجلس أن ينقضه. و كانت استقاله رئيس المجلس في منتصف شهر مهر سنه ۱۳۰۴ هـ. ش. الموافق ۱۸ ربيع الأول سنه ۱۳۴۴ هـ. ق.

و أصر هذا على الاستقاله مع ما بذله النواب من محاولات لاقتناعه بالرجوع عنها و انتخب المجلس بدلا عنه "الميرزا حسن خان مستوفى الممالك". و لكن هذا لم يلبث أن استقال أيضا لنفس السبب. فتولى الرئاسة نائب الرئيس، و كان من صنائع "رضا خان".

و هيا الحكام العسكريون في مختلف الولايات جماعات من الأهالى يوالون إرسال بريقيات إلى المجلس النيابي و الصحف يطلبون فيها خلع الأسره القاجاريه. و أوعزوا إلى دوائر البرق و البريد أن تعفى المرسلين من أجره إرسالها. و لكنها، عادت فاجبرتهم على أداء أجورها كامله، بعد استتباب الأمر لهم. و كثرت النشرات السريه الليليه المطبوعه بطلب إبعاد القاجاريين عن الحكم.

و في أوائل شهر آبان سنه ۱۳۰۴ هـ. ش. الموافق ربيع الثانى سنه ۱۳۴۴ هـ. ق. أبلغ الوزراء سبعة من النواب من أنصار رئيس الوزاره "رضا خان" أن رئيس الوزاره يطلب منهم ملاقاته في منزله غدا صباحا قبل شروق الشمس. فذهبوا إليه في فجر اليوم الثانى. و هناك أخرج "رضا خان" من جيبه سبحة و قال لهم أريد أن تعاهدونى على أن نكون متحدين متفقين معا في كل

قضايا المملكة المهمه. ثم طلب أن يأخذ كل واحد منهم بطرف من السبحة و يعاهدوه على ذلك ففعلوا. و أخذ مثل هذا العهد على غيرهم من النواب و أهل النفوذ.

و نصب أنصار "رضا خان" صواوين فى المدرسه الحربيه و أقاموا مطابخ و مساقى للمطبات. و فتحوا أبوابها يقدمون فيها الطعام و الشراب لمن شاء.

و اجتمع فيها جماعه من المتشردين و البطالين و الفقراء و أهل البطنه يأكلون و يشربون و ينامون بالمجان. و أعطوهم عنوان "معتصمين" اعتراضا على حكم القاجاريين. و تلفنوا يوما إلى جماعه من تجار البازار المحترمين أن يحضروا إلى بيت رئيس الوزاره ليشاورهم فى بعض الأمور المهمه. فلما حضروا قادوهم إلى تلك المدرسه ليلاقيهم فيها. فلما دخلوا المدرسه احتجزوهم فيها ليكونوا، بالإكراه، فى جمله المعتصمين، فيرتفع بهم مستوى هؤلاء المعارضين و نوعيتهم.

و فى اليوم الخامس من شهر آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ٩ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. هيا بضعه نواب من أنصار "رضا خان"، منهم "تيمور طاش"، مشروع قرار بخلع الأسره القاجاريه عن العرش الايرانى. ثم دعوا النواب واحدا واحدا إلى منزل "رضا خان" و عرضوا عليهم مشروع القرار و طلبوا منهم التوقيع عليه. فوقعه مؤيد و رئيس الوزاره بلا تردد و امتنع آخرون، و لكنهم عادوا فوقعوا بالوعد تاره و بالوعد أخرى.

و امتنع فريق آخر عن التوقيع فلم يذعنوا.

و فى اليوم التاسع من آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٣ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. عقد المجلس النيابى جلسه ترأسها نائب الرئيس إذ كان هذا قد استقال. و فى هذه الجلسه وافقت الأكثريه على خلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران و توليه "رضا خان بهلوى" رئاسه الدوله مؤقتا ريثما تنتخب جمعيه تأسيسيه جديده.

و عقب نائب رئيس المجلس على هذا القرار بكلمه أثنى فيها على "رضا خان" و خاطبه بلقب "صاحب السمو".

و يجدر بالذكر أن هذه الجلسه لم تكن قانونيه لأن فى وقائعها مخالفه لنظام المجلس الداخلى. و كذلك كان قرار المجلس بخلع الأسره القاجاريه غير قانونى لأنه يخالف القانون الأساسى. و هذا القانون لا يجوز نقضه و تعديله إلا باستفتاء عام.

و قد عارض النائب السيد "حسن المدرس" البحث فى هذا الموضوع فى المجلس النيابى معارضه شديده لأنه تجاوز للقانون الأساسى. فمنعه رئيس المجلس من الكلام فخرج من المجلس غاضبا، و هو يقول: لو وافقتم على البحث فى هذا الموضوع بمائه ألف صوت لظل بحثكم مخالفا للقانون الأساسى! و كان قصر "محمد حسن ميرزا" ولى العهد و نائب الملك محاطا من مده طويله بالبوليس السرى يراقبون المترددين إليه. و قبل يومين من تلك الجلسه النيابيه التاريخيه أضيفت إليهم جماعه من الجنود و ضباط الجيش ينتظرون الساعه المعينه ليقوموا بما كلفوا به

فلما أطلق مدفع الإيذان بخلع الأسره القاجاريه منع الجنود الذين يحاصرون القصر الخروج منه و الدخول إليه. ثم حضر إلى القصر حاكم طهران العسكري، و كان فى السابق رئيس حرس "أحمد شاه" الملكى، و حضر معه أحد ضباط القوزاق و رئيس الشرطه، و ختموا بالشمع الأحمر أبواب العمارات و مخازن الغلال الملكيه. و أمر ولى العهد بمغادره إيران فوراً.

و عاملوه معامله قاسيه مهينه. و فى الساعه العاشره ليلاً سافر من طهران إلى قزوین مخفوراً بجند مسلحين امتطوا بضع سيارات سارت أما سيارته و وراءها. و من قزوین أبعده إلى بغداد.

بلاغ "رضا خان"

و فى يوم ١١ آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٥ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. نشر "رضا خان" بلاغاً قال فيه إنه سعيد بتمكنه اليوم من تحقيق المرام الذى ما زال يسعى إلى تحقيقه من بدايه أمره. و هو المرام يقوم على أصلين مهمين، أحدهما تطبيق أحكام الشرع الإسلامى المبين بالعمل و الفعل، و الآخر توفير أسباب الرفاهيه للعموم. و إذ كانت إشاعه المسكرات أمراً يخالف الأصول الإسلاميه فإنه يأمر باغلاق كل الخمارات فى كل أنحاء إيران. و كذلك يأمر باغلاق المقامر. و ينذر المخالفين بالعقاب الشديد.

اعتراف الدول الأجنبيه

و كانت إنكلترا أول من اعترف بالحكم الجديد من الدول الأجنبيه.

و أبلغ اعترافها إلى "رضا خان" السفير الانكليزى فى يوم ١٢ آبان سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٦ ربيع الثانى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. و ٢ تشرين الثانى سنه ١٩٢٥ م، أى بعد ثلاثه أيام من إقامه حكمه. و فى اليوم التالى (١٣ آبان) تبعها الاتحاد السوفياتى. و بعده بالترتيب: ألمانيا و إيطاليا و بلجيكا و مصر و بولونيا.

تمليك رضا خان

و انتخبت جمعيه تأسيسيه جديده فرض أعضاؤها فرضاً بقوه الجيش و الشرطه. و اجتمعت فى ١٥ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ١٩ جمادى الأولى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. و افتتحها "رضا خان" بخطابه. و حضر إليها بالعربه الملكيه فى موكب رسمى ضخم مما يقام فى العاده للملوك من التشريفات فى مثل هذه المناسبات. و رفعت على بنايه المجلس الرايه الملكيه الخاصه. و تخلل خطابه فى افتتاح الجلسه أربع عشره طلقة مدفع. و لما انتهت خطبته خرج من الجلسه إلى غرفه خاصه فارتاح فيها قليلاً ثم خرج ليعود إلى منزله. فلما تحرك ركبته أطلقت طلقة مدفع. و سار إلى بيته فى نفس الموكب الذى جاء فيه. فلما دخل بيته أطلقت طلقة مدفع أخرى.

و عقدت الجمعيه التأسيسيه خمس جلسات. و عقدت الجلسه الخامسه فى ٢٢ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ٢٦ جمادى الأولى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. و فيها تقرر تعديل القانون الأساسى بقرار يقضى بخلع الأسره القاجاريه عن عرش إيران و إسناد منصب الملك إلى "رضا خان" و جعله إرثاً فى أعقابيه. و أصبح بمقتضى هذا القرار "صاحب الجلاله رضا شاه بهلوى". شاهنشاه إيران.

و فى ٢٤ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. الموافق ٢٨ جمادى الأولى سنه ١٣٤٤ هـ. ق. حضر إلى المجلس النيابى و أقسم اليمين القانونيه. و فى اليوم التالى جلس على عرش الملك فى قصر المرمر. و حضر هذا الجلوس سفراء الدول الأجنبيه و هناه سفير إنكلترا نيابه عنهم و أصاله عن نفسه بخطاب مطول.

تتويج "رضا شاه"

و فى ٤ أرديهشت سنه ١٣٠٥ هـ. ش. توج "رضا خان" فى احتفال واسع فخم. و استدعيت حماه السفير الانكليزى من لندن بالطياره لترتيب قاعه التتويج. و كان فى الخزانه الملكيه عده تيجان جميله ثمينه تناسب رأسه.

و لكن أصر على صياغه تاج جديد باسم "التاج البهلوى" فعهد إلى صانع روسى مهاجر بصياغه هذا التاج. و جلس "رضا خان" على "تخت طاوس" المشهور الذى جلبه "نادر شاه" من الهند حين فتحها. و حمل التاج إليه "تيمور طاش" وزير بلاطه فتناوله منه و وضعه على مفرقه و تمنطق بسيف "نادر شاه". ثم ركب العربه الملكيه و طاف فى شوارع المدينه، و قد أخذت زينتها بالاعلام و الأضواء.

و فى ٥ أرديهشت سنه ١٣٠٥ هـ. ش. جلس فى قصر "گلستان" الملكى ليتقبل التهنئه من سفراء الدول الأجنبيه. و ألقى السفير السوفياتى كلمه التهنئه نيابه عن سائر السفراء.

حكم رضا شاه بهلوى

دام ملك "رضا شاه بهلوى" على إيران حوالى ستة عشر عاما، من ٥ آذر سنه ١٣٠٤ هـ. ش. إلى ٢٥ شهريور سنه ١٣٢٠ هـ. ش، و كان ملكه استبداديا، فرديا مطلقا ارتكب فيه فظائع من الإرهاب و الغدر و النهب و قمع الحريات و التنكيل بالأبرياء بالسجن و التعذيب و الاغتيال.

و أعجبه خطه "مصطفى كمال" فقلده فى إكراه الناس على التلبس بمظاهر الحياه الغربيه الأوروبيه. فأجبر النساء على خلع الحجاب و أجبر الرجال على ارتداء الملابس الفرنجيه. و أذل رجال الدين و المتدينين و حاربهم و استهان بالمقدسات الدينيه. و حجته فى ذلك أنه يريد تمدين إيران و تحضيرها على طراز الحضاره الأوروبيه.

و لكنه جهل أو تجاهل أن الأساس الذى قامت عليه الحضاره فى أوروبا إنما هو الديمقراطيه و الحياه النيابيه الدستوريه الصحيحه، الحياه التى حفظت للأوروبيين حريه القول و الفكر و المعتقد. و أنه، من هذه الجبهه، قد سلك فى بلاده طريقا مناقضه لتلك الحضاره و تلك المدينه. فقد أوقف إيران عن متابعه خطواتها الأولى التى بدأت بها سيرها إلى الحياه النيابيه الدستوريه، و انعطف بها إلى الخضوع لحكم دكتاتورى مطلق. بل إن وصول "رضا شاه بهلوى"، داعيه الحضاره الغربيه، إلى العرش كان نقضا لمفاهيم الحضاره الغربيه. فقد توسل إليه بتجاوز القانون الأساسى و مخالفه نظام المجلس النيابى الداخلى و بتزوير الانتخابات النيابيه. و هى أمور تعدها الحضاره الأوروبيه و المدينه الغربيه من المنكرات فى بلادها.

و قد استطاع "موتسوهيتو" قبله أن يسمو باليابان من حضيض حياه القرون الوسطى إلى ذروه المدينه الغربيه المعاصره، و

أصبحت بلاده، بين عشيه وضحاهها، تنافس و تضاهى أرقى الدول الأوروييه، بل قد تتفوق عليها، فى الصناعه و الثقافه و العلم و
الفنون العسكريه، من غير حاجه إلى

ص: ٢٠٧

إكراه الناس على لباس معين و مظهر فردي معين و عقيدته دينيه معينه، بل تركهم أحرارا يلبسون ما يعجبهم و يعتقدون بما يروق لهم. و قضى على النظام الاقطاعي ليفسح المجال للنظام الديمقراطي و مستلزماته من رقى علمي و صناعي و حربي، لا ليحل دكتاتوريه فى محل النظام الاقطاعي، و يصبح خليفه للاقطاعيين يستأثر، وحده من دونهم، بالتحكم فى مقدرات الناس، كما فعل "رضا شاه بهلوى".

و قبل ذلك استطاع "غاريبالدى" أن يوحد إيطاليا و يقضى على نظام ملوك الطوائف، و يخلق دولة مركزيه موحده على قانون واحد و حكومه واحده، من غير حاجه إلى الغدر و الاغتيال و التعذيب و الإرهاب.

حكم "رضا شاه بهلوى" ستة عشر عاما، و حكم ابنه "محمد رضا بهلوى" بعده سبعة و ثلاثين عاما، ظل الريف الايراني - و هو ريف واسع مترامى الأطراف - فيها محروما من الماء و الكهرباء و الطرق المعبده و الخدمات الطبيه. و عمت الرشوه و الفساد البلاط و الدوائر الحكوميه. و استحكم الحكم البوليسى ينغص على الناس حياتهم بالارهاب و السجن و التعذيب و الخوف. و أوذى الناس فى مشاعرهم الدينيه و الخلقيه. و أصبحت الثروه الضخمه التى تحصل عليها إيران من دخل النفط و سيله إلى تعطيل الإنتاج المحلى - و هو إنتاج بدائى بسيط - و وقف تقدمه بدلا من أن تكون و سيله إلى تحسينه و تطويره. و ذلك بسبب قوانين الاستيراد و المتاجره، القوانين التى حرمت الإنتاج المحلى من كل حمايه و إباحته للمزاحمه الاجنبيه تعطله و تمحقه.

و بذلك تحولت الثروه النفطيه إلى ثروه استهلاكيه عقيمه تؤخذ اليوم من الأجانب ثمنا للنفط لتعاد إليهم غدا ثمنا للبضائع الاستهلاكيه الكماليه، فأين هذا من مقومات الحضاره الغربيه؟! و استحوذ على الأب و الابن كليهما، و لا سيما الابن، هوس "التمثيل" فأقاموا لأنفسهما من التماثيل ما لم يقد لجورج واشنطن و "بوليفار" و "سان مارتين" و "غاريبالدى" أنفسهم. فأينما توجهت طالعك تمثال لأحدهم. و كل تمثال أقيم على شكل و وضع خاص. و عند كل تمثال حارس يحرسه من غضب الناس. إذ لو ترك بلا حراسه لما استقر فى مكانه لحظه و لنفسه الناس نسفا. و لو أن نفقه تمثال واحد من هذه التماثيل خصصت لقرية من القرى لكفت لكهربتها و إنشاء مستوصف طبي يسعفها. فهل كان هذا اقتداء بالتمدن الأوروبى؟! إن المقررات الحضاريه التى فرضها "رضا شاه بهلوى" و ابنه من بعده على إيران لم تمنح إيران شيئا من الحضاره الغربيه الأوربيه سوى مفاستها من إباحيه جنسيه و انحلال خلقى، و حجبت عنها كل مقومات تلك الحضاره الجديده من تقويه الإنتاج الاقتصادى الوطنى و حمايته من المضاربه الاجنبيه و رعايه للقانون و الديمقراطيه و الحريات العامه و الفرديه. و قد عوض "رضا شاه بهلوى" الايرانيين عن هذا كله بإدخال بدعه "الكرنفال" إلى إيران! و مما ناقض به "رضا شاه بهلوى" مفاهيم الحضاره الأوربيه الغربيه.

و هو يعده تطبيقا لتلك المفاهيم و يمن به على إيران و الايرانيين، ما أسماه "تجميل طهران". و لم يكن لهذا التجميل عنده من معنى سوى شق الشوارع العريضه المستقيمه و هدم كل ما يعترضها من أبنيه و لو كانت آثارا تاريخيه و منشآت فنيه جميله. و من أجل ذلك هدم أكثر من عشر بوابات كانت لا تزال قائمه من سور طهران القديم و كانت مبنيه بناء فنيا جميلا مزخرفه بالكاشى. و هدم بعض المدارس القديمه و بعض قصور القاجاريين أيضا و قد فاتته ان الإبقاء على أمثال هذه الآثار مقدم عند أهل الحضاره الغربيه الأوربيه على شق الشوارع العريضه المستقيمه. بل هم، إذا اضطر أحدهم إلى هدم بناء قديم له يخشى من سقوطه بسبب القدم و كان ذلك البناء قائما فى محله يراد لها أن تبقى على وضعها القديم، أجبروا صاحب البناء على إعادة بنائه كما كان و حيث كان. و قد يضطرون إلى شق شارع يعترض امتداده بناء أثرى أو بناء سبق أن وقعت فيه حادثه مهمه من

حوادث تاريخهم. فإذا وصلوا في شق الشارع إلى ذلك البناء انصرفوا به عنه ولا يباليون أن يحدث ذلك اعوجاجا في بعض الشارع. وهم يقيمون المنشآت الحديثه من أبنيه و شوارع عريضه مستقيمه حيث لا تقتضى إقامتها إزاله معلم من معالم القديم.

ظل "رضا شاه بهلوى" يتملق العامه و رجال الدين بالتظاهر بالتدين و إقامه الشعائر المذهبيه إلى أن استتب له الأمر و جمع في يده زمام السلطه المطلقه. و عندئذ تنكر للدين و كل ما يتصل به. فبعد أن كان يجلل ثكنه القوزاق بالسواد أيام المحرم و يواظب على إقامه العزاء الحسينى و يقف بنفسه يستقبل الوافدين إلى المجلس و ينعم على الخطباء بالهدايا، أمر بإبطال ذلك كله. و أمر بمنع الناس من إقامه مجالس العزاء الحسينى إلا باذن من الشرطه.

و بعد أن كان يشكل موكبا من القوزاق يشارك يوم عاشوراء المواكب الحسينيه التى يسيرها الأهالى فى أنحاء المدينه، و يسير هو فى مقدمته حاسر الرأس معفرا بالتراب علامه الحزن أمر بمنع الناس من تسيير هذه المواكب، و حرض على تسيير مواكب "الكرنفال". بل اتفق فى إحدى السنين من أيام ملكه أن سارت مواكب "الكرنفال" فى شوارع طهران فى ليله عاشوراء نفسها.

و كانت عده من الكميونات جهزت على النحو المعروف فى تجهيزات الكرنفال، و فيها الراقصون و الموسيقى و مظاهر الابتهاج و الهزل و التهريج. و بعد أن كان يسير حافيا إظهارا للأسى و الأسف و الخشوع فى مقدمه موكب القوزاق ليله الحادى عشر من المحرم المعروفه عند الايرانيين باسم "شام غريبان" (أمسيه المغربين)، لم يتورع عن أن يدخل بحدائه إلى المقامات المقدسه غير مراعاة حرمتها متعمدا إهانتها و تحدى شعور الناس الدينى، كدخوله يوما مع جلاوزته إلى مقام السيده "معصومه" فى قم و دخوله إلى مقام الامام الرضا (ع) فى مشهد لتعقب بعض المعارضين من رجال الدين و معاقبتهم.

قتل السيد "حسن المدرس"

كان من أعظم الجرائم التى ارتكبتها "رضا شاه بهلوى" و هو يمن على إيران بأنه رائدها إلى التمدن و التقدم، إقدامه على اعتقال السيد "حسن المدرس" ثم قتله على نحو لم يعهد فى غير عصور الرق و الاستعباد! كان السيد المدرس فقيها مجتهدا ورعا زاهدا. و طنيا صلبا خطيبا مفوها. شجاعا. حاضر الذهن سريع الخاطر و يعيش فى حياته الخاصه فى منتهى البساطه فى المأكل و الملبس و المسكن انتخب نائبا عن طهران للمجلس النيابى الثانى سنة ١٣٢٨ هـ. ق. و ظل ينوب عن طهران فى المجلس إلى نهايه دورته السادسه فى ٢٢ خرداد سنة ١٣٠٧ هـ. ش. الموافق ٢٦ صفر سنة ١٣٤٧ هـ. ق. و كان دائما يحصل على أكثرية أصوات الناخبين. و مع أنه نشأ فى بيئه دينيه علميه صرفه فإنه حين تعاطى السياسه برع فيها حتى أصبح من أعلامها، و مارس الحياه النيابيه فسرعان ما أصبح برلمانيا من

الطراز الأول، و لكلمته فى المجلس دوى استحسان و إعجاب فى المحافل السياسيه و الشعبيه. و يجمع المؤرخون على أنه كان من مفاخر إيران فى تاريخ تلك الحقبه. و مع كل ما لقيه فى حياته السياسيه من شدايد و صدمات فقد ظل ثابتا لا يتزعزع فى حمايه الدستور و الدفاع عن الحريات العامه.

و من ذلك ثباته على معارضه "رضا شاه" مع كل ما بلغه هذا من جبروت و طغيان حتى ضاق به ذرعا. فقرر التخلص منه بالقتل. فأرسل إليه من يغتاله. و كمنوا له عند الفجر فى يوم ٧ آبان سنه ١٣٠٥ هـ. ش. قرب مدرسه اعتاد أن يذهب إليها فى ذلك الوقت للدرس. فلما واجههم، و رأى نفسه فى طريق مسدوده لا- منفذ منها للفرار قام بحركه تدل على سرعه خاطر و حضور ذهن عجيبين. حركه يصفها أحد المؤرخين بأنها تشبه الحركات التى يخترعها الكتاب الخياليون فى الروايات البوليسيه. فاستطاع بهذه الحركه أن يقى مقاتله من الرصاص و أصيبت يده فقط، و فر المعتدون و هم يحسبون أنهم أصابوا قلبه. و لما شفيت يده عاد إلى المجلس النيابى أشد عزمه و أثبت جنانا.

و فى انتخابات المجلس السابع سنه ١٣٠٧ هـ. ش. الموافق سنه ١٣٤٧ هـ. ق. أبعد المدرس عن النيابه بتزوير الانتخابات، إذ أهملوا عند فرز الأصوات كل الأوراق التى تحمل اسمه فلم يحصل على شىء من الأصوات على الإطلاق. و علق هو على هذه النتيجة بقوله: لنفرض أن الطهرانيين لم ينتخبني أحد منهم. و مع هذا فلا بد من أن أنال صوتا واحدا هو الورقه التى ألقيتها أنا بنفسى فى صندوق الانتخاب فيها اسمى. فأين هى هذه الورقه؟! و قد أحدثت هذه الحجه الدامغه ضجه فى الأوساط السياسيه و الشعبيه و أخرجت الحكومه. فأرسل إليه "رضا خان" رسولا فى السر يعرض عليه أن يرشح نفسه عن إحدى المحافظات الأخرى و يعده بان يوعز إلى الناخبين بانتخابه نائبا عنها.

و لكن السيد المدرس زجر الرسول زجرا عنيفا و أجابه: قل لقائد الجيش إن كان رجلا فليترك الناس أحرارا و سيرى كم مدينه تنتخبني نائبا عنها! أما المجلس الذى أكون فيه نائبا بامر منه فحقه أن تلتخ بوابته الوحل! فلما يئس "رضا شاه" من حمله على الإذعان له أرسل إليه يأمره باعتزال السياسه. فأجابه السيد المدرس بان تعاطى السياسه و النضال فى سبيل الحريه هو تكليف شرعى واجب على لا أنصرف عنه، و سأواظب عليه أينما كنت.

و من ثم قرر "رضا شاه" أن يتخلص منه. فأمر رئيس الشرطه باعتقاله و نفيه. و فى منتصف الليل من يوم ١٦ مهر سنه ١٣٠٧ هـ. ش.

الموافق ٢٢ جمادى الآخره سنه ١٣٤٧ هـ. ق. اقتحم رئيس الشرطه مع جماعه كبيره من رجاله بيت السيد "حسن المدرس"، فحجزوا نساءه فى غرفه و أفلوا بابها. و قاومت كبرى بناته فدفعوا بها دفعه شديده إلى داخل الغرفه فاصيبت بلطمه و وقعت مغمى عليها. و اعتقلوا السيد المدرس و اعتقلوا أبناءه و ضربوهم ضربا اليمه صفعا و لكما بالأيدى و ركلا بالأقدام و شتموهم شتما قبيحا و أوقعوا بهم جراحا. ثم عموا رأسه و جروه بلا عمامه و لا عباءه، بل إنهم لم يمكنوه من انتعال حدائه، و جروا أبناءه إلى سياره نقلتهم إلى إداره الشرطه، و نقل السيد المدرس بعدها إلى خراسان و سجن فى قلعه خربه فى "خواف" الواقعه عند حدود الأفغان. و أطلق سراح أبنائه فى اليوم الثانى من اعتقالهم و لكن فرضت عليهم الإقامة الجبريه فى طهران.

و انقطعت أخبار السيد "حسن المدرس" لا يدرى أحد أين هو و لا كيف هو إذ منعت زيارته عن كل إنسان. و ظل فى هذا

السجن عشر سنوات، صدر بعدها الأمر بقتله. فنقل من "خواف" إلى "كاشمر". وهناك قتلوه قتله فظيعة في ١٠ آذر سنة ١٣١٦ هـ. ش. الموافق ٢٨ رمضان سنة ١٣٥٦ هـ. ق. و عمره يومئذ في نحو الثالثة و السبعين! و بهذا يبدو واضحا أن المتحضر التقدمي الذي أراد أن يقيم في إيران أساس التمدن الصحيح باشاعه الحرية و العدالة و بسط الأمان و الديمقراطية و مراعاة القانون و المحافظه على مقومات الشخصية القومي، و هي الأصول التي يعتز متمدنون أوروبا بإقامتها في بلادهم، إنما كان السيد "حسن المدرس" و أمثاله من مجاهدى الحرية و الديمقراطية! و أن تسيير مواكب "الكرنفال" و الخروج على قواعد الحشمة و محو مظاهر الشخصية القومية الخاصه و نقض الآثار الفنيه الجميله و مد الشوارع العريضة المستقيمه على أنقاضها لا يغنى عن المدينه الحقيقيه القائمه فى أوروبا شيئا. و أن معامله الرعيه بالاستبداد و الطغيان و الإرهاب و الاذلال و تزوير الانتخابات إنما هي ارتداد إلى حياه القرون الوسطى و أزمنه الرق و العبوديه، فهي الرجعيه نفسها، و لوحفت بها مواكب "الكرنفال" و أشرفت بها صدور النساء العاريه فى فساتين السهره من آخر موديلات باريس و أحتوتها الجادات العريضة المستقيمه المزفته!

ضرب الشيخ الباققى و سجنه

كان المرجع الدينى الأكبر يومئذ المرحوم الشيخ "عبد الكريم الحائرى". و كان يقيم فى قم و فى معيته فقيه من كبار العلماء هو المرحوم الشيخ "محمد تقى الباققى". و كان على قدر كبير من التقوى و الورع.

و كان خازنا للشيخ الحائرى فى عهدته حفظ أموال الحقوق الشرعيه و إنفاقها فى وجوهها. و ينوب عنه فى إمامه الجماعه إذا تغيب عنها.

و قد اعتاد الايرانيون من قديم الأيام أن يكونوا حاضرين فى أحد المقامات المباركه ساعه حلول السنه الشمسيه الجديده. و يعدون حضورهم هذا فاتحه يمن و سعادته للسنه الجديده. و هذا اليوم هو يوم النيروز عندهم.

فلذلك يشتد الازدحام فى تلك الساعه فى مقام الامام الرضا (ع) فى مشهد و مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض) فى الرى و مقام السيده "معصومه" (رض) فى مدينه قم، و فى غيرها من المقامات المقدسه.

و فى ذلك اليوم من سنه ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ. ق. احتشد الناس فى مقام السيده "معصومه" (رض) فى مدينه قم ينتظرون حلول السنه الجديده. و حضرت من طهران أسره "رضا شاه بهلوى"، و فيها نساؤه فجلسوا فى غرفه خاصه فى أعلى أحد الأواوين من مقام السيده "معصومه" و كانت نساؤه سافرات سفورا كاملا.

فاغاظ ظهورهن سافرات فى هذا المقام المقدس الجمهور. و اشتد أحد الوعاظ، و هو يعظ على المنبر، فى إنكار هذا الأمر. و وصل الخبر إلى الشيخ "محمد تقى الباققى" فأرسل إلى أسره الشاه يقول: إن كنتم مسلمين فلتحتجب نساؤكم فى هذا المقام المقدس و إن كنتم غير مسلمين فما حضوركم هنا؟! فلم يعتنوا بقوله. فحضر بنفسه إلى المقام و زجرهن و أمرهن

بالاحتجاب أو الخروج و ثارت ضجه كبيره بين الجمهور. فخرجت أسره الشاه من المقام و ذهبوا إلى منزل قيم المقام. و من هناك تلفنوا إلى الشاه بالخبر. فأمر بإبلاغ رئيس شرطه قم أن يعتقل الواعظ و الشيخ محمد تقي الباققى. ثم حضر إلى قم بنفسه و معه جماعه من الجند. فلما ترجل من السياره أخذ بضرب كل من لقيه من الناس بالعصا و يركلهم برجله و يشتمهم شتما قبيحا. ثم دخل حرم المقام بحدائه و أستدعى رئيس الشرطه و رجاله و طلب إحضار الشيخ الباققى و الواعظ. فاما الباققى فكان قد اعتقل و أما الواعظ فأخبره رئيس الشرطه بأنه فر و لم يستطيعوا الاhtداء إليه فاشتد غضبه و أخذ يضرب رئيس الشرطه على فمه بالعصا فكسر أسنانه و أسال دمه، ثم أمر باعتقاله. فجىء بالشيخ الباققى على وضع مهين فطرحه أرضا على وجهه و هو يشتمه شتما قبيحا، و انهال عليه ضربا شديدا بالعصا إلى أن سكن غيظه. ثم أمر بإرساله و إرسال رئيس شرطه قم إلى طهران و وضعهما فى السجن. و ظل رئيس الشرطه مده شهرين فى السجن و توسلت عائلته بوزير البلاط "تيمور طاش" فشفع له عند الشاه و أفرج عنه و لكن عزل من وظيفته. و أما الشيخ الباققى فظل مده فى السجن إلى أن توسط له الشيخ عبد الكريم الحائرى فافرج عنه و لكن فرضت عليه الإقامة الجبريه فى ضاحيه "عبد العظيم" بالقرب من طهران، و ظل منفيا فيها إلى أن مات.

مقتل الشيخ "نور الله الاصفهاني"

فى الثانى من شهريور سنه ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق ٢٧ صفر سنه ١٣٤٦ هـ. ق. نشرت الحكومه بلاغا عنيف اللهجه أمرت فيه رجال الدين باجتتاب التدخل فى السياسه و الشؤون الحكوميه و أذرتهم بالعقاب إن لم يمتثلوا.

و تلقى رجال الدين هذا البلاغ بالاستياء. و زاد فى استيائهم ما تضمنه من عبارات مهينه. فتنادوا إلى الاجتماع فى مدينه قم. و أجمع منهم فيها حوالى سبعمائه عالم من مختلف الولايات. و أهم اجتماعهم "رضا شاه بهلوى" و حكومته لما كان لرجال الدين من نفوذ قوى فى نفوس العامه.

و اتفق أن كان نشر بلاغ الحكومه و اجتماع العلماء فى أيام صدور قانون التجنيد الاجبارى - و هو من حسنات العهد البهلوى - و قد تلقاه الناس بالحدرد و الخوف، إذ كان شيئا جديدا فى حياتهم و له رهبة فى النفوس، و من ثم هبوا إلى مقاومته.

و كان فى أصفهان مرجع دينى كبير هو الشيخ نور الله. و كان ينتمى إلى أسره علميه عريقه. و له ماض مجيد فى حركه المطالبه بالنظام النيابى الدستورى، إذ كان فى مقدمه المطالبين به المكافحين فى سبيله. و أنتخب نائبا فى دوره المجلس الثانى. و انتهت إليه الرئاسة الدينيه و السياسيه فى أصفهان، لا يزال حاضرا لقضاء حوائج الناس و مساعدته المظلومين. فلما حضر إلى قم استجاب له دعوه العلماء أصبح له المقام الأول بين المجتمعين.

و كان الشيخ "نور الله" يؤيد قانون التجنيد الاجبارى و يراه ضروريا ليران. و مثله كبار المراجع. و لكنه كان أيضا يرى ضروره مراعاة شعور العامه و أخذهم بالرفق. فأرسل من قم برقيه بهذا المعنى إلى رئيس المجلس النيابى و رئيس الوزاره. و كان الشاه و حكومته قد أخافهم اجتماع العلماء و أتباعهم فى قم فأرسلوا من قبلهم رئيس الوزاره و وزير البلاط لمفاوضه العلماء فى الموضوع. و حصل الاتفاق بين الطرفين على إجراء تعديل شكلى فى نص قانون التجنيد يخفف من وقعه فى نفوس الناس من غير أن يخالف روحه و ينحرف به عن مرماه، و إصدار بعض القرارات التى تضمن المحافظه على أحكام الشرع.

و أعدت الحكومه مشروع قانون بما تم عليه الاتفاق و قدمته إلى المجلس النيابى. و لكن حدث قبل طرحه فى المجلس للمناقشه

أن وعك الشيخ " نور الله " ثم توفي في ١ رجب سنة ١٣٤٦ هـ. ق. الموافق أوائل دى سنة ١٣٠٦ هـ. ش.

و المشهور بما يشبه الإجماع أن " رضا شاه بهلوى " أوعز إلى طبيب من أصحاب السوابق من المختصين به فسم الشيخ " نور الله " بحقنه تحت الجلد. و الثابت أن الشيخ " نور الله " تردد كثيرا قبل أن يأذن لذلك الطبيب بمعالجته، إذ كان يشك به. و أن حاكم قم حرص كثيرا على إقناع الشيخ " نور الله " بتمكينه من معالجته. و الثابت أيضا أنه ظهرت عليه فور حقنه أعراض شديده مخيفه، حتى اضطروا إلى استدعاء طبيين من أشهر الأطباء لينظروا فى حاله. فلما حضرا هالتهما الحاله التى وجداه عليها، فأرادا الاستفهام من الطبيب الأول عن نوع الحقنه التى حقنه بها. و لكنه كان قد اختفى. و بحث الناس عنه فى كل ناحيه من نواحي قم فلم يعثروا على أثر له. و لم يلبث حاكم قم أن رفع بعد وفاه الشيخ " نور الله " إلى منصب أعلى من منصبه، و كان قتل الشيخ " نور الله " قبل قتل السيد " حسن المدرس ". و عم الحزن عليه كل إيران. و أقيمت عدده مجالس عزاء شاركت فيها كل الطبقات فى طهران و أصفهان و قم. و لكن الصحف سكتت كلها لم تذكر شيئا عنه و لا عن وفاته، و أهمل مشروع القرار بما تم عليه الاتفاق فى موضوع التجنيد الاجبارى فلم يعرض على المجلس النيابى.

مقتل "محمد فرخى"

و كان من ضحايا " رضا شاه بهلوى " الصحفى الشاعر النائب " محمد فرخى " صاحب جريده " طوفان " و نائب يزد. و كانت المعارضه منحصره فيه و فى النائب " محمد رضا طلوع " نائب " لاهيجان " و كان رئيس المجلس و النواب الآخرون يحولون بينهما و بين الكلام فى المجلس. بل بلغ الأمر إلى أن صفع أحد النواب " محمد فرخى " صفعه أسالت دمه، فصاح " فرخى " قائلا: إذا كنت أضرب و أنا فى حصانه حرم القانون الأساسى، فكيف بى إذا كنت فى خارجه! ثم اعتصم فى المجلس لا يخرج منه ليلا- و لا نهارا إلى الليله التى تنتهى فى صباحها دوره المجلس و تسقط عنه الحصانه النيابيه. و فى تلك الليله فر من إيران و لجأ إلى الاتحاد السوفياتى. فبقى هناك مده ثم سافر إلى ألمانيا. ففضى فيها بضع سنوات. ثم التقى به هناك وزير البلاط " تيمور طاش " فامنه و أقنعه بالعوده إلى إيران. فعاد إليها و أقام فى طهران حرا لا يتعرض له أحد و لكنه مراقب من البوليس السرى حوالى سنه، فرضت عليه بعدها الإقامة الجبريه فى إحدى ضواحي طهران.

و بعد مده قليله أحيل إلى المحاكمه بدعوى كاذبه، و حكم عليه بالسجن. و عذب و اقتلعوا أظافره. و ابتلع، و هو فى السجن، كميته من الترياق بقصد الانتحار، بعد أن خط على جدار السجن قصيده شجيه جميله. و تداركوه و هو بين الموت و الحياه و عولج حتى شفى. و لكن ظل مثابرا على إسماع السجناء شعره و كلامه فى الدعوه إلى الثوره و التنديد بالظلم و الطغيان و التغنى بالحرية و نشدان الكرامه، حتى ضاق به " رضا شاه

بهلوى " ذرعا فأمر بقتله. و قتل بحقنه تحت الجلد بابره هوائيه، و هذا ثابت بالوثائق القضائيه، فى ٢٥ مهر سنه ١٣١٨ هـ. ش. و ترك " فرخى " قصائد رائعه تنبض بالاباء و النخوه و الألم و الشجو.

"سجن القصر"

تتابعت أعمال الاعتقال و القتل فى عهد "رضا شاه بهلوى" حتى بلغ عدد المقتولين و المفقودين من المحاييس فى وقت من الأوقات أكثر من أربعة و عشرين ألفا حسب إحصائيه رسميه. و أقيمت السجون و الزنانات فى جميع أنحاء إيران. و كان أفضعها السجن الذى أقامه فى طهران و عرف باسم "سجن القصر". و كانت له فى إيران سمعه كسمعه "الباستيل" فى فرنسا.

كان هذا السجن فى الأصل قصرا أثريا تاريخيا من قصور القاجاريين القديمه يعرف باسم "قصر قاجار". فأمر "رضا شاه بهلوى" بهدمه و بناء سجن فى مكانه. و لذلك عرف باسم "سجن القصر". و جهز بكل ما يلزم للتعذيب من زنانات و سراديب مظلمه و إغلام. و جعل سجنا للمعتقلين السياسيين. كتب عنه "جان كونتر". و هو أمريكى أقام فى طهران فى تلك الحقبه و ألف عنها كتابا. قال:

"بالقرب من طهران قلعه بنيت فى مكان قصر كان يسكنه القاجاريون. و هو اليوم سجن السياسيين. و السجناء السياسيون لا يحاكمون فى إيران. و لا- لزوم لخلق تهمة يتهمون بها فى أجل الحكم عليهم بالعقاب، فإذا تقرر و جوب موتهم فلا حاجه إلى رميهم بالرصاص أو شنقهم. بل يكفى السم بوسيله خاصه يسميها السجناء السياسيون "اللقاح البهلوى"، أو إلقاء حبه من السم فى فنجان القهوة صباح يوم بهيج مشرق تحمل المتهم إلى جوف الأرض فلا يرى بعدها مثل هذا اليوم البهيج المشرق مره أخرى".

قتلى آخرون

كان رئيس حرس "رضا شاه بهلوى" ضابط شاب اسمه "أحمد خان فولاذين". و كان وطنيا طيب القلب. و على شاكلته جماعه أخرى من رفاقه الضباط. و قدها له ما يرى من ظلم الشاه و طغيانه. فواطا رفاقه على قتل الشاه و القضاء على نظامه و كادت خطتهم تنجح لو لا أن تخاذل أحدهم فأفشى سرهم للشاه. فأمر هذا بقتل "أحمد خان فولاذين" رميا بالرصاص. و روى أن أبدى ساعه أريد إنفاذ الحكم فيه شجاعه و أنفه فائقتين. فقد أصروا عليه أن يكتب رساله إلى الشاه يسترحمه فيها بطلب تخفيف الحكم عليه فرفض.

و كان الشاه حاضرا ينظر إليه مختفيا وراء شجره فى ساحه الاعدام. و لما سئل الضابط عما يوصى به، قال: أوصى بشيء واحد فقط هو أن تقولوا للشاه: إن قتلى و قتل غيرى من الوطنيين المستضعفين لن يديم ظلمك و لن ينفعك فى إقرار سلطانك! و لما أراد الضابط المأمور بقتله أن يرفع صوته بامر الجنود بإطلاق الرصاص عليه نبهه قائلا: يا حضره الضابط، الأصول العسكريه تقضى بان يصدر الأمر بإطلاق الرصاص على المحكوم عليه بالقتل بإشاره بالسيف لا برفع الصوت! ثم قتل فى منتصف الليل من يوم ٢٤ بهمن سنه ١٣٠٦ هـ. ش.

و حكم على رفاقه بالسجن مددا مختلفه.

و كانت قبيله "قشقائى" - و مساكنها فى جنوب إيران - من أكبر قبائل إيران. و كانت لها سوابق وطنيه مجيده فى محاربه المستعمرين و الدفاع عن إيران. و كانت رئاستها قد انتهت مما قبل الحرب الكونيه الأولى إلى فتى من فتیان الشجاعه و المروءه و الوطنيه اسمه "إسماعيل خان" و لقبه "صولت الدوله" و كان رئيسا لها فى عهد "رضا شاه بهلوى" أيضا. و كان فى هذا العهد، هو و ابن له اسمه "ناصر خان" نائبين فى المجلس النيابى.

و فى يوم ٦ شهر يور سنه ١٣١١ هـ. ش. كانا عائدين من تشييع جنازه رئيس الوزاره الأسبق النائب "الميرزا حسن الآشتيانى مستوفى الممالك". و فيما هما خارجان من المقبره اعتقلتهما الشرطه و ساقتهما إلى "سجن القصر"، مع أنهما محفوظان بالحصانه النيابيه لا يجوز اعتقالهما إلا بعد رفع الحصانه عنهما بقرار من المجلس النيابى.

و بعد يومين طلبت الحكومه من المجلس النيابى رفع الحصانه عنهما فوافق النواب على طلبهما و رفعت عنهما الحصانه و هما فى السجن! و ظلا فى السجن بلا محاكمه إلى أواخر سنه ١٣١١ هـ. ش إذ قتل "إسماعيل خان"، و هو سجين، و ظل ابنه "ناصر خان" مسجوناً سنوات ثم أطلق سراحه و لكن ظل خاضعا لمراقبه شديده إلى سنه ١٣٢٠ هـ. ش أى، بعد خلع "رضا شاه بهلوى" إذ عاد إلى قبيلته بلا إذن من حكومه الوقت.

و فى ١٨ خرداد سنه ١٣٠٨ هـ. ش. أمر "رضا شاه بهلوى" باعتقال الأمير القاجارى "فيروز ميرزا نصرت الدوله". و هو نائب و وزير سابق. كان وزيرا للخارجيه فى وزاره "وثوق الدوله" التى عقدت المعاهده الإيرانيه الإنكليزيه، معاهده سنه ١٩١٩ هـ. ش. بل كان مرشحا لتولى حكومه الانقلاب لو لا أن ارتات السياسه الإنكليزيه العدول عنه إلى السيد "ضياء الدين الطباطبائى". ثم أصبح وزيرا فى وزاره "رضا خان" الرابعه قبل خلع "أحمد شاه قاجار". و بعد تملك "رضا شاه بهلوى" أصبح وزيرا للماليه و ظل فى هذا المنصب ثلاث سنوات. و يوم أمر "رضا شاه بهلوى" باعتقاله كان لا يزال فى منصب وزاره الماليه. و هو يومئذ يعد الساعد الأيمن لوزير البلاط "تيمور طاش". و هذا كان يعد الساعد الأيمن ل "رضا شاه بهلوى" و ثانى رجل فى الدوله.

اعتقل "نصرت الدوله" و وضع فى السجن. ثم أفرج عنه بتوسط بعض أهل النفوذ و لكنه ألزم بالاقامه الجبريه فى منزله. و فى سنه ١٣٠٩ هـ. ش سيق إلى المحاكمه فحكم عليه بالحرمان من الحقوق المدنيه و السجن مده شهرين و تاديه غرامه ماليه. أما التهمه التى أخذ بها فهى الارتشاء بمبلغ زهيد جدا من المال. و الأرجح أنها تهمة كاذبه.

و قضيه "نصرت الدوله" هذه نموذج من نوعيه الحكم فى تلك الأيام فأخذه رشوه ضخمة من الإنكليز لم تستوجب محاكمته، بل هى لم تمنع من انتخابه نائبا فى المجلس النيابى، و لا منعت "رضا خان" من اختياره وزيرا فى الوزاره التى ألفها رابع مره، و لا منعت "رضا شاه" يوم أصبح ملكا من نصبه وزيرا للماليه مده ثلاث سنوات. و لكن ارتشاءه مبلغ زهيد من المال - (١).

ص: ٢١١

١- كان أمير قاجارى آخر هو "أكبر ميرزا مسعود صارم الدوله" عضوا فى تلك الوزاره مؤيدا للمعاهده أيضا. و قد أخذ "وثوق الدوله" فاشترى بمال أملاكها وهبها الوزيران يومئذ رشوه من الإنكليز. فاما "وثوق الدوله" فاشترى بمال الرشوه أملاكها وهبها للدوله. و أما "صارم الدوله" فأنفق على إنشاء مؤسسات خيريه. و أما "نصرت الدوله" فلم يعلم مصير المال الذى أخذه. و لما

تملك "رضا شاه بهلوی" طالبهم ثلاثتهم بذلك المال و استرده منهم

على فرض صحه ذلك - استوجب عزله من الوزاره و محاكمته و سجنه و تجريده من الحقوق المدنيه ثم قتله! و يروى "مهدى قلى خان هدايت مخبر السلطنه" الذى كان رئيسا للوزاره يومئذ و "نصرت الدوله" وزير الماليه فى وزارته، فى مذكراته أن وزير العدليه استدعى إليه رئيس محكمه التمييز و أبلغه أن عليه أن يصدر حكما بمعاقبه "نصرت الدوله" و إلا- حكم علينا كلنا بالعقاب، و يعلق صاحب المذكرات على ذلك بقوله "السنه فى هذا العهد هى أن لا حصانه لأحد حتى النواب". و يقول: الظاهر أن الحكم على "نصرت الدوله" لم يكن كافيا فأكره رئيس محكمه التمييز على الاستقاله و عين فى مكانه آخر كان قد نظم قصيده فى هجاء أحمد شاه قاجار.

و يوم انتخب "نصرت الدوله" نائبا فى المجلس النيابى (قبل تملك "رضا خان") أراد بعض النواب الطعن فى نيابته استنادا إلى أخذه تلك الرشوه. فجاء من نبه النواب المعترضين إلى أن بحث هذا الموضوع قد يجر إلى كشف أمور تجعل "نصرت الدوله" دائنا لا مديونا. فسكنوا عن الاعتراض و يوم حوكم فى زمن تملك "رضا شاه" دافع عن نفسه بشجاعه و قوه دفاعا متينا، و أشار إلى هذا المعنى و سخر من التهمه التى يحاكم من أجلها.

و فى سنه ١٣١٥ هـ. ش. اعتقل مره أخرى و سجن فى طهران بلا محاكمه. و بعد بضعه أشهر نقل إلى سجن "سمنان" و منعت زيارته و مكاتبته منعا عاما. و ظل فى هذا السجن حوالى سنه صدر بعدها الأمر إلى طيب سجن الشرطه بالسفر إلى "سمنان" و قتله، فأبى الطيب أن يمثل للأمر.

فتولى قتله رجال الشرطه، و قتلوه، قتله فظيعة. و بعد قليل أعلن طيب السجن أنه مات بالسكته القليه.

و يجمع المؤرخون على أن السبب الحقيقى فى اعتقال "نصرت الدوله" و قتله إنما هو قوه شخصيته و تفوق مواهبه. و من ثم كان "رضا شاه" لا يطيق وجوده و يخشى أن يعارضه. بل اشتهر أن ما كان ينشره يومئذ بعض الصحف الفرنسيه من انتقاد للشاه كان بتحريض منه.

و كانت شرطه طهران تتولى تنظيمها و تدريبيها بعثه من الخبراء السويديين استقدمتهم الحكومه الإيرانيه من زمن بعيد لهذه الغايه. و قد قاموا بمهمتهم خير قيام. و كان "رضا شاه" يسعى من بدايه أمره إلى السيطرة على شرطه العاصمه ليجمع فى يده زمام كل القوى العسكريه. فلما أصبح رئيسا للوزاره أول مره بادر إلى إقاله السويديين من قياده الشرطه و عين فى مكانهم [مكانهم] جماعة من رجاله و عهد برئاسه الشرطه إلى ضابط اسمه "محمد الدرکاهى"، عرف من أيام طفولته بالاجرام، حتى أنه، يوم كان طالبا فى المدرسه، عرف بين رفاقه الطلاب باسم "محمد السكين" لأنه كان يحمل دائما فى جيبه سكيناً يهدد بها الطلاب و هو الذى اقتحم برجاله بيت السيد "حسن المدرس" فى منتصف الليل و ضربه و شتمه و روع عياله و اعتقله على ذلك النحو الفاجع.

و قدر كله على جهه القلب من صدره ركله ظل السيد المدرس يشكو منها إلى أن قتلوه تلك القتله الفظيعة. و هو الذى تولى بنفسه اعتقال "نصرت الدوله" و سجنه و يعد "الدرکاهى" هذا فى مقدمه الذين مهدوا السبيل لرضا شاه إلى العرش. و هو الذى تولى إنفاذ أمره ببناء "سجن القصر" الرهيب.

و كانت بين رئيس الشرطه هذا و وزير البلاط "تيمور طاش" منافسه على التقرب من الشاه. و كل منهما يسعى إلى أن يكون هو الرجل الثانى فى المملكه. و قد استطاع وزير البلاط أن يبعث الحذر فى نفس الشاه من رئيس الشرطه هذا، فأمر باعتقاله و سجنه بعد يومين فقط من افتتاح "سجن القصر" و بعد بضعه أشهر من اعتقال "نصرت الدوله". و سجن "الدركاهى" مده من الزمن بلا محاكمه، ثم أطلق سراحه و لكنه ألزم بالاقامه الجبريه فى منزله. و بعد مده أفرج عنه و لكنه أبعده عن الوظائف الحكوميه.

و فى سنه ١٣٠٨ هـ. ش. أمر "رضا شاه" باعتقال "دوست محمد خان بلوش" أحد كبار زعماء إقليم ز [بلوشستان] فاعتقل و أحضر إلى طهران و ألزم بالاقامه الجبريه فيها يرافقه شرطى ليل نهار. و لكنه استطاع الفرار بعد بضعه أشهر، و اتخذ طريقه متخفيا إلى "بلوشستان". و لكنه اعتقل قبل أن يصل إليها، فأعيد إلى طهران و قتل رميا بالرصاص.

و كان "عبد الحسين ديبا" من رجال البلاط و نائبا فى المجلس النيابى، و من المقربين إلى "رضا شاه" و من أصدقاء "تيمور طاش" و شغل قبل النيايه وظائف عاليه فى وزاره الخارجيه. و هو من خريجي معاهد باريس و إيران العلميه العاليه، يحسن بضع بلغات أجنبيه.

صدر الأمر باعتقال هذا النائب فاعتقل و سجن قبل رفع الحصانه النيايه عنه. ثم أحيل إلى المحاكمه بتهمه الارتشاء، تهمه بنيت على دليل واه. فحكم عليه بالسجن عشره أشهر. و فى أوائل سنه ١٣١٦ هـ. ش.

نقل من سجن طهران إلى سجن "ملاير" حيث قطعوه عن العالم الخارجى و عذبوه عذابا أليما. ثم قتلوه خنقا فى أوائل سنه ١٣١٧ هـ. ش.

و فى أواسط سنه ١٣١١ هـ. ش. نحى "عبد الحسين تيمور طاش" وزير البلاط عن منصبه. و فى أواخر تلك السنه أمر "رضا شاه" الشرطه بحراسه منزل "تيمور طاش" و منعه من الخروج منه و منع الناس عامه من زيارته. و بعد مده قليله صدر أمر بتوقيفه فى سجن الشرطه و إحالته إلى المحاكمه.

و "تيمور طاش" عسكرى خريج كليه "بترسبورغ" (لينينغراد) الحربيه. من أشهر الساسه الايرانيين فى تلك الحقبه. و كان له أثر كبير فى تمكين ملك "رضا شاه". كان وزيرا فى وزاره "حسن بيرنيا مشير الدوله" سنه ١٣٠٠ هـ. ش. و فى وزارته "رضا خان" سنه ١٣٠٣ و ١٣٠٤ هـ. ش. و انتخب نائبا أكثر من مره. و أصبح وزيرا للبلاط بعد تملك "رضا شاه" و ظل فى هذا المنصب من سنه ١٣٠٤ إلى سنه ١٣١١ هـ. ش. و فى عهد وزارته للبلاط كان أيضا نائبا عن "نيسابور" كل هذه السنوات. و كان كل شىء فى البلاط حتى أصبح يعد رجل إيران الثانى. و قال الشاه يوما فى مجلس الوزراء "قول تيمور هو قولى أنا". و فى سنه ١٢٩٧ هـ. ش كان حاكما على جيلان فارتكب جرائم منها قتل تدمى القلوب أوقعها بالابرياء و بلغ بها الغايه من القسوه و الاستخفاف بحياه الناس و أرواحهم.

و لكن ذلك و أمثاله لم يمنع "رضا شاه" من أن يجعل "تيمور طاش" أقرب المقربين إليه فلا يرد له كلمه. حتى إذا بلغ هذه الغايه من النفوذ إذا به ينقلب عليه فيأمر بتوقيفه و محاكمته. فحوكم بتهمه الارتشاء يوم ٢٥ إسفند

سنة ١٣١١ هـ. ش. فى جلسه سرىه و حكم علىه بالسجن الانفرادى ثلاث سنوات مع تجريده من الحقوق المدينه و تاديه غرامه مالىه ضخمه. و وضع فى "سجن القصر". و بعد ثلاثه أشهر حوكم مره أخرى بنفس التهمه و حكم علىه بالسجن المنفرد خمس سنوات و تاديه غرامه مالىه ضخمه أخرى.

أما السبب الحقيقى لنكبه "تيمور طاش" فهو انصراف الإنكليز عن تأييده و نعمتهم علىه اتصاله بالروس و محاولته إحلالهم فى محل الإنكليز لاستثمار منابع النفط فى جنوب إيران. و يؤيد هذا القول أن حكومه الاتحاد السوفياتى لما علمت بالحكم على "تيمور طاش" و سجنه أرسلت إلى طهران "كاراخان" نائب وزير خارجيتها نفسه ليشفع عند "رضا شاه بهلوى" فيه.

فأجابته الشاه بان "تيمور طاش" مريض و لعله قد مات. فان كان لا يزال حيا نظرت فى هذا الأمر. و كان "تيمور طاش" يومئذ قد مات، إذ كان الشاه لما أحس بان "كاراخان" سيفتحة فى أمر العفو عنه قد أصدر أمرا بقتله فى السجن فقتل فى ٩ مهر سنه ١٣١٢ هـ. ش. و أراد المبعوث السوفياتى أن يجتمع بتيمور طاش فتظاهر بأنه يود مشاهدته "سجن القصر" فاذن له بالذهاب إليه. فتفقد السجن و طاف فى أفسامه، ثم سال عن محبس "تيمور طاش" فقيل له لقد قضى نجه قبل بضعه أيام. فلم يلبث "كاراخان" بعدها أن عاد إلى بلاده.

و يؤيد ذلك القول أيضا كتاب نشره "آغا بغوف" سنه ١٩٣٠ م فى باريس. و هو جاسوس روسى من كبار موظفى دائره التجسس السوفياتيه "الغيبو" كان يدير شبكه التجسس السوفياتيه فى الدول الأجنبيه. و منها الأفغان و إيران. ثم فر من روسيا و لجأ إلى أوروبا. و هناك نشر كتابه هذا، ثم لم يلبث أن اغتاله الروس.

و فى أوائل آذر سنه ١٣١٢ هـ. ش كان "رضا شاه بهلوى" فى "بابل" (١) و فى معيته وزير حريته "جعفر قلى خان" الملقب ب "السرदार الأسعد" و هناك أمر باعتقاله و نقله إلى سجن القصر فى طهران و بعد أن سجنه أربعة أشهر بلا محاكمه أمر بقتله: فقتل فى ١٣ فروردين سنه ١٣١٣ هـ. ش الموافق سنه ١٣٥٢ هـ. ق. بالسم قتله شنيعه.

و "السرदार الأسعد" هذا من زعماء قبائل البخاريين. و وزير سابق، تولى الوزاره عشر مرات. و كان فى مقدمه العاملين على خلع القاجاريين و حمل "رضا شاه بهلوى" إلى عرش إيران. و بعد قتل "تيمور طاش" احتل مكاتته عند الشاه و أصبح أقرب المقربين إليه. و لكنه لم يلبث أن انقلب عليه أيضا و قتله.

و يوم اقتحم الثائرون طهران سنه ١٣٢٧ هـ. ق. و خلعوا "محمد على شاه قاجار" عن العرش كان "جعفر قلى خان" هذا عضوا فى المحكمه الثوريه العليا التى شكلها الثائرون و حاكمت الشهيد المبرور "الشيخ فضل الله نورى" و رفاقه الشهداء الآخرين و حكمت عليهم بالقتل و قتلهم.

و بعد اعتقال "السرदार الأسعد جعفر قلى خان" بادر "رضا شاه" إلى اعتقال إخوته، و كانوا خمسه، و اعتقل معهم جماعه من أقاربه، و ألقى بهم فى السجن. و قد مات أحد إخوته بعد ذلك و هو فى السجن و صادر أملاك البخاريين كلها. و قتل جماعه من رؤسائهم، و ظلت جماعه أخرى منهم فى السجن على حاله مهينه من الازلال و التحقير إلى ما بعد سنه ١٣٢٠ هـ. ش. أى بعد خلع "رضا شاه بهلوى"، إذ أفرج عنهم و عوملوا معاملة تطيب خواطرهم.

و فى سنة ١٣١٤ هـ. ش. اعتقل قيم الحضرة الرضويه " محمد ولى أسدى " و أحيل إلى المحكمه العسكريه فحكمت عليه بالقتل فقتل. و التهمه هى تحريضه الناس على مقاومه قانون السفور الاجبارى.

و فى سنة ١٣١٥ هـ. ش. انتحر وزير المالىه " على أكبر داور " و كتبت إذاره [إداره] الشرطه خبر انتحاره و نشرت بلاغا بأنه مات بسكته قلبيه.

و لكن الخبر ذاع من عائلته و المقربين إليه و الأطباء الذين عاينوه و قد انتحر بابتلاع كميته كبيره من الترياق و كان سبب انتحاره أنه أخذ فى أواخر أيامه يتوقع لنفسه مصيرا كمصير من سبقه ممن ساعدوا " رضا شاه بهلوى " على الوصول إلى العرش.

و كان أكبر أعوان " رضا شاه بهلوى " قبل تملكه ضابط اسمه " عبد الله خان طهماسبى " من أهل أذربيجان. و كان داهيه طاغيه مراوغا. و كان قبل تولي " رضا شاه " رئاسه الوزاره أمير عسكر أذربيجان. فلما تولى هذا رئاسه الوزاره عهد إليه أيضا بمنصب الولاية على ذلك الإقليم. و هو الذى استدرج، بامر من " رضا شاه " يوم كان رئيسا للوزاره، " مرتضى قلى خان إقبال السلطنه " أمير " ماكو " بالخديعه إلى تبريز و اعتقله ثم قتله بالسم، و مكن " رضا شاه " من ثروته الأسطوريه. و قد مر ذكر لك و هو الذى أخرج ولى العهد القاجارى الأمير " محمد حسن ميرزا " من القصر و أبعدته عن إيران على نحو كريبه من القسوه و الاذلال، و كان يومئذ حاكم طهران العسكرى.

و قد ألف كتابا فى تاريخ " رضا شاه ".

و لكن " رضا شاه " لم يلبث أن غضب فى سنة ١٣٠٣ هـ. ش. و كان يومئذ رئيسا للوزاره، على " عبد الله خان طهماسبى " و أخذ يكيد له. و بدأ بمحاوله إبعاده عن أذربيجان حيث مركز قوته و سلطانه، و لكن الأهالى عارضوا نقله منها فاضطر إلى إقراره على عمله. ثم استدرجه بالخديعه إلى طهران و استبقاه فيها و عينه حاكما عسكريا عليها. و بذلك قطعه عن مركز نفوذه و قوته، و عن كل تدخل فى شئون أذربيجان.

و بعد تملك " رضا شاه بهلوى " عينه وزيرا للحريه فى أول وزاره تشكلت فى عهده فى سنة ١٣٠٤ هـ. ش. ثم وزيرا للأشغال العامه سنة ١٣٠٦ هـ. ش. و لكن " رضا شاه " كان لا ينفك يضايقه و يذله و يأخذ عليه المسالك حتى بلغ به الخوف و الياس إلى أن ذهب إلى شيخ يدعى صنع الكرامات و السحر و معرفه الغيب، و طلب منه أن يصنع له شيئا ينجيه من هذا الحاكم الرهيب. و لكن الشيخ أخبر " رضا شاه " بما طلبه منه " عبد الله خان طهماسبى " بعريضه بعث بها إليه فى السر. فتشكلت على الأثر محكمه خاصه من بعض المقربين إلى الشاه فى مكتب أحدهم، و وجه " عبد الله خان طهماسبى " بالشيخ و اعترافه فكان ذلك مذله أخرى فوق ما يلقاه من إذلال.

و فى ١٤ فروردين سنة ١٣٠٧ هـ. ش. كان " عبد الله خان طهماسبى " فى إقليم " لورستان " يتفقد بعض المنشآت فاعترضه كمين مسلح، و هو يعبر بسيارته جسرا، و أطلقوا عليه الرصاص فقتلوه قرب مدينهر.

١- بابل: بضم ألباء الثانيه مدينه إيرانيه على شاطئ بحر الخزر.

"بروجرد". و دلت القرائن و السوابق على أن الشاه هو الذى دبر مؤامره اغتياله.

لقد كان أمير العسكر "عبد الله خان طهماسبى" هذا، و كان "نصرت الدوله" و "تيمور طاش" و "على أكبر داور" و "السردار أسعد" البختيارى عمدته فى حركه "رضا شاه بهلوى" للوصول إلى غايته. و قد غدر بهم واحدا واحدا.

و مثلهم السيد "محمد تدين". فهو الذى ترأس جلسته المجلس النيابى التى تقرر فيها خلع الأسره القاجاريه و توليه "رضا خان" رئاسه الدوله. و قد استمات فى إداره تلك الجلسه و توجيهها على النحو المطلوب و اضطر المعارضين إلى الخروج من المجلس. و هو أول من خاطب "رضا خان" بلقب "صاحب السمو". و لكنه هذا لم يلبث، بعد حصوله على العرش، أن نبذه و أذله، و وكل به شرطه تراقبه، حتى إنه أصبح لا يجرؤ على الحضور فى البلاط. فإذا اتفق أن حضر إليه عامله الشاه بالسخرية منه و الاستهان به.

و هؤلاء هم بعض من نكبهم "رضا شاه بهلوى" من المشاهير.

أما و لكن نكبهم من الأبرياء المغمورين من العامه و سواد الناس، فماتوا فى السجون و الزنانات و المشانق و تحت السياط لا يدري بهم أحد، فيعدون بالألوف روى "حسين مكى" فى كتابه "تاريخ إيران فى عشرين سنه" هذه القصة:

غضب الضابط "فضل الله زاهدى" أحد ضباط جيش الشمال يوما على جندى فأمر أحد رجاله اسمه "صفر على خان" بجلده، و قال: استمر فى جلده حتى أعود ثم مضى إلى التلغون ليرد على مكالمه. و كانت المكالمه دعوه له إلى الحضور إلى إداره البريد لتلقى مكالمه من الخارج فخف مسرعا إلى إداره البريد. و هناك طالت المكالمه حوالى ساعتين، و الضرب مستمر على جسد الجندى المغضوب عليه. ثم مضى من إداره البريد إلى منزله. فتغدى و مضى إلى سريره للقيلوله و قد نسى قضيه الجندى المعاقب. و إذا بالتلغون يرن فى منزله. و لما تناول السماعه كان المتكلم "صفر على خان". و دارت بينهما هذه المحاوره:

الضابط فضل الله زاهدى: ما ذا تريد؟ صفر على خان: امتثالا للأمر العسكرى لا يزال الجندى يجلد.

- أى جندى؟ - جعلت فداك، الجندى الذى أمرت فى الصباح بجلده حتى تعود.

و هو لا يزال يجلد لأنك لم تعد بعد.

- و كيف هو الآن هذا الجندى؟ - جعلت فداك، مات قبل مده. و نحن نجلد جثته.

- كفى يا ابن المحروق! و سواء أ كانت هذه القصة صحيحه أم كانت موضوعه فإنها تناسب طبيعه الحكم العذى كان مسيطرا يومئذ على إيران.

مذبحه مشهد

لم يكن شىء من تلك الفجائع التى ارتكبتها "رضا شاه بهلوى" مخالفا، فى نظره، للتقدم و التمدن و الحضاره، بل كانت كلها موافقه لها. بل كان يعدها طريق إيران إليها. و كل مخالفات التقدم و التمدن و الحضاره كانت تنحصر عنده فى حجاب النساء و

اعتماد الرجال بـ "الكلاه" القومي الوطني. فإذا استبدل السفور بالحجاب و القبعة الفرنجية بالكلاه الوطني تمت لايران كل أسباب التقدم و التمدين و الحضاره! و كان يقول: يجب أن يعد الايرانيون أنفسهم مساوين للأجانب. و لا يفرقهم اليوم عن الأجانب سوى هذا الكلاه. فإذا طرحوه أصبحوا هم و الأجانب سواء! و يقول مثل هذا القول في حجاب النساء. و هذا يعنى أن الاعتماد بالقبعة الفرنجية و طرح الحجاب يغنيان الايرانيين عن الديمقراطية و رعايه القانون و العدالة الاجتماعيه و حريه القول و الرأى و المعتقد و التصنيع و إحياء الأرض و أمثال ذلك من مقومات الحضاره التي ينعم بها المتمدنون في أوروبا، و يفترون بها عن الايرانيين.

حسب الايرانيين التقبع و السفور! و صدر الأمر بان يكون أول فروردين سنه ١٣١٤ هـ. ش. موعدا لانفاذ القانون القاضى بالاعتماد بالقبعة الفرنجية و طرح الحجاب. و أمر رجال الشرطه بمراقبه الماره في الشوارع، و كل امرأه راوها محجبه نزعا عنها حجابها و كل رجل رأوه يعتمر بشيء غير القبعة الفرنجية نزعه عن رأسه بالجبر و الإكراه، و قد أنفذ رجال الشرطه الأمر بكثير من القسوه و الاهان.

و في ١٧ دى سنه ١٣١٤ هـ. ش. ذهب "رضا شاه بهلوى" إلى حفل افتتاح مدرسه دار المعلمين و صحب معه زوجته و ابنتيه سوافر. و أمر رئيس الوزراء و الوزراء و سائر الحضور من كبار الموظفين بان يحضروا معهم زوجاتهم سوافر أيضا.

و في تلك السنه (١٣١٤ هـ. ش) أصدر وزير الداخليه بلاغا عممه على كل الولايات بوجوب اعتماد جميع موظفى الدوله بالقبعة الفرنجية. على أن يلزم بعد ذلك سائر الأهالى بالاعتماد بها. بل إنه فصل في هذا البيان أنواع القبعات و ألوانها. و بين ما يجوز لبسه من هذه الأنواع في النهار و يمنع في الليل و بالعكس، و ما يجوز لبسه في الصيف و لا يجوز في الشتاء و بالعكس و جعل ذلك كله إجباريا. بل أوجب أن تكون التحيه بين المعارف حين يتلاقون في الطرقات برفع القبعة عن الرأس على الطريقه الأورويه، و غير ذلك مما عند الأورويين من تشريفات القبعة.

و كان وزير المعارف قد أقام في سنه ١٣٥٣ هـ. ق، حفله في شيراز لإحدى المناسبات دعى إليها جمع غفير من الأهالى من كل الطبقات. و ألقى في الحفله خطب و عرضت تمثيليه.

و في آخر الحفله برزت على المسرح جماعه من الفتيات، و هن سافرات و معهن "أركسترا" أخذت تعزف أنغاما راقصه، و شرعت الفتيات يرقصن على إيقاعها، و هو أمر لم يكن احتمالاه ممكنا لما كان عليه الناس يومئذ من عادات سنن و عقائد. فقامت ضجه استنكار في الحفله و غادرها جماعه اعتراضا على ما حدث.

و في اليوم التالى انتشر الخبر في المدينه فعمها الغضب و أضرب البازار و تجمهر الناس في أحد مساجدها الكبيره و خطب فيهم المرجع الدينى السيد "حسام الدين الغالى" فاستنكر ما جرى في الحفله و قبحه. فصدر أمر بتوقيفه فاعتقل و ألقى به في السجن.

و وصل نبا إضراب شيراز و ثورتها و اعتقال المرجع إلى طهران و قم و مشهد و تبريز و غيرها. فهاجت الخواطر استنكارا لاجبار [لاجبار] الناس على تغيير لباسهم و محاوله إخراج النساء سوافر. فصدر الأمر من طهران باعتقال اثنين

من مراجع الدين في تبريز هما السيد "أبو الحسن الأنكجي" و "الميرزا صادق آقا" فاعتقلا و أبعدا إلى سمنان.

و استمرت حركه المعارضه في مشهد و تعددت الاجتماعات و اشترك فيها رجال الدين و في مقدمتهم المرجعان الكبيران السيد "حسين القمي" و السيد "يونس الأردبيلي" و تقرر أن يسافر السيد "حسين القمي" إلى طهران للاجتماع بالشاه و إقناعه بالعدول عن قراره و أرسل السيد القمي برفيه إلى الشاه ينبئه بقدمه. و لما وصل إلى الري في ضاحيه طهران جعل مسكنه فيها ريثما يحصل على موعد لزياره الشاه. و لكنه لم يلبث أن رأى مسكنه محاصرا، و قد منع المرور بالقرب منه و الدخول إليه و الخروج منه. ثم اعتقل و أبعده إلى العراق.

و بلغ نبا اعتقاله إلى مشهد فاشتد هياج الخواطر و احتشد الناس و هم ألوف، في مسجد "گوهر شاد" و هو مسجد كبير متصل بمقام الامام الرضا (ع). و دأب الخطباء على تهيج الخواطر و الطعن في سياسه الحكومه بضعه أيام.

و في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هـ. ق. الموافق ٢٠ تير سنة ١٣١٤ هـ. ش. أخذ جند القوزاق يستعدون للحمله على الجمهور المحتشد في المسجد. و في اليوم التالي هيا قواد الجيش و الشرطه رجالهم و سلاحهم فنصبت الرشاشات على أسطحه المسجد و استقرت المدافع الثقيله في أطراف الشوارع المقابله له. و بعد منتصف الليل من يوم ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هـ. ق. الموافق ٢٢ تير سنة ١٣١٤ هـ. ش. اهتزت أجواء مشهد بدوى القنابل و أزيز الرصاص، و هجم القوزاق و غيرهم من العسكر على المسجد و اقتحموه و أمعنوا في الجمهور قتلا و اعتقالا. و انتهت المعركه عند الفجر بتغلب القوزاق. و قدر عدد من قتلوه من الأهالي. ما بين ألفين و خمسه آلاف قتيل و أخذوا ألفا و خمسمائه أسير.

و اطردت الحمله في الصباح إلى تعقب رجال الدين فاعتقل المرجع السيد "يونس الأردبيلي" و أكثر من ثلاثين عالما غيره. و اعتقل "محمد ولي خان أسدى" قيم الحضرة الرضويه و أحيل إلى المحكمه بتهمه التحريض على المقاومه فحوكم محاكمه صوريه و حكم عليه بالقتل و نفذ فيه الحكم. (١)

و اعتقل أيضا ابن "الآخوند ملا محمد كاظم الخراساني"، و كانت له وجاهه في مشهد نظرا لمكانه أبيه. فأوقف في السجن مده طويله ثم أحيل إلى المحكمه العسكريه فحكمت عليه بالقتل، و توسط له مراجع الدين النجفيون فخففت الحكم عليه إلى السجن. و ظل في السجن مده سنتين، قتلوه بعدها بالسم. و حكم على آخرين بالقتل و السجن و توارى كثيرون.

و يجدر بالذكر أن حرم الامام الرضا (ع) كان دائما ملجأ يأمن فيه الخائفون. حتى القاتل كان إذا استطاع الدخول إليه أوقف عنه الطلب.

نوره رضا شاه بهلوى

بدأ "رضا شاه بهلوى" أمره جنديا فقيرا معدما لا يجد أحيانا قوت يومه. و لكنه يوم خلع عن العرش كان قد أصبح في مقدمه أثرياء العالم. و في محاضر المجلس النيابي أن رصيده يومئذ كان ٥٨ مليون ليره إنكليزيه في بنوك إنكلترا و ٦٨ مليون تومان في بنك الإصدار الايراني المسمى "بنك ملي".

و يملك ٤٤ ألف سند تملك لعقارات مختلفه من حقول و ضياع و قرى و وحدات زراعيه كبيره. هذا غير ما كان يملكه من فيلات و فنادق و مصانع، و غير ما صادره من كنوز "مرتضى قلى خان إقبال السلطنه" الماكوثى و "السردار معزن" البجنوردى و "الشيخ خزعل" بعد أن غدر بهم و قتلهم. و غير ما كان يملكه أولاده من بنين و بنات من عقارات و أموال واسعته ضخمه. و قد بلغت عائدات أملاكه فى أواخر سنوات ملكه ستين مليون تومان فى السنه.

قال "مؤيد أحمدى" نائب كرمان فى جلسه عقدها المجلس النيابى بعد خلع "رضا شاه بهلوى" و إبعاده:

"ملك الشاه السابق سبعة عشر عاما. و هى مده تتالف من ستة آلاف يوم تقريبا، حصل فيها على أربعة و أربعين ألف سند تملك. فلو قسمناها على عدد تلك الأيام لكانت النتيجة سبعة سندات فى كل يوم!".

و قد حصل على ذلك كله بالإكراه و الغصب و الاستيلاء على أملاك الدوله و التصرف بالأوقاف. و ارتكب طغاته فى هذا السبيل فجائع ندمى [تدمى] القلوب من تشريد و تسخير و إذلال و سجن و ضرب و قتل. و أجبر البلديه على الإنفاق من حزانتها على بناء كثير من العمارات و الفيلات له لأولاده.

زار إيران فى تلك الحقبه النائب الانكليزى "فوت". و بعد عودته إلى انكلترا نشر سلسله من المقالات عن مشاهداته جاء فى إحداها عن "رضا شاه":

"رضا شاه قطع دابر اللصوص و قطاع الطرق من مسالك إيران.

و أمنهم شعبه، انه لا يجوز، من الآن فصاعدا أن يكون فى إيران كلها غير قاطع طريق واحد، قاطع طريق كبير لا غير.

"شاه إيران السابق غليظ القلب ظالم بعيد الآمال حريص طماع. و هو مع هذه الصفات ماضى العزيمه. لا يحبه أحد. و لكن لا يستطيع تحديه أحد. يلقى بمنافسيه و مخالفه فى السجن أو يقتلهم لا تأخذ عليهم شفقه و لا رحمه. و ما فى إيران اليوم من فتنه و هرج و مرج هى نتيجة سياسه ذلك الشاه الخاطئه.

"يطلب أهل إيران من ملكهم خيزا فيلقمهم حجاره. لم يصنع شاه إيرانى السابق لشعبه شيئا. و قلما خدم أمته. أو بالأحرى أن نقول إنه لم ينفع الايرانيين بشىء على الإطلاق.

"لم يكن رضا شاه يعير أهميه لبناء مجتمع متراس متماسك، و جهاز حكومته عباره عن بضعه آلاف من الملاكين و التجار و أصحاب الأسهم و كبار الموظفين الحكوميين، تكاتفوا و ملثوا جيوبهم من حاصل كسح فته من الفلاحين و العمال الايرانيين التمساء و ثمره كدهم.

"انطلق رضا شاه إلى جزيره موريسش مخفورا بحرس مسلح و خلف ملك إيران المقتدر وراءه و طنا ذا ثروات لم تمس يسكنه شعب فقير".

و لما بلغ "رضا شاه" سنه ١٣٢٠ هـ. ش و هب أمواله و أملاكه لابنه "محمد رضا بهلوى" الذى نصب فى مكانه ملكا على إيران،

١- بعد خلع "رضا شاه" أقامت عائلته "محمد ولي خان اسدى" هذا دعوى على القاضى العسكرى الذى حكم بقتله، فاحيل إلى المحاكمة و حكم عليه بالسجن. و ظل مسجوناً إلى ان مرض و دود ظهره و مات فى السجن.

بوثيقه رسميه. و إذ أتاحت الظروف الداخليه و الخارجيه يومئذ للايرانيين شيئا من حريه الكلام ارتفعت أصوات فى الصحف و فى المجلس النيابى بالشكوى من أعمال السلب و الغصب لأموالهم أيام الشاه المخلوع. و طرحت القضيه فى المجلس النيابى و تقرر تشكيل محكمه خاصه للنظر فى دعاوى الشاكين و رد الأموال المغتصبه إلى أصحابها.

و لكن هذا التدبير لم يأت بفائده الا شيئا قليلا، فقد كان فريق ممن اغتصبت أموالهم قد مات فى السجون و الزنانات. و فريق آخر عاجز عن متابعه دعواه لأنه يفتقر إلى المال اللازم لنفقات الدعوى من محاماه و غيرها. و استطاع بعضهم استرداد أملاكه لتمكنه من أداء نفقات الدعوى.

و إذ كان الشاه الجديد لا يزال فى بدايه أمره لم يستحکم بعد مكانه على العرش فقد كان مضطرا إلى المسايير و المداراه. و من ثم وهب - مكرها لا بطلا - تلك الأملاك للدوله لتتنفق عائداتها فى مصالح الشعب. و لكن هذه الهبه لم تدم طويلا. فقد استردتها الأسره البهلويه حين استقوى و استحكم ملكه. استردها بعناوين مختلفه كمؤسسات الخدمات الاجتماعيه و الثقافيه و الفنيه. و هى مؤسسات شكلية يديرها إخوته و أخواته و رجالهم و تؤخذ عائدات تلك الأملاك بعنوان نفقات لها و مصيرها إلى جيوبهم، مثل مؤسسه "بنياد بهلوى" (المنشأه البهلويه) و أمثالها.

خلع "رضا شاه بهلوى"

كان "رضا شاه بهلوى" على درجه عاليه من الذكاء و مضاء العزيمه و الأناه و الصبر على المشقه. و لكن أفسد عليه ذلك كله ما كان فى طبعه من طمع و حرص و أثره و غرور و فظاظه و استضعاف للناس.

و قد جعلته هذه الأخلاق يهمل ما تجب مراعاته و يستهين بما لا يستهان به و يستبد برأيه غير مفكر فى العواقب، غرورا و إعجابا بالنفس.

من ذلك استهانته بالاراده الشعبيه، حتى حسب أنها إرادته عاجزه عن أن تصده عن نوال شىء يريد. و لذلك أقدم الحلفاء فى أوائل الحرب الكونيه الثانيه على خلعه بلا تردد، و لم يحسبوا حسابا لرده فعل سلبيه فى نفوس الايرانيين من خلعه، لأنهم كانوا يعلمون أن ملكه لا يستند إلى قاعده شعبيه و إنما يستند إلى الطغيان و الجبروت. بل كان الحلفاء على يقين من أنهم يحسنون صنعا إلى الايرانيين بخلعه. و قد حدث بالفعل أن كان يوم خلعه عيدا فى إيران.

و من ذلك غفلته عن مراعاة الخطه الحكيمه التى سبق أن اختطها رئيس الوزاره الأسبق "مشير الدوله" بأقامه توازن بين تطلعات السياسات الأجنبيه فى إيران، و لا سيما سياسه الإنكليز و سياسه الروس. بل بلغ الغرور ب "رضا شاه بهلوى" إلى أن رأى نفسه أهلا لمخادعه الساسه الإنكليز.

كتب "الدكتور مصدق(1):

" كان قائد الجيش رضا خان يوما فى منزلى، و هو يومئذ رئيس للوزاره، و معه جماعه من الوزراء و رؤساء الوزارات و النواب.

و كان فى جملة حديثه أن قال: الحق أن الإنكليز هم الذين جاءوا بى إلى الحكم. و لكنهم لم يكونوا يعلمون أى رجل يعاملون!" و حين علا- نجم النازى فى العالم و ترددت أصدااء تحديات هتلر فى كل ناحيه من نواحيه اتجه "رضا شاه بهلوى" إلى الألمان و أخذ يستقدم منهم خبراء إلى بلاده، و تبع ذلك وفود من السياح و رجال الأعمال الألمان تتردد إلى إيران. و بدأ فى تصرفاته يومئذ أنه فى معاملته للسياسه الأجنبيه بعيد عن التفكير فى إقامه توازن بين هذه السياسات فى بلاده.

و فى أثناء الحرب الكونيه الثانيه اقتضت مصالح الإنكليز و الاتحاد السوفياتى العسكرىه احتلال إيران. و كانت الحجه التى تذرعوها بها هى أن إيران أصبحت و كرا من أوكار "الطابور الخامس" الألمانى. و فى الثالث من شهريور سنه ١٣٢٠ هـ. ش. الموافق ٢٥ آب سنه ١٩٤١ م غزا الاتحاد السوفياتى إيران من الشمال و غزاها الإنكليز من الجنوب و احتلوها.

و فى ٢٥ شهريور سنه ١٣٢٠ هـ. ش الموافق ١٦ أيلول سنه ١٩٤١ م خلعوا "رضا شاه بهلوى" عن العرش و نصبوا مكانه ابنه ولى عهده "محمد رضا بهلوى".

بعض الحوادث

هذه بعض الحوادث التى وقعت فى عهد ملك "رضا خان بهلوى":

فى سنه ١٣٠٢ هـ. ش. الموافق سنه ١٣٤٢ هـ. ق. إذ كان "رضا شاه بهلوى" وزيرا للحربيه فى وزاره "الميرزا حسن خان بيرنيا مشير الدوله" سجن رئيس الوزاره الأسبق "أحمد قوام السلطنه" لتهمه مفتعله كاذبه. و الدافع الحقيقى كان سياسيا شخصيا. ثم توسط له "مشير الدوله" فافرج عنه و اكتفى وزير الحربيه بنفيه من إيران فسافر إلى أوروبا.

و لما تولى "رضا شاه بهلوى" الملك على ذلك النحو تحاماه سياسيو الدوله الموثوق بهم عند الرأى العام فلم يكن أحد منهم يرضى لنفسه تولى رئاسه الوزاره، و تولاهها سياسى انتهازى كان فى مقدمه أعوان "رضا شاه" يوم كان يسعى إلى العرش هو "الميرزا محمد على خان فروغى ذكاء الملك".

و بعد مده رأى "رضا شاه" أن مصلحته تقضى بان يزكى حكمه عند الرأى العام بوجه مرضى عنه. فأوعز إلى رئيس الوزاره هذا بالاستقاله و كلف آخر من أهل السمع الحسنه بتشكيل الوزاره، هو "الميرزا حسن خان مستوفى الممالك" أحد رؤساء الوزاره السابقين. و أشار الوطنيون المخلصون، و منهم السيد "حسن المدرس"، عليه بالقبول لعله يستطيع دفع شىء من سيئات الحكم. و من ثم كان فى جملة أعمال "مستوفى الممالك" بعد توليه رئاسه الوزاره إصداره أمرا فى ١٥ تير سنه ١٣٠٥ هـ. ش بالسماح ل "قوام السلطنه" بالعوده إلى إيران، فعاد إليها بعد أن مضى على إقامته فى المنفى حوالى ثلاث سنوات.

و فى سنه ١٣٠٨ هـ. ش الموافق سنه ١٣٤٨ هـ. ق. توفى "أحمد شاه قاجار" فى مستشفى بالقرب من باريس. و حمل جثمانه إلى العراق و دفن فى كربلاء فى حرم الإمام الحسين (ع) فى مقبره أبيه و جداه.

و فى سنه ١٣٠٥ هـ. ش. افتتح فى طهران بنك الرهون و هو أول بنك إيرانى. أنشاه الروس فى العهد القيصرى بمقتضى امتياز حصلوا عليه من "ناصر الدين شاه". و فى عهد "أحمد شاه" سنه ١٢٩٩ هـ. ش. قبل الانقلاب، تخلى الاتحاد السوفياتى لايران عن

١- الدكتور محمد مصدق الذي أمم البترول الايراني و اصطدم بمحمد رضا شاه ابن رضا شاه و سجن

سنة ١٩٢١ م المعقوده بين البلدين، و فى سنة ١٣٠٥ هـ. ش، فى عهد "رضا شاه بهلوى" تمت تجهيزات هذا البنك و بدأ عمله.

و فى سنة ١٣٠٧ هـ. ش. افتتح "رضا شاه بهلوى" المصرف الوطنى الايرانى باسم "بنك ملى" (البنك القومى). و لم يكن فى ايران قبله سوى مصرفين اثنين فقط. أحدهما روسى، و هو بنك الرهون الآنف الذكر، و قد تسلمته إيران. و الآخر إنكليزى حصل على امتيازه "البارون جوليوس دو روتير" من "ناصر الدين شاه" سنة ١٨٧٢ م الموافق سنة ١٢٨٩ هـ. ق.

إلى مده ستين عاما و سمي باسم "البنك الشاهنشاهى" و كان له أيضا امتياز إصدار النقد الورقى. و فى سنة ١٣٠٩ هـ. ش. اشترت الحكومة الإيرانية من هذا البنك امتياز إصدار النقد بمبلغ كبير قدر بثلاث ميزانية الدولة فى ذلك العام. و تولى البنك القومى الايرانى (بنك ملى) من ذلك اليوم إصدار النقد الورقى. و استخدمت الحكومة الإيرانية خبراء ألمانيين لاداره شئون هذا البنك. و فى سنة ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق سنة ١٩٢٧ م و بعدها بسنة واحدة أيضا عقدت إيران و الاتحاد السوفياتى بينهما بضع معاهدات سويت فيها بعض المشاكل التجارىه و الجمركيه و الأمنيه.

و فى سنة ١٣٠٧ هـ. ش. الموافق سنة ١٩٢٨ م عقدت إيران و إنكلترا بينما معاهدة جمركيه.

و فى سنة ١٣٠٦ هـ. ش. الموافق سنة ١٩٢٧ م أبلغت الحكومة الإيرانية سفراء الدول الأجنبية أنها ألغت المحاكم القنصليه.

و فى عهد "رضا شاه بهلوى" أقر قانون التجنيد الاجبارى فى إيران.

و فى سنة ١٣٠٨ هـ. ش. صدر قانون بجعل التلقيح الواقى من الجدري إجباريا.

و فى سنة ١٣١١ هـ. ش. الموافق سنة ١٣٥١ هـ. ق. أعلن إلغاء امتياز استنباط النفط من جنوب إيران المعروف باسم "اتفاقية دارسى" و هو امتياز حصل عليه الانكليزى "وليام ناكس دارسى" من "مظفر الدين شاه قاجار" سنة ١٣١٩ هـ. ق. الموافق سنة ١٢٧٩ هـ. ش. و سنة ١٩٠١ م. ألغى لأنه مجحف بحق إيران. و استبدلت به اتفاقية جديده بين الحكومة الإيرانية و شركه إنكليزيه عقدت فى ٧ خرداد سنة ١٣١٢ هـ. ش.

الموافق ٢٩ نيسان سنة ١٩٣٣. و لكن فريقا من ساسه إيران، و منهم "الدكتور مصدق"، يعدون هذه الاتفاقية أسوأ من الامتياز القديم.

و يستدلون على ذلك بدراسه مقارنه بين الامتيازين.

و فى عهد "رضا شاه بهلوى" أقيم أول مره مصنع للاسمنت فى إيران، و جلبت آلاته من الدانمرک و السويد، و بناه متعهدون ألماني. و افتتح سنة ١٣١٢ هـ. ش. و فى سنة ١٣١٠ هـ. ش. أنشئت ثلاثه معامل للسكر. و فى سنة ١٣١٦ هـ. ش. افتتح أول مصنع حديث للسكائر و فى سنة ١٣١٧ هـ. ش. أقيم فى طهران أول مولد حديث للكهرباء. و فى تلك السنه أيضا افتتح مصنع للطائرات جلبت أدواته من إنكلترا و استخدم فيه جماعه من الخبراء الإنكليز. و فيه كانت تصنع بعض الأجزاء من الطياره و بعضها يجلب من إنكلترا و يجرى تركيبه فى هذا المصنع. و فى تلك السنه أيضا افتتح فى مدينه قم مصنع للنسيج أنشاته جماعه من التجار. و فى سنة ١٣٠٧ هـ. ش. أقر المجلس النيابى مشروع قانون بتعيين مخصصات سنويه فى ميزانية الدوله لارسال بعثات طلابيه إلى

أوروبا لتلقى العلم من مختلف الفروع. و أرسلت في تلك السنه أول بعثه و كانت مؤلفه من مائه و عشره طلاب.

و من أهم إصلاحات "رضا شاه بهلوى" إنشاء جامعه طهران. وضع حجرها الأساسى فى ١٥ بهمن سنه ١٣١٣ هـ. ش. و هى اليوم من أكبر معاهد الثقافه فى الشرق. و مؤسسات ثقافيه أخرى.

و فى عهد "رضا شاه بهلوى" نظمت ميزانيه الدوله العامه أول مره على أساس تعيين المخصصات حسب إمكانيه الدخل و مقتضيات الإنفاق لكل سنه.

و من إصلاحات ذلك العهد توحيد المقاييس و الأوزان فى جميع الولايات حسب القاعده المترية.

و فى سنه ١٣١٤ هـ. ش. صدر أمر بإلغاء الألقاب مثل "خان" و "بيك" و "أمير". و إلغاء ألقاب المدن و الوزارات و الادارات مثل "دار الخلافه طهران" و "وزاره الداخليه الجليله" و "إداره الصحه المحترمه" و "دائره البريد المباركه".

و فى ١٧ تير سنه ١٣١٦ هـ. ش الموافق ٨ تموز سنه ١٩٣٧ م عقد فى طهران فى قصر "سعدآباد" بين إيران و أفغانستان [و] العراق و تركيا الميثاق المشهور، "ميثاق سعدآباد".

و جهز "رضا خان بهلوى" إيران بشبكه واسعه من طرق المواصلات و سكك الحديد. منها عقد جسر على نهر كارون، هو أكبر جسر فى إيران.

ثم بناؤه سنه ١٣٠٨ هـ. ش. و مد سكه حديديه للقطار و انتظمت إيران من شمالها إلى جنوبها، و بلغ طولها ١١٥٠ ك. م و اقتضى ذلك إقامه أكثر من مائه و ستين جسرا معلقا، بعضها أقيم فوق الأنهار و بعضها فوق الوديان بين القمم الشاهقه. هذا عدا أنفاق كثيره تخترق الجبال فى مسافات بعيدة. و فى ٤ شهر يور سنه ١٣١٧ هـ. ش. أثبت آخر لولب فى هذه السكه. و افتتح الخط باحتفال رسمى حضره الشاه و ولى عهده و سفراء الدول الأجنبيه.

و لكن كل تلك الاصلاحات و الحسنات التى قام بها "رضا شاه بهلوى" طمستها المظالم التى ارتكبتها. مثلا: رفع عن الايرانيين عار المحاكم القنصليه و لكنه أقام "سجن القصر" تهدر فيه كراماتهم و حرياتهم و دماؤهم.

و لدهر كامل من إذلال المحاكم القنصليه كان أهون عليهم من ساعه واحده فى "سجن القصر" و أنشا جامعه طهران و أرسل إلى أوروبا البعوث الطلابيه و لكنه أبهظ الأفكار بكابوس ثقيل من قانون مراقبه المطبوعات! و فيما كان يقى الناس من الموت بلقاح الجدري كان يرسلهم إلى المقابر بواسطه "اللقاح البهلوى" (١) و على هذه فقس ما سواها!

رياض بنارسى

توفى سنه ١٣٦١ فى لاهور بالباكستان.

كان خطيبا بارعا ذا يد طولى فى الشعر و الأدب و التاريخ. له من

١- السجناء السياسيون كانوا يومئذ إذا أريد قتلهم حقنوا بحقنه سامه تحت الجلد أو وضع السم لهم فى القهوه و الشاى. و قد أطلق هؤلاء السجناء على هذه السموم اسم "اللقاح البهلوى".

المؤلفات: الكرار، ذبح عظيم، سوانح فاطمه الزهراء، خصوصيات الإسلام.

زكى خان زند.

ابن "بداق خان" و ابن عم "كريم خان زند" الوكيل (1) و أخوه لأمه. خرج على "كريم خان" سنة (١١٧٥ هـ)، و اتجه إلى أصفهان.

و إذ رأى نفسه غير قادر على المقاومة فقد ذهب إلى خوزستان. و هناك وقعت حرب بينه و بين "المولى مطلب المشعشى" حاكم خوزستان، و انتهت بقتل "مطلب" و احتلال "زكى خان" للأهواز. و منها سار إلى "دزفول يشوش [يشوش]" و "شستر" فاحتلها أيضا.

و استقبلته هناك قبيله "آل كثير" استقبالا حسنا إذ كانت بينهم و بين "كريم خان" خصومه. و لبث فى تلك النواحي مده إلى أن أعوزته الذخيره فاضطر إلى الذهاب إلى "لرستان" فتعقبه "نظر على خان" مبعوثا من قبل "كريم خان" بقوه عسكريه، فكسره و استسلم "زكى خان" إليه. فلما ذهب إلى "كريم خان" عفا عنه.

و يعد "زكى خان" أول من أقدم على زعزعه الأساس من الأسره الزنديه. بل هو سبب انقراضها. فبعد موت "كريم خان" سنة (١١٩٣ هـ) ترك جثته ملقاه على الأرض بلا-دفن ثلاثه أيام انصرف فيها إلى التنكيل بكبار أسره "زند"، و عددهم حوالى السبعين، و نهب أموالهم.

و أمسك بيده زمام أمور الملك يحكم باسم "أبو الفتح خان" و "محمد على خان" ابني "كريم خان". و بعد بضعه أيام أبعده "محمد على خان" و أبقى على "أبو الفتح خان" شاها بالاسم. ثم لم يلبث أن جعل "أبو الفتح خان" قعيد بيته و أجلس "محمد على خان" فى مكانه. و لم يكن لهذا من عمل سوى أن يجلس فى كل يوم ساعتين يتلقى السلام من الناس. أما شئون الملك فأنت كلها فى يد "زكى خان".

و خرج فى أصفهان على "زكى خان" ابن أخته "على مراد خان"، و هو أيضا ابن أخت "كريم خان" الوكيل لأمه. فسار "زكى خان" من شيراز لقتاله. فلما وصل إلى منزل "يزد خواست" قتله بعض أتباعه ليله ٢٨ جمادى الأولى سنة (١١٩٣ هـ). و كان السبب فى قتله ظلمه و كثره سفكه للدماء. فقد جمع أهالى "يزد خواست" و ادعى أنهم يخفون مبلغا من المال و عليهم أدأؤه. فأنكروا ذلك و قالوا إنهم غير قادرين على أداء هذا المال المطلوب. فأمر بإلقاء ثمانيه عشر شخصا من رؤسائهم من فوق سطح الغرفه التى يسكنها إلى الأرض. و لم يكتف بهذا بل أمر بإحضار أحد الساده الزهاد الصلحاء و اتهمه بان مقدارا من المال المطلوب يخفيه عنده، فأبدى هذا المظلوم أدله حاسمه على براءته من هذه التهمه، و لكن "زكى خان" لم يصغ إليه، و أمر بقتله فقتلوه طعنا بالخنجر، ثم ألقوه من سطح الغرفه إلى الأرض، و أمر بتسليم زوجته و ابنته إلى الحرس المافيين. (٢) و لكن هؤلاء، مع قساوتهم و همجيتهم، أنكروا هذا العمل الفظيع، و اتفقوا على قتل "زكى خان". فقتله أحدهم "خان على خان" و هو فى ثياب النوم. و ظلت جثته ملقاه إلى جانب قلعه "يزد خواست" على وجه الأرض بضعه أيام. و عاد "أبو الفتح خان"، و "محمد على خان" و كانا معه فى المعسكر، إلى شيراز و استقل الشاه "أبو الفتح خان" بالحكم و السلطان. و دامت مده حكم "زكى خان" مائه يوم و خمسه أيام. (٣)

زكية بنت الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني.

توفيت بعد سنه (١١٢٦ هـ)، عالمه فاضله فقيهه كاتبه، لم أقف على تاريخ ولادتها ووفاتها إلا أنها ولدت في أصفهان و أخذت المقدمات و العلوم العربيه و فنون الأدب على أمها العالمه الفاضله آمنه بيگم بنت الشيخ محمد تقى المجلسى الأول المار ذكرها و أخوتها الشيخ محمد سعيد المتخلص بأشرفو الشاعر الشيخ محمد حسين و غيرهما ثم تخرجت فى الفقه و الأصول على والدها الشيخ محمد صالح المازندراني المتوفى سنه (١٠٨٠ هـ) صاحب شرح الكافى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى السيد محمد باقر بن السيد محمد صادق الموسوى اليزدى الأصفهانى المتوفى سنه (١١١١ هـ) و رزقت منه ولدا ذكرا هو السيد أبو القاسم.

كانت من فواضل نساء عصرها كتبت شرح الكافى لوالدها الشيخ محمد صالح المازندراني و منه مجلد العقل و العلم فى مكتبه المدرسه الفيضيه بقم تحت رقم ٦١٤ و جاء آخره (... كتبه الأمه الفقيره الحقيره المحتاجه إلى الله الغنى زكية بنت مولانا محمد صالح مازندراني غفر الله له...)(٤).

و يقال إن لها بعض الحواشى و التعليقات على الكتب الفقيهيه، و هى من أسباط الشيخ محمد تقى المجلسى الأول و أسرتها من أشهر الأسر العلميه فى أصفهان و هى عمه زينب بيگم بنت الشيخ محمد سعيد المازندراني الآتى ذكرها.(٥).

زهراء بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملائكة ابن الشيخ محمد تقى ابن الشيخ محمد جعفر ابن الشيخ محمد كاظم البرغانى القزوینی آل الصالحی.

ولدت فى قزوین حدود سنه (١٢٤٠ هـ) و توفيت حدود سنه (١٣٢٠ هـ).

فقيهه مفسره واعظه حافظه للقرآن الكريم، من العابدات الناسكات: أخذت المقدمات و الصرف و النحو و العلوم العربيه و فنون الأدب عن أختها قره العين ثم تخرجت فى الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على والدها الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه (١٢٧١ هـ) و عمها الشهيد الثالث المستشهد سنه (١٢٦٣ [١٢٦٢] هـ) و أخذت العرفان عن عمها الثانى الشيخ الملا على البرغانى و الفلسفه عن الشيخ الملا آغا الحكمى القزوینی و أخيها الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن الشهيد الثالث الذى كان من أعلام عصره

ص: ٢١٨

١- بعد الخلافات و الحروب التى وقعت بين مدعى خلافة "نادر شاه أفشار" نصبوا سبطا للشاه سلطان حسين الصفوى شاهها باسم "إسماعيل الثالث"، و اتصل ب " كريم خان " و جعل نفسه و كيلا- عنه لصغر سنه و تلقب بلقب " و كيل الرعايا " أو " و كيل الدوله ". و من ثم اشتهر باسم " كريم خان الوكيل ".

٢- نسبه إلى قبيله "مافى".

٣- مهدي بامداد.

٤- انظر فهرست نسخه های خطی کتابخانه مدرسه فیضیه قم ج ١ ص ١٥٥-١٥٦ طبعه قم (١٣٩٦ هـ).

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحی.

و رزقت منه الشيخ الميرزا مهدى و الشيخ أبو تراب الشهيدى القزوينى (١) ثم أخذت عن زوجها الفقه و الأصول و كانت تستنبط الأحكام الشرعيه و تتباحث مع زوجها فى المسائل العلميه و تتولى التدريس فى قزوين لفواضل نساء عصرها. (٢)

زوار على خان

ولد سنه ١٢٨٠ فى (مونگیر) محافظه بهار (الهند) كان يجيد اللغه العربيه و آدابها و نظم عده قصائد باللغه العربيه كتب شرحا لنهج البلاغه ناقش فيه كثيرا مما كتبه ابن أبى الحديد. و ترك ديوانين شعريين، أحدهما باللغه الأردويه و الثانى باللغه العربيه.

زوار حسين نوگانوى

ولد سنه ١٣٣٤ و توفى سنه ١٣٩٧ فى نوگانوان قضاء مرادآباد(الهند).

درس فى لكهنؤ فى حوزتها العلميه و فى جامعتها و فى جامعه الله آباد.

و كان يجيد اللغه العربيه و اللغه الفارسيه، و هو شاعر بالأردويه.

أقام فى إفريقيا الشرقيه بمباسا فتره مرشدا عاد بعدها إلى الهند فأقام فى لاهور ثم استقر فى نوگانوان حتى وفاته.

زين العابدين حيدرآبادى بن نثار حسين

ولد سنه ١٣٠٤ فى الهند و توفى سنه ١٣٧٠.

درس أولا على والده، ثم هاجر إلى النجف و تابع دراسته هناك و بعد ذلك عاد إلى وطنه.

له من المؤلفات: أصل الأصول، أصل الميزان، رساله التوحيد.

السيد زين العابدين الملتانى بن ممتاز على

ولد سنه ١٣٠٥ فى گوجگانوان فى الهند و توفى سنه ١٣٨٤ فى ملتانىبالباكستان.

كان جده الأعلى السيد شمس الدين كروديزى الغزنوى قد جاء سنه ٦٠٥ مع السلطان علاء الدين الغورى إلى دلهى فزوجه أخته و اختار له منصبا مناسبا فى حكومته فاستقر فى ضواحي دلهى.

و هكذا انتهى الأمر إلى والد المترجم السيد ممتاز على فكان مقيما فى قريه موهنه من قضاء گوجگانوان فولد له فيها ولده المترجم و تلقى دراسته الأولى على كل من مولانا مظفر على خان و مولانا السيد محمد هارون. ثم انتقل إلى لكهنؤ و انضم إلى مدرسه (سلطان المدارس) حيث درس على علمائها.

و انتقل بعد ذلك إلى مدينه ملتان فكان فيها مرجعا دينيا هاديا، و فيها أنشا مدرسه (باب العلوم) التى قصدها الطلاب من كل

مكان فكانوا يتلقون فيها دراستهم الأولى ثم ينتقلون إلى لكهنو لإكمال دراستهم، و كان يعمل على مساعده الطلاب سواء كانوا في لكهنو أو النجف أو كربلاء أو مشهد الرضا.

كان أثره في ملتان أثرا كبيرا في توجهه [توجيه] أهلها و إرشادهم.(٣)

زينب بيگم عمه الشاه عباس الصفوى الأول

كان لدى الشاه عباس الصفوى ثمان عمات و كانت من بينهن عمته مريم "سلطان خانم" و زينب بيگم ما تزالان على قيد الحياه عند ما أصبح الشاه عباس ملكا على إيران.

و كان الشاه محمد خدا بنده "عبد الله" قد زوج مريم سلطان خانم في بدايه سلطنته من الخان أحمد الكيلانى و كانت مريم خانم في كنف الخان أحمد الكيلانى حتى سنه ألف هجرية.

و في هذه السنه غضب الشاه عباس على الخان أحمد الكيلانى و توجه نحو كيلان و لما لم يكن للخان أحمد ناصر مخلص فقد فر إلى تركيه عن طريق شروان، و قد جىء بمريم خانم بعد فراره إلى قزوین و كانت تعيش في دار السلطان حتى سنه (١٠١٧ هـ)، حيث ماتت في أصفهان - فنقل جسدها إلى مشهد بامر الشاه و دفنت هناك و أعطى بيتها للشيخ بهاء الدين محمد العاملی ليصلى عنها كل يوم خمس مرات، و يقرأ لروحها القرآن.

و لما كانت هذه المرأه أكبر بنات السلطان سنا فقد كان الشاه عباس يسميها العمه مطلقا.

و العمه الأخرى هي زينب بيگم التي تم عقد زواجها على أمير خراسان و حاكم هرات، على قلى خان بامر ابن أخيها الشاه إسماعيل الثانى في شهر رمضان سنه (٩٨٥ هـ) إلا أن الأمير على قلى خان لم يدخل بها. أو كان مقررا أن ترسل زينب بيگم إلى هرات بعد سنه من عقد زواجها، لكن نظرا لما حصل من الاضطرابات و الأحداث بين أمير العراق و أمير خراسان فقد امتنع الشاه محمد من إرسال أخته إلى خراسان ثم أن على قلى خان لم تمض فتره حتى قتل في هرات و لم يتحقق الزواج.

كانت زينب بيگم سيده القصر الملكى في زمان الشاه محمد خدا بنده هو أبيه حمزه ميرزا، كما أنها كانت من أقرب المقربين لدى الشاه عباس، و كان القصر الملكى يدار على يدها في زمانه أيضا... و كان الشاه عباس يستشيرها في أغلب الأمور و يعمل بنصائحها و كانت زينب بيگم تشترك في أغلب المجالس التي تعقد من أجل دراسه وضع البلاد الداخلى و المسائل العسكريه فكان لها حتى في مسائل الحرب و الصلح رأى.

فمثلا عند ما هجم القائد العثمانى جفال أوغلى في شهر جمادى الآخره سنه ١٠١٥ على آذربيجان في جيش يتجاوز المائه ألف، و كانت القوه العسكريه لدى إيران لا تعد شيئا ذا بال أمام هذا الجيش الجرار كان الشاه عباس يرغب في أن يتجنب الحرب و يحترز عواقبها الوحيمه فينسحب بجيشه إلى مدينه تبريز، إلا أن قاده جيشه كانوا على خلاف رأيه كالقائد الله وردى خان و مرچه اى بيگك رئيس المقاتلين فاستشار الشاه عباس السيده زينب بيگم التي كانت معه دائما، فقالت لا بد من محاربه الأتراك و لا ينبغي أن يخاف من كثره جيشهم كما كان الشاه إسماعيل الأول و الشاه طهماسب لا يخافان من كثره

-
- ١- انظر مستدرکات أعیان الشیعه ج ٣ ص ٥ و نقباء البشر فی القرن الرابع عشر ج ١ ص ٢٨-٢٩.
 - ٢- الشیخ عبد الحسین الصالحی.
 - ٣- مطلع أنوار.

جيشهم أيضا و كانا يقهران العدو باراده صلبه و شكيمه قويه فلما رأى الشاه عباس عمته زينب بغض النظر عن قاداته موافقه على الحرب أمر بالهجوم و الصمود بوجه الأتراك فانتصر عليهم فعلا كذلك حين أقدم الشاه عباس فى سنه (١٠١٩ هـ) على بيع الخواجه فصيح اللاهيجانى بثلاثه آلاف تومان على عدوه بهزاد بيگ و وزير گيلان - عنفته عمته زينب بيگم على هذا العمل الشنيع و أمرته أن يمنع بهزاد بيگ من قتل هذا الرجل البرىء كانت زينب بيگم الوحيدة من نساء القصر الملكى التى تحضر فى مجالس الشاه الرسميه و تجلس بين الرجال و كانت مع الشاه عباس دائما فى سفره و حضره و خلوته و فى معسكره و كان لها النفوذ القوى فى السنين الأولى من سلطنه الشاه عباس و قلما كان الشاه عباس يقدم على أمر ما دون أن يستشيرها، بعد ذلك أخذ نفوذها يقل تدريجيا حتى وقع الاختلاف بينها و بين الشاه سنه (١٠٢٢ هـ) و أبعدا من أصفهان إلى قزوین، لكنهما تصالحا سنه (١٠٢٧) و رجعت زينب بيگم إلى أصفهان و عادت ثانيه إلى موقعها فكانت تستشار من قبل الشاه و تظهر رأيها فى مصالح الأمور و مفسدها... و منها أنه لما كان الشاه فى فرح آباد " إحدى مناطق مازندران " يعانى مرضا شديدا و كان مشرفا على الموت و لما لم يخرج من قصره مده طويله، أظهر بعض القاده القزلباشيه تذرهم و أبدوا ما يشير إلى عدم الانصياع إلى أوامر الشاه فأمرت زينب بيگم الشاه أن يخرج ليرى نفسه للقاده القزلباشيه و كانت تمرضه بنفسها و أنذرت أنه ستقع الفتنه و سيقتل ولى عهده...

و عندئذ خرج الشاه عباس فى كرسى سيار من قصره ليراه القاده ثم نقلته من فرح آباد إلى منطقه فيروز كوه التى كانت أحسن هواء و أعذب ماء فأنقذته من الموت المحتوم أيضا و بقيت زينب بيگم بعد موت الشاه عباس معززه مكرمه فى القصر حتى سنه (١٠٤١ هـ) إذ فى هذه السنه أخرجها الشاه صفى ثم قتل من قتل من رجال السلطنه أو أعمى عيون الآخرين و بقيت زينب بيگم بعيده عن السلطنه حتى هلكت سنه (١٠٥١ هـ).

لقد قامت زينب بيگم فى حياتها بنشاطات واسععه فبنت الجسور و عبدت الطرق كما انشأت المستشفيات و دور الاستراحه و أنفقت حوالى مائه ألف تومان أى ما يعادل عشرات الملايين من نقود هذه الأيام و من هذه الأعمال دار الاستراحه فى الطريق ما بين قزوین و ساوه التى تدعى بدار استراحه زينب بيگم.

زينب بيگم بنت الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ محمد صالح بن أحمد المازندراني الأصفهاني

كانت حيه سنه ١١٢٩، عالمه عارفه فاضله أدبيه بصيره بالكلام لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها. أخذت العلم و العربيه على رجال أسرتها و تخرجت فى فنون الأدب على والدها العالم الشاعر المتخلص بأشرف و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ ملا محمد تقى بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد تقى المجلسى الأول ابن الشيخ مقصود على المجلسى الأصفهاني و رزقت منه الفاضله الجليله مريم بيگم التى تزوجها الشيخ محمد تقى بن الشيخ الميرزا محمد كاظم الالماسى المجلسى الأصفهاني المتوفى سنه ١١٥٩ و المترجم فى أعيان الشيعة المجلد التاسع صفحه ١٩٧.

و والد المترجم لها سبط الشيخ محمد تقى المجلسى الأول من آمنه بيگم المار ذكرها توفيت فى أصفهان و دفنت فى مقبره أسرتها آل المجلسى المعروفه ذكرها السيد مصلح الدين المهدي فى ترجمه المجلسى المجلد الأول صفحه ٣٥٣ و قال صاحب

تذكره الأنساب ص ٩٤ كانت عارفه. (١)

السيد سبط الحسن الجائسي بن وارث حسين

ولد سنة ١٢٩٦ في قضاء رائى بريلى بالهند و توفي سنة ١٣٥٤ في لكهنو.

كانت دراسته الأولى في بلده ثم جاء لكهنو فانتفى إلى المدرسه الناظميه، ثم انتفى إلى جامعه البنجاب.

كان أدبياً باللغتين العربيه و الفارسيه، و كان عالماً بالحديث و التفسير و الفلسفه و الكلام، و لقب بخطيب آل محمد.

له ديوانان شعريان، واحد باللغه العربيه و آخر باللغه الفارسيه لم يجمعا و لم يطبعا.

و أورد له صاحب كتاب (مشرق أنوار) هذا البيت نموذجاً لشعره العربى:

و قرطان جوالان كالقلب خافقاً كنجمين بالبدر التمام تعلقاً

و كان أحد ثلاثه عملوا على تأسيس (شيعه كالج) في لكهنو أما الآخران فهما: نواب فتح على خان قزلباش، و النواب حامد على خان.

و كانت له مكتبه كبيره.

من مؤلفاته: ترجمه محيط الدائره في علم العروض، جواهر الكلام (في مجالس التعزیه)، تقديم الأود في مداواه العمده، فرياد [فرياد] (وهي مجموعه قصائده الحسينيه باللغه الأردويه)، هدم الأساس في حديث القرطاس و غير ذلك.

السيد سبط الحسن الهنسى بن فيض الحسن

ولد سنة ١٣٣٣ في هنسوه بالهند و توفي سنة ١٣٩٨ في على كر.

كان محققاً مؤرخاً عالماً في الرجال، و كان عمله على الأغلغ في التحقيق و التنقيح و تولى الأشراف على مكتبه راجا محمودآباد، و على مكتبه جامعه على كر لا- سيما قسم المخطوطات كما كان عضواً في منتدى النشر في النجف و في جمعيه التبليغات الإسلاميه في طهران و (إسلاميك ريسرچ اليوسى ايش) في بمبئى.

له من المؤلفات: تذكره عن أحوال الشهيد نور الله الشوشترى، تاريخ عزاء الحسين، إظهار الحقيقه، كشف الداهيه، إزاحه الوسوسه، الامام جعفر الصادق و نشر العلوم، تاريخ المراثى العربيه، منهاج نهج البلاغه، رسائل و مقالات علميه. و هذه كلها باللغه الأردويه.

و من كتبه التى لم تطبع: الكتب و المكتبات قبل الإسلام (باللغه العربيه)، الكتب و المكتبات في أدوار التشيع (باللغه العربيه)، شهاب ثاقب في شرح ديوان أبى طالب (باللغه الأردويه)، أبو ذر الغفارى، رساله الحقوق للإمام زين العابدين مع ترجمه باللغه

الأردويه. و غير ذلك. (٢)

ص: ٢٢٠

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- مطلع أنوار.

سبط الحسين الجائسي بن رمضان علي

ولد سنة ١٢٨٤ في لکنهو و توفي في جون پور سنة ١٣٧٤.

درس في الهند علي كل من مولانا حبيب حيدر و مولانا محمد حسين بحر العلوم و السيد محمد علي مدرس، و استفاد في الطب من الطيب محمدي.

ثم توجه إلى النجف سنة ١٩٠١ م و إلى كربلاء و سامراء لمتابعه الدراسه، فكان من أساتذته في النجف الشيخ حبيب الله الرشتي و الشيخ علي اليزدي.

و في كربلاء السيد محمد حسين الشهرستاني. و في سامراء السيد محمد حسين الشيرازي.

و بعد رجوعه إلى الهند قام بالتدريس في المدرسه السليمانيه في بته (بهار)، و في المدرسه المنصبيه، كما كان يتعاطى الطب.

له مؤلفات: زواهر الدرر، مشاريع الشرائع (و هو في أصول الفقه)، فرائد الأفكار، عرائس الأفكار، (و هو في الفقه الاستدلالي)، تحفه العلوم، معارج الفقه و غير ذلك.

السيد سبط النبي بن السيد بشير علي

ولد سنة ١٢٩٨ في نوكانوان من قضاء مرادآباد بالهند و توفي فيها سنة ١٣٥٧.

درس أولاً في بلده علي كل من المولوي محمد حسين نوكانوي و الحكيم السيد ظهور الدين نوكانوي، ثم انتمى إلى مدرسه (نور المدارس) فيأمروهه. ثم سافر سنة ١٣٢٤ مع مولانا يوسف حسين إلى العراق حيث درس في كربلاء و النجف علي أعلامهما. و في سنة ١٣٣٢ رجع إلى وطنه، فأسس سنة ١٣٣٣ في نوكانوان مدرسه (باب العلم). ثم انتقل بعد ذلك إلى علي گر فتابع نشاطاته الإسلاميه فيها.

السيد سجاد حسين الزيدي الجونبوري بن محمد حسن.

ولد سنة ١٢٩٦ في بلده جونبور (الهند) و توفي سنة ١٣٧٣.

كان ركنا ركينا في بلده جونبور العلميه التاريخيه. درس في لکنهو ثم في العراق و عاد عالماً عاملاً- أديبا خطيباً، و من أهم إنجازاته تأسيسه (جمعيه صدر الصدور) التي أصبحت (المجلس الشيعي) في لکنهو، كما أصدر مجله (المعالم). و كان شاعراً باللغه العربيه و الفارسيه و الأردويه.

عاش فتره في بلده (تاتباره) إماماً للجمعه و الجماعة فيها، و في شيخوخته انقطع عن الحياه العامه و لزم منزله.

من مؤلفاته: مشارق المشارق (باللغه العربيه)، روضه الرضا، الصراط المستقيم، الاجتهاد و التقليد (باللغه العربيه)، تجلي طور (ديوان شعر)، جلوه طور (ديوان شعر) و غير ذلك.

سعاد حسين

فقيه، مفسر، مؤرخ هندي ولد عام ١٣١٩ و توفي عام ١٤١٠ هـ مولده مدينه سلطان آباد بالهند درس العلوم الدينيه ثم صار مديرا للكلية العربيه الشيعيه بمدينه لكهنو و كان يتقن العربيه و الإنجليزيه - له أكثر من ٥٠ مؤلفا في الفقه و التفسير و التاريخ - من أشهر مؤلفاته كتابه (مصائب الشهيد في عشره أجزاء). (١)

سعد الله سلونى

توفى سنه ١١٣٨ فى الهند.

هو من بلده سلون التابعه لقضاء بريلى فى الهند، و كانت هذه البلده فى زمن الحكم المغولى بلده الفضلاء و الرؤساء و المترجم من أسره عريقه فيها، درس أول الأمر على جده لأمه و على والده. ثم ذهب إلى الحج و زار العتبات المقدسه فى العراق، و حضر فى الدرس على كل من الشيخ عبد الله بن سالم البصرى و الشيخ أحمد نخلى، كما درس عليه بعض طلاب العلم. ثم عاد إلى الهند و استقر فى قضاء (سورت) من محافظه (كجرات) على عهد (أورنك زيب) الذى كان يحترمه و يقدره، و قد وهبه بيتا مستقلا و قريتين من أملاكه.

و قد ورد ذكر المترجم فى كتاب (حقيقه سورت) لمؤلفه (الشيخ بهادر عرف شيخوميان) و قد قال عنه أنه ينتمى فى النسب إلى الامام موسى الكاظم (ع) و أنه كان عالما ماهرا فى العلوم الظاهره و الباطنه و المنطق و الحكمه و الفيزياء و الكيمياء. و له عدده مؤلفات منها: الحاشيه على الحكمه، رساله كشف الحق، رساله جهل بيت (أربعون بيتا).

السيد سعد صالح بن محمد صالح

اشاره

ولد فى النجف الأشرف سنه ١٣١٤ و توفي فى بغداد سنه ١٣٦٨ و دفن فى النجف.

نشرنا نبذا من ترجمته موزعه بين المجلد الأول و الثانى و الثالث من (المستدركات) لأننا لم تجتمع لنا معلومات وافية عن سير حياته دفعه واحده، فكنا كلما وصلنا إلى شىء من ذلك نلحقه بالمجلد الذى بين أيدينا خوفا من ضياعه، و اليوم نجتمع كل الذى عرفنا فى ترجمه واحده ربما كانت أقرب إلى الكمال:

نشا فى النجف فى أسره لها موقعها الاجتماعى النافذ فى شئون النجف مع بعد عن الجو العلمى و أخذ بالتقاليد العشائريه. و كان من الممكن أن يسير فى هذا الطريق و ما يقتضيه من بأس و منعه هو كفو فيهما. و لكن والدته كانت من فضليات النساء ذوات العقل الراجح و الفكر السديد و جهته وجهه أخرى كان من العوامل فيها فجيعتها بمقتل أخيه إبراهيم، و ما لمستته فيه هو من ذكاء و توقد ذهنى، فكان من تأثير والدته أن انصرف إلى الدراسه المعروفه آنذاك فى بلده فدرس الأجروميه و قطر الندى و شرح ألفيه ابن مالك و مغنى اللبيب. ثم حاشيه ملا عبد الله و الشمسيه و المطول و المعالم.

و بانتهاء الحرب العالميه الأولى و احتلال الإنكليز للعراق تجند مع فريق من أتراهه شبان النجف لمقاومه هذا الاحتلال، فكان من أعماله المبكره فى نضال الإنكليز حمله مع الشيخ محمد باقر الشينى و السيد حسين كمال الدين الرسائل الموجهه من مراجع النجف إلى رجالات كربلاء و الكاظميه و البصره، فطاردتهم السلطه و كادت تقبض عليهم مما اضطره إلى اللجوء للكويت.

و بعد قيام الحكم الوطنى فى العراق عاد إلى الدراسه فانتضى إلى دار المعلمين فى بغداد و تخرج منها سنه ١٩٢١ م حيث عمل فى بعض الوظائف

ص: ٢٢١

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الحكوميه. ثم انتمى إلى كليه الحقوق و تخرج منها فعين مديرا لناحية (الجربوعيه)، ثم تنقل في عده مديريات إلى أن استقال سنة ١٩٢٨ و عمل في المحاماه. و في سنة ١٩٣٠ انتخب نائبا فظل ينتخب في المجلس النيابي حتى سنة ١٩٣٦ ثم عين مفتشا إداريا حتى سنة ١٩٣٩ حيث عين متصرفا للواء الحله، و تنقل في عده ألويه حتى سنة ١٩٤٤ حيث استقال و عاد إلى المجلس النيابي في الأول من كانون الأول سنة ١٩٤٤ و في ٢٣ شباط سنة ١٩٤٦ صار وزيرا للداخلية.

كان حيث حل في عمله الادارى (متصرفا) يرتفع بالوضعين الاجتماعى و العمرانى إلى أعلى ما يمكن من درجات الارتفاع و لقد شهدت بنفسى حينما كنت بالعراق و جاء مدينه الحله كيف طور أوضاع المدينه فشق الشوارع و أنشا الجسور و نهض بالعمران و أقام الحدائق المعلقه إلى غير ذلك مما يتعلق بعمله.

و عند ما كان (متصرفا) في لواء المنتفك هدد الفيضان المنطقه بكارثه ماحقه و قد عمل هو بحكم منصبه على الحثول دون وقوع هذه الكارثه.

و استطاع بما اتخذه من تدابير و ما بذله من جهود أن ينجح في ذلك، و نجت المنطقه من الكارثه الفيضانيه المدمره. فرأى فريق من أبناء بلده سوق الشيوخ أن يقدموا له هديه رمزيه هى عباره عن قنطره فضيه ضمن إطار فيه صورته و تحت صورته هذه الأبيات من نظم الشيخ محمد حسن حيدر من أفاضل سوق الشيوخ:

عليك (لواء) الحمد شكرا يرفرف لأنك في دنيا العلى (متصرف)

بحزمك كافحت الحوادث و انجلى عن الشعب ليل بالكوارث مسدف

وقفت أمام الخطب سدا ممنعا و ذا موقف أنى يحاكيه موقف

فله أيام عليك عصيبه تهدد آمالا لنا و تخوف

طغى الماء فيها و السدود ضعيفه و همه أرباب المزارع أضعف

فقاومته حتى تشنى عنانه و كافحته حتى انتهى و هو اعجف

فيا سعد ما زالت خطاك سديده و ما زالت الآمال باسمك تهتف

بك الزرع لاقى من يرق لحاله و لم يرقبلا من يرق و يعطف

أتاك به (سوق الشيوخ) مكرما جهادك فى رمز عن الحب يكشف

يقدمه ذكرى لموقفك الذى سيبقى مدى الأجيال و هو مشرف

و عند ما تخلى عن العمل الادارى بعد أن بلغ أعلى مناصبه و دخل المعترك السياسى و انتخب نائبا فى المجلس النيابى كان

ذلك فتحا جديدا في هذا المجلس بمعارضته و خطبه الفريده التي لم يعهد مثلها المجلس من قبل إذ كان سعد أديبا موهوب و خطيبا مفرها قبل أن يكون سياسيا ناجحا، و بدأت من ذلك الوقت تتكون زعامته الشعبيه. و في أعقاب الحرب العالميه الثانيه، و بعد أن استقر الوضع في العراق، و قد كان الناس خارجين من مضايقات و ضغوط و اعتقالات أعقبت حركه رشيد عالي الكيلاني التي انتهى أمرها في شهر أيار سنه ١٩٤١ م و أعقبتها وزاره جميل المدفعي، ثم وزاره نوري السعيد الذي يقول كاتب عراقي بأنه "شن حمله اعتقالات واسع على من كانوا دعموا حركه الكيلاني حتى بلغ عدد المعتقلين ما بين ٥٠٠-٦٠٠ شخص و هو عدد يعتبر كبيرا في تلك الأيام، و راح السعيد يضيق الخناق على أيه مبادره جماهيريه ذات صفه سياسيه".

في ذلك الوقت كان لا بد من استرداد ثقه الشعب و تهدئه خواطره، بالتدليل على تبدل اتجاهات الحكم، و لأجل الوصول إلى هذا الغرض كان لا بد من اعتماد الرجل الذي يطمئن إليه الناس و يثقون به، فاتجهت الأنظار إلى (سعد صالح) فدعى إلى تولى الحكم، فكان في أول شروطه إطلاق حريه العمل الحزبي، فكان له ما أراد، و تألفت في ٢٣ شباط ١٩٤٦ وزاره توفيق السويدي و تولى وزاره الداخليه فيها سعد صالح الذي كان هو المحرك الفعلي لكل أعمال الوزاره.

و عند ما استقال بعد ذلك و قاد المعارضه داخل المجلس النيابي و خارجه كانت مقالاته خصوصا من أروع نصوص الأدب السياسى.

و عن شاعريه سعد صالح يقول عبد القادر البراك:

كان من جنايه السياسه على الأدب في حياه السيد سعد صالح أن حجبت خطبه و مقالاته السياسيه و تقاريره المعتمده عن مشاكل (المتصرفيات) التي تولى إدارتها، موهبته كشاعر مطبوع كان بمقدوره لو انقطع للشعر أن يقف كتفا إلى كتف بجانب كبار شعراء العراق في مطلع القرن العشرين.

فلقد هيات بيئه النجف الشعريه (سعدا) لأن يكون في عداد شواه الشعر، كما أن ملكاته المتعدده قد جعلته قادرا على أن يودع عواطفه الجياشه و معانيه الرائعه و تطلعاته الوطنيه و القوميه في قوالب من الشعر تميزه عن سواه من شعراء الفتره التي لمع فيها اسمه بين رواد الأب [الأدب]، فلقد قصد القصائد المطوله فكانت ديباجته فيها معيده للأسماع و القلوب الديقاجه العباسيه التي تلت مدرسه الشريف الرضى، و نظم الأناشيد و الموشحات في مختلف الأغراض الوطنيه و الوجدانيه فكان خاتمه أمثاله بين كبار الوشاحين على قله ما هو ميسور من نظمه و نثره.

و لقد سبق لى أن نشرت فصلا صافيا عن شاعريه سعد صالح في جريده الحريه في الخمسينات، و لقد صح عزمى على الإفاضه فيما كنت مستعينا بما وقفت عليه من قصائده و أناشيده، و ما استقر في ذهنى من آراء و أحكام به و بآرائه.

و إلى أن يحين الوقت لظهور هذه الدراسه لا بد لى من أن أطرف القراء بقصيده هي واحده من آثار عراقيه كثيره حفلت بها خزانه الأستاذ مصطفى على بعث بها إليه سعد صالح من الكويت أثر مهاجرته إليها بعد أن أجهض الاستعمار البريطانى و أعوانه ثوره ١٩٢٠ الخالده و شرعوا بمطارده الأحرار الذين ساهموا فيها و كان الشاعر في الطليعه منهم.

ذلك أن السيد سعد صالح كان طالبا في دار المعلمين، فلما اندلعت الثوره غادر مقاعد الدراسه ليحتل موقعه في خنادقها صادحا

بشعره باهدافها و مقاصدها التحرريه، و مساهما بالكفاح الفعلى فى صفوف المجاهدين، و قد أدى دوره كاملا، و لكن ملاحظه السلطات له و لإخوانه المناجيد المساعير اضطرته إلى الفرار مما كان ينتظره لانتقام أصاب الكثيرين من أمثاله.

و من الكويت البلد الذى اختاره منفى له شرع الشاعر بإرسال حممه و شواظه متاججه نشر بعضها فى الصحف الناطقه بلسان القوى الوطنيه و لم يكتب لبعضها الآخر أن يأخذ طريقه إلى النشر. و هذه القصيده يغنى نصها عن التعريف بها و عما اشتملت عليه من مميزات و خصائص الشاعر الوطنى المطبوع الذى عانى التجربه شعورا و عملا، و أداها أحسن ما يكون الأداء فى شعر صادق التعبير و الدلاله و الإيحاء هو شعر سعد صالح:

ص: ٢٢٢

فؤاد كله كمد و عين كلها شهد
و آلام مبرحه و عيش ما به رغد
و آمال مضيعه و عمر كله نكد
و دمع هاتن وحشا تكاد لظاه تتقد
جوى يبكى الجماد دما فكيف تطيقه كبد
و أشجان يكابدها غريب الدار مبتعد
فتى تقتاده الأسفار حتى مله القتد
إذا ما شافه بلد دعاه إلى الشقا بلد
تحرير أين حل الرحل حل الطالع النكد
فليس يفيدته جزع و ليس يفيدته جلده
فكم من مهمه قذف يضل بعرضه الرشد
تروح به مطيته تخب و ناره تقد
يفتش هل يرى أحدا و ليس لعينه أحد
فلا عين و لا أثر و لا عير و لا وتد
و لا شاه و لا نعم و لا طنب عمد
و كيف العيش تقربه و عنه الوحش يبتعد
فلا كلاً به ترعى و لا ماء به ترد
فدافد لا أنيس بها يثيب لهولها الولد
يهاب الوحش وحشتها و يجزع عندها الجلد
و نعم الأرض تلك لو أنه أثرا بها يجد

و يرعى الوحش فيها و هو مفترق و متحد
يبغم فى الكناس رشا و يزأر فى الشرى أسد
و ليل طال حتى خلت ليس لطوله أمد
و قد وقفت كواكبه و ملء عيونها رمد
و حار دليل أنجمه فضل العلم و الرصد
كان الليل تيار و شهب نجومه زبد
و كان سحابه سفن تعوم و أهلها رقدوا
بواخر فى بواطنها لظى للبرق تتقد
إذا عصفت بها ربح تروح و شملها بدد
و إن زفرت بصوت الرعد خلت الأفق يرتعد
فخضت عباب لجته و قلبى خانه الجلد
على زيافه من سيرها تجد الذى أجد
قتاد الأرض يؤلمها و يؤلم جسمى القند
كلانا فى السرى دنف يغالب سقمه الجسد
تخاطبنى إلى كم أنت فى الظلماء منفرد
أ تقضى العمر بالسير الحثيث و ليس تتد
ترى لا تنتهى الأسفار حتى ينتهى الأبد
غدا يا سعد قلت و هل لليل البائسين غد
أ راحتى و فى كبدى تعيث من الهموم يد
و لى أمل غدا أمل له فى أضلعى و قد

دعى فندى فحسب الصب من عداله الفند

ساقضى فى الفلا عمرى فليس يروقنى بلد

سئمت العيش فى وطن يضام، بذل، يضطهد

محته يد القضاء فراح لا روح ولا جسد

عفت تلك الربوع فلا قديمات ولا جدد

رياض صدحت و مها ذعرن و مجمع بدد

مرايض فى الحمى لم يبق من آسادهأ أسد

ربوع غير سرح الوحش لا ياوى لها أحد

دموع تستفيض على دماء ما لها قود

خطوب لو دعت أحدا لساخ بعبئها أحد

و تاريخ نظم هذه القصيده هو ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٣٩ و من طرائفه الشعرية قوله مداعبا صديقا له اسمه نافع:

و قال من قصيده، و الذين عرفوه يعرفون كم هو صادق فيما يقوله فى هذه الأبيات:

أنا الصريح بودى حين أمحضه فلا نفاقا و لا كذبا و لا ملقا

و لا يغيرنى عن صاحبى أبدا به الزمان لسعد سار أم لشقا

سيان حالاه من عز و من ضعه فليتخذ سلما أو يتخذ نفقا

و إننى أغفر الزلات إن صدرت من الصديق الذى فى وده صدقا

ذى شيمتى لا أبالى من نتائجها أ سميت رشدا أم سميت حمقا

لا تتخذ غير لون واحد أبدا كن أسودا حالكا أو أبيضاً يققا

و من شعره ما قاله فى مرضه الطويل الذى توفى فيه، و ذلك قبل أسبوعين من وفاته، حيث نظم قصيده يرثى بها نفسه بلغت نحو

ستين بيتا بقول فيها:

أ بوارق الآمال و الآلام لوحى لعلك تكشفين ظلامى

فلقد بدا شبح الهموم على الدجى حلكا ركاما قام فوق ركام

يوحى إلى نفس الكئيب كآبه خرساء تخلع مهجه الضرغام

متوسطا شبحين ذاك لمحنه الوطن الأسير و ذا الفرط سقام

فلعلتى شبح رهيب كالردى و لموطنى شبح جريح دام

و لقد بدأ نجم سعد يتالق منذ قيادته للمعارضه بعد استقالته من وزاره الداخليه، و برز زعيما شعبيا وطنيا تلتف حوله الجماهير و تعقد عليه الآمال الكبار، و بينا هو يخطو خطواته الأولى فى زعامته إذ تسلط عليه مرض عضال أعيا أطباء العراق، فقصد أطباء أوروبا فعجزوا عن معالجه فعاد إلى العراق، و قد أخذ يذوى يوما بعد يوم حتى توفاه الله فكان يومه فى العراق يوما مشهودا.

و قال فى مطالع شبابه سنه ١٣٣٨، و أرسلها إلى بعض أصدقائه، و كأنه بهذه القصيده يعلن منهجه لمستقبل أيامه من تقويم المعوج فى الحياه العامه، و بلوغ العلى، فهو حين يقول:

فسوف أثقف معوجه بماضى العزيمه بتارها

كان حقيقا بهذا القول، إذ استطاع بعد حوالى ربع قرن من هذا الوعد استطاع أن يثقف المعوج حين كان لا بد من تكليفه بوزاره الداخليه، فرفض قبول المنصب إلا- بشرط إطلاق حربه تشكيل الأحزاب السياسيه، فكان له ما أراد. و قبل ذلك كم ثقف من المعوجات فى المدن التى تولى إدارتها.

ص: ٢٢٣

و حين قال:

و إن كتم الدهر عنى العلى ساكشف غامض أسرارها

كان أيضا حقيقا بهذا القول، فقد كشف غامض أسرار العلى و صار الزعيم الشعبى المرموق الذى نعقد عليه الآمال، و تحوم حوله القلوب:

وقفت بطامس آثارها فهاج الجوى نوح أطيارها

ربوع قد أغبر منها الأديم حدادا على فقد أقمارها

وهب عليها شديد السموم فاطفى مشرق نوارها

فحن الفؤاد لسكانها حنين الطيور لأوكارها

عهدت معاهدها جنه تفوح روائح أزهارها

مراح الجاذر فى قاعها و برج الكواكب فى دارها

رياض يغرد فيها الهزار فيرقص ناصر أشجارها

و يشجيك فيها حفيف الغصون بأوراقها و باثمارها

تصفق أوراقها للطيور إذا ما تغنت باشعارها

و تثنى موائس قاماتها لتلثم طافح أنهارها

كان النسيم أفاض المياه فتهوى لتقبيل تيارها

كان جداولها بالخيرير تناجى الزهور بأسرارها

تحاول ضرب محيا النسيم لتأخذ بالضرب فى ثارها

ليال حلت و صفا جوها فجد الزمان بإمرارها

أ أحمد ان جار صرف الزمان و شاب الحياه باكدارها

فسوف أثقف معوجه بماضى العزيمه بتارها

و إن كتم الدهر عنى العلى ساكشف غامض أسرارها
و تعذل نفسى اما صبت لأوطانها و لأوطارها
تقول عشقت الربى و الطلول و همت بدارس آثارها
و ما شغفى بتراب الربى و لكن بأجسام عمارها
تذكرنى غر آثارهم فيخفق قلبى لتذكارها
سلام عليك هضاب العراق منار العلى برج أنوارها
فوا لهف نفسى كيف الخطوب تشق حشاك بيتارها
و تهجر أرضك تلك العلوم و قد كنت كعبه زوارها
عزيز على الحر تلك البلاد يراها رهينه قهارها
أ أحمد قف بضواحي العراق و ناد بواصل أحرارها
إلى كم تكابد مر الهوان و تطوى الضلوع على نارها
أ تغضى على الضيم أجفاننا و تشقى البلاد باغرارها
و تعبت فيها أكف البغات و تقطف طيب أثمارها

من مراثيه

قال السيد محمد جواد الصافى من قصيده:

كل تمنى لو يموت و تسلم - يا سعد - لكن القضاء محتم
خابت أمان كنت أنت رجاءها فبكل قلب بعد فقدك ماتم
سالت دموع الرافدين دما فما قدر الدموع من النواظر تسجم
أردى الردى سعدا فما هو بعده صرح الفضيله و العلى متهدم

إن كان أحرصنى المصاب فهذه آثارها عن مجده تتكلم

أعيا اللسان رثاؤه حتى غدا و - هو الفصح - بنطقه يتلثم

أفستطيع بان يعد مكارما هي كالنجوم و هل تعد الأنجم

فأحلت تعبير الأسى لمدامعى و النطق للعبرات إن صمت الفم

عقم الزمان فلم يلد كمثيله (سعدا) به تهنى البلاد و تنعم

ما زال ينفخ روحه بشبابها حتى رآه بعزمه يتقدم

لله من بطل تسامى رفعه فغدا لكل فضيله يتسلم

كم كان يهتف بالشباب تقدموا نحو العلى و عن المنى لا تحجموا

طال الرقاد فهل لكم من يقظه لن تدرك العلى و أنتم نوم

كم ذا تعاون القيود و أنتم الأحرار فانتزعوا القيود و حطموا

تهنا بليل فى السياسه حالك فمتى ترى ينجاب ليل مظلم

هذى فلسطين الشقيقه أصبحت بين الأعدى كالغنيمه تقسم

و إذا نظرت إلى البلاد تجد بها ما يستفز العاطفات و يؤلم

عيش مرير لا يطيب و هل ترى يوما يطيب لآكله العلقم

هذا يبيع بدرهم وجدانه فتساويا وجدانه و الدرهم

يا سعد هذى نفثه قد بثها من لم يطق الشكاه و يكتم

و قال الشيخ عبد المنعم الفرطوسى من قصيده:

صريح و نصل السيف حد لسانه إذا فاه لا يبقى لمكونه ستر

يناضل عن حق صريح مضيع لامته قد بزّه المعتدى جهرا

فطورا يرينا الدر من فمه جمرا و أخرى يرينا الجمر من فمه درا

جرىء، حنان الليث بين ضلوعه لأمته فى كل آونه يضرى
له نهضات لم يسعها مجالها و لو وجدت وسعا لضيق الدهرا
سيرتيك تاريخ مجيد تشرفت باعمالك الغراء صفحته الغرا
و حريه للفكر حطمت قيدها جهارا فحررت الصحفاه و النشرا
حياتك فى دنيا المفآخر هاله معاليك تبدو حولها أنجما زهرا
ملكيت قياد الأمر غير مساوم فما ملكيت كفاك حقلا و لا قصرا
و آثرت أن تحيا عزيزا بنا حرا و قد صنت إكبارا ضميرك أن يشرى
وداعا أبا الأحرار و الشعب واجم و كل عيون الشعب من شجن عبرا
وداعا أبا الأحرار لا عن ملاله و عز على الأحرار أن يبعد المسرى
و فيك المعزى بعد فقدك موطن جميع قلوب المخلصين به حرى
و قال السيد جواد شبر من قصيده:

بملكك حق تفتخر البلاد و مثلك من له يلقى القياد
علوت بهمه تسمو بنفس تضيق بشاوها السبع الشداد
أصخ لى لست مداحا و إنى لأسام من مديح يستعاد
و لكننى وقفت أخط درسا له أعمالك الجلى مداد
و اجعل فيك نبراسا منيرا متى استهدوا به سعدوا و سادوا
سلوا قبرا طوى سعدا أ يدرى طوى بطلا عليه الاعتماد
طوى أمل البلاد أ ليس حقا يقام لمثله هذا الحداد

مشى التاريخ يطوى الناس حتى رآك فقال هو المراد

تمثلت الصراحه فيك شخصا فلا يثنى عزيمتك ارتداد

تسير بمبدأ صلب النواحي و تقتاد الجبال و لا تقاد

و قال السيد محمد جمال الهاشمى من قصيده:

يا ابن الغرى عليك انثر دمه خرساء عن آلامه نتكلم

أوحى إليك رساله روحيه فى لفظها معنى الإباء مجسم

نزعت سمعته عن التهم التى يعيوبها التاريخ غيرك يوصم

حتى خلقت من العزائم قوه عنها أحابيل السياسه تحجم

و قال السيد سعيد كمال الدين مؤرخا وفاته:

أبا لوى و الحياه ذميمه و النور فى عينى أصبح غيها

ذا جسمك الزاكي تغيب فى الثرى أم أرخوا (سعد العراق تغيبا)

السيد سعيد الدين بن رفيع الدين غريب

ولد سنة ١٢٣١ فى بلدة شاه جهان پور بالهند و توفى فيها سنة ١٣١٦ درس أولا فى بلده، ثم ذهب للدراسه إلى رام پور.

تولى عده مناصب ثم انشغل فى آخر حياته بالإرشاد و التبليغ.

له من المؤلفات: حديقه المنطق، الرياضيات، الموسيقى، حواشى حمد الله.

الشاه سلطان حسين الصفوى.

الشاه سلطان حسين الصفوى أكبر أبناء الشاه سليمان الصفوى، و واحد من أتفه و أبله الشاهات الذين حكموا إيران.

أهم حادثه وقعت فى أيام حكمه ثوره قبيله "غلجائى" الأفغانيه فى "قندهار" على الحكومه المركزيه. بل إن هذه الحادثه تعد من أهم الوقائع فى تاريخ إيران كله. و قد انتهت بخلعه ثم قتله و قتل أبنائه، و أدت بايران إلى الخراب.

و خلاصتها أن الأمراء الصفويين اختاروا في سنة (١١٠٥ هـ) لعرش إيران سلطان حسين هذا، خلافا لوصيه أبيه الشاه سليمان.

و في سنة (١١٠٦ هـ) أرسل "جرجين خان" الكرجي الملقب بـ "شاه نواز خان" إلى "قندهار" حاكما عليها.

و العادة، بصوره عامه، في الشرق، و لا- سيما إيران يوم ذاك، أن لا- يحسب في توليه الناس الأعمال حساب لكفاءاتهم و صلاحهم للعمل، و لا يلاحظ ما يمكن أن يترتب على خصائصهم و صفاتهم من نتائج و عواقب.

و من نماذج ذلك إرسال "جرجين خان" هذا حاكما على "قندهار". فقد كان نصرانيا، و أهل هذه المدينة مسلمون من أشد المسلمين تعصبا. و كان إلى ذلك، كأكثر موظفي الدوله، ظالما طماعا متعديا. و مرت خمس سنوات على حكمه في "قندهار" لم تغير شيئا من صفاته و أخلاقه، حتى هجر أهالي "قندهار" فأرسلوا في سنة (١١١١ هـ) "مير ويس" الهوتكي (١) أحد زعماء قبيله "غلجائي"، و كان امرأ محنكا شديد الذكاء، مندوبا عنهم إلى الشاه سلطان حسين الصفوي يرفع إليه ظلامتهم و يطلب إنصافهم.

و ذهب المندوب إلى أصفهان العاصمه، و لكنه لم يستطع أن يوصل الظلامه إلى الشاه المهمل السخيف. و كانت الأمور في إيران مختله اختلالا- شديدا لوجود هذا الشاه و فساد أبنائه و أمراء بلاده الساعين وراء منافعهم الخاصه المختلفين المتنازعين و لنفوذ بعض الروحانيين المتهاكين على طلب الدنيا و مقاماتها الرفيعه. فأيس "مير ويس" من الوصول إلى غايته و غادر أصفهان إلى مكه، فادى فريضه الحج ثم عاد إلى أصفهان و عاود في سنة (١١١٢ هـ) التظلم إلى البلاط، فلم يهتم به أحد من أولياء الأمور.

و إذ رأى أن أوضاع المملكه و شؤون البلاط الملكي لا- تنفك تزداد سوءا على سوء عاد إلى "قندهار" خائبا غاضبا، و روى لأبناء طائفته "هوتك" و سائر رؤساء قبيله "غلجائي" ما رأى من أوضاع إيران و فسادها، و تواطؤوا على التمرد على حاكم "قندهار" و على الحكومه المركزيه. و أطلع جماعته، في أثناء ذلك، على فتاوى حصل عليها من علماء أهل السنه في مكه بكفر الشيعه، يحرضهم بذلك و يشجعهم على الثوره. و ما زال بهم حتى أقدموا على قتل "جرجين خان". ثم جمع حوله أبناء طائفته و أبناء سائر الطوائف الغلجائيه و أعلنوا العصيان و التمرد على الدوله.

أما بلاط الشاه سلطان حسين فضل، كدأبه، غافلا و تلقى عمل "مير ويس" بالإهمال و اللامبالاه. و هذا لا ينفك يتقوى شيئا فشيئا حتى استخلص "قندهار" من يد الموظفين الايرانيين و سيطر عليها، و أوقع بجميع العساكر الايرانيين الذين كانوا في "قندهار" و أطرافها مذبحه عامه.

و حيثئذ - و قد بلغ "مير ويس" شاوا بعيدا من الاقتدار - تنبته الحكومه المركزيه بعض الشيء من غفلتها و أرادت أن تدفع شره عنها.

فأرسلت إليه رسولين، واحدا بعد الآخر، بقصد إرضائه و إقناعه بالدخول في طاعتها. فاهملها "مير ويس" لا- يعتنى بهما و سجنهما كليهما.

فلما أيست الحكومه المركزيه منه أمرت حكام خراسان بتسيير جيش إلى "قندهار" لمحاربتة و إخضاعه. فساروا إليه و لكنهم عجزوا عن أن يصنعوا شيئاً إذ أنه هزمهم هزيمة شامله و أوقع بهم خسائر جسيمه، فعادوا عن "قندهار" إلى مواقعهم.

فأرسلت الحكومه المركزيه إلى محاربتة "خسرو خان" أو "كيخسرو خان" والى كرجستان و ابن أخى "جرجين خان"، و أطلقت يده بان يصنع ما يشاء من أجل إخضاع "مير ويس". فسار إليه و أجاد الحرب حتى تفوق على "مير ويس" و اضطره إلى طلب الصلح و قبول التسليم و وضع "قندهار" فى تصرفه. و كان ذلك فى سنه (١١١٤ هـ). فرفض "خسرو خان"، و كان، على شجاعته، غير خبير بالسياسه، و أصر على أن يكون تسليم "مير ويس" بلا قيد و لا شرط.

فلما رأى المحصورون أنفسهم فى هذه الضيفه استماتوا فى الدفاع و ثبتوا فى وجه "خسرو خان" ثباتاً عظيماً، و استطاعوا أن يقطعوا على عسكره طريق التموين، حتى هزموه هزيمة شنعاء، بلغ من شدتها أنه لم يعد إلى إيران من

ص: ٢٢٥

١- نسبه إلى "هوتك" أحد فروع قبيله "غلجائى".

عسكره، و عدته خمس و عشرون ألفا، غير سبعمائته جندي، و قتل أيضا " خسرو خان " نفسه. و كان ذلك في سنه (١١١٦هـ).

فأرسلت الحكومه الإيرانيه بعده " محمد زمان خان "، فقتل أيضا في هذه الحرب، أو مات حتف أنفه. و زادت هذه الانتصارات " مير ويس " قدره على قدره، و أصبح حاكما على " فندهار " حكما كاملا مستقلا مقتدرا.

و لم تستطع الحكومه المركزيه أن تصنع شيئا. ثم توفي بعد ثماني سنوات من حكمه في سنه (١١٢٠ أو ١١٢١هـ). (١)

و خلفه من بعده أخوه " عبد الله "، و قيل اسمه " عبد العزيز "، فأراد الدخول في طاعه الحكومه المركزيه، و لكن رؤساء " غلجائي " لم يقبلوا.

و بعد انقضاء سنه من حكمه كان " مير محمود " ابن " مير ويس " قد بلغ الثامنه عشره من عمره، فحرضوه على قتل عمه فقتله و خلف أباه في حكم " فندهار " سنه (١١٢٢هـ).

و كان محمود هذا و مشاوروه على اطلاع كامل على أوضاع بلاط الشاه سلطان حسين و أحواله، عارفين بما يشغل أولياء الأمور فيه، أولئك الأولياء الفاسدين، و أن أبعد شيء عن خواطهم هو الاهتمام بحفظ مملكتهم و حراسه حدودها و ثغورها.

و إذ كان " مير محمود " ينوي احتلال إيران و الاستيلاء على أصفهان، فقد بدأ بالقضاء على منافسيه واحدا واحدا. و كان منهم " أسد الله خان " رئيس قبيله " أبدالى ". (٢) و كان هذا أيضا قد خرج على الحكومه المركزيه، و استخلص مدينه " هرات " من يد عمال الشاه سلطان حسين و فصلها عن إيران، و أصبح حاكما مستقلا متسلطا عليها. فغزاه " مير محمود " و حاربه و قتله.

و أراد محمود أن يخدع الحكومه المركزيه، فأرسل، بعد قتله " أسد الله خان "، رساله إلى الحكومه المركزيه تظاهر فيها بأنه إنما فعل ما فعل خدمه منه الدوله، و أنه يعد نفسه أحد رعاياها المطيعين، حتى أنه عبر عن نفسه في الرساله بكلمه " كلب الشاه " إذ ضمنها هذا المصراع " كلب الشاه قد افترس الأسد ".

و صدق المسئولون في الدوله كلامه، و أرسلوا إليه جوابا على رسالته و مرسوما بتثيته و سيفا مرصعا، و خاطبوه في الجواب باسم " حسين قلى " (٣) و لقبوه بلقب " الصوفى الصافى الضمير ".

و من ثم اطمأن خاطر أولياء الأمور في أصفهان من جهه " مير محمود " و استمروا، كدأبهم، في الغفله و إهمال أوضاع المملكه. و في تلك السنه (١١٢٢هـ) استولى محمود على " سيستان ". أما بلاط الشاه سلطان حسين فقد كان يومئذ تحكمه الدسائس و الخلافات و الأغراض الشخصيه، حتى عجز رجاله عن اتخاذ قرار معين واحد. فان اتخذ فريق قرارا نقضه فريق آخر. و الشاه في كل حال لا ينفك يردد " يقع ما هو مقدر ".

و بعد احتلال محمود لسيستان سار في سنه (١١٢٣هـ) قاصدا أصفهان من طريق كرمان و يزد بشمانيه آلاف جندي، و قيل عشرون ألفا، و قيل أربعون ألفا. و إذ لم يجد في طريقه حائلا و لا رادعا فقد تابع التقدم حتى بلغ في أواخر تلك السنه حوالى أصفهان. و في السنه التى بعدها احتل " جلغا "، و قطع على الأصفهانيين طرق التموين كلها. ثم دخل قصر " فرح آباد ".

و تقاطر الناس إلى المدينة من الأطراف حتى اكتظت أصفهان بالسكان فوقعوا نتيجة حصار المدينة في ضيقه عظيمه و أعوزهم الطعام و فشا فيهم المرض، حتى مات أكثرهم من الجوع و من المرض، و لم يبق فيها غير قليل من الناس. و كان "طهماسب ميرزا" ابن الشاه سلطان حسين و ولي عهده قد فر من أصفهان حين حوصرت و ذهب إلى قزوین يطلب المدد. و لكن لم يصل منه خبر إلى أبيه. و من ثم أيقن الشاه سلطان حسين أنه أصبح غير قادر على شىء. و اضطر إلى التسليم، فخرج من أصفهان مع جماعه من البلاطيين و ذهب إلى "فرح آباد" حيث يقيم محمود. و هناك نزع التاج عن رأسه و وضعه على رأس محمود. و دخل هذا أصفهان بعد ما فعل فيها الأفاعيل و جلس على أريكه الملك باسم الشاه محمود في مكان الشاه إسماعيل و الشاه عباس الكبير، بسبب تفاهه الشاه سلطان حسين و سخافته و فساد الرؤساء و خيانتهم. و أصبح شاهها على قسم من إيران و بلاد الأفغان. و يقول كثير من المؤرخين إن "طهماسب ميرزا" ولي العهد أقام لنفسه عرسا في قزوین في مساء ذلك اليوم الذى استسلم فيه أبوه! و أمر محمود، بعد الاحتفال بتنصيبه، بسجن الشاه سلطان حسين في إحدى العمارات الملكيه. و ظل مسجوناً ست سنوات، و سجن أبناءه و عددهم ٣٩ أميراً، و قيل ٣١، و سجن من الرؤساء و رجال البلاط ١١٤ رجلاً. و فى أواخر أيام حكمه قتلهم كلهم.

و تغيرت حال محمود، ذلك الرجل الشجاع المحارب الجرىء السفاح، و اختلت شئونه في تلك الحقبة، في أواخر أيام ملكه، حتى بلغ به الأمر إلى أن جن جنونا شديداً، لكثرة ما قاسى من مشقات العمل و ما سفك من دماء. و ارتأى كبراء قبيله "غلجائى" نصب "مير أشرف" ابن عمه "مير عبد الله" ولياً للعهد، فلم يقبل محمود و لكنهم خالفوه و استدعوا "مير أشرف" من "قندهار" و نصبوه ولياً للعهد.

و بعد انقضاء بضعة أشهر من ولايته قتل ابن عمه محموداً انتقاماً لأبيه "مير عبد الله" الذى سبق أن قتله محمود. و جلس على العرش باسم "أشرف سلطان".

و كانت مده ملك محمود سنتين و سبعة أشهر و سنة يوم قتل ٢٧ سنة أو ٢١ أو ٣٣ أو ٣٤ على خلاف فى أقوال المؤرخين.ن.

ص: ٢٢٦

١- يقع قبره خارج مدينة "قندهار"، و هو اليوم مزار يقصده الناس.

٢- قبيله "غلجائى" و قبيله "أبدالى" هما أكبر القبائل الأفغانيه. و كانت بينهما عداوه شديده فى تلك الأيام.

٣- "قلی" معناها "عبد" أو "خادم". كان شاهات إيران يمنحونها لقباً مضافاً إلى أسمائهم لمن يريدون تكريمه و اعتباره من خواص الشاه و أقرب المقربين إليه. و معنى اللقب: خادم حسين. أو: عبد حسين.

و كان "أشرف" على شاكلة محمود فى صفاته، إلا أنه أعقل و أحسن تدبيرا فى السياسه منه. و لما وصل إلى العرش كان أول شىء فكر فيه أن يقبض على الشاه طهماسب بالخدعه و يقضى عليه. فأرسل إليه رساله قال له فيها إن مقام الملك هو لك و للأسره الصفويه. فعجل بالقدوم إلى أصفهان و أجلس على تخت السلطان فهو إرث لك، و تفضل على بالقبول بان أكون بعض خدمك. و أوشك طهماسب السكير اللاهى أن ينخدع بكلامه فيصدقه. و لكن حاشيته منعته من الذهاب إليه.

و اختلت الأوضاع فى إيران فى تلك الأيام و بلغ الاختلال أقصى حده، من قتل و سلب و نهب. و انتشر الوباء فى نواحى طبرستان و جيلان على مدى عشر سنوات و مات خلق كثير لا يحصى. و بعث قيصر روسيا بجيش جرار عن طريق البحر فاحتل أكثر بلاد جيلان و أهمها.

و خرج ثمانية عشر رجلا- فى نواحى مختلفه من إيران، يدعى كل منهم لنفسه منصب الملك و الرئاسة، و لكل منهم جيش و حشم يحسب حسابهم.

و فى تلك السنه (١١٣٧ هـ) عقد الروس و العثمانيون معاهده فيما بينهما اتفقا فيها على تقاسم إيران، و بادر كل منهما إلى احتلال حصته منها.

و سيطر أشرف على فارس و كرمان أيضا. و عزم على احتلال سائر النواحى.

و من جهه أخرى طمع العثمانيون فى احتلال أقسام أخرى من أرض إيران غير القسم الذى احتلوه. فانحدروا نحو أصفهان سنه (١١٤٠ هـ) بحجه أنهم يريدون إطلاق الشاه سلطان حسين من الحبس و نصرته.

فلما وصل أحمد باشا قائد الجيش العثمانى إلى همذان و أراد احتلالها، هب الهمذانيون إلى الدفاع عنها، فحاصرها العثمانيون و ثبت الهمذانيون فى مقاومتهم بكل شجاعه. و لكن كان المدد مقطوعا عنهم، يقاومون و حدهم بلا عون، و كان الجيش العثمانى مجهزا كامل التجهيز و عدته أكثر من مائه ألف جندى فانتهت الحرب بانكسار الهمذانيين و دخول العثمانيين إلى المدينه، فاقوعوا بأهلها مذبحه عامه استمرت ثلاثه أيام حتى أبادوهم، إلا قله ضئيله استطاعوا الفرار و تفرقوا فى مختلف النواحى. و وقع القتلى بعضهم فوق بعض حتى انسد بعض الشوارع بأجسادهم فلا يستطيع العبور منها. كان الهمذانيون يرابطون فى مداخل الأزقه يدفعون العثمانيين عنها، فإذا سقط أحدهم قتيلا حل فى مكانه آخر، و هكذا كانت الجثث تتراكم حتى طال تراكمها فى بعض الأماكن أعالى الجدران.

فى تلك الأيام أوقع العثمانيون كثيرا من الظلم بايران فى همذان و فى غيرها من النواحى التى احتلوها. و لم يكن تعديهم و تخريبهم أقل مما فعله الأفغانيون.

أما "أشرف" فإنه لما علم بتحرك العثمانيين بادر إلى الذهاب إلى "كلبايگان"، و استطاع أن يكسرهم و يوقف تقدمهم على نحو حاسم.

و أراد أن يجرّد العثمانيين مما يتعللون به من حجه إنقاذ الشاه سلطان حسين من السجن - و كان أحمد باشا قائد الجيش

العثماني قد طلبه من أشرف - فأمر أشرف في تلك السنه (١١٤٠ هـ) بضرب عنق الشاه و أرسله إلى أحمد باشا.

و إذا رأى العثمانيون أنهم لم يحصلوا على تقدم في هذه الناحيه فقد صالحوا "أشرف" على أن يكون غرب إيران للعثمانيين و شرقها لأشرف، و اعترفوا رسميا بملكيه أشرف في إيران.

لقد حكم الشاه سلطان حسين تقريبا ثلاثين سنه كانت وبالا على إيران. و قد بلغ هذا الشاه من التفاهه و البله إلى أن صار اسمه لقبلا يزال حتى اليوم يوصف به البلهاء التافهون و المغفلون المضيعون.

حملت جنازته إلى مدينه قم و دفن إلى جانب قبر أبيه الشاه سليمان الصفوى. (١) و (راجع: نادر شاه).

سلمان الأنباري بن حسين

ولد في الكاظميه و نشأ فيها و قرض الشعر، و نشر الكثير منه في مجله المرشد التي كانت تصدر في بغداد و في غيرها من المجالات.

كان خطيبا حسينيا مجددا و له مؤلفات بقيت مخطوطه، منها: بنات الإسلام، شرح ميميه الفرزدق في علي بن الحسين (ع)، عباقره الأنباريين.

توفي سنه ١٣٩١ عن ثمانين سنه و دفن في النجف.

الشيخ سلمان الخاقاني ابن الشيخ عبد المحسن

ولد في مدينه (سوق الشيوخ) بالعراق سنه ١٣٣٢ و توفي سنه ١٤١٠.

و كانت دراسته الأولى على والده ثم قصد النجف سنه ١٣٤٥ فدرس على أعلامها ثم اختص بالسيد أبو القاسم الخوئي، كما عكف في الوقت نفسه على مطالعات نتاج المفكرين في الكتب و الصحف مما جمع فيه الفكر الحديث مع الفكر القديم.

و أصل أسرته من (گرمه بنى سعيد) في قريه (البشق) النابعه [التابعه] لقضاء سوق الشيوخ، و لكن والده انتقل إلى المحمره (خرمشهر) للهدايه و الإرشاد، و بعد وفاه والده تبوأ مقامه هناك حتى وفاته فكانا علمي صلاح و مرجعي خير و قدوتى إحسان.

و كان المترجم شاعرا و مارس الشعر التمثيلي فكانت له فيه تمثيله بعنوان (الطاق).

و من شعره قوله:

هو الحب خفى السر لا يدرك معناه

هو الغامض في الكنه و في كشف هيولاه

تعالى الحب أن تحكيه أنداد و أشباه
خفى كنه معناه و إن غنى به الصحب
هو الحب و كم مثلك يا صاح به غنى
و كم طالع فى الأسفا ركى يستخلص المعنى
فلم يلف سوى قلب كلیم بعبد الحسننا
فكم تعشق يا صاح و كم ترنو و كم تصبو
تعالى الحب يا صاح فما للحب من حد
و قد جل عن الند فما للحب من ند
و كم غنى به قوم من المهد إلى اللحد

ص: ٢٢٧

فلم يبد له سر و لم يهدأ له قلب

و قال فى ذكرى المولد النبوى من قصيده:

ليه شع على الكون سناء إذ بها نور من الله تراءى

ليه أنوارها قد سطعت فأعادت ظلمه الليل ضياء

ليه ما خلق الله لها من قديم الدهر حقا نظراء

ليه قامت بها آمنه عن وليد ملاً الكون بهاء

يا لها من ليله شع بها كوكب الهادى ضياء و سناء

يا لها من ليله فى فجرها سجل الله على الخلق الولاء

ولدت آمنه خير الورى من به فاخرت الأرض السماء

أحمد المختار قد جاء و من ملاً الكون و دادا و إحاء

طلعت من كل أفق شمسه تكسف الشمس و تعلوها سناء

هو نور الله فى الأرض التى هى لو لا نوره كانت هباء

فإلى آمنه البشرى فقد أحرزت فيها فخارا و علاء

و كان الدهر أضحى روضه تملأ الكون نضارا و رواء

كم له من آيه ناطقه تسمع الصم إلى الحق نداء

و جيوش الشرك يكفيك بها جحفل الدين و قد سد الفضاء

و لواء العدل بشراك فقد نشر الرحمن للنصر لواء

قل لأحجار تولى نجمها و لأعراب أطاعتها غباء

ولد الحق فحرى سجدا و اعقدى أيها العرب اللواء

جاءك الحق فهبى طائعه تبلغى فيها إلى الأوج علاء

حسبك ما فعل الجهل فقد بلغ السيل إلى الجهل الزباء

فتناسى كلما كان و لا تلبسى الحق من الحق غطاء

حررى الكون من الظلم و لا تتركى فى الأرض طرا جهلاء

أنت فى ذمه طه فاصدعى ثم لا تخشى من الدهر اعتداء

و هذه قطعه من تمثيليته:

هذى (المدائن)؟ واهما هذه عبر من الزمان فهل فى القوم معتبر

هذى المدائن كلا هذه صور من البلى درست فى جنبها صور

و الطاق هذا رعاها الله مهزله من الزمان و لا عفى لها أثر

فأين كسرى - إذ الطاق العظيم أرى و أين تاج و أجناد لها الظفر؟

و أين من حاربوا دهرا و ما خضعوا و أين من شيدوا دنيا و من عمروا؟

و أين من غانيات الفرس من حفلت بها النجوم التى تزهو و تزدهر؟

من كل هيفاء راد الشمس رونقها و الغصن قامتها و الطلعه القمر

و أين هذى و أمثال لها عجزت عن إن تلم بأوصاف لها الفكر

أغالها الدهر فى ناب و فى ظفر و الدهر يغتال منه الناب و الظفر

هذى (المدائن). عفوا هذه كتب دوارس حولها الأطلال و الحفر

وقفت ما بينها و النفس من جزع شكوا الشجون و دمع العين يبتدر

أ هكذا قلب الدهر المجن لها؟ حتى تعفت فلم يدرك لها خطر

تركتها و فؤادى كله شجن من الخطوب و نفسى ملؤها عبر

و رحت أنقل خطوى فى مسارحها لدجله حيث ماء الشط ينهمر

رأيتها لم يكدر صفوها حدث من الزمان و لم يطمس لها أثر

تصارع الدهر من قبل القرون فلم تخضع لدهر ولا أزلت بها الغير

فرحت أطلب منها أن تحدثنا عن القرون و عمن عندها اندثروا

تأوهت دجله من حرقه فبدت كأنما قلبها الرقراق يستعر

تقول: فى هذه الأرض اليباب رأأت حوادثا لم يشاهد مثلها البصر

السيد سليمان الحسينى التنكابنى

توفى حدود ١٣٣٥ فى كربلاء.

ولد فى تنكابن و تعلم المبادئ و المقدمات فى مدارسها ثم هاجر إلى كربلاء و اشتغل على أعلامها و سكن فى مدرسه (حسن خان) المجاوره للصحن الحسينى و اشتغل بتدريس المتون و السطوح العاليه من الفقه و الأصول و التفسير و الكلام و غيرها، تتلمذ عليه عدد من الفضلاء منهم السيد محمود المرعشى المتوفى سنه ١٣٣٨ و السيد شهاب الدين الحسينى المرعشى النجفى و له مؤلفات فى العلوم الغربيه و الأعداد لم تحضرنى أسماؤها كان زاهدا عارفا جامعا للعلوم الإسلاميه.(١)

سليمان خان قاجار

"سليمان خان قاجار قوائلو اعتضاد الدوله" ابن "محمد خان" ابن "إسكندر خان القاجارى، و ابن خال "آغا محمد خان" أول الملوك القاجاريين. كان من كبار الرؤساء القاجاريين، و كان "آغا محمد خان" يتاديه "خال أوغلى" ابن الخال). و ظل الشاه و أعضاء الأسره المالكة بعده ينادونه بهذه الصفه.

فى سنه ١١٧٦ هـ احتل "كريم خان زند" مازندران و أسترآباد. و فى سنه ١١٧٧ هـ، عاد إلى شيراز و حمل معه رؤساء القاجاريين، و فيهم "آغا محمد خان" و أخوه "حسين قلى خان" (أبو فتح على شاه). و حمل معه أيضا "محمد خان قاجار" أبا "سليمان خان" هذا و خال "آغا محمد خان"، و كان مده من الزمان حاكما على مازندران. و فى شيراز ولد "سليمان خان" سنه ١١٨٣ هـ. و كان فى العاشره من عمره يوم توفى "كريم خان زند".

و كان كثير التردد على منزل "كريم خان زند"، إذ كانت زوجته هذا "خديجه بيغم" عمته. و من ثم كان "آغا محمد خان" على اطلاع كامل متواصل على أمور هذا المنزل الداخليه بواسطته إذ تطلعه عليها عمته..

و فى سنه ١١٩٣ هـ حين توفى "كريم خان زند" أراد جماعه من القاجاريين ممن كانوا محكومين بالاقامه الجبريه فى شيراز الفرار منها إلى مازندران و جرجان، فاعتقل فريق منهم و قتلوا، و استطاع آخرون الفرار.

و كان بين المعتقلين "سليمان خان". و لكنهم لم يقتلوه لصغر سنه إذ كان يومئذ طفلا فى العاشره من عمره، و اكتفوا بتوقيفه. و فى سنه ١١٩٦ هـ استطاع الفرار من شيراز إلى مازندران.

والتحق بـ "آغا محمد خان". و إذ كان سليمان ابن خاله فقد تيسر له أن يتدرج في ارتفاع المكانه إلى حد بعيد. و أصبح في مقدمه الأمراء القاجاريين في أيام تملكه و تملكه "فتح على شاه".

و في سنه ١٢٠٠ هـ ثارت قبيله "بختيار" على "آغا محمد خان"، فسير إليهم جيشا بقياده "سليمان خان"، و هو في السابعه عشره من عمره.

و وقعت بينهما معركة قتل فيها كثير من قادة البختاريين و أسر جماعه منهم، بعثوا بهم إلى "آغا محمد خان".

ص: ٢٢٨

١- الشيخ محمد السمامي.

و بعد مقتل "هدايت الله الجيلاني" (١) و إقرار الأمور في "جيلان" بواسطة "مصطفى خان قاجار دولو" أحد زعماء القاجاريين عهد بالولاية على إياله "جيلان" إلى "سليمان خان".

و كان "مرتضى قلى خان" أخو "آغا محمد خان" متمردا على أخيه هاربا يقيم في القفقاس من سنة ١١٩٨ هـ قد لجأ إلى "كاترين" ملكه روسيا. و في سنة ١٢٠١ هـ وافقه حكام القفقاس على غزو إيران و ساروا معه بجيش إلى "جيلان". و لكنه انهزم إذ كان جيشه ناقص التجهيز. فعاد عنها إلى القفقاس. و في أواخر سنة ١٢٠٢ هـ عاد إليها بسبعة آلاف جندي، ثم وصل عددهم إلى عشرة آلاف، و معه "مصطفى خان طالش". و استطاع في هذه المرة أن يستولى على "جيلان" إذ كان جيشه أحسن تجهيزا و أكثر استعدادا.

و إذ عجز "سليمان خان" عن مقاومه "مرتضى قلى خان" فقد فر من رشت إلى قزوین. و أرسل إلى ابن عمته "آغا محمد خان" تقارير كثيرة مفصلة. فبعث هذا ب "محمد حسين قاجار قوانلو" أحد خواص حاشيته مع ألفى فارس إلى "جيلان" و لكنه انهزم و ذهب عسكره بين أسير و قتل. فأعاد "آغا محمد خان" الكر و أرسل جيشا مجهزا عدته عشرة آلاف رجل بقيادة الأمير "سليمان خان" نفسه و الأمير "محمد حسين خان أرجمندى فيروزكوهى" و الميرزا "محمد خان لاريجاني" إلى حرب "مرتضى قلى خان" في "جيلان". و لكن هؤلاء انكسروا أيضا بعد معركة شديده. و قتل الأمير "محمد حسين خان" و ذهب أكثر جنودهم بين قتل و أسير.

فلم يجد "آغا محمد خان"، بعد هذه الهزيمة بدا من أن يرسل أخاه الشجاع "جعفر قلى خان" - و لم يكن راغبا في إرساله - قائدا لجيش آخر إلى "جيلان". فاستطاع هذا أن يدفع أخاه "مرتضى قلى خان" عنها، فارتد إلى القفقاس. و إذ كان "آغا محمد خان" لا يطمئن إلى أخيه "جعفر قلى خان" فقد استدعاه إلى طهران بعد أن تم له النصر، و أرسل مجددا "سليمان خان" إلى "جيلان" واليا عليها. و في سنة ١٢٠٤ أنعم عليه بلقب "اعتضاد الدوله".

و في سنة ١٢٠٥ هـ سار "آغا محمد خان" إلى أذربيجان، لاختضاع أمرائها. و أرسل "سليمان خان" من زنجان مع عشرة آلاف فارس لاختضاع قبيله "طالش" و الاستيلاء على البلاد التي تحتلها. فادى مهمته على وجه حسن. و وفد أكثر رؤساء ذلك الإقليم في تلك السنه على "آغا محمد خان" و دخلوا في طاعته، و كان منهم "مصطفى خان قراجه داغى" حاكم "أرسباران". و إذ كان "آغا محمد خان" قليل الثقة بهذا فقد أرسل في تلك السنه "سليمان خان" لتسلم "أرسباران" فسار إليها و احتل "أهر". و في سنة ١٢٠٧ هـ أرسل "آغا محمد خان" "سليمان خان" إلى أذربيجان لضبط أمورها. فذهب إلى تبريز و نفذ تعليماته و حصل من ذلك على فوائد كثيرة و أخضع أكثر رؤساء ذلك الإقليم و خاناته و أدخلهم في طاعه الحكومه المركزيه. و أصبح حاكما على أذربيجان.

و في سنة ١٢٠٩ هـ سار "آغا محمد خان" إلى القفقاس لاختضاع العصاه من أمرائها و خاناتها. و أرسل ابن خالته "محمد حسين خان قاجار" حارسه الخاص لحراسه جسر "خداآفرين" المعقود على نهر "أرس". و لكن "إبراهيم خليل خان جوان شير" حاكم "قره باغ" و أقوى رؤساء القفقاز يومئذ و أوفرهم اعتبارا أمر بهدم الجسر فهدم قبل أن يصل إليه "محمد حسين خان قاجار". و أعاد بناءه "سليمان خان اعتضاد الدوله" ليعبر عليه "آغا محمد خان" و عسكره، و كان "اعتضاد الدوله" يومئذ حاكما على أذربيجان من سنة ١٢٠٧ كما مر. و أقام عنده حاميه عسكريه.

فى تلك الأثناء كان " آغا محمد خان " فى أذربيجان مشغولا بتجهيزاته العسكرية. فأرسل " مصطفى خان قاجار دولو "، و كان يعد أحسن قواده، بعد " جعفر قلى خان " أخى " آغا محمد خان " لاختضاع " مصطفى خان طالش " (٢) ثم أردفه باين خاله " سليمان خان اعتضاد الدوله " و ابن خالته " محمد حسين خان قوانلو "، فتغلبوا على مصطفى هذا و قهروه.

و ساق " آغا محمد خان " بنفسه حملة ثانية إلى القفقاس سنة ١٢١١ هـ، فعبر نهر " أرس "، و كان بين قواده " سليمان خان اعتضاد الدوله "، و استولى على " شيشه " مقر حاكم إقليم " قراباغ "، و لكن " آغا محمد خان " قتله، بعد ذلك، فتفرق جنده. و كل ما فعله، عندئذ، " سليمان خان " أنه أعاد أبناء " آغا محمد خان " بالتبني (٣) سالمين إلى طهران.

و فى سنة ١١١٢ هـ أعاده " فتح على شاه " واليا على أذربيجان.

و خرج على " فتح على شاه " أحد الخانات اسمه " صادق خان شقاقى " و طلب منصب الملك لنفسه، فحاربه " فتح على شاه " فى نواحى قزوین و غلبه، فتشفع الخان المغلوب ب " سليمان خان " إلى الشاه فعفا عنه.

و كثر الخارجون على " فتح على شاه " يطلبون الملك لأنفسهم، و كان منهم أخوه الأصغر " حسين قلى خان "، و توالى الفتن و اختلفت أوضاع المملكة فى أغلب نواحيها. فرأى " سليمان خان اعتضاد الدوله " فى سنة ١٢١٣ هـ أنه قادر هو أيضا أن يطلب الملك لنفسه. و حدث حاشيته بهذا الأمر فحسنوا له الخروج و شجعوه عليه. و أخذ يعد العده له، منتظرا نتيجة الحرب بين الشاه و أخيه. و أيا كان المنتصر منهما فهو سيخرج من الحرب ضعيفا و عندئذ يغتنم " سليمان خان " فرصه ضعفه فيخرج عليه.

و لكن حرب الأخوين انتهت بالصلح و استسلام الأخ الخارج إلى أخيه الشاه و دخوله فى طاعته. و علم " فتح على شاه " بنوايا " سليمان خان " فغضب غضبا شديدا. و أراد " سليمان خان " أن يبرئ نفسه فاعتقل أعوانه الذين وافقوه على نيته فى الخروج و بعث بهم مغلولين إلى " فتح على الشاه "، و كانوا أربعة، و لجا هو إلى إصطبل الشاه. فقتل " فتح على شاه " اثنين منهم، هما أب و ابن له، و أعمى عينى اثنين و عفا عن " سليمان خان ".

و فى تلك السنه عين " فتح على شاه " ابنه " عباس ميرزا "، و كان فى الحاديه عشره من عمره، و ليا للعهد، و نصبه واليا على أذربيجان، و عين سليمان خان أتابكا (مرىيا) له (٤) و أرسلهما إلى تبريز.

ص: ٢٢٩

١- أحد المتمردين على " آغا محمد خان "، استقل بحكم " جيلان " بعد وفاه " كريم خان زند "، و كان من أنصاره، و كان " أبو الفتح " ابن " كريم خان " صهره على أخته.

٢- طالش: بلاد فى شمال إقليم " جيلان ".

٣- هم ثلاثة من أبناء " فتح على شاه " ابن أخى " آغا محمد خان "، تبناهم إذ كان خصيا لا يلد. و كانوا معه فى معسكره فى هذه الحمله.

٤- الأصل فى كلمه أتابك: الوصى و المؤدب للأمرء الأتراك الذين كان يعهد إليهم بامر الوصايه عليهم و رعايتهم و تربيتهم

نظرا لصغر سنهم فى أيام السلاجقه إلى كبار الأمراء.

و فى سنة ١٢١٨ ه احتل الروس بقاءه الجنرال "سيسيانوف" مدينه "كنجه"، و أوقعوا بأهلها مذبحة عامه دامت ثلاث ساعات. فأرسل "فتح على شاه" ابنه "عباس ميرزا" نائب السلطنه، و كان فى السادسة عشره من عمره، و معه جماعه من خيره القواد العسكريين، و "سليمان خان"، بجيش من ثلاثين ألفا بين فارس و راجل لمنع الروس من التقدم و ردهم عن البلاد. و لكن هذا الجيش لم يستطع أن يصنع شيئا.

توفى "سليمان خان اعتضاد الدوله" فى سنة ١٢٢٠ ه. و اتخذ أعقابه من اسمه اسما لعائلتهم: "السليمانى". (١)

سليمان بن محمد رفيع بن المولى عبد المطلب التنكابنى

هو والد الميرزا محمد التنكابنى مؤلف كتاب قصص العلماء ولد فى تنكابن و تعلم بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر على المولى محمد على النورى فى الفقه و الأصول و المولى على النورى فى المعقول و المولى إسماعيل الأعرج فى الطب و برع فى ذلك ثم رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و قضاء حوائج الناس إلى أن توفى بها و دفن فى سليمان آباد و له مؤلفات منها:

١ - الحاشيه على كتاب المطول.

٢ - الحاشيه على كتاب المفاتيح.

٣ - الحاشيه على كتاب الفوائد الضيائية.

٤ - الحاشيه على كتاب شرح الأسباب.

٥ - الحاشيه على كتاب الشواهد الربوبيه.

٦ - رساله فى علاج الوباء. (٢)

شاه رخ

"شاه رخ ميرزا" ابن "رضا قلى ميرزا" ابن "نادر شاه". و أمه "فاطمه سلطان بيغم" بنت الشاه "سلطان حسين الصفوى"، و أخت الشاه "طهماسب الثانى" الصفوى. ولد سنة ١١٤٦ ه.

و فى سنة ١١٥٥ ه، و كان فى العاشره من عمره، إذ كان جدّه عائدا من غزو داغستان إلى أرمينيا، أقام فى نواحى بحيره "كبود" قريبا من أربعه أشهر. و هناك احتفل بعرس حفيده "شاه رخ" هذا على بنت شاه بخارى، و هو من أعقاب "جنكيز خان"، و عرس ابنه "نصر الله ميرزا" و "إمام قلى ميرزا". و أقيم الاحتفال بين مائه ألف عسكرى. و أمر نادر شاه بإحضار المطربين و اللاعبين بالملاهى، فكان عرسا فخما.

و فى سنة ١١٥٧ ادعى رجل كذبا فى إسلامبول أنه ابن الشاه سلطان حسين الصفوى و تسمى باسم "سام ميرزا". و جعله العثمانيون آله فى يدهم و أيدوه فى ادعائه. و جهزوه بجيش كامل سار به إلى حدود أذربيجان لمحاربه نادر شاه. فأرسل نادر

شاه حفيده "شاه رخ"، و كان فى الثانى عشره من عمره، إلى محاربتة، و أرسل معه خيره قواده العسكرين. و وقعت بين المعسكرين معركة شديده انتهت بانكسار الأمير المزور "سام ميرزا" و تفرق عسكره و وقع هو أسيرا فى يد الجيش الايرانى. فأمر نادر شاه بقلع إحدى عينيه و قطع أذنيه و أنفه، ثم أرسله إلى بلاد العثمانيين، لتكون حاله هذه إعلانا لهم بنتيجه هذه الحرب.

و فى الحادى عشر من جمادى الثانى سنة ١١٦٠ هـ، إذ قتل نادر شاه فى "فتح آباد خبوشان"، كان "شاه رخ" فى الرابعه عشره من عمره يقيم فى "كلات" مع سائر أبناء نادر شاه. و كان "على قلى خان" ابن أخى نادر شاه خارجا على عمه قد جمع جيشا و أقام فى "هرات" عاصيا. فلما قتل عمه خف إلى مشهد. و منها بعث بسلام له اسمه "سهراب" الكرجى مع جماعه إلى "كلات" للقبض على أبناء نادر شاه. و علم بذلك ثلاثه منهم هم "إمام قلى ميرزا" و "نصر الله ميرزا" ابنا نادر شاه و حفيده "شاه رخ ميرزا" ففروا من "كلات" قاصدين إلى "مرو". و لكنهم اعتقلوا فى الطريق و حملوا إلى مشهد إلى "على قلى خان"، و كان قد نصب نفسه شاها على إيران باسم "عادل شاه".

و قتل "عادل شاه" أبناء نادر شاه و أحفاده لم يبق على أحد منهم سوى "شاه رخ" فإنه سجنه و أشاع أنه قتله. و السبب هو أنه احتمال أن لا يرضى به الايريانيون شاها فلا يمكنونه من التملك. و فى هذه الحال يكون "شاه رخ" أنسب مرشح لمنصب الشاه، إذ هو معم مخول، فهو حفيد نادر شاه أفسار و سبط الشاه سلطان حسين الصفوى فهو أحق الناس به فينصبونه ملكا عليهم و يكون "على قلى خان" نائبا عنه، فيستطيع بهذا المنصب أن يقبض على زمام الأمور و يبقى "شاه رخ" ملكا بالاسم. (٣)

و فى شهر شوال سنة ١١٦١ هـ خرج على "على شاه" أخوه الأصغر "إبراهيم خان" و حاربه و غلبه و أعمى عينيه. و أراد "إبراهيم خان"، و كان فى أذربيجان، التخلص من "شاه رخ" بإخراجه من السجن بحيله و قتله. و علم رؤساء خراسان بمساعيه و دسائسه، فاستنكروها، و اتفقوا على إخراج "شاه رخ ميرزا" من سجنه و نصبه شاها.

فأخرجوه و لكنهم امتنع امتناعا شديدا عن قبول المنصب الشاهانى.

فاصروا عليه و ألحوا و أقسموا له و عاهدوه فى حرم الامام الرضاع على الطاعه و النصره، و ما زالوا به حتى نزل عند رأيهم و قبل طلبهم. و تولى المنصب الشاهانى فى الثامن من شهر شوال سنة ١١٦١ هـ، و خطب باسمه و ضربت السكه باسمه. و أخرج من خزائن جده، و كانت قد نقلت من "كلات" إلى مشهد، أموالا فرقتها على أنصاره.

و هيا أنصاره دعاه أكفاء بثوهم هنا و هناك يدعون الناس إلى تأييده.

و كانوا يقولون للناس: لقد حفظ الله الغلام هذا الأمير الشاب من كل تلك المخاطر حفظا على نحو المعجزه. و ما ذاك إلا ليرفعه على عرش هو إرث له بعد موت جده نادر شاه. و فوق هذا لا يختلف اثنان فى نجابته و أصاله نسبه و علو أصله. و إن له لخلقا جميلا و لديه كل الصفات اللازمه لاستماله القلوب إليه. و إن توفر كل هذه المؤهلات المساعده فيه ينبئ بمستقبل مشرق له.

و لم يلبث "شاه رخ ميرزا" أن أصبح موضع الاهتمام، حتى إن بعض

١- مهدي بامداد.

٢- الشيخ محمد السمامي.

٣- قيل أيضا في هذا الموضوع إن "عادل شاه" سمهم، ولكن "شاه رخ ميرزا" نجا من الموت لقوه مزاجه أو لأن مقدار السم لم يكن كافيا لقتله. فأكتفى حينئذ، "عادل شاه" بسجنه وارتأى هذا الرأي.

الأئمة تنبأ له بالسعد والإقبال، و قدر أن مده ملكه لن تقل عن أربع و عشرين سنة تنقضى بالسعادة و الطمأنينه. و قد بعثت هذه التنبؤات السرور و الأمل فى تلك الأئمة التى نهكتها كثره الفتن و الثورات و الانقلابات، فهى تتطلع متحسره إلى حكومه ثابتة موحد.

و بعث أنصار "شاه رخ ميرزا" بالسر رسائل إلى ضباط "إبراهيم شاه" المعترين يستطلعون رأيهم لعلهم يستميلونهم إلى جماعتهم. فجاءتهم الأجوبه موافقه طبق مرامهم. و أخذ ضباط كل من الجيشين، بعد تواطئهم على نصره "شاه رخ ميرزا"، يحرض أميره من الشاهدين المتنازعين على محاربه خصمه، حتى خرج "شاه رخ ميرزا" فى سنه ١١٦٣ هـ بجيش من مشهد قاصدا أذربيجان. فلما وصل إلى حدود إياله خراسان كان "إبراهيم شاه" قد وصل أيضا إليها قاصدا محاربه "شاه رخ ميرزا". و كانت نتيجة الحرب مقدره قبل وقوعها. فأطلقت بضع رصاصات معلنه بدء حرب لم تقع.

و اقتدى عسكر "إبراهيم شاه" بضباطهم فى الالتحاق بجيش العدو. و هكذا انتصر "شاه رخ ميرزا" على منافسه. ثم أمر بتعقيب "إبراهيم شاه" المغلوب، فلم يلبثوا أن جاءوه برأسه. و جاءوا معه أيضا بأخيه الضير المنكود الحظ "عادل شاه"، إذ كان "إبراهيم شاه" يصحبه معه أينما ذهب، فأرسلوه إلى مشهد.

و كان المخلصون مريد و الخير و الصلاح ل "شاه رخ" يصرون عليه بتعجيل القدوم إلى أصفهان ليحظى بتجليل العاصمه و تكريمها، و الاصفهانيون ينتظرون قدومه بصبر نافد. و كانت لهفتهم هذه تشعر بان عموم إيران تعلن التبعيه له و الانقياد إليه. و كان هو أيضا يرى أن المصلحه تقضى بذهابه إلى أصفهان.

إلا أن أشرف خراسان و أعيانها، و قد أصبح "شاه رخ ميرزا" مالك العرش و التاج بفضلهم، كانوا يشتهون أن يبقى فى مشهد، أو، على الأقل، أن لا يغادر خراسان إلى أن يحصل على الاعتراف به رسميا على إيران من قبل إحدى الدول المجاوره.

و بقى "شاه رخ" فى مشهد على خلاف رأيه و خلاف رأى المخلصين من رجاله و ضحى بمصلحته بارتكابه هذا الخطا لارضاء ذلك الفريق من الناس.

فلم يلبث، و لما يمض بعد خمسه أشهر على تمتعه بالملك، أن تشكلت فى مدينه مشهد نفسها حيث كان الناس يجوبونه، فرقه تناهضه و تناقضه.

كان المطالبون بالعرش الذين يحسب لهم حساب قد قضى عليهم. و لم يبق معارض ل "شاه رخ" يعتد به. إلى أن قامت هذه المعارضه. قام بها متولى المقام الرضوى فى مشهد. و اسمه السيد محمد. و هو سبط الشاه سليمان الصفوى و صهر الشاه سلطان حسين الصفوى، و كان يرى أن عرش إيران حق للصفويين.

و من جمله الوسائل التى تذرع بها لتحريض الناس على "شاه رخ" أن اتباعه أشاعوا أن حفيد نادر شاه هذا يريد تجديد مساعى جده فى تغيير مذهب الايرانيين بإخراجهم من التشيع إلى التسنن. (١) هذا و للتشيع عند الايرانيين منزله ساميه. و استطاع بهذه الوسيله أن يجمع حوله أنصارا. و تغلب على جيش بعث به "شاه رخ" لاختضاعه، و قاده بنفسه، و أسر "شاه رخ" فأعمى عينيه و سجنه و جلس على العرش و تسمى باسم "الشاه سليمان الثانى" فى سنه ١١٦٣ هـ، و لما يمض على ملك "شاه رخ" غير سنه و

إلا أن دوله "الشاه سليمان الثانى" لم تطل أيامها أكثر من أربعين يوما.

فقد ثار عليه المشهديون و أمدهم بالعون "يوسف على بيك جلابر [جلابير]" أحد الرؤساء من أنصار "شاه رخ شاه" فأخذوه و أعموا عينيه و سجنوه مع ولدين له، و أعادوا الشاه الضيرير المخلوع إلى العرش و جاءوا بكل نطاسى من الأطباء لمعاينه عينيه و معالجتهم. فطمأنهم الأطباء إلى أن تلك القوه التى حفظته من سم "عادل شاه" ستحفظه من ظلم هذا السيد العاصى، و أن إحدى عينيه، على الأقل، ستشفى. و أذاع أنصاره فى كل الولايات إعلاما بالقبض على الخائن و مجازاته و إعادته "شاه رخ" إلى منصبه و بشرى بحصول الشفاء له عن قريب. فأقيمت معالم الفرح و الابتهاج فى كل مدينه، و لا سيما أصفهان، و قد أخذها الزهو و الاعتزاز بأنها ستحظى عن قريب بزياره الشاه لها و اتخاذها لها عاصمه لملكه و محلا لإقامته.

و لكن تلك الأمانى خابت فقد كان الأطباء مخطئين فى تشخيصهم، و ظلت باصره "شاه رخ شاه" مظلمه إلى الأبد. و ضجر هو من تتابع هذه الأحداث و أراد اعتزال الملك. و لكن أنصاره لم يمكنوه من ذلك.

و كان "أحمد شاه السدوزائى" (٢) ملك أفغانستان قد اغتنم فرصه الفتن التى وقعت فيها إيران سنه ١١٦٣ هـ، فسار إلى خراسان متذرا بحجه الدفاع عن "شاه رخ شاه" حفيد ولى نعمته، و احتل "هرات" إحدى مدن خراسان الأربع و قتل حاكمها. ثم أرسل أحد قواده مع خمسه آلاف فارس إلى مشهد لاحتلالها، فقاومه جند خراسان و ردوه. فاضطر "أحمد شاه" إلى تسيير جيش آخر قاده بنفسه إليها، ففتحها بعد مقاومه شديده، و تصالح الفريقان، و اعترف "أحمد شاه" بسلطنه "شاه رخ شاه" و جعل من نفسه حاميا له. (٣)

و ملك "شاه رخ شاه" الضيرير فى خراسان إلى أواخر سنه ١٢١٠ هـ.

و لم يتعرض له "كريم خان زند" (٤) و لا أحد من خلفائه بسوء، رعايه منهم لحقوق جده نادر شاه، بل كانوا أحيانا يعينونه بشتى أنواع المساعدة. ز.

ص: ٢٣١

١- قيل هذا القول فى نادر شاه إذ كان يسعى سعيا جادا إلى اتحاد السنه و الشيعه و رفع ما بينهما من أمور تسبب القطيعه و الجفاء.

٢- كلمه "سدوزائى" منحوته من "أسدالله زاده". و هى اسم إحدى شعب قبيله "أبدالى" - و تدعى أيضا "درانى" -. و هذه القبيله هى و قبيله "غليجائى" تعدان أكبر قبائل أفغانستان. و "أحمد شاه" هذا من رؤساء الأفاغنه و من رجال "نادر شاه أفشار" و أرباء نعمته. ظل بعد مقتل نادر و انقلاب الناس عليه و فيا له و قام، و معه عشره آلاف من الأزابكه و الأفاغنه، مطالبا بثاره. و لكنه لم يقدر أن يصنع شيئا. فعاد بهم إلى "قندهار"، و هناك نادى بنفسه شاهًا، و جمع ما فى يده من أرض و بلاد تحت عنوان دوله واحده سماها "أفغانستان". و توارثت أسرته الملك عليها من بعده مده ٩٤ عاما، من سنه ١١٦٠ هـ إلى سنه ١٢٥٤ هـ، إذ

- خلفتها أسره "محمدزائی"، و هی أيضا شعبه من قبيله "أبدالی". و ظلت تحكم أفغانستان إلى الانقلاب الجمهوری سنة ۱۹۷۳ م هذا الانقلاب الذى قام به أحد أفراد الأسره، فالانقلاب اليسارى سنة ۱۹۷۸ م.
- ۳- توفى "أحمد شاه" هذا سنة ۱۱۸۶ هـ فى عاصمته "قندهار".
- ۴- شاه ایران من سنة ۱۱۷۲ هـ إلى سنة ۱۱۹۳ هـ. حكمت أسرته من سنة ۱۱۷۲ هـ إلى سنة ۱۲۰۹ هـ، و كانت عاصمتهم شیراز.

و في أواخر تلك السنه كان "آغا محمد خان قاجار" (١) قد احتل "تفليس" عاصمه الكرج، و عاد قاصدا خراسان لزياره مقام الامام الثامن في الظاهر، و ضم خراسان إلى ملكه و سلب ما بقى من مجوهرات نادر شاه في يد "شاه رخ شاه" في الواقع. و جاء إليه "شاه رخ شاه" يصحبه الميرزا مهدي المشهدي أحد كبار علماء خراسان، فاستقبله "آغا محمد" بالاحترام. و لكنه لم يلبث أن سجنه محتجا بأنه لم يسلم إليه كل المجوهرات النادرية، و ذلك أن بعضهم أوصل إلى "آغا محمد" بالسر أن "شاه رخ شاه" لا يزال يحتفظ بشيء من هذه المجوهرات. و كان الواقع كذلك. و أخذ يعذبه عذابا يوميا، حتى أنه صب على رأسه مره رصاصا مصهورا. فاضطر إلى الإقرار بما بقى لديه من الجواهر و دله على أماكنها، و منها ما كان مخبوءا في شقوق الجدران فدله عليه (٢) فرفع عنه العذاب.

ثم أمر "آغا محمد خان"، بعد أن أوقع ما أوقع بشاه رخ شاه من عذاب، بان يحمل و جميع متعلقه إلى مازندران، و كان "شاه رخ شاه" يومئذ في الرابعه و الستين من عمره، ليقيموا فيها. و لكن "شاه رخ شاه" توفي في الطريق قبل الوصول إلى مازندران. توفي في "دامغان" متأثرا بما حل به من تلك المصائب و البلايا و دفن فيها، سنه ١٢١٠ هـ. و قيل توفي في المحرم سنه ١٢١١ هـ. و قبره غير معروف.

السيد شبر بن السيد إبراهيم آل باليل الموسوي الدورقي

ولد حدود سنه ١٢٤٣ في الفلاحيه و توفي حدود سنه ١٣١٥ كان والده و جده السيد إسماعيل و جده الأعلى السيد باليل و جده السيد إبراهيم من أهل العلم و الفضل. قال عنهم بعض من ذكرهم: كانوا أنوارا يهتدى بهم كثير من الناس... نشا المترجم في حجر والده و قرأ عليه مقدماته العلميه، ثم حضر على الشيخ حسن ابن الشيخ أحمد المحسنى الاحسائي الفلاحى.

يوجد بخطه عدده مخطوطات فقيهيه و أدبيه له حواش و تعليقات على بعضها و قد انتقلت إليه مكتبه والده التي كانت تضم نفائس الكتب المطبوع منها و المخطوط.

و من ذريته اليوم الباحث المحقق السيد هادى بن السيد ياسين آل باليل الشبرى. و هذه النسبه (الشبرى) عرف بها ذرارى المترجم من أولاده الخمسه: السيد محمد و السيد محمود و السيد أحمد و السيد عاشور و السيد رجب.

شبير حسين جونبورى

ولد سنه ١٣٠٨ في الهند و توفي سنه ١٣٦٦.

كان عالما فاضلا أدبيا، شاعرا باللغه العربيه. درس في لكهنو أيام السيد ناصر حسين فتتلمذ عليه و انتمى إلى المدرسه الناظميه، ثم مدرسه سلطان المدارس، ثم هاجر إلى العراق لطلب العلم فدرس على أعلام النجف، و عاد بعد ذلك إلى وطنه عاملا في التدريس و التأليف، و في أواخر أيامه تولى التدريس في مدرسه (وثيقه كالج) بفيض آباد.

جمع السيد مرتضى حسين مجموعه من شعره باللغه العربيه.

آغا شريف حسين شاه بهكري

ولد سنة ١٢٧٧ في الهند و توفي سنة ١٣٧٠.

كان عالما فاضلا زاهدا جريئا في مقام الحق قويا في البحث و الجدل و هو أستاذ كثير من العلماء و الفضلاء.

السيد شريف حسين بن السيد رجب علي

ولد سنة ١٢٤٩ في لودهيته من البنجاب و توفي سنة ١٣٢٩.

درس في بلده ثم في لكهنو فكان من أساتذته فيها السيد حامد حسين صاحب (عبارات الأنوار). ثم توجه إلى العراق فدرس على السيد حسين البهبهاني و الشيخ جعفر الشوشتری.

كان شاعرا بالاردويه تتلمذ على الشاعر الهندي الشهير (أنيس)، كما كان ينظم بالعربية و الفارسيه.

السيد شريف الدين بهريلوي بن السيد إمام علي السبزواري

ولد سنة ١٢٨٤ في بهريلوي من قضاء دنباله في شرفي [شرقي] البنجاب و توفي سنة ١٣٦١.

درس أولا في بلده و في دنباله ثم هاجر إلى لاهور و تخرج من جامعه البنجاب، و عين في إحدى المدارس العاليه مدرسا للغتين العربية و الفارسيه.

و قد استفاد في لاهور من كل من مولانا أبو القاسم الحائري و مولانا عبد العلي الهروي الطهراني في التفسير و الحديث و الفقه.

اهتم بإنشاء المساجد و الحسينيات و المدارس الدينيه و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و عند ما تم تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ و قامت الفتن، ذهبت مكتبته - و فيها مؤلفاته - ادراج الرياح. و قد وجد من آثاره المطبوعه: آثار حيدريه، ترجمه موده القربي، ترجمه الكوكب الدرّي، ترجمه النزّه الاثنا عشريه، ترجمه التحفه الرضويه و غيرها.

السيد شريف الدين بن الشهيد نور الله الشوشتری

ولد سنة ٩٩٠ في إيران و توفي سنة ١٠٢٠ في أكره بالهند.

عند ما هاجر الشهيد نور الله الشوشتری من إيران إلى الهند بقي ولده المترجم في إيران ليتابع دراسته فيها بعد أن كان قد درس على أبيه ما درس.

و في شیراز درس على السيد تقی الدين الشيرازي الفقه و الأصول. و درس على الميرزا إبراهيم الهمداني المعقولاني و العرفانيات و على الشيخ بهاء الدين العاملي الحديث و التفسير.

من مؤلفاته: حاشيه على تفسير البيضاوى، و حاشيه على مبحث الجواهر، و حاشيه على المختصر العضدى، و حاشيه على مطالع الأنوار،

ص: ٢٣٢

-
- ١- أول الملوک القاجاريين. توج شاهها فى شهر رمضان سنه ١٢١٠ ه فى طهران.
 - ٢- كان "آغا محمد خان قاجار" يحب المال حبا جما، و يعشق الجواهر. يروى أحد خاصته، و هو أمين صندوقه أيضا، أنه كان عنده صندوق صغير مختوم يأمر بان يوضع على فراشه فى كل ليله. و فى ليله طالت مغازله الخان للصندوق فنظر أمين الصندوق من وراء ستار إلى داخل غرفته فتيين له أن ما فى الصندوق جواهر، و أن "آغا محمد خان" قد أفرغها على اللحاف و جعل يمرغ وجهه عليها.

و رساله فى عوڤصات العلوم، و رسائل أخرى.

السيد شفيق حسن إيليا

ولد سنة ١٣٠٣ فى أمروهه بالهند و توفى سنة ١٣٨٠ درس دراسته الأولى على جده أمير حسين، و درس اللغتين العربيه و الفارسيه على والده السيد نصير حسين و مولانا أولاد حسين، و كان يجيد اللغتين الإنكليزيه و السنسكريتيه.

من مؤلفاته: أصل الأصول، حقيقه المسيح، شهيد أزل، تصديق من تحقيق السراج.

شمس الدين سامى أفندى

شمس الدين بن خالد بن دورش بيك.

ولد سنة ١٢٦٦.

الرجالى المؤرخ، العالم البحاثة، صاحب التأليف الكثيره، من المؤلفين العثمانيين، من قريه "فيراشر" من "برمدى" من محافظه "يانيا"، و هى مدينه فى جنوب "أشقودره" على بعد ٧٠٠ كيلومتر من إستانبول و ٢١٠ كيلومترات من سلانيك.

تعلم دروسه الابتدائيه فى مولده "فيراشر" و دروسه النهائيه فى "يانيا" و تخرج من مدرسه "فينمازيه" فى ١٢٨٨ هـ. و قدم إستانبول فى تلك السنه و هو فى الثانيه و العشرين من عمره، و شرع فى صنعه الطباعه، و زوج بنت سعادت أفندى، قاضى العسكر، فى الرابعه و الثلاثين من عمره، و رزق منها أربعة أولاد.

ترك أربعة و خمسين كتابا قيما، قد طبع منها اثنان و أربعون كتابا و لا يزال اثنا عشر منها مخطوطا.

تعلم اللغات المعروفه فى عصره: العربى و الفارسى و الفرنسى و الايطالى و اليونانى القديم، و ترك آثارا قيمه خالده، فمنها:

١ - قاموس الأعلام: فى ستة مجلدات، يحتوى على أعلام التاريخ و الجغرافيا بشكل جامع مستوعب، طبع فى السنوات ١٣٠٦ - ١٣١٦ هـ.

فى إستانبول فى ٤٨٣٠ صفحه.

٢ - القاموس التركى، فى مجلدين، ثم طبعه فى ١٣١٩ هـ. فى إستانبول.

٣ - القاموس التركى الفرنسى.

٤ - القاموس الفرنسى التركى.

٥ - القاموس الفرنسى.

٦ - مختصر القاموس الفرنسى.

٧ - الحضاره الإسلاميه.

٨ - الأساطير.

٩ - النسوه.

١٠ - السماء.

١١ - الأرض.

١٢ - أصول النقد.

١٣ - اللطائف.

١٤ - الأمثال.

١٥ - الإنسان.

١٦ - أيضا الإنسان.

١٧ - اللسان.

١٨ - الأسبوع.

١٩ - الأسره.

٢٠ - الوفاء بالعهد. ٢١ - همه الهمام فى نشر الإسلام.

٢٢ - الأشعار الفارسيه المنتخبه.

٢٣ - التصريف التركى.

٢٤ - التعريفات العربيه.

٢٥ - منتخبات ديوان الامام على (ع) ٢٦ - منتخبات ديوان الباقي. (١)

٢٧ - مجمل تاريخ فرانسه. (٢)

٢٨ - كاوه.(٣)

٢٩ - باء (قصه).

٣٠ - حردجين (و لعله أيضا قصه).

و غيرها من الآثار العلميه و الأدبيه.(٤)

توفى سنه ١٣٢٠ هـ. (كما فى ریحانه الأدب) أو ١٣٢٢ هـ. (كما فى المؤلفين العثمانيين) و دفن بجنب مسجد "أرن كوى" فى القسم الآسيوى من إستانبول.

كان الأستاذ كلينارى يؤكد أنه كان شيعيا صحيح العقيدته، و هو ظاهر من كتبه لمن تأمل و تدبر.(٥)

شمس الدين فقير

كان عالما فاضلا فى الفقه و الحديث و الكلام.

كان مقيما فى (دهلى) و فى سنه ١١٤٠ تركها إلى أورنك آباد الدكن، و بعد سكناه فيها خمس سنوات عاد إلى دهلى و عند ما دخل نادر شاه دهلى غادرها إلى لكهنو.

كان شاعرا باللغه الفارسيه، و من شعره فيها بيتان مكتوبان على ضريح العباس (ع) فى كربلاء. من مؤلفاته: حدائق البلاغه، ديوان شعر، مثنوى شمس الضحى، الوافيه فى العروض و القافيه، مثنوى وتر مكنون، خلاصه البديع، حسن و عشق.

صادق خان زند

صادق خان أخو كريم خان زند. يذكر فى بعض الكتب و الرسائل بلقب "اعتضاد الدوله" أحيانا و أحيانا بلقب "ظهير الدوله".

أصبح "صادق خان" بعد وفاه أبيه "إيناق" هو و أخوه "كريم خان" كبيرى قبيله "زند". و فى سنه ١١٦٢ هـ خرج إبراهيم خان "على أخيه" عادل شاه" و عزم على محاربتة. فذهب "صادق خان" مع أخيه و جماعه من الفرسان إلى الأخ الخارج يساعده على أخيه. و لم يلبث أن أصبح صادق موضع اهتمام "إبراهيم خان" فأنعم عليه و على أخيه بلقب "خان". ثم بعث بهما إلى "أراك" و عهد إليهما بمهمه المحافظه على الطريق.

كان "صادق خان" يعد الثانى بين المقدمين من رجال قبيله "زند".

و لما توفى أخوه "كريم خان" كان هو فى البصره. فلما علم بوفاته غادر البصره إلى نواحى شيراز، و كانت يومئذ فى يد "زكى خان زند". فانصرف عنها قاصدا كرمان إذ كان يعلم أن "زكى خان" سيقتله إن هو دخلها و يلحقه بالخانات الزنديين السبعين الذين سبق له أن قتلهم.

و لكن "زكى خان" تعقبه بجيش فهزمه "صادق خان". و استقر فى

ص: ٢٣٣

-
- ١- يريد محمود الناقى من شعراء العثمانيين المولود سنة ٩٣٣ و المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ.
 - ٢- و هو ترجمه "البؤساء" من آثار "ويكتور هوغو" الكاتب الفرنسى الشهير.
 - ٣- بطل أسطورى فى أساطير إيران و كان حدادا يصنع السيوف و يعرف سيوفه ب "درفش كاويانى". (قاموس الأعلام ج ٥ ص ٣٨٢٠).
 - ٤- المؤلفون العثمانيون ج ٣.
 - ٥- الشيخ على أكبر مهدي پور.

كرمان إلى أن علم بمقتل "زكى خان". فبادر إلى تركها قاصداً شيراز. فلما دخلها أقسم لـ "أبو الفتح خان" ابن أخيه "كريم خان" الذى خلف أباه فى منصب الشاه أن لا يخونه و عاهده على ذلك. و ظل مده شهرين و بعض الشهر منصرفاً إلى تدبير الأمور فى خدمه الشاه.

و كان "أبو الفتح خان" شاباً لاهياً مدمناً للخمر غير أهل لهذا المنصب. فحرض أبناء "صادق خان" آباءهم، و كان لهم نفوذ قوى عليه، على نقض عهده لابن أخيه، و خلعه و سجنه، و كذلك إسقاط إخوته من السلطنه و سجنهم و أعمائهم، ثم يستأثر بالحكم لنفسه. فسجنهم جميعاً، و كانوا ثلاثه، "أبو الفتح خان" الشاه و "محمد على خان" و "إبراهيم خان"، و نصب نفسه شاهاً.

ثم أرسل ابنه "جعفر خان" حاكماً على أصفهان بدلاً من حاكمها "على مراد خان" و أرسل معه جيشاً. و كان "على مراد خان" يومئذ فى قزوین مشغولاً بمحاربه أحد الخارجين، اسمه "ذو الفقار خمسه اى".

و تغلب على الخارج و قتله، ثم عاد قاصداً أصفهان. فلما بلغ طهران علم بعزله و تعيين آخر فى مكانه. فانقلب على "صادق خان"، و أخذ يتهياً للدفاع عن نفسه و طرد "جعفر خان" من أصفهان. فلما علم هذا بحركته غادر أصفهان بدون حرب و عاد إلى شيراز.

فأرسل "صادق خان" ابنه الأخيرين "على نقى خان" و "حسن خان" إلى أصفهان لحرب "على مراد خان"، و كان على قياده جيشه "صيد مراد خان" أحد زعماء قبيله "زند"، فهزمه و فر "على مراد خان" إلى همذان مع قله من رجاله لا يتجاوزون الثلاثين أو الأربعين عداً. و دخل "على نقى خان" إلى أصفهان. و لكنه اشتغل باللهو و اللعب و التعدى على الناس بدلاً من أن يتعقب خصمه الفار. اما "على مراد خان" فقد هيا نفسه بمهاره فى مده أربعين يوماً، و سار قاصداً أصفهان. فلم يستطع "على نقى خان" مقاومه فى هذه المره ففر إلى شيراز، و دخل "على مراد خان" إلى أصفهان، فتلبث فيها سنه انصرف فيها إلى التهيؤ و الاستعداد لاحتلال شيراز و القضاء على "صادق خان". و كان أكبر الدوافع له إلى هذا الأمر هو إصرار "أكبر خان" ابن "زكى خان" و تحريضه. و كان هذا قد فر من شيراز مع بضعه رجال، مبدياً فى فراره كثيراً من التصبر و القوه، و التحق بابن عمته "على مراد خان".

و أراد "صادق خان" إقرار النظام و الأمن فى الولايات فأرسل كلا من أبنائه إلى ولايه. أرسل "جعفر خان" إلى بهبهان و "على نقى خان" إلى كerman و "نقى خان" إلى آباءه، و بقى منهم "حسن خان" فى شيراز.

فلما عرف "صادق خان" بمسيره "على مراد خان" إلى شيراز استدعى ولديه "جعفر خان" و "على نقى خان" من بهبهان و كerman. فقدم الثانى إلى شيراز، و تمرد الأول على أبيه و ذهب إلى معسكر "على مراد خان" أخيه لأمه.

فأرسل "صادق خان" ابنه "حسن خان" مع عشره آلاف بين فارس و راجل إلى محاربه "على مراد خان". و خالفه جماعه من جنده. و من ثم لم يستطع "حسن خان" الثبات فى وجه "أكبر خان"، و كان أمراً على جيش "على مراد خان"، ففر إلى شيراز. و كذلك انهزم أخوه "نقى خان"، و كان فى "آباءه"، من وجه "مراد خان" أحد قواد "على مراد خان"، و فر إلى شيراز.

و جاء " علي مراد خان " إلى شيراز و حاصرها ستة أشهر فعم الغلاء و القحط و القتل و النهب، حتى عزم رؤساء عسكر " صادق خان " على التخلي عنه و تسليم المدينة للمهاجمين، و فعلوا. و دخل " أكبر خان " إلى شيراز و أوقع فيها عسكره النهب، و لقي أهلها المنكوبون بالقحط منهم أذى شديدا.

أما " صادق خان " فتحصن في مسكنه في القلعه، و أمر باعماء أبناء أخيه المسجونين " أبو الفتح خان " و " محمد علي خان " و " إبراهيم خان "، فاعموا. و بعد يومين من إعمائهم، و كان " صادق خان " قد وقع في يد " أكبر خان "، أمر " علي مراد خان " باعمائه و إعماء ابنه " علي نقى خان " و " تقى خان " فاعموا. و بعد انقضاء بضع ساعات على إعمائهم أمر بقتلهم فقتلوا ثلاثتهم. و أما ابنه الأصغر " حسن خان " فكان قد مرض أيام محاصره شيراز و مات. و دفن " صادق خان " في مقام أحمد بن موسى الكاظم ع المعروف باسم " شاه چراغ ".

السيد صادق ابن السيد عبد الله الحسيني التنكابي

توفي سنة ١٣٣٣.

ولد في تنكابن و أخذ المقدمات بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و حضر على أعلامها له مؤلفات منها:

الاجتهاد و التقليد و حكم المتعارضين، ألفه في سنة ١٣٢٣. توجد نسخه منه في المكتبة الرضويه برقم ٨٥٥٦ (١).

صالح الجعفري ابن الشيخ عبد الكريم:

إشاره

ولد في النجف سنة ١٣٢٥.

توفي والده و هو طفل فكفله خاله الشيخ أحمد. و درس كما يدرس لداته أطفالا و شبابا، فتلقى على بعض شيوخ النجف دروسا في علوم اللغة العربية و في الأصول و الفقه، ثم برز شاعرا مجيدا.

و كان مع فريق من رفاقه شبان الدراسة النجفيه قد تفتحوا على الجديد في الحياه فتالفت منهم جمعيه الرابطة الأدبيه التي كانت ذات أثر بارز في التوجيه الأدبي الحديث في النجف. و كانت قصائده قد أخذت طريقها لا في العراق وحده بل خارج العراق أيضا، و صار هو معدودا في الطليعه من شعراء العراق.

عين مدرسا للأدب العربي في ثانويه النجف و استمر في عمله هذا وقتا طويلا كان خلاله يساهم في إلقاء المحاضرات في جمعيه الرابطة، و في مناصره النهضه المتناميه أدبيا و سياسيا و اجتماعيا.

شعره

قال عند ما أعلن (غاندى) زعيم الهند العصيان المدني على الإنكليز:

حيها أذكت من الحرب لظاها و أبت إلا الذي فيه منهاها

شمرت تسعى إلى استقلالها سدد الرحمن بالنصر خطأها

ص: ٢٣٤

١- الشيخ محمد السمامي.

و حدث أشتاتها فاندفعت كتله تخشى المقادير قضاها

لا القوانين و ما أصرمها أوقفت تيارها لما تناهى

لا و لا القوه فى تنظيمها أفقدت أبطالها الصيد قواها

خانها السيف فلم تنكل و من مات فى حب هناء قد يراها

دخلت و الظلم فى معمعه خبط الداخلى فيها ثم تاها

و مضت طالبه حاجتها لا ترى من أمرها إلا قضاها

هتفت بالملح فى عصيانها و ورا الأكمه ما كان وراها

ما كل ما ترجوه ملح نستطيب به الغذاء

كلا و لا نرجو به الأموال جمه و الثراء

ما الملح ما العصيان ما الأطفال ما زمر النساء

إلا قيود الياس تفصم فى مضامير الرجاء

الله ما هذا الضعيف أمام تلك الأقوياء

فى سبيل العز نفس حره لم تشا أن يخمد الضيم سناها

سطعت فى الهند شمسا فانبرت أمم العالم طرا لضيها

نفت من وصمه الذل و ها هى لا تفتنا فى برد إياها

جازت الستين لكن لها من وفور العزم ما أبقى صباها

خشت فى الله و الحق فلو سامها الدهر خضوعا ما ثناها

ان يهدم شكلها الدهر فلم يقدر الدهر على حل صباها

خلصت لله فى دعوتها فتقبل ربنا منها دعاها

جلد على عظم يسير ليقطع الشعب الطوال

لا يرتدى غير النسيج نسيج كفيه الهزال

شبح ضئيل كاد لو لا الصوت أن يمسي خيال

ملك القلوب و أنها جيش بعيد الانخزال

ما الجيش أبلغ من قلوب تستميت لدى النضال

قام فى الهند خطيبا ناقما فبكته الهند عطفًا و بكاهها

جاهدوها جاهدوا دستورها و احفظونا ما استطعتم فى دماها

أنا أدرى الناس فى سلطانها أنا أدرى الناس فى عظم دهاها

أنا أفنيت شبابى خادما تاجها لا أرتضى إلا رضاها

أنا أرخصت لها الغالى من الهند لما شب للحرب لظاها

أنا أدرى أنها تقتص فى كل جندى بالف من سواها

فلذا أدعوكم باسم الإيا و لذا أنشدكم فىنا الإلها

لا تسلوا السيف لا تستعموا القذف بالأحجار عنوان أذاها

و بهذا يحفظ الناس لنا حرمة تبقى مدى الدهر و جاها

و يقولون بان الهند فى قوه الايمان نالت مبتغاها

كذبت فى وعدها أمس فهل تكذب اليوم علينا يا تراها

و قال بعنوان: (وردتى):

وردتى حين ازدهت فىك الرياض و كساک الحسن أبهى ملبس

حسد النرجس عينيك المراض ليتها تعمى عيون النرجس

وردتى سلواى فى الخطب المهين و لكل سلوه يعتادها

أعربت عن سرها للمجتلين فهم - دون الورى - رواها

أودع الباري بها كنزا ثمين كثرت من أجله حسادها
قد اتخذت الورد لى خير خدين خير ما فى أرضكم أورادها
وردتى دقت مزامير الصباح و تلا البلبل للزهر النشيد
حيث جاء الفجر مشهور السلاح تاليا لليل آيات الوعيد
فإذا قبلت الشمس الأقاح و غدا يضحك عن ظل نضيد
فارفعى أكمام خديك الوضاح عنهما و استقبلى العهد الجديد
وردتى اخترتك من حقل الوجود زهره الصبح و نور السدف
كم سهرت الليل و الناس رقود حائما حولك كى لا تقطفى
ما تأسفت لأنى فى الورد فاقد من شخصك الخل الوفى
بل بكائى يا بنه الزهر يزيد عند ما يضحك أهل النجف
وردتى علقت آمالى عليك و هى لو تدرين آمال كبار
جلوتى أنت ولى من شفتيك خمره قد طبقت رأسى خمار
وردتى أغضب منى أبويك احتقارى ما سوى النشاء الصغار
قد بسطت الأمر و الشكوى لديك فاحكمى: طالت ليالى الانتظار
وردتى قد بلغت روحى التراق حينما صور لى أن تدبلى
اننى همت باوراد العراق و سوى أزهارها لم يحل لى
فإذا ما قدر الله الفراق و جرى حكم القضا أن ترحلى
فاذكرى إنى على عهدك باق مثلما أراعاه فى مستقبلى
و قال بعنوان: (عصفورتى):

أحيطت الأرض فلا تطمعى فى بقعه تخلو من الصائد

و امتلك الجو فلا تصفري كى تسلمى من سوره الراصد
عصفورتى لا تجزعى و احتسبى من خمرة الآلام صهباءها
حرمت الدنيا على كل من لم يحتمل بالصبر أرزاءها
أمامك التاريخ فاستفسرى هل شكر البائد نعماءها
شدى على أذنك لا تسمعى ضجيجها العالى و ضوضاءها
عصفورتى حسبك من عالم الأحياء مثل الحلم الزائر
ردى كما جئت و لا تمكثى حرصا على جوهر ك الطاهر
و كفكفى ذيلك فالأرض لم تطهر إلى الآن من الغابر
فى كل شبر معهد حافل يمثل الأول للآخر
عصفورتى ضاقت عليك الحياه و اتسعت أرجاؤها للنسور
تنازع المخلوق سر البقاء فاحتسبى منه حياه الطيور
فالشرق للغرب و قعر البحار للبحوت و البر بحكم النمر
و هكذا ظل يعيش القوى فى غبطه و للضعيف القبور
ص: ٢٣٥

قالوا استقلت جل أوطاننا قلت احذروا من سطوه الأقوياء

قالوا و متعنا بحريه قلت استعدوا لنزول البلاء

قالوا فهالك اقرأ قوانيننا قلت اعقدوا لى ماتما للعزاء

مفهومها عدل و مصداقها جنايه الجانى على الأبرياء

و قال فى بعض الأحداث الوطنيه فى العراق سنه ١٩٣٠:

فيم الزعاق و فيم الويل و الحرب؟ و الحق أضيع أو تستله القضب

قد يعمل السيف بالأوضاع منفردا ما ليس يعمل فيها الجحفل اللجب

إليه بسيوف العرب لا كهمت و لاونت عن بقايا حقها العرب

لسنا نقيم على ذل يراد بنا بل نطلب العز أنى كان فارتقبوا

ما قيمه (العهد) مكذوبا و مختلفا العهد ما خلقته البيض و اليب

إنا سئنا و عود القوم عاريه عن الحقيقه محشوا بها الكذب

فى ذمه الوطن المحبوب نهضتنا عادت علينا و عند الله نحاسب

إن أبعدوننا فلا عن نقص مقدره و قد يبعد ذو فضل و يجتنب

أو يملئوا السجن منها فهى غايتنا كيلا يقال أضيما ثم ما غضبوا

خير إلى الحر سجن يستقل به من أن يعيش طليقا و هو مكشوب

ما السجن عار على الأبطال لا اقترفوا ذنبا و لا أجرموا جرما و لا ارتكبوا

و من يقف غرضا من دون أمته هانت على نفسه الأرزاء و النوب

و قال بعنوان: (المهاجر اللبناني):

رعى الله مفتون الفؤاد معذبا أسير الهوى يصبو إذا هبت الصبا

تطلع نحو الشمس عند شروقها لعل لها من جانب الحى من نبا

رعى الله شرقيا تغرب للعلى كذاك الذى يرجو العلاء تغربا

لئن يكن ابن الشرق فى النور و الهدى فقد صار إذ يملى عواطفه أبا

تذكر أن الشمس من بعض قومه فشح بآفاق المغارب كو كبا

تذكر (لبنان) العزيز (و عاملا) فأعلى له مجدا أشد و أخصبا

سلا فى بلاد الجد كل شئونه و لم يسئل مهذا للجدود و ملعبا

رأى حفظ عهد العرب إلا و ذمه كما حفظت عهد الربا زهره الربا

إذا ما انتمى للفرقدين جماعه تجاوزهم فخرا فكان ليعربا

و ان عدم الأرز الثمار فحسبه بنون غدوا أزكى ثمارا و أطيبا

تفرع فى طول البلاد و عرضها و مد رواقا فى السماء مطنبا

و قال:

سموت بشانى عن شئون لداتى و أرجعت قسرا فانتقدت صفاتى

و أصغيت محتجا على الوضع راجيا تيقظ ميت بعد طول سبات

و هيهات لا نادى ابن حمدان عامر و لا حلب مكتظه الحفلات

أهينت مصونات القرائح بعد ما قضت عصرا محجوبه خفرات

و تلك التى لم تهتك الشمس ظلها بغير وقا مكشوفه الصفحات

و تلك التى ما شيم برق خيالها بطيف تهادى اليوم فى الطرقات

عدلت شيوخ الشعر عند سكوتهم و طالبتهم فى تلكم الوثبات

و لما درست الوضع درس مجرب رميت يراعى و اجتنبت دواتى

إذا ألف البوم القصور فهل ترى لغريد ذاك الروض غير فلاه

سكت و لى عين تفيض بشعرها دموعا و قلب شاعر الضربات

و من لى بان أطوى الضلوع نحيفه على حر و قد ساطع الجمرات

هنات أفضت مضجعى فأجبتها و كم هنه مقبوله الدعوات

و يؤسفى ظلم القريب قريبه بلا سبق ثار عنده وترات

سوى جهره بالحق و القوم أخلدوا إلى كل مجفو من النزعات

تأمل أضاحيك الحياه أ لا ترى قلوب غواه فى وجوه هده

يؤنبى فى أن تنكبت منطقا جزافا و سبلا جمه العثرات

أ كنت أريد الاعتزال لو أننى ضمننت لنفسى ما يقيت نواتى

فهلا أظلتنى الأراكه اننى أمت إليها فى أتم صلوات

أ لست أنا من بعض أغصانها التى يقال لها يا حلوه الثمرات؟

أ لست هى الأخرى بوارف ظلها يعيش منات تلتقى بمئات؟

نعم و لها العذر الصريح فإنها بغيض إليها أن أقدر ذاتى

حنانيك بعضا من تماديك إنه زمان و دهر دائم الحركات

فان كنت لا تستطيع أن تنظر القذى بعينى فلا تطبق على القنوات

و ان سمحت هذى الكئوس فما الذى أباح لك استعمالها جرعات

أ تصلح من أمرى و أمرك فاسد و تشتمنى فيما بحقك آتى؟

عذيرى من داء إذا ما كتتمته قتلت و أخشى عاره بشكاتى

و من أعزل بادی المقاتل معلى ل حرب امرئ شاكى السلاح مؤاتى

تحصن منى بالزجاج محاربا حصونى و قد شيدت بكل صفاه

أهم به لو لا وشائج بيننا قدامى و إبقاء على الحرمات

و لو كنت ممن قد أثار حفاظه لا غرى موتور و شجع عاتى

و قال:

يا خبيه الشاكين ان عدموا القلوب الواعيات

رفعوا مشاكلهم لمن جهل الأمور الواضحات

يا قاده الشعب الجهول و يا خشارمه الولاة

ناشدتكم باسم الحقيقه و هى أصل المنزلات

إن كنتم ممن تبين صدق تلك المرسلات

من شاد عرش الرافدين على الأسنه و الظباه؟

من طارد الأتراك من نادى بجمعهم شتات؟

من قاد للحرب الرجال من الغطارفه الأباه؟

انا شحذنا البيض تسطع حين كنتم فى سبات

مستنقذين حقوقنا من بين أشداق البزاه

انا نثرنا الأرض فى أشلائنا المتبعثرات

و جرى عليها من دماء نحورنا المتدفقات

حتى إذا ما أينعت بقطوفها المتدليات

أضحى لدجله ربحها صفوا فما ربح الفرات

حسناتها اختصت بكم و لنا جميع السيئات

مهلا و لاه أمورنا فالحق يدرك بالثبات

ان سدتمونا يومكم فلنا السيادة فى الغداه

و قال بعنوان (ذكرى شهداء الرميثة):

قسما بصفتى الفرات و من تضمنت الحفر

من كل غطريف أبي أن يستنيم إلى القدر

آلى على أن لا يفر إذا سطا فيهم وكر

كيف الفرار عن الحفاظ و تلكم إحدى الكبر

وصل الخطوط و خط رجعتة إلى العتبي بشر

يحلوه له وقع الرصاص و قد تساقط كالمطر

يلهو و يلعب بالقنابل كالصبايا بالأكر

قسما به مترملا بدمائه لا بالحبر

عطفت عليه الطائرات فشيئته إلى المقر

لواحه تصلى الوجوه و قد ترامت بالشرر

ملقى بقارعه الطريق كأنه إحدى العبر

لو لا بقايا للتصير قد تعين على الظفر

لو لا الصفاء و حرصنا أن لا يشاب به كدر

فتكون ساعدنا الذى يصطاد بالماء العكر

لتخلدت ذكرى "الرميثة" فى مجاميع السور

و لأتبع أيامها الأولى بأيام آخر

الله أكبر قد تجرعنا المرير بل الأمر

إننا نشرناها رؤوس الصيد من عليا مضر

إننا سقيناها دماء طاهرات المعتصر

حتى إذا ما استوسقت و تناولت هى و الشجر

أضحت لنا أشواكها و لغيرنا طاب الثمر

فكأنما هم يعرب كأننا نحن الخزر

و يلى لغلمه يعرب ذهبت دماؤهم هدر

و قال:

أجمعت أن لا ترى إلا انتصارا أمه لم تقبل الضيم شعارا

و استماتت فى هوى أوطانها تحسب النوم عن الأوطان عارا

بذلت فيها النفيسين دما طاطرا حرا زكيا و نضارا

أذكت الحرب على أعدائها و اصطلت فيها كبارا و صغارا

لا تلوموها إذا ما جندت للوغى الأطفال و الغيد العذارى

جرعت من خمرة الحرب و ها هى تبدو اليوم أمثال السكارى

ليت شعرى ما الذى أقعدنا عن - فلسطين - فلم نشحذ غرارا

أ و لسنا أمه مسلمه تأخذ الرحمه دينا و شعارا

تلك أحرارهم فى ساحه الحرب لم يلتحفوا إلا الغبارا

تلك أطفالهم قد نسيت كسره الخبز خماسا و حرارا

تلك زوجاتهم فى حاله تصدع القلب و تستبكي الغيارى

تلك أوطانهم قد غصبت منهم و استبدلوا عنها الصحارى

أ فليسوا فى الهدى إخواننا أ نسينا حقهم حتى الجوارا

أ فيهينا نعيم وارف و دماء العرب قد طاحت جبارا

أ فتهينا قصور و دمي و هم قد سلبوا حتى الديارا

و له يرثى الشيخ جواد الشيبى:

أعرنى جنانا ضاق عن بعضه الدهر فما لى فى الأحداث رأى و لا فكر

أعرنى رأيا فى الأمور مجربا يؤاتيه عزم لا خذول و لا نكر
أعرنى طرفا من بيانك استمع رثاءك إنى لا يطاوعنى الشعر
أبا الشعر هاتيك الكرائم عطلت و حل محل النسق من نظمها نشر
كأنك ما صغت القوافى بجيدها قلاند تبدو دونها الأنجم الزهر
كأنك ما زوجت سائغ لفظها بغير المعانى فهى ولاده بكر
فظورا ترى فى رفرى النجم ناسقا و أخرى بقاع البحر غايتك الدر
مؤرخ هذا الجيل لا الحدس مخطئى و لا القلب رعديد و لا الرأى مزور
تجاوزك الأعوام لغاء حفلا و عندك من تاريخها الطى و النشر
و ما ضقت ذرعا بالحياه و إنما يضيق بها حاشاك مستضعف عمر
و ضاقت هى الأخرى باروع لم يجز على عينه التمويه أو يتطلى السحر
أقول لركب شيعوك إلى الحمى يودعهم قصر و يلقاهم قبر
تباعده عنه يعلم الله لا قلى و لا عن جفا منه، و لكنه الدهر
بكتك عيون الشعر شيخ صناعه و خريت عصر لا وجود به عصر
دفاك و الفصحى و إلا فما لنا تعاصى علينا النظم و امتنع النثر

صالح الظالمى بن الشيخ مهدى

ولد سنه ١٣٤٦.

كتب كثيرا من المقالات فى النقد و الأدب فى مختلف الصحف العراقيه و مارس الشعر فمن ذلك قوله:

ابسمى لى فأنت سر الوجود و اسعفينى فأنت رمز قصيدى

و أرينى سر الطبيعه كيما يتجلى لدى سر الوجود

و اهتفى بى بين الرياض فانى شاعر الحقل و الربى و الورود

و أنا الشاعر الذى رصف الشعر فغنت به ركاب اليد
و أنا الشاعر الذى رسم الشعر سطورا على جبين الخلود
و أنا الشاعر المجيد بنظمى و المعانى أقودهن جنودى
إيه (بنت القريض) و الليل وافى فسليه عن قلبى المعمود
كم به أرمق السماء بطرفى فاصوغ النجوم خير عقود
سأهرا أقطع الليالى و لكن ليس غير الآلام و التسهيد
لا أنيس لى غير أمان تراءى لقلبى المكمود
و الدجى صامت سوى نفثات من فؤاد معدب بالصدود
أو تناج بين المحبين همسا تحت أفق من الظلام البديد
هدأ الكون فالطبيعة خرساء غفت تحت ظله الممدود
لا حوار يعلو و لا الصخب المؤلم يبدو على ضواحي الوجود
غير صب قد أضرم الحب نارا فى حنايا الضلوع ذات وقود
فغدا شاكيا و لا من سميع لشكاه المتيّم المعمود
إيه بنت القريض قد طلع الفجر و وافى بجيشه المحشود
فطوى للظلام رايات ظلم خافقات و لف خير بنود
جر جيش النهار للفتح حتى ضاقت الأرض من زحام الجنود
و إذا بالزهور تبسم للفتح انتشارا مثل الحسان الغيد
و إذا بالطيور تهتف بالنصر و تعلق أنشوده الغريد
طفح الأفق بالمسرات فالكون طروب مبشر بالسعود
و له و جعل عنوانها إلى البلب الصامت:

يكفيك أنك في الفضاء تحديق و على سماك الصادحات تحلق

ص: ٢٣٧

تختال فى الوادى الوديع فىنشى و تهز عارىه الغصون فتورق
و إذا تغنت بالهوى فكأنما فى كل جارحه لسان ینطق
أما الطبعه فهى سحر ذائب طاف الجمال بها و شاع الرونق
فمن الغصون المائسات تعانق و من الروابى الحالمات تشوق
و الجدول الساجى یرف زلاله فى الشاطئين و بالضحى یتمنطق
هذى هى الدنيا كما شاهدتها صوراً یشع بها الجمال و یشرق
فعلام تحجم لا الطيور كأنها تشدو حبالک و الأراهر تعبق
أ و لست شاعرها فان هى غردت لحناً فمن نبرات شعرک تسرق
و إذا تمنقت الزهور فإنما تحكى بديع الشعر حين تنمق
و كفاک حين تقوله إن الدنا طرباً تراقص و الزمان یصنق
دنيا القریض حبتک کل فنونها فعرفت آى الشعر کیف تنسق
و لمست أسرار الحياه و أنها باب تمر به البرایا مغلق
فإذا خطرت على الرياض مفکراً و الزهر عن أکمامه یتفتق
و رأیت ذوب الطل رصع فوقها تیجانها و اختال منها المفرق
تدنو لتعرفه أروح صعدت من عاشق أم دمعته تترقق؟
و تمر بالغردين تعلم منهما هذا ین شجى و ذا یتشوق
و قرأت ما توحى العيون إذا التقت للعب شيقه و أعرض شيق
و لو أن بین الأفق بانث حمرة شفقا تراها أم قلوب تحرق
أنت الذى أطلقت ذهنک فى الفضا و خلقت ما تهوى و ما تتعشق
و أقمت بیتک فى الغمام یزینه ألق الضحى بالوشى لا الإستبرق

و السحب بين يديك تركض هذه إن شئت تطلقها و أخرى توثق
و الريح إن حملت على جنباتها عطرا تمر عليك علك تنشق
حتى إذا كنت المليك يحوطه بالجو من زهر الكواكب فيلق
و أردت أن تنساب في حلك الدجى كاليم في أمواجه يتدفق
صورت (ليلاك) الشراع منورا وسط الهلال فراح يجرى الزورق
و لأنت من فهم الغرام و سره و تعبها ريا و غيرك يشرق
فالحب عندك روضه معطاره لا أدمع تدرى و قلب يخفق
فلو أن ليلاك الطروب ذكرتها غنيت للذكرى بما تتدوق
و لو أنها انحجبت رأيت خيالها في موكب الشمس المهيب يحلق
و لمحت مبسمها الضحوك منظما بين النجوم على الدجى يتالق
و تروح تعتق الزهور كأنما في النرجس الزاكي العيون تحدق
و تطيل مكثك في الغدير كأنه يبدى النواهد موجه المتدفق
و لو ارتمى وضح النهار على الربى فهي الغدائر صاغهن المشرق

السيد صدر الدين فضل الله ابن السيد محمد أمين

اشاره

ولد في (عيناتا [عيناتا]) من جبل عامل سنة ١٣٠٢ و توفي فيها سنة ١٣٦٠.

درس دراسته الأولى في عيناتا في مدرسه السيد نجيب فضل الله فكان من أساتذته فيها الشيخ عبد الكريم شراره و الشيخ موسى مغنيه، ثم السيد نجيب نفسه. و بعد ذلك هاجر إلى النجف سنة ١٣٣٨ فدرس على الشيخ أحمد كاشف الغطاء و أخيه الشيخ محمد حسين و السيد عبد الهادي الشيرازي و الشيخ حسين النائيني و الشيخ نعمه الدامغاني. و في سنة ١٣٥١ عاد إلى عيناتا فأقام فيها عالما موقرا و شاعرا مجيدا.

و كان عفيفا تقيا ورعا يؤثر العزله، مع عمله على هدايه الناس و إرشادهم. و أسرته آل فضل الله من الأسر العلميه العريقه في جبل عامل التي تسلسل فيها العلم و الأدب و الشعر حتى اليوم.

و فتیان صدق أبد الدرہ ذکرہم تواصوا بحفظ المجد [المجد] كهلا و أمردا

رأوا أن كسب المجد أربح مغنما و أبقى لهم ذخرا و أشرف مقصدا

فطالت مناط النجم عزا و رفعه و أربت على الأيام مجدا و سؤدا

باقلام صدق توضح الحق مثلما بها قام عرش الدين حتى توطدا

و فى القصيده التاليه تتجلى صورہ المجتمع يوم ذاك من صراع بين القديم و الحديث، و ما نكب به العرب فى فلسطين:

حننت فاشجنتى على البعد حنه يصعدها داعى الهوى و يثيرها

إلى النجف الأعلى و ما ضم سوره و كثنان رمل فاح نشرا عبيرها

و ماد كرت نفسى مع الصحب وقفه بواديك إلا و استشاط زفيرها

هو الحب و النفس الأنوف فان تجد أخوا صبوه فالحب منها أميرها

تجلى على عرش من النفس و استوى فذل له و هو الجموح قديرها

له النهى و الأمر المطاع كلاهما و منه تقاها لو درت و فجورها

جنود و أعوان مثلن ببابه فيرسلها طورا و طورا يجيرها

فان هلكت تهلكك عليه و ربما تكون حياه النفس فيما يضيرها

أ عاذلتى ما أعذب الحب و الهوى و هل يعرف اللذات إلا سميها

وراءك عنى فاتك القصد إنما يهيج كبيرات الأمور صغيرها

إذا ما تجلى القصد للمرء لم يكن ليشنيه منها لومها و نكيرها

بلوت بنى الأيام حتى خبرتها و هل يعرف الأيام إلا خبيرها

تقر على خسف لمن عز جانبا و إن تكن الأخرى يهر هريرها

إذا أحكمت عقدا ثنتها لنقضه يد لم يكن لله يلوى مريرها

دع الرنق وردا و اقصد الصفو إنما يسوغ لرواد الورود نميرها
فما رنق الأخلاق إلا قذورها و لا راق فى الأمواه إلا طهورها
سلاف دنان نحتسيها تعللا و ليس لدينا كاسها و مريرها
فسكر و لا خمر و لكنما الهوى يسكعها فى وهذه لا نثيرها
أ مختبطا و الليل داج ألا أرح قلاصك لا ياتى عليه مسيرها
فما الليل و البيداء إلا مجاهل تفضل به عقبانها و نسورها
تعاميت عن نهج الهداه فهذه بكوفان أنوار لمن يستيرها
و للمنهج العصرى تنحين ضله و منه استوى عصريها و عصيرها
أ للعصر فضل السبق حتى حدا بها إليه انتسابا جهلها و غرورها
إذا قيل عصرى و لا شىء عندها سوى هذه مما يعد فخورها
تتبه على الأفلاك قدرا و رفعه و ينحط عنها قطبها و أثيرها
رأت أن عين العصر عين حياتها فكان لها إدلاجها و بكورها
أ أبناءها و الفرع يتبع أصله و منكم و فيكم ظلها و حرورها
رويدا فليس السبق للعصر و الذى له السبق يعزى فضلها لا عصورها
أ أبناءها اليوم قرى و فى غد سيغشاك مما تكسبين سعيرها
و ما سود التاريخ إلا صحائف أضلهم ما سطرته سطورها
لقد أودعوا ما أودعوا فى متونها و أكبر منه ما تجن صدورها
أرادوا به أخطاء أمثله الهدى و منه تجلى نورها و ظهورها
إلى السيف أشكو عصبه لا يثيرها من النوم إلا كاسها و خمورها

أ عن رده يا عصبه السوء مزقت حجاب نساكم و استبيح سفورها
و عن تره هذا التظاهر منكم على حرمت الله و هو ظهيرها
و كنتم إلى الأعصار تحيون ذكرها ستمضى بكم أيامها و شهرها
ظننتم بان العصر لا شىء بعده فشيده و لكن للبقاء قصورها
و إن فناء المرء عين حياته لقد ضل عنها رشدها و شعورها
لقد أوضعت فى جهلها و تعمهت على غمه فيها يحار بصيرها
قفى لا تورطك الجهاله و احبسى على العلم نفسا أطلقتها شرورها
فما العلم إلا نقطه رمزت إلى مفاتيح غيب حجبتها ستورها
و فيها انطوى ما كان أو هو كائن فال إليها حشرها و نشورها
تنزلت الأكوان عنها فأشرق شمس سناها و استضاء منيرها
تجلى لها نور من الحق قاهر يصرفها فى حكمه و يديرها
أفاض عليها من شآبيب جوده وجودا به نعمائها و حبورها
جحدتم مجارى فيضها عن ضلاله و هل يجحد النعماء إلا كفورها
شنتم على التوحيد غارات بغيكم لقد تاه فى غلوائه من يغيرها
ألقتم مساوى الفحش لا تنكرونها و هل ينكر الفحشاء إلا غيورها
فلا غيره ياوى لها ذو نجابه لديكم و لا ذو نهيه يستشيرها
عبدتم تماثيل الحياه فضارع لديها و مجبور عليه كسيرها
معالم دين أحكمتها أصولكم إليكم تناهت و استقامت أمورها
أقاموا عماد الدين فى مستقرها بأسيافهم و الحرب تغلى قدورها
هم ركبوا الأخطار حتى توطدت و هل يركب الأخطار إلا خطيرها

فهذى حنين و النضير و خبير و هذى قریش عیرها و نفيها
و هذى و هذى فاسألوها فلم يكن ليخفى عليكم بدرها و غدیرها
بنفسى إذ قام النبى مبلغا عن الله و الرمضاء يغلى هجيرها
مواقف فتح حالف النصر سيفها و كيف و منها ذو الفقار نصيرها
أ يخفى و هل تخفى مظاهر قدره على أمير المؤمنين أميرها
هم بوء وكم مقعد الصدق و الطبا تجن إلى هام الكماه ذكورها
نكوصا على الأعقاب تبغون ثلها و منكم و فيكم عرشها و سريرها
ثبى يا رجال الموت و ثبه نائر يرى غمرات الموت ثم يزورها
فهذى فلسطين و آثار دينكم على الرغم منكم تستباح ثغورها
لقد صك سمع المشرقين نداؤها و قد هتكت منها عليها خدورها
و قد أطلقوا فيها قنابل حقدهم و لم ينهها وجدانها و ضميرها
سل المسجد الأقصى و ساحات قدسه و محرابه هل قام فيه بشيرها
و هل من أذان فوق منبر ساحه من النذر اللسن الهداه نذيرها
و سل أنبياء الله فى حجراته بمن حن فيها هل تزار قبورها
أم انطمست أعلامه و تغيرت و شرد عنها كهفها و مجيرها
فعاثت به أيدي الطغاه فزلزلت معابده " بمباتها " و سعيها
مناطق حقد حلقت فى سمائه تجلى و لكن للخسوف بدورها
متى يا كماه الحرب تعلين رايه تظللها عقبانها و نسورها
بها النصر معصوب إذا ماتر أقلت و أوردتها خوض المنايا هصورها
رضيتم و أنتم قادة الحرب أن ترى شقيقتكم بالدم تدمى نحورها

تنوح على آثارها و قديمها فترحمها آكامها و وعورها
لئن شردوها و استبيح حريمها و من وعد (بلفور) تمادى كفورها
و لم ترع للإسلام إلا و ذمه بما يغتريه عزها و غرورها
و لم تعل من آساده العلب ضجه يطبق أرجاء الفضاء زئيرها
و لم تستمت تحت الصوارم و القنا لتحيى من الضرب الدراك تتورها
و لم تدرع بالصبر عند تراثها و هل يدرك الأوتار إلا هصورها
فما الدين و الإسلام إلا وديعه على الأرض قد ضاعت و ساء مصيرها
فسمعا سراه العرب صرخه آسف إليكم و عنكم وردها و صدورها
شوارد فى الآفاق باق أزيزها تابده آبادها و دهورها
و من بارع العصرين (١) ترفع رايه مشى تحتها شوقيا و جريها
تقل إشارات (الرئيس) فصولها مجردة يوحى إليها (نصيرها) (٢)
و ما ضرها أن الأخير زمانها إذا كان للاعجاز ختما أخيرها
إليكم بنى آل النبي رفعتها ممنعه عصماء عز نظيرها
فبدءا و ختما باسمكم قد جعلتها هديه مولى قل فيه كثيرها
لكم من هواى الصفو أداه شكرها و من يكفر النعماء أنى شكورها
ففى لفظها أودعت حكمه سر كم و من بحر معناكم تمد بحورها
تطالع من بين القوافى إذا ونت و فيها كبا تقصيرها و قصورها
علوقا بأفواه الرواه كأنما تبوء متن العاصفات مرورها
إذا ضاق رحب الأرض عنها تصاعدت فكان على الشعرى العبور عبورها
كان لها فى مفرق النجم غايه يتممها منظومها و نثيرها

فألقت عليه من فرائد سبكها أكاليل نور نمقتها شذورها
خدمت به دنيا عليه تظاهرت أشابه أخلاط نفتها حجورها
تعاوى على أعواد منبر هديه فيلبسها ثوبا من الخزى زورها
تطيل و لكن للخداع هتافها و يعلو و لكن للمراء صفيها
فيا ليت شعرى كيف تفلح أمه تعاوى فبذ العاويات عقورها
و قد خلعت دين الوقار صراحه فخف و لكن للبذاء وقورها
و لا تتقى غب الحديث فترعوى سواء عليها طيها و حبورها
سبيراً منها عينها و غوانها بيوم به قد حاق فيه ثورها
قم الليل إلا نصفه أو أقله فما شرف الأعمال إلا عسيها
و دع ترهات القوم للوم جانباً فما قدر دنيا لا يدوم سرورها
و نفسك صنفاً عن أمور كثيره فما لك نفس غيرها نستعيرها
و ما النفس فى الإنسان إلا حقيقه من الحق جلاها فأشرق نورها
دنت من مباديها فقامت بنفسها و بالملا الأعلى تعالى سعيها
و ما رضت منها الصعب إلا لترتقى مراق عسير السالكين يسيرها
و ترسل فى آل النبى مدائحا تجير لدى الإنشاء من يستجيرها
فان قبلت فازت بنجح و حسبها نجاحا و إلا طال ليلا فكورها
عسى و لعلى أبلغ الغايه التى يكفر عنى سيئاتى غفورها
و حاشا نداكم أن أخيب بموقف توفى به للعاملين أجورها
و قوله فى القرآن:

إن التأسى فى الكتاب فريضه للكاشفين غوامض الألباس

كم ندد السفهاء حين استغربوا أمثاله مضروبه للناس
يهدى به ذو مره و يضل عن سنن الهدى رجس من الأرجاس
غطى هواه عليه فاستغوى و لا ينفك يخبط فى عمى و شماس
أ يحل هدى الله قلبا لم يكن خلوا من الأقدار و الأذناسى.

ص: ٢٣٩

-
- ١- يريد بالعصرين القديم و الحديث و بالشاعرين جرير و شوقى.
 - ٢- يقصد الرئيس ابن سينا و نصير الدين الطوسى.

و له متغزلا:

و مجلس أنس قد حكى بصفائه زمانا تعاطى الحب فيه جميل

تدور علينا بالمدام فريده و ليس إلى رشف الثغور سبيل

إذا سكبت بالكأس من خمر دنها و طاف بها ذو خله و خليل

أقول كان الله أودع كاسنا نجوم سماء ما لهن أفول

إذا مزجت بالماء و هى سخينه سخينا و هل فينا يعد بخيل

لها الله من ممزوجه طاب مزجها لكم ذهبت فيها الغداه عقول

و لله روض فيه بتنا نعلها تراوح فيه شمال و بليل

و لله أيام الصبا أم مالك زمان شبابي لى إليك رسول

لدهرى و شيبى حاكمان كلاهما على فيا لله كيف أقول

لئن قطعت إذ شبت حبلى (بثينه) فانى لها عمر الزمان (جميل)

فان تسخرى منى بثين و تهزئى بشيبى فكم رنت لدى حجول

فانى أنا الصب الذى يعرف الهوى به و يميل الحب حيث يميل

و قال:

و انى لحمال لكل عظيمه و لكن بسر الآل من آل هاشم

هم العروه الوثقى لمستمسك بهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

فعطفنا بنى الزهراء إنى بحبكم عقدت نياط القلب قبل التمام

و قال:

يا آل بيت محمد ما أمكم ذو حاجه إلا و آب موفقا

يممت باب قراكم أبغى القرى ضيفا غدا من كل شىء مملقا

حاشاكم أن تطردوا عبدا أتى يسعى إلى أبوابكم مسترزق
منوا على بنظره من لطفكم أنجو بها من هول يوم الملتقى
فلأنتم سر الإله و لطفكم من لطفه يهيم مغذا مغدقا
عودت منكم عادة لا زال فى نعمائها جسمى نضيرا مورقا
عودوا على بها فروضى قد ذوى من بعد ما قد كان غضا مونقا
إن كان ذنبى مانعى عنكم فقد أفنيت ليلى توبه و تملقا
و العفو أجدر بالكريم و عبدكم قد أم باب رجائكم كى يعتقا
و العفو أنتم أهله و إليكم ينمى و أنتم كنهه ان أطلقا
و لأنتم قصد السبيل و ما انتحى قصد سواه مغربا و مشرقا
عطفوا على بنى النبى فقد غدا ليل الهموم على داج مطبقا
و له حين دخل ضريح الامام أمير المؤمنين "ع":
بامالى وفدت على الوصى صراط الله و النهج السوى
على عدتى و بنى على و هم وردى على ظماى و ريبى
و هم قسمى من الأقسام حق إذا امتاز السعيد من الشقى
يفوز بحب أهل الكهف كلب و أشقى باتباع بنى النبى

صدر الدين محمد خان فائز

توفى سنه ١١٥١ فى الهند.

كان عالما مبلغا، و قد تولى مناصب حكوميه. له مؤلفات فى الفقه و الحديث و الأوراد و المباحثات و العقائد. كما كانت له خبره فى الطب و النباتات و علم الهيئه و أفليدس [أقليدس]. و كان يتميز بحسن إنشاد الشعر العربى و الفارسى.

من مؤلفاته: ديوان شعر باللغه الأردويه، و ديوان قصائد، و إرشاد الوزراء (مخطوط)، و تحرير الصدور، و ترجمه خلاصه الحساب للشيخ البهائى.

صدر الدين محلاتى بن أبو الفضل

ولد عام ١٢٧٣ بشيراز و توفي عام ١٣٩٩ من فضلاء شيراز المرموقين.

درس العلوم الإسلاميه عند علماء شيراز و كان له نشاط دينى واسع حيث عقد حلقات التفسير و الوعظ و الإرشاد، و له تفسير سورة (و العصر) و كتاب أسباب النزول. كان له مكتبه نفيسه أهدها لمدرسه المحلاتى بشيراز. (١)

السيد صفاء إسحاق الهمذاني

ولد عام ١٢٩٧ هـ فى كردستان الإيرانيه ثم انتقلت عائلته إلى مدينه همذان فتربى على يد أساتذتها ثم اشتغل فتره فى التجاره و لكنه تركها و قام بجوله فى عده بلدان فسافر إلى العراق و مصر و السودان و سكن عده سنوات فى الهند.

كان أديبا، شاعرا، عارفا، زاهدا، فاضلا. و كان له إلمام. بعلم الطب و الرسم و كان له خط جميل كان من أعضاء جمعيه أدباء همذان توفي عام ١٣٦٩. (٢)

السيد صفدر شاه الرضوى الكشميرى بن محمد صالح

ولد فى كشمير. و توفي سنه ١٣٥٥ فى لكهنو بالهند.

من مشاهير علماء لكهنو، درس فى كشمير و سافر عده مرات إلى العراق و إيران و استفاد فيهما من المراكز العلميه، على أن دراسته الأساسيه كانت على الملا محمد مقيم الكشميرى.

اشتهر فى الحديث و التفسير و المعانى و البيان و الفقه و التاريخ و علم النجوم، و أكثر شهرته فى الحديث.

من مؤلفاته: أناسى العيون، و هو كتاب ضخيم فى عده مجلدات فى الحديث و التفسير و علوم أخرى.

صفدر على الشيرازى بن حسن

توفى بعد سنه ١٢٥٠ فى الهند.

من فضلاء الهند الذين اتقنوا الأدب العربى، و هو من تلاميذ محمد أصغر بن محمد حسين، و قد عرف من مؤلفاته: الحاشيه على شرح الشافيه.

الشيخ صلاح الدين أوزگوندوز

الفاضل الأديب، إمام مسجد الزينيه فى إستانبول و الخطيب فى "حلقه لى" من محلات إستانبول، له آثار مطبوعه، منها:

١ - ترجمه كتاب "المسلم" للسيد محمد الشيرازى، المطبوع عام ١٤٠٠ هـ. فى إستانبول.

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

صفوان بن إدريس التجيبي:

ولد سنة ٥٦٠ في مرسية (الأندلس) و توفي سنة ٥٩٨.

كان أبوه و خاله من مشاهير علماء عصرهم في الأندلس و نشا محبا للعلم في بيئه مثقفه وسط علماء عرفوا بالتقوى و الصلاح فدرس أولا على يد والده إدريس بن إبراهيم التجيبي (ت ٦٠٦ هـ) العالم بالوثائق و العقود، و خاله القاضي أبي القاسم محمد بن العباس بن إدريس (ت ٦٠١ هـ) ثم انتقل بعدها إلى دراسه العربية و اللغة و الأدب على يد أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور الشاطبي (ت ٢٨٧ [٥٨٧])، و أبي رجال بن غلبون (ت ٥٨٩ هـ) إذ وصف الأول في كتاب له، بان له حق التعليم، و التدريس عليه، و أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، و أبي العباس أحمد بن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ). كما درس عند أبي الوليد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) و أبي القاسم عبد الرحمن بن حبيش (ت ٥٨٤ هـ) و ابن حوط الله (ت ٦١٢ هـ) و غيرهم.

ولا- نعلم متى رحل صفوان إلى قرطبه و أشبيلية و شاطبه و بلنسيه غير أنه من المؤكد قد فعل ذلك، و دخل غرناطه و امتدح القائد أبا عبد الله بن صناديد بمدينه جيان حسبما يظهر في عجلته من غير تحقيق كما رحل إلى مراکش أيام المنصور الموحدى فى حاجه ماليه، فلم يوفق إلى ذلك فصرف نفسه إلى امتداح الرسول الكريم (ص) و أهل بيته و كان ذلك عام ٥٩٠ هـ و منها نعرف أن صفوان كان متزوجا و له أبناء قد كبروا، و كانت رحلته هذه سببا فى ذلك:

إذ أراد تزويج إحدى بناته فلم يستطع فى البدايه كما نعرف أن له أبا يعرف بإبراهيم، و كان شاعرا أيضا: ثم إن صفوان شرع فى مدح أهل البيت ع، و هو إيدان بصعود نجمه، و قد ترك صفوان تلامذه مشهورين منهم أبو عبد الله بن أبى البقاء، و أبو الربيع بن سالم (ت ٦٣٤ هـ) الذى كتب له بعد انفصاله من بلنسيه يصور فيها الغربه التى كان يعانيتها بعد تركه موطنه و أهله كما كان له أصدقاء يراسلونهم و يستجيزونه، و له مراسلات و مساجلات أدبيه حافظه.

و يتضح من خلال هذه المساجلات أهميه ابن إدريس و قيمته الأدبيه و مقدرته الفنيه، و الصور التى يرسمها لنا عن ثقافه عصره و مجتمعه. خاصه و ان صفوان هذا قد حفظ لنا فى مؤلفه زاد المسافر ترجمه (٦٣) شاعرا و أدبيا من شعراء و أدباء القرن السادس الهجرى، و هو عمل كبير، إذ حفظ لنا جملة اسمائهم و نتاجاتهم، و قد اعتمد عليه جميع الكتاب الذين جاءوا بعده.

و من بين أصدقائه المشهورين:

١ - مرج الكحل: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٦٣٤ هـ) من أهل جزيره شقر، الشاعر المعروف الذى كان يكتب لصفوان بن إدريس قصائد ينتظر الاجابه عليها و هو ما كان صفوان بن إدريس يعملها دائما مع أصدقائه.

٢ - أبو بكر البلنسى: كتب له يستجيزه فى أبيات فأجابه إلى ذلك و قد وردت هذه الأبيات عند ابن ظافر الأزدي.

٣ - أبو محمد عبد الله بن حامد الوزير: كانت بينه و بين صفوان بن إدريس صداقه و اخوه وصفه أبو بحر فى (زاد المسافر) بقوله:

" ما عسى أن أقول فيه، و اسمه يحسبه و يكفيه، انفراد بالسؤدد، فأمن من الاشتراك " و كان بينهما إخلاص و موده و مراسله و ثناء فمدحه بأبيات أثبتتها في مصنفه.

كان صفوان شاعرا يتمتع باحساس رقيق و عاطفه و قاده، و خيال خصب و أن شعره لا يعدو الوصف و الغزل و المدح و الرثاء، و ان غزله عفيف ثم إنه مدح رسول الله ص بقصائد جميله، و ابن الأبار عقد مقارنه بينه و بين ابن بقی (ت ٥٤٠هـ). و فوق هذا فقد حظى صفوان بشهره واسعاه خاصه بالمغرب و الأندلس، إذ كان يقوم بتهيئه العزاء الحسينى فى عاشوراء، و يسير أمام الموكب لينشد الناس المشاركين فى المسيره المهيبه قصائد تمثل صورا للمأساه التى حلت بالحسين ع، و مصرع أهله و أصحابه فى واقعه كربلاء سنه ٦١هـ و سبى نساءه و أهله و أطفاله، و قد وصف ابن الخطيب صوره العزاء الذى كان يعرف بالأندلس بالحسينيه و هى عاده قديمه لا يعرف تاريخها على وجه التحديد، لكنها كانت تقام فى مرسية و بلنسيه إذ انتشر الولاء و الحب لأهل البيت ع فى هذه المدن. كما كان الناس يسرون فى مواكب مهيبه توقد فيها الشموع، و تنشد قصائده فى جو من الخشوع يصور فيها المأساه ضمن مراسم يقام فيها مشهد جنازى ترتفع فيها أصوات المنشدين الجماعيه بالبكاء على الحسين ع، (٢) و مهما قيل فى الحسينيه فلم تعرف اليوم أصولها. و رثاء صفوان و بكائه على الحسين ع يتسم بعمق الاحساس، و لوعه الأسى، و توهج العاطفه فهو يصور لنا مشاهد تنبض بالانفعال و الحياه فى جو موسيقى حزين و نبرات متوجعه، و أنات محترقه يستحضر من مشاهدته شخوصا لتثير المشاهد فيتأثر بعمق المأساه فيصور لنا فاطمه ع باكيه شاكيه إلى أبيها مصرع ولدها الحسين ع و هى تذرف الدموع الغزار. (٣)

توفى صفوان و سنه سبع و ثلاثون سنه و قد تولى أبوه الصلاه عليه و ترك مؤلفات عديده أشهرها:

١ - زاد المسافر و غره محيا الأدب السافر: و هذا الكتاب كما ذكرنا عبارته عن تراجم لأدباء و شعراء من القرن السادس الهجرى، و أورد فيه أشعارا كتبت خصيصا له لشعراء كانوا أساتذته أو أصدقاء له و تبدو فيها أهميه صفوان الأدبيه و منزلته العلميه و الاجتماعيه فى ذلك العصر كما أورد فى هذا الكتاب ترجمه لعائلته و خص والده و خاله بالذكر و قد اعتذر المؤلف فى نهايه الكتاب و ذكر أنه لم يرد الفخر بذلك، و لهذا أرجاهم إلى آخر الكتاب، (٤) و كل من جاء بعد صفوان قد استفاد من هذا الكتاب و نقل عنه. (٥)

٢ - عجاله المستوفز و بداهه المتحفز، سماها ابن الأبار "عجاله المتحفز

ص: ٢٤١

١- الشيخ على أكبر مهدى پور.

٢- ابن الخطيب: اعمال الإسلام مخطوطه الخزانة الملكيه رقم ٨٠٧، ٦٩٧. روايه الهراس ص. ك.

٣- الهراس: عبد السلام ص/ل.

٤- زاد المسافر ١٥٧.

٥- ابن الأبار: الحله السيرا ٢/٢٣٧. ابن سعيد: المغرب ١/٧٧، ١٣٧/٢ / ٣٧٣-٣٨٥، ٣٩٠ إ.خ.

و بداهه المستوفز" (١). و هو مجموع ما ترك ابن إدريس من شعر و نثر غير زاد المسافر. ضم رسائله الثريه و قصائده التي قيلت في مناسبات مختلفه و أغراض متنوعه كذلك ضم هذا الكتاب مجموعه الرسائل التي خوطب فيها و الأشعار التي أرسلت إليه، (٢) و يذكر ابن الخطيب أنه في مجلدين، (٣) يضم الأول ديوان شعره، و يضم الثاني رسائله الثريه و قد أورد ابن الخطيب بعض شعره و نشره نقلا عن العجاله. و يبدو أن هذا المجموع اشتمل على آثار صفوان بن إدريس جميعها حتى تلك الرساله التي فاضل فيها بين مدن الأندلس، و أوردتها المقرئ في نفح الطيب. (٤) لكن يهمننا في هذا المقام الخمسه التي تحتفظ بها مكتبه الاسكوريال و هي مبنيه على حروف المعجم خمس بها قصيده إمري القيس:

(إلا أنعم صباحا أيها الطلل البالى)

و عددها ثمانى و عشرون خماسيه فى رثاء الحسين ع (٥) و النسخه كثيره الأخطاء و لم نهتد إلى تصحيح بعضها.

- ١ -

سلامى و إمامى و صوب بكائىعلى معهد للساده النجباء

ثوى أهله من بعد طول ثواء أناديه لو أصغى لطول نداء

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى

- ٢ -

أحييه و الدمع المصون المحجباكمل أهليه يصوب و يسكب

يفضض طورا و جنتى و يذهابأقول له و هو أجرد سبب

و هل ينعمن من كان فى العصر الخال

- ٣ -

رضيت لهذا القلب باللوعه التيقوم بها سوق اللآلى بمقلتى

و عهدى به و الدهر جد مقيتيصبور على الأرزاء جم التثبت

قليل الهموم ما يبيت باوجال

- ٤ -

ألا هل تناجى دارهم و تحدثفانفث و المصدور مثلى ينفث

و هل يسمعن قولى تراث و ككثنو لو اننى أبقى عليه و أمكث

ثلاثين شهرا فى ثلاثه أحوال

- ٥ -

لرء رسول الله بالطف أنشجو دمعى فى مرضاته يتدحرج

كان الأسى در الدموع يبهرجو غيرى من يفنى كما هام حندج

بوادى الخزامى أو على رس أو عال

- ٦ -

مصابى بال المصطفى ليس بيرحفا لك نجزا فى مآلى و ترفح

سوى مدمعى طوع الصبا به ينفحاً لم تر أنى والد جنه يصبح

كبرت و ان لا يحسن اللهو أمثالى

- ٧ -

ألا هل أتى المختار و الحق أشمخمقام حسين و هو بالدم يلطخ

ينادى بأهل روعهم ليس يفرخو أشقى بنى حرب ينادى و يصرخ

- ٨ -

على حين نجل المصطفى يتبردو أيدى بنيه بالجوامع تعقد

و أبشارهم بالمرهفات تخردو فى كل صدر لوعه تتوقد

كمصباح زيت فى قناديل ذبال

- ٩ -

هم نبذوا الأوثان و الغى ينبذو قاموا بنصر الحق لوجد منقذ

و شبت لهم نار الوغى فتلذذوا بمارج نار جمره يتاخذ

أصاب غضا جزلا و كف باجدال

- ١٠ -

خلا ربهم منهم فما فيه مخبرسوى أثر للهدى يخفى و يظهر

تدل عليه زفره تتسعر تنافح مسراها رخاء و سرسر

صبا و شمال من منازل قفال

- ١١ -

إلى فئه الحق المبين تحيزيو بالحب فى آل الرسول تميزى

أدلت لهم صبرى بعيد تعززيو أعطيت دمعى و الأسى وعد منجزى

بما احتسبا من غير مين و تسأل

- ١٢ -

رضيت عدو الله و الله ساخطبما فعلت فى كربلاء المناقط

ألا بأبى تلكك الدماء الغوابطو أبصارها الأعلون عنها شواحت

بيثرب أدنى دارها نظر عال

- ١٣ -

أبا خالد و القدح فى الدين غائظأبى الحق أن تحنو عليه الحوافظ

و أنعى لآل الله حلیم قوائظسمت نحوها أحقادهم و الحفایظ

سمو حباب الماء حالا على حال

- ١٤ -

أما كان فيكم منكر يوم ذلكايقول و قد خاض السيوف الفواتكا

و باشر فى نصر الحسين المهالكالعمرى لا ألقى لك اليوم تاركا

و عاذله هبت على الحزن تعولتقول من السلوان ما لست أفعل
بذلت لها نصحى و ذو الرشد يبذلو إنباتها أنى على السبط أعوله.

ص: ٢٤٢

-
- ١- التكملة رقم ١٨٩٥
 - ٢- تحفه القادم ٨٢.
 - ٣- الاحاطه ٣/٣٥٠.
 - ٤- الاحاطه ٣/٣٥٠-٣٥٩.
 - ٥- الدكتور عدنان محمد آل طعمه.

- ١٦ -

كانى بمن عادى الرسول تجر ماو نادى بنصر الأعداء و هيمما
وجد إلى حرب الحسين و صمما يقاد إلى نار الوقود مذمما
عليه القتام سبي الظن و البال

- ١٧ -

ألا أن سر البغى بالطف أعلننا غداه جنى حلو الشهاده من جنى
و أزمع لا يلوى عنانا على الدنيا تاحت لها بيض مموهه السننا
و مسنونه زرق كأنياب أغوال

- ١٨ -

فقل لابن سعد و العصا عبد من عصا حلفت إليه ويك اشام أبرصا
و لو أنه شاء الخلاص تخلصا وجد لكم فوق الحصا عدد الحصا
و ليس بذى سيف و ليس بنبال

- ١٩ -

و لكنه ما شام سيفا و لا انتضيو عن برم الدنيا الدينه أعرضا
و فى أن يلاقى جده البر أغمضا و قد شغفته لوعه سخطها رضا
كما شغف المهنوءه الرجل الضال

- ٢٠ -

هم خدعوه و الكريم مخدع بمختلف ما فيه للصدق مطمع
و قال لهم ذو إفكهم و هو يسمعا لم يآته و الرشد بالغى يدفع
فان الفتى يهذى و ليس بفعال

- ٢١ -

فلما استطارت بينهم شعل الوغيرغا فوقهم سقف السماء بما رغا

و أصبح ثرثار الهدايه اكتغاو السنه الباغين يا ويل من بغا

فقلن لأهل الحلم ضلا بتضلال

- ٢٢ -

على تلك من حال دموعى تذرففانى حنيات الشئون و انزف

و ينكر منى الصبر ما كان يعرفو أعرض عنه قاليا من يصنف

و لست بمقلى الخلال و لا قال

- ٢٣ -

و لو أن عمرى فى ذرى الزمن ارتقيغده تراءى الجمع بالجمع و التقى

و أجفل خوف الموت من كان حققالقلت و قد جد اليقين و صدقا

لخيلى كرى كره بعد إجفال

- ٢٤ -

و ضاحكت شوقا و الضراغم تعبسو سمر القنا بين الترائب كنس

حمامى و بعض الموت روح منفسو لم انقلب أحمى حياتى و أحرس

على هيكل زهد اجاره جدال

- ٢٥ -

لقد صك وجه البدر شجوا و خمشاو أذرف دمع الجو حزنا فاجهشا

نهار على النهرين جاش و جيشاو أظما أصحاب الكساء و عطشا

لغيث من الوسمى رائده خال

قدس الله ذاك الروح ما شاء و اشتهيو فرسه في الصالحين و نزها

و صابت على شلو إلى تربه انتهيما مع... تحفه النهى

و جاء عليها كل اسحم هطال

و لو لا قضاء أنجز الوعد فافتضوا و سامهم أن يجرعوا السم فارتضوا

علوا مثل ما كانوا بأولهم علوا و عانيت آساد الكفاح إذا سطوا

و قد يدرك المجد المؤثل أمثالي

ساقضى عليه لوعه و مراتيا فاني حياتي و البكاء و القوافيا

و لست أوري كنه ما في اعتقادي او ما المرء في الدنيا و لو دام باقيا

بمدرك أطراف الخطوب و لا آل

و قد قال عنه لسان الدين بن الخطيب أنه انفرد برثاء الحسين. و قال ابن الأبار: له قصائد جليبه خصوصا في الحسين. رحل إلى
مراكش فقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شيء، فقال لو مدحت آل البيت ع لبلغت أملئ، فمدح، و بينما هو عازم على
الرجوع طلبه الخليفة فقضى ماربته فعكف على مدح آل البيت ع و رثائهم. اه.

و إذا كان ابن الأبار لم يذكر اسم الخليفة المقصود فاننا من معرفتنا بتاريخ وفاه الشاعر سنة ٥٩٨ و تاريخ وفاه الخليفة أبي يوسف
يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ ندرک أن الخليفة الذي جرى له مع الشاعر ما جرى هو أبو يوسف يعقوب المنصور.

و من رثاء صفوان للحسين ع قوله من قصيده:

أبكى قتيل الطعن فرع نبينا أكرم بفرع للنبوه زاكى

ويل لقوم غادروه مضرجا بدمائه نضوا صريع شكاك

متعفرا قد مزقت أشلاؤه فريا بكل مهند فتاك

أزيد لو راعيت حرمه جده لم تقتنص ليث العرين الشاكي
أو كنت تصغى إذ نقرت بثغره قرعت صماخك أنه المسواك
و قوله أيضا:

أومض ببرق الأضلع و اسكب غمام الأدمع

و أحزن طويلا و أجزع فهو مكان الجزع

و انثر دماء المقلتين تالما على الحسين

و ابك بدمع دون عين أن قل فيض الأدمع

قضى لهيفا فقضى من بعده فصل القضا

ريحانه الهادي الرضا و ابن الوصي الأنزع

و له هذه القصيدة التي كانت مشهوره ينشدها المسمعون:

سلام كازهار الربى يتنسم على منزل منه الهدى يتعلم

على مصرع للفاطميين غيب لأوجههم فيه بدور و أنجم

ص: ٢٤٣

على مشهد لو كنت حاضر أهله لعانت أعضاء النبي تقسم
على كربلاء لا أخلف الغيث كربلاء و الا فان الدمع أندى و أكرم
مصارع ضجت يثرب لمصابها و ناح عليهن الحطيم و زمزم
و مكه و الأستار و الركن و الصفا و موقف جمع و المقام المعظم
و بالحجر المثلثوم عنوان حره أ لست تراه و هو أسود أسحم
و روضه مولانا النبي محمد تبدى عليه الثكل يوم تخرم
و منبره العلوى للجدع معول عليهم عويلا بالضمائر يفهم
و لو قدرت تلك الجمادات قدرهم لدك حراء و استطير يللمم
و ما قدر ما تبكى البلاد و أهلها لآل رسول الله و الرزء أعظم
لو أن رسول الله يحيى بعيدهم رأى ابن زياد أمه كيف تعقم
و أقبلت الزهراء قدس تربها تنادى أباهما و المدامع تسجم
سقوا حسنا للسم كأسا رويه و لم يقرعوا سنا و لم يتندموا
و هم قطعوا رأس الحسين بكربلا كأنهم قد أحسنوا حين أجرموا
فخذ منهم ثارى و سكن جوانحا و أجفان عين تستطير و تسجم
أبى، و انتصر للسبط و اذكر مصابه و غلته و النهر ريان مفعم
و أسر بنيه بعده و احتمالهم كأنهم من نسل كسرى تغنموا
و نفر يزيد فى الثنايا التى اغتدت ثناياك فيها أيها النور تلثم
فما صدق الصديق حملة مقدم و ما فرق الفاروق ماض و لهزم
و عاث بهم عثمان عيث ابن مره و أعلى على كعب من كان يهضم
و لكنها أقدار رب بها قضى فلا يتخطى النقض من كان يبرم

قضى الله أن يقضى عليهم عبيدهم لتشقى بهم تلك العبيد و تنقم

هم القوم أما سعيهم فمخيب مضاع و أما دارهم فجهنم

فيا أيها المغرور و الله غاضب لبنت رسول الله اين تيمم

ألا طرب يقلى ألا حزن يصطفى ألا أدمع تجرى ألا قلب يضرم

قفوا ساعدونا بالدموع فإنها لتصغر فى حق الحسين و يعظم

و مهما سمعتم فى الحسين مراثيا تعبر عن محض الأسى و تترجم

فمدوا أكفا مسعدين بدعوه و صلوا على جسم الحسين و سلموا

و قال عنه أبو البقاء الرندى فى كتابه " روضه الأنس و نزهه النفس ":

و حسنياته رضى الله عنه كثيره مشهوره نذكر منها ما يليق بهذا الكتاب بحول الله عز و جل، فمن ذلك قوله:

أندب الطف و سبط المصطفى بمراث هي أسرى: من قفا

لا ترم ضوء هدى من بعده فسراج الهدى بالطف انطفأ

و مما أحسن به الإنشاد و أجاد ما شاء: المخمسه التى نظم أقسامها على حروف المعجم، و ذيل مراكزها بأعجاز من قصيده امرئ

القيس التى أولها:

(قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)

منها:

ديار الهدى بالخيف و الجمرات إلى ملتقى جمع إلى عرفات

مجارى سيول الغيم و العبرات معارف هدى أصبحت فكرات

لما نسجتها من جنوب و شمال

السيد ضياء الحسن الموسوى بن نجم الحسن

ولد سنه ١٣٣٨ فى الهند و توفى سنه ١٣٩٨ فى كراتشى هو من أحفاد السيد غلام حسنين كنتورى و سبط السيد ناصر حسين.

درس فى لكهنو على علمائها من أمثال: مولانا سعادته حسين و مولانا غلام عباس زيد بورى و الحكيم ساجد حسين و مولانا

محمد نصير، ثم انتقل إلى حيدرآباد حيث كان يقيم والده.

و بعد تقسيم الهند و قيام الباكستان آثر النزوح إلى الباكستان فأقام في كراتشى و تولى عملا في وزاره الأعلام.

كان يجيد اللغه العربيه و يكتب بها و كذلك الفارسيه و من مؤلفاته حياه الامام زين العابدين (ع)، منظر كربلاء، رساله في الفقه الجعفري مجموعته قصائد حسنيه.

و كتب كثيرا من البحوث في المجالات و الجرائد الباكستانيه.

طاهر شاه الدكنى

ولد سنه ٨٨٠ و توفى سنه ٩٥٢ ذكر نسبه في كتاب (مطلع أنوار) هكذا: طاهر بن رضى الدين الهمدانى بن مؤمن شاه بن زردخان بن شاه خور بن عالم بن محمد بن جلال الدين حسين بن كبار محمد بن حسن بن على بن أحمد بن نزار بن الخليفه الفاطمى المستنصر.

و يقول عنه أنه كان فى مدينه همذان من دعاه الإسماعيليه على الأغلب و أنه انتقل إلى المذهب الجعفرى سنه ٩٢٦، ثم ينقل عن المولى محمد حسين فى كتابه (تذكره بى بها) ناقلا- عن كتاب (نجوم السماء) و كتاب (مرغوب دل) و كتاب (مفتاح التواريخ) إنه كان عالما فصيحا بليغا حسن السيره و الصوره، مشهورا حتى فى البلدان النائيه، و إنه عند ما تاذى من الشاه إسماعيل الصفوى و اختلفت وجهات نظرهما ترك همذان و جاء إلى الهند و وصل إلى بيجابور، و كان الأمر هناك إلى إسماعيل عادل شاه، و لم يكن فى هذا ميل إلى أهل العلم بل كان ميالا إلى العسكريين، لذلك سافر المترجم إلى الحجاز بقصد الحج ثم عاد إلى الدكن فى الهند و سكن فى بلده (قلعه برنده)، و كانت هذه البلده تحت نظاره مخدوم خواجه جهان)، و قد رحب هذا بطاهر شاه و قربه إليه و عهد إليه بتريه أولاده و تعليمهم. و صدف أن بعث (برهان نظام شاه)، أستاذه الملا محمد الشيروانى إلى خواجه جهان فى (قلعه برنده) فالتقى هناك بطاهر شاه فتأثر بعلمه، فكان أن طلب إليه أن يتلقى عليه بعض الدروس.

و لما بلغ الناس خبر تلمذ الملا محمد الشيروانى على طاهر شاه و سمع به برهان نظام شاه اشتهر اسم طاهر شاه فكتب برهان نظام شاه إلى الخواجه جهان مبديا رغبته بمجىء طاهر شاه إلى (أحمدنجر) حيث كان يقيم برهان نظام شاه، و فى سنه ٩٢٨ وصل طاهر شاه إلى (أحمدنجر) و كان فى استقباله خارجها أركان الدوله، فجعل له برهان نظام شاه مكانا مميزا فى مجلسه و طلب إليه أن يلقي درسا فى المسجد مرتين فى الأسبوع، و فى الدرر الأول حضر الدرر برهان نظام شاه بنفسه مصحوبا بالأمرء و أركان الدوله.

و يقول إن (أحمدنكر) صارت مركزا من مراكز الشيعة و علمائها بعد أن كانت خطرا عليهم، و يذكر بين من عملوا على ذلك كلا- من شاه جعفر أخى طاهر شاه و ملا- شاه محمد نيت بورى و ملا- على گل أسترآبادى و ملا رستم جرجانى و ملا على مازندرانى و ملا- أيوب أبو البركه و ملا عزيز الله گيلانى و ملا محمد إمامى الأسترآبادى و غيرهم من علماء العرب و العجم و طلاب الشيعة و بعض الرجال الحكوميين و السياسيين. و أن شاه إيران آنذاك (سنه ٩٥٠) أرسل الهدايا و التحف إلى برهان نظام مع سفيره الخاص فى الهند، و بأدله برهان نظام شاه الهدايا و التحف.

و توفى طاهر شاه فى (أحمدنكر) فدفن فيها مؤقتا ثم نقل جثمانه إلى كربلاء حيث دفن على بعد متر و نصف المتر من قبر سيد الشهداء تحت القبه.

و قد تخلف باربعه أولادهم: ملا شاه حيدر الذى خلف أباه، و رفيع الدين حسين شاه، و أبو الحسن شاه، و أبو طالب. و أربع بنات.

ترك من المؤلفات: شرح الباب الحادى عشر (فى العقائد و الكلام)، و شرح الجعفرىه (فى الفقه)، و هو باللغه العربيه، و حاشيه على تفسير البيضاوى باللغه العربيه، و حواشى على شرح الإشارات باللغه العربيه، و حاشيه على محاكمات الشفاء باللغه العربيه، و حاشيه على المجسطى باللغه العربيه، و حاشيه على المطول باللغه العربيه، و حواشى على گلشن راز باللغه الفارسيه، و شرح تحفه الشافعى.

طهماسب قلى جلاير

"طهماسب قلى خان جلاير" أحد كبار قواد نادر شاه العسكريين.

عينه "طهماسب قلى خان أفشار" (نادر شاه) سنه ١١٤٥ هـ حاكما على أصفهان بعد أن عزل الشاه "طهماسب" الثانى الصفوى عن العرش، و سار إلى "كرمانشاهان" لإخراج العثمانيين من أرض إيران و استعادته ما فقده الشاه "طهماسب" من البلاد الإيرانيه بعد أن هزمه العثمانيون فى آذربيجان.

و فى سنه ١١٤٦ هـ خرج "محمد خان بلوش" والى خوزستان على "طهماسب قلى خان أفشار"، و كان هذا قد أصبح "نائب الشاه". و نشبت فتنه عظيمه فى جميع النواحي من جنوب إيران. فأرسل "طهماسب قلى خان" قائده هذا "طهماسب قلى خان جلاير" من أصفهان و معه اثنا عشر ألف جندى إلى إقليم فارس، و أمر بان ينضم إليه أيضا سائر حكام ولايات فارس بجيوشهم للقضاء على "محمد خان بلوش" و فتنته. و بعد مده قليله لحق بهم هو نفسه.

و كانت خطه "محمد خان بلوش" أن يلاقيهم خارج مدينه شيراز، فخرج منها بخمسه عشر ألف جندى و نزل فى مكان قريب يسمى "دربند" واقع بين جبلين، محصن باستحكامات طبيعیه يتعذر احتلاله. و لكنه لم يستطع الثبات فانهمز فى أول هجوم قام به جند (نادر) و فر إلى "لورستان".

و دخل "طهماسب قلى خان جلاير" إلى شيراز، و تبعه نائب الملك (نادر شاه). و أمره هذا بالمبادره إلى تعقب "محمد خان

بلوش" و القبض عليه. و لما وصل هذا إلى حدود "لورستان" لم يسمح له الأهالي بدخولها و اعتقلوا رسله إليهم و بعثوا بهم إلى "طهماسب قلى خان جلاير".

و قضى "طهماسب قلى خان جلاير" فى أثناء قيامه بمهمته هذه على جميع المتمردين فى نواحى فارس، و أدب الذين كانوا قد سايروا "محمد خان بلوش" تأديبا قاسيا.

و كان "محمد خان بلوش" كبير الأمل باللوريين. فلما خاب أمله بهم هام على وجهه، و "طهماسب قلى خان جلاير" لا ينفك يتعقبه بلا هواده، إلى أن لجأ إلى جزيره "كيش" و استجار برئيس قبيله "هوله" الشيخ علاق.

و لكن هذا اعتقله و اعتقل مرافقيه و سلمهم إلى القائد "طهماسب قلى خان جلاير".

و بعد أن أقر القائد "جلاير" الأمور فى نواحى فارس و نظمها استدعاه "طهماسب قلى خان" نائب الملك سنة ١١٤٧ هـ من فارس إلى آذربيجان و ألحقه بمعسكره. و فى أوائل سنة ١١٥١ هـ عينه نادر شاه آمرا على نواحى إيران الشرقيه فى منصب "حاكم كابل العسكرى". و ظل فى هذا المنصب إلى أوائل سنة ١١٦٠ هـ.

فى أوائل تلك السنه تمرد أهالى "سيستان" بسبب ما كانوا يلقون من مامورى الدوله من تعدد كثير و تكاليف ثقيه. فأرسل نادر شاه "على قلى خان" ابن أخيه بجيش إليهم لتأديبهم و إخمداد ثورتهم. و أرسل معه "طهماسب قلى خان" مساعدا و مراقبا، إذ كان غير مطمئن إلى ابن أخيه و رجاله، و يخشى أن ينضموا إلى المتمردين.

و مع أن قائد نادر شاه "طهماسب قلى خان" نفسه لم يسلم من تعدى جباه نادر، إذ كان هذا قد طالبه بمبلغ خمسين ألفا و مائتى ألف تومان، و بعث إليه بجباته فأخذوا منه هذا المبلغ، فقد ظل على وفائه لنادر شاه. و من مظاهر هذا الوفاء أنه بذل جهدا كبيرا ليثنى "على قلى خان" عن عزمه على التمرد على عمه و بالغ فى نصيحته فلم يصغ إليه. و خشى "على قلى خان" أن يحول "طهماسب قلى خان" بينه و بين ما عزم عليه من أعمال التمرد فدس له السم فى طعامه فمات. و بذلك خلا الجول "على قلى خان"، فغادر "سيستان" إلى "هرات"، و هناك أعلن عصيانه و أخذ بنشر دعوته.

ظفر مهدي جرولى

ولد سنة ١٢٣٩ فى الهند و توفى سنة ١٣٢٠.

درس فى لكهنؤ بالمدرسه السلطانيه و كان من أساتذته المفتى محمد على و مولانا محمد حسين جئسى، و درس اللغه السنسكريتيه على بعض علماء الهندوس.

كان فاضلا عاملا، طبييا حاذقا، شاعرا ينظم المراثى فى أهل البيت (ع)، و كتب عدده كتب فى السيره و الأخلاق و التاريخ.

ساهم فى الثوره الإسلاميه الوطنيه على الإنكليز سنة ١٨٥٧ مساهمه فعاله.

من مؤلفاته: نخبه الأخبار، روض الصادقين، تهذيب الفضائل (ترجم إلى اللغه الإنكليزيه)، معيار المحبه، عقائد حيدريره، هدايه

الإنشاء، مجموعات شعرية متفرقة و فيها المراثى الحسينيه.

ظفر مهدي گهر جائسى

ولد فى قضاء (رائى برىلى) بالهند و توفى سنه ١٣٦٠.

كان شاعرا باللغات الأردويه و العربيه و الفارسيه، و نشر بحوثا كثيره فى

ص: ٢٤٥

المجلات و الجرائد الهنديه لم تجمع فى كتاب، و أصدر مجله (سهيل يمن) شهره علميه أدبيه.

بدأ بشرح نهج البلاغه بالأردويه باسم (سلسيل الفصاحه) و توفى قبل أن يكمله، و قد طبع منه الجزء الأول.

السيد ظهور حسين

ولد سنه ١٢٨٢ فى الهند و توفى سنه ١٣٥٧ فى مدينه لكهنو (الهند) و دفن فى كربلاء.

يقول السيد مرتضى حسين فى كتابه (مطلع أنوار): كان فى عصرنا فى لكهنو أربعة من كبار العلماء و مجتهديهم و هم: السيد باقر و السيد ناصر حسين، و السيد نجم الحسن و السيد ظهور حسين. و هم كانوا أقطاب الهند فى العلم، و ظهور حسين كان يعتبر أستاذ الكل فى المنطق و الفلسفه. و كان عالما جليلا فى الحديث و الأصول و الفقه و الكلام، و كان وحيدا فى الأدب العربى ناثرا شاعرا باللغه العربيه.

كان والده السيد زنده على عالما أدبيا باللغه الفارسيه فتربى برعايه والده، و تعلم القرآن و العلوم الأوليه فى بيت أهله. و فى سنه ١٨٧٨ م أسس الشيخ جعفر مدرسه فى (ميران پور) فادخله والده فى هذه المدرسه فدرس فيها المنطق و الفلسفه و الصرف و النحو و الأدب و الفقه، و كان من أساتذته:

الشيخ سجاد حسين مؤلف كتاب (رمح مصقول) و السيد على نقى شاه من (سلطان پور) و الخواجه غلام حسين سهارن بورى. ثم سافر إلى لكهنو التى كانت مركز العلم فدرس هناك على كبار الفضلاء و المدرسين أمثال مولانا على نقى و السيد على محدث و السيد محمد تقى حتى بلغ درجه الاجتهاد.

و كان أبرز مدرسى الفقه و الأصول فى لكهنو السيد أبو الحسن فجعل المترجم خلفا له.

و قد استقر فى لكهنو مدرسا للطلاب فى بيته، على أن إداره (التأليف و التصنيف) فى حيدرآباد أصرت على مجيئه إليها فاستجاب لطلبها و سافر إلى حيدرآباد، و لكن (راجا محمودآباد) فى لكهنو انزعج من تركه للكهنو و رأى بقاءه فيها أكثر فائده فأصر عليه بالعوده فنزل عند طلبه و عاد إلى لكهنو و شرع فى التدريس فيها. و فى سنه ١٣٢٩ سافر السيد نجم الحسن إلى العراق لزياره العتبات المقدسه فسلم إلى السيد ظهور حسين إداره المدرسه الناظميه.

و فى سنه ١٣٣٢ طلبه حامد على بيك رئيس (رام پور) و سلمه إداره التأليف و التصنيف، و فى تلك الأيام كان السيد نجم الحسن مشرفا على شعبه التعليم فى رام پور، و عند ما عزم على ترك الاشراف عليها تسلم ذلك السيد ظهور حسين. و من أعماله تأسيس شعبه العقائد و الكلام فى (شيعه كالج) فى لكهنو التى تم أمرها بسعيه، كما أنه تسلم مسئوليه (الكالج) مده طويله، و كان عضوا فى شعبه التصنيف و التأليف التى أقامها هناك (المجلس الشيعى).

من مؤلفاته: تقرير حاسم فى نفى عرس قاسم، رساله مختصره فى التوحيد، و مثلها فى العدل، و مثلها فى النبوه، الشافى (شرح كتاب الايمان و الكفر من أصول الكافى)، كتاب كبير فى التوحيد، كتاب كبير فى النبوه، حاشيه على نهج البلاغه، المسائل الجعفريه.

و قد تخرج عليه تلاميذ كثيرون، منهم الدكتور جعفر حسين، و السيد محمد حسين أحد أساتذته جامعته لكهنو، و السيد ذو الفقار حسين، و يوسف حسين، و حافظ كفايه حسين، و السيد عراف حسين.

و يقول السيد مرتضى حسين صاحب كتاب (مطلع أنوار) الذى هو مصدرنا الأول فى هذه الترجمة و فى غيرها من تراجم علماء الهند: أنه استفاد كثيرا من السيد ظهور حسين خلال مخالطته له. (1).

ظهور الله بن دليل الله الصديقى البدايوى

ولد سنة ١١٤٧ فى بدايوى (الهند) و توفى فيها سنة ١٢٤٠.

درس دراسته الأولى فى بدايوى ثم سافر إلى لكهنو و تابع فيها الدراسه، و كان مولعا بالشعر و الأدب، و كان يستهدى فى الشعر الحكيم بقاء الله خان أكبر آبادى، و كان على علاقته وثيقه بمجلس الميرزا جوان بخنث بن شاه عالم فلقبه (خوش فكر خان).

عاش فى لكهنو مده طويله ثم سافر إلى الحج و الزياره، و اتصل بملك إيران فتح على شاه القاجارى، و لقب هناك ب (سعدى الهندى) إشاره إلى الشاعر الفارسى الكبير (سعدى). ثم عاد إلى حيدرآباد.

ترك ديوانا بالشعر الأردوى و ديوانا بالشعر الفارسى، و مثنوى دامق و عذرا بالأردويه.

عابد حسين خواجه بن بخش حسين الأنصارى:

ولد سنة ١٢٤٢ فى (سهارن بور) بالهند و توفى سنة ١٣٣٠ فيمرادآباد.

كان أبوه إقطاعيا ثريا فى سهارن بور و لكنه وجه ابنه إلى دراسه العلوم الإسلاميه، فدرس على القاضى غلام عباس، ثم ذهب إلى لكهنو فدرس على كبار العلماء و عاد إلى بلده، و تولى التدريس فى عدده مدارس مثل مدرسه كورت جولى و المدرسه الجعفريه فى ميران پور و غيرهما، و كان مرجعا لأقضية سهارن پور و دهلى و محافظه البنجاب و ميرته.

و فى سنة ١٣٢٥ ذهب إلى العراق و التقى مشاهير العلماء فاستفاد منهم.

كان يجيد الكتابه باللغتين العربيه و الفارسيه و قد كتب بعض كتبه بهما.

و من مؤلفاته: مفتاح اللسان فى مجلدين فى الأدب العربى، أعجاز وصى (شعر) درد جميل (الألم الجميل)، المطالب الشافيه فى شرح الشافيه (باللغه العربيه)، ترجمه سفينه النجاه إلى اللغه الأردويه، ترجمه شرائع الإسلام، مناجاه (شعر باللغه الأردويه)، ترجمه الجامع العباسى، ذخيره المعاجز (شعر باللغه الأردويه) و غير ذلك.

عاشق حسين

ولد سنة ١٢٤٩ فى الهند و توفى سنة ١٣٣٨.

كان عالما فاضلا، طبيبا، شاعرا. يوجد من آثاره الشعرية: ضربه

ص: ٢٤٦

١- السيد مرتضى حسين صاحب كتاب (مطلع أنوار) هو من أفاضل علماء الهند، و لما جرى تقسيم الهند انتقل إلى باكستان فأقام في (لاهور) فكان من أعلامها علما و أدبا و تأليفا و أخلاقا كريمه، و كان يجيد اللغه العربيه و ينظم فيها الشعر. و قد توفي من قريب، و لم تتصل بنا تفاصيل حياته لننشر له ترجمه مفصله.

حيدريه، مسكه حيدريه.

عالم حسين

ولد سنه ١٢٨٥ فى قضاء فيض آباد (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٥٣.

درس دراسته الأولى فى بلده ثم ذهب إلى مدرسه (سلطان المدارس) و بعد إنهاء دراسته فيها صار مدرسا فيها للأدب العربى، و كان كثير الحفظ لاشعار العرب فى الجاهليه و الإسلام، و كان يدرس طلابه شعر ديوان الحماسه، و ديوان المتنبى و المعلقات السبع و نهج البلاغه، و قد نشر اللغه العرييه فى معاهد لكهنو حتى صار بعض تلاميذه ينظم الشعر باللغه العرييه.

و قد تخرج به كثير من الفقهاء و المجتهدين و الفضلاء و منهم السيد مرتضى حسين صاحب كتاب (مطلع أنوار).

السيد عباس الميرزا بن السيد أحمد الحسينى

ولد سنه ١٢٥٠ فى الهند و توفى سنه ١٣١٠.

كان عالما فاضلا أديبا، من أصفياء السيد حامد حسين، و كان منصرفا إلى التاريخ و إلى الأدب العربى و من مؤلفاته: الحصن المتين فى أحوال الوزراء و السلاطين.

الحاج عباس الأفعالى الشبسترى

الأديب البارع، الكاتب الفذ، الناقد البصير، فقيه العلم و الأدب، المتولد فى شبستر (إيران) سنه ١٩١٧ م. و المتخرج على المولى ميرزا كاظم المجتهد الشبسترى طاب ثراه، و المتوطن فى إستانبول منذ عنفوان شبابه، و المتفرغ للتحقيق و التنقيب منذ نعومه أظفاره، صاحب الأخلاق الجميله و الآثار الكثيره و التحقيقات الأنيقه.

كان يسكن فى جزيره "هيبه لى" من جزائر "مرمره" البحر الذى يصله بالسفور بالبحر الأسود، كما يصله الدردنيل ببحر ايجه، مسيره ساعه و نصف بالسفينه حتى إستانبول، فهو كان يقضى كل يوم ثلاثه ساعات من عمره فى السفينه ذاهبا آتيا، و كان لا يدع التحقيق و التنقيب حتى فى السفينه.

ذهب إلى الحج و زياره القبور المشرفه فى المدينه المنوره سنه ١٣٩٧ هـ و رجع إلى إستانبول. و لبي دعوه الحق فى ١٧ صفر ١٣٩٨.

كان الأفعالى يحسن الفارسى و التركى و العربى و الفرنسى و الأرمنى، و كانت له مكتبه غنيه، أوقفها لمكتبه أهل البيت، الواقعه فى مسجد الايرانيين فى إستانبول.

و ترك آثارا قيمه بين مخطوط و مطبوع، منها:

١ - تاريخ اليهود درس فيه خطر الصهيونيه على العالم الإسلامى دراسه عميقه الجذور، مملوءه بالمنابع الأصيله الشرقيه و الغربيه.

٢ - الماسونيه و قد درس فيه تاريخ الماسونيه منذ بدايتها حتى زماننا.

٣ - سلسله من حلقات واحده درس فيه خطر البهائيه، و أثبت صلتها بالصهيونيه. ٤ - دليل الناسك ترجمه مناسك الحج للسيد شريعتمدارى.

٥ - الصيام فى الإسلام ترجمه كتاب الصوم لراقم السطور.

كما نقل للتركيب الكراسات الكثيره التى كانت توزع من مسجد الايرانيين بقلم راقم السطور، فمنها:

٦ - المعجزه الخالده، انتشرت بمناسبة عيد المبعث.

٧ - الامامه فى الإسلام، انتشرت بمناسبة عيد الغدير.

٨ - الصديقه الطاهره، انتشرت بمناسبة الأيام الفاطميه.

٩ - ماساه عاشوراء، انتشرت فى يوم شهاده السبط الشهيد.

١٠ - المهدي المنتظر، انتشرت فى يوم الخامس عشر من شعبان. (١)

عباس الخليلي ابن الشيخ أسد الله

ولد سنة ١٣١٢ فى النجف فى أسرته إيرانيه خرج منها أكثر من مرجع ديني و اشتهرت بتعاطي الطبابه على الطريقه القديمه. درس على أبيه و غيره من أساتذته النجف، و انغمر فى حياه النجف العامه و طنيا مخلصا و مناضلا جريئا، و قد تجلى ذلك بمساهمته فى ثوره النجف على الإنكليز بعيد احتلالهم للعراق، و كان من بين المحكوم عليهم بالاعدام شنقا، و لكن استطاع الافلات و الهروب إلى إيران حيث استقر المقام به هناك، فبرز فى المجتمع الايراني سياسيا و صحافيا و ديبلوماسيا، فكان لفته عضوا فى الجبهه الوطنيه التى ألفها الدكتور مصدق، كما كان قد أصدر جريده [جريده] [إقدام] اليوميه، و كان من قبل قد عين سفيرا لايران فى الحبشه.

كان كاتباً و شاعراً باللغه العربيه، و ظل وفياً لحياته النجفيه العربيه، معتبرا نفسه من أبناء تلك البيئه يحن إليها، و يتغنى بامجاد العرب الذين ولد فيهم. و نشأ بينهم و ناضل من أجل قضيتهم، فمن ذلك قصيدته الآتيه:

أما و غمام يشبه الظلم أسودا و رعد حكي قصف المدافع بالصدى

و برق يرينا برقه الحق خافقا فسرعان ما يخفى من الطرف إن بدا

و غيث همى هطلا يذكرنى الوغى بمثل رشا من شأنها نمطر الردى

و صدق على فقد السياسه صدقها حدادا بمسود من الفشل ارتدى

و عاصف ریح مر كالموعد الذى لنا ضرب السكسون ناهيك موعدا
و لیل هو الحكم الحیدی حالك قضی لی قهرا أن أبیت مسهدا
یمینا و لم یقسم فتی قبل بالذی وصفت و لكنی حلفت تعمدا
و أقسم بالباس الذى أستعبد الألی قدیما أعاروا الناس مجدا و سؤددا
لقد صبغت منا الدما كل بقعه زهت فبدت غناء فى أعین العدی
أ تغسلها منا دموع جرت و ما أخال لعمرى الوبل ینصاع بالندی
ألا لا سقت أرض العراقین دیمه فهما هی رواها دم عز موردا
و لا باكر الطل الزهور بها فدی حدود الثکالی فوقها الدمع نضدا
و لاهب فى أرجائها نفس الصبا فكم من جریح فى حماها تنهدا
هنینا لأرض طالما ظمئت و أن یکن ریهما من أهلها زادها صدی
ترى أى ذی حق له حاز حقنا بدعواه أن المستفیق تمردا
ألیس الذى فى صفه قام شعبنا و قوم معوج الشعوب و سددا

ص: ۲۴۷

۱- الشیخ علی أكبر مهدی پور.

مشى و مشينا هادئين لغايه فلما استقر النصر فى جنبه عدا
و ولى ببيداء السياسه تائها و لو شام فيها بارق الحق لاهتدى
و لو عاد يرعى للرفيق ذمامه لكنا نرى فى نصره العود أحمدا
رويدا رجال الإنكليز و رآفه إن اليوم أسرفتم فان لنا غدا
و إن قصرت أقدامنا عن خطاكم مددنا إلى ما فوق هامكم يدا
تسدitem ثوب الرجا فى عروقنا و الحتموا باليأس ذيا لك السدى
و لما اكتسيتم ظافرين بنصرنا تجرأتموا ظلما على سلبنا الردا
على مهل ما نحن بالنعم التى ركبتم فهل خلتم خلقنا لكم سدى
يحييكم أهل العراق على النوى فتى فى سبيل المجد أمسى مشردا
تحيه عان كلما هبت الصبا ينوح كما ناح الحمام مغردا
إن اليوم أطلقت اللسان بحبكم فبالأمس عنكم قد سللت المهندا
عواطف لا تنفك تغلى بمهجتى إلى أن أرى فوق الصعيد موسدا
و قال يتحدث كأنه عربى صميم، فالإسلام هو الذى ينطقه:
المجد يشهد يا قحطان و الكرم ان العلى إرثنا أن تجحد الأمم
فالأرض لوح به خطت ماثرنا يراعنا السيف فيها و المدام دم
تصدعت و شكت آلامها و لقد شفت أذى رأسها فى سعينا القدم
لو لا ينو يعرب مدوا ضلالهم على الأنام و لو لم يخفق العلم
لباتت الأرض كالمصدرور نفتتها على الورى شعل فى أثرها حمم
لكنما قد فصدناها و مبضعنا صمصامه فاشتفى منها بنا الألم
بنا أنوف الجبال الشم قد جدعت بكل أشوس فى عرنينه شمم

فمن سفين به انشق العباب لنا و من سبوح له ذلت بنا القمم
و الفلك فى البحر كالأطواد ماخره و الجرد فى البرد كالأمواج تلتطم
و النقع ليل كسا الزرقاء باسوده و البيض شهب جلتها فى الضحى الظلم
سقنا الجيوش كمر السحب مثقله بوابل من نجيع دونه الديم
فرعدها صوت أبطال و زمجره و البرق فيها تغور الشوس تبتسم
بها القنا مثل غاب الليث مشتبك بها الظبا مثل نار العزم تضطرم
بها الحماس كغيظ الحر مشتعل بها النفوس كهطل الوبل تنسجم
بلاد كسرى كسرنا جامها فغدا لها النجيع شرابا صبه العدم
كنا خفافا بأرواح نظير إلى جو الوغى مرحا أن تثقل الهمم
عفنا الثرى و مشينا فى مناكبها سهلا و ما غير أشلاء العدى اكم
ثرنا أسودا فألقينا الملوك بها مثل الذئاب جياعا و الورى غنم
بتنا الرعاه لها فى عفه و تقى لذاك تنفك ترعى عندنا الذمم
كنا إذا انتضينا السيف يوم وغى تهوى الأسره و التيجان تنحطم
و ان هزنا به الخطى من غضب فكل حصن عصى منه ينهدم
فلا تثيروا أهيل الغرب غضبتنا ألا احذروا بأس قوم طالما حلموا
نحن الألى قد بسطنا العدل مذ ملكت أيماننا لا كمن مذ ملكوا ظلموا
فنحن أولى بما يدعونه عبثا تمدنا و لنا قد نصه القدم
و نحن دون الورى الأعلون ليس نرى إلا العلى درجا و السالفون هم
فان غضبنا لأمر ليس يقنعنا إلا الفخار رضوا بالأمر أم نعموا
نظل نرضع ثدى العزم من كرم حتى يدر دما صرفا فننظم

الفخر و الجود فينا أو بنا و لنا و العار و البخل فيهم أو بهم لهم
ان تنكروا فاقراً تاريخ أندلس أو تجهلوا فسلوا آثار من علموا
فى كل مصر لنا بنيان مكرمه هيهات ليس يضاهى أوجه الهرم
لسنا نباهى بآباء لنا قبضوا على الأزمه فى الدنيا و إن كرموا
لا تحسبوا حسب الابنا بمن سلفوا كلا و ما فخرنا الأجداث و الرمم
هيا انظروا حاضر العرب الكرام فما إلا الفخار بنا و العزم و الكرم
فما تغير منا الحال فى غير و لا تزال على ما كانت الشيم
العز مكتسب و الحمد منتهب و الحر مقترب و العمر منهزم
و الثار مطلب و الجار منتسب و العار مجتنب و الفخر مغتنم
و الشهم مرتفع و الندب منتصب و الوغد منخفض و النذل منجزم
تلك الجزيره ما هانت و ما خضعت و أهلها الشوس ما ذلوا و ما لثموا
و لم يدسها العدى إلا و هامهم من دون أرجلهم تهوى و تصطدم
فالسيف يحصد فيها الهام ان لمست كيف العدا صدغها أو مسها اللجم
تالله ما ذل منا سيد أبدا كلا و لا ظل منافى الهوان دم
فاى عار على العرب الكرام و هل ينالنا الخسف أن أزرى بنا العجم
ما كنت أحسب أن العار يلحقنا بامه غبطت أخلاقها الأمم
إنى و إن كان عرقى الفارسى فما أحب إلا أناسا عز جارهم
و قال و هو لا يزال فى النجف قبل الثوره:

أبثك ما بى من جوى يفلق الصما بجيش إذا ما رائد الأمل احتما
و أخشى على نفسى بجنبك عسره إذا بحث أن لا تحمل البث و الهما

جوى طالما أخفيته عنك فالتوى على القلب صلا أرقما ينفث السما

رعى الله قلبا قلبته يد الهوى على الجمر إن ساد الظلام رعى النجما

تحير بين الحب و المجد تائها فمن جاذب عفوا و من دافع رغما

فكم ليله وسدتك الزند و الضنا ينم على وجدى كريك إذ نما

ضجيعين نمسى و الهوى يستفزنا فنخمده رشفا و نوقده لثما

فيورثنا حر الضمير فتنشى عناقا فنطفى حر أنفاسنا ضما

أبيت على هم لو أن يسيره برضوى لأهوى أو يبدل لأنهما

و من كان ذا أنف أشم فقد ضوى إليه من التبريج ما أثقل الشما

أ تدرين لم لم تألف النوم مقلتي و لم لم تفارق مهجتي الهم و السقما

لعلك ترضين العلى لى أن أبح بسرى أو لا تنكرين بى الحزما

تهون على النفس عندك مثلما تهونين عندى مثلما أنصر العلما

هو العزم ما بين المنيه و المنى فسيان أودى المرء أو فقد العزما

أريد ارتياد القطب و الحتف دونه فاما العلى فوزا و أما الردى أما

فقلت أمس فيك أم أنت أبله أعيدك أم هل أعمه أنت أم أعمى

تركت يقينا فى وجود مخلد و رحى تعانى فى يد العدم الوهما

فكم رائد فى البحر صاحب حوته و كم بهمه فى البر قد آنس البهما

فما الرأى أن نفشل و ما النفع أن تفز و ما شان من يمسى الإياب له غنما

فقلت لها قد قال قولك معشر و لكن لى عن قولهم إذن صما

و ناد لنا إذ فيه أطلقت مقولى و حاولت اقناع النفوس به حتما

ألح على القوم ما بين عدل و بين جهول قام يوسعنى شتما

فمن قائل قد جن هذا و زاعم بانى هذار أصابتنى الحمى

و قالوا تطلبت المحال ضلاله و سميت و يك الجهل علما لنا ظلما

لأنك حاولت العروج إلى السما و أمسيت فى قوس البروج إذا سهما

لأسهل من أن تطوى إلى البر خابطا و أقرب من أن يعبر الرائد اليما

و قلع مسامير النجوم من الفضلا لا يسير من أن يبلغ القطب من أما

فقالا إذا هاج الفتى العزم حلقت عزائمه فى الجو بالهمه شما

ص: ٢٤٨

يحاورنى الجهال فى كل محفل و ترمقنى الأبصار تفحص بى الوصما
و فارقت أصحابى و أهلى و جيرتى و قومى حتى الصنو و الخال و العما
فان أنس لا أنس العجوز إذا انحنت تقبلنى باللهف و الأمر قد حما
تقول ألا يا ليت نفسى لك الفدا و قل الفدا لابن أبيت له اما
ألا فى سبيل العلم سر حيث ما تشا و فى ذمه الرحمن ظعنك ان زما
و ودعت عرسى و هى لى غايه المنى و بدلت أنسى و استعضت به الغما
و لما تعانقنا و حان فراقنا لممنا كالانا الشوق تحت النوى لما
فأشبهه در الدمع لؤلؤ ثغرها فمن لامع نثرا و من ناصع نظما
فو الله لا أدرى أقبلت مدمعا إذا اختلط التريج أم مبسما ألمى
و لى طفله كاللبان قدا إذا انثنى و كالبدر فى وجه أغر إذا تما
بكت فبكى من كان حولى بادمع حرار تذيب الشحم أو تفطر العظما
و قالت رعاك الله ليتك ترعوى فتصرف عنى يوم ترحالك اليتما
فخلفتها حسرى بعين قريحه و ودعتها و الدمع يستمطر الرحما
و حلقت فى الجو المريع مخلفا لدى الأهل روحا ثاويا فارق الجسما
و سخرت بالعزم الفضاء و قد هوى من الهول نسر الجو إذ حاول الصدما
كان لفيف السحب أوراق كاتب يخط يراع البرق فيها لنا رسما
كان الكراسى تحتنا أكر بها تلاعبت الأرياح تقذفها لطما
بطياره قد غالب النسر شاوها فكاد السحاب الجون يحطمها حطما
فباتت بعصف الرياح ريشه طائر و كان لفيف الغيم يهوى بها رغما
فمادت و حاولنا النزول إلى الثرى و لكن خشينا البحر يلقمنا لقما

فملنا إلى ما لم يطأه ابن آدم و صرنا لمن يرتاد من بعدنا أدم
نزلنا على الأرض الجديد بهمه بلغنا السما بل قد بلغنا بها الاسمى
فشاهدت ما لم تشهد العين مثله و حملت ما لم يحمل المرء لو هما

السيد عباس حسين قارى بن جعفر على

ولد سنه ١٢٤٠ فى الهند و توفى سنه ١٣٤٥.

كان حافظا للقرآن مع مشاركته فى العلوم الإسلاميه. تولى التدريس فى (دلهى كالج) للعقائد الشيعيه مكان أبيه ثم انتقل إلى
جامعه على گر.

من مؤلفاته: الفرائد البهيه (فى المنطق باللغه العربيه)، كشكول عباسى، حسام عباسى، و غير ذلك.

عباس رياض كرماني

أستاذ علم النجوم فى جامعه طهران - ولد عام ١٢٨٦ فى مدينه كرمان بجنوب إيران، درس فى إيران ثم سافر إلى فرنسا لإكمال
دروسه الجامعيه و حاز على الدكتوراه فى النجوم من جامعه السوربون ثم عاد إلى إيران و شغل منصب أستاذ علم النجوم فى
جامعه طهران و عده مؤسسات علميه و جامعيه أخرى. كان المسئول عن استخراج التقاويم الرسميه فى إيران مده ٤٠ سنه توفى
عام ١٤٠٨ هـ له عده مؤلفات فى علم النجوم و الرياضيات. (١)

الشيخ عباس القرشى ابن الشيخ محمد بن عبد على

اشاره

مرت ترجمته فى المجلد السابع من (الأعيان)، و نذكرها هنا ببعض الزيادات لا سيما فى شعره الذى لم ينشر هناك: ذكره ناسخ
ديوانه السيد أحمد وهبى الكتبى الحلبي بتاريخ ٦ رمضان ١٣٠٠ فقال:

إن هذا الشيخ مر علينا فى حلب سنه ١٢٨٧ هـ فى شهر آب و كان راجعا من سياحته فى البلاد الحجازيه و المصريه و الشاميه و
جبل لبنان، و حيث أن مهنتى بيع الكتب فحضر إلى الشيخ المذكور و اشترى منى طبقات الشعراء لابن قتيبه، و بعد معرفتنا به
باجتماع ليالى متواليه فى منزلى معه بحضور بعض أصحابنا من أبناء الأدب فوجدناه عالما متضلعا بالعلوم العربيه و خاصه فى علم
اللغه يكاد أن يكون إماما و أديبا ماهرا نقادا فى فنون الأدب يحفظ القرآن العظيم و له محفوظات بالأحاديث النبويه الشريفه و
الحكم و الأمثال، و هو يحفظ ما يزيد على عشرين ألف بيت من الشعر ما هو من كلام العرب و من فحول الشعراء المخضرمين و
المولدين، و له مطالعات كثيره عن وقائع العرب و نوادرهم و تواريخهم حتى أنه إذا قص على أحد قصه تاريخيه من المواقع التى
جرت فى صدر الإسلام يظنه السامع أنه حاضرها بنفسه لأنه يعبر عنها بحدافيرها، سألناه عن ولادته فى أى بلد فقال إنه ولد
بمدينه النجف الشريفه فى أقصى إقليم العراق و أنه قرشى النسب، و أعلمنا بسياحته إلى البلاد الحجازيه و البلاد المصريه و الشام

و ساحل فلسطين و جبل لبنان. و قد استقام عندنا فى حلب مده لا تزيد على ثلاثين يوما، ثم ذهب قاصدا بلاد العراق على وعد منه أنه سيعود إلينا بعد ستة أشهر فكانت غيبته عنا عشر سنوات، و كان السبب بذلك أنه ذهب من العراق إلى بلاد الفرس و استقام هناك مده طويله عند سفير الدوله العثمانيه منيف باشا و لما انفصل حضره السفير عن السفاره أخذه بمعيته إلى دار السفاره العليه فاستقام الشيخ بالقسطنطينيه عند الوزير بمنزله مده طويله، و نحن كنا نسمع باخباره من جريده الجوائب لأنه كان مصححا بادارتها، و فى سنه ١٢٩٧ هجرية بلغ الشيخ خبر وفاه أخيه الشيخ موسى و هو بالسياحه فى إحدى المدن الفارسيه فرحل الشيخ من القسطنطينيه إلى بيروت و لبنان و بعض البلاد الشاميه لقضاء أشغاله كما أخبرنا عند وصوله إلينا فى شهر نيسان [١٢٩٧] من السنه المذكوره فمكث فى حلب أكثر من أربعين يوما و فارقنا قاصدا الذهب إلى العراق ثم إلى بلاد الفرس ليكتشف ما كان من مرض أخيه و وفاته، و كان شديد الوله كثير البحث عن سبب مرض أخيه و وفاته، و كان كلما مر عليه ذكر اسم موسى على لسان أحد أمامه تنحدر دموعه من عينيه على غير رضاه و هو يكفكفها حياء من الحاضرين بمجلسه و فى سنه ١٢٩٩ هجرية فى أول شهر رمضان الشريف حضر الشيخ إلى حلب مريضا و هو راجع من العراق و بلاد الفرس و لبث فى حلب إلى أن قضى نحبه فى يوم الأربعاء الثانى و العشرون من شهر ذى الحجه الحرام من السنه المذكوره فشيئنا جنازته بمزيد الأسف عليه و دفن بمقبره العباده خارج باب الفرّج فى مدينه حلب هذا و فى كل اجتماعاتنا مع الشيخ لم نسمع منه شيئا مخلا بمعتقداته و لا بتهذيبه غير أنه كان يظهر لنا التدين و العفه و الاستقامه إلى حين وفاته.

و بعد وفاته فى حلب وضعت الحكومه المحليه يدها فى متروكاته لأجل بيعها و وضع ثمنها فى صندوق مال المسلمين حيث لم يوجد له ورثه بحلب فطلب منى أحد أصحابى أن أشتري له من متروكات الشيخ مجموعات الأشعار التى نظمها الشيخ بحياته و بعد أن اشتريتها له و دفعت ثمنها رغبت أن أنسخ لنفسي نسخه عليها فوجدتها مجموعه مسودات بها كثير من الغلط و التصحيح ما بين السطور المشطوبه و المرصوده و على الهوامش حتى لا يكاد الكاتب الماهر و لو كان شاعرا أن يعتمد على صحتها بصوره قطعيه فنسختها كما هى عليه، و أنى

ص: ٢٤٩

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

تحرith بنسخها على قدر الطاقه و ذكرت ذلك خوفا أن مطالعها بجدبها غلطا فيعدلنى عليه. (انتهى).

شعره

يبدو أنه حين كان فى طهران، كان فيها تاجر يلقب بالكندى يحتكر المواد الغذائيه، فتسلط عليه الشاعر بشعره، ثم هو يهجو من اسمه (سعيد)، و يقول بعض المصادر أن سعيدا هذا كان وزير خارجيه إيران فى ذلك العهد، ثم يبدى نغمته على الوضع الحكومى بجملته، مما يدل على مشاركته عامه له فى الحياه الإيرانيه يوم ذاك، على أن هجاءه ل (سعيد) لا يدل على إخلاص، بل يظهر جليا أن ذلك كان لأنه لم يحسن جائزته بعد أن مدحه بالشعر. و لعل فى شعر هذا الشاعر و سيرته ما يفيد الباحثين فى الأوضاع الإيرانيه فى تلك الفتره:

قال فى هجاء المحتكر (الكندى):

يا ناصر الدين و من مبلغ الشكوى منى على الشحط

طهران كانت خير مسكونه خصت برغد العيش و البسط

فاحتكر (الكندى) غلاتها فاحترقت طهران بالقحط

أحرقه الله بنيرانه ملفعا بالقار و النفط

قد أهلك الناس أما آن أن تهلكه منك يد السخط

و الله ما (الكندى) إلا فتى لم يكن فىنا غير مشتط

ما ذاك فى العلم سوى لفظه من غير إعراب و لا نقط

قد أحبط الرحمن أعماله و العمل الفاسد للحبط

و قال فيه أيضا:

لم أر كالكندى بين الورى باللؤم من حر و من عبد

سيماه سيما مسلم زاهد و القلب منه قلب مرتد

يكاثر الناس بأمواله و ما له فى الحرص من ند

لم يلقى يوم الحشر خلاقه إلا بوجه منه مسود

يوما به يسأله ربه فلم يعد شيئا و لم يبد

عن احتكار القوت و الناس قد أسلمها الجوع إلى اللحد

عن جوع طهران و غلاته لم تحص بالوزن و لا المد

لا أرشد الله له أمره و لا وقاه عثره الجد

و أرسل الله على داره شر بنات البرق و الرعد

و هذا قوله فى (سعيد):

إذا شئت أن تهلك المفسدين بطهران يا ناصر الدين فاقتل سعيدا

فان الفساد عفى رسمه فجاء سعيد فعاد جديدا

و خذ منه ما ملكته اليمين طارف أمواله و التليدا

و خلده فى السجن حتى يموت و أوقره ما دام حيا حديدا

و عذبه حتى يمل الحياه فى كل يوم عذابا شديدا

لقد باد لؤم جميع الأنام و لؤم سعيد أبى أن يبيدا

ألا لعن الله ذاك اللئيم و آباء ذاك اللئام العبيدا

منحتك يا بن استها مدحه فدنس لؤمك شعرا مجيدا

أرى الكلب كلبا و إن علقوا على جيده من عقود فريدا

و لو كنت من بعض أهل التقى بطهران لم تمس منها طريدا

خرجت فكان لسكانها خروجك يا الأم الناس عيدا

أقر خروجك منا العيون فاذهب إلى الناس عنا بعيدا

فيا لك من غصه جرعت سعيدا و لم يهو شربا صديدا

على هجاؤك حتى تشوب على شاعران ترد القصيدا

و عندى مزيد على ما ترى من الهجو اما طلبت مزيدا

و الأبيات الآتية تقدمت في ترجمته المنشوره في (الأعيان) و لكننا نعيد نشرها هنا لتطرد الأحداث الشعريه:

عجبت لطهران ما ذا بها لمعتبر عاقل من عبر

إذا جئتها فاصطبر للأذى و هيهات ما لك من مصطبر

لقد تركتها و لاه الأمور سدى و كذاك أهل الخبر

فألهاهم صيدهم في الجبال فلا يعلمون بها ما الخبر

أصببت بصائرهم بالعمى فضلوا و أبصارهم بالعور

فأين المفر إلا يعلمون بيوم يقال به لا مفر

و قال في رثاء أخيه موسى و منها يعلم أن أخاه توفي في العراق:

فقدت موسى و من يفقد أخا كاخى موسى شقيقى يمت من شدة الحزن

نعم الفتى كان موسى عند طارقه جلى تفرق بين الجفن و الوسن

فما رأت عين راء من يشابهه مجدا و لا سمعت شرواه من أذن

بالهف نفسى على من ليس يخلفه فتى من الناس فى سر و فى علن

تهون كل الرزايا عند ذى جلد إلا رزيه موسى الخير لم تهن

لله أى فتى وارت حفيرته و أى ليث عرين لف فى كفن

قدمات من كنت أرجوه لنائبه و من به كنت استعدى على الزمن

رزيه كالحسام العضب منصلتا عن جفنه أو كصدر الذابل اللدن

مهذب لا يحل الجهل حبوته إذا الحلوم هفت بالراجح الرزن

بأنه ما انحنت يوما أضالعه لدى الموده و القربى على إحن

من مفعم للمنايا بعد ما نطقت فاخرست مثل هذا المصقع اللسن

بوركت من ساكن وادى السلام و يا وادى السلام لقد بوركت من سكن

جاورت خير الورى بعد النبى فيا طوبى لمن بات جارا من أبى حسن

أنالك الله منه رحمه و سقى ثرى ضريحك صوب الوابل الهتن

و قد ورد فى ترجمته فى (الأعيان) أن البيتين قبل البيت الأخير قالهما فى رثاء الشيخ عبد الله الخاتونى العاملى و قد توفى فى النجف.

و له يمدح شهاب الملك حسين والى خراسان:

من كشهاب الملك إذ جئته عاجلنى بالجود أن أقعدا

قد ملأ الكف لنا فضه و لو قعدنا ملئت عسجدا

و له:

خليط تناءى و شط المزار قفا لنبك رسوم الديار

و لله خال على خده كنقطه مسك على جلنار

و سيف بجفنيه لو ينتضى رأيت اليمانى غضب الغرار

اداوى اشتياقى بتذكاره و هل تنطفى النار يوما بنار

اكفكف دمعى فى الكاشحين و يدعوه شوقى البدار البدار

رآنى صبغيرا فلم يعتبر مقامى و أعلى النجوم الصغار

يروقون طبعا بمر الدهور كان خلائقهم من نضار

و كم من حسود يود اللحاق فيهم فلم يعتلق بالغبار

ص: ٢٥٠

و قال:

إننا أناس إذا زرنا ذوى كرم قد غص مجلسهم بالساده الغرر
نكف أنفسنا عما يخالفهم ولا نشوب صواب القول بالهذر
نصغى إذا حدثونا فى مجالسهم إلى حديثهم بالسمع والبصر
إن كلمونا تكلمنا و ان سكتوا عنا سكتنا بلا عى و لا حصر

و قال:

أ تنكر فخر قريش البطاح جهلا إذا فخرت فخرها
إذا شئت فاطمس نجوم السما بكفكك و استر بها بدرها

و قال:

أقول شعرا لا أبالى به كأنما أعرف من بحر
سهل القوافى فى محكما نسجه مهذباً من جيد الشعر
و له مراسلا صديقه منيف باشا سفير تركيا فى إيران:
لعمرى لقد أجرى دموعى و شفنى تذكر من بالشام أضحت ديارها
أ ليس (منيف) بعد ربي قادر على قرب من قد شط عنى مزارها
بلى و جلال الله لو شاء كان لى منى النفس فيما شاءه و قرارها
إلى الله أشكو ما بنفسى من الجوى و لوعه وجد لا يبوخ أوراها

و قال هاجيا:

أ من ساكنه القصر همى دمعك كالقطر
أ إن أبصرت منها صوره أبهى من البدر
تبيت الليل ذا وجد على الأحشاء كالجمر

تولى عصر لذاتي سقاه الله من عصر
فوا لهفا مضت أيامه من حيث لا أدري
فعد القول عن هذا إلى النعمى ذى الغدر
عذيري من عدو الله قد عيل به صبري
أما من باسل مستهتر بالضربه البكر
فيغشى من بنى نعمه رأس الغادر الغمر
بسيف صارم الحديد غضب ظاهر الأثر
وجدنا حسنا زاد على كل أخى عهر
بلؤم ضاق عن قطريه وسع البر و البحر
و نفسى لا تريش الدهر ما عاشت و لا تبرى
فلا تغبطه إن أصبح بين الناس ذا وفر
غنيا ماله يربو على التعداد و الحصر
فهذا كله مال اليتامى الجوع الغير
فيا سر بنى آدم من عبد و من حر
ساشفى منك بالتهجاء منى غله الصدر
و من أضيع ما ضيعت فى سر و فى جهر
زمان ينقضى بالشعر فى هجوك من عمرى
فخذ قافيه شنعاء تبقى أبد الدهر

و قال و هو فى (تجريش) من ضواحي طهران:

دعانى (منيف) فابتدرت لأمره و من يدعه منا منيف يبادر

فقال تصبر سوف تنزل منزلا كريما نواحيه عزيز المجاور

و لو صبرت نفسى على ما يريد لفتت و لكنى امرؤ غير صابر

فأصبحت فى تجريش لا أنا بالذى ثوى رحله فيها و لا بالمسافر

و قال و ربما كان يعنى نفسه:

إنى لعمرك قد جربت ما سمعت أذنى و ما أبصرت عيني من الناس

فما الرحيق بماء المزن ممتزجا يوما بأطيب من أخلاق (عباس)

و قال:

يا من لقلب براه الوجد فانصدعا و هائم فى غيابات الهوى وقعا

فليذهب الشوق بى ما كنت أوله من قادته قسرا يد الأشواق فاتبعها

أبقت بنظرها عيني على كبدى لشقوتى و بلانى الهم و الجزعا

و قال:

تفرق الحسن ما بين الملاح و لا أراه إلا بقيس قد اجتمعا

يا لائى لو شاهدت صورته للمت من لم يمت فى حبه ولعا

إذا بدا بالثياب السود مرتديا تخاله البدر فى جنح الدجى طلعا

تالله ما مر إلا و اجتلى نظرى من رائق الحسن فى أعطافه برعا

أحلى و أعذب من تقبيل وجنته إذا أردت له التقبيل فامتنعا

يا عين اعثرت قلبى فى محبته لو كان فى غير قيس لقلت لعا

يوما بأحسن منه حين تنظره عند التفاتته جيدا و لا تلعا

ما ظبيه راعها القناص فالتفتت مذعوره أشعرت أحشاءها فزعا

سعى إليه بى الواشى فغيره فأزور عنى لواش بالفراق سعى

لم يبق لى هجر قيس سوى جسد بال و لم يدر قيس بما صنعا
قد ألبس الجسم من نسج الضنا حلالا و جرع النفس من كاس الردى جرعا
رضيت بالوصل منه أن يكلمنى أو أن نبئت فى الخيال معا
و قال ذاكرا بلده (جبع) فى جبل عامل:
ما زلت فى (جبع) تهذى و ساكنها هيهات منك الألى أضحوا على جبع
فارقتهم لا هناك العيش بعدهم و لا بقيت فمت بالوجد و الجزع
و له فى على بك الأسعد:

أبا السعود إن يفض ماء الندى فإنه من كفك اليمنى نبع
أو يورى فى داجى الخطوب ثاقب فإنه من رأيك الوارى سطم
لو يقتدى فى ظنك الجاهل فى ما قدر الله على الغيب اطلع
ان الذى بارك فى شاو العلى به العثار مولع أى ولع
كأنما سعيد يان أسعد عثاره فهو يقوم و يقع
لا يستقر جنبه بمضجع كأنه منك على الجمر اضطجع
لم يك فيما قسم الله له بقانع لو كان ذا حظ قنع
من مبلغ (عبد العزيز) أن من سطوتك الضأن مع الذئب رتع
محوت بالعدل الذى سرت به ما نقش الجور و خطت البدع
حملت أعباء من السؤدد لو يحمل بعضها ثبير لانصدع
فلا يسئل عن الغوادرى ما حل أنت له الغيث إذا الغيث انقطع
فأسلم و سد و نل و طل و مر ما أشرقت شمس و ما نجم طلع
و قال مفتخرا:

أنا الفتى من قريش طاب محتده فى ذروه المجد بين العم و الخال

ما فى عيب إذا ما أنصفتنى كرما إلا إذا كان عيبا قله المال

ص: ٢٥١

و قال:

تفاخرنى جهلا فجننى بأخر كآخرنا فى المكرمات و أول
و جننى بعم مثل عمى جعفر و جننى بخال مثل خالى هيكل
و جننى بقوم مثل قومى ساده جسام أياديهم على كل مرمل
فما أنت أن عد الرجال معرف و لا أنت منى فى المعالى بامثل

و قال:

أف لهذا الدهر لم يترك حرا على الأرض بلا ظلم
يسقى خبيث الأصل من شهبه و طيب العنصر من سم

و قوله:

و قد تدرك الحاجات بعد وفاتها إذا ما طلبناها بهمه حازم
فقد يلتجى المظلوم منه إلى امرئ همام لدى الحكام أنصف حاكم
و له فى صديقه منيف باشا و هو فى الاستانه:

يجود منيف لا يبالي كأنما نوى أو حصى فى راحتيه الدراهم
ألا لا تلوموه على الجود إنه ليزداد جودا كلما لام لائم

و قال:

لا بد من كاس حتف سوف أشربها إن كنت فى وطنى أو غير أوطانى
و كل شىء و ان غصت لواظها عنه صروف الليالى برهه فانى

و قال:

نفسى فداؤك جهزنى إلى وطنى قد طال شوقى إلى أهلى و أوطانى
فان أكن أنا لم أشكرك عارفه فالخير بالخير عند الله مثلان

و له يمدح منيف باشا ناظر المعارف العموميه حينما كان معه فى القسطنطينيه عام ١٢٩٦ و قد ورد بعضها فى ترجمته فى (الأعيان):

بان اصطبارك لما بانت الظعن و أقفرت من هواك المسعف الدمن

و النفس إن فقدت عهد السرور و لم تركن إلى صبرها أودى بها الحزن

ما صبر ذى غربه بالروم ليس له ألف بدار ثوى فيها و لا سكن

يقضى النهار فان جن الدجى طرقت همومه و تحامى جفنه الوسن

لا تعذلونى على ما قد منيت به إنى بما قدر الرحمن مرتهن

و بى من البين وجد لا خفاء به باد و آخر مثل النار مكتمن

قد كان شرخ شبابى فى غضارته تظلنى و الهوى أفنانه اللدن

فاخلقت جدته الأيام و انصرفت تلك الحبال و ولى ذلك الدرن

و أصبح الشيب فى رأسى يلوح به للنفس منى إلى ورد الردى سنن

دع ذا و قل فى (منيف) ما يكافئه عن بره فلقد زادت له المنن

كم قد أفادك من مال و معرفه و حكمه ما وعت أمثالها أذن

فتى جميع سجايا الخير قد كملت فيه فمنفرد منها و مقترن

من لم تزل داره فى كل آونه مأوى لكل غريب ماله وطن

و كل عاف و ذى قربى و أرملة و بائس و يتيم خانه الزمن

جادت يده عليهم بالنوال كما جادت على محل بالوابل المزن

و لا يصون نفيس المجد من أحد إلا امرأ لنفيس المال ممتهن

قد صغر الناس فى عينى مخبره فما بهم من يساويه إذا وزنوا

كما هو روح لا يحيط به وصف و هم أن تناهى وصفهم بدن

لقد تعادل فيه خصلتا كرم قول مصيب و فعل كله حسن
يزينه الصمت عما لا انتفاع به فان تكلم فهو المصقع اللسن
لم يأتمن أحدا في السر و هو على ما استودعوه من الأسرار مؤتمن
حتى لقد كان يخفى سر صاحبه عن موضع حل فيه الحب و الإحن
مؤيد العزم لا يشكو إلى أحد صرف الزمان إذا حلت به المحن
حلو لإخوانه لانت خلائقه لهم و مر على أعدائه خشن
ماضى العزيمه ما فى طبعه خور عند الخطوب و لا فى رأيه أفن
نعم الملاذ (منيف) عند نائبه لم يغن فى دفعها الاخوان و الخبن
هو الأديب الذى تجلو بديهته كنه الأمور التى يعيب بها الفطن
ما ضاق يوما له باع بمكرمه و لا تعلق فى أعراضه درن
و ما له غير أن يسعى لهتمته لعز دولته أو دينه شجن
إن الزعيم بنصر و اعتلاء يد لدوله هو من أركانها ركن
قاد المعالى فانقادت بأجمعها له فاضحى لها فى كفه الرسن
لا تعجبوا منه أن نال العلى و مضى قدما فمثل (منيف) بالعلى قمن
من معشر ما اعتراهم يوم مسغبه أو يوم ملحمه بخل و لا جبن
و لا ترى دوحه طابت أرومتها إلا و طاب لها فى عرفها فنن

عباس ميرزا نائب السلطنه

"عباس ميرزا نائب السلطنه" هو الابن الثانى ل "فتح على شاه قاجار". ولد فى الرابع من ذى الحجه سنه ١٢٠٣ هـ فى قصبه "نوا" من مازندران.

و فى الحاديه عشره من عمره نصب وليا للعهد و عين حاكما على أذربيجان برعايه "سليمان خان قاجار اعتضاد الدوله" و عين "الميرزا عيسى الفراهانى" المشهور ب "ميرزا بزرگ" وزيرا له و عين القائد "إبراهيم خان سردار قاجار" قائدا لعسكره. فسافر

إلى تبريز قاعده أذربيجان.

وقيل إن تعيين "عباس ميرزا" لولاية العهد و حكمه أذربيجان كان فى سنة ١٢١٣ هـ. وقال آخرون إن اتخاذ تبريز مقرا لأولياء العهد القاجاريين إنما كان فى سنة ١٢٢٠ هـ.

وفى سنة ١٢١٨ هـ أرسلت روسيا جيشا بقيادة "سى سيانوف" لاحتلال القفقاس. فاحتل مدينة "كنجه" (١) و أوقع بأهلها قتلا عاما دام ثلاث ساعات. فأرسل "فتح على شاه" ولى عهده حاكم أذربيجان "عباس ميرزا" هذا و كان فى السادسة عشره من عمره، بجيش من ثلاثين ألفا بين فارس و راجل، إلى الحدود الأذربيجانية القفقاسيه لوقف تقدم الروس و إجلائهم. و بعث معه جماعه من الرؤساء المعترين.

وفى سنة ١٢٢٤ هـ أرسل "عباس ميرزا" أيضا مره ثانيه إلى "كنجه" لرد عدوان الروس، و لكنه لم يصنع شيئا. و فى سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١١ م) عقدت روسيا و إنكلترا بينهما معاهده صداقه و تعاون، و أولياء الأمور فى إيران، كدأبهم، غافلون عما يجرى من تحركات سياسيه فى العالم. فى تلك

ص: ٢٥٢

١- "كنجه" مدينة إيرانيه قديمه. كانت مسكن الحكيم الشاعر الايرانى المعروف "نظامى" و فيها مدفنه أيضا. و كان الروس يحتلونها قبل انعقاد معاهده "گلستان" و غيروا اسمها "إيليزا بيتبول". و بعد انقلاب أكتوبر الروسى سنة ١٩١٧ م سماها السوفيات "كيروف آباد".

السنة كان الروس قد أعدوا خطه متقنه و حصلوا على معلومات كافية، فمكثهم ذلك من مباغته جيش "عباس ميرزا" نائب السلطنة في "أصلان دوز" فوقعوا به هزيمة شديدة و كبوده خسائر عظيمة، فاضطر "عباس ميرزا" أن يتراجع إلى تبريز. و انتهت هذه الهزيمة بعقد معاهدة "گلستان" في ٢٩ شوال سنة ١٢٢٨ هـ الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١٨١٣ م.

في ذلك التاريخ كانت روسيا و فرنسا تتحاربان، و نابليون يقود حملته على موسكو. و بين إنكلترا و روسيا علاقات صداقه و وفاق، و إيران غافله عن هذا الأمر. فأراد السفير الانكليزي "السيرغور أوزلي" أن تأمن روسيا جانب إيران و تنصرف كلياً إلى محاربه نابليون. فحمل الصدر الأعظم "الميرزا محمد شفيع"، و كان صنيعه الإنكليز مأجورا لهم، على مصالحه الروس صلحا فيه خساره لايران و غنيمه لروسيا، و أوعز إلى "الميرزا أبو الحسن خان الشيرازي" سفير إيران سابقا في إنكلترا، و كان على شاكله الصدر الأعظم في صلته بالانكليز، أن يساعده في هذا المسعى، و انتهى الأمر إلى عقد معاهدة "گلستان"، و تنص المادة الثالثة منها على أن تتخلى إيران لروسيا عن ولايات "قرباغ" و "کنجه" و "شکی" و "شیروان" و "قبة" و "دربند" و "بادکوبا" و قسم من "طالش" و "داغستان" و "کرجستان" و "آشوق باش" و "کورنه" و "منکريل" و "أبخاز".

و تنص المادة الخامسة على منع إيران من اقتناء سفن حربية في بحر الخزر.

و وقعت، بعد هزيمة "أصلان دوز" و عقد معاهدة "گلستان"، اضطرابات في إيران في خراسان و أستراآباد و غيرهما، و لكنها أخمدت بسرعة.

و في سنة ١٢٣٧ هـ سارت جماعه من باشاوات العثمانيين المعترين بجيش عدته سبعون ألف جندي إلى حدود إيران لاسترداد المدن التي كان الجيش الايراني قد احتلها قبل عام في معركة حربية انهزم فيها العثمانيون. فخف "عباس ميرزا" نائب السلطنة إلى ملاقاتهم، و أمده "الله يار خان دولو قاجار" الملقب ب "أصف الدوله" بجيش سار به من طهران عدته عشرة آلاف جندي بين فارس و راجل. و أراد الايرانيون في ابتداء الأمر معالجه الموضوع بالصلح، و لكن العثمانيين رفضوا و وقعت حرب انتهت إلى تغلب الجيش الايراني على العثمانيين.

ثم دخل عهد آخر من الحروب الروسيه الإيرانيه. بدأ سنة ١٢٤١ هـ و انتهى في الثالث من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤٣ هـ باحتلال الروس لمدينه تبريز، و كان "عباس ميرزا" قائد الجيش العام في هذا العهد. و أبدى شجاعه و إقداما فائقين حتى تمكن، في أول الأمر، من عبور نهر "أرس" و هزم العسكر الروسي و احتل مدينه "شوش" مقر حاكم "قرباغ"، و كان الروس يحتلونها من سنة ١٢١٩ هـ. ثم أرسل فرقه من جيشه بقياده ابنه الأكبر "محمد ميرزا" و خاله "أمير خان سردار قاجار" لاحتلال "کنجه" و "تفليس". و لكن الجيش الروسي بتفوقه عددا و تنظيمه قضى على هذه البعته، و قتل "أمير خان سردار".

و أراد "عباس ميرزا" تدارك هذه الخساره فجمع جيشا سار به بنفسه من "شوش" لاحتلال "تفليس". و يومئذ غيرت الحكومه الروسيه قياده جيشها فنصبت الجنرال "إيفان باسكيفيتش" قائدا له في مكان الجنرال "بيرمولوف". و تهيأ القائد الجديد بقوه من المحاربين المتمرسين المنظمين لملاقاه عسكر "عباس ميرزا". و وقعت بين العسكرين معركة شديده أجاد فيها الايرانيون القتال، و لكنهم عجزوا عن مقاومه القوه الروسيه و ما كانت عليه من تفوق في العدد و التنظيم و المدفعية، و قتل منهم آلاف الجنود. فاضطر "عباس ميرزا" إلى التراجع مع بقيه السيف من جيشه إلى شاطئ نهر "أرس".

بعد هذه الهزائم انحصر أمل الدولة الإيرانية بجيش "إيروان".

و تقدم الروس إلى "إيروان" فدافع عنها جيشها دفاعا مجيدا، و ثبت المدافعون في وجه جيش الروس الجرار أربعة أشهر عجز فيها الروس عن احتلال المدينة. و لكن انقطاع طرق المواصلات بين "إيروان" و سائر النواحي من إيران انقطاعا كليا قطع عنها كل مدد من خارجها، فاضطر المدافعون إلى التسليم. و حصل "باسكيفيتش" من دولته، بعد هذا الفتح، على لقب "فاتح إيروان".

و أراد الروس، بعد احتلالهم تبريز، احتلال العاصمة طهران. و لكن الإنكليز كانوا يرون أن الروس حسبهم ما احتلوا من بلاد، و أن تقدمهم إلى أبعد من ذلك ينافي مصالحهم، فتدخلوا يتوسطون للصلح.

و لما رأى "عباس ميرزا" ما آلت إليه الحال اضطر مكرها إلى نفض يده من الحرب و القبول بالصلح، و تعينت بلده "دهخوارقان" مكانا لتلاقي الطرفين. و ذهب "عباس ميرزا" مع جماعه من رجاله إليها ليفاوض الجنرال "باسكيفيتش" في موضوع عقد معاهدة الصلح.

في هذه الأثناء، إذ وصل خبر احتلال تبريز إلى طهران، استدعى "فتح على شاه" كل أبنائه و الحكام أن يحضروا إلى طهران مع قواتهم العسكرية للدفاع. و منهم ابنه "حسن على ميرزا شجاع السلطنة" حاكم خراسان جاء إلى العاصمة بقوه منظمه رافعا رايه سوداء من رايات الآستانه الرضويه، عازما على متابعه حرب الروس.

و في طهران كان جماعه من مخالفي "عباس ميرزا" يفسدون أمره و يضادونه بحجه أنه انحاز إلى الروس و حالفهم، و التفوا حول أخيه "شجاع السلطنة" و حسنوا له أن يطلب ولايه العهد لنفسه فانقاد لهم. و تفوه الشاه بكلمات تستشم منها قله العنايه بعباس ميرزا، و أمر أبنائه باحترام "حسن على ميرزا". و تقرر أن يسير هذا بمن في طهران من العسكر إلى قزوین و "خمسه" لمتابعه محاربه الروس.

و وصلت هذه الأخبار إلى "باسكيفيتش" و وصل معها خبر كاذب بان "عباس ميرزا" قد عزل من ولايه العهد، فأوقف المفاوضات في موضوع عقد معاهدة الصلح و انصرف عن الاهتمام به.

و رأى "عباس ميرزا" أن مقامه يتزعزع لما يجرى في طهران و أن من الممكن أن يعزل من ولايه العهد و ينصب غيره لها، فانحاز إلى الروس و سالمهم ليستنصر بهم. و اجتمع "السير ماكدونا لذكينر" سفير إنكلترا في طهران بالجنرال "باسكيفيتش" و قررا إيقاع الصلح بين روسيا و إيران.

و كانت مفاوضات سابقه على هذا الأمر قد جرت بين لندن و بطرسبورغ بالطبع. و تعذر على الشاه المغلوب متابعه الحرب بسبب ضعف الجيش الإيراني و تضارب الآراء بين أولياء الأمور و عجزهم عن معرفه ما هم مكلفون به و اختلال الأمن في بعض النواحي من إيران و إصرار الإنكليز و الروس على سياستهم. و من ثم انتهى الأمر إلى عقد معاهدة "ترکمان شای" بين روسيا

و إيران. و فرضت روسيا على إيران في هذه المعاهدة أحكاماً قاسية مذهلة كما هي العادة في المعاهدات التي يفرضها الغالب على المغلوب فرضاً. و اشترط الروس في المادة السابعة منها أن تكون ولاية العهد في إيران منحصره في "عباس ميرزا" و أعقبه من بعده، و اضطرت الدولة الإيرانية و شاهها إلى الرضوخ لحكم الدولة الغالبة. و عادت إيران بهذه المعاهدة دولة ممزقة لا حول لها و لا قوة، عاجزه عن النهوض.

و وقعت بعد هذه المعاهدة، بين سنة ١٢٤٣ هـ و سنة ١٢٤٦ هـ، في نواحي كرمان و يزد حوادث انقلابية و حركات ثورية. و بدت من الأخوين "حسين على ميرزا" الملقب بـ "فرمان فرما" (الحاكم) و "حسن على ميرزا شجاع السلطنة" ابني "فتح على شاه" مظاهر تمرد و عصيان. و من ثم استدعى "فتح على شاه" ولي عهده "عباس ميرزا" من أذربيجان ثم أرسله إلى يزد و كرمان لينظم الأمور فيهما. فاستسلم إليه "عبد الرضا خان" حاكم يزد و أحد رؤسائها، و كذلك استسلم "شجاع السلطنة" والي كرمان و استولى على المدينتين بلا حرب و لا سفك دماء سنة ١٢٤٦ هـ، و أرسل "شجاع السلطنة" إلى طهران. و عهد بولايه يزد إلى "سيف الدولة ميرزا" و ولايه كرمان إلى "سيف الملوك ميرزا"، و هما صهراة ابنا أخيه "على شاه ظل السلطان". ثم سافر إلى أصفهان فلبث فيها ثلاثة أيام ثم سافر إلى خراسان في سنة ١٢٤٧ هـ، و قد عهد إليه بالولاية عليها مع ولايته على أذربيجان.

و مرض في مشهد مرضاً شديداً فاستدعى إليه طبيبه الإنكليزي الخاص الدكتور "جون كورميك" من طهران. و لكن الطبيب نفسه مرض في الطريق بالتيفوس و مات قبل وصوله إلى مشهد. و توفي "عباس ميرزا" في مشهد في العاشر من جمادى الثانية سنة ١٢٤٩ هـ و عمره سبعة و أربعون عاماً بمرض ورم الكليه، و دفن في حرم الامام الرضا ع.

"عباس ميرزا" ولي العهد نائب السلطنة والي أذربيجان لعله أعظم الأمراء من أبناء ملوك السلسله القاجارية بشهاده المحليين و الأجانب. إلا أن الأوروبيين، و لا سيما الإنكليز، الذين قدموا إلى أذربيجان أيام ولايته عليها و اطلعوا على أحواله و أوصافه و تحدثوا عنها مجمعون على أن ما امتاز به و رفع من شأنه، باستثناء شجاعته الشخصية، كان الفضل فيه لتدبير وزيره "الميرزا بزرگ القائم مقام الفراهاني، و ابنه "الميرزا أبو القاسم" المعروف بالقائم مقام الثاني و كفاءتهما.

كان "عباس ميرزا" في أوائل أمره يؤيد سياسه إنكلترا. و لكنه لما تبين أن الإنكليز لم يساعدوا إيران بشيء، بل إن أكثر الهزائم التي منيت بها إيران إنما كان بسبب موافقتهم للروس سرا، لم يجد بدا، بعد عقد معاهدة "تركمان شاي" سنة ١٢٤٣ هـ، من الانحياز إلى الروس. فكان يكثر من إقامه المآدب لضباطهم و مبعوثيهم السياسيين. و قد أدى مثل هذه الخصوصيات و المسابير إلى أن قبل الروس بالجلاء عن مدينه "خوى".

ثم دعت الدولة الروسية ولي العهد دعوه رسميه إلى زياره روسيا و الاجتماع بالإمبراطور "نيقولا الأول" و تجديد عهد الصداقه. و تقرر أن تعفى روسيا إيران، بعد هذه الزياره و ملاقاه الامبراطور، من دفع بقيه الغرامه الحربيه التي فرضتها عليها، و قدرها مليون تومان.

و أخذ "عباس ميرزا" يتهيأ للسفر إلى روسيا، و خصص له الشاه مبلغ ثلاثين ألف تومان لنفقات السفر. و لكن اتفق أن قتل، في أثناء ذلك، في طهران "غريبایدوف" سفير روسيا في إيران. (١) فاتخذت الأوضاع و الأحوال شكلاً آخر. و أهمل موضوع زياره نائب السلطنة لروسيا.

و كان أحد البواعث ل "عباس ميرزا" على الرغبة في السفر إلى "بترسبورغ" السعى إلى استرجاع مدينتي "لنكران" و "إيروان". و كان قد باحث صديقه "باسكيوفيتش" في هذا الموضوع مصرا على المطالبة بان تعيدهما روسيا إلى إيران. فأجابه بان هذا الأمر مرجعه إلى الامبراطور. و من ثم كان "عباس ميرزا" يرغب في السفر إلى روسيا و مباحثه الامبراطور بهذا الشأن لعله يحصل على نتيجة.

و بعد وفاه "عباس ميرزا" أراد "فتح على شاه" أن ينصب أحد أبنائه الستين في مكانه وليا للعهد. و جرت مباحثات كثيره في هذا الموضوع. و كان الامبراطور الروسي، لما علم بوفاه "عباس ميرزا"، قد أصدر أمرا بالحداد رسميا. و أرسل من قبله أحد الكبار من رجال بلاطه اسمه "أريستوف" يحمل رساله تعزیه خطيه منه إلى "فتح على شاه" فوصل إلى طهران في منتصف شهر المحرم سنة ١٢٥٠ هـ. و بعد القيام بمراسم التعزیه بلغ إلى الشاه عن لسان الامبراطور تذكيرا بمضمون ماده السابعه من معاهده "ترکمان شای"، مصرا على أن يكون "محمد ميرزا" ابن "عباس ميرزا" وليا للعهد. فأطاع "فتح على شاه" الأمر و استدعى حفيده "محمد ميرزا" من خراسان و نشر مرسوما بتعيينه وليا للعهد.

الشيخ عباس الهاتف القوجاني النجفي

ولد في قوجان ١٣٣٢ و توفي يوم الأربعاء ٢٣ شعبان ١٤١٠ في النجف الأشرف.

تعلم المبادئ و المقدمات في قوجان ثم هاجر إلى مشهد الرضا (ع) و سكن مدرسه (دو در) و قرأ النحو و الصرف على الأديب النيسابوري و شرح

ص: ٢٥٤

١- "غريبايدوف" كاتب شاعر روسي مشهور. و هو ابن أخت الجنرال "باسكيوفيتش" قائد القوات الروسيه في القفقاس. كان في سنه ١٢٤٤ هـ سفيرا لروسيا في إيران. أظهر خشونه و شراسه في إنفاذ معاهده "ترکمان شای"، و لا سيما ماده الثالثه عشره منها. و هي تقضى بأخذ جماعه من النساء المسلمات من إيران إلى القفقاس، إذ كن في الأصل نصرانيات من أهل القفقاس فيجب إعادتهن إلى ديارهن الأصليه. و كان منهن اثنتان كرجيتان في حرم "الله يار خان آصف الدوله" أحد كبار القاجاريين و لهما أولاد. فاخذتا منه أخذا عنيفا و حملتا إلى السفاره الروسيه. و كان في البلاط القاجاري خصي اسمه "يعقوب"، و هو في الأصل أرمني. و كان قد فر من البلاط و لجا إلى السفاره الروسيه هربا من مطالبته بديون كانت للناس عليه. و طلب من السفير حمايته فقبله السفير و حماه. و كان لهذا الخصي دخل في قضيه اختطاف النساء هذه. و كتب "الميرزا مسيخ" المرجع الديني الأول يومئذ رساله إلى السفاره الروسيه يطلب إعادته المرأتين فلم يلتفت السفير إليه. فهاجت العامه و ساروا إلى دار السفاره و تجمهروا حولها. فأمر السفير رجاله بتفريقهم بالقوه فأطلقوا عليهم الرصاص و قتل غلام في الرابعه عشره. فازداد الناس هيجانا و ازدادوا تجمعا حتى بلغ عددهم حوالي مائه ألف هجموا على السفاره، فخاف السفير و اخرج إليهم المرأتين و الخصي يعقوب من السفاره. و لكن الناس، إذ كانوا يرون أن يعقوب هو المحرك الأول لعملية الخطف، تناولوه و قطعوه قطعاه قطعاه، و حملوا المرأتين سالمتين إلى منزل "الميرزا مسيخ". و لم يكتف المهاجمون بهذا بل ظلوا يحاصرون السفاره يريدون احتلالها. و مع أن المدافعين قتلوا منهم أكثر من ثمانين رجلا فإنهم لم يتراجعوا حتى احتلوا السفاره و قتلوا السفير و موظفي السفاره لم ينج منهم

غير واحد استطاع الاختباء فلم يصلوا إليه. و بلغ عدد القتلى من رجال السفاره بين ثلاثين و ثمانيه و ثلاثين قتيلا على اختلاف فى أقوال المؤرخين.

اللمعه و الهيئه على الميرزا أحمد اليزدى الشهير ب (نهنگ) و حضر المنظومه على أعلامها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و أتم السطوح و اختص بالعارف الشهير السيد محمد على القاضى الطباطبائى التبريزى و لازمه حتى وفاته و قرأ عليه الأخلاق و العرفان و التفسير و انخرط فى طريق السلوك و التهذيب و بعد وفاه القاضى اختص بالميرزا عبد الهادى الحسينى الشيرازى و لازم دروسه الفقيهيه و الأصوليه و فى نفس الوقت انشغل بتدريس السطوح العاليه من الفقه و الأصول و اختص أخيرا بتدريس المنظومه و كان محل درسه مقبره الميرزا الشيرازى قبل الظهر. حضرت عنده برهه من الزمن منظومه السبزوارى فى نفس المقبره الملاصقه لباب الطوسى على يمين الخارج - من آثاره تصحيح و تحقيق كتاب جواهر الكلام و الأشراف على طبعه، أعقب ولدين فاضلين الشيخ محمود و الشيخ محمد.(1)

عباس يمىنى شريف

ولد عام ١٣٣٩ فى طهران و درس بدار المعلمين العاليه فى طهران و تخرج منها - يعد أشهر و أكبر شاعر فى مجال شعر الطفل و ما من طفل إيرانى يدخل المدارس إلا و يحفظ مقطوعات شعرية جميله من شعره و كانت قصائده سهله التعابير قصيره الوزن، خفيفه بحيث يمكن حفظها بسرعه و كان ينظم القصائد التربويه و الأخلاقيه و يعلم بها الأطفال حسن السلوك فى البيت و الشارع و المدرسه و يحثهم على طلب العلم و العلى و يمنعهم من ارتكاب الأعمال الصبيانيه الشريره و هذه الخصائص فى شعره جعلته شاعرا خالدا - قال المترجم له انه استلهم الشعر و تذوق الشعر العاطفى و تعلمه فى مجالس عزاء الحسين (ع) حيث كان يذهب برفقه أبيه و أصدقائه إلى الحسينيات و يسمع هناك من الوعاظ و الشعراء رثاء أبى عبد الله الحسين (ع) فيتأثر بها. كان خلال حياته رئيسا لتحرير عده مجلات ثقافيه للأطفال أشهرها مجله (كيهان بچه ها - عالم الأطفال) و هى أوسع مجلات الأطفال انتشارا فى إيران، حيث رأس تحريرها مده تزيد على عشرين سنه. أسس عام ١٣٨٥ هـ مدرسه كان تدريس الأطفال فيها بطريقه خاصه و نالت شهره واسعه ثم قام بتأسيس (لجنه كتاب الطفل) حيث كانت هذه اللجنه تشرف على جميع النشاطات الثقافيه للأطفال و لا تزال هذه اللجنه تعمل بنشاط. توفى عام ١٤٠٩ هـ فى طهران. له أكثر من ٣٠ مؤلفا فى حقل الأطفال.(2)

عبد الله باقرى

هو آخر الفنانين العظام فى إيران كان يعد أحد أكبر الفنانين فى فن التذهيب ولد فى طهران عام ١٢٩٣ هـ و درس فى أراك و طهران و دخل سنه ١٣١٠ مدرسه الفنون الجميله بطهران ثم بعد تخرجه قام بتعليم مجموعه كبيره من الطلاب فى فن رسم نقوش السجاد فى عده مدن إيرانيه توفى عام ١٤٠٩.(3)

عبد الله قطب شاه

ولد سنه ١٠٢٣ فى الهند و توفى سنه ١٠٨٢ فى حيدرآباد.

هو من ملوك حيدرآباد كان ميالا إلى العلم و العلماء يبذل عليهم أمواله و يحركهم إلى التأليف و يحرضهم و يجعلهم.

تولى الملك سنه فى حيدرآباد و قد زوج ابنته لأحد العلماء السيد أحمد بن محمد بن معصوم وشتكى [دشتكى] الشيرازى و عند ما تسامع العلماء باحترامه لهم اجتمعوا حوله و استقروا فى حيدرآباد، و كان يعهد اليه بمهمات علميه كتابه و خطابه و

عبد الله بن العباس

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان) و نضيف إلى ما هنالك ما يلي:

أمه أم الفضل لبابه الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلاليه ولد قبل الهجره بثلاث سنين، و قيل بخمس سنين، و قيل غير ذلك. و الأول أشهر. توفي في الطائف سنه ٦٨ على الأرجح و له من العمر سبعون سنه.

ميرزا عبد الله بن ميرزا علي أكبر المجتهدى الربابى التبريزى

ولد سنه ١٣١٧ توفي صبيحه الجمعه ٤ محرم ١٤١١.

ولد في تبريز و تعلم المبادئ و المقدمات تحت رعايه أبيه في مدارسها ثم هاجر إلى قم و حضر عند الأساطين و اختص بدروس الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى. ثم رجع إلى موطنه منشغلا بالتدريس و إمامه الجماعه و قضاء حوائج الناس و اشتهر صيته و أصبح مرجعا عند الخواص و العوام و في السنين الأخيره أصيب بالأم عديده روحيه و جسميه فانعزل عن الناس حتى واتاه [وافاه] الأجل و شيع جثمانه في مدينه تبريز و نقل إلى قم فدفن فيها. (٤)

عبد الله مير تبريزى بن شاه نعمه الله ولى

توفى سنه ١٠٣٥ في أكره (الهند).

من تلامذه شاه غياث و مولانا راقمى و استفاد من الشيخ فيض الله جشى سهارن بورى.

كان خطاطا مشهورا لا سيما في خط (نستعليق)، كما كان شاعرا مجيدا و كان اسمه في الشعر (وصفى).

لا تزال آثاره الخطيه محفوظه في مدينه الله آباد في الهند.

الشيخ عبد الحسين بسام

ولد في عيناثا من جبل عامل سنه ١٣٢٠ و نشأ و درس فيها، و كانت دراسته على الشيخ موسى مغنيه إذ درس عليه علوم اللغه العربيه، كما استفاد من ندوات الشعر التى كانت تعقد في عيناثا و غيرها من قرى جبل عامل.

و بعد الإقامه الطويله في عيناثا استقر به المقام في بلده (الصوانه) حيث بقى فيها حتى وفاته.

و من شعره قوله:

فلسطين إذا عظم المصاب فلا يجدى الملام و لا العتاب

فكونوا باسليين لدى الرزايا و من بأس لعدو [العدو] فلا تهابوا

و موتوا دون مجدكم كراما كذا الأحرار للأوطان غاب

فان الغار للآساد غاب فما فى الموت دون المجد غاب

شبابك يا فلسطين كرام و فيها العز و الشرف اللباب

ص: ٢٥٥

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٤- الشيخ محمد السامى.

غضبتهم غضبه للحق أمت تذلل لهولها الأسد الغضاب

حرام أن تذوق النوم عين و فى الأوطان غدر و اغتصاب

و قوله:

جاءت تطلع من وراء حجاب غيداء تحلم بالهوى الخلاب

و تلفتت مرتابه و لطالما لعب الغرام بقلبها المرتاب

لتصيد بالأهداب صبا هائما بفواتر الألاحظ و الأهداب

تركت إلى الأتراب أوتار الهنا و تباعدت وجدا عن الأتراب

و قوله:

أ تأمن للزمان و كل يوم يروع بالدواهى الطيينا

و يبنى للطغاه بكل مجد بناء من دماء البائسينا

أ نجبن و الحياه بها بقين بان الفوز ملك الطامحينا

أ يدرك غايه فى المجد يوما جبان يحمل الذل المهينا

و قوله:

لم أنت لم تغضب و لست تثور و الخطب فى الوطن السليب كبير

خطب تأجج فى النفوس مصائبا و بكل بيت للنفوس قبور

أبت المروءه أن تراك أخوا العلى تمشى على شوكة الأذى و تسيرا

و قوله:

علمت من الأيام علما يدلنى على أن جل الناس لا تكرم العلما

أ تنظر كيف الدهر يخرس ناطقا على رغمه ظلما و يستنطق البكما

كفانا نفاقا أن نهيم بمعشر يرون اتباع الحق فى وجههم وصما

ولد في بلدة الخيام (جبل عامل) و توفي فيها سنة ١٤١٠ عن عمر جاوز التسعين.

كان شاعرا شعبيا متحسسا آلام الشعب العاملى و همومه، سبرا بشعره عن شكوى هذا الشعب و تطلعاته و نقمته على العابثين بكرامته و المشوهين لإرادته. و كثير من شعره يعتبر من السهل الممتنع. و لم يجمع شعره فى ديوان مطبوع، بل نشر قسم قليل منه فى مجموعته صغيره. و قد عايش الشاعر العاملى الآخر موسى الزين شراره، و كان هذا أيضا شاعرا شعبيا يسير فى نفس المنحى. لذلك كان يختلط شعرهما على الناس فينسبون ما لأحدهما إلى الآخر. و قد اصطدما كلاهما بالسيد عبد الحسين شرف الدين الذى كان عميلا- للفرنسيين يسخرونه لتنفيذ ماربهم الاستعماريه، و لما ضاق الفرنسيون بشعر (موسى) المعارض للانتداب الفرنسى، طلبوا إلى السيد عبد الحسين شرف الدين أن يعلن تكفيره مستغلين قصيده له يناهض بها المتاجرين بالدين، فافتى شرف الدين بتكفيره و استباحه دمه، و لكنه لم يكن لذلك أقل أثر لأن الناس كانوا يعرفون دوافع صاحب الفتوى و من يقف وراء إصدارها، ثم أن أصدقاء (موسى) أخذوا نص القصيده و أرسلوها إلى المراجع الدينيه فى النجف سائلين عما إذا كان من ينظم هذه القصيده يمكن أن يحكم بكفره، فرد المراجع بأنه ليس فى القصيده ما يشعر بفساد العقيدة و ما يوجب الحكم بتكفيره، و كان رد أحدهم قاسيا مؤنبا لمن حكم بالتكفير.

و إلى هذا التكفير يشير المترجم فى قصيدته الآتية. أما موسى فقد رد على فتوى تكفيره بقصيده قال فى مطلعها:

(قالوا كفرت فقلت فى أفعالكم)

و من بين ما كان شرف الدين يخدم به الفرنسيين و يتزلف إليهم و ينفذ سياستهم أنه دعا أحد كبار رجالهم (المسيو دافيد) و هو من الفرنسيين اليهود و من كبار رجال الانتداب الفرنسى - دعاه إلى وليمه فخمه أقامها له فى منزله بمدينه (صور) و حشد فيها لاستقباله جموع القرى بطولها و زموورها، و كان قد قيل للسيد شرف الدين أن الفرنسيين لا يستطيعون الطعام العربى، فاوصى على طعام الوليمه عند مطعم فرنسى شهير فى بيروت اسمه (مطعم طانيوس) فاحضر الطعام منه إلى منزل السيد عبد الحسين فى صور حيث تناوله الجميع بمن فيهم السيد عبد الحسين شرف الدين.

فنظم المترجم فى هذا الحادث قصيده قال فيها:

لمن الوليمه فى مدينه صور محفوفه بالطبل و الزمور

جلس الرجال إلى الموائد وحده فالسيد المفضل جنب الخورى(١)

و الكأس دار على الجميع فلا ترى عيناك غير الشارب المخمور

بشراك قد طوى التعصب بيننا و انحل كل معقد و عسير

ثم يخاطب السيد عبد الحسين شرف الدين قائلا:

اشرح لنا عن لحم مطعم (طانس) و عن الخمر به، عن الخنزير

أ فهمت أن الخمر ليس كشائنا (و البطحه) الحسناء غير (القورى) (٢)

لا شك أنك نادم عما مضى مذ كنت ترمى الناس بالتكفير

لا تعجب فكل شىء قابل فى الكون للتبديل و التغيير

ما أنزل الرحمن نصا ثانيا لكن تبدل منهج التفسير

فالخمر مثل الشاى عندك قد غدا و كذلك (الخنوص) (كالقور) (٣)

اشرب هنيئا كل صاحب عمه ما كان مثلك فى لظى و سعير

الكل دونك أنت قد نجيتنا من مشكل التنجيس و التطهير

و حبوت (طانس) بالحنان معانقا إياه بين موائد و خمور

لو تشهد (الكيشكات) و الكأس التى تنهل بين كواكب و بدور (٤)

لتركت ناحبه المصلى جانبا و زهدت بالتهليل و التكبير

سر للإمام ففى ركابك عصبه تزرى بكل معمم مغرور

و ارم العمامه أنها مشؤمه كم أوقعت أوطاننا بشرور

و لم يمض الأمر بسلام على الشاعر فان شرف الدين حمل القصيده و ذهب إلى المستشار الفرنسى فى صيدا، و قال له إن ما أصابنى من أذاها هو بسبب ولائى لكم فيجب معاقبه ناظمها.

فاغتنم الفرنسيون قيام الحرب العالميه الثانيه و إعلان الأحكام العرفيه بسببها فقبضوا على الشاعر و أودعوه سجن قلعه راشيا فبقى فيه حتى انتهاء الحرب. و فى سجن قلعه راشيا نظم القصيده التاليه معرضا بالسيد عبد الحسين شرف الدين الذى شكاه إلى الفرنسيين فاعتقلوه تلبيه لطلبه و إرضاء له:

لاحت من (المرج) (٤) أنهار و غدران فخف للماء فى جنبى ظمآن

- ١- الخورى: رجل الدين المسيحى.
- ٢- البطحه: إبرىق الخمر، و القورى إبرىق الشاى.
- ٣- الخنوص: ولد الخنزيره و القرقور ولد الغنمه.
- ٤- المرج: هو المرج الذى تطل عليه بلده الخيام موطن الشاعر، و سيرد ذكره فى قصائد الشاعر الآتیه.

مرايع كنت أحياء في خمائلها كما تعيش بطل الدير رهبان

تبدل العيش و اسودت نضارته لما طغى حولنا ظلم و عدوان

قالوا الحليفه قد جاءت تمدنكم أين التمدن لا كانت و لا كانوا

تكابد الهم يا قلبي أخفت نوى أو روعتك بوادي التيم(1) أشجان

أم هل ذكرت سعاد(2) عند ما وقفت و اغرورقت بدموع الطهر أجفان

قالت أبي كيف تبقينا بلا سند و حولنا من بنى الإنسان ذئبان

جاءت تودعني لكن زبانيه قلوبهم من لهيب الحقد بركان

تعرضوا دون ما أبغى فلا بقيت تلك الوجوه بها للشر عنوان

يا حافظ الأمن لا تمش بنا عجلا فلي على الربيع أحباب و خلان

فشد لم يرعو نفسا و لا خلقا كأنني ملك و ليه شيطان

يا للثلاث ليال ما طمعت بها قوتا و لا نعمت بالنوم أجفان

في غرفه كظلام القبر موحشه كان حيطانها البيضاء أكفان

جن الدجي فسميري في جوانبها بق مريع و فئران و ديدان

و أقبل الصبح لم أشعر بطلعته فالليل و الصبح أشباه و أقران

و قاذني حيث لا أدري أخو صلف في برده من شديد العجب (ويغان)(3)

يعطى الأوامر للربان في كبر و مر كالسهم في بيروت ربان

ثم انثنى للأعلى الشم مركبه حتى غدا تحتنا كالبحر لبنان

نرنح المركب الجبار منحدرًا كما تحط من الأجواء عقبان

و يمم (التيم) يجتاز البقاع و قد لاحت من (التيم) اعلام و كثنان

وا ضيعه العرب لا واديهم نضر و لا البقاع ندى النبات ريان

زرق الشياطين عاثوا في مرابعه فانحل مجتمع و انفض ندمان

يا رب معتقل من طيب ساكنه كأنه روضه غنا و بستان

شم العرائن في حافته جلسوا فكلهم خلق سام و إيمان

(رب العمامه) (٤) هل نبث ما فعلوا و أخبرتك بما قد صار أعوان

لك الهنا أنتى فى (التيم) معتقل تحيط بى من شباب العرب فتیان

حدثتهم عنك فاهتزت جوارحهم مما فعلت كما تهتز أغصان

تركت سربا من الأفراخ فى قلق لهم على البعد إعوال و ارنان

و هذه القصيده من وحى الوليمه المتقدم ذكرها.

لمن الخراف تسوقها الحراس و لمن نعبا هذه الأكياس

و لم الهتاف و هذه الرايات لا أمل يرف بها و لا إحساس

عجبا نسير إلى الورا جميعنا و إلى الامام غدت تسير الناس

لم ألق شعبا مثل شعبى غافلا آلامه و شقاؤه أعراس

أبدا يغنى للهوان و أن علا صوت الابا تتقطع الأنفاس

و يجيب دعوه خائن و إذا دعا حر سرى فى مقلتيه نعاس

الخب و الغر الجهول يسوسه كيف النجاح و هذه السواس

أشقى لأسعده و ينكر نعمتى نفد الدواء و عاده الأنكاس

مات الاباء فلا أمر ببقعه إلا طغى فى جانبيها الياس

فاود و الآلام تنهب مهجتى لو أنت مثلى شاعر حساس

فيهزك الظلم المريع و تنشى و على فؤادك ثوره و حماس

خشت شبابك فالوجه طليقه يبدو عليها البشر و الإيناس

يتحدثون عن الغريب و ما روى (هوغو) و ما نقلت لهم (هافاس)

و بأرضهم نوب تررع صخره و من الوليد لها يشيب الرأس

أ تظل مكتوف اليدين مكبلا و بمال أهلك تشتري الأمراس

أ تريد أن تحيا و فيك زعامه و يد تسلب مالنا و تبأس

و أراك يا وطنى طربت و لم تذق خمرا و لا دارت عليك الكأس

حرموك حتى الماء يعذب طعمه و سوى المذله ما عليك لباس

يكفيك يا وطنى خراج واحد فكان غنمك كله أخماس

شعب يئن من المصائب و الأذى و الظلم يطغى و الحقوق تداس

يدعى إلى استقبال غاصب حقه و على يديه تحمل الأقواس

نغزى و ننهب فى فناء ديارنا و زعيمنا بالمضحكات يساس

فإذا أتاه قائد أو حاكم دوت الطبول و دقت الأجراس

و علت زغاريد العذارى فالحمى ملهى و آجام الأسود كناس

و قال و هو فى معتقل راشيا عند ما بلغه أن فتيات لبنان يجمعن ألبسه لمحاربى ستالينغراد:

بنات لبنان هزمتهن عاطفه و خفن من برد كانون على الروس

فرحن يجمعن أصوفا و أقمشه ينسجن للروس منها خير ملبوس

يا بنت لبنان لا خابت و لا بليت تلك الأنامل تشفى الجرح أو توسى

هلا التفت لراشيا مرفهه فى برد كانون عن إخوانك الشوس

ناموا جياعا عراه يحسدون على هناءه العيش جندا فى المتاريس

أظنه لو أراك اليوم منصفه أولى بعطف و تكريم و تقديس

و قال فى مرج الخيام:

يا مرج هذى العين و الأنهر و الزهر و الأفياء و العنبر
و موضع الخيمه كنا لها ناوى و فى (مسطاحها) نسمر
أين الأماسى عابقات الشذى و الحسن فى حافاتنا يخطر
و البلب الشادى على غصنه لا بلبل ظل و لا منبر
أين المهارى الدهم مرخى لها عنانها و الفارس الأسمر
يا لوعه الأحشاء مما أرى و يا هناء النفس ما أذكر
و قال راثيا قريبا له:

أقفر الربع فالمغانى طول و انطوى فى الثرى الحسام الصقيل
و هوى الفارس المجلى عن السرج فريع الحمى و ساد الدهول
تتهاوى المنى على جانبيه فصريعان مثخن و جديل
روع (المرج) فالعيون دموع و الأماليد همدا لا تميل
قد خلا نزله من النائل السمع فغاض الندى و حار النزيل
شرقت بالدموع عيناي لما طالعتنى آكامه و السهول
فكان الهديل فيه نواح و خريز الأنهار فيه عويل
ملعب الصافاتنات خلو من الخيل فما رن فى سماعى صهيل
و النوادى معطلات خوال ما بها سائل و لا مسؤل
روعتنى آثارها فترامى بين جنبى واله متبول
كم لها فى العلى أياذ سماح كم عليها من غاره إكليل
من زحام الأسود فيها زئير و من البيض فى سماها صليل
الهدى و التقى على جانبيها لهما فى فنائها ترتيله.

- ١- وادى التيم: هو المنطقه التى تقع فيها قلعه راشيا.
- ٢- هى ابنه الشاعر.
- ٣- هو الحاكم الفرنسى العام.
- ٤- المقصود برب العمامه: السيد عبد الحسين شرف الدين الذى حرض السلطات الفرنسيه على اعتقال الشاعر و سجنه.

يلتقى العز عندها و المعالى و الندى الرحب و الفناء الظليل

لم يعد فى الحمى عزاء لقلبى فاتنى الركب و الحداء الجميل

و الليالى تغيرت فالنوادى همسات بها و قال و قيل

أنا فى معشر أعيدك منهم حيرونى، بحالهم ما أقول

اعجزونا فكل صنو خصيم لأخيه و كل بيت قبيل

خففى يا حمائم الورق نوحا و استقرى فكل حال يزول

إن جفانا أبو حسيب و أغفى ذلك الطرف و الفؤاد النبيل

جمع المكرمات فى بردتیه مثلما تجمع الزهور الحقول

ما على البدر و الديار شعاع من سناه إذا طواه الأقول

ما على الورد و الروابى أريج من شذاه إذا لواه الذبول

غايه المجد أن تطل فروع للأعالى إذا توارث أصول

و قال يرثى قريبا له:

أى المصائب من زمانك أذكر يا (مرج) حياك السحاب الممطر

أرنو إلى الماضى فتكبر قيمه عندى و أنظرك الغداه فتصغر

أين الأولى كانوا بربعك معقلا فيه يلوذ الخائف المستنصر

يا مربع الآساد ما لى لا أرى شبلا يصول و لا ليوثا تزأر

تيمت ربع (المرج) أسال عنهم و بوجنتى من المدامع أسطر

و أقول فى نفسى هنا مرت بهم جرد الصوافن و الوغى تتسعر

و هنا مشى بين الصفوف (محمد) و له أكاليل الزعامه تضفر

و هنا (لإبراهيم) شيدت كعبه بفنائها المجد المؤثل يزهر

ما للبلابل فى رياضك اسكتت و مشى الغراب على رباك ينقر
و تغير الوادى فلا جناته دار النعيم و لا خيامك عبقر
أقفرت يا مهد الكماه و ما الذى أدمى الحشا إلا حماك المقفر
لف الردى بيض الوجوه سماحه الله ما يطوى الزمان و ينشر
و تطاولت كف العدا و عهدتها عن نيل ذروتك المنيعه تقصر
تخبو النجوم و غيرها يبدو و لا ألقى نجوما فى سمائك تظهر
عقمت بطون الأريحيه و العلى فمشى بساحتك الزمان الأغبر
غير الزمان و لا يهولك فتكها عن عرشه فيها ترجل قيصر
يكفيك ابناك السوابق للعلا فلکم تطلع من حماك غضنفر
ودع بقيتهم فها هو راحل يقفوه مجدك و النهى و المفخر
قطعت به رحب الفلا سياره(1) صفت من العلياء فيه جوهر
خفاقه الأحشاء مثلى عند ما وافى بداهيه المصائب مخبر
أسرعت لكن ما ظفرت بنظره ما كان أسعدنى لو أنى أظفر
فوقفت فوق لظى الهموم و مقلتى عبراتها من حسره تتحدر
متلفتا بين الديار كظامى يرد السراب و دون جدوى بصدر [يصدر]
أمشى و يقعدنى المصاب فمن رأى بالدوح طيرا جانحاه تكسر
أبقيه الأعمام أشبال العلا عذرا فمثلى فى مصابك يعذر
هذى بقيه أدمع محمومه كانت ليومك فى عيونى تذخر
سر بالأمان فما عليك غضاضه قلبى وراك و من أمامك حيدر
قلب كما فارقتك لك جامع لم يثنه صلف و لا متكبر

صور البيان الغر من أحلامه و صيان مجد أيبك مما يضم

و أنزل هناك على رحاب محمد عطف حنان مثلما تتذكر

قلب يفيض حميه و حشاشه كانت لبعذك نارها تتستر

لا تذكرن له (الخيام) و ما جرى فإذا أبيض الغاب ريع القصور

دار جنان الخلد من أطلالها و الند من نسوماتها و العنبر

ودت ملائكه السماء لو أنها فى ذلك الربع المقدس تحشر

ما رحت أستسقى الغمام لروضه من قدس تربتها يسيل الكوثر

و كان الشاعر موظفا فى عمل حكومى بسيط، فكان يهدد بين وقت و آخر بنقله من مكانه إلى مكان بعيد فقال فى ذلك:

نفد الصبر و طال الانتظار فمتى يصدر بالنقل القرار

و اقضت مضجعى والهه شفها البعد و أطفال صغار

كلما جن الدجى أرقنى منهم نوح كما ناح الهزار

و تجارت فى المآقى أدمع زجها الشوق إلى (المرج) غزار

كلما تنهل منها دمه وقعت فوق فؤادى فهى نار

أين قومى غره الدهر الأولى بهم لا بسواهم يستجار

بعدهم أحوجنى الدهر إلى جهلاء بيد العادى تدار

سجل التاريخ من أعمالهم يغضب الله و يرضى المستشار(٢)

لا تقل خيره أوطانى هم ما لشعب بيد العادى خيار

و قال:

مثلما أصبح فوق لهم أمسى و سواء بالنوى يومى و أمسى

كلما أترعت كاسى بالهنا أفرغ الدهر بكف الحزن كاسى

يا لقلب بالنوى حملنى فوق ما أحمل من هم و بؤس
حن للمرج و ما أبعدہ عن ربى المرج و عن أرباع أنس
خافق كالطير لا يمسكه شرك الصبر و لا يدرى التأسى

و قال:

أنادى هزار (المرج) لو كان يسمع و أنشد عهد الأنس لو كان يرجع

و أرسل نحو المرج نظره واله فيسبقها منى فواد و مدمع

على الهريين التين ينساب ضاحكا و يكسو حوافيه من الزهر برقع

تدلت من الصفصاف فيه ذوائب فغنى سرورا و الطيور ترجع

كان الغصون الهيف ظمى لمائه تهم فيثيها النسيم فترجع

فليس بمسلىنى (جبين [جبين]) بلبل و كان يسلىنى على (المرج) ضفدع

و قال:

حكومه صبيان بلبان تلعب و عهد أجل القوم فيه المهرب

كان جموع الشعب قطعان ماعز و هم بينهم ذئب و ضبع و ثعلب

و أيسر ما يلقي الأديب من الأذى به أن يغنى و الجواسيس تشرب

و قال فى محمد (ص):

أشرق بطالع وجهك الوضاح يا منعش الأجسام و الأرواح

لمحتك من خلف السنين عيوننا ماخوذه بسنائك اللحم

نور على الصحراء مد رواقه فأضاء رحب سباب و بطاح

عصفت بوجه الشرك منه زعازع راضت من الإلحاد كل جماحى.

١- إشاره إلى السياره التي نقلت جثمان المرثى ليدفن فى النجف الأشرف.

٢- هو المستشار الفرنسى.

فإذا الجزيره شعله مشبويه و البید بیض ظبی و سمر رماح
و الکفر مهزوم و فی أعقابه من ثوره الإسلام لمع صفاح
یمشی علی الدنيا یدک عروشها و یبدل الإفساد بالإصلاح
تساقط التیجان عن أربابها رعبا و تسلمها بغير كفاح
یا فاتح الدنيا کتابک لم یزل یملى سماع الدهر بالأصداح
آیات إعجاز تخاذل دونها معنی عباقره و نطق فصاح
من کل شارده المعانی بضه ما الغانیات و ما کئوس الراح
شرب التقاه المؤمنون مدامها و تهاکوا فیها علی الأقداح
فالحکمه الغراء ملء شفاههم و الذکر فی الإمساء و الإصباح
وقفت فلاسفه الزمان حیالها حیری و أعشاها سنا المصباح
ترکت شعوبک یا محمد دینها هدی المحافل أدمع التمساح
لا یغررنک الاحتفال فإنه نغم الهنا بمجالس الأتراح
جاءوا بمولدک العظیم هوازجا و تظاهروا بالبشر و الأفراح
و تنكبوا عما سنتت و أمعنوا بجرائم تدمی الفؤاد وقاح
لبسوا ثیاب الصالحین و لا أرى غیر المظاهر من سمات صلاح
ثوب الصلاح علی أثیم فاسق جرح بقلب الدین فوق جراح
لو کل اثم کالمدامه مسکر ما کنت أحسبني أشاهد صاحی
یتحدثون عن الإباء و کلهم عبد یباع بدرهم المجتاح
و قال:

وطن دعائمه الجماجم و الدم تتهدم الدنيا و لا یتهدم

فى كل ناحيه شهيد رابض و بكل صرح شاعر يترنم

تلتفت الأبطال و هى مروعه و الخيل تسرج للكفاح و تلجم

شاكى السلاح على البسيط و أعزل يتصارعان و حاسر و ملثم

يا من رأى تلك الحراب تحطمت و الحق لا يلوى و لا يتحطم

و قال فى بلده تبين العالميه:

مرايع الحب من أفياء (تبين) حيتت يا موطن الغر الميامين

ذكرت فيك ليوث الغاب غاضبه للحق تغلى حماسا كالبراكين

و الغيد تحضن أطفالا مروعه مثل الحمام انحنى فوق الرياحين

قل للمليحه فى الميدان جائله ما للملاح و إتعاب الميادين

و قال:

قروود على كرسى الشريعه تجلس و أقزام أقوام علينا ترأس

حكومه هذا اليوم كالأمس لم يزل يقرب فيها الخائن المتجسس

و عهد (رياض) (١) مظلم مثل غيره و أشقى من العهد القديم و أنحس

و قال يصف حال الموظف:

إذا ما أطل الشهر أبغى زواله لكى أتقاضى راتبى آخر الشهر

كانى أبيع العمر فيما أناله فيا بؤس عيش بعث من أجله عمرى

و قال فى ذكرى أحد علماء الدين:

كل يوم مصيبه للصالح فمتى نكبه الغلاظ الوقاح

٢٥٩ كاد يخلو الحمى من الأسد الغلب و من طلعه الوجوه الصباح

ما الذى يضم الزمان أ بيغى سلبنا كل قوه و سلاح

تتهادى سفينه الدين فينا فى خضم طاغ بلا ملاح
كلنا تائه عن الحق و الدين و ندعو للخير و الإصلاح
جنباء إذا الغريب غزانا و على بعضنا أسود البطاح
ماتم كل عيشنا فلما ذا خصص اليوم للبكا و النواح
لا تغرنك الموائد مدت بين قرع الطبول و الأصداح
و الزغاريد تملأ الجو عطرا من شفاه الغيد الحسان الملاح
ذا أنين الضعيف غلت يداه و بكاء لموطن مستباح
و إذا كانت البلاد خرابا فشقاء مظاهر الأفراح
أقفر الربيع إن نظرت إليه عدت واه الجنان دامى الجراح
بقى الشوك نابتا و تعرت قمه المجد من زهور الأقاح
و الليالى السوداء طالت علينا فمتى ينجلي جبين الصباح
كل ما ثار للحقيقه صوت اسكتوه و أمعنوا فى النباح
و قال:

و نائب وافيته قاصدا أمرا بسيطا لا أراه جليل
فازدوج الأمر بحولائه و راح يلقاه عريضا طويل
و قام خوفا من هجائى له يمشى بطيئا كالسقيم العليل
كأننى و الخوف أودى به كلفته أن يفتح (الدرديل)
إن كان هذا بعض نوابنا فحسبنا الله و نعم الوكيل

السيد عبد الحسين الكليدار سادن الروضه الحسينيه.

ولد فى كربلاء سنه ١٢٩٩ و توفى فيها سنه ١٣٨٠ و دفن فى إحدى حجرات الصحن الحسينى الشريف.

هو ابن السيد على الكليدار ابن السيد محمد جواد الكليدار من أسر آل طعمه من آل فائز الموسويين التي استوطنت كربلاء منذ سنة ٢٤٦ [١٢٤٦].

انتقلت إليه سدانه الروضه الحسينيه سنة ١٣١٨ بعد وفاه والده.

و كان باحثا محققا يميل في طبعه إلى التتبع في بطون الكتب. و قد اشترك في كثير من المؤتمرات التي عقدت و الحركات التي أثيرت في كربلاء و بغداد أبان الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ م. و لم يترك البحث التاريخي و الأدبي حيث استطاع أن يصنف بعض المؤلفات المفيدة و يجمع مكتبه قيمه كانت تعد من أكبر المكتبات في كربلاء سواء في مخطوطاتها أو مطبوعاتها. و لكنها احترقت في عام ١٣٣٣ أثناء الثورة التي نشبت في كربلاء في هذه السنه بين أهالي كربلاء و السلطه التركيه فيها و التي انتهت بانسحاب الأتراك من كربلاء و استيلاء الأهلين على الحكم.

له من المؤلفات: (١) تاريخ كربلاء طبع عام ١٣٤٩. أما كتبه المخطوطه فهي: (٢) حاله العرب الاجتماعيه في الجاهليه (٣) قريش في التاريخ (٤) بطون قريش (٥) تاريخ كربلاء مفصلا (٦) تاريخ آل طعمه الموسويين (٧) تاريخ كربلاء باللغه الفارسيه (٨) أديان العرب في الجاهليه (٩) معجم المدن و الأنهار التاريخيه في العراق، و ذلك بالاضافه إلى بحوث أخرى منها تاريخ المعاهد العلميه في الإسلام (١٠) نشاه الأديان السماويه (١١) ترجمه حياه أبي طالب عم النبي (ص) (١٢) تاريخ المدن المقدسه في العراق (١٣) نشاه الدوله العقيليه التي أسسها محمد بن المسيب و ملوكها (١٤) الأدباء العلويون في

ص: ٢٥٩

١- هو رياض الصلح.

العصر العباسي (٢٥) حياه بعض الخلفاء العباسيين.

و توجد جميع هذه المؤلفات و المخلفات لدى أكبر أولاد المترجم السيد عبد الصالح.

السيد عبد الرحمن الكواكبي

مرت ترجمته في المجلد الثالث، كما مر حديث عنه في المجلد الرابع، و نشر هنا دراسه عن الفكره القوميه عنده، مكتوبه بقلم الدكتور إبراهيم بيضون:

يكاد في غيابه ينجز القرن، و ما زال ملتبسا في فكره، مثيرا للجدل في أطروحتة، و غامضا كذلك في موته (١) الذي لم يتعدد كثيرا نصف هذه المسافه ١٨٤٩ - ١٩٠٣، مما جعل هذا الرجل المتوتر، المتفتح باكرا على شواغل كبيره، و القادم من أسره محافظه (٢) لها في الثقافه موقع غير قليل، يتخذ دوره الطليعي بين فئه مستنيره، أحدثت جلبه على مفترق القرنين، و ما زالت أفكارها ماده غنيه للنقاش و إعادة النظر في التقويم بين الحين و الآخر، كانت ثمه كوكبه من هؤلاء المثقفين المتنورين، باعدت فيما بينها الجغرافيه، و ربما كان للدين تأثير في خلفيه الخطاب السياسي الذي بدا توفيقيا عند بعض و شبه جذري عند آخر، و لكن العقل في النتيجة كان هو الجامع المشترك، و القوه الدافعه إلى التمرد، و مناوئه الثوابت و المفاهيم المغلقه.

كان لا بد أن يحدث ذلك، و ربما أكثر منه، لو لا الدور الإسلامي الذي تصدت له دوله بنى عثمان لقرون خلت، و جعل الصله وثيقه بين الأخيره و بين العرب الذين فاقت حماستهم لها، (٣) ما كان من أمرهم مع أيه دوله سابقه، تولت السلطه أو انتزعتها من خلفه العباسيين، الآخذة في الانحدار منذ زمن بعيد، دون أن يكون الإسلام الديني مصدر هذه العلاقه الخاصه، بقدر ما كان للإسلام السياسي تأثيره في استمرارها لحين طويل، خصوصا في العهد الأول من الامبراطوريه، حين كان ميزان القوه راجحا لمصلحتها في الصراع مع الغرب الأوروبي. (٤)

و لعل هذه المسأله بالذات، اتخذت حيزها البارز في المعادله التي تكرست بعد هزيمه المماليك و مقتل قانصو الغروي في مرج دابق ١٥١٦ و جعلت العرب يسلمون بالأمر الواقع، بان تتول الخلافه إلى غيرهم، (٥) و لا شك أن أمرا كهذا، كان ما يزال يشكل أزمه سياسيه مفتوحه، منذ البيعه الأولى في السقيفه، ما كان يتم التساهل فيه، لو لا أن تصدى العثمانيون للدفاع عن الإسلام و أثبتوا جدارتهم في مقاومه أطماع الغرب و مهاجمته في عقر داره، (٦) ذلك الهاجس الذي ما انفك قائما في الوعي السياسي العربي منذ العمليات الصليبيه التي تفتحت معها، برغم الانكفاء، براعم المشروع الاستعماري الأوروبي للسيطره على المشرق العربي. هذا الصراع الحتمي الذي حسمته الأحداث المتتاليه في المقوله الشهيره للشاعر الانكليزي روديار كيبلنغ: "الشرق شرق و الغرب غرب"، كان الحافز الحار الذي جعل العرب يتركون زمام القياده الروحيه للسلطان، (٧) و يعترفون، ربما غير صاغرين به، خليفه للمسلمين طالما أنه يقوم بواجبه الجهادي، و يمنع اقتراب الخطر الأوروبي من أقطارهم، و فوق ذلك، كان الأتراك العثمانيون قد قلبوا المعادله فعلا، منذ سقوط القسطنطينيه (١٥٤٣) على يد السلطان محمد الثاني (الفتاح)، ذلك السقوط المدوى الذي كرس لهم الزعامه الإسلاميه، و فتح باب الصراع مجددا مع الغرب الأوروبي، و هو تكريس لم يسبق أن حدث نحو أي من الشعوب غير العربيه التي قدر لها تبوء السلطه الفعلية في دوله بنى العباس.

و من هذا المنظور، فان العلاقه بين العرب و الدوله العثمانيه في عهدها الأول، كانت تنطلق من هذه الاعترافات، و تأخذ مداها

من الاعجاب بهذا الدور العثماني، خصوصا بعد أن وصلت جيوش العثمانيين إلى أبواب فيينا مهدده أوروبا باجتياح وشيك في أيام السلطان سليمان القانوني، (٨) فلما ذال لا تكون معركة " فيينا " نموذجاً يتمهي مع " بواتيه "؟ إذ هزت كلتاها الباب الأوروبي بعنف، سواء من الشرق بالنسبه للأولى، أو من الغرب بالنسبه للثانيه.

هذا في الجانب السياسي الذي وجد من خلاله العرب ذاتهم، أو كثيرا منها في انتصارات العثمانيين الأوروبيه، خصوصا و أنها تحققت تحت رايه الإسلام. كما وجدوا جزءا من هذه الذات أيضا في الجانب الحضاري، إذ كان من دوافع الأتراك العثمانيين نشر الإسلام الحضاري و الالتزام بواجباته الدينيه و رفع شعائره، (٩) مما يعني أن العربيه، عقيدته و لغته و ثقافته، كانت حاضره في المجتمع العثماني، و تحديدا في العاصمه (إستانبول)، حيث أسماء السلاطين بعد أورخان عربيه و الشعارات كذلك عربيه ماخوذه من القرآن أو من الحديث، و النقود أيضا، منقوشه عليها عبارات عربيه، و المساجد الكثيره ممتلئه بالآيات القرآنيه و أسماء النبي " و أصحابه ". (١٠)

و هكذا يشعر العرب بالاطمئنان تحت حكم السلطه العثمانيه، واجدين فيها المنقذ من الأطماع الأوروبيه، ذلك الدور الذي أخفقت في تبوئه على المستوى ذاته الدوله السابقه بعد أن ظلت كيانات مهزوزه منطويه على ثغرات أعاق وحدثها الشموليه، فضلا عن الفشل في اتخاذ مبادرات توسعيه على غرار هذه السلطه الناشئه كما شعروا، أو أنهم اعتقدوا على الأقل، أن الاحتواء الحضاري قد يحقق نوعا من الاحتواء السياسي، تتراجع في ظلله أنواع الهجانه و الرطانه، و غير ذلك مما حوته النماذج السابقه من انحطاط فكري و سياسي. (١١)

تلك هي صورته العلاقه بين العرب و الدوله العثمانيه في عهد القوه، فقد انخرط هؤلاء بكليتهم في إطارها و لم تشب ولاءهم نحوها أيه شائبه،

ص: ٢٦٠

١- قيل إن السلطان عبد الحميد أرسل من وضع السم في فنجان قهوه الكواكبي، جان دايه، الامام الكواكبي، فصل الدين عن الدوله، ص ٨٢.

٢- جورج انطونيوس، يقظه العرب، ص ١٦٩.

٣- زين زين، نشوء القوميه العربيه، ص ٢٠.

٤- محمد جميل بيهم، العرب و الأتراك، ص ٨٠.

٥- أسد رستم، آراء و أبحاث، ص ١٦-١٩.

٦- زين زين، النشوء القومي، ص ٢٢-٢٨.

٧- رشيد رضا، " لأن سوادهم الأعظم العرب مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الجنسيه الدينيه " المنار المجلد السابع عشر، ٢٣ أيار، ١٩١٤، ص ٥٣٤، نقلا عن زين، نشوء، ص ٤٣.

٨- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولي حول المشرق، ص ١٥.

٩- George S. Youg, Corps De Droit Ottoman. P. ٢, ٤.

١٠- زين زين، نشوء القوميه العربيه، ص ٢٤.

Jean Raymond, Rapport sur L'origine Des wahabys..voir Le preface De Edaud. -١١

DrianLt PVII

و لكن رياح الغرب عادت تدفع أمامها رياح الشرق، و القوه المحركه هى العلم الذى تنبه له الأوروبيون فى نهضتهم نحو التجديد و الخروج من الفكر الآسن فى العصور الوسطى، بينما أشاح العثمانيون أنظارهم عنه و أغرقوا أنفسهم فى الجمود، بعد أن ظلوا لحين ركنا بارزا فى المعادله الدوليه، تلك التى أرستها مجموعه من المعاهدات، كانت فاتحتها المعاهده الشهيره بين سليمان القانونى و فرنسوا الأول ملك فرنسا (١٥٣٥)، و ما لبثت دول أوروبيه أخرى أن حظيت بمثلها، كبريطانيه (١) و هولنده و اسبانيه فضلا عن الجمهوريات الايطاليه. و إذا كانت هذه المعاهدات، لا سيما الأولى قد حققت توازنا لمصلحه دوله بنى عثمان، فى وقت كانت الجبهه الأوروبيه مفككه و منظويه على صراع حاد، فان هذه المعاهدات، ما لبثت أن تحولت مع الوقت إلى امتيازات، (٢) أخلت إلى حد كبير بالتوازن الدولى الذى لم يستطع العثمانيون تعديله فيما بعد، و أودى فى النهايه بامبراطوريتهم فى الحرب العالميه الأولى.

على أن اختلال المعادله الدوليه بدلا من أن يحدث تماسكا فى جبهه العثمانيين، انعكس أيضا على العلاقه مع العرب الذين أثار انتباههم ما كان يجرى فى أوروبا من نهضة علميه و نمو فى التيار القومى الذى كانت أخطاره واضحه على الدوله العثمانيه المتراجعه، دون أن تعبأ الأخيره بهواجس العرب، (٣) أو تحاول الإفاده من طاقتهم فى مواجهه الخطر الأوروبى و إشراكهم بالتالى فى القرارات المصيريه التى كانت تتخذها بمعزل عنهم.

و لا شك أن هذا التباعد بين العرب و العثمانيين فى ذلك الوقت، كان نابعا مع اختلال أساسى فى العلاقه بين الطرفين، إذ أن مبدأ المشاركه كان مفقودا منذ البدء، حين رأى العثمانيون فى العرب مجرد رعايا محكومهم، (٤) شان الشعوب الأخرى التى خضعت لهم، الأمر الذى عكس مراره فى نفوسهم، لا سيما و أنهم أصحاب تراث حضارى، ينهل منه العثمانيون و ليس العكس، و لعل هذه المسأله غير خاضعه لزمان ما، و ربما تجاوزت العلاقه بين العرب و العثمانيين، إلى العلاقه مع أشكال أخرى من السلطه، أو تيارات سياسيه ما طمحت كليهما إلى احتواء العرب، و لكن أن تكبح فى نفوسهم الشعور بأنهم أصحاب ذلك الرصيد، مما كان يؤدى دائما إلى خلل فى العلاقه بين العرب و الأنظمه المتعاقبه تحت رايه الإسلام و من ثم إلى طعن فى شرعيتها التى رأوا أنها شرعيتهم فى الأساس. و من الطبيعى أن يتمخض ذلك عن محصلات خطيره، كان فى مقدمتها انعدام الثقه بين العرب و العثمانيين و شعور كليهما بان الآخربات عبئا عليه، خصوصا من جانب العرب الذين وجدوا فى سياسه العثمانيين الأوروبيه ما يهدد وجودهم و ينعكس خطرا على أقطارهم التى تعاطت معها، دول أوروبا على أنها إقطاعيات عثمانيه.

و من هذا المنظور، ترافق الانكفاء العثماني عن بعض الأقطار العربيه أمام الضغط الأوروبى مع عمليه إحياء الإسلام العربى - إذا جاز التعبير - مترافقا ذلك أيضا مع تصاعد الشعور بالخطر إزاء هذا الضغط المستمر. (٥) و لعل هذه المسأله شكلت بدايه الشكوك و انعدام الثقه بين العرب و العثمانيين إذ أن التوسع الأوروبى برأى "ليفين" كان يتطابق فى وعى العرب مع الصراع الأزلّى بين الغرب المسيحى و الشرق المسلم". (٦)

هذا الواقع الجديد اتخذ عده أشكال، ربما اختلف فى تقويمها أو تفاوت الاجتهاد فى تعبيراتها القوميه، و لكن توقيتها مع انكفاء دوله بنى عثمان أمام الغرب، و ازدياد أطماع الأخير فى الأقطار العربيه التابعه لها بصوره مباشره أم غير مباشره، لا ينفصل عن هذا الواقع و ما رافقه من طرح على الأقل للمسأله العربيه.

أما حركه محمد على، فالراجح بدايه أنها لم تكن تنطوى على مشروع إيديولوجى واضح، سوى أن الشعور بقوته و ما قابل

ذلك من تدهور مستمر في الدولة العثمانية قد دفعا صاحبها إلى تحدى الأخيره و بناء دوله على أنقاضها، و هو شعور أفصح عنه لمستشاره العسكرى " بوابيه " (١٨٢٥) بقوله: " إني مدرك أن إمبراطوريه بنى عثمان ماضيه قدما إلى هلاكها و أن يوما سيأتى حيث يستعصى على أمر إنقاذها، فلا مغنم لى و لا فائده فى أن أغامر بامكاناتى و وسائلى فى سبيل أمر مستحيل، و لكن ساقيم على أنقاضها مملكه واسعه، و أنا أملك كل ما يلزم لتحقيق هذه الغايه(٧) و لعل محمد على بعد انتصاره المذهل على الدوله العثمانية و امتداد نفوذه إلى تخومها شاملا أقطار المشرق العربى، ربما أدى إلى بلوره مشروع قومى فى ذهنه، مستثمرا التناقض العربى - التركى، الآخذ فى الاتساع فى ذلك الحين: و لا شك أن محمد على أحدث هزه عميقه لدى العرب، المستسلمين حين ذاك للسلطنه العثمانية، فى تركيزه على استغلالها لهم، و مطالبته بان يكون لهم حق المشاركه فى السلطه، و هو موقف بلغ ذروته فى القول المنسوب لابنه إبراهيم إبان حملته الشهيره، بأنه سيصل إلى حدود البلاد التى يتكلم فيها الناس و يتفاهمون باللسان العربى.(٨)

و هكذا فان حركه محمد على وجهت ضربه عنيفه للسلطنه العثمانية، محدثه نتائجها المزدوجه على الصعيدين الأوروبى و العربى فى آن. فقد عكست حاله من الوهن لم يتوقعها الغرب بمثل هذه السرعه فى جسم السلطنه، و جعلت "الرجل المريض - و هو الاسم الذى أطلقه عليها القيصر الروسى - غير قابل للشفاء فى ذلك الحين. أما بالنسبه للعرب، فقد كان تأثيرها بالغ الأهميه مقترنا بالبدايه الفعلية لما سمي ب " النهضه العربيه "، و ما جسدته تجربه محمد على من نموذج لمشروع مستقبلى بدا ممكنا خارج إطار الدوله العثمانية، فى الوقت الذى أطل العرب من خلال هذه التجربه على الفكر الأوروبى الحديث، مما سيؤدى إلى تعميمها و انتشار حركات استقلاليه فى أعقابها، على نحو لم يعد للعثمانيين من سلطه فعلية، سوى ما كان يرتبط بجبايه الضرائب، و عدا ذلك فان ما بقى من هيبه لهذه السلطه كان يشكل فى الوقت نفسه قلقا للعرب الذين أدركوا خطوره هذا الواقع و ما يترتب على ذلك من أوضاع تطل مصيرهم و تهدده.

على أن أحدا لا يمكنه التأكيد، بان فكره الاستقلال التام، كانت واضحه حين ذاك لدى العرب و إن كانت تراودهم كالحلم أو يهمسون بها فى ٦.

ص: ٢٦١

١- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ١٢-١٥.

٢- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ١٥-١٦.

٣- Jean Raymond, ibid

٤- ٣٤، op.cit, p. Jean Raymond

٥- TuriquiE T.III,Note De Bouree, consul DE France A Beyrouth A Guizat , .ministre Des

AFFaireS etrangeres ,citE par MouniR Ismail, LE LibaN sur Les MutasarrifiS P.٩

٦- الفكر الاجتماعى ص ١٣٣

٧- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ٣٤.

٨- منيرو عادل إسماعيل، الصراع الدولى حول المشرق العربى، ص ٣٦.

الخفاء، كما أن أحدا لا يجزم بان عمليه الطلاق التي أخذت تتبلور بعد ذلك كان مسئولا عنها العرب الذين ظلوا برغم هواجس الانفصال و بوادر اليقظه القوميه أوفياء لهذه الدوله أو على الأقل للرمز الذي تمثله و متشبهين بها من هذا المنظور كقوه وحيده، ينعقد عليها الأمر، و لو ضعيفا، لمواجهه الأطماع الأورويه. و قد انطلقت من هذه الحقيقه، كما أرى فكره " الجامعه الإسلاميه " التي وجد روادها أن الحل يبقى فى تقويه السلطنه العثمانيه ليس إيمانا بالمطلق بدورها الإسلامى الذى خبا إلى حد كبير، و لكن تعبيرا واقعا عن المرحله و تحدياتها الخطيره.

و لعل هذا الموقف الايجابى من جانب العرب و محاوله تكريس شرعيه السلطنه عبر الجامعه الإسلاميه التي استهوت لحين السلطان عبد الحميد(1) و وجد فيها ما يعزز نفوذ السياسى إزاء المعارضه فى الداخل، فضلا عن التصدى للأطماع الأورويه فى الخارج، قد أسهم فى تعاطف هذا السلطان مع العرب الذين وصل بعضهم لأول مره إلى مناصب عليا فى الدوله،(2) و لكن حافز السلطان لم يكن بريئا، بقدر ما كان لمشاعر القلق، سواء من المعارضه أو من الأطماع البريطانيه بالذات، تأثير أساسى فى هذا التودد للعرب و الاحتضان للجامعه الإسلاميه، و من ثم دعوه " مهندسها " جمال الدين الأفغانى إلى الآستانه.(3)

و لكن السلطان الذى كان ينزع نزوعا شديدا نحو الاستبداد، لم يكن مؤهلا لاعاده النظر فى السياسه العثمانيه بشكل جذرى، يؤدى إلى تشكيل جبهه متماسكه، يتسع المجال للعرب بدور هام فيها. ذلك أن سياسته التي حققت له الاحتفاظ وقتا طويلا بالسلطه، لم تستطع منع المعارضه فى النهايه من تثبيت أقدامها و الانقضاض على السلطه " الحديدى "، دون أن تنجو من حركتها الجامعه الإسلاميه، فضلا عن الفكره العثمانيه بمحتواها الامبراطورى، لتسود على أنقاضها الفكره الطورانيه، الداعيه إلى دوله تركيه صافيه من العناصر الأخرى، متكرسا ذلك فى المؤتمر السرى الذى عقده الاتحاديون فى ظل جو من العداء المفرط للعرب(4) و هكذا فان دعاه الجامعه الإسلاميه العرب، أو من عاصرتهم تلك الأحداث، لم يتخلوا عن مشروعهم الداعم لسلطنه بنى عثمان، و إنما القيادات المتطرفه للأخيره هى التي خرجت عن سابق تصميم منه، و أخذت فى الابتعاد عن كل ما له علاقه سياسيه أو ثقافيه بالعرب، بما فى ذلك الإسلام الذى ابتعدت عنه الطورانيه إلى حد كبير، بعد محاوله التطبيع الظاهره مع الحضاره الأورويه، و الانحراف عن تاريخ دولتها المتداخل عضويا مع الإسلام و حضاره العرب. و كان أول المتأثرين بهذه المتغيرات، الاصلاحيون العرب محدثه فى صفوفهم ارتباكا شديدا، فضلا عن المعاناه التي تجسدت فى أزميتين اثنتين، و هما: مسأله الانتماء القومى، و العلاقه الدينيه بالعثمانيين عبر الخلافه، و نتيجة لذلك، كان الافتراق عن الدوله العثمانيه أو الكثير منه، مسوغا لدى هؤلاء الاصلاحيين بان الأخيره قد تخلت عنهم و حادت عن القيم التي ناضلوا فى سبيلها، و التي كانت تصب فى مصلحتها فى المقام الأول. و إذا كان هؤلاء الاصلاحيون و معهم آخرون ليسوا بالضروره مسلمين، قد وجدوا السبيل للخلاص فى صيغ توفيقيه، تكرر القياده للعثمانيين، مع إعطاء العرب دور فاعل فى الدوله، فان ذلك كان أقصى ما يمكن لهؤلاء المجاهره به، أبان فتره كان عنوانها الاستبداد و تضيق بأبسط أشكال المعارضه و لعل وجود جمال الدين الأفغانى، و هو مفكر غير عربى، على رأس تلك الحركه الاصلاحيه، قد جعل للأخيره مضمونا توفيقيا أكثر منه جذريا، على النحو الذى ظهرت ملامحه المبكره فى جمعيه بيروت السريه و فروعها الثلاثه.(5) و لكن هذه الجمعيه، برغم ريادتها فى طرح المسأله القوميه، خالصه من أيه صبغه دينيه(6) فان تأثيرها ظل محدودا و لم يتجاوز النطاق النخبوى، حيث انتشر فكرها بين طلاب الكليه البروتستنتيه بوجه خاص، فى وقت كانت مصر تخطف الضوء و تستقطب حركه الإصلاح و دعائها بمن فيهم دعاه العلمانيه.

و من هذا المنظور، و عبر هذا التمهيد المسهب، نعود إلى قراءه الدور الذى شغله عبد الرحمن الكواكبي فى الحركه السياسيه

كرائد في الفكر القومي، لما يزل ملتبسا و محتاجا لمثل هذه القراءه، لوضعه في الموقع و الإطار المناسبين، و الكواكبي هو أحد هؤلاء النهضويين (الاصلاحيين) الذين واكبوا معا أو في وقت متقارب منعطفًا شديد الأهميه في التاريخ العربي الحديث، و هي ليست مصادفه أن ترهص الأحداث الكبيره على مفترق القرنين، بكوكبه من المفكرين متأثرا بعضهم بالآخر أو مكملًا له، إذ أن المرحله تتفجر أحيانا بركامها كما البر كان يندلع بعد انحباس طويل، دون أن تكون المسائل أو الأطروحات موحده بالضروره، و إنما المرحله بتحدياتها تقارب بينها و تفرض صيغا ملائمه لها.

و لقد وصفه "ليفين" بأنه مفكر سياسى مفعم بكراهيه الاستبداد،(٧) كما وصفه "انطونيوس" بأنه " كان يكره أشد الكره التعصب و الظلم،(٨) و لعل في هذا التقويم ما هو جدير كمدخل إلى عالم الكواكبي، و دراسته كمفكر قومي لم يكتب عنه في هذا المجال سوى القليل و في سياق عرضى فقط، و لسنا معنيين بالتوغل هنا فيما يتعدى هذه المسأله و سوى ماله علاقه بتكوين فكره السياسى و المؤثرات الأولى في بناء شخصيته، فقد كان مصيبا كل من المؤرخين السابقين في ما ذهبوا إليه عن كراهيته للظلم و تعاطفه مع الفقراء(٩) حيث كانت نشاته في مدينه (حلب) ربما عانت أكثر من غيرها استبداد السلطان عبد الحميد و ضغط الزمره المتصله به (أبو الهدى الهادى و أعوانه) فكان له من ذلك نصيب أودى به إلى السجن، و من ثم إلى الخروج من مدينته التى تقلد فيها عده أدوار ما بين الصحافه(١٠) و المحاماه و الوظيفه، ملتحقا بالرجل "الشامى" الذى سبقه إلى مصر، (١١) يدفعه إليها قسط من الحريه تمتعت به على عهد الخديوى [الخديوى] عباس الثانى.(١٢)٥.

ص: ٢٦٢

- ١- سليمان موسى، الحركه العربيه، ص ٢٤.
- ٢- عبد العزيز الدورى، التكوين التاريخى للأمه العربيه، ص ١٦٤.
- ٣- الدورى، المرجع السابق، ص ١٦٤.
- ٤- عقد المؤتمر عام ١٩١١، محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص ١٨٥.
- ٥- فى دمشق و طرابلس و صيدا، جورج انطونيوس، يقظه العرب، ص ١٤٩-١٥٠.
- ٦- الفكر الاجتماعى، ص ١٤٩.
- ٧- المرجع نفسه، ص ١٦٠.
- ٨- يقظه العرب، ص ١٦٩.
- ٩- المرجع السابق، ص ١٦٩.
- ١٠- أصدر صحيفتى الشهباء و الاعتدال، راجع: جان دايه، صحافه الكواكبي.
- ١١- أنطونيوس، ص ١٦٩، سليمان موسى، ص ٢٢.
- ١٢- الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص ٥.

و هكذا فان المعطى الأول فى تكوين الفكر السياسى للكواكبى تمثله مرحله المعاناه فى حلب متيحه له كشخصيه مثقفه و متفقهه فى الدين، التعرف عن كتب إلى مصادر الخلل فى الدوله العثمانيه، أما المعطى الثانى الذى أسهم فى غناء تجربته فقد عبرت عنه رحلاته إلى عدد من الأقطار الإسلاميه، حيث وجد فيها من التخلف ما صهر معاناته و زاد فى حماسه إلى متابعه طريقه النضالى الصعب، و يبقى المعطى الثالث الذى كان له تأثيره الأقوى فى نضوج هذه التجربه و ترجمتها فى صياغه فكر سياسى و اجتماعى واضح، فهو المتجسد فى رحلته إلى مصر، مواكبا حركتها الفكرية الساطعه و متأثرا برواد نهضويين كبار، ملئوها حضورا فى ذلك الحين.

و المسأله القوميه عند الكواكبى، ليست منفصله عن الحريه التى شكلت حافزه الأساسى للانخراط فى السياسه، نتيجته لما واجهه من أشكال الاستبداد، تعصف بالعرب على الخصوص و تفرقههم فى الذل و الهوان، و قد جاء كتابه "طبائع الاستبداد" محصلا لهذه الهواجس، إذ يبدو أنه سابق على كتابه الشهير الآخر (أم القرى)، خلافا لما يراه "انطونيوس" بان الطبائع هو الكتاب الأول الذى وضعه فى مصر و نشره مقالات فى صحفها.(1) و على الرغم من تمحور الكتاب حول أطروحه الاستبداد بصنوفه و انعكاساته المختلفه دون أن تكون المسأله القوميه بارزه فى عنوانه أو فى سياقه بصوره مباشره، فان الهم العربى حاضر بين ثنايا الكتاب، لا سيما فى التوجه إلى "الناشئه العربيه المباركه الأبيه المعقوده آمال الأمه بين نواصيها" (2) و ليس من الصعوبه ملاحظه هذا الهم و إن كان خجولا أو قابعا بين السطور، و إمكانيه قراءته فى عبارته "القوم" المتكرره، التى يرجح أنه يخاطب من خلالها العرب و إن كان يستخدمها بشيء من التمويه، قاصدا بها هؤلاء حينا، و حينا آخر المسلمين.(3)

و لكن القراءه المتمعنه لخطابه السياسى فى هذا الكتاب لا تدع مجالا للشك بان العرب هم من يدور فى خلدته، و أن وحدتهم هى القضيه التى يهجمس بها و أن بالكثير من الحذر على نحو ما يؤكد فى الكتاب نفسه: "يا قوم و أعنى بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين". (4) و الشرق عنده ليس إسلاميا بقدر ما هو عربى، برغم وصفه له بـ "الشرق الفخيم"، إذ أن هذا الأخير ما كان "فخيما" وفقا لأطروحه الكواكبى الاساسيه إلا فى ظل العرب و دولتهم الأولى التى كثيرا ما يرمز لها فى كتاباته خصوصا فى "أم القرى".

و يقتررب هذا المفهوم من الواقع، فى ما ذهب إليه من التماهى مع التجربه القوميه فى أوروبا التى بلغت أممها برأيه "المرتبه القصوى الساميه التى تليق بالانسانيه". (5) و لعل هذه المسأله تقارب الوضوح فى فكر الكواكبى الذى يعبر عنها بصوره غير مباشره و ذلك فى سياق النفى بان يكون الدين أو المذهب مما يعيق هذه الوحده أو يحول دون تنفيذها(6) مجسدا ذلك أحد الأسس الهامه للأطروحه القوميه التى ستتلور بعد الكواكبى فى الجمعيات العربيه السريه ذات المنحى القومى، مثل الجمعيه القحطانيه و العربيه الفتاه.(7)

و إذا كانت مقالاته فى الاستبداد على أنواعه قد عبرت عن رفضه للحكم المطلق و إبراز مساوئه و انعكاساته السلبيه على كافه جوانب المجتمع دون الاحاطه المباشره بالمساله العربيه و إشكاليات الصراع السياسى مع السلطنه العثمانيه، فان هذه المقالات، شكلت فى وقتها خطوه جريئه و رائده فى مواجهه السلطه المستبده و تجاوزت فى طرفها حين ذاك كل الطروحات التوفيقية التى انتظم معظمها فى حركه "الجامعه الإسلاميه". فهو يبدو لنا خارج هذا السلوك الوسطى، أكثر جذريه فى مفاهيمه، متقدمه فيها الأمه - و هو تعبير يتكرر دائما فى مقولاته - على أى اعتبار آخر، و متجاوزة مصالحها كل المصالح الشخصيه، و الحريه فى

النتيجة هي الحل الطبيعي لمعضله الاستبداد، لأن "الإنسان الحر - برأيه - مالك لنفسه تماما و مملوك لقومه تماما، و متى يبلغ ترقى التركيب في أمه لهذه المرتبه بحيث يصير كل فرد مستعدا لأن يفتدى أمته بماله و روحه، فعندئذ تصيح الأمه في غنى عن ماله و روحه". (٨)

و يضيف هنا في السياق ذاته بان الأمه إذا لم تحسن "سياسه نفسها أذلها الله لأمه أخرى تحكمتها"، (٩) متوجا بذلك تشخيصه للخلل الذى يعيق العرب عن استعادة دورهم متحررين من الاستبداد و الحكم المطلق. و إذا كان ثمة من يرى بان الأمه التى يقصدها الكواكبي، ليست بالضروره هي الأمه العربيه، فان الإمعان فى النص، قد يضع المسأله بعيدا عن اللبس، فى أن السلطنه العثمانيه لم تكتسب هذه الصفه، خصوصا فى ذلك "الزمن القومى" الذى كانت السلطنه أول المتضررين فيه، و تحديدا من انعكاساته على القوميات الصغيره التى أخذت تتفجر فى تلك المرحله، دون أن يحول حين ذاك و تفجر القوميه الكبرى (١٠) سوى العلاقة الدينيه بين العرب و الخلافه - السلطنه، و وجوب الجهاد تحت رايتها دفعا للخطر الأوروبى.

و هكذا فان "طبائع الاستبداد" برغم المؤشرات القليله و الملتبسه فى بعض الأحيان إلى المسأله القوميه، لا نشك بان الحافز إلى كتابته فى تلك الظروف الصعبه، كان يحمل هذا الهاجس فى المضمون. و يمكن ملاحظه ذلك فى تكرار عبارته "الأمه"، و الدعوه إلى الاتحاد، و إسقاط مبدأ التمايز فى الدين و الطائفه، فضلا عن الحره التى جاء طرحها على هذا النحو الاشكالى، ما يؤكده جذريه مشروعه السياسى الذى ربما غمره كثير من التمويه المتناسب مع المرحله، و لكنه فى النهايه كان يعبر عن هواجس تيار، و بعكس أفكارا لم تختمر، و يرى إلى حلول ليست تقاربها كثيرا الحلول التوفيقيه، المطروحه فى ذلك الحين. (١١)

و لعل المسأله القوميه بدت أكثر حضورا فى كتابه الآخر (أم القرى) الذى جاء متكاملا مع "طبائع الاستبداد" و لكن من منظور خاص يرى فيه بعضهم، بأنه التكامل الدينى و الاجتماعى فى الكتاب الأول مع السياسى فى الكتاب الثانى و قد نخالف هنا هذا الرأى فى نظرتة إلى "أم القرى" الذى ربماه.

ص: ٢٦٣

- ١- يقظه العرب، ص ١٧٠.
- ٢- طبائع الاستبداد، ص ٧.
- ٣- القوم: الجماعه من الرجال و النساء جميعا. و قوم كل رجل: شيعته و عشيرته. ابن منظور، لسان العرب ج ٢ پ ص ٥٥.
- ٤- المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠١.
- ٥- المرجع نفسه، ص ١٠٣.
- ٦- المرجع نفسه، ص ١٠٧.
- ٧- المرجع نفسه، ص ١٠٧، أم القرى ٢٠٠ اختار النصوص و قدم لها أدونيس و خالد سعاد.
- ٨- عن الجمعيات العربيه المناهضه للأتراك راجع: - AdeL Ismail, Documents Diplomatiques Et. Consulaires T ٢١. P٣٢-٣٦
- ٩- الطبائع، ص ١١٠.

١٠- المرجع نفسه، ص ١٢٦.

١١- القوميه العربيه.

كان أقل مباشرة في التعبير عن هواجس الكواكبي المتأثره بالاستبداد الحميدى الذى كان سببا لهجرته إلى مصر، و لكن هذا الكتاب - عدا أنه يحمل طابع المرحلة الصعبه - يطرح مشروعا ضمينا للمسأله العربيه من منظور سياسى واضح، دون أن يكون الإطار الروحى المقترح فى مشروعه للخلافه، مندرجا فى هذه الرؤيه الدينيه أو الاجتماعيه، على أنها - أى الخلافه - و إن كانت منطلقه لدى الكواكبي من دافع احيائى، فهى ليست سوى النموذج القائم على الشورى و معادله التواصل العضوى بين الدين و السياسه، و من ناحيه أخرى فان هذا الكتاب يحمل فى ثناياه دعوه صريحه إلى العرب للنهوض بالإسلام السياسى الذى تداعت صورته و فقد دوره الحضارى فى ظل الحكم العثمانى المطلق، فهم و حدهم - برأيه - القادرون على النهوض بهذا الدور عبر استعادتهم للخلافه(١) مقترنه ب " استعادته "الدين الذى" خرج... من حضانه أهله "العرب، كما ورد فى هذا الكتاب.(٢)

و الواقع أنه من الصعب جدا الحديث عن تمايز ما فى الكتابين، لا سيما فى موضوعات الإصلاح و تشعباتها المختلفه، إذ كانت معاناه الكواكبي واضحه فى دراسته لمظاهر الخلل و تصوراته للحلول على الصعيد السياسى و الاجتماعى و الدينيه. و لكن التمايز أكثر ما هو ملحوظ فى المنهج الذى جاء مباشرة فى "الطبائع" و رمزيا فى "أم القرى"، مع تجاوز فى الأخير لمشكله العلاقه مع السلطنه العثمانيه إلى محاوله وضع تصور للمشكله العربيه بصوره خاصه.

و غنى عن القول أن هذا الكتاب يتضمن مطارحات على لسان اثنين و عشرين مسلما (فاضلا)(٣) جرت فى مكه، مقتبسا عنوانه من اسم آخر لها (أم القرى) و من البديهي أن اختيار هذا المكان، حيث انعقد الاجتماع الذى شكك البعض(٤) بأنه من خيال الكاتب و اعتبره حركه سريره قائمه، لم يكن من باب المصادفه، لما تمثله مكه من أهميه فى الإسلام الأول، و فى الذاكره العربيه، تمتد زمانا إلى ما قبله، و تتجسد حضورا فى كتابه - أى القرآن - الذى حوى كثيرا من التفاصيل الاجتماعيه و الاقتصاديه عن تاريخ "البلد الأمين"، مثل الإيلاف و الحج و قریش التى نزل بلغتها (لهجتها) العربيه، و التى كان "يحسنها" (٥)المنتظمون فى الاجتماع السالف الذكر.

و إذا كان الكواكبي قد ألمح إلى الوحده العربيه فى "الطبائع" متجاوزا فى طرحه الطائفه و المذهب كما سبقت الإشارة فان اللغه شكلت عنده عاملا- بارزا فى توثيق عرى الرابطه بين المسلمين(٦) دون أن يكون من باب المصادفه أيضا أن يحسن أعضاء "جمعيته" اللغه العربيه، و هم ينتمون إلى بلدان لها لغاتها المختلفه. و فى ضوء ما تقدم، فان الكواكبي كان أحد أوائل الذين رهصت كتاباتهم بالفكر القومى، إن لم يكن أولهم بالتحديد، انطلاقا من قراءه مهدت لقواعد موضوعيه فى هذا السبيل. و قد جراه فى ذلك مفكر قومى آخر هو "نجيب غازورى" الذى طالب بانفصال العرب عن الأتراك، ملتقيا مع الكواكبي فى الدعوه إلى قيام خلافه عربيه فى الحجاز، تناط بها الشؤون الروحيه للمسلمين، و إلى إعطاء الحريه الدينيه للمسيحيين العرب.(٧) و لكن رياده الكواكبي - و هو فقيه كانت نشاته فى ظل سلطه مباشره لبنى عثمان (الشام)، أو غير مباشره لهم (مصر) خلافا للغازورى الذى نشر أفكاره فى فرنسا - تجلت، ليس فى اختراقه الحاجز الفكرى (الإسلامى) فى عهده، و لكن فى تجاوزه العهد نفسه، إلى الاحتكاك بمؤثرات غريبه، يرجح أنها وصلته عبر اطلاعه على بعض كتابات رموز النهضه الفرنسيه.(٨) و لعل هذا التأثير واضح فى كثير من مفاهيمه الخاصه بمسائل الأحياء و الوطنيه(٩) و الحريه(١٠) و الديموقراطيه(١١) و نبذ التعصب الدينى(١٢) الذى يرى فيه البعض خطأ بأنه ميل لدى الكواكبي إلى فصل الدين عن الدوله،(١٣) ذلك أن المسأله الاخيره متعارضه فى الجوهر مع الفكره الأساسيه التى بنى عليها أطروحته فى "أم القرى" الداعيه إلى إقامه خليفه قرشى، يتخذ مقره فى الحجاز، لأن الخلافه التى اقترحتها كسلطه روحيه، كانت مجرد تصور مرحلى و ليست حلا كاملا لأى من الطرفين العربى و العثمانى، أو كلاهما معا، و من

السذاجه الافتراض بان الكواكبي كان مقتنعا لخليفته المقترح بهذه السلطه التي كانت قائمه حين ذاك عبر شريف مكه، و هو قرشى أيضا، لأن الخلافه من حيث المبدأ سلطه واحده يتكامل فيها الجانب الروحي مع الجانب الزمنى (السياسى).

و لعل تردد عباره "الاكتام" و "استحسانه" على لسان الأستاذ الرئيس (المكى) فى مستهل "المؤتمر" يبعث على الاعتقاد بان طرح الفكره من هذا المنظور، كان أبعد مما يمكن الوصول إليه فى تلك الفتره الحالكه، يؤكد ذلك ما عرضه "الرئيس" من موجبات الاكتام فى السياق ذاته، و التشكيك خصوصا بمواقف "العلماء" الذين غالبا ما كانوا هدفا لنقد لاذع من جانب الكواكبي فى "أم القرى" (١٤) و إذا كان هذا "الخليفه"، بسلطته الروحيه المقترحه، ما دار فى خلد الكواكبي، فليس ثمه ما يدعو إلى تلك السريه، خصوصا و أن الكتاب نشر فى مكان لا يستوجب مثل هذا القدر منها، و بالتالى يصح التساؤل أيضا، عن جداره هذا الخليفه، الفاقد لدوره السياسى فى إعاده "وصل الرابطه الدينيه و الوحده الخلقيه" (١٥) المفقودتين، فى وقت عجز عن القيام بذلك الخليفه الفعلى (السلطان).

و من ناحيه أخرى، فان ما يلفت القارئ هو تكرار عباره "الفتور" فى عدد من صفحات الكتاب (١٦) مقترنا عند الكواكبي باليأس الذى هو برأيه سبب هذا الفتور، (١٧) دون أن يكون مجديا ذلك الحل المعلن فى "مؤتمر مكه" لمعالجه الأمراض العديده التى تم التوقف عندها، و بلغت تحت وطاتها الدوله العثمانيه حدود الياس.٦.

ص: ٢٦٤

- ١- ليفين، الحركات، ص ١٥٣.
- ٢- أم القرى، ص ١٧٥، المرجع السابق.
- ٣- المرجع نفسه، ص ١٦٤.
- ٤- جان دايه، الامام الكواكبي، ص ٨٢.
- ٥- أم القرى، ص ١٦٤، المرجع السابق.
- ٦- أم القرى، ص ١٩٣-١٩٤، المرجع السابق.
- ٧- سليمان موسى، الحركه العرييه، ص ٢٣-١٤.
- ٨- الدورى، التكوين، ص ١٦٨.
- ٩- المكان نفسه، انظر أم القرى، ص ٢١٦، المرجع السابق.
- ١٠- أم القرى، ص ١٧٦، المرجع السابق.
- ١١- المرجع نفسه، ص ١٧٤.
- ١٢- المرجع السابق، ص ٢٠٤.
- ١٣- دايه، الامام الكواكبي، ص ٥٩.
- ١٤- راجع الكتاب، ص ١٦٧. المرجع السابق.
- ١٥- المرجع نفسه، ص ١٨٠.
- ١٦- راجع على سبيل المثال الصفحات: ١٦٩، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩.

و من هذا المنظور فان ما افترضه الكواكبي بان الحل هو تسليم الشعوب الإسلاميه بالخلافه للعرب، الذين هم برأيه "انسب الأقوم" و يشكلون "الوسيله الوحيده لجمع الكلمه الدينيه... بل الكلمه الشريه" (١) يعطيه زياده هذا الطرح المبني على قاعده القوميه، أو ما يوافق فكرتها حسب تعبير "حوراني" (٢) دون أن يتعارض ذلك مع الذى ذهب إليه "كوثراني" بان "المرجعيه النظرية: تبقى عند الكواكبي نظريه الإسلام"، (٣) فمن الطبيعى جدا أن يكون منطلقه، و هو الفقيه و صاحب تعبير "الإسلاميه"، (٤) بمضمونها القرآنى و الحديثى "، من هذه القاعده أو النظرية، إلا- أن فرادته جاءت - و لا نظن بان قارئاً متمعنا فى فكره ينكر ذلك - تجلت فى أنه أول من طرح الخلافه العرييه، ليس على أساس دينى، و لكن وفقاً للنموذج الراشدى و القليل المتماهى معه فى العهد الأموى (خلافه عمر بن عبد العزيز) حين اتحدت إداره الملك و إداره الدين على نحو لم يتكرر بعده فى الإسلام. (٥)

و من الطبيعى أيضاً أن يكون للكواكبي مكان فى الحركه الداعيه إلى " النهوض بالعالم الإسلامى " التى رادها الأفغانى و انخرط فيها كبار النهضويين فى تلك الفتره. على أن هذه الحركه أمام التحديات التى عطلت دورها، لم يعد مجدياً النضال تحت لوائها مما أدى إلى تبعث أعضائها فى اتجاهين:

أحدهما، كان ما يزال مؤمناً باستمرار العرب فى إطار الدوله العثمانيه، وصولاً إلى تحقيق صيغه الاستقلال الذاتى (٦) و ثانيهما أخذ يتجه إلى الخروج نهائياً من إطارها و العمل على تأسيس دوله عرييه موحده، بعد فجيعة بالمنحى الطوراني (القومى) لهذه الدوله كما سبقت الإشارة. و من هنا تكتسب فكره الكواكبي أهميتها، بأنه كان الأكثر جرأه فى ترجمه هواجسه - و لو بصوره مقنعه - من منطلق عربى (قومى). و ليس من منطلق إسلامى كما كان مطروحاً لدى دعاه "العثمانيه" التى قامت على انقراض "الجامعه" و استمرت وقتاً فى الفتره "الاتحاديه"، فالعرب هم عماد الإسلام و مجد هذا الدين اقترن بهم، مما جعلهما متلازمين تاريخاً و وحدتهما مجسده فى الخلافه التى كانت فى قریش و حاول استعادته نموذجها الكواكلبى [الكواكبي] بعد نحو ثلاثه عشر من القرون.

كان هذا أقصى ما يمكن الإفصاح عنه فى زمن ظلامى، حين طرح الكواكبي هذه الأفكار، دون أن يجروء على مثل ذلك حتى أولئك الدين [الذين] كانوا خارج سياج الظلام، و لعل رده على الشيخ رشيد رضا يذهب بنا إلى الاعتقاد، بان صورته الخليفه التى رسمها فى وادى القرى، قد راودته فى حلب، حيث وضع على الأرجح ماده الكتاب، و هى ليست نفسها التى عبر عنها فى مصر، إذ قال - أى الكواكبي -: "فلما ذا يقدح فى و ينعى على إذا نصحت لأبناء ملتى المسلمين أن لا يعتمدوا على السلاطين فى زماننا هذا لاقامه معالم الدين، و أن يميزوا بين الدول الحاضره التى تقتصر وظيفتها على الأمور الدنيويه و الدول الغابره التى كانت وظيفتها تعم الأمور الدينيه و الدنيويه معاً، فلا ينتظروا من دولتنا الحاضره ما كان أسلافنا المسلمون يحصلون عليه". فلم يكتف هنا بالوظيفه الروحيه للخليفه، لأنها تخل بسلطه الخلافه كما كرسها الفقهاء المسلمون، و هو ما كان يدركه جيداً كل من الشيخين المتناظرين على صفحات "المقطم"، إلا أن المكان هو الذى فرض على الكواكبي، الفصل بين السلطتين، مذكراً زميله، بأنه لو قال فى "طرابلس الشام" (٧) ليس للمسلمين اليوم خليفه و لا امام لا طارته أعاصير السخط إلى أعالي الغمام ثم طوحت به صواعق الانتقام إلى لجج البحار". (٨)

و هكذا فان مجرد الدعوه إلى استعادته الخلافه للعرب و إلى موقعها القرشى بالذات، يشكل سابقه نضاليه فى الحركه العرييه،

حتى و لو لم يتم الإفصاح عن مضمونها القومي المباشر، ذلك التعبير الذى استخدمه على ما يبدو الزهراوى للمره الأولى، و هو من المتأثرين بالكواكبي إلى حد كبير،(٩)و لكن الأخير استخدم تعبير " القوم " فى سياق الإشارة إلى العرب، أو " الناطقين بالضاد"،(١٠)و تحريضهم على " الاتحاد الوطنى دون الدينى"،(١١)تماهيا مع أمم الغرب، كما استخدم عبارته " الأمة " فى التخاطب مع الناشئة العربيه التى وجه إليها كتابه " الطبايع"، عاقدا عليها الآمال فى بعث " الأمة " و استنهاضها على خطى الأجداد الذى لم ينحنوا " إلا ركوعا لله".(١٢)

إن قراءه هادئه فى فكر الكواكبي، تجعلنا على يقين بأنه تجاوز الطروحات " العثمانية " التى شكلت محور الخطاب الاصلاحى فى ذلك الوقت، منفردا بخطاب سياسى له نكهته العربيه، و إن كانت غير ظاهره تماما، فى القراءه السريعه و المسطحه لفكره، فالعرب كانوا ما يزالون بالنسبه إليه، هم الدين و التراث و القياده و العلم(١٣) و اللغه التى تشد أواصرهم، فضلا عن المستقبل المعقود لهم، بعد استفحال ما سماه ب " الفتور " و ما أدى إليه من فقدان الرابطة السياسيه و الدينيه فى الدوله " المريضة ". و قد لا يكون الكواكبي مفكرا قوميا بالمعنى المباشر أو المتداول فيما بعد، إلا أنه فى كتاباته، برغم الاستبداد و الظلاميه، طرح للعرب موقعا متميزا بين المسلمين المنضوين تحت حكم السلطنه، الأمر الذى يجعلهم مؤهلين لدور قيادى، أو بالأحرى لاستعادته هذا الدور، على أن الكواكبي أخيرا، إذا كان تراثيا يختلج " مجد " السلف العظيم فى عروقه، فان اطلاعه على الثقافه الأوروبيه، الناضحه حين ذاك بالفكر القومى، قد أغنى هذا الحافظ النضالى فى ذاته، سواء كان له مضمونه القومى الراسخ، أم أنه مجرد ارهاص بهذه الفكره... و فى كلا الوضعين يحتل الكواكبي موقعا متقدما و يتخذ زياده خاصه.

عبد الحسين ميرزا بن الميرزا محمد عسكرى

رئيس لكهنو ولد سنه ١٣٠٠ فى كربلاء (العراق) و توفى سنه ١٣٦٥ فى لكهنو(الهند).

ص: ٢٦٥

- ١- كوثرانى، السلطه و المجتمع و العمل السياسى، ص ١٥٧.
- ٢- الفكر العربى فى عصر النهضه، ص ٣٢٥.
- ٣- كوثرانى، المرجع السابق، ص ٣٢٥.
- ٤- أم القرى، ص ١٧٤.
- ٥- الدورى، المرجع السابق، ص ١٧٢.
- ٦- انطونيوس، المرجع السابق، ص ١٧١.
- ٧- دايه، المرجع السابق، ص ١٤١.
- ٨- يتحدر الشيخ رضا، كما هو معروف - من القلمون القريبه من طرابلس الشام.
- ٩- دايه، المرجع السابق، ص ١٤٠.
- ١٠- الدورى، المرجع السابق، ص ١٤٥.
- ١١- طبايع الاستبداد، ص ١٠٢.

١٢- المكان نفسه.

١٣- المرجع نفسه، ص ٩٩.

درس الأوليات فى كربلاء ثم جاء إلى لكهنو و أكمل دراسته فيها. كان خبيراً فى علم الرجال، و قد حقق رواه صحيح البخارى فى أربعة مجلدات باللغه الأردويه، و فى أواخر حياته طبع خلاصته باسم (رجال البخارى).

كان خطيباً واعظاً محققاً.

الدكتور عبد الرزاق محيى الدين ابن الشيخ أمان:

إشاره

ولد فى النجف سنه ١٣٢٦ هـ و نشأ بها على أبيه. و درس كما يدرس لداته علوم اللغه العربيه و الأصول و الفقه. ثم اختير سنه ١٩٣٣ م عضواً فى بعثه الطلاب المرسله إلى كليه دار العلوم فى القاهره فتخرج منها و عاد إلى العراق فعين مدرساً للغه العربيه فى دار المعلمين الابتدائيه فى بغداد، و بعد عده سنوات سافر إلى مصر حيث نال شهاده الماجستير فى الأدب العربى رسالته عن أبى حيان التوحيدى و عاد مدرساً فى دار المعلمين العاليه ببغداد.

ثم نال الدكتوراه من جامعه القاهره باطروحتة عن أدب المرتضى، فاستمر فى التدريس بنفس الدار. و صار بعد انقضاء العهد الملكى وزيراً لشئون الوحده فى وزاره طاهر يحيى فى فتره رئاسه عبد السلام عارف للجمهوريه.

ثم اختير لرئاسه المجمع العلمى العراقى، كما اختير عضواً فى مجمع اللغه فى القاهره.

شعره

من شعره قوله:

يا حديث النفس فى خلواتها و سميرى فى ليالى السمر

إن يوماً لم أشاهدك به لم أكن أحسبه من عمرى

و صباحاً لم أظالعك به يتساوى و الدجى فى نظرى

و طريقاً لم أصادفك به غالطت رجلاى فيه بصرى

ما دخلت الصف إلا و مشيت رعيه عاقت عن المجرى دمي

أفصح الدرس فان لاحظتنى فاتنى المعنى و خانت كلمى

فترانى ساكتاً من حيرتى و ترانى ناطقاً من ألمى

أ ترى أسطيع كتمان الهوى و به تنطق عينى و فمى

(كره السله) لا تلعب بها إن قلبى كره بين يديك
و اتند بالركض هذى مهجتى علقى أطرافها فى قدميك
و ترنم باناشيد الهوى فعلى النظم و اللحن عليك
أنا أستاذك فاحفظ حرمتى أو سأشكو منك يا هذا إليك
قد قطعت العمر بالعلم فما نفع العلم و لا أجدى الكتاب
إن خيرا من دروسى كلها ساعه بين نديمى و الشراب
خل عنا الدرر لا تحفل به و اغتنم عيشك فى ظل الشباب
حلم دنياك فاجهد أن ترى حلم اللذات لا حلم العذاب
هذه العطلات وافى فمتى يهدأ الفكر و يرتاح الضمير
أ ترى تسمح أن أصطاف فى روض خديك و استاف العبير
أنا فى كانون أشكوك الجوى فإلى أين و تموز المصير
إن نار الهجر لا أحملها كيف لو أضرمها لفح الهجير
طالما أشكلت درسى طمعا منك أن تسالنى عما به
و أعيد الفصل ملحونا عسى أن يطول البحث فى إعرابه
حيل يقتنع القلب بها و لئن جرت إلى إتابه
و سراب ليس يطفى غلتى طالما أكرع فى خلايه
التلاميذ على غرتهم عرفوا سرى و هل يخفى الغرام
فمن الهمس حوار صامت و من الألاحظ نجوى و كلام
و من الأطفال ضحك لامع و من الشبان عدل و ملام
و متى قلت سلاما هتفوا و على الأستاذ و الحب سلام

و له يخاطب تلامذته - طلاب دار المعلمين الابتدائية - ببغداد في ٢٣ حزيران عام ١٩٤٣ م في حفله توزيع الشهادات عليهم:

أقيم لك المنبر الأرفع و أنصت قومك و استطلعوا
و شاءوا التي هي زاد الطريق فان أدركوا ظلما أترعوا
فأفضل ما احتقب الآئبون إلى أهلهم عظه تنفع
و أجدى على المرء من علمه تبدد قافيه تجمع
إذا كان كل لسان يقول فما كل قائله تسمع
أدر فضله الكأس في الظاعنين فان غدا سفر مزع
على الرفق يا من ركبت الطريق و بوركتها رحله تمتع
تلقت فمن حولك الذكريات شخوص و من حولها الأربع
خواطر أغفت وراء الشغاف فنبهها صائت مفزع
تشوب كما انتفض الحالمات تحرق من تحتها مضجع
تنزى على شرفات الديار و من كل نافذه تطلع
فلو أنها ملكت ساعديك لضممتك من شغف أذرع
و لو أنها وهبت ناظريك تعلمت ما يهب المدمع
فما ذا أضعت بقاع الوداع و ما ذا حفظت لمن ودعوا
فيا رب خرساء لو أفصحت أتى دون غايتها المبدع
بنى و لست أخاف العقوق إذا حذر السيف من يطبع
و هبتكم من عيونى الضياء و من ليله السهد ما يهجع
و من نهز العيش عهد الشباب بما يبتغيه و ما يمنع
أجوب مجاهل هذى الحياه و ما بى جهل بما أقطع

و أعلو الرواسى و الشاهقات و مالى فى شاهق مطمع

فيا ساسه الطفل لا أمه على غير ما تخضع

و يا قاده الجيل لا ماشيا إلى الموت يصرع أو يصرع

و يا راده الخير لم يكذبوا و يا ذاده الشر لم يدعوا

لدون كراسيكم الدانيات أرائكك تعالى فما ترفع

و دون نفوسكم الضامرات نفوس على بطنه تجشع

منحناكم الطفل ملكا يذل له ما يعز و ما يمنع

و دنيا من الغيب مرجوه يشام سناها و يستطلع

و آمال عمر قضى خيره و باقيه فى مثقل يسرع

ص: ٢٦٦

خذوا منه حقلًا ثوى فى التراب متى تحسنوا زرعه تمرعوا

خذوا منه عودا طرى الإهاب على قرب أطرافه يجمع

خذوا منه لوحا لآى الكتاب أمينا على حفظ ما استودعوا

و يا من حقرت صغار الجسوم أتيت صغارا بما تصنع

تضيق لدى الذرع أبعادها و تأبى المقاس فما تذرع

هى السر مختبئا فى الفؤاد فان شاع ضاق به المسمع

هى النشر محتجبا بالتراب فان ذاع طاب به المريع

هى العين يظما من حولها و باطنها السلسل المترع

خذوا الحذر من راسخ فى الطباع أبى على العصب لا ينزع

تحذر من زمن فى الأصول فما هو عن صحه يفرع

و مختبيات وراء العيون عليها و ان سفرت برقع

تدق على فطنه الألمعى و يخطئ عرفانها اللوذع

تيقظ فى هدأه الناقلين فان حذرت واشيا تهجع

كشان المريبه تغشى الرجال و تخشى السؤال و ما يتبع

و مصغين فى الصف لم ينظروا إليكم بعين و لم يسمعوا

يرون بكم دميته تعلى عليهم و عصفوره تسجع

و يبغون حلا لما ركبوا و يرجون صيدا لما أبدعوا

فهم ينشئون و هم يهدمون بكم و لديكم و لما تعوا

ألباء ما عدموا حيله و لا أعوزوا حجه تقنع

و هم يحسبون ضروب النفاق متى وجدوا الصدق لا ينقع

و قد يكذبونكم مقسمين و تشهد دعواهم الأدمع
فان خدعوا غافلا منكم تنادوا عليكم به فاخذعوا
لكل فتى منكم سيره لديهم و اقصوصه توضع
و مدح يكال و عرض ينال و نقد يلذ و قد يلذع
يروضونكم ساسه قادرين و بينكم الصعب و الطيع
و قد يجدون بكم متعه إذا عدم الطفل ما يمتع
فقد يحزنون لكي تفرحوا و قد يضحكون لكي تجزعوا
و هم يبطنون متى تبطنوا و هم يوجفون متى توضعوا
و يلقونكم بالرفيق الرفيق و خلفكم المفحش المقذع
غدا تبعثون إلى ساحه حفظتم لها خطه تتبع
و شتان ما بين سوح القتال و سوح المقال فلا تخدعوا
فقد تنكرون الذى تعلمون و تنعون جهدا لكم ضيعوا
و بعض الذى هولى زائف فكيف الذى عندكم مودع
فلا بد من رجعه للكتاب و درء الشكوك بما يدفع
و يا علم عفوك من زله نساق لها النفس أو تنزع
فقد تكذب العين فيما ترى و يختلف النطق و المسمع
و من قصد الله فى سعيه أتى النجاح يبطنى أو يسرع
و قال فى حفله أقيمت للشاعر خليل مطران فى القاهره:
سل عن الشاعر أو خذه مثالا تغن عن شعب جوابا و سؤالا
تلتقى الآفاق فى أبعاده و هو دون العين مرأى و منالا

ضلت الأبواب عن إدراكه و مضت تخبط رشدا و ضلالا

ليس تدرى أیه تنسبه أملاك حط أم جن تعالى

و بما ذا تتحامى شره و ترجى الخير منه و النوالا

فلتقم للشعر يوما جامعا و لتبالغ فيه سوما و احتفالا

و لينب عن كل قطر شاعر عرف الفضل لأهليه فقالا

يا فتى الشعر على شيخوخه عممت فوديك شييا و القذالا

ما الثمانون و قد بلغتها أورثت روحك وهنا أو كلالا

العوانى البيض ما زلت لها فاتنا توليك حبا و وصالا

و المعانى العصم ما زلت لها أكثر الناس اقتناصا و اعتقالا

تتحدى السرب فى شاهقه و تعاف السهل للناس مجالا

و تعاف الماء إلا موردا ظنه الظمان بعد الجهد آلا

شاعر القطرين بلغت المنى عمرا يبقى و ذكرا يتوالى

و لسانا تفخر الفصحى به ما روت بيتا و لا خطت مقالا

هل لدى قلبك من عهد الصبا خفقات تتقاضاها مطاللا

و خممار الكأس هل يعتاده بعد صحو و يمينه محالا

و هل الأشباح من ليل الكرى لم تعد تلقى على الضوء ضلالا

ربما ارحلت تحدوها عجالا و لقد أصحرت فارتدت ثقالا

قد صحبت الدهر غرا سادرا ما وقى نفسا و لا خاف ابتذالا

و حكيمًا تابعا فى كهفه ينشد السلم و لا يبغى القتالا

فهل الكهف حمى ساكنه سطوه الليث و قد صال وجالا

شاعر القطرين بلغت صبا و شبابا و مشيبا و اکتھالا

جئت و النهضه فينا طفله بعد لم تبلغ فطاما أو فصالا

و تباشير حياه حره شع في الوادى سناها و تلاًلاً

و رفاق عد اخوان الصفا نفروا و استنفروا الناس عجالا

كنت في القاده منهم فكره و من الساقه إذ أعيوا كلالا

تهب الفكره لا مستجديا أن يقول الناس قد أفتى و قالا

سل بيوت الفن من عمرها و أشاع الخير فيها و الجمالا

و برود الشعر من جددها و ارتدى منها قصارا و طوالا

ورد النيل سحابا فاستقى و أتى الآفاق فانهل انهلالا

كلما مر على مجد به أسمعته حمد مصر فانالا

و له يرثى الحسين بن على ملك الحجاز:

ما على الشاعر لو عز البيان سكت القلب فما يقوى اللسان

نبا هز البرايا وقعه و على السلوك تجلى الخفقان

أمل الأمه أودى و هوى بيتها الشامخ و انحط الكيان

رجل كان كألف رأيه ينظر الغيب كما شاء العيان

نظر الفرصه حانت فغدا واثبا يدعو لقد آن الأوان

جاهدى يا عرب هذى رايتى كتب النصر عليها و الأمان

جاهدى عن حرم الله فقد هزم الأتراک فيه و استهانوا

و بدا النصر له لو لم تكن خانت القوه فيه و الزمان

عاهد القوم و لكن نكتوا و وفى فى عهده الحر و خانوا

فأبى أن يدخل الأرض التي صانها السيف و أبقاها السنان

و بنى الله له بيتا بها خضع الناس لعلياه و دانوا

تلتجى الناس له خائفه و حسين ما له فيه أمان

و سل السائح ما ذا (قبرص) أين حلت و لمن ذاك المكان

غاب بعد العرب فى ليجتها و بدا عند المحاق الزبرقان

ص: ٢٦٧

حل فى عمان ضيفا بعد ما فتك الضعف به و الحدان

فقضى صبرا و لم تنقع له غله الوجد و لم يبرد جنان

أيها التاريخ لا تنس فان نسى الطرس فلا ينس السنان

يا أبا الأمه و الشيخ الذى فرض العرش له و الصولجان

لك من مجدك عرش ثابت و مكان لا يدانيه مكان

لك من نفسك سلطان أبى أن يرى التاج عليه و الهوان

و له محيا الشاعر محمد إقبال، و قد ألقاها فى حفله ذكره المقامه فى دار المفوضيه الباكستانية ببغداد:

ذكراك إقبال نحيها فتحينا كآيه الذكر نتلها فتهدينا

أهاب بى منك روح فاستجاب له روح أبى القول فى مجبولة طينا

لم يكفهم أن هبطنا الأرض دانيه حتى هبطنا بهم من أرضنا دونا

ما كان إبليس إذ ولى بوالدهم أشد منهم إلى أبنائه هونا

نشيلهم لسماوات محلقة و يسقطون فيغى جذ أيدينا

إقبال دعنى و كيزانى و مفخرتى فليس فى الطين ما يرضيك ماعونا

هبنى لأبناء هذى الأرض اتحفهم حينا حجولا و أحيانا نياشينا

إقبال يا حارس الفصحى بفكرتها لا الضاد نطقا و لا الأسجاع تبينا

رساله الله ما مرت على لهج إلا و أفصح منثورا و موزونا

حنت على لهجات الشرق فانبعثت أجنه ضقن بالأرحام تكويننا

تعيش فى ظلم منهن ضيقه ما السجن أحكم ايصادا و تحصينا

غشى الظلام عليها فهى حالمة بالكون خرصا و بالأرباب تخميننا

عمى تدور على عمى فان طلبت حظا من القرب ساقتمهم قرايينا

مؤلهين مخاليفا موزعه زحفا تماسيح، أو سعيًا ثعائنا

أنى اتجهت فعراف و كاهنه تستنزل الغيب محفوظا و مخزونا

ترقى السليم بعوذ من تمانمه و تبرئ الناس من نفث مصابنا

تشيع فى الفجر من حب ملائكه و تملأ الليل من رعب شياطينا

و الملك فيها لجبارين ما عرفوا لله دينا و لا للناس قانونا

شريعہ الغاب تملیها غرائزهم بالظفر جارحه و الناب مسنونا

حتى إذا قدر الإسلام مولدها بالفتح مخضًا، و بالآيات تطمينًا

هز المهود و ناغها بمعربه علويه الجرس توقيعًا و تلحينًا

يسرا كما تطعم الأفراخ آخذه بالحب زقا، و بالتغريد تلقينا

حتى إذا ما اكتست ريشًا و قادمه حطت قمارى أو شالت شواهدنا

لم ينكر البيت مهواها لجيرته و لا ناوا عنه فى الآفاق سالىنا

عرب و إن نطقوها غير معربه فالسين عند (بلال) أشبهت شينا

إقبال أى المعانى جئت أطلبه ألفتينى واجدا منها أفانينا

أتيت دينك فانثالت على دنا و جئت دنياك فاستشعرتها دينا

و الشعر حبا و تقديسا بحيث سرت نجوى الحبيين فى ورد المصلينا

و الحسن فى النفس لا فى الشىء تلحظه فلا ترى عادما للحسن مفتونا

و العشق ذاتيه تسمو بصاحبها تبقى على المثل الأعلى و تفنينا

و الموت طور انتقال فى البقاء فما شر من الموت إلا الخوف يحيينا

و ليس فى العيش غضا لا عناء به إلا التفاهه تغذونا و تضوينًا

و ليس فى ألم مر سوى أمل بالعود يلفظ أنفاسًا و يذكينا

و الحكم ليس جبايات موزعه فى الآل نثرا، و فى الأنصار تعيينا
إقبال دينك ما يقضى بشارده لو أن شعبا و فى حقا بما دينا
جاهدت فى الله عن أهلى و عن وطنى فى حين سيموا به خسفا و توهينا
و حين زعزت الشذاذ طارئه حصونهم و أحالتها مياديننا
(لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطه) من أبناء صهيونا
(لكن قومى و إن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر) إلا مبتغى فينا
سبع مفتحه الأبواب تحسبها جنات عدن خوت عارين طاوينا
طفت الجزيره من حب لأهلها و ساح غيرك يبغى سوق دارينا
غنيتها فتنادت أى ساجعه و أى سامر وعى فى نواديننا
إنا عهدنا سيوف الهند مطربه وقعا فلم وقع هذا السيف يشجينا
ذكرتنا ما نسينا من شمائلنا و ما أضعناه من مجد بأيدينا
إنا دفنا أمانينا فهل رجعت لها الحياه و هل عدنا لماضينا
صحراء يا مشرق الأنوار ما برحت نجوم أفقك تهدى الناس ساريننا
لله سر ك كم أبديت من قمر و كم تسرين من نجم و تخفيننا
الوحى فى أفقك الصاحى سراج هدى و الزيت يشرق فى الأعماق مدفونا
لو قد ملكنا أشعنا النور ثانيه و طبقت سائر الدنيا دراريننا

السيد عبد الرزاق الحلو ابن على

إشاره

و ينتهى نسبه إلى الامام موسى بن جعفر (ع) ولد سنة ١٢٧٥ فى النجف و توفى فيها سنة ١٣٣٧.

أسرته

هى أسره علويه من الأسر العلميه الشهيره فى النجف الأشرف ينتهى نسبهم إلى الامام موسى بن جعفر (ع)، يربو عدد بيوتهم الآن على ٨٠٠ بيت فى النجف و فى أنحاء العراق ينتسبون إلى أب واحد و هو السيد عبد الله بن محمد - حماد - و منه تفرعت هذه الأسر الكريمة حيث أنه أعقب ثلاثة أولاد و هم: السيد فرج الله و منه تحدرت أسره آل الحلو، و السيد نعمه الله و منه تحدرت أسره آل الجزائرى، و السيد نجم الدين و منه تحدرت أسره آل نجم الدين أو النواجى..

و قد صاهرت أسره آل الحلو و تزوجت من عده قبائل عربية و بيوتات شريفه كالساده آل الحبوبى و آل الكيشوان و آل المظفر و آل القزوينى و آل (أبى جامع - محبى الدين) و آل الطريحي و آل الأنصارى و آل مير عثمان و غيرهم.

و كان نزوح أجداد هذه الأسره إلى العراق قديما جدا و لم يعلم سببه و لا تاريخه و قد جاءوا من الطائف كما يرى ذلك السيد شهاب الدين المرعشى النجفى النسابة المعروف المتوفى عام ١٤١١ هـ و سكنوا أول الأمر بطائح البصره و منطقته الجزائرى - الجبايش - و ناحيه المدينه و لهم هناك نخل كثير و أراضي زراعيه واسعه تقع على نهر الصباغيه و سبع.

و كان أجداد هذه الأسره القدماء يحملون لقب الجزائرى و أول من لقب بلقب الحلو أحد أجداد الأسره و هو السيد سلمان الأول ثم لقب جميع أفراد الأسره بهذا اللقب.

قرأ مقدمات العلوم في النجف على بعض الأفاضل و اتصل في أوائل أمره بالسيد مهدي القزويني المتوفى ١٣٠٠ و السيد حسين بحر العلوم المتوفى ١٣٠٦ ثم حضر على الشيخ محمد كاظم الخراساني و الميرزا حسين الخليلي و الشيخ محمد طه نجف و الميرزا حبيب الله الرشتي و قد أجازته الشيخ محمد حسن المامقاني و كان قد لازمه طويلا و بعد وفاه المامقاني في ٢٨ محرم الحرام ١٣٢٣ هـ في النجف رجع إليه في التقليد أهالي الجزائر و القرنه و بني أسد و سوق الشيوخ و غيرهم و أقام الجماعه في الصحن الحيدري.

و بالرغم من انشغاله بالبحث و التدريس و حضوره معارك الجهاد ضد الإنكليز عام ١٣٣٣ هـ كما سيأتي فقد ألف بعض الكتب منها:

١ - جامع الأحكام في الفقه في عشرين مجلدا.

٢ - الرسالة الرضاعيه المبسوطه.

٤ - منيه العاملين و بغيه الراغبين: " و هو فقه فتاوى في العبادات إلى آخر الخمس في مجلد ضخم.

٥ - تفسير القرآن: و بقيت هذه الكتب مخطوطه لم تطبع.

و من أبرز مراحل حياته المرحله الجهاديه التي كانت في الشطر الأخير من حياته و قد تمثلت في عده مواقف مشرفه وقفها مع جمهره من الفقهاء و العلماء الأعلام ذودا عن الإسلام و دفاعا عن بلاد المسلمين و قد بدأت إرهابات حركه الجهاد المعروفه حينما دخلت الدوله العثمانيه الحرب العالميه الأولى و حينما تعرض العراق للغزو و الاحتلال من قبل قوات الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤ - ١٣٣٣ هـ و قد استنجدت الدوله العثمانيه بالمرجعيه الدينيه في النجف و كتب أهل البصره كتباً إلى العلماء يستنهضونهم بها فافتى العلماء بالجهاد و تصدروا بأنفسهم كتائب المجاهدين و خرجوا لخوض المعارك من النجف الأشرف و كربلاء و الكاظميه. و معهم زعماء العشائر و رؤساء القبائل و التجار و كثير من أبناء العراق و كان السيد عبد الرزاق الحلو من أبرز العلماء الذين جاهدوا بالقول و العمل من اليوم الأول و قد تجلّى ذلك في مواقف أبرزها:

يقول الشيخ محمد رضا الشيبى في مذكراته: في يوم الغدير و هو يوم الخميس ١٨ ذى الحجه سنه ١٣٣٣ هـ قصد المندوبون العثمانيون و معهم متصرف كربلاء حمزه بك دار السيد كاظم اليزدى عصرا و كان المتصرف قد خلا به صباحا عده ساعات و طلبوا من السيد الخروج و تقلد قياده العشائر و كان قد ورد هذا اليوم بريقه من القائد العام نور الدين باشا إلى اليزدى فيها أنهم ينتظرون قدوم السيد لاعلان الجهاد و تجمعهم الناس في الصحن عصرا و حضر ألوف من الطلبة و التجار و الأعيان و الزوار و تقدم خازن المشهد العلوى بإخراج لواء تاريخى ثمين من الخزانة مكتوب عليه الشهادتان ثم حضر السيد اليزدى و السواد متعطش إلى ما يقول و جلس على المرقاه الأولى من المنبر فرقى المنبر الشيخ محمد شريف الذاكر المعروف و بلغ الناس عن السيد الحاضر تأكيد و جوب الدفاع و لزوم التعاضد و اجتماع الكلمه و كون المدافعين يدا واحده و ختم بالدعاء ثم رقى المنبر السيد عبد الرزاق الحلو و تكلم في شبه ذلك و استنهض الناس.

و قال عبد العزيز القصاب فى مذكراته، و كان يوم ذاك قائم مقام السماوه و هى المذكرات المطبوعه فى بيروت سنه ١٩٦٢ م (ص ١٠٨-١١٢): إن السيد عبد الرزاق الحلو كان أول المجتهدين الذين وصلوا إلى السماوه فى طريقه إلى ساحه الحرب و كان معه تسعه من أتباعه فنصب خيامه على الشاطئ الشرقى من النهر و بعد يومين من وصوله و رددته برقيه من الوالى جاويد باشا الذى كان فى البصره يقول فيها ما نصه: أتوسل إليك برسول الله و آل البيت و فاطمه الزهراء أن تسرعوا فى المجيء إلى حيث أن البصره مهدده و نحن فى ضيق شديد فلما قرأ السيد البرقيه هتف قائلاً: "الله أكبر الله أكبر سمعنا و أطعنا" و نادى أصحابه فأمرهم بتقويض الخيام و وضعها فى السفن حالاً. يقول القصاب: أنه نصح السيد بالترىث فى الرحيل لشده الريح غير أن السيد أصر على الرحيل و قال: يا ولدى لقد وجبت على الحرکه بناء على الخطاب الوارد لى و أن تأخرى يعد عصياناً ثم توجه نحو أصحابه قائلاً: أسرعوا يا أولادى. و بعد مغادره السيد عبد الرزاق السماوه بعشره أيام تقريباً أخذت تتوافد إلى البلده قوافل المجاهدين.

و فى سنه ١٣٣٤ هـ شارك فى نهضة العلماء الثانيه فى معركة سلمان باك الشهيره التى انتهت بدحر قوات الاحتلال البريطانى و تراجعها إلى وسط العراق و قد تحدث عن ذلك الشيخ محمد رضا الشيبى المتوفى ١٩٦٥ م فى مذكراته حيث يقول: فى يوم الجمعة ١١ محرم الحرام سنه ١٣٣٤ هـ حينما نسل الناس من الساعه السابعه إلى المشهد العلوى و قد أذيعت فى النجف حرکه العلماء و الطلاب و جلس المتصرف محمد حمزه بك و قد توارد العلماء و الأعيان و أبناء المجتهدين و الطلاب ثم جاءت جموع أحياء البلده الأربعه شاكى السلاح ناشرى الألويه و مروا يهزجون و ينشدون الأناشيد مده و قد تقدم العلماء و الطلاب إلى داخل المشهد حيث الضريح المقدس و كان اللواء العلوى الخاص منشورا على الضريح و قد تناوله أحد السدنه و ناوله خازن المشهد السيد محمد حسن و حف به العلماء و أبناء المجتهدين فى داخل دائره تقريباً و بعد الأذيعه أخرجوا اللواء حافين به مهللين مكبرين و أخذت لهم صورته و قد احتشد هناك خلق كثير ثم مروا بالعلم يحمله الخازن حافه به السدنه من السوق الكبير إلى الخارج بين التهليل و الأناشيد و دوى الرصاص و قد أعدت شركه الخط الحديدية للقوم عدده مركبات فركبوا إلى الكوفه و هم من الساده العلماء السيد على التبريزى الداماد و شيخ الشريعه الأصفهانى و السيد مصطفى الكاشانى و الشيخ باقر القمى و الشيخ محمد حسين القمشه إى و السيد عبد الرزاق الحلو و من الأعلام و أولاد المجتهدين الشيخ جواد آل صاحب الجواهر و السيد محمد على الطباطبائى و الميرزا مهدى نجل الآخوند الخراسانى و الشيخ إسحاق نجل الميرزا حبيب الله الجيلانى الرشتى و الشيخ عبد الحسين آل صاحب الجواهر و الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضى و السيد محمد على الشهرستانى و الشيخ عبد الكريم الجزائرى و الشيخ محمد حسين الجعفرى آل كاشف الغطاء و السيد على نجل السيد محمد سعيد الجبوى و غير هؤلاء من المعدودين من أفاضل طلاب الفرس و العرب و توجهوا إلى الكفل ثم إلى طويريج و هناك خطب السيد محمد بن السيد اليزدى و بلغ عن تأكيد و جوب الدفاع و استنهض الحاضرين قائلاً: (أدعوكم فنادونى لييك) فنودى (لييك لييك) و كان لخطبته أثر بليغ و فى عصر ٥ محرم الحرام ١٣٣٤ هـ ورد طويريج عن طريق البر سعد الحاج راضى و أولاده و جماعه من الشمرت ثم توجهوا إلى السده ثم وصلوا إلى المسيب ١٧ محرم و فى يوم الجمعة ١٨ محرم نودى فى المسيب بالحضور للدعاء فأفقلت الأسواق عصراً و فرش للناس على شاطئ الفرات فى العده الشرقيه قرب مخيم المجاهدين و حضر المجتهدون و أولاد العلماء بالعلم و احتشد الناس.

الشيخ عبد المحسن بن محمد آل نصر

ولد في سيهات بالقطيف سنة ١٣٣٤ و توفي سنة ١٤١١.

كان خطيبا حسينيا و شاعرا أدبيا تتلمذ على الشيخ حسين القديحي و الملا على السالم السيهاتي و الملا يحيى بن خليفه و له ديوان مطبوع بعنوان (لوعه الحزين).

من شعره قصيده في عيد الغدير جاء في مستهلها:

صرخه رن في القلوب صداها أيها الناس فأنصتوا لنداها

و اسمعوا في الفضاء صوتا بدوى دعوه الحق فاز من لبها

يا رجال الإسلام هبوا سراعا و استضيئوا بشمسها و ضحاها

و انهلوا من غديره العذب نهلا يجد الظامئون رى صداها

و احضروا يومه الذى شع نورا تبصر النفس رشداه من عماها

و اسمعوا واعظ الرساله يتلو آيه النص جل من أوحاها

الميرزا عبد الوهاب خان الشيرازى:

الميرزا عبد الوهاب خان الشيرازى الملقب بألقاب "نائب الوزاره" و "نصير الدوله" و "آصف الدوله" من رجال الدوله و من أهل الثقافه و الأدب فى عهد "ناصر الدين شاه" و له مؤلفات لا تزال مخطوطه لم تطبع.

شغل جده "بدرخان" الشيرازى منصب "رئيس دار السلاح" فى شيراز فى عهد الأفشاريين، و ظل فيه فى عهد الزنديين و القاجاريين. و بعد وفاته شغله أبناؤه فى شيراز و أصفهان و طهران. و منهم "محمد جعفر خان" أصغر أبنائه و أبو المترجم له "الميرزا عبد الوهاب خان".

ولد "الميرزا عبد الوهاب خان" سنة ١٢٤٢ هـ فى شيراز و شرع بالدرس من طفولته. و كان ذكيا قوى الحافظه. فبرع بسرعه فى تحصيل علوم اللغه العربيه و اللغه الفارسيه و آدابها. و نظم الشعر. و اشتهر اسمه فى شيراز بين العامه و الخاصه. و اتخذ اسم "يزداني" اسما مستعارا لشعره.

فى سنة ١٢٦٦ هـ استدعى عمه "محمد حسين خان" من شيراز إلى طهران و عهد إليه برئاسه دار السلاح فيها. فصحبه ابن أخيه هذا إليها و تابع الدرس فيها حتى أتم تحصيله. و كان مواطنه الشاعر المعروف "حبيب قآنى" الشيرازى فى حاشيه "على قلى ميرزا اعتضاد الدوله" وزير العلوم. و هو ابن "فتح على شاه" القاجارى. و كان هذا الأمير من أهل الفضل و المعرفه محبا للشعر

يرعى الأدياء. فأوصل "حبيب قآنى" مواطنه "الميرزا عبد الوهاب خان" إلى الأمير الوزير و أصبح من حاشيته و بمرور الوقت أصبح من المقربين إليه.

و فى سنة ١٢٤٨ هـ عهد إليه الصدر الأعظم "الميرزا آقا خان نورى" (١) بتعليم ابنه الثانى "الميرزا داود خان" وزير العسكر. (٢) و كان هذا التعيين الأساس الذى قامت عليه ترقيات "الميرزا عبد الوهاب خان"، و فى ذلك التاريخ بدأ تدرجه فى المناصب العاليه و انتهى فى سنة ١٣٠٣ هـ. و فى أثناء اتصاله بحاشيه الصدر الأعظم و قيامه بتعليم ابنه تعرف على "الميرزا سعيد خان الأنصارى"، و هو أديب فاضل، كان قد حصل حديثا على لقب "مؤتمن الملك" و منصب وزير الخارجيه. و أهله معلوماته و مواهبه عند الوزير لإدخاله فى جهاز وزاره الخارجيه. فلم يلبث أن بلغ فيها درجه عاليه حتى حصل فى سنة ١٢٧٣ هـ على مرتبه النائب الثانى للوزير و حصل فى سنة ١٢٧٤ هـ على منصب نائب الوزير. و بمقتضى هذا المنصب أصبح معاونا للوزير.

و فى سنة ١٢٧٧ هـ عين "ناصر الدين شاه" ابنه "مظفر الدين ميرزا"، و هو فى الثامنه من عمره، واليا على آذربيجان و عين "فتح على خان" صاحب الديوان الشيرازى وزيرا له و أرسله معه إلى آذربيجان و أرسل معه أيضا "عزيز خان" مكرى قائد الجيش العام و جعلهما راعيين له.

و كانت القضايا المتعلقة بالأجانب فى آذربيجان قد اقتضت اهتماما خاصا من الدوله، فاقترح وزير الخارجيه "الميرزا سعيد خان" على الشاه إرسال "الميرزا عبد الوهاب خان" إلى آذربيجان و توليته أمر النظر فى شئون الأجانب و تنظيمها مع احتفاظه بمنصب نيابه وزير الخارجيه. فأرسله الشاه إلى تبريز لهذه الغايه و ظل فى هذا العمل ثمانى سنوات. فقام بهذه المهمه كما ينبغى. و لكنه لم يغفل أيضا عن تدبير شئونه الخاصه فاقنتى أحسن الأملاك و هيا لنفسه موارد ماليه وافره، حتى قيل إن دخله فى هذه المده تجاوز المائه ألف تومان.

و هو مبلغ ضخم بالقياس إلى أوضاع ذلك الوقت.

و فى سنة ١٢٨٦ هـ عزل "ناصر الدين شاه" خاله "أمير أصلان خان" الملقب ب "مجد الدوله" عن حكومه "جيلان" بسبب إهماله و سوء سلوك موظفيه و تعديهم على الناس. و عهد بداره الأمور فى حكومه "جيلان" إلى وزير الخارجيه "الميرزا سعيد خان مؤتمن الملك" مع ما فى عهده من مهام وزاره الخارجيه. و كان "الميرزا عبد الوهاب خان" قد استطاع فى أثناء تلك السنوات التى قضاها فى خدمه الوزير تمكين مكانته عنده و جعل من نفسه نصيرا مؤيدا له. فأرسله إلى "رشت" و كيلا مفوضا عنه حاكما على ولايه "جيلان" و أنعم عليه الشاه بلقب "نصير الدوله" فى سنة ١٢٨٨ هـ. و فى أثناء ولايته هذه اقتنى أيضا قدرا من أحسن الأملاك.

و فى تلك السنه (١٢٨٨ هـ) عين "الحاج الميرزا حسين خان مشير الدوله" صدرا أعظم. فاستحسن "الميرزا عبد الوهاب خان" أن ينقطع عن ولى نعمته السابق "الميرزا سعيد خان" و يتصل بالصدر الأعظم الجديد "مشير الدوله". فلم يلبث أن جعله "مشير الدوله" موضع سره، ثم عينه رئيسا لاداره الجمارك العامه. و هى وظيفه وافره الدخل عظيمه المنفعه و لم تكن أمورها تضبط بحساب و لا سجلات.

و عاد "ناصر الدين شاه" فى سنه ١٢٩٠ هـ من سفره الأول إلى أوروبا. فلما بلغ الحدود الإيرانية بادر فوراً إلى عزل "الحاج ميرزا حسين خان مشير الدوله" من منصب الصداره العظمى و أوقفه فى "رشت". و لما وصل الشاه إلى طهران قام بتغييرات و تشكيلات جديده فى جهاز الدوله.

و كان من ذلك تعيين "نصير الدوله الميرزا عبد الوهاب خان" وزيراً للتجاره و عضواً فى مجلس شورى الدوله. و هيات له وزاره التجاره مصدراً آخر للثروه من الضرائب و الرسوم التى كانت تؤخذ من التجار فى إجراء معاملاتهم، فأضاف إلى ثروته مبالغ أخرى كبيره. و تولى "نصير الدوله" هذا وزاره

ص: ٢٧٠

-
- ١- عين صدراً أعظم بمساعى السفير الانكليزى "السير بوسطن شل" خلفاً لرجل إيران العظيم "الميرزا تقى خان" الملقب بلقب "أمير كبير" الذى قتله "ناصر الدين شاه".
 - ٢- كان "الميرزا داود خان" يومئذ فى نحو العاشره من عمره. و حين بلغ الخامسة عشره أصبح وزير العسكر و شخص المملكه الثالث بما هو ابن الصدر الأعظم.

التجاره مرتين، الأولى سنه ١٢٩٠ هـ و الثانيه فى سنه ١٢٩٩ هـ و ظل فيها إلى سنه ١٣٠١ هـ إذ عين واليا على خراسان و متوليا للآستانه الرضويه و حصل على لقب "آصف الدوله".

و لم يلبث "مشير الدوله" الصدر الأعظم المعزول أن أعيد إلى العمل فعين وزيرا للخارجيه فى مكان "الميرزا سعيد خان مؤتمن الملك" ثم عين وزيرا للحربيه. و كان "الميرزا عبد الوهاب خان" لا- ينفك يتقرب إليه و يتملقه من أيام صدارته إلى أيام وزارته، حتى أصبح عنده بمنزله المستشار المسموع الكلمه يوم صار وزيرا للخارجيه. و لكن "الميرزا عبد الوهاب خان نصير الدوله" لم يلبث أن انقلب عليه و انضم إلى مخالفيه و صار من أشدهم خلافا له بمجرد أن أحس بان دولته مقبله على الزوال و أن من الممكن أن يخرج من ميدان السياسه. و قد أخرج بالفعل فعزل من وزاره الحربيه و عين حاكما على قزوین. و تنكر له "الميرزا عبد الوهاب خان" مع أنه إنما وصل إلى ما وصل إليه من سلطه و ثروه بفضلہ.

و بعض المعاصرين ل "الميرزا عبد الوهاب خان" وصفه بأنه كان ثرثارا وقحا و أنه أمى لا ثقافه له يعتد بها، و أنه مغمور الأصل و النسب و أمثال هذا. و وصفه آخرون بأنه شديد الذكاء موهوب قوى الحافظه كاتب أديب فيه دعايه مليحه مدير ألمعى بعيد الهمه فى العمل.

و روى معاصرو "الميرزا عبد الوهاب خان" عنه هذه النكته:

كان "نصير الدوله" يوما راكبا يقصد مكانا و أمامه و خلفه كثير من الخدم يسرون فى ركابه سيرا عسكريا صفا اثنين اثنين. فاعترض طريقه حمار يسوق قطيعا كبيرا من الحمير، و عاقه عن متابعه السير، و لم يفسح له مكانا فى الطريق ليتقدم. فصاح به "نصير الدوله": ويلك! أ رجل واحد و هذا القدر الكبير من الحمير! فأجابه الحمار على الفور، و هو يشير إليه: أ حمار واحد و هذا القدر الكبير من الرجال! فسر "نصير الدوله" من جوابه و ضحك و أمر رجاله أن يتركوه و شانہ لا يتعرضون له.

و دامت ولايه "الميرزا عبد الوهاب خان نصير الدوله" على خراسان سنه و تسعه أشهر، من سنه ١٣٠١ هـ إلى سنه ١٣٠٣ هـ، ارتكب فيها أنواعا من الظلم و الاستبداد حتى ضج الناس و ضاقوا به، و ثار أهالى مشهد عليه، و كان مبدأ الثوره أنه أراد إجبار أحد الخانات على أن يبيعه أملا-كه فرفض و آجرها خانا من رؤساء القبائل. ثم لجأ إلى صحن مقام الامام الرضا ع فتحصن به خوفا من الحاكم "آصف الدوله". فأمر هذا بإخراجه من الصحن فاخرج. و هاج الناس إذ رأوا فى هذا العمل هتكا لحرمة الامام. و دفعهم الفقهاء و خصوم الحاكم إلى الاضراب فأغلقت الأسواق و الحوانيت و حاصر الناس منزله فى القلعه و قطعوا أسلاك البرق.

فأمر "آصف الدوله" الجند و المدفيعين بضرب المحاصرين بالرصاص و القنابل لتفريقهم. و لكنهم رفضوا إطاعه أمره. و تفاقم أمر الثوره فى خراسان حتى اضطر الشاه إلى عزله و نصب حاكم آخر فى مكانه فسكنت الفتنة.

و عاد "آصف الدوله" إلى طهران و قد بدت عليه مظاهر الجنون.

و اجتمع ب "ناصر الدين شاه". فلما انصرف من حضرته قال الشاه: لقد جن آصف الدوله! و نقلت عن جنونه حكايات. منها أنه ركب مره عربته الخاصه. فلما سارت العربه أخذ يشتم السائق بصوت عال قائلا: لما ذا تستدبرنى و أنت تسوق العربه؟! و منها أنه

كان يأمر خدمه باناره الفوانيس و السير بها أمامه حين يخرج نهارا من بيته.

و توفي "الميرزا عبد الوهاب خان" الشيرازى بالسكته بعد رجوعه من خراسان بعام واحد فى الرابع من جمادى الأولى سنه ١٣٠٤ هـ. و أمر الشاه الصدر الأعظم "الميرزا على أصغر خان أمين السلطان" فختم على خزانه حوائجه الخاصه و منعوا إخراج شىء منها حتى إنهم منعوا إخراج كفته، و كان فيها. ثم سمحوا بإخراجه بتوسط إخوه زوجته، و هى بنت عم ناصر الدين شاه، ثم عاودوا ختم الخزانه.

و حمل "أمين السلطان" جعبه جواهر "آصف الدوله" إلى "ناصر الدين شاه"، و أخذ من ورثته مبلغ خمسين ألف تومان. و كان من عادته "ناصر الدين شاه" أن يفرض على ورثه من يتوفى من الأعيان و المتمولين أداء مبلغ من تركته إليه. ففرض على ورثه "آصف الدوله" أداء مائه ألف تومان فأدوها. و لكن ذلك لم يضرهم بشىء إذ كان "آصف الدوله" قد بلغ من الاثراء بحيث لا تتأثر ثروته بنقص مثل هذا المبلغ منها.

الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين البيهقى

كان حيا سنه ٥١٨.

من علماء الشيعة و مشاهير المحدثين فى القرن السادس للهجره و من مشايخ الشيخ أبى على الفضل الطبرسى المتوفى سنه ٥٤٨، و يروى عنه فى تفسيره مجمع البيان أثناء تفسير سوره طه و روايته عنه فى سنه ٥١٨. ذكره صاحب رياض العلماء قال: الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين البيهقى.

فاضل عالم محدث معروف من كبار علماء الاماميه يروى عنه الشيخ أبو على الطبرسى على ما يظهر من تفسير سوره طه فى مجمع البيان كما قد مر فى ترجمه جده أحمد بن الحسين و انه يروى عن هذا الحافظ سنه ثمان عشر و خمسمائه و ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة. (١)

السيد عدنان الغريفى ابن السيد شبر ابن السيد على ابن السيد محمد المشكل ابن السيد على ابن السيد أحمد المقدس

اشاره

(المعروف عند الناس بالحمزه الشرقى المدفون شرقى مدينه الديريانيه فى العراق) ابن السيد هاشم ابن السيد علوى ابن السيد حسين المنتهى نسبه إلى الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين ابن الامام الحسين الشهيد الامام على بن أبى طالب (ع):

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نعيدها هنا ببعض التفاصيل:

ولد سنه ١٢٨٣ فى مدينه المحمره إحدى مدن خوزستان و توفي سنه ١٣٤٠ فى مدينه الكاظميه أثر مرض عضال أصيب به فانتقل إليها للعلاج فتوفى فيها، و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف و دفن هناك.

الغريفى: نسبه إلى (الغريفه) بالتصغير: قريه من قرى البحرين.

كان فقيها أصوليا نسابه شاعرا، متميزا فى الحفظ و سرعه البديهه نشا

ص: ٢٧١

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فى المحمره و قد توفى عنه والده سنه ١٢٨٨ و هو فى حدود الخامسه من عمره فتكفله خاله السيد سلمان و ربه والدته. و فى مدينه المحمره تعلم القراءه و الكتابه ثم مضى إلى النجف الأشرف و هو فى سن الرابعه عشره. و قد حضر فى السطوح على جملة من الفضلاء منهم ابن عمه السيد على بن السيد محمد الغريفى (المتوفى سنه ١٣٠٢ هـ) و فى درس الخارج على الميرزا حبيب الله الرشتى و الشيخ محمد طه نجف و اختص بالأخير و لازمه فكان تلميذه المقرب و مساعده الأذن، ثم هبط سامراء و حضر هناك على السيد الشيرازى و قد أجزى من هؤلاء الثلاثة.

و فى سنه ١٣١١ هـ عاد إلى مدينه المحمره و حل بها مرجعا دينيا لا تأخذه فى الله لومه لائم و لذا اصطدم بالشيخ خزعل أمير المحمره آنذاك و قد تمكن السيد عدنان من تشكيل جبهه معارضه مكونه من بعض رجال الدين أمثال الشيخ على البهبهانى و السيد حسين الجزائرى و من بعض شيوخ العشائر أمثال الشيخ جابر بن الشيخ عد الله الكعبى فكانوا عقبه فى طريق الشيخ خزعل.

و كان المترجم خلال دراسته فى النجف مبرزاً فى حلقات الفقه و الشعر و الأدب، تلك الحلقات التى كانت تضم أمثال السيد محمد سعيد الجوبى و الشيخ جواد الشيبى و السيد جعفر الحلى و الشيخ حمزه قفطان و أخيه ب الشيخ صالح و غيرهم ممن كانوا يعدون فى الرعيل الأول و كانت تدور بينهم جلسات أدبيه و يشتركون معا فى نظم الشعر و بعد عوده المترجم إلى المحمره كانوا يتبادلون الرسائل الأدبيه و القصائد الشعرية و لما توفى المترجم رثى بشعر كثير، و قد أرخ وفاته الشيخ جمعه الحائرى قائلاً:

و نعى بها الروح الأمين مؤرخا عدنان قوض بعدك الإسلام

و قد خلف أبناء علماء فضلاء هم: السيد محمد سعيد المتوفى سنه ١٣٨٣ و السيد محمد حسن و السيد على المتوفى سنه ١٣٥٩ و السيد محمد على المتوفى سنه ١٣٨٨ و السيد محمد شبر المتوفى سنه ١٤٠٤ و السيد محمد كاظم المتوفى سنه ١٣٩٥.

و له من المؤلفات:

١ - جامع الجوامع (مخطوط).

٢ - الأنساب (مخطوط).

٣ - أرجوزه فى مناسك الحج تقرب من ألف بيت أولها:

الحج و العمره فرضان على من استطاع فى الشروط سجلا

٤ - رساله فى الوضع (مخطوط).

٥ - رساله فى الموازين مطبوعه مع تعليقات لابنه السيد محمد حسن.

٦ - قيسه العجلان و هى رسالته العمليه (مطبوعه).

٧ - الشافيه فى الفقه (مخطوط).

٨ - شرح أرجوزه أستاذه السيد على الغريفى فى الهيئه و شرح آخر لها مزجى.

٩ - حاشيه على كتاب القوانين فى أصول الفقه (مخطوط).

١٠ - حاشيه على العروه الوثقى من الفقه (مطبوع).

١١ - حاشيه على كتاب الدرجات الرفيعه (مخطوط). ١٢ - تخميس العلويات السبع (مخطوط).

١٣ - تشطير العلويات السبع (مخطوط).

١٤ - أجوبه مسائل لأستاذه الميرزا حبيب الله الرشتى (مخطوط).

١٥ - حاشيه على كتاب المكاسب فى الفقه (مخطوط).

١٦ - حاشيه على كتاب إرشاد الأذهان (مخطوط).

١٧ - ديوان شعر فى مدح النبى و آله (ع) و فى مناسبات شتى قد ضاع أكثره و قد جمع الدكتور حسين على محفوظ قليلا من شعره و سماه بديوان الغريفى و كذلك فعل الشيخ على الخاقانى.

١٨ - شرح شواهد المغنى (مخطوط).

١٩ - شرح كتاب التبصره للعلامه الحللى (مخطوط).

٢٠ - منهج الرشاد لسائر العباد، فى الفقه (مخطوط).

شعره

من شعره ما نأخذه من القصيده التى نظم فيها حديث الكساء:

دع عنك حزواء و اترك شعب سعدان و استوقف العيس فى أكتاف كوفان

و الثم ثرى بقره أرسى برفعتها دعائم فوق عيوق و كيوان

و اجعل شعارك لله الخشوع بها و لذ بقبر إمام الإنس و الجان

أخو الرسول أبو السبطين حيدر زوج البتول و منجى المذنب الجانى

أولئك الغر أصحاب الكساء و من قد بأهل الله فيهم أهل نجران

و له و قد أجاب بها على البديهة على موشحه للجزائري على لسان الشيخ خزعل أمير المحمره، و يبدو أن ذلك كان قبل
الاصطدام بالشيخ خزعل:

البرق بدا أم ثغر ذات الخال في جنح الظلام

و البدر تبدى أم محياها لى من تحت اللثام

مذ قد خطرت بالأسمر العسال ما بين الخيام

زارت سحرا مخافه العذال و الناس نيام

زارت سحرا و كيف يخفى البدر وقت السحر

تخشى الفجر أن يبدو ثم الفجر تحت الطرر

الستر من الله و لو لا الشعر لم تستتر

هبها استترت فكيف يخفى النشر نشر العطر

فى مبسمها و نشرها ما يغنى عن ألف رقيب

فأعجب كيف صار الخوف باب الأمن فالأمر عجيب

و اشكر أبدا حسن أيادى الدجن إن كنت أريب

و اذكر لظلام الليل مسن المن إن كنت حبيب

كم نم بك العاذل فى الحب و مان فى الناس عليك

كم قد نسب التيه لها و السلوان فى الحب إليك

كم حاولها أن تترك الإحسان و العطف لديك

لكن حفظت فكيف منك النسيان و الصدفة ويك

يا من سلبت منى بحسن الدل حسن الجلد

يا من خلبت لبي و حازت عقلى من بين يدي
أهواك و إن عنف أدنى أهلى أو ذو بلدى
فى وجهك ضلتى و أهدى السبل فيه رشدى
كم أكرم ما فى القلب و الدمع يبوح و الصمت جحود
و العاشق عنوان الهوى فيه يلوح يبدو و يعود
دمع و توله و عصيان نصوح و الكل شهود
من لم يتيم قلبه كيف ينوح و القلب برود
دع عنك لصاحي أيهذا اللاحي و أسلم بجشاك
دع عنك فسادى و اتركن إصلاحى ما أنت و ذاك
أبرمت بلوم العاشق الملتاح فى الحب تراك
شم ما شمت من جبينها الوضاح ثم ألح سواك
فى القلب من الهوى كلام و كلام يخفى و يبين
و الجسم غدا نهب شحوب و سقام و الداء دفين
فأسلم بحشاك فهى برد و سلام و اترك سجين
لو عانيت وجد ابني ذريح و حزام أوتيت يقين
اقبلن كأمثال المهى مختلسات فضل النظر
خود ألهب القلب عليها قبسات زند البصر
يا ليت و أيام التنائى نحسات سود الغرر
لا غيب شمس وجهها محترسات فضل الأزر
هل ينفع ليت من ينادى يا ليت لا كان بعاد

أم ينفع لأبعدت من أصبح ميت و الترب مهاد
لو ينفعنى البكاء عليها لبكيت طول الآباد
يا قوم أ حادى العيس ما كنت وعيت أم صرصر عاد
زارت و رقيها شذا الأردن وقت الغلس
و التيه يهز قامه كالبان مهما تمس
تدعو بى يا شمس بنى عدنان تلك الشمس
بى منك كما فيك و قد أضناني فاحفظ نفسى
فى حالك جعدها و فى غرتها ليل و نهار
فى لفته جيدها و فى قامتها صحو و خمار
فى ترخيم لفظها و فى عفتها قرب و نفار
يا من جمع الأضداد فى خلقتها زال الاصطبار
هجر و تدلل و واش و غيور و الكل على
و الشوق و سلوانى لجوج و نفور و الحكم إلى
ما رأى و قد حملت فوق المقدور يا قوم بمى
ما أسرع أن يقال قد صاح الصور فى V آل لوى
هل يحسن أن ينقل عنك الهجران يا قلب بشين
هل يجزى على الإحسان إلا الإحسان بين الثقلين
هل يجمل أن يرجع منكم (عدنان) فى خفى حنين
قد قيل بان القلب يحكى القلبا بغضا و هدى
سل قلبك عمّن يدعيك الحبا ما كان طوى

لكنى ما أراه إلا كذبا ما الناس سوى

قد يذهب ذا شرقا و هذا غربا قريبا و نوى

ها قلبى يهوى حضره (السردار)(1) عز الدول

و القلب له يصلى لهيب النار و الأمر جلى

تربى و حليفى إذ كلانا وارى زند الأمل

و الحب لديه ساقط المعيار عافى النزول

لا زال عزيزا أن جفانى أوحاد عن سمت الوفا

لا عتب عليه بانتقاض الأوعاد خلفا و جفا

الأمر إليه و هو أولى من جاد فضلا و كفى

هل يرغب بالسؤدد الأمن ساد أو من شرفا

و له و قد أرسلها إلى الشيخ خلف آل عصفور:

لو أطاعت أمر خالقها فكرت فى قتل عاشقها

ظبيه بيضاء تحسبها خلقت من نفس و أمقها

منها:

يا مهاه الضال يا رشدى يا ضلالى من طرائقها

لا تسومينى الجفاء و لا تنفرى من نعق ناعقها

أنا من تدرى الورى علم تتقيني فى فيالقها

أنا من تدرى الورى جبل فى الرواسى من شواهقها

أنا من تدرى الورى قمر تهتدى بى فى مشارقها

حلبات المجد لاحقها فى المعالى غير سابقها

و غصون المجد حاسرها كاشف عن حسن وارقها

و السحاب الجون ماطرها للبرايا غير بارقها

و ابنه العنقود واصفها عن سماع غير ذائقها

ويح نفسى من بنى زمنى ويح نفسى من خلائقها

خمره لم أرج صابحها فارجى خير غابقتها

و ثمار ذقت رائقها بالمخازى قبل رائقها

تلتقيني بالسلام عدى فى ثياب من أصادقها

فكان لم أدر صادقها فى ودادى من منافقها

و كانى لم أقم (خلفا) كاشفا لى عن حقائقها

إلى أن يقول مادحا آباءه:

طرقوا الدنيا بنور هدى فاما طوا ستر غاسقها.

ص: ٢٧٣

١- السردار: من ألقاب الشيخ خزعل.

و أبانوا رشد عادلها للورى من غى فاسقها

يا مبينا من مناقبهم ساعيا فى فتق راتقها

بمساع أنت عاقدها فى حباها أو مناطقها

هاك منى ديمه قذفت بشواظ من صواعقها

أو عروسا مسك جلوتها مستطير فى بنائقها

زفها فكري إليك و لم تتشوق غير شائقها

نزلت فى دار معبدها أو على معنى مخارقها

له و قد أرسلها إلى الشيخ محمد طه نجف:

عمر الفتى حل و مرتحل و سنوه متصل و منفصل

كم منزل يهوى المقام به و تروقه الأعلام و القلل

يشتااق فيه روضه أنفا و تشوقه أحياءه النزل

و وراءه جمل و إن بعدت آماله بالبين متصل

ينفك يمرح كالطليق و فى أيدى المقادر ذلك الطول

صرف المقادر ليس تدفعه حيل و كيف تناله الحيل

بالأمس كنت جليس تقى فى الله يتبع قوله العمل

و اليوم صرت و صحبتى رجل من دأبه التشيب و الغزل

تطوى قناع فؤاده امرأه مرت و تنشر طيبه الحلل

و دليله فى الحكم كان أبى طورا و طورا كيف قد عملوا

استغفر الله العظيم لقد سبق الحسام و آخر العذل

و أنا الفداء لممسك بعرى جبل به للاله يتصل

أعنى أبا المهدي بقيه من سدت عليه للهدى سبل

أيها أبا المهدي يا رجل الدنيا و هل فى طيها رجل

يا من تحل له الحبا عظما و له تشد الاينق البزل

و تؤمه من كل ناحيه غرثى بحبل رجائه اتصلوا

غرثى بحبل رجائه اتصلوا و لجوده من حلمه دخلوا

إن الذى أوليته مننا يزدان فيها جیده العطل

هلا عليك بكل جارحه يبدى الثناء لامه الهبل

لكننا و الله يعلم ما تخفى الضمائر شاننا الخلل

و له مراسلا السيد ناصر الأحسائى:

أعن تروحت عرف نجد أنجدت فى الخد منك نجدا

و اشتعل الرأس منك شييا و اضطرم القلب منك وقدا

ما نبض البرق من حماها إلا و سقت الحنين رعدا

مهلا فما أنت من هواها أول عان بها تردى

قد وصلت قبلك البرايا فيها بحبل الدموع سهدا

فسل مضاضا و ما عراه و جسم قيس و ما تردا

هزت عليك القوام لنا ود به لو يكون أودى

ظمياء ريا الشباب رودا يمنعها التيه أن تصدا

يا قلب ما أنت و الغوانى و أنت أهدي الأنام قصدا

ما لك مهما ذكرت ليلى قدحت بين الضلوع زندا

و كل ما مر ذو جمال تقول ماء و لا كصدا

ألم تجد في الورى سواها أم لم تجد من هواك بدا
في كوفه الجند كم غزال يصرع في ناظريه أسدا
يكاد ينثال أن تشنى و ينفخ الصور ان تبدى
فلو تأملته و ما قد جمع فى شكله المفدى
رأيت ليلا بهيما يلبس منه النهار بردا
و ذوب شهد خلال در و غصن بان يقل وردا
و سوق سحر بمقلتيه يباع فيه الفؤاد نقدا
يا قلب تدريك يوم بانوا ضللت قصد الطريق رمدا
عجت على الرسم و هو عاف تسأل ما لا يطيق ردا
أكان يجديك رسم دار ألحم فيها البلى و أسدى
ما لك يا ليت آل فھر هدك يوم الفراق هدا
ألا تعوذت يوم وافى منه بأزكى الأنام جدا
بناصر الدين بابن حر قاد إليه الزمان عبدا
لو كنت مهما عراقك أمر عذت به معودا و مبدى
صافح فيك الصفاح بيضا و سامر السمر فيك ملدا
واصلت العزم و المواضى و سوم الصافنات جردا
إليه بالهجان تهوى فى البيد نصا بها و وخدا
يرفع منها السراب طورا تخاله فى الجبال فندا
يرقصها فى السرى مغن بصوته و الرياح تحدى
لانت يا سؤددى و فخرى و باعى الطائل الأشدا

و خير حى و هم خيار الأنام فى محضر و مبدا

أ أضمر البعد عنك يوما سحقا لها خطه و بعدا

لكن أتيت المقام لما جر على الفراق جندا

فلم أجد من أود فيه إى و إله برى معدا

و له:

بحيث ضربن قباب العذارى أنبخوا الرحال و شدوا المهارى

معاهد سدى عليها الربيع و رودا و ألحم شيحا و غارا

هى الدار بين ربي ضارج و توضح أوضح دار منارا

عليها آثار لظماى الوشاح أبقى عليها التصابى أثارا

فحب بها مربعا مونقا يثير الغرام و ينضو الغوارا

و يجلب ما يستزل الحليم و يصبى الوقور و يهدى البوارا

أ لست ترى من عجيب العجاب وقوفى و صحبى عليها حيارى

نشد على القلب شد النطاق أكفا تحل أسار الأسارى

و نستجلب الدمع من أعين أبت أن ترى النوم الأغرارا

و إنى و إن كنت أولاهم بان أسكين الدموع الغزارا

لا حفظ للمجد يوم الحفاظ و أعلى نجارا و أوفى ذمارا

و أثبت للصعب من يذبل و ارفع فى الشأن من أن أجارى

و احفظ للعهد إذ لا حفيظ و أرسى على الخطب إذ لا قرارا

بذا عابنى من لحاه الإله و ضمن ما بين برديه عارا

أنا المرء مستوسق الجانبين مجدا أثيلا و بأسا مثارا

حطمت قنا ثقفتها الأسود و جزت خدورا حمتها الغيارى
و عانقت فى مستشير العجاج سمرا طوالا و صفرا قصارا
عذيرى من معشرى و الشجون تخفى مرارا و تبدو مرارا
عقدت لهم حبه الماجدين و ألعقتهم أرى سعى اختيارا
و اطلعت أعناقهم فى الندى و أنزلتهم منزلا لا يبارى
فأدرکهم من مقامى الرفيع ما يدرك الحاسدين الشرارا

ص: ٢٧٤

و له شطرا:

(أضحك ضيفى قبل إنزال رحله) لا بسط منه و اللثيم قطوب

فيضحك عندى و الزمان معبس (و يخصب عندى و المحل جديد)

(و ما الخصب للأضياف أن يكثر القرى) إذا بات قلب الضيف و هو كئيب

و لا خصبه بالمال ينبذ نحوه (و لكنما وجه الكريم خصيب)

و قال من تخميس له لقصيده الأعمس فى مدح أمير المؤمنين (ع):

ألا مالا هل الغوى مالها تزيع عن الحق جهالها

إذا شئت تعلم أضلالها (سل الأنبياء و اختر حالها)

لدى البعث من كان أوحى لها

عروش الضلاله من ثلها لها و عرى البغى من حلها

و من قاد أجنادها كلها و من كان كفا و غضبا لها

و كان لواها و عسالها

على أجمل الله تنزيلها لها ثم أبرز تفصيلها

فدعنى إذا شئت تأويلها و سل ملك الخلق جبريلها

و سل ملك الرزق ميكالها

السيد عدیل اختر بن السيد مبارک أحمد بن منیر فصیح أحمد

ولد سنة ۱۳۱۵ فى بلده على نگر من محافظه بهادر بالهند و توفى سنة ۱۳۷۰ فى لكهنؤ.

جاء إلى المدرسة السليمانية فى (بتنه) ثم انتقل منها إلى المدرسة النظامية فى لكهنؤ. و فى سنة ۱۹۱۹ م أسس راجا محمودآباد

مدرسه الواعظين فانتمى إليها و تخرج منها سنة ۱۹۲۱ فانقل للإرشاد فى البنغال و بهار.

و تعلم البنغاليه و الهندوسيه و السنسكريتيه. و فى سنة ۱۹۲۴ أرسلته مدرسه الواعظين للإرشاد فى شرق إفريقيا فتعلم لغاتها

المحليه. ثم كلفته المدرسه بالانتقال إلى الهند للإرشاد فى: سرحد و بشاور و باراشنار(۱) ثم ذهب إلى التبت و كشمير و

بليستان. ثم دعاه السيد نجم الحسن إلى المعجىء إلى لكهنو للمشاركة في أمور مدرسه الواعظين و بعد وفاه مولانا أبو الحسن تولى المترجم مسئوليته المدرسه بكاملها فغير برامج الإرشاد و زود المدرسه بأفكار جديده و طور أسلوبها، و بقى يتحمل مسئوليته ٢٥ سنه.

من مؤلفاته: فلسفه الإسلام أو علم الكلام، تدليس شبلى، الخيانات العلميه، تسكين الفتن فى صلح الحسن، و غير ذلك.

السيد عزيز بن السيد ركن الدين أبى منصور هبه الله بن أبى الحسن على بن أبى جعفر محمد الحسينى الزبارى البيهقى

من أحفاد أبى جعفر أحمد بن محمد الزباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفتس بن على الأصغر بن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

ولد سنه ٤٥٩ و توفى سنه ٥٢٧ فى بيهق و دفن بها.

من علماء الشيعة فى بيهق أديب متفنن شاعر أخذ العلم و فنون الأدب على أعلام أسرته آل زباره المعروفين بالعلم و الفضل و الشعر فى بيهق ثم نبغ فى أكثر العلوم لا سيما فنون الأدب و الشعر ذكره ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و قال له مؤلفات كثيره و لم يذكر أسماء مؤلفاته ثم أضاف قائلا: و له أشعار كثيره يتناقلها العام و الخاص، معروفه بين الناس دائره فى الدنيا توفى بلا عقب و من آثاره ديوان شعر و هو شقيق السيد عماد الدين يحيى البيهقى العالم الرئيس فى بيهق الآتى ذكره (٢).

السيد عطا حسين بن غلام مرتضى زنگى

ولد فى الهند و توفى سنه ١٢١٢.

درس على السيد ضياء الله زنگى بورى العربيه و الفارسيه، و قد ألع بتفسير القرآن، و قد كتب باللغه الفارسيه كتاب (لغات القرآن المغلقه).

بقى مخطوطا.

و عند ما علم به محمد شاه ملك دهلى ضمه إلى جماعه علمائه و أجازه بالمال و بعض الأراضى فى قضاء (الله آباد)، و بعد وفاه الملك لم تبق فى يده.

علاء الدوله الشوشترى

ولد سنه ١٠١٢ و توفى سنه ١٠٨٠.

هو خامس أبناء الشهيد نور الله الشوشترى، اشتهر بلقبه و لم يعرف اسمه.

درس على والده و إخوته و كان عالما أديبا نظما و نثرا و هو معاصر للسيد على الطباطبائى.

من مؤلفاته: حاشيه على شرح اللمعه، حاشيه على المدارك، حاشيه على تفسير البيضاوى، البوارق الخاطفه فى الرد على العاصفه و هو رد على الصواعق المحرقه، مساطع الأنوار، محفل فردوس، ديوان شعر، و كتب أخرى فى التاريخ و الأدب.

الدكتور على الأسدى

توفى سنه ١٤١٢ فى طهران.

من علماء الاجتماع الايرانيين نال شهاده الدكتوراه فى علم الاجتماع من جامعه الصوريون فى باريس. عين لفته تسع سنين مديرا لمركز تحقيقات العلوم الاجتماعيه فى الاذاعه و التلفزيون الايرانيين، و بعد الثوره الإسلاميه استمر فى عمله. ثم عين أستاذا فى جامعه (آزاد إسلامى) فى طهران مع عمله فى مركز التحقيقات و البحوث فى وزاره المعارف و الإرشاد الإسلامى.

له من المؤلفات: ١ - جامعه شناسى هاى همگانى ٢ - قدرت تلفزيون (مترجم) ٣ - زوال تمدن سوداگرى (مترجم) ٤ - جابن [ژابن] کشور شماره بک [يک] (مترجم بمساعده شهين خوارزمى).

السيد علوى بن السيد حسين بن السيد سليمان بن السيد عبد القاهر بن السيد حسين التوبلى البحرانى آل سليمان.

ولد فى المحمره (خرم شهر) سنه ١٢٨٠ و فيها نشا و توفى و دفن فيها سنه ١٣٥٠.

آل سليمان: من الأسر العلويه العلميه العريقه بزغ بدرها فى سماء

ص: ٢٧٥

١- هذه كلها اليوم فى الباكستان.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

البصره و المحمره فى أواخر القرن الثانى عشر و مطلع القرن الثالث عشر للهجره حين نبوغ جدها الأعلى السيد عبد القاهر التوبلى البحرانى الذى كان من أجلاء تلاميذ الشيخ حسين العصفورى و له منه إجازة مؤرخه سنه ١١٩٦ و نجله السيد حسين بن السيد عبد القاهر التوبلى البحرانى من مراجع الشيعة فى البصره. و اشتهر هذا البيت الجليل باسم جدهم السيد سليمان بن السيد حسين بن السيد عبد القاهر التوبلى البحرانى و هم منتشرون فى المحمره (خرم شهر) و عبادان و الأهواز و البصره و غيرها من المدن الإيرانية.

و كان المترجم له من العلماء الأعلام أدبيا شاعرا مؤلفا محققا قرأ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء المحمره و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ عيسى آل شبير الخاقانى و غيره ثم هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق و سكن النجف الأشرف و أخذ العلم و فنون الأدب من أعلام النجف منهم السيد محمد تقى القزوينى المتوفى سنه ١٣٣٣ و أجازه أستاذه المذكور إجازة اجتهاد ثم رجع إلى موطنه المحمره (خرم شهر) قائما بوظائف الشرع إلى أن توفى. له مؤلفات و آثار منها كتاب دليل المتعبد طبع فى النجف الأشرف سنه ١٣٧٠، الروضه العلويه قصيده طويله فى واقعه الطف باللغه العاميه الدارجة فى العراق على منهاج النصاريه لابن نصار و قد طبعت أيضا، ذكرها شيخنا الأستاذ شيخ الذريعه فى موسوعته الذريعه ج ١١ ص ٣٠٠، ديوان شعر يحتوى على قصائد رثاء و مديح لأهل البيت ع.

الشريف المرتضى على بن الحسين

مرت ترجمته فى المجلد الثامن، و ننشر هنا هذه الدراره المكتوبه بقلم الدكتور عبد الرزاق محيى الدين:

مميزات الحياه العلميه فى القرن الرابع و أثرها فى المرتضى

عاش الشريف المرتضى فى المنتصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، ممتده به الحياه إلى نهايه الثلث الأول من القرن الخامس على وجه التقريب.

و لا أريد من هذه الدراره أن أو أرخ علوم العربيه من أول نشاتها حتى القرن الرابع، لأمسك بحلقاتها واحده واحده، و أتبع تطوراتها طورا طورا، و لا أحاول من وراء هذا العنوان تصوير الحياه العلميه كلها لهذا العصر، و إنما أبغى من وراء هذه الدراره أن ألمع إلى ظاهرتين كاد يتفق مؤرخو علوم العربيه و مصورو عصورها على تميز القرن الرابع بهما، لأصل بين هاتين الظاهرتين و حياه "الشريف المرتضى"، و لألمس أثرهما فى تكوينه و فى آثاره العلميه و الأدبيه.

فاولى الظاهرتين: بلوغ العلوم و الفنون الأدبيه درجه من النضج و التكامل لم يسبق أن بلغت فى العصور الماضيه، و نصيبا من الدقه و الوفاء لم يعد معهما للعصور الآتية بعد الرابع إلا الأخذ بمنهجها و مذاهبها، فى شىء من التوسع و الشرح، أو الاختصار و الإجمال.

و ثانيهما: تمايز العلوم و الفنون فيما بينها، و عدم التداخل بين مسائلها، و وضوح المذاهب الإسلاميه بما كتب من أصول العقائد فيها.

فمن جهة الظاهره الأولى يلاحظ المتتبع:

أ - فى تفسير القرآن:

أنه قبل هذا القرن كان التفسير فى الأغلب تفسيراً بالمأثور من الحديث النبوى، أو من حديث أئمه أهل البيت عند الشيعة، و أن التفسير بالرأى فى ظل الأعوام التى سبقت القرن الرابع كان يأخذ طريقه إلى الظهور ببطء على يد المعتزله، حتى إذا استوت الدراسات القرآنيه و نضجت، قام التفسير بالرأى ينافس التفسير بالروايه، و أصبح للتفسير مدرستان واضحتا المعالم و الحدود، كما ظهرت تفاسير قرآنيه تجمع بين المدرستين، أو تنهج أحد المنهجين، و لم تخرج العصور الآتية بعد الرابع عن التفسير بالأثر أو التفسير بالرأى، أو تجمع بين الأمرين.

بلغت مدرسه التفسير بالأثر لدى جمهور السنه ذروتها على يد "محمد بن جرير الطبرى" المتوفى سنه ٣١٠ فى تفسيره المعروف. و قد كان "ابن جرير" حافظاً للقرآن، بصيراً بالسنن، فقيها بالأحكام.

أما للشيعة فقد انتهى إلى القرن الرابع كتب كثيره غالبها من التفسير بالأثر، منها: تفسير "سعيد بن جبير التابعى" المتوفى سنه ٦٤ هـ و تفسير "إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفى" المتوفى سنه ١٢٧ هـ و له كتاب "أمثل التفاسير" و تفسير "محمد بن السائب الكلبي" و ليس لأحد تفسير أطول منه و لا- أشبع، و تفسير "جابر بن يزيد الجعفى" المتوفى سنه ١٢٧ و "الحسن بن خالد البرقى" له كتب فى التفسير منها تفسيره البالغ ١٢٠ مجلداً، و تفسير "على بن الحسن بن فضال"، و "محمد بن سعيد بن هلال الثقفى الكوفى" المتوفى سنه ٣٨٣، و "على بن إبراهيم القمى" (و تفسيره مطبوع)، و تفسير "على بن الحسين بن بابويه القمى"، و تفسير "أبى عبد الله الكاتب النعمانى"، و "محمد بن الحسن الشيبانى" و له كتاب نهج البيان، و عنهما أخذ "المرتضى" جملة نصوص فى كتابه المحكم و المتشابه.

و كان على رأس التفسير بالدرايه جماعه المعتزله منذ عهد "النظام" و "الجاحظ" حتى إذا طلع القرن الرابع نهض باعبائها "أبو على الجبائى"، و القاضى "عبد الجبار المعتزلى"، و "أبو مسلم" محمد بن بحر الأصبهانى المتوفى سنه ٣٧٠ هـ من السنه، و على رأسها من الشيعة "النعمانى" و إن كان فى بعض تفسيره يعنى بالمأثور.

ولد "المرتضى" و المدرستان قائمتا الأسس، واضحتا المعالم، درس كلا منهما، و انتفع بكل منهما، و ظهرت آثار الانتفاع فيما كتب من تفسير لآى القرآن الكريم فى كتبه "الأمالى" و "المحكم و المتشابه" و "الشافى"، ثم فى كثير من أبواب كتبه الفقهييه.

ب - فى الحديث النبوى:

ص: ٢٧٦

حديثا. و الكتب التي تقدمت هي المعول عليها لدى الشيعة.

نشا إلى جانب الحديث "علم الرجال" أو "علم" نقد الحديث "و هو علم يبحث في أحوال الرواه من حيث الوثاقه و الصدق و يقال أن أول من قام بنقد الحديث و السنه و تكلم عن تاريخ المحدثين " ابن أبي حاتم " المتوفى سنه ٣٢٨ هـ، ثم "الحاكم النيسابورى" من محدثى القرن الرابع، و هو خير من وفى مصطلح الحديث حقه، و كلاهما من أعلام أهل السنه.

أما من الشيعة فقد انبرى لنقد الحديث جماعه منهم "أبو عبد الله محمد ابن خالد البرقى" من أصحاب الإمامين الكاظم و الرضا (ع)، و "محمد بن أحمد بن داود بن على القمى" و له كتاب الممدوحين و المذمومين من الرواه، و "أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائرى"، يقال: إنه ألف كتبا استوفى فيها ذكر الممدوحين و المذمومين من كل من روى عن الأئمه، و "أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقده" كان يحفظ عشرين و مائه ألف حديث، بأسانيدها، و يذاكر بثلاثمائة ألف حديث، و من جمله كتبه كتاب "أسماء الرجال الذين رووا عن الامام الصادق" و كانوا أربعة آلاف رجل، و بلغ نقد الحديث ذروته لدى الشيعة فى كتاب "أحمد بن على النجاشى" المتوفى سنه ٤٥٠ هـ، و كان - فيما يذكر عنه - ثقه، صدوق اللسان، ضابطا للرجال، قد اعتمد عليه كل من تأخر عنه فى الجرح و التعديل، و قد ألف كتابه (الرجال) برغبه من "الشريف المرتضى".

إن القرن الرابع أمد المرتضى بما اكتمل من تدوين الحديث شيعيا و غير شيعى، و وضع بين يديه هذه الثروه الضخمه ثم مكناه من استعمال أداه الفحص - علم نقد الحديث - فظهرت آثار هذين فى كتابيه "الانتصار" و "الناصريات"، و ظهرت آثار نقد الحديث أكثر و أبلغ فيما واجه به الحديث من نقد و فحص، انتهى به إلى رفض أكثر الأحاديث، و بخاصه ما ظهرت فيه روائح الغلو أو التشبيه أو الجبر، كما انتهت به إلى الطعن فى أخبار الآحاد غير الموثقه، بل الموثقه، إذ أنها لم تصلح بنظره مصدرا للتشريع.

ج - فى الفقه الإسلامى:

و شهد هذا القرن ضعفا فى الحياه الفقيهيه عند السنه نتيجة سدهم باب الاجتهاد، بعد فتحهم إياه فى القرون التى سبقته، و لكنه شهد نشاطا فقهيا هائلا لدى الشيعة و قد كان باب الاجتهاد مسدودا لديهم من قبل ففتحوه.

و مع وصفنا للفقه غير الشيعى بالجمود و الركود فقد ظهر فيهم أعلام متميزون اختصوا بدراسته و التزام أحد المذاهب الأربعة، فاجتهدوا حدودها، و عنوا بالتمييز بين هذه المذاهب.

كان من أعيان المذهب الحنفى: "أبو الحسن عبيد الله الكرخى" رئيس الحنفيه فى العراق توفى ٣٤٠ هـ و "أبو بكر الجصاص البغدادى" المتوفى [المتوفى] ٣٧٠ هـ، ألف الكتب الكثيره على مذهب + "أبى حنيفه"، و "أبو الحسين أحمد القدورى" رئيس الحنفيه فى العراق توفى سنه ٤٢٨ هـ.

و فى الفقه المالكي نهض "أبو الحسن على بن أحمد البغدادى" المشهور "بابن القصار" و له كتاب مسائل الخلاف توفى سنه ٣٩٨ هـ.

و في الفقه الشافعي نبغ " علي بن عمر " البغدادي الدارقطني، كان فقيها، عارفا باختلاف الفقهاء، توفي سنة ٣٨٥ هـ، و " أبو الحسن الماوردي " من أبصر فقهاء الشافعية، و له كتاب " الحاوي " في الفقه الشافعي.

أما نشاط الفقه الشيعي فيظهر من فتحهم لباب الاجتهاد بعد أن كان مغلقا.

لقد ألفت الشيعة كتابا فقهية لم تخرج في واقعها عن أن تكون أحاديث مبوبة بحسب أبواب الفقه، و لم يكن لهم حق الاجتهاد طيله حياه أئمتهم.

و حين انتهت الامامه إلى الامام المنتظر سنة ٢٦٦ هـ و بعد غيبته الكبرى سنة ٣٢٩ هـ و انقطاع مصدرهم التشريعي شعروا بضروره فتح باب الاجتهاد.

و إذ توسط القرن الرابع أحس الشيعة بضروره فتح باب الاجتهاد، بعد أن خلى بينهم و بين الأحاديث، لا يرجعون إلى إمام في تفسيرها، و أخذ ما يجد لهم من أحداث فيها.

كان أول المجتهدين " الحسن بن أبي عقيل العماني " المعاصر للشيخ " الكليني " في طلائع القرن الرابع، و تبعه " محمد بن أحمد بن الجنيد ". قال صاحب روضات الجنات: " كان هذا الشيخ أول من أبداع أساس الاجتهاد في أحكام الشريعة، و أحسن الظن بأصول المخالفين من علماء الشيعة ". (١)

كان " ابن الجنيد " معاصرا للشيخ المفيد، كما كان الشيخ المفيد راضيا عن عمله الاجتهادي، و من رضا " الشيخ المفيد " عنه، امتدت يد الشيعة إلى فتح باب الاجتهاد.

جاء " المرتضى " فانتفع بما ألفه أعلام المذاهب الأربعة و تلاميذهم في الفقه، و بما حدده القرن الرابع من وجوه الخلاف بين هذه المذاهب، ثم بما ألفه الشيعة من كتب فقهية على النسق الاخباري الأول، و استعمل اجتهاده الشخصي بما مهده له " العماني " و " ابن الجنيد " المتقدمان، فكتب و ألف في " الفقه المقارن "، و اجتهد بآراء خاصه، تحفظها له حتى اليوم كتب الفقه الشيعية، و من خير كتبه الداله على سعه اطلاعه و اجتهاده كتاباه " الناصريات " و " الانتصار " فقد ظهر فيهما مدى إمامه بالمذاهب الفقهية الإسلامية، شائعه و شاذه، و مدى قدرته على استنباط الأحكام و الاجتهاد فيها.

د - في علم الكلام:

أطل القرن الرابع و علم الكلام يمشى إلى عليائه بقوه و فتاء، بعد أن أصابته نكسه في عهد المتوكل - القرن الثالث - و كانت له من سياسه العصر مسانده دافعه، فقد كان " البويهون " بحكم تشيعهم و فارسيتهم ميالين إلى الفلسفه، و الكلام شعبه من شعبها.

نبغ من السنه في الكلام قبيل القرن الرابع " أبو علي الجبائي "، و كان إمام المعتزله في بغداد (٢٣٥ - ٣٠٣) و ولده " أبو هاشم عبد السلام " شارح مذهب أبيه، و تلميذه " أبو الحسن الأشعري " (٢٧٠ - ٣٣٠) كان معتزليا، ثم خرج على الاعتزال و حاربه في كتب كثيره، حتى عاد له مذهب يسمى باسمه، و هو و إن خرج عن الاعتزال فلم يخرج عن أن يكون متكلما، و ناصر مذهبه جماعه من أكابر علماء العصر من أشهرهم " الباقلاني " و " ابن " .

١- انظر روضات الجنات ص ٣٣ ج ١ و ج ٢ ص ٥٦٠.

فورك " و " الاسفرايينى "، و للأخير انتهت رئاسه الشافعيه ببغداد توفى ٤٠٦.

و نبغ فى هذا القرن من المعتزله "قاضى القضاة عبد الجبار" و يعد رأس الاعتزال فى كل عصوره حتى قيل: أنه أول من فتق علم الكلام، و نشر بروده، و وضع فيه الكتب الجليله التى بلغت المشرق و المغرب، و ضمنها من دقيق الكلام و جليله ما لم يتفق لأحد، و إليه انتهت عامه المعتزله حتى صار شيخها و عالمها غير مدافع.

و كان للشيعة من قبل كلام فى الاعتزال و بخاصه فى مسائل الامامه و الخلافة، و من أوائل متكلميهم "عيسى بن روضه" المتكلم التابعى الشيعى، ناظر "أبا الهذيل" فى الامامه و "عمرا الضبى" و "النظام" فيما رواه "المرتضى" فى كتابه "الفصول المختاره"، و يرى الشيعة أنه أول من فتق باب الكلام، و كشف نقابه.

و "أبو هاشم" و يعده الشيعة من مؤسسى علم الكلام، و "على ابن إسماعيل بن ميثم التمار" و له كتاب فى الامامه.

و "فضال بن الحسن بن فضال" الكوفى المتكلم و هو من رجال المائة الثانيه، و يوصف بأنه: ما ناظر أحدا من الخصوم إلا قطعه، و هو ممن أخذ عنه "المرتضى" فى كتابه "الفصول المختاره".

و "هشام بن الحكم" ناظر أهل الفرق، و خاصمهم، و انتفع بكلامه "السيد المرتضى" فى كتابه "السابق و كتابه "الشافى".

و أسره بنى نوبخت و هى أسره شيعيه معروفه بالعلم و الفلسفه، جل أفرادها من المتكلمين، و لهم كتب فى الامامه، استفاد منها "المرتضى" فى "الشافى".

و "محمد بن عبد الملك الأصبهاني" و كان معاصرا "الأبى على الجبائى" و له كتاب فى نقض كتاب الجبائى.

و "أبو الصقر الموصلى" ناظر "على بن عيسى الرمانى" فى مسائل كلاميه حكاها الشيخ المفيد فى كتابه "العيون و المحاسن"، و هذا الكتاب رواه "المرتضى" عن "الشيخ المفيد".

و من متكلميهم الشيخ المفيد و يعتبر رأس متكلمى الشيعة فى هذا القرن.

وقف المرتضى على أغلب كتب الكلام معتزليه و أشعريه و شيعيه فظهرت آثارها فى مؤلفاته "الغرر و الدرر" و "الفصول المختاره" و "تنزيه الأنبياء" و "المحكم و المتشابه" و "الشافى" و فى جملة رسائله و بخاصه رسالته إلى "أبى عبد الله التبانى". و يعد الشيعة كتاب "الشافى" خير آثارهم الكلاميه على الإطلاق.

ه - فى علوم العربيه:

أ - فى اللغه

- سجل مؤرخو اللغه لهذا القرن طاهرتين مهمتين فى حياتها:

أولاهما: ضخامه المعجم اللغوي، و سعه معاني مفرداته، و ذلك بما جد من مفردات اقتبست من البيئات التي دخلتها العربية فظهرت في ألفاظها عن طريق التعريب، ثم بما جد من علوم إسلاميه، استلزمت مصطلحات خاصه، و اقتضت تجاوزا في استعمال الألفاظ لمعان لم يكن للعربية بها سابق عهد، و انتهت أخيرا إلى أن تصبح حقائق عرفيه، أو حقائق شرعيه، أو حقائق اصطلاحيه. أضف إلى ذلك ما دعا إليه "أبو علي الفارسي" و تلميذه "عثمان بن جنى" من ضروره الخروج باللغه من نطاق التوقيف و السماع، إلى نطاق القياس و الاشتقاق. مما لا يخلو من تبرير لدفع الكتاب و الشعراء إلى التحرر من ريقه الجمود في الاستعمال.

و ثانيتهما: تيسر تناول اللغه من معاجمها، و ذلك بما وضع من معاجم مبوبه على حروف الهجاء، بعد أن كانت مبوبه على مخارج الحروف، أو مثوره على أساس ما يجمع بين المفردات من معنى.

كان للظاهره الأولى - أعنى تضخم اللغه - أثر واضح في نتاج المرتضى، كما كان للظاهره الثانيه أثر بليغ في حياه اللغه بعد القرن الرابع و ذلك بما ألف من معاجم نهجت نهجها في التبويب على حروف الهجاء.

لم يؤلف المرتضى كتابا في اللغه ليعد من أعلامها الذين يظفرون بذكر في قائمه أسماء اللغويين، و لكنه من غير شك أحد أعلام اللغه المبرزين، و ذلك بما وعت كتبه من مفردات لغويه، تطرق فيها إلى شرحها و تحديد مفاهيمها.

كان الرجل من أعلام التفسير و الحديث و الفقه و الكلام كما رأيت، و لا بد لمن يفسر القرآن بالرأى في أكثر الأحوال من إلمام بالغ بمعاني المفردات القرآنيه، حتى يستطيع أن يختار منها لتفسيره ما يراه ملائما للرأى الذى ذهب إليه، بل لا بد له من وراء الإلمام بمعنى المفرد اللغوى أن يلم بما يمكن أن يتعدى إليه من معان مجازيه لها شاهد و نظير من الاستعمال.

و لقد دلنا تفاسيره للحديث، و وقوفه في وجه "أبي عبيد القاسم بن سلام اللغوى المحدث" و "عبد الله بن مسلم بن قتيبه (١) الدينورى" أن الرجل من أندادهما في الوقوف على غريب الحديث، مع العلم بان للرجلين كتابين في غريب الحديث لم يكن لهما نظير قبل تأليفهما و بعده.

فإذا تجاوزنا غريب الحديث، و مفردات القرآن، و شهدنا آثاره اللغويه فيما فسر من شعر، و شرح من نثر، ثم ما وقف عليه من آثار اللغويين أمثال "يعقوب بن السكيت" (٢) و "ثعلب" و "الفراء" (٣) و ما كتبه "ابن الأنباري" (٤)، و "الأصمعي" و "الكلابي" (٥)، و "أبو زيد" (٦) و "ابن الأعرابي" و "أبو سعيد الكرى" و غيرهم من أعلام اللغه أدر كنا ما انتفع به "المرتضى" من آثار من سبقه من اللغويين.

كان المرتضى يستعرض المفردات اللغويه على وجوه مختلفه، فقد يذكر اللفظه و معناها، و قد يتجاوز إلى ذكر أضدادها أو نظائرها أو يتعقب معنى اللفظه في مواطن مختلفه من الشعر و النثر. (٧).

ص: ٢٧٨

- ٢- الأملی ج ١ ص ٤١، ٣٤٨.
- ٣- الأملی ج ١ ص ١٠٥، ١٠٧، ١٢٠، ٣٤٣، ٤٩٧.
- ٤- الأملی ج ١ ص ٢٢٠، ٣٣٩.
- ٥- الأملی ج ١ ص ٢٢٢، ٥٤١.
- ٦- الأملی ج ١ ص ٣٥٤.
- ٧- انظر شرحه لقصیده "السید الحمیری" ط القاهره ١٣١٣ هـ.

- لقد تم وضعه و استقرت أصوله قبيل القرن الرابع فلم يشهد هذا القرن معركة الخلاف بين الكوفيين و البصريين و لكنه شهد آثار امتزاج المدرستين و تداخلهما، فأعان هو على هذا الامتزاج بان أخذ منهما معا.

و لم يتميز النحو بظاهرة جديدة عدا تركيز ما كتب الأقدمون، و كان شرح "أبى سعيد السيرافى" للكتاب - كتاب سيويه - من خير الشروح حتى اليوم. و لم تأت العصور المتأخره بما يخرج عن أن يكون شرحا لمجمل، أو إجمالا لمسهب، أو تعقيبا على ما ورد بتعليل و تسبيب.

لم يؤلف "المرتضى" فى النحو، و لكنه بما طرق من بحوث نحويه يدل على أنه كان نحويا لا يقل عن أولئك المتخصصين بالنحو. كان (١) تفسيره القرآن و الحديث و تأويلهما يقتضيه عرفانا كاملا- بأصول الأعراب، و لقد طرق أبوابا من النحو - و بخاصه عند الكلام على حروف المعانى - فى استيفاء شامل، لا- يقل دقه و استيعابا عما كتبه المتخصصون (٢) فى حروف المعانى.

وقف على مذهب البصريين و الكوفيين و لكنه لم يلتزم مذهبا بعينه، بل حاول أن ينتفع باى من المذهبين حين يعينه على مسانده الوجه الذى ذهب إليه، و ربما مزج بين النحو و الكلام أو بين النحو و البلاغه، فى براعه قد يجهلها كل من النحويين و الكلاميين على انفراد، (٣) و لقد يمر عليك و أنت تستعرض كتبه آراء كثير من أعلام النحو من سابقه و معاصريه، مما يدل على أن الرجل قرأ كثيرا من كتب النحو و خالط كثيرا من أعلامهم. (٤)

ج - فى البلاغه

- انتهى القرن الرابع و البلاغه - دون بقيه علوم العريه - لم تستوف نصيبا من نضج، و لا حظا من دراسه محكمه، و جل ما بلغته أن شرح فيها معنى اللفظين المفردين - الفصاحه و البلاغه - و أن تحدث عن المجاز فى غير تفريق واضح بين أنواعه، و أن تكلم عن كتابه بوجه مجمل، و أن تلمست بعض وجوه الجمال فى النصوص القرآنيه، و فى الحديث النبوى، و أن استكثر من الكلام على الأنواع البديعه.

تحدث عن هذا "جعفر بن يحيى" و "قدامه بن جعفر"، و "الجاحظ" و "ابن المعتز"، و عنيت به الكتب التى انبرت للحديث عن مجاز القرآن، أو مجاز الحديث، أمثال مجازات القرآن "لأبى عبيده"، و مجازات الحديث "لشريف الرضى".

فان تجاوزنا البلاغه بمعناها الفنى الدقيق إلى كتب النقد، و أدخلناها ضمن كتب البلاغه صح أن نجد آثارا بلاغيه فيما كتب "أحمد بن عبيد الله ابن عمار" و "الأملى فى الموازنه، و فيما كتبه أبو هلال العسكرى فى "أسرار الصناعتين"، و فى كتاب "الوساطه بين المتنبي و خصومه".

لم يؤلف المرتضى كتابا فى البلاغه بمعناها الفنى الدقيق، و لم يعرف برأى مستقل فيها اللهم إلا ما كان امتدادا للنظام و الجاحظ و بعض شيوخ المعتزله:

من الذهاب إلى أن الاعجاز القرآني يعود إلى صرف الله العرب عن مجاراته، والإتيان بشيء من مثله، وهو مذهب دعت إليه - فيما يخيل لي - أصول الكلام عند المعتزلة. و للمرتضى كتاب باسم "الصرفه" سنتحدث عنه في الحديث عن مؤلفاته، ولكن بقيه أحكامه على سر الاعجاز تدل على أنه يراها في النظم.

فان أردنا "البلاغه" بمعنى "النقد" ألفينا "المرتضى" داخلا في أعلام البلاغيين.

لا بد للمرتضى و هو من أعلام الشيعة من معرفه وجوه الكلام و تأويلاته، و لا مناص للمتكلم إذ يتعرض إلى النصوص القرآنيه، و نصوص الحديث، من أن يصرفها عن ظاهرها الذي لا- يتفق مع ما يراه و هو إذ يصرفها عن معانيها الحقيقيه لا بد له من أن يذهب إلى وجه من وجوه المجاز لغويا أو عقليا، استعاره أو كناية أو تمثيلا. (٥) و هذه الأبواب من أجل المباحث البلاغيه.

على أن المرتضى لم يقف في حديثه البلاغي عند هذه الأبواب التي أدخلت أخيرا في نطاق "علم البيان"، بل تجاوز ذلك إلى مباحث تتصل "بعلم المعاني". تكلم عن الإيجاز و الحذف في تفرقه دقيقه، و عن التأكيد و التكرار، و عن الفصل و الوصل. (٤) و مع كل هذا فلا يصح أن يدعى أن المرتضى جاء في البلاغه بمعناها الدقيق بشيء جديد.

فإذا انتقلنا إلى البلاغه بمعنى تلمس وجوه الجمال في القطعه الأدبيه، و الموازنه بين المعاني، (٧) و التعقيب على الناقلين، ألفينا "المرتضى" في طليعه الناقلين.

ذكر من بين كتبه "تتبع الأبيات" التي تكلم عنها ابن جني [جني] في أبيات المعاني "اللمتنبى": و "الشهاب في الشيب و الشباب"، و قد وازن بين ما قالت الشعراء فيه، و "طيف الخيال" و قد استعرض كثيرا مما نظم فيه، و وازن بين معانيه. كما ناقش "الأمدي" في موازنته بين الشعراء في كثير من أبواب "الأمالي"، (٨) و ربما تعرض لأحمد بن عبيد الله (٩) ابن عمار - و هو من قدامى من ألفوا في الموازنات - فيما وازن بين الشعراء، و للصولي (١٠).

د - في الأدب

- و قد كان يطلق يومها على روايه الطريف من أخبار العرب و أيامهم، و تراجم أعلامهم و ساداتهم، و الإلمام بمنظومهم و منثورهم، و ما يتصل بالمنثور و المنظوم، من مسائل النحو و الصرف و البلاغه و علوم الشريعة. يعرض جميع ذلك في هيئه موضوعات أو أمال، يستطرد فيها بالمناسبه من موضوع إلى موضوع، و من فكره إلى فكره.

قال ابن خلدون في "تعريف الأدب": هو حفظ أشعار العرب ٧.

ص: ٢٧٩

١- الأمالي تحقيق محمد أبو الفضل ج ٢ ص ٢٩.

٢- الأمالي ج ٢ ص ٢٩٦ إلى ٢٩٩، ٥٥، ٣٠٩، ٣١٤. و الشافي ط إيران ص ٢١٩.

٣- الأمالي ج ٢ ص ٣٠٠، ٣٠٩.

- ٤- الأملالی ج ١ ص ٤٦٥، ٥١٤، ٤٢٩، وج ٢ ص ١٣١، ١٧٧، ١٨٠ إلى ١٨٤، ٢٢٤، ٢٦٦، ٢٩٦-٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٨.
- ٥- الأملالی ج ١ ط مصر - ص ٩٥، ٢٣١، ٢٤٧، ٣٨٠، وج ٢ ص ١٢٤-١٣٠، ١٤٥، ١٤٧.
- ٦- الأملالی ج ١ ص ١٢٠، ٢٢٨-٢٣١، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٥، وج ٢ ص ٢-٥، ٧٣، ٣٠٩.
- ٧- الأملالی ج ١ ص ٨٥، ٦٠، ٩٣، ٩٨، ١١٩، ١٤٦، ١٧١، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٧٩، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٥٧، ٣٨٧، ٣٩٩، ٤٥٦، ٥٣٢، ٥٣٧، وج ٢ ص ٧٦-٧٨، ١١١-١١٩، ٦١٠-٦١٢، ٦٢٤.
- ٨- الأملالی ج ١ - ص ٦١٠-٦١٢، ٦٢٤.
- ٩- الأملالی ج ٢ ص ٥٤-٥٦، ٦٢٤-٦٢٥، وج ٢ ص ٩١-٩٧، ٢٤٧-٢٥٠، ٢٥٤-٢٥٦.
- ١٠- الأملالی ج ١ ص ٥٧.

و أخبارها، و الأخذ من كل علم بطرف: يريدون من علوم اللسان العلوم الشرعيه من حيث متونها، و هي القرآن و الحديث.

حفل القرن الرابع بعدد كبير من رواه الأدب شعره و نثره، و بآثار قيمه عد بعضها من كتب الأصول لهذا الفن، ظهر فيه أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ٢٢٣ - ٣٢١ و كان مقدما في روايه اللغه. و الأدب، و القصص و الأنساب، و من تلاميذه أبو علي القالي، و أبو سعيد السيرافي، و أبو عبيد الله المرزباني، و علي بن محمد الكاتب.

و نبغ فيه أبو بكر بن الأنباري المتوفى سنه ٣٢٨ و هو من أعلم البغداديين لغه و أدبا و حفظا للشعر و الشواهد، و شرحه "للمفضليات" يشهد بغزاره علمه.

و أبو الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني، و حسبي ذكر مؤلفه إشاده بمقدار ما حفظ و وعى، من نصوص أدبيه و تاريخيه.

و أبو عبيد الله المرزباني صاحب كتاب "الموشح" و "معجم الشعراء"، يروى عن ابن دريد و من فى طبقتة توفى سنه ٣٨٤ و كان أستاذا للمرتضى فى الروايه.

و علي بن محمد الكاتب يروى عن "ابن دريد"، و "الصولى" و من فى طبقتهما، و كان من أساتذه المرتضى فى الروايه.

و أبو القاسم "عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق" كان من أساتذه المرتضى، و ممن يروى عن أبى عبيد الله محمد بن أحمد الحكم الكاتب عن "ثعلب". و هكذا ترى أن أهم كتب الأدب وضعت فى القرن الرابع و قبيله.

قال ابن خلدون: سمعنا من شيوخنا أن أصول هذا الفن و أركانه أربعة دواوين: هى "أدب الكاتب" لابن قتيبه، و كتاب "الكامل" للمبرد، و كتاب "البيان و التبيين" للجاحظ، و كتاب "النوادر" لأبى علي القالي البغدادي و ما سوى هذه الأربعة فتبع و فروع عنها، و قد ألف أبو الفرج الاصبهاني - و هو ما هو - كتابه فى الأغاني، و هو لعمرى ديوان العرب، و جامع أشتات المحاسن، و لا يعدل به كتاب فيما نعلمه.

و يبدو من مؤلفات "السيد المرتضى" - و بخاصه ما كان منها أدبيا - أنه كان قوى الحافظه، كثير الروايه و الأخذ، و أنه بما أخذه من كتب القدماء، و بما رواه عن أساتذته لا يقل شانا عن "المبرد" و "أبى علي القالي" و "ابن الأنباري" و أمثالهم، فقد وقف الرجل فيما قرأناه من أماليه و غيره على كثير من مأثور "الأصمعي" و "ابن السكيت" و "أحمد بن عبيد" و "أبى بكر العبدى". قرأ تاريخ الطبرى و البلاذرى و أبى مخنف و اقتبس من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبه، و الكامل للمبرد، و ديوان الحماسه للبحترى، و ترجم لكثير من شعراء المعتزله و الجبريه، و أطال فى قصص المعمرين و أئمه الخوارج.

أما اختيار الشعر و روايه قصائده، فإنه لا يكاد يترك شاعرا ذا أثر قيم من عهد الجاهليه إلى نهايه القرن الذى عاش فيه الا ذكره. و سنتحدث عن ميزه كتاب "الأمالي" بين كتب الأدب عند دراسه أدبه، و نشير فى أطناب إلى منزله هذا الكتاب بين كتب الأدب الأخرى.

مميزات الحياه العلميه فى المذاهب و أثرها فى المرتضى

ثانيه الظاهرتين تمايز العلوم و الفنون فيما بينها، و وضوح المذاهب و النحل الإسلاميه بما كتب فى أصول العقائد.

أما التمايز بين العلوم فهو ظاهره طبيعیه تبدو أثر نضج العلوم، و أخذها سبيل التكامل.

و أما وضوح المذاهب و النحل فقد أرانا القرن الرابع من نشاط المتكلمين فى التأليف و فى المناظره، ما لا بد من جلاء هذه المذاهب و وضوحها، فقد شهدنا لكل مذاهب المتكلمين ظاهريه و أشعريه، و معتزله و شيعه دعاه و حمله، و أنصارا و أتباعا، يتجادلون فيها و يتناظرون عليها، و يتواجهون بها فى غير ترقب و خيفه، بحيث لم تبق فكره إلا استجلبت، و لا دعوه إلا عرفت، و لا وسيله هجوم أو دفاع إلا و قد ألقى بها فى الميادين.

و يكفى للتدليل على صحه ما أوردناه أن نشهد كتب الآراء و النحل تظهر فى طلائع القرن الخامس فلا يجد مؤلفوها صعوبه فى عرفان كل المذاهب و الطرق الإسلاميه، لكثرة ما وقع لهم من كتب العقائد و الكلام.

و الذى أبغى التنصيص عليه أن هذا القرن بما انكشف فيه من وجوه المعرفه تجلى فيه واقع كثير من المذاهب و العقائد الإسلاميه، و أن أى مذهب لم يعلن عن نفسه، و يحدد مركزه و مقامه من بين المذاهب الأخرى ضعف و قل معتنقه فى هذا القرن و فى القرون التى تلته. لذلك لم ينقض القرن الرابع إلا- و قد قضى على كثير من الفرق التى لم تجد وسيله لحمايتها و الذود عنها، أو ظلت تعمل فى كتمان و فى نطاق ضيق بالنسبه للمذاهب الأخرى، فكان على رجال كل مذهب أن ينشطوا للذيد عنه، و تحريره و إعطائه صفه السلامه، أو صفه القدره على البقاء.

أقول هذا لأنتهى إلى أن صنيع "المرتضى" العلمى و الأدبى كان متأثرا بهذا الدافع المذهبى، و أن نشاطه كان من نشاط كثير من أعلام المذهب الشيعى الذين عاصروه.

فقد نبغ فيه من الشيعه "ثالث" لم يعرف القرن الرابع أكثر منهم ذيدا عن مذهبه، و حماسه لفكرته.

أولهم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبى المعروف "بالمفيد" و "ابن المعلم" ٣٣٦ - ٤١٣، و قد كان رجلا جريئا صريحا لا يزوى من عقيدته طرفا، و كتابه "العيون و المحاسن" و "أوائل المقالات" يشهدان له بهذه الجراه و الصراحه.

قال أبو حيان التوحيدى - فى عرض وصفه للمتكلمين: و أما ابن المعلم، فحسن اللسان و الجدل، صبور على الخصم، كثير الحيله، ضنين السر، جميل العلانيه. (١)

و قال الخطيب البغدادى: صنف "ابن المعلم" كتبا كثيره فى ضلالتهم - بريد الشيعه - و الذب عن اعتقادهم و مقالاتهم، و كان أحد أئمه الضلال، هلك به خلق كثير. (٢)ر.

ص: ٢٨٠

١- الامتاع و الموائسه ج ١ ص ١٤١ ط لجنه الترجمه.

٢- تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٣١ طمصر.

وقال اليافعى: وفيها توفي عالم الشيعة، وعالم الرافضة، صاحب التصانيف الكثيره، شيخهم المعروف "بالمفيد"، و"بابن المعلم" البارع في الكلام والجدل والفقہ، وكان يناظر أهل كل عقيدته، مع الجلاله والعظمه في الدوله البويهيه. (١)

وقال ابن النديم: "إليه انتهت رئاسه متكلمى الشيعة، مقدم في صناعه الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنه، ماضى الخاطر، شاهدته فرأيته بارعا". (٢) قال الشيخ الطوسى صاحب الفهرست: إن له قريبا من مائتى مؤلف. (٣)

و ثانيهم: السيد المرتضى - وهو من عقدنا هذه الدراسه له.

و ثالثهم: محمد بن على بن الحسن الطوسى ٣٨٥ - ٤٦٠ صاحب الفهرست المعروف. قال ابن الجوزى في حوادث ٤٦٠: وفيها توفي من الأكابر أبو جعفر الطوسى فقيه الشيعة. (٤) وقال ابن كثير الشامى: كان فقيه الشيعة مشتغلا بالافاده إلى أن وقعت الفتنه بين الشيعة والسنة سنة ٤٤١ و احترقت داره و كتبه بالكرخ. (٥) وعن تاريخ مصر والقاهرة: فقيه الاماميه وعالمهم، و صاحب التصانيف، كان رافضيا، قوى التشيع. (٦)

قال صاحب الروضات: محمد بن على بن الحسن الطوسى شيخ الطائفة، عين صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقہ والأصول، مصنف فى كل فنون الإسلام، ومهذب للأصول والفروع. كان له كرسى الكلام فى بغداد، ولم يعط يوما إلا للمتميز من أعلامها. (٧)

و يكفى لبيان جهده فى خدمه مذهبه أن له كتابين من كتب الفقہ الشيعيه الأربعة التى يعدونها الأصول لجميع كتبهم فى الفقہ، و هما كتاب "التهذيب" و كتاب "الاستبصار".

والحق أن الشيعة أبدوا من الاستبسال والاستضاء والحماسه لمذهبهم ما استطاعوا أن يكسبوا به الجانب السياسى إلى حد بعيد، و أن يتناولوا المباداه فى المعارك المذهبيه، و أن يقوموا بغربله شامله لمختلف الطوائف الشيعيه نقضا لما لا يرتضون، و استدراجا لمن يرتضون، حتى يصح أن يقول القائل أن أكثر الطوائف الإماميه الشيعيه، التى نشهد لها وجودا فى كتب الملل والنحل لم يعد لها وجود ظاهر بين الناس آنذاك.

روى السيد المرتضى عن الشيخ المفيد أنه قال: وليس من هؤلاء الفرق التى ذكرناها فرقه موجوده فى زماننا هذا - وهو سنه ٣٧٣ - إلا الاماميه الاثنى عشرية، القائله بامامه "ابن الحسن" المسمى باسم رسول الله، القاطعه على حياته و بقائه إلى وقت قيامه بالسيف، و هم أكثر فرق الشيعة عددا و علماء، و متكلمين و نظارا، و صالحين و عبادا، و متفقيين و أصحاب حديث، و أدباء و شعراء، و هم وجه الاماميه و رؤساء جماعتهم، و المعتمد عليهم فى الديانه، و من سواهم منقرضون، لا يعلم أحد من جمله الأربع عشره فرقه التى قدمنا ذكرها ظاهرا بمقاله، و لا موجودا على هذا الوصف من ديانتته، و إنما الحاصل منهم حكاية عن سلف، و أراجيف بوجود قوم منهم لا تثبت. (٨)

و من أجل تصوير صنيع المرتضى فى مؤلفاته على وجهه السوى، لا بد من استعراض الفترات التى مرت بالتشيع.

فقد بدأ التشيع لعلى من يوم وفاه الرسول، و وجد الامام عددا من الصحابه مهاجرين و أنصارا يذهبون إلى إمامته و خلافته من

بعد وفاه الرسول، وظلت الفكره قائمه على شىء من الوضوح حيناً والخفاء أحياناً، ممتده بعد مقتل الامام فى أولاده، أو فى الحسن و الحسين بخاصه من أولاده، فالأئمه من أولاد الحسين.

و كانت الفكره معرضه دائماً إلى التهديد من جانب الخلفاء، مما حمل أصحابها إلى التنادى بها فى خفاء و ستر، و إلى العمل بها بعيدة عن الآفاق الضاحيه. و رأى يعمل به فى السر لا بد أن يتعرض فى نفسه إلى كثير من البلبه، و إلى غير قليل من الانقسام، فى أعيان الأئمه فى عددهم، و زاد الطين بله أن خصومهم من الأمويين و العباسيين يملكون من وسائل القوه و الدعاوه ما لا قبل لهؤلاء به، فأكثروا من القول فى مذاهبهم، و نسبوا إليهم ما هم براء منه، و ما لو مكنوا من الإفصاح عنه لبرءوا منه، و لنفوه عن مقالاتهم.

فإذا أضفنا لذلك خوف أئمه الشيعة أحياناً من الجهر بمقالاتهم، و انزوائهم بحكم الحجر عليهم عن أتباعهم، و العمل بالتقيه التى قد تقضى على الامام أن يجارى أهل السنه فى فقههم، أو فى أصول عقائدهم، ثم جهل عدد كبير من الشيعة بأصول المذهب، لعدم تيسر الوسائل لفهمه، و روايتهم لبعض الأحاديث عن الأئمه فى غير مراعاة لحفظ النص على حاق لفظه، أو فهمه على واقع مؤداه، أدركت المهمه الملقاه على عاتق علماء القرن الرابع من الشيعة - و بخاصه السيد المرتضى - فى تحرير تلك الأصول و نفى ما علق بها.

و هناك حقيقه خافيه على كثير من الباحثين، هى أن الشيعة ما كان لفقهايتهم حق الاجتهاد، أو حاجه إلى الاجتهاد، أو حق الفحص المتحرر فى أصول العقيد و فقها ما دام أئمتهم على قيد الحياه، و ما دام يمكن الرجوع إليهم فى أى أمر من أمور الشريعه، و لذلك لم يعملوا ذهنياً، و لم يفتقروا قريحه، و لم يعمل أحد باجتهاده طيله القرون الثلاثه الأولى، و إلى غيبه أمامهم الكبرى سنه ٣٢٩هـ، و طوال هذه المده كانوا أخباريين، رواه حديث عن الأئمه، و أنت تعرف ما يلحق الأحاديث على مرور الأيام من تحوير و تحريف، و سوء نقل و تضارب، و تناقض و كذب و افتراء فى بعض الأحيان.

و قد بدأ الاجتهاد - بمعنى النظر الشخصى فى الأدله - فى ثانيا القرن الرابع الأولى على يد "العمانى" و "ابن الجنيد" - و قد شرحنا ذلك فى الظاهره الأولى - مع قيام الطبقة الراويه المحدثه كمحمد بن بابويه القمى.

و كان عزيزاً على المحدثين من الشيعة أن يقوم هؤلاء بجرد أخبار آلف.

ص: ٢٨١

١- تاريخ الياغى حوادث .

٢- فهرست ابن النديم ص ٢٥٢ و ٢٧٩.

٣- فهرست الشيخ الطوسى " ترجمه المفيد".

٤- روضات الجنات " ترجمه المفيد".

٥- و روضات الجنات " ترجمه المفيد".

٦- روضات الجنات " ترجمه المفيد".

٧- روضات الجنات ج ٢ ص ٥٨٠-٥٨٤ ط إيران.

٨- الشافى ج ١ ص ١٨٤ إلى ١٨٥ و الفصول المختاره من العيون و المحاسن ج ٢ ص ١١١ ط النجف.

البيت، و يفحصها فحصا علميا، و لكن "المرتضى" أعلن منهجه في البحث - كما سنرى - و رأيه في ذلك الركام الخليط، و انبرى إلى نفي كل ما علق بأخبار الشيعة: من الغلو و الجبر، و التجسيم و التشبيه، و إلى تحديد الفرق بين الطائفة الشيعية الامامية و الطوائف الشيعية الأخرى: كالزيدية، و الإسماعيلية، و الواقفية، و أدخل الاجتهاد و حق النظر فيما ورد من أحاديث الفقه الشيعي الامامي، و أسس له أصولا لفظية و عقلية يعتمد عليها في فهم تلك النصوص، و كان "العماني" و "ابن الجنيد" من قبل السيد المرتضى بقليل، و التفتا إلى خطر هذا الفن في معرفة الأحكام الشرعية، و تابعهما "المرتضى" و زاد، فكانت أصوله تتفق كثيرا مع أصول العامة و تختلف معها فيما يمكن أن يتعارض مع أصول المذهب الشيعي الامامي، فلم يقبل إجماعا و لا قياسا في حدود ما ألفت العامة، و لكنه قبل الإجماع في حدود، و بسبب ما يكشف عن رأى الامام، و قبل القياس في حدود العله المنصوصه، و له في ذلك رسائل متناثره و كتب أهمها: "كتاب الذخيره" و ألف في الفقه المقارن فوازن بين مذهبه محتجا له، و بين المذاهب الأخرى محتجا عليها، و له في ذلك كتب أهمها: "الانتصار" و "الناصرات" و فرق بين الشيعة و المعتزله - و قد كان المذهب الشيعي الامامي يلتقى كثيرا مع الاعتزال، و طالما طعن المعتزله بالرفض - و لكنه حاول محاولات كثيره إلى الفصل بين الاعتزال و المذهب الشيعي الامامي، و أشار إلى مواطن التقائهم و خلافهم. (1)

و لقد كان الشيعة في ذلك العصر على شىء كثير من التوثب الذهني، و اليقظه العقليه، و على كثير من الالتفات إلى أصول مذهبهم، و ما يؤخذ عليها من جرح و نقد و طعن، فكانوا كثيرى التساؤل، كثيرى الاعتراض على صنيع السيد الجديد في أصول المذهب، و لهذا أكثروا و نوعوا الأسئلة، و كان يجيب عليها بما يجلو لهم الشبه و يزيل الشكوك.

و ما كان السيد في أى نتاج علمي أو أدبي إلا- عاملا على تهذيب المذهب الشيعي، و على تنقيته، و على تحديد مكانه من المذاهب الأخرى و كتابه "الأمالى" و "شرحه لقصيده السيد الحميرى"، و كتابه "المحكم و المتشابه" من القرآن - إن صحت نسبتة إليه -، و ديوان شعره، ليست إلا مظهرا من مظاهر الخدمه للفكره الشيعيه، و إن ظهرت بمظهر الإنتاج الفنى الصرف.

نسبه و سيرته

في عام خمس و خمسين و ثلاثمائه للهجره ولد للشريف "أبى أحمد الموسوى" نقيب الطالبين ببغداد، من زوجته فاطمه بنت أبى محمد الحسن "الناصر الصغير" ولد أسماه "عليا"، و لعله تيمن باسم جده على بن أبى طالب. إذ قد عرف بعد أن كبر "بالمرتضى"، و هو لقب للإمام على من بين أئمه أهل البيت.

و من أجل أن نلم بالمهيات التى أعدت المولود الجديد، لمقامه الذى تبوأه بعد حين، لا بد لنا فى جملة ما نلم به أن نشير إلى مكانه أبويه.

أما أبوه فقد حلاه المؤرخون بألقاب كثيره، فهو الأجل الطاهر الأوحده ذو المناقب الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم سابع أئمه الاماميه، و أما أمه فهى فاطمه (1) بنت الحسن نقيب العلويين ببغداد ابن أحمد بن الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر الأشرف بن على زين العابدين رابع أئمه الشيعة.

فالمولود ينتسب لأبوين يصلان به فى نسب قصير إلى غايه ما يمكن أن يطمح له طامح فى التانى لمعالى الأمور دينيه و دنيويه و

من هنا ما كان يستشعر الشيعة له من سمو المقام و المنزله بين سائر العلويين و الطالبين، و ما كان يستشعره هو نفسه من تكاليف و ضرورات ألقاها على عاتقه هذا النسب الموثب الذى ظل دائما باعث الحماسه فى الطالبين، إلى نهضات طالما ألفت بهم إلى الصدور أو القبور.

و لتصوير ما كان يهياً له هذا المولود من مقام فى مستقبل حياته يحسن إيراد ما قصه "ابن أبى الحديد" و غيره: أن الشيخ المفيد رأى فى حلمه أن "فاطمه الزهراء" بنت رسول الله دخلت عليه و هو فى مسجده بالكرخ و معها ولداهما الحسن و الحسين صغيرين، فاسلمتهما إليه و قالت علمهما الفقه، فانتبه الشيخ عجباً، فلما تعالى النهار صبيحه تلك الليله، دخلت عليه المسجد فاطمه بنت الناصر، و حولها جواريتها و بين يديها ابناها "على المرتضى" و "محمد الرضى" صغيرين، فقام إليها، و سلم عليها، فقالت له: أيها الشيخ، هذان ولداى قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه، فبكى الشيخ و قص عليها الرؤيا و تولى تعليمهما.(٢)

هذا الحلم الذى قصه "المفيد" ككثير من أحلام الناس، و لكنه فى الدلاله على ما كان يستشعره من منزله هذا البيت، أو ما يحاول أن يظهر استشعاره من منزلتهم أو منزلته أبلغ أثراً - فى أدنى صور الدلالات - مما لو كان حقيقه من الحقائق من حيث فعله فى نفس الطفل الذى جىء به ليتعلم الفقه.

و هكذا ظل الشعور و اللاشعور يعملان على تكوين صاحبنا فى نفسه و فى نفوس معاصريه، بل هكذا ظلت اليقظه و الأحلام تتعاونان على تكوين الرجل طول حياته.

فإنه لما مرض الوزير "أبو سعيد محمد بن عبد الرحيم" سنة ٤٢٠ رأى الامام علياً فى المنام يقول له: قل "لعلم الهدى" يقرأ عليك الفاتحه حتى تبرأ، فقال: يا أمير المؤمنين، و من علم الهدى؟ قال: على بن الحسين الموسوى، فكتب إليه الوزير، فقال المرتضى: الله الله فى أمرى، فان قبولى لهذا اللقب شناعه على، فقال الوزير: و الله ما أكتب إليك إلا ما أمرنى به أمير المؤمنين. فسمع "القادر بالله" بالقصه، فكتب إلى المرتضى: تقبل ما لقبك به جدك، فقبل.(٣)

بهذا الاحساس واجه الصبى كونه الجديد، فكان فخوراً معتدا بنفسه، و لهذا كثر فخره بنفسه و بآبائه فى شعره، و هى ظاهره شاركه فيها أخوه "الرضى" حتى لقد كان يغلب على طلائع شعرهما الحماسه و الفخر، و لهذا الشعور أيضاً أحس بعظم ما ألقى على عاتقه من واجبات، فانصرف ٤.

ص: ٢٨٢

- ١- انظر مقدمه كتابه "إنقاذ البشر".
- ٢- ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٤ ط دار الحلبي، و رياض العلماء ص ٤١٣ نقلا- عن خط الشيخ البهائى، نقلا عن خط الشيخ الشهيد، و "روضات الجنات" ج ٢ ص ٣٨٣ ط إيران.
- ٣- رياض العلماء ص ٤٧٠: و قد نقل حكاية الوزير جماعه من الخاصه و العامه. و "روضات الجنات" ج ٢ ص ٣٨٣. و مثل هذه فى روضات الجنات ج ٢ ص ٥٦٤.

إلى تكميل نفسه و تثقيفها موفيا به على أبعاد الغايات العلمية و الأدبيه.

لم أعرف تحديدا مضبوطا للعام الذى بدأ به دراسته، و لا أول الفروع التى درسها، و إن كنت أرجح أنه الأدب، إذ قرأه - و هو صبى (1) بين الثانية عشره و الخامسة عشره - على "ابن نباته" و هذا يجعلنى أفترض أنه حين وجه إلى "الشيخ المفيد" لدراسه الفقه - كانت سنه لا تقل عن خمسه عشر عاما، إذ كان معه أخوه "الرضى" و الرضى ولد بعده بربعه أو خمسه أعوام. و من البعيد أو يذهب بالفتى إلى دراسه فقهيه قبل أن يشدوا طرفا من اللغه و الأدب، و من تلك العلوم التى تعتبر أدوات لدراسه الفقه.

إن نتاجه العلمى و الأدبى يدل على أنه سعى للدراسه صغيرا، و أنه قطع شوط صباحا فى دراسه جديده مضمينه، حتى إذا بلغ السابعة و العشرين من عمره عد مرجعا فقهيا و كلاميا، و بدأ الشيعه و غيرهم يتوجهون إليه بالكتب و الرسائل فى علمى الفقه و الكلام من مختلف البلاد المسلمه.

و قد وصفه المؤرخون بأنه كان نحيف الجسم، أشرب بياض بشرته حمره. و لا بد لى أن أقرر أن نحافه جسمه ليست من هزال أو ضعف، ألا أن يكون ذلك الوصف له فى أيام شيخوخته، فانى لم أعهد الرجل كان شاكيا مرضا أو عله طوال أيام حياته، و أن أسفاره المتعدده إلى مكه أميرا لتتطلب قوه جسميه عظيمه و خصوصا أن السفر فى تلك الأيام كان فيه من المشاق و المخاطر، ما لا يقوى عليه إلا- رجل قوى البنيه، و أن قيامه باعمال نقابه النقباء، و قضاء القضاء - و قد ضاق بها أبوه و أخوه الرضى و طلبا الإعفاء منها - مده ثلاثين عاما لتستدعى من القوى الجسميه و العقلية ما لا بد من توفر الرجل على قوى خارقه بالغه.

كما يبدو لى أنه كان رقيق المشاعر، يتأثر بما ينزل باخوانه، و يأسى لأساهم، فلا تصيب أحدهم مصيبه إلا بادر إلى المواساه، معزيا فى قصيده، أو مهنتا بأبيات، مع العلم أن بين أخوانه من لا شان له فى الدوله، و لا نصيب له من جاه المال و القبيل.

و لقد توفى أخوه "الرضى" و شهد الناس جنازته كافه و لكنه امتنع من شهودها، لأنه لم يستطع أن ينظر إلى أخيه فى النزع، و لا إلى جثمانه محمولا على الأعناق، و لاذ "بالمشهد" (2) إلى أن أعاده الوزير "فخر الملك" إلى داره، فقعد لمجلس العزاء، و رثاه بقصيده تفيض لوعه و أسى (3):

قدنى إليك فقد أمنت شماسى و كفيت منى اليوم صدق مراسى

أسرى بلا هاد بكل مضله و أجوب مظلمه بلا مقباس

فى أسر قاصمه أخادع جيرتى عنها و أكتم داءها جلاسى

يا للرجال لفجعه جذمت يدى و وددتها ذهبت على براسى

ما زلت أبى وردها حتى أتت فحسوتها فى بعض ما أنا حاسى

راديتها فلقيت منها صخره صماء من جل أشم راسى

و هي قصيده طويله.(٤) كما أنه كان كظوما للغيط، يلقي من أبناء عمومته من الكيد و الحسد الشىء البالغ و لكننى لم أعلمه قابل أحدا منهم بالسوء. و كل ما علمته أننى رأيتة يلجا إلى قول الشعر ينفس به عن نفسه، و يلفظ من حدته، و يشير إلى ما يلقاه من أذى، و ما يلقاهم به من لطف.

كان مرتضى كاسمه، و لقد يحدث أن يكدر الجو بينه و بين أخيه، فتسوء العلائق أو تكاد، فلا يجد بأسا - و هو الأكبر سنا - أن يمد لأخيه الصغير يدا تسترضيه و تحييه ثم يخطب وده فى قصيده شاعره، يرد عليها "الرضى" بمثلها أو بأحسن منها، فلا يلبث الجو الأخوى أن يعود تقى الجوانب، مشرق الأنحاء:

تكشف ظل العتب عن غره العهد و أعدى اقتراب الوصل منا على البعد

تجنبنى من لست عن بعض هجره صفوحا، و لا فى قسوه منه بالجلد

و كنت على ما جره الهجر ممسكا بجبل وفاء غير منفصم العقد

أمين نواحى السر لم تسر غدره ببالى، و لم أحفل بداعيه الصد

إذا تركت يمنى يديك تعلقى فى ليت شعرى من تمسك من بعدى؟

هلم نعد صفو الوداد كما بدا إعاده من لم يلف عن ذاك من بد

فأجابه الشريف الرضى:

عجبت من الأيام إنجازها وعدى و تقريبها ما كان منى على بعد

و رثاؤه المتعدد لزوجته أم فتاه "أبى محمد"، صوره واضحه لتلك المشاعر الرقيقه المرهفه:

ألا هل أتاها كيف حزنى بعدها و إن دموعى لست أملك ردها

و مما شجانى أننى لم أجد لها على خبرتى شيئا يهون فقدها

و أنى لما أن قضى الله هلكها على قلبى المحزون بقيت بعدها

حرام - و قد غيبت عنى - أن أرى من الخلق إلا نظره لن أرددها

و سيات عندى أن حبتنى خريده بوصل يرجى أو حبتنى صدها

و من أين لى فى غيرها عوض بها و قد أحرزت سبل الفضائل وحدها؟

أسام التسلى و هو عنى بمعزل و كيف تسأم النفس ما ليس عندها؟

و ودى بان الله يوم احترامها تخرم من جنبى ما حاز ودها

و أنى لما أنالها الموت غالى فبعدا لنفسى أن قضى الله بعدها

و لله منها حفره جئت طائعا فاودعت دينى ثم دنياى لحدھا

و وليت عنها أنفض التراب عن يد نفضت تراب القبر عنها و زندها

كما ييدو حسن التصرفات، منسجما مع عقيدته و مركزه أشد انسجام.

يتغزل غزلا لا يبعد به عن مقام رجل الدين، و يلجا إلى الأحلام - شعره فى الطيف - لينفس عن عواطفه المكبوتة، فى خواطر لم يحاسب عليها مخلوق فى دينه أو فى دنياه، و لم يكن كذلك شان أخيه "الرضى"، فقد تغزل - على عفه فى نفسه ينص عليها التاريخ - غزلا حارا صريحا شان المدلهين المغرمين، و هذا ما لاحظته السيد نعمه الله الجزائرى فى مقاماته. (٥)

و ينبغى أن أشير إلى أن للرجل مسلكا علميا و آخر اجتماعيا، فهو فى مسلكه العلمى صلب راسخ لا يترشح عن رأيه و مدرسته قيد أنمله: يحارب الأشاعره و الظاهريه، إمامى أصولى يناهض المحدثين الاخباريين [الأخباريين] من الشيعة.ن.

ص: ٢٨٣

-
- ١- روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ ط إيران نقلا- عن كتاب الدرجات الرفيعه. و رياض العلماء ص ٤١٣ نقلا عن خط الشيخ "البهائى"، نقلا عن خط "الشهيد".
 - ٢- ضريح الامام موسى الكاظم.
 - ٣- المنتظم و ابن الأثير حوادث .
 - ٤- الديوان مخطوط ج ٣ ص ٩٣.
 - ٥- روضات الجنات ج ٢ ص ٥٧٧ ط إيران.

و لكنه فى مسلكه الاجتماعى صحب إخوانا و أساتذه و طلابا من كل الأجناس و المذاهب، و عاشرهم معاشره المشاركون له فى الرأى و فى العقيدة، ثم هو لا يمتنع أن يغضى و يصفح حين تقضى ضرورات الخلافه بالحد من نشاط الشيعة، أو بمنع إقامه شعائر المذهب، و لقد أخرج أستاذه "المفيد" و زعيم مذهبه من "بغداد" فلم تثر نائرتة، كما منع الشيعة من إقامه شعائرهم على عهد بعض الخلفاء فما شهدته أعلن نغمه و هياجا، و لكنه سعى باللطف، فأعاد شعائر مذهبه إلى ما كانت عليه.

وفاه المرتضى

و بعد عمر حافل بجلائل الأعمال لم ينقطع فيه عن عمل فى السياسه أو عمل فى التأليف، و بعد أن تجاوز الثمانين، و لخمس بقين من ربيع الأول سنه ٤٣٦ مشى به المشيعون فى حشد من تلاميذ مدرسته. فتولى غسله تلميذه "أحمد بن الحسين النجاشى"، يعاونه الشريف أبو يعلى "محمد بن الحسن الجعفرى"، و "سلار بن عبد العزيز"، و كلاهما من أعلام تلاميذه، و صلى عليه ابنه فى داره بالكرخ، ثم دفن فى مساء اليوم الذى توفى فيه، فانطوى بموته علم من أعلام القرن الرابع ببغداد.

هذا و للمرتضى كما لأخيه "الرضى" ضريحان قائما حتى اليوم فى الكاظميه، قرب مرقد الامام "موسى الكاظم (ع)"، تسرج فيهما المصاييح ليلال و يقصدهما العامه للتبرك و قراءه الفاتحه، و قد تعاقبت الأيدى على هذا منذ زمن يجهل مداه على التحقيق، و لكنه ليس بالقرب على كل حال. يقابل ذلك حديث المؤرخين و رجال البحث النذاهب إلى أنهما ليسا مرقدى الشريفين، و أنهما دفنا فى كربلاء عند ضريح الحسين (ع).

و لقد حاولت جهد الطاقه دراسه ما تقوم عليه هذه اليد، و ما يتحدث به الخاصه، فانهتيت إلى:

١ - أن التاريخ القديم شيعيا و غير شيعى يجمع على أن كلا- من الشريفين دفن فى داره(١) و دارهما - بحسب ما يراه المعاصرون العارفون بخطط بغداد - ليستا حيث مرقدهما الآن.

٢ - أن التاريخ الشيعى قديما و حديثا ينص على أنهما نقلا بعد الدفن فى دارهما إلى كربلاء،(٢) و دفنا فى مقبره جدهما الأعلى إبراهيم المجاب،(٣) و تقع مقبرته جوار ضريح الامام الحسين (ع).

٣ - إن تقليدا شيعيا شائعا منذ القرن الرابع حتى اليوم ينقل تمسكا به جثمان الملوک و الوزراء و الشخصيات العلميه إلى حيث يرقد الامام الحسين، أو الامام على بن أبى طالب (ع). و قد دفن فى النجف على العهد البويهى "عضد الدوله" و ابنه "شرف الدوله" و "بهاء الدوله" و كثير من الملوک و الوزراء البويهيين، و إن تكن "مقبره قريش" فى بغداد حظيت تربتها بكثير من أعلام الشيعة.(٤)(٤)

٤ - إن تقليدا أسريا لآل "أبى أحمد" يقضى فى الغالب بدفن أفراد الأسره فى "كربلاء"، فقد دفن والد الشريفين النقيب "أبو أحمد" (٥) فى داره ثم نقل إلى مشهد الحسين "بكربلاء" و أن أختا للشريفين نقل جثمانهما إلى "كربلاء" (٦) و أن زوجه الشريف المرتضى(٧) ماتت ببغداد و نقل جثمانها إلى كربلاء، فالملاحظ أن من تقاليد هذه الأسره أن تتخذ من مرقد الامام الحسين (ع) مدفنا لها.

أنجب المرتضى ولدا كناه "أبا محمد"، و كان حريصا على تربيته تربيته عاليه، و لكنه - فيما ظهر لى - لم يكن على شىء من العلم، لأنه لم يذكر فى تراجم أعلام الشيعة، و قد ذكره "ابن خلكان" بين المتوفين فى حوادث ٤٤٣. و أسماه "أبا عبد الله الحسين". تزوج "أبو محمد" هذا فى حياه أبيه فاعقب ولدا، و ظل عقب "المرتضى" يطرد من ابنه هذا حتى وصل إلى "أبى القاسم" النسابة صاحب كتاب "ديوان النسب".

قال صاحب "عمده الطالب": و عقب "المرتضى" من ابنه "أبى محمد" - و هو الذى من ولده أبو القاسم النسابة صاحب كتاب "ديوان النسب" و غيره - على بن الحسن بن محمد بن على بن أبى جعفر محمد بن أبى عبد الله الحسين بن المرتضى. و كان للنسابة ابن اسمه "أحمد" درج و مات و انقرض به بيت الشريف المرتضى علم الهدى.

و أنجب من الإناث زينب و خديجه.

و فيما قرأت أن أخاه "الرضى" يهنيه بولاده ثلاث بنات فى ثلاث قصائد:

- ١

لبست الوغى قبل ثوب الغبار و قارعت بالنصل قبل الغرار

٢ - و قد أعدّها لتهنئه أخيه بمولود ذكر فلم يتفق له ذلك:

ليهنيك مولود يولد فخره أب بشره للسائلين ذرائع

وليد لو أن الليل ردى بوجهه لما جاوزته بالجنوب المضاجع

و مبتسم يرتج فى ماء حسنه له من عيون الناظرين فواقع

٣ - يهني أخاه بميلاد ذكر فجاءته بنت فصرفها (القصيده) إلى غيره.

كما شاهدته يعزى أخاه بابنتين توفيتا:

- ١

لا لوم للدهر و لا عتابا تغاب إن الجلد من تغابى

- ٢

فلا تحسبن رزء الصغائر هينافان و جى الأخفاف ينضى الغواربا

و الذى يهمنى من تعداد بنات "السيد المرتضى" و تحقيق أن له أكثر من ٤.

ص: ٢٨٤

- ١- الخطيب البغدادي ج ١ ص ٤٠٣ ط الخانجي، و ابن خلكان ج ٤ ص ٤٨ مطبعه النهضة و فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧٨ ط إستانبول، و المنتظم لابن الجوزي حوادث . أما ابن الأثير فقد نص على نقل جثمانه إلى كربلاء. انظر الكامل حوادث .
- ٢- رياض العلماء ص ٤١٣ نقلا عن الفاضل التنوخي، ٤٤٨ نقلا عن رجال النجاشي، ٤٨٢ نقلا عن العلامة الحلي في الخلاصه، و روضات الجنات ج ٢ ص ٣٢٤ نقلا عن كتاب "الدرجات الرفيعه" و حاشيه الخلاصه للشهيد، و "زهر الرياض" و "بحر العلوم".
- ٣- يخالف (أعيان الشيعه) ما هو مشهور من أن الشريفين من أبناء إبراهيم المجاب، و ينسبهما إلى أخيه إبراهيم المرتضى. و قد ذهب إلى ذلك من قبله صاحب "عمده الطالب". انظر رياض العلماء ص ٤٧١ و أعيان الشيعه ترجمه إبراهيم المجاب.
- ٤- ممن دفن بها عميد الجيوش أستاذ هرمز بامر من الشريف الرضى، المنتظم حوادث، و الملك معز الدوله ينقل من قبره ليدفن بمقابر قريش حوادث .
- ٥- المصدر السابق حوادث .
- ٦- ديوان الرضى ج ١ ص ١٣٩ ط بيروت.
- ٧- ديوان المرتضى مخطوط ج ١ ص ٩٤.

بنتين، أن انتهى إلى أنه من الجائز أن تكون الثالثة هي التي بقيت حيه، و روت عن عمها "الرضى" كتاب "نهج البلاغه"، و رواه عنها الشيخ "عبد الرحيم" المعروف ب "ابن الإخوه".

قال صاحب "رياض العلماء": كانت فاضله جليله، تروى عن عمها "الرضى" كتاب نهج البلاغه، و يروى عنها الشيخ "عبد الرحيم" البغدادي، المعروف ب "ابن الإخوه"، على ما أورده "القطب الراوندى" فى آخر شرحه على النهج.

هذا و لم يعقب "الرضى" بعد ولده "أحمد" أبى عدنان - الذى تولى النقابه بعد عمه - أحدا، فانقرض بيت "الرضى" بانقراضه.

و فى حدود ما ظهر لى من كتب الأنساب و التاريخ أن عقب "الرضى" انقرض بانقراض ولده "عدنان" و أن عقب المرتضى انقرض بانقراض "أحمد" ابن النسابه صاحب "ديوان النسب" المتقدم ذكره. فلا شاهد لأحد من المعاصرين إذ يرتفع بنسبه إلى الشريف المرتضى.

بينه و بين معاصريه

فى تاريخ "السيد" من المفارقات الطريفه ما لو حاولنا الجمع بينها لاستعصى الأعلى ضرب من التخريج. و الملاحظ فى هذه المفارقات أنها لم تكتب فى تاريخه مباشره، و إنما كتبت فى تاريخ يتصل به اتصالا ما، فأنت إذ تقرأ ترجمته فى كتب السير ترى ما يشبه الإجماع على علو همه الرجل، و سمو منزلته، و ترفعه عن الصغائر و الدنيايا، بل أنك و اجد ما هو أبعد من هذا:

واجد نبلا و مروءه، و إنفاقا على العلم و أهله، و لكنك إذ تقرأ سيره أخيه "الرضى" فى شرح النهج و غيره و اجد - من أجل تصوير ما عليه الرضى من فتاء و أباء - أن "المرتضى" كان ضعيف الهمه، متضائل النفس، قد يقابل من جانب الوزراء بالازدراء، أو بما يشبه الازدراء، على حين يقابل أخوه "الرضى" بكثير من التعظيم و الإجلال.

و ساسوق لك طرفا من المفارقات العجيبه، ثم أضع بين يديك ما انتهيت إليه، من إمكان صحه ما ورد فيها و بطلانه، لعلى و إياك نقف على الأصل الذى اصطنع هذه المفارقات.

١ - حكى الخطيب "أبو زكريا يحيى بن على التبريزى اللغوى": إن أبا الحسن "على بن أحمد بن على الفالى الأديب"، كانت له نسخه من كتاب "الجمهره" لابن دريد فى غايه الجوده، فدعته الحاجه إلى بيعها، فاشتراها "الشريف المرتضى" بستين ديناراً، و تصفحها، فوجد فيها أبياتا بخط بائعها:

أنست بها عشرين حولا و بعثها لقد طال و جدى بعدها و حنينى

و ما كان ظنى أننى سأبيعها و لو خلدتنى فى السجون ديونى

و لكن لضعف و افتقار و صبيه صغار عليهم تستهل شئونى

فقلت - و لم أملك سوابق عبره - مقاله مكوى الفؤاد حزين:

و قد تخرج الحاجات يا " أم مالك " كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخه إليه و ترك الدنانير. (١) - قرأت بخط " محمد بن إدريس الحلى الفقيه الشيعى " قال:

حكى " أبو حامد " أحمد بن محمد الاسفرايينى الفقيه الشافعى قال:

كنت يوما عند فخر الملك أبى غالب " محمد بن خلف " وزير بهاء الدوله و ابنه سلطان الدوله، فدخل عليه " الرضى " أبو الحسن، فأعظمه و أجله، و رفع من منزلته، و خلى ما كان بيده من القصص و الرقاع، و أقبل عليه يحادثه إلى أن أنصرف. ثم دخل بعده المرتضى أبو القاسم - رضى الله عنه -، فلم يعظمه ذلك التعظيم، و لا - أكرمه ذلك الإكرام، و تشاغل عنه برقاع يقرأها، و توقيعات يوقع بها، فجلس قليلا، و ساله أمرا فقضاها، ثم انصرف.

قال " أبو حامد ": فتقدمت إليه و قلت له: أصلح الله الوزير، هذا " المرتضى " هو الفقيه المتكلم، صاحب الفنون، و هو الأفضل و الأمثل منهما، و إنما " أبو الحسن " شاعر، قال: فقال: إذا انصرف الناس، و خلا المجلس أجبتك عن هذه المسأله، قال: و كنت مجمعا على الانصراف فجاءنى أمر لم يكن فى الحساب، فدعت الضروره إلى ملازمه المجلس إلى أن تقوض الناس واحدا فواحدا، فلما لم يبق إلا غلماناه و حجابها دعا بالطعام، فلما أكلنا و غسل يديه و انصرف عنه أكثر غلماناه، و لم يبق عنده غيرى، قال لخدام له:

هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام، و أمرتك أن تجعلهما فى السفط الفلانى، فأحضرهما، فقال: هذا كتاب " الرضى "، اتصل بى أنه قد ولد له، فأنفذت إليه ألف دينار، و قلت: هذا للقابله، فقد جرت العاده أن يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم، و ذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال، فردها، و كتب إلى هذا الكتاب فقرأه، فقرأته - و هو اعتذار على الرد - و فى جملته: " أننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابله غريبه، و إنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساتنا، و لسن ممن يأخذن أجره، و لا يقبلن صله ". قال فهذا هذا.

و أما " المرتضى " فاننا كنا قد وزعنا و قسطنا على الأملاك ب " بادرويا " تقسيطا نصرفه فى حفر فوهه النهر المعروف " بنهر عيسى "، فأصاب ملكا " للشريف المرتضى " بالناحيه المعروفه " بالداهريه " من التقسيط عشرون درهما، ثمنها دينار واحد، قد كتب إلى منذ أيام فى هذا المعنى هذا الكتاب، فقرأه، فقرأته، و هو أكثر من مائه سطر، يتضمن من الخضوع و الخشوع، و الاستماله و الهز، و الطلب و السؤال، فى إسقاط هذه الدراهم عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه. قال " فخر الملك ": فأيهما ترى أولى بالتعظيم و التبجيل: هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد و نفسه هذه النفس، أم ذلك الذى لم يشتهر إلا بالشعر و نفسه تلك النفس؟ فقلت: وفق الله سيدنا الوزير. (٢)

هاتان قصتان تتفارقان مفارقه كليهما، تدل أولاهما على نبل " السيد " و سمو روحه، و تدل الثانية على نفس متخاذله متهالكه، لا تحسن فى سبيل التوفر على دينار واحد أن تحفظ مقامها الاجتماعى.

أما الأولى فلا تكاد تبعد كثيرا عما عرف عن "السيد" من مقام اجتماعي، وخلق نفسي، و أما الثانيه - وهى التى تبدو ناشزه على سيره الشريف - فهى التى وعدت أن أضع بين يديك أمر النظر فيها.٣.

ص: ٢٨٥

١- ابن خلكان ج ٣ ص ٦ ط النهضة المصريه سنه ١٩٤٨ و مرآه الجنان ج ٣ ص ٥٠٦ ط حيدرآباد و شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٨.

٢- ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٣.

القصة يرويها "ابن أبي الحديد" في سبيل التنويه بمقام "الرضي" ونحن لا نحيل التنويه بمقامه - فقد كان مجعاً على فضله - ولكن التنويه بمقام إنسان لا ينبغي أن يتم على حساب إنسان آخر، ليتخذ منه سبيل مقارنه و مفارقه. و سننقد القصة من حيث سندها و رواتها و ما اختلفت عليه الروايات: (أ) يقول ابن أبي الحديد: قرأت بخط "محمد بن إدريس الحلبي الفقيه الامامي". و أنا أستبعد جداً أن يسجل "محمد بن إدريس الحلبي الامامي" على "المرتضى" هذه المنقصة. و قد عرف "ابن إدريس" بأنه من رأى "المرتضى" في كثير من مسائل الفقه، و من مشايخه في رأيه الأصولي، و من تلاميذ مدرسته، بحيث متى ذكر "ابن إدريس" قرن "بالسيد المرتضى" في كثير مما تدفع به عن "ابن إدريس" المآخذ الفقهيه.

ب - حكى "أبو حامد أحمد بن محمد الأسفراييني الفقيه الشافعي".

و الشافعي أبو حامد الاسفراييني - على عظم مقامه، و سمو منزلته في نظر الشافعيه خاصه - كان معاصراً "للمرتضى" و قرنا له في الزعامه المذهبيه و من أجل الاسفراييني أخرج الشيخ المفيد - أستاذ المرتضى - من بغداد و كانت العداوه يومئذ بين الشيعة و الشافعيه في ذات أئمتها بالغه ذروتها.

ج - كنت يوماً عند فخر الملك... إلخ. أن علاقته المرتضى ب "فخر الملك" كانت وثيقه جداً، و كانت العواطف المتبادله بينهما لا نظير لها في كل من عرفت "للسيد" صلته به، و كانا يتزاوران و يصطحبان(١) و للسيد في مدحه قصائد جياذ تنيف على عشرين قصيده،(٢) و إذ قتل "فخر الملك" جزع السيد جزعاً شديداً، و رثاه بقصائد أربع، لم يرث بمثلها خليفه أو ملكاً أو صديقاً، و أقسم بعد قتله ألا يقول الشعر، و ظل منقطعاً عنه سنين ثمانيه، حتى إذا قدم "سلطان الدوله" ابن الملك "بهاء الدوله" إلى بغداد طلب منه أن يقول الشعر ملحا معاوداً، فاعتذر بما سبق أن عزم عليه: من ترك الشعر بعد "فخر الملك"، و لكنه حمله على قوله بمعاوده الإصرار.(٣)

فهل تكون هذه العواطف من جانب "المرتضى" لرجل كان يزدري مقامه، و يستهين بكرامته، و يلقاه بالفتور و البرود؟.

و الطريف في الأمر أنك تجد القصة نفسها تروى بلسان آخرين، و مع وزير آخر غير فخر الملك، فمره تروى عن أبي إسحاق محمد بن إبراهيم العباسي الكاتب،(٤) و مره عن لسان "أبي إسحاق"،(٥) و كلاهما - كما كان الحال مع "أبي حامد الاسفراييني" - يدعى مشاهده المجلس وحده، و مع ادعاء التفرد بمجلس الوزير لا يصح أن يشاهدها آخرون، و هذا صريح في اختراع القصة، أو في اختراع راويها.

و أطرف من هذا أنها في إحدى الروايات تجرى مع "أبي محمد الوزير المهلبى" لا مع "فخر الملك"، و لكن الوزير "المهلبى" مات قبل أن يخلق المرتضى بثلاث سنوات أو أربع.(٦) ٣ - و يدخل في باب المفارقات ما يورد للسيد و عنه بحسن نيه، و بقصد التنويه بذكره، و لكنه يخرج به عن خلقه المعروف به، أو عن الخلق الإنساني السوى العام. فمن الشائع في الأوساط الخاصه لرجال المذهب الشيعي، و الوارد في بعض المصادر(٧) أن السيد الرضى حين أسمع أخاه المرتضى قصيدته في رثاء "أبي إسحاق الصابى":

أ علمت من حملوا على الأعواد أ رأيت كيف خبا ضياء النادى

و فيها قوله:

إن لم تكن من أسرتي و عشيرتي فلأنت أعلقهم يدا بودادي

الفضل ناسب بيننا ان لم يكن شرفي مناسبه و لا ميلادي

غضب المرتضى - لمكانه أخيه من النسب و الدين و قال له مستخفا "بالصابي": حملوا كلبا.

يريدون بما أوردوا أن يزهوا مقام رجل الدين المسلم عن رثاء رجل ذمي، ناسين أن جواب "المرتضى" إن صح يتنافى مع الخلق الرفيع، الذي يجب أن يتحلى به رجل كالمرتضى.

ولكني وجدت الشريف "المرتضى" نفسه يرثي "أبا إسحاق الصابي" رثاء لا يقل تقديرا و أسي عن رثاء "الرضي" له، و وجدت بين "المرتضى" و "أبي إسحاق" من تبادل العواطف و الإخاء ما يدل على أن الأخوات و الصداقات لا يحول دونها اختلاف في منسب أو مذهب، و إن الرجل ما كان يحول مقامه الديني من أن يتغنى باخاء رجل "كأبي إسحاق" و أن يرثيه:

ما كان يومك يا أبا إسحاق إلا وداعي للمنى و فراقى

لو لا حمامك ما اهتدى هم إلى قلبى و لا نار إلى إحراقى

و سلبت منك أجل شطرى عيشتى و فجعت منك بأنفس الأعلاق

لما رأيتك فوق صهوه شرجه بيد المنايا أظلمت آفاقى

و كأنتى من بعد ثكلك ذو يد جذاء أو غصن بلا إبراق

و موده بين الرجال تضمهم و تلفهم خير من الأعراق

من ذا نضا عنا شعار جمالنا و رومى هلال سماننا بمحاق؟

(٨) بل رأيت "المرتضى" يجرى إلى أكثر من هذا فيمدح "هلال بن المحسن الصابي" و هو حفيد "أبي إسحاق" بأبيات فيها:

و قول زارنى فوددت أنى و قيت بمهجتى من كان قاله

(٩)

ذكرت به الصابى و الغوانى و أيام الشبيه و البطاله

و كيف ألوم أما لمت دهرا ضللت به فاطلع لى هلاله

غفرت به ذنوب الدهر لما أتى كفى و أعلقها وصاله

و ما أنا مصطفى إلا خليلا رضيت على تجاربه خلالله

ص: ٢٨٦

- ١- الديوان ج ٢ ص ٨٥.
- ٢- الديوان ج ٢ ص ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ٨٧ و ج ٣ ص ٣، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٩، ٢١، ٨٩.
- ٣- الديوان ج ٣ ص ٩٩.
- ٤- انظر مقدمه ديوان الرضى طبع بيروت.
- ٥- روضات الجنان ج ٢ ص ٥٧٥ طبع إيران.
- ٦- المنتظم حوادث ٣٥١ و تجارب الأمم حوادث ٣٥٢.
- ٧- الشريف الرضى للدكتور محفوظ طبع بيروت سنة ١٩٤٤.
- ٨- الديوان ج ٣ ص ٨٣.
- ٩- الديوان ج ٣ ص ٨١، ٨٢ قالها المرتضى جوابا "لهلال ابن المحسن" عن قصيده أرسلها للمرتضى و فيها يقول هلال بن المحسن: أ سيدنا الشريف علوت عزاتضاف إليك أوصاف الجلاله لأنك أ و احد و الناس دونو من يسمو لمجدك لن يناله و لى أمل سادركه و شيكابعون الله فيك بلا محاله و ليس على موالاتى مزيدلأنى لم أرثها عن كلاله

و هي طويله قبست منها موضع الحاجه.

٤ - و قد رمى الشريف بالبخل فى أحد المصادر القديمه و عنه نقلت المصادر المتاخره ذلك. جاء فى "عمده الطالب": "و كان المرتضى يبخل، و لما مات خلف مالا كثيرا، و خزائنه اشتملت على ثمانين ألف مجلد، و لم أسمع مثل ذلك.(١).

إن صفتى البخل و الكرم يختلف فيها عرف عن عرف، و ليس لمدلولها حد معين و بخاصه فيما تعارف عليه العرب من تقدير الصفتين فان أريد بهذه العبارة اتهام الشريف بالتخلى عن واجباته الاجتماعيه و بتقثيره على نفسه أو أسرته أو إخوانه فى سبيل التوفر على جمع المال و اختزانه فذلك ما لم يثبت من سيرته، إذ قد عرف بالسعه فيما توجه منزلته: من الظهور بمظهر الغنى و البسطه، و من إعطاء الجرايات الشهريه لأفاضل مدرسته و أصدقائه، و من حبسه قريه على كاغد الفقراء، و إهدائه الهدايا الجسام لزعماء القبائل حين يجتاز الباديه إلى مكه.

و إن أريد بالبخل عدم الأخذ بأساليب الأجواد من كرام الأشراف الأمراء و الخلفاء، و ذلك بالإنفاق فى إسراف على الشعراء، و بخل الخلع للمادحين لهم و بالعطاء المتسع لكل مجتد و طالب، حتى ينتقل الثرى منهم - ما لم يكن وهايا نهايا - بين عشيه و ضحاها من غنى إلى فقر، و من ثراء إلى عدم، فذلك ما كان الشريف حقا عليه. و لكن هذا ليس بالصفه التى يعاب بها رجل العلم و الدين.

لو كان الشريف من الأجواد لتسابق شعراء العصر إلى امتداحه، و لتزاحموا على بابه، و لديهم أكثر من سبب للقول فيه، و التغنى بامجاده، و لكنهم كانوا نزرى القول فيه على كثره المناسبات.

هذا "مهيار الديلمى" لم يحفل ديوانه الكبير بغير قصيده واحده فى مدح الشريف، و القصيده نفسها - على ما احتوت من إطراء - لا تخلو من تشريب على التباطؤ عن إنجاز وعد كان الشريف وعده إياه، بل هى قيلت تذكيرا بوعد لم ينجز:

"أبا القاسم" استمتع بها نبويه تراجع عنها الناس فيما توغلوا

محاسن إن سارت فقد سار كوكب بذكرك، أو طارت فقد طار أجدل

تحدث عنها الناطقون و أصبحت بها العيس تحدى و السوابق تصهل

سما للعلی قوم سواك فلم تنل سماؤك، حتما أن باعك أطول

أ لست من القوم استخفت سيوفهم رقاب عدا كانت على الموت تثقل!

تؤدى فروض الشعر - ما قيل فيكم - و فى الناس أما جازكم يتنفل

نحس من آثاركم و علاكم و نسب من أحلامكم و نغزل

لك الخير! ظنى فى اعتلاقك عاذرى فلا تتركن - يا حر - وعدك يعذل لعمري!

و بعض الريث خير مغبه و لكن حساب الناس لى فيك أعجل

تشبث بها أكرومه فى إنها كتاب يوفى فى يديك مسجل

فو الله ما أدرى! هل الدهر عارف بفضلك إلهاما أم الدهر يغفل؟

(٢) و من القصص الطريف الذى يراد به الدلاله على ذكاء المرتضى المفرط، أو ذكاء من يكون طرفا ثانيا للمرتضى، و لكنه بما يحاط به من تزييد أو مغالاه، يحيله إلى ما يعود على خلق "المرتضى" بأذى و تخديش، لو قبلناهما لتناقضا كثيرا مع الخلق المعروف عن الرجل، و مع الظروف التى تلايسه. فقد روى أن "أبا العلاء" يوم ورد على "بغداد" كان ملازما لمجلسه و أنه - أعنى أبا العلاء - كان يتعصب "للمتنبي"، و يفضله على غيره من الشعراء، على حين كان الشريف ينتقصه، و يورد معايب فى شعره، فقال "المعري" يوما: لو لم يكن "للمتنبي" إلا قوله:

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت و هن منك أو اهل

لكفاه فضلا. فغضب المرتضى " و أمر بإخراجه من مجلسه، و تزييد بعض الروايات على ذلك فتقول: فسحب برجله و أخرج ثم قال لمن حضر:

أ تدرين أى شىء أراد بذكر هذه القصيده، فان "للمتنبي" أجود منها و لم يذكرها. إنما أراد قوله:

و إذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهاده لى بانى كامل

إننا ننكر هذا، لأننا لم نشهد فى كل ما كتب "أبو العلاء" تعريضا بالمرتضى، و لا فى جملة ما كتب "المرتضى" انتقاصا "لأبى العلاء"، بل وجدنا غير ذلك. وجدنا أبا العلاء - الطريد فى مجلس "الشريف" على زعم الأخباريين - بعد تسعه أعوام من عودته إلى المعره لا ينسى فضل هذا البيت، و لا فضل الشريفين خاصه، فيبعث إليهما عند وفاه والدهما "أبى أحمد" مواسيا معزيا، بقصيده من غرر ما فى ديوانه - سقط الزند -، و لا يفوته أن يستطرد إلى مدح "المرتضى" و ولده بما يدل على كرم شيم، و نبل نفس، و أن يستجد عذرا له مما قدم من شعره فى التعزیه هو دون أهل هذا البيت مقاما و منزله:

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف و عنبر المستاف

الطاهر الآباء و الأبناء و الآراب و الأثواب و الآلاف

و لقيت ربك فاسترد لك الهدى ما نالت الأيام بالإتلاف

و سقاك أمواه الحياه مخلدا و كساك شرخ شبابك الأفواف

أبقيت فينا كوكبين سناهما فى الصبح و الظلماء لى بخافى

قدرين فى الارداء بل مطرين فى الاجداء بل قمرين فى الاسداف

رزقا العلاء فأهل نجد كلما نطقا الفصاحه مثل أهل ديارف

ساوى " الرضى " " المرتضى " و تقاسما خطط العلى بتناصف و تصافى

حلفا ندى سبقا و صلى المرضى فىا لثلاثه أحلاف(٣)

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء و الأشراف

و الراح إن قيل ابنه العنب اكتفت باب عن الأسماء و الأوصاف(٤)

ما زاغ بيتكم الرفيع و إنما بالوجد أدركه خفى زحاف

و يخال " موسى " (٥)جدكم لجلاله فى النفس صاحب " سوره الأعراف "

يا مالكى سرح القريض أتنكما منى حموله مستين عجاف

لا تعرف الورق اللجين و إن تسل تخبر عن القلام و الخذرافم.

ص: ٢٨٧

١- رياض العلماء ص ٤٧١ و روضات الجنات ترجمه المرتضى

٢- ديوان مهيار الديلمى ج ٣ ص ١١.

٣- سقط الزند ج ٣ ص ٦٢ ط بولاق قال الشارح: الأظهر المرضى: هو ابن للمرتضى.

٤- فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٧٥ ط مصر. قال الصفدى: ما عزى كبير بذهاب سلف بمثل هذا البيت.

٥- يريد الامام موسى بن جعفر الكاظم.

و أنا الذى أهدي أقل بهاره حسنا لأحسن روضه مثناف

أوضعت فى طرق التشرف ساميا بكما و لم أسلك طريق العافى(١)

و أدل من هذا كله على ما لأبى العلاء من إعجاب بالشريف، و ذكرى حسنه لأيام إقامته فى بغداد، لم تنقص باذلال و إهانته ما روى من أن أبا العلاء سئل عن "المرتضى" بعد عودته من العراق فقال:

يا سائلى عنه فيما جئت تسأله ألا هو الرجل العارى من العار

لو جئته لرأيت الناس فى رجل و الدهر فى ساعه و الأرض فى دار(٢)

و مما يتصل بذلك المرتضى أو بإلحاد أبى العلاء - فى نظر من يذهب إلى أنه من الملاحده - ما يروى:

اعترض "المعري" يوما على المرتضى بمجلسه ببغداد فى حد السارق المقرر فى الشريعة فأنشأ يقول - بمقتضى إلحاده -:

يد بخمس مئين عسجد و ديت ما بالها قطعت يوما بدينار

تناقض ما لنا إلا السكوت له و أن نعوذ بمولانا من النار

فأجابه المرتضى على الفور:

عز الأمانه أغلاها و أرخصها ذل الخيانه فانظر حكمه البارى(٣)

و مما يورد فى كتب التوحيد أو فى ترجمه "أبى العلاء" للتدليل على كفره و إلحاده ما ورد فى كتاب الاحتجاج للطبرسى روايه عن الشيخ سليمان الصهرشتى:

دخل أبو العلاء على السيد المرتضى فقال أيها السيد:

ما قولك فى الكل؟ قال السيد: ما قولك فى الجزء؟ فقال ما قولك فى الشعرى؟ فقال السيد: ما قولك فى التدوير؟ فقال ما قولك فى عدم الانتهاء؟ فقال السيد: ما قولك فى التحير و الناعوره؟ فقال ما قولك فى السبع؟ فقال السيد: ما قولك فى الزائد البرى على السبع؟ فقال ما قولك فى الأربع؟ فقال السيد: ما قولك فى الواحد و الاثنين؟ فقال ما قولك فى المؤثر؟ فقال السيد: ما قولك فى المؤثرات؟ فقال ما قولك فى النحسين؟ فقال السيد: ما قولك فى السعدين؟ فبهت أبو العلاء فقال المرتضى: ألا كل ملحد ملهد، فقال أبو العلاء من أين أخذته؟ قال "المرتضى" من كتاب الله عز و جل: (يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

ثم قام و خرج فقال السيد: قد غاب عنا الرجل و بعد هذا لا يرانا.

فسئل السيد عن شرح هذه الرومز [الرموز] فقال:

سالني عن الكل و عنده الكل قديم، و بشير [يشير] بذلك إلى عالم سماه العالم الكبير، فقال: ما قولك في ذلك؟ فأجبت عن ذلك و قلت: ما قولك في الجزء؟ لأن الجزء عندهم محدث و هو المتولد عن العالم الكبير، و هذا الجزء هو العالم الصغير عندهم، فكان مرادى بذلك: إنه إذا صح أن هذا العالم محدث، فذاك الذى أشار إليه إن صح فهو محدث أيضا، لأن هذا من جنسه على زعمه، و الشيء الواحد واحد، و الجنس الواحد واحد لا يكون بعضه قديما و بعضه محدثا. فسكت.

أما الشعرى أراد أنها ليست من السياره، فقلت له: ما قولك في التدوير؟ أردت أن الفلك في التدوير و الدوران بالشعرى.

و أما عدم الانتهاء أراد بذلك أن العالم لا ينتهى لأنه قديم، فقلت له:

قد صح عندى التحير و التدوير، و كلاهما يدلان على الانتهاء.

و أما السبع، أراد بها السيارات التى هى عندهم ذوات الأحكام، فقلت له: هذا باطل بالزائد البرى الذى لا يكون منوطا بهذه السبع.

و أما الأربع أراد بها الطبائع، فقلت له: ما قولك في الطبيعه الواحده الناريه، يتولد منها دابه بجلدها تمس الأيدى، ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات و يبقى هو صحيحا، لأن الدابه خلقها الله على طبيعه النار، و النار لا تحرق النار، و البلح أيضا يتولد منه الديدان و هو على طبيعه واحده، و الماء فى البحر على طبيعتين يتولد منه السموك و الضفادع و الحيات و السلاحف و غيرها. و عنده لا يحصل الحيوان إلا بالأربع.

و أما المؤثر، أراد به زحل، فقلت: ما قولك في المؤثرات، أردت بذلك أن كلهن عنده مؤثرات، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثرا.

و أما النحسان، أراد أنهما من السياره إذا اجتماعا يخرج من بينهما سعد، فقلت له: ما قولك في السعدين إذا اجتماعا يخرج من بينهما نحس.

هذا حكم أبطله الله، ليعلم الناظر أن الأحكام لا تتعلق بالمسخرات، لأن المشاهد يشهد على أن العسل و السكر إذا اجتماعا لا يحصل منهما الحنظل، و الحنظل و العلقم إذا اجتماعا لا يحصل منهما الدبس و السكر. هذا دليل على بطلان قولهم.

و أما قولى ألا كل ملحد ملهد، أردت أن كل مشرك ظالم، لأن فى اللغه أُلحد الرجل: إذا عدل عن الدين، و أُلهد: إذا ظلم، فعلم "أبو العلاء" ذلك، و استخبرنى عن علمى به، فقرأت الآية. (٤)

هذه المحاوره سيقى للتدليل على إلحاد "أبى العلاء" فى ضمن الكتب الكلاميه المعنيه بهذه القضايا، و مع أنه لا يوجد ما يمنع من وقوع هذه المحاوره لمشاركه الرجلين فى الدراسات الفلكيه (٥) و لأن الحوار جرى فيها بأسلوب مهذب، لكننى غير مطمئن إلى صحه نسبتها، لأنها لم ترد ضمن فهرست كتبه الذى احتوى مؤلفاته جميعا و بخاصه ما ألفه قبل تاريخ إجازة الفهرست و هذا منها.

و من الطرائف التي تساق في كتب الأدب: ".

ص: ٢٨٨

١- سقط الزند ص ١٢٦٤-١٣٢٠ ط دار الكتب.

٢- روضات الجنات ج ١ ص ٧٤.

٣- نسب الصفدى فى شرح لاميه بالعجم ج ١ ص ٧٣ ط المطبعه الوطنيه. هذا البيت لعلم الدين السخاوى.

٤- روضات الجنات ج ١ ص ٧٤ ط إيران نقلا- عن كتاب الاحتجاج للطبرسى، و مجموعه آغا بزرك المخطوطه ص ٣١ روايه

عن الشيخ سليمان الصهرشتى، و رياض العلماء مخطوط ص ٤٧٣ و من المقارنه بين النسخ ظهر لى بعض الاختلاف فى النص.

٥- كان من بين معارف المرتضى علم الفلك، و كان يحضر درسه فى هذا الفن عدد من غير المسلمين. انظر "رياض العلماء"

ص ٤١٣ نقلا عن خط الشيخ البهائى عن خط "الشهيد".

أن المرتضى أطل يوما من روشنه، فرأى "ابن المطرز" الشاعر وقد انقطعت شراك نعله و هو يصلحه فقال: قدت ركائبك: أشار إلى قصيدته التي أولها:

سرى مغرما بالعيس ينتجع الركبا يسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا

على عذابات الجزع من ماء "تغلب" غزال يرى ماء القلوب له شربا

إذا لم تبلغنى إليكم ركائبى فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فقال له "ابن المطرز" مسرعا:

أ تراها ما تشبه مجلسك و شربك و خلحك؟ يريد بذلك أبيات المرتضى:

يا خليلي من ذؤابه قيس فى التصابى مكارم الأخلاق

غنيانى بذكرهم تطربانى و اسقيانى دمعى بكأس دهاق

و خذا النوم من جفونى فانى قد خلعت الكرى على العشاق(1)

حكى "أبو الحسن العمري" (2) قال: دخلت على الشريف "و [] المرتضى"، فارانى بيتين قد عملهما و هما:

سرى طيف "سعدى" طارقا فاستفزنى هبوا و صحبى بالفلاه هجود

فقلت لفسى عاودى النوم و اهجعى لعل خيالا طارقا سيعود

فخرجت من عنده، و دخلت على أخيه "الرضى"، فعرضت عليه البيتين فقال بديها:

فردت جوابا و الدموع بوادر و قد آن للشمل المشت ورود

فهيها من لقايا حبيب تعرضت لنا دون لقايا مهامه بيد

فعدت إلى المرتضى بالخبر فقال: يعز على، أخى قتله الذكاء، فما كان إلا يسير حتى مضى "الرضى" لسبيله.(3)

و من الغفلات غير المقصوده أن ظن بعض الناس، أن القصيده "التتريه" المشهوره، توجه بها شاعرها "أحمد بن منير الطرابلسى" إلى الشريف المرتضى "علم الهدى" فى حين أن الشاعر "ابن منير" ولد بعد وفاه المرتضى بنحو سبعة و ثلاثين عاما.

و الواقع أنها مرسله إلى شريف موسى آخر كان يلقب بالمرتضى، و لكنه يسكن بلاد الشام لا بغداد كما يظهر من فحوى

القصيدہ (۴)

و مما استحسن الناقدون من شعره فيما أورده ابن خلكان: (۵)

بینی و بین عواذلی فی الحب أطراف الرماح

أنا خارجی فی الهوی لا حکم إلا للملاح

و قوله:

مولای یا بدر کل داجیه خذ بیدی قد وقعت فی اللجج

حسنک ما تنقضى عجائبه كالبحر حدث عنه بلا حرج

بحق من خط عارضیک و من سلط سلطانها علی المهج

مد یدیک الکریمتین معی ثم ادع لی من هواک بالفرج (۶)

و قوله:

قل لمن خده من اللحظ دامی رق لی من جوانح فیک تدمی

یا سقیم الجفون من غیر سقم لا تلمنی إن مت فیهن سقما

أنا خاطرت فی هواک بقلب ركب البحر فیک إما و إما

و مما عده صاحب "أنوار الربیع" (۷) مطربا مرقصا قوله:

أحب ثری نجد و نجد بعبده ألا حبذا نجد و إن لم تفد قریبا

يقولون نجد لست من شعب أهلها و قد صدقوا لکننی منهم حبا

کانی و قد فارقت نجدا شقاوه فتی ضل عنه قلبه ینشد القلبیا (۸)

و قوله:

ضن عنی بالزرر إذ أنا یقظان و أعطی کثیره فی المنام

و التقینا کما اشتھینا و لا عیب سوى أن ذاک فی الأحلام

و إذا كانت الملاقاه ليلا فالليالى خير من الأيام

و قوله:

و لما تفرقنا كما شاءت النوى تيين ود خالص و تودد
كانى و قد سار الخليط عشيه أخو جنه مما أقوم و أقعد

و قوله:

قل للذين على مواعدهم لنا خلف و مطل
كم ضامنى من لا أضمم و ملنى من لا أمل
يا عاذلا لملامه كل على سمعى و ثقل
إن كنت تامر بالسلو فقل لقلبي كيف يسلو؟
قلبي رهين فى الهوى إن كان قلبك منه يخلو
و لقد علمت على الهوى أن الهوى سقم و ذل
و تعجبت "جمل" لشيب مفارقى و تشيب "جمل"
و رأت بياضا فى سواد ما رأته هناك قبل (٩)
كذباله رفعت على الهضبات للسايرين صلوا(١٠)

منزلته الاجتماعيه

كان المجتمع الأرسقراطى البغدادى فى القرن الرابع ينقسم إلى طبقات: طبقه تعتر بشرفها و نسبها و دمها، كالعلوين و العباسيين و البويهيين و المهلبين، فطبقه تعتر بمناصبها فى الدوله كالوزراء و القاده و رؤساء الدواوين، فطبقه تعتر بعلمها و دينها و أدبها كرجال المذاهب من فقهاء و متكلمين، و كرجال الأدب من ناشرين و شاعرين.٦.

ص: ٢٨٩

١- روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٧ نقلا عن الوافى فى الوفيات، و ابن خلكان ج ٣ ص ٤ ط النهضه المصريه، و انظر تتمه اليتيميه ط طهران سنه ١٣٥٣ هـ تجد أبيات ابن المطرز، و الغيث المنسجم للصفدى ج ١ ص ٣٥٠ ط مصر، و "أنوار الربيع" ص ٤٨١.

- ٢- لعله يريد الشريف أبا الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العمري النسابة المعروف بابن الصوفي صاحب كتاب "المجدي في أنساب الطالبين" و هو معاصر للمرتضى و ملحق به. انظر "رياض العلماء" ص ٤٤٦، ٤٧٥.
- ٣- أنوار الربيع ص ٤٨٤ ط طهران.
- ٤- انظر القصيده "التتريه" و ترجمه ابن منير في أعيان الشيعة.
- ٥- ابن خلكان ج ٣ ص ٤، ٥ ط مكتبه النهضه نقلا عن كتاب "جنان الجنان" و "رياض الأذهان".
- ٦- أنوار الربيع ص ٤٨١: مد يدك الكريمتين معا.
- ٧- أنوار الربيع ص ٤٨١-٤٨٤.
- ٨- الديوان ج ١ ص ٦٠: ضل عنه قلبه بيتغى قلبا.
- ٩- الشيب و الشباب ص ٦٨: و رأيت بياضا ما رأتهندا هناك سواه قبل
- ١٠- الديوان ج ٢ ص ٦٦.

من هذه الطبقات يتألف المجتمع الأرستقراطي المتنعم بخير البلاد و بمواردها و مناصبها.

و المفروض فى رجل كالشريف "المرتضى" أن يصيب مركزا اجتماعيا مرموقا ما دام العصر طبقيا، و ما دامت الأرستقراطية تحيط به من كل جهاته: النسب العلوى القصير الصاعد به عن طريق أبيه إلى الامام موسى الكاظم (ع) سابع أئمه الشيعة، و الدم الثائر المالك الواصل به عن طريق أمه إلى الحسن الأطروش الكبير، صاحب الديلم و طبرستان، و القرشي الصريحه الدانيه فى قرباها من رسول الله (ص) عن طريق ابنته فاطمه، و هى قريى طالما اعتزوا بها على الخلفاء من بنى العباس، ثم الخثوله - " بنى بويه" عن طريقه أمه، و كانوا ملوك العصر، و سادات المجتمع فى ذلك الحين.

فالمناصب فى الدوله و قد كان أبواه لأمه و أبيه نقباء، و أمراء حج، و ولاء مظالم، و سفراء و ملوك، فالزعامة المذهبيه و العلميه، و قد كان رئيس الشيعة و فقيهم، و عالم الحاضره العباسيه، و أحد أدبائها المبرزين. كل هذه الروافد الأرستقراطية كانت تفيض على " الشريف" بالجاه و المنعه، و تمده بوسائل الإعزاز و الإكرام.

بدأ الشريف "المرتضى" يبرز للمجتمع البغدادى فى حياه أبيه " أبى أحمد"، إذ عين نائبا عنه فى نقابه الطالبين، و النظر فى المظالم، و إماره الحج و هو شاب فتى لم يتجاوز خمس و عشرين عاما.

جاء فى المنتظم حوادث: فمن الحوادث فيها أنه قلد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوى نقابه الطالبين، و النظر فى المظالم، و إماره الحج و كتب عهده على جميع ذلك و استخلف له ولداه: "المرتضى أبو القاسم" و "الرضى أبو الحسن"، و خلع عليهما من دار الخلافه.

و لندرك خطر هذه الوظائف الدينيه و الاداريه يحسن الرجوع إلى ما كتبه "الماوردى" المعاصر للمرتضى فى كتابه "الأحكام السلطانيه":

" هذه النقابه موضوعه على صيانه ذوى الأنساب الشريفه عن ولايه من لا يكافئهم فى النسب، و لا يساويهم فى الشرف، يختار لها من هو أجلهم بيتا، و أكثرهم فضلا، و أجزلهم رأيا، و هى عامه و خاصه".

أما الخاصه: فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابه من غير تجاوز لها إلى حكم، و إقامة حد. و يلزمه على أهله من حقوق النظر: حفظ أنسابهم من داخل عليها أو خارج منها، و تمييز بطونهم، و معرفه أنسابهم، و تسجيل ذلك فى ثبت، و أخذهم بالأدب، و تنزيههم عن المكاسب الدينيه، و كفهم عن ارتكاب المآثم و المحارم، و منعهم من التسلط على العامه، و عونهم على اكتساب حقوقهم، و أخذ الحقوق منهم، و النيايه عنهم فى المطالبه بحقوقهم من الفىء و الغنيمه، و منع أياماهم أن يتزوجن إلا- من الأكفاء، و رعايه و قوفهم، بحفظ أصولها، و تنميه فروعها، و رعايه قسمتها بين مستحقيها.

و أما العامه: فيضاف إليها أشياء: الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه، و الولايه على أيتامهم فيما ملكوه، و إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوها، و تزويج الأيامى اللاتى لا يتعين أولياؤهن، أو تعينوا فهجروهن، و إيقاع الحجر على من به عته أو سفه.

يشترط فى النقابه العامه أن يكون عالما من أهل الاجتهاد، ليصح حكمه و ينفذ قضاؤه. (1) G 15 G و هناك تفصيلات أخرى

يحسن بمن يبغي الاستزاده من خصائصها الرجوع إلى الكتاب المذكور و ينبغي أن يلاحظ أن نقابه المرتضى - كما سيأتي - كانت عامه.

أما إماره الحج فهي على ضربين - بحسب ما أورده "الماوردي" أيضا :-

أحدهما: أن تكون على تسيير الحج، و الثاني: أن تكون على إقامة الحج.

فاما تسيير الحج فهي ولاية سياسه، و زعامه تدبير، و يشترط فيها أن يكون أميرها مطاعا، ذا رأى و شجاعه، و هيبه و هدايه. و له واجبات، و عليه تبعات فصلها "الماوردي".

و أما الولاية على إقامة الحج فيكون صاحبها بمنزله الامام.(٢) و لها شروط و أحكام.

و أما ولاية المظالم: فهي ولاية تشريعيه و تنفيذيه، و مهمتها قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبه، و زجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبه، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبه، ظاهر العفه، قليل الطمع، كثير الورع". و لها سلطات قضائيه كثيره استعرضها صاحب "الأحكام السلطانيه".(٣)

و يحسن أن يلاحظ أن السيد الشريف شغل هذه المناصب الخطيره أصاله منذ عام ٤٠٦ - ٤٣٦ هـ.

و في عام ٣٩٧ ورد كتاب من الملك "بهاء الدوله" بتلقيبه ب "ذى المجدين".(٤)

و كان ممن يدعى في أكثر المناسبات السياسيه، و يعتد التاريخ بتسجيل حضوره في هذه المناسبات، فمما ذكر أنه انحدر و أخوه و جماعه من أعيان المجتمع البغدادي لاستقبال بعض الملوك القادمين على بغداد(٥) و يوم أن قلد نقابه الطالبين أصاله، و كان ذلك عام ٤٠٦ قرئ عهده في الدار الملكيه، و حضر "فخر الملك" و الأشراف و القضاة و الفقهاء، و كان في العهد: هذا ما عاهد "عبد الله أبو العباس أحمد الامام القادر بالله أمير المؤمنين" إلى "على بن موسى العلوي" حين قربته إليه الأنساب الزكيه، و قدمته إليه الأسباب القويه، و استظل معه باغصان الدوحه الكريمه، و اختص عنده بوسائل الحرمة الوكيده، و قلد الحج و النقابه و أمره بتقوى الله. (٢) و لقد سجل التاريخ أن الشريف كان أول المبايعين للقائم بأمر الله، و في هذا التنصيص المجمع عليه ما يشير إلى خطر تقدمه في المبايعه.

و تجاوز مقام الرجل الاجتماعى هذا الحد، و بلغ أن أصبح بيته حرما .

ص: ٢٩٠

١- الأحكام السلطانيه ص ١٦٤ ط بون ١٨٥٣.

٢- الأحكام السلطانيه ص ١٨٥ ط بون.

٣- نفس المصدر ص ١٨٠.

٤- المنتظم حوادث .

٥- ابن الأثير، المنتظم حوادث .

يلجا إليه الملك "البويهى" و وزراؤه حين يشور الجند عليه. جاء فى ابن الأثير حوادث :

فى هذه السنه من "رمضان" [٤٢٤] شغب الجند على جلال الدوله، و قبضوا عليه و أخرجوه من دار المملكه، فنقل ولده و حرمه و ما بقى له إلى الجانب الغربى، و عبر هو فى الليل إلى الكرخ، فلقبه أهل الكرخ بالدعاء، فنزل بدار "المرتضى" - بدر جميل -، و عبر الوزير "أبو القاسم" بعبوره، فنزل فى دار تجاوره، و لم يعد إلى دار الملك إلا بعد مفاوضات قام بها "المرتضى".

و جاء فى "الكامل" حوادث :

"فى هذه السنه ثار الجند ببغداد "بجلال الدوله"، و أرادوا إخراجهم، فاستنظروهم ثلاثه أيام، فلم ينظروه، و رموه بالآجر، و اجتمع الغلمان فردوهم، فخرج من باب لطيف فى "سماريه" متنكرا، و صعد راجلا منها إلى دار "المرتضى" بالكرخ، و منها خرج إلى "تكريت" فأرسل الخليفه إليه، و قرر أمر الجند، و أعاده إلى بغداد".

و لا أريد أن أستطرد أكثر من هذا فى عرض منزلته الاجتماعيه و بحسبى من ذلك أن أقول: إنه كان مرجعا مهما فى الأحداث السياسيه، يلجا إليه الملك و الخليفه و السلطه العامه. (١)

و هكذا نجده طوال عمره الطويل من أبرز الشخصيات فى المجتمع البغدادى، محافظا بتسام على مركزه، من دون ذبذبه أو انتقاص، على حين لم يسلم لأحد من رجال الجاه و السلطان - حتى الخلفاء - حال "من غير تبديل و تحويل. و لقد تعرضت داره للأذى ثلاث مرات من قبل العيارين، سجلها التاريخ فى أحداث عام ٤١٦، ، و كان أهمها ما وقع فى التاريخ الأول، فقد تعرضت دار "المرتضى" على "الصراه" لغاره من قبل "العيارين" شنوها على البيوت الآمنه، فاحترقت داره، و هدم هو باقيها، و انتقل منها إلى دار فى "درب جميل". (٢)

و فى أثناء الحمله أنفذ الملك "شرف الدوله" ابن "بهاء الدوله" جميع غلمان داره من الأتراك لحمايتها و حفظ ما فيها. (٣) و لم يعد إليها الشريف إلا بعد إعادته عمارتها، و بعد أن خرج توقيع الخليفه بذهاب قاده الجيش و الوجوه إلى بيته، فمشوا مهطعين بين يديه، و هم ينشدون الأهازيج فى مدحه و الثناء عليه. و كان صنيع الخليفه هذا مما سارت به الركبان، و تناقلته الرواه.

و يبدو من جمله (٤) حاله أنه كان على جانب من اليسر و الثراء، قل أن نعم به رجال الدين و الأدب و العلم من معاصريه، فمع اليسر الذى كان يعيش فيه أيام أبيه، و مع ما يظهر من أنه و أخاه الرضى - أيام خلفا أباهما على إماره الحج - دفعا من مالها الخاص فى سبيل سلامه الحاج تسعه آلاف دينار، للأعراب الذين يقطعون الطريق، (٥) و مع أن أباه كان ذا أملاك و وقف بعضها على البر، فان حال المرتضى تبدو أوسع ثراء من ذلك كثيرا، فقد روى عن "يحيى بن الحسين العلوى الزيدى" أنه يدخل على السيد من أملاكه كل سنه أربعة و عشرون ألف دينار، (٦) و روى عن القاضى التنوخى: أن المرتضى خلف من الأملاك ما يتجاوز الوصف، و أن قرى السيد و ضياعه كانت ثمانين قرية، واقعه بين بغداد و كربلاء، (٧) و كانت معموره للغايه. و فى وصف عمارتها قيل: إنها تقع على نهر من شعب "الفرات"، تعمل فيه السفائن الماره فيه، فإذا كان موسم الثمار كانت السفائن الماره فيه تمتلئ من سقطات تلك الأشجار، الواقعه على حافتى النهر، و كان الناس يتناولون منها من دون مانع أو محاجز، (٨) و أنه كان له طلاب و مدرسه يجرى عليها و عليهم الأرزاق، فقد يبلغ راتب طالبها اثنى عشر دينارا، أو ثمانيه دنانير كل شهر، و أن بعض

الفقراء من غير المسلمين كان يدرس عليه علم الفلك بقصد التوفر على هذا الراتب،(٩) و أنه وقف قريه على كاغد الفقراء،(١٠) فإذا أضفنا إلى ذلك أنه خلف من الكتب ثمانين ألف مجلده(١١) من مقروءاته و مصنفاته و محفوظاته أدركنا مدى اليسر الذى نعم به.

و تحسن الإشاره هنا إلى أننى لم أقرأ فيما قرأت أن أحدا من الناس وهب له، أو أقطعه هذه الثروه العريضه الواسعه، أو أن "المرتضى" صادرها من أحد، أو أن شخصا شكاه فى ظلا، كما أن ثروته لم تعرض يوما للمصادره - و ما أكثر المصادرات فى تلك الأيام من جانب الخلفاء و الملوك - و قد صودرت أموال أبيه على جليل قدره.

و أدل ما تدل عليه هذه الثروه الضخمه هو سلامه جمعها من مواردها المشروعه، و أنها ضرب من ضروب ثرائه الذهنى، فقد سمى بالثمانينى - لأنه ألف ثمانين مؤلفا، و عاش ثمانين عاما، و ملك ثمانين قريه، كما تدل على مرونيه مسلكه الاجتماعى، و لو لا مرونته و حسن تأتية لمواجهه ما يحدث لأمثاله من مصادره الأموال بالحق و بالباطل فى ذلك العصر لما استطاع أن يبقى عليها سليمه طوال أيا [أيام] حياته.

أساتذته

عد المؤرخون جماعه من أعلام القرن الرابع لفتون مختلفه تلمذ لهم "المرتضى" أو روى عنهم، فمن أساتذته:

١ - "عبد الرحيم بن نباته الخطيب" المتوفى سنه ٣٧٤، تلمذ له المرتضى و أخوه الرضى و هما طفلان.

٢ - أبو عبد الله "محمد بن النعمان" المعروف بالمفيد و ب "ابن المعلم" ٣٣٦ - ٤١٣.

٣ - "محمد بن عمران" الكاتب المعروف بالمرزبانى المتوفى ٣٨٤.

و كان أكثر ما روى المرتضى فى أماليه عن "المرزبانى".

٤ - "الحسين بن على بن يوسف الوزير المغربى" ٣٧٠ - ٤١٨.

و له ألف "المرتضى" رسالته "الولايه من قبل الظالمين".

ص: ٢٩١

١- انظر المنتظم حوادث ، حوادث ، و ديوان المرتضى ج ٥ ص ١٦ نسخه السماوى.

٢- المنتظم حوادث .

٣- الديوان ج ٥ ص ١٣.

٤- الديوان ج ٥ ص ١٦.

٥- المنتظم حوادث ، و روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣.

٦- معجم الأدياء ج ٥ ص ١٧٧ ط بون.

٧- رياض العلماء ص ٤٧١.

٨- رياض العلماء ص ٤٤٦ ترجمه ابن البراج.

٩- رياض العلماء ترجمه الشيخ الطوسى و ابن البراج.

١٠- روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣.

١١- روضات الجنات: قال الثعالبي أنها قومت بثلاثين ألف دينار بعد أن أهدي إلى الرؤساء و الوزراء منها شطرا عظيما، و انظر مجالس المؤمنين بالفارسيه ترجمه المرتضى.

٥ - أبو الحسن "علي بن حبش الكاتب".

٦ - "سهل بن أحمد الديباجي".

٧ - "الحسين بن علي بن بابويه القمي" أخو "الشيخ الصدوق"، يروى عنه "المرتضى" بلا واسطه.

هذا و للمرتضى أساتذه آخرون، عبرت بهم أثناء قراءتى لكتب الرجال و بخاصه كتاب "رياض العلماء".

تلاميذه

١ - "محمد بن الحسن بن علي الطوسي" ٣٨٥ - ٤٦٠.

٢ - حمزه بن عبد العزيز الديلمي "الملقب ب" سلار" المتوفى سنه ٤٦٣.

٣ - القاضي "عبد العزيز بن البراج الطرابلسي" المتوفى سنه ٤٨١.

٤ - "نظام الدين سليمان بن الحسن أبو الحسين الصهرستي [الصهرشتي] الديلمي".

٥ - "محمد بن علي أبو الفتح القاضي الكراچكي" المتوفى ٤٤٩.

٦ - "أبو عبد الله جعفر بن محمد الدوربستي".

٧ - "يعقوب بن إبراهيم الفقيه البيهقي"، روايه ديوان السيد المرتضى باجازه منه سنه ٤٠٤.

هذا و للمرتضى تلاميذه آخرون عبرت بهم أثناء قراءتى منهم:

أ - القاضي أبو منصور "محمد بن محمد بن أحمد العكبرى".

ب - أبو بكر "أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي" نزيل الرى.

ج - الشريف أبو يعلى "حمزه بن زيد بن الحسين الحسينى الأفسسى".

د - القاضي أبو المعالى "ابن قدامه" و هو أحد رواه كتاب الغرر و الدرر.

ه - السيد "أبو يعلى الهاشمى العباسى".

و - السيد الشريف أبو يعلى "حمزه بن محمد الجعفرى".

ز - الشيخ المفيد الحافظ أبو محمد "عبد الرحمن بن الشيخ أبى بكر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابورى".

ح - أبو بصير " عبد الكريم بن محمد الديباجي " .

ط - أبو زيد " عبد الله بن علي الكبابكي ابن عبد الله بن عيسى بن زيد بن علي الكحى الحسينى الجرجانى " .

ى - " ذو الفقار المروزي " .

منزلته العلميه بين معاصريه

و بخصوص منزلته العلميه و الأديبيه فى نظر معاصريه، تحدثنا رسائله المتنوعه أنها كانت إجابات عن أسئله يتوجه بها السائلون من مختلف الأقطار الإسلاميه، إما بقصد أخذ الرأى عن طريق الاستدلال من " المرتضى "، عليه، و إما بقصد العمل بمضمونه من غير إرادته للتدليل منه عليه، و إما بقصد الإنكار عليه فى هيئه أسئله صحبها ما يحيل الجواب عنها، و إما بقصد التحرش و التعريض ببعض آراء الشيعة أو المتكلمين بوجه عام.

و قد كان بعض هذه الرسائل موجهه له فى سن مبكره، و قبل أن يشخص بزعامه الشيعة، و هذا أوضح شاهد على ما بدأ يطالعه من مركز علمى فى نظر معاصريه.

و كان بعض مؤلفاته و قصائده إجابيه لرغبه بعض الخلفاء و الملوك أو باقتراح من بعض الوزراء، و كانوا فى تقديم رغباتهم و اقتراحاتهم فى منتهى ما يتوجه به سائل لمسئول من العبارة المؤدبه، و يوم كان يحضر مجلس الشيخ " المفيد " شيخ الشيعة كان المفيد يقيمه مقامه، و يرغب أن يجلس منه مجلس التلميذ تقديرا لمكانته العلميه، و ترشيحا لأن يقوم مقام أستاذه فى زعامه الشيعة.

و قد حدثنا التاريخ أن مجلس " المرتضى " كان مثابه رجال الفكر و مشار بحوث أديبيه و فقهيه و كلاميه، و أن "أبا العلاء المعرى" كان من رواده يوم حضوره إلى بغداد، و أن طرائف من الجدل و الحوار الأدبى كانت بينه و بين " المرتضى "، و أن "أبا إسحاق الصابى" و "عثمان بن جنى" كانا يلازمان مجلسه.

كان " المرتضى " يشرع فى تأليف الكتاب، فلا يكاد ينهى جزء منه حتى يذيع بين الناس، فلا- يتمكن من إعادته النظر فيه، لخروجه من يده إلى أيدي القارئین. و كان من عنايه الناس بمؤلفاته أن تؤلف من أجلها الكتب أيام حياته، إما بالنقض عليها من جانب مخالفه، أو بالشرح و التأييد لها من جانب مؤيديه.

و لقد ينقض النقض عليه و هو حى، فيشهد الخلاف و الالتفاف على آثاره و من حولها. كما حددت الآراء التى اختلف فيها مع أساتذته.

و تسابق بعض الأعلام من معاصريه إلى روايه كتبه و شعره، و ظلت هذه الإجازة تطرد ممعنه فى الأعقاب و الأجيال التى بعده حتى القرون المتأخره، و ظل صدى منزلته العلميه و الأديبيه يتردد فى أجواء التاريخ، فلا يؤلف كتاب فى أعلام المسلمين أو فى أعلام الأدب و ليس " للمرتضى " منه نصيب.

و لو لا قله اعتدادي بكتب التراجم من حيث أنها تعتمد النقل من بعضها لأوردت أسماء كثير منها.

أثره فيمن جاء بعده

و سأختار لتصوير منزلته في الأعقاب التي تلتها، الكتب التي اتخذت سبيله في التأليف، أو عنيت بالمشاكل التي أثارها، أو عقبته على آثاره بالشرح أو الإيجاز.

فعلى غرار كتابه "الانتصار" - وهو أول كتاب للشيعة في الفقه المقارن - ألف "الشيخ الطوسي" كتابه "مسائل الخلاف"، و ألف العلامة الحلبي كتابه "مختلف الأحكام" و كلاهما يعالجان مسائل الفقه في مقارنه شامله لمختلف المذاهب و من أجل كتابه "الحدود و الحقائق" و هو كتاب في تعريف المصطلحات الشرعيه، ألف "الكفعمي" كتابه "اختصار الحدود و الحقائق".

ص: ٢٩٢

باسم "تنزيه الأنبياء" (1) وربما كان كتاب الغزالي "تخطئه الأنبياء" نقضا لكتاب السيد المرتضى السابق.

و في موضوع كتابه "إنقاذ البشر من الجبر و القدر" ألف العلامة الحلي كتابه "استقصاء النظر في الجبر و القدر". و في سبيل التعليق على كتابه "الغرر و الدرر" يوجد كتابان سنتحدث عنهما عند الكلام على آثاره الأدبية.

و بكلمه موجزه يستطيع المطلع على آثار الشيعة في الكلام و التفسير و الفقه و أصوله أن يذهب إلى أن آثار المرتضى كانت و ما تزال حيه قائمه في المؤلفات التي ألفت من بعده و في بعض معاهد الدراسات الدينية و الأدبية و الكلاميه أنى يوجد للشيعة معهد و تدريس.

آثاره الثقافيه

و مؤلفات الرجل بين كتاب في مجلدات، و رساله في و ريقات، تبلغ الثمانين فيما عدّه المؤرخون، و لكن كلا من المفهرسين لم يذكر إلا- بعضا منها، و إلا قليلا من كثير، فوصلت بين هذه الفهارس ملحقا آخرًا بأول، و مختصرا بمطيل، حتى تيسر لى من أسمائها عدد كثير.

و لكن ذكر الكتب في الفهارس وحده لا يضمن للباحث وثوقا بصحة ما ورد فيها، و لا اطمئنانا يلقي عن عاتقه واجب الفحص و التحرى، فلا بد إذن من سند آخر يعتمد عليه في قبول ما ورد في هذه الفهارس. و لقد وجدت السند في مؤلفات الرجل نفسه، إذ كان فيما اعتاده فيها أن يحيل في كل مؤلف من مؤلفاته على مؤلفات أخرى له، و بذلك اطمأنت إلى صحه أكثر ما ورد في تلك الفهارس. على أننى لم أعدم بهذه الطريقه أن أجد له كتبا لم يذكرها المفهرسون، فإنهم على الأغلب يرجع بعضهم إلى بعض في سرد مؤلفات الأعلام، و قل من توفر على دراسته الآثار نفسها.

و من الحق أن يقال أن مؤلفات الشريف، و بخاصه ما كان منها كلاميا أو فقهيا، لم تنلها الاذاله، و لم يضعها الإهمال، إذ قد عنى بها فقهاء الشيعة و متكلموهم منذ ساعه تاليفها، و لقد تلقاها تلاميذه عنه قراءه و سماعا و أشاعوها بين الناس، و ألفوا من أجلها الكتب، ثم احتضنتها الإجازات المتعاقبه، فتناولتها يدا بيد و فما لفم، و ظلت الحال على هذا حتى عصر "العلامه الحلي" - القرن السابع - حيث ألفت الموسوعات الفقيهيه الكبيره، و الكتب الكلاميه و الأصوليه الواسعه، فاندرجت آثار المرتضى في طياتها، و ضاعت في خضمها، و لم تعد في طليعه الكتب ذكرا و تناولا و اقتباسا، و إن ظلت محفوظه مضمونه البقاء على وجه غير منسى.

و خير ما انتفعت به في سرد كتب المرتضى صورته من إجازته لتلميذه أبى الحسن "محمد بن البصروي الفقيه"، فيها عدد كتبه، و ذكر إجازته روايتها عنه، و كان ذلك عام ٤١٧ للهجره.

و صورته الإجازة موجوده الآن في خزانه مكتبه الرضا.

هذا و قد سبق لصاحب "رياض العلماء" الميرزا عبد الله أفندى - من رجال القرن الحادى عشر - أن وقف على صورته هذه الإجازة، فأثبتها في كتابه "رياض العلماء"، قال: هذه الإجازة بخط البصروي، يلتمس من السيد إجازته بروايه ما تضمنه فهرست كتبه، و هذه صورتها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، خادم سيدنا الأجل "المرتضى"، ذى المجددين أطال الله بقاءه، و أدام تأييده، و نعمته و علوه و رفعتة، و كبت أعداءه و حسدته، بشأن الأنعام باجازه ما تضمنه هذا الفهرست المحروس، و ما صح و يصح عنده، مما يتجدد أن شاء الله من ذلك".

ثم قال صاحب رياض العلماء:

هذه حكاه ما وجد بخط السيد "المرتضى" رضى الله عنه "قد أجزت لأبى الحسن" محمد بن محمد البصرى " - أحسن الله توفيقه - جميع كتبه و تصانيفه و أمالي، و نظمي، و نثرى، ما ذكر منه فى هذه الأوراق، و ما لعله يتجدد بعد ذلك، و كتب على بن الحسين الموسوى فى شعبان من سنة ٤١٧".

و مع هذا فان إجازة "البصرى" لم تحص من كتب السيد - فيما ظهر لى - إلا ما ألفه قبل عام ٤١٧، فى حين إنه استمر يؤلف حتى ٤٣٦، فكان لا بد لى من ملاحقه مصادر أخرى، للوقوف على عدد مؤلفاته.

و لقد أضاف "الميرزا عبد الله" - صاحب رياض العلماء - كتباً أخرى إلى آثار الشريف، و كان أكثرها مما وقف عليه بنفسه، و مما قرأه فى أثناء مطالعته، و لكنه اعترف أخيراً بان التحقيق فى أمر هذه الكتب عسير جداً.

و لقد حملنى على تحرير ثبت مؤلفاته - فى حين لم يؤلف عادة فى مثل هذه الرساله ذكر ثبت للمؤلفات - أن أكثرها غير معروف فى الأوساط الجامعيه و أكثر ما عرف منها يحط إلا باسمه دون محتوياته، و فى بيان هذه المحتويات تيسير لمن يريد الرجوع إلى الأصول الأولى من فقه المذهب الشيعى و تفسيره، و أصوله و كلامه و أدبه، إذ أن السيد "المرتضى" يعد فى الطليعه من مؤلفى الشيعة، بل هو فاتح عهد التأليف المنظم فيهم.

و لقد قسمت كتبه إلى قسمين:

أ - ما كان طابعه ثقافياً عاماً.

ب - ما كان طابعه أدبياً فنياً.

و ساعرض فى الفصل الأول من الباب الرابع مؤلفاته الثقافيه. على أنه لا بد لى من الاعتراف باننى لم أقصد من دراسه هذه الكتب تحريرها تحريراً كاملاً و لا الوقوف على جملها ما لها من نسخ مخطوطه، و إنما اكتفيت بمجرد الوقوف عليها و فهم محتوياتها لاتخذ منها سبيلاً إلى فهم الرجل ذاته، و لأضع لها ثبناً أوثق مما عرف من قبل، فربما انتفع به من يريد تحرير مؤلفات المرتضى.

الانتصار:

طبع على الحجر "بايران" ضمن "الجوامع الفقهيّه" سنة ١٢٧٥ هـ.

و طبع مستقلا على الحجر فى إيران أيضا سنة ١٣١٥ هـ.

و هو كتاب فى الفقه المقارن، ضمنه ما انفرد به الشيعة من مسائل الفقه، أو ما ظن انفرادها.

و الكتاب يشتمل على أكثر من ٣٣٦ مسألة.

و ترجع أهميته إلى أمرين: تاريخى، نظرا لسبقه على جميع كتب ا.

ص: ٢٩٣

١- فهرست مخطوطات مكتبة الرضا ص ٤٦٩. "تنزيه الأنبياء" لعبد الوهاب بن على الحسينى " من أفاضل أواخر القرن التاسع و أوائل العاشر، و هو فى تلخيص و إتمام و توضيح "تنزيه الأنبياء" للشريف المرتضى. انظر روضات الجنات ط إيران ص ٣٥١.

الخلاف و الفقه المقارن لدى الشيعة، و علمى نظرا إلى قوه الحججه التى دعم بها الشريف فقه الشيعة. و لقد حذا حذوه المتأخرون عنه أمثال "الطوسى" و "العلامه الحلى"، على أن الكتاب لا يعدم أن يعد مظهرا من مظاهر ثقافه المرتضى الأديبه.

و قد وقفت فى الكتاب على جملة من مؤلفات الشريف، ذكرها ضمن هذا المؤلف، "كمسائل أبى عبد الله التبانى" و "مسائل الخلاف" و "المسائل الموصليه"، و "المسائل الطرابلسيه"، و "فى أصول الفقه"، و قد ألفت الانتصار بعد سنه ٤٢٠.

الناصرىات:

طبع فى إيران سنه ١٢٧٦ هـ ضمن كتاب "الجوامع الفقيهيه"، تشتمل على (٢٠٧) مسائل بين فقيهيه و عقائديه، و هى شرح و نقد و تسديد لفقه جده "الحسن الأطروش"، صاحب "الديلم"، و "طبرستان".

و المعروف عن الرجل أنه كان زيدى المذهب، و لكن كثيرا من علماء الاماميه يذهب إلى أنه امامى اثنى عشرى.

و الذى بدا لى من هذه الرساله أن "الأطروش" ليس إماميا اثنى عشرىا على أى حال، فهو يخالف الاماميه فى الشطر الأكبر من فقهه، و فى كثير من مسائل عقائده.

و أهميه الكتاب ترجع إلى سببين: تاريخى، يكشف عن مذهب الناصر و دعوته فى بلاد الديلم - و مذهبه محل خلاف فى كتب الرجال -، و علمى، فان فيه دراسه مقارنه بين مختلف المذاهب و بخاصه المذهبان: الزيدى، و الامامى الاثنى عشرى.

و يظهر مما ورد فى هذه الرساله من أسماء مؤلفاته الأخرى أنها جاءت متأخره عن التأليف تلك المؤلفات، فمن تلك المؤلفات: كتاب "الخلاف" و "مسائل أصول الفقه" و "العدد" و "تنزيه الأنبياء".

الشافى فى الامامه

فى مجلدين، طبع فى إيران على الحجر سنه ١٣٠١ هـ. المجلد الأول فى ١٤٨ صحيفه كل صحيفه ٣٥ سطرا، كل سطر ٢٢ كلمه تقريبا.

و المجلد الثانى يحتوى على ١٤٧ صحيفه من نسق صحائف المجلد الأول.

ألفه "المرتضى" فى نقد كتاب "المغنى من الحجاج" للقاضى المتكلم المعتزلى "عبد الجبار" و هو معاصر له.

و "عبد الجبار" يعتبر فى نظر المعتزله و دارسى تاريخهم، فى ذروه الفكر المعتزلى، و نهايته التى ما وراءها نهايه، و الشريف "المرتضى" يعد فى نظر الشيعة و غيرهم سيد متكلمى الشيعة، فى تاريخهم القديم و الحديث، فالصراع بين الرجلين فى هذا الكتاب خير ما يصور طبيعه الكلام و الجدل فى القرن الرابع [الرابع]. و يخيل لى أن كل من كتب من المحدثين عن المعتزله، و لم يقف على الكتابين، أو على الأخير منهما خاصه، يصعب عليه معرفه المذاهب الكلاميه عرفانا حقا.

و يعيب كتاب "الشافى" أنه اعتمد أوائل كلام صاحب "المغنى" و لم يذكر الأصل كله - كما نص المرتضى على ذلك فى

المقدمه - رغبه فى الاختصار، و إحاله على الأصل الذى بيد الناس يوم ذاك، و لكنه أدرك هذا العيب و حاول ملافاته، فى أثناء التأليف و بعد أن أتم شطرا كبيرا منه، فتلافى ما تلافى، و لم يستطع أن يعيد النظر فيما فاتته، نظرا لخروج الأصول من يده، و انتشارها بين الناس و عدم إمكان جمع ما تفرق منها.

و قد كان ظهور الكتابين حدثا بارزا بين أئمة الكلام، لشديد ما احتفوا به، فقد ألف "الشيخ الطوسى" تلخيص الشافى" و ألف "أبو الحسين البصرى" كتابا يسمى نقض الشافى"، و ألف "أبو يعلى سلالر بن عبد العزيز" "النقض على النقض" و كل ذلك فى حياه المرتضى.

و يخيل لى أن من أسباب عدم احتفاء المعاصرين بالكتاب رداءه طبعه، و عدم تيسر نسخه، و صعوبه فهمه - و بخاصه ما كان النزاع فيه على مسائل كلاميه بحتة.

يعتبر الكتاب مفتاح المذهب الشيعى الامامى، و باب الدخول إلى صميم عقائده، و إن الرجوع إلى سواه فى أمرهم لا يغنى قتيلا.

و بعد فهو خير مصور لثقافه "المرتضى" الأدبيه و التاريخيه. تقرأ فيه الفروق بين الزيديه و الاماميه، و المعتزله و الاماميه، و تكذيب ما يتهم به الاماميه من القول بزياده علم الامام على النبى، و القول بأنه لو لا الامام ما قامت السموات، و اتهامهم بدعواهم أن المعارف كلها ضروريه و رأى الاماميه فى البداء، و الفرق بين الإجماع لدى الاماميه و غيرهم و عدم وجوب علم الامام بالواطن مما لا يجب العلم به، هذا إلى غير ذلك من سرد كلام أكثر أئمه المعتزله.

و هو يشير فى الكتاب إلى بعض مؤلفاته منها رسالته "فى الشبهه" الوارده على حديث

" أنت بمنزله هارون من موسى" و "كلامه فى الوعيد" من إجاباته على أسئله أهل الموصل، و إشارته إلى عزمه أن يفرد كتابا عن جواز إظهار المعجزات على يد غير الأنبياء.

إنقاذ البشر من الجبر و القدر:

طبع فى النجف عام ١٩٣٥ م لم يرد له ذكر فى إجازة البصرى المجاز من قبل الشريف بروايه كتبه سنه ٤١٧ و لكنه ورد فى "معالم العلماء".

و هو رساله كلاميه صغيره، تتناول مسأله القضاء و القدر، بأسلوب خطابى بليغ، مقتبسا - للتدليل على رأيه - آيات كثيره من القرآن، فيها عرض سريع شامل لتاريخ هذه المشكله من يوم نشوئها على يد "معبد الجهنى"، و "أبى الأسود الدؤلى" حتى عصره، و فيها تحديد لموقف الشيعة من هذه المشكله، و رأيهم فى تطورهما التاريخى. عدد صفحاتها (٩٠) صحيفه من القطع الصغير. و فيها إشاره إلى مؤلف له باسم "صفوه النظر" يتحدث عن معنى خلق الله للأفعال كلها.

المحكم و المتشابه:

تنسب إلى الامام الصادق أولى من نسبتها إلى كل من "المرتضى" و "النعمانى".

موضوعها: الحديث عن النسخ و المنسوخ، و المحكم و المتشابه، و ما لفظه عام و معناه خاص، و عن التحريف فى القراءه، و الفرق بين الرخصه و العزيمه، إلى غير ذلك.

هذا و لم ترد الرساله ضمن فهرست كتب السيد، الذى رواه "البصروى"، كما أنها خاليه من الاحاله على بعض مؤلفاته على غير جارى عادته، و لكن ذكرها صاحب البحار و "الشيخ الشهيد" فى حواشى الخلاصه.

تجد فى الرساله نواه الدراسه الذاهبه إلى أن المفرده فى القرآن تؤلف و نظيرتها معنى مستقلا حين يردان على هيئه مخصوصه يختلف عنها نفسها حين ترد بهيئه أخرى فى آيات أخريات، منظرا لذلك بالكلمات: ضل، أهدى، الخير، الشر، و هى طريقه يتبناها أستاذنا "الخولى" فى دراسه التفسير.

تنزيه الأنبياء

طبع على الحجر فى إيران فى (١٨٩) صحيفه، كل صحيفه تسعه عشر سطرا، و الكتاب فى موضوعاته يتصل بمساله تمثل نقطه الخلاف الجوهرى بين الاماميه و المعتزله، إذ أن الاماميه يذهبون إلى أن الأنبياء و الأئمه لا يجوز عليهم شىء من المعاصى و الذنوب، كبيرا كان أو صغيرا، لا قبل النبوه و لا بعدها، و المعتزله يحيلون على الأنبياء وقوع الكبائر و الصغائر المستخفه، قبل النبوه و فى حالها، و يجوزون أن يقع منها ما لا يستخف بهم من الصغائر فى الحالين.

فهو دفاع عن الأنبياء، و محاوله لوصفهم بالعصمه، الأمر الذى يلتزمه الاماميه فى أئمتهم أيضا. و جل ما فى الكتاب منصب على صرف الظواهر القرآنيه، و الأحاديث النبويه التى يظهر منها نسبه الخطا و الصغائر إلى الأنبياء، و يعنى الكتاب بتبرير سيره أئمه الاماميه. منذ وفاه النبى حتى غيبه الامام الثانى عشر.

و مع أن الكتاب يعالج مسأله كلاميه، فهو جدير أن يعد من كتب الأدب لما احتواه من مسائل النحو و البلاغه و اللغه.

ثم هو من خير الكتب تصويرا للمذهب الامامى، و تحديدا لمكانه من المذاهب الأخرى، و قد أحال فيه السيد على كتابه "الشافى" و رسالته "المقنع فى الغيبه".

و للكتاب تتمه ألفها "عبد الوهاب الحسينى" من أفاضل القرن التاسع و أوائل القرن العاشر.

الأصول الاعتقاديه

طبعت سنه ١٩٥٤ ببغداد.

تحدث فيها المؤلف عن صفات الله، و النبوه و الامامه، و البعث، و صحه الوعد و الوعيد، و الشفاعه، و عذاب القبر، و فناء العالم، و الميزان، و الصراط، و الجنه، و النار، عدد صفحاتها فى المخطوط واحده، و فى المطبوع أربع صفحات.

فى جزءين طبع فى النجف. جمع فيه الشريف فصولاً- من كتب "الشيخ المفيد" عامه، و نكتنا من كتابه "العيون و المحاسن" خاصه، كما يظهر من مقدمه، و زاد على ذلك ما أملاه "المفيد" عليه كما يظهر من ثنايا الكتاب.

و يؤخذ من مراجعه كتب الرجال، أن هناك شكاً فى نسبة هذا الكتاب "للشريف المرتضى"، إذ لم يوجد بين كتبه التى احتوتها إجازة البصوى عام ٤١٧. كما أن بعض كتب الروايه نسبه "للشيخ المفيد"، (١) و عدّه "ابن شهر آشوب" من مؤلفات "المفيد" أيضاً.

و لكن الرجوع إلى الكتاب يثبت بشكل جلى أنه "للشريف المرتضى"، كما أن سبط "الكركى العاملى"، ينقل فى كتابه "رفع البدع" عن كتابين مختلفين، أحدهما للمفيد و اسمه "العيون و المحاسن" و الثانى "للمرتضى" و اسمه "الفصول المختاره"، و كذلك "السيد حسين المجتهد" فى كتابه "رفع المناواه عن التفضيل و المساواه".

لعل اسم كتاب المرتضى "الفصول المختاره من العيون و المحاسن" إذ أن أكثر ما فيه مقتبس من "العيون و المحاسن" و الأخير للمفيد.

و أهميه الكتاب ترجع إلى تصويره نشاط الشيعة فى الجدل و الكلام و الفقه منذ صدر الإسلام حتى عصر المؤلف، و محاضر مناقشتهم مع خصومهم، كما أن فيه بحوثاً عن نشوء الفرق الشيعيه و تاريخها و ما كان يدور بينها من خلاف و وفاق.

الولاية عن الجائر

و هى رساله صغيره مخطوطه ألفها للوزير "أبى القاسم الحسين بن على المغربى" سنة ٤١٥ و هى تعالج مشكله ضاق بها الاماميه فى مختلف عصورهم، و حالت بين متورعيهم و قبول الولاية من الخلفاء، و إذ أن القرن الرابع دفع بالاماميه و منهم "السيد الشريف" إلى قبول المناصب من لدن الخليفه العباسى، فقد ألقت هذه الرساله حضا للاماميه على تقبل الوظائف، و تبريرا لموقف السيد نفسه - فيما يخيل لى -.

و أهميه الرساله تعود إلى تصويرها مجالات عمل الامامى فى الدوائر التى لا يعترف بشرعيتها، و ما يمتنع أن يقوم به من أعمال الدوله و بخاصه القضاء، و تنفيذ الأحكام. و قد ورد ذكرها ضمن إجازة الشريف لتلميذه "البصوى".

المقنع فى الغيبه:

رساله ورد ذكرها فى إجازة البصوى، (٢) و "تذكرة المتبحرين"، (٣) و "معالم العلماء".

قال صاحب التذكرة، أنه ألفها "للووزير المغربى". طبعت على الحجرى.

١- رياض العلماء نقلا عن كتاب البحار.

٢- طبع الديوان في جزئين و صدرت الطبعه الثانيه سنه ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م حقتها و رتب قوافيها: رشيد الصغار، و قدم لها الشيخ محمد رضا الشيبى، و راجعها و ترجم أعلامها الدكتور مصطفى جواد.

٣- قال صاحب رياض العلماء ص ٥٧٨: أبو الحسين على بن محمد الكاتب كان من مشايخ المفيد و السيد المرتضى.

فى إيران سنه ١٣١٩ هـ، على هامش درر الفرائد فى شرح الفوائد ص ٣٥١.

و هى تعالج مشكله غيبه الامام التى كانت و ما تزال بابا للهجوم على الاماميه و ثغره طالما حاولوا سدها فى مؤلفاتهم و لهذا كثرت رسائلهم فى الموضوع.

أحكام أهل الآخره

رساله صغيره فى مسأله كلاميه صرفه تدور حول آراء المتكلمين فى شان أهل الآخره من ثواب و عقاب. و كان السابق إلى التحدث عن هذه المسأله، "أبو الهذيل العلاف" كما يظهر من الرساله. طبعت فى إيران سنه ١٣١٩ هـ على هامش كتاب "درر الفرائد".

و لم يرد للرساله ذكر فى إجازة البصوى.

المسائل الطرابلسيه الثانيه:

لم أجد نسخه للمسائل الطرابلسيه الأولى، و لكن الشريف أحال عليها فى المسائل الطرابلسيه الثانيه مما يدل على أن هناك مسائل طرابلسيه أولى.

و هى رساله صغيره فى ١١ صحيفه، كل صحيفه ٢١ سطرا، ألفها "المرتضى" إجابته عن أسئله وردت عليه من الشيخ "أبى الفضل إبراهيم بن الحسن الأبانى".

و الرساله تتناول أصول المذهب الامامى و ما يؤخذ عليه من ماخذ رد عليها الشريف.

و قد أحال الشريف فيها على كتابيه "المقنع فى الغيبه" و "الشافى فى الامامه".

المسائل الطرابلسيه الثالثه:

رساله مخطوطه تشتمل على ثلاث و عشرين مسأله وردت من الشيخ أبى الفضل إبراهيم بن الحسن الأبانى عام . فأجاب عنها الشريف، و يبدو من روح الأسئلة أن سائلها إمامى، يود إيضاح ما فى نفسه من مشاكل كلاميه، تتعلق بالمذهب، مثل معنى كون الله مدركا للأشياء، و معنى كون القرآن نزل جملة واحده، و معنى حياه الشهداء بعد الموت، و أخبار الكهان و مدى صحتها.

و أهميه الرساله تعود إلى تصوير التطلع و التوثب الذهنى الذى لازم الاماميه فى القرن الرابع، و إلى تنصيب الشريف على وجوب الحذر من قبول أحاديث "كتاب الكافى" للكلىنى، فى حين أنه من الأصول الأربعة للحديث عند الاماميه. و قد أحال السيد فيها على ما ياتى من كتبه: "الملخص"، "الذخيره"، "تنزيه الأنبياء".

المسائل الرسيه الأولى

رساله مخطوطه تشتمل على ثمان و عشرين مسأله. عدد صفحاتها ٢٤ صحيفه، كل صحيفه تحتوى على ٢١ سطرًا.

ساله عنها "أبو الحسين المحسن بن محمد بن الناصر الحسينى الرسى". و السائل فيما وصفه "ابن إدريس"، و فيما تنطق به أسئلته، عالم مدقق، فقيه حاذق، ملزم لخصمه، محتج عليه، بما لا يكاد ينقضى منه إلا من كان فى مثل درجه السيد، و هو كذلك فيما يبدو من تقدير "الشرىف المرتضى" له، و ثنائه عليه. ألفها سنه ٤٢٨.

و هى تشتمل على مسائل فقهيه و كلاميه، أحال فيها السيد على كتابه "مسائل فى أصول الفقه" و على كتابه "المسائل و المطليات".

و ترجع أهميتها إلى أنها تؤرخ آخر فتاوى الشرىف فى الفقه و آرائه فى الكلام. توجد منها نسخه لدى بقلم "الشيخ آغا بزرگ".

المسائل الرسيه الثانيه:

وردت بعد الأولى من "أبى الحسين المحسن بن محمد بن الناصر الحسينى الرسى"، فألحقها الشرىف بها. و هى خمس مسائل فى أربع صحائف، كل صحيفه ٢٢ سطرًا كل سطر ٢٨ كلمه. الأول منها فقهيه، و الأخريات، مزيج من الفقه و الكلام.

توجد لدى نسخه منها بقلم "الشيخ آغا بزرگ". و تعود أهميتها إلى أنها صور من التقاء الفقه و الكلام على السنه المتفقيين المتكلمين، و إلى أنها من أواخر ما ألف السيد، فهى تمثل أواخر آرائه.

المسائل الموصليه

الأولى: ثلاث مسائل: فى الاعتماد و الوعيد و القياس، و لا أعرف نسخه لها، و لكن أحال عليها السيد كثيرا فى كتبه. وردت إليه و هو فى سن مبكر.

الثانيه: و هى تسع مسائل فقيهيه أكثرها يتصل بما تفرد به الاماميه أو ظن انفرادهم به من مسائل الفقه، و أكثر مسائلها مطروق فى كتابه "الناصرىات". تقع فى ٧ صفحات، كل صحيفه ٢٢ سطرًا، كل سطر ٢٥ كلمه. لها نسخه عندى و نسخه فى "مكتبه الرضا".

الثالثه: تقع فى ١٠٩ مسأله، صفحاتها ٣٦ صحيفه، كل صحيفه ٢٦ سطرًا، و هى على الأكثر فقهيه، تشبه رساله "الانتصار". أحال فيها السيد على "المسائل التبانیه"، كما يظهر من مقدمه، و على "المسائل الموصليه الأولى" كما يظهر من المسأله الخامسه و الثلاثين و المسأله السادسه و الخمسين، كما أحال على "المسائل الموصليه الثانيه" انظر المسأله الخامسه.

لها نسخه مخطوطه فى "مكتبه الامام الرضا"، يرجع تاريخ كتابتها إلى سنه ٦٧٦. و لدى نسخه منها بخط الشيخ آغا بزرگ.

و تعود أهميتها إلى دلالتها على مدى انتشار التشيع فى الموصل و الجزيره فى القرن الرابع، و على مدى اليقظه العقليه لدى الاماميه.

توجد نسخه منها مخطوطه فى "مكتبه الرضا، يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٦٧٦ هـ بخط النسخ، كل صحيفه ٢٢ سطرًا، عدد أوراقها ١٠ و فى نهايتها "مناظرته مع أبى العلاء المعرى". و لدى نسخه منها بقلم الشيخ آغا بزرك. قرأتها فإذا هى ست و ستون مسأله فى الفقه، و فى بعض العقائد الاماميه، ساله عنها عوام أهل "ميفارقين" لأخذ الرأى، لا- للاستدلال عليه، و يظهر أن السائلين مؤمنون ساذجون لأن بعض أسئلتهم تدخل فى باب الخرافات. و لكن الاجابه عنها من السيد تعطىها صفه القرب من الحقائق.

فقههم، أمثال رساله "على بن بابويه القمي"، و كتاب "عبد الله الحلبي" و كتاب "الشلمغاني".

مجموعه المسائل المتفرقه:

و هي ٢٧ مسأله في ٢٧ صحيفه، لدى نسخه منها بقلم الشيخ آغا بزرگ، و يبدو أنها مجموعه من مختلف رسائل السيد الفقيه و الكلاميه، "كالرساله الرمليه"، و "الواسطيه"، و كتابه "الغرر و الدرر"، و يبدو أنها ليست من جمع السيد، و إنما اختارها غيره، و جعلها على هيئه كتاب، لذلك ترى أن مسائلها كتبت من قبل الشريف بتواريخ مختلفه، و في رساله إحاله على كتابه "المصباح" في الفقه.

مسأله في العصمه:

عدد صفحاتها اثنان، توجد ضمن مجموعه الشيخ آغا بزرگ، و العصمه مشكله كلاميه طالما بحثها متكلمو الاماميه.

مسأله في الاعتراض على من يثبت قدم الأجسام:

توجد ضمن مجموعه الشيخ آغا بزرگ، و عدد صفحاتها اثنان و فيها يحيل على كتابه "الملخص في الأصول"، و رساله فلسفيه بحته، ينعي فيها السيد على شطر من الفلاسفه القائلين بقدم العالم.

أبطال العمل بخبر الآحاد:

نسخها الشيخ آغا بزرگ عن خط الشيخ الشهيد، عن خط جده، عن خط "الشريف المرتضى". توجد لدى نسخه منها، و صفحاتها اثنان، يحيل فيها السيد على المسائل الحلبيات، و التباينات.

و رساله هامه جدا، لأن فيها تعريضا ببعض رواه الحديث ممن ينسبون إلى الاماميه و ليسوا منهم أمثال الطاطرى، و ابن سماعه، و غيرهم من الغلاه و المجسمه و الخطاييه و المشبهه و المجبره.

كراس مشتمل على أربع مسائل من مسائل المرتضى:

الأولى: في طرق الاستدلال، الثانيه: في كون عدم الدليل دليل العدم، الثالثه: في الولايه من الجائر، و قد جرت في مجلس الوزير "أبي القاسم الحسين بن علي المغربي" في جمادى الأولى سنة ٤١٥، الرابعه: في حكم ألباء للتعديده: لها نسخه عندي كتبها الشيخ آغا بزرگ سنة ١٣٢٦ هجريه. فهي كراسه فقيهه، أصوليه، نحويه.

الذريعه:

كتاب في أصول الفقه مخطوط في (٣٠٠) صحيفه، كل صحيفه واحد و عشرون سطرا، يشتمل على (١٤) بابا، كل باب يحتوى على عدده فصول، تحدث فيه عن الخطاب، و الأمر، و النهي، و العموم، و الخصوص، و المجمل، و المبين، و النسخ، و الإجماع، و القياس و غير ذلك من أبواب أصول الفقه. ترجع أهميه الكتاب إلى أمرين:

الأول: كون المؤلف حاول الفصل في مباحثه بين ما هو من أصول الفقه، وبين ما هو من أصول العقائد. وقد كان أصول الفقه من قبل ذلك مزيجاً من الطرفين.

الثاني: أنه أول كتاب في أصول الفقه للإماميه، فقد كانت لهم من قبل مسائل متفرقة تعتمد في مصادرها على أصول فقه السنه، فهو بهذا يؤرخ مرحله استقلال الاماميه في أصول الفقه.

و لا تزال آراء السيد الأصوليه محل دراسه في مدارس النجف و إيران الدينيه.

لدى نسخه مخطوطه لا أعرف تاريخ نسخها، و نسختان وقفت عليهما في النجف، أولاهما عند الشيخ "محمد علي الأردوبادي"، يرجع تاريخ نسخها إلى القرن السابع، و ثانيتهما في مكتبه "الشيخ علي كاشف الغطاء"، و هي قديمه النسخ، مجهوله التاريخ. مقدمه في الأصول:

تبحث عن أصول العقائد الاماميه من التوحيد و العدل و الامامه و المعاد و الوعد و الوعيد، و تناقش بعض آراء المعتزله في إيجاز بالغ، توجد منها نسخه لدى ضمن مجموعه "الشيخ آغا بزرك"، و هي في ورقه واحده بخط النسخ الدقيق. و أهميتها ترجع إلى تصوير عقيدته الاماميه في تلك المسائل.

فيمن يتولى غسل الامام:

رساله صغيره بصحيفه واحده، تبحث في مسأله كان و لا يزال بعض الاماميه يعتقدها، و هي كون الامام لا يغسله عند موته إلا إمام مثله.

و الشريف المرتضى يرى عدم صحه هذه العقيدته و استحالتها أحياناً، فهي تمثل صنيع المرتضى في تهذيب العقيدته الاماميه، و في الرساله إحاله على كتابه "الذخير".

منع تفضيل الملائكه على الأنبياء:

رساله بثلاث صحائف توجد ضمن مجموعه "الشيخ آغا بزرك" من صحيفه ٢٣٢-٢٣٤. و النزاع في أمر تفضيل الأنبياء على الملائكه أو عدم تفضيلهم يتصل بعقيدته الاماميه في عصمه الأنبياء و الأئمه، و من ثم يتصل بوجود تقديم الفاضل على المفضول في النبوه و الامامه، و الكلام فيها و إن بدأ يشبه الخرافه، إلا أنه يتصل بنزاع مذهبي عريق.

تحدث فيها السيد الشريف عن تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا).

العدد أو "الرد على أصحاب العدد":

مسأله فقيهيه تتصل بتشريع الصيام و تعلقه برؤيه الهلال أو بإكمال العدد. و يبدو لى من كلام السيد أن الاماميه قبله و بعض أهل

السنة يرون ثبوت الصيام بإكمال العده (ثلاثين يوما) و لكنه يذهب إلى تفنيد الأخبار الاماميه الناطقه بذلك، و اللجوء في تعيين شهر رمضان إلى الرؤيه. لها نسخه عندى بقلم الشيخ آغا بزرك.

مناظره الشريف المرتضى لأبى العلاء المعرى:

ص: ٢٩٧

من "الشريف المرتضى" أو إلى أبي العلاء. وقد ذكرنا نصها سابقا في باب سيرته.

الذخيره:

ورد ذكرها في فهارس كتب "المرتضى" و لم أشهد نسخه منها في مكتبات إيران و العراق، و لكنى عثرت في متفرقات من مسائلها ضمن رساله باسم "مجموعه من كلام المرتضى في فنون الكلام" نقل شطر منها عن كتاب "الذخيره". و ما نقل يدل على أن الكتاب في أصول العقيدة الاماميه، تحدث فيها عن الرساله، و المعجزه، و صفات الله، و الامامه و شروطها.

مسأله و جيزه في الغيبه:

بثلاث صحائف تعالج مسأله غيبه الامام و لا تختلف في أدلتها عما ورد في بقيه كتبه، و بخاصه "المقنع في الغيبه".

المسائل التبانیه:

لها نسخه مخطوطه في "مكتبه الرضا"، عدد أوراقها ٣٠ ورقه نسخه منها بقلم الشيخ آغا بزرك، و هي مسائل سال الشريف عنها "أبو عبد الله محمد بن عبد الملك التبانى". المتكلم الامامى و هو فيما يبدو من أسئلته متكلم حاذق، و ربما كان أفضل من توجه للسيد باسئله، و كانت أدق ما أشكل به من مسائل على الشريف. تحدث فيها عما يؤخذ على الاماميه من رفضهم دليل الإجماع و القياس، و دعوى عصمه الأنبياء و الأئمه، و تساءل عن السبب الذى حمل "الشريف" على رفض خبر الآحاد في حين يذهب بذهابه أكثر الشريعه.

و أبو عبد الله هذا إمامى فيما يظهر، و لكنه يتقمص روح الخلاف ليجر الشريف إلى المناقشه.

و الرساله تمثل ما ساد الروح الامامى من توثب و تطلع إلى مناقشه مسائل مذهبيهم.

و من جمله ما يؤثر من رسائل الشريف:

١ - أجوبه المسائل الديلميه، و توجد نسخه منها في "مكتبه الرضا".

٢ - أجوبه المسائل الطبريه، توجد نسخه منها في "مكتبه الرضا"، تاريخ نسخها ١٠٩٣ هـ.

آثاره الأدبيه

١ - ديوان المرتضى:

يبدو من كتب التراجم أن كثيرا من المؤلفين وقفوا على نسخ من ديوان "المرتضى" في عصور مختلفه.

قال الحر العاملى: و قد رأيت نسخه من ديوان شعره قرئ عليه و عليه خطه، فكتبته بخطى في نحو عشره أيام. و هو أقل من عشره

آلاف بيت، و كأنه منتخب ديوانه. (١)

يبلغ شعره لدى بعض المؤرخين عشرين ألف بيت. أما ما وقفت عليه من نسخ الديوان:

أ - نسخه "آل زوين" و هي تشتمل على جزئين، عدد صفحاتهما ٣٠٤ صحيفه في كل صحيفه ما يقارب ١٦ بيتا. و قد أطلعت و قابلت عليها النسخه التي لدى، و هي الآن ببغداد في حوزة المحامي رشيد الصفار.

ب - نسخه آل الشيبى و هي بقلم والدهم الجليل الشيخ جواد.

و تحتوى - كما هو الحال فى نسخه آل زوين - على الجزئين الأولين من ديوان المرتضى و تختلف بعض الاختلاف عن نسخه آل زوين فيما يتصل بالمقدمات المكتوبه أمام قصائد الديوان. و فى قراءه بعض الكلمات. و للشيبى تعليقات قيمه على النسخه و تصحيحات لها. و يخيل لى أن الاختلاف بيها [بينها] و بين نسخه السماوى راجع إلى قراءه النص و ليس إلى اختلاف فى الأصل، و إلى رغبه السماوى فى إيجاز المقدمات. و أكبر الظن أن الشيخ الشيبى نسخها على نسخه آل زوين.

ج - النسخه التي فى ملكى، و هي نسخه الشيخ محمد السماوى، مكتوبه بخطه منقوله عن جمله مصادر، لم يحاول - كعادته - الإفصاح عن مصدر نقله لها. و إذ امتلكتها قابلتها بنسخه آل زوين و نسخه آل الشيبى، فكان كل من النسختين تساوى الجزئين الأولين منها، و هذه تزيد عليهما باربعه أجزاء.

د - نسخه الشيخ حسن ابن الشيخ محسن الجواهرى.

ه - هذا و لشعر المرتضى مصادر أخرى رجعت إليها فى تحرير ديوانه، كما ستقرأ دراسه مفصله للديوان و نسخه و أصوله فى مقدمه النسخه التي شرحتها و أعددتها للنشر. (٢)

٢ - شرح قصيده السيد الحميرى:

طبع فى القاهره سنه ١٣١٣ هـ ضمن مجموعه رسائل فارسىه و عربيه.

و القصيده فى مدح الامام على، بائيه مستهلها:

هلا وقفت على المكان المعشب بين الطويلع فاللوى من كبك

شرحها الشريف لولده، إذ أن شعر "السيد الحميرى" من مناهج الدراسه لأطفال الشيعه، و فى مقدمه ما يحفظه الاماميه من أصول الأدب، و كان أول ما ألزمت بحفظ:

لأم عمر باللوى مربع...

و فى الشرح عرض لسيره الامام "على" و فضائله و مواقفه، و شرح لغوى و أدبى لمفردات القصيده و معانيها إلى استطراد لقضايا أدبيه و تاريخيه.

تكاد تجمع على ذكره الفهارس القديمه بهذا الاسم، أما المحدثه فاسمته "أمالي المرتضى". و أقدم من نوه بالوقوف على نسخ متعدده منه و وصفها صاحب "رياض العلماء" من رجال القرن الحادى عشر أو الثانى عشر. فقد قال: أنه رأى نسخه منه فى بلده "أردبيل" يرجع تاريخ نسخها إلى عام ٥٤٥هـ. و قال مره أخرى: إن لكتاب الغرر و الدرر نسخا أخرى لها إلحاقات جليله الفوائد، و أنه رأى نسخه منها فى بلد "أيروان" تشتمل على تلك الزيادات. و قال ثالثه: و هناك تعليقات على الكتاب للسيد ضياء الدين أبى الرضا فضل الله الراوندى شاهدتها.

و ذكر مره رابعه أنه شاهد نسخه من كتاب الغرر يرويها السيد فضل الله الراوندى عن أستاذه نجم الدين حمزه بن الأغر عن القاضى أبى المعالى بن قدامه عن السيد المرتضى.ل.

ص: ٢٩٨

-
- ١- الديوان ج ١ ص ٦٠: ضل عنه قلبه يتغى قلبا.
 - ٢- الشيب و الشباب ص ٦٨: و رأيت بياضا ما رأتهبدا هناك سواه قبل.

و توجد الآن في مكتبة الرضا المخطوطه خمس نسخ منه، تختلف في عدد مجالسها، و في ترتيب أبوابها عن النسخ المطبوعه بايران و مصر سابقا.

و رأيت نسخه مخطوطه من تكمله "الغرر و الدرر" لدى الشيخ محمد رضا فرج الله منسوخه عام ٥٥٥ هـ بخط "فضل الله بن على الحسينى ابن الرضا" جاء فيها:

"هذه مسائل أملاها السيد الأجل المرتضى تكمله لكتابه "غرر الفوائد و درر القلائد" رويتها للأمير الأجل السيد الولد الأوحده ناصر الدين، عز الإسلام، فخر الساده، أبى المعالى محمد بن الحسين بن المنتهى الحسينى المرعشى عن الشيخ أبى نصر الفارابى عن أبى منصور العكبى أدامه الله.

سمعتها عن علم الهدى رضى الله ."

طبع الكتاب باسم "درر القلائد و غرر الفوائد" مع تكملته فى طهرانسنه ١٢٧٣ هجرية، و طبع دون التكلمه باسم "أمالى المرتضى" بمصر فى مطبعه السعاده سنه ١٣٢٥ هـ و عليه شروح و تعليقات للسيد "محمد بدر الدين النعسانى الحلبي" و السيد "أحمد أمين الشنقيطى". و طبع أخيرا بمصر محققا منقحا على خمس نسخ من قبل الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم و تجد الأصول التى رجع إليها موصوفه فى مقدمه الكتاب فليس بنا حاجه إلى وصفها.

هذا و هناك شرح معاصر لأمالى الشريف المرتضى باسم كتاب "الفوائد الغوالى" فى شرح شواهد الأمالى، للشيخ محسن بن الشيخ شريف الجواهرى النجفى المتوفى سنه ١٣٥٥ هـ. و هو كتاب ضخيم يقع فى أربعة مجلدات كبيره، تتجاوز ألفى ورقه. رأيت سنه ١٩٥٥ م نسخه مخطوطه منه فى النجف عند ولده الشيخ محمد حسن الجواهرى، و هو يجرى مجرى الأمالى فى جمعه بين التفسير و الأدب و التاريخ و اللغه.

و الشىء الذى لا يزال غير محقق فى أمر الكتاب هو، أ كان الأمالى من تأليف السيد و جمعه، أم كان ياملئه و جمع تلاميذه، فان يكن الثانى فمن هو من بين تلاميذه؟.

الذى يظهر من أسلوب الكتاب أنه من تأليف السيد و جمعه، و ليس لتلاميذه إلا فضل الروايه عنه و القراءه عليه، و إلا لاختلف أسلوب التأليف بما يدخل عليه من صيغ المملى عليهم مع اختلافهم، فى حين نجد طرق الروايه له مختلفه مع وحده أسلوب الكتاب و نسخه.

أما ما يوجد أحيانا من عباره منوهه بمدح الشريف، أو داعيه بطول البقاء له، فربما تكون من عمل طلابه يدخلونها على النص فى مطلع كل بحث، يكون من قول السيد لا من روايته، للتفريق بين ما يقوله من عنده و ما يرويه عن غيره.

يعتبر الكتاب مفتاح شخصيته [شخصيته] فى التفسير و النقد، و مصدرا قيما للاستعانه بتحقيق بعض النصوص الشعريه، إذ أن للسيد طريق روايه خاص لبعض تلك النصوص.

أكثر ما رواه فى الكتاب عن أستاذه المرزبانى و هو شخصيه معروفه الشأن فى عالم الروايه، و لكنه روى كثيرا عن شخصيتين غير

معروفين عرفانا كافيا. أحدهما على بن محمد الكاتب. (1) و ثانيهما أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن جنيقا الدقاق.

الشهاب فى الشيب و الشباب:

طبع فى مطبعة الجوائب سنه ١٣٠٢ هـ و معه كتاب "سلوه الخريف" المنسوب للجاحظ.

ألفه المرتضى سنه ٤١٩ هـ، و جمع فيه خير ما قيل فى موضوع "الشيب و الشباب" موازنا بين المعانى، و ناقدا لها. عرض فيه من شعر ابن الرومى ٤٦ بيتا و من شعر أبى تمام ٣٩ بيتا، و من شعر أبى عباده البحرى ١٤٠ بيتا، و من شعر أخيه الرضى ٣١٤ بيتا. و من شعره ٤٦٣ بيتا (٢) و كان آخر ما أورده من شعره ما نظمه عام ٤٢١ هـ.

ورد فيه ذكر كتابه "الغرر و الدرر" كثيرا. و هو من خير المصادر التى يمكن أن يقابل بها بعض شعره، و شعر أخيه من أجل تحقيقهما.

يضاف إلى ذلك أنه يصح أن يعتمد عليه فى تبيين أساليب النقد لذلك العصر، و طريقه المرتضى فى النقد - و قد أوسعت الكلام فيه عند الحديث عن أدبه الوصفى.

و فى الكتاب نصوص منقوله عن كتاب الموازنه للآمدى، لا- أثر لها فى المطبوع من هذا الكتاب، مما يحملنا على القول بان النسخه المطبوعه من الموازنه ناقصه.

طيف الخيال:

من آثار المرتضى التى شهدت به أكثر الفهارس. نشره لأول مره و حققه - كما يزعم - محمد سيد كيلانى عن نسخه محفوظه بدار الكتب تحت رقم ١٠٣١٣ ماخوذه عن نسخه مخطوطه بمكتبه الاسكوريال.

ألفه "المرتضى" بعد تاليفه كتاب "الشهاب" كما يطهر [يظهر] من مقدمه الكتاب و هو يجرى على غرار الشهاب فى العرض و الموازنه و النقد للآمدى.

جمع فيه من شعر أبى تمام فى موضوع "الطيب" نيفا و عشرين و مائتى بيت، و من شعر أخيه الرضى ما يقرب من ذلك، و كثيرا من شعر البحرى، و من شعره خاصه ٣٢٥ بيتا. و من شعراء آخرين جاء على شعرهم فى عرض الموازنه، و تتبع أبيات المعانى.

و ينتفع بالكتاب فى كل ما نوهت به من الانتفاع بكتاب "الشهاب".

هذا و للمرتضى كتب أخرى فى الأدب لم أقف على ذكر لأصول نسخ منها، و لا على نقل لبعض عباراتها. منها:

١ - أبيات المعانى التى تكلم عليها ابن جنى.

٢ - النقض على ابن جنى فى الحكايه و المحكى.

٣ - كتاب " البرق " وقد نسب له فى أكثر كتب الفهارس وقد يسمى " بالبروق ". فلعل الأيام تقف بنا على أصولها.

٤ - كتاب "الصرفه" و هو يشرح رأيه فى إعجاز القرآن. كما أن كتبا أخرى نسبت له لم ترد فى كتب الفهارس، و لكنى عبرت بها أثناء قراءتى فيها.

١ - المسائل الفخرية. نسبه إليه الشيخ " زين الدين البياضى " فى كتابه "الصراط المستقيم".

٢ - تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين. نسبه اليه السيد "حسينر.

ص: ٢٩٩

١- الديوان ج ٢ ص ٦٦.

٢- الأمالى ص ٢٦ ج ١. ط مصر.

المجتهد" فى كتاب "دفع المناواه" و نقل عنه الشىء الكثير.

٣ - الخطبه المقمصه.

٤ - شرح الرساله. و قد نسبه إليه الشهيد فى بحث التيمم فى شرح الإرشاد.

٥ - عيون المعجزات. قال صاحب الرياض: صرح بنسبته إليه السيد هاشم البحرانى فى كتابه "صله الأبرار" و غيره، و لم يثبت عندى أنه له، إلا أنه كتاب لطيف عندنا نسخه منه قديمه، و لعله من مؤلفات بعض القدماء المحدثين، يروى فيه عن "أبى على محمد بن همام"، و عن "على بن محمد بن إبراهيم".

و قد تقدم الحديث عن إجازته للبصروى، و من مراجعه ثبت مؤلفاته فيها يبدو للمتبع أن الرجل كان منوع الثقافه، واسع أبعادها، إذ بين موضوعاتها الفقه، و التفسير، و الكلام، و الفلسفه الالهيه، و علم النجوم "الفلك"، و النقد، و الأدب فى إنشاء أول روايه. و أن المستأثر منها بغالب جهده الفقه فالكلام فالأدب، و أنها جميعا منصب على خدمه الشيعه، و تسديد ما يذهبون إليه من آراء فى العقائد و فى أحكام الفقه.

أما طابعها العام من حيث القصد الذى يسيطر عليها فهو الجديده، و حراره القصد. فهو إذ يتكلم عن الآراء الفقهيه، أو المذاهب الكلاميه، تستشعر منه أنه طالب حقيقه، و صاحب فكره، ليس من قصده الجدل لنفسه، و لا الخصومه لنفسها شان ما يفعله كثير من المتكلمين أصحاب الجدل و النظر، أمثال "الجاحظ" و "ابن الراوندى" و "أبى حيان التوحيدى" و غيرهم ممن قد يجد فى مجرد حوك الآراء، و تقرير النحل متعه و غرضا ذاتيا.

و من حيث التقدير للأشياء مقتصد حتى فى الأحكام الأدبيه، لا يغلو فى تقدير الأمور، و لا فى استصدار الأحكام، شان ما فعله الثعالبى فى "تيمته"، و "ابن بسام" فى ذخيرته، عند ما عرضا لترجمه الأدباء، و إنما هو مستشعر مسئوليه أحكامه أمام الله و الناس.

و من حيث الاتجاه فإنها تنحو منحى يخالف فيه أهل الظاهر حتى الاماميه منهم، كما أنها تتميز و بخاصه فى الفقه، بالاعتماد بالرأى دون الروايه، و باعمال الأدله الاصوليه عقليه و لفظيه، فى استنباط الأحكام، و بذلك يخرج على المحدثين و الأخباريين من الاماميه.

و من حيث الأداء فإنه ميال إلى مواجهه المشكله رأسا، و من غير تمهيد لها، أو خروج عنها إلى سواها، و إذا استطرد ما زجا بين مسأله و أخرى، أو فن و غيره، فإنه لا- يبعد عن الغرض إلا- ليتقرب منه بوسائل من التوضيح و التمثيل، فان استوفى ذلك عاد للمشكله ذاتها.

أدبه الوصفى

كان المرتضى ككثير من رجال الفقه و الحديث و الكلام معنيا بامر الأدب، متعاطيا لفنونه - إلى جانب عنايته بثقافته الأخرى -

فعد لهذا من خيره رجاله فهما له، و نقدا لأصوله، و إنشاء لضروبه.

نعم كان المرتضى من خيره الأدباء الوصفين، تناول بالنقد كثيرا من الشعر و النثر، و حكم فى آثار عدد غير قليل من الشعراء و الناثرين، و تحدث ببراعه و حسن ادراك للجمال و ظواهره فى حدود ما عرف أو استشف منها آنذاك، و كانت له لفتات بلاغيه تسحق الانتباه، سجلها أثناء تعقيبه على آى القرآن و على الحديث، كما كانت له آراء تشبه أن يكون قد تفرد بها، و تعقيبات على معانى الشعر فى موازات لا تقل أصاله عن موازات الأمدى و أبى هلال العسكري:

أ - فمن تلك الآثار البلاغيه تعليقه على حذف جواب الشرط، فى قوله تعالى: (وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَّا كُنَّا نَمُرُّ بِهَا فَفَسَّ قَوْمًا فِيهَا) بقوله:

" و كلام العرب وحى و إشارات، و استعارات و مجازات، فان الكلام متى خلا من الاستعاره، و جرى كله على الحقيقه، كان بعيدا عن الفصاحه، بريئا من البلاغه.

ب - و منها تعقيبه على ما يبدو من تناقض التشبيه فى قوله تعالى:

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) و قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَ لَمْ يُعَقِّبْ) بقوله: "إنما شبهها بالثعبان فى إحدى الآيتين، لعظم خلقها، و كبر جسمها، و هول منظرها و شبهها فى الآيه الأخرى بالجان، لسرعه حركتها و نشاطها و خفتها، فاجتمع لها مع أنها فى جسم الثعبان، و كبر خلقه، نشاط الجان و سرعه حركته، و هذا أظهر فى الاعجاز، و أبلغ فى خرق العاده... و ليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع خصائص الثعبان، و لا إذا شبهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته... فقد تشبه العرب الشئ بغيره فى بعض وجوهه، فيشبهون المرأه بالظبيه... و نحن نعلم أن فى الطباء من الصفات ما لا يستحسن أن يكون فى النساء، و إنما وقع التشبيه فى صفة دون صفة، و فى وجه دون وجه. (1)

ج - و منها إدراكه لخصائص التعريف باسم الموصول فى قوله تعالى:

(فَعَشِيَّتْهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَّتْهُمْ) فقد عقب على الآيه بذكر جملة وجوه للمفسرين ليس فيها جميعا أثرا لادراك البلاغى، ثم ذكر رأيه فقال:

" و يمكن فى الآيه وجه آخر لم يذكر، يليق بمذاهب العرب، فى استعمال مثل هذا اللفظ، و هو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى: (مَا غَشِيَّتْهُمْ) تعظيم الأمر و تفخيمه، كما يقول القائل: فعل فلان ما فعل، و أقدم على ما أقدم، إذا أراد التفخيم، و كما قال تعالى: (وَ فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ) و ما يجرى هذا المجرى.

قال الهذلى:

رقونى و قالوا يا خويلد لا ترع فقلت و أنكرت الوجوه هم هم

و قال أبو النجم:

أنا أبو النجم و شعري شعري.....

"كل ذلك إذا أرادوا تعظيم الأمر و تكبيره" د - و تحدث عن فوائد التكرار في سورة الكافرين، و سورة الرحمن و غيرهما من السور، فذكر [فذكر] للمفسرين جملة آراء كان كثير منها متكلفا، و لكنه فضل أن يكون التكرار للتأكيد، و هو رأى "الفراء"، و لكنه تبناه و شرحه و جاء له بشواهد شعريه و نثريه. (٢)

ه - و تحدث عن الاستعارة الواردة

في حديث "تقىء الأرض إفلاذ كبدها مثل الأسطوان من الذهب و الفضة..." ر.

ص: ٣٠٠

١- الأمالي ج ١ ص ١٢٠-١٢٧.

٢- الامالي ج ١ ص ٩٥-٩٦ ط مصر.

فقال: "معنى تقىء: تخرج ما فيها... و قوله تقىء... تشبيهه و استعاره من حيث كان إخراجا و إظهارا، و كذلك تسميه ما فى الأرض من الكنوز كبداء، تشبيها بالكبد التى فى بطن البعير.

قال " مره بن محكان السعدى " يصف قدرا نصبها للأضياف.

لها أزيز يزيل اللحم أزمله عن العظام إذا ما استحمشت غضبا

ترمى السلاه بنبل غير طائشه وقعا إذا آنتست من تحتها خطبا

فوصفها بالغضب تشبيها و استعاره. فاما الأزيز فهو الغليان. و العرب تقول: لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل. و الأزملة.. الصوت.

و استحمشت.. غضبت، يقال: حمشه أى أغضبه. و قال "النايغه الجعدى" فى معنى الاستعاره:

سالتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم و أكل

فوصف الدهر بالأكل و الشرب، تشبيها و استعاره، و قال قوم: معنى البيت: شرب أهل بعدهم و أكلوا.(1)

و يحسن أن تنتبه إلى جملة ما فى عبارته هذه من التفاتات بلاغيه لم تكن معروفه فى عهده على هذا الوجه من الوضوح فقد أدرك أولا- أن الاستعاره من المجاز و من التشبيه. و أوما أخيرا إلى الفرق بين المجاز و المرسل و المجاز العقلى، الأمر الذى يخيّل لنا أنه لم ينتبه إليه إلا بعد حين من حياه المرتضى.

و - و تحدث عن " الكنايه " فى قول حسان بن ثابت:

بيض الوجه كريمه أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

فقال: " الشم: الارتفاع فى كل شىء، فيحتمل أن يكون "حسان" أراد بشم الأنوف ما ذكرناه، من ورد الأرنبه " أرنبه الأنف " لأن ذلك عددهم دليل العتق و النجابه، و يجوز أن يريد بذلك الكنايه، أى نزاهتهم و تباعدهم عن دنايا الأمور و رذائلها، و خص الأنوف بذلك، لأن الحميه و الغضب و الأنف فيها، و لم يرد طول أنوفهم. و هذا أشبه بان يكون مراده، لأنه قال بيض الوجه، و لم يرد بياض اللون فى الحقيقه و إنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، و جميل أفعالهم، كما يقول القائل، جاءنى فلان بوجه أبيض.(2)

ز - و منها التفاتة إلى خصائص و دقائق حروف المعانى. - و خصائص الحروف من أدق المعانى البلاغيه - حين تكلم عن قوله تعالى: (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) فقال:

" و للعرب فى هذا مذهب و طريق لطيف، لأنهم لا يستعملون لفظه "على" فى مثل هذا الموضع إلا فى الشر و الأمر المكروه، و يستعملون اللآم و غيرها فى خلاف ذلك، أى: أنهم لا يقولون: عمرت على فلان ضيعته، و لا ولدت عليه جاريته، بل يقولون: ولدت له جازيته، و عمرت له ضيعته و هكذا من شأنهم إذا قالوا: قال على، و روى على، فإنه يقال فى الشر و الكذب، و فى

الخير و الحق يقولون: قال عنى، و روى عنى، قال الشاعر:

عرضت نصيحه منى "ليحيى" فقال غششتنى و النصح مر

و ما بى أن أكون أعيب "يحيى" و "يحيى" طاهر الأخلاق حر

و لكن قد أتانى أن "يحيى" يقال عليه فى بقعاء شر

فقلت له: تجنب كل شىء يعاب عليك إن الحر حر

و مثله قول الفرزدق فى "عنبه بن معدان" المعروف ب "عنبه الفيل": و قد كان يتبع شعره و يخطئه و يلحنه...

لقد كان فى "معدان" و "الفيل" زاجر ل "عنبه" الراوى على القصائد

(٣) ح - و مثل ذلك إدراكه لمعنى الآية: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ) ردا على من تخيل أن قتل الأنبياء قد يكون بحق:

"إن للعرب فيما يجرى هذا المجرى عاده معروفه، و مذهبا مشهورا، عند من تصفح كلامهم، و مرادهم بذلك المبالغه فى النفى و تأكيده، فمن ذلك قولهم: فلان لا يرجى خيره" ليس يريدون أن فيه خيرا لا يرجى، و إنما غرضهم أن لا خير عنده على وجه من الوجوه.

قال امرؤ القيس يصف طريقا:

على لاحب لا يهتدى بمناره

أراد أنه لا منار له، فيهتدى بها و قال: ابن أحمـر:

لا تفرع الأرنب أهوالها و لا ترى الضب بها ينجحـر

أراد ليست بها أهوال فتفرع الأرنب و قال "سويد بن أبى كاهل":

من أناس ليس من أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع

لم يرد أن فى أخلاقهم فحشا أجلا، و إنما أراد نفى الفحش و الجزع عن أخلاقهم... و على هذا يقع تأويل الآيات:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) و قوله تعالى:

(وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا)... (٤)

و لست أبغى استعراض جملة ما له من خواطر بلاغية فقد يطول بي البحث عندها، و لكنى ذكرت ما بكفى للتنويه بان الرجل كان من فهم الأساليب و الاحاطه بما عرف فى عهده من مصطلحات بلاغيه بالمكان الذى يجعله فى طليعه الناقدین الوصفین.

و خلاصه القول فى آرائه البلاغیه، أنها كانت حلقة الوصل بين ما بدأه الجاحظ من إشاعه الخواطر البلاغیه عند نقد النصوص فى كتابه "البيان و التبيين" و ما انتهى إليه "الجرجاني" من تركيز تلك الخواطر و تصنيفها إلى أبواب مستقلة فى كتابيه "دلائل الاعجاز" و "أسرار البلاغ" و إن خواطره لو جمعت و وصلت ببعضها لألفت شطرا كبيرا من مسائل البلاغ و بخاصه ما كان أدخل منها فى علم المعانى.

و أما موازناته بين الشعراء، فبحسبك أن له بين أيدينا مؤلفين فى الموازنه:ر.

ص: ٣٠١

-
- ١- الأمالى ج ١ ص ٢٤٧ ط مصر.
 - ٢- الأمالى ج ١ ص ٣٥٢ ط مصر.
 - ٣- الأمالى ج ١.
 - ٤- الأمالى ج ص ٢٨٠ - انظر شرحه لقصيدته أبى نواس: "يا منه أمتنها السكر" و ما اختاره من شعر "مروان بن أبى حفصه"، و نبه عليه من معانيه و سرقاته ج ٢ ص ٥٣٢-٥٨٩. و لعله بعمله هذا قد حفظ لنا جملة ما ل "مروان" من شعر.

أحدهما كتاب "الشهاب فى الشيب و الشباب" و قد جمع فيه موازنا خير ما قيل فيهما، و بخاصه ما كان من شعر "البحتري" و "أبى تمام"، و "ابن الرومى" و أخيه "الرضى"، و ما نظمه هو فى الموضوع.

و ثانيهما كتاب "طيف الخيال" و قد جرى التأليف فيه على نسق ما جرى فى الأول، مستطردا أحيانا إلى ما قاله غيرهم من الشعراء.

و له مؤلف ثالث باسم "البروق" و أكبر الظن أنه يجرى مجراهما فى الموازنه، إذ أن المرتضى كلف بوصف البرق فى شعره كلفه بالموضوعين المتقدمين [المتقدمين].

كما ذكرت الفهارس له مؤلفا آخر باسم "تتبع أبيات المتنبي التى شرحها ابن جنى". و ليس للكتابين الأخيرين - فيما انتهى إليه بحثى - وجود فى فهارس المكتبات العامه و الخاصه، و لم أعرف أحدا نقل عنهما نصا أو أثرا.

على أن كتاب "الأمالى" وحده كاف فى تصوير ما حفظ الرجل و وعى من شعر جاء على أكثره بالموازنه و التعقيب. (1)

كما يصح أن ندرج فى ضمن كتبه الوصفيه "شرح القصيده المذهبه للسيد الحميرى"، فقد تحدث عن معانى أبياتها، و شرح أغراضها شرحا لغويا أدبيا أتى على جملة ما فى القصيده من أغراض.

و لقد كان فى كثير من خواطره النقدية موفقا بارعا، شهدنا ذلك فى تعقيبه على "غريب الحديث" لابن سلام"، و "غريب الحديث" ل "عبد الله بن مسلم بن قتيبه"، و فى مؤاخذاته "للآمدى" فى كتابه "الموازنه بين الطائين".

فمن مأخذه الموفقه ما ورد فى كتاب "الشهاب" تعقيبا على الآمدى حين تعرض لأبيات البحتري:

هل أنت صارف شبيه إن غلست فى الوقت أو عجلت عن الميعاد

جاءت مقدمه أمام طوالع هذى تراوحنى و تلك تغادى

و أخو الغيبه تاجر فى لمة يشرى جديد بياضها بسواد

لا تكذبن فما الصبا بمخلف لهوا، و لا زمن الصبا بمعاد

و أرى الشباب على غضاره حسنه و جماله عددا من الأعداد

قال المرتضى: "وجدت الآمدى قد نزل فى معنى قوله:

"يشرى جديد بياضها بسواد"

لأنه - الآمدى - قال: معنى يشرى: يبيع، و أراد أن الغيبين من باع جديد بياضه بالسواد، و أراد بالسواد الخضاب فكأنه دم الخضاب.

و الأمر بخلاف ما ذكره، و ما جرى للخضاب ذكر، و لا- هاهنا موضع للكناية عنه، و معنى " يشرى " هاهنا: يبتاع، لأن قولهم " شريت " يستعمل فى البائع و المبتاع جميعا، و هذا من الأضداد، نص أهل اللغة على هذا، فكأنه شهد بالغبن لمن يبتاع الشيب بالشباب، و يتعوض عنه به.

و إنما ذهب على " الآمدى " أن لفظه " يشرى " تقع على الأمرين المتضادين، فتحمل ذكر الخضاب الذى لا معنى له هاهنا... (٢) و من مأخذه على الآمدى مأخذه على تفسيره للبيت الأخير من أبيات البحترى الآتية:

أخى إن الصبا استمر به سير الليالى فانهجت برده

تصد عنى الحسان مبعده إذ أنا لا تربه و لا صدده

شيب على المفرقين بأرضه يكثر فى أن أبينه عدده

تطلب عندى الشباب ظالمه بعيد خمسين حين لا تجده

لا عجب إن نقلت خلتنا فافتقد الوصل منك مفتقه

من يتناول على مطاوله العيش تتقعع من مله عمده

فقد فسر الآمدى: " تتقعع من مله عمده " بان عظام الكبير المسن يجيء لها صوت إذا قام و قعد، و تسمع لها قعقه.

قال المرتضى: " و ما سمعنا بهذا الذى ظنه فى وصف ذوى الأسنان و الكبير، و المعنى أظهر من أن يخفى على أحد، لأنه أراد: من عمر و أسن، و أول العيش تعجل رحيله و انتقاله من الدنيا، و كنى عن ذلك ب " تتقعع العمدة " لأن ذوى الخيام و الأطناب إذا انتقلوا من محل إلى غيره، و قوضوا عمد خيامهم، و سارت بها الإبل، سمعت لها قعقه. و من أمثال العرب المعروفه: " من يتجمع تتقعع عمده " يريدون أن التجمع يعقب التفرق، و الرحيل الذى تتقعع معه العمدة.

و معنى قوله: " من مله " يريد من السام و الملل، دون ما ظنه " الآمدى " من أنه تملى العيش. (٣)

و من مأخذه النقديه على " الآمدى " دعوى الأخير أن " أبا تمام " أخذ قوله:

عادك الزور ليله الرمل من رمله بين الحمى و بين المطالى

نم فما زارك الخيال و لكنك بالفكر زرت طيف الخيال

من قول " جران العود ":

أهلا بطيفك من زور أتاك به حديث نفسك عنه و هو مشغول

لأن معنى "و هو مشغول" أى أنه لم يترك على الحقيقة فبنى "أبو تمام" من هذا قوله: "ما زارك الخيال" وبنى من قوله: "أتاك به حديث نفسك" قوله: "و لكنك بالفكر زرت طيف الحيال [الخيال]"، فالمعنى كله ل "جران العود" و إنما غير "أبو تمام" لفظه.

قال المرتضى: "و ما كان عندي أن مثله يذهب عليه ما قصده "أبو تمام"، مع وضوحه. و معنى "و هو مشغول" أى و هو مشغول عنك، لا تخطر بباله، و لا تحدثه نفسه بك، كما تحدث نفسك به، و لا يفارقك ذكره.

و من مأخذه البارعه: ما أخذه على "الصولي" فى تفسيره بيتا لأبى نواس، فقد روى أن أبا نواس وقف على النيل بمصر، فرأى رجلا قد أخذه التمساح فقال:

أضمرت للنيل هجرانا و مقلبه مذ قيل لى: إنما التمساح فى النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كتب فما أرى النيل إلا فى البواقي ٨.

ص: ٣٠٢

١- الشيب و الشباب ص ٢٠-٢١ طبع الجوائب.

٢- الشيب و الشباب ص ٢٠ ط الجوائب - و الأمالى ج ٢ ص ٢٦٤.

٣- طيف الخيال ط مصر ص ٢١، و الأمالى ج ١ ص ٥٩٦-٥٩٨.

قال الصولي: "و البواويل سفن صغار".

قال المرتضى: "أخطا الصولي" في تفسير "البواويل" بأنها سفن صغار، لأن البواويل جمع "بوقال" و هو آله على هيئة الكوز معروفه، تعمل من الزجاج وغيره، و هذا مثل قول ابن الرومي:

"أمر به في الكوز مر المجانب"

"و إنما أراد أنني لا- أمر بماء النيل إلا إذا أردت شربه في "كوز" أو "بوقال"، و أظن "الصولي" استمر عليه الوهم من جهه قوله: "فمن رأى النيل"، و صرف ذلك إلى أنه أراد "النيل" على الحقيقيه، و إنما أراد ماء النيل، و ما علمت أن السفن الصغار يقال لها "بواويل" إلا من قول "الصولي". هذا لو كان ما ذكره صحيحا من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت "أبي نواس" بما ذكرناه أشبه و أليق، و أدخل في معنى الشعر، و كيف تدخل عليه الشبهه في ذلك مع قوله:

"فمن رأى النيل رأى العين من كتب"

. و من رأى النيل في السفن فقد رآه من كتب، و من رأى ماء في الآنيه لا يكون رائيا له من كتب.

و من لفتات "المرتضى" النقدية البارعه تصويره لكيفيه لقاح المعاني و تناسلها، و ولاده بعضها من بعض بالتركيب و الامتزاج، أو التداخل، و نصه على أن دعوى أخذ شاعر من شاعر، و سرقة معنى من معنى، أمر يجب التورع فيه، و التخرج من إطلاقه، فالمعاني نفسها إذ تعلق في الدهن، و تفر في رحم اللاشعور تتلاقح و تولد كائنا جديدا، يأخذ من كل بعض خصائصه، فما نراه من تشابه بين المعاني السابقه و اللاحقه لا- يعني أن المولود الجديد يلحق بغير من ادعاه، أو ولد على فراشه، بل هو له و إن لاحت عليه شمائل غير أبيه، إذ أن سنه تلاقح المعاني في الدهن تقضى بهذا التشابه و الاختلاف.

لهذا نرى "الشريف" يتخرج من إطلاق القول في أخذ شاعر من شاعر، و سرقة بيت من بيت، و غايه ما يبيح لنفسه أن يقول: "سبق إلى هذا المعنى، أو كأنه نظر إلى هذا المعنى، أو لمح بهذا المعنى ذلك المعنى".

يقول و هو يستعرض المعاني الوارده في مدح الشيب و ذمه:

"هذه المعاني قد تتشعب و تتركب و تمتزج فيتولد بينها من المعاني ما لا ينحصر و ينضب، بحسب قوه طباع الشاعر، و صحه قريحته و غريزته. (1)

و يقول: "ليس ينبغي لأحد أن يقدم على أن يقول أخذ فلان الشاعر هذا المعنى من فلان، و إن كان أحدهما متقدما و الآخر متأخرا"، لأنهما ربما تواردا من غير قصد، و لا وقوف من أحدهما على ما تقدم الآخر إليه، و إنما الإنصاف أن يقال: هذا المعنى نظير هذا المعنى، و يشبهه و يوافقه، فاما أخذه و سرقة فمما لا سبيل إلى العلم به، لأنهما قد يتواردان على ما ذكرناه، و لم يسمع أحدهما بكلام الآخر، و ربما سمعه فنتسبه و ذهب عنه، ثم اتفق له مثله من غير قصد، فلا يقال: "أخذه و سرقة. (2)

و خلاصه القول فى أدبه الوصفى أنه بحكم ما جهزه "المرتضى" من وقوف على اللغة و أساليبها، و بتأثير ما زود به من ثقافات متنوعه، عاد من أقدر ناقدى عصره إن لم يكن أقدرهم جميعا على التصرف فى النص، و التحكم فى بواطنه و خفاياه، و بلوغ أقصى ما يحتمله من دلالات.

و لكن هذه القدره على التصرف، و التمكن من استخراج سائر المحتملات من النص ربما أغرتة بقبول المتكلف المتعمل من وجوه النص.

و أمر آخر داخل أدبه الوصفى فأصر به عبارته و فكره، هو شيوع النزعه العلميه و طغيانها عليه، فالتقسيمات المنطقيه، و العرض المبوب المرتب، جعل بحوثه الأدبيه أشبه بالبحوث العلميه، المعنيه بتقرير الحقائق أكثر من العنايه بجمال التصوير و التعبير.

و لو استطاع "المرتضى" أن يتناسى شخصيته العلميه حين يطرق أبواب الأدب، و أن يخلص من عقائده الكلاميه، مكتفيا منها بما أتت من آثار فى شحذ أفكاره و أرهاف ذهنه، لأبداع فى النقد غايه الإبداع، و لكن أنى له بذلك و هو يمشى إلى الأدب بروح المتكلم الفقيه.

أدبه الإنشائى

النشر [النثر]:

إن نثر "المرتضى" الأدبى قليل النصوص، فلا نعرف له رسائل إنشائيه و لا كتبا ديوانيه، و لا خطبا فى السياسه أو الدين. و كل ما بأيدينا من نثره مقتبس من كتبه، فى مقدماتها المفتحة عاده بالحمد و البسملة، ثم بتصوير ما قصد إليه الكتاب، و ما ألم به من أمهات المسائل، و الملاحظ فى هذه المقدمات الإيجاز و الإيماء إلى ذكر الباعث على تأليف الكتاب، و المنهج الذى يتبعه فيه، و القصد الذى يرمى إليه، على وجه يمكن القارئ من الدخول فى الموضوع و هو على بينه من أمره، فى غير التزام لاسلوب بعينه، و لا طريقه بذاتها فقد يسترسل، و قد يسجع، و قد بجمع بين الأمرين.

فمن الاسترسال ما قدم به كتابه "الشافى":

"الحمد لله، و سلام على عباده الذين اصطفى، محمد و آله الطاهرين النقباء.

سالت - أيدك الله - تتع ما انطوى عليه الكتاب المعروف ب (المغنى من الحجاج فى الامامه) و إملاء الكلام على شبهه بغايه الاختصار، و ذكرت أن مؤلفه قد بلغ النهايه فى جمع الشبه، و أورد قوى ما اعتمده شيوخه، مع زيادات يسيره سبق إليها، و تهذيب مواضع تفرد بها، و قد كنت عزمت - عند وقوع هذا الكتاب فى يدي - على نقض ما اختص منه بالإمامه، على سبيل الاستقصاء، فقطعنى عن إمضاء ذلك قواطع، و منعت منه موانع، كنت متوقعا لانحسارها، فابتدئ به و أنا الآن عامل على إملاء ما التمسته، و عادل عن بسط الكلام و نشره، إلى غايه ما يمكن من الاختصار و الجمع، و معتمد حكايه أوائل الكلام، و أطراف فصوله، و موقع الحواله على كتابه، ليكون ذلك أدخل فيما نحوته من الاختصار. و هذا الكتاب - إذا أعان الله عليه، و وفق لبلوغ الغرض فيه - يكون جامعا لأصول الامامه و فروعها، و محيطا من الكتب المهذب، و النكت المحرره، بما لا يوجد فى شىء من

الكتب المصنفة، و إلى الله الرغبة في تيسير ذلك و تسهيله، و أن يجعل ذلك خالصا لوجهه، و مقرونا بمنه و جوده " (٣)ن.

ص: ٣٠٣

١- طيف الخيال ص ١٦ ط مصر.

٢- الشهاب ص ٧ ط الجوائب.

٣- الشافي ص ١ ج ١ ط إيران.

وقوله: "سالت - أحسن الله توفيقك - إملاء كتاب في تنزيه الأنبياء، والأئمة (ع) عن الذنوب والقبائح كلها، ما سمي منها كبيرا أو صغيرا، والرد على من خالف في ذلك على اختلافهم، وضرور مذهبهم، وأنا أجيب إلى ما سئلت على ضيق الوقت، وتشعب الفكر، وابتدئ بذكر الخلاف في هذا الباب، ثم بالدلالة على المذهب الصحيح من جملة ما أذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار التي اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضى وقوع كبيره أو صغيره من الأنبياء والأئمة (ع)، ومن الله استمد المعرفة والتوفيق، وإياه أسأل التأييد والتسديد". (١).

و من السجع قوله:

"الحمد لله على ما أعطى من فهم، و آتى من علم، و صفى من بصيره، و عفى من جريره، و يسر من طلب، و سنى من أدب..." (٢).

وقوله: "الحمد لله على ما دبر من حق متبع، و صرف عن باطل مبتدع، و أرشد إلى دلاله، و أبعد من ضلاله و جهاله، و صلواته على خير خلقه، و على الأكارم و المعالم من أهله، الذين سلكوا منهاجه، و اتبعوا محاجه، و حفظوا من التبديل و التغيير شريعته، و بينوا مجملها، و فسروا مشكلها، و أقاموا دعامها، و قربوا مرامها". (٣).

و الملاحظ فى أكثر هذه المقدمات المسجوعه، أن السجع فيها غير بادى التكلف، و لكنك قد تجد فيها من السجع ما يظهر أثر التكلف عليه و النبو على بقيه سجعه فيه فمن ذلك قوله:

"سالت - أعزك الله و أرشدك - إملاء رساله فى القدر، فقد جالت به الفكر، و أكثرها عن معرفته قد انحسر". (٤).

وقوله: "و اعلم أن الكلام فى القضاء و القدر، قد أعيا أكثر أهل النظر، و أتعب ذوى الفكر، و المتكلم فيه على غايه من الخطر" (٥).

و لقد تجد له نثرا أدبيا فى أثناء كتبه و فى عرضها، من فصول يظهر عليها آثار التأتق فى العبارة، و الذهاب مذهب المتأدين فى انتقاء الفكره، و قصد التأثير فى القارئ عن طريق هذا التفكير و التعبير معا.

و أكثر ما يتجلى هذا حين يدفع عن فكره دينيه، أو نحله مذهبيه فإنه مع التزامه عادة أهل الجدل و الكلام، فى التزام الأسلوب المنطقى، و مصطلحاتهم الكلاميه، يجنح جنوحا بارزا إلى الأسلوب الأدبى، و يخلص إليه بطبعه فى مهاره تخيل للقارئ أنه يكتب موضوعا إنشائيا، يرتجله من نفسه، غير مقيد بالتزام مصطلحات و حدود.

قال مستدلا على تنزيه الله من خلق الشرور - و هى عقيدته إماميه -:

"و أما حجه العقول على أن الله لم يفعل أفعال العباد، و إن فعل الخلق غير فعل رب العالمين، فهو أنا وجدنا من أفعال العباد ما هو ظلم و عبث و فساد، و فاعل الظلم ظالم، و فاعل العبث عابث، و فاعل الفساد مفسد، فلما لم يجز أن يكون الله مفسدا، علمنا أنه لم يفعل الظلم و لا العبث و لا الفساد.

إن الله لا- يجوز أن يعذب العباد على طولهم، وقصر ألوأنهم و صورهم، لأن هذه الأمور فعله و خلقه فيهم، فلو كان الكفر و الفجور فعل الله لم يجوز أن يعذبهم على ذلك، و لا ينهاتهم أو يأمرهم بخلافه.

إن الله سخط الكفر و عابه، و ذم فاعله، و لا يجوز على الحكيم أن بدم العباد على فعله، و لا يعيب صنعه و لا يسخطه، بل يجب أن يرضى بفعله، لأن من فعل ما لا يرضى به فهو غير حكيم، و من يعيب ما صنع، و يصنع ما يعيب فهو معيب...

فالله أحكم و أعدل من أن يسخط في فعله، و يغضب من خلقه، و يفعل ما لا يرضى به...

فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا أنه غير فاعل للكفر، و لا محدث للظلم، و لا مبتدع للقبائح و لا مخترع للفواحش، و ثبت أن الظلم فعل الظالمين، و الفساد فعل المفسدين، و الكذب فعل الكاذبين، و ليس شيء من ذلك فعل رب العالمين. (٤)

و انظر إليه و هو يصل بين "الجاحظ" و "ابن الراوندى" في مقالاتهما التى يبطلها، و مؤلفاتهما التى يشنع عليها، و طريقتهما فى تبنى الآراء المختلفه، و النحل المتباينه، و الاستدلال لها من غير إيمان بما فيها، فانك تجد فيه أدبيا مترسلا فى عرض مسائل مذهبيه لم يعتد المتكلمون إلا قليلا تناولها بهذا الأسلوب الأدبى.

"أما "ابن الراوندى" فقد قيل فيه أنه إنما عمل الكتب التى شنع بها عليه معارضه للمعتزله، و تحديا لهم، لأن القوم - يريد المعتزله - كانوا أساءوا عشرته، و استنقصوا معرفته، فحمله ذلك على إظهار هذه الكتب، ليبين عجزهم عن استقصاء نقضها، و تحاملهم عليه فى رميه بقصور ألفهم و الغفله...

و ما صنع "ابن الراوندى" من ذلك إلا- ما صنع "الجاحظ" مثله أو قريبا منه، و من جمع بين كتبه التى هى "العثمانيه" و "المروانيه" و "الفتيا" و "العباسيه" و "الاماميه"، و "كتاب الرافضه و الزيديه"، رأى من الفتيا و اختلاق القول ما يدل على شك عظيم، و الحاد شديد، و قله تفكر فى الدين و ليس على الحاكي جريره، و لا يلزمه تبعه، لأن هذا القول إن قنع به الخصوم، فليقنعوا إنما حكى مقالات الناس و حجاجهم و ليس على الحاكي جريره، و لا يلزمه تبعه، لأن هذا القول إن قنع به الخصوم، فليقنعوا بمثله فى الاعتذار فان "ابن الراوندى" لم يقل فى كتبه التى شنع بها عليه: إننى أعتقد هذه المذاهب التى حكيتها، و أذهب إلى صحتها. بل كان يقول: قالت الدهريه، و قال الموحدون، و قالت البراهمه، و قال مثبتو الرسل، فان زالت التبعه عن "الجاحظ" فى سب الصحابه و الأئمه، و الشهاده عليه بالضلال، و المروق عن الدين، بإخراجه كلامه مخرج الحكايه، فلتزلن أيضا التبعه عن "ابن الراوندى" بمثل ذلك.ف.

ص: ٣٠٤

١- تنزيه الأنبياء ص ٢ ط إيران.

٢- طيف الخيال ص ١٣ ط مصر.

٣- الانتصار ص ٢ ط إيران.

٤- تنزيه البشر ص ٢٥ ط النجف.

٥- المصدر السابق.

٦- تنزيه البشر من الجبر و القدر ص ٥٧-٦٠ ط النجف.

و بعد فليس يخفى كلام من قصد الحكايه و ذكر المقاله، من كلام المشيد لها، الجاهد نفسه فى تصحيحها و ترتيبها. و من وقف على كتب "الجاحظ" التى ذكرناها، علم أن قصده لم يكن الحكايه، و كيف يقصد إلى ذلك من أورد من الشبه و الطرق ما لم يخطر كثير منه ببال أهل المقاله التى شرع فى حكايتها، و ليس يخفى على المنصفين ما فى هذه الأمور.

إنه بهذا الكشف عن نفس "الجاحظ" و "ابن الراوندى"، دل على ما كان يخالط روحيهما من رغبه فى مجرد تبني الآراء و تمثلها و صوغها، و هو أمر لا يلتفت إليه عادة إلا- أديب خبر النفوس، و عرف منظوياتها و بواعثها على القول، ثم صور ذلك تصويرا أدبيا بعيدا عن أساليب المتكلمين من غير الأدباء.

و كذلك قد يعمد إلى الأسلوب الأدبى عند نقد المعانى، أو عند الحكم على مقادير الشعراء، فمن الأول قوله - تعليقا على أبيات "ابن الرومى":

كفى بسراج الشيب فى الرأى هاديا إلى من أضلته المنايا لياليا

أمن بعد إبداء المشيب مقاتلى لرامى المنايا تحسبى ناجيا

غدا الدهر يرمينى فتدنو سهامه لشخصى، فاخلق أن يصبن سواديا

و كان كرامى الليل يرمى و لا يرى فلما أضاء الشيب شخصى رمانيا

" لقد أحسن فى البيت الأخير غايه الإحسان، لأن المعنى الذى قصده تكامل فهمه، و انتهى إلى الغايه عنده، و ساعده اللفظ و حسن العبارة، فلم يبق عذر فى قبول القلوب له، و علوقها به.

و من شان "ابن الرومى" أن يورد المعنى، ثم يأخذ فى شرحه فى بيت آخر، و إيضاحه و تشعيه و تفريعه، فربما أخفق و أكدى، و ربما أصاب فاصمى، لأن الشعر إنما تحمد فيه الإشاره و الاختصار، و الإيماء إلى الأغراض، و حذف فضول القول. و فى هذه الأبيات قد اتفق له أنه لما كرر المعنى و أعاد و أبداه، خلص فى البيت الأخير، و صفا و عذب مذاقه، لأنه فى أول بيت قد أشار إلى المعنى الموجود فى آخرها، و فى البيت الثانى أيضا قد أعاد ذلك، و فى البيت الثالث قد ألم بعض الإمام، لأنه ذكر أن سهام الدهر تقرب إليه، و أخلق أن يصبن سواده - يعنى شخصه - و لم يذكر العله فى إصابتها له، و هى إضاءه المشيب، و هدايتها إلى مراميه، كما ذكره فى البيتين الأولين، و طبق المفصل فى البيت الرابع". (1)

و كقوله تعقيا على أبيات البحترى:

و كنت أرجى فى الشباب شفاعه و كيف لباغى حاجه بشفيعه

مشيب كبث السرعة بحمله محدثه أو ضاق صدر مذيعه

تلاحق حتى كاد ياتى بطيؤه لحت الليالى قبل آتى سريعه

" هذا والله أبلغ كلام وأحسنه، وأحلاه وأسلمه، وأجمعه لحسن اللفظ وجوده المعنى، وما أحسن ما شبه تكاثره وتلاحقه، بيث السر عن ضيق صدر صاحبه، وإعيائه بحمله، وعجزه عن طيه. (٢) و من الثاني قوله متحدثا عن سيره بعض الرواه والأدباء:

"نشا جماعه بعد هؤلاء - يريد مشركى الجاهليه - ممن يتستر بإظهار الإسلام، و يحقن بإظهار شعاره و الدخول فى جمله أهله دمه و ماله، زنادقه ملحدون، و كفار مشركون، منعهم عز الإسلام عن المظاهره و المجاهره، و ألجأهم خوف القتل إلى المساتره، و بليه هؤلاء على الإسلام و أهله أعظم و أغلظ، لأنهم يدخلون فى الدين، و يموهون على المستضعفين، بجاش رابط، و رأى جامع، فعل من قد أمن الوحشه، و وثق بالأنسه، بما يظهر من لباس الدين، الذى هو منه على الحقيقه عار، و بأثوابه غير متوار".

ثم عددهم "المرتضى" فقال:

"أما "الوليد" فكان مشهورا بالإلحاد، متظاهرا بالعناد، غير محتشم فى إطراح الدين أحدا، و لا مراقب فيه بشرا.

و أما "حماد الراويه" فكان منسلخا من الدين، زاريا على أهله، مدمنا لشرب الخمر، و ارتكاب الفجور.

و أما "ابن المقفع" فان "جعفر بن سليمان" روى عن "المهدى" أنه قال: ما وجدت كتاب زندقه قط إلا و أصله "ابن المقفع"، و كان مع قله دينه، جيد الكلام، فصيح العبارة، له حكم و أمثال مستفاده.

و كان "بشار" مقدما فى الشعر جدا، حتى أن كثيرا من الرواه يلحقه بمن تقدم عصره من الموجودين". (٣)

و لقد بدا لى من تتبع كثير من نثره الأدبى أنه إذ يعالج موضوعا أدبيا يستقصى وجوه القول فيه، و يلم بمختلف أطرافه حتى لكأنه باحث فى مسأله علميه، أو مدرس يعلم طلابه كيف يجب أن تتناول المسائل، و تفحص المعانى، و كيف ينبغى ألا يفوتهم منها الدقيق و الجليل.

انظر إليه و هو يتحدث عن معانى الشيب. "و اعلم أن الشيب قد يمدح و يذم على الجملة، ثم يتنوع مدحه إلى فنون، فيمدح بان فيه الجلاله و الوقار، و التجارب و الحكمه، و أنه يصرف عن الفواحش، و يصد عن القبائح، و يعظ من نزل به، فيقل إلى الهوى طماحه، و فى الغى جماحه، و أن العمر فيه أطول، و المهل معه أفسح، و أن لونه انصع الألوان و أشرفها.

و قد يذم بأنه رائد الموت و نذيره، و أنه يوهن القوه، و يضعف المنه، و يطمع فى صاحبه، و أن النساء يصددن عنه، و يعبن به، و يحقرن من جهته، و ربما شكى منه لنزوله فى غير زمانه، و وفوده قبل أوانه". (٤)

و كذلك إذ قد يطرق موضوع الطيف:

"الطيف يوصف بالمدح تاره، و بالذم أخرى، و لمدحه وجوه متشعبه، فمما يمدح به: أنه يعلل المشتاق المغرم، و يمسك رمو المعنى المسقم، و يكون الاستمتاع به، و الانتفاع منه و هو زور باطل، كالانتفاع لو كان حقا يقينا.

و هل فرق بين لذه الخيال فى حال تمثلها و تخيلها، و بين لذه اللقاء الصحيح، و الوصال الصريح. و بعد زوال الأمرين، و مفارقه

الحالين و ما أحدهما في فقد متعته، و زوال منفعتة إلا كصاحبه. و مما يمدح به، أنه زيّاره من غير وعدب.

ص: ٣٠٥

١- الشهاب ص ٣٩-٤٠ ط الجوائب.

٢- الشهاب ص ١٣ ط الجوائب.

٣- الأمل ج ١ ص ١٢٧-١٤٠.

٤- الشهاب ص ٣ ط الجوائب.

يخشى مطله، و يخاف ليه و قوته. و اللذه التي لم تحتسب و لم ترتقب يتضاعف بها الالتذاذ و الاستمتاع، و أنه وصل من قاطع، و زياره من هاجر، و عطاء من مانع، و بذل من ضنين، و وجود من بخيل، و للشىء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول. و من مليح مدحه و غريبه: أنه لقاء و اجتماع لا يشعر الرقباء بهما، و لا يخشى منع منهما، و لا اطلاع عليهما، و التهمه بهما زائله، و الريبه عنهما عادله، و أنه تمتع و تلذذ، لا يتعلق بهما تحريم، و لا يدنو إليهما تأثيم، و لا عيب فيهما و لا عار " (١).

و الذى انتهيت إليه من تتبع تلك النصوص التى مرت بك و من سواها أن الشرف فيها مزيج من الترسل و التفصيل و الازدواج، لا يلتزم أحدهما طوال النص و لا يتركهما معا إلى غيرهما فى جملة النص، و أنه يتجنب المفردات اللغويه التى تثقل على النطق - و ليس ذلك شأنه فى الشعر - أو تقل شيوعا فى الاستعمال، و يتحاشى الغلو فى استعمال المجاز، و أنواع البديع، اللهم إلا ما كان من طباق أو سجع ياتى فى الأغلب عفوا، غير بادية أثر التكلف فيه:

و أنه مقتصد لا يعيد و يبدي على المعنى أكثر من مره، حتى ينتقل إلى غيره.

أما أفكاره فهى فى الأغلب منطقيه متسلسله، تروى العقل، و تبل العاطفه، و لا ترتفع بالخيال إلا بمقدار.

فان قرننه بمنشئ عصره من أعلام الأدب ألفيته دونهم ماء و رواء، و ألفيت أكثرهم دونه تحديدا للأفكار، و تفصيلا للألفاظ على أقدار المعانى، و هو إلى أن يكون عالما يصطنع الأدب، أقرب من أن يكون أدبيا يتكلف العلم.

أ - شعره الغزلى

لا تتوقع أن تجد فى المرتضى شاعرا غزلا، فهو رجل مقسم القلب بين خرائد المعانى و فاتنات الأعمال، و إذا كان للحب زاويه من قلبه و للحسن نسرب إلى حناباه، فاحر بلسانه أن يضل طريقه إليها، و فى قلبه، تعتلج مصطخبه تلك اللواعج من أعمال السياسه، و تلك الهوامش من بنات العلوم و الأفكار.

و هبك تقول: ان يكن الشريف خلا من نوازع الحب، فقد خلا منه كثير غيره من الشعراء، فليكن غزلا مثلهم يعوض ما فاته من حب بما تكلفه من اصطناعه، و ليجد القول فيه نظير ما أجاد هؤلاء؟.

و جوابى على ذلك، أن تكلف ذلك يقتضى تمثلا لخواطر المحبين، و وقوفا عندها، و لم يك للرجل ذلك الفراغ المتسع لتمثل تلك الخواطر على وجه تبدو معه و كأنها من هواجس نفسه، و أحاديث قلبه.

على أن شيئا آخر ربما كان هو الذى خيل إلينا أن الرجل لم يك محبا، و لم يكن مفتونا، ذلك هو ما كان يظهر به من العفه و التخرج، و الوقوف بالقول عند حدود الدين و الوقار، فان يكن الأمر كذلك فجدير بمن يتكلف التستر على ما فى نفسه أن تضل قريحته سبيلها بين الكلف و التكلف، و أن تضع النوازع النفسيه بين واقع يراد كتمانها، و باطل يراد إعلانها، فهو مفتون بعفه، و عفيف بفتنه، و بين تلك و هذه تجرى الخواطر متعثره فى صعود و هبوط، و استقامه و التواء.

و قد امتنع "الشريف" عن الهجو الفاحش تكرما، و عن وصف الخمره تأثما، فجدير به أن يمتنع عن الغزل إلا ما كان لائقا مناسبا برجل السياسه و الدين.

قال الغزل فى مطالع كثيره من قصائده، على عادة الشعراء:

ما ذا يضيرك "هند" من حبى و إذا قربت إليك من قربى؟

لا تعجبنى من صبوتى بكم فالحسن أين رأيتَه يصبى

و رباعكم أنى أفارقها و بها غديري العذب أو عشبى

و لو استطعت كتمت حبكم للضن عن قلبى و عن صحبى

و من الغرائب أننى أبدا سلم لمن هو ظالما حربى

متقلبا طول الدجى أسفا كالصل من جنب إلى جنب

ما تعلمين - و أنت ناعمه - من كان فيك معانق الكرب

و أردت أن أسلو و ذا عجب لو كان قلبك فى الهوى قلبى

و عدلت منى من له أذن صماء عن عدل و عن عتب

و متى يكن ذنب هواك فلا غفر الإله - و أنب لى - ذنبى

و يحسن أن أشير إلى أن المرتضى فى البيت الأخير: تعدى الحدود التى اختطها لنفسه من التحرج، حيث رضى ألا يغفر الله ذنبه إن كان الحب ذنبا، على شريطه أن تبقى حبيبته له. و ما أحسبه جازف هذه المجازفة لو لا التعليق على الشرط " و متى يكن ذنب".

و أحسن غزل "المرتضى" ما لم يتكلف له، و ما لم يعن بملاحقه المعانى المقتبسه فيه من فحول الشعراء، مما ينظمه مترسلا، و بخاصه ما كان على بحر قصير مثل قوله:

قل لجاف كلما سيم وصالا زاد ضنا

ليته يزداد إحسانا كما يزداد حسنا

قد لبسنا من جوى حبك ما أبلى و أضنى

لا أرانا الله فى نفسك ما أبصرت منا

كن كما شئت فانا كيفما آثرت كنا

بلغ الكاشح بالمين الذى كان تمنى

فو حق الحب لم يصدقك من بلغ عنا

لو درى العاذل أنى لم أطعه ما تعنى

لم أدع للعدل فى الحب على أذنى أذنا

أ ترى عن حسن رأى زارنا طيفك وهنا

لم يفدنا و طريف خادع يوجب منا

إنما الطيف كلفظ فارغ ما فيه معنى

كم رأينا باطلا نفس كربا من معنى

فان تكلف للغزل، و احتفل له كما يحتفل الموهوبون المنقطعون لمعاناة الشعر، المتحررون من تقاليد المجتمع و آدابه، ظهر أثر التكلف عليه، و قعدت به أثقاله و أغلاله من أن يخطو خطوه إلى تلك الميادين.

لقد عارض القصيده "الدعديه" فاستحالت المتجرده فيها على لسانه حصانا عفا، و "النصيف" الذى سقط و لم ترد إسقاطه دثارا صفيقا منر.

ص: ٣٠٦

١- طيف الخيال ص ٤ ط مصر.

الحكمه و الحشمه و الوقار:

هبت تلوم على الندى "هند" يا هند، خير من غنى حمد

الحمد يبقى لى و ان تلفت نفسى، وفاه الأهل و الولد

و المال تأكله النوائب و الأحداث حتى ما له رد

يا هند ان الدار زائله و القرب ياتى بعده بعد

عمرى يروح - و ما أهبت به - ذاك الحمام به و لا يغدو

ما كنت بالمتقاد فى يده لو كان من أيدى الردى بد

و المرء غايه لبسه كفن يبلى و آخر بيته لحد

و كذلك حاله حين احتفى بالغزل معارضا قصيده أخيه الغزليه المشهوره:

يا ظبيه البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

و مع تقديرى لصعوبه معارضه مثلها، إذ قد تكلف كثير من الشعراء معارضتها فلم يوفقوا، إلا أن "المرتضى" كان بادى العجز

أكثر من سواه، فليس الذى قاله يدخل فى مستساغ القول فضلا عن جيده:

مرت بنا بمصلى الخيف سانحه كظبيه أفلتت أثناء أشراك

نبكى و يضحكها منا البكاء لها ما ذا يمر من المسرور بالباكى

فقلت: - و القول قد يشجى أخا شجن و ربما عطف المشكو للشاكي -

أعطيت منا الذى لم نعط منك فلو رام الهوى النصف أعطانا و أعطاك

و لست بالريم لكن منك أحسنه و لست ظييا و ريا الظبى رياك

تود شمس الضحى لو كنت بهجتها و ود بدر الدجى لو كان إياك

قد كنت أحسبني جلدا فايقظنى منى على الضعف أنى بعض قتلاك

لا بارك الله فى قلب قلاك و لا أبكى السماء لمن بالسوء أبكاك

و لا تولى الذى ولاك جانبه و لا عدا الخير إلا من تعداك
أشقيت منا قلوبا لا نقول لها أشقى الإله الذى بالحب أشقاك
و كنت ملذوده و المر منك لنا و ما أمرك شىء كان أحلاك
هل تذكرين - و ما الذكري بنافعه مسرى الركائب يوم الجزع - مسراك
فى ليله ضل فيها الركب و جهته الا ضياء جمال من محياك
بتنا نميل على أقتادنا طربا مصغين نحو الذى بالحسن أطراك
مسهدين و لو لا داء حبكم أكرى العيون لنا من كان أكراك
إن بت آمنه منا عليك كما شاء العفاف فانا ما أمناك
أو كنت ساليه لما خطاك هوى غدا علينا فانا ما سلوناك
و إن مللت فقوموا لا ملال بهم و إن سئمت فانا ما سئمتناك
أى الشفاء لداء فى يديك لنا و أى رى لصاد من ثناياك
لو لا الغواه و خوف من وشاتهم ما كان مثواى إلا حيث مثواك
ملكتنا بالهوى و الحب متعبه فحبذا ذاك لو أنا ملكناك
و لو أصبت بداء قد أصبت به علمت ما فى فؤاد بات يهواك
أن تشكرى فاشكرى من لم يذقك هوى و من بحبك أبلانا و عفاك
و كيف يصحو فؤاد فيك مختبل تسرى سرى دمه فيه حمياك
و لو رميت و ريعان الشباب معى أصميت منى من بالحب أصماك
كم مره زرتنا وهنا على عجل سریت فيه و ما أسرت مطاياك
حتى التقينا على رغم الرقاد و ما ذاك اللقاء سوى وسواس ذكراك
فان هجرت و قد أخلفت واعدته فبالذى زرت ما واعدتنا ذاك

و خلاصه القول فى غزله، أن "المرتضى" قد يجيد التغزل حين يجرى على لسانه فى المقطوعه الصغيره، و إذ ينظم فيه على البحر القصير، أما حين بتكلف له، و يعمد فيه إلى مباراه الغزلين، فان التوفيق قل أن يحالفه، و يأخذ بلسانه.

ب - شعره الوصفى

ليس الوصف فى واقعه بابا مستقلا فى الشعر، فالشعر بجمله أغراضه لا يخرج عن أن يكون وصفا للشئ الذى قيل فيه، و إنما تعارف الشعراء و النقاد أن يطلقوا اسم "الشعر الوصفى" على ما تناول وصف الطبيعه، و ما يقع تحت الحس من مرافق الحياه، على أن يتناول تناولا تصويريا يوضح معالم الشئ، و ما تثيره تلك المعالم من هواجس نفسيه، و يلفت النظر إلى ما يخفى من دقائقه و مفاتنه، و وجوه الاثاره فيه.

و كان الوصف و ما يزال من أدق أغراض الشعر، و أشدها استعصاء على التأتى و الطواعيه لقرائح الشعراء، لهذا كان المبرزون فيه ندره نادره، و أشدهم ندورا من أجاد الوصف فى أكثر ما تناول من موضوعاته، ك "ابن الرومى" و "ابن المعتز" و "أبى نواس".

و قد امتاز العهد العباسى بكثره شعرائه الوصفيين، بما آتته حضارته و نعيم العيش فيه، و بما وقع تحت عيون شعرائه و بالقرب منهم من ألوان الترف و الحسن، و مظاهر الأبهه و الفخامه.

بقى للقرن الرابع من تلك المخلفات الحضاريه و الشعريه فى الوصف و للوصف ما كان يمد شعراءه بأسباب اجاده القول فيه، و التنوع فى متناولاته، و بحسبك أن ترجع إلى "يتيمه الثعالبى" لترى مختلف الصور للشعر الوصفى، و مختلف الموضوعات التى تناولوها، فليس من همى - و أنا فى عرض خاطف - إلا أن ألفت النظر إليها عند الحديث عن الوصف فى شعر "المرتضى".

و لقد تعجب إذ أقرر أن شعر "المرتضى" خلا من جمله تلك الموضوعات الوصفيه، التى تناولها شعراء العصر العباسى، فالخمره بأنواعها و آلاتها، و ندمانها و سقاتها لم تظفر من شعر "المرتضى"، أو لم يظفر هو منها بنصيب، و الغناء بطرائقه و آلاته لم يجد فى أذن "المرتضى" ما يحرك لسانه، أو يبعث به إلى القول فيه، و الجوارى و الغلمان و القيان لم يهجن فى "المرتضى" شجنا، و لم يسحرن لبا، و القصور و الحدائق و الرياض، و أطائب الطعوم و نوافح الطيب خلت منها "بغداد شعر المرتضى" خلوا خيل إلى أن "المرتضى" يسكن فى جذب من الأرض، و خواء من القفار. و هكذا تعبر الديوان باجزائه الستة و ليس لحضاره العباسيين عين و لا أثر.

و لا أشك فى أن باعث "المرتضى" على الزهد فى تناول هذه الموضوعات - و هى فى متناول يده و فى مدى خطوات من بيته - هو التحرج و التأثم و التزمت، أو الترفع بنفسه، و بمقامه الاجتماعى عن التدنى إليها، فليس لمن يشغل مقامه الدينى و الاجتماعى أن ينحدر إلى وصف الدنيا و زخرفها، إلا بما يزهدها فيها، بله التحسين و التريين لموبقاتها و آثامها.

و طرفه المعانى، و لا فى شعر غيره شبيها لها فى موضوعها من استيفاء المعانى، و استيعاب أطراف الموضوع.

بدأ القصيده، بالنسيب، و هو موضوع أن بعد عن وحى هذه الفريضة فإنه أقرب من الغزل و التشبيب على كل حال، بل هو أدنى إلى الوعظ و الإرشاد حين نتذكر ما يستشعر الحاج من حنين و تشوق إلى الديار المقدسه، و ما يوحيه الطريق إليها من إثارة خواطر الحب الناسك المتصوف، و كل أولئك أدنى إلى النسيب من سواه. قال:

ما ذا على الريم لو حيا فاحيانا و قد مررنا على "عسفان" ركبانا؟

وليته إذ تحامى أن ينولنا لم يسترد الذى قد كان أعطانا

بل ليت ماطلنا بخلا و مانعنا يوما تشبه بالمعطى فمنا

لا يستفيق يجازينا بلا تره بالوصل هجرا، و بالإعطاء حرمانا

و كيف يأبى مواعيدا تعلقنا من كان يوسعنا مطلا و ليانا

ثم انتقل يصف وقت السفر، و حال المسافرين و هيئاتهم، و ما تحملوا من زاد الأخطاء و الذنوب معهم، حتى إذا بلغوا الحج و أدوا الفريضة أفرغوا ما فى حقائبهم، و استحقبوا الغفران بدل الذنوب، عارضا فى أثناء ذلك ما أدوا من آداب هذه الفريضة و سننها، من الطواف و الاعتمار و استلام الركن، و السعى بين الصفا و المروه، و النحر و الاستغفار:

عجنا إليه صدور اليعملات و قد نضا الصباح ثياب الليل عريانا

و الركب بين صريع بالكرى ثمل و مائل الرأس حتى خيل نشوانا

محللين تهادوا فى رحالهم من بطن "مكه" أفرادا و أقرانا

حلوا حقائبهم فيها مفرغه و استحقبوا من عطاء الله غفرانا

من بعد ما طوفوا بالبيت و اعتمروا و استسلموا منه أحجارا و أركانا

و رد ذو السعى بين المروتين يفى بالريث حيناً، و فوق الريث أحيانا

و عقروا ب "منى" من بعد جلستهم كوم المطايا مسنات و ثيانا

و استمطروا بعراض الموقفين و قد غامت عليهم سماء الله رضوانا

ثم انتقل إلى وصف أرض "مكه" قبيل موسم الحج و أثناءه، و هيئه الحجاج فى بيتين بمنتهى الروعه و حسن التشبيه:

أرض تراها طوال الدهر مقفره و الحج ينبتها شيبا و شبانا

مسبلين كان البعث أعجلهم فاستصبحوا من بطون الأرض أكفانا

ثم تحدث لمن يسأل عن حال الطريق، و ما يلقاه الحاج عادة من مشاق و مكاره، يهونها كونها فى سبيل الله و من أجله، مشبها إياها بالطريق إلى بلوغ الجنه، و ما يقتضيه من إيمان و عمل روى عنه: أن أفضل الأعمال أحزمها:

و سائل عن طريق الحج قلت له: لا يقبل الله إلا الصعب قربانا

هو الطريق إلى سكنى الجنان فقل فيما يصيرنا فى الخلد سكانا

لما ركبناه أخرجنا على شغف من الصدور أهالينا و دنيانا

ثم استوى فى أمن و فى حذر عدلا من الله أدانا و أقصانا

فكم لقينا عظيما مر جانبنا و كم منينا بمكروه تخطانا

و كم رمانا الردى عن قوس معطبه و صده الله أن يصمى فاشوانا

و كم طلبنا مراما عز مطلبه لما انثينا بياس عنه و أتانا

ثم انتقل إلى وصف جبل من تلك الجبال التى عبروها أثناء الطريق فى الليله الظلماء، على تلك العيس الضامره المجهده، تقذف بهم من بلد إلى آخر، و من حى إلى حى:

و مشمخر الذرى تهفو الوعول له تخاله من تمام الخلق بنيانا

يستحسر الطرف عن إدراك ذروته حتى يكر إلى راميه حيرانا

جبناه لا نهتدى إلا بساريه من أنجم الليل مسراها كمسرانا

إذا دنا الفجر منا قال قائلنا يا بعد مصبحنا من حيث ممسانا

و العيس ضامره الأحشاء طاويه لو لا الرحال لخلناهن أشطانا

إذا أتت بلدا عن غب متلفه رمى بها البلد المأتى بلدانا

ثم ختم ذلك بتحيه "نجد" و أهلها، فى نسيب عاطر يشبه ما بدأ به القصيده:

يا أرض "نجد" سقاك الله ملتعا من الغمام غزير الماء ملانا

إذا تضاحك منه البرق ملتعاً في حافتيه أرن الرعد إرانا

أرض ترى وحشها الآرام مطفله و في منابتها القيصوم و البانا

و إن تجل في ثراها طرف مختبر لم تلق إلا حديقات و غدرانا

و هكذا نراه يصف الحج في عرض شعري رائع، يمكنك مستطيعاً أو غير مستطيع من تمثل هذه الفريضة و أدائها و أنت على فراشك و في منزلك.

و وصف "طاق كسرى" بقصيدته رائعه أعدها توأمه قصيده "البحترى" في وصف الإيوان، إذ اشتملت على الأغراض التي اشتملت عليها قصيده "البحترى". فقد كانت بدايه القصيدتين شكوى من الدهر، و نعيها على صروفه، و على ما تأتية أحداثه، و تتقلب به أيامه، ثم التأسى بالملوك من "آل ساسان"، بانيه هذا الأثر الخالد، و مقيمه ذلك الصرح المشيد، ثم الدخول في وصف هذا الصرح القائم في تجد على رغم الدهر و أحداثه.

و إذا كان هناك من فرق بين القصيدتين، من حيث أن "البحترى" استعرض وصف التماثيل و الصور الممثله فيه، و استطرد إلى القيان الغانيات في تحرر و انطلاق، في حين لم يتعرض "المرتضى" لذلك، و اقتصر على وصف الأثر نفسه، و وصف بناته و مشيديه، فإنه يعود إلى تورع "المرتضى" من أن يشيد بالتماثيل و الصور و القيان، على عاده رجال الدين الذين لا يستيحيون لأنفسهم وصفها و التغنى بها.

و تحسن الإشاره إلى أن بحر القصيدتين واحد، و كليهما على قافيه يصعب امتداد النفس معها، و لكنهما معا ثبتا للقافيتين في مقدره بالغه.

قال يصف إيوان كسرى:

هل مجير من غصه ما تقضى أو شفيع في حاجه ليس تقضى

يا زميلي انخ بشرقى "ساباط" مناخا على الركائب دحضا

و تلفت فيما بنى "آل ساسان" عفاه الزمان ثلما و نقضا

عرصات أصبحن و هى سماء ثم أمسين بالحوادث أرضا

و ترى ينبت النعيم إذا أنبت ترب البلاد عشبا و حمضا(١) ٩.

ص: ٣٠٨

قد رأينا الأيوان إيوان كسرى فرأينا كالطود طولاً و عرضاً
أو جلال جلنفع (١) صحب الأيام حتى أعدته اليوم نقضاً
أثر الرحل فى ثراه ندوبا نلن بعضاً منه و أعفين بعضاً
فهو يلفاك بادنا بعد ما أبلى كرور الزمان منه و أنضى
عرق الدهر حسنه و هو باق كالمدى تعرق الرميّه نحضاً (٢)
فترى العين فيه أبهه الملك و عيشاً لأهله كان خفضاً
فهى تغشاه بالتنكر و حشا خلقاً ثم بالتذكر غضاً
و مشينا بعرضه لم تزل فيها أمور الملوكة تمضى و تقضى
كل قرم كالليث هجهجوه عن صريع له أرم و أغضى
لبس الملك يافعا و وليدا و ارتقاه شدا إليه و ركضاً
و جثا ناشئاً على خشب الملك فارجى فى العالمين و أمضى
و عرانيين لا يطور بها الرغم و أيد يطلن بسطاً و قبضاً
و رؤوس بين الأنام رؤوس و جسوم غذين بالعز محضاً
و لقد مضى هجومي على الدار بلا آذن على الدار مضاً
مرحاً أسحب الرداء على أجرد ينزو طورا و طورا بضاً
حيث كانت ضلوع من ولج الباب ينفضن بالمخافه نقضاً
و رباع كانت غياض أسود أصبحت للضباع مأوى و مفضى
و مناخ للوجود يحظى و يرضى فيه من لم يكن عن الدهر يرضى
عقروا عنده المطى و ألفوا و قد استوطنوا سماراً (٣) و عرضاً
بين قوم يزيدهم عدل اللوم فى المكرمات حثاً و حرضاً

سكنوا جانب المدائن فى ابيض كالشمس يوسع العين و مضى

يأخذون الأموال بالسيف حتى ينهبوها الرجال نفلا و فرضا

كلما أتلفوا أخلفوا كوفى القوم أم الغنى ليقضى قرضا

و مهيبون يحسب الأمن من مولا هم الخوف و المحبه بغضا

و جليد الرجال إن واجهوه غبن اللحظ من حذار و أغضى

كيف أرضى عن الزمان و ما أرضى كريما قبلى الزمان فارضى

نقترية جدبا و بيا و نمريه ضنينا و نرتعى منه برضا

ليس يبقى إلا و يفنى، و لا يعلى قليلا حتى يطأطئ خفضا

سنه الليث كلما هم أن يبعد وثبا زاد انحطاطا و ربضا

و أولع الشريف بوصف الطيف ولعا بالغا حتى بلغ ما نظمه فيه ٣٢٥ بيتا(٤) و هو عدد لم يبلغه أحد من الشعراء فيما أحصاه "المرتضى" نفسه، و كان فى وصفه للطيف متحررا على خلاف عادته فى موضوع الغزل، و قد كفانا مثونه تعليلا ذلك بما علله نفسه إذ قال:

"إنه لقاء و اجتماع لا يشعر الرقباء بهما، و لا يخشى منع منهما، و لا اطلاع عليهما، و التهمه بهما زائله، و الربيه عنهما عادله، و إنه تمتع و تلذذ لا يتعلق بهما تحريم، و لا يدنو إليهما تأثيم، و لا عيب فيهما و لا عار"(٥).

و من مظاهر تحرره و انطلاقه قوله:

أ منك سرى طيف و قد كاد لا يسرى و نحن جميعا هاجعون على غمر

تعجبت منه كيف أم ركابنا و أرحلنا بين الرحال و ما يدرى

و كيف أهتدى و القاع بينى و بينه و لماعه القطرين مناعه القطر

و بات ضجيعا لى و نحن من الكرى كانا تروينا العتيق من الخمر

أضم عليه ساعدى إلى الحشا و أفرشه ما بين سحرى إلى نحرى

تمنيته و الليل سار بشخصه إلى مضجعى حتى التقينا على قدر

(٤) و مما استحسنوا له:

و زور تخطى جنوب الملا فناديت أهلا بذا الزائر

أتانى هدوا و عين الرقيب مطروفه بالكرى الغامر

فأعجب به يسعف الهاجعين و تحرمه مقله الساهر

و عهدى بتمويه عين المحبب تتم على قلبه الطائر

فلما التقينا برغم الرقاد موه قلبى على ناظرى (٧)

و يحسن بى أن أشير إلى أن الموضوع "الطيب" موضوع نظم فيه الشعراء ممن سبقوا الشريف، و أنه وقف على أغلب ما نظم فيه، فاقتبس جل ما نظم - إن لم يكن كله - و زاد عليه.

و كذلك حاله فى وصف الشيب و الشباب، فقد أكثر فيه و تجاوز كل ما نظم من قبله فى هذا الموضوع، و له فيه ما يزيد على ٣٠٠ بيت. (٨)

و الملاحظ فى وصف الشيب عند الشعراء أنه يورد فيه المعنى و الآخر فى المناسبات العابره، لم يقصد لذاته فى وصف، و لم يعن به موضوعا أساسا فى القصيد. و لكن "المرتضى" اتخذ منه موضوعا مستقلا للقول، يحرص على استيفاء القول فيه، و نظم كل معنى يمكن أن يخطر عند خطوره، و ربما حاول أن يجمع كل ما قيل فيه فى قصيده، حتى لكأنه يؤلف كتابا فيه، أو أرجوزه تحتوى جملة معانيه.

و يخيل إلى أن الباعث على الاستزاده فى هذا الموضوع ملاءمته لمقام الشريف فليس فى معانيه ما يخرج به عن وقاره، أو يسوقه على تجاوز طوره، و الشريف نفسه أشار إلى هذا عند مدحه للشيب و ذمه، فقد قال فى مدحه:

"إنه يمدح فيه الجلاله و الوقار، و التجارب و الحنكه، و أنه يصرف عنب.

ص: ٣٠٩

١- الحل [الجل] بكسر أوله و فتحه: ما تلبسه الدابه لتصان. جمعه جلال، و الجلنفع: الجمل الذى أسن و فيه بقيه، أو الذى خرمته الخوارم.

٢- نحض العظم: أخذ ما عليه من اللحم.

٣- السمار كسحاب اللبن كثير الماء، و العرض: ما كان من مال قل أو كثر، و الغنيمه و الطمع.

٤- طيف الخيال ص ١١٥ ط مصر.

٥- المصدر السابق.

٦- طيف الخيال ص ٧٧ ط مصر.

٧- نفس المصدر ص ٦٦.

٨- الشهاب ص ٣ ط الجوائب.

الفواحش، و يصد عن القبائح، و يعظ من نزل به، فيقلل إلى الهوى طماحه، و فى الغى جماحه، و أن العمر فيه أطول، و المحصل معه أفسح.

و أن لونه أنصح الألوان و أشرفها".

و قال فى ذمه: "إنه رائد الموت و نذيره، و أنه يوهن القوى، و يضعف المنه، و يطمع فى صاحبه، و أن النساء يصددن عنه، و يعبن به، و ينفرن عن جهته". (١)

و أنت ترى أن ما صوره من مدح الشيب و ذمه لا يخرج عن مقام رجل الدين، بل هو من معانى الوعظ و الإرشاد الدينى، الذى يحسن بمثله أن يوليها العناية و الترديد بين الناس.

لهذا نحسب أن إكثاره فى وصف الشيب كان بهذا الباعث المشبع لميوله و نزعته الدينيه.

و ستجد فى القصيده التى نعرضها عليك كل ما قدرناه من طرقه للموضوع غايه فى نفسه، و من استيفائه لجمله معانيه، و من تناوله تناولا لا يبعد به عن مقام رجل الدين.

هل الشيب إلا غصه فى الحيازم و داء لربات الخدور النواعم

يحدن إذا أبصرنه عن سبيله صدود النشاوى عن خبيث المطاعم

تعمته بعد الشيبه ساخطا فكان بياض الشيب شر عمائمى

و قنعت منه بالمخوف كأننى تقنعت من طاقاته بالأراقم

و هددنى فى كل يوم و ليله سنا ومضه بالقارعات الحواطم

فو الله ما أدرى أ صكت مفارقى بفهر مشيب أم بفهر مراجم

حتتنى منه الحانيات كأننى إذا ظلت يوما قائما غير قائم

و أصبحت تستبطا منونى و يدعى - و ما صدقوها - فى اختلال العزائم

فلا أنا مدعو ليوم تفاكه و لا أنا مرجو ليوم تخاصم

فلا تطلبا منى لقاء محارب فما أنا إلا فى ثياب مسالم

مشيب كخرق الصبح غال بياضه برود الليالى الحالكات العواتم

و تطلع فى ليل الشباب نجومه طلوع الدرارى من خلال الغمام
كانى منه كلما رمت نهضه إلى اللهو مقبوض الخطى بالأدهم
و قد كنت أباء على كل جاذب فلما علانى الشيب لانت شكائى
فلا ينغضن رأس إلى العز بعد ما تجلله منى مذل الجماجم
فيا صبغه حملتها غير راغب و يا صبغه بدلتها غير سائم
و يا زائرى من غير أن استريه كما زير حيزوم الفتى باللهاذم
أقم لا ترم عنى و إن لم تكن هوى فكم ذا سخطنا فقد غير ملائم
فمن مبدلى من صبحه بظلامه و من عائضى من بيضه بالسواهم

(٢) و خلاصته ما اسم به شعره الوصفى أن فيه استقاء لمعانى الموضوع الذى يطرقه، بسبب وقوفه على ما أثر من معانيه عن الأقدمين، و بطبيعته مزاجه العلمى الباعث على الاستقصاء و الاستيفاء، و أنه تعوزه طبيعه التحرر و التحضر الذى ألفناه فى شعراء عصره، مما قصر وصفه على مواضع معينه، ربما لا- تكون من روح العصر العباسى، أمثال وصفه الحيه و الذئب و القدور الراسيات.

ج - شعره السياسى

كان آل "أبى أحمد النقيب" ساسه محترفين، بكل ما فى الكلمه من معنى، يكيدون و يكادون، و ينفعون و يضارون، و يمشون إلى ماربهم السياسيه فى سر و فى علن، بحسب ما تقتضيه الظروف و الحالات.

و لم يكونوا مجرد ساسه قول، كأكثر من عرفنا من شعراء العربيه، الدين يقفون من الأحداث السياسيه موقف المتفرج، حتى إذا عن نصر ملك، أو فتح لقائد، طاروا إليه مع البغاه الطامعه بالأشلاء نهشا و تمزيقا، وسعوا إلى الفاتح المنتصر مهنيين مباركين، ليخلع عليهم من الغنائم و الأسلاب.

لم تكن أسره "أبى أحمد النقيب" من أولئك، بل كان الأب يعمل فى دعم "آل بويه" بوفاداته و سفاراته و بخطبه فى المواسم، فيتنقل من العراق إلى الشام، (٣) و من العراق إلى فارس أو إلى الحجاز، يكره هذا على الطاعه، و يستدرج ذاك إلى الولاء، و يلقى فى سبيل ذلك ما يلقى الساسه المحترفون، من إخفاق مره، و نجاح أخرى.

و كان ابنه "المرتضى" و "الرضى" يتبعان حركات أبيهما فيسندانها من "بغداد"، بالعمل فى الخطوط الخلفيه، ينظمان القصائد فى مآثره، و يحمدان له جميل السعى، و ينوهان بما له من أياذ بيضاء على الدوله الحاكمه، و الخلافه القائمه.

ألمع إلى هذا بايجاز لأشير إلى أن شعر "المرتضى" السياسى لم يكن من طراز شعر "المتنبى"، أو "البحترى"، أو "أبى تمام"، أو غيرهم من شعراء "اليتيمية"، أولئك الذين يأتون الأحداث من أديارها، لم يسبقوها برأى ولا عمل، ولم يشركوا فيها بنصيب، فشعرهم السياسى - فيما يبدو لى - أدخل فى باب وصف الحوادث، و تسجيل وقائعها منه إلى الشعر السياسى بمعناه الدقيق المحدود.

لقد شهدت "الرضى" و "المرتضى" يقاطعان "عضد الدولة" - وهو سيد ملوك آل بويه - جرأه و انتقاما، لأن "عضد الدولة" اختلف مع أبيهما و نفاه و سجنه، فكانا هما من بغداد يبعثان إلى أبيهما فى سجنه بقصائد نارية متحمسه، و ما كان يمنعهما الخوف منه فى أن يصطحبا، أو يتصلا بمن ينقم منه أمثال "أبى إسحاق الصابى" (٤).

و رأيت "المرتضى" يناصر الملك "بهاء الدولة" و يشيد بمواقفه، لأن أباه (أبا المرتضى) كان فى طلائع من مهد ل "بهاء الدولة" بالسلطان، .

ص: ٣١٠

١- الشهاب ص ٣-٤ ط الجوائب.

٢- انظر ابن الأثير حوادث ٣٦٨.

٣- انظر ابن الأثير حوادث ٣٩٠.

٤- منهم القواد: أبو الغنائم، و الأثير العنبرى المكى، و غريب بن محمد بن مقن، و الوزير أبو سعد بن عبد الرحيم، و الوزير فخر الملك، و الوزير الرخجى، و الوزير أبو القاسم المغربى، و من الكتاب: أبو إسحاق الصابى، و الكاتب البيهقى. انظر ابن خلكان، الحوادث من عام ٣٨٠ - .

و ببلوغ بغداد، و فى سبيل ذلك كاد يلقى حتفه الأكيد. (١)

و بعملهم السياسى أعيد " أبو أحمد " إلى النقابه، و خلع على " المرتضى " يلقب - ذى المجدين - و ظل " المرتضى " يناصر " بهاء الدوله " و يعادى من عاداه، و يسند من سانده من الوزراء و القاده، حتى بلغ أخوه " الرضى " منه ما بلغا من مجد و مناصب حكوميه.

و الذى بدا لى من تتبع جملة شعره و مؤلفاته، أن الوزراء و القاده الذين ألف لهم، أو مدحهم، أو رثاهم كانوا يشكلون و إياه كتله سياسيه (٢) تعمل فى حقل سياسى واحد، و ليس بين ممدوحيه و مرثيه - استثنى العلماء من خلصائه - من لم يكن من هذه المجموعه العامله على دعم كيان " آل بويه " ممثلا بالتعاقب فى الملك " بهاء الدوله " أو الملك " سلطان الدوله " أو الملك " جلال الدوله " .

و حين تختلف الأسره البويهيه و تحترب فيما بينها على السلطان - و طالما احتربت - يقف هذا النفر من كتلته فى صف واحد، يواجهون الأحداث السياسيه مجتمعين متعاونين، يعمل هذا سيفه، و ذاك قلمه، و ذاك رأيه، فى سبيل العمل السياسى المشترك.

و أكثر ما يعجبني منه سياسيا - حال من المرتضى - أنه ما كان يكل أو يمل عن العمل فى أسوأ الظروف دقه و حراجه، فقد مرت بالملك " جلال الدوله " ظروف عسيره، أخرج فيها من " بغداد "، و ظل المرتضى يسنده و يحمى ظهره حتى عاد إليها.

و فتك " سلطان الدوله " بوزيره " فخر الملك " - و كان من كتله " المرتضى " فى العمل السياسى - فثارت ثأره " المرتضى " على السلطان، و انقطع عنه، و رثى صديقه الوزير المقتول بقصائد من شعره، متوعدا " آل بويه " بما سيلقون من اضطراب الأمور، و سوء المصير. و لم يعد للتعاون مع " سلطان الدوله " (٣) إلا بعد أن وصل إلى " بغداد " و ألح على " المرتضى " بالعدول عن موقفه، و لم يعدل " المرتضى " عن موقفه إلا - بعد أن انكشف له أن قتل " فخر الملك " كان اجتهادا مخطئا، أدى إليه وشايه بعض الناس.

كان حظ " المرتضى " من عمله السياسى موفورا، بما أصاب من منزله فى الدوله، و بما اجتمع لديه من ثراء كان مضرب الأمثال، و كان يستأنس برأيه، و يصغى إلى كلمته، و يلجا إليه فى جليل الأمور و دقيقتها، كلما ثارت ثأره، أو قامت نأثره.

و ليس الذى نذهب إليه من مقامه السياسى، و منزلته فى إداره دفتها بالذى استقيناه من سيرته وحدها، أو من تاريخ العصر الذى عاش فيه، و إنما له شاهد من شعره، و مصدر من نصوص أدبه، فقد تحدث عن عمله السياسى حديثا مطنبا، أتى على جملة ماله من أثر فيها:

و مقامى من الخلائف فى يوم اجتماع الوفود خير مقام

ما لغيرى مثل الذى لى منهم من صنوف الإعظام و الإكرام

لم يزالوا و لن يزالوا مشيدين محلى مجز لى أقسامى

و مهيبين بى و قد عنت الشورى إلى الرأى فى الأمور الجسام
و يعافون كل ورد به الرى إذا كان لا يبيل أوامى
و يردون سرحهم عن جميم القاع ما لم تكن به أنعامى
و تخلى أكفهم محصدات الشر ما لم يكن بهن اعتصامى
ملكوا ربقتى لما سيروه من لصوقى بودهم و التزامى
فلهم أن عفوت يوما عن الذنب و من أجلهم يكون انتقامى
و إليهم إذا تحيز أقوام لقوم تحيزى و انضمامى
و تخصصت بالملوك يلبون ندائى، و يسمعون كلامى
و إذا ما أذمت يوما عليهم فى عظيم أمضوا هناك ذمامى
و متى أعضلت خطوط صعاب أو وهى للملوك سلك نظام
جعلونى دليلهم فى ضلال موبد أو صباحهم فى ظلام
كم كفيت الكلوم بالكلم الغر و حد السيوف بالأقلام
قد رأوا يوم هيجوا ملك "البصره" كفى له عن الأقدام
بعد أن أزمع اللقاء و أهوى لاقتناص الكلى هوى القطام
و تراءت للناس شنعاء صماء تجوب الدجى بغير خطام
قلدونى إصلاحها و رموا بى طلب السلم فى صعاب المرامى
فتلاقت درءها باعتدالى و دعمت اعوجاجها بدعامى (٤)

و هكذا نراه يستعرض فى قصيدته هذه جملة ما له من مزايا سياسيه، و ينوه بمواقف لها شاهد معلوم من التاريخ، كتوره "البصره"
و أصلا ذلك بما أتاه عمله السياسى من مقام فى الدوله، و فى نفوس الخلفاء و الملوك. و ليست هذه القصيده بالمتفرده فى
ديوانه، بل له فى وصف عمله السياسى شعر كثير منها الأبيات الآتية المقتبسه من قصيده مطوله:

و حللت أنديه الملوك مجيبه صوتى و مصغيه إلى توقيفى

و حميتهم بالحزم كل عضيئه و كفيتهم بالعزم كل مخوف

و إذا هم نكروا غريبا فاجئا فزعوا بنكرهم إلى تعريفى

دفعوا بى الخطب العظيم عليهم و استعصموا حذر العدى بكنوفى

و لقد حفل ديوانه بشعر سياسى كثير، و أشده ظهورا فى العمل السياسى ما عنونه بكلمه " و قال فى غرض " مخفيا غاياته تحت هذه الكلمه المبهمه، و لكن الغرض منها يبدو سياسيا صريحا، حين يستطرد القارئ إلى ما تحت العنوان. فمما عنونه بهذا العنوان قصيدته الآتية:

ألا قل للجادل من " بويه " أرى أودا شديدا و اعوجاجا

و مثقله كئودا لا تداوى و داهيه صموتا لا تناجى

دياركم لكم قولا و يجبى سواكم من جوانبها الخراجا

و فى أرجاء " دجله " مؤبدات و أدواء نريد لها علاجا

رعانا بعدكم من كان يرعى على الغيطان أبلا أو نعاجا

فمن عنا يبلغكم خطوبا إذا ذكرت يصم لها المناجى

تملكنا بعدكم الأعداى و عاد نميرنا ملحا أجاجا

فما نرجو لتيهتنا رشادا و لا نرجو لضيقتنا انفراجا

و إن بنا و ما يدرى المعافى شجى بالصدر يعتلج اعتلاجا

و إن السرح تحميه أسود فلا درا نصيب و لا نتاجاه.

ص: ٣١١

١- الديوان ج ١ ص ١١٣.

٢- يشير إلى القلعه التى كانت لهلال فاستولى عليها فخر الملك.

٣- يريد بهاء الدوله.

٤- انظر ابن الأثير حوادث ٤٠٧ ففها وصف لكيفيه قتله.

و نحن - و غيركم وال علينا - كظالعه تطالبها الرواجا

و من ضرب القلب ببطن سجل و لم يشدد إلى و ذم عناجا

أرونا النصف فيمن جاء دهرا فان بنا إلى الإنصاف حاجا

فإنكم الشفاء لكل داء و يأبى كيسكم إلا نضاجا

و صونوا الدوله الغراء ممن يداجى بالعداوه أو يداجى

يرم كصل رمله بطن واد فاما فرصه حاجته هاجا

و لا تنتظروا بالحرب منهم تماما طالما نتجت خداجا

فما زالوا متى فرعوا صخورا ململمه، و إن صدعوا زجاجا

لعلى أن أراها عن قريب على "الزوراء" تخترق العجاجا

عليها كل أروع من رجال كرام طالما شهدوا الهياجا

تراهم يولغون ظبا المواضى و يروون الأسنه و الزجاجا

فالقصيده استنفار لعزائم "آل بويهه"، و دعوه لهم إلى العوده إلى دار ملكهم فى "بغداد"، و عرض لما آلت إليه الحاله فيها، و ما أصاب أنصارهم و أعوانهم من حيف على يد خصومهم، و مطالبه لهم بمنازله خصومهم الحرب، إلى ما أشبه ذلك من تنبيههم إلى ما يعمله خصومهم تحت الستار من كيد.

و كذلك كان وصفه للأحداث و المعارك القائمه بينهم و بين الخارجين عليهم، فهو يصف تلك المعارك دقيقا، و ينوه بانتصار جيشهم و قوادهم بما يزيدهم حماسه و إقداما. يصنع هذا لخدمه غرض سياسى.

قال يصف المعركه التى قامت بين صديقه الوزير "فخر الملك"، و الثائر "هلال بن بدر بن حسنويه الكردى" و كان فى عهد الملك "بهاء الديوله":

و لما أن دعاك إليه "بدر" سبقت له لتدركه عجالا

فاحزنت السهول حمى و جردا محصنه و اسلعت الجبالا

و أبصرها "هلال" خارقا ذبول النقع يحملن الهلالا

عوانس كلما طرحت قتيلا جعلن ضفير لمته قبالا
عليهن الألى جعلوا العوالى - و ما طالت - بأيديهم طوالا
كان على قنيهم نجوما حزن على القوانس أو ذبالا
و مذ صقلت سيوفهم المواضى باعناق العدى هجروا الصقالا
تمد الحرب منك بلوذعى يسعرها إذا خبت اشتعالا
و قلبك يا جرىء الناس قلب كأنك ما شهدت به القتالا
و ذى لجب تالق جانباه كان به على الآفاق آلا
و فيه كل سلهبه جموح يعاسلن المثقفه الطوالا
و من لولاك زوار الأعادى إذا ملوك زدتهم ملالا
و شاهقه حماها مبتنيها و طولها حذارا أن تنالا(1)
تراها تستدق لمن علاها كان بها و ما هزلت هزالا
و قلتها تمس الأفق حتى تقدرها بخد الشمس خالا
ظفرت بها و ضيفك من بعيد يرى ما كان فيه إليه آلا
و ما كان الزمان يرى عليها لغير الطير طالبه مجالا
نقلت بما نقلت قلوب قوم و يحسبك الغبى نقلت مالا
و سقت إلى "قوام الدين" (2) فخرا برى كل الفتوح له عيالا
و كم لك قبلها من قاطعات مدى الأيام لم تخف الكلالا
إذا ما بات يقلب جانبيها "قوام الدين" تاه بها وصالا
و نوه بموقف هذا الوزير فى قصيده أخرى جاء بها على أحداث و معارك طاحنه:
سل به إن جهلت أيامه الغر اللواتى علمن فيه الجهولا

من سطاب "ابن واصل" بعد أن كان لملك الملوك خطبا جليلا

لزه فى قراره تخذ اللجه منها كهفا له و مقبلا

فى سفين ما كن بالأمس فى "أربل" إلا نجائبا و خيولا

و ألالا مذروبه و دروعا و رماحا خطاره و نصولا

مستجيرا بغمره الماء لا ينوى مقاما و لا يريد رحبلا

كره الموت فى النزال عزيزا فائثنى هاربا فمات ذليلا

و الجبال اللاتى اعتصمن على كل قريع جعلتهن سهولا

لم تنلها ختلا و شر من الخببه فى الأمر أن تكون ختولا

و أبيها ملك القلال لقداما طلن من بأسك الشديد مطولا

لم يواتين طبيعات و لكن زلن لما أعيبتها أن تزولا

و "هلال" أرادها غره منك فولى و ما أصاب فتبلا

زار وهنا كما تزور ذئاب القاع ليلا خساره و نكولا

رأى نفسه تهاب من الحرب جهارا فاختر حربا غلولا

فتلقيته كمنتظر منه طلوعا و كان يرجو القفولا

فى رجال شم إذا ارتتموا الضيم أسالوا من الدماء سيولا

ألفوا الطعن فى التراثب و اللبات شيبا و صبيه و كهولا

فتوى بعد أن مننت عليه فى أسار لولاه كان قتبلا

لابسا ربقه الحياه و قد كان قطوعا جبل الحياه حلولا

و حين قتل "سلطان الدوله بن بهاء الدوله" وزيره "فخر الملك" رثاه "المرتضى" بعده قصائد، أعلن فيها نغمته على تصرف الملك، و توقعه أن يصاب سلطان "بنى بويه" بالتفكك و الاضطراب، بقتل الوزير الذى وطد لبني بويه سلطانهم، و هزم أعداءهم، و فى هذه القصيده يبدو التعاون السياسى بأوضح صورته:

أتانى على عدواء الديار

و أن أسامه ذا اللبتين صرع من خدع الأذؤب غلبتم بنقضكم عهدهو من غلب العدر لم يغلب

باى يد قدتم عزه خزامه ذا المقرم المصعب

و كيف ظفرتم - و بعد المنال بينكم - بسنا الكوكبن.

ص: ٣١٢

١- انظر قصيدته فى تهنته جلال الدوله فى ظفره بالبصره سنه ٤٢١.

٢- انظر قصائده السياسيه فى الديوان.

و كيف علقتم على ما بكم من العجز بالحول القلب

و أى يمينكم و العهود تطايحن فى نفنن سبب

و أصبح ملككم بعده بغير ذراع و لا منكب

و ما كنت أخشى على الأفعوان مدى الدهر من حمه العقرب

أ من بعد أن قادها نحوكم نفورا محرمة المركب

و أولجها بين أبياتكم و ليس لها ثم من مرغب

و دافع عنها لغير القوى كل شديد القوى محرب

تجازونه بجزاء العدو و تجزونه أسوه المذنب

فخر الدين على بن الحسن الزوارى

إشاره

يعتبر على بن الحسن الزوارى أحد النجوم الساطعه فى عالم التشيع فى القرن العاشر الهجرى. و قد بذل كل ما بوسعه لنشر أحاديث و أخبار أهل البيت فى عصر لم يكن الناس قد أطلعوا بعد على هذه الأحاديث و الأخبار و لم تكن لهم إحاطه بالثقافه الشيعيه، و قد ترك العديد من المؤلفات القيمه النفيسه.

إن وجود مثل هذا المفسر الشهير، مع تفسيره المعروف و كلك [كذلك] التراجم المتنوعه لمصادر الحديث و الروايات، و تصنيف الكتب الشيعيه باللغه الفارسيه، أقول إن مثل هذا الأمر دليل على نهوض مدينه زواره بقسط وافر من نشر المعارف و العلوم الشيعيه فى عهد الملك إسماعيل الصفوى (المتوفى عام ٩٣٠ هـ) و ابنه الملك طهماسب (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ)، حيث سعى أمثال الزوارى لايقاف الناس فى هذا العصر على علوم و آراء الأئمه، و لتمكين جميع المشتاقين لهذه العلوم، من الناطقين باللغه الفارسيه، من الحصول على هذه الجواهر الثمينه و الخزائن النفيسه.

و تجدر الإشاره هنا، إلى أن الملك طهماسب الصفوى استغل وجود الزوارى و فضله و أدبه فى دعم المذهب الشيعى و نشره، و من ثم دعاه لتصنيف العديد من الآثار المهمه للوقوف بوجه المؤلفين المناهضين للتشيع، فاعتنم على بن الحسن الزوارى هذه الفرصه، و وقف عمره على نشر علوم أهل البيت.

و على الرغم من عدم وجود معلومات دقيقه حول تاريخ ولادته و تاريخ وفاته، إلا أن ثمة قرائن تشير إلى ولادته فى بدايه القرن العاشر الهجرى و وفاته فى نهايه هذا القرن.

رأى المؤلفين و المحققين به

وصفه مترجمو حياته بالثقه فى الروايه و سعه العلم، و ثراء المعلومات و كثره المصنفات، و وصفوه أيضا بالفاضل الزاهد و العارف المتقى و الفقيه المفسر و المحدث الأديب و قد ورد فى روضات الجنات، نقلا عن رياض العلماء:

"...و هو (على بن الحسن الزوارى) فاضل عالم، و مفسر فقيه و محدث معروف و من كبار تلامذه المفسر السيد غياث الدين جمشيد الزوارى و الشيخ على بن عبد العالى..."

و يكتب ملك الشعراء (بهار) فى كتابه "سبك شناسى" ما نصه: "... و هذا الرجل من كبار المؤلفين و مشاهيرهم فى العهد الصفوى. و على الرغم من بساطه أسلوبه فى النثر إلا أن هذا النثر لا يخلو من المتانه..."

و فى كتاب "تاريخ نظم و نثر فارسى"، المجلد الأول، يذكر سعيد نفيسى هذا المفسر بقوله:

"يعتبر فخر الدين على بن الحسن الزوارى أحد العلماء المشهورين فى عهد الملك طهماسب الأول، و هو من أوائل الذين ألفوا المصنفات باللغه الفارسيه على الطريقه الشيعيه. و كان من أكثر علماء عصره جدا و اجتهادا".

و فى كتاب "هزار سال تفسير فارسى"، يتحدث الدكتور السيد حسن سادات الناصرى عن الزوارى فيصفه:

"...يعد على بن الحسن الزوارى، أستاذ المولى فتح الله (الكاشانى) أحد مشاهير المفسرين و المصنفين فى العصر الصفوى. و يعتبر تفسير الزوارى أو ترجمه الخواص من التفاسير المهمه التى تأتى بعد تفسير الطبرى و تفسير أبو الفتوح الرازى و المواهب العليه..."

و يكتب الدكتور محمد شفيعى، أستاذ جامعه شيراز فى كتاب (مفسرو الشيعه):

"على بن الحسن الزوارى من أهالى زواره و من العلماء المعروفين فى القرن العاشر الهجرى..."

و فى مقدمه تفسير المواهب العليه، يثنى الدكتور السيد محمد رضا الجلالى النائنى عليه بقوله:

"يعتبر الزوارى أحد كبار العلماء فى العصر الصفوى، و من الفقهاء و المفسرين المعروفين فى زمن الملك طهماسب الصفوى".

و فى كتاب (تطور الحكومه فى إيران بعد الإسلام)، يتحدث الأستاذ السيد محمد محيط الطباطبائى عن الزوارى بوصفه صاحب تفسير و تراجم عديده للقرآن و الأخبار و كتب الشيعه إلى اللغه الفارسيه الدريره، و عن خدمات على بن الحسن الزوارى التى أسداها إلى الشيعه، يقول:

" عند ما انتقل الكركى من لبنان إلى إيران، و باشر بالترويج للمذهب الشيعى، سعى على بن الحسن الزوارى لنقل أقواله و مصنفاته - فى نفس ذلك الوقت من اللغه العربيه إلى اللغه الفارسيه ".

دراسته و مراتبه العلميه

كان الزوارى مقيما فى محله بنجيره من مدينه زواره و هى إحدى المحلات القديمه فى هذه المدينه، و أنهى فى مسقط رأسه دراسه المقدمات، ثم رحل إلى أصفهان و كاشان و درس فى حوزاتها العلميه على أيدي أساتذه عصره و سافر لبضع سنين إلى هرات و أقام فىها [فيها] حتى قبيل سفر الملك إسماعيل الصفوى إلى هذه المدينه.

و فى عصر الملك طهماسب الأول، عاد إلى إيران و باشر بالكتابه.

و تجدر الإشاره إلى أن هذا المحدث الشهير كان يشتغل فى محل إقامته، و يبدو أنه كاشان، بالوعظ و الإرشاد. و أصبح عرضه للمغرضين، و اتهامهم له بالتصوف بسبب قدرته و استعداده، و تقدمه فى العلوم الإسلاميه و كسب المدارج العرفانيه.

ص: ٣١٣

من الطبيعي أنه كان عارفاً و من أهل العرفان، و لكن العرفان الذي يقصد به التوجه إلى الله و الانقطاع عن سواه و الزهد [الزهد] و الصلاح، و ليس التصوف و جمع المريدين و ما شابه ذلك. و بديهي أن من كان مرجعاً في الفقه و الحديث و المسائل الشرعيه للعام و الخاص لا يميل إلى التصوف الشاذ.

أساتذته و تلامذته

يتضح من كتاب (لوامع الأنوار) للزوارى، أنه كان يروى عن السيد عبد الوهاب بن على الحسنى الأسترآبادى.

و الأسترآبادى هذا من مشاهير علماء الشيعة، ممن كان يمتاز بالمهاره التامه فى العلوم المعقوله و المنقوله و يهتم كثيراً بترويج الشريعه الإسلاميه.

اشتغل لفترة من الزمن بالقضاء بين الناس، و صنف خلال حياته العديد من المصنفات و فيما يلى عرض لبعضها: - شرح فصول الخواجه نصير الطوسى، تنزيه الأنبياء، حاشيه على شرح للهدايه الأثيريه و شرح قصيده البرده باللغه الفارسيه. و كان هذا العالم الشيعى يعيش فى القرن التاسع الهجرى.

و من أساتذته الآخرين: على بن عبد العالى، المعروف بالمحقق الكركى أو المحقق الثانى، و نذكر قول المحدث القمى بشأنه: " إن قدر هذا الشيخ العظيم و مقامه فى العلم و الفضل و كثره التحقيق و التدقيق و وجود المتانه و الإتقان فى تأليفاته لما يضيق هذا المختصر بذكره ".

كان للمحقق الكركى العديد من الأسفار إلى الشام و مصر و العراق، و قد درس فى هذه النواحي العلوم الإسلاميه على أيدي مشاهير أساتذته عصره. و بعد كسبه لأنواع العلوم و بلوغه قمه الكمال، عاد إلى إيران و باشر فى مدن أصفهان و قزوین بترويج المذهب الشيعى و بتريه علماء مثل على بن الحسن الزوارى.

و المحقق الكركى هو أحد العلماء المعاصرين للملك طهماسب الصفوى، و قد شغل فى إيران منصب شيخ الإسلام و قاضى القضاء، و من جمله آثاره " جامع المقاصد فى شرح القواعد " و ينقل عن صاحب جواهر الكلام قوله بان من ملك جامع المقاصد و الوسائل و الجواهر، استغنى عن غيرها من الكتب، و حاشيه شرائع الإسلام و شرح الفقيه الشهيد الأول و حاشيه تحرير العلامه. و قد مات فى النجف الأشرف عام ٩٤٠ هـ.

و من أساتذته على بن الحسن الزوارى الآخرين السيد غياث الدين جمشيد كازر زواره ئى صاحب تفسير (كازر). و من تلامذته المشهورين، فتح الله بن شكر الله المعروف بملا فتح الله الكاشانى الفقيه و المتكلم و المحقق و المفسر الامامى، و قد روى هذا العالم عن الكركى بواسطه أستاذه الزوارى.

كان ملا فتح الله الكاشانى متجراً [متبحراً] فى جميع علوم عصره و خصوصاً فى التفسير، فقد كان له فى هذا المجال اطلاع واسع. و يتحدث الميرزا عبد الله الأفندى عن هذا المفسر فى كتاب رياض العلماء، المجلد الرابع، بقوله: - " فاضل عالم ذكى، كامل جليل متكلم و مفسر شهير، المولى فتح الله الكاشانى من علماء الدوله الصفويه فى زمن الملك طهماسبى [طهماسب] و هو من

تلامذه علي بن الحسن الزوارى. و له تصانيف جيده و خاصه فى التفسير، حيث يبدع فى ذلك و له مصنفات اخرى قيمه ". و بعد الزوارى، عمد تلميذه المولى فتح الله الكاشانى إلى شرح "المواهب العليه" للكاشفى، و ضمن شرحه أحاديث و أخبار أهل البيت (ع) و أسماه "منهج الصادقين". ثم لخص هذا التفسير و أسماه "خلاصه المنهج" و تشاهد فى هذا التفسير الدقه و حسن الاختيار فى ترتيب المواضيع.

و من الآثار لهذا المحدث الشيعى: تنبيه الغافلين، و تذكره العارفين، و زبده التفاسير. توفى المولى فتح الله الكاشانى عام ٩٨٨ هـ.

مؤلفات علي بن الحسن الزوارى

١ - تفسير ترجمه الخواص: - أشهر آثار الزوارى هو التفسير الموسوم ب "ترجمه الخواص أو تفسير الزوارى". و قد ألف هذا التفسير مقابل تفسير (المواهب العليه) بامر من الملك طهماسب الصفوى. و من ثم يلاحظ التشابه بين التفسيرين. و كان الزوارى قد ضمن تفسيره أحاديث و روايات أهل البيت، ليحتل مكانه كتاب (تفسير المواهب العليه). و يتحدث عن تأليفه لكتابه بقوله:

"حتى الآن لم يكن هناك اهتمام فى التفاسير، بذكر الآيات المباركه التى نزلت بشأن أمير المؤمنين و مناقب أهل بيت سيد المرسلين، و من ثم فقد ألفت هذا التفسير مستعينا بالمواهب العليه".

كان الكاشفى قد باشر بتفسيره فى عام ٨٩٧ هـ. ق و فرغ منه عام ٨٩٩ هـ. و متنه باللغه الفارسيه، و لأنه صنفه بامر نظام الدين الأمير على شير نوائى، فقد أسماه بالمواهب العليه، و قد طبع هذا الكتاب عدة مرات فى الهند و باكستان، و طبع فى إيران عام ١٣١٧ هـ. ش مع حواشى و تصحيح و تنقيح للدكتور السيد محمد رضا الجلالى النائينى.

و على الرغم من استلهام الزوارى أفكاره فى تفسيره من الكاشفى، إلا أنه تعرض بالتفصيل إلى الآيات التى نزلت بشأن و منزله أهل البيت (ع)، و كذلك فسر سائر الآيات حسب الأحاديث و الروايات الموثوقه التى وردت عن أئمه الهدى (ع). و تلاحظ فى طيات بعض المباحث النقليه فى هذا التفسير، مواضيع عقليه، و كذلك يحتوى على بعض المقالات العرفانيه.

نقل بعض المواضيع عن سعيد بن جبير (أول مدون لتفسير القرآن) و عن ابن عباس و الفضل بن الحسن أمين الإسلام المعروف بالطبرسى، و من تفاسير الشيعة اعتمد على تفسير على بن إبراهيم القمى و كذلك غرائب التفسير و لباب التفسير و التفسير الكبير لأبى الفتوح الرازى و كذلك كشف الغمه للإربلى الذى قام بترجمته بنفسه، و استقى بعض المواضيع العرفانيه من كنز العرفان و كشف الأسرار و مصابيح القلوب و بحر الحقائق و معالم التنزيل و زاد المسير و بحر الدر.

النسخ الخطيه لتفسير الزوارى

يوجد العديد من النسخ الخطيه لهذا الأثر القيم فى مكتبات الهند و لبنان و العراق و تركيه و إيران و فيما يلى نشير إلى بعضها نسخه من المجلد الأول، لمحمد أمين بن إسماعيل المازندرانى تعود إلى عام ١٠٢٠ و هى محفوظه الآن فى مكتبه بشير آغا فى اسطنبول.

نسخه أخرى تشمل المجلدين، تعود إلى عام ١٠١٧ هـ. ق و هى موجوده فى المكتبه الرضويه فى مشهد.

و فى المكتبه الوطنيه لايران هناك العديد من النسخ و هى كالأ-تى نسخه خطيه يحتمل أنها ترجع إلى عام ١٠٥٥ هـ. ق نسخه أخرى تحتوى على سوره الفاتحه و حتى آخر سوره الكهف، و قد حررت فى القرن الثانى عشر بخط النستعليق، و هى محفوظه برقم ١٥١٠ /ف فى المكتبه الوطنيه.

نسخه أخرى من تفسير سوره الفاتحه و حتى آخر سوره الإسراء و هى محفوظه برقم ١١٩ /ف فى المكتبه الوطنيه. و هى محرره فى القرن الثانى عشر بخط النسخ و النستعليق.

نسخه أخرى من أول القرآن حتى آخر سوره الكهف، دون ذكر اسم الكاتب و هى محفوظه فى مكتبه المجلس تحت رقم ١٤٣٣٨. و كذلك توجد فى المكتبه المذكوره نسخه أخرى تحت رقم ١٤٨١٧ حررت فى عام ١١٠٣ بخط النستعليق، و أيضا نسخه أخرى تحت رقم ١٣٨١٨ من المجلد الثانى لهذا التفسير أى من سوره مريم و حتى نهايه القرآن و هى محرره عام ١٠٧٤ هـ، بخط النستعليق.

و ثمه نسخ أخرى فى المكتبه المركزيه لجامعه طهران تحت رقم ٥٧٥٦ و رقم ٧٨٢١.

و يوجد المجلد الأول لهذا التفسير، تحت تسلسل ٢١٩ فى سجل رقم ٣١٠٧ فى مكتبه التبريزى الوطنيه، و فى نهايتها: "قد فرغ من تحرير هذا النصف الأول مهر على حاجى الحرمين عين على الأردبيلى فى يوم السبت، اثنى عشر الشهر (كذا) صفر ١٠١٢ هـ. ق". و هى بخط النستعليق.

طبع التفسير المذكور لأول مره فى عام ١٣٥٥ بسعى و اهتمام الحاج الشيخ محمد حسين المولوى فى حاشيه القرآن، و قد كتب المولوى عن نشره للقرآن مع التفسير الفارسى قائلا:

" عند ما بادر هذا الحقيق الكثير التقصير أقل الحاج و المشايخ محمد حسين المولوى الخوانسارى فى سنه ١٣٥٥ هـ. ق، إلى نشر القرآن المحشى بتفسير مولانا على بن الحسن الزوارى، فقد حظى برغبه و اهتمام الخواص و العوام و أصبح مطلوبا من الجميع، و من ثم بادرت إلى طبعه ثانيه و هى منقوله عن النسخه الأولى صفحه بصفحه و لكنها بخط النستعليق للتقليل من طول و عرض الكلمات أكثر من النسخه السابقه، و قد راجعت التفسير المذكور من أوله إلى آخره مره أخرى، و ما كنت قد حذفته فى النسخه الأولى لعدم استيعاب الصفحات له، أضفته فى هذه النسخه، و أضفت إلى جانب ذلك فى الأماكن التى تستوعب الإضافه - بعضا من تفسير مولانا فتح الله الكاشانى - رض - و أحيانا من منهج الصادقين و أحيانا أخرى من خلاصه المنهج، حسب ما يقتضيه المقام، و صرحت باسم المؤلف ليمتاز عن تفسير مولانا الزوارى أعلى الله مقامه... "

و بالمناسبه نذكر أن الطبعه الجديده للقرآن مع حواشى هذا التفسير كانت فى عام ١٣٦٨ هـ. ق من قبل "شركت سهامى طبع كتاب" و لم أشاهد طبعه أخرى.

٢ - آثار الأخيار أو ترجمه التفسير المنسوب إلى الامام الحسن العسكري (ع):

من الكتب التى نسبت إلى على بن الحسن الزوارى، كتاب آثار الأخيار، و هو ترجمه للتفسير المنسوب إلى الامام الحسن

العسكري (ع).

و على الرغم من أن بعض المحققين الشيعة لا يرون صحة انتساب هذا التفسير إلى الامام، و لكن الشيخ الصدوق أيد صحة هذه النسبه [النسبه] في كتب:

من لا يحضره الفقيه و التوحيد و عيون أخبار الرضا، و كذلك فعل ابن شهر آشوب في المناقب و الشهيد الثاني في منيه المرید و الحر العاملي في وسائل الشيعة.

و من المؤلفين المعاصرين، يعتقد السيد رضا الأستادى بعدم وجود دليل على اختلاق هذا التفسير أو صدوره عن الامام. و قد طبع هذا التفسير في إيران أربع مرات باللغه العربيه: - الطبعة الأولى: حجريه. طهران. ١٢٦٨ الطبعة الثانيه و الثالثه: ١٣١٥ ق. تبريز. الطبعة الرابعه في عام ١٤٠٩. في مؤسسه الامام المهدي (عج) في قم.

و أصل هذا التفسير حسب روايه أبى يعقوب يوسف محمد بن زياد بن الحسن على بن محمد السيار، أن الامام الحسن العسكري (ع) كان يملى عليهما و هما يكتبان.

و قام الزوارى - بناء على طلب الملك طهماسب الصفوى - بنقله من العربيه إلى الفارسيه بأسلوب سلس و لكنه متين.

و ذكر المدرس التبريزى في ریحانه الأدب و كذلك صاحب روضات الجنات في ذيل شرحه لحال على بن حسن الزوارى بان الترجمة المذكوره هي إحدى مصنفات هذا العالم. و في المجلد الرابع من كتاب الذريعه، ص ٩٠ قال الشيخ آقا بزرك الطهرانى: - " ترجمه تفسير العسكري أيضا للمولى المفسر على بن الحسن الزوارى تلميذ المحقق الكركى. قال صاحب الرياض رأيته في لنكر من أعمال جام عند أفراسياب خان و قد ترجمه للشاه طهماسب الصفوى ".

و توجد لهذا الكتاب نسخه خطيه في مكتبه المدرسه العاليه للشهيد المطهرى.

٣ - ترجمه المناقب في فضائل الأئمه الأطهار:

الأثر القيم الآخر لهذا العالم الفاضل المفكر، هو: الترجمة الفارسيه لكتاب كشف الغمه في معرفه الأئمه الذى أسمى ترجمته (المناقب). و مؤلف هذا الكتاب هو عى [على] بن عيسى الملقب ببهاء الدين الإربلى، و كان تأليفه في عام ٦٨٧، و هو كاتب و أديب و صاحب شعر و ذوق، و قد قدم إلى بغداد في زمن عطا ملك الجوينى و يرجع نسبه في الأصل إلى عائله الجوينى. و قد ورد اسمه في روضات الجنات أحد أعظم المحدثين الشيعة و كبار علماء القرن السابع.

ترجم على بن الحسن الزوارى الأثر المذكور عام ٩٣٨ هـ. ق باسم الأمير قوام الدين محمد. و قد طبع إلى الآن مرتين في مؤسسه (نشر أدب الحوزه) و (كتاب فروشى إسلاميه) و هو مؤلف من ثلاثه أجزاء مع مقدمه للأستاذ السيد أبى الحسن الشعرانى و قام بتصحيحه السيد إبراهيم ميانجى.

و بخصوص ترجمته من العرييه إلى الفارسيه يقول المترجم: "و لكون

ص: ٣١٥

تصنيفه باللغة العربية الفصحى، و دراسته على الناطقين باللغة الفارسيه أمر صعب، فقد انبرى لهذا العمل الداعي على بن الحسن الزوارى - غفر الله ذنوبه و ستر عيوبه - و إن لم يكن أهلا لمثل هذا العمل العظيم. و لكن شمت الترجمة - بقدر طاقه المتصدى للترجمة - مع شىء من الاختصار بحذف بعض التكرار، ليتسنى لكل طالب محظوظ البلوغ إلى مائده الفائدة، و قد شرعت بهذا الأمر بعون الملك المعبود، و أسميته ترجمه المناقب.

٤ - لوامع الأنوار فى معرفه الأئمه الأطهار:

من الآثار الأخرى للمولى على بن الحسن الزوارى، كتاب باسم (لوامع الأنوار إلى معرفه الأئمه الأطهار، و هو ملخص لكتاب (أحسن الكبار فى مناقب الأئمه الأطهار) تأليف السيد محمد بن أبى زيد بن عربشاه الورامينى. و قد لخصه على بن الحسن الزوارى فى عام ٩٦٨ بامر من الملك طماسب [طهماسب]، و قد لخص منه الرويات الضعفه و النقل الضعيف.

و هذا الكتاب مقدمه فى أصول العقائد الخمسه، و أربعة عشر بابا فى أحوال المعصومين الأربعة عشر، و خاتمه فى شرح حال أبى طالب و محمد بن أبى بكر و عائشه. و قد ورد اسم هذا الأثر فى بعض الكتب تحت عنوان لوامع الأنوار [الأنوار] فى تلخيص أحسن الكبار.

يتحدث المصنف فى هذا الكتاب عن أستاذه السيد غياث الدين جمشيد، و يذكر جانبا من المظالم التى لحقت به قبل مجيء الملك إسماعيل الصفوى، بسبب تشيعه و دفاعه عن المذهب الجعفرى.

و فى الصفحه ٤٠٧ من روضات الجنات، ورد ذكر هذا الكتاب نقلا عن رياض العلماء [العلماء]، حيث جاء ما نصه:

" و هو كتاب متداول كبير عندنا منه نسخه و قد لخصه من كتاب أحسن الكبار فى مناقب أئمه (كذا) الأطهار لبعض علمائنا بامر السلطان شاه طهماسب الصفوى المشهور، و زاد عليه بعض المطالب و الفوائد و جعله مرتبا على مقدمه فى أصول الدين و أربعة عشر بابا فى أحوال الساده الطاهرين".

توجد نسخه خطيه من هذا الكتاب فى مكتبه السيد النجفى المرعشى، تحت رقم ٣٧٤، و هى بخط النسخ، و ثمة نسختان أخريان فى نفس هذه المكتبه تحت رقم ٤٠٥٥ و ٤٦٠٠.

٥ - روضه الأسرار فى ترجمه و شرح نهج البلاغه:

و هو ترجمه و شرح مختصر لنهج البلاغه و قد أتم الترجمة و الشرح فى آخر شهر شوال عام ٩٤٧، و هو يبدأ بالعباره التاليه: " الحمد لله على نعمائه و شكر آلائه.... و غير خاف أنه ياتى بعد كلام رب العالمين و سيد المرسلين....".

و ينتهى بالعباره التاليه: " و قالوا خوفا و طمعا اللهم اغفر لنا و لهم يا غافرا المذنبين (كذا) و يا رب العالمين".

و لهذا الكتاب نسخه محفوظه فى مكتبه السيد النجفى المرعشى تحت رقم ١١٨٨، محرره بيد على بن ناصر الحسينى الكيلانى الملاطى، بخط النسخ، و هى متن عربى لنهج البلاغه مع الاعراب.

و كذلك توجد لهذا الكتاب نسخه أخرى فى المكتبه المركزيه لجامعه طهران، تحت رقم ٩٥٥٦ و هى محرره بخط النستعليق فى شعبان عام ٩٤٩ هـ. ق، و ثمه نسخ أخرى فى مروى و كذلك فى المكتبه الرضويه فى مشهد.

٦ - طراوه الطائف فى ترجمه كتاب الطوائف:

و هو ترجمه حرفيه لكتاب الطوائف فى معرفه مذاهب الطوائف، تأليف السيد ابن طاوس - رض - و قد ترجمه إلى الفارسيه باسم الملك طهماسب الصفوى، و فرغ من الترجمه فى السادس من رجب عام ٩٦١ هـ.

تحتفظ مكتبه السيد المرعشى النجفى بنسخه منه تحت رقم ١٠٨٦، و هى محرره بخط النستعليق بيد على بن درويش فى ١٥ ربيع الثانى عام ١٠٦٧ هـ.

٧ - مفتاح النجاح:

هذا الأثر هو ترجمه حرفيه مع إضافه بعض الأذكار و الأذكار لكتاب عده الداعى و نجاح الساعى تأليف ابن فهد الحلبي. و تحتفظ الترجمه بالترتيب الأصيل للكتاب و هو يشتمل على مقدمه و ستة أبواب و خاتمه.

توجد نسخه لهذا الكتاب فى مكتبه السيد المرعشى النجفى تحت رقم ٢٢٠ و هى بخط النسخ، و ثمه نسخه أخرى بخط النستعليق تحت رقم ١٢٣١ فى نفس المكتبه المذكوره و هى محرره فى عام ٩٧٤ هـ. ق.

٨ - مجمع الهدى:

دون أبو الحسن على بن الحسن الزوارى هذا الكتاب حول حياه الرسول الأعظم (ص) و أئمه الهدى (ع) و هو فى أربعين بابا. و فى هذا الكتاب يعنى المؤلف - كما يفعل فى مؤلفاته الأخرى - عنايه خاصه بالآيات القرآنيه و الأحاديث و الأخبار المنقوله عن أهل البيت.

تحتفظ مكتبه السيد المرعشى النجفى بنسخه لهذا الكتاب رقم ٢٧٣١ و هى محرره بخط النستعليق.

الآثار الأخرى لعلى بن الحسن الزوارى:

٩ - مكارم الكرائم و هو ترجمه لمكارم الأخلاق ١٠ - وسيله النجاه فى ترجمه اعتقادات الشيخ الصدوق.

١١ - ترجمه كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسى باسم كشف الاحتجاج.

١٢ - تحفه الدعوات فى أعمال السنه و هو باللغه الفارسيه.

١٣ - رساله مرآه الصفا و يحوى فى خاتمه على زيارات لأهل البيت.

١٤ - كتاب عمدته الطالب فى ترجمه المناقب.

١٥ - أربعون حديث شريف.

١٦ - خلاصه الروضه.

١٧ - ترجمه فارسىه لمناقب ابن شهر آشوب السروى. (١)

على حيدر بن على أظهر

ولد سنه ١٣٠٣ فى (كهجوه) من قضاء (سارن) التابع ل (بهار) فى الهند و توفى فيها سنه ١٣٨٠.

ص: ٣١٦

١- غلام رضا گلى زواره.

تربى و ترعرع برعايه جده و أبيه و انتمى إلى المدارس الحكوميه. و فى سنه ١٣٢٢ سافر أبوه إلى العراق مع العيال فالتقى هناك بكبار العلماء يصحبه ولده المترجم، ثم عاد إلى وطنه. و بقى ملازما أباه مساعدا له فيما يكتب و يؤلف حتى سنه ١٣٢٥ فسافر أبوه إلى لكهنو و معه ولده المترجم حيث عهد به إلى مشاهير أهل العلم فدرس عليهم. و فى سنه ١٣٢٨ جاء المترجم إلى (لاهور) و انتمى إلى (أورينتال كالج) مده سنتين عاد بعدها إلى لكهنو فانتمى إلى معهد (سلطان المدارس) و فى سنه ١٣٣٦ تخرج منها و عاد إلى بلده. و كان والده يصدر مجلتيين: (الشمس) و (إصلاح) و يكتب و يؤلف، فقام ولده المترجم بمساعدته فى عمله. ثم دعى إلى التدريس فى المدرسه السلیمانیه فى بته فاستجاب لذلك و لكنه لم يلبث فى عمله هذا سوى سته أشهر حتى دعى إلى لكهنو للتدريس فى (سلطان المدارس) فذهب إليها و بقى منشغلا بذلك حتى سنه ١٣٤٤ و كان قد أصدر مجله (الكلام)، و كان يعمل فى ترجمه كتاب (إحقاق الحق) و (نهج البلاغه) و (العروه الوثقى) للسيد اليزدى. على أن تدهور صحه والده اضطره إلى العوده إلى بلده فتولى بنفسه إداره مجله (إصلاح) و (الشمس). و فى سنه ١٣٤٧ توفى والده.

و من سنه ١٣٥١ إلى سنه ١٣٥٨ انصرف انصرافا كاملا إلى الكتابه و التأليف. ثم اضطر لايقاف المجلتيين، و اقتصر على التأليف.

من مؤلفاته: مجالس خاتون فى ثلاثه مجلدات تحتوى على ١٠٠٠ صفحه و هى مجالس تعزیه للنساء، تصوير عزا. و هو رد على المعترضين على إقامه عزاء الحسين، تاريخ الأئمه، جوهر قرآن، شهاده عظمى، ترجمه العروه الوثقى للسيد اليزدى، ترجمه إحقاق الحق (لم يتم)، ترجمه و شرح نهج البلاغه، فضائل أمير المؤمنين، تصوير بنى أميه، سوانح حياه أمير المؤمنين، ثقل أكبر، مجالس الأنوار، ترجمه و تفسير القرآن، تحفه مؤمنات (و هو عرض لمشاهير نساء الإسلام)، حضره سكينه، عزادارى نور الله، و غير ذلك.

تخلف بولده محمد باقر الذى تابع رساله أبيه و جده.

الملا على رضا الشيرازى

توفى سنه ١٠٨٥ فى شيراز.

جاء إلى الهند من شيراز فى زمن تملك شاه جهان فلقى إقبالا كبيرا، و بعد وفاه الشهيد نور الله الشوشترى صار هو مرجع الشيعة فى الهند، و قد قام بتفسير القرآن، و مما قيل فى هذا التفسير ما جاء فى (مخزن الغرائب):

"إنه تفسير للقرآن بعباره فصيحاه واضحه و هو متداول بين العلماء و الفضلاء".

تنقل خلال وجوده فى الهند فى كل من إكره و كجرات و دلهى و لاهور و سوهدره و كشمير، ثم رجع إلى وطنه شيراز.

كان إلى مرجعيته الفقيهه شاعرا أدبيا و ترك ديوانا شعريا.

على قاسم خان بيك

توفى سنه ١٣٣٠ فى الهند.

هو من قضاء مونگیر فی الهند من العائله العلمیه المشهوره. جاء إلى لکنهو لإكمال دراسته، و كان من أساتذته فیها كل من میرزا علی خان و السيد مرتضى نونهری و السيد نثار حسین. كان خطيبا شاعرا باللغتين العربيه و الفارسيه، و كان مما درسه فی لکنهو فأتقنه: شرائع الإسلام و شرح التجديد [التجريد] أو قواعد العقائد و نفحه اليمن و المعلقات السبع.

الشيخ على رضا ریحان اليزدی

كان خطيبا، واعظا، فاضلا سافر إلى کشمير من بلاد الهند لغرض الحصول على المخطوطات الإسلاميه و قد جمع منها عددا كبيرا و كتب لها فهرستا. و أهم تأليف له هو كتابه (آينه دانشوران، مرآه العلماء) فی أحوال العلماء و الطلاب، خاصه علماء مدينه يزد.

توفى عن عمر يناهز الثمانين سنه ١٤٠٨ هـ. (١)

السيد فخر الدين أبو القاسم على بن أبي يعلى عز الدين زيد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد بن أبي جعفر أحمد زياره الحسينى النيسابورى.

توفى بفریومد يوم الخميس ٤ ربيع الأول سنه ٥٢٢.

أخذ العلم من أكابر علماء نيسابور و أعلام أسرته آل زياره و انتهت إليه الرئاسة فى نيسابور و قد ولى من جانب السلطان سنجر فى الكوفه على أحداث نهر لجلب المياه من الفرات إلى الكوفه و كتب السلطان سنجر إلى وزيره جلال الدين الحسن بن على بن صدقه ببغداد سنه ٥١٢ يأمره بإنجاز المشروع و ذكر الكتاب ابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ و هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم. حسن توفيق الوزير الأجل العالم يدعو إلى أن يكون وفود احمانا إليه مسوقه و عقود مخاطباتنا لديه منسوقه و بحسب ذلك استظهر السيد الأجل العالم الزاهد فخر الدين مجد الساده أبو القاسم على بن زيد الحسينى بهذا المثال، و هو ممن سالت على صفحه نسبه الشريف غره السداد و بوأه استحقاقه كنف العناية موطا المهاد و حكعت له مواته (؟) المرعيه و وسائله المرضيه بان يتلقى داعيه رجائه بالاجابه و يقابل ظنه بجميل الاصابه و قد هم بان يسعى فى أن تشق إلى الكوفه فرضه من الفرات ليحيى بها معالم أرضها الموات و لا غنى فى تحصيل مراده و إدراك مرامه عن حسن مسعاه الوزير الأجل جلال الدين و صدق اعتائه و إرشاده و رأى الوزير الأجل فى ذلك موفق رشيد إن شاء الله تعالى.

و كانت أمه بنت الرئيس الفقيه أبى زيد أميرك البروغنى و أعقب ثلاثه أولاد، هم زيد و الحسين و على كلهم من العلماء فى

نيسابور. (٢)

ص: ٣١٧

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديد آورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديد آور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور إبراهيم آيني آيني

ولد في قرية (پازار) من توابع قضاء (بيرجند) في جنوب خراسان سنة ١٣٣٨ و توفي سنة ١٣٨٤.

بدأ دراسته في بيرجند ثم في الحوزه العلميه بمدينة مشهد ثم دخل جامعه طهران فنال منها شهاده الدكتوراه في الفلسفه و العلوم العقلية الإسلاميه كان يجيد اللغتين العربية و الإنكليزية.

من مؤلفاته: ١ - السيره النبويه. ٢ - تحقيق كتاب المقولات و الآراء المتعلقة بها. ٣ - ترجمه تاريخ اليعقوبى و التعليق عليه. ٤ - الأندلس أو تاريخ الحكومه الإسلاميه في أوروبا. ٥ - ترجمه كتاب مرآه الإسلام للدكتور طه حسين. ٦ - ترجمه كتاب العالم في القرن العشرين عن الإنكليزية. ٧ - مساهمته في تأليف كتاب: تاريخ عاشوراء. ٨ - مساهمته في تأليف كتاب: سرمايه سخن (منهل الكلام) ٩ - محاضرات بعنوان: حديث الشهر في ثلاثه أجزاء. ١٠ - شهداء الإسلام في عصر الرساله و غير ذلك.

إبراهيم بن جعفر بن لطف الله بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي

(نور الدين) بن أحمد بن مفلح الميسى العاملى.

كتب جده الشيخ لطف الله الميسى تاريخ ولادته بأصبهان هكذا:

يوم الثلاثاء ٢٥ محرم سنة ١٠٢٧ بالدار المتصله بالمسجد الشاهى العباسى. (١)

السيد إبراهيم الحائرى بن راضى

من علماء أوائل القرن الرابع عشر التابعين لتعاليم الشيخ أحمد الأحسانى و هو من أصحاب السيد كاظم الرشتى. ذكره السيد عبد الرحيم الحسينى اليزدى فى كتابه "كاشف الرموز" من جمله من اعتبر الحاج كريم خان الكرمانى ضالاً- مبدعاً، و وصفه (بالمبالغات المعهوده) بقوله: "سيد جليل نبيل عالم الأعلام معلم العلام مشيد الأحكام هادى الأنام البحر القمقام العليم الحكيم...". (٢)

السيد إبراهيم الإصطهباناتى الشيرازى بن ميرزا حسن

. ولد سنة ١٢٩٧ فى إصطهبانات (٣) و توفي سنة ١٣٧٨ فى النجف. هو من ذريه السيد مير حسين الشهرى بإمام زاده حسين حياه غيبى، له بقعه فى قرية "حسين آباد" من قرى "پشت كوه"، يقصد للزياره.

و آباء المترجم له إلى السيد مير حسين المذكور كانوا فى سلك العلماء الأتقياء و من المروجين الداعين إلى الدين الحنيف. و كان لهم احترام فى تلك النواحي و للناس فيهم اعتقاد راسخ.

نشا بها برعايه والده الميرزا حسن فقرأ بمسقط رأسه الأوليات العلميه و السطوح على والده و بعض الأساتذه من شيوخ العلم.

ثم هاجر إلى شيراز، فتتلمذ سنين على علمائها فى الفقه و الأصول و بعض العلوم الأخرى.

و فى نحو سنه ١٣٢٤ هاجر إلى النجف الأشرف، فحضر على كبار مدرسيها الأعلام كالسيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و الميرزا محمد تقى الشيرازى.

ثم استقل فى التدريس خارجا بعد وفاه أستاذه الميرزا محمد تقى الشيرازى سنه ١٣٣٨.

و حضر حلقات درسه جماعه من أفاضل الطلبة.

و قد رجع إليه فى التقليد كثير من المؤمنين حتى أصبح من كبار مراجع عصره، و خاصه بعد وفاه السيد أبى الحسن الأصبهاني فى سنه ١٣٦٥ حيث انتهت إليه مرجعيه شيراز و ما والاها و كثير من بلدان إيران و الخليج.

ترك من المؤلفات بعض الكتب الفقيهيه و حواشى على بعض الكتب (٤).

السيد إبراهيم بن الحسين الحسينى البابلكاني المازندراني،

شرف الدين.

ملك نسخه من كتاب " شرائع الإسلام " عليها خط المحقق

ص: ٥

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- اصطهبانات مدينه فى الجنوب الشرقى من "شيراز"، فيها مدارس علميه دينيه تخرج منها جماعه من العلماء ثم ذهبوا إلى الحوزات العلميه حيث أكملوا بها مراحلهم الدراسيه.

٤- السيد أحمد الحسينى.

الحلى، و صرح فى تملكه أنه يسكن فى أسترآباد فى قريه "دريندوه" (١).

الميرزا إبراهيم الحسينى

المعروف بكخدافاضل أديب شاعر بالفارسيه، كتب مقطوعات من شعره فى مجموعه بتاريخ ١٢ ربيع الثانى سنه ١٣٢٠ (٢).

السيد إبراهيم بن سليمان الموسوى الحسينى

لعله من تلامذه الشيخ أحمد بن الحسين الحر العالمى أخى صاحب " وسائل الشيعه " فقد كتب نسخه من كتاب أستاذه " الدر السلوك " و أصلح منه بعض المواضع، فهو من أعلام القرن الثانى عشر (٣).

الشيخ إبراهيم بن عبد الله الخطيب المازندراني

من أعلام القرن الثانى عشر، قرأ على المولى محمد أمين الأسترآبادى كتاب "الكافى" و رأيت نسخه من فروع قوبلت على نسخه المازندراني مرتين (٤).

الشيخ إبراهيم بن عبد الجليل الحائرى

درس العلوم الدينيه سنين فتبحر فى العقليات و الفقه و الحديث، ثم اتصل بالشيخ أحمد الأحسائى فتتلمذ عليه، و صرح فى بعض مصنفاة أنه قرأ عليه كتابى الصلاه و الصوم استدلالا، و بعد وفاته تتلمذ على السيد كاظم الرشتى فى كربلاء. و هو شديد الإكبار لهما بحيث يعتبر دراساته الماضيه ضلالا و إضاعه للوقت و تلمذته عندهما رشدا و هدى، و كان مدرسا فى كربلاء على طريقتهما.

توفى أواخر القرن الثالث عشر.

له "شرح حياه النفس" للشيخ أحمد الأحسائى المذكور، و "تحفه الملوک فى علم السلوك" ألفه سنه ١٢٤٧، و "الصوم و الصلاه" و "أركان ثلاثه" و "أصول العقائد" و "تركيبه النفس" و "مناسك الحج" (٥).

الميرزا إبراهيم بن عبد المجيد الشيرازى الحائرى

مذكور فى نباء البشر ص ٤ و ١٦ على أن ترجمه لشخصين، و لكن الصحيح أنها لشخص واحد، و يعرف ذلك من كتاب "كاشف الرموز" للسيد عبد الرحيم الحسينى اليزدى حيث صرح بأنه مؤلف "رجوم الشياطين" و من العلماء التابعين للشيخ أحمد الأحسائى و السيد كاظم الرشتى و قد عده من جمله من اعتبر الحاج كريم خان الكرمانى ضاللا- مبدعا، و وصفه "بالمبالغات المعهوده) بقوله:

"فخر المحققين و الأعلام و صدر الحكماء و العلام و حيد العصر و فريد الدهر لسان الفقهاء و المجتهدين و مبين معضلات الحكماء الإلهيين مصباح الشارحين و مرغم أنف الملحدین و رافع أعلام الدين و مشيد شريعته سيد المرسلين و مرجم الشياطين

و موضح أسرار المبدعين المكذبين الضالين المضلين... " (٤)

الشيخ إبراهيم بن علي السكري الحلبي

قرأ علي السيد حسين بن كمال الدين الأبرز الحلبي كتاب " الاستبصار " فأجازه في عدة مواضع منها في آخر الجزء الثاني منه في يوم الاثنين ١٨ ذى القعدة سنة ١٠٤١، وقال فيها " الشيخ الأجل النقي النقي الوفي العالم العامل الكامل ذى القلب السليم و الطبع المستقيم الذكي الألمعي... قراءه تحقيق و تدقيق تدل على فهمه و تشهد بتبحره غير مقتصر على تصحيح المباني بل جامع بينها و بين تحقيق المعاني... " (٧)

الشيخ إبراهيم بن علي نور الدين بن أحمد بن مفلح

الميسى العاملي

رأيت بخط ولده الشيخ عبد الكريم الميسى تاريخ وفاته هكذا:

توفى والدى الشيخ إبراهيم إلى رحمه الله و رضوانه يوم الخميس سادس عشر شهر المحرم من شهور سنة ٩٧٩ ببلده سبزوار و دفن بالمشهد الرضوى على مشرفة الصلاة و السلام يوم السبت خامس شهر صفر من السنه المذكوره " (٨)

الشيخ إبراهيم بن علي بن مبارك البحراني

قابل نسخه من كتاب " الاستبصار " على نسخه الشيخ محمد بن سليمان بن محمد بن علي البحراني و أتم المقابله في الخامس من شهر صفر سنة ١٠٨٣ و صرح بان صاحب نسخه أستاذه و شيخه (٩)

الشيخ إبراهيم بن علي بن الحسن الطريحي

كتب كتاب " قواعد الأحكام " للعلامه الحلبي في سنة ٧٢٤ و على نسخه بلاغات و حواشى، و نقل فيها إجازة للشيخ فخر الدين ابن العلامه كتبت في عشرين من جمادى الأولى سنة ٧١٧.

ص: ٦

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.

٧- السيد أحمد الحسيني.

٨- السيد أحمد الحسيني.

٩- السيد أحمد الحسيني.

أقول: كذا في فهرس المكتبة المركزيه لجامعه طهران ٨ / ٨٤. و لعل هذه النسخه كتبت من نسخه في ذلك التاريخ فليس الطريحي هذا من أعلام القرن الثامن(١).

الشيخ إبراهيم اللكراني

مترجم في "نقباء البشر" و نقول:

عالم فقيه، أصولي توفي قبل سنه ١٣١٤ المستنسخ فيها بعض آثاره العلميه و المصرح فيها بوفاة حين ذاك.

وصفه بعض الناسخين لكتبه ب "عمده العلماء و أفقه الفقهاء و أعلم الفضلاء و زبده [زبده] المدققين و المحققين المحقق الرابع... له "أصول الفقه" استدلالى كبير، و "كتاب البيع" (٢).

الملا إبراهيم المازندراني

قرأ عليه المولى على رضا بن الحاج خدا دوست العليانى فى قريه "كردكلا" من قري "پيل خواران" بمازندران، تفسير على بن إبراهيم القمى و كتب فى آخره بلاغا بتاريخ سنه ١٠٦٢ و قال عن شيخه "قد بلغ سماعا عن مولانا المحقق و سيدنا المدقق فريد دهره و وحيد عمره الامام ثقة الإسلام فقيه أهل البيت ع ناموس آل محمد صلوات الله و سلامه عليهم..." (٣).

السيد إبراهيم بن محمد الحسينى

كتب نسخه من كتاب "من لا يحضره الفقيه" و أتمها فى يوم الجمعة خامس شوال سنه ١٠٧٤ و قرأ الكتاب عند الشيخ صالح بن عبد الكريم البحرانى فكتب له بلاغا فى آخر الجزء الأول منه بتاريخ سلخ ربيع الأول سنه ١٠٧٣ و كتب له إنهاء" فى آخره بتاريخ ١٥ صفر سنه ١٠٧٧" (٤).

الميرزا إبراهيم بن محمد سميع المعروف بأقا بالا بن عبد الله

الشتربانى الزنوزى التبريزى

ولد بمدينه تبريز و بها نشا و على شيوخها درس المقدمات العلميه، ثم هاجر إلى النجف الأشرف و قرأ بقيه السطوح على الحاج فخر الشرايىانى أخى الفاضل الشرايىانى و على الميرزا محمد على القره داغى. ثم تتلمذ فقها و أصولا خارجا على الميرزا حبيب الله الرشتى و المولى لطف الله اللارىجانى ثم الشيخ هادى الطهرانى و لازمه إلى أن توفي أستاذه هذا.

و كان إلى جانب دراسته للفقاه و الأصول يتعلم الرياضيات و العلوم الغريبه، فتتلمذ فيها على السيد مرتضى الكشميرى و الميرزا عبد الحسين الإيروانى و الميرزا محمد حسين الحسينى المرعشى، و اشتهر فى العلوم الغريبه فى النجف و تبريز حتى عد من أساتذتها البارزين.

اشترك مع جماعه من إخوانه فى بعض الأحداث السياسيه فكان ضد المشروطه آنذاك فسببت مشاركته فى هذه الأحداث

بعض المشاكل و لكن صمد لها فى تبريز حتى انجلت الغبره و زال ما كان يكدر الصفو.

توفى بتبريز سنه ١٣٣٤ و دفن بها.

له "لسان الحق" و "تقرير أبحاث الطهراني" الأصوليه و الفقهييه و كتابات متفرقه أخرى فى أصول الفقه و العلوم الغريبه و غيرها(٥)

الشيخ إبراهيم بن محمد هادى السرخه ديزجى الزنجانى

أصله من "سرخديزج" و سكن زنجان و كان من علمائها البارزين، كتب تقريضا على كتاب "تبيان البيان فى قواعد القرآن" للشيخ محمد حسن الزنجانى فى ٢٥ ربيع الثانى سنه ١٣٠٨(٦)

السيد إبراهيم الموسوى الدزفولى

من علماء أوائل القرن الرابع عشر التابعين لتعاليم الشيخ أحمد الأحسائى و هو من أصحاب السيد كاظم الرشتى، ذكره السيد عبد الرحيم الحسينى اليزدى فى كتابه "كاشف الرموز" من جمله من اعتبر الحاج كريم خان الكرمانى ضالا- مبدعا، و وصفه (بالمبالغات المعهودة) بقوله: "سيد أجل أعظم أعلم فخر الساده و مفخر الأجله أعلم أهل زمانه و أفضل أهل عصره و أوانه سميع عليم رحيم حكيم..."(٧)

الشيخ إبراهيم الورك روى القزوينى

ولد فى قريه ورك رود من توابع ضياباد [ضياءآباد] فى ضواحي قزوینسنه ١٢٩٨ و توفى بها سنه ١٣٧٩.

من فقهاء العصر و رجال العلم و البيان و الفضل أخذ المقدمات و علوم القرآن فى ضياءآباد و فى سنه ١٣١٠ هاجر إلى قزوین و أكمل السطوح ثم أخذ الفقه و الأصول و التفسير على السيد هبه الله التلاترى و الشيخ على أكبر الجلوخانى و الشيخ على أكبر السيادهنى و الشيخ فتح الله الشهيدى ثم قصد العراق للانتماء إلى الحوزه العلميه الكبرى فى العتبات المقدسه و سكن النجف الأشرف و كربلاء و أخذ الأصول عن الشيخ محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و الفقه عن السيد كاظم الطباطبائى اليزدى صاحب العروه فى النجف الأشرف ثم حضر فى كربلاء على زعيم الثوره

ص: ٧

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

٥- السيد أحمد الحسينى.

٦- السيد أحمد الحسينى.

٧- السيد أحمد الحسينى.

العراقيه الكبرى الشيخ محمد تقى الشيرازى المتوفى سنة ١٣٢٨ ثم رجع إلى موطنه قزوين سنة ١٣٤٠ و شغل كرسى التدريس و الفتوى و التف حوله جمع من طلاب العلوم الدينيه. و بعد مده هاجر إلى مسقط رأسه قريه ورك رود منصرفا إلى العبادات و الرياضات و التنسك و التهجد و تلاوه القرآن الكريم و الاذكار و الأدعيه و كان من مراجع التقليد فى ضياء آباد و ضواحي قزوين و له مؤلفات منها:

١ - كتاب شرح المعالم.

٢ - حاشيه على مباحث الألفاظ فى كفايه الأصول.

٣ - تقارير أصول الآخوند محمد كاظم الخراسانى.

٤ - تقارير الفقه للسيد كاظم الطباطبائى اليزدى.

٤ - حاشيه على شرح اللمعه.

٥ - كتاب فى الزيارات و الأدعيه و غير ذلك من الرسائل و الحواشى. (١)

الشيخ إبراهيم بن يحيى بن محمد بن نجم الدين بن الحسين

بن سودون العاملى.

ملك نسخه من كتاب "مختصر جمع الجوامع" للشيخ عبد القادر بن محمد العمرى الشافعى فى سنة ١٢١٤ (٢)

السيد ابن حسن نونهروى بن السيد محمد جواد

ولد سنة ١٣١٨ فى نونهره التابعه لقضاء غازى پور (الهند) و توفى سنة ١٤٠٠ فى لكهنو.

كان عالما فاضلا خطيبا بارعا من أرقى خطباء الهند، يملك تأثيرا سحرى فى الخطابه لا يمل السامعون كلامه مهما طال، بل يتمنون المزيد.

درس دروسه الأولى فى بلده ثم قصد لكهنو و دخل مدرسه سلطان المدارس متتلما على كبار العلماء. ثم أصبح مدرسا فيها.

و انتقل إلى مدرسه الواعظين مديرا لها و مسئولها عنها، و هى مدرسه كبرى للمبلغين و الدعاه المرشدين، و بقى يتولى إدارتها و مسئولياتها حتى آخر حياته.

كان فى تدريسه متمكنا قويا لا سيما فى الفلسفه و الأدب.

و لانهماكه فى التدريس و الاداره و السفر لم يتمكن من التأليف.

أبو البقاء التفریسی

فاضل من أعلام القرن الحادى عشر، قال فى تاریخ تألیف "زیده الأصول" كما وجدت بخط الشیخ بهاء الدین العاملى:

سلطان محققین برأى صائب بر أوج سهر فضل مهر ثاقب

وان زیده نوشت سال تاریخ آمد منسوخ کن أصول ابن حاجب

(۱۰۲۰) (۳)

أبو تراب

تلمذ علیه المولى على نقى فى عده من الفنون، فأجازته فى نسخه من كتاب "نهج البلاغه" باجازه عامه فى آخر الباب الأول منه فى ۱۲ رجب سنه ۱۰۹۷، و كتب له إنهاء فى آخره فى أواسط ربيع الثانى سنه ۱۰۹۸ (۴)

السید أبو تراب بن أبى الحسن الحسینى الأزغدى

فاضل متتبع. من أعلام أواخر القرن العاشر و لعله أوائل القرن الحادى عشر.

له "منهاج المؤمنین" فى الأدعیه بدأ به فى شهر رمضان سنه ۹۹۲ (۵)

السید أبو تراب بن أبى القاسم الحسینى النطنزى

فاضل كتب مجموعه فیها رساله "آداب غاز شب" للمولى على قلى النطنزى فى سنه ۱۲۳۹ و أكمل ما وجد فیها من نقص من كتب الفقهاء.

أدیب شاعر بالفارسیه (۶)

السید أبو تراب بن جعفر بن علاء الدین الحسینى الواعظ

الیزدى

تلمذ على أخیه السید أبى القاسم الواعظ الیزدى فى علمى الحدیث و التفسیر و أخذ منه فنى الخطابه و خط النسخ، و كان یقیم بمدينه "لاهیجان" و یعرف برئیس الواعظین، و هو من أعلام أواخر القرن الثالث عشر (۷)

أبو تراب بن محمد بن محمد جعفر اللاهیجانى

فاضل أدیب حسن الإنشاء، متوغل فى علوم العربیه کثیر الكتابه فیها: من أعلام النصف الثانى من القرن الثالث عشر.

له "تهذيب القوانين" و "شرح ألفيه ابن مالك" أتم قطعه منه في شوال سنة ١٢٧٤، و "اللطائف الأبهيه في شرح الألفيه" أتم الجزء الأول في سنة ١٢٧٥ (٨)

أبو تراب بن محمد حسين القزويني

فاضل عارف متوغل في التصوف، له اطلاع واسع بالعلوم

ص: ٨

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحي
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- السيد أحمد الحسيني.
 - ٥- السيد أحمد الحسيني.
 - ٦- السيد أحمد الحسيني.
 - ٧- السيد أحمد الحسيني.
 - ٨- السيد أحمد الحسيني.

الدينه، نشا ظاهرا فى العتبات المقدسه بالعراق و كان فى سنه ١٢٦٠ بطهران.

له "تحصيل العلم" و "الشريعه و الحقيقه" و "شرح زياره أشهد أنك طهر طاهر مطهر" (١).

أبو تراب المشهدى

أجازته الشيخ حسين بن حسن المشغرى العاملى فى آخر نسخه من كتاب "خلاصه الأقوال" للعلامه الحلى فى مشهد الرضا (ع) فى العشر الثالث من المائه الحاديه عشره (بعد ١٠٢٠) (٢) و قال فى الإجازة "عارضنى المولى العالم الفاضل خلاصه الفضلاء و زين العلماء.. معارضه تفتيش و تدقيق و مقابله فحص و تحقيق، فلما أن رأيتة جامعا للافاده حاويا للافاضه أهلا للإجازة أجزت له.. أن يرويها عنى على الشرط المذكور فى إجازتى غير هذه له..".

و لعله المذكور فى أعيان الشيعه ٣١٠/٢ بعنوان الميرزا أبو تراب المشهور بفطرس المشهدى المتوفى سنه ١٠٦٠ بهيدرآباد (٣).

الميرزا أبو الحسن بن أحمد دستغيب الحسينى الشيرازى

كان بالاضافه إلى مقامه العلمى فاضلا أدبيا منشئا له شعر بالعربى و لكنه لم يكن بالرفيع، و لاه معتمد الدوله فرهاد ميرزا بعض الأوقاف التى أوجدها فى سنه ١٢٩٦.

له "أخلاق معتمدى" (٤).

الميرزا أبو الحسن بن الحسين بن نقى الكلان محله اى

الرودبارى الجيلانى

ولد فى قريه "كلان محله" من قرى "رانكوه" من توابع "رود بار" بجيلان، و هو عالم فاضل جليل ملم بأطراف العلوم مائل إلى الفلسفه و العرفان، من أعلام النصف الثانى من القرن الثالث عشر و النصف الأول من القرن الرابع عشر.

تتلمذ على الميرزا محمد بن سليمان التنكابنى حين إقامه التنكابنى بلاهيجان سنه ١٢٧١، و أقام سنين بالنجف الأشرف متتلماذا على أعلامها الذين لم نطلع على أسمائهم بتفصيل إلا أنه كان بها فى سنه ١٢٨٣، و فى سنه ١٢٨٧ كان يقيم بطهران و يقرأ على أساتذتها ظاهرا. كان يضيف إلى اسمه لفظه "الممتحن" و لا نعلم أنه لقب له أو شكايه منه من زمانه الذى كان شديد التبرم من أبنائه، و يلقب نفسه ب "المحقق" فى بعض ما كتبه.

و الظاهر أنه كان يقيم فى أواخر أيامه بقزوین، و كان حيا سنه ١٣٣٨ عند تأليف "هدايه المستبصرين" تأليف صدر الأفاضل.. (٥).

الشيخ أبو الحسن الشيروانى

فاضل أديب يميل إلى العرفان و التصوف، أصله من "شيروان" و سافر مرتين إلى خراسان و فى المره الثانيه أقام بمشهد الرضا

(ع) على أثر ما لقيه من إكرام ركن الدولة والى خراسان. و هو من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر (٤).

أبو الحسن بن عبد الله بن إسماعيل الخلخالي

أصله من خلخال و نشأ في أردبيل، فاضل له اشتغال بالعلوم العقلية، قابل مجلدا من "شرح أصول الكافي" لصدر الدين الشيرازي على نسخته و أتم المقابلة في سنة ١٠٨٣ (٧).

الميرزا أبو الحسن المشكيني بن عبد الحسين

ولد في قرية "أحمدآباد" من قرية "مشكين" سنة ١٣٠٥ أو ١٣٠٦ و توفي سنة ١٣٥٨ في الكاظمية و دفن في النجف. مرت له ترجمه موجزه في (الأعيان).

تعلم في قريته القراءه و الكتابه ثم هاجر إلى مدينه "أردبيل" و هو في الخامسة عشره من عمره. و قرأ بها المقدمات و السطوح، ثم هاجر إلى النجف الأشرف أواخر سنة ١٣٢٨ فأدرک بحث المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني قليلا، و بعده تتلمذ على الشيخ على القوجاني و كان من أرشد تلامذته.

و قد استفاد أيضا من دروس السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي و شيخ الشريعة الأصبهاني.

و في سنة ١٣٣٧ انتقل إلى كربلاء و حضر بها أبحاث الميرزا محمد تقى الشيرازي، و بعد وفاته عاد إلى النجف فاشتغل بالتدريس و التصنيف و كان يعد من متقدمى المدرسين في أصول الفقه و خاصه في كتاب "كفايه الأصول"، يحضر حلقات درسه جماعه من أهل الفضل، فتخرج عليه جمع من أفاضل الحوزه ترك بعض المؤلفات الفقيهيه و الرجاليه و حواشى على بعض كتبه.

الميرزا أبو الحسن الأنكجي التبريزي بن الميرزا محمد

ولد سنة ١٢٨٢ في تبريز و توفي فيها سنة ١٣٥٧.

نشأ في تبريز برعايه والده الذى كان في وقته من أعيان علماء تبريز المبرزين.

ص: ٩

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- تمت كتابه النسخه المذكوره من الخلاصه في يوم الخميس رابع ذى القعدة سنة ١٠٣٧ فالصحيح أن يقال " في العشر الرابع " و يكون (بعد سنة ١٠٣٠)، فيكون التاريخ الدقيق للاجازه بين سنتي - .

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

٦- السيد أحمد الحسيني.

٧- السيد أحمد الحسيني.

قرأ العلوم الأدبية و الرياضيه فى تبريز، ثم حضر فى الفقه و الأصول على المولى مير فتاح السرابى و الميرزا محمود الأصولى.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٠٤ فحضر بها فى الفقه و الأصول العالين على الشيخ محمد حسن المامقانى و المولى محمد الفاضل الإيروانى و الميرزا حبيب الله الرشتى و الشيخ محمد حسين الكاظمى و غيرهم.

ثم عاد إلى تبريز أواخر سنة ١٣٠٨. فاشتغل بالتدريس و اجتمع حوله الطلاب و أرباب الفضل و العلم، و تخرج عليه و استفاد من محضره العلمى جماعه كبيره من العلماء.

كان من أعلام تبريز، مرجعا دينيا قلده جماعه من أهالى آذربايجان و طبعت رسائله العمليه مرات.

و فى سنة ١٣٤٧ خرج من تبريز لتوارد الفتن، و أقام مده ببعض القرى ثم زار الامام الرضا (ع) و بقى فى مشهد قريبا من سنة. ثم عاد إلى تبريز. ترك بعض المؤلفات الفقيهيه (١)

أبو الحسن بن محمد تقى حسام السلطنه بن فتح على شاه

القاجارى.

سافر إلى الهند فى سنة ١٣١١ و أقام فى بمبئى أكثر من سنة فى بيت سلطان محمد شاه مشتغلا بامامه الجماعه فى بعض المساجد و الوعظ و الإرشاد بعد الصلوات و المحافل الخاصه بالبيت، و كان يحضر مجالس وعظه جماعه كبيره فيهم بعض المجوس و غيرهم، ثم عاد إلى وطنه و ألف فى الطريق بالسفينه كتابه "اتحاد إسلام" فى شهر جمادى الأخرى سنة ١٣١٢ (٢)

السيد أبو الحسن بن محمد الحسينى الشيروانى

كتب مجموعه من رسائل صدر الدين محمد الشيرازى فى سنتى - و علق عليها تعليقات بعضها له تدل على مشاركته فى العلوم العقلية و معرفته بالفلسفه (٣)

السيد أبو الحسن بن محمد صادق بن ميرابى الخير الرضى

الموسوى الفالى البردستانى،

المعروف بأقا ميرنشا و قرأ المقدمات فى "فال" و الدروس العالیه فى شيراز، و بعد أن نال قسطا وافرا من العلم عاد إلى فال و بقى بها إلى آخر عمره.

كان عالما متوليا لشئون فال و لار و القرى التابعه لهما يقيم الجماعه و للناس فيه عقيدته راسخه، و هو جامع فاضل أديب شاعر متبحر فى العلوم و الفنون. توفى سنة ١٣٣٢ (٤)

الشيخ أبو الحسن بن محمد كاظم الجاجرمى

بالرغم من تبحره فى العلوم العقلية يرى التوغل فيها تبيها و ضلالا. كما أنه يصرح بان أكثر المتصوفه فى عصره ليسوا متمسكين بالدين و أوامر الشريعة و هم جبريه إن علموا و إن لم يعلموا.

و يبدو أنه كان مقربا عند الأمراء و ذوى المكانه و الرفعه، له سعى بليغ فى قضاء الحوائج و الوساطه لديهم، كما يفهم مما كتبه بعض ناسخى مؤلفاته.

كان له اهتمام بالتدريس و إشاعه العلم، لأنه يرى أن ترك العلم لمن قضى مده فى التعلم هو التعرب بعد الهجره المذموم على لسان الأحاديث المرويه. توفى بعد سنه ١٢٤٥(٥)

السيد أبو الحسن بن محمد هادى القزوينى التنكابنى.

أصله من "تنكابن" و سكن مدينه قزوين، و كان من علمائها المشهورين، متتبعا جامعا لأطراف العلوم. من مؤلفاته:(باقيات صالحات)(٦)

الميرزا أبو الحسن شريعتمدارى الرشتى بن الميرزا مهدى

ولد سنه ١٣٠٠ فى مشهد الرضا و توفى سنه ١٣٦٨ فى رشت و دفن فى النجف.

أصل هذا البيت العلمى (شريعتمدارى) من جيلان، عرفوا بجدهم المولى رفيع شريعتمدار الرشتى المتوفى سنه ١٢٩٢، و قد كان من أعظم علماء عصره و له شهره عريضه فى بلاد إيران، و عرف أولاده فيما بعد ب "شريعتمدار" و كان كل واحد منهم ذا شخصيه معروفه فى وقته.

فابو المترجم له، الميرزا مهدى شريعتمدار المتوفى سنه ١٣٣٥ من أجله علماء زمانه.

و أخوه ميرزا على المتوفى سنه ١٣٦٧، كان من أعيان علماء طهران.

و أخوه الآخر آقا رفيع شريعتمدار الرشتى، كان أيضا من أعلام العلماء بطهران و توفى سنه ١٣٧٨.

و ولده الشيخ نور الدين شريعتمدار، كان من علماء طهران البارزين، و قد توفى سنه ١٣٨٦.

و بعد سنوات قليله من عمر المترجم انتقل إلى "رشت"

ص: ١٠

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

٦- السيد أحمد الحسيني.

فابتدأ بها بالمقدمات العلميه وقرأ على أفاضلها بعض كتب الفقه و الأصول و غيرهما.

ثم هاجر مع أخيه الأصغر الحاج ميرزا على إلى النجف الأشرف، فتتلمذ في الفقه و أصوله على المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني و السيد كاظم الطباطبائي اليزدي و شيخ الشريعه الأصبهاني و السيد أحمد الكربلائي.

ثم عاد إلى مدينه رشت و توطن بها مقيما لصلاه الجماعه و مشتغلا بالتدريس و تربيه الطلاب، و تولى الشئون العامه.

و بعد سنين من إقامته في رشت اختلت الأمور لضعف الحكومه و ظهور الفتن و الاضطرابات المحليه، فاضطر إلى الهجره إلى طهران و سكنها، و اشتغل هناك بالشئون العلميه و التدريس.

و في سنه ١٣٥٦ ذهب إلى النجف و أقام بها و اعتزل الحياه الاجتماعيه، و في خلال إقامته بها أتى إلى إيران مرتين و توفي في السفره الثانيه بالسكنه القليليه في رشت(١)

أبو الخير بن أحمد بن أصلان القزويني

وهب له فخر الدين ابن العلامه الحلبي نسخه من كتاب "مختصر مصباح السالكين" لابن ميثم البحراني، فكتب أبو الخير ملكيته لها في سبع عشر ذى القعدة سنه ٧٥٨.

توفي بعد سنه ٧٩٤ التي انتقلت فيها نفس النسخه إلى بعض العلماء و دعا له بما يدل على حياته في التاريخ(٢)

السيد الميرزا أبو صالح بن ميرزا حسن بن الميرزا ألغ بن

أبي صالح بن شمس الزمان محمد الرضوي الشريف التقوي

المتوفى سنه ١٠٩٠ هجرية.

من أعيان العلماء و أكابر الزعماء في عصر الشاه عباس الثاني (- ١٠٧٨ ق) و أمه فخر النسب بنت الشاه عباس الكبير ترعرع و نشأ في البلاط الصفوي و أخذ المقدمات و العلوم الإسلاميه و فنون الأدب من أفاضل علماء أصفهان حتى نال حظا وافرا من العلم و كان من أعلام عصره هاجر إلى خراسان و سكن المشهد و لا تزال ذريته و أحفاده من خدام الروضه الرضويه حتى اليوم. ذكر صاحب (فردوس التواريخ) نسبه هكذا (الميرزا أبو صالح بن الميرزا حسن بن الميرزا ألغ بن أبي صالح بن شمس الدين محمد بن غياث الدين عزيز بن شمس الدين محمد بن محمود بن محمد بن ميريارى بن الحسن بن أبي الفتوح بن عيسى بن أبي محمد بن صفى بن على بن محمد الأعرج بن أحمد بن موسى المبرقع بن الامام الجواد (ع) و في (نبذ التاريخ) للطبرسي أنه كان صهر الشاه صفى (- ١٠٥٢ ق) على بنته. ذكره شيخنا الأستاذ في طبقات أعلام الشيعه و وصفه بالعالم الفاضل النبيل و له آثار و مآثر خالده في خراسان باقيه حتى اليوم منها مدرسه النواب و يقال المدرسه الصالحيه و هي مدرسه دينيه ضخمة بنيت سنه ١٠٨٦ هجرية في طابقين تحتوى على ٨٤ غرفه و مدرس(٣) و لا تزال تعرف باسمه حتى اليوم و هي من المدارس المعموره في العصر الحاضر و حافله بطلاب العلوم الدينيه و جعل لها موقوفات تصرف وارداتها على الطلاب و له تعميرات واسعته في

الروضه الرضويه منها الأيوان الذهبى للحرم المطهر و غيره من الآثار(٤)

الملا أبو طالب

أجازته السيد محمد جواد العاملى صاحب "مفتاح الكرامه" و قال عنه فى إجازته: "لما كان العبد الصالح التقى النقى الورع العالم العامل المقدس الكامل الفاضل مولانا ملا أبو طالب حرسه الله تعالى قابلا للروايه مستعدا للدرايه مطلعاً مضطلعاً متتبعا محققاً مدققاً زكياً ذكياً ممن يعتمد على ورعه و تقواه و ضبطه و احتياطه فيما سمعه و رواه محتاطاً فى أقواله و أفعاله... " و أجاز [أجازته] السيد على الطباطبائى صاحب كتاب "رياض المسائل" فى آخر الإجازة المذكوره المجيز و المجاز، فالعاملى و الطباطبائى كلاهما من شيوخ المترجم له(٥)

أبو طالب بن أبي تراب

كتب نسخه من كتاب "نهج البلاغه" و أتمها فى يوم الخميس حادى عشر شهر شعبان سنه ١١١٠، و اختار لها حواشى من الشروح و كتب اللغه تدل على فضل فيه و تتبع(٦)

السيد أبو طالب بن أبي تراب بن قريش بن أبي طالب بن

ميرزا يونس الحسينى الخراسانى القائنى

تلمذ فى الفقه العالى على السيد محمد الرضوى المعروف بالقصير و أجازته اجتهاداً و روايه و وصفه بقوله:

"المتصف بصفات أجداده العظام و أسلافه الكرام من الزهاده و التقوى و الحلم و السعاده و الكمال و العلم العالم العامل و الفاضل الكامل الصاعد من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد و البالغ بجده الأنيق إلى سعاده الهدايه و الإرشاد... و قد وجدته جيد الحفظ و الذكاء و التدقيق و أوقاته مصروفه فى الإفاده و الاستفاده و التحقيق و أهلاً للافتاء و الاستفتاء..."

ص: ١١

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- انظر تاريخ المدرسه: على أصغر المقرئ: بناهاى تاريخى خراسان ص ٤٢ و مطلع الشمس ج ٢ ص ٢٥٣ و تاريخ مدارس إيران ص ٣٥٤.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- السيد أحمد الحسينى.

و أجازته اجتهاداً أيضاً الشيخ محمد رحيم البروجردى فى سنة ١٢٤١ مصرحاً بان القائنى [القائنى] تتلمذ لده و لازمه مده مديه و أثنى عليه ثناء بليغاً(١)

السيد أبو طالب بن الحسين الحسينى

فقيه من أعلام القرن السابع، و هو من تلامذه ظهر الدين محمد بن قطب الدين الراوندى، و قرأ عليه محمد بن الحسين المتعلم كتاب "النهايه" للشيخ الطوسى فأجازته فى أول جمادى الأولى سنة ٦٣٣ فى النجف الأشرف.(٢)

أبو طالب بن غفور بن شرف على بن أحمد الجربادقانى

الكزازى السلطان آبادى الاراكى

أصله من "كراز" (ايران)، تتلمذ أولاً- فى النجف الأشرف على الشيخ مرتضى الأنصارى ثم على الميرزا حسن الشيرازى فى النجف و سامراء، ثم عاد إلى سلطان آباد (أراك) و صارت له بها المرجعيه و الرئاسة التامه. و توفى فى أراك سنة ١٣٢٩ و دفن بمقبره تعرف ب "دروازه شهر پرد" من مدينه أراك.

له إجازته الروايه من شيخه المذكورين و الميرزا حبيب الله الرشتى و الشيخ محسن خنفر النجفى، و يروى عنه جماعه منهم السيد شمس الدين محمود المرعشى المتوفى سنة ١٣٣٨.

له "شرح نجاه العباد" و رساله فى "الامامه"(٣)

السيد أبو الفتح بن محمد الحسينى الخوارسكانى

كتب كتاب "الكافى" و "من لا- يحضره الفقيه" و "التهذيب" و "الاستبصار" فى تسع مجلدات و قابلها و علق عليها بعض التعليقات، ثم وقفها على العلماء و الطلبة فى يوم الثلاثاء ١١ جمادى الأولى سنة ١٠٨٥.

يظهر من وقفه الكتب المذكوره أنه كان من المقيمين بأصبهان(٤)

الميرزا أبو الفضل بن أبى القاسم بن محمد على بن محمد

هادى الكلترى النورى الطهرانى

رأيت قد كتب على نسخه من كتاب "لواعم الأنوار العرشيه" فى يوم الرابع من شوال سنه ١٣١٥: أنه يروى عن أبيه عن الشيخ المرتضى الأنصارى، و ذكر أن طرقة كثيره لا يظن أحد من علماء عصره أكثر طريقاً منه إلى أخبار الأئمه (ع).

كانت له مكتبه عامره فيها من النفائس المخطوطه الشىء الكثير، و سجع ختمه الكبير عليها "هو المالک، بمنه و طوله عز و جل فى نوبه العبد أبى الفضل دخل"(٥)

السيد أبو القاسم بن السيد مير إبراهيم بن السيد إسماعيل بن

السيد حسن بن السيد المير إبراهيم بن السيد المير معصوم بن السيد

المير محمد فصيح بن المير أولياء الحسينى القزوينى آل الحاج السيد

جوادى

ولد فى قزوین سنه ۱۳۱۷ و توفى فيها سنه ۱۴۱۱ و دفن فى مقبره الأسره الواقعه شرق روضه شاه زاده الحسين بن الامام الرضا (ع) عارف نحير حكيم متأله فقيه متضلع كان يعد من المتنسكين المتتهجدین أهل الأذكار.

ولد فى بيت علم و فضل و ترعرع فى أحضان الزهد و التقوى و آل الحاج السيد جوادى من أشهر الأسر العلميه فى قزوین نبغ منها علماء أعلام مر ذكر هذا البيت الجليل فى المجلد الثالث من مستدرکات أعيان الشيعه ص ۱۱۷ عند ترجمه أبى الأسره السيد عبد الجواد.

أخذ المترجم المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء قزوین ثم أكمل السطوح على والده السيد مير إبراهيم الذى كان من مشاهير المدرسين فى المدرسه الالتفاته و أخذ العقلیات عن حوزة العلمين الميرزا طاهر التنكابنى و السيد أبو الحسن الرفيعی القزوينى و السيد موسى الزرآبادى القزوينى و تفقه على ملا-على الطارمى ثم هاجر إلى قم و تخرج على الشيخ عبد الكريم الحائرى و شغل كرسى تدريس الفلسفه العاليه.

ترك مؤلفات و تحقیقات و حواشی منها: حواشی على كتاب الأسفار لصدر المتألهين ملا صدرا الشيرازى، رساله فى أصول العقائد حواشی على منظومه السبزواری، شرح عوامل ملا محسن و غير ذلك (۶)

الميرزا أبو القاسم بن الحسن الهزار جريبى المازندرانى.

عالم جليل و أديب شاعر بالفارسيه متوسط الشعر و ينظم بالعرييه، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر، و أوائل القرن الرابع عشر. له شرح البرده ألفه سنه ۱۲۹۷، و شرح القصيده العينه للسيد الحميرى (۷)

أبو القاسم حالت

ولد سنه ۱۳۴۰ فى طهران و توفى فيها سنه ۱۴۱۳ الأديب و الشاعر و المترجم.

أكمل دراسته الجامعيه فى صناعه النفط، ثم صار عضوا فى شركه النفط الوطنيه الإيرانيه، و استمر فيها إلى أن تقاعد.

ص: ۱۲

- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٧- السيد أحمد الحسينى.

كان يجيد اللغات العربيه و الإنكليزيه و الفرنسيه، و قد ترجم العديد من الكتب من هذه اللغات إلى الفارسيه.

و كان يجيد نظم الشعر و هو أول من طور الشعر الفكاهى الهزلى من البحر الطويل، و كان ينظم قصائده الهزليه على هذا البحر و ينشرها فى أشهر مجله فكاهيه إيرانيه و هى مجله (توفيق)، ثم تعاون مع مجله فكاهيه أخرى هى مجله (پل [گل] آقا)، و كانت قصائده و نكاته تدور على الألسنه.

كان مترجما قديرا و أشهر ترجماته كانت للكتب الآتية: الكامل فى التاريخ لابن الأثير. تاريخ فتوحات المغول. تاريخ التجاره.

نابليون [نابليون] فى المنفى، حياتى لمارك توين.

كما ترجم الأشعار العربيه فى كليات سعدى.

له من المؤلفات: ديوان حالت. تذكره شاهان. پلزار [گلزار] خنده.

ديوان أبو العينك. ديوان شوخ و غير(١)

السيد أبو القاسم بن جعفر بن علاء الدين الحسينى الواعظ

اليزدى

عالم عارف بالتفسير و الحديث، مدرس و من جمله تلامذته أخوه السيد أبو تراب الواعظ اليزدى. من أعلام القرن الثالث عشر و توفى بعد سنه ١٢٧٠ التى كتب فيها مجموعه من كتب الفيض الكاشانى و غيره، و كان يقيم بمدينه "لاهيجان" و يمتهن الخطابه و الوعظ و يعرف بسُلطان الواعظين(٢)

السيد أبو القاسم الحسينى السمنانى

مفسر فاضل، من أعلام القرن الحادى عشر.

له "ذخيره يوم الجزاء" أتمه فى شهر ذى الحجه سنه ١٠٧١(٣)

أبو القاسم الطالقانى

كتب له محمد الشريف الأصبهانى كتاب "المطول" و أتمه فى خامس شهر محرم سنه ٩٧٩ فى شيراز، و وصفه بقوله "الفاضل الكامل المدقق الأعز الحامى (؟) شمسا للفضيله و الورع و التقوى..."(٤)

الشيخ أبو القاسم الطالقانى المرحانى

عالم جليل، كتب مجموعه بين سنتى - فيها بعض آثاره و يذكر من جمله شيوخه الذين تتلمذ لديهم الميرزا حسن المدرس و

السيد على أكبر. أستبعد كون المترجم هنا هو المترجم في "نقباء البشر" ص ٥٧، فان المترجم هنا كان ظاهرا في التاريخ المذكور في إيران و في دور التلمذه.

له "حاشيه فرائد الأصول" كتب بعض مباحثها سنه ١٣٠٩ في قريه "الفردوس" من قري شهريار(٥)

السيد أبو القاسم بن فتح الله بن يد الله الحسيني الحائري

كان من علماء أواخر القرن العاشر، أكثر إقامته بكربلا و يتردد على النجف الأشرف.

له عنايه بكتب الحديث مقابله و تصحيحا و قراءه، و رأيت عده كتب حديثه قابلها، و أتم مقابله قطعه من فروع الكافي في حرم الامام الحسين (ع) في عصر يوم الجمعة ١٩ شعبان سنه ٩٧٧(٤)

السيد أبو القاسم بن علي أصغر الكلبايكاني

فاضل جليل، قرأ في أصول الفقه على السيد ريحان الله الكشفي البروجردى و هو كثير التعظيم له، و كان يقيم بطهران.

له "المقاييل" حرر نسخته الثانيه في سنه ٣١٦(٧)

الميرزا أبو القاسم بن محمد رضا الكاشاني

عالم فاضل فقيه جامع للفنون العلميه متتبع ماهر، من علماء كاشان في القرن الرابع عشر.

أجازه اجتهادا السيد محمد بن إبراهيم العلوى الكاشاني في ليله الخميس سادس ذى الحجه سنه ١٣٤٧ و قال عنه:

" و ممن جد في تحصيله و وجدانه و جهد في تكميله و إتقانه و أكثر مساعيه الجميله في ابتغائه و إمعانه و أسهر لياليه الطويله في اقتنائه و نشدانه هو العالم العامل الجليل و الفاضل الكامل النبيل أسوه الحذقه النحارير و قدوه اللبقة السفاسير عمدته أعمده التدقيق و زبده أسنده التحقيق نادره زمانه و باقعه أوانه ملجا الأنام و ملاذ الإسلام صهر العلماء الأعاضم و بدر الفقهاء الأفاحم.. حتى ساعده الإقبال فبلغ درجه الكمال و وافقه الرشاد فوصل إلى مرتبه الاجتهاد... " له "جامع الشتات" تعاليقه على الكتب الدراسيه في اثني عشر مجلدا تمت في سنه ١٣٢٧ و "وجوب رد السلام" و "شرح شرائع الإسلام" (٨)

السيد أبو القاسم الدهكردى بن السيد محمد

ولد في قريه (دهكرد) من توابع أصفهان سنه ١٢٧٢ و توفي

ص: ١٣

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٢- السيد أحمد الحسيني.

- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.
- ٧- السيد أحمد الحسيني.
- ٨- السيد أحمد الحسيني.

سنة ١٣٥٣ في أصفهان و دفن بوصيه منه في (الزينية) و هي المزار المنسوب إلى السيده زينب بنت الامام موسى الكاظم (ع) في قريه (أرزنان) من قرى أصفهان.

مرت ترجمته في المجلد الثاني من (الأعيان) في الصفحه (٤١٧) و نعيدها ببعض التفاصيل:

كان أبوه السيد محمد باقر الدهكردى من أفاضل علماء أصفهان، من تلامذه المولى محمد إبراهيم الكرباسى صاحب "بشارات الأصول" و غيره، فقد درس عنده خمس عشره سنه، و درس ابنه الميرزا أبو المعالى الكرباسى مقداراً من كتب المقدمات.

و ولده السيد حسين الدهكردى كان من الأفاضل الورعين، و قد عاش منزوياً منظوياً على نفسه متخذاً السكوت ديدنه سنين عديده حتى توفي سنة ١٣٧٥.

نقل المترجم والده من مسقط رأسه دهكرد إلى أصفهان في سنة ١٢٨٤ و هو في الثانيه عشره من عمره، فابتدأ بالعلوم الآليه في مدرسه الصدر و قرأها على جمع من الأساتذه و الشيوخ.

و أول أساتذته في المراحل العاليه هو الميرزا أبو المعالى الكرباسى حيث قرأ عنده مبحث الاستصحاب من أصول الفقه.

و من أساتذته في أصفهان أيضاً: ميرزا محمد هاشم الجهار سوقى الأصبهاني، و ميرزا محمد حسن بن محمد على النجفى، و الشيخ محمد باقر المسجدشاهى. و قرأ بها الأسفار و العلوم العقلية عند المولى إسماعيل الحكيم.

ثم هاجر لطلب العلم إلى العراق، فبقى مده في سامراء و تتلمذ على الميرزا محمد حسن الشيرازى في الفقه، و استفاد أيضاً من مجالس الملا فتح على العراقى العالم الأخلاقى المعروف في السير و السلوك و التهذيب النفسى..

ثم ذهب إلى النجف الأشرف فحضر أبحاث الميرزا حبيب الله الرشتى الفقيه و الأصوليه و الشيخ راضى النجفى، و كان له حين ذاك مطارحات علميه مع المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى.

و بقى مده في كربلاء متتلمذاً على الشيخ زين العابدين المازندرانى.

و بعد أن بقى بالعراق سنين منتهلاً من نمير علماء سامراء و النجف و كربلاء عاد إلى أصفهان مشغلاً بالتدريس و الإفاده و تربيته طلاب العلوم الدينيه.

كان يدرس في مدرسه الصدر فقهاً و أصولاً- و في أيام التعطيل كان يدرس في تفسير القرآن الكريم أو أصول الكافى أو الرجال و الدرايه. و رجع إليه جماعه من أهالى أصفهان و غيرهم في التقليد، و طبعت رسالته العمليه "هدايه الأنام" أكثر من مره.

و كانت له مكتبه حافله تحوى نفائس المخطوطات، و يحيل في مؤلفاته إلى مصادر كثيره مصرحاً أن المخطوط منها في مكتبته" (١)

قابل "دعوات الأسماء" للسهروردي على نسختين و أتم المقابلة في يوم الثلاثاء ١٢ رجب سنة ١١٠٨، و لعله من العرفاء المائلين إلى التصوف (٢).

الشيخ أبو القاسم بن محمد علي بن محمد باقر الكاشاني

كتب بخطه الفارسي الجيد نسخه من "شرح دعاء الصباح" للمولى هادي الحكيم السبزواري و أتمها في الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٢٧٩ و صرح في آخرها أنه قرأ الكتاب عند مؤلفه السبزواري.

و كتب أيضا "حاشيه الأسفار" لأستاذه المذكور في سنة ١٢٧٩ (٣).

السيد أبو القاسم بن السيد المير محمود بن السيد المير

محمد إسماعيل بن السيد محمد تقى بن السيد المير مؤمن بن

السيد المير محمد تقى بن السيد المير محمد رضا بن السيد المير

قاسم أمير الحاج بن السيد المير محمد باقر قافله باشى الحسينى

القزوينى

المعروف بالتقوى.

ولد في قزوین سنة ١٣٠٠ و توفي بها سنة ١٣٥٩ و دفن في الحجره الشرقيه من صحن الامام زاده الحسين بن الامام الرضا (ع).

من كبار الفقهاء و مشاهير العلماء في قزوین أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء قزوین ثم أكمل السطوح على الشيخ ملا على الطارمی و حضر قسما من خارج الفقه و الأصول على العلمين الشيخ ملا على أكبر الجلوخانی القزوينى المتوفى سنة ١٣٣١ و الشيخ ملا على أكبر سياه دانى القزوينى المتوفى سنة ١٣٤٠ و الشيخ عيسى آل الشهيد الثالث المتوفى سنة ١٣٣٩ و اختص به و في سنة ١٣٣٠ توجه إلى طهران و سكن في مدرسه المروى و أخذ الحكمة و الفلسفه العاليه من حوزة الشيخ الميرزا حسن الكرمانشاهى المتوفى سنة ١٣٣٦ و الآخوند الميرزا هاشم الإشكورى المتوفى سنة ١٣٣٢ و غيرهم حتى عام ١٣٣٥ حيث

ص: ١٤

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

قصد العراق و استقر في كربلاء و التحق بحوزه زعيم الثورة العراقيه الكبرى الشيخ الميرزا محمد تقى الشيرازى المتوفى سنه ١٣٣٨ و بعد وفاه أستاذه المذكور هاجر إلى النجف الأشرف و حضر على أعلامها و اختص بالسيد أبو الحسن الأصفهاني و أخذ الفلسفه عن السيد حسين البادكوبى المتوفى سنه ١٣٥٨ و جلس للتدريس فى النجف و حضر حلقة درسه جمع من أهل الفضل حتى سنه ١٣٤٧ حيث عاد إلى موطنه قزوین و تزعم كرسى التدريس و الفتوى و الامامه و كان من كبار المدرسين فى قزوین و مشاهير علمائها.

و آل التقوى فرع من آل القزوينى الشهيرين ترك المترجم له مؤلفات منها ١ - كتاب الاعتقادات (عربى) ٢ - تعليقه على الكفايه للآخوند الشيخ محمد كاظم الخراسانى ٣ - كتاب شرح ديات الشهيد الثالث فى الفقه (فارسى) ٤ - شرح دعاء السمات، ٥ - كتاب شرح دعاء الصباح ٦ - كتاب فى الفقه من الطهارات إلى الديات مجلدين (عربى)، ٧ - رساله فى الجبر و التفويض (عربى) ٨ - كتاب فى تاريخ و حياه الأئمه المعصومين ٩ - رساله فى الإجازات (عربى) ١٠ - رساله فى علم الدرايه (عربى) ١١ - رساله فى اجتماع الأمر و النهى و غير ذلك و قد تخلف بسته أولاد ذكورهم السيد محمد حسن و السيد محمد حسين و السيد أبو الفضل و السيد أبو طالب و السيد سعيد و السيد ناصر(١)

السيد أبو القاسم الكاشانى بن السيد نظام الدين

توفى سنه ١٣٩٠ فى كاشان.

نشا فى مسقط رأسه مدينه "كاشان"، و بها أخذ الأوليات العلميه و على علمائها قرأ العلوم الدينيه.

كان أكثر تحصيله فى كاشان على والده السيد نظام الدين و السيد محمد العلوى البروجردى و فى أصفهان على الآخوند ملا محمد حسين الفشاركى.

و كان ذا يد طولى فى التفسير و الأدب، و له شعر فارسى جيد يتخلص فيه ب "رضوان".

ترك مؤلفا فى التفسير و حاشيه على مطول التفتازانى(٢)

السيد أبو القاسم بن محمد مهدى بن محمد سعيد الموسوى

الخلخانى

فاضل شاعر بالفارسيه جيد الشعر، رأيت بيتين من شعره كتبهما على مجموعته فى سنه ١٣١٣ فى رثاء أخيه(٣)

السيد أبو القاسم بن مير محمد بن مير عيسى بن مير صدر

الدين الحسينى المرعشى التسترى.

مما قرأ على السيد نعمه الله الجزائرى كتاب "الاستبصار" للشيخ الطوسى، فكتب له إنهاءات ثلاث آخرها فى آخر الجزء الثانى

بتاريخ ربيع الثاني سنة ١٠٨٨ و قال عنه "قد أنهى هذا الكتاب الشريف من أوله إلى هنا قراءه السيد الجليل النبيل الفاضل الصالح التقى النقى..." (٤)

السيد الميرزا أبو صالح

سقط هنا بحث بعنوان (السيد الميرزا أبو صالح بن...)

الميرزا أبو الهدى الكلباسى بن محمد

توفى سنة ١٣٥٦ فى أصفهان.

مرت له ترجمه موجزه فى (الأعيان) و نذكرها هنا بتفاصيل:

آل الكلباسى من البيوتات العلميه الشهيره بأصبهان، جمعوا بين المقامات العلميه و الرئاسة الدينيه فى تلك المدينه، أصلهم من خراسان من بلده تسمى "كاخ - كاخك" انحدروا من هراه، و لذا يقال لبعض أسلافهم الخراسانى الهروى.

لقد طفحت كتب التراجم و معاجم أسماء المؤلفات بذكر جماعه من هذا البيت، إذ كان لهم نشاط فى عالم التأليف و مكانه اجتماعيه.

فابو المترجم الميرزا أبو المعالى محمد المتوفى سنة ١٣١٥، بالاضافه إلى ما اشتهر به من الزهد و الورع و التقوى، خلف مؤلفات قيمه بعضها مطبوع منتشر و بعضها لا يزال من المخطوطات.

و جده الشيخ محمد إبراهيم الكلباسى المتوفى سنة ١٢٦١.

مشهور فى عصره بالعلم و العمل، و له مؤلفات سائره أشهر كتبه "إشارات الأصول".

و أخوه ميرزا جمال الدين الكلباسى المتوفى سنة ١٣٥٠، أكبر من أخيه أبى الهدى من الخريجين من جامعه النجف العلميه، و هو مؤلف كتاب "تلخيص الهيئه".

و ابنه الشيخ محمد الكلباسى من عيون علماء أصفهان و فضلائها.

نشا المترجم نشاته العلميه الأولى بمسقط رأسه أصبهان، و بعد أن أتم المقدمات حضر أبحاث شيوخ العلم بها، و كان أكثر دراسته فى العلوم العاليه على والده الميرزا أبى المعالى، فاستفاد من محاضراته إلى حين وفاته سنة ١٣١٥.

و فى حدود سنة ١٣٢٠ ذهب إلى العتبات المقدسه بالعراق، فحضر بالنجف الأشرف أبحاث المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى الأصوليه، فأدرك الدوريتين الأخيرتين من تدريسه لكفايه الأصول.

و حضر فى الفقه دروس السيد محمد كاظم الطباطبائى

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.

اليزدى و شيخ الشريعه الأصبهانى و غيرهما، و كان أكثر استفاداته الفقيهيه من الأول.

ثم عاد إلى أصفهان، و اشتغل بالتدريس و البحث و التأليف و إمامه الجماعه و غيرها من الشؤون العلميه و الاجتماعيه.

كانت حوزته الدراسيه - و خاصه فى الرجال محط أنظار ذوى العلم و الفضل و التحقيق، يؤمها العلماء و يقصدها الطلاب.

له حواشى كثيره غير مدونه على كتب الفقه و الأصول و الرجال كما أن له بعض المدونات فى علم الأصول و علم الرجال و فى الفقه (١).

الخواجه أحسن الله المعروف بظفر خان الأحسن بن الخواجه أبو

الحسن تربتى المعروف بأصف خان

(٢).

مرت له ترجمه موجزه فى المجلد الخامس من (المستدركات) و نعيدها هنا بتفاصيل أوسع مكتوبه بقلم: الدكتور أمير حسين العابدى:

وصل الخواجه أبو الحسن تربتى الهند فى زمن ملك الهند المشهور جلال الدين أكبر (-)، و عين فى عهد جهانپير [جهانگیر] (-) رئيسا للوزراء و أوكل إليه منصب "الينجهزارى [الپنج هزارى]"، و انتزعت ولايه كابل عام ١٠٣٣ هـ من مهابت خان (٣) و أوكلت إلى الخواجه أبو الحسن، فحكمتها ظفر خان بالنيابه عن أبيه، و غادر صائب (المتوفى عام ١٠٨٨ هـ) إيران قاصدا كابل شوقا للقاء ظفر خان، فوصلها و مكث فيها معه عده سنين، ثم توجه ظفر خان عام ١٠٣٩ هـ إلى الهند فرافقه صائب.

فى عام ١٠٤١ هـ عين شاه جهان (-) ظفر خان حاكما على كشمير بدلا من اعتقاد خان. و أوكل إليه منصب (السهمزارى). و حين توجه ظفر خان إلى كشمير، ترك صائب بلاط شاه جهان و رافق ظفر خان فى رحلته إلى تلك الولاية. و كان لاقامه ظفر خان فى كشمير الأثر البالغ فى ازدهار الشعر و الأدب لأن أغلب شعراء ذلك العصر تجمعوا حوله، و طفقوا ينشدون الشعر فى حضرته و يتبارون فى ذلك. و كان من عادته أن يقترح موضوعا للغزل، يأخذ الشعراء فى مجاراته، و قد أسهمت هذه العاده فى إضفاء رونق خاص على الشعر و الشعراء.

عزل ظفر خان عن ولايه كشمير عام ١٠٤٨، و لما غادر كشمير تقوض مجلس الشعر و الأدب فيها. من هنا عد ظفر خان من الأشخاص الذين أسهموا فى تنميه الشعر و الأدب الفارسى. و سبب إقبال شعراء إيران عليه و خصوصا الشاعر صائب هو اهتمامه الكبير فى هذا المجال. و من أشهر الشعراء الذين لازموا مجلسه و ارتبطوا معه بعلاقه خاصه. صائب و كلیم و القدسى و الغنى و دانش و المير صيدى.

كان ظفر خان يطرح قرطاسا يكتب عليه الشعراء شعرهم، و ترسم صوره كل شاعر خلف شعره. و يذكر خوشپو [خوش گو] صاحب كتاب "السفينه" أنه رأى هذا القرطاس. و يتحدث صاحب "شمع انجمن" و مؤلف "ماثر الأمراء" عن ظفر خان

بقولهما: "يكفى ظفر خان فخرا و شرفا إن الميرزا صائب امتدحه فى شعره.

ينقل عن ظفر خان فى أيام شبابه أنه لم يكن يتورع عن محرم ولا ينتهى عن منكر حتى كانت ليله الاثنين الثانى والعشرين من جمادى الأولى عام ١٠٦٣ هـ حيث رأى الرسول (ص) فى الرؤيا فتاب على يده. و أخذ بعد ذلك يودى واجباته الدينيه و يقرأ الأدعيه، فوضع له العلماء كتابا فى الأدعيه و الاذكار المنقوله عن الائمة (ع) و سموه "أحسن الدعوات" و أضافوا إليه شروحا باللغه الفارسيه(٤).

توفى ظفر خان عام ١٠٧٣ فى لاهور، و دفن فى مقبره أبيه.

و يمكن القول إن أبرز الأمراء الهنود فى زمن شاه جهان ممن ناصروا الشعر و الشعراء و دعموهم بتأييدهم هو ظفر خان الذى كان ينشد الشعر بنفسه، و يستفيد فى ذلك من صائب. و قد ذكر ذلك فى شعره، و هو موجود فى نسخه خطيه تحت عنوان (كليات أحسن) فى مكتبه بانكى پور فى الهند تحت رقم ٣٢٩.

سار على خطى ظفر خان ابنه الميرزا محمد طاهر المعروف بعنايت خان، حيث كان يعتنى بالشعراء و الأدباء و يجالسهم، و له ديوان شعر و ثلاثه فى المثنوى. و له فى النثر تلخيص ل "پادشاه نامه" (٥) و هى تفصيل لثلاثين سنه من سلطنه شاه جهان و سمى التلخيص المذكور باسم "الملخص". و يذكر صاحب كلمات الشعراء انه أفصح من الملا حميد.

عين عنايت خان فى عهد شاه جهان فى منصب "الهزار و پانصدى" (٦) و لكنه عزل فى عهد ابنه عالمپير [عالمگير] (-) ففضى حياته فى كشمير معتزلا حتى وافته المنيه عام ١٠٨١.

الشيخ احمد بن إبراهيم بن نعمه الله الأردكاني اليزدى.

توفى بعد سنه ١٢٣٣ التى كتب فيها نسخه على حاشيه الخوانسارى من نسخه بخطه و ذكر فى آخرها مع دعاء "دام مجده و عزه".

و يبدو من بعض النسخ المخطوطه أنه كان يدرس المعقول على جماعه من طلبه العلم.

ص: ١٦

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- كانت وفاه آصف خان عام ١٠٤٢.
- ٣- هو زمانه بيك الملقب بمهابت خان خانان بن غيور بيك الكابلى. المتوفى عام ١٠٤٤.
- ٤- توجد نسخه خطيه من الكتاب فى مكتبه مجلس الشورى تحت رقم ٨٢٤.
- ٥- "دشاه" [پادشاه نامه] تأليف الملا عبد الحميد اللاهورى المتوفى عام ١٠٦٥ هـ.
- ٦- البنجهزارى [البنج هزارى] و السه هزارى و الهزار و پانصدى إصلاحات مشتقه من الأرقام فالأول يعنى خمسه آلاف و الثانى

ثلاثة آلاف و الثالث الألف و خمسمائه.

له "حاشيه حاشيه الخفري على شرح التجريد" فى بحث علم البارى تعالى خاصه(١)

الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن أبى جامع

العاملى الشقراى

فاضل له اشتغال بالأدب و الشعر، كتب بعض القصائد فى مجموعه فى ليله الأحد ٢٤ رمضان المبارك سنه ٩٣٩(٢).

يقول حسن الأمين: هذا ما كتبه السيد أحمد الحسينى، ونحن نتساءل عن هذا العاملى الشقراى الذى هو من آل أبى جامع الذين صاروا يعرفون بال محبى الدين، و الذين لا يزال قسم منهم فى جبل عامل، و القسم الآخر استقر فى العراق.

و الذى يلفت النظر هنا، هو وصفه بالشقراى، نسبة إلى بلده شقراء التى هى من بلدات جبل عامل، إذ لم يعرف أن أحدا من آل أبى جامع قد سكنها.

و يبدو من هذه النسبه أن بعضا منهم قد حل بها، على عكس ما هو معروف.

الشيخ أحمد بن إسماعيل بن عبد النبى بن سعد الجزائرى

النجفى

مذكور فى "أعيان الشيعة" ٤٧٩/٢، و نقول:

كتب إجازة للشيخ عبد النبى بن مفيد البحرانى الشيرازى فى يوم السبت ٢٩ ذى الحجه سنه ١١٥٠ و ذكر من شيوخه فيها الشيخ أبو الحسن الشريف الفتونى و المولى محمد نصير المجلسى و المير محمد صالح الخاتون آبادى و المولى محمد قاسم بن محمد رضا الهزارجربى.

و مع ملاحظه تاريخ هذه الإجازة التى كتبها بخطه فى آخر نسخه من كتاب "إيضاح الاشتباه" للعلامه الحلى. لا يبقى محل لتردد السيد الأمين فى تاريخ وفاه صاحب الترجمة(٣)

أحمد التبريزى

فاضل أديب شاعر، من أعلام القرن الثالث عشر و كان حيا فى سنه ١٢٤٠ التى كتب فيها الشيخ محمد حسن الخوئى بعض أشعاره فى مجموعه مع الدعاء له ب "سلمه الله تعالى"(٤)

الميرزا أحمد بن جعفر الأمين الحسينى اللابادى

كتب نسخه من كتاب "نتيجة المقال في علم الرجال" للشيخ محمد حسن البارفروشى المازندراني و أتمها في يوم الثلاثاء ١٦ صفر ١٣٠٣ و صرح في آخرها بان المؤلف من شيوخه (٥)

أحمد الجيلي، نظام الدين

قابل نسخه من كتاب "الأفق المبين" للسيد مير داماد الأسترآبادي. و أتم المقابلة في الليله الرابعه من شهر شوال سنه ١٠١٦ مصرحا في بلاغه بأنه قرأه على المصنف و أنه من تلامذته (٤)

الشيخ أحمد الدندن بن حبيب بن خميس الأحسائي المبرزي

توفي سنه ١٣١١ عالم جليل، و أديب شاعر و كان والده من كبار الشعراء.

ولد في (الأحساء)، و بها نشا و ترعرع، و لا نعلم سنه مولده، و كان توطنه و سكناه في مدينه (المبرز). و المعروف أنه تلقى دروسه العلميه في الأحساء على يد علمائها الأعلام، و كانت الأحساء في عصره مشرقه بالعلماء، و كان للنشاط العلمى فيها تفوق قليل النظر.

و المترجم له كان من تلامذه السيد هاشم آل السيد سلمان الموسوى الأحسائي - قائد الحركه العلميه في مدينه (المبرز) -، و لعله تتلمذ على غيره أيضا، و كان من الملازمين لأستاذه المذكور و من المقربين لديه، حتى نال رتبه عاليه من العلم و الفضل، و أصبح في عداد العلماء الأجلاء، و كان أستاذه يمدحه و يثنى عليه ثناء بالغا، كما قيل.

و قال في شانهِ السيد محمد العلى - المتوفى عام ١٣٨٨:

"الشيخ أحمد بن حبيب بن خميس، كان من العلماء، و على جانب عظيم من الزهد و الورع".

و بعد وفاه أستاذه السيد هاشم سنه ١٣٠٩ كان المترجم له يرأسل الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي - المتوفى عام ١٣٣١ هـ - و يسأله عن مسائل علميه كثيره و مختلفه، مما يدل على نشاطه العلمى و شغفه باكتساب المعارف.

و له أخ اسمه الشيخ حسين، كان من أهل العلم أيضا و من تلامذه السيد هاشم المذكور، لكن لم نعلم عن حاله شيئا.

و الشيخ عبد الله بن دندن، من أساتذه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

كان أدبيا ينظم الشعر كما كان عالما فاضلا، و ديوان شعره المخطوط كان موجودا عند الشيخ صالح السلطان الأحسائي و لكنه فقد.

ص: ١٧

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

٥- السيد أحمد الحسينى.

٦- السيد أحمد الحسينى.

و من شعره هذه الأبيات من قصيده فى رثاء القاسم بن الامام الحسن ع:

عن قاسم بالطف هات و أورد أبناء قصته و سبط محمد

عرض الكتاب و قال يا عماء وا أسفاه لى إن فات أمرى من يدى

و بنو أبى وردوا مواردهم و ما لى دون مورد معشرى من مورد

أ رأيت بى يا عم نقصا دونهم فيفون وعدك هم و أخلف موعدى

تأبى على نقيبه، عزماتها و طات باخمصها مناط الفرقد

إلى أن يقول - على لسان رمله تخاطب ولدها القاسم (ع) :-

قالت بنى خذ النصيب كمثل ما أخذته قومك يا فتى بهم اقتد

الركب جدوا واردين و أدركوا فضل السباق و أنت دون المورد

كلا لأنت أبو البساله و الذى أبقى أبوك لمثل هذا المشهد

يا ليت قتلک دافع عنه الردى و السبى عن حرم النبى محمد

و له من قصيده فى رثاء الامام الحسين (ع):

يا خائض اللجج المثير النقع فى أمواجهها قطعا من الأحقاف

يا حامى الإسلام ليتك حاضر و بنوك أسرى فى متون عجاف

أعلمت يا خدر الظعينية طوحت بيناتك الأظعان فى الأطراف

أحمد بن الحسن بن ناصر بن على بن سيف

فاضل أديب، كتب نسخه من كتاب "الدرر السنيه على شرح الألفيه" للزكريا الأنصارى و كتب عليها تعاليق تدل على اطلاعه الجيد بالعلوم الأدبيه و هو من أعلام القرن الثانى عشر ظاهرا(1)

الشيخ أحمد بن الحسين بن أبى القاسم بن الحسين بن محمد

العودى الأسدى الحلى

من أعلام القرن الثامن: كتب مجموعه أكثر رسائلها كلاميه فى سنه ٧٤٠ - ، و أنشا فيها وصيه عرض فيها عقائده، و هى تدل على فضل كثير و علم غزير فى الكلام و العلوم العقليه، بالاضافه إلى أدبه الرفيع و إنشائه الحسن (٢)

الشيخ أحمد بن الحسن البيرجندى اليزدى

أصله من "بيرجند" و سكن مدينه يزد، و لعل تحصيله كان من مشهد الرضا (ع) فليل له المشهدى و بيرجند من توابع مشهد، و قد سافر إلى أصبهان و أقام بها مده ألف فيها بعض كتبه و كان موضع حفاوه علمائها.

كان حسن الإنشاء بالفارسيه واسع الاطلاع فى المعارف الدينيه كثير الاشتغال بالتأليف و التصنيف (٣)

السيد أحمد التستري المعروف بالسيد آقا بن السيد حسين

المعروف ببزرگ [ببزرگ] بن السيد محمد بن السيد حسين بن السيد عبد الكريم بن السيد محمد جواد بن السيد عبد آ [الله] بن السيد نور الدين

بن السيد نعمه الله الموسوى الجزائرى التستري

المعروف بالإمامولد بتستر سنه ١٢٩١ و توفى فى النجف سنه ١٣٨٤ نشا و ترعرع فى تستر و على أعلامها قرأ المقدمات العلميه، فقرأ العلوم الأدبيه و الرياضيه و التجويد على الشيخ محمد تقى شيخ الإسلام و السيد بزرگ آل طيب و السيد محمد بن محمد باقر المعروف بشيشه پز [پز] [خانه و الآخوند ملا جعفر شرف الدين و غيرهم.

و فى سنه ١٣٠٩ ذهب إلى مدينه "دزفول"، و بقى بها سنتين متلمذا على الشيخ محمد طاهر الله الدزفولى و مدرسا لجماعه من شباب الطلبة.

و فى سنه ١٣١١ ذهب إلى النجف الأشرف و أقام بها إلى آخر عمره، فحضر بها بحث المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و آخرين.

كانت له اليد الطولى فى علوم الحديث و شرح ألفاظه و بيان معانيه، متوغلا فى علوم القرآن الكريم و خاصه فى التجويد حيث كان يعتبر من أساتذته و تتلمذ عليه فى هذا الفن جماعه من الأفاضل فى حلقه دراسيه خاصه بالتجويد فى "مسجد الهندى بالنجف".

و تعاطى الأدب أيضا و نظم الشعر قليلا بالعربيه و الفارسيه، و قد جمع شعره بعض أقاربه.

و كان له ولع بجمع الكتب المخطوطه و المطبوعه حتى جمعت له مكتبه عامره بالمؤلفات و خاصه مؤلفات أجداده "آل الجزائرى".

من مؤلفاته: "إجازات المشايخ و مجازاه الشوامخ" و هو مجموعه فيها أكثر من ثلاثين إجازة متفرقه أكثرها بخط المجيزين، و

قد انتقلت إلى مكتبه صاحب الذريعة بالنجف الأشرف.

و تتمه الشجره و تنميه الثمره، و هو تتمه "الشجره النوريه".

و تعويد اللسان بتجويد القرآن و تقويم المعرفه، في معرفه التقويم و هو فارسي و حاشيه الروضه البهيه و العجاله، في تراجم الرجال المذكورين في مجمع البيان و الفوائد المختلفه و الفوائد المتشتمه و الفوز العظيم في ترجمه جده السيد حسين بن السيد عبد الكريم، و الكواكب الدريره، مجموعه من أشعاره و أشعار آخرين و مجموعه، فيها متفرقات عربيه و فارسيه(٤).

أحمد بن الحسين الأصبهاني.

استكتب كتاب "الاستبصار" ثم قرأه على السيد حسين بن حيدر الحسيني الكركي العاملي، فكتب له إنهاء و إجازة في آخر كتاب الطهاره منه في سنة ١٠٣٩ معبرا عنه ب "مولانا الفاضل الجليل... "(٥)

ص: ١٨

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني..

السيد أحمد بن سلطان علي بن أحمد بن صادق بن أحمد بن

مجد الدين بن السيد علي خان الكبير

شارح الصفيحه السجادية.

عالم جليل جامع للعلوم العقلية و النقلية، متبحر في العلوم الأدبية. و يبدو مما كتبه بعض معاصريه أنه كان منزويا غير معروف في الأوساط بالرغم من مكانته العلمية الممتازه.

كتب السيد علي الطباطبائي في تقريره على كتاب الهدايه يصف المترجم له " السيد العالم العامل و السند الفاضل الكامل الجامع بين المعقول و المنقول و المستجمع للفروع و الأصول صاحب الأخلاق المرضيه و مصاحب الأوصاف السنيه الصوريه و المعنويه سالك مسالك العلوم و المعارف و ناسك مناسك الحقائق و اللطائف مجمع الفضائل السيد الجليل الملقب بصدر الأفاضل...".

توفى - كما كتبه محمد علي بن إبراهيم الشريف - ليله الجمعة ٢٧ شهر رجب سنه ١٣٤٣.

له "هدايه المستبصرين" في شرح دعاء عرفه و أتمه سنه ١٣٣٨(١)

السيد أحمد بن مير صدر الدين الحسيني النائيني

الملقب بحسيني نجاداستعان به ميرزا محمد هادي بن أبي الحسن الشريف النائيني في تأليف كتابه "سرور المؤمنين" في أحوال المخترار بن أبي عبيده الثقفي، و عظمه في أوله و وصفه بحبه لأهل البيت ع، و هو من أعلام القرن الثالث عشر، و كان يقيم ظاهرا بمدينه كاشان(٢)

الدكتور أحمد الظاهري العراقي

هو العالم الفاضل و المحقق المتتبع و الخبير في الكتب، ولد عام ١٣٦٤ هـ في مدينه أراك (بوسط إيران) بدأ دراسته في مدارس مسقط رأسه ثم هاجر إلى طهران و دخل عام ١٣٨٠ هـ في جامعه طهران قسم الآداب و العلوم الإنسانيه فتخرج منها عام ١٣٨٤ هـ حائزا على شهاده الليسانس ثم في عام ١٣٨٦ هـ صار عضوا في مؤسسه (بنياد فرهنگ) [فرهنگ] الثقافيه و عمل فيها في مجال التحقيق في الكتب و المكتبات مده أربع سنوات ثم انتقل منها إلى مؤسسه (مركز خدمات كتاب داري) و هي مؤسسه تختص بدراسه الكتب و المكتبات و فهرستها و عمل فيها مده ٧ سنوات، ثم بعد ذلك قضى فتره دراسيه في جامعه الأميركيه ببيروت درس فيها علم فهرست الكتب و علم المكتبات و تعلم فيها اللغه العربيه، ثم سافر منها إلى القاهره و قضى فيها سته أشهر باحثا و متعلما في دار الكتب المصريه و مكتبه الجامع الأزهر و غيرها من المكتبات و حضر دروس الأدب العربي في جامعه القاهره، ثم عاد إلى إيران و حصل على منحه دراسيه فسافر عام ١٣٩٣ هـ إلى بريطانيا و دخل جامعه أدنبره فدرس فيها في مجال اختصاصه و هو علم الكتب و المكتبات و في تلك الفتره درس فيها دواوين جلال الدين الروحي [الرومي] و محمد البلخي و حافظ الشيرازي و بعد أن قدم أطروحته للدكتوراه حول بعض التعديلات في نظام فهرست الكتب على طريقه ديوني الأميركي بحيث

تتوافق مع متطلبات المكتبات الإسلاميه و فهرست كتبها فحاز على درجه الدكتوراه. ثم درس فتره فى نفس الجامعه الآداب العربيه و حصل منها على الدكتوراه فى الأدب العربى. و فى عام ١٤٠٤ هـ عاد إلى إيران فصار عضوا فى مؤسسه (دائره المعارف الإسلاميه) و هى مؤسسه تعنى بنشر دائره معارف إسلاميه معاصره، ثم رقى فصار نائب رئيس هذه المؤسسه و المسئول عن الشئون العلميه فيها و استمر فيها حتى حين وفاته، و فى هذه الفتره التى استمرت ٨ سنوات من عام ١٤٠٤ إلى ١٤١٢ هـ أشرف على إصدار الجزء الأول من (دانشنامه إسلام و ایران - دائره المعارف الإسلاميه الإيرانيه) كما رأس تحرير مجله (تحقيقات إسلامى) و هى مجله تعنى بالشئون العلميه و ترصد آخر الأعمال فى مجال التحقيقات فى إيران و قد صدر إلى آخر أيامه أعداد منها و كان فى تلك الفتره يقوم بتدريس ماده التصوف و العرفان فى كليه الإلهيات التابعه لجامعه طهران حتى توفى عام ١٤١٢ هـ.

كان عالما فاضلا أديبا، محبا للعلم و العلماء، مكبا على الدرس و المطالعه لا تفوته شارده أو وارده من التحقيقات و كان يتتبع آخر الاصدارات من الكتب و الدوريات العلميه و الجامعيه فى إيران و العالم الإسلامى و غيره و كان كريما سخيا فى إعطاء معلوماته لمن يطلب منه فلا يبخل فى بذل علمه على أحد و كان مساعدا للمحققين فى تحقيقاتهم. و معيننا لهم، يحاول أن يرشدهم فى ذلك، كان محبوبا من الجميع، يحبه الطلاب و الأساتذه على حد سواء. مرض قبل أسبوع من وفاته بمرض خبيث فلم يمهله إلا أياما معدودات فتوفى و آلمت وفاته جميع العلماء فى إيران.

و دفن فى طهران و قد رثته جميع المؤسسات الثقافيه و المجالات العلميه فى إيران - و قد أقيم احتفال تابينى بمناسبة مرور عام على وفاته فى (أنجمن فلسفه) المؤسسه الفلسفيه الإسلاميه الإيرانيه بطهران و رثاه جمع من العلماء (٣).

الشيخ أحمد العالمى

هاجر إلى الهند و تقرب إلى ملوكها كالسلطان عبد الله قطب شاه المتوفى سنه ١٠٨٣، و كان أديبا فاضلا له شعر بالفارسيه، و هو من أعلام القرن الحادى عشر.

ص: ١٩

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

له " ترجمه الكشكول للبهائي " (١)

الشيخ أحمد بن عباس الهمداني

من أعلام أوائل القرن الثالث عشر، كان إمام الجمعة و الجماعة في " أردستان " و قد أوقف كتبه في شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٢، و ذكره السيد محمد حسين بن محمد صادق الطباطبائي في الوقفيه بعنوان " المولى الفاضل العالم الصالح الورع التقى " (٢)

الشيخ أحمد بن عبد الله الربيعي الأحسائي

فاضل أديب شاعر، من أعلام القرن الثاني عشر.

ذكره السيد عباس المكي في كتابه "نزهة الجليس" ٣٩٦/١ و قال: أنشدني من لفظه لنفسه ببندر سورت (الهند) سنة ١١٣٧ الشيخ الكامل العالم العامل الصفي الوفي الشيخ أحمد:

عبد بقيد الذنب أصبح موثقا يثنى على من في يديه عنانه

و الله ما استوفى القليل من الثنا لو أن كل الكائنات لسانه

(٣)

الشيخ أحمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن ناصر بن جعفر

بن موسى بن أبي الحسين الشيباني

قابل نسخه من كتاب "تهذيب الأحكام" في سنة ٩٥٣ - ٩٥٤ على عده نسخ و صححها تصحيحا دقيقا يدل على شدة عنايته بالحديث، و كتب اسمه فيها مكررا "أحمد بن عبد الحسين الشيباني" (٤)

الشيخ أحمد بن عبد المحمد البرنجاني

فاضل محدث و خطيب له إمام بالتأريخ و العلوم الإسلامية، من تلامذه الشيخ محمد حسن القزويني، و هو من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث عشر، حسن الإنشاء شاعر متوسط الشعر.

له "بحار العيون و أنهار الجفون" (٥)

الشيخ أحمد بن عبد الواحد العبودي

من أعلام القرن الثالث عشر، قرأ كتاب "منيه الليب" للسيد ضياء الدين ابن الأعرج في سنة ١٢٣٢ (٦)

الشيخ أحمد بن علي محمد

فاضل له باع في الحديث و علومه، مائل إلى الشيخ أحمد الأحسائي و ينقل عنه في كتاباته كثيرا.

له "أصول الدين" (٧)

أحمد بن محمد إبراهيم الحسيني

كتب تقریظا حسن التعبير على كتاب "رفع الالتباس عن أحكام الناس" في سنة ١١٦٩، يعرف منه تبحره في الآداب و العلوم الدينیه.

و لعله هو السيد أحمد بن الأمير إبراهيم بن الأمير معصوم القزويني المذكور في "الكواكب المنتشرة" المخطوط و غيره (٨)

الشيخ أحمد بن محمد بن الحسين بن الفقيه علي بن محمد بن

الحسين بن إبراهيم بن محمد الفقيه المحمدي

كتب نسخه من كتاب "نخب المناقب" لأبي عبد الله ابن جبير و أتم كتابتها في يوم الجمعة ٢٩ ذي القعدة سنة ٨٣٩، ثم قابلها على أصلها بدقه تدل على عناية و معرفه (٩)

الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن سرحان البحراني

كتب نسخه من رساله "علم الله تعالى" للشيخ علي بن عبد الله بن علي البحراني و أتمها في ثامن شوال سنة ١٣٠٩ و صرح في آخرها أنه من تلامذه المؤلف (١٠)

الشيخ أحمد بن محمد شمس الدين بن علي بن خاتون العينائي

العاملی

مترجم في "إحياء الداثر" ص ١٢، و نقول:

قرأ عند بعض كتاب "الدروس الشرعيه" للشهيد الأول فكتب له إنهاء في آخره في يوم الأحد ٢٢ ذي القعدة سنة ٩٠٧ (١١)

السيد أحمد بن محمد باقر بن عناية الله بن محمد بن زين العابدين

الموسوی البهبهانی الحائری

سافر في سنة ١٣٠٨ إلى مشهد الرضا (ع) و عند عودته إلى طهران ألف كتابه "معين الوارثين".

قال السيد محمد صادق بن علي نقى الموسوى الزنجاني فى تقريره على كتاب المعين المذكور: "العالم العامل الفاضل الكامل صاحب الأنوار البهيه و القوه القدسيه الالهيه الجامع الذى زين بذكر محامد صفاته المسامع فى المجامع السيد السند و الزاهد الورع النحرير المؤيد العلامه المسدد..." له غير ما هو مذكور فى الذريعه "الخلع و المباره و فساد الطلاق بالعوض" و "الشرط فى ضمن العقد" و "عرق الجنب من الحرام" و "منجزات المريض" و "الوقف" (١٢)

الشيخ أحمد بن محمد بن الحسن بن المصيرد البلدائى،

المعروف بيصيص أصله من قريه "البليدا"، كتب كتاب "شرائع الإسلام" و أتم الجزء الأول منه فى يوم السبت سادس شعبان سنه ٨٩٧ و الثانى فى يوم الأحد ٢٢ صفر ٨٩٩، و قرأه عند الشيخ على بن محمد بن الحسام فكتب له إنهاء فى آخر الجزء الأول منه فى ٢٤ شعبان سنه ٨٩٨ (١٣)

الميرزا أحمد بن محمد حسين القمى المنشى

ولد فى قريه "كركان" من قرى فراهان فى جمادى الأولى سنه

ص: ٢٠

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- السيد أحمد الحسينى.
- ٧- السيد أحمد الحسينى.
- ٨- السيد أحمد الحسينى.
- ٩- السيد أحمد الحسينى.
- ١٠- السيد أحمد الحسينى.
- ١١- السيد أحمد الحسينى.
- ١٢- السيد أحمد الحسينى.
- ١٣- السيد أحمد الحسينى.

١٢٧١، و كان أسلافه أبا و أما من أرباب المناصب الحكوميه فى طهران و قم و أراك.

نشا فى مسقط رأسه و تعلم مبادئ القراءه و الكتابه فى تلك القرية، ثم انتقل إلى قم و بدأ بتحصيل العلوم الدينيه على أساتذتها العلماء مجدا فى الدراسه حتى سنه ١٢٨٨ حيث حصل القحط و الغلاء و انشغل برهه عن الدرس و البحث.

و فى سنه ١٢٩١ ذهب إلى العتبات المقدسه بالعراق، و أقام بها بعض السنين مشغلا بالعلوم الحوزويه العاليه، و درس الفقه و الأصول على مشايخ العلم و كبار المدرسين.

و فى سنه ١٢٩٨ عاد إلى إيران و أقام بطهران، و اشتغل بوظيفه كاتب عند مخبر الدوله وزير العلوم آنذاك، و بعد مده ترك الوظيفه و ذهب إلى قم، و لكن لم يبق بها كثيرا حيث عاد إلى طهران منزويا قليل الاختلاط بالناس (١).

أحمد بن محمد أمين القزوينى

فاضل جامع لأطراف العلوم، مشغول بالعلوم الرياضيه و غيرها، و لعله كان من القاطنين بقزوين.

له "الفوائد الصحيحه فى شرح الصحيحه" ألفه سنه ١١١٧ (٢).

السيد أحمد الصفائى الخوانسارى بن محمد رضا

ولد فى مدينه "خوانسار" سنه ١٢٩١ و توفى فيها سنه ١٣٥٩.

بعد تعلم الأوليات فى بعض المكاتب فى خوانسار قرأ العلوم الأديبه على الشيخ الميرزا حسين الخوانسارى و السطوح على السيد على أكبر البيدهندى الخوانسارى و شرح المنظومه على المولى محمد على الخوانسارى المعروف بالحكيم الايمانى.

هاجر سنه ١٣١٠ إلى أصفهان. حيث تتلمذ بها فقها و أصولا على السيد محمد هاشم الجهار [الجهارسوقى] و الشيخ محمد تقى الأصبهانى المعروف بأقا نجفى و الميرزا محمد حسن النجفى و المولى محمد باقر الفشاركى و الميرزا حسن بن إبراهيم الأصبهانى و السيد محمد باقر الدراى و الشيخ محمد على ثقه الإسلام و الشيخ أبو المعالى الكلباسى. و قرأ الأسفار و شرح الإشارات و الشفاء على الآخوند ملا محمد الكاشى و جهانپير [جهانگير] خان القشقانى [القشقائى] و الحاج ميرزا بديع و الحاج آقا منير الدين البروجردى.

و فى سنه ١٣٢٢ ذهب إلى النجف الأشرف، فتتلمذ عند المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و شيخ الشريعه الأصبهانى كما أنه أدرك قليلا من درس الحاج ميرزا حسين الخليلى الطهرانى أيضا. و استفاد فى الرجال و الحديث من دروس السيد أبى تراب الخوانسارى.

و عاد فى سنه ١٣٢٨ إلى خوانسار. و اشتغل فيها بالوظائف الشرعيه و الإرشاد و إقامه الجماعه و تدريس الطلاب و التأليف و القيام بالواجبات الاجتماعيه.

كان كثير التدريس و يقضى أكثر أوقاته فيه، فكان يدرس كتاب "مغنى اللبيب" إلى "كفايه الأصول" و "الرسائل"، و لا يستنكف عن تدريس أى كتاب يطلب منه تدريسه. و قد ربي فى حوزته العلميه كثيرا من الطلاب من أبناء بلده و الوافدين إليها.

و إلى جانب مشاغله العلميه و الدينيه، استنسخ عددا من المخطوطات غير المتوفره تجاوزت المائه كتاب - غير مؤلفاته - و قابلها و صححها فى دقه و إتقان، و كون بذلك لنفسه مكتبه غنيه كانت ماده ثريه لمؤلفاته و خاصه كتابه "كشف الأستار" الذى منه يظهر مدى تتبعه فى الآثار المخطوطه و مدى صبره على المطالعه.

ترك مؤلفات فقهيه، و أهم ما تركه كتاب تاريخ خوانسار، و لا ندرى إلى أين انتهى أمره(٣).

أحمد السبعى بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسن بن على

بن محمد بن سبع (سبيع) (ابن سالم) بن رفاعه السبعى (السيبعى)

الرفاعى، فخر الدين الأحسائى

مترجم فى رياض العلماء ٦٢/١ و الضياء اللامع ص ٧ و نقول:

رأيت نسخه من ديوانه لعلها من القرن الحادى عشر على الورقه الأولى منها بخط جديد أضاف فى آباءه "ابن سالم" و نسبه إلى الأحساء و ذكر أنه توفى سنه ٨٦٠ و نيف بالهند.

و "السبعى" أو "السيبعى" و "الرفاعى" نسبه إلى جديه المذكورين.

و هو بالاضافه إلى مكانته العلميه العالیه أديب شاعر طويل النفس فى قصائده، و قد تمحض ديوانه الصغير الذى رأيت به فضائل أهل البيت ع و مناقبهم، و من شعره قوله فى رثاء الحسين (ع) من قصيده:

أ تصبو بعد ما ذهب التصابى و ولى مسرعا شرح الشباب

تقضى العمر منك و ما تقضى من الدنيا هواك و أنت صابى

أعيدك من ذهاب فى التصابى و قد نادى المنادى للذهاب

و حان الارتحال إلى صحاب مضوا وهم الخيار من الصحاب

إلى دار البلا زموا ركابا و حادى الموت يحدو بالركاب

و ما ارتحلوا عن الأوطان إلا لترحل عن فناها و الرحاب

فكم من واله يذرى دموعا عليهم يوم تقويض القباب

و لو كان اللبيب لكان يبكى مصاب النفس من قبل المصاب

أرانا مزمعين لو شك بين و ليس عقيب ذلك من إياب

أرانا موضعين بكل خرق يبلغنا إلى جدث خراب

فمن يك سائلا عنى فانى بعيد فى دنوى و اقترابى

ص: ٢١

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

سأبكي لانفرادى و اغترابى بذى قدم يطول به اغترابى

سأبكى و المسافه قيد رمح من الآتى و لا يغشى جنابى

سأبكى فى مرابعه اجتياى و ما أعددت زاد الاجتياى

سأبكى إن بكيت على ذنوبى فان الخطب جل عن الخطاب

كفى نفسى البكاء لرزه نفسى فقد أوبقت نفسى باكتسابى

كفى عينى البكاء لصنع عينى و ما نظرت إليه من ارتياى

إذا ناحت مطوقه بوكر ذكرت جرائرى فبكيت ما بى

و إن ذكر القتيل بكربلاء سمحت بصب دمع ذى انصباب

ساغرب فى البكاء على غريب بكاه كتاب ربهى باكتتاب

ساندب فى عراض الطف ندبا مزارا للفراعل و الذئاب

ثلاثا بالعرايا لهف نفسى على العارى السليب من الثياب

أ يلتحف التراب عقيب مسح لكفى أحمد و أبى تراب

أ تحضنه مطهره بتول و يمسى نهب أطراف الحراب

ألا من راع للزهراء قلبا و أغرى دمعها بالانسكاب

و ألبسها القميص تخال فيها خلوقا من دم قانى الخضاب

ستشكو و هى قانيه عليها إلى الرحمن فى يوم المآب

أسفت لغارم بيكى عليه و قد لج المطالب فى الطلاب

و من تخميسه لقصيده الشيخ أحمد الأحسانى فى مدح الامام أمير المؤمنين (ع):

أعيت صفاتك أهل الرأى و النظر و أوردتهم حياض العجز و الخطر

أنت الذى رق معناه لمعتبر يا آيه الله بل يا فتنه البشر

يا حجه الله بل يا منتهى القدر عن كشف معناه ذو الفكر الدقيق وهن
و فيك رب العلى أهل العقول فتن أنى تحدك يا نور الإله فطن
يا من إليه إشارات العقول و من فيه الألباء تحت العجز و الخطر
نفى حدوثك قوم فى هواك غورا إذا أبصروا منك أمرا معجزا فغلوا
حيرت أذهانهم يا ذا العلى فعلوا هيئت أفكار ذى الأفكار حين رأوا
آيات شانك فى الآيات و العصر أوضحت للناس أحكاما محرفه
كما أبنت أحاديثا مصحفه أنت المقدم أسلافا و سالفه
يا أولا آخرا نورا و معرفه يا ظاهرا باطنا فى العين و الأثر
يا مطعم القرص للعافى الأسير و ما ذاق الطعام و أمسى صائما كرما
و مرجع القرص إذ بحر الظلام طما لك عباره بالنطق البليغ كما
لك الإشاره فى الآيات و السور أنوار فضلك لا تطفئ لهن عدا
مهما يكتمه أهل الضلال بدا تحالفت فيك أفكار الورى أبدا
كم خاض فيك أناس فانتهموا فغدا معنك محتجبا عن كل مقتدر
لولاك ما اتسقت للطهر ملته كلا و لا اتضحت للناس شرعته
و لا انتفت عن أسير الشك شبهته أنت الدليل لمن حارت بصيرته
فى طى مستشكلات القول و العبر

(١)

الشيخ أحمد بن عبد الرضا مهذب الدين

مترجم فى أعيان الشيعة ٦٢٤/٢ و نقول:

اسم أبيه الرضا لكنه اشتهر بعبد الرضا كما يقول المترجم له فى آخر كتابه "فائق المقال"، له إجازة حديثه من الشيخ محمد بن

الحسن الحر العاملي بالاضافه إلى أنه كان أستاذه(٢)

المولى أحمد بن عبد العظيم بن علي أكبر الكاشاني

ولد في مدينة كاشان و بها نشأ، ثم ذهب إلى العتبات المقدسه بالعراق بصحبه أبيه و أخيه الأكبر. فتتلمذ في كربلاء على السيد على الطباطبائي صاحب "رياض المسائل" فقرأ عده من الكتب الأصوليه و الفقهيه و الحديثيه و منها كتاب الطهاره و الصلاه و النكاح من "الرياض"، كما أنه تتلمذ مده أيضا على المولى محمد باقر الوحيد البهبهاني.

ثم بامر من أستاذه الطباطبائي عاد إلى مسقط رأسه كاشان سنتين قبل هجوم الوهابيين على كربلاء، و بقي في كاشان مشتغلا بالتدريس و الشؤون الدينيه و الاجتماعيه، و أصابته نكبات من جراء خلافات مع بعض العلماء لا نعلم شيئا من تفاصيلها، و أدى ذلك إلى ترك التدريس و التأليف، و لكن بعد برهه عاد إليهما.

أجازه روايه أستاذه السيد على الطباطبائي في شهر ذى القعدة سنه ١٢١٣ و المولى محمد على ابن أستاذه الوحيد البهبهاني في كرمانشاه بتاريخ شهر ذى الحجه من نفس السنه.

له "مشارك الأنوار" و "حاشيه معالم الأصول" أتمها سنه ١٢٢٦(٣)

الشيخ أحمد بن ملا محمد بن حسين الزاجكاني القزويني

توفي بعد سنه ١٢٨٠.

من كبار أئمه الفتوى و التقليد أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء قزوين ثم التحق بحوزه الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري المتوفى سنه ١٢٧١ هجريه و شقيقه الشهيد الثالث المستشهد سنه ١٢٦٣ (هجريه) و تتلمذ في الفلسفه العاليه على الآخوند ملا آغا الحكمي القزويني ثم هاجر إلى العراق

ص: ٢٢

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- السيد أحمد الحسيني.

٣- السيد أحمد الحسيني.

قاصدا الحوزه العلميه الكبرى في كربلاء و النجف فحضر في كربلاء على السيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط المتوفى سنة ١٢٤٢ و بعد وفاه أستاذه القزويني توجه إلى النجف الأشرف و حضر على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٤٤ و الشيخ مرتضى الأنصاري و في سنة ١٢٧٠ عاد إلى موطنه قزوين و شغل كرسى التدريس و الفتوى و الإرشاد في المدرسه الصالحيه و كان من أبرز المدرسين في قزوين و له مؤلفات منها:

١ - كتاب بحر البكاء في واقعه الطف بالعريه.

٢ - رساله في أصول الدين بالفارسيه.

٣ - صراط النجاه رساله عمليه.

٤ - كتاب الاعتقادات بالعريه.

٥ - رساله في بيان الولايه و معنى الشريعه و الطريقه.

٦ - منتخبات من خطب نهج البلاغه.

ترك ثلاثه اولاد ذكور و هم ١ - الشيخ محمد جواد ٢ - الشيخ أبو القاسم ٣ - الشيخ أبو الحسن كلهم من العلماء الأعلام في قزوين (١)

الحاج ميرزا أحمد الكفائي بن محمد كاظم

ولد في النجف الأشرف في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٠ و بها نشأ نشأته الأولى في كنف والده المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني. قرأ المكاسب و الرسائل عند السيد أبي الحسن الأصبهاني بامر من والده، و قرأ الكفايه قبل طبعه عند أخيه الحاج ميرزا محمد الكفائي، ثم دخل في حوزة درس والده فقها و أصولا فتعلم عليه عشر سنوات ثم أصيب بفقده.

أبعد من النجف إلى إيران مع جماعه من المراجع و العلماء في سنة ١٣٤١، و هبط مشهد الرضا (ع) سنة ١٣٤٢ و أقام به إلى آخر حياته مدرسا يربى التلاميذ و مرجعا يتولى الشؤون الدينيه و الاجتماعيه (٢)

السيد أحمد علي بن السيد مير محمد عباس المفتي التستري

الجزائري اللكهنوي

ولد في لكهنو سنة ١٣٠٣ و توفي فيها سنة ١٣٨٨.

نشأ في لكهنو و تعلم المبادئ على القارئ الميرزا مهدي.

و في سنة ١٣١٢ التحق بمدرسه "مشارع الشرائع"، فقرأ على أساتذتها المقدمات و بعض كتب السطوح، و من أساتذته بها السيد

نجم الحسن النقوى و المولوى جعفر حسين اللكهنوى. ثم زار أئمه العراق سنة ١٣١٨ مع والدته، و أقام بكريلاء مده فتتلمذ على السيد محمد باقر الحجه و السيد كاظم البهبهانى و الشيخ غلام حسين المرندى.

ثم انتقل إلى النجف الأشرف، فقرأ كتاب "الرسائل" و "المكاسب" و بعض كتب "رياض المسائل" على الشيخ ضياء الدين العراقى، ثم حضر خارج الفقه على الحاج ميرزا حسين الخليلى الطهرانى. ثم تتلمذ فى الفقه و الأصول على المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى، و كان أكثر استفاداته العلميه من أستاذه الأخير فانقطع إليه و لازمه إلى حين عودته إلى الهند.

و عاد من العراق إلى مسقط رأسه لكهنو. و اشتغل بالتدريس و تربيته الطلاب و الناشئين من أهل العلم فى "مدرسه مشارع الشرائع" و "المدرسه الناظميه". فتخرج عليه جمع من الأفاضل.

كان واعظا قوى الخطابه جيد البيان، يحضر مجالسه فى شهر رمضان المبارك كثير من المستمعين.

و كان عالما، أدبيا له شعر كثير بالعربيه و الفارسيه و الأردويه.

أحمد بهمنيار بن محمد على

المشهور بالمعلم ولد فى كرمان فى ربيع الأول سنة ١٣٠١ و توفى سنة ١٣٧٥ ه بطهران.

من رجال الأدب و الثقافه فى إيران درس على أبيه الصرف و النحو و الأدب العربى. ثم استمر فى دراسته فدرس الفقه و الأصول و الحديث و التفسير و الأدب الفارسى و تعلم اللغه الإنكليزيه و التركيه بالاضافه إلى العربيه.

و قد نبغ فى العربيه إلى الحد الذى قام بتتيمم ألفيه ابن مالك فى منظومه قال فيها:

أبدأ بسم الله فى سرد الجمل نظما و خير القول ما قل و دل

قام فى سنة ١٢٨٩ بتأسيس جريده باسم (دهقان - الفلاح) و إثر وقوع الحرب العالميه الأولى و حدوث اضطرابات فى إقليم كرمان حبس هو مع جماعه من المثقفين الأحرار و نفى إلى مدينه شيراز و دام حبسه ١٤ شهرا. و بعد أن أفرج عنه هاجر إلى طهران و بعد مده صار موظفا فى وزاره الماليه ثم اختير مفتشا فى تلك الوزاره و سافر إلى خراسان و بقى فيها مده ٧ سنوات مسئولاً عن إنتاج (الترياك).

و فى تلك السنوات قام بإصدار جريده (فكر آزاد - الفكر الحر) فى مدينه مشهد (سنة ١٣٠٣).

ثم استقال من وزاره الماليه و عين فى سنة (١٣٠٥) رئيسا لدار المعلمين فى مدينه تبريز و بقى فيها مده سنة. ثم عاد إلى طهران و دخل سلك القضاء و عمل فى مناصب القضاء فى ولايتى

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

همذان و قزوین مده سنتین. ثم عاد إلى طهران و عمل معلما فی ثانویات طهران حیث كان یدرس الأدب العربی و الفارسی و الفلسفه و المنطق. له مؤلفات عدیده منها:

١ - التحفه الأحمدیه فی شرح ألفیه ابن مالک.

٢ - تصحیح کتاب التوسل و الترسل لمحمد بن مؤید البغدادی.

٣ - تصحیح تاریخ بیهق لأبی الحسن علی بن زید البیهقی.

٤ - تصحیح أسرار التوحید للشیخ أبی سعید.

٥ - ترجمه زبده التواریخ فی تاریخ آل سلجوق.

٦ - کتاب عن حیاة الصاحب بن عباد و غیر ذلك (١)

أحمد بن محمد مهدی الشریف الخاتون آبادی الأصبهانی.

من أعلام أصبهان فی القرن الثانی عشر، و له اطلاع واسع فی العلوم الریاضیه و النجوم بالاضافه إلى تبحره فی العلوم الدینیة، و قد ألف فیها عدة مؤلفات مختصره و مفصله.

من شیوخ إجازة الشیخ عباس بن الحسن البلاغی النجفی، كما ذكر البلاغی ذلك فی إجازته المؤرخه سنه ١١٥٧ للمولی رجب علی.

له "التقویم" ألفه سنه ١١٢٦ (٢)

أحمد بن محمود المتطب التولمی الجیلانی

فاضل أديب، مشغل بالفلسفه و العلوم العقلیه، طیب صوفی متوغل فی العرفان كان ساكنا شیراز و هو من أعلام القرن التاسع. كتب مجموعه أكثر رسائلها عرفانیة صوفیه فی سنه ٨٦٤ - .

له "بازنامه" رساله فی الصيد ألفها سنه ٨٥٤ (٣)

الشیخ أحمد بن مصطفی بن أحمد بن مصطفی بن أحمد

الخوئینی (ملا آقا القزوینی)

مترجم فی أعیان الشیعه ١٧٥/٣ و نقول:

اسمه أحمد و عرف بما كان یدعی به جده "الحاج ملا آقا".

ولد في "خوئين" من بلاد آذربيجان، في ليلة السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٧ كما في "مرآة المراد" للمترجم له، لا سنة (١٢٤٦) كما في الأعيان.

بدأ في مسقط رأسه بالأوليات العلمية من الصرف والنحو وهو في الثامنة من عمره، ثم انتقل إلى مدينة "قزوین" وهو في الثالثة عشره فقرأ هناك السطوح، وبعد ذلك ذهب إلى أصفهان وبقى بها خمس سنين متلمذا في الفقه والأصول والحديث والرجال على أعلامها ومنهم الحاج آقا محمد الكرباسي الأصبهاني، ثم عاد إلى قزوین وبعد إقامته شهرا بها وبمسقط رأسه "خوئين" ذهب إلى العتبات المقدسه، فأقام بكربلاء برهه مشتغلا بالفقه والأصول على مشايخها، ثم انتقل إلى النجف الأشرف دارسا عند أساتذتها ومؤلفا لبعض كتبه لمدة خمس سنوات.

وبعد طي المراحل المذكوره في الحوزات العلميه، جاء إلى قزوین وأقام بها مشتغلا بالتدريس والتصنيف والتأليف متوليا لشئون العامه وساعيا في قضاء حوائجهم.

له من المؤلفات غير ما هو مذكور في الذريعه:

"الاستصحاب" و "حجیه الظن" و "رساله في الإرث" و "ترجمه رساله الإرث" و "المختار من الأصول العمليه" و "الفقه" في أربع مجلدات و "تعليقه على الصافي" و "حاشيه رياض المسائل" و "حاشيه قوانين الأصول" و "أجوبه مسائل متفرقه" و "مجموعه متفرقات" و "البداء" و "مختصره مليحه" (٤)

الشيخ أحمد المطهري

ولد في مدينة ساوه عام ١٣٦٢ و توفي سنة ١٤١١ هـ.

درس مقدمات العلوم الدينيه في مسقط رأسه ثم سافر إلى قم و درس فيها و حضر أبحاث السيد البروجردی ثم سافر إلى النجف لإكمال دراسته فدرس على السيد الشاهرودي و السيد الخوئي.

ثم عاد إلى قم و زاول النشاط الثقافي فشارك في مؤسسه (في طريق الحق) الثقافيه و كتب في نشراتها مقالات عديده عن قضايا الدين و الشباب. كما كان له نشاط ديني. ثقافي في مسقط رأسه حيث قام بتأسيس حوزة علميه دينيه فيها و مكتبه عامه و عده مشاريع خيريه عامه.

له عده تأليفات منها: تحرير الوسيله - طرحهای رسالت - روابط در جامعه إسلامی - زمامداری [زمامداری] أمام مجتبی (ع) - شفاعت - علم پیامبر و إمام - نماز جمعه و جهاد (٥)

الميرزا أحمد بن معصوم بن علي أشرف الأنصاري

الپرمرودى،

مستعان الممالک فاضل أديب جيد الإنشاء و الخط، كان يقيم في مدينة "أروميه" بآذربيجان و توفي بعد سنة ١٣٣٤.

- ١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

له "شرح ألفيه ابن مالك" (١)

الشيخ أسد الله بن عبد الله بن محمد جعفر بن محمد علي بن محمد

باقر الكرمانشاهي.

مترجم في نقيب البشر ص ١٣٩ و نقول:

كان إمام الجمعة و الجماعة بكرمانشاه، جامعاً لأطراف العلوم الدينيه.

له "بدائع الأخبار" و "تزكية الأعمال" (٢)

الشيخ أسد الله بن محمد علي بن مهدي بن محمد مهدي بن أبي ذر

النراقي الكاشاني.

فقيه فاضل، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر، قرظ كتابه في الطهاره السيد حسين بن مير محمد علي الحسيني الكاشاني مع تصديق اجتهاد و إجازته في الحديث بتاريخ ٢٢ جمادى الآخره سنه ١٢٩٥، و قال في التقريظ:

"العالم البهي و الفاضل الألمعي صاحب الذهن الوقاد و الفكر النقاد و السليقه السليمه و القريحه المستقيمه و القوه القدسيه التي يقتدر بها على استنباط الأحكام الشرعيه و رد الفروع الجزئيه على أصولها الكليه ذو الحسب الظاهر و النسب الفاخر المقتدى بآبائه في العلم و العمل الحافظ لدينه عن النقص و الخلل نتيجة العلماء العظام و سلاله الفقهاء الفخام و نخبه الفضلاء الكرام...

" (٣)

أسد الله بن محمد كاظم بن رضا الطبري

من أعلام أوائل القرن الرابع عشر، صحح كتاب والده "حل التراكيب" و كتب عليه تعليقا يدل على تبحره في النحو و العلوم الأدبيه (٤)

الشيخ أسد الله بن محمد إبراهيم القزويني

فاضل عارف يميل إلى الصوفيه في نقولاته [منقولاته] و له رياضات، من علماء القرن الثالث عشر، يسلك في مؤلفاته مسلك الشيخ أحمد الأحسائي و يذكره فيها بكل تبجيل و احترام.

له اشتغال بالأدعيه و الأوراد و العلوم الغريبه، و ينقل كثيرا من الختومات و الأدعيه عن شيخه ملا أبو طالب الطهراني.

له "الحججه البالغه و البراهين القاطعه" و "سر الأسرار و مبدأ الأنوار" و "الولاية المطلقه" رساله ألفها سنه ١٢٦٢، و "غرائب الأسرار و شوارق الأنوار" و "مصباح السالكين" (٥)

الميرزا أسد الله بن و مهدى الكاشان الكاشانى، شعري.

عالم متتبع ذو اطلاع جيد بالعلوم الدينيه و معرفه بالحديث و التاريخ، أديب منشئ حسن الخط جدا شاعر بالفارسيه يتخلص في شعره ب "شعري" كان يقيم بطهران ظاهرا(٤)

أسد الله المنجم الطهراني

فاضل مشتغل بالنجوم و العلوم الرياضيه، من تلامذه ميرزا خليل الطيب الذي كان أستاذا في الطب و الرياضيات بطهران و لعله من أساتذه دار الفنون، كتب المترجم له بامر أستاذه هذا رسالته في البركار [الپرگار] المترجمه عن الفرنسيه في سنه ١٣٠٨، و توفي بعد سنه ١٣٥٨(٧)

إسماعيل بن إسحاق البروجردى الحائرى

مذكور في "نقباء البشر" ص ١٥١ و نقول:

متبحر في العلوم العقلية ذو اطلاع واسع بالعقائد و المذاهب الإسلاميه و آرائها له "مشكاه العقائد"(٨)

الشيخ إسماعيل بن الحسين التائب التبريزي

ولد سنه ١٢٨٧ و درس العلوم الأدبيه و الدينيه على أساتذه في تبريز و غيرها، و أقام سنين في النجف الأشرف و كان أيام حركه المشروطه بها كما صرح بذلك في مؤلفاته، و تتلمذ بها على أساتذه لم نقف على أسمائهم تفصيلا، و قد استفاد من محضر السيد حسن الصدر الكاظمي كما كتب في بعض مؤلفاته، و لعله درس عنده شيئا من علم الرجال و الحديث بالكاظميه، كما أنه استفاد في الأخلاق و العرفان من الشيخ محمد مهدى البهاري الذي كان من تلامذه ملا حسين قلى الهمداني الأخلاقي المعروف في عصره.

كان يكتب على كتبه "الشريف الحسيني" لأنه ينسب من طرف الأم إلى الامام الحسين (ع)، و يلقب نفسه ب "ناصر الإسلام"، و يتخلص في شعره ب "التائب". و كان خطيبا يبين المسائل الشرعيه عند ما يرقى المنبر و لذا كان يعرف أيضا ب "مساله پو [مسأله گو]".

كان فاضلا عارفا له يد في العلوم و المعارف. و له مكاتبات علميه و عرفانيه مع بعض أعلام معاصريه، و كانت حجرتة في مدرسه "خيرات خان" بالمشهد الرضوى منتدى يأتيه جماعه من محبيه فتجرى فيها أحاديث علميه و أدبيه متنوعه لا تخلو من فائده و طرافه.

زادت أشعاره - و هي بالفارسيه - على ثلاثين ألف بيت، منها ثلاثه آلاف بيت في أهل البيت ع و البقيه في المعارف

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.
- ٧- السيد أحمد الحسيني.
- ٨- السيد أحمد الحسيني.

الإسلاميه و العقائد و الحكم و المواعظ و العرفان و مساجلات شعريه، و فيها أشعار هزليه يراد منها الإرشاد الأخلاقي.

توفى بمشهد الرضا فى السابع عشر من شهر ربيع الثانى ١٣٧٤ و دفن فى مقبره "باغ رضوان" مساء اليوم المذكور.

الأمير إسماعيل الحسينى الخاتون آبادى الأصبهانى

مذكور فى أعيان الشيعة ٣/٣١٣ و نقول:

له إجازة من المولى محمد تقى المجلسى و السيد أبى محمد شرف الدين على الموسوى الجزائرى و من تلامذته السيد نعمه الله الجزائرى، و قد قابل مع المولى محمد داود الطسوجى نسخه من كتاب "من لا يحضره الفقيه" فأجازة الطسوجى فى سنه ١١١٨ (١)

الشاہ إسماعيل الصفوى بن حيدر

اشاره

مرت ترجمته فى (الأعيان) ثم مر له ذكر فى المجلد الثانى من (المستدركات) ثم فى المجلد الثالث منها. و نشر هنا تفاصيل تضاف إلى ما تقدم:

الشيخ صفى الدين و طريقته

كان الشيخ صفى الدين يسمى فى مقتبل عمره (إسحاق) و هو أمين الدين جبرائيل بن صالح المنتهى نسبه إلى الامام موسى الكاظم ع.

قدم أجداد الشيخ صفى الدين إلى أردبيل منذ زمن فيروز شاه. و قد كان أهالى آذربيجان و الففقاى حتى القرنين الخامس و السادس للهجره يعتقدون الديانه المسيحيه بيت أرمن و پرجيين و نستوريين و كان بعضهم يعتقد الديانه الزرادشتيه.

و فى بدايه القرن السادس الهجرى أغارت جماعه من أكراد سنجار بقياده الأمير أدهم على آذربيجان فاستولت عليها و نشرت الإسلام فيها. و كان فيروز شاه أحد الشخصيات التى قدمت من سنجار و قد آلت إليه حكومه أردبيل بعد احتلال آذربيجان. و بعد وفاته أقام أولاده الذين كانوا يمتلكون المزارع فى أطراف مدينه أردبيل فى قريه كلخوران على بعد كيلو مترين من المدينه و انصرفوا لشئون الزراعة.

و قبل ولاده الشيخ صفى الدين ببضع سنين هجمت جماعه من أهالى كرجستان (جورجيا) على أردبيل فامعت فيها قتلا و نهبا و جرح السيد قطب الدين خلال هذه الأحداث جراحا خطيره و نهبت جميع أمواله كسائر الناس، و لكنه برىء من جروحه البليغه التى أصيب بها فى عنقه، فاهتم بالبناء و العمران مره أخرى و واصل ابنه أمين الدين جبرئيل طريق أبيه و لكن الشيخ صفى الدين كان له شان غير شان أبيه و أجداده منذ نعومه أظفاره. فقد كان معتكفا فى الدار مشتغلا فى العباده و الرياضه الروحيه ليل نهار. و ما إن بلغ الحلم حتى عزم على الخروج من عزلته لطلب المرشد الكامل، فأصر على أمه أن تأذن له ففعلت و انطلق فى سياحته

الصوفيه. و كانت سياحه تتميز بكثير من الزهد و الورع، حتى دخل شيراز فالتقى فيها بالعرفاء و ذوى المقامات الروحيه.

و كان أخوه صلاح الدين يتمتع بجاه و مقام، فى حكومه شيراز فتوسل به أن يقيم معه فى داره الواسعه، و لكن دون جدوى...

و التقى الشيخ فى شيراز بالشيخ مصلح الدين سعدى و ازداد زهدا و تقوى و ذاع صيته فى فارس فأرسل له الخواجه سيف الدين بلوك دار بعشره آلاف درهم مع ابنته و لكن الشيخ أبى.

ثم التقى الشيخ صفى الدين فى شيراز بمولانا رضى الدين المانقى، و كان الأخير يؤمن معاشه من حياكه الكرباس و بيعه بنفسه، فدرس على يده علم تفسير القرآن.

و أخذ الشيخ صفى الدين خلال إقامته فى شيراز يسيح فى الأرض و يطوف على جميع المزارات و الأماكن المقدسه الموجوده فى تلك النواحي فى الجبال و الصحارى و النقاط النائية المحاطه بالأخطار و يبيت ليله فى الصوامع و المساجد و يمارس أعمالا روحيه شاقه فتراه يصوم سبعة أيام متواليه و فى بعض الأحيان أربعه عشر يوما، لا يفطر خلالها إلا على شربه من ماء.

و طال المقام بالشيخ دون أن يجد غايته التى ساح فى الأرض من أجلها، ألا و هى المرشد الكامل. فأرشده بعض كبار المشايخ إلى الأمير عبد الله الذى كان معروفا بنسب السيادة الشريف و بزهده و تقواه و منزلته العرفانيه، فطرح الشيخ عليه الأمر و أوضح له أحواله بطريقه الدراويش فأطرق الأمير عبد الله برأسه هنيهه ثم رفع إليه رأسه و قال:

أى بنى: لن تجد بغيتك عندى، حيث لم أبلغ ما تريد...

أى بنى: لن يقدر على حل مشكلتك فى شرق الأرض و غربها أحد خلا الشيخ الزاهد الپيلانى [الگيلانى].

و ما كاد الشيخ صفى الدين يسمع باسم الشيخ الزاهد حتى داخل قلبه الأمل، فسأل عن موطنه فأخبره الأمير عبد الله بأنه فى گيلان أسپهد [أسپهد] (المقصود من گيلان أسپهد [أسپهد] هو: طولش و آستارا من بلاد گيلان).

عزم الشيخ على مغادره شيراز فودع عرفاءها و مشايخها الكبار، و من بينهم سعدى الذى استقبله و أمر أصحابه و دروايشه [دراويشه] الحاضرين فى خانقاهه أن يتبرع كل منهم بما يعين الشيخ على سفره، و لكن الشيخ أبى أن يأخذ منهم شيئا، و لما أدرك سعدى إصرار الشيخ فى رفضه قال له: أيها المرشد إذا كنت لا تقبل هذه الأشياء، فساھديك كتابى (بوستان) و قد أكملته بخط يدى، فأجابه الشيخ: إن فى قلبى من الحب الالهى ما يغينى عن مثل هذا الكتاب، إذ لا يتأتى لى الوصول به إلى الله...

و فى عودته من شيراز عرج على أردبيل فزار أمه و أقاربه ثم

ص: ٢٦

رحل منها إلى كيلان أسهبهد [أسهبهد] و أفلح في لقاء الشيخ الزاهد.

و إذا كان الشيخ قد هذب نفسه و راضها بأنواع الرياضات الروحية حتى بلغ في ذلك شأوا بعيدا، فقد أخذ بعد وصوله إلى الشيخ الزاهد يخطو نحو الحقيقه بخطوات سريعه فاحتضنه الشيخ الزاهد و عينه خليفه و نائباً عنه على الرغم من وجود أبناء مرتاضين و عارفين. ثم عمد إلى تزويجه بابنته فاطمه خاتون. و أبقاه ملازماً له في جميع الأوقات و الأحوال. و حينما كان الشيخ صفى يذهب إلى أردبيل لتفقد عائلته و أملاً-كه لم يكن الشيخ الزاهد يطبق على فراقه صبراً و في حال احتضاره لم يجر على لسانه شيء سوى ذكر الشيخ صفى.

و عند ما أحس الشيخ الزاهد في ميناء (پشتاسفى) بدنو أجله، استدعى الشيخ صفى من أردبيل، و كان آنذاك أبناًؤه و مریدوه يحيطون به و جميعهم يرغب في أن يكون قبره قريباً من مسكنه فمنهم من رجح أن يكون القبر قريباً من (پشتاسفى) و منهم من رجح (مغان) أو (دشتاوند) و ما زالوا في اختلافهم حتى حضر الشيخ صفى فاستشاره الشيخ الزاهد في الأمر، فرجح له پيلان [كيلان] إذ كان يعلم بميل أستاذه و مرشده إليها.

ثم جهز الشيخ صفى سفينه بلوازم السفر و حمل عليها شيخه و أبناءه و مریديه، و مخرت السفينه عباب البحر حتى رست إزاء (سياورود [سياه رود]) فحملوا الشيخ الزاهد إلى صومعته السابقه فحمد الله حين رآها ثم لفظ أنفاسه بين يدي الشيخ صفى.

خليفه الشيخ الزاهد

ينقل أن الشيخ صفى بعد أن بلغ مراحل بعيده من الكمال و تهذيب النفس و بعد أن حظى برعايه خاصه من الشيخ الزاهد، راح يواجه بحسد المعاندين و عدائهم لا سيما بعد أن رشحه شيخه لخلافته في تربيته الخلق و الجلوس على سجاده الإرشاد.

و كان المخالفون يرون لزوم استخلاف الشيخ الزاهد لابنه جمال الدين على فهو رجل كبير السن بلغ مراحل بعيده في الكمال و إضافه إلى ذلك فهو ابنه، بينما كان الشيخ الزاهد لا يلتفت إلى آرائهم بل دأب على العنايه بالشيخ صفى و ترشيحه لخلافته.

مزار الشيخ الزاهد

دفن الشيخ الزاهد في ساحل البحر، و لكن مزاره الآن يبعد بعض الشيء عن الساحل، و قد بنى الشيخ صفى مزاراً لقبره، و تجدد بناء هذا المزار عدة مرات على يد أبناء الشيخ صفى ثم الملوك الصفويين من بعدهم و بعد أن فرغ الشيخ صفى من دفن شيخه (1) و إقامة العزاء على روحه و تنظيم شؤون عائلته رحل إلى أردبيل مع زوجته ابنه الشيخ الزاهد (فاطمه خاتون) و أقام في قريه كلخوران.

و في ذلك الوقت كان خانقاه الصوفيه يسمى أيضا بالصومعه أو الزاويه ثم سمي بالتبنيه [بالتكليه] و لكن الاسم الأخير استخدم في زمن القاجاريين لأماكن إقامة العزاء و المراثى الحسينيه و اقتضرت تسميه محل اجتماع الدراويش على لفظ الخانقاه.

طريقه الشيخ صفى

كان كل واحد من مشايخ الصوفيه و مرشديهم يتخذ لنفسه طريقه خاصه به، و رغم توافق الطرق فى أصولها إلا- أنها كانت تختلف فى مظاهرها من مراسيم و طقوس و أساليب تربيته المريدين.

و عند ما ظهر الشيخ صفى كانت الصوفيه منقسمه إلى فرقتين كبيرتين، اشتهرت إحداهما باسم قلندر.

و كان أتباع الفرقه القلندريه يطلقون شعر رءوسهم، و يرتدون ثيابا غريبه من الجلود و يحملون مسبحه ذات ألف حبه و يتمنقون بحزام مطعم بأحجار ثمينه مثل الدر و العقيق و يمسكون بعضى من أشجار اللوز الجبلى يطلقون عليها اسم (پلاتكين).

و لم يكن القلندريون يتبعون شيئا من أحكام الشريعه و لا يتورعون عن ارتكاب المحرمات. و كان بعض الصوفيين على اختلاف طرقهم عن القلندريه يعتبرون الطريقه أمرا مغايرا للشريعه، فحالما يدخلون الطريقه يرون أنفسهم فى حل من الشريعه. و لكن الشيخ صفى كان فى طريقته مراعىا لأحكام الشريعه.

فقد كان يشترط على مريديه حالما يدخلون خانقاهه أن يتوبوا عن معاصيهم و يتعهدون بالكسب الحلال و اختيار حرفه و مهنة خاصه لهم، و الامتناع عن استجداء الناس و حتى عن قبول الهدايا و تناول الطعام فى المآدب العامه خشيه أن تكون فيها لقمه من حرام.

و على الصوفى أن يؤدى الصلوات فى أوقاتها، و يراعى جميع الأعمال المستحبه و الواجبه فى الشريعه الإسلاميه جهد الإمكان.

دور الخانقاه فى حفظ البلاد

بلغ الشيخ صفى الدين منزله كبرى بين زعماء عصره و ربما كان كافيا لبيان الكرامه و المنزله اللتين بلغهما فى نفوس زعماء البلاد أن نذكر بان الملوك من أمثال محمود غازان خان بعد إسلامه و السلطان محمد خدابنده و ابنه السلطان أبو سعيد و أمراء كبار مثل الأمير چوپان و الأمير حسن و الملك الأشرف، أن هؤلاء جميعا كانوا يتشاورون مع شيخ خانقاه الصوفيه حول المشاكل السياسيه الرئيسيه فى البلاد حيث كانوا يطلبون الهدايه من الشيخ صفى الدين و ابنه الشيخ صدر الدين موسى.

و على سبيل المثال نذكر الحادثه التاليه:

نشب خلاف بين الملك المغولى و أوزبك خان ملك سهول

ص: ٢٧

١- يقع مزار الشيخ الزاهد حاليا فى قريه تدعى باسم (شيخانه ور) و هى تقع على يمين طريق لاهيجان - لنپرود [لنگرود].

(القبجاق) المعروف بعدالته و إنصافه و إخلاصه للمسلمين و سعيه في نشر العمران و المشهور بعظمه دولته و قوتها فتحرك نحو آذربايجان و إيران على رأس جيش جرار فدخل القفقاز حتى وصل ضفاف نهر (كر).

و عند ما بلغ الخبر ملك المغول قدم على خانقاه أردبيل و التقى الشيخ فيه و طرح عليه الأمر، ثم أخبره أنه أرسل جميع قواته للتصدي لملك الأوزبك الذي قدم على رأس جيش جرار من الأتراك و المغول الكافرين و طفق يعيث في الأرض فسادا فينهب و يقتل و يحرق، فالتفت الشيخ إلى السلطان أبي سعيد و طمانه ثم بعث إلى ملك الأوزبك بأحد خلفائه المعروفين و هو المرشد عز الدين.

فأبلغه عن لسان الشيخ ما يلي:

"يقول الشيخ بانك ملك مسلم عادل فكيف ترضى بمهاجمه المسلمين بجيش من المغول الكافرين و عبده الأصنام. فاما أن تعود عن هذه البلاد بإرادتك و إما تعيدك الروح المقدسه لحضره خاتم الأنبياء محمد (ص) مرغما.

و عند ما سمع ملك الأوزبك هذا الخطاب أطرق هنيهه يتفكر، ثم رفع رأسه للمرشد عز الدين و قال له: بلغ سلامي إلى الشيخ و قل له باني ساعود بارادتي بشرط أن تكون راضيا عنى." و في اليوم التالي انسحب ملك الأوزبك عن ضفاف نهر (كر) إلى سهول القبجاق خلافا لرغبة أمراء و قاده جيشه.

و بقى المقام الرفيع للشيخ صفى الدين و نفوذه الواسع محفوظين لذريته و مشايخ الخانقاه الصفوى، بل كانا يتزايدان بمرور الزمان، و قصه الملك الأشرف الجوبانى و سقوط دولته الموروثة دليل على هذه الحقيقه، و قد تعرض لذكرها صاحب صفوه الصفافى صفحه ٣٢٥ و كذلك ذكرها مؤرخون آخرون مثل السيد السيفى القزوينى فى (لب التواريخ) و خلاصه هذه القصة هى كما يلي:

بعد أن بلغ الملك الأشرف الجوبانى سده الحكم أخذ يعامل رعيته بكل قسوه و جور، فعذب الفلاحين و المتمولين الذين جمعوا أموالهم بالتجاره و الكدح و صادر كل ما جمعوه و بلغ بظلمه و جوره حدا أن عذب العلماء و العباد و المشايخ الكبار ثم انتهى به الأمر إلى التفكير باعتقال الشيخ صدر الدين و حبسه فى إحدى القلاع لاعتراضه على سلوكه و وقوفه فى وجهه فاضطر الشيخ للهجره من أردبيل إلى پيلان [گیلان] فمكث فيها، و هاجر العديد من كبار العلماء و المشايخ إلى خارج البلاد هربا من ظلم الملك الأشرف و من بين المهاجرين بعض خلفاء الشيخ صفى الدين مثل شمس الدين حافظ السلماسى و آخرين حيث هاجروا برفقه القاضى محبى الدين البردعى إلى السهول المتاخمه للفقاز و حطوا رحالهم فى مدينه (سراى) عاصمه جاني بيك ملك السهول، و اشتغلوا فيها بالوعظ و الإرشاد. و كان الملك جاني بيك خان ملكا مسلما عادلا، فلما سمع بدخول هؤلاء الصالحين بلادده، بادر إلى حضور مجلس الوعظ الذى يقيمه القاضى فى أيام الجمعه. فتعرض القاضى خلال مجلسه لذكر المظالم التى يرتكبها الملك الأشرف بحق المسلمين و كان أسلوبه مؤثرا فاجهش الحاضرون بالبكاء و من بينهم الملك، ثم أشار إلى

الحديث الشريف (كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته...) ثم خاطب الملك قائلا إذا كان الله منح الملك العادل القدره و

المنعه فقد كلفه برفع مظالم الملك الأشرف عن رؤوس المسلمين.

فبادر الملك جاني بيك خان إلى تجهيز جيشه و بعد شهرين تحرك نحو آذربايجان فدخل أردبيل و مكث فيها بضعة أيام منتظرا موكب الشيخ صدر الدين موسى حيث كان مقررا أن يقدم إليه من بيلان [كيلان] ثم توجه إلى تبريز فهزم الملك الأشرف و أمسك به و صادر حموله أربعة مائه بعير من الذهب و الجواهر كان الملك الأشرف قد أخذها من الناس غصبا.

ثم قدم الشيخ صدر الدين من بيلان [كيلان] فعرج على مرقد الشيخ صفى الدين ثم توجه إلى معسكر الملك و كان وصوله فى اليوم الثانى من حمل الملك الأشرف إلى المعسكر و حبسه فى إحدى الخيام، فلما دخل الشيخ صدر الدين علت أصوات التهليل فى أركان المعسكر فبلغت مسامع الملك الأشرف و سال عنها فأخبروه، إنه الشيخ صدر الدين قادم بموكبه، فتأوه و تحسر ثم راح يتوسل بالشيخ أن يصفح عنه و يبكى بكاء حارا فحاول الشيخ أن يصفح عنه و يشفع له لكن كبار علماء الإسلام لم يكونوا راغبين فى الشفاعة و كان رأيهم أن يفوض الأمر إلى صاحبه، و بعد بضعة أيام من عوده الشيخ قتل الملك الأشرف فى الخامس من رجب (١).

مقدمات ظهور الصفويين

كان الشيخ صفى الدين الأردبيلى أول شخص من أفراد الأسره الصفويه يصل مقاما شامخا و يشتهر اسمه فى الآفاق.

و قد حظى الشيخ صفى بمنزله كبيره و احترام فائق فى أوساط الملوك المغول الحديثى العهد بالإسلام.

و كان الملوك المغول بعد اعتناقهم الإسلام يرون لزوم بقاء معنويات الشعب الايرانى عاليه و الحفاظ على أفكاره منسجمه فى سبيل الاحتفاظ باستقلال البلاد و للوصول إلى غايتهم هذه كانوا يهتمون بالشيخ الزاهد الكيلانى و خليفته الشيخ صفى الدين الأردبيلى، و من ثم اتبع ملوك المغول و أمراؤهم طريقه الشيخ صفى الدين.

و قد ذكرنا أن الشيخ صفى الدين كان يؤكد على أتباعه ضروره الالتزام باحكام الشريعة و الحفاظ على مظاهرها، و بذلك أخذت مبادئ الدين و الأخلاق تستعيد وجودها و ثباتها بعد أن

ص: ٢٨

تزلزلت أسسها بسبب حكم المغول و هكذا نرى أن طريقه الشيخ صفى الدين ظلت تحتل مركزا مهما بين سائر الطرق الصوفيه فلم تضحل بوفاه زعيمها كما هو حال أغلب الطرق الصوفيه الأخرى على الرغم من كثره الأعداء و المعاندين. فكان الخانقاه الصوفى بعد وفاه المرشد الأول يأخذ بأسباب الازدهار يوما بعد آخر حتى أصبح محطا للرحال آلاف الزوار الذين يقدمون إليه من أرجاء البلاد، فكانوا يبلغون من الكثره بحيث يتطلب تنبيههم إلى وقت الغداء و العشاء و دعوتهم إلى مائده الطعام بالضرب على الطبول.

و كان خانقاه الصوفيه فى عهد الشيخ صفى الدين و فى عهد ابنه صدر الدين موسى من بعده مطمحا لأنظار زعماء العالم الخارجى. فمثلا عند ما هاجم الملك جانى بيك خان ملك سهول القبجاق تبريز و قضى على حكم الملك الأشرف فيها، أقبل على الشيخ صدر الدين موسى فعامله بكل تبحيل و احترام و قال له: لقد أقبلت معاقبا للملك الأشرف لسوء أدبه تجاه حضره الشيخ.

و فى أواخر عهد الشيخ صفى الدين انتشر العديد من دعاه الصوفيه فى مختلف الأرجاء فكثير مریدو مشايخ الصوفيه فى الروم(1) و الهند و الشام و فلسطين و مصر.

و من كبار العارفين الذين اتبعوا هذه الطريقه شاه قاسم أنوار و السيد محمد نوربخش و السيد محمد المدنى الذى أسس فيما بعد الطريقه الرفاعيه التى لا تزال شائعه فى كردستان و سوريا.

خليفه صفى الدين

سافر الشيخ صدر الدين موسى بعد وفاه أبيه إلى الحج و سلك فى سفره طريق بغداد و فلسطين و لبنان ليتفقد خانقاهات و خلفاء طريقته و ليقوم بتوجيه خلفائه و إرشادهم و بعد فراغه من رحلته عاد إلى أردبيل فى موكب عظيم.

و بعد وفاه الشيخ صدر الدين موسى آل الأمر إلى نجله الشيخ الخواجه على.

و بعد انقراض سلطه الحكام المغول و ظهور الأمير تيمور لنك الپورپانى [الگوركانى]، أخذ هذا يبدى احترامه و تقديره لكبار مشايخ الصوفيه لا سيما الخانقاه الصفوى.

و حينما عزم الأمير تيمور على السير إلى الروم زار الشيخ الخواجه على تبركا بمقامه و شخصه، فاهداه الخواجه سيفا، قلده له بنفسه.

و فى عودته من انتصاره و أسره للسلطان بايزيد عرج الأمير تيمور على أردبيل و حل فيها ضيفا فى أيام رمضان على الخانقاه الصفوى، و بينما هو جالس على مائده الخانقاه ينتظر طعام الإفطار تنبه إلى امتناع الشيخ عن تناول الطعام و الشراب رغم دخول وقت الإفطار، فأدرك أن فى نفس الشيخ حاجه يتردد فى طرحها فخاطبه قائلا: إذا كانت ثمة حاجه للشيخ فليبادر إلى ذكرها لتلبى له.

فأجابته الشيخ: لقد أمر الأمير الفاتح بتهجير بعض القبائل الكبيره التى كانت مقيمه لسنين طوال فى الروم و الشام إلى تركستان، و

نحن نامل أن يطلق الأمير سراحهم ليدعوا له على كل مائده من موائدهم.

فأجابه الأمير دون تردد: لقد عفونا عن هذه القبائل الأسيره التي جلبناها من أرض الروم إكراما للخانقاه.

وقصه هذه القبائل أنها غادرت تركستان قبل قرون و توجهت إلى بلاد الشام و الروم ربما خوفا من هجوم المغول، و عند ما دخل الأمير تيمور الشام و الروم عرف بوجودهم، فغضب منهم و قال:

لقد تركوا أرض تركستان للخراب رغم أنهم أتراك و قدموا إلى هذه الأراضي ليكونوا قوه إعمار و حرب بيد أعدائنا. ثم أمر بترحيلهم إلى تركستان.

و عند ما دخل الأمير أردبيل اغتتم زعماء القبائل الفرصه و توسلوا بالشيخ الخواجه على ليتوسط لهم في إطلاق سراحهم.

و كان جواب الأمير للشيخ يتضمن إبقاء القبائل المذكوره تحت سلطه الخانقاه الصفوى لكي يدفعوا الضرائب و الزكاه الشرعيه سنويا إلى الخانقاه أينما كانوا.

و فى اليوم التالى حضر جميع زعماء القبائل و أفرادها حتى النساء و الأطفال مجلس الشيخ و دخلوا حلقه الدراويش وفقا للتعاليم المقرره. و بعد دخولهم فى الصوفيه و اطلاعهم على أسرار الخانقاه الصفوى و هى اعتناق المذهب الشيعى وجه الشيخ كل واحده من تلك القبائل إلى ولايه من ولايات الروم و ديار بكر و القفقاز للاقامه فيها.

و منذ ذلك الحين أخذت تتقاطر على الخانقاه الصفوى جماعات الناس من أقصى البلاد لتقديم الزكاه و عرض الحاجات ثم تعود أدراجها.

و كانت القبائل التى قدمت إلى آذربايجان ضمن أسرى الأمير تيمور و ثم إطلاق سراحها بتوسط الشيخ الخواجه على فدخلت فى عداد مريدى الخانقاه الصفوى هى القبائل التاليه: تکه لو و شاملو و استاجلو و القاجار و أفشار و رملو زنيه [زنگنه] و انضمت إلى هذه القبائل فى زمن الشاه إسماعيل قبيله (ذو القدر) حيث هاجرت من ديار بكر إلى إيران بعد سقوط حكومه علاء الدوله. و انضمت إلى مريدى الخانقاه الصفوى، و فى بدايه الحكم الصفوى كان اصطلاح (القرلباش) يطلق على هذه القبائل.

و فى أواخر أيام حياته سافر الشيخ الخواجه على إلى الحج

ص: ٢٩

١- المقصود [المقصود] بالروم هنا بلاد الأتراك فى الأناضول.

اقتداء بسنه أبيه و جده، ثم سافر بعد ذلك إلى بيت المقدس و حط رحاله فيه، فاقبل عليه خلفاء الخانقاه الصفوى الذين كانوا آنذاك يشتغلون فى الإرشاد فى فلسطين و سوريا و اغتتموا فرصه وجود الشيخ فنشطوا فى الدعوه إلى هذا الخانقاه.

و كان الشيخ إبراهيم ابن الشيخ الخواجه على خليفه لأبيه فى أردبيل، و لما طال فراق أبيه عزم على اتباعه إلى فلسطين التى كانت آنذاك مركزا لاقامه أكثر العارفين الكبار و مشايخ الإسلام، و من ثم سافر فى موسم الحج إلى مكه المكرمه ثم رحل إلى بيت المقدس ليلتقى أباه هناك.

و كان الشيخ الخواجه قد أحس بالضعف و الوهن و أدرك دنو أجله فاستدعى زعماء الصوفيه و خلفاءها و أبلغهم توصياته و تعليماته ثم أوكل الزعامه إلى ابنه الشيخ إبراهيم و فاضت روحه.

الشيخ إبراهيم:

- و بعد وفاه الشيخ الخواجه على عزم ابنه الشيخ إبراهيم الذى لقبه الصوفيون بالشيخ الملك على مغادره بيت المقدس و العوده إلى أردبيل.

و فى عهد الشيخ إبراهيم ازدادت مكانه الخانقاه الصفوى عظمه و هيئه، و أرسل دعاه الصفويه إلى أنحاء العالم، حتى أضحى مقر الشيخ قبله لأعيان المسلمين و علمائهم، و بلغ نفوذ الشيخ حدا بعيدا فكان الملوك يستقبلون رسائله بكل احترام و تقدير و ينفذون طلباته.

و فى هذا العهد ازدادت مساحه الخانقاه ازديادا كبيرا، و كانت موائد الطعام تستقبل يوميا آلاف الزائرين الذين يقبلون على أردبيل من مختلف البلدان.

الشيخ جنيد:

- و بعد وفاه الشيخ إبراهيم فى عام (٨٥١هـ) خلفه ابنه السلطان جنيد. و كان إقبال المريدين و الصوفيين على الخانقاه يزداد فى عهده يوما بعد آخر، فخشى الملك الميرزا جهان شاه قراقويونلو من نفوذ الخانقاه و تعاضمه، فاخذ يبعث برجاله إلى السلطان جنيد ليصرحوا تاره و يلمحوا تاره أخرى بان خروجه من مملكه جهان شاه سيعود عليه بالنفع و المصلحه.

و أدرك الشيخ جنيد حقيقه الأمر فرحل إلى ديار بكر بجماعه من خلفائه و دعائه، و أخذ مريدو الصفويه و الصوفيون يلتحقون بركبه زرافات و وحدانا، و رأى الشيخ أن يسير للكفاح فى طرابوزان و كان ملكها معرضا لهجوم العثمانيين فصالحه على مبلغ من المال.

و كان الأمير حسن الآق قويونلو آنذاك حاكما على جزء من ديار بكر و ممتنعا عن طاعه جهان شاه، فكان بين الطرفين عدااء مستمر. فلما سمع بقدوم موكب الشيخ جنيد عد ذلك من علامات الفتح و حسن الحظ فسار لاستقباله بنفسه و أسكنه فى قصره معززا مكرما و أسكن مرافقيه فى منازل مناسبه.

و أخذ الأمير حسن يتردد على الشيخ يومياً فزادت أواصر العلاقة فيما بينهما قوه، و زوج الأمير أخته خديجه بييم [بيگم] من الشيخ جنيد فتحول الانسجام بينهما إلى اتحاد إذ أمر الشيخ جميع أتباعه في ديار بكر بمساعدة الأمير حسن و أن يوالوا أولياءه و يعادوا أعداءه، ثم استاذن الأمير في مغادره ديار بكر و عاد إلى أردبيل.

و ألفت عوده الشيخ إلى أردبيل الرعب في قلب الملك جهان شاه، حيث كان استحكام الصله بين السلطان جنيد و الأمير حسن مدعاه لاثاره سوء الظن في نفسه. فاخذ يفكر في التخلص منه باى وسيله كانت، حتى و لو استدعى الأمر إرسال قوه إلى الخانقاه و مقاتله الشيخ فيه، و لكن أعيان الدوله نصحوا جهان شاه بالانصراف عن فكره محاربه الشيخ، لمنزلته في نفوس الناس و لما ستحدثه من عار كبير على الملك، و اقترحوا عليه إرساله إلى حدود بلاد الشركس للجهاد فيها، و بذلك ينشغل الصوفيون بعمل يناسب رغبتهم و يتوافق مع أفكارهم.

و اضطر الشيخ إلى مغادره أردبيل و التوجه إلى جبال القفقاز على رأس جماعه كبيره من أتباعه و مريديه للجهاد في تلك النواحي، و في أثناء ذلك كتب جهان شاه إلى السلطان خليل ملك شيروان بان الشيخ سيضطر لعبور أراضي شيروان في طريقه إلى بلاد الشركس، و سيكون في ذلك فرصه مؤاتيه للاحاطه به في غابات شيروان و إبادته بمن معه، و بذلك يتخلص منه.

و استجاب له لأوامر جهان شاه بعث السلطان خليل شيروان شاه بعده آلاف من خيره قواته فأحاطت بمعسكر الصوفيين و دارت بين الطرفين معركة طاحنه أبدى خلالها الصوفيون شجاعه فائقه و تضحيات كبيره للدفاع عن شيخهم و مرشدهم و كان التباين كبيراً بين القوتين فاحيط بالشيخ جنيد من كل جانب و توالى عليه السيوف و الرماح و السهام حتى سقط قتيلاً و كانت هذه الحادثه في عام ٥٨٦٠هـ.

و بعد أن اتصلت أسباب الموده و الاتحاد بين الأمير حسن و الصفويه و أعلن إرادته تجاه الخانقاه الصوفى أخذ الصوفيون يلتفون حوله و يظهرون استعدادهم للتضحية من أجله، فتشكلت لديه بذلك قوه كبيره استطاع بها دخول الحرب مع جهان شاه و إلحاق الهزيمة به فقتله و استولى على مناطق حكمه جميعها.

و بعد استتباب الأمر للأمير حسن في حكم غربى إيران عزم السلطان أبو سعيد پورپان [گوركان] الذى كان يمتلك قوه كبيره على انتزاع ممالك جهان شاه من قبضه الأمير حسن فسار إليه على رأس جيش تراوح عدده بين ستين ألف و مائه ألف مقاتل.

و هاجم آذربايجان فتصدى له الأمير حسن بالمقاتلين الصوفيين و أتباع الصفويه فهزم جيش (أبو سعيد) الجرار و قتل الملك المذكور في المعركة.

و قد ساهمت الانتصارات التى أحرزها الأمير حسن في ترسيخ

مكانه العائله الصفويه فى نفوس الناس فكثر مؤيدوها و بادر الملوڪ و الزعماء إلى مد يد الإراده إلى مشايخ هذه العائله.

الشيخ حيدر:

خلف السلطان جنيد ابنه السلطان حيدر ابن أخت الأمير حسن و هو لا- يزال صبيا لم يبلغ الحلم، و بعد أن بسط الأمير حسن سلطته على آذربيجان اهتم برعايه ابن أخته و المقيمين فى خانقاه الصفوى، حتى بلغ السلطان حيدر سن البلوغ فزوجه من ابنته (حليمه بيكى آغا) المشهوره باسم (علم شاه بييم [بيگم]) و بذلك توثقت الصله بين العائلتين أكثر.

و فى أيام السلطان حيدر ازدهر خانقاه ازدهارا كبيرا، و قد أمر بوضع علامه خاصه لمريدى خانقاه بارتداء القبعه الحمراء علامه لاتباع خانقاه الصفوى.

و كان لظهور هذه القبعه هيبه بين الناس، و كان مسير جماعات من مرتدى هذا النوع من القبعات فى أوساط الناس يبرز قوه خانقاه و مكانته.

و استمرت العلاقه الوديه بين السلطان حيدر و الأمير حسن على أفضل حالها طوال حياه الأخير، فالشيخ حيدر ابن أخته و صهره، و لكن بعد وفاه الأمير حسن و وصول ابنه السلطان خليل و من بعده ابنه الآخر السلطان يعقوب أخذت أواصر الموده تضعف بين الطرفين و شاب العلاقات سوء الظن إثر دسائس المغرضين، و بلغ سوء الظن بين السلطان حيدر و السلطان يعقوب غايته، ففضل الأول الخروج إلى بلاد الشركس، و من ثم أمر جميع مريديه بالتجمع و السير نحو داغستان، ثم سلك فى سيره نفس طريق أبيه و بلغ الخبر السلطان يعقوب فكتب إلى ملك شيروان أن السلطان حيدر تحرك بقواته نحو الشركس و هو يبطن الثار منكم لأبيه فإذا كنتم عازمين على التصدى له فابلغونا لنبعث لكم من تبريز بالمدد الكافى لنتمكن معا من استئصال وجود القزلباش.

و من الطبيعى أن ملك شيروان اغتتم فرصه عرض السلطان يعقوب فبعث إليه يستمده العون، ثم أمر قواته بسد الممرات و المعابر المعروفه فى شيروان.

و قدم السلطان حيدر إلى حدود مدينه دربند على رأس سبعة آلاف من الصوفيين، و عزم على احتلال قلعه (باب الأبواب) و أوشك أن يفلح فى احتلالها... لو لا أن قوات السلطان يعقوب بقياده سليمان أوغلى التى يبلغ تعدادها أربعة آلاف فارس فاجأته من الخلف، فانصرف عن احتلال القلعه و توجه لقتال العدو الجديد و شارك بنفسه فى القتال الذى نشب بضراوه بين الجانبين، ثم هجم على قائد جيش العدو فتصدت له رشقه من النبال أصابته واحده منها فى حلقه فصرعته. و انصرف الصوفيون عن القتال بعد مقتل السلطان حيدر، و دفنوا جثته تحت جناح الظلام فى مكان سرى خشيه وقوعه بايدى العدو، و بعد إحدى و عشرين سنه نقله ابنه الشاه إسماعيل إلى أردبيل حيث دفن فيها مع أجداده.

و كانت وفاه السلطان حيدر فى عام ١٨٩٣هـ.

و كان للسلطان حيدر أربعة بنين من زوجته علم شاه بييم [بيگم] ابنه الأمير حسن، كان السلطان على أكبرهم فخلف أباه و لقبه الصوفيون باسم السلطان على شاه، و تصدى للاشراف على خانقاه أردبيل و باشر نشاطاته من جديد، فبايعه جميع مريدى الأسره

الصفويه، و أخذت قوافل الزوار تتوافد عليه فعظمت مكانته و قويت شوكته.

و كان الملك يعقوب فى خوف متصل من ازدهار الخانقاه الصوفى و تعاظم أمره، فبعث بجيش إلى أردبيل أمره بالقبض على جميع أولاد الشيخ حيدر و حملهم إلى بلاد فارس لحبسهم هناك فى قلعه إصطخر ليكونوا فيها تحت نظر حاكمها منصور بيك، و أوصى بمنع تردد الصوفيين على أطراف القلعه المذكوره.

و حمل أولاد الشيخ حيدر الأربعة إلى القلعه و هم السلطان على شاه و الميرزا إسماعيل و الميرزا إبراهيم و الميرزا سليمان، مخلفين وراءهم أمهم علم شاه بييم [بيگم] و ابنتها برى خانم و حورى خانم. و كانت حادثه اعتقال أبناء شيخ الصوفيين فى قلعه إصطخر فى عام ١٨٩٤هـ.

و على غرار سائر أفراد القبيله البايندريره (الآق قويونلو) كان منصور بيك برناك يرى لأمر المؤمنين على (ع) و أهل البيت منزله خاصه، و إضافه إلى ذلك كان يتبع الطريقه الصفويه، و لذلك حينما قدم أبناء الشيخ حيدر إلى قلعه رحب بهم غاية الترحيب و واطب على خدمتهم و رعايتهم ليل نهار.

و استمرت فتره اعتقال الأمراء الأربعة فى قلعه إصطخر أربع سنين، و فى السنه الرابعه سار الملك يعقوب إلى حدود قراباغ فى القفقاز أثناء فصل الشتاء فمرض هناك و فارق الحياه.

و بعد وفاته انقسم التركمان إلى فرقتين، و ققت إحداهما إلى جانب أخيه المسيح ميرزا و وقفت الأخرى إلى جانب ابنه بايسنقر ميرزا، و دارت بين الفرقتين حرب ضروس قتل خلالها المسيح ميرزا فاستولى على الحكم بايسنقر.

و فى بدايه حكمه أمر بايسنقر بإلقاء القبض على الميرزا رستم حفيد الأمير حسن و ابن الميرزا مقصود و حبسه فى قلعه النجق تحت إشراف السيد على كوتوال.

و لم يمض على حكم الملك بايسنقر وقت طويل حتى أقنع أحد أمراء التركمان السيد على كوتوال بإطلاق سراح الميرزا رستم، و عين ملكا حال خروجه و أخذ أنصار المسيح ميرزا يلتفون حوله فتوجه على رأس جيشه إلى مدينه تبريز فبلغ حدود أرس، و خرج الميرزا بايسنقر لاستقبال خصمه فشاهد قواته فى مرند

يتفرقون عنه أفواجا و يلتحقون بجيش رستم، فأدرك خطوره وضعه و اضطر إلى ترك سلطانه و توجه بعدد قليل من خدمه إلى شيروان حيث كان بايسنقر ابن أخت ملك شيروان.

و دخل رستم تبريز و تربع على عرشها، إلا أن ملك شيروان جمع قواته و سار إلى تبريز منتصرا لابن أخته بايسنقر.

و استشار رستم رجاله في الأمر، فأشاروا عليه باستغلال نفوذ أبناء شيخ الصفييين و الاستعانه بهم على دفع العدو، فأرسل وفدا إليهم في حبسهم فاخرجوا من قلعه إصطخر معززين مكرمين و خرج رستم لاستقبالهم و طلب من السلطان على شاه أن يستمر في نشاطه و سمح لأتباعه بزيارته بعد أن حرموا منها فتره طويله.

و أرسل السلطان على شاه دعواته لاحضار مريديه و أتباعه من ولايات الروم و الشام و في أثناء ذلك تواترت الأخبار حول تحرك قوات ملك شيروان و بايسنقر، فعين الميرزا رستم السلطان على شاه قائدا أعلى لقواته و عين لمساعدته أحد كبار أمرائه. و تشكل الجيش من الصوفيه الصفويه و التركمان البائديريه.

و التقى الطرفان عند نهر (كر) فعسكرا على ضفتيه، و مكثوا بإزاء بعضهما دون قتال. ثم عاد بايسنقر ميرزا إلى شيروان و عاد سلطان على شاه إلى تبريز، و في غضون ذلك تمرد على الميرزا رستم أحد أمراء السلالة البائديريه (كوسه حاجي) الذي كان آنذاك حاكما على أصفهان، فخطب باسم بايسنقر و ضرب النقد باسمه.

و كان لهذه الحادته تأثير كبير في تشجيع بايسنقر، فعاد إلى تبريز مره أخرى على رأس جيش كبير و أعاد رستم تعيين سلطان على على رأس قواته و وقعت بين الطرفين معركة طاحنه، هزم فيها جيش بايسنقر و قتل هو فيها.

ازداد تكريم الميرزا رستم لسلطان على و إخوانه و عائلته بعد هذا الفتح و بعث بهم إلى أردبيل فعاد نشاطهم هناك و أخذت جماعات المريدين تتوافد عليهم من كل مكان، فكانت أردبيل تزدهم بهم في كل يوم. فاخذ الحساد يحذرون الميرزا رستم من خطر الأسره الصفويه، فخاف من تعاضم شأنهم كما هو حال أسلافه و بعد استشاره ذوى الرأي استقر رأيه على جلب السلطان على شاه و إخوانه إلى تبريز ليكونوا تحت إشرافه المباشر.

و قدم سلطان على شاه و إخوانه من أردبيل إلى تبريز و عسكر السلطان خارج المدينه، ثم أدرك بعد أيام أن الميرزا رستم وضع العيون حول معسكره رغم إظهاره الموده، فاستوضح الأمر فعلم أن رستم يريد منع تردد الصوفيين على المعسكر فاستجاب سلطان على لطلب الملك، و لكنه علم بعد أيام من بعض أصحابه المندسين في حاشيه الملك أنه عازم على إلقاء القبض على جميع أبناء السلطان حيدر و إبادتهم ففر تحت جنح الظلام بسبعمائته شخص من مريديه نحو أردبيل و أبلغت الميرزا رستم الخبر عيون المندسه حوالى المعسكر الصفوى فوجه أربعة آلاف من خيره مقاتليه لتعقب الهاربين و التقى الطرفان في حدود قلعه شماسى بالقرب من أردبيل و دارت معركة ضاربه بينهما فاقترح بعض ذوى الرأي على السلطان على شاه أن يهرب من أرض المعركة و يشاغل أتباعه العدو حتى يصل و إخوانه إلى مكان أمين، و لكنه رفض و أصر على رفضه قائلا: ساكون الشهيد الثالث بعد جدى و أبى و دون قتلى لن تسطع أنوار أخى (و أشار إلى أخيه إسماعيل). ثم استدعى ثلاثه من كبار خلفاء الخانقاه و هم: حسين بيك شاملو و خادم بيك طالش و عبدل بيك ذو القدر الملقب ب (دده بيك) و خاطبهم بقوله: ستسطع قريبا أنوار دوله

أخى هذا حتى تبلغ عنان السماء و تشمل عدالته العالمين، و إنى أنيط بكم خدمته فهو خليفتي من بعدى و الوريث الحق للشيخ صفى الدين. ثم خلع عن رأسه تاج الإرشاد و توج به رأس أخيه الميرزا إسماعيل، و أفضى إليه بالأسرار التى يفضى بها شيوخ السلف لشيوخ الخلف. و هكذا أنيطت بهذا الصبى الذكى مهمه الشيوخ الكبار العارفين، و أخذ على عاتقه مسئوليه ثقيله.

و انطلق سلطان على شاه بعد فراغه من أداء وصيته إلى ساحه المعركه فاستشهد فيها.

و تفرق أتباعه و مريدوه الحاضرون معه أرض المعركه، بعد مقتله، و لكن حسين بيك و خادم بيك - اللذين أصبحا فيما بعد يشغلون منصب خليفه الخلفاء فى الخانقاه الصفوى - حملا نعش الشهيد إلى أردبيل و دفناه فى جوار أجداده، و كانت هذه الحادثه فى عام ٩٠٠ للهجره أى بعد سبع سنوات من مقتل السلطان حيدر.

فتره الهجره

حمل مريدو الصفويه الميرزا إسماعيل و أخويه إلى أردبيل بعد مقتل أخيه، و أخذوا ينلقونهم [ينقلونهم] من بيت إلى آخر خلسه كل بضعه أيام، فى حين كان رجال الدوله البائندريه يتابعون بحثهم عنهم و تقصيههم لآثارهم، حتى بلغ بهم الأمر إثر إلحاح الميرزا رستم فى أوامره إلى تفتيش بيوت أردبيل بيتا بعد آخر.

و بعد أربعين يوما من اشتداد الضغط و استمرار التفتيش.

اجتمع شيوخ الخانقاه الصفوى لدى علم شاه بييم [بيگم] و استاذنوها بنقل أبنائها من أردبيل إلى ولايه پيلان [گیلان]، حيث كان أكثر أهل پيلان [گیلان] و مازندران من الشيعه و من اتباع الخانقاه الصفوى.

و استجابت علم شاه بييم [بيگم] لطلبهم رغم صعوبه الفراق عليها، فتوجه الثلاثه المار ذكرهم بالميرزا إسماعيل و أخويه إلى پيلان [گیلان] تحت جنح الظلام برفقه مائتين من كبار شيوخ الصفويه، فدخلوا رشت و استقبلهم واليها الأمير إسحاق و قدم لهم أنواع الخدمات و مظاهر الاحترام و التعظيم.

و تذكر التواريخ العثمانية أن الميرزا رستم بعث إلى رشت بوفد لمطالبه الأمير إسحاق بتسليم أبناء السلطان حيدر، فأنكر الوالى وجودهم فى الوقت الذى كانوا موجودين فى ولايته.

و عاد الوفد بخفى حنين فبعث الميرزا رستم ثانياه بوفد إلى رشت يتشكل هذه المره من قضاه تبريز و مفتيها بالاضافه إلى أعضاء الوفد الأول و طلب من الأمير إسحاق أن يسلم أبناء الشيخ حيدر و إن أنكر وجودهم فليقسم بحضور العلماء و القضاء على عدم وجودهم فى ولايته و إلا فلينتظر هجوم جيش الآق قويونلو و القضاء على ملكه.

و دبر الأمير إسحاق و أرباب الرأى من حاشيته أمرا للتخلص من هذه الورطه، فوضعوا أبناء الشيخ فى سلال و علقوها فى أشجار الغابه حيث لا يراها أحد، ثم أقسم الأمير بحضور العلماء و القضاء أن لا وجود لأبناء السلطان و لا سكن لهم على أى بقعه من أرض ولايته.

و بعد انقضاء فتره من الزمن غادر الميرزا إسماعيل مدينه رشت متوجها إلى حدود (لشته نشا) فدخل لاهيجان و كان عليها كار كيا ميرزا على و هو من أحفاد الامام الحسن المجتبى (ع) فاستقبل الميرزا إسماعيل بالترحيب و عامله بالتكريم و الاحترام.

و طالت الإقامة بالميرزا إسماعيل فى لاهيجان و كان خلفاء الصوفيه و أعيانها عاكفين على تربيته و تعليمه، و قرروا منع تراحم قوافل مريدى الصوفيه على شيخهم فحددوا عدد الزائرين بثمانيه عشر شخصا فإذا عاد هذا العدد إلى نهر كرپان [گرگان] سمح لمثلهم بالدخول إلى لاهيجان و زياره شيخ الصوفيه فيها، و أرادوا بتنظيمهم هذا الحيلوله دون إزعاج أولى الأمر فى لاهيجان و قطع الطريق على الحساد فيها لثلا تسوء العلاقه الوديه التى تربط الميرزا إسماعيل بكار كيا ميرزا على.

و كانت ولاده الميرزا إسماعيل فى ٢٥ رجب سنه ٨٩٢ هـ.

و قد برزت عليه آثار الذكاء و الفهم و الفراسه منذ نعومه أظفاره و توسم شيوخ الخانقاه الصفوى فيه الخير، و كان عموم أتباع الخانقاه و مريديه يرون عزتهم و قوه شوكتهم بوجوده و من ثم كانوا يسمونه - و هو إذ ذاك صبى لم يبلغ الحلم بحضره الملك إسماعيل ابن الشيخ أو الشيخ الملك، و يرون فيه بكل صدق و إخلاص المرشد الكامل لفرقتهم.

و يذكر صاحب (تاريخ جهان آرا) أنه فى بدايه قدوم أبناء الشيخ حيدر إلى لاهيجان توالى وفود الملك رستم على پيلان [گیلان] مطالبه باستعادتهم، و فى كل مره كان كار كيا ميرزا على يعتذر باعذار حكيمه فتعود الوفود خاليه الوفاض.

و اشتغل فى لاهيجان مولانا شمس الدين اللاهيجى بتعليم أبناء الشيخ حيدر قراءه القرآن الكريم و مقدمات اللغه العربيه، بينما درسهم نجم پيلانى [الگیلانى] - الذى لقب فيما بعد بالأمر نجم و شغل منصب الوزاره فى عهد الشاه إسماعيل - مقدمات الرياضيات و علم النجوم و الحكمه.

استمرت إقامه إسماعيل فى پيلان [گیلان] ست سنوات و نصف، و أمضى أكثر أوقاته فى السنيتين الأخيرتين منها فى الصيد الذى كان يعد نوعا من السياحه و السفر.

و فى عام ٩٠٦ هـ وقعت الحرب بين الميرزا مراد ابن الملك يعقوب و الميرزا الوند بن الميرزا يعقوب بن الملك حسن و انتهت

بتقسيم العراق و الولايات الغربيه من إيران بينهما.

و لم يطق الميرزا إسماعيل الاستمرار فى عزلته و أخذ يفكر بالشروع فى فتوحاته، و كان معتادا على استشاره كاركيا ميرزا على و أخيه كاركيا ميرزا حسن و مداوله الأمور فيما بينهم. فطرح عليهما ما يدور فى ذهنه و استاذن كاركيا ميرزا على فى الخروج إلا أنه و إخوانه و حاشيته لم يرجحوا له فكره الخروج لصغر سنه و طلبوا إليه أن يصبر بعض الوقت.

و استجاب الميرزا إسماعيل لطلبهم و مكث فى لاهيجان فتره أخرى، و ذات يوم التقى كاركيا مره أخرى و سأل: هل ترى فى شخصى خليفه لخانقاه الشيخ صفى الدين؟ فأجابه كاركيا: نعم، فقال له: إنى أرى بالإلهام الغيبى أنى مكلف بالخروج و قد عزمت على الخروج عزما قاطعا. و لم يحر كاركيا و حاشيته جوابا و أظرقوا برءوسهم و جهزوه بما يلزم لخدمته و سفره، و ترصد أهل النجوم ساعه سعد لخروجه من لاهيجان.

و خرج حاكم لاهيجان و جميع أفراد عائلته و أركان دولته مشيعين للميرزا إسماعيل فى سفره لعدده فراسخ و مودعيه بالدعاء.

بدايه الثورة و الفتوحات

غادر إسماعيل لاهيجان متوجها إلى طارم و منها إلى خلخال ثم أردبيل، و لكن حاكم أردبيل سلطان على اكرلو رفض دخوله إلى أردبيل و طلب منه الانتقال إلى مدينه أخرى، و لم يكن إسماعيل يمتلك حينها قوه كافيه للوقوف بوجه حاكم أردبيل ففضل الانسحاب إلى طالش و أمضى فصل الشتاء فى حدود آستارا و تكفل زعماء طالش و قبائلها باستضافته و الوقوف على خدمته.

و مع حلول الربيع توجه ثانيه إلى أردبيل فدخلها و توجه لزياره مرقد الشيخ صفى الدين و مزارات آباءه و انصرف هناك إلى الدعاء و استدرا البركات حتى أدرك استجابته دعائه فأسرع لزياره أمه.

و لم تكن إقامته فى أردبيل أمرا يسيرا حيث استولى على بيك اكرلو على هذه الولاية بالقوه و عاضده فى ذلك الميرزا محمد طالش، و لم تكن قوه الصفويين المحدوده قادره للتصدى لقوات

العدو، فاستدعى إسماعيل أعيان الصوفيه مثل: عبدى بيك و حسين بيك لله و خادم بيك و دده بيك و غيرهم و أبلغهم بان الإقامه فى أردبيل بعيدة عن السداد و سالهم عن الجبهه التى يرونها للمسير فأبدى كل منهم رأيه، و فكر إسماعيل مليا ثم أبلغهم بان الطريق الأنسب هو الهجوم على برجستان [گرجستان] لرفع رايه الجهاد هناك، فباشر الحاضرون بإبلاغ الصوفيين المنتشرين فى النواحي القريبه و أكناف العراق و آذربايجان بعزم الشاه إسماعيل. و تعذرت الإقامه فى أردبيل على مرشد الصوفيه و أتباعه فتوجه إلى قراداغ و (كوبه دنپيز) لانتظار قواته هناك.

و كان السلطان حسين البارانى قد استولى على هذه الولايه فبعث إلى الشاه إسماعيل بأنه سيدخل فى خدمته و طاعته حالما يرفع راياته و يتوجه إليه.

و السلطان حسين هو أحد أحفاد جهان شاه قراقويونلو و كان يرى فى سلطان آذربايجان حقا شرعيا له، و كان النفاق و الخلاف بين أمراء البايندريره ينخران فى هذه السلالة فاغتم السلطان حسين الفرصه و وطد العزم على حشد المؤيدين و الأنصار من حوله و إزاله المعارضين عن طريقه لتتأتى له سبل القوه و المنعه و ليتمكن من استرجاع حقه الشرعى السليب.

و كان أعيان الصفويه واقفين على نوايا السلطان حسين فرجحوا للشاه إسماعيل الامتناع عن تلبيه دعوته و البقاء بعسكره حيث هو.

و ما إن بلغ السلطان حسين الخبر حتى أقبل بجماعه من رجاله و أظهر آيات الاحترام و التبجيل و أكد للشاه إسماعيل بأنه إذا ما حل ضيفا عليه فسيعود مجد القره قويونلو إلى سابق عهده.

و رأى الشاه إسماعيل المصلحه فى تلبيه الدعوه فتوجه إلى حيث يعسكر السلطان بقواته و طلب بقاء معسكر الصفويين مستقلا، ليتسنى للقوات التى تتقاتر فى حضورها و التحاقها بعسكره اللقاء به و تقديم فروض الطاعه و المراسيم التى تقتضيها الأعراف الصفويه.

و تجدر الإشاره هنا إلى أن الكثره فى القره قويونلو من أتباع المذهب السننى. على أن فيهم جمهره من الشيعه بينما كان الآق قويونلو بصوره عامه من أتباع المذهب الشيعى على عكس ما توهمناه فيما ذكرناه فى ترجمه الشاه إسماعيل فى مجلد سابق من المستدركات و كان تشيعهم كتشيع قبيله ذو القدر و قبيله القرامان.

و كانت قبيله ذو القدر مسيطره على ديار بكر بينما كان القرامان يسيطرون على بعض الأناضول مثل قونيه و غيرها و لكنهم هزموا على أيدي العثمانيين، و لم يكن القرامان و ذو القدر و الآق قويونلو متعصبين فى تشيعهم، فمثلا كانوا فى تبريز يحتكمون فى قضاياهم حسب متطلبات العصر إلى قضاه الحنفيه رغم كونهم و ملكهم و رجال دولتهم يرون أنفسهم من أتباع المذهب الشيعى.

و مع استحكام الأواصر بين أمير الآق قويونلو حسن و السلطان جنيد، انضم عدد من أقوام الآق قويونلو إلى سلك مريدى الصفويه، و من ثم ازداد تمسكهم بالمذهب الشيعى رسوخا.

و قد ذكرنا آنفا أن حسن شاه قضى على حكم جهان شاه قراقويونلو، و أكثر جنود الأمير حسن هم من مريدى العائله الصفويه و

من ثم فمن المستبعد جدا أن تمد عائله جهان شاه أواصر الموده و المحبه، و لذلك كان الشاه إسماعيل و أتباعه من ذوى الفطنه ينظرون إلى دعوه البارانى و تظاهره بالموده بكثير من الشك و الريبه.

و على أى حال مكث عسكر الصوفيين فى جوار عسكر حسين البارانى لبضعه أيام، أظهر الأخير خلالها آيات المحبه و قدم مستلزمات الضيافه، ثم اطلع ذوو الحيطه و الحذر بان البارانى يحيك مؤامره فى الخفاء تفوح منها رائحه الغدر و الخيانه.

و زاد هذا الخبر من حذر الصوفيين فعزموا على الانفصال عن معسكر مضيفهم و الابتعاد عنه بأسرع وقت، و أخذ أعيان العسكر الصفوى يهيئون الأسباب لذلك، فاستدعى السلطان بعضهم و قال لهم بان رحيل الشاه إسماعيل مخالف للعقل و المصلحه و الأخرى به أن يمد يد الاتحاد لتتمكن معا من القضاء على المعاندين و المعارضين و فرض الاستقرار على أوضاع البلاد ثم أبدى استعداداه لعقد أى اتفاق يرتضيه الشاه إسماعيل.

و أبلغ الصوفيون السلطان حسين بان شيخهم لن يتمكن من المكث أكثر، و أدرك السلطان أنهم عازمون على الرحيل فطلب إليهم أن يحضر شيخ الصوفيه مادبه يقيمها لتوديعه.

و فى اليوم التالى تمارض الشاه إسماعيل و أبقى معه حسين بيك و أرسل بعبدى بيك و خادم بيك و عدد آخر من أعيان الصوفيه للاعتذار من السلطان حسين، و صدق السلطان مرض الشاه إسماعيل.

و عند ما خيم الليل أخذ عبدى بيك و خادم بيك و أصحابهما يعدون العده للرحيل، فاضيت مشاعل كثيره فى أنحاء المعسكر و حملت الإبل و البغال و لم يكذ ينتصف الليل حتى انطلق الشاه إسماعيل نحو (نخجوان) و (خور سعد) فى ألف و خمسمائه رجل من أصحابه.

و حينما رأى السلطان حسين و أتباعه كثره المشاعل فى معسكر الشاه إسماعيل تيقنوا من مرضه و حسبوا أنه لن يقدر على التحرك بعسكره فى تلك الليله و لكن ما إن أشرقت الشمس حتى أسقط فى أيديهم و أدركوا أن فريستهم قد أفلحت فى الافلات من

قبضتهم، و فكروا فى تعقب آثارهم ثم انصرفوا عن ذلك.

و حط الصوفيون رحالهم فى (بخور سعد) و مكثوا فيها ينتظرون قدوم القوات التى كانت تلتحق بهم تباعا دون ما انقطاع.

و فى تلك الأيام حيث كانت جماعات أتباع الصوفيه و مریدیها يتقاطرون على موكب الشاه إسماعيل و ينضمون إليه وقعت حادثه، يمكن اعتبارها بدایه حروب القزلباش و فتوحاتهم و انتصاراتهم. فقد كان أحد زعماء الصوفيه الروم و اسمه قراجه داغ الیاس قادمًا فى جماعه من أتباعه لزياره الشاه إسماعيل فوصل منطقه تدعى (شوره پل [گل]) بالقرب من إیروان، فقرر أن یمضى و أصحابه ليلتهم بالقرب من قلعه (منتشا بهادر).

و كان منتشا بهادر قد أحكم قلعه و يزعم أنه يقوم بالحفاظ على أمن الطريق و تأمين سلامه القوافل القادمه. فما كاد رصد القلعه يشاهد وصول قافله الصوفيين حتى أبلغ بهادر الخبر، فبادر هذا لاستقبالهم و أظهر احترامه لهم و تصوفه و قال لهم: محال أن أرضى بنزول جماعه من الدراويش الأطهار بالقرب من قلعتى و لا أتشرف باستضافتهم.

و قد تمكن بهادر من خداعهم و أدخلهم قلعه ثم وزعهم على المنازل فجعل كل مجموعه منهم فى منزل و أدخل الصوفيون إلى الراحة. فجمع مضيفهم الغدار أصحابه و دفع إليهم بالسلاح ثم هجم على ضيوفه فجردهم فى ظلمه الليل من كل متاعهم و طردهم خارج القلعه.

و بعد جهد جهيد أوصل الیاس نفسه و أصحابه إلى معسكر الشاه إسماعيل و أبلغه خيانه بهادر، فاستشاط الشاه إسماعيل غضبا و عزم على السير إليه بنفسه فانتدب خيره فرسان القزلباش لهذه المهمه و انطلق نحو قلعه بهادر.

و بلغ بهادر خبر الهجوم فأدرك ضعفه و عجزه عن المقاومه، و من ثم استخلف على القلعه بعض أصحابه و خرج إلى (شوره پل [گل]) لعله يجد من حاكمها مددا.

و كانت الحروب و الاضطرابات الداخليه القائمه آنذاك قد شغلت كل حاكم و أمير بنفسه فانصرفوا جميعا للحفاظ على مناطق نفوذهم دون التفكير فى نصره غيرهم.

و لم يبادر أبطال الصوفيه إلى فتح القلعه بل هاجموا جميع القرى المحيطه بها و التى كانت تسكنها قبيله (منتشا بهادر) فنهبوا و قتلوا من قاوم من أهلها و اشتدت قساوتهم فى الفتك بهم، و هرب الكثير من أهل هذه القرى إلى الصحارى و بينما كان الصوفيون فى طريق عودتهم إلى مواقعهم التقوا بهؤلاء الهاريين فاعلموا السيف ببعضهم و أسروا آخرين ثم أطلقوا سراحهم بعد أن أخذوا منهم الفديه. و مع حلول الصيف رحل الشاه إسماعيل إلى مصيف أرزنجان و توقف فى ربوعه شهرين توافد عليه خلالهما العديد من الأتباع و المریدين حتى بلغ عدد جيشه خمسه آلاف شخص، و انضم بعضهم بأهله و بعشيرته إلى المعسكر و منهم عبدى بيك من قبيله شاملو فقد انضم بخمسائه من أبطال عشيرته و الشخص الآخر هو خان محمد استاجلو الذى أصبح فيما بعد حاكم ديار بكر و هو من أشجع القاده و أعلمهم.

و من بين القاده الآخرين الذين التحقوا فى تلك الأيام بموكب الشاه إسماعيل بيرام بيك القرامانى و هو أحد أمراء القرامان و

من الأشخاص الذين رفضوا الاستسلام للعثمانيين بعد احتلالهم لمدينه قونيه و سقوط الدوله القرامانيه حيث أخذ يتنقل ببضعه آلاف من قبيلته رافضا جميع الوعود التى كان العثمانيون يعدونه بها فى حال استسلامه، و كان مخلصا للعائله الصفويه فلما بلغته أوامر المرشد الكامل استجاب لها و أسرع نحو مصيف (أرزنجان) فتشرف هناك بلقاء شيخ الصفويه، الذى شمله بالطفاه و احترامه.

و فى الفتره التى كان فيها الشاه إسماعيل معسكرا فى المصيف قدم إليه بعض أهالى المنطقه و اشتكوا إليه دبا يضاهى البعير بضخامته و القرد فى خفته و النسر فى قوته قد قطع الطريق عليهم و قتل العديد من أفرادهم.

و لم يكن الشاه إسماعيل آنذاك يتجاوز الرابعه عشره أو الخامسه عشره من عمره، فعزم على الخروج إليه بنفسه، و حين بلغ مكمته أمر بعض مرافقيه بنفخ الأبواق و ضرب الطبول ليخرجوا الدب إليه، و بعد هنيهه خرج الدب من فتحه الغار فسدد الملك إسماعيل إلى صدره سهما ألقى به من أعلى الجبل إلى قعر الوادى. فارتفعت أصوات الاستحسان و الثناء من حوله و زادت مكانته فى نفوس أتباعه.

فتح شيروان

و فى أواخر أيام الاضطراب جمع الشاه إسماعيل زعماء عسكره لاختبار الوجهه المناسبه التى يبدأ جيش القزلباش تحركه نحوها. اقترح بعض الحاضرين أن يكون التحرك نحو ضفاف الأرس و حدود نخجوان.

و اقترح البعض الآخر تمضية الشتاء فى المناطق الدافئه من آذربايجان أو فى بلاد آران حيث ولايتها الرئيسيه قراباغ و مناطقها الدافئه و الانتظار هناك ريثما يحل فصل الربيع فينظر حينئذ بالأمر.

و رأت فئه ثالثه الخروج لقتال قبائل الشركس و الهجوم على جبال القفقاز.

و ظل الجميع يترددون بين هذه الآراء الثلاثه و خرج حسين بيك و خادم بيك من بين الحاضرين و أبلغا الشاه إسماعيل بما

توصل إليه المجتمعون فلم يستصوب منها رأيا و جلس ليلته للعباده و الاستخاره.

و لما أصبح طلب قاده جيشه مره أخرى و حضر مجلسهم ثم أبلغهم أن أرواح الأئمه ألهمته المسير إلى شيروان و الانتقام فيها من شيروان شاه. فأبدي الجميع طاعتهم لمرشدهم و تحركوا بقوات القزلباش نحو شيروان.

و لما بلغت القوات منزل (ياسمن) أمر الشاه إسماعيل خادم بيك بالتوجه إلى برجستان [گرجستان] بعدد من أبطال الصوفيه، لتأديب الزعماء الپرجسيين [گرجسيين] فيها، بعد أن بعث إليهم بطلبه في الالتحاق بجيشه و الاتحاد معه أو إرسال ممثلين عنهم للتفاوض و لكنهم لم يجيبوا على طلبه بجواب مناسب.

و دخل خادم بيك أراضي برجستان [گرجستان] فأغار على بعض النواحي الكبيره فيها و قتل عددا من أهلها و أسر آخرين ثم عاد إلى معسكر الصوفيه بغنائم كبيره [كثيره] فأمر الشاه إسماعيل بتقسيمها بالتساوى بين أفراد العسكر.

و من جانب آخر أمر قراجه داغ الياس الذى أصبح اسمه الياس بيك بالتوجه على رأس قوه من الصوفيين لاحتلال قلعه منتشا بهادر، و ما أن بلغ أهل القلعه خبر توجهه إليهم حتى لبسوا أكفانهم و وضعوا سيوفهم على أعناقهم و أسرعوا إلى الياس مستدرين عطفه و عفوه، فاحتل الياس قلعتهم و عاملهم بالحسنى ثم بعث بشيوخهم إلى الشاه إسماعيل فعاملهم الشاه بعطفه و رحمته و خلع عليهم حللا و أرجعهم إلى منازلهم.

و سار عسكر الملك فوصل (حسن آباد) فى اليوم التالى و فجاه خرج (منتشا بهادر) من وراء حائط و ألقى بنفسه عند قوائم جواد الشاه إسماعيل طالبا العفو و الصفح و أخذ يذكر خدماته السابقه للعائله الصفويه فاستحسن الشاه كلامه و عفا عنه ثم وضع على رأسه تاج الصوفيه و خلع عليه خلعه خاصه و أهدها جيادا و نطاقا مرصعا و أعاده حاكما على قلعه.

و اقترب الجيش من نهر (كر) فبعث الشاه بيرام بيك القرامانى فى فوج من قبائل التكه لو و ذو القدر لحراسه المعابر لئلا تسيطر قوات شيروان عليها فتحول دون عبور الجيش الصفوى، و تقرر فى حال حدوث فيضان إقامه جسور فى الأماكن المناسبه لتعبير القوات عليها. و عند ما بلغ بيرام بيك و أصحابه النهر وجدوه يضيق بمائه و أدركوا استحاله العبور من المعبرين الرئيسيين الموجودين فى تلك المنطقه.

و توجه بيرام بيك و أصحابه إلى ملتقى نهري أرس و كر، و قرروا إقامه جسر هناك، و ما زالوا يتدبرون الأمر حتى قدم الشاه إسماعيل إليهم فرأى حيرتهم و ترددهم فلوى عنان جواده إلى الشمال بمحاذاه النهر ثم اقتحم فجاه لجه النهر فعبرها بسهولة و لم يكن الماء يتجاوز بطن الجواد فعرف الجميع أن ثمه معبرا طبيعيا لم يكونوا يعرفونه.

و أخذ الصوفيون و أبطال القزلباش يعبرون النهر فى جماعات منظمه، و عبر الجميع بنجاح و علت الأصوات مبتهجه بالعبور و عدت هذه الخطوه فالأ حسنا يبشر بانتصارات لاحقه.

و بعد اجتياز نهر كر واجه الجيش نهريين عظيمين فاجتازهما بسهولة و فى تلك الأثناء وصلت أنباء تشير إلى انسحاب ملك شيروان إلى القلاع المحصنه الموجوده فى قمم الجبال الشاهقه، للوقوف فيها بوجه زحف عدوه القوى، و فهم من ذلك أن

عاصمه الملك المذكور، مدينه شماخى أضحت خاليه من القوات العسكريه.

و أرسل الشاه إسماعيل أحد خدمه إلى شماخى لطمانه أهلها و تبشيرهم بالأمان، و أن أحدا لن يصاب بأذى ما دام لا يحمل سلاحا.

و فى اليوم التالى توجه جيش القزلباش إلى شماخى فدخلها، و علم حينئذ أن أهلها جميعا قد غادروها و التجئوا إلى شعب الجبال الوعره.

و مكث الجيش فى شماخى يومين، و قدمت العيون تحمل أخبارا مفادها أن شيروان شاه انصرف عن رأيه الأول فى الاعتصام بالقلاع المنيعه و عسكر فى غابه بين قلعتى پلستان [گلستان] و بييرد و أحاط عسكره باغصان الأشجار و الأخشاب و الأشواك.

و سر الشاه إسماعيل بهذا النبا و اعتبر إقدام العدو على هذه الخطوه أماره على سقوطه و اندحاره، فأسرع بجيشه نحو العدو.

و كان موقع ملك شيروان مستحكما، فقد كان بامكانه استدراج الجيش الصفوى إلى داخل الغابه و تشتيته فيها و لكنه أخطأ مره أخرى فترك الغابه على جناح السرعة و توجه إلى قلعه پلستان [گلستان] ليتحصن فيها و ليكون أقرب إلى مدد ملك الآق قويونلو المقرر وصوله من تبريز.

و خرج ملك شيروان من الغابه فدخل الصحراء و لا تزال بينه و بين قلعه پلستان [گلستان] مسافه كبيره، و فجاه اصطدم بقوه من القزلباش و كان الشاه إسماعيل قد قسم جيشه إلى مجموعتين بعث بواحدته إلى الشمال و وجه الأخرى إلى الجنوب و كان هدفه من ذلك الاطباق على العدو من جهتين حيث لا طاقه له بمواجهته من جهه واحده فقد كانت قوات العدو تبلغ عشرين ألف فارس و سبعة آلاف راجل.

و ألقى ملك شيروان نفسه إزاء عدو قوى، فانحاز إلى تل قريب و اعتصم به ثم قسم جيشه إلى قلب و جناحين.

و دارت رحى معركة ضاربه رجحت فيها كفه قوات شيروان بادئ الأمر و لكن ظهور المجموعه الصوفيه الثانيه التى توجهت إلى الشمال سبب إرباكا فى صفوف الشيروانيين فكان دخولهم

أرض المعركة حسما لها حيث قتل ملك شيروان و عدد من وزرائه و كبار قاداته و أركان ديوانه، و لاذ الباقون بالفرار، و ررفت رايه الصوفيين فى ساحه الحرب عاليه خفاقه... و أخذ زعماء الولايات المجاوره يتوافدون على الشاه إسماعيل بعد سماعهم خبر انتصاره الكبير.

و مكث الشاه فى أرض المعركة ثلاثه أيام غادرها فى اليوم الرابع متوجها إلى شماخى.

و فى شماخى، عاصمه شيروان بلغ شيخ الصوفيه (الشاه إسماعيل) أن ابن ملك شيروان الشيخ إبراهيم الذى أفلح فى الهرب من ساحه المعركة قد خرج فى (شهر نو) الواقعه على ساحل بحر الخزر فى جماعه من أنصاره عازما على الاستمرار فى المقاومه. فوجه الملك إليه بخادم بيك ليتعقب أثره، و ما أن بلغ الشيخ إبراهيم الخبر حتى بادر إلى ترك (شهر نو) و أبحر بسفينه إلى ولايه پيلان [گیلان].

و دخل خادم بيك (شهر نو) بعد مغادره الشيخ إبراهيم لها، فاستقبله أهلها و أعلنوا عن طاعتهم له. و فى اليوم التالى دخلها الشاه إسماعيل و توج زعماءها بتيجان القزلباش و خلع عليهم خلعا فاخره و عين خادم بيك حاكما على (شهر نو) ثم غادرها إلى محمودآباد.

و فى محمودآباد بلغه أن أهالى قلعه (بادكوبه) - التى كانت فى الحقيقه مستودعا لخزائن و أموال الشيخ إبراهيم الملقب بالشيخ شاه - رفضوا استقبال رسله و غلقوا الأبواب دونهم و وقفوا على أهبه الاستعداد للمقاومه. فوجه إليهم بخان محمد استاجلو و الياص بيك فى فوج من قوات القزلباش لاحتلال قلعتهم.

و كانت قلعه بادكوبه غايه فى المنعه و الاستحكام، يحيط بها بحر قروين من ثلاث جهات و يحدها خندق منيع من جهتها الرابعه، فحاصرها القزلباش و وقعت مناوشات بين الطرفين و استمر الحصار طويلا دون أن تفتح.

فامضى الشاه إسماعيل الشتاء فى محمودآباد و مع دنو فصل الربيع توجه بقواته إلى (بادكوبه) و أخذ يتفحص أطرافها بنفسه ثم عين جماعه لنقب الجدار و جماعه أخرى لمشاغله المدافعين عن القلعه برميهم بالسهم. ثم أخذ حجرا و ألقى به فى الخندق و التفت إلى القزلباش فأمرهم بإلقاء ما أمكنهم من حجر فى تلك النقطه.

و انصاع الصوفيون لأوامر مرشدهم فأخذوا يلقون بالأحجار حتى طمروا بها تلك النقطه من الخندق و أصبح تلا عاليا يشرف على السور و أهله.

و ما إن شاهد أهالى القلعه قوات القزلباش تشرف عليهم حتى أخذوا يتوسلون و يتضرعون، طالبين الصفح و الأمان و لم يكن الشاه إسماعيل يبغي شيئا سوى استسلامهم فمنحهم الأمان و كرم زعماءهم.

و دخل خادم بيك القلعه و حمل إلى معسكر مرشده ما وجده فيها من كنوز ذهب و فضه و جواهر، فأمر مرشد الصوفيه بتوزيعها بالتساوى على أفراد العسكر و لم يختص نفسه منها بشيء، بل لم يأخذ حتى خمسه الشرعى إذ أمر بإنفاقه على المبرات الخيريّه التى أوصى بها.

و تم الاستيلاء على جميع أراضي شيروان بسقوط قلعه بادكوبه باستثناء قلعه پلستان [گلستان] فحاول الملك إسماعيل فتحها ثم انصرف عنها بعد أن وعده أهلها بالدخول في طاعته في حال احتلاله لتبريز مركز آذربايجان.

و تحرك باتجاه قره داغ فبلغه في أثناء الطريق أن الملك الوند ميرزا قد قدم من تبريز إلى نخجوان على رأس جيش جرار و بعث أحد قاداته المدعو محمد قراجه داغ إلى پنجه [گنجه] للتوجه منها إلى شيروان و أرسل قائدا آخر و هو حسن بيك شكراوغلى لدخول شيروان عن طريق نهر " پرمارود [گرمارود]".

و استدعى الشاه إسماعيل قاداته لاستشارتهم فأشاروا عليه بالتصدي لقوات الوند ميرزا قبل أن يستفحل الأمر و يتحد أعداء الصوفيه بوجههم.

الحرب من أجل العرش و التاج

كان السلطان العثماني يدعم دوله عائله الآق قويونلو و يرغب في استمرارها. فكان يلح على الوند ميرزا أن يتصالح مع إخوانه و أبناء عمومته و يحثهم جميعا للوقوف بوجه الفاتح الجديد الشاه إسماعيل.

و كان الوند ميرزا عازما على خوض غمار الحرب مع مراد ميرزا، فبعث السلطان العثماني بأحد مشايخ الصوفيه و يدعى بابا خير الله للتوسط بينهما فتصالحا على أن تكون ديار بكر و أران و آذربايجان حتى نهر قزل أوزن من حصه الوند ميرزا بينما تكون حصه السلطان مراد الضفه الثانيه لأوزن و عراق العجم⁽¹⁾ و فارس و كرمان.

و من جانب آخر وعد السلطان العثماني بدفع حاكم ديار بكر قاسم بيك البايندرى للدخول في طاعه الوند ميرزا.

و لم يكن الوند ميرزا يأمن مكر أمراء البايندرية و شرهم في حال اصطحابهم معه لمواجهة القوات الصوفيه، فعزم على السير إليها بمفرده و من ثم استدعى جميع أفراد قبيله الآق قويونلو الموجوده في أراضي آذربايجان و أران و جهز منهم جيشا كبيرا ثم

ص: ٣٧

١- عراق العجم، أو العراق العجمي: اسم أطلقه السلاجقه على ما كان يعرف في عهد البويهيين باسم (بلاد الجبل) و أهم مدنه: كرمنشاه (قرميسين) و الريهمذان و أصفهان.

توجه إلى نخجوان و بعث من هناك - كما أسلفنا - بمجموعتين إلى شيروان لدخولها من جهتين.

و تحرك جيش الصوفيين عبر قراباغ إلى نخجوان و أمر الشاه إسماعيل أحد القاجاريين و اسمه پيرى بيك بالسير على رأس فوج من المحاربين الشجعان للتصدى لحسن بيك شكر أوغلى.

و توجه پيرى بيك نحو نهر (گرمارود)، و سمع حسن بيك شكر أوغلى بتوجهه إليه فلاذ بالفرار قبل أن يدخل الحرب معه و التحق فى نخجوان بالوند ميرزا و لكن بعض قواته التى تخلفت عن مواكبته اصطدمت بقوات پيرى بيك و قتل بعضها و أسر آخرون و حمل پيرى بيك الغنائم إلى معسكره و من جانب آخر كان بعض زعماء البانديريه مثل قرلغاي بيك و لطيف بيك منشغلين بالكر و الفر فى حدود قره باغ فلما بلغهم نبا اقتراب القوات الصوفيه، فضلوا الانسحاب و التحقوا بالوند ميرزا.

و فى أواخر ولايه قره باغ استعد الشاه إسماعيل لخوض الحرب فعبا جيشه و عين القلب و الجناحين ثم بعث پيرى بيك ليكون طليعه جيشه. و جعل الوند ميرزا عثمان بيك و هو قائد عثمانى فى طليعه جيشه.

و التقت قوات پيرى بيك بقوات عثمان بيك و كانت تعليمات الصوفيين تقضى بالهجوم على القائد هجوما مباغتاً، فنفذت التعليمات و أسر عثمان بيك، فلما رأى جنده ما حل به فروا من ساحه المعركه و تعقبهم الصوفيون فاعملوا فيهم السيف و أسروا بعضهم، و حمل الأسرى إلى المرشد الكامل و حين علم بكون عثمان بك أجنبيا و من أتباع الدوله العثمانيه أمر بقتله و قتل من كان معه من العثمانيين.

و عند ما بلغت أخبار الهزيمة الوند ميرزا أدرك بأنه كان مخطئاً فى تقدير قوه خصمه فأمر بالتقهقر عن نخجوان.

و رأى الصوفيون فى هذا التقهقر فرارا، فارتفعت معنوياتهم و انتهز الشاه إسماعيل الفرصه فدخل نخجوان ثم سار لتعقب خصمه فالتقى به فى مساء ذلك اليوم نفسه فى محل (آبادى شرور) من توابع نخجوان و مكث الفريقان بإزاء بعضهما طوال الليل ملتزمين الحيطه و الحذر.

و فى صبيحه اليوم التالى نظم الوند ميرزا قواته و أمر بايقاف الإبل خلف صفوف محاربيه و ربطها إلى بعضهما بالسلاسل و كان غرضه من ذلك الحيلوله دون فرار بعض قواته ممن كان يتحسس فيهم ميلا للأسره الصفويه.

و عمد الوند ميرزا إلى وضع المدافع و البنادق التى وصلته من الدوله العثمانيه على سفح تل قريب من أرض المعركه و جعل الرماه فى مقدمه صفوفه. التفت الصفويون إلى انعزال المدفعية و البنادق عن بقيه الجيش فالتف فوج منهم حول الموقع و انقضوا عليه بسرعه فقتلوا بعض المقاتلين و أسروا آخرين، و حينئذ تنبه الوند ميرزا إلى الأمر فأمر جناحه الأيمن بالتوجه لحمايه المقاتلين الموجودين على التل، و امثل قائد هذا الجناح فأسرع بقواته لحمايه التل.

و شاهد الصوفيون انحياز الجناح الأيمن إلى جانب التل فعدوا ذلك تراجعاً و فرارا، فبادر جناحهم الأيسر إلى الهجوم مطلقاً صيحات الله... فأحدثوا فى صفوف عدوهم إرباكا و ألقوا فى قلوبهم ذعرا.

و تنبه الشاه إسماعيل إلى الحاله التى سيطرت على ساحه المعركه فاستل سيفه و هجم فتبعه جميع مقاتلى القلب و الجناح الأيمن.

ووقف الوند ميرزا و عدد من قاداته فى مقدمه قلب قواتهم للتصدى لهجوم الشاه إسماعيل و دارت معركة ضاربه بين الطرفين قتل فيها الكثير من قواد جيش الوند ميرزا، ثم اضطرت صفوفه و فقدت نظمها ثم لاذت بالفرار، و هرب الوند ميرزا ببعض أصحابه.

و كان العديد من التركمان الهاربين يحاولون التخلص من سيوف القزلباش و رماحهم فيتجهون نحو الخلف و يصطدمون بجدار من الإبل المربوطه إلى بعضها، فيضطرون للتوجه شمالا أو يمينا فيكونون هناك فريسه للقزلباش.

و انتهت المعركة بمقتل العديد من زعماء قبيله الآق قويونلو و وزراءها و وقع بعضهم أسرى ففدوا أنفسهم بدفع جميع أملاكهم.

و قد ذكر صاحب تاريخ (جهان آرا) أن عدد القتلى فى صفوف قوات الوند ميرزا بلغ عشرين ألفا بينما يذكر صاحب لب التواريخ بأنهم ثمانية آلاف قتل.

و أمر الشاه إسماعيل بعد انتهاء المعركة بنصب فسطاطه و استدعى إليه جميع أمراء جيشه و قاداته و أفراده الذين كان لهم دور مميز فى ساعات المعركة، فكرمهم و خلع عليهم و شملهم بعطفه و عنايته، و أمضى مقاتلو القزلباش ليلتهم ينعمون بأسباب الرفاه التى غنموها من معسكر العدو.

فتح تبريز

و فى اليوم التالى توجه جنود الشاه إسماعيل نحو تبريز، و كان عددهم يومئذ يتراوح بين سبعة آلاف و اثنى عشر ألفا.

و كان مسيرهم فى أوائل عام ٩٠٧ هـ و بعد أيام قليلة دخل موكب الملك إسماعيل تبريز فهب أهلها لاستقباله و تقديم فروض الطاعة إليه. و جلس على عرشها متوجا نفسه ملكا لايران.

و قرر الشاه إسماعيل أن تكون الخطبه باسم الرسول (ص)

و أمير المؤمنين على بن أبي طالب و الأئمة الاثني عشر (ع) و من ثم اسمه.

و كان لهذا القرار أهميه كبرى حيث كانت تبريز آنذاك يتقاسمها الشيعة و السنة، و رغم كثره الشيعة إلا أن جميع الأمور الدينيه و القضائيه كانت بايدي علماء السنه من الشافعيين و الحنفيين، إذ كان حكامها يرون المصلحه تقضى دعم أهل السنه و تقويتهم منذ بدأ الصراع مع القزلباش في عهد السلطان يعقوب.

و قد رفض بعض الخطباء الانصياع للأوامر فضربت أعناقهم على رؤوس الأَشهاد، فأصيب الخطباء الآخرون بالخوف و الهلع فلاذ بعضهم بالفرار و أخفى آخرون أنفسهم بينما انصاع بعضهم للأمر الواقع، فخطبوا باسم الأئمة الاثني عشر (ع) و أدخلوا في الآذان عبارته (أشهد أن عليا ولي الله).

و كان جنود الصفويين و القزلباش يلازمون المساجد في أيام الجمعة و أوقات الصلاه في الأيام الأخرى طوال ثلاثه أشهر لمراقبه الخطباء و ما يلقونه من خطب، فإذا أتى أحدهم بعمل مخالف للأوامر الصادره أو أنكر شيئاً من تعاليم الشيعة بادروا إليه بسيوفهم أمام أعين الحاضرين.

و من الأمور التي استحدثت آنذاك ارتداء جميع أفراد المناطق التي خضعت لفتوح الشاه إسماعيل لقبعات القزلباش الموحده بعد أن كانوا يرتدون قبعات شتى.

و في الوقت الذي كان الشاه إسماعيل يشتمو في محمودآباد بعد فراغه من فتح شيروان قدم إليه الأمير شمس الدين زكريا الذي شغل منصب الوزاره لدى ملوك البايندريره لسنين طوال ثم اعتزله بعد حدوث الاضطرابات الداخليه، و كان محيطاً بأوضاع البلاد إحاطه تامه فاغتنم الشاه مقدمه و رأى في شخصه منفعه كبرى لدولته الحديثه التأسيس فرحب به و كرمه و لقبه بمفتاح آذربايجان و عينه في منصب وزاره الديوان الأعلى، و عين حسين بيك شاملو أميراً للأمرء و شاركه في ذلك إبدال بيك.

و بعد فتح تبريز و الفراغ من مراسيم التتويج جعل حسين بيك و كيلا له و فوض الأمور الاداريه و رئاسه الديوان للأمير زكريا، و لم يجد الشاه الوقت الكافي لاستحداث إدارات و مؤسسات جديده فقرر أن تكون الأساليب الاداريه على غرار ما كان معمولاً به في زمن الحكومات البايندريره.

و تولى القاضى شمس الدين الپيلانى [الگيلانى] منصب الصداره، و هو يشتمل على رئاسه الأمور الدينيه و القضائيه، حيث كان جميع القضاء و أئمه الجماعات و سادنو الأوقاف يعينون من قبل الصدر و يعملون تحت إشرافه.

و أمضى الشاه فصل الشتاء في تبريز، و مع حلول فصل الربيع بلغه أن الميرزا الوند يقوم بتجهيز جيش في حدود أرزنجان و بلغه أيضاً أن علاء الدوله رئيس قبيله ذو القدر الكبيره الذى يحكم أجزاء مهمه من ولايه ديار بكر اتفق مع الميرزا الوند و هو في صدد إرسال المدد إليه، فغادر الشاه إسماعيل تبريز متوجهاً إلى أرزنجان للقضاء على الميرزا الوند فيها و لتهديد علاء الدوله. و بلغ خبر تحركه الوند فسلك طريقاً آخر إلى آذربايجان فانصرف الشاه إسماعيل إلى ممارسه رياضه الصيد في أرزنجان.

و اضطرت قوات القزلباش في حملتها هذه إلى اجتياز الأراضي العثمانيه الحدوديه، فأبدى الشاه إسماعيل لحكامها الاحترام و

الموده و وعدهم برعايه السكان فيها و عدم إيذائهم و بعث فى هذا المجال برساله إلى السلطان العثماني طمانه فيها و أعرب له عن مودته. و أجابه السلطان برساله تفصح عن رضاه عن سلوك قوات القزلباش حين عبورها من الأراضي العثمانيه.

و دخل الميرزا الوند تبريز فعث فيها فسادا، و جمع عددا من تجارها و أثريائها فأذاقهم مر العذاب لانتزاع أموالهم و هكذا كان حال أكثر الوزراء و الأعيان و الصدور فى آذربايجان و بلغت الأخبار الشاه إسماعيل فاستشاط غضبا و أسرع نحو تبريز فهرب الميرزا الوند نحو همذان و توجه منها إلى بغداد.

و انصرف الشاه إسماعيل طوال عام ٩٠٨ إلى إعمار ما ضربه الميرزا الوند و إصلاح أمور بلاده و إقرار الأمن فيها.

فتح غرب إيران

و فى شتاء عام ٩٠٨ هـ بلغت الشاه إسماعيل أخبار مفادها أن الملك مراد ميرزا جمع قوات عراق العجم و كرمان و فارس فبلغت سبعين ألف مقاتل و هو متوجه بها إلى همذان للانطلاق منها إلى تحرير بلاد آذربايجان التى يرى فيها حقا شرعيا له من خصمه الشاب.

و هاج سكان تبريز بعد سماعهم بقدم مراد ميرزا و أنشا العديد من أهل السنه ممن يرفضون الحكم الجديد يبثون الإشاعات المثبطه لارباك قوات القزلباش.

و قد أشاعوا أن السلطان العثماني بايزيد بعث إلى مراد ميرزا بمئات المدافع و آلاف المدفعيين، و لكن هذه الإشاعات لم تكن تؤثر على إرادته الشاه إسماعيل أو تشنيه عن عزمه، فجمع قواته و أسرع بها نحو همذان و واصل السير دون أن يتوقف فى المنزل أكثر من ليله واحده حتى وصل إلى ما يبعد عن العدو مسافه فرسخين فى يوم السبت الرابع و العشرين من ذى الحجه عام ٩٠٨ و توجه فى اليوم التالى إلى لقاء العدو. إلا أن حراره الطقس جعلته يرجئ الهجوم إلى يوم آخر.

و فى يوم الثلاثاء، الرابع و العشرين من ذى الحجه عام

٩٠٨ هـ نظم الشاه إسماعيل صفوف قواته فى قلب و جناحين و تحرك نحو العدو.

و كان الميرزا مراد معسكرا بقواته فى سفح جبل، و قد رتب مدفعيته فى صف مترابط ليتسنى لقواته القتال خلفها فى حال اضطرابها للانسحاب.

و كانت قواته تناهز السبعين ألف مقاتل بينما بلغ عدد الصوفيون اثنى عشر ألفا و فى روايه ثلاثين ألفا و بلغ عدد المدافع التى بعث بها السلطان العثمانى إلى مراد ميرزا ثلاثمائة مدفع.

و بدأت المعركه بنزول الفرسان إلى الميدان قبل أن تباشر مدفعيتهم بإطلاق نيرانها، حتى إذا انطلقت المدفعية أخذت تحصدهم حصدا فدب الذعر و الاضطراب فى صفوفهم، فأخذوا يتقهقرون إلى مواقعهم و حاول الميرزا مراد و بعض رجاله السيطرة على الوضع، و استغل فوج من القزلباش الفوضى السائده فهجموا على الوند ميرزا الذى فوجئ بالهجوم فانهز إلى جانب من معسكره فحسب رؤساء القبائل و الأمراء فى جيشه حركته هذه فرارا، فلوى كل منهم عنان جواده و انطلق لا يلوى على شىء و شاهد قاده الجيش ذلك فتبعوهم هارين، و وصل القزلباش مواقع المدفعية فاعملوا السيف برجالها.

و قد بلغت خسائر جيش مراد حسب كتاب "لب التواريخ" عشره آلاف شخص، و غنمت قوات القزلباش فى تلك المعركه كميات كبيره من الأسلحه و الخيول و الأمتعه النفيسه، حيث كان العديد من زعماء ولايات عراق العجم و عراق العرب و فارس و كرمان و خوزستان مصطحبين معهم إلى أرض المعركه أسباب الترف و الرفاه فتجمع منها الشىء الكثير و وقع غنيمه فى أيدى القزلباش.

و انصرف الشاه إسماعيل بعد نصره المؤزر للصيد و الترويح عن النفس، و بعد أسبوعين بلغه أن الميرزا مراد بعد هربه و هزيمته فى أرض المعركه توجه إلى شيراز و أقام فيها، و باشر بحشد قبائل فارس و عشائرها و استنصر بعشائر عراق العرب، و بعث برسله إلى البلاطين العثمانى و المصرى و كذلك علاء الدوله ذو القدر حاكم ولايه ديار بكر يستمدهم العون و المدد.

و أيقن الشاه إسماعيل أن عدوه إذا ما ترك استعداد قوته و قويت شوكته و أصبح التصدى له أمرا عسيرا. و من ثم عزم على المسير إليه، فاجتاز مصايف همذان و اتجه جنوبا، و لما بلغ قم بلغه خبر تمرد حاكم رستم دار الأمير حسين الجلاوى.

و رستم دار هذه هى الأرض الممتده بين حدود دماوند و جبال (خوار) الشماليه و الجنوبيه، و من قمم جبال ألبرز [ألبرز] التى تنحدر نحو مازندران حتى سهولها و ينتسب الأمير حسين الجلاوى إلى عائله عريقه، فبادر إلى إعلان استقلال بلاده و لم يكتف بذلك بل طمع إلى إخضاع إيران جميعا لسلطته، و ذلك بعد تحريض الدوله العثمانيه له و وعود أمراء دوله الآق قويونلو بنصرتة.

و أمر الشاه إسماعيل الياس بيك أيقوت أوغلى و هو أحد قادته الأبطال بالتوجه إلى (ورامين) على رأس قوه من أتباعه، للعسكره فيها و حشد المتطوعين و السير بهم لقتال حسين الجمع قواته و أسرع بها نحو همذان [] جمع قواته و أسرع بها نحو همذان الجلاوى [].

و أخذت تتوافد على الشاه إسماعيل فى مقر إقامته فى الوند ثم فى قم رسل الحكام و الزعماء محملين بالهدايا و الرسائل التى تعرب عن الطاعه و البيعه له. و لم يتخلف أحد من حكام ولايات كرمان و يزد و أصفهان و كرمانشاه و كردستان عن مبايعته و الدخول فى طاعته.

و غادرت قوات القزلباش قم متوجهه إلى أصفهان و من هناك إلى شيراز، و سلك طريق إيلغار مواصلا سيره دون توقف حتى دخل شيراز فعلم أن الميرزا مراد هرب إلى شوشتر، و لم يجرؤ على الإقامة فيها فغادرها إلى بغداد.

و ما أن علم زعماء فارس و أمراؤها بخبر وصول شاه إيران ولايتهم حتى أخذوا يتوافدون عليه مبايعين طائعين و أقبل أصحاب القلاع و الحصون يحملون مفاتيح قلاعهم و حصونهم و يقدمونها إلى الشاه طائعين.

و أقام الشاه مده فى فارس سعى خلالها لازاله أسباب الظلم و الجور و سن قوانين جديده كفيله بحفظ الأمن و النظام ثم غادرها إلى كاشان، فاستقبله أهلها استقبالا حافلا.

و أثناء إقامة الشاه إسماعيل فى كاشان حط القاضى محمد برعايته و قربه، حيث أعجب الشاه بمنطقه و فصاحته و فضائله، فعينه فى منصب الصداره فكان شريكا فى هذا المنصب لمولانا شمس الدين البيلانى [الكيلى].

و نشط القاضى محمد فى مهمته فنظم خلال فتره قصيره أمور القضاء و الأوقاف و شئون المدارس و جميع الأمور المتعلقة بالثقافه و العلم، فازدادت مكائته و عين نائبا للشاه.

و بعد فراغ الشاه من أيام الاحتفالات و الأفراح فى كاشان غادر إلى قم فامضى الشتاء فيها.

القضاء على الرستمدايين

تشمل رستمداى أعلى قمم جبال ألبرز و أكثر القلاع و الحصون استحكاما، و حينما خرج الأمير كيا حسين الجلاوى على طاعه الشاه إسماعيل، استحدث قلاعا حصينه أخرى.

و شكل كيا حسين جيشا مؤلفا من اثنى عشر ألف مقاتل.

و نظمه نظاما كاملا و جهزه بمستلزمات الحرب و صرف له الرواتب

الشهريه، و إضافه إلى هذا الجيش كان هناك العديد من أبطال رستمدرار و مازندران الذين التحقوا به، و كان هؤلاء لا يجأرون في استخدام الأقواس و رمى الحراب.

و إضافه إلى هؤلاء جميعا كان هناك أمراء و أعيان و أشراف القبيله البايندريره الذين انضموا بقواتهم إليه بعد هزيمه الميرزا مراد، و كذلك كان الراضون لحكم الشاه إسماعيل و الأعيان و رجال الدين السنه يلتحقون به سرا في كل يوم.

و كانت الأوامر تقضى بتوقف الأمير الياس في حدود ورامين و پرمسار [گرمسار] و التصدى لقوات كيا حسين إذا ما زحفت عبر طريق نهر (جم آب) أو طريق نهر (هبله) و هو نهر پرمسار [گرمسار]، و مراقبه تحركات العدو، و إذا بلغه المدد يبادر بالهجوم.

و بلغت كيا حسين أخبار توجه الشاه إسماعيل إلى شيراز و علم أن الياس بيك يفتقر إلى القوات الكافيه، فسلك بجيشه طريق (جم آب) متوجها إلى أيوانكر [أيوانكى]، فتراجع الياس بقواته عن حدود تلك المنطقه و دخل قلعه إيرج في ورامين و اعتصم بها، فحاصرها كيا حسين فتره و حاول دخولها دون جدوى فعمد إلى المكر و الخديعه، فأرسل وفدا إلى الياس ليصور له أنه عاجز عن الوقوف بوجه قوات الشاه الصفوى و من ثم يلتمس منه التوسط بين الطرفين لانهاء العداء بينهما.

و كان إلیاس رجلا بسيطا رغم مكانته و شجاعته فانطلت عليه الحيله و خرج من قلعه و اختلط بالرستمدرارين ثم جلس معهم على مائدة الطعام، و كان كيا حسين قد دبر أمرا لقتله و من معه فخرج فجاء من الفسطاط و انقض جنوده بسيفهم فقطعوا إلیاس و مرافقيه إربا و قتل العديد من جنوده و أسر آخرون.

و بلغت الشاه إسماعيل أبناء هذه الخيانه فاستشاط غضبا، و في أواخر فصل الشتاء حين أخذت الجبال تتعري من طبقات الثلوج غادرت قوات القزلباش مدينه قم في اليوم الثاني عشر من رمضان عام ٩٠٩ هـ متوجهه إلى رستمدرار، فهاجمت بادئ الأمر قلعه (پل [گل خندان]) الواقعه فوق جبل مرتفع و يحيط بها خندق عميق يشبه الوادى و يضاهى سورها الجبال بارتفاعه.

و أمر الشاه إسماعيل قواته باحاطه القلعه، فاحيط بها كاحاطه الخاتم بالإصبع. و في اليوم التالي أطلقت مشاعل النيران باتجاهها، إلا- أن غزاره الأمطار حالت دون تأثيرها فباشر القزلباش بالهجوم عليها محاولين تسلق سورها و راح المدافعون يرشقونهم بسهامهم، فكانت الجماعات تسقط لتليها جماعات أخرى حتى نجحوا في اعتلاء السور، و أدلوا سلالهم لرفاقهم و فتحت الأبواب فقتل العديد من المدافعين ثم صدرت الأوامر بإباده من فيها، و كانت هذه الحادته في الثاني من شهر شوال.

و بعد الفراغ من أمر (پل [گل خندان]) توجه القزلباش نحو (فيروز كوه) عاصمه رستمدرار فمروا بقصبه دماند و استشعروا الخلاف من أهلها حين امتنعوا عن بيعهم بعض المتاع فدخلوها و قتلوا بعض أهلها و نهبوا شيئا قليلا من متاعها.

و كانت قلعه (فيروز كوه) تتميز بكثير من الحصانه و المنعه بحيث يتبادر إلى الذهن أن فتحها ضربا من المحال، فبالإضافه إلى موقعها و منعتها و قوه المدافعين عنها و جلا دتهم، كانت تتوفر فيها مقادير كبيره من المؤن و الذخيره الحربيه بما يكفى لفرته طويله من الحصار دون أن تتأثر به أو تحتاج إلى مساعده خارجيه.

و حالما وصلت قوات القزلباش حدود قلعه فيروز كوه، أمرها الشاه إسماعيل بضرب و نفخ آلاف من الطبول و الأبواق فحدثت

ضجه عظيمه زعزعت معنويات القوات المدافعه و فى اليوم التالى أطلقت على القلعه من جوانبها الأربعة مشاعل النيران و السهام و الصخور الثقيله و استمرت المناوشات من الخامس عشر من شوال حتى أواخره، ثم أدرك حاكمها على كيا عقم مقاومته فوضع السيف على عنقه و أقبل يلتمس عفو الشاه و صفحه فعفا عنه، ثم أمر بقتل القوات المدافعه لا سيما أفراد الآق قويونلو و رعايه سائر الأهالى. و معاملتهم بالحسنى.

و تحرك الشاه إسماعيل على رأس قواته بعد فراغه من احتلال فيروزكوه عبر نهر (هبله) متوجها نحو قلعه (استا) التى كانت بمثابة الملجأ الأخير لكيا حسين اللاوى [الجالوى]، و عزم الأخير على التصدى للزاحفين بجيشه المؤلف من اثنى عشر ألف مقاتل الذى جهزه بأفضل الأسلحه و أنفق عليه أموالا طائله.

و غادر كيا حسين قلعه سالكا طريق (پرمايه سر [گرمايه سر]) و (قلعه كرپينه [گرگينه]) للالتفاف حول جناح القزلباش الأيمن و مهاجمته ليلا. و كان الشاه إسماعيل فى غايه الحذر و يتوقع هجوما على جناحه الأيمن فجهزه بخيره قواته و قاداته.

و التقى كيا حسين بالقزلباش فألفاهم على أهبه الاستعداد و بادروه بالهجوم و دارت المعركه بين الطرفين فأدرك كيا حسين عدم جدوى المقاومه و أسرع بقواته نحو قلعه (استا) للاعتصام فيها.

و فى اليوم التالى بلغت قوات القزلباش حدود القلعه فارتقى الشاه إسماعيل تلا مشرفا على سور القلعه فتفحص السور و لاحظ مناعته و صعوبه إحداث ثغرات فيه بوسائل دك القلاع.

و من جانب آخر لاحظ أن نهر (هبله) يحيط بالقلعه كالخندق ثم علم بعد التحقيق أن أهلها يعتمدون على هذا النهر فى تامين مياه الشرب فقرر قطعه عنهم و أمر حسين بيك و جماعه كبيره من قوات القزلباش بتنفيذ هذه المهمه فنفذت فى وقت قصير بحفر مسلك جديد للنهر و طمر المسلك الأول، فأصيب سكان القلعه بالعطش و ضجوا منه، و رأى كيا حسين عقم مقاومته فاصطحب معرضه و رفيقه الأول مراد بيك شاملو قسرا و خرج من القلعه إلى معسكر القزلباش.

و انتهى حصار قلعه (أستا) الذى استغرق ثلاثه و ثلاثين يوما و قتل جميع سكانها الذين كانوا فى أغلبهم من الجند باستثناء أهل العلم

و أصحاب الفضل و الأدب و أخذ مراد بيك شاملو الذى كان مصدر الفتنة و الفساد فقطع إربا و حبس كيا حسين فى قفص من حديد، و لكنه غافل حراسه فى حدود ورامين فجرح نفسه و لم يمض عليه يومان أو ثلاثة حتى هلك.

و العجيب أن كيا حسين مات فى نفس المكان الذى قتل فيه الياس بيك غدرا. و لم تخرج جثته من القفص، حتى أحرقت فى أصفهان أمام السفير العثمانى.

و فى أثناء إقامه الشاه إسماعيل فى حدود قلعه (أستا) قدم إليه كار كيا ميرزا حسن من پيلان [گیلان] بأنواع التحف و الهدايا فغمره الملك بعطفه و رحب به ترحيبا حارا لما لمس فيه و فى أخيه و عائلته من المحبه و الوداد أثناء هجرته إلى لاهيجان.

و قدم على الشاه إسماعيل عدد من الأمراء الپورپانيين [الگوركانيين] لمبايعته و المدخول فى طاعته فرحب بهم و كرمهم و خلع عليهم و توجههم بتيجان القزلباش ثم أذن لهم بالانصراف إلى ديارهم.

حوادث متفرقه

من الأحداث الجديره بالذكر التى حصلت فى عام ٩١١ هـ، معاقبه أعداء الأسره الصفويه و المقصود بهؤلاء الأعداء هم الأشخاص الذين اشتركوا فى قتال السلطان حيدر الصفوى.

فبعد مراسيم العزاء التى أقامها الصفويون بمناسبة ذكرى استشهاد السلطان حيدر، و بعد فراغهم من حلقات الذكر توجهوا بالدعاء سائلين الله أن ينتقم لهم من قتله السلطان حيدر، و كان لهذا الدعاء وقعا مؤثرا على الشاه إسماعيل فعزم على التحقيق فى الأمر و أخذ الثار لأبيه. و من ثم أناط هذه المهمه بإبدال بيك دده.

و بذل إبدال بيك جهودا كبيره فى معرفه المشتركين فى قتل السلطان حيدر فتعرف على العديد منهم و نالوا عقابهم، و كان لذلك دور فى إخافه أعداء المذهب الشيعى فبادروا إلى الالتحاق بصفوف القزلباش و الانضمام إلى حلقات ذكرهم و ارتدوا القبعات الإيرانيه الموحد و تظاهروا بولاء آل بيت الرسول (ص).

و من الأحداث المهمه الأخرى التى حدثت فى هذه السنه، وقوع الاضطرابات فى لاهيجان، و مقتل حاكمها كار كيا سلطان حسن، و كان ابنه السلطان أحمد موجودا آنذاك فى معسكر الشاه إسماعيل، فاستدعاه و شمله بعطفه و رعايته ثم عينه حاكما على پيلان [گیلان] و بعث به إليها فى فوج من القزلباش فدخلها و قتل عددا من الأمراء الذين شاركوا فى قتل أبيه، و استمرت فتره حكمه عشرين سنه.

و فى شتاء هذه السنه حصلت حادثه مهمه أخرى، حيث توفى آخر ملوك الپورپانيه [الگوركانيه] الأقوياء فى خراسان السلطان حسين ميرزا بايقرا فى السادس عشر من ذى الحجه من عام ٩١١ هـ.

فخلفه ابنه بديع الزمان ميرزا و مظفر حسين ميرزا و لكنهما تعرضا لهجوم الأوزبك و أحدث الهجوم دمارا واسعا فى خراسان.

و توجه الشاه إسماعيل إلى (قزل أوزن) فأبلغ هناك أن شخصا يدعى صارم كرد قد جمع حوله عددا من الأوباش و قطاع الطرق

الأكراد و اتخذ له مقرا بالقرب من پروس و عمد إلى أخذ الخراج من التجار و المزارعين و عرض القوافل للسلب و النهب.

و عزم الشاه على أخذه على حين غره، فانقض على موقعه إلا أن الأكراد كانوا قد تركوا مواقعهم قبل وصول جيش الصوفيين و لاذوا بالفرار، فوقت جميع أملاكهم فى أيدي القزلباش و تعقبوا بعضهم فاهلكوهم.

و فى ربيع عام ٩١٢ هـ خرج (صارم كرد) مره أخرى و جمع أوباش الأكراد و أشرارهم و عاث فى (أروميه) فسادا، فأمر الشاه إسماعيل بيرام خان قرامانلو و خادم بيك خليفه بالتوجه إليه و تأديبه.

و دارت بين الطرفين معركة ضاربه راح ضحيتها من القزلباش اثنان من كبار قادتهم هما عبدى بيك شاملو و صارو [صارم] على تكه لو و انتهت بانتصار القزلباش و فرار صارم، و أسر ابنه و إخوانه و عدد من قادة جيشه و مقتل العديد من أتباعه، و عرضت قبيلته للنهب.

و عاد بيرام بيك و خادم بيك إلى المعسكر و روى للشاه الأعمال الشنيعه التى ارتكبها الأكراد فثار غضبه و أمر بقتل جميع الأسرى.

الحرب مع علاء الدوله ذو القدر

و فى ربيع عام ٩١٢ هـ عزم الشاه إسماعيل على قطع دابر فتنه الآق قوينلو، فقد سمع أن الميرزا مراد توجه إلى ديار بكر بعد فراره إلى بغداد فلجا إلى علاء الدوله ذو القدر و تزوج بابنته، و باشر الاثنان بتجهيز جيش كبير، و أخذ هذا الجيش - كما هى عاده التركمان - يعتدى على أموال الناس و أعراضهم، حتى لم يعد أحد من أهالى ديار بكر يأمن شرهم على عرضه و ماله.

و أخذت رسائل الشكوى تصل الشاه إسماعيل تترى، لا سيما رسائل الشيعة الذين كانوا آنذاك يشكلون نسبة كبيره من أهالى ديار بكر. فقرر الملك السير لفتح ديار بكر و إنقاذ أهلها من محتهم، و أمر باستدعاء القوات من ولايات فارس و كرمان و العراق و آذربايجان و أران و كردستان و لرستان.

و اجتمعت القوات حول قائدها، فتوجه بها إلى أرزنجان.

و بلغت علاء الدوله أخبار تحرك الجيش الصفوى فاوكل مهمه حراسه قلاعه الحصينه إلى كبار قاداته ثم توجه إلى ولايه بستان ليكون فى منأى عن قبضه الشاه إسماعيل.

و سمع الشاه بفرار علاء الدوله فغادر أرزنجان لتعقب آثاره، و اجتاز بعض الأراضى العثمانية لاختصار المسافه و عامل أهلها

بالحسنى حتى بلغ ضفاف نهر يمر بالقرب من بستان فعسكر هناك.

و كان علاء الدوله قد أدرك خطوره وضعه فقسم عائلته و ذويه إلى مجموعتين، و بعث بإحدهما إلى الشام التي كانت آنذاك تابعه لحكومته سلطان مصر و بعث بالأخرى إلى الأراضى العثمانية، ثم توجه بعدد من أبطال ذو القدر إلى جبل درنا و هو من أعلى الجبال فى تلك المنطقه فاعتصم به.

و اجتمع زعماء قبيله ذو القدر فقرروا التصدى لشاه إيران، و عسكروا بقواتهم بإزاء قوات القزلباش فى اليوم الثالث من نزول القوات الأخيره على ضفاف نهر بستان.

و دارت معركة ضاربه بين الطرفين، استمرت حتى حلول الليل، و عاود الجيشان الكره فى اليوم التالى دون أن يحرز أحدهما نصرا على خصمه، حتى كان اليوم الثالث فلم يكد ينتصف النهار حتى أخذ جنود ذو القدر يولون الأدبار. و تعقبهم القزلباش فاعملوا فيهم السيف.

و دخل الجيش الفاتح ديار أعدائه، فطفقوا يقتلون و يدمرون و يحرقون، حتى دب الذعر فى نفوس الناس من سكان الولايات المجاوره فاعلنوا دخولهم فى طاعه ملك إيران.

و توجهت قوات القزلباش بعد ذلك إلى مدينه خربوت الحصينه التي كانت مركزا لتجمع قبيله ذو القدر، فضرب عليها حصارا شديدا و وقعت مناوشات بين الجانبين ثم أفلح القزلباش فى إحداث ثغره فى حصن المدينه فاقتحموها و أعطى الشاه إسماعيل الأمان لأهلها فخرجوا من مدينتهم أفواجا و سلموا على الشاه و دخلوا فى طاعته.

و بلغ خبر مدينه خربوت الولايات المجاوره فبادر جميع حكام ولايات ديار بكر إلى إرسال مفاتيح مدنهم و قلاعهم مرفقينها بالهدايا و التحف إلى الشاه إسماعيل، فشملمهم بعطفه و إحسانه و أجزل لهم العطاء ثم عين خان محمد استاجلو و هو أحد كبار قادته حاكما على ديار بكر، و غادر المنطقه بعد ذلك متوجها إلى ولايه أخلاط، فاقبل عليه فى أثناء الطريق شرف الدين بيك و هو أحد أكبر حكام كردستان و مركزه مدينه بتليس محملا بأصناف التحف و الهدايا، فرحب الملك بقدمه و قربه من مجلسه.

و توجه محمد بيك استاجلو ببضعه آلاف من قواته إلى مدينه حميد فغلق حاكمها قاشميش بيك أبوابها دونه و اضطر محمد خان للعسكره فى الصحراء فواجه لعدده أيام ظروف قاسيه لشحه المؤن و العلف، و مع هذه الظروف كانت قبائل الأكراد تهاجم عسكره.

و لم ير محمد خان بدا من مهاجمه الأكراد فدارت معركة ضاربه بين الجانبين قتل فيها سبعة آلاف من الأكراد، و كان النصر حليف محمد خان فغنم منهم ذخيرته كثيره و مئونه كافيه لأفراد جيشه.

و أعاد محمد خان الكره على مدينه حميد، فبعث حاكمها أحد خواصه إلى علاء الدوله ذو القدر يستمدده العون و المدد و يتعهد له بتسليمه المدينه، فراقت الفكره علاء الدوله، و طمح إلى السيطرة على مدينه حميد رغم انهزامه بوجه قوات القزلباش.

و كان الطقس شديد البروده، فبعث ابنه قاسم بيك المعروف بساروقيلان و ابنه الآخر أردوان بيك فى جيش مؤلف من عشره

و لم يكن محمد خان استاجلو يمتلك عددا كافيا من القوات للتصدى للزاحفين فوقف بقبيله استاجلو و دارت معركة قاسيه بين المتحاربين وقع فيها الكثير من الضحايا، ثم وقع ساروقيلان المعروف بشجاعته و بسالته و أخوه أردوان بيك في أسر قوات القزلباش، فاضطرت صفوف قواتهما و أخذت بالتقهقر رغم كثره عددها، و أخذ القزلباش يتقبونها و يقتلون العديد من أفرادها، ثم أمر استاجلو بقتل الأميرين.

و عاود محمد خان استاجلو هجومه على مدينه حميد مره أخرى، و تحصن بها حاكمها قاشميش بيك و استعد للدفاع، و لكن أهلها رفضوا الانصياع له ففتحوا الأبواب بوجه قوات القزلباش، فألقى القبض على قاشميش بيك موصولو و قتل، و خلا الجو في ديار بكر لمحمد استاجلو و قويت شوكته و ازدادت هيئته.

و بلغت علاء الدوله أخبار مقتل ابنه و هزيمه جنده فثارت ثائرتة، و باشر بحشد قوات ذو القدر مره أخرى فجمع منها خمسه عشر ألف مقاتل و سيرهم تحت قياده ابنه كور شاه رخ و أحمد بيك للانتقام من عدوه و أخذ الثار لابنيه القتيلين.

و استعد محمد خان للقاء عدوه في ثلاثه آلاف مقاتل من القزلباش، و دارت معركة بين الطرفين تطايرت فيها الرءوس و سالت الدماء كالأنهار، و أخذ محمد خان يشن حملاته المتكرره على قلب جيش العدو حتى اخترقه و وصل إلى مقر كور شاه رخ و أحمد بيك فقتلها و قتل العديد من أصحابهما، و عند ما رأت القوات تشتت قلبها و مقتل قائديها، أخذت تفر على وجهها و تعقب القزلباش الهاربين فاهلكوا منهم خلقا كثيرا.

و بعث محمد استاجلو رؤوس القتلى إلى المرشد الكامل الشاه إسماعيل الصفوى.

و بعد إلحاق الهزائم المتواليه بعلاء الدوله و قتل أبناءه و ذويه، و هنت شوكتة و قل خطره في أعين أعدائه، فاغتنم السلطان الفرصه و كان بينهما عداة قديم فهاجمه و قتله، فانتهد سلالته بموته و افترت قبيله ذو القدر فرقتين، التحقت واحده بالسلطان العثماني و انضمت الأخرى إلى أنصار الشاه إسماعيل حيث ارتدوا قبعات القزلباش و دخلوا في

سلك مريدى الصوفيه.

و قد ذكر المؤرخون أن قبيله ذو القدر كانت تتالف من ثمانين ألف عائله، و كان علاء الدوله آخر ملوكهم و قد تميز بسياسته و حسن تدبيره حين احتفظ بملكه فى جوار دولتين قويتين هما الدوله العثمانيه و الدوله المصريه.

و يذكر إسكندر بيك فى كتابه (تاريخ عالم آرا) بأنه كان إذا قدم إليه السفراء العثمانيون يلبس بعض أتباعه الزى المصرى، ثم يقول للسفراء بأنهم رسل الدوله المصريه إليه و قد قدموا لتحريضه على الدوله العثمانيه و لكنه رفض دعوتهم و تحريضهم لاحترامه للعلاقات الوديه مع الدوله العثمانيه، و كان يفعل العكس إذا قدم إليه سفراء الدوله المصريه.

و بعد مقتل علاء الدوله لجا الميرزا مراد آق قويونلو إلى السلطان العثماني سليم، و حين عزم الأخير على دخول الحرب مع إيران لم ير مراد صلاحاً فى مرافقته ففضل الانفصال عنه و قدم إلى ديار بكر فجمع أتباعه فيها و سار بهم لاحتلال مدينه أورفا.

و كانت مدينه أورفا آنذاك بيد قوات القزلباش و حاكمها من قبل الشاه إسماعيل هو آجه سلطان قاجار. و خرج آجه سلطان من حصنه لقتال عدوه فى ثمانمائه مقاتل من القزلباش، و كان عدد قوات العدو ثمانيه آلاف مقاتل، فاشتبك الطرفان و قتل الميرزا مراد و تفرق جيشه و انقرضت بمقتله سلاله الآق قويونلو.

فتح بغداد

فى خريف عام ٩١٤ هـ عزم الشاه إسماعيل - و كان فى همدان آنذاك - على فتح العراق و احتلال بغداد.

فعند ما هرب الميرزا مراد من شيراز إلى بغداد ثم توجه إلى ديار بكر و تخلف عنه فى بغداد أحد كبار أمرائه، و يدعى باريك بيك. و استطاع هذا بحسن تدبيره و سياسته و بالاستعانة بالقوات التى خلفها الميرزا مراد أن يخضع لسلطته منطقه شاسعه امتدت من حدود ديار بكر حتى شط العرب.

و كان الشاه إسماعيل آنذاك يفكر فى توسيع إيران، فرأى أن يبدأ باحتلال العراق و انتزاع آخر ولايه بقيت تحت سيطره التركمان الآق قويونلو، قبل أن يتوجه إلى خراسان.

و فى أول خطوه على هذا السبيل بعث إلى بغداد بأحد خواصه و يدعى خليل بيك يساول و هو رجل محيط بدقائق الأمور و واقف على القضايا الاداريه و العسكريه، و كانت مهمته إقناع باريك بيك بالدخول فى طاعه الشاه إسماعيل و تحذيره من مغبه التمرد و العصيان. و توجه خليل بيك إلى بغداد محملاً بخلع فاخره و تاج ثمين، و بلغ خبر مقدمه باريك بيك فبعث جماعه من أصحابه المقربين لاستقباله بالقرب من خانقين على مسافه ثلاثه أيام من بغداد، فاستقبل موكب السفير بحفاوه و احترام، و أدخل بغداد فأسكن فى بستان الميرزا پير بوداغ و هو من الآثار الجميله التى خلفها التيموريون فى بغداد.

و أبدى باريك بيك طاعته و خضوعه للشاه و ارتدى التاج و الخلع الملكيه و توج أكثر الناس بالتيجان القزلباشيه ثم أعد هدايا ثمينه و بعث بها إلى البلاط الصفوى مع خليل بيك و أرسل معه أحد أمرائه و اسمه بو إسحاق شيره جى سفيرا له فى البلاط الصفوى.

والتقى خليل يساول و بو إسحاق بالشاه إسماعيل فى همدان و قدما الهدايا إليه، فلم يلتفت الشاه إليها و لكنه عامل السفير بو إسحاق بالحسنى و شمله بعطفه.

لم يكن الشاه إسماعيل من الأشخاص الذين ترضيهم المجاملات و تخدعهم المداهنات فقال للسفير بو إسحاق: قل لباريك إذا كان تابعا لدولتنا فليقدم علينا، و لنتظر أمرنا و إلا فسينال جزاءه.

و نقل بو إسحاق إلى باريك ما شاهده و ما سمعه، فعزم الأخير على المقاومة، ثم أعلن خلافه بعد أن سمع بقدم قوات القزلباش، و خلع تاج القزلباش عن رأسه و أخذ يجمع الغلال من أطراف بغداد إليها فجمع فيها ما يكفى لثلاث سنين. ثم باشر بتحسين بغداد و تجهيزها بما يلزم للمقاومة.

و كان فى العراق سيد جليل ذو نسب رفيع اسمه السيد محمد كمونه ورث النقابه و الوجاهه فى النجف أبا عن جد، و لم ترض السيد تصرفات باريك فلامه عليها، فأمر باعتقاله و حبسه فى قعر بئر عميق مظلم.

و انتدب الشاه إسماعيل حسين بيك لتقدم القوات فى فوج من القزلباش، و كان هذا رجلا مدبرا فتوجه نحو كرمانشاه و منها إلى خانقين و كان شديد البطء فى حركته، و غايته من ذلك وصول الأنباء التى كانت تحمل تابعا إلى داخل العراق لسكان المدن العراقية الناقلين على حكم الأتراك ليقوموا بمواجهتهم و ليزداد اضطراب باريك بيك و ارتباكها.

و قد أفلح حسين بيك فيما ذهب إليه، فما كاد يقترب من بغداد بمسافه منزلين حتى أحس باريك بيك أن أكثر أعيانه و أمرائه يبتنون الولاء لملك إيران و حذره أصحابه المقربون من احتمال خروج حراسه عليه و تسليمهم إياه إلى قوات العدو. فاخذ الرعب من قلبه مأخذه و عزم على الفرار من المدينة، فركب زورقا بخاصته تحت جناح الظلام و توجه إلى حلب.

و كان باريك بيك قد كتب إلى الميرزا مراد و علاء الدوله يستمدهما العون و المدد، و عند ما هرب إلى حلب التقى فيها الميرزا مراد، فتوجه خائبين يائسين إلى دوله علاء الدوله فالتحقا فيها بقبيله ذو القدر.

و فى بغداد عند ما عرف أهاليها و أعيانها بفرار الوالى بادروا إلى إخراج السيد محمد كمونه من البئر و كان حينها فى منتهى الضعف و الوهن فنصبوه واليا على بغداد.

و فى يوم الجمعة خطب السيد كمونه و صلى ثم توجه بأكثر أهل بغداد لاستقبال بيك الذى بلغ حينئذ مشارف بغداد، فرحب به الأخير و عامله باجلال و إكرام ثم بعث إلى الشاه إسماعيل بالخبر، فحمد الله و أثنى عليه، و عين خادم بيك - الذى كان يلقب حينئذ بلقب خليفه الخلفاء - حاكما على ولايه العراق.

و كان خليفه الخلفاء خادم بيك أحد الأمراء العادلين و الصوفيين الزاهدين، فكان تعيينه فى هذا المنصب مناسبا كل المناسبه.

و واصل الموكب الملكى حركته صوب بغداد و حين اقترب منها أسرع لاستقباله السيد محمد كمونه و خادم بيك و عدد من أشرف العراق و أعيانه، و خرج أهالى بغداد عن بكره أبيهم لمشاهده الموكب الملكى، و كان هؤلاء يصطحبون معهم آلاف الأبقار فما كاد موكب الشاه إسماعيل يطل عليهم حتى ذبحوا أبقارهم.

و قدم الشاه فتأثر بسلوك أهالى بغداد و ابتهاجهم فشملمهم بعطفه و وزع أموالا طائله من الذهب و الفضة على المحتاجين و الفقراء من أهالى بغداد، ثم نزل فى بستان پير بوداغ فى الخامس و العشرين من جمادى الآخره من عام ٩١٤هـ، و اهتم بالسيد كمونه فكرمه و قربه إليه و أمر بنقر الطبول عند داره يوميا، فى الوقت الذى كان فيه نقر الطبول خاصا بالملوك و الحكام.

و أمضى الملك يومه الأول فى بغداد محتفلا بالفتح المظفر، و فى اليوم التالى شد الرحال إلى العتبات المقدسه فى كربلاء، فدخل روضه سيد الشهداء (ع) و اشتغل بالدعاء و المناجاة ثم أنعم على الساكنين بجوار الروضه الحسينيه بأنواع العطايا و الهدايا، و خص القبر الشريف بالتحف الثمينه و أمر باكسائه بطلاء من الذهب و تعليق اثنى عشر قنديل من الذهب فوقه و فرش الحرم الشريف بسجاد من الحرير.

و كان الشاه يشارك بنفسه فى القيام بهذه الأعمال مثله فى ذلك مثل الخدم و البوابين.

و فى الليله الأخيره من إقامته فى كربلاء اعتكف فى الحرم حتى الصباح مشتغلا بالعباده و الدعاء ثم ارتحل إلى النجف عن طريق الحله فلما لاحت لناظريه مشارف النجف الأشرف ترجل مسرعا إلى المرقد المقدس و تشرف بزيارته و الدعاء تحت قبته، ثم التفت إلى الخدم و السدنه فكرمهم و أجزل العطاء لهم، و أنعم بالعطاء على جميع سكان مدينه النجف و اعتكف ليله فى الحرم الشريف ثم عاد إلى الحله فاشتكى إليه بعض أهلها من إزعاج بعض قبائل أعراب الباديه لهم و لقوافلهم. فهجم عليهم ذات يوم و قتل جماعه منهم و صادر أموالهم فقسماها على جنده، ثم توجه إلى بغداد و منها إلى سامراء و الكاظميه و أجزل العطاء لسكان هاتين المدينتين.

ثم أمر خليفه الخلفاء خادم بيك بشق نهر من الفرات إلى النجف الأشرف، و القيام باعمار المدن المقدسه. و عين السيد محمد

كمونه سادنا لحرم أمير المؤمنين في النجف و نصبه حاكما على بعض مدن العراق. ثم توجه إلى ولايه خوزستان.

فتح الحويزه:

كانت بعض القبائل العربيه تعيش في الحويزه التي تقع بين خوزستان و العراق، و كان حكام هذه القبائل هم سلاله آل المشعشع.

و كانت هذه القبائل على شىء من الغلو العقائدى، فاستحدثت طقوس عباديه خاصه بها.

و في الوقت الذى أخذ فيه كوكب الشاه إسماعيل يظهر إلى الوجود، كان السلطان محسن حاكما على الحويزه، و حينما فرغ الشاه إسماعيل من فتح بغداد بلغه أن السلطان محسن مات و خلفه ابنه السلطان فياض و أن المشعشعين ارتدوا عن ديانتهم السابقه، فصاروا يرون في السلطان فياض إلها لهم.

و من جانب آخر عادت رسل الشاه إلى حاكم الحويزه خاليه الوفاض، حيث رفض الأخير الدخول في طاعه الشاه إسماعيل و الانضمام إلى الدوله الإيرانيه، و لم يكن الشاه يرضى ببقاء دوله مستقله داخل الأراضى الإيرانيه و من ثم توجه إلى الحويزه لتأديب حاكمها.

و في نفس الوقت بلغ الشاه أن السلطان العثماني يرسل حاكم لرستان الملك رستم و أن رستم أظهر له الموده، فأمر الشاه إسماعيلاًمير نجم الدين مسعود بالسير إلى لرستان برفقه بيرام بيك و حسين بيك على رأس قوه مؤلفه من عشره آلاف فارس لتأديب الملك رستم و توجه هو إلى آل المشعشع.

و سمع السلطان فياض باقتراب قوات القزلباش من حدود ولايته فخرج لها بجيش من قبائل العرب و كان بينهم العديد من الماهرين في استخدام الأقواس و البارعين في القتال بالسيوف و الرماح.

و اشتبك الجانبان فدارت بينهما معركه ضاربه، لم يستطع أى من الطرفين إحراز نصر فيها، حتى إذا حان العصر شن القزلباش حمله مركزه قتلوا فيها السلطان فياض و العديد من أمراء المشعشعين، فتشتت صفوفهم و غنم القزلباش منهم أموالاً [أموالاً] و أشياء كثيره.

و بعد إحراره لهذا الانتصار عين الشاه أحد أمراء القزلباش حاكما على الحويزه، ثم توجه إلى دزفول فأسرع حاكمها إليه بمفاتيح القلعه، فشملة الشاه بعنايته ثم توجه إلى شوشتر و كان حاكمها يعترم المقاومه، فأقام في قلعه السلاسل و هى قلعه حصينه و لكنه ما إن رأى جحافل القزلباش تزحف نحو قلعته حتى أدرك عظم الخطر المحقق به، فبادر إلى حمل الهدايا و التحف المناسبه لمعسكر القزلباش فقدمها مرفقه بمفاتيح شوشتر.

و فى الوقت الذى كانت قوات القزلباش تعسكر بالقرب من شوشتر، أمر الشاه إسماعيل باستدعاء الأمير نجم الدين و إناطه أمر لرستان بله بيك و بيرام بيك. فشدد هذان الأميران من ضغوطهما على حاكم لرستان الملك رستم فهرب من مركزه إلى رؤوس الجبال الشاهقه فاعتصم بها، و استولى أمير القزلباش على جميع أملاكه، فلم ير بدا من استدرار عطف الشاه إسماعيل و الإقلاع عن التمرد و العصيان، فبعث إلى الأميرين بممثلين عنه لأخذ عهد منهما بعدم إلحاق الأذى به فى حال استسلامه و حمله إلى معسكر الشاه معززا مكرما.

و كان الملك رستم شيعيا منذ زمن طويل و المشهور عن عائلته أنها ترجع فى نسبها إلى العباس بن على أبى طالب (ع).

فقبل بيك و بيرام بيك طلبه و حملاه معززا إلى معسكر الملك. و ما إن وصل إلى حضرته حتى أخذ ينشد أشعارا باللغه اللريه العذبه، فنال استحسان الشاه و استدر عطفه، فأمر بتزيين لحيته بأنواع الجواهر و اللآلى و الياقوت و الألماس و تزيين وجهه بما كان يفعله ملوك إيران القدماء.

و مكث الملك رستم على تلك الحال فى معسكر القزلباش يشتغل فى الخدمات الخاصه للشاه حتى أصبح من أصحابه المقربين، ثم أنعم عليه فاعاده حاكما على لرستان.

و عائله الملك رستم المسماه بالعائله العباسيه هى إحدى العوائل المعروفه فى إيران، و قد حكمت لرستان منذ زمن الدوله العباسيه فاحتلت موقعا ساميا فى نفوس جميع القبائل اللريه حتى تحولت إلى مرديدن لهذه العائله. و على الرغم من اتباع هذه العائله للمذهب الشيعى، مثل سائر القبائل اللريه فإنها كانت ترتبط بالدوله العثمانيه بروابط وديه، و كانت ترى فى هذه الازدواجيه نوعا من حسن التدبير و السياسه.

نفوذ البرتغاليين فى الخليج

فى الوقت الذى انتظمت فيه أمور خوزستان و استقرت الأوضاع فى لرستان بلغت الشاه الصفوى أبناء تفيد بان بعض الافرنج البرتغاليين قد دخلوا حدود الخليج الفارسى بسفنهم و عقدوا اتفاقا مع حاكم (هرمز) و أخضعوا (لار) و جزيره هرمز لنفوذهم. و لم يكن الشاه إسماعيل قادرا آنذاك على السيطرة على الأوضاع فى ساحل البحر، حيث كانت أجزاء كبيره من إيران و هى المحافظات الشرقيه لا تزال عرضه لهجمات الأوزبك المتكرره، و إضافه إلى ذلك كانت الدوله الصفويه لا تزال فتيه، لا تجد فرصه سانحه لتشكيل قوات بحريه و من ثم رأى أهل الحل و العقد فى الدوله الصفويه أن المصلحه تقتضى عدم الاعتراض على معاهده ملك هرمز مع البرتغاليين و الاكتفاء بمطالبه ملوك هرمز و سواحل لار بالضرائب و الخراج السنوى، و سلوك المداهنه و المداراه مع الجميع فى هذه المناطق.

و هكذا غادر الشاه إسماعيل خوزستان و توجه إلى فارس و نشط هناك للصيد فى قصبه (داراب). و كان قد بعث أحد أمرائه و يدعى أخى بيك إلى هرمز و لار قبل مغادرته لشوشتر لزياره ملك هرمز و الأمير علاء الملك الحاكم العام لهرمز و لارستان و لمطالبتهما بالخضوع و الانقياد لسلطان ملك إيران. و عاد السفير من زيارته فى الوقت الذى كان الشاه إسماعيل لا يزال مشتغلا بالصيد و الترويح عن النفس، فقدم إليه أنواع الهدايا الثمينه و مبالغ طائله من الضرائب و الخراج حملها معه من هرمز و لار.

و كانت أحداث هرمز و التطورات السياسيه فيها تحظى آنذاك باهميه قصوى فقد كانت المره الأولى التى تتصادم فيها مصالح دوله أوروبيه مستعمره مع مصالح الإمبراطوريه الإيرانيه.

و قد بدأت هذه التطورات منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى حين أخذت أسعار التوابل التى كانت تحمل إلى أوروبا من جزر المحيط الهندى تتصاعد بصورة مستمره فبدأت أكثر الدول الأوروبيه تسعى لاكتشاف الطرق التى يمكن بها الحصول على التوابل بأسعار منخفضه لتباع فى أوروبا بأسعار مرتفعه.

و كان ملك البرتغال دومزوا الثانى أحد الناشطين لهذا السعى، حيث أرسل العديد من بعثات الاستكشاف التى كان هدفها الرئيس البحث عن البلدان التى تتواجد فيها التوابل.

و بمناسبة ذكر التوابل و ندره الحصول عليها و ارتفاع أسعارها فى أوروبا، تجدر الإشارة إلى أن تجاره الشرق مع أوروبا كانت قبل القرن الخامس عشر بيد أهالى ولايه جنوى و هى ميناء يقع فى غرب إيطاليا على سواحل البحر المتوسط ثم أخذت جمهوريه البندقيه (و هى فى الوقت الحاضر ميناء إيطالى أيضا، كانت مستقله فى تلك العصور) زمام التجاره بيدها، فأصبحت لها تجاره واسعه مع الشرق، و لكنها فقدت قاعدتها الأساسيه للتجاره مع الشرق باحتلال الأتراك العثمانيين لمدينه القسطنطينيه و بدأت كبرى الطرق المؤديه إلى الهند تنقطع تباعا و أصبح الوصول إلى الهند عن طريق البر أمرا متعذرا حتى بالنسبه للعثمانيين، حيث كانوا فى أغلب الأوقات فى صراع و خلاف مع إيران. و لم يبق سوى البحر الأحمر

طريقا إلى المحيط الهندي، و لكن حتى هذا الطريق لم يكن خاليا من الصعوبات، إذ كان سلاطين مصر يخضعونه لاشرافهم و مراقبتهم. و ما زال على هذه الحال حتى استولى السلطان سليم العثماني على دوله مصر.

و إضافه إلى ذلك كان البابا يلعب التجار الذين يسلكون في تجارتهم طريق البحر الأحمر، حيث كان البابا لا يرغب أن تمر تجاره الشرق مع الغرب عبر المسلمين.

و حين اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح، و استطاعوا الانتقال من المحيط الأطلسي و الالتفاف حول إفريقيا للوصول إلى المحيط الهندي، حين ذاك ازداد ملك البرتغال عزمًا على الوصول إلى بلدان التوابل و السيطرة عليها.

و من بين عده بعثات توجهت إلى الشرق استطاعت واحده الوصول إلى ساحل كلكتا و ساحل پوا، فأقامت هناك مركزا تجاريا و بنت قلعه عسكريه و من ثم أخذت توجد السبل الكفيله باقامه إمبراطوريه واسعه للبرتغال في شرق الكره الأرضيه.

و في عام ١٥٠٦ م عزم أحد رؤساء البعثات البرتغاليه و يدعى (آلبو كرك) على إخضاع الخليج الفارسي للسيطره البرتغاليه حيث كان هذا الخليج آنذاك أهم مركز للتجاره بين الشرق و الغرب و كانت جزيره هرمز أهم مركز تجاري فيه.

و ثمه عاده ظلت قائمه في هذه المناطق منذ عهد الساسانيينو هي تسميه حكام الموانئ التجاريه بملوك الموانئ، و في الوقت الذي نتحدث عنه كان حاكم هرمز حاكما على جميع مناطق الخليج الفارسي و هو تابع بدوره من الناحيه السياسيه لحاكم (لار) و يتبع هذا بدوره أيضا لحاكم فارس، و كانت حكومه لار آنذاك منحصره في إحدى العوائل الإيرانيه العريقه و كذلك كان الحكم في هرمز.

بلغ (آلبو كرك) مدينه مسقط بعد التفافه حول شبه الجزيره العربيه، و كانت مسقط آنذاك تابعه لملك هرمز فاشتبك أهلها مع قوات آلبو كرك في حرب لم تستمر طويلا ثم استسلموا و قبلوا بدفع الخراج و الضرائب لحكومه البرتغال بعد أن كانوا يدفونها لملك هرمز.

و كان آلبو كرك قبل وصوله مسقط قد توقف في (رأس الحد) و هي أول الأراضي الإيرانيه و أضرم النار في أربعين سفينه صيد كانت موجوده هناك و أسر أهلها ثم أغار على ميناء كوريات الصغير و ارتكب المجازر فيه، و بعد ذلك قدم إلى مسقط و أرغم أهلها على القبول بدفع غرامه من الذهب إلا أنهم تاخروا في الدفع فكان الجزاء إحراق المدينه بمسجدها ثم أحرق السفن الراسيه بإزاء ميناء مسقط و لم يكتف بذلك بل عمد إلى الأسرى الذين وقعوا في قبضته من أهالي المدينه فصلم آذانهم و جدد أنوفهم. و غادر مسقط متوجها إلى ميناء صحار، فأرغم الأهالي فيه على دفع خراجهم إلى ملك البرتغال بدلا عن ملك هرمز، ثم توجه إلى ميناء (خورفكان) فنهض أهله للمقاومه فهاجمهم و نهب أموالهم ثم أحرق الميناء و أخذ الأسرى الذين وقعوا في يده ففعل بهم فعلته بأسرى مسقط.

و أخيرا توجه آلبو كرك إلى جزيره هرمز و أرسى بإزائها و حين شاهد البرتغاليون سعه المدينه و كثرة العمران فيها و وجود عدد من السفن الحريه بكامل تجهيزاتها في مينائها أحجموا عنها و راجعوا آلبو كرك في شأنها مطالبينه بالتزام الحيطه و الحذر، و مكث آلبو كرك يتدبر الأمر و يتحسس أوضاعها الداخليه حتى اطمأن إلى سلامه موقفه و رجحان كفته و علم أن ملكها صبي

فى الثانى عشره من عمره و إداره أمورها بيد وصيه الخواجه عطار، و هو من ذوى الحزم و الرأى.

و حىن أحوط الخواجه عطار علما بقدم آلوكرك باسطوله باشر بتجهىز القوات فاحضر إلى مىناء الجزىره عددا كبرىا من السفن ثم استاجر جماعات كبرىه من المحاربىن من الأراضى الإىرانىه و أرض الحجاز فبلغ عددهم فى الجزىره حىن قدم آلوكرك ثلاثىن ألف مقاتل، من بىنهم أربعة آلاف محارب إىرانى معروفىن بمهارتهم فى إطلاق النبال. و إضافه إلى هؤلاء كانت لىده قوته البحرىه المؤلفه من أربعمائه سفىنه بىن صغىره و كبرىه و ألفىن و خمسّمائه مقاتل.

و طلب آلوكرك من ملك هرمز فى بادئ الأمر الخضوع لسلطه ملك البرتغال فأبى الأخرى ذلك و حىنئذ شن البوىرك [كرك] هجومه رغم قله قواته مستعىنا بالحرب النفسىه فقد كان على غرار أكثر الأوروبىن المستعمرىن ىدرك الثغرات فى الحكومات الضعىفه.

و استغل الثغرات الكامنه فى حكومه هرمز فراح يؤكد لرجالها أن البرتغال فى حال خسارتها الحرب لن تقف مكتوفه الأىدى بل ستعاود الكره مره بعد أخرى حتى تنتقم لخسارتها و فى حال خساره ملك هرمز فىها فان حكومته ستنقرض حتى على فرض قدم المدد من داخل الأراضى الإىرانىه.

و من جانب آخر كان الخواجه عطار و رجاله ىأسىن من وصول نجدات إىلهم، فقد كانت عائله الآق قوىونلو آخذه بالانقراض آنذاك و كان الشاه إسماعىل مشغولا بالحروب الداخلىه المثاره علیه و إخضاع الولايات المركزىه فى إىران لسىطرتة.

و هكذا وجد ملك هرمز نفسه مرغما على القبول بتبعىه البرتغال فدفع غرامه حربىه مقدارها خمسّه آلاف (زرافىن) من الذهب و تعهد بدفع خمسّه عشر ألف زرافىن أخرى سنوىا إلى البرتغال كخراج سنوى (تعادل كل ١٦ زرافىن لىره ذهبىه إنجلىزىه واحده تقربىا). و إضافه إلى ذلك وقع ملك هرمز اتفاقا مع آلوكرك تعهد

بموجبه بإعفاء البضائع البرتغاليه من الرسوم الجمركيه و عدم فرض ضرائب على البضائع التي يشتريها البرتغاليون بما يتجاوز الضرائب المفروضه على سكان الجزيره أنفسهم، و عدم السماح للسفن التي لا تتبع الجزيره بالتجاره في الخليج إلا باذن من البرتغاليين، و استطاع البرتغاليون بشرطهم الأخير أن يحصروا التجاره في الخليج في إطارهم الخاص.

و مع عقد الاتفاق المذكور في عام ١٥٠٧ م ٩١٠ هـ باشر آلبوكرك ببناء قلعه محكمه في الجزيره و مركز تجارى كبير و حث العاملين في هذا المركز على تخفيض الأسعار ما أمكنهم من أجل كسب المسلمين و ربطهم بالمركز.

و حين بلغت الشاه إسماعيل أخبار هذه الأحداث بعث إلى حاكم هرمز بوفد لمطالبته بأداء الضرائب السنويه المتعارف عليها.

و راجع حاكم هرمز آلبوكرك في الأمر فأجابه الأخير قائلا:

ليس لملك هرمز حق في دفع الضرائب و الخراج لأى دولة غير دوله البرتغال، فإذا خالف هذا الأمر عزلناه و أقمنا شخصا آخر بدلا عنه. ثم أخذ آلبوكرك مقدارا من الذخير و قذائف المدفعية و البارود و البنادق و دفع بها إلى رسول ملك هرمز قائلا: قل لملكك أن يبعث بهذه الأشياء إلى الشاه إسماعيل و يخبره بان البرتغاليين لا يقدمون سواها إلى عدوهم و أن آلبوكرك بعد فراغه من بناء قلعته سيتوجه إلى جميع موانئ الخليج الفارسي ليحتلها باسم ملك البرتغال و ينتزعها من سيطره الشاه إسماعيل.

و لم ينفذ آلبوكرك شيئا من تهديداته هذه، حيث نشب خلاف بين ملاحى سفنه و ضباط بحريته فاضطر الجميع للتوجه إلى الهند و طرح شكواهم على نائب الملك البرتغالى فى ميناء پوا.

و بعد عوده آلبوكرك إلى الهند بعث الشاه إسماعيل بسفير إلى البلاط الشيعى فى بيجابور و طلب منه التوجه من هناك إلى نائب الملك البرتغالى و توطيد العلاقات الوديه معه. و حين وصل السفير ميناء پوا كان نائب الملك الأول قد رحل عن المنطقه و عين آلبوكرك محله حسب الأوامر الصادره عن ملك البرتغال.

و نجح السفير فى إقامة العلاقه الوديه مع نائب الملك الجديد فاعترف الأخير رسميا بخضوع ملك هرمز للشاه إسماعيل. و لكن هذا الاعتراف لم يستمر طويلا، فبعد أن هاجم العثمانيون إيران و اندلعت الحرب و انصرف الشاه إسماعيل باهتمامه للمناطق الغربيه من إيران، استغل آلبوكرك الاضطرابات التي حصلت آنذاك فى هرمز و توجه إليها فى ست و عشرين سفينه حربيه و ألفين و مائتى مقاتل.

كان حاكم هرمز آنذاك الملك سيف الدين خاضعا لأوامر الشاه إسماعيل لعدده سنين و ما زال متربعا على عرشه حتى خرج عليه أحدهم و يدعى الرئيس حامد الذى ألقى القبض عليه و أودعه السجن. و اغتتم آلبوكرك هذه الأحداث فتوجه إلى الجزيره و أمر بدكها بالمدفعية حالما اقترب منها، و كان القصف المدفعى عنيفا فأصيب الرئيس حامد بالرعب و بادر إلى إطلاق سراح الملك سيف الدين و دارت بين الجانبين مفاوضات طويله انتهت باحتلال البرتغاليين لقلعه الجزيره و رفعوا علمهم على مشارفها بل و على قصر الحكومه ذاته.

و بعد فتره من احتلال الجزيره بعث الشاه إسماعيل بسفيره إلى البرتغاليين و كانت إيران آنذاك فى حاجه ماسه للأسلحه الناريه

للدفاع عن نفسها لأنها كانت باستمرار عرضه لهجمات العثمانيين مما اضطرها إلى التوجه إلى مصادر السلاح في أوروبا و استطاع السفير الإيراني الحصول على مقادير من المدافع و البنادق و عدد من المتخصصين في صناعه المدافع.

و لما وجد الشاه إسماعيل نفسه عاجزا عن مواجهه البرتغاليين و أسطولهم البحري الضخم. و لم يكن يملك أية قوه بحريه، و الحرب من أجل استرداد هرمز يقتضى لها قبل كل شىء قوى بحريه، سلم بالأمر الواقع.

و إذن فقد تزامنت حركه الشاه إسماعيل من شوشتر إلى فارس فى عام ٩١٥ هـ مع انسحاب آل بوكرك من الخليج الفارسى على أثر الخلافات التى حصلت بين ضباط بحريته و ملاحى سفنه، و اغتنمت إيران هذه الفرصه ففرضت سيطرتها على موانئ و جزر الخليج الفارسى و أحكمت الدفاع عنها بقوات كافيه لا سيما المدن الساحليه الرئيسيه. و فرضت على ملك هرمز دفع الضرائب و الخراج و الانقياد للحكم فى إيران، و لكن كما ذكرنا آنفا، لم تستمر هذه السيطره فتره طويله بسبب انشغال إيران بصد هجمات العثمانيين عليها، فأعاد البرتغاليون الهجوم على الخليج الفارسى و سيطروا على البحرين و جزيره هرمز و غيرهما.

الطعن بالأمير نجم

أمضت قوات القزلباش شتاء عام ٩١٤ هـ و ربيع عام ٩١٥ فى ولايه فارس، و انصرف الشاه إسماعيل خلال هذه الفتره إلى تنظيم أمور البلاد و أحيانا إلى اللهو و المتعه.

و من أبرز الأحداث التى وقعت خلال تلك الفتره، عزل و قتل القاضى محمد الكاشى. و كان هذا القاضى قد جمع منصبى الصداره و الاماره فى الديوان الأعلى أى جهاز الحكم فى الدوله.

و استطاع بذكائه و فطنته و تدبيره أن يلفت انتباه الشاه إسماعيل إلى بعض صفاته و يكتسب حبه و مودته حتى أصبح لا ينافس فى مكانته و صلاحياته.

و حين عين الأمير نجم الپيلانى [الكيلانى] فى منصب أمير الأمراء بصلاحيات مطلقه، رأى القاضى محمد تعارض وجود الأمير نجم مع مصلحته، فعمد إلى القيام بعمل لو قدر له التنفيذ فى دوله فتيه

مثل الدوله الصفويه لانتهى بها إلى السقوط لا محاله. و لكن الشاه إسماعيل كان يتمتع بكثير من الذكاء و الدهاء و حسن التدبير، فلم يكن يقبل بتقاليد التركمان و المغول و أعرافهم الفاسده، التي خلفها الأتراک الطورانيون فى إيران، و تقليد التقرير هو كما يلي:

حينما يكون فى الدوله وزيران أو أميران متنفذان فى إداره الدوله، و يبدآن فى التنافس فيما بينهما، يعمد أشرهما طبعاً و أسوأها عنصرًا إلى تحين الفرص للإيقاع بصاحبه، و حينما يرى الملك المنغمس فى اللهو و المتعه يحتاج إلى المال، يبادر إليه قائلاً: لو أمكننى الله من فلان (خصمه) لقدمت كذا مبلغاً من المال ثم اتبعته فيما بعد بآخر، و دون أن يلتفت الملك إلى سوء طبع هذا الوزير و فساد أخلاقه و دون أن يراعى الخدمات التي قدمها الوزير الآخر، يأخذ الطمع فيقبل المبلغ و يأمر بتسليم الوزير الذى شمله التقرير لعدوه و منافسه ليفعل به ما يشاء، و من الطبيعى أنه يتعرض للتعذيب و مصادره أمواله و غالباً ما تزهق روحه تحت التعذيب.

و كان تقليد التقرير شائعاً فى زمن السلاجقه و تكرر حدوثه فى زمن المغول و حكومه التركمان و لكنه اقترح لأول مره فى زمن الدوله الصفويه من قبل القاضى محمد الكاشى و دفن معه، فلم يجرؤ شخص بعدها على اقتراحه طوال عمر الدوله الصفويه حيث منع رجال البلاط و كبار موظفى الدوله من اللجوء إلى هذه العاده المنكره.

و من الطبيعى أن يعد الشاه إسماعيل من أهم أركان العدالة فى إيران بقضائه على هذا التقليد الفاسد.

و خلاصه القول: إن القاضى محمد بعد أن رأى تفاقم أمر الأمير نجم و تعاظم شأنه و سيطرته على أزمه الدوله و شئونها الاداريه و العسكريه، أخذ يكيد له و يسعى للقضاء عليه بأنواع المكاييد و الحيل.

إلا- أن جهوده كانت تذهب هباءً فى كل مره، و لذلك بادر إلى ما هو أخطر، فقد كان ذات يوم جالسا مع الشاه إسماعيل فى مجلس لهو و أخذ يتجاذب معه أطراف الحديث حتى وصل الأمر إلى الأمير نجم فقال له القاضى: إن الأمير نجم قد أخذ من خزانة الدوله مبلغاً قدره عشرون ألف تومان، فإذا أوكل أمره إلى فسأسترد منه إلى الخزينه مبالغ طائله و سترى منى فى إداره شئون البلاد غايه الخبره و الحكمه.

(و المقصود بالتومان هنا هو التومان الذى يعادل عشره آلاف دينار أو مال يقارب مائه مثقال من الذهب الخالص).

و حينما سمع الملك الشاب ذو العاطفه الجياشه تقرير القاضى الشرير أعرض بوجهه عنه و غير مجرى الحديث، لأن القاضى محمد قد فضح بتقريره هذا طبيعته الخبيثه و لؤمه و فساد خلقه، و تعرف الملك على حقيقته التي كان عليه أن يتعرف عليها منذ زمن بعيد، و أضمر الأمر فى نفسه ثم صارح به الأمير نجم بعد أيام و بعد ذلك أمر بتسليم القاضى محمد إلى الأمير نجم لمجازاته.

و كان الأمير نجم رجلاً شريفاً طيب القلب فعزم على مؤاخذته باللين و تغريمه مبلغاً من المال ليعفى عن جريرته و لكن العديد من الناس شكوا منه و من المظالم التي ألحقها بهم بعد أن كانوا يخافون سطوته فلا يجرءون على النيل منه أو الشكوى من مظالمه، فبدأت قبائحه تنكشف للعيان شيئاً فشيئاً حتى أصبحت عقوبته لا بد منها. فاجتمع الديوان الأعلى و ثبتت جرائمه و

فضائحه فأمر الملك بقتله فقتل.

و كان القاضي محمد يحمل عنوان الصداره، إلا أنه فى الحقيقه تجاوز هذا العنوان ليتدخل فى جميع مهام وظائف كبار الوزراء و الأمراء، و عند ما قتل آلت الصداره إلى الأمير شريف الدين على و هو أحد أبناء الأمير السيد شرف الدين على الپورپانى [الگوركانى].

و كان هذا السيد محمود الطبع و السيره، لائقا بانتسابه إلى جده السيد شريف الپورپانى [الگوركانى]، فباشر فور تصديه لمنصب الصداره إلى إصلاح الأمور القضائيه و ضمان الأمن الاجتماعى و تطوير المدارس و الحوزات العلميه و سعى جاهدا فى إنفاق أموال الأوقاف فى موارد المقرره.

احتلال بلاد شيروان

توجه الشاه إسماعيل إلى أصفهان بعد فراغه من أمور فارس و الموانئ، فأقام فيها و باشر بتعميرها و توسيعها و تزيينها و من ذلك قيامه بتوسيع ميدانها الذى كان آنذاك صغيرا و ضيقا و تزيينه بأنواع النقوش و الأعمال الفنيه الأخرى، فاسماه بعد اكتماله بميدان (نقش جهان) الذى نشط حفيده الشاه عباس الكبير فيما بعد بتعميره و إحداث تغييرات جديده فيه.

و بعد الفراغ من بناء الميدان و تزيينه غادر الشاه مدينه أصفهان متوجها إلى همذان فامضى فيها فصل الصيف ثم توجه إلى آذربايجان، و ما إن سمع أهالى تبريز بقدم موكب ملكهم المحبوب حتى أسرعوا إلى لقائه و أقاموا الاحتفالات و الأفراح بهذه المناسبه بعد غيابه الطويل.

و خلال هذا السفر أصيب الأمير نجم بالحمى ثم اشتدت عليه، فلما غادرت قوات القزلباش مدينه تبريز و توجهت إلى شبستر و سواحل بحيره أروميه التى تميزت باعتدال مناخها فى فصل الشتاء، فارق الأمير نجم الحياه، فأمر الشاه بنقل جسده إلى النجف الأشرف.

و كان الأمير نجم رجلا مدبرا حكيما و جديرا بمنصبه، و من

ثم فقد أعطى صلاحيات واسعة، واستغل هذه الصلاحيات فى إصلاح أمور البلاد و القضاء على الفساد الادارى و سوء التصرف بعائدات الدوله و أموال بيت المال، و لذلك كان موته صدمه عنيفه للشاه الصفوى الشاب و حرمه من وزير لائق بهذا المنصب، فخيم الحزن عليه فتره طويله و قد أعلن الحداد العام فى جميع دوائر الدوله بعد وفاه الأمير نجم و استمر هذا الحداد لعدده أيام و أقيمت مراسم العزاء و بعد أسبوع عين الأمير يارأحمد الأصفهانى فى منصبه الذى كان عباره عن وكالة الملك و النيابة عنه، تنفيذًا لوحيه الأمير نجم فى حضور الشاه إسماعيل بتعيين هذا الأمير خلفًا له، و لقب يارأحمد بنجم الثانى.

و كانت صلاحيات نجم الثانى كبيره جدا إلى حد أنها تجاوزت صلاحيات سلفه، فقد أصبح جميع الأمراء و الوزراء و أركان الدوله يأترون بامرهم و يخضعون لاشرافه و كذلك خضعت لاشرافه جميع الشئون الاداريه و الماليه فى البلاد. و كان الأمير نجم الثانى بحق رجلا مدبرا، ذا همه عاليه، عادلا فى سيرته و تعامله مع عموم الناس، و لكن الأمر الذى يجدر ذكره هنا هو أن كثره الصلاحيات فى بلد واسع مثل البلاد الإيرانيه لا بد أن يخلق نوعا من الغرور و الاستبداد فى الرأى و من الطبيعى أن كل من يتخلق بهذه الصفات هالك لا محاله.

و فى نفس هذه السنه امتنع حاكم شيروان شيخ شاه عن دفع الضرائب و الخراج إثر تحريض المغرضين و خصوصا البلاط العثمانى، فأخذت وفود الشاه إسماعيل تتوافد عليه لهديته و نصحه بالكف عن غيه و دفع ما بذمته، و لكنها كانت تواجهه فى كل مره بالرفض القاطع، فلم ير الشاه إسماعيل مندوحه من التوجه إليه و تأديبه و من ثم غادر (خوى) متوجها إلى شيروان فى فصل الشتاء رغم غزاره الأمطار و نزول الثلوج.

و ما كادت أخبار قدوم جيش القزلباش تبلغ شيخ شاه حتى غادر عاصمته (شماخى) و توجه إلى قلعه بيغرد (بهبرد [بهبگرد]) المنيعه فاعتصم بها، و عرف الشاه إسماعيل بالأمر فوجه قوه من جيشه لاحتلال مدينه شماخى و توجه بمن معه إلى قلعه بادكوبه [بادكوبه] المحصنه، إلا أن حاكمها أسرع لاستقباله و إعلان طاعته و تسليم مفاتيح القلعه للشاه الصفوى.

و غادر الشاه قلعه بادكوبه بعد ذلك إلى ولايه شادبران، فبادر حاكمها إلى استقباله و إعلان طاعته له و هكذا كان الحال فى جميع القلاع و الولايات باستثناء قلعه دربند، فقد وقف حكامها للدفاع عنها لاطمئنانهم إلى استحکاماتها و منعها.

و حين يئس الشاه إسماعيل من حاكمى القلعه أحمد آقا و محمد بيك أسرع إليها بقواته فحاصرها و أمر جنود القزلباش بنقباها و إحداث الخنادق فيها، و أفلح القزلباش خلال خمسه أيام باحداث اثنى عشر نقبا فى جانبى القلعه رغم صعوبه المكان و صلابه الصخور فيه و استثنى جانبا القلعه الآخران من العمليات العسكريه و هما الجانب المطل على بحر الخزر و جانب البوابه المعروفه بالبوابه الحديدية أو باب الأبواب و التى تمر الآن السكك الحديدية بين بادكوبه و موسكو عبر الوادى المجاور لها.

و شاهد محمد بيك و أحمد آقا نشاط القزلباش فأدركا أن سقوط قلعتهم قادم لا محاله، فلم يريا بدا من التنازل عن المقاومه و طلبا الأمان من الشاه إسماعيل، فامنهما و قربهما إليه و أدخلهما فى سلك خدمه الخاصين، ثم عين منصور بيك حاكما لدربند و نصب بيك حاكما على بلاد شيروان.

و فى تلك الأيام أمر الشاه بعض خاصته و مقربيه باستخراج جسد السلطان حيدر الذى دفن فى قصبه طبرستان خلسه قبل ٢٢ عاما

و نقله إلى مقبره العائله الصفويه لدفنه فيها إلى جوار جده الشيخ صفى الدين فى أردبيل.

و بعد الفراغ من فتح بلاد شيروان توجهت قوات القزلباش إلى مشتى قراباغ فامضت فيه بقيه أيام الشتاء، و مع حلول عيد نوروز و دخول الربيع توجهت إلى تبريز فاستقبلها أهالى المدينه بالزينه و الاحتفالات.

و فى تبريز انصرف الشاه الصفوى إلى تنظيم شئون مملكته و متابعه أمور القفقاز و آذربايجان و ديار بكر و رفع حوائج المعوزين.

و بعد فراغه من ذلك عزم على السير لفتح خراسان، فغادر مدينه تبريز متوجها إلى سلطانيه و هناك أصدر أوامره باستدعاء القوات العسكريه.

فتح خراسان

يذكر التاريخ أن آخر الملوك الذين خلفوا الأمير تيمور و تربعوا على عرش خراسان هو السلطان حسين ميرزا بايقرا الذى تزامنت السنين الأخيره من حكمه مع بدايه حكم الشاه إسماعيل.

و كانت الموده هى الطابع العام الذى يغلب على العلاقات بين السلطان بايقرا و الشاه إسماعيل، إلا أن بدايه الأمر لم تكن كذلك، فحين باشر الشاه إسماعيل بالقضاء على أمراء الآق قويونلو، لجا بعضهم إلى خراسان و سعى للإيقاع بين بلاط هرات و بلاط تبريز، فكان أن تغيرت لهجه حكومه بايقرا فى مراسلاتها مع بلاط الشاه الصفوى فلم تراعى الأدب و الاحترام، و انزعج الشاه لهذا التغير و أضمر الأمر فى نفسه.

و فى تلك الأثناء حدثت اضطرابات فى يزد بزعامه عدد من المشاغبين و على رأسهم محمد كره، فأسرع الشاه إسماعيل إلى يزد و قضى على رؤوس الفتنة فيها، ثم توجه إلى صحراء طبس فقتل العديد من المسلحين و أفراد الجيش فيها، و ألقى بذلك الرعب فى قلوب الخراسانيين و وجه إليهم إنذارا صريحا، و خشى السلطان حسين بايقرا عاقبه الأمر فبعث إلى الشاه الصفوى بوفد لتوطيد أواصر المحبه معه و الاعتذار إليه عما بدر من حكومته.

و لم يكن الشاه إسماعيل لينسى العلاقة القديمه بين الأمير تيمور پورپان [گوركان] و مشايخ الصفويه، فرحب بالعلاقه الجديده و قبل الاعتذار، و أصبح منذ ذلك الحين يخاطب السلطان حسين بايقرا الذى بلغ آنذاك من الكبر عتيا بالأب، و استمرت العلاقات الوديه بين الطرفين حتى نهايه الدوله التيموريه.

و فى عام ٩١١ هـ توفى السلطان حسين بايقرا و خلفه على العرش فى هرات ابنه بديع الزمان ميرزا و مظفر حسين ميرزا مشتركين فى حكم البلاد، و لكن أبناء الملك الآخريين رفضوا الانصياع لأوامر أخويهم، مشتركين فى ذلك انفراد أكبرهم بديع الزمان ميرزا بالحكم، لأنهم لم يكونوا يرون فى مظفر حسين ميرزا فضلا عليهم.

و قد أحدث هذا الشقاق اضطرابا فى الأوضاع الداخليه للبلاد، و أطمع أعداء خراسان فى الخارج بالاستيلاء عليها و منهم محمد خان الأوزبكي المسمى ب (شاهى بك خان) و (شيبك خان) أو (شيبانى خان)، فما كاد يسمع هذا بوفاه السلطان حسين و حدوث الاختلاف بين أبنائه حتى بادر إلى حشد قواته و أسرع بها إلى خراسان فبلغها قبل أن يستعد الأمراء التيموريون لمواجهته، و وقفوا لمقاومته فى قوه صغيره فهزمهم محمد خان الأوزبكي و دخل مدينه هرات دون كثير عناء، و كان ذلك فى عام ٩١٣ هـ.

و باشر محمد خان (شيبك خان) فور فراغه من احتلال عاصمه خراسان بإرسال القوات إلى جهات خراسان الأربعه، فاستولى على الأراضي الممتده حتى حدود دامغان و سمنان و من جانب آخر حتى ولايه قندهار و سيستان و أطلق لقواته العنان فى الاعتداء على الأعراض و النهب و السلب، و لم يتوان عن ارتكاب المجازر و سلب الأموال و إيذاء الناس فى أكثر مدن خراسان و نواحيها.

و قد قضى شيبك خان على الأمراء التيموريين الواحد تلو الآخر و تزوج بنسائهم حسب الشرع و بدونه و لم ينج منهم إلا من أفلح فى الافلات من قبضته و اللجوء إلى بلاط الشاه إسماعيل.

و بعد أن أحكم شيبك خان قبضته على مملكه التيموريين بما فيها خراسان و رأى نفسه دون منافس فى حدود تركستان و أن بلاده قد امتدت إلى مساحات شاسعه بدءا من حدود منغوليا و حتى حدود العراق، أخذ يفكر بالتوسع غربا، فبعث برسالة وقحه إلى الشاه إسماعيل زعم فيها أنه ينوى حج بيت الله الحرام و لذا يتوجب على الملك الصفوى أن يعبد الطرق له و يخزن المؤمن و الذخير و العلف لقواته فى الخانات الممتده على طول الطريق.

و رد الشاه إسماعيل عليه بأسلوب مؤدب يظهر مدى الدبلوماسية التى كان ينتهجها فى حياته السياسيه حيث كتب إليه ما يلى: "إن أسلوبكم لا يليق بشأن الملوك، و إذا كنتم عازمين على حج بيت الله فنحن عازمون على زياره حضره سلطان السلاطين على بن موسى الرضا (ع) و سنلتقى بكم أينما أحببتم". و كان الشاه إسماعيل يدرك حقد محمد خان ملك الأوزبك و أطماعه التوسعيه، فلم يتوان عن إرسال السفراء [السفراء] البارعين فى الخطابه و تلافى الأمور و اغتنام الفرص، و من بينهم الشيخ محيى الدين أحمد المعروف بشيخ زاده اللاهيجانى و هو من كبار المشايخ و يحظى باحترام القاصى و الدانى و من بينهم أيضا العالم المشهور القاضى ضياء الدين نور الله حيث حمله رساله إلى مرو طلب فيها من ملك الأوزبك كف عماله عن ارتكاب المظالم بحق الناس، و طالبه بالغرامه لما ارتكبه بعض أقوام الأوزبك فى غارتهم على حدود كرمان و قتلهم للمزارعين فيها و نهبهم

و يذكر صاحب (حبيب السير) أنه في الوقت الذي كانشيخ زاده اللاهيجاني لا يزال في بلاط الأوزبك بعث شيبك خان أحد سادات خراسان و هو الأمير كمال الدين حسين الأبيوردي إلى بلاط الشاه إسماعيل برسالة مفعمه بأساليب التهديد.

و لم يكن محمد خان الأوزبكي يغفل عن تحريض أمراء الدوله الصفويه في الولايات المجاوره لأرض العراق و دفعهم إلى الخروج عن طاعه الشاه إسماعيل، و من هؤلاء حاكم مازندران آقا رستم الذي غرته وعود شيبك خان و أثرت به تحريضاته، فكان أن أجاب رسل البلاط الصفوى القادمين إليه لجبايه الضرائب السنويه و الخراج قائلا: "ما دمت أحتمى بالملك محمد خان الشيباني فلن أخشى الشاه إسماعيل و لن أهابه".

و لم يطق الشاه إسماعيل غرور شيبك خان و أطماعه التوسعيه، فعزم على تحقيق حلمه في توحيد جميع الولايات الإيرانيه تحت سلطته و من ثم أمر في السلطانيه في شهر رجب عام ٩١٦ هـ باستدعاء جميع القوات العسكريه من عراق العرب و عراق العجم و فارس و كرمان و كردستان و لرستان و أران و آذربايجان فقدم إليه أمراء و حكام هذه الولايات بعدد كبير منها.

و انتظمت القوات و قادتها و أمراؤها في السلطانيه في عرض مهيب و تشكلت من القاده لجنه، اجتمع بها الشاه و خطب شارحا تطور العلاقات الإيرانيه - الأوزبكيه معرضا بذكر التهديدات و الاهانات التي وجهها ملك الأوزبك لشخصه و دولته ثم استشارهم في السير لفتح خراسان التي تعد النصف الأيمن من إيران، فأشار عليه الحاضرون بالإجماع بالسير للفتح دون تردد أو تلكؤ، و بعد استماعه لآرائهم و إجماعهم على ما عزم عليه، أمر باقامه الاحتفالات و نصب موائد الطعام. ثم وزع على الحاضرين أنواع الهدايا و الحلل و الخلع و أهدهم جيادا و إبلا من الاصطبل الملكي، و في صبيحه اليوم التالي نفخت الأبواق معلنه البدء في التحرك فانتظمت صفوف قوات القزلباش في صفوف و أفواج متناسقه ثم تحركت تحت إمره قادتها الأبطال.

و هنا تجدر الإشارة إلى شىء مهم غفل المؤرخون عن ذكره و هو كون الخانقاه الصوفى آنذاك من أهم الوسائل الاعلاميه و الدعائيه و وسائل جمع الأخبار و توزيعها.

و يرجع وجود الخانقاه الصوفى فى خراسان إلى عهد السلطان ميرزا شاه رخ و ميرزا ألغ بيك الپورپانى [الگوركانى] حين باشر شاه قاسم أنوار تثبيت دعائمه و أسسه. و كان شاه قاسم قد تخطى مراحل السير و السلوك و التعاليم الصوفيه على يد الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفى الدين. و قد سافر إلى هرات حينما كان سائحا و كان عليها الميرزا شاه رخ ابن الأمير تيمور و هو فى علاقات غير وديه مع أمراء الآق قويونلو و القره قويونلو و من جانب آخر كان يعتقد أن الصوفيه تؤيد هؤلاء الأمراء، فلم يرحب بقدوم شاه قاسم، فغادر الأخير هرات إلى سمرقند فاستقبله الميرزا ألغ بيك الخورپانى [الگوركانى] بالترحيب و الاحترام و أعد له أسباب الراحة فى عاصمته و بدأت طريقه شاه قاسم العرفانيه تنتشر فى هذه المنطقه منذ ذلك الحين، و كانت طريقته فى الحقيقه هى عين الطريقه الصوفيه.

و حينما ظهر الشاه إسماعيل، أخذ أهل السير و السلوك و الدراويش فى خانقاهات خراسان يحيطونه علما بجميع أحوال و أوضاع مناطقهم، و من ذلك إبلاغهم إياه فى أواخر عام ٩١٥ بتحرك جيش جرار بقياده أبناء محمد خان و بعض أقاربه من (مرو) إلى ترپستان [تركستان] الشرقيه لاحتلال مناطق جديده فى حدود كاشغر و حدود التبت و الصين.

و كان الشاه إسماعيل يتحين الفرصه المناسبه لانتزاع خراسان من مخالبا الطورانيين و ضمها إلى إيران و من ثم رأى فى هذه التطورات فرصه مؤاتيه لتنفيذ ذلك و استصوب رأيه قاده الجيش و رجال إيران.

و كانت ثمه مجموعه من الرواد تتقدم جيش القزلباش و هى تحمل رايات خضراء و ترتدى ملابس رسميه فاخره، و تواصل إنشاد الأشعار المؤثره فى مدح سيد النجف و آل بيت الرسول، فكان أهالى المدن و القرى يهرعون لمشاهده هذا الموكب و الإصغاء إلى أشعاره و أناشيده المهيجه و غالبا ما كان الناس يجهشون بالبكاء لشده تأثيرهم.

و هكذا توجهت قوات القزلباش من السلطانيه إلى الرى و منها إلى سمنان ثم إلى حدود دامغان، و كان عليها صهر محمد خان الشيبانى و يدعى أحمد سلطان.

و ما كاد أحمد سلطان يطلع على قدوم قوات القزلباش نحو ولايته، حتى ترك أمواله و أملاكه و لاذ بالهرب، و كذلك فعل حاكم أسترآباد الخواجه أحمد قنقرات حيث ترك ولايته و هرب إلى ولايه درون و منها إلى خوارزم. و عند ما شاهد شيوخ و شخصيات جرجان الحاكم الأوزبكى و هو يلوذ بالفرار اجتمعوا فيما بينهم و انتخبوا منهم شخصين هما السيد رفيع و بابا نودر و عددا آخر من الشخصيات للوفاده على الشاه إسماعيل، فأكرمهم و أحسن إليهم ثم أجازهم فى العوده إلى ديارهم.

و فى غضون ذلك كان هناك أحد أعيان الدوله التيموريه يعيش فى منطقته (كبود جامه)، فلما سمع بقدوم رايات الشاه إسماعيل أسرع لاستقباله فالتقاه فى منطقته جاجرم و رأى الشاه فى اسمه فالأ حسنا حيث كان اسمه سيف الدين مظفر، و كان رجلا-فاضلا ذا خصال حميده فشمله الشاه بعنايته و عطفه و خلع عليه خلعا فاخره و زينه بزينه رسميه و عينه فى منصب وزير الخاصه فى البلاط.

و وزاره الخاصه هذه تعنى إداره الأموال الخاصه بالملك حيث أقدم الشاه إسماعيل على فصل أمواله عن أموال الدوله و أسمى الأخيره بيت المال بعد أن كان الملوک لا يرون فرقا بين أموال الدوله و أموالهم.

و زاد اهتمام الشاه إسماعيل بالخواجه مظفر يوما بعد آخر فمثلا عند ما وصلوا أسفراين بعد مغادرتهم جاجرم قرر أن يضيف إلى ختمه على فرامينه الملكيه ختم سيف الدين مظفر، و لم يكن هذا الامتياز قد أعطى لأى وزير كان عدا الوزير الأعظم.

و غادر حکام ولايات سبزوار و نيسابور ولايتهم قبل أن تدخلها قوات القزلباش و توجهوا إلى هرات، و حين بلغ الموكب الملكى مدينه نيسابور بعث برساله إلى محمد خان الشيبانى مفادها أنك كنت تتبجح باستمرار و تطلب منا اللقاء، فها أنا ذا أحتل مدنك الواحده تلو الأخرى دون أن ألمس وجودا لقوات الأوزبک. و إذا أعدت ملك خراسان لأهله و هم أقوام القزلباش و رحلت إليما وراء آمو فقد عملت وفقا للعقل و التدبير، و إلا فحرى بك أن تحدد موقعا للقتال.

و كان حمل هذه الرساله إلى ملك الأوزبک أمرا لا يخلو من مغامره، فتبرع أحد أبطال القزلباش بإيصالها و يدعى حسين بيك يساول.

و بلغ حسين بيك و الوفد المرافق له مشارف هرات، و سمع سكان المدينه بقدم رسل الشاه إسماعيل فهبوا لمشاهدتهم فى الشارع الرئيسى للمدينه و توجه لاستقبالهم عدد من رجال ملك الأوزبک. و رأى حسين بيك نفسه بين حشد كبير من الناس فاستغل الفرصه و صاح بصوت عال قائلا: "أخبرونى أين ابن يزيد فانى أحمل إليه رساله من ابن الامام الحسين".

و حسين بيك هذا رجل طويل القامه عظيم الجثه أحمر العينين ذو شارب طويل يلامس أذنيه. فلما دخل بلاط ملك الأوزبک و جلس على الكرسي المعد له، ترحزح قليلا فانكسر الكرسي من تحته،

فاستبدل بثان فانكسر أيضا و تكرر الأمر مره ثالثه، فقال حينئذ: "إن الأطفال لتضحك حينما ترى بلاطكم خاليا من كرسى يصلح لجلوس الرجال".

و كانت هذه العبارات إهانه واضحه لمحمد خان، فاستعجل في إرجاعه من حيث أتى.

و تجدر الإشارة إلى أن شيبك خان كان قد قسم قواته قسمين فبعث بالقسم الأول إلى تركستان الشرقيه و وجه الآخر إلى أراضى (هزاره). و أقوام هزاره فى الأصل هم سكان التبت و يتبع أغلبهم المذهب الشيعى. و عند ما شن جنپيز [چنگيز] خان هجومه على إيران كان يجلب القوات من بلدان الشرق الأقصى، و سميت هذه القوات بالهزاره (أى الألف) لأنه كان يقسمها إلى مجاميع تتالف كل واحده منها من ألف مقاتل.

و اختارت قبائل الهزاره التى قدمت إلى إيران مع جنپيز [چنگيز] خان السكن فى جبال غور و غرجستان [گرجستان] و هى المناطق المركزيه من أفغانستان و يسمى أفراد الهزاره الموجودين الآن فى خراسان و أطراف مشهد بالبربر.

و كانت هذه القبائل متعصبه فى تشيعها، و من ثم فمن الطبيعى أنها لم تكن مستعده للخضوع بسهولة لحكم الأوزبك، فعزم شيبك خان على السير إلى هذه القبائل و القضاء عليها و نهب أموالها و لكنه وجد نفسه فى ورطه لا مخرج منها حينما قدم بقواته إلى جبال الهزاره، و دارت معارك بين الطرفين، هزم الأوزبك فيها ثم لجأ إلى بعض زعماء قبائل الهزاره للاستعانه بهم فى تأمين انسحاب قواته، و هنا يذكر صاحب حبيب السير قائلا: "عاد من هجومه على الهزاره ممزق القلب و نزل فى بستان جهان آرا".

الحرب مع الأوزبك

توجه الشاه إسماعيل إلى مشهد لزياره الامام الرضا (ع) بعد أن بعث رسوله إلى شيبك خان، و بعد تشرفه بالزياره أمر بالتحرك نحو هرات و حينما بلغ حدود سرخس وافته طلائع جيشه بوصول بعض قوات الأوزبك حتى مشارف تجن، فانتدب أحد الصوفيين المجريين و المعروفين بشجاعتهم و يدعى (دانه محمد) للسير إلى قوات الأوزبك على رأس قوه من القزلباش.

و حضر دانه محمد لدى الشاه فأطال الأخير النظر إلى وجهه ثم أذن له بالانصراف و حينئذ التفت إلى من حوله و قال لهم لن نرى دانه محمد مره أخرى، و كان حدسه فى موقعه، فعند ما اشتبك مع قوات الأوزبك جرح جروحا بليغه و خاطب قواته قائلا:

"اعلموا أن دانه محمد إذا مات فان المرشد الكامل حى بحمد الله فانشطوا للقارعه مرفوعى الرؤوس".

و حينما سمع أبطال القزلباش هذه العبارة دب الحماس فى نفوسهم و هجوموا على عدوهم هجمه رجل واحد، و رأى قائد الأوزبك (جانوقا ميرزا) نفسه فى خطر حين أخذت سيوف القزلباش تقترب منه فلاذ بالفرار و تفرق جمع قواته، و تشتت فى الصحراء.

و بلغت أخبار هذا النصر المؤزر قوات القزلباش و هى فى طريقها إلى هرات فعم الجميع فرح غامر، و فى أثناء ذلك وصلت أخبار تفيد بهرب محمد خان الشيبانى من هرات إلى مرو، فأمر الشاه إسماعيل عددا من رجاله المعروفين بحكمتهم و حسن

تدبيرهم بالتوجه إلى هرات و السيطرة على زمام الأمور فيها و الحفاظ على أمن سكانها. ثم أمر قوات القزلباش بالسير إلى مرو لادراك محمد خان فيها، و كانت قوات الأوزبك التي هزمت في معركتها مع فوج دانه محمد قد التحقت - بعد فرارها من أرض المعركة - بمحمد خان في مرو، و روى أفرادها ما شاهدوه من بسالة القزلباش و شجاعتهم فكان لرواياتهم تأثير سلبي على معنويات الجنود الأوزبك.

و بدت طلائع القزلباش في مشارف مرو، فاجتمع محمد خان برجاله و تداول الأمر معهم، فكان رأيهم الابتعاد عن خوض الحرب في الصحراء و الدخول إلى قلعه المدينة و الاعتصام فيها مع إرسال رسل سريعه في أثناء ذلك إلى تركستان لاحضار القوات منها و القيام بمشاغله القزلباش حتى يصل المدد و حين ذاك تقطع طرق التموين على القزلباش حتى يصيبهم القحط ثم تهاجم من كل صوب بعد أن يكون الجوع قد أخذ مأخذه منها.

و استحسن ملك الأوزبك هذه الفكرة، فدخل سور مرو و أمر قواته التي بلغ تعدادها ثلاثين ألف مقاتل بالدفاع عن السور و الأبراج.

و في الجانب الآخر وصلت قوات القزلباش أطراف مرو فأحاطت بها من جهاتها الأربع، و لكن تجهيزات هذه القوات لم تكن كافيه لمحاصره مدينه كبيره و سور منيع كما هو الحال في مرو و لم تكن قد جلبت معها المستلزمات الضروريه لفتح القلاع حيث لم يكن أحد يتصور أن يلجا محمد الشيباني إلى الاعتصام في قلعه بعد كل ما بدر منه من تبجح و غرور.

و في الأيام الأولى من الحصار، أخذت بعض قطعات الأوزبك تخرج من المدينه و تهاجم القزلباش، و لكنها كانت تعود في كل مره بخسائر كبيره، فأمر شيبك خان بالكف عن الحرب، فكانت الأيام الأخيره من الحصار هادئه و خاليه من أى عمليه عسكريه، مما كان يوحى بان الأوزبك يتعمدون إضاعة الوقت و إطاله فتره الحصار.

و من جانب آخر كان الشاه إسماعيل و أركان دولته يدركون كل الإدراك أن الحصار إذا ما استغرق شهرين أو ثلاثه فلن يكون في مصلحتهم، و ستتعرض الأمور أكثر بقدم إمدادات القوات الطورانيه من كل حذب و صوب. و أخذ الشاه يتدبر الأمر و يستجلى الحلول حتى توصل إلى فكره، عزم على تنفيذها.

و فى اليوم التالى أخذ قاده القزلباش يتحدثون إلى أفرادهم عن وقوع حوادث مؤسفة فى حدود آذربايجان و ديار بكر و العراق، حيث خرج المشاعبون فى هذه المناطق و عاثوا فسادا.

و انتشرت هذه الاشاعه بين صفوف القزلباش فى وقت قصير، ثم انتقلت منهم إلى الأوزبك عبر الجواسيس و المنتفعين و أخذت تكبر شيئا فشيئا، ثم بعث الشاه إسماعيل رساله إلى محمد خان الشيبانى كان مفادها ما يلى: لقد قدمنا إلى خراسان على أمل اللقاء بك كما وعدتنا مرارا، و لكنك لم تقابلنا و أغلقت بابك دون الضيف و لازمت دارك كالنساء، و الآن فقد اضطررنا أحداث آذربايجان و العراق إلى العوده، و إنى أوكل الأمر إليك فى المستقبل لتلتقى بنا حيثما تشاء.

و حمل الرساله أحد أهالى المنطقه، ثم طوى القزلباش خيامهم فى وضح النهار و حملوها على ظهور إبلهم ثم تحركوا فى صفوف منظمه.

و حين تحركت قوات القزلباش مغادره مرو، عين الشاه فوجا منها للسير وراء القوات و حمايه ظهرها، و كان تعيينه هذا علانيه، و لكنه خصص من هذا الفوج حوالى ثلاثمائة فارس و جعل عليهم أمير بيك موصلو، و أمره سرا بمواكبه الفوج حتى النهر الذى يتفرع عن نهر (تجن) ثم التخلف عنه بمجموعته و التوقف هناك. ثم قال الشاه لأمير بيك: إنى واثق أن قوات الأوزبك ستلحق بنا حالما ترى انسحابنا فبادر أنت و مجموعتك إلى الكر و الفر على بعد أمامها و عند ما تقترب منكم سارع إلى الفرار و الحق بنا لتبلغنا الأمر.

و بعد صدور هذه التعليمات توجهت قوات القزلباش إلى محمودآباد فعسكرت بالقرب منها، فلما خيم الليل بظلمته أمر الشاه بايقاد نار قليله فى المعسكر، ثم أصدر أوامره إلى أفراد القزلباش بترتيب صفوفهم على شكل نصف دائره كما يفعلون فى ميدان الحرب و سمح لهم بالنوم مع البقاء على أهبة الاستعداد، و أوصى بتثبيت مشاعل جاهزه للاشتعال فى نصف دائره و إشعالها حالما يصدر صوت خاص.

و يذكر المؤرخون أن عدد قوات القزلباش آنذاك يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ألف شخص بما فيهم الخدم و الحمالون.

و حين وصلت محمد خان رساله الشاه إسماعيل و شاهد بعينه انسحاب القزلباش التفت إلى حاشيته قائلا: "إنها فرصه ثمينه هياها لنا حسن حظنا، فلا بد أن يكون الشاه الشاب و المغرور يعيش الآن النشوه فىصرف إلى اللهو و المتع هذه الليله فإذا بادرنا إليه و أخذنا قواته على حين غره أهلكناه و شتتنا قواته".

و هكذا كان محمد خان يرى لزاما عليه أن يغسل العار الذى لحق به بمهاجمته لقوات القزلباش و من ثم جمع قواته المتواجده فى المدينه و يبلغ تعدادها ثلاثين ألف فارس و خرج بها من المدينه ليلا فعبر نهر محمودآباد، فاخذ أمير بيك موصلو يكر و يفر حتى إذا هجمت عليه قوات الأوزبك أسرع بجماعته هاربا أمامهم.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن صاحب (روضه الصفا) و عدد من مؤرخى ذلك العصر يذكرون بان ثله من حملة المعاول و الرفوش قد أخفوا أنفسهم على ضفاف نهر محمودآباد بامر من الشاه إسماعيل لتدمير الجسر الممتد على هذا النهر بمجرد عبور آخر مجموعته من الفرسان الأوزبك.

و هكذا عبر الأوزبك النهر و تعقبوا أمير بيك و فرسانه الهاريين و فجاه وجدوا أنفسهم بين نصف دائره من صفوف القزلباش المستعدين للقتال، حيث كان أمير بيك قد أعلمهم من قبل و حينئذ نفخ بوق خاص فأضرمت النار في المشاعل المثبتة حول المعسكر و تحول الليل إلى نهار، و أدرك شبيك خان حينها أنه خدع و استدرج إلى المصيده فلم ير بدا من الاشتباك مع العدو، و كان الوقت سحرا فاستمر الأوزبك يقاتلون لثلاث ساعات حتى مرت ساعه على طلوع الشمس فلم يطيقوا الصمود أكثر و أطلقوا الأعداء لخيولهم مدبرين، فلما بلغوا الجسر وجدوه محطما، فاتجهوا نحو بستان كان محمد خان قد بناه حديثا في تلك المنطقه، و كان المدخل إلى هذا البستان عباره عن دهليز يبلغ طوله ثلاثين مترا فتدافع الجنود للدخول و اشتد زحامهم فهلك بعضهم تحت حوافر الخيول، و أدركهم القزلباش فضربوا حول البستان حصارا شديدا ثم أفلحوا في هدم جدار البستان و اقتحموه فقتلوا من حاول المقاومه و أسروا من استسلم منهم و لكنهم لم يجدوا لمحمد خان أثرا، و يذكر السيد رضى التبريزى في كتابه أن شخصا من أبطال القزلباش يدعى عزيز آقا استطاع في آخر الأمر العثور على جسد محمد خان بين أكداس القتلى فقطع رأسه و قدمه إلى الشاه إسماعيل فلما شاهده الشاه أطرق برأسه ثم توجه بالحمد و الثناء للبارى تعالى على تمكينه من خصمه اللدود و كان مقتل محمد خان في يوم الجمعة، آخر شهر شعبان عام ٩١٦ للهجره.

أوضاع هرات و خراسان

بعد اندحار الأوزبك

بعد أن أحرز القزلباش انتصارهم الكبير على الأوزبك، أمر الكتاب بكتابه رساله الفتح بأسلوب أدبى بليغ إلى كل مكان و وجهت رساله إلى هرات، حملها أحد المقربين إلى الأمير نجم الثانى و يدعى قلى جان بيك.

و بلغ أهالى هرات خبر اقتراب موكب قلى جان بيك من مدينتهم، فبادر العلماء و كبار القوم مثل: شيخ الإسلام أحمد التفتازانى و الأمير نظم الدين عبد القادر الشهندي و السيد غياث الدين محمد پور أمير جلال الدين يوسف الرازى و القاضى صدر

الدين محمد الامامى و القاضى اختيار الدين حسن تربتى و عدد آخر من العلماء و السادات إلى الاجتماع فى دار السيادة السلطانية التى بناها الملك الپوربانى [الكوركانى] لاستقبال الساده بشكل خاص و تداولوا أمور المدينة فيما بينهم و انتدبوا عددا منهم لاستقبال موكب قلى جان بيك، و شاهد أهالى هرات الذين ذاقوا من الأوزبك مر العذاب اثنين من الأوزبك يدخلون دار السيادة فثارت ثائرتهم و اقتحم الدار عدد من الأوباش و الشباب الثائر فقتلوا محمد لكور و محمد على العينى أمام المجتمعين ثم سرى الاضطراب إلى أنحاء المدينة و أزقتها فقتل مائه شخص ممن كان لهم علاقة بالأوزبك، و فى عصر ذلك اليوم دخل قلى جان بيك المدينة فهدأ أهلها و سلم رساله الفتح إلى أعيان المدينة و أشرفها.

و فى اليوم التالى اجتمع عامه الناس و خواصهم فى المسجد الجامع و اعتلى حافظ زين الدين المنبر و أنشا يقرأ رساله الفتح بأسلوب عذب و لحن مؤثر، و لكنه لم يستجب لطلب القزلباش الموجودين تحت منبره بذكر بعض العبارات فما كاد ينزل عن المنبر حتى بادره القزلباش بسيوفهم فاردوه قتيلا فى داخل المسجد.

و أصيب أهالى هرات بالرعب و الهلع عند مقتل زين الدين.

و قبل أن يتوجه معسكر القزلباش إلى هرات قدم الخواجه سيف الدين مظفر إليها امتثالا لأمر الشاه فاستقبله أعيان المدينة و أشرفها و علماؤها و أصدر أمره بالخطابه باسم الأئمة الاثنى عشر (ع).

و كانت رساله الوزير الأعظم نجم الثانى إلى أكابر هرات تتضمن الدعوه إلى المذهب الشيعى، و كذلك بعث الشاه برسائل أخرى يستميل فيها أكابر هرات و أشرفها و سائر أهاليها.

و فى يوم الجمعة اجتمعت جميع شخصيات هرات فى المسجد الجامع، و ارتقى المنبر الأمير صدر الدين سلطان إبراهيم الأمينى و هو من كبار ساده هرات فقرأ على الناس رساله من الشاه إسماعيل يطمئن الناس فيها، ثم أشار الخواجه مظفر إلى نقيب أشرف هرات الأمير جمال الدين عطاء الله و هو من كبار الساده فى المدينة فخطب خطبه الجمعة و خص بها مناقب و فضائل الأئمة الاثنى عشر، و ختم خطبته بالثناء على الشاه إسماعيل و الدعاء له.

و بعد ذلك قدم الوزير الأعظم نجم الثانى إلى حدود هرات فى أواسط شهر رمضان عام ٩١٦ هـ مصطحبا معه الخواجه كمال الدين محمود الساغرى فسار لاستقباله سادات هرات و قضاتها و علماؤها و فضلاؤها محملين بأنواع الهدايا، ثم نزل الأمير نجم فى (باغ سفيد) و أرسل الخواجه كمال الدين محمود برساله وعظ إلى الخواجه خرد.

و الخواجه خرد هو أحد أعيان الأوزبك و كان آنذاك متحصنا فى قلعه اختيار الدين و هى أكثر قلاع هرات مناعه و قوه، فلما قرأ رساله الأمير نجم نزل عن قلعه معتذرا منه و طلب إليه أن يضمه إلى مرافقيه ففعل و عين (ويس بيك تكلو) حاكما على قلعه اختيار الدين.

و فى أثناء ذلك سمعت المدينة باقتراب موكب الشاه الصفوى فباشر الأهالى بتزيين الشوارع و الأزقه و فرشوا طريق الشاه من داخل المدينة إلى مسافه بعيده عنها بأنواع الفرش الثمين.

و فى صبيحه العشرين من شهر رمضان المبارك خرج أهالى هرات عن بكره أبيهم لاستقبال الشاه و فى (شمه خيز) بانث لهم طلائع الموكب الملكى و كان موكبا فخما مهيبا لم يسبق له مثيل.

و عمد الشاه إسماعيل فى هرات إلى إلغاء جميع التقاليد و الأعراف التى سنها الأوزبك و الطورانيون و رفع عن الأهالى كثيرا من الضرائب، و سلك فى ولايه خراسان سلوكا غايه فى العدل و الإنصاف و سعى فى تأمين راحه الناس و تطيب خواطرهم حتى أحبه جميع السكان من سنه و شيعه و مسلمين و غير مسلمين.

و أمضى الشاه إسماعيل شتاء ذلك العام فى هرات، و كان صيته قد طار فى الآفاق فأخذت الرسل تتوافد عليه من مختلف الدول و قدم إليه أحد حكام النواحي المجاوره شخصيا و هو الميرزا السلطان أويس ابن السلطان أبو سعيد پورپان [گوركان] و كان يلقب بالخان ميرزا و يحكم بدخشان فرحب الشاه بمقدمه و خلع عليه و أهداه تاجا من ذهب و نطاقا مرصعا و عددا من الجياد و مبلغا من المال ثم ولاه بدخشان و ختلان و قلعه شادمان و جاء أيضا بعض كبار علماء إيران و سادتها و منهم الأمير نظام الدين عبد الباقي أحد أحفاد الملك نعمه الله ولى و الأمير جمال الدين محمد الحسينى و القاضى عبد الرحمن ساوه فقدموا تبريكهم و تهنئتهم و شملهم الملك بعنايته.

و فى هذه السنه أوكل الحكم فى ولايه مرو المهمه إلى دده بيك و فى ولايه هرات التى كانت بمثابة العاصمه بالنسبه لخراسان إلى حسين بيك، و أوكلت أمور القضاء فى خراسان و تعيين الصدور و القضاء فى ولايات خراسان إلى الأمير غياث الدين محمد بن الأمير يوسف الذى كانت عائلته لسنين طوالا محلا لاحترام الخراسانيين.

و مع اقتراب أيام العيد قدمت إلى هرات عدو وفود من الهند سفراء من بلادهم إلى بلاط الملك الصفوى.

تنظيم الأمور فى مازندران

كان آقا رستم روز افزون يستولى على ولايه سارى و بعض مناطق مازندران، و عند ما استولى شيبك خان على خراسان أخذ رستم يلوذ به و يحتمى بقوته، حتى جاء الوقت الذى قتل فيه شيبك خان فاضطرب رستم اضطرابا شديدا و أصيب بالحمى ثم قضى نحبه بعد بضعه أيام.

و عند ما بلغ الشاه إسماعيل خبر وفاه رستم روز افزون بعث الأمير سيف الدين المظفر إلى مازندران لجمع الضرائب المتخلفه خلال السنين الماضيه. فلما دخل حدود مازندران خرج لاستقباله حاكم بارفروش (بابل حاليا) الأمير نظام الدين عبد الكريم و هو من الساده الأشراف، و كان يدعى وراثته للحكم فى هذه المناطق.

و من جانب آخر قدم للاستقبال آقا محمد بن آقا رستم روز افزون و جلس الاثنان للمناظره بحضور الأمير المظفر، فكان الأمير عبد الكريم يزعم أن الشرع يقضى بتولية الحكم فى جميع ولايات مازندران لأن آباءه و أجداده كانوا يحكمون هذه الولايات لقرون عديده، و إن آقا رستم روز افزون خرج فى السنين الأخيره فاغتصب الحكم اغتصابا. بينما كان آقا محمد روز افزون يطالب بخلافه أبيه فى حكم سارى و نواحيها و لم تخلص مناظرتهما إلى نتيجته، فاصطحبهما الأمير المظفر معه إلى معسكر الشاه، فدخلوه فى نواحي سمنان حينما كان الشاه عازما على السير إلى العراق، فقدم الخصمان هداياهما إليه و عرضا أمرهما عليه، فشملمهما بلطفه و عنايته و قرر إبقاء آقا محمد على سارى و المناطق التى كان أبوه آقا رستم حاكما عليها فيما عين عبد الكريم حاكما على باقى نواحي مازندران و اشترط على الاثنين دفع الضرائب المتخلفه عن السنين الماضيه إضافه إلى دفع الضرائب سنويا، و تقرر بعد مداوالات و مفاوضات طويله أن يدفع الاثنان مبلغ ثلاثين ألف تومان عراقى سنويا ثم توجهوا إلى مازندران برفقه الأمير المظفر لدفع الضرائب المتخلفه إليه.

و غادر معسكر القزلباش ولايه سمنان متوجها إلى قم، فامضى الملك شتاءه فيها. و قدم عليه أيام إقامته فيها وفد مصر من قبل السلطان الغورى و كذلك سفراء الروم لتهنئته بفتح خراسان.

الأوضاع السياسيه فى إيران الصفويه

كان فتح خراسان يحظى باهميه قصوى بالنسبه لإيران آنذاك، فقد بقيت إيران مجزأه لقرون عديده و إذا كان اسم الدوله و محلها فى زمن السلاجقه و الخوارزميين هو اسم إيران و محلها، فان إيران كانت فى الحقيقه جزء من دوله متراميه الأطراف ذات شعوب و أقوام كثيره، فمثلا- كانت امبراطوريه ملك شاه السلجوقى تشمل سوريا و فلسطين و جميع أراضي الروم الإسلاميه و تمتد من جانب الشرق إلى كاشغر و حدود الصين و حدود أفغانستان، و كان ملك شاه فى الواقع يرى نفسه سلطان المسلمين دون منازع، و رغم أن مركزه هو إيران و أن اللغه الفارسيه و العادات و التقاليد الإيرانيه كانت تحظى بطابع رسمى إلا أن حدود إيران لم تكن مميزه و كذلك حدود الشعب الايرانى و إنما كان جزء من شعوب كثيره كانت الامبراطوريه العظمى تشمل عليها، فكانت الأراضي الإيرانيه تتعرض للتجزئه كلما تعرضت الدوله الكبرى للتجزئه. و حينما ظهر الشاه إسماعيل اكتفى بالحدود الطبيعيه الأصلية لإيران. ففي الشرق و الشمال الشرقى كان نهر جيحون و نهر السند الحدود الطبيعيه لإيران بعد إخضاع والى قندهار لسلطان الدوله الصفويه، و فى الحقيقه فان إيران بوصولها إلى جيحون و السند قد استعادت حدودها الطبيعيه التى كانت عليها فى زمن الساسانيين، و هكذا الحال حينما امتدت حدودها فى الشمال الغربى إلى مدينه دربند و جبال القفقاز و فى الغرب إلى السهول الممتده على ضفتى شمال الفرات مثل قلعه كماخ و مدينه آمد و جميع نواحي ديار بكر التى يقطنها الأكراد و الايرانيون و كذلك وصلت حدود إيران فى جنوب ديار بكر إلى أرض العراق و صحارى ولايه حلب و إلى الجنوب من ذلك فى أراضي غربى القادسيه و الحدود الغربيه لبابل القديمه، فهذه هى إيران فى العصر الساسانى و هكذا نرى الشاه إسماعيل أخذ يوسع بلاده سعيا منه للوصول إلى الحدود القديمه لإيران.

و اندمجت إيران الغربيه مع إيران الشرقيه بفتح خراسان و أضحت دوله إيران الموحده الكبرى.

و حين بلغت الدوله العثمانيه و دوله مصر أخبار فتح خراسان، سعت الدولتان لتوثيق الروابط مع إيران القويه بحكم اقتضاء المصلحه السياسيه.

و من المعروف أن الدوله العثمانيه أخذت تطمح للسيطره على جميع البلدان الإسلاميه بعد فتحها للقسطنطينيه، و لكي تتمكن من تحقيق طموحاتها بدأت تكف يدها عن الجهاد فى البلدان الأوروبيه ثم وجهت جيوشها الجزاره المخيفه نحو البلدان الإسلاميه.

و من الطبيعى أن هذا التحول الكبير الذى طرأ على مخططات الدوله العثمانيه سبب نقصا كبيرا فى شعبيتها و مكانتها فى نفوس المسلمين، فقد أتاح انشغال العثمانيين بالمسلمين فرصه ثمينه للأوروبيين استعادوا فيها قواهم شيئا فشيئا حتى بات تقدم العثمانيين فى أوروبا أمرا متعذرا بل بدأ هؤلاء يتراجعون عن المواقع التى فتحوها فى قلب أوروبا.

و كان العداء مستحكما آنذاك بين مصر و الدوله العثمانيه لوجود التنافس بينهما، و من ثم كان قدوم سفراء الدولتين إلى بلاط الشاه إسماعيل فى قم استمرارا لهذا العداء و هذا التنافس، فقد كانت كل دوله منهما تطمح إلى كسب إيران إلى جانبها.

و بالاضافه إلى هذه الأسباب التى قدم السفراء من أجلها كان الوفد العثماني الذى وصل قم عام ٩١٧ هـ يهدف إلى البحث فى موضوع آخر، نحاول أن نتعرض له فيما يلي باختصار:

فى الوقت الذى كان الشاه إسماعيل منصرفا إلى قتال شيبك خان فى خراسان، ظهر رجل فى ضواحي أنقره، كان أنصار الدوله العثمانيه يسمونه شيطان قلى.

و اسم شيطان قلى فى الأصل هو نور على و يلقب نفسه بشاه قلى و هو أحد مریدی الخانقاه الصفوی و أنصار الشاه إسماعیل، و قد نجح خلال فتره قصیره - بعد دعوه الناس إلى نفسه - فى جمع حشود عظیمه من أهالی تلك المنطقه، و منهم الصوفیون و المتضررون من الدوله العثمانيه. و تعاضم أمر شاه قلى حتى عجز الحكام المحليون و رؤساء المعسكرات المجاوره عن القضاء علیه فبعث السلطان بايزيد جيشا بقياده وزيره الأعظم على باشا لاخمداد حركه شاه قلى.

و دارت بين الطرفين معركه ضاربه قتل فيها الوزير الأعظم و هزم جيشه، فاصيبت القوات العثمانيه بالذعر و لم يجرؤ أحد بعد ذلك على قتال شاه قلى الذى باشر بشن الغارات على الولايات المجاوره ثم غادر الأراضى العثمانيه بسلام و دخل الأراضى الإيرانيه فالتحق بصوف القزلباش. و من الطبيعى أن تقوم الدوله العثمانيه ببحث هذه القضيه مع أركان الدوله الإيرانيه.

و أما الوفد المصرى فان القدر الذى يعرف عنه هو أنه كان يحمل وثائق تظهر النزعه التوسعيه لدى العثمانيين، و دعا إيران للاتحاد مع مصر عسكريا و سياسيا بوجه الدوله العثمانيه لأن مثل هذا الاتحاد سيكون فيه نفع الطرفين، فمن الممكن أن يوقف الدوله العثمانيه عند حدها فيمنعها من التفكير بالاعتداء على جيرانها.

و رحبت إيران بهذه الدعوه، فبرمت اتفاقا بهذا الشأن مع مصر فى أواخر عام ٩١٧ و بعثت بوفد إلى مصر لإتمام الاتفاق.

و فى الوقت الذى كانت قوات القزلباش تعسكر فى قم علم أن السلطان بايزيد قد مات و خلفه ابنه السلطان سليم الذى باشر من فوره بقتل إخوانه و أولادهم و استطاع أحد أحفاد بايزيد و هو السلطان مراد الافلات من قبضه عمه القاسى و اللجوء إلى البلاط الايرانى.

و فى الوقت الذى كان فيه الشاه إسماعيل يمضى فى قم شتاء عام ٩١٧ و ربيع ٩١٨ كان يتابع أخبار حرب تركستان و نتائجها و قصه هذه الحرب كما يلي:

بعد أن استفحل أمر محمد خان الشيبانى و قويت شوكته هاجم سمرقند فاضطر حاكمها الملك ظهير الدين محمد بابر إلى مغادرتها و الانسحاب نحو فرغانه و أنديجان و لكن قوات الأوزبك واصلت زحفها فواصل هو انسحابه متخلياً عن ملكه فى بلادما وراء جيحون فدخل بلخ ثم غادرها إلى كابل و أسس فيها حكومه صغيره متخذاً منها عاصمه للحكم الجديد.

و فى الحقيقه فان الملك ظهير الدين بابر كان من أليق أحفاد الأمير تيمور پوركان [گوركان] بالحكم و أشدهم بأساً و عزيزه فلم تكن الهزائم المتكرره التى لحقت به لتثنيه عن عزمه أو لتحد من طموحاته، فقد أعاد الكره و توجه من فرغانه إلى سمرقند إلا أن قوه أعدائه أرغمته على الانسحاب فهاجم فرغانه ثم توجه إلى بلخ و كابل و توجه فى آخر المطاف إلى الهند فأسس فيها مملكه كبرى استمرت قروناً طويله حتى قضى الإنجليز عليها.

و عند ما كان الشاه إسماعيل فى هرات قدم عليه وفد الملك بابر محملاً بأنواع الطرائف و الهدايا عارضا للإخلاص و الموده و طلب خلال زيارته مساعدته للملك بابر فى استعادة أراضى بخارى و سمرقند من الاحتلال الأوزبكي.

و لبي الشاه إسماعيل جميع طلبات الملك بابر بكل رحابه صدر، و أصدر أمراً بترك جميع الأراضى التى يستولى عليها الملك

بابر فى بلاد ما وراء جيحون ملكا خالصا له، و هكذا أعد الأخير فى عام ٩١٧ هـ جيشا له من زابلستان و توجه إلى ولايه بدخشان و كان عليها ابن عمه السلطان ويس الذى سارع إلى الالتحاق بابن عمه بجيشه، و سار الاثنان إلى قلعه شادمان و كان عليها اثنان من زعماء الأوزبكيك هما حمزه سلطان و مهدي سلطان فوقفا بقواتهما للدفاع عن القلعه و دارت بين الجانبين حرب هلك فيها القائدان الأوزبكيان و استولى الملك بابر على شادمان و ختلان و قندر و بغلان و نعم الناس فى هذه الولايات بحكمه العادل مره أخرى.

و فى تلك الأثناء بعث الملك بابر بأخبار فتوحاته إلى الشاه إسماعيل و أخبره أنه فى حال قدوم أحد أمراء القزلباش إليه على رأس فوج من المحاربين فستتم السيطرة على بلاد ما وراء جيحون جميعا و تسحق أركان الأوزبكيك و يخطب فى هذه البلاد باسم الشاه إسماعيل و يضرب النقذ باسم الملك الصفوى العظيم.

و بادر الشاه إسماعيل فور وصول الطلب إلى إرسال أحمد بيك صوفى أوغلى و شاه رخ بيكك أفشار على رأس عدد من المحاربين الأشداء إلى قلعه شادمان لتقديم المساعدة و المدد للملك محمد بابر.

و وصل أمير القزلباش إلى الملك بابر فى القلعه المذكوره فازداد ثباتا و قوه و تحرك نحو سمرقند، و بلغ خبر تحركه حاكم سمرقند محمد تيمور سلطان و حاكم بخارى عبد الله خان فلم يجرءوا على المقاومه لا سيما بعد أن عرفا باصطحابه قوه من القزلباش فغادرا ولايتيهما و توجها إلى تركستان فدخل الملك بابر سمرقند و سعى فيها لرفع المظالم عن أهلها و إحلال العدل و القسط بينهم، ثم خطب فى يوم الجمعة باسم الأئمه الاثنى عشر و الشاه إسماعيل و قام بعدها بإرسال الولاة إلى بخارى و سائر الولايات الأخرى ثم حمل أحمد بيك صوفى أوغلى و شاه رخ بيكك بأنواع الهدايا النقديه و العينيه و عدد من الجياد الثمينه إلى الشاه إسماعيل و أجازهما فى العوده إلى بلادهما و فى غضون ذلك قدم إليه رسول البلاط الايرانى و هو محمد جان الذى كان يشغل فى حكومه الأمير نجم

الثانى منصب (إيشيك آغاسى) أى رئيس التشريعات و لاقى محمد جان فى بلاط الملك بابر معامله مغايره لما كان يتوقعه، فلما عاد من سمرقند إلى قم قدم تقريره بالواقع و كان الأمير نجم الثانى معتمدا على رسوله و واثقا منه فائد كلامه فى حضور الشاه و تعهد بالسفر شخصيا إلى ما وراء جيحون و تسويه الأمور بما ينفع إيران.

وافق الشاه على الاقتراح و أمر عددا من أمراء الدوله و أركانها مثل زين العابدين بيك و بادمجان بيك و الخواجه كمال الدين محمود ساغرى بمرافقه الوزير الأعظم فى سفره. و شد الأمير نجم الرحال إلى خراسان فلما وصل مشارف جيحون بلغه أن سلاطين الأوزبك جمعوا شتاتهم بعد عوده القزلباش من سمرقند و توجهوا من تركستان إلى سمرقند بجيش جرار فهزموا فيها الملك محمد بابر، فحمل أهله و ذويه إلى قلعه شادمان و تحصن فيها، و انصرف الأوزبك إلى إحكام سيطرتهم على الولايات التى استولوا عليها ثم توجهوا إلى قلعه شادمان لمحاصرتها و كان الملك بابر قد أحكم تحصينها بمساعدة ابن عمه خان ميرزا فحفر خندقا حولها و أقام المتاريس فى أزقتها الداخليه، ثم بعث وراء حاكم بلخ بيرام بيك فرمانى يستمده العون.

و بادر بيرام بيك فرمانى من فوره إلى إرسال ثلاثمائه محارب من أبطال القزلباش تحت قياده الأمير السلطان محمد الشيرازى، و كانت قوات الأوزبك قد بلغت ولايه خيابان حين بلغها وصول مدد من القزلباش فكفت عن الزحف ثم عادت أدراجها إلى سمرقند و بخارى.

و كان الأمير نجم خلال ذلك قد دخل خراسان فأقام فيها بضعه أيام و استقبل ساداتها و قضاتها و أشرفها و أعيانها الذين كان يتوافدون على معسكره باستمرار و أكرمهم و أبقاهم فى مناصبهم ثم عزم على السير إلى بلاد الأوزبك لاستئصال شوكتهم و من ثم أبقى معه الأمير غياث الدين محمد بن الأمير يوسف و هو سيد هرات و أحد كبار ساده خراسان و أبقى معه والى هرات حسين بيك و كذلك جمع فى عسكره العديد من كبار قاده ولايات خراسان و زعمائها ثم توجه بهم إلى بلخ. فاستقبلهم واليها بيرام بيك فرمانى استقبالا عظيما.

و عبر الأمير نجم نهر جيحون بعد إعداد السفن اللازمه و عسكر فى صفته الأخرى، و كان قد بعث الأمير غياث الدين محمد من بلخ إلى قلعه شادمان ليدعو الملك بابر إلى الانضمام إليه فقدم إليه الأمير غياث الدين فى تلك الأيام و أخبره باقتراب الموكب البابرى فسارع الأمير نجم الثانى و زعماء عسكره لاستقباله فالتقى الموكبان فى المنطقه المعروفه باسم (بند آهين)، و قدم كل منهما هدايا لصاحبه بمقتضى الأعراف المتداوله آنذاك ثم جلسا للمشاوره فاستقر رأيهما على السير لاحتلال مدن ما وراء جيحون. و تجدر الإشارة هنا إلى بعض التغيرات التى طرأت على أخلاق الأمير نجم الثانى فهو بعد أن خلف الأمير نجم رزير كوزير أعظم و نائب للملك أخذ على عاتقه تدبير شئون الدوله المتراميه الأطراف فأحسن سياسه الرعيه و تلبيه حاجاتها بكل رحابه صدر و ازدادت صلاحياته اتساعا حتى فاق جميع الأمراء و رجال الدوله و بلغ من الثراء و العظمه و القدره ما جعله فى عداد زعماء العالم آنذاك، فمثلا كان عدد حراسه خمسه آلاف فارس مدججين بالسلاح و يذبح فى كل يوم مائه خروف لمائدته الخاصه، إضافه إلى مظاهر عديده يطول ذكرها.

و من الطبيعى أن الإنسان حينما يصل هذا المستوى من الجاه و السطوه فإنه يصاب بالغرور و يستبد برأيه و هكذا كان حال الأمير نجم الثانى فقد نسى الهدف الذى قدم إلى خراسان و ما وراء جيحون من أجله، فقد كان هدفه - كما أسلفنا - هو تقويم الملك بابر و إعادته إلى الاتحاد مع إيران إذا كان منصرفا عنه.

و هكذا سار الأمير نجم نحو مدينه ترمذ محاطا بمظاهر العظمه و الأبهر فاجتازها و هاجم ولايه خزار و كان عليها أحد سلاطين الأوزبك و اسمه السلطان آق فولاد و لم ير هذا الحاكم فى نفسه القدره على المقاومه فتصالح مع الأمير نجم ثم سلمه المدينه بعد أخذ العهود و الموائيق و لكن الأمير نجم أمر بحبسه مع جماعه من الأوزبك ثم ضرب أعناقهم و عفا عن سكان المدينه. ثم توجه نحو مدينه قرشى فبادر حاكمها شيخيم ميرزا إلى إحكام تحصين مدينته و الاستعداد للدفاع عنها بعد ما سمع بمصير السلطان آق فولاد .

و عمد الأمير نجم إلى توزيع قواته على أطراف المدينه ثم أمر بنقب حصنها و رميها بالمنجنيق و ما زال بها حتى فتحها عنوه فأسر شيخيم ميرزا و قواته ثم أصدر أوامره بإباده أهل المدينه.

و كان فى المدينه بعض الساده فاعتصموا بالمسجد الجامع و توسلوا بغيث الدين محمد ليتوسط لهم لدى الأمير نجم و فى نفس الوقت كان هناك جماعه من الجغتاي و هم القبائل المنسوبه إلى آل تيمور فتوسلوا بالملك بابر و أسرع الاثنان إلى الأمير نجم متوسلين به ليعفو عن الساده و أقوام الجغتاي، و لكن الأمير نجم كان قد بلغ به الغرور حدا أعمى بصيرته فرفض وساطتهما، و هكذا قتل شيخيم ميرزا بيك و ما يقارب الخمسه عشر ألف من عساكر المدينه و أهاليها و من بينهم الشاعر المعروف (السنائى).

و قد أحدثت مجازر مدينه قرشى رده فعل عنيفه فى نفوس قاده الجيش فساءت نظرتهم إلى الأمير نجم و تشاءموا من عاقبه حملاتهم القادمه.

توجه الأمير نجم إلى بخارى بعد فراغه من أمر قرشى و حين بلغ مشارفها سمع أن عبيد الله خان و السلطان جافى بيك و أكثر

جنودهما قد تحصنوا بالمدينة استعدادا للدفاع عنها، و في نفس الوقت بلغه أن السلطان محمد تيمور و السلطان أبو سعيد عازمان على خوض الحرب بقوات سمرقند، فوجه الأمير لهما بيرام بيك فرمانى و حينما سمع قائدا الأوزبك بقدم بيرام بيك تراجعاً إلى قلعه عجدوان و تحصن بها، فأبلغ بيرام بيك الأمير نجم بالأمر.

و على الفور توجه الأمير نجم إلى عجدوان بكامل قواته فحاصرها، و عمد الأوزبك إلى أسلوب المناورات فكانوا يخرجون منهم جماعه فى كل يوم فتأخذ بالكر و الفر ثم تنسحب إلى داخل القلعه، و لم يتدبر الأمير نجم عاقبه أمره فادام الحصار أربعة أشهر حتى نفذت المئونه و علف الحيوانات و أصبحت القوات فى عسر من أمرها. فطلب بعض قادة الجيش من الأمير الانسحاب إلى حدود قرشى و خزار حتى انقضاء فصل الشتاء ليتسنى جمع المئون و توفير العلف مره أخرى ثم العوده إلى عجدوان و محاصرتها و لكن الأمير رفض طلبهم و ألحوا هم فى الطلب و ما زالوا به حتى أقنعوه فوعدهم بالرحيل فى اليوم التالى، و كان الأوزبك قد أدركوا مصاعب القزلباش و شحه مئونهم و علف حيواناتهم فوجدوا فى ذلك فرصه سانحه للانقضاض على عدوهم و من ثم خرجت طلائع جيشهم من بين الأشجار فى يوم الثلاثاء، الثالث من رمضان عام ٩١٨ هـ و هو اليوم الذى تقرر فيه الانسحاب ففوجئت قوات القزلباش بخروجهم، و لم ير الأمير نجم بدا من الدخول فى الحرب فنظم قواته و وقف فى قلبها و جعل الملك بابر فى قواته لسد الثغرات التى ربما يحدثها الأوزبك فى صفوف جيشه.

و دارت رحى الحرب فصرع بيرام بيك فى الصدمه الأولى، فزاد مصرعه من حماس الأوزبك و اشتدت حملاتهم و لم يكن أمراء القزلباش متحمسين للقتال مع الأمير نجم فلم يستمروا بالمقاومه و لاذوا بالفرار، فهرب الملك بابر بدوره إلى قلعه شادمان مصطحبا قواته التى أتى بها و تبعه الأمير غياث الدين محمد و الخواجه كمال الدين محمود، و هرب حسين بيك و أحمد بيك صوفى أوغلى نحو آمو فعبراه و اتجها إلى خراسان. و طفق الأوزبك يقتلون و ينهبون و أسروا الأمير نجم فأمر عبيد آ [الله] خان بقتله و قتل أيضا زين العابدين بيك و عدد كبير من أبطال القزلباش و قوات خراسان.

و تعقب الأوزبك فلول القزلباش فعبروا نهر آمو و دخلوا خراسان فعاثوا فيها فسادا و قتلوا عددا كبيرا من أهلها و هدموا العديد من أبنيتها.

وصلت أخبار هذه المآسى و النكبات الشاه إسماعيل فى أصفهان فأمر بإحضار القوات. و تزامن ذلك مع ولاده ابنه البكر الأمير طهماسب ميرزا فأقام الاحتفالات و قدم الصدقات ثم توجه إلى خراسان.

لقد وجه الأمير نجم بغروره و استبداده برأيه لطمه قويه إلى الدوله الصفويه الفتيه، فقد كان مقتل وزيرها الأعظم و تشرذم قواتها إهانه كبرى لحقت بكرامتها، إضافة إلى الخسائر الفادحة التى منى بها جيش القزلباش فبعد فرار قادة الجيش دون مقاومه منهم و لا قتال تشتتت قطعات الجيش و لاذت بالفرار على غير هدى.

و استغل سكان المناطق المختلفه الوضع الذى آل إليه مقاتلو القزلباش فحمل السلاح كل من يقدر منهم على ذلك و اشترك فى الغاره على شرادم القزلباش فوصل الأمر فى بعض المناطق إلى تجريدهم حتى من ثيابهم و فى مناطق أخرى كانوا يقتلونهم بعد تجريدهم من ثيابهم و لم تقتصر هذه الحاله المأساويه على الجانب الآخر من نهر آمو بل تعدتها إلى أراضى خراسان و منها حدود مرغاب و كذلك فى أطراف ولايه بادغيس بالقرب من مدينه هرات حيث انبرت بعض طوائف التركمان و العشائر

الأخرى إلى تجريد الهاريين من القزلباش من ثيابهم وقتلهم، و يمكن القول أن خسائر القزلباش التي لحقت بهم بعد الحرب فاقت تلك التي لحقت بهم في الحرب ذاتها.

و ربما كانت هزيمه عجدوان و شيوع أخبارها في البلدان المجاوره سببا في تشجيع أعداء الدوله الصفويه و نهوضهم للقضاء عليها. و من ذلك ما عزم عليه السلطان سليم من شن الحرب على إيران رغم انشغاله بالمشاكل الداخليه لبلادده و فراغه لتوه من القضاء على إخوته و مناوئيه.

و لم يكن السلطان سليم يحاول دخول الحرب وحده بل كان يحرض الحكام المجاورين لايران عبر الرسائل المتكرره و يحضهم على شن الحرب على إيران فقد كان يحسب أن الملك الصفوى الشاب لن تقوم له قائمه بعد هزيمه عجدوان.

توجه الشاه إسماعيل إلى خراسان

لجا بعض قاده القزلباش إلى هرات بعد هزيمتهم في عجدوان و تحصنوا بها وسعوا مع أهلها و أعيانها في إحكام تحصينها، و بعد أيام قدم السلطان جاني بيك بقواته إلى مشارف المدينه فحاصرها ثم أخذ بمهاجمتها فوقف أهلها للدفاع عنها بالنبال و الأحجار و النار.

و كانت هرات عامئذ تفتقد إلى المؤن الكافيه فأصابها الحصار بضيق شديد و لكنه لم يستمر فتره طويله، حيث وقع بعد شهرين من الحصار خلاف بين جاني بيك سلطان و عبيد الله خان، فغادر الأول هرات بقواته في الثالث من محرم من عام ٩١٩هـ، و رحل إلى آمو ثم تبعه عبيد آ [الله] خان في نفس اليوم فتنفس أهالي هرات الصعداء و خرجوا من عزلتهم إلى مزارعهم و مراعيهم.

و إذا كانت هرات قد تابعت أخبار عبور جاني بيك سلطاننهر آمو بارتياح فإنها كانت تتابع في نفس الوقت أخبارا مخزنه مفادها أن السلطان تيمور عبر آمو بالاتجاه المعاكس و انضم إلى عبيد الله خان و هاجم الاثنان مشهد و سيطرا على الأراضي الممتده من ولايه مرو و حتى نواحي أسفراين و ضواحي سبزوار و بيتا العزم على السيطرة على جميع أراضي خراسان.

و أصيب أهالي هرات بالدعر لهذه الأخبار المشؤمه و رأى زعماء القزلباش أن لا طاقه لهم بصد هجوم الأوزبك خصوصا بعد ما رأوه من قحط و ضيق شديد فى الحصار الأول و من ثم غادر المدينة حسين بيك و أحمد بيك و سائر أمراء القزلباش الآخريين متوجهين إلى العراق عبر سيستان و كرمان و بادر بعض أنصار الأوزبك فى المدينة فور خروج قوات الأوزبك إلى السيطرة على زمام الأمور فيها و كان على رأسهم الخواجه أبو الوفاء فبعث الرسائل العاجله إلى مشهد لدعوه السلطان تيمور إلى هرات و لى الأخير الدعوه على عجل فقدم إلى المدينة و ألقى الخطبه باسمه.

و ما كاد الأوزبك يأخذون بزمام الأمور حتى انبرى بعض السكان الجاهلين و المتعصبين من السنه قتلا للشيعة و نهبا لأموالهم و ما زال الأمر يشتد على شيعة هرات حتى توسل الأمير غياث الدين محمد بالخواجه على صدر الخوارزمى فاقنع الأخير السلطان تيمور بضروره منع أوباش المدينة من استغلال الأوضاع، ثم لقى بعض هؤلاء الأوباش جزاء أعمالهم فانتهت الفوضى و أعمال القتل و النهب.

و كانت أخبار هذه المآسى تدفع الشاه إسماعيل للاسراع أكثر فى حركته نحو خراسان، و كان يعلم بندره المؤن فيها فأمر قواته بالتزود بالمتونه بما يكفى لثلاثه أشهر.

و سلك الشاه طريق كبود پنبند [گنبد] و فيروزكوه فى حملته ثم حط الرحال فى سهل بسطام فلقق به فيه سيف الدين المظفر الذى تخلف عنه فى مازندران لجمع الضرائب.

و من جانب آخر كان الشاه قد أمر بإحضار القوات من القبائل و الولايات فحضرت فى سهل بسطام و استعرضها.

و بعد انتهاء الاستعراض و إكمال التجهيزات العسكريه اللازمه تحركت قوات القزلباش إلى خراسان و سبقها حاكم شيراز السلطان خليل على رأس نخبه من القزلباش فكان يغذ السير بهم قبيل الغروب و ليلا حتى بلغ مشارف مشهد و لما علم عبيد الله خان باقتراب طلائع القزلباش و رأى أن لا طاقه له بمقاومتهم جمع عددا من أعيان مشهد و زعمائها و أرغمهم على الرحيل معه إلى مرو و لم يتوقف فيها بل عبر نهر آمو و توجه إلى بخارى، و بلغت أخبار هربه السلطان تيمور فى هرات و بلغه أيضا قدوم طلائع القزلباش فلم يجرؤ على المقاومه فاقتدى بعبيد آ [الله] خان و أرغم عددا من أعيان و وجوه هرات على الرحيل معه إلى سمرقند و كان من بينهم الأمير غياث الدين محمد و الأمير السلطان محمود بن غياث الدين و نخبه آخرون و لكن الأمير غياث الدين أدرك فى سمرقند أن السلطان تيمور يبيت له الشر فهرب بمساعدة مولانا نظام الذى كان يشغل منصب الصداره فى سمرقند و وصل قلعه شادمان فرحب به الملك بابر و كرمه ثم حمله إلى هرات. و فى هرات حدثت نزاعات بين أنصار الصفويين و شخص يدعى أبو القاسم بخشى و كان أبو القاسم هذا قد شغل منصب نيابه السلطان تيمور لبضعه أشهر، فاستفاد من هذا المنصب و جمع فى هذه الفتره القصيره عددا من الغلمان المسلحين و حينما هرب السلطان تيمور من هرات أعلن أبو القاسم نفسه حاكما عليها و لكنه اصطدم بمعارضه عدد من زعماء المدينة المؤيدين للصفويين و لم يقو على مقاومتهم فخرج منها و جمع بعض القوات من القرى و المناطق المجاوره و حاصر المدينة و ما زال الأمر يشتد على أهل هرات حتى قدمت طلائع القزلباش بعد ثمانية أيام من الحصار و كان على رأسهم پيرى سلطان فدارت معركة بين الطرفين، وقف فيها أهالي هرات إلى جانب القزلباش فكانت الغلبه لهم و فى اليوم التالى قدم سيف الدين المظفر إلى هرات فباشر تنظيم الأمور و إقرار الأمن فيها.

بعد هزيمه عجدوان

بعد أن اجتاز عسكر القزلباش منطقه ساوه رأى الشاه إسماعيل ضروره تعيين خلف للأمير نجم الثانى يكون جديرا بهذا المنصب الكبير، و من ثم عين الأمير نظام الدين عبد الباقي بعد أن استخلفه الأمير نجم الثانى فى غيبته الأخيره ليشغل منصب الوزير الأعظم بالوكالة إلى جانب منصبه فى الصداره، و أوكل منصب الصداره إلى مير سيد شريف.

و عند ما وصل عسكر القزلباش (النك راد كان) على بعد اثنى عشر فرسخا من مشهد أمر الشاه بحط الرحال ثم شكل مجلسا من أركان الدوله للتحقيق فى حوادث خراسان و كيفية انتصار الأوزبك فشمّل التحقيق جميع القاده دون استثناء، فاتهم بعضهم بالتقصير و جلدوا أمام أعين القوات و عنف بعض آخر و عوتب آخرون و لكن كان لدده بيك شان آخر فقد كان من أكثر غلمان الشاه القدماء احتراماً و يعد من أعيان الصوفيه و كان حاكما على مرو حينما بدأ الهجوم الأوزبكي فترك هذا الثغر المهم و هرب دون قتال و من ثم كانت عقوبته غايه فى القسوه و الشده حيث أمر الشاه بالباسه زى النساء و إركابه على ظهر الجواد بصوره مقلوبه ثم الطواف به فى طرقات المعسكر، و كانت هذه العقوبه لشخص بمستوى دده بيك إنذارا جديا للآخرين.

و فى نفس اليوم شمل الشاه الأشخاص الذين شملهم التأديب بعطفه فخلع عليهم و كساهم و أهداهم سيوفا و أنطقه مرصعه ثم رفع من مقامهم فجعل البيك سلطانا و جعل السلطان خانا و منهم زينل بيك الذى كان قد رفع فى السابق إلى سلطان، رفع ثانيه فى ذلك اليوم إلى درجه خان ثم عين حاكما على هرات. و بعد الفراغ من تأديب المقصرين ثم تكريمهم تحرك العسكر نحو مشهد لزياره مرقد الامام الرضا (ع) و حينما لاحت قبه المرقد الشريف عن بعد

ترجل الشاه و ترجل معه العسكر و توجه الجميع للزياره و الدعاء.

ثم غادر العسكر الصفوى مشهد متوجها إلى هرات فوصل حدود بادغيس و هناك قدمت شكاوى الأهالى الشيعه و الجنود القزلباش إلى الشاه فعلم منها أن بعض قبائل الباديه و تركمان مرغاب و كذلك بعض قبائل جهار أو يماق كان لها دور فى قتل العديد من أفراد القزلباش الهاربين من معركة عجدوان و علم كذلك أن بعض قبائل مرغاب قد دخلت فى طاعه الأوزبك دون إكراه أو إجبار، فثارت ثائره الشاه و استشاط غضبا، ثم أمر بعد تعيين القبائل المقصره بالسير لها و إبادتها فامثل للأمر السلطان جوجى أحد قادة القزلباش الأشداء و أغار على تلك القبائل فاسال من دمائها أنهارا و نهب أموالها، فكان تأديبا عنيفا أتى ثماره على أفضل وجه، فكثيرا ما حدث فى السنين التاليه أن تعرضت خراسان لغارات الأوزبك دون أن يجرؤ أحد من تلك القبائل على مد يد العون لهم سواء فى ذلك الشيعى أو السنى.

و بعد الفراغ من تأديب القبائل غادر عسكر القزلباش بادغيس إلى منطقته بابا خاكي و هى قريبه من هرات فحطت الرحال فيها، و حين علم أهالى هرات باقتراب موكب الملك الصفوى أخذوا يتوافدون عليه ل طرح شكاواهم و معاناتهم فكان الملك يشملهم بعطفه و يحاول التخفيف عنهم. ثم أمر وزيره الأعظم الأمير نظام الدين عبد القاضى بالسير إلى هرات و تنظيم أمورها، فدخلها مصطحبا معه حاكمها الجديد زينل خان و باشر فى دفع المظالم عن الناس و إعادته الأمور إلى مجاريها.

و من الأمور الأخرى التى حدثت فى تلك الأوقات إرسال شاه رخ بيك لفتح قندهار و لهذا الأمر قصه نحاول عرضها فيما يلى بايجاز: بعد وفاه السلطان حسين ميرزا بايقرا استقل أحد زعماء دولته الجغتانيه و هو الأمير ذو النون أرغون بولايه قندهار، و لما استولى بابر شاه على ولايه كابل و ثبت أركان دولته فيها عزم على احتلال قندهار فلجا ذو النون إلى الشاه إسماعيل حيث بعث بابنه شجاع بيك إلى هرات للقاء الشاه فيها، فالتقى الشاه، و قدم له آداب الطاعه و الخضوع، و لكن الشاه إسماعيل أدرك أن القصد من ذلك هو إضاعة الوقت و تفويت الفرصه على بابر شاه و لذلك حينما بدأ رحله العوده إلى العراق أمر حسين بيك حاكم خراسان بحبس شجاع بيك اختيار الدين فى هرات حتى يتقرر مصير قندهار.

و مكث شجاع بيك فى القلعه إلى حين ثم استعان ببعض أعيان هرات و أفلت من حبسه ليعود إلى قندهار. و بلغ حسين بيك خبر فرار شجاع بيك فغضب غضبا شديدا و أمر بحبس جميع الجغتانيين و أتباعهم الموجودين فى هرات و كان هذا الأمر المتسرع سببا فى إلحاق الأذى بالعديد من الأبرياء و سببا أيضا فيما بعد بعزل حسين بيك من ولايه خراسان كما عزل من قبل من ولايه هرات. و فى الوقت الذى كان جيش القزلباش يعسكر فى بابا خاكي أمر الشاه إسماعيل شاه رخ بيك بأفشار بالهجوم على قندهار بقوه من القزلباش و أوصاه بالتوجه لمساعدته ديو سلطان فى محاصره قلعه (اندخود) بعد فراغه من أمر قندهار.

و سار شاه رخ بيك إلى قندهار فلم يفلح فى فتحها حيث تحصن فيها الأمير سلطان على عم شجاع بيك فتوجه إلى قلعه اندخود فسمع فى أثناء الطريق بفتحها و إباده أهلها، فلحق بمعسكر القزلباش بالقرب من أصفهان و قدم تقرير أعماله للشاه إسماعيل.

و هكذا استقرت الأوضاع فى خراسان و ثبتت أقدام القزلباش فى مدينتيها الرئيسيتين، هرات و بلخ حيث سيطر ديو سلطان على طخارستان سيطره تامه و أرسى زينل خان دعائم النظام و الاستقرار فى هرات، و حين ذاك بلغت الشاه إسماعيل أخبار من الحدود الغربيه للبلاد تقتضى سفره إلى العراق، و من ثم شد الرحال من بابا خاكي إلى طوس فى أوائل عام ٩١٩ هـ.

و فى طوس بلغت أنباء تفيد بتمرد بعض الجغتائين و تعيينهم لأحد الأمراء التيموريين و هو السلطان محمد بايقرا بن الميرزا أبو الحسن بايقرا ملكا فى حدود ولايه نسا و أبيورد فسار إليهم الأمير نظام الدين عبد الباقي و محمد بيك استاجلو فشتتا جمعهم و أهلكا منهم جماعه كثيره ثم فرضا النظام فى شمال خراسان و عادا للالتحاق بجيش القزلباش.

و أمضى الشاه إسماعيل شتاء عام ٩١٩ هـ فى أصفهان ثم توجه إلى همذان فى بدايه الربيع. و فى همذان وصلت أنباء مهمه عن تحركات الجيش العثمانى توحى بان السلطان سليم ينوى الهجوم على الموصل و بغداد عن طريق ديار بكر و الجزيره و لكن آخر الأخبار التى وصلت من ديار بكر كانت تفيد بتحرك السلطان العثمانى بجيوش جراره نحو آذربايجان.

بدايه الحروب العثمانيه – الإبرانيه

و حقيقه معركه جالدران

ذكرنا فيما مضى أن سلاطين الدوله العثمانيه كانوا يطمحون لبسط نفوذهم على الحرمين الشريفين و سائر البلاد الإسلاميه و منها إيران التى كانت تمثل عقبه كئود أمام تحقيق الطموحات العثمانيه لما كانت تتمتع به من قوه معنويه و ماديه، و من ثم كان السلطان بايزيد ينفق أموالا طائله للحصول بعض النفوذ فى إيران.

و كان نفوذ الأسره الصوفيه يمتد إلى الأراضى العثمانيه بل يؤثر حتى على بعض رجال و أعيان البلاط العثمانى و لذلك بقيت الرغبه فى احتلال إيران مجرد حلم بعيد طوال حياه السلطان بايزيد، و لكن بعد أن أقعده المرض و خلفه ابنه فى العرش أخذ الأخير يراقب تعاضم شان الشاه إسماعيل بكثير من القلق و الريبه

ص: ٦١

و أدرك أن سكوته سينهى الأمل فى تحقيق الحلم العثمانى فى التوسع لا سيما بعد أن تكشف للعيان اتحاد مصر و إيران بعد اعتزال السلطان بايزيد للعرش فى عام ٩١٨ هـ. بحيث ورد ذكر هذا الأمر صراحة فى رساله حاكم بعض مناطق كردستان الخواجه رستم إلى السلطان بايزيد.

و كان اتحاد مصر و إيران أمرا مفاجئا بالنسبه للعثمانيين إذ لم يكونوا يتوقعون مثل هذا الاتحاد بعد اندلاع الحرب بين الشاه إسماعيل و علاء الدوله ذو القدر التى تسببت فى تعكير العلاقات بين مصر و إيران بل وصل الأمر إلى دعوه سلطان مصر الدوله العثمانيه للاتحاد معه فى سبيل القضاء على حكم الشاه إسماعيل، فقد ورد فى رساله رسميه بعث بها سلطان مصر إلى السلطان العثمانى ما يلى:

"...و أما مسأله القضاء على فرق القزلباش الضاله فى بلاد الشرق فهى فى حكم البلاء العام و لذلك فان جهادهم واجب على القريب و البعيد، و نحن عازمون على النهوض لجهادهم و قطع أيديهم عن رقاب الناس و لكننا نحتاج فى ذلك إلى تأييد و دعم الآخرين و فى الحقيقه فان التعاون فى ذلك فرض على المسلمين لأن القزلباش أهل بدعه و ضلال و هم أناس أشقياء و أشرار و جميعهم من الروافض الملعونين، و ليس فى قلوبهم أثر من الرحمه و الشفقه فهم يقتلون العلماء و الساده و يهتكون أعراض الناس و نواميسهم و تصدر عنهم أمور لم تصدر من قبل عن جنكيز و تيمور..."

كتب هذه الرساله السلطان المصرى قانصو الغورى إلى السلطان العثمانى فى وقت كان قلعا فيه من عمليات الشاه إسماعيل فى ديار بكر و يخشى من القضاء على علاء الدوله ذو القدر ثم يياشر الاعتداء على المناطق الخاضعه للسلطه المصريه، و لذلك كان السلطان العثمانى يدرك جيدا سبب حرص سلطان مصر على الإسلام و استغاثته بالآخرين فى سبيل الحفاظ على بيضه الإسلام و من ثم كان جوابه على الرساله يتصف بكثير من اللاباليه حيث يقول فى رده على الرساله (إن الدوله العثمانيه لا تملك إلا الدعاء).

و فى الحقيقه فان الدوله العثمانيه كانت ترغب كثيرا فى استمرار الخلاف بين الدولتين الإيرانيه و المصريه و تفضل الوقوف على الحياد إزاء مثل هذا الخلاف و لذلك كانت رسائل السلطان العثمانى و أجوبته على رسائل السلطان المصرى تخلو من الألفاظ القاسيه بحق الإيرانيين بل و من تأييد دعاوى تكفيرهم و رميهم بالإلحاد، لثلا يظهر دليل على عداة العثمانيين لايران.

و من الطبيعى أن مصر عند ما يئست من تجاوب العثمانيين معها رأت أن تبادر إلى الاتحاد مع ملك إيران القوى قبل أن يتمكن العثمانيون من ذلك، و قد كان هذا الاتحاد فى غايه الضروره بالنسبه لمصر حيث كان علاء الدوله ذو القدر هو من أقوى حلفاء مصر قد تعرض لضربات قويه من قبل القزلباش و ربما كانت حملة أخرى كفيله بالقضاء عليه مما يعنى ضربه قاصمه لنفوذ مصر فى المنطقه و لذلك كانت الوفود المصريه تحاول التوصل مع إيران إلى اتفاق يضمن بقاء ديار بكر على حالها.

و كان الاتفاق يقضى باحتفاظ القزلباش بالمناطق التى انتزعوها فى ديار بكر من علاء الدوله ذو القدر و احتفاظ الأخير بالمناطق التى لا تزال خاضعه لسيطرته مع امتناع القزلباش عن الاعتداء عليها، و مع التوصل إلى هذا الاتفاق أخذت العلاقات الثنائيه تتحسن بين علاء الدوله و إيران و أخذ علاء الدوله يتوسل السبل التى تقربه من الشاه إسماعيل، فمثلا حينما سير السلطان سليم جيوشه للاعتداء على إيران كان فرسان علاء الدوله ينقضون من الخلف على المعسكرات العثمانيه فى الوقت الذى لم يطلب

و على أى حال اعتزل السلطان بايزيد العرش فى عام ٩١٨ و باشر السلطان سليم فى عام ٩١٩ بتصفيه إخوته و أولادهم فلما فرغ من أمرهم أمر بتجهيز الجيوش للهجوم على إيران.

أصدر فى البدايه أمرا بمنع دخول البضائع من الحدود العثمانيه الشرقيه و اعتقال جميع التجار الشرقيين و مصادرهم أموالهم ثم أصدر أمرا آخر يرغم بموجه التجار العثمانيين أنفسهم على دفع ما بحوزتهم من بضائع مستورده من الشرق إلى حكام ولاياتهم و فى حال المخالفه تصادر أموالهم و يعاملون معاملة جواسيس حرب.

و بعث السلطان سليم بسفرائه إلى أوروبا لانهاء الخلاف مع إمبراطوريه هنغاريا و المجر ليتفرغ لأمر إيران، ثم بدأ بتحريض جميع الحكام و الملوك المجاورين لايران بل تعدى ذلك إلى تحريض بعض زعماء إيران ذاتها.

و من أبرز الملوك الذين شملهم التحريض عبيد الله خان فى سمرقند فكان رده إيجابيا و بعث رسوله إلى السلطان سليم ليطلب منه إرسال المدفعية و الأسلحة الناريه الأخرى و عدد من محاربي (الينى جرى) لمساعدته فاستجاب السلطان لهذا الطلب و أرسل ثلاثمائة مقاتل (ينى جرى) بالاضافه إلى عدد من المدافع و البنادق، فوصلت بخارى فى أوائل عام ٩٢١(١).

و فى الثالث و العشرين من محرم عام ٩٢٠ خرج السلطان سليم على رأس قواته من مدينه أدرنه ثم عسكر بالقرب من اسطنبول فى يوم الأربعاء التاسع و العشرين من صفر و بعد ذلك توجه إلى الأناضول.

و فى الثانى من جمادى الأولى وصل مدينه (ينكى شهر) فبعث من هناك أحمد باشا و مجموعه من قادة الجيش على رأس عشرين ألف مقاتل إلى سيواس. و بالقرب من مدينه قونيه قدم أهالى لارنده إلى موكب السلطان محملين بالهدايا و مصطحبين معهم ثلاثة من القزلباش فاستجوب هؤلاء الثلاثة تحت التعذيب ثم قتلوا.ه.

و فى التاسع من جمادى التحقت جميع القطعات العسكريه المجهزه بالموكب السلطانى بالقرب من سيواس فبلغ تعدادها أربعمائيه ألف شخص.

و فى الخامس عشر من الشهر نفسه وضعت الأحمال و الأتقال و الخزائن و السجلات فى قلعه سيواس للتخفيف عن العسكر ثم أمر السلطان بتوزيع الأسلحه على المقاتلين و من هذا الموقع بدأت قوات (الينى رى) تحيط بالمقر السلطانى. و فى يوم ٢٠ وصلت الجيوش حدود أرزنجان و هى أول الأراضى الإيرانيه فقدم حاكمها إلى المعسكر العثمانى و أبدى استعداده لتزويده بالمؤن بشرط الحفاظ على سلامه المدينه و عدم الاعتداء عليها.

و فى يوم ٢٢ بلغ الزحف قلعه كماخ و كانت فى غايه المنعه فوقف القزلباش للدفاع عنها فلم يتأخر الجيش لفتحها، بل واصل زحفه إلى الإمام، حتى وصل ضفاف الفرات فى اليوم السادس و العشرين.

و فى يوم ٢٧ شن العثمانيون عددا من الغارات على أطراف كماخ و بايرد و عادوا بغنائم كثيره. و فى العاشر من جمادى الثانيه بدت للأنظار قوه من القزلباش يبلغ تعدادها ألفى مقاتل إلا أنها لم تكن مكلفه بالقتال كما يبدو حيث اختفت عن الأنظار على عجل.

و فى ٢٢ جمادى الثانيه وصلت الجيوش العثمانيه قريه خربه اسمها س لله الو فى حدود صحراء (الشكر) فعسكرت فيها، و حينئذ ثارت نائره قوات الينى رى فتمردوا احتجاجا على طبيعه الموقع و عدم جدوى البقاء فيه، و صادف ذلك قدوم جاسوس اسمه الشيخ أحمد كان قد بعث به فرحشاد بيك آق قويونلو إلى الأراضى الإيرانيه لمعرفه تحركات القزلباش و مخططات الشاه إسماعيل، و كان الشيخ أحمد يحمل أخبارا ساره حيث ذكر بأنه التقى بالشاه إسماعيل فى منطقه أوجان و أخبره بأنه موفد إليه من قبل رؤساء التركمان و زعماء الروم للتأكيد له بان جميع قبائل الروم و الأناضول و أكثر أفراد الجيش هم من مريدى الأسره الصفويه و يعتقدون بالخانقاه الصفوى فإذا نشبت الحرب بين الطرفين فان جميع هؤلاء سيتفرقون عن السلطان العثمانى و يلتحقون بالملك الصفوى و لذلك (و الكلام للشيخ أحمد) فان أهم واجب ينبغى على الشاه القيام به هو الاسراع بجيشه للقاء العثمانيين. ثم أكد الشيخ أحمد أنه رافق الشاه إسماعيل فى حركته من أوجان حتى مدينه خوى و هناك أوصاه الشاه باللحاق بأنصاره لاخبارهم بقدومه و كونه عازما على لقاء الجيش العثمانى فى صحراء جالدران.

و قد ساهمت هذه الأخبار إلى حد ما فى إنهاء تمرد الينى رى و طمأنتهم. و فى اليوم الأول من رجب بدت طلائع قوات القزلباش فاستعدت القوات العثمانيه للقتال ثم وصلها خبر يفيد بان المسافه بين الجيشين لا تزال بعيده و لذلك سيكون القتال فى اليوم التالى. و فى يوم الأربعاء الثانى من رجب اصطفت جيوش الطرفين فى صحراء جالدران، و قسم الشاه إسماعيل جيشه إلى قسمين جعل إحدهما تحت إمره والى ديار بكر محمد بيك استاجلو و جعل الثانى تحت قيادته المباشره.

و انتشرت القوات العثمانيه ثم بدأت الحرب فكثرت القتل فى صفوف الايرانيين و شن الشاه إسماعيل حملة قويه على الجناح الأيسر فامده السلطان بالمدفعية و بعض المقاتلين من جيشه الخاص و أطلقت المدفعية نيرانها سبع مرات ثم حل الغروب فتقهقر الايرانيون و خلفوا وراءهم أشياء كثيره غنمها العثمانيون.

و كانت خسائر الجانبين كبيره حيث قتل من القزلباش نائب السلطنه مير عبد الباقي و حاكم بغداد خليفه الخلفاء و حاكم خراسان بيك و حاكم همذان السلطان على بيك و نقيب أشراف النجف محمد كمونه و عدد آخر من قادة القزلباش و زعمائهم بينما قتل من العثمانيين أمير الأمراء حسن باشا و حاكم مورده حسن آغا و حاكم صوفيا (بلغاريا) مالقو أوغلي و أخوه حاكم سلستره تور بيك و حاكم مقدونيا سليمان بيك و حاكم قونيا محمد بيك و حاكم قيصريه أويس بيك و حاكم نيكده إسكندر بيك و حاكم أفلاق (يوغسلافيا حاليا) سنان بيك و عدد آخر من الحكام و قادة الجيش بالاضافه إلى عدد آخر جرح في المعركه ثم توفي في طريق العوده إلى البلاد العثمانيه.

و في تلك الليله أمر السلطان سليم بتكريم المقاتلين الذين أبلوا في المعركه بلاء حسنا و أمر أيضا بجمع الأسرى الايرانيين أمام مقره و ضرب أعناقهم.

و في اليوم الثالث من المعركه لجا إلى السلطان أحد أعيان القزلباش، اسمه الحاج رستم في خمسين من أتباعه فأمر السلطان بحبسهم على الفور ثم ضربت أعناقهم في اليوم التالي ثم لجا شخص آخر اسمه خالد بيك في مائه و خمسين من أصحابه و أظهر الطاعه للسلطان فأمر بتجريدهم من السلاح و جمعهم في خيمه واحده كضيوف في معسكره ثم أمر بقتلهم جميعا.

و في اليوم السادس عشر بعد نهايه الحرب خرج أهالي تبريز لاستقبال السلطان يتقدمهم العلماء و الفضلاء و الزهاد و العباد و فرشوا الطريق مسافه فرسخ بالسجاد و الدياتج و قدموا أنواع الهدايا و التحف الثمينه إلى السلطان، ثم دخل موكب السلطان تبريز و نزل في محله سرخاب.

و في اليوم الثامن عشر بعد نهايه الحرب و الموافق ليوم الجمعه قدم السلطان إلى مسجد تبريز الجامع المسمى بمسجد حسن سلطان فألقيت الخطبه باسمه و حينما ذكر الخطيب أسماء الصحابه و الخلفاء الأربعة أجهش الحاضرون بالبكاء.

و في اليوم الحادى و العشرين أمر أحمد بيك قابجى باشى

بالبحث عن أملاك و أموال القزلباش فى تبريز و مصادرتها و فى هذا اليوم أيضا أمر فوج من القوات العثمانية بترحيل الخراسانيين من تبريز إلى اسطنبول و هم: بديع الزمان ميرزا الپورپانى [الگوركانى] و جماعه من أعيان و تجار هرات و حرفيها كان الشاه إسماعيل قد حملهم إلى تبريز و أسكنهم فى عاصمه ملكه. و ألحق السلطان سليم بعض مشاهير تبريز بالخراسانيين الذين شملهم الترحيل إلى اسطنبول.

و من الطبيعى أن مسأله إطعام جيش هائل كالجيش العثمانى أمر فى غايه الصعوبه لا سيما و أن الشاه إسماعيل كان قد أخلى جميع القرى و النواحي من المؤن و المواد الغذائيه. و لذلك تقرر انسحاب الجيش العثمانى فى اليوم الخامس و العشرين من انتهاء معركه جالدران الموافق للأول من شهر شعبان عام ٢٩٠ [٩٢٠] هـ. و حينما عبرت القوات نهر أرس و كان تيار الماء فيه على أشده غرق العديد من أفراد الجيش و الدواب. ثم وصل الجيش مدينه نخجوان و كان أهلها قد أخفوا علامات القزلباش و تزيوا بزى أهل السنه، و بالرغم من ذلك صدرت الأوامر بالاغاره على المدينه و نهبها. ثم واصل الجيش رحلته فوصل ايروان بعد سبعة أيام و فى منتصف الليل صدرت الأوامر بالرحيل و فى نفس الوقت سمح للقوات بنهب المدينه، و فى اليوم التالى بلغت الجيوش قلعه تالين و كان أهلها قد تحصنوا فيها فأمر السلطان بقصفها بالمدافع فهدمت القلعه و أيد أهلها.

و فى الرابع عشر من شهر شعبان تقرر الهجوم على پرجستان [گرجستان]، فقد طلب من حكامها إرسال المؤن و لم يصل منهم جواب بهذا الشأن، و فى الرابع و العشرين من الشهر بلغ المعسكر العثمانى خبر يفيد بإرسال الپرجيين [الگرجيين] ثلاثه آلاف رأس من الأغنام و لذلك انصرفوا عن التفكير فى الهجوم و تحركوا نحو البلاد العثمانيه.

و فى الحادى و العشرين من رمضان وصل المعسكر العثمانى سفير الشاه إسماعيل مير عبد الوهاب فحبس فيه.

و فى الثامن من محرم عام ٩٢١ تمردت جماعه من الينى جرى و هجمت ليلا على منزلى أحمد باشا و پيرى باشا فهدمتهما.

و فى الخامس من شهر ربيع الأول عام ٩٢١ هـ غادر السلطان سليم مدينه آماسيه لفتح قلعه كماخ، و كان فيها قوه من القزلباش متحصنين رغم انقطاعهم عن تبريز، و قاوموا مقاومه شديده فأمر السلطان بدكها بالمدفعيه ففتحت و قتل جميع من كان فيها، و الجدير بالذكر أن هذه القلعه المحصنه لم يستطع أحد من الملوك فتحها لقرون طويله.

ثم توجه السلطان لقتال علاء الدوله ذو القدر بعد فتح قلعه كماخ و كان علاء الدوله عاكفا على زرع الخلافات و الفتن ليستفيد هو من الوضع القائم ثم اتحد فى آخر المطاف مع القزلباش. و رأى علاء الدوله نفسه عاجزا عن قتال جيوش العثمانيين الجزاره فرجح الانسحاب إلى المناطق الجبلية فأمر السلطان سليم سنان باشا بتعقبه و فى التاسع و العشرين من ربيع الأول دارت معركه ضاربه بين علاء الدوله و سنان باشا بالقرب من مدينه بسيان قتل فيها علاء الدوله و كان عمره تسعين عاما و هزم جيشه ثم حمل رأسه إلى السلطان سليم. و عين السلطان على بيك بن شهبوار حاكما على المناطق التى كان عمه علاء الدوله حاكما عليها و السبب فى ذلك أن على بيك و أباه شهبوار كانا إلى جانب الدوله العثمانيه منذ بدايه الأمر و حين أعدم سلطان مصر شهبوار فى القاهره لجأ ابنه على بيك إلى السلطان العثمانى.

و بعد مقتل علاء الدوله غادر السلطان سليم ولايه ديار بكر متوجها إلى اسطنبول.

و استطاع السلطان فتح حلب و الشام و مصر فى عامى ٩٢٢ و ٩٢٣ هـ. و فى عام ٩٢٤ قدم سفير الشاه إسماعيل إلى الشام للقاء السلطان فيها. و كان يحمل معه أنواع الهدايا و التحف بالاضافه إلى رساله يهنئه فيها الشاه بفتح مصر و يقترح عليه المصالحه بين البلدين على أن يعترف الشاه بسلطان العثمانيين على جميع المناطق التى وصلت إليها جيوشهم، و إذا لم يكن السلطان سليم راغبا فى ملكيتها فليسلمها إلى القزلباش مقابل مبلغ من المال.

و قد أثارت هذه المقترحات الشك و الريبه فى نفس السلطان فأمر حكام طرابلس و حماه و سلستره بجمع قواتهم على الفرات و التزام الحيطه و الحذر، ثم غادر الشام متوجها إلى حلب فبلغه هناك أن الشاه إسماعيل موجود فى نخجوان.

و فى الرابع و العشرين من ربيع الثانى عزم السلطان سليم على التوجه لقتال الشاه إسماعيل ثانيه فغادر حلب بعد أن جعل على عسكريها پيرى باشا و أمره بملازمه نهر الفرات و توجه إلى اسطنبول على أن ينطلق منها إلى إيران، و كان قد أصدر فى حلب أمرا بترحيل جميع سكانها الشيعه إلى اسطنبول و أمر كذلك بحبس جميع تجار الحرير و البضائع الإيرانية.

و فى مدينه اسطنبول أمر السلطان سليم باعداد القطعات العسكريه و التجهيزات الحربيه استعدادا للهجوم على جزيره رودس ثم عقد مجلسا من زعماء الدوله و أعيانها لاستشارتهم بالأمر فاستقر رأى الجميع على ضروره البدء بقتال الشاه إسماعيل قبل كفار رودس و من ثم غادر السلطان اسطنبول إلى أدرنه على عجل لينصرف هناك إلى إعداد مستلزمات الحرب مع إيران.

و فى طريقه إلى أدرنه توقف فى المحطه الأولى و هى المنطقه التى قاتل فيها أباه، و هناك ظهرت على صدره حبه تشبه اللؤلؤه ثم أخذت تكبر يوما بعد آخر و يشتد ألمها حتى غطت جزءا

كبيراً من بدنه و لم تجد معها أدوية الأطباء الماهرين و علاجهم و أخيراً بعد أن أمضى واحداً و خمسين يوماً طريح الفراش فارق الحياة في سحر الاثنين الموافق للتاسع من شوال عام ٩٢٦. (إلى هنا انتهت تقارير الصحيفه الرسميه).

و يجدر بنا بعد ما أوردنا أقوال العثمانيين فيما يتعلق بمعركه جالدران و ما سبقها و ما تلاها أن نلقى نظره على أحوال الملك الصفوى و جيش القزلباش و معنوياتهم خلال المعركه. فقد كان الشاه إسماعيل حين وقوع المعركه لا يتجاوز الثامنه و العشرين من العمر و له خبره طويله فى الحروب و الفتوحات حيث بدأ نشاطاته العسكريه فى سن الثالثه عشره و كان المنتصر و الفاتح فى حروبه جميعاً، و لم تكن مكانته فى النفوس تشبه مكانه الملوك فى نفوس جنودهم و رعاياهم إنما كان يمثل بالنسبه لأتباعه المرشد الأكبر للطريقه الصوفيه القويمه و قد كان هؤلاء الأتباع يبالغون فى نظرتهم إليه بحيث يذكر أكثر المؤرخين أنه لو انتصر فى معركه جالدران لعدوه إمام الزمان و المهدي الموعود.

و قد كان الشاه إسماعيل فى أواخر ربيع عام ٩٢٠ هـ فى همدان ينوى قضاء الصيف هناك، و فى أثناء ذلك قدم إليه رسول السلطان سليم يحمل رساله منه يعلن فيها الحرب فقام الملك بتكريمه و الإنعام عليه ثم أجازته فى العوده إلى بلاده على عكس ما كان يقوم به السلطان سليم من حبس لسفراء الشاه إسماعيل و تعذيبهم و قتلهم فى بعض الأحيان.

بادر الشاه إسماعيل فور وصول الرساله إلى إرسال الرسائل السريعه إلى خان محمد استاجلو فى ديار بكر يطلب منه متابعه تحركات قوات السلطان سليم و إبلاغه بالمعلومات أولاً بأول و إذا تيقن بان السلطان ينوى الهجوم على إيران فعليه القيام بتجهيز قلاع آمد و كماخ و بعض القلاع الأخرى بالقوات الكافيه ثم التوجه إلى آذربايجان بقوات مجهزه تجهيزاً كافياً، أما فى حال انشغال السلطان سليم بفتح قلاع و مدن ديار بكر فان ذلك دليل على انصرافه عن مهاجمه إيران و اكتفائه بديار بكر و من ثم طلب الملك من محمد استاجلو فى هذه الحال أن يمكث بقواته فى ولايته و يوافيه بالتطورات ليعث له بالمدد.

و راقب خان محمد استاجلو تحركات الجيش العثمانى الجرار فأدرك أنه عازم على مهاجمه إيران، حيث كان يجتاز القلاع الإيرانيه الحصينه دون حرب أو تماهل و سر محمد استاجلو لهذا الأمر حيث كان يعلم أن جيشاً جراراً يمثل هذا العدد سيواجه صعوبات جمه أثناء عبوره فى أراضي و قرى جردت من المؤن و تحولت إلى خرائب لا تنفع فى شىء، إضافة إلى قدرته على شن الحملات المباغتة على هذا الجيش أثناء الليل و أطراف النهار فيكبده خسائر كبيره. و كانت قوات القزلباش قد أخلت المناطق المسكونه من سكانها من بدايه الحدود الإيرانيه حتى حدود ولايه خوى و أخلت الأراضي الواقعه على امتداد الطريق بعرض عده فراسخ من السكان و دمرت جميع خيراتها بحيث لا يمكن الاستفادة منها فى شىء.

و يذكر صاحب كتاب "أحسن التواريخ" أن خان محمد استاجلو التحق بالشاه إسماعيل و اقترح عليه مهاجمه الجيوش العثمانيه الجراره أثناء الطريق لأنها لن تكون مستعدده للقتال حينئذ، و بذلك لا يتسنى لها الاستفادة من مدافعها العديده و لا من حملة البنادق الاثنى عشر ألف كما ينبغى و لكن الشاه إسماعيل رفض أخذ العدو على حين غره قائلاً بأنه ليس لصا و لا قاطع طريق ليفاجئ العدو بالهجوم و يلوث تاريخه بذلك.

و فى صبيحه الأربعاء الموافق للأول من رجب وصلت القوات العثمانيه صحراء جالدران، و فى جانب من تلك الصحراء نصب فسطاط السلطان سليم على أحد التلال و عسكرت قوات القلب حول الفسطاط، و اتخذت قوات الينى جري بمدفعتها مواضعها

فى القلب، و ربطت المدافع إلى بعضها لتكون سورا حصينا يحيط بالقوات و وقف حمله البنادق الاثنى عشر ألفا إزاء الفسطاط السلطانى ليكونوا رهن إشاره السلطان يوجههم حيثما يشاء حالما تقتضى الضروره و اتخذت قوات الجناح الأيمن مواضعها تحت قيادة القائد سنان باشا بينما كان القائد حسن باشا قائدا لقوات الجناح الأيسر.

و انقسمت القوات الإيرانيه - حسب المؤرخين العثمانيين - إلى قسمين، قاد أحدهما الشاه إسماعيل و قاد الآخر خان محمد استاجلو بينما يذكر المؤرخون الايرانيون أن القوات الإيرانيه انقسمت إلى قلب و جناحين كان محمد استاجلو على الجناح الأيمن و دورميش خان على الجناح الأيسر بينما أخذ الشاه على عاتقه قياده القلب، و لكن صاحب (أحسن التواريخ) يذكر بان الوزير نظام الدين عبد الباقي و السيد محمد كمونه و مير شريف الدين على كانوا فى القلب تحت إشراف و توجيه الشاه إسماعيل.

و يذكر العثمانيون أن الشاه إسماعيل شن فى بدايه الأمر هجومًا [هجومًا] على قلب القوات العثمانيه بنخبه من قواته و لكن المدفعية قتلت خيول المهاجمين فاضطروا إلى مهاجمه الجناح الأيسر و دارت هناك معركة طاحنه. و من جانب آخر يذكر العثمانيون أن محمد استاجلو هاجم جناح سنان باشا فهزمه الأخير و تمكن أحد الجنود من قطع رأسه، و لكن الجناح الأيسر العثماني فقد قائده حسن باشا فاختل النظام فيه و أبلغ السلطان بالأمر فامده بنصف مدفعيته الموجوده فى القلب و مجموعته من حرسه الخاص و تضيف المصادر العثمانيه أن الشاه إسماعيل فر من أرض المعركه مع حلول الغروب و تعقبه العثمانيون إلى مسافه محدوده ثم عادوا أدراجهم.

و من الطبيعي أن المصادر العثمانية بالغت كثيرا في نقلها و لفتت الكثير من الأمور غير الصحيحة، و من ذلك ما نقوله عن مقتل خان محمد استاجلو، و الحقيقة أنه رأى الجناح الأيسر العثماني يختل نظامه ثم يهرب مقاتلوه بعد مقتل قائدهم حسن باشا فحاول اغتنام الفرصة و الاقتداء بالشاه إسماعيل في مهاجمته للقلب، و لكنه ما كاد يدخل مدى المدفعية حتى أطلقت عليه حمم نارها فقطعته إربا.

و أما الشاه إسماعيل فقد حمل على القلب فواجهته المدفعية بقصف شديد مركز فسقط العديد من جنوده و منهم حسين بيك و عدد من المقربين إليه و لكن سقوطهم لم يثنه عن مواصلة الزحف فاستطاع الوصول إلى المدافع و قطع أحزمتها و سلاسلها التي تشدها إلى بعض ثم ضرب سبطانه المدفع الأول فأحدث فيها من الجانيين شرخا مقداره أربعة أصابع (و الجدير بالذكر أن هذا المدفع ظل محفوظا في روسيا حتى أوائل الثورة الروسية) ثم أهلك عددا من رجال المدفعية اليني جرى.

و قام قائد الجناح الأيمن العثماني سنان باشا بضم بعض حملة البنادق إلى قواته ثم هاجم القلب و أطلق رماته نارهم بكثافه فأصيب جميع من كان في الصف الأول و من بينهم الوزير نظام الدين عبد الباقي و مير شريف و السيد محمد كمونه و خلفا بيك و صارووييره قورجي باشا و في أثناء ذلك كان جيش شيراز يقف منفصلا تحت قياده والي شيراز خليل ذو القدر، و كان هذا يلاحظ اضطراب صفوف القلب و شده الضغط عليه فلا يقدم على شيء رغم أنه بإمكانه الالتفاف حول العثمانيين و توجيه ضربه قاسمه لهم، و شاهد في غمره المعركة جموده السلطان خليل فبعث إليه من يأمره بالهجوم و لكنه ظل في جموده. و أما قوات خان محمد استاجلو فقد تولى قيادتها أخوه فروخان و راح يتقدم بها أمام الجناح الأيسر المتقهقر حتى أوغلت في تقدمها و لم يبق مع الشاه حين شارفت الشمس على المغيب إلا عدد من أفواج الجناح الأيسر و القلب.

و آذنت الشمس بالمغيب فعزم الشاه على إعادته النظر في قواته فأمر بإطلاق الصوت الخاص بالخانقاه الصفوى و كان من عادة أتباع هذا الخانقاه أنهم يلون النداء حيثما كانوا فور سماعهم له، و لكن لم يستجب له هذه المره إلا ثلاثمائة مقاتل و أما البقية الباقية فلم تستطع الخروج من طوق القوات العثمانية.

و أخيرا أخذ بعض ذوى الرأي و الحكمة و تجربه بزمام جواد الشاه إسماعيل متوسلين به أن يخرج عن أرض المعركة مؤكداً عليه أن بقاءه سيضمن بقاء إيران و موته سيلحق بها هزيمة منكرة، و ما زالوا به حتى أقنعوه و كما تذكر المصادر العثمانية فقد خرج من ساحه القتال بعد غروب الشمس، و تنبه بعض العثمانيين لخروجه فعزموا على تعقبه و لكن السلطان سليم أبى عليهم ذلك لأنه كان يحسب الأمر خدعه أراد القزلباش بها الإيقاع بالقوات العثمانية. و بادر جيش شيراز إلى الانسحاب فور رؤيته انسحاب الشاه إسماعيل بعد أن ظل بعيدا عن خضم المعارك. و ينقل الرواه أن جواد الشاه إسماعيل دخل مستقعا فلم يقو على الخروج منه و بذل جماعه من القزلباش جهدا كبيرا لإخراجه و في ذلك دليل على عدم تعقب العثمانيين للشاه في انسحابه.

و مكث السلطان بعد انسحاب القزلباش يتردد في حيرته بعض الوقت، حتى عادت أفواج القزلباش التي كانت تتعقب فلول الجناح الأيسر العثماني معتقده أن قواتهم أحرزت النصر، و لكنها فوجئت بانتظام صفوف العثمانيين فلم ير القزلباش جدوى من الدخول في المعركة مره أخرى و لذلك بذلوا أقصى جهدهم لفتح ثغره في صفوف العدو ثم أسرعوا في الابتعاد عن ساحه القتال و حينئذ تيقن السلطان سليم من عدم وجود خطه أو مكيدة في الأمر و إلا لما غادر الشاه بمن بقى معه دون أن يبلغ مقاتلى الجناح الأيمن بانسحابه و من ثم أصدر أوامره بنهب معسكر القزلباش، و لم يكن فيه شيء ذو بال، و مما يجدر ذكره هنا أن

بعض رجال البلاط العثماني أرادوا استرضاء سلطانهم فحملوا إليه امرأه كانت المرأه الوحيدة التي وجدوها في المعسكر و زعموا أنها زوجه الشاه إسماعيل زورا و بهتاناً.

و حين اطمأن السلطان سليم إلى حقيقه الأمر أمر بضرب أعناق جميع الأسرى الايرانيين و كذلك زعماء القزلباش الذين قدموا إليه فى الأيام الأخيره لطلب الأمان منه.

و دخل السلطان مدينه تبريز فمكث فيها أسبوعاً، راسل خلاله حكام لرستان و كردستان و پيلان [گیلان] و مازندران و غيرهم و طلب منهم السعى للاطاحه بحكم الصفويين.

و كما ذكرنا سابقاً أن السلطان سليم ذهب إلى المسجد الجامع فى تبريز الموسوم بمسجد السلطان حسن لأداء صلاه الجمعة و خطب الخطيب ذاكر الرسول و الخلفاء الأربعة ثم بدأ بذكر - كعاداته - الألقاب المتعارف عليها آنذاك مثل سلطان البرين و خاقان البحرين و غيرها و ذكر بعدها اسم الشاه إسماعيل المظفر بدلا من أن يقول السلطان سليم فهم جماعه من قاده الجيش العثماني بقتله فنهاهم السلطان عن قتله قائلاً: إنما هى عاده اعتادها لسانه فاتركوه.

و أخذ السلطان يستشير أصحابه طوال إقامته فى آذربايجان حول البقاء فيها، و كانت حصيله الآراء غير مشجعه على البقاء، لاحتمال أن يقوم الشاه إسماعيل بجمع قوات القزلباش و يحاصر بها ولايه تبريز و يقطع وصول المؤن عنها. و فى هذه الحال لن يكون مصير أربعمائه ألف مقاتل سوى الفناء و الهلاك و اقترح البعض أن يسمح السلطان باعاده الجزء الأكبر من القوات إلى الأراضى العثمانيه و يبقى معه مائه ألف مقاتل فى تبريز. و لكن السلطان لم

يوافقهم على هذا الاقتراح لأنه قد رأى بام عينه ما فعله القزلباش بامراء و زعماء جيشه فى معركة جالدران.

و إذن فان بقاء جيش عرمرم فى تبريز دون مؤونه أمر مستحيل، و خفض عدد القوات المرابطه فى تبريز أمر يثير الرعب فى نفس السلطان سليم، و لذلك فضل السلطان مغادره تبريز على جناح السرعة و صرف النظر مؤقتا عن السيطرة على الأراضى الإيرانية. و كان يتمنى أن يكون بمقدوره حرمان أرض القزلباش من خيراتها الماديه و المعنويه، و على هذا السبيل أمر بترحيل أصحاب الحرف و الفنون الخراسانيين إلى اسطنبول بعيالهم و أطفالهم، و رحل معهم الميرزا بدیع الزمان التيمورى و بعث معهم فوجا شديدا خشنا من جيشه لا يصالهم إلى تبريز قبل موكله.

و لم يستطع هؤلاء الخراسانيون فى اسطنبول صبرا، ففر بعضهم إلى تبريز مشيا على الأقدام و هلك آخرون فى محل إقامتهم الجبريه لما لاقوه من جور و ظلم و استطاع البعض الآخر الوصول إلى أوروبا.

و على أى حال فقد غادر الموكب السلطانى مدينه تبريز بعد أسبوع من الإقامه فيها، و رغم ادعائه بالاهتمام براحه الناس و المحافظه على حقوق الرعيه لم يستطع مقاومه أطماعه و جسعه، فقد أظهر الأمان لمدينتى نخجوان و إيروان ثم أمر بالاغاره عليهما فى منتصف الليل على حين غره فباشر جنوده بنهبهما و إباده أهلها و حرق العديد من المنازل فيهما حتى تحولت إلى أكداس من الرماد و الركام.

و مع اجتياز القوات العثمانية لايروان اشتدت حاجتها إلى المؤن و أصبحت فى عسر شديد من أمرها و وصل الأمر إلى موت العديد من أفرادها جوعا إضافة إلى الخوف و الرعب الذى يعانى منهما الجنود طوال أيام و ليالى رحله العوده و إضافة إلى هذه الصعوبات فاجتاهم موجه من البرد القارس.

أحداث ما بعد الحرب

أقام الشاه إسماعيل فى وادى (پزين) فى همذان بعد معركة جالدران و أمر من هناك بحشد القوات من جميع الولايات، و قد استقر رأيه على محاصره آذربايجان من جهاتها الأربع و قطع المؤن عنها ما بقى فيها السلطان سليم ثم المباشره بشن الغارات الخاطفه على القوات العثمانية. ثم بلغه خبر مغادره السلطان لآذربايجان فتوجه إلى تبريز بأقصى سرعته و رأى مدى الخراب الذى أحدثه العثمانيون فيها فانصرف لاعمارها.

و بعد أن أهلكت معركة جالدران العديد من قاداته و وزرائه و أركان دولته. اهتم بعد دخوله تبريز بانتخاب الأشخاص المناسبين لمناصب الدوله و من ذلك تعيينه للميرزا شاه حسين الأصفهانى خلفا لنظام الدين عبد الباقي بعد أن كان معاونا له فى حياته، و كان هذا الشخص لائقا بهذا المنصب فانصرف لخدمه الناس و السهر على راحتهم و إقرار العدله بينهم.

و كذلك عين الشاه أحد كبار سادات آذربايجان فى منصب الصداره خلفا للأمير شريف الدين على، و السيد المذكور هو الأمير شهاب الدين عبد الله بن السيد نظام الدين أحمد المعروف بلاله و هو رجل معروف بطهارته و علمه و حسن سيرته و لكنه لم يحسن إداره الأمور القضائيه و الدينيه كما ينبغى، فعزله الشاه و عين مكانه الأمير جلال الدين محمد حسين الشيرنپى [الشيرنگى] فاعطى الصداره حقها من الكفاءه و الجداره و حسن التدبير.

و أمضى الشاه إسماعيل فصل الشتاء في تبريز، و خلال ذلك زوج قره خان أخا خان محمد استاجلو من أخته پیری [پری] خانم ابنه السلطان حيدر و بذلك عوضه بعض الشىء عن زعامه قبيله الاستاجلو و حكومه ولايه ديار بكر، ثم غادر تبريز بقوات الإستاجلو متوجها إلى ديار بكر للتصدى فيها لاعتداءات القوات العثمانية على الأراضى الإيرانية في تلك المنطقه.

و أخذ الشاه يتنقل في حدود القفقاز و آذربايجان خلال ربيع عام ٩٢١ و يراقب تحركات العثمانيين. حيث كان السلطان سليم يهدد باستمرار بأنه سيهاجم إيران قريبا. و في تلك الفتره أطلع بعض أركان الدوله الصفويه على تقارير تفيد بان والى فارس السلطان خليل ذو القدر آخذ بمراسله السلطان سليم خلسه متكررا بذلك لكل العنايه و الموده التى يوليها إياه الشاه إسماعيل. و يجدر التذكير بان سلوك السلطان خليل في معركة جالدران يؤيد كل الاتهامات التى كانت تنسب إليه. و ثارت ثائره الشاه الصفوى فأمر واحدا من أشجع رجاله و أشدهم بأسا يدعى سليمان و يسميه أصحابه (پورسليمان) بالسير إلى شيراز على عجل للقضاء على السلطان خليل ثم العوده إلى المعسكر الملكى دون التوقف في شيراز.

و غادر سليمان تبريز بأقصى سرعته فقطع المسافه الطويله بين تبريز و شيراز في غضون أيام معدوده و دخل القلعه الحكوميه في فارس فوجد السلطان خليل عاكفا على الشرب و الطرب و اللهو يحيط به الأمراء و الزعماء و رؤساء قبيله ذو القدر. و يذكر صاحب حبيب السير أن سليمان دخل المجلس فجاءه و حين رأى كثره الحاضرين في المجلس أدرك أن إعلانه لأمر الشاه ربما يوقعه في ورطه يفقد فيها روحه فمن الممكن أن يتمرد السلطان خليل على الأمر الملكى و يصدر أوامره بقتل الرسول. و لذلك عمد سليمان إلى خطه باشر من فوره في تنفيذها، حيث اقترب من شخص السلطان خليل و همس في أذنه قائلا: لقد أمرنى الشاه الصفوى بجلدك اثنى عشره جلده ثم أعود أدراجى في يومى هذا فإذا نفذت الأمر في مجلسك هذا كان ذلك إهانته لك و حطا من قدرك، فالأجدر بك أن تدخل دار خلوتك فاجلدك و أعود.

و رأى السلطان خليل اثنى عشره جلده قليله بحقه بعد كل المخالفات التى ارتكبها فنهض من مجلسه و دخل دار الخلوه و تبعه سليمان فأراه الأمر الملكى ثم بادر إلى قطع رأسه و حمله إلى المجلس و قرأ على الحاضرين الأمر الصادر بحق السلطان خليل، ثم أوكل أمور فارس إلى أحد المقربين من الحاكم المقتول و معه جماعه أصحاب الحل و العقد من قبيله ذو القدر، و غادر شيراز بعد ذلك فى نفس اليوم حاملا معه رأس السلطان خليل، و بعد وصوله المعسكر الصفوى، أصدر الشاه إسماعيل أمره بتعيين على بيك ذو القدر حاكما على ولايه شيراز و بعثه إليها.

معارك ديار بكر و نشاطات

سليم المعاديه لايران

ذكرنا آنفا أن السلطان سليم مكث فى آماسيه عدّه أسابيع فى عودته إلى الأراضى العثمانيه عازما على فتح القلاع الإيرانيه الحصينه الموجوده فى تلك المنطقه، و من هذه القلاع قلعه كماخ التى يذكر المؤرخون أن فتحها كان أمرا عسيرا بالنسبه إلى سائر الملوك فى الحقب المتعاقبه.

و كان أمر حراسه القلعه فى الأصل على عاتق أحد أفراد قبيله ورساق الموسوم بالسلطان يوسف إلا أنه كان قد التحق بمعسكر القزلباش خلال هجوم العثمانيين على تبريز و أوكل أمر الحراسه إلى أخيه و ترك معه ثلاثمائه من أبطال ورساق.

و قدم السلطان العثمانى إلى القلعه فشاهد تحصينها و مناعتها فأدرك أن فتحها لن يتم دون التضحيه بخسائر جسيمه من جنوده، و من ثم بعث صاحب أرزنجان سفيرا عنه إلى حارس القلعه و حمله رساله أمان له و لأصحابه إن هو سلم القلعه، و فى خلاف ذلك سيكون مصير من فى القلعه الموت المحتوم لأنه (السلطان) سيفتح القلعه حتى و لو اقتضى الأمر التضحيه بنصف قواته.

و جمع الحارس أصحابه فعرض عليهم رساله السلطان طالبا رأيهم فى الأمر فكان رأيهم جميعا عدم الاستسلام و الطلب من السلطان أن يمهلمهم حتى يتبينوا ما يؤول الوضع إليه فى الولايه كلها، و ما يستقر عليه رأى الدولتين.

و أبلغ السلطان سليم بطلبهم فاستشاط غضبا و أمر قوات الينى جرى بالهجوم و من ورائها قوه أخرى، فأحاط هؤلاء بالقلعه من جهاتها الأربع و كان عددهم يتجاوز الثلاثين ألفا فاشتد زحامهم فى أرض صغيره و سقط العديد منهم فى الخندق حتى امتلأ بهم بدلا من الصخور و الأحجار و عبر الآخرون على أجساد أصحابهم و استطاعوا تسلق سور القلعه و برجها و اشتد دفاع القزلباش عن قلعتهم حتى غلبوا على أمرهم فى آخر الأمر فتركوا القتال و لاذوا بالمسجد الجامع فحاصرهم العثمانيون منتظرين استسلامهم إلا- إنهم خرجوا فى الليل على حين غره و انقضوا على العثمانيين و راحوا يقاتلون حتى أبيدوا عن آخرهم. و بعد فراغه من قلعه كماخ أمر السلطان سليم سنان باشا بالسير على رأس جيش كبير للقضاء على علاء الدوله ذو القدر فالتقى الطرفان فى مدينه بوستان و دارت رحى الحرب بينهما فقتل علاء الدوله ذو القدر و تفرق جيشه. و بعث سنان باشا إلى السلطان من يخبره بالنصر المؤزر ففرح فرحا عظيما و عين سنان باشا فى منصب الوزير الأعظم ثم واصل رحلته إلى اسطنبول.

و فى تلك الأثناء دخل قره خان ديار بكر على رأس ألفى مقاتل من قبيله الاستاجلو. و الجدير بالذكر أن السلطان سليم أوكل فى الظاهر إداره المناطق التى كانت خاضعه لعلاء الدوله إلى على بيك بن شهسوار و قد ذكرنا سابقا أنه لجا إلى العثمانيين و

احتفى بهم بعد أن قتل المصريون أباه فى القاهرة. و قد ظل هذا الشخص يحظى باحترام العثمانيين و مودتهم حتى انقضت حاجتهم إليه فاستدعاه الوزير الأعظم العثماني فرهاد باشا بامر من السلطان سليمان عام ٩٢٨ و استدعى معه أبناءه و أحفاده فلما دخلوا الفسطاط أمر جلاديه بالقضاء عليهم فخنقوهم جميعا.

و على أى حال فقد قدم قره خان إلى ديار بكر و توجه من فوره إلى مدينة ماردين التى كانت مركز الولاية و مقر الخان محمد استاجلو، فأبلغ هناك أن بعض أعيان المدينة بعثوا وراء محمد باشا الذى عينه السلطان سليم حديثا واليا على ديار بكر يستمدونه العون و يبلغونه استعدادهم لتسليم المدينة إلى الدولة العثمانية فأمدهم بستة آلاف مقاتل. فبادر قره خان إلى التصدى لهم فى ألفى فارس فشنت جمعهم و أهلك العديد منهم.

و استطاع قره خان بعد هذه المعركة أن يبسط سلطانه على أكثر مناطق ولاية ديار بكر حتى عزم السلطان سليم مره أخرى على فتح إيران و مصر فى ربيع الأول عام ٩٢٢ فجهز جيشا عظيما و بعث إلى ديار بكر بعده آلاف من المقاتلين و زودهم بالبنادق و المدافع لمساعدته محمد باشا، فقام الأخير بعد وصول المدد بحشد قواته فى مدينة آمد فبلغت خمسه عشر ألف مقاتل ثم غادر المدينة متوجها إلى مدينة ماردين و كان فيها قره خان على رأس قوه لا تتجاوز ربع عدد قوات الخصم فتصدى لمحمد باشا ببطوله و دارت بين الطرفين معركة طاحنه كان مقاتلو القزلباش خلالها يلقون بأنفسهم فى قلب صفوف العدو دون مهابه أو وجل فيشتونها و حدث عده مرات أن فر العثمانيون أمام هجمات القزلباش و كان هؤلاء يعيدون تنظيم صفوفهم بعد كل هجوم ثم ينقضون ثانيه و ثالثه على العدو حتى آذنت الشمس بالمغيب فانسحب العثمانيون من أرض المعركة فأطلق قره خان - فى غمره فرحه - العنان لفرسه محاولا اللحاق بمحمد باشا فأطلق أحد الجرحى العثمانيين عليه النار فاراده قتيلا.

و حين أبلغت زوج قره خان پرى خانم بمصرع زوجها استدعت القوات على عجل و لم تكد تمضى ساعه واحده على

الغروب حتى توجهت بجيش القزلباش نحو آذربايجان، و كان قاده الجيش على يقين من أن قوات العدو ستتعبهم فهيثوا مائه بعير سريع لنقل پرى خانم و مرافقيها بأقصى سرعه ممكنه إلى خارج منطقه الخطر.

و صمدت مدينه ماردين و بعض المدن الأخرى بوجه الهجمات العثمانيه بعض الوقت بعد مقتل قره خان، إلا أنها استسلمت آخر الأمر و بذلك انتهت سيطره الايرانيين على ولايه ديار بكر نهائيا - و المدن التى استطاع العثمانيون الاستيلاء عليها فى زمن السلطان سليم فى ولايه ديار بكر هى ماردين و حصين و كيغا و الموصل و عانه و حديثه و هيت و سنجار و جمشيزك و قلعه العماديه و حصن سوران و قلاع مهمه أخرى.

الشاه إسماعيل بعد معركة جالدران

إشارة

تركت معركة الدران [جالدران] و هزيمه جيش القزلباش فيها آثارا كبيره فى حياه الشاه إسماعيل، إذ لم يسبق له أن هزم فى معركة قبلها حتى أن عموم الناس كانوا يعتقدون أنه لا يهزم مطلقا بل إن بعض القزلباش كان يعتقد أنه شبيه المهدي الموعود أو يرى فيه ممثلا عن المهدي لأن كونه المهدي لا يتوافق مع المذهب الجعفرى الذى يقول بأنه ابن الامام الحادى عشر.

و مهما يكن الأمر فقد أدرك الشاه و رجاله أن المدافع و الأسلحه الناريه الأخرى قد خلقت وضعا جديدا فى عالم الحروب، فلم تعد قوه عضلات المحاربين و مهارتهم فى القتال كافتين لاحراز النصر. و كذلك فان معركة جالدران قد أثبتت ضروره تقديم السياسه و حسن التدبير على السيف، فلو كان الشاه و رجال حاشيته قد أصغوا لرأى القائد المحنك خان محمد استاجلو حينما اقترح اللجوء على شن هجمات مباغته على القوات العثمانيه خلال مسيرتها، لأحرزوا نتائج ايجابية عظيمه و لو كانوا قد قطعوا خطوط التموين من الخلف على هذه القوات الجاراه لوجهوا إليها ضربه قاصمه، كما حدث ذلك حينما لجأ الشاه طهمااسب بن الشاه إسماعيل إلى هذه الخطة مع السلطان سليمان.

و ليس ثمة شبهه أنه طالما كان هناك جيشان أحدهما قوى و يملك أسلحه متطوره و الآخر ضعيف و لا يملك أسلحه خصمه فعلى الثانى أن يلجأ إلى أسلوب الكر و الفر.

و من الواضح أن السلطان سليم أدرك أنه إذا شن هجوما آخر على إيران فان الشاه إسماعيل سليجا إلى هذا الأسلوب فى قتال القوات العثمانيه التى لا طاقه له بمواجهتها، و لذلك ظل يتردد فى شن هجومه [هجومه] بين عام ٩٢١ و عام ٩٢٦ حتى وافته المنيه.

و قد ظل الشاه إسماعيل بين عام ٩٢٠ و عام ٩٢٦ هـ مرابطا على الدوام فى الحدود الغربيه و الشماليه الغربيه لايران و استدعى القوات الإيرانيه من مختلف المدن و الولايات و أبقاها فى حاله تاهب مستمر بالقرب من الحدود العثمانيه و عين قاده بارزين فى قياده قوات القزلباش فكلف حاكم بلخ السابق ديو سلطان بقياده العمليات فى حدود پرجستان [گرجستان] و أمر السلطان جاپان بالمرابطه فى شمال الموصل و حدود نصيبين للدفاع عن العراق فى حال وقوع هجوم مفاجئ.

و قد استمر العثمانيون ببث الإشاعات المغرضه فى الأراضى الإيرانية و لم ينقطع الجواسيس عن حمل رسائل السلطان سليم إلى بعض حكام الأقاليم الإيرانية فكان لهذه الإشاعات و هذه الرسائل دور كبير فى إحداث الاضطرابات الداخليه فى بعض المناطق الإيرانية و فى بعض الأحيان تمرد الحكام على الحكم الصفوى كما حدث فى مازندران حيث نقض ملوك مازندران عهودهم و رفضوا دفع الضرائب.

و انتدب الشاه إسماعيل دورميش خان لاصلاح الأمور الداخليه و القضاء على المتمردين و إقرار الأمن العام الذى تززع إلى حد ما.

و دورميش خان هو الشخص الذى عارض اقتراح خان محمد استاجلو فى شن الهجمات المباغته على القوات العثمانية أثناء حركتها، و هو ابن عبدى بك الذى يعد من خلفاء الصوفيه و المقربين للخانقاه الصفوى. و كان دورميش مقاربا للشاه إسماعيل فى العمر و يرتبط معه بعلاقه قديمه ثم تتوجت هذه العلاقه بمصاهرته للعائله الصفويه. إلا أن مكانته بين القزلباش تردت كثيرا بعد معركه جالدران لاتهامهم إياه بإدمان الخمره و الاعتراض على اقتراح خان محمد و هو فى حاله سكر، و مع ذلك كان الشاه يوليه الرعايه و الموده و يوكل إليه الكثير من أمور الدوله عدا الأمور التى تتعلق بالحدود العثمانية فلم يشركه فيها.

و فى الوقت الذى كان فيه السلطان ينقل قواته باستمرار من مكان لآخر و يهدد بها الحدود الإيرانية كان الشاه لا يهدأ ليله و لا نهاره و ينتقل بين الولايات الحدوديه صيفا و شتاء حسب ما يفرضه عليه الجو، فتاره يرحل إلى الموصل و تاره إلى أردبيل و أخرى إلى وان و حدود تبليس [تفليس] أو فى نخجوان و ايروان و قارص و أردهان.

و لم يكن الشاه طوال السنوات الست التى كان يراقب خلالها تحركات العثمانيين غافلا عن الاصلاحات التجاربه و الصناعيه، فقد أشرف شخصيا على تأسيس و إكمال العديد من مصانع الجلود و الحرير و السجاد و الورق و غيرها فى أصفهان و همذان و رشت و بعض المدن المركزيه، و كان بعض هذه المصانع ملكا للدوله بينما كان البعض الآخر ملكا خاصا و بعبارة أخرى ممولا من قبل الشاه أو مشتركا بين الشاه و عدد من التجار.

و قد وقعت فى إيران بعض الأحداث المهمه بين عام ٩٢٠ و عام ٩٢٦، نستعرض عددا منها فيما يلى:

الصلح مع ملك شيروان:

- أشرنا آنفا إلى أن رسائل السلطان سليم و دعائه الذين كان يبعث بهم إلى الأراضى الإيرانية لنشر الإشاعات و التحريض ضد الحكم الصفوى أتت ثمارها إلى

حد ما، فقد استجاب حكام و ملوك بعض الولايات التي ورثوا الحكم فيها و لم يكونوا راضين عن الحكومه الصفويه المتفرده بالحكم لدعوه السلطان سليم فتمردوا على الشاه إسماعيل و من هؤلاء ملوك مازندران و پيلان [گیلان] و ملك شيروان و ظلوا على اتصال مستمر مع الدوله العثمانيه ينتظرون منها تحقيق و عودها بشن حمله ثانيه على الأراضى الإيرانيه لتشملهم بعنايتها و حمايتها.

و كان ملك شيروان أكثر الملوك المتمردين اندفاعا فى تمرده، فقد كانت حدود بلاد شيروان أقرب إلى الأراضى العثمانيه من سواها مما سهل عليه توطيد العلاقه مع البلاط العثمانى.

و استمر ملك شيروان فى تمرده و خروجه على سلطان الحكومه المركزيه فى إيران حتى عام ٩٢٣هـ، فقد حشدت معظم القوات الإيـرانيه فى هذا العام فى القفقاز و العراق و قامت قوات القزلباش القادمه من خراسان بقياده حاكم بلخ السابق ديو سلطان بالهجوم على پرجستان [گرجستان] و القضاء على أنصار الدوله العثمانيه فيها، و أيقن ملك شيروان بان دوره آت بعد پرجستان [گرجستان] لا محاله، فأصابه الذعر و أرسل التاجر الخواجه محمد البادكوبه إلى البلاط العثمانى و حمـله بالهدايا، طالبا تحديد [تجديد] ما ينبغى عليه فعله، مع التأكيد على ذكر الاستعداد الكامل للشاه إسماعيل و حشده لقوات القزلباش و نجاحه فى إخماد الفتن و الاضطرابات الداخليه.

و أجابه السلطان سليم بتجديد و عوده بشن هجوم ثان على الأراضى الإيرانيه و يحثه على التكاتف مع الملوك و الأمراء الآخرين و الاستعداد لمحاربه القزلباش ثم يطلب منه إبلاغه بالتطورات أولا بأول.

و كان ملك شيروان قد سئم من وعود السلطان سليم و مماطلته طوال أربع سنوات، فاخذ يفكر فى مصالحه الشاه إسماعيل. و كان أصحابه المقربون، من أمثال الخواجه محمد البادكوبه أى و ابنه الخواجه محمود البادكوبه أى يبطنون التشيع و يخفون موالاتهم للخانقاه الصفوى فأشاروا عليه باتباع المذهب الشيعى و الاتحاد مع الشاه إسماعيل و حذروه من مغبه التحالف مع السلطان سليم. و اقتنع ملك شيروان الشيخ إبراهيم بأرائهم فبعث بسفرائه إلى نخجوان التى كانت آنذاك مقرا لقوات القزلباش و حملهم بالهدايا الثمينه و رساله إلى شاه إيران يعترف فيها بتقصيره و نقضه للعهود و يعده فى حال صفحه عنه أن يقوم بتصحيح جميع أخطائه ليصبح أحد الأتباع المخلصين ثم يذكر بأنه لم يكن مطلعاً على حقيقه المذهب الشيعى و يتمنى على الشاه أن يرسل له أحد علماء هذا المذهب ليحاججه و يستجلى معه حقيقه المذهب.

و استقبل الشاه رغبه شيخ شاه بترحيب شديد و بعث له نائب السلطنه ميرزا شاه حسين الذى كان فى الواقع رئيسا للوزراء و المتنفذ الأكبر فى شئون الدوله و بعث برفقته الصدر الأمير جمال الدين محمد، و غادر هذان الشخصان اللذان كان أحدهما رئيسا للشئون السياسيه فى البلاد و الآخر رئيسا للشئون الدينيه و القضائيه غادرا نخجوان متوجهين إلى شيروان فخرج شيخ شاه لاستقبالهما و أدخلوا عاصمته فى كثير من الاحترام و التكريم و طمانه نائب السلطنه إلى رضى الشاه عنه و ترك له حريه الخيار فى السفر إلى نخجوان للقاء الشاه أو عدمه و من جانب آخر نجح الصدر فى مهمته فعدل شيخ شاه و أفراد عائلته و جماعه من العلماء و الأهالى عن مذهبهم السابق إلى المذهب الشيعى.

و انتهت مهمه نائب السلطنه و الصدر بنجاح كبير، فدفع إليهما ملك شيروان شيخ شاه هدايا كثيره و ما تخلف من الخراج عن

السنين الماضيه، و حملهما رغبته فى تزويج ابنته الوحيدة من الشاه إسماعيل و تزويج ابنه مظفر خان بابنه الشاه. و أبلغ الشاه بهذه الرغبه فقبلها، و بادر شيخ شاه إلى إرسال ابنه إلى معسكر الشاه محملاً بأنواع الهدايا الثمينه فاستقبله الشاه بالترحاب و أبقاه فى بلاطه أسبوعاً ثم أقام له حفل زفاف كبير، و لكن زواج الشاه من ابنه شيخ شاه تأخر حتى شهر ذى الحجه عام ٩٢٩ هـ. و هكذا توثقت الأواصر بين العائلتين.

تمرد ملوك مازندران:

- ذكرنا آنفاً أن ثمة شخصين كانا يتقاسمان الحكم فى الأجزاء الرئيسيه من مازندران هما آقا محمد روز افزون و الأمير عبد الكريم أحد السادات المرعشيه المعروفين.

و إضافه إلى هذين الحاكمين كان هناك العديد من الحكام الثانويين سنعرض لذكر بعضهم فيما بعد. و قد دفعت تحريضات السلطان سليم من جانب و تحريضات ملك الأوزبك عبيد الله خان من جهه أخرى أغلب حكام مازندران للخروج على طاعه الحكم الصفوى و التمرد عليه منذ عام ٩٢٠ هـ. و علم الشاه إسماعيل فيما بعد أن أحد الأسباب التى كانت تثير السلطان العثمانى على إيران و تدفعه لمعاوده الهجوم عليها هو استمرار حكام المناطق الحدوديه و شير على بك شهبوار فى مراسلته و مبالغتهم فى تصوير استعدادات القزلباش و تهيؤ الشاه لشن هجومه على ديار بكر، و من ثم أشار بعض ذوى رأى على الشاه أن يترك القفقاز لعدّه أشهر و يقدم إلى داخل الأراضى الإيرانيه عله بذلك يحد من أوهام السلطان و مخاوفه، و استجابه لهذا رأى غادر الشاه نخجوان قبيل حلول شتاء عام ٩٢٣ متوجهاً إلى قم فامضى فصل الشتاء فيها، و فى ربيع عام ٩٢٤ أمر دورميش خان بالتوجه لتأديب حكام مازندران، فتوجه الأخير فى بادئ الأمر إلى آقا محمد و كان هذا قد نقل أمواله و ذويه إلى قلعتين محكمتين هما قلعه كليس و قلعه أولاد و استعد للدفاع، و استطاعت قوات القزلباش فتح قلعه كليس خلال ثلاثه أيام ثم هاجمت قلعه أولاد.

و لم يستطع آقا محمد الاستمرار فى المقاومه فأعلن استسلامه ثم خرج من القلعه بعد حصوله على الأمان فدخل عسكر

القرلباش و سلم مفاتيح خزائنه لدورميش خان، فاصطحبه الأخير معه و غادر إلى سارى. و اختصر الأمير عبد الكريم الطريق فأرسل ابنه السلطان محمود خان إلى دورميش خان محملاً بالفي تومان نقدا و هدايا ثمينه أخرى و وعد بدفع جميع المبالغ المترتبة عليه في أقصر وقت ممكن في حال عوده الخان عن قتاله على أن يقوم بزياره الشاه فيما بعد، و كان من عاده دورميش خان احترام السادات فرحب بقدوم السلطان محمود و قبل باقتراح أبيه الأمير عبد الكريم ثم كر راجعا و في أثناء رحله العوده أخذ العديد من حكام الولايات يتوافدون عليه محملين بأنواع الهدايا الثمينه و منهم الأمير سيد حسين هزار جريبي و الملك كاوس و الملك بهمن و رافقوا الخان في سفره إلى عراق العجم حتى وصلوا حدود أصفهان حيث كان المعسكر الأكبر فدعاهم الشاه إسماعيل إلى الاشتراك معه في الصيد.

حملات الأوزبك على خراسان

ذكرنا آنفا مقدمات الاتحاد ما بين العثمانيين و دوله الأوزبك و نحاول فيما يلي الحديث عن نتائج هذا الاتحاد و التنسيق بين الدولتين:

كان ملك الأوزبك عبيد الله خان يتابع تحركات القوات العثمانيه و يعلم باقتراب موعد هجومها على إيران، و حينما اقتربت من جالدران بعث برسالة إلى السلطان سليم يعلمه فيها بأنه عرض كل الطورانيين بين منغوليا و ضفاف نهر جيحون و سيقوم بشن هجوم قريب على خراسان ثم يتمنى أن يلتقى أتراك المشرق مع أتراك المغرب في أصفهان و على ضفاف نهر (زاینده رود).

و في أواخر رجب عام ٩٢١ هـ أجاب السلطان سليم على رساله عبيد الله خان يعلمه بانتزاعه جميع نواحي ديار بكر و حتى حدود كردستان من القزلباش و أنه رفض طلبهم في المصالحة رغم إلحاحهم في ذلك لعزمه على استئصال شوكتهم إلى الأبد.

و كان أمراء الأوزبك قد تفرقوا بعد مقتل شيبك خان و استقل كل منهم بولايته، إلا أن مساعي السلطان سليم أعادت توحيد صفوفهم و دعتهم للهجوم على خراسان فاحتلوا هرات و أحرزوا بعض التقدم في أماكن أخرى إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود طويلا. بوجه صفوف القزلباش المنظمه تنظيما جيدا، فانهبوا محاولاتهم في احتلال خراسان ثم انكفأوا راجعين إلى ديارهم. و لكن هزيمة القزلباش في الدران [جالدران] أعادتتهم إلى التفكير في احتلال خراسان مره أخرى فأخذوا يشنون الغارات عليها باستمرار و يقتلون و ينهبون و يحرقون ثم يقفلون راجعين بعد أن تنصدي لهم قوه من القزلباش.

و مع حلول عام ٩٢٧ هـ حشد عبيد الله خان قوات كبيره من مختلف نواحي تركستان ثم سار نحو خراسان على رأس ثلاثين ألف مقاتل، فحاصر مدينه هرات و هي إذ ذاك عاصمه خراسان و كان حاكم خراسان في ذلك الوقت هو الابن الأكبر للشاه إسماعيل الأمير طهماسب ميرزا الذي لم يكن عمره يتجاوز العاشره و كان الوصى عليه الأمير خان موصلو فسعى الأخير في تحصين هرات مستعينا بعدد من زعماء القزلباش و أهالي المدينه فاستمر حصار الأوزبك لها عشره أيام ثم يسوا من فتحها و عادوا إلى بخارى، و منذ ذلك الحين و حتى وفاه الشاه إسماعيل لم يحدث هجوم مهم من قبل الأوزبك على خراسان.

و في عام ٩٢٥ هـ حمل الجواسيس إلى معسكر القزلباش أخبارا مفادها أن القوات العثمانيه تتقدم نحو الموصل و يبدو أنها تنوى الوصول إلى بغداد إضافه إلى وجود تحركات مريبه في معسكر القوات العثمانيه المرابطه في حلب على ضفاف نهر الفرات مما يبعث على الاحتمال أنها تنوى دخول العراق. فأمر الشاه إسماعيل دورميش خان و زينل خان بالسير على رأس بعض قوات

القرلباش لدعم القوات المرابطه فى بغداد ثم توجه بدوره على رأس قوه كبيره إلى بيستون فعسكر فيها و اشتغل بالصيد ليكون قريبا من أرض العراق و ليتخذ الاجراءات المناسبه فى حال وقوع هجوم عثمانى على بغداد. و لكن وصلت فيما بعد أخبار أخرى تفيد بان القوات العثمانيه وصلت بالقرب من الحدود العراقيه ثم انكفأت راجعه.

عام ٩٣٠ و موت الشاه إسماعيل

كان الشاه يمضى شتاء هذا العام فى نخجوان ثم عاد إلى أردبيل فتوقف فيها فتره قصيره ثم توجه إلى سراب لينعم بخضرتها و يلهو بالصيد فيها و لكن المرض لم يمهل ليله و حاول الأطباء معالجته دون جدوى، حتى فارق الحياه فى يوم الاثنين الموافق للتاسع عشر من رجب عام ٩٣٠ هـ.

و قد خلف الشاه وراءه أربعه ذكور، أكبرهم الأمير طهماسب ميرزا الذى ولد عام ٩١٨ هـ، و أقيمت الاحتفالات فى جميع أنحاء إيران بمناسبة ولادته، و كانت ولادته أبنائه الآخرين فى عام ٩٢٣ هـ و هم الأمير سام ميرزا المكنى بأبى النصر و الأمير رستم و أخيرا الأمير بهرام(١).

السيد إسماعيل بن كاظم الحسينى التنكابنى

تتلمذ على عمه السيد محسن التنكابنى و ابن عمته السيد محمد بن الحسين التنكابنى و على الحاج عبد الوهاب القزوينى و السيد محمد صاحب الضوابط.

أجازته ابن عمته السيد محمد فى سنه ١٢٩٣.

له "تبصره الناظرين" أتمه سنه ١٢٨٨.

ص: ٧١

١- مصدرنا الأساس فى هذه الترجمة ما كتبه سلطان على أصغر المشهور برحيم زاده صفوى فى كتابه: (زندگانی شاه إسماعيل صفوى).

توفى بعد سنه ١٣٠٣ (١)

الشيخ إسماعيل الأصفهاني بن الشيخ محمد باقر

توفى سنه ١٣٧١ فى أصفهان و نقل جثمانه إلى كربلاء فدفن فيها.

كانت نشأته الأولى باصفهان على علمائها قرأ المبادئ العلميه و جانباً من الفقه و الأصول و غيرهما.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فحضر أبحاث الميرزا حبيب الله الرشتي و الميرزا حسين الخليلي الطهراني و المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني.

سكن كربلاء سنتين ثم انتقل إلى الكاظميه فسكنها سنين و كان يتردد بينها و بين سامراء. ثم استقر فى أصفهان.

كان إلى علمه زاهدا بعيدا عن الظهور. لا يخرج إلا لصلاه الجماعة ظهرا فى مسجد الشاه (٢).

الشيخ إسماعيل المعزى بن محمد حسن معز الدين

الأصبهاني

ولد سنه ١٣٠٩ باصفهان و توفى فيها سنه ١٣٦٣.

قرأ فى أصفهان النحو و الصرف عند الآخوند ملا- عبد الرزاق الجزى الأصفهاني و ميرزا أحمد الأصفهاني، و البلاغ عند الآخوند ملا محمد الكاشى، و الفلسفه عند الميرزا محمد على الكاشى، و كتب [كتب] الفقه و الأصول سطحاً عند الحاج ميرزا بديع و السيد محمد الشوشتري و السيد مهدي الدرّه اى. ثم تتلمذ فى الفقه و الأصول خارجاً على الشيخ مرتضى الريزى الأصفهاني و السيد محمد باقر الدرّه اى.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فتتلمذ فى الفقه و الأصول على المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدى و شيخ الشريعه الأصبهاني و الشيخ محمد حسين الأصبهاني. و يقال إنه تتلمذ على الشيخ هادى الطهراني أيضاً.

ثم عاد من النجف إلى أصفهان بعد سنه ١٣٣٠ فلأزم الآخوند الفشاركى.

و كان يدرس فى المدرسه المعروفه بـ "المدرسه النوريه" و يقيم صلاه الجماعة فى المسجد المعروف بـ "مسجد سلام"، فتخرج من حلقات دروسه جماعه كبيره من الطلاب و أفاضل الناشئين. ترك كثيراً من المؤلفات فى الفقه و الأصول (٣).

السيد إسماعيل بن محمد جعفر البيرجندى القائنى الخراسانى.

عالم رياضى، يقول فى أول كتابه أنه بعد الفراغ من العلوم العقليه و النقليه بدأ فى الثانى من شهر شوال سنه ١٢٢٧ بدراسه علم

الرميل مع شده اشتياقه بتحصيل العلوم الغريبه.

الشيخ إسماعيل بن محمد بن علي الساري الأوالي.

كتب محمد بن أحمد بن جعفر العسكري الأوالي لخزانه كتبه نسخه من كتاب "الاستبصار" في سنة ١٠٥١ و وصفه ب "الشاب الأسعد الأرشد التقى النقي النبيه عمده الصلحاء و تاج الفصحاء و صدر أهل التقى الراقى فى العلوم أعلى من ارتقى الرضى المرضى... (٤)

السيد إسماعيل الموسوى العظيىمى الخوانسارى

من علماء خوانسار الناشئين بها، كان عالما فاضلا يقيم الجماعه فى المسجد الجامع، و درس عنده جماعه من العلماء المقدمات الأديبه، منهم السيد أحمد بن رضا الخوانسارى، و قد رأيت فى قم بعض المخطوطات التى كان قد نسخها. توفي نحو سنه ١٣٦٠ (٥)

السيد إسماعيل بن نجف الحسينى المرندى التبريزى.

توفى سنه ١٣١٨.

كان أكثر اشتغاله بالفقه و أصوله و قد عانى الشعر العربى فى شبابه و لكنه لم يجده فتركه.

له "كعبه و مسجد الحرام" و "مشاهد متبركه در مدينه منوره" و "مصباح الهدى" و "مصباح اليقين فى أصول الدين". و غير ذلك (٦)

السيد امداد على بن أحمد على الحسينى الواسطى الهندى

فاضل أديب حسن الإنشاء ذو اطلاع جيد بالأخبار و الآثار، من أعلام القرن الثالث عشر.

و لعله هو المذكور فى "الكرام البرره" ص ١٥٥ بعنوان:

المولوى امداد على بن أحمد على بن قلندر على الكيرانوى اللكهنوى.

له "روضه المصائب" و "مجالس الأحزان" (٧)

أورنگ زيب بن محمد تقى بن فتح على شاه القاجارى

كان بالاضافه إلى مقامه الفقهى و العلمى أديبا شاعرا بالعريبه و الفارسىه يتخلص فى شعره ب "حسامى" و لكن شعره العربى ضعيف، كما كان يعرف بزيب العلماء و يوقع فى تعاليقه على الكتب بابن حسام. و الظاهر أنه عاش إلى أوائل القرن الرابع عشر.

من أساتذته السيد جعفر بن أبى إسحاق الدارابى الكشفى،

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.
- ٧- السيد أحمد الحسيني.

و أقام للدراسه مده فى تبريز و قرأ الفقه بها على الشيخ عبد الرحيم كما التقى هناك ببعض الشخصيات الأوروييه و ناظرهم فى الشئون الدينيه.

له بالاضافه إلى ما فى الذريعه " شرح القصيده العينيه للحميرى " أتمه سنه ١٢٧١ و "الناصرية" شرح كبير على تلخيص المرام فى معرفه الأحكام للعلامه الحلبي(١). و غير ذلك.

الميرزا بابا الأردبيلي

رأيت له حواشى قليله على " حاشيه معالم الأصول " لملا ميرزا الشيروانى فى نسخه كتبت سنه ١٢٤٥ و ذكر فى آخرها مع دعاء "مد ظله العالى"، فهو من أعلام القرن الثالث عشر(٢).

ميرزا آقا بابا الأصبهاني. ثابت

أديب شاعر بالفارسيه، من شعراء القرن الثالث عشر و كان يقيم بأصبهان و يتخلص فى شعره ب " ثابت "(٣).

آقا بابا الشيرازي

من أعلام العلماء بشيراز فى أوائل القرن الثالث عشر.

كتب السيد نعمه الله بن محمد هادى الجزائرى فى شيراز مجموعه من رسائل أجداده فى سنه ١٢١٣ ثم أهداها إلى صاحب الترجمة معبرا عنه ب "المولى العالم العامل و المرشد الكامل الفاضل النحرير البارع فى التحرير و التقرير غره صباح الإقبال المبشر بالسعاده و قره عيون العارفين و لسان أرباب الإفاده شمعہ مجلس الفضل التى لا تحتاج إلى القط و لا يستغنى عنها فى النهار و قنديل محراب الصلاح الذى يكاد زيتها يضىء و لو لم تمسه نار..."(٤).

السيد باقر بن طاوس الحسينى النجفى

فاضل من أعلام القرن الحادى عشر، قابل نسخه من كتاب "درر اللآلى العماديه" لابن أبى جمهور الأحسائى، و أتم الجزء الأول فى يوم الأحد ١٢ ذى القعدة سنه ١٠٦٣(٥).

الشيخ باقر بن كاظم

فاضل أديب شاعر له إمام بالنجوم و الفلك، من أعلام أوائل القرن الرابع عشر.

له "هيئه المفتاح"(٦).

الشيخ باقر بن الشيخ محمد كاظم الطهرانى القزوينى النجفى

الشهير بزركرولد فى طهران سنه ١٢١٨ و توفى فى النجف الأشرف سنه ١٢٨٣. ذكر فى أعيان الشيعه المجلد الثالث الصفحه

كان من أئمه الفتوى و التقليد أصولي محقق حكيم أخذ المقدمات و فنون الأدب و شطرا من السطوح على علماء طهران ثم هاجر إلى أصفهان و أخذ عن أعلامها و منها توجه إلى قزوین و أخذ الفقه و الأصول و التفسير من العلمين الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه الشهيد الثالث المستشهد سنة ١٢٦٣ و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ ملا آغا الحكمى القزوينى فى المدرسه الصالحيه بقزوین.

ثم هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق و التحق بحوزه السيد إبراهيم القزوينى صاحب الضوابط المتوفى سنة ١٢٦١ و منها استقر فى النجف الأشرف و أخذ عن الشيخ على آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٥٣ و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ و الشيخ مرتضى الأنصارى المتوفى سنة ١٢٨١ و كان أستاذه الأنصارى كثير الاعتناء به و الإشاده بفضله و هو من أقران الملا الأشرفى [الأشرفى] و الشيخ على الكنى الطهرانى فى الدرس ثم رجع إلى موطنه طهران فالتف حوله جمع كثير من طلاب العلوم و الفضلاء و كان من أشد المعارضين للشيخه ثم عاد إلى النجف و جلس للتدريس و التأليف حتى توفى بها. و له مؤلفات فى الفقه و الأصول و رساله فى الرد على الشيخه أتباع الشيخ أحمد الأحسائى المتوفى سنة ١٢٤١ و رساله فى حدوث العالم.

و له أربعة أولاد أكبرهم الشيخ موسى تخرج فى النجف الأشرف على والده و الشيخ محمد حسن البرغانى الحائرى و الشيخ مرتضى الأنصارى ثم رحل إلى طهران سنة ١٢٨٨ و بقى بها إلى أن توفى. و الشيخ هادى و الشيخ محمد صالح و كانا من أكابر علماء طهران. و أما الشيخ محمد فهو أصغر الاخوان و كان من علماء النجف الأشرف و سافر إلى زياره الامام الرضا (ع) و بقى مده فى طهران و توفى حدود سنة ١٣٣٠ هجرية (٧).

بدر التمام بنت أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن الوزير

سليمان بن وهب الحارثى البكرى الدباس البغدادى.

توفيت بعد سنة ٥٢٤.

أخذت العربيه و فنون الأدب من أبيها أبى عبد الله الحسين المولود سنة ٤٤٣ و المتوفى عام ٥٢٤ من مشاهير شعراء الشيعة فى بغداد و نهجت نهج أبيها فى الأدب و الشعر. ذكرها ابن الدمياطى فى كتابه ذيل تاريخ بغداد و قال: (بدر التمام بنت الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس و كان والدها يعرف

ص: ٧٣

- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- السيد أحمد الحسينى.
- ٧- السيد أحمد الحسينى.

بالبارع . و كانت شاعره رقيقه الشعر... (١) و ذكرت في أعيان الشيعة المجلد الثالث ص ٥٤٦ في ترجمه مختصره نقلا- عن الحافظ جلال الدين السيوطى فى رسالته نزّهه الجلساء فى أشعار النساء المخطوطه الموجوده فى دار الكتب الظاهريه بدمشق ثم قال و أبوها البارع بن الدباس شيعى شاعر مجيد ذكرت ترجمه فى بابه و الولد على سر أبيه (٢) و من شعرها قولها:

جمالك بين الورى عاذرى و ذكرك فى ليلتى سامرى

و لا صح و دك لى إن سلوت و لا جال حبك فى خاطرى

أما لان قلبك يا هاجرى و لا رق للمدنف الساهر

و قد أنشدت عبد الباقي بن عبد الواحد المغربى من شعرها الأبيات الآتية:

يبدو وعيدك قبل وعدك و يحول منعك دون رفدك

و يزور طيفك فى الكرى فبحمد طيفك لا بحمدك

لم لا ترق لذل عبدك و خضوعه فى بعهديك

يقول عبد الحسين الصالحى: و آل البارع الدباس من أشهر بيوت الوزاره فى بغداد نبغ منها شعراء أفذاذ و أدباء و أكابر و هم من الأسر الشيعيه البغداديه كان جدّهم القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد (جلوس ٢٥٦ - المتوفى ٢٧٩ هجرىه) و المكتفى (جلوس ٢٧٩ - ٢٨٩ هجرىه) و كان بين ولدها و ابن الهباريه مداعبات و مطردات أدبيه مشهوره (٣)

السيد بدر الدين بن أحمد بن إدريس الحسينى الأنصارى

العاملى

مترجم فى "أعيان الشيعة" ٥٤٩/٣، و نقول:

كتب نسخه من "شرح الألفيه" للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملى ببلده تفليس لعشر خلون من جمادى الثانيه سنه ١٠٢٦، و كتب الشيخ بهاء الدين العاملى له فى آخرها إجازة حديث بتاريخ ثامن ذى القعدة من نفس السنه، و ذكره بقوله:

"سيدنا الأجل الفاضل الزكى الذكى الألمعى ذى الفطنه النقاده و الفطره الوقاده و التحقيق الرائق و التدقيق الفائق شمس سماء السيادة و بدر فلك الإفاده و غره سيماء الرفعه و النجاهه..."

و استنسخ نسخه من كتاب "منتقى الجمان" و أتم كتاب الطهاره منها فى ٢٥ شهر رمضان سنه ١٠١٧ بمكة المكرمه على نسخه شيخه ابن المصنف، فالشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثانى من شيوخ السيد بدر الدين هذا (٤)

بدر الدين الطبرى

من أعلام القرن السابع أو الثامن. مشتهر بالنجوم و العلوم الرياضيه متضلّع فيها، ساح أطراف العالم ليجد أستاذا كاملا في هذه العلوم فلم يجد كما يصرح بذلك في مقدمه شرحه على "سى فصل".

أديب فاضل قوى الكتابه بالفارسيه جيد الإنشاء.

له "شرح سى فصل" (٥)

بريهه بنت جعفر الكذاب بن الامام على الهادى ع.

توفيت بعد سنه ٣١١.

من فواضل نساء عصرها لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها ذكرها معظم كتب السير و الأنساب و لم يتطرقوا إلى خصوصيات حياتها. أخذت العلم من أعلام أسرتها. تزوجها موسى المبرقع بن الامام محمد الجواد (ع) و سكنت مع زوجها مدينه قم فى محله موسويان و كانت من أبرز النساء العلويات فى عصرها عابده زاهده جليله القدر عظيمه الشأن و كانت لها رئاسه حتى توفيت بقم و دفنت فى جوار قبر زوجها بالقرب من مرقد حمزه بن موسى بن جعفر (٤)

بريهه بنت أبى على محمد بن أحمد بن موسى المبرقع

توفيت حدود سنه ٣٢٥.

من فواضل نساء عصرها، من بيت علم و رئاسه. لم أقف على تاريخ ولادتها و وفاتها ذكرها حسن بن محمد القمى المتوفى سنه ٣٧٨ فى كتابه تاريخ قم ص ٢١٩ و قال: ولدت فى قمو توفيت بها و كان أبوها من أشراف العلويين فى عصره بقم و توفى بها و دفن فى محله موسويان قريبا من قبر حمزه بن موسى بن جعفر (ع) ثم توفيت بنته بريهه و أخواتها فاطمه و أم سلمه و أم كلثوم و دفن جميعا عند أبيهن (٧)

السيد بشر بن محمد المحمدي العلوي الصديقى الصادقى

الموسوى الفخارى

فاضل أديب له اطلاع بالطب، من أعلام القرن الثانى عشر و كان من أهل البصره.

له "شرح الرساله الذهبيه" كتبه سنه ١١٦٨ (٨)

بنت حسين على خان الداغستاني اللكزى

توفيت حدود سنه ١١٧٠.

عالمه فاضله أديبه شاعره من شاعرات أصفهان. أخذت

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- ابن الدمياطى: ذيل تاريخ بغداد ج ١٩ ص ٢٦٦ بيروت دار الكتب العلميه.
- ٣- أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٤٦ بيروت دار التعارف سنه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- السيد أحمد الحسينى.
- ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء أصفهان ثم نشأت على حب الأدب و طبعت نفسها على الشعر و كانت رقيقه النظم و النشر.

و هي من أسره اللكزى بداغستان التي نبغ منها شعراء أفذاذ و أمراء أجلاء و قد نشأت و ترعرعت في بلاط الصفويين باصفهان و هي بنت عم الميرزا على قلى خان الداغستاني اللكزى المولود في سنة ١١٢٤ و المتوفى سنة ١١٧٠ المتخلص ب (واله) صاحب كتاب رياض الشعراء الذي كان واليا من قبل الشاه صفى الصفوى على إيروان و من أبرز رجال هذه الأسره فتح على خان بن الخاص الميرزا الداغستاني اللكزى وزير الشاه سلطان حسين الصفوى و خديجه سلطان بنت على خان بن مهر على خان الداغستاني اللكزى و غيرهم. و قد خلفت المترجم لها ديوان شعر صغير(١)

بنت الشاه طهماسب الصفوى

توفيت بعد سنة ٩٨٤.

أميره عالمه فاضله فقيهه من ربات البر و الإحسان لم أقف على اسمها و تاريخ ولادتها و وفاتها. ولدت في قزوین و ترعرعت في بلاط أبيها الشاه طهماسب الأول الذى تولى الملك سنة ٩٣٠ و توفى سنة ٩٨٤ مر ذكرها في (أعيان الشيعة) فجاء عنها: (ابنه الشاه طهماسب الصفوى لا نعرف اسمها كانت عالمه فاضله ألف جملة من العلماء لها رسائل في أصول الفقه و غيره).

أخذت العلم و الفضل و فنون الأدب على أعلام علماء قزوین و كانت من فواضل نساء عصرها محبه للعلم و العلماء و كان بلاطها مجمع الفضلاء و الفقهاء و الشعراء و تدفع لهم رواتب شهرية و لها آثار و مآثر خيرية في قزوین، كما أصدر جمع من العلماء مؤلفاتهم باسمها(٢)

بهرام بن بهرام شمس الدين بن على بن بهرام الأسترآبادى.

قرأ كتاب "غوالى اللآلى" على مؤلفه ابن أبى جمهور الأحسائى، فأجازه روايته في أسترآباد في السادس من شهر ذى الحجة سنة ٨٧٨(٣)

بهرام فره وشى

ولد سنة ١٣٤٨ في مدينه (أروميه) بمحافظة آذربايجان و توفى سنة ١٤١٢.

درس في جامعات إيران ثم سافر إلى فرنسا لإكمال دراسته فنال شهاده الدكتوراه في تاريخ إيران القديمه و لغاتها، ثم عاد إلى إيران فكان مدرسا في جامعاتها.

ألف كتابا عن اللغة الفهلوية باسم (قاموس اللغة الفهلوية) يعد المرجع في معرفه هذه اللغة

بيبي بي بي سلطان خانم الخراسانيه

عالمه فاضله محدثه شاعره مجيده لم أفق على تاريخ ولادتها ووفاتها إلا أن هناك بعضا من شعرها مكتوبا في مشهد خراسان في يوم تاسوعاء سنه ٩٠٧ أخذت المقدمات و فنون الأدب و الفقه و الحديث على أفاضل علماء خراسان فنشأت على حب الأدب و طبعت نفسها على الشعر و أجادت في النظم و هي أخت الدرويش پنج [گنج] المداح ذكر ديوانها شيخنا الأستاذ الآغا بزرگ الطهراني في (الذريعه) المجلد التاسع ص ١٥٥ و قال كانت تسمى بيبي [بى بى] سلطان و هي أخت درویش پنج [گنج] المداح يوجد شعرها بخطها في كتاب كثر السالكين كتبه في مشهد خراسان في يوم تاسوعاء عام ٩٠٧ هجريه و نسخه كثر السالكين هي مجموعه فيها إجازات العلماء من أواسط القرن التاسع إلى أواخر القرن العاشر كتبها لأبى المعارف نجم الدين محمد المولود في ٨١٨ هجريه و المتوفى ٨٨٥ هجريه ثم لابنه سالك الدين محمد المولود في ٨٤٧ هجريه ثم لابنه كاشف الدين محمد الشهيد في ٩١٠ هجريه و نسخه من مخطوطات مكتبه فخر الدين من [فى] طهران (٤).

ثابت على شاه

ولد سنه ١١٥٣ في السند و توفى سنه ١٢٢٥.

من كبار علماء السند و شعرائها و مؤلفيها. و كان يجيد اللغة العربيه التى درسها على مخدوم محمد إحسان. كما درس التفسير و الحديث و الفقه على مخدوم محمد مراد واعظ.

جابر بن حيان

اشاره

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان)، و مرت عنه دراسه في المجلد الثاني من (المستدركات).

و نشر هنا هذه الدراسه الموسعه المكتوبه بقلم الدكتور زكى نجيب محمود:

كان مسقط رأسه و تاريخ مولده موضع اختلاف، "فهناك ما يسوغ لنا الظن بأنه فارسى ولد في طوس من بلاد خراسان" (٥)- و هي مسقط رأس الفردوسى الشاعر الفارسى - لكن روايه أخرى تقول: أنه من طرسوس، و روايه ثالثة تجعله صابئا من حران (٦) و روايه رابعه يرويها "ليو الإفريقى" الذى أرخ سنه ١٥٢٦ ميلاديه لرجال الكيمياء في إفريقيا فيقول:

أن كبيرهم هو: "جابر" الذى هو يونانى اعتنق الإسلام و كانت حياته بعد زمن نبى الإسلام بقرن من الزمان، و كذلك يرد اسم "جابر" مره واحده عند "ألبرت الكبير" منسوباً إلى مدينه إشبيليه، لكن جابرا المقصود هنا هو

ص: ٧٥

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٥- Holmyard, E.J, Chemistry to the Time of Dalton : ص ١٥ فى الفهرست لابن النديم ص ٥٠٠: "وقد قيل

أن أصله من خراسان، و الرازى يقول فى كتبه المؤلفه فى الصنعه (أى الكيمياء): "قال استأذنا أبو موسى جابر بن حيان".

٦- D'Herbelot, Bibliotheque Orientate : ص ٣٦٠ - نقلا عن إسماعيل مظهر فى كتابه: "تاريخ الفكر العربى".

بغير شك جابر بن الأفلح الذى عاش فى إشبيلية خلال القرن الحادى عشر الميلادى و ألف فى علم الفلك (١) أما صفه "الكوفى" الذى ينعت بها فى روايات كثيره (٢) فليست تدل على مكان مولده، و لكنها ترجع إلى مقامه فيها زمنا - و على كل حال فليس الأمر مقطوعا فيه برأى - فيقول ابن النديم: "و زعموا (أى الشيعة" أنه كان من أهل الكوفه... و حدثنى بعض الثقات ممن تعاطى الصنعه (أى الكيمياء) أنه كان ينزل فى شارع باب الشام فى درب يعرف بدرب الذهب (و ذلك فى الكوفه) و قال لى هذا الرجل أن جابرا كان أكثر مقامه بالكوفه... لصحه هوائها" (٣). و تمضى الروايه فتقول أنه قد حدث بعد وفاه جابر أن هدمت الدور فى الحى الذى كان يسكنه، فكشفت الأنقاض عن الموضع الذى كان فيه منزله، و وجد معمله، كما وجد هاون من الذهب يزن مائتى رطل، و تقول الروايه أن هذا حدث فى أيام عز الدوله ابن معز الدوله، و الظاهر أن ما قد دعا جابرا إلى الإقامة فى الكوفه زمننا، هو فراره من خطر كان محققا به فى عهد هارون الرشيد، و القصه - كما يرويها الجلدكى (٤) - هى أنه: "قد أقضى بأسرار صناعته إلى هارون الرشيد و إلى يحيى البرمكى و ابنه: الفضل و جعفر، حتى لقد كان ذلك سببا فى غناهم و ثروتهم، فلما ساورت الرشيد الشكوك فى البرامكه، و عرف أن غرضهم هو نقل الخلافه إلى العلويين، مستعينين على ذلك بمالهم و جاههم، قتلهم عن آخرهم، فاضطر جابر بن حيان أن يهرب إلى الكوفه خوفا على حياته، حيث ظل مختبئا حتى أيام المأمون، فظهر بعد احتجاجه".

و هاهنا تنهض أماننا نقطه أخرى من نقط الاختلاف عن حياه جابر، و هى تاريخ مولده، فعلاقته بالبرامكه - فى عهد هارون الرشيد - يكاد يكون عليها إجماع، فإذا ذكرنا أن البرامكه قد لبثوا يتمتعون بثقه هارون الرشيد سبعة عشر عاما، منذ ولايته سنه ٧٨٦ م حتى سنه ٨٠٣ - قبل موته بسنه أعوام - تبين لنا خطأ التاريخ الذى ذكره حاجى خليفه فى "كشف الظنون" من أنه قد توفى سنه ١٦٠ هـ (أى ما بين سنتى ٧٧٧ م) فلو فرضنا أن ولايه هارون الرشيد قد أدرجت جابرا فى صدر رجولته، كانت ولادته حوالى ٧٥٠ م أو قبل ذلك، و أذن فيمكن القول على وجه يقرب من اليقين أنه عاش خلال النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى و الجزء الأول من القرن التاسع، و عن ذلك يقول هولميارد (٥) الذى عنى بدراسته: أن حياته امتدت خلال الشطر الأكبر من القرن الثامن.

و كما اختلف الناس فى حقيقته التاريخيه، و اختلفوا فى مولده مكانا و زمانا، و اختلفوا فى اسمه، فكذلك اختلفوا فى أمره و إلى أى فئه أو مذهب ينتمى: "فقالت الشيعة أنه من كبارهم... و زعم قوم من الفلاسفه أنه كان منهم، و له فى المنطق و الفلسفه مصنعات، و زعم أهل صناعه الذهب و الفضه أن الرئاسه انتهت إليه فى عصره، و أن أمره كان مكتوما" (٦). و حقيقه الأمر - كما سنرى فى غضون هذا البحث - أنه كان الثلاثه معا: فهو من الشيعة مذهبيا، و هو من الفلاسفه جدلا، و هو من الكيمويين علما، ثم هو فوق هذا و هذا و ذلك صوفى، حتى لقد لصقت صفه الصوفيه باسمه كأنما هى جزء منه، فيدعى حيثما ورد ذكره جابرا بن حيان الصوفى.

و إن جابرا ليتصل ذكره بالإمام جعفر الصادق (- ٧٦٥ م تقريبا) الذى كثيرا ما يرد اسمه فى كتابات جابر مشارا إليه بقوله:

"سيدى" فهنالک من يزعم أنه جعفر بن يحيى البرمكى، لكن الشيعة تقول - و هو القول الراجح الصدق - إنه إنما عنى به جعفر الصادق، و نقول أنه مرجح الصدق لأن جابرا شيعى، فلا غرابه أن يعترف بالسياده لإمام شيعى، هذا إلى وفره المصادر التى لا تتردد فى أن جعفرا المشار إليه فى حياه جابر و نشاته، هو جعفر الصادق، فيذكر حاجى خليفه فى كشف الظنون جابرا مصحوبا

بعبارة: "تلميذ جعفر الصادق" (٧) و يقول كارادى فو و هو يتحدث عن جابر: "و معلماه هما: خالد بن يزيد بن معاوية... و جعفر الصادق (٨)، و فى مقدمه كتاب "الحاصل" لجابر (٩) يقول هو نفسه:

"...و قد سميته كتاب الحاصل، و ذلك

أن سيدى جعفر بن محمد (ص) قال لى: فما الحاصل الآن بعد هذه الكتب (الكتب التى ألفها جابر) و ما المنفعه منها؟... فعملت كتابى هذا و سماه سيدى بكتاب الحاصل..."

و واضح أن هذا التوقير كله لا يكون موجها إلى برمكى - إذ كان جابر ذا مكانه ممتازه فى بلاط الخليفه هارون الرشيد، و خالط أسره البرامكه مخالطه الند للأنداد (١٠) - و إنما يوجه مثل هذا التوقير من شيعى إلى إمامه. على أن صله جابر بجعفر لا بد أن تكون قصيره الأمد، لأن وفاه جعفر كانت سنه ٧٦٥ م، و هو بعد مولد جابر بما لا يزيد عن عشرين عاما.

منزلته فى علم الكيمياء:

جابر هو كيموى العرب الأول، فهو أول من اشتهر علم الكيمياء عنه (١١) و هو أول من يستحق لقب "الكيموى" من المسلمين (١٢) و الظاهر أنه قد أصاب من ارتفاع المكانه و ضخامه الثراء و بعد الصيت، ما جعله موضع التقدير آنا و موضع الحسد و الاضطهاد آنا، و أما التقدير فهو الذى أحاط اسمه بهاله من الجلال أزاغت عن حقيقته أبصار الكاتبين فيما بعد، حتى لتجد من يصفه منهم تاره بأنه: "ملك العرب" و تاره أخرى بأنه: "ملك العجم" و تاره ثالثه بأنه: "ملك الهند" (١٣) و قال عنه رسل الذى ترجم بعض مؤلفاته إلى الإنجليزيه (لندن) أنه: "أشهر علماء العرب).

ص: ٧٦

١- دائره المعارف البريطانيه، ماده Geber .

٢- فهرست ابن النديم، ص ٤٩٨، و أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى، ص ١١١ (طبعه الخانجى ١٣٢٦ هـ).

٣- الفهرست، ص ٤٩٩.

٤- نهايه الطلب.

٥- Holmyard ,E.J,Chemistry to the Time of Dalton .

٦- الفهرست ابن النديم، ص ٤٩٩.

٧- كشف الظنون، ص ٣٤٣.

٨- دائره المعارف الإسلاميه، ماده "جابر بن حيان".

٩- نشر پول كراوس.

١٠- Holmyard ,E.J,Chemistry to the Time of Dalton : ص ١٥.

١١- حاجى خليفه، كشف الظنون ص ٣٤٤.

١٢- Holmyard فى كتابه المذكور، ص ١٥.

١٣- إسماعيل مظهر، تاريخ الفكر العربي (فصل خاص بجابر بن حيان).

و فلاسفتهم" (١)، و قال عنه القفطى أنه: " كان متقدما فى العلوم الطبيعىه بارعا منها فى صناعه الكيمياء، و له فيها تأليف كثيره و مصنفات مشهوره " (٢) و حسبنا أن الرازى يشير إليه فى كتبه الخاصه بعلم الكيمياء بقوله: " قال استأذنا أبو موسى جابر بن حيان " (٣).

لكنه مع ذلك لا بد أن يكون قد لقى من الاضطهاد و الحسد ما يلقاه كثيرون ممن يبنه ذكرهم فى كل مكان و كل زمان، و إلا فما الذى دفعه إلى:

"التنقل فى البلدان، لا يستقر به بلد. خوفا من السلطان على نفسه؟" (٤) و ما الذى أطلق لسان القائل:

هذا الذى بمقاله غر الأوائل و الأواخر

ما أنت إلا كاسر كذب الذى سماك جابر

(٥) بل أن الحقد قد تخطى أبعاد الزمن، حتى أدرك مؤرخا للعلم فى العصر الحديث، أراد أن يضع جابر بن حيان فى موضعه من تاريخ الكيمياء، فاستكثر عليه أن يكون هو صاحب النظريات الكيمويه ذات القيمه التى تنسب إليه فى أوروبا، فراح يشطر انتاجه شطرين: شطر فيه الدسم العلمى: نسبه إلى مؤلف قال عنه أنه مجهول و أنه انتحل لمؤلفاته اللاتينيه فى العصور الوسطى اسم "جابر" ليحتمى بسمعته و شهرته، و شطر فيه تفاهه و غثائه هو الذى يجوز نسبه إلى جابر العربى، أما هذا المؤرخ للعلم الذى أشير إليه، فهو " برتلو" (٦) الذى زعم أنه حلل المؤلفات المنسوبه إلى جابر بن حيان فى علم الكيمياء، و بعض هذه المؤلفات عربى خالص، و بعضها لا-تينى و له أصل عربى، و بعضها لا-تينى و لا- توجد له صوره عربيه، حلل " برتلو" هذه المؤلفات و زعم أن ثمة تفاوتات فى مادتها و فى أسلوبها يتطلب التفسير.

و يتخذ برتلو من كتاب "الخالص" (٧) لجابر بن حيان فى ترجمته اللاتينيه نموذجا للجانب الناضج من المؤلفات التى تنسب إلى العالم العربى، و يقول أن دراسته هذا الكتاب تدل على أنه ليس ينتسب إلى أصل عربى، لا فى منهجه المتميز بأحكام السير فى طريق الاستدلال حجه فى أثر حجه أحكاما من شأنه أن يجمع المادة العلميه فى سياق موحد متسق، و لا فى الحقائق الواردة فيه، و لا- فى مفرداته اللغويه و لا- فى الأشخاص الذين يرجع إليهم فى الفقرات المقتبسه، كل هذه جوانب من الكتاب يراها برتلو قاطعه بان الكتاب لا- يرتد إلى أرومه عربيه، فعلى الرغم من أنه يشتمل - فى رأى برتلو أيضا - على طائفه من الكلمات و العبارات التى ربما تكون مستعاره من جابر العربى، إلا أن المرجح هو أن الكتاب فى جملته من عمل مؤلف لاتينى مجهول فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر، لم يرد أن ينسب الكتاب إلى نفسه، و نسبه إلى أشهر الأسماء المعروفه عندئذ فى علم الكيمياء، ألا و هو اسم " جابر" ليستفيد الكتاب شهره بشهره مؤلفه المزعوم.

و مضى برتلو يبحث فى المخطوطات التى وجدها فى باريس و فى ليدن، و التى تشتمل على ماده الكيمياء تنسب إلى جابر بن حيان، ثم انتهى إلى أنه على الرغم من أنه لا- يجد ما يسوغ نسبته إلى جابر، إلا- أنه لا- يرتاب فى أن مؤلفها عربى، ألفها بين القرن التاسع و القرن الثانى عشر الميلادى - فى فتره سابقه على اتصال اللاتين بالعرب - فقد وجد هذه الرسائل تختلف أسلوبا عن كتاب "الخالص" الذى أسلفنا ذكره و الذى قلنا عنه، أنه يحتوى على ماده علميه تتسم بالتفكير المحكم، و لما ذا يقطع برتلو

بان هذه الرسائل المخطوطه - غير كتاب "الخالص" - من تأليف رجل عربي مسلم؟ الجواب عنده هو أن لغتها غامضه و مهوشه، وفيها نزعه مشبهه (أى تشبه الطبيعه بالإنسان) فضلا عن اشتمالها على إشارات و ابتهالات إسلاميه، و لا ينفك مؤلفها يقول فى سياق حديثه: أنه سيرسل الكلام فى غير تحفظ و لا ألغاز، و مع ذلك فلا نراه أبدا يذكر التفصيلات عن الموضوعات التى يعد قارئه بأنه سيكشف عنها الأسرار و الأستار، أن مؤلف هذه الرسائل ليأخذ بالمذهب القائل بان لكل شىء كيفيه ظاهره و أخرى باطنه، و أن الواحده منها نقيض الأخرى - و هو المذهب الذى كان شائعا بين الكتاب اللاتين فى القرون الوسطى - لكنه لم يذكر شيئا عن توليد المعادن بالكبريت و الزئبق على النحو الذى يقال أن جابرا عرف به، أضف إلى هذا كله أن مؤلف هذه الرسائل يختلف عن مؤلف كتاب "الخالص" فى أن الأول لا يتردد فى أن يجعل للنجوم تأثيرا فى توليد المعادن، على حين أن الثانى يرفض هذا المبدأ - و اختصارا، فان المستوى العلمى لهذه الرسائل - و هى الرسائل التى ينسبها برتلو إلى مؤلف عربى ما - و المستوى العلمى لكتاب "الخالص" - و هو الكتاب الذى ينكر برتلو نسبته إلى جابر العربى - مختلفان اختلافا بعيدا، مما يدل - فى رأى برتلو - على أن الكتب الكيمويه المكتوبه باللاتينيه و التى طبعت منذ القرن الخامس عشر، لا تنتسب إلى جابر العربى، على الرغم من أنها تحمل على الغلاف ما يفيد بان مؤلفها هو جابر.

و لست فى الحقيقه أجد ما أعلق به على رأى برتلو بان اسم جابر منحول على هذا الكتاب أو ذاك، و أن المؤلف الحقيقى المجهول هو الذى انتحله ليشتهد به أزارا، أقول أنى لا أجد ما أعلق به على هذا الرأى أفضل من عباره ابن النديم التى أسلفت ذكرها، و التى رد بها على القائلين بان جابرا لم يكن له وجود، و أن اسمه منحول على الكتب التى تنسب إليه، و هانذا [آنذا] أعيدها مره أخرى: " أن رجلا فاضلا يجلس و يتعب، فيصنف كتابا يتعب قريحته و فكره بإخراجه، و يتعب يده و جسمه بنسخه، ثم ينحله لغيره - أما موجودا أو معدوما - ضرب من الجهل، و أن ذلك (العمل) لا يدخل تحته من تحلى ساعه واحده بالعلم، و أى فائده فى هذا و أى عائده؟" ف.

ص: ٧٧

١- Russell , R.Jabir Ibn Hayyan.

٢- أخبار العلماء بأخبار الحكماء (طبعه الخانجى) ص ١١١.

٣- ابن النديم، الفهرست، ص ٥٠٠.

٤- المرجع السابق، ص ٤٩٩.

٥- حاجى خليفه، كشف الظنون، ص ٣٤٣.

٦- Berthelot, La Chimie au moyen age, t.III L'Alchimie Arabe, Paris ١٨٩٣.

٧- اسم الكتاب الذى يشير إليه برتلو هو Summa perfectionis و يقول هوفر Hoefer فى كتابه تاريخ الكيمياء: إن كتاب "الخالص" هو الأصل الذى أخذ عنه الكتاب المعروف فى العالم اللاتينى بالاسم المذكور، مع أن برتلو يبنى كلامه على أساس أن الكتاب ليس له أصل عربى معروف.

و ما ذا وجدنا بعد هذا التشكيك فى شخصيه جابر العربى من قبل برتلو، أن يقول برتلو بعد ذلك عن هذا الاسم - اسم جابر - أنه ينزل فى تاريخ الكيمياء منزله اسم أرسطو فى تاريخ المنطق؟ و هو بذلك يريد بالطبع أن يقول أنه أول من وضع لعلم الكيمياء قواعد علميه تقترب باسمه، كما كان أرسطو أول من وضع لعلم المنطق قواعده و أصوله، أنه إذا كان برتلو قد وجد تفاوتاً فى أسلوب الرسائل التى تنسب إلى جابر، و فى مادتها، فليس التفسير الوحيد لهذا التفاوت أن يكون لهذه الرسائل أكثر من مؤلف واحد، بل يفسر هذه الظاهره نفسها، أن يفرض وجود التفاوت بين قدرات الشخص الواحد فى أوقات مختلفه. (1)

ينسب إلى جابر بن حيان عدد كبير جدا من الكتب و الرسائل، يقول فى بعضها ما لا يقوله فى بعضها الآخر أحيانا، و أحيانا أخرى يلخص فى بعضها ما قد بسطه فى بعضها الآخر، قال الجلدكى فى نهايه الطلب (2):

"إن من عادته كل حكيم أن يفرق العلم كله فى كتبه كلها، و يجعل له من بعض كتبه خواص يشير إليها بالتقدمه على بقيه الكتب لما اختصوا به من زياده العلم، كما خص جابر من جميع كتبه كتابه المسمى بالخمسمائه" و قال الطغرائى فى كتابه مفاتيح الرحمه (3) فى وصف الطريقه التى انتهجها جابر فى تأليفه لكتبه، أنه يعرض مذهبه بصور مختلفه فى كتبه المختلفه، أى أن الماده التى يعرضها فى هذا الكتاب هى نفسها الماده التى يعرضها فى ذلك، و الاختلاف إنما يكون فى صورته العرض وحدها، فاحيانا يطيل و أحيانا يوجز، و مره يصرح و أخرى يلجأ إلى الرمز، و هكذا، يقول الطغرائى:

"انظر إلى هذا العالم كيف يتلاعب بالناس و يخرج هذه الصناعه الشريفه فى المعارض المختلفه و مغزاه واحد، و كيف يعرض مره و يصرح أخرى".

و سنعرض فيما يلى قائمه كامله بكتبه و رسائله كما وردت فى فهرست ابن النديم، مثبتين أمام كل كتاب منها أو رساله ما قد يفيد من الملاحظات، على أن قائمه ابن النديم يعيها عيبان: فهى أولا قد تثبت أسماء بغير مسميات، أعنى أنها مجرد عناوين لكتب غير موجوده، و هى ثانيا قد تهمل كتبا موجوده فعلا، و مما تجدر الإشارة إليه هنا، أن ثمة مؤلفات باللاتينيه تنسب إلى جابر بن حيان، دون أن تكون هنالك مقابلاتها العربيه، و هذه هى التى قال عنها "برتلو" - كما أسلفنا - أنها لمؤلف لاتينى انتحل لنفسه اسم جابر و أخفى اسمه الحقيقى، و هى على وجه العموم تمثل مرحله فى علم الكيمياء أكثر تقدما من مرحله التى تصورها الأصول العربيه الموجوده و المنسوبه إلى المؤلف نفسه، أى إلى جابر.

و فيما يلى قائمه باهم ما عرفناه من مؤلفاته (4): ١ - كتاب اسطقس الأس الأول إلى البرامكه، نقل بالزنكوغراف فى الهند ١٨٩١.

٢ - كتاب اسطقس الأس الثانى إليهم، نقل بالزنكوغراف فى الهند ١٨٩١.

٣ - كتاب الكمال، و هو الثالث إلى البرامكه، نقل بالزنكوغراف فى الهند ١٨٩١.

٤ - تفسير كتاب اسطقس، لم يذكره صاحب الفهرست، و ذكره يوسف الياس سركىس فى معجم المطبوعات العربيه و المعربه، على أنه واحد من مجموعه أحد عشر كتابا يضمها كتاب واحد "فى علم الأكسير العظيم".

٥ - كتاب الواحد الكبير، منه نسخه بالقسم العربى من المكتبه الأهليه بباريس فى المجموعه رقم ٢٦٠٦.

٦ - كتاب الواحد الصغير، منه نسخه بالمكتبه الأهليه بباريس بالمجموعه ٢٦٠٦.

٧ - كتاب الركن، و الأرجح أنه هو بعينه كتاب الأركان، و قد أخذت مقطوعات منه فى القسم السابع من كتاب "رتبه الحاكم للمجريطى، و يقول هولميارد: إن كتاب "رتبه الحاكم" نسب خطأ إلى المجريطى، و قد ذكر جابر نفسه كتابا له باسم كتاب الأركان الأربعة فى كتابه "نار الحجر" - أما المجريطى المشار إليه فهو أبو القاسم مسلمه بن أحمد المجريطى الذى عاش فى مدينه مدريد أيام الحكم الثانى (٩٦١ - ٩٧٦) (٥).

٨ - كتاب البيان، نقل بالزنكوغراف فى الهند ١٨٩١، و موجود بدار الكتب بالقاهره ضمن مجموعته رقم ٥٨٣، ٦٣١ مع ملاحظات لهولميارد.

٩ - كتاب النور، نقل بالزنكوغراف فى الهند ١٨٩١، و موجود بدار الكتب بالقاهره ضمن مجموعته رقم ٥٨٣، ٦٣١ مع ملاحظات لهولميارد.

١٠/١٢ - كتاب التدابير، و كتاب التدابير الصغير، و كتاب التدابير الثالث - هذه الكتب الثلاثه ورد ذكرها عند جابر نفسه فى مقاله الثانيه و الثلاثين من كتابه "الخواص الكبير" (٦).

١٣ - كتاب الملاغم الجوانيه، من مجموعته تسمى بالمائه و اثنى عشر كتابا، ذكره كراوس.

١٥/١٦ - كتاب العمالقه الكبير و كتاب العمالقه الصغير، ذكرهما كراوس.

١٧ - كتاب الشعر، منه نسخه بالمتحف البريطانى رقم ٧٧٢٢.٢.

ص: ٧٨

١- كتاب الأحجار، الجزء الثانى، ص ١٦٤ من مختارات كراوس.

٢- النص مأخوذ من كشف الظنون، لحاجى خليفه، ص ٣٤٥.

٣- النص مأخوذ من "مختار رسائل جابر بن حيان" نشر و تحقيق پول كراوسى، ص ٥٥٣.

٤- راجع: الفهرست لابن النديم ص ٥٠٠-٥٠٣. PaulKraus, Jabir Ibn Hayyan, t.I. تاريخ الفكر العربى للأستاذ إسماعيل مظهر.

٥- إسماعيل مظهر، تاريخ الفكر العربى.

٦- پول كراوس، مختار رسائل جابر بن حيان، ص ٣٢٢.

١٨ - كتاب التوبىب، منه نسخه بالمكتبه الأهليه بباريس بالمجموعه ٢٦٠٦، و ذكره الطغرائى، راجع المجموعه رقم ٨٢٢٩ بالمتحف البريطانى.

١٩ - كتاب الأحجار على رأى بلىناس (بلىناس هو أبولونىوس) نشره پول كراوس، و هو أربعه أجزاء.

٢٠ - كتاب أبى قلمون - و أبو قلمون اسم لحشره تأكل الذباب، ذكره جابر فى مقاله الرابعه و العشرين من كتابه:(الخواص الكبير) - مختار كراوس ص ٣١٨.

٢١ - كتاب الباهر، ذكره كراوس.

٢٢ - كتاب الدره المكنونه، مخطوط فى المتحف البريطانى ضمن مجموعه ٧٧٢٢.

٢٣ - كتاب البدوح، و هى مجموعه أحرف: ب، د، و، ح و هو طلسم يفيد السرعه و الإنجاز.

٢٤ - كتاب الخالص، و يرجح أنه هو الكتاب الذى ترجم إلى اللاتينيه باسم (Summa Perfectionis) و الذى أشار إليه "برتلو" بقوله أنه ليس من تأليف جابر العربى، بل هو منسوب إلى اسم جابر على سبيل الانتحال، و المؤلف الحقيقى أوروبى.

٢٥ - كتاب القمر، أى كتاب الفضه، منه نسخه بمكتبه بباريس مجموعه ٢٦٠٦.

٢٦ - كتاب الشمس، أى كتاب الذهب.

ذكرهما جابر فى كتابه "الميزان الصغير"، (مختار كراوس ص ٤٥٠) و قال عنهما أنهما يشتملان على ما قد ذكر قبل ذلك فى كتابه "الأصول".

٢٧ - كتاب التركيب (أو التراكيب) منه نسخه بمكتبه بباريس ضمن مجموعه ٢٦٠٦.

٢٨ - كتاب الأسرار، و يرجح أنه هو كتاب "سر الأسرار" المحفوظه منه نسخه بالمتحف البريطانى - مجموعه رقم ٢٣٤١٨ نمره ١٤ - و أنه هو الذى ذكر منه الطغرائى عده مقطوعات فى عده مواضع (راجع مجموعه المتحف البريطانى رقم ٨٢٢٩) و فى اللاتينيه مخطوطه تنسب إلى جابر بنفس العنوان و هو (Secreta Secretorum).

٢٩ - كتاب الأرض (أولى، و ثانيه، و ثالثه، و رابعه، و خامسه، و سادسه، و سابعه) و لعله هو "أرض الأحجار" الذى طبعه برتلو نقلا عن المخطوط الموجود فى مجموعه ليدن رقم ٤٤٠، و منه نسخه بمكتبه بباريس مجموعه رقم ٢٦٠٦.

٣٠ - كتاب المجردات، ذكره جابر فى مقاله الثالثه و الثلاثين من كتابه "الخواص الكبير" (مختارات كراوس ص ٣٢٤) و هو يقول عنه: "إنا جردنا فيه جميع الأبواب التى ذكرناها فى المائه و الاثنى عشر كتابا، و مبلغ الأبواب التى فيه خمسه آلاف باب، و هو قاعده كتبنا المائه و الاثنى عشر، و به تتم و تصح أبواب المائه و الاثنى عشر كتابا، فأطلبه و اعمل بما فيه فهو فى نهايه الحسن و الشرف لمن علم... فاما لمن جهل فمشقه و تعب و حسره.

و عن هذا الكتاب نفسه يقول جابر أيضا في مقاله الثامن و الثلاثين من كتابه: "الخواص الكبير" (مختارات كراوس ص ٣٢٧): "...فما لك كتاب مثله في فك الرموز المستعصيه... و هو من أمهات كتبنا التي لا يسع لأحد أن يجهله".

٣١ - كتاب الحيوان - و يذكره الجلدكى منسوباً إلى جابر.

٣٢ - كتاب الأحجار، نقل بالزنكوغراف في الهند ١٨٩١.

٣٣ - كتاب ما بعد الطبيعه، ذكره جابر في كتابه "إخراج ما فى القوه إلى الفعل" (مختارات كراوس ص ٣١).

و تمضى هذه القائمه - بذكر أسماء لكتب أخرى - حتى تبلغ ١١٢، و بهذا تتكون المجموعه المسماه باسم "المائه و اثنى عشر" من مؤلفات جابر.

و يلي ذلك - فيما قد أورده ابن النديم - مجموعه أخرى مؤلفه من سبعين عنوانا تعرف باسم "السبعين" و هى معروفه فى اللاتينيه باسم (LiberLXX)، نذكر منها:

٣٤ - كتاب الخمسه عشر، و هو معروف فى اللاتينيه باسم (LiberXV) و منه نسخه عربيه فى مكتبه كليه ترنتى باكسفورد رقم ٣٤٣.

٣٥ - الروضه، ذكره الجلدكى فى الجزء الثامن من كتابه نهايه الطلب.

و تمضى قائمه ابن النديم فتذكر عشره كتب يقول عنها أنها مضافه إلى السبعين المذكوره سابقا.

و من هذه العشره المضافه نعرف:

٣٦ - الإيضاح، نقل بالزنكوغراف فى الهند ١٨٩١.

و بعد ذلك تأتى قائمه بعشر مقالات تسمى بالمصححات نذكر منها:

٣٧ - مصححات سقراط، و منه نسخه بالمكتبه البودليه باكسفورد تحت رقم ١٤١٦.

٣٨ - مصححات أفلاطون، و منه نسخه بالقسطنطينيه بمكتبه راغب باشا، مجموعه ٩٦ رقم ٤.

و يتلو هذه المقالات العشر فى قائمه ابن النديم عشرون اسما، و يلحق بها ثلاثه أخرى تتصل بها، و نذكر من هذه الثلاثه كتابا نعرفه هو:

٣٩ - كتاب الضمير، منه نسخه بالمكتبه الأهليه ببائيس، بالمجموعه ٢٦٠٦ و ذكره الجلدكى فى الجزء الثانى من نهايه الطلب باسم "كتاب الضمير فى خواص الإكسير".

ثم يجيء بعد ذلك في قائمه ابن النديم مجموعه من سبعة عشر كتابا،

ص: ٧٩

و كذلك تلحق بها ثلاثه كتب تتصل بها، و أهم هذه المجموعه، بل من أهم مؤلفات جابر على الإطلاق.

٤٠ - كتاب الموازين، طبعه " برتلو " عن نسخه موجوده بليدن، و يظن هولميارد أن هذا الكتاب هو المعروف فى اللاتينيه بعنوان (Liber de ponderibus artis).

ثم تتوالى القوائم مجموعات مجموعات، و تختتم بقوله:

" قال أبو موسى: ألفت ثلاثمائه كتاب فى الفلسفه، و ألفا و ثلاثمائه رساله فى صنائع مجموعه و آلات الحرب، ثم ألفت فى الطب كتابا عظيما، ثم ألفت كتبا صغارا و كبارا، و ألفت فى الطب نحو خمسمائه كتاب... ثم ألفت كتب المنطق على رأى أرسطاطاليس، ثم ألفت كتاب الزيغ اللطيف نحو ثلاثمائه ورقه... ثم ألفت كتابا فى الزهد و المواعظ، و ألفت كتبا فى العزائم كثيره حسنه... و ألفت فى الأشياء التى يعمل بخواصها كتبا كثيره، ثم ألفت بعد ذلك خمسمائه كتاب نقضا على الفلاسفه، ثم ألفت كتابا فى الصنعه يعرف بكتب الملك، و كتابا يعرف بالرياض".

من هذا يتبين أن الكتب و الرسائل التى يظن أن جابرا قد ألفها كثيره، قد تحقق لنا وجود بعضها (١) و لم يتحقق لنا وجود بعضها الآخر، و ليس هذا البحث موضعا لتفصيل كامل لما تحقق و ما لم يتحقق، كلا و لا فى وسع كاتبه أن يؤدى فى ذلك شيئا أكمل مما أداه العاملون فى هذا الميدان: " برتلو " و " هولميارد " و " كراوس " - فحسبنا أن نختم قائمتنا الموجزه بطائفه أخرى عن كتبه المهمه المعروفه:

٤١ - كتاب الزئبق، طبعه " برتلو " فى كتابين، أحدهما عنوانه:

كتاب الزئبق الشرقى، و الآخر باسم الزئبق الغربى، نقلنا عن مخطوط فى مكتبه ليون رقم ٤٤٠، و هناك أيضا نسختان بالمكتبه الأهليه بباريس، مجموعه رقم ٢٦٠٦.

٤٢ - كتاب الخواص، منه نسخه بالمتحف البريطانى رقم ٤٠٤١، و بالمجموعه رقم ٢٣٤١٩، نشر كراوس نخبنا من كتاب " الخواص الكبير " (٢).

٤٣ - كتاب الاستتمام، ذكر الطغرائى بعض مقطوعات من هذا الكتاب، (محفوظات المتحف البريطانى رقم ٨٢٢٩) و كذلك ذكره الجلدكى فى كتابه نهايه الطلب، و يقابل هذا الكتاب ما هو معروف فى اللاتينيه باسم:

. Liber La investigatione perfectioni

٤٤ - كتاب الملك، طبع " برتلو " هذا الكتاب عن نسخه بليدن رقم ٤٤٠ من المجموعه العريبيه، و توجد نسخه أخرى مختلفه فى المكتبه الأهليه بباريس رقم ٦٠٥، و هاتان النسختان تختلفان عن نسخه نقلت بالزنكوغراف فى الهند سنه ١٨٩١، و يرجع هولميارد أن هذا الكتاب نقل إلى اللاتينيه، و ذكره بورليوس Borrellius - راجع محفوظات الجمعيه الكيماويه بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣، و كذلك ذكره كارينى بعنوان (٣) Rivista Sicula، و قد أشار جابر نفسه إلى هذا الكتاب فى مقاله الثالثه و الثلاثين من كتاب " الخواص الكبير " (مختارات كراوس ص ٣٢٦).

٤٥ - كتاب التصريف، و هو المعروف فى اللاتينه باسم **Liber mutatorium** ، و قد ذكره جابر نفسه فى عدده مواضع من كتبه الأخرى:

ذكره فى كتابه "إخراج ما فى القوه إلى الفعل" (مختارات كراوس ص ٩٢)، و فى كتاب الخواص الكبير (مختارات كراوس ص ٣٢٩)، و فى كتاب التجميع (مختارات كراوس ص ٣٤٢) و فى كتاب الحاصل (مختارات كراوس ص ٥٣٧). هذا إلى أن پول كراوس قد اختار من كتاب التصريفنخبا أثبتها فى مختاراته، ص ٢٩٣-٤٢٥.

٤٦ - كتاب شرح المجسطى، ترجمه جيرارد الكريمنى **Gerard of Cremona** و منه مخطوطه باكسفورد فى مكتبه كليه **Gorpus Christi**، و أخرى باكسفورد أيضا فى المكتبه البودليه، و ثالثه بمكتبه جامعه كيمبردج [بكمبريج] (٤).

٤٧ - كتاب الوصيه، منه نسخه بالمتحف البريطانى بالمجموعه ٧٧٢٢، و له ترجمه لاتينيه بعنوان **Geberi testamentum** موجوده فى كليه ترنتى بكمبريدج [بكمبريج] (مجموعه ٩٢٥ و ١٣٨) (٥).

٤٨ - كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، نشره پول كراوس فى مختاراته ص ١-٩٧.

٤٩ - كتاب الحدود، نشره پول كراوس فى مختاراته، ص ٩٧ - ١١٥.

٥٠ - كتاب كشف الأسرار، منه نسخه بالمتحف البريطانى فى المجموعه ٧٧٢٢ رقم ٥٤، و نسخه بمكتبه القايره، ترجمه إلى الإنجليزيه **R.Stule** عام ١٨٩٢ (٦) - و قد يسمى هذا الكتاب باسرار الكيمياء.

٥١ - كتاب خواص اكسير الذهب، منه نسخه بالمكتبه الأهليه بباريس مجموعه ٢٦٢٥ رقم ٦، و ترجمه هولميارد إلى الإنجليزيه.

٥٢ - كتاب الرحمه، طبعه برتلو عن مخطوطه بمكتبه ليدن رقم ٤٤٠، و يذهب هولميارد إلى أنه من تأليف أبى عبد الله محمد بن يحيى، و ذكر فيه مقطوعات كثيره عن جابر - غير أن جابرا أشار إلى هذا الكتاب على أنه كتابه، و ذلك فى مقاله العشرين من كتابه الخواص الكبير، إذ يقول:

"...إنى دفعت إلى زمان... فيه طلاب هذه الصناعه (أى الكيمياء) ر.

ص: ٨٠

١- لعل أكمل تحقيق هو الذى قام به پول كراوس فى كتابه عن جابر بن حيان.

٢- يقول هولميارد عن كتاب الخواص الكبير: إنه أهم كتب جابر فى الكيمياء. (انظر كتاب هولميارد: تاريخ الكيمياء إلى عهد دولتين، ص ١٦).

٣- تاريخ الفكر العربى، إسماعيل مظهر.

٤- تاريخ الفكر العربى، إسماعيل مظهر.

٥- تاريخ الفكر العربى، إسماعيل مظهر.

كثير جدا... و وجدت قوما خادعين و مخدوعين، فرحت الجميع و عملت لهم ما قد حكيته مجردا في صدر كتابي الرحمه" (مختارات كراوس ص ٣١٤).

٥٣ - كتاب التجميع، نشره پول كراوس في مختاراته ص ٣٤١ - ٣٩٢.

٥٤ - كتاب الأصول، موجود في المتحف البريطاني بالمجموعه ٢٣٤١٨ رقم ١٣، و قد ترجم إلى اللاتينية بعنوان LiberRadicum و قد أشار إليه جابر عدده مرات في كثير من كتبه. قائلا عنه: "إنه و الله من نفيس الكتب" (مختارات كراوس، ص ٧٤، ٣٢٢، ٣٤٢، ٤٥٠).

و نكتفى بهذا القدر من مؤلفات جابر، لأن غايتنا ليست هي الحصر الكامل المحقق لهذه المؤلفات، بل هي تقريب الصورة إلى القارئ عن هذا العالم العربي.

عالم و منهجه

إيمانه بالعلم:

" و العلم " هنا مقصود به علم الكيمياء بصفه خاصه، و "الكيمياء" مقصود بها الوسائل التي يستطيع بها الكيميائي أن يبدل طبائع الأشياء تبديلا يحولها بعضها إلى بعض، و ذلك أما بحذف بعض خصائصها أو باضافه خصائص جديده إليها، لأنه إن كانت الأشياء كلها ترتد إلى أصل واحد، كان تنوعها راجعا إلى اختلاف في نسب المقادير التي دخلت في تكوينها، فليس الذهب - مثلا- يختلف عن الفضة في الأساس و الجوهر، بل هما مختلفان في نسبه المزج، فاما زياده هنا أو نقصان هناك، و ما على العالم إلا أن يحلل كلا منهما تحليلا يهديه إلى تلك النسبه كما هي قائمه في كل منهما، و عندئذ يرتسم أمامه الطريق واضحا إذا أراد أن يغير من طبيعه هذا أو ذاك، لأن مدار التغيير هو - كما قلنا - حذف أو إضافه.

و كان رجال الفكر من هذا العلم فريقين: فأكثره تذهب إلى بطلانه و استحالته، و قله تؤكد إمكانه عند العقل و في الفعل على حد سواء.

فمن المنكرين الشيخ الرئيس ابن سينا الذي حاول في كتابه الشفاء أن يقيم الحجه على بطلانه، و كانت حجته هي أن الصفات التي يقال عنها أنها إذا أضيفت هنا أو حذفت هناك تحولت الأشياء بعضها إلى بعض، صفات محسوسه عرضيه لا تمس جواهر الأشياء، فليست هي بالفواصل الحقيقيه التي تميز نوعا من نوع، و أما الفواصل الحقيقيه فمجهوله، فلسنا ندرى ما ذا في الذهب مما يجعله ذهبيا و لا- ما ذا في النحاس ما يجعله نحاسا، و إذا كان الشيء مجهولا- فكيف يتاح لنا أن نوجده إيجابا أو نفيه إفاء؟(١).

و كان الفيلسوف الكندي كذلك من المنكرين لإمكان قيام هذا العلم، و أقام إنكاره هذا على أساس أن الطبيعه قد انفردت - دون الإنسان - بأشياء محال على الإنسان أن ياتي بمثلها، كما انفرد الإنسان - دون الطبيعه - بأشياء أخرى، و من الخلط بل من الخداع أن يحاول الإنسان فعل ما قد انفردت الطبيعه بفعله(٢)، فكما أنه محال على الطبيعه أن تصنع سيفا أو سريرا أو خاتما،

فكذلك محال على الإنسان أن يصنع ذهباً أو فضة أو نحاساً.

و الظاهر أن أبا نصر الفارابي قد وقف موقفاً وسطاً بين إمكان علم الكيمياء واستحالته، مستنداً في ذلك إلى أرسطو و موقفه من هذا الموضوع نفسه، و خلاصه هذا الموقف الوسط، هي أن تحول الأشياء بعضها إلى بعض متوقف على نوع الصفات المراد حذفها أو إضافتها، فإن كانت أعراضاً ذاتية تعذر التحول، و أما إن كانت أعراضاً عرضية أمكن التحول، هذا إلى أن إمكان التحول قد يكون مقبولاً من الوجهه الصوريه النظرية، لكنه عسير من الوجهه الفعلية العمليه (٣).

لكن هناك فريقاً آخرهم أكثر إيماناً بما يستطيعه العلم، و من هؤلاء فخر الدين الرازي الذي عقد فصلاً في المباحث المشرقيه يبين فيه إمكان علم الكيمياء، و منهم الشيخ نجم الدين ابن البغدادي الذي رد على ابن تيميه و زيف ما كان قاله عن استحاله علم الكيمياء، و منهم كذلك أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي تصدى للرد على الكندي في الموضوع نفسه، و صنف الطغرائي كتاباً يثبت فيها إمكان قيام هذا العلم، و يرد على ما كان ابن سينا قد ذهب إليه من عدم إمكان ذلك (٤).

و على رأس المثبتين لعلم الكيمياء بالقول و بالفعل معاً، هو جابر بن حيان الذي كان أول من اشتهر عنه هذا العلم، فهو يتساءل في عجب:

كيف يظن العجز بالعلم دون الوصول إلى الطبيعه و أسرارها؟ ألم يكن في مستطاع العلم أن يجاوز الطبيعه إلى ما وراءها؟ فهل يعجز عن استخراج كوامن الطبيعه ما قد ثبتت قدرته على استخراج السر مما هو مستور وراء حجبها؟ و هو يستدرك هنا بقوله: إننا لا نطالب من لا علم له بالتصدي للكيمياء، بل نطلب ذلك من ذوى العلم الذين استوفوا أركان البحث (٥)، و لعمري إن هذا القول من جابر لما نضعه في مقدمه الشروط التي نستوجب استيفاءها في كل باحث علمي، كائناً ما كان موضوع بحثه، و في أي عصر جاء، فلا يجوز لغير العلماء المختصين أن يقولوا ما ذا يستطيع و ما ذا لا يستطيع في مجال البحث، و يمضى جابر في حديثه عن إمكان العلم الكيموي أو امتناعه، فيقول أن أسرار الطبيعه قد تمتنع على الناس لأحد سببين، فاما أن يكون ذلك لشده خفائها و عسر الكشف عنها، و أما أن يكون للطفه تلك الأسرار بحيث يتعذر الإمساك بها، و سواء كان الأمر هو هذا أو ذلك، كان في وسع الباحث العلمي أن يلتمس طريقاً إلى تحقيق بغيته، فلا- صعوبه الموضوع و لا لطافته و دقته مما يجوز أن تحول العلماء دون السير في شوط البحث إلى غايته (٦).

ص: ٨١

١- كشف الظنون، حاجي خليفة، مجلد ٢، ص ٣٤١.

٢- المرجع نفسه، ص ٣٤٢.

٣- المصدر نفسه، ص ٢-٣٤١.

٤- المصدر نفسه، ص ٣٤١.

٥- جابر بن حيان، كتاب إخراج ما في القوه إلى الفعل، نشر كراوس، ص ٧.

٦- المصدر السابق نفسه، ص ٨.

أنى للإنسان أن يعلم العلم الذى يعلمه؟ هذا سؤال ما أفكك الفلاسفة يسألونه و يحاولون عنه الجواب: أ فيكون فى فطره الإنسان و طبعه المجهول أن يهتدى إلى العلم من تلقاء نفسه لو و اتته الظروف المناسبه؟ ذلك ما أخذ به سقراط الذى كان على اعتقاد بان العلم كامن فى الإنسان، و لا يحتاج إلا إلى من يحركه بالأسئله الموجهه، فيخرج العلم من حاله الإضممار إلى حاله الظهور، أو من حاله الكمون إلى حاله العلن، أو - بالمصطلح الفلسفى - من حاله الوجود بالقوه إلى حاله الوجود بالفعل، و لو كان الأمر كذلك لكان التعلم ضربا من ضروب الكشف عما هو خبئ فى النفس، و ليس هو باكتساب شىء ياتى إلى نفس المتعلم من خارجها، و لكانت عمليه التعليم لا تزيد على عمليه التوليد، و يعبر جابر عن هذا الرأى بقوله أن المتعلم عندئذ: "يكون مبتدعا للأشياء من نفسه فى أول الأمر بطباعه" (١) لكنه لا يجعل هذه الصفه عامه فى كل إنسان على حد سواء، بل يقصرها على من يصفهم "بالاعتدال" - و الاعتدال عنده معناه توازن العناصر التى منها يتكون الشخص المعين - "فالشخص المعتدل هو الذى يستخرج الأشياء بطبعه، و يقع له العلم بالبديهه فى أول وهله" و يستطرد جابر فيقول نقلا عن فورفوروس (٢) "إن من كان هذا سبيله (هو) سقراط الحكيم، فإنهم لا- يشكون أن كثيرا من العلم وقع له بقليل الرياضه، و أن ذلك بالطبع" (٣) أى أن رياضه قليله، أو قل فاعليه و جهدا قليلين كانا يكفيان لتحريك علم كثير فى نفسه، لأن العلم كامن هناك بالفطره، ينتظر ما يحركه فيتحرك.

العلم بالفطره - إذن - أحد المذاهب المختلفه فى تفسير التعلم، و مذهب آخر يقول أن العلم إنما يكون بالتلقين، فما فى فطره الإنسان علم لا- بالقوه و لا- بالفعل، فهى - على حد عبارته التى قالها الفيلسوف الإنجليزي "جون لك [جان لوك]" (١٦٣٢ - ١٧٠٤) - تولد صفحه بيضاء، ثم تأتى العوامل الخارجيه عن طريق الحواس فتخط عليها آثارها و من هذه الآثار المخطوطه يتكون علم الإنسان، و من بين هذه العوامل الخارجيه - بل من أهمها - هو المعلم - و الوالدان هما بمثابة المعلمين، فهؤلاء يلقتون الناشئ بما يكون له نفسه على الصوره التى يريدونها له، و فى ذلك يقول جابر: "... (إن من يوكل إليه أمر تكوين الإنسان) يدرس عليه جميع العلوم و ضروب الآداب و علوم العلويات، أو غير ذلك مما يراد من ذلك المكون أن يكون ماهرا فيه" (٤).

يذكر جابر هذين المذهبين فى مصدر العلم، المذهب القائل بان العلم لدنى ينبع من الفطره، و المذهب القائل إن العلم آت كله من الخارج بالتحصيل و التلقين، ثم يضيف إليهما مذهباً ثالثاً يقع بين بين، و ذلك أن يكون فى نفس المتعلم استعداد للتلقى، ثم تجيء العوامل الخارجيه فتستخدم ذلك الاستعداد الفطرى، فالفطره ليست "علما" و لكنها "تهيؤ" لقبول العلم، و إذن فلا بد فى الأمر من داخل و خارج معا، و هذا هو بعينه ما يقوله القائلون بضروره الوراثة و البيئه معا فى عمليه التربيه، إلا أن جابرا يستخدم لغه أخرى غير هذه اللغه، فيعبر عن الحقيقه نفسها بقوله: "إن (العلم) لا يكون بالبديهه، و لا بالتعليم من الصغر، بل يكون على البديهه" (٥) - فهو يقول عن العلم إنه "على البديهه" فى حاله التى يكون فيها موروثا بالطبع، ثم يقول عنه إنه "على البديهه" حين لا- يكون الموروث بالطبع إلا استعدادا فقط، و على هذا الاستعداد تأتى المؤثرات من خارج، و إن جابرا ليختار من هذه المذاهب الثلاثه مذهباً، و هو هذا الذى يجمع بين الاستعداد و التلقين، مؤكداً أن: "النفس لا تكون عالمه أولاً بالضروره" (٦) أى أنها محال عليها أن تولد مزوده بالعلم كاملا، لكنها مستعده للتقبل بطبيعتها، فهى: "قادره فاعله جاهله" (٧) أول الأمر، ثم تراض بعد ذلك بفضل قدرتها و فاعليتها، فيتحول الجهل علما. لكن ما مصدر التلقين عند جابر؟ من ذا الذى كشف له عن

الحقائق فتلقفها و تمثلها بفطرته القابله القادره؟ هاهنا نجده يصرح فى أكثر من موضع بان مصدر علمه هو النبى و هو على و هو سيده جعفر الصادق و ما بين هؤلاء جميعا من أبناء الأسره الشريفه، فهو يقول: "تأخذ (من كتبى) علم النبى و على و سيدى و ما بينهم من الأولاد، منقولاً نقلاً مما كان و هو كائن و ما يكون من بعد إلى أن تقوم الساعه" (٨) و فى موضع آخر يقول: "فو الله ما لى فى هذه الكتب إلا تاليفها، و الباقي علم النبى (ص)" (٩).

فما مؤدى هذا؟ مؤداه أن مصدر التلقين هو الوحي، ينزل على النبى ثم يتوارثه الخلفاء من بعده، و عن هؤلاء يكسب الكاسبون. فليس العلم عقلاً و لكنه نقل، ليس هو بالكشف المبتكر الأصيل بالنسبه إلى العالم الكاشف، بل هو تنزيل من السماء، و على هذا الضوء نفهم اسم "الكيمياء" لما ذا أطلق على مثل هذه الأبحاث التى قام بها جابر، فهى لفظه معربه من اللفظ العبرانى، و أصله كيم يه، و معناه أنه من الله (١٠).

الأستاذ و التلميذ:

لهذا كان للأستاذ الذى ينقل العلم للمتعلم منزله مقدسه عند جابر، و انا لننقل هنا مقاله كتبها فى العلاقه بين الأستاذ و التلميذ (١١)، و نعتقد أنها من الروائع فى ميدان الترييه، و لن ندخل على لفظها من التعديل إلا بمقدار ما يجعلها مناسبه لسمع القارئ الحديث، قال:

فاما ما يجب للأستاذ على التلميذ، فهو أن يكون التلميذ لنا قبولاً - لجميع أقواله، من جميع جوانبه، لا يعترض عليه فى أمر من الأمور... فان

ص: ٨٢

- ١- جابر بن حيان، كتاب التجميع (مختارات كراوس) ص ٧-٣٧٦.
- ٢- فيلسوف اسكندراني من مدرسه الأفلاطونيه الحديثه، عرف بشرحه للمنطق الأرسطى (٢٣٣ - ٣٠٤).
- ٣- كتاب التجميع فى المختارات المذكوره، ص ٣٧٥.
- ٤- التجميع (مختارات كراوس) ص ٣٧٥.
- ٥- نفس المصدر، ص ٣٧٧.
- ٦- المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٧.
- ٧- المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٨.
- ٨- مقاله الحاديه و العشرون من "كتاب الخواص الكبير" - مختارات كراوس، ص ٣١٥.
- ٩- مقاله الرابعه و العشرون من "كتاب الخواص الكبير"، ص ٣١٧.
- ١٠- الصفدى فى شرح لأميه العجم، أخذناه عن كشف الظنون، مجلد ٢ ص ٣٤١.
- ١١- مقاله الأولى من "كتاب البحث" - مختارات كراوس، ص ٥٠١-٥٠٥.

ذخائر الأستاذ العالم ليس يظهرها للتلميذ إلا عند السكون إليه، وحمده غايه الحمد، وذلك أن منزله الأستاذ هي منزله العلم نفسه، ومخالف العلم مخالف الصواب، ومخالف الصواب واقع في الخطأ والغلط، وهو ما ليس يؤثره عاقل، فإذا لم يكن التلميذ على هذا المقدار من الطاعة للأستاذ، أعطاه الأستاذ قشور العلم وظاهره.

وليس أريد بطاعه التلميذ للأستاذ، أن تكون هذه الطاعة في شئون الحياه العمليه الجاريه، بل أريدها طاعه في قبول العلم ودرس وسماع البرهان على أستاذه، وحفظه، وترك التكاسل والتشاغل عنه، ذلك أن شئون الحياه العمليه لا قيمه لها عند الأستاذ الربانى، لأن الأستاذ هو كالأمام للجماعه التى هو قيم بها، وكالراعى، والسائس، للأشياء التى يتولى صلاحها وإصلاحها، فمتى عسرت عليه، أو عسرت عن التقييم، فاما أن يطرحها و أما أن يتعبه تقويمها إلى أن تستقيم...

وينبغى للتلميذ أن يكون صامتا للأستاذ، كتوما لسره، لأن التلميذ فى هذه الحال كالأرض المزروعه التى يتخذها الإنسان لصلاح حاله: فان كانت تربتها طيبه استقر فيها البذر، فازكى وأينع، ورد أمثال بذره، وإن كانت تربتها فاسده قبيحه، هلك البذر فيها و لم يثمر إلا- ما هو قليل النفع... و واجب التلميذ أيضا أن يكون منقطعاً إلى الأستاذ دائم الدرس لما أخذ عنه، كثير الفكر فيه، فليس فى وسع الأستاذ إلا أن يعلم تلميذه أصول العلم، وعلى التلميذ بعد ذلك أن يروض نفسه على ما قد تعلم.

فاما ما يجب للتلميذ على الأستاذ فهو: أولاً - أن يمتحن الأستاذ قريحه المتعلم، و أعنى بالقريحه جوهر المتعلم الذى طبع عليه، و مقدار ما فيه من القبول، والإصغاء إلى الأدب إذا سمعه، و قدرته على حفظ ما قد تعلمه و على تذكره، فإذا وجد الأستاذ تلميذه قبولاً ذا أرض زكيه، و جوهر ترضع فيه المعلومات كلما ارتسمت فيه، أخذ يسقيه أوائل العلوم التى تتناسب مع قدرته على القبول، و تتناسب مع سنه و خبرته، و لم يزل به يلقيه العلم أولاً أولاً، و كلما احتمل الزيادة زاده، مع امتحانه فيما كان قد تعلمه، فان كان حافظاً لما كان سقاه و غير مضيع له، زاده فى الشرب و التعليم، و ان وجده ينسى و يتخبل فى حفظه، أنقص له المقدار، و عاتبه على ذلك عتاباً كالإيماء من غير إمعان فى التصريح، ثم امتحنه بعد ذلك ثانياً و ثالثاً، فان وجده جارياً على ديدن واحد فى النسيان، هزه بالعتاب و أوجعه بالتقريع، و بالغ فى توبيخه.

و من أوائل العلوم يتدرج الأستاذ بتلميذه من مرتبه إلى مرتبه حتى يصير فى عداد الأستاذين، الذين يجب عليهم للتلامذه مثل ما وجب له فى أول أمره، و إذا بلد التلميذ إلى هذه المرتبه من العلم و من رموزه و صغائره و لطائف ما فيه، أصبح واجبه أن يعلمه، فان لم يفعل ذكره أستاذه بذلك قبل أن ينتقل إلى تلميذ سواه، و الأستاذ الذى يغفل عن تلميذه يكون خائناً، و الخائن لا يؤتمن، و من لا يؤتمن لا يؤخذ عنه علم، لأن العالم لا يكون إلا صادقاً.

و بالجمله فانى أقول: إن سبيل الأستاذ و التلميذ أن يكونا متعاطفين بعضهما على بعض تعاطف قبول، و أن يكون التلميذ كالماده، و الأستاذ له كالصوره - انتهت مقاله الأستاذ و التلميذ.

و إنه لمما [لما] يتصل بموضوع الأستاذ و التلميذ ما قد ذكره جابر فى مواضع كثيره جدا من الطريقه التى ينبغى للدارسين أن يتناولوا كتبه بها، و نخص بالذكر فى سياقنا هذا شروطه التى يشترطها على القارئ، لأنها شروط منهجيه سليمه فى كل بحث علمى يرجع فيه صاحبه إلى النصوص و الأصول و الوثائق.

ذلك أن جابرا يشترط على الدارس أن يقرأ كل كتاب من كتبه ثلاث قراءات متتاليه، لكل قراءه منها هدف خاص: أما القراءه الأولى فلتثبت من صحه ألفاظ النص و من معانى تلك الألفاظ، و أما القراءه الثانيه فلدراسه هذا النص، لا من حيث معانيه المباشره، بل بغيه الوصول إلى مدلولاته البعيده الخفيه، فما أكثر ما يكشف تحليل النص عن معان ما كانت لتظهر لو وقف الدارس عند ظاهر اللفظ وحده، دون الغوص إلى ما هو منظوفى تضاعيفه و ثناياه، و أما القراءه الثالثه فهى لتبويب المعانى و تصنيفها لعلنا نجتمع الشبيه إلى شبيهه، أو نوازن بين المتباين منها، تصنيفا و موازنه من شأنهما أن يبلغنا بنا الغايه المرجوه من موضوع الدراسه (١).

على أن جابرا اشترط كذلك شرطا للقراءه الدراسه الفاحصه، هو أيضا فى صميم المنهج العلمى السليم، إذ يشترط على الدارس أن يجمع كتبه كلها أولا، قبل أن يهجم بقراءه بعضها، لكى يضيف ما فى كل كتاب منها إلى ما فى الآخر (٢)، لأن الكتاب الواحد قد ينفرد بمعنى واحد لا يشاركه فيه غيره (٣) و عندئذ يكون الاكتفاء بدراسه بعض كتبه دون بعض مؤديا إلى تكوين فكره مهوشه ناقصه عن مذهبه، هذا فضلا عن أن كل كتاب من كتبه - كما يقول هو نفسه - إنما يعد شرحا لبقية الكتب كلها، و هو فى ذلك يقول عن كتبه: "فانا إنما نضرب المثل بعد المثل فى المواضيع على تفسير كتاب من كتاب فى مسأله تمر بنا أو شىء مثل ذلك، فان قواعد هذه الكتب إنما هى أنا نذكر فى كل كتاب خاصه لجمعها ليست فى غيره من الكتب، و بعضها يشرح بعضا" (٤).

تعريف الألفاظ:

لقد بلغت الدقه العلميه المنهجيه بجابر مبلغا بعيدا، عند ما أدرك فى وضوح خطر تحديد المعانى الوارده فى أى بحث علمى، تحديدا يبين معالم الموضوع فى حسم و جلاء، و يساعد على استنباط الأفكار بعضها من بعض، و لقد وضع فى "الحدود" - أعنى تعريف الألفاظ العلميه - كتابا سنوجز مادته فيما يلى، لكننا نسارع هنا إلى إثبات عبارته قالها فى تقديره لقيمه كتابه هذا، لأنه تقدير يدل على وعيه الشديد باهميه الموضوع، فيقول: "يا ليت شعرى كيف يتم عمل لمن لم يقرأ كتاب الحدود من كتبنا فإذا قرأته يا أخى، فلا

ص: ٨٣

١- المقاله الثانيه و الستون من "كتاب الخواص الكبير" - مختارات، ص ٣٢٩.

٢- نفس المصدر، ص ٣٣١.

٣- نفس المصدر، ص ٣٢٢.

٤- المقاله الرابعه و العشرون من "كتاب الخواص الكبير" مختارات، ص ٣١٨.

تجعل قراءة تك له مثل قراءه سائر الكتب، بل ينبغي أن تكون قراءة تك للكتب مره فى الشهر، و أما "الحدود" فينبغى أن ينظر فيه كل ساعه، و ان إعطاء الحد أعظم ما فى الباب "(1)"، و أنه فى ذلك لعلى حق، لأنك إذا أحسنت تحديد المعنى الذى تتحدث فيه، قطعت بذلك شوطا بعيدا من طريق البحث الموفق السديد.

يقول جابر فى كتابه: "الحدود" (2) إن الغرض بالحد هو الاحاطه بجوهر المحدود على حقيقته، حتى لا يخرج منه ما هو فيه، و لا يدخل فيه ما ليس منه، فإذا ما حدد الموضوع تحديدا تاما، صار لا يحتمل زياده و لا نقصانا، و التحديد التام إنما يكون بذكر الجنس الذى يندرج تحته النوع المراد تحديده، ثم بذكر الفصل الذى يميز ذلك النوع من بقيه الأنواع التى تندرج معه تحت جنس واحد.

و قد قيل فى الحد إنه لا يحتمل الزيادة و النقصان، لأنك إذا زدت من الحد أدى ذلك إلى نقصان المحدود، كان تضيف إلى حد الإنسان "بأنه حيوان ناطق" بحيث تجعله "حيوان ناطق يسكن جزيره العرب" فعندئذ تنحصر دائره المحدود فى طائفه قليله من الناس، بعد أن كان المحدود هو الناس جميعا، و كذلك إذا انتقصت من الحد، أدى ذلك إلى زياده المحدود، كان تقول فى حد الحمار إنه حيوان ذو أربع قوائم، فتنقص فصله المتمم لنوعه و هو النهاق، و بهذا تتيح بهذا النقصان فى الحد لكل ذى قوائم أربع الدخول فى ذلك الحد، و لا تجعله حدا مقصورا على الحمار وحده، لكن زياده الحد لا تنقص من المحدود إلا إذا كانت زياده تشمل بعض أفراد النوع دون بعضهم الآخر، كان تضيف إلى حد الإنسان عباره "متكلم بالعرييه" فيصبح:

"الإنسان حيوان ناطق متكلم بالعرييه" فالزياده هاهنا تؤدي إلى نقصان المحدود، أما إذا كانت الزيادة صفه شامله للنوع كله، أى أنها خاصه من خصائصه المميزه، مثل إضافه كلمه "الضحاك" إلى حد الإنسان بحيث يصبح هذا الحد هو: "الإنسان حيوان ناطق ضحاك" فمثل هذه الزيادة لا تؤدي إلى نقصان المحدود، و أما النقصان من الحد فهو مؤد إلى زياده المحدود لا محاله على أى وجه جاء هذا النقصان منه، و ذلك لأن الحد مؤلف من الجنس و الفصل الذى يميز النوع و يحدثه، فإذا أنقصنا من الحد أحد فصوله المميزه للنوع دخل فى النوع ما ليس منه...

نعم إن جابر لم يزد شيئا على ما قاله أرسطو فى الحد (التعريف)، و لكن حسبه - و هو العالم الطبيعى - أن يتنبه إلى ضروره الأساس الذى يبنى عليه تحديد المعانى، لكى يقيم عليه العالم بناء العلمى فى دقه منطقيه، و سنورد فى موضع آخر من هذا الكتاب (3) تصنيفه للعلوم و تحديده لها تحديدا يميزها بعضها من بعض، كما قد صنع كل صاحب منهج فى تاريخ الفكر.

رجل التجارب العلميه:

لقد أسلفنا القول فى رأى جابر عن مصدر العلم ما ذا عساه أن يكون؟ و هو أن مصدر العلم وحى أولا ينزل على النبى (ص)، ثم يتوارثه خلفاؤه من بعده - خلفاؤه المعترف بهم عند الشيعة - ثم يجىء التلقين من هؤلاء لمن رأوه من التلاميذ صالحا للتعلم، و معنى ذلك بعباره موجزه أن مصدر العلم أستاذ مؤهل من جهه، و استعداد فطرى عند التلميذ من جهه أخرى.

و الحق انى لا أعرف كيف أوفق توفيقا أطمئن إليه بين هذا الرأى فى مصدر العلم الأول - و هو الوحى ياتى من الخارج - و بين منهجه التجريبي فى بحوثه العمليه، و هو منهج نموذجى فى دقته و فى حرصه على التثبت؟ أ يكون العلم عنده نوعين: فنوع

تلقيني خاص بتحصيل الأحكام الشرعية و ما إليها، و نوع آخر كشفى علمى تجريبى خاص بالعلم الطبيعى؟ يجوز أن يكون الأمر كذلك، لأنه فى تصنيفه للعلوم (٤) قد قسم العلوم قسمين أساسيين: علم الدين و علم الدنيا.

و أيا ما كان الأمر، فلجابر منهج تجريبى يصطنعه فى بحوثه الكيمياويه، جدير بالبسط و التحليل، فهو حريص على أن يقصر نفسه على مشاهداته التى تجيء التجربه مؤيده لها، إذ قد تكون الظاهره المشاهده حدثا عابرا لا يدل على اطراد فى الطبيعه، يقول جابر فى رسم خطته العلميه:

"يجب أن تعلم أنا نذكر فى هذه الكتب (يشير هنا إلى الكتب التى بحث فيها خواص الأشياء) خواص ما رأيناه فقط - دون ما سمعناه أو قيل لنا و قرأناه - بعد أن امتحناه و جربناه، فما صح أوردناه و ما بطل رفضناه، و ما استخرجناه نحن أيضا و قايسناه على أقوال هؤلاء القوم" (٥).

فهو فى هذا النص يهتم اهتماما خاصا "بشهاده الغير" - سواء أ كانت شهاده مقروءه أم مسموعه - هل يؤخذ بها فى البحث العلمى أو لا يؤخذ بها، فتراه لا يعتد بها إلا على سبيل التأييد لما يكون قد وصل إليه هو بتجاربه، و هذا و لا شك إسراف منه فى الحرص، لأن العلم يستحيل أن يخطو فى تقدم مطرد ما لم يأخذ اللاحقون عن السابقين علمهم، و كل ما ينبغى التثبت منه هو أن نستيقن من أمانه أولئك السابقين الذين عنهم نأخذ ما نأخذه، أما أن يقتصر العالم على مشاهداته هو وحده و تجاربه هو وحده، و ألا- يلجا إلى أقوال غيره من العلماء إلا- على سبيل الاستشهاد على صدر ما قد انتهى إليه هو نفسه من مشاهداته و تجاربه، فلذلك التزم لما ليس يلزم، لكنه على كل حال التزم يكشف لنا عن مبلغ دقه هذا العالم فى منهج بحثه، و إنك لتراه فى مواضع أخرى يتخفف بعض الشىء من التزامه المنهجى هذا، و يجيز لنفسه قبول النتائج العلميه التى ينقلها إليه الآخرون، فهو فى ذلك يقول - مثلا-: "و ما لم يبلغنا و لا رأيناه، فانا من ذلك فى عذر مبسوط" (٦) أى أن للعلم المحقق المقبول عنده مصدرين: فاما الرؤيه بحاسته، و إما رؤيه الآخرين كما تبلغه، و لا شك أنه يضمم شرطا لهذا الذى يبلغه عن الآخرين، و هو أن يكون هؤلاء الآخرون من الثقات المكون إلى أمانتهم العلميه.

ص: ٨٤

١- الجزء الأول من كتاب الأحجار على رأى بليناس - مختارات، ص ١٣٨.

٢- مختارات، ص ٩٧-١٠٢.

٣- انظر الفصل الآتى.

٤- انظر الفصل الآتى.

٥- مقاله الأولى من "كتاب الخواص الكبير" - مختارات كراوس، ص ٢٣٢.

٦- الجزء الأول من كتاب الأحجار على رأى بليناس، مختارات، ص ١٣٢.

و هاك عباره وردت فى كتابه "الرحمه" (١) يصف بها تجربه أجراءها، و هى تدل على دقه ملاحظته، قال ما معناه: كان لدى حجر ممغطس يرفع قطعه من الحديد وزنها مائه درهم، و حفظته عندى زما طويلا، ثم جربته على قطعه أخرى من الحديد، فلم يرفعها، فظننت أن هذه القطعه الثانيه من الحديد قد تكون أكبر وزنا من القطعه الأولى، فوزنتها و وجدتها أقل من ثمانين درهما، و من هنا استنتجت أن قوه الحجر الممغطس قد نقصت، على الرغم من ثبات وزنه.

و يطلق جابر اسم "التدريب" على ما نسميه نحن اليوم "تجربه"، و هو يجعل إجراء التدريبات (- التجارب) العلميه شرطا أساسيا للعالم الحق: "فمن كان دربا كان عالما حقا، و من لم يكن دربا لم يكن عالما، و حسبك بالدربه فى جميع الصنائع أن الصانع الدرب يحذق، و غير الدرب يعطل" (٢).

على أن جابرا قد يذكر حقيقه ما على أنها مستنده إلى تجربه أجريت، على حين أن الخطأ فيها واضح، كان يقول مثلا: "إن من أخذ ثورا - و إن كان أحمر اللون فهو أجود - ثم أدخله بيتا فطرح له من ورق الحاشاشيا ثم سد عليه الباب الذى دخل منه، و فتحت له فى أعلاه أربع كوى كما يدور البيت، فترك الثور حتى يموت و يعفن، تولد عنه زنبور النحل (٣) و الخطأ العلمى هنا واضح، فحتى لو أعفيناه من خطأ القول إن حشره ما تتولد من غير طريق نسلها الصحيح، على اعتبار أن هذه الحقيقه العلميه - حقيقه كون الكائن الحى يستحيل أن يتولد إلا عن كائن حى، و لا يتولد قط من غير الحى - أقول إننا لو أعفيناه من هذا الخطأ على اعتبار أن هذه الحقيقه العلميه ربما تكون قد كشفت فى عصر لاحق لعصره، فكيف نغفیه من الخطأ المنهجى فى تفصيله للثور الأحمر فى أداء هذه التجربه؟.

الاستنباط و الاستقراء:

لكننا من قراءه نصوصه استطعنا أن نتلمس مذهبه فى خطوات السير فى طريق البحث العلمى، و هى خطوات تطابق ما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمى اليوم، و هى تتلخص فى ثلاث خطوات رئيسيه: الأولى - أن يستوحى العالم مشاهداته فرضا يفرضه ليفسر الظاهره المراد تفسيرها، و الثانيه - أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه من الوجهه النظرية الصرف، و الثالثه - أن يعود بهذه النتائج إلى الطبيعه ليرى هل تصدق أو لا تصدق على مشاهداته الجديده، فان صدقت تحول الفرض إلى قانون علمى يركن إلى صوابه فى التنبؤ بما عساه أن يحدث فى الطبيعه لو أن ظروفها بعينها توافرت.

فطريق السير إذن هو هذا: مشاهدات توحى بفروض، ثم استنباط للنتائج التى يمكن توليدها من تلك الفروض، ثم مراجعه هذه النتائج على الواقع، و عندئذ فاما أن نقبل الفروض التى فرضناها أو نرفضها تبعا لصدق نتائجها على الواقع، و لقد اصطلح رجال المنطق على أن يطلقوا كلمه "الاستقراء" على مرحلتى المشاهده الأولى و التطبيق الأخير، لأن فى كليهما لمسا للوقائع العينيه و استقراء لها، كما اصطلحوا على أن يطلقوا على مرحله استنباط النتائج التى يمكن توليدها من الفروض، اسم "الاستنباط"، و هو عمليه تتم فى الذهن، و هنالك من العلوم ما هو استنباطى صرف كالرياضه، و منها ما هو استنباطى استقرائى معا كالعلوم الطبيعیه.

أما التفكير الاستنباطى الذى هو رياضى فى طبيعته، فيعتمد على مفاهيم ذهنيه يتسق بعضها مع بعض، بغض النظر عن مطابقتها أو عدم مطابقتها لواقع قائم فى العالم الخارجى، و هو ضرب من التفكير لا مندوحه عنه فى كل بحث علمى حتى لا يتقيد الباحث بحدود ما يقع له فى خبرته الحسيه المباشره، إذ ترى الباحث فى تفكيره الاستنباطى العقلى الخالص، يدير فى ذهنه الأمر من كافه

وجوهه، فيربط فكره بفكره و يستخرج فكره من فكره و هكذا، حتى إذا ما اهتدى بفضل هذه العمليات العقلية الداخليه إلى نتيجته يراها نافعه لو طبقت، فعندئذ يخرج إلى العالم الطبيعي الخارجي ليختبر صدق هذه النتيجة اختبارا يعتمد على الواقع المحسوس، فإذا تبين صدقها أصبحت قانونا علميا أو نظريه علميه تستخدم في الجانب التطبيقي من حياه الإنسان العمليه.

و كان التفكير الاستنباطي الصرف هو المنهج الوحيد الذي يعتد به في العصور القديمه و الوسيطه، لأن التفكير عندئذ كان كله قائما على أسس يفرضها العقل لنفسه فرضا، أو على أسس يوحي بها إلى الإنسان إيهاء، و ما عليه في كلتا الحالتين سوى أن يستنبط النتائج من تلك الفروض المسلم بصدقها، حتى جاءت النهضه الأورويه و جاء معها العلم الطبيعي فعندئذ أحس رجال المنهج الفكري بضروره إضافه منطق جديد يضاف إلى المنطق الأرسطي الاستنباطي الذي كان قد رسم ليسد حاجه التفكير في عصره و العصر الذي تلاه، أحس رجال المنهج الفكري أبان النهضه الأورويه (القرن ١٦-١٧) بالحاجه الملحه إلى منهج استقرائي جديد يصلح لمعالجه الظواهر الطبيعيه على أساس المشاهده و إجراء التجارب.

ثم اندمج المنهجان آخر الأمر في منهج واحد وجد أن لا مناص من اصطناعه في كل بحث علمي منتج، فلا بد من ملاحظه خارجيه أولا، لنستوحيها فروضا نفرضها، ثم لا بد في الوقت نفسه من طريق الاستنباط ننهجه داخل عقولنا لنولد من تلك الفروض التي فرضناها نتائج ننتفع بها في دنيا العمل و التطبيق.

أفليس من حق عالمنا العربي جابر بن حيان علينا، أن نسجل له بالفخر و الاعجاب منهجا فكريا رسمه لنفسه في القرن الثامن و أوائل القرن التاسع الميلادي، و هو منهج لو كتب بلغه عصرنا و لو فصل القول فيه قليلا، لجاء و كأنه من نتاج العصر الحديث، ذلك لأنه منهج اعتمد على الاستنباط و الاستقراء معا، اعتمادا واعيا صريحا، فاقراً - مثلا - هذه الجملة الواحده تجيء عرضا في حديثه ليصف بها منهجه: "...قد عملته بيدي و بعقلي من

ص: ٨٥

١- ماخوذه عن هولميارد في كتابه "الكيمياء حتى عهد دولتن [دولتين]" ص ١٧-١٨.

٢- من كتاب السبعين، مختارات كراوس، ص ٤٦٤.

٣- من كتاب التجميع، مختارات كراوس، ص ٣٦٨.

قبل، و بحث عنه حتى صح و امتحنته فما كذب "(1) فيها هنا قد أجمل صاحبنا كل ما نريده نحن من الباحث العلمى فى كلمات قلائل رتب أدق ما يكون الترتيب، فعمل باليد أولاً، و اعمال للعقل فيما قد حصلته اليد، ثانياً، حتى تنتهى منه إلى نظريه مفروضه، ثم امتحان تطبيقي - ثالثاً - للفرض العقلى الذى فرضناه.

على أن الأمر عنده لا يقتصر على مثل هذه العبارات المقتضبه الموجهه المركزه يصف بها منهجه، بل إنه يفيض الكلام فى ذلك إفاضه كافيه فى مواضع كثيره من كتبه.

فانظر إليه - مثلاً - و هو يوضح لك كيف يمكن للعالم أن يبدأ بالتعريف العقلى لمفهوم ما، ثم يستنبط من هذا التعريف ما يريده من التفاصيل الخاصه بالعلم الذى يتعلق به ذلك المفهوم المعرف، فيقول على سبيل المثال: إننا إذا ما بدأنا بتعريف "الإيقاع" بأنه تأليف عددى، استطعنا أن نستخرج من هذا التعريف سلسله من النتائج التى يلزم بعضها عن بعض، و التى تضع لنا أسس العلم الموسيقى، فالنتيجه الأولى لهذا التعريف هى أنه ما دام الإيقاع هو تأليف عددى فإنه لا بد أن يكون تأليفاً من حركه و ساكن فى مجال النطق و السمع، و من تأليف المتحرك و الساكن تنتج نتيجه هى: أن أوزان الألفاظ تكون كذا و كذا، أما فى مجال الموسيقى، فمن تعريفنا للإيقاع بأنه تأليف عددى، ينتج أن هذا التأليف إما أن يكون فرداً فى العدد أو زوجاً، و الزوج و الفرد ياتلفان معاً على أربع صور: زوج زوج، أو فرد فرد، أو زوج فرد، و العدد الفرد يكون مثل الواحد و أخواته، و الزوج مثل الاثنتين و أخواتها، و يتولد عن ذلك أربع طرائق فى الموسيقى، و هى التى يسمونها بالأسماء الآتية: ثقيل الأول، و ثانى الثقيل، و الرمل، و الهزج، ثم إنهم ولدوا كل واحد من هذه خفيفاً، فصارت ثمانية، و هى:

خفيف ثقيل الأول، و خفيف ثقيل الثانى، و خفيف الرمل، و خفيف الهزج، ثم جعل لكل واحد من هذه نسبة فى الأصابع، فكان خلف هذه فى الأصابع، كخلف تلك فى الحلق و اللسان و الشفتين، إذ إنه قد يحدث من هذه الطرائق بالأصابع ساكن و متحرك، كما حدث لنا فى الحروف ساكن و متحرك، و بهذا تصبح لكل طريقه من طرائق الموسيقى الأربع، أربع صور، و ربما فرقوا بينها بنقره يسيره فصارت ثمانية، أى أن مجموع الصور كلها يكون عندئذ ثمانية فى أربعة، أعنى أنه يكون اثنتين و ثلاثين طريقه...

و هكذا - كما يقول جابر نفسه فى نهايه تحليله السابق - ينتج هذا كله من تعريفنا للإيقاع بأنه تأليف عددى (2).

إلى هذا الحد البعيد يمكن للمنهج الاستنباطى وحده أن يزودنا بحقائق العلوم، على شرط أن نبدأ بتعريفات سديده خصبه، و لهذا ترى جابراً يعنى أكبر العناية بتعريف العلوم - و سنسبط القول فى ذلك فى الفصل التالى - اعتقاداً منه أن التوفيق فى تعريف أى علم شئت، يضمن لنا إلى حد بعيد توفيقاً فى الحقائق التى نحصل عليها من ذلك العلم، فلا غرابه بعد هذا أن نراه يختص "حدود" العلوم (أى تعريفاتها) بكتاب مستقل، يقول عنه:

"يا ليت شعرى كيف يتم عمل لمن لم يقرأ كتاب الحدود من كتبنا، فإذا قرأته يا أخى فلا تجعل قراءتك له مثل قراءه سائر الكتب، بل ينبغى أن تكون قراءتك للكتب مره فى الشهر، و أما الحدود فينبغى أن ينظر فيه كل ساعه، و أن إعطاء الحد أعظم ما فى الباب" (3).

و أما عن الجانب الاستقرائي من المنهج العلمى - و هو جانب يكاد ينسب كله لمناطقه أوروبا ابتداء من النهضه العلميه أبان القرنين السادس عشر و السابع عشر - فقد سبق ابن حيان إلى الكتابه بما يكفى وحده أن يضع هذا العالم بين أئمه المنهج العلمى، فضلا عن منزلته التى اكتسبها بقضاياها العلميه نفسها.

فالاستقراء - على خلاف الاستنباط - ينصب على أشياء الوجود الخارجى، و مداره هناك هو اتخاذ الحاضر شاهدا على الغائب، فمن علمنا بطبيعه الضوء - مثلا - نستطيع أن نتوقع ظواهر ضوئيه معينه تحدث فى المستقبل حين تتوافر ظروف معينه، و من علمنا باتجاه الرياح و مقدار الضغط الجوى و درجه الرطوبه فى الهواء، نستطيع أن نتوقع شيئا عن نزول المطر أو عدم نزوله، و هكذا، و ذلك أننا نحلل الظواهر التى تقع لنا فى مشاهداتنا و تجاربنا تحليلا يربط الجوانب المتلازمه فى الوقوع ربطا يتيح لنا أن نتوقع حدوث بعضها إذا رأينا أن بعضها الآخر قد حدث بالفعل.

فما ذا يقول جابر بن حيان فى المنهج الاستقرائى (دون أن ترد بالطبع كلمه "استقراء" فى سياقه)؟ يقول: إن المشاهد يتعلق بالغائب على ثلاثه أوجه، و هى: (أ) المجانسه، (ب) مجرى العاده، (ج) الآثار (٤)، و سنوجز القول فيما يلي عن الاستقراء القائم على المجانسه، ثم نعقب عليه بذكر الاستقراء عن طريق العاده، و ناسف ألا نجد بين أيدينا ما قاله جابر عن الاستقراء عن طريق "الآثار".

الاستدلال عن طريق المجانسه:

يقول جابر فى ذلك ما مؤداه: ان الاستدلال بالمجانسه هو من قبيل حكمك على شىء ما إذا رأيت نموذجا له، كان ترى - مثلا - حفنه من قمح لتستدل بها على بقيه القمح ما نوعها و ما طبيعتها، على أن الاستدلال على هذا الوجه - فيما يقول جابر - ليس ثابتا و لا صحيحا، و مع ذلك فقد اضطر إليه بعض العلماء اضطرارا، لكن جابرا يعترض على مثل هذا المنهج فى التفكير، لأن وجود النموذج لا يدل بذاته على وجود الكل الذى قيل إنه متمثل فى النموذج المذكور، و من أمثله الأخطاء التى وقع فيها من استخدم هذا المنهج، خطأ الطائفه التى قالت إنه إذ كان فى العالم نور و ظلمه و خير و شر و حسن و قبيح، فإنه يجب أن يكون خارج هذا العالم أيضا نور و ظلمه و خير

ص: ٨٦

- ١- كتاب الخواص، مقاله الثانيه و الثلاثون، مختارات كراوس ص ٣٢٢.
- ٢- كتاب الأحجار على رأى بليناس، ج ١، مختارات كراوس، ص ١٣٨-١٤٠.
- ٣- نفس المرجع، ص ١٣٨.
- ٤- كتاب التصريف، و انه لمما يؤسف له أن المخطوط الموجود يقتصر على المجانسه و مجرى العاده، و أما "الآثار" فقد انقطعت الروايه عن ذكرها، انظر مختارات كراوس ص ٤٢٤.

و شر و حسن و قبيح، لأن ما فى هذا العالم من هذه الأشياء كلها هو بمثابة العينه التى تدل على ما هو خاف عنا فى عالم الغيب، يقول جابر: إن هذا الاستدلال لا يستقيم إلا إذا أثبتوا أولاً أن ما فى هذا العالم هو جزء من كل، و أما إذا لم يثبتوا ذلك امتنعت ضروره النتيجة التى انتهوا إليها، أفلا- يجوز أن يكون النور الذى فى هذا العالم هو كل ما هنالك من نور، و الظلمه هى كل ما هنالك من ظلمه، و هكذا قل فى الخير و الشر و الحسن و القبيح؟ "ألا- ترى أن الأنموذج لا يثبت عند من دفع إليه كم من ذلك الجوهر عند من أراه ذلك الأنموذج، بل لا يثبت عنده بعلم يقين أن عنده من ذلك شيئاً غير ما أراه(١).

و لا- يفوت جابراً هنا أن يعرج بالحديث على كتبه - و هو كثيراً ما يفاخر بها - فيجعلها مثلاً تطبيقياً توضيحياً لمبدأ الاستدلال بطريق المجانسه و مدى ما يعرض صاحبه له من خطأ، فيقول: إن من لم يقرأ كتبى كلها بكل ما فيها من تفصيلات و تعليقات، مكتفياً ببعضها دون الآخر، قمين أن يكون فكره خاطئه، فمن قرأ كتابين من كل فن من فنون كتبى هو أعلم ممن قرأ كتاباً واحداً من كل منها(٢).

و يذكر جابر اعتراضاً قد يوجه إليه فى قوله إن الجزء لا- يؤتمن فى الحكم على الكل، يذكر هذا الاعتراض ليرد عليه، فقد يعترض معترض بقوله:

إن الجزء و الكل أمران متضايقان لا يعقل أن يوجد أحدهما بغير الآخر، فمجرد قولك عن شىء أنه جزء يقتضى بالضروره أن يكون هناك الكل الذى يحتويه، و كذلك مجرد قولك عن شىء أنه كل يقتضى بالضروره أن له أجزاء تدخل فيه، لكن الاعتراض مردود بما يأتى: هذا كله صحيح على شرط أن يثبت لنا أن النموذج المقدم هو جزء، و من أين يجئنا هذا اليقين إذا قدم لنا شىء ما أنه ليس هو الجنس كله، و ليس جزءاً يندرج فى جنس يضمه مع غيره من الأجزاء التى تجانسه؟

الاستدلال المبنى المبنى على جري العاده:

هذا هو الاستدلال الاستقرائى الذى يصل به صاحبه إلى التعميم عن طريق مشاهدته لعدده أمثله يراها متشابهه فى ناحيه من نواحيها فيعمم عليها الحكم تعميماً يجعلها زمره واحده، فكأنما يبنى المستدل تعميماً فى هذه الحاله على عادته يتعودها فى مشاهداته، إذ يتعود أن يرى صفتين - مثلاً - مقترنتين دائماً، فيتوقع بعد ذلك إذا ما رأى إحداهما أن يرى الأخرى، و بطبيعته الحال لا- يكون هذا التوقع قائماً إلا- على أساس احتمالى، إذ ليس هناك ما يمنع أن تجيء الحوادث على غير ما قد شهدها الإنسان فى الماضى، و على غير ما يتوقع لها أن تكون، و أنه لما يستوقف النظر فى هذا الصدد أن نرى تطابقاً تاماً بين ما يقوله جابر بن حيان فى هذا الضرب من الاستدلال، و ما قاله ديفد هيوم فى القرن الثامن عشر، مما يعد أبرز طابع فى فلسفته، فكلاهما ينبه إلى أن الاستدلال الاستقرائى قائم على أساس "العاده" وحدها، و بالتالى فهو استدلال احتمالى لا تحتمه الضروره العقلية، فليس فيه بعبارة ابن حيان:

"علم يقين واجب اضطرارى برهانى أصلاً، بل (فيه) علم اقناعى يبلغ إلى أن يكون أحرى و أولى و أجدر لا غير"(٣).

و يمتضى جابر بن حيان فى الحديث عن الاستدلال الاستقرائى فيقول ما معناه: إن الناس يكثرون من استخدام هذا الاستدلال و يستندون عليه فى أمورهم أكثر مما يستندون إلى أى ضرب آخر من ضروب الاستدلال، لأنه قياس و استقراء للنظائر و استشهاد

بها على الأمر المطلوب إقامه الحجج على صوابه، و ليس هذا الضرب من الاستدلال المبني على الشواهد هو ما يطلق عليه في المصطلح المنطقي "بالبرهان"، إذ البرهان لا يكون إلا في حاله الاستنباط الذي نولد [تولد] به النتيجة من مقدماتها توليدا يجعلها صريحه بعد أن كانت مضمرة في تلك المقدمات، فإذا كانت المقدمات صحيحه لزم بالضرورة أن تكون النتيجة صحيحه كذلك، فالاستقراء و البرهان ضربان متعارضان: الأول احتمالي و الثاني يقيني، الأول يتفاوت قوه و ضعفا "بحسب كثره النظائر و الأمثال المتشابهه و قلتها"، و الثاني لا تفاوت فيه بين قوه و ضعف لأنه لا تفاوت في درجات اليقين، و يقول ابن حيان: إن قوما قد ظنوا أن (الاستقراء يمكن أن يكون مؤديا إلى علم برهاني يقيني، و ذلك إذا اطردت النظائر المتشابهه اطرادا لا يشذ فيه مثل واحد(٤)).

و لهذا يرى ابن حيان أنه جدير بالقول المفصل، حتى لا يختلط أمره في عقول الباحثين، فيقول(٥): إن أضعف استدلال من هذا القبيل هو ذلك الذي لم يوجد له إلا مثال واحد نقيس عليه حكمنا العام، "كرجل قال مثلا: إن امرأه ما ستلد غلاما، فسألناه عن الدليل من أين علم ذلك؟ فأجابنا بان قال: من حيث إنها ولدت في العام الأول غلاما، و لم تكن تلك المرأة ولدت إلا ولدا واحدا فقط". هذه هي أضعف حالات الاستقراء، و أما أقوى حالاته فهي تلك التي نجد جميع ما في الوجود مطردا فيها على مثال واحد، و لا نجد أبدا ما يخالف، "كرجل قال: إن ليلتنا هذه ستتكشف عن يوم يتبعها و يكون بعقبها، فسألناه من أين علم ذلك فأجاب بان قال:

من قبل أني لم أجد ليله و إلا- و انكشفت عن يوم" (٦) تلكما هما أضعف الحالات و أقواها بين حالات التدرج في القوه و الضعف "و أما ما بين هذين فقويه و ضعيفه في الدلاله بحسب كثره النظائر و قلتها، و ليس في هذا الباب علم يقين واجب" فإذا جاز لنا أن نستشهد في أمثال هذه الحالات بحيث نحكم بالحاضر على الغائب، فما ذاك إلا "لما في النفس من الظن و الحسبان، فان الأمور ينبغي أن تجرى على نظام و مشابهه و مماثله، فانك تجد أكثر الناس يجرون أمورهم على هذا الحسبان و الظن، و يكاد أن يكون ذلك يقينا، حتى إنه لو حدث في يوم ما من السنه حادث لترجو حدوث مثل ذلك الحادث بعينه في ذلك اليوم من السنه الأخرى، فان حدث في ذلك اليوم بعينه من هذه السنه مثل ذلك الحادث تأكد عندهم ذلك أن سيحدث مثله في السنه الثالثه، و ان حدث في السنه الثالثه أيضا، حتى إذا حدث ذلك مثلا عشر مرارا في

ص: ٨٧

١- كتاب التصريف، مختارات كراوس، ص ٤١٦.

٢- المرجع نفسه، و الصفحه نفسها.

٣- كتاب التصريف، مختارات كراوس، ص ٤١٨.

٤- المصدر السابق نفسه، الصفحه نفسها.

٥- المصدر السابق نفسه، ص ٤١٩.

٦- المصدر السابق نفسه.

عشر سنين، لم يشكوا البتة في حدوثه في كل سنه تكون من بعد، و إذا كان هذا مقدار ما يقع في النفس من هذا المعنى، فما ترى يكون فيما لم يشاهد قط إلا على ذلك الوجه؟" (١) كالمثل الذي أسلفناه لاستدلال المستدل بان ليلتنا هذه ستفرج عن يوم؟ - هذا ما يقوله ابن حيان، و لا- بد هنا من تنبيه القارئ بقوه إلى نقطتين وردتا في كلامه هذا، يقربانه من رجال المنهج العلمى فى العصور الحديثه، أولاهما إشارته إلى ميل النفس البشرية إلى توقع تكرار الحادثه التى حدثت، فكأنما الاستدلال الاستقرائى مبنى على استعداد فطرى فى طبيعه الإنسان، و إنك لترى هذا المبدأ نفسه عند جون ستوارت مل، و النقطه الثانيه هى كون درجه احتمال التوقع تزداد كلما زاد تكرار الحدوث، و هى نظريه لها اليوم تفصيلات كثيره و لا يتسع المقام هنا للإطناب فى الشرح و التعليق.

و يضرب لنا جابر مثلاً على استخدام الطريقه الاستقرائيه السالف ذكرها - و هى الطريقه التى يوصل فيها إلى التعميم عن طريق اختبار عدد من الأمثله الفرديه المنتميه إلى النوع الذى نعمم الحكم على جميع أفراده - أقول إن جابراً يضرب لنا مثلاً- على استخدام هذه الطريقه فى البحوث العلميه التى وقعت فعلاً فى تاريخ العلم، و المثل الذى يضربه هو جالينوس (٢) فيقول عنه: إن جالينوس مع تمكنه من العلم، و تدرجه فى النظر، قد أخذ المقدمات التى بنى عليها علمه، من الأمثله الفرديه التى وقعت له فى خبرته، ثم جعل هاتيك المقدمات بمشابه المبادئ الأوليه العقلية التى يلزم قبولها، حتى إنه قال فى كتابه البرهان: إن من المقدمات الأوله [الأوليه] فى العقل أنه إذا كان الصيف يتبعه الخريف لا- محاله، فإنه لم يكن إلا بعد خروج الربيع، و يريد جالينوس بهذا أن يقول: إن تسلسل الأحداث كما يقع فى المشاهده حيناً بعد حين، يصبح قانوناً مطرداً يمكن الحكم على أساسه، حكماً لا يتقيد بزمان، و هاهنا يستطرد جابر فى الحديث موجهاً النقد إلى جالينوس على نحو يشهد لجابر بدقه علميه منهجيه ليس بعدها دقه، إذ يقول: " و أنا أحسب أن هذه المقدمه (مقدمه أن الخريف إذا كان يعقب الصيف حتماً، فما ذلك إلا لأن الصيف قد سبقه ربيع) ليست بصحيحه دون أن يصح أن الأزمان لم تزل و لا تزال على مثل ما هى عليه، فإذا لم يصح ذلك فإنه لا يؤمن أن يكون صيف لا يعقبه خريف و لم يتقدمه ربيع" (٣) و مراد جابر بهذا القول هو أن تعاقب الفصول فى المشاهده وحدها لا يضمن لنا سلامه الحكم العام بتعاقبها دائماً، إلا إذا كان فى رءوسنا فرض سابق مضمّر، و هو أن الزمن أزلّى لم تكن له بدايه و لن تكون له نهايه، و هذا الفرض بطبيعه الحال ليس مستمداً من المشاهده، و إنما هو أولى فى العقل، و بغير هذا الفرض السابق، لا يجوز الحكم الحتمى اليقينى الضرورى بان هذا الصيف سيسبقه خريف، إذ قد يكون هذا الصيف هو آخر الزمان، كما أنه لا يجوز الحكم بان صيفا ما فى الماضى قد جاء حتماً بعد ربيع، إذ ربما كان ذلك الصيف أول الزمان و لم يسبقه شىء. و ما يصدق على هذا المثل يصدق على أمثله أخرى كثيره، فهل يجوز منهجياً - مثلاً - أن أحكم على عالى الأفلاك بأنه هكذا كان دائماً، ما دمت أنا و آبائى و جميع القدماء لم يزلوا يرونه مطرداً على هذه الصوره التى نراها، "فقد رصد المنجمون قبل ألوف السنين، فوجدوه على مثال واحد فى إعظامه (أبعاده و أحجامه) و حركاته" (٤)؟ كلا- لا- يجوز لنا ذلك إلا على سبيل الاحتمال المرجح لا على سبيل الضروره و اليقين، إذ من أدرانا ألا يكون هذا الكون مسبقاً بحاله تختلف عن الحاله المشاهده، بل من أدرانا ألا يكون الكون مسبقاً بشىء على الإطلاق؟ و خذ مثلاً آخر: هل يجوز لنا من الوجهه المنهجيه أن نقول إنه ما دام الآدميون هم على الصوره التى نراها، فمحال على إنسان أن يجيء على غير هذه الصوره؟ كلا، فليس هذا الحكم فى وسعنا ما دامت خبرتنا مقصوره على بعض العالم دون بعضه، و على فتره محدوده من الزمن دون بقيه الزمن "فإنه قد يمكن أن يكون موجودات مخالف حكمها فى أشياء حكم ما شهدنا و علمنا، إذ كان التقصير عن إدراك جميع الموجودات لازماً لكل واحد منا" (٥).

و بعد هذه الأمثلة التي يسوقها جابر، ينتهى بنا إلى المبدأ العام، و هو أنه: "ليس لأحد أن يدعى بحق أنه ليس فى الغائب إلا مثل ما شاهد، أو فى الماضى و المستقبل إلا مثل ما فى الآن، إذ كان مقصرا جزئيا، متناهى المده و الاحساس، و كذلك لا ينبغى أن يستدل الإنسان على أن العالم لم يزل (- أزل) من أنه لم يدرك أحد من الناس ابتداء كونه، و لا على أنه لم يكن رجل إلا عن امرأه و رجل، لأنه لم يدرك الأمر إلا كذلك، من قبل أنه يمكن أن يكون وجود الناس متأخرا عن ابتداء كون العالم، و أن يكون كون الإنسان الأول مخالفا لما عليه الأمر فى تكوين سائر الناس..." (٤).

و أحسب أن جابرا قد صور بهذه الفقره السالفه حدود المنهج التجريبي أدق تصوير، فمن المشاهد لا يجوز الحكم على ما لم يشاهد على سبيل الاحتمال، لا على سبيل اليقين، لكنه إذا لم يكن من الجائز القطع بوجود الغائب على أساس الحاضر المشاهد، فكذلك ليس من الجائز إنكار وجود الغائب ما دام هذا الغائب لم يقع فى نطاق الخبره و المشاهده، و إلا لا نحصر الإنسان فى حدود حسه هو، أو فى حدود ما تنهى إليه خبره، و لزمه أن ينكر وجود أشياء كثيره و هى موجوده، ففى العالم بلدان و أمم لم يحس أهلها بالتمساح قط، إذا أخبرهم مخبر بان ثمة حيوانا يحرك لحيته العليا عند المضغ، و جب عليهم أن ينكروا الخبر ما داموا لم يشهدوا حيوانا كهذا؟ كلا، "فليس لأحد أن يدفع و يمنع وجود ما لم يشاهد مثله، بل إنما ينبغى له أن يتوقف عن ذلك حتى يشهد البرهان بوجوده أو عدمه" (٧) و أما أن يحكم الإنسان بعدم وجود شىء ما دام لم يرد عليه أو يخبر به، و أن يحكم ببطلان ما ٣١.

ص: ٨٨

- ١- نفس المصدر، ص ٤١٩-٤٢٠.
- ٢- طبيب من أبوين يونانيين، عاش بين عامى - ٢٠٠ ميلاديه تقريبا. و قد ظل هو الحجه فى الطب حتى القرن ١٦.
- ٣- كتاب التصريف، مختارات كراوس، ص ٤٢٠.
- ٤- المصدر السابق، ص ٤٢١.
- ٥- المصدر السابق، ص ٤٢١.
- ٦- المصدر السابق، ص ٤٢٢.
- ٧- المرجع السابق، ص ٤٢٣.

يخبر به ما دام لم يقع له في مشاهداته المباشرة، "فجهل بطريق الاستدلال - على ما قدرنا - واضح" (١).

إن الدهريين ليستندون في إنكارهم لخلق العالم إلى أن أحدا من الناس لم يشاهد قط عالما بدئ بتكوينه، حتى يجوز لنا القول بان عالمنا هذا قد كان له بدايه، لكننا - على أساس المنهج الاستدلالي الذي شرحناه - نسألهم بدورنا: أولا - لما ذا لا يكون الإنسان قد خلق بعد خلق الكون بدهر طويل، بحيث لم يتح له أن يشهد البدء؟ وإذا سلمنا بذلك فهل يحق للإنسان أن يحكم بقدوم وجود بدء للخلق ما دام مثل هذا البدء لم يقع في خبرته المباشرة؟ و ثانيا - أفرض أن هنالك مدينه أو قصر لا يذكر أحد متى بنيت تلك المدينه أو متى بنى ذلك القصر، أفنقول - إذن - إن المدينه أو القصر ليس لها أوله أول على غرار ما يقول الدهريون عن قدم العالم؟ فإذا قال الدهرى إنه في حاله المدينه أو القصر لا يقول بالقدم، لأنه قد شاهد المدن و القصور تبنى ابتداء، فليس عليه من حرج أن يقيس على ما يرى، فردنا عليه هو: على أى أساس تحكم بان ما يشبه ما قد رأيتك يكون عندك صوابا مع أنك لم تشهده، و ما ليس يشبه ما قد رأيتك يكون عندك خطأ؟ إنك في كلتا الحالتين لم تشاهد هذا الذى حكمت عليه بحكم ما، و وجود شبيهه فى خبرتك أو عدم وجوده - ان دل على احتمال - فهو لا يدل على صدق ضرورى لازم واجب يقينى محتوم.

إن من حق جابر علينا أن نسجل له هنا بهذا الذى أوردناه عنه فى موضوع الاستقراء، من أنه يؤدى إلى الحكم الاحتمالى فقط دون اليقين، سبقا لرجال المنهج العلمى فى العصور الحديثه، الذين أوشكوا اليوم - منذ "ديفد هيوم" - أن يكونوا على إجماع فى هذا، حتى لقد أصبح من أبرز الخصائص التى تميز العلم اليوم أنه احتمالى النتائج ما دام قائما على أسس استقرائيه، و ان رجال المنطق اليوم ليصطلحون على تسميه هذه المشكله كلها "بمشكله الاستقراء" و مؤداها: كيف نوفق بين أن يكون منهج العلم استقرائيا، و أن تكون قضاياه مقبوله الصدق؟

المنهج الرياضى فى البحث العلمى:

إنه إذا كانت المشاهده الاستقرائيه وحدها غير مؤديه إلى يقين، و جب علينا أن نلتمس مصدرا آخر لليقين إذا أردنا، و مصدره - عند جابر - هو المبادئ العقلية التى تدرك بالعيان العقلى المباشر، ثم ترتب عليها النتائج المستنبطه منها، فاما المبادئ العقلية فلا برهان على صدرها لأنها مدرکه إدراكا مباشرا، و أما النتائج فصدقها مضمون ما دام استنباطها من تلك المبادئ سليما.

يقول جابر ما نصه: "إنه ينبغى أن تعلم أولا- موضع الأوائل و الثوانى فى العقل، كيف هى، حتى لا-شك فى شىء منها، و لا تطالب فى الأوائل بدليل، و تستوفى الثانى منها بدلالته" (٢)- و ان هذا النص القصير الموجز ليرسم حدود المنهج الرياضى فى تركيز واضح، و لسنا نقصر "المنهج الرياضى" على العلوم الرياضيه وحدها، بل إنه منهج ينتهج فى أى بحث علمى آخر ما دام الباحث ينشد يقين النتائج و لا يكتفى بالنتائج الظنيه، و هو منهج يوصى به فلاسفه كثيرون، و على رأسهم ديكارت فى تاريخ الفكر الأوروبى الحديث، فلو شئت تلخيصا للمنهج الديكارتي كله، لما وجدت خيرا من هذا النص الموجز الذى أسلفناه عن جابر بن حيان.

يفرق جابر فى النص المذكور بين ما أسماه "بالأوائل" و ما أسماه "بالثوانى" فى العقل، أما الأوائل فهى بطبيعه كونها أوله فى العقل لا تكون مستنبطه من سواها، و إلا لما كانت أوله و لسبقها غيرها، هو هذا الذى استنبطناها منه، و لذلك فلا يطلب على

صدق "الأوائل" برهان سوى حدسها حدسا صدقا و مباشرا، أو رؤيتها بالعيان العقلي رؤيه مباشره، و أما "الثواني" فهي التي تأتي بعد ذلك عن طريق الاستنباط من "الأوائل"، و هذه الثواني هي التي يطلب عليها الدليل، و دليلها هو أن يردها الباحث إلى الأوائل التي جاءت الثواني منها نتائج لازمه عنها، فهكذا تكون الرياضه - كالمهندسه مثلا - إذ تبدأ بمسلمات مفروضه الصدق، و لا يطلب على صدقها برهان، ثم تستنبط منها "النظريات" التي يكون دليل صدقها هو إرجاعها إلى المسلمات الأوليه التي منها جاءت.

و إن رجال المنهج العلمى ليختلفون - و ما يزالون يختلفون إلى يومنا هذا - أى المنهجين أولى فى البحث العلمى: الاستقراء الذى قصاره نتائج محتلمه الصدق، أم الاستنباط الذى يضمن اليقين فى النتائج، على شرط أن تكون مقدماته يقينيه، و لا تكون المقدمات كذلك إلا- إذا جاءت عن غير طريق الملاحظه الخارجيه، أى أنها تجيء عن طريق الإدراك الحدسى المباشر من الداخل؟ أم أنه لا بد من الجمع بين هذا و ذاك: فنلاحظ ظواهر الطبيعه أولا، ثم نحدس بالعيان العقلي فرضا نفرضه لتفسير ما قد لاحظناه، ثم نركن إلى الاستنباط فى استخراج ما يلزم عن ذلك الفرض لزوما عقليا؟... ان لكل من هذه الاتجاهات من يناصره، "ففرانسس بيكن" (١٥٦١ - ١٦٢٦) مثلا- نصير للملاحظه الخارجيه وحدها، و "ديكارت" (١٥٩٦ - ١٦٥٠) نصير للاستنباط العقلي وحده، و "جون ديوى" (١٨٥٩ - ١٩٥٢) نصير للجمع بين الملاحظه الخارجيه و الاستنباط معا.

و ها هو ذا عالمنا العربى جابر بن حيان - فيما نرى - يضطر إلى الاستنباط و الاستقراء معا فى منهجه، و ان يكن - فيما أظن - لا يجمع بينهما فى عمليه منهجيه واحده، إذ يجعل لهذا موضعه و لذاك موضعه، فبينما تراه يؤكد ضروره الملاحظه الخارجيه فى تجاربه العلميه - كما أسلفنا القول فى ذلك، تراه من ناحيه أخرى يبنى مذهبه العلمى كله على أساس لو حللته لوجدته هو المنهج الرياضى الاستنباطى بعينه، فحدوس أوليه يراها العقل رؤيه مباشره (أو يوحى بها إلى نبى ثم يتوارثها الخلفاء الشرعيون من بعده) ثم نتائج تلزم عن تلك الحدوس.

فليس الفرق بين المنهجين - فى حقيقه الأمر - فرقا سطحيا و كفى، بل إنه ليضرب بجذوره إلى أعماق الفلسفه التي يصطنعها الباحث العلمى عن الكون: أ هو يسير على اطرادات يجيء فيها تعاقب الأحداث أمرا واقعا لكنه لا يهدف إلى شىء، أم أنه يسير على خطه عقليه تستهدف غايه معلومه؟ فان كانت الأولى فما على العالم إلا أن يلاحظ تعاقب الأحداث المطرده و يسجل

ص: ٨٩

١- المرجع السابق، ص ٤٢٣.

٢- مقاله الأولى من كتاب الخواص الكبير، مختارات كراوس، ص ٢٣٤.

ملاحظاته فتكون هي قوانين الطبيعة، و إن كانت الثانية فالأمر أمر تحليل عقلي يرتد بنا إلى المبدأ الأول الذى عنه صدرت الظواهر كلها، فها هنا فى هذه الحالة الثانية تكون العلاقة السببيه بين الظواهر علاقة ضروريه، بمعنى ان المسبب يكون كامنا فى السبب بالقوه، ثم يخرج إلى الظهور بالفعل خروج النتيجة العقليه من مقدمتها الملزمه لها، لا مجرد ظهور اللاحق الذى يلحق سابقه دون أن تكون بينهما أيه رابطه باطنيه داخلية تجعل طبيعه اللاحق منبثقه من طبيعه السابق.

و لست أشك فى أن فلسفه جابر الكونيه هى فلسفه عقليه تربط الأشياء بالروابط السببيه الضروريه، التى يكشف عنها التحليل العقلي، فالسببيه عنده هى سببيه الكمون أو هى سببيه المحايينه - كما تسمى أحيانا - هى السببيه التى لا تجعل تلاحق السبب و المسبب أمرا عارضا قد يكون و قد لا يكون، بل تجعله أمرا ضروريا محتوما، ما دام المسبب كان موجودا فى سببه بالقوه قبل ظهوره بالفعل، فكأنما السبب يلد مسببه ولاده طبيعیه، يقول جابر: "إن فى الأشياء كلها وجودا للأشياء كلها، و لكن على وجوه من الإخراج" (١) و أظن أن دلالة هذه الجملة واضحه فى أن الكون كله مترابط فى وحده واحده، فإذا رأينا يتخذ ظواهر متعدده، فهذه الظواهر يرتد بعضها إلى بعض و يخرج بعضها من بعض، و الكل فى النهايه يرجع إلى أصل واحد كان يحمل كل شىء فى جوفه بالقوه ثم ظهر منه كل شىء بالفعل، و العقل - دون مشاهدته الحواس - هو بالطبع ما يدرك هذه الرابطة بين الأشياء المختلفه فى ظاهرها، المتحداه فى أصلها و مصدرها، على أن الأشياء يخرج بعضها من بعض على صورته طبيعیه أحيانا، و على صورته مصطنعه مدبره من الإنسان أحيانا أخرى، و هذه الحاله الثانيه هى مجال العلم، أى أن التجارب العلميه فى إخراج الأشياء بعضها من بعض إنما تحاكي الطبيعه فيما تؤديه من هذا الإخراج، فيقول جابر فى ذلك: "التدبير على القصد المستقيم (-) التجربه العلميه السليمه) هو الذى يخرج ما فى قوى الأشياء، مما هو لها بالقوه، إلى الفعل، فيما يخرج هو بطبعه، و فيما لا يخرج حتى يخرج" (٢).

الاستنباط العقلي إذن ضرورى لكى نستعين به على إدراك الروابط الضروريه بين الأشياء، لكن الاستقراء أيضا ضرورى لكى نستعين بمنهجه على إجراء التجارب التى نحاكى بها الطبيعه فى إخراج شىء من شىء، فكيف نجتمع بين المنهجين؟ إن لجابر عبارته وردت فى كتابه: "الأحجار على رأى بليناس" (٣) أراها - مع شىء من الاجتهاد فى التأويل - تصف لنا كيف يكون الجمع بين المنهجين فى الطريقه العلميه، و هذه العبارة هى: "ينبغى أن تفرد ما أخرجه لك الهجاء، عما أخرجه لك الحدس، لتطلب مثل ما أخرجه الحدس بالاضافه إلى الصوره، ليصير لك الشكلا شكلا واحدا" - فما معنى ذلك؟ إن أحد المبادئ المنهجيه عند ابن حيان مبدأ سفيض القول فيه فيما بعد (٤)، و هو أن اسم الشىء دال بحروفه على طبيعه ذلك الشىء، و إذن فمن أحرف الهجاء التى منها تتركب أسماء الأشياء، تستطيع أن تستدل على طبائع الأشياء التى على أساسها تجرى تجاربك العلميه فى إخراج الأشياء بعضها من بعض، و هذا هو جانب واحد من البحث، و أما الجانب الثانى فهو أن تستلهم الحدس العقلي ما ذا عسى أن تكون طبيعه شىء معين تريد معرفه تركيبه، فبالحدس العقلي و ما يبنى [يبنى] عليه من استنباطات عقليه صرف، يمكنك أن تعرف - مثلا - طبيعه النحاس أو الذهب، دون أن تلجأ إلى ملاحظه خارجيه لخصائص هذين المعدنين، و بهذا تتكامل عندك نتيجتان عما تريد العلم به: إحداهما جاءت عن طريق البحث فى اسم هذا الشىء الذى تريد أن تحيط به علما، و ما تدل عليه الأحرف المكنونه لهذا الاسم، و الأخرى جاءت عن طريق التفكير العقلي الباطنى الخالص، فإذا تطابقت النتيجتان كان بها، و إلا فإذا اختلفتا فعليك أن تكمل النتيجة التى جاءت عن طريق البحث الظاهرى بما قد دلت عليه النتيجة التى جاءت عن طريق التفكير الباطنى، أى أن الأولويه لحكم العقل، فهو معيارنا الأخير فى استقامه الأحكام التى تجىء عن طريق البحث فى الظواهر

فمهما يكن من قيمه البحث فى الظاهر، فلا- مناص لنا من الرجوع آخر الأمر إلى ما يحكم به العيان العقلى لنتهدى به سواء السبيل، و هذا العيان العقلى لا- يكون لك ولى من أفراد الناس، بل يكون بادئ ذى بدء و حيا يوحى به إلى نبى ثم يتوارث، و بغير هذا السند نظل نتخبط أى يكون الحق و أين يكون الباطل، فلشكوك - فى رأى جابر - لا- تنجاب " إلا بالعيان و باقامه البرهان... و إقامه البرهان لا تكون إلا بالعيان... و العيان من أفعال الأنبياء " (٥) و هذا هو بعينه ما يقوله حين يقول أيضا: " فوالله ما لى فى هذه الكتب إلا تاليفها، و الباقي علم النبى " (٦).

من أخلاق العلماء:

لقد نثر ابن حيان فى غضون مؤلفاته مبادئ يراها لازمه لكل من يتصدى للبحث العلمى، فهى - إذا شئت - المنهج الخلقى للعلماء، و من هذه المبادئ انصاف الخصوم، و الإنصاف يقتضى كذلك أن ينصف الباحث نفسه إزاء خصومه، فليس من الإنصاف الكامل أن توفى خصومك حقوقهم ثم تفرط فى حق نفسك عندهم، لأن المسأله بينك و بينهم مسأله حق يراد بلوغه، فإذا كنت بصدد خصم علمى فى فكره بعينها، فواجبك أن تعرض حججه كلها، حجه حجه، لا تترك منها شيئا و أنت عامد، و لا تضيف إليها من عندك شيئا و أنت عامد، ثم تذكر عن كل حجه ما لها و ما عليها من وجهه نظرك، يقول ابن حيان: " إن العالم إذا كان منصفا فإنه ليس ينزل فى الأقسام شيئا إلا ذكره، و احتج عليه و له، و أخذ حقه من خصومه، و وفاهم حقوقهم، و إلا فقد وقع العناد حماقه و جهلا " (٧).

ص: ٩٠

١- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٤.

٢- نفس المصدر، ص ٧.

٣- مختارات كراوس، ص ١٣٤.

٤- انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

٥- كتاب الخواص، مختارات كراوس، ص ٣٣٢.

٦- نفس المصدر، ص ٣١٧.

٧- كتاب التجميع، مختارات كراوس، ص ٣٦٣.

و من المبادئ الخلقية للعالم أن يكون مثابرا دؤوبا غير يائس من الكشف عن الحقيقه المنشوده، فما أكثر ما يقتضى البحث عناء شديدا، قد لا يحتمله الباحث فينفض عنه فى قنوط، لكن الذى يريد الاحاطه بعلم ما من جميع فروعہ إحاطه تتيح له أن يتكلم فى أصوله، وجبت عليه - كما يقول جابر - المثابره التى لا تعرف إلى الياس سبيلا، و يستشهد جابر من هذا السياق بالآيه الكريمة: لا- تياسوا من روح الله أنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون و هو يوجه الخطاب إلى مولاه فيقول: و قد سمعت ما جاء به النبى (ص) فى القنوط، و أحذرك أن تصير إلى هذه الحال فتندم حين لا ينفعك الندم، و الله أعلم بأمرک،... و و حق سيدى ع إن لم تقبل لتكونن مثل رعاع العامه السفله الأجناد، لعنهم الله أكثر مما قد لعنهم" (١).

و يؤكد جابر لقارئه أنه لا نجاح فى عمل علمى إلا إذا كان مسبوqa بعلم، فالتحصيل النظرى أولا ثم التجريه و التطبيق ثانيا، نعم ان هذا التحصيل الكامل قد يقتضى تعباً و جهداً، لكنه لا مناص من ذلك إذا أريد الوصول، يقول: "أتعب أولا تعباً واحداً، و اجمع، و انظر، و اعلم، ثم اعمل، فانك لا تصل أولا، ثم تصل إلى ما تريد" (٢).

و مبدأ آخر يوصى ابن حيان، و هو - فيما أرى - أدخل فى المبادئ التربويه منه فى مبادئ المنهج العلمى فى إجراء البحوث، لكنه على كل حال طابع يميز جابرا و يصور لنا شخصيته تصويرا واضحا، ألا و هو التكنم و التخفى، فواجب العلماء - فى رأيه - أن يتكتموا علمهم، فلا يكشفوه إلا فى الظروف الملائمه و إلا للأشخاص الذين يستحقونه و يطيقونه و يستطيعون حمله بما يتفق و كرامته، لأنك إذا صببت فى إنسان علما أكثر مما يطيق، كنت كمن يضع فى إناء أكثر مما يسع فيذهب الأمر هباء، لا بل إنك لترهق ذلك الإنسان و تحرقه بما تحمله إياه من علم يعجز عن حمله: "و لو لا- أننى أمرت أن أعطى الناس بقدر استحقاقهم لكشفت من نور الحكمة ما يكون معه الشفاء الأقصى، و لكنى أمرت بذلك لما فيه من الحكمة، لأن العلم - يا أخى - لا يحمله الإنسان إلا على قدر طاقته و إلا أحرقه، كما لا يقدر الإناء و الحيوان أن يحمل إلا بقدر طاقته و ملئه، و إلا فاض، و رجع بالذل و العجز" (٣).

روى الجلدكى فى شرح المكتسب عن جابر بن حيان روايه (٤) تبين وجهه نظر ابن حيان فى وجوب تكتم العالم حتى يصادف الظروف المواتيه، و ذلك أن تلميذا أراد التعلم و الأخذ عنه، فمأمله جابر و راوغه، فلما أصر التلميذ و لم يتحول عن طلبته، قال جابر: "إنما أردت أن أختبرك و أعلم حقيقه مكان الإدراك منك، و لتكن من أهل هذا العلم على حذر ممن يأخذه عنك، و اعلم أن من المفترض علينا كتمان هذا العلم، و تحريم إذاعته لغير المستحق من بنى نوعنا، و أن لا نكتمه عن أهله، لأن وضع الأشياء فى محالها من الأمور الواجبه، و لأن فى إذاعته خراب العالم، و فى كتمانها عن أهله تضييع لهم".

و نختم حديثنا عن منهج ابن حيان بموجز لهذا المنهج يضغطه فى عشر نقط (٥)، هى:

١ - على صاحب التجريه العلميه أن يعرف عله قيامه بالتجريه التى يجريها.

٢ - على صاحب التجريه العلميه أن يفهم الارشادات فهما جيدا.

٣ - ينبغى اجتناب ما هو مستحيل و ما هو عقيم.

تجب العناية باختيار الزمن الملائم و الفصل المناسب من فصول العام (فى هذه الفقره إشاره إلى اعتراف جابر بتأثير النجوم و

مواضعها فى البحوث العلميه كما سيرد ذكر ذلك مفصلا فى هذا الكتاب).

٥ - يحسن أن يكون المعمل فى مكان معزول.

٦ - يجب أن يتخذ الكيموى أصدقاءه ممن يثق فيهم.

٧ - ولا بد أن يكون لديه الفراغ الذى يمكنه من إجراء تجاربه.

٨ - وأن يكون صبورا كتوما.

٩ - وأن يكون دؤوبا.

١٠ - وألا يتخذه الظواهر فيتسرع فى الوصول بتجاربه إلى نتائجها.

تصنيف العلوم

إشاره

إنه لمما يتصل اتصالا وثيقا بالمنهج عند العالم الفيلسوف أو عند الفيلسوف العالم، أن يصنف العلوم تصنيفا يبين حدودها و العلاقه القائمه بينها، و ان الأمر هنا ليجتاج إلى نظره واسعه شامله تنظر إلى المعرفه الإنسانيه جمله واحده، فلئن كان المختص فى علم واحد ملما بأطراف علمه و حدوده، فهو لا يشمل بنظرته ما وراء هذا العلم المعين من علوم أخرى، لا بد أن تكون على صله به بعيده أو قريبه، ما دام العالم [العالم] عالما واحدا، و لعل هذا الفرق بين النظره المحدوده بحدود علم واحد، و النظره الشامله للعلوم جميعها فى علاقاتها بعضها ببعض، أقول لعل هذا الفرق بين النظرتين هو أبرز ما يميز نظره العلم الصرف من نظره الفلسفه، فالفلسفه دائما تعنى بالتفكير العلمى فى عصرها، أعنى أنها لا تختلف عن العلم أصلا و جوهرها، و أما موضع الاختلاف بينهما فهو درجتا التخصيص أو التعميم. فالعلم الواحد يختص بموضوع واحد، و الفلسفه تحلل لتصل إلى القاعده العميقه التى تشترك فيها العلوم كلها، و عنها تنفرع، و بديهي أن تكون هذه القاعده المنشوده غايه فى التعميم، ما دامت تغض النظر عن الاختلافات النوعيه جميعا، و هى الاختلافات التى تفرق بين علم و علم.

فلا تكاد تجد فى تاريخ الفلسفه فيلسوفا لم يتناول علوم عصره

ص: ٩١

١- المقاله الرابعه و العشرون من كتاب الخواص الكبير، مختارات كراوس ص ٣١٧.

٢- نفس المرجع، ص ٣٢٣-٣٢٤.

٣- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٤٧.

٤- حاجى خليفه، كشف الظنون، ص ٣٤٣-٣٤٤.

بالتصنيف، و لئن اختلف الفلاسفه فى تصنيفهم للعلوم، فذلك راجع - فضلا عن اختلافاتهم فى وجهه النظر - راجع إلى اختلاف العلوم نفسها عصرا بعد عصر، فلا وجه للغرابه - إذن - أن نجد تصنيف جابر لعلوم عصره مشتملا على جوانب لا نقرها نحن اليوم بين العلوم المعترف بها فى عصرنا.

ردف ابن حيان بين ثلاث كلمات فجعلها بمعنى واحد، وهى "العلم" و "العقل" و "النور"، ولو فهمنا كلمه "النور" بمعنى الإشراف العقلى الذى يتيح للإنسان أن يدرك حقيقه ما يعاينه العقلى المباشر، أى أنه يدركها بحدسه الصادق و لقائته - و قد استعمل ديكارت كلمه "النور" فى مسأله الإدراك بهذا المعنى، فهو استعمال مجازى قريب إلى الأذهان - أقول إننا لو فهمنا كلمه "النور" بمعنى "الحدس" الصادق المهتدى بطريق مباشر إلى الحقيقه المدركه، لكانت الكلمات الثلاث المترادفه عنده هى: "الحدس" و "العقل" و "العلم"، و لهذه المرادفه مغزى بعيد، إذ تدل على أن العلم عند ابن حيان عمليه عرفانيه صرف، تكشف عن حقائق موجوده قائمه، و لا- تخلق ما ليس موجودا و لا قائما، أو إن شئت فقل إن العلم عنده عمليه فيها إدراك و لكن ليس فيها إراده و نزوع إلى فعل، أى أن العلم ليس من شأنه أن يغير شيئا، فالعالم هناك بعناصره و كفياته منذ الأزل، فكما تنير مصباحا فى غرفه مظلمه فتكشف بضوء المصباح عن أثاث الغرفه دون أن تضيف إليه شيئا أو أن تغير من أوضاعه شيئا، فكذلك علم العالم إزاء الكون و موجوداته، فهو "نور" يكشف لصاحبه عما هنالك و كفى، و هذا يقتضى أن يتساوى موقفان: موقف تكون الحقائق التى تنكشف لنا مما يمكن أن يتحول إلى فعل، و موقف آخر لا تكون الحقائق المكتشفه فيه مما ينفع فى تغيير الأشياء.

و الحق أن قد لبثت الفلسفه طوال العصر القديم و العصر الوسيط، تنظر إلى الحقيقه من جانبها العرفانى الادراكى الصرف، فيكفى الإنسان أن "يعرف" ما هنالك، بغض النظر عن طبيعه هذه المعرفه من حيث علاقتها بجانب الإراده الفاعله النشيطه، حتى جاء عصر النهضه الأوربيه و نادى فرانسس بيكن بدعوته القويه نحو أن يكون "العلم قوه" - و هذه عباره بيكن - قاصدا بذلك أن يقصر كلمه "العلم" بمعناها الصحيح على ما يزود الإنسان بالقدره على الفعل، و إذا لم يكن للمعرفه التى نحصلها أو نكشف عنها هذه القابليه، فليست هى عنده من العلم فى شىء - و غنى عن البيان أن المدرسه البرگماتيه المعاصره تعد تلبيه لدعوه بيكن هذه.

و نعود إلى عالمنا الفيلسوف جابر بن حيان، و نقول إنه رادف بين:

"العلم" و "العقل" و "النور" (- الحدس الصادق)، أى أنه لا يشترط فى العلم أن يكون قابلا للتطبيق و الفعل (1)، و هذه هى عبارته بنصها:

"العلم نور، و العقل نور، فالعلم عقل، و النور عقل، كل واحده من هذه يمكن أن تكون مقدمه، و يمكن أن تكون وسطا، فتقول: كل علم عقل، و كل عقل نور، فالنتيجه كل علم نور، و كذلك إذا قدم العقل و جعل العلم وسطا، كان كذلك (يعنى أنك تستطيع أن تقول كل عقل علم و كل علم نور، فالنتيجه كل عقل نور) و كذلك إذا قدم النور و جعل العلم وسطا، فكان: كل نور علم، و كل علم عقل، فالنتيجه كل نور عقل" (2).

و فيما يلى مخطط بالعلوم كما يصنفها جابر بن حيان، استخرجناه من أقواله، و سنعقب عليه بتعريفاته لهذه العلوم علما علما، مع

ملاحظه أنه يقدم لكل علم تعريفين، لأنه ينظر إلى كل علم من زاويتين: فتعريف العلم منظورا إليه من ناحيه الطريق التي يعلم بها، و تعريف آخر للعلم نفسه منظورا إليه من حيث هو علم قائم بذاته، سواء وجد من يتعلمه أو لم يوجد، بعبارة أخرى، التعريف الأول لكل علم هو تعريف له في علاقته بالإنسان الذي يحصله، أى أنه تعريف له من الناحيه التربويه، و أما التعريف الثانى فهو تعريف للعلم المعين فى حدوده الموضوعيه المستقله عن الإنسان(٣).س.

ص: ٩٢

١- لكن جابرا أراد أن يعرف "علم الدنيا" قال عنه: إنه العلم بما يجلب النفع و يدفع الضرر - راجع فقره ٢٠ و ما بعدها فى هذا الفصل.

٢- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٤٨.

٣- تصنيف العلوم و تعريفها و اردان فى: "كتاب الحدود" و هو من المختارات التي نشرها پول كراوس.

١ - علم الدين:

أ - التعريف من طريق التعليم:

هو صور يتحلى بها العقل ليستعملها فيما يرجو الانتفاع به بعد الموت، و ليس يعترض على هذا طلب رئاسه الدنيا، و لا إعظام الناس له من أجلها، و لا الحيله عليهم باظهارها، لأن كل ذلك ليس هو لها بالذات، لكن بطريق العرض. ب - تعريف علم الدين فى ذاته:

هو الأفعال المأمور بإتيانها للصلاح فيما بعد الموت.

٢ - علم الدنيا:

أ - هو الصور التى يقتنيها العقل و النفس، لاجتلاب المنافع و دفع المضار قبل الموت، و إنما قلنا فى هذا الحد: " يقتنيها العقل و النفس " لأن من المنافع و المضار أشياء متعلقه بالشهوه، و هى من خواص النفس، فعلم هذه مقصور على النفس، إذ كان العقل عدوا للشهوه، و منها أشياء متعلقه بالرأى، فعلمها مقصور على العقل، فلذلك احتجنا فى الحد إليهما.

ص: ٩٣

ب - هو جميع ما فى عالم الكون من الحوادث، الضاره و النافعه، باى وجه كان ذلك فيها(١).

٣ - العلم الشرعى (من علوم الدين):

أ - هو العلم المقصود به أفضل السياسات النافعه دينا و دنيا، لما كان من منافع الدنيا نافعا بعد الموت، و إنما خصصنا هذا النوع من منافع الدنيا لأن ما لم يكن من منافعها هذه حاله، و لا تعلق له بالدين، فلا يدخل فى هذا التعريف.

ب - هو السنن المقصود بها سياسه العامه على وجه يصلحون فيه صلاحا نافعا فى عاجل أمرهم و آجله.

٤ - العلم العقلى (من علوم الدين):

أ - هو علم ما غاب عن الحواس، و تحلى به العقل الجزئى من أحوال العله الأولى و أحوال نفسه، و أحوال العقل الكلى و النفس الكليه و الجزئيه، فيما يتعجل به الفضيله فى عالم السكون، و يتوصل به إلى عالم البقاء.

ب - هو الجوهر البسيط القابل لصور الأشياء ذوات الصور و المعانى على حقائقها، كقبول المرآه لما قابلها من الصور و الأشكال ذوات الألوان و الأصباغ.

٥ - علم الحروف (من الجانب العقلى فى علوم الدين):

أ -

ب - هو الأشكال الداله بالمواضعه على الأصوات المقطعه تقطيعا يدل بنظمه على المعانى بالمواطاه عليها.

٦ - علم المعانى (معانى الكلمات، و هو من الجانب العقلى فى علوم الدين):

أ - هو العلم المحيط بمباحث الحروف الأربعة، أى الكلمات الأربعة، و هى: هل، ما، كيف، لم (الهليه، و المائيه، و الكيفيه، و اللميه) - أعنى هو العلم الذى يحيط بالأشياء من حيث أصلها و صفاتها و الهدف المقصود من وجودها.

ب - هو الصور المقصود بالحروف إلى الدلاله عليها.

٧ - علم معانى الحروف الطبيعى:(٢)

أ - هو العلم بالطبائع الخاصه التى تدل عليها حروف الكلمات، إذ أن كل كلمه داله على طبيعه مسمماها بالأحرف التى ركبت منها.

ب - هو الاحاطه بالوسائل التى نستحدث بها كائنات ذوات طبائع معينه. ٨ - علم معانى الحروف الروحانى:

أ - هو العلم بالأشكال المؤتلفه من النور و الظلمه.

ب - الروح هو الشيء اللطيف الجارى مجرى الصورة الفاعله.

٩ - العلم النوراني (و هو أحد فرعى علم الحروف الروحاني):

أ - هو العلم بحقيقه النور الفائض على الكل.

ب - النور هو الجوهر الذى يكسب جميع الأشياء بياضا مشرقا بالمازجه، بحسب قبول تلك الأشياء، على اختلافها فى القبول.

١٠ - العلم الظلماني (و هو الفرع الآخر من فرعى علم الحروف الروحاني):

أ - هو العلم بما هو ضد للنور، و كيفيه تضاده، و عله ذلك التضاد، و لا- نقول هو العلم بطبيعه ذلك الضد، لأن العلم بأحد الضدين هو فى الوقت نفسه علم بالآخر فى الجملة.

ب - الظلمه هى عدم النور من الأشياء العادمه له أو العادمه لأثره، و هى الأشياء التى يقال لها ظلمانيه، و أما الأشياء القابله للنور فيقال لها نورانيه(٣).

١١ - علم الحراره (و هو أحد الفروع الأربعة التى يتفرع إليها علم الحروف الطبيعى):

أ - هو العلم بالحراره فى جوهرها و فى أثرها و فى سبب حدوثها.

ب - الحراره هى غليان الهيولى، و هى حركتها فى الجهات كلها(٤).

١٢ - علم البروده (و هو ثانى الفروع الأربعة لعلم الحروف الطبيعى):

أ - هو العلم بها من حيث جوهرها و أثرها و سبب وجودها.

ب - البروده هى حركه الهيولى من محيطها إلى مركزها(٥).

١٣ - علم الرطوبه (و هو ثالث الفروع لعلم الحروف الطبيعى):

أ - هو العلم بجوهرها و خاصتها و سبب حدوثها، و لم نقل هنا هو العلم بأثرها، لأن الرطوبه منفعله لا فاعله.

ب - الرطوبه هى ماده الحراره فى حركتها، و غذاؤها المحيى لها.

١٤ - علم اليبوسه: "

١- لاحظ أنه لا يفرق بين علوم الدين و علوم الدنيا من حيث أن كليهما يراد به النفع، بل الفرق بينهما هو فقط فى زمن الانتفاع متى يكون: فعلم الدنيا لما قبل الموت، و علوم الدين لما بعد الموت.

٢- يتحدث هنا ابن حيان عن علم معانى الحروف، فيقسمه قسمين: قسم طبيعى و آخر روحانى، مع أنه لم يكن فى تصنيفه قد قسمه هذه القسمة، بل قسمه إلى ما هو فلسفى و ما هو روحانى، أما القسمة إلى ما هو طبيعى و ما هو روحانى، فكان قد جعلها لعلم الحروف لا لعلم المعانى.

٣- لو عبرنا عن هذا الكلام بلغه حديثه لقلنا: إن العلم فى بحثه لظواهر الضوء، يدرس الأجسام التى تمتص الضوء و الأجسام التى تعكسه.

٤- قوله أن الحرارة هى حركة الهولى يوافق قول العلم الحديث فى ماهية الحرارة، إذ هى حركة الذرات، فتزداد درجة الحرارة بازدياد سرعه الذرات و تقل درجة الحرارة ببطء الذرات فى حركتها.

٥- لا- حاجه بنا إلى تنبيه القارئ إلى أن العلم القديم كله - عند اليونان و فى العصور الوسطى - كان علما كيفيا، على خلاف العلم الحديث الذى يزيد اهتمامه بالجانب الكمي، فقد كانت " البروده " حقيقه قائمه بذاتها مستقلة عن " الحرارة " لاختلافهما فى الكيف، أما اليوم فالبروده هى درجة من درجات الحرارة، و لا- اختلاف بين الطرفين إلا فى الكم وحده، و قل هذا نفسه بالنسبه إلى " الرطوبه " و " اليبوسه " .

أ - هي العلم بجوهرها و خاصتها و سبب حدوثها، و لم نقل هنا أيضا أنه العلم بأثرها، لأن اليوسه - كالرطوبه - منفعله لا فاعله.

ب - اليوسه هي المفرقه بين الأشياء المجتمعه تفريقا طبيعيا، و إنما قلنا تفريقا طبيعيا لثلا يلتبس عليك بتفريق الصناعه، لأننا قد نقطع الشيء بالسكين فنفرق بين أجزائه، و ليس السكين يوسه، ففي مثل هذه الحاله يكون التفريق منسوبا إلى الصناعه لا إلى الطبيعه.

١٥ - العلم الفلسفي (و هو أحد فرعى علم معانى الحروف):

أ - هو العلم بحقائق الموجودات المعلومه.

ب - الفلسفه هي العلم بأمور الطبيعه و عللها القريبه و البعيده.

١٦ - العلم الالهى (و هو الفرع الآخر من فرعى علم معانى الحروف):

أ - هو العلم بالعله الأولى و ما كان عنها بغير واسطه، أو بوسيط واحد فقط.

ب - هو علم ما بعد الطبيعه من النفس الناطقه و العقل و العله الأولى و خواصها(١).

١٧ - علم الشرع (علم الدين ينقسم قسمين: عقلى و شرعى، و قد كان حديثنا من رقم ٤ إلى رقم ١٦ منصرفا إلى أقسام علم الدين العقلى، و تنتقل الآن إلى القسم الشرعى - انظر أيضا رقم ٣):

أ - هو العلم بالسنن النافعه - إذا استعملت على حقائقها فيما بعد الموت و قبله - من الأشياء النافعه فيما بعد الموت.

ب -

١٨ - علم الظاهر (و هو أحد فرعى علم الشرع):

أ - هو العلم بالسنن كما يدركها عامه الناس فى الطبيعه و العقول و النفوس.

ب - هو علم أولئك الذين يؤلفون عامه الناس.

١٩ - علم الباطن (و هو الفرع الآخر من فرعى علم الشرع):

أ - هو العلم بعلم السنن و أغراضها التى تليق بالعقول الالهيه.

ب - هو الغرض المستور المراد بالظاهر.

إلى هنا انتهينا من فروع علم الدين، و تنتقل إلى علم الدنيا و فروعها - راجع فقره ٢.

٢٠ - علم الدنيا:

أ - هو العلم بالنافع والضار، و ما جلب المنافع منها أو أعان فيه، و دفع المضار منها أو أعان على ما تدفع به (٢).

ب -

٢١ - علم الدنيا الشريف (و هو ما يسمى بعلم الصنعه):

أ - هو العلم بما أغنى الإنسان عن جميع الناس فى قوام حياته الجيده.

و هو العلم بالإكسير.

ب - الشريف هو المستغنى عن غيره فيما تحتاج إليه الأشياء بعضها إلى بعض.

٢٢ - علم الدنيا الوضيع (و هو ما يسمى بعلم الصنائع):

أ - هو العلم بما يوصل إلى اللذات و المنافع و حفظ الحياه قبل الموت، فهو العلم بما يحتاج إليه الناس فى منافع دنياهم.

ب - الوضيع هو المحتاج إلى غيره حاجه تقتضى تفضيله عليه.

و الصنائع هى الآلات الموصله إلى استغناء الإنسان بنفسه عن سواه فى المكاسب من جهه غير معتاده.

و علم الدنيا الشريف محتاج فى تحقيقه إلى علم الدنيا الوضيع، لأن هذا الأخير هو الوسائل الموصله إلى أهداف ذاك.

٢٣ - علم الإكسير (و هو علم مراد لنفسه):

أ - هو العلم بالشىء الذى تجرى عليه التجارب، و هو الذى يصيغ جوهرا ما من الجواهر الذائبه الخسيسه، و يحوله إلى جوهر ذائب شريف.

ب -

٢٤ - علم العقاقير (و هو علم مراد لغيره):

أ - هو العلم بالأحجار و المعادن المحتاج إليها فى بلوغ الإكسير و الوصول إليه.

ب - العقاقير هى الأجسام التى تجرى عليها التجارب.

٢٥ - علم التدابير (و هو أيضا علم مراد لغيره):

أ - هو العلم بالأفعال المغيره لأعراض ما حلت فيه إلى أعراض أشرف منها و أسوق إلى تمام الإكسير.

ب - التداوير هي الأفعال المقصود بها بلوغ المراد لنفسه من الصنعه.

٢٦ - علم الحجر (و هو واحد فرعى علم العقاقير):

أ - هو العلم بالشىء الذى يراد تبديل أغراضه ليصير اكسيراً.ك.

ص: ٩٥

١- هذه تفرقه دقيقه بين العلم الالهى و الفلسفه، فالعلم بالعله الأولى (الله) هو علم إلهى لا فلسفه، و أما الفلسفه فتقتصر على العلم بالأشياء المخلوقه، أى العلم بالطبيعه، بعبارة أخرى فان البحث فى العلاقات بين كائنات الطبيعه فلسفه، و أما البحث فيما وراء الطبيعه فمن العلم الالهى لا من الفلسفه.

٢- هذه نظره عمليه براغماتيه إلى العلم، لا تتفق مع وجهه نظره العامه التى شرحناها فى أول هذا الفصل، و مؤداها أن العلم هو مجرد الكشف عن الحقائق بغض النظر عن الاستفاده منها، و يزول التناقض الظاهر إذا تذكرنا أنه حين يعرف العلم بصفه عامه فإنما يصوغ التعريف على نحو يصلح لعلوم الدين و علوم الدنيا معا، على أنه إذا كان العلم مجرد كشف عرفانى ادراكى، فذلك لا يقتضى منطقياً ألا تجيء مرحله تطبيقيه بعد ذلك.

ب - الحجر هو الجوهر المطلوب منه الغنى عن الغير من وجه شريف غير معتاد.

٢٧ - علم العقاقير الداخلة فى تدبير هذا الحجر (و هو الفرع الآخر من فرعى علم العقاقير):

أ - هو العلم بالجواهر المعدنيه ذوات الخواص التى تغير أعراض هذ الحجر المراد تغييرها.

ب -.....

٢٨ - العلم الجوانى (هو أحد فرعى علم التدابير):

أ - هو العلم بالشىء الذى تجرى التجارب عليه من داخل، ليتحول من حاله إلى حاله.

ب - الجوانى هو ما تقع عليه التجربه من جوانب الشىء مجتمعه بقصد الوصول إلى غايه ما يمكن الوصول إليه.

٢٩ - العلم البرانى (و هو الفرع الآخر من علم التدابير):

أ - هو العلم بالتجارب التى تجرى على الشىء فى ظاهره.

ب - البرانى هو الشىء إذا نظر إلى جوانبه مفردا بعضها عن بعض فى أول الأمر، و هو لا- يوصلنا إلى آخر ما يمكن للصنعه أن تصل إليه، و فى هذه الحاله نكون على علم بما سيصير إليه أمره قبل أن يصير إليه.

٣٠ - علم الأحمر الجوانى (و هو أحد فرعى العلم الجوانى):

أ - هو العلم بما يصبغ الفضة ذهباً على صورته كامله.

ب - الصبغ الأحمر هو ما كان غائصاً منه فى الأجساد الذائبه، و هو أما أحمر و أما أصفر و أما مسكياً بين الصفرة و الحمرة.

٣١ - علم الأبيض الجوانى (و هو الفرع الآخر من العلم الجوانى):

أ - هو العلم بما يصبغ النحاس فضه على صورته كامله.

ب - الصبغ الأبيض هو الغائص فى الأجساد الذائبه و هو أما أبيض خالص، و أما أغبر، و أما أحمر كمد.

٣٢ - علم الأحمر البرانى:

أ - هو العلم بما يصبغ الفضة ذهباً على صورته ناقصه.

ب -.....

٣٣ - علم الأبيض البراني:

أ - هو العلم بما يصبغ النحاس فضه على صورته ناقصه.

ب -

٣٤ - علم الإكسير الأحمر (و هو أحد فرعي علم الإكسير):

أ - هو العلم بما يصبغ الفضة ذهباً بحكم طبيعته.

ب - الإكسير التام هو الصايغ للجوهر الذائب صبغاً ثابتاً و ذلك بتحويله من نوع إلى نوع أشرف منه.

٣٥ - علم الإكسير الأبيض (و هو الفرع الآخر من علم الإكسير):

أ - هو العلم بما يصبغ النحاس أو الرصاص فضه بحكم طبيعته.

ب - الإكسير الأبيض التام هو الصايغ للنحاس فضه بيضاء جامعاً لخواص الفضة بأسرها.

٣٦ - علم العقاقير البسيطة:

أ - هو العلم بما لم يدخله تدبير الصنعه.

ب -

٣٧ - علم العقاقير المركبه:

أ - هو العلم بما دخله تدبير الصنعه.

ب -

٣٨ - علم البسيط الغبيط:

أ - هو العلم بما كان على خلقته الأولى التي هو بها هو هو.

ب - البسيط الغبيط هو ما لا تدبير فيه من تدابير الصنعه.

٣٩ - علم الأركان (أى عناصر التركيب):

أ - هو العلم بالعناصر التي إذا دبرت تدبيراً يجمعها ما تكون الإكسير.

ب - الشيء المركب هو ما دخله التدبير مع غيره.

تلك هي صنوف العلم - الدينى و الدينوى - عند جابر بن حيان، و حدودها التى تميزها بعضها من بعض، و نستطيع أن نلخص الأمر تلخيصاً نضع به النقاط البارزة أمام أنظارنا، فنقول أنه:

أولاً: يفرق بين ما هو علم دينى و ما هو علم دنيوى على أساس زمن لانتفاع بالثمره، فان كان هذا الانتفاع بعد الموت كان علماً دينياً، و إن كان قبل الموت كان علماً دنيوياً.

و ثانياً: هو يميز فى علوم الدين بين علم يقوم على النص قياماً مباشراً، و عندئذ أما أن تأخذ النص بظاهره و أما أن تأخذه بتأويلاته الخفيه الباطنه، و علم يقوم على الأحكام العقليه التى يقاس فيها موضوع الحكم على شىء سواه، و هاهنا لا بد لنا من منطق يدقق النظر فى الكلمات و الجمل، لأن العقل مداره قضايا و أحكام، و هذه مؤلفه من كلمات، و الكلمات مؤلفه من أحرف.

ثالثاً: يجعل جابر علم الصنعه (أى علم الكيمياء) قطب الرحى فى علوم الدنيا، و كأنما هو يقسمه قسمين: نظرى و عملى، فالنظرى منه هو الذى يقصر عليه اسم "علم الصنعه".

و أما العملى فهو الذى يسميه "علم الصنائع" و يقصد بها الوسائل التجريبيه التى لا بد منها فى علم الصنعه، و لب اللباب فى علم الصنعه هذا

(علم الكيمياء) هو أن نصل إلى المادة الصابغة التي تحيل الفضه ذهباً أو تحيل النحاس فضه و هكذا.

على أننا نجد لابن حيان تصنيفاً آخر للعلوم (1)، إذ يصنفها سبعة أصناف، يجعل علم الصنعه واحداً منها، و هي:

١ - علم الطب، ٢ - علم الصنعه، ٣ - علم الخواص، ٤ - علم الطلسمات، ٥ - علم استخدام الكواكب العلويه، ٦ - علم الطبيعه، ٧ - علم الصور و هو تكوين الكائنات.

و يفيض ابن حيان القول في كل علم من هذه العلوم السبعه المختلفه، ليبين في كل علم منها أقسامه الفرعيه و وسائله و أهدافه و ما إلى ذلك.

فتراه - مثلاً - يقسم علم الطب قسمين أساسيين: نظري و عملي، ثم يقسم كلاهما من القسمين قسمين: أحدهما يعني بالعقل أو بالنفس، و الآخر يعني بالجسم، و عند حديثه على طب الجسم يلجأ إلى تحليل الجسم إلى عناصره، و تشريحه إلى أعضائه في استفاضه و أطناب مما لا يتسع المقام لذكره مفصلاً (2)، فمن قبيل كلامه في التشريح قوله: "الإنسان مركب من أربعة و ثمانين ألف قطعه كبار و صغار، و جميعها يقال لها أما عظم و إما عضل و إما عصب و إما شريان و إما وتر و إما ليف و إما غضروف و إما عظام سمسمانيه يقال لها السلامي في لغه العرب و إما ظفر و إما جلد..." ثم يمضى في ذكر أجزاء كل من هذه الأقسام (3).

و يقول كذلك إن الأعضاء الرئيسيه في الإنسان أربعة: الدماغ و القلب و الكبد و الأثنان (4)، و الأخلاط في بدن الإنسان أربعة أنواع: البلغم و يقابل الدماغ، و الصفراء و تقابل الكبد، و الدم و يقابل القلب، و السوداء و تقابل الأثنان (5).

و هذه العلل بدورها تقابل العناصر الرئيسيه الأربعة: الماء، و النار، و الهواء، و الأرض، فالماء للدماغ، و النار للقلب، و الهواء للكبد، و الأرض للأثنان (6).

و العناصر الأربعة بدورها تقابل الكيفيات الأربع: الرطوبه للماء، و الحراره للنار، و البروده للهواء، و اليبوسه للأرض، على أن هذه الكيفيات الأربع هي في الحقيقه مركبات، كل منها مركب من عنصرين أساسيين على الوجه الآتي:

البروده الرطوبه - ماء.

الحراره اليبوسه - نار.

الحراره الرطوبه - هواء.

البروده اليبوسه - أرض.

و صحه الجسم هي في اعتدال هذه الأشياء كلها في مزاج متزن.

و في أقسام الدماغ يقول جابر انها ثلاثه: الأول هو المسامت للوجه و يقال له بيت الخيال، و الأوسط و هو بيت الذكر، و الثالث في مؤخره الدماغ و يقال له بيت الفكر، و أي هذه فسد فسد ذلك الشيء المحدود به، حتى يفسد الخيال و الفكر و الذكر (4).

و هكذا يتناول جابر أجزاء الجسم التي ذكرها أول الأمر مجمله فيحللها إلى أقسام و الأقسام إلى أقسام فرعيه و هكذا.

و بمثل هذه الإفاضه يتحدث عن بقيه العلوم السبعه: علم الصنعه، و علم الخواص، و علم الطلسمات، و علم استخدام الكواكب العلويه، و علم الطبيعه، و علم الصور، مما سيرد ذكره في مواضعها المناسبه في هذا الكتاب.

سر اللغه و سحرها

اللغه و العالم:

سؤال طرحه الفلاسفه على أنفسهم طرحا صريحا أو متضمنا، و ما يزالون يطرحون إلى يومنا هذا، و هو هذا: إلى أى حد نستطيع أن نستدل طبيعه العالم الخارجى من طبيعه اللغه التي نتحدث بها عن ذلك العالم؟ ها نحن أولاء قد أنشانا لأنفسنا مجموعه ضخمه من رموز - هي الكلمات - و اتفقنا معا على الطريقه التي نبنى بها هذه الرموز فتكون جملا- مفهومه ينطق بها المتكلم فيفهم عنه السامع، و واضح أن هذه المجموعه الرمزيه الضخمه - و هي تختلف باختلاف الجماعات البشريه، إذ أن لكل جماعه منها لغتها الخاصه بها في عمليات التفاهم بين أبنائها - واضح أن هذه المجموعه الرمزيه الضخمه - أعنى اللغه - ليست هي نفسها الأشياء التي جاءت تلك الرموز لترمز إليها، فليست "كلمه" حبز [خبز] هي الخبز نفسه الذي يؤكل، و لا "كلمه" الماء هي الماء الذي يروى الظما، فالرمز اللغوى شىء و المرموز إليه شىء آخر، و إذا ما تكاملت لدينا لغه للتفاهم، كان لدينا جانبان مختلفان هما: هذه اللغه من ناحيه، ثم العالم الخارجى الذي نتحدث عنه بهذه اللغه من ناحيه أخرى، أقول أن هذه الثنائيه بين رموز اللغه و بين أشياء العالم الخارجى المرموز إليها برموز اللغه، هي من الوضوح بحيث لم تكن تستدعى منا ذكرا و توضيحا، و لكن ما ظنك و هذه الحقيقه الواضحه كثيرا ما تحتاج إلى لفت الأنظار إليها، ثم هذه الأنظار لا تلتفت إلا بعد جهد شديد؟ فكأنما اللغه هواء شفاف لا يحجب الأشياء التي وراءه، فنحسب ألا هواء بيننا و بين تلك الأشياء.

و نعود بعد هذا إلى سؤالنا الأول: إلى أى حد نستطيع أن نستدل طبيعه العالم الخارجى من طبيعه اللغه التي أنشانا لترمز بها إلى ذلك العالم؟ في هذا يختلف الفلاسفه - أو معظمهم - فينقسمون ازاءه فئات ثلاثا:

١- فريق يستدل خصائص العالم من خصائص اللغه، فان كان تركيب الجمله - مثلا - لا يكون إلا بتوافر جانبين، هما: المسند إليه من جهه و المسند من جهه أخرى، فلا بد أن تكون أشياء العالم على هذا النحو من التأليف، فيكون لكل شىء جوهره من جهه و الخصائص التي تطرأ على ذلك

ص: ٩٧

١- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٤٨.

٢- المرجع السابق من ص ٥١ إلى ص ٦٠.

٣- المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦.

٤- المرجع السابق، ص ٥٦.

الجوهر من جهة أخرى، و كذلك إذا كان في اللغة كلمات مختلفه النوع، فلا بد أن تكون مسمياتها مختلفه أيضا، فهناك - مثلا - أسماء جزئيه و أسماء كليه، فلا بد أن يكون في العالم الخارجى ما يقابل هذه و تلك، ففيه كائنات جزئيه، و فيه أيضا كائنات كليه، و هذا هو بعينه ما دعا أفلاطون إلى افتراض وجود عالم بأسره لهذه الكائنات الكليه - أسماء بعالم الأفكار أو بعالم المثل - إلى جانب عالمنا هذا المادى الذى كل ما فيه أفراد جزئيه... هكذا تستطيع أن تمضى فى مفردات اللغة و فى طرائق تركيبها، فتستدل من كل مفرد لغوى و من كل تركيب ما ذا ينبغى أن يكون مقابلا له فى عالم الأشياء، و فريق الفلاسفه الذين يرتكزون على طبيعه اللغة ليفهموا طبيعه العالم هم: أفلاطون، و اسينوزا و لينتزر، و هيغل، و برادلى (١) و سنرى أن عالمنا الفيلسوف جابر بن حيان هو من هذه الزمره.

٢ - و فريق ثان من الفلاسفه يذهب إلى أن الإنسان محال عليه أن يجاوز بعلمه حدود كلمات اللغة إلى حيث العالم الخارجى فى ذاته، و إن شئت أن تفهم وجهه نظر هذا الفريق فحاول أن تنقل إلى من شئت أمرا تريد أن تحيطه به علما، كان تقول له - مثلا - "إن الورقه بيضاء" تجد أنك تشرح له كلمه بأخرى، و هذه بثالثه فابعه و هلم جرا، أى أنك ستظل مع زميلك حبيس الكلمات التى تتفاهمان بها، و لا وسيله أمامكما تخرجان بها من سجن الكلمات إلى حيث "البياض" الخارجى الذى يصف الورقه، فما بالك إذا أردت لزميلك أن يعرف - مثلا - أنك خائف أو حزين أو نشوان أو عاشق ولهان؟ مجاوزه اللغة هنا إلى الحقيقه المرموز إليها باللغه أمر محال، و خلاصه الرأى عند هذا الفريق الثانى من الفلاسفه هى أن أى معرفه و كل معرفه - حتى المعرفه العلميه - إنما هى معرفه كلمات لغويه لا- أكثر و لا أقل، و من هذا الفريق أولئك الذين يسمون بالاسمين فى تاريخ الفلسفه، مثل وليم أوكام فى العصور الوسطى (١٢٩٠ - ١٣٤٩ تقريبا) و مثل باركلى فى العصور الحديثه (١٦٨٥ - ١٧٥٣) و مثل طائفه من جماعه الوضعيين المنطقيين فى الفلسفه المعاصره.

٣ - و فريق ثالث من الفلاسفه يذهب إلى أن الإنسان فى وسعه أن يدرك حقيقه ما غير كلمات اللغة التى يتكلمها، و يعتقد هذا الفريق أن مثل هذه الحقيقه يستحيل على اللغة أن تعبر عنها، و مع ذلك ترى مدركيها يكتبون عنها و يتكلمون [يتكلمون] على الرغم من اعترافهم بان الكتابه و الكلام لا يجديان فى نقلها إلى القارئ أو إلى السامع، اللهم إلا على سبيل الإيحاء، و هؤلاء هم المتصوفه و الفلاسفه الذين يأخذون بالإدراك الحدسى مثل برجسون.

و لسنا فى هذا المقام بصدد تحليل هذه الآراء الثلاثه فى اللغه، و دلالتها أو عدم دلالتها على حقيقه الواقع الخارجى الذى هو من طبيعه غير طبيعه اللغه، و لكن الذى يعيننا هنا هو أن نضع جابرا فى موضعه من مذاهب الفلسفه اللغويه، فهو من القائلين بان طبيعه اللغه باحرفها، كلماتها و جملها تشف عن طبائع الأشياء، فدراسه الاسم هى فى الوقت نفسه دراسه للمسمى، كما سنرى تفصيلا فيما بعد. يقول ابن حيان: "إن تركيب الكلام يلزم أن يكون مساويا لكل ما فى العالم من نبات و حيوان و حجر" (٢)، و لو حللنا هذه العبارة تحليلا وافيا، لكشفت لنا وحدها عن وجهه نظر منطقيه تحدد موقف ابن حيان إزاء اللغه و علاقتها بعالم الأشياء: و هو موقف جد شبيه بفرع من فروع المنطق الحديث الذى يأخذ به فنجشتين (٣) و برتراند رسل و غيرهما من فلاسفه التحليل فى عصرنا الحاضر، و مؤداه أن كلمات اللغه هى ضرب من التصوير، بل أنها قد كانت تصويرا فعليا فى بعض الكتابات القديمه، و لئن اخترعت أحرف الهجاء تيسيرا لتركيب الصور التى تصور بها الأشياء، لسهوله حلها و جمعها فى صور لا نهايه لعددتها، فان ذلك لم يسلب من الكتابه قوتها التصويريه، فلا فرق من حيث الجوهر بين أن ترسم شجره و ترسم طائرا على أحد فروعها، و بين أن تكتب هذه العبارة: "الطائر على الشجره"، فهذه العبارة - لو أمعنت فيها النظر - هى "صوره" - فكلمه "الشجره" تنوب عن

صوره الشجره، و كلمه " الطائر " تنوب عن صورته الطائر، و كلمه " على " تنوب عن العلاقه التي تصل الطائر بالشجره لو صورناها بصوره تعكس الواقع عكس المرآه، و ما دامت الكتابه في حقيقتها " تصويرا " للواقع، و جب أن نحاسب المتكلم أو الكاتب على هذا الأساس، فنطالبه - منطقيا - بان يرسم بكلامه صورا للواقع، و الكلام الذي لا يرسم مثل هذه الصور لا يكون ذا معنى و لا يقوم بمهمه الكلام التي خلق الكلام أساسا من أجلها، و لو كانت لنا اللغه المنطقيه الكامله لوجدنا تراكيها - كما ورد في عبارته ابن حيان السالف ذكرها - " مساويه لكل ما في العالم من نبات و حيوان و حجر " .

محاورة أفراطيلوس:

كان من أهم الأسس التي اعتمد عليها جابر بن حيان في فهمه للطبيعه، أساس اللغه و تحليلها، فعن طريق معرفتنا بالحروف و الكلمات و ما لها من طبائع و خصائص، نعرف طبائع الأشياء و خصائصها، و لم تكن هذه الفكره وليده جابر، بل إن لها لجذورا قديمه تضرب في أعماق الماضي حتى تصل إلى عصور السحر و الكهان، حيث لم تكن الكلمات و الحروف رموزا اصطلاح عليها اتفاقا، بل كان بها مشاركه في طبيعه الأشياء التي يرمز إليها بها، و عن طريق الاسم تستطيع أن تفعل بالمسمى ما شئت مستعينا بوسائل معينه.

فلئن كنا اليوم قد فرغنا تماما من مشكله اللغه: أ هي مجرد رموز متفق عليها اصطلاحا، أم هي ذات طبيعه تشارك بها طبيعه الأشياء، فلم يكن الأمر كذلك فيما مضى، بل كان للموضوع و جهتان من النظر، سجلهما أفلاطون في محاورة "أفراطيلوس" بصفه خاصه، كما تعرض لهما في محاورات أخرى، مثل ثيماتوس و طيماوس، و على الرغم من أن جابر بن حيان قد نسق الموضوع تنسيقا فريدا خاصا به، من وجهه النظر التي أخذ بها في أمر اللغه و دلالتها على الأشياء، إلا أننا لا نشك في أن التراث الفلسفي اليوناني قد كان معروفا يؤثر في الفكر الإسلامي بطريق مباشر حينا و غير مباشر حينا آخر.

ص: ٩٨

١- Russell,B.On Inquiry into Meaning and Truth ص ٣٤١.

٢- كتاب الميزان، مختارات كراوس، ص ٤٤٩.

٣- Wittgenstein,L.Tractatus Logico-Philosophicus .

و فيما يلي موجز لمحاورة أقراتيلوس، التي عرفها العرب منقوله بترجمه حنين بن إسحاق عن الصورة المشروحة التي تناولها بها جالينوس، و للفارابي في كتابه عن فلسفه أفلاطون تعليق على محاوره أقراتيلوس هذه، إذ يقول إن أفلاطون قد: "فحص... هل تلك الصناعات هي صناعات علم اللسان، هل إذا أحاط الإنسان بالأسماء الدالة على المعاني على حسب دلالتها عند جمهور تلك الأمة التي لها ذلك اللسان... يكون قد أحاط علما بجواهر الأشياء، و حصل لها بها ذلك العلم المطلوب، إذ كان أهل هذه الصناعات يظنون بأنفسهم ذلك، فبين أنه لا تعطى هذه الصناعات ذلك العلم أصلا... و هذا في كتابه المعروف بأقراتيلوس". (1)

و موضوع محاوره أقراتيلوس (أو أقراتيلوس) هو نشاء اللغة: هل الأسماء دالة على مسمياتها "بطبيعتها" و بحكم خصائص نابعه من الرمز اللغوي نفسه تجعله ملائما للشئ المرموز إليه به، أم أنها تكتسب قوتها الدلالية بحكم "الاتفاق" الذي يصطلح عليه الناس في عملية التفاهم؟ فان كانت الأولى، كان لا مندوحة لنا عن اسم معين للشئ المعين، و إن كانت الثانية كان أمر الاختيار متروكا لنا، و كان الأمر جزافا.

يأخذ أقراتيلوس بوجهه النظر الأولى، و يأخذ هيرموجينيس - في المحاوره - بوجهه النظر الثانية، فيقول أقراتيلوس بأنه ما لم نطلق على الشئ اسمه الصحيح الطبيعي الوحيد، فنحن بمثابة من لا يسميه إطلاقا، حتى لو اتفق الناس جميعا على اسم يختارونه له و يطلقونه عليه، فيرد هيرموجينيس بان أى اسم يتفق أصحاب اللغة على إطلاقه على شئ ما كان اسما له و ليس في طبائع الأشياء ما يحتم اسما دون اسم سواه، و يسأل سقراط عن رأيه في هذا النزاع، فيقول أنه ليس خبيرا باللغة و استعمالها الصحيح، و لو أدلى في الأمر برأى فسيكون رأيا مستمدا من البداهه الفطرية.

الحق أن هذا الاختلاف في وجهه النظر إلى اللغة، إن هو إلا وجه من عده وجوه لاختلاف أكبر و أوسع، يقابل فيه بين "الطبيعه" من ناحيه و "الأوضاع الاجتماعية" من ناحيه أخرى، و هو اختلاف شمل عصر بركليس في يونان القديمة شمولاً لم يكذب يترك مسأله إلا- أدخلها في هذه المقابلة: أ يستند الإنسان في حياته الأخلاقية و السياسية و الفكرية إلى فطره الطبع، فتحكمه قوانين الطبيعه كما تحكم كل شئ، أم يستند إلى تقاليد المجتمع و أوضاعه كائنه ما كانت؟ على أن الهدف الرئيسي للمحاوره ليس هو نشاء اللغة، بل هو المهمه التي تؤديها، فلو كانت اللغة تؤدي مهمتها على الوجه الأكمل لوجب أن تلتزم قواعد و أصولا، مع أننا لو أخذنا بوجهه النظر القائله أن اسم الشئ هو ما يصطلح الاتفاق عليه جزافا، لأدى بنا ذلك إلى موقف تسلب فيه اللغة من أصولها و قواعد الثابتة، مما لا يتفق مع حقيقتها كما هي قائمه فعلا.

لقد بدأ هيرموجينيس عرض رأيه - في المحاوره - في شئ من الإسراف، فبالغ في قوله أن اللغة جزاف و اعتساف، قائلا أنه لو أراد هو أن يطلق اسما على شئ ما، أصبح هذا الاسم اسما للشئ عنده هو، حتى لو خالف به كل المتحدثين باللغة، فلو أطلق اسم "حصان" على ما قد اتفق بقيه الناس على تسميته "إنسانا" لأصبحت كلمه "حصان" هي الاسم الصحيح في لغته هو الخاصه، كما أن اسم "إنسان" هو الاسم الصحيح للكائن نفسه عند سائر الناس.

و هنا تنشأ مسأله شائكة، و هي: الاسم جزء من جملة، و الجملة من الجمل تكون أما صادقه و أما كاذبه، فهي صادقه إذا حكمت عن واقع حقيقي، و كاذبه إذا كانت على خلاف ذلك، لكننا إذا قلنا عن الجملة الواحده أو عن الفكر المؤلف من عده جمل إنه اما صادق و أما كاذب، فكذلك ينبغي أن تكون الحال بالنسبه إلى كل جزء من أجزاء الجملة، فكل جزء من أجزاء جملة صادقه لا- بد أن يكون بدوره صادقا، فكيف يكون الصدق أو الكذب بالنسبه إلى الكلمه الواحده إلا- إذا افترضنا بان هنالك من

الكلمات ما هو صحيح بطبيعته و ما هو مغلوط بطبيعته؟ و أن سقراط ليدلى فى هذا الموضوع من المحاوره برأى سديد، إذ يقول: أن اللغة نشاط "اجتماعى" فهى فى أساسها أداءه للتفاهم بين عدة أفراد فى مجتمع واحد، فلو أطلقت أنا وحدى اسما على شىء ما، ثم زعمت أنه الاسم الصحيح بالنسبه لى، على الرغم من اختلافه عما قد تواضع الناس عليه فى تسميه ذلك الشىء، لما أدت اللغة عندئذ مهمتها الاجتماعيه، و بهذا جاز لنا أن نقول عن اسم ما أنه باطل حين نقصد بالبطلان أنه يعوق عمليه التفاهم.

على أن هذا الرأى يبطل أن تكون الأسماء من وضع فرد واحد يضعها لاستعماله الخاص، لكنه لا يبطل أن تكون الأسماء من وضع جماعه بعينها، و أنه لا فرق بين اتفاق و اتفاق، فلا فرق بين لغه اليونان و لغه الهمج، ما دامت كل منهما اتفاقا يسرى بين أبنائها، و إن تعدد اللغات فى شعوب الأرض لهو وحده دليل كاف على أن اللغه إن لم تكن مقصوره على اصطلاح الفرد الواحد بينه و بين نفسه، فهى اصطلاح تصطلح عليه كل جماعه على حده.

لكنه إذا كانت أسماء الأشياء مرهونه باى اتفاق شاءت الجماعه أن تتواضع عليه، فليس الأمر كذلك بالنسبه لحقائق الأشياء ذاتها، نعم أن بروتاجوراس قد ذهب إلى أن حقيقه أى شىء هى أمر نسبى يختلف من شخص إلى شخص حسب طريقه إدراك الشخص المعين للشىء، لكننا نغض النظر الآن عن مثل هذا الرأى، و نقرر أن حقائق الأشياء ثابتة، و ليست هى بالأمر المرهون باتفاق الناس و اصطلاحهم، لكن أليست ضرور الفاعليه الإنسانيه هى من بين الأشياء؟ و إن كانت كذلك، ألا يكون لها " طبيعه "خاصه بها و" حقيقه "ثابته لها؟ إننا إذا أردنا أداء فعل معين يحقق هدفا معينا، لم يكن لنا الاختيار فى طريقه أدائه و لا فى الأداء التى نستخدمها فى فعله، بل يتحتم علينا أن نراعى طبيعه الشىء الذى نصب عليه الفعل، كما نراعى نوع الأداء المستخدمه، فشق الخشب مثلا- له طريقه خاصه و أداءه خاصه، و هكذا، لكن "الكلام" عن الأشياء، و إطلاق "أسماء" على الأشياء هو ضرب من الفاعليه و لا- شك و إذن فليس هو متروكا لتزواتنا و أهوائنا، بل هو ملزم باصطناع طريق خاص و أداءه خاصه، فإذا أسمينا.

ص: ٩٩

شيئا، تحتم علينا أن نراعى طبيعته ذلك الشيء و أن نراعى في الوقت نفسه طبيعته الأداة - أى الاسم الذى نطلقه - حتى تتفق الطبيعتان معا.

إن المادة الخامه التى نصوغ منها الكلمات هى الحروف و المقاطع، فلتكن هذه المادة الخامه ما تكون، ما دامت تمكنا من صياغه الكلمه التى تصلح أداءه للشيء الذى تسميه، فالأمر هنا شبيه بالنجار يصنع مغزلا لغزال، فعليه و هو ينجر الخشب أن يضع نصب عينيه طبيعته الغزل لكى تجيء الأداة صالحه لها، و له أن يتخذ أى ماده يختار، ما دام هذا الهدف نصب عينيه، و كذلك الأمر فى اللغه، فواضعها له الحق فى اختيار ما شاء من الحروف و المقاطع، ما دام يضع نصب عينيه طبيعته الأشياء التى توضع اللغه لها، و هذا يفسر تعدد اللغات، مع اشتراكها جميعا فى كونها لغات طبيعته تتفق مع طبائع الأشياء، كما يفسر تفاوت اللغات فى قوه الأداة، فأكملها هى أقربها إلى مساره الأشياء على طبائعها الحقيقيه - و أذن فقد كان أقراطيلوس على صواب فى وجهه نظره عن اللغه، و كان هيرموجنيس على خطأ.

الحروف و طبائع الأشياء:

كان عالمنا الفيلسوف جابر بن حيان على نفس الرأى الذى عبر عنه أقراطيلوس، من أن اللغه مسيره للطبائع، فهو فى ذلك يقول: "انظر إلى الحروف كيف وضعت على الطبائع، إلى الطبائع كيف وضعت على الحروف، و كيف تنتقل الطبائع إلى الحروف و الحروف إلى الطبائع" (١) - و المعنى واضح، فلكل حرف ما يقابله من طبائع الأشياء.

و لا- يقف جابر - بالطبع - عند هذه التعميمات التى لا تفيد كثيرا، بل يوغل فى التفصيل الذى سنورد بعضه و نهمل بعضه مضطرين لضيق المقام، و نسبق ترتيب الكتاب لنقول فى هذا الموضوع أن موجودات الطبيعه هى أما حيوان و أما نبات و أما حجر، و هذه مركبه كلها من العناصر الأوليه الأربعة:

النار و الهواء و الماء و الأرض، و كل عنصر من هذه العناصر يتالف من اتحاد اثنتين من الكيفيات الأربع: الحراره و البروده و اليبوسه و الرطوبه، فمن الحراره و اليبوسه معا تتكون النار، و من الحراره و الرطوبه معا يتكون الهواء، و من البروده و اليبوسه معا تتكون الأرض، و من البروده و الرطوبه معا يتكون الماء، فإذا عرفنا أى الحروف دال على هذه الكيفيه أو تلك، عرفنا بالتالى الحروف الداله على العناصر الأربعة، و عرفنا أخيرا الحروف الداله على مختلف الطبائع: و يقسم جابر الحروف الثمانيه و العشرين إلى مجموعات أربع، يجعل كل مجموعه منها مقابله لإحدى الكيفيات الأربع على الوجه الآتى:

الحراره: أه ط م ف ش ذ.

البروده: ب و ي ن ص ت ض.

اليبوسه: ج ز ك س ق ث ظ. الرطوبه: د ح ل ع ر خ ع (٢).

على أن هذا تقسيم كيفى للطبائع من جهه و للحروف التى تقابلها من جهه أخرى، و لكنه لا- بد إلى جانبه من معرفه كميّه للمقادير التى تتفاوت بها هذه الكيفيات فى تركيبها للأشياء، و ما يقابلها من دلالات كميّه للحروف المختلفه، فما كل حرف

ككل حرف آخر فى قوته، و نترك التفصيل فى هذه النقطة الآن لنعود إليها عند الحديث على نظريات ابن حيان فى علم الكيمياء.

و قد أسمى جابر كتابه الذى أخذ يوازى فيه بين الحروف و الطبائع "كتاب التصريف" تشبها بما يسميه النحويون تصريفا، إذ لا فرق فى حقيقه الأمر بين تصريف الكلمات و تصريف طبائع الأشياء، حسب النظرية التى نحن الآن بصدد بسطها، فلو شاء العالم أن يحول شيئا ما ليصيره شيئا آخر فليدرس الأسماء و تصاريفها أولا، لينتج له من هذه الدراسة كيف يكون طريق السير فى تحويل الأشياء بعضها إلى بعض، يقول جابر أنه لما كان "الكلام كله على الحروف، و لا كلام إلا بتأليف الحروف، لم يكن بد من أن يقع فى الطبائع مثل ذلك، فحقيق أن يكون تصريف الطبائع كتصريف الحروف" (٣).

قلنا ان الأصل الذى تكونت منه الموجودات كاه هو الكيفيات الأربع: الحرارة و البروده و الرطوبه و اليبوسه، لكن هذه الكيفيات محال أن تقوم الواحده منها على حده بمعزل عما عداها، و لذلك كان لا بد من اتحادها اثنتين اثنتين على الأقل، فالحراره لا تكون وحدها أبدا، بل لا بد أن تمتزج بها أما اليبوسه و بهذا تتكون النار، و أما الرطوبه و بهذا يتكون الهواء، و كذلك البروده لا تكون وحدها أبدا، بل لا بد أن تمتزج بها أما اليبوسه و بهذا تتكون الأرض، و أما الرطوبه و بهذا يتكون الماء - فما الذى يقابل هذا فى اللغة؟ يقابله أن الحرف الواحد المعزول عما عداه محال على النطق (٤) و يكون فى حكم المعدوم من الناحية اللغويه، "فنحن لا نقدر أن نتكلم بحرف واحد حتى نضيفه إلى حرف آخر، كذلك لا يمكننا وزن واحد إلا بإضافته إلى طبع آخر ليتبين" (٥) "فكما أن الشيء الواحد لا يكون على أقل من عنصرين (من الحرارة و البروده و الرطوبه و اليبوسه) أو ثلاثة، و لا يكون على واحد...

(فكذلك) قولنا كلمه ما مثل محمد و جعفر و غير ذلك من الأسماء، لا يكون إلا بتراكيب الحروف، و قد تكون كلمه من حرفين و ثلاثه و أكثر من ذلك و أقل، إلا أن كلمه لا تكون من حرف واحد... لأنه لا تكون كلمه أقل من حرفين: حرف النطق و حرف الاستراحه، فقد وجب أن يكون تركيب

ص: ١٠٠

١- كتاب التصريف.

٢- كتاب التصريف، مختارات كراوس ص ٣٩٧ - لاحظ أن طريقه اختيار هذه المجموعات هى أنه أخذ للحراره الحرف الأول و الخامس و التاسع و الثالث عشر و هكذا، و للبروده الحرف الثانى و السادس و العاشر و الرابع عشر و هكذا، و لليبوسه الحرف الثالث و السابع و الحادى عشر و الخامس عشر و هكذا، و للرطوبه الحرف الرابع و الثامن و الثانى عشر و السادس عشر و هكذا، و ترتيب الحروف هو: ا ب ج د، ه ز، ح ط ي، ك ل م ن، س ع ف ص، ق ر ش ت، ث خ ذ، ض ظ غ.

٣- كتاب التصريف، مختارات كراوس ص ٣٩٣.

٤- المرجع السابق، الصفحه نفسها.

٥- كتاب الحاصل، ١٩٦.

الحروف كتركيب الطبائع في سائر الموجودات" (١) و يقول جابر أيضا: " كما أن النحويين يعالجون تصريف الكلمات فيردونها إلى أحرفها التي منها نشات، فكذلك للفلاسفة تصريف خاص بهم" (٢) إذ هم يردون الأشياء إلى بسائطها، فعلم النحو و علم الطبيعه يتبعان منهجا علميا واحدا.

و لا أحسبني أسرف في التأويل و التخريج إذا قلت أن هذا المنهج بعينه هو الطابع المميز لإحدى مدارس المنطق المعاصره - و هي مدرسه برتراند رسل المعروفه باسم " الذريه المنطقيه " و خلاصتها أن العالم الطبيعي من ناحيه يقابله عالم اللغه من ناحيه أخرى، و أنه إذا كان علم الطبيعه الذرى قد فتت الأشياء و حللها إلى ذرات، كل ذره منها مكونه من كهارب، فعلم المنطق الذرى هو الذى يقابله فى عالم اللغه، و أذن فالطريق الصواب هو أن يفتت اللغه و يحللها إلى ذرات بسيطه، يستحيل تحليلها إلى ما هو أبسط منها على الرغم من أن كل ذره منها قد تكون مؤلفه من أكثر من مقوم واحد، و هذه الذرات المنطقيه هي ما يسمونه بالقضايا البسيطه أو القضايا الذريه - لكن حذار أن نفهم كلمه " الذره " و كلمه " الذرى " هنا بالمعنى المادى و إلا لفاتنا فهم الطبيعه و المنطق المعاصرين، كما يفوتنا أيضا فهم جابر على حد سواء، إنما الذره و الذريه هنا معناهما لا مادى، فالذره فى علم الطبيعه الحديث قوامها طاقه، و كذلك القضايا الذريه فى منطق برتراند رسل لا يوصل إليها إلا بالتجريد فهى لا ترد فى الحديث و الكتابه أبدا، لأن كل ما يرد فى الحديث و الكتابه قضايا مركبه يمكن تحليلها بالعقل وحده إلى البسائط التى منها تتكون، و كذلك الأمر فى فلسفه جابر بن حيان، فهو ذرى بالمعنى الحديث لكلمه الذره و كلمه الذريه، لا بمعنى الذره عند ديمقراطيس مثلا، و هو المعنى الذى يجعل من الذره جسما ذا حيز و أبعاد، فيكفى أن تتذكر أن جابرا يحل الطبيعه إلى كيفيات أربع: الحراره و البروده و اليبوسه و الرطوبه، و أن هذه الكيفيات أمور مجردة لا وجود للواحد منها فى الطبيعه وجودا مفردا، أقول أنه يكفى ذلك لتعلم أنه حين يرد الطبيعه إلى بسائطها فلا يترد إلى بسائط ماديه بالمعنى الضيق لهذه الكلمه، و كذلك حين يحلل اللغه التى هى القسم المقابل للطبيعه، فإنما يحللها إلى أحرف، و الحرف الواحد - كما أسلفنا - مستحيل على النطق و هو مفرد وحده، و لا وجود له من الناحيه اللغويه، إلا على سبيل التجريد العقلى.

فهناك أشياء فى عالم الطبيعه، ثم تصور لها و لعناصرها فى العقل، ثم النطق تعبيراً عما قد تصوره العقل، ثم كتابه هذا الذى نطقنا به، أربع خطوات فى مرحله واحده، أو أربع حلقات فى سلسله واحده، كل حلقه منها تعيد مضمون الحلقه السابقه فى صورته أخرى، لكن جوهر المضمون واحد، و أذن فمسافه الخلف ليست بعيده بين الشئ الخارجى فى طبيعته، بين الكلمه المنطوقه أو الكلمه المكتوبه الداله على ذلك الشئ فى طبيعتها، يقول جابر: " إن الأشياء كلها تقال على أربعة أوجه: الأول منها أعيان الأمور و ذواتها و حقائقها، كالحراره فى ذاتها و البروده فى ذاتها، و إن كانا غير موجودين لنا، ثم تصور ذلك بالعقل... ثم النطق به... و ذلك يتقطع [يتقطع] الحروف... ثم كتابتها" (٣)، و يقول أيضا فى هذا المعنى نفسه: قالت الفلاسفه بان الكتابه داله على ما فى اللفظ المنطوق، و اللفظ دال على ما فى الفكر، و ما فى الفكر دال على ماهيه الأشياء (٤).

ميزان الحروف:

لو بلغت اللغه حد كمالها المنطقى - هكذا قال جابر بن حيان، و هكذا يقول رودلف كارناب أمام الوضعيه المنطقيه اليوم (٥) - لجاءت مفرداتها مقابله تمام المقابله لما فى الطبيعه من أشياء بما لها من صفات و ما بينها من علاقات، بحيث لا تدل الكلمه الواحده إلا على مقابل طبيعى واحد، كما أنه لا يقابل الشئ الواحد فى الطبيعه إلا كلمه واحده فى اللغه، فعندئذ لا نجد كلمه

تدل على أكثر من مسمى واحد، كما لا تجد شيئاً واحداً يشار إليه باحدى كلمتين على حد سواء، في مثل هذه اللغة الكامله منطقياً لا يكون ازدواج معنى ولا يكون غموض. وفي هذا نفسه يقول جابر بن حيان: "إن المسمى للأشياء بهذه الأسماء قد ترك أشياء كثيرة بلا أسماء البته، وسمى أشياء كثيرة باسم واحد، وسمى شيئاً واحداً بأسماء كثيرة، فقال في السيف: السيف و الصمصام و الباتر و الحسام و أمثال ذلك، و جعل في الأول كاسم العين دالاً على معان كثيرة، كالعين المبصره و عين الماء و عين الشمس و أمثال ذلك" (٤).

و يلاحظ جابر أن اللغة كما هي قائمه لا تجعل الأسماء وفاق المعانى و بقدر عددها، إذ يزيد فيها مقدار المعانى على مقدار الأسماء زياده كبيره.

و إن جابراً ليتصور الأمر على نحو ما يتصوره فلاسفه التحليل في عصرنا هذا، إذ يشترط - لكي يكون للكلام معنى - أن يكون له مقابل في الطبيعه، فهو يقول: "الأشياء كلها تنقسم قسمين: أما نطق و أما معنى (أما كلام و أما مدلولاته) و الكلام الذى لا معنى تحته فلا فائده فيه" (٧).

بل أنه كذلك ليتفق مع فلاسفه التحليل المعاصرين في حقيقه بالغه الأهميه، ألا و هي أن رجل الفكر العلمى و الفلسفى لا يعنيه من اللغة إلا- ما كان منها ذا قسيم مقابل في جانب الطبيعه الخارجيه، أعنى أن يكون مخبراً بخبر ما عن شىء ما فى العالم الخارجى، و ذلك لأن من اللغة تركيبات ينطق بها صاحبها لا لينبئ سامعه بنياً عن أشياء الدنيا المشتركه بينهما، بل ليعبر له عن حاله وجدانيه تضطرب بها نفسه من داخل، كان يتوجع أو يتمنى أو أن يأمر و ينهى، و الحق أن رجال المنطق العقلى منذ نشأ هذا المنطق لم يفتهم أن

ص: ١٠١

١- كتاب التصريف، ٩٥ ب - هذه الفكره موجوده فى التراث الفلسفى اليونانى، فهى مشروحه باسهاب فى محاوره ثيتالتوس (فقره ٢٠١ ب، و فقره ٢٠٨ هـ) ففيها يرد القول بأنه لا يمكن النطق إلا بمقطع مؤلف من حرفين أو عدده حروف، و أن الحروف المفرده لا- تنطق و لا- تعرف "فكما أن العناصر الأولى التى منها صنعنا و صنعت الأشياء كلها لا تكون معقوله و هى فرادى فكذلك الأمر فى الكلمات" - و كذلك يشبه أرسطو حروف الكلمات بالعناصر الأولى فى الطبيعه. (ميتافيزيقا ١٠٤١ ب).

٢- كتاب التصريف.

٣- كتاب التصريف، ١٤٠ ب و ما بعدها.

٤- كتاب الخمسين، ١٣٤ أو ما بعدها.

٥- ولد سنه ١٨٩١، و هو أستاذ بجامعة لوس أنجلوس بامريكا، و من أهم كتبه: - Philosophy and Logical Syntax.

٦- كتاب السر المكنون، ٥٤ ب و ما بعدها.

٧- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٨.

يضعوا هذه الحدود التي تفرق بين ما هو فكر وما ليس هو بفكر، حين قالوا أن وحده الفكر هي "القضية" و القضية هي ما يجوز أن يقضى فيها بحكم عليها إما بأنها صادقه وإما بأنها كاذبه، و بطبيعته الحال لا يكون الصدق أو الكذب ذا معنى مفهوم إلا إذا وصف به نبا يقرر به صاحبه تقريرا ما عن شيء ما، أما إذا تمنى أو أمر أو نهى أو صرخ صرخه ألم أو ضحك ضحكه مسرور، فليس هذا مما يقال عنه أنه صدق أو كذب، و بعبارة مختصره، لا- يكون الكلام تفكيراً علمياً و فلسفياً إلا إذا كان أحكاماً على أمور الواقع، و أما ما كان منه تعبيراً عن ذات النفس من داخل فهو أدب و فن و ليس علماً و لا فلسفه.

هذا المعنى نراه في قول جابر عن أقوال اللغة إنها مما لا تدخل في اختصاص الفلاسفه إذا كانت أمراً أو نهياً أو طلباً أو تمناً أو ما إلى ذلك، و أما إذا كانت تحمل خبراً ففيها عندئذ الفائده العظمى " و قد ينقسم القول إلى المبتدأ و الخبر، و أما الخبر فهو الذى فيه الفائده العظمى... و هو الذى يحتمل الصدق و الكذب، و فيه تدفن العجائب من الكلام، من المحال و الحق، و من لم يحسن يقين الأخبار، و يقيس بعضها ببعض، فإنه عرى من علم الفلاسفه و الفلسفه... (١).

" و نفول [نقول] أيضاً في الشعر و البلاغه الخطيبه، أنه لا فائده من علومنا فيها، و لكنها نافعه في مواضع آخر من ترتيب الحروف نفسها" (٢).

و هذه تفرقه من جابر بن حيان كانت وحدها تكفى لنحييه عالماً فيلسوفاً له من دقه التحليل و التمييز ما يحاول بلوغه أصحاب مدرسه التحليل المعاصره التي ينتمى إليها كاتب هذا البحث.

نعود فنقول أنه لو بلغت اللغة حد كمالها المنطقي، ل جاءت كلماتها مساويه لأشياء العالم الخارجى، ثم ل جاءت أحرف الكلمات مقابله لطبائع تلك الأشياء - و نحن نتكلم الآن بلسان ابن حيان - فلا زياده فيها و لا نقصان، لكن الذى يحدث فعلاً في اللغة القائم المتداوله هو أنها بعيدة عن هذا الكمال، فكلمات زادت حروفها عن الأصل المطلوب، و كلمات أخرى نقصت حروفها عن الأصل المطلوب، و إذن فالخطوه الأولى التي يتحتم علينا البدء بها، إذا أردنا أن نستشف طبائع الأشياء الخارجيه من أسمائها في اللغة، هي أن تسقط الزوائد من الكلمه إن كان فيها زوائد، أو أن نضيف النواقص إن كان فيها ما هو محذوف.

لكننا لكي نحذف أو نضيف، ينبغى أولاً- أن نستوثق من أصول الكلمات ما هي، و من الأحرف الزائده ما هي، فاما الأحرف الزائده فهي عشره، و هي الهمزه، و اللام، و الياء، و الواو، و الميم، و التاء، و النون، و السين، و الألف، و الهاء - و هي حروف يجمعها قولك: "اليوم تنساه".

و يفصل جابر القول في هذه الأحرف الزائده فيقول (٣): "أما الميم و اللام فمخصوص بهما الاسم، و اللام يصحبها الألف و هما للتعريف...

و تزداد اللام أيضاً في "الذى" ...أما الميم فإنها تزداد في مكرم و مستضرب و ما شاكل ذلك...

و أما الهمزه فتزداد في أحمد و أفضل و هما اسمان، و في أحسن و أكرم و هما فعلاان، و إنما نريك ذلك - و ليس مقصدنا تعليمك النحو - لأن من الأحجار و العقار و الحيوان ما يقع اسمه كالاسم و ما يقع اسمه كالفعل، فنريك الحروف التي هي زائده في الأفعال و زائده في الأسماء، أو زائده في الأفعال، أو أصلية في الأسماء و زائده في الأفعال، ليحكم

على كل شيء بحكمه، و الياء تزداد في "يعمل" (٤) و هو اسم، و في "يضرب" و هو فعل، و الواو تزداد في "جوهر" و هو اسم، و في "حوقل" و هو فعل، و التاء تزداد في "تنضب" و هو اسم، و في "تضرب" و هو فعل، و النون تزداد في "نرجس" و هو اسم، و في "نضرب" و هو فعل، و السين تزداد في "مستضرب" و هو اسم، و في "استضرب" و هو فعل و الألف تزداد في "مضارب" و هو اسم، و في "ضارب" و هو فعل و الهاء تزداد في "قائمه" و هو اسم، و في "ارمه" و هو للموقف.

و يضرب لنا جابر أمثله كثيره لأسماء مواد يراها هامه في تركيب الدواء، ليبين لنا أيها نعهه أصيلا لا زياده فيه، و أيها فيه الزيادة حتى نعمد إلى حذفها قبل أن نحسب ميزان الحروف، و هو ما نستدل به على طبيعه الدواء المستخرج من الماده المحسوب قدرها بهذا الميزان، و من قبيل كلامه في هذا الباب قوله (٥): "ينبغي أن تعلم أن الإثمد سالم ما لم تدخله الألف و لام التعريف، و كذلك الأبهل من النبات، فاما الأفاقيا فتسقط الألف الثانيه و الأخيره، فينبغي أن يوزن على أنه أ ق ق ي، و أما النحاس و الأنزروت فإنهما سالمان إذا سقط منهما الألف و لام التعريف، و كذلك الذهب و الكبريت، و أما الفضة فتحذف منها كذلك تاء التانيث... إلخ" و بعد أن يذكر لنا جابر قائمه طويله من الأسماء على هذا النحو، يختم الحديث بقوله:

" و لو لا أن يطول الكتاب و يسخف، لأثبتنا فيه - كما أثبتنا في كتاب النبات و كتاب الأحجار و كتاب الحيوان - من تعديل ما فيها من أنواعها كلها، و لكن ملنا إلى التخفيف و قد علمناك وجه القياس فيه" (٦).

هو - بالطبع - إذ يقرر الأحرف الزائده في الكلمه، فإنما يقرر ذلك بعد معرفه مبنى الكلمه في أصلها و اشتقاقها، ففي الذهب و الفضة - مثلا - يقول: "...فمعلوم أن الذهب أصل إذ هو برئ من (الزوائد) و صار هجاء الفضة (فضى) إذ الهاء إنما دخلت للتانيث و لا ذكر لها" (٧) و عن البنيه الأصلية للكلمات يقول: "و مبنى الكلام المنطوق به كله على ثلاثه أوضاع:

ثلاثي كقولك جمل، و رباعي كقولك جعفر، و خماسي كقولك ٤.

ص: ١٠٢

- ١- كتاب إخراج ما في القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٩-١٠.
- ٢- نفس المرجع، ص ١١.
- ٣- الجزء الأول من كتاب الأحجار على رأى بليناس، مختارات كراوس، ص ١٣٦-١٣٧.
- ٤- "يعمل" و "تنضب" ليسا من الأسماء المألوفه لنا اليوم.
- ٥- نسوق هنا أمثله قليله، فارجع إلى التفصيل في "الجزء الأول من كتابه الأحجار على رأى بليناس" - مختارات كراوس ص ١٤٦-١٥٤.
- ٦- نفس المرجع، ص ١٥٤.
- ٧- نفس المرجع السابق، ص ١٣٤.

جحمرش... أما الثلاثى فإنه ينقسم من قبل طبعه اثنى عشر قسما، و هى:

أما فعل متحرك العين، كقولك ملص، و أما فعل ساكن العين كقولك بعد، و أما فعل كقولك جمل، و أما فعل كقولك ملك، و أما فعل كقولك جرد، و أما فعل كقولك سبع، و أما فعل كقولك ضرب (... جزء محذوف من المخطوط...) هذا من الفعل، و لم يرد شىء من الأسماء على وزنه، و أما فعل فليس ينطق به، فذلك فى الثلاثى.

" و أما الرباعى فإنه ينقسم على خمسة أنواع و هى: أما فعلل كقولك جعفر، و أما فعلل كقولك زبرج، و أما فعلل كقولك صبرج، و أما فعلل كقولك درهم، و أما فعلل كقولك قمطر، فهذا فى الرباعى".

" و الخماسى يكون على أربعة أمثال، و هى: فعللل مثل جحمرش، و على فعللل مثل خزعل، و على فعللل مثل جردحل، و على فعللل مثل قدعمل" (١).

فقد تفاوتت أسماء الأشياء فى عدد حروفها، لكن أصولها تكون على واحد من الأوضاع الثلاثة السالف ذكرها، يقول جابر: " إنه لا يخلو الشىء المحتاج إلى معرفه وزنه من أن يكون على حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة، و ما أقل ما يقع شىء من العشرة أو التسعة، و لكننا ذكرناه استظهارا و احتراسا من ذم الطاعنين أن ذلك إنما عملناه على حسب الهوى و العاده، و لسنا نفعل ذلك فى علم من العلوم، و لكن على ما يوجهه حكم النظر و صحه التفتيش و القياس الغير مضطرب و لا- مشوب بإهمال النظر... " (٢)- و فى هذه الفقره ما يدل على دقه جابر و على حرصه فى البحث و النظر، و يهمنى أن نلفت نظر القارئ إلى دفعه عن نفسه نقيصه الجرى فى بحثه العلمى على حسب الهوى و العاده، و إلى التزامه صحه التفتيش و القياس الذى لا يتعرض للخطأ و الإهمال.

على أن حروف الكلمه الكاشفه عن طبيعه مسماها، لا تتكافأ فى قوتها و لا فى مقدارها، فمن الحروف ما يدل على ظاهر الشىء و منها ما يدل على باطنه، و كذلك من الحروف ما يقابل فى الوزن أكثر من غيره، يقول جابر:

"... إن فى الحروف الواقعه على الأدوية و غيرها من الثلاثه الأجناس (النبات و الحيوان و الحجر) ما ينبى عن باطنه و لا ينبى عما فى ظاهره، و فيها ما هو بالعكس مثل أن ينبى عما فى الظاهر و لا يدل على الباطن، و فيها ما يوجد جميعا فيها، و فيها ما يدل على ما فيها (ظاهرا و باطنا) و زياده تحتاج إلى أن تلقى و يرمى بها، كما يحتاج الناقص إلى أن يتم و يزيد... " (٣).

هذا من حيث دلالة الحروف على الأشياء ظاهرا، أو باطنا، أو ظاهرا و باطنا معا، أو ظاهرا و باطنا معا مضافا إليهما زياده يستغنى عنها، أو محذوفا منها ما يستوجب الإضافه لتكامل للشىء طبيعته، و أما تفاوت الحروف فى موازينها فالكلام فيه طويل عريض، لأن أساس الصنعه عند جابر هو ضبط هذا الميزان لحروف الكلمه، لكى ينضبط بالتالى ميزان الماده التى يتناولها بالتحويل و التركيب فى تجاربه، و حسبنا فى هذا الموضع أن نقول أنه يقسم الحروف سبع مجموعات تدرج فى موازينها، و يطلق على كل مجموعه منها اسما يدل على منزلتها (٤) و ذلك على النحو الآتى:

٢ - درجه: ه و ز ح.

٣ - دقيقه: ط ي ك ل.

٤ - ثانيه: م ن س ع.

٥ - ثالثه: ف ص ق ر.

٦ - رابعه: ش ت ث خ.

٧ - خامسه: ذ ض ظ غ.

على أن كل حرف في إحدى المنازل يساوي ما تحته أربع مرات، فالألف تساوي الهاء مكرره أربع مرات، و الهاء تساوي الطاء مكرره أربع مرات، و هكذا، و كذلك الياء تساوي الواو مكرره أربع مرات، و الواو تساوي الياء مكرره أربع مرات، و هكذا، و على هذا المنوال قس بقيه الحروف (٥).

و لقد يفيدنا أن نسبق ترتيب السياق في هذا الكتاب فنقول في هذا الموضوع أن الأعمده الأربعة في القائمة التي أسلفناها هي التي تقابل الكيفيات الأربع في الطبيعه:

فالحارره يقابلها: أه ط م ف ش ذ.

و البروده يقابلها: ب و ي ن ص ت ض.

و البيوسه يقابلها: ج ز ك س ق ث ظ.

و الرطوبه يقابلها: د ح ل ع ر خ غ.

و ستكون لنا عوده إلى هذه الكيفيات عند ما نتحدث عن الطبيعه و مقوماتها في الفصلين التاليين.

اختلاف اللغات:

إذا كانت الكلمه من كلمات اللغه داله بذاتها على طبيعه مسماها، بحيث يكفي أن تحسب حساب حروفها لتعرف مم يتركب ذلك المسمى، فان سؤالاً ينشأ لنا على الفور، و هو ما ياتي: إن لغات الناس المختلفه شعوبهم مختلفه، فليس اللسان العربى هو اللسان الناطق وحده على هذه الأرض، بل أن هنالك إلى جانبه لسانا للفرس و آخر للروم و هلم جرا، فإى الكلمات فى هذه اللغات المتباينه يكون هو الدال على طبيعه المسمى؟ و قد كان محالا بالطبع أن تفوت هذه المشكله على عالم مثل جابر بن حيان، فتناولها بالبحث فى كتابه "الحاصل" (٦) إذ يعرض المشكله بقوله:

"إننا نجد الأشياء باللغات المختلفه تختلف، و إذا وجد اختلافها في الكتب، و جب اختلاف ما علمناك (أى ما قد ورد في كتبه السابقه على كتاب الحاصل

ص: ١٠٣

-
- ١- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ١٢-١٣.
 - ٢- كتاب الحاصل، مختارات كراوس، ص ٥٢٤.
 - ٣- الجزء الأول من كتاب الأحجار على رأى بليناس، مختارات كراوس، ص ١٣٢.
 - ٤- الجزء الثانى من كتاب الأحجار على رأى بليناس، مختارات كراوس، ص ١٦٢-١٦٣.
 - ٥- كتاب الخواص الكبير، مقاله الأولى، مختارات كراوس، ص ٢٣٩.
 - ٦- راجع مختارات كراوس، ص ٥٣٥-٥٣٨.

" و أتنقض الأصل الذى رتبناه على الطبائع قياسا بها...".

و يمضى جابر بعد ذلك يعرض على قارئه أسماء الأحجار الرئيسييه بلغات مختلفه، فيقول: "إنا نجد الأحجار السبعه التى هى قانون الصنعه يعبر عنها باللغه العربيه أنها الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و الرصاص و الزبيق و الأسرب، و وجدنا يعبر عنها باللسان الرومى ما يوجب نقض الأول أو نقض بعضه و ائتلافه مع بعض فى حروف و أشخاص لا فى أنواع و أجناس، و ذلك أنى وجدتھا يعبر عنها بان يقال للذهب رصافى، و للفضه اسمى، و للنحاس هرکما، و للحديد سيداريا، و للرصاص قسدروا، و للزبيق برسرى، و للأسرب رو [روى]، و هذه بينها و بين العربى بون ليس باليسير، أما لطول كلامها و كثره حروفها، و أما لاختلاف مواقع الحروف بين نطق العرب بالسين و الرومى بها، و لعل أخر مما جانس ما ذكرناه، و وجدت هذه الأحجار باللسان الاسكندراني تخالف الاثنتين - أعنى العربى و الرومى - أيضا، و كان هذا أزيد فى إيقاع الشك فى نفوس المبتدئين و المتعلمين، و ذلك أنى وجدتھم يسمون الذهب قربا، و الفضة كوما، و النحاس جوما، و الحديد ملكا، و الرصاص سلسا، و الزبيق خبتا، و الأسرب قدرا، و وجدت هذه أيضا ربما وافقت الشىء من ذلك فى الخاص لا فى العام، و وجدت الفارسى أيضا يخالف الثلاثه بأسرها، و ذلك أنى وجدتھم يدعون الذهب زر، و الفضة سيم، و النحاس رو [روى]، و الحديد آهن، و الرصاص أرزيز كلهى، و الزبيق جيبا، و الأسرب بلبل (هذه الكلمه الأخير غير واضحه فى المخطوط).

" و لقد تعبت فى استخراج الحميرى تعباً ليس بالسهل، لأنى لم أر أحدا يقول أنه سمع من يقرأ به فضلا عن أن أرى من يقرأ به، إلى أن رأيت رجلا له أربعمائته سنه و ثلاث و ستين سنه (!؟) فكنت أقصده، و علمنى الحميرى، و علمنى علوما كثيره ما رأيت بعده من ذكرها و لا يحسن شيئا منها - قد أودعتها كتيبى فى المواضع التى تصلح أن أذكرها فيها - و ذلك إذا سمعنا نقول: " قال الشيخ الكبير "فهو هذا الشيخ، و إذا قرأت كتابنا المعروف بالتصريف، فحينئذ تعرف فضل هذا الشيخ و فضلك أيها القارئ و الله أعلم أنك أنه هو... (1)".

" و لنعد الآن إلى غرضنا الذى كنا به و أقول: إنى وجدت الحميرى أيضا أشد خلفا لسائر اللغات مما تقدم و ذلك أنى جدت [وجدت] الذهب فى لغتهم - على ما علمنى الشيخ - يدعى أوهسمو، و الفضة هلدوا، و النحاس بوسقدر، و الحديد بلهوك، و الرصاص سملاخر، و الزبيق حوارستق، و الأسرب خسجدعز، فيا ليت شعرى كيف يصل العالم من كتب الفلاسفه فى علم الموازين إلى إيضاح هذا الخلف؟...".

لقد أوردت هذا النص الطويل لأبين به كيف أن جابرا لم يغفل عن مشكله تعدد اللغات، و لأبين فى الوقت نفسه منهجه العلمى فى تقصى الأمور، فقد أراد أن يعلم إلى أى حد تتشابه اللغات المختلفه و إلى أى حد تتباين فى تسميتها للشىء الواحد المعين كالذهب مثلا، فاستعرض العربيه و الروميه و الاسكندرانيه و الفارسيه و الحميريه، بل أنه بالنسبه إلى هذه الأخيره لما لم يجد أحدا يعرفها راح يسعى حتى وجد الشيخ الذى قص علينا قصته.

و قد انتهى البحث بجابر إلى أحد حلين: أولهما هو: " أن تمتحن الأدويه و العقاقير فى العربى، ثم فى الفارسى، و لسان لسان مما ذكرناه...

فايها صح فالزمه فى سائر تدييراتك ". و الحل الآخر هو أن يعمل فى كل عمل بلسانه.

أما الحل الأول فمقتضاه ألا يقصر الباحث نفسه على لغة واحد، بل يختار من مختلف اللغات مجموعه الأسماء التي تدل التجارب على أنها داله على طبائع مسمياتها دلالة واضحة، فلا ضير على العالم في هذه الحالة أن يستعمل للذهب - مثلا - اسمه العربي، ثم يستخدم للنحاس أو الرصاص اسمه الفارسي أو الرومي، و أما الحل الثاني فمؤداه أن يلتزم الباحث لغة واحده بحذافيرها في شتى أبحاثه، و سيجد أن كل لغة مكتفيه بذاتها في الدلالة على طبائع الأشياء، لأن حقائق الأشياء ثابتة لا تتعدد بتعدد اللغات، لكن جابرا يروى الرأى الثانى نقلا عن فيلسوف لم يذكر اسمه، ثم يرفضه، لأنه يرى أنه ما دامت كلمات اللغات المختلفه مختلفه البنيه، فلا يعقل أن تكون كلها على حد سواء في الدلالة على حقائق الطبيعه، و هذى هى عبارته جابر فى ذلك: " و سمعت بعض الفلاسفه من فلاسفه زماننا يقول فى ذلك الوجه أن يعمل فى كل عمل بلسانه، و ليس القول كما ظن هذا الرجل، إذ كان الحق لا يكون فى وجهين مختلفين" (٢).

و خلاصه القول أن الرأى عند ابن حيان فى اللغه هو أنها نتاج ظهر بالطبع لا بالاتفاق العرضى، و لهذا فهى ذات دلالة أصيله على حقائق مسمياتها، فهو يقول: "...و هل ذلك (أى كلمات اللغه) بالاصطلاح على ما جاء و اتفق أو بقصد طبيعى نفسانى؟ و هل ذلك عرض أو جوهر؟ فأقول: القول بأنها وضع و اصطلاح و عرض خطأ، لأنه جوهر بالطبع لا بالوضع، لكن بقصد نفسانى، لأن الأفعال النفسانيه جوهرية كلها...

فالحروف التى هى هيولى الكلام ابتداء نفسانى" (٣)، و يقول أيضا: "إذا كان قد ظهر أن لكل شىء موجود فعلا ما، فليعلم أن للإنسان خاصه أكثر الأفعال و أكبرها، فليعلم ضروره أن عمله و استخراج علم المنطق و النحو و الهندسه و الطب و النجوم - و إن كان موضوع كثير منها باطلا - فإن جميع ذلك حق، و غير مدافع أن الكلام و تأليف الحروف و عمل أشكالها من تأليف الإنسان، إلا أنها قد وقعت بالطبع... فغير شك إذن أن الكلام و نظم الحروف له طبع ما، إذ كان كل موجود له طبيعه ما، و هذا موجود" (٤) ا.

ص: ١٠٤

١- اعتقد أنه يقصد بقوله: "أيها القارئ" سيده جعفر الصادق الذى طالما يوجه إليه الخطاب.

٢- كتاب الحصال [الحاصل]، مختارات كراوس، ص ٥٣٨.

٣- كتاب الخمسين، مقاله ١٤، ورقه ٢١٣ ب و ما بعدها (پول كراوس هامش ص ٢٥٦).

٤- كتاب السر المكنون، ورقه ١٥٤ و ما بعدها (پول كراوس هامش ص ٢٥٧) قارن الجزء الأخير من الفقره المذكوره بما جاء فى هذا المعنى فى محاوره أقراطيلوس التى لخصناها لك فى "ب" من هذا الفصل، و ستجد التشابه تاما.

يرى جابر أن أول ما كان في الأزل هو العناصر الأوليه الأربعة:

الحراره و البروده و اليبوسه و الرطوبه، فهذه هي "أوائل الأمهات البسائط" كما يسميها، ثم طرأت على هذه البسائط حركه و سكون، فتكون منها تركيبات منوعه، و لو لا الحركه و السكون لظلت تلك الأصول الأولى مستقلا بعضها عن بعض، كل منها خالص لنفسه و قائم برأسه، لكن الحركه و السكون و حدهما لا يكفیان لخروج هذه الكائنات التي نراها من حيوان و نبات و حجر، بل لا بد كذلك من مبدأ الكميّه يدخل في عمله الامتزاج، لأن الأشياء إن تشابهت في خروجها أساسا من تلك الأمهات الأربعة، فهي تعود فتختلف حيوانا و نباتا و حجرا باختلاف المقادير التي تدخل في تكوينها من كل عنصر من العناصر الأوليه، فقد تزيد الحراره هنا و تقل هناك، و قد تزيد اليبوسه في شيء عنها في شيء آخر، و هكذا، و إذن فمراحل الوجود على وجه الإجمال هي: كفيّيات، فحركه و سكون، فكميّه، بهذا الترتيب.

فليس يذهب جابر مع النذاهيين إلى أن تلك العناصر الأوليه الأربعة قد سبقها إلى الوجود هيولى خلو من الكيف - و هو المذهب الأرسطى - ثم جاءت العناصر الأربعة فروعاً متفرعه عن الهيولى الخالصه، بان اكتسبت تلك الهيولى الساذجه كفيّه ما فصارت حراره، و كفيّه أخرى فصارت بروده، و كفيّه ثالثه فصارت يبوسه، و كفيّه رابعه فصارت رطوبه، و يقول أنصار هذا المذهب - كما يرويّه عنهم جابر - أن الهيولى اكتسبت أول ما اكتسب الأقدار الثلاثه: الطول و العرض و العمق، فصارت الهيولى بهذه الأبعاد الثلاثه جسماً ذا ثلاثه أبعاد، و بعدئذ خلقت فيه الكيفيات الأربع المذكوره فنشأت طبائع الأشياء و أركان الخليقه، ثم تركبت هذه الطبائع الأربع، و امتزج بعضها ببعض، فكانت منها جميع هذه الأشخاص و الأشباح الموجوده في العالم.

يعرض جابر هذا المذهب موجزاً ليتناوله بالنقد مقيماً الدليل على استحاله أن يكون قد سبق الأصول الأربعة شيء خلو منها، و إلا فكيف يجوز عند العقل أن يكون نفس المصدر الذي نشأت عنه النار هو الذي خلق منه الماء؟ ان هيولى الشيء هو ما قد تركب منه ذلك الشيء، فهل يتركب الماء و النار - و هما ضدان - من هيولى واحده؟ يقول جابر مخاطباً أصحاب الرأى القائل بان أصل العالم هيولى لا- كيف لها: لقد زعمتم أن أولى مراحل الخلق طينه أزليه لم تكن جسماً، و لا كانت موصوفه بصفه مما توصف به الأجسام، و زعمتم أن تلك الطينه هي أصل الأشياء و عنصر البرايا، و محال علينا أن نتصور بخيالنا هذه الطينه و لا أن نعقلها، ثم قلت إن المرتبه الثانيه هي أن قد اتخذت تلك الطينه الأزليه أبعاداً ثلاثه، فصارت بها جسماً، لكنه جسم غير موصوف بشيء من حر أو برد أو رطب أو يابس أو لون أو طعم أو رائحه أو حركه أو سكون، لأن هذه كلها كفيّيات، و الكيفيات لم تكن قد طرأت عليها بعد، و هذا أيضاً شيء غير معقول، ثم زعمتم أن الكيفيات الأربع قد حدثت بعد ذلك، و أعنى بها: الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه، و منها نشأت الطبائع الأربع التي هي النار و الهواء و الماء و الأرض، لكن هذا القول هو بمثابة قولنا إن شيئاً خرج من لا شيء، فهل كان يجوز أن يخلق الماء من نفس الشيء الذي خلقت منه النار؟ انكم إذا أجبتم بالإيجاب كنتم تجيبون بما هو محال، و ذلك أن كل شيء ركب منه شيء فهو هيولى لما تركب منه، فمن أمثله ذلك قولنا إن نطفه الإنسان هيولى الإنسان و نطفه الحمار هيولى الحمار، و إنا لنزعم أنه محال أن تقبل نطفه الإنسان صورته الحمار، لأنها ليست بهيولى لها، و كذلك محال أن تقبل نطفه الحمار صورته الإنسان، فوجب على هذا القياس أن يكون الشيء الذي يقبل صورته النار هو هيولى

لها - فمحال أن يقبل صورته الماء و أن يكون هيولى له.

و يستطرد ابن حيان فى مخاطبه أصحاب مذهب الهيولى الواحد، فيقول عنهم إنهم قالوا: إنا نجد الماء يستحيل فيصير نارا، فيكون الجوهر الحامل لكيفياته و حالاته هو نفسه الجوهر الحامل لكيفيات النار و حالاتها، فما جاز على الأول جاز على الثانى، و الذى تغير فى الحالتين هو الأعراض، فكذلك الهيولى القديم واحد، و هو حامل لكيفيات الماء و حالاته ان حدثت فيه، و حامل لكيفيات النار و حالاتها ان هى حدثت فيه، نقول إنهم إن قالوا ذلك قلنا: إن الماء ليس يستحيل دفعه واحده فيصير نارا، بل هو يتدرج فى ذلك، فيتحول أولا إلى بخار، ثم يصير البخار هواء، ثم يتحول الهواء فيصير نارا، فلو قال قائل: إن الماء يستحيل هواء فيصير نارا، لأهمل بذلك مرحله البخار التى ينتقل خلالها من حاله الماء إلى حاله الهواء، فيصبح قوله غير معقول، و هكذا قولكم - يا أصحاب مذهب الهيولى - كان يكون معقولا لو أنكم جعلتم الماء و النار يصدران عن هيولى بسيط أزل على النحو المتدرج الذى أسلفناه، لكنكم لم تقولوا ذلك، بل قلتم: كان يجوز أن يكون الهيولى الذى استحوذت عليه طبيعه الماء و حالاته، تستحوذ عليه - بدلا منها - طبيعه النار و حالاتها بغير استحالات متوسطه فيما بين الماء و النار، و هذا خلاف المعقول.

و يمضى ابن حيان فى تنفيذ دعوى أصحاب مذهب الهيولى، فيقول:

إنهم إن زعموا أن الهيولى القديم - قبل أن يكتسى بالصور و يكتسب الطباع - كان شيئا له القوه على قبول حالات النار و كيفياتها بجانب من جوانب تلك القوه، و بجانب آخر يقبل حالات الماء و كيفياته و بثالث يقبل حالات الهواء و كيفياته، و برابع يقبل حالات الأرض و كيفياتها.. أن زعموا ذلك عن الهيولى القديم، كانوا بهذا الزعم قد أثبتوا للخليقه أربعه عناصر أزيه قديمه، و هى مختلفات القوى، و بطل قولهم إن العنصر الأول واحد ليس بمختلف.

و تسألهم: هل يجوز انحلال الأشياء إلى الهيولى القديم كما تركبت منه؟ فان قالوا: لا يجوز هذا، سالناهم: و لم لا يجوز؟ فان قالوا: إن ذلك بطلان الأشياء و رجوع بها إلى الالى البسيط الذى لا تركيب فيه، قلنا: و ما ضرركم أن تقولوا إن الأشياء تعود إلى الأزلى البسيط الذى لا تركيب فيه و يبطل هذا العالم؟

و مما يدل على فساد قولهم بان أول الخلق هيولى بسيط لا كيف فيه، أن الفلاسفة قد بينوا لنا استحاله وجود جوهر عطلا من الأفعال كلها - الطبيعیه منها و الصناعیه - بحيث يكون ذلك الجوهر غير ذى فعل فى نفسه أو فى غيره، مع أن الهيولى التى زعم هؤلاء القوم أنه أزلى بسيط، و أنه الجوهر الأول، هو فى الحقيقه عطل من الأفعال كلها - الطبيعیه و الصناعیه و هو أمر مستحيل على البرهان العقلى، كما أنه بالبدهاهه مستحيل أيضا على الإثبات بطريق الإشاره.

فإذا كان هذا هكذا، انتهينا إلى رأى الذى نأخذ به، و هو أن الأصل الأول هو الطبائع الأربع: الحراره و البروده و اليبوسه و الرطوبه، فهذه لم تنفعل لشيء سبقها فيما عدا البارئ جل ثناؤه.

تقسيمات رباعيه:

من هذه الأصول الأربعة الأولى: الحراره و البروده و اليبوسه و الرطوبه نشأت أربعة عناصر، و ذلك باجتماع تلك الأصول بعضها ببعض اثنين اثنين، فقد اجتمع الحار و اليابس فنشأت النار، و اجتمع الحار و الرطب فنشأ الهواء، و اجتمع البارد و اليابس فنشأت الأرض، و اجتمع البارد و الرطب فنشأ الماء، على أن هذه العناصر الأربعة إنما يتفاوت ترتيبها علوا و سفلا على الوجه الآتى: فالنار أعلاها، و يتلوها الهواء، ثم الماء، و أخيرا الأرض.

و فصول السنه أربعة تقابل تلك العناصر الأربعة، فالصيف يقابل النار، و الربيع يقابل الهواء، و الشتاء يقابل الماء، و الخريف يقابل الأرض.

و فى بدن الإنسان أخلاط أربعة تقابل العناصر الأربعة، فالصفراء تقابل النار و زمانها القيظ، و الدم يقابل الهواء و زمانه الربيع، و البلغم يقابل الماء و زمانه الشتاء، و السوداء يقابلها الأرض و زمانها الخريف - و سيكون لتحديد الأزمان الملائمه لكل من هذه الأخلاط الأربعة شان فى العلاج الطبى للأمراض التى تطرأ على هذا الجزء أو ذاك، كما سنرى عند ما نتعرض لأهميه التحديد الزمنى عند جابر - و التحديد الزمنى للظاهره إنما يتقرر بأوضاع النجوم فى أفلاكها.

و للإنسان كذلك أعضاء رئيسيه أربعة، هى: الدماغ و القلب و الكبد و الأنتيان (؟)، يقابل كل عضو منها جانبا خاصا من التقسيمات الرباعيه السالفه الذكر، فالقلب فى الأعضاء يقابل الصفراء فى الأخلاط، و يقابل القيظ فى الفصول، و يقابل النار فى العناصر، و النار بدورها مؤلفه من الحراره و اليبوسه و هما من البسائط الأوليه، و الدماغ فى الأعضاء يقابل البلغم فى الأخلاط، و يقابل الشتاء فى الفصول، و يقابل الماء فى العناصر، و الماء بدوره مؤلف من البروده و الرطوبه و هما من البسائط الأوليه، و الكبد فى الأعضاء يقابل الدم فى الأخلاط، و يقابل الربيع فى الفصول، و يقابل الهواء فى العناصر، و الهواء بدوره مؤلف من الحراره و الرطوبه، و هما من البسائط الأوليه، و الأنتيان فى الأعضاء، يقابل السوداء فى الأخلاط، و يقابل الخريف فى الفصول، و يقابل الأرض فى العناصر، و الأرض بدورها مؤلفه من البروده و اليبوسه و هما من البسائط الأوليه.

"هذه هى بنيه العالم و طبيعته و الإنسان، فكان العالم ضروره إنسانا، و الإنسان جزءا صغيرا بالاضافه إلى العالم" هكذا يقول جابر تعليقا و تلخيصا لهذه التقسيمات الرباعيه، و هو قول بالغ الأهميه فى تحديد فلسفته الكونيه، إذ يبين نزعتة المشبهه - التى تشبه العالم بالإنسان - و هى نزعه تجعل الكون إنسانا كبيرا، و تجعل الإنسان كونا صغيرا، فكل الجانبين يصور الآخر، كأنما هما

خریطتان لشيء واحد، اتفقتا في طريقه التصوير و اختلفتا في مقياس الرسم وحده، يقول كارادى فو في مقالته عن جابر: "إن المذهب الموجود في مؤلفاته - و في كتابه الرحمه بصفه خاصه - و هو كتاب لا شك في نسبه إلى جابر - هو مذهب موغل في إسقاط الصفه البشريه على الطبيعه، أو ان شئت فقل إنه موغل في بث الحياه في الطبيعه، فهو يعد المعدن كائنا حيا، ينمو في حوض الأرض مدته طويله - آلاف السنين - متحولا من الحاله الناقصه - حاله الرصاص - إلى الحاله الكامله - حاله الذهب، و مهمه الكيمياء أن تعجل عمليه التحول، إنك لترى جابرا يستخدم عن المعادن ألقاها ماخوذه من الحياه البشريه، كالتوالد و الزواج و التلقيح و التريه، كما يستخدم عنها لفظتى الحياه و الموت، فالعناصر الأرضيه الغليظه "ميته" و الخفيفه اللطيفه "حيه"، و عنده أن كل جسم كيموى روح بدن، و مهمه الكيموى أن "يخلص" الواحد من الآخر، لكي ييبث في الجسم روحا ثلاثمه".

و على ذكر الغلظه و اللطافه في تمييز الأجسام، نعود إلى تقسيماتنا الرباعيه فنقول إن الأخلاط الأربعة في الجسم الإنساني: الدم و الصفراء و البلغم و السوداء، تختلف سرعه و بطئا و دقه و غلظا، فللدم السرعه و الغلظ معا، ألم نقل إنه يقابل في العناصر الهواء، و الهواء مؤلف من بسيطين أولين هما الحراره و الرطوبه؟ ثم أليست صفه الحراره هي السرعه و صفه الرطوبه هي الغلظ؟ إذن فللدم هاتان الصفتان الرئيسيتان: السرعه أخذها من حرارته، و الغلظ أخذها من رطوبته، و على هذا النحو قل إن البلغم يتصف بالبطء و الغلظ معا، لأن البلغم يقابل الماء، و الماء مزيج من بروده و رطوبه، و البروده بطء و الرطوبه غلظ، و الصفراء سرعه و دقه معا، لأنها تقابل النار، و النار مزيج من حراره و ييوسه، و الحراره سرعه و الييوسه دقه أجزاء، و أما السوداء فبطء و دقه معا، لأنها تقابل الأرض، و الأرض بروده و ييوسه، و البروده بطء و الييوسه دقه أجزاء، و لهذه الخصائص شان كبير في علم الطب عند ابن حيان (٣).

و ليست العناصر الأربعة سواء لا بالنسبه إلى وضعها من الكون و لا بالنسبه من الفاعليه، فلقد أسلفنا القول إنها في وضعها درجات متدرجه:

النار في أعلى و يتلوها الهواء فالماء و الأرض، و نضيف هنا أن الحراره و البروده فاعلان، و أما الييوسه و الرطوبه فمفعلان، بمعنى أن الحراره تصب فعلها على الييوسه فتنتج النار، و البروده تصب فعلها على الرطوبه فينتج الماء، و كذلك تصب الحراره فعلها على الرطوبه فينتج الهواء، و تصب البروده فعلها

على اليبوسه فتنج الأرض (١). و نوضح هذا بالجدول الآتى:

الحراره فاعله و اليبوسه منفعله - النار.

الحراره فاعله و الرطوبه منفعله - الهواء.

البروده فاعله و اليبوسه منفعله - الأرض.

البروده فاعله و الرطوبه منفعله - الماء.

فبين المركبات الأربعة، النار و الهواء و الأرض و الماء تقابل بعضه ناقص و بعضه تام: فبين النار و الأرض تقابل ناقص لأنهما مشتركتان فى اليبوسه و مختلفتان فى أن النار حاره و الأرض بارده، و كذلك بين الماء و الهواء تقابل ناقص، لأنهما مشتركتان فى الرطوبه و مختلفتان فى أن الماء بارد و الهواء حار، أما الأرض و الهواء فبينهما تقابل تام لأنهما مختلفتان فى كل شىء، فالأرض بارده و الهواء حار، و الأرض يابس و الهواء رطب، و كذلك بين النار و الماء تقابل تام، فالنار حاره و الماء بارد و النار يابس و الماء رطب، و نوضح هذا بالرسم الآتى:

و لما كان الهواء و الماء و النار و الأرض مركبات، كل مركب منها مؤلف من عنصرين أوليين، كان فى مستطاع المجرب أن يقيم التجارب ليرد كل مركب منها إلى عنصره البسيطين، فالماء - مثلاً - بروده و رطوبه معا، فإذا أردنا أن نطرح منه رطوبته لنستبقى برودته وحدها، أمكن ذلك بتجربه تجربها على الوجه التالى: "وجه التدبير أن تلقى الماء فى القرعه و تترك فى القرعه شيئاً فيه ييس شديد قوى، كالكبريت و ما جانسه، فان الرطوبه نشفتها اليبوسه و الحراره، و يحرق ما فيه من الرطوبه، فتبقى البروده مفرده" (١) و هكذا نستطيع أيضاً أن نتصرف إزاء الحار اليابس، فننبذ حرارته و نستبقى يبوسته، أو ننبذ يبوسته و نستبقى حرارته، حسب حاجتنا فيما نجريه من تجارب علميه.

و على الطبائع الأوليه الأربعة يتوقف كثير من الصفات، بحيث يكفينا العلم ببعض جوانب شىء ما لنستدل جوانبه الأخرى، ما دامت صفاته وليده طبيعته الأولى، فلو عرفنا هذه استنتجنا تلك، و لو عرفنا تلك استنتجنا هذه، مثال ذلك أن تلحق صفه الخفه بالحار و اليابس، و صفه الثقل بالبارد و الرطب، و الحراره يلحقها العلو كالنار تتجه دائماً إلى أعلى، و البروده يلحقها الهبوط إلى أسفل، كالحجر يتجه دائماً إلى أسفل، و الرطوبه يلحقها الحركه الأفقيه فلا هى إلى أعلى و لا هى إلى أسفل، كالماء ينساح عرضاً، فلو ترك إلى طبيعته لما علا و لا هبط، بل ركد فى سطح مستو، و اليابس شانهُ أن يتغلغل فى دواخل الأشياء، كالهواء يتسلل خلال دقائق الشىء - فنستطيع - إذن - أن نقول إن الطول من توابع الحراره، و القصر من توابع البروده، و العرض من توابع الرطوبه، و العمق من توابع اليبوسه (١).

الفلك و جرم الفلك:

أما الفلك فهو الإطار الخارجى للكون، و أما جرمه فهو ما يملأ ذلك الإطار، و الإطار الخارجى - عند جابر - هو الأوليات الأربعة: الحراره و البروده و اليبوسه و الرطوبه، و على أساسها تتركب الأشياء بشتى صنوفها، لكن هذه الأوليات الأربعة نفسها -

كما قدمنا - ليست بمنزله واحده فى إطار الكون، بل فيها اثنان فاعلان هما: الحرارة و البروده، و اثنان منفعلان هما:

اليبوسه و الرطوبه، فصور لنفسك كره تدور على محور، يكن سطح الكره بمثابه الحرارة، و يكن المحور بمثابه البروده، فإذا ما دارت الكره نتج عن دورانها ييوسه و رطوبه، و بهذا تتكامل الأوليات الأربعه (٢)، أعنى يتكامل "الفلك" أو إن شئت فقل يتكامل الإطار.

و بعدئذ يجىء ما يملأ ذلك الإطار، و أول ذلك هو الأركان الأربعه التى أسلفنا لك القول فيها، و هى: النار و الهواء و الماء و الأرض، و لا يفوت جابرا هنا أن ينبه إلى أن "الفلك" - أى الإطار الأولى - ليس بذى ماده فى ذاته، فهو كالمفاهيم الهندسيه: الدائره و الخط و النقطه، كلها تصورات عقليه، فالدائره هى ما يحيط بغض النظر عن الجرم الذى تحيط به، و الخط طول بلا علاض [عرض] و لا جسم بغض النظر عن طبيعه الشىء الذى يمتد خطا، و النقطه شىء يتصوره العقل لا الحواس، لأنها هى ما ليس له أبعاد، و ليس فيما تحسه الحواس شىء بغير أبعاد، فكما نقول عن الدائره إنها تحيط بلا جسم، فكذلك نقول عن الفلك - الذى هو الأوليات الأربعه - أنه هو الذى يحيط بالكون دون أن نذكر ما ذا عسى أن تكون طبيعه هذا الكون المحوط.

على أنه لا مندوحه لنا من افتراض وجود "جوهر" ما، ليكون هو نواه التكوين، فكأنما هذا الجوهر هو بمثابه طبيعه خامسه تضاف إلى الطبائع الأوليه الأربع، "فالجوهر هو القابل لكل شىء، و هو الذى فى كل شىء، و منه كل شىء، و إليه يعود كل شىء كما خلقه بارئته تعالى ربنا و مولانا، جعله فى كل و كل إليه راجع" (٣).

و ما نكاد نبدأ فى تصور هذا الجوهر كيف يتشكل و يتعين فى صور

معلومه، حتى نرانا ملزمين بالضروره العقليه أن نفرض قيام ضروب من التشكل و التعين، هي التي نسميها بالمقولات، و التي قسمها أرسطو إلى عشره، فهل بوسعك أن تتصور شيئا يتخذ شكلا معينا دون أن تفرض أنه لا بد أن يكون ذا كم معلوم، و ذا كيف معلوم، و ذا زمان يحدث فيه، و ذا مكان يتخذ حيزه في أبعاده، و ذا علاقات متصله بسواه، و ذا لواحق تتبعه، و ذا وضع يتخذه، و ذا فعل يصبه على غيره، و ذا انفعال يتلقى به فعل غيره عليه؟ هذه إذن هي المقولات العشر التي تفرض نفسها على العقل فرضا، إذا أراد هذا العقل أن يتصور أن شيئا ما سيطرأ عليه تشكل و تعين.

و يحدد جابر المراد بهذه المقولات، فاما الجوهر فهو - كما أسلفنا - الشيء القابل للتشكل على أى صورته، فيه كل شيء و منه كل شيء يتركب، و إليه ينحل كل شيء، فلئن اختلف الحيوان و النبات و الجماد في خصائص تميزها، فهي كلها مشتركه في جوهر واحد يدرك بالعقل لا- بالحس، "فليس يمكن أحدا لمسه، و لا إذا مسه وجد له لمسا، و لا يقدر أن يأخذ منه شيئا بيده" (١).

هذا الجوهر من شأنه أن يحمل الصفات الأوليه: يحمل الحراره أو البروده أو اليبوسه أو الرطوبه، و لئن كانت هذه الصفات الأوليه تجريدات و ليست أجساما إلا- أنها ذوات وزن، و أما الجوهر فهو جرم و ذو وزن - نعم أن هنالك من الفلاسفه من يدرجون الجوهر مع الأوليات و يجعلونها بلا وزن، لكن " هذا كلام من لم يستغرق في العلم حق استغراقه، و إنما نظر فيه صفحا " (٢) فإنه قد وجب الآن على التحقيق أن للحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه أوزانا و أن للجوهر وزنا، لا بد من ذلك، و إلا فوجب أنا إذا جمعنا ما لا يرى و لا يوجد - مثلا في الحراره و اليبوسه - إلى ما لا يرى و لا يوجد، و لا وزن لأحد منهم، لم يكن منه شيء، و كذلك إذا جمعنا لا شيء إلى لا شيء كان من الجمع لا شيء، و كذلك لو جمعنا ما لا يوجد و لا يرى و لا وزن له - و هو مثل البروده و اليبوسه - إلى ما لا يوجد و لا يرى و لا له وزن، كان منه شيء لا يرى و لا يوجد و لا له وزن، و بطل سائر تلك المحموله عليه، لأن قولنا: لا يوجد و لا يرى و لا وزن له، إنما هو حد اللاشيء " و يمضى ابن حيان في حديثه هذا فيقول: إننا إذ نقول عن الطبائع الأوليه أنها لا توجد و عن الجوهر أنه لا يوجد، فما ذاك إلا لأن كلا منها لا يوجد منفردا، و لا يرى منفردا، و إذا حسبنا أنه لا وزن له، فذلك للطافته و دقته، و أما أن نسمع فلا سفه يعدمون هذه الأشياء وزنها و وجودها و رؤيتها فذلك قول منهم بلغ من الخطأ أقصاه.

و أما الكميه فهي الحاصره المشتمله على كل ما تقوله عن المقدار العددي لشيء ما، و عن الأعداد بصفه مطلقه، كان تقول: إن عددا مساو لعدد، أو إن عددا مخالف لعدد، مع تطبيق هذا التساوى و الاختلاف العدديين على الأوزان و المكايل و ما إلى ذلك.

و أما الكيفيه فهي التي تتناول الشيء من حيث كونه طويلا أو قصيرا، منحرفا أو قائما، حارا أو باردا، و سائر ما فيه من صفات، فلئن كان الكم منوطا بمقداره، فالكيف منوط بأوصافه، فإذا سألناه عن الأول سألنا بكلمه: كم؟ و إذا سألنا عن الثاني سألنا بكلمه: كيف؟ فإذا سألت عن إنسان: كم هو؟ كان الجواب: هو واحد، أو سألت كم يكون وزنه؟ قيل لك إنه كذا و كذا رطلا، أما إذا سألت عنه بقولك: كيف هو؟ كان الجواب: هو يقوم و يقعد و يتكلم و يضحك و هو أسمر أو أبيض و أسود أو أحد الألوان، و له شعر و له جلد و له عروق... فما كان من صفه دخل تحت الكيفيه، و ما كان من مقدار دخل تحت الكميه.

" و أما الزمان فهو الذي يقطع به من حال إلى حال، مثل أن تكون قاعدا فأنت في زمانك قاعد ثم تقوم، فذلك الذي منه ابتداء

قيامك من جلوسك هو الزمان، و هو واحد ما دمت قائما، و إذا جلست فهو أيضا زمان و أنت فيه، و الزمان واحد "، فليس اختلاف أزمته الحوادث في الأشياء المختلفه بمقتضى التعدد في الزمان من حيث طبيعته، إذ هو زمان واحد و فيه يحدث التغير من حال إلى أخرى، و للزمان كم و كيف: فكميته هي التي يجاب بها عن مثل سؤالنا: كم مقدار ما كان زيد قاعدا؟ و أما في الكيف فهو أن تقول: كان الزمان حارا أو باردا، و لذلك وجب أن نقدم الكم و الكيف على الزمان و المكان.

" و أما المكان فهو الذى ليس يخلو شىء من أن يكون في مكان بته " فلا مندوحوه للشىء عن أن يكون في موضع ما حتى يتاح له أن يحمل هذه الصفه أو تلك.

و أما النبات " فالقول فيه كالقول في الحيوان " و هو حلقه وسطى بين الحيوان في طرف و الحجر في طرف آخر، أما أنه كالحيوان فذلك من حيث أن له نفسا و جوهرًا و حراره و بروده و يبوسه و رطوبه، و كلها محصوره في مكان و في زمان، فلا ينقصه إلا العقل الذى خصصنا به القسم الشريف من الحيوان، و أعنى به الإنسان، " فكل موجود ذو نفس، و ليس ذا عقل " .

هذا ما يقوله جابر عن النبات في كتاب التصريف، لكننا نراه في كتاب آخر، هو كتاب التجميع يقول قولاً آخر، إذ يقول ما معناه أن النبات فيه ما في الحيوان من جوانب " إلا- شيئين، فان النبات غير محتاج إليهما، و هما النفس و العقل " (٣) و هو في كتاب التجميع يعقد موازنه بين الحيوان و النبات من حيث تفصيل الأعضاء في كل منهما: ففي النبات الورق و الثمر و اللحاء كما أن في الحيوان العظام و العروق و اللحم و غير ذلك، و لعله أراد بالموازنه أن يبين أن الدماغ في الحيوان لا يقابله شىء في النبات، مما يستلزم أن نخص الحيوان بالنفس وحدها أو بالنفس و العقل معا، و لا نجعل هذه الصفه للنبات. ٠.

ص: ١٠٨

-
- ١- كتاب التصريف، مختارات كراوس، ص ٤٠٠-٤٠١.
 - ٢- كتاب التصريف، مختارات كراوس، ص ٤٠٠-٤٠١.
 - ٣- كتاب التجميع، مختارات كراوس، ص ٣٨٠.

و كذلك يوازن بين النبات و الحيوان من حيث الطبائع (1)، و هاهنا نجد تشابها بينهما، في أن كلا منهما ينقسم ثلاثة أقسام في مراحل التطوريه، و هي: الأول، و البليد، و الذكي - و هو تقسيم قريب الشبه جدا بما نجده عند كثيرين من الفلاسفه الذين يقسمون الكائنات الحيه الشاعره على أساس درجه الإدراك مثل الذى نراه عند لبيتز و اسپينوزا، فهناك نجد المرحله الأولى هي مرحله اللاشعور، و هي المرحله التى تتمثل فى النبات مثلا ثم مرحله الشعور، و هي التى تتمثل فى الحيوان، ثم مرحله الشعور بالذات، و هي التى تتمثل فى الإنسان الذى يشعر و يكون على وعى بأنه شاعر - و نعود إلى جابر فى تقسيمه للحيوان و النبات إلى: أول، و بليد، و ذكى، و هاهنا نجد لمحّه منهجيه رائعه، حين يقول ما معناه: اننى لم أقسم النبات إلى هذه الأقسام الثلاثة لمجرد علمى بان الحيوان ينقسم إليها، بل إننى قسمته إلى هذه الأقسام لأننى وجدته كذلك، و معنى هذا أن جابرا لا يقيم أحكامه العلميه على تأمل، بل يقيّمها على تجربته، و أيا ما كان الأمر، فالتقابل هنا تام بين الحيوان و النبات: الأول فى الحيوان كالأول فى النبات، و البليد هنا كالبليد هناك، و كذلك الذكى، و بليد النبات عنده هو الذى يبقى برهه من الزمان يسيره ثم يذهب، كما قد نجد فى الحيوان مثل ذلك، و لم يضرب لنا جابر من النبات أمثله تحدد ما ذا يعنى بالجانب الذكى منها.

و أما الحجر - أى الجماد - فهو ينقسم ثمانية أنواع، و كل واحد من تلك الأنواع الثمانية ينقسم ثلاثة أقسام (2)، و ذلك على الوجه الآتى:

أ - متحجر، منسحق، غير ذائب.

ب - متحجر، غير منسحق، غير ذائب.

ج - متحجر، غير منسحق، ذائب.

د - متحجر، منسحق، ذائب.

ه - غير متحجر، غير منسحق، غير ذائب.

و - غير متحجر، غير منسحق، ذائب.

ز - غير متحجر، منسحق، غير ذائب.

غير متحجر، منسحق، ذائب.

و يعتقد جابر أن المركبات الثلاثة: الحيوان و النبات و الحجر، تتفاوت صعوبه تكوينها على هذا الترتيب نفسه، فالحيوان أسهلها و النبات وسط بين السهوله و الصعوبه و الحجر أصعبها جميعا.

بنيه الكون: (3)

إنه ينبغي أن نتصور دائره لا نهايه لآخرها، ذات صلّه مباشره بأول طبقه من طبقات الأشياء الداخلة فيها، فهذه الدائره هي ما يسميه الفلاسفه بالعله الأولى، و هي عله فاعله، تتصف بأنها قادره على العقل، و أنها عاقله، و أنها لا تعقل إلا الصواب، و الخير، و العدل، و ما فيه للنفس فرح و راحه و أمثال ذلك، إلى ما لا آخر له مما توصف بها هذه الدائره... و لو قلنا هذا المعنى بعبارة أقرب إلى إفهامنا، كانت العله الأولى لا-متناهيه، فاعله، تدرك الحق، و تفعل الخير، و تخلق الجمال، فهي عاقله - لا بمجرد قابليتها و استعدادها، بل هي عاقله بالفعل، و العقل عندها مداره قيم الحق و الخير و الجمال: فالحق في أنها لا تدرك إلا الصواب، و الخير في أنها لا ترى و لا تفعل إلا الخير و العدل، و الجمال في أنها لا تفعل إلا ما يعود على النفس بالنشوه و الفرحة و الراحة.

و دون هذه الدائره دائره أخرى لها الإدراك العقلي لكن ليس لها القدره على الفعل، فهي تعلم و لا تعمل، هي تتصور الأمور كلها باطنها و ظاهرها، جليلها و دقيقها، عامها و خاصها، لكنها لا تخلق و لا تحرك.

و في جوف هذه الدائره الثانيه دائره ثالثه، و هي - على خلاف الثانيه - تعمل و لا تعلم، فهي فاعله قادره، لكنها جاهله، فالدائره الثالثه تساوي الأولى في فعلها و في قدرتها، لكنها تختلف عنها في أنها جاهله و الأولى عاقله، و تختلف الثالثه عن الثانيه في الوجهين معا: العلم و الفعل، فالثانيه ذات علم و الثالثه جاهله، و الثانيه عاطله عن الفعل و الثالثه فاعله، و هذه الدائره هي النفس.

و في داخل دائره النفس دائره رابعه، لا تعلم و لا تجهل، و لا تفعل و لا تنفعل، و هي عالم الجوهر - عالم الهباء المنثور - الذي منه بنيه هذا العالم، و هو الذي يسميه قوم بالهولي (انظر شكل ٢، ٣).

و بعد تصورنا لهذه الدوائر التي يحتوى بعضها على بعض: الدائره الأولى و في جوفها دائره العقل، و في جوف هذه دائره النفس، و في جوف هذه دائره الجوهر، لتتصور أيضا أن الزمان و المكان قائمان في جوانب هذه الدائره الأخيره، و في جوفها - أعنى في جوف دائره الجوهر - فلنتصور دائره أخرى، هي دائره العناصر البساطه، و هي الحراره و البروده و اليبوسه و الرطوبه، أما كيف ترتب هذه العناصر داخل دائره الجوهر فأمر مختلف عليه، فطائفه تقول إن دائره الجوهر تنقسم بخطين متقاطعين إلى أربعه فيكون كل ربع منها مقاما لواحد من العناصر الأربعه، كما يتضح من الرسم الآتي:

و طائفه ثانيه تذهب إلى أن دائره الجوهر تضم في جوفها أربع دوائر منفصل بعضها عن بعض، و كل دائره منها تمثل واحدا من العناصر الأربعه، كما يتضح من الرسم الآتي:

و طائفه ثالثه تقول إن داخل دائره الجوهر دوائر، الأوسع منها تضم في جوفها الأضيق، و هكذا، بحيث تكون أوسعها دائره الحراره - و هي أحد العنصرين الفاعلين: الحراره و البروده - و تليها دائره العنصر الذي هو منفعل الحراره، و أعنى به اليبوسه، ثم تليها دائره ثالثه هي دائره العنصر الفاعل الثاني، و هو البروده، و أخيرا تجيء دائره رابعه للعنصر المنفعل للبروده، ٤.

ص: ١٠٩

٢- كتاب التصريف، مختارات كراوس، ص ٤٠٢.

٣- كتاب التصريف، مختارات كراوس، ص ٤٠٦-٤١٤.

و هي الرطوبه، و بهذا تكون الصوره على النحو الآتى:

و فى داخل دائره الرطوبه دائره أخيره قيل عنها إنها خلاء، و قيل إنها ليست خلاء، و يفضل جابر أن يختار لها الفرض الأول.

و أما النفس التى هى الدائره الثالثه بعد دائره المبدأ الأول و دائره العقل، فإنها قد تشبثت بالدائره التى دونها، و هى دائره الجوهر تشبثا جعلهما شيئا واحدا مرثيا، و هو أول ما انفعل من أشياء، و يعد بدءا للعالم المحسوس.

هكذا تكون بنيه الكون كما يتصورها جابر بن حيان: دوائر يحوى بعضها بعضا، فدائره العله الأولى، تتلوهها من الداخلى دائره العقل، و هذه تتلوهها من الداخلى دائره النفس، و هذه تتلوهها من الداخلى دائره الجوهر، و هذه تتلوهها من الداخلى دوائر للعناصر الأربعة، و أخيرا تجيء دائره خلاء، و لقد اتخذ الكون شكل الدائره لأن الدائره أكمل الأشكال الهندسيه، و ما جاء على صورتها يكون قليل الآفات و غير هالك إلا أن يشاء الله صانعه أن يهلكه، و هو الذى فوق العله الأولى و تحت مركز الدائره الصغرى من هذا العالم، و لذلك كان هو الأول و الآخر.

و لا- أحسبى بحاجه إلى ذكر الشبه التام بين هذا التصور للعالم و بين الصوره التى تصورها أفلاطون - مؤسس الأفلاطونيه الحديثه فى الإسكندريهأبان القرن الثالث الميلادى - فمن الله الواحد انبثق العقل، و من العقل انبثقت نفس العالم و هى ليست مجسده و لا قابله للانقسام، و لهذه النفس ميلان، فتميل علوا إلى الواحد الاسمى، و تميل سفلا إلى عالم الطبيعه، و من امتزاجها بالجوهر و ما ينحصر فيه من عناصر أربعه تكونت الكائنات الحسيه.

فعل البروج و الكواكب

البروج و الكواكب:

فلك البروج قطعه واحده منقسمه بطبيعتها اثنى عشر قسما، كل قسم منها ينقسم بدوره ثلاثين قسما، فيصبح مجموع الأجزاء ثلاثمائه و ستين جزءا، و ان هذا الفلك باجزائه هذه ليسير بالنسبه إلى ساكن الأرض من المغرب إلى المشرق بحركه خفيفه، و يعلوه فلك آخر، هو الأثير، و هو يتحرك فى اتجاه مضاد لاتجاه فلك البروج، إذ يتحرك من المشرق إلى المغرب، ثم ياتى فلك ثالث هو ما يسمى بفلك الكواكب المتحيره، التى تسلك مسارات يحتوى بعضها على بعض، و أوسعها مدارا هو زحل، و أصغرها مدارا هو القمر(1)، و فيما بين هذا و ذاك يكون المشتري و المريخ و الشمس و الزهره و عطارد على هذا الترتيب بادئا من زحل و منتهيا إلى القمر.

أما البروج الاثنا عشر فهى: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبله، الميزان، العقرب، القوس، الجدى، الدلو، الحوت - و ان الراصد من سكان الأرض ليرى الشمس فى سيرها تقيم فى كل برج من هذه الأبراج الاثنى عشر ثلاثين يوما على وجه التقريب، كما يرى زحل مقيما فى كل برج ثلاثين شهرا، و المشتري مقيما فى كل برج عاما، و المريخ مقيما فى كل برج أربعين يوما، و مثله عطارد و الزهره، و أما القمر فيقيم فى كل برج يومين و نصف يوم(2).

و إن هذه البروج الاثنى عشر لتنقسم مجموعات أربعا على أساس الطبائع الأربع، و ذلك على الوجه الآتى:

١ - الحمل، الأسد، القوس...

بروج ناريه حاره يابس، تدرج فى حرارتها هابطه من الحمل إلى القوس.

٢ - الثور، السنبله، الجدى...

بروج أرضيه بارده يابس، تدرج فى برودتها على هذا الترتيب.

٣ - الجوزاء، الميزان، الدلو...

بروج هوائيه حاره رطب، تدرج فى رطوبتها على هذا الترتيب.

٤ - السرطان، العقرب، الحوت...

بروج مائيه بارده رطب، تدرج على هذا الترتيب.

و الكواكب السبعه موزعه على هذه البروج، فلكل من الشمس و القمرى [القمر] برج واحد، أما الشمس فبرجها الأسد، و أما القمر فبرجها السرطان، و تبقى عشره بروج لخمسه كواكب، لكل كوكب منها برجان، أحدهما على يمين الشمس و القمر، و الآخر على يسارهما، و ذلك على الوجه الآتى:

المريخ برجه الحمل، و العقرب.

زحل برجه الدلو، و الجدى.

الزهره برجها الثور، و الميزان.

المشتري برجه الحوت، و القوس.

عطارد برجه الجوزاء، و السنبله.

و إن الكواكب السبعه لتختلف فى مقدار الحراره التى تستمدتها من الشمس باختلاف قربها منها أو بعدها عنها، فالشمس هى التى تمد الكواكب كلها بالحراره و النور، و لذلك كانت الكواكب كلها على درجه من الحراره صغيره أو كبيره، برغم أنها تنقسم بين الطبائع الأربع: الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه، إذ إن منها ما ينتمى إلى البروده - مثلاً - مع كونه مزوداً بقليل من حراره الشمس.

لهذا جعلت الشمس وسطاً بين الكواكب لتصل حرارتها إلى الكواكب الأول و الكواكب الأخير على تفاوت فى الدرجه، و لولا الشمس و إمدادها لسائر الكواكب بشيء من الحراره يقل أو يزيد، لبطل وجود الفلك بسبب البرد الذى لا حراره فيه.

١- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٣٣-٣٤.

٢- نفس المرجع، ص ٣٨.

و الذى يلى الشمس فى الحمااء هو المريخ، لأنه أولا حار بطبعه، و هو قريب من الشمس ثانيا، فأعطته الشمس من الحمااء الجزء الأكبر، ثم يلى ذلك المشترى، فهو دون المريخ فى الحمااء لبعده عن الشمس، على أنه أقوى حمااء من زحل، إذ يقع المشترى وسطا بين حمااء المريخ و بروده زحل، فزحل أقل الكواكب حراره لأنه أبعدھا عن الشمس، و لما كانت الحراره و الحرکه قرينين، و البروده و السكون متلازمين، كان زحل أشد الكواكب سكونا لأنه أقلھا حراره.

و أما الزهره فتكاد تقرب فى الحمااء من المريخ، و كذلك عطارد يكاد يقرب من المشترى، و كذلك يقرب القمر من زحل فى درجه البروده، لأنهما هما الطرفان.

خواص النجوم و أفعالها:

إنه إذا كانت ظواهر الطبيعه مرتبطه فى حدوثها بازمه معينه، كان لا بد لدراسه كل ظاهره من تحديد زمنها الملائم لحدوثها، لكن تحديد الزمن مرهون بوضع الأرض بالنسبه إلى أجرام السماء، و إذن ينتج عن هذا نتیجه طبيعیه لازمه، و هى أن ثمة علاقته ضروريه بين أوضاع النجوم من جهه و مختلف الظواهر الطبيعیه من جهه أخرى، و الأمر بعد ذلك أمر ملاحظه دقيقه و تصنيف من شأنهما أن نصل بكل جرم سماوى مجموعه الظواهر التى تقترن بظهوره، و فيما يلى ما يقوله ابن حيان فى تلازم الظواهر الطبيعه و الكواكب، و أساس التلازم هو طبيعه الكواكب و ما تستتبعه من أحداث ثلاثهما:

١ - زحل، و هو بارد يابس، بطيء الحركه:

فمما يتفق و طبيعته سواد اللون و حده الطبع و سرعه الانحلال، و الطعوم الحامضه و المره، و الوباء، و ظهور ما فى بطن الأرض إلى ظهرها من نبات الجبال و العشب، و الأحجار السوداء و الزرقاء و الخضراء، و من المعادن: الأسرب و الماس و الرمل و الزجاج، و من البحار: ما كان منها نثنا يؤوى السلاحف، و الجمال، و الجاموس، و الفيله، و كبار الدواب العسيره الحركه البطيئه السيره، ذوات الفطنه، و من النبات: كبار الشجر و النخيل، و ما يطول زمانه و يقل نوعه و يكثر التفافه و تشتد صلابته، و كثيرا ما يكون شجرا بغير نفع للإنسان(١).

٢ - المشترى، و هو حار رطب نير مشرق.

و مما يتفق و طبيعته ما كان من البلاد ساطع النور، يكثر فيه اللون الأصفر و الدرى الصافى من الأخضر، و الأبيض الناصع و الأحمر الخفيف، و الطعوم الطيبه، و الروائح الزكيه المعتدله، و الطعوم الحلوه، و تتفق مع طبيعته كثره الزهر و الحجاره ذوات اللون الأصفر و الأحمر الرقيق، كالرصاص و البلور، و اللؤلؤ، و الدر، و من الحيوان: الإنسان و القرده و الكلاب و الثعالب، و من الأشجار ما كان منها معتدلا فى طبيعته كالتين و النبق و الفاكهه الكبيره(٢). ٣ - المريخ:

و يتفق و طبيعته الحمراء و الحاده، و تكثر فيه الذبائح و فوره الدم كالشياه و الماعز و السخلان و ما يذبح و يسلخ و يعذب، و من المواد: الكبريت و المغنيسيا و الياقوت الأحمر، و من الأشجار: الحاده و الحريفه، و من الصناعات: الاماره و قياده الجيوش، و صناعات الجلادين و الحدادين و الوقادين و كل عمل يتصل بالنار(٣).

يتفق معها الأشياء المشرقة النيره، و الملك، و نشوء العالم، و ما فيه من نفس و ماء و حياه، و من الأشجار: اللوز و الجوز و الأشياء الدهنيه كالزيتون و الصنوبر، و من الحيوان: الغزلائن و الأسد، و من الحجاره: الذهب و الياقوت و المورد، و الشمس أكثر الكواكب فعلا فى العالم(٤).

يوافقها الأشياء ذوات الحسن و الجمال، و بخاصه من النساء، و كذلك يوافقها اعتدال الأمور و رقه القلوب، و من الحجاره: النحاس، و من الأشجار: الرياحين و الفاكه الطيبه، و من ظواهر المجتمع: الطيب و العنبر و المسك، و من الأشجار: الكافور و الصندل(٥).

من لوازمه الحب و الدعايه و سرعه الحركه، و الانطباع بكل طبع و العدول إلى كل مذهب و قول، و يوافقه من الناس و الحيوان: أهل الجبل، و الثعالب، و كل ذى مكر و حيله، كالمحتالين و اللصوص، و من الأشجار:

الصفصاف، و الأشجار ذوات الأثر اللطيف فى الأدوية و العقاقير، و من الحجاره: الزيبق و الأدهان الصافيه، و من الصناعات: الأشياء الدقيقه العسيره كالكتابه و الهندسه و علوم الصور و جميع الأجهزة اللطيفه الدقيقه(٦).

و يوافقه الكذب و النميمه و الظلم و السرعه و قله الصبر على حال واحده، و من الأشياء: الظلمه و الماء و الجواهر السوداء الرطبه الخسيسه كالطين و الحماء و الفضه، و من الناس: المرءون و المصابون كالعريان و غير ذلك من ذوى العاهات، و من الأشجار: الحشيش و بعض السموم، و من الأيام: أشرها و أقبحها يوم الاثنين، و ذلك لأنه يقابل الشهوه و جوانب النقص، فالأول الكامل هو الواحد، و أما الثانى فهو للنقص [الناقص] العاجز، و لهذا ترى يوم الاثنين هو يوم الأسفار، و يوم الفتن، و يوم الآفات(٧).

تفاعل البروج و الكواكب:

لقد مر بنا أن للبروج خصائص و للكواكب خصائص، و إذا قلنا

١- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٣-٤٢.

٢- المرجع السابق، ص ٤٣.

٣- المرجع السابق، ص ٤٤.

٤- المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.

٥- المرجع السابق، ص ٤٥.

٦- المرجع السابق، ص ٤٦.

٧- المرجع السابق، ص ٤٦-٤٧.

البروج و الكواكب فقد قلنا أيام السنه و شهورها و فصولها، و نحن الآن ذاكرون فعل البروج و الكواكب مجتمعين، لأنه قد يكون الكوكب الواحد ذا أثر معين و هو فى برج معين، و ذا أثر آخر و هو فى برج آخر، و قد أسلفنا لك القول بان لكل كوكب من الكواكب السبعه - فيما عدا الشمس و القمر - برجين يظهر فيهما على دوره فلكه.

١ - فإذا وقع كوكب حار يابس فى برج حار يابس، نتج عن اجتماعهما: ثوران النيران، و إحراق القيظ، و جفاف الشجر و النبات، و يبس الأشياء و ارتفاع حرارتها، و ثوران الصفراء فى الأجسام، و احتراق الألوان و سمره الصغار الذين هم فى الأرحام و سوادهم، و نقص المياه، و تجمد الماء و الأرض، و هبوب الرياح الوبئه المحرقه و المتلوننه، كالرياح الحمراء و الصفراء و تلهب البحر، و انعقاد الأحجار الشريفه كالكبريت و الياقوت(١).

٢ - و إذا وقع كوكب حار رطب فى برج حار رطب، نتج عن اجتماعهما اعتدال الزمان و الدم، و ازدهار الشجر، و صفاء السماء و الرياح، و إشراق الألوان، و ترعرع الحيوان و النبات، فالفضل عندئذ هو فصل الربيع(٢).

٣ - و إذا وقع كوكب بارد يابس فى برج بارد يابس، نتج عن اجتماعهما فصل الخريف، و فيه يكون هبوب الرياح السوداءويه، و غلبه السوداء فى أبدان الحيوان، و جفاف الأرض، و انعقاد المياه و استحالتها إلى عناصر أرضيه، و كثره المواشى الكبار كالجمال و الفيله و الجاموس(٣).

٤ - و إذا وقع كوكب بارد رطب فى برج بارد رطب، نتج عن اجتماعهما فصل الشتاء و البرد، فتهب الرياح الباردة، و يثور البحر، و يخرج ما فى جوف البحار إلى سطحها، و تلين الأرض و تتحول الأشياء بانحلالها(٤).

٥ - و إذا وقع كوكب حار يابس فى برج رطب بارد، نتج عن اجتماعهما الصواعق و البروق و الرعود و الرياح مع مطر قليل و غيم كثير - هذا إذا كانت الغلبه للكواكب على البروج، أما إذا كانت الغلبه للبروج على الكواكب، فعندئذ تكثر الأمطار و تقل البروق و الرعود و الصواعق و تكثر الزلازل، فإذا اعتدلا اعتدل الزمان و تكافأت الطبائع كما و كيفا، و هنا يكون ظهور الأنبياء(٥).

٦ - و أخيرا إذا وقع كوكب حار رطب فى برج بارد يابس، كان الزمان أصحح زمان للفلاسفه و العلماء(٦).

طبائع البلدان:

البلدان لا تشذ عن بقية كائنات الطبيعه فى تأثيرها بالعناصر الأوليه، و بمواضع النجوم و مختلف البروج، و فى تقسيم البلدان على هذه الأسس، يقول جابر إن الناس قد انقسموا فى ذلك فريقين، ثم انشعب أحد الفريقين شعبتين:

١ - أما الفريق الأول فقد قسم البلاد أربعه أقسام على أساس الطبائع الأربع المركبه، لأن البلدان فى رأيهم هى صنيعه هذه الطبائع التى هى:

النار و الهواء و الماء و الأرض، فان صح هذا يكون التقسيم كما يلى: فالمغرب من فعل الحراره، و المشرق من فعل البروده، و

الشمال من فعل اليوسه، و الجنوب من فعل الرطوبه - و إنا لنلاحظ هنا عدم اتساق فى القول، فبعد أن قرر جابر أن الطبائع المتحكمه فى البلدان هى الطبائع الثوانى المركبه: النار و الهواء و الماء و الأرض، راح من فوره يقسمها على أساس الطبائع الأوائل البساطه، و هى: الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه، مع أن كل واحد من الطبائع المركبه - كما أسلفنا القول مرارا - مؤلف من طبيعتين بسيطتين، فالنار مؤلفه من الحراره و اليوسه معا، و الهواء مؤلف من الحراره و الرطوبه معا، و الماء مؤلف من البروده و الرطوبه معا، و الأرض مؤلفه من البروده و اليوسه معا.

٢ - و أما الفريق الثانى فينشعب شعبتين: إحداهما تقسم البلاد حسب الكواكب السبعه، و الأخرى تقسمها حسب البروج الاثنى عشر:

أ - فان قسمت حسب الكواكب، كان تقسيمها كما يلي:

١ - زحل يقابل المشرق كله و أقاصى البلاد و مواضع البرد الغالب.

٢ - المشترى يقابل مواضع الشمال حيث الاعتدال.

٣ - المريخ يقابل المغرب و الحما و استدامه طلوع الشمس.

٤ - الشمس تقابل المواضع الطاهره المحرقه.

٥ - الزهره تقابل المواضع المعتدله.

٦ - عطارد يقابل البلاد المتقلبه المتغيره من طبع إلى طبع.

٧ - القمر يقابل المواضع المظلمه و بطون الأرض.

ب - و ان قسمت البلاد حسب البروج، كان التقسيم كما يلي:

١ - الحمل يقابل البلاد المعتدله.

٢ - الثور يقابل المواضع التى تكثر فيها الحرب.

٣ - الجوزاء تقابل الفيافى.

٤ - السرطان يقابل مواضع الماء و البخار.

٥ - الأسد يقابل مواضع الإحراق و الحراره.

٦ - السنبله تقابل مواضع الصحارى و العماره (؟).

٧- الميزان يقابل الأماكن الواقعه بين المدن.

٨- العقرب يقابل الأنهار الكبار.

و يكتفى جابر بذكر هذه الثمانيه، ثم يقول: و على مثل ذلك تكون الأربعة الباقيه على سبيل التجربه (٧) - و أيسر نقد نوجهه لجابر فى تقسيماته

ص: ١١٢

-
- ١- المرجع السابق، ص ١٦-١٧.
 - ٢- المرجع السابق، ص ١٧-١٨.
 - ٣- المرجع السابق، ص ١٨.
 - ٤- المرجع السابق، ص ١٩.
 - ٥- المرجع السابق، ص ٢٠.
 - ٦- المرجع نفسه، ص ٢١.
 - ٧- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٣٩-٤٠.

هذه، أنه لا- يراعى فيها ثبات الأساس الذى يقوم عليه التقسيم، فمثلا- يجعل البلاد المعتدله قسما، و المواضع التى تكثر فيها الحرب قسما آخر، كأنما الحرب لا- يجوز لها أن تكثر فى البلاد المعتدله، و كذلك يجعل البلاد الحاره قسما، و البلاد ذوات الأنهار الكبيره قسما آخر، كأنما الأنهار الكبيره لا يجوز أن تجرى فى البلاد الحاره، و هكذا - لكننا معنيون أولا و قبل كل شىء بعرض علم جابر و فلسفته عرضا يقدم للقارئ صوره الواقع كما وقع.

علم الكيمياء

جابر العلم:

جبر الشىء يجبره فهو جابره، إذا أعاد تنظيم الشىء و أصلح فاسده و قوم ببناءه، و لقد قيل أن جابر سمي باسمه هذا، لأنه هو الذى أعاد تنظيم العلم الطبيعى و أعاد بناءه على نحو ما كان عليه عند أرسطو، قبل أن يصيبه الفساد بامتزاجه بالسحر فى العصور الوسطى.

كان أرسطو أول من دعا فى إصرار إلى أن تكون المشاهده و تجربه أساس علمنا بالطبيعه، و ذهب الزمن بالمعلم الأول، و بقيت بعده آثاره و ذكراه، فلقى من العصور الوسطى إجلالا هو به جدير، لكن عوامل كثيره فعلت فى عقول الناس فعلها، حتى لقد تنوسى اللباب الذى من أجله كان شيخ الفلاسفه الأقدمين حقيقا بالتقدير و التوقير، و بقيت القشور دون لبابها تحظى بالنصيب الأوفر من إجلال الناس لمعلمهم الأول، فنشأت أرسطيه مزيفه سلطت على العقول، و بعد أن كانت الفلاسفه الأرسطيه فى روحها الحقيقيه حافزا إلى العلم الصحيح، أصبحت بديلتها الزائفه حائلا دون الوصول إلى ذلك العلم الصحيح، و قيدا يقيد أصحاب الفكر فلا- يخلى بينهم و بين الحركة الطليقه الحره - و لبث الحال على هذا النحو فى أوروبا حتى قامت النهضه فى القرن السادس عشر.

كان أرسطو - و معه آخرون من فلاسفه اليونان الأقدمين - لا يأخذ بالرأى القائل أن الطبيعه تنحل إلى وحدات صغيره هى الذرات، و هو الرأى الذى كان قد ذهب إليه ديمقراطيس و أتباعه، إذ كان الرأى عند أرسطو فى ذلك هو أن الماده الأوليه و يطلق عليها اسم الهيولى - قد اكتسبت صورا أربعا، هى الكيفيات الأربع: الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه، فنشأ عن ذلك أربعه أجسام بسيطه، هى النار و الهواء و الماء و التراب، و من هذه تتالف سائر الأشياء، و إنما نشأت الأجسام الأربعه البسيطه بالتقاء الكيفيات الأربع الأولى اثنتين اثنتين: فالنار حراره و ييوسه، و الهواء حراره و رطوبه - إذ الهواء ضرب من بخار الماء - و الماء بروده و رطوبه، و التراب بروده و ييوسه(1)، على أن الأجسام المركبه فى الطبيعه تتالف من الأجسام البسيطه مجتمعه دائما، فما من شىء إلا- و فيه النار و الهواء و الماء و التراب بدرجات، فهى كلها على درجه من الحراره معينه، و يتغلغل فيها الهواء، و هى كلها أيضا مشتمله على ماء و هو الذى يجعلها قابله للتشكيل، ثم هى كلها مشتمله على أرض، هذا من جهه، و من جهه أخرى فما دام كل شىء قابلا للصيوروره و التحول، فإنه لا بد أن يكون مشتملا على أضداد، لأنه لو كان - فرضا - مؤلفا من حراره مطلقه فقط، لما كان هنالك سبيل إلى تحوله إلى ما ليس بحراره، إذ من أين يأتية ما ليس فيه؟ فوجود النار - و هى حراره و ييوسه - يقتضى بالضروره وجود ضدها و هو الماء - لأنه بروده و رطوبه - كما أن وجود الأرض - و هى بروده و ييوسه - يقتضى بالضروره وجود ضدها و هو الهواء - لأنه حراره و رطوبه، فحسبك أن تقول عن شىء أن فيه أرضا و ماء، لتقول ضمنا أن فيه كذلك الضدين الآخرين، و هما الهواء و النار، ما دمت تعترف لذلك الشىء بإمكان التحول و التغيير، و من

هنا لزم أن نقول عن كل جسم مركب أنه يشتمل على كل الأجسام البسيطة في آن معا(٢).

فلما انتقل مركز العلم إلى الإسكندرية بعد أفول نجمه في اليونان، امتزج العلم النظري بالروح التصوفية السائدة هناك، فكان أن امتزجت الكيمياء بالسحر امتزاجا عاق تقدمها - في أوروبا - أبان العصور الوسطى، لكن ظهور الإسلام في الشرق الأوسط، و غزو العرب لمصر و سوريا و فارس، قد غير من الموقف، إذ: "نفض المسلمون الأولون عن أنفسهم كثيرا من الألباز الصيباني الذي كانت مدرسه الإسكندرية قد أدخلته على العلم، و قاموا بتنقيه الجو العقلي - لفته من الزمن - فكانوا باحثين عن المعرفة يشتعلون حماسه و جدا... فترجمت كتب لا- عدد لها من اليونانية، و خصوصا في حكم هارون الرشيد (-) و المأمون (- ٣٣٣) و ظهرت الكيمياء بنصيبنا من العناية في عمره هذه الحماسه الشامله للعلوم... على أن جابر بن حيان هو الجدير بان يعد أول من يستحق لقب الكيمياوى.

" كانت فلسفه جابر - شأنه شان جميع المسلمين - أرسطيه معدله، و نظريته في تكوين ماده هي نفسها - في جوانبها الهامه كلها - نظريه أرسطو، و لم تكن عبقرية جابر ترضى له بالاستسلام للتامل العقيم المنقطع الصله بالواقع المشاهد، فأثر - كما أثر كثيرون من المسلمين الذين جاءوا بعده - العمل على شطح الخيال، فجاءت آراؤه - على وجه الإجمال - واضحه و دقيقه، و الإضافات التي أضافها إلى الكيمياء هي التي سوغت بحق - لقيمتها - أن ينعت باسم "جابر" لأنه هو الذي "جبر" العلم - أى أعاد تنظيمه - و أقامه على أساس ثابت "(٣).

الوجود بالقوه و الوجود بالفعل:

الوجود بالقوه و الوجود بالفعل فكرتان ترتدان إلى أرسطو: و ذلك أن أرسطو إذ رد الوجود و الموجودات إلى مبدأين أساسيين هما: الهولى و الصوره، أى ماده التي منها يصنع الشىء و الشكل الوظيفى الذي تكتسبه ماده لتصبح ذلك الشىء، فقد تصور ماده الأوليه مستعده أن تكون أى شىء، فهى تتلقى الصوره التي تنطبع بها لتتعين بفضل تلك الصوره شيئا فعليا معينا، كقطعه الخشب غير المصنوع فيها استعداد أن تكون منضده أو مقعدا، حسب الصوره التي يخلعها عليها النجار، و إذن فقطعه الخشب فيها منضده "بالقوه" و فيها مقعد "بالقوه"، لكنها تصبح منضده "بالفعل" أو

ص: ١١٣

١- كتاب الكون و الفساد لأرسطو، ٣٣٠ ب - و يلاحظ أن جابر بن حيان قد أخذ عن أرسطو رأيه هذا، كما أوضحنا بالتفصيل في الفصل الخامس، و فى غيره من الفصول السابقه.

٢- المرجع السابق، ٣٣٤ (ب)، ٣٣٥ (أ).

٣- المرجع السابق، ص ١٦.

مقعدا "بالفعل" حين تتم صناعتها و تشكيلها.

و كل فيلسوف يأخذ بفكره قابليه تحول الأشياء بعضها إلى بعض فهو يأخذ تبعا لذلك بفكره الوجود بالقوه و الوجود بالفعل، لأنك إذا قلت أن هذه ارض قد تتحول نباتا، فقد قلت في الوقت نفسه أن النبات موجود في الأرض "بالقوه" و ينتظر الظروف المواتيه ليصبح نباتا موجودا "بالفعل"، و كذلك الرجل الذى سيخرج من طفل ما، موجود فى الطفل "بالقوه" حتى إذا ما اكتمل الرجل تكويننا، أصبح رجلا موجودا "بالفعل" و هكذا، و الفكره الأساسيه عند عالمنا الفيلسوف جابر بن حيان، هى أن العناصر يتحول بعضها إلى بعض - كما سنذكر تفصيلا فيما بعد - فالنحاس - مثلا - قد يتحول بتدبير المدبر ذهابا، و معنى ذلك أن الذهب كان موجودا فى النحاس "بالقوه" حتى إذا ما خرج منه أصبح الذهب موجودا "بالفعل".

و يشرح جابر هذين النوعين من الوجود، بقوله: "الشيء الذى هو بالقوه هو الذى يمكن أن يكون وجوده فى الزمان الآتى المستقبل، كقيام القاعد و قعود القائم" (١) فالقاعد قاعد بالفعل لكنه قائم "بالقوه" لأن فيه استعدادا أو قدره على أن يحيل قعوده قياما، و كذلك القائم قائم بالفعل، لكنه قاعد "بالقوه" لأن فيه استعدادا أو قدره على أن يحيل قيامه قعودا، و يمضى جابر فى الشرح فيقول: "الشيء الذى بالقوه، ما هو فيه هو الذى يمكن أن ياتى منه الشيء الذى بالفعل... كما نمثل لك أن الفضه التى لا فرق بينها و بين الذهب إلا الرزانه و الصفره يمكن أن تصير ذهابا، فللفضه - بالقوه - أدنى قبول للرزانه حتى تصير فى قوام الذهب، و لها أدنى قبول للصفره حتى تكون بلون الذهب، و لو لم يكن ذلك لها بالقوه لم يتأت ذلك عنها فى الفعل... و كما أن للنار أن تصير هواء بالقوه، و للهواء أن يصير ماء بالقوه، و للماء أن يصير أرضا بالقوه، فللنار أن تصير أرضا بالقوه، لأن "أ" إن كانت فى بعض "ب"، و "ب" فى بعض "ج"، و "ج" فى بعض "د"، ف "د" فى بعض "أ" ضروره، "أ" فى بعض "د" - هذا ما لا شك فيه، و كذلك ما يستوعب الكليات إذا عكس هذا القول - لا عكسا منطقيا، بل عكس التناقض و التقابل - فإنه يكون: (أ) فى كل (ب)، (ب) فى كل (ج)، (ج) فى كل (د)، ف (أ) - ضروره - فى كل (د)" (٢).

أما الوجود بالفعل فيقول عنه جابر: "الشيء الذى بالفعل هو الموجود فى الزمان الحاضر من سائر الأفعال الكائنه، كقعود القاعد و قيام القائم" (٣) - أى أن الموجود وجودا فعليا هو الشيء كما هو كائن فى اللحظه الحاضره، فالقاعد قعوده يكون موجودا بالفعل، و القائم قيامه يكون موجودا بالفعل، و هكذا.

و لا- يكون الشيء موجودا بالفعل إلا إذا كان من قبل ذلك موجودا بالقوه ثم ظهر، و هنا ينشأ هذا السؤال الهام: هل كل ما هو موجود بالقوه سيخرج حتما إلى وجود بالفعل؟ أم أن من بينه ما هو خارج، و من بينه ما هو ممتنع الخروج، و ما هو ممكن الخروج، فربما خرج إلى الفعل و ربما لبث على كمنه؟.

هذا سؤال هام لأنه يحدد مدى ما يستطيع العالم أن يتناوله بالتحويل فى تجاربه العلميه، حتى لا يحاول المستحيل، و حتى لا ييأس مما هو ممكن، و قد أجاب ابن حيان عن السؤال إجابته دقيقه شامله موجزه، إذ يقول إن الأشياء انقسمت قسمين: فهى أما بسيطه و أما مركبه، على أن كل ما نراه فى الطبيعه من أشياء هو من قبيل المركبات، و تركيبها يكون على درجات: فمنها مركب أول، و منها مركب ثان، و منها مركب ثالث أو مركب المركب.

فاما العناصر الأوليه البسيطه فمحال أن يخرج كل ما فيها بالقوه إلى وجود بالفعل، و ذلك لأن العنصر البسيط هو بحكم بساطته

هذه غير متناه، و هو لذلك غير فان - فالذى يتناهى إلى حدود معينه و يجوز عليه الفساد و الفناء هو المركب - فإذا كان أمر العنصر البسيط هو كما ذكرنا، فليس كل ما فيه بالقوه خارجا إلى الفعل، إذ لو حدث ذلك لصار إلى انتهاء، و قد قلنا أنه غير متناه.

و أما المركب: الأول و الثانى و الثالث، فهو الذى يجوز عليه الخروج كله من القوه إلى الفعل، فجميع ما فى الطبيعه يمكن خروج كل ما فيه من حاله الكمون إلى حاله العلن، أما ما يسمى بالمركب الأول، فهو الطبيعه على إطلاقها، و أما المركب الثانى فهو النار و الهواء و الأرض و الماء، و أما المركب الثالث - أى مركب المركب - فهو الأجناس الثلاثة: الحيوان و الحجر و النبات (٤).

فمتى يمتنع خروج كائن من كائن آخر؟ يجيب جابر بقوله: "إن الأشياء التى يمتنع و يعسر خروجها من القوه إلى الفعل على ضربين، إما أن يرام من الأشياء ما ليس فيها بالقوه... و إما أن يرام من الأشياء ما فيها بالقوه و لكن عسر خروجه إلى الفعل... كالذى يروم خروج الماء من النار من أول وهله." فان هذا (أى الماء) و إن كان لها (أى للنار) بالقوه ممتنع، إلا أنهم عملوه على ترتيب... فاما أن يكون ذلك من أول وهله فلا، و كذلك القائم القاعد بالقوه، و لكن بعد تقضى زمان القعود و انتهائه بحركه القاعد للقيام، و حركه الإراده، و أمثال ذلك.

" و إذ قد بان ذلك، فان فى الأشياء كلها وجودا للأشياء كلها، و لكن على وجوه من الاستخراج، فان النار فى الحجر كامنه لا تظهر، و هى له بالقوه، فإذا زند أورى فظهرت، و كذلك الشمع فى النحل، و لو أخذنا مائه ألف نحله أو ألف كو نحل، ثم عصرناها و طبخناها و دبرناها تدبيرنا للعسل الذى فيه الشمع، لم يخرج منه دائق شمع، و لكن النحل إذا تغذى غذاء معتدلا، و عملت له الكوى التى ياوى إليها، و عمل العسل، و اجتنى ذلك العسل، خرج منه الشمع".

ص: ١١٤

١- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٢.

٢- نفس المرجع، ص ٣.

٣- نفس المرجع، ص ٣.

٤- المرجع السابق، ص ٤-٥.

"فقد وضح من هذا القول أن التدبير على القصد المستقيم هو الذى يخرج ما فى قوى الأشياء - مما هو بالقوه إلى الفعل - فيما يخرج هو بطبعه، و فيما لا يخرج حتى يخرج".

"لأن فى قوى الأشياء ما يخرج بغير تدبير مدبر، و لكن الطبيعه عله خروج الطلع و خروج الرياحين البريه التى لا تعالج بالسقى و اللقاح و أمثال ذلك، فتخرج من القوه إلى الفعل بأنفسها و فى زمانها - و أما غير ذلك مما علته إخراج التدبير للأشياء (فهو محتاج إلى تدبير طريقه لإخراجه)"(١).

فى هذا النص الدقيق الواضح نجد فلسفه الكيمياء كلها عند ابن حيان، و أساسها هو أن الكيموى يحذو حذو الطبيعه فى تكوينها للأشياء، و كل الفرق هو أن الطبيعه تعمل من تلقاء نفسها، و أما الكيموى فيعمل عمله بتجربه مدبره، لكن كل ما تؤديه الطبيعه من عمليات تحويل الأشياء بعضها إلى بعض، هو فى مستطاع الكيموى أن يؤديه، غير أن الأمر يحتاج من الكيموى إلى تبصر و حذر، فقد لا يكون التحويل ممكنا بضربه واحده، بل يتطلب خطوات متدرجه تنتهى آخر الأمر إلى النتيجة المطلوبه، و لو أتقن العالم دراسه موضوعه و ما يحتاج إليه من خطوات فى عمليه تحويله، لأمكنه لا أن يحاكي الطبيعه فى فعلها فقط، بل أن يعمل ما تعمله الطبيعه فى وقت أقصر، إذ قد يتطلب تكوين الذهب فى حضان الطبيعه آلاف السنين، لكن الكيموى فى مستطاعه أن يعمل العمليه نفسها فى فتره وجيزه - و يلخص جابر فى فلسفته الكيمويه هذه فى جمله واحده ترد فى "كتاب السبعين" يقول فيها:

"فى قوه الإنسان أن يعمل كعمل الطبيعه" (٢) لا فرق فى ذلك بين حجر و نبات و حيوان و إنسان، و سنذكر تفصيل ذلك فى حينه.

فلعلنا بعد هذا نفهم مراد جابر عند ما عرف الكيمياء بقوله: "حد الكيمياء إظهار ليس فى أيس... إذ" ليس "عندهم عدم و" أيس "عندهم وجود - و كذلك الكيمياء إنما هى إعطاء الأجسام أصباغا لم تكن لها" (٣)، و لئن كنا نالف فى كلامنا اليوم أن نسمع و أن نستخدم كلمه "ليس" لندل بها لى نفى شىء عن شىء، كان نقول - مثلا - ليس القمر مضيئا، فلسنا نالف مقابلتها الداله على إيجاب، و هى كلمه "أيس" التى تشير إلى وجود شىء وجودا فعليا، فضوء القمر حين يضىء "أيس"، و هذا القلم فى يدى الآن "أيس" و هكذا، و مهمه الكيمياء هى أن توجد فى الشىء صفه ليست قائمه فيه بالفعل (و إن تكن طبعا قائمه فيه بالقوه و إلا لما أمكن إخراجها من العدم).

الإكسير:

قلنا أنه كما جاز للطبيعه أن تحول الأشياء بعضها إلى بعض، فتتحول الأرض و الماء نباتا، و يتحول النبات فى النحل شمعا و عسلا، و يتحول الرصاص فى جوف الأرض ذهبا و هكذا، فكذلك يمكن لعالم الكيمياء أن يحاكي الطبيعه فى صنعها بتجارب يصطنعها فيؤدى بها نفس الذى تؤديه الطبيعه، و لكنه يؤديه فى مده أقصر، فإذا اهتدى العالم إلى الوسيله التى يخرج بها شيئا من شىء كانت تلك الوسيله هى الإكسير.

فالأمر فى معالجه شىء ما معالجه ترده إلى ما يراد رده إليه، هو كأمر فى معالجه المريض، يركب له الدواء الذى يردده من حاله المرض إلى حاله الصحه، باضافه ما ينقصه أو بحذف ما يزيد عليه، و بهذه الإضافه أو الحذف نحصل على التوازن لما كان

قد اختل توازنه، و بديهى أن يكون للدواء صفه مضاده للصفه التى جاوزت حدها نقصا أو زياده، فهو الذى يزيد ما قد نقص و ينقص ما قد زاد، و هكذا يفعل عالم الكيمياء إزاء المعدن الذى يريد تحويله: يعطيه "الدواء" الذى يكسبه توازنا من شأنه أن يجعل منه معدنا آخر، هو المعدن المقصود، "فالدواء" فى هذه الحاله هو ما يسمى بالإكسير.

و واضح أن مثل هذا التحويل من حاله قائمه إلى حاله أخرى مطلوبه، يتوقف على علم العالم علما كاملا بعناصر التركيب فى كلتا الحالتين، فيعلم مم يتركب الشىء المراد تحويله و كيف يتركب، كما يعلم مم يتركب الشىء المراد الحصول عليه و كيف يتركب، و هذه هو ما يسمى عند جابر بالموازنين - و ستتحدث عنها فى فقره تاليه - و إن نظريه جابر فى الإكسير و فى الميزان لهى موضع الأصاله الحقيقه التى تنسب إليه فى علم الكيمياء (٤).

و هو يشتق الإكسير الذى يستخدمه فى عملياته الكيمويه من أنواع الكائنات الثلاثه مفرده و مجتمعها، فتراه يقول: إن ثمه سبعة أنواع من الإكسير: ١ - إكسير يشتق من المعادن، ٢ - إكسير يشتق من الحيوان، ٣ - إكسير يشتق من النبات، ٤ - إكسير يشتق من امتزاج المواد الحيوانيه و النباتيه معا، ٥ - إكسير يشتق من امتزاج المواد المعدنيه و النباتيه معا، ٦ - إكسير يشتق من امتزاج المواد المعدنيه و الحيوانيه معا، ٧ - إكسير يشتق من امتزاج المواد المعدنيه و النباتيه و الحيوانيه معا (٥).

و نكتفى فى هذه الفقره بذكر وجه واحد من أوجه التحويل الذى يقوم به الكيموى، و هو تحويل المعادن بعضها إلى بعض، فعلى أى أساس يكون ذلك، و كيف؟.

المعادن الرئيسيه سبعة: الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و الرصاص و الزبيق و الأسرب (٦)، و هى التى تكون "قانون الصنعه" - كما يقول جابر، أى أن عليها تتوقف قوانين علم الكيمياء، غير أن هذه المعادن السبعة نفسها قد تكونت فى جوف الأرض من معدنين أساسيين، هما الكبريت و الزبيق، فهذان المعدنان إذ يمتزجان بنسب مختلفه يتكون منهما بقيه المعادن المذكوره، فكأنما هذه المعادن لا تتباين إلا فى الكيفيات العرضيه التى طرأت نتيجة للنسبه التى مزج بها الكبريت و الزبيق فى باطن الأرض، على أن الكبريت و الزبيق تتفاوت طبيعتهما باختلاف تربه الأرض التى نشأ فيها، و باختلاف الكواكب

ص: ١١٥

- ١- نفس المرجع السابق، ص ٦-٧.
- ٢- كتاب السبعين، مختارات كراوس، ص ٤٦٣.
- ٣- الجزء الثانى من كتاب الأحجار على رأى بليناس، مختارات كراوس، ص ١٤٠-١٤١.
- ٤- Kraus, Paul, Jabir Ibn Hayyan : الجزء الثانى، ص ٣.
- ٥- الجزء الثالث من كتاب الأحجار على رأى بليناس.
- ٦- كتاب الحاصل، و فى مواضع أخرى كثيره من كتبه الأخرى. (و الأسرب هو القصدير).

(أى المقومات الزمنية) التى أحاطت بتكوينهما، مثال ذلك أن يكون جزء الأرض الذى فيه نشأ الكبريت أو الزئبق معرضا لحراره الشمس، فقد يجيء الكبريت نقيا لطيفا، و هو ما يسمى بكبريت الذهب، لأنه هو الكبريت الذى إذا ما مزج معه الزئبق فى مركب واحد سليم التوازن فى مقاديره، نتج عن امتزاجهما الذهب، فلأن اتزان عناصر المزج فى الذهب قد جاء على أتمه تراه يقاوم النار، فلا تقوى النار على إحراقه كما تحرق سائر المعادن(1).

و نعود إلى المعادن السبعه الرئيسيه التى هى مدار علم الكيمياء: (و قد تسمى بالأحجار السبعه): الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و الرصاص و الزئبق و القصدير، فنقول: إن نظريه جابر هى أن كل معدن من هذه المعادن يظهر فى خارجه كقيمتين من الكيفيات البسيطة الأربع (الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه) و يخفى فى باطنه الكيفيتين الأخرين، و بالكيمياء نستطيع إظهار الباطن و إخفاء الظاهر فيتحول المعدن القائم معدنا آخر، و لو قلنا هذا الكلام نفسه بعبارة أخرى، قلنا: إن لكل معدن من هذه المعادن صفتين موجودتين بالفعل، و صفتين أخريين موجودتين فيه بالقوه، فلو استخرجنا ما هو موجود بالقوه إلى وجود بالفعل، تبدل المعدن معدنا آخر(2).

و القائمه الآتيه تبين لكل معدن صفتيه الظاهرتين و صفتيه الباطنيتين:

و معنى هذا أن كل معدن يشتمل فى جوفه على معدن آخر يناقضه فى صفاته، فالفضه من داخل هى نفسها الذهب من خارج، فلو أخرجنا ما هو مكنون فى باطن الفضه إلى ظاهرها و دسنا ظاهرها فى باطنها، كان لنا بذلك معدن الذهب، فإذا أراد الكيموى تحويل الفضه إلى ذهب، كان عليه أولا أن يزيح برودتها الظاهره لتخرج بدلها الحراره الكامنه، ثم يزيح - ثانيا.

يبوستها الظاهره لتخرج بدلها الرطوبه الكامنه، حتى إذا ما اجتمع فى الظاهر حراره و رطوبه معا كان ما بين أيدينا ذهبا. و لو أجرى الكيموى تجاربه على قطعه من الحديد - مثلا - ظاهرها حراره و ييوسه شديده، فله أن يزيح اليوسه وحدها إلى الداخل لتخرج مكانها الرطوبه، و بذلك يصبح الظاهر حراره و رطوبه، أى أن المعدن يصبح ذهبا، أو أن يزيح الحراره الظاهره إلى الداخل لتخرج مكانها البروده الكامنه، و بذلك يصبح الظاهر بروده و ييوسه، أى أن المعدن يصبح فضه، أو أن يزيح الحراره و اليوسه الظاهرتين كليهما، ليخرج مكانهما البروده و الرطوبه الكامنتان فيكون الناتج زئبقا (أو قصديرا حسب درجه الليونه أى درجه الرطوبه التى تظهر).

و بنفس الطريقه يمكن رد أى معدن إلى أى معدن آخر، و بصفه خاصه يمكن رد أى معدن إلى ذهب، إذ ما علينا لكى نحول معدنا ما إلى ذهب إلا- أن نجعل الكيفيتين الظاهرتين هما: الحراره و الرطوبه، فان كان المعدن المراد تحويله نحاسا - و ظاهر النحاس حراره و ييوسه - كان أمامنا كيفيه واحده هى التى نحتاج إلى دسها فى الداخل ليخرج ضدها من الداخل فيحل محلها، فالنحاس و الذهب يشتركان فى الحراره، و يختلفان فى أن الذهب رطب و النحاس يابس، فإذا أخرجنا للنحاس رطوبته الدفينه فيه، كان ذهبا.

أما إن كان المعدن المراد تحويله رصاصا، فها هنا نجد التضاد بين الرصاص و الذهب فى الكيفيتين معا، فالرصاص بارد و الذهب حار، و الرصاص يابس و الذهب رطب، فعندئذ علينا أن نعالج الصفتين جميعا، فندخلهما إلى الباطن، ليخرج مكانهما الضدان و بذلك يصير الرصاص ذهبا - و هكذا.

و أود أن أعيد هذا الذى قلته فى تحويل المعادن بلغه جابر نفسه، كما ساق الموضوع فى مقاله الثانيه و الثلاثين من كتاب السبعين، قال " ...لا يخلو كل موجود أن يكون فيه طبعان - فاعل و منفعل - ظاهران، و طبعان - فاعل و منفعل - باطنان(٣)... و لذلك سهل عليهم و قرب رد الأجسام إلى أصولها فى أقرب مده، و هو أن يقبلوا الطباع فى الأجسام، فيجعلوا الباطن ظاهرا، و الظاهر باطنا، فاما الحديد فان ظاهره فاسد و باطنه فاسد، لأن ظاهره حديد، و هو فاسد عند الفضة و الذهب، و باطنه زبيق و هو فاسد عندهما أيضا(٤) ، فإذا قلبوا الحديد إلى الزبيقيه صار ظاهره باردا رطبا و باطنه حارا يابسا، فأظهروا حرارته و أبطنوا برودته، فصار الظاهر حارا رطبا و ذلك).

ص: ١١٦

١- كتاب الإيضاح.

٢- كتاب السبعين، مقاله ٣٢.

٣- نذكر القارئ بان الطبعين الفاعلين هما: الحراره و البروده، و أن الطبعين المنفعلين هما: اليوسه و الرطوبه

٤- ظاهر الحديد حار يابس صلب، و باطنه بارد رطب رخو، و المقصود بقوله إن ظاهره فاسد و باطنه فاسد كذلك عند الذهب و الفضة، هو أنه لا ظاهره و لا باطنه يساوى فى الطباع ظاهر الذهب أو الفضة، فظاهر الذهب حار رطب و هو مختلف عن ظاهر الحديد و باطنه معا، و ظاهر الفضة بارد يابس و هو أيضا مختلف عن ظاهر الحديد و باطنه معا - و يلاحظ أن باطن الحديد (أى البروده و الرطوبه الرخوه) مساو لظاهر الزبيق، فلو قلب الحديد باطنا لظاهر لنشأ لدينا زبيق، و لم ينشأ لنا لا ذهب و لا فضه، فلو أريد استخراج أحد هذين من الحديد، تم ذلك على خطوتين، فيحول الحديد إلى زبيق أولا (أى أن يكون ظاهره باردا رطبا) ثم بعد ذلك أما أن نبطن برودته و نظهر حرارته بحيث يكون الظاهر حارا رطبا (و هذا ذهب) و أما أن نبطن رطوبته و نظهر ييوسته بحيث يكون الظاهر باردا يابسا (و هذا فضه أو رصاص).

ذهب، و صار باطنه باردا يابسا و ذلك فضه أو رصاص، لأن منهم من قال إن باطن الذهب رصاص و منهم من قال أن باطنه فضه و هى قوله حسنه، و نحن نذكر ذلك كله و كيف يقلب فأعرفه.

"إن الأصل فى ذلك أن تعلم أولا أن من هذه الأجسام ما ينبغى أن تبطن عنصره الظاهرين و تظهر عنصره الباطنين حتى يكمل و يصير جسما غير فاسد على ما يراد من ذلك - و هو سرهم - و بعض هذه الأجسام ينبغى أن يستخرج له عنصر من باطنه فيظهر، و يبطن فيه ضد ذلك العنصر، و نحن نذكر ذلك لتعرفه.

"إن الأسرب (الرصاص) بارد يابس فى ظاهره رخو جدا، و هو حار رطب فى باطنه صلب، و معنى رخو و صلب أن كل جسم خلقه الله تعالى باطنه مخالف لظاهره فى اللين و القساحه، و الدليل على ذلك أنه إذا قلبت طبائعه فرجع ظاهره باطنا و باطنه ظاهرا إن كان رطبا قسح، و إن كان قاسحا ترطب، فهذا ما فى الأسرب من الكلام.

"و أما القلعي (القصدير) فإن أصله المتركب عليه أولا- الأربع طبائع: فظاهره بارد رطب رخو، و باطنه حار يابس صلب... فإذا أبطنت ظاهره، و أظهرت باطنه قسح فصار حديدا...

"و أما الحديد فاصله المتكون عنه الأربع طبائع، و خص ظاهره من ذلك بالحراره و كثره اليبس، فباطنه إذن على الأصل بارد رطب، و هو كذلك، و هو صلب الظاهر رخو الباطن، و ما فى الأجسام أصلب منه ظاهرا، فكذلك رخاوه باطنه على قدر صلابه ظاهره على الأصل، و كذلك يكون بالتدبير إذا قلبت أعيانه، و الذى على هذا المثال الزبيق(1)، فإن ظاهره (أى ظاهر الحديد) حديد و باطنه زبيق، فالوجه فى صلاحه أن تنقص يبوسته فان رطوبته تظهر فيصير ذهباً، لأن رطوبته إذا ظهرت بطنت يبوسته... أو فانقص حرارته فان برودته تظهر و تبطن الحراره بظهور البروده فيصير فضه يابسه، أو فانقص يبوسته قليلا فإنه يصير فضه لينه، فهذا ما فى الحديد من الوصف و الحد.

و أما الذهب فحار رطب فى ظاهره بارد يابس فى باطنه، فرد جميع الأجساد [الأجسام] إلى هذا الطبع فإنه طبع معتدل...

"و أما طبع الزهره (النحاس) الذى هى عليه فالحر و اليبس، و هو دون الحديد، لأن أصله حار رطب ذهب، فلما لحقه اليبس فى المعدن أفسده، فاقلع ييسه فإنه يعود إلى طبعه(2).

"و أما الزبيق فإن طبعه البرد و الرطوبه فى ظاهره و الرخواه، و باطنه حار يابس صلب بلا شك، فظاهره زبيق و باطنه حديد، كما أن باطن الحديد زبيق و ظاهره حديد، فان أردت نقل الزبيق إلى أصله، فالوجه أن تصيره أولا فضه، و هو أن تبطن رطوبته و تظهر يبوسته، فإنه يصير حينئذ فضه، و قد تمت المرتبه الأولى، فان أردت تمام ذلك فاقلب الفضه كما هى حتى يرجع ظاهرها باطنا و باطنها ظاهرا فى الطبيعتين جميعا: الفاعله و المنفعله، فيكون ظاهرها حارا رطبا ذهباً، و باطنها باردا يابسا حديدا، فهذا ما فى الزبيق(3).

"و أما الفضه فاصلها الأول ذهب، و لكن أعجزها البرد و اليبس فأبطنت فى باطنها الذهب فظهر الطبع الذى غلب فصار ظاهرها فضه و باطنها ذهباً، فان أردت ردها ذهباً فابطن برودتها فان حرارتها تظهر، ثم أبطن بعد ذلك اليبس فان الرطوبه تظهر و تصير ذهباً، فهذا ما فى الأجسام كلها من التدابير و السلام."

هذه مقاله بأسرها نقلناها لك بنصها عن جابر بن حيان، لأنها في صناعته أساس و محور، فالأساس - كما ترى - هو أن الطبائع الرئيسية لشتى المعادن - بل للكائنات كافة - هي أربع: الحرارة و البروده و البيوسه و الرطوبه، فلو عرفت طبع الشيء الذى تريد أن تحصل عليه، كان فى وسعك أن تلتسمه بتحويل طبائع المادة التى بين يديك حتى ترتد إلى الطبع المقصود، و هو كلام بعيد عما تالفه آذاننا اليوم، لكننا لو أردنا أن نسبغ عليه من الألوان ما يقربه إلى مفاهيمنا العلميه اليوم - و ليس هذا بالأمر الضرورى فى تاريخ الفكر، فليس عالم الأمس مسئولاً أمام عالم اليوم مهما يكن بينهما من اختلاف بعيد، لكنه لو لا عالم الأمس لما كان عالم اليوم - أقول برغم ذلك إننا لو أردنا أن نسبغ على نظريه جابر - و هى نظريه العلم القديم كله - لونا يقربها إلى عقولنا اليوم، لما كان علينا إلا - أن نتذكر أساس النظرية الطبيعیه فى عصرنا الراهن، و هو أن كل ما تحويه الطبيعه من أشياء مركب من ذرات، و مهما اختلفت هذه الذرات فى أوزانها، فمادتها الخامه مؤلفه من ثلاثه أصول: الالكترونات، و البروتونات، و النيوترونات، أما الأولى فمشحونه بشحنه كهريه سالبه، و أما الثانيه فمشحونه بشحنه كهريه موجب، و أما الثالثه فمتعادله كهرياً و من هذه الأصول الثلاثه يتالف كل شيء، حتى ليجوز من الوجهه النظرية أن تحول العناصر بعضها إلى بعض إذا عرفت كيف تزيد هنا و تنقص هناك من هذه الأصول الأولى، حتى تحصل على النسب المطلوبه التى منها يتكون الشيء المقصود، فلو كان ابن حيان قد تكلم بلغه الحرارة و البروده، و علماء هذا العصر يتكلمون بلغه الكهارب السالبه و الموجبه، فقد يكون الفرق أقرب مما نتوهم، إذا ترجمنا الحرارة إلى معناها الحقيقى، و هو الحركه، فالحراره حركه سريعه فى الذرات و البروده حركه بطيئه، فإذا كانت الحرارة و البروده - أو أن شئت فقل إذا كانت درجات الحرارة المتفاوته هى فى الحقيقه درجات من الحركه متفاوته، ثم إذا كانت هذه الحركه بدرجاتها المتفاوته هى طاقه - إن لم تكن الطاقه الكهريه بذاتها - فيمكن تحويلها إلى طاقه كهريه، إذن فيكاد يتشابه القولان فى الطبيعه: القول الذى يقول أن الأصول الأولى للأشياء حركه بدرجاتها المتفاوته، و القول الذى يقول أنها كهرياء - و لم نذكر الرطوبه و البيوسه من الطبائع الأربع التى أخذ بها جابر، لأنهما صفتان.

ص: ١١٧

١- أى أن باطن الحديد مساو لظاهر الزبيق: باطن رطب رخو.

٢- أى أن تحويل النحاس إلى ذهب يقتضى أن تزيل عنه بيوسه لتحل محلها ليونه، فيصبح الظاهر حاراً رطباً و هى صفات الذهب.

٣- أى أن تحويل الزبيق إلى ذهب يقتضى السير فى مرحلتين.

منفعلتان، أى أنهما تتفرعان عن الصفتين الفاعلتين اللتين هما: الحرارة و البروده.

و لا يقتصر الإكسير - تحويل الكائنات - على المعادن عند جابر، بل أن الأمر عنده ليمتد إلى الكائنات جميعا، فلا فرق بين رد النحاس إلى ذهب، و بين رد المريض إلى إنسان سليم البدن، فكلتا الحالتين تحويل للطبائع الفاسده القائمه إلى طبائع سليمه، و من هنا كانت علاقته وثيقه بين الكيمياء و الطب، فالأولى معالجه المعادن الخسيسه لترد معدنا نفيسا: و الثانى معالجه الأبدان المريضه لترتد صحيحه، و أساس العمل فى الحالتين واحد - هو ما يطلق عليه اسم "الإكسير".

و سأذكر فيما يلى شيئا مما يرويه جابر عن نفسه فيما كان يؤديه فى تطيب المرضى:

قال مخاطبا سيده(1) الذى كثيرا جدا ما يوجه إليه الخطاب:

" و حق سيدى لقد خلصت به (أى بالإكسير) من هذه العله أكثر من ألف نفس، فكان هذا ظاهرا بين الناس جميعا فى يوم واحد فقط".

" و لقد كنت يوما من الأيام بعد ظهور أمرى بهذه العلوم، و بخدمه سيدى عند يحيى بن خالد(2) - و كانت له جاريه نفيسه لم يكن لأحد مثلها جمالا و كمالا و أدبا و عقلا و صنائع توصف بها، و كانت قد شربت دواء مسهلا لعله كانت بها، فعنف عليها بالقيام ثم زاد عليها، إلى أن قامت ما لم يكن من سبيل مثلها الخلاص منه، و لا شفاء له، ثم ذرعا مع ذلك القىء، حتى لم تقدر على النفس و لا الكلام البته، فخرج الصارخ إلى يحيى بذلك، فقال لى: يا سيدى ما عندك فى ذلك؟ فأشرت عليه بالماء البارد و صببه عليها، لأنى لم أرها و لم أعرف فى ذلك الشفاء للسموم و لقطعه مثل ذلك، فلم ينفعها شىء بارد و لا حار أيضا، و ذلك أنى كمدت معدتها بالملح المحمى و غمرت رجليها، فلما زاد الأمر سألنى أن أراها، فرأيت ميته خامله القوه جدا، و كان معى من هذا الإكسير شىء، فسقيتها منه وزن حبتين بسكنجين صرف - مقدار ثلاث أواق - فو الله و حق سيدى لقد سترت وجهى عن هذه الجاريه، لأنها عادت إلى أكمل ما كانت عليه فى أقل من نصف ساعه زمانيه، فأكب يحيى على رجلي مقبلا لهما، فقلت له: يا أخى لا تفعل، فسألنى فائده الدواء، فقلت له: خذ ما معى منه، فلم يفعل، ثم أنه أخذ فى الرياضه و الدراسه للعلوم و أمثال ذلك إلى أن عرف أشياء كثيره، و كان ابنه جعفر أذكى منه و أعرف".

" و كانت لى جاريه فأكلت زرنیخا أصفر - و هى لا تعلم - مقدار أوقيه، فيما ذكرت، فلم أجد لها دواء بعد أن لم أترك شيئا مما ينفع السموم إلا عالجتها به، فسقيتها منه وزن حبه بعسل و ماء، فما وصل إلى جوفها حتى رمت به بأسره و قامت على رسمها الأول...". " و كنت يوما خارجا من منزلى قاصدا دار سيدى جعفر(3) صلوات الله عليه، فإذا أنا بإنسان قد انتفخ جانبه الأيمن كله، و أخضر حتى صار كالسلق - لا بالمثال و لكن بالحقيقه - و إذا قد بدت الزرقه منه فى مواضع، فسالت عن حاله فقيل لى: أفعى نهشته الساعه فأصابه هذا، فسقيته وزن حبتين بشده فى سقيه بماء بارد فقط، لأنى خفت أن يتلف سريعا، فو الله العظيم لقد رأيت لونه الأخضر و الأزرق و قد حالا عما كانا عليه إلى لون بدنه، ثم ضمرت تلك النفخه حتى لم يبق منها شىء البته، و تكلم و قام و انصرف سالما لا عله به...".

الخواص و الموازين:

دراسه خواص الأشياء - حيه كانت أو جامده - أمر لا مندوحة عنه للعلم كله، فمهما تكن طبيعه الجسم المراد تغييره، و مهما تكن طبيعه الجسم المراد الحصول عليه، فلا مناص للعالم من معرفه تحليليه يعرف بها نقطه البدء و نقطه الانتهاء. و إلا لجا عمله خبطا على غير هدى، و لقد أفرد ابن حيان لدراسه الخواص أكثر من كتاب، أهمها كتابه "الخواص الكبير" (٤) - فيقول جابر فى مقاله الأولى من كتاب الخواص الكبير أن جملة كتبه التى كتبها فى الخواص واحد و سبعون كتابا، "منها سبعون كتابا ترسم الخواص، و منها كتاب واحد يعرف بخواص الخواص، و هو أشرف هذه الكتب".

" و الخاصيه كلمه شامله للأسباب التى تعمل الأشياء الوحيه السريعه بطباعها، و إن فيها نوعا آخر يعمل للأشياء بإبطاء، و إنها قد تنقسم أقساما: فمنها ما يكون تعليقا، و منها ما يكون شربا، و منها ما يكون نظرا، و منها ما يكون مسامته، و منها ما يكون سماعا، و منها ما يكون شما، و منها ما يكون ذوقا، و منها ما يكون لمسا... (٥). و يضرب لنا جابر الأمثله لهذه الأنواع المختلفه فيقول عن "التعليق" أن العنكبوت إذا علق على صاحب حمى الربع (؟) أبرأه بإبطاء، و الذراريح تفعل مثل ذلك، فإذا جمعا و علقا على صاحب الحمى، أبرأه سريعا، و كذلك مما يعمل بالتعليق "البيوت التسعه" (٦) التى فيها خمسه عشر من العدد كيف قلبت، فهى نافع لتيسير الوضع للجبالي، و هذه هى صورته "البيوت التسعه":

٤٩٢ ٣٥٧ ٨١٦ و يضرب مثلا على "المشروب" فيقول: أن السقمونيا يخرج الصفراء، كما يضرب المثل على خواص "النظر" فيقول: إن الأفعى البلوطى الرأس إذا رأى الزمرد الخالص عمى و سالت عينه لوقتها و حيا

ص: ١١٨

- ١- كتاب الخواص الكبير، مقاله السادسة.
- ٢- هو يحيى بن خالد البرمكى.
- ٣- هو جعفر الصادق.
- ٤- يقول هولميارد إن: "كتاب الخواص الكبير" هو أهم مؤلفات جابر - راجع ص ١٦ من كتاب "الكيمياء إلى عهد دولتن [دولتين]".
- ٥- كتاب الخواص الكبير، مقاله الأولى.
- ٦- إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٧٥ - و قد ذكر جابر اسم "البيوت التسعه" بغير شرح، فشرحناه.

سريعا، و أفاع بوادى الخرلخ إذا رأت أنفسها ماتت و إذا رآها الناس ماتوا، و كذلك جميع الحيوان، و الصناجه - و هى الدابه العظمى - لها عينان كأعظم ما يكون من الخلجان، يكون مقدار كل عين منها و مدار حماليقها نحو فرسخ، فتعتمد هذه الأفاعى لتقتلها خاصة، فتوافى هذا الوادى من بلاد دواخل التبت، فترفع أحداقها إلى أدمغتها حتى لا تنظر إليها، فتقصدها هذه الأفاعى لتنهشها، فتقابلها باعينها و هى صافيه فتنظر إلى صورتها فتموت، فتأكلها تلك الدابه، و لقد خبرت أن وزن الأفعى منها نحو خمسين ألف رطل.

و أما عن "المسامته" فيقول جابر: إن الكلب و الضبعه العرجاء إذا سامت فيئها فيئها (أى إذا جاء ظلها عموديا على ظله) و الكلب على سطح الجبل سقط سريعا من غير مهله حتى تأكله، و أما "السماع" فان الحيات و الأفاعى و غير ذلك إذا سمعن صوت البومه هربن من وطنهن، و أما "الشم" فان الأسد و الحمار - خاصة من جميع الحيوان - إذا أخذ من منى الأنتى منهما شىء و طلى به ثوب أو لحم أو جسد إنسان أو غير ذلك و شمم لأحدهما منيه بعينه، يتبع الشام له أى وجه توجه إليه، و أما "الذوق" فالزاج و الزيتق يفلج اللسان إذا وقع عليه، و السموم و أفعالها و أمثال ذلك مما لا يحصى تعداده، و أما "اللمس" فجبه الأرنب البحرى إذا لمست لحم الإنسان فتقته (١).

و يحدد لنا جابر معنى "الخاصيه" تحديدا يكاد يجعل هذه الكلمه مرادفه لما يسمى فى الفلسفه بالماهييه، فهو يقول: إن "الشىء الخاصى هو الذى يفعل الشىء بعينه ما يفعله - بكلام أهل الجدل" (٢) و هو يريد بهذه العبارة أن يقول: أن خاصيه الشىء هى الوظيفه التى يؤديها، فخاصيه الحصان هى مجموعه الوظائف العضويه التى يؤديها الحصان و لا- يؤديها حيوان سواه، و إذن فخاصيه الحصان هى "صوره" الحصان - بالمعنى الأرسطى لكلمه "صوره" - أو هى الماهيه التى تجعل الحصان هو ما هو، و لهذا ترى ابن حيان يستمر فى عبارته السابقه فيقول عن الشىء الخاصى أيضا: إن "لوجوده ما يوجد فعله معه - بكلام أهل المنطق" - فهاتان عبارتان يردف إحداهما بالأخرى، مستمدا الأولى من مصطلح أهل الجدل، و مستمدا الثانية من مصطلح أهل المنطق - كما يقول - و المعنى فيهما واحد، و هو أن خاصيه الشىء هى فعله، فلا وجود لها بغير وجود هذا الفعل، و لا وجود لهذا الفعل بغير وجودها، و يزيدنا جابر تعريفا بالشىء الخاصى فيقول فى السياق نفسه:

"و الشىء الخاصى لا- يجوز أن يحول عن حاله على مرور السنين" و هذا بديهى ما دامت خاصيه الشىء هى ماهيته، و هى جوهره، و هى صورته، و هى وظيفته، فمحال أن يبقى الشىء و تزول خصائصه الجوهريه التى أكسبته حقيقته و وضعته موضعه الصحيح بين سائر الأشياء.

و يمضى ابن حيان فى كلامه عن الخاصى فيقول: إن "الشىء اليسير منه هو الفاعل على مثل الشىء الكثير منه، و لكن القول فى الكمييه على مقدار ذلك، كوزن الحبه من المغناطيس تجذب اليسير من الحديد، و كالرطل يجذب على قدره، و الأكثر فيه القوه التى يجذب بها ما جذب الأصغر لقله كميته و دخولها فى كميته، و ليس ذلك فى الأصغر لقلته، و إن ليس كميته الأكثر داخله فى كميته الأقل" - هذا نص نافذ و مفيد، و هو يحتاج إلى بعض التوضيح لالتواء عبارته اللفظيه، فمؤداه أن العنصر المعين ذو فعل معين لا يتغير من حيث نوع الفعل بتغير الكمييه التى تأخذها منه، فالمغناطيس - مثلا - يجذب الحديد، و لا فرق فى ذلك بين مغناطيس كثير و مغناطيس قليل، فالفعل واحد فى نوعه، و كل الفرق هو أن المغناطيس الكثير يجذب قطعه كبيره من الحديد، و القليل يجذب قطعه صغيره، على أن الكثير يفعل فعل القليل أيضا، و العكس غير صحيح، أى أن القليل لا يفعل فعل

إن هذه الأقوال التي أسلفناها، والتي حاول بها جابر أن يحدد معنى "الخاصية" عند ما نزع من أن للشئ المعين "خاصية" معينه، إنما تنصرف إلى ما هو ذاتي في طبيعه الشئ، ولا تنصرف إلى صفات أخرى قد يطلق عليها هي أيضا اسم "الخواص" لكنها قد تكون سريعه الزوال أو بطيئته، ولهذا نرى ابن حيان يذكر لنا في موضع آخر (٣) ثلاثة أنواع للخواص، هي:

١ - سريع الزوال، و يسمى حالا.

٢ - بطيء الزوال، و يسمى هيئه.

٣ - ذاتي فيما هو فيه.

فالتحديدات السالفه، مقصود بها النوع الثالث، أى ما يكون ذاتيا في الشئ، وليس المقصد بها حال الشئ ولا هيئته.

و هنا يورد جابر عبارته أراها بالغه الأهميه فى وصف الروح المنهجيّه عنده، و هي (٤):

"الخاصية تابعه لعملها... لأن الخواص لا تتفق فى جوهرين مختلفين بوزن واحد، و لكنها إذا اتفقت فى جوهرين أو جواهر عدّه كان حدّها مثل الجواهر الأول سواء فى الكيفيه و جميع الحدود، لأنه من الممتنع وجود جوهرين حدّهما حدان مفردان يقال عليهما خاصيه واحده... لأن المستحدين بحد واحد متفقان فى الجوهرية و العرضيه".

"الخاصية تابعه لعملها" - هذا هو بعينه المبدأ الذى تدور عليه الفلسفه البراجماتيه المعاصره كلها، و هو تعريف موجز لما يسمونه اليوم "بالتعريف الاجرائي"، و معناه أنك إذا أردت أن تعرف كلمه ما، و جب أن ينحصر التعريف فى مجموعه الأفعال التى يسلك بها الشئ المسمى بتلك الكلمه، فلا فائده للعلوم إذا لا أنت عرفت كلمه بكلمات، و هذه بسواها، لأنك عندئذ ستدور فى كلمات، و لا- تجاوزها إلى حيث الطبيعه الواقعه، فأولا - إذا لم يكن للكلمه مدلولها الخارجى الذى يكون ذا عمل يؤدى، فالكلمه عندئذ تكون لغوا لا يدخل فى مجال العلم، و ثانيا - لو كان لهذه الكلمه مدلولها الخارجى، ثم أردنا تحديد معناها تحديدا لا يدع مجالا ٤.

ص: ١١٩

١- أثبتنا هذه الأشياء التى لا شك فى مجافاتها لروح العلم التجريبي الذى عرف به جابر، و ذلك لنرسم صورته صحيحه للرجل من شتى نواحيه.

٢- كتاب الخواص الكبير، مقاله الأولى.

٣- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٧٣.

٤- المرجع السابق، ص ٧٣-٧٤.

للاختلاف بين مختلف الباحثين، وجب أن يكون أساس التحديد هو السلوك المشاهد للشئ الذى أطلقت عليه تلك الكلمه، فإذا اتفقنا على أن ذلك السلوك هو ا ب ج د، كانت ا ب ج د هى ما يحدد الكلمه المراد تحديدها، فإذا اختلف اثنان فى معناها كان الفيصل بينهما هو ما يشاهدانه معا من الجانب الأدائى للشئ، و معنى هذا كله هو أن "العمل" ياتى فى المشاهده أولا، و بعد ذلك يجىء علمنا بحقيقه الشئ الذى كان من شأنه أن يؤدى ذلك العمل، و ثالثا - لو اختلفت عبارتان لفظيتان فى مضمونهما، لكن "العمل" الذى تنطوى عليه إحداهما هو نفسه "العمل" الذى تنطوى عليه الأخرى، لوجب أن تكون العبارتان مترادفتين فى المعنى مهما بدأ فى ظاهرهما من تباين، لأن العمل الواحد لا يصدر عن شيئين مختلفين جوهرًا، و العكس صحيح أيضا، و هو أنه محال علينا أن نصرّف معنى واحدا إلى شيئين مختلفين فى الجانب الأدائى، لأنه ما دام الأداء قد اختلف، فقد اختلفت خاصيه الشئ المؤدى - و هذا كله متضمن فى عباره جابر بن حيان التى أسلفناها:

أ - فالخاصيه تابعه لعملها.

ب - الخاصيه الواحده (أى العمل الواحد) لا يكون فى شيئين مختلفين.

ج - إذا اتفق شيان فى خاصيه واحده (أى فى عمل واحد) كانا فى الحقيقه شيئا واحدا من حيث جوهرهما.

د - إذا كان لشيئين تعريفان مختلفان، فمحال أن يتحدا فى فعل واحد.

ه - إذا كان لشيئين تعريف واحد، كان الشيطان متفقين فى الخصائص، أى فيما يحدثانه من أثر.

تلك لمحات عن خصائص الأشياء و حدودها، و على أساس هذه الخصائص تبنى موازين الأشياء، و ميزان الشئ هو الحكم عليه لا من حيث كيفه بل من حيث مقداره، و بغير معرفه المقادير، ينسد طريق العمل أمام العالم الذى يتناول الأشياء بتدبيره و تصريفه.

و لعل فكره "الميزان" أن تكون أدق و أعسر و أهم فكره لجابر بن حيان، و سأحاول هنا عرضها عرضا مبسطا أ تخلص فيه من التفصيلات التى تعقد الفهم و لا تفيد كثيرا فى رسم الصوره العامه التى نحاول أن نقدمها عن جابر.

يقول جابر - على سبيل الإجمال -: إن "العله الأولى هى العقل، و العقل هو العلم، و الميزان هو العلم، فكل فلسفه و علم فهو ميزان، فكان الميزان جنس، و الفلسفه فرع ينطوى تحته، هى و كل ما يتصل بها من فروع" (1) - و معنى ذلك أن المبدأ الأول الذى يجوز لنا أن نتصور كل شئ آخر متفرعا عنه، لكننا لا نتصور ما هو أسبق منه، هو العقل، فلو لا وجود العقل بادئ ذى بدء، لما كان كون، و إذا كان هذا هكذا، فكل شئ فى العالم إنما يسير وفق مبادئ العقل، و ليس الأمر متروكا للمصادفه العمياء، "فالعله الأولى هى العقل" و العقل و العلم اسمان مترادفان على مسمى واحد، فما تسميه عقلا هو نفسه ما يصح أن تسميه علما، لأن العلم عقل جسد و تبلور فى قوانين تسيير عليها الطبيعه، و ما كانت هذه القوانين لتصاغ إلا إذا عرفنا طبائع الأشياء و مقدار هذه الطبائع فى كل شئ على حده، و من هنا كان "الميزان هو العلم"، لو لا أن كلمه "ميزان" أعم من كلمتى علم و فلسفه، لأن كل حصر لمقادير الأشياء ميزان، و بعض هذه المقادير يندرج تحت عمل الفيلسوف و بعضها يندرج تحت عمل العالم، "فكان الميزان جنس، و الفلسفه فرع ينطوى تحته، هى و كل ما يتصل بها من فروع" - و فى هذا المعنى نفسه يقول جابر فى

موضع آخر: "إن قواعد الفلسفه هي قواعد الميزان، أو بعض قواعدها قواعد الميزان" (٢) أى أن عمل الفيلسوف إما أن يجيء متطابقا مع العلم بالموازين تطابق المتساويين، وإما أن يكون علم الموازين شاملا للفلسفه بجانب منه دون جانب.

و خشيه أن يختلط أمر "الميزان" فى الأفهام، بسبب تعدد معانى هذه الكلمه، قال ابن حيان منبها: إن هنالك نوعين من الميزان، فهو إما ميزان للطبائع، وإما ميزان وزنى، فاما ميزان الطبائع فهو العلم الذى نعلم به كم من الطبع الفلانى (الحراره، البروده، اليبوسه، الرطوبه) موجود فى الكائن الفلانى، هل تغلب عليه الحراره أو البروده، و اليبوسه أو الرطوبه؟ فان كانت الحراره غالبه عرفنا أن البروده فيه مستكنه مستبطنه، و إن كانت البروده غالبه عرفنا أن الحراره فيه هى المستكنه المستبطنه، و كذلك قل فى صفتى اليبوسه و الرطوبه، و ما دما قد عرفنا أى الطبائع قد غلب فظهر، و أيها قد انكمش فاخفى، فان طريق العمل يفتح أمامنا لإجراء التجارب التى نحول بها الجسم على أى نحو أردنا، فنقل من حرارته لتزيد فى برودته، أو نقل من صلابته لتزيد من ليونته، و هكذا، و سنذكر بعد قليل لمحه من وزن هذه الطبائع بمقادير كميته متفاوتة كيف يكون.

هذا هو ميزان الطبائع، و أما "الميزان الوزنى" فهو أن يكون مقدار الوزنين فى الميزان مقدارا واحدا، على أن "للميزان الوزنى" معنى آخر، و هو أن يتماثل الشكلان، فان كان أحدهما مدورا كان الآخر مدورا كذلك، أو مسطحا كان مسطحا.

و من معانى الميزان كذلك أن يحلل الشئ المركب المخلوط إلى عناصره التى منها ركب و خلط، و فيها يقول جابر: "أما موازين الأشياء التى قد خلطت مثل أن يخلط زجاج و زبيق على وزن ما... فان فى قوه العالم فى الميزان أن يكون لك كم فيه من الزجاج و كم فيه من الزبيق، و كذلك الفضة و الذهب، و النحاس و الفضة، أو ثلاثه أقسام أو أربعة أو عشره أو ألف إن جاز أن يكون ذلك، فانا نقول: إن هذا من الحيل على تقريب الميزان و هو حسن جدا، و لو قلت أنه كالدليل على صحه هذا العلم - أى علم الموازين - لكنت صادقا..." (٣)ى.

ص: ١٢٠

١- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانيه.

٢- كتاب الخواص الكبير، مقاله الأولى.

٣- كتاب الأحجار على رأى بلبناس، الجزء الثاني.

و يسوق لنا جابر مثلاً- كيف نصنع "الميزان الوزني" و كيف نستخدمه و فى أى البحوث العلميه تستخدمه، و سأثبت هنا قوله بنصه لدلالته أولاً على دفته التجريبيه، و ثانياً على سداد منهجه للوصول إلى نتائج علميه فى موضوع كالوزن النوعى للمعادن، و ما أشبهه بعالم اليوم إذ يثبت تجاربه فيصف أجهزته التى استعان بها، ثم يصف الطريقه التى استخدمها بها، بالاضافه إلى النتائج التى يوصل إليها، قال جابر فى استخراج الوزن النوعى للذهب و الفضة:

"فاستعمل ميزانا على هيئه الأشكال، و يكون بثلاث عرى خارجه إلى فوق، و اعمل بهذه الكفتين كعمل الموازين، أعنى من شدك بها الخيوط و ما يحتاج إليه، و لتكن الحديده الواسطه التى فيها اللسان فى نهايه ما يكون من الاعتدال حتى لا يميل اللسان فيها أولاً- قبل نصب الخيوط عليها - إلى حبه من الحبات، و يكون وزن الكفتين واحداً و سعتهما واحده و مقدار ما يملؤهما واحداً، فإذا فرغت من ذلك على هذا الشرط، فلم يبق عليك كثير شىء، ثم شد الميزان كما يشد سائر الموازين، ثم خذ إناء فيه ما يكون عمقه إلى أسفل نحو الشبر أو دونه أو أكثر كيف شئت، ثم املاء ماء قد صفى أياماً من دغله و قدره و ما فيه - كما تصفى البنكانات(1) - ثم اعمد إلى سبيكه ذهب أحمر خالص نقى جيد، و يكون وزنها درهماً، و سبيكه فضه بيضاء خالصه صرفاً، و يكون وزنها درهماً، و يكون مقدار السبيكتين واحداً، ثم ضع الذهب فى إحدى الكفتين و الفضة فى الأخرى، ثم دل الكفتين فى ذلك الماء الذى وصفنا إلى أن تغوصا فى الماء و تمتلئا من الماء، ثم اطرح الميزان، فانك تجد الكفه التى فيها الذهب ترجح عن الكفه التى فيها الفضة، و ذلك لصغر جرم الذهب و انتفاش الفضة، و ذلك لا يكون إلا من اليوسه التى فيها، فاعرف الزيادة التى بينهما بالصنجه...

" و كذلك يقاس كل جوهرين و ثلاثه و أربعة و خمسه و ما شئت من الكثره و القله، مثل أن تعرف النسبه التى بين الذهب و النحاس، و الفضة و النحاس، و الذهب و النحاس و الرصاص، و الفضة و الرصاص و النحاس، و الفضة و الذهب و الرصاص... و كذلك إن شئت واحداً واحداً، و إن شئت اثنين اثنين، أو ثلاثه ثلاثه أو كيف أحببت"(2).

و بعد أن استطرنا قليلاً- فى الحديث عن المعانى المختلفه "للميزان" نعود إلى "ميزان الطبائع" لنفصل فيه القول تفصيلاً لا نستوعب به كل شىء، لكنه يكفى لتقديم فكره عن هذا الركن الهام من كيمياء جابر بن حيان.

لقد سبق لنا أن ذكرنا - عند الحديث عن الحروف و أوزانها - أن تحليل الاسم دال على طبيعه المسمى، فتحليل كدمه "ذهب" - مثلاً - دال على طبيعه الذهب العينى الذى سمي بذلك الاسم، لكن كيف يكون تحليلنا للاسم لنستدل به على طبيعه مسماه؟ ليست الحروف كلها سواء فى المنزله، بل منزلاتها متفاوتات القيمه، و يقسم جابر هذا السلم سبعة أقسام، و كان يستطيع أن يكتفى بأقل من ذلك، كما كان يستطيع أن يزيد من هذه الأقسام، لكنه يرى أن السبعه الأقسام تحقق قدراً من الدقه العلميه يكفل سلامه النتائج، و هو يطلق على هذه المنازل المتدرجه الأسماء الآتية، بادئاً من أعلاها إلى أدناها: المرتبه و جمعها مراتب، الدرجه و جمعها درج، الدقيقه و جمعها دقائق، الثانيه و جمعها الثوانى، الثالثه و جمعها الثوالث، الرابعه و جمعها الروابع، و الخامسه و جمعها الخوامس، و حروف الأبجديه تنقسم إلى هذه الأقسام السبعه على هذا النحو:

أ، ب، ج، د، المراتب.

ه، و، ز، ح، الدرجه.

ط، ي، ك، ل الدقائق.

م، ن، س، ع الثواني.

ف، ص، ق، ر الثوالث.

ش، ت، ث، خ الروابع.

ذ، ض، ظ، غ الخوامس.

على أن كل هذا التقسيم يتكرر بأسره أربع مرات، تسمى أولاها بالمرتبه الأولى، و ثانيها بالمرتبه الثانيه، و ثالثها بالمرتبه الثالثه، و رابعها بالمرتبه الرابعه، و في كل مرتبه من هذه المراتب الأربع تقسم الحروف أربع مجموعات، كل مجموعه منها سبعة أحرف، لتقابل الطبائع الأربع: الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه:

فالحراره يقابلها دائما: أه ط م ف ش ذ.

و البروده يقابلها دائما: ب و ي ن ص ت ض.

و اليوسه يقابلها دائما: ج ز ك س ق ث ظ.

و الرطوبه يقابلها دائما: د ح ل ع ر خ غ.

و ما دامت هذه المجموعات مقسمه على هذا النحو، تتكرر أربع مرات، هي المراتب الأربع، فمعنى هذا هو أن الحرف الواحد، مثل حرف "ذ" - مثلا - تختلف قيمته باختلاف موضعه، لأن موضعه قد يكون في مرتبه أولى، فتكون له قيمه معينه، و قد يكون في مرتبه ثانيه فتكون له قيمه أخرى، و قد يكون في مرتبه ثالثه فتكون له قيمه ثالثه، و قد يكون في مرتبه رابعه فتكون له قيمه رابعه.

و فيما يلي قوائم أربع، لكل مرتبه من المراتب الأربع قائمه، تبين موازين الحروف المختلفه في كل حاله منها(٣):

١ - المرتبه الأولى مرتبه درهم ب درهم و دانق و دانق درجه ه - نصف و نصفى.

ص: ١٢١

١- كتاب الأحجار على رأى بليناس، الجزء الثاني.

٢- البنكان كلمه فارسىه الأصل، و معرب "بنكان" هو "فنجان".

٣- كتاب الأحجار على رأى بليناس، الجزء الثاني.

و على سبيل التطبيق الموضح لاستخدام هذه القوائم، نقول: افرض أن الكلمه التي تزيد وزنها هي كلمه "ذهب"، فانظر في حرف "ذ" أين يقع من الكلمه؟ تجده يقع في مرتبه أولى، فراجع قائمه المرتبه الأولى تجد حرف "ذ" يساوى قيراطا، و انتقل إلى الحرف الثانى من الكلمه و هو "ه" فراجع قائمه المرتبه الثانيه تجد حرف "ه" يساوى درهما و نصف درهم، ثم انتقل إلى الحرف الثالث من الكلمه، و هو "ب"، فراجع قائمه المرتبه الثالثه تجد حرف "ب" فيها يساوى خمس دراهم و خمس دوانيق، و إذن فكلمه "ذهب" تزن قيراط درهم و نصف درهم خمس دراهم و خمس دوانيق.

خذ مثلا- آخر، كلمه "فضه"، فابدأ بحذف الأ-حرف الزوائد و هي: التاء، فيبقى لك منها "ف ض ض" (فض): "الفاء" مرتبه أولى تساوى دانقا و نصفها، "و الضاد" مرتبه ثانيه تساوى دانقا و نصفها، و الضاد مرتبه ثالثه تساوى دانقين و نصفها، اجمع هذه المقادير يكن لك وزن الفضه.

و يحذرك جابر أن "لا تعط المرتبه الأولى و لا شيئا من أجزائها ما قد حكم به للمرتبه الثانيه و لأشياء من أجزائها، لثلا يدخل بعض فى بعض" (١).

هذه صوره مبسطه غايه التبسيط لطريقه الحساب التي يوزن بها شىء ما، تمهيدا لتحويله إلى شىء آخر، أو لتحويل شىء آخر إليه - لا فرق فى هذا بين جماد و نبات و حيوان.

و يلخص هولميارد (٢) نظريه جابر فى طبيعه المعادن تلخيصا موجزا و مفيدا - فيقول: إن جابرا قد تقدم تقدما واضحا على النظريات العلميه التي خلفها اليونان، و على الصوفيه الملغزه التي تركتها مدرسه الإسكندريه، فللمعادن - عنده - مقومان: "دخان أرضى" و "بخار مائى"، و تكثيف هذه الأبخره فى جوف الأرض ينتج الكبريت و الزبيق، و اجتماع هذين يكون المعادن، و الفروق بين المعادن الأساسيه ترجع إلى فروق فى النسب التي يدخل بها الكبريت و الزبيق فى تكوينها، ففى الذهب تكون نسبه الكبريت إلى الزبيق نسبه تعادل بين هذين العنصرين، و فى الفضه يكون العنصران متساويين فى الوزن، أما النحاس ففيه من العنصر الأراضى أكثر مما فى الفضه، و أما الحديد و الرصاص و القصدير ففيها من ذلك العنصر أقل مما فى الفضه، و لما كانت المعادن مكونه من مقومات مشتركه، فان تحويل بعضها إلى بعض يصبح أمرا مستطاعا، و عند ما يقوم الكيموى بهذا التحويل فإنه يؤدي فى وقت قصير ما تؤديه الطبيعه فى وقت طويل، و لهذا يقال أن الطبيعه تستغرق ألف عام فى صناعه الذهب، على أن جابرا - فيما يظهر - لم يأخذ نظريه الكبريت و الزبيق هذه مأخذا حرفيا، بل فهمها على أنها صورته تقريبيه لما يحدث، إذ هو يعلم علما تاما بان الزبيق و الكبريت العاديين إذا خلطا و مزجا لم ينتجا معدنا، بل أنهما عندئذ ينتجان كبريتور الزبيق الأحمر، و لهذا فالكبريت و الزبيق اللذان تتكون منهما المعادن ليسا هما الكبريت و الزبيق المألوفين، بل هما عنصران افتراضيان يكون الكبريت و الزبيق المألوفان أقرب شىء إليهما.

و إن جابرا ليسوق فى هذا الصدد ملاحظات تدل على إمامه بالنظريه الذريه القديمه التي أخذ بها ديمقراطيس و أتباعه، و لو نظرنا إلى ملاحظاته تلك على أنها تعبر عن رأيه فى طبيعه التفاعل الكيموى لألفيناها جديره بالذكر، بل لوجدناها على درجه مذهله من الدقه و الوضوح.

يقول جابر ما معناه: إنه حين يتحد الزبيق و الكبريت ليكونا عنصرا واحدا، فالظن هو أنهما يتغيران تغيرا جوهريا أثناء تفاعلها، و

إن شيئاً جديداً ينشأ عن ذلك التفاعل، لكن الأمر على حقيقته هو غير ذلك، ذلك أن الزئبق والكبريت كليهما يحتفظان بطبيعتهما، و كل الذى حدث هو أن أجزاء كل منهما قد طرأ عليهما من التهذيب ما قربها من أجزاء الآخر تقريباً جعلهما يبدوان للعين كأنما هما متجانسان، لكننا لو أوتينا الجهاز العلمى الملائم الذى يفصل به أجزاء أحدهما عن أجزاء الآخر، لتبين أن كلا منهما قد ظل محتفظاً بطبيعته الأصلية الثابتة، فلم يطرأ عليه تحول ولا- تغير، فمثل هذا التغير و التحول محال عند الفلاسفة الطبيعيين.

و إن علم الكيمياء ليسجل كشوفاً هامه، فهو مكتشف " الماء الملكى " Aqua Regia ، و " زيت الزاج " - حامض الكبريت - Sulphuric Acid ، و " ماء العقد " Nitric Acid ، و " حجر جهنم " - نترات الفضة - (٣) Nitrate of Silver ، و يرجح أنه هو الذى ركب الزرنيخ، و حجر الكحل من الزرنيخ، و الإثمد Ithmid ، و هى ما يرمز إليه فى علم الكيمياء بالصيغه.

ص: ١٢٣

١- كتاب الأحجار على رأى بليناس، الجزء الثانى، مختارات كراوس ص ١٦٥.

٢- Holmyard, E.J. Chemistry to the Time of Dalton ص ١٨.

٣- دائره المعارف الإسلاميه.

تكوين الحيوان:

الرأى عند جابر بن حيان هو أن العالم الكيموى فى مستطاعه أن يحول أى كائن إلى أى كائن آخر، ما دامت هذه الكائنات من المركبات و ليست هى من العناصر الأوليه البسيطة، فليس الأمر بمقصود على تحويل معدن إلى معدن و حجر إلى حجر، بل أنه ليتعدى ذلك إلى عالمى النبات و الحيوان بغير استثناء الإنسان نفسه، و كل الفرق بين حاله و حاله هو فى طريق السير فى التجارب التى نجريها للتحويل، فما يخرج من الحجر يرتد إلى حجر بطريق مباشر، أما ما يخرج من النبات أو الحيوان فلا يرتد نباتا و لا حيوانا إلا إذا مر أولا بمرحلة الحجرية (٢)، أى أنك إذا أردت تحويل كائن حى إلى كائن حى آخر، كان لا بد فى ذلك من تحويل الكائن الحى المراد تحويله إلى جماد خال من الحياه أولا - أى إلى حجر - ثم بعد ذلك تجرى التجارب التى تعيد تشكيل هذا الجماد على الصورة التى تكسبه الحياه على النحو المطلوب.

و لعل أغرب ما فى هذا الموضوع هو محاوله جابر صناعه الإنسان على أى صورته شاء، و موضع الغرابه عندى هو أن يصدر هذا عن رجل يعتقد فى ديانته تجعل خلق الإنسان من شان الله وحده، فلا بد أن يكون ثمه وجه لتبرير ذلك عند جابر و لكنى لا أراه، و ما أقرب الشبه بين الأحلام التى ساورت جابرا فى زمانه من حيث محاولته خلق تكوينات حيه شاذه عن الكائنات المألوفه، أقول ما أقرب الشبه بين هذه الأحلام و بين ما قد تحقق هذه الأيام من "تطعيم" الحيوانات بعضها ببعض، فيركبون أعضاء حيوان فى جسم حيوان آخر و هكذا، فانظر - مثلا - إلى جابر و هو يحدثنا عن الطريقه التى يمكن بها أن ننقل وجه رجل إلى جسم جاريه، أو أن ننقل بها عقل رجل إلى جسم صبي صغير (٣).

و يعرض جابر عدده مذاهب فى تكوين الكائن الحى - بما فى ذلك الإنسان - فمنها:

١ - مذهب يجعل التكوين قائما على أساس آلى، و ذلك بتكوين الأجزاء، ثم حلها و تركيبها على النحو المراد (٤).

٢ - و مذهب يلجا إلى طريقه التعفين، و ذلك بان يوضع المثال المراد التكوين على صورته، فى جوف دائره مصنوعه من نحاس و ملؤها ماء، ثم توضع دائره النحاس فى دائره من الطين، إلى آخر تفصيلات التجربه (٥).

٣ - و مذهب يرى أن روح الكائن الحى لا- يتولد إلا- من الهواء، و أصحاب هذا الرأى يجعلون المثال المراد التكوين على صورته، فى دائره معدنيه مثقوبه ثقوبا كثيره، و تكون فارغه، ثم يضعونها فى دائره نحاسيه مملوءه ماء، و توضع هذه الأخيره بدورها فى دائره من طين، و توقد عليها النار إلخ (٦).

٤ - و مذهب يقول أنه لا تكوين إلا بالمنى داخل الصنم، فيوضع منى الحيوان المطلوبه صورته فى جسم من طين، فإذا أريد - مثلا - صنع إنسان ذى جناح، وضعنا منى الطائر صاحب ذلك الجناح فى العجينه المصنوعه إلخ (٧).

٥ - و طائفه ترى أن التكوين بالعقاقير و الميزان (٨) و أحسب أن عالمنا جابرا بن حيان هو من هؤلاء (٩).

٦ - و طائفه ترى أنه يكون باستخدام دم الجنس المراد التكوين على مثاله (١٠).

و يفيض جابر القول فى صنوف الحيوان كيف تصنع، مما لا نرى موجبا لذكره مفصلا، و حسبنا أن نشير إلى أن التقسيم الرباعى هو دائما أساس الصنائه عنده، فالحيوان - كغيره من الكائنات - منه ما تغلب عليه الحرارة و منه ما تغلب عليه البروده، فما تغلب عليه الحرارة يكون ذكيا سريعا، و ما تغلب عليه البروده يكون بطيئا بليدا، و يمكن تصنيف الحيوان على الفئات الأربع المعروفه: النار و الهواء و الماء و الأرض، فمنها ما هو فى طبيعته أقرب إلى طبيعه النار، و منها ما هو أقرب إلى طبيعه الهواء، و هلم جرا.

و يهمنى الإنسان من بقيه الحيوان، فهو - على وجه الإجمال - من صنوف الحيوان التى تندرج تحت طبيعه الهواء، ففيه عقل و نفس و بدن، بالعقل يفهم، و بالنفس يتحلى بصفات مثل الكرم و البخل و العلم و الجهل و ما إلى ذلك، و أما البدن فهو مصنوع من العناصر الأربعه المعروفه، و لما كانت الجوانب المميزه للإنسان مقرها الدماغ، كان الأصل الذى منه يتكون هو الدماغ، و الدماغ ثلاثه أقسام: قسم للخيال، و قسم للفكر، و قسم للتذكر (١١).

و يضع جابر قاعده عامه لتكوين الحيوان و انحلاله، و هى: "أن ما يتولد من شىء ما، يكون هذا الشىء قوامه" فلو وضع فى طبيعه تضاد طبيعته هلك، و يتناول جابر عددا كبيرا من صنوف الحيوان فيصف لكل حيوان أنسب ظروف لتوليدته، فالحيات تتولد من الشعر الموضوع فى زجاج، و العقارب من التراب و عكر الدبس، و الزنابير من اللحم كثير التخريم، أعنى اللحم الميت، و الدود من اللحم الذبيح، و البق من ثخين الخل، و الذباب من الأشياء الحلوه، و هكذا... ملاحظات يجمعها جابر و لو كان أدق تحليلا لملاحظاته، لرد هذه الظروف التى يتولد فيها هذا الحيوان أو ذاك

ص: ١٢٤

١- هولميارد، الكيمياء إلى عهد دولتن [دولتين]، ص ٢٠.

٢- كتاب السر المكنون الجزء الأول.

٣- كتاب التجميع، مختارات كراوس، ص ٣٤٤.

٤- نفس المرجع، ص ٣٤٤-٣٤٦.

٥- نفس المرجع، ص ٣٤٧.

٦- نفس المرجع، ص ٤٣٨.

٧- نفس المرجع، ص ٣٤٩.

٨- نفس المرجع، ص ٣٤٩.

٩- نقول ذلك، مع علمنا بان جابرا يقول فى ختام الموضوع: "و ينبغى لك أيها المتعلم أن تعلم أن جميع هذه الوجوه حق أيها عمل به". (نفس المرجع المذكور، ص ٣٥٠).

١٠- نفس المرجع، ص ٣٤٩-٣٥٠.

١١- نفس المرجع، ص ٣٧١-٣٧٢.

إلى عواملها الأولية، فكانى به قد أكتفى بتسجيل المشاهدات الشعبيه السائده بين عامه الناس، فلم يتميز منهم بدقه العلماء.

جدل الفيلسوف

الفلسفه و قواعدها:

كان جابر بن حيان فيلسوفا يصطنع جدل الفلاسفه، بالاضافه إلى كونه عالما يؤسس علمه على مشاهدات و تجارب، و هو يصرح بما يفيد أن مثله الأعلى من بين الفلاسفه الأقدمين هو سقراط، إذ يصفه بأنه: "أبو الفلاسفه و سيدها كلها" (١) كما يقول عنه فى موضع آخر (٢): إنه مثال الإنسان المعتدل، مع تعريفه للشخص المعتدل بأنه هو الذى يستخرج الأشياء بطبعه، و يقع له العلم بالديه فى أول وهله.

إن جابرا ليؤمن بقيمه الفيلسفه إيماناً يجعل الفيلسفه عنده شرطاً لا مندوحة عنه لارتقاء الإنسان فى مدارج العقل، حتى لتختلط عند جابر طائفه الفلاسفه بطائفه الأنبياء، فهؤلاء من أولئك و أولئك من هؤلاء، يقول:

"إنه ليس براق من أغفل صناعه الفيلسفه، و لكنه راسب مضمحل إلى أسفل دائماً" (٣) و كذلك يقول: "إن الشرع الأول إنما هو للفلاسفه فقط، إذ كان أكثر الفلاسفه أنبياء كنوح و إدريس و فيشاغورس و ثاليس القديم و على مثل ذلك إلى الإسكندر" (٤).

و يلخص جابر أصول التفكير الفيلسفى فى المبادئ الآتية: (٥).

١ - إن الأشياء لا تخلو من أن تكون قديمه أو محدثه.

٢ - و القديمه المحدثه لا تخلو من أن تكون مرثيه أو غير مرثيه.

٣ - و المرثى و غير المرثى لا يخلو من أن يكون مركباً أو بسيطاً.

٤ - و إن جزء المركب ليس هو كمثل المركب و لا يحكم به عليه، و إن جزء البسيط كالبيسط و حكمه حكمه.

٥ - و إن كان عظم فإنه متجزئ إلى ذاته (بهذا يعنى جابر أن كل بعد من الأبعاد يتجزأ إلى أجزاء من نوعه، فالجزء من الخط خط، و الجزء من السطح سطح، و الجزء من الجسم ذى الأبعاد الثلاثه جسم ذو أبعاد ثلاثه).

٦ - لا- يكون تركيب إلا- من جزءين، و لا- يكون تركيب الجزءين إلا- بمركب لهما (و معنى ذلك أن وجود الأشياء المركبه يستلزم وجود التى تصل الأطراف بعضها ببعض).

٧ - كل مركب لا بد من أن يكون ذا جهات. ٨ - و لا يتصور فى العقل أنه يمكن أن يكون عظم لا نهايه له، فان ذلك سخف، و لا ينبغى أن ينازع فيه و لا يمارى، فإنه مسلم فى العقول السليمه، و هى توجب ذلك.

٩- و أيضا فان المسافه التى لا نهايه لها لا يمكن أن تقطع فى زمان ذى نهايه البته.

١٠- و أيضا فإنه لا يمكن أن يكون شىء لا نهايه له - لا جرما و لا فعلا و لا قوه.

أ- و أيضا فإنه لا يمكن أن يكون لجرم لا نهايه له قوه ذات نهايه، لأن ذلك يكون كالقائم القاعد فى حاله واحده.

ب- و لا يمكن الجرم الذى لا نهايه له أن يتحرك بكله أو بعضه.

ج- و ينبغى أن تعلم بالضروره أن العله قبل المعلول بالذات.

د- و أنه لا يمكن أن يكون ذات ما لا يكون لا عله و لا معلول.

ه- و أيضا فإنه لا يمكن أن يرتفع عن جرم مركب صفه و ضدها لا واسطه بينهما، و لا أن يحكى أيضا (أى أن ذلك ممتنع فى الأعيان و فى الأذهان فى آن معا).

و- و أيضا فإنه لا يمكن أن يكون الفعل للشىء بالقوه أبدا، و لا يتصور.

ز- الذى لم يزل لا- يبطل و لا- يضمحل (أى أن الكائن إذا كان أزليا غير ذى بدايه زمنيّه، كان أبديا لا يطرأ عليه تغير و لا يزول).

ح- و لا يمكن أن تكون الحياه لجرم إلا بالنفس.

ط- و لا يمكن أن يكون جرم قابلا للنفس بالفعل لا يكون حيا.

١١- لا يمكن أن يدخل جرم على جرم إلا و مكانهما جميعا أكبر من مكان أحدهما.

أ- و أيضا أنه لا يمكن فراغ من جرم (أى أن المكان الخلاء محال).

ب- و أنه لا يمكن أن تكون الأجرام كوامن بعضها فى بعض، فإذا حدث بعضها من بعض كان حدوثها لعله غير الكمون.

تلك هى المبادئ الفلسفيه العقلية الأوليه، التى لا يكون فكر سليم إلا فى حدودها.

الوجود واحد مطلق:

ليس يخضع الوجود المطلق لما تخضع له الموجودات الجزئيه المتناهيه من اندراج تحت المقولات، فهو منزّه عن الكم و الكيف و المكان و الزمان و الفعل و الانفعال و غير ذلك مما تتميز به الأشياء، فإذا فرضنا جدلا أن الواحد المطلق متصف بما تتصف به الكائنات الجزئيه، انتهينا إلى تناقض:

فلو فرضنا أن ثمة وجودين، فلن يخلو هذان الوجودان من أن يكونا:

ص: ١٢٥

-
- ١- كتاب التجميع، مختارات كراوس، ص ٣٨٩.
 - ٢- نفس المرجع، ص ٣٧٧.
 - ٣- كتاب إخراج ما فى القوه إلى الفعل، مختارات كراوس، ص ٣٧.
 - ٤- كتاب البحث، مقاله الخامسة.
 - ٥- كتاب الخواص الكبير، مقاله الأولى.

أما - أ - جوهرين.

و أما - ب - عرضين.

و أما - ج - أحدهما جوهرًا و الآخر عرضًا.

و أما - د - كل واحد منهما أو أحدهما جوهرًا و عرضًا.

و أما - ه - كل واحد منهما أو أحدهما لا جوهرًا و لا عرضًا.

لكنهما لو كانا:

أ - جوهرين بلا أعراض، و جب أن تكون الأعراض محدثه، إذ هي موجوده، و إن كانت موجوده محدثه، فلا يخلو الأحداث من أن يكون نابعا من الجوهرين أو صادرا عن غيرهما.

فان كان من غيرهما، فقد أصبحت الأصول ثلاثه أو أكثر - و في الأصول الثلاثه ما في الاثنين من تناقض -، و إن كان الأحداث منهما، فيكون فيهما ما ليس فيهما، إذ المحدثات أعراض و هما جوهران بلا أعراض - و إذن فافتراض وجود جوهرين افتراض فاسد، و الحق واحد.

ب - و لو كانا عرضين، فالعرض لا يقوم إلا في غيره، و كل ما لم يقيم إلا في غيره، و كان غيرها هذا معدوما فهو أيضا معدوم، إذن فالعرضان الأولان معدومان، لكننا فرضنا أنهما وجودان، فكأننا وصفنا المعدوم بالوجود، و هو من أشنع المحال.

ج - و لو كان أحدهما جوهرًا و الآخر عرضًا، فالعرض لا يقوم بذاته، و يحتاج إلى غيره ليكون قوامه به، و لا بد أن يكون غيره هذا جوهرًا، و إذن يكون في الأصل جوهران و عرض و في ذلك من التناقض ما أوضحناه في " أ ".

د - و لو كان كل واحد منهما أو أحدهما جوهرًا و عرضًا، لكان - بحكم كونه عرضًا - متناهيًا محدثًا، و هو مما يتنافى مع كونه جوهرًا.

ه - و لو كان كل واحد منهما أو أحدهما لا جوهرًا و لا عرضًا، لكان ذلك محالًا، لأن جميع المقولات أما جواهر و أما أعراض، فإذا فرضنا أنهما من المحسوسات و ليسا من المقولات، كانا معدومين، لكننا فرضنا أنهما وجودان، فكأننا فرضنا أنهما وجودان معدومان معًا، و هو من أشنع المحال (1).

٢ - الحركة و السكون:

إذا فرضنا أن ثمة وجودين لا وجودًا واحدًا، فلا يخلو هذان الوجودان من أن يكونا:

أما - أ - متحركين.

و أما - ب - ساكنين.

و أما - ج - أحدهما متحركا و الآخر ساكنا.

و أما - د - كل واحد منهما أو أحدهما متحركا ساكنا.

لكنهما لو كانا:

أ - متحركين فهما متناهيان، لأن المتحرك يقتضى أن يكون محدودا بشيء سواه، و بهذا يكون هنالك أكثر من الاثنین اللذين فرضنا وجودهما.

ب - ساكنين، فلا حركة، لامتنع امتزاج العناصر بعضها ببعض - لأن الامتزاج يقتضى الحركة - و إذن فلا عالم لأن العالم نتیجه مزاج، لكن العالم موجود.

ج - أحدهما متحركا و الآخر ساكنا، كان المتحرك متناهيًا، و كان تناهيه إلى شيء سواه أو أكثر من شيء، و إذن فيكون الموجود أكثر من اثنين.

و كذلك يكون الساكن منهما مواتا لا فعل له، و يكون معنى هذا أن الكائنات ذوات الأنفس ميتة، و هو محال (٢).

د - أحدهما متحركا و ساكنا معا، فلن يخلو ذلك من أن يكون ذلك في لحظه واحده بعينها، أو في لحظتين مختلفتين، و محال أن يجتمع الحركة و السكون في وقت واحد، و محال كذلك أن يتحول السكون في وقت ما إلى حركة في وقت آخر ما لم يكن هناك شيء يحرك، ففي كلتا الحالتين تناقض (٣).

٣ - الحياه و الموت:

لو فرضنا وجود كونين، فلا يخلو الكونان من أن يكونا:

أما - أ - حيين.

و أما - ب - ميتين.

و أما - ج - أحدهما حيا و الآخر ميتا.

و أما - د - كل واحد منهما حيا ميتا.

لكنهما لو كانا:

أ - حيين، و ليس في الوجود سواهما، لامتنع الموت، لكن الموت.

موجود، فكأننا نقول أن الموت معدوم موجود، و هو محال.

ب - ميتين، و ليس فى الوجود سواهما، لامتنعت الحياه، لكن الحياه موجوده، فكأننا نقول أن الحياه معدومه موجوده، و هو محال.

ج - أحدهما حيا و الآخر ميتا، فلا يخلو الميت من أن يكون يقبل الحياه من الحى أو لا يقبلها منه:

١ - فان كان لا- يقبلها منه، فليس يصير حى إلى الموت البته، لأنه لا- موات فى جوهره، فموت الحى إذن معدوم، لكن موت الحى موجود، فكأننا قلنا عن الموجود أنه معدوم.

٢ - و إن كان الميت قابلا للحياه، فلا يخلو قبوله هذا من أن يكون دائما أو غير دائم:

أ - فان كان دائما، كان الموجود حيين حياه دائمه، فلا موت، مع أن الموت موجود.

ب - و إن كان غير دائم، فلا يخلو ذلك من أن يكون إما من ذاته و إما ٥.

ص: ١٢٦

١- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانيه.

٢- كتاب الخواص الكبير، مقاله ١٧.

٣- نفس المرجع، مقاله ٢٥.

من الحى، فان كان من ذاته فقد حدث فى الأزلى ما لم يكن فيه، إذ تكون بمثابة من يقول عنه أنه فى أزليته كان قابلا للحياه و غير قابل لها، أى أنه يحمل الضدين و هو محال، و أما إن كان ذلك من الحى - لا من ذاته - فكان الحى يفعل ما يمنع الحياه و هو محال.

د - و لو كان كل واحد من الكونين الأولين حيا ميتا معا، فلا يخلو أن يكون ذلك أما فى الكل و أما فى أحد أجزائه، فان قلنا: أنه حى ميت فى جزء دون جزء، كان بين الجزء الحى و الجزء الميت من الكون الواحد، ما يكون بين الكونين اللذين يكون أحدهما حيا و الآخر ميتا، و أما إن كان ذلك فى الكل، فلن يخلو ذلك من أن يكون هذا فى وقت واحد، أو فى وقتين مختلفين:

١ - فان كان الكون الواحد حيا ميتا فى وقت واحد، كان هذا محالا.

٢ - و إن كان حيا ميتا فى وقتين مختلفين، اقتضى ذلك أن يتحول الكائن الأزلى إلى صفة لم تكن فيه، إذ لو كان فى أزليته حيا ثم تحول ميتا، أو كان ميتا ثم تحول حيا، لحدث له ضد ما كان له فى الأزلى، و هو محال(١).

٤ - الزمان:

إذا فرضنا وجود كونين، فليس يخلو الكونان الأزليان من أن يكونا:

أما - أ - دائمين.

و أما - ب - لا دائمين.

و أما - ج - أحدهما دائما و الآخر لا دائما.

و أما - د - كل واحد منهما دائما و لا دائما.

لكنهما لو كانا:

أ - دائمين، و كل دائم غير فان، و ما لم يكن فانيا فليس بمتغير، و كل ممتزج متغير، إذن لكان المزاج - أى مزج العناصر - معدوما، لكنه موجود، فكأننا نقول عن المزاج أنه معدوم موجود معا، و هو محال.

و إذا فرضنا أن حاله المزج هى التى كانت قائمه فى الأزلى، لوقعنا فى تناقض، لأن العناصر لكى تمتزج، لا بد لها أن تكون قبل مزجها منفردة صرفه، فالمزاج ياتى بعد الصرفيه، و إذن فكأننا نقول أن المزاج أزلى و الصرفيه قبله، و بهذا تجعل الأزلى مسبوقا بشىء سواه، و هذا محال.

ب - غير دائمين و هما أزليان، فكأننا نقول عما هو أزلى أنه يبطل و يضمحل، مع أن ذلك محال على الأزلى، و بهذا نكون كمن يقول عن الأزليين أنهما يفنيان و أنهما دائمان، و هو محال.

ج - أحدهما دائما و الآخر غير دائم، وجب فيما هو دائم منهما ما ذكرناه في حالة الفرض بان الكونين دائمان، و وجب كذلك فيما هو دائم منهما ما ذكرناه في حالة الفرض بان الكونين غير دائمين.

د - كل واحد منهما - أو أيهما - دائما و غير دائم، فقد وجب أن الأزلى يتحول إلى ما ليس من صفاته، و هذا محال(٢).

٥ - الفعل:

إذا كان هذا العالم مزيجا من كونين قديمين لم يكن في الوجود سواهما، و إذا كان امتزاج العناصر بعضها ببعض نتيجة حدثت عنهما، و إذا كان هذا الحدوث هو فعلهما، فلا يخلو الكونان من أن يكونا:

أ - أ - كل واحد منهما يفعل المزاج في صاحبه.

و أما - ب - أحدهما فقط هو الذى يفعل المزاج في صاحبه.

و أما - ج - لا يفعل أى منهما المزاج في صاحبه.

فلو كان:

أ - كل منهما يفعل المزاج في صاحبه، فلا يخلو الأمر من أن يكون هذا الفعل منهما أزليا أو محدثا.

١ - فان كان أزليا، كان المزاج أزليا، و المزاج هو العالم بما فيه من كائنات، إذن فالعالم أزلى، و ذلك رأى باطل.

٢ - و إن كان المزاج محدثا، كان ذلك بمثابة القول بان شيئا نشأ عن لا شيء، و هذا محال.

و كذلك إذا كان فعلهما المزاج محدثا، فليس يخلو الأمر من أن يكون:

إما أنهما يتفاعلا في وقت واحد، و إما أن أحدهما سبق بفعله فعل الآخر:

١ - فان كان فعلهما المزاج معا و فى دفعه واحده، فكل واحد منهما مازج صاحبه و ممزوج صاحبه، و المازج غير الممزوج، إذن فكل منهما غير نفسه و غير صاحبه فى آن معا، و هذا محال.

٢ - و أما إن كان أحدهما سبق الآخر بفعله، فلا يخلو السابق من أن يكون قد استنفد قوته الفاعله فوقف فعله ثم بدأ الآخر يفعل، أو أن يكون السابق لم تتناه قوته الفاعله، و فعل الآخر معه فى وقت واحد.

فان قلنا أن السابق قد تناهت قوته قبل أن يبدأ الآخر فعله، فقد قلنا بالتالى أن اللامتناهى قد أصبح متناهى و هذا باطل، و أما إن قلنا إن الثانى بدأ فعله فى نفس الوقت الذى كان الأول فيه ماضيا فى فعله، لزم عن ذلك ما أسلفناه، و هو أن يكون كل منهما فاعلا- فى غيره و منفعلا- بغيره، أى أنه غير نفسه و غير صاحبه فى آن واحد (غير نفسه لأنه يفعل فيتغير عما كان، و غير صاحبه لأنه فاعل فيه و صاحبه منفعل به) و هذا باطل.

ب - أما إن كان أحدهما فقط يفعل المزاج في صاحبه، فلا يخلو هذا الفعل من أن يكون إما أزليا و إما محدثا:

١ - فان كان أزليا كان المزاج أزليا، و كان العالم أزليا كذلك، و هذا باطل (٣)م.

ص: ١٢٧

١- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانيه.

٢- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانيه.

٣- يقول ابن حيان في هذا السياق أن أزليه العالم - أى قدم العالم - هو مذهب سقراط، و هو مذهب يرفضه ابن حيان كما رفضه معظم فلاسفه العصور الوسطى من مسلمين و مسيحيين، لأنه يتنافى مع القول بان الله خلق العالم.

٢ - و إن كان ذلك الفعل محدثا، فمعنى ذلك أنه كان مسبوqa بحاله لا فعل فيها، ثم جاء الفعل من عدم، مع أن الفعل وجود -
و الفعل هنا هو الطبيعه - فكأننا نقول إن الطبيعه وجدت من عدم، و هذا باطل.

ج - فان لم يكن أى منهما يفعل المزاج فى صاحبه فلا- فعل، مع أن المزاج فعل، إذن فإذا لم يكن فعل فلا مزاج، و لما كان
العالم مزاجا، فلا عالم، لكن العالم موجود، و هذا تناقض(١).

٦ - الانفعال:

إذا كان هذا العالم مؤلفا من كونين، فلا يخلو الكونان من أن يكونا:

و إما - أ - مركبين.

و إما - ب - لا مركبين.

و إما - ج - أحدهما مركبا و الآخر لا مركبا.

و أما - د - كل واحد منهما مركبا لا مركبا، أو أحدهما كذلك.

لكنهما لو كانا:

أ - مركبين، كانا قابلين للانحلال إلى ما قد ركبنا منه، و إن كانا منحلين إلى ما ركبنا منه كانا دائرين، و إن كانا دائرين فقد
سبقهما وقت لم يكونا فيه كائنين، و سيلحقهما وقت لن يكونا فيه كائنين، و إذن فهما محدثان، مع أنهم زعموا أنهما قديمان
فكأنهم بذلك يقولون: أنهما قديمان محدثان، و هو محال.

ب - لا مركبين، فلا انفعال لهما - لأن البسيط غير المركب غير قابل للتغير - فإذا كانا لا انفعال لهما فلا تركيب منهما، و إذا كانا
لا- تركيب منهما فلا مزاج منهما، و إذا كانا لا مزاج منهما - و ليس سواهما شىء - فلا مزاج البته أى أن المزاج يكون معدوما،
مع أن العالم بما فيه مزاج، و بهذا يكون العالم معدوما مع أنه موجود، فكأننا نقول أن المعدوم موجود، و هو محال.

ج - و إذا كان أحدهما مركبا و الآخر لا مركبا، و جب فى المركب ما قد أسلفنا ذكره فى حاله أن يكون الكونان مركبين، و
وجب فى اللامركب إما أن يكون هو الذى ركب المركب و أما لا يكون:

١ - فان كان هو الذى ركب - و إذا لم يكن هناك غيرهما - فالمركب محدث، و المركب أزلى، و إذن فالأزلى واحد و بطل
القول أنه اثنان.

٢ - و إن لم يكن هو الذى ركب المركب - و إذا لم يكن هناك غيرهما - كان المركب هو الذى ركب ذاته، و لا يخلو الأمر
من أن يكون ركب ذاته بصفه كونه موجودا، أو أن يكون ركبها بصفه كونه معدوما:

أ - فان كان ركبها بصفته موجودا، إذن فقد كان موجودا قبل أن يركب ذاته، فلا معنى لتركيبها.

ب - وإن كان ركب ذاته و هو غير موجود، كان معنى ذلك أن ما هو غير موجود ذات، و الذات هي ذات ذلك المعدوم، و هو محال. ج - أو يكون كل واحد منهما مركبا لا مركبا - أو أحدهما كذلك - فأیما كان منهما كذلك فلا يخلو من أن يكون كذلك بالكم أو بالزمان (أى أنه يكون كذلك أما دفعه واحده، و أما على وقتين متعاقبين فانا هو مركب و آنا هو غير مركب):

١ - فان كان كذلك بالكم (أى أن بعضه مركب و بعضه الآخر غير مركب) و جب فى بعضه المركب ما و جب فى الكل المركب (و قد أسلفنا ذلك) و و جب فى بعضه اللامركب ما و جب فى الكل اللامركب (و قد أسلفنا ذلك أيضا).

٢ - أما إن كان كذلك بالزمان (أى أنه آنا مركب و آنا غير مركب) كان معنى ذلك أن شيئا أزليا هو أسبق من شىء أزلى آخر، و هو محال (٢).

٧ - العلم:

إذا كان العالم مؤلفا من كونين، فلا يخلو الكونان من أن يكونا:

أما - أ - أن يحيط كل واحد منهما علما بذاته.

و إما - ب - ألا يحيط أى منهما علما بذاته.

و إما - ج - أن يكون علم أحدهما محيطا بذاته، و علم الآخر غير محيط بذاته.

و إما - د - أن يكون علم كل منهما محيطا بذاته و غير محيط بذاته.

لكنهما لو كانا:

أ - بحيث يحيط علم كل منهما بذاته، لكانا متناهيين، لأن العلم يحيط بهما، و إذا كانا متناهيين فهما محدودان، و ما حدهما غيرهما - سواء كان غيرهما جرما أو عدما - فهما إذن أكثر من اثنين.

ب - لا يحيط علم الواحد منهما بذاته، فقد جهلا ذاتهما، و إذن فلا فرق بين أن يقال عنهما أنهما لا متناهيان أو أنهما متناهيان.

ج - أحدهما يحيط علمه بذاته و الآخر لا يحيط علمه بذاته، لوجب فى الذى يحيط علمه بذاته ما و جب فى "أ" و و جب فى الذى لا يحيط علمه بذاته ما و جب فى "ب".

د - و لو كان علم كل منهما محيطا بذاته و غير محيط بها، فلا يخلو أن يكون هذا الاجتماع فى وقت واحد أو فى وقتين، فإذا كان فى وقت واحد كان اجتماع النقيضين محالا، و أما إذا كان فى وقتين، و جب فى إحاطه العلم بالذات ما و جب فى "أ"، و فى حاله عدم إحاطه العلم بالذات ما و جب فى "ب" (٣).

٨ - التناهي:

أنه لا يخلو الكونان من أن يكونا، أما - أ - متناهيين.

و أما - ب - لا متناهيين.٧.

ص: ١٢٨

١- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانيه.

٢- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانيه.

٣- كتاب الخواص الكبير، مقاله ١٧.

و أما - ج - أحدهما متناهما و الآخر لا متناهما.

و أما - د - كل واحد منهما متناهما لا متناهما.

لكنهما لو كانا:

أ - متناهيين، فهما محدودان، و إن كانا محدودين فحادهما غيرهما - جرما كان أو عدما - و بهذا تبطل الاثنيني لأن الموجود يصبح أكثر من اثنين.

ب - و إن كانا لا- متناهيين فلا- مكان لهما، و إن كان لا مكان لهما فلا ذهاب لهما في جهة من الجهات، و بالتالي فلا حركة لهما، و إن كان لا حركة فلا امتزاج، و لما كان العالم مؤلفا من مزاج و إذا لم يكن امتزاج فلا عالم، و بهذا يصبح العالم معدوما، لكنه موجود.

ج - و إن كان أحدهما متناهما و الآخر لا متناهما، كان المتناهي محدودا، و ما حده غيره، و بهذا يكون الموجود أكثر من اثنين، و كان اللامتناهي بغير أطراف، و ما لا أطراف له لا فراغ منه، و ما لا فراغ منه لم يدع مجالا لغيره، أى أنه يكون قائما وحده، و بهذا أيضا يبطل الفرض بوجود اثنين.

د - و إن كان كل منهما متناهما و لا متناهما - أو كان أحدهما كذلك - فلن يخلو الأمر من أن يكون ذلك في وقتين مختلفين أو في وقت واحد:

١ - فان كانا كذلك في وقتين مختلفين، كان الكائن الأزلي مشتملا على ضدتين، و هو محال.

٢ - و إن كان ذلك في وقت واحد، كان الأزلي أيضا على حالين متضادين في وقت واحد و هو محال(١).

٩ - الاتصال و الانفصال:

ليس يخلو الكونان من أن يكونا:

أما - أ - متصلين.

و أما - ب - منفصلين.

و أما - ج - متصلين منفصلين.

و أما - د - لا متصلين و لا منفصلين.

لكنهما لو كانا:

أ - متصلين، فهما ذات واحده، و بطلت الاثنييه.

ب - منفصلين، ففاصلهما الحاجز بينهما هو شيء غيرهما: و بهذا يصبح الموجود أكثر من اثنين (٢).

ج - متصلين منفصلين، فلا يخلو ذلك من أن يكون في جهه واحده منهما، أو في جهتين:

١ - فان كان في جهتين، وجب في الجهه التي فيها الانفصال وجود ثالث كما بينا في " ج " ٢ - و إن كان في جهه واحده، فلا يخلو من أن يكون ذلك في وقت واحد أو في وقتين، و هنالك تناقض في كلتا الحالتين كما بينا في مواضع كثيره سابقه.

د - لا- متصلين و لا- منفصلين، فهما بكونهما لا متصلين يصبحان ثلاثه باضافه الحاجز بينهما، كما بينا في " ب "، و بكونهما لا منفصلين يصبحان واحدا لا اثنين، كما بينا في " أ " (٣).

١٠ - الكيف:

إذا فرضنا وجود كونين: أحدهما منيرا من الأزل و الآخر مظلما من الأزل، فلا يخلو الأمر من أن يستمد الكونان النور و الظلام أما من ذاتيهما و أما من غيرهما:

أ - فان كان من غيرهما، فلا يخلو من أن يكون الذى منه النور هو الذى منه الظلام، أو يكون الذى منه النور غير الذى منه الظلام، و على أى فرض من الفرضين، فسيكون هنالك ثالث و رابع، و تبطل الاثنييه كما تبطل أزليه الكونين، لأن "الأول" عندئذ لا يصبح "أولا".

" هذه أوله في العقل " أعنى بديهيه أوليه يقبلها العقل بفطرته و لا تحتاج إلى برهان و ما دما قد سلمنا بها لزم أيضا أن نسلم بان لكل شيء طباعه الأصلية الموجوده فيه منذ الأزل، و التي لا تحتاج إلى ردها إلى أصل أسبق منها في الوجود.

ب - أما إن كان مصدر النور نورا و مصدر الظلام ظلما، فلا يخلو من أن يكون كل واحد منهما صرف الطبيعه - أى نورا صرفا و ظلما صرفا - أو أن يكون كل واحد، منهما مشوب الطبيعه:

١ - فان كان كل واحد منهما مشوب الطبيعه، كانت طبيعته قد خالطتها طبيعه أخرى غيرها، أى أنه ممزوج، و مزجه أزلى، مع أن المزج يقتضى أن تتحد الطبيعتان بعد أن كانتا متباينتين، فكأننا نقول بهذا أن أزلا قد جاء بعد أزل أسبق منه، و هو تناقض (٤).

٢ - (لم يذكر جابر تحليل الفرض الثانى، و هو أن يكون النور و الظلام غير مشوبين، أى أن يكون النور نورا صرفا و الظلام ظلما صرفا).

١١ - الكم:

لا يخلو الكونان من أن يكونا:

أما - أ - كليين.

و أما - ب - جزئيين.

و أما - ج - أحدهما كلياً و الآخر جزئياً.

و أما - د - كل واحد منهما أو أحدهما كلياً جزئياً.

و أما - ه - كل واحد منهما أو أحدهما لا كلياً ولا جزئياً.

ص: ١٢٩

١- كتاب الخواص الكبير، مقاله ١٥.

٢- مثل هذا التحليل هو من الأسس التي بنى عليها "برادلي" - الفيلسوف الإنجليزي الحديث - منطقته بان الكون واحد - راجع كتابه "المظهر والحقيقه".

٣- كتاب الخواص الكبير، مقاله ١٧.

٤- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانيه.

لكنهما:

أ - إن كانا كليين فلهما أجزاء، وإن كانت لهما أجزاء فلكل جزء أطراف، و إذن فهذه الأجزاء محدوده بحدود، و كل ما كان محدود الأجزاء فهو محدود الكل، و المحدود متناه إلى غيره، و إذن يكون مع الكونين غيرهما، لكننا فرضنا وجودهما وحدهما و لا شيء غيرهما، و هذا محال.

ب - إن كانا جزءين فلهما كلان، أو كل واحد يجمعهما، و على أي الحالتين و جب ما قد و جب في الكل كما بينا في "أ".

ج - و إن كان أحدهما كلياً و الآخر جزئياً، و لم يكن ثمة سواهما، فالجزء منهما هو جزء الكل، و الكل منهما هو كل للجزء، فهما - إذن - ذات واحده، أحدهما جزء من الكل، و متى أفرد الجزء صار ما بقى من الكل جزءاً أيضاً، فيكون الكل كلا جزءاً من جهه واحده، و هذا محال.

د - و إن كان كل منهما جزئياً كلياً، فاما أن يكون ذلك من جهه واحده، أو من جهتين مختلفتين:

١ - فان كان من جهتين مختلفتين فهو جزء لما هو أكثر منه، كل لما هو أقل منه، و هذا يجعله لا متناهما من جهه و متناهما من جهه أخرى، كما يجعل هناك لا متناهما أكثر من لا متناه آخر، و هو محال.

٢ - و إن كان ذلك من جهه واحده، فهو كل و جزء معا و هذا محال.

ه - و إن كانا - أو كان أحدهما - لا كلياً و لا جزئياً، فقد ثبت جرم لا كل له و لا جزء، و هذا محال(١).

١٢ - الكمون و الظهور:

و نختم بهذه الفقره مختاراتنا من أمثله الجدل الفلسفى عند جابر بن حيان، و هو كله جدل أراد به إثبات الواحدية و إنكار التعدد، فلو كان العالم مشتملاً على أجناس كثيره و أنواع كثيره، فلا يخلو ذلك من أن يكون:

اما أن بعض الأشياء كامنه فى بعضها الآخر، كالجنين يكمن فى النطفه، و الشجره كامنه فى الحبه و هكذا، و أما أن يكون ظهور بعض الأجناس إبداعاً و خلقاً من عدم.

فاما الفرض الأول فيتقاضى إنكار وجود الخالق الذى يخلق الكون من عدم، لأنه فرض يحيل الأمر إلى تطور يرتد إلى الوراء حلقه بعد حلقه حتى تنتهى إلى طبائع أوليه، و أما الفرض الثانى فيجعل فاصلاً بين سلسله الكائنات المتطور بعضها من بعض، و بين الخالق الذى أنشأها بعد أن لم تك، و يحدثنا جابر بان رأى الأول هو قول "المنايه"، و أما رأى الثانى فهو الذى يأخذ هو به و يقيم عليه البرهان، "فأهل الإبداع هم القائلون بالتوحيد، و المبطلون قول المنايه و غيرهم ممن قال بقولهم فى كمون بعض الأشياء فى بعض" (٢).

القديم و المحدث:

الله خالق و هو أزلى، و الطبيعه مخلوقه و هى حادثه، فعلى آيه صوره يجوز لنا أن نتصور الصله بين الخالق و المخلوق، بين القديم و المحدث؟ يجب ابن حيان عن ذلك بما معناه(٣):

اعلم أن الكلام فى القديم و المحدث - عافاك الله - من أصعب الأمور عند جله الفلاسفه و قدمائها، و لو قلت أن أكثرهم مات بحسرتة لكنك صادقاً، فأرباب هذا العلم هم أشد الناس تعظيماً لعلمهم هذا و صيانته له و حفظاً عن غير مستحقه، و إن يكن تحصيله سهلاً عليهم يسيراً لديهم، لأنهم يدركون الحقيقه بالشهود المباشر، و يفيضون بها فيضاً، فلا يحتاجون فى ذلك إلى أعمال فكر فى إقامه الدليل على ما قد أدركوا، و لا- إلى استعمال لفظ فى التعبير عما قد أدركوا(٤)، غير أنهم و إن كانوا كذلك فى شهودهم للحق و إدراكهم له، فإن علمهم لا ينتقل إلى سواهم إلا إذا كان هؤلاء فى منزله قريبه من منزلتهم، فليس الناس فى إدراك الحق سواء، بل منهم من يحتاج إلى واسطه، و منهم من يتصل بالحق صله مباشره لا واسطه بينه و بينه.

و إذا أدركنا "القديم" استطعنا أن ندرك خصائص المحدث بالاستدلال، لأن القديم و المحدث ضدان، و العلم بأحد الضدين هو علم بالضد الآخر، فطريق الفكر هو من القديم إلى المحدث، ندرك الأول إدراكاً مباشراً ثم نستدل الثانى منه، و ليس العكس كما ظن "جهله المتكلمين" فى هذا الباب، إذ استدلوا على الغائب (القديم) بالشاهد (المحدث) على بعد ما بينهما، فكأنهم استشهدوا بالجزء على وجود الكل برغم ما فى هذا المنطق من فساد(٥).

إن أخص صفة "للقديم" هو الوجود الذى يستغنى به عن الفاعل، أى أنه وجود بغير موجد، و ذلك لأنه موجود وجوداً أزلياً، و لو كان موجوداً بفعل فاعل لكان هذا الفاعل أسبق منه وجوداً، و أى كائن يتقدمه غيره فى الوجود يكون محدثاً و غير أزلى، لكنه إذا كان الوجود صفة من صفات القديم، فهو كذلك صفة من صفات المحدثات، بل أن وجود المحدثات ليس عرضاً، بل هو وجود بالضروره أيضاً، و ذلك لأن الآثار تكون شبيهه بمؤثرها، و إذا كان الأمر كذلك، و جب الوجود للمحدث عن وجود القديم، و الفرق بين الوجودين هو أن وجود القديم يستغنى عن الفاعل، و يكون عله لوجود غيره، و أما وجود المحدث فهو يحتاج إلى فاعل يكون عله لغيره.

و من خواص القديم أيضاً أن تكون جميع المحدثات من فعله و أثره، إذ لا بد لجميعها من انتهاء إليه و رجوع إلى كونه عله لها - أما قريبه و أما بعيدة -

ص: ١٣٠

- ١- كتاب الخواص الكبير، مقاله الثانى.
- ٢- كتاب الخواص الكبير، مقاله الخامس و العشرون.
- ٣- كتاب القديم.
- ٤- أحسب أن جابراً يريد بهذا أن يقول: أن إدراك "القديم" (المبدأ الأزلى الأول) لا يكون عن طريق التفكير الفلسفى القائم على البرهان و القياس، بل يكون عن طريق الإدراك الصوفى.
- ٥- فى هذا تأييد لقولنا بان جابراً يجعل وسيله إدراك الله هى الحدس الصادق الذى عرف به المتصوفه، لا الاستدلال القياسى الذى يتميز به تفكير الفلاسفه و المتكلمين.

فليس للتقديم سوى هاتين الخاصتين، و هما فى الحقيقه واحده، و ذلك أن الوجود له هو الصفه التى بها أوجد آثاره، أى أن وجوده تضمن أن يكون عله لوجود المحدثات.

و لما حدثت الطبيعه عن الجوهر الأول - و هو العله الأولى - حدث عنها شيان ضدان: هما الحركه و السكون، أما الحركه فهى من الطبيعه محيطها، و أما السكون فهو منها المركز، لهذا كان بين الحركه و السكون ما بين المحيط و المركز من تباعد و تضاد، و لهذا التباين بينهما تباينت صفاتهما: فللمحيط الصفاء و الخير و الحسن و الجمال و النور و البهاء، و من ثم فهو أقرب جوانب الطبيعه إلى الله، و الفرق بينهما هو أن الجوهر القديم لم يكن محتاجا إلى الحركه، و أما الكائنات التى هى فى محيط الطبيعه فمحتاجه إلى الحركه، و إنما تحركت حركتها لمنفعه الإنسان، الذى خلق بطبعه مفتقرا إلى اجتلاب المنافع و دفع المضار، ففى الإنسان شهوه ترغب فى شىء و تنفر من شىء.

على أن الإنسان يسير بشهوته فى أحد طريقين: فاما هى شهوه يشواق بها أشياء خسيسه، و أما هى شهوه يتطلع بها إلى ما هو صاف رفيع، و لكى يجعل الجوهر القديم طريقا مفتوحه أمام شهوه الإنسان أن تتجه إلى الصفاء و الخير، فقد جعل فى الأفلاك شوقا، حتى يمكن الاتصال بين المتجانسين:

و أعنى بهما الشوق عند الإنسان و الشوق عند الأفلاك، ليتصل الشوق بالشوق، و يغلب أحدهما الآخر، لأن فى أحدهما حركه و فى الآخر سكونا، و الحركه تغلب السكون.

و إذا وصل الإنسان نفسه بالأعلى، بلغ من العلم غايته، "فو حق سيدى إنه لغايه العلم، و لو شئت لبسطته فيما لا- آخر له من الكلام، و لكن هذه الكتب - يا أخى - معجزات سيدى، و ليس - و حقه العظيم - يظفر بما فيها من العلم إلا أخونا، فاما من سواه من إخواننا الذين لم ندخر هذا من أجلهم، و لا صنفناه لهم، فإنما يظفر منها بما ظهر من علومنا فيها، و صنائعنا التى صنعناها و أودعناها إياها، و أما غير هؤلاء من الأضداد و السفله و الأراذل و السفهاء المظلمى النفوس الأقدار العقول فما يزيدهم الله بها عمى و ضلاله و جهلا و بلاده..." .

بين العلم و الخرافه

فعل الطلسم:

الطلسمات عند جابر علم من العلوم المعترف بها. بل أنها لعلم ذو أهميه بالغه، لأنه بالطلسم يخرج العالم ما يريد إخراجة من أشياء كانت كوامن، و ظهورها مرهون بفعل الطلسم الفعال، و إنما يتم فعل الطلسمات عن أحد طريقين: فاما عن طريق المماثله و أما عن طريق المقابله.

و المماثله هى مشاكله الأشياء بعضها إلى بعض، كمماثله الكبريت للنار، و المقابله هى مباينه الأشياء بعضها لبعض، و بعدها عنها و منافرتها لها، و المثليل إنما يستخدم لاستجلاب مثيله، و أما المقابل فيستخدم لابعاد مقابله، و الاستجلاب و الإبعاد كلاهما فعل الطلسمات.

و المماثلة و المقابلة تكونان فى طبائع الأشياء الأوليه: الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه، فالحراره تماثلها حراره و تقابلها بروده، و اليوسه تماثلها يوسه و تقابلها رطوبه، و ليست هذه الطبائع الأربع من منزله واحده، بل أن منها اثنتين فاعلتين هما: الحراره و البروده، و اثنتين منفعتين هما: اليوسه و الرطوبه، و ذلك لأن الحراره أسبق منطقيا من اليوسه، و البروده أسبق منطقيا من الرطوبه.

فالمماثله بين الأشياء تكون على مرتبتين:

١ - مماثله فى الكيفيتين الفاعلتين، و هى أقوى من المماثله التى تكون فى الكيفيتين المنفعتين، أى أنه لو كان عندنا شيئان: أحدهما حار يابس و الآخر حار رطب، كان هذان الشيئان متماثلين فى الحراره، و هى كيفيه فاعله، و لذلك فالتماثل بينهما أقوى مما يكون بين شيئين: أحدهما حار يابس و الآخر بارد يابس، إذ المماثله هنا تكون فى اليوسه التى هى كيفيه منفعله.

٢ - الأشياء التى تتماثل بالطرفين معا - الفاعل و المنفعل - أقوى مماثله من الأشياء التى تتماثل بطرف واحد، فالنسبه بين شيئين: أحدهما حار يابس و الآخر حار يابس كذلك، هى أوثق عرى و أمكن صله من النسبه بين شيئين: أحدهما حار يابس و الآخر حار رطب، و من النسبه بين شيئين آخرين: أحدهما حار يابس و الآخر بارد يابس.

و كذلك قل فى المقابله، فهى أيضا على مرتبتين:

١ - فالأشياء التى تتقابل بالكيفيه الفاعله أقوى مباينه من الأشياء التى تتقابل بالكيفيه المنفعله، فالتباين بين الحار اليابس و البارد اليابس أشد و أقوى و أمكن من التباين بين الحار اليابس و الحار الرطب.

٢ - و الأشياء التى تتقابل بالطرفين معا، يكون التباين بينهما أقوى و أمكن من الناحيه التى تتقابل بطرف واحد، فالتباين بين شيئين: أحدهما حار يابس و الآخر بارد رطب، أبعد من التباين الذى يكون بين الحار اليابس من جهه و البارد اليابس من جهه أخرى، أو بين الحار اليابس من جهه و الحار الرطب من جهه أخرى(١).

قلنا أن الطلسمات يكون فعلها أما استجلابا و استكثارا لما يراد استجلابه و استكثاره، و أما نفيًا و إبعادا لما يراد نفيه و إبعاده.

و طريق الاستجلاب هو المماثله، و طريق الإبعاد هو المقابله، فإذا أردت استجلاب شىء، كالعقارب و الحيات و الضفادع و السمك و الناس و الوحوش، كان عليك أن تماثل بين صفه الشىء المطلوب و بين الكواكب و البروج، و أما إذا أردت أن تبعد شيئا كان تطرد عن مدينه ما كل ما فيها من عقارب أو حيات أو ضفادع إلخ، كان عليك أن تباين بين الشىء المراد إبعاده و بين الكواكب و البروج، فللكواكب و البروج طبائع أسلفناها لك فى حينها(٢)، و كذلك لكل شىء طبائعه، و إنما تكون المماثله و المباينه بين هذه الطبائع و تلك، إما مباشره و إما بوساطه عقار يعد لذلك.

ص: ١٣١

فالمماثلة بين البروج تكون بين أولها و خامسها و تاسعها و هكذا على الصور الآتية:

١ - الحمل ٢ - الثور ٣ - الجوزاء ٤ - السرطان ٥ - الأسد ٦ - السنبلة ٧ - الميزان ٨ - العقرب ٩ - القوس ...

حاره يابس ١٠ - الجدى ...

بارده يابس ١١ - الدلو ...

حاره رطب ١٢ - الحوت ...

بارده رطب و المقابله بين البروج تكون بين أولها و سابعها، و ثانيها و ثامنها.

و هكذا، على الصور الآتية:

الحمل ضد الميزان.

الثور ضد العقرب.

الجوزاء ضد القوس.

السرطان ضد الجدى.

الأسد ضد الدلو.

السنبلة ضد الحوت.

و نسوق فيما يلي أمثله للمماثلة و المقابله:

أ - المماثلة:

١ - تريد استجلاب الأسد إلى مدينه من المدن، فليكن الرصد إلى برج حار يابس، و يكون فى ذلك البرج نجم حار يابس كذلك، و البروج الحاره اليابسه هى - كما قدمنا - الحمل و الأسد و القوس، و الكواكب الحاره اليابسه هى: الشمس و المريخ و الزهره و عطارد.

٢ - تريد استجلاب السمك إلى ماء فى مكان معين، فالرصد عندئذ يكون إلى برج بارد رطب، و يكون فى ذلك البرج نجم بارد رطب ...

و يضاف إلى فعل البروج و الكواكب أدويه تؤخذ اما من الحيوان و أما من النبات و أما من الحجر، لكن المأخوذه من الحيوان و

النبات تجف و تتحول فيبطل عملها، و أما المأخوذه من الحجر فثابته، فعلينا أن نختار الحجر الذى يناسب طبعه طبع البروج و الكواكب من حراره و ييوسه و بروده و رطوبه.

ب - المقابله:

١ - تريد أن تطرد العقارب من موضع ما، فما دامت العقارب بارده الطبع، فيجب أن يكون الرصد إلى برج حار و إلى كوكب حار، و أن يكون الدواء المستخدم من حجر حار.

٢ - تريد أن تطرد الأفاعى، و الأفاعى حاره، فيجب أن يكون البرج باردا و الكوكب باردا و الحجر الذى تأخذ منه الدواء باردا(١). هكذا "تسلط" على الشىء المستجلب ما يماثله فيظهر، و على الشىء المبعد ما يقابله فيختفى.

و هنا نذكر قصه طريفه يرويها جابر مفسرا بها كلمه "طلسم" كيف جاءت؟ قال جابر يروى عن شيخ له: "...يا جابر! فقلت: لبيك يا مولاي، فقال: أ تدرى لم يسمى الطلسم طلسمًا؟ قلت: لا- و الله يا مولاي ما أدري، فقال: فكر فيه، فإنه من علمك، ففكرت فيه سنه فلم أعلم ما هو، فقلت: لا و الله يا مولاي ما أدري ما هو، فقال: لو لا أنى غرستك بيدي و أنشأتك أولا و آخرا إلى وقت هذا، لقلت أنك مظلم، ويلك اقلبه! فقلت: نعم يا مولاي، فإذا معناه مسلط من جهه الغلبه و التسليط، فخررت ساجدا، فقال: لو كان سجودك لى - و جدك - لكنت من الفائزين، قد سجد لى آباؤك الأولون، و سجودك لى يا جابر سجودك لنفسك، أنت و الله فوق ذلك، فخررت ساجدا، فقال: يا جابر، و الله ما تحتاج إلى هذا كله، فقلت: صدقت يا مولاي، فقال: قد علمنا ما أردت، و علمت ما أردت... فاشرح هذا فى كتابى إخراج ما فى القوه إلى الفعل، فالطلسم - عافاك الله - مسلط فى فعله، قاهر غالب بموازاه المماثله و المقابله" (٢).

طبيب البحر:

ذلك ما يقوله جابر فى الطلسمات و كأنما ليس هو جابرا الكيموى العالم المدقق فى مشاهداته و تجاربه، فانظر إلى قصه أخرى يرويها جابر فى الطب و العلاج:

زعم بعضهم أن حيوانا فى البحر، جبهته من حجر أصفر، فإذا صيد ذلك الحيوان - و هو على خلقه الإنسان - و ذبحه ذابح و أخذ من الحجر الذى فى جبهته قيراطا فألقاه على عشره أرتال قمرا، قلبه شمسا... و هذا الحيوان يعرف بطبيب البحر، و ذلك أنه إذا مرض كائن حى، و جئناه بذلك الحيوان البحرى فمسحنا على موضع العله منه مرتين أو ثلاثا بالحجر الذى فى جبهته، عرق المريض و برئ من مرضه و عاد سليما، و لقد عرف عن "طبيب البحر" أنه إذا صيد، لبث يلتمس الوسيله التى تعيده إلى الماء...

و لقد رأيت قوما من البحرانيين الملججين العلماء، و سألتهم عن "طبيب البحر" فإذا أمره أشهر مما كنت أظن، و ضمنوا إلى أن يرونى إياه، فلما أن لججنا فى البحر وصلنا إلى جزيره تدعى سديات، إذا نحن بجماعه من " أطباء البحر" فقلت: أعملوا الحيله فى صيد واحد منها، و ألقينا الشبكه، و حصرناهم، فوقع واحد منهم فيها، فلما لم يجد لنفسه مخلصا، جعل يلطم - كلطم المرأه - على خديه شديدا، و تبينت جبهته، فإذا هى حجر يلمع، فأخذته، فإذا هى جاربه حسناء، كأحسن ما يكون من الصور، فبنيت له بيتا فى المركب و حبسته فيه، و عرض لبعض أهل المركب تشنج.

فأخرجته - أى طيب البحر - و مررت به على ذراعى المتشنج و ساقيه، فبرأه

ص: ١٣٢

١- المرجع السابق، ص ٨٠-٨٤.

٢- المرجع السابق، ص ٧٩-٨٠.

لوقته، و رآه غلام معي، فعسقه، و لم يزل يلح فيه، إلى أن خفت عليه الهلكه منه، فجعلته معه في البيت، فصبر الغلام معها على ذلك، و زواجها، و أحبلها، فولدت غلاما، و تربى، إلا أن خلقته كخلق الإنسان، و في جبهته شيء يلمع، ليس كالأم، فلم أر شيئا قط أعجب من أمره، فلما أن كبر الصبي و رأيت ميل الأم إليه ميلا عظيما، و هي مع ذلك لا تتكلم مع طول المده بكلمه واحده، أكثر من الهممه شيئا لا- صوت له إلا- خفى جدا، أمنا أن ترمى بنفسها في الماء، فجعلت تدخل و تخرج، و للمركب جوانب عاليه ليس تلحق أن تظفر منها، فلم تزل تؤانسنا و ترتقى من موضع إلى موضع، حتى إذا وثقت باننا أمناها سعدت و رمت بنفسها في الماء، فجزع الغلام - زوجها - عليها، فأخذ الغلام ابنه معه، و هو مع ذلك لا يتكلم، فلما أن سرنا بعد ذلك، وقعنا في شدة عظيمه لا- فرجه لها فإذا نحن بالطبيب - طبيب البحر - جالس على الماء، ليس منه شيء غائضا، و إذا هي تومئ بالسلام، فأومأ الناس إليها كلهم، و أقبل القوم يقولون لها: ما الحيله؟ و قوم يدعون، و قوم يبكون، و كل قوم في فن من الفنون، فأومأت إليهم بشيء من الأشياء، فإذا الغلمان قد ألقوا الأناجر، و إذا الأناجر لا تثبت، إلى أن ثبت منها ثلاثه أناجر، و إذا البحر قد انقلب، و إذا هي سمكه قد فتحت فمها و الماء يدخل إليها كأعظم ما يكون من البحار، و إذا نحن قد توهمنا أن شق فمها الأعلى جبل عظيم في البحر، قد أخذ البحر من أوله إلى آخره، فلم نشك حين رأيناها أنها تطبق فمها علينا فنكون في بعض أضراسها إلى أن كفى الله تعالى، ثم انفلت الصبي فوق إلى الماء، فلما أن كان من غد، ظهر، فإذا جبهته قد صارت حجرا، فلم أزل إلى أن صدت من الأطباء ثلاثه، فأخذت جبهه واحد و ألقيته، فنظرت إلى صبغه، ففكرت حينئذ في قدره البارئ عز و جل كيف عدل هذا الموضع من هذا الحيوان بما لم يمكن أحدا من الناس - أو كلهم لو اجتمعوا على ذلك ما قدروا عليه، فتبارك الله أحسن الخالقين، فناديت أن لا إله إلا أنت سبحانك، ربنا و تعاليت عما يقول المبطلون(1).

ابتهاال العلماء:

أ تريد أن تكون باحثا عالما؟ إذن فهناك وصيه يراها جابر كبيره النفع للسالكين في سبيل العلم - علم الموازين و تركيب الطبائع على الجوهر تركيبا من شأنه أن ينتج لنا كل ما أردناه من كائنات، يقول جابر في ذلك:

إنني كنت آلفت سيدي(2) - صلوات الله عليه - كثيرا، و كنت لهجا بالأدعيه و بخاصه ما كان يدعو به الفلاسفه، و كنت أعرضه عليه، و كان منها ما استحسنته، و منها ما يقول عنه: الناس كلهم يدعون بهذا و ليس فيه خاصيه، فلما أكثرت عليه علمني هذا الدعاء، و هو من جنس دعاء الفلاسفه، بل أنه لا فرق بينه و بين ما يدعو به الفلاسفه، غير أنه قد اختار من دعاء الفلاسفه أجزاء، و أضاف إليه أجزاء، و قال لي: لا- يتم لك الأمر إلا- به، و عندي أنه لا يتم لأحد ممن قرأ كتبي خاصه إلا به، إن أزل صوره الشيطان عن قلبه و ترك اللجاج و استعمل محض الإسلام و الدين و النيه الجميله، أما ما دام الشيطان يلعب به، و يزله قصدا، فليس ينفعه شيء، و ذلك أن اللجاج ليس هو من الشيطان وحده، إنما هو من فساد النيه، فاتق الله يا هذا في نفسك، و اعمد إلى ما أوصيك به... و هذه هي الوصيه:

ابدأ بالطهر، بان تفيض على بدنك ماء نظيفا في موضع نظيف، ثم تلبس ثيابا طاهره نظيفه، لا تمسها امرأه حائض، ثم تستخير الله ألف مره، و تقول في استخارتك: اللهم إنني أستخيرك في قصدي، فوفقني و أزغ الشيطان عني، إنك تقدر عليه و لا يقدر عليك، فإذا قلت ذلك ألف مره، عمدت إلى موضع طاهر نظيف، و ابتدأت فكبرت الله و قرأت الحمد و قل هو الله أحد مائه مره، و ركعت و سجدت، ثم قمت و صليت مثل ذلك، ثم تشهدت و سلمت، ثم قرأت في الركعتين الثانيتين مائه مره إذا جاء

نصر الله و الفتح، و إذا سلمت أعدت مثل الركعتين الأوليين، و قرأت قل هو الله أحدهما مرة، ثم أعدت اثنتين أخرى إذا جاء نصر الله و الفتح، ثم صليت ركعتين أخريين، و هما تمام العشر، و قرأت سورة سوره، ثم أتممت صلاتك، و إياك أن تكلم أحدا في خلال ذلك، و يشغلك شاغل، و أخرى المواضع بك الصحارى الخاليه حتى لا يكلمك أحد البته، ثم اجلس و قل بعد أن تمد يديك إلى الله تعالى: اللهم إني قد مددتكما إليك طالبا مرضاتك، و أسألك ألا تردهما خائبتين، و تبدأ و تقول: اللهم أنت أنت، يا من هو هو، يا من لا- يعلم ما هو إلا- هو، اللهم أنت خالق الكل، اللهم أنت خالق العقل، اللهم أنت واهب النفس النفسانيه، اللهم أنت خالق العله، اللهم أنت خالق الروح، اللهم أنت قبل الزمان و المكان و خالقهما، اللهم أنت فاعل الخلق بالحركه و السكون و خالقهما، اللهم إني قصدتك فتفضل على بموهبه العقل الرصين، و إرشادى فى مسلكى إلى الصراط المستقيم، اللهم بك، فلا شىء أعظم منك، نور قلبى و أوضح لى سبيل القصد إلى مرضاتك، اللهم إني قصدتك و نازعتنى نفساى، نفسى النفسانيه نازعتنى إليك، و نفسى الحيوانيه نازعتنى إلى طلب الدنيا، اللهم فيك، لا أعظم منك، يا فاعل الكل، صل على محمد عبدك و رسولك و على آله و أصحابه المنتجبين، و اهد نفسى النفسانيه إلى ما أنت أعلم به من مرادها منها، و بلغ نفسى الحيوانيه منك غايه آمالها فتكون عندك، إذا بلغت ذلك فقد بلغت الدنيا و الآخره، أنه سهل عليك، اللهم إني أعلم أنك لا- تخاف خلا- و لا- نقصانا يوهنك برحمتك و كرمك، هب لى ما سألتك من الدنيا و الآخره، اللهم يا واهب الكل فاجعل ذلك فى مرضاتك و لا تجعله فيما يسخطك، اللهم و اجعل ما يرزقنى عوناً على أداء حقوقك و شاهدا لى عندك، و لا تجعله شاهدا على و لا عوناً على طلب ما يعرضك عنى، اللهم يا خالق الكل أنت خلقت قلبى، و أنت خلقت الشيطان و لعنته بما استحقه و أمرتنا أن نلعنه، فاصرفه عن قلب و ليك أنت، و أعنى على ما أقصد له من كيت و كيت - و اذكر حاجتك فى هذا الموضوع - فإذا فرغت من سائر ما تريده فعفر خديك على الأرض، ثم قل فى تعفيرك: خضع وجهى الدليل الفانى لوجهك العزيز الباقي، قل عشر مرات، ثم اجلس مليا، و قم فتوجه و كبر و اقرأ الحمد و سوره ألم نشرح لك صدرك، و اقرأها فى الركعه الثانيه، فإذا سلمت قل:

ص: ١٣٣

١- كتاب السبعين، مقاله ٦٠.

٢- المقصود هو جعفر الصادق.

أقصد و لا أرجو غيرك، اللهم لا تضع زمام قصدي و رجائي لك، إنك لا تضع أجر المحسنين، و إنك تقضى و لا يقضى عليك، قد وعدت الصابرين خير الجزاء فيك، و لأصبرن بك لما خففت عني و صبرتني على امتحانك، اللهم قد وعدت بعد العسر يسرا، اللهم فامح أوقات العسر و اجعلها زياده في أوقات اليسر، و اجعل ذلك حظا من الدنيا و حظوظا من الآخرة، اللهم إن وسيلتي إليك محمد و صفوه أهل بيته، آمين آمين آمين.

قال سيدى لى فى ذلك: إن الله عز و جل أكرم من أن يتوسل إليه إنسان بنبيه فيرده خائبا، فإذا تمت ذلك فصدق فى أثره درهمين و ثلاثين، و اجعله أربعة أقسام، كل قسم أربعة دوانيق، فأول من يلقاك ممن يقبل الصدقه فأعطه قسما، و كذلك الثانى و الثالث و الرابع، فان الله تعالى يحمدك العاقبه فى سائر أمورك، و يزجر الشيطان عن وجهك، و اقصد لما أنت تشتتبه، فانك ترى فيه الرشد... و يرزقك الله قريبا إن شاء الله.

الميرزا جعفر بن أحمد الأنصارى الفراه داغى.

ذكره أخوه فى مقدمه رسالته "تاريخ قم"، و قال ما ترجمته: إنه من جمله أكابر العصر الأفاضل، و قلما وجدت من المعاصرين مثله فى الكمالات النفسانية، توفى فى طريق الحج بقريه "الغاب" على ثلاث مراحل من مدينه حلب و دفن أولا فى حلب بمشهد رأس الحسين (ع) ثم نقل إلى النجف الأشرف.

توفى قبل سنة ١٢٨٤ التى ألف فيها رساله المذكوره(١)

الشيخ جعفر بن أحمد بن الحسن المكى.

قرأ عليه السيد عز الدين حسن بن حمزه الحسينى النجفى كتاب "إرشاد الأذهان" للعلامه الحلى. فأجازه مصرحا فى الإجازة بأنه قرأه على الشيخ زين الدين على بن الحسن الأسترآبادى.

و هو من أعلام القرن التاسع(٢)

جعفر بن إمام الدين الطهرانى.

سمع قراءه سيف الدين محمد الخادم بن مخدوم الحسينى، نسخه من كتاب "الأربعون حديثا" للشهيد الأول، و أجازه فيها بمشهد الرضا (ع) فى شهر رمضان المبارك سنة ٩٦١ و قال فيها: "فقد سمع من لفظى الأديب اللبيب الفاضل الكامل صاحب المناقب الجليله و المطالب الجميله الألمع الذى - يظن كان قد رأى و قد سمع - سمي إمامنا السادس... و هو الذى فى الخلق و الشيمه و حسن السريره ليس له ثانى... فكنت أنا قارئاً و هو سامع مع تحقيق و تفتيش و تنقيب و تصحيح تناسب فهم أهل الفضل و الذكاء..."(٣)

الشيخ جعفر بن عباس الكلبيكانى.

كتب تقرير أبحاث أستاذه الرشتى الأصوليه و قرأه و صححه الأستاذ كما يبدو من بعض النسخ المخطوطه التى هى شبيهه

الأسلوب بكتاب "بدائع الأفكار" مع تقديم و تأخير في مقاصد الكتاب الخمسه و تغيير في بعض العبارات.

له "أصول الفقه" (٤)

جعفر الفراهي

صحح الميرزا عبد الله أفندي نسخته من كتاب "أمل الأمل" على نسخته المؤلف التي كانت عند الفراهي هذا، و صرح أنه من تلامذه الحر العاملى و بيته فى مشهد الرضا (ع) فى "محلّه هار [چهار] باغ" (٥)

الشيخ جعفر بن الشيخ الميرزا على رضا بن الميرزا محمد

حسن بن الميرزا محمد سميع بن الميرزا محمد بن لطف على خان

الطالشي الرشتي

ولد فى كربلاء سنه ١٣١٠ كما حدثنى به و توفى بها سنه ١٣٩٧.

من مشاهير علماء الحائتر الشريف محقق أصولى كلامى أخذ المقدمات و فنون الأدب على جماعه من الأفاضل منهم الشيخ محمد سعيد الفارسى و الشيخ محمد مهدى الحائرى و تتلمذ فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ نعمه الله الدامغانى و الشيخ موسى الكرمانشاهى و أخذ الرياضيات و الهيئه عن الشيخ محمد مهدى الكشميرى ثم تفقه على الميرزا على الشهرستانى ثم تصدر للتدريس و عكف عليه طلاب العلوم و اشتهر أمره و كان من أبرز مدرسى المقدمات و السطوح فى كربلاء و عميد المدرسه الهنديه و قد تخرج عليه جمع غفير من علماء و فضلاء الحائتر الشريف و انتهى إليه كرسى التدريس.

و كان آل الرشتى من زعماء الحوزه العلميه فى الحائتر الشريف هاجر جدهم الميرزا محمد حسن من بارفروش إلى كربلاء فى النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجره و كان من أفاضل التجار، و جدهم الأعلى لطف على خان كان من زعماء قبيله طالش و هى من العشائر الكبيره فى گيلان. كان ولد المترجم له الشيخ الميرزا على رضا الرشتى المتوفى سنه ١٣١٩ من فحول العلماء و من تلامذه السيد الميرزا على نقى الطباطبائى الحائرى.

و من أعلام هذا البيت شقيق المترجم له الشيخ مهدى الرشتى الذى أخذ سطوحه عن الميرزا يحيى الزرندى و تخرج فى الفقه و الأصول على السيد الميرزا هادى الخراسانى و هذا البيت الجليل هم أحوال

ص: ١٣٤

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

الأُسره العلويه المعروفه بال الوهاب من خدمه الروضه الحسينيه.

ترك المترجم له مؤلفات و حواشى منها رساله فى الرياضيات، رساله فى الهيئه، حواشى على حاشيه ملا عبد الله فى المنطق، كما أن له حواشى على الكتب الأدبيه و من آثاره فى كربلاء المكتبه الجعفريه العامه التى أسسها فى المدرسه الهنديه فى كربلاء و هى من أهم و أشهر مكتبات العراق تحتوى على مجموعه من أنفس المخطوطات و نواذر المطبوعات و لا تزال تعرف باسم (المكتبه الجعفريه) كما ساهم فى ثوره العشرين بزعامه الميرزا محمد تقى الشيرازى على الإنجليز(١)

الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى الأوالى.

مترجم فى أعيان الشيعة ١٣٦/٤، و نقول:

يفهم من مجموع الأبيات الأولى من أرجوزته، "الكامل فى الصناعات" أنه ولد سنة ١٠١٤، و كان آباؤه كلهم من مواليد البحرين، و جده عيسى كان حاكم قلعه "السلاق" جزيره صغيره بين "سماهيح" و جزيره "ابن متوج" غطاها الماء.

كان بارعا فى التجويد و القراءه، و تتلمذ فيه على سديد الدين يوسف البلقينى و قد قرأ عليه فى الرباط الداوديه المتصل بالحرم الشريف سنة ١٠٤٣، و على الشيخ جمال الدين حسن بن على البحرانى الكرانى و الفاضل الرضى بن يوسف السبزوارى البيهقى و والده الشيخ كمال الدين البحرانى.

و من أساتذته فى العلوم الأخرى الشيخ بهاء الدين العاملى و السيد ماجد البحرانى و الأسترآبادى و السيد نور الدين بن على بن أبى الحسن العاملى و العلائى.

أجيز فى القراءه من أستاذه الفاضل الرضى السبزوارى، و أجاز فيها لتلميذه السيد على خان الشيرازى صاحب السلافه.

له "الكامل فى الصناعات" أرجوزه طويله فى التجويد أتم نظمها سنة ١٠٦٩(٢)

السيد جعفر بحر العلوم بن باقر.

ولد فى النجف سنة ١٢٨٩ و توفى فيها سنة ١٣٧٧.

توفى أبوه و هو طفل صغير، فنشأ برعايه عمه السيد على بحر العلوم.

و بعد قطع المراحل العلميه المتداوله فى الحوزه النجفيه.

حضر الأبحاث عند أعلام النجف كالسيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و السيد محمد بحر العلوم. كان عالما جليلا أدبيا راويه لسير العلماء الأعلام، ذا اطلاع واسع بالأحداث التاريخيه و الوقائع الإسلاميه، فطنا مستحضرا لمتون الأخبار و الروايات.

و كان من هواه الكتب، فكون مكتبه عامره فيها كثير من نفايس المطبوعات و المخطوطات، زاد فيها بعده ولده السيد هاشم و بعد وفاه السيد هاشم عطلت المكتبه و أغلقت أبوابها(٣)

آقا جعفر اللاهيجانى الجيلانى

ولد فى مدينه "لاهيجان" من مدن جيلان، و شب و نشأ بها و توفى هناك، أقام مده بأصبهان و تتلمذ على أعلامها فى العلوم الدينيه، و منهم آقا أحمد المازندرانى البيدآبادى.

وصفه بعضهم فى مجموعه تضم رسائل متفرقه نسخها اللاهيجانى بأنه "من فحول الحكماء الإلهيين و أفاضل العلماء المتبحرين..." و تاريخ هذه الكتابه سنه ١٢٨٢ و قد كتبت بعد وفاته(٤)

جلال الدين همائى بن الميرزا أبو القاسم محمد نصير

المتخلص ب (طرب) بن هما الشيرازى

ولد سنه ١٣١٧ فى أصفهان و توفى فيها سنه ١٤٠٠.

درس على أبيه القرآن و ديوان حافظ الشيرازى، و درس على الميرزا عبد الغفار الأدب العربى و العروض و المعانى و البيان و البديع و نهج البلاغه و مقامات الحريرى. و فى سنه ١٣٢٧ دخل مدرسه (قدسيه) فدرس فيها الصرف و النحو و المنطق و الحساب و الهندسه و التاريخ و الجغرافيا و التجويد.

ثم درس على أبيه أهم الدواوين الفارسيه كالشاهنامه و كليات سعدى و غير ذلك، ثم دخل مدرسه (نيم آورد) سنه ١٣٢٨ و سكن فيها مده عشرين سنه إلى سنه ١٣٤٨ حيث درس على السيد محمد باقر الدرجه إى الفقه و الأصول و الحديث. و درس على السيد محمد كاظم الكروندى الأصفهانى الأدب العربى و شرح النظام و على الشيخ على اليزدى مغنى اللبيب و اللمعه و المطول و درس على الملا- عبد الكريم الكزى شرائع الإسلام و المكاسب و الفقه و الأصول. و درس على الميرزا أحمد الأصفهانى كتاب نجاه العباد فى الفقه و شرح الباب الحادى عشر فى علم الكلام، و علم الرجال و الدرايه، كما تتلمذ على السيد محمد صادق الخاتون آبادى و السيد مهدي الدرجه إى.

أما الفلسفه فى كتاب الأسفار و كتاب الشفاء و غيرهما فدرسها على الشيخ محمد الخراسانى و الشيخ أسد آ [الله] الحكيم القمشه إى

ص: ١٣٥

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

و الحاج الملا عبد الجواد آد [آذينه إى] [آذينه إى]. كما درس الطب على الميرزا أبو القاسم ناصر حكمت الأحمد آبادى. و قد أجزى بالاجتهاد و الروايه من كبار العلماء و منذ عام ١٣٤٨ قام بتدريس الأدب العربى و الفقه و الأصول و المنطق و الفلسفه و علم الكلام و الحديث و الدرايه لتلاميذه الكثيرين و قد استمر فى تدريسه سنين طويله.

و بعد أن استولى رضا شاه بهلوى على القرش فى إيران أجبر المترجم له على خلع زيه الدينى حيث دخل فى وزاره التعليم و شرع فى التدريس فى الثانويات فى أصفهان و تبريز و طهران، ثم فى الجامعه أستاذاً للأدب الفارسى و العربى. كما درس الفقه فى كليه الحقوق مده ١٢ سنه.

و استمر فى نشاطاته الثقافيه حتى بعد إحالته إلى التقاعد(١)

السيد جمال الدين الحسينى المحدث

قرأ نسخه من كتاب "كشف الغمه" للإربلى و كتب عليها تعاليق مختصره جدا داله على فضله و اطلاعه فى العلوم الأدبيه.

و لعله كان من أعلام القرن الثالث عشر(٢)

الشيخ جمال الدين بن محمد حسن بن محمد جعفر النائينى

النجفى

ولد بنائين و نشأ فى كنف والده و درس الأوليات عنده، ثم هاجر إلى النجف الأشرف فتتلمذ على الشيخ موسى الخوانسارى و الميرزا حسين النائينى، و انقطع إلى الأخير فأصبح من حواشيه و كتب له بعض رسائله و مكاتيبه بخطه الجيد، و بعد وفاته عاد إلى موطنه نائين و اشتغل بالشئون العلميه و الدينيه و أسس مدرسه علميه بها أسماها "المدرسه العلميه الجعفرية".

كان هادئاً حسن السميت طيب الأخلاق زاهدا عازفاً عن الزخارف، لم أر منه شيئاً يشينه طول معاشرته له.

أجازه روايه الشيخ آقا بزرگ الطهرانى.

له "الاجتهاد و التقليد" و "قاعده لا ضرر" و "حاشيه المكاسب" و "رساله فى الترتيب" و "تقرير أبحاث النائينى" الأصوليه.

توفى بنائين فى الرابع عشر من شهر محرم سنه ١٣٩٧ و دفن فى مقبره خاصه بالمدرسه الجعفرية(٣)

السيد جلال الدين بن على بن الحسن الحسينى الحائرى.

قرأ عليه الشيخ شمس الدين أحمد بن شمس الدين رساله "الألفيه" للشهيد الأول فكتب له إنهاء و إجازة فى آخرها. و هو من

أعلام القرن العاشر(٤)

السيد جليل بن عباس الموسوى الحسينى الطارمى

مترجم فى "نقباء البشر" ص ٣٠٧ و نقول:

كان فى بدايه أمره فى قزوين مشغلا بالتحصيل و التدريس.

و انتقل منها إلى طهران نحو سنه ١٢٩٠ حيث كان مقيما بها فى مدرسه الصدر سنه ١٢٩١.

له "قواعد جليله منطقيه" و "قواعد جليله نحويه" و "تحفه الطالبين" و "تبصره الأدباء" و ألف الأخيرين سنه ١٢٩١ (٥)

السيد جواد بن على رضا الحسينى الرضى القمى الطاهرى

صرح بان اسمه الحقيقى "محمد تقى" فى مواضع من كتابه "مقاليد الأحكام"، و أصناف إلى ألقابه "الطاهرى" و لا نعلم وجهه.

أقام سنين بالنجف الأشرف لتحصيل العلم، و هو من تلامذه الشيخ مرتضى الأنصارى حين بدأ بتأليف كتابه "المقاليد" سنه ١٢٦٦ كما صرح بذلك أيضا فى آخر كتابه المذكور.

أهدى إليه المولى فيض آ [الله] الدربندى كتابه "التحفه الجواديه فى الرد على الصوفيه" و قال عنه فى مقدمته "المولى الأعظم و السيد الأجل الأكرم ثمره الدوحه العلويه و نور الحديقه الفاطميه سيد المجتهدين و ظهير الإسلام و المسلمین الداعى إلى سبيل الرشاد و من هو للدين عميد و عماد...". و يبدو من هذا الكتاب أن السيد جواد كان شديد الوطأه على الصوفيه بالغ الاهتمام بإظهار مخازيهم (٤)

الشيخ جواد الشاه عبد العظيمى بن مهدى

ولد سنه ١٢٧٥ فى مدينه الرى (مشهد عبد العظيم الحسينى، نشا نشاته الأولى فى الرى و على أفاضلها أخذ المقدمات العلميه لا سيما على والده الذى كان من وجوه علماء طهران و الرى ثم سكن مشهد الرضا و فيها توفى سنه ١٣٥٥.

ذهب المترجم إلى العتبات المقدسه فى العراق لإكمال الدراسات، فأقام بالنجف الأشرف سنين متلمذا فى الفقه و الأصول على السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و الميرزا محمد حسن الآشتيانى و شيخ الشريعه الأصهبانى و الحاج ميرزا حسين الخليلى و غيرهم.

ثم عاد من النجف إلى مسقط رأسه "شاه عبد العظيم" و تولى بعض شئون مزار السيد عبد العظيم، و فوضت إليه إداره موقوفات كثيره تعود إلى المزار و بقيت هذه الموقوفات بعده تحت تصرف أولاده و أحفاده.

و هو من أسباط المولى على الكنى، و لذا كان يعرف ب "الحاج مجتهد الكنى".

- ١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.

ترك بعض المؤلفات الفقيهيه و كتاب (مزارات طهران) و كتابا فى الأنساب (١)

جبار باعجیربان جبار باغچه بان

ولد سنه ١٣١٢ و توفى سنه ١٣٨٧.

يعد مؤسس مدارس الصم و البكم فى إيران و أول من ألف قصص الأطفال و أول من أسس روضه الأطفال. و كان شغله الشاغل:

الأطفال و طريقه تربيتهم الصالحه، طيب القلب محبا للأطفال ساعيا فى شئونهم و رفع مستوى ثقافتهم، دؤوبا لا يعرف الكلل و الملل.

أسس أول روضه للأطفال فى مسقط رأسه (تبريز) و ذلك عام ١٣٤٥ و كان بين أطفالها ثلاثه من الصم و البكم فأثارت حالتهم إشفاقه، و كانت معالجتهم شبه مستحيله فتغلب على ذلك بصبره و إخلاصه، فكتب لهم القصص و صور لهم الصور و اخترع لهم لغه تختص بهم، و وضع ألف باء الصم و البكم المعمول بها اليوم فى جميع أنحاء إيران. و فى العام ١٣٥٢ أسس أول مدرسه للصم و البكم فى طهران، و حاول دؤوبا تذليل العقبات التى تواجههم، فوضع لهم مناهج دراسيه تختص بهم مرفوقه بالصور التعليميه.

كما اخترع أول جهاز للسمع يوضع داخل أذن الأصم فيسمع، و هذا الجهاز هو الذى قام العالمان الأمريكان: الدكتور أرل كولارد، و الدكتور فرد آلن بعد ثلاثين سنه. بتطويره و إنتاجه، و هو المستعمل اليوم فى جميع أنحاء العالم.

كما أسس جمعيه سماها جمعيه رعايه الأطفال الصم و البكم، و سعى لمجانيه تعليم الأطفال لا سيما الصم و البكم منهم (٢)

الميرزا حاتم بن نظام الملك النظام الملكى.

يبدو أنه كان من أصحاب الاجتهاد و رأى فى الفقه و هو من أعلام أواخر القرن الحادى عشر و يبعد أنه بقى إلى سنه ١١٠٤ المستنسخ فيها نسخه من كتابه "ضياء الثقلين" كما فى الذريعه ١٥ / ١٢٣، لأنه ألف كتابه المذكور بعد مضى أيام الشباب و قد رأيت نسخه منه قرئت على المولى محمد باقر المجلسى فكتب فى حواشيهى بلاغات بخطه (٣)

حبيب الله حسن على الأصبهانى.

قرأ على المولى محمد باقر المجلسى بعض مجلدات كتابه "بحار الأنوار" فكتب له إنهاء فى آخر المجلد الخامس بتاريخ عاشر ذى القعدة سنه ١٠٩٥ و فى آخر المجلد السادس بتاريخ ربيع الأول سنه ١٠٩٦ و قال فى الثانى منها "أنهاه المولى الفاضل الصالح الرابع التقى المتوقد الذكى..." (٤)

الشيخ حبيب الله بن زين العابدين القمى الزىوانى.

يبدو من مقدمه كتابه "شرق الشمس" أنه استفاد علميا من علماء قم و طهران، و هو أديب شاعر بالفارسيه(٥)

الشيخ حبيب الله بن محمد حسين حكيم باشى.

ولد فى مدينه مشهد سنه ١٨٧٧ م و توفى فى مدينه كاشمر سنه ١٩٦١ م.

نشا فى مشهد و على علمائها درس المقدمات الأديبه و سطوح الفقه و الأصول.

ثم ذهب إلى العتبات المقدسه بالعراق و بقى بها ست عشره سنه متتلما على علمائها الأعلام.

ثم جاء إلى مدينه "كاشمر" إحدى مدن خراسان و أقام بها مشغلا بالوظائف الدينيه و الإرشاد و الهدايه و متفرغا للشئون الاجتماعيه و قضاء حوائج الناس.

انتقلت إليه من والده أملاك كثيره، فبنى مسجدا.

انتخب عضوا فى البرلمان الايرانى عن خراسان فى الدوره الثانيه، و كان من المجتهدين الخمسه المشرفين على القوانين الصادره من المجلس. و بعد انتهاء سنتين مده هذه الدوره انتخب ثانيه عن كاشمر إلا أنه آثر الابتعاد عن السياسه و عاد إلى أعماله الدينيه مهتما بالتدريس(٦)

الشيخ حسام الدين بن درويش على الحلى النجفى

مترجم فى "رياض العلماء" ١٣٧/١ و "أعيان الشيعة" ١٠ / ١٠٥، و نقول:

قرأ عليه يحيى بن الأعرج الحسينى كتاب "المختصر النافع" فأجازه فى آخره فى الثامن من شهر رمضان سنه ١٠٣٢.

الميرزا حسن بن إبراهيم الأصبهاني.

مترجم فى "نقباء البشر" ص ٣٧٨ و نقول:

كان يصلى جماعه فى مسجد ذى الفقار بأصبهان. و كان من أعلام المدرسين خارجا فى الفقه و الأصول يحضر درسه ثله ممتازه من أفاضل الطلبة.

أجيز روايه من جماعه من المشايخ الأجلاء. و منهم الميرزا حبيب آ [الله] الرشتى و الآخوند ملا- لطف آ [الله] المازندراني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى

ص: ١٣٧

٢- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

٦- السيد أحمد الحسيني.

و قد ذكر هؤلاء الشيوخ فى إجازته للسيد أحمد الصفانى [الصفائى] الخونسارى التى كتبها فى شهر شعبان سنة ١٣٢٣.

ذكر الصفانى [الصفائى] فى إجازته لابنه السيد مصطفى الصفائى الخونسارى، شيخه هذا و عبر عنه ب "المولى الأجل العالم الأكمل الزاهد الورع الخشن فى ذات آ [الله] الآغا ميرزا حسن...". و قد كتب تقريراته الأصوليه فى التعادل و الترجيح و الاستصحاب و حجيه المظنه و الفقهيه فى البيع (١).

الشيخ ميرزا حسن النورى بن الشيخ إبراهيم.

ولد سنة ١٣٤٣ بمدينه همذان و توفى سنة ١٤١١.

كان يعد من فضلاء حوزة قم العلميه و كان له نصيب وافر فى هدايه الشباب حيث كان مرشدا روحيا لرابطه طلاب مدارس قم.

هاجر من بلده إلى قم لإكمال دروسه فحضر على أعلامها كالسيد البروجردى و السيد الطباطبائى.

قام بجمع جميع آثار أستاذه السيد البروجردى فى الفقه و الأصول و الحديث و علم الرجال فبلغت ٢٠ مجلدا و هى قيد الطبع.

كان شاعرا رقيقا و كان له خط جميل (٢).

الشيخ حسن بن أحمد بن محمد بن على بن سنبغه العاملى.

مذكور فى أعيان الشيعه ٦/٥، و نقول:

يبدو أنه كان ذا صلته وثيقه بال شهيد الثانى و كتب لهم أو لنفسه عده من مؤلفاتهم، فقد رأيت نسخه من كتاب "معالم الدين و ملاذ المجتهدين" للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد كتبها المترجم فى سنة ١٠٠١. و لعله كان من تلامذه بعضهم و قرأ عندهم شيئا من العلوم لم نطلع عليها (٣).

حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن فضل

المارونى، عز الدين.

أتم كتابه نسخه من كتاب "تحرير الأحكام" للعلامه الحللى فى يوم الأحد الرابع و العشرين من جمادى الآخرة سنة ٨١٧ و قرئت عليه هذه النسخه، و توفى بعد سنة ٨٥٣ التى كتب فيها طعمه بن أحمد الجابرى نسخه أخرى من نفس الكتاب و نقل فيها صورته خطه مع الدعاء له ب "أدام الله أيامه" مصرحا أن المترجم له شيخه.

(انتهى) (٤) هذا ما كتبه لنا السيد أحمد الحسينى. و قد حرنا أمام هذه النسبه: (المارونى)، فإلى أى (مارون) ينتسب هذا الرجل؟.

إن صفه (مارونى) - كما نعلم - لا يوصف بها أحد خارج لبنان و الموصوفون بها فى لبنان هم المنتمون إلى المذهب المسيحى المعروف نسبه إلى القديس (مارون) الذى يرجعون إليه.

و هناك فى لبنان من يوصف بالمارونى نسبة إلى قرية (مارون الرأس) الواقعة فى أطراف جبل عامل قرب الحدود الفلسطينيه.
و هى قرية سكانها من الشيعه.

و كل ما عرفناه عن هذا الرجل هو ما تقدم ذكره. فهل هو عاملى من قرية مارون الرأس و نرح إلى العراق و ضاعت أخباره فلم يعرف منها إلا هذا الخبر؟ لعل فى الباحثين المنقبين من يعثر على تفاصيل تنير لنا أمر هذا الرجل.

السيد حسن الميرجهانى الطباطبائى.

ولد سنة ١٣١٩ فى قرية (محمدآباد) بمحافظة أصفهان فى أسرته معروفه بالفضل و التدين و توفى سنة ١٤١٣ فى أصفهان و دفن فى مقبره المجلسى.

درس دراسته الأولى على كل من الشيخ محمد على حبيب آبادى و الشيخ على اليزدى. ثم على السيد أبو القاسم الدهكردى و السيد فتحى الدزفولى. و بعد ذلك هاجر إلى النجف الأشرف فدرس على أعلامها ثم لازم مرجع عصره السيد أبو الحسن الأصفهانى و صار من خواصه و طلابه المعتمدين لديه.

و بعد وفاه السيد الأصفهانى عاد إلى إيران و أقام فى مدينه (مشهد) ملازما مكتبه الامام الرضا (ع) متابعا مخطوطاتها تحقيقا و بحثا و درسا، كما كان يتولى التدريس..

و لتدهور صحته عاد إلى أصفهان حيث توفى فيها.

ترك من المؤلفات: روائح النسمات فى شرح دعاء السمات، مستدرک نهج البلاغه مع شرحه و التعليق عليه، حياه السيده الزهراء (ع)، حياه الامام الحسن (ع)، رسائل فى الجبر و الأسطرلاب و الرياضيات و الطب القديم و الكيمياء، ديوان شعر باللغه الفارسيه، ديوان شعر باللغه العربيه، كتاب فى الأنساب، و غير ذلك. على أن من أهم ما كتبه: كتاب فى كشف الآيات القرآنيه.

و قد كان خطاها جميل الخط يضرب المثل بخطه نستعليق.

و كانت له صلوات و ثيقه بأهل العرفان من أمثال الشيخ حسن على الأصفهانى و الحاج آقا جان (٥)

ص: ١٣٨

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

٥- فاضل بهزاديان.

حسن التسليم الأصبهاني، صدر الأفاضل

شاعر بالفارسيه له ديوان يزيد على خمسه آلاف بيت يتخلص فيه ب "تسليم"، و قد كان ينظم في العريبه أيضا أبياتا قليله(١)

الشيخ حسن التنكابني

رأيت له صحيفه أدبيه تدل على فضله في الشعر و الأدب الفارسي، في مجموعه ميرزا أبي الحسن الجيلاني الرودباري، كتبها في المدرسه الفخريه بطهران سنه ١٢٨٧(٢)

الحسن بن الحداد العاملي

قرأ عنده محمد بن الحسن بن محمد الغزنوي كتاب "شرائع الإسلام" فكتب له إنهاء في آخر الجزء الأول منه بتاريخ ٢١ محرم سنه ٧٣٩(٣)

الحسن بن الحسين بن علي الشيزي

من الأعلام الرواه في أواخر القرن السادس و لعله بقي إلى أوائل القرن السابع، يروي عن القاضي أشرف الدين صاعد بن محمد بن صاعد البريدي الآبي، و رأيت نسبه أو لقبه منقطعا مضبوطا في سند كما ذكرته(٤)

الحسن بن الحسين

كتب نسخه من كتاب "تحرير الأحكام" للعلامه الحلبي و أتمها في الثامن عشر من ذي الحجه سنه ٧٢٨، ثم قابلها على نسخه المؤلف و أتم المقابله سنه ٧٢٩.

لعله تاج الدين السرابشوي أو ابن معانق المذكوران في "الحقائق الراهنه" ص ٣٨-٣٩(٥)

السيد حسن بن حمزه بن محسن الحسيني الموسوي النجفي

مترجم في "رياض العلماء" ١٨٢/١ و "الضياء اللامع" ص ٣٠، و نقول:

قرأ على الشيخ جعفر بن أحمد المكي كتاب "إرشاد الأذهان" للعلامه الحلبي، فأجازه على النسخه قائلا: "قرأ على السيد المولى العالم العامل مفخره آل طه و يس الفائق على أقرانه سلاله آبائه المعصومين السيد عز الدين حسن بن السيد السعيد الطاهر السيد حمزه بن المولى النقيب الطاهر أبي القاسم محسن... قراءه مهذبه مرضيه تشهد بفضله و غزاره علمه و سال في أثناء قراءته و تضاعيف مباحثه عما استشكل عليه من فقه الكتاب فبينت له ذلك بيانا شافيا و أوضحت له إيضا كافيا...".

أقول: صحح السيد عز الدين هذه النسخه المذكوره و قابلها و علق عليها بخطه تعاليق فقهيه جيده(٦)

الشيخ حسن الخطيب القاري السبزواري

فاضل أديب شاعر بالفارسيه منشئ، أصله من سيزوار و أقام بمشهد الرضا (ع)، و كان له منصب الخطابه و قراءه القرآن و الاقراء فى الروضه الرضويه، خطب فى مسجد گوهر شاد أكثر من أربعين سنه، و هو من أعلام القرن الحادى عشر.

له "مطالع الأسرار فى شرح مشارق الأنوار" أتمه سنه ١٠٩٠ (٧)

حسن الحسينى الآملى، نظام الدين

فاضل أديب شاعر بالفارسيه و العربيه يتخلص فى شعره ب "حسن"، من أعلام أواخر القرن الثامن، كتب نماذج من شعره باللغتين فى المجموعه المعروفه ب "جنك تاج الدين أحمد وزير" فى شعبان سنه ٧٨٢ (٨)

الشيخ حسن بن داود الأسترآبادى

مذكور فى "رياض العلماء" ٣٣٠/١ بعنوان الشيخ حسن بن محمود الأسترآبادى، و فى "الروضه النضره" المخطوط بعنوان حسن الأسترآبادى بن محمود ("داود" خ ل)، و نقول:

انتقل منه إلى محمد الأردبيلى كتاب "شرائع الإسلام" فوصفه فى الصفحه الأخيره من النسخه بقوله: "انتقل من مولى الأنام و شيخ الإسلام الفاضل العالم الأورع الأتقى الشيخ حسن بن شيخ محمد داود الأسترآبادى الخادم بالمشهد المقدسى [المقدس]" و فى نفس الصفحه ختم صاحب الترجمة الدائرى بهذا السجع "المحتاج إلى رحمه آ [الله] الملك المعبود حسن بن محمد داود" (٩)

الشيخ حسن بن سليمان العاملى

من أعلام القرن الثانى عشر الدارسين فى النجف الأشرف، أجازه الشيخ محمد بن أحمد الجزائرى النجفى بروايه جميع مقروءاته و مسموعاته و مؤلفات والده فى يوم الأحد ٢٩ ربيع الثانى سنه ١١٦٤، و صرح فى الإجازه بان العاملى قرأ عليه علم الحديث و الدرايه و الفقه.

قال عنه "فقد قرأ على الولد الأعز... فرأيته بحمد الله جيد الفطره ذكى القريحه بالغا حد الكمال و الفضل... (١٠)

ص: ١٣٩

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- السيد أحمد الحسينى.

٧- السيد أحمد الحسيني.

٨- السيد أحمد الحسيني.

٩- السيد أحمد الحسيني.

١٠- السيد أحمد الحسيني.

الشيخ حسن النكراني بن مشكور

ولد سنة ١٢٧٧ في قرية الوادي من توابع (لنكران) و توفي في النجف سنة ١٣٤١.

قضى أيام طفولته في لنكران، ثم انتقل إلى مدينة أردبيل حيث درس عند علمائها المقدمات العلمية، ثم هاجر إلى تبريز وقرأ السطوح عند الميرزا جولد [جواد] آقا الملكي التبريزي و الميرزا فتاح التبريزي و غيرهما.

ثم انتقل إلى النجف الأشرف لتكميل دراساته العاليه، فحضر على أعلامها الأساتذه سنين طويله و كتب تقاريراتهم في الأصول و الفقه، و منهم الشيخ هادي الطهراني و الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي و شيخ الشريعه الأصفهاني و الفاضل الشراياني و كان أكثر استفاداته من الميرزا الرشتي حيث حضر أبحاثه خمس عشره سنه و لازمه إلى حين وفاته.

و بعد طي المراحل العلميه استقل في التدريس و الإفاده فقها و أصولا، مع ورع و تقوى و انزواء و اشتغال بنفسه و ابتعاد عن الخلطه إلا ما تقتضيه الضروره القصوى.

ترك حواشى على الكتب الدراسيه و غيرها و كثيرا من الكتابات المبعثره. و من مؤلفاته: الملهمات الغرويه في أحكام الحج، يناقش فيه صاحب الجواهر كثيرا.

يروى عنه السيد شهاب الدين المرعشى النجفي و الشيخ محمد على الأردوبادي. و يروى هو عن الميرزا حسين الخليلي و السيد محمد على الشاه عبد العظيمي و السيد حسن الصدر و الشيخ آقا بزرگ الطهراني(١)

الحافظ حسن بن شجاع بن محمد بن الحسن التوني،

تاج الدين

حافظ للقرآن الكريم تجويدا و ترتيلا، أخذ القراءه على أستاذين ماهرين في الفن، و أقرأ كثيرا من القارئين و درس لهم التجويد و القراءه.

وصف على بعض مؤلفاته المكتوبه في عصره ب "المولى الأعظم الأعلم و حيد الدهر و فريد العصر مولانا تاج المله و الدين...".

كان حيا في سنة ٨٥٣ التي كتب فيها بعض آثاره.

له غير ما هو مذكور في الذريعه "ترجمه المفيد في علم التجويد" و "الرساله الحرفيه" و "تجويد فاتحه الكتاب" و "الدرايه في الوقوف و الآيه" (٢)

الشيخ حسن علي الأصفهاني بن الآخوند ملا علي أكبر

ولد سنة ١٢٧٩ في أصفهان و توفي في مشهد الرضا سنة ١٣٤١.

نشأ في كنف والده و تعلم منه المبادئ الأولى إلى الحادية عشره من سنى حياته، و رعى تربيته الروحيه إلى هذا السن الميرزا محمد صادق المشهور بالرياضات الشرعيه و السير و السلوك.

و فى شبابه قرأ العلوم الأدبيه و العلوم الرياضيه كالحساب و الهيئه و غيرهما عند الآخوند الكاشى، و قرأ العلوم العقليه و الفلسفه الالهيه عند الميرزا جهانگير خان القشقائى.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف، و تتلمذ بها فى العلوم الدينيه على كبار أساتذتها، و كان أكثر تتلمذه على السيد مرتضى الكشميرى الأخلاقى المعروف.

ثم انتقل إلى مشهد الرضا (ع) و أقام به إلى آخر حياته.

كان يدرس الفقه فى شرح اللمعه و يدرس التفسير و أحيانا الهيئه و الحساب و غيرهما من العلوم الرياضيه(٣)

الشيخ حسن على بن محمد بن محمد الشريف الشيروانى

أصله من قم و كان يسكن بطهران و يعرف بالشيروانى، و هو من أعلام أوائل القرن الرابع عشر، و الظاهر أنه كان يشتغل بالوعظ و الخطابه، و يقول إنه وقف عمره على خدمه أحاديث أهل البيت (ع).

له "منتخب المواعظ" بدأ به فى سنه ١٣١٧(٤)

السيد حسن محمد الموسوى الكاشانى

فاضل متتبع، اشتغل بالخطابه و الوعظ و إرشاد المؤمنين منذ كان فى الخامسة عشره من عمره، و الظاهر أنه من أعلام أوائل القرن الرابع عشر.

له "منهج الواعظين و مسلك الراشدين" و "ينابيع الحياه فى موارد الآيات".

الشيخ حسن بن مرتضى نظام الدين بن جواد بن هادى،

شيخ الإسلام الرشتى

مذكور فى الكرام البرره ص ٣٥٤ و قال إنه توفى بعد ١٢٧٠.

قال فى الذريعه ٣١/١٣: نزيل المشهد الرضوى فى خراسان و شيخ الإسلام بها.. و توفى بعد الثلاثمائه.

أقول: ألف كتاب "شجره طوبى" سنه ١٢٩٨ و "السؤال

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

و الجواب " سنة ١٢٩٩، و وصف ب "الكاظمي" لأنه نشأ بالكاظميه في كنف أبيه و توفي بها كما نقل عن تكمله أمل الآمل للسيد الصدر، و لا نعلم لما ذا وصف ب "الحلي":

له نشاط في التأليف و التصنيف، ألف رسائل و كتباً في مختلف العلوم تدل على سعه اطلاعه و تتبعه.

الميرزا حسن بن عبد الله بن محمد باقر بن محمد علي النوري

عالم محقق جليل، من أعلام النجف الأشرف في النصف الأول من القرن الرابع عشر، و كان يميل إلى الشيخ أحمد الأحسائي و هو كثير التعظيم له في كتاباته.

له "اللاكي المنثورات في تفسير بعض الآيات" و "أصول الفقه" أتم بعض مباحثه في سنة ١٣٠٣ (١)

الشيخ حسن بن عبد الله الكرمانى الكوهباني

فاضل أديب عارف بالعربيه، شيوخى كثير الولاء للحاج كريم خان الكرمانى و ابنه الحاج محمد خان الكرمانى. و هو من أعلام أوائل القرن الرابع عشر.

له "ترجمه ديوان الحاج كريم خان الكرمانى" إلى الفارسيه و أتمه سنة ١٣٠٢ (٢)

الميرزا حسن بن عبد الله النورى.

فقيه من أعلام النجف الأشرف في النصف الأول من القرن الرابع عشر، و كان جل تلمذته في الفقه على الشيخ عبد الله المازندراني و كتب تقريراته الفقيهيه.

له "شرح شرائع الإسلام" (٣)

الشيخ حسن عبد الهدى المراغه إى

كتب نسخه من كتاب "منافع الأحياء" للسيد فتح الله بن محمد رضا المرعشى التستري في سنة ١٢٦٥ و كتب في آخره تقریضا عليه يدل على فضله و تمكنه من العلوم الأديبيه، و قد ذكر فيه اسم بعض أساتذته محي من النسخه.

الشيخ حسن بن علي بن رمضان البخرانى الكرانى، جمال الدين.

قرأ عليه الشيخ جعفر بن كمال الدين البخرانى التجويد في سنة ١٠٣٤، و قال عنه في هامش أرجوزته "الكامل في الصناعات":

كان أورع أهل زمانه، و أقربهم من التقرب إلى الله تعالى بالطاعات في الآنات و الساعات، و كان وحيدا في التجويد و العلم و الورع بلا خلاف (٤)

السيد حسن بن علي محمد الحسينى الرودبارى القزوينى.

فاضل متتبع عارف بالحديث، أصله من "رودبار" من توابع جيلان و سكن بمدينه قزوین، و لعله من أعلام القرن الثالث عشر.

له "مجمع الهدى" (٥)

الميرزا حسن بن فرج الله بن ملا حسن اليزدى

ولد بمدينه يزد فى سنه ١٣٢٤ و نشأ برعايه والده ملا-فرج الله اليزدى الذى كان من العلماء الأفاضل، و قرأ فى مسقط رأسه مقدارا من مقدمات العلوم الدينيه.

و بعد أن شب هاجر إلى أصبهان و أتم بها السطوح الفقيهيه و الأصوليه و قرأ جانبا من دروس الخارج.

ثم ذهب إلى قم و أقام بها سنين فحضر فى الأبحاث الفقيهيه و الأصوليه على الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و كتب من تقريراته كتاب الصلاه و دوره من الأصول.

و بعد ذلك ذهب إلى النجف الأشرف فتلمذ على الشيخ ضياء الدين العراقى فقها و أصولا و كتب من تقريراته كتاب البيع و دوره من الأصول.

درس سنين كتابى "الكفايه" و "المكاسب" ثم خارج الفقه و الأصول، و كان حسن التقرير جدا، يتسم بالهدوء فى أبحاثه و دروسه لين العريكه مع تلامذته، كما أنه كان طيب الأخلاق مع اتران و وقار فى معاشراته محبوب القلوب بين العلماء و الأفاضل.

له بالاضافه إلى ما ذكرنا من تقاريرات أبحاث أستاذه كتاب (الرهن) توفى بالنجف يوم الخميس ١٢ ربيع الثانى سنه ١٣٧٩.

السيد حسن بن محمد الطباطبائى، نياز

فاضل أديب كاتب شاعر بالفارسيه، من أعلام القرن الثالث عشر و كان من الخطباء، يتخلص فى شعره "نياز" (٤)

الشيخ حسن العلامى بن محمد صادق الأصهبانى

ولد سنه ١٣٠٥ فى مدينه كرمانشاه و توفى فيها سنه ١٣٩٤.

قرأ المقدمات [المقدمات] العلميه و السطوح و جانبا من خارج الفقه و الأصول على جماعه من أعلام علماء كرمانشاه.

ثم ذهب إلى النجف الأشرف، و أدرك أبحاث المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى سنتين. و بعد وفاته حضر على الميرزا حسين النائينى و الشيخ ضياء الدين العراقى و اختص بالثانى فكان من تلامذته النابهين.

ثم عاد إلى كرمانشاه بعد أن قطع المراحل العلميه بتفوق فى

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.

النجف، و أقام فيها مشتغلا بالتدريس و تربيته نفر من الفضلاء، و أقام الجماعة في المسجد المعروف بمسجد الأتراك.

كان محققا بارعا في الفقه و الأصول، جامعا للعلوم الدينية الأخرى متبحرا فيها، كثير القراءة في الكتب المنوعة (١).

السيد حسن بن ولي الله بن هدايه الله القائى

ولد في "قائن" و هاجر إلى النجف الأشرف لطلب العلم، و من شيوخه الشيخ محمد العاملى حفيد الشهيد الثانى. و قابل نسخه من كتاب "منهج المقال" للأسترآبادى على نسخه شيخه المذكور فى سنة ١٠٤٢ و كتب فيها قيود رجاله مفيده.

و لعله المذكور فى الروضة النضرة بعنوان "المير سيد حسن القائى الهنوى" (٢).

الحسين بن أبى القاسم بن الحسين بن محمد العودى الأسمى

الحلى، شرف الدين، أبو عبد الله

نسخ ابنه أحمد بن الحسين بن العودى فى مجموعته التى كتبها سنة ٧٤٠ - بعض آثاره و وصفه فيها ب "الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل المتقن المحقق المدقق العلامة شرف الدين".

له "رد مسأله فى إثبات المعدوم" التى كتبها المحقق الحلى، و "أصول الدين" رساله مختصره.

أقول: المترجم هنا هو المذكور فى رياض العلماء ١٨٢/٢ بعنوان "الحسين بن نصير الدين موسى"، فيكون أبو القاسم كنيه لنصير الدين موسى و ذكر هنا بعنوان أنه اسمه، و لعله لأنه كان معروفا هكذا (٣).

الشيخ حسين بن أبى القاسم النيسابورى

فاضل فقيه، كان له منصب إمامه الجمعة بنيسابور، تتلمذ على علماء النجف الأشرف و من أساتذته بها الحاج ميرزا حبيب الله الرشتى.

له "تقرير أبحاث أستاذة الرشتى" سنة ١٢٩٣ (٤).

الشيخ حسين بن أحمد التوشى المازندرانى

أصله من "بارفروش" و بها نشأ، و قد ولد نحو سنة ١٢٧٨، و تنقل لاكتساب العلوم و المعارف الدينية بين طهران و مازندران، و سافر فى سنة ١٣٠٦ لزياره العتبات المقدسه بالعراق. كان من الخطباء الواعظين. له "مجمع المصائب" بدأ بتأليفه سنة ١٣٠٨ (٥).

الحسين بن أردشير بن محمد بن الحسن الأندراؤدى الأندرادى الطبرى،

نجم الدين، أبو عبد الله.

مترجم في "الأنوار الساطعه" ص ٤٦، و نقول:

كتب نسخه من كتاب "النهايه" للشيخ الطوسي و أتمها في يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول سنه ٦٨١، ثم قرأ الكتاب على العلامة الحلبي فأجازه في ربيع الثاني سنه ٦٨١ و جمادى الثانيه من نفس السنه، و قال في الإجازة الأولى "قرأ على الشيخ العالم الفقيه الفاضل الكبير الزاهد المحقق العلامة نجم المله و الدين عز الإسلام و المسلمين... قراءه مهذبته تدل على فضله و تنبئ عن علمه..." (٦)

حسين بيدار التبريزي

فاضل أديب شاعر بالفارسيه و التركي و العربيه كان يتخلص في شعره ب "بيدار" و أكثر شعره في العرفان و مدائح المعصومين ع و مراتبهم و شعره العربي ضعيف ملحون.

له "ديوان شعر" كتبه سنه ١٣١٢ (٧)

السيد حسين بن جعفر الحسيني البيدگلي

من علماء "بيدگل" من توابع مدينه كاشان.

رأيت كتبا وقفها عنه معز الدين بن ضياء الدين البيدگلي على علماء و طلبه "بيدگل" و وصفه في الوقفيات على النسخ بقوله "السيد السعيد النجيب العالم العامل الكامل الفاضل الصالح المتقى...".

و الظاهر أنه من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث عشر (٨)

الشيخ حسين بن الحسن المشغري العاملي الشامي

مذكور في أعيان الشيعة ٥/٤٧٩ و رياض العلماء ٢/٤٥ و نقول:

أجاز المولى أبا تراب المشهدي في آخر نسخه من كتاب "خلاصه الأقوال" للعلامة الحلبي بمشهد الرضا (ع) في العشر الثالث من المائة الحاديه عشره.

و قد جاور مده البيت الحرام و كان بمكة المكرمه في سنه ١٠٣٢ حيث تملك بها نسخه من كتاب "الفصول المختاره"

ص: ١٤٢

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- السيد أحمد الحسيني.

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

٦- السيد أحمد الحسيني.

٧- السيد أحمد الحسيني.

٨- السيد أحمد الحسيني.

للشريف المرتضى و كتب ذلك على الورقه الأولى منها.

و كتب مولانا محمد على الكشميرى مجموعه فيها كتاب "إيضاح الاشتباه" و "خلاصه الأقوال" ثم عارضهما و ذاكرهما مع أستاذه صاحب الترجمة فأجازه بعدهما باجازتين فى سنة ١٠٣٨.

و يبدو من مجموع الإجازات التى كتبها لتلامذته أن له إجازات عديده من مشايخه و لكن لم نجد التصريح باسمهم فيما كتب (١).

السيد حسين بن الحسن الحسينى الأردبيلى

من أعلام أردبيل فى القرن العاشر، هاجر شخص إلى تلك المدينة فى سنة ٩٧٣ و اتصل بالسيد حسين هذا و سأله كثيرا من المسائل الفقيهيه جمعها فى كتاب أسماه "تحصيل المراد مما استصعبت من عبارات الإرشاد" و ذكر أن السيد له مؤلفات كثيره نسخها لنفسه، و وصفه ب "سيد المحققين، سند المدققين، وارث علوم الأنبياء و المرسلين، نائب الأئمه المعصومين، سلاله الأئمه الطاهرين، نتيجه العلماء المجتهدين..." (٢).

الشيخ حسين بن حسن الجيلانى

قابل كتاب "كشف الغمه" على عده نسخ منها نسخه الشيخ على بن عبد العالى المحقق الكركى و كتب فى هوامشه تعاليق يسيره تدل على فضله و دقته، و لعله كان من أعلام القرن الثانى عشر (٣).

حسين بن حسين بن حسن الأصبهانى، جلال الدين القارى.

فاضل له إلمام بالقراءات، أديب شاعر بالفارسيه.

له "إيضاح المعانى فى شرح حرز الأمانى" (٤).

السيد حسين الحسينى القزوينى

المعروف بالحاج سيد جوادى توفى سنة ١٣٥٢ فى قزوین.

ينتهى نسبه إلى مير سيد حسين بن إبراهيم بن معصوم الحسينى القزوينى المعروف بالسيفى نسبه إلى دعاء "الحرز اليمانى" المعروف ب "السيفى" لا الحله السيفيه، أستاذ السيد محمد مهدى بحر العلوم و صاحب كتاب "معارض الأحكام فى شرح شرائع الإسلام.

جده الأعلى مير فصيح بن أولياء القزوينى هو أول من هاجر من تبريز إلى قزوین و بقى أحفاده بها حتى اليوم.

و عرف هذا البيت ب "الحاج سيد جوادى" نسبه إلى السيد جواد بن السيد حسين المذكور المتوفى سنة ١٢٧٨.

و نشأ في هذا البيت جماعه من العلماء نجد أسماءهم في طيات الصكوك و الاسناد المكتوبه بمدينه قزوين.

ولد المترجم في قزوين و بها نشأ نشاته الأولى، و قرأ المبادئ و السطوح على علمائها الأعلام.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فتتلمذ في الفقه و الأصول على الشيخ محمد حسن المامقاني و المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي و شيخ الشريعة الأصبهاني و الفاضل الشرايبياني و الشيخ محمد طه نجف ثم عامد إلى مسقط رأسه قزوين و أقام بها حتى وفاته. ترك مؤلفا في الامامه و آخر في القضاء و الشهادات(٥)

السيد حسين بن دلدار علي بن محمد معين الرضوي النقوي

النصير آبادي

مذكور في "الكرام البرره" ص ٣٨٧، و نقول:

رأيت إجازة منه مبتوره الأول لبعض العلماء كتبها في يوم الخميس ليلتين خلتا من جمادى الثانيه سنه ١٢٦٢، ذكر فيها أنه:

قرأ في مبدأ التحصيل على والده، ثم اشتغل بامر منه لأمراض اعترته على أخيه السيد محمد النقوي في المعاني و البيان و العلوم العقلية و الدينيه و مما قرأ عليه كتابه "السيف الماسح" و "سلم العلوم" و شرحه للسند يلوي، ثم عاد على القراءه على والده فقرأ عليه شطرا من كتابه المعروف "عماد الإسلام" و جمله من كتب الحديث كأصول "الكافي" و فروع "المنتقى" و بعض "شرح الأربعين حديثا" للشيخ بهاء الدين العاملي.

يروى عن والده بلا واسطه، و عن أخيه السيد محمد عن والده(٦)

السيد حسين بن رضا الحسيني الأصبهاني

من العلماء القاطنين بمدينه أصبهان في النصف الأول من القرن الرابع عشر، و هو فقيه أصولي متبحر، أنجز بعض رسائله في شهر ذى الحجه سنه ١٣٢٠ و توفي بعد سنه ١٣٣٠ التي كتب بها وصيته.

الظاهر أنه غير المترجمين في نقباء البشر ص ٥٧٩-٥٨٥.

له "كتاب البيع" و "حاشيه فرائد الأصول" و كتابات فقيهيه و أصوليه متفرقه(٧)

السيد حسين بن محسن الموسوي الزنجاني

أديب فاضل من علماء مدينه "زنجان"، كتب تقريضا على كتاب "تبيان البيان في قواعد القرآن" للشيخ محمد حسن الزنجاني في خامس شهر رجب سنه ١٣١١(٨)

-
- ١- السيد أحمد الحسيني.
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- السيد أحمد الحسيني.
 - ٥- السيد أحمد الحسيني.
 - ٦- السيد أحمد الحسيني.
 - ٧- السيد أحمد الحسيني.
 - ٨- السيد أحمد الحسيني.

حسين بن محمد شمس الدين بن علي الطبسي،

كمال الدين.

من تلامذه الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي، و مما قرأه عليه رساله "الألفية" للشهيد الأول و حواشيها و كتاب "شرائع الإسلام"، و أجازه في الأخير بتاريخ أوائل شهر صفر سنة ٩٢٨، و مما قاله في الإجازة:

"أنهاه قراءه و بحثا و إيضاها المولى الأجل الفاضل المهاجر إلى جوار أئمه الهدى (ع) في طلب العلم للنجاه و نيل الثواب و الفضائل المستشعر للتقوى و الفواصل و مجتنب الفواحش و الرذائل.. أنهاه قراءه و بحثا يشهد بحسن فهمه و كمال تدبره و رياضه فطنته و كان يسأل في أثناء القراءه عما يشته عليه و يهيم لديه فألقى إليه الجواب على الوجه الذي يركن إليه... (١)"

الشيخ حسين بن محمد بن عبد النبي بن سليمان بن أحمد

البارباري السبستي البحراني

مذكور في "الكواكب المنتشرة" المخطوط، و نقول:

يروى عن الشيخ عبد الله بن علي البلادي البحراني و الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي و الشيخ ناصر بن محمد الجارودي.

و يروى عنه جماعه، منهم الشيخ حسين بن عبد الله البحراني، أجازه باجازه مبسوطه في سادس ذى الحجه سنة ١١٧٩.

و وجدت بعد إجازته له نقلا عن بعض تلامذته: أنه توفي ليله الأربعاء ١٨ صفر سنة ١١٩٢ و دفن في المزار المعروف ب "يالنكي" في مقبره اصطهبانات و بنى وراثه عليه قبه سميت بالحسينيه (٢)

السيد حسين بن محمد الزيدي الحسني.

فاضل لعله من أعلام القرن الحادي عشر، نسبته إلى زيد بن علي بن الحسين (ع) و ليس بزیدی المذهب، فان كتابه البصائر في تاريخ المعصومين الأربعة عشر (ع).

له "بصائر الموحدين" (٣)

حسين بن محمد علي المستوفي الأنصاري الأصبهاني

المتخلص بثمرأديب كاتب عارف ببعض اللغات الأجنبيه شاعر بالفارسيه يتخلص فيه ب "ثمر"، كثير الشكوى من مجتمعه و عصره و يظهر الياس من إصلاحهم.

له "تاريخ جنك شرق أقصى" أتم بعض مجلداته في سنة ١٣٢٩، و غيره من المؤلفات الكثيره نظما و نثرا (٤)

الميرزا حسين بن محمود الطبيب الأهرى.

ملك نسخه من حاشيه المولى محمد صالح المازندراني على معالم الأصول فى خامس شهر شعبان سنه ١٢٩٥، و كتب عليها تعاليق قليله تدل على فضل فيه و علم و تبحر فى أصول الفقه.

كان والده مشتغلا بالطب و يلقب ب "الطيب" و "الحكيم"، أما هو فقد كان ممحضا بالعلوم الدينيه (٥)

الميرزا حسين بن هادى بن أبى القاسم التبريزى

من تلامذه ميرزا شفيح ثقه الإسلام التبريزى، متأثر شديد التأثير بآراء الشيخ أحمد الأحسائى و متحمس للركن الرابع، و يبدو أنه كان مشتغلا بالخطابه و الوعظ فى مدينه تبريز و توفى بعد سنه ١٣٠٣.

له "الناطق بالحق" ألفه سنه ١٣٠٠ (٦)

ابن سينا الحسين بن عبد الله

اشاره

مرت ترجمته فى (الأعيان)، ثم مرت عده دراسات عنه فى (المستدركات) و نشر عنه هنا بحثا بقلم الدكتور لبيب بطرس:

تبين لنا أن فى نصوص الأدب العربى و ثائق تناول التربيه الصحيه و الأخلاقيه و الرياضيه و غيرها. لكنها لم تحظ بعد بالكشف عنها و تقويم معطياتها و استنتاج الثقافه التى عرفها العرب فى زمانهم.

كما أن الباحثين فى هذا الأدب لم يصنفوا. و يوبوا، و يفهرسوا، بالطريقه العلميه المطلوبه، محتويات المجلدات العديده التى تركها الفلاسفه و العلماء العرب و نحن الذين نعمل فى حقل التربيه الرياضيه فى مختلف مراحل الحضاره وجدنا أن الطيب و الفيلسوف الشهير ابن سينا كان أيضا رجل تربيه و توجيه صحى و رياضى و اجتماعى، لا تقل أبحاثه فى هذا المجال عن أعمال أبو قراط و فلاسفه الاغريق فى زمانهم.

وجدنا عند ابن سينا فى كتابه الشهير "القانون فى الطب" نصا تناول فيه الرياضه و الصحه البدنيه فى مختلف نواحيها. و استندنا فى تحليلنا لهذا النص إلى طبعه بولاق (القاهره) ١٩١٦، و سنتناوله بالبحث و التقويم بعد التعريف بالمؤلف و آثاره باختصار.

هو الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن حسن بن على بن سينا. و عرف عند الأوروبيين باسم Avicenne. ولد سنه ٩٨٠ م فى "أفشنه" بالقرب من بخارى و توفى سنه ١٠٣٧ [م]

ص: ١٤٤

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

٥- السيد أحمد الحسينى.

٦- السيد أحمد الحسينى.

فى همذان. و عند ما انهارت الدوله السامانيه، رحل ابن سينا عن بخارى إلى خوارزم ثم إلى جرجان، فأقام عند الفيلسوف أبى حمد الشيرازى الذى اشترى له منزلا فى جواره. و فى هذا المنزل وضع ابن سينا عددا من مؤلفاته، و باشر فى كتابه "القانون فى الطب".

ثم توجه ابن سينا إلى همذان، فأقام فيها تسع سنوات، يتعهد معالجه المرضى، و عالج أميرها شمس الدوله، فشفاه. و كان شفاء الأمير سببا فى انطلاق شهره ابن سينا فى الطب، فعينه الأمير وزيراً عنده. و فى سنه ١٠٣٧ [م] توفى فى همذان بسبب المرض، و هو فى السابعة و الخمسين من العمر. و له فى المدينه ضريح تذكارى و مكتبه كبرى تحمل اسمه.

كان ابن سينا على جانب كبير من الذكاء و التوقد ذهنى، و ترك العديد من الكتب و الرسائل، أهمها فى المنطق، و علم النفس، و الفلسفه، و الأخلاق، و الطب، و الشفاء، و الحكمه.

أعماله فى الفلسفه و الطب كانت مرتكزا للعلوم و الآداب فى العصور الوسطى و مهينه لعصر النهضة. كتابه "القانون فى الطب" ترجم إلى اللاتينيه و شاع فى أوروبا و استمرت نصوصه تدرس فى جامعاتها حتى القرن السابع عشر. تاثر بالفلسفه اليونانيه، لا سيما فلسفه "الواقع" Realism التى وضعها أرسطو، و هى تعتمد على العلم و المنطق. و يقال أن ابن سينا بلغ من الشهره فى زمانه ما بلغه أرسطو فى عصر الاغريق.

الروح و الجسم

اعتقد ابن سينا بخلود الروح، و أنها لا تموت بموت الجسم، و هى لا تقبل الفساد أصلا. و أن الجسم لا يكون من دون الروح، بينما على العكس، فالروح تستطيع أن تعيش بمعزل عن الجسم، و متى انفصلت الروح عن الجسم يفنى هذا الأخير و يصبح شبحا.

و وجد ابن سينا أن الروح هى صوره الجسم تمكنه من الظهور بمظهره الذاتى، و من القيام بأعماله و واجباته.

و رأى أن الجسم يحتاج إلى الروح لكى يعيش، بينما الروح لا تحتاج إلى الجسم بشىء. و لا يقوم جسم إلا إذا اتصلت به روح خاصه به. بينما الروح هى هى سواء اتحدت بالجسم أم لم تتحد. و لا يوجد جسم من دون روح، لأن الروح مصدر حياه الجسم، و هى تقوده فى أعماله و ترشده فى أفعاله و تصرفاته. و فى اعتقاد فيلسوفنا، أنه باتحاد الروح و الجسم، تقوم الروح بوظيفتين أساسيتين: قياده الجسم، و إدراك المحسوسات و تفهمها.

القانون فى الطب

كتاب "القانون فى الطب" لابن سينا هو من أشمل الكتب الطبيه فى القرون الوسطى التى اعتمدها العالم فى الشرق و الغرب. إنه موسوعه تبحث فى مواضيع عدده، فى وظائف الأعضاء، و علم الأمراض (باثولوجيا)، و وسائل المداواه، و الوصفات الطبيه، و تركيب الأدوية... و فى الكتاب شروحات عن الالتهابات، و الآلام العصبيه، و أمراض الجلد، و السكته القلبيه، و عقاقير تنشيط القلب، و كان ابن سينا يعتقد أن للجسم مناعه طبيعيه ضد الأمراض إذا كان سليما، قويا، و هو كشف أن الحالات النفسيه (فرح،

حزن، خوف، قلق) تؤثر فى سير المرض سلبا أو إيجابا.

خصص ابن سينا القسم الثالث من كتابه "القانون فى الطب" للتحديث فى شئون الرياضه البدنيه و أنواعها و أشكالها. و هذا القسم يقع فى ١٧ فصلا و هو يمهد لذلك بالقول فى "تدبير الأطفال":

" يجب أن يكون وكد العنايه مصروفا إلى مراعاة أخلاق الصبى، فيعدل، و ذلك بان يحفظ، كى لا يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم... و أن ينشأ من الطفوله حسن الأخلاق، و يصير ذلك له ملكه لازمه".

و وجد ابن سينا " أن الغضب يسخن جدا، و الغم يجفف جدا، و البلاده ترخى القوه النفسيه. ففى تعديل (موازنه) الأخلاق حفظ لصحه النفس و البدن جميعا ". فى هذا المنحى نجد ابن سينا يماشى فلسفه سقراط و أفلاطون فى ضروره حفظ التوازن عند الإنسان، روحا

مفهوم الرياضه

تناول ابن سينا فى الفصول السبعه عشر شئون الرياضه و أنواعها، و وقت البدء بها و توقيتها، و شئون التدليك، و الاستحمام، و الغذاء، و تقويه الأعضاء الضعيفه، و معالجه التعب العضلى، و رياضه المتقدمين فى السن. و هو يقول فى الفصل الأول " جمله القول فى الرياضه ": "لما كان معظم تدبير حفظ الصحه هو أن يرتاض الإنسان، ثم تدبير الغذاء، ثم تدبير النوم، و جب أن نبدأ بالكلام فى الرياضه، فنقول: الرياضه حركه إراديه تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر و الموفق لاستعمالها على جهه اعتدالها فى وقتها، به غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض الماديه و الأمراض المزاجيه التى تحدث عنها، و ذلك إذا كان سائر تدبيره موافقا صوابا. و بيان هذا هو أنا كما علمت مضطرون إلى الغذاء، و حفظ صحتنا هو الغذاء الملائم لنا، المعتدل فى كميته و كفيته، و ليس شىء من الأغذيه بالقوه يستحيل بكليته إلى الغذاء بالفعل، بل يفضل عنه فى كل هضم..".

ثم تناول ابن سينا (فى الفصل الثانى) أنواع الرياضه فقال..

" الرياضه منها ما هى رياضه يدعو إليها الاشتغال بعمل من الأعمال الإنسانيه، و منها رياضه خالصه (صرف) و هى التى تقصد لأنها

رياضه فقط، و تتحرى منها منافع الرياضه و لها فصول. فان من هذه الرياضه ما هو قليل، و منها ما هو كثير، و من هذه الرياضه ما هو شديد، و منها ما هو ضعيف، و منها ما هو سريع، و منها ما هو بطيء، منها ما هو حثيث أى مركب من الشده و السرعه، و منها ما هو متراخ، و بين كل طرفين معتدل موجود".

أنواع الرياضه

ينبه ابن سينا فى مدخل " تدبير الأطفال " إلى ضروره تربيه أخلاق الطفل فى جو من الفرح و الابتهاج و الثقه بالنفس، بعيدا عن الغضب و النغم و الخوف. فى هذا الموقف نجد أنه يوافق أفلاطون الذى يركز على التربيه التأسيسيه للطفل (بروبيديا propidia). و هو كان ينصح أن تحتضن المربيه الطفل و تغنى له بحنان لكى ينام مثلا، لأنه يجب أن يبقى فى مزاج هادئ، و من الضرر أن تبدأ نفس الطفل بالتبرم و الغضب منذ الصغر. لذا، يجب إحاطته بجو من الفرح و السعاده، (القوانين، ٧٩٠).

و يوضح ابن سينا بان الرياضه تحتاج إلى التنفس الكبير و الدائم و أن هذا التنفس يفيد فى علاج بعض الأمراض. و يذكر أن الاعتدال فى كميه الغذاء و أنواعه الملائمه ضرورى. و هو يقسم النشاط البدنى إلى نوعين: رياضه طبيعيه تنتج عن الأعمال التى يقوم بها الإنسان أثناء حركته اليوميه، و رياضه متخصصه يقصد بها التمارين و الألعاب، التى منها ما هو شديد، أو ضعيف، سريع أو بطيء، أو معتدل.

ثم يتعمق ابن سينا فى أنواع الألعاب التى عرفها فى زمانه، فى القرن الحادى عشر. فيذكر المصارعه و يسميها "المباطشه" أحيانا، و الملا-كمه و يسميها "الملا-كزه" و المشى السريع و الركض و الوثب الطويل و يسميه "الطفر" و الرمي بالقوس و التدافع و الترافس و يسميه "الزفن" و القفز إلى الشىء للتعلم به و المشاقفه بالسيف و الرمح و ركوب الخيل و الجمال و العجاجيل و العماريات و "الخفق" باليدين، و هو أن يقف الإنسان على أطراف قدميه و يمد يديه قدما و خلفا و يحركهما بسرعه". و يذكر من الرياضات القويه الميدانيه أن يشد الإنسان عدوه (أى خصمه) فى الميدان إلى غايه، ثم ينكص راجعا مقهقرا". و من الألعاب أيضا يذكر مجاهده الظل، أى ملاحقه ظل الشخص، و "الزج" أى حبسس [حبس] الشخص، و اللعب بالكره الكبيره و الصغيره، و اللعب بالصولجان، الذى هو شبيه "الغولف" و الطبطاب شبيه "البايسبول"، و اشاله الحجر أى رفع الثقل. كما يذكر أنواعا من الرياضه الترفيهيه المهدئه، مثل التآرجح فى الأرجوحات، و النزاه فى البحر فى الزوارق و السماريات و هى نوع من المراكب.

ثم يدخل ابن سينا فى تفاصيل المصارعه، و يقول: "المباطشه أنواع، فمن ذلك أن يشبك كل واحد من الرجلين يده على وسط صاحبه و يلزمه و يتكفل كل واحد منهما أن يتخلص من صاحبه و هو يمسكه. و أيضا أن يلتوى بيديه على صاحبه. يدخل اليمين إلى يمين صاحبه و اليسار إلى يساره و وجهه إليه ثم يشيله (يحمله) و يقلبه، و لا سيما هو ينحنى تاره و ينبط أخرى.

و من ذلك المدافعه بالصدرين، و من ذلك ملازمه كل واحد منهما عنق صاحبه يجذبها لى أسفل، و من ذلك ملاواه الرجلين، و الشغزيه (حركه لقط رجل المصارع) و فحج (فتح) رجلى صاحبه برجليه، و ما يشبه هذا من الهيئات (المسكات) التى يستعملها المصارعون".

هذا النوع من المصارعه هو بلا شك المصارعه الحره التى يسمح فيها بمهاجمه كافه أقسام الجسم.

ثم يتطرق فيلسوفنا الرياضى إلى بعض الألعاب و التمارين فى الركض و الوثب، فيقول: " و من الرياضات السريعه، مبادله رفيقين مكانيهما بالسرعه، و موآتره طفرات (تتابع و ثبات) إلى الخلف يتخللها طفرات (و ثبات) إلى قدام بنظام و غير نظام. و من ذلك رياضه المسلتين، و هو أن يقف إنسان موقفا ثم يغرز عن جانبيه مسلتين فى الأرض بينهما باع (مسافه)، فيقبل عليهما ناقلا المتيامنه منهما (التي إلى اليمين) إلى المغرز الأيسر، و المتياسره (التي إلى اليسار) إلى المغرز الأيمن، و يتحرى أن يكون ذلك أعجل ما يمكن "

شروط ممارسه الرياضه

يقول ابن سينا إن لكل عضو فى الجسم ما يخصه من الرياضه، و يذكر مثلا على ذلك رياضه لتمرين الصوت و البصر، و السعه الهوائيه للصدر. و هو ينبه إلى أن يرتاض الشخص و جسمه دافى و حار نسبيا، و هذا طبعا لكى لا يصاب بالتمزق. و يقول إنه وجد بان البدن يجب أن تفرغ منه الفضلات من الأمعاء، و البول من المثانه، قبل المباشره بالرياضه. و كذلك يجب أن تكون " الكيموسات"، و مفردها " كيموس " (Kimos) باليونانيه، أى ما يتركه الغذاء فى الجسم، قد أنهى دوره و انهضم الطعام. و لكن لا يجوز ممارسه الرياضه و المعده خاليه تماما. و يقول: و أما الصدر و أعضاء التنفس فتاره يراض بالصوت الثقيل العظيم، و تاره يالحاد و مخلوط بينهما... و الصدر يراض بالنفخ مع حصر النفس... و ما كان من الرياضيات اللينه، مثل التريج (التأرجح) فهو موافق لمن أضعفته الحميات (ارتفاع الحراره) و أعجزته عن الحركه... و أما ركوب العجل و الوجه إلى خلف فينفع ذلك من ضعف البصر و ظلمته نفعا شديدا. و أما ركوب الزواريق (الزوارق) و السفن، فينفع من الجذام (مرض تأكل أعضاء الجسم. و لعله السرطان)، و السكته، و برد المعد [المعده] و نفختها، و ذلك إذا كان بقرب الشطوط...

و أما أعضاء الغذاء (المعده و الجهاز الهضمى) فرياضتها تابعه لرياضه سائر البدن. و البصر يراض بتأمل الأشياء الدقيقه و التدرج أحيانا فى النظر إلى المشرفات برفق. و السمع يراض بتسمع

الأصوات الخفيفه، و فى الندره بسماع الأصوات العظيّمه...

و ينبغى أن يحذر المراتض وصول حميه الرياضه إلى ما هو ضعيف من أعضائه".

و يجد ابن سينا أن " وقت الشروع فى الرياضه يجب أن يكون عند ما يكون البدن نقيًا، و ليس فى نواحي الأحشاء و العروق (الأوعيه الدمويه) كيموسات خامه، رديئه، تنشرها الرياضه فى البدن، و يكون الطعام الأمسى قد انهضم فى المعده و الكبد و العروق ". و يؤكد أنه " إذا أوجبت رياضه شديده، فبالأحرى أن لا تكون المعده خاليه جدا، بل يكون فيها غذاء قليل، أما فى الشتاء فغليظ، و أما فى الصيف فلطيف. ثم أن يرتاض ممتلئا خير من أن يرتاض خاويا، و أن يرتاض حارا أو رطبا خير من أن يرتاض و البدن بارد أو جاف، و أصوب أوقاته الاعتدال. و ربما أوقعت الرياضه حار المزاج يابسه فى أمراض، فإذا تركها صح. و يجب على من يرتاض أن يبدأ فينقص الفضول من الأمعاء و من المثانه ثم يشتغل بالرياضه.

التمرين و العلاج الطبيعى

بعد ملاحظه فوائدها العامه فى الجسم بصوره ملموسه، و مع تركيز انتباه رجال الطب و الصحه على الرياضه البدنيه و ما يتصل بها من علوم باتحاد علم التدريب الرياضى و علم الطب العام، برزت الرياضه كماده علاجيه فى الطب الطبيعى، الفيزيولوجى. كل ذلك منذ أن وجد الفلاسفه غايتهم فى الرياضه البدنيه وسيله فاعله فى حفظ صحه المواطن. و نحن نلاحظ أن الثقافه الاغريقيه، بين القرنين الخامس و الرابع ق. م. كانت ثقافه جسم و ثقافه عقل على السواء، و برزت عندهم، ليس فقط كوسيله لتقويه العضلات و إحراز البطولات. بل أيضا كماده أساسيه فى العلوم الطبيه، خصوصا الطب العلاجي و الوقائى، مع معلمى الرياضه الذين "قرنوا مهنة الرياضه إلى مهنة الطب" كما قال أفلاطون فى "الجمهوريه" (الثالث ٤٠٦) و كان أبو قراط (٤٦٠ - ٣٧٧ ق) أول من خص هذا الموضوع بابحاثه الواسعه و وضع الأسس العلميه للرياضه العلاجيّه.

التدليك الصحى و الرياضى

فى كتابه "القانون فى الطب" و بعد ما تناول الرياضه البدنيه كماده لتقويه الجسم، عالج ابن سينا مواضع صحيه متممه للرياضه، تتعلق بشئون التدليك و الاستحمام و الغذاء و غيره و هو ركز على التدليك، و اعتبره ضروريا لتلين العضلات و تدفئتها قبل القيام باى تمرين بدنى. و قال إن "التدليك ينعش الغريزه و يوسع المسام... و أن يكون بشىء خشن، ثم يتمرخ (يمسح) بدهن عذب، ثم يدرج التمريخ (المسح) إلى أن يضغط العضو ضغطا غير شديد الوجود (بالعمق). و يكون ذلك بأيد كثيره و مختلفه أوضاع الملاقاه، ليبلغ ذلك جميع شظايا العضل (أوتار العضل)، ثم يترك، ثم يؤخذ المدلوك بالرياضه ". أى أن هذا التدليك يسبق فتره ممارسه الرياضه.

و نصح ابن سينا بان يكون التدليك قرب انتصاف النهار فى فصل الربيع، و صباحا فى فصل الصيف، و مساء فى الشتاء بعد التدفئه. و يقول (فى الفصل الرابع) إن التدليك له أهداف و طرائق عده: "الدلك منه صلب فيشدد، و منه لين فيرخى، و منه كثير فيهزل، و منه معتدل فيخضب... و من الدلك ما هو خشن أى بخرق (قطع) خشنه، فيجذب الدم إلى الظاهر سريعا، و منه أملس، أى بالكف أو بخرق لينه فيجمع الدم"، و وجد ابن سينا أن الهدف من التدليك هو تقويه الأبدان الرخوه و الضعيفه و زياده حجمها، و تليين الأبدان الصلبه، القاسيه.

و بان التدليك قبل الرياضه يبدأ لنا ثم يشدد، و هو ما يسميه تدليك الاستعداد للرياضه، و يقول عنه أيضا " ذلك الاسترداد، و هو بعد الرياضه ". و هذا الدلك يجب أن يكون رقيقا، معتدلا، لتلين الجسم إذا أصيب بالبرد و الانقباض أو من كثره الفضلات فى الجسم.

و فى رأى طبيينا الفيلسوف أن التدليك يمكن أن يتخلل تمارين الرياضه على جولات، و من فوائده أيضا أنه " يجفف البدن و يمنع الرطوبه عن السيلان فى المفاصل ". و كتب يقول أيضا:
" الغرض من الدلك، تكثيف الأبدان المتخلخله و تصليب اللينه.

و من الدلك ذلك الاستعداد و هو قبل الرياضه، و يبدأ لنا ثم إذا كان يقوم إلى الرياضه شدد. و منه ذلك الاسترداد و هو بعد الرياضه، و يسمى الدلك المسكن أيضا، و الغرض منه تحليل الفضول المحتبسه فى العضل مما لم يستفرغ بالرياضه ".

و أضاف يقول إن " ذلك الاسترداد (فى نهايه الرياضه) كأنه جزء آخر من الرياضه، يجب أن يبدأ أولا بالدهن و بالقوه. ثم يمال به إلى الاعتدال، و لا يقطع على عنفه "، أى أنه ينتهى تدريجا.

و يذكر أن التدليك يكون باستعمال " طلاء زفتى " و ربما هو زيت النفط الأسود، بينما الاغريق كانوا يستعملون زيت الزيتون المتوافر لديهم. و وصف استعمال دهون بعض النباتات، مثل الأشنه، و الخطمى، و الفاشر، و القثاء.

الحمامات الصحيه

رأى ابن سينا أن الحمامات هى للافاده من حراره لطيفه و ترطيب معتدل. يكون الاستحمام بصب الماء العذب و الاغتسال سريعا و الخروج و يجب أن لا يبادر المرتاض إلى الحمام ليسترىح بالتمام... جميع المستحمين يجب أن يتدرجوا فى دخول الحمامات و لا يقيموا فى البيت الحار إلا مقدار ما لا يكرب، فيربح بتحليل الفضول (الفضلات) و إعداد البدن للغذاء ". و تابع قائلا: " من أراد

التهزيل (التخفيف و خفض الوزن) يجب أن يستحم على الجوع و يكثر القعود في الحمام. و أما الذى يريد حفظ الصحة فقط يجب أن يدخل الحمام بعد هضم ما فى المعده و الكبد". و أخرج ابن سينا فوائد الحمام و الحالات التى يجب أن يمتنع فيها الشخص عن الاستحمام. فقال أنه للاغتسال بالماء البارد يجب أن لا يكون الشخص مصابا بتخمه أو قىء أو إسهال أو نوازل كالنزله الصدرية أو ارتفاع فى الحرارة، بل فى " وقت يكون فيه بدنه نشيطا ". و قد يكون ذلك باستعمال الماء الحار لتقويه البشره و حصر الحرارة.

و هو يفضل أن يكون الماء معتدل البروده. و إذا كان الحمام بعد الرياضه " يجب أن يكون قبله الدلك، أشد من المعتاد، و الدهن على العاده. و تكون الرياضه بعد الدلك و التمريخ (المسح) معتدله و أسرع من المعتاد، قليلا قليلا، ثم يسرع بعد الرياضه فى الماء البارد "، و أما إذا كان الشخص مصابا بالشحوب فيجب أن يستحم بحمامات حاره و يدلك بادهان حاره، لطيفه، مع رياضه الاسترداد.

الغذاء و تدبير المأكول

وجد ابن سينا أن البقول و الفواكه هى ملطفه و محرقة للدم، و الطعام الغليظ مثقل للجسم. و نصح بان يكون الغذاء من مثل اللحم، خصوصا لحم الجدى و العجاجيل الصغار و الحملان، و الحنطه المنقاه من الشوائب، المأخوذه من زرع صحيح لم يصبه آفه. و الشىء الحلو الملائم للمزاج، و الشراب الطيب الريحانى ". و رأى أن أفضل الفواكه المغذيه هو التين و العنب النضيج و التمر.

و قال فيلسوفنا الصحى "إن من به تخمه" فان الصبر على الجوع يملأ المعده أخلاطا حديديه رديئه. و يجب أن يؤكل فى الشتاء الطعام الحار " و فى الصيف الطعام البارد أو القليل السخونه ". ثم توسع فى شئون الطعام و هضمه و مشكله التخمه التى تؤدى إلى وجع المفاصل و الكلى و الربو و ضيق النفس... و هو نصح بالمشى الخفيف قبل العشاء، و بالنوم على الجهتين، اليمنى و اليسرى "مع وضع وساده على السرير بحيث يميل الجسم إلى أسفل للمساعدة على عمليه الهضم. (الفصل السابع).

التعب العضلى و علاجه

عالج ابن سينا (فى الفصلين ١٢ و ١٤) مشكله التعب العضلى، و ذكر أن أسبابه كثره الفضلات الرقيقه، الحاده، و " أخلاط رديئه انتشرت فى العروق ". و منه ثلاثه أنواع، التمددى، و الورمى، و القروحى. " التعب التمددى يحس صاحبه كان بدنه قدر رض، و يحس بحراره و تمدد و يكره الحركة. و أما الإعياء الورمى، فهو أن يكون البدن أسخن من العاده و شبيها بالمنتفخ حجما. و أما الإعياء القروحى فهو حاله يحس بها الإنسان من بدنه كأنه قد أفرط به الجفاف و اليبس، و هو يحدث من الإفراط بالرياضه ".

معالجه هذا التعب، حسب ابن سينا، تكون بالدلك الكثير و اللين، ثم باستعمال " رياضه الاسترداد " أى الرياضه الخفيفه كما فى إنهاء فتره تدريب. و فى الدلك تستعمل دهونات مثل الشبث و البابونج و غيرها، تحت أشعه الشمس. و يكون الاستحمام بالماء الفاتر، المائل إلى السخونه، مده طويله، ثم تكون التغذيه بالمرطبات. إن " كل إعياء يكون سببه الحركة يجب توقفها، ثم نستعمل رياضه الاسترداد لتدفع الحركة المعتدله المواد إلى الجلد و يحللها الدلك ".

لم ينس ابن سينا التطرق إلى رياضه المتقدمين فى السن، فقال:

"تختلف رياضه المشايخ بحسب اختلاف حالات أبدانهم و بحسب ما يعتادهم من العلل، و بحسب عاداتهم فى الرياضه. فان كانت أبدانهم على غايه الاعتدال وافقهم الرياضات المعتدله... كالارتياض بالمشى و ركوب الزوارق ". أما إذا كانوا مصابين بآفه فى الرجلين استعملوا الرياضات الفوقانيه، كالمشايله، ورمى الحجاره، و رفع الحجر".

و التدليك للمشايخ حسب الشيخ الرئيس " يكون معتدلا فى الكيف و الكم، غير متعرض للأعضاء الضعيفه أصلا... و هم ينفعهم الحمام مع ذلك".

كان الشيخ الرئيس أبو على بن سينا الطبيب الرياضى البارز و الموجه الصحى الشهير فى العصور الوسطى عند الشرقيين و فى بلاد الغرب، و بقيت تعاليمه تدرس فى معاهد أوروبا حتى القرن السابع عشر، كما نقل كتابه "القانون فى الطب" إلى مختلف اللغات. و هو تفرد بذكر بعض الألعاب و التمارين التى كان يمارسها العرب فى زمانه، و تعمق فى معارج الرياضه البدنيه مؤكدا أن الأعضاء تستفيد من هذه التمارين، و حتى الضعيفه منها يمكن أن تقوى بالرياضه المستمره.

و وجد ابن سينا أن التدليك جزء آخر من الرياضه، و توسع فى شرح طرق تطبيقه، و اعتبر الاستحمام بالماء و سيله علاجيه، و هو فى هذا المنحى فضل العلاج الفيزيائى الطبيعى على أيه و سيله أخرى.

و لا شك فى أن ابن سينا كان مطلعاً و ملماً بعلوم و فلسفات الاغريق فى هذا المجال، و هو اطلع عليها عن طريق ما ترجمه عن اليونانيه الأدباء العرب المسيحيون أمثال يحيى بن البطريق و يوحنا بن ماسويه و حنين بن إسحاق و قسطا بن لوقا الذين عاشوا بين ٨٠٠ - ٩٠٠ ميلاديه، أى قبله بنحو ١٧٥ سنه. و لا شك أيضا فى أن ابن سينا أضاف إلى المعلومات القديمه الكثير من تعاليمه الجديده و خبرته كطبيب فيزيائى معالج.

الشيخ حسين بن عبد على بن محمد بن على البهبهانى

فاضل جامع لأطراف العلوم، رأيت منه كتابات متفرقه فى

شرح أحاديث و مسائل فقهيه تدل على تضلعه، بعضها بتاريخ رابع ذى القعدة سنة ١١٥٣ كتبها فى بهبهان (١)

حسين على تالپور بن مير نور محمد خان

توفى فى بلده حيدرآباد سنة ١٢٩٥ من علماء و شعراء الهند، و ممن اضطهدهم الإنكليز و عذبوهم و سجنوهم. ترك من المؤلفات: مناقب علوى، و شاهد الامامه، و ديوان شعر بالأردويه و الفارسيه و غير ذلك.

حسين بن على رضا الشيرازى، كمال الدين

أصله من "بازرگان" من توابع شيراز، و تجول فى شبابه ببلاد الهند، و هو عالم فاضل له اطلاع فى الحديث و الكلام و غيرهما، و هو من أعلام القرن الحادى عشر (٢)

حسين بن على الأصبهانى، كمال الدين

فاضل جامع للعلوم، من أعلام القرن الحادى عشر.

له "جامع الفوائد" شرح لغز لواضع ربانى (٣)

السيد حسين بن كمال الدين بن الأبرار الحسينى الحلوى

مذكور فى أعيان الشيعة ١٣٨/٦، و نقول:

قرأ عليه الشيخ إبراهيم بن الحاج على السكرى الحلوى كتاب "الاستبصار" فأجازه روايه فى عدة مواضع من النسخه منها فى آخر كتاب الحج بتاريخ يوم الاثنين ١٨ ذى القعدة سنة ١٠٤١، و توقيعه فى كل المواضع "حسين بن كمال الدين الأبرار الحسينى الحلوى".

و قرأ عليه الشيخ عبد العالى بن محمد بن على الجزائرى كتاب "خلاصه الأقوال" للعلامه الحلوى، فأجازه فى آخر نهار ٢٧ رجب سنة ١٠٤٩ (٤)

السيد حسين الرضى الكاشانى بن هبه الله بن محمد.

ولد سنة ١٢٩١ فى كاشان و توفى فيها سنة ١٣٨٥.

نشا فى كاشان و على علمائها قرأ العلوم المتداوله و العلوم العقليه و الرياضيه، و منهم السيد محمد العلوى البروجردى و ملا حبيب آ [الله] الشريف الكاشانى و الميرزا محمد حسين الكاشانى و الملا محمد حسين النطنزى الكاشانى و الحاج السيد فخر الدين الكاشانى و الميرزا أبو القاسم الكاشانى.

و فى سنة ١٣١٣ سافر إلى مشهد الرضا (ع) للدراسه، و كان يحضر على السيد على اليزدى الحائرى و الآخوند ملا-عباس

السبزواری. و بعد ثلاثه أشهر ارتحل إلى طهران ثم كاشان ثم أصفهان، و بقى فيها سنه و شهرين، و حضر على الآخوند ملا محمد الجوشقانى فى الفلسفه و الكلام و بعض دروس نصوص الحكم و على المولى جهانكير خان القشقائى فى الفلسفه، و على الميرزا أبو الهدى الكلباسى فى علم الرجال و السيد أبو القاسم الدهكردى فى الفقه و الميرزا محمد صادق نائب الصدر فى الأصول و الفقه و المير محمد تقى المدرس فى الأصول و الشيخ محمد تقى آقا نجفى الأصفهانى و أخيه الشيخ محمد على الأصبهانى.

ثم ذهب إلى شيراز و أقام بها سنه و نصف السنه، فحضر درس الميرزا إبراهيم المحلاتى فى الفقه و الأصول و الآخوند ملا عبد الله الزرقانى فى شرح المنظومه.

ثم ذهب إلى "الار"، فحضر بها بحث السيد عبد الحسين التستري فى الفقه.

و بعد هذا التطواف ذهب إلى النجف الأشرف و أقام بها قريبا من عشر سنوات متلمذا فى الفقه و الأصول على المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و الشيخ عبد الله المازندرانى و شيخ الشريعة الأصفهانى و السيد مرتضى الكشميرى و السيد مصطفى الكاشانى و الحاج ميرزا حسين الخليلى.

ثم تجول فى البلاد الهندية و عاد من طريق كراتشى و حيدرآباد السند إلى إيران، فمر على كرمان و مدن خراسان حتى وصل إلى مسقط رأسه كاشان سنه ١٣٥٢ حيث أقام بها بعد هذه الرحله العلميه الطويله.

فتفرغ فى مسقط رأسه للعلم بحثا و تدريسا و تأليفا، و إقامه الجماعه و إرشاد المؤمنين.

يروى عنه السيد عزيز الله إمامت الكاشانى و السيد شهاب الدين النجفى المرعشى، أجازه فى ١٥ شوال سنه ١٣٥٥.

له من المؤلفات: (١) الإسكندريه، فى النحو (٢) الأصول المعتمره (٣) بهجه التنزيل فى التفسير و التأويل (٤) حاشيه تحرير القواعد المنطقيه (٥) حاشيه رياض المسائل. و غير ذلك (٥)

الشيخ حسين بن عيثن الأحسائى البحرانى.

فاضل أديب شاعر عاش فى أوائل القرن الثالث عشر، من شعره قوله فى حل لغز كتبه بعض بالفارسيه:

سالت فاسمع يا عظيم الشأن من الحقيير نجل ابن عيثن

عن اسم رب العزه المنان من ليس فى الخلق له مدانى

تبارك الله العلى السبحانى عن الحلول و عن المعانى

ليس بعبد بل و لا مهان و ليس ربا موجد الأكوان

فألرب ذأأ الملأأ الرأمن أقدس البارى عن المكان

هذا الذى يفهمه البأرانى نأل محمد أسفن البأانى

ص: ١٤٩

١- السفد أأمد الأسفنئ.

٢- السفد أأمد الأسفنئ.

٣- السفد أأمد الأسفنئ.

٤- السفد أأمد الأسفنئ.

٥- السفد أأمد الأسفنئ.

تم صلاحه الله ذى الإحسان على النبي المصطفى العدنانى

و آله من جبههم أغنانى عن كل خلانى و عن أعوانى

(١)

حمزه بن الحسين

من تلامذه السيد محمد حسين بن عبد الباقي الخاتون آبادياً صبهان، كما صرح بذلك فى أول شرحه على إجازته أستاذه الميرزا هدايه الله المشهدى، حيث صاحب أستاذه فى سفرته التى زار بها الإمام الرضا (ع) فى سنة ١٢١٨ و استنسخ الإجازة ثم شرحها، و قال:

صنفت كتباً متعدده فى الصرف و النحو و التجويد و الفقه و الدعاء و غيرها و بلغت تأليفاتى بحضور السيد الأيد مخدمى سلطان العلماء فحسنها و أجودها بالطفاه (كذا)..

قال الخاتون آبادى فى تقريره على شرح الإجازة: "لقد أحسن و أجاد العالم الموفق و الفاضل الصالح المؤيد صاحب الأخلاق المرضيه مهبط فيوض الرحمه آخوند ملا حمزه من أجلاء الطلبة و المحصلين و كان مترددا عندى فى أكثر الأوقات و حاضرنا عند مجمع درسى و مباحثى فى أغلب الزمان...".

له شرح الإجازة.

حمزه بن قربان آقا مراد بن صفر بن القاسم البارفروشى

المازندرانى

فاضل مدرس فى العلوم الأدبيه، سكن "بارفروش" من نواحي "لالاباد" من قرى مازندران، يلقب بالخليل، و هو من أعلام أوائل القرن الرابع عشر.

له "ذروه التصنيف فى حل غوامض التصريف" (٢)

السيد حيدر الآملى

إشاره

مرت ترجمه له فى (الأعيان). و نشر أحمد زين الدين هذه الدراسه عنه، و هى ما نأخذها هنا كما مر حديث عنه فى (المستدركات) مع تعليقنا عليه، و الذى يلفت النظر هو ما ذكره الكاتب من أن الآملى فى كتابه (جامع الأسرار) يقول إن الصوفيه (الحقه) ينسبون خرقتهم إلى الامام على (ع) و أولاده، أما الامام فأورثها لتلميذه كميل بن زياد...

إلى آخر ما قال.

وقد عرفت في زياره لى لمدينه (ورامين) في إيران جماعه صوفيه قليله العدد يسمون أنفسهم (الكميلييه) متسبين إلى كميل بن زياد ما فصلته فيما كتبه عن ورامين في (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه) في بحث (ورامين)، و لا أعيد ذكره هنا، فليرجع إليه القارئ. قال زين الدين.

لعل اسم حيدر الآملي من الأسماء المجهوله لدى الباحثين العرب و المسلمين و لم يحظ بما يناسب مكانته في الفلسفه و التصوف.

و منذ ولادته عام ٧١٩هـ في آمل من أعمال خراسان (إيران) إلى اليوم، لم يرد ذكره إلا لماما، و في عدد ضئيل من كتب التراجم و التاريخ(٣).

حين أن مؤلفاته و رسائله تربو على اثنين و عشرين مؤلفا جميعها في علوم التصوف و الفلسفه(٤) و أهم هذه الكتب مخطوط "جامع الأسرار و منبع الأنوار" كانت تحتفظ به خزانه الكتب - دائره الهند في لندن تحت الرقم: أبريل ١٣٤٩. و كشف عنه المستشرق الفرنسي الكبير هنري كوربان (١٩٠٥ - ١٩٧٨) و نشره عبر المركز الفرنسي الايراني للأبحاث(٥) و خصه بسلسله من المحاضرات ألقاها على طلاب قسم علوم الأديان في السوربون و في حلقه < > في سويسرا و شكلت طروحات الآملي الهيكل العام لكتابه المعروف "تاريخ الفلسفه الإسلاميه" خاصه في الجزء عن التشيع و هو جوهر الكتاب، و لكتابه الآخر بالفرنسيه < > (في مجلدين) و حاط كوربان مؤلفات هذا الفيلسوف بالرعايه. و حاول من خلال منهجيته "الظواهرية" أن يفسر نشاء الفكر الفلسفي لدى الشيعة، و يتعاطف مع هذا النزوع الشيعي في الفلسفه، إلى درجه أن دفعت أحد الباحثين العرب و هو الدكتور على سامي النشار إلى اتهام كوربان بأنه كان شيعيا أكثر من الشيعة(٦).

يمكن، بالعوده إلى الصفحات القليله التي تركها حيدر الآملي

ص: ١٥٠

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- نذكر: المكنون، و مجالس المؤمنين ٢، و معجم المؤلفين ٤، و القواعد الرضويه، و ريحانه الأدب، و أعيان الشيعة ٢، و روضه الجنات، و طرائق الحقائق، و الذريعه إلى تصانيف الشيعة.
- ٤- مؤلفات الآملي كما وردت في لائحته المحقق عثمان يحيى زميل هنري كوربان: ١ - كتاب مجمع الأسرار و منبع المعبود [جامع الأسرار و منبع الأنوار]. ٢ - رساله الوجود في معرفه المعبود. ٣ - رساله المعاد في رجوع العباد. ٤ - كتاب الأصول و الأركان في تهذيب الأحباب و الاخوان. ٥ - رساله العلم و تحقيقه بطريق الطوائف الثلاثه. ٦ - رساله العقل و النفس. ٧ - رساله الأمانه الالهيه في تعيين الخلافه الربانيه. ٨ - رساله الحجب و خلاصه الكذب. ٩ - رساله الفقر و تحقيق الفخر. ١٠ - رساله الأسماء الالهيه و تعيين المظاهر لها في الأشخاص الإنسانيه. ١١ - رساله النفس في معرفه الرب. ١٢ - رساله اسرار الشريعه و

أنوار الحقيقة. ١٣ - رساله الجدول الموسومه بمدارج السالكين في مراتب العارفين. ١٤ - نقد النقود في معرفه الوجود. ١٥ -
نهايه التوحيد في بدايه التجريد. ١٦ - منتقى المعاد في مرتقى العباد. ١٧ - رساله التنبيه في التنزيه. ١٨ - أمثله التوحيد و أبنيه
التجريد. ١٩ - رساله كنز الكنوز و كشف الرموز. ٢٠ - كتاب تعيين الأقطاب و الأوتاد. ٢١ - المحيط الأعظم و الطود الأشم في
تأويل كتاب آ [الله] العزيز المحكم. ٢٢ - نص النصوص في شرح الفصوص. أما كتاب "الكشكول فيما جرى آل الرسول"
فييدى هنرى كوربان شكوكا في نسبته إلى الآملى، لأن الكتاب ظهر عام ١٦٢٥ هـ، أى عند ما لم يكن الفيلسوف تجاوز الخامسة
عشره من عمره.

٥- للكتاب نسخ عديده في مكتبات النجف و طهران.

٦- نشاه الفكر الفلسفى في الإسلام، الجزء الثانى: الدكتور على سامى النشار، ص ٢٩٦.

عن سيرته الشخصية، التمييز بين حقتين في حياته.

الأولى: الحقبة الإيرانية و هي التي تكونت أثناءها شخصيه حيدر بن علي بن حيدر العبيدي الحسيني الآملي العلميه و الاجتماعيه. تفرغ لتحصيل عقائد مذهبه و جميع مراتب العلوم المتعلقة بها من المعقول. و المنقول و تنقل طلبا للعلم و الاستزاده منه بين بلدته آمل و خراسان و أسترآباد و أصفهان. و خصه الملك فخر الدوله كما يقول "بالكرامه و الجلاله، و جعلني من أقرب أصحابه و ندمائه ثم من أخص خواصه ثم من أعظم نوابه و حجابيه" ثم طلبه غيره من الملوك و الأمراء و عاش في بحبوحه و رغد عيش "حتى غلب في باطنى دواعى الحق و كشف الله لى فساد ما أنا فيه من الغفله و الجهل.

و ظهر لى ضلالى عن طريق الحق... فناجيت ربى فى السر و طلبت منه الخلاص عن الكل، و حصل لى شوق تام إلى الترك و التجريد، و التوجه إلى حضره الحق بقدوم التوحيد... فتوجهت لزياره جدى رسول الله و الأئمه المعصومين بنيه الحج" (١).

و الحقبة الثانيه هى الحقبة العراقيه التى تبدأ من وصوله إلى العتبات المقدسه عام ٧٥١ هـ حتى عودته ثانيه إلى بلده مرورا بمكه المكرمه و لبسه "الخرقه" الصوفيه، و ما أجراه على نفسه من صنوف المجاهدات و الاشتغال بالرياضه و الخلوه و الطاعه و العباده. و يورد الآملى فى هذا المقام تفاصيل حلمين، أحدهما: أنه رأى نفسه فى المنام أن جسمه مدد على الأرض، و هو ميت ملفوف بالكفن الأبيض بينما هو يتفرج و يعجب كيف أنه واقف، و كيف هو ميت مرمى! و فى مثل هذا الحلم نموذج للحاله الشعوريه الداخليه التى تنتاب الآملى بعد ما انقطع عن زمنه الدنيوى، ليتكرس كليا لخدمه الحق الالهى. فالحلم رمز للتخلى و التضحية بالنفس لينذرهما فى سبيل هدف سام. و الموت هو "البذره المدفونه" فى الأرض العذراء. "الموت الرمزي" موت الشخصيه القديمه من أجل بلوغ الولاده الروحيه الجديده. و هو ما يسمى فى عمليات المساره < المولود مرتين (٢) جامع، ص ٦١٢. (٣).

و هو منذ الآن لن يعمل أو يكتب إلا ما يأمره به آ [الله] تعالى" فيضع تأويله للقرآن المسمى "المحيط الأعظم و الطود الأشم فى تأويل كتاب الله العزيز المحكم" بامر من "الحق تعالى" كما يقول.

كذلك كتابه "جامع الأسرار و منبع الأنوار" و غيرهما.

و هو إذ يحزر كتبه بالفارسيه و العربيه يبغى غرضا واحدا "إيصال المعنى خالصا الله" (٣) لذلك لا يهتم بما يغشى أسلوبه من ركاكه أو ضعف أو أخطاء، و لا ينسب ذلك إلى الجهل، بل إلى الغرض الذى يأخذ بمجامع له، و هو الخلوص إلى البارى.

كان لمؤلفات هذا الفيلسوف المغمور، فى حقه ما قبل الحكم الصفوى فى إيران الدور نفسه الذى لمؤلفات الملا صدر الدين الشيرازى فيما بعد و لا- يمكن للباحث أن يفهم العديد من التصانيف الإسلاميه الشيعيه فى العهد الصفوى إلا بالرجوع إلى الآملى. و ظهر الآملى فى الحقبة الثالثه الممتده من نصير الدين الطوسى، حتى النهضه الصفويه فى إيران، و صبغت هذه المرحله الشديده الخصوبه بتأثير ابن عربى (٦٢٨ [٦٣٨] هـ ١٢٤٠ م) على الفكر الشيعى و أحصى الباحث عثمان يحيى أكثر من مائه و خمسين شرحا لكتاب "فصوص الحكم" لابن عربى منها ثلاثون شرحا ليرانيين.

و شرح للآملى: "نص النصوص فى شرح الفصوص". و أدى هذا الشرح و سائر كتب الآملى إلى إدماج آراء ابن عربى الصوفيه

فى ثنايا الفكر الشيعى الاثنى عشرى. و قدم حيدر الآملى بتمثله نظريه ابن عربى صياغه توليفيه تجمع منهج الذوق و الحدس إلى منهج النظر و البرهان. و توحيد بين التنزيل و التأويل، و بين الشريعه و الحقيقه. و تتجلى سمات هذه التوفيقه فى كتاب "جامع الأسرار و منبع الأنوار" و اشتهر بهذا الكتاب حتى أن معظم المصنفين كانوا يلقبونه بصاحب جامع الأسرار. و هو محصله الأصول و العقائد الجامعه بين طائفتى الشيعه و الصوفيه. و بكلام أدق، هو محاوله لربط التصوف و العلوم الكشفيه بالتراث الشيعى الإمام أى بالمورد و الأصل و الأساس. فالطائفتان فى رأيه على خلاف "مع أن ماخذهم واحد، و مشربهم واحد، و مرجعهم إلى واحد"^(٤). و يرى إلى أن نسبه الصوفيه إلى الشيعه كنسبه الظاهر إلى الباطن، أو ما يسميه الشريعه إلى الحقيقه. و الآملى بتنكبه أمر الصوفيه إنما يأخذ بيد الشيعه الاماميه الاثنى عشريه لتستدرك ما فاتها من حقائق الصوفيه المحتجبه عن بعض الأذهان. و يكشف من جهه أخرى، للمتصوفه عن تصوراتهم الباطله، أو قصورهم فى الوصول إلى حقيقه الأئمه المعصومين و دورهم. و كتابه "جامع الأسرار..." يتوسل بالبرهان العقلى و الدليل النقلى ليبين أن جماعه الصوفيه هم الشيعه الحقيقون و المؤمنون الممتحنون" و حمله الأسرار الالهيه و حفظتها. و اسم الشيعه شامل لكل: أهل الظاهر و أهل الباطن.

و ما المؤمن الذى امتحن آ [الله] قلبه للايمان فى سياق الحديث المأثور عن الأئمه^(٥) الا صنف خاص من الشيعه هم الصوفيون القائمون بباطن علوم الأئمه. أما المؤمن دون وصف، فهو الشيعى مطلقا القائم بظاهر علومهم و الصوفيه على طريقه أهل السنه و إن كانوا فرقا كثيره لكن الفرقه الحقه، هى الفرقه الموصوفه بهذه .

ص: ١٥١

١- المقدمه العربيه لكتاب "جامع الأسرار" لعثمان يحيى ص ٤٢-٤٤.

٢- "كتابات معاصره": دلالات ميتولوجيه برسم الأنتربولوجيا: أحمد زين الدين. العدد

٣- ص ١٢٥-١٢٦.

٤- جامع، ص ٤.

٥- "أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن آ [الله] قلبه للايمان".

الأوصاف، أى بحمل أسرارهم. على ما ينبغى.

و يصف الطائفتين بأنهما حاملتا أسرار الأنبياء و الأولياء ظاهرا و باطنا "فالشيعة قاموا بحمل أحكامهم و أسرارهم بحسب الظاهر و الشريعة، و الصوفيه قاموا بحمل أسرارهم و حقائقهم بحسب الباطن و الحقيقه"⁽¹⁾. فكان الشيعة هم ظاهر الصوفيه و الصوفيه هم باطن الشيعة. و بهذا "كمال الشريعة التى لا- تقوم إلا على الوجهين معا. و كل واحد منهما يحتاج إلى الآخر، و إن لم يعرف صاحبه، لأن كل ظاهر أن لم يكن مستندا إلى الباطن فهو كفر، و كل باطن إن لم يكن متمسكا بالظاهر فهو زندقه. أما مقام الكاتب فهو الجمع بين المقامين، أى ما يسميه المقام المحمدى.

و ما دام أقطاب الصوفيه فى رأى الآملى يسندون علومهم و طريقتهم إلى الأئمه المعصومين، فلا- ينبغى أن يحكم أحد (من الشيعة) ببطلان مذهبهم و اعتقادهم. فالقرايه الشيعيه الصوفيه تقوم إذن على وحده الاسناد بين الاثنيين، أول ما يسمى بمصطلح الحدائث "السلطه المرجعيه الواحده" و الولايه الصوفيه مؤسسها على الولايه/الامامه عند الشيعة.

اختط الآملى فى كتاباته طريقا كانت معبده من قبل، هى طريق التوحيد بين منهجى الظاهر و الباطن أو النظر و الذوق. و كان سبقه السهروردى فى القرن الرابع، إلى القضاء على هذا الفصم المنهجى بحسب تعبير الدكتور حسن حنفى، فوحد بين حكمه الفلاسفه و كشف الصوفيه فى منهج واحد، هو الذى عرضه فى حكمه الإشراق و تنازع هذان المنهجان معا الحضاره الإسلاميه. و كل منهما يود أن يعتبر نفسه ممثلا لها و معبرا عن جوهرها⁽²⁾.

و الآملى عاش عصرا ترسخت فيه أصول التصوف على أيدي ابن عربى و مردييه و أتباعه، و لمعت أسماء ابن الفارض و البسطامى و الحلاج و الجنيد و الشبلبى و ابن سبعين، و اكتمل أيضا عقد علم الكلام و الفلسفه بمجهودات ابن سينا و ابن رشد.

ما هو جديد الآملى إذن؟

التوفيقى

الخصوصيه الآمليه هى فى هذا النهج التوفيقى بالذات بين منهج الاستدلال النظرى و البرهانى و منهج الحدس و الرؤيه الباطنيه و المكاشفه، مطبقا لأول مره على صلب عقيدته الشيعيه الاماميه الاثنى عشرية. فالسهروردى و إن أرجع أصول التصوف على غرار جميع المتصوفه، و خاصه ابن عربى إلى الامام على، إنما فعل من باب العرف و الاشتمال و العموم. دون أن يخوض فى التفاصيل و الخصوصيات. هذا الحقل الفارغ هو الذى تحرك داخله الآملى مستفيدا من تراث أسلافه المتصوفه و مع إقراره بفضل هؤلاء و أسبقيتهم، كان أمينا على أصول التراث الشيعى، و بالتحديد على المنظومه الكلاميه الشيعيه المتمثله باعمال الطوسى و ابن بابويه و ابن مطهر الحلى و الشيخ المفيد، و آرائهم فى الذات و الصفات و الجبر و التفويض، و فى التقيه و العصمه. كما هو أمين على أصول التراث الصوفى و تصوراته و مصطلحاته. و حريص على الأخذ بالروايات و الأخبار الشيعيه و الصوفيه التى لم يأخذ بها أصحاب المنهج الذوقى إذ اكتفوا بالقلب أو الحدس معينا يستقون منه العلم مباشره. دون حاجه إلى روايه أو نقل و على رأسهم ابن عربى الذى صاغ لازمه تشابه فى الظاهر اللازمه الروائيه قائلا: "عن قلبى عن ربي أنه قال".

و إذ سبق الاسماعيليون الآملى فى التنظير للولاية و النبوه، و هما الموضوعان الأساسيان اللذان دار عليهما كلامه و كلامهم، فان مهمه الآملى كانت عسيره و مزدوجه فهو من طرف، عليه المنافحه عن المتصوفه أمام الشيعة الاثنى عشرية الذين لا يقرون بصحة عقيدتهم، و يتهمونهم بالكفر و الزندقه، و هو من طرف آخر، مضطر أثناء مقاربتة أصول الطائفة المتصوفه و بيان وجوه الشبه، أو الأخرى مناحى التكامل بين الطائفتين، إلى أن يبينه أو يزيل التأويلات الخاطئه لدى الإسماعيليين و الزيدية و سائر الغلاة. و التى ينسبها عدد من المتصوفه و المسلمين إلى الشيعة الاماميه. و هذه المهمه المزدوجه هى التى تمنح كتابات الآملى سمه متفرده خاصة حتى ليعد صاحب السبق فى بناء نظريه صوفيه شيعيه على يدى اثنى عشرى.

كذلك كان عليه أن يرد على خروج بعض أقطاب التصوف عن المفاهيم الشيعيه، خاصة على أستاذه ابن عربى فى مسأله الولاية المطلقة و الولاية المقيدة، التى سنتناولها فيما بعد. معلنا فى خاتمه كتابه "جامع الأسرار.." " أن الغرض من الكتاب بل وصيته الشخصيه (٣) " أن يصير الشيعة صوفيه و الصوفيه شيعيه (٤) رغم صعوبه الأمر و خطورته.

إذن نسبه المتصوفه إلى الشيعة لم يكن أمرا بديها فى الأذهان، إلا فى وقت متأخر. و لو كانت هذه النسبه معروفه تفاصيلها و دقائقها على الأقل. إلا- ما كان شائعا و متداولاً عن أسناد الخرقه الصوفيه إلى الامام على، لما تصدق الآملى لكتابه "جامع الأسرار..." مدفوعاً بحافز التوفيق بين الطائفتين و المنافحه عن الصوفيه أمام الشيعة، و عن الشيعة أمام الصوفيه. متجشماً عناء البحث و التنقيب لإبراز وحده المنبع و المصدر و الهدف. ١.

ص: ١٥٢

- ١- جامع، ص ٥١٥.
- ٢- حكمه الاستحراق و الفينومينولوجيا: الدكتور حسن حنفى ص ١٧٢، من ضمن "الكتاب التذكارى": شهاب الدين السهروردي.
- ٣- سمى الخاتمه "الوصيه" و فى هذا دلالة تغنى عن أى شرح.
- ٤- جامع، ص ٦١١.

"جامع الأسرار..." هو بحث فى عمق الصله بين الاثنين، و فى الأسانيد الواحده الموحده. و أول هذه الأسانيد هو أن الصوفيه "الحقه" وفق وصفه، ينسبون خرقتهم إلى الامام على و أولاده و أولاد أولاده. أما الامام فاورثها لتلميذه كميل بن زياد النخعي ثم الحسن البصرى فالصادق ثم إلى أولاده المعصومين واحدا بعد آخر، وصولا إلى صاحب الزمان المهدي المنتظر الذى يضمه الآملى إلى مذهب الصوفيه "فهو الآن على مذهبهم موجود" و هو قطب الوجود و إمام الوقت، و صاحب الزمان" (١).

و ثمه غير حيدر الآملى من يؤصل لسلسله لباس الخرقه الصوفيه فيرفعها إلى النبى أو جبريل أو حتى الله تعالى (٢).

و الخرقه تعتبر رمزا للتخلّى و الفقر و اعتزال الدنيا و يرى المستشرق غولد تسيهر فى كتابه "العقيد و الشريعه" بوحي من ربطه التصوف بتأثيرات هنديه " أن الخرقه رمز للاندماج فى الجماعه الصوفيه، تشبه طريقه الاندماج فى جماعه "البيكشو" الهنديه التى تتم بتسليم الثوب و معرفه القواعد و الآداب التى يتحتم على المرید اتباعها" (٣).

بيد أن الآملى الذى لا يساوره أدنى شك فى إسناد أصل الخرقه و أصول الصوفيه إلى أمير المؤمنين بترتيب معين، يضعف خبر العوام عن رفع الخرقه إلى الله جل شاناه. و يرى أن ما هو موسوم بالخرقه الصوفيه عند العامه ليس فى حقيقه الأمر إلا- "سر الولايه" عند الخواص. و علاقته الخرقه الصوريه [الصوفيه] المسماه فى الفارسيه "هزار ميخ" بسر الولايه، ليست إلا علاقته مجازيه لتفهيم أهل الظاهر و أهل الصوره.

رتب الآملى كتابه على ثلاثه أصول و اثنتى عشره قاعده.

و جعل كل أصل مشتملا على أربع قواعد. و فى هذا الترتيب سر للخواص. و هذا السر يدور حول رمزيه العدد (١٢) تماما، كما كان حاله مع تأويل القرآن سباعيا بمقتضى الحديث الوارد "إن للقرآن ظهرا و بطنا، إلى سبعة أبطن".

يرى الآملى أن أولى الخطوات فى طريق العرفان كتمان سر الربوبيه. لأنه جل جلاله لم يودع الأمانه إلا عند أهلها، و لم يأذن بها إلا إلى صاحبها فالتقيه الشائعه عند الشيعه، عدم إفشاء أصول المذهب تتخذ لديه معنى باطنيا فتصبح حفظا للأسرار الربانيه، و صوتا لها من عبث الجهله. أما التقيه بمعناها الظاهري المتداول فهى إن كانت كتمانا لعلوم الشريعه، و إخفاء لأصولها، كانت كفرا. بل إشهارها أولى و القيام بها أوجب. و إذ يشتمل كتابه على بحث التوحيد و توابعه و لوازمه دون سواه فباعباره سر الأسرار أو السر الأعظم. و فى هذا المقام يرى "أن الوجود كله واقع على التوحيد، مشتمل على مراتبه و أن جميع الموجودات مجبوله عليه، مخلوقه لأجله، و أن جميع الأنبياء و الأولياء (ع) ما بعثوا إلا لإظهاره و دعوه الخلق إليه. و أن مدار جميع الكمالات و أساس جميع المقامات - ظاهرا و باطنا - منوطه به و بمراتبه، و أن علمه خلاصه العلوم كلها من الرسميه و الحقيقه، و أنه أصل الدين و الإسلام، و سبب الجنه و النار" (٤).

و بما أن القاعده الأولى هى بداهه التوحيد، فان تعريفه و هو مدار القاعده الثانيه، يصطدم بصعوبه التعبير عنه بعباره أو تعريفه باشاره. فالعباره فى طريق معرفته حجاب، و الإشاره على وجه إشراقه نقاب.

يلزم عن هذه الصعوبه، صعوبه أخرى هى اختلاف العلماء على تقسيم التوحيد إلى أقسام و مراتب و فروع. و التقسيم (و هو القاعده الثالثه فى الأصل) إن كثر بحسب العباره و اعتباراتها، و طال بسبب الإشارات و اختلافاتها، راجع إلى قسمين: التوحيد

الألوهى، أى توحيد العوام (الظاهر) و التوحيد الوجودى، أى توحيد الخاصه (الباطن). و إليهما يضيف توحيداً ثالثاً هو توحيد الحق ذاته بذاته، دون أن يزيد لأن غرضه فى بيان التوحيد، هو التوحيد المخصوص بالعباد و السالكين. و بإزاء التوحيد الألوهى يضع الشرك الجلى، و يقابل بين التوحيد الوجودى و الشرك الخفى.

و يسهب الأملى فى شرح القاعده الرابعه من الأصل الأول، و هى تشتمل على كيفية التوحيد و تفصيله، و على معرفه الذات و الصفات و الأفعال، و بيان الفواعل التى هى الأسماء، و القوابل التى هى المظاهر، و بيان السعاده و الشقاوه فى الدارين، و عدا ذلك من الأسرار.

و هو إذ يبين وجوه التوحيد، يدير الكلام على التوحيد الوجودى دون التوحيد الألوهى لينبه الأذهان إلى ما يخالط الأول من مفاسد و مهالك و إفراط و تفريط، ليس أقلها الإباحه و الحلول و الاتحاد و التعطيل و التشبيه و الكفر و الزندقه و الإلحاد.

و بعد أن يعرف التوحيد الذاتى (الذات) و الصفاتى (الصفات) يعرج على التوحيد الفعلى (الأفعال). و بما أن فعل آ [الله] تعالى و توحيد الأفعالى، أى ما يسميه التنزل من حضره الذات إلى حضره الأسماء و الصفات، صدور الموجودات عنه، فإنه ظهر أولاً بصوره الحقيقه الكليه المسماه "بالإنسان الكبير" المخلوق على صورته. و هو "آدم الحقيقى" مقابل "آدم الصورى" و هذه الحقيقه ذات أسماء كثيره بحسب اعتباراتها منها: النور و الهباء و الماده ٠.

ص: ١٥٣

١- نفسه: ص ٢٢٣.

٢- نذكر ابن أبى الحديد و ابن مظهر [مطهر] الحلى و محمد باقر الخوانسارى و ابن أبى جمهور الأحسائى و ابن ميثم البحرانى.

٣- العقيد و الشريعة: غولد تسيهر ص ١٤٦.

٤- جامع، ص ٤٩-٥٠.

الأولى و العقل الأول و الروح و القلم. ثم ظهر تعالى بصوره حقيقه أخرى هي النفس المسماه "حواء الحقيقه" إزاء "حواء الصوريه".

و هي أيضا ذات أسماء كثيره منها النفس الكليه و اللوح المحفوظ و الكتاب المبين. و عدا ذلك من الأسماء بحسب اعتباراتها أيضا(1).

ثم ظهر بواسطه هاتين الحقيقتين بصوره كل موجود فى الوجود من العقول و النفوس و الأفلاك و الاجرام و العناصر و المواليده. فا [فالله] بحسب حديث قدسى ينقله الآملى عن المتصوفه، الذين يشتهرون بترداده:

"كان كنترا مخفيا، فأحب أن يعرف فخلق الخلق" (2). و الكثر المخفى فى التعريف الصوفى هو الهويه الأحديه المكونه فى الغيب، و هو أبطن كل باطن(3) أما اصطلاح "الإنسان الكبير" فهو و إن كان من مفردات الصوفيه و الغنوصيه من قبل، فى حقيقه الأمر ذو جذور دينيه آريه قديمه. فى الميثولوجيه الإيرانيه كيومرث < > . فى الاستاق: "كيا - مرتن) و الفكره الفيدياويه (الهنديه) المناظره له هي الإنسان الأول الكونى "بوروسا" و فى الصين هو "بان - كو" و أبدع الغنوص اليهودى (القبالا) فكره "آدم علائى" أو "آدم قذمون" على أنه "عين الوجود" و تطورت فكره الإنسان الأول فى الفلسفه اليونانيه المتاخره إلى نظريه "اللوغوس" أو "كلمه آ [الله]" الحيه. و فى المسيحيه ظهرت. فكر يسوع "آدم الجديد" (4).

"الإنسان الكبير" كما يعرفه الآملى فى كتابه الآخر "رساله نقد النقود فى معرفه الوجود" هو الإنسان الحقيقى، القائم به الوجود. و الإنسان الكبير لآدم و ذريته هو كآدم لذريته. أى كما كانت ذرات أولاد لآدم فى ظهره بالقوه، و كما ظهرت تلك الذرات من صلبه بواسطه نكاحه الصورى لحواء و وصوله إليها، كذلك ظهرت تلك الذرات من صلب "الإنسان الكبير" بواسطه نكاحه المعنوى للنفس الكليه و وصوله إليها(5).

يتاصل هذا التصور فى أعماق عقيدته الغنوصيين حول نشاه الكون من سلسله متعاقبه من أزواج روحيه ذكريه و أنثويه. تبدأ بالزوج الأول (الذكر) و اللوغوس أو الكلمه (الأنثى) و تتدرج عبر توالد أزواج أخرى حتى يكتمل بناء الكون(6).

غير أن المصطلح يغتنى هنا بمدلولات جديده مشبعه بالمضمون الفلسفى الإسلامى المتهلين، مثل الظهور بالقوه و الممكن و النفس الكليه. أى بمدلولات متحلله من رموزها و علائقها و ارتباطاتها الأحيائيه القديمه، و منبعته من خلال مركب تخيلى و روحى و عقلى. و هذا التصور عينه لفكره الخلق، اتخذ فى القرن السابع عشر فى أوروبا سمات "شبه بيولوجيه و علميه". إذ كان العالم الطبيعى الهولندى شوامردام (١٦٣٧ - ١٦٨٠) يتصور أن جراثيم جميع البشر الممكنين فى كل الأزمان منذ بدء الخليقه حتى الآن، موجوده فى صلب آدم أو فى حقه حواء. و كى ينتج الشبيهه شبيهه دائما، و يستمر النوع من خلال التعاقب، يجب أن تخلق جراثيم الأفراد التى تشكل النوع دفعه واحده فى صورته نهائيه، وفقا للنموذج نفسه(7).

و فى سياق نظريته يرى الآملى أن ظهور الحق (الله) فى صور الموجودات هو بعينه ظهور الواحد فى صور الأعداد. و الواحد ذو خواص يشابه الحق بها، لذلك يعطى وجود كل عدد و اسمه فى ظهوره بصورته. كذلك الحق يعطى وجود كل موجود و اسمه فى ظهوره بصورته. و من تكرار الواحد ينشأ العدد، كذلك من فيض البارى تنشأ الخلائق و كما أن الاثنين أول عدد ينشأ من

تكرار الواحد، كذلك العقل الأول موجود فاض من وجود الباري ثم تسلسلت الفيوضات: النفس من الثلاثة و الطيبه من الأربعة و الهولى من الخمسه و الجسم من الستة و الفلك من السبعه و الأركان من الثمانيه و المولدات من التسعه، و من العشرات المعادن و منه المثات النبات و من الألوف الحيوان.

و فى جوابه عن حكمه تخصيص الشيعه أئمتهم باثنى عشر، يرى الآملى أن قوام الوجود و أنواع الموجودات و أجناسها، تقع بحسب طبيعه العدد و المقدار. و من حكمه البارى أن تكون الأشياء كلها على ما هى عليه من الأعداد و المقادير. و فى نظر أرباب التحقيق (المتصوفه) إن المطابقه قائمه بين عالم المعنى و عالم الصوره. و حتى تكون المطابقه صحيحه وجدوا خصوصيه فى العدد اثنى عشر. و هو أنه يمثل بروج الفلك الاثنى عشر (8) و من خصوصيه هذا العدد أيضا أن الأئمه و الأوصياء فى جميع الأزمان لا يزيدون و لا ينقصون عن اثنى عشر عددا.

و العدد اثنا عشر كما دلت عليه الدراسات الأناسيه المعاصره ذو مدلول مقدس فى المنظومه الرمزيه للأعداد، و غالبا يكون ذا خواص خفيه و سحريه. مثله مثل العدد سبعة و العدد أربعين.

و كانت بلاد ما بين النهرين تخصص بالآلهه بعض الأرقام المقدسه.

و عموما كان انتظام الخلق و المخلوقات على مدرج عددى، و هو ما يأخذ به الآملى من تصور فيثاغورى (9) و عكف بعض المعاصرين الشيعه (الدكتور أبو زهراء النجدى) على الوجه الاعجازى العددى فى القرآن الكريم فاحصى فعل يعصم و مشتقاته اثنتى عشره مره.

و هو عدد يطابق عدد الأئمه المعصومين. ٤.

ص: ١٥٤

١- نفسه، ص ١١٤-١٤٥.

٢- بذكره [يذكره] ابن خلدون فى مقدمته: ص ٤٧١.

٣- معجم المصطلحات الصوفيه. الدكتور عبد المنعم الحفنى ص ٢٢٦.

٤- "كتابات معاصره". " دلالات ميتولوجيه برسم الأنثربولوجيا: أحمد زين الدين. العدد (١١) ص ١٢٠.

٥- نقد النقود: ملحق بجامع الأسرار: ص ٩٦٢.

٦- . ٤٦-٧. Lagnose.parH.Leisegange.P.

٧- منطق العالم الحى: فرنسوا جاكوب، ترجمه على حرب ص ٦٢-٦٤.

٨- منطق العالم الحى: فرنسوا جاكوب، ترجمه على حرب ص ٦٢-٦٤.

٩- على حرب ص ٦٣-٦٤.

أما عن لزوم العصمه عند الأئمه، فيرى فيه صاحب "جامع الأسرار" ضروره من ضرورات عله تكليفهم لأنهم لو لم يكونوا معصومين من فعل المقابح والمعاصي. لما أمن الناس مفسدتهم و فسقهم أو اتهامهم بفعالها. و لكانوا هم (الأئمه) أحوج إلى اللطف من الناس، و لم يقبل الناس قولهم و لم يطاوعوهم فكانوا مخلين بالواجب.

و في مقابل قول الآملي بالعصمه، آثر أقرانه من المتصوفه السنيين استخدام عباره "الحفظ" بدل "العصمه". فقالوا إن الأنبياء معصومون و الأولياء محفوظون. و الفرق بين المحفوظ و المعصوم، أن هذا لا يلم بذنب البته، و المحفوظ قد تحصل منه هنات، و قد يكون له في الندره زلات و لكن يكون له أسرار. كما بين القشيري في "لطائف الإشارات" لكنه في موضع آخر لا يلبث أن يستدرك قائلا: "اعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء التوفيق للطاعات و العصمه من المعاصي و المخالفات" (١).

و في مسأله القضاء و القدر يفترق الآملي عن بعض المتصوفه السنيين فيأخذ بالفكره الاماميه الاثني عشرية "لا جبر و لا تفويض" أي أن جميع الأفعال صادره عن الله تعالى، لكن كل فعل منسوب إلى محله الخاص (الصادر منه ذلك الفعل) و فعل العبد منسوب إليه (٢)، حين راعى بعض المتصوفه من السنه الموقوف الأشعري فأبطل القول "بخلق الأفعال" و أخذ بموقف الجبر فنسب جميع الأفعال القبيحه و الحسنه إلى الله تعالى (٣).

و يرى الآملي إلى أن هذا الفهم يبطل الثواب و العقاب و الجنه و النار. و الآملي يتحاشى في هذا المقام، أن يذهب مذهب غيره من المتصوفه الذين يسقطون التكليف و الفروض الدينيه عن أنفسهم. و يرون فيها معنى رمزيا و باطنيا منزها عن الحسى.

و في ما يسميه الآملي الأصل الثاني يقصر حديثه على الاستشهاد بكلام الله تعالى و كلام الأنبياء و كلام الأولياء و كلام العلماء و هو أقصر فصول كتابه "جامع الأسرار".

أما في الأصل الثالث و الأخير فيتناول الآملي في القاعده الأولى الفروق ما بين الشريعه و الطريقه و الحقيقه. و في نظره أنها "أسماء مترادفه صادقه على حقيقه واحده باعتبارات مختلفه (٤) و الشريعه اسم موضوع للسبل الالهيه، مشتمل على أصولها و فروعها، و رخصها و عزائمها، و حسنها و أحسنها. و الطريقه هي الأخذ باحوطها و أحسنها و أقومها. و كل مسلك يسلك الإنسان أحسنه و أقومه يسمى طريقه، قولاً كان أم فعلاً أم صفه أم حالاً.

و أما الحقيقه، فهي إثبات الشئ كشافاً أو عياناً أو حاله أو وجدانا.

و لهذا قيل: "الشريعه أن تعبد، و الطريقه أن تحضره، و الحقيقه أن تشهد" (٥) فالشريعه تختص بالأقوال و الطريقه بالأفعال و الحقيقه بالأحوال.

و الشرع في رأى الآملي، هو غير الشريعه، بل هو شامل لكل "لأن الشرع كاللوزه الكامله المشتمله على اللب و الدهن و القشر. فاللوزه بأسرها كالشريعه، و اللب كالطريقه و الدهن كالحقيقه (٦).

و هذه الثمره التي يمثل بها الآملي طبقات الشرع، هي من الدلالات الرمزيه على الأساسى و الجوهرى المحتجب داخل قشرته الخارجيه الصلبه. و اقتبست الصوفيه اليهوديه (الحاسيديه و القابالا) متأخره هذا الرمز، بعد أن استبدلت به الجوزه لتطلقه على

كلام التوراه. لأن كل كلمه تدل على معنى يزداد عمقا. كلما ابتعدنا عن ظاهر معناها. و من طريق المشابهه سميت حلقه المتصوفين) " بنواه الجوزه" (٧).

هذه المراتب الثلاث التي يصنفها الآملى مقتضيات مراتب أخرى، هي مثابه الأصل لها. فالشريعة من اقتضاء رساله، و الطريقه من اقتضاء النبوه، و الحقيقه من اقتضاء الولايه. و المسلم الحقيقى فى نظره، من يقوم بالأركان الثلاثه و رعايه حقوقها.

" و حقيقه الشرع فى جميع الأزمنه و الأمكنه كانت واحده، و كانت منزهه عن الاختلاف و التغير، و إن كانت مختلفه الأوضاع و الأحكام بحسب المراتب و الأشخاص" (٨).

الشرع إذن فى رأى الآملى اسم جامع للمراتب كلها. و إذا كانت المرتبه الأولى للعوام فالثانيه للخواص و الثالثه لخاصه الخواص. و يقيس على هذه المراتب الإسلام و الايمان و الإيقان (اليقين). كذلك الوحي و الإلهام و الكشف، ثم الأقوال و الأفعال و الأحوال. و حيث لا يجوز فى رأيه إنكار الشريعة التى هى مرتبه من مراتب الأنبياء، كذلك لا يجوز إنكار الطريقه التى هى مرتبه من مراتبهم و درجه من درجاتهم. و كذلك الحقيقه التى هى أعلى منها شرفا و مرتبه. و من يقوم بأداء هذه المراتب مجتمعه أو منفرده، هو على طريق قويم و دين مستقيم.

تعريف

و فى ضوء تقسيمه الثلاثى، يفصل الآملى فى القاعده الثانيه

ص: ١٥٥

١- الجزء الثانى ذكره الدكتور محمد عابد الجابرى فى "بنيه العقل العربى"، الطبعة المغربيه ص ٢٦١.

٢- جامع، ص ١٤٧-١٥٠.

٣- بنيه العقل العربى: ص ٢٦٤.

٤- جامع، ص ٢٤٤.

٥- جامع، ص ٢٤٤.

٦- . La Kabbale et sa symbolique, Par G.Gscholem, P٦٧, ١٠١.

٧- جامع، ص ٢٤٨.

٨- معجم اللاهوت الكتابى: ص ٥٢٩-٥٣٢.

القول عن النبوه و الرساله و الولايه. فيعرف النبوه بأنها الأخبار عن الحقائق الالهيه، أى معرفه ذات الحق تعالى و أسمائه و صفاته و أحكامه. و هى على قسمين: نبوه التعريف و نبوه التشريع. أما الأولى فهى الأنبياء عن معرفه الذات و الأسماء و الصفات. و الثانيه جميع ذلك، مع تبليغ الأحكام و التأديب بالأخلاق و التعليم بالحكمه و القيام بالسياسه. و تختص هذه النبوه بالرساله. و النبوه إما مقيده، و هو ما تقدم تعريفه، و إما مطلقه و هى النبوه الأصليه الحقيقه الحاصله منذ الأزل و الباقيه إلى الأبد. و صاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفه الأعظم و قطب الأقطاب و آدم الحقيقى و غير ذلك.

أما الولايه فهى قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه " و ذلك بتولى الحق إياه " حتى يبلغه غايه القرب و التمكين "(1).

و للولايه أيضا اعتباران: الإطلاق و التقييد أو العام و الخاص.

و الولايه مقيده أو خاصه، من حيث استنادها إلى الأنبياء و الأولياء.

و الولايه المطلقه بهذا المعنى باقيه أبدا، بينما الرساله و النبوه التشريعيه تنقطعان بانقطاع النشأه الدينيه. و هذه الولايه المطلقه ثابتة للحقيقه المحمديه بالأصالة.

و هو القائل

"كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين" . و لأمير المؤمنين بالوراثه و بعده لأولاده المعصومين.

و كما أن خاتم النبوه لا يكون إلا واحدا هو النبى محمد (ص) كذلك خاتم الولايه المطلقه هو الامام على، بينما خاتم الولايه المقيده لمهدى آخر الزمان.

يتوخى الآملى فى كلامه هذا تأسيس الرساله على النبوه و تاليا على الولايه (نبوه المعرفه و الإلهام و العرفان) تماما كما فعل قبلا أستاذه ابن عربى. و كما قسم بنفسه النبوه إلى مقيده و مطلقه، ليرك للولايه. "حكم الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" (فى فتوحاته" فى أكثر من موضع و إشاره) و الولايه لما تنقطع بل هى مستمره فى شخص الأولياء.

و الشخص الذى تكون له النبوه يكون نبيا، و كذا الرساله تكون للرسول و الولايه للولى. ثم إن كل رسول يكون نبيا، و لا يكون كل نبى رسولا (مثل أنبياء العهد القديم). كما أن كل نبى يكون وليا، و لا يكون كل ولى نبيا. و لا يكون نبيا إلا و تكون ولايته مقدمه على نبوته، كما لا- يكون رسولا- إلا- و تكون نبوته مقدمه على رسالته. فالولايه كما يصفها الآملى باطن النبوه، و النبوه باطن الرساله. و كل واحده منهما أشرف و أعظم من الأخرى (2) فمرتبته الولايه أعظم من مرتبه النبوه، و مرتبه النبوه أعظم من مرتبه الرساله. و المراد أن مرتبه الرساله دون مرتبه النبوه، و مرتبه النبوه دون مرتبه الولايه، كما أن الشريعه دون الطريقه و الطريقه دون الحقيقه.

فروق

لكن الآملى ينبه "إن الولايه و إن كانت فى الحقيقه أعظم من النبوه، و النبوه أعظم من الرساله، لكن ليس الولى أعظم من النبى.

ولا- النبي أعظم من الرسول. لأن للنبي مرتبه الولاية، و فوقها مرتبه النبوه، و كذلك للرسول مرتبتان الرساله و النبوه فلا تحصل المساواه بينهم أصلا. و المراد بان الولاية أعظم من النبوه، هو أن طرف الولاية فى الشخص المعين يكون أعظم من طرف نبوته، و طرف نبوته أعظم من طرف رسالته. و النبوه بالنسبه إلى الرساله كذلك. مثل نبينا (ص) فإنه كان وليا و نبيا و رسولا، و كان طرف ولايته أعظم من طرف نبوته، و طرف نبوته أعظم من طرف رسالته. و كذلك جميع الرسل " (٣).

يحاول الآملى فى التفاتته إلى الفروق الدقيقه بين الولاية و النبوه، و إيضاحه معنى امتياز الولاية على النبوه، قطع الطريق على فئتين من الناس: إحداهما المتصوفه من السنه الذين كانوا يرون أن الشيعة يفضلون الولاية على النبوه، أو على الأقل يساوون أو يطابقون بين المقامين. و الفئه الأخرى فريق من الحشويه أو من مجسمه أهل خراسان يقولون إن الأولياء أفضل من الأنبياء (٤) كذلك كثير من الغلاه و الباطنيين.

و برغم أن الآملى يرجع فى تقسيمه بين النبوه و الولاية إلى ابن عربى الذى يلقبه بالشيخ الكامل، إلا أنه و هو الحريص على ربط التصوف بأصوله الشيعيه الاثنى عشرية، بنقض أقوال أستاذه محيى الدين بن عربى فى مسأله الشخصين اللذين يقومان مقامى الولاية المقيده و الولاية المطلقه. أما الأولى فيعقد ابن عربى لواءها لشخصه. و الثانيه بنسبها إلى عيسى بن مريم (ع). و هو فى رأيه الولي بالنبوه المطلقه فى زمان هذه الأمم، حيل بينه و بين نبوه التشريع و الرساله فينزل آخر الزمان وارثا خاتما... لا ولى بعده.

فى حين يرى الآملى أن الامام على هو ولى مطلق و خاتم الأولياء باسرههم، و ما ظهر ولى بعده إلا و كان مظهرا من مظاهره و خليفه من خلفائه. و الولاية المطلقه المخصوصه بعلى كانت ساريه فى جميع الأنبياء سرا، حتى ظهر الرسول إلى عالم الشهاده

ص: ١٥٦

١- نفسه، ص ٢٧٩.

٢- نفسه، ص ٢٨٥.

٣- نفسه، ص ٢٨٧.

٤- بنيه العقل العربى.

جهرًا و ظهر على معه كذلك (١) و هو الذى أخبر على مثال

خبر الرسول: "كنت وليا و آدم بين الماء و الطين". و إذ ينسب ابن عربى هذه الروايه إلى عيسى، يردّها الآملى إلى الامام على. و ينعتّه بأنه أعلم من عيسى بعلوم القرآن و بأسرار النبى. (٢)

و ينقل روايات تساوى بين الامام و اثنى عشر نبيا، و يفضله على أولى العزم من الرسل. و يبين بالأدله النقليه و العقليه أن حقيقته و حقيقه النبى واحده. بل هو يهزأ فى موضع ما بادعاء ابن عربى أن كتابه "فصوص الحكيم" (سبق أن شرحه الآملى) أعطاه إياه النبى فى النوم، و هو ينقل عنه بلا زياده و لا نقصان "و حاشى أن يأمر النبى بأمثال ذلك". (٣)

أما الولايه المقيده التى ينسبها ابن عربى إلى نفسه، فيردّها الآملى للمهدى. فهو أحق من غيره لأنها ختم الولايه المحمديه التى تحصل من الإرث المحمدي، لا-الولايه التى تحصل من سائر الأنبياء. إلا أن الآملى لا يغط شيخه حقه فيرى أنه "و إن كان ناقصا فى هذا الموضوع فهو كان كاملا فى غيره". (٤)

فى الفصل الثالث و الأخير يتناول الآملى مسأله الوحى و الإلهام و الكشف، فيرى أن الوحى يكون خاصا و عاما و الخاص يكون بواسطه الملك و هو مخصوص بالرسل و أولى العزم و يسميه الوحى الجلى. و الذى يكون بغير واسطه هو خاص بالأنبياء (الوحى [الوحى] الخفى).

أما الوحى العام فمشارك بين الحيوانات و الجمادات و الإنسان و الشياطين.

و الإلهام يقسمه أيضا إلى خاص و عام فالخاص مخصوص بالأولياء و الأوصياء، يكون بواسطه و غير واسطه. فالذى بالواسطه يكون بصوت خارج عن الشخص، يسمعه و يفهم منه المعنى المقصود. و الإلهام بغير واسطه يكون بقذف المعانى و الحقائق فى قلوب الأولياء دفعه أو تدريجا. (٥)

أما الإلهام العام فيكون بسبب أو بدونه، و يكون حقيقيا و غير حقيقى. فالذى يكون بسبب و يكون حقيقيا هو بتسويه النفس و تحليلها بالأخلاق المرضيه و الأوصاف الحميده موافقا للشرع و مطابقا للإسلام: و الذى يكون بغير سبب و يكون غير حقيقى يكون لخواص النفوس و اقتضاء الولاده و البلدان كما يحصل للبراهمه و الرهبان. "و لهذا احتجنا بعد الأنبياء و الرسل إلى الامام و المرشد للتمييز بين الالهامين الحقيقى و غير الحقيقى، و بين خاطر الالهى الرحمانى و خاطر الشيطانى النفسانى". (٦)

أما الكشف للأنبياء، و الأولياء فداخل تحت الوحى و الإلهام. و الكشف اصطلاحا "هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعانى الغيبيه و الأمور الحقيقه، وجودا أو شهودا. و هو معنوى و صورى. و يعنى بالصورى ما يحصل فى المثال من طريق الحواس الخمس، و ذلك أن يكون من طريق المشاهده أو من طريق السماع: "صلصله الجرس" و "دوى النحل"، أو على سبيل الملامسه. و أنواع الكشف الصورى تتعلق بالحوادث الدنيويه أولا.

أما الأولى فلا يلتفت إليها أهل الكشف و لا يتوقفون عند الأمور الدنيويه "و يعدونها من قبيل الاستدراج و المكر بالعبد". (٧) أما المكاشفات المعنويه فتكون أعلى مرتبه و أكثر يقينا لجمعها بين الصوره و المعنى. و لها مراتب بارترفاع الحجب كلها أو

بعضها دون بعض.

أما الكشف المعنوي المجرد من صور الحقائق و الحاصل من تجليات الاسم العليم فهو ظهور المعانى العينية و الحقائق الغيبية و له مراتب، أولاها ظهور المعانى فى القوه المفكره من غير استعمال المقدمات و ترتيب القياسات و يسمى بالحدس. ثم ظهور المعانى فى القوه العاقله المستعمله للفكره و تسمى بالنور القدس.

ثم ظهور المعانى فى مرتبه القلب و يسميه المشاهده القليه. ثم ظهور المعانى فى مرتبه الروح و بنعته بالشهود الروحى ثم ظهور المعانى فى مرتبه السر ثم ظهورها فى مرتبه الخفى و هى أعلى المقامات.

يقسم الآملى العلوم إلى رسمى اكتسابى، و إرثى إلهى.

فالأول علم مسموع يكون بالتعليم الإنسانى على التدرىج و العلم الثانى علم مطبوع تحصيله بالعلم الربانى بالتدرىج و غير التدرىج.

و يرتب المسلمین إلى أقسام ثلاثه: إسلام أهل البدايه أو الإسلام الأول، و إسلام أهل الوسط و هم أهل استدلال و برهان و تنزيه عن الشرك الجلى. أما إسلام أهل النهايه فهم أهل التوحيد و الكشف و الشهود. و هو الإسلام الحقيقى المسمى بالدين القيم الذى كان عليه الأنبياء و الأولياء و الكمل.

أما إيمان أهل البدايه فتصديق مشوب بالشك و الشبهه و المعارضه و الاشكال. و هو قابل للزياده و النقصان.

و إيمان أهل الوسط، تصديق ما جاء به النبى من التوحيد و العدل و النبوه و الامامه. و إيمان أهل النهايه تصديق مجموع ذلك من حيث الكشف و الشهود و الذوق و العيان، مع محبه الموجد و شوق إلى حضرته العالیه. ۵.

ص: ۱۵۷

۱- جامع،

۲- نفسه، ص ۴۰۲.

۳- نفسه، ص ۴۱۹-۴۲۰.

۴- نفسه، ص ۴۴۷.

۵- جامع، ص ۴۵۵.

۶- نفسه، ص ۴۵۶.

۷- نفسه، ص ۴۶۵.

و اليقين مراتب ثلاث أيضا أدناها علم اليقين، و أعلاها حق اليقين، و أوسطها عين اليقين. و كلها على العكس من مراتب الإسلام و الايمان مخصوصه بأهل النهايه، و يمكن أن يجمعها شخص واحد" أما علم اليقين فهو ما كان بشرط البرهان، و عين اليقين ما كان يحكم البيان، و حق اليقين ما كان ينعت العيان ^(١).

و فى هذا التقسيم لا يأتى الآملى بجديد لأنه من التقسيمات الصوفيه الشائعه. و هو يأخذ بتعريف هذه المصطلحات بحرفها.

و من المفارقات أن يتخذ أيضا معاصر هو الدكتور محمد عابد الجابرى التقسيم عينه. أى البيان و البرهان و العرفان لتشريح بنيه العقل العربى و أنظمته المعرفيه ^(٢).

كان الآملى تلميذا نجيبا للتيار الصوفى الإسلامى بمختلف تفرعاته و اتجاهاته و أبعاده، و تمثل مفرداته و اصطلاحاته. و حرر النص القرآنى على غرار شيخه ابن عربى، من سطوه التفسير الحرفى، و أطلقه فى فضاء التدوق الجمالى و الخيالى الحر المبدع. فالحقيقه لدى العرفانى ليست معرفه ناجزه مكتمله و مغلقه و لكنها انفتاح على المعنى - المعين اثر الدفاق الذى لا ينضب.

المعنى الذى لا يقبض عليه و لا يمتلك، لأنه لا تستنفده علائق الاسناد و الحمل.

و إذا كان المعنى الظاهر أو الحرفى للنص القرآنى فى متناول من يمتلك ناصيه اللغه العربيه، فان المعنى المستور يتطلب مجاهده و مشقه لارتفاع حجه و الكشف عنه. فالمعنى المستور" أشبه بالعيون و الأنهار المركزه فى تخوم الأرض، المستوره بالأحجار الصلبه و المعادن الشديده، فإذا ارتفعت الموانع و الحجب، ظهرت المياه و جرت على الأرض جريانا أبديا لا انقطاع لها. كذلك القلب إذا رفعت الموانع عنه طلعت منه العلوم ^(٣) فتحصيل العلوم الحقيقيه لا يتم إلا بهذا الحفر الداخلى، أى بهذه المجاهده و المكابده الروحيه و ترويض الجسد و السلوك للتغلب على الحس و الشهوات.

و احتماليه كهذه لا ضابط لها، تعد من منظور الفكر الأوروبى الحديث رهانا خاسرا بالطبع. فالفلسفه عنده كما العلوم الوضعيه تعمل على الكشف عن المعنى النهائى و الأخير للظواهر و الأشياء، و عن الفكره المنظمه لمعرفه تعى ذاتها و حدودها ^(٤).

و لعل مغامرته البحث عن المعنى التى تسم النص الصوفى و سيره أصحابه هى التى تدفع بعض المستشرقين، و من بينهم طبعاً هنرى كوربان و تلميذه كريستيان جامبيه، و قبلهما ماسينيون، إلى دراسه آثار المتصوفه من أمثال السهروردى و ابن عربى و الآملى و غيرهم. يبقى السؤال عن مكانه الآملى و مشروعيه طروحاته التوفيقيه فى مضى سبعة قرون على وفاته. هل كانت رهانا خاسرا هى الأخرى؟ لا نرى جوابا دقيقا فى هذا المجال، ذلك أن الآملى لم يعرف من قبل على نطاق واسع، حتى فى صفوف طائفته. و يمكن الاستناد إلى رأى غير مباشر لرجل دين شيعى. رأى فى تصديره لكتاب هنرى كوربان "تاريخ الفلسفه الإسلاميه" الذى استوحى فيه كتابه آراء حيدر الآملى: أن التصوف مدرسه مستقلة عالميه تسربت إلى الشيعه بعد ما غزت العالم الإسلامى كله، و لا يختص بالتشيع تبعا و لا سندا، كذلك ثنائيه الشريعه و الحقيقه غير وارده عند المسلمين بمختلف فرقهم المعروفه ^(٥).

بهذا يعضد رأى عدد كبير من المستشرقين أن التصوف الإسلامى كان بتأثيرات فارسىه أو هنديه أو يونانيه. و يتفق مع رأى بعض

القدماء مثل ابن خلدون الذى يعد التصوف "من العلوم الشرعيه الحادثه فى المله" ^(٦).

و هو إذ لا يشكك في استشهاد كوربان بكتب الباحثين من الفقهاء و الفلاسفه و الصوفيه، و من بينهم بالطبع حيدر الآملى، فهو يتحفظ عن إسناد هذه الآراء إلى مذاهب المؤلفين، و اعتبارها جزءا من عقائد تلك المذاهب. فالثابت لديه أننا لا نستطيع أن ننسب الأبحاث التى أبدعها العلامة تيار ذو شادران إلى الكنيسه الكاثوليكيه، و لا يجوز لنا أن نحاسب المذهب الحنفى بما نجده فى كتاب "فصوص الحكم" لابن عربى.

و يبدو أن المقصود من فحوى الكلام أن الفئه التى يمكن أن يصدر عنها أصول أى مذهب هى الفقهاء دون غيرهم من الفلاسفه و العلماء. و هم المخولون الشرعيون للنطق باسم طوائفهم. أما جهود الآملى و سائر المتصوفه و العرفانيين الشيعه فهى فى مقام التجاذب.

تعليقتنا على مقال أحمد زين الدين

أول ما ألاحظه هو عد الأستاذ زين الدين للآملى فى عداد الفلاسفه، و ذلك فى مفتتح قوله حيث قال: لا... و لم يحظ بما يناسب مكانته فى الفلسفه و التصوف.

ثم قال: "فى حين أن مؤلفاته و رسائله تربو على اثنين و عشرين مؤلفا جميعها فى علوم التصوف و الفلسفه" و يذكر الكاتب أن المستشرق الفرنسى الكبير هنرى كوربان (١٩٠٥ - ١٩٧٨)، كشف عن كتابه المخطوط: (جامع الأسرار و منبع الأنوار) و حاضر عنه فى السوربون [السوربون] و سويسرا. و إن طروحات الآملى شكلت الهيكل

ص: ١٥٨

١- نفسه، ص ٦٠٣.

٢- المقصود كتابه: بنيه العقل العربى.

٣- جامع. ص ٥٢١.

٤- La Logique des orientaux, Par Christian Jambet, p ١٠٦.

٥- تاريخ الفلسفه الإسلاميه: هنرى كوربان، ترجمه حسن قيسى و نصير مروه، انظر المقدمه للسيد موسى الصدر، ص ٢٤٠.

٦- مقدمه ابن خلدون، ص ٤٦٧.

العام لكتابه المعروف (تاريخ الفلسفه الإسلاميه)، خاصه فى الجزء عن التشيع و هو جوهر الكتاب.

و حاط كوربان مؤلفات هذا الفيلسوف بالرعايه و حاول من خلال المنهجيه (الظواهرية) أن يفسر نشاه الفكر الفلسفى لى الشيعه، و يتعاطف مع هذا النزوع الشيعى إلى درجه أن دفعت أحد الباحثين العرب هو الدكتور على سامى النشار إلى اتهام كوربان بأنه كان شيعيا أكثر من الشيعه" (انتهى).

و إنى أضيف إلى ما ذكره الأستاذ "زين الدين" عن كوربان - أضيف إلى ذلك أن كوربان كان متخصصا بالفلسفه الإسلاميه، و دراسته كانت منصبه على هذه الفلسفه، و قد عنى منها بالجانب الشيعى المتأخر الذى أهمله الباحثون الذين اقتصروا فى دراستهم على الفلاسفه المسلمين الأوائل و وقفوا عند زمن معين لم يتجاوزوه، فى حين أن الفلسفه الإسلاميه ازدهرت بعد ذلك أى ازدهار، و كان هذا الازدهار على أيدي فلاسفه شيعه هم فى أغلبهم إيرانيون.

و لما كان موضوع اختصاص كوربان هو الفلسفه الإسلاميه كلا لا بعضا محددًا بزمن، لذلك تابع دراسته موصلا المتقدمين بالتأخرين فعنى بهم و كتب عن هؤلاء المتأخرين، و أخذوا حيزا مهما فى دراساته عن الفلسفه الإسلاميه و هم كما قلنا شيعه، و من هنا وصف كوربان بأنه: "متخصص بالفلسفه الإسلاميه و الفكر الإسلامى لا سيما الفكر الشيعى".

و يبدو أنه هو قد رضى بهذا الوصف، و حاول أن يحدد فلسفه شيعيه خاصه، و أن يعيدها إلى جذور أبعد مما كان بين يديه عنى بدراستهم من المتأخرين من أمثال محمد باقر الداماد، و محمد صدر الدين الشيرازى، فكان أن اعتقد أن هذه الجذور تنتهى فيما تنتهى إليه إلى حيدر الآملى، فادخله فى عداد الفلاسفه." و خصه بسلسله من المحاضرات، حتى شكلت طروحاته الهيكل العام لكتابه الفلسفه الإسلاميه".

و إذا كان كوربان قد حاضر عن الآملى فى السربون [السوربون] و فى سويسرا فان محاضراته هذه لم تكن الوحيد فقد حاضر سنه ١٩٦٢ فى جامعه طهران عن محمد صدر الدين الشيرازى، كما كان قد سبق له المجرىء لايان سنه ١٩٤٥ لإكمال دراساته عن الفيلسوف الاشراقى الشهيد شهاب الدين السهروردى بعد أن أمضى سنتين فى تركيا فى إعداد قسم من كتابات السهروردى و إذا كنت لم أطلع على ما كتبه كوربان بلغته الفرنسيه، فاننى أستنتج من خلال قول الأستاذ زين الدين، أن كوربان حاول من خلال مؤلفات الفيلسوف، الآملى أن يفسر نشاه الفكر الفلسفى لى الشيعه" و أن كوربان رأى أن هناك نشاه مستقلة للفكر الفلسفى لى الشيعه، و أن من قواعد هذه النشاه هى أفكار الآملى فى مؤلفاته. و هنا أخطأ كوربان خطأ مزدوجا: أولا باعتباره الآملى فيلسوفا، ثم - و هذا الأهم - بفصله بين الفكر الفلسفى الشيعى، و الفكر الفلسفى غير الشيعى، فى حين أن لا فكران فلسفيان فى الإسلام، بل هناك فكر فلسفى إسلامى واحد، و فلاسفه مسلمون لهم مناهجهم التى كان الغرض الأكبر لهم فيها هو أن يزودوا العالم بنظريه تامه عن وحده الكون، ترضى الذهن كما ترضى الدين، و لذلك حاولوا أن يوفقوا بين الجانب الأخلاقى و الروحى للعلم و بين جانبه الفلسفى.

و كانت رسالتهم موجهه لا- إلى المسلمين وحدهم بل إلى الإنسانيه بأسرها، ألا و هى رساله الفهم و التعاطف و حث الإنسان على البحث عن حل لألغاز الكون، و دعوته إلى تعميق معرفته لذاته، بحيث يستشعر فى جوانبه ثقته فى آ [الله] و ثقته فى نفسه.

الجدور التي ينتهي إليها، و المنايع التي يستقى منها: الكندي و ابن سينا و الفارابي، الفلاسفه الشيعة هي نفس الجدور التي ينتمى إليها، و المنايع التي يستقى منها ابن باجه و ابن رشد الفيلسوفان غير الشيعيين. و الذين عارضوا الفلاسفه، و الذين عضدوها لم يقسمها أحد منهم إلى فكرين، و لم ينسبها إلى مذهبين.

أما أن تكون طروحات الآملى شكلت الهيكل العام لكتاب كوربان: تاريخ الفلاسفه الإسلاميه خاصه فى الجزء عن التشيع و هو جوهر الكتاب "كما ذكر الأستاذ زين الدين، فذلك كما قلت من أوهام كوربان أو أخطائه، لا فرق، لأن طروحات الآملى ليست طروحات فلسفيه، بل هي طروحات صوفيه لا تصح أن تشكل هيكلًا عامًا لكتاب عن تاريخ الفلاسفه، و أن تتخذ أساسًا للحديث عما سماه كوربان: الفكر الفلسفى الشيعى.

إن الآملى صوفى قبل كل شىء و بعد كل شىء. و البحث يجب أن يتركز عن موقعه من الصوفيين، و هو موقع متميز لا يشبه أى موقع.

الآملى مولع بالأئمه من آل البيت مخلص فى ولاءه لهم، معجب بهم، ثم استهوته النزعات الصوفيه بكل ما فيها من شطحات لا تتلائم مع تعاليم الأئمه و توجيهاتهم فكاد أن يضيع، و لكنه و هو المؤمن الصلب الايمان لم يضع، أو بالأحرى هذا ما بدا له، فأراد المواءمه بين ولاءه للأئمه و بين تصوف الصوفيه، فكان أن أخذ بشىء جديد، لا يأخذ به التشيع و لا تأخذ به الصوفيه فخلق تصوفًا شيعيًا، أنكره عليه الشيعة و أنكره عليه الصوفيون.

و هذا عين ما قاله عنه الأستاذ زين الدين. و هو يتحدث عن كتابه (نصوص الحكم): "و أدى هذا الشرح و سائر كتب الآملى إلى إدماج آراء ابن عربى الصوفيه فى ثنايا الفكر الشيعى".

و حدثت فى هذه الحال المفارقة الطريفه: و هي أنه أخرج كلا من الشيعة و الصوفيين، فالشيعة و قد عرفوا ولاءه المخلص

لأنتمه من آل البيت و تأسيسه بهم، عز عليهم أن يتصلوا منه، و لكنهم عرفوا أيضا صوفيته المناقضة لآرائهم فكبر عليهم أن يقبلوه على علاقته. و هذا هو علمه ما لاحظته الأستاذ زين الدين من مرور مجامعهم الرجالية بسيرته ذاك المرور السريع (1).

و كذلك كان الأمر مع الصوفيين الذين أخرجتهم آراؤه كما أخرجت الشيعة فهو منهم، و لكنه فى الوقت نفسه ليس منهم.

و يقول الأستاذ زين الدين و هو يتحدث عن آراء الآملى الصوفيه: " لا يرى الآملى أن أولى الخطوات فى طريق العرفان كتمان سر الربوبيه...".

ثم يكمل الأستاذ زين الدين كلامه قائلا: " فالتقيه الشائعه عند الشيعة عدم إفشاء أصول المذهب تتخذ لديه معنى باطنيا فتصبح حفظا للاسرار الربانيه " إلى آخر ما قال...

إن هذا المفهوم للتقيه هو مفهوم خاطئ فالتقيه: هى إن يحافظ المرء على عرضه أو نفسه أو ماله عند الخوف، بإظهار غير الحقيقه. لا عدم إفشاء أصول المذهب، فأصول المذهب ليست سرا يحاول أصحابه عدم إفشائه، بل هى أظهر من كل ظاهر إن التقيه مبدأ إنسانى و تشريع إسلامى قرآنى، و هى ليست عند الشيعة و حدهم، بل هى عند الناس أجمعين فما أحد يخاف على نفسه و عرضه و ماله إذا أظهر حقيقته، إلا و يكتفم هذه الحقيقه. و هى تشريع إسلامى قرآنى، فالقرآن يقول فى سوره آل عمران: "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله و من يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاه".

و قد جرى تطبيق عملى للتقيه فى عهد النبى محمد (ص) و بامر منه، و ذلك عند ما عذب القرشيون (ياسر) و زوجته سميه، والدى عمار حتى قتلا فى التعذيب و ولدهما عمار ينظر. فلما حل عليه الدور فى التعذيب لم يتركوه حتى نال من النبى (ص) و سبه و ذكر آلهتهم بخير. فلما أتى النبى (ص) فى المدينه بعد نجاته من الموت، قال: ما وراءك يا عمار؟ قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك و ذكرت آلهتهم بخير. فقال النبى: فكيف تجد قلبك؟ فقال أجد قلبى مطمئنا بالايمان فقال: فان عادوا فعد (راجع حليه الأولياء - ١٤٠) و تفسير الطبرى ١١٢-٤ و غرائب القرآن لنظام الدين النيسابورى على هامش الطبرى ١١٨-٤٣ و تفسير القرطبي ١٠-١٨٠).

و إنما اشتهرت نسبه التقيه إلى الشيعة لكثرة ما أخيفوا على الأنفس و الأعراض و الأموال، و أوضح مثال على عمل غير الشيعة بالتقيه و أخذهم بها: الفتوى التى أصدرها الفقيه المغربى أحمد بن بو جمعه المغراوى الوهرانى و وجهها إلى من بقى من المسلمين فى الأندلس بعد سقوط غرناطة و انتهاء الحكم الإسلامى فى أسبانيا كلها.

يقول أحمد فى فتواه:...

مؤكدنا عليكم فى ملازمه دين الإسلام آمريين به من بلغ من أولادكم، إن لم تخافوا دخول شر عليكم من أعلام عدوكم بطويتكم.

و يستطرد قائلا: و إن أكرهوكم فى وقت الصلاه على السجود للأصنام و حضور صلاتهم فأحرموا بالنيه و انووا صلاتكم المشروعه و أشيروا لما يشيرون إليه من صنم و مقصودكم الله. و إن أجبروكم على شرب خمر فاشربوه لا بنيه استعماله، و إن

كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم و معتقدين تحريمه، و كذا أن أكرهوكم على محرم، و إن أكرهوكم على زواج بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لو لا الإكراه، ناكرين ذلك بقلوبكم.

ثم يقول:

و إن أكرهوكم على كلمه الكفر فان أمكنكم التوريه و الألغاز فافعلوا، و لتكونوا مطمئني القلوب بالايمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك.

و يقول الأستاذ زين الدين و هو يتحدث عن الآملى:

" و هو من طرف آخر مضطر أثناء مقاربتة أصول الطائفة المتصوفه و بيان وجوه الشبه أو الأخرى مناحى التكامل بين الطائفتين إلى أن ينبه و يزيد فى التأويلات الخاطئه، لدى الإسماعيليين و الزيديه و سائر الغلاه ". أغلب الظن أن الكاتب يقصد بالاسماعيليين هنا،(الفاطميين)، فان كان الأمر كذلك فقد أخطا فى الجمع بين الإسماعيليين و الزيديه من جهه و بين الغلاه من جهه أخرى، فلا الاسماعيليون الفاطميون و لا الزيديه من الغلاه، و لا لهؤلاء و لا لهؤلاء تأويلات خاطئه.

لقد انشق عن الفاطميين من عرفوا بالزاريين، أو الإسماعيليين الزاريين، و خالفوا الفاطميين فى اطراد سير الخلفاء ثم خالفوا المسلمين أجمعين فى كل شىء ثم عاد فريق منهم، فى العقيدة إلى الحظيره الإسلاميه ما عدا تسلسل الأئمه، و ظل الفريق الآخر على ما كان عليه من الانشقاق فى كل شىء فى العقيدة و الامامه و ظلوا يحملون اسم الإسماعيليين حتى اليوم. و زالتص.

ص: ١٦٠

١- مما ينبغى الإشارة إليه هنا أنه كتب "أجوبه المسائل المهنايه" المعروفه: "المسائل المدنيات" للعلامه الحلى و أتمها فى سفره ذى القعدة سنه ٧٦٢، و كتب له فخر الدين ابن العلامه إجازة روايتها عنه هى والده فى أواخر ربيع الآخر سنه ٧٧١، و قال فى الإجازة "و قد أجزت لمولانا السيد الامام العالم العامل المعظم المكرم أفضل العلماء و أعلم الفضلاء الجامع بين العلم و العمل شرف آل الرسول مفخر أولاد البتول سيد العتره الطاهره ركن الملذه و الحق و الدين...". و قد ذهب بعض الباحثين إلى تعدد السيد حيدر الآملى فى القرن الثامن، و لكننا نعتقد أنه واحد و اختلاف الألقاب أو النسبه إلى البلد أو عدم النسبه لا تعنى تعدد الشخص.

الدولة الفاطمية و زالت معها إسماعيليتها السليمه، ما عدا قله قليله يعيش معظمها اليوم فى الهند لكن لا باسم الإسماعيليين بل باسم (البهره).

فان كان الكاتب يقصد بكلمه (الإسماعيليين)، الإسماعيليين الذين انشقوا فى كل شىء و ظلوا يحملون اسم الإسماعيليين، فان ما أورده عنهم صحيح، و إن كان يقصد غير ذلك، يكون قصده خطأ.

حيدر بن أحمد بن حيدر

قرأ عنده المولى محمد بن الحسين "حاشيه آداب البحث" للأمير أبى الفتح، و ذكره فى مقدمه حاشيته على هذه الحاشيه بكل احترام و تعظيم، و يبدو أنه كان من أساتذه المعقول فى عصره.

و لعله من أعلام القرن الثالث عشر (١).

حيدر بن على بن محمد شفيح الأصبهاني

كتب تعاليق على نسخه من كتاب "الصافى" للفيض الكاشانى، و هى تدل على فضل فيه و سعه اطلاع، و انتهى نقل النصف الأول منها إلى نسخه رأيتها فى يوم الثلاثاء الحادى عشر من شهر رجب سنه ١١١٨، فالترجم له من أعلام القرن الحادى عشر (٢).

خداويردى بن القاسم الأفشارى

مذكور فى رياض العلماء ٢/٢٣٥، و نقول:

قرأ عليه الميرزا حسين كتاب "الأربعون حديثا" للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملى فى أربعين يوما و أكمله فى عاشر شهر شوال سنه ١٠٣١، و قد ذكره التلميذ بعنوان "أفصح المتكلمين و أروع المتورعين شيخ الإسلام و المسلمين وارث علوم الأولين و الآخرين..." (٣).

خسرو

أديب شاعر بالفارسيه جيد الشعر، من أعلام القرن العاشر، أتم كتابه نسخه من كتاب "أخلاق محسنى" للمولى حسين الكاشفى فى شهر صفر سنه ٩٦٤ و كتب فى آخرها أبياتا من شعره فى سنه ٩٧٣ (٤).

خضر عباس الصالحى

توفى سنه ١٩٨٣ م فى بغداد عن خمسين سنه من عمره.

درس فى دار المعلمين الريفيه. تخرج منها و زاول التعليم فى عده مدارس حتى استقر فى بغداد كان أديبا شاعرا متمكنا من اللغه العربيه. أصدر سنه ١٩٦٢ ديوانا شعريا باسم (ضباب الحرمان) لم يحتو على كل شعره، فله العديد من القصائد التى نظمها بعد

طبع الديوان. و كانت له مساهمات شعريه فيما كان يقام فى مدينه كربلاء من حفلات عمرت بها كربلاء فتره من الزمن خلال سنوات ١٩٥٠ و كما نشرت أشعاره فى الصحف لا سيما مجله العرفان و مجله الأديب.

فمن شعره قوله:

لم يبق لى فى الأسى خل يواسينى و لا رفيق من الآلام يحمينى

و لى شعور كلفح النار متقد ينير فى مزهرى أشجى التلاحين

و ما الغناء الذى يشدو به و ترى خلف الظلام سوى آهات محزون

أعيش فى عزله كالقبر موحشه و مخلب الياس بالحرمان يدمينى

و قوله فى رثاء الحسين

ذكراك من نار و نورستظل مفخره الدهور

تضفى على الدنيا سناينساب من دمك الطهور

و تصب فى مقل الدجيقبا من الفجر المنير

و يظلمه الياس الرهيبتشع بالأمل الكبير

تجلو الحقائق و الرؤيمن كل بهتان و زور

و تثير هاجس شاعرجم العواطف و الشعور

سامان أوغل فى الظلامو بات فى النفس البهير

أذكى به هول المصابمراره الألم المثير

و بمسمعيه صدى الكفاحيرن مشوب الزئير

هذا الحسين الهاشميهب للأمر الخطير

فى حومه الشرف المنيعيصول كالليث الهصور

يتدفق الإحساس، بالايما نمنقطع النظير حملت يداه الشعلة الحمراء تحرق كل نير

يا ابن الرسول تحيهغراء تنضح بالعبير
من شاعر يلوى الضلوععلى عواصف من سكير
يهفو إلى غده المسجيفى دياجير الحفير
تطغى به لجاج الأسيغيعيش فى صمت القبور
و يعب أقداح الكابهمن فم الدمع الغزير
تجرى دماء الصفوهاالأبرار كالسيل الغمير
و هوى الحسين على الرغام فىا له من مستجيرو يزيد بين الغيد و الغلمان بمرح فى القصور
يلهو باوتار المجونو يحتسى جام الخمور
يا ابن الرسول أترتهاحربا على الجيش المغير
و سحقت أغلال العديبنضالك الدامى المرير
مزقت ليل الظلم و الطغيان فى يوم النفيريا ابن الرسول و لم تزل
ذكراك فى طى الصدور

ص: ١٦١

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.

و كأنها أغروده عذراء تطفح بالعمور

ما كربلاء سوى نشيد العز جليجل في الثغور يشدو به الأحرار إن عصفت أعاصير الدهور

فيها انطوت ماساتك الكبرى على مر العصور

الشيخ خلف بن عبد علي بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن

صالح بن أحمد بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطيه بن

شبيهه، آل عصفور الأوالي البهراني.

مترجم في أعيان الشيعة ٣٣٠/٦ و أنوار البدرين ص ٢٠٤ و نقباء البشر ص ٥٠٠ و نقول:

كتب له محمد علي بن جعفر بن حسين الكازروني الكربلائيالمجلد الأول من كتاب "ذخيره المعاد" للمحقق السبزواري، و أتم هو مقابلته في يوم الخميس ٢٢ رمضان المبارك سنة ١١٩٧ و كتب عليه تعاليق يسيره و لكنها تدل على تبحره في الفقه و تتبعه و تحقيقه.

قرأ جملة من مجلدات "بحار الأنوار" و علق عليها بعض التعاليق و قد رأيت المجلد الثاني منه و فيه خطه و إمضاءه و توقيعه.

و أتم مع الشيخ محمد بن شمس الدين الطريحي مقابله كتاب "وسائل الشيعة" في يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة سنة ١١٩٨، و في آخره إجازة منه للطريحي المذكور.

و قد أجاز هو للشيخ محمد الطريحي أيضا على جملة من الكتب فالإجازة بينهما مدبحة.

من آثاره العلمية رساله في "ولاية الموصى إليه في الترويج" (١)

خير النساء بنت الشيخ محمد جعفر بن الشيخ سيف الدين

الأسترآبادي الطهراني.

ولدت في كربلاء حدود سنة ١٢٤٠ و توفيت سنة ١٣٢٥ في طهران أخذت المقدمات و العربية و فنون الأدب على أبيها الشيخ محمد الأسترآبادي المعروف بشريعتمدار المتوفى سنة ١٢٦٣ و أخيها الشيخ علي آل شريعتمدار المتوفى سنة ١٣١٥ و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ محمد تقى الكاشاني الطهراني المتوفى سنة ١٣٢١ ثم هاجرت مع زوجها إلى قزوین و التحقت بحوزه (قره العين) في المدرسه الصالحيه و تخرجت عليها و عند ما هاجرت قره العين في سنة ١٢٥٩ إلى كربلاء كانت هي مع زوجها من المرافقين إلى العراق و سكنت مده في كربلاء ثم في النجف ثم استقرت في طهران حتى وفاتها و كانت من فواضل نساء عصرها ترتقى المنبر خطيبه واعظه لتدريس النساء في طهران.

و هي من أسره آل شريعتمدار من أشهر البيوت العلميه في طهران و كربلاء التي بزغ بدرها في أواخر القرن الثاني عشر و مطلع الثالث عشر للهجره و نبغ منها علماء أعلام، و هم من ذريه الشيخ سيف الدين الأسترآبادى أحد أعلام القرن الثاني عشر و كان والدها الشيخ محمد جعفر بن الشيخ سيف الدين المولود في سنة ١١٩٨ و المتوفى سنة ١٢٤٣ من مشاهير العلماء و هو مذكور في المجلد التاسع ص ٢٠٥ من أعيان الشيعة و عمها الشيخ أحمد المتوفى سنة ١٢٨٥ من أكابر علماء عصره و شقيقها الشيخ على آل شريعتمدار المتوفى سنة ١٣١٥ من أشهر المؤلفين في عصره و خلفت المترجم لها ثلاثه بنين و هم الشيخ محمد صادق و الشيخ محمد رضا و الشيخ محمد على كلهم من العلماء الأفاضل الذين كانت لهم الصداره في طهران بعد وفاه أبيهم الشيخ محمد تقى الكاشانى الطهرانى المتوفى سنة ١٣٢١ و المترجم في المجلد التاسع من أعيان الشيعة ص ١٩٣ - ١٩٤ و قد استدركنا على ترجمته في مستدركات أعيان الشيعة(٢).

داود بن الحسين الحاج قاضى السبزواري الخراسانى،

ملاباشى

مترجم في "نقباء البشر" ص ٧١٢، و جاء ذكره و اسم والده في "سفرنامه خراسان و كرمان" لأفضل الملك هذا ملخص ما قاله فيه و ما وجدته في بعض المجاميع المخطوطه:

ولد سنة ١٢٧٠ في قرية من قرى سبزوار، و نشأ برعايه والده الذى كان من الأشراف و انحدر من بيت شريف لهم الرئاسه و الزعامه المحليه.

عالم جليل جامع لأطراف العلوم العقلية و النقلية، أديب بارع في العربية و آدابها و كتب مقامات و قصص تدل على تبحره في الأدب، له شعر بالعربية و الفارسيه، ذو أخلاق فاضله حسن المعاشره مع تواضع و أريحيه. توفى سنة ١٣٢٥.

له "ترجمه گلستان محمد" و "مجموعه متفرقات" و غيرهما(٣).

السيد داود بن مخدوم بن داود الحسينى التفرشى.

عالم عارف متبحر في العلوم العقلية، شاعر بالفارسيه يتخلص فيه ب "عارف". من رجال القرن الثاني عشر(٤).

الأمير دوست محمد بن حبيب الله الحسينى المازندرانى

الأسترآبادى

مترجم في رياض العلماء ٢/٢٧٤، و نقول:

ص: ١٤٢

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

كانت له عنايه بنسخ الكتب و مقابلتها و تصحيحها، و من الكتب التي رأيتها بخطه الجزء الأول و الثاني من كتاب "مسالك الأفهام" قابله و صححه على خط الشهيد و أتم ذلك في أواخر ربيع الأول سنة ١٠٨٠ في مشهد الرضا (ع) (١).

الأمير ذو الفقار

كتب له بدر الدين بن قطب الدين الجزائري الصيمري نسخه من كتاب "معالم الأصول" أتمها في خامس شهر رجب سنة ١٠٦٠، و وصفه في آخرها ب "السيد الجليل و الأمير النبيل قدوه السادات العظام و خاصه القادات الكرام عين نوع الإنسان و إنسان العين مشيد أساس العلم و اليقين و رافع لواء الشريعة و الدين ملاذ أكابر المؤمنين و خير الفضلاء المدققين الواثق بحبل الله المتين شيخ الإسلام و المسلمين سلاله الأئمة الأطهار و نتیجه الأتقياء الأبرار السيد السند أمير ذو الفقار... (٢) و معلوم أن هذا السيد غير المولى ذو الفقار الأصبهاني.

له "إثبات الواجب" صنفه سنة ١١٧٠.

ذو الفقار الأصبهاني، كمال الدين

مترجم في أعيان الشيعة ٤٣٢/٦ و نقول:

هو من تلامذه المولى محمد باقر المجلسي المتقدمين لديه، و كانت له مكتبه كبيره فيها كتب نفيسه استفاد منها معاصره الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني في كتابه المعروف "رياض العلماء" و صرح باسمه في مواضع كثيره بعنوان "المولى ذو الفقار"، و يبدو من مجموع القرائن أنه كان عالما فاضلا متتبعا له اطلاع واسع في الكتب و المؤلفين.

نقل المجلسي رساله عن بعض تلامذته أرشده فيها إلى كتب ينبغي أن تلحق بالبحار، و كتب المجلسي في صدرها "خاتمه فيها مطالب عديده لبعض أذكيا (أزكيا) تلامذتنا...". و حسب بعض المعلقين على البحار و أرباب التراجم أنه يعني الميرزا عبد آ [الله] أفندي، و لكني رأيت مجموعه للأفندي أكثرها بخطه نقل فيها فهرس مجلد إجازات البحار، و لما وصل إلى هذه الجملة كتب تحتها بخطه "و هو المولى ذو الفقار المعاصر".

لقب نفسه في بعض كتاباته ب "كمال الدين" (٣)

ذو الفقار العقداي التفتي

أصله من "عقدا" و سكن "تفت" و هما من توابع مدينه يزد، و هو من أعلام القرن الثالث عشر، و لعله كان من الواعظين و الخطباء.

له "ذخير الواعظين" (٤)

السيد راحت حسين الرضوي بن السيد ظاهر حسين الرضوي

المنتهى نسبه إلى موسى المبرقع ابن الامام محمد الجواد (ع) المنتهى نسب الساده الرضويه إليه.

مرت له ترجمه فى المجلد الرابع من (المستدرکات) و ننشر هنا عنه بعض التفاصيل:

ولد فى قريه "كوبالور" من مضافات "جهيره سارن" من مقاطعه بهار من الهند سنه ١٢٩٧. و توفي فيها سنه ١٣٧٦.

نشا طفلا فى مسقط رأسه و بدأ بتعلم القراءه و الكتابه و هو فى الخامسة من عمره، و أول دراسته للغه العربيه و آدابها كان فى الخامس من شهر رجب سنه ١٣١١.

تتلمذ فى العلوم الآليه الأديبه على ابن خاله المولوى السيد سخاوت حسين و ابن عمه المولوى السيد أمير حسين، ثم على المولوى السيد حسن الكهجوئى فى قريه "كهجوه" و السيد محمد ضامن فى قريه "حسين آباد".

و فى السابع عشر من شهر شوال سنه ١٣١٢ انتقل إلى "مظفرآباد" حيث بقى بها إلى سنه ١٣١٥ ساكنا فى غرفه بأحد المساجد، و اشتغل فى علوم المنطق و الفلسفه و السطوح العالیه على و [المولوى السيد عابد حسين و المولوى السيد محمد مهدى و التجويد و الحساب على المقرئ الميرزا محمد.

و فى سنه ١٣١٥ ذهب إلى "بدهن بوره" ففوض إليه التدريس بالمدرسه الايمانيه، و تتلمذ خلال ذلك على المولوى السيد نظير حسين و المملوى [المولوى] حسن فى علم التفسير و الحديث و الطب القديم.

ثم ذهب إلى مدينه "لكهنو" و سكن بمدرسه "سلطان المدارس"، فتتلمذ فى الفقه و الأصول و الحديث على السيد محمد باقر الرضوى الكشميرى و السيد ظهور الحسن، و رتب بتلك المدرسه فى أيام الجمعه مجلسا كان يعلم الطلبة آداب البحث و المناظره و يمرنهم على ذلك. كما أنه كان يدرس بها شرح النفيسى فى الطب.

و فى سنه ١٣٢٤ نال شهاده الطب و أذن فى تدريس كتاب القانون لابن سينا من أستاذه السيد أمير حسن الحكيم، و اشتغل بعض الوقت بمعالجه المرضى فى مطب الشيخ عابد على الطيب.

و فى شهر ذى القعدہ سنه ١٣٢٤ توجه إلى العتبات المقدسه بالعراق و هو ابن سبع و عشرين سنه، و استقر بالنجف الأشرف حيث أعاد قراءه كتب السطوح بها على أساتذتها، فقرأ شرح اللمعه و القوانين عند الميرزا محمد على الرشتى و السيد حسن الرشتى و السيد محمد ابن علامه الطباطبائى اليزدى، و بعض كتاب الرياض و التهذيب عند السيد الحاج آقا حسين الطباطبائى

ص: ١٦٣

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

البروجردى، و بعض الرسائل و المكاسب عند الشيخ إبراهيم الأردبيلي و السيد أبو الحسن الأصبهاني و السيد أحمد سبط الشيخ الأنصاري، و مقداراً من كتاب الكفاية و التهذيب و الدراية عند الآقا محمد حسين البارفروشى، و رجال الأسترآبادى و خاتمه المستدرك عند الشيخ على الكون آبادى.

أما خارج الفقه و الأصول فقد تتلمذ فى الفقه ثلاث سنوات على الشيخ على الكونابادى ثم كانت جل استفادته فيها على السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و شيخ الشريعة الأصبهاني.

و فى سنة ١٣٢٦ سافر إلى الهند لوفاه والده، و عاد إلى النجف فى سنة ١٣٢٧، فبقى بها إلى شهر صفر سنة ١٣٣٤ و عاد إلى موطنه فى سنة ١٣٣٤.

كتب مؤلفاته باللغات العربية و الأردويه و الفارسيه، طبع بعضها فى حياته و لا يزال معظمها مخطوطاً عند أحفاده و فى بعض المكتبات الهنديه.

و من مؤلفاته تفسير للقرآن باللغه الأردويه و كتب فقهيه و أصوليه و رجاليه(١)

السيد راشد بن على بن خلف بن عبد المطلب الموسوى

المشعشى الحويزى

أديب شاعر له فضل و علم قتل سنة ١١٠٠ مع جماعه من إخوانه و عشيرته فى حادثه جرت بينهم و بين بعض الأعراب أشير إليها فى رياض العلماء ٧٧/٤ من شعره هذا البيت:

أخذنا أحاديث الطباً عن عيونها و ما كل م أملت عيون الطباً يروى

(٢)

السيد ربيع بن شرف جهان بن أبى الصلاح بن جعفر الحسنى

الأردستانى

من تلامذه السيد ميرزا علاء الدين محمد، و كتب نسخه من كتاب "نهج البلاغه" أتمها فى ليله الأحد ١٨ جمادى الآخره سنة ١٠٧٤ و كتب فى هوامشها كثيراً من إفادات أستاذه المذكور على الكتاب، و مجموع الهوامش المدونه فيها تدل على فضل و حسن ذوق لصاحب ترجمه(٣)

رجب على بن محمد صالح بن على نقى الطوسى الأصبهاني

فاضل محدث من تلامذه الشيخ أحمد الأحسانى و لكنه لم يتوغل فى المصطلحات الغريبه كما توغل فيه أستاذه المذكور، و هو من أعلام القرن الثالث عشر.

له "الأربعون حديثاً" (٤).

الحاج آقا رحيم أرباب

ولد سنة ١٢٩٧ و توفي سنة ١٣٩٦.

مرت له ترجمه موجزه، فى المجلد الأول من "المستدركات" و نعيدها هنا مضافا إليها ما لم يذكر هناك:

كان آباؤه من أعيان قريه جرمهين، إحدى القرى المعروفة فى لنجان من توابع أصفهان، و كانوا من أصحاب المزارع و العقارات، و لذلك كانوا يلقبون بالأرباب.

درس الحاج رحيم المقدمات فى المكاتب ثم انتقل إلى أصفهان فدرس فيها الفقه و الأصول على الحاج ميرزا بديع درب الامامى و الآقا السيد محمد باقر الدرجه إى و السيد أبى القاسم الدهكردى و درس الأدب على السيد محمود الكليشادى [الكليشادى].

و لكن يبقى أكبر أساتذته، هو الآخوند الكاشانى الذى درس عليه الفقه و الأصول و الكلام و الفلسفه و الرياضيات و الهيئه، و يعتبر الخليفه الأول للآخوند الكاشانى و أقرب طلابه إليه.

كان الحاج رحيم أرباب يسلك سبيلا وسطا بين الأصوليه و الاخباريه، و قد كان أستاذا كبيرا فى الرياضيات و الهيئه و النجوم بالاضافه إلى تدريسه الحكمه و الفلسفه.

و هو بارع فى الخط، و من نماذج خطه، ما هو موجود فى حواشى تفسير الطوسى (الطبعه الحجرية) و نموذج تعليقاته الرياضيه فى حواشى كتاب منهاج معادن التجنيس.

رسول الهمذاني

عالم بالرياضيات و الفلك، كتب ولده الحاج محمد حسين الهمذاني أن والده كان وحيدا بعلم النجوم فى همذان و توفي خامس شهر رمضان المبارك سنة ١٢٩٠ و هو فى السبعين من عمره (٥).

الحاج رضا قلى المشهدى

من سكنه مشهد الرضا (ع) كما صرح بذلك فى بعض ما كتبه، و هو عالم محدث جليل له اهتمام بكتب الحديث مقابله و تصحيحا.

أتم مقابله نسخه من كتاب "من لا يحضره الفقيه" فى يوم الحادى عشر من جمادى الثانيه سنة ١٠٦٥ بمشهد الرضا، و له عليها بعض التعليقات الداله على فضله و دقته.

و قابل المولى محمد زمان بن فوج أحمد السمنانى نسخه من كتاب "إكمال الدين" على نسخه صاحب الترجمة و أتم المقابله

بالمشهد فى غره ربيع الأول سنه ١١٠٢ معبرا عنه بالفاضل الكامل (٤)

رضا مشايخى بن عبد الحسين

ولد عام ١٣٢٦ فى طهران و توفى سنه ١٤١٠ فيها.

ص: ١٦٤

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- السيد أحمد الحسينى.
 - ٦- السيد أحمد الحسينى.

درس فى معهد دار الفنون ثم أرسل فى بعثه دراسيه إلى بلجيكا فدرس أربع سنوات و تخرج مهندسا للطرق. و لما عاد إلى إيران عمل فى وزاره الطرق ثم اختير رئيسا لهيئه سلك حديد إيران.

يعتبر من المترجمين البارعين، و قد قام بترجمه الكتب الآتية إلى اللغة الفارسيه.

(١) الاعترافات لجان جاك روسو (٢) الجمهوريه لأفلاطون (٣) الأخلاق لأرسطو (٤) العلم و الدين لبرتراند راسل (١)

أبو المجد الشيخ رضا بن الشيخ محمد حسين بن الشيخ

إشاره

محمد باقر بن الشيخ محمد تقى بن محمد رحيم بيك الأيوان

كيفى الرازى الأصبهانى

المعروف بالمسجدشاهى.

ولد فى النجف الأشرف فى المحرم سنه ١٢٨٧ و توفى فى أصفهان سنه ١٣٦٢ و دفن فى تخت فولاذ فى مقبره جده الشيخ محمد تقى.

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نعيدها هنا بتفاصيل أوسع.

أصله من عشيره "استاجلو" (٢)، و جده الأعلى الحاج محمد رحيم بيك المتوفى سنه ١٢١٧ انحدر من هذه العشيره و قيل هو أول من سكن أصفهان.

كان آباء أبى المجد من العلماء المشاهير و الفضلاء " ذوى الأقدار و المكانه، كما أن أمه العلويه (السيدة ربابه سلطان بيگم) بنت السيد محمد على المعروف بأقا مجتهد بنت السيد محمد باقر الأصبهانى المعروف بحجه الإسلام الشفتى من بيت السیاده و الشرف الجامعين للعلم و الفضيله، و أم أبیه العلويه بنت السيد صفدر الدين العاملى، و أم جده الشيخ محمد باقر هى (نسمه خاتون) بنت الشيخ جعفر الجناجى النجفى صاحب كتاب "كشف الغطاء".

أبوه الشيخ محمد حسين الأصبهانى المتوفى سنه ١٣٠٨ من وجوه تلامذه السيد محمد حسن الشيرازى.

و جده الشيخ محمد باقر الأصبهانى المتوفى سنه ١٣٠١ من أعظم علماء أصفهان الفقهاء فى عصره.

و جده الأعلى الشيخ محمد تقى الأصبهانى المتوفى سنه ١٢٤٨، معروف بالتحقيق فى الفقه و الأصول، و هو صاحب الكتاب المعروف "هدايه المسترشدين فى شرح معالم الدين".

قال الشيخ آقا بزرك الطهرانى: آل صاحب الحاشيه بيت علم جليل فى أصفهان، يعد من أشرفها و أعرقها فى الفضل، فقد نبغ

فيه جمع من فطاحل العلماء و رجال الدين الأفاضل، كما قضاوا دورا مهما في خدمه الشريعة، و نالوا الرئاسة العامه لا في أصفهان فحسب بل في إيران مطلقا.

و المترجم له - الشيخ محمد رضا - آخر عظماء هذه الأسره الذين دوى ذكرهم و اجتمعت الكلمه عليه، و فيهم اليوم علماء و فضلاء و أجلاء لكن لا يقاسون بصاحب العنوان و من سبقه...".

نشا نشاته الأولى في النجف و تعلم القراءه و الكتابه فيها.

و في التاسعه من عمره ذهب به أبوه إلى أصفهان، فقرأ النحو و كتاب "نجاه العباد" و "معالم الأصول" و "شرح اللمعه" على السيد إبراهيم القزويني، و "الرسائل" و "الفصول" و علم العروض و الحديث على أبيه و آخرين.

و في شهر ذى الحجه من سنه ١٣٠٠ عاد إلى النجف بصحبه أبيه و جده الشيخ محمد باقر الأصفهاني، و درس بها على علمائها الأعلام، فتتلمذ في الفقه و الأصول على الميرزا حبيب الله الرشتي و الحاج آقا رضا الهمداني و المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي و السيد إسماعيل الصدر و شيخ الشريعة الأصفهاني.

و لما هبط النجف السيد محمد الفشاركي الأصفهاني مهاجرا من سامراء صحبه و لازمه فاستفاد منه كثيرا، و كان كثير الثناء عليه بحيث كان يعتقد بان استفادته منه على قصر المده فوق ما حصل عليه من الآخرين، و بعد وفاه أستاذه هذا لم يدرس عند شيخ آخر.

و أخذ علو [علوم] الحديث و الرجال و الدرايه عن الميرزا حسين النوري صاحب "المستدرک" و السيد مرتضى الكشميري.

و قرأ العلوم الرياضيه و جانبا من علم الفلسفه على الميرزا حبيب آ [الله] الطهراني الشهير بذى الفنون.

و تخرج في الأدب و الشعر على شاعر عصره السيد جعفر الحلبي، و ساجل كبار شعراء العراق حتى برع في الشعر العربي و نظم فيه.

و قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني أيضا:

"جد في الاشتغال في دورى الشباب و الكهوله حتى أصاب من كل علم حظا، و فاق كثيرا من أقرانه في المعقول و المنقول.

كان مجتهدا في الفقه، متبحرا في الأصول، متضلعا في الفلسفه، خيرا بالفسير، بارعا في الكلام و العلوم الرياضيه. و له في كل ذلك آراء ناضجه و نظريات صائبه في الأدب و الشعر و قد ولع بالقريض فصحب فريقا من أعلامه يوم ذاك، كالسيد جعفر الحلبي - و كان تخرجه عليه كما حدث به - و السيد إبراهيم

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٢- من العشائر القزلباشيه الكبيره التي كانت في بدايه الدوله الصفويه، و كان قوادها اليد اليمنى للشاه إسماعيل الأول.

الطباطبائي و السيد محمد سعيد الحبوبى و الشيخ عبد الحسين الجواهرى و الشيخ هادى آل كاشف الغطاء و الشيخ جواد الشيبى و الشيخ محمد السماوى و غيرهم. عاشر هؤلاء الأفاضل زما طويلا و نازلهم فى سائر الحلبات و الأنديه الأدييه النجفيه، حتى برز بينهم.

و كان حلو المعشر ظريف المحضر كثير المداعبه جميل المحاوره يرصد النكته و يجيد النادره، و مع تلك المكانه العلميه و الشهره لم تكن حالته الماديه على ما يرام".

أقول: إن هذا العالم التحرير الذى اعترف بفضله و فضيلته عارفه كان يعانى الفقر و الإعواز و يشكو قله ما فى يده، و يتضجر إلى خالص أصدقائه مما يمسه من آلام الحاجه، و ربما يبث ذلك فى شعره و نثره.

فى أصبهان

بعد أن استحصل العلم فى الحوزه العلميه بالنجف الأشرف أكثر من ثلاثين سنه عزم فى سنه ١٣٣٣ على العوده إلى أصبهان للمضائقات و الفتن التى كان يصيبه طرف منها بسبب قيام الحرب العالميه الأولى، فخرج من العراق بصحبه الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى إلى "سلطان آباد" حيث بقى الشيخ الحائرى بها و أم المترجم أصبهان، فوصلها فى يوم الثلاثاء غره شهر محرم سنه ١٣٣٤.

قوبل فى أصبهان بحفاوه و إكبار و حصل له ما كان لأسلافه الأعلام من الزعامه الدينيه و المكانه الروحيه، و قام مقام والده فى سائر الوظائف الشرعيه، من الامامه و التدريس و نشر الأحكام و تمهيد قواعد العلم.

و كان يقيم صلاه الجماعه فى المسجد المعروف ب "مسجد نو".

و فى سنه ١٣٤٤ ذهب إلى قم و بقى بها مدرسا نحو سنه واحده ثم عاد إلى أصبهان.

نظره فى شعره

عالج فى شعره أغراضا إخوانيه أكثر من غيرها، فقد مدح أناسا كان يكبرهم، و أكثر هؤلاء ذكرا فى شعره وجوه علماء آل كاشف الغطاء و جماعه من معاريف شعراء عصره ممن كان له بهم صلوات و ديه و مساجلات شعريه. و ربما هجا أناسا أصابته منهم آلام روحيه، و لكن بأبيات قليله ذات محتوى مقنع.

و بعد إخوانياته تأتى المعانى الأخرى التى طرقها فى شعره فى مقاطع قصيره لا تتجاوز الأبيات.

فمن شعره قوله فى شكوى الزمان:

ليل الشباب إذ غدا مفارقيلاح صباح الشيب فى مفارقي

لا أستعير الغصن للقد و لأشبهه الخدود بالشقائق

أصبو إلى الدنيا و أدرى أنها معشوقه تمطل وعد العاشق

فلست بالذليل لما أدبرتو لا على إقبالها بالوائق

ما شمت برقا قط إلا خائبوا ما رأيت ضوء برق صادق

فليقطعني معشرى فاني قطعت منهم قبلهم علائقي

ما القرب في الأنساب نافع إذ اتباعد الأرحام في الخلائق

كم عارض منهم رجوت سيهفلم أصب منه سوى الصواعق

لا غرو إن حرمة فان ذاجزاء من يأمل غير الخالق

ليس ابن عمى مانع الرزق و لاعمى من دون الإله رازقى

أعضل داء قله الحظ فكما عيا دواه كل طب حاذق

فكم ترى مقصرا في حلبها وهمه الحظ بوهم السابق

يا نفس لى من الاباء شيمهفصاحيى مره أو فارقى

لا رجعت كفى إلى بعد ما الحاجه مدت إلى الخلائق

إنى امرؤ لا اليسر يطغينى و لالعسر عن الجود تراه عاتق

لى سيف عزم ما نبا قط و لانجاره فارق يوما عاتقى

و هو فى مؤلفاته العلميه يجد فى أن يعطى صورته واضحه عما يريد البحث عنه، فيتعد سعيًا وراء المعنى عن المحسنات الظاهريه للجمل و التعابير، تلك المحسنات التى توجب تعقيدا يكلف القارئ مزيدا من الجهد فى فهم المقصود.

أما نشره فى رسائله إلى إخوانه الأدباء، فهو على طريقه القدماء ملتزم بالسجع و مقيد بالصنائع البديعيه و اختيار المواد اللغويه المحتاجه فى استكشاف معنى بعض موادها إلى الرجوع إلى معاجم اللغه و المصادر الأدبيه.

و هذه الطريقه لا تخلو عن التعقيد فى تركيب الجمل و طنطنه فى الألفاظ، إلا أن أبا المجد لتمكنه من علم اللغه و طول دراسته لآدابها يظهر فيما يكتبه كان الألفاظ جاءت طبعه لقلمه موضوعه فى مواضعها اللائقه بها.

و إليك فيما يلى قطعه من رساله كتبها إلى صديقه الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء:

" يا من ذكرني حين نسيني بقيه الأصحاب، و سلك معي طريق الوفاء مذ جفاني الإخوان و الأتراب، كيف أطيق أن أؤدى شكر جميلك بلسان القلم، و أنت المعجز للعرب الفصحاء فكيف بالأعجم الأبيكم، و قد وصلت القصيده المزريه بعقود الجمان، فقلت: سبحان من خلقك و علمك البيان. امثلت أمرك برد الجواب مع علمي بانى لست من فرسان هذا الميدان، و لو أصبحت من نابغه بنى ذبيان، و لكنى رأيت امتثال أمرك من الفرض الواجب، فجئت بأبيات أرجو من فضلك العفو عن جميعها، فلو لا اشمالها على مدحك لقلت: كلها معايب. و كيف يبلغ حضيض الأرض ذرى كيوان، أم كيف يقابل بصغار الحصى غوالى الدر و المرجان.

ص: ١٦٦

مع معاصريه من الأدباء و الشعراء

كانت له مكانته بين أدباء العراق عامه و شعراء النجف الأشرف خاصه، يحضر محافلهم الأدبيه و يساجلهم نظما و نثرا عند ما تبتعد الديار و يفصل بينهم الزمان.

و لقد حفظت الدواوين الشعريه بعض القصائد و المقطوعات التي أنشدها الشعراء فى الثناء على فضله و علمه و خلقه.

من ذلك قول صديقه السيد جعفر الحلى من قصيده:

إنى اختيرت بنى الورى فرأيتهم أن الوفاء بهم أقل قليل

و أرى باجيال الزمان تنازلا و أشد منها فى التنازل جيلى

لا عولت نفسى عليهم إننى بعد الإله على (الرضا) تعويلى

مولى يلوذ الخائفون بظله و الآملون تفوز بالمامول

خلق الإله يمينه مبسوطه للبطش و التنويل و التقييل

يا من حمى دين النبى بفكره تمضى مضاء الصارم المصقول

ما زلت تنطق بالصواب كأنما يوحى إليك لسان جبرائيل

شابتهت أهليك الكرام بمجدهم و الشبل أشبه فى أسود الغيل

شيدت مجدهم و فزت بعزهم ضعفا و هم كانوا أعز قبيل

بشرى (الغرى) فإنها بك أصبحت و جنبها فى المحل غير محيل

فكأنها مصر و أنت خصيبيها و يداك تعرب عن مجارى النيل

بيتك فهو كعبه أنعم تسعى العفاه له بكل سبيل

و من قصيده للسيد على العلاق كتبها له مراسلا:

يا مهر لا تسأم فعند الصبح يحمد منه مسرى

و لسوف ترضى بالرضا ملكا أعار العدل كسرى

ندب يرى حبس الندى فقراً و بذل المال وفرا

بحر يزجى السحب للنائي و يقرى الوفد درا

و إذا تكلم خلته ليتا باجمته هزبرا

قد شاد بنیان المعالی فاطمان بها وقرا

نشرت فضائله فشعت فى سماء المجد زهرا

و جرت أنامله فسحت فى ثرى العافين تبرا

و شدت محامده فطبق نشرها الملوين عطرا

شيوخه فى روايه الحديث

و المجازون منه

١ - شيخ الشريعة الأصبهانى. ٢ - السيد حسن الصدر الكاظمى. ٣ - الميرزا حسين النورى. ٤ - الشيخ محمد باقر البهارى الهمذانى. ٥ - السيد محمد بن المهدي القزوينى الحلى. ٦ - السيد حسين بن المهدي القزوينى الحلى.

و كتب إجازات مبسوطه لبعض المستجيزين منه أحال إليها فى بعض إجازاته المختصره، و بلغت إجازاته للعلماء و الأفاضل إلى أكثر من مائه إجازة حديثيه، و قد أجاز بعض هؤلاء أيضا بإجازات اجتهاديه (١).

السيد رضى الدين بن على أكبر بن عبد الكريم بن أحمد بن

نعمه الله الموسوى القزوينى

من وجوه علماء قزوين النابهين، كان يهوى الكتب و يسعى فى جمعها و قد تجمعت لديه مكتبه لا بأس بها رأيت بقاياها عند حفيده الخطيب السيد على أصغر فحول القزوينى بقزوين، و يظهر أنه كان يستخدم بعض من يستنسخ له ما أراد من الكتب ثم يقابلها و يصححها بنفسه توفى بعد شهر رمضان المبارك من سنة ١٢٧٧، إذ قابل فى هذا الشهر بعض الكتب و أوقف ورثته مقدارا من كتبه بوصيه من بعد وفاته فى نفس السنه.

له "أصول الفقه" و "أنوار الهدايه" و "الوظائف" فقه مبسوط جدا (٢).

السيد رضى الدين بن يوسف السبزواري البيهقي

شيخ الحفاظ بمشهد الرضا (ع). تتلمذ عليه فى القراءه الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى و ذكره فى أول أرجوزته "الكامل

فى الصنائه " مصرحا بأنه ىروى عنه كتاب "النشر" للجزرى و هو ىرويه عن والده الشىخ ىوسف عن الشىخ شمس الدين محمد الشامى عن الشىخ عماد الدين القدسى عن الجزرى صاحب النشر(٣).

رفيع الدين الطباطبائى

المشهور بالميرزا رفيعا النائينولد سنة ٩٩٨ هـ الموافق للسنه الثالثه من سلطنه الشاه عباس الأول - ولد فى زواره، و بعد عمر مبارك استمر ٨٥ عاما فارق الحياه، و دفن فى مدينه أصفهان.

يعد الميرزا رفيعا من مشاهير الفلاسفه، إضافه إلى كونه متبحرا فى الحديث، و آيه ذلك شروحه على أصول الكافى و الصحيفه السجديه. و الملفت للانتباه أن بحوثه الكلاميه و الفلسفيه تشتمل على مواضع استند فيها إلى الروايات. و هو بذلك إنما يضيف على البحوث العقليه جمالا و روعه بتطعيمها بكلام الأئمه (ع).

و من الميزات الأخرى لهذا العالم، قدرته فى التفسير و على الرغم من عدم وجود أثر مستقل له فى التفسير، إلا أن التدقيق فى بحوثه الكلاميه و الفلسفيه تدلنا على استنتاجاته العميقه من آيات القرآن.

و قد عدّه أكثر أصحاب التراجم فى عداد الفقهاء، و ذكرت بعض المصادر أن له نظريات و آراء فقيهه خاصه، و على سبيل المثال ىرى الوجوب التخييرى فى صلاه الجمعه، ذكر ذلك الميرزا على رضا التجلى فى تعليقه على رساله المحقق السبزوارى،

ص: ١٦٧

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.

حيث ذكره في عداد الفقهاء الذين يرون هذا الرأي.

١ - أساتذته الميرزا رفيعا الشيخ البهائي و المولى عبد آ [الله] الشوشترى و مير أبو القاسم الفندرسكى، و من تلامذته العلامة المجلسى و الشيخ الحر العاملى، و قد أثنى عليه هؤلاء.

مؤلفاته

١ - الشجرة الالهيه: رساله باللغه الفارسيه تحتوى على بحوث عميقه كتبت بأسلوب عميق و صعب نسبيا فى المسائل العقيديه الشيعيه، و من وجهه النظر الكلاميه و الفلسفيه. و يلاحظ خلال البحوث الفلسفيه و الكلاميه لهذا الكتاب بحوث فى التفسير.

و من الميزات المهمه لهذه الرساله اشتمالها على أسئله و شبهات يمكن أن يطرحها العدو و الصديق تليها أجوبه دقيقه و عميقه لهذه التساؤلات. كتبت هذه الرساله باسم الشاه صفى (شاه سليمان الصفوى) و كان الفراغ منها فى التاسع من ربيع الأول عام ١٠٤٧ هـ، و قد جاء فى مقدمتها: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين و الصلاه و السلام على خير خلقه محمد و آله أجمعين".

و جاء فى سبب تأليفها بقلم المؤلف: "...أما بعد، لما كان أعظم نعمه يختص بها الإنسان هى العلوم الدينيه و المعارف اليقنيه التى هى السبيل إلى نيل النجاه و الفلاح فى النشأتين و ذلك بتعلمها و تعليمها، و تكون السبيل إلى الخسران العظيم و العقاب الأليم بتضييعها و كتمانها، من هنا كتب فى ذلك العبد القليل البضاعه الكثير المعاصى محمد حيدر الملقب برفيع الدين الحسينى الطباطبائى، بأسلوب ينتفع به المبتدئ و المتقدم فى الدراسه. و قد أسميت هذه الرساله بالشجره الالهيه، و جعلتها مشتمله على مقدمه و ثمانيه مواضع".

تشتمل هذه الرساله على مقدمه فى فصلين، يليها بحث فى إثبات واجب الوجود فى بضعه أسطر، ثم بحث فى سبعة فصول حول الصفات الثبوتيه لله. الفصل الأول فى علم البارى سبحانه و الفصل الثانى فى قدرته جل شأنه، و الفصل الثالث فى كونه تعالى حيا، و الفصل الرابع فى عظمته، و الفصل الخامس فى كونه - سبحانه - سميعا و بصيرا، و الفصل السادس فى كونه متكلما، و الفصل السابع فى كون واجب الوجود أزليا أبديا. ثم ياتى بعد ذلك البحث الثالث فى سبعة فصول أيضا، تدور حول الصفات السلبيه لله. أما البحث الرابع فهو فى عشره فصول تبحث الأفعال و توحيد الأفعال.

رأسى أبو القاسم رفيعى المهرآبادى، و هو من الفضلاء المعاصرين، نسختين خطيتين لهذه الرساله، حررت إحداهما فى عام ١٠٦٧ هـ و الأخرى فى عام ١٠٧٣ هـ. و ثمة ثلاث نسخ لهذه الرساله فى مكتبه كليه الإلهيات و المعارف الإسلاميه فى مشهد بالمواصفات التاليه: ١ - الشجره الالهيه: تاريخ الانتهاء من التأليف التاسع من ربيع الآخر عام ١٠٤٧ و تلحق بها رساله ثمره الشجره الالهيه، و كذلك رساله باسم حدائق الصالحين تأليف الشيخ البهائى. حررت الرساله الأولى و الثانيه بخط النسبتيق فى يوم الجمعه ٢٢ ذى الحجه عام ١٠٩٢ هـ بقلم محمد معصوم بن على رضا الحسينى.

٢ - النسخه الثانيه: محفوظه تحت رقم ٥٩ فى مجموعته موجوده فى المكتبه أولها رساله الشجره الالهيه للميرزا رفيعا.

٣ - النسخه الثالثه: تشتمل على الشجره الالهيه و ثمره الشجره، و هي محفوظه فى المكتبه تحت رقم ١٣٣٧.

و كذلك ثمه نسخه منها فى المكتبه المركزيه فى جامعه طهران محفوظه تحت رقم ١٥٩ و هي وقف على أصغر حكمت.

و قد انبرى السيد عبد الله النوراني و هو أحد الفضلاء المعاصرين لتصحيح النسخه المذكوره، و طبعت فى نشره (جاويدان خرد) و هي نشره جمعيه الفلسفه فى إيران.

٢ - ثمره الشجره الالهيه: و هي ملخص للشجره الالهيه، و فى الواقع هي مكمله لبحوثها. و تبدأ بالعباره التاليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هو المستعان، الحمد لله الذى بالالهيه لجميع ما سواه، المتفرد بالربوبيه لقاطبه ما عداه... " و تنتهى بالعباره التاليه: " و السلام على خير البشر و خاتم النبيين و آله الطيبين الطاهرين. تحريراً فى شهر ذى الحجه الحرام سنه سبعين و ألف هجريه ".

تبدأ الرساله بتوضيحات الكاتب، ثم تليها المقدمه فى بابين، و ياتى البحث الأول فى ثمانيه فصول، تدور حول التوحيد و الصفات الجماليه لله، ثم ياتى البحث الثانى فى أربعة فصول حول صفات الجلال الالهيه. و البحث الثالث فى خمس فصول حول الأفعال، ثم البحث الرابع فى أربعة فصول حول بعثه الأنبياء و الرسل، يليه البحث الخامس فى ستة فصول عن الامامه. و فى الخاتمه يتناول بحثاً عن المعاد الجسماني.

و كما ذكرنا فان نسخه من هذه الرساله محفوظه فى مكتبه كليه الإلهيات و المعارف الإسلاميه فى مشهد مع الشجره الالهيه.

و توجد نسخه منها فى مكتبه جامع گوهرشاد تحت رقم ٥٥٢ بالمواصفات التاليه: قطع رقى، خط النستعليق، محرره فى عام ١٢٣٨ هـ. ق.

و ثمه نسخه أخرى منها فى المكتبه المركزيه لجامعه طهران تحت رقم ٤٠٣٣ بخط النستعليق، محرره فى عام ١٠٧٠ بالقطع الرحلى، و قد سقطت بدايه هذه النسخه.

صحح هذه النسخه السيد عبد الله نورى [النوراني]، و طبعت فى كتاب " عامرى نامه " عام ١٣٥٣ هـ. ش.

٣ - شرح أصول الكافي: يوجد هذا الشرح الذى يبدو أنه لم يكتمل، فى مكتبه مدرسه الشهيد المطهرى فى طهران، حيث تحفظ منه ثلاث نسخ تحت الأرقام التاليه: ١٦٩٧، ١٦٩٨ و ٣٣٨٠. و فى فهرست المكتبه الرضويه يوجد تعريف لنسخه خطيه لهذا الشرح، جاء فيه: كتب الميرزا رفيعا شرحا عربيا على الكافي أسماه "القول". يحتوى على العديد من التحقيقات إلا أنه لم يكمله. حيث تنتهى نسخه المكتبه الرضويه

بالحديث الشريف:

"إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا" المذكور فى باب "معرفة الامام و الروايه" و يظهر من ذلك أن المؤلف لم يكمل كتابه.

بدايه الكتاب: "الحمد لله رب العالمين و الصلاه على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله الطاهرين قوله المحمود له نعمته المعبود لقدرته لما كان انعامه باعثا لأن يحمد و شكرا لما وقع و حسبا لما يقع و قدرته على ما يشاء... " و ينتهى الكتاب بالعباره التاليه: " و حيث قال يتقبل الله من المتقين".

توجد فى مكتبه كليه الإلهيات و المعارف الإسلاميه فى مشهد مجموعه تحت رقم ١٤٢٢ رابع كتاب فيها هو شرح الكافي للسيد الأمير رفيع الدين الطباطبائى. و جاء على ظهر الصفحه الأولى من هذه النسخه بقلم تلميذ الميرزا رفيع الأمير معصوم القزوينى (المتوفى عام ١٠٩١ هـ) ما يلى: "... و بعد فهذه تعليقات دقيقه و تدقيقات أيقه متعلقه بإيضاح المقصود و تبين المرام و إبداء الاحتمالات فى الأحاديث المرويه عن أهل بيت العصمه (ع) فى نبد من أصول الكافي... " ثم يتحدث عن شخصيه المؤلف الذى كان هو تلميذا له.

و يبدأ هذا الشرح أو الحاشيه بما يلى: "بسمله قوله المحمود لنعمته المعبود لقدرته. لما كان إنعامه تعالى باعثا لأن يحمد شكرا لما وقع." تبدأ هذه النسخه من الأول حتى شرح

حديث (عرض ما بين صنعاء إلى ايله) من باب ما فرض الله عز و جل و رسوله من الكون مع الأئمه (ع) من كتاب الحججه فى أصول الكافي و لم يكمل المؤلف هذه النسخه " مواصفاتها: خط النستعليق. اسم المدون مجهول - ١٩ سطر.

٤ - حاشيه الصحيفه السجديه: كتب العديد من علماء الشيعة حواشى و شروحا على هذا الكتاب القيم، من هؤلاء العلماء السيد نعمه الله الجزائرى، و السيد على خان الحسينى الشيرازى صاحب كتاب (سلافه العصر) و هو من المعاصرين لرفيعا. و كذلك الفقيه المحدث المعاصر للشاه عباس الأول بديع الزمان الهرندى القهبائى. و لم يتسن لى الاطلاع على النسخه الخطيه لرساله الميرزا رفيعا فى هذا المجال، إلا أن أصحاب التراجم نسبوا له هذا الأثر القيم.

٥ - شرح حديث حدوث الأسماء: و هى رساله كتبها باللغه العربيه، تبدأ بالعباره التاليه: "قال (ع) الله تعالى خلق أسماء بالحروف غير متصوف... (فى أكثر النسخ) أسماء بلفظ الجميع و فى بعضها أسماء بالأفراد". و تنتهى ب "و يستوى فيه صحه التعبير عنه بهاء، هذه من إفادات الميرزا رفيعا و السلام على من اتبع الهدى و لعنه الله على أعدائهم إلى يوم الدين" هذه النسخه محفوظه فى مكتبه مجلس الشورى الإسلامى تحت رقم ١١ بالمواصفات التاليه: خط نسخ بدون اسم المحرر، ١٩ سطر كتبت العناوين

٦ - حاشيته على شرح الإرشاد للمحقق الفقيه الملا أحمد بن أحمد بن محمد الأردبيلي (المقدس الأردبيلي).

٧ - حاشيته على شرح إرشاد الأذهان للعلامة الحلبي. و في التعليق على هذا الكتاب يذكر الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتاب الذريعة: من كتب الميرزا رفيعا شرح إرشاد الأذهان للعلامة الحلبي، و يطلق عليه اسم الحاشية.

٨ - حاشيه على مختلف العلامة. ٩ - حاشيه على مدارك الأحكام، ١٠ - حاشيه على شرح العين لميرك البخاري، ١١ - حاشيه لشرح إشارات الخواجه نصر [نصير] الدين الطوسي، ١٢ - حاشيه لشرح مختصر الأصول للحاجبي، ١٣ - رساله في أقسام التشكيك و الحقيقه. ١٤ - رساله في شبهه الاستنزام. ١٥ - أجوبه المسائل بشأن العبادات، كتبها باللغه الفارسيه. ١٧ - حاشيه على قواعد العلامة الحلبي (١).

رفيع الدين محمد رفيع بن علي أصغر التبريزي، نظام

العلماء

مذكور في نباء البشر ص ٧٨٧، و نقول:

أتم تأليف كتابه (الفوائد النظاميه) في سنه ١٢٧٧ في قريه "أصغرآباد" و صرح في آخره أنه في تلك السنه قد مضى من عمره سبعة و عشرون عاما. تكون ولادته في سنه ١٣٥٠.

له غير كتبه المذكوره في الذريعه "الفوائد النظاميه" (٢)

السيد مير رفيع بن السيد مير علي بن السيد مير

عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان

الطالقاني

الأصل القزويني المولد و المنشأ ولد في قزوين حدود سنه ١٢٠٠ و توفي بها سنه ١٢٧٢ حكيم متأله و طيب حاذق و أصولي محقق و فقيه متبحر أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل رجال أسرته ثم أكمل السطوح على علماء قزوين و منها هاجر إلى أصفهان و أخذ الحكمة و الفلسفه

١- غلام رضا كلٲى زواره.

٢- السٲد أحمء الءسٲنٲى.

عن الآخوند ملا علي النوري المتوفى سنة ١٢٤٦ ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فحضر في النجف الأشرف على الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ و بعد مده استقر في كربلاء و تخرج في الفقه و الأصول على السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض المتوفى سنة ١٢٣١ و نجله السيد محمد المجاهد المتوفى سنة ١٢٤٢ و أجز من مشايخه فرجع إلى موطنه قزوین و اشتهر في الطب و كان من أكابر الأطباء الحاذقين و شغل كرسى التدريس للعلوم العقلية و الفلسفه العاليه لا سيما الطب في المدرسه الصالحيه و هو أبو الأسره آل الرفيعى التى هى من مشاهير الأسر العلميه القزوينيه التى بزغ بدرها في أفق قزوین في أواخر القرن الحادى عشر و مطلع القرن الثانى عشر للهجره فان جدها الأعلى محمد زمان الطالقانى القزوينى المتوفى سنة ١١١٠ الآتى ذكره من علماء عصره في قزوین و كان أول من نزح من طالقان و سكن قزوین و اشتهر هذا البيت باسم المترجم له الذى أصبح اسمه عنوان هذه الأسره و خلف خمسه أولاد كلهم من العلماء و هم ١ - السيد مير هبه الله المتوفى سنة ١٣٢٠ صهر الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى على بنته العالمه الفاضله ربابه(١) ٢ - السيد مير عبد الباقي. ٣ - السيد مير إبراهيم المعروف بالسيد خليل المتوفى سنة ١٣٣٩ والد السيد أبو الحسن الرفيعى القزوينى المتوفى سنة ١٣٩٦(٢) ٤ - السيد مير شفيق المتوفى سنة ١٣٢٥ ٥ - السيد مير يحيى.

ترك المترجم له بعض الرسائل الفلسفيه و العرفانيه و الطبيه كلها موجوده في مكتبه المحامى السيد حسين نجل السيد مير هبه الله الرفيعى القزوينى سبط الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى في طهران(٣)

الدكتور رمال بن حسن رمال

ولد في بلده الدوبر [الدوير] (جبل عامل) سنة ١٩٥٢ م و توفى سنة ١٩٩١ في مدينه غرونوبل بفرنسا و نقل جثمانه إلى بلدته الدوير فدفن فيها.

ظهر نبوغه في مادتي الرياضيات و الفيزياء منذ بدايه دراسته.

و عند ما تقدم لنيل شهاده البكالوريا - القسم الثانى فرع الرياضيات عام ١٩٦٩ في حيث كان تلميذا في ثانويه البر و الإحسان الرسميه جاء ترتيبه الأول في لبنان في علامه الرياضيات عندها و فرت له "الجمعيه الخيريّه الشيعيه للتوجه و التخصص العلمى" منحه لإكمال دروسه في فرنسا.

و نظرا إلى تفوقه نال منحه من الجامعه الفرنسيه و كان يتنافس على النجاح مع حفيد العالم أنشتاين. و عام ١٩٧٧. نال رمال شهاده الدكتوراه الحلقه الثالثه في الفيزياء الاحصائيه ثم شهاده دكتوراه دوله عام ١٩٧٩، مما أهله لشغل منصب أستاذ في جامعه غرونوبل الفرنسيه ثم بدأ يعمل باحثا في أهم مؤسسه للأبحاث في فرنسا هي "المركز الوطنى للأبحاث العلميه".

و عام ١٩٨٨ عين مديرا لمختبر فيزياء الإحصاء في المركز إثر تقليده و ساما علميا رفيعا هو الميداليه الفضيّه للأبحاث العلميه تقديرا لأبحاثه التى جعلت منه عالما على المستوى الدولى شارك رمال في الكثير من المؤتمرات العلميه في ألمانيه و بلجيكا و أميركا. و في الفتره الأخيره كانت أبحاثه تتمحور على الطاقه المزدوجه و حصر أشعه الشمس الممغنطه في بؤره ضيقه. و قبل ثلاثه أيام من وفاته كان لوزير البحث العلمى الفرنسى لقاء معه بهدف وضع برامج مستقبليه للأبحاث التى سيقوم بها.

و أعطت الصحافه الفرنسيه و الاعلام الفرنسي الدكتور رمال حقه و كانت وفيه لما حقه و يحقته.

و فى عام ١٩٨٤ كانت تتحدث عنه كأصغر باحث علمى فى العالم. و اعتبرت مجله "لوبوان" الفرنسيه أنه بعد سنوات سيحكم فرنسا مع عشرين آخرين هو على رأسهم.

ناقش رمال أطروحته فى الفيزياء النوويه و الرياضيات أمام ١٦ عالما فرنسا أثار دهشتهم مما دفع رئيس الوزراء الفرنسي آنذاك جاك شيراك إلى الاجتماع معه.

و رأس العالم اللبناى البعثات العلميه الفرنسيه إلى الخارج.

و اعتمدت نظريته فى التدريس فى الجامعات الفرنسيه. و ترك أبحاثا مهمه فى علوم تخزين الكهرباء و درجه الحراره المنخفضه و المغناطيس.

و رثته جريده الحياه قائله:

العالم اللبناى رمال الذى اختارته المجله الفرنسيه النافذه "لوبوان" أخيرا من بين ١٠٠ شخصيه بوصفها رجالات العام ٢٠٠٠، قضى نجه بعد ظهر الجمععه الفائت فى مدينه غرونوبل بسكته قلبيه مفاجئه، فى المختبر العلمى التابع ل "مركز الأبحاث الخاص بالحرارات المنخفضه". و تأخر نشر خبر الوفاه، بتوافق بين أخوى الراحل المقيمين فى فرنسا و إداره المركز، لترتيب المعاملات، و من بينها تكريم الفقيد فى فرنسا و نقل جثمانه تاليا إلى لبنان.

و قال الدكتور بيار مونسو، مدير المركز، إن المركز سينظم بالتعاون مع هيئات علميه و جامعيه فرنسيه عدده غدا فى صاله "بوليفوتا" فى مدينه غرونوبل احتفالا علنيا بكرم [يكرم] فيه الفقيد و يعدد خصاله مثل مجهوداته العلميه. و سينقل جثمانه الأحد المقبل إلى

ص: ١٧٠

١- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٤ ص ١٠٤-١٠٥.

٢- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣ ص ٧.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

لبنان لدفنه في مقبره العائله في الدوير (جبل عامل) " الخساره كبيره " يؤكد الدكتور مونسو، خصوصا أن الفقيه لم يكمل بعد عامه الأربعين " خطفه الموت و هو في ذروه نشاطه العلمى ". أراد الدكتور مونسو من ذلك الإشاره إلى البحوث العلميه الكثيره التى نشرها الراحل فى المجالات العلميه المتخصصه فى السنوات الأخيره، و إلى الميداليه الفضيئه التى خصه بها "المركز الوطنى للبحوث العلميه" (و هو أرفع مؤسسه علميه فرنسيه فى و إلى الشهره المبكره التى عرفها، خصوصا أن المجله العلميه "علوم البحث" و صفته فى ١٩٨٤ ك " أصغر باحث فى العالم".

من هو هذا العالم الكبير الذى مات فتيا؟ ذاع صيته منذ عام ١٩٦٩ حين حل فى المرتبه الأولى فى امتحانات البكالوريا - قسم الرياضيات فى لبنان. نجح فى الحصول على منحه علميه من الجمعيه الإسلاميه الشيعيه للتخصيص و التوجيه العلمى "، و التحق بجامعة غرونوبل لدرس الفيزياء و فى حصل على شهاده الدكتوراه (حلقة ثالثه) فى الفيزياء الاحصائيه، و فى على دكتراه الدوله فى التخصص العلمى نفسه. و كان عين فى أستاذا فى جامعه غرونوبل، و مديرا فى المختبر العلمى الذى تابع فيه بحوثه حتى وفاته.

و توصل العالم رمال إلى وضع نظريه جديده على تخزين الكهرباء و إنتاج قوه مغناطيسيه فائقه القوه. تقوم نظريته على تعطيل أيه مقاومه كهربائيه فى الأجسام بحيث تزيد بالتالى طاقتها زياده مذهله، كما تمكنه من تخزين الطاقه أو من إنتاج مغنطيسات شديده القوه. إلا أن نشاط رمال فى مجال نقل الحراره و تمديدها لم يمنعه أبدا من إجراء بحوث اختباريه فى مجال الحراره المنخفضه كذلك و يعتبر من أهم الاختصاصيين العالميين فى علم التكتائف الكهربائى، أى تجميع الأشعه فى مساحه ضيقه.

عرف عنه انصرافه الشديد إلى العمل و البحث، حتى أن الكثير من معارفه فى غرونوبل، و من اللبنانيين، لم يكن يتوصل إلى لقائه إلا مصادفه، و فى أوقات متباعده.

و نشر فيما يلى، نص المقدمه التى كتبها الأساتذه. J.C Angles d'auriac,B.Doucot,j.M.Caillard .

للمجلد الثالث العدد الثانى/شباط ١٩٩٣ لمجله Journal Physique الفرنسيه، المتخصصه و التى تصدرها الجمعيه الفيزيائيه الفرنسيه، بدعم وزاره البحث و الفضاء (DIST)، و المركز الوطنى للبحث العلمى (C.N.R.S). و قد خصص هذا العدد تكريما لذكرى رمال رمال.

ولد رمال رمال فى لبنان عام ١٩٥٢. أتم دراسته الثانويه فى بيروت عام ١٩٦٩ حيث حاز بتفوق على شهاده البكالوريا الرسميه، القسم الثانى، فرع الرياضيات فى أيلول من العام نفسه، فتوجه إلى غرونبل (Grenoble) جنوب فرنسا حيث التحق بالجامعه العلميه و الطبيه لغرونوبل (Universite Scientifique et Medicale de Grenoble USMG).

فى العام ١٩٧٣ أنهى بتفوق شهاده الجداره فى الرياضيات البحته، و فى العام ١٩٧٤ أنهى شهادتى الجداره فى الرياضيات التطبيقيه و الفيزياء من الجامعه نفسها.

بعد ذلك، اختار رمال التخصص فى الفيزياء، دون أن ينسى أبدا ميلا جامحا للرياضيات. و جاءت أطروحته للدكتوراه (الحلقه الثالثه) فى العام ١٩٧٧ "بعض مسائل الاسترخاء فى الزجاج" <> لترسم بدايه مهنته كفيزيائى. و يعتبر عمله هذا مدخلا و مقاربه

فيزيائيه للمشاكل التجريبيه. و حتى فى أعماله الأكثر تصوريه، أظهر رمال أهليه و براعه تربط الأعمال التصوريه بالتجربه.

و تتجلى قدراته على العمل و ثقافته العمليه فى أطروحه الدكتوراه دوله <> "الميكانيكا الاحصائيه لزجاج السبن: إحباط و طرق عديده".

ما إن أنهى شهاده الدبلوم فى الدراسات العليا فى ماده الديناميكا الحراريه (Thermodynamique) حتى بدأ رمال التدريس فى جامعه غرونوبل USBG بصفه أستاذ مساعد و مشارك، ثم عمل باحثا فاستاذ أبحاث فى المركز الوطنى للبحوث العلميه CNRS و فى مركز الأبحاث فى درجات الحراره المتدنيه جدا CRTBT فى غرونوبل Centre de recherches (Grenoble, sur lestres basses temperatures) كما شغل منصب مكلف بالأبحاث فى معهد المعلمين العالى (ENS Ecole Normale Superieure).

و أمضى حوالى الستين زائرا فى جامعات أميركا و كندا.

و منذ العام ١٩٨٨، و حتى وفاته، شغل منصب مدير الأبحاث فى CRTBT غرونوبل، و أعطى دروسا و محاضرات فى غرونوبل و خارجها، منها:

مدرسه المغناطيسيه فى هوش - فرنسا - Lecole de Magnetisme de Houchs - جامعه جيلو (Geilo) النروج (Norvege).

- جامعه شبروك Sherbrook كندا - جامعه بنسلفانيا (الولايات المتحده الأمريكيه).

و شارك فى تحضير و تنظيم عده مؤتمرات علميه، كما وضع

ما يقارب المائه عمل بين تقرير و مقال حول فيزياء المادة المكثفه.

و قد توج المركز الوطنى للبحوث العلميه - غرونوبل - جهوده و أبحاثه بمداليتين: برونزيه (١٩٨٤)، و فضيه (١٩٨٨).

و كم من مره وجده زملاؤه، عند الصباح الباكر، مفترشا الأرض، نائما بضع ساعات بعد ليله أمضاها فى كتابه أطروحته، بعنايه و إتقان فائقين. و تطورت فاعليته كباحث تطورا فى غايه التنوع و القدره، و قد أوجز ذلك بنفسه حين كتب قائلا:

"منذ بدايه مهنتى كفيزيائى، كرسى نفسى لأعمال نظريه، يتعلق بعض منها بنشاطات تجريبية لمركز الأبحاث فى درجه حراره متدنيه جدا CRTBT من النماذج الظاهراتيه (Phenomeno logiques) إلى النماذج المجرده (Abstraites)، ثلاثه مواضيع رئيسيه نوجز معظم أعمالى: نظم مشوشه Systemes,desordonnes، و نماذج ملائمه (تقطير Percolation، تمركز Localisation، إحباط frustration،...)، نماذج قابله للتكامل (Modeles integrables) و مسائل معقده فى الميكانيكا الاحصائيه، و منذ فتره وجيزه: النظم المترابطه بقوه (systemes fortement correles) و التشوش الكمى (les chaos qantique). هذه المواضيع تتقاطع مع المجالات الكبرى التقليديه فى فيزياء المادة المكثفه و الفيزياء النظرية، و هكذا، تطرقت إلى مسائل عن المغناطيسيه و عن خصائص الموصلات الفوقيه supra conductivite أى ظاهره بعض المعادن التى تنعدم فيها المقاومه الكهربيائيه حين تبلغ درجه معينه من الحراره)، و كذلك عن الفيزياء المجهرية (microphysique) و عن التحول من حاله إلى أخرى (transition dephase).

كما يجب التخصيص بالذكر دراسه البنيات غير المنظمه (Structures fractales) حيث عرضت عدده مسائل فيزيائيه، و كذلك شبكات الموصلات الفوقيه reseaux de supra conducteurs و الشبكات الطبيعيه، (reseauxnormaux)، و أيضا المسائل المعقده و القياس المتناهى الدقه و ال (ultrametricite) الذين شكلوا الجانب الأكثر ابتكارا من عملى.

و قد استعملت تقنيات متنوعه، فرضتها طبيعه المسائل المعروضه: تقنيات مبعثره (techniques perturbatives)، تقنيات تحليليه و مجموعات عديده.

عاملا- فى مختبر ذى اهتمامات تجريبية، استطعت التفاعل مع باحثين مختبرين متعددين من مركز الأبحاث على درجه حراره متدنيه جدا CRTBT حول مواضيع متنوعه. و فى هذا الإطار، استطعت تكوين فريق صغير من منظرين شباب، سرعان ما أصبح جذابا، معروفا و مزودا بوسائل حساب خاصه "...

أبحاثه عن زجاج "السبن" تظهر أساليبه و مقارباته. فقد كان صاحب تطويرات شكلية و تصوريه متعدده (developpements formels et conceptuels) بالوقت نفسه، مع باحثين مختبرين، برنامج قياس يعتمد على الأثر المغنطيسى - الحرغرى (effetmagneto-calorique). و فى العام ١٩٧٦ بدأ أبحاثه حول الخصائص غير العاديه (الشاذه) للزجاج: التحول الشبزيجاجى (transition vetreuse) و خصائص الزجاج [الزجاج] فى درجات حراره متدنيه (> ١k درجه كلفن)، و برهن أن هذه الخصائص غير العاديه تعكس مسأله حركيه (cinetique)، و وضع نموذجا ظاهراتيا سمح

بتفسير الخصائص الملاحظة التي تعود إلى ارتخاء في الحجم، إلى **enthapie**، و خاصه إلى قياس الحرارة النوعيه، و فيما بعد، كثر استعمال هذا النموذج في تحليل الآثار الديناميه في زجاج السبن.

و في أبحاثه عن خصائص الزجاج على درجه حراره متدنيه، تطرق رمال إلى عدده مواضع، منها: انتقال الحرارة و مشكله الانتشار الطبقي **diffusion sectrale**. و أثمرت أبحاثه عن خصائص جديده للزجاج.

و يجب ذكر دراسته حول أصفار لى و يانغ **LeetYan** لدلاله التقسيم (**fonction de parition**) لنماذج من الميكانيكا الاحصائيه، و كذلك للصوريه العديده الأولى (**premieres simulation numeriques**) التي كان الرائد في تحقيقها.

و قد تطرق إلى تصور القياس المتناهي الدقه، و عرفه أنه "تحديد كمي **quantifier** البنيات المتدرجه، عبر مفهوم المسافه بين نقطتين". و هذا التصور معروف منذ القدم في الرياضيات، لكن ظهوره في الفيزياء يعود إلى حل باريزى (**parisi**) لنموذج الحقل الوسط (**SK**) لزجاج السبن. و كان رمال بين الأوائل في معرفه أهميه هذا التصور في نظريه زجاج السبن، و مسائل معقده أخرى.

و كانت مشاركته فعليه و فعاله في تحليل الخصائص الديناميكيه، في البنيات الدقيقه القياس.

و جاءت دراسه البنيات المتناهيه الصغر (جزء من بليون) الاصطناعيه (شبكات موصلات فوقيه، و شبكات طبيعيه) امتدادا طبيعيا لعمله على الأجسام ذات الأشكال غير المنتظمه (**fractals**)، و قد خصص وقتا و جهدا كبيرين في دراسه التداخل الكمي (**interferences quntiques**) في تلك البنيات، حيث يتنسق بشكل مذهل أثر الفوضى (**desordre**)، و الإحباط (**frustration**) الناجم عن الحقل المغناطيسى. و تقديرا لهذه الأبحاث، قلده المركز التربوى للبحوث العلميه **CNRS** غرونوبل ميداليه فضيه في العام ١٩٨٨.

بالاضافه إلى الأبحاث التي كان يجريها في تلك الفتره، اهتم

أيضا بشكل خاص بالنماذج الكامله للذوبان (Les modeles exactement solubles). كما درس مثل نموذج Potts و أظهر أهميه لأرقام Tutte-Baraha. و إعجابه الدائم بظهور الأرقام الجذريه (rationnels) أدى به إلى استخلاص معنى تكميم (quntification)، مواصله (conductance)، هول (Hall)، يربطها بحالات معينه في الهندسه الطبيعیه للتجارب.

و اهتم اهتماما بالغاً بمشاكل الموصلات الفوقيه، على درجه حراره مرتفعه، و اقتنع بضروره إعاده النظر بمجموعه المفاهيم الأساسيه في فيزياء الصلب (Physique du solide)، المرتبطه بنظريات مبعثره (Perturbatives)، ضعيفه التجميع.

و كان يشعر دائما بضروره تطوير نظريات الفرميون، ذى التفاعل القوى على الشبكه Fermions en forte interaction و surreseau). و هذا يظهر جليا في عنوان المدرسه الصيفيه التي كان مكلفا باعدادها في هوش - فرنسا - و الذى أطلق عليه اسم <>.

و كان يعتقد أن تقاطع مستويات الطاقه في نماذج هوبار (Hubbard) يمكن أن تكون السبب في فشل وصف المسائل عن طريق مسائل فرمي (Fermi). و في هذا المجال، فرضت دراسه التشوش الكمي نفسها، مما دعاه إلى تحديد برنامج عمل يقضى، من ناحيه، بدراسه وسائل تكميم تتناول أفكارا هندسيه غير تبادليه (non-commutative)، و من ناحيه ثانيه، بإجراء دراسات عدديه مفصله حول الخصائص الطيفيه لنماذج Hubbard ذات القياس المحدود. و قد بذل أقصى جهوده لتأمين وسائل القياس الضروريه لمشروع بحثه الذى - كما كتب قبل وفاته - تتفرع منه مواضيع عديده و مهمه، ينوى التعمق في دراستها.

إن رؤيته الواسعه للفيزياء تترافق مع إرادته أكيدته بالالتزام الحسى. بصفته مستشارا في المختبر الذى يعمل فيه، لم يقتنع رمال بفكره إداره المختبر بشكل عادى و محصور، بل كان يريد تفعيل و تنفيذ مشاريع سياسه علميه. و ما لم يستطع تحقيقه على صعيد مختبره، باشره مع فريق المنظرين، الذى أسسه، و الذى كرس له نفسه جسدا و روحا.

حياه رمال تشرف مهنة الباحث التى تتطلب جمع الصفات الفكرية مع إرادته و قوه شخصيه. فالبحث لا يكون بالمؤسسات، بل بالكائنات الإنسانيه. و فقدان رمال يعتبر فقدان كائن مميز، باعتراف من زملائه، و الذين عملوا معه، و واكبوه في حياته و أعماله

روح الأمين بن محمد شمس الدين بن رضا الحسينى

المختارى النائنى

مترجم في رياض العلماء ٣١٧/٢ و أعيان الشيعة ٣٧/٧ و نقول: عالم فاضل ذو اطلاع واسع بالفلسفه و الكلام، من أعلام أواخر القرن الحادى عشر و النصف الأولى من القرن الثانى عشر. له "تحفه سليمانى" (١)

السيد ربحان الله بن جعفر الموسوى الدارابى البروجردى

المعروف بالكشفيمذكور في نقباء البشر ص ٧٩٠، و نقول:

كان في النجف الأشرف بتاريخ الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٢٨٩ كما جاء ذلك ضمن مسودات كتابه "فاكهة الفقهاء"، و من أساتذته فيها الشيخ مرتضى الأنصاري، و قد تخرج عليه جماعه من عيون الفضلاء و شيوخ العلم كالسيد حسين الكوه كمرى و الميرزا حبيب الله الرشتى و الميرزا محمد حسن الشيرازى و أضرابهم. من مؤلفاته غير المذكوره فى الذريعه "البصائر" و "تشخيص المصاديق" (٢)

زين العابدين بن على الهمدانى

فاضل من أعلام القرن الثالث عشر: حسن الخط فى النس تعليق، جيد الذوق فى النقش و التذهيب، كتب نسخه من كتاب "تاريخ و صاف" فى همذان فى شهر شعبان سنة ١٢٤٥ بامر من الأمير محمد مهدى ملك الكتاب، و كتب فى آخره مقطوعه نثريه فى عده أسطر تدل على فضله و تمكنه من الإنشاء و الأدب الفارسى (٣)

السيد زين العابدين بن محمد باقر الحسينى

عالم فاضل، من أعلام أوائل القرن الحادى عشر، استكتب نسخه من كتاب "إرشاد الأذهان" للعلامه الحلى فى هراه، فكتبت له كما جاء بخطه فى آخرها بتاريخ شوال سنة ١٠٠٨ (٤)

السيد زين العابدين بن محمد تقى الحسينى الأصبهانى

قابل و صحح نسخه من كتاب "الاستبصار" على نسخه العلامه محمد باقر المجلسى و والده المولى محمد تقى المجلسى، و أتم المقابله و نقل الحواشى بأصبهان فى شهر محرم سنة ١١٣٢، و صرح فى آخرها بتتلمذه لدى المجلسى الثانى فقال: "شيخنا و مقتدانا و أستاذنا و من به استنادنا..." (٥)

الشيخ زين العابدين بن مسلم البارفروشى المازندرانى

مترجم فى نقباء البشر ص ٨٠٥، و نقول:

كان تحصيله فى "بارفروش" من توابع مازندران، و هاجر إلى العتبات مع أستاذه سعيد العلماء فى سنة ١٢٥٠ (٦)، و قرأ فى كربلاء على السيد إبراهيم الطباطبائى صاحب "الضوابط" الفقه و الأصول و فى

ص: ١٧٣

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.

النجف الأشرف على الشيخ محمد حسن صاحب "الجواهر" الفقه.

ذكر ما هذا مختصره في أول رسالته العمليه الفارسيه(١)

زين الدين بن محسن

قرأ نسخه من "حاشيه الألفيه" للشهيد الثاني، فكتب تقريرا لها بعبارات رائعه تدل على فضله و تقدمه في الأدب و العلم، و لعله من أعلام القرن الثاني عشر أو الثالث عشر(٢)

زين العابدين الباقي

كان من العلماء الساكنين في يزد، اختار بعض الحواشي على كتاب "الكافي" داله على فضل فيه و اطلاع بعلوم الحديث، أول هذه التعاليق كتبت في يزد سنه ١٢١٧(٣)

زينه بنت الشيخ آغا محمد إمام الجمعه ابن الشهيد الثالث

النجفيه المولد البرغانيه الأصل القزوينيه المسكن.

ولدت في النجف الأشرف حدود سنه ١٢٥٣ و توفيت بقزوینسنه ١٣٣٣.

عالمه فاضله فقيهه متكلمه حافظه للقرآن الكريم و عالمه بتفسيره أخذت المقدمات و العلوم الأوليه و فنون الأدب على أمها قره العين و تفقته على أبيها المتوفى سنه ١٢٩٦ و جدتها الأُمى الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ ثم لازمت أمها في السفر و الحضر و أخذت عنها الكثير و لا سيما العلوم العقلية و عند ما بلغت سن الرشد زفوها إلى أحد أعيان أسره آل أفشار من الأسر المعروفه في قزوین و لم يحضرنى اسم زوجها و رزقت منه أولادا ذكورا و إناثا.

و هي من فواضل نساء عصرها تتصف بالعقل الراجح و التدبير و الدين و الصلاح شغلت كرسى التدريس و الفتوى و الامامه في جناح خاص بالنساء في المدرسه الصالحيه بقزوین و كانت ترتقى المنبر و لها مقدره على الخطابه و الوعظ و كانت كثيره الزهد و الورع و التقوى و قد رافقت أمها عند ما سجنت في دار (كلانتر) في طهران و عاشت معها إلى آخر لحظات حياتها و كانت تؤكد أن أمها قتلت على مذهب الشيعه و أن التلفيقات النى [التي] نسجها أعداؤها و البلاط الايرانى و ما كانوا يتقولون به عليها و يلصقون بها التهم ليس له نصيب من الصحه بل أرادوا من أقاويلهم هذه اتخاذها و سيله لقتلها و إن أمها كانت ضحيه جهل بعض البلهاء و ضحيه أعدائها و إن اخوه المترجمه الشيخ إبراهيم و الشيخ إسماعيل و الشيخ إسحاق كانوا كلهم من علمائنا الأعلام و فقهائنا المتبحرين.(٤)

و قد عاصرها والدى العلامه الورع و ذكرها في كتابه الغرر و الدرر، كما ترجم لها أكثر المؤرخين و المستشرقين في ترجمه أمها قره العين دون أن يتطرقوا إلى حياتها.(٥)

تركت بعض المؤلفات و الرسائل و الحواشي على الكتب الفلسفيه و الكلاميه و الرسائل الفقيهيه منها رساله في الحيض، و رساله

فى الحج و غيرهما(٤)

السيد سعيد بن على بن سعيد بن الحسين التكنابى التكنابى

كتب نسخه من "عده الأصول" للشيخ الطوسى و قابلها و صححها فى سنتى - ، و يبدو منها كمال فضله و دقته العلميه(٧)

السيد سلطان بن حسن بن سلطان الحسينى العلوى الشجرى

القمى النجفى

مذكور فى الضياء اللامع ص ٦٢، و نقول:

فقيه من أعلام القرن التاسع، كتب عده كتب فقيهيه و غيرها غير التحرير المذكور فى الضياء، و منها كتاب "قواعد الأحكام" للعلامه الحلى الذى أتمه فى منتصف ربيع الثانى سنة ٨٢١، و قرأ الكتاب على زين الدين على بن الحسين الأسترآبادى فأجازه فيه فى سنة ٨٢٣.

و كتب أيضا نسخه من "جوامع الجامع" للطبرسى، ثم قرأه على السيد جعفر بن أحمد ملحوس الحلى فكتب فى آخره إنهاء فى يوم الخميس ٢١ جمادى الآخرة سنة ٨٣٨(٨)

سلطان محمد البيار جمندى

أديب شاعر بالفارسيه فاضل، و لعله من شعراء القرن الحادى عشر و من سكنه مشهد الرضا (ع)(٩)

سلطان خانم بنت الشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد

صالح البرغانى القزوينى الحائرى

توفيت حدود سنة ١٣٣٦ عالمه فقيهه محدثه حكيمه بصيره بالكلام حافظه للقرآن الكريم و عالمه بتفسيره و تأويله أخذت المقدمات و فنون الأدب على أبيها و سائر رجال أسرتها و كانت تمتاز منذ الصغر بذكاء مفرط و نبوغ مبكر، تفقحت على أخيها مدرس الطف الشيخ الميرزا على تقى الحائرى آل الصالحى و حضرت فى الحكمة و الفلسفه العالیه على أخيها الأكبر الشيخ الميرزا العلامه الحائرى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى السيد الميرزا شفيح شيخ الإسلام العاملى الأصل

ص: ١٧٤

١- كان سعيد العلماء مقيما بكربلاء قبل هذا التاريخ، فلعله كان ذهب إلى مازندران فى هذه السنه و عاد و معه تلميذه المازندرانى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- انظر أعيان الشيعة ج ٣ ص ٤٠٢ و مستدركات أعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٣.
- ٥- انظر أعلام النساء عمر رضا كحاله ج ٤ ص ١٩٣ الطبعة الثالثة بيروت مؤسسه الرساله عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
- ٧- السيد أحمد الحسيني.
- ٨- السيد أحمد الحسيني.
- ٩- السيد أحمد الحسيني.

القزوينى المولد و المنشأ. (١) و رزقت منه السيد حسين و السيد حسن و السيد مرتضى و السيد بهاء الدين، كلهم من أفاضل العلماء فى قزوین و خاصه السيد مرتضى الذين [الذى] انتهى إليه كرسى الفتوى و التدريس فى المدرسه الصالحيه بقزوین و هو سبط الشيخ محمد صالح البرغانى القزوينى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ تصدرت للتدريس فى المدرسه الصالحيه و كان يحضر درسها جمع من أفاضل نساء قزوین و كانت ترتقى المنبر و تملك صوتا جهوريا و مقدره كبرى على الوعظ و الخطابه و البيان (٢)

سلطان محمود بن غلام على الطبسى

مترجم فى "رياض العلماء" ٤٥٦/٢٥ و ٢٠٣/٥، و فى "الروضه النضره" المخطوط، و نقول:

كان له اهتمام بكتب الأدب و العلوم الإسلاميه، فلخص طائفه منها فى كتيبات صغيره كتب نسخه من كتاب الاستبصار فى سنه ١٠٦٧، ثم قابلها و أتم المقابله فى الثانى و العشرين من شهر محرم سنه ١٠٨٤، و عليها تعاليق جيده منه.

كتب اسمه فى بعض الأمكنه "سلطان محمود" و فى بعضها "محمود". له "مختصر شرح نهج البلاغه" لابن أبى الحديد، و "مختصر الأشباه و النظائر النحويه" للسيوطى و "مختصر الأذكار بالمسائل الفقيهيه" (٣)

الشيخ سليمان بن أبى القاسم الكاشانى

من علماء كاشان فى أوائل القرن الرابع، متبحر فى مختلف العلوم و الفنون له يد طولى فى التفسير و الحديث.

دفن فى مقبره شيخان من مدينه كاشان.

له "تفسير القرآن الكريم" (٤)

السيد سليمان بن داود بن حيدر بن أحمد بن محمود الحسينى

الحلى

مذكور فى "الكرام البرره" ص ٦٠٧، و نقول:

أديب محدث طيب، رأى عنده الميرزا محمد بن عبد النبى النيسابورى فى الحله منتصف جمادى الأولى سنه ١٢٠٤ كتاب "المنثور و المنظوم" و وصفه بما ذكرناه (٥)

سليمان بن محمد الجيلانى التنكابنى

فاضل متتبع ذو اطلاع و خبره بالعلوم الإسلاميه العقلية منها و النقلية و أديب له شعر بالعرييه و الفارسية، من أعلام أواخر القرن الحادى عشر و أوائل القرن الثانى عشر.

أصله من جيلان و سكن أصبهان للدراسة و التحصيل، و كتب بعض في تقرير رسالته في " العلم " ما نصه: " العارف العالم القدوسى مظهر العلم و العرفان المصدق للطف الملك المنان المولى المعظم المفخر فريد العصر و الزمان و الوحيد فى الدوران مولانا سليمان... " له " شرح الصحيفه السجديه " و " الحركه و السكون و الزمان " و " منظومه فى العوامل " و " آداب المؤمنين و أخلاقهم " أتمه فى أواخر ذى الحجه سنه ١٠٩٨، و " التوحيد " و " العلم " و " الرحمه " و " المعاد " (٤)

الأمير شاه رخ ابن الأمير تيمور الكورغانى

المعروف بتيمور نك [لنگ] مرت ترجمته فى المجلد التاسع من (الأعيان) و نضيف إلى ترجمته ما يلى، مكتوبا بقلم محمد آصف فكرت:

نتعرض فى هذا المقال باختصار لذكر حادثه تاريخيه مهمه جرت فى القرن التاسع الهجرى، و هى كساء الكعبه على يد الخراسانيين..

و فى الحقيقه فان تاريخ كسوه الكعبه فى زمن الجاهليه و حتى عهد الخلفاء، موضوع طالما تعرض لبحته المؤرخون و المحققون و يمكن مطالعته بالرجوع إلى المصادر المختصه، و نحن لا- نقصد الاطاله فى هذا المقال و من ثم نقتبس بعض العبارات من صبح الأعشى لتكون مقدمه مختصره لبحثنا.

ينقل القلقشندى عن كتاب أخبار مکه للأزرقى بان أسعد الحميرى (تبع) هو أول من كسا الكعبه (فى العصر الجاهلى).

و كذلك ينقل القلقشندى عن ابن أبى مليكه ما خلاصته: كانت الكعبه فى زمن الجاهليه تكسى باقمشه متنوعه، حيث كان الكساء يهيا فى ذلك العصر بصوره جماعيه و تعاونيه أو تتساعد القبائل فيما بينها على تهيئته، حتى اقترح تاجر يدعى أبو ربيعه بن عبد آ [الله] بن عمرو بن مخزوم، الذى كان يتردد على اليمن فى تجارته، أن يتعهد هو بكساء الكعبه لعام و تتعهد قريش جميعها به لعام، فما زال الأمر كذلك حتى توفى أبو ربيعه.

و فى زمن الرسول (ص) استعيز عن النطع الذى كان يستخدم فى العصر الجاهلى بالأقمشه اليمنيه. و استمر الخلفاء باكساء الكعبه بأنواع الأقمشه بعد وفاه الرسول (ص).

كانت الألوان المستخدمه فى كساء الكعبه طوال هذه السنين هى الأبيض أو الأحمر حتى كان عهد العباسيين الذين كانوا يتخذون من الملابس السوداء لباسا و شعارا رسميين لهم، فكسوا الكعبه بكساء أسود.

ص: ١٧٥

١- انظر ترجمه آل شيخ الإسلام العامليين القزوينيين فى المجلد الخامس من مستدركات أعيان الشيعة.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالح [الصالحى].

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

٦- السيد أحمد الحسيني.

و عند ما استولى ملوك مصر على الحجاز احتكروا إكساء الكعبة بينهم، و لكن ظل لون الكساء أسود.

أما الحادثة التي سنعرض للحديث عنها في مقالنا هذا، فقد حدثت في أواسط القرن التاسع الهجرى في زمن ملوك مصر (الملك الأشرف إلى الملك الظاهر) و حاكم خراسان أو حسب تعبير المؤرخين العرب (ملك الشرق) شاه رخ ميرزا بن الأمير تيمور پورپان [گوركان].

آلت الحكومه إلى شاه رخ بعد وفاه الأمير تيمور في ٨٠٧هـ، فاتخذ من هرات عاصمه له، و كان يطمح منذ أوائل عهده إلى إكساء الكعبة، و حسب قول عبد الرزاق السمرقندى صاحب مطلع السعدين فقد "كان بهمته العاليه يطمح دائما إلى إكساء الكعبة و لم يكن ذلك ممكنا دون إذن سلطان مصر".

يذكر المؤرخون المصريون أنه في الرابع و العشرين من المحرم عام ٨٣٣ دخل القاهره رسول ملك الشرق (ملك خراسان) و هو يحمل رساله ملك الشرق إلى الملك الأشرف، و قد ضمن شاه رخ رسالته ثلاثه مضامين:

أولا: يطلب من ملك مصر كتابين هما:

١ - شرح صحيح البخارى للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى.

٢ - تاريخ السلوك لدول الملوك لتقى الدين أحمد بن على المقريزى.

و الأمر الثانى هو إيفاء نذر شاه رخ لاكساء الكعبة (ابن تغرى بردى ٣٣٦/١٤).

و الأمر الثالث اقتراح باسالة ماء العيون إلى مكه (المقريزى ٨ / ٨١٨، ابن إياس ١٢٧/٢).

يذكر ابن تغرى أن الملك الأشرف لم يعن باى من طلبات شاه رخ، و لكن ابن إياس يقول بان السلطان بعث إلى شاه رخ بشرح صحيح البخارى و تاريخ المقريزى و لكنه رفض تلبية طلب شاه رخ فى إرسال كسوه الكعبة و إرساله ماء العيون إلى مكه بقوله: توجد لكسوه الكعبة أوقاف خاصه و ليس ثمة حاجه إلى أحد من الملوك فى ذلك، و بشأن العيون قال: يوجد فى مكه العديد من الآبار و العيون و لا حاجه إلى إقامه عيون أخرى (بدائع الزهور، ١٢٧/٢) و يتحدث ابن حجر قائلًا: أعد له ثلاثه مجلدات من كتاب فتح البارى فى شرح البخارى (أنباء الغمر، ٤٩/٨).

و فى الرابع و العشرين من رمضان من نفس تلك السنه دخل القاهره رسول شاه رخ و يدعى هاشم شريف و هو يحمل رساله ملك الشرق إلى سلطان مصر التي كانت خاليه من البسمله و الختم و فى صدارتها: أ لم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل... إلى آخر السوره (ابن حجر ٢٠٤/٨). ضمن شاه رخ رسالته تهديدا صاعقا للملك الأشرف و طعنا به (المقريزى ٤ (٢)/٨٣٣) و أرفقها بهديه. فرد السلطان عليها بجواب مناسب و رأى ابن إياس أن الرد الحاد للسلطان كان مناسبًا و يقول (من دق الباب سمع الجواب) (بدائع الزهور ١٣٤/٢). و فى ٢٩ من جمادى الآخره عام ٨٣٦ وصلت رساله أخرى إلى القاهره من شاه رخ يحملها عتابه و يخاطب الملك الأشرف بلقب الأمير، و يضمونها عبارات تهديد خشنه، و فى معرض حديثه عن هذه الرساله يقول المقريزى بان هذه الرسائل تكررت و لكن دون جدوى (سلوكه ٨٨٧/٤ (٢)/٨٨٧). و يذكر ابن تغرى بردى فى هذا المضمار أن صمود و ثبات

الملك الأشرف بوجه طلبات شاه رخ كان أهم عمل له طوال فتره حكمه بعد فتحه لقبرص. ويعتقد ابن تغرى أن الملك الأشرف بصموده في الاحتفاظ بحق إكساء الكعبه ومنعه لشاهرخ من القيام بهذا العمل قد حفظ حرمه مصر و حرمه حكام مصر إلى يوم القيامة (النجوم الزاهره، ٣٦٨/١٤)، ولكن القرائن تشير إلى أن الملك الأشرف كان يدارى ملك الشرق في نفس الوقت الذى يرفض طلباته و يمتنع عن تحقيقها، و يبدو أنه أرسل في هذه السنه (٨٣٦هـ). بعض الهدايا إلى خراسان.

بعد ثلاثه عشر شهرا من السفر بين هرات و هرمز و مكه وصل رسول شاه رخ مصر برسائلته المؤرخه في ذى الحجه عام ٨٣٦هـ في يوم الخميس الواقع في السابع و العشرين من المحرم الحرام عام ٨٣٨هـ، و في الرساله أخبر شاه رخ الملك الأشرف بوصول هداياه و في مقابل ذلك بعث له بهدايا مع رسوله إيفاء السيد تاج الدين على و هو أحد أشرف شيراز، و قد أعفى هذا الرسول من تقبيل الأرض في حضره الملك الأشرف لشرفه و سيادته.

و في هذه الرساله ورد تأكيد شاه رخ على نذره إكساء الكعبه و تعليق الكساء من داخلها ثم يطلب من الملك الأشرف أن يبعث برسول إلى خراسان لاستلام الكساء.

و في السادس من صفر من نفس تلك السنه عقد الملك الأشرف مجلسا لدراسه نذر شاه رخ، اجتمع فيه قضاة المذاهب الأربعة، ثم طرح الملك مسأله نذر شاه رخ في كسوه الكعبه و طلب رأى الحاضرين، و كان جواب قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى أن هذا النذر لا ينعقد.

و في العشرين أو الثانى و العشرين من صفر عام ٨٣٨ سیر الملك الشريف تاج الدين من القاهره إلى خراسان و بعث معه سفير شاه رخ المدعو اقطوه الموسوى المؤيدى المهماندار، و حمل اقطوه هذا معه هديه السلطان و رسالته الجوابيه للملك شاه رخ.

كتب الملك الأشرف في رسالته رفضه لطلب شاه رخ في إكساء الكعبه و ذكر له بان هذا الأمر يتعلق بملوك مصر و تهيأ نفقه ذلك من أوقاف خاصه بهذا الشأن، ثم يشير على شاه رخ بأنه إذا ما

أراد الوفاء بنذره فليبع الكسوه التي أعدها للكعبه و يتصدق بثمنها على فقراء مكه فان ثوابها حينئذ سيكون أكبر و يعم نفعها أناسا أكثر (المقريزي ٤ (٢)/٩٢٧-٩٢٨، ٩٣٢) ابن تغرى بردى ٢٩/١٥ - ٥٠، ٥٢-٥٣).

يذكر ابن حجر فى حوادث عام ٨٣٨ ه أن السيد الشريف تاج الدين بن عبد الله الحسينى الشيرازى وصل فى المحرم الحرام إلى بلاط الملك الأشرف محملا برسالة و هديه من الملك شاه رخ لطلب الاذن من إكساء الكعبه.

ثم يضيف ابن حجر بعد أن يعدد الهدايا إن تاريخ هذه الرسالة هو ذو الحجه عام ٨٣٦ و أنه قابل السيد تاج الدين ثم يثنى عليه و يصفه بالتواضع و يذكر أن زوجته هى ابنة السيد الشريف الجرجانى صاحب التصانيف و يثنى على ابنه الذى كان معه و هو فى الثلاثين من عمره و يقول بأنه رجل فاضل.

و فى ذكره للاستفتاء يقول ابن حجر إن السلطان أراد الاعتذار لثلاثا يفتح الباب فى إكساء الكعبه لملوك آخرين. ثم ينتقد قضاء مصر و أجوبتهم اللامسئوله و يقول إن بعض هؤلاء القضاء كان يجيب دون أن يسأل و رأى بعضهم أن هذا العمل غير جائز لأنه يبطل الوقف، و كتب آخرون إن هذا العمل غير جائز لأنه يتحكم بسلطان مصر.

يقول ابن حجر إنه فى الواقع اعتذر بنفس جواب السلطان و هو عدم فتح الباب للآخرين و بالتالى فتح باب العداة (أنباء الغمر ٢٩/٨ / ٣-٣٣٠).

فى الرابع من شوال عام ٣٣٨ وصلت القاهره رساله تهديد من الملك شاه رخ، ينتقد فيها منع دخول التجار إلى ميناء جده، ثم يذكر فيها أنه قادم إلى القدس الشريف (المقريزي ٤ (٢)/٩٤٩).

وصل الأمير اقطوه و تاج الدين الشريف إلى هرات و قدم الأول رسالته ثم عاد إلى القاهره فدخلها فى الثامن و العشرين من جمادى الثانيه و فى صبيحه اليوم التالى وصل القاهره رسول شاه رخ الشيخ صفا، فاستقبل هذا و أكرمت وفادته و خصصت له دار للإقامه فيها.

فى يوم السبت الواقع فى الثامن من رجب من عام ٨٣٩ استقبل الملك الأشرف الشيخ صفا، فاخذ الشيخ يقرأ بصوت عال و الملك يصغى إليه. و قد ورد فى الرساله دعوه الملك الأشرف إلى إلقاء الخطب و ضرب النقد فى مصر باسم شاه رخ و عند ما وصل الشيخ إلى هذا الموضوع أخرج خلعه أتى بها من خراسان ليرتديها ملك مصر و أخرج معها تاجا. و كانت الرساله تحتوى على ألقاب و عبارات أفقدت السلطان الأشرف صبره فأمر بتمزيق الخلعه و تأديب الشيخ صفا بضربه ضربا مبرحا، ثم ألقى به فى ذلك اليوم البارد فى بركة الاسطبل و راحوا يغرقونه فى الماء لعدده مرات حتى كاد يشرف على الهلاك.

و يذكر ابن تغرى أنه لم ير السلطان غاضبا كذلك اليوم. ثم استدعى السلطان الشيخ صفا و حمله جوابا خشنا شديدا ليحمله إلى مرسله.

و من جملة أجوبه السلطان قوله: إذا كان شاه رخ ينصبنى واليا على مصر فانا لا أقبل به عاملا على أصغر قريه من بلاده، ثم أمر بإخراج الشيخ و مرافقيه من مصر عن طريق البحر. فذهب هؤلاء إلى مكه و أمضوا بقيه عامهم فيها و أدوا مراسم الحج ثم عادوا

إلى هرات (المقريزي ٤ (٢) ٩٢٩، ابن تغري بردى ٧٣/١٥-٧٤).

امتدح ابن تغري بردى عمل سلطان مصر هذا، أى ضربه لرسول شاه رخ و تمزيقه لخلعته و عد ذلك أفضل و أجمل و أعظم أعمال الملك الأشرف طوال فتره حكمه، ثم يقول إن شاه رخ لم يبد أى رد فعل و ظل طوال حياته خائفا من ملوك مصر. و لكن سوف نرى أن ابن تغري بردى نفسه يذكر فيما بعد كيف كان سلطان مصر يتوجس الشر من شاه رخ فى السنين التاليه.

لم يمتد عمر الملك الأشرف بعد هذه الحادثه طويلا، حيث قضى نحبه فى عام ٨٤١ هـ (ابن تغري بردى ٢١٠/١٥) ثم خلفه ابنه الملك العزيز و لكنه لم يستمر فى الحكم طويلا، حيث خلع و جلس على العرش بدلا عنه الملك الظاهر.

استقبل الملك الظاهر رسول شاه رخ الذى قدم من هرات فى يوم الخميس الواقع فى الثانى عشر من جمادى الآخره عام ٨٤٣، و قد ذكر شاه رخ فى رسالته أنه سمع باعتلاء الملك عرش مملكه مصر فأحب أن يعرف مدى صحه الخبر (ابن تغري بردى ١٥-٣٣٦ - ٣٣٧).

يذكر المؤرخون الخراسانيون قصه لطيفه بشأن وصول الملك الظاهر إلى عرش مصر و علاقته مع بلاط خراسان، و من ضمن الذين نقلوا القصة عبد الرزاق فى مطلع السعدين و خواند مير فى حبيب السير بعبارات مشابهه لعبارات الأول. و مفاد روايه الاثنين هو كما يلي:

عند ما كان الملك الظاهر يشغل حارسا فى زمن الملك الأشرف رأى فى المنام أن شاه رخ أقامه فأجلسه على العرش الملكى. ثم يذهب هذان المؤرخان بعيدا فى تفصيل الرؤيا و طموح الملك الظاهر فى الوصول إلى عرش مصر، كل ذلك بعبارات متكلفه مصطنعه، و هما يعتقدان أن هذا هو السبب فى مبادره الملك الظاهر عند تسلمه السلطه إلى إرسال أحد خاصه أمرائه المدعو جيجكتوقا سفيرا إلى شاه رخ.

وصل جيجكتوقا هرات فى عام ٨٤٣ هـ و تشرف بعد ثلاثه أيام بتقبيل أنامل الخاقان المعظم شاه رخ و رحب به شاه رخ و ساله عن حال ملكه ثم أجلسه إلى جانبه الأيمن مع كبار رجال بلاطه، و فى ذلك اليوم أقاموا مادبه كبيره استخدموا فيها آنيه من الذهب الأحمر، و استضاف جيجكتوقا جميع الأمراء و قدموا له هدايا ثمينه.

و فى هذه المره طلب علماء مصر مجموعه من الكتب من الخراسانيين حيث ذكر لهم جيجكتوقا أن الملك الظاهر يطلب خمسه كتب مهمه من مكتبه هرات و هى: ١ - تأويلات حجه أهل السنه و الجماعه، تأليف الشيخ أبى منصور الماتريدى.

٢ - التفسير الكبير للرازى.

٣ - شرح التلخيص الجامع للخواجه مسعود البخارى.

٤ - شرح الكشاف لعلاء الدين البهلوان.

٥ - الروضه فى المذهب الشافعى.

يذكر خواند مير أنه على الرغم من وجود هذه الكتب فى مكتبه هرات إلا أن الأوامر صدرت باعاده كتابه الكتب الخمسه بخط جميل ثم سلمت إلى جيچكتوقا، فعاد هذا إلى مصر محملا بالهدايا القيمه بالاضافه إلى خمسين ألف دينار.

و استلم كل من غلمان جيچكتوقا الخمسين ألف دينار إضافه إلى فرس و خلعه. و كتب شاه رخ إلى حكام أصفهان و شیراز و يزد و كاشان أن يكرموا وفاده هؤلاء و ينعموا عليهم.

رافق جيچكتوقا فى عودته إلى مصر حسام الدين مبارك شاه البروانجى (خواند مير ٣/٤٢٧-٤٢٨ عبد الرزاق، نسخه خطيه)، و لكن روايه المقريزى تفيد بان رسول شاه رخ مبارك شاه توفى فى يوم الأحد الواقع فى الثالث عشر من ربيع الآخر عام ٨٤٤ قبل أن يصل القاهره. و يضيف المقريزى أن مبارك شاه رجل عالم فاضل.

قدم ابنه الخواجه كلان (أو الخواجه كلال) بعد وفاته إلى الملك الظاهر محملا بهديه و رساله من الملك شاه رخ، حيث وصل هو و مرافقه القاهره فى السادس و العشرين من ربيع الثانى عام ٨٤٤ هـ فترينت هذه المدينه لقدمهم و خرج ابن سلطان مصر مع جماعه من الأمراء لاستقبال الرسل الخراسانيين و يصف ابن تغرى بردى و المقريزى يوم دخول السفراء القاهره باليوم المشهود و يذكرون بان هذه الرسوم و الاحتفالات لم يسبق لها مثيل فى القاهره.

قرأ الرسل رساله شاه رخ التى تتضمن السلام لسلطان مصر و تهنئته بجلوسه على العرش، ثم قدموا هداياهم و هى: مائه قطعه من الفيروز و إحدى و ثمانين قطعه حرير و عددا من الثياب و الجلود و المسك و ثلاثين بعيرا خراسانيا و أشياء أخرى بقيمه خمسين ألف دينار.

ارتدى الرسول الخراسانى فى الثامن و العشرين من ربيع الآخر خلعه السفاره، و خلعتة هذه من الحرير ذى الوجهين مع تطريز بالذهب يبلغ وزنه خمسمائه مثقال. و كانت فرسه مزينه بالذهب و حذاؤه كذلك.

و تسلم مرافقه هدايا قيمه (السلوك ٤ (٣)/١٢١١، النجوم الزاهره، ١٥/٣٤٢-٣٤٤)، و لكن الخواجه كلال قضى نحبه فى القاهره فى التاسع من جمادى الأولى من نفس تلك السنه، فدفن خارج باب النصر ثم نقل بعد فتره هو و أبوه إلى القدس فدفنا هناك (السلوك ٤ (٣) / ١٢٣١).

و فى عام ٨٤٧ سافر السيد محمد الزمزمى من هرات إلى مصر لطلب الاذن من الملك الظاهر فى إكساء الكعبه، و يبدو أن الأخير وافق، إذ تعهد بأنه سيبدل كل ما بوسعه لتحقيق ذلك حينما يبعث شاه رخ بكسوه الكعبه (خواند أمير، ٣/٣٦٢، عبد الرزاق نسخه خطيه).

و يذكر السخاوى بان الملك الظاهر أذن لشاهرخ أن يفى بنذره، الذى كان قد عقده قربه إلى الله، على أى نحو يريد. و حسب روايه صاحب مطلع السعدين فان مهمه السفاره كسوه الكعبه إلى الحجاز أُلقيت فى هرات عام ٨٤٨ على عاتق الشيخ نور محمد

بينما يذكر خواند مير أن الشيخ نور الدين محمد المرشدى و شمس الدين محمد الأبهرى هما اللذان انيطت هذه المهمة بهما و يذكر السخاوى أن (قاضى الملل)، العالم المشهور كان بين الموفدين و يبدو أن المقصود بقاضى الملل هو نفس شيخ الإسلام المرشدى.

و أما كسوه الكعبه فقد كانت مهياه فى يزد ثم حملت إلى هرات و حفظت فى خزانه العاصمه. و فى هذه السنه حمل الرسل هذه الكسوه و تحركوا صوب مصر، و عند ما وصل هؤلاء إلى الشام أكرم أمراء الشام و أعيانها وفادتهم، و عند ما دخلوا مصر فى يوم الخميس الواقع فى الخامس عشر من شعبان عام ٨٤٨ خرج لاستقبالهم جماعه من المقربين للملك الظاهر و خواصه.

حط السفراء الخراسانيون رحالهم فى القاهره. فى دار جمال الدين الأستاذار الواقعه فى محل بين القصرين. و يذكر السخاوى و ابن تغرى أن عدد مرافقى السفراء الخراسانيين يصل إلى المائه شخص أو يزيدون، و من بينهم عجوز من نساء تيمور لنك قادمه لأداء فريضه الحج.

التقى هذا الوفد بسطان مصر الملك الظاهر فى يوم الاثنين الواقع فى الحادى عشر من رمضان عام ٨٤٨. و كان السلطان قد أمر بتزيين المجلس و إجراء رسوم خاصه تكريما لهم، و وردت هذه الرسوم بالتفصيل فى كتابى السخاوى و ابن تغرى.

و أمر السلطان بحمل ما كان مع السفراء و من ضمنه كسوه الكعبه إلى مكان أمين، ليكون فى مأمن عن تطاول الآخرين، ثم استقبال السفراء بكل حفاوه و احترام، ثم أنشا السفراء يقرءون رسائلهم.

و لكن - حسب روايه ابن تغرى - عند ما عاد هؤلاء السفراء إلى محل إقامتهم هجم عليهم جماعه من المماليك يبلغ عددهم ثلاثمائيه شخص فنهبوا كل ما كان معهم من كتب قيمه و ذهب و حجر كريم و حرير و مسك و جلود، و يذكر ابن تغرى أن قيمه الأشياء المنهوبه عشرون ألف دينار.

و فى مطلع السعدين يذكر عبد الرزاق، أن هؤلاء السفراء تاخروا يوما عند الحضور إلى بلاط الملك، فتناقل الناس خبرا مفاده أن الملك أمر باعتقالهم، و يضيف عبد الرزاق فى عرضه لتلك الحادثه فيقول: لم يسلم من النهب إلا صناديق كسوه الكعبه التى يذكر السخاوى بان عددها تسعه صناديق.

و فى روايه عبد الرزاق: عند ما سمع السلطان بالخبر، أصيب باضطراب عظيم و قال: لقد آذى المخربون أصحابى.

و فى آخر المطاف هب اثنان من الأمراء المصريين لمساعدته السفراء الخراسانيين: هما يل خواجه أو (يلخجا) و اينال العلائى الدوادار الكبير و معهما حاجب الحجاب الأمير تنبك فانقذوهم من مخالبا المهاجمين.

اعتذر السلطان للسفراء و أرجع إليهم ما عثر عليه من الأموال المنهوبه ثم قدم لهم أكثر مما فقدوه.

و عوقب المماليك المهاجمون و قطعت حقوق و أرزاق بعضهم، و يذكر السخاوى فى كتابه "التبر المسبوك" أن المماليك الذين ارتكبوا هذه الجريمة، عوقبوا بان يسيروا حفاه فى شوارع القاهره و المنادى ينادى من ورائهم أن هذا جزاء من يتعرض لحجاج بيت الله.

ثم بعث سلطان مصر الملك الظاهر بكسوه الكعبه و السفراء الخراسانيين مع الحجاج المصريين الذين توجهوا إلى مكه، و فى يوم عيد الأضحى كسيت الكعبه من الداخل بهذه الكسوه.

يذكر السخاوى بان كل هذه المشقات التى تحملها الملك الظاهر لم تكن شاه رخ عن التوجه إلى الشام، حيث توجه إليها فى السنه التاليه، و لكن لم يمهله الأجل. ثم يضيف السخاوى قائلاً:

الأعمال بالنيات.

لم يذكر خواند مير شيئاً عن حوادث القاهره و هو يقول "عند ما وصل السفراء إلى مكه، نالوا سعادته الطواف بالركن و المقام ثم كسوا بيت الملك العلام بالكسوه التى حملوها بحضور الأشراف و الحكام و خدام البيت. و كان الفضل فى إنجاز هذا العمل العظيم يرجع إلى اهتمام الخاقان العظيم. ثم عزم حضره الشيخ و جناب المولوى على السير إلى خراسان بعد فراغهم من أداء المناسك و آداب حج الإسلام، فقطعوا المسافات الشاسعه حتى وصلوا دار السلطنه فى هرات و فازوا بملازمه الخاقان و تشرّفوا بشرح الأحداث له".

السيد شرف الموسوى بن عبد الله

ولد فى قريه (التويثير) بالأحساء سنه ١٣١٢ هـ، و بها نشأ و ترعرع و توفى سنه ١٤٠٩ فى قريه القاره بالأحساء و نقل جثمانه إلى المدينه حيث دفن فى البقيع.

كان خطيباً بارعاً و واعظاً معروفاً، خصوصاً أيام شبابه، حيث صعد المنبر الحسينى فى معظم دول الخليج، و فى البصره و نواحيها، و سوق الشيوخ و غيرها و قد خطب فى الأحساء و البصره سنين عديده، و كان منبره غنياً بالوعظ و التاريخ و الأدب و السيره المباركه لأهل البيت (ع).

كما كان شاعراً أديباً، و له ديوان لم يطبع يضم معظم أشعاره، و يغلب على شعره رثاء أهل البيت و مديحهم.

قال فى مدح أمير المؤمنين على (ع) من قصيده:

طاب قلبى بحيدر و ولاءه هو نور الهدى و حامى حماه

قيل لى فامتدحه قلت مجيباً أى مدح يرقى لقدس علاه

أى لب يطيق وصف على و على جاز الثريا علاه
حير العقل كنهه و لكم قد ضل قوم طريقهم حين تاهوا
كم له من مكارم ليس يحصيها عدادا إلا الذى أولاه
هو قد خص بالبتول و لولاه لما خص بالبتول سواه
هو باب لحطه من أتاه طالبا للثواب طاب رجاء
و بيوم الغدير كم قد أبان المصطفى من ماثر فى علاه
رافعا ضبعه و ما زال حتى قلد المسلمين فرض و لاه
أكمل الله دينه بعلى حين تمت على الورى نعماه
يا أمير الورى و خير أمير و قرين الهدى و سامى ذراه
أنت بدر الكمال نور جلال الله فى أرضه و نور سماه
أنت ذاك الكرار فى الحرب يا من كان يوم الحروب قطب رحاه
أنت جدلت بالحسام ابن ود و على الأرض قد أسلت دماه
ثم خلفته على الأرض ملقى و كفيت الإسلام شر أذاه
أنت قطب الحرب الكمى و لولاك لها القطب ما استدار رحاه
يا أخا المصطفى برغم عداه و أبا الأوصياء من أبناه
نلت فخرا و سؤددا و فخارا يعجز الواصفون عن إملاه
يا وليد البيت الحرام و من طاب به البيت حين حل فناه
أنت شمس تكسو العوالم نورا أنت بدر عم الوجود ضياه
و له يرثى السيد ناصر الأحسائى، المتوفى سنة ١٣٥٨ من قصيده:

علامه العلماء (ناصر) مله الإسلام غائب

فلتبك عين الشرع حيث الدين منهد الجوانب

و لتبك أعيننا دما صبا كمنهل السحائب

فخر الأماجد من له ألفت أعتتها النجائب

و من المرجى بعده للوجود فى يوم المسائب

من للمدارس و العلوم و للمساجد و المحارب

من للرعيه بعد راعيها و قد بقيت سوائب

يا واحدا ترك الخلائق بين نادبه و نادب

لا زال قبرك روضه و عليه ماء الغيث ساكب

يا ميته فى بلده (الأحساء) ذكرك غير ذاهب

الشيخ شعبان بن مهدى الجيلانى

ولد سنة ١٢٧٥ فى (ديوشل) إحدى قرى مدينة رشت التى تبعد عنها مسافه ثمانيه فراسخ و توفى فى النجف سنة ١٣٤٨.

أصل أسرته من خراسان، و هاجر جده عبد الوهاب إلى جيلان فسكن فى بعض قراها و تناسل أولاده بها، و ينسبون إلى قريه (ديوشل)، ثم انتقل إلى لاهجان سنة ١٢٨٧ و أخذ الأوليات العلميه عن بعض علمائها كالميرزا حسين المدرس و غيره.

و فى سنة ١٢٩٣ انتقل إلى قزوین، فقرأ جانباً من الفقه و أصوله على الشيخ عبد الوهاب البهشتى و السيد على القزوينى صاحب "حاشيه القوانين".

و فى سنة ١٣٠٢ هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق فسكن النجف الأشرف و تتلمذ على أعلام علمائها، كالميرزا حبيب آ [الله] الرشتى و المولى محمد الفاضل الإيروانى و الشيخ محمد حسن المامقانى و المولى محمد الفاضل الشراييانى و الشيخ عبد الله المازندرانى و آخرين كما تتلمذ فى كربلاء سنة ١٣٠٩ على الشيخ زين العابدين المازندرانى مده قليه.

و فى النجف التف حوله جماعه من فضلاء رشت و نفر من أفاضل الحوزه، فاشتغل بالتدريس خارجا و تخرج عليه كثير من الفضلاء.

و كان يقوم بأمر جملة من تلامذته و غيرهم مما تأتيه من الأموال.

اتسعت شهرته شيئا فشيئا حتى أصبح من مشاهير علماء النجف فى عصره، و رجع إليه الناس بالتقليد و طبعت رسالته العمليه لمقلديه ثمانى مرات، و ترك بعض المؤلفات الفقيهيه(١).

صادق القاموسى بن عبد الأمير

اشاره

ولد فى النجف سنة ١٣٤١ و توفى سنة ١٤١٣.

درس فى النجف علوم اللغة العربيه و الفقه و الأصول، و تعاطى التجاره فى النجف ثم انتقل إلى بغداد حيث عمل فى الاتجار بالكتب، فكانت مكتبته متدى الأدباء و الشعراء.

كان شاعرا أديبا فطنا و لم يجمع شعره فى ديوان، و كان مجاله الندوات و الاحتفالات فى النجف، و النشر فى الصحف.

شعره

قال فى بعض المناسبات:

سبرى و إن طال المسير و أجهدا فلرب سار يحمد المسرى غدا

ما ضر بالغباب أن طريقتها وعر إذا شرفت و طابت مقصدا

و لرب شاخصه تنال و دونها حجب من التقوى تبعدها مدى

هل غير أن تتحملى و عثاءها جهدا و تنتهجي الطريق الأبعدا

أو غير أن تهبي الحوادث عزمه شماء لم تفت و لن تترددا

و تجابه الغمرات أ برق ليلها بالثائرات عواصفا أو أرعدا

فلسوف يسفر عنك فجر هاديا و لسوف يبرز منك نجم مرشدا

و لسوف يصدر عنك جيل ناهض ورد الثقافه فاستسيغت موردا

و لسوف تفترعين أعظم هامه مجدا و تحتجزين أسمى مقعدا
و لسوف يعلم خابطون بأنهم كانوا على عمه و كنت على هدى
باركت يومك و هو أول عهده بالسير سمحا و الطريق معبدا
و رثيت أمسك و هو أجدر بالثنا و أحق لو لا أن أغور فانجدا
مشت السنون ثقبيله خطواتها مشى المكبل جهده أن يقعدا
و أناخ ليل يشمخر بأنه أرضى نئوما ان أعاظ مسهدا
و أطل فجر كاد - لو لم تزده تلك النجوم البيض - يطلع أسودا
آمنت بالإشراق أول نوره خيط و ينسجه الصباح إذا بدا
يا حلوه الثمرات اخرج زرعها شطا فازره فشب و وردا
يهنيك - و الإسلام أجدر بالهنا - إن الجهود الكثر لم تذهب سدى
إن أثمرت فى منتجيين تصاغروا عددا فقد كثرنا بذلك حسدا
و محصلين زهت بهم شرفاتها زمتنا و راحوا يعمرن المسجدا
و مهذبين كفاهم أن احرزوا منها الطريف ثقافه و المتلدا
فالآن أم الواقعيه نزره و أبا الحقيقه نادر أن يولدا
يا باعث الإخلاص غضا يافعا و ممثل الايمان شيئا يقتدى
و مجهز الإصلاح جيشا جاهدا و محمل النهضات ثقلا مجهدا
سر تتبعك على الجهات ضمائر ألفت و قد خلصت - إليك المقودا
سر تلقه نصرا تحققة السما و علا يخلده النضال و سؤودا
لا يقعدنك عن جهادك قاعد متأملا أو واقف مترددا
سر لا يرعك إذا التقى بك حاطب جلب الوقود، لقد أمنت الموقدا

لا بد للصهبا من سكر فان لم تستخفك شاديا فمعريدا
سر يهتدى بهداك ركب تائه جهل المصير فما استقر و ما اهتدى
رام البقاء مع المقيم فراعته شبح الشقاء محذرا و مهددا
و رأى السعادة فى العبور فصدته موج باثجاج الرذيله أزيدا
فنوى الإقامة فى الطريق فلم يرح فى الرائحين و لا مع الغادى اغتدى
يا واضع الحجر البليغ حديثه إن ألجم الثغر الصريح و قيدا
قم صفه للعلم الشريف مؤسسا و ارفعه بالعمل الصحيح مشيدا
و أذخره للأجيال كنزا نافعا و احفظه للأبطال رمزا مخلدا
لم يحو أوراقا تذوب كما ادعوا لا بل حوى مقلا سهرن و أكبدا
إنى - و إن قصرت يداى و لم تكذب تجدى سعيد أن مددت لهم يدا
و قال فى ذكرى عيد الغدير:

أ يطربنى ماض بعدلك زاهر و قد ملأ الدنيا من الظلم حاضر
و تفرحنى الذكرى و ما زلت خاضعا لأمر الألى قدما عليك تأمروا
و يؤنسنى أن يحشد الناس موسم و قد عرضت للبؤس فيه مناظر
بالوان شتى ما أثارك منظر حزين الرؤى إلا و هالك آخر
و يعجبنى أن يجمع العيد شملنا و قد فرقت بين القلوب العناصر
و أن تتبارى بالسواد محافل و أن تتجلى للولاء مظاهر
و قد زحزحت عن قصدها كل غايه و كادت تعرى منه حتى الظواهر
فلم يبع إلا للرياء خشوعها و لم تعل إلا للظهور المنابر
لك الله يا دنيا الشعائر أخرجت مقاصدها عما تريد الشعائر

و هل سرني أن توسطت جمعكم و راح يحيني لسان و خاطر
و في القلب آهات كبحت جماحها على أن ميدان الاثارة عامر
على الرغم منى تستكين شقائق و لو هدرت دارت عليها الدوائر
أقامت عليها المرهبات عيونها فلم تدر من أى الجهات تحاذر
و أدت بنات الفكر حتى نفرنى و حتى جفتنى الأمهات الحرائر
و كيف ثبت الصالحات محافل و قد بنيت وسط الشعور مخافر
تباركت يا بوم [يوم] الغدير و للهدى سنا واضح لو أحسن البحث حائر
تعاليت دستوراً به العدل دوله و قدست سلطاناً به الحق أمر
و خلدت نهجا تستضيء بنوره عقول و تستوحى سماه مشاعر
قرأتكم (نصاً) تستشف سطوره سنا و (حديثاً) يصطفيه التواتر
فما هالنى إلا ختول مؤول و ما راعنى إلا جهول مكابر
فقدتكم عيدا ضيعته سياسه و ألغاه سلطان من الحكم جائر
بحثكم تاريخاً تناغيه دعوه و عتها عصور كالنجوم زواهر
رأت عزها وقفا عليه فجاهدت تسر به حينا و حينا تجاهر
أعدته للبقيا عقول ثواقب و حاطته بالرعى عيون سواهر

ص: ١٨٠

إلى أن بنت فوق السماكين مجدها و سدت بمن على علاها الشواغر
فيا لك عهد خلدت فيه أمه تناهبها - لو لا هداك - التناحر
أقول لمحجورين بعلو صفيرهم بأنهم بحر من العلم زاخر
أرونا اللآلى المخبئات فما اغتنى فقير بان البحر فيه جواهر
أبا العدل - و الدنيا يقيم حماتها و يقعدھا بحث عن العدل دائر
تجوب بطون الأرض بحثا فما ادعى به وارد إلا تحده صادر
فمؤتمرات نظمتها مصالح و مقترحات صدرتها أوامر
تخط دساتيرا و تمحو نظيرها جزافا و كادت أن تجف المحاير
و من عجب أن يستغل لبحثه سحاب بأنواع القذائف ماطر
تحاول تحرير الشعوب و قد طفت لتسليحها هذى الذئاب الكواسر
و ما العدل إلا أن تموت مطامع خساس و إلا أن تصح ضمائر
أبا العدل يوم المصلحين كامسهم عصب و ليل المستضامين عاكر
إذا لم يسر في الناس سيرك مصلح أمين على نشر العدالة قادر
فلا يصلح الدنيا عتاد و قوه و إن حاطت الست الجهات العساكر
و أنى و قد ساويت في الحق (قبرا) تقاسمه ما تقتنى و تشاطر
و ما بت مبطانا و في الناس جائع و لو شئت ألهاك الغنى و التكاثر

السيد صادق بن محمد حسين الحسيني

فاضل متبحر في الفقه و أصوله، من أعلام القرن الثالث عشر، و الظاهر أنه من الدارسين في العتبات المقدسه بالعراق.

له "سرائح الأظلام في بيان خفايا الأحكام" و "مالك الأفهام إلى سرائح الأحكام" أتمه سنه ١٢٥٣ (١)

السيد صادق الحسيني الرشتي

توفى سنة ١٣٥٤ فى مدينه رشت و دفن فى قم كان فى أوائل نشاته العلميه بمدينه "رشت" حيث درس على أساتذتها المقدمات و السطوح.

و بعد ذلك هاجر إلى النجف الأشرف، فبقى بها سنين متلمذا على الحاج ميرزا حبيب الله الرشتى و الشيخ زين العابدين المازندراني و السيد حسين الكوه كمرى. و غيرهم من الأعلام، و كان أكثر استفاداته العلميه من الأول منهم.

و استفاد فى علوم الحديث و الروايه من الحاج ميرزا حسين النورى صاحب كتاب "مستدرک الوسائل".

ثم عاد من النجف الأشرف إلى مدينه "رشت" مرجعا لأهلها فى أمورهم الدينيه و الاجتماعيه ترك حواشى أصوليه و فقهيه (١)

صاعد بن محمد بن صاعد البريد الآبى، القاضى أشرف الدين.

مذكور فى رياض العلماء ١٥/٣ و الثقات العيون ص ١٣٨ و غيرهما و نقول:

فى سند حديث ذكره تلميذه الراوى عنه الحسن بن الحسين بن على الشيدى و قال: "أخبرنى الأجل الامام العالم الزاهد العابد الأفضل الأكمل الأنصح مجد الدين شرف الإسلام أفصح الأنام و أفضل أهل الأيام فخر العلماء شمس الأئمه لسان المتكلمين سيف المناظرين أبو العلاء صاعد بن الأجل العالم المحترم عفيف الدين مجد الإسلام محمد بن صاعد.

و ذكر أن صاعدا يروى عن أبى جعفر محمد بن أبى نصر بن محمد بقم (٢)

صالح بن محمد بن محمد صالح القائى الهروى

أصله من "قائن" و ولد فى "هراه" و سكن فى باختر (كرمانشاه)، طيب جال البلاد لمعرفه الوسائل الطبيه و الأدوية المعموله فى عصره، و لم يقتنع بما شاع عند الأطباء من دون تجربته للنافع منها و الضار.

كان له اطلاع بالعلوم الدينيه من التفسير و الحديث و غيرهما، و هو أديب فاضل كاتب شاعر بالفارسيه، من أعلام أواخر القرن الثانى عشر.

له "تحفه الصالحين" و "عمل صالح" و "منظومه فى الطب" (٣)

السيد صبغه الله بن السيد جعفر بن أبى إسحاق الموسوى

الدارابى البروجردى

المعروف بالكشفى.

ولد فى النجف الأشرف حدود سنه ١٢١٨ و توفى فى كربلاء سنه ١٢٨٥ ذكر فى أعيان الشيعة المجلد السابع ص ٣٨٣ و نضيف على ما هنالك ما يلى: حكيم متأله فقيه متبحر مفسر محقق أصولى متكلم.

أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء النجف الأشرف ثم تخرج في السطوح على والده السيد جعفر الكشفي المتوفى سنة ١٢٦٧ و في حدود سنة ١٢٣٨ استقر مع والده في قزوين و أخذ الفلسفه العاليه، عن حوزة الملا آغا الحكمي القزويني و الفقه و الأصول عن الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه الشهيد الثالث المستشهد في سنة ١٢٦٣ ثم عاد إلى العتبات المقدسه و حضر في كربلاء على السيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط المتوفى سنة ١٢٦٢ و يعد [بعد] وفاه أستاذه التحق بحوزه الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ في النجف الأشرف ثم لازم الشيخ مرتضى الأنصاري و كان من أرشد تلامذته تصدر للتدريس و الفتوى في كل من كربلاء و الهند حيث سافر في عام ١٢٧٠ إلى الهندي [الهند] و تصدر للتدريس و الفتوى في لكهنو.

ثم رجع إلى كربلاء مواصلا نشاطه العلمي حتى توفي بها. و آل الكشفي من أشهر الأسر العلميه البارزه في كل من بروجرد و كربلاء و طهران و تبريز. أصلهم من بروجرد و قد سكنوا كربلاء في أوائل القرن الثالث عشر للهجره نبغ فيهم علماء أعلام و حكماء متالهنون. و مؤسس كيان هذا البيت الجليل السيد جعفر العلوي الموسوي الدارابي

ص: ١٨١

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.

البروجردى المعروف بالكشفي المولود سنة ١١٨٩ و المتوفى سنة ١٢٦٧ و هو من أكابر العلماء و قد خلف اثني عشر ولدا من عده زوجات و منهم المترجم [المترجم] له.

ترك المترجم له مؤلفات منها: ١ - كتاب بصائر الايمان فى تفسير القرآن فى ثلاثه مجلدات. ٢ - مفتاح المفاتيح و يقال مفاتيح الكلام فى شرح درر النظام و هو شرح الدرره فى الفقه للسيد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ و قد أهدها إلى السيد محمد بن السيد دلدار على أيام إقامته فى لكهنو فى سنة ١٢٧٠ و صوره المكتوب هكذا:

(هذا كتاب مفاتيح الكلام فى شرح درر النظام تصنيف أقل العلماء و السادات النجفى العلوى صبغه الله بن جعفر الموسوى فى سفر هندوستان فى بيت السلطنه لكهنو حسب إرشاد القبله و الكعبه الملقب بسلطان العلماء، جناب مولوى سيد محمد دام إقباله فى رجب ١٢٧٠).

و غير ذلك من مؤلفات و رسائل(١)

صديقه بنت الشيخ على نقى بن الشيخ الحسن بن الشيخ محمد

صالح البرغانى القزوينى الحائرى آل الصالحى.

ولدت فى كربلاء سنة ١٣٠٣ و توفيت بها سنة ١٣٥٠ و دفنت فى الصحن الحسينى الشريف فاضله فقيهه حافظه للقرآن الكريم عالمه بتفسيره و تأويله زاهده عابده جليله القدر أخذت المقدمات و فنون الأدب عن أفاضل نساء أسرتها و حفظت القرآن فى أوائل عمرها و تفقته على والدها مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى الحائريو الشيخ عيسى آل الشهيد الثالث و لما بلغت سن الرشده زفوها إلى السيد غلام حسين المجابى القزوينى.

تصدرت لتدريس الفقه و التفسير و علوم القرآن فى قزوین و كان يحضر حلقه درسها جمع من فاضلات النساء و بعد وفاه زوجها رجعت إلى كربلاء فى حدود سنة ١٣٤٤ و تصدرت للتدريس و كانت كثيره العباده شديده الورع تصوم أكثر أيام السنه و كان زوجها مع فضله يستفسر منها فى حل بعض المسائل العلميه و تفسير المشكل و المتشابه من آيات القرآن الكريم، و رأيت من مؤلفاتها تفسير قرآن لم يتم و لم يخرج من السواد إلى البياض و رساله فى المسائل النسائيه(٢)

الشيخ صفر على الأشرفى

مترجم فى الكرام البرره ص ٦٧٢ و نقول:

فاضل متتبع، له اطلاع واسع بالعلوم العقلية و الفلسفه جامع للعلوم الإسلاميه، يميل إلى العرفان له "شرح دعاء كميل"(٣)

صفر على الرشتى

عالم فقيه محقق، من أعلام النصف الثانى من القرن الثالث عشر، كان يقيم فى قزوین و هو مدرستها المعروف. و معلوم أنه غير المولى صفر على اللاهيجانى المذكور فى الكرام البرره ص ٦٧٢، إذ توفى المذكور قبل سنه ١٢٦٤ و توفى مترجمنا بعد سنه

له "أصول الفقه" ألفه سنة ١٢٧٥ (٤).

الشيخ ضياء الدين العراقي بن محمد

اسمه "على" ولكنه عرف بضياء الدين و لم يشتهر باسمه.

مرت له ترجمه فى موضعها من (الأعيان)، و نذكر ترجمته هنا بتفصيل أكثر:

ولد فى "سلطان آباد" المعروفه بـ "أراك" (عراق) سنة ١٢٧٨ و توفى فى النجف سنة ١٣٦١ نشأ فى ظل رعايه أبيه المولى محمد الكزازى العراقى الذى كان من أفاضل العلماء بتلك المدينه و توفى سنة ١٣٠٠.

قرأ مقدمات العلوم و كتب السطوح على أبيه و لفيف من فضلاء عصره فى أراك و بعض البلدان العلميه الأخرى بايران.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فأدرك أبحاث السيد محمد الفشاركى الأصفهاني. و بعده حضر دروس الميرزا حسين الخليلي و المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدى و شيخ الشريعة الأصبهاني و نظرائهم من أساتذته الفقه و الأصول و بقيه العلوم الإسلاميه.

و كان فى أيام التحصيل معروفا بالذكاء و دقه النظر، موصوفا بين أقرانه و خاصه بين تلامذه الآخوند الخراساني بالعبقريه العلميه، و قد حظى باحترام أساتذته و تقديرهم، و نظر إليه النابهون من أهل العلم بعين الإكبار و هو بعد فى دور التلمذه.

اشتغل بالتدريس فى الفقه و الأصول فى حياه أستاذه الكاظمين، و التف حوله لفيف من الطلبة الشبان و أقبلوا على درسه و محاضراته إقبالا جعلته من المدرسين الممتازين، و ذلك لما كان يمتاز به من حسن الإلقاء و عذوبه المنطق و وضوح البيان، فلا تعقيد فى محاضراته و لا التواء فيما يبيديه من الأفكار العلميه.

استقل بالتدريس بعد وفاه أستاذه الآخوند الخراساني فى سنة ١٣٢٩، و ذاع اسمه فى الأوساط العلميه العاليه و قرن بكبار المدرسين و أجلاء العلماء، و عرف بالتحقيق و التدقيق و أصاله الرأى و غزاره ماده و الفكر الصائب، و كان مجلس درسه مفضلا على غيره من كبار المدرسين، و لا سيما فى علم أصول الفقه الذى اشتهر به و تفوق فى مبانيه و مباحثه.

درس أكثر من ثلاثين سنه فى الفقه و الأصول، و تخرج عليه مئات من المجتهدين الأفاضل و العلماء الأكابر و أصحاب الرأى و الفتوى، و أصبحت آراؤه حجه فى المشاكل العلميه و قوله الفصل عند أهل الحل و العقد، و هو يعتبر من المجددين فى علم الأصول بما ابتكر من آراء سديده و نظريات صائبه رشيده.

ص: ١٨٢

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

كان في مجلس درسه يمثل الحريه الفكرية باجلى مظاهرها، يقبل على مناقشات تلامذته و يشجعهم على البحث و النقاش لتتبلور أفكارهم العلميه و تنضج آراؤهم و تخرج من الجمود.

كتب كثير من أفاضل تلامذته تقاريراته الفقيهه و الأصوليه، و طبع منها كتاب "بدائع الأفكار" للميرزا هاشم الآملى و كتاب "نهايه الأفكار".

و من تلاميذه الذين اشتهروا بعده و رجع الناس إليهم، كل من السيد محمد تقى الخوانسارى و السيد عبد الهادى الشيرازى و السيد أبو القاسم الخوئى و السيد محسن الحكيم و السيد على الكاشانى اليربى و الشيخ عبد النبى العراقى و الشيخ محمد تقى الآملى و الميرزا حسن اليزدى و الشيخ محمد تقى البروجردى و غيرهم.

رجع إليه فى التقليد جماعه كبيره من الايرانيين و بعض العراقيين، و أول رساله طبعت له تعليقه على رساله الشيخ عبد الله المازندرانى.

و كان مقامه العلمى و شهرته التدريسيه فى الأوساط تقتضى تقدمه على أكثر معاصريه فى المرجعيه و تقليد المقلدين، و لكن عدم تصديه لأمر العامه و انقطاعه إلى التدريس و تمحظه فى شئون البحث و التحقيق، أوجبت عدم تقدمه فى هذا الميدان التقدم المنتظر لأمثاله من العلماء.

ترك من المؤلفات حاشيه جواهر الكلام و حاشيه فرائد الأصولو حاشيه كفايه الأصول و حاشيه المكاسب و حجه القطع (رساله) و روائع الأمالى فى فروع العلم الاجمالى، طبع بالنجف سنه ١٣٦٦ و شرح تبصره المتعلمين، طبع بقم و الشرط المتأخر (رساله) و قاعده الحرج و قاعده لا ضرر و القضاء و البيع، طبع بالنجف سنه ١٣٤٥ و اللباس المشكوك و رسله [رساله] و مقالات الأصول، طبع بالنجف سنه ١٣٥٨(١)

طاهر خوشنويس التبريزى بن عبد الرحمن

أشهر خطاط إيرانى فى القرن الرابع عشر الهجرى على الإطلاق - ولد عام ١٣٠٧ هـ فى إحدى قرى ناحيه قراجه داغ بآذربايجان ثم هاجر مع أسرته إلى مدينه تبريز عام ١٣١٠ هـ كان أبوه من علماء الدين، بدأ دراسته بقراءه القرآن و حفظه و عمره ٥ سنوات ثم فى السابعة من عمره شرع بقراءه النحو و الصرف و اللغه و الأدب ثم استمر فى تعلم الفقه، و كان من صغره يهوى الخط و الكتابه فبدأ يتمرن فى كتابه الخط دون أن يدرس على معلم حيث كان يقلد خطوط مشاهير الخطاطين و يستمر على ذلك حتى يجيده، و استمر على هذه الوتيره إلى أن أقر جميع أساتذه الخط و فنانوه بتفوقه فى كتابه خط النسخ.

و نظرا لوجوده خطه فقد طبع له أول كتاب بخطه بالطبعه الحجريه و عمره لم يتجاوز ٩ سنوات و حينما بلغ عمره ١٣ سنه شرع بكتابه نسخه من المصحف الشريف حيث استمر فى كتابته أربع سنوات، و حينما بلغ عمره ١٧ سنه اندلعت فى إيران ثوره المشروطه فاختر معلمًا فى عدده مدارس شعبيه منها مدرسه (الفيوضات) و (الرشديه) و (مموريال) لتعليم الخط للطلاب فاستمر فى التعليم مده ١٥ سنه و بعد هذه الفتره استمر فى سلك التعليم الحكومى مده ٣٥ عاما حيث كان المعلم الأول لتعليم الخط فى مدارس تبريز الحكوميه. و أخيرا فى عام ١٣٧٦ هـ أحيل على التقاعد حيث كان قد بلغ عمره ٧٠ عاما.

ثم فى عام ١٣٩١ هـ هاجر إلى طهران وقضى بقيه عمره فيها. وقد قامت وزاره الثقافه الإيرانيه عالم [عام] ١٣٩٦ هـ بتكريمه حيث أقامت له احتفالاً رائعاً فى مبنى المكتبه الوطنيه بتبريز، ثم قامت الوزاره بطبع كتاب حول حياته وآثاره.

توفى عام ١٣٩٧ فى طهران.

قام بكتابه عشرات الكتب و الرسائل خلال حياته و لكثره هذه الأعمال فإنه يصعب على المتتبع حصرها. و أهم الكتب التى كتبها بخط يده و طبعت مرات عديده و بعضها عشرات المرات و فى ملايين النسخ مثل القرآن و مفاتيح الجنان هى:

القرآن الكريم - معالم الأصول للشهيد الثانى - خلاصه النحو - نفثه المصدور - الصراط المستقيم - ذخيره المعاد - صراط المنعمين - مفاتيح الجنان - بحر المعارف - ديوان - أبواب الجنات - رباعيات الخيام - كفايه الأصول - حاشيه الأردبيلي على كفايه الأصول - مصباح الفقيه - جامع المقدمات - تهذيب المنطق للفتازانى - الألفيه لابن مالك - منتهى الآمال - تبصره المتعلمين - هدايه الطالب إلى أسرار المكاسب - گلستان سعدى - كتاب شواهد السيوطى - الصحيفه السجديه مع ترجمتها(٢)

السيد طالب بن محمد طالب المازندراني

ولد فى "مشهد سر" من أعمال مازندران، و كتب بعض الأحاديث و كتاب "اللهوف" للسيد ابن طاوس فى سنه ١١١٩.

فاضل أديب شاعر بالفارسيه. و شعره الذى رأيته فى المرائى(٣)

ص: ١٨٣

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

الشيخ على البازي بن حسين:

ولد في النجف سنة ١٣٠٥ و توفي سنة ١٣٨٧.

اشتهر بما كان ينظمه من المقطعات الشعرية مؤرخا بها وفيات المشاهير و غير ذلك من بعض الأحداث. و قد أصدر كتابا سماه (أدب التاريخ) كتبت عنه و عن مؤلفه مجله (الموسم) ما نأخذه هنا بنصه:

كتاب (أدب التاريخ) لمؤرخ العراق و شاعره الراحل الشيخ على البازي و قد كتبه بخطه في فترات مختلفه من حياته، و الكتاب عبارة عن مقطوعات شعرية تنتهي عادة بالبيت الذي يؤرخ للحدث على حساب الجمل، و هي طريقه استعمالها القدماء و ظلت تستعمل حتى قرننا الحالي و ان قل استعمالها الآن، و تعتبر من الفنون الأدبية التي شاعت عند الفرس و الترك و الهند و السند أيضا و ما زال استعمالها شائعا لديهم و هذا التاريخ ليس مقتصرًا على الشعر فقط بل هو معروف في النثر أيضا، و البحث عن تاريخ الفن يحتاج إلى بحث طويل ليس هذا محله.

كما أن نظم التاريخ ليس عمليه سهله... إنه فن قائم بذاته و موهبه خاصه، و الذين اتقنوه قله نادره و قد لا يتمكن أمهر الشعراء من نظمه، و اشتهر في العراق المعاصر جمهوره من الشعراء في نظم هذا اللون من الفنون، و منهم الحاج عبد المجيد الحلبي العطار الذي لقب بناسخ التواريخ لبراعته في هذا الفن و هو أستاذ صاحبنا الشيخ على بن حسين بن جاسم بن نصيف البازي الكوفي مؤلف (أدب التاريخ) الذي نحن بصددده الآن، و الشيخ البازي من مواليد محله الحويش بالنجف سنة (١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨ م) و فيها نشأ و أخذ المقدمات على الشيخ عباس أفندي و السيد باقر القزويني و الشيخ عبد الأمير الفلوجي و درس أيضا في بعض المدارس الدينيه النجفيه. انتقل إلى طويريج (قضاء الهنديه) و اتصل بالساده القزاونه و كانوا أدباء المنطقه و فضلاءها فاستفاد من خبرتهم العلميه و الأدبيه، و اشتهر البازي منذ صغره بنظم الشعر بنوعيه القريض و العامي و عرف بنشاطه الواسع في المجالات الأدبيه و مشاركاته في أغلب المناسبات الدينيه و الاجتماعيه و السياسيه في العراق و نادرا ما كانت تفوته مناسبه إلا و نظم فيها قصيده أو مقطوعه أو ذكرها بادبه التاريخي.

و بعد سنين قضاها في طويريج نرح إلى (الكوفه) و استقر بها طيله حياته حتى نسب إليها و حسب عليها.

و له مؤلفات منها:

١ - وسيله الدارين ديوان شعر جمع فيه المراثي و المدائح الحسينيه بالشعر الشعبي له و لمعاصريه من الشعراء طبع في جزءين - النجف.

٢ - ديوان البازيات (شعر شعبي) ثلاثه أجزاء - مخطوط.

٤ - تسليه الواله: شعره المنشور في المجلات و الصحف العربيه.

٥ - ملحمة ثوره العشرين - قصيده طويله عن تاريخ ثوره العشرين.

٦ - أدب التاريخ: عبارته عن ديوان يضم المئات من التواريخ الشعرية التي نظمها البازي خلال حياته في مختلف المناسبات الدينية والوطنية وفي الأفراح والأفراح، وهو سجل حافل لتواريخ مهمه للعراق خاصة وللوطن العربي والإسلامي عامه. وإليك نماذج من تواريخ الوفيات.

قال مؤرخا وفاه السيد حسين بن السيد معز الدين السيد مهدي القزويني في ٢٦ ذى الحجة ١٣٢٥ هـ:

بعد الحسين الندب كهف الوري هل يجدها النوح و صفق اليدين

عليه أملاك السما أعولت و انفجرت دمعا له كل عين

با [يا] ناعيا تاريخه (قل به اذهلها فقد الامام الحسين)

و قال مؤرخا وفاه الشيخ حمادي آل نوح الحلبي - في الحلة سنة ١٣٢٥:

بكتك محافل الأدباء يا من لها قد كنت بالآيات توحى

قوافي الشعر ارخنا (حدادا تنوح على افتقارك يا بن نوح

و قال مؤرخا وفاه الشيخ محمد طه نجف في النجف ١٣٢٣:

أثكل الدين لما غاب عنه الزعيم

حجه الله طه و الصراط القويم

قد رزينا فارخ (فيه رزءا عظيم)

و قال مؤرخا وفاه السيد هادي بن السيد ميرزا صالح القزويني النجفي في طويريج ١٤ ربيع الأول ص [سنه] ١٣٤٧:

الله أي مصيبه قد عمت... .. الدنيا اسي و الروح قام ينادي

جلت و جل الخطب في تاريخها (و بكى له الشرع الشريف الهادي)

و قال مؤرخا وفاه السيد هادي آل مكوطر بالشنافيه سنة ١٣٤٢:

مد غيب الهادي لدى افتقاده عنا اسي خبا ضياء النادي

يا ناعي الايمان و التقوى معا أرخت (قل غاب الزعيم الهادي)

و قال مؤرخا وفاه الشيخ كاظم سبتي السهلاني الخطيب في النجف ١٣٤٢:

مات الخطيب العلم الفرد الذى قد فاق كل ناثر و ناظم

و منبر السبط بكى وا أسفا تاريخه (من بعد فقد الكاظم)

و قال مؤرخا عام إرسال السلطان عبد الحميد العثمانى الجيوش بقياده القائد أحمد فيضى باشا لنجده أمير حائل عبد العزيز ابن الرشيد فى حربته مع ابن سعود، و كان الجيش العثمانى قد عسكر فى النجف أياما:

ابن السعود مذ عصى مليكه بنجده

فيضى له أرخته غادرنا بجنده

و قال مؤرخا قيام الحكم الدستورى النيابى فى عهد السلطان عبد الحميد سنه ١٣٢٦:

قد نقم الشعب على نظامه ذاك الذى عبد الحميد نظمه

و شعبه على انقلاب حكمه ثار عليه أرخته فارغمه

و قال مؤرخا موقعه (الشعبيه) التى خاضها المجاهدون العراقيون منضمين إلى الجيش العثمانى فى الهجوم على الإنكليز المعسكرين فى الشعبيه قرب البصره و فشل ذلك الهجوم:

ص: ١٨٤

حرب الشعيه لما منها رجعنا بخيه
مقاصد الخصم أرخ تأكدت فى الشعيه

الشيخ على محمد بن حسين الهمداني الخوانساري

أصلا و المتخلص بأسير ثم آزاد و المشهور بأزاد الهمداني:

ولد فى همدان سنه ١٣٠٢ و توفى بها فى سنه ١٣٦٥.

من أعلام الأدب و فحول الشعراء المتفنين، محقق كاتب.

أخذ المقدمات و العلوم العربيه و فنون الأدب على أفاضل علماء همدان ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الفلسفه على أعلام همدان و طهران و تولع بالأدب و الشعر و تلقاهما بجد و إتقان و نبغ فيهما. و كان يتخلص فى أوائل عمره (بأسير) ثم استبدل به (آزاد) لذا عرف بأزاد همدانى، و كان يتقن اللغه الفرنسيه و الإنجليزيه و له بعض المقالات و البحوث نشرت فى مجله أرمغان الطهرانيه و له مؤلفات مخطوطه و من آثاره المطبوعه الجزء الأول من كتابه (عشق و أدب يا داستان حكيم أبو القاسم فردوسى)، و طبع ديوانه الذى يحتوى على حوالى ثلاثه آلاف بيت مع مقدمه مفصله بقلم كيوان سميعى فى طهران عام ١٣٥٦ هجرية شمسيه. ذكره جماعه من المؤرخين منهم صاحب كتاب بزرگان همدان فى الجزء الثانى صفحه ٢٧٤ و خان بابا مشار فى: مؤلفين كتب چاپى الجزء الرابع صفحه ٥٧٧ و غيرهم.

السيد على بن السيد دلدار على غفران مآب

ولد سنه ١٢٠٠ فى لكهنو (الهند) و توفى سنه ١٢٥٩ فى كربلاء.

درس أولا- فى لكهنو ثم سافر العراق فتابع دراسته فى كربلاء، و زار خراسان ثم عاد إلى كربلاء فكان من أساتذته فيها السيد كاظم الرشتى الذى أجازته.

من مؤلفاته: ترجمه و تفسير للقرآن، و رساله عن فذك، و رساله فى القراءه، الرد على الأخباريين [الأخباريين].

السيد الدكتور على بلگرامى بن زين الدين خان

ولد فى قضاء لكهنو (الهند) سنه ١٢٦٨ و توفى سنه ١٣٢٩.

هو من أسره هنديه عريقه و كان جده المولوى كرم حسين سفيرا لدوله (أود) و كان عالما جليلا، و والده زين الدين خان كان جامعا بين العلوم القديمه و الحديثه و كان من كبار موظفى الاداره الحكوميه، و عند ما تقاعد استقر فى حيدرآباد.

درس المترجم أولا- العربيه و الفارسيه و العلوم الإسلاميه و الأدب الانكليزى، ثم درس بعد ذلك اللغه السنسكريتيه، و ألم بالألمانيه و اللاتينيه و الفرنسيه و البنغاليه و المرهيتيه و التلنكيه و الكجراتيه و الهندوسيه.

حصل على شهادة بي (أى) من (بتنه) و درس الحقوق و فاز بشهادتها.

و فى سنة ١٨٨٧ م طلبه سالار جنك فى حيدرآباد و أخذه إلى لندن حيث نال هناك شهادة الدكتوراه فى علم (طبقات الأرض) عكف على مطالعه كتب الفلسفه و التاريخ، و تجول فى بريطانيا و فرنسا و أسبانيا و ألمانيا و إيطاليا. كما نال بعد ذلك شهادة الدكتوراه فى الحقوق من جامعه كلكته فى الهند.

و فى خلال وجوده فى حيدرآباد كان من عوامل تطورها العلمى و قد أسس فيها (مؤسسه العلوم و الفنون)، كما كانت له جهود فى تطوير جامعه على [على گره].

من مؤلفاته: تمدن العرب، تمدن الهند، انتخاب تاريخ الهند، طلسم أعضاء الإنسان فضلا عما نشر من بحوث و دراسات كثيره.

على الهاشمى السنجانى

ولد فى سنجان من قرى مدينه أراك (إيران) و كان من ضحايا انفجار المكتب المركزى للحزب الجمهورى الإسلامى فى طهران سنة ١٩٨١ م.

كانت دراسته الأولى فى قريته، ثم بدأ بتلقى العلوم الإسلاميه فى نفس القريه على الشيخ عطا الله السنجانى، ثم انتقل إلى أراك لمتابعه الدراسه فى مدرسه الحاج محمد إبراهيم. و بعد فتره دراسيه غادرها إلى الحوزه العلميه فى مدينه قم حيث أكمل دراسته فيها.

عرف خطيبا مناضلا على منابر أراك و قم و طهران و المدن الشماليه، مما أدى إلى اعتقاله من قبل السلطات. ثم منع من الخطابه لعدده سنين.

و كان شاعرا ترك العديد من القصائد.

على أكبر سياسى

المحقق و المؤلف و الأستاذ الجامعى ولد عام ١٣٣٤ و توفى ١٤٠١ فى طهران درس بها ثم سافر إلى فرنسا و حصل على الدكتوراه من جامعه السوربون و عاد إلى إيران فصار أستاذا فى كليه الحقوق و العلوم السياسيه ثم رئيسا لجامعه طهران.

كان يعد من الوجوه العلميه و الثقافيه فى إيران و قد ألف أكثر من ١٢ كتابا فى مواضيع مختلفه لعلم النفس و الاجتماع و الأخلاق و الأدب و الشعر و القانون حاز على دكتوراه فخريه من عدده جامعات أوروبيه(١)

على أكبر شهابى

ولد فى مدينه بيرجند سنة ١٣٢٨ هـ و توفى عام ١٤٠٨ هـ درس العلوم الإسلاميه فى مسقط رأسه ثم فى مدينه مشهد ثم صار معلما بمدارس طهران و ثانوياتها و أخيرا انتقل إلى جامعه طهران حيث كان يدرس اللغه العربيه ثم تقلد منصب مدير دائره الأوقاف.

حصل على الدكتوراه فى العلوم الإسلامىة. له مؤلفات عدىة منها: آثار محمد بن جرير الطبرى، أصول الصرف، أصول النحو، ترجمه كتاب تعبير الرؤيا لابن سىنا، حىاه الشاعر نظامى - و غيرها(٢).

السىة على شاه الرضى بن صفدر شاه

ولد سنة ١٢١٧ فى لكهنو و توفى فىها سنة ١٢٦٩.

درس أولا على والده و زار العراق سنة ١٢٣٩ فمكث فىه سنة ثم عاد إلى وطنه فسكن فى فرخ آباد. و فى أواخر سنة ١٢٤٠ عاد إلى العراق للدراسة فى النجف و كربلاء فكان من أساتذته الشىخ مرتضى الأنصارى و الشىخ موسى و الشىخ على آل كاشف الغطاء و السىة مهى الطباطبائى و الشىخ محمد حسن

ص: ١٨٥

-
- ١- الشىخ محمد رضا الأنصارى
 - ٢- الشىخ محمد رضا الأنصارى.

صاحب الجواهر، و بقى فى العراق اثنتى عشره سنه عاد بعدها إلى فرخ آباد.

و فى سنه ١٢٥٢ عاد إلى لكهنو.

من مؤلفاته: معيار الأحكام فى شرح شرائع الإسلام، كفايه المستفيد فى مباحث الاجتهاد و التقليد، تحقيق الصواب فى مباحث الاستصحاب، كاشف القناع عن حجيه الإجماع، كاشف الغمه فى أصاله براءه الذمه، الفوائد العلويه فى المسائل الفقهيّه، حجيه المراسيل، رساله فى تداخل الأسباب.

على بن طيفور

توفى سنه ١١٠٠ فى الهند.

كان عالما فاضلا من سكان حيدرآباد الدكن (الهند) و كان السلطان قطب شاه كثير الاحترام له.

كان مؤلفا مكثرا، ألف فى الأخلاق و القانون و الحديث و الفقه، و من مؤلفاته: تحفه قطب شاهى، تحفه ملكى، ترجمه عيون أخبار الرضا، ترجمه كتاب الشيخ الصدوق.

الشيخ أبو الحسن بن الشيخ ملا على البروجردى الطهرانى.

توفى حدود سنه ١٢٩٥.

من أكابر الفقهاء و مراجع التقليد فى طهران. أخذ المقدمات على أفاضل علماء عصره و حضر السطوح على والده ملا على البروجردى و تخرج فى الفقه و الأصول على ملا محمد صالح البرغانى و شقيقه الشهيد الثالث البرغانى ثم حضر فى الحكمة و الفلسفه على الملا- آغا الحكمى القزوينى و سكن طهران و انتهت إليه الرياست [الرئاسه] الدينيه. و كان والده ملا- على البروجردى من أجلاء العلماء و أكابر الفقهاء، صاهر الميرزا أبو القاسم القمى صاحب القوانين [القوانين] المتوفى سنه ١٢٣١ على ابنته و رزق منها الآغا جمال الدين البروجردى والد الآقا منير البروجردى ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة (١) و ترجم له مفصلا الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار و وصفه بأنه من كبار علماء العصر الفاجارى سكن طهران فى محله (سرتخت) و كان يقيم الجماعه فى مسجد (سرتخت) و له شهره و اعتبار عظيم (٢) و كان نجل المترجم له الآغا جلال الدين من فحول علماء طهران و قام مقام والده (١).

الشيخ على بن الشيخ عبد الله بن الشيخ على السبرى البحرانى:

قتل مسموما فى بندر لنكه الايرانى سنه ١٣١٩ و دفن هناك. ذكره فى أعيان الشيعة (المجلد الثامن صحيفه ٢٦٨) فى ترجمه مختصره و نزيد على ذلك ما يلى:

فقيه متبحر أصولى محقق أديب شاعر.

ولد و نشأ في البحرين و أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء البحرين ثم تخرج في الفقه و الأصول على والده كما كان شريكاً في البحث مع الشيخ أحمد بن صالح آل طعان و السيد ناصر آل أبي شبانه حتى بلغ درجه ساميه في العلم و الفضل ثم هاجر في حياه والده من البحرين إلى عمان و سكن مدينه مطرح من بلاد عمان و تصدر كرسى الفتوى و الامامه و سائر الأمور و كان من مراجع التقليد في تلك النواحي و اهتدى به كثير من الضالين في عمان لا سيما الطائفة المعروفه ب (الحيدرآباديه) فكانوا أصحاب جهل و تهاون بالدين و على أثر بعض الشغب غادر عمان إلى بندر لنكّه من موانئ إيران على خليج فارس و تصدر للرئاسه و الزعامه الدينيه ذكره الشيخ على البلادى البحرانى في أنوار البدرين وصفه قائلاً: (العالم العامل و المجتهد الكامل المحقق المجاهد لأعداء الدين و المرابط في سبيل الله في الثغر الذى يلي إبليس القوى اللعين. العالم الربانى الشيخ على بن الشيخ عبد الله بن الشيخ على السترى البحرانى انتقل من البحرين و سكن مسقط ثم سكن لنجه في أواخر عمره و بها توفى كان رحمه الله تعالى من العلماء الأعلام و الفقهاء الكرام و النقاد الكرام العظام و من رؤساء أهل النقض و الإبرام و الاجتهاد التام و من نظر إلى مصنفاته و تحقيقاته عرف صدق ما قلناه و حقيقه ما ذكرناه، انتقل من البحرين و سكن مطرح في زمان والده و هدى الله به أهل تلك الديار و لا سيما الطائفة المعروفه بالحيدرآباديه فكانوا ببيركاته [بيركاته] ذوى معرفه و دين و ثبات و يقين بعد أن كانوا أصحاب جهل و تهاون بالدين و أقام بها مده مديده في غايه الإعزاز و الإكرام مشتغلاً بالتصنيف و العباده و المطالعه و التأليف متصدياً لأجوبه المسائل و إيضاح الدلائل، ثم بعد تلك حدثت قضيه أوجبت خروجه منها و سكن بلده لنجه من توابع إيران إلى أن أدركه الأجل المحتوم... و سمعت من بعض المطلعين إنه مات شهيداً مسموماً و لعنه الله على الظالمين...).

ترك المترجم له مؤلفات كثيره تدل على مكانته العلميه و غزاره علمه و جامعته في جميع العلوم. من مؤلفاته كتاب لسان الصدق في الرد على كتاب ميزان الحق لبعض النصارى طبع في الهند ثم أعيد طبعه في مصر، كتاب (قامعه أهل الباطل) في الرد على بعض المحرمين لتعزيه الحسين ع، كتاب (منار الهدى) تعرض فيه لنقض كلام ابن أبى الحديد المعتزلى و للرد على كلام القوشجى في شرح التجريد، كتاب (الأجوبه العليه للمسائل المسقطيه) و قد جمعها تلميذه و ابن أخته الشيخ أحمد بن محمد البحرانى، رساله عمليه في الطهاره و الصلاه لعمل مقلديه، رساله في التوحيد، رساله في التقيه و أحكامها، رساله في المتعه، رساله في الفرق بين الإسلام و الايمان و تحقيقهما، رساله في نفى الاختيار في الامامه عقلاً و نقلاً، رساله في وجوب الإخفات بالبسمله، أجوبه مسائل، ديوان شعر(٢).

الشيخ زين الدين أبى الحسن على بن عبد الجليل البياضى.

كان حيا في رجب سنه (٥٤٤٤هـ) مر ذكره في أعيان الشيعة ج ٨ ص ٢٦١ و نزيد على ما هناك ما يلي:

كان من علماء الشيعة و أكابر المتكلمين فيهم مناظر مجادل محقق لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته، أخذ العلم و الحديث على أفاضل علماء عصره ثم هاجر إلى مدينه الرى و تصدر للتدريس و الفتوى و تخرج عليه جماعه منهم الشيخ منتجب الدين بن بابويه الذى قرأ عليه مصنفاته و كذلك روى عنه الشيخ مسعود بن محمد بن الفضل الرازى في رجب سنه (٥٤٤٤هـ) كما جاء في الإجازة الكبيره لبنى زهره الحلبيين و وصفه تلميذه منتجب الدين بن بابويه

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

قال: (الشيخ زين الدين علي بن عبد الجليل البياضي المتكلم نزيل دار النقابه بالرى).

ورع، مناظر له تصانيف فى الأصول منها الاعتصام فى علم الكلام، و الحدود، و مسائل فى المعدوم و الأحوال شاهدته و قرأت بعضها عليه). (١)

و نقل نص العبارات الحر العاملى فى كتابه أمل الآمل (٢) و ميرزا عبد الله الأفندى الأصفهانى فى رياض العلماء (٢) و نقل نص العبارات الأردبيلى الحائرى فى كتابه جامع الرواه (٣) و وصفه العلامة الحلى فى الإجازة الكبيره لبنى زهره الحلبيين (بالشيخ زين الدين ضياء الإسلام أبى الحسن على بن عبد الجليل البياضى...) و قال شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة (و يروى عنه فى بلد الرى فى أول رجب (٥٤٤هـ) الشيخ مسعود بن محمد بن أبى الفضل الرازى المجاور لمشهد أمير المؤمنين (عمل ليله الرغائب...) (٤)

السيد الامام الرئيس ضياء الدين على بن السيد على الحسينى الأفسى آل

زباره البيهقى.

كان حيا فى سنه ٥٦٣.

كان شاعرا فحلا فى اللغة الفارسى و العربى و من أكابر علماء الشيعة فى بيهق أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على أفاضل مدينه بيهق و أولع بالشعر و الأدب و له نظم بالعربى و الفارسى. ذكره ابن فندق المتوفى عام ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و وصفه: (بالسيد الامام الرئيس الزاهد ضياء الدين على من مفاخر مدينه بيهق صاحب السجايا الحميده و الأخلاق الكريمه...) ثم ذكر قسما من شعره و نقل عنه شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة فى ترجمه شقيقه السيد بهاء الدين محمد الحسينى الأفسى الزباره البيهقى المتوفى سنه ٥٤٩ (٥) و لم يذكره فى ترجمه مستقلة.

و المترجم له من أسره آل الزباره من أعرق الأسر العلميه العلويه فى بيهق نبغ منها علماء و شعراء و نقباء منهم المترجم له و له ديوان بالعربى و ديوان بالفارسى و من شعره فى وصف تفاحه:

أهدى إلى بهاء الدين من لطف تفاحه قطفت من خد مهديها

وجدت طيب سجايه العذاب [العذب] إذا شممتها و غدت للروح تحيها

مهما نظرت إليها قلت من عجب سبحان خالقها سبحان بارها

(٦)

السيد أبو الحسن على بن محمد بن يحيى بن هبه الله بن أبى الحسن

على بن أبى جعفر محمد الحسينى الزبارى البيهقى من أحفاد أبى جعفر

أحمد بن محمد الزباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن

الأفطس بن علي الأصغر بن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب ع

كان حيا في سنة ٥٥٨. من العلماء وأعيان السادات العلويين نقيب الطالبين في بيهق. أخذ العلم والفنون الإسلامية على أفاضل مدينه بيهق و انتهت إليه الرئاسة و الفتوى و الزعامه الروحيه و الاجتماعيه. و كانت نقابته بعد وفاه أخيه الأكبر السيد ركن الدين حسن نقيب بيهق المتوفى سنة ٥٤٣ و قد أهدى إلى المترجم له أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المعروف بابن الفندق المتوفى سنة ٥٦٥ شرحه على نهج البلاغه و قال في أوله: (و خدمت بهذا الكتاب خزانه كتب الصدر الأجل السيد العالم عماد الدوله و الدين جلال الإسلام و المسلمين ملك النقباء في العالمين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى بن هبه الله الحسيني - إلى قوله: - و إذا ذكرت الأئمه و العلماء فهو سيدهم و همامهم...). و وصفه في كتابه تاريخ بيهق قائلا: (السيد الأجل الكبير العالم عماد الدين ملك الطالبية أبو الحسن علي...) و ألف البيهقي أيضا بامر المترجم له كتاب (لباب الأنساب) و شرع فيه في جمادى الآخرة و فرغ منه في شهر الصيام سنة ٥٥٨ و كان المترجم له معه يومئذ في بيهق فعرفنا حياته إلى هذا التاريخ. خلف ثلاثة أولاد كلهم من العلماء و الفضلاء و هم السيد جلال الدين عزيز و تاج الدين محمد و ركن الدين الحسن و أم السيد عزيز هي بنت جمال الدين الحسن بن علي البيهقي من أحفاد علي بن حمزه الكسائي النحوي الكوفي أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٨٩ (٧).

الشيخ علي زين ابن الشيخ محمد

اشاره

ولد سنة ١٨٧٥ م في قرية (قليا) في البقاع الغربي ببلدان و توفي فيها سنة ١٩٦٣ م.

تعلم القراءه و الكتابه في مدرسه القرية [القرية] و لم تمكنه ظروفه الماديه من إكمال تعليمه، و لكنه كان ذكيا طموحا إلى المعرفة فاستفاد من معاشره العلماء و الأدباء و الشعراء و المطالعه المتواصله و نظم الشعر على السليقه بدون دراسه لقواعد النحو، كما نظم الأزجال باللهجه المحكيه.

كان في منطقته البقاع الغربي ذا منزله اجتماعيه يرجع إليه في المشاكل و المنازعات، و كان بيته في (قليا) ملتقى الضيوف.

الشعر

قال في رثاء صاحب (أعيان الشيعة) من قصيده:

لنواك وجه الدين قائم أسفا و ثغر الخلد باسم

لا حيله إلا الدموع المستهلات السواجم

و الناس بين مطاطى رأسا عليك و بين واجم

يتحدثون بمآثم أنساهم قاضى المآثم

لا غروا أن شمل الأسى شرق الأعارب و الأعاجم

فلأنت حاكم شرعه خضعت لفتواك المحاكم

يا قبله الأنظار أن تاه الدليل عن المعالم

يا قبه الشرق التى قامت على أرسى الدعائم

يا محسن أنت الأمين ابن الأمين سليل هاشم

لك بين أعمار الورى عمر بطيب الذكر دائم

هرم الزمان من السنين و أنت موفور العزائم

ص: ١٨٧

١- منتجب الدين بن بابويه الرازى: الفهرست: تحقيق الدكتور جلال الدين المحدث ص ٧٩.

٢- انظر رياض العلماء تحقيق السيد أحمد الحسينى ج ٤ ص ٨٦-٨٧ قم.

٣- الشيخ محمد الأردبيلى الحائرى: جامع الرواه ج ١ ص ٦٨٨.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٥- انظر أمل الآمل: تحقيق السيد أحمد الحسينى ج ٢ ص ١٩١ الطبعة الأولى (١٣٨٥ هـ).

٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و طالبه الدكتور أديب رحال صاحب جريده (المرج) ببدل الاشتراك بالجريده فكتب إليه:

إلى الأديب أمير العلم و العمل من المحب رئيس المفلسين على

جواب صدق قضت فيه مطالبه بقيمه بقيت عندي من البدل

فالمال عندي بحق لست أنكره و لا أقبله بالمطل و الخيل

و ما خللت بوعد أو معامله و لا أحب حياه النفس بالخلل

إن الذى عن طريق الدفع أوقفنى توقف الناس عن دفع الدراهم لى

كم كنت فى الزمن الماضى أقدم للأخوان و الخل مالى حين كنت ملى

فيا فتى المرج يا نعم الأديب و يا طبيبه المبرئ العانى من العلل

صبرا فنفسك فى وسع و نفسى فى ضيق تبيت من الإفلاس فى وجل

و عن قريب إذا ما الله ساعدنى أقدم البدل المطلوب بالعجل

على بن محمد الايادى التونسى

اشاره

كتب محمد اليعلاوى بحثا عن (شعراء إفريقيين عاصروا الدوله الفاطميه)، بدأه بالحديث عن (على الايادى). و نحن نأخذ هنا بعض ما كتبه، مشيرين إلى أن ما طمس ذكر الايادى و غير الايادى، هو أن الذين جاءوا بعدهم غلبت عليهم النعرات المذهبيه فتجاهلوهم، و قد مر معنا مثال لذلك فيما تقدم من الدراسات مثل ترجمه (أحمد بن الجزار و غيرها).

قال محمد اليعلاوى:

بدأنا بعلى التونسى لأنه هو الذى نعرف عنه أنه عاصر حقا ابن هانى شاعر المعز الفاطمى. بهذه المعاصره يشهد الخبر الذى ورد فى العمده (1) "...و لما وصل أبو القاسم (محمد) بن هانى إلى إفريقيه هجاه الشعراء، فقال لا أوجب منهم أحدا إلا أن يهجونى على التونسى، فانى أجيبه. فلما بلغ قوله عليا، قال: أما أنى لو كنت الأم الناس ما هجوته بعد أن شرفنى على أصحابى و جعلنى من بينهم كفتا له".

و نحن نستنتج أن عليا هذا كان شاعرا مشهورا بالقيروان فى منتصف القرن الرابع، و إن شهرته تجاوزت القيروان إلى بقيه عواصم المغرب و حتى إلى الأندلس. ذلك أن محمد بن هانى دخل إفريقيه، أى القيروان أو عاصمه المعز، صبره/المنصوريه، حوالى سنه ٣٥٣، و كان قادمًا من المسيله حاضره الزاب الجزائرى. فإذا كان له، عند مقدمه إلى القيروان، علم بمكانه الايادى، فهذا

يعنى أن شهره الأيادى تجاوزت البلاط العيىدى (٢) و القيروان.

و لا- غرابه أن ينتشر صيته فيصل على الأقل إلى المسيله و اقليمها فالايادى أصيل تلك الجبهه، على الرغم من دعوته ب "التونسى"، أى المولود بمدينه تونس آنذاك. و "اياد" هذه التى ينسب إليها ليست بالضروره قبيله "اياد بن نزار" جد العرب العدنانيين و لا قبيله قس بن ساعده الايادى. و إنما هى فرع من قبيله "الأباج" التى كانت نازله بجبال "المعاضيد" شمالي شط الخضنه و المسيله. و الأباج، مثل زغبه و رياح، بطن من بنى هلال (٣).

و قد يعنى هذا الانتساب أن بعض فروع بنى هلال كانت قد استقرت بالمغرب قبل الزحف الهلالى بكثير. و مهما يكن من أمر، فالايادى مشترك بين الجزائر و تونس، مثل ابن هانى نفسه. و قد وصف هذه الجبال التى يرجع إليها نسبه الأول، و ذلك حين عرض لمقتل أبى يزيد الخارجى، و معلوم أن صاحب الحمار قد اعتصم فى نهايه أمره بجبل "كيانه"، فى مجموعته جبال المعاضيد، و منها أخذ و قتل.

ثوره صاحب الحمار

و نرى هنا أن نوجز أحداث صاحب الحمار، ثم نقل ما ذكره الكاتب التونسى محمد اليعلاوى عن مواقف بعض فقهاء القيروان من هذه الثوره و مواقف بعض الشعراء و كيف أن أولئك الفقهاء آثروا مناصره الخوارج الصفريه الذين يكفرون عليا بن أبى طالب و عثمان بن عفان، و يكفرون جميع المسلمين ممن لم يعتق عقيدتهم، آثر أولئك الفقهاء مناصرتهم و قاتلوا الفاطميين معهم:

أبو يزيد هذا الملقب بصاحب الحمار، هو مخلد بن كيداد من معتقى مذهب الخوارج. كان فى أول أمره معلما للأولاد و كانوا يتصدقون عليه و لزم مسجدا يعلم فيه الأطفال و ليس [لبس] جبه صوف و على رأسه قلنسوه صوف و فى عنقه سبجه، و صارت له جماعه يعظمونه و يسمعون منه، و ذلك من أيام الخليفه الفاطمى الأول (المهدى)، و لم يزل على ذلك إلى أن اشتدت شكيمته و قويت شوكته فنشر غاراته فى بلاد البربر.

و فى أيام الخليفه (القائم) نزار عظم أمره و أفسد البلاد و حصر (باغايه) و (قسطيليه) و فتح (مجانه) و هناك أهدى له حمار أشهب كان يركبه و دخل به بلاد تونس و نهب (الأربص) فغر الناس إلى جامعها فقتلهم فيه و اقتض أصحابه فيه الأبخار. و أرسل القائم جيشا لحراسه بلاد باجه فسمع به أبو يزيد فرحل إليه و جعل كل ما مر على مكان أفسده و سبى حريمه، و التقى جيش القائم فهزمه الجيش أولا، و عاود معه القتال ثانيا فهزم الجيش و دخل أبو يزيد مدينه باجه بالسيف و أباحها ثلاثا و حرق ديارها و سبى نساءها و عبث بالأطفال الرضع و فعل بأهلها العجائب فخافته جميع القبائل و أتوه طوعا و كرها. و بعث جيشا إلى مدينه تونس فخرج إليه التونسيون فهزموه، و وقعت فتنه بتونس فكاتب أهل تونس أبا يزيد فامنهم و ولى عليهم رجلا منهم. و توالى أحداثه سجالاتا حتى نزل على أربعه أميال من القيروان و من الغد نزل فى شرقى (رقاده) فى مائه ألف بين فارس و راجل و زحف إلى القيروان فهزم أهلها و دخلت البربر القيروان فنهبوا و أفسدوا. و أتاه الخبر أن عسكريا قادم من نحو (القائم) فنادى فى القيروان: من تخلف عن الجهاد معى حل دمه و ماله، فنفر معه خلق كثير و التقى مع عسكري القائم فانهزم هذا العسكري حتى بلغ المنهزمون المهديه. و بعث سراياه إلى البلاد و الحصون التى بها على البحر و أخذ جميع ما فيها من أقوات و سلاح. و فتح مدينه

١- ابن رشيق: العمده، نشر عبد الحميد ج ١ ص ١١١.

٢- لم تقتصر العصبية على العصور الماضيه، بل هي لا تزال مستمره حتى هذا العصر، فهؤلاء الكتاب تأبى عليهم العصبية أن يسموا الفاطميين باسمهم فينتونهم بالعبديين ح).

٣- انظر الفصل الذي كتبه ب. ماسيارا، عن "المسيله من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر" ب "نشره الجمعيه التاريخيه و الجغرافيه لجهه سطيف" (بالفرنسيه) سنه ١٩٤١ ص ١٨٣. و انظر كذلك فصل ه. ر. إدريس عن "بنى هلال" بدائره المعارف الإسلاميه الطبعه الجديده.

و بقر بطونهن و فرت الناس إلى القيروان حفاه عراه و مات الناس جوعا و عطشا و نهب مدينه تونس. و فى سنه ٣٣٣ أمر القائم بحفر خندق على أرباض المهديه. و نزل أبو يزيد قريبا من المهديه و نهب ما حولها و خرج إليه جيش القائم فهزمه أبو يزيد و مضى إلى الخندق، و هاجم المهديه من البحر، و بلغ مصلى العيد و لم يبق بينه و بين المهديه الا رميه سهم. ثم قويت نفوس أهل المهديه و تحاموا و اقتتلوا قتالا شديدا فزالوا أبا يزيد و أصحابه عن البلد، و أتته جميع القبائل من طرابلس و نفوسه و الزاب و أقاصى المغرب. و كان عامه جنده من البربر.

و حاصر المهديه أشد حصار و منع عنها الداخلى و الخارجى و هاجمها مرتين، و فى المره الثالثه انهزم عنها و قتل من أصحابه خلق كثير، و ظل على حصارها فلقيت الشدائد حتى أكل أهلها الميتة و الكلاب و الدواب.

و فى سنه ٣٣٤ وقع اختلاف فى عسكر أبى يزيد فتفرقت جموعه و لم يبق معه إلا ثلاثون رجلا فرجع إلى القيروان. فأرسل القائم عمالا إلى البلاد و أخرجوا عمال أبى يزيد.

ثم قوى عزمه مره أخرى و أتته البربر من كل فج فبعث عسكرا إلى مدينه تونس فدخلها بالسيف فى ١٠ صفر سنه ٣٣٤ و انتهبوا و سبوا النساء و الأطفال و قتلوا الرجال و هدموا المساجد.

و توفى القائم و المعارك متواصله سجالا و المدن تنهب و تسبى و تقتل و تولى بعده (المنصور بالله) إسماعيل سنه ٣٣٤ فلما استوثق له الأمر جد فى قتال أبى يزيد فزاله عن مدينه سوسه بعد معارك فانهزم أبو يزيد إلى القيروان و التحق به المنصور فكانت بينهما حروب تبادلها فيها النصر و الهزيمة إلى أن حلت الهزيمة النهائيه بأبى يزيد و أسرفمات بعد أسره باربعه أيام آخر الحرم [المحرم] سنه ٣٣٥.

ما ذكره اليعلاوى

و هو يترجم للشاعر

أبى القاسم الفزارى

نأخذه هنا على طوله لما له من علاقته بالأيدى و هجائه للفزارى، و لما فيه من دلالات على الحياه و أطوارها فى تلك الأيام.

قال اليعلاوى عن الفزارى:

ترجم له حسن حسنى عبد الوهاب(١) فقال إنه ولد بالقيروان و نشأ بها و ان اسمه محمد بن عبد الله، و أن أباه كان عاملا للفاطميين على خراج الساحل الافريقى فهرب بالمال إلى مصر الاخشيديه. و يقول أبو العرب فى طبقاته أن جده (إبراهيم؟) هو "الفزارى المقتول على ما شهد عليه به من التعطيل (و) كان من أهل الجدل" و المناظره.(٢) و يورد القفطى فى ذيل ترجمه الفزارى الألب، البيتين الذين هجا بهما (على بن) محمد (الايادى) التونسى، أب القاسم الفزارى ملمحا إلى زندقه جده و خيانه أبيه.

و يضيف ح. ح. عبد الوهاب في ترجمته أنه مدح أبا يزيد الخارجي حين تغلب على القيروان، ثم مدح المنصور الفاطمي حين ظفر بأبي يزيد، بقصيده طويلة اشتهرت باسم "القصيده الفزاريه" (انظر نصها فيما يلي)، و قد استهلها بذكر مائه علم من أعلام العرب و أسيادهم و أجوادهم. و قال إنه توفي سنة ٣٤٥/٩٥٦ م.

و لا- نعرف عنه إلى جانب هذه المعلومات القليلة، إلا- ما رواه المالكي في رياض النفوس و ما نقله عنه ابن ناجي في معالم الايمان. و يظهر من هذين الكتابين في طبقات فقهاء القيروان و زهادها و عبادها و صلحائها أن أبا القاسم الفزارى كان أميل إلى أهل السنه منه إلى الشيعه، و أنه، لئن مدح المنصور العبيدى، فمكرها، ليكفر عن مدحه لأبي يزيد حين دخل القيروان سنة ٣٣٣.

و إنما حمل أبو القاسم على مدح الخارجي حملا- لأن رأى العام السنى بالقيروان كان يفضل بين الشرين، شر الاباضيه الصفريه، و شر الشيعه، أخفهما و هو مذهب الخوارج. فلذلك أفتى بعض فقهاء القيروان، و هو "أبو الفضل عباس الممسى" بوجود الخروج مع أبى يزيد و قطع دوله بنى عبيد "لأن الخوارج من أهل القبله لا يزول عنهم اسم الإسلام... و بنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين"، فلا تتوارثوا" معهم و لا تتناسبوا... " (٣) و لم يقتصر أبو الفضل الممسى على الإفتاء، بل شارك بنفسه فى حرب الفاطميين مع أبى يزيد، و لقي حتفه بمعركه الوادى المالحسنه ٣٣٣ صحبه خمسه و ثمانين صالحا من صلحاء القيروان. و رثاه أبو القاسم الفزارى.

و حتى هذا المدح لأبى يزيد لم يكن مدحا بقدر ما كان فخرا بالقيروان و علمائها، و نبئنا صاحب رياض النفوس عن برکه الفقيه "أبى إسحاق السبائى" قائلا:

"... و من إجابته دعوه أبى إسحاق (السبائى) أن أبا القاسم الفزارى الشاعر كان قد هجا بنى عبيد فى أيام أبى يزيد. فبعد قتله (قتل أبى يزيد) طلبه السلطان (طلب الفزارى) لقتله، فلجا إلى السبائى، و هو فرق خائف، فقال له: أنت تعلم ما يراد بى. فقام أبو إسحاق فدخل خزائنه و أقبل يدعو و يقول كلاما بعضه يفهم و بعضه لا يفهم، ثم قال لأبى القاسم: امض اشتر غداءك و ادخل الحمام ثم امض إليه، فلن ترى شيئا تخافه. قال أبو القاسم: فخرجت من عنده ففعلت ما أمرنى به من الغداء و دخول الحمام و ثقت نفسى بقوله و دعائه. ثم مضيت إلى السلطان (المنصور الفاطمى) فدخلت عليه فقال بعض من فى مجلسه: يأمرک السلطان بان تنشده بعض ما قلت فى أيام أبى يزيد. فترفعت عن ذلك و خفت، فقال: أنشدها و لك الأمان، (قال) فأنشده القصيده الرائيه... (انظر نصها فيما ياتى) قال المالكي: فلما فرغ من إنشادها، لم يعرض له إسماعيل (المنصور) بسوء... فعافاه الله تعالى من شره بدعاء الشيخ السبائى " (٤).

من القصيده الرائيه:

عجبت لفته أعمت و عمت يقوم بها دعى أو كفور

تزلزلت المدائن و البوادي لها و تلونت منهما الدهور

و ضاقت كل أرض ذات عرض و لم تغن المعازل و القصور

-
- ١- ح. ح. عبد الوهاب: مجمل تاريخ الأدب التونسي ص ٩٦، و هو طبعه منقحه من "المنتخب المدرسى من الأدب التونسي".
 - ٢- طبقات أبي العرب نشر ابن أبي شنب ص ٢٢٠.
 - ٣- المالكي: رياض النفوس ج ٢ مخطوط القاهره عدد ١١٦ ورقه ١٤٢ ب.
 - ٤- يقول حسن الأمين: لم يعافه الله بدعاء الشيخ السبائي، و إنما عافاه بتسامح الفاطميين و حلمهم و حسن سيرتهم.

أحاط بأهلها علما و خيرا و ميز ما أ كنته الصدور
و جللهم بعافيه و أمن و أسبل فوقها ستر ستر
و أنبت جلّه العلماء فيها بحار لا تعاد لها بحور
و منها ساده العلماء قدما إذا عدوا، و ليس لهم نظير
و فيها القوم عباد خيار فقد طاب الأوائل و الأخير
شعارهم التقى و الخوف ليلا على أقدامهم غيب حضور
كأنهم لخوف الله موتى أقامهم إلى البعث النشور
بلاد حشوها علم و حلم و إسلام و معروف و خير
هم أفتكوا سبايا كل أرض و فأدوا ما استبد به المغير
كفيناهم عظائمها جميعا فزال عنهم تلك الشرور
و سكننا قلوبا خافقات أمات عروقتها ضر ضرير
و آوينا و آسينا و كنا لهم أهلا و أكثرهم شطير
فبات طعامنا لهم طعاما هناك، و دورنا للقوم دور
و كان لنا ثواب الله ذخرا و قام لشكرنا منهم شكور
و لو لا القيروان و ساكنوها لغاب طعامهم و المح رير
كان القيروان و هم عراه حفاه، محشر فيه المصير
فهل للقيروان و ساكنيها عديل حين يفتخر الفخور؟
عراق الشرق بغداد و هذى عراق الغرب بينهما كثير
و لست أقيس بغدادا إليها و كيف تقاس بالسنة الشهور؟
بلاد تقصف العظماء قصفا إذا ما رامها منهم غدور

بلاد خطها أصحاب بدر و تلك اختط ساحتها أمير
بناها المستجاب و قد دعا في جوانبها دعاء لا يبور
بناها كل بدرى كريم كان صفا وجوههم بدور
هم صلوا بمسجدها براحا و ليس له جدار مستدير
و هم وضعوا له اسا متينا فقدست المواضع و الصخور
و قادمهم الأذان إليه حتى أضاءهم من المحراب نور
و لم يسبقهم ملك ظلوم لتأسيس و لا ملك كفور
و أصحاب النبي له بناه فلا عصيان فيه و لا فجور
أقاموا شطر قبلتهما سويا إلى البيت العتيق فلم يجورا
و إن عراضه لمقدسات مباركه و تربته طهور
بها حلق العلوم لها دوى يجاوبها الكتاب المستنير
ألا أبلغ معاشر ليس عندي لهم غدر و لا فيهم غدير
نحب صلاحهم و هم غضاب علينا، إن ذا جور كبير
ضمائرهم مراض واجمات علينا لا أفاق لهم ضمير
و لا ذنب لنا إلا لأننا سلمنا حين عمهم الثبور

قال المالكي في كتابه (رياض النفوس): ثم مضى فيها حتى انتهى إلى قوله منها:

و ليس لنا كما لهم حصون و لا جبل أعاليه و عور
و لا سور أحاط بنا و لكن لنا من حفظ رب العرش سور
و لا ناوى إلى بحر و إنا إذا قضى القضا تنحى النحور
و لكننا إلى القرآن ناوى و فى أيماننا البيض الذكور

عقائق كالبوارق مرهفات بها تحمى الحرائم و الثغور

و سمر فى أعاليهن شهب بها ظما، مواردنا النحور

لنا شيب ججاجه ليوث و شبان غرانقه صقور

و كلهم شديد البأس جلد جرىء قلبه ثبت وقور

و إنا بعد من خوف و أمن نحب إذا تشعبت الأمور

رسول الله و الصديق حبا به ترجى السعاده و الجبور

و بعدهما نحب القوم طرا و ما اختلفوا فربهم غفور

ألا بأبى و خالصى و أمى محمد البشير لنا النذير

ساهدى ما حيت له ثناء مع الركبان ينجد أو يغور

و يعلق محمد اليعلاوى على القصيده بما يلى، مصرا على تسميه الفاطميين بنى عبيد:

هذا القصيده المطول ليس فيه هجاء لبنى عبيد و لا مدح للخارجى، و إنما القسم الأوفر منه، و هو الأهم، مدح قوى للقيروان و أهلها. فلذلك لم يرو الدباغ من الرائيه إلا هذا القسم الذى احتل ثلثى القصيده. فبعد المقدمات الحكميه ياتى الفخر بالقيروان و ساكنها. و فى القسم الأخير تعرض خفيف للعبديين، يقتصر على بيان الفرق المذهبى بينهم و بين أهل القيروان فى ناحيه معينه، و كأنها رمز و هى موقف هؤلاء و أولئك من الصحابه.

فليس إذن فى القصيده ما يستوجب النقمه من الخليفه الفاطمى على الشاعر، و لذلك أمنه و جازاه. و ليس للقصيده من قيمه إلا تاريخيه مذهبيه إذ نقف من خلالها على مدى الحذر و الاحتراز الذى لازمه أهل القيروان إزاء أبى يزيد.

على أن أبا القسم [القاسم] الفزارى لم يلازم دائما هذا الحياذ إزاء الفاطميين، فلقد روى المالكى له أبياتا أخرى فيها تهجم عنيف على معتقدات الشيعة و اتهام لهم بالمروق عن الدين. (1)

و من شعر الفزارى المتصل بالفاطميين مدحته فى المنصور العبيدى بعد أن أمنه مع كافه أهل القيروان. و هى قصيده ذات ثلاثه و ستين بيتا خصص ثلاثه و ثلاثين منها لاستعراض أجداد العرب و شجعانهم و مشاهير رجالاتهم فى الجاهليه. و كان القصيده اشتهرت بهذه الإشارات التاريخيه أكثر منها بمعانيها المدحيه، فسميت لشهرتها "القصيده الفزاريه". و هى لا تزال مخطوطه، و معها تعريف بالأعلام المذكورين فى القصيده، و تلخيص لبعض بطولاتهم المعروفه فى أدب "أيام العرب"، و هذا الشرح الذى تخلل الأبيات مجهول المؤلف.

و القصيده بشرحها توجد مخطوطه بالمتحف البريطانى (٢) و بمكتبه برلين (٣) و قد ذكر اليعلاوى القصيده بكاملها، و نحن نأخذ منها هنا ما له علاقه بمدح الخليفه الفاطمى:

و لا كان قعقاع بن ثور إذا اجتبى جليسا له مذ سيق بين الأقدام

(٤) بامنع منى فى جوار خليفه عطوف على أهل البيوتات راحم

كريم الأيادى و المساعى نمت له أبوه صدق من ذؤابه هاشم

شريف الأفاصى و الأدانى مقدم إذا ما عددنا فضل أهل المكارمى

ص: ١٩٠

١- أعرضنا عن ذكر هذه الأبيات لبداءتها و تفاهتها (ح)

٢- عدد ٣٧٥٢ شرقى.

٣- عدد ٨٥٧٧ من فهرست أهلورات.

٤- القعقاع بن عمرو التميمى

له من إمام المرسلين و صنوه على، معال ثابتات الدعائم

معال هي الفخر الصحيح، و غيرها معالى فخر بين واه و سالم

و من ذا يقيس الشمس فى رونق الضحى إلى كوكب فى غيبه الليل عائم؟

سأشكر آلاء الامام و من ينم عن الشكر أو يسأم فلست بسائم

و ما عذر مشحوذ اللسان مثقف يرى الشكر فى الإنعام ضربه لازم؟

أبيت أمير المؤمنين سوى التى يزيد سناء ذكرها فى المواسم

تقى و ندى ما بين حلم و نجده و عفوا و إمضاء على كل ظالم

و كذبت أطماع البغاه فأدبروا لأعقابهم ما بين خاز و نادم

رجوا من فساد الملك ما عودتهم أمانهم، و الله ليس بنائم

فصب عليهم محصداً كأنها شآبيب قطروا كيف العين ساجم

و لو لا حذار من عقابك ارجعوا فعاثوا و عاف الناس ضر الأشائم

و إنى لأرجو منك أجرا يعزنى على رغم مجدوع المعاطس راغم

و لا شىء إلا فى يد الله، إن قضى بها يسرت من كف أغلب هاشمى

و مد بها الوهاب نفسا كريمه معوده بذل الهى و المكارم

فمثلى يبقى شكره و ثناؤه و مثلك يرجى للأمر الجسائم

يغنى بها الركبان فى كل بلده و تحدى بها خوص الركاب السواهم

عود إلى الايادى

و يتابع اليعلاوى الحديث عن الايادى قائلا:

و لا- نعرف عن مولد الايادى شيئا سوى ما ذكره حسن حسنى عبد الوهاب ثم الشاذلى بو يحيى من أنه "نشا و تربى بمدينه تونس" و أنه عمر طويلا، أما وفاته، فقد أرخها عبد الوهاب بسنه ٣٦٥/٩٧٦ و هى السنه التى مات فيها المعز الفاطمى. أما الشاذلى بو يحيى فيرى أن الايادى عاش مده بعد المعز، و لم يذكر هذان المؤلفان مكان وفاته، و إن كنا نستنتج ضمنا من عباره

ابن رشيق في "قراضه الذهب" (١) أن الشاعر قد يكون توفي بالقاهرة حيث كان التحق بالمعز بعد أن لاقى في طريقه إليه الأهل والأهل والصعاب.

وقد عاصر الأيادي خلفاء بني عبيد الأربعة: المهدي ٩٣٤/ والقائم (و المنصور / ثم المعز. تشهد بذلك المقطوعات التي سنوردها من شعره، كما تشهد بأنه خدمهم ومدحهم.

فلذلك نستغرب أن يضيع شعره فلا تصلنا منه إلا نتف مبعوثه في كتب الأدب والتاريخ. فإذا كان من شعرائهم الرسميين، كما سيكون ابن هاني، فلما لم يعملوا على حفظ شعره كما حفظ شعر ابن هاني؟ وإذا كان شعره، كما قال ابن شرف، هو "المورد العذب، و لفظه هو اللؤلؤ الرطب، و هو بحترى الغرب، يصف "الحمام فيروق الأنام، و يشب فيعشق و يحب، و يمدح فيمنح أكثر مما "يمنح... (٢)، فلما لم يصلنا منه هذا الوصف للحمام، و لا هذا الغزل و لا هذا المديح؟ ثم لما لم تذكره كتب الطبقات و التراجم كما ذكرت غيره؟ هذا كتاب "رياض النفوس" للمالكي، على كثره من ذكر من شعراء مناهضين للعبديين أو مناصرين لدعوتهم، لم يتعرض له قط. و كذلك ابن فضل الله العمري، في مختاراته من شعراء الجانب الغربي كما يقول، لم يذكره. و إنما تعرض إلى سمي له، على (بن يوسف) التونسي الذي عاصر أمراء بني زيري المنصور و باديس و المعز (بين و ٤٠٦ للهجرة)، مما جعل الرواه يخلطون بينه و بين شاعرنا على الأيادي، نظرا لأن كلا من العليين مدح منصورا و معزا.

و مهما يكن من سبب لخمول ذكره و فقدان شعره (٣)، فان الأبيات القليلة التي يتناقلها منه الرواه تشهد له ببراعه فائقه في تصريف وجوه الخيال في شعره الوصفي: وصف قصر البحر بالمنصوريه و وصف أسطول القائم و وصف الخيل.

و نسوق الآن ما عثرنا عليه من شعر على بن محمد الأيادي، مرتبا حسب الإمكان ترتيبا تاريخيا، و نذكر أثر كل مقطوعه المصادر التي استقيناه منها، و نعلق عليها كلما أمكن التعليق. و إن عملنا هنا لا يتجاوز الجمع و الترتيب و التوضيح أحيانا، فلا كشف فيه و لا اكتشاف في شأن هذا الشاعر، من مصادر مخطوطه أو مجهوله.

المقطوعه الأولى:

"... و مثل هذا جرى لعلى التونسي الأيادي، فإنه قال قصيدته:

جادتك صادقته المخائل طوع الجنائب و الخمائيل

مرهء ذا نيه الرباب تكاد تلمس بالأنامل...

يخاطب بها أبا القاسم عبد الله (القائم) و ابنه إسماعيل (المنصور) و يحضه على الخروج من حصار المهديه إلى قتال أبي يزيد، و هي مشهوره "بالمغرب...".

المصدر:

قراضه الذهب تحقيق الشاذلي بو يحيى ص ١٠١-١٠٢.

تعليق:

أورد ابن رشيق هذين البيتين ضمن استشهاده على السرقات الشعرية، أو السلخ في المعانى أو التوارد فى الخواطر، و أردفهما بالبيتين الذين نظمهما الشاعر الشامى السرى الرفاء (ت ٣٦١هـ/٩٧٢ م) فسلخ فيهما بيتى الايادى.

و لا يستبعد أن تكون أشعار المغاربه معروفه فى الشرق فى ذلك العهد، و خصوصا بعد فتح مصر و الشام للدولة الشيعيه ابتداء من سنه ٣٥٨.

و إذا عرفت أشعار المغاربه فى الشرق، فلا غرابه أن تروى و تسلخ و تسرق.

و قد أردف ابن رشيق هذا الشاهد على تائر المشارقه بالمغاربه بمثال آخر، و هو قصيد لعلى الايادى نفسه، نسبه المشارقه إلى الوأواء الدمشقى (ت ٣٨٥/٩٩٥).

و قد كان شعراء المشرق يأملون من الفاطميين رفاهم، و الدليل على هذه الرغبه فى خدمه الدوله الافريقيه ما روى عن عزم المتنبى فى التحول إلى

ص: ١٩١

١- ابن رشيق: قراضه الذهب فى نقد أشعار العرب تحقيق الشاذلى بو يحيى تونس، ١٩٧٢ ص ١٠٢.

٢- ابن شرف: المقامه النقديه ضمن ذخيره ابن بسام ج ٣ ص ١٦٥ و قد سماه "على بن العباس" و انظر كذلك مسائل الانتقاد نشر شارل بلا، الجزائر ص ٩.

٣- السبب الوحيد هو تشيعه و عصبية من ذكرهم و عصبية غيرهم (ح).

القيروان، أو، و هو أوضح، القصيده التي بعث بها الصنوبرى (ت ٩٤٥/٣٣٤) إلى أمير الزاب جعفر بن حمدون(١) المقطوعه الثانيه:...

لما انتقل الامام المهدي بالله من رقاده إلى المهديه التي سماها باسمه فكانت كما قال علي بن محمد الايادى:

دار ملك سميت مهديه فبه تعرف ما طال الأبد

"جرى بين رجاله من الكتامين إلخ..."

المصدر:

سيره الأستاذ جوذر نشر محمد كامل حسين و عبد الهادى شعيره - القاهره بدون تاريخ ص ٣٧.

التعليق:

ليس من الضروري أن يكون هذا البيت نظم في زمن المهدي بالذات، فربما اندرج ضمن قصيد استعرض فيه الايادى تاريخ الأئمه.

و إلى هذا الراى نميل، إذا قابلنا هذا البيت بالأبيات التي تعرض فيها الايادى إلى مقتل أبى يزيد و هى أبيات من نفس الوزن و على نفس الروى. و يقول صاحب سيره الأستاذ جوذر - و جوذر هو أحد كبار الموظفين فى بلاط المعز - "تعرف "القلعه "ب "كيانه" و هى فى الوصف كما قال علي بن محمد الأيادى يصفها و يذكر اللعين أبا يزيد و نزوله منها:

"فارتقى الملعون من خيفته فى ذرى أعيط عال مصعد(٢)

فى ذرى خلقاء ملساء على ذلك المعقل ليست بصدد(٣)

معقل من فوقه الله و من تحته المنصور فى جيش معد

فارتقى المنصور بالسيف له يوم طعن كشآيب البرد

واثقا بالله فى غربته من بنى أحمد ناء منفرد

فإذا مخلد فى كف الردى موثق الجيد بحبل من مسد

قد رمته الحرب عن غاربها واهى الركن ذليل المستند

كنفيض أخرجته أمه ليس إلا نبض عرق و جسد

فاوى من كرم المنصور فى كنف رحب و خفض و رغد

طلبا منه لتبقى روحه و بقاء الروح أشفى للكمند

فأبى الله سوى اعجاله و عذاب الله للجسم أهد

ففضا عنه أديما دنسا كان قد أسرف فيه و مرد

كاديم التيس لما لم يطب ريحه جرد منه فانجرد

و حشاه سالخوه سعفا مالثا بين كعوب و كتد

ثم رقاہ على مستحصد باسق أجرد ما فيه أود"

المصدر:

سيره الأستاذ جوذر، النص العربي ص ٤٨-٤٩ و الترجمة الفرنسيه لماريوس كانار، الجزائر ص ٦٩-٧٠. التعليق:

هذه المقطوعه تلفت الانتباه إلى الأمور التاليه:

١ - البيت الثالث قد يشعرا بعبارته " في جيش معد " بان أبا تميم معد ابن المنصور، و هو المعز لدين الله فيما بعد، كان آنذاك، أى فى سنه ٣٣٦، ولى العهد للمنصور. و هذا يخالف ما ذهب إليه ابن عذارى من أنه لم يرتق إلى ولايه العهد إلا سنه ٣٤٠، أى عاما واحدا قبل وفاه المنصور و ارتقائه هو الخلفه. و فهمنا لعباره "معد" هو الذى يحملنا على هذا التأويل، ف "معد" هو اسم المعز، و لا نفهم الكلمه كما فهمها ماريوس كانار فى ترجمته للسيره، " جيش معد " اسم مفعول من أعد، أى جيش كامل العده.

و من هذا نتطرق إلى تأويل آخر: و هو أن القصيده قد نظمت فى عهد المعز، لا فى خلفه المنصور، و أنها فى الحقيقه استعراض لتاريخ الأئمه منذ بدايه خلافتهم بالمغرب، فلذلك ورد تأسيس المهديه فى البيت السالف الذكر. و لو عثرنا على القصيده كامله، لوجدنا فيها أيضا عرضا لخلفه القائموا خلفه المعز.

٢ - التصوير " الواقعى " لنهايه أبى يزيد الفظيعه: قتله، ثم سلخه، و حشواها به بالتبن، و وضعه على فرس يطوف به فى أنحاء البلاد. و قد أجاد الايادى فى تصوير هذا التشفى من الثائر، و ربما أفادنا بشىء اختلف فيه المؤرخون، و هو موت مخلد بعيد أسره بقليل، فلم يرسله المنصور حيا إلى المهديه كما يقول بعضهم، بل نفهم من البيت العاشر أن الخليفه أسف لهذا الموت السريع الذى منعه من التنكيل بعده كما يريد، فانتقم من جثته.

المقطوعه الثالثه:....

و قال على بن محمد الايادى يمدح المعز و يصف دار البحر بالمنصوريه (الحصرى)....

و قال يصف القصر الذى أنشاه المنصور بصبره (المنصوريه) سنه ٣٣٧ (ح. ح. عبد الوهاب).

و لما استطال المجد و استولت البنى على النجم، و امتد الرواق المروق

بنى قبه للملك فى وسط جنه لها منظر يزهى به الطرف مونتق

بممشوقه الساحات، أما عراصها فخضر، و أما طيرها فهى نطق

تحف بقصر ذى قصور كأنما ترى البحر فى أرجائه يتدفق(٤)

له بركه للماء ملء قضائه تخب بقطريها العيون و تعنق(٥)

لها جدول ينصب فيها كأنه حسام جلاه القين بالأرض ملصق

لها مجلس قد قام فى وسط مائها كما قام فى فيض الفرات الخورنق

كان صفاء الماء فيها و حسنه زجاج صفت أرجاؤه فهو أزرق

إذا بث فيها الليل أشخاص نجمه رأيت وجوه الزنج بالنار تحرق

و إن صافحتها الشمس لاحت كأنها فرند على تاج المعز و رونق

كان شرافات المقاصر حولها عذارى عليهن الملاء الممنطق

يذوب الجفاء الجعد عن وجه مائها كما ذاب آل الصحصحان المرقق.."

(٦).

ص: ١٩٢

-
- ١- ديوان الصنوبرى، نشر إحسان عباس بيروت ص ٢٨ و فى شان هذه القصيده راجع مسائل الانتقاد ص ٣٧.
 - ٢- القصر الأعيظ هو الشامخ المنيف.
 - ٣- و الخلفاء: المستويه الجبين و لعله يعنى صعوبه الصعود إليها. و ليست بصدد قد تعنى: ليست بقريبه المنال.
 - ٤- عباره زهر الآداب... فى أرجائه و هو متاق.
 - ٥- الخبب و العنق ضربان من سير الدواب.
 - ٦- الآل: السراب/و الصحصحان: الأرض الجرداء الملساء و الجفاء: الزبد المتراكم (الماده جفا).

المصدر:

الحصري: زهر الآداب، نشر على محمد البجاوى - القاهرة ١٩٥٣ ج ١ ص ١٨٩/١٩٠ ح. ح. عبد الوهاب: مجمل... ص ٩٧.

و إلى هذه القصيده يمكن أن نضيف ثلاثه أبيات نقلها صاحب "كتر الدرر" فى القسم السادس الخاص بالفاطميين:

"... و قد كانت الأيام خرسا فأصبحت لها ألسن بالشكر لله تنطق

فما بعد هذا للوسائل ملجا و لا للمنى فى غيره متعلق

فقد وضعت تلك المواعيد حملها تماما، و كانت قبل ذلك تطلق..."

و هى أبيات من نفس الوزن و الروى و هى بدون شك جزء من القسم المدحى للقصيده نفسها. و قد ذكر فى المرجع نفسه بيت آخر لا نخاله من نفس القصيده، لأن القافيه فيه مؤسسه الروى، أى تضمنت ألفا يفصلها عن الروى حرف متحرك، فى حين أن الأبيات السالفه الذكر ليست مؤسسه. و يمكن اعتبار هذا البيت مقتطعا من هذه القصيده، شريطه أن نغض الطرف عن هذا العيب فى القافيه، و هو ما يسمى ب "سناد التأسيس".

"... كان ملوك الأرض حول بساطه كواكب فى ضوء النهار غوارق"

المصدر:

الدوادارى: كتر الدرر، ج ٦: الدرر المضيئه فى أخبار الدوله الفاطميه، القاهرة ١٩٦١ ج ١١٨.

التعليق:

١ - عباره الحصري فى تقديم الأبيات أدق من عباره ح. ح.

عبد الوهاب. فالعلامه التونسى، و قد كان مؤرخا مهتما بالمعالم الحضاريه خاصه، أراد أن يشعر القارئ بان المنصور هو الذى شيد القصر، فغمض قصده إذ قد يتوهم القارئ أن الايدى أنشد القصيده للمنصور لا للمعز.

و البيت العاشر لا يدع مجالا للشك فى أنه قصيد مهدي إلى المعز.

٢ - و انا لنستغرب وجود هذا الوصف للقصر عند الايدى، مع خلو شعر ابن هانئ منه، و الحال أن ابن هانئ كان الشاعر الرسمى للدوله المشيد بمجدها الناعى على خصومها. فهل يعنى هذا أن محمد بن هانئ كان متفرغا للناحيه المذهبيه أو "السياسيه" كما نقول اليوم، فلا- اهتمام له بالاحتفالات و المواكب و البلاطيات؟ لا- نستبعد هذا الانصراف، خصوصا إذا تذكرنا أنه كثيرا ما وصف قصور بنى حمدون حين كان عندهم بالمسيله.

٣ - و ان وصف الايدى لهذا القصر، على جماله، لا يخلو من دقه:

فهذه البركة عظيمه واسعه، و ربما كانت على شكل مستطيل، إذا ما فهمنا عباره "قطريها" (البيت ٥) على أنهما قطران متقاطعان كما فى المربع أو المستطيل. و كان فى وسطها بناء صالح للجلوس و تسريح النظر، على شكل ما يلاحظ اليوم فى "فسقيه" الأغالبه الكبرى بالقيروان. ثم إن هذه البركة منقوره فى ساحه فسيحه محاطه بالأشجار و كانت تضاء بالقناديل ليلا، و على حوضها تفتح أو تشرف أبواب الغرف. و لا شىء يمنع من تخيل هذا القصر على شكل دائره محيطه بالبركه، تفتح جميع مقاصيره على البركه. بهذا النظام تشعرونا عباره "قبه" فى البيت الثانى. و لعل المعايينه على المكان تؤيد وصف الايادى، و لا سيما فى شكل البركه ذات القطرين (١).

٤ - و فى الجانب المدحى، نلاحظ أن المعانى التى اهتم بها الايادى هى رغد العيش فى كنف المعز، فعبر عن هذه السعاده بصوره المرأه الجبلى بالمواعيد الطيبه، و قد وضعت حملها، أى حققت الأمانى. و لا نجد حديثا عن شرعيه الامام، و لا عن توفيقه و هديه. المقطوعه الرابعه:

و قال على بن محمد الايادى يصف أسطول القائم فأجاد ما أراد:

"أعجب لأسطول الامام محمد و لحسنه و زمانه المستعذب

لبست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجب

من كل مشرفه على ما قابلت أشراف صدر الأجدل المتنصب

دهماء قد لبست ثياب تصنع تسبى العقول على ثياب ترهب

من كل أبيض فى الهواء منشر منها، و أسحم فى الخليج مغيب

كملاءه فى البر يقطع شدها فى البحر أنفاس الرياح الشذب

محفوفه بمجادف مصفوفه فى جانبين دوين صلب صلب

كقوادم النسر المرفرف عربت من كاسيات رياشه المتهدب

تحتشها أيدي الرجال إذا ونت بمصعد منه بعيد مصوب

خرقاء تذهب إن يد لم تهدها فى كل أوب للرياح و مذهب

جوفاء تحمل موكبا فى جوفها يوم الرهان و تستقل بموكب

و لها جناح يستعار يطيرها طوع الرياح و راحه المتطرب

يعلو بها حذب العباب مطاره فى كل لج زاخر مغولب

تسمو باجرد فى الهواء متوج عريان منسوج الذوائب شوذب

يتنزل الملاح منه ذؤابه لو رام يركبها القطا لم يركب

فكأنما رام استراقه مقعد للسمع إلا أنه لم يشهب

و كأنما جن ابن داود هم ركبوا جوانبهما بأعنف مركب

سجروا جواحم نارها فتقاذفوا منها بالسن مارج متلهب

من كل مسجور الحريق إذا انبرى من سجنه انصلت انصلات الكوكب

عريان يقدمه الدخان كأنه صبح يكر على الظلام الغيب

و لواحق مثل الأهله جنح لحق المطالب فائتات المهرب

يذهبن فيما بينهن لطافه و يجلن فعل الطائر المتغلب

كنضائض الحيات رحن لواعبا حتى يقعن ببرك ماء الميزب

شرعوا جوانبها مجادف أتعبت شاو الرياح لها و لما تتعب

تنصاع من كشب كما نفر القطا طورا و تجتمع اجتماع الربرب

و البحر يجمع بينها فكأنه ليل يقرب عقربا من عقرب

و على مراكبها أسود خلافه تختال فى عدد السلاح المذهب

فكأنما البحر استعار بزيمهم ثوب الجمال من الربيع المعجب

المصدر:

الحصري: زهر... ص ١٠٠٣.

ابن الأبار: الحله السيراء، القايره ١٩٦٣ ج ١ ص ٢٨٥ (ذكر منها بيتين لا غير). (٢)٩.

ص: ١٩٣

٢- انظر ما كتبه جورج مارسى عن قصور المنصوريه فى كتابه عن "الفن الإسلامى"، باريس ١٩٢٦ ج ١ ص ١١٩.

المقرى: نفع الطيب نشر إحسان عباس بيروت ١٩٦٨ ج ٤ ص ٥٧.

ح. ح. عبد الوهاب: مجمل... ص ٩٨.

التعليق:

١ - هذه القصيدة البديعه معروفه، على الأقل فى قسمها الوصفى هذا، قد درسها الشيخ الشاذلى النيفر فى بحثه عن الأساطيل الحربيه فى الأدب بمجله الثريا التونسيه(١) و قد ضاع القسم المدحى منها. و لا شك، إذا اعتبرنا أنها موجهه إلى القائم الخليفه الثانى، أنها أقدم مقطوعه لدينا من شعر الايادى.

٢ - يلفت انتباهنا وصف الشاعر للون المراكب: فهى سوداء مطليه بالقطران، و لذلك سماها ابن هانئ "القاريات السود" (انظر القصيده ١٣ من ديوانه، نشر المرحوم زاهد على الإسماعيلى الحيدرآبادى). و كذلك وصف آلامت الإحراق التى تطلق ما اصطلاح عليه فى القديم ب "النار اليونانيه" (feugregeois) و هى مواد كيماويه ملتهبه تقذف على السفن المعاديه فتحرقها، و قد كان لهذا السلاح شان كبير عند الفاطميين، و بفضل ملكوا زمام البحر طيله القرن الرابع/العاشر و قطعوا سبل الروم فيه، كما يقول ابن هانئ. لكن الايادى لا يصف هذه المراكب فى حاله حرب، إذ لا ذكر للروم فى الأبيات، و لعله يصف استعراضا بحريا بمناسبة عيد من الأعياد:

ذاك ما يشعر به البيت ٢٥.

٣ - لفظ "المتطرب" فى البيت ١٢ قد يعنى الشخص الذى يوكل أمر القيادة إليه بدليل قوله "طوع راحته"، و كذلك يوكل إليه أمر تنشيط الضارين بالمجادف، فلعله كان ينقر على طبل بإيقاع موزون يتبعه الجاذفون فى تصعيد المجاذيف و تصويبها. و هذه المراكب لا تسير بقوه المجاذيف فقط، بل بقوه الرياح أيضا.

٤ - لقد وصف ابن هانئ الأسطول الفاطمى كثيرا، و لكنه لم يبلغ درجه الايادى فى دقه الملاحظه، و حسن الإيحاء و اختيار الصور اللطيفه المعجبه.

المقطوعه الخامسه:

و أقب من لحق الجياد كأنه قصر تباعد ركنه عن ركنه(٢)

لبست قوائمه عصائب فضه و غدت بسمر صفا المسيل ود كنه

و كأنما انفجر الصباح بوجهه حسنا أو احتبس الظلام بمتنه

قيد العيون إذا بصرن بشخصه و رضا القلوب إذا اصطلين بضغنه

متسيطر بالراكبين كأنه باز تروح به الجنوب لو كنه

يستوقف اللحظات فى خطرانه بكمال خلقته و دقه حسنه
حلو الصهيل تخال فى لهواته حاد يصوغ بدائعا من لحنه
متجبر ينبى بعق نجاره إشراف كاهله و دقه أذنه
ذو نخوه شمخت به عن نده و شهامه طمحت به عن قرنه
و كأنه فلكك إذا حركته جار على سهل البلاد و حزنه
قد راح يحمل جعفر بن محمد حمل النسيم لوائل من مزنه
المصدر:

زهر الآداب ص ٣١٤.

ح. ح. عبد الوهاب: تاريخ... ٩٨.

تعليق:

الأمير جعفر هو أحد أبناء القائم، و هو حينئذ أخ للمنصور. و هذه الأبيات جزء من مدحه، قطعه الحصرى فى البيت الأول من المديح.

المقطوعه السادسة:

"من مدائح المنصور لما أظهر أبوه القائم بامر الله بيعته فى سنه ٣٣٤، فقال التونسى:

أما و القنا الظمان حلفه مغرم و جرد المذاكى و الصفيح المقوم

و شهباء من نسج الحديد كأنما تكلله تحت العجاج بانجم

مسومه راحت رواحا و أربحت لادراكك ثار أو لاحراز مغنم

لقد سن إسماعيل سنه جده لكل فصيح فى البلاد و أعجم

و قلد حق المسلمين بحقه فتمت به النعمى على كل مسلم

و كان بحمد الله أمنا لخائف و عزا لمغلوب و غيثا لمعدم

فيا بهجه الدنيا بأيامه ابهجي و يا بيضه الملك اسلمى ثم اسلمى
و يا جمره الحرب العوان قد انبرى لك البحر زهوا فاخمدى أو تضرمى
و قد قام بالدنيا و بالدين فاستوت أمورهما من هاشم خير قيم
من الفاطميين الذين إذا انتموا إلى المجد غطى رأسه كل متم
مليك إذا سل السيوف على العدى دجا الليل أو تروى السيوف من الدم
بديته فينا كفكره غيره إذا هو أمضى الأمر لم يتندم
فنعم ملاذ المسلمين و كهفهم إذا ما خطوب الدهر جاءت بصيلم
و نعم خطيب الناس فى كل فيصل إذا الخطب فيه سد باب التكلم
المصدر:

الدوادارى: الدرر المضية... ص ١١٧.

مقطوعات متفرقة

المقطوعه السابعه:

طيف يزورك من حبيب هاجر أهلا به و بطيفه من زائر
شق الدجى و سرى فأمعن فى السرى حتى ألم فبات بين محاجرى
يحدو به هيف القوام المنثى نحوى و سالفه الغزال النافر
لله درك من خيال واصل أسرى فانصف من حبيب هاجر
عللت عله قلب صب هائم و قضيت ذمه فيض دمع قاطر
المصدر:

الحصرى: زهر... ص ٧٠٣.

الشريف المرتضى: طيف الخيال، نشر حسن الصيرفى و إبراهيم الأبيارى، القاهره ١٩٦٢ ص ٢٤٩.

فى هذا المضمار نفسه، أى التشفى من أبى يزىء، أورد ابن حماد مقطوعتىن لشاعر لم يذكر لنا اسمه: و قال بعض الشعراء فى سلخ أبى يزىء:

ص: ١٩٤

١- الثرىا، سنة ١٩٤٤، العدد ٩، ص ١٢

٢- الأقب من الخىل: الضامر البطن

أما النفاق فقد نسخ و أبو الكباثر قد سلخ
كان الفويسق مخلد قردا، و لكن قد مسخ
لو قد رأيت محله و بنو الحدايه تصطرخ
لرأيت ما عقد اللعين بلطف ربك قد فسح
و قال من قصيده:

فسلخته من جلده و حشوته حشو المزود
و ضربته مثلا يسير فى الأقارب و الأبعاد
وردت به أطماعه و ظنونه شر الموارد
المصدر:

ابن حماد: أخبار... ص ٣٥/٣٦.

التعليق:

فى نقل الشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦) لهذه الأبيات دليل على انتشار شعر المغاربه بالمشرق منذ القرن الرابع، أى فى مده
الايادى نفسه.

المقطوعه الثامنه:

أما أنه لو لا الخيال المراجع و عاص يرى فى النوم و هو مطاوع
لأشفق و استحيى من النوم واله يرى بعد روعات الهوى و هو هاجع
المصدر:

الحصري: زهر.. ص ٧٠٣.

الشريف المرتضى: طيف الخيال ص ٣٤٨.

المقطوعه التاسعه:

مسح الظلام بعرفه يده و مشى فقبل وجهه البدر

المصدر:

الحصرى: زهر... ص ٣١١.

المقطوعه العاشره:...

أخذه على بن محمد الايادى و قال فأحسن السرقة و لطف فى الأخذ:

بالجزع فالخبتين أشلاء دار ذات ليال قد تولت قصار

بانوا فماتت أسفا بعدهم و إنما الناس نفوس الديار

المصدر:

زهر الآداب ص ٦٨٤.

تعليق:

و لكنهما ينسبان إلى ابن هانئ فى بعض مخطوطات ديوانه، و قد أثبتهما الناشر زاهد على فى آخر ديوان "تبيين المعانى فى شرح ديوان ابن هانئ" القاهره ١٣٥٢ ص ٨١٢.

المقطوعه الحاديه عشره:

و له من زهرية:

نم بالروض خفق الرياح و اقتدح الشرق زناد الصباح

و أخجل الورد شعاع الضحى و ابتسمت فيه ثغور الأقاح

و قام فى الدوح لنعى الدجى حمائم تطربنا بالصياح

مذ ولد الصبح و مات الدجى صاحت فلم ندر غنى أم نواح

و يوم دجن حجبت شمسه و أشرقت فى ليله شمس راح

فما ظننا الصبح إلا دجى و لا حسبنا الليل إلا صباح

المصدر:

ح. ح. عبد الوهاب مجمل... ص ١٠١.

التعليق:

لا ندرى أين استقى ح. ح. عبد الوهاب هذه الأبيات، فإنه على عادته لم يذكر مراجعه.

المقطوعه الثانيه عشره:

قال محمد التونسي يهجو أبا القاسم الفزاري:

دعى فزاره من لؤمه إلى طلعه اللؤم ما أسبقه

أب هارب بخراج الامام وجد قتيل على الزندقه

المصدر:

الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين القايره ١٩٥٤ ص ٢٧٢.

القفطى: ابناه الرواه ج ٢ ترجمه عدد ٥٣١.

التعليق:

١ - لا- نستبعد أن يكون محمد التونسي هو صاحبنا على الايادى، نظرا لانتمائه إلى الفاطميين، و لمنافضه الفزاري لهم. ثم إن المصادر لا تذكر شاعرا "تونسيا" غير صاحبنا على الايادى و على بن يوسف، و هو متأخر عن الفزاري و عن الايادى.

هذا ما وصلنا إليه فى جمعنا لأبيات على بن محمد الايادى التونسي شاعر الفاطميين، و قد عاصر محمد بن هانى و عاش بعده. و ليس فى وسعنا أن نقول إن هذا هو كل شعره، فقد تكشف الأيام عن أبيات أخرى فى مخطوطات.

و بعد هذا، ننبه إلى خطأ من ابن ظافر الأزدي صاحب "بدائع البداءه" فقد نسب إلى الايادى قصيده مشهوره النسبه إلى ابن هانى، و هى القصيده السادسه و العشرون من ديوانه "تبيين المعانى... " فقال ابن ظافر " و هذا المعنى مأخوذ من قول على بن التونسي الايادى من قصيدته الطائيه المشهوره

أ لؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط...

"(١).

شعراء آخرون

و عدا عن على بن محمد الايادى فقد ذكر كاتب المقال محمد اليعلاوى عددا من الشعراء الشيعة.

الدكتور على بدر الدين بن مصطفى

اشاره

ولد فى بلده النبطيه بجبل عامل سنه ١٩٠٩ و توفى فيها سنه ١٩٨٦ م تلقى دراسته الابتدائيه فى النبطيه، و الثانويه فى (الأترناشيونال كولج) فى

ص: ١٩٥

١- ابن ظافر الأزدي: بدائع البداءه، تحقيق محمد أو الفضل إبراهيم، القاهره ١٩٧٠ ص ٧٢.

بيروت و انتقل بعدها إلى الجامعة الأمريكية في بيروت و منها نال شهادة الدكتوراه في الطب سنة ١٩٣٨ م فرجع إلى بلدته النبطية سنة ١٩٣٩ م طيبيا أديبا شاعرا، و أثناء اشتداد الحرب الأهلية اللبنانية انتقل إلى عمان حيث كانت تسكن فيها ابنته و زوجها. و في سنة ١٩٨٢ عاد إلى النبطية و بقى فيها حتى وفاته.

شعره

نظم سنة ١٩٢٧ هذا الموشح بعنوان: الصيف و الذكرى.

حبذا الآصال و الصبح الجميل و الدرارى تزدهى فى الأفق

و نسيم الروض مشتاقا عليل أذبل الزهر و غض الورق

أ تن فى الأرض تذكو نارها أم شواظ من جواها مستعر؟

لم يعد فيها نصير يجتلى أخضر الثوب فهل من مدكر؟

نضب الماء فهل تزهو الحصى بعده و هى كدر منتشر؟

قم و عز الروض فى أزهاره و الروابى بسناها المحتضر

يبس العود الذى ماس على شاطئ النهر ببشر مستمر!

حبذا الأحلام أحلام الصبا و ليالى الأنس فوق الهضب

و شعاع الشمس من فوق الربى يتدلى كخيوط الذهب

أقفر الوادى فلا النهر به جاريا بين حنين الزهر

ينقق البوم على إطلاله بدل الحسون فوق الشجر

يصرخ الضفدع فى أرجائه و الغراب السوء فوق الحجر

ليس فيه ناضرا غير الفضا صافحته نسمات السحر

أين ذاك الورد فياح الشذا ليس من عين و لا من أثر!

هل يعود الظل فى الدوح ظليل فيغنى الطير فوق الغصن

حسب هذى الورق فى الأيك هديل أسعديها يا عهد المزن

هذه الساحات أودى حسنها نازعات لرداها الأخضر

شفها الحر فباتت من شجى رثه الثوب بلون أصفر

كم سقاها الغيث ليلا وضحى و حباها بالنمير الكوثر

داعت أعشابها ريح الصبا فبكت درا بليل مقمر

و إذا الصبح تدانى سافرا نفحتها باريج العنبر

عندليب الروض يبكى فصله نائحا و هو حبيس القفص

و حمام الأيك يرثى خله نائبا عنه شديد الغصص

حقلنا بالأمس و ضاح السنا رافل فى مطرف من سندس

هشمته اليوم نيران السما فمضى فيه أنيس المجلس

يا سقيط الطل هذا ربنا حيثه بالله تحت الحندس

كم بدا النسرين فيه نافحا و رنت فيه عيون النرجس

ثم يحلو حنظل العيش على نغم العود و عذب الأكوس

الحصاد فيه قاطعا سنبلات كن عنوان الربيع

منجل الحصاد أسلم لامعا فيك يزهو شرف القدر الرفيع!

يا رعى الله خياما بينها كم قضينا من عهود الطرب

فى ظلال التين كم نحننا أسى و فضضنا من أمان عرب

نجتنى الأثمار أثمار الهنا يانعات لا نرى من نصب

الماء فراتا سائغا من يتابع بصدر الهضب

حولها الأطيوار ظماى ترتوى كجنود فى خميس لجب

شجر الزيتون فى أفيائه ضربت أطناب بدو رحل

عيشهم طلق فمن أدوائه أطلقوا: فالصفو فوق الأرحل

حبذا الراعى على قيثاره شاديا فى ظل صخر شاهق

يرقب الأفق و يرثى نفسه فى هواه لحبيب مارق

نادبا إخلاصه فى حبه و وفاه فى الوداد الصادق

هجره قانعا فى عيشه فى البرارى ذا جبين عارق

يذكر الأحباب ساروا فهو فى مقله عبرى و قلب خافق

حبذا جلساتنا بين الكروم نتهادى لاقتطاف العنب

حبذا البدر تغشيه الغيوم فيقينا من عيون الرقب

و قال و هو فى عمان سنه ١٩٧٩ م يصف أحداث لبنان:

الحرب تدمير البلاد نتاجها و حصادها الأموات و الأيتام

العنف و الإرهاب قدح زنادها يتلوهما النفاخ و الضرام

هى جنه فى الحاليتين شعارها قتل البرىء شريعه و نظام

قد تخذل الكفوء الكمى بدايه لكن نصر الصابرين ختام

إن ريم نصر للبلاد مؤزر فالأصل راى لا قنا و سهام

للحق صوت إن تغافل هادئ فإذا استثير فقاصف هزام

و له لسان إن تسامح واخز فإذا أهين فصارم صرام

و كذا الشعوب حمايتها أبطالها فإذا استكانوا استذاب الظلام

إن التفاوت فى الحياه شريعه لا يستوى ذنب بها و سنام

فإذا تساوى الناس فى ملكاتهم لم يبق لا قيم و لا قيام

لكن إذا الأخلاق زرع صرحها حسدت على ذؤبانها الآجام

عشق المناصب للتحكم قاتل شهدت بفساد رأيه الأنام

أعدى العداة إلى النفوس غرورها فهو العدو القاصم الهجام

خير الجهاد جهاده هو أول ثم الغداة معارك و صدام

ص: ١٩٦

المال إن تملكه عبد خير و إذا تملك سيد ظلام
جشع النفوس يحط من عليائها و ينوشها الإذلال و الأسقام
و لغير مجد فى الهزاهز أمه حجوا و صلوا للدولار و صاموا
لا تعبدوا ربين. رب واحد يحيى العظام بكم و هن رمام
الله خالقكم و مالك أمركم السرمدى الدائم القيام
فإذا أردتم عزه و كرامه فهو العزيز الواهب الكرام
منه الحياه رخاؤها و صفاؤها منه الحيا و الخير و الإنعام
الخوف منه شجاعه و مناعه و صيانته و سلامه و شكام
حب الظهور يكاد يقتل أهله إن التغابى لا الغباء سلام
قصرت موازين القضاء فطاولت زهر النجوم جنادل و رغام
و الكون زلزل دينه فتحكمت يمصيره [بمصيره] الأتباع و الأزلام
الموبقات كواسر و قشاعم و الصالحات حمائم و يمام
و الكفر و عى و الفساد تمدن و غنى اللصوص براعه و تمام
و الحلم ضعف و الجريمة قوه و الصدق عجز و الكذب همام
و البخل عقل و السخاء سذاجه و الحب عار و الحلال حرام
و القتل مجد و السلام مذله و العيش لهو و الحياه مدام
و العهر فن و العفاف تخلف و الفوق تحت و الوراء أمام
لبنان أدمت قلبه و فؤاده فتن لهن تأجج و ضرام
ملك على كل الملوكة متوجا بجماله و سنائه قوام
من رفرر الجوزاء فضل ردايه و من السهى الأردن و الأكمام

و التاج من زحل فرائد دره و الدر يجهل قدره الفحم
تبادل الأرواح نخب جباله يسقيه لامارتين و الخيام
فى و جنتيه للمجره ملثم منه تشبع ثغرها اللثام
إن سيم خسفا فى المقام أماجد وجدوا الملاذ برحبه فأقاموا
اليوم أصبح و الغراب دليله لا راحه فيه و لا استجمام
فدياره محتله و أموره مختله و جموعه أقسام
ماساته للناظرين عجائب و غرائب للسامعين زنام
و بنوه منهم لسع و أساود هذى تفح و ذاك صل سام
و تراثه نهب و سامق مجده قفر و زهراء الربوع رجام
بلد به عصفت أعاصير الهوى تتناشه الأرزاء و الآلام
ما غاب أعلام البلاد و إنما غاب الهدى و استبعد الأعلام
و استبدل الفجار خوف فجورهم بالصالحين و سيطر الاجرام
و استضعف الأبرار أرباب الحجى و اختير للأمر الخطير غلام
لبنان و الملاء المقدس شاهد فى المشرقين محبه و سلام
ضجت ملائكه السماء لرزئه و ملوك نبط المشرقين نيام
تتحكم الشهوات فى أحلامهم و وراء كل محكم حكام
فعلى البصائر و العيون غشاوه ختمت و ضاع الختم و الختام
لبنان فى دنيا المحافل باقه فيها الأفاحى العاطرات ضمام
لم يأت ذنبا غير أن ولاته خدعوا و أثخن فيهم الإيهام
لزموا مقاليد الأمور كأنما بنخلت بأفضل منهم الأرحام

و كأنما الغيد الحسان عواقر و كأنما الصيد الكماه عقام
لبنان هاروت و ماروت به سحرا و ذامت سحره الأهرام
قد أودع الرحمن فيه سره و كأنه ذات العماد (إرام)
أدواؤه استشرت و عز دواؤها و مصائب تترى عليه جسام
بلد تمتع بالرخاء سفيهه جهلا و ناء بحمله الحلام
بلد تسبب أهله بخراجه إن السكوت عن الآثام إثم
يا أيها الفلك المدار تلطفا قف إن دورك يقتضيه ختام
كيف احتملت على الزمان مظالما صعقت بها من حولك الأجرام
أم كيف أمكنك المسير و هذه أوزار كوكبك الصغير ضخام
كبرت ذنوب خاض في غمراتها لا توبه يوما و لا استندام
كانت خفافيش السياسة داءه سهل الدوا لو أخلص الحكام
يسعون للتخفيف من آلامه خاب الرجاء و زادت الآلام
قل للسماء تظطرى و تناثرى كسفا فارضك للفساد مقام
و ارجع و قل للأرض يا أرض اخجلى إن السماء محبه و نظام
من قال قد شهد الجحيم فقائل صدقا فلا وهم و لا إيهام
أجواؤه للقاذفات مسارح و بقاعه للراجمات طعام
حتى المقابر بعثرت و تطايرت تشكو الهوان رمائم و عظام
في كل بيت للدموع مغاسل بمسيلها لشهيدته استحمام
هلع و تشريد و عيش أنكد فيه سواء علقم و أدام
بدل الخمائل و الرياض استزرعت جثث و أشلاء هناك و هام

ألقت عليه النائبات بثقلها و استأثرت بكيانه الأسقام
المرضعات عن الرضيع ذواهل و الناس أيقاظ العيون نيام
و الباقيات النائحات ثواكل و القوم من فرط الأسى أصنام
تلك الربى بالأمس كان يزيناها الآس و الريحان و النمام
و مروج زهر كالنجوم يحفها شيح و رند عاطر و يشام
أضحت هشيما للقذائف لقمه يذكى لظاها المدفع اللقمام
فى ذمه التاريخ شعب آمن كرمت به الأحساب و الأرحام
أعياده و قد استحلن ماتما فيها مراسيم العزاء تقام
أما المرباع فيه فهى بلاقع أما الحياه فرمه و حطام
لا ياتلى و القلب فيه غائم فى كل يوم أفقه غيام
بعد الأحبه و الصحاب تقرحت أجفانه و عدا العيون منام
و يكاد يخنتق التباعا بعد ما سدت عليه منافذ و مسام
الياس قتال و ما من كاشف إلا الرجاء لحدده ثلام
سر السعاده فى الحياه عقولنا يجلى بها الاشكال و الإبهام
و العدل كافل كوننا فإذا انتفى لم يبق إلا الواحد العلام

السيد على حيدر الطباطبائي بن مصطفى حسين الكهنوي

ولد سنة ١٢٧٥ في لكهنو (الهند) و توفي فيها سنة ١٣٥٢.

درس في لكهنو ثم اختاره واجد على شاه لتعليم أولاده، و عين أستاذا في المدرسة الملكية، ثم مشرفا على المكتبة الآصفية، ثم ناظرا على شئون الآداب في دار الترجمة في الجامعة العثمانية بحيدرآباد. و كان يجيد العربية و الفارسية.

من مؤلفاته: شرح ديوان امرئ القيس باللغة الأردويه، شرح تشريح الأفلاك، ترجمه تاريخ الطبري إلى اللغة الأردويه، تاريخ أوروبا، شرح ديوان غالب، ديوان شعر باللغة العربية و آخر بالفارسية و ثالث بالأردويه، مختصر تاريخ الأدب، و غير ذلك.

الشيخ على النجفي الكاشاني

ولد عام ١٣٠٠ بمدينة كاشان و كان والده الشيخ مهدي النجفي من علماء كاشان المبرزين و من تلاميذ الآخوند الخراساني... درس المترجم له في كاشان ثم هاجر إلى النجف الأشرف مده ١٠ سنوات حيث درس عند كبار علمائها كالسيد محسن الحكيم و السيد عبد الهادي الشيرازي - ثم رجع من إيران و صار مدرسا في حوزة قم العلمية و لكنه بعد ثلاث سنوات عاد إلى مسقط رأسه و تصدى للدرس و الوعظ و الإرشاد و قد أقام في كاشان مجلس درس لتفسير القرآن - كان عالما بالعلوم الإسلامية كالفقه [و] الأصول و الحديث و الرجال و الأدب و علم الكلام و علم النجوم و الهيئة - توفي عام ١٤٠٥ هـ له تأليفات عديدة تزيد على ٣٠ مجلدا (١).

الشيخ مجد الدين أبو الخطاب و يقال أبو الفضل عمر بن الحسن بن علي بن

محمد الجميل بن فرح بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملال بن بدر بن

أحمد بن دحية بن خليفه بن فروه الكلبي

المعروف بندي النسيين الأندلسي البلنسي الحافظ:

ولد في ذي القعدة سنة ٥٤٤ و توفي في يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٣٣ بالقاهرة و دفن بسفح المقطم.

من أعيان العلماء و مشاهير الفضلاء في عصره و أئمة الحديث، مؤرخ كبير نحوي متبحر، لغوي متضلع كانت أمه بنت أبي عبد الله بن أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر الكذاب ابن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع فهذا كان يكتب عن نفسه (ذو النسيين) و يقصد به دحية الكلبي و الحسين و يكتب أيضا (سبط أبي البسام).

قرأ على علماء الأندلس و طاف في أكثر مدن الأندلس و لقي بها علماءها و مشايخها و أخذ الحديث من فحول المحدثين بها ثم هاجر منها إلى بر العدو و دخل مراكش و اجتمع بفضلائها ثم ارتحل إلى تونس و منها إلى البلاد المصرية ثم توجه إلى الشام و استقر في بغداد و سماع الحديث من بعض أصحاب ابن الحصين و ارتحل إلى واسط و أخذ الحديث من أبي الفتح

محمد بن أحمد بن الميداني ثم توجه إلى عراق العجم و مازندران و خراسان و كل ذلك لطلب الحديث و الاجتماع بأئمة الحديث و الأخذ عنهم، و سمع الحديث في أصفهان من أبي جعفر الصيدلاني و في نيشابور من منصور بن عبد المنعم الفراوي و قدم إلى مدينه إربل في سنة ٦٠٤ و هو متوجه إلى خراسان فوجد صاحبها السلطان مظفر الدين بن زين الدين مولعا باحتفالات مولد النبي (ص) فألف ياربيل كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) لملكها مظفر الدين المذكور و قرأ عليه بنفسه و سمعناه على الملك المعظم في سته مجالس آخرها في جمادى الآخرة سنة ٦٢٥ و دفع له السلطان المذكور ألف دينار.

ولى قضاء دانيه و قال صاحب الشذرات عن تاريخ الإسلام لابن شهبه عينه الملك الكامل رئيسا لدار الحديث الكامليه بالقاهره و انه كان يثلب علماء المسلمين و يقع في أئمة الدين هذا و قد عزله الملك الكامل عن دار الحديث في القاهره و رتب مكانه أخاه أبا عمرو عثمان بن الحسن الكلبي الذي كان أسن منه و كان حافظا للغه العرب فيما بها....

و ولى المترجم له قضاء دانيه مرتين و رحل إلى تلمسان و حدث بتونس و هاجر إلى المشرق في دوله بنى أيوب و كان كثير الوقيعه في علماء العامه و أئمة الحديث فاعرض بعض معاصريه عن كلامه و هجاه ابن عنين لتشييعه و كذبه بعضهم في انتسابه إلى (دحيه).

ذهب شيخنا الامام الطهراني إلى تشييعه و ذكره في طبقات أعلام الشيعة و وصفه (... كان عارفا باللغه و النحو و أخذ الحديث في البلاد الأندلسيه ثم رحل إلى مراکش و منها إلى مصر ثم الشام و العراق و بغداد و واسط و عراق العجم و مازندران و خراسان و ما والاها و ألف ياربيل كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) لملكها مظفر الدين بن زين الدين سمعناها على الملك في ٦٢٦ هجريه...) أقول: و قد دفن الملك الكردي هذا بالكوفه قرب المشهد في سنة ٦٣١ هجريه....

ذكره جمع من المؤرخين و المحققين و أرباب القلم منهم صاحب نفع الطيب في ج ١ ص ٣٦٨ و ميزان الاعتدال في ج ٢ ص ٢٥٢ و وصفه ابن خلكان (... من أعيان العلماء و مشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث النبوي و ما يتعلق به عارفا بالنحو و اللغه و أيام العرب و أشعارها و اشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلاميه و لقي بها علماءها و مشايخها ثم رحل منها إلى بر العدو و دخل مراکش و اجتمع بفضلائها ثم ارتحل إلى إفريقيه و منها إلى الديار المصريه ثم إلى الشام و الشرق و العراق...).

و وصفه السوطي [السيوطي] فقال (... من أعيان العلماء و مشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث و ما يتعلق به عارفا بالنحو و اللغه و أيام العرب و أشعارها سمع الحديث و رحل و له بنى الكامل دار الحديث الكامليه بالقاهره و جعله شيخها حدث عنه ابن الصلاح و غيره...).

ترك المترجم له مؤلفات منها كتاب المطرب من أشعار أهل المغرب مطبوع، و كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بنى العباس مطبوع، الآيات البينات، كتاب نهايه السؤل في خصائص الرسول، كتاب التنوير في مولد السراج المنير، كتاب تنبيه البصائر، كتاب علم النصر المبين في المفاضله بين أهل صفين، كتاب العلم المشهور في فضائل الأيام و الشهور، كتاب في أسماء الخمر، و غيرهما من المصنفات و المؤلفات. (٢)

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

عمره و يقال البيضاء و يقال أسماء بنت النعمان بن بشير الأنصاريه:

استشهدت سنه ٦٧ على التشيع.

أديبه متكلمه شاعره فى عصرها ذات جمال و حسن عرفت بالأمانه و حفظ العهد و الوفاء، عفيفه دينه متورعه سكنت دمشق كما ذكر ابن عساكر فى تاريخ دمشق و لما بلغت سن الرشد تزوجها المختار ابن أبى عبيده الثقفى و كانت ثائره من المطالبين بدم الحسين ع متفانيه فى محبه آل البيت ع. و لما قتل المختار تتبع مصعب بن الزبير أصحابه بالكوفه فقتل صبورا من الناهضين معه سبعة آلاف رجل كلهم خرجوا للطلب بدم الحسين ع: ثم بعث مصعب على حرم المختار و دعاهن إلى البراءه منه ففعلن إلا اثنتين إحداهما أم ثابت بنت سمره بن جندب الفزارى و ثانيتهما عمره بنت النعمان بن بشير الأنصارى: قالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول ربى الله و كان صائما نهاره قائما ليله: قد بذل دمه لله و لرسوله (ص) فى طلب قتله ابن بنت رسول الله و أهله و شيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس... فسجنهما مصعب و كتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير بخبرهما فكتب إليه عبد الله إن رجعتا عما هما عليه و تبرأتا منه و إلا فاقتلتهما: فعرضهما مصعب على السيف فرجعت أم ثابت بنت سمره بن جندب الفزارى و لعنته و تبرأت منه و قالت لو دعوتنى إلى الكفر مع السيف لأقررت، أشهد أن المختار كافر: و أبت عمره بنت النعمان بن بشير الأنصاريه و قالت: (شهاده أرزقها ثم أتركها: كلا أنها ميتة ثم الجنه و القدوم على الرسول و أهل بيته ع، اللهم أشهد أنى متبعه نبيك و ابن بنته و أهل بيته و شيعته...) فأمر مصعب بقتلها فأخرجت ليلا إلى ما بين الحيره و الكوفه و قتلت صبورا على يد بعض الشرط يدعى مطر من آل قفل من بنى تيم فكانت تنادى يا أبتاه يا أهلاه يا عشيرتاه يا عترتاه فسمعها بعض الأنصار و تقدم أخوها أبان بن النعمان بن بشير الأنصارى فاتى فلطم القاتل و قال: يا ابن الزانية عذبتها و قطعت نفسها قطع الله يمينك فلزمه حتى رفعه إلى مصعب فى الكوفه فقال مصعب خلوا سبيل الفتى فإنه رأى أمرا فظيعا...

و قد رثاها الشعراء منهم عمر بن أبى ربيعه المخزومى قائلا:

إن من أعجب العجائب عندى قتل بيضاء حره عطبول

قتلت هكذا على غير جرم إن لله درها من قتيل

كتب القتل و القتال علينا و على المحصنات جر الذبول

و أنشد سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى فى ذلك من قصيده:

أتانى بان الملحدين توافقوا على قتلها لاجنبوا القتل و السلب

فلا هنات آل الزبير معيشه و ذاقوا لباس الذل و الخوف و الحرب

كأنهم إذ أبرزوها و قطعت بأسيافهم فازوا بمملكه العرب

ألم تعجب الأقسام من قتل حره من المحصنات الدين محموده الأدب

من الغافلات المؤمنات بريته من الذم والبهتان والشك والكذب

و من شعرها قولها تخاطب أباها أبا بن النعمان:

أطال الله شاوكك من غلام متى كانت مناكحنا جذام

أ ترضى بالأكارع والذنابي وقد كنا يقربنا السنام

ذكرها أحمد بن أبي يعقوب المتوفى سنة ٢٩٢ في كتابه تاريخ يعقوبى و أسماها أسماء بنت النعمان و قال (... و أخذ أسماء بنت النعمان بن بشير امرأه المختار بن أبي عبيد فقال لها ما تقولين فى المختار بن أبي عبيد قالت أقول أنه كان تقيا نقيا صواما قال يا عدوه الله أنت ممن يزكيه فأمر بها فضربت عنقها و كانت أول امرأه ضربت عنقها صبورا...)(١)

غلام حسين مصاحب

ولد فى مدينه نائين سنة ١٣٣٠ و توفى عام ١٣٩٩ هو من عائله عريقه فى نائين منذ أيام الصفويين. يعد من رجال العلم و الأدب البارزين فى العقود الأخيره بايران - اهتم بالدراسات الرياضيه و نشر مجله رياضيه. و له كتابات عديده فى مجال علم الرياضيات الحديثه و القديمه و يعد أحد ناشرى الرياضيات العصريه فى الجامعات الإيرانيه و قام بتحقيق و نشر كتاب (الجبر و المقابله للخيام) كما أنه كان عالما بقواعد اللغه الفارسيه و له فيها آراء صائبه و قد وضع قواعد عامه لوضع تعابير جديده تواكب تطور اللغه الفارسيه مع تطور الحياه و العلم.

حصل على الدكتوراه فى الرياضيات من جامعه كمبريج عام ١٨٣٠ م و قد طبعت رسالته فى الدكتوراه من قبل القسم الفلسفى فى تلك الجامعه عام ١٩٥٠ م. قام بتأليف موسوعه باللغه الفارسيه هى (دائره المعارف فارسى) المشتهره باسمه ب (دائره المعارف مصاحب)(٢)

الدكتور غلام حسين اليوسفى:

ولد فى مدينه مشهد سنة ١٣٤٨ و توفى سنة ١٤١١.

درس دراسته الأولى فى مشهد، و دراسته الجامعيه فى طهران كان من كبار محققى إيران و أدبائها، أمضى ما يقارب الثلاثين السنه استاذا فى جامعته طهران و مشهد، و أدى خدمات جلى للثقافه و الأدب الفارسيين.

ترك مؤلفات منها: الشاعر فرخى [فرخى] السيستانى، أبو مسلم الخراسانى، رساله من أهل خراسان، زياره لأهل القلم، أوراق غصن فى أحضان الهواء، النفوس النورانيه، العين النورانيه، كما قام بتحقيق عدده كتب فارسيه، و ترجمه كتب إلى هذه اللغه، و كان يجيد اللغه العربيه و بعض اللغات الأجنبيه.

السيد غلام على بن السيد نوح الحسينى الواسطى البلكرامى

و يقال آزاد أو آزاد بلكرامى المتخلص فى شعره بأزاد و الملقب بحسام الهند و ينتهى نسه إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

ولد فى مدينه بلكرام من بلاد الهند يوم الأحد ٢٥ صفر سنه ١١١٦ و توفى فى مدينه أورنك آباد سنه ١١٩٩ و دفن بها.

من أعظم شعراء الشيعة المعروفين فى الهند و أكابر المؤرخين فى عصره، مؤلف مكتر محقق خير نبغ فى أكثر العلوم و الفنون الإسلاميه و خاصه فى الشعر و الأدب و لكتره نظمه فى مدح رسول الله و مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع لقب بحسام الهند. هاجر جده من مدينه واسط فى العراق إلى الهند و سكن فى مدينه بلكرام. قرأ المقدمات و فنون الأدب

ص: ١٩٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

الفارسي على السيد طفيل محمد الحسيني البلكرامي و أخذ اللغة العربية و فنون الشعر العربي و الفارسي و علوم الشريعة و السيره النبويه و أسانيد الحديث على جده من جهة الأم السيد عبد الجليل البلكرامي و حضر في علوم العروض و القوافي و بعض فنون الأدب على خاله السيد محمد بن السيد عبد الجليل البلكرامي و أخذ العرفان و التصوف من مرشده السيد لطف الله الحسيني الواسطي البلكرامي المتوفى سنة ١١٤٣ حتى بلغ درجه ساميه في العلم و الفضل و الاجتهاد. و كان جامعا لشتى العلوم الإسلاميه و الشعر و الأدب.

و في رجب سنة ١١٥٠ ترك أهله و عياله حاجا فتوجه إلى مدينه سره الهنديه و منها ركب البحر متوجها إلى الحجاز و وصل إلى جده في ١٩ محرم سنة ١١٥١ و بعد أربعة أيام واصل سفره إلى مكه المكرمه و في ٢٥ صفر و هو يوم مولده وصل إلى المدينه المنوره و التحق هناك بحوزه الشيخ محمد حياه السندی المدني و قرأ عليه صحيح البخارى حتى أجازته شيخه المذكور أن يروى عنه الصحاح الستة و سائر مقروءاته و في موسم الحج من تلك سنه توجه إلى مكه المكرمه حاجا و صحب في مكه الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المصرى المتوفى سنة ١١٥٧ و بعد موسم الحج و فى أواخر شهر ربيع الآخر ذهب إلى بلده الطائف و زار فيها قبر عبد الله بن العباس ثم رجع إلى مكه المكرمه و فى شهر جمادى الأولى من نفس السنه ركب الباخره من جده إلى الهند و وصل إلى بلده سره فى الثانى من جمادى الثانيه ثم توجه إلى بلكرام عند أهله و عياله فى ٢٧ من جمادى الثانيه ثم اعتكف فى تكيه العارف الشاه مسافر العجدوائى المتوفى سنة ١١٢٦ و المدفون بها بطلب من الشاه محمود المتوفى سنة ١١٧٥ و قام بالوعظ و الإرشاد للصوفيه هناك سبعة أعوام و فى سنة ١١٥٩ استدعاه الأمير النواب نظام الدوله ناصر جنك بن النواب نظام الملك آصف جاه فأجابه المترجم له و أكرمه النواب إكراما عظيما و فى سنة ١١٦١ توفى نظام الملك آصف جاه فتسلم مقاليد الدوله ولده نظام الدوله ناصر جنك و انتهت إليه رئاسه حكومه الدكن فعزز المترجم له و آزره و كان من أقرب المقربين إليه، كما تصدر كرسى التدريس و الفتوى إلى آخر حياته فى بلده أورنگ آباد حتى توفى و دفن فيها. و ذكر المترجم له جمع من المؤرخين و أرباب القلم فى تراجم مختصره، منهم خير الدين الزركلى فى كتابه الاعلام قال (غلام على آزاد بن السيد نوح الحسينى الواسطى: مؤرخ عالم بالأدب من أعيان الهند مولده فى بلكرام و وفاته فى أورنگ آباد...) و نقل عنه عمر رضا كحاله فى معجم المؤلفين ج ٨ ص ٤١ و ذكره السيد حسن الأمين فى الموسوعه الإسلاميه قال: (آزاد بلكرامى شاعر صوفى هندى نظم بالعربيه و الفارسيه اسمه الكامل مير غلام على بن السيد نوح الحسينى الواسطى البلكرامى و هو إلى شاعريته مؤرخ و ناثر باللغتين الفارسيه و العربيه من مؤلفاته العربيه مآثر الكرام فى تاريخ بلكرام، و سبحة المرجان فى آثار هندستان طبع فى بومبى سنة ١٣٠٣ هجرية ١٨٨٦ م و فى الفارسيه منتخبات شعريه، خزانه عامره، و يد بيضاء.

و قد أرخ للصوفيين بكتاب روضه الأولياء و هو تراجم لمشايخ الصوفيه كما أرخ لغير الصوفيين فى كتاب مآثر الأمراء كما ترك ثلاثه دواوين شعريه باللغه العربيه ولد سنة ١٧٠٤ و توفى سنة ١٧٨٦ م) و ذكره يوسف اليان سر كيس فى معجم المطبوعات العربيه و المعربه الجزء الأول صفحه أولى.

يقول عبد الحسين الصالحى: ترجم لنفسه مفصلا فى كتابه خزانه عامره بالفارسيه صفحه ١٢٣ فما بعد و فى كتابه الثانى سبحة المرجان فى آثار هندستان بالعربيه الذى نقلنا عنهما تلخيص هذه الترجمة. و يقول فى سبحة المرجان عن وجه تسميته ب (آزاد) أنه عرض اسمه آزاد على الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى الذى لازمه حين موسوم الحج فى مكه المكرمه و يروى لنا القصة هكذا (... و صحبت الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المصرى و هو المتوفى سنة ١١٥٧ هجرية نور الله مضجعه و جعل روض النعيم مرتعه

و اقتبست جذوات من النيران العلويه و أخذت عنه فوائد جمه من الأحاديث النبويه و ذكرت يوما من الأيام عند الشيخ الهمام أن شعراء الفرس و الهند وضعوا طريقه حسنه حيث يختارون لأنفسهم اسما و يذكرونه في أواخر منظوماتهم و يجعلونه فصوصا في خواتم مرقوماتهم و الاسم هو المسمى بالتخلص عند الشعراء الفارسيين لأنهم يتخلصون عند ذكره عن عرض الكلم على الموازين و السرف في ذلك أن الاسم الأصلي ربما لا تسعه التفاعيل فيختارون جوهره يمكن أن ترصع بها الجلال، ثم عرضت على الشيخ تخلصي بآزاد و هو الفائض على من حضره المبدأ الجواد فسال الشيخ عن معناه و استدعى كشف الظلام عن سناه فقلت معنى آزاد العبد المحرر فخاطبني الشيخ يا سيدي أنت من عتقاء الله فاستبشرت بهذه الكلمه العليا و ترقبت من نفسه المبارك بركه عظمى...) و مما يجدر ذكره هنا أن أسرته من الأسر العلويه الحسينيه و جميع عائلته و أخواله هم من الساده العلويين الشيعه في بلده بلكرام كما أن اسمه غلام على من الأسماء الشيعيه الفارسيه التي لا يستعملها غير الشيعه. و جميع مؤلفاته و أشعاره المعروفه في مناقب و مدائح أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع كل ذلك يدل على تشيعه. و نقل أيضا في مؤلفاته عن مشايخ الشيعه و كتبهم مثل صحيفه الرضا و تفسير العسكري و غير ذلك من كتب الشيعه المعتمده و لم يصرح بمذهبه في مؤلفاته إلا في كتابه سبحة المرجان المطبوع عام ١٣٠٣ هجريه و وصف نفسه قائلا: (... الفقير غلام على بن السيد نوح الحسيني نسبا الواسطي أصلا و البلكرامي مولدا و منشا و الحنفي مذهبيا و الچشتي طريقه...) هذا في النسخه المطبوعه و لم أقف على نسخه خط المؤلف و لكن المظنون ما ذكرناه و تدل مؤلفاته و أشعاره أنه شيعي كما ذكر شيخنا الأستاذ الامام الرازي جميع مؤلفاته في أبواب الذريعه إلى تصانيف الشيعه (٣) و صرح في الجزء الثاني عشر صفحه ٢٣٥ من الذريعه حين ذكر كتابه سند السعادات في حسن خاتمه السادات الفارسي المطبوع في بمبئي عام ١٣٠٨ هجريه قال (و ان في كتابه هذا شواهد لتشيعه...).

ترك المترجم له مؤلفات بالعريه و الفارسيه طبع قسم منها فمن مؤلفاته بالعريه المطبوعه ثلاثه دواوين فرغ من جمعها في عام ١١٨٧ هجريه، ديوان فارسي، ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري من أوله إلى آخر كتاب الزكاه، تسليه الفؤاد يحتوى على قصائد بالعريه و تراجم للعلماء، حظيره الجنان، دلگشانامه منظومه فارسيه في شرح وقايع المختار بن أبي عبيد الثقفي آخذ ثارات الحسين ع، توجد نسخه في المتحف البريطاني، خزانه عامره فارسيه في تراجم الشعراء الذين نالوا الصلوات من الملوك و الأمراء في الإسلام و قد ألفه لابن أخيه أولاد محمد بن غلام امام ترجم فيها ما يقرب من مائتي شاعر و ترجم نفسه في آخر حرف الألف ص ١٢٣ إلى ص ١٤٥ و أورد قصيدته في مدح أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع التي أشار فيها إلى اهتدائه إلى باب العلم و رفضه اختيار خليفه غيره من بين الستة أهل الشورى بقوله: -

بر در شهر نبی رحل أقامت ريختما برآيم از طفيل آن جناب از ششدری

شاه عالم پرورا ظل عنایت گسترانجانب درگاه اقدس کرد بختم رهبری [رهبری]

طبع في الهند في ٤٦٢ صفحة بقطع كبير، سبحة المرجان في آثار هندستان عربي مطبوع عام ١٣٠٣ هجريه ذكر علماءها و سائر أحوالها مرتب على أربعه فصول ترجم نفسه في ص ١١٨ إلى ص ١٢٣، سند السعادات في حسن خاتمه السادات فارسي مطبوع في بمبئي سنه ١٣٠٨ هجريه قال شيخنا الأستاذ آقا بزرك الطهراني [الطهراني] و في كتابه هذا شواهد لتشييعه، الاشكال، شفاء الغليل نقد أشعار المتنبي، ماثر الكرام في تاريخ بلگرام، تذكره خزانه عامره و هو في شعراء إيران و الهند، سرو ازاد، روضه الأولياء في تراجم مشايخ الصوفيه، ماثر الأمراء (١)

الشيخ فتح الله بن الشيخ صادق بن الشهيد الثالث البرغاني القزويني

آل الشهيدي

ولد في قزوین سنه ١٣٠٠ و توفي بها سنه ١٣٧٧.

من رجال الفتوى و التقليد فقيه متبحر و أصولي محقق. أخذ المقدمات و السطوح على أفاضل رجال أسرته في المدرسه الصالحيه بقزوین منهم شقيقه الشيخ ميرزا هدايه الآتي ذكره ثم توجه إلى أصفهان و أخذ هناك الحكمة و الفلسفه و منها قصد الحوزه العلميه الكبرى في النجف الأشرف و التحق بحلقه الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني صاحب الكفايه و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروه الوثقى و رجع إلى موطنه قزوین و تصدر للتدريس و الفتوى و التف حوله جميع من أهل الفضل و تخرج عليه جماعه من الأعلام له مؤلفات منها كتاب الفقه من الطهارات إلى الديات و مؤلفات أخرى كلها بخطه هي اليوم من مخطوطات مكتبه سبطه الدكتور مهدي الشهيدي من المحققين المعاصرين في إيران و أساتذته جامعته طهران (١)

فاطمه بنت الشيخ محمد صالح بن الشيخ الملا محمد الملائكة بن الشيخ محمد

تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم البرغاني القزويني:

توفيت حدود سنه ١٢٩٥.

من ربات الفصاحه و البلاغه و الأدب سريعه البديهه فصيحته بصيره بالكلام عالمه فاضله حافظه للقرآن الكريم عارفه بتفسيره، نحويه.

أخذت الصرف و النحو و المنطق و الكلام عن أختها قره العين و تفقته على والدها الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنه ١٢٧١ و عمها الشهيد الثالث المستشهد سنه ١٢٦٣ و تخرجت في الفلسفه على الشيخ الملا آغا الحكمي القزويني و أخيها الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغاني القزويني أخذت العرفان و الحديث عن عمها الشيخ الملا علي البرغاني، و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها الشيخ عبد الحسين البرغاني القزويني (٢) فرزقت منه ولدا هو الشيخ رضا شيخ الإسلام و تصدرت كرسى التدريس في قسم النساء من المدرسه الصالحيه بقزوین، و كانت تباحث مع زوجها و سائر رجال أسرته في المسائل الفقهييه و الأصوليه و الفلسفيه و تستنبط الأحكام الشرعيه و تفتي في المسائل العلميه و لها من المؤلفات مجموعه من فتاواها و بعض الحواشي على الكتب الفلسفيه و الفقهييه و رساله في الإرث و رساله في الحيض موجوده في مكتبه أحفادها في

فتح علی شاه القاجاری

اشاره

لما قتل "آقا محمد خان قاجار" فی مدینه "شوشی" فی القفقاس كان ابن أخیه ولی عهدہ فی طهران. و ولی عهدہ هذا هو ابن "حسین علی [قلی] خان قاجار" المعروف بلقب "جهان سوز" (حارق الدنيا)، ابن "محمد حسن خان قاجار" بن "فتح علی خان قاجار" (۴) و لما ولد ولی العهد هذا سمي "فتح علی" باسم جده. و لذلك عرف فی أوساط الأسره باسم "بابا خان"، إذ هو سمي أبيهم الأعلى. ثم اشتهر بهذا الاسم بين العموم.

فلما بلغه نبا مقتل عمه تولى منصب الملك باسم "فتح علی شاه" فی يوم السبت ۲۱ ذی الحجه سنه ۱۲۱۲ هـ. و توفي يوم الخميس ۱۹ جمادى الآخره سنه ۱۲۵۰ هـ. فيكون قد ملك سبعة و ثلاثين عاما و خمسه أشهر و تسعه أيام بالحساب الهجرى القمرى. و كانت ولادته سنه ۱۱۸۵ هـ.

فيكون عمره يوم تولى الملك سبعة و عشرين عاما، و عمره حين توفي أربعة و ستين عاما.

ترك "آقا محمد خان" لابن أخيه دوله مستقره فى الظاهر، إذ كان قد أخضع كل المتمردين. و لكن الواقع أن ما أجمعه من حروب شديده و ما أراقه من دماء غزيره فى داخل بلاده و فى حدودها، قد أوغر عليه صدورا كثيره.

و لذلك كانت ممارسه الملك مهمه صعبه على ابن أخيه و خليفته "فتح علی شاه". فقاسى الشدائد من الأحداث الداخليه و الخارجيه، شدائد امتدت على كل المده التى قضاها فى الحكم، و أوقعها به أولئك الذين نكل بهم عمه فأصبحوا أعداء له و لأعقابه من بعده.

و كان أشدها عليه الاحتفاظ بالايالات الواقعه فى القفقاس فى الشمال الغربى من إيران. فان المجازر الرهيبه التى أوقعها عمه فى "كرجستان" قد أغضبت على إيران كل النصارى المقيمين فى تلك النواحي من نهر "أرس" و جعلتهم يخشونها و يحذرونها. و وضعت فى يد صقالبه (۵) الشمال ذريعه للتوسع، بحجه أنهم مضطرون إلى حمايه أهل ملتهم نصارى تلك الأقاليم من تعدى الايرانيين عليهم.

فى غره المحرم سنه ۱۲۱۱ هـ، إذ قام "آقا محمد خان" بالغزوه الثانيه لكرجستان أقام ابن أخيه هذا فى العاصمه و سلمه زمام أمور الدوله. و مع ذلك فإنه لما قتل فى نواحي نهر "أرس" قامت فى وجه "فتح علی شاه" مصاعب ثقيله و هو يريد تولى المنصب الملكى الذى هو إرث له. و أهم هذه

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- يوم كان "الشاه طهماسب الثانى الصفوى" يحاصر "الملك محمود السبستانى [السيستانى]" فى مدينه مشهد فى خراسان، كان "نادر قلى أفشار" (نادر شاه) لا يزال ضابطا من قواد جيش الشاه الصفوى هذا. و كان "فتح على خان قاجار" من رؤساء هذا الجيش أيضا. و كان "نادر قلى أفشار" يرى فى "فتح على خان قاجار" منافسا له قد يعترض تطلعاته إلى الحكم فى المستقبل. فقتله فى أثناء هذا الحصار سنه ١١٣٩ هـ. ق بموافقه "الشاه طهماسب" فى ضاحيه مشهد المعروفه باسم "خواجه ربیع".

٥- الصقالبه selaves هم عند مؤرخى العرب الشعوب السلافیه القاطنه بين جبال الأورال و البحر الأدرياتيكي فى أوربا الشرقيه و الوسطى. و هم فرعان: صقالبه الشمال: الروس و الروس البيض و البولونيون. و صقالبه الجنوب: الصرب و الكرواتيون و السلوفاكيون و البلغاريون.

المصاعب كان الاختلافات العائليه التي أوجدها ما عرف عن "آقا محمد خان" من غدر و نقض للعهود و نكران للجميل، حتى أنه غدر بارحامه الأذنين. و قد ظلت هذه الخلافات راسخه في العائله القاجاريه المالكه بعد ذلك، فما اعتلى العرش واحد منهم إلا نازعه إياه غير واحد من القاجاريين.

ملك "فتح على شاه" و هو شاب في السابعة و العشرين من عمره.

و مع ذلك كانت تنقصه أهم خصال الشبيبه من شجاعه و جرأه. كانت فيه كل معايب عمه "آقا محمد خان" دون حسناته من حسن تدبير و شجاعه.

كان، كعمه، محبا للمال، بل أنه فاق عمه في هذه الصفه. فقد كان عمه لا يتأخر في تاديه ما يترتب عليه من نفقات لتجهيز الجيوش و أعطيات الجنود.

أما "فتح على شاه" فكان على العكس و من أهم أسباب انكساره مرتين في محاربه للروس بخله على جنوده، حتى إنه امتنع عن إمدادهم بالطعام و العلوفه و هم في ميدان الحرب. و كان يتوقع أحيانا أن تشارك إنكلترا في تاديه نفقات حربيه هذه! روى أحد رجال "فتح على شاه" أن ولى عهده قائد جيشه في محاربه الروس "عباس ميرزا" كان يحتاج إلى معدن الرصاص لصنع طلقات البنادق، و أبوه يبخل عليه بالمال لشراء الرصاص. و قال له مره: إن ثمن الرصاص غال، و توفير الرصاص اللازم لعتاد الجيش يقتضى ميزانيه ضخمه. فلما ذال لا تامر بجمع الرصاص الذى يسقط على الأرض في ميدان الحرب، و إعاده صهره و صنعه؟..

و زاد في جبن "فتح على شاه" الطبيعى اعتقاده بالخرافات، كاختصاص نجوم [نجوم] بالسعود و أخرى بالنعوس، و توسله بالطلاسم و السحر لقضاء الحاجات. و من ثم كان أبعد شىء عن الحزم و الصبر على الشدائد، و خير ما يدل على روحيته أنه كان يرى نفسه أجمل رجل في الدنيا و أكثر رجال الدنيا جاذبيه. و أوضح سند لهذه الدعاوى هو أنه أوعز في أواخر حياته إلى رئيس مكتبه الخاص "الميرزا تقى على آبادى" - و كان شاعرا كاتباً - بكتابه رساله في شرح حاله تطابق دعاواه تلك. فكتب رساله صغيره بالانشاء المتكلف الذى كان متداولاً في ذلك الزمان و سماها "شمائل الخاقان". و أمر جماعه من الخطاطين بكتابه نسخ كثيره عنها زخرفت و ذهبت. و لا تزال نسخ منها تباع حتى اليوم عند الوراقين. و بعد موته نقشت هذه الرساله بخط جميل على صفحه حجر من المرمر و نصبت على قبره في مدينه "قم". و فى هذه الرساله عكسوا جميع انكساراته الحربيه فجعلوها انتصارات و فتوحاً.

نساء "فتح على شاه" و أبناؤه

و من معايبه الداله على سقوط همته و انصرافه عن أمور المملكه الجديده إلى شهواته الشخصيه الخاصه أنه تزوج بأكثر من ألف امرأه، منهن ثمان و خمسون و مائه امرأه ذكرت أسماءهن في كتب التاريخ. و ولدت له هذه النساء اثنين و ستين و مائتى ولد ما بين صبى و بنت. مات منهم فى حياته تسعه و خمسون و مائه، و ترك بعد وفاته ثلاثه و مائه ولد، منهم سبعة و خمسون ذكور و ستة و أربعون إناث. و فى مده ٤٧ سنه، و هى مده ما بين زواجه الأول و وفاته، بلغت عدده نسله إلى ألفى نسمة ما بين ابن و حفيد، مات أكثرهم فى حياته.

و نساؤه من أعراق مختلفه، من تركمان و كرج و أكراد و أتراك و شراكسه و غيرهم. و لم يكن بين أبنائه ألفه و لا- مخالطه، يعيشون كالغرباء بعضهم عن بعض. بل كانت بينهم عداوات و منافسات، و البلاط لا ينفك يضحج بالخلافات و المنافسات على ولايه العهد. خلافات و منافسات تمتد حتى تشمل نواحي المملكه من أديانها إلى أقصاها. و ينقسم المختلفون إلى فريقين، فريق يستنصر بالروس و فريق يستنصر بالانكليز. فيكون لذلك أوحى العواقب فى شؤون البلاد.

و كان أكفا أبنائه و أشجعهم و أنزههم "عباس ميرزا" نائب الملك و ولى العهد. و لم يكن أكبر أبنائه. و لذلك كان من هم أكبر منه من إخوته يرون أنهم أحق بولايه العهد. و كان "عباس ميرزا" هذا قائد جيوش أبيه فى جميع الحروب المهمه التى خاضها. و كان إخوته يسعون إلى إسقاط منزلته و إذلاله فى البلاط. حتى أنهم كان يرضيهم أن يتغلب الأجنبى العدو عليه ليصلوا إلى هذه الغايه. و كانوا يتوسلون بمختلف الوسائل ليمنعوا وصول المال إلى جنوده و يقطعوا المدد عنه ليعجزوه فى ميدان الحرب و يقضوا عليه. و هذه الحقائق مذكوره فى جميع المستندات التى وصلت إلينا عن تاريخ تلك الحقبة.

نصب "فتح على شاه" أبنائه حكاما على مختلف نواحي إيران، و منها النواحي الحدوديه الحساسه، فى المغرب و الجنوب و الجنوب الغربى و الجنوب الشرقى. و لم يقتصر شرهم على ما كان بينهم من خصومه و أن كلاله منهم لا يألوا جهدا فى الكيد للآخر بكل نوع من أنواع العرقله فى العمل و الفتنه. بل كانوا أيضا يعصون أوامر الحكومه المركزيه. و كانت هذه السيره تؤدى، بالضروره، إلى إضعاف إيران فى مواجهه جيرانها و الأجانب بصوره عامه، و تسهل على أعدائها طريق الوصول إلى مقاصدهم. فكانت أيام ملك "فتح على شاه قاجار" أسوأ ما مر بإيران من عهود. و لم يسبق أن فقدت إيران أجزاء مهمه من أرضها بقدر ما فقدته فى تلك الحقبة.

الأوضاع الخارجيه

و زاد الأمر سوءا أيام تملك "فتح على شاه" أن أنظار الدول القويه اتجهت يومئذ إلى ثروات آسيا و إفريقيا، فاندفعت إليهما تستعمر أرضهما أو تستولى عليها بعنوان الحمايه، و ليس فى القارتين قوه ماديه و لا معنويه تستطيع مقاومه الطامعين.

فى شمال إيران لا- تنفك الامبراطوريه الروسيه الواسعه تزداد سعه و قوه يوما فيوما. و فى غرب إيران اتفقت دول أوروبا كلها على الإمبراطوريه العثمانيه حتى قضت عليها و استولت على تركتها. و فى شرق إيران لا تنفك قبضه انكلترا تزداد استحكاما و قوه على شبه القاره الهنديه. و دول العالم الكبرى، و لا سيما روسيا و فرنسا و النمسا، نتطلع أنظارها إلى ثروات الهند الضخمه المنقاده لكل طامع، و لا تنفك تتحرى كل وسيله لتقصير يد انكلترا عنها، و إيران جاره الهند و الطريق الطبيعى لأوروبا، و لا سيما روسيا و فرنسا، للوصول إليها. فروسيا تسعى جهدها إلى تقليص أرض إيران لتزداد قربا من الهند، و فرنسا تأمل أيضا بان تجعل من أرض إيران طريقها إلى الهند. و انكلترا تسعى ما استطاعت إلى توسيع الفاصل ما بين مستعمرات روسيا و الهند، و تقويه استقلال أفغانستان لتبقى حاجزا يصد عن الهند.

و فى الجنوب لم يكن لانكلترا بد من أن تجعل العرب القاطنين فى أطراف الخليج خاضعين لحكومه الهند، لكى تطمئن إلى سلامه طريق الهند من تلك النواحي.

هذا ولايران في الهند نفوذ ثقافى و أخلاقى و حضارى راسخ، بدأ من القرن الهجرى الخامس، من زمن السلطان محمود الغزنوى. حتى أن اللغة الفارسيه ظلت مده ثمانيه قرون اللغة الرسميه لجميع الحكومات التى قامت فى الهند. بل إن اللغة الفارسيه كانت هى الرابطه بين طوائف الهند المختلفه.

و هى طوائف يستقل كل منها بلغه خاصه لا تفهمها الطوائف الأخرى. و بينها أيضا تباين فى العقائد الدينيه. و لم يكن بينها من جامع غير اللغة الفارسيه.

بل ظلت اللغة الفارسيه اللغة الرسميه للحكومه الإنكليزيه فى الهند إلى سنه ١٨٥٠ م الموافق ١٢٦٦ هـ إذ استطاع الإنكليز يومئذ إبطالها و إحلال اللغة الإنكليزيه فى محلها. فكان هذا الوضع يعد أيضا فى جملة العوامل التى تضطر الطامعين فى الهند إلى إضعاف إيران لضعاف نفوذها الفكرى فى الهند.

هذه الأوضاع العالميه جعلت إيران يومئذ ميدانا حاميا للمنافسات القائمه بين دول أوروبا، و لا سيما إنكلترا و روسيا. و بلاط "فتح على شاه" العاجز يتارجح بين مختلف الاتجاهات. و لم يتهيا لإيران يومئذ رجال أكفاء يستطيعون النهوض بالمسئوليات المترتبه على ما يدبر لايران من دسائس متنوعه وراء الستار. و "عباس ميرزا" ابن "فتح على شاه" و نائبه وحده من كان أهلا لذلك لما أوتى من مواهب فطريه. و قد هيا يوم كان نائبا عن الملك فى تبريز بضعه رجال أكفاء بارشاداته و توجيهاته. أشهرهم "الميرزا عيسى الفراهانى" المعروف بلقب "القائم مقام" و لقب "الميرزا الكبير" و ابنه "الميرزا أبو القاسم" المعروف أيضا بلقب "القائم مقام" و كان كاتبا شاعرا اتخذ لنفسه اسما مستعارا هو "ثنائى". و لكن ما حيله هذين الرجلين العظيمين وسط هذا الخضم من الدسائس و الفتن؟! و أدت تلك الأوضاع المترديه إلى نتائج المشؤمه.

و اتفق أن قام فى أوروبا، أيام ملك "فتح على شاه"، رجال عظماء غيروا مصير العالم المتمدن و جعلوا الدنيا بأسرها لعبه قدراتهم السياسيه و العسكريه و حولت خطط "نابليون [نابليون]" الأول أمبراطور فرنسا و "بولس" و "الإسكندر" أمبراطورى روسيا و الأمير "مترنيخ" رئيس وزراء النمسا دولا- أقوى من إيران إلى دول عاجزه. فكيف بايران. و هذه حال ساستها و حكامها؟! و فى تلك الأيام، فى القرن التاسع عشر الميلادى الموافق للقرن الثالث عشر الهجرى، فقدت إيران أكثر من ثلث أرضها فى جهه الشمال الشرقى و الشمال الغربى و الشرق و الغرب.

مقتل الحاج محمد إبراهيم كلانتر

و من الأحداث الداخليه المهمه التى وقعت أيام تملك "فتح على شاه" إقدامه على قتل "الحاج محمد إبراهيم كلانتر" الشيرازى. فقد سبق أن كان هذا فى مبدأ أمره وزير "لطف على خان زند". و لكنه واطا فى السر "آقا محمد خان قاجار" و انحاز إلى القاجاريين ينصرهم على الزنديين. و قد بلغ من نصرته لهم أن عده بعض المؤرخين العامل الأول فى إسقاط الزنديين و إيصال القاجاريين إلى منصب الملك(١).

و قد كافاه "آقا محمد خان" بعد تملكه بمنحه لقب "اعتماد الدوله" و نصبه فى مقام الصدر الأعظم. و بعد مقتل "آقا محمد خان قاجار" و تملك "فتح على شاه" فى سنه ١٢١٢ هـ أبقاه هذا فى منصبه، منصب الصداره العظمى. و أصبحت شئون البلاد الاداريه و الماليه فى عهده يتصرف بها على هواه. و قد توسل بمنصبه و سلطاته هذه إلى جمع ثروه ضخمه و التمكن من نفوذ

واسع. فنصب أقرباءه وأصدقاءه حكاما على مختلف نواحي إيران، وأطلق أيديهم ينهبون الناس و يكتزون المال و يقاسمونه ما ينهبون، حتى ضاق "فتح على شاه" به ذرعا. فعزم على التخلص منه.

من أجل ذلك أصدر "فتح على شاه" سنة ١٢١٥ هـ، و كان قد مضى على تملكه ثلاث سنوات، أمرا سرريا بان يعتقل فى وقت واحد كل حاكم عينه "الحاج محمد إبراهيم" فى ولايه من الولايات، فاعتقلوا و سجنوا. و فى يوم اعتقالهم نفسه اعتقل "الحاج محمد إبراهيم" فى طهران فاعمى ثم قتل.

و كان بين المعتقلين أبناؤه و إخوته فقتلوا بعضهم و أعموا آخرين. و كذلك فعلوا بجماعه من مرديه. و صادروا أموالهم.

و بعد مقتل "الحاج محمد إبراهيم" الشيرازى، نصب "فتح على شاه" فى منصب الصداره العظمى "الميرزا محمد شفيح القديمى" المازندرانى. و كان امراً مستقيماً أميناً جادا ذكياً. و كان له نشاط واسع فى توجيه السياسه الإيرانيه الخارجيه.

غرور فتح على شاه

كان "فتح على شاه" مستبدا برأيه لا يستشير أحدا فى قراراته. و كثيرا ما كان يغضبه أن يشير عليه أحد برأى يخالف [يخالف] رأيه. و كل أعمال الدوله يجب أن توافق هواه الخاص. و أعظم ما منيت به إيران يومئذ من مصائب إنما كان جهل هذا الشاه بكل ما يقتضيه منصبه من أمور، خصوصا الأوضاع العالميه و تعقيدات ذلك الزمان السياسيه، التعقيدات التى بلغت حدا بعيدا من الغموض و التشعب. و إلى هذا غرور فيه يصرفه عن تحرى الحقائق و استشكافها فلا يرى فى نفسه حاجه إلى ذلك. و خير دليل على ذلك تلك الكتابه التى أمر بنقشها على قبره، فقد جعل فيها من انكساراته الفاحشه انتصارات و فتوحا و وصف نفسه بكل جمال باطنى و ظاهرى، و جعل من نفسه موجودا كاملا. و لذلك لم يكن يرى لأحد رجحانا عليه بشىء. حتى إنه لم يكن يرى نفسه أقل من "نابليون [نابليون]". و يرى جميع ملوك العالم أدنى منه مكانه.

و كان "فتح على شاه" يعالج السياسه الخارجيه و يعامل الدول الكبرى، أى روسيا و انكلترا و فرنسا و الدوله العثمانيه، و يدخل ميادين الحرب بمثل هذا الغرور و الجهل. فلا يتصور أن دوله من هذه الدول تستطيع التغلب عليه، أو أنه يمكن أن يرتكب خطأ ما.

و كان كعمه و سلفه "آقا محمد خان" محبا للمال. يقبض يده عن بذل المال حتى فى تجهيز الجيش و أشد حالات الحرب حاجه إلى المال. و بعد كل من الحربين اللتين وقعتا بين روسيا و إيران، و انهزم فيهما "فتح على شاه" كان حديثه فى مفاوضات الصلح كله يدور على طلب إنقاص مقدار الغرامه التى تطلبها روسيا من إيران، و لم يتحدث قط عن إنقاص مقدار الأرض التى تحتلها روسيا من إيران! و سيأتى ذكر معاهده انعقدت بين إيران و انكلترا.

و فى هذه المعاهده ماده تقضى بان تمنح انكلترا إيران مقدارا من المال فى كل شهر إذا وقعت حرب بين روسيا و إيران. و قد نقضت انكلترا هذه المعاهده.

و صار هذا النقض موضوعا لمذاكرات بين إيران و انكلترا دامت بضع

١- راجع تفاصيل هذه الواقعة في ترجمه "لطف على خان زند" و ترجمه "آقا محمد خان قاجار".

سنوات، لم يكن "فتح على شاه" يشكو فيها من شيء إلا رفض انكلترا تاديه المال الموعود! و مثل هذا الشاه كان من الطبيعي أن يحشد في بلاطه المتملقين. و من أجل أن يعفى نفسه من الإنعام عليهم بشيء من ماله الخاص كان يطلق يدهم على الناس يسلبون منهم ما يشاءون، و هم يخدعون و يضللون بالتملق، و يزينون له سيئاته و يجعلونها في عينه حسنات! كانت إيران قد أصبحت، من جهة الشمال و الجنوب و الشرق ملعب السياسة الأوروبيه و محط أنظار الطامعين الأجانب. و كانت المحافظه عليها تقتضى رجالا من أهل الشجاعه و الفداء و التدبير و الاطلاع على وقائع السياسة العالميه. و كان "فتح على شاه" و كل رجال بلاطه تعوزهم هذه الصفات.

و كان أعظم خطر تتعرض له إيران يأتيها من ناحيه شمالها الغربى و القفقاس - فقد كان نصارى تلك النواحي لا ينفكون يزدادون حقدًا على إيران، يوما بعد يوم، خصوصا بعد غارات الشاه "عباس الصفوى" و "نادر أفشار" و "آقا محمد خان قاجار". فلما توسع الصقالبه الروس و زال ما يفصل بينهم و بين تلك النواحي و أصبحوا جيرانا لأهلها، و عرفوا ما فى نفوسهم من حقد على إيران اتبعوا سياسه خاصه أفادتهم كثيرا و ألحقت بإيران أضرارا عظيمه. و أعلن أمبراطور روسيا نفسه رسميا حامى نصارى القفقاس. و كانت النتيجة أن خرجت تلك النواحي الغنيه من إيران.

و بالإجمال كان "فتح على شاه" فى كل تصرفاته و حروبه لعبه السياسات الأجنبيه. و كان عهده بدياه عهد الانحطاط و أشد أشكال الفساد فى تاريخ إيران.

اختلاف إيران و روسيا

من أزمه تاريخيه قديمه إلى نهايه القرن الثامن عشر الميلادى و نهايه القرن الثانى عشر الهجرى ظلت حدود إيران الطبيعيه من جهة الشمال الغربى جبال القفقاس.

و فى القرن الميلادى الثالث قدمت من تركستان الصينيه طوائف من الأتراك الرحل و احتلت شيئا فشيئا السواحل الشماليه و الغربيه من بحر الخزر. و أقامت وراء نهر "جيجون" و وراء جبال القفقاس، مجاوره إيران.

و ظلوا فى إيران. و ظلوا فى أماكنهم تلك يجاورون أيضا أقواما من الأوروبين عرفوا باسم "الصقالبه" (السلاف) إلى القرن الهجرى الرابع، إذ دخلوا إلى إيران من جهة الشرق. و فى القرن الهجرى الثامن دخلوها من جهة الغرب.

كان الصقالبه يتقدمون إلى السواحل الشماليه الغربيه من بحر الخزر و مصب نهر "القولغا" و يطردون الأتراك نحو الجنوب، نحو أرض إيران.

و فى تلك الحقبه تواجه الايرانيون و الروس. و ذكر اسم الروس فى تاريخ إيران أول مره فى سنه ٢٩٨ هـ الموافق سنه ٩١١ هـ إذ قطع جيش روسى بحر الخزر على أسطول من ست عشره سفينه و أغار على "طبرستان" و وقعت معركه بينهم و بين الايرانيين.

و من ذلك التاريخ إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادى و القرن الحادى عشر الهجرى قام الروس ببضع هجمات على نواحي مختلفه من إيران، لم تؤد إلى احتلالهم شيئا من أرض إيران، و لا جرت وراءها ذيولا. و فى سنه ١٦٦٨ م الموافق ١٠٧٩ هـ وقعت

مجاعه فى نواحي نهر "الدينير" من روسيا، فهاجرت جماعه كبيره من أهلها إلى نواحي نهر "الدون". و هناك جندهم أحد القوزاق، و اسمه "ستانغورازين" و أخذ يغير بهم على سواحل بحر الخزر و يحتلها شيئاً فشيئاً. إلى أن أغار فى ربيع تلك السنه من طريق البحر على سواحل إيران بين "دربند" و "باكو".

فأمر "الشاه سليمان الصفوى" الثانى(١) حاكم "جیلان" أن يصدّه.

و دافع أهالى ذلك الإقليم دفاعاً شديداً و ردوه على أعقابه، بعد أن كان عسكره قد وصل إلى أبواب مدينه "رشت". و انتقم "ستانغورازين" لهزيمته بإيقاع مذبحة عظيمه باهالى مدينه "فرح آباد" من أعمال مازندران. و كان الايرانيون قد جهزوا أسطولا لمقاومته فتمكن من إغراقه فى سنه ١٦٦٩ م الموافق سنه ١٠٨٠ هـ و لكنه لم يعد بعدها إلى التعدى على أرض إيران.

و فى مطلع القرن الثامن عشر الميلادى كان قياصره روسيا يحادون أرض إيران بسبب إجلائهم الأتراك الغربيين المقيمين وراء حبال [جبال] القفقاس و إخضاع من بقى منهم لحكمهم، بعد أن ظل هؤلاء الأتراك مده قرون يفصلون الايرانيين عن الصقالبه الروس.

و كانت أرمينيا و "كرجستان" موضع نزاع حربى طويل بين الملوك الصفويين و الملوك العثمانيين. و لكنهما كانتا، فى الغالب، تتبعان إيران و تؤديان الخراج إليها. و كانت تحكم "كرجستان" سلسله من الأمراء النصارى قد تخلقوا بأخلاق المدينه الإيرانيه، حتى إن أكثرهم كانت أسماؤهم إيرانيه. بل كانوا يبعثون بابنائهم و أقربائهم إلى أصفهان يقيمون فيها. و كان كثير من بناتهم متزوجات بامراء من الصفويين.

و أول من عزم على التسلط على إيران من قياصره روسيا هو "بطرس الكبير". فقد كان يريد الاستيلاء على ممتلكات العثمانيين و التسلط على إيران. و كانت خطته الأساسيه هى جعل روسيا مركز الاتصال بين آسيا و أوروبا. فبعد أن جعل دول البلطيق تابعه له أراد أن يفتح طريقاً إلى بحار آسيا. و بعد أن حارب الدوله العثمانيه فى سنه ١٧١١ م الموافق سنه ١١٢٣ هـ اتجه نحو إيران. و كان الشاه "سلطان حسين الصفوى" (٢) العاجز أضعف من أن يصد "بطرس الكبير" عن الفتح.

و أرسل "بطرس الكبير" فى سنه ١٧١٥ م الموافق سنه ١١٢٧ هـ "آتيمى فولنسكى" سفيرا له إلى إيران. و أعطته وزاره الخارجيه القيصريه بياناً مكتوباً بالمطالب التى عليه أن يتحراها فى إيران و يزود الوزاره بمعلومات عنها. و لما أطلع "بطرس الكبير" على هذا البيان أضاف إليه بخطه هو نفسه أشياء أخرى. و كان ما طلب منه هو كسب معلومات دقيقه عن طرق المواصلات البريه و البحريه و النهريه الحربيه و المدينه بين كل المدن و المرافى و غيرها، و الأوضاع العامه لكل النواحي، و أى الأنهار الكبير يصب فى بحر الخزر، و كل ما يتعلق بالقلاع و الحصون و أحوال الطرق و لا سيما إقليم "جیلان"، و أمثال ذلك.

ص: ٢٠٤

١- ملك من ٣ ربيع الثانى سنه ١٠٧٧ هـ إلى ١٣ ذى الحجه ١١٠٥ هـ.

٢- تولى الملك بعد أبيه "الشاه سليمان الصفوى" فى ١٤ ذى الحجه ١١٠٥ هـ. و خلعه محمود الأفغانى فى ١١ المحرم سنه ١١٣٥ هـ.

ه (راجع ترجمته).

و أنذر "بطرس الكبير" الملك "و اختانغ" ملك "كرجستان" بان يطلعه على أوضاع أرمينيا، إذ أراد أن يعلن نفسه رسمياً حامياً نصارى "كرجستان" و أرمينيا. إذ كان هذان الاقليمان يتعرضان أحياناً لغزوات العثمانيين و أذاهم، و كذلك كانوا أحياناً يستاءون من سلوك الإيرانيين بسبب ما بين الفريقين من اختلاف في الدين.

في هذه الأثناء استولى الأفغانه على أصفهان عاصمه إيران، و خلع "محمود أفغان" الشاه "سلطان حسين الصفوى" عن العرش في ١١ المحرم سنة ١١٣٥ هـ و نصب نفسه ملكاً على إيران.

فلما بلغ هذا الخبر إلى "بطرس الكبير" عزم على غزو إيران بحجه أنه يريد حمايه الملك الصفوى. و في شهر صفر و شهر ربيع الأول سنة ١١٣٥ هـ الموافق شهرى أيار و حزيران سنة ١٧٢٢ م سار عن طريق نهر "القولغا" إلى "تيجنى نغفورود" و منها إلى "حاج طرخان". و من هناك سار عن طريق البر و البحر إلى مدينه "دربند" و كانت من أرض إيران. و كان جيشه يتالف من اثنين و عشرين ألف راجل و تسعه آلاف فارس من جنوده، و معهم عشرون ألفاً من القوزاق و عشرون ألفاً من "الكالموك" (شعب من المغول) و ثلاثون ألفاً من التتر و خمسه آلاف ملاح. فهذه ستة آلاف و مائه ألف جندى.

و من أين لا-إيران التى بلغ من ضعفها يومئذ أن تجرأ عليها حتى الأفغانه فقصوا عليها، أن تقاوم هذا الجيش العرمرم. فلم يلق جيش "بطرس الكبير" غير مقاومه يسيره قام بها الجنود المحليون من أهل أذربيجان و "جيلان". ثم لم يلبثوا أن انهزموا. و فتح أهالى "دربند" أبوابها و سلموا للفتاح. و لكن "بطرس الكبير" لم يلبث أن تراجع عنها إلى "حاجى طرخان" خوفاً من مجاعه متوقعه. و فى طريق تراجع بنى قلعه سماها "الصليب المقدس".

و مع ذلك أرسل "بطرس الكبير" فرقه من عسكره لفتح "جيلان" و فى شهر تشرين الثانى سنة ١٧٢٢ م الموافق شهر صفر سنة ١١٣٥ هـ استسلمت مدينه "رشت". و فى شهر تموز سنة ١٧٢٣ م الموافق صفر ١١٣٥ هـ، استسلمت "باكو".

و فى شهر أيلول سنة ١٧٢٤ م الموافق شهر المحرم سنة ١١٣٧ هـ عقدت فى "سان بطرسبورغ" معاهده بين وفد إيراني رسمى و بلاط بطرس الكبير تقضى بان يتعهد القيصر بمساعدته الشاه الصفوى "طهماسب الثانى" و إنجاده بقوه عسكريه بشرط أن يسلم الشاه إلى الدوله الروسيه نواحى "دربند" و "باكو" و ولايات "جيلان" و "مازندران" و "أستراآباد".

فبعد أن خلع "محمود أفغان" الشاه "سلطان حسين الصفوى" عن العرش فى ١١ المحرم سنة ١١٣٥ هـ. نصب جماعه من رجال البلاط الصفوى الشاه "طهماسب الثانى" ملكاً على إيران فى ٢٠ المحرم من تلك السنه. و قد آل أمره إلى أن خلعه "نادر شاه أفشار" فى ١٤ ربيع الأول سنة ١١٤٥ [١١٤٥] هـ. و كان الشاه "طهماسب" هذا يتوسل بكل إنسان و كل شىء ليتمكن من مقاومه الأفغانه. و كان فى جملة وسائله إلى هذه الغايه تلك المعاهده التى عقدت بينه و بين "بطرس الكبير". و لكن ظهور "نادر شاه" حرم البلاط الروسى من أن يستفيد شيئاً منها. و قد حمل عجز البلاط الايراني فى تلك الحقبه و تقدم الروس فى القفقاس و أذربيجان مسلمى تلك النواحى على الاستنجاد بالبلاط العثماني.

بل إن دوله "كرجستان" المسيحيه قبلت فى سنة ١٧٢٢ م الموافق سنة ١١٣٥ هـ وصايه الدوله العثمانيه عليها وصايه اسميه.

و مع ذلك فان النواحى التى كان "بطرس الكبير" قد اقتطعها من إيران فى سواحل بحر الخزر الغربيه ظلت فى يده. بل إن

البلاط العثماني اعترف في المعاهده التي عقدها بينه و بين روسيا في شهر حزيران سنة ١٧٢٤ م الموافق شهر رمضان سنة ١١٣٦ هـ بان تلك النواحي هي جزء من أرض روسيا..

و كانت سواحل بحر الخزر الشرقيه معدوده أيضا من أرض إيران. و قد أراد "بطرس الكبير" توسعه مجال حكمه إلى تلك النواحي أيضا. فبعث في مطلع سنة ١٧١٦ م الموافق شهر المحرم سنة ١١٢٨ هـ. بجيش صغير من ثلاثة آلاف جندي من أعراق مختلفه بقيادة شركسي اسم "كنياز الكساندر بيكوفنش تشركاسكى" إلى تلك النواحي، و أمره ببناء قلعتين إحداهما عند مصب نهر "جيجون" السابق و الأخرى في مكان المدينه المعروفه اليوم باسم "كراسنوفودسك". ثم مفاوضه بعض الخانات الحاكمين هناك على مخالفه روسيا و إعطائها بعض الامتيازات في بلادهم. و أمره بتحرى أوضاع الطرق المؤديه إلى الهند.

و لكن هذا الرسول لم يوفق في مهمته. فقد تحالف عليه بدو تلك النواحي و أهل "خيوه" (١) و قطعوا الطريق على عسكره و انتهى أمره إلى أن جردوا عسكره من سلاحهم و أسروهم و كانوا قد أذنوا ل "كنياز الكساندر بيكوفنش تشركاسكى" هذا بدخول "خيوه" بما هو سفير لروسيا. و لكنهم ضربوا عنقه و علقوا رأسه على بوابه المدينه.

و انتقم "بطرس الكبير" من هذا العمل بان ألقى بسفير حاكم "خيوه" الذى فى "سان بطرسبورغ" فى السجن سنة ١٧٢٠ م الموافق سنة ١١٣٢ هـ. و ظل فى السجن إلى أن مات.

و كان احتلال تلك النواحي من الصعوبه بحيث صرف "بطرس الكبير" النظر عن العوده إلى محاوله احتلالها. و كذلك انصرف عنها خلفاؤه من بعده إلى مده خمسين و مائه سنة من ذلك التاريخ لم يقدموا فيها على عمل من هذا القبيل.

و ظلت روسيا بعد "بطرس الكبير" سبعين عاما لا تعتدى على أرض إيران. و كان ما يوقفها عن التعدى هو الرعب الذى أوقعته حروب "نادر شاه" بجيران إيران.

و فى عهد "كاترين الثانيه"، بعد الحرب الثانيه التى وقعت بين روسيا و الدوله العثمانيه، و لم تبلغ فيها روسيا إلى ما كانت ترجوه من القضاء على العثمانيين، و جعل شعوب البلقان النصرانيه أتباعا لها، و نصب نفسها حاميهم لهم، وضع رجال البلاط الكاترينى خطه أخرى لبلوغ غايتهم.٥.

ص: ٢٠٥

١- مدينه فى جمهوريه أوزبكستان على حافه صحراء قراقورم. تشتهر بصناعه السجاد و بآثارها الإسلاميه من العصور الوسطى. أصبحت فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى عاصمه خانيه خيوه التى خلفت مملكه خوارزم. احتفظت باستقلالها حتى سنة ١٨٧٣ م حينما أصبحت محميهم روسيه. ضمت نهائيا للاتحاد السوفيتى سنة ١٩٢٠.

و يومئذ كان "بلاتون زوبوف" قائد جيش الفرسان و عشيق الإمبراطوره مطلق اليد فى التصرف بشئون الدوله. و قد عزم على إرسال أخيه "فاليريان" ليستولى على إيران، و يقيم روابط بين روسيا و الهند. و بعد أن يحتل مدن إيران و يقيم فى كل منها حاميه عسكريه، يغير منها على بلاد العثمانيين فى آسيا الصغرى. و فى أثناء ذلك يجتاز الجنرال الروسى "الكساندر سوفوروف" البلقان إلى إستانبول. و من ناحيه أخرى يدخل الأسطول الروسى مضيق البوسفور و يحاصر العاصمه العثمانيه من البحر.

و فى أواخر شهر شباط سنة ١٧٩٦ م الموافق شعبان سنة ١٢١٠ هـ.

سار "فاليريان زوبوف" من "سان بطرسبورغ"، و أعطى وعدا بان يكون فى شهر أيلول من تلك السنه الموافق ربيع الأول سنة ١٢١١ هـ. فى أصفهان.

و لكن حل شهر أيلول و "فاليريان زوبوف" لا يزال يفصله عن حدود إيران سته كيلومترات تقريبا يكلفه قطعها مشقات عظيمه لوعوره الطريق. فأرسلوا إليه من "سان بطرسبورغ" مهندسا فرنسيا اسمه "دوفالون" و معه ما يلزم من خرائط جغرافيه و أوامر لينظر فى أمره. و تبين بعد النظر و التحقيق و التدقيق أنهم إنما يتبعون خطه خياليه واهيه. و لذلك توقف عن متابعه السير و مكث فى "باكو"، إلى أن توفيت الإمبراطوره "كاترين" الثانيه فى شهر أيلول سنة ١٧٩٦ م الموافق جمادى الأولى سنة ١١٢١ [١٢١٨] هـ. و خلفها على العرش ابنها "بولس"، فبادر فوراً إلى الأمر بتراجع الجيش الروسى عن إيران.

كان "هرقل" ملك "كرجستان" قد وضع بلاده فى حمايه "كاترين الثانيه"، و كان حاقدا على دوله إيران بعد الحرب التى شنها عليه "آقا محمد خان قاجار" سنة ١٢٠٩ هـ و كان هذا الوضع فى جملة الأسباب التى حملت "كاترين الثانيه" على محاوله غزو إيران. و كان "مرتضى قلى خان قاجار" أخو "آقا محمد خان" هاربا منه لاجئا إلى "كاترين" إذ كان لا يأمن أخاه على نفسه. و كان له أثر فى تحريض الإمبراطوره الروسيه على تجهيز هذا الجيش لغزو إيران.

و لم ينتج عن تجييش هذا الجيش و إرسال "فاليريان زوبوف" فى تلك المهمه سوى شىء واحد هو زياده ما بين البلاط الروسى و البلاط الايرانى من عدا، فبدأ "فتح على شاه" ملكه و هو خائف من روسيا. و أدى ذلك إلى نشوب حربين كبيرتين بين الدولتين.

فتح على شاه و نابليون نابليون الأول

يقول المؤرخ الايرانى سعيد نفيسى: كما يعد مؤرخو أوروبا احتلال السلطان "محمد الفاتح" العثمانى لاسطنبول فى سنة ١٤٥٣ م و ٨٥٧ هـ واقعه [واقعه] من أهم وقائع تاريخ أوروبا و يرون أن مصير هذه القاره قد تغير فى تلك السنه، يمكن القول إن دخول "نادر شاه" إلى "دهلى" عاصمه الهند فى سنة ١١٥٢ هـ و ١٧٣٩ م و إخضاعه ملك الهند البابرى كان من أهم حوادث تاريخ آسيا و أن مصير آسيا تغير فى تلك السنه.

كانت الثروات الهنديه الضخمه المكتنزه من ألوف السنين قد تسامعت بها كل دول العالم. و لكن لم يكن أحد يجروء على غزو الهند و التفكير فى امتلاكها. و لكن الهزيمة الشديده التى منى بها "محمد شاه" الهندى من "نادر شاه" كشفت الغطاء و علم الناس أن الاستيلاء على الهند ليس أمرا مستحيلا. و من ذلك اليوم بقى فى أذهان دول أوروبا الكبرى أمل الاستيلاء على الهند،

و أقدم على هذا العمل الجريء من وجد نفسه منها قادرا عليه(1).

و كان الفرنسيون أول من حاول فتح الهند من الدول الأوروبية في سنة ١٥٠٣ م الموافق سنة ٩٠٨ هـ و بعدهم الإنكليز في سنة ١٦٠٠ م الموافق سنة ١٠٠٨ هـ.

و بعد نجاح الإنكليز و تقدمهم في الهند و خييه فرنسا و قصور يدها عنها لم يقطع [يقطع] الفرنسيون أملهم من الهند. و كانت روسيا أيضا تطمع فيها و لذلك ظل موضوع الاستيلاء على الهند يشغل الساسة الفرنسيين و الروس زمانا طويلا.

و إذ كانت الطريق البريه الطبيعيه للوصول إلى الهند تتصل بايران فقد اهتمت دول أوروبا و لا سيما من كان منها طامعا في الهند اهتماما خاصا بايران من مطلع القرن التاسع عشر الميلادي و القرن الثالث عشر الهجري. و كان هذا الاهتمام سببا في إيقاع إيران في مصائب و بلايا طاحنه.

و في سنة ١٨٠٤ م الموافق سنة ١٢١٩ هـ اعتلى "نابليون بونابرت" عرش فرنسا. و قد خطرت له فكره جريئه جدا هي أن يغزو الهند من طريق إيران. و كان قد سمع بغزو "آقا محمد خان" لبلاد "الكرج" و احتلال "تفليس" و ما أوقعه بها. و كان يتصور أن خليفته سيكون على مشاكلته موفقا في ميادين الحرب.

و يوم نوى "نابليون [نابليون]" أن يستعين بايران الإنفاذ خطته الجريئه كان "فتح على شاه" مشغولا بالحرب الأولى التي وقعت بين إيران و روسيا و دامت أكثر من عشر سنوات. دامت من سنة ١٨٠٣ م الموافق سنة ١٢١٨ هـ إلى ١٢ تشرين الأول سنة ١٨١٣ م الموافق ٨ شوال سنة ١٢٢٩ هـ.

و لما أحس "فتح على شاه" العاجز في هذه الحرب بأنه لا قبل له بقيصر روسيا "الاسكندر [الكساندر] الأول" و جنوده، و سمع بفتوحات "نابليون [نابليون]" الأول و اختلافه و القيصر الروسي، عزم على الاستنجاد به لمحاربه "الاسكندر [الكساندر]".

فكتب في سنة ١٢١٩ هـ إلى "نابليون [نابليون]" رساله بالانشاء المتكلف المتداول في تلك الأيام المزوق بالكنيات و الاستعارات. و طلب منه أن يغير على روسيا في الربيع القادم، إذ يكون هو في ذلك الوقت قد مضى إلى محاربتها، و بذلك يستطيعان متحالفين إيقاف روسيا عند حدها.

و قد قوت هذه الرساله فكره "نابليون [نابليون]" القديمه، فكره التقرب من إيران لجعلها طريقه إلى غزو الهند. فعزم على إقامه رابطه بين إيران و فرنسا، و أرسل إلى إيران سفيرا هو مستشرق شاب اسمه "آميد جوير" و معه رساله منه إلى "فتح على شاه" مؤرخه في ١٦ شباط سنة ١٨٠٥ م الموافق ١٦ ذى القعدة سنة ١٢١٩ هـ. ثم أتبعه بسفير آخر هو ضابط عسكري اسمه "روميو" و معه رساله أخرى مؤرخه في ٣٠ آذار سنة ١٨٠٥ م الموافق آخر ذى الحجه سنة ١٢١٩ هـ.

ص: ٢٠٦

١- ألف المؤرخ الفرنسي "جان يونير" كتابا اسمه "أبطال إيران المجهولون في محاربه روسيا القيصريه"، و قد ترجم "ذبيح الله

منصوري " هذا الكتاب إلى الفارسيه. و في هذه الترجمة استطرده المترجم إلى ذكر هذه الكلمه و علق عليها بقوله: " قبل نادر شاه غزت عدّه دول أوروبيه بلاد الهند. أولها البرتغال ثم هولندا ثم فرنسا ثم إنكلترا". على أن "سعيد نفيسي" نفسه ذكر بعد هذه الكلمه أن كلاً من فرنسا و إنكلترا غزت الهند في تاريخ سابق لتاريخ غزو "نادر شاه" لها.

دخل "فتح على شاه" الحرب الأولى التي وقعت بين إيران وروسيا في شهر رمضان سنة ١٢١٨ هـ. دخلها و هو مغتر بما سبق من انتصارات "آقا محمد خان" في "كرجستان" بحسب نفسه كفيثا لها. ولكنه لم يلبث أن تبين أنه أضعف من أن ينهض بمثل هذا العبء. و من أجل ذلك استنجد بنابليون [نابليون].

كانت رغبة إيران و رغبة فرنسا في التصادق و التقارب فيما بينهما متساويتين، بسبب ما لابس أوضاع كل منهما من ظروف.

فناپليون [نابليون] عازم على غزو الهند و طرد الإنكليز منها. و قد تبين له عجزه عن غزوها من طريق البحر، و أن طريقه البريه إليها إنما هي إيران، و لا طريق غيرها. و لذلك غير خطته السابقة و وضع خطه جديده لغزو الهند من طريق إيران. و هذا يقتضيه التقرب إلى إيران و مصادقتها.

و إيران ترى نفسها محتاجه إلى المعونه لاسترداد "كرجستان" و قد سلبتها منها روسيا و جعلتها ولاية روسيه. و هي آيسه من مساعده الإنكليز، فتوجهت إلى فرنسا. و من الطبيعي أن يلقي هذا التوجه هوى في نفس "نابليون [نابليون]". و بهذا يتضح أن سياسه "نابليون [نابليون]" في معاملته لإيران إنما كانت جزءا من خطته لاحتلال الهند، و كذلك كانت سياسته في معاملته لروسيا، جزءا من خطته لاحتلال الهند. و قد تغير التخطيط بهذه الخطه ثلاث مرات، و أخرج على ثلاثه أوجه، بمقتضى تغير الحوادث.

فقبل ذلك، حين تبين لنابليون [نابليون]، أنه غير قادر على غزو الهند من طريق مصر، ارتأى أن يحالف روسيا ليتيسر له العبور إلى حدود الهند من جهاتها لقربها من هذه الحدود. ففاوض قيصر روسيا "بولس الأول" في هذا الموضوع و اتفقا سنة ١٨٠١ م على احتلال "أفغانستان" و النواحي الشرقيه من إيران و غيرها بجيش من الروس و الفرنسيين و بهذا الاحتلال يقفون على حدود الهند ثم ينطلقون إلى داخلها فيخرجون الإنكليز منها. و يبقى ما احتل من الأرض خالصا لروسيا. و في مقابل ذلك تؤيد روسيا احتلال الفرنسيين لمصر و البحر الأبيض المتوسط. و فاضت الدولتان النمسا للحصول على موافقتها على هذه الخطه في مقابل إطلاق يدها في المستعمرات التي للعثمانيين في أوروبا، و هي الصرب و بلغاريا و البوسنه و غيرها.

و لكن حدث قبل إنفاذ هذه الاتفاقات أن قتل "بولس الأول" قيصر روسيا في شهر نيسان سنة ١٨٠١ م، و خلفه "الكساندر الأول". و خضع هذا لاراده رؤساء عسكره، إذ أرادوه أن يتخلى عن صداقه فرنسا، و يستبدل بها معاهده صداقه بين روسيا و إنكلترا. و كان رؤساء العسكر هؤلاء من الأغنياء و كبار الملاكين، و بينهم و بين الإنكليز معاملات تجاربه رابحه و بهذا اتخذ تخطيط "نابليون [نابليون]" وجهها آخر.

ففي سنة ١٨٠٥ م وضعت الحرب التي نشبت بين فرنسا و روسيا إيران و فرنسا كليهما في مقابل عدو مشترك لهما، فازداد "نابليون [نابليون]" عزمه على محالفه إيران. و تبودلت السفارات بفينه [بينه] و بين "فتح على شاه"، و انتهت مفاوضاتها إلى عقد معاهده صداقه عرفت باسم "معاهده فينكن شتاين" بين إيران و فرنسا في ٤ أيار سنة ١٨٠٧ م الموافق ٢٥ صفر سنة ١٢٢٢ هـ. و قدمت إلى إيران، بمقتضى هذه المعاهده، بعثه عسكريه فرنسيه يرأسها الجنرال "غاردان" لتدريب الجيش الإيراني و تقويته. و كان تخطيط "نابليون [نابليون]" هذا الجديد يقضى بتقويه هذا الحلف بالسعى إلى إدخال الدوله العثمانيه فيه. و لكن هذا التخطيط لم يلبث أن اتخذ وجهها آخر. فبعد شهرين من عقد معاهده "فينكن شتاين"، و "غاردان" لا يزال في طريقه لم يصل

بعد إلى إيران، عقد "نابليون [ناپلئون]" و القيصر الروسي معاهدة صلح بينهما في مدينه "تيلسيت" في "بروسيا" الشرقيه. و أصبحت مهمه "غاردان" في إيران إيقاع الصلح بين إيران و روسيا بدلا من مساعده إيران على روسيا، و السعى إلى تسالم الدوله العثمانيه و إيران و روسيا بدلا من السعى إلى إدخال الدوله العثمانيه في الحلف الايراني الفرنسي المقاوم لروسيا. ثم الحصول على معاونه الروس و الايرانيين لنابليون [لنابليون] في شق طريقه إلى الهند.

و قبل أن يقرر "نابليون [ناپلئون]" التقرب إلى "فتح على شاه" كانت انكلترا قد قامت بمسعى مماثل. ففي سنه ١٨٠٠ م الموافق سنه ١٢١٥ هـ أوعز البلاط الانكليزي إلى شركه الهند الشرقيه بإرسال سفير من قبلها إلى إيران.

فأرسلت "السير جان ملكوم" - و هو مؤلف كتاب تاريخ إيران - و شرع بمفاوضه البلاط الايراني في هذا الموضوع. و إذ رأوا الكلام وحده لا يكفي لاقتناع "فتح على شاه" فقد ارتأوا إقناعه بالارهاب، و ذلك باحتلال إحدى جزر الخليج. و لكنهم لم يلبثوا أن عدلوا عن هذا الرأي إلى رأى آخر، هو الرشوه. فبذل "السيرجان ملكوم" ل "فتح على شاه" و حاشيته مقادير ضخمة من المال و الهدايا بلغت أكثر من مليوني روبيه. و حصل الإنكليز منه على وعد بان لا يقدم على عمل يضر بمصالحهم. و لكنه أقدم بعد ثلاث سنوات على محاربه روسيا. و إذ وجد نفسه عاجزا فقد استنجد بفرنسا غافلا عما بينها و بين إنكلترا من خصومه و منافسه. و بذلك جلب على نفسه غضب الإنكليز.

سفيرا "نابليون ناپلئون" في إيران

بعث "نابليون [ناپلئون]" المستشرق "آميده جوبير" سفيرا إلى إيران في ١٦ شباط سنه ١٨٠٥ م الموافق ١٦ ذى القعدة سنه ١٢١٩ هـ. و كان هذا السفير يتقن التركيه و العربيه. و سبق له أن رافق "نابليون [ناپلئون]" إلى مصر. و كان يومئذ يحرر لنابليون [لنابليون] ما يلزمه من أحكام و رسائل باللغه العربيه. و له اطلاع واسع على أحوال العالم الإسلامى، و أحوال البلاد الروسيه، و لذلك كان خير من يقوم بهذه المهمه من الفرنسيين.

سافر "جوبير" من فرنسا قاصدا إيران عن طريق تركيا. و أمرته دولته بالسفر متنكرا، إذ كانت مهمته سريه، و يخشى أن تمنعه الدوله العثمانيه و خصوم فرنسا من متابعه سفره إذا عرفت شخصيته. و سار لا يعوقه مانع إلى أن بلغ أرض كردستان العثمانيه. فلما وصل إلى مدينه "بايزيد" من تلك الديار، اعتقله الباشا العثماني الذي كان حاكما عليها من قبل الدوله العثمانيه. اعتقله من غير أن يبين له سبب اعتقاله و ألقى به في السجن على حاله مزريه. و يتضح من اعتقاله و سجنه بهذه الكيفيه أن يدا خفيه دبرت هذه المؤامره عليه، هي يد الذين يرون في سفره و مهمته هذه ضررا يصيبهم. و قد ظل هذا التاعس في السجن إلى أن مات باشا "بايزيد".

و حينئذ استطاع بمنتهى المشقه أن يوصل خبرا عن حاله إلى "عباس ميرزا" ابن "فتح على شاه" و نائبه و ولي عهده، و كان حاكما على أذربيجان. فقام البلاط الايراني بمساعي كثيره حتى استطاع إنقاذ "جوبير" من الموت و جلبه إلى إيران.

و لما انقطعت أخبار "جوبير" عن "نابليون [ناپلئون]"، و هو معتقل في

السجن، بادر " نابليون [نابليون] " إلى إرسال سفير آخر إلى إيران، هو ضابط عسكري اسمه " روميو " في أوائل تشرين الأول سنة ١٨٠٥ م الموافق أوائل رجب سنة ١٢٢٠ هـ. ومع هدايا ورساله إلى "فتح على شاه" مؤرخه في ٣٠ آذار سنة ١٨٠٥ م الموافق آخر ذى الحجه سنة ١٢١٩ هـ يطلب مساعدته على سوق جيش إلى الهند، و جعل طريق هذا السفير على بغداد.

فلما وصل " روميو " إلى طهران تلقاه البلاط الإيراني بالترحيب والاحترام. و لكن حدث بعد بضعة أيام من وصوله أن مات موتاً فجائياً من غير مرض أصابه. و لم يستطع أحد أن يعرف سبب موته، سوى الحدس بان الذين رأوا في قدومه إلى طهران ضرراً ينالهم قد بادروا إلى القضاء عليه.

و دفن السفير في مقبره تقع خارج طهران في الجنوب.

أما السفير الأول " جويير " فإنه، بعد أن تخلص من سجنه، سار قاصداً طهران عن طريق أذربيجان. و كان "فتح على شاه" يومئذ في "السلطانية" فذهب " جويير " إليها. و دخل على "فتح على شاه" في ١٤ شوال سنة ١٢٢٠ هـ الموافق ٥ تموز سنة ١٨٠٦ م.

معاهدة "فينكن شتاين"

و أقام " جويير " في إيران مدة شهر تقريباً. و دعا "فتح على شاه" إلى محالفه فرنسا، و أتم مهمته السياسيّه على أحسن وجه. و اقترح مشروع معاهدة بين الدولتين أرضى به الحكومه الإيرانيه. و تقرر أن يصحب معه في عودته سفيرا عن إيران إلى بلاط "نابليون [نابليون]" لتوقيع المعاهدة هناك.

و أمر "فتح على شاه" حاكم قزوین "الميرزا محمد رضا خان" بالسفر مع " جويير " إلى فرنسا و أرسل معه رساله و هدايا إلى "نابليون [نابليون]".

و في ٢٥ صفر سنة ١٢٢٢ هـ. الموافق ٤ أيار سنة ١٨٠٧ م دخل السفير الإيراني على "نابليون [نابليون]" في معسكره في "فينكن شتاين" في بولونيا حيث كان مشغولاً بمحاربه "البروسيين". و وقعت المعاهدة في ذلك التاريخ.

و يومئذ كان "نابليون [نابليون]" مشغولاً بمحاربه الحلف الرباعي الأوروبي المؤلف من بروسيا وروسيا و انكلترا و السويد لمقاومه "نابليون [نابليون]" و قمعه. (١)

و تقضى هذه المعاهدة بان تؤيد فرنسا استقلال إيران. و تعترف بان "كرجستان" هي من أملاك صاحب الجلاله ملك إيران. و أن يبذل صاحب الجلاله إمبراطور فرنسا و ملك إيطاليا (نابليون [نابليون]) كل مساعيه لتجلبو روسيا عن "كرجستان" و أرض إيران، و أن يرسل "نابليون [نابليون]" إلى بلاط إيران سفيرا فوق العاده من قبله مع بضعة سكرتاريه. و أن يهيأ لإيران ما تحتاج إليه من المدافع الصخراويه و البنادق و الحراب على أن تكون أسعارها مساويه لأسعارها في أوروبا. و أن يرسل إلى إيران من تحتاجه من العسكريين و المهندسين الحربيين لتنظيم الجيش الإيراني و أسلحته و قلاعه حسب النمط المتبع في أوروبا.

و تقضى المعاهدة أيضا بان يتعهد صاحب الجلاله ملك إيران بقطع العلاقات السياسيّه و التجاريه التي بين بلاده و بين إنكلترا. و أن يبادر فوراً إلى إعلان الحرب على تلك الدوله، و أن يعاملها من هذه الساعه معاملة الخصم. و بناء على هذا يتعهد صاحب

الجلاله ملك إيران باستدعاء سفيره الذى أرسله إلى بمباى. و أن يطرد فى الفور قناصل الشركه الإنكليزيه و ممثلها و موظفيها الآخرين من إيران و مرافئ الخليج، و أن يصادر كل البضائع الإنكليزيه، و أن يصدر حكما قاطعا إلى ولاياته بقطع كل رابطه مع الإنكليز، سواء أ كانت فى البر أم فى البحر. و كلما اتحدت إنكلترا و روسيا على حرب فرنسا و إيران فان فرنسا و إيران تتحدان أيضا عليهما. و يتعهد شاه إيران بان يبذل كل نفوذه لحمل الأفاعنه على مخالفته على إنكلترا. و حين تيسر له الطريق فى تلك النواحي يسوق جيشا إلى محاربه الإنكليز فى ما يحتلونه من أرض الهند. و يمنح شاه إيران كل التسهيلات اللازمه للسفن الفرنسيه التى ترد إلى مرافئ الخليج، و يسمح للعساكر التى يبعث بها أمبراطور فرنسا إلى ما تحتله إنكلترا من أرض الهند، بالمرور من أرض إيران. و تعقد بين إيران و فرنسا معاهده تجاريه.

و كان توقيع هذه المعاهده دليلا واضحا على غياب "فتح على شاه" و جهله.

فقد أقدم على معاداه انكلترا و تحدى روسيا بلا تحفظ، و هما الدولتان القويتان، و إيران على ما هى عليه من ضعف. و ذلك من أجل وعد وعده نابليون [نابليون] بان يعينه على استعادته "كرجستان" و غيرها من النواحي التى استولت عليها روسيا. هذا و إنكلترا و روسيا قائمتان فى جوار إيران، و فرنسا على ذلك البعد الشاسع منها، و لا طريق لها إلى إيران! و لم يحصل من هذه المعاهده نتيجة عمليه لأن مضامينها كانت أوهاما و خيالات. و لكنها ألحقت بايران ضررا سياسيا كبيرا إذ زادت انكلترا عداة على عداة لايران.

البعثه العسكريه الفرنسيه

نتيجه عمليه واحده فقط ترتبت على هذه المعاهده. و هى إرسال بعثه عسكريه فرنسيه إلى إيران لتنظيم الجيش الايرانى و تدريبه. و إذا كانت هذه المعاهده تقضى بان يرسل "نابليون" سفيرا من قبله إلى إيران. فقد اختار لهذه المهمه الجنرال "كلود ماتيو كونت دو غاردان".

و عهد إليه أيضا برئاسه البعثه العسكريه المطلوبه.

و كانت تتالف من خمسه عشر سياسيا و أربعة عشر عسكريا. و تظهر الأوامر الخطيه التى أمر "نابليون [نابليون]" رئيس البعثه بالعمل بها أن فرنسا كانت فى تلك الأيام تضع إيران فى المنزله الأولى من الأهميه فى موضوع المنافسه بينها و بين إنكلترا و روسيا و كانت مهمه "غاردان" إنفاذ مقتضيات معاهده "فينكن شتاين".

و لكنه كان مأمورا أيضا بأوامر سريره هى تهيئه خطه تمكن اثنى عشر ألف جندى فرنسى أو خمسه عشر ألفا من اجتياز أرض إيران لغزو الهند، و أن يطلب من إيران وضع جزيره "خارك" الواقعه فى الخليج فى تصرف فرنسا لتستفيد منها فى تحركات الأسطول الفرنسي، و كانت له مهمات أخرى هى:

١- كان نابليون [ناپلئون] و "بولس" قيصر روسيا قد وضعوا خطه لغزو الهند عن طريق القفقاس و إيران. و عقدا بينهما اتفاقا تعهد فيه القيصر بإرسال جيش من خمسين ألف جندي إلى إيران و السير به، بمساعدة من إيران، إلى الهند من طريق مدينه "هرات" - و كانت يومئذ لا تزال تابعه لايران - و في سنه ١٨٠١ م الموافق سنه ١٢١٦ هـ، قيل أن يقيم "نابليون [ناپلئون]" رابطه بينه و بين إيران، قتل القيصر [القيصر] "بولس" و خلفه "الاسكندر [الكساندر] الأول". و رفض هذا القيصر الحلف المعقود بين سلفه و بين نابليون [ناپلئون]، و انحاز إلى الدول المخالفه لنابليون [لناپلئون]. و بذلك قطع نابليون [ناپلئون] أمله من مساعده روسيا له. و عقد هذه المعاهده بينه و بين إيران لتكون وسيلته إلى تسيير جيشه من أرضها إلى غزو الهند.

١ - تهيئه الجيش الايراني على نمط يعطيه شكل جيش أوروبى. و إنشاء مصنع للمدافع.

٢ - تطمين "فتح على شاه" إلى أن "نابليون [ناپلئون]" سيستمر فى مساعدته إلى أن يتغلب على قيصر روسيا تغلبا قاطعا، و تصبح القفاس [القفاس] كلها ملكا لايران.

٣ - التحقيق فى مسالك إيران و تعيين الطريق التى يمكن للجيش الفرنسى أن يسلكها إلى الهند.

و كان فى مقدمه الصعوبات التى اعترضت "غاردان" فى مهمته تغلب "فتح على شاه" بين الآراء المختلفه. بين ساعه و ساعه، و بطء المواصلات بين إيران و فرنسا. و لا طريق بينهما غير طريق تركيا. و قطعها يستغرق، فى المعدل، مده شهرين من الزمان. و صعوبه أخرى هى التفاوت العظيم بين عقليه الايرانيين، و لا سيما المسنين الذين تتالف منهم حاشيه البلاط، و مفاهيمهم و بين عقليه الفرنسيين و مفاهيمهم. و قد بلغ هذا التفاوت بحيث كان يصعب كثيرا على الايرانيين أن يتبينوا أوضاع فرنسا و يفهموها.

و الوصف الذى عرف "فتح على شاه" به "نابليون [ناپلئون]" بسفيره الذى وقع معاهده "فينكن شتاين" يصح نموذجا بسيطا لهذا التفاوت. عرف السفير الايرانى بأنه "العالى الجناب الشهم النصاب (١) الميرزا محمد رضا خان السفير فوق العاده حاكم قزوین وزير (٢) الأمير محمد على ميرزا". و عرف المندوب الفرنسى الذى وقع المعاهده باسم فرنسا بأنه "المسيو هوغ برنار ماره الوزير المشاور حامل و سام اللجیون دونورو و سام سنت أوبر"! و يوم قدم "روميو" السفير الأول المبعوث من قبل "نابليون [ناپلئون]" إلى بلاط "فتح على شاه" أراد الإنكليز أن يبعثوا الريب فى نفس "فتح على شاه" فاطلعوه على وقائع الثورة الفرنسيه و مقتل "لويس السادس عشر" و خلع العائله الفرنسيه المالكة. و قد أرابت هذه المعلومات "فتح على شاه" و أفزعته، و هو يملك فى بلد من آسيا، حيث لا عهد للناس بنظام حكومى من غير الملكيه الاستبداديه المطلقه.

و قد اضطر "روميو" يومئذ إلى إطاله الحديث فى الجواب على أسئله "فتح على شاه" و بيان أسباب تلك الوقائع، و شرح الجرائم و الأخطاء التى نسبت إلى "لويس السادس عشر"، و إيضاح ما حصلت عليه فرنسا بعد الثورة و فى عهد "نابليون [ناپلئون]" من عظمه و قوه، ليطمئن خاطر "فتح على شاه".

و كان "فتح على شاه" حريصا على إخفاء ضعفه بالتظاهر بالقوه و المقدره. و إذا احتاج إلى أحد أظهر نفسه بمظهر القادر على مبادله نفع بنفع لا- بمظهر المفتقر إلى المعونه. من ذلك أنه يوم ورد "جوبير" سفير "نابليون [ناپلئون]" إلى طهران عرض عليه يوما ما يملكه من الجواهر لينبئه إلى غناه و يكسب إعظامه له. و حين أرسل سفيره "الميرزا محمد رضا" القزوينى إلى "نابليون [ناپلئون]" أمره بان يخفى عن "نابليون [ناپلئون]" خوفه من روسيا، و أن يظهره على العكس، قادرا على أن يضطلع بحربها وحده. و أن تكليف "نابليون [ناپلئون]" هو أن يشارك فى هذا الأمر مشاركه مساويه لمشاركته. و أن إيران قادره على المساعدة فى غزو الهند، و أن عملها العسكرى لا يقتصر على مهاجمه الهند من طريق "كابل" و "فندهار [قندهار]"، بل إن الجنود الايرانيين سينضمون إلى الجنود الفرنسيين حين يصلون بالسفن إلى أحد مرافئ الخليج. و من هناك يسير الجيشان معا إلى الهند.

وصل الجنرال "غاردان" و مرافقوه إلى طهران يوم ١٢ رمضان سنه ١٢٢٢ هـ. الموافق ٤ كانون الأول سنه ١٨٠٧ م. و شرعوا فى

عملهم فى تلك السنه. فانشاوا مصنعا للمدافع و غيرها من الأسلحه فى أصفهان.(٣)

و أنشئوا مراكز لتدريب الجيش الايرانى.

انقلاب فى سياسه "نابليون ناپلئون"

اعترضت الجنرال " غاردان " أيام إقامته فى طهران صعوبتان.

إحداهما منافسه انكلترا الشديده له، منافسه ظاهره أحيانا خفيه أحيانا أخرى، و مظاهره بعض رجال البلاط المتنفذين للانكليز. و الصعوبه الأخرى هى تغير ما بين فرنسا و روسيا من معاملات سياسيه، من الخصومه إلى المصالحه. و هو تغير يؤثر بالضروره تأثيرا سلبيا على العلاقات التى أريد لها أن تقوم بين فرنسا و إيران بمقتضى معاهده "فينكن شتاين".

استغرقت رحله الجنرال " غاردان " سته أشهر تقريبا حتى وصل إلى طهران. و فى هذه المده انقلبت السياسه ما بين فرنسا و روسيا رأسا على عقب. ففى ٢ تموز سنه ١٨٠٧ م الموافق ٢٦ ربيع الثانى سنه ١٢٢٢ هـ، و "غاردان" لا يزال فى طريقه ما بين فرنسا و إستانبول، أراد "نابليون [ناپلئون]" أن يطلق قياصره الروس يده فى مقاومه انكلترا فصالح روسيا بمعاهده عقدت فى مدينه "تيلسيت" فى "بروسيا". و بهذه المعاهده نقض "نابليون [ناپلئون]" و عوده التى وعد به إيران فى معاهده "فينكن شتاين". و لما وصل "غاردان" إلى إيران لم يكن الايريانيون قد علموا بنبا تصالح فرنسا و روسيا.

و بعد وصول "غاردان" بمده قليله عقد معاهده أخرى بين فرنسا و إيران وقعها هو عن فرنسا و وقعها الصدر الأعظم "الميرزا شفيح" عن إيران تقضى بان تبيع فرنسا لايران مقدارا من البنادق، و أن تمدها بفريق من خبراء بعض الصناعات المدينه. و وقعت المعاهده فى ٢١ كانون الثانى سنه ١٨٠٨ م الموافق ١٢ ذى القعدة سنه ١٢٢٢ هـ. و لكن هذه المعاهده لم ينتج عنها شىء و لم تحصل إيران على البنادق الموعوده و لا جاء إليها الخبراء المطلوبون.

كانت معاهده "تيلسيت" شؤما على إيران. لأن الروس، و قد ظلوا مده من السنين يحتفظون بقواهم محتشده فى الحدود الأورويه خوفا من "نابليون [ناپلئون]" و استعدادا للدفاع عن أنفسهم، قد أمنوا جانب "نابليون [ناپلئون]" بعد هذه المعاهده، و تفرغوا لمتابعه فتوحاتهم، و أخذوا يعدون تجهيزاتهم الحربيه على حدود القفقاس.

وقعت الحرب الأولى بين إيران و روسيا فى سنه ١٢١٩ هـ و انتهت إلى

ص: ٢٠٩

١- النصاب: الأصل.

٢- "وزير" كانت تستعمل بمعنى: مساعد.

٣- لا يزال بعض هذه المدافع موجودا اليوم. و هى منصوبه فى بعض الأماكن العامه بما هى من الآثار. و منها مدفع عرف باسم "مدفع اللؤلؤ". و كان أشهر هذه المدافع، و هو منصوب اليوم فى حديقته نادى الضباط. و كان قبل ذلك منصوبا فى أحد شوارع

طهران. و صار للعامه يومئذ اعتقاد به أن له أثرا في قضاء الحاجات و نوال المرام فيندرون له النذور.

معاهده "گلستان" في ٢٩ شوال ١٢٢٨ هـ. الموافق ١٢ تشرين الأول سنة ١٨١٣ م.

و وقعت الحرب الثانيه سنة ١٢٤٢ هـ و شهر آب سنة ١٨٢٦ م و انتهت إلى معاهده "ترکمان شای" في ٥ شعبان سنة ١٢٤٣ هـ. الموافق ١٠ شباط سنة ١٨٢٧ م.

و بهذا تكون الحرب الأولى قد طالت أكثر من تسع سنوات. و الثانيه سته أشهر تقريبا.

و يوم قدم الجنرال "غاردان" إلى طهران في ٢٥ رمضان سنة ١٢٢٢ هـ. الموافق ٤ كانون الأول سنة ١٨٠٧ م كانت الحرب الإيرانيه الروسيه الأولى لا تزال مستمره. و لكنها متقطعه تتخللها هدنات. و في أول المده التي قضاها "غاردان" في إيران كانت هدنه. و لكن الحرب عادت فاستؤنفت و "غاردان" لم يغادر إيران بعد. و ظاهر أن استئنافها حدث حين أمضيت معاهده "تيلسيت" و عاد البلاط الروسي خلى البال من جهه أوروبا متمكنا من متابعه حروب القفقاس و هو مطمئن الخاطر.

فلما استؤنفت الحرب طلب سفير إيران في باريس من الحكومه الفرنسيه أن تباحث "الكونت تولستوى". سفير روسيا في باريس بما ينفع إيران.

و لكن الحكومه الفرنسيه تجاهلت ما تعهدت به لايران في معاهده "فينكن شتاين" و امتنعت كليا عن محاديه الحكومه الروسيه في هذا الشأن.

و من جهه أخرى، إذ عرف في إيران نبا إمضاء معاهده "تيلسيت" و إنشاء علاقات صداقه بين فرنسا و روسيا طلب المسئولون في طهران من الجنرال "غاردان" بما هو سفير فرنسا في إيران، أن يباحث المارشال "غودوفيتش" قائد الجيش الروسي و حاكم "كرجستان" و يقنعه بالانصراف عن الحرب.

فأجاب "غاردان" طلبهم و قام بمساع في هذا السبيل و لكنه لم يتوصل إلى نتيجه.

و هكذا لم تحصل إيران من معاهده "فينكن شتاين" و مهمه "غاردان" على شىء من النفع السياسى، بل أضرت بها ضررا سياسيا كبيرا. و ما حصلت عليه منها هو تدريب الجنود الايرانيين و إنشاء صناعه المدافع و البنادق في إيران.

وساطه غاردان بين إيران و روسيا

كانت الحكومه الروسيه القيصرية قد أرسلت إلى طهران في ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢٢٠ هـ. الموافق ١٤ شباط سنة ١٨٠٦ م قبل ورود "غاردان" إلى إيران بسنتين تقريبا، سفيرا لها فوق العاده اسمه "أستفانوف" يقترح على الحكومه الإيرانيه ايقاع الصلح بين إيران و روسيا.

و كان ذلك قبل إمضاء معاهده "تيلسيت" بسبعه عشر شهرا تقريبا. و ظاهر أن روسيا كانت يومئذ بحاجة إلى هذا الصلح لتستطيع حشد كل قواها العسكريه في أوروبا، و لا تكون مضطره إلى الاحتفاظ بقوى لها على حدود القفقاس. و لذلك كانت مضطره إلى مسالمة إيران.

و لكن الحكومه الإيرانيه كانت موعوده بمحالفه "نابليون [ناپلئون]" تنتظر قدوم السفير الفرنسي مغتره بهذه المحالفه تحسب أنها ستمكنها عن قريب من استرداد ما خسرتة من أرضها. فأخذت تماطل السفير الروسي "استفانوف" و تدافعه حتى يئس فعاد إلى بلاده في ٢٦ المحرم سنة ١٢٢١ هـ. الموافق ١٦ نيسان سنة ١٨٠٦ م. و بعد شهرين من سفره وصل السفير الفرنسي "جوير" إلى طهران. و في ذلك التاريخ استؤنفت الحرب بين إيران و روسيا.

و كانت الحكومه الإيرانيه تنتظر قدوم الجنرال "غاردان" كما تنتظر الفرج السماوى. و لذلك تلقته، لما وصل، بالإكرام و الابتهاج و الموده، و بالغت في ذلك كثيرا، و أجابته إلى كل شيء طلبه. و كان استقبالها للبعثه الفرنسيه أشبه بالعيد و المهرجان.

وصلت البعثه في آخر شهر تشرين الثانى سنة ١٨٠٧ م الموافق رمضان سنة ١٢٢٢ هـ إلى مدينه قزوین قادمه من تبريز. و قد اضطرت إلى المكث في قزوین لا يؤذن لها بمتابعه السفر إلى العاصمه طهران إلا بعد أربعة أيام من وصولها. و قد ذكر "شارل نيكولا بارون فابويه" أحد أعضاء البعثه في مذكرات له عله هذا التأخير. و يتبين مما ذكره بعض ما كان يتملق به الشاه يومئذ من القاب و صفات، و يتبين بعض أحوال "فتح على شاه". و ما ذكره هذا الفرنسي صحيح يعرفه كل من له اطلاع على تاريخ ذلك العهد و ما كان عليه "فتح على شاه" من إيمان بالخرافات. قال "فابويه": "إن صاحب الجلاله الملك البادشاه قبله العالم قطب الدنيا ظل الله و صاحب ثلاثين أربعين لقباً أخرى نسيته، نظر في حركه الكواكب فرأى أن أعضاء السفاره الفرنسيه إذا دخلوا طهران. في يوم غير اليوم الرابع من كانون الأول أصابهم النحس...".

و وصلت البعثه الفرنسيه إلى طهران في اليوم الرابع من كانون الأول سنة ١٨٠٧ م الموافق ٢ شوال سنة ١٢٢٢ هـ. و كانت جماعه كبيره من الرسميين قد خرجت إلى استقبالهم. و حين دخلوا طهران تجمع جمهور كبير من الأهالى لمشاهدتهم. حتى أن "فتح على شاه" أرسل مهرجى البلاط يلعبون في موكب الاستقبال، و تحول استقبالهم إلى "كرنفال". كتب "فابويه" في مذكراته أن المهرجين كان كل منهم يرتدى تبانا (شورت) قصيرا و سائر بدنه عار من اللباس، يرقصون و يهرجون و رئيسهم يحمل بيده نبوتا كبيرا يلعب به.

و وصف "فابويه" هذا "فتح على شاه" لما دخلوا عليه بعد بضعه أيام بأنه كان غارقا في الجواهر من مفرقه إلى قدمه، قد زين نفسه بما يساوى الملايين منها. و التاج الذى على رأسه و العضاد(١) الذى على يسراه من أعلى النفائس، و لحيته، و كانت تعد يومئذ أجمل لحيه في إيران، تصل إلى ركبتيه.

و بعد خمسه عشر يوما من وصول "غاردان" إلى طهران وقع "فتح على شاه" على معاهده "فينكن شتاين" في ٢٠ كانون الأول سنة ١٨٠٧ م الموافق ١٠ شوال سنة ١٢٢٢ هـ. و طرد الإنكليز الذين كانوا في إيران و استدعى سفيره الذى فى بمباى. و كان توقيع "فتح على شاه" على هذه المعاهده بعد توقيع "نابليون [ناپلئون]" على معاهده "تيلسيت" بخمسه أشهر و ثلاثه عشر يوما... و لم يكن خبر معاهده "تيلسيت" قد وصل إلى إيران يومئذ و بعد أيام أمضيت اتفقيه شراء الأسلحه من فرنسا و اتفقيه تجاريه. و سلمت جزيره "خارك" التى فى الخليج إلى الفرنسيين.

١- العضاد (بكر العين) ما يشد على العضد من حرز أو حليه.

و الظاهر أن القيصر الروسي طلب من "نابليون [ناپلئون]" في أثناء مفاوضات الصلح في "تيلسيت" أن لا تقدم فرنسا في إيران على عمل يضر بروسيا، بل تسعى إلى التقريب بين إيران وروسيا. و الذي يدل على ذلك هو أن "نابليون [ناپلئون]" أمر، فور إمضاء معاهدة "تيلسيت"، الجنرال "غاردان" بالتوسط بين إيران وروسيا. و هكذا جعلت فرنسا من نفسها وسيطا بين الدولتين بدلا من أن تكون عوناً لإيران في مقاومتها لروسيا حسب تعهداتها في معاهدة "فينكن شتاين". و لكن وساطة "غاردان" لم تأت بنفع إذ أصرت روسيا على الاحتفاظ بما احتلته من أرض و أصرت إيران على استعادته منها.

بل يظهر من رساله أرسلها المارشال "غراف فودافيتش" قائد الجيش الروسي في القفقاس إلى الجنرال "غاردان" أن نابليون [ناپلئون] لم يقتصر على التخلي من مساعده إيران و إخلاف مواعيده لها، بل وعد الروس أيضا بمساندتهم [بمساعدهتهم] على إيران، و أنه أمر سفيره في طهران بتأييد المطالب الروسيه لا المطالب الإيرانيه! كان "غاردان" يسعى إلى إيقاع الصلح بين إيران وروسيا بواسطة "نابليون [ناپلئون]". و كانت إيران أيضا ترى أن هذه الوساطة هي آخر الدواء. أما روسيا فكانت ترفض هذه المداخله. و كان ما يحمل البلاط القيصرى على هذا الرفض أمران أساسيان. أحدهما أنه لم يكن يقبل أن يتخلى عما احتلته روسيا من أرض القفقاس بوجه من الوجوه، و الآخر أنه لم يكن مطمئنا إلى "نابليون [ناپلئون]". و هو متيقن أن محالفته له غير ثابتة - و قد تحقق ظنه هذا فيما بعد سريعا - و كان الروس يرون أن خير وسيله إلى تقليل نفوذ "نابليون [ناپلئون]" في إيران و جعلها آيسه من مساعده و صرفها عن محالفته هي أن لا يدخلوه في أمر الصلح بينهم و بين إيران و أن يسارعوا إلى القضاء على إيران و يرتاحوا من همها. فإذا نازلهم "نابليون [ناپلئون]" مره أخرى تفرغوا له و لم يشغلهم شاغل من إيران، و لا اضطروا إلى الاحتفاظ بجيش كبير على حدودها لا يقدر على الاستفاده منه في ميادين الحرب الأوروبيه. و لذلك صدر أمر قاطع إلى المارشال "غودافيتش" أن يرفض مصالحه إيران و لو كان الوساطة "غاردان"، و أن يكون القول الفصل للروس و حدهم.

قطع علاقات إيران بفرنسا

انتهت مهمه الجنرال "غاردان" في إيران إلى الخيبه. فمن جهه إخلاف "نابليون [ناپلئون]" وعده لايران. و من جهه أخرى كان إنشاء مصنع المدافع في أصفهان قد أهم الإنكليز و أهم الروس لأنه يقوى إيران، و هم يسعون إلى إضعافها. فبدلوا جهدهم في مقاومه هذا العمل، بواسطة عملاء لهم من الإيرانيين. من ذلك ما فعله حاكم أصفهان و وزير ماليه "فتح على شاه" من تحريض العمال الإيرانيين على تخريب العمل و الامتناع عنه و إخفاء الأدوات اللازمه للعمل، و تضليل "فتح على شاه" بتقارير كاذبه عن قصور الخبير الذى يتولى إنشاء المصنع، مع أن هذا الخبير كان جادا مخلصا ماهرا في عمله. و قد صبر على ما لقيه من الأذى صبورا كريما.

و فى أول شهر تشرين الأول سنة ١٨٠٨ م الموافق شعبان سنة ١٢٢٣ هـ. كان قد صنع عشرين مدفعا. فأمره "فتح على شاه" بإرسالها إلى طهران. فأرسلها و استغرق مسيرها من الوقت خمس أسابيع، فى طريق موحله غير ممهده. و كانت الخيول أحيانا لا تقوى على جرها بسبب ذلك فيستعينون بأهل القرى الواقعه على طريقهم لاخراجها من الوحل و تخليصها مما يعترض طريقها من عراقيل أخرى.

فلما وصل بها الخبير الفرنسى إلى العاصمه قوبل بفتور من الشاه و غيره، بخلاف ما كان يقابل به فى السابق. و تبين أن البعثه العسكريه الفرنسيه قد سقطت من الاعتبار السابق الذى كان لها عند الشاه و سائر الإيرانيين. و اعترض الشاه على بعض الصنعه فى

هذه المدافع. ثم وضعت المدافع فى مستودع و أغلق بابه. يقول هذا الخبير: بعد ذلك أصبحت و كانى لم أصنع شيئاً بعد سنه من العمل! و بذلك توقع هذا الخبير أنه سيضطر قريباً إلى مغادره إيران.

بعد ذلك انقطعت العلاقات بين فرنسا و إيران و لم يبق بينهما أخذ و رد إلى زمن " محمد شاه قاجار ". و غادر الجنرال " غاردان " إيران فى ٢٣ نيسان سنه ١٨٠٩ م الموافق ٨ ربيع الأول سنه ١٢٢٤ هـ. من غير أن تطلب منه الحكومه الإيرانيه مغادره بلادها و من غير أن يستدعى من باريس. و غادرها أيضاً سائر أفراد البعثه. و بدأ عهد جديد من التقارب بين إيران و انكلترا.

و يظهر من رساله أرسلها " نابليون [ناپلثون]" إلى "فتح على شاه" أن "نابليون [ناپلثون]" بادر، بعد خروج "غاردان" من إيران، إلى إخراج السفير الايرانى أيضاً من باريس. و رساله "نابليون [ناپلثون]" هذه مؤرخه فى ٢٣ أيار سنه ١٨١٠ م الموافق ١٨ ربيع الثانى سنه ١٢٢٥ هـ و لم يدم قيام تلك العلاقات بين فرنسا و إيران أكثر من أربع سنوات و بضعه أشهر، و ذلك من أواخر سنه ١٢١٩ هـ الموافق سنه ١٨٠٥ م إلى سنه ١٢٢٤ هـ. الموافق سنه ١٨٠٩ م.

و قد أتم "غاردان" أعمالاً مهمه فى تنظيم الجيش الايرانى فقرر للجندى الأدوات اللازمه له، غير السلاح، يحملها فى أسفاره الحريبه.

و أقام مصنعا للمدافع فى أصفهان. و وضع مخططاً لإنشاء حاميات عسكريه ثابته دائمه فى المدن، و بدأ بانشائها فأقام ثكنه فى "دامغان" قطعت دابر قطاع الطرق فى تلك النواحي، و تهيأ لمتابعه إنشاء الثكنات فى أماكن أخرى.

و رأى لزوم إنشاء طرق معبده لتسهيل التحركات العسكريه و تسيير عربات المدافع. و لكن "فتح على شاه"، مع اقتناعه بلزوم إنشاء هذه الطرق، كان يرفض الإنفاق عليها و يقول إن نفقاتها يجب أن تبذل من المال الذى تقرر أن يعطيه إياه "نابليون [ناپلثون]". و إنشاء "غاردان" أيضاً، فى جملة إصلاحاته، المطبخ العسكري السيار فى الجيش الايرانى.

و جميع هذه الإصلاحات لم يكن "غاردان" قادراً على تحقيقها لو لا مساعده "عباس ميرزا" له. فقد كان هو الذى يوفر المال اللازم لها، حتى أنه باع كل جواهره الخاصه و أنفق ثمنها على هذه الإصلاحات.

و قد قبل "عباس ميرزا" بكل الاقتراحات التى طرحتها البعثه العسكريه الفرنسيه، ما عدا اقتراح واحد هو حلق اللحي فقد اقترح المدربون الفرنسيون أن يحلق الجنود الايرانيون لحاهم أو أن يقصروها، لأن اللحيه الطويله تعوق حركات الجندى فى الحرب. و حين تكون الحرب وجهاً إلى وجه إذا كان الجندى ملتجياً و تمكن عدوه من القبض على لحيته أعجزه عن المحاربه. و لكن "عباس ميرزا" أجابهم بان رجال إيران يصعب عليهم حلق لحاهم.

و اتفق يوماً أن انفجرت قبله فى يد أحد المدفعيين فلم تصبه بأذى سوى أنها أحرقت لحيته. فأخذه المدربون الأوروبيون إلى "عباس ميرزا" و قالوا له

هذه نتيجة إطلاق المدفعيين للحاهم! عندئذ أمر "عباس ميرزا" بأن يخلق المدفعيون لحاهم أو يقصروها. فكانوا أول من مارس حلق اللحى من الجيش الايرانى. ثم تبعهم سائر أصناف الجند شيئا فشيئا.

و كان الجنود الايرانيون يلبسون معاطف طويله كالجبه. فاقترح "غاردان" أن تستبدل بها الستره القصيره لأن المعطف الطويل يعوق حركه الجندى فى الحرب. فلقى معارضه شديده، إذ رأى الناس فى الستره القصيره شكلا قبيحا من اللباس، بل عدوا لبسها أمرا مخجلا و خلاعه. فتنازل "غاردان" عن اقتراحه، و استعاض عنه باقتراح أن يرفع الجندى طرفى الذيل من المعطف و يعلقهما بالحزام الذى على الخصر فتسهل حركته. و هكذا أصبح لباس الجندى الايرانى يشبه لباس "الفراك". و لكن الايرانيين عادوا فأذعنوا شيئا فشيئا حتى قبلوا بالباس عسكريهم الزى العصرى المناسب لحركات الجند الحربيه.

و ما استفادته إيران من البعثه العسكريه الفرنسيه هو:

١ - تنبه الايرانيين إلى حاجتهم إلى اقتباس الفنون العسكريه الغريبه.

٢ - إدخال الرياضه البدنيه فى برنامج التدريب العسكري.

٣ - إنشاء مدرسه حربه لتخريج الضباط.

٤ - تعبيد بعض الطرقات.

٥ - اطلاع المتخصصين الايرانيين على أسرار صناعه المدافع.

٦ - تعليم الايرانيين صناعه البارود الحديد.

٧ - تعود الجنود على حلق لحاهم.

٨ - إلباس الجيش لباسا موحدا جميلا عمليا.

و لكن، بعد رحيل البعثه الفرنسيه عن إيران أغلقت المدرسه الحربه و عطل مصنع المدافع فى أصفهان.

عوده العلاقات بين

إيران و انكلترا

بعد عقد معاهده الصلح بين قيصر روسيا و "نابليون [ناپلئون]" فى "تيليست" قل اهتمام "نابليون [ناپلئون]" بالتودد إلى إيران. و بعد التقارير التى تلقاها من "غاردان" بشأن سوق جيشه إلى الهند من طريق إيران تبين له أن سلوكه هذه الطريق ليس سهلا كما كان يتصور.

فقد كان يخيل إليه أنه قادر على تذليل الصعاب التى تعترض طريقه إلى الهند كما ذلل الصعاب التى اعترضته فى فتوحاته فى

أوروبا، و أنه قادر على أن يعبر إلى الهند كما عبر إليها قبله محمود الغزنوي و تيمور لنك و نادر شاه من صحارى إيران و أفغانستان. و لكن تقارير "غاردان" نبهته إلى فروق الزمان و المكان بين عهد و عهد و بين بلد و بلد. فكانت هذه التقارير سببا فى عدول "نابليون [ناپلئون]" عن غزو الهند أو أنها كانت من أهم الأسباب فى عدوله.

و فى سنة ١٨٠٩ م الموافق سنة ١٢٢٤ هـ غادرت بعثه الجنرال "غاردان" الفرنسيه أرض إيران عائده إلى بلادها.

و فى شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٤ هـ الموافق حزيران سنة ١٨٠٩ م عادت إيران إلى إقامة علاقات بينها و بين انكلترا بعد أن يشتت من مساعده "نابليون [ناپلئون]" لها، و كانت قد قطعت ما بينها و بين انكلترا من علاقات إرضاء لنابليون [لنابليون] و إجابته إلى طلبه. و أرسلت إنكلترا سفيرا لها إلى طهران هو "السير هرفورد جونز". و أرسلت إيران سفيرا لها إلى لندن هو "الميرزا أبو الحسن خان الشيرازى".

معاهدة ١٢٢٤ هـ

و قبيل ذلك كان "عباس ميرزا" قد اضطر، بعد تصالح "نابليون [ناپلئون]" و القيصر و انقطاع أمله من مساعده فرنسا، إلى اللجوء إلى انكلترا يطلب العون منها على روسيا. و انتهت مساعيه إلى عقد معاهدة بين إيران و انكلترا فى ٥ المحرم سنة ١٢٢٤ هـ الموافق ١٩ آذار سنة ١٨٠٩ م.

و هذه المعاهدة تقضى، فى جملة ما تقتضى به، أن تبطل إيران كل معاهده معقوده بينها و بين دوله أوروبيه. و أن تمنع إيران كل جيش أوروبى من المرور بأرضها إلى الهند. و إذا هاجم جيش أوروبى إيران فان انكلترا ترسل إليها جيشا لمساعدتها أو تمنحها المال و السلاح اللازم لها، و تضع أيضا فى تصرفها مدرين للجيش الايرانى و عمالا. و إذا وقعت حرب أو خلاف آخر بين إيران و دوله أوروبيه، ثم أرادت الصلح فان انكلترا تبذل كل جهدها لايقاع الصلح و رفع الخلاف. فان تعذر ذلك بادرت انكلترا إلى إمداد إيران بالجند أو المال و السلاح، و يستمر الامداد ما دامت الحرب قائمه. و أن تساعد إيران انكلترا بجيشها إذا وقع اعتداء على الهند من جهه أفغانستان.

و قضت المعاهدة أيضا بمنح انكلترا امتيازات أخرى فى الخليج و جزيره "خارك".

و وقعها عن الجانب الايرانى "الميرزا محمد شفيع" الصدر الأعظم و "الحاج محمد حسين خان أمين الدوله" و عن الجانب الانكليزى "السير هرفورد جونز بريج" سفير انكلترا فى طهران.

سفير آخر

و فى سنة ١٨١٠ م الموافق سنة ١٢٢٥ هـ عينت انكلترا "السير غور أوزلى" سفيرا لها فى إيران. فغادر بلاده قاصدا إيران فى شهر تموز من تلك السنة. و صحبه سفير إيران فى انكلترا "الميرزا أبو الحسن الشيرازى" و معه ثمانيه من موظفى السفاره الإيرانية.

و بعد مغادرتهم الشاطئ الانكليزى حملتهم السفينه أولا- إلى "ريودى جانيرو" عاصمه البرازيل. و إذ كان ذهابهم إليها أمرا مستغربا، فالبرازيل لا- تقع على طريقهم إلى إيران، فقد قيل يومئذ إن الرياح خالفت طريق سفينتهم و حملتهم اضطرارا إلى

البرازيل و هو قول يعرف بطلانه كل من له اطلاع على أحوال الملاحة و البحار.

و السبب الحقيقى هو أن البرتغاليين كانوا قد جعلوا من "ريودى جانيرو" عاصمه للبرتغال - و البرازيل يومئذ ملك للبرتغال - لأن "نابليون [ناپلئون]" كان قد احتل اسبانيا فى سنه ١٨٠٨ م و أصبح جيشه قريبا من البرتغال. و خشى نائب ملك البرتغال "جوان" الذى أصبح فيما بعد الملك "جوان السادس" (١) من هجوم يقوم به عليه "نابليون [ناپلئون]". فنقل مقر حكمه إلى "ريودى جانيرو" و جعلها عاصمه للبرتغال، و أقام حكومه فى البرازيل

ص: ٢١٢

١- لم تكن البرتغال يومئذ قد نصبت لها ملكا.

باسم "حكومة البرتغال الحره"، و اعترفت بها انكلترا رسميا و أعطتها مساعدات ماليه.

و كان السفير الانكليزي "السير غوار [غور] أوزلي" مضطرا إلى الاجتماع بنائب الملك البرتغالي فقصد إلى "ريودي جانيرو" قبل إيران، و صحبه في هذه الرحله السفير الايراني و موظفو سفارته لا لشيء سوى أن أعمال السفير البريطاني اقتضت أن تكون طريقهم على البرازيل. و هؤلاء الايرانيون التسعه، السفير و موظفوه، هم أول من دخل أمريكا من الايرانيين، إذ لا نعهد أحدا قبلهم دخلها من إيران.

و كان مع السفير الانكليزي بعثه من الضباط العسكريين و هي أول بعثه عسكريه انكليزيه وفدت إلى إيران لتدريب الجيش الايراني. و كانت تتالف من مائه رجل تقريبا، بعضهم جاء من انكلترا و بعضهم التحق بالبعثه من الهند حين وصولها إليها. و كان يرأسها ضابطان برتبة مقدم (ميجر)، أحدهما المقدم "دارسي" للمشاه و الفرسان و الآخر المقدم "أستين" للمدفعيه.

ثم رفعت درجتها إلى رتبه عقيد. و قد توفي "أستين" في إيران و هو يقوم بمهمته.

و غادر السفيران الايراني و الانكليزي "ريودي جانيرو" في ٢٥ أيلول سنه ١٨١٠ م مبحرين إلى "بمباي" في الهند، فبلغوها في شهر كانون الأول سنه ١٨١١ م الموافق سنه ١٢٢٦ هـ ثم أبحروا منها إلى إيران.

و حمل السفير الانكليزي إلى "فتح على شاه" هدايا غاليه. و أهداه عربه ملكيه صنعت في إنكلترا خصوصا له. و لما أرادوا نقلها إلى مسكنه اضطروا إلى حملها على الأيدي بسبب ضيق طرقات المدينه. و اضطروا إلى هدم زوايا و جدران من أبنيه ليوسعوا لها الفضاء اللازم لمرورها. فلما وصلوا إليها إلى المسكن استعرضها "فتح على شاه" ثم أجروها بضع دورات في مساحته. ثم خلع "فتح على شاه" حذاءه و دخل فجلس فيها و طلب نارجيله و أخذ يدخنها في مجلسه ذاك. بعد ذلك أذن للناس إذنا عاما بدخول المسكن و مشاهده العربيه. فلم يبق في طهران رجل و لا امرأه و لا طفل إلا جاء لمشاهدتها.

و لكن "فتح على شاه" لم يتخذ هذه العربيه لركوبه و لا اتخذها ولي عهده "عباس ميرزا" لتعذر مرورها من معابر المدينه لضيقها عنها. و من جهه أخرى كان يرى أن ركوبها يحط من شانها و شان ولي العهد.

معاهده سنه ١٢٢٧ هـ

نسخت معاهده سنه ١٢٢٤ هـ بمعاهده أخرى أكثر تفصيلا بين إيران و انكلترا وقع عليها في ٢٩ صفر سنه ١٢٢٧ هـ الموافق ١٤ آذار سنه ١٨١٢ م، و وقع عليها عن إيران "عباس ميرزا" و عن انكلترا "السير غور أوزلي" سفير انكلترا في إيران.

و هي تقضى أيضا بان تلغى إيران كل معاهده عقدت بينها و بين دوله أوروبيه. و أن تمنع إيران كل دوله أوروبيه من عبور أرضها إلى الهند.

و تقضى أيضا بان تتعهد إيران بحمايه طريق الهند في نواحي "خوارزم" و "تترستان" و "بخارى" و "سمرقند" و غيرها. و إذا اعتدت دوله أوروبيه على إيران أسعفت انكلترا إيران بما يلزمها من جند. فان تعذر على انكلترا إرسال جيش للدفاع عن إيران منحتها مساعده ماليه سنويه قدرها مائتا ألف تومان. و تبقى المساعده العسكريه أو الماليه جاريه ما دامت الحرب قائمه.

و إذا وقعت حرب أو نزاع بين إيران و دوله أوروبيه ثم أرادتا الصلح فان انكلترا تبذل كل ما تقدر عليه من جهد لايقاع الصلح. فان تعذر الصلح قامت انكلترا بمساعده إيران بالمال أو بالسلاح على نحو ما تقدم. و إذا وقعت حرب بين أفغانستان و انكلترا فان إيران ملزمه بمساعده انكلترا مساعده عسكريه. أما إذا وقعت حرب بين أفغانستان و إيران فان انكلترا غير ملزمه بمساعده إيران على أفغانستان. و تعهدت انكلترا أيضا أن تضع في تصرف إيران ما هي بحاجه إليه من الضباط العسكريين لتدريب الجيش الايراني.

و لكن إيران لم تحصل على فائده من هذه المعاهده في محاربتها للروس، إذ نكثت انكلترا تعهداتها. و كل ما وفت به في تعهداتها هو أنها أرسلت جماعه من ضباطها العسكريين مستشارين و مدربين للجيش الايراني في الظاهر.

و مهمتهم، في الواقع، كانت تعويق الجيش الايراني عن التقدم في الحرب.

أصل الخلاف الايراني الروسي

الآمال التي علقها إيران على "نابليون [ناپلئون]" و الوعود التي استغفل بها "نابليون [ناپلئون]" البلاط الايراني، و الأضرار التي وطنت إيران نفسها على تحملها إلى أقصى حدود الإمكان من أجل استرضاء "نابليون [ناپلئون]"، كل ذلك لم ينفذ إيران بشيء يعينها على إزاله ما بينها و بين روسيا من خلاف. لا بل زاد في شدة هذا الخلاف! فمن جهة كان اغترار الايرانيين ب "نابليون [ناپلئون]" و وعوده يحملهم على التصلب في معاملة الروس فيرفضون مصالحتهم. و من جهة أخرى أغضب الروس انصراف الايرانيين عن مفاوضاتهم مباشرة و استهانتهم بما عرضته عليهم روسيا من اقتراحات بشأن الصلح، و توسلهم إلى ذلك بطرف آخر.

أما أصل الخلاف بين إيران و روسيا فهي تنازعهما على بلاد "كرجستان" (1) و هذه البلاد إقليم خصب نضر يقع في سفوح جبال القفقاس على السواحل اليمنى من البحر الأسود. و أهله من العرق الآري سكنوه من عهود قديمه. و ورد ذكرهم في أقدم مستندات تاريخ إيران.

و في الأزمنة القديمه كان هذا الإقليم يقسم إلى ثلاثة أقسام. أحدها "إيبري" و الآخر "كولخيدا" و الآخر عرف باسم بلاد "الآلانيين" و هؤلاء "الآلانيون" كانوا من الفرع الآري الايراني. و كانوا شجعانا محاربيين.

سماهم الايرانيون "آلاني" و سماهم الأوروبيون "آلاني" و سماهم الأرامنه "أغوانيان". و في أوائل العهد الإسلامي غير العرب كلمه "الآلاني" بكلمه "ألراني". و شيئا فشيئا صارت كلمه "ألراني" تلفظ في الفارسيه و العربيه "أران". و "أران" اليوم هي جمهوريه آذربيجان التي كانت تعرف باسم آذربيجان السوفياتيه و تقع في شمال نهر "أرس".

و قد شارك الكرجيون في حروب مهمه خاضها الملوك "الهخامنشيون". و لما أخذت الإمبراطوريه الرومانيه تتوسع نحو آسيا الغربيه صارت تقترب شيئا فشيئا من "كرجستان". و في عهد "الأشكانيين" أصبحت "كرجستان" مثل "أرمينيا" موضع نزاع بين إيران و الرومان.

وفى القرن الميلادى الخامس تزوج أحد ملوك "كولخيدا" المسمى

ص: ٢١٣

١- هى المعروفه اليوم باسم جورجيا.

"زاتوس" بامرأه مسيحيه و تنصر. و من ذلك اليوم دخلت النصرانيه إلى "كرجستان". و الكنسيه الكرجيه شعبه خاصه من النصرانيه و لها طقوس خاصه بها قريه من الكنيسه الأرثوذكسيه اليونانيه. و في عهد "الساسانيين" ظلت تلك النواحي متداوله بين الايرانيين و الرومان، تاره بيد هؤلاء و تاره بيد هؤلاء.

و كانت آخر غزوات الأباطره البيزنطيين ل "كرجستان" في سنه ٦١٧ م الموافقه للسنة الهجريه السادسه، إذ غزاها "هرقل" الإمبراطور المعروف و ضمها إلى أملا-كه. و لكن العرب لم يلبثوا أن غزوها و ضموها إلى أملا-ك الخلفاء. و في نهايه القرن الهجري الثاني استولت سلالة "بغرات" الأرمني المالكه في أرمينيا على "كرجستان" و ظلت تحكمها مدته طويله إلى القرن الهجري الخامس إذ استولى السلاجقه على إيران. و بعد ذلك استولوا أيضا على "كرجستان". و بعد سقوط السلاجقه استولى عليها الأتراك. و لكن الصليبيين إذ استولوا على القدس سنه ٤٩٣ هـ أنجدوا نصارى "كرجستان" فتمكن هؤلاء من طرد الأتراك، و قامت على الحكم سلالة من الملوك ملكت مستقلة إلى سنه ٦٠٩ هـ.

بعد ذلك استولى المغول على "كرجستان". ثم غزاها "تيمور لنك" ست مرات، من سنه ٧٨٠ إلى سنه ٨٠٥ هـ و بعد سقوط التيموريين استقلت "كرجستان" مره أخرى، و قامت فيها ثلاث دول كل منها مستقلة عن الأخرى، و ذكرت هذه الدول في المصادر الفارسيه بأسماء "كارتيل" و "كاخت" و "إيرت". و يظهر من هذا أن أمراء "كرجستان" كانوا على خلاف فيما بينهم لم يوفقوا إلى الاتحاد.

و إذ كان الأتراك قد قضوا على الإمبراطوره البيزنطيه، فقد فقد ملوك "كرجستان" هؤلاء سندهم القوى الذي كان يحميهم. و إذ كانوا يخشون الأتراك فقد اضطروا إلى اللجوء إلى دوله قويه تكون أرحم بهم. و لذلك جعل ملوك "كرجستان" في القرن الحادي عشر الهجري من أنفسهم أتباعا للملوك الصفويين. و قد ساندتهم هؤلاء الملوك، و لا سيما "الشاه عباس الأول"، مسانده فعاله و حموهم من تعديت الأتراك.

و مع ذلك كان الكرجيون لا ينفكون يتطلعون إلى الاستقلال. و إذ كان الروس يومئذ قد امتد مجال حكمهم حتى صار قريبا من "كرجستان" و طالت قوتهم أيضا أوروبا الشرقيه، و كان مذهبهم في النصرانيه قريبا من مذهب الكنيسه الكرجيه، و شرعت مواصلات بين روسيا و "كرجستان"، فقد حمل ذلك ملوك "كرجستان" على طلب المساعده من روسيا.

من ذلك مساعده طلبها "إيفان الثاني" ملك "كاخت" في سنه ١٥٥٨ م الموافقه سنه ٩٦٥ هـ. من "إيفان فاسيليفيتش" الرابع ملك روسيا. و بعدها طلب ملك آخر من ملوك "كرجستان" اسمه "الكساندر" من "باريس غادنوف" قيصر روسيا أن يساعده في مقاومه "الشاه عباس الصفوي". و في سنه ١٦١٩ م الموافقه سنه ١٢٠٨ هـ أرسل "يتمرواز" ملك "كرجستان" بعثه من قبله إلى بلاط "ميخائيل فيدور و فيتش" أول قيصره أسره "رومانوف" لمثل هذه الغايه.

و من ذلك الحين دأبت روسيا على التدخل في شئون "كرجستان" و أخذ أهلها يخرجون شيئا فشيئا من طاعه إيران. و في القرن الثامن عشر الميلادي و الثاني عشر الهجري، و إيران يومئذ واهنه مستضعفه في الحكم الصفوي المتداعي، تولى حكم "كرجستان" الملك المقتدر "و اختانغ الرابع"، و ألغى ما لايران من حقوق في "كرجستان".

و الأحداث التي وقعت في إيران في نهاية الحكم الصفوي و في عهد الأفشاريين و الزندين جعلت الكرجيين [الكرجيين] يتعدون أكثر فأكثر عن إيران و يزدادون قريبا من روسيا يوما فيوما. و من العام ١٠٢٤ إلى العام ١١١٥ هـ، أي مدة تسعين عاما، كان كل ولاه "كرجستان" يرسلون إليها من قبل البلاط الصفوي و يحكمون فيها باسمه.

و من عام ١١١٥ هـ. - أخذ أمراء "كرجستان" يستقلون شيئا فشيئا.

و عزموا على منع إيران و العثمانيين من التدخل في شئونهم و التصرف بأرضهم. و الطريق التي سلكوها إلى هذه الغاية هي الدخول في رعايه بلاط القياصره. و قد زاد من تمكنهم من إنفاذ هذه الخطه تبلبل الأوضاع في إيران الذي استمر من عزل "السلطان حسين الصفوي" في ١١ المحرم سنة ١١٣٥ هـ إلى تملك "آقا محمد خان" سنة ١١٦٣ هـ أي مدة ثلاثين سنة تقريبا.

و في هذه المده سعى ملوك "كرجستان" أولا- إلى طلب الحمايه لهم من بعض دول أوروبا الغربية. و كان منهم "لويس الخامس عشر" ملك فرنسا. و لكنهم لم يحصلوا على نتيجة فلم يبق لهم من حيله غير التوسل بروسيا. و كانت روسيا، بعد "بطرس الكبير" قد أصبحت من القوه بحيث لم يبق من طريق أمام "كرجستان" غير وضع نفسها في حمايه القياصره.

و في سنة ١٧٤٤ م الموافق سنة ١١٥٧ هـ حكم على مملكه "كاخت" الملك "هراكليوس الثاني" ابن "تيموراز الثاني". و في سنة ١٧٦٢ م الموافق سنة ١١٧٥ هـ ضم إليها أيضا مملكه "كارتيل". و لما تملك سلتمت "كرجستان" إلى روسيا. و قد عاش هذا الملك إلى سنة ١٧٩٨ م الموافق سنة ١٢١٣ هـ و بعد وفاته ملك "كيورجي الثاني عشر"، و يسميه الايرانيون "جرجين" (بالجيم المصريه)، إلى سنة ١٨٠٠ م الموافق سنة ١٢١٥ هـ و ملك بعده "إيفان الثاني عشر" إلى سنة ١٨٠١ م الموافق سنة ١٢١٦ هـ.

كان "هراكليوس الثاني" ملك "كارتيل" و "كاخت" شديد الميل إلى روسيا و كانت معاصرته "كاترين الثانيه" أمبراطوره روسيا راغبه في فصل الولايات الواقعه في شمال نهر "أرس" عن إيران.

و كان وزيرها - و هو عشيقها أيضا - "الفيلد مارشال فاتمكين" جادا في تحقيق هذا الأمر، يسعى إليه بين سكان تلك الولايات، و لا سيما الولايات التي أكثر سكانها من النصارى. أما الولايات التي أكثر سكانها من المسلمين و الولايات التي مسلموها أقلية يعتد بها فكانوا لا يقبلون الانفصال عن إيران.

و كان "فاتمكين" يهياً نفسه ليكون ملكا على تلك الولايات بعد فصلها عن إيران، حتى أنه هيا شعار مملكته، المملكه المأموله هذه! و لكنه لم يوفق إلا في تحقيق استقلال تلك الولايات استقلالاً ظاهرياً و جعلها خاضعه لسيطره "كاترين" الثانيه في الواقع.

و في ٢٤ تموز سنة ١٧٨٣ م الموافق ٢٣ شعبان سنة ١١٩٧ هـ.

عقدت معاهده بين "كرجستان" و روسيا في قلعه "غورغيسك" عند حدود القفقاس، وقعها عن الجانب الروسي "الفيلد مارشال فاتمكين" مندوب

"كاترين الثانية"، ووقعها عن الجانب الكرجمي الأمير "باغراتيون" مندوب "هراكليوس" ملك "كرجستان" و لهذه المعاهده أهميه خاصه فى تاريخ العالم. لأن ملك "كرجستان" وضع دولته بمقتضاها فى حمايه الإمبراطوريه الروسيه. و هى أول دوله فى تاريخ العالم توضع فى حمايه دوله أخرى. و قد اقتدت دول أوروبا بعد ذلك بهذه السابقه، فوضعت دول فى حمايه دول أخرى.

و تصرح ماده الأولى من هذه المعاهده بان ملك "كرجستان" لا يعد من الآن فصاعداً "والى" هذه الدوله بل "حليف" روسيا. و معنى ذلك أن ملك "كرجستان"، و هو تابع لايران من أربعمائته سنه و عنوانه الرسمى من قبل الملوك الايرانيين هو "والى كرجستان"، قد أصبح من الآن فصاعداً تابعاً للقيصره الروس.

بعد ست سنوات من إمضاء هذه المعاهده وقعت الثوره الفرنسيه فى سنه ١٧٨٩ م الموافق سنه ١٢٠٣ هـ و قد أفزعت هذه الثوره كل ملوك أوروبا و أوقعتهم فى الهلع و الرعب. و منهم "كاترين الثانية" أمبراطوره روسيا التى اعتلت العرش من سنه ١٧٦٢ م الموافق سنه ١١٧٥ هـ إلى سنه ١٧٩٦ م الموافق سنه ١٢١٠ هـ و لذلك رأته "كاترين" أن الوقت غير مناسب للقيام بفتوحات فى القفقاس، خصوصاً أنها كانت قد فرغت حديثاً من حربها الثانيه التى وقعت بينها و بين تركيا فى ١٧٩١ م الموافق سنه ١٢١٥ هـ. و عليها أن تريح عسكرها.

فى سنه ١٧٩٦ م الموافق سنه ١٢١٠ هـ، قبل وفاه "كاترين" ببضعه أشهر، كان "فلاتون زوبوف" هو المتصرف الأمر الناهى فى شئونها و شئون الدوله. و قد وضع هو و أخوه "فالريان زوبوف" خطه جريئه. و قبل "زوبوف" كان "فاتيمكين" هو المتصرف بشئون الإمبراطوريه الروسيه.

و كان يسعى إلى إثارة نصارى البلقان على العثمانيين و ضم البلاد الأوروبيه التى يسيطر عليها العثمانيون إلى روسيا. و لكن "زوبوف" كان أبعد تطلعا منه.

فقد كان يريد احتلال إيران و الوصول إلى حدود الهند و الحصول على طريق إلى البحار الدافئه.

كانت خطه "فالريان زوبوف" هى الاستيلاء على إيران و إقامة حاميات فى مختلف مدتها. ثم يغزو أرض العثمانيين من طريق آسيا الصغرى فيخضعهم. و من جهه أخرى يغزو القائد العسكرى المعروف "سوفاروف" اسطنبول من طريق البلقان. و فى أثناء هذه الأعمال يحاصر الأسطول الروسى اسطنبول من البحر، و تقرر أن تكون قياده الأسطول بيد "كاترين" نفسها.

و فى آخر شهر شباط سنه ١٧٩٦ م الموافق شعبان سنه ١٢١٠ هـ.

سار "فالريان زوبوف" من "بطرسبورغ" آملاً أن يصل إلى أصفهان فى شهر أيلول من تلك السنه، أى بعد سبعة أشهر، على أن يسير الجنرال "كارساكوف" بعشره آلاف جندى إلى احتلال "تفليس" من طريق القفقاس، و يسير "زوبوف" بعشرين ألف جندى من ساحل بحر الخزر حتى يلتقى بالجنرال "كارساكوف" ثم يسيران معا إلى أصفهان. و هما يتوقعان أن لا يتعرض لهما أهالى "دربند" و "دربند" و "بادكوبا" بالمقاومه. و الظاهر أن البلاط الروسى لم يكن على اطلاع على أوضاع إيران الداخليه. و يحسبون أن أصفهان لا تزال عاصمه لايران، فإذا استولوا عليها سلمت إيران إليهم. و حل شهر أيلول الذى جعله "زوبوف" موعداً لاحتلال أصفهان، و جيشه لم يصل بعد إلى حدود إيران. فأرسلوا إليه من "بطرسبورغ" مهندساً اسمه "دوفلان" و معه

خرائط جغرافيه و أوامر عسكريه ليساعده فى مهمته. و لكن "كاترين الثانيه" توفيت فى ١٧ تشرين الثانى من تلك السنه الموافق ١٦ جمادى الأولى سنه ١٢١٨ هـ و "زوبوف" لا يزال فى "بادكوبا". و خلفها ابنها "بولس" فتوقف عن متابعه الغزو و ألغى خطه "زوبوف".

و قبل هذه الوقائع بلغ خبر الحلف الكرجستانى الروسى إلى "آقا محمد خان قاجار"، فعزم على مهاجمه تلك النواحي. و كان هذا الوقت مناسباً له، إذ كانت "كاترين" ملكه روسيا مرعوبه من الثوره الفرنسيه. و قد أوقفها هذا الرعب عن إنجاز الكرجيين حين بلغها نبا غزو [غزو] "آقا محمد خان" "كرجستان".

و كان ملك "كرجستان" قد خلع طاعه إيران من اليوم الذى ظاهره فيه البلاط الروسى. و شجع عصيانه هذا جماعه آخرين من أمراء تلك النواحي من نهر "أرس"، و أكثرهم يحكمونها بالوراثه فخلعوا طاعه إيران أيضاً و حالفوا "هيراكليوس".

و بدأ "آقا محمد خان" عمله فى أواخر سنه ١٢٠٩ هـ باقامه معسكر عظيم فى أطراف طهران متكتماً لا يخبر أحدا بما ينويه. فلما اكتمل له ما أراد من تجهيز الجيش بادر إلى تسييره من طهران لا يخبر أحدا بوجهه سيره. و سار من طريق "أردبيل" إلى جسر "خداآفرين" المعقود على نهر "أرس"، و كان "إبراهيم خليل" حاكم "فراياغ" قد خربه. فأعاد "آقا محمد خان" بناءه و قطع النهر عليه. ثم أرسل فرقه من جنده لاحتلال إقليم "طاش".

و سار هو قاصدا أرمينيا. فقتل جماعه من أهلها و أسر جماعه. ثم سار بعشره آلاف جندى إلى قلعه "فناه آباد" فحاصرها. و لكنه لم يستطع استخلاصها من "إبراهيم خليل خان" حاكم "فراياغ" الذى ظل مسيطراً على تلك النواحي من سنه ١١٧٧ إلى سنه ١٢٢١ هـ فانصرف عنها قاصدا إلى "تفليس".

فلما وصلها تلقاه "هيراكليوس" فى خارجها، و دارت بينهما رحى حرب طاحنه. و فى أثناء ذلك هبت رياح شديده مخالفه لعسكر "هيراكليوس"، و كان يتالف من الكرجيين و الأرامنه، و عجز عن الثبات فعاد إلى المدينه.

و خرج من بوابه أخرى من بوابات المدينه أربعمائى فارس من الشركس كانوا يحالفون "هيراكليوس" و وصلوا إلى وراء الفسطاط الذى فيه "آقا محمد خان" و قطعوا بعض أطنابه. و لكن "آقا محمد خان" لم يتحرك من مكانه و أمر حرسه من البندقين (حملة البنادق) المازندرانيين بإطلاق الرصاص عليهم فقتلوا جماعه من أولئك الشركس و فر من سلم منهم.

و إذ رأى "هيراكليوس" أن لا قدره له على المقاومه فقد عاد إلى "تفليس" و حمل زوجته، و اسمها فى المصادر الإيرانيه "ده فال"، و أخته و ابنته، و انطلق بهن إلى إقليم "كاخت" و "كارتيل".

و لما انتهت الحرب أمر "آقا محمد خان" بقتل سبعين رجلاً من رؤساء عسكر "كرجستان". ثم دخل مدينه "تفليس" و أمر جنده بالاغاره و القتل. فكانت واقعه رهيبه فظيعه. و ذكر المؤرخون الإيرانيون أن عدد من

أسرهم الجنود الفاتحون بلغ خمسه عشر ألفا بين رجل و امرأه من جميع الأعمار. هذا غير من قتل و غير ما نهب. و أنهم كانوا يقيدون أيدي القسيسين و يلقون بهم فى نهر "أرس" (١)، فيغرقون. و أنه أحرقوا الكنائس و خربوا البيوت و نهبوا كل شىء فى المدينه.

و ظل " آقا محمد خان " فى " تفليس " تسعه أيام بعد هذه الغاره الفظيعة و ما سفك فيها من دماء و نهب من أموال. ثم سار من " تفليس " إلى " كنجه ". و منها سار إلى " شروان "، و هو ماض فى غاراته و غزواته. ثم عاد إلى إيران من طريق " دشت مغان ".

و مع أن " كرجستان " كانت يومئذ محميه روسيه و كان على روسيا أن تمدها بنجده عسكريه بمقتضى معاهده " غورغيوسك " فان روسيا أخلفت وعدها و تركت " كرجستان " تقاوم وحدها. و بذلك سقطت معاهده الحمايه تلك من تلقاء نفسها. و بعد مده قليله عاد " جيورجى الثانى عشر " ملك " كرجستان " الجديد فعقد فى ٢٣ تشرين الثانى سنه ١٧٩٩ م الموافق ٢٤ جمادى الآخره سنه ١٢١٤ هـ. معاهده بينه و بين " بولس " قيصر روسيا جدد فيها المعاهده السابقه، و تعهدت روسيا فيها بان تستدرك ما أهملته فى الحرب الماضيه فتمده بنجده عسكريه إذا وقع اعتداء عليه.

و بعد عوده " آقا محمد خان " من هذه الحمله قام " فاليريان زوبوف " بتسيير جيشه قاصدا إنفاذ خطته التى مر ذكرها آنفا. و حين بلغ هذا الخبر إلى " آقا محمد خان " كان مشغولا بالحرب فى خراسان و ما وراء النهر. ثم، لما بلغه نبا موت " كاترين " و عوده " زوبوف "، حمله هذا الخبر العزم على غزو " كرجستان " مره أخرى. فذهب إلى طهران و جهز جيشا سار به فى شهر ذى القعدة سنه ١٢١٢ هـ فى نفس الطريق التى سلكها فى المره السابقه، أى طريق " أردبيل " حتى بلغ ساحل نهر " أرس ". و كانوا قد خربوا الجسر المعقود عليه كما فعلوا أول مره. فأصلحه و عبر إلى الشاطئ الآخر و أغار بعشره آلاف فارس على قلعه " فناه آباد ". و اضطر " إبراهيم خليل خان " هذه المره إلى الفرار إلى إقليم " شكى " و " لكزستان " و احتل " آقا محمد خان " القلعه. و فى تلك الغزوه عند هذه القلعه قتل " آقا محمد خان قاجار " ليله السبت ٢١ ذى الحجه سنه ١٢١٢ هـ بيد خادمه " صادق خان " الكرجى و الفراش " خداداد ". و كان قد أمر بقتلهما فى صباح اليوم التالى بسبب فقدان شىء من الدراهم. فانسلا ليلا إلى مضجعه و هو نائم فقتلاه (٢).

يقول " سعيد نفيسى " فى كتابه " تاريخ إيران الاجتماعى و السياسى " إن المؤرخين الايرانيين لم يعرفوا السبب الأصلى الذى جعل " كاترين الثانى " التى حدثت هذه الوقعه فى زمانها تحجم عن إنجاد " هراكليوس ". و ينقل عن " السيرجان ملكوم " و هذا ينقل عن أحد أبناء " كرجستان " أن " هراكليوس " استنجد مرارا بالجنرال " غودافيتش "، و كان هذا يقيم مع جيش على بعد سته منازل من " تفليس " مأمورا بمساعدته أهل ذلك الإقليم.

و لكنه لم يجب " هراكليوس " إلى طلبه استهانته منه ب " آقا محمد خان " و جيشه، إذ كان يعتقد أن ما يتناقله الناس عن قوته مبالغ فيه. و لذلك لم يكن [يكن] " غودافيتش " يتوقع أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه.

و لكن " السيرجان ملكوم "، بعد أن ينقل هذا الكلام، يرى أن الأصح هو أن " غودافيتش " كان يقيم فى قلعه " غورغيوسك " و جنده يتفرقون فى نواحي " الجبل الأسود " (قراداغ)، و جمعهم و إرسالهم إلى " تفليس " يستغرق ثلاثه أسابيع أو أربعه. و لذلك لم يستطع إنجاد " هراكليوس " فى الوقت المناسب. و يحتمل " السيرجان ملكوم " سببا آخر.

هو أن "هراكليوس" نفسه كان راغبا عن تدخل الجيش الروسي في هذه الحرب، إذ كان يخشى من استيلائه على بلاده، و كان يرى أن في قوته الكفافية لصد "آقا محمد خان" عن بلاده.

و مهما كانت الحال فان "كاترين" عزمت، بعد هذه الواقعة، على الانتقام. و يومئذ كان "مرتضى قلى خان قاجار" أخو "آقا محمد خان" في روسيا هاربا من أخيه هذا بعد أن هزمه في حرب وقعت بينهما. و كانت "كاترين" تريد أن تستعين به للقضاء على "آقا محمد خان". و كان القصد من تجيش جيش "فالريان زوبوف" هو الوصول إلى تحقيق هذا الانتقام.

و مع أن روسيا عادت فتوقفت عن تسيير هذا الجيش فإنها حصلت منه على قائده كبيره. فقد اقتطعت من إيران نواحي "در بند" و "بادكوبا" و "طالش" و "شماخي" و "كنجه".

بدء الحرب بين إيران وروسيا

لم تحصل إيران على فائده من الحروب التي شنها "آقا محمد خان" على "كرجستان" و كان لهذه الحروب حصيله واحده هي أنها زادت في شقاء أهل ذلك الإقليم من جهة و حركت روسيا إلى القيام باعمال ألحقت بايران أضرارا عظيمة من جهة أخرى.

مات "هراكليوس الثاني" ملك "كرجستان" في سنة ١٧٩٨ م الموافق سنة ١٢١٣ هـ بعيد مقتل "آقا محمد خان". و اعتلى "فتح على شاه" عرش إيران في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢١٢ هـ.

و كان ل "هراكليوس" بضعة أبناء أكبرهم اسمه "جيورجى" و عرف في المصادر الإيرانية باسم "جرجين" (بالجيم المصريه). و قد خلف أباه في الملك. إلا أن أحد إخوته، و اسمه "الكساندر" خرج عليه و طلب الملك لنفسه. و يظهر أنه كان مخالفا لتبعية "كرجستان" لروسيا. و لذلك كان يأمل بان تؤيده إيران و تساعده في الوصول إلى العرش. فحضر إلى بلاط "فتح على شاه" و شارك الايرانيين في الحرب التي وقعت بعد ذلك بين إيران و روسيا و ظل مقيما في إيران إلى أن توفي في طهران، و دفن في الكنيسة القديمه الواقعة في خارج بوابه شاه عبد العظيم.

و لم يطل ملك "جيورجى" كثيرا فمات في ٢٨ كانون الأول سنة ١٨٠٠ م الموافق ١٠ شعبان سنة ١٢١٥ هـ في تفليس [تفليس]. و طلب ابنه "داود" الملك لنفسه. و لكن "جيورجى" كان، قبل موته قد عقد في سنة ١٧٩٩ م الموافق سنة ١٢١٤ هـ معاهده بينه و بين قيصر روسيا "بولس" تقضى بان يكون القيصر الروسي هو ملك "كرجستان" و أن يكون لأعقاب "جيورجى" عنوان "نائب الملك" فيها.

و بعد مده قليله قتل رجال البلاط الروسي القيصر "بولس" و نصبوا مكانه على العرش ابنه "الكساندر الأول" في ٢٤ آذار سنة ١٨٠١ م الموافق

ص: ٢١٦

أن المؤرخين الإيرانيين أخطئوا في تسميته.
٢- راجع ترجمه آغا محمد خان قاجار في مكانها من المستدرکات.

٩ ذى القعدة سنة ١٢١٥ هـ. و كان "بولس" قبيل مقتله قد أصدر في ١٨ كانون الثاني سنة ١٨٠١ م الموافق ٣ رمضان سنة ٢١٥ [١٢١٥] هـ. مرسوما باعتبار "كرجستان" جزءا من إمبراطوريته. و ذكر في هذا المرسوم أن أعيان "كرجستان" قد طلبوا منه أن يقبل بهذا الأمر. و لذلك أمر عساكره باحتلالها. و على هذا تكون "كرجستان" قد أصبحت إحدى ولاياته قبل جلوس "ألكساندر الأول" بشهرين و بضعة أيام.

كان سكان تلك البلاد في نواحي نهر "أرس"، من مسلمين و أرامنه و كرج من قديم الزمان يختلط بعضهم ببعض و لم تكن الحدود بين "كرجستان" و "أرمينيا" و بلاد المسلمين، و هي "كنجه" و "إيروان" و "نخجوان" و "داغستان" و "شروان" ثابتة متميزة. و كلما استولى ملك من ملوكها أغار على بلاد آخر و اقتطع قسما مما يجاوره منها فضمه إلى ملكه.

فظورا ملوك الكرج و طورا ملوك الأرمين. و غالب التفوق كان للملوك المسلمين فإذا ذكرت "كرجستان" يومئذ لا تعرف الحدود التي ينتهي إليها مجالها. و كذلك "أرمينيا". و لذلك كان وضع يد روسيا على "كرجستان" يومئذ يطال أيضا بعض النواحي المجاورة.

و لم يغير موت "كاترين" و "هيراكليوس" و "جرجين" و "آقا محمد خان" شيئا من أوضاع "كرجستان". فظل الكرج غير راضين عن إيران.

و البلاط الروسي يطمع فيها و في ما يجاورها من النواحي. و يوم استدعى القيصر "بولس" عسكره من "كرجستان" و أوقف محاربه إيران، لم تعين الحدود بين الفريقين بمعاهده، و ظلت هذه الحدود مبهمه، و ظل كل من الفريقين على ما كان عليه من دعاوى و مطامع.

و في ١٥ أيلول سنة ١٨٠١ م الموافق ٧ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ هـ، أي بعد ثمانية أشهر تقريبا من صدور مرسوم القيصر "بولس"، أصدر القيصر "ألكساندر الأول" مرسوما آخر باعتبار "كرجستان" جزءا من أرض روسيا، بل أنه في هذه المره أغفل ذكر "نيابه الملك" في "كرجستان". و دخل الجيش الروسي إلى ذلك الإقليم و تحول إلى ولايه من ولايات روسيا.

و فرضت عليه اللغة الروسيه و قوانين روسيا و عاداتها و رسومها. و من عارض هذا العمل من الكرج اعتقل و قضى عليه. و أجاب الروس على اعتراض إيران بجواب قاس عنيف.

و بعد صدور هذا المرسوم الثاني بالحقاق "كرجستان" بالإمبراطوريه الروسيه أرسلت الحكومه الروسيه الجنرال "تيسيانوف [تيسيتسيانوف]" إلى "تفليس" حاكما على "كرجستان".

ظل "فتح على شاه" من مبدأ تملكه إلى مده خمس أشهر أو سته أشهر مشغولا بما قام في وجهه من فتن و ثورات داخلية، غير قادر على أن يقوم بعمل يقتضيه ما كان يقع في تلك النواحي من نهر "أرس". فلم يلق جيش القيصر مقاومه في "كرجستان" سوى ما كان يقوم به "إسكندر [الكساندر]" بن "هيراكليوس" الذي نازع أخاه على الملك من تحريض الناس في أطراف "كرجستان" على مقاومه الدوله الروسيه المحتله. و وقعت حوادث مقاومه في ناحيه "قرباغ" و امتدت إلى داخل "كرجستان".

و أرسل القيصر كتيبتين من العسكر بقياده الجنرال "كوليسكوف" و الجنرال "لازاروف" إلى "تفليس" لاختماد هذه الثوره، فاقعا فى المقاومه هزيمه كبيره. و نقل "نفسى" عن "عبد الرزاق بيك مفتون الدنبلى" مؤرخ بلاط "فتح على شاه" أن الجنرال "تستيسانوف" أسر "ده ده فال" زوجه "جرجين" بعد وفاه زوجها و أسر بعض أبنائها و أرسلهم إلى العاصمه الروسيه. و كان قبل ذلك قد أرسل إلى "ده ده فال" الجنرال "لازاروف" ليدعوها إلى السفر إلى العاصمه الروسيه. فلما اقترب منها طعنته بسكين كانت تخفيها فقتلته. و لذلك أسرها "تستيسانوف" و أرسلها إلى العاصمه.

و ذكر لك المؤرخ أيضا أن ابنها الأمير "تيموراز" فر من "كرجستان" و لجأ إلى إيران.

و اقتضت استراتيجيه "تستيسانوف" فى احتلاله إقليم "كرجستان" أن يحتل أيضا ناحيه "كنجه" و ناحيه "إيروان". فأرسل إلى "جواد خان قاجار" حاكم "كنجه" من قبل إيران، يطلب منه أن يرسل إليه خراج تلك الناحيه السنوى فبادر الحاكم إلى إخبار البلاط الايرانى بما طلبه منه "تستيسانوف". فأرسلت إليه الحكومه الايرانيه من طهران جيشا ينجده.

و لكن، قبل وصول هذه النجده، كان "تستيسانوف" يحاصر "كنجه" فى شهر كانون الأول سنة ١٨٠٣ م الموافق رمضان سنة ١٢١٨ هـ.

و عجز الحاكم عن الدفاع و وقع خلاف بينه و بين أحد رؤساء عسكره.

و خانه أرامنه "كنجه" فسلموا إلى الروس. و فى فجر الأول من شوال من تلك السنه هجم الروس على قلعه المدينه و دارت معركه استمرت ثلاث ساعات و قتل فيها "جواد خان" حاكم "كنجه" و أحد أبنائه، و احتل العسكر الروسى المدينه، و أوقع بأهلها مذبحه عظيمه. بل إنهم غيروا اسمها فسموها "اليزابت بول" باسم "اليزابت بتروفنا" بنت "بطرس الكبير".^(١)

و فى أيام تلك الواقعه كان "فتح على شاه" مشغولا بحرب فى خراسان. و فى نفس اليوم الذى فتح فيه مدينه "مشهد" وصله خبر سقوط مدينه "كنجه" بيد الروس. و كانت هذه الواقعه مبدأ سلسله من الحروب بين إيران و روسيا دامت مده عشر سنوات تقريبا و انتهت بمعاهده عرفت باسم "معاهده گلستان".

و بعد قليل من هذه الواقعه نشب الخلاف بين روسيا و "نابليون [ناپلئون]".

و ارتأى "نابليون [ناپلئون]" أن يتقرب من إيران ليشغل بها روسيا. و أمل "فتح على شاه" أن يتغلب على روسيا و يسترد منها ما اغتصبته من أرض إيران بمعاونه "نابليون [ناپلئون]" له.

و كانت روسيا غير قادره على أن تحشد فى القفقاس من الجند أكثر مما حشدته، إذ كانت مضطره إلى إبقاء قسم كبير من جيشها فى أوروبا لمحاربه "نابليون [ناپلئون]". و لذلك لم تكن قادره على القيام بحمله حاسمه فى الجبهه الايرانيه.

و أدرك البلاط الايرانى شيئا فشيئا أنه عاجز عن المقاومه، و أن صلاح أمره أن لا يشند فى المحاربه. و كان أميل إلى أن يتوصل إلى غايته بوساطه من "نابليون [ناپلئون]".

١- ملكت على روسيا من سنه ١٧٤١ إلى سنه ١٧٦٢ م الموافقه سنه ١١٥٤ - ١١٧٦ هـ. و فى مطلع الانقلاب البلشفى أعاد الروس إلى تلك المدينه اسمها الأول "كنجه". ثم غيروا اسمها فسموها "كيروف آباد" باسم أحد زعماء الانقلاب "كيروف".

و بسبب وضع البلدين، إيران و روسيا، العسكرى هذا كان أكثر الوقائع من تلك الحرب التى دامت عشر سنوات، يقتصر على مناوشات محليه متقطعه ضيقه المجال، إلى أن أمنت روسيا جانب "نابليون [نابليون]" و أصبحت خليه البال من جهة أوروبا. و عندئذ حشدت كل قواها العسكرىه فى القفقاس.

و سيأتى تفصيل ذلك.

غزو "إيروان"

لما بلغ "فتح على شاه" نبا احتلال الروس لمدينه "كنجه" جهز فى ٢٨ ذى القعدة سنه ١٢١٨ هـ جيشا و جعل قيادته العامه لابنه "عباس ميرزا" نائب الملك، و كان أكثر إخوته كفاءه. و ارتأى "فتح على شاه" أن يذهب بنفسه إلى أذربيجان ليكون قريبا من ميدان الحرب، و ينجد المحاربين بمدد عند اللزوم. و سار "عباس ميرزا" بجيشه من تبريز فى الرابع عشر من شهر صفر سنه ١٢١٩ هـ قاصدا إلى "إيروان". و عسكر على شاطئ نهر "زنجى".

و كان الجنرال "تستيسيانوف" قد سار، بعد احتلاله "كنجه"، قاصدا "إيروان". فوصل إلى قريها يوم الأحد ١٩ ربيع الأول سنه ١٢١٩ هـ. و أراد احتلال مدينه "إتشميازين" التى فيها مركز الجائليق الأرمنى و تعد أهم مركز دينى للأرمن. فلما بلغ ذلك إلى "عباس ميرزا" سار إليه بفرقه من عسكره و هاجمه بالقرب من "إتشميازين". و وقعت بين العسكرين جولات من الحرب دامت ثلاثه أيام لم ينتصر فيها أحد منهما على الآخر. فتركا القتال و عاد كل منهما إلى معسكره، و قد قتل جماعه و أسر آخرون من الطرفين. و كان بين من أسرههم الايرانيون جماعه من القوزاق و الروس.

و يومئذ كان على "إيروان" حاكم اسمه "محمد خان قاجار"، و كان قد انحاز إلى الروس. فلما رأى أنهم لم يتقدموا فى هذه الحرب أراد أن يصانع الايرانيين. فأرسل إلى المعسكر الايرانى رساله يطلب فيها حضور الوزير "الميرزا محمد شفيح" إلى قلعه "إيروان" لمفاوضته. فذهب إليه و أعلن الحاكم له بطاعته لحكومته إيران و أرسل ابنه مع هدايا إلى "عباس ميرزا"، و تعهد بان لا يعصى له أمرا و لما بلغ ما فعله حاكم "إيروان" إلى الجنرال "تستيسيانوف" بادر إلى مفاجاه الجيش الايرانى بالهجوم عليه، و استؤنفت الحرب مره أخرى.

و فى هذه الأثناء تمرد بعض من كان فى الجيش الايرانى من فرسان "شمس الدين لو" و القوزاق، و أغاروا على مؤخرته. و وقعت البلبله فى جيش "عباس ميرزا" و فر جنوده منهزمين. و بذلك خلت الطريق أمام "تستيسيانوف" فدخل إلى "إيروان" و جعل من مسجدها معسكرا له و نصب عليه المدافع مواجهه للقلعه حيث يقيم الحاكم "محمد خان قاجار" و شرعت الحرب بينهما.

و اضطر "عباس ميرزا" إلى الذهاب إلى أبيه "فتح على شاه" و كان يقيم فى "السلطانيه" بالقرب من "زنجان" فروى له تفاصيل الوقائع.

فأرسل "فتح على شاه" نجده من الجنود الخراسانيين بقياده "إسماعيل بيك" الدامغانى، و سار هو أيضا فى أثرهم حتى التحقوا بمعسكر "عباس ميرزا" على بعد ثلاثه فراسخ من "إيروان" فحمل بهم "عباس ميرزا" على المدينه و دارت الحرب فى مقابل

مسجد "إيروان" إلى الليل.

و في الصباح نبه "محمد خان قاجار" حاكم المدينة "فتح على شاه" إلى أن حراس القلعه هم من الأرمن و يخشى أن ينحازوا إلى الروس لما بينهم و بين الروس من رابطة الدين. فبعث "فتح على شاه" بجماعه من جنده إلى القلعه فاحتلوها.

و رأى "تسيتسيانوف" أن بيت جيش "فتح على شاه". و لكن "حسن خان يوزباشى" قائد طليعه الجيش الايرانى علم بقراره فأخبر به "فتح على شاه"، فاستعد له و هيا جنوده للمقاومه و قبيل الفجر، إذ اقترب الروس منهم، دارت معركة شديده. و لكن الروس لم يحصلوا على فائده فتركوا منهزمين. و تتبعهم العسكر الايرانى إلى أن أمرهم "فتح على شاه" بمحاصرتهم و منع وصول الطعام إليهم.

و وقعت أيضا معركة في مكانين آخرين انهزم الروس فيهما. و فى إحداهما فقد الروس أربعة آلاف جندى بين قتيل و أسير. و أمر "فتح على شاه" ببناء مناره إلى جانب المعسكر من رؤوس القتلى منهم.

بعد هذه الواقعة سار الجنرال "تسيتسيانوف" فى أول ربيع الثانى سنة ١٢١٩ هـ عائدا إلى "تفليس". إذ كان فصل الشتاء قريبا. و تتبعه الجنود الايرانيون عدة مرات فأسروا منه و غنموا. و على هذا النحو انتهت حرب تلك السنه.

ثم نصب "فتح على شاه" حكاما على تلك النواحي. و منهم "محمد خان قاجار" أقره على عمله السابق حاكما على "إيروان" و أعاد إليه ابنه الذى كان قد أرسله رهينه إلى "عباس ميرزا". و سار "فتح على شاه" بعد ذلك من تبريز عائدا إلى طهران فوصلها فى ١٤ رجب سنة ١٢١٩ هـ. و معه "عباس ميرزا".

حروب سنه ١٢٢٠ هـ

إشارة

بعد ذلك استبقى "فتح على شاه" ابنه "عباس ميرزا" فى معيته فى طهران مده. و فى ربيع سنه ١٢٢٠ هـ أرسله إلى أذربيجان ليتابع محاربه الروس. و أرسل معه "القائم مقام الميرزا عيسى الفراهانى" مساعدا و مشورا.

و كان هذا من رجال بلاطه العارفين الخبيرين بشئون الحكم.

و غادر "عباس ميرزا" طهران فى ١٤ صفر سنه ١٢٢٠ هـ و فى ٢٤ صفر من تلك السنه لحق به "فتح على شاه" و أقام فى "السلطانيه". و من هناك أرسل بعض الأمراء و الحكام إلى بعض النواحي من أذربيجان لاستكمال تدابير "عباس ميرزا" العسكريه. ثم ذهب إلى "أوجان" فى ١٣ ربيع الأول من تلك السنه.

و هناك بلغ إلى "فتح على شاه" خبر بان "إبراهيم خليل خان" حاكم "قراباغ" بالإرث من سنه ١١٧٧ هـ قد خلع طاعه إيران و حالف روسيا.

فأمر ابنه "عباس ميرزا" بان يبدأ بمحاربتة و يستولى على قلعه "فتاه [فناه] آباد".

فلما علم "إبراهيم خليل خان" بذلك أرسل إلى "تسيتسيانوف" - و كان فى "كنجه" - ليستنجد به فأرسل إليه هذا فرقه
عسكريه لنجدته. و بعث "عباس ميرزا" جيشا بقياده "إسماعيل خان" الـدامغانى إلى حربته. و التقى الجيشان على بعد أربعة
فراسخ من جسر "خداآفرين" الذى على نهر

ص: ٢١٨

"أرس". و وقعت حرب بينهما، و كاد الايرانيون ينهزمون لو لا أن خف "عباس ميرزا". لما علم بذلك، إلى نجدتهم، فحميت بينهم حرب شديده انهزم فيها الروس و جنود "قرباغ" و فروا إلى "شوشى". و كان فرارهم شاقا لاضطرارهم إلى سلوك أرض مكنظه. بالشجر. و تعقبهم "عباس ميرزا" إلى "آق أغلان" و غنم منهم كثيرا. ثم نصب من قبله أحد رجاله على "آق أغلان" و عاد إلى "فناه آباد" ليحاصرها.

و فى أثناء عودته التقى بالروس و أعوانهم من الكرج فى عده مواضع و وقعت بينه و بينهم معارك شديده انتصر فيها "عباس ميرزا" و رجاله كلها.

و قد مر أن "محمد خان قاجار" حاكم "إيروان" كان قد خان و دخل فى طاعه الروس، ثم أعلن بالتوبه و أرسل ابنه رهينه عند "عباس ميرزا"، فعفا عنه "فتح على شاه" و أعاد إليه ابنه و أقره على عمله السابق فى حكومه "إيروان".

و لكن هذا الحاكم عاد فنقض توبته و دخل فى طاعه الروس مره أخرى. فسار إليه "إسماعيل خان شام بياتى قاجار" حاكم مدينه "خوى" بأمر من "فتح على شاه"، و استطاع أن يحتل قلعه "إيروان" و يعتقل هذا الحاكم.

الحرب فى "جیلان" و بحر الخزر

فى سنه ١٢٢٠، و الجيش الايرانى مشغول بمحاربه الروس و عساكر "تسيتسيانوف" فى أذربيجان وصل إلى المسئولين الايرانيين خبر بوقوع أحداث فى "جیلان".

فقد أراد الجنرال "تسيتسيانوف" و كان يقيم فى "كنجه" أن يشغل الجيش الايرانى بجبهه أخرى. فعهد إلى واحد من أمهر ضباطه اسمه "شيفت" أن يقوم بحمله على "جیلان" بمساعدة أسطول بحر الخزر.

و أنزلت اثنتا عشره سفينه روسيه قوه عسكريه على ساحل البحر فى أرض "طالش"، و منها شنت حمله على مرفأ "أنزلى". و إذ كان المحافظون على المرفأ غير قادرين على المقاومه لعدم التكافؤ بينهم و بين المغيرين، فقد اضطروا إلى الفرار إلى "رشت". و احتل العسكر الروسى "أنزلى" لا يلقى مقاومه.

و منها سار قاصدا إلى "رشت".

و لكن "الميرزا موسى منجم باشى" اللاهيجى حاكم "جیلان" جهز جيشا، و أقام استحکامات عسكريه له فى "فيزه يازار" و تصدى للمغيرين بالمقاومه، و نشبت بينهما معركه شديده قتل فيها من الروس ألف جندى، و فر من سلم منهم راجعا على أعقابه إلى "أنزلى" و منها أبحروا على السفن التى جاءوا عليها عائدین إلى روسيا، و لم تستفد روسيا من هذه الحمله شيئا.

حروب أخرى

و كان الجنرال "تسيتسيانوف" قد اضطر إلى إنجاد أحد قواده فى إحدى المعارك. فاضطر لذلك إلى الخروج من "كنجه" بالنجده المطلوبه. فلما عرف "فتح على شاه" بخروجه أمر "عباس ميرزا" بمهاجمه "كنجه" فهاجمها و احتلها، و لكن الروس

تحصنوا في قلعتها، و كانت مؤنثهم كافيه لحصار طويل على حين كان سكان المدينه تعوزهم المؤنثه فاضطر إلى حمل فريق منهم إلى تبريز و غيرها لتوفير المؤنثه لهم. و وقعت بينه و بين الروس معارك في نواحي أخرى انتصر فيها. و لكنها كانت حربا غير حاسمه. و في إحدى هذه الوقائع تعرض "عباس ميرزا" لكمة إقامه كرجيون من أتباع الروس، و أطلقوا عليه رصاصه أصابت (جزمته) و لم تؤده.

ثم عاد "فتح على شاه" إلى طهران و ذهب "عباس ميرزا" إلى تبريز، و أرسل "محمد خان قاجار" حاكم "إيروان" الخائن إلى طهران إلى بلاط أبيه.

احتلال الروس لقلعه "شوشى"

و رأى "تستيسيانوف" أن الجند الايرانيين قد تركوا الميدان خاليا بسبب فصل البرد. فعزم على احتلال قلعه "شوشى" مقر حاكم ولاية "قراباغ"، و كان حاكمها يومئذ "إبراهيم خليل خان". فطلب منه "تستيسيانوف" أن يريه القلعه حيث يسكن الحاكم و أن يكون ضيفا عليه و كانت خدعه منه.

و لكن الحاكم صدقه و دعاه إلى القلعه، فدخلها و أقام فيها أربعمائه جندي يحتلونها، و بذلك وضع يده عليها و خرجت من يد "إبراهيم خليل خان"، ثم سار منها إلى "كنجه".

و يومئذ أرسل حكام "قبة" و "دربند" و "بادكوبا" رساله إلى "عباس ميرزا" قالوا فيها إن العقيد الروسى "شيفت" المذكور آنفا لا بد من أن يغير، و هو عائد من "جیلان"، على "باكو". فيجب إرسال نجده تصده عنها. فأرسل "عباس ميرزا" فرقه من الفرسان و المشاه لهذه الغايه.

و أرسى العقيد "شيفت" أسطوله فى مقابل "باكو" و دارت معركة شديده بينه و بين العسكر الايراني، ثبت فيها "حسين قلى خان" حاكم "بادكوبا" بكل شجاعه، و استطاع أن يغرق بضع سفن من الأسطول الروسى ضربا بالمدافع. ثم نزل العسكر الروسى إلى الساحل و هجموا على المدينه. و دامت الحرب بضعه أيام رأى العقيد "شيفت" بعدها أن النصر غير متيسر له، فعاد بجنده إلى السفن، و رحل عن المدينه.

من جهه أخرى سار "تستيسيانوف" من "كنجه" قاصدا إلى "شروان". فأرسل "مصطفى خان الشروانى" حاكم "شروان" خبرا بذلك إلى "عباس ميرزا". فأرسل هذا إليه نجده بقياده "بير قلى خان قاجار". فلما وصلت النجده إلى شاطئ نهر "كر" على بعد اثنى عشر فرسخا من "شروان" وصل إلى قائدها "بير قلى خان قاجار" خبر بان "مصطفى خان الشروانى" حاكم "شروان" قد دفعه الخوف إلى مفاوضه الجنرال "تستيسيانوف" على الصلح و أنه قد اجتمع به. و أن "تستيسيانوف" قد سار، و معه "مصطفى خان الشروانى" قاصدا إلى "باكو" للانتقام من "حسين قلى خان" حاكم "بادكوبا" و هازم العقيد الروسى "شيفت". و أن العقيد "شيفت" قد التحق به بمن بقى معه من جنوده.

و لما بلغت هذه الأخبار إلى "عباس ميرزا" بادر إلى إرسال "حسين قلى خان" مع جماعه من الجند إلى "باكو" و أتبعه بنجديات أخرى من الفرسان و المشاه و المدافع. ثم لحق بهم، و كان فى تبريز، فى ٢٢ ذى القعدة سنه ١٢٢٠ هـ. عن طريق

"أردبيل". و فى "أردبيل" وصلته تقارير بان قواد جنده قد استقروا فى أماكنهم الاستراتيجيه متهيئين. و وصله خبر أيضا بان الجنرال "تسيتسيانوف" يكابد من مشقات كثيره بسبب شده البرد و قله الزاد.

ص: ٢١٩

مقتل "تسيتسيانوف"

أما واقعه مقتل "تسيتسيانوف" قائد الجيش الروسى فقد حدثت على هذا النحو:

لما اقترب "تسيتسيانوف" من "باكو" اشتد برد الشتاء وهطلت أمطار وثلوج كثيرة. و نفق كثير من دوابه التى تنقل مدافعه و أعوزه الطعام و العلفه، فوقع فى مضيقه لا-يدرى ما يفعل. و وقع "مصطفى قلى خان" الشروانى و "حسين قلى خان قاجار" المكلفان بالدفاع عن "باكو" فى مثل ما وقع فيه "تسيتسيانوف" من ضيق. و انتهى أمر الطرفين المتحاربين إلى أن تقرر أن يجتمع "حسين قلى خان" و "تسيتسيانوف" فى خارج المدينه للتفاوض على إيقاع الهدنه. و لكن "حسين قلى خان" كان قد بيت أمرا للغدر بخصمه "تسيتسيانوف". فقد تقرر أن يرافقه فى هذا الاجتماع ثلاثه من رجاله، و كان منهم ابن عمه "إبراهيم خان قاجار". فواطه على اغتيال "تسيتسيانوف" فى أثناء الاجتماع فلما جلسوا للمفاوضه كان مجلس "إبراهيم خان قاجار" وراء الجنرال "تسيتسيانوف". و فيما الجنرال و "حسين قلى خان قاجار" يتبادلان الحديث، أشار هذا إلى "إبراهيم خان" إشارة متفقا عليها بينهما، فأطلق من بندقيه كانت فى يده على ظهر "تسيتسيانوف" رصاصه مرقت من صدره فوقع قتيلًا و قتلوا مرافقيه أيضا. ثم احتزوا رأسه و أرسلوه إلى طهران. و كان قتل "تسيتسيانوف" فى شهر ذى الحجه سنة ١٢٢٠ هـ بهذه الخدعه. و لم يجد جنده بدا من العوده إلى قواعدهم.

نتيجه الحروب الأولى

هذه الحروب الأولى التى دامت إلى آخر سنه ١٢٢٠ هـ لم تنته إلى نتيجه حاسمه. و قد اشتركت فيها نخبه من الضباط الروس المجريين. و اشتهر فى إيران أن "مرتضى قلى خان قاجار" آخا "آقا محمد خان قاجار" كان يساعد الجيش الروسى هذا فى السر فى بلاد القفقاس. و كان قد خاصم أخاه ثم فر خوفا منه إلى روسيا لاجئا و أقام فى "بترسبورغ" من سنه ١٢١١ هـ.

و النتيجه المهمه التى ترتبت على هذه الحرب هى مقتل الجنرال الأمير "تسيتسيانوف". و بعد مقتله وقعت حادثه مهمه أخرى هى أن "جلاسينوب" أحد قواد الجيش الروسى حاصر مدينه "دربند". و بعد حرب وقعت بينه و بين القائد "على خان" استطاع أن يحتل تلك المدينه.

و قد ألحق الاحتلال الروسى لمدينه "دربند" بايران ضررا جسيما. و لا يقتصر الضرر على أن هذه المدينه هى بوابه بحر الخزر بل يتعداه أيضا إلى أن سواحلها المرتفعه مشرفه إشرافا كاملا على أذربيجان و "مغان". و هى مركز عسكري مهم جدا لمن يحاول الاستيلاء على تلك النواحي.

سياسه إيران فى هذه الأحداث

فى كل هذه الحروب اقتصرت وسيله إيران فى منازله الروس على القوى العسكريه التى لها فى القفقاس، و تحريض الأعيان من مسلمى تلك النواحي على مقاومه الروس بقواهم العسكريه الخاصه و أحيانا ببذل أموالهم الخاصه.

و كانت عدتها للحصول على معونتهم هى اندفاعهم إليها بما يفرقهم عن الروس من اختلاف فى العرق و فى الدين فقط، من غير

أن تمدهم بشيء من المساعدة.

و لكن لما اشتدت الأمور، اضطر "عباس ميرزا" نائب الملك إلى الخروج من تبريز بعشرين ألف مقاتل و عبور نهر "أرس" إلى تلك النواحي.

إلا أنه لم يصنع شيئاً، و كان يلقي الهزيمة في أكثر محارباته. و امتدت هذه الحروب إلى سنة ١٢٢٨ هـ و وقعت فيها مناوشات، منها الكبير و منها الصغير، في نواحي مختلفه مما وراء نهر "أرس". هذا و بلاط طهران لا ينفك يوالى التجهيزات العسكريه و إرسالها إلى نواحي القفقاس، و المعارك تنشب هنا و هناك. و لكن النتائج كانت، بوجه الإجمال، خساره على إيران.

و مع ذلك فان "فتح على شاه" كان مغرورا مطمئنا إلى أنه متغلب على الروس لا- محاله! و لذلك ارتكب خطأ لا- يرجى إصلاحه، إذ رفض كل طلب للصلح تقدمت به روسيا إلى إيران، و كان يجيب أحيانا على مثل هذا الطلب باجوبه قاسيه غليظه، لجهله بأوضاع العالم العامه و الأمور السياسيه و العسكريه في ذلك العصر.

من ذلك أن الفتوحات التي حصل عليها "نابليون [ناپلئون]" في سنة ١٢٢٠ هـ الموافق سنة ١٨٠٦ م حملت روسيا على إلقاء السلام إلى إيران لتطمئن من جهتها، و تتفرغ لمعالجه أمورها في أوروبا فأرسلت في ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢٢٠ هـ الموافق ١٤ شباط سنة ١٨٠٦ م من قبلها سفيرا إلى طهران اسمه "استيفانوف"، يعرض الصلح على إيران. و لكن البلاط الايراني لم يعتن به و لا- اهتم باقتراحه. و كان لممثلي "نابليون [ناپلئون]" في بلاط "فتح على شاه" أثر كبير في حمله على اتخاذ هذا الموقف و أقام ذلك السفير الروسي في طهران مده شهرين اثنين و يوم واحد لا يحصل على نتیجه. فغادر طهران في ٢٦ المحرم سنة ١٢٢١ هـ الموافق ١٦ نيسان سنة ١٨٠٦ م عائدا إلى بلاده. و كل ما حصل عليه هو وعد من "فتح على شاه" بأنه يتوقف عن المحاربه ما توقفت عنها روسيا.

و بتضح [يتضح] من هذا أن إيران ذهبت في هذه المنازعات ضحية السياسه الفرنسيه و منافعها. فقد كان صلاح أمر "نابليون [ناپلئون]" في أن تكون قوى روسيا متفرقه بان يبقى فريق من جيشها مرابطا في القفقاس في وجه إيران لا يشارك في حروب أوروبا. و بذلك تضعف مقاومتها ل "نابليون [ناپلئون]" فيتمكن من التغلب عليها. و لذلك حرض البلاط الايراني على رفض المصالحه. و إنقاد البلاط له متبعا خطه فجه واهيه، لجهله بالأوضاع العالميه و جهله بما عليه روسيا القيصريه من قوه عسكريه، و ضيع الفرص المؤاتيه و أصبح آله طيعه بيد "نابليون [ناپلئون]". و كانت نتيجة ذلك أن تصبح إيران في كل حرب تخوضها أضعف من سابقتها و أكثر خساره لأرضها.

الجهاد

مع شروع البعثه العسكريه الإنكليزيه بتدريب الجيش الايراني شرع السفير الانكليزي "السير غور أوزلي" بمساعي لايقاع الصلح بين الشاه و القيصر، بموافقه كل من إنكلترا و روسيا.

و كان السفير الانكليزي يقيم في تبريز إذ كانت السنه المتبعه يومئذ أن يقيم سفراء الدول الأجنبيه في تبريز بعد تقديم أوراق اعتمادهم إلى "فتح على شاه" في طهران.

و كان من القواد العسكريين الذين أرسلتهم روسيا إلى محاربه إيران قائد مقتدر هو الجنرال "كوتليارفسكى". و فى ٢٠ تشرين
الأول سنه ١٨١٢ م

ص: ٢٢٠

الموافق ١٣ شوال سنة ١٢٢٧ هـ هاجم هذا الجنرال "عباس ميرزا" و هو معسكر عند "أصلان دوز" و شاركه في هذا الهجوم "مهدى خان" حاكم "قرباغ" الايراني - و كان قد انحاز إلى الروس - و معه ألفا فارس من القرباغيين.

و أوقع "كوتليارفسكى" بجيش "عباس ميرزا" هزيمة نكراء. فاضطر "فتح على شاه" في سنة ١٨١٢ م الموافق سنة ١٢٢٧ هـ، و كان يقيم في "السلطانية"، إلى طلب الصلح بواسطة السفير الانكليزي "السير غور أوزلى" و قام هذا بمفاوضه الجنرال "رتيشتشوف" القائد العام للجيش القيصرى الذى فى "كرجستان" و حاكم الأقاليم الايرانية المحتله العسكرية ممثلا للقيصر و مفاوضه "عباس ميرزا" ولى العهد ممثلا للشاه. و لكن هذه المفاوضات لم تأت بنتيجة إيجابيه، إذ أصرت إيران على استرداد كل الأقاليم التى احتلتها روسيا، و أصرت روسيا على التمسك بها و إلحاقها بأرضها.

و وقعت فى أثناء ذلك مناوشات حرييه أخرى انتهت إلى هزيمة الايرانيين.

و يومئذ طرح موضوع إعلان الجهاد للبحث. و قد روى المؤرخ الفرنسى "جان يونير" هذا الأمر فى كتابه "أبطال إيران المجهولون فى محاربه روسيا القيصريه" [\(١\)](#) على هذا النحو، ننقله ملخصا:

قبل حضور السفير الانكليزي "السير غور أوزلى" إلى السلطانية إجابته لطلب "فتح على شاه" حضر إلى إيران جماعه من علماء الدين الشيعة المقيمين فى النجف و كربلاء و سامراء و غيرها من بلاد العراق.

و سبب حضورهم هو أن جماعه من مسلمى الولايات التى احتلتها روسيا فى شمال إيران قدموا إلى العراق و شكوا إلى المراجع الدينيه فيه ما يلقاه مسلمو تلك الولايات من جور الجنرال الروسى "رتيشتشوف" حاكم تلك الولايات العسكرية. و من ذلك منعهم من إقامة شعائرهم الدينيه، و إجبارهم على الخضوع لقوانين مذله جائره.

فارتأى "الشيخ محمد حسين النجفى" و غيره من مراجع الدين العراقيين مباحته مراجع إيران فى موضوع إعلان الجهاد. فحضروا إلى إيران لهذه الغايه. و حضر معهم من كان قد هاجر إليهم من مسلمى القفقاس.

و حين وصولهم إلى طهران كان "فتح على شاه" قد عاد إليها حديثا من "السلطانية" بعد تلك المفاوضات الطويله بينه و بين السفير الانكليزي.

فاستقبلهم استقبالا حسنا، و أكرم مثواهم. و وافقهم على إصدار فتوى بالجهاد و أرسل "الشيخ محمد حسين النجفى" رسائل إلى رجال الدين المقيمين فى الولايات يطلب منهم إصدار فتوى بوجوب الجهاد، فأجابوه بالإيجاب.

و كان "فتح على شاه" يعلم أن استصدار فتوى بالجهاد من العلماء أمر ممكن. و لكنه كان يعلم أيضا أن إنفاذ هذه الفتوى أمر صعب.

فالإيرانيون، و إن كانوا لا تنقصهم الشجاعه و الثبات و الفداء، ينقصهم المال و السلاح و العلم بفنون الحرب، إذ لم يسبق أن تلقنوا تربيته عسكريه حسب الأصول الحديثه. فهم لذلك غير قادرين على معاركه الجيش الروسى المدرب المسلح بالأسلحه الحديثه. و مع ذلك فان موافقه رجال الدين على الإعلان بالجهاد أفادت "فتح على شاه" فائده اجتماعيه و سياسيه. فقد قوت

مكانته فى الداخل من جهه، و وضعت، من جهه أخرى، فى يده سلاحا دبلوماسيا هو التهديد بالجهاد فى مفاوضاته السياسيه للصلح.

و لم يكن فى يد "فتح على شاه" سوى وسيله وحيده للتغلب على الروس و استرداد الأقاليم الإيرانيه التى احتلوها، و هى تجنيد رجال العشائر، إذ كانوا أكفاء لهذا الأمر. و هذا شىء اعترف به الإنكليز و الروس كلاهما.

و ذلك لما كان يتحلى به رجال العشائر من حماسه و شجاعه فائقه و صبر على الشدائد. و فى أحد تقارير الجنرال "غاردان" إلى "نابليون [ناپلثون]" وصف رجال العشائر الإيرانيه بأنهم أحسن جنود الدنيا، و اعترف بأنهم أفضل من العسكر الفرنسى. هذا مع التنبيه إلى شده اعتزاز الفرنسيين بعسكرهم و اعتقادهم بان لا جندى فوق الجندى الفرنسى.

و لكن تجنيد رجال العشائر يحتاج إلى المال. و لم يتمكن "فتح على شاه" من توفير المال اللازم، إما لشحه و إما لفقره.

و بدأ التجنيد للجهاد. و خرجت أول كتبه من المجاهدين من طهران و سارت إلى قزوین لتتخذ طريقها من هناك إلى الولايات المحتله. و إذ كان "فتح على شاه" غير حاضر لبذل نفقات المجاهدين فقد أوعز إلى حاكم قزوین بارجاعهم منها و إخبارهم بان الشاه يتعهد بان يخرج بتدابيره العسكريه "رئيستشوف" من القفقاس و يريح مسلميها من شره، فأعادهم الحاكم من قزوین. و أقنع "فتح على شاه" الشيخ محمد حسين النجفى بالانصراف عن الجهاد و ذلك بوعد له بان يجند رجال العشائر لحرب "رئيستشوف"، فهم أكفأها من رجال المدن. و بذلك توقف "الشيخ محمد حسين النجفى" عن تجنيد الناس للجهاد. و لم يكن "فتح على شاه"، فى الواقع عازما على تجنيد رجال العشائر، و لكنه وعد بهذا الوعد ليجعله وسيله إلى صرف الأنظار عن إعلان الجهاد.

هذه خلاصه ما ذكره "جان يونير" عن قضيه الجهاد التى طرحت يومئذ للبحث. أما "سعيد نفيسى" فلم يأت فى كتابه "تاريخ إيران الاجتماعى و السياسى" على ذكر "الشيخ محمد حسين النجفى" و لا ذكر قضيه إرجاع المجاهدين من قزوین. و أورد بحث موضوع الجهاد هذا على هذا النحو نقلا عن مؤرخين إيرانيين. و نقل كلامه هنا ملخصا:

أفتى المجتهدون يومئذ بان أحكام الجهاد تجرى على هذه المحاربه.

و زيد فى ألقاب الشاه و ألقاب ولى العهد لقب "الغازى" و "المجاهد فى سبيل الله". و أرسل ولى العهد "عباس ميرزا" و "الميرزا عيسى الفراهانى" المعروف بلقب "القائم مقام" و لقب "الميرزا الكبير"، بعد استئذانهما "فتح على شاه"، اثنين من العلماء إلى النجف لاستفتاء المرجع الدينى "الشيخ جعفر النجفى" و غيره من المجتهدين فى موضوع الجهاد هذا.

فكتب "الشيخ جعفر" أن محاربه روسيا فى هذه الأيام جهاد واجب على الجميع. و كتب غيره من مجتهدى العراق أيضا مثل هذه الفتوى. و قد جمع "الميرزا عيسى الفراهانى" فتاوى المجتهدين هذه فى رساله خاصه.

و قام الوعاظ على منابر أذربيجان يحرضون الناس على الجهاد. و أقبل الناس على التطوع له. و قدر عدد المتطوعين للجهاد فى أذربيجان بمائه ألف تقريبا.

١- ترجمه إلى الفارسيه "ذبيح الله منصورى"، و ما ننقله هنا هو عن هذه الترجمة.

هذه خلاصه ما ذكره "سعيد نفيسي". و الظاهر أن هذه الحركة الجهاديه لم تأت بنتيجه عمليه.

معاهده "گلستان"

بعد الهزيمه التي أوقعها الجنرال "كوتليارفسكى" بجيش "عباس ميرزا" في ٢٠ تشرين الأول سنة ١٨١٢ م الموافق ١٣ شوال سنة ١٢٢٧ هـ، و خيبه المفاوضات التي قام بها السفير الانكليزي "السير غور أوزلى" اضطر "فتح على شاه" في سنة ١٨١٣ م الموافق سنة ١٢٢٨ هـ، و قد زحمته تلك الشدائد و الأحداث، إلى إرسال "أبو الحسن خان الشيرازى" إلى "قرباغ" للحصول على الصلح. و التقى هذا بالجنرال "رتيشتشوف" في محله "گلستان" في المعسكر الروسى عند نهر "زيوه" من "قرباغ". و وقعا معاهده صلح بين إيران و روسيا في ١٢ تشرين الأول سنة ١٨١٣ م الموافق ٢٩ شوال سنة ١٢٢٨ هـ. و عرفت هذه المعاهده باسم "معاهده گلستان". و حضر توقيعها السفير الانكليزي "السير غور أوزلى".

و بهذا انتهت تلك الحروب التي لم تحصل إيران منها على غير الخساره، و دامت أكثر من عشر سنوات، من سنة ١٢١٨ إلى سنة ١٢٢٩ هـ، إلى أن لجأ البلاط الايراني إلى إنكلترا لإخراجه من هذا المأزق.

و تقضى هذه المعاهده بان ما كان في يد إيران من أرض في هذا التاريخ هو لايران. و أن ما احتلته روسيا من أرض هو لروسيا. و يتعهد الطرفان بان يبقى عسكر كل منها حيث كان يوم إمضاء هذه المعاهده، لا يتجاوزه.

و يكون ما بين العسكرين هو الحدود الفاصله بين إيران و روسيا، إلى أن تعين، فيما بعد، الحدود تعيينا دقيقا واضحا بين البلدين.

و كان هذا الإبهام في الحدود و فى مقتضيات معاهده "گلستان" سببا فى تخطى إيران لهذه المعاهده و ادعائها الغبن، و إقدامها على محاربه روسيا مره ثانيه. و كل ما حصل فى هذه المعاهده من فائده هو إقامه سلام موقت متزلزل مدته ثلاث عشره سنه، من ذلك التاريخ إلى سنة ١٢٤٢ هـ... الموافق سنة ١٨٢٦ م، بين إيران و روسيا.

و يتبين من هذه النتيجة أن أكثر أعمال الإنكليز إتقانا فى هذه الوساطه إنما كان إبقاؤهم أصل الاختلاف قائما بين الدولتين غير محسوم و ترك الحدود على وضع مبهم لتبقى الطريق إلى حرب أخرى مفتوحه دائما.

بعد ذلك أرسلت إيران "أبو الحسن خان" الشيرازى سفيرا لها إلى "بترسبورغ" مع هدايا نفيسه. و دخل على القيصر رسميا فى ٢٠ كانون الأول سنة ١٨١٥ م الموافق ١٨ المحرم سنة ١٢٣١ هـ باحتفال فخم.

و فى سنة ١٨١٦ م الموافق سنة ١٢٣١ هـ عزل القيصر الروسى الجنرال "رتيشتشوف" عن منصب القائد العام لجيش "كرجستان"، و نصب فى مكانه الجنرال "ألكسيس بتروفيتش يرمولوف". و عهد إليه أيضا بسفاره روسيا فى إيران. و فى ١٧ نيسان سنة ١٨١٧ م الموافق آخر جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ هـ دخل على "فتح على شاه" فى "السلطانيه [السلطانيه]"، إذ كان يومئذ مقيما هناك. و حمل السفير هذا إلى الشاه هدايا نفيسه.

مقدمات الحرب الإيرانيه الروسيه الثانيه

تصالح إيران و روسيا الذى اقتضته معاهده "كگلستان" المعقوده بينهما سنه ١٢٢٨ هـ لم يكن تصالحا مستقرا. و لم يدم أكثر من ثلاثه عشر عاما.

فقد ظلت الحدود بين الدولتين مبهمه. و لو أنها بينت بخط حدودى معين لما بقى مجال للخلاف، و استقر الوضع استقرارا إن لم يكن دائما فإلى مده طويله على الأقل. و قد تعمد الإنكليز، و هم واسطه انعقاد تلك المعاهده، جعل هذا الخلل فيها ليقى الوضع بين الدولتين قابلا للخلاف دائما.

و كان هذا التدبير من جمله التدابير التى اتخذتها إنكلترا لابقاء إيران ضعيفه، إذ يصرفها انشغالها بالخلاف عن التقوى، فلا يخشى منها هجوم على الهند أو مساعده منها لغيرها على الهجوم. و من أجل ذلك أيضا ساعدت انكلترا على اقتطاع "هرات" و قسم من إقليم "سيستان" من إيران، و ضمهما إلى أفغانستان. و اقتطعت أيضا منها قسما من إقليم "بلوچستان" و ضمته إلى الهند، و هو اليوم تابع للباكستان. و هذه النواحي كانت دائما جزءا من إيران. و باقتطاعها أبعدت إنكلترا إيران عن حدود الهند و أضعفتها. و ظروف إيران كلها تضطرها إلى الرضوخ للسيطره الإنكليزيه.

و بذلك أمنت إنكلترا جانبها، و أصبحت طريق الهند مصانه فى يدها.

و طريق الهند هذه هى الجنوب من أفغانستان الواقع فى شمال الهند "الباكستان"، و ما يتصل به من نواحي آسيا المركزيه. و كلها كانت فى تلك الحقبه خاضعه للسيطره الإنكليزيه.

و هذه النواحي كانت، من أزمه قديمه، أسهل الطرق لغزو الهند.

فالإسكندر المقدونى غزا الهند سنه ٣٢٧ قبل الميلاد من طريق آسيا المركزيه و أفغانستان. و منها غزاها العرب سنه ٦٥٩ م الموافق سنه ٣٩ هـ و فتحوا إقليم "الملتان" و "السند". و منها غزاها "ناصر الدين سبكتكين" مؤسس الأسره الغزنويه المالكه فى إيران. و بعده سلكها أيضا ابنه "محمود الغزنوى" إلى الهند، و استمر غزوه لها من سنه ٣٩٠ إلى سنه ٤١٨ و فتح الملك "محمد بن سام الغورى" مدينه "لاهور" الهنديه سالكا هذه الطريق. و غزا "جلال الدين فيروز شاه الخلجى" الهند سنه ٨٦٩ هـ من طريق أفغانستان. و غزاها من هذه الطريق الملك الأفغانى "شير شاه سورى" سنه ٩٤٧ هـ و منها غزا الهند "تيمور لنگ" فى سنه ٨٠٠ هـ. و مثله الأمير التيمورى "ظهير الدين بابر" غزاها من هذه الطريق فى ١٥ شعبان سنه ٩٣٧ هـ. و غزا "نادر شاه" الهند فى سنه ١١٥٢ هـ من هذه الطريق.

و غزاها "أحمد خان درانى الأبدالى" ملك الأفغان سبع مرات من سنه ١١٦١ هـ إلى سنه ١١٨٠ هـ.

لقد غزيت الهند من قبل شتى الفاتحين، من زمن الإسكندر المقدونى إلى نهايه القرن الثانى عشر الهجرى، ثلاثا و ثلاثين مره. و كلهم غزاها من طريق آسيا المركزيه و أفغانستان هذه. و بهذا يثبت أن أحسن الطرق لغزو الهند إنما هو النواحي الواقعه فى شمالها. و لذلك أراد "نابليون [ناپلئون]" أن يغزوها أيضا من هذه الطريق. و ما أكثر ما سعى قياصره روسيا إلى احتلال أقاليم آسيا المركزيه ليقتربوا، ما أمكنهم الاقتراب، من حدود الهند.

و تضمنت خطه إنكلترا للسيطره على هذه الطريق صرف إيران عن التفرغ لتقويه نفسها باشغالها بالخلافات الواقعه بينها و بين روسيا.

ص: ٢٢٢

كان الصقالبه الروس، من يوم عرفوا فى التاريخ إلى هذا اليوم، لا ينفكون يتزايد عددهم و يذيون فى عرقهم الأعراق الأخرى المجاوره لهم، بسرعه عجيبه، مثل على ذلك أن عدده الفنلنديين كانت فى القرن الميلاى التاسع عشر أضعاف عدده الصقالبه الروس. و الفنلنديون اليوم لا- تتجاوز عدتهم ثلاثه ملايين و نصف المليون تقريبا فى مقابل ثلاثه و ثلاثين و مائه مليون صقالبى روسى.

و قد زادوا من جهه الشمال و الجنوب جيرانهم عن أرضهم و استولوا عليها و اقتربوا فى هاتين الجهتين من البحر إلى أقصى ما يستطيعون، تساورهم أمنيهِ القياصره القديمه، أمنيهِ الوصول إلى البحار الدافئه. و من أجل ذلك سعوا إلى توسيع مجال حكمهم فى غرب بحر الخزر و شرقه. و لم يكن يعوقهم من جهه الشرق عائق مهم. فعبروا نهر "جيجون" و "سيحون" بسرعه، و تقدموا نحو آسيا المركزيه حتى بلغوا حدود تركستان الصينيه من جهه و حدود "تركمانستان" من جهه أخرى و توقفوا عند سواحل نهر "جيجون" و "مرغاب" و "أترك".

أما فى جهه غرب بحر الخزر فكان يصددهم عن التقدم عائق عظيم، هو جبال القفقاس الشاهقه الصعبه، الجبال التى كان القدماء يعتقدون أنها آخر الدنيا و يسمونها "جبل قاف". و مع ذلك فسرعان ما اجتازوها و تقدموا حتى بلغوا ساحل نهر "أرس"، متذرعين بدعوى أنهم يريدون حمايه نصارى "كرجستان". و أقاموا فى حدود إيران لا يشغلهم عنها شىء سوى ما وقع بينهم و بين "نابليون [ناپلئون]" من مناوشات متقطعه، امتدت من سنه ١٨٠٥ م إلى سنه ١٨١٤ م (- ١٢٢٩ هـ). بل كانوا، حتى فى هذه السنوات التسع، لا- ينفكون يمدون قواهم التى على حدود إيران بحشود جديده مستريحه من الجنود كلما توقفت المناوشات بينهم و بين "نابليون [ناپلئون]" أو دخلوا معه فى الصلح.

كان محالا أن تنجح خطه "نابليون [ناپلئون]" الفجّه المهوسه، خطه الهجوم على الهند من طريق إيران و بمساعدتها. و تبين "فتح على شاه" أنه كان مخدوعا بأمله بان يتفوق على روسيا سبب انشغالها أحيانا بمناوشات حربيه فى غرب أوروبا. فما حلت سنه ١٢٢٨ هـ حتى كان قد أيس من "نابليون [ناپلئون]" كليا. و كانت إنكلترا يومئذ قريه من روسيا. فلم يجد بدا من الرضا بمعاهده "گلستان". و لكنه كان لا ينفك يرجو أن يتمكن من محاربه روسيا و استرداد الأقاليم التى فقدتها بمقتضى معاهده "گلستان". و كان الإنكليز يشجعونه على ذلك، بل إنهم وعدوه بالمساعده. و غايتهم أن تستسلم إيران، بهذا الأمل، إليهم كليا، إذ لم يكن "فتح على شاه" يجد يومئذ من يرجو مساعدته غيرهم. و بذلك تطمئن إنكلترا إلى أنها قطعت الطريق على كل هجوم محتمل على أفغانستان و الهند.

انتهت الحرب الإيرانيه الروسيه بمعهد معاهده "گلستان" فى ٢٩ شوال سنه ١٢٢٨ هـ الموافق ١٢ تشرين الأول سنه ١٨١٣ م. و بدأت الحرب الثانيه فى ١٠ ذى الحجه سنه ١٢٤١ هـ الموافق ١٦ تموز سنه ١٨٢٦ م.

و ما بين الحربين انقضت ثلاث عشره سنه و شهر واحد و أحد عشر يوما تسالمت فيها إيران و روسيا على ما كان يبدو فى الظاهر. و لكن البلاط الايرانى كان فى هذه المده لا ينفك يهياً فى السر أحيانا و فى العلن أحيانا لحرب أخرى. و لم تكن روسيا غافله عن ذلك، بل كانت تراقب أوضاع إيران مراقبه كامله فى جزئياتها و كلياتها.

و كانت روسيا فى تلك الحقبه قد ارتفع شأنها فى أنحاء العالم، بعد أن ألحقت بنابليون [بنابليون] تلك الهزيمه الشنعاء فى

مقاومتها له في هجومه عليها سنة ١٢٢٧ هـ الموافق سنة ١٨١٢ م.

و كانت إيران قد أنهكتها الحروب الداخلية، ثم الحرب الأولى التي وقعت بينها وبين روسيا، و طالت متابعه تسع سنوات. و لم ينفعها بشيء استنجاها بفرنسا ثم إنكلترا. ففاوضها الداخليه، المعنويه و الماديه، مختله مشوشه، على حين كانت روسيا في أوج اعتزازها و انتصارها، و لا مانع يحول بينها و بين التمدد إلى أرض آسيا.

و كان ولي العهد "عباس ميرزا" بفاطنته و ما حنكته به التجارب يرى مسالمة روسيا و اجتناب محاربتها، إذ لا قبل لإيران بها و بقوتها، و لن تعود محاربتها على إيران بغير الضرر. إلا- أن أباه "فتح على شاه" كان يصبر على الحرب و لا دافع له إلى هذا الإصرار غير الغرور. فاضطر ابنه إلى التسليم برغبته و هو غير مقتنع.

و في جملة ما غر "فتح على شاه" بالنصر أن قيصر روسيا "الكساندر" كان قد توفي في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٤١ هـ الموافق أول كانون الأول سنة ١٨٢٥ م و خلفه ابنه "نيقولا الأول". و ذلك قبل نشوب الحرب الثانيه بسبعه أشهر و ستة عشر يوما. و حسب "فتح على شاه" أن هذا القيصر ليست له كفاءه أبيه و قوته. و سواء أ كان الأمر كذلك أم لم يكن فان أوضاع إيران الداخليه لم تكن مؤاتيه، بوجه من الوجوه، لدخولها في الحرب.

من ذلك مثلا وضع "فتح على شاه" العائلي. فقد كان أبناءه متعادين متخاصمين. و كان "عباس ميرزا" يتفوق عليهم كلهم بما تحلى به من فضل و معرفه و بصيره و شجاعه و عزه نفس. و لكن إخوته كانوا يقاومونه بدلا من أن يساندوه و يعاونوه. حتى إنهم كانوا يسعون إلى منع وصول الامدادات إليه، الامدادات الماليه و العسكريه التي يحتاج إليها و هو في جبهه الحرب، ليقوعه في الهزيمه فينحط مقامه في أعين الناس و البلاط، و قد يؤدي ذلك إلى خلعه من ولايه العهد و إحلال آخر منهم في مكانه. و قد خسر "عباس ميرزا" كثيرا من المعارك لحجب إخوته و أعوانهم المعونه عنه.

و من ذلك تلاعب كبار موظفي الضرائب و الشؤون الماليه في الولايات بالأموال، و تسلطهم على الناس باختراعهم عناوين مختلفه لضرائب وهميه يسلبون بها أموالهم بالغصب و الإكراه.

و من ذلك فساد طريقه التجنيد، إذ ظلت في عهد "فتح على شاه" كما كانت في عهد الصفويين. فقد كان اعتماد جيشه في الدرجه الأولى على رجال العشائر البدويه من كل الأعراف. و ذلك بان تهيب كل طائفه منهم جماعه من الجنود الفرسان و المشاه تكون عدتها بحسب عدده أفراد الطائفه، و تكون لوازم تهيئتها على نفقه الطائفه، و من ذلك تجهيزهم بالسلاح و الخيول. و ياتي في الدرجه الثانيه من الأهميه الفلاحون و القرويون من أهل النواحي الكثيره السكان، يتطوع بعض شبانها في الجيش براتب نزر.

و كان هذا الجيش يقع على المدنيين وقوع البلاء. فحيثما حل رجاله أكرهوا الناس على إعطائهم الطعام و عليق دوابهم و رعو زروعهم.

و من ذلك ابتعاد هوى الناس عن القاجاريين، إذ كانوا حديثي عهد بهم لم يعتادوا على حكمهم بعد. و عهدهم بالصفويين و الافشاريين و الزنديين غير بعيد. و لكل من هذه الأسر الثلاث مریدون كثيرون، يعدون القاجاريين غاصبين.

و لذلك ظلت الأسره القاجاريه المالكه مده طويله لا تعتمد على مناصر غير بدو عشيرتها، بدو القاجاريين سكان الخيام. و لكن حتى هذه القبيله تفرقت كلمتها، منذ البدايه، بسبب فتك "آقا محمد خان" بإخوته، و ما أوقعه بفريق منها من أذى، فتعادى أفرادها و تنابدوا و دبت بينهم الفتن. و دام هذا الخلاف إلى زمن "محمد شاه قاجار" حفيد "فتح على شاه" و خليفته فى الملك، فقد خرج عليه إخوته و نازعوه الملك، و كذلك خليفته من بعده "ناصر الدين شاه" خرج عليه إخوته و نازعوه الملك.

و كان كثير من رؤساء القاجاريين حكاما على نواحي مختلفه من الولايات الواقعه فى جنوب القفقاس شمالى نهر "أرس". فلما اقترب الغزو الروسى من تلك النواحي انحاز أولئك الحكام القاجاريون إلى الروس و دخلوا فى طاعتهم، و لم يثبت على المقاومه منهم سوى حاكم "كنجه". و كان المسلمون من سكان تلك النواحي، و هم من أشد المسلمين تمسكا بالإسلام، يجهلون الأسباب الحقيقيه فى انكسار إيران، فعدوا أولئك الحكام الخونه مسئولين عن وقوعهم فى أيدي الروس يتحكمون فيهم، و ساء ظنهم بالقاجاريين عموما.

أقام "آقا محمد خان قاجار" عرش أسرته هذه على أساس من القتل و القسوه و الفظاظه و التعدى. و كانت أوضاع إيران الاقتصاديه و الاجتماعيه فى زمانه و بعد زمانه مختله مشوشه، قد ضعفتها تجهيزات الجيوش المتتابعه، من يوم وفاه "كريم خان زند" إلى نهايه الحرب الإيرانيه الروسيه الأولى، أى مده خمس و ثلاثين سنه متتابعه.

و كان ل "عباس ميرزا" ثلاثه إخوه أكبر منه، و هم "محمد على ميرزا دولت شاه" و يكبره بسبعه أشهر و ثلاثه أيام. و "محمد قلى ميرزا ملك آرا" و يكبره بثلاثه أشهر و يومين. و "محمد ولى ميرزا" و يكبره بشهرين و أربعه أيام. و لكن "فتح على شاه" اختار "عباس ميرزا" دونهم لولايه العهد امتثالا لوصيه أوصاه بها عمه "آقا محمد خان" و هى أن يكون ولى العهد قاجارى الأب و الأم ليحظى بتأييد القاجاريين عمومهم و خثوله. و كان "عباس ميرزا" كذلك، أما إخوته هؤلاء فكانوا للأمهات غير قاجاريات.

و كان ل "فتح على شاه" أيضا أصهار يتولون مناصب مهمه فى الدوله.

و كان لكل من أبناءه فى ولايته جيش مسلح خاص [خاص] به. و كانوا كلهم يحسدون "عباس ميرزا"، لا على ولايه العهد وحدها، بل لأن أباه عهد إليه أيضا بولايه أذربيجان أهم و أوسع ولايات إيران. و كانوا كلما تقرر أن ينجدوه فى محاربه لروسيا بعسكر أو تقرر أن يشاركوا فى نفقات الحرب بقسط من عائداتهم أحجموا عن الاستجابه. حتى كان السبب فى كثير من انكسارات العسكر الايرانى فى الحربين انقطاع المدد العسكرى عنه و خلو يده من المال. و كان عليه وحده أن ينفق على تجهيز

(١) بعد انقضاء سنتين و شهرين و اثنين و عشرين يوما على عقد المعاهدة الثانية، معاهدة سنة ١٢٢٧ هـ، بين إيران و إنكلترا، عقدت بين الدولتين معاهدة ثالثة في ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٢٩ هـ الموافق ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨١٤ م، و وقعها عن إيران "الميرزا محمد شفيح" الصدر الأعظم و "الميرزا الكبير القائم مقام" و "الميرزا عبد الوهاب نشاط معتمد الدوله"، و وقعها عن إنكلترا المستر "هنرى إليس" القائم باعمال السفارة الإنكليزية في طهران.

و هذه المعاهدة لا تفرق، بوجه الإجمال، عن المعاهدة السابقة المعقودة بين إيران و إنكلترا في ٢٩ صفر سنة ١٢٢٧ هـ الموافق ١٤ آذار سنة ١٨١٢ م بشيء إلا شيئا واحدا هو أنها قيدت مساعده إنكلترا لايران في حاله نشوب حرب بينها و بين دوله أوروبيه بشرط لا تتضمنه المعاهدة السابقه.

ففي المعاهدة السابقه تلتزم إنكلترا بمساعده إيران مساعده عسكريه أو ماليه في حاله وقوع حرب بينها و بين دوله أوروبيه بلا قيد و لا شرط. و في المعاهدة الثالثه الجديده تلتزم إنكلترا بمساعده إيران إذا كانت الدوله الأوروبيه

ص: ٢٢٤

١- كانت المعاهدات التي تعقد بين إيران و الدول الأجنبيه تصاغ بأسلوب متكلف بالأسجاع و الكنايات و الاستعارات و الأوصاف المبالغ فيها إلى درجة الإفراط. و هذا نموذج من مقدمه إحدى المعاهدات المعقودة بين إيران و إنكلترا نثته بيانا للعقلية التي كانت دارجه بين الناس يومئذ. "أين خجسته أوراق دسته كليست [كليست] كه از كلزار [كلزار] بي خار وفاق رسته، و به دست اتفاق و كلالى حضرتين سنيتين بهيتين برسم عهدنامه مفصل بر طبق صدق و خلوص بيوست [بيوست] امى كردد [مى گردد]". لاحظ السجع فى: خجسته [خجسته]. دسته. رسته. بيوسته [بيوسته]. كلزار [كلزار]. بي خار. وفاق. اتفاق. طبق. صدق: و ترجمتها: هذه الأوراق المباركه و رده قد نمت فى روضه الوفاق التي لا شوكة فيها، تتداولها يد الاتفاق، يد و كلالى حضرتين السنيتين البهيتين، مرسومه معاهده مفصله طبق الصدق و الخلوص الدائمين. و هذا نموذج آخر فى وصف السفير الانكليزى المفاوض: "عالى جاه، رفيع جاىگاه [جاىگاه]، عزت و فخامت همراه، شهامت و صداقت اکتناه، فکان و درایت آگاه [آگاه]، دولت خواه، بلا اشتباه، سفير بى نظير، روشن ضمير، صائب تدبير، عمدہ الأعظم المسيحيه إلخ". و هذه ترجمته: العالى الجاه، الرفيع المقام، رفيع العزه و الفخامه، مکتنه الشهامه و الصداقه، من عنده الفطانه و الدرايه، مرید الخير بلا اشتباه السفير الذى لا نظير له، المضىء الضمير، الصائب التدبير، عمدہ الأعظم المسيحيه إلخ". و هذا نموذج فى وصف مفاوض إيرانى: "أمير الأمراء الكرام، مؤتمن الحضرة العلىا الساميه، أمين الدوله البهيه [البهيه] السنيه، قوام العزه و النباهه، نظام الجلاله و النباله الحاج محمد حسين خان". و هذا وصف ملك الإنكليز فى مقدمه إحدى المعاهدات: "الملك الشهير السعيد، سلطان العدل، من شعاره نشر المكارم، صدر أرائك الملك و السلطان، مشرف فلک الجلاله و السعاده، الأمير البازل العادل السخى، عاهل إنكلترا و الهند الذى بلاده جاه الفلک فى مجمع الممالک الفسيح المسالک، أدام الله تعالى أيام ملكه الباهره". و هذا وصف شاه إيران فى مقدمه تلك المعاهده: "الحضرة العلىا، من قدرته القدر و همته القضاء، سماء الحشمه، عادل الدنيا، الأمير

المكرم، معان الفلك، الملك الأعظم، ذو الطالع السعيد، مالك رقاب الأمم، غوث الإسلام و المسلمين، عوذ المله و الدين، بطل
الماء و الطين، ملك الدوله المباركه، دوله إيران و طوران، الجم الاقتدار، لا- زالت مشارق إقباله تتداولها مطالع كواكب
الإجلال".

هي البادئه بالحرب لا إيران. فان كانت إيران هي البادئه بالحرب فلا شيء على إنكلترا.

و هذا الشرط يعفى إنكلترا من كل مساعده لايران. و السبب هو أن الدوله الأورويه التي يحتمل أن تحارب إيران إنما هي روسيا لا غيرها من الدول الأورويه. و إذ كانت روسيا قد رضيت بما احتلتها من أرض إيران و قنعت بما ربحته من معاهده "گلستان" فان إنكلترا مطمئنه إلى أنها لن تحارب إيران يقينا، و لن تكون هي البادئه بالحرب إذا وقعت.

و إذ كانت إيران هي الخاسره في معاهده "گلستان"، و لا تنفك مستاءه لما اغتصب من أرضها، تسعى جهدها إلى استرداده، فلا بد من أن تكون هي، لا روسيا، البادئه بالحرب إذا وقعت. فإذا حدث ذلك كانت إنكلترا غير ملزمه بمساعدتها، و تركت الدولتين تتعاركان. و في تعاركهما إضعاف لهما كليهما. و هذا ما تريده إنكلترا.

الاستعداد للحرب

إلى نهايه ثلاث سنوات من التوقيع على معاهده "گلستان" لم يتحدث أحد في موضوع تعديلها. و كان "عباس ميرزا" قد أيس من الروس.

فاضطر إلى تغيير نهجه السياسى و أخذ يتقرب من الإنكليز. و زاد في ابتعاده عن الروس أن السفير الروسى "يرمولوف" لم يعترف بولايته للعهد، و أخذ يواطىء عليه أخاه "محمد على ميرزا" و يعده بمساعده روسيا له للوصول إلى العرش بعد وفاه "فتح على شاه". و انقاد له "محمد على ميرزا" و أصبح طوع يديه. و جاهر "عباس ميرزا" بمعاداته للروس علانيه. و شرع بتهيئه وحدات عسكريه منظمه مجهزه، يساعده على ذلك الإنكليز، و هو يأمل أن يستعيد، فى مستقبل قريب ما ألحق بروسيا من أقاليم إيرانيه بمقتضى معاهده "گلستان" أو استعاده معظمها على الأقل. و كان يرجو أن يحصل على مساعده من إنكلترا إذا وقعت حرب بين إيران و روسيا من أجل ذلك.

و فى ٢٠ كانون الثانى سنة ١٨١٦ م الموافق ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٣١ هـ سلم "أبو الحسن الشيرازى" سفير إيران فى روسيا وزير الخارجيه الروسى "الكونت نسلرود" مذكره طلب فيها عقد معاهده جديده بين إيران و روسيا، معاهده تفصل ما أجمل و توضح ما أبهم فى معاهده "گلستان".

و طلب إعاده الأقاليم الإيرانيه التي استولت عليها روسيا إلى إيران، أو إعاده بعضها، على أن تؤدى إيران إلى روسيا ما تكلفته من مال نفقات الحرب.

و أيد السفير الانكليزى فى "بطرسبورغ" المطلب الايرانى. و لكن وزير الخارجيه الروسى رده ردا قاسيا، و عد تأييده تدخلا فى شئون روسيا غير مقبول.

ورد الوزير الروسى على طلب السفير الايرانى بان روسيا إنما استلحقت تلك الأقاليم لأن أهلها أنفسهم رغبوا فى الدخول فى طاعتها. و مع ذلك فان القيصر قد أمر سفيره فى إيران "الجنرال يرمولوف" باعاده النظر فى الحدود بين إيران و روسيا. و بعد وصول تقريره تعطى روسيا جوابها القطعى فى هذا الموضوع.

و لكن السفير الروسي "الجنرال يرمولوف" ظل مصرا على إبقاء الحدود بين الدولتين على ما قررتها معاهدة "گلستان"، و ظل "عباس ميرزا" مصرا على استرداد الأقاليم المفقوده، جادا في إقامه تجهيزات عسكريه بلغت من القوه و التنظيم إلى حد أهم السفير الروسي و شغل خاطره. و كان هذا السفير موقنا أن إيران مقدمه على الحرب لا- محاله. و كانت تقاريره إلى البلاط الروسي تحذر دائما من ذلك. و لكن القيصر و سائر المسئولين الروس كانوا يخالفونه في هذا الرأي و لا يكثرثون بتقاريره، مطمئنين إلى أن إيران لن تقدم على الحرب. و كانوا أيضا لا يريدون حربا إذ كانوا قانعين بما حصلوا عليه من أرض إيران.

و في سنه ١٨٢٥ م الموافق سنه ١٢٤١ هـ توفي "الكساندر الأول" أمبراطور روسيا، و خلفه أخوه "نيقولا الأول". و في سنه ١٨٢٦ م الموافق سنه ١٢٤١ هـ أرسل هذا القيصر إلى إيران سفيرا له فوق العاده اسمه "الأمير منشيكوف"، و أرسل معه هديه ثمينه للشاه. و استقبله الشاه في "السلطانيه".

و اتفق أن كان "عباس ميرزا" قد حصل، قبيل وصول "منشيكوف"، على موافقه أبيه "فتح على شاه" على إعلان حرب ثانيه على روسيا.

و لكن "منشيكوف" و مثله القيصر "نيقولا الأول"، كان غافلا عن احتمال وقوع الحرب، مطمئنا إلى جنوح إيران إلى السلام. و كان من مظاهر ذلك تلك الهديه الثمينه التي حملها معه من القيصر إلى الشاه. و كان من مظاهره أيضا موضوع الأحاديث التي بدأ بها "منشيكوف" محادثته للشاه.

فقد تحدث إليه في موضوع الصلح القائم بين الدولتين. و نبهه، بالالتماس، إلى لزوم إرسال مندوب عن الشاه إلى القيصر لتهنئته بالتاج و تعزيتة بوفاه أخيه القيصر السابق. و لكن "فتح على شاه" تلقى كلامه غير مكترث به.

عوده إلى موضوع الجهاد

إشاره

كانت الأنباء يومئذ لا تنفك متواصله عما يرتكبه الروس من ظلم و تعد على مسلمي الأقاليم الإيرانيه التي احتلوها. و وصلت أنباء عن ذلك إلى العراق. فكتب المرجع الديني "السيد محمد الأصفهاني" (١) و كان يقيم في كربلاء، رساله إلى المسئولين في بلاط "فتح على شاه" قال فيها إن مجاهده روسيا هي اليوم فرض واجب، فما هو رأي ملك المسلمين؟ و كان "فتح على شاه" راغبا عن الإفتاء بالجهاد، و مثله ولي العهد الأمير "عباس ميرزا" لعلمهما بأنه غير ممكن عمليا، و لكنه كان يخشى غضب العامه و انحرافها عنه إذا خالف رأى رجال الدين، إذ كانت العامه منقادهم لهم ترى وجوب طاعتهم و مخالفه مخالفتهم. فلم يجد "فتح على شاه" بدا من مسأيرتهم فأجاب على رساله "السيد محمد الأصفهاني" برساله قال فيها:

نحن لا ننفك دائبين على تذكر واجب الجهاد المبارك. و قد وضعت نفسى في سبيل نشر الدين و إعزاز الشريعه.

فلما وصلت الرساله إلى "السيد محمد الأصفهاني" بادر إلى الحضور إلى إيران، و وصل إلى طهران في شهر شوال سنه ١٢٤١ هـ. فاستقبله الأمراء و العلماء استقبالا حافلا بالاحترام و الموده. و أكرم "فتح على شاه" مثواه.

و أرسل "السيد محمد الأصفهاني" إلى علماء إيران رسائل يدعوهم

ص: ٢٢٥

١- هو الذي عرف بعد ذلك باسم السيد محمد المجاهد" راجع ترجمته في مكانها من (الأعيان).

فيها للحضور إلى طهران، و تحريض الناس على الجهاد و تجنيدهم له. و تبرع "فتح على شاه" بثلاثين ألف تومان من ماله الخاص لنفقات المجاهدين.

و في يوم الجمعة ١٧ ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ اجتمع العلماء في معسكر الشاه في "مرج السلطانية"، و كان اجتماعهم هذا بعد وصول السفير الروسي "منشيكوف" إلى "السلطانية" بسبعة أيام. و حصل اجتماعهم و هو لا يزال في "السلطانية".

و رأى العلماء في هذا الاجتماع أن من تخلف عن مجاهدته الروس فقد عصى الله و اتبع الشيطان. و أيد الشاه و ولي العهد و كبار رجال الدولة كلامهم، إلا "الميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة" أحد كبار رجال البلاط، و "الحاج أبو الحسن خان الشيرازي" سفير إيران في روسيا - كان قد أصبح يومئذ وزيراً للشئون الخارجية - فإنهما خالفاً قرار العلماء، لعلمهما بان الإفتاء بالجهاد لن يأتى بنتيجة غير الإضرار بإيران و أنه يجرى بأسلوب مرتجل لا تبصر فيه و لا يقوم على قاعده صحيحة من تبين الأمر الواقع و المعرفة السياسي و الاطلاع على أصول الحرب. و كان رأيهما أن محاربه روسيا على هذا النحو مضره بإيران، و قد أثبتت الوقائع بعد ذلك صحه رأيهما. و لكن المجتهدين أرسلوا إليهما رساله عنيفه فيها تهديد و وعيد، قالوا فيها: لقد ضعفت عقيدتكما. و إلا فكيف تعدان مجاهدته الكفار أمرا مكروها؟ فاضطرا إلى السكوت عن المعارضه و الاستسلام للفتوى.

و أجمع علماء الدين على الإفتاء بفتوى مكتوبه بان تكليف الشاه الشرعى هو ترك مصالحه روسيا و مداراتها، و إعلانها بالعداوه لما يقوم به الروس في الأقاليم المحتله من تعد على الأعراض و سخرية بالإسلام، و هى أمور تعد عارا و تستلزم النزاع و الحرب. و أن ملك المسلمين، بما هو مفروض عليه إطاعه أحكام أئمه الدين، و مثله كل المسلمين، يجب عليه و عليهم الجهاد. و كل تساهل في هذا الأمر كفر و ضلاله.

و قام السفير الروسي بمباحثه رجال الدوله في هذا الموضوع و حاول أن يثبتهم عن العزم على الحرب فلم يصغوا إليه. و اتفق يومئذ أن اجتاز بعض الحاميات العسكريه الروسيه القائمه على الحدود في الشمال حدودها إلى الأرض المعدوده يومئذ من أرض إيران. فزاد ذلك في غضب رجال الدين و إصرارهم على الجهاد. و زار السفير الروسي علماء الدين و حاول أن يقنعهم بالتخلي عن الجهاد فلم يقبلوا.

و استدعى "فتح على شاه" السفير الروسي، و طلب منه مغادره إيران. و أهدى إليه و إلى مرافقيه بعض التحف و زوده المال اللازم لسفره و عين أحد كبار رجال البلاط لمرافقته و القيام بواجب ضيافته حتى يبلغ إلى "تفليس". و سافر السفير الروسي يوم الجمعة ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ. و كان ذلك بدايه الحرب الثانيه بين إيران و روسيا.

و بعد وقوع الحرب تبين الناس عجز المحاربين الإيرانيين و وقع عسكريهم في مضيقه عظيمه من قله الزاد و العلوفه و كثر فيه القتل و الأسر، و عم الخراب و الرعب، و اتضح لهم أن الاقدام على هذه الحرب كان خطأ و جهلا و غباء، و استاءوا من "السيد محمد الأصفهاني" بما هو أحد المسببين للحرب، و أهانوه. (١) و فى أثناء ذلك مرض. فخرج من تبريز قاصدا قزوین. و لكنه توفى فى الطريق، و قيل إنه توفى فى قزوین فى أواخر سنة ١٢٤١ هـ أو أوائل سنة ١٢٤٢ هـ. و نقل جثمانه إلى كربلاء فدفن فيها.

و روى الفرنسى "جان يونير" فى كتابه "أبطال إيران المجهولون فى محاربه روسيا القيصريه" (٢) حركه الجهاد هذه على هذا النحو:

قبيل الحرب الثانيه التى وقعت بين إيران و روسيا نهض عالم آخر (٣) من علماء الشيعة القاطنين فى بلاد ما بين النهرين إلى المناداه بالجهاد. و كان سبب نهوضه هو أيضا شكوى مسلمى القفقاس مما يلقونه من جور الروس عليهم و إذلالهم لهم. و يومئذ كان الجنرال "ريتشتشوف" قد عزل من حاكميه القفقاس و حل محله فى هذا المنصب الجنرال "يرمولوف". و كان يوقع بمسلمى القفقاس من الأذى و الظلم ما كان يوقعه بهم سلفه. فشكوا أمرهم إلى "السيد محمد" مرجع تقليد الشيعة فى بلاد ما بين النهرين. فأرسل "السيد محمد" رسائل إلى علماء الدين فى مختلف الولايات الإيرانية يدعوهم فيها إلى إنقاذ مسلمى القفقاس مما يقع عليهم من اضطهاد فأجابوه بأنهم حاضرون للجهاد.

عندئذ عزم "السيد محمد" على الحضور من العراق إلى إيران. فسار إليها و معه جماعه من العلماء. و كانت له شهره و نفوذ واسعان، فخرج الناس إلى استقباله فى الحدود بين إيران و العراق، و بلغ بعضهم إلى "كرمانشاهان" يستقبلونه عندها. و هيا "فتح على شاه" له و لرفاقه العلماء ضيافته تليق بمقامه فى طهران.

و يوم حضر قبل ذلك "الشيخ محمد حسين النجفى" إلى إيران لهذه الغايه كان "فتح على شاه" راغبا عن إصدار فتوى بالجهاد. و لكنه تظاهر بالقبول لأن نهوض العلماء إلى الجهاد ينفعه سياسيا.

أما يوم حضر "السيد محمد" و رفاقه من العلماء إلى طهران فقد كان "فتح على شاه" غير راغب فى الجهاد، لا فى الباطن و لا فى الظاهر، إذ كان غير مستعد لبذل نفقات الجهاد.

و قد جعلته معاهده "گلستان" التى انتهت إليها الحرب الأولى شديد

ص: ٢٢٤

١- لما وصل "السيد محمد الأصفهانى" المعروف بلقب "المجاهد" هذا إلى إيران، استقبله الناس استقبالا عظيما. و أحيط أيام إقامته فيها، قبل الحرب، بكل مظاهر التبجيل و الإجلال. و بعد وقوع الحرب انقلب أمره إلى الضد. قال "مهدي بامداد" فى تاريخه "شرح حال رجال إيران": لما وصل السيد المجاهد إلى قزوین قادمًا من العراق اندفع الناس الجهلاء إلى استقباله استقبالا فخما. و لم يكن أولياء الأمور و الموجهون من العلماء أقل منهم جهلا بأمور السياسه و الحرب. و بلغ الأمر إلى أن السيد محمد المجاهد توضع يوماً فى حوض "مسجد الشاه" الذى فى قزوین. فلما أتم وضوءه أقبل العوام الذين هم كالأنعام بل أضل سبيلا على الحوض يحملون من مائه إلى بيوتهم يحفظونه ذخيره للتبرك و الاستشفاء! ثم انكشفت حقيقه هذه الحرب و تبين أنها لم تكن غير كارثه تقع على إيران. و كانت أكثر عائلات إيران قد أصيبت بقتل بعض أفرادها فى هذه الحرب. و لذا نغم الناس على السيد محمد نغمه شديد، بما هو من مسببها و المحرضين عليها، حتى اضطر الشاه إلى حمايته. و لو لا ذلك لقطعه الناس إربا. و ذكر آخرون من المؤرخين غير "مهدي بامداد" شيئا من هذا القبيل.

٢- ترجم هذا الكتاب إلى الفارسيه "ذبيح الله منصورى" و نقل هذا البحث ملخصا عن ترجمته هذه.

٣- الأول هو "الشيخ محمد حسين النجفي" وقد مر ذكره.

النفور من الحرب، فهو يتجنب الوقوع في حرب جديدة، وقد كانت الحرب الأولى تكلفه كل الدخل القومي. و لم تكن إيران يومئذ تنظم مخصصات ماليه عامه سوى رواتب موظفي الدوله و موظفي الجيش. بل كانت مخصصات موظفي الدوله تقتصر على رواتب موظفي البلاط و الحراس الليلين، و بعض موظفي الحكومه الآخريين. و البعض الآخر من هؤلاء الموظفين كانت عائدات عملهم ما يعطيهم إياه أصحاب المعاملات أجرا على إتمام معاملاتهم، و لا رواتب لهم.

و كان حكام الولايات و الايالات لا يتناولون راتبا. لا بل كانوا هم يؤدون المال إلى "فتح على شاه" بدلا من أن تؤدي إليهم رواتب. و إلا- لم يحصلوا على مناصب الحكم. و دخلهم مما يسلبونه من الناس. بل كان أبناء "فتح على شاه" أنفسهم، و أكثر حكم الولايات في أيديهم، لا يحصلون على منصب الحكم ما لم يؤدوا مالا إلا [إلى] أبيهم.

و لم يكن على "فتح على شاه" من تكليف مالي مهم سوى تكليف واحد هو مخصصات الجيش. و كانت هذه المخصصات محتمله في أيام السلم. أما في أيام الحرب فكانت تصبح باهظه.

و يمكن القول إن ما اضطر "فتح على شاه" إلى بذله من مال نفقه للحرب الأولى بينه و بين القيصر كان هو همه الأصلي لا ما خسره من أرضه في تلك الحرب! فإذا تحققت الدعوه إلى الجهاد عمليا و سار المجاهدون إلى أذربيجان و وصلوا إلى شمال نهر "أرس" ليحاربوا الجنرال "يرمولوف" فلا- بد من أن يدخل "فتح على شاه" في الحرب إذ كان "فتح على شاه" يعلم أن المجاهدين لن يثبتوا في وجه الروس، لأنهم ينقصهم العتاد الحربى و التدريب العسكرى و الدرايه بفنون الحرب، و أن "يرمولوف" سيتعقبهم متقدما في أرض إيران إلى أبعد مما في يده منها، و حينئذ يضطر "فتح على شاه" إلى ملاقاته بالجيش النظامى و تحمل نفقات ماليه ثقيله.

و جميع المستندات التاريخيه التى حصلنا عليها تدل على أن "فتح على شاه" كان، بعد معاهده، "كگلستان" راغبا عن محاربه القيصر.

فلما وصل "السيد محمد" و علماء الشيعه المقيمون في بلاد ما بين النهرين إلى طهران استدعى "فتح على شاه" ابنه "عباس ميرزا" من أذربيجان، حيث كان يقيم، إليه في طهران، و باحثه في موضوع الإعلان بالجهاد.

فكان رأى "عباس ميرزا" إرجاع "السيد محمد" و رفاقه إلى العراق و صرف النظر عن الجهاد، لأنه سيؤدي إلى حرب شديده بينه و بين القيصر، حرب لا يعرف إلى أين تنتهى. فأمر "فتح على شاه" ابنه ولى العهد بالذهاب إلى "السيد محمد" و إقناعه بان الصلاح في صرف النظر عن الجهاد.

فذهب "عباس ميرزا" إلى منزل "السيد محمد" و عقد جلسه طويله معه و مع العلماء الذين يرافقونه. و برهن لهم في حوار طويل بالأدله المنطقيه و حساب الأرقام أن القيام بالجهاد أمر متعذر، و أنهم يقدمون على مغايره لن تعود على إيران بغير الضرر. و أفهمهم أنه و أباه موافقان على الجهاد مؤمنان بوجوبه على كل مسلم. فهذا أمر لا خلاف فيه. و لكن في إعلان الجهاد صعوبه لا يمكن تذليلها، و هى توفير المال اللازم لنفقه المجاهدين. و بين لهم "عباس ميرزا" بالحساب أن إيران عاجزه عن توفير هذا المال. و قال: لو أن الشاه كان مستطيعا توفير هذا المال لما احتاج الأمر إلى الإفتاء بالجهاد لأن هذا المال، لو توفر، لكفى لتجهيز

رجال العشائر، و كان هؤلاء الرجال أكفيا للتحصول على النصر. و شبه "عباس ميرزا" حاله إيران الماليه بالقياس إلى حاله روسيا برجل فقير معدم يقاس بتاجر ثرى.

و لكن "السيد محمد" أصر على وجوب القيام بمجاهده روسيا و ظل مقتنعا بالتمكن منه، مستندا إلى اعتبارات حماسيه خياليه. و اتهم "فتح على شاه" بالخوف. فأجابه "عباس ميرزا" بقوله إن عنيت بالخوف الخوف من الجرح أو الموت برصاصه أو ضربه سيف أو طعنه رمح فأنت مخطئ. فلا أبى و لا أنا و لا جنودى نهاب الموت. نعم أبى يخاف من أن يوصلنا هذا الأمر إلى أصعب الشرين، إذ يصبح إفلاسنا الجزئى كليا! و ما أجبرنا على قبول معاهده "گلستان" لم يكن الخوف من الموت بل كان الفقر! و لو توفر لنا المال لوصلنا تلك الحرب التى دامت عشر سنوات تسعين سنه أخرى. و لكن أعوزنا المال فعجزنا عن تهيئه نفقات الحرب. و كنا أحيانا نعجز عن إيصال الطعام إلى الجنود. و اتفق مره أن ظلت وحده كبيره من وحداتنا العسكريه خمسه أيام بلا طعام، إذ عجزنا عن تهيئه المال اللازم لشراء الكفاف لها من الطعام، فضلا عن الأسلحه و المهمات الحربيه الأخرى! وعدنا أمبراطور فرنسا بالمساعده و لم يف بوعده. و وعدنا سفراء إنكلترا كذلك بالمساعده و لم تف إنكلترا بهذا الوعد، و آل أمرنا إلى أن فرضت معاهده "گلستان" علينا فرضا! و مع كل ما عرضه "عباس ميرزا" من أدله و براهين على أن الإعلان بالجهاد أمر غير عملى و لا-نتيجه له غير الإضرار بايران، فإنه عجز عن إقناع "السيد محمد" و رفاقه بالعدول عنه. و انتهت تلك الجلسه الطويله إلى نتيجه سلبيه. و ظل "السيد محمد" و رفاقه من العلماء مصرين على متابعه العمل للجهاد. و ساء ظنهم بالشاه و ولى عهد، و اتهموهما بمواطاه القيصر و موافقته. بل بلغ الأمر إلى رميهما بالمروق من الدين و الارتداد! و كانت تهمة جائره باطله. فقد كان "فتح على شاه" و ابنه "عباس ميرزا" مسلمين صادقين مواظبين دائما على إقامه شعائر الإسلام. و هذا أمر أجمع عليه الخاص و العام.

و عاد "عباس ميرزا" إلى زياره "السيد محمد" و رفاقه مره ثانيه. فقد أمره أبوه بان يطلب منهم العوده إلى العراق، فذهب إليهم لهذه الغايه.

و استغرقت المذاكره بينه و بينهم مده طويله، و تبين بعدها أن "السيد محمد" راغب عن العوده.

و الإنصاف يقتضى القول بان إصرار "السيد محمد" و رفاقه العلماء على الجهاد و تصلبهم فى الثبات على عزمهم على المجاهده أمر يستحق الإعجاب.

إذ كان دافعهم إلى ذلك رسوخ إيمانهم و إخلاصهم لله، و إن كانوا غافلين عن التفكير فى عواقب هذا الجهاد، أى شىء تكون؟ و كان الخاصه يعلمون أن الناس لا يستطيعون الذهاب إلى الجهاد، إذ لا أحد يستطيع تهيئه نفقاتهم. أما العامه فكان تفكيرهم طفوليا فجا يستسهلون الجهاد و يظنونه أمرا مستطاعا. فلما تبين لهم أن "فتح على شاه" و ابنه "عباس ميرزا" يخالفان الإفتاء بالجهاد لم يجد واعله لذلك سوى أنهما قد واطا القيصر و انحازا إليه، و خليا بينه و بين مسلمى القفقاس بتسلط عليهم. و كانوا يقولون لو صدرت فتوى بالجهاد فى الحرب الأولى لما خسرت إيران ما خسرت من ولايات الشمال. و لو صدرت هذه الفتوى اليوم لاستطاع

الایرانیون استرداد ما خسروه.

و أول فوج خرج إلى الجهاد كان من مدينة زنجان. ثم خرج الفوج الثاني من مدينة قزوین. و كانا يقصدان إلى تبریز. و خرج فوج آخر من طهران متخذاً طريقه إلى أذربيجان. و لم يمنع "فتح على شاه" خروجهم، إذ لو فعل لقاتلوه. هذا مع علمه بان كيفية خروجهم لا تقوم على أصل من أصول المحاربه و أن مصيرهم إلى الخيبه.

و كان ما حملوه من الزاد لا يكفيهم غير بضعه أيام. و بعضهم كان يحمل مالا، و لكن أكثر طريقهم كان في الصحراء و المنازل العامره بعيد بعضها عن بعض فلا يستطيعون شراء ما يحتاجون إليه في وقت الحاجه إليه.

و قد لا يجدون في المنازل حين يبلغونها ما هم بحاجه إليه. و كان سلاحهم السيوف، و بعضهم كان يحمل البنادق و الطبنجات. و بعضهم مشاه و بعضهم فرسان. و لم يلتزموا في سيرهم القواعد العسكريه المتبعه في مثل هذا السير، إذ كانوا يجهلونها. مثلاً حين أظلم المساء في أول يوم من مسيرهم لم يفتنوا إلى أن ممن الممكن أن يكون العدو كامنا لهم فيبيتهم و يقضى عليهم. و لو فتنوا إلى ذلك لما عرفوا انتخاب المكان المناسب لحظ الرحال و المبيت.

و كان الوقت خريفا فحم كثير منهم بسبب النوم في العراء و التعرض لبرد الهواء. فعاد فريق إلى بلده و تابع فريق سيره و هو محموم.

و لم يكونوا يعلمون أين هو ميدان الحرب، متوقعين أن يعلموا به بعد وصولهم إلى تبریز.

و قاسى الطهرانيون خاصه من المصاعب أكثر مما قاسى القزوينيون و الزنجانيون. إذ كان هؤلاء معتادين على تحمل البرد مستعدين لما يلزم للوقايه، بسبب بروده المناخ في إقليمهم. أما الطهرانيون، و إقليمهم يعد، نسبياً، إقليماً حاراً، فقد غفلوا عن الاستعداد لما يلزم للوقايه من البرد من أغطيه و ملابس. و حين وصل من أدام السير منهم إلى قزوین لالتحاق بمجاهديها كان هؤلاء قد غادروها إلى زنجان، في طريقهم إلى تبریز. فتوقف فريق منهم في قزوین لعجزهم عن متابعه السفر. و تابع فريق سيره إلى زنجان. و لكنهم لم يلبثوا أن ندموا إذ كانوا كلما تقدموا في السير ازداد الطقس برداً، و هم على ما هم عليه من قله الزاد و فقدان الملابس و الأغطيه التي تقيهم البرد. و تبينوا أن هذا السفر ليس على ما كانوا يتصورون من السهوله، و أنه سفر يتعذر على المرء أن يقوم به إذا لم يتهياً له بما يلزم من أسباب الوقايه من البرد.

و كان عدد المرضى من الطهرانيين يزداد يوماً فيوماً، و لما وصل المجاهدون إلى زنجان اشتد البرد إلى درجه عجز فيها الطهرانيون، حتى الذين سلموا منهم من المرض، عن متابعه السير، لفقدانهم كل وسيله من وسائل السفر في ذلك الإقليم البارد.

و كما كانت إدامتهم السفر إلى تبریز أمراً صعباً كانت عودتهم إلى طهران كذلك أيضاً. و فيما هم مترددون بين إدامه السفر إلى تبریز و العوده إلى طهران ثلجتهم السماء حتى قطعت الطرق، و أصبحوا عاجزين عن سلوك كلاً الطريقين، طريق تبریز و طريق طهران. هذا و الفصل لا يزال خريفاً فكيف إذا حل فصل الشتاء؟! و كان مجاهدو قزوین و زنجان قد وصلوا قبل ذلك إلى تبریز، و بعد الثلج اضطروا إلى التوقف فيها. و اضطروا مجاهدو طهران إلى التوقف في زنجان.

و كان هذا العذاب نتيجة الخط الذي ارتكبه المجاهدون لجهلهم بفنون الحرب. فقد كان عليهم أن يترشوا حتى انقضاء أيام البرد و ذوبان الثلوج.

فالسفر فى تلك الأقاليم الباردة كان يتوقف فى ذلك الفصل، فصل البرد، و لا يقوم به غير القوافل التى تضطر إلى حمل الأثقال فى كل فصول السنه. بل كان العسكر القيصرى نفسه و عسكر "فتح على شاه" نفسه يتوقفان فى أيام حرب العشر السنوات الماضيه عن التحارب فى هذا الفصل. فكيف تستطيع هذه الأفواج الثلاثه من المجاهدين التى خرجت من قزوین و زنجان و طهران، أن تحارب فى هذا الفصل، و هى مجردة من وسائل السفر الضروريه و أدوات الحرب، جيش القيصر المجهز بكل ما يلزمه من الوسائل، المستقر فى شمال نهر "كور" و جنوبه؟! و انقطع مجاهدو قزوین و زنجان فى تبريز، لا طعام لهم و لا مسكن و لا-وقود فاسعفهم حاكم تبريز، بامر من "عباس ميرزا" بما يحتاجونه من ذلك، و انقطع مجاهدو طهران فى زنجان، و كان حاكمها عاجزا عن إسعافهم فاسعفهم بعض الأثرياء و الأعيان. و لو لا ذلك لقصوا جوعا و بردا.

على هذا النحو توقف سير المتطوعين للجهاد من أهل المدن الثلاث، زنجان و قزوین و طهران، إذ أوقفهم البرد عن متابعه السير إلى جنوب نهر "كور" و الاغاره على جيش القيصر. و بعد ذوبان الثلوج و انفتاح الطرق كانت حماسه المتطوعين أقل منها يوم خروجهم من بلدانهم. و تقرر أن يستأنفوا سيرهم بعد عيد النوروز فى فصل الربيع.

و كما كان متوقعا عند "فتح على شاه" و "عباس ميرزا" أرسل القيصر إلى "فتح على شاه" مذكره عد فيها سماحه بخروج المجاهدين من المدن الثلاث إلى أذربيجان خرقا لمعاهده "گلستان" أرسل القيصر هذه المذكره، و المتطوعون لا يزالون منقطعين فى تبريز و زنجان و الثلج لم يذب بعد.

و أجاب "فتح على شاه" على مذكره القيصر بان الناس تتملكهم مشاعر دينيه قويه و لا يستطيع صدهم عن الخروج إلى الجهاد.

و لكن القيصر لم يقبل بهذا الجواب، و قال: لا يعقل أن يخرج محاربون من بلادك بدون موافقتك و إذن منك. و لو شئت منعهم لامتنعوا.

و الحق أن "فتح على شاه" لم يكن قادرا على منع أولئك المتطوعين من الخروج إلى الحرب. بل كان راغبا عن محاربه القيصر مريدا لمسالمته. و فوق هذا كان القيصر هو البادئ فقد كانت حمايته، قبل خروج المجاهدين، لا تنفك تخترق، بين الفينه و الفينه، الحدود التى قررتها معاهده "گلستان" و تغير على الأرض التى كانت تعد من إيران حسب مقتضيات تلك المعاهده.

و يوم عد القيصر خروج المتطوعين الايرانيين خرقا لمعاهده "گلستان" كان أولئك المتطوعون منقطعين فى تبريز و زنجان لم يقدموا على عمل حربى، على حين كانت حمايات القيصر تتعدى الحدود أحيانا كما ذكرنا. و مع ذلك فقد جعل القيصر خروج المتطوعين الايرانيين ذريعه له إلى استثناف الحرب و سير جيشا بقياده الجنرال "أريستوف" إلى أذربيجان، مدعيا أن "فتح على شاه" هو البادئ بالحرب، إذ سمح للمتطوعين بالخروج إلى الجهاد! عندئذ عاد "فتح على شاه"، و هو يرى "أريستوف" يسير إلى تبريز

ليحتلها و يحتل غيرها من نواحي أذربيجان، لا يستطيع الوقوف مكتوف اليدين عازفا عن الدفاع. فخرج من طهران، كارها، إلى أذربيجان ليكون قريبا من ميدان الحرب، و عهد بقيادة الجيش الايراني إلى "عباس ميرزا".

لقد أقدم "فتح على شاه" على هذه الحرب اضطرارا لا اختيارا.

و ليس صحيحا ما ذكره بعض المؤرخين الشرقيين من أن "فتح على شاه" وجد نفسه، بعد صدور الفتوى بالجهاد و خروج الناس في بعض المدن إلى الجهاد، عند مفترق طريقين: إما أن يمنع الناس من الجهاد و إما أن يمضى إلى محاربه القيصر، فاختار الثانيه. و هو لو استطاع منع الناس من الخروج إلى الجهاد لفعل. و لكنه كان يرمى حينئذ عند الجمهور بالكفر و المروق من الدين. (انتهت روايه "جان يونير" عن موضوع الجهاد).

بدايه الحرب الثانيه

و نقل "سعيد نفيسى" عن المؤرخين الايرانيين و الأجانب ما خلاصته:

لم تنجع محادثات السفير الروسى "الأمير منشيكوف" لرجال الدوله الإيرانيه على ترك الخلاف. و كذلك محادثاته للمجتهدين و علماء الدين ظلت بلا فائده. و ضيق إصرار هؤلاء الأمر على "فتح على شاه" و أجبره على الحرب. و اضطر إلى استدعاء السفير الروسى و أبلغه ما أجمع عليه العلماء و الرؤساء من رأى، و طلب منه العوده إلى بلاده و أتخفه و مرافقيه بهدايا و أعطاه مالا لنفقات السفر، و عهد إلى أحد رجال الدوله بمرافقته و رعايته بالضيافه و الخدمه إلى أن يبلغ به إلى "تفليس". و غادر السفير "السلطانيه" يوم الجمعه ٢٤ ذى القعدة سنه ١٢٤١ هـ، و وصل إلى "تفليس" فى أول أيلول سنه ١٨٢٦ م الموافق شهر صفر سنه ١٢٤٢ هـ.

و كان "عباس ميرزا" قد حضر، قبيل سفر السفير الروسى، من تبريز إلى "السلطانيه" ليعارض مساعى هذا السفير إلى تحقيق الصلح، و يهياً الأسباب لإخراجه من إيران. و بعد ذهاب السفير من "السلطانيه" أرسلت فورا فرق العسكر الأولى، و كانت قد جمعت قبل ذلك فى "السلطانيه"، إلى ميدان الحرب، و تبعها على الأثر رجال الدين المتطوعون للجهاد. و خرجت أول فرقه بعد ذهاب السفير بعشره أيام. و لحق بها "عباس ميرزا" بعد سبعة عشر يوما من ذهاب السفير.

و كان العقلاء من رجال الدوله الإيرانيه يرون أن قرار الحرب هذا لا يقوم على قاعده صحيحه معقوله، و أنه سيفضى بايران إلى كارثه محتومه، و أن "عباس ميرزا"، مع كل ما اتصف به من حصافه و تجربه و تعقل، قد ارتكب خطأ جسيما باقدامه على الحرب. و أن الخلاص من معاهده "گلستان"، أو، على الأقل، إيقاف روسيا عما ترتكبه أحيانا من تجاوز للحدود التى عينتها تلك المعاهده، لا يتسنى لايران بالحرب، لأن روسيا أقوى منها كثيرا.

و كان من هؤلاء المعارضين الشاعر الكاتب "الميرزا عبد الوهاب معتمد الدوله" المعروف باسمه المستعار "نشاط"، و كان من كبار رجال بلاط "فتح على شاه". و كان من المعارضين أيضا "أبو الحسن خان الشيرازى" وزير الشؤون الخارجيه. و لكن هياج الغوغاء و محركهم من قاصرى رأى و من أصحاب المصالح الخاصه غلب على التعقل و حسن التدبير و أربب العقلاء المعارضين فاضطروا إلى السكوت و التسليم.

الحرب الإيرانية الروسية الثانية

و كانت أول واقعه من وقائع الحرب الإيرانية الروسية الثانية إقدام "حسين خان" حاكم "إيروان" في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٤١ هـ الموافق ٢٨ تموز سنة ١٨٢٦ م، على اختراق الحدود التي عينتها معاهدة "گلستان" بخمسة آلاف من جنده واحتلال بعض ما في يد الروس من أرض. و لم يكن العسكر الروسى الذى فى القفقاس متهيئا للحرب، إذ لم تكن الحكومه الروسيه تتوقع إقدام إيران على الحرب، مخالفه بذلك توقعات سفيرها وقائد عسكرها فى إيران الجنرال "يرمولوف".

و على حين كان "عباس ميرزا" و رجاله يعدون عدتهم للحرب كان القيصر الروسى يعد عدته لتوطيد الصلح القائم بينه و بين البلاط الايرانى بمقتضى معاهده "گلستان" و يرسل "الأمير منشيكوف" سفيرا له فوق العاده إلى "فتح على شاه" يحمل إليه الهدايا و التحيات، و يلتمس منه إرسال وفد لتهنئته بالملك و تعزيتة بأخيه. و قد حدث أول إقدام لايران على الحرب و هذا السفير لا- يزال فى إيران. و من أجل ذلك كله لم يكن الجيش الروسى يومئذ متهيئا للحرب، فانهمز بضع مرات فى أوائل الحرب، و تأخر إعلان روسيا للحرب رسميا ثلاثة أشهر و ثلاثة أيام، فنشر هذا الإعلان فى موسكو يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٤٢ هـ الموافق ١٦ تشرين الأول ١٨٢٦ م.

و أخذت الحرب تشتد يوما فيوما، و الروس لا ينفكون يتراجعون منهزمين. و دخل جيش "عباس ميرزا" إقليم "قراباغ" و احتل مدينه "كنجه"، و حاصر مدينه "شوشى" فى أول شهر آب سنة ١٨٢٦ م الموافق ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٤١ هـ. و لكن الجنرال "يرمولوف" عاد فأرسل جيشا لاسترداد "كنجه". و التقى هذا الجيش بالجيش الايرانى، و عليه "محمد ميرزا" ابن "عباس ميرزا"، بالقرب من "كنجه". فلم يقو الجيش الايرانى على الثبات للمدفعيه الروسيه، ففر "محمد ميرزا" و تبعه جيشه منهزما و أصبح احتلال "كنجه" ميسورا للروس.

و فى أثناء ذلك أمدت موسكو "الجنرال يرمولوف" بأحد نوابغها العسكريين، هو الجنرال "إيفان فيدور و فيتش فاسكيفيتش"، و فوضت إليه القيام بكل عمل يراه صالحا، حتى عزل "يرمولوف" إذا اقتضى رأيه عزله. و وصل "فاسكيفيتش" هذا إلى القفقاس فى ١٠ أيلول سنة ١٨٢٦ م الموافق ٧ صفر سنة ١٢٤٢ هـ. و فى ١٧ أيلول الموافق ١٤ صفر من تلك السنه تسلم القيادة و دخل ميدان الحرب.

و وقع أول لقاء بينه و بين الجيش الايرانى فى نواحي "كنجه". فأوقع "فاسكيفيتش" بالاييرانيين الهزيمة و غنم مقدارا من الذخائر و أسر جنده ألفا من الجنود الايرانيين. و وقعت مناوشات أخرى انتصر فيها الروس و قتلوا ألفى جندى تقريبا من الايرانيين، و احتلوا ناحيه "قراشاى" حيث كان يعسكر "عباس ميرزا". و أرسل "فاسكيفيتش" إلى القيصر "نيقولا الأول" نبا هذا النصر.

و قد وقعت حرب "كنجه" هذه قبل ثلاثة أيام من نشر إعلان الحرب على إيران فى موسكو. و حصل النصر للجيش الروسى بعد عشره أيام من نشره.

و كان هذا النصر أول انتصار يحزره القيصر بعد تملكه. فأرسل إلى

"فاسكيفيتش" يشكره برسالة عاطفيه حماسيه، و يحرضه على احتلال "إيروان" و أهدى إليه سيفاً مرصعاً مكتوباً عليه "من أجل كسر الايرانيين فى إليزابيتوبول".

و بعد انكسار العسكر الايرانى فى "كنجه" أخذت أموره تزداد سوءاً يوماً فيوماً. و وقعت فى ميدان الحرب مجاعه تآثر بها العسكر الروسى أيضاً.

و كان بين ضباط الجيش الروسى الكبار جماعه من أهل القفقاس الأصليين، و أكثرهم من الكرج و الأرمن، و بعضهم من المسلمين، و قد دخل كل أولئك فى الجيش الروسى بعد احتلاله لتلك النواحي، حتى إنهم غيروا أسماءهم بأسماء روسيه و وصلوا بها للاحقه "أوف" التى تأتى فى آخر أسماء الأعلام الروسيه. و إذ كان هؤلاء الضباط يعرفون الألسنه المحليه، و منها اللسان التركى أكثر الألسنه تداولاً فى تلك النواحي، فقد أنس بهم الأهالى، و كان هذا الأمر من جملة أسباب تقدم الروس.

و فى ١٧ أيلول سنه ١٨٢٦ م الموافق ١٤ صفر سنه ١٢٤٢ هـ فك "عباس ميرزا" الحصار عن مدينه "شوشى" و تراجع عنها. و فى ٣٠ أيلول و أول تشرين الأول سنه ١٨٢٦ م الموافق ٢٧ و ٢٨ صفر سنه ١٢٤٢ هـ تراجع "عباس ميرزا" فى نواحي "أصلان دوز" و فر مشاته، متفرقين فى الجبال، و لم يبق معه من جيشه غير الفرسان.

و مع حلول فصل الشتاء توقفت العمليات الحربيه ما عدا مناوشات متقطعه قصيره. و فى أثناء ذلك أمرت القياده الروسيه أحد ضباطها اسمه "مادانوف" بمهاجمه مدينه "أهر". فسار إليها. و فى أثناء سيره خرب كثيراً من القرى الواقعه فى طريقه و أسر بضعه آلاف من العائلات و نهب مخازن الطعام، لا يلقى معارضه حتى قارب "أهر".

و يفيد تقرير كتبه "فاسكيفيتش" إلى القيصر أن "عباس ميرزا" كان قد جمع يومئذ خمسة آلاف جندى من المشاه فأمرهم بالمسير إلى "أهر".

و لكنهم تمردوا على أمره، و أعلنوا بأنهم باقون فى مكانهم. و أخذوا يتحدثون فيما بينهم بأنهم يأملون بالتسليم بلا حرب. و كان السكان المحليون يشجعونهم على ذلك.

و كذلك وقع خلاف بين الجنرال "يرمولوف" و الجنرال "فاسكيفيتش". و كان الأول يسعى إلى إبعاد الثانى عن القفقاس و إعادته إلى روسيا. فأرسل القيصر رئيس أركانه العامه "ديبيتش" إلى القفقاس للتحقيق فى هذا الخلاف، و وصل هذا إلى "تفليس" فى ٤ آذار سنه ١٨٢٧ م الموافق ٥ شعبان سنه ١٢٤٢ هـ.

و جاء فى المصادر الروسيه أن رسولا من قبل حاكم "إيروان" العسكرى وصل إلى "تفليس" مع وصول "ديبيتش" إليها، و كان يحمل رساله من حاكم "إيروان" إلى الجنرال "يرمولوف" يبلغه فيها أن الايرانيين يريدون المهادنه. و أن رسولا آخر من قبل وزير الشؤون الخارجيه الايرانى وصل حاملاً رساله موجهه إلى وزير الخارجيه الروسى "الكونت دونسلرود" و فيها أنه مفوض كل التفويض بعقد معاهده صلح بين إيران و روسيا. و لكن سرعان ما رفض "ديبيتش" هذا الاقتراح، لأنه اشترط تسليم القلاع القائمه على حدود إيران إلى روسيا، و اشترط أيضاً أن ترتهن روسيا من إيران قسماً من أرضها، يعين فيما بعد، لتضمن وفاء إيران بما تتعهد به فى معاهده الصلح و لكن المندوب الايرانى رد بان "عباس ميرزا" اضطرت تعديت موظفى روسيا فى الحدود

إلى مهاجمة الأرض الروسيه، و لم يكن بادئا بالحرب. فقطع "ديبيتش" كلامه و رد عليه بغلظه قائلا: إن لم تعترف إيران بخطئها فلن يقبل الإمبراطور اقتراح الصلح. و ختم كلامه بقوله: إن يكن هذا شأنكم فلا مباحثه بيننا بعد اليوم! و انتهى تحقيق "ديبيتش" فى موضوع اختلاف "يرمولوف" و "فاسكيفيتش" إلى أن أمر القيصر بعزل "يرمولوف" و إسناد القيادة العسكريه العامه فى القفقاس إلى "فاسكيفيتش"، فتسلم منصبه هذا فى ٩ نيسان سنة ١٨٢٧ م الموافق ١٢ رمضان سنة ١٢٤٢ هـ.

و بهذا التغيير ازدادت أمور إيران سوءا. إذ كان القائد الجديد أعرف من سلفه بالفنون العسكريه و أوفر منه نشاطا لأنه أصغر منه سنا. و كان، إلى ذلك، مقربا من القيصر "نيقولا" لا يرد له قولاً.

و فى ٢٥ نيسان سنة ١٨٢٧ م الموافق ٢٨ رمضان سنة ١٢٤٢ هـ احتل الروس مدينه "إتشميادزين" من ولايه "إيروان"، و كان الايرانيون قد أدخلوها فى اليوم السابق. و هذه المدينه فيها أعظم كنائس الأرمن و هى مركز جاثليقهم. و واصل الروس تقدمهم فى الولايه.

و فى هذه الأثناء أنشا الروس فى معسكر "فاسكيفيتش" مكتبا للنظر فى الأمور المدينه و العلاقات الخارجيه. و فى ٥ أيار سنة ١٨٢٧ م الموافق ٨ شوال سنة ١٢٤٢ هـ كتب "الكونت نسلرود" وزير خارجيه روسيا إلى "فاسكيفيتش" يبلغه تعيين أحد مستشارى الدوله رئيسا لهذا المكتب و إسناد أمور العلاقات الخارجيه إليه، و أن رئيس المكتب هذا مأمور بعمل ما يلزم لدعوه إيران إلى المفاوضات. و أوصاه برفض تدخل الإنكليز فى مفاوضات الصلح. و كان الكاتب الروسى المعروف "غريبايدوف" أحد أعضاء هذا المكتب الذين قدموا إلى معسكر "فاسكيفيتش" لهذه الغايه. و هو ابن أخت "فاسكيفيتش".

و فى ذلك التاريخ، أى ٥ أيار سنة ١٨٢٧ م الموافق ٨ شوال سنة ١٢٤٢ هـ، كان "فاسكيفيتش" قد عزم على محاصره مدينه "إيروان".

و فى ٩ أيار الموافق ١٢ شوال من تلك السنه كان الجيش الروسى قد احتل ما حول المدينه من جهه الشمال و جهه الشرق.

و فى ٨ تموز الموافق ١٣ ذى الحجه من تلك السنه دخل الجيش الروسى ولايه "نخجوان" و حاصر قلعه "عباس آباد". و قدم "عباس ميرزا" و "فتح على شاه" من تبريز بجيش كثيف إلى تلك النواحي، و عسكرا فى مدينه "خوى".

و دارت عده معارك انتهت إلى هزيمة الايرانيين و احتل الروس قلعه "عباس آباد"، و هى عمده الدفاع عن مدينتى "إيروان" و "نخجوان".

و فى أول شهر تشرين الأول سنة ١٨٢٧ م الموافق ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٤٣ هـ احتلوا قلعه "سردارآباد" من ولايه "نخجوان" و احتلوا أماكن أخرى، و قتلوا كثيرا و أسروا كثيرا من الجند و من رؤساء العسكر و أسروا بعض رجال العائله المالكه.

و فى ١٢ تشرين الأول الموافق ٢١ ربيع الأول من تلك السنه احتلوا

مدينة "إيروان". و أسروا من الجند المدافعين ثلاثه أفواج و غنموا كثيرا من المعدات الحربية و غيرها. و خربت كل بيوت المدينة تقريبا و امتلأت الطرق بجث القتلى من الجند الايرانيين. و أمر "فاسكيفيتش" بتحويل أحد مساجد المدينة إلى كنيسه تذكارا لهذا النصر. و استغرقت الحرب لاحتلال قلاع "عباس آباد" و "سردارآباد" و "إيروان" ثلاثه أشهر.

و بفتح "إيروان" علاصيت "فاسكيفيتش" و أصبح أشهر قائد عسكري في روسيا. و أنعم عليه القيصر بكثير من الامتيازات. و من ذلك الإنعام عليه بلقب درج عليه الروس، و هو نسبه من يفتح فتحا عظيما إلى البلد الذي يفتحه. و قد أنعم على "فاسكيفيتش" بلقب "إيروانسكى"، أى "الايروانى".

احتلال تبريز

كان "الكونت نسلرود" وزير خارجيه روسيا قد أمر الجنرال "فاسكيفيتش" أن يقترح الصلح على إيران بعد أول انتصار مهم يحصل عليه.

و بعد احتلال الروس لقلعه "سردارآباد"، و قبل احتلالهم لمدينة "إيروان" أمر "فتح على شاه" ابنه "عباس ميرزا" أن يبادر إلى مصالحة الروس و يتخلى لهم عن ولايتى "نخجوان" و "إيروان"، إذ كان قد أيس من النصر.

و لكن "عباس ميرزا" خالف أباه فلم يطلب المصالحة، إذ كان فصل الشتاء قريبا، و هو يأمل أن يعوق برد أذربيجان الشديد تحركات الروس فتطول حرب "إيروان"، و كذلك كان يقوم بتحريض أهالى النواحي التى احتلها الروس وراء نهر "أرس" على الثورة. و قد نجح فى إثارة الداغستانيين، و لكن الروس أحمدوا ثورتهم بسرعه. و كان لا يزال مخدوعا بمواعيد الإنكليز مع كل ما بدا منهم من إخلاف للمواعيد. و يجدر بالذكر أن السفير الانكليزى و أعضاء سفارته و فريق من الضباط الإنكليز الذين كان لهم فى الظاهر عنوان المستشارين فى الجيش الايرانى، كانوا يرافقون "فتح على شاه" و "عباس ميرزا" فى مختلف ميادين الحرب و يحرضونهما على متابعه الحرب و رفض المصالحة.

و لما فتح "فاسكيفيتش" مدينة "إيروان" أصبح مستعدا لوقف الحرب. و أبلغ الروس الدوله الإيرانيه أنهم حاضرون للصلح بشرط أن تؤدى إليهم إيران غرامه حربيه مقدارها عشرون مليون روبل. و لكن "عباس ميرزا" تباطا لا يرد بجواب صريح.

عندئذ عزم "فاسكيفيتش" على احتلال مدينة "تبريز"، ثم طهران، و القضاء على الدوله الإيرانيه. و فى شهر تشرين الأول سنه ١٨٢٧ م الموافق شهر ربيع الأول سنه ١٢٤٣ هـ تحركت ثلاثه جيوش روسيه من ثلاث نواحي مختلفه، إحداها خرج من "إيروان" بقيادة "فاسكيفيتش"، قاصده تبريز من طرق مختلفه.

و كانت الأوضاع الداخليه فى النواحي التى احتلها الروس و النواحي التى يحتلونها، و هم يقصدون إلى تبريز، سيئه جدا. و قد وجد الروس فى اختلال هذه الأوضاع عونا كبيرا لهم على التقدم.

كانت عمده الأعمال التجاربه و الصناعيه يومئذ بيد الأرمن و كان الأرمن يحقدون على الايرانيين لما كانوا يلقونه من ظلم أيام تجيش الجيوش على يد الموظفين الايرانيين. و كانت عدّه أولئك الأرمن يومئذ تقدر بستين ألفا فى أذربيجان. و كانوا يعاونون

الروس إذ كانوا على دينهم من جهة، و يكرهون الايرانيين من جهة أخرى.

و كان أتراك أذربيجان تجمعهم باتراك روسيا آصره القرابه و القوميه و اللغه. و كان أكثرهم يتعاطى الفلاحه، و محاصيلهم لا تنفك عرضه للاغاره و الآفات الزراعيه على مدى سبعة عشر عاما من الحروب، من عهد " آقا محمد خان " إلى اليوم. فهم لذلك، لا ينفكون متذمرين ناقمين. و الأكراد تفرقهم عن موظفي الدوله القاجاريه الذين كانوا يتولون شئونهم فوارق مذهبيه. فهم حاقدون ناقمون. و قد استطاع " عباس ميرزا "، بشق النفس، أن يجند منهم كتيبه فرسان. و لكنهم لم يفيدوه بشيء في الميدان.

و كانوا يولون الأدبار عند أول فرصه، و ينهبون، و هم في طريق الفرار، كل ما تقع عليه أيديهم، ثم يأوون إلى خيامهم في منازلهم.

و في ١٩ تشرين الأول سنة ١٨٢٧ م الموافق ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٤٣ هـ احتل " أريستوف " أحد قادة تلك الجيوش الثلاثه مدينه " مرند ".

و كانت تبريز على حال في منتهى السوء من التشويش و الاختلال. فقد عجز حاكمها العسكري " الله يار خان آصف الدوله " عن تجنيد الناس للحرب إذ عصوا أمره لا يذعنون له. فتوسل إلى حملهم على الطاعه بالارهاب، و ذلك بالاقدام على عمل فظيع. و هو أنه أمر بالتقاط جماعه من الماره في الطرقات، و قطع آذانهم و أنوفهم و إعمائهم في كل ميدان من ميادين المدينه، ففعلوا بهم ذلك بلا ذنب أذنبوه. و مع ذلك ظل الناس على عصيانهم لا يذعنون له.

و قام أحد رجال الدين اسمه " آقا مير فتاح " على المنبر فخطب قائلا:

إذ أن العسكر الايراني لم يستطع الثبات، لا في ميدان الحرب و لا وراء أسوار سردار آباد و إيروان، فليس واجبا على أبناء هذه المدينه أن يذهبوا إلى الحرب. و خطب في يوم آخر و شرح في خطبته ما قام به القاجاريون من ظلم و سلب و نهب.

و كان " السيد محمد الأصفهاني المجاهد " الذي أفتى بالجهاد، و قد مر ذكره، قد حضر إلى تبريز ليشارك في الحرب. فلما اقترب الروس من تبريز خرج مع جماعه متجندا لحربهم. و لكنه لم يلبث أن وقع في الحيره و اختلطت عليه الأمور و تداخلت إذ وجد أن ممارسه الجهاد بالفعل غير الإفتاء به بالنظر فهو لا يدرى ما يفعل. ثم مرض فعاد قاصدا إلى قزوين، و قضى نجه في الطريق، و قيل في قزوين. و حمل جثمانه إلى كربلاء فدفن فيها.

و في صباح ٢٣ تشرين الأول سنة ١٨٢٧ م الموافق ٢٢ ربيع الأول سنة ١٢٤٣ هـ وصلت طليعه الجيش الروسي الذي يقوده " أريستوف "، و كانت بقياده المقدم " فانكراتيف "، إلى ظاهر تبريز، فخرج جماعه من الأهالي يستقبلونه، و دخل المدينه سلما، و قوبل بالهتاف له و مظاهر الترحيب به، و احتل المراكز العسكريه و استولى على مستودعات الأسلحه و مصانعها.

و بعد بضع ساعات وصل الجيش كله و دخل المدينه على إيقاع الموسيقى العسكريه.

و كان حاكم المدينه العسكري "الله يار خان" قد اختبأ في خرابه. فعثر عليه أحد قوزاق البحر الأسود و عرفه و قبض عليه و جاء به إلى "أريستوف". (١) و في ذلك اليوم نفسه عبرت بقيه الجيش الروسي، و كانت متوقفه في "جلفا" وراء نهر "أرس" هذا النهر و دخلت أذربيجان.

و في تلك الأيام أُلصقت بالعالم الديني "مير فتاح" تهمة الخيانه و الارتشاء، مع أنه لم يصنع شيئا سوى أنه اختار أهون الشرين، و حفظ دماء الناس من أن تهدر عبثا في معركة لا تحصل إيران منها على غير الخساره.

مساعي الصلح

و في أواخر تشرين الأول الموافقه أواخر ربيع الأول من تلك السنه ذهب سكرتير السفاره الإنكليزيه "كامفيل" و حاكم تبريز "فتح على خان" إلى "فاسكيفيتش"، و كان لا يزال في "نحجوان [نخجوان]"، يقترحان عليه الدخول في مفاوضات للصلح. و قد أحسن "فاسكيفيتش" استقبال السكرتير الإنكليزي، و لكنه أبلغه أنه يستقبله بما هو ضيف لا بما هو مفاوض، و أنه يرفض تدخله في هذا الأمر، و المفاوضات تكون بينه و بين رسول "عباس ميرزا" فقط. و طلب هذا من "فاسكيفيتش" بلهجه استغاثه، أن يوقف تقدم الجيش الروسي، على أن يصله في أقرب وقت رسول من الشاه نفسه يحمل معه القسط الأول من الغرامه الحربيه التي سبق أن طلبها شرطا للمصالحه.

و لكن "فاسكيفيتش" رفض اقتراحه و قال له إنه سائر إلى "مرند" و حين يصل إليها تكون شروطه للمصالحه أصعب.

و في ٢٨ تشرين الأول سنه ١٨٢٧ م الموافق ٢٧ ربيع الأول سنه ١٢٤٣ هـ دخل "فاسكيفيتش" إلى مدينه "مرند". و هناك بلغه نبا بان "عباس ميرزا" ذهب إلى "خوى" و أن عسكره في "قراداغ" قد شتتهم العسكر الروسي. و بلغه أيضا نبا تسليم تبريز.

و في ذلك اليوم حمل إليه رسول من "عباس ميرزا" رساله يطلب فيها الاجتماع به للمذاكره في موضوع الصلح. و كان سكرتير السفاره الإنكليزيه يرافق رسول "عباس ميرزا" هذا، و لكنه لم يكن طرفا في الحديث. و أجاب "فاسكيفيتش" على طلب "عباس ميرزا" برساله قال فيها: في تبريز فقط يمكن أن نتلاقى لا في غيرها. و قال أيضا: ليقم عباس ميرزا في (خوى) مطمئنا، و أنا أمر جندي بان لا يضايقوه بشيء.

و في اليوم التالي حمل "فتح على خان" حاكم تبريز رساله أخرى من "عباس ميرزا" إلى "فاسكيفيتش"، فالتقى به و هو في طريقه إلى تبريز.

و كان مضمون هذه الرساله كمضمون الأولى. و لكن "فاسكيفيتش" رفض الملاقاه و زاد على ذلك أنه أصبح لا يرضى بمقدار الغرامه التي سبق أن طلبها، و أنه يطلب زيادتها بمقدار عينه.

و تفيد المصادر الروسيه أن انهزامات "فتح على شاه" المتتاليه نفرت الأذربيجانيين منه، فاعلنوا بمخالفته جهارا من ذلك أن حاكم "مراغه [مراغه]" أرسل يومئذ ابنه "رضا قلي خان" إلى "أريستوف" في تبريز، قاطعا مسافه ١٦٧ كيلو مترا، يعرض عليه تسليم مدينه "مراغه" إلى الروس. فأجابه "أريستوف" بان على أبيه أن يعلن أولا بدخوله في طاعه الدوله الروسيه و يطلق ٤٢

أسيرا روسيا محتجزين فى نواحى "مراغه" منهم ٢٢ أسيرا برتبه ضابط. فبادر الخان حاكم "مراغه" فورا إلى السير بجماعه من جنده و تعقب لجنود الايرانيين فاستخلص الأسرى الروس منهم و حملهم إلى تبريز و سلمهم إلى "أريستوف".

و فى ٣١ تشرين الأول الموافق ٣٠ ربيع الأول دخل "فاسكيفيتش" إلى تبريز، فاحتفل الناس بقدمه بمظاهر الابتهاج و الفرح و نثروا الزهر و نحروا الذبائح فى طريقه. و زاره "مير فتاح" و أعطاه رسائل بعث بها إليه حكام "مراغه" و "أهر" و "أردبيل" و "خوى" يعرضون عليه تسليم مدنهم إلى الروس.

و بعد بضعه عشر يوما من احتلال تبريز استشار الروس مختاير المدينة فى تعيين مقادير الضرائب و كيفية توزيعها على المكلفين، و أتم الروس هذا العمل حسب ما أشار به المختاير. و لكن الأهالى لم يعجبهم ترتيب الضرائب هذا و أغلقوا متاجرهم و تجمعوا فى الساحات العامه و هددوا بالثوره. فقام "مير فتاح" بزياره "فاسكيفيتش" و أعلمه أن من حرك الناس للاعتراض إنما هم موظفو الدوله الإيرانيه و جباتها، لأن الترتيب الجديد يضر بمصالحهم الخاصه، و سلم إليه لائحته بأسماء المحرضين، فاعتقلوا و سجنوا. و عندئذ سكن الناس و عاد الهدوء إلى المدينة.

و يجدر بالذكر أن الحاله النفسيه و الفكرية التى كان عليها الايرانيون يومئذ كان لها أثر كبير فى فتور الناس عن المقاومه و ميلهم إلى الاستسلام. فقد كانت إيران منهكه بحروب و فتن متواصله طالت عليها أكثر من مائه عام، من انقراض الدوله الصفويه إلى زمن "فتح على شاه". فبعد عهد زاهر بالقوه و العظمه نعمت به إيران أيام حكم الصفويين تداولتها سلسله من فجاج القتل و الخراب و الإرهاب و سوء السياسه و الانشقاقات الداخليه. فلما آل الأمر إلى القاجاريين بلغت الحال مبلغا عظيما من السوء، خصوصا أيام حكم "فتح على شاه" و حروبه الطويله الخاسره، و ما أوقعته بايران من إذلال و إضعاف. و فوق هذا كان الايرانيون يكرهون القاجاريين و يعدونهم غرباء مغتصبين. بل كانوا لا يزالون يحنون إلى عهود الصفويين و يعطفون عليهم و يرون أنهم كانوا أحق بالحكم من غيرهم لأنهم من السلالة النبويه، و أنهم قد غضبوا حقهم. و يرون أن ما منى به "فتح على شاه" من هزائم و انكسارات إنما كان عقابا إلهيا! و لذلك جعل الناقدون على الأسره القاجاريه، و لا سيما موظفيها، يوم دخل الروس أذربيجان، من خيانتهم لهذه الأسره نوعا من الاستقامه و الصلاح! كان "عباس ميرزا" قد فر إلى ناحيه "سلماس" من أذربيجان، ينتظر جواب "فاسكيفيتش" على طلبه للصلح. و يستفاد من المصادر الروسيه التاريخيه أن جماعه من حكام الإقليم الايرانيين عرضوا يومئذ على "فاسكيفيتش" أن يسلموا إليه "عباس ميرزا"، و لكنه رفض و فضل أن يبقيه طليقا ليكون ممثل إيران فى مفاوضات الصلح لعقد الميثاق الذى ينوى فرضه على إيران.

و فى أواخر شهر تشرين الأول سنة ١٨٢٧ م الموافقه أوائل جمادى الأولى سنة ١٢٤٣ هـ عسكر "عباس ميرزا" فى ناحيه "أروميه" قرب نهر "غازى"

ص: ٢٣٢

١- ظل "الله يار خان آصف الدوله" هذا مده من الزمن أسيرا عند الروس. ثم دخل فى خدمتهم و أصبح موظفا عندهم.

شای". و یومئذ عرض حاکم "أرومیه" و حاکم "خوی" علی "فاسکیفیتش" أن یتسلما إلیه. بل عرضا علیه أن یعاوناه علی قطع دابر ما تبقی من جند "عباس میرزا".

و أرسل إلیه رؤساء العشائر فی نواحی أخرى رسلا من قبلهم، و بعضهم حضروا بأنفسهم، یؤذنونہ بأنهم حاضرین للتسليم إلیه. و هب البداه من سكان الخيام فی أذربيجان یشغبون علی الحکومه الإیرانیه و یقاومونها، حتی قطعوا الطریق بین طهران و أذربيجان.

و أرسل القیصر الروسي إلی "فاسکیفیتش" أمرا بالاکتفاء باحتلال ولایتی "نخجوان" و "إیروان" و جعل "أرس" الحد الفاصل بین ما احتلته روسيا و أرض ایران. و أمره أيضا بان لا یحالف خصوم القاجاریین و لا یسعی إلی إسقاطهم من الحکم مراعاة لما تعهدت به روسيا فی معاهده "گلستان" من المحافظه علی منصبهم فی الملك و الإبقاء علی ولایه العهد لعباس میرزا. و لذلك لم یطلب "فاسکیفیتش" من أحد من حکام تلك النواحی و لا من البداه سكان الخيام و لا أهل المدن أن یساعدوه بالخروج علی دولتهم و خیانتها.

و عهد "فاسکیفیتش" إلی أحد ضباطه باداره الأعمال فی أذربيجان، و أقام معه مجلسا استشاریا یعاونه، مؤلفا من أربعة ضباط من الروس و "میر فتاح" و "فتح علی خان" حاکم تبریز السابق.

و فی یوم ۲ تشرين الثاني سنه ۱۸۲۷ م الموافق ۱۲ ربيع الثاني سنه ۱۲۴۳ هـ حضر إلی تبریز، بلا إعلام سابق، "المیرزا أبو القاسم القائم مقام" (۱) مدیر أعمال "عباس المیرزا"، مرسلا من قبل ولی العهد، لمباحته "فاسکیفیتش" فی أمر الصلح، و هو مفوض إلیه تفویضا مطلقا أن یقدم علی کل ما یراه مناسبا.

محادثات الصلح

و لكن "فاسکیفیتش" حصر المحادثه فی خط محدود و علی نحو معین لا- تحید عنه. و هو أنه حول القائم مقام إلی رئیس المكتب السیاسی الروسي "أوبریسکو"، و كان یقیم علی بعد سبعة کیلومترات و نصف کیلومتر من تبریز، لمباحته و وضع قرار بالمصالحه علی أساس ثلاث مواد، هی:

۱- أن تتخلى ایران لروسيا عن ولایه "إیروان" و ولایه "نخجوان".

۲- أن تجلو ایران عن ناحیه "طالش" و تسلمها إلی روسيا. و كانت هذه الناحیه قد اقتطعت من ایران و ألحقت بروسيا بمقتضى معاهده "گلستان". و لكن ایران عادت فاحتلتها فی أول الحرب الثانيه.

۳- أن تؤدی ایران إلی روسيا سبعة ملايين و نصف المليون تومان، أى ما یساوی ثلاثین مليون روبل فضه، غرامه حربیه.

و عین "فاسکیفیتش" مددا تؤدی فیها هذه الغرامه أقساطا، علی أن یبقى الجيش الروسي محتلا أذربيجان إلی أن يؤدی آخر قسط من الغرامه.

و عندئذ يجلو الروس عن أذربيجان، و إلا ظلت في أيديهم. و عاد "القائم مقام الميرزا أبو القاسم" إلى "عباس ميرزا"، و كان في "خوى"، يحمل شروط "فاسكيفيتش" للصلح. فأجابته "عباس ميرزا" برسالة وافق فيها على تلك الشروط. و عين يوم ٤ تشرين الثاني سنة ١٨٢٧ م الموافق ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٤٣ هـ موعدا لملاقاته في بلدة "دهخوارقان".

و حدث في أثناء ذلك أن فرقة من الجيش الروسي سارت إلى مدينة "شبستر" فخف "عباس ميرزا" إلى الخروج من "خوى" و السير إلى "شبستر" لملاقاة الروس سلما. و فور خروجه من "خوى" بادر حاكمها إلى الذهاب إلى تبريز و دخل على "فاسكيفيتش" فسلم إليه مفاتيح قلعه "خوى" و أخبره أن فيها قدرا وافرا من الغلال و المدافع و جميع لوازم المدفعية. فآقره "فاسكيفيتش" على عمله في حاكمية "خوى"، و أرسل من قبله ضابطا روسيا حاكما عسكريا عليها، و معه فوج من العسكر.

خرج "عباس ميرزا" من "خوى" قاصدا "شبستر" في صباح ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٢٧ م الموافق ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٢٤٣ هـ، و معه خمسون و مائة من رجاله، فأرسل القائد الروسي فرقه من جنوده لاستقباله، و حياه حين وصوله بطلقات مدفعية.

و في ذلك اليوم نفسه وصل "فسكيفيتش [فاسكيفيتش]" إلى "دهخوارقان" و استقبله فيها "خسرو ميرزا" ابن "عباس ميرزا"، و كان في السادسة عشره من عمره. و في اليوم التالي أرسل "فاسكيفيتش" من قبله الجنرال "الكونت سوشتيلين" مع بضعة ضباط إلى "عباس ميرزا" ليصحبوه إلى "دهخوارقان". و في كل هذه الوقائع بالغ الروس كثيرا في الاحتفال بولي العهد الإيراني و تكريمه و التقرب إليه بالعبارات المعسولة. و يذكر أنه قال لهم يومئذ "إنى لأعجب أن أكون ضيفا عليكم و أنا في هذه الأرض!..".

و في اليوم التالي بدأت المفاوضات بين "عباس ميرزا" و "فاسكيفيتش". و قبل "عباس ميرزا" بكل ما طلبه الروس، حتى إنه قال لمفاوضه: "إن لم يعنى قيصر روسيا فلا بد لي من الفرار إلى أرض العثمانيين، إذ أنى سقطت من كل اعتبار في نظر الناس". ثم قال: "أو أفر إلى الهند و أسلم نفسي إلى الإنكليز!".

و مع ذلك فان محادثات "دهخوارقان" لم تصل إلى نتيجة حاسمه. فعاد "عباس ميرزا" إلى طهران، يرافقه السفير الانكليزي لمتابعه مساعى التمهيد للصلح و أرسل "فاسكيفيتش" معه جماعه من عسكره يشيعونه بمظاهر الاحترام إلى أول طريق طهران. و حين ودعه قال له: لن يتوقف عسكرنا عن التقدم ما لم توضع الغرامه بين يديه! و في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨٢٨ م الموافق ١٠ رجب سنة ١٢٤٣ هـ احتل الروس مدينه "أروميه" سلما و فتحت لهم أبواب قلعتها. و في هذه الأثناء دخلوا أيضا مدينه "مراغه" و نواحيها سلما. و أقروا عليها حاكمها الإيراني "جعفر قلى خان"، و كان قد سبق أن أعلن الروس بولائه لهم.

و خلت جميع النواحي من جنوب أذربيجان الغربى من العسكر الإيراني.

و رحلت بقيه قليله من جنود "عباس ميرزا" إلى زنجان ساعه اقتراب الروس من "مراغه".

و في ٦ شباط سنة ١٨٢٨ م الموافق ٢٠ رجب سنة ١٢٤٣ هـ دخل الروس مدينه "أردبيل" بلا مقاومه. و ظلت قلعتها ثابتة لا تسلم، و كان على حاميها القلعه اثنان من أبناء "عباس ميرزا". و مع أن أباهما كان قد

١- هو ابن "الميرزا عيسى" المعروف بلقب "القائم مقام" ولقب "الميرزا الكبير"، وقد مر ذكره. وقد خلف أباه هذا في منصب مدير أعمال "عباس ميرزا". وكانا كلاهما من كبار رجال الدولة.

أمرهما بتسليم القلعه فإنهما خالفا أمره. و لكنهما أرسلتا إلى قائد الجيش الروسى المحتل أنهما حاضران للتسليم، إلا أنهما يطلبان منه التظاهر بأنه يحاصر القلعه مده ثلاثه أيام يطلق فيها على القلعه قنابل يقتصر فى حشوها على البارود فقط فتشتعل و لا تؤذى، ليصونا بذلك سمعتهما العسكريه، فيقال إنهما قاوما ثم اضطررا إلى التسليم مكرهين. و لكن القائد الروسى رفض القيام بتمثيل هذه المسرحيه، و أطلق على القلعه ثلاث قنابل صغيره، فبادر الإخوان إلى الاستسلام فورا.

و نهب العسكر الروسى المخطوطات النفيسه التى فى مكتبه مزار "الشيخ صفى الدين الأردبيلى"، و أرسلها "فاسكيفيتش" مع مفاتيح قلعه أردبيل إلى القيصر.

و طالت بعد ذلك المذكرات و المراسلات فى موضوع مقدار الغرامه حتى تبين الروس أن إيران لا تستطيع أن تؤدى إليهم أكثر من خمسه ملايين تومان، تعادل عشرين مليون روبل فضه. و فى أثناء ذلك وقعت حرب بين العثمانيين و الروس. و أراد العثمانيون تقويه الايرانيين على الروس بامدادهم بالرجال و السلاح، و لكن الوقت كان فات. و مع ذلك كانت هذه الحرب من الأسباب التى حملت الروس على التعجيل بإيقاع الصلح بينهم و بين إيران.

بيد أن الروس، مع ذلك، واصلوا تقدمهم و عبا "فاسكيفيتش" عسكره، و أرسل فرق العمال و المهندسين يشقون الطرق اللازمه لمسير عسكره إلى طهران.

معاهده "ترکمان شای"

عندئذ بادرت الحكومه الإيرانيه إلى إرسال أول قسط من الغرامه و سلمته إلى الجيش الروسى فى ١٣ شباط سنه ١٨٢٨ م الموافق ٢٧ رجب سنه ١٢٤٣ هـ. و أرسل "عباس ميرزا"، و كان فى طهران، إلى "فاسكيفيتش" أن الشاه أمره بالمسير إلى تبريز لعقد معاهده صلح على أساس الشروط التى أملاها الروس فى اجتماع "دهخوارقان" السابق، و أنه قادم إلى تبريز قريبا.

فأرسل "فاسكيفيتش" رسولا من قبله إلى ملاقه "عباس ميرزا" و اصطحابه إلى "ترکمان شای". و هى قريه كبيره تقع على بعد اثنين و أربعين كيلو مترا من مدينه "ميانه". و قد اختارها "فاسكيفيتش" لتكون محلا للمفاوضه لأسباب استراتيجيه.

و أعد الجنرال "سوشتيلين" ما يلزم من الوسائل لاقامه ضيافه فخمه لعباس ميرزا. و كانت هناك تله كبيره جدا لعظام قتلى من الجنود الروس قتلوا سنه ١٨٢٦ م (١٢٤٢ هـ)، فدفنها "سوشتيلين" و نصب على مدفنها صليبا كبيرا.

و فى ١٩ شباط سنه ١٨٢٨ م الموافق ٣ شعبان سنه ١٢٤٣ هـ وصل "عباس ميرزا" و ثلاثه من رجال الدوله إلى "ترکمان شای"، و بدأت المفاوضات.

و فى منتصف الليل ما بين ٢١ و ٢٢ شباط سنه ١٨٢٨ م الموافق ٥ و ٦ شعبان سنه ١٢٤٣ هـ، و هو وقت يعده المنجمون الايرانيون مناسبا للعمل، وقع الطرفان الايرانى و الروسى على معاهده الصلح. و أطلقت طلقة و مائه طلقة مدفعية إيدانا للناس بإيقاع الصلح.

و من جمله ما قضت به هذه المعاهده اقتطاع ولايه "إيروان" و ولايه "نخجوان" من أرض إيران و إلحاقهما بأرض روسيا. و أن تؤدى إيران إلى روسيا غرامه حريه مقدارها خمسه ملايين تومان تساوى عشرين مليون روبل فضه. و أن يكون لسفن روسيا

التجاربه حق حريه الملاحه فى بحر الخزر.

و لا يسمح به لغيرها من السفن الحربيه. و نصت المعاهده أيضا على أن تتعهد روسيا بالاعتراف بان ولايه عهد إيران لعباس ميرزا و لأعقابه من بعده.

و عقدت بينهما أيضا معاهده تجاريه.

مقتل "غريبايدوف"

أول سفير لروسيا فى إيران، بعد عقد معاهده "ترکمان شای"، هو الكاتب الروسى "الكساندر سرغيفيتش غريبايدوف". و هو ابن أخت "فاسكيفيتش". و كان يقيم فى إيران فى أثناء الحرب موظفا عند خاله.

و بعد التوقيع على معاهده "ترکمان شای" فى إيران أرسل "فاسكيفيتش [فاسكيفيتش]" نسختها الأصلية معه إلى "بترسبورغ" ليوقع القيصر عليها. و بعد التوقيع عينه القيصر سفيرا لروسيا فى إيران، فعاد إليها و معه نسخه المعاهده الموقع عليها. و وصل إلى طهران فى الخامس من شهر رجب سنة ١٢٤٤ هـ الموافق ١١ كانون الثانى سنة ١٨٢٩ م.

و كان فى معاهده "ترکمان شای" بند موضوعه استرداد أسرى الحرب و الهاربين اللاجئيين من دوله إلى دوله، سواء أ كان الأسرى و اللجوء قبل الحرب أم فى أثناءها. و قد وقع خلاف بين إيران و روسيا على تفسير هذا البند و تطبيقه. خلاف استمر سبعة عشر عاما تقريبا إلى أن حل باتفاقية جديده.

و يوم أصبح "غريبايدوف" هذا سفيرا لروسيا فى إيران بلغ هذا الخلاف أقصى درجاته. فقد كانت عاده ذلك الزمان أن يسترق الأسرى.

و كان بين هؤلاء نساء من الأرمن و نصارى "كرجستان"، منهن مسترقات و منهن من تزوجن مكرهات بايرانيين و لهن منهم أبناء. و كان أولئك الأسرى من الكرج و الأرمن يرغبون فى العوده إلى ديارهم و أهلهم. و كان "غريبايدوف" يرى أن ذلك من حقهم بمقتضى البند الخاص بالأسرى من معاهده "ترکمان شای". و يسعى جاهدا إلى استخلاصهم.

و يوم كان "غريبايدوف" فى قزوین فى طريقه إلى طهران عائدا من روسيا توقف هناك يريد استخلاص من فى قزوین من الأسرى الأرمن و الكرج و إعادتهم إلى بلادهم. و لكن المستفيدين من استبقاء هؤلاء الأسرى فى الأسر و العبودية عارضوه و قاوموه، حتى خشيت الحكومه الإيرانيه من أن يصيبوه بأذى، فبادرت إلى إخراجهم من قزوین حفظا له.

و فى طهران عاود مساعيه فلقى معارضة شديده و تعذر على الأسرى أن يفوزوا بامنيتهم. و لجا فريق منهم من الأرمن و الكرج إلى السفارة الروسيه.

و شاع بين الناس أن امرأتين أرمنيتين كانتا قد تزوجتا من إيرانيين و ولدتا منهما أولادا، فأرسل "غريبايدوف" من انترعهما عنوه من بيت الزوجيه و حملهما إلى السفارة الروسيه.

وقد نشط بعض رجال الدين إلى تحريض الناس و إثارتهم على السفير متذرعين بهذه الاشاعه. و من هؤلاء المحرضين واحد اسمه "الميرزا مسيح الأستراآبادى" حرضوهم على مهاجمه السفاره الروسيه فهاجموها.

ص: ٢٣٤

فهب "غريبايدوف" إلى الدفاع. و كان المدافعون معه بضعه رجال من الايرانيين كانوا حراسا للسفاره و فرقه من القوزاق جاء بهم معه من روسيا و عدتهم من عشرين إلى ثلاثين قوزاقيا، و موظفو السفاره. و وقعت بين المهاجمين و المدافعين معركة حامية فى يوم الجمعة ٣٠ كانون الثانى سنة ١٨٢٩ م الموافق ٢٤ رجب سنة ١٢٤٤ هـ.

و قتل برصاص الحرس سته رجال من المهاجمين. فحملهم الناس و وضعوا كل قتيل منهم فى مسجد من مساجد طهران. فضج رجال الدين بالاستنكار. و هجم ثلاثون ألفا تقريبا من الرجال على السفاره الروسيه فحاصروها و أخذوا يرمون المدافعين عنها بكل ما تصل إليه أيديهم، حتى الحجاره و الأخشاب.

و لما بلغ الخبر إلى "فتح على شاه" بادر إلى إرسال فرقه من ألفى جندى لحمايه السفاره. و لكنهم وصلوا بعد فوات الأوان. فقد كان موظفو السفاره، و عدتهم خمسه و ثلاثون، قد قتلوا إلا واحدا منهم هو السكرتير الأول. و لم يبق حيا من القوزاق غير اثنين. و كان "غريبايدوف" نفسه قد قتل أيضا بحجر وقع على صدغه. قتل و لما يمض على وصوله إلى طهران غير تسعه عشر يوما. و حمل جثمانه إلى "تفليس" فدفن فيها.

سفاره " خسرو ميرزا "

و أثار مقتل السفير "غريبايدوف" غضب الدوله الروسيه، و لقد همت بان تستأنف حربا ثالثه على إيران، لو لا أنها كانت قد شرعت حربا على الدوله العثمانيه.

و بعد سبعة أشهر من تلك الوقعه أرسل "عباس ميرزا" أحد أبناء "خسرو ميرزا" من طريق "تفليس" إلى "بترسبورغ" للاعتذار إلى القيصر عن تلك الفتنة. و حمله رساله إلى القيصر من "فتح على شاه" و رساله منه. و رافقه فى هذه السفاره بعض الكبار من رجال الدوله و منهم الكاتب الشاعر "محمد خان" المعروف باسم "فاضل خان الغروسى".

و فى أثناء سير هذه البعثة فى طريق القفقاس التقت بالشاعر الروسى الكبير "بوشكين" و هو مجند فى جيش "فاسكيفيتش" ذاهب إلى محاربه العثمانيين. و قد نظم "بوشكين" قصيده فى موضوع التقائه هذا بالشاعر الايرانى "فاضل خان" فى هذه الرحله. و قد أعجب القيصر الروسى بشمائل الأمير الايرانى الشاب "خسرو ميرزا" حتى إنه أعفى إيران من تاديه القسط الأخير من الغرامه الحربيه إكراما له.

الحروب الإيرانيه العثمانيه

و فى عهد "فتح على شاه" وقعت أيضا حروب بين إيران و الدوله العثمانيه. حروب كانت امتدادا لما استحكمت من عدااء بين الدولتين من مطلع عهد الصفويين.

و لهذا الاختلاف عده أسباب. منها اهتمام إيران بوضع مدينه بغداد، و هى و سائر العراق يومئذ فى حكم العثمانيين. فان من يسيطر على هذه المدينه يسيطر على النجف و كربلاء و سامراء و الكاظميه. و هى مدن مقدسه عند الايرانيين. و هم يتطلعون إلى أن تكون إداره شئونها فى أيديهم، و ما أكثر ما سعى "نادر شاه" إلى احتلال بغداد و السيطرة على مزارات العراق. و لما وصل

القاجاريون إلى الملك ظلت هذه الأمتية تساورهم. و كانت أحد الأسباب في وقوع ثلاث حروب بين إيران و الدوله العثمانيه ما بين سنه ١٢٢١ و سنه ١٢٣٨ هـ.

و من تلك الأسباب أن الحدود بين إيران و العراق في ناحيه "السليمانيه" من كردستان ظلت غير معينه من زمن "نادر شاه". و كان تعيين حاكم "السليمانيه" و "شهرزور" من إقليم "كردستان" في عهده والى بغداد العثماني بشرط حصوله على موافقه إيران على من يختاره لهذا المنصب.

و في سنه ١٢٢٠ هـ نشب خلاف بين إيران و والى بغداد على منصب حكومه هذه الناحيه، إذ عزل الوالى حاكمها الذى ترتضيه إيران و نصب في مكانه حاكما لا ترتضيه على "السليمانيه" و "شهرزور".

و لهذا السبب نشبت في ذلك الإقليم حرب بين الدولتين في سنه ١٢٢١ هـ. و هى أول حرب نشبت بينهما في عهد "فتح على شاه".

و كان قائد الجيش الايراني "محمد على ميرزا دولت شاه" ابن "فتح على شاه"، و له من العمر يومئذ ثمانيه عشر عاما. و على قياده الجيش العثماني "على باشا" حاكم بغداد و ابن أخته "سليمان باشا كهيا".

و قد أوقع الايرانيون في هذه الحرب بالعثمانيين هزيمة نكراء و قتلوا منهم ثلاثه آلاف و أسروا ألوفاً. و كان من الأسرى "سليمان باشا كهيا" أحد قائدى الجيش العثماني، و قد أرسله "محمد على ميرزا دولت شاه" إلى طهران. و تعقب الايرانيون العثمانيين حتى اقتربوا من فسطاط "على باشا" نفسه.

عندئذ قام "على باشا" بتوسيط المرجع الدينى الشيعى "الشيخ جعفر" النجفى عند "محمد على ميرزا" لايقاع الصلح. فاستجاب له "محمد على ميرزا" و أطلق أكثر من أربعه آلاف أسير عثمانى من الأسر. ثم سافر "الشيخ جعفر" إلى طهران و شفّع للقائد الأسير "سليمان باشا كهيا" عند "فتح على شاه" فشفّعه و أطلق أسيره.

و في سنه ١٢٢٢ هـ توفى "على باشا" والى بغداد، فنصب "فتح على شاه" في مكانه أسيره الطليق "سليمان باشا كهيا" و أعاد الحاكم المعزول الذى ارتضته إيران إلى منصبه حاكما على "شهرزور" و "السليمانيه". و في تلك السنه توفى أيضا السلطان العثماني "سليم خان الثالث" و خلفه "مصطفى خان الرابع"، و وافق هذا على تعيين "فتح على شاه" لذينك الحاكمين في ذينك المنصبين. و أرسل "فتح على شاه" مندوبا عنه إلى العاصمه العثمانيه لتهنئه السلطان الجديد. و دام الصلح بعد ذلك بين إيران و الدوله العثمانيه خمس سنوات.

حرب سنه ١٢٢٧ هـ

في سنه ١٢٢٣ هـ تولى الملك السلطان "محمود خان الثانى" العثماني.

و كانت إيران يومئذ مشغوله بمحاربه روسيا. فأرسل السلطان العثماني هذا وفدا إلى إيران، و فيه جماعه من كبار رجال البلاط، لتمكين الصلح و التفاهم بين الدولتين.

و وصل الوفد إلى طهران في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٦ هـ. و تم الاتفاق بين الفريقين على أن يكون لايران وحدها حق اختيار
حاكم

ص: ٢٣٥

"شهرزور". و أن يكون حاكما على بغداد من ترضيه الدولتان كلتاهما لهذا المنصب. و أن يعامل الزوار الإيرانيون في البلدان العراقية المقدسه بالحسنى.

و أن يكون بين الدولتين ائتلاف في مخاصمتها لروسيا. و أن تراعى كل منهما مصالح الأخرى إذا عقدت معاهده بينها و بين روسيا.

و لكن الدوله العثمانيه لم تلبث أن نقضت كل هذه العهود، إذ عينت على بغداد واليا بدون موافقه إيران. و أقدم هذا الوالى فى سنه ١٢٢٧ هـ على عزل حاكم "شهرزور" الذى عينته إيران. و عقد العثمانيون معاهده صلح بينهم و بين روسيا أضرت بايران.

عندئذ أمر "فتح على شاه" ابنه "محمد على ميرزا" بان يعيد حاكم "شهرزور" المعزول إلى منصبه. و كان هذا العمل بدايه للحرب. و قبل وقوع القتال أرسل "محمد على ميرزا" رسولا من قبله إلى بغداد لمباحثه الوالى التركى، و اسمه "عبد الله باشا" فى أمر هذه المخالفات. و لكن الوالى حجه و لم يسمح له بالدخول عليه. و فى شهر شعبان سنه ١٢٢٧ هـ سار الجيش الايرانى قاصدا مهاجمه بغداد، و وقعت معارك فى أماكن مختلفه من طريق سيره، انهزم فيها الأتراك، و أصبح احتلال الايرانيين لبغداد أمرا وشيكا سهلا.

عندئذ لجأ "عبد الله باشا" إلى "الشيخ جعفر النجفى" يوسطه عند "محمد على ميرزا" و يعلن بقبوله لمطالبه، و يناشده الإسلام أن يوقف اقتتال الجيشين المسلمين. و على هذا النحو خدع الوالى العثمانى "محمد على ميرزا" فتوقف عن المحاربه و عدل عن مهاجمه بغداد و هو قادر على احتلالها بحرب يسيره. و فى أثناء ذلك قبل الوالى باعاده حاكم "شهرزور" المعزول إلى منصبه.

و بعد إقرار الصلح أقدم "أسعد باشا" ابن "سليمان باشا كهيا" الذى مر ذكره على قتل الوالى العثمانى "عبد الله باشا". و عين "أسعد باشا" هذا سنه ١٢٢٨ هـ. فى مكانه واليا على بغداد بموافقه إيران. و بعد مفاوضات قام بها مندوبون عن الدولتين فى طهران و فى اسطنبول، قبلت الدوله العثمانيه بكل مقترحات إيران بشأن حكومه "شهرزور" و بغداد و معامله الزوار الايرانيين و الخلافات الحدوديه. و عاد مندوبو [مندوبو] إيران بعد آخر جلسات هذه المفاوضات من اسطنبول إلى طهران فى أواخر ذى الحجه سنه ١٢٢٩ هـ.

حرب سنه ١٢٣٦ - ٣٨ ١٢٣٨ هـ

و فى سنه ١٢٣٦ هـ تجدد الخلاف بين إيران و الدوله العثمانيه. و كان سببه أن والى "بايزيد" و "موش" العثمانى حرض أحد رؤساء العشائر الإيرانيه القاطنه قريبا من الحدود العثمانيه أن يرحل برجال قبيلته إلى الأرض العثمانيه، ففعل. و لما أراد موظفو الدوله الإيرانيه منعه من الرحيل تدخل الجيش العثمانى المقيم فى نواحي "وان" و ساعده على الرحيل.

و من جهه أخرى لجأ إلى معسكر "عباس ميرزا" رجل اسمه "صادق بيك" و قال إنه ابن "سليمان باشا كهيا" الذى مر ذكره، و أنه هارب من والى بغداد، و كان الوالى عليها يومئذ "داود باشا".

و أرسل والى "أرض روم" العثمانى إلى "عباس ميرزا" يطلب منه أن يسلم إليه هذا اللاجئ و من معه من الرجال، و وعد بان لا

يمسهم بسوء.

فأجابته "عباس ميرزا" إلى طلبه و أرسل إليه "صادق بيك" و رجاله. و لكن والى "أرض روم" نقض وعده و قتل "صادق بيك" و رجاله كلهم.

و استلزمت هذه الحوادث نشوب حرب جديدة بين إيران و الدولة العثمانية. و بدأت هذه الحرب فى شهر ذى الحجة، نهايه سنه ١٢٣٦ هـ.

بدأت من أذربيجان و "كرمانشاهان"، إذ هاجم الجيش الايرانى الأتراك فى نواحى مختلفه من "بايزيد" و "أرض روم" و غيرها. و وقعت عدّه معارك انتصر الايرانيون فيها كلها، و غنموا كثيرا من السلاح و العتاد، و قتلوا و أسروا كثيرا من الرجال. و فى معركة واحده وقعت عند "توبراق قلعه"، و كان الايرانيون يحاصرونها، قتل الايرانيون أربعة آلاف جندى من الأتراك، و احتلوا القلعه.

و كان من جملة ما احتله الايرانيون مدينه "بايزيد" نفسها. دخلها "عباس ميرزا" و خطب "الميرزا أبو القاسم القائم مقام" فيها باسم "فتح على شاه". و ما حل شهر صفر من سنه ١٢٣٧ هـ حتى كان الجيش الايرانى قد احتل، فى جملة ما احتل، ثمانى قلاع من أمهات القلاع العثمانية. و أرادت الدولة العثمانية استرضاء "عباس ميرزا" فعزلت والى "أرض روم" الذى نقض وعده له بقتل "صادق بيك" و رجاله بعد أن أمنهم.

و فى الجبهه العراقيه هزم "محمد على ميرزا" فى شهر المحرم سنه ١٢٣٧ هـ الجيش التركى فى نواحى "شهرزور" حتى ألحقه بكر كوك. ثم احتل سامراء، و سار إلى بغداد فحاصرها، و كان الوالى عليها يومئذ "داود باشا". فتوسل هذا بالمرجع الدينى الشيعى الشيخ موسى "ابن" الشيخ جعفر النجفى " (صاحب كشف الغطاء) الذى مر ذكره، و أرسله شفيعا إلى "محمد على ميرزا". و لكن حدث حينئذ أن توفى "محمد على ميرزا" وفاه فجائيه، و هو فى معسكره القائم إلى جانب طاق كسرى فى ضاحيه بغداد.

و ظل سبب موته مجهولا.

و قامت الدوله العثمانية بتجديد دفاعها فأرسلت جيشا من سبعين ألف مقاتل إلى "أرض روم" لاسترداد البلاد التى احتلها الجيش الايرانى. و دارت معارك طاحنه فى نواحى مختلفه انتصر الايرانيون فيها كلها. و ما حل شهر شوال من سنه ١٢٣٧ هـ حتى كان المعسكر التركى بجميع ما فيه من معدات و عتاد قد وقع فى يد الجيش الايرانى. و لم يبق من العسكر التركى غير عشرين ألفا ارتدوا على أعقابهم.

و أراد قاده الجيش الايرانى متابعه الحرب، و لكن "عباس ميرزا" رفض متابعتها إذ كان جيشه متعبا يحتاج إلى الاستراحه. و أقام معسكره فى سهل "خالباز" المونق.

و كان "الميرزا تقى خان الفراهانى" يومئذ من كتاب "الميرزا أبو القاسم القائم مقام". و "الميرزا تقى" هذا هو الذى عرف بعد

ذلك باسم "الأمير الكبير" و "الأتابك"، و أصبح الصدر الأعظم لناصر الدين شاه. و قد اختاره "عباس ميرزا" لسفارته عند العثمانيين. فأرسله إلى "أرض روم" لمباحته ممثلى الدوله العثمانيه فى موضوع الصلح.

و لما بلغ نبا هذه الفتوحات إلى "فتح على شاه" عزم على أن يتم ما بدأه "محمد على ميرزا" فى جبهه بغداد. فجهز جيشا سيره لاحتلال "شهرزور" و بغداد. و لكن وقع فى جيشه وباء الهيضه "الكوليرا" و قضى على نصف عسكره. و كان ينوى أن يزور العتبات المقدسه فى العراق، فعدل عن عزمه

ص: ٢٣٦

و عاد إلى طهران. ثم وصله خبر بان "محمد أمين رءوف باشا" قائد الجيش التركي العام حاضر للصلح، و أن ممثلين للدوله العثمانيه سيحضرون إلى طهران في ربيع السنه القادمه للمفاوضه.

معاهده الصلح

و في مطلع سنه ١٢٣٨ هـ بدأ في طهران و "أرض روم" تفاوض الدولتين لايقاع الصلح بينهما. و في ١٩ ذى القعده سنه ١٢٣٨ هـ ثم في "أرض روم" الاتفاق بين "الميرزا تقى خان الفراهانى" ممثل إيران و "محمد أمين رءوف باشا" ممثل الدوله العثمانيه على معاهده للصلح و وقعا عليها. ثم أرسلت إلى السلطان العثماني "محمود خان الثانى" فوقع عليها. و وقع عليها "فتح على شاه" في ربيع الثانى سنه ١٢٣٩ هـ.

و مع أن إيران كانت هى المنتصره فى هذه الحرب فإنها لم تحاول أن تفرض على الدوله العثمانيه فى هذه المعاهده ما يفرضه الغالب على المغلوب فى العاده. و كل ما حصلت عليه إيران من هذه المعاهده هو تعهد الدوله العثمانيه بان تعامل الدوله الإيرانيه و الأفراد الايرانيين بالانصاف و بما تقضى به القوانين المرعيه بلا-إجحاف و لا تعد. و قبلت إيران بان تجلو عن الأرض التى احتلتها من أرض العثمانيين و صرفت النظر عن المطالبه بتعويض عن خسائر فى هذه الحرب!

إيران و أفغانستان

لما تملك القاجاريون كان أعقاب "نادر شاه أفشار" لا يزالون يحكمون فى خراسان. ثم قضى "آقا محمد خان" على آخر عقب منهم "شاه رخ شاه" حفيد "نادر شاه"، و بذلك سيطروا على خراسان و أصبحوا جيران أمراء أفغانستان.

و قد أصبحت الأرض المجاوره لأفغانستان من مطلع القرن الهجرى الثالث عشر محلا-لتنافس قوى مختلفه. تنافس لا ينفك يتزايد يوما فيوما.

فالانكليز يسعون جهدهم ليكون لهم التقدم على غيرهم فى أفغانستان و استمالتها إليهم للمحافظه على مستعمراتهم فى الهند و صيانتها من تعدى الروس. و الروس فى آسيا المركزيه لا ينفكون يقتربون أكثر فأكثر من الهند.

و أسهل الطرق إلى الهند هو أفغانستان. و من أجل ذلك كان الروس مضطرين إلى المسارعه إلى الوصول لحدود أفغانستان و التسلط على عموم آسيا المركزيه، و لا بد لهم من سلوك طريق "مرو" و "بلخ" و "هرات" للوصول إلى غايتهم هذه. و دوله إيران تعد "هرات" جزءا من أرضها، تسعى إلى الاستعانه بالروس لتصونها من الوقوع فى يد الأفاغنه، أى يد الإنكليز فى الواقع. لقد ظلت ناحيه "هرات" إلى تلك الحقبه دائما جزءا من أرض إيران. و الإنكليز لا يرتاحون إلى ما لايران من نفوذ فيها. و قد دأب الإنكليز فى كل مده حكم القاجاريين على إضعاف إيران كليا لئلا-تستطيع أن تكون عوناً للروس عليهم و لا تستطيع الاستفاده من نفوذها فى أفغانستان فتحتفظ بناحيه "هرات".

و من سنه ١٢٠٧ هـ إلى سنه ١٢١٥ هـ كان المسيطر على أفغانستان "زمانشاه الدراني". و كان سفاحا، و كان يعادى الإنكليز. و فى سنه ١٢٠٩ هـ، إذ كان "آقا محمد خان قاجار" قد قضى على أسره "نادر شاه" و ملكها فى خراسان، نقل "زمانشاه" إلى

أفغانستان "نادر ميرزا" ابن "شاه رخ شاه أفشار" و أجاره عنده.

فلما قتل "آقا محمد خان" جهاز "زمانشاه" جيشا لمساعدته "نادر ميرزا" و أرسله معه إلى خراسان. و في سنة ١٢١٣ هـ استولى "نادر ميرزا" على مدينة مشهد، و ساعده فريق من رؤساء خراسان. و في سنة ١٢١٤ هـ. سار "فتح علي شاه" بنفسه يسوق جيشا إلى خراسان لمحاربتة.

فلم يستطع "نادر ميرزا" مقاومته، و استسلم إليه. و انتهى أمر "نادر ميرزا" إلى أن اعتقله في سنة ١٢١٧ هـ. "محمد ولي ميرزا" حاكم خراسان و أرسله إلى طهران. فأمر "فتح علي شاه" بقطع لسانه و يديه فقطعت.

و مات علي أثر إيقاع هذه العقوبة به.

و في أثناء هذه الحوادث كان "محمود ميرزا" أخو "زمانشاه" يحرض الناس في نواحي "قندهار" و "هرات" على الثورة على أخيه هذا، إذ كانت بينهما خصومه و نزاع على الملك. و بعد مقتل "آقا محمد خان" أخرج "زمانشاه" أخاه "محمود ميرزا" من "هرات"، فخرج هذا قاصدا إلى طهران لاجئا إلى "فتح علي شاه"، فوصلها في شهر رمضان سنة ١٢١٢ هـ.

و أقامه "فتح علي شاه" في "كاشان". و في السنة التالية طلب "محمود ميرزا" من "فتح علي شاه" أن ينصبه حاكما على "هرات". فأجابه إلى طلبه و أمر فريقا من رؤساء خراسان بمساعدته.

و سار "محمود ميرزا" إلى "هرات"، و وقعت بينه و بين جيش أخيه "زمانشاه" مناوشات، انفض بعدها الأفاغنه عن "محمود"، فعاد إلى إيران يطلب المدد من "فتح علي شاه" و أعانه رؤساء خراسان، حتى استطاع في سنة ١٢١٦ هـ أن يتولى حكمه "هرات". و ظل حاكما عليها من قبل "فتح علي شاه" إلى سنة ١٢١٨ هـ.

أما "زمانشاه" فقد أعمى في سنة ١٢١٥ هـ. و قصرت يده عن العمل، و وقعت منازعات بين من خلفوه في الحكم و "محمود ميرزا" حاكم "هرات"، و استطاع "شجاع الملك" المعروف باسم "شاه شجاع" أن ينتزع "هرات" من "محمود ميرزا". ثم استعادها هذا بمساعدته رؤساء خراسان. و استمرت المنازعات بين الفريقين إلى سنة ١٢٢٤ هـ. إذ استولى "محمود ميرزا" على "هرات" و "قندهار". و في سنة ١٢٣٢ هـ انتزعت منه و استولى عليها آخرون و ظلت في يدهم إلى سنة ١٢٤٥ هـ و في تلك السنة كان "محمود ميرزا" يحكم على القسم الغربي من أفغانستان بمساعدته من إيران.

و قد شغلت الحرب التي وقعت بين إيران و روسيا من سنة ١٢٤١ هـ إلى سنة ١٢٤٣ هـ إيران عن تدبير أمورها في أفغانستان، و لذلك خرج عليها "كامران ميرزا" ابن "محمود ميرزا" في سنة ١٢٤٥ هـ و علا شأنه. و في سنة ١٢٤٩ هـ، إذ كان "عباس ميرزا" ولي العهد قد سوى الأمور في أذربيجان بعد انتهاء الحرب الروسية الإيرانية، أمر "فتح علي شاه" ابنه هذا بالسير إلى قمع "كامران ميرزا". فسار حتى وصل إلى مشهد.. و هناك نصب ابنه "محمد ميرزا" الذي وصل بعد ذلك إلى منصب الشاه و أصبح "محمد شاه"، و ابنه الآخر "خسرو ميرزا"، و معهما فريق من رؤساء خراسان، على قيادة الجيش و أمرهم بالسير إلى "هرات" لفتحها. و كانت عده هذا الجيش أكثر من خمسه و ثلاثين ألف جندي. و تخلف "عباس ميرزا" في مشهد.

و حاصر الجيش الايراني "هرات". و بعد مقاومه يسيره أيقن "كامران ميرزا" بالهزيمه، فاستنجد بالانكليز الذين فى الهند. فحفوا إلى نجدته و دخلوا ميدان الحرب معه علنا.

و فى هذه الأثناء مرض "عباس ميرزا"، و هو فى مشهد. و كان طبيبه المعالج إنكليزيا. و لم يكن مرضه صعبا، و لكنه توفى به فى يوم ١٠ جمادى الآخره سنه ١٢٤٩ هـ، و هو فى الثامنه و الأربعين من عمره فاضطر ابناه إلى فك الحصار عن "هرات" و عادا بجيشهما إلى إيران.

و فى سنه ١٢٥٧ هـ، فى زمن ملك "محمد شاه قاجار" حاول الايرانيون مره ثانيه فتح "هرات" و حاولوه مره ثالثه فى سنه ١٢٧٣ هـ فى زمن ناصر الدين شاه، و أوشكوا فى كلتا المرتين أن يفتحوها. و لكن منعهم من فتحها تدخل الموظفين الإنكليز.

نهايه فتح على شاه

بدأ "فتح على شاه" فى آخر حياته منكسرا متهدما. و قد وقع عليه موت ابنه ولى عهده "عباس ميرزا" بنازله عظيمه، فلم يعيش بعده غير سنه و تسعه أيام، و قبل موته بسنه أمر ببناء قبر له فى الصحن القديم من مقام السيده المعصومه فى مدينه قم.

و فى ٩ جمادى الأولى سنه ١٢٥٠ هـ سافر من طهران إلى أصفهان فوصلها فى الرابع عشر من ذلك الشهر. و فى يوم الخميس ١٩ جمادى الآخره سنه ١٢٥٠ هـ توفى فى قصر "هفت دست"، و هو من عمارات الصفويين قائم فى محله "سعادت آباد" خارج أصفهان، و له من العمر ست و ستون سنه. و بعد أربعة عشر يوما من وفاته نقل جثمانه من أصفهان إلى قم فى الثالث من شهر رجب، و دفن فى القبر الذى كان قد أمر ببنائه.

ولد "فتح على شاه" ليله الخميس ١٨ شوال سنه ١١٨٥ هـ و ملك ثمانى و ثلاثين سنه و خمسه أشهر.

و كان قد نصب حفيده "محمد ميرزا" ابن "عباس ميرزا" وليا للعهد بعد وفاه أبيه. فتولى هذا الملك بعد وفاه جده و قاسى صعابا كثيره حتى تمكن من اعتلاء السرير.

و كان "فتح على شاه" قد أمر فريقا من أدباء بلاطه بكتابه سيره حياته فكتب أحدهم رساله بعنوان "شمائل الخاقان" و كتب آخر رساله بعنوان "ملوك الكلام" و نقش ما تضمنته تلك الكتابات من سيرته على بلاطه نصبت على قبره، و فيه شعر و نثر كثير، بأسلوب متكلف من الكنايات و الاستعارات و التشابيه و المبالغات. و كتب ما كتب بتوجيه منه. و من هذه الكتابات يتبين رأى "فتح على شاه" فى نفسه. فهو، فى نظر نفسه، إنسان يعلو على كل إنسان. و قد قلب فيها ما منى به من هزائم و خيبات إلى انتصار و نجاح!

تنبيه

- فى ص ١١٢ من كتاب سعيد نفيسى الجزء الأول فى أوائلها أن إيستفانوف غادر طهران يوم ٥ محرم سنه ١٢٢٢ هـ الموافق ١٦ أبريل سنه ١٨٠٧ م. و فى ص ١٢١ من الكتاب يقول إنه غادرها فى ٢٦ محرم سنه ١٢٢١ هـ الموافق ١٦ أبريل سنه ١٨٠٦ م. و فى ص ١١١ من الكتاب يقول إن "إيستفانوف" جاء إلى طهران فى ٦ ذى الحجه سنه ١٢٢١ هـ الموافق ١٦ فوريه سنه ١٨٠٧ م. و

فى ص ١٢١ من الكتاب يقول إن "إيستفانوف" جاء إلى إيران فى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢٢٠ هـ الموافق ١٤ فوريه سنة ١٨٠٦.

- فى آخر ص ١١٦ من كتاب سعيد نفيسى الجزء الأول يقول إن نابليون [نابليون] وقع على معاهده تيلسيت مع روسيا فى ٢ تموز سنة ١٨٠٧ م الموافق ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٢٢٢ هـ، و فى ص ١٨٢ من الكتاب يقول إن هذه المعاهده وقعت فى ١٩ أيلول ١٨٠٧ م الموافق ٢ رجب سنة ١٢٢٢ هـ.

ملا فرخ ناظم الهروى:

ولد سنة ١٠١٦ فى مدينه هرات و توفى سنة ١٠٨٣.

كان شاعرا، مدح فى شعره النبى (ص) و الأئمه ع، و نظم قصه يوسف و زليخا.

له قصائد فى مدح الشاه عباس الصفوى و وصف مدينه هرات.

طبع ديوانه مرتين: سنة ١٢٨٦ فى مدينه لكهنو بالهند. و سنة ١٣٢٢ فى طشقند.

فريدون نرگانى

من المترجمين فى إيران حيث قام بترجمه مجموعه كبيره من الكتب الهامه إلى اللغه الفارسيه منها - التلمود و بعض روائع طاغور و أبو الكلام آزاد و غيرهم - درس فى رشت و طهران و بريطانيا توفى عام ١٣٩٩ (١).

فضولى البغدادى

مرت ترجمته فى المجلد الثامن من (الأعيان) و نشر هنا كلمه عن كتاب صدر عنه بعنوان:

(فضولى البغدادى أمير الشعر التركى القديم) هذه أوسع و أعمق دراسه للثقافه الإسلاميه و الأدب العربى و الفارسى و التركى فى القرن العاشر الهجرى، تدور حول فضولى البغدادى ذلك الشاعر الكاتب العالم الذى يعتبر مفخره لتركيا و العراق و إيران لأنه كان ينظم و ينشر بالتركيه و الفارسيه و العربيه، و دراسه شعره و نشره دراسه للأدب الإسلامى فى أوج كماله، و تبصره بالاتجاهات الفكرية و الروحية فى العالم الإسلامى.

و قد قام الدكتور حسين مجيب المصرى الذى يعتبر من أكبر المشتغلين بالدراسات الإسلاميه فى العالم العربى بتأليف هذا الكتاب و قد وفى هذا الشاعر حقه من دراسه بيئته و حياته و عقلية و نفسيته و عبقرية. و تناول بالبحث و التحليل كل ما نظم من شعر و كتب من نثر و ألف من كتب فى التركيه و الفارسيه و العربيه، معتمدا على مخطوطات و مطبوعات فى ثلاث لغات شرقيه و خمس أوروبيه.

و فى الكتاب فصول تؤرخ المجتمع العراقى فى فتره من الزمن ضاعت أخبارها، كما يحوى نصوصا تركيه و فارسيه تجعل منه مرجعا أدبيا حتى لمن لا

١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

يقراءون العربية. ولا يستغنى عنه أديب ولا باحث يريد أن يحيط علما بما بين الشعوب الإسلامية من صلات تاريخيه و ثقافيه، و يطلع على اتجاه جديد فى التراث الإسلامى على أوسع نطاق.

الشيخ قاسم الرجبي الإسلامى الطهرانى

اغتيل فى الخامس عشر من شهر رمضان سنه ١٤٠٠ فى طهران.

أتم دراسته الابتدائيه فى طهران ثم هاجر إلى مدينه قم فتابع الدراسه عند السيد محمد تقى الخونسارى و السيد الكاشانى. ثم عاد إلى طهران حيث تولى التدريس فى مدرسه خان مروى متبعا فى الوقت نفسه دراسته عند الشيخ أحمد الأشتيانى فعنى بدراسه الفلسفه الإسلاميه حتى برع فيها، و كان يوالى الخطابه التوجيهيه مما يتعارض مع اتجاه السلطه، فقبض عليه و سجن و عذب ثم اغتيل رميا بالرصاص.

ارك [ترك] العديد من المؤلفات بين مخطوط و مطبوع، منها: إيضاح المطالب فى شرح المكاسب، و شرح رسائل الأنصارى، و شرح الكفايه، و شرح منظومه السبزواری، و شرح المعالم، و حجيه الخبر الواحد، من البعثه حتى الرحله، نار الثوره، النظام الروحانى و السياسى فى الإسلام. و غير ذلك.

قره العين بنت الشيخ صالح البرغانى

اشاره

قيل إن اسمها (فاطمه)، و قيل (تاج زرين [زرين تاج])، و قيل (طاهره)، و لما كان اسمها موضع خلاف، و كانت قد عرفت بلقبها (قره العين)، لذلك ترجمناها فى حرف القاف.

و ننشر عنها هنا كلمتين: الأولى مستوحاه مما اشتهر عنها فى إيران، و الثانيه مستوحاه من حياتها العراقيه، ثم آراء أخرى فيها:

ولدت فى قزوین سنه ١٢٣٣ و قتلت سنه ١٢٤٨.

هى ابنه الشيخ صالح البرغانى أحد كبار المجتهدين فى إيران و قد مرت له ترجمه مفصله فى (الأعيان) ثم فى (المستدرکات)، كما مر حديث مفصل فى (المستدرکات) عن آل البرغانى.

نشأت فى قزوین و حفظت القرآن فى أوائل عمرها و أخذت الفقه و الأصول و الحديث و التفسير عن والدها و أعمامها و أخويها الميرزا عبد الوهابو الشيخ حسن و تخرجت فى الحكمة و الفلسفه و العرفان على ملا آغا الحكمى و الآخوند يوسف الحكمى و أخذت الأدب و الشعر عن أمها آمنه بنت الشيخ محمد على القروينى.

اشتهرت - كما تقدم - بلقب "قره العين". و قيل فى سبب هذا التلقب إنها تتلمذت على أبيها و غيره من أفراد أسرتها، و كانت أسره علميه، فلما أتمت تحصيلها كانت امرأه فائقه الفضل، قد بلغت درجه عاليه من المعرفه فى الآداب و اللغه و الفقه و الأصول و الكلام و التفسير و شرح آثار أئمه الإسلام و معارفهم. و اشتهرت بالفصاحه و البلاغه و جمال البيان فى النثر و الشعر بالفارسيه

و العربية. فرعاها أبوها بكل محبه و احترام، و جعل يخاطبها ب "قره عيني".

و قيل غير ذلك. و هو أنها بعد أن دخلت هي و أخت و عمه لها و أسره الحاج ميرزا عبد الوهاب أحد كبار المجتهدين في العقيدة الشيخيه، حصلت بينهم و بين السيد كاظم الرشتي تلميذ الشيخ أحمد الأحسائي و خليفته مراسلات و صلوات. و طلب السيد كاظم الرشتي من علماء الشيخيه أن يؤلفوا رسائل في إثبات عظمه الشيخ أحمد الأحسائي و عصمته. فكتب كل منهم رساله ضمنها ما عنده من اطلاعات في هذا الموضوع. و كتبت "قره العين" أيضا رساله. فلما قرأها السيد الرشتي أعجبه و سر بما فيها من إحاطه علميه و وسعه نظر و قوه بيان، فلقبها ب "قره العين" و جعل يخاطبها بهذا اللقب دائما. و يبدأ رسائله إليها بكلمه "يا قره عيني".

و أفاض مفتي بغداد السيد محمود شكرى الآلوسى، و قد أوقفت في بيته مده شهرين بامر من والى بغداد، في مدحها في ترجمته لأحوالها، و ذكرها باسم "هند" لا- "فاطمه"، و قال إن السيد كاظم الرشتي خاطبها باسم "قره العين" في الرساله التي أرسلها إليها، و من ثم أصبح هذا الاسم لقبالها و اشتهرت به.

و زوجها أبوها بالشيخ محمد ابن أخيه الشيخ محمد تقى، و كان أيضا من علماء قزوین و فقهاءها. و كانت "قره العين" مع فضائلها و معلوماتها فائقة الجمال أيضا. و لها من زوجها هذا ولدان ذكران و بنت.

و امتدت ذبول الخلافات و المشاجرات الشديده التي وقعت في كل ناحيه من إيران و العراق بين علماء الشيخيه و المجتهدين الأصوليين إلى قزوین و أصبح الحاج ميرزا عبد الوهاب و أبناؤه و أقاربه و أتباعه المحامين عن الشيخ الأحسائي المقتدين به. و كان الشيخ محمد تقى البرغانى قد خالف الشيخ الأحسائي مخالفه شديده و أصبح من أعدى أعدائه. و تبعه على ذلك ابنه الشيخ محمد زوج "قره العين"، فوقع بين الزوجين خلاف شديد أدى إلى طلاق الزوجه و عودتها إلى بيت أبيها، و لها منه ثلاثه أولاد. و بعد قليل أرسلت أولادها إلى أبيهم و سافرت إلى كربلاء لتلقى السيد كاظم الرشتي و تستفيد من محضره. فلما وصلت إلى كربلاء كان الرشتي قد فارق الحياه.

فأقامت مده في كربلاء. و يقال إنها، بواسطه ما نشأ بينها و بين عائله السيد الرشتي من صداقه و صلح، أقامت في منزله حلقة تدريس، و أن جماعه كانوا يحضرون درسها. و قد فعلت ذلك أسوه بجماعه من كبار أصحاب الرشتي كانوا قد أخذوا ينشرون دعوته في كربلاء و نواحى إيران.

في هذه الأثناء تعالى من شيرزا ادعاء الميرزا "على محمد" أنه "الباب" و تبعته جماعه. و كثر الحديث في هذا الموضوع، خصوصا بين علماء الشيخيه و تلاميذ السيد كاظم الرشتي، من مصدقين لما ادعاه الميرزا "على محمد" الشيرازى و من مكذبين له. و اشتهر أن قره العين كانت ممن صدقه من الشيخين، و أصبحت من أشهر أتباعه و أشد دعائه حماسه و أبعدهم تقدما.

و باحث كثيرا من العلماء و ناظرتهم في هذا الموضوع. و كاتبت كثيرا من علماء إيران، خصوصا أباهها و عمها و اجتهدت في دعوتهم إلى اتباع الميرزا "على محمد" الشيرازى.

و حملت دعوتها الحماسيه فريقا من علماء الشيخيه كالملا- "حسن جوهر" و "السيد على الكرمانى" و فريقا من العلماء

الأصوليين كالشيخ محمد حسن النجفي و غيرهم من مجتهدي كربلاء على تحريض الناس عليها و ظهرت أوائل الخصومه. فأمر والي بغداد حاكم كربلاء بتوقيفها و توقيف "الملا علي البسطامي" قطعاً للفتنه فوقفها مده. ثم نفاها هي و أصحابها إلى إيران سنه ١٢٤٣هـ.

و في أيام إقامتها في كربلاء خاطبها الميرزا "علي محمد" في إحدى

ص: ٢٣٩

رسائله - أو ألواحه حسب اصطلاح البايين - بلقب "الطاهره". و لكن غلب عليها لقب "قره العين".

و لما وصلت إلى إيران أخذت تدعو الناس إلى العقيدة الجديدة بكل جرأه في البلاد التي كانت تمر بها و هي في طريقها إلى قزوین. فأثارت ضجه شديده. و لما وصلت إلى قزوین تضاعفت الخلافات بينها و بين أسرتها، خصوصا عمها حماها و ابنه زوجها. فقد كانت مناقضه الشيخ ملا محمد تقی و ابنه الشيخ محمد تقتصر على الشيخ الأحسائي و السيد الرشتی و أتباعهما.

و ها هي تمتد اليوم إلى البايه و البايين، و تزداد حده.

و كان من أخلص أتباع "قره العين" تاجر ثرى معتبر من تجار قزوین اسمه "آقا هادی". و كان شديد التعصب فدائيا للبايه. و يقال إنها هي التي حرضته على قتل عمها الشيخ محمد تقی، فقتله في محراب المسجد و هو في الثمانين من عمره سنة ١٢٦٣ هـ. و بذلك ازداد النزاع حده. و لا يستبعد أن يكون اتهامها بالتحريض على قتل عمها يراد به إيجاد حجه لاعتقالها كما حدث بعد ذلك إذ اعتقلت الحكومه "قره العين" و اعتبرتها المسبب الأصلي لقتل الشيخ محمد تقی البرغانی، و أوقفت في دار الحكومه مده. و إذ رأى البايون أن حياتها في خطر، قاموا بجهود و مساعي شاقه لاطلاقها من التوقيف حتى استطاعوا، بواسطه "آقا هادی" قاتل عمها نفسه، من الفرار بها من قزوین إلى طهران، و رافقها في هذا الفرار "آقا هادی" أيضا. فلما وصلوا في طريقهم إلى قريه "بدشت" فقد "آقا هادی" هذا و ضاع أثره و لم يعرف عنه شيء بعد ذلك قط.

و أقامت "قره العين" في طهران مده قليله. ثم غادرتها قاصده إلى خراسان يصحبها جماعه من البايين المخلصين لعقيدتها، إلى أن وصلت إلى قريه "بدشت"، و كانت قد أصبحت محل تجمع البايين، فتوقفت فيها.

و هناك أخذت ترقى المنبر و تخطب سافره.

و كان عدد البايين المجتمعين هناك واحدا و ثمانين. منهم الحاج محمد على قدوس و الميرزا حسين البهاء. و طالت مذاكراتهم و مباحثاتهم و مناظراتهم مده عشره أيام. و وقع في هذه المده نزاع بين "قره العين" و الحاج محمد على قدوس على الرئاسة، إذ ادعى كل منهما أنه هو المقدم على الآخر ليكون رئيس جماعه البايين و إمامهم، و سعى كل منهما إلى استماله الجماعه إليه.

و انقسم البايون المجتمعون في "بدشت" إلى ثلاث فرق. فرقه ترى أن "قره العين" هي المفترضه الطاعه. و فرقه تبعت الحاج محمد على قدوس. و فرقه ساء ظنها بهذا الاجتماع و بالامامين المتنازعين فاعتزلتهم جميعا و نفضت يدها من البايه و عاد كل من أفرادها إلى موطنه. و كان هذا أول شقاق حصل بين البايين. و فوق هذا انتشرت بين الناس شائعات كثيره عن "قره العين" و تناولتها أقوال.

ثم انتهت القضية إلى التفاهم و الاتحاد و المصالحه، و ذلك بوصول رساله من "على محمد" الباب - أو نزول آيه عليه حسب تعبير أتباعه - تقول: "ما ذا أقول في حق نفس سماها الله الطاهره". و ركب الامامان، "قره العين" و قدوس، كلاهما في هودج و سارا، مع أصحابهما، يقصدون مازندران.

فلما وصلوا إلى قريه تدعى "نيالا" في أواسط شعبان سنة ١٢٦٣ هـ تلقاهم خمسمائه من أهاليها حملوا عليهم و نهبوا كل أموالهم

و فرقوم شذر مذر. و اتجه الحاج محمد على قدوس نحو "بابل"، و انطلقت "قره العين" فى قرى مازندران و قصباتها تنشر دعوه الباب بين الناس.

و إذ كان أقاربها و جماعه آخرون من مخالفيها و أعدائها يريدون قتلها اضطرت إلى الابتعاد، و ذهبت مع الشيخ "أبو تراب الاشتهاردى" (1) إلى نواحى "نور" و منها إلى "بابل". فلما علم الناس بقدمها هب رجال الدين إلى مقاومتها، و كان أشدهم فى ذلك "الآخوند الملا سعيد سعيد العلماء بارفروشى". و كانت تعلم أنهم إن ظفروا بها آذوها و نكلوا بها فتواترت عن الأنظار، ثم ذهبت إلى نواحى "نور". و هناك لم تلبث أن سمعت بان البايين قد اجتمعوا فى قلعه الطبرسى، و أن حربا تدور بينهم و بين قوات الدوله. فعزمت على العوده إلى "بابل" لتلتحق من ثم ببابى قلعه الطبرسى.

فلما وصلت كانت القلعه محاصره بعسكر الدوله حصارا كاملا.

و عرفها رجال الدوله فاعتقلوها و أرسلوها مخفوره إلى طهران. و هناك أوقفت فى بيت "محمود خان نورى" رئيس شرطه طهران. و كان جماعه من البايين، ما بين رجل و امرأه، مسجونين فيه أيضا. و وضعت "قره العين" فى الطبقة الفوقانيه من المنزل و منعت منعا باتا من ملاقاته أحد من الناس.

و ظلت "قره العين" سجينه فى ذلك البيت حوالى خمس سنوات، من سنه ١٢٦٤ هـ إلى سنه ١٢٦٨ هـ، و هى السنه التى نجا فيها ناصر الدين الشاه من محاوله اغتيال البايين له بإطلاق الرصاص عليه فى محله "نياوران"، و صدر أمر بقتل البايين قتلا جماعيا. و جاء جماعه من موظفى الدوله فاخرجوا "قره العين" من بيت رئيس الشرطه متظاهرين بأنهم يريدون نقلها إلى بيت الميرزا "آقا خان نورى" الصدر الأعظم، فاركبوا على فرس و ذهبوا بها إلى "باغ ايلخانى" (البستان الايلخانى) الواقع فى طهران، و هناك خنقوها و ألقوا جثتها فى بئر و طمروا البئر بالتراب.

ولدت "قره العين" من زوجها ابن عمها الشيخ محمد صبيين هما الشيخ إسماعيل و الشيخ إبراهيم، و بنتا. و ثلاثتهم على خلاف عقيدته أمهم يتبعون عقيدته أبيهم و جدتهم. و الصبيان سلكا مسلك رجال الدين فى الزى و الدرس.

و يوم كانت "قره العين" مقيمه فى كربلاء عارضها فريق من البايين و رفضوها. و يوم كانت مقيمه فى قزوین و "بدشت" عارضها أيضا جماعه منهم و خالفوها مخالفه شديده. و شكوها إلى الباب "على محمد"، و كان مسجوننا فى "ماكو"، فى رسائل كثيره أرسلوها إليه. و لكن كان يأمرهم بموافقتها و مساعدتها و يفيض فى الثناء عليها و بيان عظمتها فى كل أجوبته على رسائلهم.ل.

ص: ٢٤٠

١- الشيخ أبو تراب الاشتهاردى كان فى أول أمره من علماء الشيخيه، و من تلاميذ السيد كاظم الرشتى و خواصه. اشتهر بالزهد و التقوى. أقام فى كربلاء مدته طويله، ثم ذهب إلى مشهد فتزوج بأخت "الملا حسين بشرويه" المعروف بـ "باب الباب"، و كان هذا أيضا فى أول أمره شيخيا و من تلاميذ السيد الرشتى. ثم عاد الاشتهاردى إلى كربلاء، فادخله "الملا على البسطامى"

ففي العقيدة البائية و أصبح من أشد المناصرين للميرزا علي محمد الشيرازي، يرافق البابين و يناصرهم في "بدشت" و مازندران و قلعه الطبرسي و غيرها. ثم عاد إلى كربلاء و اشتغل بتعليم الأطفال.

و ينسب إلى "قره العين" هذان البيتان من الشعر و ترجمتهما:

أنت و الملك و الجاه الإسكندري و أنا و الرسم و المذهب القلندري(١)

فان يكن ذاك خيرا فأنت له أهل و إن يكن هذا شرا فانا له أهل

قره العين

- ٢ - قال الدكتور علي الوردي:

شغل المجتمع العراقي في السنوات الأخيرة من ولايه نجيب باشا بحديث امرأه عجيبه تدعى "قره العين" إذ هي أسفرت عن وجهها، و ارتقت المنبر، و خطبت و جادلت، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ العراق، و ربما في تاريخ الشرق كله، طيله قرون عديده. و نحن الآن إذ نريد دراسه تاريخ المجتمع العراقي في تلك الآونه بحسن بنا التعرف إلى شخصيه هذه المرأه و مبلغ تأثيرها في العراق ثم في إيران.

ولدت هذه المرأه في قزوین عام ١٨١٤ م، و قد سميت ب "زرین تاج" و هو اسم فارسی بمعنى "التاج الذهبی" لأنها كانت ذات شعر أشقر، و كانت أسرتها من الأسر الدينیه المعروفه في قزوین ذات جاه و مكانه تدعى ب "آل البرغانی"، و قد برز فيها علماء مجتهدون لهم شان كل منهم الملا محمد صالح الذي هو والد قره العين، و الملا محمد تقی الذي هو أحد أعمامها، و كان الملا محمد تقی هذا كبير علماء قزوین في ذلك الوقت.

تميزت قره العين بجمالها الفتان و ذكائها المفرط، و قد بدأ نبوغها بالظهور منذ صباها الباكر قيل إنها كانت تحضر دروس أبيها و عمها التي كانت يلقيانها على الطلبة، فكان يوضع لها ستار لتستمع إلى الدروس من ورائه، و سرعان ما أخذت تشارك في المجادلات الكلاميه و الفقيهيه التي تثار بين رجال أسرتها، و كثيرا ما كان أبوها يظهر سفه قائلا: "لو كانت ولدا لكانت أضاء بيتي و خلفتني". و ذكر أخوها عبد الوهاب في وصف ذكائها المفرط فقال:

اننا جميعا من اخوه و أولاد عم ما كنا نقدر أن نتكلم في حضرته لأن علمها كان يرعبنا، و إذا تصادف و تكلمنا عن مسأله فإنها كانت تتكلم عنها بكل وضوح و إتقان على البدايه حتى نعلم أننا أخطانا السبيل و نتركها و نحن متحيرون".(٢)

كان أهل قزوین في ذلك الحين كاهل كربلاء منقسمين إلى فريقين متنازعين: "بشت [پشت سرى]" و "بالا سرى" أى شيخين و خصوم الشيخين [شيخين].

و كان هذا الانقسام قد سرى إلى بيت قره العين فكان عمها الكبير الملا محمد تقی من خصوم الشيخين بينما كان عمها الآخر الملا على من الشيخين. و قد نشأت قره العين في هذا الجو الفكرى المفعم بالجدل، و لا شك أنها استطاعت أن تستوعب بذكائها الشئ الكثير من ذلك الجدل و تنتفع به.

عند ما بلغت قره العين الرابعه عشره من عمرها زفت إلى ابن عمها الملا محمد بن الملا محمد تقی، و لم تمض على ذلك سوى

مدته قصيره حتى قرر الزوج الهجره إلى العراق لطلب العلم، فسافر معا إلى كربلاء و نزلا- في دار تعود للأسره في محله " الخيمگاه" و هي الدار التي لا تزال قائمه يسكنها بعض أسره البرغاني و قد زارها كاتب هذه السطور منذ عهد قريب.

مكث الزوجان في كربلاء ثلاث عشره سنه تقريبا رزقا فيها بولدين هما إبراهيم و إسماعيل، و الظاهر أن حياتهما فيفي [في] كربلاء لم تخل من خصام و مناقره، فهي أخذت تميل إلى السيد كاظم الرشتي الذي كان يرأس الشيخين يوم ذاك، بينما كان زوجها يميل إلى "البلاسى". و ربما كان الخصام بين الزوجين في بدايته بسيطا ثم صار يشتد و يتعقد مع الأيام.

عاد الزوجان إلى قروين في عام ١٨٤١ م، و رزقا هناك بولد ثالث سمياه "إسحاق" و كانت عودتهما إيذانا باستئناف الخصام و المناقره بينهما من جديد. فقد أصدر والد زوجها فتوى أعلن فيها تكفين الشيخين بينهما هي ازدادت من جانبها ولعا بالعقائد الشيخيه و تعلقا بالسيد كاظم الرشتي.

و شرعت قره العين تكاتب الرشتي تستفسر منه عن بعض المعاني الغامضه في كتاباته، ثم قررت أخيرا أن تترك زوجها و أولادها و تهاجر إلى كربلاء لتكون قريبه من الرشتي و تنضم إلى حوزته العلميه.

و في عام ١٨٤٣ م سافرت قره العين إلى كربلاء، و كانت حينئذ في التاسعه و العشرين من عمرها و في قمه نضوجها، و حين وصلت إلى كربلاء فوجئت بان الرشتي الذي جاءت من أجله كان قد توفي قبل أيام قليله فاصيبت بخيبه الأمل و شاركت في ماتمه(٣).

اعتناقها الدعوه البايه:

تجمع المصادر البايه و البهائيه على أن قره العين كانت من أوائل الذين اعتنقوا الدعوه البايه حيث أصبحت من "حروف الحي" الثمانيه عشر، و أنها اعتنقت الدعوه يوم كان الباب لا يزال في شيراز يدعو إلى نفسه سرا.

و هذا أمر يصعب علينا تصويره إذ كيف استطاعت قره العين أن تعلم بالدعوه و هي في كربلاء و تقتنع بها دون أن تتصل بالباب أو تعرف عنها شيئا.

أوردت المصادر البهائيه في هذا الشأن روايتين مختلفتين، فقد جاء في أحد تلك المصادر و هو كتاب "تذكره الأوفياء": أن قره العين عند ما وصلت إلى كربلاء بعد وفاه السيد كاظم الرشتي انقطعت إلى العباده و التضرع في انتظار الموعود الذي كان الرشتي قد تنبأ يقرب ظهوره، و في ذات ليله رأت في منامها شابا يلبس رداء أسود و عمامه خضراء و هو في السماء رافعا يده بالدعاء و يتلو بعض الآيات، و بعد حين وصل إليها تفسير من الباب لسوره يوسف فوجدت فيه إحدى الآيات التي سمعت الشاب يتلوها في المنام، فادى ذلك بها إلى التصديق بدعوه الباب(٤).

أما كتاب "الكواكب الدريره" فيروي القصة بشكل آخر إذ يقول:

بينما كان تلاميذ السيد كاظم الرشتي قد انتشروا في البلاد يبحثون عن الموعود انقطعت هي للرياضه و التبتل و هجرت تناول المطبوعات، و كانت كل أوقاتها مصروفه في الترقب و الانتظار. و في ذات يوم كتبت رساله إلى الملا حسين البشروي تقول

فيها: "إذا وفقتم للقاء طلعه الموعود فلا تحرموني من موافاتي بذلك النبا، ولا تضنوا علي بالساده، فان للأرض من كاس الكرام

ص: ٢٤١

١- القلندر: يقصد به الدر ويش.

٢- محمد زرندي (مطالع الأنوار) ترجمه عبد الجليل سعد - القاهره ١٩٤٠ - ص ٦٣-٦٦.

٣- إن هذه المعلومات عن قره العين حصلت عليها من مصادر مختلفه، وقد استفدت بصوره خاصه من كتاب مخطوط بقلم عبود الصالحى عنوانه "قره العين على حقيقتها وواقعها". و مما يجدر ذكره أن هذا الكاتب هو من أسره البرغانى و من أقرباء قره العين.

٤- محمد زرندي (المصدر السابق).

نصيباً "فوصلت رسالتها إلى الملا حسين أثناء وجوده في شيراز فقدم الرسالة إلى الباب، فادخل الباب اسمها في عداد "حروف الحى" وكتب توقيعاً بذلك. ولما جاء الملا على البسطامى إلى العراق موفداً من الباب اتصلت قره العين به واستفهمت منه عن تفاصيل الدعوه مما جعلها تزداد إيماناً بها(1).

المرحلة الأولى:

تشير القرائن إلى أن الدعوه البايه أخذت تكتسب الاتباع فى كربلاء تدريجاً، وكانوا كلهم من الشيخين، غير أنهم كانوا يلتزمون التقية والتكتم ولا يعلنون عن مذهبهم الجديد أمام الناس، ولم يكن من المسموح لهم فى أول الأمر أن يذكروا اسم الباب أو يعينوا شخصه بل كانوا يتحدثون عنه بطريق الرمز والإشارة، وكثيراً ما كانوا يطلقون عليه اسم "الذكر" عند الحديث عنه.

و الظاهر أن قره العين حين اعتنقت الدعوه البايه كانت كغيرها من اتباع الدعوه تلتزم التقية، ولكنها أخذت تنشط فى الاتصال بالناس لتمهيد الأذهان نحو قبول الدعوه الجديد. قيل إنها كانت فى تلك المرحلة من حياتها تلقى الدروس الدينيه فى منزلها و يجتمع إليها عدد كبير من الطلبة والمستمعين، فكانت تجلس فى غرفه صغيره وراء باب عليه ستار، و يجتمع الطلبة والمستمعون فى غرفه أخرى واسعته، وهى تتحدث إليهم من وراء الستار.

كانت قره العين تملك صوتاً جهورياً ومقدره كبيره على الكلام والجدال، فأحدثت فى المجتمع الكربلائى هزه عنيفه وأصبح اسمها على كل لسان، و صار الناس نساء و رجالاً يتناقشون و يتجادلون فى الأفكار الجديده التى كانت تطرحها قره العين فى دروسها المنزليه.

و فى شهر آب من عام ١٨٤٦ م انتقلت قره العين مع حاشيتها إلى الكاظميه، و يقال فى سبب هذا الانتقال أن خلافاً حدث بينها و بين كبير الشيخين الميرزا محمد حسن جوهر فقررت الابتعاد عنه و الذهاب إلى بلده أخرى تستطيع أن تنفرد فيها من غير معارض تخشى بأسه.

استقبلت قره العين فى الكاظميه استقبالا حافلاً و كان على رأس المحتفين بها أولاد السيد عبد الله شبر، فنزلت أول الأمر فى ضيافتهم، ثم تحولت بعدئذ إلى دار السيد صادق الكشفى و هو من خدمه الجوادين و كانت داره معده لنزول الزوار الشيخين فيها. و أخذت قره العين تلقى الدروس فى الكاظميه على منوال ما كانت تفعل فى كربلاء، و زادت على ذلك فصارت تصعد المنبر أحياناً فتذهل السامعين بقوه حجتها و حسن القائها.

و ذاع صيتها فى بغداد فاخذ الكثير من سكانها، من الشيعة و غيرهم، يفدون إلى الكاظميه لسماع دروسها و محاضراتها. روى لى أحد المسنين من أهل الكاظميه نقلاً عن شهد قره العين أثناء مكوثها فى الكاظميه فقال إن الكثير من الناس حضروا حلقات دروسها و صلوا وراءها، و كانوا إذا استمعوا إليها وهى تتكلم يكادون يذهلون عن أنفسهم من شدة تأثرهم بها.

يبدو أن قره العين لم تكن متمزته فى حجابها على النمط الشديد الذى اعتادت عليه نساء عصرها، و هى ربما كانت تلتزم بالسفور الذى تبيحه الشريعه الإسلاميه و هو إظهار صفحه الوجه و الكفين من غير زينه، فكانت تجالس الذين تثق بهم من أصحابها و

تحدثهم و هي مكشوفه الوجه، غير أن هذا النوع من السفور لم يكن يستسيغه الناس في تلك الأيام فآثار ضجه لدى العامه و رجال الدين و أخذوا يتقولون عليها و يلصقون بها التهم الشنعاء.

كان الناس في تلك الأيام قد اعتادوا أن يربطوا بين عفه المرأة و شدة حجابها، فكلما كانت المرأة أشد حجابا كانت في نظرهم أعظم عفه و أكمل خلقا. و لهذا أخذ خصوم قره العين يتهمونها بالتحلل الخلقى، و لا تزال هذه التهمه لاصقه بها حتى اليوم. سألت ذات مره أحد المسنين من أهالي الكاظميه عما يعرف عنها، و لم يكد الرجل يسمع سؤالي حتى فاجاني بقوله إنها كانت " كذا و كذا " مما لا يستحسن ذكره. و ليس هذا الجواب بالأمر المستغرب من رجل عاش في بيئه الحجاب الشديد و آمن به إيمانا مطلقا.

يقول صاحب كتاب "الكواكب الدريره": أن سفور قره العين تلقاء صحبها و تلاميذها أثار خلافا بين رجال الدين و قام بينهم الجدل و الشقاق على قدم و ساق، و عند ما سألوا التلاميذ عن ذلك أجابوا بان الوجه و الكفين لم تكن عوره في نظر الدين الإسلامي و جاءوا بدليل الحج حيث أن أزواج النبي لم يسترن الوجه و الكفين رغم الازدحام العظيم أثناء موسم الحج، و لكن هذا الجواب المؤيد بالشواهد لم ينه المشكله بل استشرى الخلاف و الجدل بين الناس (٢).

المرحله الثانيه:

مكثت قره العين في الكاظميه زهاء سته أشهر، ثم عادت إلى كربلاء في شهر شباط من عام ١٨٤٧ م بمناسبة زياره الأربعين التي حلت في الثامن من ذلك الشهر. و بعودتها إلى كربلاء دخلت مرحله جديده من حياتها، و نكتفى من كلام الدكتور الوردى عن سيرتها بهذا المقدار و نختم قوله بما قاله عن رأيه بها.

إنى أعتقد على أى حال أن قره العين امرأه لا تخلو من عبقرية و هي قد ظهرت في غير زمانها أو هي سبقت زمانها بمائه سنه على أقل تقدير، فهي لو كانت قد نشأت في عصرنا هذا و في مجتمع متقدم حضاريا لكان لها شان آخر و ربما كانت أعظم امرأه في القرن العشرين (انتهى).

رأى الألوسى

و يقول محمود شكرى الألوسى كما نقلت ذلك جريده المنار اليوميه الصادره في ١٩٦٧/٤/٢١ في الصفحه السادسه: إنى رأيت لديها من الفضل ما لم أره في كثير من الرجال و هي ذات عقل و أدب و فريده حيازه و صيانه و قد لقبها السيد كاظم الرشتى ب (قره العين) و لم أرها ترفع التكاليف - أى الفرائض الدينيه كما يتهمها أعداؤها - مع أنها بقيت في بيتى نحو شهرين. (انتهى).

و يقول الألوسى أيضا في (مختصر التحفه الاثنى عشرية) ص ٢٤:

فقل إنها كانت تقول بحل الفروج و رفع التكاليف بالكليه، و أنا لم أحس منها بشيء من ذلك مع أنها حبست في بيتى شهرين و كم من بحث جرى بينى و بينها رفعت فيه التقيه من البين.. (انتهى).

-
- ١- عبد الحسين آواره (الكواكب الدريره) ترجمه أحمد فائق رشد - القاهره ١٩٢٤ - ج ١ ص ١١٠-١١١.
- ٢- المصدر السابق - ص ١٨٩.

رأيان آخران

و يؤكد نجلها الأكبر الشيخ إبراهيم البرغانى الذى اجتمع بها أكثر من مره فى أواخر أيام حياتها و هى مسجونته فى دار رئيس الشرطه بطهران أنها كانت صائمه و تقضى أكثر أوقاتها بقراءه القرآن و الدعاء و الصلاه، و أنها قتلت و هى على الإسلام.

و يقول المستشرق الفرنسى (نيكلا) فى كتابه (المذاهب) نقلا عن نساء و رجال بيت رئيس الشرطه الذى كانت قره العين مسجونته فيه، و الذين اجتمع بهم بعد قتل قره العين بقليل، أنهم أجمعوا أنها كانت تتوضأ و تصلى و تقرأ الدعاء "(1).

رساله عمها للاستفسار عنها

يقول الدكتور على الوردى فى كتابه (لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث) الجزء الثانى، الصفحه ١٧١ طبع بغداد سنه ١٩٧١، و هو ما أخذنا عنه كلام الدكتور الوردى المتقدم.

يقول الدكتور الوردى:

عند ما وصل الخبر إلى قزوین بان قره العين محبوسه فى بغداد اهتم له عمها و والد زوجها الملا محمد تقى البرغانى فأرسل إلى أحد أرباب النفوذ فى كربلاء يكلفه بالتوسط لدى الحكومه فى إطلاق سراحها. و قد سافر هذا الرجل إلى بغداد ليسعى فى هذا السبيل، ثم كتب إلى الملا محمد تقى رساله يذكر له فيها نتائج مسعاه. و الرساله محفوظه بنصها الفارسى فى مكتبه الأستاذ عبد الحسين الصالحى فى قزوین. و هذا تعريبها بقلمه.

المعروض لكم:

إن عمده المطالب سلامه وجودكم و بقاء عمرکم، حفظکم الله سبحانه من كل مكروه أرضى و سماوى... و وفقتم بتوفيقه تعالى أرجوه أن يثبتکم على الصراط المستقيم و الطريق الأقوم.

سیدى الجلیل... أخى المعظم! فى الوقت الذى كان حضرات الساده متوجهين - و قبل یومین - فى خصوص إرسال کریمه أخى المبجل و شیخنا المعظم، فقد بذلت جهدى - كاملا - و سعیت لارسالها - مع خیر الحاج و المعتمرین الحاج على أكبر، و لهذه الغایه سافرت إلى بغداد متوجها إلى دار مفتى بغداد الیوم معالی السید محمود الآلوسى أفندى، فوجدتها هناك مع ثلاث نساء أخريات و جاریه، فطلب إلى معالی السید المفتى شرح حالها، و بیان قصتها..

فقلت: نعم! انها امرأه مستوره، و هى فى کمال الورع و التقوى، و قد اعترتها بعض الوسوس الشیطانيه، و تمكنت منها، و سيطرت على دماغها و أفكارها. و كان للوسط الدينى الذى تعيشه، أثر بالغ فى ذلك كله، حيث إنها تعيش بين أحضان الورع و التقى، و فى بيت العلم و التقدس.

كما سألنى معالی السید المفتى عن تاريخ حياه والدها، و حالاته...

فقلت: إنه الیوم رجل ایران الأوحده فى العلم و الورع. و قد أثر كلامى فى نفس معالی المفتى، فقال لى: ساطلب من معالی الباشا

خلاصتها و الاعتذار لها عن كل ما حيك حولها، و ذهابها إلى أهلها.. هذا مع أنها كانت - سابقا - قد ذكرت للمفتى أن جميع التهم الموجهة إليها غير صحيحه، فكان المفتى قائلا لها: إذن فما هذه الأضابير و المناشير التي أخرجت من دارك؟ فقالت حينئذ في جوابه: - لو أخرج من دار معاليكم كتب التوراه و الإنجيل فهل أن ذلك يدل على أنكم معتنقون التوراه و الإنجيل؟ مع أن هذه الكلمات التي ذكرت من قبلها لم تكن بعيدة عن القواعد العلميه، و إنما الفساد و (التهم) قد نشأت من جانب الآخوند ملا حسن گوهر - كما سمعت ذلك - و العلم عند الله....

و هي الآن محترمه و مفرزه في دار معالي السيد المفتى، و أنا في هذا اليوم (الجمعه) الموافق لليوم الثامن من شهر ربيع الثاني، ذاهب إلى بغداد، لأجل العمل الجاد في خلاصتها و هي مكدره خاطر من طرف الملا حسن گوهر.

و إن كلماتها - في الظاهر - لم تك خارجة عن القواعد العلميه، و الضوابط الشرعيه، فهي كما قالت، في جملة كلامها: إنني امرأه مسلمه، و مؤمنه بالله العظيم، و النبي الكريم (ص) و أئمه الهدى من بعده. و إنني أدين بمذهب الاثني عشريه مذهب محمد (ص) فباي دليل هم اتهموني؟! كما أن حضرات الأعيان، و علماء بغداد - قاطبه - يحترمونها أيما احترام، و يكون لها كل تقدير، و إن ما قالوه و أشاعوه عندكم فهو باطل و محض اختلاق. إنها في كمال العزه و التجله و الإكرام، و لتوضيح الحقيقه حررت الرساله.

و إن شاء الله تعالى و بحوله و قوته سأنقلها إلى داري الخاصه، باي حال من الأحوال و أرسلها إليكم مع حضرات الساده، إن شاء الله، فليكن خاطركم طيبا و مرتاحا. (انتهى).

أقول: يبدو من مجمل ما تقدم أن (قره العين) أخذت أول الأمر بالشيخه ثم بالبائيه، و أنها في آخر أمرها عادت إلى أصولها الإسلاميه.

الشيخ قوام الدين محمد بن محمد البحراني.

توفي حدود سنه ٦٠٠.

من أكابر علماء الشيعه و فحول المحدثين أخذ العلم عن جماعه منهم السيد أبو الرضا فضل الله الراوندي الحسيني الكاشاني و هو يروى عنه و تخرج على صاحب الترجمة جماعه من العلماء منهم الشيخ أحمد بن صالح القسيني المجاز منه كما في إجازة الشهيد الثاني للحسين بن عبد الصمد ذكره شيخنا في طبقات أعلام الشيعه و كان المترجم له معاصرا للشيخ راشد بن إبراهيم البحراني المتوفى سنه ٦٠٥ هجريه من أكابر علماء عصره و شريك المترجم له في الروايه.

قياس آق گون

الفاضل، أمام مسجد الحاج حسين في أغدير بتركيا، مؤلف كتاب "الامام الثاني عشر" المطبوع في أنقره، عام ١٩٧٦ م.

١- ص ٤٧٨ من الترجمة الفارسية المطبوعه ١٣٢٢ هـ. ش.

كريم خان زند:

"كريم خان زند" بن "إيناق". و "زند" طائفه من قبيله "لور" الإيرانية الأصل كان مسكنها في إقليم "ملاير" من نواحي "همدان".

و يقول أبناؤها إن سبب تسميتها بهذا الاسم هو أن "زردشت" أودع كتابه المقدس المسمى "زند" عند طائفتهم و عهد إليها في حفظه، فسميت باسمه.

و تاريخ خانات هذه الطائفة غامض إلى أواخر حكم الأسره الصفويه، إذ اشتهرت أسماء من كان يترأسها من الخانات. و منهم "إيناق" أبو "كريم خان زند". و كل ما بلغته من الشهره و الأهميه إنما بلغته أيام ظهور "كريم خان". فإنه تغلب على منافسيه ثم سعى حتى وصل إلى منصب الملك.

في أيام حروب "نادر شاه" كانت قبيله "زند" تسكن في منزلها القديم "ملاير". و ظلت في حقبه تلك الفتن المتواصله عصيه على العثمانيين و الأفغانه لا تخضع لهم. فلما خلع نادر شاه "طهماسب شاه" الثاني الصفوي عن العرش رحل قبيله "زند" مع من رحل من قبائل "بختيار" و "أفشار" و غيرهم إلى خراسان و أسكنهم فيها و أسكن قبيله "زند" في وادي "جز".

و لكن هذه القبائل عادت إلى مساكنها القديمه بعد مقتل "نادر شاه"، و منهم قبيله "زند"، و كان يترأسها يومئذ الإخوان "بداق" و "إيناق"، و قد عادت إلى "ملاير". و بعد وفاه هذين الأخوين الرئيسيين انتهت رئاسه قبيله "زند" إلى "كريم" و "صادق" ابني "إيناق".

و في سنه ١١٦١ هـ خرج "إبراهيم خان" ابن أخي "نادر شاه" - و كان يومئذ حاكما على أصفهان و القسم المركزي و الشمالي من إيران - على أخيه "علي عادل شاه"، و كان يقيم في مشهد، و قصده بالحرب. فالتحق "كريم خان" و أخوه بالخارج و معهما جماعه من الفرسان و أصبحوا بعض جنده.

و بعد مده قليله أصبحا موضع عنايته و اهتمامه فأنعم عليهما كليهما بلقب "خان"، و أرسلهما إلى "أراك" و أوكل إليهما تنظيم أمور الطرق.

و تغلب "إبراهيم خان" على أخيه فأعمى عينيه و نصب نفسه شاها في مكانه. إلا أن "إبراهيم خان" لم تطل مده ملكه. فقد حاربه "شاه رخ شاه" حفيد "نادر شاه" و غلبه ثم قتل.

و في سنه ١١٦٤ هـ كان سلطان "شاه رخ شاه" حفيد "نادر شاه" على حال شديد من الزعزع و الاضطراب.

و كان أحد خانات قبيله "بختيار" و طغاتهم، و اسمه "علي مردان خان" يسعى إلى الحصول على العرش لنفسه، و قد سيطر على أرض البختياريين إلى حد "خوزستان". و رأى في اختلال أحوال "شاه رخ شاه" و ضعفه فرصه للوصول إلى مقاصده، فخرج من مساكن قبيلته بجيش قاصدا احتلال أصفهان. و كان حاكما عليها خان آخر من خانات "بختيار" اسمه "أبو الفتح خان"، عينه في هذا المنصب "إبراهيم خان أفشار" يوم كان خارجا على أخيه "علي عادل شاه" - و بعد مقتل "إبراهيم خان" أقره "

شاه رخ شاه" فى منصبه. و وقعت بينهما حرب انتهت بهزيمة "على مردان خان". فاستنجد هذا "كريم خان زند" لصدقه قديمه كانت بينهما، فأجاب طلبه و التحق به مع جيش عدته بين ثلاثة آلاف و أربعة آلاف جندى من عسكريه و هاجما "أبو الفتح خان" مره ثانية فتغلبا عليه. و لكن جماعه من أهل الرأى أشاروا عليهم، ثلاثتهم، بالاتفاق، و أن يختاروا أحد أبناء الأسره الصفويه لمنصب الشاه، و يتقاسموا فيما بينهم إداره أمور المملكه، ففعلوا. و اختاروا "الميرزا أبو تراب" سبط الشاه" سلطان حسين" الصفوى لمنصب الشاه و سموه "الشاه إسماعيل الثالث"، و كان فى الثامن من عمره.

و قيل فى الثامن عشره. و كان ذلك فى سنه ١١٦٤ هـ. و اتفقوا على أن يبقى "أبو الفتح خان" فى منصبه السابق حاكما على أصفهان، و يكون "على مردان خان" فى منصب "نائب السلطنه" (نائب الشاه) و "كريم خان" قائد الجيش.

إلا أن حكام همذان و كردستان رفضوا الدخول فى طاعه هذه الهيئه الثلاثيه و استخفوا بها. فسار إليهم "كريم خان"، بما هو قائد الجيش العام، لاختضاعهم. و تم له النصر عليهم.

و لكن "على مردان خان" نقض عهد "كريم خان" و هو غائب فى هذه الغزوه، فقتل "أبو الفتح خان" و عين بختياريا آخر من قبله حاكما على أصفهان. ثم سار إلى شيراز و حمل معه إليها الشاه "إسماعيل الثالث"، قاصدا احتلال إقليم فارس و القضاء على منافسه الآخر "كريم خان".

و لكن هذا سبقه إلى الحرب و هزمه فى معركة وقعت بينهما فى محله تعرف باسم "سر آب كرن". ففر إلى "كرمانشاه"، تاركا وراءه الشاه "إسماعيل"، فالتحق هذا بكريم خان. و كان ذلك فى سنه ١١٦٥ هـ. و ازدادت مكانه "كريم خان" رفعه و علا شأنه بانحياز الشاه إليه. و جعل من نفسه و كيلا للشاه فعرف من ذلك التاريخ باسم "الوكيل".

أما "على مردان خان" فإنه لما وصل إلى "كرمانشاه" أخذ يتهيا لقصد "كريم خان" بحرب أخرى فأعد جيشا و عثر على رجل زعم أنه ابن الشاه "سلطان حسين" الصفوى فنصبه شاها و جعل من نفسه نائبا له. و التقى الجيشان فى ناحيه "بيل آور"، فانهمز "على مردان خان" و قتل الشاه المزعوم. و كانت عاقبه "على مردان خان" هذا أن قتله رجل من شجعان الزنديين اسمه "محمد خان زند" فى سنه ١١٦٨ هـ. و كان "محمد خان" هذا متمردا على "كريم زند" و من رجال "على مردان خان". ثم أراد أن يصلح "كريم زند" و يتدارك ما فرط منه فاغمد خنجره فى بطن "على مردان خان" و قتله و بادر تائبا إلى "كريم خان" فقبله و عفا عنه و رفع مكانته.

و كان ل "كريم خان" خصم آخر هو "محمد حسن خان قاجار"، و هو أبو "آغا محمد خان قاجار" مؤسس ملك الأسره القاجاريه فى إيران.

و كان يقيم فى "جرجان". فسار إليه "كريم خان" سنه ١١٦٥ هـ، و لكنه عجز عن التغلب عليه. و فى أثناء العراك بين الخصمين خرج الشاه "إسماعيل" الشاب من عسكريه "كريم خان" و التحق بمعسكر "محمد حسن خان"، فقال "كريم خان": "غدر بنا الشاه و فر!". و قيل إنه قال:

"خان الشاه الخبز و الملح و فر!".

و عاد "كريم خان" إلى أصفهان، و قد وقع في جيشه قدر من الخسارات. و استاسد "محمد حسن خان" بعد هذا النصر. فخرج في سنه ١١٧١ هـ من مازندران قاصدا حرب "كريم خان"، و وقعت بينهما معركة في "كلون آباد" في نواحي أصفهان، انهزم فيها "كريم خان" أيضا. فسار منها إلى شيراز و تحصن فيها، فتبعه "محمد حسن خان" إليها و حاصره، و دام حصاره لشيراز مده أربعين يوما. و وقع بين رؤساء عسكر "محمد حسن خان" شقاق و خلاف، و أخذ عسكره ينفضون عنه، فاضطر إلى فك الحصار

ص: ٢٤٤

و الانصراف عن شیراز خوفا من أن يؤسر، فغادرها و عاد إلى "أسترآباد".

و لكن "كریم خان" لم يمهلہ إذ بادر فوراً إلى اتباعه بجيش مجهز يقوده "الشيخ على خان زند" أفضل قواده، فتبعه إلى مازندران و جرجان، و ظل "كریم خان" في طهران. و وقعت بين الجيشين معركة خفيفه قصيره في مازندران، قتل فيها "محمد حسن خان"، فاحتز "الشيخ على خان" رأسه و أرسله إلى طهران إلى "كریم خان".

و كان من الأفشاريين أمير اسمه "فتح على خان أفشار آرشلو" طلب الملك لنفسه بعد مقتل "نادر شاه"، و أصبح منافس لـ "كریم خان زند".

و تحارب الخصمان في سنة ۱۱۷۴ هـ و سنة ۱۱۷۵ هـ في أذربيجان. و وقعت الحرب الثانيه في "قره شمن"، فتغلب "فتح على خان" و أوقع في معسكر "كریم خان" هزيمه شديده، و تفرق جنده هارين حتى بلغوا في فرارهم إلى قزوین و طهران و أصفهان. و لكن "كریم خان" لم ييأس فعاود تجهيز جيشه و سار إلى أذربيجان و تلاقى الجمعان في "قره شمن" في ذى القعدة سنة ۱۱۷۵ هـ و وقعت معركة انهزم فيها "فتح على خان"، فلجا هاربا إلى قلعه "أروميه" و تهيأ للدفاع. و واطا سرا "إبراهيم خان البغائرى" أحد رؤساء عسكر "كریم خان" كما واطا أيضا "شهباز خان اليككى" (۱) آمر البندقين " (۲) الذين من إقليم فارس في جيش "كریم خان"، و واطا أيضا "الملا مطلب الكربالى"، على أن يقضوا على الوكيل ضربا بالسيف و الرصاص. و لكن رجلا- اطع على هذه المؤامره فأخبر بها الوكيل "كریم خان" فاعتقلهم ثلاثتهم. و بعد التحقيق و ثبوت التامر عليهم قتلهم و أرسل رؤوسهم إلى "فتح على خان".

ثم سار "كریم خان" إلى "أروميه" حيث تحصن "فتح على خان".

فحاصرها تسعه شهور فوق فيها الغلاء و المجاعه حتى اضطر "فتح على خان" إلى التسليم، فذهب في شهر شعبان سنة ۱۱۷۶ هـ إلى إصطبل الوكيل طالبا عفوه، فعفا عنه و دخل إلى أروميه فاتحا.

و أقام "فتح على خان" عند الوكيل "كریم خان" محترما مكرما مقدما على كل الأمراء، لا يتقدم عليه غير "آزاد خان" الأفغانى، و كان هذا قد سبق أن حارب "كریم خان" ثم استسلم إليه أيضا فعفا عنه و أكرمه. و لكن "فتح على خان" لم يلبث، بعد مده، أن أخذ يقوم باعمال و دسائس يقصد بها الإيقاع بالوكيل "كریم خان". و علم هذا بنواياه و مقاصده فأمر بقتله فقتل في سنة ۱۱۷۷ و قيل ۱۱۷۸ هـ.

و كان للوكيل "كریم خان" منافس آخر شديد المراس هو "آزاد خان الهوتكى الغليجائى" الأفغانى. كان هذا الخان يعد من أمراء عسكر "نادر شاه"، حضر معه أكثر محارباته. و بعد مقتل "نادر شاه" كان أحد الذين طلبوا الملك لأنفسهم. احتل أذربيجان. و حارب "كریم خان" سنة ۱۱۶۶ هـ بين كردستان و كرمانشاه. و حاربه سنة ۱۱۶۷ هـ في ناحيه "بروجرد". فتغلب عليه في أول الأمر، و احتل، علاوه على أذربيجان، كردستان و قزوین و طهران و أصفهان و شیراز، و اضطر "كریم خان" إلى الفرار و التوارى. و لكن "كریم خان" عاد فهزمه، فراجع إلى أذربيجان و أقام في "أروميه" مقر حكومته. و حارب "محمد حسن خان قاجار" سنة ۱۱۶۹ هـ "آزاد خان" هذا في أذربيجان فهزمه و اضطره إلى الفرار، فلجا إلى أرض العثمانيين ثم إلى كرجستان. و

في سنة ١١٧٥ هـ، إذ كان "كريم خان" في أذربيجان، في مدينة أرومية، جاءه "آزاد خان" مستسلما فاستقبله "كريم خان" استقبالا حسنا و بذل له غايه الرعاية و الاحترام و قدمه على جميع رجاله من الرؤساء و العسكرين، و ظل عنده على هذا المقام إلى أن توفي "كريم خان".

و في سنة ١١٧٧ هـ استغل والي بغداد العثماني اضطراب الأوضاع الداخليه في إيران فأغار على قبيله "بنى كعب" في "خوزستان" بتحريض من "المولى مطلب المشعشى" (٣)، إذ كانت بين المشعشيين و الكعبيين خصومه و منافسه. و أراد الوالى أيضا التوسع في الاغاره إلى أبعد من ذلك.

فبعث هذا الوضع "كريم خان" على الاهتمام بقضيه "خوزستان"، بعد أن فرغ من تسويه قسم من شئون إيران الداخليه. فاحضع عشيره "آل كثير" في نواحي "شوشتر" و "دزفول"، و حقق فيها أمنا و استقرارا. ثم عزم على إخضاع قبيله "بنى كعب" ففر رئيسها "الشيخ سلمان" من "الفلاحيه" إلى "جزيره الخضر" (عبادان) ثم ركب البحر متابعا فراره.

و رأى "كريم خان" أن الوضع يقتضيه احتلال البصره. فجهز جيشا بقياده أخيه "صادق خان" و أرسله إلى البصره فاحتلها بعد أن تكبد قدرا كبيرا من الخسائر (٤). و لم تستفد إيران شيئا من احتلال البصره و لا عاد عليها هذا الاحتلال بغير الضرر.

بعد أن نظم "كريم خان" الأمور المتعلقة بمجال حكمه ذهب في سنة ١١٧٩ هـ إلى شیراز، و أقام فيها إلى سنه وفاته. و تقدمت شیراز و عمرت في هذه المده، و أقيمت فيها الأبنيه الفخمه بامر الوكيل. و كانت عاصمه الزنديين.

تسمى في مده حكمه بلقب "وكيل الرعايا" أو "وكيل الدوله".

و دام حكمه ثلاثين سنه و ثمانيه أشهر و اثني عشر يوما. و توفي في الثالث عشر من شهر صفر سنه ١١٩٣ هـ في شیراز.

و نشب النزاع على خلافته بين الزنديين ساعه وفاته. و بلغ النزاع بينهم إلى أن أهملوا دفنه ثلاثه أيام، انشغلوا فيها بالاقتتال فيما بينهم. و هو ملقى على وجه الأرض. و بعد أن تمكن "زكى خان زند"، و هو أخو "كريم خان" لأمه و ابن عمه، من قتل رؤساء الزنديين دفنه في قبر كان قد بناه في شیراز لنفسه في حياته.

و في سنة ١٢٠٦ هـ، إذ تغلب "آغا محمد خان قاجار" على الزنديين و قضى على ملكهم، و دخل إلى شیراز دفعه حقه على "كريم خان زند" إلى أن أمر بنيش قبره و إخراج عظامه منه ثم نقلها من شیراز إلى طهران و أمر بدفنها في عتبه مسكنه الخاص، و هو قصر كان قد بناه "كريم خان" لنفسه.

و أراد "آغا محمد خان قاجار" من ذلك الانتقام من هذا الخان الجليل القدر بعد موتته بجعل رأسه في كل يوم تحت قدميه كلما اجتاز هذه العتبه. و يقالم.

ص: ٢٤٥

٢- المحاربون بالبندق.

٣- آل "المشعشى" أو "الموالى" أسره كانوا حاكمين فى "خوزستان". و "المولى مطلب" هذا أحد رؤسائهم و حكامهم.

٤- لما توفى "كريم خان" سنه ١١٩٣ هـ ترك "صادق خان" البصره و عاد إلى شيراز ليخلف أخاه فى الحكم.

إنه فعل مثل ذلك بعضا "نادر شاه أفشار" أيضا. ولما ملك "فتح على شاه قاجار" أمر بإخراج عظام "كريم خان" من هذه العتبه، فأخرجت و أرسلها إلى النجف فدفنت فيها.

بعد وفاه "كريم خان" تناوب سبعة من الزنديين على الملك في قسم من إيران مده ستة عشر عاما، من سنة ١١٩٣ هـ إلى سنة ١٢٠٩ هـ، قضوها في المصاعب والمشقات والحروب وسفك الدماء والقتال حتى أفنى خاناتهم بعضهم بعضا.

حكمت هذه الأسره مده سبعة و ثلاثين عاما. منها سنوات سلطنه "كريم خان" فقط كانت أيام اقتدار و سيطره تامه لها، و ذلك من سنة ١١٧٢ هـ إلى سنة ١١٩٣ هـ سنه وفاته. و بعد وفاته تولى أمرها خانات فاسدون كانوا هم أنفسهم أول من بدأ استئصالها و اقتلاع جذورها. و لما انتصر "آغا محمد خان قاجار" عليهم و قتل آخر ملوكهم "لطف على خان" أمر بقتل كل من بقى حيا من هذه الأسره من خانات و رعيه، فقتلوا جميعا إلا واحدا منهم اسمه "عبد الله خان" أبقوا عليه رعايه لقرابته من أحد رجال "آغا محمد خان".

كان "كريم خان زند" شجاعا متسامحا عطوفا مولعا بالعماره. و كان ضخم البنيه قوى الجسم. يمارس أعماله بجنان ثابت و رجوله قويه. و بعد وفاته كان كل ما ترك في خزانته من نقد سته آلاف تومان. و كان يعامل الناس، من جميع القوميات و الملل و المذاهب، بالمساواه و العدل، لا يفرق بين أحد من أتباعه، سواء في ذلك المسلم و غير المسلم. و كانت له إقامه في "جلفا"، و هى قصبه أكثر سكانها من النصارى الأرمن. فكان يبذل جهده في المحافظه على أموالهم و صيانه كرامتهم، و تمكينهم مما يلزمهم من أمور يختصون بها، غير ناظر إلى طريقتهم و دينهم بل إلى حاجاتهم و مطالبهم.

و نقل عن "فتح على شاه" أنه قال: "كان كريم خان بسيط اللباس.

يدخل الحمام مره في كل شهر فيبدل كل ألبسته حتى الحذاء. و قماش لباسه من القطن. و لم يكن يترزين بالجواهر و الشارات الملكيه. و شال رأسه و نطاقه عتيقان، بل قد يكون فيهما أحيانا تمزق. يرتدى العباءه. يسهر الليل إلى الصبح لاهيا. و فى الصباح يغفو ساعتين أو ثلاثا. و يجلس فى كل يوم جلوسا عاما مرتين، مره فى الصباح و مره فى العصر".

و أما ما كان من أمر الشاه "إسماعيل الثالث" فإنه بعد أن فر من معسكر "كريم خان" سنة ١١٦٥ هـ و التحق بمعسكر "محمد حسن خان قاجار" أقامه هذا فى "سارى" عند "محمد خان قوينلو" محافظ مازندران و ظل هناك مده ست سنوات، أى إلى سنة ١١٧١ هـ، فلما أخلى "محمد حسن خان قاجار" مازندران فى تلك السنه و تراجع عن لقاء جيش "كريم خان" إلى "أسترآباد" حمل معه الشاه "إسماعيل الثالث" إليها، و كان هذا الشاه، بصورة عامه، يتنقل من معسكر إلى معسكر بين الأمراء المتحاربين، فمن رآه الأقوى انحاز إليه. إلى أن كانت سنة ١١٧٢ هـ، و قد قتل "محمد حسن خان قاجار"، فاضطر مجبرا إلى الالتحاق بالوكيل "كريم خان".

و فى سنة ١١٨٠ هـ كان "كريم خان" قد فرغ من تنظيم أموره فأسكن الشاه "إسماعيل" فى "آباده" و عين له مخصصات لنفقاته. و كان إذا كتب إليه التزم بالرواسم المقرره فى مخاطبه الشاهات مثل التوقيع بكلمه "العبد الأحقر كريم". و توفى الشاه "إسماعيل" بعد ست سنوات من إقامته فى "آباده".

فطلى "كريم خان" رأسه بالطين على عادة اللوريين فى الجداد، و أقام له ماتما.

و أما الشاه الآخر " شاه رخ أفشار " حفيد " نادر شاه "، و كان مجال حكمه خراسان، و ظل يحكم إلى سنه ١٢١٠ هـ، فان "كريم خان" و خلفاءه لم يتعرضوا له بسوء رعايه منهم لحقوق جده " نادر شاه ". بل كانوا أحيانا يبذلون له العون.

الشيخ لطف الله العالمى:

اشاره

مرت ترجمته فى موضعها من المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما ذكره فى الجزء الرابع من (رياض العلماء) ثم ما كتبه عباس إقبال الآشتيانى.

ما جاء فى الرياض:

كان مولده فى ميس من قرى جبل عامل و قد توجه فى أوائل عمره منها إلى زياره مشهد الرضا ع و أقام به مده، و كان يشتغل فيه بتحصيل العلوم.

إلى أن يقول: و قد تخلص من مخصصه مجيء الأوزبكيه إلى تلك الروضه المقدسه و توجه إلى خدمه ذلك السلطان (عباس الصفوى)، و كان يدرس بقزوين برهه من الزمان، ثم انتقل منها بامر ذلك السلطان إلى أصفهان.

و يقول عنه أيضا: و كان له عدده أولاد ذكور و إناث، و أكبرهم سنا و مكانا الشيخ جعفر. و كان له بنتان: تزوج بإحدهما الآميرزا حبيب الله، الصدر المعروف، و حصل له منها الوزير الجليل آميرزا مهدى و أخوه آميرزا على رضا شيخ الإسلام بأصبهان: و تزوج بالثانيه السيد آميرزا محمد مؤمن العقيلى الاسترآبادى. و قد تولد منها أولاد ذكور عديدون معروفون فى عصرنا هذا.

كلمه عباس إقبال الآشتيانى:

لا شك أن مسجد الشيخ لطف الله هو واحد من أجمل الآثار العمرانيه فى أصفهان، حيث يشهد المشاهد إليه بجماله و إبداع الفنانين الذين أضافوا عليه آيات الزينه و الجمال.

يقوم هذا المسجد فى الضلع الشرقى لميدان (نقش جهان) بإزاء بنايه (عالى قاپو) أو " دولت خانه "، و يندر أن يكون له نظير فى أقطار الأرض، لزخارفه و فسيفسائه داخل و خارج القبه، و للخطوط التى بلغت غايه الروعه، بيد على رضا التبريزى العباسى.

بدأ العمل بهذا المسجد بامر من الملك عباس الأول عام ١٠١١ هـ أى فى نفس العام الذى أمر فيه ببناء ساحه (نقش جهان) و الأسواق الأربعة المحيطه به، و استمر العمل فيه حتى عام ١٠٢٨.

و الهدف الرئيسى الذى أراده الملك فى بنائه لهذا المسجد و المدرسه المجاوره هو تهيئه محل تدريس و مركز إقامه و إمامه

للشيخ لطف الله العاملي، الذي اشتهر آنذاك بتقواه وزهده وجلاله قدره، و كان الملك يجله و يعظمه كثير التعلق به.

ص: ٢٤٦

و نقصد فى هذه المقالة الإشاره باختصار إلى حياه الشيخ لطف الله، و علاقته مع بعض المشاهير من علماء عصره ليتسنى للقارئين الاحاطه بالممامه موجزه عن حياه هذا الشخص الذى اشتهر هذا المسجد العظيم باسمه، و ليقفوا على بعض أوضاع الحوزه العلميه فى عصر الشيخ التى عاشت أفضل أدوار حياتها فى زمن الدوله الصفويه.

فى نوروز عام ١٩٤١ كنت فى أصفهان، و خلال شرائى لبعض الكتب، حصلت على مجموعه تحتوى على بعض النسخ الخطيه و موضوعها جميعا الحديث و الرجال. كانت هذه المجموعه فى السابق من ممتلكات الشيخ لطف الله العاملى، حيث لا يزال أثر خطه و ختمه باقيا على ظهر الورقه الأولى.

و قد كتب الشيخ فهرستا لهذه المجموعه على ظهر هذه الورقه كالاتى:

" هذه مجموعه مشتمله على مناسك الحج و جزء من رساله الحساب للشيخ بهاء الدين محمد سلمه الله و أربعين حديثا جمعها الأمير فيض الله (١) فى أحوال العامه، و حواش على بعض المتون الفقيهيه للملا عبد الله التستري، و كتبت أنا على أوائلها حواشى و أنا الفقير إلى الله لطف الله العاملى الميسى، و رساله فى العمل بخبر الآحاد و كتاب شرح الدرايه للشهيد الثانى و حواشى للشيخ بهاء الدين محمد سلمه الله تعالى على الاثنى عشره للشيخ حسن (٢) قدس سره. و أجزاء من اختيار الرجال (كذا) للملا عنايه الله كوهپايه اى (٣) و الجزء الأول من كتاب الكشى فى الرجال و الجزء الثانى منه أيضا فى معرفه الرجال و الثالث و الرابع و الخامس منه أيضا".

و فى ذيل هذه العبارات، بعد اسم كتاب ملا- عبد الله الشوشترى، هناك ختمان، من المسلم به أنهما بخط الشيخ لطف الله العاملى، و هما عباره عن هذه الكلمات: " ثقته بلطف الله تقينى".

و موضوع رساله ملا عبد الله الشوشترى هذه، كما يتضح من المقدمه، هو حواش و تعليقات لهذا المؤلف على الرساله الاثنى عشره فى الصلاه، تأليف الشيخ جمال الدين الحسن بن زين الدين العاملى (٩٥٩ - ١٠١١) ابن الشهيد الثانى و هو صاحب كتاب المعالم.

و قد دون الكاتب العبارات التاليه فى آخر هذه الرساله: " كتب هذه الرساله الفقير إلى الله الغنى حسن بن آل براق الحسنى فى بلده أصفهان للأخ و المؤاخى لوجه الله الطيب الطاهر الفاضل العالم العامل التقى النقى الرضى المرضى شيخ الإسلام و المسلمين شيخ لطف الله العاملى عامله الله بلطفه و زاد فى شرفه فى أواخر شهر ربيع الأول سنه ألف و اثنى عشر من الهجره النبويه على مشرفها السلام و التحيه".

يتضح من هذه عباره، أن رساله الملا عبد الله الشوشترى هذه، قد دونها كاتب بعينه فى أصفهان للشيخ لطف الله، فى تاريخ أواخر ربيع الأول عام ١٠١٢.

و يبدو جليا أن هذه المجموعه المذكوره أعلاه، و التى هى فى حوزة كاتب هذه السطور فى الوقت الراهن، كانت عائده فى يوم ما للشيخ لطف الله العاملى، الامام و المدرس المعروف فى عهد الملك عباس، و الله وحده يعلم كم يد تداولتها بعد وفاته عام ١٠٣٢ حتى الآن و كم يد سوف تتداولها فيما بعد.

يوجد ضمن هذه المجموعه - كما يظهر الفهرست الذى وضعه الشيخ لطف الله - رسالتان، من تأليف شخصين من كبار العلماء المعاصرين للشيخ لطف الله، واحده من تأليف الشيخ بهاء الدين محمد العاملى أى الشيخ البهائى المعروف (٩٥٣ - ١٠٣٠)، حيث يذكر الشيخ اسمه فى هذا الفهرست مع الجمله الدعائيه "سلمه الله"، والأخرى من تأليف الملا- عبد الله بن حسين الشوشترى (المتوفى عام ١٠٢١) و هو من العلماء الزاهدين العابدين فى عصر الملك عباس الكبير، و من مشايخ ملا محمد تقى المجلسى الأول و مير مصطفى التفرشى مؤلف كتاب نقد الرجال.

على الرغم من أن الشيخ لطف الله قد اكتفى فى فهرسته بذكر اسم ملا عبد الله الشوشترى مجردا، و قد عرض آراء مخالفه لآرائه الفقيهيه فى الحواشى و التعليقات، إلا أنه لم يخرج عن حد الأدب و أشار إلى اسمه بالجمله الدعائيه "دام ظله".

تظهر التواريخ أن العلاقه بين الشيخ البهائى و الشيخ لطف الله، كانت غايه فى الصفاء و الموده، و كان الشيخ البهائى يعتقد بعلم الشيخ لطف الله، و يحث الناس على الرجوع إليه فى المسائل الفقيهيه (٤) إضافه إلى كون الشيخ البهائى من المشايخ الذين منحوا الإجازة للشيخ لطف الله و قد أجازة رسميا فى جمادى الأولى عام ١٠٣٢ لروايه قسم كبير من مؤلفاته بخطه. (٥)

و لكن يبدو أن العلاقه بين الشيخ لطف الله و معاصره الآخر الملا عبد الله الشوشترى لم تكن على ما يرام، إذ كان ثمة خلاف فى المسائل العلميه بينهما. و قد كتب صاحب (عالم آراى عباسى) و نقل عنه مؤلفا رياض العلماء و مستدرک الوسائل قوله: كانت بين الشيخ لطف الله العاملى و مير محمد باقر الداماد (المتوفى سنه ١٠٤٠) من جهه و الملا- عبد الله الشوشترى من جهه أخرى مناقشات دائمه فى الأمور العلميه و الاجتماعيه، و ظلت الأمور بينهم على حالها حتى آخر عمر ملا عبد الله. حتى كان يوم السبت ٢٥ محرم عام ١٠٢١ حين كان الملا عبد الله على فراش الموت، عاده الميرداماد و الشيخ لطف الله، فقبل الملا عبد الله رأسى و عنقى خصميا العلميين و عاملهما بفرح و سرور ثم فارق الحياه فى صبح اليوم التالى.

تشير الأدله المتوفره لدينا، أنه غالبا ما كانت المناقشه بين ملا عبد الله و الشيخ لطف الله تقترن بالأدب و الاحترام، بينما لم تكن تقترن بذلك فى ٨.

ص: ٢٤٧

١- المقصود بالأمر فيض الله، هو العالم الشهير فى الفقه و الأصول السيد الأمير فيض الله بن عبد القاهر الحسينى التفرشى، و قد كان من تلامذه الملا أحمد الأردبيلى، و قد توفى فى مشهد فى رمضان عام ١٠٢٥ و دفن فيها، و ترك وراءه بعض المؤلفات.

٢- المقصود هو الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن العاملى ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثانى الذى أشير إلى حياته فى بعض هذه المقاله.

٣- ملا- عنايه الله بن شرف الدين على الكوه پايه ئى الأصفهانى، من علماء الرجال و من تلامذه الشيخ البهائى و المحقق الأردبيلى و الملا- عبد الله الشوشترى و من العلماء المشهورين فى عهد الملك عباس الكبير (٩٩٦ - ١٠٣٨)، و قد أتم كتاب اختيار رجال الكشى فى أصفهان، فى محرم من عام ١٠١١، و له كتاب آخر فى ترتيب كتاب الرجال للنجاشى.

٤- روضات الجنات ص ٥١٩، و رياض العلماء القسم الأول، المجلد الثالث (نسخه خطيه) فى أحوال الشيخ لطف الله و أمل الآمل، القسم الأول (خطى).

٥- بحار الأنوار (كتاب الإجازات) ج ٢٦، ص ١٣٠-١٣١، وكتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ١، ص ٢٣٨.

صوره خط الشيخ لطف الله و لكن مثل هذه المنافسات و الخصومات قد انتهت - كما أشرنا آنفا - بوفاه الملا عبد الله، و ربما كان إغماضه و سروره في حال احتضاره، قد بدل المناقشات و المجادلات السابقه إلى صلح و صفاء، بحيث أم الميرداماد جموع العلماء الذين قدموا لتشيع جنازه الملا عبد الله، في صلاتهم عليه(٢).

و كان الملا عبد الله الشوشتری خائفا في فتره من الفترات من الملك عباس الكبير، فلجا إلى الحرم الرضوى في مشهد، و عند ما دخل الملك مشهد عام ١٠٠٩ ذهب للقاء الملا عبد الله، ثم اصطحبه، معززا مكرما معه إلى أصفهان، و حظى في أصفهان بنفوذ واسع في البلاط، بحيث دعا الملك في عام ١٠١٧ لوقف جميع أملاكه الشخصيه باسم المعصومين الأربعة عشر، و توزيع عائدتها السنويه على السادات، و كذلك أشار عليه ببناء مدرستين في أصفهان إلى جانب ميدان نقش جهان، واحده لدرسه و إقامته و الثانيه لدرس و إقامه الشيخ لطف الله العاملى. و لا تزال مدرسه الملا عبد الله قائمه إلى جانب البوابه القيصريه في الضلع الشمالى لميدان نقش جهان، بينما آلت مدرسه الشيخ لطف الله - التى كانت ملتصقه بالمسجد - إلى الخراب.

و أما الشيخ لطف الله بن عبد الكريم بن إبراهيم، فهو فى الأصل من أهالى ميس من قرى جبل عامل و عائلته من فقهاء الاماميه، إذ كان أبوه و جده الأعلى و ابنه قد اشتهروا بهذا العنوان.

و فى الفتره التى كان الملوك الصفويون يسعون جاهدين فيها لترويج أحكام المذهب الشيعى، و تشجيع و إكرام فقهاء هذا المذهب، سافر الشيخ لطف الله الميسى العاملى إلى إيران كما فعل جمع كبير آخر من فقهاء البحرين و جبل عامل، و سكن فى بادئ الأمر فى مشهد المقدسه، و كان إذ ذاك فى مقتبل عمره، فدرس فى هذه البقعه المقدسه على علمائها، و منهم الملا عبد الله الشوشتری(٣)، ثم عينه الملك عباس الكبير خادما للحرم الرضوى، و مكث فيها حتى حدثت فتنه الأزبک، و استيلائهم على مشهد. لاذ بعد ذلك بالفرار و لجا إلى قزوین و اشتغل بالتدريس فيها. ثم استقدمه الملك عباس من قزوین إلى أصفهان، حيث بنى له فى عام ١٠١١ مسجدا و مدرسه فى جانب ميدان نقش جهان - حملا اسمه، ليكونا محلا لتدريسه و إقامته و إمامته، و كما أسلفنا فان العمل فيهما استغرق حتى عام ١٠٢٨، و حين الفراغ من العمل بهذين البناءين، أمر الملك عباس بإنشاء مسجد جديد فى الجزء الجنوبى للميدان، و هذا المسجد هو (مسجد الشاه).

و بعد أن اكتمل العمل فى مدرسه و مسجد الشيخ لطف الله و أصبحتا مهيتين للصلاه و للتدريس، أقام هذا الرجل الجليل فى المدرسه و باشر فيها و فى المسجد بالتدريس و إمامه المصلين و خصص له الملك مبلغا معيناً لشئون حياته.

و كان للشيخ بعض الآراء و الاعتقادات الخاصه به فى المسائل الفقهيه و الفتاوى الشرعيه، و ينقل صاحب رياض العلماء أنه كان يناقش علماء عصره حول بعض هذه المسائل بغير حق، و منها اعتقاده بوجوب إقامه صلاه الجمعة فى حال غياب صاحب الزمان، و كان يقوم شخصيا بإقامه هذه الصلاه فى مسجده و استمر على عمله هذا، و كان مقلدوه يتبعونه فى ذلك.

كانت مؤلفات الشيخ منحصره فى الحواشى و التعليقات التى كان يكتبها على بعض الكتب الفقهيه التى صنفها العلماء السابقون لعهدده و فى الرسائل التى كان يرد فيها على الفتاوى الدينيه للمعاصرين. و لم يكن الشيخ لطف الله محروما من العلوم الأدبيه، بل

كان ينظم الشعر في بعض الأحيان.

يذكر مؤلف كتاب مجمل التواريخ (٤) بان وفاه الشيخ لطف الله كانت في عام ١٠٣٢، أي في نفس السنه التي استولى فيها الملك عباس على بغداد، وكذلك يورد صاحب (عالم آراى عباسى) تاريخ وفاته في ذيل حوادث نفس هذه السنه ١٠٣٢ و يقول: "مرض الشيخ لطف الله الميسى العربى الجبل عاملى فى أوائل هذه السنه، قبل السفر إلى دار السلام بغداد فى أصفهان، ثم توفى" (٥).

و ينقل الميرزا عبد الله الأفندى فى كتاب رياض العلماء عن (غالمة [عالم آراى] عباسى) نفس مضمون هذه الجملة و يقول: كانت وفاه الشيخ فى أوائل عام ١٠٣٢، قبيل فتح بغداد، و كان تاريخ فتح قلعه بغداد يوم الأحد الثالث و العشرين من ربيع الأول عام ١٠٣٢.

و يذكر صاحب (عالم آراى عباسى) مقطوعه شعريه لتحديد سنه وفاه الشيخ لطف الله. و على أى حال فان الماده التاريخيه التي يذكرها صاحب هذا الكتاب لتحديد عام الوفاة تختلف مع السنه التي يحددها نفس هذا المؤلف و هى سنه ١٠٣٢ بسنه واحده، و يتضح ذلك من خلال حساب الجمل لعبارة "شيخ لطف الله".

ص: ٢٤٨

١- عالم آراى عباسى صفحہ ٦٠٨ و رياض العلماء فى ترجمه أحوال الملا عبد الله الشوشترى و كذلك مستدرک الوسائل الجزء الثالث، ص ٤٠٥.

٢- مستدرک الوسائل ص ٤١٥ الجزء الثالث، (عالم آراى عباسى) ص ٦٠٨.

٣- هو شهاب الدين عبد الله بن محمد الشوشترى، أستاذ الشيخ لطف الله، و قد وقع أسيرا بيد الأزيك عام ٩٩٧ فى مشهد، و استشهد على أيديهم فى بخارى، و لا ينبغى الخلط بينه و بين الملا عبد الله بن حسين الشوشترى الذى مر ذكره آنفاً، الذى توفى عام ١٠٢١ و الذى كان فى خلاف مع الشيخ لطف الله، و يطلق بعض المؤلفين على شهاب الدين عبد الله القمى الشهيد الثالث.

٤- يعتبر هذا الكتاب المختصر فى غايه الفائده، فهو تاريخ مجمل و لكنه يفصل تاريخ الصفويه، و يحتوى على معلومات هامه جدا، و لم يتسن لى معرفه مؤلفه، و لكنه ألف فى عصر الملك عباس الثانى.

٥- (عالم آراى عباسى) ص ٧١٠.

و مهما كانت الحقيقة، فليس مهما كثيرا الاختلاف في سنة واحده، و إن كنت أرجح أن يكون التاريخ الحقيقي للوفاه هو ما صرح به مؤلف مجمل التواريخ و صاحب (عالم آرا) و هو ١٠٣٢.

تعليق الأستاذ محمود شهابي

على المقال

كان هذا المقال قد نشر في مجله (يادگار) فعلق عليه الأستاذ محمود شهابي بما يلي:

١ - وردت في صفحه ٥٥، السطر الخامس العبارة التاليه: " و في تاريخ جمادى الأولى ١٠٣٢ أجازة الشيخ البهائي رسميا... " و كانت هذه العبارة غامضة بالنسبة لي، بسببين:

١ - لأن الشيخ البهائي - قد توفي عام ١٠٣٩، كيف يكون قد أجاز الشيخ لطف الله عام ١٠٣٢.

ربما حدث خطأ مطبعي بين [١٠٣٢] ٣٢ و [١٠٢٣] ٢٣، و لكن حتى هذا التاريخ لا يتوافق مع ما ورد في كتاب الذريعة، إذ يحدد تاريخ أخذ الإجازة في عام ١٠٢٠.

ثانيا: و بما أن الذريعة هي إحدى المصدرين الذين اعتمدهما الكاتب في مقاله، فإنها تحدد شهر شوال لأخذ هذه الإجازة، و إذا كان الكاتب قد اعتمد في تحديد الشهر على البحار الذي هو مصدره الثاني، فقد كان ينبغي أن يشير إلى هذا الاختلاف الموجود بين المصدرين.

و من جانب آخر، فلو فرضنا - جدلا - أن العام الذي حدده الكاتب صحيح، فان شهر جمادى الأولى غير صحيح إذ كان من عام ١٠٣٢، إذ ورد في صفحه ٥٩، في السطرين ١٢-١٣ من نفس هذه المجلة العبارة التاليه: "... كانت وفاه الشيخ في أوائل عام ١٠٣٢، قبيل فتح بغداد، و كان تاريخ فتح قلعه بغداد يوم الأحد الثالث و العشرين من ربيع الأول عام ١٠٣٢."

رد الآشيتاني

١ - فيما يخص عام ١٠٣٢، فان الحق مع الأستاذ شهابي، حيث طبع عام ١٠٣٢ خطأ بدلا من عام ١٠٢٢، و بعد مراجعتي للمصادر المعروفة، أدركت أنني كنت قد أخطأت في تحديد جمادى الأولى عام ١٠٢٢ تاريخا لاجازة الشيخ البهائي للشيخ لطف الله، فقد كانت نسخه بحار الأنوار، المجلد السادس و العشرون تالفه و غير واضحه. و الصحيح هو ما ذكره المؤلف القدير لكتاب الذريعة، أي شوال عام ١٠٢٠.

لطف علي خان زند:

"لطف علي خان زند" آخر ملوك سلسله "زند" التي حكمت في إيران. ابن "جعفر خان زند" الأكبر. كان من أشجع شجعان إيران، حتى ضربت بشجاعته الأمثال. ولد سنة ١١٨٠ هـ. ملك ست سنوات، من سنة ١٢٠٣ هـ إلى سنة ١٢٠٩ هـ، قضاها مشغولا بمحاربه "آغا محمد خان قاجار" و غيره من الأعداء، حتى اعتقل عند قلعه "بم" في ولايه "كرمان" في الرابع من ربيع الثاني

سنة ١٢٠٩ هـ بوسيله من الغدر و النذاله، و حمل إلى "آغا محمد خان قاجار". فبدأ هذا الرجل الفظ باعماء عيني الأسير بيده، ثم أرسله و هو على هذه الحال الفجيعة إلى طهران. و بعد قليل أمر "آغا محمد خان" الميرزا "محمد خان قاجار" حاكم طهران بقتل هذا الأمير المقدم الوسيم فقتله و دفن في مقبره الشريف العلوي "زيد" في طهران.

بعد وفاة "كريم خان زند" سنة ١١٩٣ هـ خلفه على العرش الشاهاني ابنه الأكبر "أبو الفتح خان" في تلك السنه نفسها. و لكن ملكه لم يدم غير سبعين يوما إذ خلعه عمه "صادق خان" عن العرش، و بعد بضعة أيام أعماه و تملك مكانه في نفس السنه.

ثم عين "صادق خان" ابنه الأكبر "جعفر خان"، و هو أبو "لطف علي خان" حاكما على أصفهان، و كان ل "جعفر خان" هذا أخ لأمه اسمه "علي مراد خان"، و كان حاكما قبله على أصفهان من قبل "أبو الفتح خان" و مكلفا، مع عمله هذا، بتنظيم الأمور في طهران أيضا، فكان يتردد بين المدينتين، و قد أناب عنه أحد رجاله حاكما على أصفهان. فلما علم "علي مراد خان" بما جرى في العاصمه شيراز من تغييرات، و كان في طهران، غادرها مسرعا إلى أصفهان. و علم "جعفر خان" بمسير أخيه هذا فخشي أن يقع أسيرا في يده، فغادر أصفهان إلى شيراز و حمل معه حاكم أصفهان المعزول.

و دخل "علي مراد خان" أصفهان و جهز جيشا عهد بقيادته إلى ابن عم له اسمه "صيد مراد خان" و أرسله إلى شيراز لمحاربه "صادق خان"، و أرسل هذا أيضا جيشا نحو أصفهان لملاقاته، و عهد بقيادته إلى ولديه "حسن خان" و "علي قلي خان". و التقى الجيشان في محله "كوشك زر" سنة ١١٩٤ هـ، فانهزم جيش "صادق خان" و تفرق جنده. و تابع "علي مراد خان" تقدمه نحو شيراز، و استطاع في سنة ١١٩٥ هـ أن يستميل إليه أخاه لأمه "جعفر خان" ابن "صادق خان" المذكور - و كان في شيراز - فتخلي عن أبيه و التحق بمن معه من الجند بأخيه لأمه "علي مراد خان".

و توالى مناوشات و حروب بين المتنازعين انتهت إلى انتصار "علي مراد خان" و دخوله إلى شيراز فاتحا في شهر المحرم سنة ١١٩٦ هـ، فقتل "صادق خان" و أبناءه و اعتلى العرش الشاهاني في تلك السنه. و نصب "صيد مراد خان" واليا على إياله فارس، و نصب أخاه لأمه "جعفر خان" واليا على كردستان. و ظل "علي مراد خان" مالكا إلى وفاته سنة ١١٩٩ هـ.

و اعتلى العرش بعده في تلك السنه أخوه لأمه "جعفر خان" المذكور، و هو أبو "لطف علي خان". و ظل في الحكم أربع سنوات قضاها في الاقتتال الذي كان لا ينفك ناشبا بين الخانات الزنديين، إلى أن قتله هؤلاء الخانات في شيراز ليلا في ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٠٣ هـ. قتله ضربا بعضى المكانس و النباييت و الحجاره. ثم قطعوا رأسه، و في الصباح ألقوا برأسه من باب القلعه التي يسكنها إلى الخارج.

في سنة ١٢٠٢ هـ كان "جعفر خان" قد أرسل ابنه "لطف علي خان" لاختضاع بعض الخانات المتمردين في إقليم "لار" في جنوب إيران.

و هو يومئذ في الثانيه و العشرين من عمره. و أنعم عليه بلقب "جهان باني" (أى: الملك الأعظم). و تم له فتح إقليم "لار" و عين عليه حاكما من قبله. ثم عاد إلى شيراز. و في سنة ١٢٠٣ هـ أرسله "جعفر خان" مره ثانيه

لاخضاع حاكم "كله دار" و بعض شيوخ العرب من سكان "بندر عسلويه" و غيره فقام بالمهمه و تم له النصر.

و بلغه نبا مقتل أبيه و هو فى نواحى "كله دار". فبادر يريده العوده فورا إلى شيراز ليخلف أباه على العرش. و لكن "صيد مراد خان زند" والى فارس كان قد نصب نفسه خليفه للشاه القليل. ثم دبر مؤامره يثبت بها منصبه، فاستطاع أن يستميل إليه رؤساء عسكر "لطف على خان". فأراد هؤلاء اعتقال "لطف على خان" و هو فى "كله دار" و تسليمه إلى "صيد مراد خان"، و كادوا ينجحون فى خطتهم. و لكن ما كان أروع ما أبدت فطره "لطف على خان" من مهاره و جرأه و سرعه خاطر إذ بادر إلى الاصطبل فاعتلى صهوه جواد بلا سرج و لا لجام و طار به إلى "بوشهر" و نجا من هذه التهلكه.

و فى مده قليله لا تتجاوز شهرين أو ثلاثه كان قد استطاع تجهيز جيش من "بوشهر" و أطرافها، و سار به إلى شيراز.

فلما علم "صيد مراد خان" بمسير "لطف على خان" إليه جهز جيشا و عهد بقيادته إلى أخيه "شاه مراد خان" و أرسله إلى ملاقاته لرده عن شيراز.

و لكن رؤساء هذا الجيش اتفقوا فيما بينهم على خذل قائدهم هذا فاعتقلوه فى "دالكي" و قيدوا رجله و غلوا يديه بالزنجير و حملوه، و هو على هذه الحال، إلى "لطف على خان"، و كان فى "بrazجان" الواقع بين شيراز و "بوشهر" و سلموه إليه، فقتله فى الحال. و انضم جنده عن طيب خاطر إلى جيش "لطف على خان". ثم تابع سيره إلى شيراز.

و قبل أن يصلها كان أعيان إقليم فارس و رؤساء الزنديين قد قرروا التخلص من "صيد مراد خان" لأنه حصل على العرش اغتصابا فثاروا عليه، و حاصروه فى القلعه و أبقوه سجيناً فيها. ثم أرسلوا إلى الأمير الشاب "لطف على خان" رساله شرحوا له فيها واقع الحال فوصلته و هو فى "كازرون"، فخف منها مسرعا إلى شيراز و دخلها فى ١٢ شعبان سنه ١٢٠٣ هـ. فاستقبله الأهالى استقبالا حافلا- تعالت فيه أصواتهم بالتحايا و الصلوات. و بعد يومين، فى ١٤ شعبان، احتل القلعه و قتل "صيد مراد خان" و أقاربه. و من كان منهم أقل ذنبا اكتفى باعمائه.

و إذ كان "الحاج إبراهيم كلانتر" (١) الشيرازى قد قام بخدمات كبيره من أجل انتصار "لطف على خان" فقد كافاه هذا بنصبه وزيراً له.

اعتلى "لطف على خان" العرش الزندى و هو فى الثالثه و العشرين من عمره، يتجلى فى عنفوان الزهو و الشباب. و قد أمضى حياته على صهوه الجواد و فى ميدان الحرب. و يعد من أجمل و أشجع و أشقى شاهات إيران. هذا الشاه الشاب لم يسترح لحظه واحده من سنه ١٢٠٣ هـ، و هى بدايه حكمه، إلى سنه ١٢٠٩ هـ، و هى سنه انطفاء حياته. و انتهى أمره إلى أن غدر به رجال من حلفائه فوق فى قبضه الخان السفاح "آغا محمد قاجار". و بلغ من الكفاءه و الشجاعه بحيث لم يستطع أن يسكت عن تمجيده أعدى أعدائه "آغا محمد خان قاجار" هذا. و ذلك أن ابن أخيه "بابا خان" القاجارى الذى أصبح فيما بعد "فتح على شاه" ولد له مره، فى قصبه "نوا" خمسه أبناء فى ظرف تسعه أشهر، فسماهم "محمد على ميرزا" و "محمد قلى ميرزا" و "محمد ولى ميرزا" و "عباس ميرزا" و "حسين على ميرزا". و سمع بذلك عمه "آغا محمد خان" فقال: يا ليت أحدهم كان "لطف على خان"! كانت عادته المؤرخين الايرانيين أن يتملقوا الحكم القائم، لفقدان حرب الكلام و سيطره الحكام المستبدين، فهم يسكتون

عن ذكر الحقائق مراعاة لهم و خوفا منهم، و مع ذلك فإنهم وصفوا "لطف على خان" فى عهد حكم أعدائه بأنه "رستم القدره" و "الهزير الشجاع" و "أسد غابه البطوله".

بعد أن اطلع "آغا محمد خان قاجار" على أحداث شيراز عزم على فتحها و القضاء على حكم "لطف على خان". فجهز جيشا كامل التجهيز و جعل فى قيادته اثنين من أشهر رؤساء العسكر القاجاريين، و سار به إلى ولايه فارس سنة ١٢٠٣ هـ. و لكنه، مع ذلك، لم يستطع أن يصنع شيئا.

و تبين له أنه لن يتيسر له التغلب على "لطف على خان" بالحرب. فعدل عنها إلى طريقه أخرى، كدأبه دائما فى مثل هذه الحال، و هى طريقه الدسيسه و التامر. فقام فى السر، بمفاوضه حاشيه "لطف على خان" و مشاوريه و مكاتبتهم، و لا سيما وزيره "الحاج إبراهيم" حتى تمكن من استمالتهم إليه، و اتفقوا على خطه انتهت إلى القضاء على "لطف على خان".

و انصرف "آغا محمد خان" عن شيراز عائدا إلى طهران. و لكنه أبقي فى ولايه فارس كتبيه من ثلاثه آلاف جندى جعل فى قيادتها "مصطفى خان دولو"، و هو من أشهر قواده العسكريين، ليمنع "لطف على خان" من التقدم نحو أصفهان.

و فى سنة ١٢٠٤ هـ عاود "آغا محمد خان" عزمه على احتلال فارس و الاستيلاء على شيراز، فسار إليها. فلما علم "لطف على خان" بذلك ذهب إلى مشايخ البنادر و رؤساء الأقاليم الصحراويه المجاوره يستمدهم فأجابوه و حصل على ما طلبه. و لكن أعيان شيراز و أهل النفوذ فيها، و رأسهم "الحاج إبراهيم" وزير "لطف على خان"، ممن كانوا على صلته سريه ب "آغا محمد خان"، قاموا فى غياب "لطف على خان" بمراسله "آغا محمد خان" و أشاروا عليه بتأجيل غزو شيراز إلى وقت آخر لأن الأوضاع غير مؤاتيه. فسمع لهم و عاد إلى طهران.

و كان نزاع لا ينفك قائما بين "آغا محمد خان" و إخوه له، و بينهم حروب. و منهم أخ له اسمه "مرتضى قلى خان" سبق أن خرج عليه ثم انهزم فلجا إلى روسيا. و فى سنة ١٢٠٥ هـ عاد من روسيا و هاجم "جيلان"، و كانت فى يد "آغا محمد خان"، فاحتلها فى تلك السنه، و ذهب جيشها المدافع بين قتيل و أسير و جريح و فار. و علم "لطف على خان زند" بما يقاسيه "آغا محمد خان" من مثل هذه المشاكل فاغتنمها فرصه و رأى أن الوقت مناسب ليقوم بعمل. فسار بجيش من شيراز قاصدا احتلال أصفهان. فلما علم "آغا محمد خان" بتحركه أرسل ابن أخيه ولى عهده "بابا خان" (الذى أصبح بعد وفاته "فتح على شاه")، و كان سنه حوالى العشرين، بجيش من خمسه آلاف فارس و جعل على قيادته أفضل قواده "مصطفى خان دولو قاجار" للدفاع عن أصفهان و ذود "لطف على خان" عنها.

و كان النصر فى هذه الحرب محققا للطف على خان لما كان عليه من شجاعه و ما اكتسبه فى المحاربه و قياده العسكر من مهاره و تجربه و تفنن. و لكن غفلته عما دبره وزيره "الحاج إبراهيم" الشيرازى من تامر عليه و ما وضعه من خطه للغدر به، و مواطاته "آغا محمد خان قاجار" فى السر عليه، أوقعه فى الخيبه.

كان "عبد الرحيم خان" أخو "الحاج إبراهيم" الأكبر هو المدير الأول لشئون عسكر "لطف على خان"، و كان أخ له آخر اسمه "محمد على خان" قائدا لفوج المشاه. و كانا هما و سائر رؤساء العسكر في جيش "لطف على خان" يأترون بأوامر "الحاج إبراهيم" السريه، متعهدين على إنفاذها. و في ساعه معينه ثاروا على "لطف على خان" و أحدثوا في معسكره شغباً و أطلقوا الرصاص على فسطاطه. فراخته هذه المفاجاه غير المتوقعه. و إذ رأى نفسه معرضا للاعتقال، بادر إلى امتطاء حصانه، و معه بعض رجاله و فر قاصدا شيراز ليحتمى في داخل سورها المحكم، و هو يحسب أنها لا تزال في يده. و لكن وصله، و هو ماض في الطريق، خبر بان "الحاج إبراهيم" قد استولى على شيراز و سجن الخانات الزنديين، و جرد حاميتها العسكريه من السلاح. و مضى "مصطفى خان" قائد جيش "آغا محمد خان" بأقصى ما يستطيع من سرعه في أثر "لطف على خان" يتعقبه ليعتقله، و لكنه عجز عن اللحاق به، فعاد يائسا إلى معسكره.

و هكذا وجد "لطف على خان" نفسه مبتلى بسياسيين داهيتين مخططين، هما "الحاج إبراهيم" الشيرازي من جهه و "آغا محمد خان قاجار" من جهه أخرى. و لم تنفعه شجاعته الفائقه و إقدامه الذى قل نظيره، إذ كان لا يزال شابا قليل الخبره بالسياسه. و قد جهد في محاوله الاستيلاء على شيراز فلم يقدر. فاضطر إلى الذهاب إلى الخليج. و عهد "آغا محمد خان قاجار" بنيابه حكومه فارس إلى "الحاج إبراهيم".

و أراد "الحاج إبراهيم" أن يكون في مأمن من "لطف على خان" مصاننا من تعرضاته فطلب من "مصطفى خان دولو قاجار" قائد الجيش القاجارى، و كان معسكرا في "آباده"، أن ينقل كتيبته المؤلفه من ثلاثه آلاف جندى إلى شيراز للمحافظه عليها، ففعل. و إذ بدا لهم أن هذا المقدار من الجند غير كاف لصد "لطف على خان" إذا تعرض لهم فقد أشار "الحاج إبراهيم" على "آغا محمد خان" بامدادهم بالخمسه الآلاف فارس الآخرين الذين كانوا بقياده "جان محمد خان قاجار دولو"، ففعل.

و أما "لطف على خان" فإنه تهيأ و أعد نفسه للحرب في مده قليله جدا، و عاد إلى شيراز بمن جمعهم من المحاربين، و أقدم على محاصره المدينه مع أنها كانت مجهزه بقوى عظيمه. و نشبت معركة عارمه دامت أسبوعا كاملا. و انتهت بتراجع "لطف على خان" و جنده، فانصرف إلى "زرقان" إحدى نواحي الأهواز، و تحصن فيها.

و كان "الحاج إبراهيم" يرى، بما له من نظر دقيق، أن التغلب على "لطف على خان" بمن عنده من جند و قواد أمر غير ممكن، و أن لا بد من قدوم "آغا محمد خان" نفسه بجيش أحسن تجهيزا للتغلب عليه. فعمل "آغا محمد خان" برأيه فجهز جيشا سار به إلى فارس في سنه ١٢٠٦ هـ.

و كان "لطف على خان" على يقين من أنه لن يستطيع أن يصنع شيئا بهذه القله من رجاله في مقابل هذا العسكر الجرار، عسكر "آغا محمد خان". فقرر المغامره بأخذهم تبييتا لعله يحصل على نتيجه، و خرج من "زرقان" على هذه النيه. و خرج "آغا محمد خان" بجيشه فوصل إلى "أبرج" و عسكر فيها. و هناك بلغه في الخفاء أن "لطف على خان" تحرك من "زرقان" عازما على تبييته. فبادر إلى إرسال قطعه من جنده بقياده "إبراهيم خان" الدامغانى أحد رؤساء عسكره، لتلاقي "لطف على خان" و تكون مقدمه للجيش القاجارى، و لبث هو يراقب الحوادث متيقظا حذرا.

فلما التقيا لم يلبث "لطف على خان" أن بادر "إبراهيم خان" بهجمه صاعقه، فقتله و قتل جماعه من جنده و أسر جماعه و

تشتت الباقون، مع أن إبراهيم هذا كان معدودا من مشاهير الشجعان المحاربين.

ولما حل الظلام تابع "لطف على خان" حركته إلى معسكر عدوه، فلما وصله سار توار إلى فسطاط "آغا محمد خان" فلما اقترب منه وقعت ضججه شديده في المعسكر وشملة الذعر، و تراكض الجند رعبا يفرون منه إلى كل الجهات و هم كل منهم أن ينجو بنفسه، و أوشك "آغا محمد خان" نفسه أن يؤسر و يقتل و يتم الفتح للطف على خان.

و إذا برجل اسمه "الميرزا فتح الله الأردلاني"، و كان في معسكر "آغا محمد خان"، و كانت له معرفه سابقه بلطف على خان" يعدو نحوه و يبشره بالفتح. و قال له أيضا إن "آغا محمد خان" قد فر. و أشار عليه بوقف الحرب و الامتناع عن الاغاره على معسكر العدو لأن ذلك يزيد في خسائره.

فصدق "لطف على خان"، و هو لا يزال غرا في السياسه، كلامه و أمر عسكره بوقف الحرب و الكف عن الاغاره و القتل إلى الصباح (١).

فلما أصبح الصباح تعالى صوت الأذان من معسكر "آغا محمد خان" فتبين أن قصه فراره كانت كذبا، و أنه لا يزال مقيما في مكانه، و ظهر ل "لطف على خان" ما أوقع نفسه فيه من خبط و خطأ، ففر متجها إلى كرمان، فلا أقل من أن تبقى في يده هذه المدينه! و لكن حاكم كرمان "الميرزا أبو الحسن خان" (١) منعه من دخولها.

و مع ما بذله من جهد كبير للتمكن من دخولها فإنه ارتد عنها خائبا، و اضطر إلى الذهاب إلى قصبه "راور" مركز ناحيه "راور" من محافظه كرمان.

فنازله حاكم تلك الناحيه، "الميرزا محمد خان الراورى" ليمنعه من دخولها، و يكون ذلك له يدا عند القاجاريين. و وقع بينهما نزاع عسكرى انتهى باضطرار "لطف على خان" إلى التراجع، و الانصراف عنها من طريق "صحراء لوط" إلى مدينه "طبس" الواقعه في إقليم خراسان شمالى كرمان.

فاستقبله حاكمها "الأمير حسن خان" (١) استقبالا طيبا و بقى ضيفا عليه مده شهرين بلغ في إكرامه فيها غايه الإكرام، ثم اختار من رجاله ثلاثمائة فارس وضعهم في تصرفه.

و مع قله هذا العدد من المحاربين فان "لطف على خان" لم ينصرف عن محاربه "آغا محمد خان" و معاوده الكفاح لاسترداد ما فقدته من سلطان و تاج و سرير، فتوجه سائرا إلى يزد و فارس. و فى يزد تلقاه بالحرب "على نقى خان بافقى"، و كان جنده عشره أضعاف جند "لطف على خان". و مع ذلك أوقع "لطف على خان" فيه هزيمة شديده، و اضطره إلى الفرار و التحصن فى قلعه المدينه. ثم بادر "لطف على خان"، لا يبطئ، إلى المضى نحو شیراز لاحتلالها. و علم "الحاج إبراهيم خان" والى إياله فارس من قبل "آغا محمد خان" بمسير "لطف على خان" هذا فاهمه هما شديدا.

فأرسل إلى "آغا محمد خان" تقريرا أوضح له فيه ما يلزم من أمور و أطلعه على مجرى الحوادث، و طلب منه المدد. فجهز "آغا محمد خان" ثمانيه آلاف فارس و جعل على قيادتهم ابن خالته رئيس الحرس "حسين خان قوانلو" المعروف بلقب "دوداغ"،

أى "الشفه" (١)، و أرسلهم إلى شيراز مددا

ص: ٢٥١

له. ثم أتبعهم بثلاثة آلاف جندي ألحقهم بهم لمساعدتهم.

و حارب "لطف على خان" بعصابته القليلة جيش "آغا محمد خان" الجرار في بضع معارك بذل فيها جهودا خارقه، ولكنها انتهت بهزيمته إذ فترت نفوس رجاله و انحطت معنوياتهم بسبب ما رأوه من تقدم "آغا محمد خان" تقدا مطردا، فعاد أدراجه مره ثانيه إلى "طبس" إلى "الأمير حسن خان" الشيباني. و كان هذا يدرك، بما له من تجربه و حنكه أن أمر "لطف على خان"، و هو على هذا الوضع، مدبر، و أن الإقبال مع "آغا محمد خان" في كل مكان. و أراد السلامه لنفسه و تجنب الوقوع في الشر فقال ل "لطف على خان": "خير لك أن تستنجد بمن هو أقوى مني. و أقوى رجال اليوم هو "تيمور شاه" (١) ملك أفغانستان. فهو أقدر على إنجادك مني و من غيري فافتنع "لطف على خان" بكلامه و سار إلى "قندهار". فلما بلغ إلى "قايين" وصله نبا وفاه "تيمور شاه" فانصرف عن المضي إلى أفغانستان و مكث في "قايين".

و فيما هو هناك متحير متردد لا يدرى ما يفعل و لا إلى أين يذهب وصلته رساله من "جهانكير خان" حاكم "بم" (ولايه كرمان) و رساله من "محمد خان أفغان" حاكم "نرماشير" (ولايه كرمان) أن أقدم إلينا و سنبدل لك الأرواح و الأموال. و كان لهذين الخائين و سائر خانات كرمان ثار عند "آغا محمد خان". فقبل "لطف على خان"، و هو في حيرته و تيهه، طلبهما و سار بمن معه من رجال إلى "نرماشير" و "بم". فاستقبله ذاك الخانان بالإكرام و الإعظام، و وضع كل منهما كتيبه من خمسمائه فارس في أمرته و سارا معه بهم إلى مدينه كرمان، ففتحتها سنه ١٢٠٨ هـ. و في اليوم الثاني من فتحها نودي به شاهها و خطب باسمه و ضرب النقد باسمه.

و كان "آغا محمد خان" عازما على السير إلى خراسان في تلك السنه فلما بلغه دخول "لطف على خان" إلى كرمان عدل عن عزمه، و أرسل "بابا خان" (فتح على شاه) مع خمسه آلاف فارس إلى كرمان. و في الرابع من شوال من تلك السنه لحق بهما إليها فوصلها في السادس عشر من ذي القعدة. و قيل إن جيشه ذاك بلغ يومئذ ستين ألفا.

و خرج "لطف على خان" من المدينه بثلاثمائة محارب، ليبارز ذلك الجيش الجرار. و اشتبك الفريقان بحرب انتصر فيها، في أول الأمر، "لطف على خان". و لكن انتصاره لم يطل، مع كل ما بذله من جهود و محاولات خارقه، فانهزم و عاد إلى المدينه فتحصن فيها، و ضرب "آغا محمد خان" عليها حصارا دام أربعة أشهر و بعض الشهر، من السابع عشر من ذي القعدة سنه ١٢٠٨ هـ إلى غره ربيع الثاني سنه ١٢٠٩ هـ. حتى عمت المجاعه و الغلاء فاضطرت المدينه إلى التسليم. و تمكن "لطف على خان" من الفرار بما قام به من عجائب التفنن في القتال و تجنب الوقوع في الأسر و ما بدا منه من ثبات و صبر حتى نجا من القتل و سلم من الأسر و فر إلى "بم".

و ظن "آغا محمد خان" أن "لطف على خان" لا بد أن يكون، بعد احتلال المدينه، قد قتل أو أسر. فلما علم أنه قد استطاع الفرار و اختراق عسكره الجرار الذي كان يطوق المدينه استبد به الغضب و أراد باهالي المدينه ما كان يريد "جنكيز" و "تيمور" باهالي البلاد المفتوحه. فأمر بقتل الكرمانيين قتلا عاما و أباحها لجنده يفعلون بها ما شاءوا، فعاملوا الأهالي المغلوبين العاجزين معاملة بلغت منتهى الفظاعه و القسوه. لقد جمع "آغا محمد خان قاجار" حين علم في اليوم الثاني من فتح المدينه بفرار "لطف على خان" حوالي ثمانيه آلاف، و في روايه عشرين ألفا، من طفل و امرأه من أهلها، و وهبهم أرقاء لجنده. و جميع رجالها أوقع بهم القتل أو الاعماء. و قد قدر عدد الذين أعماهم بسبعه آلاف رجل، و في روايه سبعين ألفا. و قدر عدد القتلى

بمثل ذلك. و من سلم من هذا البلاء لم يسلم لأن أحدا رحمه من الجند الفاتح و لا لأنه استطاع الفرار، بل سلم لأن أيدي الجلادين كلت و أصبحت غير قادره على الاستمرار فى العمل لكثرة ما قتلت و ما أعمت.

كان يأمر رجاله بان يحضر كل واحد منهم عددا معيناً من العيون المقتلعه. و ينهبهم إلى أن من أنقص هذا المقدار عددا واحدا اقتلعت عيناه عوضاً عنه. و كان يأمر جنده بهتك الأعراس ثم قتل من يعتدون عليها من النساء. و يمكن القول إن جميع ذكور المدينة تقريباً أصبحوا قتلى أو عمياناً و جميع نساءها قتلى أو إماء.

و أراد، بعد اعتقال "لطف على خان" فى "بم"، أن يقيم نصباً تذكارياً فى المكان الذى اعتقل فيه. و كان لا يزال مقيماً فى كرمان. فأمر بضرب أعناق ستمائه أسير ممن كانوا فى يده، و أمر ثلاثمائة أسير آخرين بحمل رءوسهم إلى "بم"، و ليقام منها هرم حيث اعتقل "لطف على خان". ثم أمر بقتل هؤلاء الأسرى الثلاثمائة بعد ذلك. و قد أقيم ذلك الهرم كما أمر.

و كان هذا الهرم إلى سنة ١٢٢٥ هـ الموافق سنة ١٨١٠ م لا يزال قائماً و رآه الرحاله الانكليزى "السير هنرى بوتينجر" فى تلك السنه.

اجتاز "لطف على خان" و "جهانكير خان" خندق مدينة كرمان بعد تسليمها هاربين إلى "بم". و أضع "جهانكير" طريقه و انفصل عن "لطف على خان" و تاه فى طريق غير طريق "بم". و انطلق "لطف على خان" إلى "بم" فوصلها بعد نهار و ليله قطع فيهما مسافه ٢٤٠ كيلو متراً. و وصلها "جهانكير خان" بعد ثلاثه أيام.

و ساعه وصول "لطف على خان" إلى "بم" ساله إخوه "جهانكير خان" عن أخيهم فأجاب بأنه تخلف عنه حين أصبحا خارج المدينة، و طمانهم بأنه سيصل إليهم سريعاً. و مرت ثلاثه أيام فى انتظاره فلم يحضر.

فأيقنوا بأنه قد أسر. فارتأوا أن يسترضوا "آغا محمد خان" بتسليم "لطف على خان" إليه لعله يكافئهم بالعفو عن أخيهم. و عزموا على ذلك. فعمدوا إلى جواد "لطف على خان" المسمى "گران" (أى: الزائر) فعقروه، و طعنوا "لطف على خان" فى يده و رجله و أوثقوه بالزنجر. و انتزع مقدمهم "محمد على خان" من عضده ثلاث ماسات كانت معقوده عليه، و هى من بقايا الجواهر التى حملها "نادر شاه أفشار" من الهند ثم وقعت فى يد "كريم زند" و انتقلت منه إلى "لطف على شاه" و تسمى بأسماء "دريای نور" (بحر النور) و "تاج ماه" (تاج القمر) و "أكبر شاهى". انتزعها و أرسلها مع أخيه "حيدر خان" إلى كرمان، إلى "آغا محمد خان". ثم اركبوا "لطف على خان" على جمل و أرسلوه، و هو على هذه الحال المزريه، إلى كرمان مع أحدهم "حيدر خان" و ثلاثه رجال من السيستانيين. و التقى بهم "جهانكير خان" فى قريه "دارزين" على بعد ستة فراسخ من "بم"، فلم يعجبه عمل إخوته، و لكنه لم يفعل شيئاً و سكت عن الموضوع.

و أما "آغا محمد خان" فإنه لما عرف باعتقال "لطف على خان" أرسل

أحد رجاله "محمد ولي خان قاجار" و أرسل معه خمسمائه و ألف فارس لتسلم "لطف علي خان" منهم. فلما تسلمه ضاعف وثاقه فقيده بزنجير و حبس آخر مع الزنجير الذي كان موثقا به، و جاء به إلى كرمان إلى "آغا محمد خان".

و يقال إن "آغا محمد خان" حين وقع نظره على "لطف علي خان" بلغ به السرور و الاندفاع بما يحمله من حقد عليه إلى أنه لم يستطع أن يصبر ريثما يمضى إلى ملاقاته من الممر المعتاد و يهبط الدرج المقام من غرفته إلى أسفل، بل رمى نفسه قفزا من الغرفة إلى الأرض، و بادر إليه فاقطع عينيه بإصبعه ثم أمر حرسه الخاص، و أكثرهم من التركمان، بان يوقعوا به أعمالا فظيعة من الاذلال و الاهانة بلغت غايه القسوة و البشاعة. أعمالا لا تصدر إلا من طاغية خارج عن طور الآدمية! ثم أمر به فحمل إلى طهران في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٩ هـ. و بعد قليل من وصوله إلى طهران أمر "آغا محمد خان" في تلك السنة "الميرزا محمد خان قاجار دولو" حاكم طهران بقتله، فقتله و دفن في مقبره الشريف العلوى "زيد".

و أما "جهانكير خان" و إخوته فقد انتهى أمرهم، بعد اعتقال "لطف علي خان"، إلى أن أمر "آغا محمد خان" بسجنهم فسجنوا. ثم أمر باعمائهم فاعموا كلهم. ثم أمر بترحيلهم إلى طهران. و بعد ذلك ماتوا واحدا بعد آخر، و اندثرت آثارهم كليا.

أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد

إشارة

ولد أبو مخنف في النصف الثاني للقرن الأول الهجري، في مدينة الكوفة. و تعد أسرته من أكبر الأسر الشيعية و من الأصحاب الأوفياء للإمام علي (ع)، فقد كان جده الثاني مخنف بن سليم من أصحاب الرسول (ص) و من مرافقي و أنصار الامام علي (ع)، و من القادة و العمال المؤيدين في حكومته (ع)، و قد اشترك في حربى الجمل و صفين في جيش الامام علي و كانت بعهدته قيادة قبائل (الأزد) و بجيله و (خثعم) و خزاعه، و بعد الفراغ من حرب الجمل عينه الامام علي (ع) عاملا على أصفهان و همذان. و أما أبوه يحيى بن سعيد فكان من أصحاب الامام علي (ع) أيضا، و كان اخوه مخنف صقعب و عبد الله من شهداء حرب الجمل في جيش الامام علي (ع) (١).

ليس هناك معلومات دقيقة حول دراسته أبي مخنف أو طبيعه حياته العلمية و تعليمه و تعلمه، و لكن من المؤكد أنه درس في الكوفة على يدى جابر الجعفى و مجالد بن سعيد و صقعب بن الزبير (٢)، إلا- أن كيفية دراسته و طبيعتها تبقى غامضة، و من المؤكد أيضا أنه درس على الامام الصادق (ع) و لكن أين؟ و كيف؟ أسئلة تبقى سائره دون جواب، و كان الامام الصادق (ع)، يعيش في المدينة و يلقى دروسه في مسجد الرسول (ص)، بينما كان أبو مخنف في الكوفة، فهل يا ترى سافر إلى المدينة ليتلمذ على يد الامام (ع)؟ يبقى التاريخ صامتا، لا يجيب و لكن يبدو أنه تلمذ على يد الامام (ع) في الفتره القصيره التى قضاه (ع) في العراق للزياره و لشئون أخرى. حيث باشر بتدريس ثله من الطلاب، و كان أبو مخنف من بينهم، و مما يؤيد الاحتمال الثانى، هو ندره روايه أبى مخنف عن الامام الصادق، و قول النجاشى أن أبا مخنف لم يكن من أصحاب الامام الباقر (ع) (٣)، و ليس هذا الأمر متعلقا بعدم معاصره أبى مخنف للإمام الباقر (ع)، بل لكون الأول يعيش في الكوفة و الامام في المدينة و لم يسافر إلى العراق مطلقا.

و لأبى مخنف العديد من الطلاب، من أبرزهم:

١ - المؤرخ و النسابه، هشام بن محمد بن السائب الكلبي (م ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ).

٢ - المؤرخ، نصر بن مزاحم المنقري (م ٢١٢ هـ).

المؤرخ، أبو الحسن علي بن محمد المدائني (م ٢١١ أم ٢١٥ أو ٢٢٥ هـ) (٤).

مذهب أبي مخنف:

- في الحقيقة إن مذهبه غير واضح، و ثمة اختلاف في هذا الأمر. و التحقيق و البحث في هذا الأمر أمر عسير، إذ لا يمكن تحديد مذاهب أمثال هذا الشخص إلا- عن طريقين: الأول: مطالعه مؤلفاتهم، التي عادة ما تحتوي في أحشائها على تصريح بهويه المذهب أو إشاره إليها.

ثانيا: - دراسته آراء علماء الرجال و خاصه القدماء منهم، حول مذهب الأشخاص الذين يتحدثون عنهم.

أما الطريق الأول فمسدود، إذ ليس ثمة مؤلفات متوفره لأبي مخنف إلا نتفا متفرقه. و أما الطريق الثاني فليس بالرحب، و على أى حال، يمكن احتمال تشييعه من خلال بعض الأدله و القرائن و الشواهد. فمثلا- يتحدث عنه أبو العباس النجاشي - من أوائل المتخصصين في علم الرجال - بما مضمونه:

أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزدي الغامدي، من الأساتذه و الوجوه اللامعه لأصحاب الأخبار في الكوفة، و نقله موضع للثقه.

و هو يروى عن الامام جعفر بن محمد (ع)، و يزعم البعض أنه يروى عن الامام أبي جعفر الباقر (ع) و ليس ذلك بصحيح (٥). و يقول الشيخ الطوسي في فهرسته ما مضمونه: ظن الكشي أن لوط بن يحيى، المكنى بأبي مخنف، هو من أصاب [أصحاب] أمير المؤمنين (ع) و من أصحاب الحسن و الحسين ع، و لكنه أخطأ في ظنه، إذ الصواب أن أباه من أصحاب علي (ع)، و لم يلتق هو بعلي (ع) و كذلك أورد ابن شهر آشوب ذكره في معالم العلماء، و كذلك العلامة الحلبي في القسم الأول من خلاصه الأقوال على أنه من خواص الثقات ثم يضيف قائلا: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن أسلم الأزدي الغامدي (أبو مخنف) - رضوان الله عليه - هو رجل كبير من أصحاب الأخبار في الكوفة، و ما يرويه محل للثقه و الاعتماد، و قد روى عن جعفر بن محمد (ع) و أما أبو يحيى فهو من أصحاب الامام علي (ع).

و كذلك أورد ذكره ابن داود في القسم الأول لرجال علي أنه من خواص الثقات، و ذكره أيضا التفرشي (٧) و الأردبيلي (٨).

ص: ٢٥٣

١- الطبري، بيروت، (مؤسسه الأعلمي)، الجزء الثامن، ص ٤٨.

٢- سيره أعلام النبلاء للذهبي (مؤسسه الرساله)، الجزء السابع ص ٣٠١.

٣- رجال النجاشي ص ٣٢٠.

- ٤- نفس المصدر ص ٣٢٠، سيره أعلام النبلاء للذهبي جزء ٧ ص ٣٠١.
- ٥- رجال النجاشي، ص ٣٢٠.
- ٦- فهرست الشيخ الطوسي، ص ١٢٩.
- ٧- نقد الرجال للتفرشي (منشورات الرسول المصطفى) ص ٢٧٧ و ٢٧٨.
- ٨- جامع الرواه للأردبيلي (دار الأضواء) الجزء الثاني، ص ٣٢.

و عدّه المامقانى من الشيعة، و دافع عن تشييعه بكل قوه. و عموم أصحاب الرجال المتأخرون يوثقونه. و صرح بتشييعه كل من الشيخ آقا بزرك الطهرانى فى ذريعته (الجزء الأول ص ٣١٢) و الشيخ عباس القمى فى الكنى و الألقاب (ج ١، ص ١٤٨-١٤٩).

أبو مخنف فى رأى أصحاب الرجال من غير الشيعة:

ذكر أبا مخنف بعض أصحاب الرجال من غير الشيعة، و فيما يلى نورد بعضا من آرائهم:

يقول الدارقطنى: لوط بن يحيى الكوفى، أخبارى ضعيف، و عدّه حاتم الرازى ضمن الرواه الذين لا يؤخذ بحديثهم، و يقول ابن عدى:

لوط بن يحيى، أبو مخنف الكوفى شيعى متعصب، و هو صاحب أخبارهم... و ينقل أخبارا قبيحه لا أحب [أحب] نقلها، و يضيف الذهبى أن أبا مخنف أخبارى لا يعتمد عليه، ثم ينقل الذهبى رأى أصحاب الرجال فيه، و قد نقلت أكثر آرائهم، ثم يذكر عن ابن المعين أن أبا مخنف ليس ثقه. و قد ذكره ابن شاکر دون أن يبدى رأيه فيه. و كذلك يقول الفيروزآبادى أن أبا مخنف شيعى أخبارى متروك، و أورد إسماعيل باشا ذكره فى هديه العارفين (الجزء الأول ص ٨٤١) و عدّه من الشيعة، و وصفه الزركلى بالعالم المتضلع بالسيره و الأخبار و أنه إمامى من أهل الكوفه. و كذا الحال بالنسبه لفؤاد سزگين إذ يصفه، بامامى من أهل الكوفه.

مما مر ذكره يمكننا أن نطرح النتيجة المحتمله السابقه بكل قوه، و فيما يلى بعض دعائمها: - أُلْف: تعارف النجاشى فى رجاله و الشيخ فى فهرسته و ابن شهر آشوب فى معالم العلماء على ذكر المؤلفين و المحققين الشيعة، و إذا حدث أن ذكروا غير الشيعة فإنهم يلفتون النظر إلى ذلك، و من ثم فذكر هؤلاء الثلاثة لأبى مخنف، مطلقا دون أن يقيدوه بكونه من غير الشيعة لدليل على كونه من الشيعة.

ب - ذكره العلامة فى القسم الأول من رجاله، و واضح أن علامه لا يذكر شخصا من غير الشيعة فى القسم الأول.

ج - ذكره ابن داود فى القسم الأول من رجاله، و كذلك التفرشى و الأردبيلى دون الإشاره إلى كونه من غير الشيعة، و يبدو جليا من كل ذلك أنهم كانوا يعدونه شيعيا.

د - كما مر علينا فان بعض أصحاب الرجال من غير الشيعة، عدوه من الشيعة و ضعفه بعض آخر منهم دون أن يصرح بتشييعه، و ربما كان تشييعه سبب ضعفه لديهم.

ه - أهم و أقوى دليل على تشييعه هو كون أسرته من أكبر الأسر الشيعيه فى الكوفه، و كون أبيه و أجداده - كما مر آنفا - من الشيعة و أتباع أمير المؤمنين (ع)، و قد كان أبوه من الأصحاب المقربين للإمام على (ع)، و ليس ثمه دليل على أن أبا مخنف قد ترك المذهب الشيعى.

و - آثاره و مؤلفاته مختصه - بصوره عامه بالتشيع، و كل منها يرتبط بشكل من الأشكال بأفكار و آراء الشيعة.

ورد في بعض مصادر الرجال و التاريخ الحديث عن أبي مخنف، و وصفه بالتسنن أو استفاد من خلال الكلام و السياق مثل هذا الوصف، و فيما يلي نذكر أهم هذه الكتب: - ١ - يقول ابن أبي الحديد: أبو مخنف من المحدثين و الأشخاص الذين يعتقدون صحه انتخاب الناس للقائد، و لا يعد من الشيعة و لا من رجالهم.

٢ - يقول الشيخ المفيد في نهايه كتاب (الجمال) ما مضمونه: إن ما نقلناه باختصار، هو تقارير عن أخبار البصره و أسباب فتنها، و أقوال بعض ذوى رأى حول حرب الجمل. و كل ما ذكرناه، أخذناه عن رجال العامه و ليس عن الخاصه، حيث لم نذكر في كتابنا هذا ما ذكره الشيعة في هذا المجال، و واضح أن الجمل لأبي مخنف هو من المصادر الرئيسيه لكتاب الشيخ المفيد، و من ثم فهو يعده من غير الشيعة(١).

٣ - ذكر العلامة المجلسى مقتله في مصادر بحار الأنوار، على أنه أحد كتب غير الشيعة(٢) ٤ - نقل بعض الأمور عنه، مما لا يتفق مع عقائد و آراء الشيعة، فمثلا- ينقل عنه ما يلي: عند ما أبلغ الوليد (عامل يزيد فى المدينه) خبر موت معاويه إلى الامام الحسين (ع)، قال: "أنا لله و إنا إليه راجعون، رحم الله معاويه و عظم الله لك الأجر"(٣) و لكن تبقى هذه الأدله ضعيفه و مهزوزه مقابل الأدله التى تثبت تشيعه، و لا تراها تتجاوز حد الشبهه. و أما كلام ابن أبي الحديد فهو من الأساس ليس حجه، فأولا كلامه محض ادعاء، لا يدعمه باى دليل و ثانيا لأنه ليس من المتخصصين فى علم الرجال، ليتمكن الاتكاء على قوله.

و أما كلام الشيخ المفيد، فهو فى مقام الجدل، كما هو غير خاف على أهل الفن، فإنه يريد الاستفاده من ذلك لغايتها، و من ثم لا يمكن الاستناد إليه، و أفضل دليل على ادعائنا هذا هو نقله فى كتابه المذكور (ص ٢٢٢ و ما بعدها) عن المسعودى، صاحب مروج الذهب، و الحال أن أصحاب الرجال و مترجمى سيرته يعدونه من الشيعة. و كأنما أراد الشيخ أن يقول بان هذه هى أيضا أخبار أبي مخنف الذى ترفضون أخباره، كما هو حال ابن عباس و المسعودى صاحب مروج الذهب و غيرهم ممن هم موضع لقبول الفريقين.

و أما كلام المجلسى، فلم يكن صادرا عن تفحص أو تحقيق و من ثم لا يمكن الاستناد إليه، و إضافه إلى ذلك فهو يمتدحه فى ص ١٦٢.

و أما فيما يتعلق بنقله لمواضيع ضعيفه، لا تتلائم مع المذهب الشيعى، فينبغى هنا القول، إن أصل الكتاب غير متوفر لدينا لنعلم حقيقه الأمر، هل ما ينقل عنه، صادر عنه بحق أم هو من إضافات الناقلين، إضافه إلى ذلك، فإنه نقل الحوادث - على غرار جميع رواه الحوادث - عن الآخرين، و من ثم فهو غير ضامن لصحتها، و إلى جانب كل ذلك فان هذا النقل دليل على حفظ الأمانه، الذى كان سببا لقبول الفريقين له.

١- الجمل للمفيد (النجف) ص ٢٢٥.

٢- بحار الأنوار (بيروت) للمجلسى، ج ١ ص ٢٥.

٣- تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر) ج ٥ ص ٣٣٩.

يعتبر أبو مخنف من المؤرخين و المحققين المجتهدين و المشابرين، حيث كتب مؤلفات مهمه فى شرح و روايه حوادث صدر الإسلام و هو من أفضل مؤرخى عاشوراء الحسين (ع)، إذ لم يال جهدا فى تدوين أحداث كربلاء، و فى البحث الواسع و لقاء الحاضرين فى تلك الواقعة بكربلاء أو الأشخاص الذين كان لهم علم بما جرى فيها، و يمكن القول أنه ترك لنا المعلومات الأولى و الروايات الموثوقه و المعتمده. و لا نعدو الحقيقه إذا ما قلنا أن حفظ و بقاء الجانب الأكبر من واقعه كربلاء يرجع إلى جهوده فى هذا المضمار.

يذكر ابن النديم فى الفهرست (ص ١٠٦) ما يلى: قرأت مخطوطا عن أحمد بن حارث مكتوب فيه عن قول العلماء "إن أبا مخنف قد فاق الآخرين فى أمور العراق و تاريخه و فتوحاته" (١) و فى هذا الأمر، و ضمن مساعيه لتدوين تاريخ الإسلام، فإنه قد ألف أربعين كتابا إضافه إلى مقتل الحسين، و مع الأسف لم يبق من هذه المؤلفات إلا الأسماء و الذكر.

و كان نصيب النص الأصلي لمقتل الحسين، مصير مشابه لبقية الآثار و المؤلفات فليس ثمة وجود له اليوم. و من المحتمل أن هذا المتن ظل موجودا حتى حدود القرن الرابع الهجرى، لأنه يبدو أن الطبرى كان ينقل عنه دون واسطه.

و أما ما ينسب إلى أبى مخنف تحت عنوان (مقتل الحسين) (٢) الذى طبع عدة مرات فى العراق و إيران و الهند، فمن اليقين أنه ليس له، و أفضل دليل على زيف هذه النسبه (نسبه الكتاب إلى أبى مخنف) - هو هذه المواضع الواهيه و الروايات الكاذبه، و نحن نجل أبا مخنف - بمقامه الشامخ - عن كتابه مثل هذه السفاسف.

و ليس واضحا بدايه ظهور هذا الأثر الزائف، و لكن يمكن حدس هذا التاريخ من خلال بعض القرائن التى ترجح كون هذا الكتاب من منتجات الدوره الصفويه.

و على أى حال نشير إلى بعض الأدله و الشواهد التى تظهر بكل حلاء [جلاء] و وضوح زيف هذا الكتاب و فيما يلى بعض منها:

١ - أشرنا آنفا إلى احتمال حيازه الطبرى على النسخه الأصلية لمقتل أبى مخنف، و قد نقل الجزء الأعظم لتاريخ كربلاء عن هذا المقتل، و لكن مقابله هذا المقتل مع تاريخ الطبرى تظهر بكل صراحه عدم انسجام الاثنين فيما يوردان، و قد وصلنا إلى نتیجه - بعد تحقيق و تمحيص - مفادها أن لا شبه يذكر بين مقتل أبى مخنف و ما ينقله الطبرى، اللهم إلا فى بعض الموارد المختصره و المحدوده.

٢ - كون الكتاب مفعما بالأغلاط الفاحشه و المواضع الواهيه، التى لا تليق من قريب و لا من بعيد بحقيقه أبى مخنف العلميه. و قدرته التاريخيه و فيما يلى نشير إلى بعض هذه المواضع: - ألف: أول موضوع فى الكتاب المذكور هو: "قال أبو مخنف: حدثنا أبو المنذر هشام، عن محمد بن سائب الكلبى...".

و زيف هذا السند واضح جلى، لأن هشام هو تلميذ لأبى مخنف.

ب - يقول فى صفحه ١٢: "و روى الكلينى فى حديث... " و بطلان هذا الحديث أوضح من الشمس، لأن الكلينى ولد بعد وفاه

أبي مخنف بما يقارب المائة سنه.

ج - يقول في صفحه ٢٤ "ذكر عمار في حديثه..." استشهاد عمار في حرب صفين في سنه ٣٧ للهجره، و لم يكن موجودا عام ستين.

د - يقول في صفحه ٤٨: "فحمل هانى، فضرب فيهم يمينا و شمالا... و قتل منهم خمس و عشرين ملعونا" ترى كيف تأتي لهانى قتل خمس و عشرين شخصا و هو أسير في يد ابن زياد و محاط بعشرات الجلاوزه و الجلادين، و إضافه إلى ذلك فليس ثمه مؤرخ موثوق يذكر مثل هذا الموضوع.

ه - يقول في صفحه ١٠٤: و بعد أن قتل العباس و حبيب بن مظاهر، حزن الامام الحسين (ع) و اغتم غما شديدا، فعزاه زهير بن القين و هدأ من روعه.

و - يقول في صفحه ١١٣: "قتل الطرماح بن عدى بعد أن جندل سبعين بطلا من جيش عمر بن سعد"، بينما ينقل الطبرى عن أبى مخنف أن الطرماح لم يكن موجودا في كربلاء، و من ثم فهو لم يقتل (٣) ز - يذكر في صفحه ١٩٦ اسم "سهل بن سعيد الشهروزى" بدلا عن "سهل بن سعد الساعدى".

و يذكر الطبرى أن روايات أبى مخنف مسنده، و يذكر فيها سلسله الرواه، بينما لا نرى في هذا المقتل المختلق إلا الروايات المرسله، باستثناء عدد قليل منها.

و هناك عشرات الإشكالات و المآخذ الأخرى التى لا يمكن أن تنسب، بوجه من الوجوه، إلى أبى مخنف.

٣ - يقول في صفحه ٧:

"خاطب الامام الحسين جمعا من أهل الكوفه بشأن صلح أخيه الامام الحسن قائلا: اقسم بالله أنى كنت تواقا إلى الموت حتى جاءنى أخى الحسن و أقسم على ألا أقدم على أمر و لا أحرص أحدا، فأطعته و كانى أرى أحدهم يجدهم أنفى بسكين أو ينشر بدنى بمنشار، و من ثم فقد أطعته رغم أنفى".

واضح أن هذا الموضوع لا- ينسجم مع الأصول الثابته، و لو كان هذا الموضوع من نتاجات قلم أبى مخنف، لما اكتفى علماء الرجال الشيعة بعدم توثيقه بل لعدوا ذلك إلى تضعيفه، فى حين أنا نراهم قد وثقوه جميعا.

٤ - صرح كبار العلماء و المحققين أن هذا المقتل مختلق و لا يمت إلى أبى مخنف بصله. و فى هذا المجال يقول الحاج الميرزا حسين النورى (صاحب مستدرک الوسائل) ما مضمونه: "أبو مخنف لوط بن يحيى، من كبار المحدثين، و معتمد لدى أرباب السيره و التاريخ. و مقتله فى منتهى

۱- فهرست ابن الندیم. ص ۱۰۵ و ۱۰۶، النجاشی فی رجاله ص ۳۲۰، فهرست الشیخ ص ۱۲۹، فؤاد سزگین، تاریخ التراث العربی ج ۱ ص ۱۲۷.

۲- خان بابا مشار (فهرست کتابهای چاپی عربی) ص ۸۹۰.

۳- تاریخ الطبری، الجزء الخامس ص ۴۰۶ و ۴۰۷.

الاعتبار، وهذا هو رأى كبار العلماء إضافه إلى ملاحظه المقتل و سائر آثاره الأخرى، و لكن مما يؤسف له أن النسخه الخاليه من العيوب لمقتله غير موجوده، و أما المقتل الموجود الذى ينسب إليه فهو مشتمل على بعض المواضع المحرفه و المخالفه لأصول المذهب، و التى عمد إلى دسها المخالفون المغرضون و الأصدقاء الجاهلون، و ما الهدف منها إلا أغراض السوء. و من ثم فلا اعتبار لهذا الكتاب و هو ساقط عن الاعتماد و لا يوثق بما ورد فيه...

و قد قام، الشيخ خلف آل عصفور بتحمل المشاق فى بعض رسائله - التى كانت جوابا لثلاثين مسأله - لإظهار المآخذ على هذا الكتاب، و الأمور التى تخالف أصول المذهب، و لكن لا نحسب أن مثل هذه الأمور خافيه على المتأمل و ليس من وراء هذه المشاق إلا الجهد و النصب "[\(١\)](#) و كذلك قال الحاج الشيخ عباس القمى: "أبو مخنف من كبار مؤرخى الشيعة، و على الرغم من شهره تشيعه، فان علماء السنه يعتمدون عليه و ينقلون عنه "[\(٢\)](#) و قال أيضا قال المحدث القمى فى هديه الأحياء "[\(٣\)](#) ما مضمونه: " لو كان مقتل أبى مخنف موجودا، لكان غايه فى الاعتبار، كما يعرف ذلك من كبار العلماء الماضين، و لكن مع بالغ الأسف فان أصل هذا المقتل قد فقد بمرور الأيام كما هو شان مقتل الكلينى و المدائنى و أمثالهما، و لم يصلنا منها شىء. و أما هذا المقتل الموجود، الذى طبع فى آخر كتاب البحار و الذى ينسب إلى أبى مخنف المسكين، فهو ليس منه و لا يعرف من أين أتى".

و فى هذا المضممار يقول "فؤاد سزگين": "انتهت كتب أبى مخنف إلينا، إلا- أنها تعرضت إلى التحريف و الإضافة، حتى أصبحت بعيده عن الأصل كل البعد "[\(٤\)](#).

تراجع المقتل:

يبدو أن هذا المقتل المختلق قد ترجم مره إلى الأردو و مرتين إلى اللغه الفارسيه و هما كالاتى: - ١ - عام ١٣٢٢ بقلم محمد طاهر بن محمد باقر الموسوى الدزفولى و معه كتاب أخذ الثار فى أحوال المختار، المنسوب إلى أبى مخنف فى ٢٤٠ صفحه.

٢ - ترجمه أخرى عام ١٤٠٥ مع ملحق أخذ الثار فى أحوال المختار فى ٣١٧ صفحه، و قد نشر بواسطه ناشر منتفع، و قد عنون هذا الناشر اسم الكتاب على أنه "أول تاريخ لكربلاء".

تحتوى هذه الترجمة على مقدمه من ثلاث عشره صفحه، لا قيمه لها و لا معنى، واهيه العبارات ركيكه التعبير.

و قد ذكر فى هذه المقدمه، أحاديث العظماء حول أبى مخنف و لكنها لم تشر من قريب أو من بعيد إلى تزييف و اختلاق هذا المقتل. و يبدو واضحا أنهم على علم باختلاق هذا المقتل، لأنهم يوردون فى صفحات ١٢ و ١٣ أحاديث النورى و الشيخ عباس القمى حول هذا المقتل، و لكنهم عملوا بالقول المأثور فقروا "كلوا و اشربوا" و نسوا "و لا تسرفوا"، و هكذا قدموا إلى الناس كتابا مختلفا لا أساس له مع دراسه لمؤلفه الذى لم يكتب منه شيئا. و نرى من الضرورى أن يتصدى المسئولون الثقافيون لمثل هذا إلا- الابتذال الثقافى، فيقطعون الطريق على هؤلاء الأشخاص الذين لا ترى أعينهم إلا المنافع الماديه و لا يبتغون من وراء الأمور الثقافيه إلا هذه المنافع.

استخراج مواضع أبى مخنف من تاريخ الطبرى:

كما ذكرنا آنفاً، فإن مقتل الحسين غير متوفر لدينا و أكثر حوادثه موزعه فى تاريخ الطبرى. و قد باشر البعض باستخراج و جمع هذه المواضيع و فيما يلى نعمد إلى ذكر و نقد و تحليل هذه الاستخراجات:

١ - مقتل الحسين، استخراج الحسن الغفارى:

وفقا لما ذكره المؤلف، فإن هذا الكتاب هو عبارته عن مجموعه مستخرجه مما ذكره الطبرى عن واقعه كربلاء فى تاريخه. و قد تحدث فى مقدمه موجزه عن أسلوب استخراجيه، و ذكر أحوال أبى مخنف و أضاف: "إن هذه المواضيع المشتهة فى كتابنا هذا، هى نفس المواضيع التى كتبها أبو مخنف إلا أنها ليست كل ما كتب". و على هذا الأساس فإن المؤلف يكون قد أورد ما ذكره الطبرى من مواضيع دونها أبو مخنف مباشرة أو نقلها هشام عنه.

و المأخذ على مثل هذا الاستخراج، هو عدم وجود قطع بان كل ما يذكره هشام هو عن أبى مخنف، فلربما يكون هشام قد سمع حديثا عن أبى مخنف لم يكن الأخير قد أثبتته فى مقتله.

و الأمر الآخر أنه ذكر كل ما وجدته عن هشام، و لا بد أن تكون بعض هذه المواضيع غير منقوله عن أبى مخنف، فعلى سبيل المثال ورد فى صفحه ٢٢: "قال هشام: قال عوانه..."، و كذلك فى صفحات ٩٥، ٢٢٠، ٢٢٨ ينقل هشام عن عوانه بن الحكم و لكنها تنسب إلى أبى مخنف.

و فى صفحه ١٨٧، ينقل هشام عن أبى الهذيل، و كذلك فى صفحه ٢٣٠ ينقل هشام: "حدثنى بعض أصحابنا...". و فى صفحه ٢٣١:

"حدثنى عمرو بن حيزم الكلبى...". و غيرها، و كلها قد نسبت إلى أبى مخنف. و أهم من هذا جميعا ما ورد فى صفحه ٢٨، الحديث عن عمر بن شبه المتوفى عام ٢٦٢، و لم يلتفت المستخرج فنسبها إلى أبى مخنف، بينما الأخير قد توفى قبل ولاده عمر بن شبه بأمد بعيد.

و خلاصه الحديث أن كتاب مقتل الحسين مستخرج من تاريخ الطبرى، و هو باستثناء بعض الأمور التى يذكرها الطبرى و بعض المسائل التى ينقلها الطبرى عن غير أبى مخنف، أقول أنه باستثناء ذلك نقل عيني عما ورد فى نص الطبرى، و لكنه مستقل عنه، و رغم أن المستخرج بذل جهودا فى ذلك و ديل [ذيل] بعض المواضيع إلا أن هذا المؤلف يبقى خاليا من أى قيمه علميه.

٢ - وقعه الطف، استخراج محمد هادى اليوسفى: - هذا هو عنوان الكتاب الذى استخرجه محمد هادى اليوسفى من تاريخ الطبرى تحت عنوان مقتل أبى مخنف و الجدير بالذكر أن هذا الكتاب يحظى بقيمة أكثر من الكتاب الذى ذكرناه آنفاً. و هو مرفق بمقدمه مفصله عن حياه أبى مخنف و مقتله و الروايات التى استقى مقتله منها، و كذلك يحتوى على نقد للمقتل المختلق... و قد نشر هذا الكتاب عام ١٣٦١ هـ. ش.

و لا يخار تحقيق السيد هادى اليوسفى من بعض المآخذ و فيما يلى نعرض لبعضها.

- ١- النورى - لؤلؤ المرجان (كانون انتشارات عابدى)، ص ١٥٦، ١٥٧.
- ٢- الشيخ عباس القمى، الكنى و الألقاب (انتشارات بيدار) ج ١ ص ١٤٨.
- ٣- هديه الأحباب ص ٤٥. طبع أمير كبير.
- ٤- تاريخ التراث العربى، الجزء الثانى ص ١٢٨.

١ - جاء على جلد الكتاب و صفحته الأولى: وقعه الطف، تأليف أبي مخنف، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي و الجدير بالذكر أن العنوان الموضوع للكتاب غير صحيح، بدليل: أولاً: إن اسم كتاب أبي مخنف هو "مقتل الحسين" و ليس "وقعه الطف". ثانياً: ما ذكره الطبري و ما جمع في هذا التحقيق، ليس هو كل كتاب أبي مخنف و إنما هو قسم منه.

٢ - ورد في صفحه ٨ عام وفاه أبي مخنف، بالاستناد إلى فوات الوفيات لابن شاکر و الأعلام للزركلي على أنه عام ١٥٨ و الحال أن الاثنين يذكرون عام ١٥٧ بدلا من عام ١٥٨ لتحديد وفاه أبي مخنف (١).

٣ - ذكر في نفس هذه الصفحه، مقتل الحسين لأبي مخنف على أنه أول تاريخ لكربلاء، و لكن - كما مر آنفاً - فان آقا بزرگ الطهراني يذكر بان أول تاريخ لكربلاء هو تاريخ أصبغ بن نباته.

٤ - يقول في صفحه ١٩ بالاستناد إلى تأسيس الشيعة بان ابن أبي الحديد لا يعتقد بتشييع أبي مخنف، و الحال أن هذا الأمر غير مذكور في هذا الكتاب و إنما في متن شرح ابن أبي الحديد (الجزء الأول، ص ١٤٧).

و في صفحه ٢٣ تعرض لذكر المقتل المختلق فقال: غير معروف على وجه التحديد تاريخ أول طبعه لهذا الكتاب، و يجدر القول أنه يبدو أن أول طبعه له كانت في طهران عام ١٢٧٥ بخط محمد رضا الخوانساري، و برقه اللهوف و مهيج الأحزان، و طبعته حجرية. و في صفحه ٢٧ و ٣٨ ورد أن ثمة خمسة أفراد قاموا بنقل تاريخ كربلاء - دون واسطه - لأبي مخنف، و لكن إذا عدناهم لا نجدهم يتجاوزون الأربعة.

و ليس هناك إشاره في هذا الكتاب إلى كيفية الاستخراج و نجد أحيانا بعض المواضيع التي وضعت في غير مواضعها، و بعضها في الهوامش، و لا أدري كيف أنزلت إلى الهوامش و على أي أساس تم إنزالها، و إضافه إلى ذلك، فهناك ثلاثه ماخذ رئيسيه نعرضها فيما يلي:

ألف - حذف إسناد أبي مخنف حذفاً تاماً، و حول الكتاب من مسند إلى مرسل، و غير خاف على أهل الفن كم يحط هذا العمل من قيمه العلميه للكتاب.

ب - في بعض المواضيع ينقل هشام الكلبي عن غير أبي مخنف بينما نراها منسوبة إليه، كما ورد في صفحه ١٦٦ في السطر الثاني: "فاخرج للناس كتابا... (يطابق مع تاريخ الطبري الجزء الخامس، ص ٣٩٨) و صفحه ١٦٩-١٧١ و هي ثلاث صفحات عن هشام و ليست عن أبي مخنف (تقارن مع تاريخ الطبري الجزء الخامس ص ٤٠١-٤٠٣).

ج - بلغ إسقاط و حذف المواضيع حداً، يمكن اعتبار الكتاب معه ساقطاً عن الاعتبار، و فيما يلي نشير إلى بعض هذه المواضيع التي حدث فيها الإسقاط و الحذف:

١ - ص ٧١ و ٧٢: حذف مصراعين من الأبيات الشعريه التاليه: -

"جاء البريد بقرطاس يخب بهفأوجس القلب من قرطاسه فزعا"

قلنا لك الويل ما ذا فى كتابكم كان أغبر من أركانها انقطعا"

بينما ورد ذكر هذه الآيات فى تاريخ الطبرى، الجزء الخامس صفحه ٣٢٨ على الصورة التاليه: -

"جاء البريد بقرطاس يخب بهفأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ما ذا فى كتابكمقالوا الخليفه أمسى مثبتا وجعا

فمادت الأرض أو كادت تميد بناكان أغبر من أركانها انقطعا"

٢ - ص ٧٧، السطر التاسع "لا أدرى، أما ابن عمر، فانى لا أراه يرى القتال ولا يحب أن يولى على الناس، إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفوا" (الطبرى، الجزء الخامس، ص ٣٣٩، س ٥) - ص ١٦١، س ٣ "و احتمله، فأنزله" (الطبرى، الجزء الخامس، ص ٣٩٥، الأسطر الستة الأخيره).

٤ - من [ص] ٨٢ (الحاشيه) السطر الرابع عشر "فتشاغلوا عن حسينطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا، ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء، فقال: أصبحوا، ثم ترون و نرى، فكفوا عنه تلك الليله و لم يلحفوا عليه، فخرج حسين من تحت ليلته و هى ليله الأحد، ليومين بقيا من رجب، سنه ستين.

و كان مخرج ابن الزبير قبله بليله، خرج ليله السبت فاخذ طريق الفرع" (الطبرى، ج ٥، ص ٣٤١، س ٤).

٥ - ص ١٥٤، س ٢: "ثم إن الحسين و أصحابه امتنعوا امتناعا قويا". (الطبرى، ج ٥، ص ٣٨٥، س ١٦).

٦ - ص ١٥٧، السطر الأول: "أقبل بها من اليمن". (الطبرى) الجزء الخامس، ص ٣٨٥، السطر الثانى ما قبل الأخير).

٧ - ص ١٥٩، س ٥: "و قال الناس: "هذا الحسين يريد العراق" (الطبرى، ج ٥، ص ٣٩٤، الأربعة أسطر الأخيره).

٨ - ص ١٦٢، س ٨: "قالت: فأمر بفسطاطه و ثقله و متاعه فقدم و حمل إلى الحسين". (الطبرى، ج ٥، ص ٣٩٦، الأسطر الستة الأخيره).

٩ - ص ١٦٣، السطر الأول: "قال: ثم و الله ما زال فى أول القوم حتى قتل". (الطبرى، ج ٥، ص ٣٩٧، السطر الأول).

١٠ - ص ١٦٥ السطران الآخرا: قالوا: فقال له بعض أصحابه: إنك و الله ما أنت مثل مسلم بن عقيل و لو قدمت الكوفه، لكان الناس إليك أسرع، قال الأسديان". (الطبرى، ج ٥، ص ٣٩٨، س ٤).

١١ - ص ١٦٦ السطر الأول: "...قال كان الحسين لا يمر بأهل ٩.

١- ابن شاطر الڪتبي؁ فوات الوفيات؁ الجزء الثالث ص ٢٢٥ و الزركلي في الأعلام الجزء الخامس ص ٢٤٥؁ ياقوت في معجم الأدياء ج ١٧ ص ٤١؁ الذهبي؁ سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٠١؁ إسماعيل باشا: هديه العارفين ج ١ / ص ٨٤١ عمر رضا كحاله؁ معجم المؤلفين ج ٨؁ ١٥٧؁ دائره المعارف الإسلاميه؁ ج ١ ص ٣٣٩.

ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى". (الطبري، ج ٥، ص ٣٠٨، س ١٠).

١٢ - ص ١٦٦، س ٣ تتمه نفس الموضوع السابق، هناك ثمانية أسطر ساقطه بعد "عبد الله بن بقطر" (الطبري، ج ٥ ص ٣٩٨، س ١١-١٩). و نفس هذا الموضوع ينقله هشام عن أبي بكر بن عياش، ولكنه ينسب إلى أبي مخنف.

١٣ - ص ١٦٧، السطر الأول: "إن أحد عمومته سال الحسين (ع) أين تريد؟ فحدثه، فقال له..." (الطبري، ج ٥، ص ٣٩٩، س ٨) وقد ورد في هذا الكتاب، بدلا عن هذه العبارة، عبارة "فسأله أحد بني عكرمه".

١٤ - ص ١٦٨، س ٩: "فتبينناها وعدنا فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كان أستتهم اليعاسيب" (الطبري، ج ٥، ص ٤٠٠، الأسطر الخمسة الأخيرة).

١٥ - ص ١٧١، س ٢: "فقال لأصحابه انصرفوا بنا" (الطبري، الجزء الخامس، ص ٤٠٢، السطر العاشر ما قبل الأخير).

١٦ - ص ١٧١، س ١١: "فترادا القول ثلاث مرات". (الطبري نفس الصفحة، السطر الثالث ما قبل الأخير).

١٧ - ص ١٧٢، السطر الثالث ما قبل الأخير، هناك عشرة أسطر ساقطه، لم نذكرها خشية الاطاله. (الطبري، ج ٥، ص ٤٠٣).

١٨ - ص ١٧٣، س ٩: "و كان بها هجائن النعمان ترعى هنالك". (الطبري، ج ٥، ص ٤٠٤، الأسطر الأربعة الأخيرة).

١٩ - ص ١٧٥، السطر الأخير (تتمه الحاشية): "فاخذ أهلي يقولون: إنك لتضع مرتك هذه شيئا ما كنت تصنعه قبل اليوم" (الطبري، ج ٥، ص ٤٠٦-٤٠٧).

٢٠ - ص ١٧٥، س ١١: "قال أما هذا فلا يكون أبدا إن شاء الله... الحسين (ع)". (الطبري، ج ٥، ص ٤٠٧، س ١٢).

و هناك العديد من المآخذ الأخرى، و نشير من ضمنها إلى الصفحات التالية:

٦٧، ٦٨، ٧٠ (أربعة ماخذ)، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٠ (أربعة ماخذ)، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٨٩، و إلخ.

و إذا كان كتاب أخذ الثار في أحوال المختار، المنسوب إلى أبي مخنف، قد طبع و معه ترجمتان فارسيتان للمقتل المختلق فلا نرى بأسا في الإشارة إلى هذا الأثر.

لم يبق من مؤلفات أبي مخنف سوى كتابي مقتل الحسين و أخذ الثار المنسويين إليه، و قد اتضح لنا من خلال مقاله أن نسبه كتاب مقتل الحسين لأبي مخنف لا تمت إلى الحقيقة بصله. و هذا هو حال أخذ الثار، و أفضل دليل على صحة ما نذهب إليه هو الفرق الشاسع بين ما ورد في هذا الكتاب و بين ما نقله الطبري عن أبي مخنف (١).

الشيخ مجتبي القزويني

مرت ترجمه بعنوان الشيخ الميرزا مجتبي بن الشيخ الميرزا أحمد التنكابني القزويني في المجلد الثالث من (المستدركات).

و تكررت ترجمه بعد ذلك بعنوان الشيخ مجتبی القزوينی بن الشيخ أحمد بن الميرزا حسن الطيب الحشمتی التنكابنی: و
الترجمتان لشخص واحد(٢).

محتشم الكاشانی.

ولد سنة ٩١٣ و توفي سنة ٩٩٦.

من أشهر شعراء الفرس في القرن العاشر، له ديوان يسمى "جامع اللطائف" مطبوع بالهند و إيران.

له ترجمه في تواريخ الأدب الفارسی و معاجم شعراء الفرس مثل: تحفه سامی، و تذكره نصرآبادی، و نتائج الأفكار، و تذكره
حسينی، و آتشكده آذر، و مجمع الخواص، و مجمع الفصحاء، و طبقات أعلام الشيعة (القرن العاشر): ١٩٩، و الذريعة ٢٦٩/٨ و
١٨٣/٩ و ٩٧٢، و خزانه عامره ص ٤٠٤ و فيه: إنه نظم قصيده في مدح الشاه طهماسب الصفوی و أرسلها إليه، فأرسل إليه الشاه:
إني لا- يعجبني إلا- ما كان في أهل البيت ع، فنظم محتشم المراثي بهم و أرسلها إليه، فأمر له بهديه سنیه و أجزل صلته، و قد
لاقت هذه القصائد قبولا و إقبالا منقطع النظير منذ يومه و حتى اليوم، فهي في مقدمه ما يحفظه الخطباء و في الطليعه مما ينشده
الوعاظ في ماتم الحسين (ع). و هي اثنتا عشره قصيده كل منها في اثني عشر بيتا اشتهرت ب (دوازده بند محتشم) و قد جاراها
السيد بحر العلوم الكبير السيد مهدي و نقلها إلى العربية نظما باسم (العقود الاثني عشر).

الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد جعفر الآشتياني القزويني.

كان حيا سنة ١٢٥٣.

من نوابغ علماء الفلسفه و المنطق، فقيه متبحر أصولي محقق من أئمه الفتوى و الامامه في قزوین. أخذ المقدمات و فنون الأدب
على أعلام عصره، ثم تخرج في الفقه و الأصول و الحديث على الشيخ محمد صالح البرغانی الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ و
شقيقه الشهيد الثالث المستشهد سنة ١٢٦٣ و تلمذ في العلوم العقلية و الفلسفه و العرفان الالهی و المنطق على الشيخ ملا آغا
الحكمی القزوينی و الشيخ يوسف الحكمی القزوينی و الملا على البرغانی القزوينی و كان من أعلام عصره في المنطق و فحول
المدرسين في هذا الفن في المدرسه الصالحية بقزوین و كان أيضا ممن حضر في الجهاد مع استاذه البرغانيسنه ١٢٤٢ عند ما
اجتاح الروس الأراضي الإيرانية.

له مؤلفات و رسائل في المنطق و الفلسفه منها كتاب توضيح المنطق بالعربية ألفه سنة ١٢٥٣... في مجلد واحد كبير لم يقف عليه
شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهرانی و لم يذكره في الذريعة. عندی نسخه الأصل بخط المؤلف، و له رساله في حدوث العالم، و
رساله عرفانيه(٣)

ص: ٢٥٨

٢- الشيخ محمد السماوي.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

الشيخ محمد تقى بن الآخوند ملا محمد الآملى الطهرانى.

ولد فى طهران ١١ ذى القعدة سنة ١٣٠٤ و توفى بها سنة ١٣٩١.

أخذ المقدمات و فنون الأدب و الصرف و النحو و المنطق على أفاضل علماء عصره و أكمل سطوح الفقه و الأصول عند والده و الشيخ رضا النورى و قرأ كتاب الشوارق على الشيخ على النورى و تخرج فى الحكمة و الفلسفه العالیه على الفيلسوف الشهير الميرزا حسن الكرمانشاهى المتوفى سنة ١٣٣٦ و بعد وفاه استاذه المذكور التحق بحوزه درس الشيخ عبد النبى النورى و حضر فى الأخلاق و العرفان الالهى على العارف السيد على القاضى الطباطبائى و فى سنة ١٣٤٠ هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق قاصدا الحوزه العلمیه الكبرى و التحق فى النجف الأشرف بحوزه الآغا ضياء العراقى و الميرزا محمد حسين النائينى و السيد أبو الحسن الأصفهانى و فى سنة ١٣٥٣ عاد إلى موطنه طهران و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و كان له حلقة درس فى الفلسفه و الأصول و الفقه بحضورها جمع من أفاضل النابهين.

له مؤلفات، منها:

١ - إثبات صانع از ماترياليسم تا ايده آليسم طبع فى طهران عام ١٣٧١، ٢ - حياه جاويد فى الأخلاق طبع فى طهران فى مجلدين، ٣ - خدائشناسى طبع فى طهران سنة ١٣٧٠، ٤ - درر الفوائد، تعليقه على شرح منظومه السبزوارى طبع فى طهران مكررا سنة ١٣٧٠ و سنة ١٣٧٧، ٥ - كتاب الصلاه ثلاث مجلدات مطبوع سنة ١٣٧١، ٦ - مصباح الهدى فى شرح العروه الوثقى طبع فى مجلد فى طهران سنة ١٣٧٧ و ٧ - تعليقه على المكاسب، فى مجلدين طبع فى طهران سنة ١٣٧٢ - ١٣٧٤ مؤلفاته المخطوطه منها رساله فى الرضاع، رساله فى قاعده لا ضرر، تقارير استاذه النائينى و غيرهما(١).

السيد محمد تقى المصطفى

المتخصص فى مجال الآثار و الأبنيه القديمه - درس الحقوق و لكنه عمل فى دائره الأبنيه القديمه فى وزاره الثقافه و خدم فى مجال الآثار مدة ٥٠ سنة و كان مرافقا لجمع كبير من مشاهير الأثريين العالميين مثل (كامرون، هرتزفلد، بوب، كيدار، جيرتمن) هؤلاء الذين نقبوا فى المواقع الأثرية الإيرانية و أزالوا الستار عن الآثار القديمه - و قد كسب المترجم له منهم خبرات كثيره فصار متخصصا فى مجال عمله - كما أنه كان خبيرا فى الأبنيه الإسلاميه خاصه صناعه و فن الفسيفساء.

توفى عام ١٣٩٩ هـ و له أكثر من عشره كتب فى مجال الدراسات الأثرية(٢).

محمد حسن خان قاجار.

"محمد حسن خان قاجار" أبو "آغا محمد خان قاجار" مؤسس سلسله الشاهات القاجاريين الإيرانيه، و ابن "فتح على خان قاجار قوانلو".(٣)

ولد سنة ١١٢٧ هـ، و قتل سنة ١١٧٢ هـ فى نواحي "بهستهر".

قتله كردى اسمه "سبز على" و اثنان من طائفه "يوخارى باش" (٤) القاجاريه. و خلف تسعه أبناء من عده نساء، أكبرهم و أرشدهم "آغا محمد خان"، و هو الذى أسس بهتمته و سعيه سلسله الملوك القاجاريين.

فى سنه ١١٣٩ هـ، و "محمد حسن خان قاجار" يومئذ فى الثانيه عشره من عمره، قتل أبوه. و فى أيام اقتدار "نادر شاه أفشار" و سيطرته كانت إقامه "محمد حسن خان قاجار" فى صحراء جرجان بين تركمان "يموت" على حال من التشرد و الجولان فى الصحارى استمرت حوالى عشرين عاما، مع إقدامه أحيانا على القيام ببعض التحركات الراميه إلى غايه من التقدم.

و فى سنه ١١٥٦ هـ، و كان "محمد حسن خان" فى التاسعه و العشرين من عمره، ذهب إلى "جرجان" و أقام هناك بين أبناء طائفته و حدثته نفسه بامر يعلى به شانته و يوطد مكانته، و ذلك بالتسلط على تلك النواحي و انتزاع حكمها من يد القائمين عليها.

و كان "محمد حسين خان قاجار يوخارى باش" أحد رجال "نادر شاه" حاكما على "جرجان" من قبل "نادر شاه". و كان عدوا لدودا لطائفه "قاجار قوانلو" التى ينتمى إليها "محمد حسن خان قاجار". و كان لهذا الحاكم ابن اسمه "محمد زمان بيك" قد نصبه أبوه نائبا عنه على "أسترآباد". فجمع "محمد حسن خان قاجار قوانلو" جيشا هاجم به "محمد زمان بيك" هذا و هزمه، و اضطره إلى الفرار إلى كرمانشاه. و رفع هذا إلى "نادر شاه" تقريرا بواقع الحال. فسير "نادر شاه" جيشا مجهزا لاختراع الثائر و اعتقاله، و جعل على قيادته "محمد حسين قاجار يوخارى باش" حاكم "جرجان" أبا "محمد زمان بيك".

و أوقع "محمد حسين خان يوخارى باش" فى جيش "محمد حسن خان قوانلو" هزيمة شديده، و أخضع أنصاره و قتل منهم جماعه كبيره. و فر "محمد حسن خان" عائدا مره أخرى إلى صحارى "جرجان" و أقام بين طائفه "بكنج خان يموت دوه شىء" متكررا متخفيا من خشيه "نادر شاه" إلى أن قتل هذا فى سنه ١١٦٠ هـ فأظهر نفسه.

كان "محمد حسن خان" واحدا من متغطسى ذلك الزمان، يسعى للوصول إلى منصب الملك. فخرج من مخبئه و جمع جيشا من أعوانه و أنصاره و ذهب إلى "جرجان" فاحتلها، و اجتاز فى سيره حدود مازندران. و لكنه لم يلبث أن صده "على شاه أفشار" عن التقدم. فقد خرج هذا من خراسان بسبب قحط و غلاء شديدين وقعا فيها و ذهب إلى مازندران، و اتفق أن خرج "محمد حسن خان" عليه و اخترق حدود مازندران فى وقت خروجه من

ص: ٢٥٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٣- نقلت روايه مشكوك فيها. و هى أن "فتح على خان" رأس سلسله "قاجار قوانلو" الملكيه هذا قام بخدمات للشاه "سلطان حسين الصفوى". فكافأه بان وهبه إحدى جواريه، و هى كرجيه اسمها "خير النساء". و بعد مده قليله ذكرت هذه الجاريه أنها كانت حاملا- من الشاه الصفوى قبل أن يهبها للخان القاجارى. و سئل الشاه عن ذلك فأقر بما قالت. ثم ولدت صبيا سموه "محمد حسن"، هو هذا المترجم له. و على هذا يرى بعضهم أن الشاهات القاجاريين الذين حكموا إيران هم من نسل الشاه

سلطان حسين الصفوى".

٤- احدى طوائف القاجاريين. و تسمى أيضا "دولو".

خراسان إليها، فتصدى له و أوقفه عن التقدم.

انهزم "محمد حسن خان" في هذه المعركة ففر مره أخرى إلى صحارى "جرجان" و توارى فيها. و وقع أبناؤه في أسر "على شاه". و كان ذلك في أوائل سنه ١١٦١ هـ.

و بعد مقتل "على شاه" و أخيه "إبراهيم شاه" ابني أخ "نادر شاه" و استقرار "شاه رخ شاه" على العرش قدم عليه "محمد حسن خان" سنه ١١٦١ من "أسترآباد" (إقليم جرجان). و إذ رأى أن "شاه رخ شاه" لا يعتنى به، و أن المجال لا يتسع لما فى نفسه من خطط و آمال، فقد رأى صلاحه فى أن يعود إلى "أسترآباد"، فعاد إليها و انصرف إلى العمل على إنفاذ خطته و السعى إلى تحقيق آماله فى الحكم.

و إذ كان يبغى الوصول إلى منصب الملك فقد أخذ يسعى إلى السيطرة على الأقسام الأخرى من إيران. و اقتضاه هذا محاربه منافسيه و المتمردين عليه. و من الحروب المهمه التى خاضها فى هذا السبيل محاربه "أحمد شاه الأبدالى" مؤسس دوله "أفغانستان" الحاضره، و كان قبل ذلك من رجال "نادر شاه". و منها محاربه "آزاد خان الغليجائى" و "كريم خان زند".

فاما "أحمد شاه الأبدالى" فقد دأب على توسيع مملكته الجديده التى أقامها بعد مقتل نادر شاه. و غزا خراسان بجيش جرار سنه ١١٦٨ هـ و قيل سنه ١١٦٤ هـ و انتهت الغزوه بصلح لم يمكنه من الحصول على ما أمل.

فأعاد الكره بإرسال جيش من خمسة عشر ألف فارس إلى إيران لاحتلال "أسترآباد" و مازندران. و كانت الأولى و قسم من الثانيه فى حكم "محمد حسن خان" فرده هذا عنهما، و أكثر فيه القتل. و زاده هذا النصر اعتراضا و قوه.

و أما "آزاد خان الغليجائى" الأفغانى فكان أيضا من رجال "نادر شاه"، و بعد مقتله طمع أيضا فى منصب الملك و احتل أذربيجان.

و حاربه "محمد حسن خان" سنه ١١٦٩ هـ، و قيل سنه ١١٧٠ هـ، فى أذربيجان، فهزمه و اضطره إلى اللجوء إلى العثمانيين فى بغداد يستنجد بهم فلم ينجدوه، فذهب إلى والى كرجستان فلم ينجده أيضا، و بقى لاجئا عنده. و انتهى أمره إلى اللجوء إلى "كريم خان زند" بعد مقتل "محمد حسن خان قاجار" و استتباب الملك ل "كريم خان"، فقبله و أقامه عنده مبعجلا محترما.

و أما محاربه "محمد حسن خان" لمنافسه الآخر "كريم خان زند" فقد انتهت إلى غير ما يهوى. و كانت فيها خاتمه أمره. كان "كريم خان" يتطلع إلى الفتح و التملك. فاختار سبطا للشاه "سلطان حسين الصفوى" اسمه "الميرزا أبو تراب" و نصبه شاها باسم "الشاه إسماعيل الثالث"، و جعل من نفسه و كيلا عنه و تلقب بلقب "وكيل الرعايا"، أو "وكيل الشاه". و قد تم له فتح إيران كلها تقريبا، ما عدا خراسان كانت فى حكم "شاه رخ شاه أفشار" حفيد "نادر شاه" و مازندران و أسترآباد كانتا فى حكم "محمد حسن خان قاجار قوانلو". و لم يتعرض "كريم خان" للشاه "شاه رخ" و فاء منه لجده. أما "محمد حسن خان" فقد عصى على "كريم خان" و نازعه الملك و وقعت بينهما حرب.

و ساق إليه "كريم خان" مره جيشا إلى مازندران. و وقعت هناك بينهما معركة أوقع فيها "محمد حسن خان" انكسارا جزئيا فى

عسكر "كريم خان" ففر "الميرزا أبو تراب" من معسكره إلى معسكر خصمه ظنا منه أن العاقبه له. فكان عمله هذا سببا في انحطاط شان "كريم خان" وارتفاع شان "محمد حسن خان". ورأى الخان الزندي أن التراجع خير له فتراجع.

و كان "محمد حسن خان" يحتل يومئذ "جرجان" و مازندران و أذربيجان و قسما من إيران المركزيه.

و بعد أن احتل "محمد حسن خان" مدينه أصفهان سار في سنه ١١٧٠ هـ، و قيل سنه ١١٧١ هـ، إلى مدينه شيراز مركز عمليات "كريم خان" الحربيه، و حاصرها مده، و أوشك أن يحتلها. و لكن كريم خان تشدد و لم يقطع الرجاء و استمر في المقاومه. و ساعده على ذلك نفاذ الأغذيه من معسكر "محمد حسن خان" و تفرق عسكره عنه، حتى اضطر إلى التراجع عن شيراز و العوده من حيث جاء.

و لما وصل "محمد حسن خان" في تراجعه إلى مدينه أصفهان دفعت خيبته في هذه الحرب جنده الذين كانوا يلزمون أصفهان إلى التفرق عنه و العوده إلى بلادهم. و اضطر هو إلى المضي عنها إلى مازندران و "جرجان".

و تبعه "كريم خان" بجيشه. فلما وصل إلى طهران توقف فيها و أرسل أفضل قواده العسكريين، و هو "الشيخ على خان زند"، يتعقبه إلى مازندران. و حدث ل "محمد حسن خان" في مازندران ما حدث له في أصفهان. فقد تخلى عنه عسكره و تركه وحده. و نهض خصومه يقاومونه، و لا سيما طائفه "قاجار يوخارى باش"، فقد كانت أشد خصومه مخالفه له.

و قد قاومته هذه الطائفه في كل مكان، و كانت دائما سبب انكساره و حائلا دون تقدمه. و انتهوا به إلى أن كانوا الدافع إلى قتله.

ففي شهر جمادى الثانيه سنه ١١٧٢ هـ، إذ كان في إحدى وقائع الكر و الفر هذه يعبر محله "جركلباد"، علق حصانه في الوحل، و تعذر عليه الخلاص، و لم يلبث أن وصل إليه من كانوا يتعقبونه، و بادروا إليه فقتلوه.

قتله خادم له اسمه "سبز على بيك" بتحريض من قاجاري طائفه "يوخارى باش". و قطعوا رأسه و أرسلوه إلى طهران إلى "كريم خان زند"، فأمر بدفنه بين مظاهر الاحترام في مقام "عبد العظيم الحسنى" (رض)، فدفن كما أمر. و بالغ "كريم خان" في مراعاة أعقابه و الترفق بهم. و حمل ابنه "آغا محمد خان" و "حسين قلى خان" معه إلى شيراز، و أسكن سائر أبنائه و أقاربه في قروين مراقبين.

الدكتور محمد حسن مشايخ

اشاره

ولد سنه ١٣٣٣ في محله عودلاجان بطهران، و توفي فجاه سنه ١٤١١ و هو في رحله علميه.

درس في طهران جميع مراحل الدراسه حتى نيل الدكتوراه في الأدب.

كان عضوا فاعلا في دراسات منظمه الأونيسكو. و كانت وفاته الفجائيه في باخره يقوم فيها مع هيئه عالميه تضم علماء هنود و صينيين و يابانيين و باكستانيين تابعين للأونيسكو، برحله استكشافيه لطريق الحرير بدأتها من مدينه البندقية بايطاليا.

نشر دراسات منوعه فى المجلات الإيرانية و كان من كتاب دائره معارف التشيع و دائره معارف الإسلام فى طهران، و نظم كتاب
الشاعر إقبال الأسرار

ص: ٢٦٠

النفسيه و الرموز اللانفسيه، و سماه (صوت شاعر الغد)، و كتب فى شرح النظريات السياسيه لعلى بن أبى طالب (ع) فى مجلدين. و كتابا يشتمل على على [] ما يقارب الألف حديث موثوق مع شرحها و ترجمتها إلى الفارسيه و ذكر رجالها و إسنادها.

و لإيضاح الرحله التى كان يشارك بها نأخذ هنا ما نشرته إحدى الصحف فى شهر نيسان سنه ١٩٩١. قالت الصحيفه: سينطلق فريق دولى يوم ١٩ نيسان (أبريل) الجارى من مدينه اشقباد [عشق آباد] فى آسيا الوسطى السوفياتيه فى رحله تستمر شهرين على امتداد واحده من أقدم الطرق لتجاره الحرير فى التاريخ القديم.

و خلال الرحله سيتاح المجال أمام ٢٩ عالم آثار يرافقهم عدد من المؤرخين فى حقل الفنون و غيرهم من الاختصاصيين من غير السوفيات لتبادل الخبرات و الآراء كل فى مجال اختصاصه مع زملائهم السوفيات.

و ستنظم فى هذا الإطار ندوتان عن موضوعين مختلفين الأول يتناول العلاقات الثقافيه بين الحضر و بين الرحل، و الثانى أهميه خانات القوافل و المدن التى نشأت على جوانب طريق السهوب القديمه التى كانت تصل الشرق باوروبا و تشتمل رحله " طريق السهوب " على مرحله ثانيه بين أوديسا و باكو فى منطقه القوقاز السوفياتيه.

و الرحله هى الثالثه من نوعها فى إطار مشروع " طرق الحرير ". طرق الحوار ". و قد انتهت الرحله الثانيه البحريه يوم ٩ آذار (مارس) الماضى بعد جولته دامت زهاء أربعه أشهر و نصف شهر بدأت فى مدينه البندقية الايطاليه و انتهت فى اليابان. مرورا بكثير من المرافئ و المحطات فى اليونان و مصر و عمان و الهند و كوريا و الصين.

أما الرحله الأولى التى شهدتها الصين فى تموز (يوليو) ١٩٩٠ فقد انطلقت من مدينه كسيان [كيسان] و سارت على تخوم صحراء غوبى قبل أن تنتهى فى مدينه كاشغار.

و قالت فى عدد آخر:

انتهت فى أواخر الشهر الفائت رحله علميه دامت زهاء شهرين على امتداد واحده من أقدم الطرق الأسطوريه لتجاره الحرير. و اختتمت الرحله التى انطلقت من مدينه اشقباد [عشق آباد] (تركستان)، بزياره، هى الأولى من نوعها منذ عام ١٩٤٥، لمنطقه تتاخم الحدود الصينيه.

و قد اجتاز الفريق الدولى المؤلف من حوالى ٨٠ عالما و مؤرخا و إحصائيا (نصفهم من الاتحاد السوفياتى) صحارى و سهول آسيا الوسطى وصولا- إلى عاصمه كازاخستان، و عقدوا خلال رحلتهم ندوتين رئيسيتين الأولى تناولت العلاقات الثقافيه بين الحضر و بين الرحل بينما تركزت الثانيه على أهميه خانات القوافل و المدن التى نشأت على جوانب طرق السهوب القديمه التى كانت تصل الشرق باوروبا.

و قال أثر الرحله، السيد دودودين، منسق مشروع اليونسكو: " إن الفريق تمكن من زياره مسجد بانفيلوف الذى يشبه بهندسته المعماريه الهياكل الصينيه و يعود تاريخ بنائه إلى القرن التاسع عشر، كما زار هيكل بوذيا فى ترميز قريبا من الحدود الأفغانيه و قام بعض أعضاء الفريق بتقنيات فى المواقع الأثريه الرئيسييه التى اجتازوها. و أضاف أن الفريق سيقدم إلى اليونسكو قائمه تتالف

من ١٦ توصيه، من بينها توصيه تقترح تمويل رحلات الباحثين من البلدان الفقيره إلى الخارج، و أخرى يطالبون فيها بالعمل على ترميم و صون العديد من المواقع الأثريه على امتداد طريق السهوب. و ثالثه بشأن إعداد دراسه لمشكله التصحر التي يعانى منها بحر أراى.

و تجدر الإشارة إلى أن هذه الرحله هى الثالثه من نوعها فى إطار مشروع طرق الحرير. انتهت الرحله الثانيه، التي كانت بحريه يوم ٩ آذار (مارس) الماضى بعد جولته دامت قرابه أربعه أشهر و نصف، بدأت فى مدينه البندقية فى إيطاليا و انتهت فى اليابان. الرحله الأولى التي شهدتها الصين فى تموز (يوليو) ١٩٩٠، فقد انطلقت من مدينه كيسيان و سارت على تخوم صحراء غوبى لكى تنتهى فى مدينه كاشغار.

و قالت فى عدد ثالث:

تعيد منظمه الأونسكو الدوليه. من خلال مشروعها الذى أطلقته فى و لمدته عشر سنوات متتاليه، اقتتاحت طريق الحرير و فتحتها على أبعادها التاريخيه و الرمزيه المختلفه فطريق الحرير، أو بالأحرى طرقها البريه و البحريه، كانت طرق حوار و حضارات. و هى، و إن كادت أصولها تضع فى ليل الزمن، لكن تاريخها حافظ على وهجه منذ أكثر من ألفى عام، خصوصا إن هذه الطرق قامت بمساهمه فعاله و حاسمه فى تطور و نمو الحضاره الإنسانيه.

و هكذا يتضح إن طريق الحرير لم تكن مرادفا لدور تجارى مهم فحسب، و إنما كانت تلعب دورا ثقافيا أساسيا فانفتحت معها البلدان على بعضها و تلاقت: من الشرق إلى الغرب، و من الصين إلى روما و البندقية كانت تنقل البضائع التجاريه المختلفه و كذلك الأفكار الجديده و معها المعارف.

و إذا كانت بعض الدراسات و البحوث (الأثريه و التاريخيه و الأنتولوجيه و الألسنيه و الجغرافيه و الاجتماعيه) تطرقت فى السابق إلى دراسه هذا الملتقى الثقافى الكبير الذى كانت تشكله تلك الطرق، فإن المشروع الذى تنهض به منظمه الأونسكو اليوم هو الأهم فى هذا المجال خصوصا و أن هذه المنظمه بتكوينها، قادره على القيام بأعبائه و لعب دور الوسيط الجامع بين مختلف البلدان المعنيه و الأوساط الثقافيه.

فنون أسويه

و يبدو مشروع الأونسكو علميا من عنوانه: "دراسه كامله لطرق الحرير: طرق الحوار". و من أهداف هذا المشروع إيقاظ وعى الشعوب اليوم على ضروره تجديد الحوار و مساعدتها على إعادته إحياء التجربه التاريخيه فى التفاعل و التواصل الإنسانيين.

و للمشروع بعدان أساسيان الأول ثقافى علمى و يتضمن برنامج لقاءات مع باحثين من مختلف البلدان و تقام فى المواقع التاريخيه التي تخترقها الرحلتان البريه و البحريه الهادفه إلى اقتفاء الرحلتان أثر طريق الحرير. أما البعد، الثانى فههدفه تأمين تغطيه نشاطات المشروع من خلال وسائل الأعلام المكتوبه و المرئيه و من خلال المطبوعات المتنوعه و المعارض و الأفلام الوثائقيه و لا بد من الإشارة أيضا إلى أن ثمة مهرجانا لطريق الحرير سيقام فى باريس فى ١٩٩٣ و سينظم معرض ضخم يتضمن للمره الأولى أبرز مجموعات الفن فى آسيا الوسطى.

فى هذا الإطار، تقام فى العاصمه الفرنسيه مجموعه من النشاطات الثقافيه التى تقتفى آثار طريق الحرير، و من أبرزها النشاطات التى يقيمها حاليا و حتى نهايه حزيران (يونيو) بين ثقافات العالم و تشمل على مجموعه من العروض المشهديه و الموسيقيه و الغنائيه و المسرحيه. و تم بهذا الصدد استقدام مجموعه الفرق الفنيه من عدد من البلدان التى كانت تشكل محطات أساسيه على طريق الحرير من الهند و أذربيجان و منغوليا إلى الفولغا و أوزبكستان و أفغانستان و الصين و اليابان، و تكتمل الحلقة الفنيه لتؤلف كلا- يحفل بالتنوع و يكشف عن جوانب مهمه من الموروث الفنى عند كل بلد من البلدان المذكوره و هكذا تتحول هذه التظاهره إلى مناسبه للتعرف إلى الاختلاف فى وسائل التعبير و التقنيات و الأداء، ندخل إلى عمق هذه المجتمعات الروحي و نتطلع على بعض ملامح لأوعيتها الجماعى فى زمن بدأت تسوده النمطيه و الاحتذاء بمثال واحد يقضى على الخصوصيه و التفرد و أهميه هذه اللقاءات اليوم فى أنها تنقلنا عبر ما تقدمه من كلاسيكيات فونها من الزمن الحاضر إلى الزمن الذى ازدهرت فيه طرق الحرير و ما قبله. و إنها بالفعل لشهاده معاصره عن هذا الازدهار الأقل و هذا ما يمنحها بعدا توثيقيا بالاضافه إلى بعدها الجمالى و الفنى.

تقاليد عريقه

من الهند الشماليه نستمتع إلى غولشان بارثى و إلماز حسين خان، الأول يغنى و يعزف على آله محليه شبيهه بالأكورديون و الثانى يرافقه على الطبله و يجمع هذا الثنائى بين إناقه الإيقاع الشعبيه أغانى هادئه و خفيفه تعتمد على نصوص تنشد الحب و مصدر هذا النمط من الغناء نجده فى إيران فى القرن الثالث عشر. أما موسيقى أذربيجان الكلاسيكيه فنستمع إليها مع الثلاثى زائد غولياف (غناء و عزف على الدف)، و مولد مسلموف (عود) و فخر الدين ددشيف (الطنبور). و ما يقدمه هؤلاء يجسد أعرق التقاليد الموسيقيه فى أذربيجان، تقاليد تلقى جذورها الموسيقيه فى إيران و الشعريه فى تركيا.

من منطقه شانغان التى كانت إحدى العواصم الصينيه و التى شهدت نهضة ثقافيه كبيره، تتعرف إلى موسيقى قديمه تجد جذورها فى سلالة شانغ (من القرن السابع حتى بدايه القرن العاشر). و كان هذا النوع من الموسيقى يعزف أثناء الاحتفالات التى كانت تقام لاستسقاء المطر. و تجدر الملاحظه هنا أن المدرسه الموسيقيه العليا فى شانغان تسعى إلى إحياء هذه الموسيقى القديمه من خلال الاتصال بمعلميها الكبار الذين حافظوا عليها و حملوا لواءها.

محطه أخرى على طريق الحرير انتقلت إلى باريس مع فرقه المسرح اليابانى المقنع، و هو مسرح شعبى تأسس فى فى الضاحيه الصناعيه لطوكيو.

الفرقه مؤلفه فى معظمها من العمال و لعبت أمام آلاف المشاهدين فى عدد من دول العالم و ذلك بهدف التعريف بفن تراثى قديم يقوم على الأساطير و الحكايات الغربيه. إيقاع الطبله يؤلف الخلفيه الموسيقيه لمثل هذا النوع من العروض المسرحيه. أما لما ذا الطبله تحديدا، فلأن الساموراى المتفنين، بلا سلاح و بلا مراكب، كانوا يجدون فيها قوه حياه و وسيله تعبير عن صراخهم و عواطفهم.

من خلال العروض الفنيه التى يقدمها بيت ثقافات العالم، نشاهد فصلا من فصول إعادته اكتشاف طريق الحرير، و معه نعبث إلى مرحله أساسيه من مراحل الحضاره الإنسانيه فى رحله تحمل نكهه الماضى و التاريخ.

(انتهى ما نشرته الصحف). و نحن نخيل القارئ إلى المجلد الثالث من دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه (بحث تركستان) للاطلاع على تفاصيل واسعه عن طريق التحرير هذا.

أبو نصر غرس الدوله محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون

البغدادى.

ولد فى شهر صفر سنه ٤٨٨ و توفى فى ذى الحجه الحرام سنه ٥٤٥ فى بغداد و دفن فى مقابر قريش الذى تعرف اليوم بالكاظمين عند الإمامين محمد الجواد و موسى الكاظم ع.

عالم فاضل زعيم رئيس كاتب محاسب فى البلاط العباسى أخذ العلم و الفنون و الحسابات عن والده شيخ الكتاب أبى سعد الحسن البغدادى ثم عين فى الديوان العباسى و من سنه ٥١٣ كان رئيس ديوان الرسائل و كان ينوب فى ديوان الرسائل عن سيد الدوله محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأنبارى.

و المترجم له من آل ابن حمدون و هم من الأسر العلميه الشيعيه المعروفه فى بغداد و هو شقيق بهاء الدين أبو المعالى محمد البغدادى المعروف بابن حمدون المتوفى مظلوما لتشييعه فى سجن المستنجد بالله الخليفه العباسى صاحب كتاب التذكره الحمدونيه المار الذكر. ذكره ابن خلكان فى ترجمه أخيه المذكور قال (و أخوه أبو نصر محمد بن الحسن الملقب غرس الدوله كان من العمال و ممن يعتقد فى أهل الخير و الصلاح و يرغب فى صحبتهم ولد فى صفر سنه ثمان و ثمانين و أربعمائه و توفى فى ذى الحجه سنه خمس و أربعين و خمسمائه ببغداد و دفن بمقابر قريش)^(١) و قال ابن الفوطى: (غرس الدوله أبو نصر محمد بن الحسن بن علي بن حمدون البغدادى المنشئ، أخو الصاحب بهاء الدين أبى المعالى محمد و كان ينوب فى ديوان الرسائل عن سيد الدوله ابن الأنبارى و كتب فى الديوان من سنه ثلاث عشره و خمسمائه إلى أن مات و ذكره أبو سعد ابن السمعانى و قال: سمع أبا عبد الله الحسين بن علي بن البشرى كتبت عنه بافاده شيخنا أبى الحسن علي بن أحمد اليزدى، قال و سألته عن مولده فقال:

ولدت فى صفر سنه ثمان و ثمانين و أربعمائه و ذكر أحمد بن صالح بن شافع فى تاريخه أنه توفى فى ذى الحجه سنه خمس و أربعين و خمسمائه)^{(٢)(٣)}

الشيخ الرئيس أبو المعالى بهاء الدين محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن

إشاره

علي بن حمدون الكاتب البغدادى

الملقب بكافى الكفاه و المعروف بابن حمدون، صاحب التذكره.

ولد فى رجب سنه ٤٩٥ و توفى فى سجن العباسيين لتشييعه فى يوم الثلاثاء ١١ ذى القعدة الحرام سنه ٥٦٢ و دفن فى يوم الأربعاء

-
- ١- ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٤ ص ٣٨٢ تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت دار الثقافة.
 - ٢- ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ج ٤ القم [القسم] ٢ ص ١١٤٢.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

التي تعرف اليوم بالكاظمين من أكابر علماء الشيعة مؤرخ أديب متفنن شاعر أخذ العلم و فنون الأدب على جماعه من أفاضل عصره منهم والده و سمع الحديث على فحول محدثي زمانه منهم أبو القاسم إسماعيل بن الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني في صفر سنة ٥١٠ هجرية بالمسجد المعلن المقابل لباب النوبي ببغداد، وغيره.

و آل ابن حمدون من الأسر العلمية الشيعية البغدادية بزغ بدرها في أفق بغداد في أوائل القرن السادس للهجرة و تولوا مناصب كبيرة في الدولة العباسية، كما نبغ منهم جماعه من العلماء و الشعراء و الأدباء و أول من اشتهر منهم والد المترجم له الشيخ أبو سعد الحسن بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٥٤٦ عن عمر طويل و أخواه المترجم له الشيخ أبو المظفر البغدادي و الشيخ أبو نصر محمد بن الحسن الملقب بغرس الدولة المتوفى سنة ٥٤٥ و نجل المترجم له أبو سعد و غيرهم و وصف هذه الأسره ابن خلكان فقال: (من بيت مشهور بالرياسة و الفضل هو و أبوه و أخواه أبو نصر و أبو المظفر...) (١) تصدر المترجم له كرسى التدريس و الفتوى و الحديث في بغداد و تخرج عليه جماعه كثيره منهم نجله أبو سعد و أحمد بن طارق القرشي الكركي و أبو المعالي أحمد بن يحيى بن هبة الله و أبو العباس أحمد بن الحسن العاقولي و غيرهم.

و قد اشتهر المترجم له في أيام المستنجد بالله العباسي فولاه (ديوان العرض) و في عام ٥٥٨ ولى (ديوان الزمام) و لقبه الخليفة بلقب (كافي الكفاه) ثم عثر الخليفة على بعض كتاباته التي يظهر منها تشيعه ففصله من مقامه و قبض عليه و سجنه و مات في السجن مظلوما ثم نقل جثمانه إلى مقابر قريش الذي تعرف اليوم بالكاظمين و دفن عند الإمامين محمد الجواد و موسى الكاظم ع.

أقوال العلماء فيه

قال الدكتور مصطفى جواد عن ذيل تاريخ بغداد النسخة المخطوطة في (دار الكتب الوطنية بباريس) بعد ذكر اسمه: (شيخ فاضل له معرفه حسنه بالأدب و الكتابه من بيت مشهور بالرئاسة و الفضل هو و أبوه و أخواه أبو نصر و أبو المظفر، و أبو المعالي هذا جمع كتابا حسنا سماه (التذكرة) يحتوي على فنون من العلم أجاد فيه و أحسن جمعه و كان له تقدم في أيام الامام المستنجد بالله - رضى الله عنه - و اختصاص بخدمته و ولى ديوان العرض مده ثم ديوان الزمام في سنة ثمان و خمسين و خمسمائه و روى عنه إنشادا سنذكره في ترجمته إن شاء الله... مولده في رجب سنة خمس و تسعين و أربعمائه ذكر صدقه بن الحسين الناسخ في تاريخه أن أبا المعالي ابن حمدون توفى يوم الثلاثاء حادى عشر ذى القعدة سنة ٥٦٢ و قال أبو الفضل بن شافع مثل ذلك و دفن بمقابر قريش) (٢) و ذكره ابن خلكان بعد ذكر اسمه فقال: (كان فاضلا ذا معرفه تامه بالأدب و الكتابه من بيت مشهور بالرياسة و الفضل هو و أبوه و أخواه أبو نصر و أبو المظفر و سمع أبو المعالي المذكور من أبى القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني و غيره و صنف كتاب (التذكرة) و هو من أحسن المجاميع يشتمل على التاريخ و الأدب و النوادر و الأشعار لم يجمع أحد من المتأخرين مثله و هو مشهور بايدى الناس كثير الوجود و هو من الكتب الممتعه).

و ذكره العماد الأصبهاني الكاتب في كتاب (الخريده) فقال: كان عارض العسكر المقتفوى ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدى و هو كلف باقتناء الحمد و ابتناء المجد و فيه فضل و نبل و له على أهل الأدب ظل و ألف كتابا سماه (التذكرة) جمع فيه الغث و السمين و المعرفة و النكرة فوقف الامام المستنجد على حكايات ذكرها نقلا- من التواريخ توهم في الدولة غضاظه و يعتقد للتعرض بالقدح فيها عراضه فاخذ من دست منصبه و حبس و لم يزل في نصبه إلى أن رمس و ذلك في أوائل

سنة اثنتين و ستين و خمسمائه...

و كانت ولاده ابن حمدون المذكور فى رجب سنة خمس و تسعين و أربعمائه و توفى يوم الثلاثاء ١١ ذى القعدة سنة ٥٦٢ و دفن يوم الأربعاء بمقابر قريش ببغداد و كان موته فى الحبس(٣) ذكره ابن الجوزى فى وفيات سنة ٥٦٢ بعد ما أثبت اسمه و نسبه، قال: (كانت له فصاحة و ولى ديوان الزمان مده و صنف كتابا سماه التذكرة و توفى فى ذى القعدة من هذه السنة و دفن بمقابر قريش).

و ذكره ابن الأثير فقال: (الكاتب ببغداد و كان على ديوان الزمام فقبض عليه فمات محبوسا)(٤) و ذكره جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٧٤-٣٧٥ و كرر أقوال ابن خلكان و نقل خطأ تاريخ وفاته عن ابن خلكان سنة ٥٧٥.

من أشعاره

و مرسله معقوده دون قصدها مقيده تجرى حبيس طليقها

يمر خفيف الريح و هى مقيمه و تسرى و قد سدت عليها طريقها

لها من سليمان النبى ورائه و قد عزيت نحو النبيط عروقهها

إذا صدق النوء السماكى أمحلت و تمطر و الجوزاء ذاك حريقها

تحيتها إحدى الطبائع أنها لذلك كانت كل روح صديقها

و أنشد أيضا:

و حاشا معاليك أن تستزاد و حاشا نوالك أن يقتضى

و لكنما استريد الحظوظ و إن امرتنى النهى بالرضا

و أنشد أيضا:

يا خفيف الرأس و العقل معا و ثقيل الروح أيضا و البدن

تدعى أنك مثلى طيب طيب أنت و لكن بلبن

من أشهر مؤلفات المترجم له كتاب التذكرة و يقال تذكره ابن حمدون أو التذكرة الحمدونية فى مجلدات عديده و بسبب ما أورده فى تذكرته هذا قبض

-
- ١- ابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق الدكتور إحسان عباس ج ٤ ص ٣٨٠ بيروت دار الثقافة.
 - ٢- انظر موسوعه العتبات المقدسه قسم الكاظمين ج ٢ ص ١٠٣-١٠٤ بيروت مؤسسه الأعلمی.
 - ٣- أبو العباس شمس الدين أحمد المعروف بابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق الدكتور إحسان عباس ج ٤ ص ٣٨٠-٣٨٢.
 - ٤- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٣٣٠ بيروت دار صادر.

عليه المستنجد العباسي و سجنه و توفي مظلوما في الحبس. قال ابن خلكان في وصف التذكرة الحمدونية (إنها مجموعه لطيفه عظيمه من أحسن المجاميع جمع فيها التاريخ و الأدب و الأشعار و النوادر [النوادر] و لم يجمع أحد من المتأخرين مثله و هو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود و هو من الكتب الممتعه) و نقل صاحب كشف الظنون هذه العبارات في وصفه (١) يقول عبد الحسين الصالحى: كتاب التذكرة الحمدونية من أهم الكتب الجامعه الرائقه و من مصادر علامه المجلسى فى كتابه بحار الأنوار ينقل عنه بعض مواضع الامام زين العابدين على بن الحسين (ع) (٢).

معبرا عنه بالتذكرة و مجلداته متفرقه فى خزائن الكتب الخطيه فى مكتبات الشرق و الغرب و لم أظفر بمجموعه كامله فى خزانه واحده و يوجد منها الجزء الثانى عشر و أوله فى الباب الثامن و الأربعون فى مزح الأشراف و النوادر و ينتهى بذكر السفله و أصحاب المهن و السوقه و هما مخطوطان بخط قديم من مخطوطات دار الكتب المصريه تحت رقم ١٥١٤ و عندنا المجلد الثانى و الخامس و الثامن حتى الثانى عشر بخط واضح مؤرخه سنه ٧١٠ من مخطوطات مكتبتنا بكربلاء و توجد أجزاء مختلفه من كتاب التذكرة فى خزائن راغب باشا و عاشر أفندى باسطنبول و الخزانه الوطنيه فى باريس و مكتبه الأسكوريال فى أسبانيا و خزائن ألمانيا و لندن و عثر الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف على أجزاء الثلاثه الأولى بدمشق و وصفها مع ترجمه مؤلفها بالجزء العاشر من المجلد الرابع من مجله المجمع العلمى العربى بدمشق و ذكر شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى الدرعيه (٣) المجلد الأخير و هو من مخطوطات المدرسه الفاضليه فى المشهد الرضوى بخراسان و يشتمل هذا المجلد على ثلاثه أبواب منه: الباب الثالث و الثلاثون فى الحجج، البالغه و الأجوبه الدامغه. و الرابع و الثلاثون فى الكبوات و الهفوات و السرقات. و الخامس و الثلاثون فى أخبار الجاهليه. و هو من موقوفات فاضل خان فى سنه ١٠٦٥ و قد طبع الباب الثانى و القسم الثانى من هذه التذكرة فى مصر عام ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م (٤).

السيد محمد الحلى ابن السيد حسين.

ولد سنه ١٣١٩ فى النجف، و فيها نشأ و درس قواعد اللغه العربيه، و راح يتردد على قبيله بنى ركاب فى قضاء الرفاعى، متابعا فى النجف مجالس العلماء و الشعراء، مستفيدا من ملازمه أبيه و مجلسه. و قد مارس التاريخ الشعرى فارخ بعض الأحداث الشخصيه و العائليه و العامه. و هو والد الشاعر على الحلى.

من شعره فى التاريخ قوله مؤرخا وفاه ابن عمه السيد كريم:

راح كريم نافضا كفه من هذه الدنيا كما راحوا

و استقبال الأخرى لدى جده و وجهه بالبشر وضاح

فى جنه الفردوس إذ أرخوا (كريم أهل البيت يرتاح)

محمد حسين آزاد

ولد سنه ١٢٤٥ و توفي سنه ١٣٢٨.

عرف في المجتمع الهندي من خلال شهرته في أدب اللغة الأردويه.

و كان والده محمد باقر عالما دينيا و خطيبا بارعا فدرس عليه الفقه الجعفرى، ثم دخل معهد (دهلى كالج [كالج]) و درس هناك فقه المذاهب الأربعة.

و كان والده قد أسس سنة ١٨٣٦ م جريده (دلى اردو أخبار) فكان للمترجم [للمترجم] نشاط قوى فيها حيث واصل نشر المقالات و القصائد ما أكسبه شهره فى الأوساط الأدبية و الثقافية. و فى سنة ١٨٥٧ م أصبح هو المشرف على الجريده حيث عهد إليه والده بكل شئونها. و فى هذه السنه نفسها وقعت الحوادث المؤلمه فى دهلى، فاعدم الإنكليز أباه، و استطاع هو الخروج من دهلى تاركا كل ما كان يملكه، و سافر إلى بمبئى و لكهنو و أخذ ينتقل بين البلاد حتى استقر فى لاهور، و لضرورات الحياه عمل فى إحدى دوائر البريد. و فى ٥ تموز سنة ١٨٩٩ تسلم إداره المدرسه الثانويه الحكوميه، و تنقل فى عمله بين أكثر من ثانويه، و قد استطاع أن يقوم بنشاط ثقافى أدبى فكرى واسع، و قد تجمع لديه مما كتبه مجموعات من المقالات و القصائد الشعريه باللغه الأردويه و الفارسيه طبع منها بالله [باللغه] الفارسيه كتابا باسم (سخن دان فارس). و برز اسمه شخصيه كبرى فى المجتمعات الثقافيه و المؤسسات العلميه، و صار يشرف على عدده جمعيات إسلاميه و منتديات علميه. و عمل على ترتيب و تبويب الكتب الابتدائيه فى الإنشاء باللغتين الأردويه و الفارسيه فلقبت إقبالا ملحوظا و قررت المدارس تدريسها، و قد قاوم الإنكليز هذا الاتجاه محاولين التقليل من الاهتمام بالأدبين الأردوي و الفارسي و محاربه انتشارهما، فاصدر المترجم كتاب (آب حياه) الذى لقي رواجا كبيرا بين المثقفين.

و يقول السيد مرتضى حسين صاحب كتاب (مطلع أنوار) الذى هو مصدرنا الأول فى هذه الدراسات، يقول السيد مرتضى حسين: إنى وجدت فى مكتبنا فى لاهور تعليقان مخطوطه للمترجم على كتب أسفار حكمه العين و شرح ملا صدرا، و تأليف مير محمد باقر الداماد، و هذا يدل على أنه كان متمكنا من اللغه العريه. كما وجدت فى مكتبته كتب الفقه و العقائد: مثل شرائع الإسلام و شرح اللمعه و شرح التجريد، و كتبا أخرى فى السير و التاريخ و الحديث، فضلا عن كتب العلوم العصريه. و نتيجة لنشاطاته العلميه و الفكرية و الثقافيه و الأدبيه فى اللغات الأردويه و الفارسيه و العريه صار شوكة فى عيون الإنكليز، و صاروا فى آخر الأمر [الأمر] يضايقونه، لذلك صعب عليه التنقل من مكان إلى آخر، و كان يضطر لقطع بعض المسافات مشيا على قدميه فى الطرق الضيقه و فى خارج البلد، حيث ضاقت الأرض عليه، و قد تسلط عليه أحد رجال الإنكليز فى لاهور الدكتور لائتر و سلك كل سبيل فى مضايقته، فبدأ يعانى تعباً ذهنياً، و اضطر للتخلي عن كل نشاطاته العلميه و الثقافيه. و فى سنة ١٨٨٩ م فقد جميع حواسه نتيجة مكابده الضغط الإنكليزى. و كانت وفاته فى شهر المحرم يوم عاشوراء سنة ١٣٢٨ المصادف ٢٢ كانون الثانى سنة ١٩١٠.

و قد وجد فى مكتبته و فى غيرها من مؤلفاته كل من الكتب الآتية:

"آب حياه" (ماء الحياه) مجموعه قصائد فى اللغه الأردويه.

٢ - "نيرنگ خيال" (الفكر الجديد) فى إنشاء الاردو.

٣ - سخن دان فارس (حديث الفارسي) في أدب اللغة الفارسيه.

ص: ٢٦٤

-
- ١- حاجي خليفه: كشف الظنون: ج ١ ص ٣٨٣.
 - ٢- انظر بحار الأنوار ج ١٧ ص ٢٢٣ طبع تبريز المعروفه بالأمني.
 - ٣- انظر الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ٤ ص ٢٦ بيروت دار الأضواء.
 - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

- ٤ - "نگارشان فارس" (أدباء الفرس).
- ٥ - تذكره علماء الهند (حالات العلماء الهند).
- ٦ - ديوان ذوق (موسوعه ذوق).
- ٧ - سنين إسلام (حول الإسلام) تاريخ و غيره.
- ٨ - نصيحت كاكرن پهول (ورده النصيحه) خطابات للبنات.
- ٩ - قصص هند (القصص الهنديه) عدّه أجزاء.
- ١٠ - نظم آزاد (مجموعه القصائد و الأشعار).
- پپ [١١] - جامع القواعد (فارسي في قواعد الصرف و النحو).
- ١٢ - لغت آزاد.
- ١٣ - قند بارسي (مجموعه مقالات في اللغة الفارسيه).
- ١٤ - آموزگار فارسي (معلم اللغة الفارسيه).
- ١٥ - سير ايران (سياحه ايران).
- ١٦ - فم كده ازاد (مجموعه أشعار متفرقه).
- ١٧ - دارما أكبر (مسرحيه أكبر) و هو أحد مشاهير ملوك الهند.
- ١٨ - مکتوبات ازاد (کشکول آزاد).
- ١٩ - مقالات ازاد.
- ٢٠ - سته کتب باللغه الأردويه کانت تدرس في المدارس.
- ٢١ - الكتب الابتدائية في اللغة الفارسيه کانت تدرس في المدارس.
- ٢٢ - شه زاده إبراهيم.
- ٢٣ - حکايات ازاد.

الشيخ أبو الجيش المظفر بن محمد بن أحمد البلخي الخراساني

و يقال المظفر بن محمد الخراساني توفي سنة ٣٦٧.

مر ذكره في أعيان الشيعة ج ١٠ ص ١٢٩ و نزيد على ما هنالك ما يلي:

كان من أعظم متكلمي الشيعة و محدثيهم مؤلفا محققا أخذ العلم و الفنون الإسلامية عن فحول علماء عصره منهم أبو سهل النوبختي و يروي المترجم له عن أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج كما في "الإرشاد" للمفيد.

أقوال العلماء فيه

ذكره الشيخ أبو العباس النجاشي في رجاله و قال (مظفر بن محمد بن أحمد أبو الجيش البلخي متكلم مشهور الأمر سمع الحديث فأكثر. له كتب كثيرة منها كتاب قد فعلت فلا تلم، كتاب نقض العثمانيه على الجاحظ، كتاب مجالسه مع المخالفين في معان مختلفه، كتاب فدك، كتاب الرد على من جوز على القديم البطلان، كتاب النكت و الأغراض في الامامه، كتاب الأرزاق و الآجال، كتاب الإنسان و أنه غير هذه الجملة. أخبرنا بكتبه شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان و مات أبو الجيش سنة ٣٦٧ و قد قرأ على أبي سهل النوبختي رحمهما الله) (١) و ذكره شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي في الفهرست قائلا (مظفر بن محمد بن أحمد الخراساني يكنى أبا الجيش متكلم له كتب في الامامه و كان عارفا بالأخبار و كان من غلمان أبي سهل النوبختي فمن كتبه كتاب المثالب سماه فعلت فلا تلم كبير و له كتاب نقض كتاب العثمانيه على الجاحظ، و كتاب الأعراض و النكت في الامامه و غير ذلك و كان شيخنا أبو عبد الله رحمه الله قرأ عليه و أخذ) (٢) و قال ابن شهر آشوب المازندراني (المظفر بن محمد أبو الجيش البلخي له كتب في الامامه منها، كتاب المثالب سماه فلا تلم كبير، نقض كتاب العثمانيه للجاحظ، و كتاب الامامه، خصال الكمال، و كتاب نقض ما روى من مناقب الرجال) (٣) و نقل الشيخ محمد الأردبيلي الحائري عن النجاشي و شيخ الطائفة الشيخ الطوسي في كتابه جامع الرواه (٤)

محمد بن أحمد الظلمى.

توفي حوالى سنة ٣٢٠ هـ.

كان أباضيا و كان أصحابه قد أرادوا مبايعته إماما ثم فارق الأباضيه إلى التشيع، و دعا أهله و عشيرته إلى ذلك و قد ترجمه ابن أبي الرجال و قال انه "كان من سادات القبائل (في اليمن) متبوعا مسموع الكلمه، مشارا إليه في النوازل".

و أورد ابن أبي الرجال في تركه للمذهب الأباضى و اعتناق التشيع قصيده طويله لعبد الله بن أحمد التميمي مطلعها:

الآن قمت بدوله الإسلام و نفيت عنك عمايه الاظلام

و نصرت آل محمد و نصحتهم و تركتهم في العز و الإعظام

و حفظت قول الله فى القربى و لم تتبع ضلاله جاهل متعامى

إلى آخرها، و قال أن محمد الظليمى أجاهه بقصيده منها:

يا لائمى فى حب آل محمد تبا لرأيك لات حين ملامى

كف الملام فقد عرفت فضائلا أرجو النجاه بها من الآثام

لمحمد علم الهدى و شقيقه قمر الدجى ذى الفضل و الأنعام

فرعيتها و جعلت أقصى همتى حفظ الموده سائر الأيام

من كان أصبح راعيا فى نائل فسماعهم حظى من الأقسام

مير محمد أفضل إله آبادى

الملقب بلقب (ثابت).

ولد فى إله آباد (الهند) و نشأ و درس فيها. ثم سافر إلى (شاه جهان آباد) فى دهلى، و سكن هناك فى القصر الملكى مدته و جيزه، و يارشاد المشايخ ترك ذلك و اعتزل.

كان شاعرا مجيدا، له ديوان يحتوى على ثلاثه آلاف بيت فيها الغزل، و فيا [فيها] الرباعى و الخمس فى مدح النبى (ص) و الأئمه ع و رثاء شهداء كربلاء كما أن له ديوانا كاملا فى رثاء الحسين و أهل بيته و أصحابه تتلى

ص: ٢٦٥

-
- ١- الشيخ أبو العباس أحمد النجاشى: رجال النجاشى ص ٢٩٩ الطبعة الحجرية الأولى بمبئسنه ١٣١٧.
 - ٢- الشيخ أبو جعفر محمد الطوسى: الفهرست ص ٣٣١ مشهد من منشورات جامعه مشهد.
 - ٣- ابن شهر آشوب المازندرانى: معالم العلماء ص ١٢٤ النجف المطبعة الحيدرية سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
 - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

قصائده فى مجالس (التعزیه) لا سيما فى الأيام العشره الأول من المحرم.

توفى سنه ١١٥٠ فى دهلى.

محمد حرز بن عبد الله.

ولد فى النجف و توفى سنه ١٢٧٧ فى النجف.

درس فى النجف و مهر فى علوم اللغه العربيه و العروض و ترك مؤلفات فى المنطق و الحديث و الأوراد.

و من شعره قوله فى رثاء الشهيد زيد بن على بن الحسين (ع):

و لما ارتقى ظهر المطهم و اثنى على الجيش يسطو بالحسام المهند

أراق دماء المشركين بفيصل أطال حنين الأمهات الفواقد

أطل فأهوت كالجرائم جثما سراحين حرب حاسر و مجرد

يصول بعضب لا يفل فرنده و أسمر أملود و سهم محدد

و له يرثى ولده جعفر:

تشب بقلبى من لظى جعفر لواذع نار تذيب الحديددا

و يسبقنى إن جرى ذكره سوافح دمع تروى الخدودا

و أظهر للناس سلوانه و جذوه قلبى تشب الوقودا

لقد عاد عيشى مر المذاق و كان بقربك عيشا رغيدا

و غصن شبابى غدا ذاويا و كان بقربك غضا خصيدا

علام بنى ألفت الصدود و لم تك عنى تسيع الصدودا

و بالرغم إنى سكنت الديار و أنك عنى سكنت اللحدوا

بنفسى وجهك ذاك المضىء تجر عليه السوافى برودا

فيا ليتنى كنت عنك الفدا و إنى قبيلك كنت الفقيدا

أ تألف بعدك عيني الهجود و هيهات تألف عيني الهجودا

أروح و أرجع صفر الأكف و أحمل هما يشيب الوليدا

الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني الكمباني

ولد سنة ١٢٩٦ و توفي سنة ١٣٦١ في النجف.

درس في النجف على كل من الشيخ حسن التويسركاني و السيد محمد الغشاركي [الفشاركي] و الشيخ آغا رضا الهمداني و الشيخ محمد كاظم الخراساني و غيرهم. و تخرج في الفلسفه الإسلاميه على الميرزا محمد باقر الإصطهباناتي.

و كان مشاركا في الكلام و التفسير و الحكمه و التاريخ و الأدب نثرا و نظما لا سيما في الأراجيز.

و بعد وفاه شيخه الخراساني استقل بالتدريس و غدا من أعلام النجف البارزين، و مع تعمقه في تدريس الفقه و الأصول كانت شهرته مستفيضه بتدريس الفلسفه الإسلاميه.

ترك الكثير من المؤلفات، منها: نهايه الدرايه في حاشيه الكفايه في جزءين طبع الأول منهما و بقى الثاني مخطوطا، و حاشيه المكاسب طبع منها جزء واحد كبير، منظومه في الفلسفه باسم "تحفه الحكيم"، عده أراجيز فقيهيه، ديوان شعر فارسي في مدائح أهل البيت و مراتبهم [مراثيهم]، ديوان في الغزل العرفاني، الأنوار القدسيه و هو مجموعه أراجيز عربيه في تاريخ حياه النبي (ص) و أعمامه و الأئمه الاثني عشر و أولادهم. طبع في النجف مع مقدمه و ترجمه مفصله للناظم بقلم الشيخ محمد علي الأردوبادي.

و غير ذلك من المؤلفات.

محمد حسين جليل الكرمانشاهي

من أسره معروفه بالعلم و الأدب و الفضل منذ أيام الصفويين.

ولد عام ١٢٩٢ و توفي عام ١٣٩٩ هـ بكرمانشاه، كان أديبا شاعرا فاضلا - قام بتحقيق عده كتب تراثيه للفارابي و غيره (١).

السيد محمد حسين بن السيد سعيد الطباطبائي الطباطبائي الحكيم

ولد في ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٣ و توفي يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول ١٤١٠.

ولد في النجف الأشرف و نشأ في حجر أبيه نشأه دينيه و بعد دراسته بدأ يقرأ المقدمات و السطوح على أعلامها ثم في الفقه و الأصول على الشيخ حسين الحلبي و السيد محسن الطباطبائي الحكيم و السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي و أقام يدرس السطوح العاليه كالرسائل و الكاسب [المكاسب] و الكفايه فتخرج عليه عده من الفضلاء. و في مساء يوم ٢٧ رجب ١٤٠٣ اعتقل مع آل الحكيم بيد الطغاه الصداميين و سجن في سجن الأمن العام ببغداد، و عذب في السجن، و استشهد أمام عينيه [عينيه] أولاد و أحفاد السيد محسن الحكيم بامر من الطاغيه صدام حسين ثم أرسل إلى إيران برساله إلى السيد محمد باقر الحكيم من صدام

حسين و زمهرته، فلما جاء إلى إيران و سلم الرساله بقى بها حتى أخبر بنيا استشهاد أولاده السيد محمد رضا و السيد محمد و السيد عبد الصاحب مع أولاد عمومه بيد الطاغيه صدام و زمهرته فأقيمت لهم الفواتح و مجالس العزاء فى مدينه قم. رايته صابرا محتسبا وقورا فى جميع الحالات و على جميع آلام تلك المصائب. اشتغل بالتدريس و حضر لديه عده من الفضلاء، بقى فى قم إلى أن أصيب بنوبه قلبيه فنقل إلى طهران و أدخل المستشفى فلم يلبث أن توفى فنقل جثمانه إلى مدينه قم و دفن فيها.

و من تأليفاته تقارير أستاذه السيد الخوئى أخبرنى هو بذلك (٢).

الشيخ المولوى محمد حسين بن الشيخ محمد باقر الدهلوى

المتخلص ب "آزاد" و المشهور بشمس العلماء و الملقب ب "آزاد الدهلوى".

ولد فى سنه ١٢٤٥ و توفى سنه ١٣٢٨.

من مشاهير شعراء الهند، عالم فاضل كاتب محقق.

أخذ المقدمات و فنون الأدب العربى و الفارسى من أفاضل علماء مدرسه جده فى دهلى و تخرج فى الفقه و الأصول و الحديث على رجال أسرته و والده الشيخ محمد باقر و أخذ فنون الأدب و النثر و الشعر الأردوى على الحكيم آقا جان و نبغ فى الفقهيين الشيعى و السنى معا.

و آل الدهلوى: من الأسر العلميه الشيعيه المعروفه فى دهلى، نبغ منها علماء أعلام و شعراء أفذاذ و أول من بزغ بدره من هذا البيت الجليل هو الشيخ

ص: ٢٦٦

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٢- الشيخ محمد السامى.

محمد شكوه أحد كبار مجتهدى الشيعة فى عصره الذى هاجر من همذان (إيران) إلى الهند و سكن فى دهلى و استقبله شاه عالم السلطان التيمورى هناك و التف حوله الشيعة فى الهند و كان من أئمه التقليد و الفتوى و أسس مدرسه للعلوم الدينيه فى دهلى و كان نجله الشيخ محمد أشرف الدهلوى و حفيده الشيخ محمد أكبر الدهلوى من أكابر العلماء و المدرسين فى هذه المدرسه.

شرح المترجم له بنشاطه العلمى فى مدرسه جده المذكوره ثم نشر مقالاته فى المجله الأسبوعيه التى أصدرها والده باسم (أخبار دهلى) و فى عام ١٨٥٧ م اندلعت نيران الحركه الثوريه الكبرى فى الهند فهجم الهنود على داره و مكتبته و مطبعه و إداره المجله و نهب ما فيها و أحرق قسم منها و قتل والده الشيخ محمد باقر الدهلوى على يد المهاجمين و تمكن المترجم له من الفرار ثم توارى فى المدن الهنديه حتى عين استاذا للأدب العربى فى جامعه لاهور الحكوميه و استاذا فى كليه الألسنه الشرقيه فى جامعه النجاب [البنجاب] و مارس نشاطه العلمى ثانيه فى هاتين الجامعتين.

ذكره شيخنا الأستاذ آقا بزرك الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة قال:

(كان من أدباء الهند الباحثين و فضلائها الأعلام و هو المشهور بشمس العلماء و الملقب بآزاد له تصانيف رائعه و آثار جليله منها سخن دان فارس فى تراجم شعراء العجم و آب حياه فى تراجم شعراء الهند بلغه أردو ذكرنا الثانى فى الذريعه الجزء الأول و قلنا هناك أنه توفى فى حدود سنه ١٣٣٠ و تحقق لدينا أخيرا أن وفاته فى سنه ١٣٢٨ و قد عقبنا ذكره بلفظه راجعه رمزا لعدم اطمئنان النفس بعد بتشيعه كما هو عادتنا و لما تحقق لدينا تشيعه و تعينت سنه وفاته أشرنا إلى ذلك فى مقال لنا نشر فى العدد الثانى من السنه الثالثه من مجله الرضوان الهنديه ص ٢٧ لسنه ١٣٥٦ و قد نبهنا فى ذلك المقال على بعض الهنات التى تخص مؤلفات رجال العلم فى تلك الربوع لىكون فضلاء ذلك المحيط على علم من ذلك و ليبادروا إلى إصلاح ما وقع عند ذكر تلك الكتب و الله الملهم للصواب و ذكرنا كتابه أيضا فى الذريعه ج ١٠ ص ٢١١ بعنوان رجال و جاء هناك عند ذكر اسمه لفظ السيد و هو زائد فليتنبه له) (١) يقول عبد الحسين الصالحى: توفى ليله عاشوراء العاشر من المحرم الحرام سنه ١٣٢٨ و أسرته من الأسر المعروفه فى دهلى كما أشرنا إليه و قد ترك مؤلفات و تحقيقات هامه لم يذكرها شيخنا الأستاذ جميعها فى الذريعه إلى تصانيف الشيعة و إليك بعضها: ديوان شعر كبير باسم نظم آزاد، كتاب آب حياه فى تراجم شعراء الهند بلغه أردو مطبوع فى الهند، سخن و ان [سخن دان] فارس فى تراجم شعراء الفرس، قند پارسى طبع فى إيران، جامع القواعد فى تراجم رجال بلاط أكبر شاه، ديوان ذوق مجموعه من أشعاره، لغت آزادألفه بعد رجوعه من إيران، درامای أكبر طبع فى مجله مخزن الأهويه، أمور کار [آموزگار] پارسى، سنن إسلام و غير ذلك من المؤلفات (٢).

الشيخ محمد حسين بن معصوم البروجردى.

توفى حدود سنه ١٢٨٠.

كانت ولادته و نشاته فى بروجرد و أخذ المقدمات و السطوح على أفاضل علمائها الأعلام ثم هاجر إلى كربلاء و أخذ الفقه و الأصول عن السيد محمد المجاهد المتوفى سنه ١٢٤٢ ثم حضر مع استاذه المذكور فى الجهاد سنه ١٢٤٠ - فى الحرب الإيرانيه الروسيه آنذاك و عند رجوعه من ساحات الحرب مكث فى قزوین لمواصله دراسته و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ

محمد صالح البرغانى الحائرى و شقيقه الشهيد الثالث البرغانى ثم أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآغا الحكمى القزوينى حتى بلغ درجه عاليه فى العلم و الفضل و رجع إلى موطنه بروجرد و انتهى إليه كرسى التدريس و الفتوى و الرئاسة الدينيه و كان من مراجع الأمور و أئمه التقليد هناك ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة و ذكر مؤلفاته فى موسوعه الذريعه إلى تصانيف الشيعة(٣) و من أشهر مؤلفاته كتاب صراط الحق فى أفعال العباد و الجبر و الاختيار و القضاء و القدر ألفه باسم السلطان محمد شاه القاجارى المتوفى سنة ١٢٦٤ و فرغ منه يوم الثلاثاء فى العشر الأخير من رجب سنة ١٢٦٢ و عندنا نسخه من خط المؤلف و ذكرته فى كتابى كربلاء فى حاضرها و ماضيها(٤)

محمد حسين نورس الدماوندى.

من الخطاطين و الشعراء فى أواخر القرن الحادى عشر و أوائل الثانى عشر الهجريين.

سافر فى شبابه من موطنه دماوند إلى أصفهان، و حضر درس الميرزا صائب التبريزى، و لازم محمد زمان خان.

له ديوان شعر فى مكتبه المتحف البريطانى يشتمل على غزليات و رباعيات و مقطعات و قصائد فى مدح الأئمه ع و مدح الشاه سليمان و زمان خان و صفى قلى خان و الشيخ على خان اعتماد السلطنه (زنگنه).

و تتضمن أشعاره قضايا تاريخيه متعلقه بسنه ١٠٨٤ و ١١١٥ هـ و له المثنوى فى القضاء و القدر. و له (ديوان نورس) المكتوب بخطه الجميل نستعليق.

و كان خطه نستعليق و شعره هما مورد رزقه. و خلافا لشعراء زمانه كان يحاول أن يسلك فى شعره الأسلوب القديم(٥)

الشيخ محمد حسين المظفر ابن يونس

ولد سنة ١٢٩٣ فى قرية الشرش التابعه لقضاء القرنه فى جنوب العراق و توفى سنة ١٣٧١ و نقل جثمانه إلى النجف فدفن فيها نشا فى الشرش ثم سافر إلى النجف للدراسه و منها انتقل إلى بلده القرنه و سكنها حتى وفاته. و كان منزله فيها منتدى الأدباء.

من شعره قوله:

أماط الدجى عن صبح طلعت الغرافنادى منادى الحى حى على المسرى

نوا طعنا و القلب بين رحالهم يناديهم منهلا (قفا نبك من ذكرى)

و لما أثاروا عيسهم و حدا بها حداها و ظلت تخبط السهل و الوعرا

ص: ٢٦٧

- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ١٥ ص ٣٣ بيروت دار الأضواء.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- تاريخ أدبيات إيران.

ترى صرح بلقيس إذا ما رأيتها فتعذر من قد كان يحسبه بحرا
و قبل ارتداد الطرف تطوى صحا صحا إذا غيرها يطوى سباسبها شهرا
و إن قدحت إخفافها جمره الفلا ترى شررا كالقصر أو ناقة صفرا
لقد نشات فى سرحه هى و الظبا و ما ألفت إلا المهامه و القفرا
تؤم ربوعا أسدل الغيث فوقها برودا من الوسمى أنبتت الزهراء
فبين شقيق شق أحشاه مذ رأى بعينه عين الرند تنظره شزرا
و بين عرار ماس تيهها من الهوى فطل عليه الطل فاحدودب الظهرها
بكى الودق حتى بل رذنيه دمعته غداه رأى زهر الربى باسمها ثغرا
فمن طيبها لم تألف الورق غيرها أ لم ترها تتخذ غيرها وكرا
إلى أن أناخ الدهر فيها فصوحت و أمست خلاء بعد سكانها قفرا
فكم بت فيها أرقب النجم لا أرى نديما بها إلا غرامى و البدرا
نفض أحاديث الموده بيننا فنتثرها درا و نسكبها تبرأ
و قوله فى رثاء الحسين و أصحابه:

أنجد حادى العيس أم اتهما أم أم نجد الغور أم يمما
سار و أبقانى أسير الضنا مرتها أرعى نجوم السما
لم يبق لى إلف و لا مالف إلا حمامات به حوما
قد شفها وجدى فناحت لما قاسيته من ألم ألما
و أشعث ثار به لا يرى إلا الأثافى حوله جثما
حتى إذا ما الركب زمت به كوم ترامت بالفلا أسهما
أمثال ريم راعها قانص أو الحبارى أبصرت قشعما

من نار أحشائي جرت أدمعي فاجتمع الضدان نار و ما
لا النار تطفيها دموعي و لا دموعي بنيران الحشى أضرمها
من ناشد لى يوم ترحالهم قلبا بنيران الأسي مضرما
أودى به فرط الجوى فاغتندى فى كل لحن يندب الأرسما
أخنى عليها الدهر من بعد ما كانت لمن وافى حماها حمى
لما انجلى عنها حسين و بالطف على رغم العلى خيما
حفته من فتياهه عصبه كل له الموت الزؤام انتمى
تخاله بدر على طالعا فى أفق المجد و هم أنجما
ما بين عباس إذا قطبت رعبا مصاليت الوغى بسما
و بين من بالخلق و الخلق قد شابه خير الأنبياء فيهما
و القاسم القاسم حق العلى بالسيف لما عالما قد سما
فلو تراهم مذ تنادوا إلى جيش على حربهم صمما
ترى هلالا طالعا فى سما الهيجاء إن بدر السما أظلما
ترى زهيرا قد نمته العلى للقين لما سله مخدما
ترى برير البر أجرى من الأبطال بحرا من دم مفعما
ترى حبيبا بين أصحابه يرتاح إن طير الوغى رمما
كل ابن هيجاء تغذى بما تحليه اللدن فلن يعظما
لا يأمن الخائف إلا إذا مد إلى عليائهم سلما
و الجائع العارى متى جاءهم يكفونه الملبس و المطعما
هم عصمه اللاجى و هم ديمه الراجى و هم كنز الذى أعدما

"حاجى محمد خليل خان" ابن "حاجى محمد القزوينى". من رجال المال و السياسه الايرانيين. كان فى العشر الأول من القرن الثالث عشر الهجرى من كبار الممولين فى إيران و من أعظم تجار بندر "بوشهر" الواقع على الخليج. و فى عهد "آغا محمد خان قاجار" حصل على لقب "ملك التجار".

كان ذكيا كيسا لبقا حسن المعاشره و الحديث واسع الصدر فى مخالطه الناس و اكتساب الأصدقاء من كل الطبقات. و إذ كانت له أعمال تجاريه مهمه فى الهند و فى غيرها من البلدان فقد اتصل به المستر "مانستى" الانكليزى مندوب "شركه الهند الشرقيه" فى "بوشهر". و قامت بينه و بين الإنكليز علاقات وديه.

و كان أحد الخراسانيين، و اسمه "مهدى على خان" يقيم فى "بنارس" فى الهند و يتولى بعض أعمال "شركه الهند الشرقيه". و قد أدى إلى الإنكليز خدمات عظيمه فى سنه ١٢١٢ و ١٢١٣ هـ الموافق سنه ١٧٩٨ و ١٧٩٩ م. و فى سنه ١٢١٤ هـ عينته "شركه الهند الشرقيه" و كيلا- لها فى "بوشهر". و فى سنه ١٢١٥ هـ أرسلت الشركه أيضا إلى إيران "السرطان ملكم" ممثلا- لها فى "بوشهر". و أصبح "حاجى محمد خليل خان" يعد من مستشارى هذين الوكيلين و مرشديهما. و أكثر الأعمال التى قاما بها فى إيران كانا يعدانها و يحققانها بتوجيه منه.

فى تلك الحقبه، فى سنه ١٢١٢ و و ١٧٩٩ م، كان "نابليون [نابليون] بوناپرت" يغزو مصر و يتطلع إلى احتلال الهند. و كان "شاه زمان" ملك أفغانستان يقوم بحملات على الهند، قد احتل "البنجاب [البنجاب]" و يتطلع إلى احتلال "دهلى". فكانت هذه الأمور تسبب المتاعب للانكليز و تبعث فيهم التخوف على الهند، مستعمرتهم الثمينه، من هذين الغازيين.

و كان أخ ل "شاه زمان" اسمه "محمود" لاجئا فى إيران بعد أن خرج على "شاه زمان" فهزمه هذا و اضطره إلى الفرار، و معه أيضا أخ آخر له اسمه "فيروز الدين". و قد أرسلت "شركه الهند الشرقيه" "الميرزا" مهدى على خان" ثم "السيرجان ملكم" إلى إيران، كما ذكرنا آنفا، و كيلين لها فى "بوشهر" ليقوما بمهمتين، إحداهما حمل إيران على قطع علاقاتها بفرنسا، إن كان "نابليون [نابليون]" يريد غزو الهند من طريق إيران. و الأخرى حملها على مساعدته الأمير الأفغانى اللاجئ فيها بجيش يغزو به أخاه فيشغله عن الهند.

و قد نجح "الميرزا مهدى على خان" فى حمل "فتح على شاه قاجار" على مساعده الأمير "محمود" الأفغانى بجيش غزا به أخاه.

و لكنه لم يستطع التغلب عليه و عاد إلى إيران خائبا، إلا- أنه اضطر أخاه، كما اضطرته تحركات عسكريه إيرانيه أخرى و فتن أثارها "مهدى على خان" فى شرقى أفغانستان، إلى الانصراف عن غزو الهند و التراجع عما احتله من أرضها ليظل مرابطا فى بلاده خوفا من هجوم يقوم به أخوه عليه. و هذا ما كان يرمى إليه الإنكليز.

و كذلك نجح "السيرجان ملكم" فى عقد معاهده سياسيه و أخرى تجاريه بين إيران و إنكلترا ضمننا تحقيق المصالح الإنكليزيه بما يريده الإنكليز.

وقد بذل وكيلا "شركه الهند الشرقيه" الميرزا "مهدى على خان" و "السير جان ملكم" فى هذا السبيل أموالا وافره فى إيران
رشاوى للشاه

ص: ٢٤٨

"فتح على" و سائر المسئولين.

و بلغ ما بذله "جان ملكم" مائتي ألف و سبعين ألفا و ثلاثة آلاف ليره ذهبيه. يقول "السير هارفورد جونز" سفير إنكلترا فى إيران يومئذ فى كتاب له عن تاريخ سفارته فى هذا الموضوع: "أصبح كرم الشعب الانكليزى مضرب المثل فى إيران. و العامه فيها أصبحوا يعدون الحصول على المال من ذلك الشعب من أسهل الأمور".

و بلغ من انقياد "فتح على شاه" للسياسه الإنكليزيه أن أقدم، بعد عقده تينك المعاهدتين الخاسرتين ببضعه أشهر، على قتل الصدر الأعظم "إبراهيم خان اعتماد الدوله" و ذويه قتله فظيعة، إذ كان هذا الصدر أدق نظرا و أكثر خبره و أبعد فهما فى الأمور السياسيه من غيره. فهب خصومه من كل جانب يدسون عليه الدسائس و يوغرون عليه صدر الشاه ليزيحوه من طريقهم، حتى قتله.

فى سنه ١٢١٥، إذ تمكن "السير جان ملكم" من عقد تينك المعاهدتين، أنعمت الحكومه الإيرانيه على "حاجى محمد خليل ملك التجار" بلقب "خان" و منحه كل الامتيازات و التشريفات التى تجعله أحد رجال الدرجه الأولى فى المملكه. و عينته سفيرا لها فى الهند. فلما عاد "السير جان ملكم" إلى الهند صحبه معه إليها. و تكفل "حاجى محمد خليل خان" بنفقات السفاره كلها، يعطيها من ماله الخاص. و أعد حاكم "بمباى" بامر من حاكم الهند العام، استقبالا فخما له فى "بمباى". و أمر الحاكم العام أحد كبار الموظفين الإنكليز فى "كلكته" "المستر" ريشار ستريتشى " بالسفر إلى "بمباى" ليكون السفير الايرانى ضيفا عليه. و وصل "حاجى محمد خليل خان" إلى "بمباى" يوم ٢٨ المحرم سنه ١٢١٧ الموافق ٢٢ أيار (مايس) سنه ١٨٠٢ م.

و أقام الحاكم على باب المنزل الذى خصص لاقامته مائتي جندى و أربعة ضباط من الهنود للحراسه. و اتفق يوما أن أطلق بعض خدم "حاجى محمد خليل خان" الرصاص على بضعه طيور كانت تحط على أغصان الشجر فى حديقته البيت فقتلواها. و استاء الجنود من هذا العمل لأنه محرم فى شريعه الهنود، و أدى ذلك إلى جدال و نزاع بين الخدم و الجنود. و سمع "حاجى محمد خليل خان" الضججه فخرج إليهم يستطلع الخبر ثم أخذ يحاول إنهاء الخلاف و إصلاح ما بين الطرفين، و فيما هو فى ذلك إذا برصاصه تصيبه فقتله. و كان مقتله فى تموز من تلك السنه بعد وصوله بثمانيه و أربعين يوما.

و أهمت هذه الحادثه أولياء الأمور فى الهند كثيرا، و أعلنت الحكومه الهنديه الحداد رسميا، و أعلن هذا الحداد بإطلاق بضعه قذائف مدفعية من إحدى قلاع "كلكته"، و ألغيت جميع الاحتفالات و المآدب الرسميه.

و تلقت الأوساط العسكريه و المدنيه النبا بالخوف و الجزع، و عم الحداد مدينه "بمباى" كلها، و كذلك "كلكته" و "مدارس". و لم تترك حكومه الهند وسيله ممكنه إلا استعملتها لاثبات أسفها و جزعها و حزنها من هذه الحادثه.

و أرسل الحاكم العام اللورد "ولزلى" سكرتيره الخاص "السير جان ملكم" إلى إيران لمباحثه ورثه القتل فى هذا الموضوع. و أرسل أيضا أحد كبار رجاله اسمه المستر "لوويت" برساله إلى الشاه لتوضيح الحادثه و إظهار الأسف.

و أدت حكومه الهند، أى "شركه الهند الشرقيه"، ديه ضخمه إلى ابن القتل "محمد إسماعيل خان" و عينت له الحكومه الإنكليزيه راتبا شهريا مدى الحياه. و كذلك منحت الشركه الشاه و الوزراء مبالغ كبيره من المال.

مرت ترجمته فى المجلد التاسع من (الأعيان) و قد عثرنا له على قصيدتين ننشرهما فيما يلى:

جرىء على الأيام من لا تهمة حوادث دهر كل يوم تلمه
و ذو عزمات ضاقت الأرض دونها إذا جل يوما حادث جل همه
و ما المرء كل المرء إلا ابن نجده يروع قلب الدهر إن جار حكمه
و لم تزر فيه وصمه من زمانه كما السيف لا يزرى بمعناه وصمه
و لا عوده يعطى اللبان لغامز و إن طال فيه الغمز أو طال عجمه
و لا يحدثن فى خله الناس مطمعا فما خله فى الناس إلا تغمه
فكم من صديق قلت إنى ملكته و رغمى فى ضيق الملمات رغمه
فلما رميت الظن منه بحاجه ناى و إلى العيوق حلق نجمه
ألم يدر أن الحظ أخطأ أهله و قد طاش فيما رام يا سعد سهمه
و لم يدر أنى لست أعرى من التى بها يكتسى من فاضل العيش جسمه
و أن أديمى مخصب النبت مونتق و لم يعف رسمى متلما بان رسمه
فما الناس إلا الأفعوان فسمه لبان و فبه [فيه] مخبا لك سمه
فكم قد غضضت الطرف منهم على قذى و داويت جرحا سال بالأمس دمه
و سالمت ذى ضغن طوى كشح ضغنه و أعرضت عنه بعد ما بان جرمه
إذا لم يظفر ك الزمان بحاجه و قد بان فيما تبتغى لك ظلمه
فكن جانحا للسلم إن كان جاريا بعكس المنى أمر الإله و حكمه
و حتى متى أطوى الضلوع على جوى و ضم زفير يصدع القلب ضممه
و ما لى أشيم البرق من أيمن الحمى و عرف المنى فى كل آن أشمه

أما آن للظمان رى من الصدى و منهله بالماء يطفح جمه

ص: ٢٦٩

بلى ان مشتاقا أضر به الجوى و فاجاه من شوقه مدلهمه
جدير بان لا يحدث الماء ريه إذا كانت الآمال لا تستجمه
الا ليست لى من بارد العذب نهله أداوى بها قلبا تطاول غمه
و كم ليله أفنيتها أرقب الدجى و ما مال عن هام المجره نجمه
و أنشق من نحو الغريين نفحه و عرف نسيم يفضح الطيب نسمة
و طرفى و لوح فى شآبيب دمه و لو لا الأسى و الشوق ما فاض سجمه
و أبلج و ضاح كان جبينه(1) به لاح من بدر الدجته ثمه
و فرع تسامى من ذؤابه هاشم له المجد كسب و المفاخر غنمه
تلف بعرقى عرقه و تلمنى جراثيم عز فى المعالى تلمه
فكم طلبات جازها فى رهانه و كان له القدح المعلى و سهمه
سقى الله ربعا بين سمنان فالنقا و بين الكتيب الفرد لم يعف رسمه
من المزن دلواح الحيا كل غدوه يياكرها نفنافها و يؤمه
و قال يرثى طفلا له:

كفى الطرف ما يهمى به من غروبه و حسب فؤادى ما لقي من وجيهه
و هيهات أن ترقى الدموع و فى الحشى من الحزن جمر ساطع فى .. لهيبه
تباريح بين فى الفؤاد.. يثيرها فراق حبيب قد ناى عن حبيب
فيا نازحا عنى و فى القلب ساكنا أ يسلك منى القلب يا ساكنا... به
ضنيت فلو.. هب النسيم و مر بى لطار.. بجثمانى مرور.. هيو به
و تسعدنى الورق الهتوف بنوحها إذا أسدل الأظلام ضافى جيوبه
تطارحنى بالنوح شجوا و طرفها قدير و طرفى سائل فى غروبه

إياه باسقا فرعا فما افتر باسماء بنواره حتى ذوى فى .. كئيبه
و يا كوكبا ما لاح فى الأفق مشرقا بأنواره حتى دنا لغروبه
بدا.. مشرقا وهنا و أسرع آفلا فاشراقه لم أدره من مغيبه
فقدتكم غصنا مفردا فى أرومتى رطيبا كميّاس العرار رطيبه
فقدتكم ريحانا.. و روحا.. و راحه إذا ضاق من صدرى فسيح رحيبه
و روضا.. إذا ما صدع الهم خاطرى أميل له مستنشقا عرف طيبه
فبعدك قد ضاقت على مذاهبى و اسدل دهرى حالكات كروبه
فلا.. يبعدنك الله يا فضل إننى رجوتك من دهرى لدفع خطوبه
عداك الردى مالى و مالك و الردى فمنك الردى قد.. نال أوفى نصيبه
مضيت رهين التراب تحت صفائح بمهمه قفر من نواحي شعوبه
به رحمت مغبر الجبين و طالما جلته يد التنعيم مسحا.. بطيبه
غريبا عن الأهلين ناء محله فدا.. لك من ناء المحل غريبه
مزارك دان و هو فى غايه النوى فدا.. لك من ناء المزار قريبه
لئن كان دهرى ابتزك اليوم من يدي فما.. ذاك إلا.. من أقل ذنوبه
عجائب من دهرى أراها و لم يزل يفاجئنى من صرفه.. بعجيبه
يرينا مساوى عيبه كل ساعه عيانا و يعمى عن مساوى عيوبه

و هذه الأبيات مر بعضها فى ترجمته و نشرها هنا كامله و هى فى جواب رساله:

ما روضه من رياض الحزن باكرها نfnاف غيث من الوسمى سحاح

و راوحتها عهد المذن سائله بعارض من ملث الودق دلاح

و خفقت فى رباها غير عاصفه بها النسائم من روح و أرواح

و أيقظتها فقامت فى منابتها تزهو على ساقها بالمنظر الضاحى

و لاعتبها الصبا فافتت مبتسما ثغره الكحائم عن ورد و تفاح

تقابل الزهر فيها و هو مزدوج و راح يرنو بطرف غير طماح

من أحمر ناصع أو أبيض يقق أو أصفر فأقع للعين لمام

أذكى و أطيب أنفاسا إذا عبت عند الصباح بها أنفاس أرياح

من نشر مالكة أمست صحائفها تطوى على عقب بالمسك نفاح

قد ضمنت دررا فى سلكها و صوت راحا مشعشه فى وسط أقداح

إذا.. تغنى بها الغريد فى ملاء أغنت عن الماء و الريحان و الراح

أو رجع اللحن فيها راح سامعها مرنحا ليس بالنشوان و الصاحى

أو حكم الهزج المثنى فليس له إلا.. الوقوف و صفق الراح بالراح

و من اخوانيات ذلك الزمان قصيدتان نظمتا فى تهنئه السيد محمد رضا بزفاه سنه ١٣١٧ الأولى للسيد إبراهيم الطباطبائى و

الثانيه للشيخ عبد الكريم الزين تأخذ منهما ما يلى:

فمن قصيده الطباطبائى:

أنت المقدم فى العلى لا من تقدم أو تخلف

قد جئنا فردا فمن قد جاء بعدك جاء مردف

ولد شمخت بموقف أرغمت فيه أنوف أنف

لا بل قطعت حجازها و تركتها للخف رعف

يا محرزا قصب العوالى الصم بالقصب المجوف

قلم بريق رضا به علقا على الورق المزخرف

عريان من دنس تجرد نازع الشبهات مترف

و مرجف بين الأنامل إن أقر كذاك أرجف
حلقت بالمعنى الرشيق و سف ذو اللفظ المسفف
جود و لا لمحلل أو حاتم الطائي يعرف
و شجاعه فى عامر قد عبرت فى ملتقى الزحف
و حجى إذا وازنته فى حلم أحنف طاش أحنف
و الباعث الخيل العتاق كأنها العقبان خطف
أنت السرى لكل ركب سرى تسرع أو توقفه.

ص: ٢٧٠

١- إشاره إلى ابن عمد [عمه] السيد نجيب فضل الله.

و من قصيده الشيخ عبد الكريم الزين:

أنت المقدم عند كل عظيمه و إليك أبحار المكارم تنتمى
لك صهوه المجد التي لا ترتقى بالفكر يوما لا و لا بتوهم
و لك السيادة و الرئاسه فاحتكم ما شئت فى هذا الزمان أو احكم
أنى يباريك العدو و شاوه دان و شاوك بالمحل الأعظم
حلقت فى أفق المعالى سابقا و كبا عدوك لليدين و للقم
و إذا تصاغرت العقول لمشكل كنت المقدم فيه غير ملوم
أخلاق أحمد و الوصى المرتضى أو تيتها طبعا بغير تعلم
علم و حلم فى تقى و زهاده و عفاف نفس فى ندى متقسم
رأى يريك الغيب فى جنباته كالصبح يطلع فى السرار الأقم
و مواهب كالبحر عب عبايه متلاطم لا كالغمام المرزم
مطعام عدنان الندى مطعانها و زعيمها و الخيل تسبح بالدم
حيث الفوارس بالفوارس تلتقى و السمر تضطرب اضطراب الأرقم
و النقع داج و السيوف لوامع و الطير بين موم و مخيم
الواهب العشر المئين قلائصا عفوا و لم يمنن و لم يتندم
خوف الجبان تخاف ربك فى الخلا و إذا تكون ملمه كالضيغم
قلم بكفك صامت متكلم فى مثل آيات الكتاب المحكم
كم خطبه غرا و موقف حكمه لك فى القلوب نوافذ كالأسهم
يعنو الليب لها و يمضى حاسد فى مهجه حرى و أنفق مرغم
هذى الشريعه سلمتك قيادها دون الورى من معرق أو مشثم

كم رامها المتشدقون سفاهه خبط الغبي سوى بليل مظلم
و نهضت مضطلعا بها و فلجتهم و قطعت شقشقه الألد الأخصم
و لرب مشهور بالسنه الورى و الله يعلم أنه لم يعلم
يقتاد أمه أحمد فيضلها و يصد عن سنن النبي الأكرم
و لرب معمور يبيت و علمه كالبحر تطفح ضفتاه إلى الفم
متبتلا لله فى غسق الدجى و الشوق يقدح كالزناد المضمرم
يا راكبا بحرا أمونا بازلا تطوى السبابس مخرما فى مخرم
إن جئت عيناتا بغربى الحمى فأحبس على تلك الربوع و سلم
هن الججاجح من أرومه هاشم من كل قرم كالهزير المقرم
الطاعنين بكل أسمر ذابل و الضارين بكل أبيض مخدم
يحدو الركاب ثنهم و سناهم يهدى الركاب إلى الطريق الأقوم
يكفيهم فخرا إذا عقدوا الحبا و تناضلوا حول الحطيم و زمزم
أن النجيب (1) لهم و ليس لغيرهم مثل النجيب لمنجد أو متهم

ميرزا محمد رضا الهمداني

الملقب بقزلباش خان و المشتهر فى أشعاره ب (أمير).

من شعراء القرن الثانى عشر، ولد فى مدينه همدان بايران، و فى مطالع حياته سافر إلى أصفهان و حضر مجلس الميرزا طاهر الوحيد، و درس الأدب على مير نجاه. و فى نهايه عهد أورنك زيب (-) سافر إلى الهند فعهد إليه ببعض المناصب و فى عهد قطب الدين بهادر شاه (-) لقب ب (قزلباش خان)، و فى عهد محمد معز الدين جهان دارتدخل فى مشاحنات أمراء الدوله بشأن الدكن ثم أصبح ملازما لمبارز خان، ناظم حيدرآباد الدكن. و فى حرب بين ميارزخان [مبارز خان] و نظام الملك آصف جاه أسر المترجم، و لكن آصف جاه عفا عنه و صار ملازما له. و فى سنه ١١٥٠ فى عهد ناصر الدين محمد شاه (-) وافق آصف جاه إلى لقاء شاه جهان آباد. و من ثم عاش فى دهلى و توفى فيها سنه ١١٥٩.

و كان إلى شاعريته من كبار الموسيقيين فى عصره. و مع ما حازه من مناصب فى الحكم كان شديد الحنين إلى مسقط رأسه يود

الرجوع إليه.

ديوانه المعروف باسم (أميد) يحتوى على قصائد فى مدح النبى (ص) و الامام على (ع)، و ناصر الدين محمد شاه و ذو الفقار خان بن أسد خان من وزراء عهده. و فيه كذلك الغزل و الخماسيات و الرباعيات. و هو محفوظ فى المكتبه البريطانىة، و منه نسخه فى المكتبه الوطنيه بباريس، و لا يتجاوز ما فيه

ص: ٢٧١

١- هو السيد نجيب فضل الله.

ال ٤٧٠٠ بيت. كما أن له منظومه باسم (كارستان) محفوظه في المكتبه الوطنيه بباريس(١)

السيد الميرزا محمد رضى

المعروف ب (رضى آرتيمانى) و يقال ميرزا رضى آرتيمانى.

توفى سنه ١٠٣٨ و دفن فى الخانقاه الذى بناه فى شمال بلده تويسركان و قبره مزار معروف هناك.

من مشاهير شعراء العصر الصفوى و أكابر العرفاء و أقطاب الصوفيه و هو أديب متفنن.

ولد فى قريه آرتيمان من أجمل القرى فى سفوح جبال جنوب الوند من ضواحي بلده تويسركان فى محافظه همذان. و لم أقف على تاريخ ولادته.

أخذ المقدمات و العربيه و فنون الأدب على أفاضل علماء عصره فى تويسركان ثم توجه إلى قزوین و تخرج على أعلامها و انضم إلى بلاط الشاه عباس الصفوى فى قزوین و عند ما انتقلت العاصمه فى سنه ١٠٠٠ من قزوین إلى أصفهان استقر فى أصفهان و كان من كتاب بلاط الشاه عباس (-) و يعتبر من نوابغ الشعراء و غزلياته و رباعياته معروفه يرددهما العام و الخاص فى إيران، و رواد الأدب الفارسى فى سائر بلدان العالم و قد اشتهر بمثنويته المعروفه باسم ساقى نامه و مطلعها:

الهی به مستان میخانه ات به عقل آفرینان دیوانه ات

به درى که عرش است او را صدف به ساقى کوثر به شاه نجف

و جاء فى خاتمتها:

رضى روز محشر على ساقى است مکن ترک مى تا نفس باقى است

ذکره رضا قلى خان هدايت المتوفى سنه ١٢٨٨ فى كتابه رياض العارفين و قال: (رضى آرتيمانى قدس سره اسمه الشريف الميرزا محمد رضى كان من السادات العظماء فى قريه آرتيمان من نواحي تويسركان التابعه لمحافظة همذان من أجلاء السادات و العلماء ذوى الذوق السليم و أكابر العرفاء الأفاضل له يد فى المعارف الالهيه حيث طبقت شهرته الآفاق و عم صيته فى المدارج العرفانيه كان من المعاصرين للشاه عباس الصفوى و هو والد الشاعر الشهير الميرزا إبراهيم المتخلص بادهم و يحتوى ديوانه على ألف بيت...)(٢).

ثم ذكر قسما من شعره و فصل عنه معصوم على شاه فى كتابه طرائق الحقائق الجزء الثالث الصفحه (٥٧٣-٥٧٤) و قال الميرزا محمد طاهر النصرآبادى فى كتابه تذكره نصرآبادى الذى ألفه سنه ١٠٨٣ و ذكر فيه شعر العصر الصفوى و وصفه بأنه من أعظم العرفاء النابهين و ذوى الصلاح و التواضع مع زعامته و رئاسته. ثم أدرج قسما من أشعاره و غزلياته و رباعياته(٣). ذكر الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه منتظم ناصرى تاريخ وفاته فى ذيل حوادث سنه ١٠٣٧ و الصحيح ما ضبطناه فى سنه ١٠٣٨ لأنه مدح فى قصيدته السلطان صفى شاه الصفوى المتوفى سنه ١٠٥٢ و الذى جلس على العرش الصفوى سنه ١٠٣٨ و من

البدهي [البديهي] أنه كان حيا حين استلم العرش الصفوي السلطان صفى شاه و مدحه و هناه.

و هو والد الشاعر الشهير إبراهيم المتخلص ب (أدهم) - كما تقدم - و جد الميرزا محمد هاشم ارتيمانى و قال المولوى محمد مظفر حسين صبا فى كتابه روز روشن فى ترجمه حفيد المترجم له: (ميرزا محمد هاشم ارتيمانى ابن الميرزا رضى بن الميرزا إبراهيم أدهم...)(٤) و هو غلط و الصحيح أن الميرزا محمد هاشم المعروف ب (دل) هو ابن إبراهيم أدهم بن الميرزا رضى ارتيمانى ذكره ملا عبد النبى فى تذكره ميخانه الذى ألفه فى سنه ١٠٢٨ فى ص ٩٣٧ و شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهرانى فى موسوعه الذريعه إلى تصانيف الشيعة القسم الثانى من الجزء التاسع من آثاره ديوان منه نسخه فى مكتبه ملك الوطنيه فى طهران تحت رقم (٤٥٦٨) يحتوى على ألف و مائه بيت و إذا أضفنا إليه قصائده و رباعياته فالمجموع ألف و خمسمائه بيت (٥).

محمد بن رمضان

قال القاضى النعمان أنه شاعر شيعى من قريه (نفظه) بالجريد (تونس). و كانت نفظه هذه تعرف ب (الكوفه) الصغيره لتشييعها و قد عاش هذا الشاعر فى عصر إبراهيم الثانى الأغلبى الذى تامر من سنه ٢٦١ إلى سنه ٢٨٩.

احتمى هذا الشاعر من جور الولاة الأعاليه فالتجأ إلى بنى مالك فى (بلزمه) فصنع لهم الأغلبى وليمه و غدر بهم فقتلهم قتلا قبيحا. و قد فصل الخبر ابن عذارى فى أحداث سنه ٢٨٠.

و بعد قيام الدوله الفاطميه عين عبد الله المهدي هذا الشاعر على قضاء (ميله).

قال محمد بن رمضان يذكر الوقعه:

جل المصاب لئن كان الذى ذكروا مما أتتنا به الأنباء و الخبر

عن ألف أروع كالآساد قد قتلوا بساعه فى سواد الليل إذ غدروا

لو كان من بيت الآساد أيقظهم حلت به منهم الأحداث و الغير

قل لابن أحمد إبراهيم مالكة عن الخبير بما ياتى و ما يذر

عن المشرد فى حب الأئمه من آل النبى و خير الناس إن ذكروا

اعلم بان شرار الناس أطولهم يدا بمكروه غدر أن هم قدروا

لا سيما الجار و الضيف القريب و من أعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا

فما اعتذارك من عار و منقصه أتيتها عامدا إن قمت تعتذر

جرعت ضيفك كأسا أنت شاربها عما قليل و أمر الله ينتظر

فدوله القائم المهدي قد أزفت أيامها فى الذى أنبا به الأثر

عن النبى و فيها قطع دولتكم يا آل أغلب فارجوا ذاك و انتظروا

و قطع أمر بنى العباس بعدكم و قطع أمر بنى مروان إذ بطروا

ص: ٢٧٢

١- تاريخ أدبيات إيران.

٢- رضا قلى خان هدايت: رياض العارفين ص ١١٩ تحقيق مهر على كركانى منشورات محمودى الطبعه الأولى.

٣- انظر تذكره نصرآبادى ص ٢٧٣ منشورات مكتبه فروغى (طهران).

٤- انظر تذكره روز روشن ص ٢٦١ منشورات مكتبه الرازى (طهران).

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و من شعر ابن رمضان قوله:

سلا طيبه القناص أين احتلالها فقد هاجنى تفتيرها و امتدالها

(١) لعل التى عنها تفرق أهلها فبادت مغانيها و طال اختيالها

فقد عن الدار التى بان أهلها و عن كيف من بعد البلى صار حالها

أرقت لها من بعد أن نام إنسها خناطيل آرام الضبا و جمالها

(٢) فهذا أوان الحق قد حان حينه و دوله آل البغى آن زوالها

كانى بشمس الأرض قد طلعت لنا من الغرب مقرونا إليها هلالها

فيملأ أرض الله قسطا بعدله بما ضم منها سهلها و جبالها

و آمن فيها ما أخاف و اتقى و أظفر بالزلفى به و أنالها

الشيخ أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الجوهري الغلابي البصري.

توفى سنة ٢٩٨.

من أئمة الحديث و شيوخ علماء الشيعة فى البصرة و كان اخباريا واسع العلم، من وجوه أصحابنا، مولى بنى غلاب.

بنو غلاب: من القبائل العربية الشيعية المعروفة بالبصرة و هم بطن من بنى النضر بن كنانة العدنانية و قيل بنى النضر بن معاوية نبغ من هذه القبيلة علماء أعلام منهم المترجم له.

أخذ العلم و المعارف الإسلاميه عن جماعه من أكابر علماء عصره و أخذ الحديث عن جعفر بن محمد بن عماره عن جابر بن يزيد الجعفى كما فى بعض (أسانيد كتاب التوحيد) و يروى أيضا عن عباس بن بكار الضبى و عن أحمد بن عيسى بن زيد. و له كتاب يروى فيه عن كتابه فى (عيون المعجزات).

تصدر المترجم له كرسى التدريس و الفتوى و تخرج عليه جماعه كثيره، يروى عنه الأخبارى الشهير الشيخ أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودى المتوفى سنة ٣٣٢ و يروى عنه أيضا أبو سعيد الحسن بن على العسكرى و أحمد بن إبراهيم بن معلى بن أسد القمى و يروى عنه الشيخ أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري مؤلف كتاب (السقيفه و فدك) الذى روى عنه ابن أبى الحديد فى شرح كتاب أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف من (نهج البلاغه).

ذكره الشيخ أبو العباس أحمد النجاشى فى رجاله و وصفه بعد ذكر اسمه (... و بنو غلاب قبيله بالبصرة من بنى نضر بن معاوية و قيل أنه ليس بغير البصرة منهم أحد و كان هذا الرجل وجها من وجوه أصحابنا بالبصرة و كان اخباريا واسع العلم و صنف كتبا

كثيره و قال لى أبو العباس ابن نوح أننى أروى عن عشره رجال عنه... (٣) و نقل عنه الشيخ محمد الأردبيلى الحائرى فى كتابه جامع الرواه ج ٢ ص ١١٤ و ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة و أدرج مؤلفاته فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة (٤). ذكره ابن حجر فى لسان الميزان و قال وثقه ابن حبان و هو ضعيف.

أقول: أما قول ابن حجر أنه ضعيف فذلك لتشيعة. قال ابن حجر:

(محمد بن زكريا الغلابى البصرى الأخبارى أبو جعفر عن عبد الله بن رجاء الغداني و أبى الوليد و الطبقه و عنه أبو القاسم الطبرى و طائفه و هو ضعيف و قد ذكره ابن حبان فى الثقات و قال يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقه و قال ابن منده تكلم فيه و قال الدارقطنى: يضع الحديث.

و نقل ابن حجر روايات متعدده من المترجم له ورد عليه لتشيعة (٥).

و قد ترك المترجم له مؤلفات كثيره منها:

١ - كتاب الجمل الكبير، كتاب الجمل المختصر، كتاب صفين الكبير، كتاب صفين المختصر، كتاب مقتل الحسين (ع)، كتاب النهر، كتاب الأجواد، كتاب الوافدين، كتاب مقتل أمير المؤمنين (ع)، كتاب أخبار زيد (ع)، كتاب أخبار فاطمه و منشؤها و مولدها (ع)، كتاب الجيل (٦).

الأمير السيد شهاب الدين محمد بن أبى سعيد زيد بن حمزه العلوى الحسينى

البيهقى.

توفى فى حدود سنه ٥٦٣ فى نواحى جاجرم من توابع بيهق.

من علماء الشيعة فى بيهق و أكابر سادات العلويين فى تلك النواحى.

أديب شاعر حافظ مفسر ولد فى قريه ستاربد من توابع پشاكوه فى ضواحى بيهق و أخذ العلم و الأدب من أفاضل علماء عصره فى تلك النواحى. ذكره الشيخ أبو الحسن على بن زيد البيهقى المعروف بفريد الخراسانى المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و وصفه بالسيد العالم و أحال تاريخ أسرته و نسبه إلى كتابه (لباب الأنساب) ثم ذكر قسما من شعره (٧) و نقل عنه شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة (٨). له قصيده منها:

جلت الهموم عن القلوب وزاره علويه صدر المعالى صدرها

شقيه غريبه خضعت لها صيد الورى لما تقرر أمرها

لقياك عليها و عيشك فخرها و ذراك حاميتها و عمر ك عمرها

نفرت بغاث الطير عن أرجائها لما طلعت لها لأنك صقرها

خلف ولده العالم الفاضل الأديب الحافظ السيد محمد البيهقي (٩)

الشيخ أبو علي محمد بن سعدويه البيهقي.

لم أقف على تاريخ ولادته ووفاته إلا أنه كان من أكابر علماء الشيعة و فحول المحدثين في القرن الرابع للهجرة في مدينة بيهق ولد في قرية نزل آباد من قرى بيهق و أخذ العلم و الفنون الإسلامية على جماعه من أفاضل عصره ثم تصدى للتدريس. و ذكره ابن الفندق المتوفى سنة ٥٦٥ في كتابه تاريخ بيهق و وصفه بكثير الروايه و لم يذكر تاريخ ولادته و وفاته و أورد روايته بثلاث وسائط

ص: ٢٧٣

- ١- احتلالها: نزولها المكان. و الامتدال: الضجر من الشيء و طلب غيره.
- ٢- قراءه العجز عسيره. و الخناطيل مفردتها: خنطوله و هي القطيع من الإبل.
- ٣- الشيخ أبو العباس أحمد النجاشي: رجال النجاشي ص ٢٤٤ الطبعه الحجريه الأولى بمبشيعام ١٣١٧.
- ٤- انظر نوابغ الرواه في رابعه المئات ص ٢٧١: و الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ١ ص ٢٧٥ و ص ٣٣٢ و ص ٣٤٣ و ج ٥ ص ١٤١ و ج ١٥ ص ٥٢ و ج ٢٢ ص ٢٨.
- ٥- انظر لسان الميزان ج ٥ ص ١٦٨-١٦٩ طبعه عام ١٣٣١ حيدرآباد.
- ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
- ٧- الشيخ أبو الحسن علي بن زيد البيهقي: تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ٢٣٠-٢٣١ طهران مطبعه كانون عام ١٣١٧ شمسيه.
- ٨- انظر الثقات العيون في سادس القرون ص ٢٦٤ بيروت دار الكتاب العربي.
- ٩- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

عن الامام جعفر الصادق (ع) آخرهم عيسى بن موسى الأنصاري(1) و نقل عنه شيخنا آغا بزرگ الطهراني في كتابه طبقات أعلام الشيعة و قال: و روايته بثلاث وسائل عن الامام الصادق آخرهم عيسى بن موسى الأنصاري الذي ليس له ذكر في كتب الرجال نعم جاء في باب المكاسب من (التهذيب ص ١٠٣) سؤال عيسى بن موسى عن الصادق (ع)(٢)

الشيخ محمد سعيد الإسكافي ابن الشيخ محمود.

ولد في النجف سنة ١٢٥٠ و توفي سنة ١٣١٩ في كربلاء.

درس في النجف و اتقن اللغة الفارسيه، و كان سريع البديهة يرتجل الشعر. و بعد النجف استقر في كربلاء.

من شعره يرثي الحسين (ع) من قصيده:

و مذ عاد فرد الدهر فردا و لم يجد له منجدا إلا الحسام المصمما

رمى الجيش ثبت الجأش منه بفيلق يرد لهام الجيش أغبر أقتما

و كر ففرت منه عدوا جموعهم فرار بغاث الطير أبصرن قشعما

تقاسم منه القلب و الطرف فاغتدى بكافح أعداء و يرعى مخيما

تناهيه بيض الظبا فكأنما غدا لحدود البيض فيئا مقسما

فاضحى لقي في عرصه الطف شلوه ترض العوادى منه صدرا معظما

و يهدى على على السنان برأسه لأنذل رجس في أميه منتمى

و ينكته بالخيزران شماته يزيد و يغدو ناشدا مترنما

(نفلق هاما من رجال أعزه علينا و هم كانوا أعق و أظلما)

فشلت يدها حين ينكت مرشفا لمرشف خير الرسل قد كان ملثما

و لهفى لآل الله بعد حماتها و قد أصبحت بين المضلين مغنما

إذا استنجدت فتیانها الصيد لم تجد برغم العلى غير العليل لها حمى

تجوب به أجواز كل تنوفه و تسبى على عجف المصاعب كالاما

حواسر من بعد التخدر لا ترى لها ساترا إلا ذراعا و معصما

و زينب تدعو و الشجى يستفزها أخاها و دمع العين ينهل عند ما
أخى يا حمى عزى إذا الدهر سامنى هوانا و لم يترك لى الدهر من حمى
لقد كان دهرى فيك بالأمس مشرقا فها هو أمسى بعدك اليوم مظلما
و قد كنت لى طودا ألوذ بظله و كهفا متى خطب ألم فالما
أدير بطرف لا أرى غير أيم تجاوب ثكلى فى النياحه أيما
رحلت و قد خلفتنى بين صبيه خماص الحشا حرى القلوب من الظما
عدمت حياتى بعد فقدك إننى أرى بعدك العيش الرغيد مذمما
أرى كل رزء دون رزئك فى الورى فله رزء ما أجل و أعظما

الشيخ محمد السماوى بن طاهر.

اشاره

ولد سنه ١٢٩٢ فى مدينه السماوه بالعراق و توفى سنه ١٣٧٠ فى النجف.

ترك السماوه إلى النجف لطلب العلم فدرس على أعلامها، ثم عاد إلى بلده حتى سنه ١٣٣٠ حيث عين عضوا فى مجلس الولايه حتى نهايه الحرب العالميه الأولى فرجع إلى النجف بعد الاحتلال الانكليزى لبغداد. ثم عين قاضيا فتنقل بين النجف و كربلاء و بغداد و صار فيها عضوا فى مجلس التمييز الشرعى، ثم طلب نقله إلى النجف فنقل إليها و بقى فيها سنه فحدث أن ختلف [اختلف] مع السيد محمد الصدر رئيس مجلس الأعيان فأثر الاستقاله من القضاء.

و من الطرائف فى هذا الموضوع أن الحكومه العراقيه كانت قد وضعت قانونا يرفع الحصانه عن الموظفين يجيز عزلهم بدون بيان الأسباب، سمته (ذيل قانون الموظفين)، فأصبح هذا القانون نكته عند العراقيين، فإذا سال أحد عن موظف قد عزل بمفعول هذا القانون، أجابه المسئول: ضربه الذيل.

و صدفت استقاله السماوى فى تلك الفتره بسبب خلافه مع الصدر، فقال الشيخ محمد على اليعقوبى:

قل للسماوى الذى فلك الزمان به يدور

الناس تضربها الذبول و أنت تضربك الصدور

كان السماوى عالما فاضلا شاعرا، و قد وصفه الأستاذ عبد الكريم الدجيلى فى مقال كتبه عنه بعد وفاته بما يلى:

كان السماوى خير من يمثل العالم فى المدرسه القديمه بأسلوب كلامه و طريقه حواراه و هيئه بزته و اتزاناه و تعقله، و هو إذا حضر مجلسا ياسر قلوب الحاضرين بسرعه البادره و حضور النكته و قوه الحافظه و سعه الخيال، فهو ينتقل بك من الشعر العالى المتسامى إلى طرف من التاريخ و الأدب، ثم إلى نوادر من الحديث و التفسير، و هو إلى جانب ذلك يسند حديثه باحكام و دقه تعبير فيدللك على الكتاب الذى يضم هذه النادره أو تلك النكته و على الصحائف التى تحويها و على السنه التى طبع فيها هذا الكتاب إن كان مطبوعا و إلى عدد طبعاته إن كانت متعدده و حتى التحريف و التشويه بين الطبعات.

و أنت إذ تستمع إليه فكأنك تصغى إلى عالم من العلماء الأقدمين فى طريقه حواراه و أسلوب حديثه و انتقاله من فن إلى فن و من علم إلى علم، فهو يعيد لك عهد المرتضى فى مجالسه، و الامام القالى فى أماليه و المبرد فى كامله و الجاحظ فى بيانه و تبيينه، و لا تفارقه تلك الابتسامه التى تقرأ منها عمق التفكير و جلال العلم و غبار السنين.

اقتنى مكتبه كبيره جمع فيها كثيرا من المخطوطات و بعضها نسخها بخطه فكانت من مفاخر النجف، و لكنها تبددت بعد وفاته فلم يبق لها أثر.

شعره

و له يرثى الامام أمير المؤمنين (ع):

تذكر بالرميل جلاسه فهاج التذكر وسواسه

و أفرده الوجد حتى انثنى يعاقر من حزن كاسه

فصار إذا رمقته العيون يطأطئ من ذله رأسه

و ليل دجوجى برد الصبا تولت همومى إلباسه

أقام فخيم فى أعينى و شد بقلبى أمراسه

تململت فيه أناجى الجوى و أدرس يا ربيع أدراسه

أيا وحشه ما وعاهها امرؤ و آنس فى الدهر إيناسه

ص: ٢٧٤

١- الشيخ أبو الحسن على البيهقى المعروف بابن الفندق: تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ١٥٩ طهران الطبعة الأولى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

تمثل ليله غال الشقى بها علم القسط قسطاسه
و أرصده فى ظلام الدجى بحيث العدى آمنت بأسه
أتاه و قد أشغلته الصلاه و اهدأت النفس أنفاسه
فلو أنه داس ذاك العرين بحيث يرى الليث من داسه
لفر إلى الموت من نظره و ألقى الحسام و أتراه
و لكنه جاءه ساجدا و قد وهب الله إحساسه
فقوى عزيمته و اجتري فشق بصارمه رأسه
و هد من الدين أركانه و جذ من العدل أغراسه
و غيضى للعلم تياره و أطفأ للحق نبراسه
فيا طالب العلم خب فالكتاب قد مزق الكفر قرطاسه
و يا رخم الطير سد فالعقاب قد مهد الموت أرماسه
فمن للعلوم يرى فكره و من للحروب يرى بأسه
و من لليتيم و من للعديم يبدل عن ذا و ذا يأسه
قضى المرتضى بعد ما قد قضى ذمام القضا بالذى ساسه
قضى حيدر العلم فالعالمون أضاعوا الصواب بمن قاسه
قضى سيد الناس بعد الرسول و غادر فى حيره ناسه
أعنى على النوح يا صاحبي فقد جاوز الحزن مقياسه
و قد انشب الوجد أظفاره بقلبي و مكن أضراسه
ألسنا فقدنا إمام الهدى و بدر الفخار و مقياسه
سأبكيك حتى أذيب الفؤاد و لم أبق للترع أقواسه

و إن من الحزن أن أنظم الرثا و أولف أجناسه
و أركبه سلسا طيعا و قد كنت عريت أفراسه
فان يكن الشعر من جوهر فان رثاك غدا بأسه
و له يرثى على الأكبر بن الامام الحسين (ع):
با بأبى النازح عن أوطانه عاد به رحب الفضاء ضيقا
تواثبت حرب عليه ضله بمعشر سدوا عليه الطرقا
إن شد قرم شد عنه فيلق فما يرد أو يردى الفيلقا
و ان ينازل قرنه فى موقف أطار رؤسا و أطن مرفقا
مشوا بظل السمر خير مشيه و لاقوا البيض أعز ملتقى
و أشرقوا مثل النجوم فى الوغى حتى تهاووا مغربا و مشرقا
[و] غادروا ابن أحمد منفردا بآله الأطهار أعلام التقى
ن [من] كل ثبت ان تكشر الوغى نابا و تحمر الكماه حدقا
حتى إذا القضاء حم و الردى بدا و أمر الله فيهم سبقا
رقى نوافث الوغى باروع لا يرهب الموت إذا الموت رقى
يا أشبه الناس بنفس المصطفى خليقه و خلقا و منطلقا
بمن إذا اشتاقوا النبى أبصروا وجهها له يجلو سناه الغسقا
فشد فيهم شده الليث إذا ما أصحر الليث غضوبا محنقا
يشلهم طردا فمن سرج خلا و جثه خرت و رأس حلقا
إذا أشار سيفه لهارب قصره الخوف فمد العنقا
أو أغربت ضربته سرى إلى وجه أبيه بشرها فأشرقا

لله من ظام و لكن سيفه من الدما راو يمج العلقا
إذا تلظى عطشا حسبه صل نقى بنفث سما مطرقا
أو اشتكى إلى أبيه حرقه من الظما رآه أذكى حرقا
يرشف من ثغر أبيه بضعه لا تستطيع بالظما أن تنظفا
ثم يعود للقتال جاهدا يقط كشحا و يقدر مفرقا
يستقبل البيض بوجه و يرى أن القنا خير له من البقاء
حتى هوى على الثرى موزعا بين المواضى و القنا مفرقا
يستحمل الريح سلاما لأب بر فينقض عليه صعقا
يا زهره الدنيا على الدنيا العفا و زهره الأفق و ليت أطبقا
و نبغه ريانه من دوحه بها النبى و الوصى اعتنقا
فمن نحاك بالحسام ضاربا جسما تغذى بالتقى و ما اتقى
و أى سيف حز منك منحرا جرى به دم الهدى مندققا
و له يرثى الامام الحسين (ع):

كم طلعه لك يا هلال محرم قد غيبت وجه السرور بماتم
ما أنت إلا القوس فى كبد السما ترمى قلوب المسلمين بأسهم
ذكرتهم يوم الطفوف و مانسوا لكن تجدد ذكره المتصرم
يوم به زحف الضلال على الهدى و به تميز جاحد من مسلم
بعث بنو حرب كتائب تقتفى بكتائب و عرمرما بعمرم
و نحت بها عزم ابن حيدر فاستوى منها يلف مؤخرا بمقدم
سدت بها صدر الفضا فأزالها منه بصاعقه الحسام المخدم

و أفاضت الماء الفرات بوردها فأفاضها بندى يديه و بالدم
خلط السماحه بالحماسه فالندى ينهل من سحب الردى المتحتم
يشنى الحديد بقوه من بأسه و يرد كل محدد و مقوم
كم من خميس جال فى أوساطه فدحاه ملقى لليدى و للفم
قص الجناح له و أنشب قلبه بمخالب البازى و ظفر الضيغم
تتقصف الأضلاب فى يوم الوغى ما إن يقول أنا الحسين و ينتمى
و تهافت الأرواح مثل فراشها دفعا ببارق سيفه المتضرم
أ ترى أميه يوم قادت جيشها ظنته يعطيها يد المستسلم
هيهات ما أنف الأبى بضارع للحادثات من الخطوب الهجم
فقضى بحكم حسامه أجسادها لأوابد و نفوسها لجهنم
و أبادها بالجارفين مهند غضب الشبا و طرير رمح لهزم
فى فتيه يتلونه فكأنه من بينهم قمر يحف بانجم
يتهللون إذا تشاجرت القنا و الليث يأنس باصطكاك المأجم
و إذا تناكصت العدى وصلوا الظبا يوم النزال بساعد و بمعصم
فقضوا على شاطى الفرات براحه تندى و قلب من مذاقته ظمى
من كل جسم بالحسام موزع عن كل صدر بالسهام مسهم
وقعوا فما مس الثرى جسدا لهم مما عليه من القنا المتحطم
و تقسموا بضعا فظل عميدهم يرنو بطرف بينهم متقسم
ما ذا تظن بمخدر قد أرهقوا أشباله فى غيله المتحرم
وافى فيا جثث النفوس تأخرى و دعا فيا قمم الرءوس تقدمى

و أصات عن قلب تفطر بالظما و فم تلبد بالعجاج الأقم
فكان نفخ الصور جاء وعيده أو قد أحيطوا بالقضاء المبرم
يا سيفه الفتاك كم من ثله ثلمتها و برقت غير مثلم
إن يدعه البارى فكم لباه فى كرم و أعقبه بشخص أكرم
فتوى على حر البسيطه باسطا كفيه بين عدى و بين مخيم
تتحاذر الأعداء و ثبته و قد علموا بصرعته حذار توهم

ص: ٢٧٥

و قال:

أجل الثنايا أملا و اقتراح و انعش بها روحى فى وقت راح

بالله و اجعل نقلى بعدها من ذلك الورد و ذاك الأفاح

تسارعت شمس الضحى خيفه أن يقيس الطلعه منك الصباح

ثار بها الغيظ فلاحت على حال يد طوق و أخرى وشاح

جلل بفرعيك على وجهها فقد دهانا وجهها بافتضاح

حرمت يا شمس عناق الهوى لا خاب من سماك يوما براح

مؤلفاته

(١) حاشيه على التحفه الألويسيه (٢) الكواكب السماويه (ط) (٣) إبصار العين فى معرفه أنصار الحسين (ط) (٤) ظرافه الأحلام
فيمن نظم شعرا فى المنام (ط) (٥) الطليعه إلى شعراء الشيعة فى ٣ أجزاء صغار (٦) ملتقطات الصحو فى النحو (٧) الترصيف فى
التصريف (٨) نظم السمط فى علم الخط (٩) البلغه فى البلاغه (١٠) مناهج الوصول إلى علم الأصول (١١) فرائد الأسلاك فى
الأفلاك (١٢) غنيه الطلاب فى الأسطرلاب (١٣) قرط السمع فى الربع المجيب (١٤) مشارق الشمسين فى الطبيعى و الالهى (١٥)
عنوان الشرف فى تاريخ النجف أرجوزه فى ١٥٠٠ بيت (١٦) نوال اللطف فى تاريخ الطف أرجوزه فى ١٢٥٠ بيت (١٧) صدق
الفؤاد فى تاريخ بلد الكاظم و الجواد أرجوزه فى ١١٢٠ بيت (١٨) وشائح السراء فى تاريخ سامراء أرجوزه فى ٧٠٠ بيت، و هذه
الأربعه طبعت فى النجف فى جزء واحد (١٩) بلوغ الأئمه فى تاريخ النبى و الأئمه أرجوزه فى ١٢٠ بيتا (٢٠) التذكرة فى من
ملك العراق إلى هذا العصر أرجوزه و هى تكمله (المخبره) لابن الجهم فى ١٧٠ بيتا (٢١) جمل الآداب فى نظم كتاب ابن داب
فى فضائل أمير المؤمنين (ع) أرجوزه فى ٢٠٠ بيت (٢٢) جذوه السلام فى مسائل علم الكلام (٢٣) رياض الأزهار مجموع شعرى
له فى النبى و الأئمه (ع) و غيرها.

الشيخ محمد شفيح الأسترآبادى.

توفى حدود سنه ١٢٣٨ عن عمر طويل.

فقيه متبحر أصولى محقق ولد فى أسترآباد و أكمل المقدمات هناك ثم هاجر إلى قزوین و كانت قزوین منقسمه على نفسها
بين الأخباريين و الأصوليين فالتحق بمدرسه الأصوليين و حضر فى الفقه و الأصول و العلوم العقلية على زعيم الأصوليين الشيخ
محمد الملائكة البرغانى المتوفى سنه ١٢٠٠ ثم توجه إلى العتبات المقدسه فى العراق و سكن كربلاء و التحق بحوزه الآغا باقر
الوحيد البهبهانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٠٥ و السيد مهدي بحر العلوم المتوفى سنه ١٢١٢ و أجزى منهما ثم رجع إلى موطنه
أسترآباد و انتهت إليه فيها الرئاسة الدينيه. ذكره صاحب نجوم السماء نقلا عن بعض مؤلفات نجله الشيخ مهدي المازندرانى

الأسترآبادى المتوفى سنة ١٢٥٩ قال أن والده من تلاميذ السيد مهدي بحر العلوم وقال أن صاحب الجواهر الشيخ محمد حسن اثنى عليه و مدحه...) أقول: و هو والد العالمين الجليلين الشيخ محمد كاظم المؤلف المكثرا الآتى ذكره و المتوفى سنة ١٢٣٧ من علماء الحائرا الشريف و الشيخ مهدي الجيلانى الأسترآبادى المتوفى سنة ١٢٥٩ نزيل مدينه لكهنؤ فى الهند الآتى ذكره أيضا.

ترك المترجم له مؤلفات منها: كتاب الأربعون حديثا فى فضائل الأئمة الطاهرين ع استخرجها من كتب غير الشيعة و طرقهم. كما ذكر فى كشف الحجب و الأستار ص ٣٧، و رساله فى البداء فارسىه و كتاب منهاج الأعمال فى الصلاه و الصوم إلى آخر الاعتكاف(١).

السيد محمد شفيع بن بهاء الدين محمد شيخ الإسلام ابن الميرزا كمال الدين

حسين بن عبد العال ابن المير السيد حسين الكركى العاملى القزوينى

سبط المحقق الكركى و باقى النسب ذكر فى الميرزا مسعود.

توفى سنة ١١٢٥.

طبيب حاذق و فقيه كبير عارف متأله و أديب شاعر ولد فى قزوین و أخذ المقدمات و النحو و الصرف و المنطق و العربيه و فنون الأدب على رجال أسرته و منهم والده شيخ الإسلام ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الحديث و العلوم العقلية على الشيخ الملا محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنة ١٠٩٤ و آقا رضى القزوينى المتوفى سنة ١٠٩٦.

و بعد وفاه والده تسلم منصب شيخ الإسلام بقزوین الذى انحصر فى أسرته منذ عهد جدهم السيد الميرزا كمال الدين حسين شيخ الإسلام العاملى الكركى حين كانت قزوین عاصمه للدولة الصفويه حتى سنة ١٠٠٠ حين انتقلت العاصمه من قزوین إلى أصفهان فى عصر الشاه عباس الكبير و بقى رجال هذا البيت الجليل فى مناصبهم بقزوین حتى اليوم و لا يزالون يعرفون ب (آل شيخ الإسلام) و لهم آثار و ماثرا باقيه فى قزوین و يذكر رجال هذا البيت كل منهم فى محله تصدر المترجم له للتدريس و الإفاذه و الإرشاد و كان من دعائم الدين و أعلام قزوین البارزين و زعمائها الأفاضل له مؤلفات و حواشى على الكتب الفقيهيه و الطبيه و الفلسفيه و له ديوان شعر و رساله فى العرفان و كانت له مكتبه نفيسه تفرقت و قد ظفرت ببعض منها. كما رأيت ختمه فى صدر صكوك دور و معاملات أملاك قزوین على شكل مربع. ترجمه حفيده و سميّه السيد محمد شفيع بن بهاء الدين شيخ الإسلام ابن المترجم له المار الذكر فى كتابه تاريخ العرفاء و ضبط عام وفاته سنة ١١٢٥ الذى نقلناه عنه(٢).

السيد محمد شفيع بن بهاء الدين شيخ الإسلام بقزوین ابن الأمير السيد محمد

شفيع شيخ الإسلام ابن الميرزا بهاء الدين محمد شيخ الإسلام ابن الميرزا

كمال الدين حسين شيخ الإسلام ابن عبد العال ابن المير السيد حسين

الكركى العاملى القزوينى

سبط المحقق الكركى إلى آخر النسب المذكور فى الميرزا مسعود.

توفى بقزوين حدود سنه ١٢٠٠.

من كبار علماء عصره حكيم متأله فيلسوف متبحر أديب شاعر ذكره فى أعيان الشيعة المجلد التاسع صفحه ٣٦٤ و وصفه بعالم عارف فاضل و تزايد

ص: ٢٧٦

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

على ذلك ما يلي: آل شيخ الإسلام من الأسر العلميه العلويه العامليه التي بزغ بدرها في أفق قزوين في القرن العاشر للهجره حينما كانت قزوين عاصمه الدوله الصفويه منذ عهد جدهم السيد حسين الحسينى الكركى العاملى و أول من عين من رجال هذا البيت الجليل بمنصب شيخ الإسلام هو السيد الميرزا كمال الدين الحسينى العاملى الكركى القزوينى و سوف نذكر علماء هذه الأسره كل منهم فى محله.

ولد المترجم له فى قزوين و أخذ المقدمات و فنون الأدب و العريه على أفاضل رجال أسرته و منهم والده السيد بهاء الدين شيخ الإسلام بقزوين ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على الشيخ محمد تقى الطالقانى القزوينى المتوفى سنه ١١٨١ و أخذ العلوم العقليه و العرفان على الشيخ الملا محمد الملائكه المتوفى سنه ١٢٠٠ و غيرهما و عكف على التدريس و التأليف و التصنيف و بعد وفاه والده السيد بهاء الدين تسلم منصب شيخ الإسلام فى قزوين و كان رئيسا مطاعا و زعيما نافذ الكلمه و من مراجع الأمور الشرعيه و هو والد السيد المير فضل الله شيخ الإسلام من أعلام علماء قزوين، كما رأيت بعض مؤلفات المترجم له بخط نجله المذكور. ذكره فى كتاب الذريعه إلى تصانيف الشيعة و قال: (محافل المؤمنين فارسى، ذيل لمجالس المؤمنين و مستدرک لما فات منه ألفه السيد محمد شفيح بن بهاء الدين الحسينى العاملى القزوينى رأيت النقل عنه فى عدّه مواضع منها ما نقله عنه صاحب الروضات تاريخ وفاه الشيخ لطف الله الميسى المعاصر للشيخ البهائى و المتوفى بعده بخمس سنوات أى فى سنه ١٠٣٥ و باسمه يعرف المسجد الكبير الأثرى فى أصفهان و التاريخ هو قول... و منها ما نقل عنه فى بعض حواشى أمل الآمل من ترجمه الآقا رضى القزوينى الذى توفى ١٠٩٦ و منها بعض المجاميع الذى نقل عنه ترجمه الشيخ على العرب و صرح هناك باسم المصنّف و نسبه و وصفه بالعاملى و لكن الفاضل الميرزا محمد تقى الرضوى المدرس ذكر فى مقدمه طبع "مجمّل التواريخ" عند ذكر تأليف هذا المؤلف و كتابه "تاريخ العرفاء" الذى فرغ منه سنه ١١٨٥ أنه السيد محمد شفيح الحسينى القزوينى، قال:

و المظنون أنه عاملى الأصل و قزوينى الموطن أقول: و من هؤلاء الساده فى قزوين السيد جمال الدين العاملى القزوينى المعاصر الذى توفى حدود سنه ١٣٣٠ و المترجم فى النقباء ص ٣١٤...)(١)

السيد محمد صادق بحر العلوم ابن حسن

مرت ترجمته فى المجلد الأول من المستدرکات، و نضيف إلى ما هناك ما ياتى:

لم نشر هناك شيئا من شعره و نشر هنا هاتين القصيدتين: قال مادحا مؤلف موسوعه (أعيان الشيعة) من قصيده:

سعد دعنى و ذكر عصر التصابى و أذكرن (محسنا) بطيب الثناء

مفرد طاب طارفا و تليدا و علا مفخرا على الجوزاء

ذو مزايا ليست تحاط بعد و غدت مستحيله الإحصاء

هو ركن للمسلمين ركين و عماد الشريعة الغراء

خاض بحر العلوم منه بفكر ثاقب فارتقى على القرناء

كم له من صحائف بينات فاق فيها بفكره و ذكاء

ورث العلم و الحجا عن حدود قد سموا فى الفخار و العلياء

قل لمن قاس فضله بسواه قست عقد الجمان بالحصباء

كيف يرقى رقيه أو يجاريه مجار فى الفضل و الارتقاء

فهو غمر الرداء من حسنات و من السيئات خلو الرداء

أيها المبتغى لنيل علاه إنما رمت نيل شهب السماء

كعبه الوافدين من كل قطر بحر جود ذو راحه سمحاء

و أكف الأنام طرا إليه راجيات تمد فى البأساء

ما نحاه راج من الناس إلا آب منه بأجزل النعماء

غير بدع إن قلت فيه جواد فلقد فاق حاتما بالسحاء

هذه تحفتى إليك تهادت فى حلاها كغاده حسناء

زفها (صادق) الموده فاسمح بقبول يا سيد النجباء

ليس دأبى نظم القريض و لكن حركتتى عواطف الشعراء

دمت فى راحه و أطيب عبش و سرور و نعمه و رخاء

و لك المجد و العلى ما تغنى طائر السعد بالهناء و الثناء

و له يرثى الملك فيصل الأول عام ١٣٥٢ من قصيده:

لله رزء فى البريه سارا عم العراق و طبق الأمصارا

لله رزؤك يا فقيد الشعب يا فخر العروبه ليثها المغوارا

العرب يعدك [بعدك] لم تزل تبكى أسى فتسيل من آماقها المدرارا

يا (فيصل) الحق الذى ألفت العلى و المكرمات له جعلن شعارا

هذا العراق و هذه أبنائه فقدت بفقدك سيفها البتارا

يا بدر هالتها و عقد جمانها و ملاذها إن خطب دهر جارا

يا طود حلم كان صعب المرتقى عجا لشخصك فى الثرى يتوارى

كنا نؤمل أن تدوم لنا حمى فتدود عن أبنائك الأشرارا

إيه بلاد الغرب كم من مهجه للعرب قد أضمرت فيها النارا

فترى سكارى الناس مما ناب من عظم المصاب و ما هم بسكارى

أسرار فقدك لم تزل مخفيه يا ليتهم كشفوا لنا الأسرارا

خلدت بعدك للعراق ماثرا ما مات من قد خلد الآثارا

و رفعت للوطن العزيز دعائما فسما به قدرا و عز فخارا

ما مت إذ خلفت شبل عرينه فى منهج قد سرت فيه سارا

(ملك العراق) و مذ على العرش استوى ملاً المحافل هيبه و وقارا

صبرا مليك العرب لا تجزع و إن أشجى المصاب و قرح الأبصارا

محمد صالح شمسه ابن مهدي

اشاره

ولد فى النجف سنه ١٣٢٣.

درس فى النجف ثم فى بغداد و تخرج من دار المعلمين الابتدائيه و عين معلما ثم مفتشا، و نشر خلال ذلك كثيرا من المقالات فى المجلات العراقيه، و ساهم فى الأحداث الوطنيه.

شعره

من شعره قوله:

ص: ٢٧٧

أنجزت وعدك آمال عذاب و أمان رضتها و هي عاب
و أنت طيعه بعد الابا و الشفيهان: مضاء و شباب
و جلت عن وجهها مسفره فازدهى المربع و ازدان الجناب
و استقر الحق فى موضعه فاستراح الحق و ارتاح النصاب
طوفت حيناً فلما خبرت شيم الناس و أضناها الطلاب
نفرت حتى إذا ما أسرفت شفها الوجد و آذاها العتاب
فحصت خطابها فانكشفت أوجه ثقلى و أخلاق تعاب
عبدوا الشهوه و انقادوا لها غايه العيش: شراب و رباب
فإذا الحق هضم موجه و إذا الشعب: صدوع و انشعاب
و إذا الإمرة مال يقتنى و إذا الحكم احتكار و انتهاب
و إذا الناس عبيد خول ألفوا الذل مريرا و استطابوا
و إذا العلم ضلال و عمى و إذا الفضل رداء و ثياب
و إذا العفه نقص فى الفتى و المروءات شنار و سباب
رجعت تنشذك العفو و ما أحسن العفو إذ القالون ثابوا
فعى تبلغها ما أملت بك و المرء حديث يستطاب
و عسى تنهض من كبوتها و يعيد المجد طعن و ضراب
فخض اللجه لا تحفل بها إنما الدنيا صراع و غلاب
و أعد مجد عهد سلفت و ادع للحق فداعيه يجاب
حيث لا الأفكار فى حجر و لا حجب الأبصار من جهل حجاب
و صروح الظلم تنهار بها أن عقبى ما بنى الظلم خراب

و يعود الناس أحرارا كما شرع الرحمن فيهم و الكتاب
أنفسا هذبها العلم فما يفسد الالفه شك و ارتياب
اخوه فى الله لا مستضعفا يزدرى فيهم و لا قيبلا يهاب
أخلصوا النيه فى أعمالهم فاستوى فيها ثواب و عقاب
و رضوا ما شرع الله لهم ليس فى القوم خراف و ذئاب
قوله:

جننا أبا القاسم نزجى له تهئنه حتمها الواجب
فصدنا الحاجب عن بابه أنعم بما من به الحاجب
حلأنا عن مورد آسن مرتق غصص به الشارب
و صاننا عن موقف شائن هان به المطلوب و الطالب
و له:

(أبو زهير) زهره قد نبتت على قذى
لا نفع فيها يرتجى و لا سنا و لا شذا
و له بعنوان (المشهد العلوى):

عجبا لفضلك كيف يخفى و أريج قدسك ذاع عرفا
قد عقب الدنيا فماست من شذاه تهز عطفنا
و تراك مواج به أرج الامامه فاح عصفنا
و الرمل من ألق كان عليه نور الشمس يضىفى
مثوى أبى الحسن الزكى المرتضى الذهب المصفى
كالشمس قبته تمد الكون إشراقا و كشفا

هو مسجد الأفلاك ليس كدمنه من أم أوفى
تتراحم الأملاك حول ضريحه ألفا فألفا
و تطوف فى حرم الامامه خشعا صفا فصفا
و العالم الأعلى يحج إلى الحمى القدسى زحفا
و الشمس تلثم تربه إن لم تنل قدما و كفا
خلع الإله عليه برد جلاله كرما و أضفى
تعفو الدهور و ذكره المعطار باق لا يعنى
حف البها بضرِيحه و عليه ظل الله رفا
مولى الهداه ولاؤه كالشهد للمولى و أشفى
قسطاس عدل الله لست ترى به ظلما و حيفا
و لسان و حى الله يعرب هديه حرفا فحرفا
و شعاع نور الله فاض على الوجود سنا و لطفا
و حفيظ سر الله ما أبدى لصفوته و أخفى
و خليفه الله الذى أخذ الأنام به و أعفى
نور الحقيقه فيه أشرق يخطف الأبصار خطفا
فسما على أفق العقول فليس تدرك منه وصفا
و دنا من السر المحجب خارقا حجبا و سجفا
قدماه ملثم أرفع الأملاك منزله و أحفى
وطات سماء القدس ترقى غاربا منها و كتفا
نعم توقعه العناية للورى شعرا مقفى

هيهات تدركه الحجاره أنها أقسى و أجفى

بهرت شوارقه الجحود فلح فى عمه و سفا

و بسيفه الدين استقام فكان للرحمن سيفا

يرسى قواعده و يرفع سمكه شيذا و رصفا

لولا مضاربه لكان الدين كالطلل المعفى

يصلى الوغى فردا و لم يالف سوى البتار إلفا

و يذب عنه و بعضهم قد غط فى سنه و أغفى

و كان صاعقه القضاء حسامه قدا و قطفنا

و كان زمجره القوا صف زجره الأبطال قصفا

يسقى ندامى الحرب من كاساته عبا و رشفا

و الشوس تهرب كالبها ثم شد فيها الليث خوفا

أ يلام من يرجو النجاء لنفسه و يخاف حتفا؟

عدل فلست ترى لديه مبعدا يعرى و يحفى

يطوى النهار على الطوى و الليل آلاما و خوفا

و مقربا كالهيم يملأ منه أكراشا و جوفنا

يختال فى حلل النضاره مثقلا طيشا و سخفا

أوفى على دارين يملأ عيبه منه و كفا

ثقلت مساوئه فحطت نفسه و الدين خفا

حاشا أبا حسن تنزه ما أبر و ما أعفا

فالناس مرتبه لديه يربهم برا و عطفنا

لم يرع غير الله فيهمهم [فيهم] سالكا لنا و عنفا
فترى القوى لديه أجلى ما يراه الناس ضعفا
و ترى الضعيف لديه أعظم قوه حتى يوفى
و يقض مضجعه السهاد مؤرقا قلبا و طرفا
يشجيه طاو فى الحجاز أو اليمامه عنه يخفى
الله شرفه و عظم قدره فجزى و وفى

ص: ٢٧٨

أنا قد غذيت بحبه و كرعت كاس هواه صرفا

و له:

قل للذى رضى اللئيم لصحبه، و أطاق لثومه

ألحاجه بك تصحب اللؤماء أم لقصور همه

لا تبتئس إن الحذاء السمل فى البيداء نعمه

و له مداعبا صديقا له:

من يشتري منى إخاء أبى زهير منعما؟

أم من يريد إخاءه هبه و يأخذ درهما

أم من يخلصنى لوجه الله منه تكرما؟

فلقد برمت به و سد على آفاق السما

صاحوا عليه بالمزاد فلم أجد متقدما

إلا شقيا حظه أكدى فبادر مقحما

و له:

ربه الشعر عاليات المعانى طمستها حماقه الإنسان

و صفات الكمال قد شوهتها نزوات من طبعه الحيوانى

و صفاء النفوس قد كدرته نزغات الشيطان بالأضغان

و طغى الجهل و استطال فعمت ظلمات و احلوك الخافقان

و تفشى الظلام حيث أخوالنا ظر مثل البصير يستويان

و دعا الشر فاستجابت نفوس غرقت فى الضلال للأذقان

و غدا الجوهر الثمين قياسا و الحصى بقرنان فى ميزان

الدعاوى الجوفاء كالطبل دوى بضجيج يصك بالآذان
حيث يدعى الفأر الحقير هزبرا و يسمى الذباب بالعقبان
لا لعا للمجاز يطلق لفظ الروض يعنى صلدا من الصوان
ثم يطغى الغباء إذ يزعم الصخر اكتساء الأزهار و الأغصان
و إذا ما سمعت قعقه الألقاب أدركت ما جناه الجانى
فترى الحجبه الامام و لكن هو بين الأنام كالسرحان
فإذا ماسطا تسير حواليه ذئاب تعيث بالقطعان
يدرأ الحق بالتعلل و الشك لبر الأولاد و الاخوان
يتراءى فى زهده كاويس و إذا ما خلا فكالسلطان
حواله يضرب الحجاب و ويل للفقير العانى من الديدان
و فقيه وصول طولا و عرضا ككمى يحول فى الميدان
ليس يدرى من دينه غير أن الدين در يحوزه و مجانى
و جهول ما حاز من سمه الفضل سوى أنه فلان الفلانى
يرمق الشمس بازدرء و يرنو باحتقار لطلعه الزبرقان
يتهادى كأنما تدرك الأرض عظيما من مشيه المتوانى
و كان الأملاك تجرى بامر منه إذ تستمر بالدوران
لو تقضيت أو كشفت مغطى لوجدت الحمار نسل الأتان
لم تزل فيه حاجه لولى أو لأم تربه يهان
و خطيب يرقى المنابر للوعظ و يغشى ملاعب الفتیان
كيف يدعو إلى الرشاد صبى لم يزل فى مدارج الصبيان

و الأديب الكبير و الشاعر الفحل و علامه الزمان الثانى
و العميد الجليل و الكاتب النحرير و اللوذعى و الوجدانى
كلمات بلا حقائق بين الناس شاعت بالزور و البيهتان
و الزعامات قائمات على الوهم لبذر الأحقاد و الشنآن
سادات فى الغى و الجهل و الطيش و غضب الحقوق و الكفران
دأبها الفتك بالأنام بالعدل و بث الشقاق و العصيان
و امتهان الضعيف و البائس المحروم من قوه و من سلطان
لا ترى فى الوجود صنعا لئىما مثل فتك الإنسان بالإنسان
شيخه عكفا على اللهو و اللعب صنوفا و فتيه كالغوانى
عبدوا المال و اللذائذ و الجاه غرورا و كاذبات الأمانى
ضيعوا منهج الكمال ضلالا و تناسوا صنائع الإحسان
لا عقول تنهى عن الفحش و السوء ورثت مواعظ الأديان
همل كالسوام ندت عن الراعى و جاست مسارح الذؤبان
أ رأيت الوحوش تعبت فى الغاب و تلهو بالفتك و النزوان
هكذا شاعت الفواحش و الجهل و غاضت منابع العرفان
و تمادى الطين الحقيق عتوا و نقورا فباء بالخسران
لا لعا للجهول يكبو و ضوء الشمس جلى مسارب الحيوان
نسى الناس ربهم فتهاووا فى سحيق من الحقاره دان
بلغوا أسفل الحضيض و ودوا أنهم منه فى أحط مكان
جيف ترتدى الحرير لباسا و حليا من عسجد و جمان

ظاهرا رائقا تسر به العين و سرا يسوء كالثعبان

ربه الشعر هل إليك سبيل فلقد شفنى الأسى و شجانى

و سئمت المقام فى العالم الأرضى بين الهوام و الديدان

و مللت المكوث فى ظلمات الجهل و الذل و الشقا و الهوان

فافتحى لى من أفقك الواسع الرحب مجازا لعاليات المعانى

و ارفعينى فان فى النفس ميلا و نزوعا لقدس تلك المعانى

إن يكن جسمى الكثيف من الطين فنفسى من عالم نورانى

منه عقلى و منه نفسى و روحى و ضميرى و منطقى و لسانى

أ و ليس الوجود فصلا و وصلا و مآبا إليه ينتهيان

كل نوع له معاد يؤديه إلى رب نوعه الإمكانى

هينى لى إلى السماء عروجا أطلقينى من أسر هذا الكيان

فلقد ضقت بالاقامه ذرعا و كرهت المكوث فى جثمانى

و جفانى أدنى الأنام لنفسى من فؤادى و عقنى أخدانى

رب خل محضته صفو ودى لم يجدنى من جنسه فجفانى

و صديق سكبت روحى شرابا عب منه ما شاء ثم قلانى

و قريب فرشت قلبى مهادا تحت أقدامه فما وفانى

و أخ راع حشائى و قلبى يتملى عواطفى و حنانى

فإذا ما نما استحال عدوا و تحرى مقاتلى فرمانى

لا الغريب البعيد كف أذاه عن فؤادى و لا القريب المدانى

كم جحود بررته فهجانى و جهول لجهله عادانى

ليس لى بينهم أخ اصطفيه قد نفضت اليدىن من إخوانى

لا ألوم الجحود فيما أتاه و أود الهنا لمن آذانى

لست من سنخهم فلم يالفونى أ رأيت الضدين يجتمعان

لى قلب سما على الحقد و البغض و نفس جلت عن الشنآن

أدر كينى بنفحه منك تسمو بى إلى ساحه العلى و الأمان

و خذينى إليك للملا الأعلى أرينى حقائق الأكوان

و اكشفى لى عن وجهك المشرق الوضاح تشرق مشاعرى و جنانى

و أنيرى بنورك الخاطف اللماع قلبى و ناظرى و بيانى

ص: ٢٧٩

خل جسمى و شانه أن جسمى عرض زائل و ظل فان
و امنحى نفسى الخلود لتحظى بجوار المهيمن المنان
ربه الشعر اكشفى لى المعمى من دقيق الأسرار فى الإنسان
و أنيرى قلبى ليفقه معنى لحدود الوجوب و الإمكان
غامض واضح خفى جلى فيه من كل خصله ضدان
إن هذا الجرم الصغير أراه فيه حارت ثواقب الأذهان
كتله ركبت من اللحم و الدم فدقت حتى على الشيطان
حدثينى عن الإفاضه و الفيض أ جنس فى السنخ أم جنسان
و عن الانبعاث فى الخلق و العله فى الكون هل هما سنخان
و صدور الإبداع كان نجوما أم ترى كان جمله فى آن
خبرينى أثم للفلك الدوار قصد فى السير و الدوران
و إلى غايه يسير و فيه الشمس و البدر خضعا يجريان
أم تراه يجرى إلى غير قصد تائه فى مجاهل اللامكان
و الوجود الكلى و العقل و النفس و أمثالها القواصى الدوانى
و مؤدى الحدوث و الجعل و الليس و معنى التأيس بالتبيان
أ هو كالضوء قاض من منبع النور أم أن الكنهين يختلفان
أم هو الموج حين يضطرب البحر و ما غيره يرى فى العيان
أم مرايا تعددت فتتالت صور جمه لإحدى المعانى
ما التجلى و ما الظهور أبينى أى معنى تضم تلك المبانى
و الماهيات و الوجود أ كانا بالتتالى أم لا هما توأمان

أم هو الوهم و الحقيقه سر غيبته عنايه الرحمن
و تظل العقول تحكى على الدهر حديثا للليل و العميان
جل ربي عن زعمهم و تعالى شأنه فهو واضح البرهان
سطعت من فيوضه و مضات بهرت خاسئ العيون الروانى
فترامى شيخ المعره مدهوشا و دكت معره النعمان
و تردى (الحلاج) من وضح النور هويا و غاص فى بحران
ليس فى قوله أنا الحق إلا لوته من وساوس الشيطان
فغدا يهتف اقتلونى اقتلونى إن سرا أذعته أردانى
و تهاوى (الشبلى) حين تجلت ومضه من وميضه الشعشعانى
صارخا فى الجموع هيا لقتلى فبقائى فى الحب ما أفنانى
خطرات من الوسوس و الوهم أطاحت بذلك البنيان
قد تجلى الصباح و امتلأ الكون ضياء و أشرق الخافقان
و صغار العقول تطلب بالشمعه نورا من فيضه القمران
شام منه (أبو يزيد) شعاعا فهوى لليدين و الأذقان
و (السنائى) إذ تجلى سناه خر كالطود سائخ الأركان
و تهادى (محمود) فى يده الراز صريعا كالواله السكران
و تردى (الرومى) فى الحيره و (العطار) قفاهما (قضيبي البان)
(شمس تبريز) كورت حين شامت بارقا من وميض تلك المغانى
كيف لا يسقطون صرعى حيارى بهرتهم شوارق اللمعان
قبسه أشرفت فخر كلیم الله موسى و زلزل الجبلان

إن هذا الوجود سر معمى ككتاب يبدو بلا عنوان
بابه موصل و فى الدرب طول خارج عن حدود هذا الزمان
و قصارى ما خامر الفكر و هم و قصور عن الجنى و هودان
أين هذا التراب من قدس نور رشحه من فيوضه العالمان
ليس يرقى لذلك القدس و هم كيف تسمو لقدسه عينان
و تعالى على المقاييس فالعقل عقال يبوء بالخسران
ضم سلطانه الوجود جميعا جل سلطانه العظيم الشأن
أفتدرى صنيعه صفة الصانع أو سر ذلك السلطان
برزت فتره و طارت شعاعا ما لها فى جميع ذاك يدان
كيف ترجو إدراكه بعقول صغرت عن مظاهر الأكوان
يتجلى لكل قلب نقى طاهر من عوائل الأدران
و لكم شع نوره فى فؤادى فجرى نور ذكره فى لسانى
و لكم عم لطفه فرعانى و لكم جل فضله فكفانى
لا أرى فى الوجود شيئا سواه قد تجلى فى سائر الأعيان
فتعبده بكل زمان و تطلبته بكل مكان
و إلى وجهه الكريم توجهت حنيفا و شافعى إيمانى
و له مراسلا صديقا:

أبا (سحر) أ لا يشجيك أنى أكلف صحبه الأموات حيا
و أنى حيثما سرحت طرفى فلست أرى من الأحياء شيا
و من حولى مسوخ شاخصات كان الوهم أبرزها لديا

إذا نهق الحمار غلا ارتيابي و رحمت مسائلا نفسي مليا

أ يوجد للحياه سواه مجلى فما يبدو سواه لنا ظريا

و قال:

لعمرك ما العطر و الغاليه و لا المسك عقب أرجائه

و لا البدر شع بالألانه و لا الشمس مشرقه ضاحيه

و لا الخمر صرفا تيل الحشى و تطفئ جمرتها الواريه

بأطيب ريا و أبهى سنا و أروى لقلبي من (راويہ)

محمد صالح محيى الدين ابن الشيخ على.

توفى سنه ١٣٢١ فى النجف.

كانت ولادته فى النجف و فيها نشا و درس. كان ظريفا فكها خفيف الروح، و عاش حياته مفلسا فظهر أثر ذلك كله فى شعره، فمن ذلك قوله مخاطبا أحد علماء النجف:

راح ثوبى و لباسى أنت تاج فوق راسى

كل من عاداك عندى فى البرايا كمداسى

أنت أن تنس جميلا منك إنى غير ناس

أنت غوث و غياث و عطوف و مواسى

أنت بحر الجود طام جبل فى العلم راسى

و رفيق و شفيق و رقيق غير قاسى

و منيل و جميل و جليل ذو أساس

اكسنى حله صيف ما أرى غيرك كاسى

كم بدا غيرك شخص يزدرى شم الرواسى

خلته بارق تبر فبدا برق نحاس

ماطلا موعد فضل لابسا ثوب التناسى

سد كل الطرق حتى سد لى طرق نعاسى

إن أمد كف افتقارى مد لى كف إياس

قد أناخ الهم عندى زمن صعب المراس

ص: ٢٨٠

كم لصرف الهم عندي في الحشا جرح المواسي

قد خلا كاسي و كيسي فاملأن كيسي و كاسي

علم الإسلام سمعا نظم شعري في اقتباس

جئت أشكوك زمانا قل فيه من يواسي

ما أرى في الدهر إلا قابضا للفضل ناسي

دم لنا في الدهر حصنا مانعا من كل يأس

الشيخ محمد طه الحويزي ابن الشيخ نصر الله.

ولد في النجف سنة ١٣١٧.

هو من أسرته علميه عريقه و قد نشأ في النجف و فيها تلقى دراسته و بعد وفاه والده انتقل إلى الحويزه و اشتغل فيها بالزراعه طيله خمس عشره سنه ثم عاد إلى النجف ثم إلى كربلاء و أخيرا استقر في مدينه (قم) بايران، و هو فقيه و شاعر و لغوي.

من شعره قوله في مدح الامام علي (ع) من قصيده:

بك يا علي ازدانت العلياء و من اسمك اشتقت لها أسماء

و علاك ما اطرى نعوتك مادح إلا استطال بنعتك الإطراء

و الشعر ليس يلذ إلا كاذبا ما لم يفه بثنائك الشعراء

حقيقه الفضل التي بمنالها متفاوتين تفاضل الفضلاء

قالوا تخلف بعد رهط قلت قد علت الخلافه و اعتلى الخلفاء

لله سر وجودك القدسي ما أخفاه لو يسع الكمال خفاء

لكن كملت و ظل غيرك ناقصا و الناقصون بغيرهم جهلاء

أنت الكتاب تشابهت آياته فارتاب في تأويلها العلماء

محمد بن العباس بن علي بن مروان بن الماهيار

المعروف بابن الجحام.

قال العلامة الحلى: محمد بن العباس بن على بن مروان بن الماهيار بالياء بعد الهاء و الراء أخيراً، أبو عبد الله البزاز بالزاي قبل الألف و بعدها، المعروف بابن الجحام بالجيم المضمومه و الحاء المهمله بعدها.

كان حيا سنه ٣٢٨ و سمع منه فى هذه السنه هارون بن موسى التلعكبرى، فهو معاصر للشيخ الكلينى و فى طبقته.

الثناء عليه

قال النجاشى: هو ثقة من أصحابنا عين سديد كثير الحديث...

و قال الشيخ الطوسى: محمد بن العباس بن على بن مروان المعروف بابن الجحام يكنى أبا عبد الله له كتب... أخبرنا بكتبه و رواياته جماعه من أصحابنا عن أبى محمد هارون بن موسى التلعكبرى عنه.

و قال ابن شهر آشوب فى معالم العلماء فى فصل من عرف بلقب أو قبيله أو بلد:

ابن الجحام أبو عبد الله محمد بن مروان له كتاب تأويل ما نزل فى النبى و آله ع ثم ذكر مؤلفاته.

و قال العلامة الحلى فى الخلاصه: هو ثقة عين من أصحابنا سديد كثير الحديث له كتاب ما نزل من القرآن فى أهل البيت ع قال جماعه من أصحابنا: أنه كتاب لم يصنف مثله فى معناه و قيل إنه ألف ورقه.

و قال ابن داود فى رجاله: هو ثقة من أصحابنا عين من أعيانهم كثير الحديث سديده.

و قال الأندى فى رياض العلماء: ابن الماهيار هو الشيخ محمد بن العباس بن على بن الماهيار الامام الأقوم المعاصر للكلينى صاحب كتاب التفسير الموسوم بكتاب ما نزل من القرآن فى أهل البيت، و هو ثقة المأمون.

و قال المحدث النورى ضمن كلام له.

و عن الشيخ الثقة السديد الجليل محمد بن العباس بن على بن مروان بن الماهيار فى تفسيره فى ما نزل فى أهل البيت ع الذى صرح جماعه من الأصحاب إنه لم يصنف مثله فى معناه، و أنه (فى) ألف ورقه.

و قال المحدث القمى: كان ثقة كثير الحديث من أجلاء علماء الاماميه و من مشايخ التلعكبرى.

و قال العلامة الطهرانى: هو ممن قال النجاشى فى حقه ثقة و من مشايخ أبى محمد هارون بن موسى التلعكبرى. سمع منه فى كما يظهر من كتاب الرجال للطوسى...

يستفاد من أسناد الروايات المنقوله عن تفسيره في كتاب تأويل الآيات للسيد شرف الدين الاسترآبادى و مختصر البصائر للحسن بن سليمان و سعد السعود و اليقين و محاسبه النفس للسيد ابن طاوس أن شيوخه في الحديث كثيرون جدا و نكتفى في هذا المقال بذكر عشرين شيخا منهم، كلهم من الأعلام الأعظم.

١ - أحمد بن إدريس بن أحمد أبو علي الأشعري القمي المعلم.

كان ثقة فقيها في أصحابنا كثير الحديث صحيح الروايه له كتاب النوادر كتاب كبير كثير الفائدة. مات بالقرعاء من طريق مکه على طريق الكوفه سنه ٣٠٦.

٢ - أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن عقده الحافظ.

جليل القدر عظيم المنزله، و أمره في الثقه و الجلاله و عظم الحفظ أشهر من أن يذكر. له كتب كثيره، منها كتاب التاريخ و هو في ذكر من روى الحديث من الناس كلهم العامه و الشيعه و أخبارهم - خرج منه شيء كثير و لم يتمه - كتاب السنن، و هو كتاب عظيم قيل إنه حمل بهيمه.

قال النجاشي: و رأيت له كتاب تفسير القرآن و هو كتاب حسن و ما رأيت أحدا ممن حدثنا عنه ذكره، و قد لقيت جماعه ممن لقيه و سمع منه و أجازه منهم من أصحابنا و من العامه و من الزيديه، و مات بالكوفه سنه ٣٣٣.

٣ - أحمد بن محمد بن موسى الهاشمي النوفلي.

روى عن عيسى بن مهران المعروف بالمستعطف. و له كتاب نوادر كبير.

و المستعطف هذا عنوانه الخطيب في تاريخ بغداد و قال: روى عنه

ص: ٢٨١

محمد بن جرير الطبري.

٤ - أحمد بن نصر بن سعيد الباهلي المعروف بابن أبي هراسه أحمد بن هوذه.

قال الخطيب في تاريخ بغداد: هو شيخ من شيوخ الشيعة.

له كتاب الايمان و الكفر و التوبه، مات في ذى الحجه سنة ٣٣٣ يوم الترويه بجسر النهروان و دفن بها.

٥ - جعفر بن محمد العلوي الحسيني أبو هاشم.

روى عنه التلعكبري، و قال: كان قليل الروايه، و سمع منه شيئا يسيرا.

و التلعكبري هذا مات، سنة ٣٨٥.

و قال شيخنا في قاموس الرجال: المقصود من الحسيني: إنه من ولد الحسين الأصغر من بني السجاد (ع) الستة.

٦ - أبو محمد الحسن بن محمد بن جمهور العمي.

قال النجاشي: بصرى ثقه في نفسه، ينسب إلى بني العم من تميم، يروى عن الضعفاء و يعتمد المراسيل، ذكره أصحابنا بذلك و قالوا كان أوثق من أبيه و أصلح. له كتاب الوحده أخبرنا أحمد بن عبد الواحد و غيره عن أبي طالب الأنباري عن الحسن بالوحده.

و قال النجاشي أيضا: قال علي بن الحسين الهذلي المسعودي (المتوفى ٣٣٦): لقيت حسن بن محمد بن جمهور فقال لي حدثني أبي و هو ابن مائه و عشر سنين.

٧ - أبو عبد الله الحسين بن محمد (بن عامر) بن عمران بن أبي بكر الأشعري القمي.

قال النجاشي: ثقه، له كتاب النوادر، أخبرنا محمد بن محمد عن أبي غالب الزراري عن محمد بن يعقوب عنه.

فهو من مشايخ الكليني و يروى عنه كثيرا في كتابه الكافي.

٨ - حميد بن زياد بن حماد.

قال النجاشي كوفي سكن سورا و انتقل إلى نينوى - قربه على العلقمي إلى جنب الحائر على صاحبه السلام - كان ثقه واقفا و جها فيهم، سمع الكتب و صنف كتاب الجامع في أنواع الشرائع، كتاب الخمس، كتاب الدعاء، كتاب الرجال، كتاب من روى عن الصادق (ع)، كتاب الفرائض، كتاب الدلائل، كتاب ذم من خالف الحق و أهله، كتاب فضل العلم و العلماء، كتاب الثلاث و الأربع، كتاب النوادر، و هو كتاب كبير.

و مات سنة عشر (أو عشرين) و ثلاثمائة.

و قال الشيخ الطوسى: هو عالم جليل ثقه واسع العلم كثير التصانيف روى الأصول أكثرها له كتب كثيره على عدد كتب الأصول.
و قال أبو غالب الزرارى فى رسالته إلى ولده: و سمعت من حميد بن زياد و أبى عبد الله بن ثابت و أحمد بن رماح و هؤلاء من رجال الواقفه إلا أنهم كانوا فقهاء ثقات فى حديثهم كثيرى الدرايه (الروايه). ٩ - أبو أحمد بن عبد العزيز بن يحيى الجلودى البصرى.

كان ثقه من أكابر الشيعة الاماميه و الرواه للآثار و السير، له نحو من مائتى كتاب. ذكرها النجاشى فى الفهرست. منها كتاب التفسير عن على (ع)، كتاب ما نزل فيه من القرآن، كتاب التفسير عن ابن عباس، كتاب التفسير عن الصحابه.
و قال الشيخ الطوسى: هو من أهل البصره إمام فى المذهب، له كتاب فى السير و الأخبار و له كتب فى الفقه، فمن كتبه كتاب الرشيد و المسترشد و كتاب المتعه و ما جاء فى تحليلها.

مات بعد سنة ٣٣٠ كما فى فهرست ابن النديم.

١٠ - أبو محمد بن عبد الله بن العلاء المذارى.

قال النجاشى: هو ثقه من وجوه أصحابنا. يقال أن له كتاب الوصايا و يقال أنه لمحمد بن عيسى بن عبيد و هو رواه عنه و له كتاب النوادر الكبير.

أقول روى النجاشى عنه بواسطتين.

١١ - على بن العباس المقانعى.

قال الشيخ الطوسى فى الفهرست: له كتاب فضل الشيعة.

و على بن العباس هذا يروى عن عباد بن يعقوب الرواجنى الذى مات سنة ٢٥٠.

١٢ - أبو جعفر محمد بن الحسين الخثعمى الأشنانى الكوفى.

قال الشيخ الطوسى: روى عنه التلعكبرى و سمع منه سنة خمس عشره و ثلاثمائة و فيما بعدها. مات سنة ٣١٧ و له منه إجازة.

و يروى عنه أبو الفرج الأصبهانى فى مقاتل الطالبين.

١٣ - أبو على محمد بن همام بن سهل الكاتب الإسكافى.

قال النجاشى: شيخ أصحابنا و متقدمهم، له منزله عظيمه كثير الحديث... له من الكتب كتاب الأنوار فى تاريخ الأئمه ع و مات

سنة ٣٣٦ و كان مولده سنة ٢٥٨.

و قال الخطيب فى تاريخه: هو أحد شيوخ الشيعة مات سنة ٣٣٢ و كان يسكن فى سوق العطش و دفن فى مقابر قريش.

و قال الشيخ الطوسى: جليل القدر ثقة روى عنه التلعكبرى و سمع منه أولا سنة ٣٢٣، و له منه إجازة و مات سنة ٣٣٢.

١٤ - أبو عبد الله محمد بن وهبان الديلى.

قال النجاشى: هو ساكن البصرة ثقة من أصحابنا واضح الرواية قليل التخليط له كتب، منها كتاب الصلاة على النبى (ص)، كتاب أخبار الصادق (ع) مع المنصور، كتاب أخباره مع أبى حنيفة كتاب بشارات المؤمنين عند الموت، كتاب أخبار الرضا (ع)، كتاب ترويح القلوب بطرائف الحكمه، كتاب الخواتيم، كتاب من روى عن أمير المؤمنين (ع)، كتاب المزار، كتاب الدعاء، كتاب فى معنى طوبى، كتاب التحف، كتاب الأذان حى على خير العمل، كتاب أخبار يحيى بن أبى الطويل كتاب أخبار أبى جعفر الثانى (ع).

و قال الشيخ روى عنه التلعكبرى.

ص: ٢٨٢

١٥ - أبو عبد الله محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي المعروف بالسوداني.

قال النجاشي: ثقة من أصحابنا، عمر، له كتاب الفوائد وهو نوادر.

وقال الشيخ: روى عنه التلعكبري وسمع منه في سنة أربع وعشرين (و ثلاثمائة) وله منه إجازة.

١٦ - أبو القاسم منذر بن محمد بن المنذر القابوسي.

ثقة من أصحابنا من بيت جليل، له كتب، منها وفود العرب إلى النبي (ص)، و كتاب جامع الفقه، و كتاب الجمل، و كتاب صفين، و كتاب النهروان، و كتاب الغارات.

روى عنه النجاشي بواسطتين.

١٧ - أبو محمد يوسف بن يعقوب بن إسماعيل البصري.

قال الخطيب: سمع محمد بن أبي بكر المقدمي... سكن بغداد، و حدث بها... و كان ثقة و كان تولى القضاء بالبصرة في سنة ٢٧٦ و ضم إليه قضاء واسط، ثم أضيف إلى ذلك قضاء الجانب الشرقي من بغداد...

مات سنة ٢٩٧.

١٨ - أبو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري.

صاحب التفسير و التاريخ المشهورين، من أعلام العامه و مات سنة ٣١٠.

١٩ - أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد البزاز المعروف بابن المطبقي.

قال الخطيب: يقال إنه كان علويًا و لم يكن يظهر نسبه و كان ثقة، ذكر أنه ولد سنة ٢٣٣. و توفي سنة ٣٢٨ و دفن في داره.

٢٠ - أبو عبد الله الحسين بن الحكم بن مسلم الكوفي المتوفى سنة ٢٨٦.

قال ابن شهر آشوب في معالم العلماء الحبري: له كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت ع.

أقول و هو الذي حققه السيد محمد رضا الحسيني و سماه تبعًا لنسبته الأسفار في طبقات رواة الأخبار - بتفسير الحبري من منشورات مؤسسه آل البيت.

روى عنه ابن الماهيار على ما في المطبوع من كتاب سعد السعود و أغلب رواياته عنه بالواسطة، و الظاهر سقوط الواسطة في سعد السعود، فابن الماهيار إنما يروى مباشرة عن شيوخ توفوا حدود الثلاثين و بعد الثلاثين و الثلاثمائة كما تقدم، و الحبري توفي سنة ٢٨٦ فهو في طبقه شيوخ مشايخ ابن الماهيار.

ذكر الشيخ الطوسي في فهرسته من مؤلفات ابن الماهيار هذه الكتب:

١ - كتاب التفسير الكبير.

٢ - كتاب تأويل ما نزل في النبي (و آله) ع. ٣ - كتاب تأويل ما نزل في شيعتهم.

٤ - كتاب تأويل ما نزل في أعدائهم.

٥ - كتاب الناسخ و المنسوخ.

٦ - كتاب قراءه أمير المؤمنين (ع).

٧ - كتاب قراءه أهل البيت ع.

٨ - كتاب المقنع في الفقه.

٩ - كتاب الأصول.

١٠ - كتاب الأوائل.

١١ - كتاب الدواجن على مذهب العامه.

و ذكر النجاشي: من هذه الكتب: المقنع في الفقه و كتاب الدواجن.

١٢ - كتاب ما نزل في القرآن في أهل البيت ع و قال جماعه من أصحابنا أنه كتاب لم يصنف في معناه مثله و قيل أنه ألف ورقه.

و قال السيد حسن الصدر: له في كل علوم القرآن كتب مفرده، له كتاب الناسخ و المنسوخ، و له في تفسير القرآن و تأويله، و له في محكمه و متشابهه، و في زيادات حروفه و فضائله و ثوابه، و له كتاب ما نزل في أهل البيت من القرآن و هو ألف ورقه. و هو من أهل القرن الثالث رضى الله عنه كان من المعاصرين للكليني صاحب الكافي.

و كما يظهر من هذه العبارة أن لابن الماهيار كتابا في المحكم و المتشابه و كتابا في ثواب القرآن و فضائله، و هذان مما لم يذكر في فهرست الشيخو النجاشي.

الرواه عنه

لم نعرف من الرواه عنه إلا أبا محمد هارون بن موسى بن سعيد بن سعيد التلعكبرى.

قال الشيخ الطوسي: أخبرنا بكتب ابن الجحام و رواياته عده من أصحابنا عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبرى عنه.

و قال أيضا: سمع منه التلعكبرى سنة ٣٢٨ و له منه إجازة.

و قال ابن طاوس: هذا الكتاب - أى تأويل ما نزل فى القرآن الكريم فى النبى و آله بعده طرق.

منها عن الشيخ الفاضل أسعد بن عبد القاهر المعروف جده بشفرويه الاصفهانى حدثنى بذلك لما ورد إلى بغداد فى صفر ٦٣٥ بدارى بالجانب الشرقى من بغداد... عن الشيخ العالم أبى الفرج على بن السعيد أبى الحسين الراوندى عن أبيه عن الشيخ أبى جعفر محمد بن على بن الحسن الحلبي عن السعيد أبى جعفر الطوسى رضى الله عنهم.

و أخبرنى بذلك الشيخ الصالح حسين بن أحمد السوراوى إجازة فى جمادى الآخرة سنة ٦٠٧ (كذا) عن الشيخ السعيد محمد بن أبى القاسم الطبرى عن الشيخ المفيد أبى على حسن بن محمد الطوسى عن والده السعيد محمد بن الحسن الطوسى.

و أخبرنى بذلك أيضا الشيخ على بن يحيى الحافظ إجازة تاريخها شهر ربيع الأول سنة ٦٠٩ عن الشيخ السعيد عربى بن مسافر العبادى عن الشيخ محمد بن أبى القاسم الطبرى عن الشيخ المفيد أبى الحسن بن محمد الطوسى.

ص: ٢٨٣

و غير هؤلاء يطوى (يطول) ذكرهم.

عن السعيد الفاضل فى علوم كثيره من علوم الإسلام والده أبى جعفر محمد بن حسن الطوسى قال: أخبرنا بكتب هذا الشيخ العالم أبى عبد الله محمد بن العباس بن مروان و رواياته جماعه من أصحابنا عن أبى محمد هارون بن موسى التلعكبرى عن أبى عبد الله محمد بن العباس ابن مروان المذكور.

قال النجاشى فى هارون بن موسى التلعكبرى: من بنى شيان، كان وجهها فى أصحابنا ثقة معتمدا لا يطعن عليه. له كتب منها: كتاب الجوامع فى علوم الدين، كنت أحضره فى داره مع ابنه أبى جعفر و الناس يقرءون عليه.

و قال الشيخ الطوسى: التلعكبرى يكنى أبى محمد جليل القدر عظيم المنزله واسع الروايه عديم النظر ثقة. روى جميع الأصول و المصنفات، مات سنه ٣٨٥.

و فى إيضاح العلامة الحلى: التلعكبرى باللام المشدده و ضم العين و ألباء. عن فضل الله الراوندى.

قال شيخنا فى قاموس الرجال بعد نقل ما فى الإيضاح: بل بفتح ألباء كما صرح به السمعانى فى أنسابه و الحموى فى بلدانه. و عكبرا على عشره فراسخ من بغداد، و تل عكبرا موضع عند عكبرا يقال له: التل، و التل منسوب إلى عكبرا.

تفسيره

للأسف لم يبق لنا من الآثار الثمينه و المؤلفات القيمه لابن الجحام إلا قسم من كتابه (ما نزل من القرآن فى أهل البيت) و لهذا يلزمننا البحث عنه و تعريفه بقدر الإمكان.

و هذا الكتاب النفيس كان موجودا على عهد النجاشى المتوفى ٤٥٠ و الذى قال عنه: قال جماعه من أصحابنا أنه كتاب لم يصنف فى معناه مثله و قيل أنه ألف ورقه و واضح فى كلمه (قيل) أنه لم يره بنفسه.

و بقى إلى القرن السابع، و كان عند ابن طاوس المتوفى سنه ٦٦٤، و نقل عنه فى غير واحد من مؤلفاته.

قال فى كتابه سعد السعود: فصل فى ما نذكره من المجلد الأول من تأويل ما أنزل من القرآن الكريم فى النبى و آله ص تأليف أبى عبد الله محمد بن العباس بن على بن مروان المعروف بابن الجحام.

و قال فيه أيضا: فصل فيما نذكره من المجلد الثانى منه.

و قال فى كتابه (اليقين) الباب الثانى و التسعون فيما نذكره من كتاب تأويل ما نزل من القرآن الكريم فى النبى (ص)... تأليف الشيخ العالم محمد بن العباس بن على بن مروان فى تسميه النبى (ص) مولانا على (ع) أمير المؤمنين:

(أعلم أن هذا محمد بن العباس قد تقدم ما ذكرناه عن أبى العباس أحمد بن على النجاشى أنه ذكر عنه رضى الله عنه: إنه ثقة عين، و ذكر أن جماعه من أصحابنا ذكروا أن هذا الكتاب الذى ننقل و نروى عنه لم يصنف فى معناه مثله و قيل أنه ألف ورقه،

وقد روى أحاديثه من رجال العامه لتكون أبلغ في الحججه و أوضح في المحججه و هو عشره أجزاء و النسخه التي عندنا الآن...
مجلدان ضخمان قد نسخت من أصل عليه خط أحمد بن الحاجب الخراساني في إجازته تاريخها في صفر سنة ٣٣٨ و إجازته بخط
الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي و تاريخها في جمادى الآخره سنة (٤٤٣).

ثم نسخه ابن طاوس التي كان عليها خطه بقيت حتى زمن الشيخ حسن بن سليمان الحلبي من أعلام القرن الثامن و أوائل القرن
التاسع من تلاميذ الشهيد الأول مجاز منه سنة ٧٥٧ و كانت عنده رحمه الله و نقل عنه في كتابه (مختصر بصائر الدرجات لسعد
بن عبد الله).

قال في مختصر البصائر:

يقول: عبد الله حسن بن سليمان وقفت على كتاب فيه تفسير الآيات التي نزلت في محمد و آله صلوات الله عليهم تأليف محمد
بن العباس بن مروان يعرف بابن الجحام و عليه خط السيد رضى الدين علي بن طاوس أن النجاشي ذكر عنه أنه ثقة ثقته و روى
السيد رضى الدين علي بن طاوس عن فخار بن معد بطريقه إليه من الكتاب المذكور ثم نقل سبعة أحاديث من هذا الكتاب.

و قال فيه أيضا:

و من كتاب تأويل ما نزل من القرآن في النبي و آله ص تأليف أبي عبد الله محمد بن العباس بن مروان، و على هذا الكتاب خط
السيد رضى الدين علي بن موسى بن طاوس ما صورته: قال النجاشي في كتاب الفهرست ما هذا لفظه: محمد بن العباس ثقة ثقته
في أصحابنا...

روايه علي بن موسى بن طاوس عن فخار بن معد العلوي و غيره عن شاذان بن جبرئيل عن رجاله، ثم نقل عنه روايات كثيره
فراجع.

و على ما يبدو أن الكتاب كان موجودا عند الشيخ تقي الدين الكفعمي صاحب كتاب جنه الأمان الواقيه المشتهر بالمصباح الذي
فرغ من تأليفه سنة ٨٩٥ إذ ذكره في عداد مصادره في آخر الكتاب و نقل عنه في حاشيته في موردين:

و ذكر أبو عبد الله محمد بن العباس بن مروان المعروف بابن الجحام في كتابه ما نزل من القرآن في أهل البيت و هذا الكتاب
ألف ورقه و لم يصنف مثله في معناه.

و في هذا الزمان أعنى أواخر القرن التاسع و أوائل القرن العاشر ظفر السيد الشريف شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي
تلميذ المحقق الكركي و صاحب كتاب تأويل الآيات الباهره في فضائل العتره الطاهره بالمجلد الثاني منه و أدرج قسما من
رواياته في كتابه هذا.

قال السيد شرف الدين في تأويل الآيات:

قوله تعالى: (و إن كادوا ليفتنونك عن الذي... (سوره الأسرائ الآيه ٧٣) تأويله: ما ذكره الشيخ محمد بن العباس.

و من قبل أن نذكر رواياته الصحيحه نذكر ما قيل فيه في كتب الرجال -

ص: ٢٨٤

ثم ذكر ما نقلنا من قبل عن العلامة الحلى فى الخلاصه و ابن داود فى رجاله - ثم قال:

و هذا كتابه المذكور - أى ما نزل من القرآن فى أهل البيت - لم أقف عليه كله بل نصفه من هذه الآيه - أى ٧٣ من سوره الأسرائ - إلى آخر القرآن...

و كان تأليف هذا الكتاب قبل سنه ٩٣٧ إذ له تلخيص و منتخب فرغ من تنميته منتخبه فى سنه ٩٣٧ قال العلامة الطهرانى فى الدرعيه:

و تأويل الآيات هذا من مصادر تفسير البرهان للبحرانى و البحار للعلامة المجلسى و إثبات الهداه للشيخ الحر العاملى و غيرهم ممن عاصروهم أو تأخر عنهم إلى زماننا هذا و قال السيد هاشم البحرانى المتوفى ١١١٤ فى فصل بيان مصادر تفسيره المسمى بالبرهان: كتاب الشيخ محمد بن العباس بن مروان الماهيار و هذا الكتاب لم أقف عليه لكن أنقل عنه ما نقله السيد شرف الدين النجفى المقدم ذكره و لم يتفق له العثور على مجموع كتاب محمد بن العباس بل من بعض سوره الأسرائ إلى آخر القرآن و أنا إن شاء الله أذكر ما ذكره عنه.

و قال الشيخ الحر العاملى المتوفى ١١٠٤، فى فصل بيان مصادر كتابه المسمى بإثبات الهداه: و قد نقلنا من كتب أخرى من مؤلفات الاماميه لم نرها لكن نقل منها بعض أصحاب المؤلفات السابقه و نقلنا نحن منها بالواسطه و بعضها قد رأيت و لم يحضرنى عند جمع هذا الكتاب فمنها... كتاب ما نزل من القرآن فى أهل البيت ع لمحمد بن العباس بن مروان الثقه.

و قال العلامة المجلسى المتوفى ١١١١ فى مقدمه البحار عند ذكر مصادره و بيان توثيقها: كتاب تأويل الآيات الظاهره فى فضائل العتره الطاهره للسيد الفاضل العلامة الزكى شرف الدين على الحسينى الأسترآبادى المتوطن فى الغرى مؤلف كتاب الغرويه فى شرح الجعفرىه تلميذ الشيخ الأجل نور الدين على بن عبد العالى الكركى و أكثره مأخوذ من تفسير الشيخ الجليل محمد بن العباس بن على بن مروان بن الماهيار و ذكر النجاشى - بعد توثيقه - إن له كتاب ما نزل من القرآن فى أهل البيت، و كان معاصرا للكلىنى، و كتاب كنز جامع الفوائد و هو مختصر من ذلك الكتاب لبعض من تأخر عنه...

و قال فى موضع آخر: و كتاب تأويل الآيات و كتاب كنز جامع الفوائد رأيت جمعا من المتأخرين رووا عنهما و مؤلفهما فى غايه الفضل و الديانه.

و يظهر من عبارته نضد الإيضاح: (له كتاب ما نزل من القرآن فى أهل البيت ع و هو كتاب جيد) إن علم الهدى ابن الفيض الكاشانى مؤلف النضد قد رأى هذا الكتاب و استجاده إلا أن يقال لعله رآه فى كتاب تأويل الآيات للسيد شرف الدين و الله العالم.

حجمه... و أهميته

قال النجاشى: كتاب ما نزل من القرآن فى أهل البيت قيل أنه ألف ورقه.

قال ابن طاوس: هو عشره أجزاء و النسخه التى عندنا الآن.

و أيضا يدل على كبر هذا التفسير أن الروايات كثيرا ما تنقل فيه بأسانيد متعددة مثل ما يلي: قال ابن طاوس في سعد السعود: قد روى محمد بن العباس بن مروان نزول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك... في حق علي (ع) عن أحد و ثلاثين طريقا...

و روى فيه (اختصاص) آيه المباهله بمولانا على و فاطمه و الحسن و الحسين ع من أحد و خمسين طريقا عمّن سماه من الصحابه و غيرهم.

و روى فيه حديث فدك من عشرين طريقا.

و روى تخصيص آيه التطهير بهم ع من أحد عشر طريقا.

اختصره أحد الأعلام و لم نعرفه و كانت نسخه عند السيد ابن طاوس و نقل منها في سعد السعود روايه واحده.

قال: فصل فيما نذكره من كتاب التفسير مجلده واحده قالب الربع مختصر كتاب محمد بن العباس بن مروان و لم يذكر من اختصره و نذكر عنه روايه واحده تفسير آيه من سوره الرعد (طوبى لهم و حسن مآب...).

و ذكر هذا المختصر العلامة الطهراني في الذريعه.

يتبين مما ذكرنا أن قسما من هذا التفسير الثمين قد وصل إلينا عن طريق بعض كتب السيد ابن طاوس و مختصر البصائر، و مصباح الكفعمي، و تأويل الآيات للأسترآبادي فيلزمنا استخراج هذه الروايات من هذه الكتب، و التحقيق في إسنادها و متونها، ثم جمعها و نظمها على ترتيب آيات القرآن الكريم و طبعا و نشرها بعنوان (قسم من تفسير ابن الماهيار) أو (مختصر تفسير ابن الماهيار) (١).

الشيخ محمد حسين بن غلام على الأيسى القزويني

ولد في قزوین سنه ١٣٣٦ و توفي بها يوم الاثنين ٧ شوال سنه ١٤١١ حكيم مفسر محقق من رجال الفتوى و أكابر المدرسين في قزوین أخذ المقدمات و الأدب عن السيد أحمد عماد حاج سيد جوادی و سطوح الفقه و الأصول من حوزة الشيخ أحمد تالهي و السيد محمد مهدي التقوي و تخرج في الحكمة و الفلسفه على السيد أبو الحسن الرفيعی القزويني و السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان و تخرج في الفقه على الحاج آقا حسين البروجردي و الأصول على الشيخ عباس الشاهرودي و السيد محمد الداماد، ثم اختص به أستاذه الطباطبائي صاحب الميزان و كان من الملازمين له، المقربين إليه حتى سنه ١٣٨٠ التي رجع فيها إلى موطنه قزوین فانتهى إليه فيها كرسى التدريس و كان وحيد عصره في تدريس الحكمة و الفلسفه و تخرج عليه جماعه من الأفاضل و هو من رواد مدرسه صدر المتألهين الشيرازي و بوفاته انتهى تدريس الفلسفه في قزوین.

له مؤلفات منها: (تفسير القرآن) مخطوط، رأيته عنده، و هو بأسلوب قل نظيره، و له حواش على أسفار صدر المتألهين الشيرازي، و حواش على منظومه السبزواری، و حواش على إلهيات ابن سينا (٢).

١- الشيخ رضا الأستادى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

السيد محمد حسين الطهراني الحسيني ابن السيد محمد صادق

توفي سنة ١٤١٠ في مشهد الرضا.

كانت ولادته في طهران، و فيها درس المقدمات، ثم سافر سنة ١٣٦٤ إلى قم، و بعد ست سنوات من الدراسة فيها سافر منها إلى النجف الأشرف حيث درس عند كبار العلماء كالسيد الخوئي في الأصول و الفقه، و السيد جمال الدين الكلپايگاني في الأخلاق. ثم رجع إلى طهران و بدأ التدريس و الإرشاد و إمامه الصلاة في مسجد القائم. ثم سافر إلى (مشهد) منشغلا فيها بالتأليف و التحقيق.

كان من أساتذته في قم السيد محمد حسين الطباطبائي حيث درس عليه الفلسفه و الأخلاق. من آثاره ١ - رساله في تفسير آيه الرجال قوامون على النساء). ٢ - معادشناسى (معرفه المعاد) ٣ - امام شناسى (معرفه الامام) في اثني عشر مجلدا. ٤ - لمعات الحسين. ٥ - تحقيق و شرح رساله السير و السلوك ٦ - رساله لب الألباب في سير و سلوك أولى الألباب، ٧ - رساله رؤيه الهلال. ٨ - مجموعه يكتاشناسى (معرفه التوحيد) و هي غير مطبوعه.

محمد بن عبد الله الأبرقطي

ذكره شارح القصيده الفزاريه بكلام يفهم منه أنه كان من أنصار الفاطميين، و أنه حرض المنصور على الانتقام من الفزارى بسبب انتصاره ساعه لأبي يزيد. و لم نجد للأبرقطي هذا ذكرا في كتب التراجم و لا في كتب الطبقات. حتى المالكي صاحب رياض النفوس لا يذكره.

و نقل الشارح في مستهل شرحه للقصيده الفزاريه، أبياتا للأبرقطي، يحرض فيها المنصور على الفزارى و يشنع عليه هجوه لبني عبيد، و هذا الشعر قطعان:

المقطوعه الأولى:

أ منصور هاشم من لا يحب حياتك لا صحبته الحياه

و عاجله، قبل أن ينتهى إلى أمد يبتغيه، الممات

أ يمشى الفزارى فوق التراب و أظفاره فيكم داميات؟

فأين بوادرك المهلكات و أين عزائمك الموجزات؟

أزح عنه عفوك لا تبقه فأفعاله فيكم منكرات

و جاز اللعين بأفعاله فائره فيكم باقيات

أ يظن و غد فزاره ظن امرئ جهل العواقب ثم لا يتفكر

أن الذى ارتكب اللعين و ناله من بيت أهل الوحى ذنب يغفر؟

هيهات تلك جنيه مطويه فإذا أتى الأجل الموقت تنشر

السيد محمد بن السيد عبد الحسين بن السيد أحمد بن السيد الحسن بن السيد

جعفر العاملى

الأصل القزوينى المولد و المنشأ و المدفن المعروف ب (صدر الصدور و المتخلص) ب (خاك).

ولد فى قزوین سنه ١٢٨٣ و توفى بها سنه ١٣٦٧ و دفن فى الخانقاه التى أسسها فى شمال مدينه قزوین عند باب مدينه قزوین الأثرى المعروف ب "دروازه راکش [راه كوشك]".

من أعلام الفقه و الأصول حكيم عارف متصوف، أديب شاعر بالفارسيه و العربيه ولد فى بيت علم و فضل و جاه و كان والده من أعيان العلماء و له أملاك و ثراء، أخذ المقدمات و العلوم العربيه و فنون الأدب و الصرف و النحو و البديع و البيان و المنطق على جماعه من أفاضل علماء قزوین و أخذ الفقه و الأصول على الآخوند ملك محمد الغنوى و الشيخ آقا حسين أبله [آبله] كوب و الميرزا شفيح الآشتيانى و كان مولعا بالكيمياء و الرياضيات و العلوم الغربيه فأتقنها على الميرزا فضل الله القزوينى فى مدرسه شيخ الإسلام ثم هاجر إلى طهران و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الميرزا أبو القاسم حكيم اللهى التفرشى و السيد كاظم المصلاطى و أخذ الطب على الميرزا حسين حكيم الجوادى ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه فى كربلاء فتخرج هناك فى الفقه و الأصول فى كربلاء على مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى البرغانى الحائرى آل الصالحى و أخذ العلوم العقليه على الميرزا علامه البرغانى الحائرى آل الصالحى و عاد إلى موطنه قزوین و مال إلى التصوف و أسس خانقاه عند بوابه مدينه قزوین الأثرية المعروفه "درواز [دروازه] راکش [راه كوشك]" و جعل فيها جناحا لمكتبه عامه. فكان هناك مجمع الأدباء و الشعراء و المتصوفه و هو من أعلام أسرته آل صدر الصدور الذى هاجر جدهم الأعلى السيد جعفر من جبل عامل فى عهد نادر شاه الأفشارى الذى أنعم عليه بلقب صدر الصدور و أول من اشتهر ب "صدر الصدور" هو السيد جعفر المار الذكر.

و المترجم له من أقرب أصدقاء الشاعر الشعبى المعروف عارف القزوينى و تربطه به علاقات أخويه متينه. و المترجم له هو والد السيد عبد الحسين صدر الصدر القزوينى المار الذكر.

ترك المترجم له مؤلفات مطبوعه و مخطوطه منها:

١ - ديوان شعر مطبوع، ٢ - ديوان شعر مخطوط، ٣ - قانون الرياضه فى سبيل الهدايه منظومه نظمها فى سفره للحج عام ١٣٠٦ بمكه المكرمه و طبعت سنه ١٣١١ فى طهران، ٤ - شرح الصدور فى حقائق الأمور طبعه فى طهران، ٥ - رساله فى الكيمياء، ٧ -

الشيخ محمد بن عبد الله البحرانى الشيبانى.

من أعلام الشيعة فى القرن السادس.

لم نقف على تاريخ ولادته ووفاته إلا أنه كان من تلاميذ الشيخ أبى محمد الحسن بن على و يروى باجازه عنه عن الشيخ على بن إسماعيل كما فى بعض أسانيد الكتاب العتيق قال شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة (... المعاصر للشيخ عربى بن مسافر و رشيد الدين محمد بن على بن شهر آشوب و شاذان بن جبرئيل و الشريف محمد بن محمد بن الجعفرىه و أحمد بن شهر يار و راشد بن إبراهيم البحرانى و عبد الله بن جعفر الدورىستى و إضرابهم لأن الشيخ تاج الدين حسن بن على الدربرى يروى عن جمع من هؤلاء كما ذكره علامه

ص: ٢٨٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الحلى فى الإجازة الكبيرة لبنى زهره و هو يروى أيضا عن صاحب الترجمة...) أقول توفى أبو عبد الله رشيد الدين محمد بن على بن شهر آشوب سنة ٥٨٨ و توفى شاذان بن جبرئيل بعد سنة ٥٨٨ و توفى راشد بن إبراهيم البحرانى سنة ٦٠٥ فكلهم من علماء الشيعة فى القرن السادس للهجره (١).

الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق البيهقى السبزوارى.

توفى حدود سنة ٣٣٦.

من شعراء الشيعة المبرزين فى بيهق و أكابر العلماء نحوى متفنن لغوى متضلع نابغه الأدب و الفضل. ولد فى مدينة سبزووار و أخذ العلم و فنون الأدب فى مسقط رأسه سبزووار إحدى المراكز العلمية الشيعيه آنذاك عند جماعه من فحول العلماء ثم نبغ فى الشعر و الأدب ثم هاجر من سبزووار إلى مدينة بيهق و استقر بها و كان له رئاسه. لم أفق على تاريخ ولادته و وفاته إلا أنه كان معاصرا للشاعر القفال الشاشى المتوفى سنة ٣٣٦ و طلب منه الخليفه العباسى المطيع لله الذى خلع عام ٣٣٤ إنشاء قصيده فى جواب قيصر الروم. كما سيأتى.

و المترجم له من أسره البديليين و من أقارب آل بديل بن ورقاء الخزاعى النازلين فى محال سبزووار و نيسابور (٢) ذكره ابن الفندق البيهقى المتوفى سنة ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق بما تلخيصه و تعريبه: (أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق البيهقى ولد فى سبزووار و نشأ بها ثم هاجر إلى بيهق و فى عهد خلافة المطيع لله العباسى أرسل قيصر الروم قصيده عربيه يهدد بها خليفه المسلمين المطيع لله العباس [العباسى] الذى خلع عام ٣٣٤ مطلعها:

من الملك الطهر المسيحى رساله إلى قائم بالملك من آل هاشم

فطلب المطيع لله العباسى من جميع شعراء و أدباء و فضلاء البلاد الإسلاميه أن ينظموا قصائد فى جواب قصيده قيصر الروم التى كانت مشحونه بأنواع التهديدات فوصل من جميع أنحاء البلاد الإسلاميه قصائد رائعة فاجمع الأدباء و الشعراء على اختيار قصيدتين منها الأولى قصيده المترجم له و القصيده الثانية للقفال الشاشى فأرسلتا إلى قيصر الروم... (٣).

مطلع قصيده المترجم له:

أ و هنا و غزو الروم ضربه لازم اريثا و قد جاءوا بتلك العظام

اسمعا لألحان القيان يصغنها و فى الروم تدعو الويل أولاد فاطم

و مطلع قصيده الامام القفال الشاشى:

أتانى مقال لامرئ غير عالم بطرق مجارى القول عند التخاصم

و مطلع قصيده أبو الحسن نصر بن أحمد المرغينانى:

عجبت لنظم صاغه شر ناظم بفيه الثرى فيما افترى من عظام

و كان المترجم له شاعرا و قد جمع أشعاره السيد أبو الحسن محمد بن على العلوى السويزى فى خمس مجلدات و أشار إلى ديوانه شيخنا فى الذريعة و قال:

(ديوان البيهقى لأبى عبد الله محمد بن عبد الرزاق البيهقى المولود بسبزوار قال فى تاريخ بيهقى ص ١٦٢ أنه من آل بديل بن ورقاء الخزاعى القاطنين فى بيهقى و قد جمع أشعاره السيد أبو الحسن محمد بن على العلوى السويزى فى خمس مجلدات...) (٤).

و له أيضا مؤلفات منها كتاب الدارات الذى ألفه باسم الأمير ناصر الدوله أبى الحسن السمجورى.

و من أشعاره قوله:

عليك بمن يزينك فالتزمه و لا تبعده من رفق و لين

إذا ما المرء ليس له صديق تراه كالشمال بلا يمين

و منها:

أفق أيها الإنسان من سكره الهوى فليس الهوى إلا عدو موارد

و كس قبل أن يلهيك دنياك و اغتنم فراغك للأمر الذى أنت طالب

فمن لم يكيسه أب أو مؤدب صبيا فكهلا كيسته التجارب

و له:

إذا مات ميت راعنا الموت ساعه و نضحك فى الأخرى إذا هو يقبر

كذا الشاء تنسى الرعى و الذئب مقبل و تألف مرعاها إذا الذئب يدبر

و له:

ليس بعد القصور إلا القبور إنما للخراب تبنى القصور

أيها الطالب البقاء تفكر هل على حاله تدوم الأمور

و له:

ألفت الصياغه من غير ان أمس حديدا و أذكى سعيرا

اذهب وجهى بنار الأسى و أسبك من ماء عيني شذورا

و من أحفاد المترجم له فى بيهق العالم الفاضل الفقيه الحافظ الحسن بن أبى على بن عبد الرزاق البيهقى المتوفى فى حادثه سقوط سقف الحمام عليه فى شعبان سنه ٥٦٢ و دفن فى مقبره والد أبى الحسن على بن زيد البيهقى المعروف بابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ كما ذكره فى كتابه تاريخ بيهق الذى أُلّفه سنه ٥٦٣ و قد خلف ولدا هو على بن الحسن البيهقى المولود فى بيهق يوم الخميس السادس عشر من رجب سنه ٥٣٨ و من أعلام هذا البيت الجليل على بن إبراهيم بن أبى على بن عبد الرزاق البيهقى ابن أخ الفقيه الحافظ الامام الحسن بن أبى على البيهقى (٥)

محمد محمود شهابى بن عبد السلام

ولد عام ١٣٢١ هـ و توفى سنه ١٤٠٦ بمدينه تربت حيدريره فى جنوب خراسان. درس العلوم الإسلاميه فى مسقط رأسه ثم فى مشهد بخراسان ثم درس فى أصفهان و قم مده، و أخيرا جاء إلى طهران فصار

ص: ٢٨٧

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- أبو الحسن على بن زيد البيهقى: تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ١٦٣ الطبعة الأولى طهران سنه ١٣١٧ ش.
- ٣- نفس المصدر ص ١٦٢-١٦٣.
- ٤- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: الذريعه إلى تصانيف الشيعة القسم الأول ج ١ ص ١٥٦.
- ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

مدرسا في كلية الإلهيات و أستاذا في كلية الحقوق و العلوم السياسيه حيث در [درس] فيها لسنوات عديده مادتي الفقه و الأصول، و بعد التقاعد سافر إلى أوروبا و سكن مدينه أستراسبورغ بفرنسا، له مؤلفات عديده منها: أدوار الفقه في ثلاثه أجزاء، تقريرات الأصول، و قد حقق كتاب لباب الإشارات لفخر الدين الرازي(١)

السيد شمس الدين محمد بن السيد عز الدين شرف شاه بن محمد الحسيني

الأفطسي النيسابوري

المعروف بزباره.

من العلماء الفقهاء في عصره، ثقه صالح، لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته إلا أن والده السيد عز الدين شرف شاه المعروف بزباره المدفون بالغري المار الذكر، و المذكور في الجزء السابع من أعيان الشيعة ص ٣٣٧ توفي بعد سنه ٥٧٣. أخذ المترجم له الفقه و الحديث عن والده و أعلام أسرته ثم سكن في الجبل الكبير و كان من زعماء الشيعة في تلك النواحي ذكره منتجب الدين في الفهرست ص ١٢٥ و قال: (المقيم بالجبل الكبير من الفقهاء عالم صالح...) و نقل عنه الحر العاملي في أمل الآمل ج ٢ ص ٢٧٦ و الأردبيلي الحائري في جامع الرواه ج ٢ ص ١٣٠ و صاحب تنقيح المقال في ج ٣ ص ١٣١ و غيرهم (٢).

الميرزا محمد علي

و يقال المير غضنفر علي و يقال المير غلام رسول المتخلص ب آزاد و المعروف ب آزاد كشميري.

من أعظم شعراء العصر القاجاري و أكابر عرفائه و من أقطاب الصوفيه، طيب حاذق فيلسوف متبحر، خطاط ماهر لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته و مشايخه إلا أنه كشميري الأصل و سكن قزوین زمانا و أخذ الحكمة و الفلسفه على يد الآخوند ملا آغا الحكمي القزويني و لازم الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري المتوفى سنه ١٢٧١ و شقيقه الشهيد الثالث المستشهد سنه ١٢٦٣ و تفقه عليهما و ناظر الشيخ أحمد الأحسائي المتوفى سنه ١٢٤١ مؤسس الفرقة الشيعيه ثم توجه إلى العتبات المقدسه في العراق و سكن كربلاء و النجف ثم رجع إلى إيران و طاف جميع أنحاءها ثم سكن في أواخر عمره في بلده نهاوند و انضم إلى حاشيه الأمير محمود ميرزا القاجاري نجل السلطان فتح علي شاه القاجاري و ذكره الأمير المذكور في كتابه (سفينه محمود) الذي ألفه سنه ١٢٤٠ و ذكر فيها شعراء عصره، نلخص منها ما هو تعريبه: (آزاد اسمه الميرزا محمد علي كان قطب العارفين و نقطه دائره الشعراء أصله من بلده كشمير في الهند شاعر متفنن و له أسلوب قوى و شعر رائع و خط جميل بل أمهر الخطاطين أنشد مثنوياته على طريقه المحقق الرومي و له غزليات و قصائد، أما غزلياته فلها مكانه خاصه بين أشعاره... كما كان من نوادر علماء الطب و تزكيه النفس و المجاهدات الروحيه في عصره...

و نحمد الله أن ما يقرب من ثلاثين شاعرا انضموا إلينا اليوم، و كذلك جمع من العلماء و الفضلاء و الحكماء و المنجمين و قد جعلت لهم رواتب شهريه جاريه و من بينهم المترجم له الذي اشترت له دارا و زوجته باحدى بنات عبيدنا و جهزتها... ثم تعرض له بقول خشن... كذلك(٢) ثم نشر قسما من شعره و غزلياته. و ذكره رضا قلى خان هدايت المتوفى سنه ٢٨٨ [١٢٨٨] في كتابه رياض العارفين و كان اجتمع به في شيراز. قال: (آزاد الكشميري و اسمه المير غلام رسول المشهور ب محمد علي.

كان ماهرا في أكثر العلوم المتداوله و خاصه في الحكمة و الطبيعيات و العلوم العقلانيه و الرمل و الشعر لقد طاف في جميع البلدان الإيرانيه و تذوق العالی و الدانی من هذا العالم و تناقش مع مشايخ الصوفيه المعاصرين و له كلام كثير معهم و كان من طلاب مدرسه العرفان و التصوف و يجالس الدراويش، سافر إلى العتبات المقدسه في العراق و صحب الشيخ خالد النقش بندي الكردي و ناظر و عاشر الشيخ أحمد الأحسائي و اجتمعت معه في شيراز... (٣) ثم نشر قسما من شعره. و وصفه معصوم علي شاه في طرائق الحقائق بالنقشبندی و قال (المير غضنفر علي و يقال المير غلام رسول و اسمه المشهور به محمد علي، الكشميري الأصل، من أعلام علماء الرياضيات و الطبيعيات، اتصل بجمع غفير من مشايخ الصوفيه في إيران ثم هاجر إلى العراق و اتصل بالشيخ الكامل خالد الكردي زعيم النقش بنديه و في أواخر عمره سكن بلده تويسركان و تزوج هناك و له ذريه باقيه... (٤) ترك المترجم له مؤلفات و آثارا منها ديوان غزليات في عده آلاف بيت، هفت دفتر في بحر الرمل و مثنوی، ديوان خمخانه، ديوان ميخانه أشار إلى ديوانه شيخنا الأستاذ الرازي في الجزء التاسع القسم الأول صفحه ٦ من موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه (٥)

محمد علي بن أعثم الكوفي

توفي ٣١٤.

مرت ترجمته في موضعها من الأعيان. و نقول هنا عن كتابه الفتوح:

ترجم إلى اللغة الفارسيه سنه ٥٩٦ هـ و طبعت ترجمته بالحجر مرارا. و استفاد بعض العلماء من هذه الترجمة مثل ولكنز و أوسلي Auseley. ثم نسي الكتاب إلى أن جلب العالم التركي أحمد زكي وليدى انتباه العلماء إلى أصله العربي المحفوظ في مكتبه السلطان أحمد الثالث في سراي توب قابرن تحت رقم ٢٩٥٦. و يوجد منه نسخه أخرى أيضا في مكتبه تستر بيني.

أبو جعفر محمد بن علي الامامی

القاضي بساريه و يقال بازارويه الديلمي القزويني.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته هو من قريه إمام من قرى ديلمستان قرب قزوین و لا تزال هناك قريه معروفه باسم (إمام) حتى اليوم (٦) أخذ العلم عن أعظم علماء عصره و تصدر كرسى الفتوى و القضاء و الرئاسة، ذكره الشيخ عبد الجليل القزويني الرازي في كتابه النقض (٧) الذي ألفه حدود سنه ٥٦٠ و ذكر أنه من أكابر علماء عصره و أشار إلى أسرته.

ص: ٢٨٨

١- الشيخ عبد الحسين الصالحی.

٢- الأمير محمود الميرزا القاجاری: سفینه محمود ج ٢ ص ٥٦٨-٥٧٧ تحقيق الدكتور خيام پور طهران الطبعة الأولى.

٣- رضا قلی خان الهدایت: ریاض العارفين ص ٤٠٨-٤٠٩ تحقيق مهر علی الکرکانی طهران الطبعة الأولى.

٤- انظر طرائق الحقائق ج ٣ ص ٢٥٢ طهران الطبعة الأولى منشورات مكتبه بارانی.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٦- انظر فرهنگ جغرافيايى ايران ج ٢ محافظه الأول ص ٢٣.

٧- انظر النقض ص ٢١٢: تحقيق الدكتور السيد جلال الدين المحدث طبعه طهران من منشورات انجمن آثار ملي.

من أكابر علماء الشيعة في القرن السادس للهجرة و فحول الفقهاء.

آل الامامى: من الأسر العلميه الشيعيه العريقه بزغ نجمها فى قزوین فى أواخر القرن الخامس و مطلع القرن السادس و هم من قريه الامام من قرى ديلم قرب قزوین و قد ظهر من هذا البيت الجليل غير واحد من أكابر العلماء و فحول المتكلمين، منهم الشيخ مجد الدين محمد بن على بساريه الامامى الديلمى القزوینى و القاضى ناصر الدين ناصر أبو جعفر الامامى الديلمى نجل المترجم له و غيرهم من العلماء و أشار إلى هذه الأسره الشيخ عبد الجليل القزوینى فى كتابه النقض(١) و قال عنهم صديقنا الدكتور السيد جلال الدين المحدث فى تعليقاته على فهرست منتجب الدين (... و على أغلب الظن أن لقب و شهره هذه الأسره بالامامى هو انتسابهم إلى قريه الامام من قرى ديلمستان حيث قال السيد ظهير الدين المرعشى فى كتابه تاريخ طبرستان و رويان و مازندران حين ذكر أولاد السيد كمال الدين و تعيين موضع قبورهم قال خلف السيد عبد الوهاب ولدين أحدهما السيد غياث الدين و قبره فى قريه إمام من قرى ديلمستان و أضاف أيضا فى موضع آخر من كتابه المذكور و السيد كمال الدين قبره فى قريه الامام من قرى ديلمستان و لا تزال هذه القرية تعرف حتى اليوم باسم قريه الامام(٢).

و ذكر المترجم له جمع من المحققين منهم منتجب الدين فى الفهرست ص ١٢١ و نقله عنه الشيخ الحر العاملى فى أمل الآمل ج ٢ ص ٢٨٢ و وصفه بالفقيه الورع و الشيخ الميرزا عبد الله الأفندى الأصفهانى فى رياض العلماء ج ٥ ص ١١٧ و الأردبيلى الحائرى فى جامع الرواه ج ٢ ص ١٥٣ و شيخنا الأستاذ الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة و غيرهم(٣).

القاضى مجد الدين محمد بن على الامامى الديلمى القزوینى.

من متكلمى الشيعة و فقهاءهم فى القرن السادس لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته. ذكره منتجب الدين فى الفهرست و وصفه (... بالفقيه صالح واعظ...) (٤) و نقل عنه الشيخ الحر العاملى فى أمل الآمل و قال و يحتمل اتحاده بسابقه القاضى أبو جعفر محمد بن على الامامى (٥) و رد عليه شيخنا فى طبقات أعلام الشيعة و قال (... ذكره منتجب الدين بن بابويه بلا فصل بينه و بين أبو جعفر محمد بن على الامامى فيظهر منه تعددهما...) (٦) أقول و ذكره أيضا الحائرى الأردبيلى فى جامع الرواه ج ٢ ص ١٥٣ فى ترجمتين مستقلتين و عبر عنه بالفقيه صالح واعظ و عن أبى جعفر محمد بن على الامامى بالورع الفقيه و مر ذكر أسرته آل الامامى و أنها من البيوت العلميه العريقه فى قزوین و الديلم فى ترجمه سلفه الشيخ القاضى أبو جعفر محمد بن على الامامى الديلمى القزوینى (٧).

محمد على حزين

ولد سنة ١١٠٣ فى أصفهان و توفى سنة ١١٨٠ فى بنارس (الهند).

كانت دراسته الأولى على والده فى أصفهان، و قد كان والده أبو طالب من أهل العلم و الفضل و التدريس. كما استفاد المترجم من قدوم ملا شاه محمد الشيرازى إلى أصفهان فقراً عليه. و كان من أساتذته كل من الشيخ خليل الطالقانى - و هو الذى لقبه بلقب: حزين - و الشيخ بهاء الدين الجيلانى و آقا هادى بن ملا صالح المازندرانى و كمال الدين النسوى الأردكانى. و قد قام برحلات داخل إيران و الهند و معظم البلاد العربيه، و كان شاعرا مثوى يبلغ ألف بيت.

و عند ما هوجمت إيران من الأفغانيين و الأتراك لقي شدايد كثيره و نكب و تشرّد. ثم استقر به الأمر فى النجف، ثم عاد إلى إيران عن طريق الجبل و نزل المشهد الرضوى. ثم غادر المشهد سنة ١١٤٢ متقلًا فى المدن الإيرانية. و فى سنة ١١٤٤ حج بيت الله الحرام و عاد إلى أصفهان. ثم توجه إلى الهند فوصل سنة ١١٤٦ إلى مدينه نته ثم تجول فى عده مدن هنديه و أقام فى مدينه دهلى ثلاث سنوات و سته أشهر. و فى سنة ١١٧١ سافر إلى البنغال عن طريق اكره ثم استقر فى (بنارس) و أسس فيها حسينيه (الفاطميان) و استقر فى بنارس و ساعفته الظروف هناك بوجود مقدرين له نافذين، فبقى فيها حتى وفاته.

و كان كما وصفه بعض من كتبوا عنه من الهنود: ففيها محدثًا مفسرًا متكلمًا، له يد طولى فى التاريخ و علم الدرايه و الرجال و النجوم (٨) و عد له الكاتب المذكور عشرات المؤلفات ما بين كتاب و رساله و مقاله.

السيد بهاء الدين محمد بن السيد على الحسينى الأفسى الزبارى البيهقى.

توفى سنة ٥٤٩.

كان من كبار العلماء و أهل الفضل المبرزين فى بيهق أخذ العلم و الفنون الإسلاميه عن أفاضل علماء بيهق ذكره ابن الفندق المتوفى سنة ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و وصفه: (السيد الامام بهاء الدين محمد بن على الزباره كان من أهل الصلاح و العفاف و أهل الفضل و الكرم قضى شطرا من عمره فى الأسفار و اختلط مع التجار و الرحاله...) (٩).

ثم رثاه ابن الفندق بقصيده جاء فى ختامها:

و إني ناثر درر المآقى على قبر بهاء الدين فيه

يقول عبد الحسين الشيخ حسن [الشيخ عبد الحسين] الصالحى: و المترجم له عميد أسره آل الزباره البيهقيين فى عصره من ذريه السيد محمد الزباره بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفس بن على الأصغر ابن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع نبغ من هذه الأسره علماء أعلام و شعراء أفذاذ و نقباء و فقهاء و كان ولده السيد كمال الدين أبى الحسن الزبارى الحسينى البيهقى من شعراء بيهق و أخوه الامام الرئيس ضياء الدين على من شعراء بيهق و السيد أبو الحسن على بن محمد بن يحيى بن هبه الله

ص: ٢٨٩

١- نفص [نفس] المصدر ص ٢١٢.

٢- تعليقات فهرست منتجب الدين: الدكتور السيد جلال الدين المحدث ص ٤٤٣.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ منتجب الدين على بن بابويه: الفهرست ص ١٢١ تحقيق الدكتور السيد جلال الدين المحدث قم منشورات المكتبه المرعشيه.

٥- الشيخ الحر العاملى الأمل الآمل ج ٢ ص ٢٨٢ تحقيق السيد أحمد الحسينى بغداد مكتبه الأندلس الطبعه الأولى.

- ٦- الشيخ آغا بزرك الطهراني الثقات العيون في سادس القرون ص ٢٧١ بيروت.
- ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
- ٨- كتاب مطلع أنوار.
- ٩- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي: تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ٢٣١ طهران

الحسينى الأفتسى الزبارى البيهقى نقيب الطالبين فى بيهق و السيد ركن الدين الحسن بن محمد بن يحيى بن هبه الله الحسينى الزبارى البيهقى المتوفى سنة ٥٤٣ نقيب الطالبين فى بيهق و غيرهم من آل الزباره أو آل الزبارى البيهقى.

الدكتور محمد على درمان

الكاتب النشيط و الفاضل الأديب، المقيم فى "گارس" بتركيا صاحب الآثار الكثيره المفيده، الذى خص أربعة من آثاره القيمه للإمام أمير المؤمنين و نشرها فى أربعة مجلدات كبار باللغه التركيه:

١ - الامام على أسد الله (اللهين ارسلانى على).

٢ - الامام على سلطان الأولياء (أولياء لارشاهى على).

٣ - الامام على و الخلفاء الثلاثة.

٤ - الامام على و معاويه.

انتهى ما كتبه لنا الشيخ على أكبر مهدي پور. و لم يذكر لنا تاريخ ولاده المترجم. و ما كتبه لنا كان سنة ١٤٠٨ و مع رجائنا طول الحياه للمترجم، فقد نشرنا ترجمته هنا مع عدم تأكدنا من بقاءه حيا، و مع أننا لا ننشر تراجم الأحياء.

محمد على دولت شاه قاجار.

"محمد على ميرزا". اسمه المستعار "دولت". لقبه "دولت شاه".

أكبر أبناء "فتح على شاه قاجار" ملك إيران. أمه كرجيه. ولد سنة ١٢٠٣ هـ. توفى سنة ١٢٣٧ هـ، و هو فى الرابعه و الثلاثين من عمره، بمرض الهيصه (الكوليرا)، إذ كان فى طريقه إلى بغداد قاصدا فتحها.

كان، بعد أخيه "عباس ميرزا نائب السلطنه" ابن "فتح على شاه" الرابع، أرشد إخوته و أفضلهم. و كان يتشبه بابيه من حيث الشكل و القيافه، و خصوصا حرصه على إطاله لحيته.

بعد مقتل "آغا محمد خان قاجار" غادر ولى عهده "فتح على شاه" شيراز و جاء إلى طهران فى شهر المحرم سنة ١٢١٢ هـ و استخلف فى مكانه ابنه "محمد على ميرزا" هذا حاكما على ولايه فارس، و هو فى التاسعه أو العاشره من عمره. و جعل لوزارته (١) "الميرزا نصر الله على آبادى" المازندرانى، الذى كان وزيرا له قبل ولايه ابنه. و لكن "فتح على شاه" استدعى ابنه هذا إلى طهران بعد شهرين من تعيينه حاكما على فارس، و نصب فى مكانه "حسين قلى خان" أخا "فتح على شاه". و فى سنة ١٢١٣ هـ عين "محمد على ميرزا" حاكما على قزوین.

و فى سنة ١٢١٧ هـ سار "فتح على شاه" إلى خراسان لاختضاع "نادر ميرزا" ابن "شاه رخ شاه أفشار"، و كان قد خرج عليه بعد مقتل "آغا محمد خان قاجار". و فى أحد المنازل، و اسمه "شمس رادكان" أرسل "محمد على ميرزا" مع أحد قواده مقدمه

لجيشه لمحاصره مدينه مشهد حيث يتحصن "نادر ميرزا".

ثم انصرف "فتح على شاه" عن محاصره مشهد و عاد إلى طهران فى تلك السنه نفسها، بعد أن انقاد له "نادر ميرزا". و فى سنه ١٢٢١ هـ، و "محمد على ميرزا" فى التاسعه عشره من عمره، عينه أبوه حاكما على خوزستان و "لورستان" و كرمانشاه. و فى سنه ١٢٢٤ هـ سيره إلى القفقاس لقتال الروس، و وقعت بينه و بينهم مناوشات فى طريق "تفليس". و ظل من سنه ١٢٢١ هـ إلى وفاته سنه ١٢٣٧ هـ حاميا الحدود مع العراق و واليا على كرمانشاه و كردستان. و فى تلك الأيام أراد العثمانيون التعدى على أرض إيران فردهم و أوقع فيهم هزيمة شديده فطلبوا الصلح، و عقدت بينهم و بين إيران معاهده "أرزنه".

و فى كل الحروب التى وقعت بينه و بين العثمانيين فى نواحي بغداد و الموصل كان النصر له. و فى سنه ١٢٢٦ هـ أخذ من العثمانيين "السليمانيه" و "شهرزور" و عين حاكما عليهما من قبله. و عاود العثمانيون فى هذه السنه تجاوز حدود إيران، فأمر "فتح على شاه" ابنه "دولت شاه" بردهم.

و قام أحد قاده عسكريه، و اسمه "نوروز خان قاجار"، فى سنه ١٢٢٦ هـ بمهاجمه "أحمد باشا" العثماني فى "سردشت" ففر هذا من وجهه.

و فر أيضا أخوه "عبد الرحمن باشا" حاكم ولاية "بابان" (٢) من قبل العثمانيين. فر إلى ولايتى "كوى" و "حرير" و هما من نواحي "السليمانيه".

و فى سنه ١٢٣٧ هـ وقعت أيضا حرب أخرى بين العثمانيين و مرابطة إيران و حكامها، فى "شهرزور" فقام "محمد على ميرزا" دولت شاه مع خمسة عشر ألف جندي ما بين فارس و راجل بهجوم على أرض العثمانيين.

و التحق به فى هذه الحمله "حسن خان فيلى" أحد رؤساء "لورستان" مع جماعه من رجاله، و انتهت المعركه بانتصار "محمد على ميرزا" انتصارا كاملا و أخذ "السليمانيه" من العثمانيين.

ثم سار من "سامراء" قاصدا احتلال بغداد. و أصبحت بغداد على وشك السقوط لو لا أن ألم به مرض الهيضه. و فى ٢٦ صفر سنه ١٢٣٧ هـ فارق الحياه بالقرب من "إيوان كسرى" و هو فى الرابعه و الثلاثين. و حمل جثمانه إلى كرمانشاه.

ميرزا محمد على بن ميرزا عبد الرحيم التبريزى الأصفهانى

المشهور باسم (صائب).

ولد سنه ١٠١٠ أو ١٠١٦ فى أصفهان و توفى فيها سنه ١٠٨١.

أصل أسرته من تبريز من أعقاب شمس الدين محمد شيرين المغربى التبريزى الشاعر المشهور فى القرن الثامن الهجرى. و المترجم نشا فى أصفهان و تلقى دروسه على أساتذتها، و تعلم الخط من عمه شمس الدين التبريزى المعروف ب (حلو القلم).

سافر إلى الحج و إلى زياره مشهد الرضا و تحدث فى شعره عن الامام الرضا (ع)، كما سافر إلى الهند فى عهد جهانگیر (١٠٣٧)

و أقام فيها [فى]برهانيور [برهان پور]متصلا بشاهجان و ظفر خان و أبى الحسن نربتى [تربتى]. و بعد سبعة أعوام من إقامته بالهند، و بطلب من أبيه رجع إلى أصفهان على طريق كشمير،

ص: ٢٩٠

١- الوزارة هنا بمعنى المساعدة و الرعاية.

٢- "بابان" طائفه من أكراد غربى إيران. و النواحي التى يسكنونها تسمى أيضا "بابان".

و اتصل بالشاه عباس الثانى و بقى متصلا به حتى آخر عهده، و بعده بالشاه سليمان.

كان منزله مجتمعا للعلماء و الشعراء و الأدباء. و قد سافر خلال ذلك سفرات قصيره و ظلت أصفهان مستقره حتى آخر حياته.

كان يلقب فى البلاط الصفوى بملك الشعراء، و من تلاميذه: ملا محمد سعيد أشرف و جويای التبريزى و ميرزا محسن تأثير و خاضع فطرت.

كانت غزلياته متمتج بمدح الملوك الصفويين، و كانت له شهره واسعه فى إيران و الهند و الأناضول.

من مؤلفاته: مرآه الجمال فى وصف المعشوق، التجمل المرآتى (شعر فى المرآه و المشط)، بيت الخمر (شعر فى وصف الخمر و الحانه)، واجب الحفظ (مجموعه من غزلياته).

السيد محمد على العلق ابن السيد حسين.

ولد سنه ١٣١٤ فى مدينه الكوت.

هو من أسره نجفيه الأصل نرح والده من النجف إلى الكوت و فيها تلقى تعليمه الأول، ثم تابع دراسته فى النجف. و لما أعلنت الحرب العالميه الأولى و أعلن علماء الشيعه الجهاد و سافروا بأنفسهم لمقاتله الإنكليز رافق أباه. و بعد الهزيمه العثمانيه عاد إلى الكوت، ثم رجع إلى النجف مواصلا دراسته. ثم تردد بين الكوت و بلده على الغربى، إلى أن استقر فى الكاظميه.

من شعره قوله:

فى روضه غناء يضحك زهرها زهوا فينشر طيها الفيحا

نسجت لها كف السحاب مطرفا و شت جوانبه الرقاق أفاحا

فيها الشقيق مع الشقيق تعانقا و الأفحوان يقبل القداحا

و النرجس الغض البهى نواظر لمحت حدود شقيقه اللماحا

و ترى السماء تجلبب حلل الحيا سحبا تهل المدمع الدلاحا

فيمر من فوق الربى متموجا كبطون حيات تؤم بطاحا

و الشمس من فوق السحاب تخالها خودا أناطت برقعا و وشاحا

و حمائم الأغصان تشدو فوقها طربا فتصبى العندل الصيداحا

و قوله:

خليلي أن الدهر أضحي معاندي فكيف بمن للدهر صار يعاند
يحاول مني الدهر ذله ماجد و كيف يذل القرم و الموت واحد
أقاومه في كل حين بهممه تقاصر عنها في علاه الفراقد
و إن نابني خطب مهول عراؤه صبرت بعزم لم ترعه المكاييد
و يشتد عزمي إن رميت بمحنه و إن قل فيها للدفاع المساعد
فاني امرؤ صعب القياد على العدى و لست أبالي أن دهنتي الشدائد
و يقصدني دهرى بكل ملمه تهد القوى فيه و تهوى السواعد
سأصبر حتى لا مجال لصابر فبالصبر ما زالت تنال المقاصد
و قوله:

إن تكن عيناك بعدى هجعت فعيونى ثره لم تهجع
بت أبكى أرقا ذا زفره كمنت بين محانى أضلعي
ظلت أبكى أربعا قد درست و هى لا تصغى لقولى أو تعى
أنا لا أصغى لعذل فيكم قد سددم عن عدولى مسمعى

محمد بن على بن شهر آشوب المازندراني.

إشارة

هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن على بن شهر آشوب بن كياكى - المكنى بأبى نصر بن أبى الجيش السروى (١) المازندراني،
الفقيه المحدث المفسر، المحقق، الأديب.

لم نظفر بمن صرح بسنه ولادته (٢) من أرباب المعاجم، غير أن كل من ترجمه ذكر أنه توفى في شعبان سنة ٤٨٨ [٥٨٨] هـ سنة
(١١٩٢ م)، و له من العمر تسع و تسعون سنة و شهران، فتكون على ذلك ولادته في جمادى الثانية سنة ٤٨٩ [٣٨٩] هـ.

أقوال العلماء فيه

ذكره صلاح الدين الصفدى فى الوافى بالوفيات (ج ٤ - ص ١٦٤) قائلا: "محمد بن على بن شهر آشوب أبو جعفر السروى

المازندراني رشيد الدين الشيعي أحد شيوخ الشيعة حفظ القرآن و له ثمان سنين (٣) و بلغ النهايه فى أصول الشيعة. كان يرحل إليه من البلاد ثم تقدم فى علم القرآن و الغريب و النحو، و وعظ على المنبر أيام المقتفى ببغداد فأعجبه و خلع عليه و أثنى عليه كثيرا، و ذكره ابن أبى طى فى تاريخه و أثنى عليه ثناء بليغا، و كذلك الفيروزآبادى فى كتاب البلغه فى تراجم أئمه النحو و اللغه، و زاد: إنه كان واسع العلم كثير العباده دائم الوضوء. ثم قال: إنه عاش مائه سنه إلا عشره أشهر و مات سنه ٥٨٨ هـ. " و يقول شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداوردى المالكى تلميذ عبد الرحمن السيوطى فى طبقات المفسرين ما نصه: محمد بن على بن شهر آشوب بن أبى نصر، أبو جعفر السروى المازندراني رشيد الدين أحد شيوخ الشيعة، اشتغل بالحديث و لقي الرجال ثم تفقه و بلغ النهايه فى فقه أهل مذهبه و نبغ فى الأصول حتى صار رحله، ثم تقدم فى علم القرآن و القراءات و التفسير و النحو، و كان إمام عصره و واحد دهره أحسن الجمع و التأليف، و غلب عليه علم القرآن و الحديث، و هو عند الشيعة كالخطيب البغدادي لأهل السنه فى تصانيفه و تعليقات الحديث و رجاله و مراسيله و متفقه و متفرقه إلى غير ذلك من أنواعه، واسع العلم كثير الفنون مات فى شعبان سنه ٥٨٨ هـ، قال ابن أبى طى: ما زال الناس بحلب لا يعرفون الفرق بين ابن بطه الحنبلى و ابن بطه الشيعى حتى قدم الرشيد فقال: ابن بطه الحنبلى بالفتح و الشيعى بالضم.

و ذكره السيوطى فى بغية الوعاة فى باب المحمدين و أثنى عليه ثناء حسنا.

و ذكره ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) - ج ٥ - ص ٣١٠ - نقلا عن ابن أبى طى فى تاريخه قائلا " اشتغل بالحديث و لقي الرجال ثم تفقه

ص: ٢٩١

١- السروى نسبه إلى ساريه مدينه بطبرستان.

٢- و يرجح لدينا أن ولادته و نشاته بالعراق كما أن أباه و جده شهر آشوب كانا يسكنان العراق، لأن جده كان من تلامذه الشيخ الطوسى أيام كانت له الشهره العلميه الواسعه و يزدلف إليه العلماء من كل حدب و صوب.

٣- و من ذلك لقب بالحافظ.

و بلغ النهايه فى فقه أهل البيت و نبغ فى الأصول ثم تقدم فى القراءات و القرآن و التفسير و العرييه، و كان مقبول صورته مليح العرض على المعانى، و صنف فى المتفق و المفترق و المؤلف و المختلف و الفصل و الوصل، و فرق بين رجال الخاصه و رجال العامه - يعنى أهل السنه و الشيعه - كان كثير الخشوع، مات فى شعبان سنه ٥٨٨ هـ ."

و ذكره الشيخ الحر العاملى فى أمل الآمل فى باب المحمدين قائلا:

" رشيد الدين محمد بن على بن شهر آشوب المازندراني السروى، كان عالما فاضلا ثقه محدثا محققا عارفا بالرجال و الأخبار أديبا شاعرا جامعا للمحاسن، له كتب منها كتاب مناقب آل أبى طالب، كتاب مثالب النواصب، كتاب المحزون المكنون (١) فى عيون الفنون، كتاب إعلام الطرائق فى الحدود و الحقائق (٢)، كتاب فائده الفائده (٣)، كتاب المثل فى الأمثال، كتاب أسباب النزول على مذهب آل الرسول (ص)، كتاب الحاوى، كتاب الأوصاف، كتاب المنهاج، و غير ذلك ."

و فى أخريات أيامه هاجر من العراق و سكن حلب من بلاد سوريا و ذلك فى عهد أمراء آل حمدان، و فى مده إقامته فى حلب إلى أن توفى فيها كان مشغولا فى التأليف و الوعظ و الإرشاد و التدريس فى علوم شتى، و تخرج عليه هناك جماعه من الأعلام.

مشاهير أساتذته

١ - جار الله الزمخشري المعتزلى المولود سنه ٤٦٧ هـ، و المتوفى سنه ٥٣٨ هـ، فقد قرأ عليه مؤلفاته التى منها تفسير الكشاف، (المطبوع) و الفائق فى غريب الحديث (المطبوع)، و ربيع الأبرار (المخطوط)، و قد أجازته أستاذه المذكور بروايتها عنه.

٢ - أبو عبد الله محمد بن أحمد النطنزى، صاحب كتاب (الخصائص العلويه على سائر البريه و المآثر العليه لسيد الذريه) و قد ترجمه ابن شهر آشوب فى (معالم العلماء) فى آخر تراجم المحمدين و بعد ذكره فى المعالم ختمهم بترجمه نفسه، و فى بعض نسخ (المعالم) سقطت عنها هذه الترجمة، يقول شيخنا الشيخ آغا بزرگ الطهرانى فى (ج ٧ - ص ١٧٠) من كتابه الذريه ما نصه: (و من النسخ الموجوده فيها هذه الترجمة نسخه الشيخ أبى على الحائرى التى نقل عنها فى رجاله (المطبوع) و كذا فى نسختى التى استنسختها لنفسى عن نسخه استعرتها من شيخنا العلامة المحدث محمد الحسين النورى و كانت فى مكتبته).

٣ - السيد ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد التميمى الآمدى المولود سنه ٥١٠ هـ صاحب كتاب غرر الحكم و درر الكلم (المطبوع) بصيدا، و لم يذكر كل من ترجمه تاريخ وفاته. و من مشايخه الذين ذكرهم هو فى (معالم العلماء):

٤ - أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى صاحب الاحتجاج.

٥ - أبو الحسين سعيد بن هبه الله المعروف بالقطب الراوندى المتوفى سنه ٥٧٣ هـ، كما صرح به فى "معالم العلماء" عند ترجمته له فى باب السين (ص ٥٥ - رقم ٣٦٨).

٦ - أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى، صاحب مجمع البيان المتوفى سنه ٥٤٨ هـ.

٧- الشيخ جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي الرازي صاحب تفسير روض الجنان و روح الجنان الفارسي.

٨- أبو علي محمد بن الحسن القتال الواعظ النيشابوري صاحب كتاب روضه الواعظين و المتوفى " شهيدا " سنه ٥٠٨ هـ.

٩- أبو الحسن فريد خراسان علي بن أبي القاسم زيد، و كان ابن شهر آشوب قد أخذ من أستاذه هذا كتاب حليه الأشراف تأليف والده زيد بن محمد بن الحسين البيهقي المذكور، كما ذكر ذلك في مقدمه كتابه (المناقب) و قد توفي أبو الحسن فريد خراسان هذا سنه ٥٦٥.

و من مشايخه الذين روى عنهم و أجازوه:

١- أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي صاحب الاحتجاج و هو الذي ذكرناه آنفا.

٢- أبو جعفر محمد بن الحسن الشوهاني نزيل مشهد الرضا (ع).

٣- الشيخ محمد بن علي بن المحسن الحلبي.

٤- ركن الدين أبو الحسن علي بن علي بن عبد الصمد السبزواري النيسابوري التميمي.

٥- أخوه محمد بن علي بن عبد الصمد النيسابوري.

٦- والده الشيخ علي بن شهر آشوب العالم الفاضل الفقيه المعروف، قال في أمل الآمل: فاضل عالم يروى عنه ولده محمد، و كان فقيها محدثا.

و قد سمع من أبيه في صغره، كما ذكره هو للسيد حيدر بن محمد بن زيد الحسيني الراوى عنه و ذكره السيد حيدر في إجازته سنه ٦٢٩ لتلميذه الشيخ حسن بن يحيى بن يحيى.

٧- جده شهر آشوب كما نص عليه في أول كتابه المناقب.

٨- أبو الفتح أحمد بن علي الرازي.

٩- أبو سعيد عبد الجليل بن عيسى بن عبد الوهاب الرازي.

١٠- أبو الفضل الداعي بن علي بن الحسن الحسيني.

١١- أبو المحاسن مسعود بن علي بن محمد الصوائى.

١٢- أبو علي محمد بن الفضل الطبرسي.

-
- ١- الذى ذكره ابن شهر آشوب عند تعداد مؤلفاته (المخزون و المكنون) بالعطف بالواو، و لعل الواو سقطت من الطابع.
 - ٢- الذى ذكره ابن شهر آشوب عند تعداد مؤلفاته (الطرائق فى الحدود و الحقائق) بدون إضافه لفظه (إعلام) فراجع.
 - ٣- الذى ذكره ابن شهر آشوب فى المعالم عند تعداد مؤلفاته (مائده الفائده) بالميم بعدها الألف فى اللفظه الأولى لا بالفاء بعدها الألف، و لعله جاء بالفاء من غلط الطابع فلاحظ.

١٤ - الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (المتقدم ذكره).

١٥ - جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الخزاعي الرازي النيسابوري المعروف بأبي الفتوح الرازي، المتقدم ذكره.

١٦ - أبو الحسين سعيد بن هبه الله بن الحسن الراوندي المعروف بالقطب الراوندي، المتقدم ذكره.

١٧ - أبو جعفر بن كميح.

١٨ - أبو القاسم بن كميح.

١٩ - المنتهي بن أبي زيد بن كيابكي الكجى الجرجاني.

٢٠ - السيد عماد الدين أبو الصمصام و أبو الوضاح ذو الفقار بن محمد بن معبد بن الحسن بن أبي جعفر أحمد الملقب بحميدان أمير اليمامة.

٢١ - القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد المحفوظ التميمي الآمدي، (المذكور آنفا).

٢٢ - عماد الدين أبو محمد الحسن الأسترآبادي.

٢٣ - أبو علي محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الحافظ الواعظ الفارسي النيسابوري، المدعو تاره بالفتال و أخرى بابن الفارسي، و المنسوب إلى أبيه الحسن مره و إلى جده علي ثانيه و إلى جده أحمد ثالثه، و الكل تعبير عن شخص واحد كما يظهر بالتأمل في عباره ابن شهر آشوب في المناقب.

٢٤ - مهدي بن أبي حرب الحسيني شيخ الطبرسي صاحب الاحتجاج.

٢٥ - أبو الحسن علي بن الشيخ أبي القاسم زيد بن الحسين البيهقي المعروف بفريد خراسان.

مؤلفاته

أورد هو أسماء مؤلفاته التي كان قد ألفها قبل (معالم العلماء) في ترجمه نفسه في (باب الميم) من المعالم، و هي:

١ - مناقب آل أبي طالب.

٢ - مثالب النواصب، قال في الذريعة (القسم المخطوط): توجد نسخه المخطوطه في خزانه السيد ناصر حسين الهندي، و هي بحجم مناقبه، و توجد نسخه أخرى مخطوطه في طهران في مكتبه السيد محمد المحيط، علي ما في بعض الفهارس.

٣ - المخزون المكنون في عيون الفنون.

٤ - الطرائق فى الحدود و الحقائق.

٥ - مائده الفائده.

٦ - المثل فى الأمثال.

٧ - معالم العلماء يتضمن (١٠٢١) ترجمه، و فى آخرها (فصل) فيما جهل مصنفه، و باب فى بعض شعراء أهل البيت ع، و هم أربع طبقات المجاهرون، و المقتصدون، و المتقون، و المتكلفون ذكر فى مقدمته ما نصه: هذا الكتاب (معالم العلماء) فى فهرست كتب الشيعة و أسماء المصنفين منهم قديما و حديثا، و إن كان قد جمع شيخنا أبو جعفر الطوسى - رضى الله عنه - فى ذلك العصر ما لا نظير له (١) إلا أن هذا المختصر فيه زوائد و فوائد، فىكون إذن تتمه له، و قد زدت فيه نحو من ستمائه (٢) مصنف و أشرت إلى المحذوف من كتابه، و إن كانت الكتب لا تعد و لا تحد... ثم أنى عقبته بعد ذلك بأسماء شعراء أهل البيت ع المعروفين منهم بقدر وسعى و طاقتى.

٨ - الأسباب و النزول على مذهب آل الرسول.

٩ - الحاوى.

١٠ - متشابه القرآن، طبع هذا التفسير بطهران سنة ١٣٦٩ هـ بعنوان "متشابه القرآن و مختلفه" فى جزئين.

١١ - الأوصاف.

١٢ - المنهاج.

و ذكر له السيوطى فى بغيه الوعاء كتاب الفصول فى النحو، و كذا الفيروزآبادى فى البلغة، و زاد له كتاب الجديده و قال جمع فيه فوائد و فرائد جمه، و نسب له المير مصطفى التفريشى فى نقد الرجال كتاب أنساب آل أبى طالب، و كذا فى - ج ٢ - ص ٣٧٨ - من الذريعه نسب الكتاب له نقلا عن صاحب كشف الحجب و نسب له صاحب ريحانه الأدباء كتاب الأربعين فى مناقب سيده النساء فاطمه الزهراء ع.

وفاته

فى أخريات أيامه هاجر من العراق إلى حلب من بلاد سوريا و سكن بها، و ذلك فى عهد أمراء آل حمدان إلى أن توفى بها فى "٢٢ شهر شعبان سنة ٥٨٨ هـ سنة ١١٩٢ م" و دفن فى سفح جبل الجوشن.

ميرزا رفيع الدين محمد بن فتح الله القزوينى

المعروف ب (ميرزا رفيعا)، و المشهور بالواعظ.

توفى سنه ١٠٨٩.

من شعراء القرن الحادى عشر الهجرى، و كان إلى ذلك عالما واعظا.

عاش فى عهد الشاه عباس الكبير و الشاه صفى و الشاه عباس الثانى و الشاه سليمان. و درس على ملا خليل غازى القزوينى (١٠٠١ - ١٠٨٩) المتكلم و الفقيه و المحدث.

أهم أثر له كتاب (أبواب الجنان) بالفارسيه فى الأخلاق و السنن الإسلاميه و أخبار و أحاديث الأئمه ع. و كان عازما على أن يتألف الكتاب من ثمانيه أبواب، و لكنه لم يكمل إلا بابا واحدا طبع فى طهران سنه ١٢٧٤ و أكمل المجلد الثانى ولده محمد شفيح.

و يشتمل ديوان المترجم على القصائد و الغزل و الرباعيات و المثنويات.

و قصائده فى صفات النبى (ص) و مناقب الأئمه الاثنى عشر (ع) و مدح الشاه عباس الثانى. و أكثر أشعاره تاريخيه فى حوادث و أعمال و وقائع زمن

ص: ٢٩٣

١- يريد بذلك فهرست الشيخ الطوسى.

٢- فى نسخه مصححه (ثلاثمائه) بدل (ستمائه).

الشاه عباس الكبير إلى جلوس الشاه صفى، ثم وقائع الشاه عباس الثانى حتى موته و جلوس الشاه سليمان و أحداث زمانه.

و من مثنوياته: قصه حرب نواب الخاقان الشاه إسماعيل و شيبك خان الشيبانى. و المثنوى الثانى فى بستان الجنه بقزوين. و بقيه المثنويات فى التعريف بمازندران و مدح الشاه عباس الثانى.

و له قصيده فى حرب الشاه إسماعيل مع شيبك خان و هى حماسيه تاريخيه تبلغ سبعين و ستمائه بيت، بيدوها بالتوحيد و الوجدانيات.

و غزلياته تحتوى على نكت أخلاقيه و وعظ و إرشاد و اجتماعيات، و كل ذلك مستوحى من كونه فى الأصل واعظا.

و لا يرتفع شعره إلى المستوى العالى بل كان وسطا(1)

الدكتور محمد قريب بن على أصغر خان

ولد سنه ١٣٣٠ فى طهران، و توفى فيها سنه ١٣٩٥ و دفن فى مدينه قم بمقبره شيخان، و أصل والده من مدينه گرگان.

تخرج فى دار المعلمين بطهران، ثم سافر إلى فرنسا مع أول بعثه طلابيه لدراسه الطب فكان هناك من الطلاب المتفوقين، كما تابع بعد ذلك دراسات طبيه فى أمريكا و سافر فى رحلات علميه إلى عده أقطار أوروبيه.

كان عضوا بارزا فى عده مجامع علميه طبيه فى إيران و خارجها، كما كان رئيسا لمؤسسه أطباء الأطفال فى إيران و عضوا فى هيئه الرئاسة بنادى الأطباء العالمى للأطفال.

و من أعماله فى إيران تأسيس مؤسسه نقل الدم، و لم يكن ذلك قبله معروفا، و تأسيس طب الأطفال الحديث، و أكثر أطباء إيران فى هذا الموضوع هم من تلاميذه و يعملون على نهجه، و كذلك تأسيس نادى أطباء الأطفال، و فيه ظلت تعقد الندوات للبحث فى دراسات علوم طب الأطفال حسب تطوره المستمر، و هذا النادى هو اليوم أهم النوادى الطبيه فى إيران.

و من تأسيساته:(المؤسسه المركزيه لطب الأطفال) التى تتولى الاتصال باطباء الأطفال و إبلاغهم التطورات الطبيه و العلميه، كما أسس قسم الأطفال فى مستشفى الرازى و مستشفى الامام.

و قد سافر إلى تركيا و بعد رجوعه و بمساعدته صديقه الدكتور أهري و بعض أهل الثراء بنى مستشفى للأطفال (المركز الطبى للأطفال)، و طلب من الأطباء الايرانيين المهاجرين إلى الخارج أن يعودوا إلى إيران لمساعدته، و قد لبى دعوته الكثيرون منهم. و قد قام هذا المستشفى على أحداث الآلات و التقنيات و حسب التطور المستمر للطب. و قد أنشئت فيه عدا الطب الأطفالى أقسام متعدده مثل جراحه الكلى، و تصفيه الدم، و حساسيه الأطفال، و العفونه، و الأعصاب، و السمع، و البصر، و غير ذلك من الأقسام. و فيه قسم خاص يتخرج منه متخصصون بطب الأطفال حيث ينتشرون فى أنحاء إيران، و بجهود هؤلاء الخريجين أسست مراكز طب الأطفال فى أكثر المدن الايرانيه باشراف المركز الرئيسى فى طهران و أخذ طب الأطفال ينمو بشكل سريع و يتطور. لم يكن المترجم طبيبا فقط، بل كان أديبا، ذواقه للشعر و النشر. و من صفاته البارزه فى مجالته العلميه الالتزام بالإسلام و

أحكامه، و تعلقه بالنبي (ص) و بالأئمة الأطهار (ع)، سواء أيام الدراسة و بعد التخرج.

و كان بحث الطلبة على ذلك، و أكثر مساعديه كانوا على طريقتة هذه.

و عند ما أراد السفر إلى فرنسا للدراسة واجه معارضة شديده من والده، فقرر مع والده الذهاب إلى مدينه قم و مقابله المرجع الدينى الأكبر الشيخ عبد الكريم الحائرى و عرض الأمر عليه. و عند الشيخ تكلم الوالد و الولد، فقال الشيخ الامام: يا بنى سافر و تعلم، و عد إلى وطنك و ساعد هؤلاء الناس.

و قد حفظ الدكتور محمد وصيه الشيخ فكان يساعد الفقراء و يذهب إلى بيوتهم لمعالجتهم و يضحك لهم و يمازحهم.

كان سياسيا وطنيا بارزا، يجهر بالحقيقه و يلتزم العمل الجاد بالتعاون مع مجموعته و لم يتركهم، و لم يتخل عن السياسيه الوطنيه. و بعد واقعه (٢٨ مرداد)، أى بعد إقرار مجلس الشيوخ للقرار المشئوم (الكنسرسيوم)، و هو القرار الذى يمنح الأمريكين المقيمين فى إيران الحصانه القضائيه بحيث لا- تجوز محاكمتهم أمام القضاء الا-يرانى - تحرك الدكتور محمد مع كبار المناضلين كالسيد الفيروز آبادى و جماعه أساتذه الجامعه، و كتبوا ردهم على القرار، و وقعه هو مع أحد عشر أستاذا جامعيًا منهم الدكتور نعمه اللهى و الدكتور سحابى و المهندس مهدى بازرگان و الدكتور مير بابائى و الدكتور جناب.

و بعد هذا الاعتراض العلنى غضب الشاه و أمر بطردهم من الجامعه، و بهذا الطرد تعطل قسم الأطفال و القسم الفيزيولوجى فى الجامعه، كما تعطلت دروسهم.

و طرد معهم من الجامعه رئيسها لأنه كان أيضا سياسيا وطنيا حاول كثيرا التوسط لهم. و كان قانون الجامعه يقضى بان ينتخب رئيسها من قبل الأساتذه، و بعد هذا الحادث تقرر أن ينتخب الأساتذه ثلاثه منهم، ثم يكون للشاه أن يختار واحدا من الثلاثه.

و بعد أمد عين الدكتور إقبال رئيسا للجامعه، فكان أن عمل على إخراج الجنود من الجامعه - و هم الجنود الذين كان قد تقرر استقرارهم فى الجامعه إرهابا - كما عمل على إرجاع الأساتذه المطرودين و منهم المترجم، فاستقبلوا من الأساتذه و الطلاب و الموظفين استقبالا حارا.

و لم يترك المترجم العمل السياسى الوطنى مع استمراره بالدرس و العلم، فكان عضوا فى جماعه (نهضه المقاومه) و هم الذين صمدوا فى مقاومه الشاه بعد ٢٨ مرداد، و يقول عنه الدكتور شيبانى:

"فى نهضه المقاومه احتجنا إلى بعض المال، لأننا لم نكن نملك شيئا منه، و كنا نأخذ المال من الناس، فقررنا الذهاب إليه طالبين المساعده، فباع قسما نفيسا من كتبه المفقوده فى السوق و أعطانا ثمنها، و هكذا كان مع المقاومين فكرا و عملا- و تضحيه، و لم يتركهم فى أشد الحالات " أ ه.

ترك كثيرا من الدراسات و التعليقات الطبيه و العلميه، و كتب المقدمات لكتب الطب و العلم الفارسى و غير الفارسى. و من مؤلفاته: ١ - أمراض الأطفال. ٢ - المسائل الصعبه فى طب الأطفال فى مجلدين.

مرت ترجمته في موضعها من الأعيان، و نشر فيما يلي نص رسالتين متبادلتين بينه و بين إدوار براون:

و قد تم تبادل هاتين الرسالتين بين المستشرق الانكليزي إدوارد براون (١٨٤٢ [١٧٤٢] - ١٨٢٦ م) و الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني (١٢٥٥ - ١٣٢٩ هـ) في عام ١٣٢٩، و هذان الشخصان غيان عن التعريف في دورهما في استقرار المشروطه في إيران. و أصل هاتين الرسالتين موجود ضمن مجموعه لمخطوطات المشاهير، يحتفظ بها الدكتور قاسم غني، و قد كتب براون رسالته بيده، بينما كتب رساله الآخوند الميرزا عبد الرسول اليزدي و وقع الآخوند في ذيلها.

عنوان الرساله التي بعث بها براون إلى النجف الأشرف: "سرى، تصل في النجف الأشرف إلى صاحب الشرف حضره حجه الله السيد الملا محمد كاظم الخراساني بواسطة السيد الميرزا عبد الرسول اليزدي".

و فيما يلي نذكر نص رساله إدوارد براون دون أدنى تصرف في إملائها أو إنشائها:

"٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩ من دار الفنون في كمبرج في الممالك البريطانيه المحروسه.

حجه الإسلام: إن الرساله التي بعثت [بعثتم] إلينا، جوابا على ملاحظاتي التي أبديتها فيما يتعلق بالحق السياسي للدولتين الإنجليزيه و الروسيه، قد أبلغت السيد عبد الرسول اليزدي بشأن وصولها، و لم أشأ حينئذ أن أزاحم أوقاتكم المباركه، لهذا رجحت السكوت، حتى استلمت هذه الأيام رساله أخرى و كانت مدعاه شرف و افتخار، و لأنكم تفضلتم بطلب المراسله بين حين و آخر، فاني امتثل لأمركم العالی، و أتجرأ على تسطير هذه الكلمات.

في البدايه أرى لزاما على أن أهنتكم لحسن تدبيركم الذي كان - دون ريب - سببا لنجاه فارس و الأجزاء الجنوبيه لايران من تدخل الأجانب، إذ مضى على رساله التحذير التي بعثتم بها ثلاثه أسابيع بل سبعة أسابيع، و باعتراف الجميع فان التفكير بالاستيلاء على فارس خاصه و سائر الولايات الجنوبيه بصوره عامه قد زال تماما و حصلت نعمه الأمن و الاستقرار، و انقطع الحديث عن التدخل. و الأمر الآخر، هو أن مساعيكم و مساعي سائر العلماء الكبار كانت سببا في تحريض جميع المسلمين و خصوصا مسلمي الهند في الانطلاق بشكواهم و مطالبتهم بإقرار العدل و حدث مثل هذا الأمر حتى في لندن نفسها.

و لأن الحكومه هنا ترغب كثيرا باسترضاء مسلمي الهند و التودد لهم، فإنها كفت عن التفكير فيما عزم عليه بادئ الأمر، و لكن على الرغم من وجود هذا التطور، لا ينبغي الركون إلى الغفله عما يبعث به المسافرون و المخبرون عما يدور بين قبائل الجنوب و خصوصا بين البختياريين و القاشقائيين [القشقائيين]، و أن العلاقه بينهم غير مستحسنه، و أيضا كون هذه العداءات و المنافسات تشكل خطرا عظيما على مصالح الدوله العليه في إيران. و في تقرير رسمي، طبعته و نشرته الحكومه الإنجليزيه مؤخرا - سأبعث به إلى حضرتكم عن طريق السيد عبد الرسول اليزدي حالما يصل إلى - يبدو أن أكثر هذه القبائل نشاطا في الفتنة و الغارات هي قبيله كوه كيلويه و خصوصا الشعبه المسماه ب (أحمد بويد [بوير أحمد]) و من الواضح جدا، أنه كلما أغير على قوافل التجار لا سيما إذا قتل بعضهم في هذه الغارات، فان هؤلاء التجار يتعالى صياحهم و يتقدمون بشكواهم إلى الحكومه مطالبين إياها بالتدخل. بينما إذا لم تكن مثل هذه الذرائع موجوده، فليس هناك ذريعه للتدخل.

و فى رأى، فان الحكومه هنا منشغله بالاصلاحات الداخليه و لا تحبذ التعرض لمثل هذا العمل المفعم بالمخاطر، ما لم يرغمها عليه إلحاح التجار.

و فى الحقيقه فان هناك الكثير من الأشخاص المقتدرين الذين لا يرون سوى أغراضهم الشخصيه و حب الجاه و المال و القوه و الشهرة، مثل: جنكيز خان و تيمور و سائر السلاطين الأقوياء الذين كانوا يدأبون فى سعيهم بالاستيلاء على الآخرين و التعرض لهم و كانوا باستمرار يبحثون عن ذريعه لأعمالهم، كما كان السبب الرئيسى فى استيلاء المغول و التتار على إيران فى القرن السابع و ما رافقه من مصائب و ماسى هو قتل بعض التجار المغول بيد خوارزم شاه، و من ثم فمن الضرورى جدا أن يمنع جهال قبائل إيران من إعطاء هذه الذرائع للأجانب، و ليدرکوا أن قطع الطرق و السرقة، بالاضافه إلى كونه عمل قبيح و مذموم دائما، يعد فى هذا الوقت الحساس الذى تمر به إيران، خيانه لوطنهم.

و الآن و بعد أن علم مدى تأثير كلام آيات الله حتى فى قلوب مثل هذه القبائل المتهوره، فانى مفعم بالأمل أنهم لن يسكتوا عن الادلاء بمثل هذا الكلام و أنهم سيتفضلون بإسداء النصيحه لهذه القبائل، باستمرار حتى يتسنى لهم بالتدريج أن يفهموا أن قوتهم و شرفهم يكمنان فى اتحادهم و انقيادهم و ليس فى الإفساد و إيذاء الناس.

فى هذه الأيام وصلت عدده كتب من إيران، سواء من الايرانيين أو من الإنجليز، و قدم اليوم أحد المسافرين من تبريز، حاملا بشرى، مفادها.

أن عدد القوات الروسيه فى هذه المدينه آخذ بالتناقص، حتى إنه قال: على الرغم من استحاله إحصائهم، إلا أنه يعتقد أنها لا تتجاوز الثلاثمائيه أو الأربعمائيه جندى، و أضاف بأنهم عمدوا إلى هدم بناياتهم التى كانوا قد أقاموها لهم فى قزوین، و أخذوا يبيعون الأخشاب و الصخور.

و يستشف من مجموع ما كتب أن حضره نائب السلطنه يتصرف بمنتهى الحكمه و المداراه، و لكن أحد المخبرين الإنجليز، و هو محب لايران كثيرا و واقف على بواطن الأمور و حقائقها، يبدى أسفه لما يراه من حديه و تطرف فى الأشخاص المؤهلين و الوطنيين و المجريين و العاقلين، و ما هذا التطرف و هذه الحديه إلا نتيجة لشده جبههم لوطنهم و نفرتهم من المداراه مع أهل الظلم، و هو يأسف لأن مثل هؤلاء كانوا يعيدون عن الساحه، خصوصا جناب الميرزا حسين قلى خان نواب الفرسان سابقا و زيرا للخارجيه، و الذى أرغم على الاستقاله(1) بسبب مفارقتة للروس و الشجاعه التى أبداهها فى مواجهتهم.

و قد كتب لى مراسل صحيفه التايمز، بصوره سريه - إن هذا الشخص كان منقطع النظر فى شجاعته و همته و نشاطه و سداد رأيه و سلامه عمله، و مما يؤسف له أن لا يكون مثل هذا الشخص عضوا فى الحكومه، و لكنه كان هدفا لبغض و كره الدوله الشماليه وسعت هذه الدوله فى إزالته.

ص: ٢٩٥

الأمر الآخر الذى أحببت الخوض فيه - إن لم يكن ثمة تجرؤ - هو وصول رسالتين - مؤخرا - من السيد حسن تقى زاده، الذى يعيش الآن منزويا فى إسلامبول، و إذ كان هنا لحين، فقد تعرفت إليه كثيرا، و أدركت بالبراهين الساطعه و الأدله القاطعه، مدى صدقه و سلامه عمله، ثم سمعت أنه تطرف بعض الشىء، و تعرض لكلام الناس و كفر. و على الرغم من إدراكى فيما بعد لعدم صحه هذا القول، إلا أنى كتبت إليه - للصدقه التى بيننا - إن يكف عن الحديه و التطرف، و على وجه الخصوص أن يساهم فى دعم حضرات آيات الله الذين يركز عليهم أهل إيران، بل أهل الإسلام، و ما قدموه من تضحيات فى سبيل حب الوطن معروف لدى الجميع سواء فى داخل إيران أو خارجها [خارجها]. فكتب لى فى جوابه:

"إنى مستعد لاطاعه و إجابته كل نوع من نصائحكم الخالصه بروحى و قلبى، و أتمنى عليكم أن تكتبوا لى - كمعلم مشفق - كل ما يدور فى خاطركم الشريف، دون أدنى ملاحظه، فان الله يشهد أنى أستفيد منها بكل إخلاص، و الله شاهد أيضا أنى لم أعمل منكرا و إذا كان قد بدر منى خطأ - رغم أنى لم أعرف هذا الخطأ مع كل دقتى - فلا يستحسن أن أجعل خلوص النيه - التى هى كل ما أملك فى هذا العالم - كفاره لهذا الخطأ.

أسأل الله أن ينقص من مصائب إيران و يضيف إلى بلاياى، و أن ينقذ إيران بتعاستى الأبدية".

و الآن إذا كان ثمة شخص، على هذا القدر من حب الوطن و الرغبة فى مصلحته حتى و لو كانت تستلزم هلاكه و فناءه، ألا يكون مدعاها للأسف وجود مثل هذا الشخص معتزلا فى ركن قصى.

لقد مضى شطر كبير من الليل و لا أحب أن أجهدك أكثر من هذا. إنى أنتظر أوامركم باستمرار و أدعو لدوام بقائكم الشريف. الأقل، محب الخير لايران إدوارد براون الانكليزى.

نص جواب الآخوند الخراسانى:

٣ رجب ١٣٢٩ النجف.

كامبريج: حضره العالم الفاضل الدكتور إدوارد برون دامت إفاضاته و فضائله، يحيطكم مقام الرئاسة الروحانيه للمسلمين الجعفرين علما بما يلى:

لقد طالعت بكل سرور رسالتكم الموقره، و أمعنت النظر فى جميع مواضيعها، و تلقيت النصائح المشفقه و الارشادات الخالصه بكل اهتمام.

و كانت ملاحظتها باعنا لسرورى و ارتياحى.

أعتقد أنه قد جرى توصيه و تشجيع العشائر و القبائل و سائر الطبقات على حفظ الأمن و قطع الطريق على ذرائع المعتدين، و ذلك من خلال البرقيات و الرسائل، و على الرغم من كون أيادى الاستبداد و الرجعيه لا يفوتون الفرصه - مع التحريض الأجنبى - فى تغليب عنصر الجهل، إلا أن الأوضاع الراهنه تدعو إلى الاطمئنان حتى نرى ما سيحدث فيما بعد.

و أما فيما يتعلق بوزير الخارجيه السابق السيد حسين قلى خان نواب و السيد تقى زاده(١) و سائر الأصدقاء المحبين لايران فان الرئاسة الروحانيه [الروحانيه]، على علم تام بها و على اطلاع بصلاحيها و خدماتها، و لكن مع الأسف كانت هذه التغييرات لازمه قهريه من لوازم الثورة، و حيث أن الخادم سرعان ما يشته به مع الخائن، فان مقام الروحانيه لا يتدخل فى مثل هذه الجزئيات، و لكن مع ذلك نامل أن تتدارك الأمور، و توكل الأعمال إلى أشخاص لائقين بها.

و الآن أكرر عواطفى الصادقه و أكتفى بهذا القدر.

محمد كاظم الخراسانى

محمد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود،

اشاره

المدعو بالمولى محسن القاشانى، و المعروف بالفيض.

قال على أكبر الغفارى:

أحد نوابغ العلم فى القرن الحادى عشر. كان نشؤه فى بلده قم، فانتقل إلى قاشان، ثم ارتحل إلى شيراز بعد ما سمع بورود السيد ماجد بن على البحرانى(٢) تلك البلده للأخذ من منهل علومه، و من المولى صدر الدين الشيرازى و تخرج عليهما و تزوج ابنه المولى الصدر المعظم، ثم غادرها إلى قاشان(٣) و كان هنالك مرجعا لاند له إلى أن توفى بها سنه ١٠٩١ و هو ابن أربع و ثمانين(٤)، و دفن هناك و قبره مشهور يزار.

أقوال العلماء فى حقه

إطباق العلماء على فضله و تقدمه و براعته فى العلوم يغنينا عن سرد جمل الثناء عليه و تسطير الكلم فى إطرائه.

قال الشيخ الحر العاملى: محمد بن المرتضى المدعو بمحسن الكاشانى كان فضلا، عالما، ماهرا، حكيما، متكلما، محدثا، فقيها، محققا، شاعرا، أدبيا، حسن التصنيف، من المعاصرين، له كتب - ثم عد بعضا من كتبه ثم قال: - قد ذكره السيد على بن ميرزا أحمد فى السلافه و أثنى عليه ثناء بليغا(٥) و قال الرجالى الكبير محمد بن على الأردبيلى: محسن بن المرتضى - رحمه الله - العلامه المحقق المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزله، فاضل كامل، أديب متبحر فى جميع العلوم(٦) و قال السيد نعمه الله الجزائرى الشوشترى: كان أستاذنا المحقق المولى محمد محسن القاشانى صاحب الوافى و غيره مما يقرب مائتى كتاب و رساله(٧)

ص: ٢٩٦

١- أثر مقتل السيد عبد الله البهبهانى فى طهران فى التاسع من رجب عام ١٣٢٨، اتهم بعض الانتهازيين و رؤساء حزب الاعتدال

- الذين كانوا فى عدااء مع الديمقراطيين - و زعيمهم السيد تقى زاده بالتحريض على هذا القتل. و بالفعل أغلقت أسواق طهران و طالب البعض بتكفير و نفى تقى زاده، و لم يفلت تقى زاده من هذه الورطه حتى بادر الحزب الديمقراطى و محمد رضا الشيرازى فى استصدار براءه له من الحوزه فى النجف، و لكن على الرغم من ذلك فضل تقى زاده البقاء خارج إيران.

٢- هو السيد ماجد بن على بن المرتضى بن على بن ماجد أبو على الحسينى البحرانى، من أجل فضلاء البحرين و أدبائها. هو أول من نشر الحديث. قال الشيخ سليمان الماحوزى فى الفصل الذى ألحقه بالبلغه فى ذكر علماء البحرين: السيد العلامة الفهامه - إلى أن قال: - تلمذ عليه أعيان العلماء مثل مولانا العلامة محمد محسن الكاشانى صاحب الوافى.

٣- راجع لؤلؤه البحرين ص ١٣٢.

٤- المستدرک ج ٣ ص ٤٢٠.

٥- أمل الآمل ص ٥٠٧ من طبعه الملحق بمنهج المقال.

٦- جامع الرواه ج ٢ ص ٤٢.

٧- كذا فى زهر الربيع ص ١٦٤ طبع طهران حسبما رقمناه.

وقال الشيخ يوسف البحراني: المحدث القاشاني، كان فاضلاً، محدثاً، أخبارياً صلباً (١) و قال السيد محمد شفيع الحسيني في الروضة البهية في ترجمته: إنه صرف عمره الشريف في ترويح الآثار المرويه، و العلوم الالهيه، و كلماته في كل باب في غاية التهذيب و المتانه و له مصنفات كثيره.

و أثنى عليه صاحب الروضات بقوله: أمره في الفضل و الفهم و النباله في الفروع و الأصول و كثره التأليف، مع جوده التعبير و الترصيف، أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد (٢) و قال المحدث النوري: من مشايخ العلامة المجلسي العالم الفاضل المتبحر المحدث العارف الحكيم المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتتهر بالفيض الكاشاني (٣) و قال المحدث القمي: أمره في الفضل و الأدب، و طول الباع و كثره الاطلاع، و جوده التعبير، و حسن التحرير، و الاحاطه بمراتب المعقول و المنقول، أشهر من أن يخفى (٤) و أورده الأستاذ "مرتضى المدرسي جهاردهي [چهاردهي]" في كتابه المسمى بطبقات المفسرين قال:

كان الفيض - رحمه الله - من كبار علماء الاماميه الذين كانت لهم عناية بالغه بالقرآن و الحديث، له مسلك خاص في التفسير جمع بين الطريقه و الشريعه.

ألف في الحقائق القرآنيه التي أسست على أصول الفطره، و الحكمه العاليه التي تنطبق على نواميس الطبيعه، و العرفان الصحيح الذي يلائم الفطره و العقل، تفسيريه: الصافي، و الأصفى.

و نقل في كتابه "المحججه البيضاء" الذي ألفه في تهذيب إحياء العلوم، أخباراً كثيره عن أئمه أهل البيت ع في علم الأخلاق و علم النفس و أدبها، بوجه رائق، و الحق أنه تفسير للقرآن و شرح لأحاديث الاماميه.

و هو يبحث في هذا الكتاب بحثاً تحليلياً عن عقائد الغزالي و آرائه ثم يشرع في نقدها و تهذيبها معتمداً في كل ذلك على الكتاب و السنه.

و استشهد في آرائه في جميع تأليفه بالقرآن و الحديث الصادر عن أهل بيت الوحي.

و إذا قسنا بينه و بين أبي حامد في فهم آيات الكتاب الحكيم و الأخبار الصادره عن منبع الوحي، نرى تقدمه الباهر على الغزالي مع ما كان له من الشهره العالميه و اشتهاه الفيض في جامعه الشيعه فحسب.

و لو أن الدعايات المبثوثه حول الغزالي في العالم بثت حول الفيض، لظهرت عبقريته، و علم المحققون من أعلام الغرب مبلغ عظمته العلميه، و توجهوا نحو آرائه القيمه و عقائده الحقه في علم التفسير و الحديث من ناحيه الأخلاق و علم النفس و أدبها. (انتهى).

مشايخه و الراون عنه

روى عن جماعه من الأعلام منهم:

- ١ - الشيخ البهائي محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي.
- ٢ - المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي ثم النجفي ثم القمي.
- ٣ - المولى خليل الغازي القزويني شارح الكافي.
- ٤ - الشيخ محمد بن الشيخ الحسن بن الشهيد الثاني.
- ٥ - المولى محمد صالح شارح الكافي.
- ٦ - السيد الجليل النبيل السيد ماجد بن السيد هاشم الحسيني البحراني.
- ٧ - الحكيم المتأله الفاضل محمد بن إبراهيم الشيرازي الشهير بمولى صدرا.
- ٨ - أبوه الشاه مرتضى بن الشاه محمود.

و يروى عنه جماعه من الأعاضم منهم:

- ١ - المجلسي محمد باقر بن محمد تقى صاحب بحار الأنوار.
- ٢ - السيد نعمه الله الجزائري الشوشترى.
- ٣ - القاضي سعيد القمي.
- ٤ - ولده المعروف بعلم الهدى.

٢ - تصانيفه

التفسير

(٥):

- ١ - الصافي (١٠٧٥).
- ٢ - الآصفي - المنتخب من الصافي (١٠٧٧).
- ٣ - تنوير المذاهب - تعليقات على تفسير القرآن للكاشفي السبزواري.
- ٤ - المصفي.

الحديث:

- ١ - الوافى - فى ترتيب الأحاديث المذكوره فى الكتب الأربعة (١٠٦٨).
- ٢ - الشافى - المنتخب من الوافى (١٠٨٢).
- ٣ - النوادر - فى جمع الأحاديث الغير المذكوره فى الكتب الأربعة.

العقائد:

- ١ - علم اليقين فى أصول الدين (١٠٤٢).
- ٢ - المعارف، ملخص من كتاب علم اليقين (١٠٣٦).

ص: ٢٩٧

-
- ١- لؤلؤه البحرين ص ١٣٣.
 - ٢- الروضات ص ٥١٦.
 - ٣- خاتمه المستدرک ص ٤٢٠.
 - ٤- الكنى و الألقاب.
 - ٥- كتبنا هذا الفهرس - حسب المواضع مع ذكر سنه التأليف - مقتبسا عما يلى من المصادر: أ - مقدمه كتاب المحجه البيضاء، طبع مكتبه الصدوق (فى ٨ مجلد). ب - الفهارس الثلاثه لتصانيفه مع إضافات للسيد محمد المشكاه، طبع فى مقدمه المجلد الثانى من المحجه البيضاء طبع المكتبه الإسلاميه (فى ٤ مجلدات). ج - ريحانه الأدب ج ٤ ص ٣٧٨-٣٧٤. و فيه تحقيق حول بعض الكتب المنسوبه إليه.

- ٣ - عين اليقين في أصول الدين (قريب ١٠٣٦).
- ٤ - أصول المعارف، ملخص مهمات عين اليقين (١٠٨٩).
- ٥ - قره العيون - في معنى "أصول المعارف" بسياقه أخرى و طريقه أسنى (١٠٨٨).
- ٦ - أنوار الحكمة - ملخص من كتاب علم اليقين، مع فوائد حكميه اختصت به (١٠٤٣).
- ٧ - ترجمه العقائد - بالفارسيه (١٠٤٣).
- ٨ - أصول العقائد (١٠٣٦).
- ٩ - منهاج النجاه (١٠٤٢).
- ١٠ - السانح الغيبي - في تحقيق معنى الايمان و الكفر و مراتبهما.
- ١١ - الكلمات الطريفه - في ذكر منشا اختلاف آراء الأمه المرحومه - في مائه كلمه (١٠٦٠).
- ١٢ - الإنصاف (١٠٨٣).
- ١٣ - هديه الاشراف في تلخيص الإنصاف.
- ١٤ - رساله في الجبر و الاختيار.
- ١٥ - التذكره في الحكمة الالهيه.

التوحيد:

- ١ - الكلمات المضمونه في بيان التوحيد (١٠٩٠).
- ٢ - اللباب - في كيفيه علم الله سبحانه بالأشياء.
- ٣ - اللب - في معنى حدوث العالم.
- ٤ - رساله في جواب من سال عن كيفيه علم الله سبحانه قبل الإيجاد.

المعاد:

- ١ - ميزان القيامة - في كيفيه ميزان يوم القيامة (١٠٤٠).

٢ - مرآه الآخره - فى حقيقه الجنه و النار (١٠٤٤).

الامامه و الولايه:

١ - بشاره الشيعة (١٠٨١).

٢ - الأربعين فى مناقب أمير المؤمنين (ع).

٣ - ثناء المعصومين ع - يشبه التحيه المنسوبه إلى الطوسى، إلا أنه أبسط منه و أوفى.

٤ - رساله فى جواب من سال عن البرهان على حقيقه مذهب الاماميه من أهل مولطان.

الدعاء:

١ - شرح الصحيفه السجديه - مختصر.

٢ - ذريعه الضراعه - فى الأدعيه المأثوره المتضمنه للمناجاه (قريب ١٠٥٠).

٣ - مختصر الأوراد و سمي أيضا "منتخب الأوراد" مشتمل على الأذكار و الدعوات المتكرره فى اليوم و الليله و الأسبوع و الشهر و السنه (١٠٦٧).

٤ - خلاصه الأذكار (١٠٣٣). ٥ - جلاء القلوب - و سمي "جلاء العيون" أيضا.

٦ - أهم ما يعمل - مهمات ما ورد فى الشريعه المطهره من العمل.

٧ - الأذكار المهمه - مختصر من "خلاصه الأذكار" بالفارسيه.

٨ - أذكار الطهاره.

٩ - الرفع و الدفع - فى رفع الآفات و دفع البليات بالقرآن و الدعاء و العوذ و الرقى و الدواء - فارسي.

١٠ - الكلمات السريه العليه، المنتزعه من أدعيه الأئمه المعصومين ع (١٠٨٨).

١١ - لب الحسنات.

١٢ - زاد العقبي - و هما مشتملان على خلاصه ما فى "منتخب الأوراد".

١٣ - أعمال الأشهر الثلاثه.

- ١ - معتصم الشيعة فى أحكام الشريعة، خرج منه كتاب الصلاة و مقدماتها (١٠٤٢).
- ٢ - النخبه - مشتمل على خلاصه أبواب الفقه (قريب ١٠٥٠).
- ٣ - الشهاب الثاقب - فى تحقيق عينيه وجوب صلاة الجمعة فى زمن غيبه الحجه المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - (١٠٥٧).
- ٤ - أبواب الجنان - مختصر فى صلاة الجمعة بالفارسيه (١٠٥٥).
- ٥ - ترجمه الصلاة - بالفارسيه (١٠٤٣).
- ٦ - مفاتيح الخير - فى أحكام الصلاة بالفارسيه.
- ٧ - ترجمه الطهاره - فى أحكام الطهاره بالفارسيه.
- ٨ - ترجمه الزكاه - بالفارسيه.
- ٩ - ترجمه الصيام - بالفارسيه.
- ١٠ - النخبه الصغرى.
- ١١ - الضوابط الخمس - فى أحكام الشك و السهو و النسيان فى الصلاة.
- ١٢ - جهاز الأموات - أمهات المسائل الشرعيه المتعلقة بالجنائز.
- ١٣ - رساله فى بيان أخذ الأجره على العبادات و الشعائر الدينيه.
- ١٤ - رساله فى تحقيق ثبوت الولايه على البكر فى الترويج.
- ١٥ - مفاتيح الشرائع - من أهم الكتب الفقهيه المتداوله و كتب عليه شروح عديده (١٠٤٢).
- ١٦ - ترجمه الحج - بالفارسيه.
- ١٧ - زاد الحاج - بالفارسيه، أخصر من "ترجمه الحج" (١٠٦٥).
- ١٨ - تعليقات النخبه الصغرى.

١ - سفينه النجاه - فى أن ماخذ الأحكام الشرعيه ليس إلا محكمات الكتاب و السنه (١٠٥٨).

ص: ٢٩٨

- ٢ - الحق المبين فى كيفية التفقه فى الدين (١٠٦٨).
- ٣ - الأصول الأصلية (١٠٤٤).
- ٤ - نقد الأصول الفقيهيه - و هو أول تصنيف له.
- ٥ - راه صواب - بالفارسيه - سبب الاختلاف فى المذاهب، و تحقيق معنى الإجماع (قريب ١٠٤٠).
- ٦ - شرائط الايمان - منتخب من "راه صواب" (١٠٦٢).
- ٧ - المحاكمه - محاكمه بين فاضلين من مجتهدى أصحابنا فى معنى التفقه فى الدين.

الأخلاق:

- ١ - المحججه البيضاء فى تهذيب الأحياء (١٠٤٦).
- ٢ - الحقائق فى أسرار الدين، ملخص كتاب المحججه (١٠٩٠).
- ٣ - تسهيل السبيل إلى الحججه فى انتخاب "كشف المحججه" للسيد ابن طاوس (١٠٤٠).
- ٤ - الخطب - يشتمل على مائه خطبه و نيف لجمعات السنه و العيدين (١٠٦٧).
- ٥ - ترجمه الشريعه - فى فائده الشريعه و كيفية سلوكها.
- ٦ - زاد السالك.
- ٧ - رفع الفتنة - بيان حقيقه العلم و العلماء.
- ٨ - ألفت نامه - فى ترغيب المؤمنين إلى الأنس و الاتحاد - فارسيه.
- ٩ - التطهير.
- ١٠ - ضياء القلب (١٠٥٧).
- ١١ - آيينه شاهى - منتخب من ضياء القلب فارسى (١٠٦٦).

التراجم:

- ١ - شرح الصدر - فى أحوالات نفسه (١٠٦٥).

٢ - فهرس المصنفات الأول - يشتمل على ثمانين كتابا، كتبه و هو ابن ٦٢ سنه (١٠٦٩).

٣ و ٤ - فهرست المصنفات الثاني و الثالث - كتبهما و قد بقى من مده عمره سنه واحده، و كان عدد تأليفاته حينئذ ١١٦ كتابا (١٠٩٠).

٥ - الاعتذار - جواب مكتوب بعض الاخوان.

المنتزعات:

١ - المنتزع من رسائل إخوان الصفا.

٢ - المنتزع من المكاتيب لقطب بن محيي.

٣ - المنتزع من المثنوى للمولوى الرومى - المسمى بسراج السالكين.

٤ - المنتزع من غزلياته.

٥ - منتخب بعض أبواب الفتوحات المكيه لمحيى الدين ابن العربى.

الأدب:

١ - مثنوى سلسيل.

٢ - شراب طهور.

٣ - تسنيم. ٤ - نديه العارف.

٥ - نديه المستغيث.

٦ - تنفيس الهموم.

٧ - وسيله الابتهاال.

٨ - آب زلال.

٩ - آداب الضيافه.

١٠ - قصائد دهر آشوب.

١١ - گلزار قدس.

١٢ - شوق المهدى (ع).

١٣ - شوق الجمال.

سائر العلوم:

١ - تشريح العالم - فى بيان هيئه العالم و أجسامه و أرواحه و كيفيته، و حركات الأفلاك و العناصر، و أنواع البسائط و المركبات.

٢ - وصف الخيل، و ذكر ما ورد من اتخاذ الخيل و معرفتها و علاماتها من الأئمه المعصومين ع - فارسى (١٠٦٧).

٣ - غنيه الأنام فى معرفه الساعات و الأيام - على ما يستفاد من أحاديث أهل البيت ع.

٤ - معيار الساعات - و هو قريب من "غنيه الأنام" إلا أنه فارسى.

٥ - الأحجار الشداد و السيوف، فى نفى الجواهر الأفراد.

٦ - فهرست العلوم.

٧ - أجوبه المسائل.

٨ - الكلمات المكنونه (١٠٥٧).

٩ - الكلمات المخزونه - المنتزعه من "الكلمات المكنونه" (١٠٨٩).

١٠ - اللآلى - من ملتقطات "الكلمات المكنونه".

١١ - المشواق.

١٢ - تقويم المحسنين - فى معرفه الساعات و الشهور و السنين.

١٣ - حاشيه على الرواشح السماويه لمير محمد باقر الداماد.

"منهاج النجاه" و هو فى مقصدين و خاتمه:

١ - المقصد الأول فى الاعتقادات (التوحيد، العدل، النبوه، الامامه، المعاد).

٢ - المقصد الثاني في الأعمال (طاعات الجوارح، معاصي الجوارح، طاعات القلب، معاصي القلب، آداب الصحبه و المعاشره).

٣ - الخاتمه.

يورد المؤلف في هذه الرساله مجملا للعقائد، و الأدعيه و الاذكار، و المعاصي و تجنبها، و آداب المعاشره و المصاحبه.

ميرزا شرف الدين محمد بن محمد رضا التبريزي،

المشتهر بالمجذوب.

ولد سنه ١٠٠٦ في مدينه تبريز، و قيل في تاريخ ولادته غير ذلك و توفي سنه ١٠٩٣ كان عالما شاعرا عارفا، نظم في مناقب الأئمه ع، و له ديوان مثنوى (طريق النجاه) و مثنوى آخر (التأييدات) في ثمانيه آلاف بيت، و منه قصائد و أبيات في مدح الأئمه ع. و له ديوان من

ص: ٢٩٩

أربعة آلاف بيت، فيه القصيده و الغزل و الخمس و الترجيح. و له أشعار فى الأخلاق و النصائح.

و هو شاعر مذهبى عرفانى، نستدل من مطالعه أشعاره أنه سافر مرتين إلى الحج و زياره النجف و كربلاء.

أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش

إشارة

المعروف بالعيشيقيال ابن النديم و الشيخ الطوسى: من أهل سمرقند و قيل أنه من بنى تميم. و قال النجاشى: السلمى السمرقندى فيظهر منهم أنه كان عربيا تميميا أو سلميا فى الأصل، و سمرقنديا من حيث الموطن، فلا وجه لما قاله شيخنا فى قاموس الرجال فى ذيل: قول الشيخ الطوسى فى الفهرست: "من أهل سمرقند و قيل من بنى تميم" لا تصلح المقابلة إلا إذا كان المراد عجمى سمرقندى أو عربى تميمى.

عصره

قال العلامة الطهرانى و السيد حسن الصدر: هو من طبقه ثقة الإسلام الكلينى المتوفى سنة ٢٢٨. و تدل على هذا روايه الشيخ الكشى الذى عاش فى النصف الأول من القرن الرابع عنه كثيرا فى كتابه معرفه الناقلين فى الرجال.

و فى رجال الكشى عن العياشى أنه قال كتب إلى الفضل بن شاذان. و الفضل توفى سنة ٢٦٠ و منه يظهر أن ولاده العياشى كانت حدود سنة ٢٤٠ كما لا يخفى.

الثناء عليه

قال ابن النديم: هو من فقهاء الشيعة الاماميه أوحد دهره و زمانه فى غزاره العلم و لكتبه بنواحى خراسان شان من الشأن...

و قال النجاشى: هو ثقة صدوق عين من عيون هذه الطائفة... و كان أول أمره عامى المذهب و سمع حديث العامه فأكثر منه ثم تبصر و عاد إلينا و كان حدث السن... قال أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله: سمعت القاضى أبا الحسن على بن محمد قال (قال) لنا أبو جعفر الزاهد: أنفق أبو النضر على العلم و الحديث تركه أبيه سائرهما و كانت ثلاثمائة ألف دينار و كانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو معلق مملوءه من الناس...

و قال فى موضع آخر: داره كانت مرتعا للشيعة و أهل العلم.

و قال الشيخ الطوسى: هو جليل القدر واسع الأخبار يصير [بصير] بالروايات مطلع عليها (مضطلع بها ن خ) أكثر أهل المشرق علما و فضلا و أدبا و فهما و نبلا فى زمانه صنف أكثر من مائتى مصنف ذكر فهرست كتبه أبو إسحاق النديم.

و له مجلس للخاص و مجلس للعام.

و قال ابن شهر آشوب: هو أفضل أهل المشرق علما كتبه تزيد على مائتى مصنف.

و قال العلامة الحلى: هو جليل القدر واسع الأخبار بصير بالروايات مطلع عليها له كتب كثيرة تزيد على مائتى مصنف...

و قال ابن داود: هو ثقة صدوق غير أنه يروى عن الضعفاء كان عاميا فاستبصر. قيل أنه أنفق فى العلم تركه أبيه و هى ثلاثمائة ألف دينار و كانت داره كالمدرسه للمشتغلين صنف أكثر من مائتى كتاب. و قال علم الهدى فى نضد الإيضاح: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش - بالشين المعجمه - السلمى السمرقندى أبو النضر - بالضاد المعجمه - المعروف بالعيشى ثقة عظيم الشأن جليل القدر شيخ الطائفة أنفق على العلم و الحديث تركه أبيه كلها و كانت ثلاثمائة ألف دينار و كانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل [أو] قارئ أو معلق مملوءه من الناس و صنف كتب كثيرة فى أصناف العلوم (انتهى كلام العلامة الحلى) أقول: كان فى أول عمره عامى المذهب و سمع حديث العامه و أكثر منه ثم تبصر و عاد إلينا و هو حدث السن و كان واسع الأخبار صدوقا إلا أنه يروى عن الضعفاء. و كان له مجلس للخاص و مجلس للعام.

و قال المحدث النورى: هو من عيون هذه الطائفة و رئيسها و كبيرها، جليل القدر، عظيم الشأن، واسع الروايه و نقادها، و نقاد الرجال.

و قال المحدث القمى: قال مشايخ الرجال أنه ثقة صدوق، عين من عيون هذه الطائفة و كبيرها، جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايه، مضطلع بها، له كتب كثيرة تزيد على مائتى مصنف، منها كتاب التفسير المعروف... و من تلاميذه و غلمانه - فى مصطلح أهل الرجال - الشيخ الكشى صاحب كتاب الرجال المشهور.

و قال العلامة الطهرانى: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى السمرقندى المؤلف لما يزيد على مائتى كتاب فى عده فنون: الحديث، الرجال، التفسير، النجوم (الفقه) و غيرها و هو من مشايخ الكشى، من طبقه ثقة الإسلام الكلينى.

شيوخه

يستفاد من إسناد الروايات الباقية المرويه عن العياشى كثره شيوخه و قد استخراجنا أسماءهم من الروايات المنقوله منه، فى رجال الكشى، و شواهد التنزيل للحسكافى و يعرض [بعض] كتبنا الرجاليه كرجال النجاشى و غيره... و هذا تفصيلها:

١ - إبراهيم بن محمد بن فارس هو من أصحاب الامام الهادى و العسكرى (ع) و قال الكشى: هو فى نفسه لا بأس به و لكن بعض من يروى هو عنه و فى حاشيه الشهيد الثانى على خلاصه الأقوال: قال الكشى هو ثقة فى نفسه لا بأس به. و فى الرجال الوسيط للأسترآبادى: قال أحمد بن طاوس قال الكشى هو ثقة فى نفسه و لكن أزراره بعض من يروى عنه.

٢ - أبو العباس أحمد بن عبد الله بن سهل البغدادى الواضحى يروى عنه ابنه أبو محمد سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجى الذى قال النجاشى فى حقه: لا بأس به كان يخفى أمره كثيرا ثم ظاهر بالدين آخر عمره له كتاب إيمان أبى طالب (رض).

٣ - أبو عبد الله الشاذانى النيسابورى محمد بن أحمد بن نعيم هو من أصحاب الامام العسكرى (ع).

٤ - محمد بن أحمد بن حماد المروزى أبو على المحمودى هو من أصحاب الامام الهادى (ع).

٥ - أحمد بن منصور الخزاعي

ص: ٣٠٠

روى عنه العياشى فى موارد متعدده، راجع رجال الكشى.

و عدّه الشيخ الطوسى من أصحاب الامام الرضا (ع) و هو مستبعد.

٦ - أبو يعقوب إسحاق بن محمد البصرى هو من أصحاب الامام الهادى و العسكرى (ع)، و قال العياشى هو أحفظ من لقيته (بيغداد).

و فى إسحاق هذا كلام طويل فراجع كتب الرجال.

٧ - أبو محمد جبريل بن أحمد الفاريابى قال الشيخ الطوسى: كان مقيما بكش، كثير الروايه عن العلماء بالعراق و قم و خراسان. و قال القهبائى: هو ضابط الأحاديث و كاتبها، يذكر كثيرا مؤخرا و مقدما فى رجال الكشى.

و قال الوحيد البهبهانى: هو معتمد الكشى، حتى إنه يعتمد على ما وجد من خطه، و فيه أشعار بجلالته، بل بوثاقته أيضا فتأمل.

٨ - أبو سعيد جعفر بن أحمد بن أيوب السمرقندى المعروف بابن التاجر.

قال النجاشى: كان صحيح الحديث و المذهب، روى عنه محمد بن مسعود العياشى ذكر أحمد بن الحسين: أن له كتاب الرد على من زعم أن النبى (ص) كان على دين قومه قبل النبوه...

و روى الشيخ فى التهذيب و الاستبصار بعض الروايات عن العياشى عنه.

و قال الشيخ الطوسى: يعرف بابن التاجر، من أهل سمرقند متكلم، له كتب.

٩ - أبو عبد الله الحسين بن إشكيب قال النجاشى: هو شيخ لنا خراسانى، ثقة مقدم، ذكره الكشى فى أصحاب الامام العسكرى (ع)، روى عنه العياشى و أكثر، و اعتمد حديثه ثقة ثقة ثبت. قال الكشى: هو القمى خادم القبر قال شيخنا (المفيد) قال لنا أبو القاسم جعفر بن محمد: كتاب الرد على من زعم أن النبى (ص) كان على دين قومه و (كتاب) الرد على الزيدىة للحسين بن إشكيب حدثنى بهما محمد بن الوارث عنه و بهذا الاسناد كتابه النوادر، قال الكشى فى رجال أبى محمد: الحسين بن إشكيب المروزى المقيم بسمرقند و كش، عالم متكلم، مؤلف للكتب.

و قال الشيخ الطوسى: هو فاضل، جليل، متكلم، فقيه، مناظر، صاحب تصانيف، لطيف الكلام، جيد النظر و قال فى موضع آخر: القمى خادم القبر و قال فى موضع آخر: المروزى المقيم بسمرقند و كش، عالم متكلم، مصنف للكتب.

١٠ - أبو جعفر محمد بن أحمد بن خاقان النهدى القلانسى المعروف بحمدان قال النجاشى: كوفى مضطرب له كتب منها كتاب المواقيت فى الصلاه، كتاب فضل الكوفه، كتاب النوادر. و قال الكشى: سألت العياشى عن جماعه هو منهم فقال: أما محمد النهدى و هو حمدان القلانسى كوفى، فقيه، ثقة، ثقة، خير.

قال شيخنا فى قاموس الرجال يمكن ترجيح قول العياشى - و إن قالوا الجارح مقدم - بان العياشى كان تلميذه و حينئذ فهو كالشاهد و الشاهد يرى ما لا يرى الغائب و قد قرره الكشى.

١١ - أبو الحسن حمدويه بن نصير بن شامى قال الشيخ الطوسى: روى عنه العياشى يكنى أبا الحسن عديم النظر فى زمانه، كثير العلم و الروايه، ثقه حسن المذهب.

و روى الشيخ الطوسى فى التهذيب بعض الروايات عن العياشى عنه.

١٢ - محمد بن نصير بن شامى قال الشيخ الطوسى: محمد بن نصير، من أهل كش، ثقه جليل القدر، كثير العلم، روى عنه أبو عمرو الكشى.

أقول: روى عنه العياشى فى موارد كثيره. و روى الشيخ الطوسى فى التهذيب بعض الروايات عن العياشى عنه فراجع معجم رجال الحديث:

١٧، ٢٥١، ٢٦٠.

١٣ - عبد الله بن حمدويه البيهقى كان من أصحاب الامام العسكرى (ع)، و

فى رجال الكشى: و من كتاب له (ع) يعنى أبا محمد (ع) إلى عبد الله بن حمدويه البيهقى: و بعد فقد نصبت لكم.. رحمهم الله و إياك معهم برحمتى لهم ان الله واسع كريم و قال الممقانى أقول أن ترجمه (ع) عليه و كتابه إليه يكشفان عن حسن حاله، و جلاله قدره...

١٤ - على بن عبد الله بن مروان قال الشيخ الطوسى: بغدادى، من أصحاب الامام العسكرى.

و نقل الكشى عن العياشى أنه قال: أما على بن عبد الله بن مروان، فان القوم يعنى الغلامه يمتحن فى أوقات الصلوات، و لم أحضره فى وقت الصلاه، و لم أسمع فيه إلا خيرا.

١٥ - على بن الحسن بن الفضال الكوفى قال الشيخ الطوسى فطحى المذهب، كوفى ثقه، كثير العلم، واسع الأخبار، جيد التصانيف، غير معاند، و كان قريب الأمر إلى أصحابنا الاماميه القائلين بالاثنى عشر (ع)، و كتبه مستوفاه فى الأخبار حسنه و قيل أنها ثلاثون كتابا.

و قال النجاشى: كان فقيه أصحابنا بالكوفه، و وجههم، و ثقتهم، و عارفهم بالحديث، و المسموع قوله فيه سمع منه شيئا كثيرا، و لم يعثر له على زله فيه، و لا ما يشينه، و قل ما روى عن ضعيف، و كان فطحيا... و قد صنف كتبا كثيره.

و قال الكشى: سألت محمد بن مسعود العياشى عن جماعه هو منهم فقال: أما على بن الحسن بن فضال فلا لقيت، فيمن لقيت بالعراق و ناحيه خراسان، أفقه و لا أفضل من على بن الحسن بالكوفه، و لم يكن كتاب عن الأئمه (ع)، فى كل صنف، إلا و قد

كان عنده، و كان أحفظ الناس، غير أنه كان فطحيا، و كان من الثقات.

ص: ٣٠١

و عدہ الشیخ الطوسی من أصحاب الامام الہادی و الامام العسکری (ع).

و قال العلامہ الطہرانی: فی عبارہ شیخ النجاشی: "سمع العیاشی أصحاب علی بن الحسن بن فضال" تصحیف و تصحیح: سمع أصحاب الحسن بن علی بن فضال یعنی ولده علی غیرہ ممن أدركه و صحبه فسمع العیاشی منهم. استدل علی التصحیف بروایاتہ الكثيرہ الموجودہ عن علی بن الحسن بلا واسطہ.

۱۶ - أبو العباس أو أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله محمد بن خالد بن عمر الطيالسي التميمي قال النجاشي: رجل من أصحابنا، ثقة، سليم الجنبه، له كتاب نوادر، و نسخه أخرى نوادر صغيره، و نسخه أخرى صغيره.

و قال فی ذیل محمد بن مسعود العیاشی: سمع أصحاب علی بن الحسن بن فضال و عبد الله بن محمد بن خالد الطیالسی.

قال الكشي: سألت أبا النضر محمد بن مسعود العیاشی عن جماعه هو منهم فقال: و أما عبد الله بن خالد الطیالسی فما علمته إلا ثقہ خیرا.

۱۷ - أبو الحسن علی بن محمد بن فیروزان القمی قال الشیخ الطوسی: هو كثير الروايه، كان مقيما بكش.

قال الشیخ التستری، فی قاموس الرجال، روى الكشي عن العیاشی عنه فی موارد متعدده، و منها يظهر اطلاعه بالرجال.

و قد روى الكشي عن العیاشی فی أكثر من خمسين موردا فراجع.

۱۸ - علی بن جعفر بن العباس الخزاعی المروزی.

روى العیاشی عنه كما فی شواهد التنزیل.

قال الشیخ الطوسی: هو واقفی، و ممن روى عن الامام العسکری (ع).

و روى الكشي عن العیاشی فی أكثر من خمسين موضعا.

۱۹ - الفضل بن شاذان النیسابوری المتوفی ۲۶۰ قال النجاشی، كان ثقہ أجل أصحابنا الفقهاء و المتكلمين و له جلاله فی هذه الطائفه و هو فی قدره أشهر من أن نصفه و ذكر الكشي أنه صنف مائه و ثمانين كتابا.

و قال الشیخ الطوسی: هو متكلم فقیه جلیل القدر له كتب و مصنفات... و ذكر ابن النديم أن علی مذهب العامه كتب و أظن أن هذا الذى ذكره الفضل بن شاذان الرازی الذى يروى العامه عنه.

أقول: روى الكشي عن العیاشی فی الموارد المتعدده أنه قال: كتب إلى الفضل بن شاذان و عدہ الشیخ فی أصحاب الامام الہادی و العسکری و فی كونه من أصحاب الامام الرضا و الامام الجواد كلام فراجع.

۲۰ - محمد بن أحمد بن أبي عوف البخاری قال الشیخ الطوسی: هو من أهل بخارى لا بأس به.

قال الشيخ التستري: أقول هو أحد مشايخ الكشي. ٢١ - أبو الحسن محمد بن سعيد بن يزيد أبو يزيد الكشي روى عنه العياشي كما في رجال الكشي.

وقال الشيخ الطوسي في باب من لم يرو عنهم (ع): محمد بن سعيد من أهل كش يكنى أبا الحسن صالح مستقيم المذهب.

٢٢ - القاسم بن هشام اللؤلؤي عده الشيخ من أصحاب الامام العسكري (ع) وقال في الفهرست: له كتاب النهي.

وقال النجاشي: أخبرنا ابن نوح... بكتابه النوادر.

وقال الكشي سألت أبا النضر محمد بن مسعود (العياشي) عن جماعه هو منهم فقال: و أما القاسم بن هشام فقد رأيت خيرا فاضلا و كان يروى عن الحسن بن محبوب.

٢٣ - محمد بن يزداد الرازي روى عنه العياشي كما في شواهد التنزيل و رجال الكشي.

عده الشيخ من أصحاب الامام العسكري (ع) و ذكره أيضا فيمن لم يرو عنهم (ع).

وقال العياشي في حقه: أما محمد بن يزداد الرازي فلا بأس به.

٢٤ - أبو يعقوب يوسف بن السخت البصري روى عنه العياشي في موارد متعدده و عده الشيخ الطوسي تاره في أصحاب الامام العسكري (ع) و أخرى فيمن لم يرو عنهم.

وقال ابن الغضائري: يوسف بن السخت بصري ضعيف مرتفع القول استثناء القميون من نوادر الحكمه.

و عده العلامه في الخلاصه في الضعفاء.

قال المامقاني: و لكن المحقق الوحيد البهبهاني مال إلى إصلاح حال الرجال بما توضيحه و توشيحه أن تضعيف الخلاصه و نحوها مبني على تضعيف ابن الغضائري و قد نبهنا مرارا على عدم الوثوق بتضعيفات ابن الغضائري سيما المبني منها على رمي الرجل بالغلو و الارتفاع و قد مر أن غايه ما أفاده كلام في استثناء جماعه من رجال نوادر الحكمه هو عدم الالتزام بصحه كل ما رواه في نوادر الحكمه و إن حاله ليس حال أصحاب الإجماع...

و ليعلم أن ما ذكرنا من شيوخه ليس كل ما وجدنا أسماءهم في رجال الكشي و شواهد التنزيل، و غيرهما، بل أعرضنا عن ذكر نحو من عشرين منهم لعدم عثورنا على ترجمتهم في ما بأيدينا من الكتب الرجاليه و التراجم و غيرها فراجع.

تلاميذه و الرواه عنه

قد سبق أن دار العياشي كانت مرتعا للشيعة و أهل العلم و هي كالمدرسه للمشتغلين و كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو

معلق و كان له مجلس للخاص و مجلس للعام.

فطبعا كان له تلاميذ و أصحاب و غلمان و رواه كثيرون قد ذكر بعضهم فى بعض كتب الرجال و التراجم.

و نحن نذكر هنا أربعين منهم كلهم أو جلهم من الفضلاء الأجله:

ص: ٣٠٢

١ - أبو محمد حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي قال الشيخ الطوسي في رجاله: هو عالم جليل يروى جميع مصنفات الشيعة و أصولهم عن عده... روى عنه التلعكبرى و سمع منه سنه أربعين و ثلاثمائة و له منه إجازة.

٢ - وقال في الفهرست: هو جليل القدر فاضل من غلمان محمد بن مسعود العياشى و قد روى جميع مصنفاته و قرأها عليه، و روى ألف كتاب من الشيعة بقراءه و إجازة... و له مصنفات منها "تنبيه عالم قتله علمه الذى معه" و "كتاب النور لمن تدبره". و روى النجاشى بواسطه واحده عنه عن العياشى.

٣ - جعفر بن محمد بن مسعود العياشىقال الشيخ الطوسي: فاضل أخبرنا بجميع كتب العياشى و رواياته جماعه من أصحابنا عن أبى المفضل [الشيبانى] عن جعفر بن محمد بن مسعود العياشى عن أبيه. و جعفر هذا من شيوخ الشيخ الصدوق ابن بابويه المتوفى سنه ٢٨١ و التلعكبرى المتوفى ٣٨٥ و غيرهما.

٤ - أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى صاحب كتاب الرجال المعروف قال النجاشى: صحب العياشى و أخذ عنه و تخرج عليه و فى داره التى كانت مرتعا للشيعة و أهل العلم.

و قال الشيخ الطوسي: هو صاحب كتاب الرجال من غلمان العياشى ثقة بصير بالرجال و الأخبار مستقيم المذهب.

و روى الكشى فى رجاله عن العياشى فى الموارد الكثيره جدا.

٥ - أبو القاسم الهاشمى كان من مشايخ الحاكم الحسكانى و روى عن العياشى و يحتمل اتحاده مع أبى القاسم الهاشمى الذى ترجمه الخطيب فى تاريخ بغداد قال: أبو القاسم الهاشمى أخو أبى العبر حدث عن أبيه روى عن أحمد بن كامل القاضى و أحمد بن كامل القاضى من أصحاب محمد بن جرير الطبرى و كان من العلماء بالأحكام و علوم القرآن و النحو و الشعر و أيام الناس و تواريخ أصحاب الحديث و له مصنفات فى أكثر ذلك... مات سنه ٣٥٠.

٦ - أبو جعفر أحمد بن عيسى بن جعفر العلوى العمري هو من ولد عمر بن على بن أبى طالب (ع) قال النجاشى: على بن محمد بن عبد الله أبو الحسن القزوينى القاضى وجه من أصحابنا ثقة فى الحديث قدم بغداد سنه ٣٥٦ و معه من كتب العياشى قطعه و هو أول من أوردها إلى بغداد و رواها عن أبى جعفر أحمد بن عيسى العلوى الزاهد عن العياشى.

و قال الشيخ الطوسي: هو ثقة من أصحاب العياشى.

٧ - على بن إسماعيل الدهقان قال الشيخ الطوسي: هو زاهد خير فاضل من أصحاب العياشى.

٨ - أبو القاسم عبد الله بن ظاهر النقار قال الشيخ الطوسي: ثقة حلوانى صالح و رع يكنى أبا القاسم من أصحاب العياشى.

٩ - محمد بن يوسف بن يعقوب الجعفرى قال الشيخ الطوسي: هو دين زاهد من أصحاب العياشى.

١٠ - أبو نصر أحمد بن يحيى قال الشيخ الطوسي: هو من أهل سمرقند و من غلمان العياشى، فقيه ثقة خير فاضل، كان يفتى

العامه بفتياهم و الحشويه بفتياهم و الشيعة بفتياهم.

١٠ - أبو جعفر محمد بن أحمد بن أبي عوف البخارى قال الشيخ الطوسى: هو من أهل بخارى، و من أصحاب العياشى، لا بأس به و هو من مشايخ الكشى كما قال فى قاموس الرجال.

١١ - أبو بكر القنانى قال الشيخ الطوسى: هو زاهد من أصحاب العياشى.

١٢ - أبو الحسن (أو أبو الحسين) بن أبى طاهر الطبرى قال الشيخ: على بن الحسين بن على يكنى أبا الحسن بن أبى طاهر الطبرى من أهل سمرقند ثقه و كيل، و من غلمان العياشى له كتاب "مداواه الجسد لحياء الأبد".

١٣ - محمد بن نعيم السمرقندى الحناط (الخياط) هو أبو حيدر بن محمد بن نعيم الذى ذكرناه من قبل، قال الشيخ الطوسى: أمى إلا أنه كان حافظا يروى عن العياشى.

١٤ - ليث بن نصر قال الشيخ الطوسى: هو من أصحاب العياشى.

أقول: يحتمل اتحاده مع الليث الذى ترجمه الخطيب قال: ليث بن نصر بن جبريل بن حفص أبو نصر البخارى قدم بغداد حاجا سنة ٣٤١ و حدثهم عن نصر بن زكريا بن نصر المروزى.

١٥ - على بن حسنيه الكرمانى قال الشيخ الطوسى: هو من تلامذه أبى النضر محمد بن مسعود العياشى.

١٦ - أبو نصر أحمد بن يعقوب السنائى قال الشيخ الطوسى: له تصانيف، من غلمان العياشى.

و عد الشيخ الطوسى ممن روى عن العياشى.

١٧ - الحسن بن نعيم.

١٨ - الحسن الكرمانى.

١٩ - محمد بن يوسف الكرمانى.

٢٠ - الحسن الغزال الكنتجى و عد من غلمانه:

٢١ - إبراهيم الجبوبى.

٢٢ - أحمد بن الصفار.

٢٣ - أحمد بن محمد بن الحسين الأزدى.

٢٤ - أبو القاسم جعفر بن حمد الشاشي.

ص: ٣٠٣

٢٥ - محمد بن طاهر بن جمهور.

٢٦ - محمد بن يحيى الضرير المؤدب.

و عد من أصحابه:

٢٧ - جعفر بن أبي جعفر السمرقندي.

٢٨ - بكر الكرمانى.

٢٩ - محمد بن فتح المعلم.

٣٠ - محمد بن بلال المعلم.

٣١ - محمد بن شعيب البوجاكنى.

٣٢ - قاسم بن محمد الأزدي.

٣٣ - عمرو الحناط (الخياط).

٣٤ - أبو عمرو الحناط (الخياط) و لعله متحد مع ما قبله.

٣٥ - عبد الله الصيدلانى.

٣٦ - سعد الصفار.

٣٧ - أبو على الوارثى.

٣٨ - أبو عبد الله البقال (القفال).

٣٩ - أبو نصر الخلقانى.

٤٠ - زيد بن محمد الحلقي اليزدكى.

قال الشيخ الطوسى فى ترجمه حيدر بن محمد بن نعيم الذى سبق ذكره: روى عن زيد بن محمد الحلقي.

و فى تعليقه رجال الشيخ الطوسى: و يزدكى نسبه إلى يزد البلده المعروفه فى بلاد العجم فان استعمال اليزدكى فى النسبه إليها مسموع من بعض أهلها. كذا قال بعض أرباب التراجم.

و قال المحقق التستري: أقول: يزدكى لعله محرف يزدى فلم أقف على معنى يزدك في موضع.

تنبيه

قال الشيخ التستري في مقدمات قاموس الرجال: الفصل الخامس والعشرون في أمور يوجب الحسن و ما لا يوجب - إلى أن قال - وكذلك قول الشيخ الطوسي في رجاله: فلان من أصحاب العياشى أو من غلمان العياشى دال على أنه من العلماء الذين تخرجوا على يده، فكان أبو عمرو الزاهد معروفًا بـغلام ثعلب لأنه كان ملازمه و مرباه و كان عضد الدوله يقول: أنا غلام أبى على الفارسى فى النحو و غلام أبى الحسين الرازى فى النجوم. و قال النجاشى فى أحمد بن إسماعيل بن عبد الله: و كان إسماعيل بن عبد الله من غلمان أحمد بن أبى عبد الله و ممن تادب عليه.

و قال دام فيضه فى موارد كثيره: إن غلمان العياشى و أصحابه علماء أجله.

مؤلفاته

قال ابن النديم: كتب أبو أحمد [محمد] حيدر بن محمد بن نعيم - و هو من تلاميذ العياشى كما مر - إلى أبى الحسن على بن محمد العدوى - و هو كما قال النجاشى: كان شيخا بالجزيره و فاضل أهل زمانه و أديبهم - كتابا فى آخره:

نسخه ما صنفه العياشى و ذكر أن كتبه مائتان و ثمانيه كتب، و أنه ضل عنه من جميعها سبعة و عشرون كتابا، و ذكر أسامى باقيها و هى ١٨١ كتابا. و قال الشيخ الطوسى فى الفهرست: له كتب تزيد على مائتى مصنف، ذكر فهرست كتبه أبو إسحاق النديم، ثم ذكر ما ذكره ابن النديم بعينه.

و قال فى رجاله: صنف أكثر من مائتى مصنف ذكرناها فى الفهرست.

و ذكر النجاشى نحوا من مائه و ستين من كتبه. و فيها ما لم يذكر فى فهرست ابن النديم.

و نحن نذكر ما ذكره جميعا بترتيب الحروف الهجائيه.

١ - كتاب ابتداء فرض الصلاه.

٢ - كتاب إثبات المسح على القدمين.

٣ - كتاب الإجازات.

٤ - كتاب الأجوبه المسكته.

٥ - كتاب احتجاج المعجزه.

٦ - الأحماس (كذا فى فهرست الشيخ و فى رجال النجاشى: الأجناس و فى فهرست ابن النديم: الأحباس).

- ٧ - كتاب الأذان.
- ٨ - كتاب الاستبراء (لعله فى استبراء الأمه من كتاب النكاح).
- ٩ - كتاب الاستخاره.
- ١٠ - كتاب الاستنجا.
- ١١ - كتاب الاستئذان.
- ١٢ - كتاب الأشربه.
- ١٣ - كتاب الأضاحى.
- ١٤ - كتاب الإقامه فى الصلاه (ذكره النجاشى و لم يذكره ابن النديم).
- ١٥ - فى رد الكيسانيه.
- ١٦ - كتاب الأنبياء و الأئمه.
- ١٧ - كتاب الأوصياء.
- ١٨ - كتاب الأولياء و الأكفاء و الشهادات فى النكاح (ليست جمله فى النكاح فى فهرست الشيخ).
- ١٩ - كتاب الإيلاء.
- ٢٠ - كتاب الأيمان (بفتح الهمزه جمع اليمين).
- ٢١ - كتاب الايمان (بكسر الهمزه) ذكره النجاشى و لم يذكره ابن النديم.
- ٢٢ - كتاب باطن القراءات.
- كتاب البداء (و فى فهرست ابن النديم: البدء، و الظاهر أنه تصحيف).
- ٢٤ - كتاب البر و الصله (و فى فهرست الشيخ: البر و الصلاه و لعلها تصحيف).
- ٢٥ - كتاب البشارات (ذكره النجاشى و لم يذكره ابن النديم).
- ٢٦ - كتاب البيوع.

٢٧ - كتاب التجاره (و فى رجال النجاشى: التجاره و الكسب).

٢٨ - كتاب تطهير الثياب.

ص: ٣٠٤

- ٢٩ - كتاب التفسير.
- ٣٠ - كتاب التقيه.
- ٣١ - كتاب التنزيل (و لعله فى ما نزل من القرآن فى أهل البيت).
- ٣٢ - كتاب التيمم.
- ٣٣ - كتاب الثياب.
- ٣٤ - كتاب جراحات الخطاء (و فى فهرست ابن النديم جزافات الخطاء و الظاهر أنها تصحيف).
- ٣٥ - كتاب جزاء المحارب (و فى فهرست النجاشى: حبس المحارب و لعله تصحيف).
- ٣٦ - كتاب الجزية و الخراج.
- ٣٧ - كتاب جلد الشارب.
- ٣٨ - كتاب الجمع بين الصلاتين.
- ٣٩ - كتاب الجنائز الكبير (ذكره النجاشى فقط).
- ٤٠ - كتاب الجنائز (ذكره ابن النديم و الشيخ و النجاشى).
- ٤١ - كتاب جنايه العبيد و الجنايه عليهم.
- ٤٢ - كتاب جنايه العجماء - جنايه العجم (و فى فهرست النجاشى:
العجم و الجنايه عليهم و الظاهر اتحادهما).
- ٤٣ - كتاب الجنه و النار (و ذكرها النجاشى باسم: صفه الجنه و النار).
- ٤٤ - كتاب جوابات مسائل وردت عليه من عده بلدان (يعلم من عنوان هذا الكتاب مرجعيته لحل المسائل الدينيه إجمالاً).
- ٤٥ - كتاب الجهاد.
- ٤٦ - كتاب الحث على النكاح.
- ٤٧ - كتاب الحد فى الزنا.

- ٤٨ - كتاب الحد فى السرقة - الحدود فى السرقة.
- ٤٩ - كتاب حد الشارب.
- ٥٠ - كتاب حد القاذف.
- ٥١ - كتاب الحدود.
- ٥٢ - كتاب حدود الصلاة.
- ٥٣ - كتاب حقوق الإخوان.
- ٥٤ - كتاب الحيض.
- ٥٥ - كتاب الخمس.
- ٥٦ - كتاب الخيار و التخيير.
- ٥٧ - كتاب الدعوات (كذا فى فهرست ابن النديم و فى النجاشى:
الدعاء و لم يذكرهما الشيخ الطوسى).
- ٥٨ - كتاب دلائل الأئمة (ع).
- ٥٩ - كتاب الديات.
- ٦٠ - كتاب الدين و الحماله (الجعله) و الحواله.
- ٦١ - كتاب ديه الجنين.
- ٦٢ - كتاب الذبائح.
- ٦٣ - كتاب الرجعه (لعلها فى رجوع الطلاق و نحوه).
- ٦٤ - كتاب الرد على ما صام و أفطر قبل رؤيه الهلال. ٦٥ - كتاب الرضاع.
- ٦٦ - كتاب الرؤيا.
- ٦٧ - كتاب الرهن.

- ٦٨ - كتاب الزكاه.
- ٦٩ - كتاب زكاه الفطره.
- ٧٠ - كتاب الزنا و الإحصان.
- ٧١ - كتاب الزهد.
- ٧٢ - كتاب السبق و الرمی.
- ٧٣ - كتاب سجود القرآن.
- ٧٤ - كتاب السفر (ذكره النجاشی فقط).
- ٧٥ - كتاب السلم.
- ٧٦ - كتاب سنه الصلاه (ذكره النجاشی فقط).
- ٧٧ - كتاب السهو (الظاهر أنه فى سهو الصلاه).
- ٧٨ - كتاب سيره أبى بكر.
- ٧٩ - كتاب سيره عثمان.
- ٨٠ - كتاب سيره عمر.
- ٨١ - كتاب سيره معاويه (هذه الأربعة مما صنفه من روايه العامه.
- كذا فى فهرست ابن النديم و الشيخ الطوسى).
- ٨٢ - كتاب الشركه.
- ٨٣ - كتاب الشروط.
- ٨٤ - كتاب الشروط أيضا.
- ٨٥ - كتاب الشفعه.
- ٨٦ - كتاب الشهادات.

- ٨٧ - كتاب الصداق.
- ٨٨ - كتاب الصدقه غير الواجبه.
- ٨٩ - كتاب الصرف.
- ٩٠ - كتاب الصفه و التوحيد.
- ٩١ - الصلاه.
- ٩٢ - صلاه الاستقساء.
- ٩٣ - صلاه الحضر.
- ٩٤ - صلاه الحوائج و التطوع.
- ٩٥ - صلاه الخسوف و الكسوف.
- ٩٦ - صلاه الخوف.
- ٩٧ - صلاه السفر.
- ٩٨ - صلاه السفينه.
- ٩٩ - الصلاه على الأئمه (ع).
- ١٠٠ - الصلاه على الجنائز.
- ١٠١ - صلاه الليل (و فى رجال النجاشى: الوتر و صلاه الليل و تحتمل اتحادهما).
- ١٠٢ - صلاه العيدين.
- ١٠٣ - صلاه الغدير (ذكره النجاشى و لم يذكره ابن النديم).
- ١٠٤ - صلاه نوافل النهار.
- ١٠٥ - صلاه يوم الجمعه.

١٠٦ - صنائع المعروف.

١٠٧ - الصوم.

١٠٨ - صوم السنه و النافله.

١٠٩ - الصوم و الكفارات (و فى رجال النجاشى: صوم الكفارات).

١١٠ - الصيد.

١١١ - الطاعه.

١١٢ - الطب.

١١٣ - الطلاق.

١١٤ - الطهاره - الطهارات (و فى رجال النجاشى: الطهارات الكبير و يحتمل اتحادهما).

١١٥ - الظهار.

١١٦ - العالم و المتعلم.

١١٧ - العتق و الكتابه و التدبير (ليست كلمه و التدبير فى غير رجال النجاشى).

١١٨ - العدد - العده.

١١٩ - عشره النساء.

١٢٠ - العقيقه.

١٢١ - العمره.

١١٢ - الغسل.

١٢٣ - غسل الميت.

١٢٤ - الغيبه (و فى فهرست ابن النديم الطبع الحديث: العينه، و هو أحد أقسام البيع فراجع).

١٢٥ - فداء الأسارى و الغلول.

- ١٢٦ - فرض طاعه العلماء (لعله فى ولايه الفقيه).
- ١٢٧ - الفرق بين حل المأكول و حرامه - الفرقان بين حل المأكول و حرامه.
- ١٢٨ - فروع فرض الصلاه.
- ١٢٩ - فضائل القرآن.
- ١٣٠ - القبالات و المزارعه.
- ١٣١ - القبله.
- ١٣٢ - قتال المشركين (و فى رجال النجاشى: قتل المشركين).
- ١٣٣ - القرعه.
- ١٣٤ - القسامه (ذكره النجاشى (ره) فقط).
- ١٣٥ - قسم الزكاه - قسمه الزكوات.
- ١٣٦ - قسمه الغنيمه و الفىء - قسم الغنيمه و الفىء.
- ١٣٧ - القضايا و آداب الحكام - القضاء و آداب الحكام (و فى رجال النجاشى: القضاء و آداب الحكم).
- ١٣٨ - القطع و السرقة.
- ١٣٩ - القول بين القولين (لعله فى لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين).
- ١٤٠ - الكعبه.
- ١٤١ - اللباس. ١٤٢ - لبسه الصلاه (ذكره ابن النديم و لم يذكر فى فهرست الشيخ الطوسى).
- ١٤٣ - اللعان.
- ١٤٤ - المأتم (كذا فى رجال النجاشى و فهرست ابن النديم الطبع الحديث و لكن فى فهرست الشيخ: المأتم (المأتم) بالثاء.
- ١٤٥ - المأتم (و هو أيضا مذكور فى فهرست ابن النديم و الشيخ الطوسى).

- ١٤٦ - ما أبيع قتله للمحرم (و فى رجال النجاشى: ما أبيع قتله فى الحرم و الظاهر اتحادهما).
- ١٤٧ - ما يكره الجمع بينهم (الظاهر أن الضمير يرجع إلى المماليك التى ذكرت قبله فراجع فهرست ابن النديم).
- ١٤٨ - المتعه.
- ١٤٩ - محاسن الأخلاق.
- ١٥٠ - محبه الأوصياء (و فى فهرست ابن النديم الطبع الحديث: محنه الأوصياء).
- ١٥١ - مختصر الجنائز.
- ١٥٢ - مختصر الحيض.
- ١٥٣ - مختصر الشهادات (كذا فى فهرست ابن النديم الطبع الحديث و فى فهرست الشيخ: مختصر الطهارات).
- ١٥٤ - مختصر الصلاة (و فى فهرست ابن النديم الطبع الحديث ذكر بعد هذا الباب: مختصر المختصر، و لكن فى فهرست الشيخ: مختصر الحيض).
- ١٥٥ - مختصر الصوم.
- ١٥٦ - مختصر الطهارات.
- ١٥٧ - مختصر المناسك.
- ١٥٨ - مختصر يوم و ليله.
- ١٥٩ - المداراه.
- ١٦٠ - المروه.
- ١٦١ - المزار (ذكره النجاشى و لم يذكر فى فهرست ابن النديم).
- ١٦٢ - المساجد.
- ١٦٣ - المساجد أيضا (كذا فى رجال النجاشى و فهرست ابن النديم).
- ١٦٤ - المضاربه.

١٦٥ - معاريض الشعر.

١٦٦ - المعائل.

١٦٧ - معرفه البيان.

١٦٨ - معرفه الناقلين.

١٦٩ - معيار الأخبار أو معيار الأخبار مما صنّفه من روايه العامه (كذا في فهرست ابن النديم و الشيخ الطوسى).

ص: ٣٠٦

١٧٠ - مكة و الحرم (و فى بعض النسخ: مكة و الحرام و الظاهر أنها تصحيف).

١٧١ - الملاحم.

١٧٢ - الملاهى.

١٧٣ - المناسك.

١٧٤ - من تكره مناكحته.

١٧٥ - المواريث.

١٧٦ - مواقيت الظهر و العصر.

١٧٧ - الموضح مما صنّفه من روايه العامه (كذا فى فهرست ابن النديمو الشيخ الطوسى و لكن فى رجال النجاشى: الموضح تذكر فيه الشرائع).

١٧٨ - النجوم و الفال و القيافه و الزجر (و فى رجال النجاشى: النجوم و القيافه).

١٧٩ - الندور.

١٨٠ - النسبه و الولاء (و فى رجال النجاشى: النساء و الولاء).

١٨١ - النشوز و الخلع و المبارات (لا توجد كلمه المبارات فى غير رجالالنجاشى).

١٨٢ - النكاح.

١٨٣ - النكاح أيضا (ذكره الشيخ الطوسى بعنوان: كتاب آخر فى النكاح و لم يذكر فى فهرست ابن النديم).

١٨٤ - نكاح المماليك.

١٨٥ - النوادر.

١٨٦ - وجوب الحج.

١٨٧ - الوصايا.

١٨٨ - الوضوء.

١٨٩ - الوطاء بالملك.

١٩٠ - الهبه.

١٩١ - اليمين مع الشاهد.

١٩٢ - يوم و ليله (ذكره ابن النديم فى فهرست الشيخ).

وهذه المؤلفات مع أنها كلها أو جلها دوت من الأحاديث المباركة كما نرى أكثرها فى الفقه، و بعضها فى التفسير و علوم القرآن، و بعضها فى المعارف و الامامه، و بعضها فى الرجال، و بعضها فى الاحتجاج و بعضها فى الأخلاق، و بعضها فى التاريخ و السيره، و بعضها فى النجوم.

قال السيد ابن طاوس: و من العارفين بالنجوم، من الشيعة و المصنفين فيها الشيخ المعظم عند كافتهم، و المتفق على عدالته و جلالته عند خاصتهم و عامتهم محمد بن مسعود بن محمد بن عياش، و قد أثنى عليه محمد بن إسحاق النديم، و شيخنا أبو جعفر الطوسى، و أحمد بن العباس النجاشى، و بالغوا فى الثناء عليه، رضوان الله عليهم و عليه و ذكروا له كتابا فى النجوم.

تفسير العياشى

لم يصل إلينا من هذه المؤلفات القيمه إلا قسم من تفسيره، و لهذا يلزمننا تعريفه مع رعايه الاختصار. كان هذا التفسير الثمين عند الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكانى النيسابورى المتوفى بعد سنه ٤٧٠، و جعله من مصادر كتابه: "شواهد التنزيل لقواعد التفصيل فى الآيات النازله فى أهل البيت (ع)" و نقل منه فيه نحو من ثلاثين حديثا بهذه العبارات: أبو النضر العياشى فى تفسيره، أخرجه العياشى فى تفسيره [تفسيره]، أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد العياشى فى كتابه أبو النضر العياشى قال حدثنا...

و كان أيضا عند الشيخ الطبرسى المتوفى ٥٤٨، و جعله من مصادر تفسيره و نقل فيه عنه نحو من سبعين حديثا.

و عند الشيخ محمد بن على بن شهر آشوب المازندرانى المتوفى سنه ٥٨٨ و نقل عنه فى كتابه مناقب آل أبى طالب عده روايات.

و كان عند السيد على بن طاوس المتوفى ٦٦٤، و نقل عنه فى بعض مؤلفاته.

و ذكره الشيخ تقى الدين الكفعمى، من جمله مصادر كتابه القيم جنه الأمان الواقيه المشتهر بالمصباح الذى فرغ من تليفه سنه ٨٩٥.

و قال شيخنا المجلسى المتوفى ١١١١ رأينا منه نسختين قديمتين.

و من عصر العلامة المجلسى إلى عصرنا هذا كان هذا الكتاب من مصادر كتب الحديث و التفسير كالصافى للفيض الكاشانى، و

تفسير البرهان و غايه المرام للبحراني، و إثبات الهداه و وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي، و بحار الأنوار [الأنوار] للمجلسي، و عوالم العلوم للشيخ عبد الله البحراني، و غيرها من الكتب.

قال صاحب الروضات: للعايشي كتب كثيره، تزيد على مائتي مصنف منها كتاب التفسير المشهور الذي هو على مذاق الأخبار بل التنزيل على فضائل أهل البيت الأطهار أشبه شيء بتفسير علي بن إبراهيم و تفسير فرات المشهورين، و لم يكن عند صاحب الوسائل غير النصف الأول منه بل و لا عند صاحب كنز الدقائق الجامع لسائر تفاسير الأخبار أيضا غير ذلك النصف.

أقول: بل و لا غيرهم من معاصريهم المجلسي، و الفيض، و البحراني، و صاحب العوالم. قال الشيخ الحر في مقدمه إثبات الهداه:

الذي وصل إلينا هو النصف الأول، و قد حذف بعض النسخ أسانيده.

نعم كان بأجمعه عند الحسكاني، و نقل عن نصفه الثاني أحد عشر حديثا، و كذا عند الطبرسي، و نقل عن نصفه الثاني نحو من أربعين حديثا.

و لم يكن تفسير العياشي عند السيد شرف الدين الأسترآبادي، و لم ينقل عنه في تأويل الآيات إلا روايات قليلة نقلها عن مجمع البيان عنه.

قال العلامة الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة: تفسير العياشي لأبي النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى السمرقندي المؤلف لما يزيد على مائتي كتاب في عدة فنون الحديث، الرجال، التفسير، النجوم (الفقه) و غيرها، و هو من مشايخ الكشي، و من طبقه ثقة الإسلام الكليني، و يروى كتبه عنه ولده جعفر بن محمد بن مسعود، و منها هذا التفسير الموجود نصفه الأول إلى آخر سورة الكهف في الخزانة الرضويه، و في

تبريز عند الخيابانى، و فى زنجان بمكتبه شيخ الإسلام، و فى الكاظميه بمكتبه السيد الحسن صدر الدين، و استنسخ عن نسخه
الشيخ شير محمد الهمدانى و غيره فى النجف، لكنه مع الأسف محذوف الأسانيد.

حذف أسانيد تفسيره

قد بينا أن هذا التفسير لم يصل إلى المجلسى و معاصريه و من بعده إلا نصفه الأول محذوف الأسانيد. و هكذا نقرأ فى أول هذا
النصف الموجود:

الحمد لله على أفضاله و الصلاه على محمد و آله، و قال العبد الفقير إلى رحمه الله: إنى نظرت فى التفسير الذى صنفه أبو النضر
محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى بإسناده، و رغبت إلى هذا، و طلبت من عنده سماعا من المصنف أو غيره، فلم أجد
فى ديارنا من كان عنده سماع أو إجازة منه حذفته منه الاسناد و كتبت الباقي على وجهه، ليكون أسهل على الكاتب و الناظر
فيه، فان وجدت بعد ذلك من عنده سماع أو إجازة من المصنف اتبعت الأسانيد و كتبتها على ما ذكره المصنف، اسأل الله تعالى
التوفيق لإتمامه و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

يظهر من هذه العبارة أنه كان من العلماء و حذف الأسانيد للاختصار و لشده احتياطه و دقته كيلا يتوهم أن له سنداً مؤلف
الكتاب، و مثل هذا العمل كان رائجا فى مؤلفات علمائنا.

قال ابن شعبه فى مقدمه كتابه "تحف العقول" و أسقطت الأسانيد تخفيفا و إيجازا، و إن كان أكثره لى سماعا، و لأن أكثره
آداب و حكم نشهد لأنفسها، و لم أجمع ذلك للمنكر المخالف، بل ألفتة للمسلم للأئمه، العارف بحقهم، الراضى بقولهم.

و قال أبو منصور الطبرسى فى مقدمه كتاب "الاحتجاج" و لا نأتى فى أكثر ما نورد من الأخبار بإسناده أما لوجود الإجماع عليه،
أو موافقته لما دلت العقول إليه، و لاشتهاره فى السر و الكتب بين المخالف و المؤلف...

و كتب أحد علماء القرن الثامن، و هو زين الدين على بن حسن بن أحمد بن إبراهيم بن مظاهر، من تلاميذ فخر المحققين،
أمالى المفيد، و أمالى الصدوق، و أسقط إسنادهما للاختصار، و هذه النسخة تاريخها كتابتها ٧٥٥ موجوده فى مكتبه السيد
المرعشى بقم.

و كذلك السيد الرضى رضوان الله عليه أسقط إسناده خطب أمير المؤمنين (ع)، و كتبه، و حكمه، و كذلك غيرهم فى بعض
تأليفاتهم أو تلخيصاتهم و استنساخاتهم.

و السر فى ذلك أنهم لم يعلموا - لا- يعلم الغيب إلا- هو - بمجىء زمان تكون مكتبتنا فى حاجه شديده إلى سند الروايات و
الكتب، و زعموا أن الكتب و الروايات المسنده التى كانت بايدي غيرهم سبتقى [سبتقى]، و مع بقائها ليسوا مكلفين بكتابه
الأسانيد و إبقائها لنا، و بناء على هذا نقول: أن ما قاله المجلسى فى حق هذا العالم الذى صار سببا لبقاء تفسير العياشى، و لو مع
حذف الاسناد، ليس فى محله، و إن كنا نعلم أنه قال ذلك الكلام لشده تأسفه على حرماننا من أسانيد تلك الروايات و
صيورتها مراسلات.

قال فى أول البحار: و كتاب التفسير لمحمد بن مسعود السلمى المعروف بالعيشى الشيخ الثقة الروايه للأخبار، روى عنه الطبرى وغيره، و رأينا منه نسختين قديمتين، و عد فى كتب الرجال من كتبه، لكن بعض النسخين حذف أسانيده للاختصار، و ذكر فى أوله عذرا أشنع من جرمه.

و الحق: لا جرم بل له الأجر الوافى عند الله و ليعلم أن ما نقله الحسكاني، عن تفسير العياشى، فى شواهد التنزيل كله مسند من هذا يعلم أن النسخه التى كانت عنده كانت مع الاسناد، و كذلك يعلم من عبارات الشيخ الطبرى فى مجمع البيان أن نسخته أيضا كانت مع الاسناد، إذ هو يعبر تاره: عن العياشى بإسناده، و أخرى: عن العياشى بالاسناد، و ثالثه عن العياشى مرفوعا، صحيح أنه أيضا أسقط إسناد ما نقله عنه اختصارا.

نعم الذى يوجب تضعيف مراسلات تفسير العياشى من حيث السند أكثر من غيرها قول النجاشى فى حقه: " يروى عن الضعفاء كثيرا " إذ كثرة روايته عن الضعفاء توجب تقوية احتمال كون الاسناد المحذوفه مشتمله على الضعفاء، كما أن قول النجاشى يوجب قوه احتمال كون مشايخه الذين لا توثيق لهم فى كتب الرجال ضعفاء.

و لكن الذى يهون الأمر أن متون قسم من روايات تفسيره تغنينا عن السند.

رأى السيد الطباطبائى

و قال العلامة الطباطبائى مؤلف تفسير "الميزان" فى تقريره لهذا التفسير:

إن من أحسن ما ورثناه من ذلك (أى من التفاسير الروايه) كتاب التفسير المنسوب إلى شيخنا العياشى، و هو الكتاب القيم الذى يقدمه النشر اليوم إلى القراء الكرام.

أما الكتاب فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف إلى يومنا هذا - و يقرب من أحد عشر قرنا - بالقبول من غير أن يذكر بقدر، أو يغمض فيه بطرف.

و أما مؤلفه فهو الشيخ الجليل أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن العياش التميمى الكوفى، السمرقندى، من أعيان علماء الشيعة، و أساطين الحديث و التفسير بالروايه، ممن عاش فى أواخر القرن الثالث من الهجره النبويه.

أجمع كل من جاء بعده، من أهل العلم، على جلاله قدره، و علو منزلته، و سعه فضله، و أطراه علماء الرجل متسالمين على أنه ثقة، عين، صدوق فى حديثه، من مشايخ الروايه، يروى عنه أعيان المحدثين كشيخنا الكشى صاحب الرجال، و هو من تلامذته، و شيخنا جعفر بن محمد بن مسعود العياشى، و هو ولده (الذى روى هذا التفسير عن أبيه).

إلى أن يقول السيد الطباطبائى:

و قد أصيب الكتاب من جهتين إحداهما: إن جل رواياته كانت مسنده فاخصره بعض النساخ بحذف الأسانيد و ذكر المتون فالنسخ الموجوده الآن مختصر التفسير.

و الثانيه: إن الجزء الثاني منه صار مفقودا بعده حتى إن أرباب التفاسير الروائيه و المحدثين لم ينقلوا منه إلا ما فى جزئه الأول من الروايات كالبحرانى فى تفسير البرهان، و الحويزى فى نور الثقلين، و الكاشانى فى الصافى، و المجلسى فى البحار و ربما يذكر فيما يذكر ان بعض خزائن الكتب من بلاد إيران الجنوبيه يحتوى على الكتاب بجزئيه، و لم يتحقق ذلك و لا اهتدينا إليه بعد،

ص: ٣٠٨

و نسال الله عز اسمه أن يوفقنا للحصول عليه و نشره بتمامه أنه سميع الدعاء قريب مجيب.

و قال بعض أساتذتنا: إن المتتبع يجد قسما من روايات تفسير العياشي قد رويت بعينها في بعض كتبنا الأربعة، و هذا نفسه من المؤيدات لاعتبار هذا الكتاب القيم. و أيضا قد توجد الرواية في بعض الكتب الأربعة بمتن و هي بعينها توجد في تفسير العياشي، مع اختلاف يسير، بحيث يعلم اتحادهما و لكن متن التفسير يكون أحكم و أمتن، و هذا يدل على إتقان عمل العياشي في مؤلفاته و رواياته.

و يمكن التثبت من ذلك بمراجعته الروايات التي رواها صاحب الوسائل عن العياشي، و رواها بعينها عن بعض الكتب الأربعة و مقارنه بعضها مع بعض.

و في الختام أشير إلى أن: المتتبع في تفاسيرنا الروائية كتفسير الفرات، و تفسير القمي، و التفسير المنسوب إلى الامام العسكري، و تفسير ابن الماهيارو غيرها يلمس بوضوح الفرق بينها و بين تفسير العياشي من حيث الإتقان و الأحكام، و مع ذلك فنحن لا ندعى صحه كل ما ورد في هذا التفسير، لأن فيه أيضا بعضا من الروايات التي لا يمكننا قبولها إلا بالتأويل و التوجيه. و الله الموفق (١)

السيد محمد مشكاه

ولد عام ١٣١٩ في مدينة بيرجند و توفي سنة ١٣٩٩.

درس العلوم الإسلامية في مسقط رأسه و مدينة قائن (جنوب خراسان) و مشهد ثم انتقل إلى طهران و دخل معترك السياسة ثم تركها و زاول مهنة التدريس بجامعة طهران حيث كان يدرس الفقه الإسلامي كما درس الفلسفة الإسلامية في مدرسه سبهاالار [سبهاالار]. حصل على إجازة اجتهاد من السيد أبو الحسن الأصفهاني و الشيخ ضياء الدين العراقي و السيد محمد الحجة.

كان عالما أديبا محققا خبيرا بالكتب المخطوطة و من المتصلعين في ذلك و قد جمع لنفسه مجموعته نفيسه منها و قام باهداء مكتبته لمكتبته جامعه طهران و قد طبع فهرست مكتبته المهده في ٩ مجلدات.

تولى نيابه سدانه روضه السیده فاطمه بنت موسى بن جعفر في مدينة قم له مؤلفات عديده تزيد على ٢٠ كتابا (٢)

الشيخ أبو الحسين و يقال أبو بكر محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن

محمد بن عبد الله بن سلمه بن إياس البزاز البغدادي

السامرائي الأصل و البغدادي المولد و المنشأ.

ولد في بغداد في المحرم سنة ٢٨٦ و توفي بها يوم الجمعة في آخر النهار لأربع خلون من جمادى الأولى سنة ٣٧٩ و دفن يوم السبت.

من المبرزين و أساطين الدين و فحول المحدثين فى عصره و أعيان الحفاظ، و كان محدث العراق على الإطلاق. هاجر والده من سامراء فولد المترجم له بها و أخذ العلم و الفنون الإسلاميه على جمهور من علماء الفريقين. ثم سافر إلى دمشق و مصر و أخذ على أكابر علمائهما و من أشهر مشايخه فى بغداد أبو مالك كثير بن يحيى و عمر بن عبد الله بن عمران و محمد بن يحيى و بنان بن أحمد الدقاق و القاسم بن زكريا المطرز و عمر بن الحسن بن نصر الحلبي و حامد بن محمد بن شعيب البلخي و عبد الله بن صالح البخارى و أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى و عبد الله بن محمد البغوى و أشباههم من البغداديين ثم هاجر إلى دمشق و أخذ الحديث من أبي عروبه الحسين بن محمد بحران و عن أبي الحسن بن جوصا و غيرهم ثم توجه إلى مصر و أخذ الحديث هناك عن أبي جعفر الطحاوى و محمد بن زيان و على بن أحمد بن سليمان علان، كما روى عن الهيثم بن خلف الدورى و محمد بن جرير الطبرى و محمد بن محمد الباغدى و غيرهم.

جلس المترجم له فى بغداد لتدريس الفقه و الحديث و تخرج عليه جماعه من أعظم العلماء فمنهم أبو الحسن الدارقطنى و أبو حفص بن شاهين و محمد بن أبي الفوارس و أبو بكر البرقانى و أبو نعيم الأصفهانى و الحسن بن محمد الخلال و أبو القاسم الأزهرى و غيرهم.

ذكره الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ فى تاريخ بغداد و لم يتطرق إلى تشيعه و قال (محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمه بن إياس أبو الحسين البزاز ذكر لى نسبه أبو القاسم الأزهرى، و على بن المحسن التنوخى و قال لى عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى كان ابن المظفر من ولد إياس بن سلمه بن الأكوخ صاحب رسول الله (ص) و عندى فى ذلك نظر لأنى لم أر أحدا ذكره غير ابن برهان و حدثنى التنوخى قال: أملى علينا نسبه و ساقه إلى إياس كما ذكرته قال و قال لنا ابن المظفر: لا أعلم أنا من العرب و كان أبى و من قبله من سلفى من أهل سرمن رأى فانتقل أبى إلى بغداد و ولدت أنا فيها فى المحرم من سنة ست و ثمانين و مائتين و أول سماعى للحديث فى المحرم سنة ثلاثمائة. قلت: و سلمه بن الأكوخ أسلمى فلو كان ابن المظفر من ولده لذكره و لم ينف علمه بأنه من العرب و الله أعلم...

حدثنى أبو بكر البرقانى. قال: كتب الدارقطنى عن ابن مظفر ألف حديث و ألف حديث و ألف حديث فعدد ذلك مرات. حدثنى محمد بن عمر بن إسماعيل القاضى قال رأيت أبا الحسن الدارقطنى يعظم أبا الحسين ابن المظفر و يجله و لا يستند بحضرته. و قد روى عنه فى جموعه أشياء كثيرة و ذاكرت محمد بن عمر إكثار ابن المظفر فقال: رأيت من أصوله فى الوراقين شيئا كثيرا، فسالت الوراق عنها فقال باعنى ابن المظفر من هذه الأصول ثمانين رطلا. قال محمد بن عمر و كانت كلها عن يحيى بن صاعد، قد كتبها ابن المظفر بخطه الدقيق فجئت إليه و سألته عنها فقال: أنا بعثتها و هل أوئل أن يكتب عنى حديث ابن صاعد أو كما قال. أخبرنى أحمد بن على المحتسب حدثنا محمد ابن أبي الفوارس قال: كان محمد بن المظفر ثقة أميناً مأمونا حسن الحفظ و انتهى إليه الحديث و حفظه و علمه و كان قديما ينتفى على الشيوخ و كان مقدما عندهم... (٣).

ذهب إلى تشيعه صاحب الشذرات و ذكر نسبه هكذا (أبو الحسن محمد بن المظفر بن موسى بن على البغدادي توفى سنة ٣٧٩ و له ثلاث و تسعون سنة كان من أعيان الحفاظ قال ابن ناصر الدين: كان محدث العراق حافظا

١- الشفخ رضا الأستادى.

٢- الشفخ محمد رضا الأنصارى.

٣- أبو بكر أحمد الخطفب البغدادى: تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٦٢-٢٦٤ بىروت دار الكتاب العربى

ثقه نبيلًا- مكثرا متقنا يميل إلى التشيع قليلا) و ضبط تشيعه الذهبي في تذكره الحفاظ و قال: (الحافظ الامام الثقة أبو الحسين البغدادي محدث العراق ولد سنة ٢٨٦ و أول ما سمع في سنة ثلاث مائه سمع أحمد بن الحسن الصوفى و حامد بن شعيب و قاسم بن زكريا و عمر بن أبي غيلان و الباغندي و محمد بن جرير و عبد الله بن زيدان البجلي و أبا عروبه الحراني و على بن أحمد علان و محمد بن خريم الدمشقي و الحسين بن محمد بن جمعه و طبقتهم بالعراق و الجزيرة و مصر و الشام و جمع و ألف و عن مضايق هذا الفن لم يتخلف، روى عنه الدارقطني و ابن شاهين و أبو الفتح بن أبي الفوارس و الماليني و البرقاني و أبو نعيم و الحسن بن محمد الخلال و على بن المحسن و عبد الوهاب بن برهان و أبو محمد الجوهري و خلق كثير.

يقال أنه من ولد سلمه بن الأكوع...

قال السلمى سألت الدارقطني عن ابن المظفر فقال: ثقه مأمون فقلت: يقال أنه يميل إلى تشيع، فقال: قليلا بمقدار ما لا يضر إن شاء الله و قال أبو الوليد الياجى: ابن المظفر حافظ فيه تشيع. قال إبراهيم بن محمد الرعيني: قدم علينا ابن المظفر و كان أحول أشج فحضر عند عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني فقال له: إن هذا الذى تمليه علينا هو عندنا كثير بالعراق نريد حديث مصر فكان ذلك مبدأ ما أخرج القزويني حديث عمرو بن الحارث فكان منه ما كان من نكير الناس عليه حتى قال الدارقطني وضع القزويني لعمرو أكثر من مائه حديث(١) يقول عبد الحسين الصالحى: لقد أدرك المترجم له عصر الدوله البويهيه و عند ما سقطت بغداد بيد البويهيين و ارتفع الضغط عن الشيعة، حيث كان قبل ذلك أكثر أهل بغداد من الحنابلة المتعصبين تظاهر المترجم له بتشيعة، و هو من مشايخ الشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ و قد ذكره فى كتابه الإرشاد و كناه فى بعض أسانيده بأبى بكر(٢)

محمد بن المنيب

لم يذكر هذا الشاعر إلا ابن حماد فى تاريخه، و حتى ذكره له قد ورد مقتضبا لا تعريف فيه و لا ترجمه، و إنما نسب إليه أبياتا فى وصف نهايه أبى يزيد الفظيعه:

حل البلاء بمخلد و جميع شيعته النواكر

أمسى بأرض كيانه قد بان عنه كل ناصر

يرنو بطرف خاشع نظر المحاصر للمحاصر

يرنو إلى عدد الحصى و الرمل من تلك العساكر

يا مخلد ابن سبيكه يا شر بيت فى العشائر

ذق ما جنته يداك قبل، من الكبائر و الصغائر

ذق هول شقك للبطون و ما ارتكبت من الجرائر

يا شر من بكيانه و كيانه شر البرابر

انظر إلى القفص الذى لا بد فيه أنت صائر

و انظر إلى أيديك فيه و مؤنسيك و من تجاور

قد طال شوقهما إليك، فزرهما يا شر زائر

المصدر:

ابن حماد: أخبار بني عبيد ص ٣٣.

التعليق:

عبارة "النواكر" فى البيت الأول تشير إلى النحلة الخارجيه التى كان يتحلها صاحب الحمار. و "كيانه" فى البيت الثانى اسم الجبال أو الحصون التى اعتصم بها أبو يزيد فى آخر أيامه، و قد أشار إليها الايادى أيضا، و ابن هانئ، و كثيرا ما يخطئ المحققون فيقرءونها "كتامه" و هم بالعكس أنصار الفواطم. أما الأبيات الأخيره ففيها وصف للقفص الذى جعل فيه شخص أبى يزيد، أى جلده المملوء تبا، مع قردين يتقاذفانه و يعبثان به. ذاك هو نوع التشفى الذى لجا إليه المنصور حين تعذر أن يظفر بخصمه حيا، كان فى تشويبه ميثا بعض التعويض عن استحاله تعذيبه حيا.

محمد مهدي أرباب.

ابن "آقا محمد رضا أرباب" الأصفهاني، و أبو الأديب الشاعر "محمد حسين فروغى ذكاء الملك". ولد حوالى سنه ١٢٣٤ هـ و توفى سنه ١٣١٤ هـ.

أديب إیرانى فاضل. كان فى عصره من مشاهير أصفهان. و إذ كان طويل القامه فقد دأب الشاعر الزجال الفكاهى "صادق ملا رجب" على مداعبته بجعل قامته ماده لتشبيهات هزليه.

بلغ درجه عاليه فى التاريخ و علم الجغرافيا و الفلك القديمين و الحديثين. له كتاب فى جغرافيه أصفهان و تاريخها.

و من مآثره تحقيق شاهنامه "الفردوسى" و طبعا. و كذلك تحقيق تاريخ "وصاف" (٣) و طبعه. و قد بلغ عمله فى هذا الكتاب الغايه من الاجاده و الجهد فى المقابله و التصحيح، مع ما ألحقه به من حواشى و توضيحات فارسىه و عربيه لا يحسنها إلا عالم ماهر، و ألحق به أيضا فهرستا و شروحا لبعض النصوص الغامضه من فارسىه و عربيه و تركيه، و طبع الكتاب فى سنه ١٢٦٩ هـ، فكانت طبعته هذه أصح الطبعات و أجملها إخراجا، و جاءت رائعه من روائع المطبوعات الفارسىه، و شهاده صادقه على تبحره فى فنون الأدب العربى و الفارسى و الفلسفه و علم الفلك و التاريخ و الجغرافيا.

أهم مؤلفاته كتابه فى تاريخ أصفهان و جغرافيتها. بدأ بتأليفه سنه ١٣٠٣ هـ و أنهاه فى شهر رجب سنه ١٣٠٨ هـ. و نسخته مخطوطه

محمد مهدي عبدالرب آبادي.

الشيخ "محمد مهدي شمس العلماء" عبدالرب آبادي القزويني. عالم أديب إيراني. ولد في "عبدالرب آباد" بالقرب من مدينه قزوين. يعد من أكبر طلاب العلم تبجرا و استقصاء. كان من فضلاء عصره.

عاصر الشيخ فضل الله نوري الذي قتله أنصار النظام البرلماني في ١٣ رجب سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ٣١ تموز سنة ١٩٠٩ م بعد تغلبهم على

ص: ٣١٠

-
- ١- أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: تذكره الحفاظ ج ٣ ص ٩٨٠-٩٨٢ بيروت دار أحياء التراث العربي.
 - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
 - ٣- من مؤرخي العهد الايلخاني.

معارضهم. و كأنه من أصدقاء هذا العالم الجليل. و قد ارتأى أيام الأحداث التي سبقت عوده النظام البرلماني أن يظل مختبئاً في منزل الشيخ فضل الله نوري. فلما عاد هذا النظام مره ثانيه بعد تعطيله حماه من الموت بيد البرلمانين الحاج السيد "نصر الله الأخوي" نائب رئيس المجلس النيابي الثاني.

كان "شمس العلماء" مقداً على أقرانه في العلوم الفارسيه و التاريخ العربي و الأدب. و اشترك اشتراكاً واسعاً في تأليف الكتب التي نسبت إلى "محمد حسن خان اعتماد السلطنة" (1). و تركت تحقيقات و تعليقات قيمه على بعض المؤلفات.

الشيخ مهدي و يقال محمد مهدي بن محمد شفيح المازندراني الأسترآبادي.

توفي سنة ١٢٥٩ في مدينه لكهنو بالهند.

من المراجع الدينيه و أئمه التقليد و الفتوى في الهند و محقق متبحر، أصولي متضلع، ولد في أسترآباد و أخذ المقدمات على أفاضل علمائها و قرأ شطراً من السطوح على والده ثم هاجر إلى العراق و أدرك السيد علي الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٢٣١ صاحب الرياض و أخذ عن شقيقه الشيخ محمد كاظم الأسترآبادي الحائري المتوفى سنة ١٢٣٧ من علماء الحائري الشريف ثم رجع إلى موطنه أسترآباد و منها انتقل إلى قزوین و تخرج في الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغاني المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه المستشهد سنة ١٢٦٣ و أخذ العلوم العقليه و العرفان من حوزة الشيخ الآغا الحكمي القزويني و ملا علي البرغاني و الميرزا عبد الوهاب البرغاني القزويني و في حدود سنة ١٢٣٤ استقر في كرمانشاه و كان من أكابر المدرسين فيها و عند ما قام الصراع بين الشيخيه و المشرعه وقف بجانب مشايخه آل البرغاني و كان من أشد المنكرين على الشيخ أحمد الاحسائي المتوفى سنة ١٢٤١ و جرى بينهما تبادل رسائل على شكل سؤال و جواب أشار إلى بعضها السيد اعجاز حسين الكنتوري الهندي في كتابه كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب و الأسفار و في سنة ١٢٤٠ هاجر إلى الهند و استقبله غازي الدين حيدر أحد ملوك الهند و أكرمه كما في نجوم السماء (٢) و سكن مدينه لكهنو الهنديه و تصدر للتدريس و انتهت إليه المرجعيه و كان والده الشيخ محمد شفيح الأسترآبادي المتوفى سنة ١٢٣٨ المار الذكر من علماء عصره و كذلك شقيقه الشيخ محمد كاظم المتوفى سنة ١٢٣٧ المؤلف المكثّر من أعلام الحائري الشريف.

ترك المترجم له أكثر من ثلاثين كتاباً و رساله و يقع بعضها في مجلدات عديده أشار إلى بعضها السيد اعجاز حسين الكنتوري في كتابه كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب و الأسفار (٣) و نقل عنه شيخنا الأستاذ في موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه من مؤلفاته كتاب أحسن الأقوال في تحقيق ما هو الراجح بالألفاظ عند تعارض الأحوال، الاستحكام في مسائل الصيام فارسي، الاستيقان في بيان أركان الايمان، إعانه الباري في جواب شبهات الاخباري هذا الكتاب و كتاب الاستيقان هما الرد على الشيخ أحمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيخيه، كتاب مجاري الأنهار ترجمه للمجلد الثامن (الفتن و المحن) من مجلدات البحار للمجلسي إلى الفارسيه، كتاب ثمره الفؤاد في مسأله ترجيح الإجماع المنقول، كتاب فصل الخطاب لبيان ما هو التحقيق و الصواب في حجه ظواهر الكتاب تفسير القرآن، قسطاس العقول في بيان قواعد الأصول، كتاب المسائل هو أيضاً في الرد على الشيخ أحمد الاحسائي و الشيخيه، كتاب مصداق الاجتهاد في أصول الفقه و الحديث و التفسير و غير ذلك.

فصل عنه الميرزا محمد علي الكشميري في نجوم السماء ص ٣٩٥ - ٣٩٧ الطبعة الحجرية (٤)

"الميرزا محمد مهدي" أو "الميرزا مهدي" المجتهد الإيراني المشهدي.

كان من علماء خراسان المشهورين و أصحاب النفوذ فيها. كانت إقامته في مشهد. ولد سنة ١١٥٢ هـ في زمن سلطنة "نادر شاه أفشار". و هو من تلاميذ "آقا باقر" المعروف بـ "آقاى بهبهانى" (توفى سنة ١٢٠٥ هـ) في سنة ١٢١٠ هـ ذهب "آغا محمد خان قاجار" رأس سلسلة الملوك القاجاريين إلى خراسان - و كان "شاه رخ شاه أفشار" الضيرير يستقل بحكمها - قاصدا ضمها إلى سائر أقسام إيران، ثم ضم غيرها من الأجزاء التي انفصلت عن إيران بعد "نادر شاه" و تشكلت فيها دوله مستقلة.

فلما وصل "آغا محمد خان" إلى مشهد جاءه "شاه رخ شاه" و ابنه "قهار قلي ميرزا" و في معيته "الميرزا مهدي"، راجيا أن يكون وجود الميرزا معه شافعا له عند الخان القاجارى فيراعى حرمة و يحفظ كرامته احتراماً لمقام الميرزا. و لكن "آغا محمد خان" لم يكن من الذين يقيمون وزنا لمثل هذه الاعتبارات. و من ثم دأب مدة عشرين يوما - هى مدة توقفه في مشهد - على إيقاع أشد أنواع العذاب بالشاه الضيرير "شاه رخ".

في سنة ١٢١٧ هـ سار "فتح على شاه" ثانياً مرة إلى خراسان لاستخلاص مشهد من "نادر ميرزا أفشار" بن "شاه رخ شاه"، و كان خارجاً عليه. فحاصرها. و طال حصارها إذ ثبت "نادر ميرزا" في المقاومة لا يستسلم. و وقعت المدينة في شدة من الغلاء و الحاجة. و حمل ذلك "الميرزا محمد مهدي" على الذهاب بنفسه إلى معسكر "فتح على شاه"، و التمس منه الانصراف عن المدينة، و كذلك تعهد رؤساء خراسان و خاناتها له بان يستخلصوا المدينة، بعد عودته عنها، من يد "نادر ميرزا" و أن يعتقلوه و يسلموه إليه. فقبل "فتح على شاه" طلبهم، و عاد إلى عاصمته طهران.

و في سنة ١٢١٨ هـ أرسل "فتح على شاه" جيشاً بقيادة "حسين خان قاجار" القزويني، أحد مشاهير العسكريين، إلى خراسان للاستيلاء على مدينته مشهد و كف يد "نادر ميرزا" عنها. فلما وصل إليها و فى رؤساء عسكرها و أمراء خراسان و خاناتها بما سبق أن تعهدوا به لـ "فتح على شاه"، فاستولوا على المدينة و اعتقلوا "نادر ميرزا". و كان هذا يعتقد بان ما أقدم عليه أهالى خراسان و رؤساؤها إنما كان بامر من "الميرزا محمد مهدي".

فذهب إليه، قبل اعتقاله، و جرى بينهما حوار فشتمه "نادر ميرزا" و أمر حارسا له اسمه "تيمور" فضربه بطبرزين كان فى يده بضع ضربات شديده فصرعه، و تقدم إليه "نادر ميرزا" نفسه فركله بضع ركلات قويه. و توفى

ص: ٣١١

١- من رجال المناصب الحكوميه الثقافيه فى عهد "ناصر الدين شاه". ترك مؤلفات يدل بعض القرائن و بعض المذكرات أن قسماً من تلك المؤلفات كتبها له غيره و نسبت إليه.

٢- انظر نجوم السماء فى تراجم العلماء ص ٣٩٥ الطبعة الحجرية.

٣- انظر كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب و الأسفار ص ٢٦ و ما بعدها.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

بعد يومين متأثراً بجراحه، و هو فى السادسة و الستين من عمره. و دفن فى حرم الامام الرضا (ع). و عرف بعد ذلك باسم "الشهيد الثالث". و اتخذ أعقابه من بعده اسم "شهيدى" اسماً لعائلتهم.

و روى أن "شاه رخ" أودع عند أبناء "الميرزا محمد مهدي"، و هم "عبد الجواد" و "هدايت الله" و "داود" جواهر كثيره فلم يعيدوها إليه.

و كانت أصل إثرائهم.

السيد محمد نجيب فضل الله

ولد سنة ١٩٠٨ م فى عيناتا [عيناتا] (جبل عامل) و توفى فيها سنة ١٩٩٠ م، بعد وفاته كتب عنه حسن السيد [السيد حسن] ما يلى:

أغمض الشاعر العاملى الكبير السيد محمد نجيب فضل الله عينيه على الحياه بعد نصف قرن من العطاء.

توفى شاعرنا تاركاً خلفه ارثاً كبيراً من الشعر المطبوع و المكتوب و المسموع. امتد على سنى عمره و على الحقبات التاريخيه المتعاقبه على جبل عامل بصوره خاصه و لبنان و العالم العربى بصوره عامه.

فالشاعر العاملى عايش فترات متفاوتة من التاريخ اللبناني، و انخرط فى عمق القضايا اليوميه عبر محاكاه هذه القضايا شعراً. تترجم المعاناه بيتاً من الشعر، و تحكى قصه التاريخ قصيده تعود بالتأريخ إلى أصلاته. و تغوص فى لجج المعانى و البيان عبر خطاب يحاول استنهاض حال الركود الثقافى و الاجتماعى و السياسى، و عند ما تنقسه الشواهد المعاصره يستحضر التاريخ الإسلامى الملىء بحالات الثوره الممتده من عصر النبى و متوجه بثوره كربلاء التى اسهب الشاعر فى الاستناد إلى مدلولاتها [مدلولاتها] فى عطاءاته الشعريه حتى كان أكثر ما نظم فى كربلاء و ثورتها و الأئمه و قبل كل هؤلاء بالنبى و هذا الترابط ما بين الشاعر و التاريخ، ما بين القصيده و الواقع العاملى جعل بعض الصحافه تصفه، و كأنه جزء من الزمن، بل كأنه قطعه متحركه من تراث جبل عامل.

فهو صاحب الحضور المميز الذى تنشده إليه الحواس عند وقوفه على المنبر. و تلاحقه العيون و هو يفعل مع كلماته ليزيد الجو التهاباً و ليؤكد أن الشعر ليس نظم قصيده إنما هو شعور بالشعر ينبع من عمق الاحساس بالكلمه بينما الآخرون بحاجه إلى قصيده للتعبير عن المعنى و هو فى بيت واحد يعبر عن معنى قصيده. و هذا هو الشعر بحد ذاته.

بدأ اسم "السيد" يلمع فى دنيا الشعر متخطياً الكثير من أقرانه الذين بدءوا يتجنبون مبارزته لما عرف عنه من الجرأه و القوه الخطايه القادره على الجمهور يحس بالقصيده إحساساً داخلياً يتفاعل معها و يتحرك مع كلماتها.

و كانت فتره الأربعينات من أغزر فترات عطائه حيث عرفته النوادى الثقافيه و الحواضر العامليه. و بدأ شعره يخرج من النطاق العاملى إلى لبنان كله و من ثم قفزت قصائده فوق الحدود اللبنانيه لتستقر فى دول الخليج و العراق التى كانت أقرب إلى شعره لقربها من أصله اللغه العربيه فى وقت كانت تغزو لبنان موجه الترجمة الأجنبية للشعر مما يفقده رونقه العربى و أصلته اللغويه.

فالشاعر من عائله عريقه فى العلم و الأدب، و متمسكه إلى أبعد الحدود بالأصالة اللغويه التى تعتبرها جزءا لا يتجزأ من المحافظه على الالتزام الدينى الذى يرى فى القرآن المقياس الوحيد للغه.

من هنا نجد أن الشاعر كان أقرب إلى الشعراء العرب القدامى فى لغته و قافيته فنراه على سبيل المثال يعارض الشاعر العربى الشهير أبا تمام فى قصيدته الثائيه فيقول فى ثائيه التى كسر فيها احتكار أبى تمام لهذه القافيه:

نشطت إليك و يممتهك غياثا و جناء ترفل فى السرى احثا

و جناء تائف من خفاف زمامها ترعى المرار و تهصل الجرذا

قد جاوزت أعلى (فريز) و جانب فى و خدها الوهدات من (عيناتا)

و فريز: اسم منتزه فى عيناتا.

و يقول أبو تمام فى قصيدته:

بلد الفلاحه لو أتاها جروول ترك الفصاحه و اغتدى حرا

و المالكيه لم تكن لى موطنا و مساكن اللذان من قبرا

و تنور ثائره الشاعر عند ما يجد أن زمرا تحاول التلاعب بالدين و ان العلم أصبح للغرور فيشكو إلى النبى هذه الحاله فى قصيده طويله:

يا خاتم الرسل لا دين يدان به كما تحب فعنه الناس قد رغبوا

أبا البريه عاد الدين من زمر رأسا على عقب مما به ارتكبوا

لم يطلبوا العلم إلا للغرور به و ليت أنهم للعلم ما طلبوا

و لم يترك شاعرنا بابا من أبواب الشعر إلا و فتحه على مصراعيه و خاص غماره. من الرثاء إلى الفخر و الحماسه إلى السياسه، و الغزل و المديح.

و له قصيده طويله فى الغزل مطلعها:

على شفتيك رفت وردتان و فى خديك [خديك] شعت جذوتان

و تغزو شاعرنا الأ-حزان و الآلام بعد ما رأى بلاد العرب تحتل من قبل اليهود و تعصف بلبنان فتنه عمياء، و يتعرض جبل عامل كل يوم للعدوان فيضيق وسع الشعر عنده بعد ما ملأ الدنيا بأحلى النغم:

ضاق وسع الشعر عندي بعد ما ملأ الدنيا بأحلى النغم

بالأيام لنا كانت هنا و زمان مر حلو الحلم

و ليال جوها منفتح انفتاح الألم المبتسم

و نواد قد عقدناها على رفة الوادى الشهى البرعم

و يصاب الشاعر بحزن كبير يهده أكثر من سنى عمره بعد وفاه ابنته فيلقى عصا الشعر و يرثى فقيدته بقصيدته طويله:

هاتوا لنا مثل من شيعت اصطبر و أطلق الدمع فى عينى يستغر

ما حيلتى و يدى من حيلتى فرغت و بت اشتمل البلوى و اعتمر

من لا يعيش بلا قلب و لا كبد الا أنا هل أنا من صخره حجر

يا من بعينى من عينيك لى بصر و اليوم أمسيت لا عين و لا بصر

شعره

قال فى مولد النبى (ص) من قصيده:

أطل ملء فم القرآن و ارتفعا صوت من الله هز.. المشرقين معا

أطل و الفتنة الحمراء لاهبه من الحجاز.. نبى أطفاء.. البدعا

ص: ٣١٢

فطبق الأرض نورا و السماء علا و الخافقان لعلياء الهدى خضعا
تبارك المولد الميمون طالعه على البريه بالنور الذى سطعا
كان الزمان ضبابا قبل مولده و الكائنات دجى و الظلم منتجعا
حتى ولدت أبا الزهراء فانكشفت و انجاب غيبيها المغبر و انقشعا
و أشرقت فيه دنيا الحق و ائتلع بها القلوب على النهج الذى شرا
ألفت مختلفا منها و مجتمعا كما تألف ضوء الشمس و اجتمعا
صدعت بالحق و الألباب طائشه فكنت أصدق من بالحق قد صدعا
لو أنزل الله قرآنا على جبل رأيته خاشعا لله.. منصدعا
على الرساله كم لاقيت من عنت و كم لقتلك ساع فى الظلام سعى
ما قمت بالسيف لكن ألزموك به حتى إذا.. ما رأوه هالهم هلعا
و شد أزررك فى الهيجاء ليث و غى قلب الغطاريف منه أنبت و انخلعا
و كلما ازدلفت للروع رايتنا عنا تضيق يد الصحراء متسعا
يقودنا الفارس (الكرار) إن طلعت خيل الطغاه عليها بالردى طلعا
لا ينثنى أو ينال الفتح صارمه ضربا يهد صداه من له سمعا
سائل بخبير و الهندى ملتهب و مرحب يتخطى الموت مدرعا
فقيض الله سيفا من مضاربه فى كف أروع صب الموت و اندمعا
و قد... مرحب هاما فارتضى بطلا قد.. شق نصفين ملء القاع قد وقعا
مشى (أبو الحسن) الميمون طائره و الحصن أرتج بابا و النبى دعا
و ابتسم النصر فى وجه النبى و قد
هذى أوائلنا فى الروع من قدم هذى العروبه إن واعى الحديث و عى

يا خاتم الرسل أدرك أمه نزعت عن قصد غيرك سهما طاش و ارتجعا

و قال فى الامام زين العابدين على بن الحسين (ع):

أبا الثفنات المشرقات على الدجى يعب التقى منها المشوق المشيم

و تلتهمها التقوى باجفان مغرم كما لثم القرآن من ظهره فم

إذا ما مشى فوق الصفا فجر الصفا ينابيع منه كل جرداء تنعم

و من يمنه يخضل جذب و ممحل و يهتز روض فى البطاح منمنم

شمائله من نبعه أحمديه فم الصبح من آلائها يتبسم

على منكيه برد أحمد يزدهى و تستافه الدنيا طيوباً و تلتهم

رءوف رحيم بالمساكين قلبه و أحنى بنى الدنيا عليهم و أرحم

و كم من عفاه كنت تحمل زادها إليها و جنح الليل داج و مظلم

سوى الله لم يعلم بما أنت مخفضل عليها و لم يعلم بما أنت منعم

تناولك الأدنى القريب و ما درى بانك تقويه و أنك.. تطعم

تبين لما أن قضيت... بأنه توهم شرا ساء.. ما يتوهم

وفدت لبيت الله و الحج قائم و من دونه سيل الحجيج عرمرم

تأخر و ارتد ابن مروان صاغرا و أقبلت فى برد النبوه... تحرم

و عنه تنحى الناس و انفرصوا له و أقبل زين العابدين.. المعظم

و غاظت هشاماً هيبه لك فى الورى و ما الدين إلا هيبه و تكرم

تساءل أهل الشام عنك تجاهلاً و انهم من غيرهم فيك أعلم

فما راعهم إلا الفرزدق قائماً على الناس يجلى الطيبات و ينظم

و انشد و الدنيا مسامع.. كلها و أنف بنى مروان فى الترب مرغم

أمن هو هذا.. ان هذا ابن فاطم و هذا الذى بالعدل يقضى و يحكم
أبوه المجلى يوم طاشت حلومكم غضوبا كما جلى عقاب و قشعم
جلى الخيل عن شاطى الفرات و كبها فوارس فوق النهر يحملها الدم
و ما وسعتها البيد و هى شوارد بفرسانها من بأسه... تتحطم
و حط على راياتها... فأزالها مرارا و لكن القضا ليس يهزم
و لم يعطهم كف الذليل و خاضها برغم المنايا لجه... تتضرم
فحطم أصناما و نبه.. أمه و زلزل عرشا بالأباطيل يدعم
و من صرخه الدنيا أفاقت أميه على سلطانها يتهدم
كذا المعجد يبنى بالجماجم و الذما و لكن قومى دونه اليوم نوم
يداوون بالكذب الصراح جراحنا و ما الكذب للجرحى دواء... و بلس
تباع أحاسيس الرجال و تشتري و يخنق أنفاس الملايين... درهم
و ليس بمجد نوحنا... و عويلنا فلا عاش من يشكو... و من يتظلم
أفق أيها الشعب الذى طال نومه و من فوقه دنيا العلى تتهدم
كان علينا طاعه الظلم واجبا و للظلم من يعطى القيادة أظلم
تغلغت الفوضى بنا و تمكنت على يد حكام بنا... قد تحكموا
حملت الأسى عن كل من ضاق بالأسى و ما لى إلا الوجد كسب و مغنم
و قال فى رثاء السيد محسن الأمين صاحب (أعيان الشيعة):
يا لنفس كفم الصبح سناها و عت الحق كما الحق و عاها
كلما التف بها ثوب الدجى لم تنم فى الله ليلا مقلتها
نشأت كالنجم فى ظل الهدى عن بنى الدنيا رفيع مستواها

عظمت شاننا و جلّت... رتبته لم تسعها الأرض فاحتلت سماها

فى سبيل العلم نفس حرة لقيت بالعلم و الرشد الإله

لم تكن معصومه كيف صوت عصمه الرسل و ما زلت خطأها

صانت العلم كما قد صانها و عليه جمعت كل.. قواها

هكذا من قام يدعو للهدى فى بيوت رفع الله بناها

جل ما كان له من.. همه خدمه العلم و لم يطلب سواها

سألوا الأمه عن آثارها من عليها سهر الليل و ثاها

و أسألوا الشيعة عن أعيانها هل سوى محسن للدنيا رواها

شكل التاريخ فى.. حجرتة قلما أروع من لدن.. قناها

كم به نقب عن مكنونه كجبين الشمس عال منتماها

لم يدع من فرصه سانحه فى سبيل العلم إلا و أتاها

إن دعا فتح أبواب السما و له ألقى مفاتيح غطاها

كم له من حكمه... بالغه كيد الرسل و قرآن نداها

تترأى مثلا... مرثيه كنجوم الفجر وهاجا ضياها

لم تكن فلسفه [فلسفه] وهميه من أساطير أرسطو أو سواها

فاملثوا قنديلكم من زيتها و اجتلوا الأضواء من فضل سناها

بلسم جف عن الداء العيا بعد أن مس جراحا و براها

صار لله خصاما فى الهدى و عن الغى إلى الله تناها

مال ركنا و تداعى... أمه شد بالأخلاق و الرفق لواها

ما رأى العجم و لا العرب رأى علما فيه تولت.. أمتاها

قلدته دينها عن... خبره و إليه أرجعت كل قضاها

إيه يا هاشم... ما أبعدها صرخه في أذن الدهر صداها

إيه يا هاشم و النجم هوى فوق أرض قدس الله تراها

و مذ الركب تنادى و خطا عبر سوريا توالت عبرتها

ترمق التابوت في... صحرائها مشرفا كالركن عال كذراها

و عليه نكث.... أعلامها و قريش حملته في رداها

ص: ٣١٣

كلما لاح لها الركب ارتمت دونه الأبصار مكفوفاً ضيافها

و كان الشام لما أن دجت لفها الليل فلم تبصر خطأها

و عليها طلعت شمس الضحى من وراء اليد معصوباً ضحاها

نبا طاف به البرق على... صهوات الريح محموماً شجاها

القوافى التهب... ألفاظها و المعافى جمرات من... لظاها

تتنزى مهجاً... محموماً تلفظ الآهات... حمر شفتها

لا أعزى اليوم فيه أحداً كل نفس هي ملأى من غزاها

و قال من قصيده:

يا لذكرى أحبتي و وداعى للصبابات و الكمى الشجاع

و وقوفى على قبور لداتي فى حنو المتيماً... الملتاع

و أحس الردى بنفسى يحدو و هي منه على جناح الوداع

شت عهد الهوى فال اشتياقى لطراد مع النوى و صراع

و أرى البين لا يفارق رحلى بين حط الخطوب و الأقلع

كم لعينى حلاً اجتماعى باهلى ما أمر الفراق بعد اجتماع

أدمع من عرائس الشعر عندى سكبته الآهات من أضلاعى

كلما أمسك التأسى دموعى أرسلتها صوائح و نواع

و عليها الأسى ألح جنونا فى لهيب على الدجى و اندلاع

و ترى عوده تلاشى و غصت فى لهاى روائع... الإبداع

و انطوى اللحن فى الثرى و توارى كل شاد عن الزبى و التلاع

شهد الجرح ليله يتنزى فى علو على الردى و ارتفاع

ذكريات موائل نصب عيني سرها في التراب غير مذاع

و قال في تميم قناه السويس عام ١٩٥٦:

باسمك اللهم عوننا و اتكالا لك كبرنا و أقمنا القنالا

و مشينا أمه واحده نرفع العزه للدنيا مثالا

بطل الصحراء... دوى صوته فإذا الأجيال تهتز اختيالا

و أفاق الغرب من خيرته بالعمى يمسح جفنيه اكتحالا

و أطل الفجر و هاج الضحى فى السنا يحتضن النيل احتفالا

نحن و الغرب فاما ماؤها من دم يجرى و إما أن تدالا

أذن الله لنا أن أقبلا بسراياه عن الدنيا... زوالا

قد نفخنا.. النار حتى اضطرت شررا كالقصر ترمى و جبالا

و حشدنا الصيد.. من دون القنا و ملأنا البر و البحر رجالا

لا تخف سيلا جرى عبر الضحى لم يكن إلا سرايا يتلأأ

حسبته العين فى مواره لجه يجرى و بحرا حين سالا

كلما الطرف دنى منه اختفى من رأى الطيف تراءى ثم زالا

لوه تخطى الغرب حدا بيننا لاستحالت سحره الأرض اشتعالا

سائلوا الصحراء عن هيجائنا يوم ضاقت بالغطاريف نزالا

و ربحنا الجوله الأولى علا و رفعناه علم المجد... فطالا

زمن الظلم تلاشى و انطوى فى حنايا الدهر وهما و خيالا

شرفا حده الظبى من عزمها و جباه الأسد... قد شدت نعالا

وقفت دون العلى و ازدلفت و المنايا الحمر تنهال انهيالا

و العذارى زغردت خلف اللوا عن جراح الصيد... يمسخن الرمالا

تزرع النخوه فى أعماقنا همه تعتقل الموت اعتقالا

نحن سيل الليل فتيان... الوغى و لها نحن إذا تدعو نزالا

هكذا كنا و ما زلنا لها مثلا أعلى جهادا و نضالا

و قال:

قل للمقيمين حكاما على سرر مرضونه شدها الشعب الذى اهتضموا

قل للمقيمين حكاما جباره بطونهم ملئت منا... أما تخموا

خافوا من الله و استبقوا بقيتنا إن لم يكن لكم دين ألا ذمم

أ ليس منا و من أرواحنا سكبت و الأمر تملكه النسوان و الخدم

طار الرغيف على أيديكم و غدا عنقاء مغرب لم تلحق به قدم

ما للشيبه قد خفت بهجرتها مواكب فوق ظهر البيد تقتحم

بين (الكويت) أو (الدمام) مركبها غاد و فيه حياض الموت تلتطم

ما ضاق لبنان فى أهليه و اتسعت أرض سواه و لكن ضاقت الشيم

كم من فتى تحت ظل الغم مسكنه و آخر... داره الأوتار و النغم

بيت عنه خلى البال من شجن نشوان من كاسه المستأثر النهم

بيت و الماء يجرى من مقاصره و نحن فى القاع لا ماء... و لا خيم

لو.. يعلم الهرم المبنى من حجر ما قد لقينا هوى عن عزه الهرم

خل الليالى كما تهوى فان... لنا يوما به نحن و الحكام نحتكم

و قال مادحا سنه ١٣٨٣ هـ من قصيده:

أبى الله إلا أن تكون المتمما بناء المعالى قبل أن يتهدما

و تنشر ما قد أغفل الدهر نشره حديث العلى بردا و وشيا منمنما
إليك خطبنا الطيبات فاتلعت بنعماك جيدا قد تحلى و معصما
من البدويات الأعاديب فرعها على كتفيها أرقما لف أرقما
على ثغرها الوهاج من ألق الصبا دم إن بكته المرفات تبسما
عادت لنا عهد الهوى و فتونه فنونا و لم تسعد مشوقا و مغرما
و يمت أعلى الضال دار ابن دارم و ما كل دار حقها أن تيمما
و قلت لركب الليل و الليل قد هوى بكلكله و الصبح قد ثار فى السما
و نادى منادى الحى من جانب الندى نعمتم صباحا قد قربنا من الحمى
حمى العز هذا فاترع الكأس و اسقنى شرابا حلالا لا شرابا محرما
هو المورد الأسنى و لا حب نهجه على أسس فى الصالحات تقوما
إذا.. الأبيض الريان فى الله قائم يزاحم فى أوج السماوات أنجما
و فى كبد الظلماء يقذف بالسنا فتبتسم الآفاق من نوره فما
تم عليه فى الأباطح ناره شهابا بأعلى رأسه قد تضرما
به يهتدى الركب المغلس فى السرى إليه و من فى سيره قد تجشما
و ما شهد القطر الجنوبى مثله على الخير باق ما أعز و أكرما
و ما زلت تروى عن صحاح و مسلم إلى أن رأيناك الصحاح و مسلما
تجاوزت ما لا حد فيه من الندى فلو كان من ماء لخضناه عيلما
أبا النعم الحمراء بوركت واهبا و بوركت [بوركت] موهوبا و بوركت منعما
تبيت نفارا حول دارك شردا من الخوف أن تمسى شواء و مطعما
ترى كل ضيف مقبل طعنه لها متى حل من لباتها شخبت دما

ترفق بها فهمتى التى يحمد السرى عليها صباحا من لعلياك يمما

رؤم على بوشجى حنينها و ما أرضعت يوما فصلا لتفطما

و تصرع فى إرقالها الطبى بالحصى كان الحصى من خفها طار أسهما

كأنك و السيف الصقيل ولدتما إباء لدفع الخطب فى الدهر توأما

و يفعل فى الأجسام فعلك فى الندى متى وزع الأشلاء وزعت مغنما

ملأت حنايا الدهر نعماء لو مشت برجل لقلنا يذبلأ... و يللمما

لئن قيل بالملك الملوك تختمت فأنت الذى بالمالكين تختما

و إن هى بالطيب الشدى تلمت فأنت الذى بالطيبات تلمما

و تعطى و قد أعطيت مخلكا بأسره عظيما و فيه قد تبينت أعظما (١)

و ما الجانب الشرقى لولاك مشرق و لو لم تكن فيه لأصبح مظلما

وعى الشعر فيك اليوم أحسن ما وعى و كان أصما صامتا... فتكلما

متى شئت ان أثنى عليك تراحت بحار و منها كل بحر لك انتمى

و ما أنا الا الشعر من دون وحيه و ما أنت إلا وحيه حين ألهمما

و ما أنا إلا سلكه دون... عقده و ما أنت إلا عقده إذا تنظما

تقلدت سيفا من سيوفك مرهفا هزمت به الجلى خميسا عرمرما

به المتبنى قد لقيت و إننى ضربت بسيفى سيفه فتلمما

كان أتونا بين حديه كامن متى شهد الهيجاء نارا تضرما

و ما الجود و الاقدام إلا مواهب بها اختصك البارى الكريم و أكرما

و قال مهنئا السيد عبد اللطيف فضل الله بعمره:

البشر أنجد فى النفوس و اتهمنا أنى التفت تجد فما متبسما

عرس له انتظر الزمان هلاله حتى أطل فكان عيداً أعظماً
لو أستطيع نثرت فوق ربوعه عوض القصيد من السماء الأنجماً
أو كان في الإمكان ألبيت الربى حل لا و وشيت الخضم العيلماً
أمل صرفت العمر في إدراكه حتى ظفرت به مشوقاً مغرماً
دقت بشائره بأذان العلى و مشى الزمان مغرداً مترنماً
عبد اللطيف على جبينك آيه وضعت على النفس الكبيره طلسماً
من ذا ينازعك السمو و قد رأى أخوين كالقمرين فذا توأماً
قد صدت من غاب الضياغم لبوه أعيت على الآساد أن تستسلماً
أخذت بفرعى سؤدد و تمكنت فى المحض من عليا الأوموه منتمى
جاءتك من بيت أطل على العلى شرفاً و كان لها الحسين معلماً

محمد نويدى قاسم الأصفهاني.

من شعراء إيران فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الهجرى.

و ليس هو نويدى الشيرازى و لا نويدى الطهرانى اللذين نقرأ اسميهما فى تذكره (نصرآبادى).

للمترجم ديوان محفوظ فى المكتبة الوطنيه بلندن برقم ۱۸۲۹ - supp و فيه ۶۵۰۰ بيت من الغزل و القصيده و الرباعيات، و هو مكتوب بخط الشاعر بتاريخ ۱۵ المحرم ۱۰۴۴ هـ و من خلال النظر فى الديوان نتعرف على جمال خطه. و من خلال قراءه بعض أشعاره نعلم بأنه سافر إلى الهند و سكن فى الدكن و توفى فيها. و كان متألماً من اضطراره للسكن هناك، متحرقاً إلى العوده إلى وطنه. و لكن لسبب نجهله، و ربما كان ضيق ذات اليد لم تقدر له العوده إلى الوطن.

كان ينظم الشعر على طريقه شعراء القرن التاسع، و شعره سلس البيان، مفهوم، بسيط غير معقد، بعيد عن المبالغه.

نظم القصائد فى مدح الأئمه ع، و كان أغلب غزله من نوع القصيده.

الشيخ محمد هادى ابن الحاج حبيب الله الكاشانى

المشهور ب (رمزى).

ولد سنة ١٠٤٠.

كان كما يصفه أحد مؤرخي الأدب: من أواسط الناس في قزوین، درویشا بلا بضاعه. و يقول میرزا حبیب الله أن نسبه یصل إلى ابن بابویه القمی.

برز منذ أوائل شبابه بین شعراء العصر، و كان فناً فی النقش و وحيداً فی صناعه حک الخشب المعروف ب (منبت کاری).

لازم فی عهد الشاه عباس الثاني، مرتضى قلی خان شاملو من الرجال البارزين فی ذلك العهد و فی عهد الشاه صفی، ثم تركه و عاش فی أصفهان حياه هادئه.

له ديوان كبير فی اثني عشر ألف بيت، و له مثنويان: (رمز الحقائق) و (رمز الرياحين)، فيهما أربعة آلاف بيت، و هما محفوظان فی مكتبه مجلس الشورى بطهران. و رمز الرياحين نظم باسم الشاه عباس الثاني.

و له أيضا قصائد، و غزليات، و أشعار فی التوحيد و مدح النبي (ص) و الامام على (ع)، و مدح الملك. و له وصف بستان الألف جريب، و هو يصف الورود، و رده و رده، و على لسان كل و رده يمدح الورده نفسها و يعيب الأخرى. كما اشتهر بنظم الأمثال حتى لم يدع مثلاً إلا نظمته شعراً.

الشيخ محمد هاشم بن محمد قاسم الأفسار القزويني.

توفي حدود سنة ١٢٩٠ مجتهد نحير أصولی محقق أخذ المقدمات و فنون الأدب و العربيه على أفاضل علماء قزوین ثم تخرج فی الفقه و الأصول و الحديث على الشيخ محمد صالح البرغانی الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه المستشهد سنة ١٢٦٣ و حضر فی الفلسفه و العرفان على ملا آغا الحکمی القزوينی و الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانی القزوينی ثم حضر مع استاذه البرغانی فی جهاد الحروب الإيرانيه الروسيه المعروفه عام ١٢٤٢ و شارك فی تشييع جثمان

ص: ٣١٥

السيد محمد المجاهد المتوفى سنة ١٢٤٢ من قزوین إلى كربلاء و سكن الحائر الشريف زمانا و تصدر للتدريس و الفتوى ثم رجع إلى موطنه قزوین و سكن قلعه أفشاریه فی ضواحي قزوین و كان من مراجع الأمور الشرعيه بها، رئيسا مطاعا و كانت له مكتبه نفيسه كما أنه كان مولعا باستنساخ الكتب لنفسه من ذلك كتاب مفتاح الكرامه للسيد محمد جواد العاملي المتوفى سنة ١٢٢٦ و كتب أخرى متفرقه فی مكنتات قزوین و عندنا جملة منها.

و له مؤلفات منها: كتاب التلخيص، و رساله فی الإرث، و حاشيه على الرياض. و غيرها من حواشي و تعليقات (١).

محمد هاشم بن هادي بن مظفر الدين حسين علوي،

المشهور باسم علوي خان معتمد الملك ولد سنة ١٠٨٠ في شيراز و توفي سنة ١١٦٠ في الهند.

درس على والده في شيراز و على الآخوند مسيحا، و في سنة ١١١١ جاء إلى الهند و استقر عند عالم كبير [غير] في قلعه ستاره و تولى عنده منصبا. و قد قربه إليه الحكيم محمد شفيح الشوشتری، و في عصر شاه عالم لقب ب (علوي خان).

و في سنة ١١٢٢ توفي بهادر شاه قطب الدين و حل مكانه معز الدين جهان دار شاه، ثم في سنة ١١٣١ تولى محمد شاه فحظي عنده المترجم كل الحظوه و لقبه معتمد الملك. ثم ذهب إلى الحجاز للحج، و في سنة ١١٥٦ عاد إلى الهند فبقى فيها أربع سنين معززا مكرما حتى وفاته.

له من المؤلفات: حاشيه على شرح هدايه الحكمه، حاشيه على شرح الأسباب و العلامات، شرح تجريد أقليدس، شرح المجسطي، شرح موجز القانون، أحوال أعضاء النفس، رساله في الموسيقى، التحفه العلويه و الايضاحات العليه، جامع الجوامع، آثار باقيه، خلاصه التجارب، عشره كامله، قرابادين علوي.

الدكتور محمد هدايتي

ولد سنة ١٢٩٣ و توفي عام ١٤٠٦ كانت أسره هدايتي تتولى سدانه روضه الشاه عبد العظيم الحسيني في الري منذ أيام السلاجقه حتى أيام المترجم له، فهو آخر من تولى هذا المنصب من هذه الأسره و باعتزاله انقطعت سلسله سدانتهم. و كانت له أيادی كريمه في تعمير الروضه منها تجديده الصحن الكبير و إجراء التعميرات الكبيره في داخل الروضه الأثرية - و كذلك تعمير الصندوق الأثری الذي يعلو القبر، و كذلك بناء ضريح فضی له.

درس الحقوق بباريس و بعد أن عاد إلى طهران قام بالتدريس في كليه الحقوق ثم صار عميد الكليه ثم اختير نائبا في البرلمان ثم وزيرا للعدل ألف كتاب (آستانه ري، روضه الري) و هو كتاب قيم عن تاريخ هذه الروضه منذ نشاته (٢).

الشيخ الفقيه الرئيس أبو عبد الله محمد بن يحيى البيهقي.

استشهد في أوائل ملك السلطان طغرل السلجوقي في حدود سنة ٤٣٢لشيعه. من أعظم علماء الشيعة في بيهق و أكابر فقهاءهم في عصره رئيس زعيم أخذ العلم و الفنون الإسلاميه في نيشابور إحدى المراكز العلميه الشيعيه المعروفه آنذاك حتى بلغ درجه

عاليه فى العلم و الفضل و فى عام ٣٩٥ هاجر من نيشابور إلى بيهق و قد استقبل استقبالاً شعبياً و حكومياً و رحب به العلماء و الأدباء و الشعراء و انشدوا قصائد بالعربيه و الفارسيه فى الترحيب به. و من تلك القصائد:

اخلائى محمد بن يحيى أنار بفضله قلبى و أحيا

محياه لأهل الفضل نور و محياه لأهل الفضل محيا

و أنشد أبو عبد الله الزيادى البيهقى:

إن غاب بدر الدجى عنا فقد أسفر عن بدر الأمانى عيان

بيهجه وضاحه صورت من ماجد يحسدها النيران

و كان المترجم له أول من هاجر من نيسابور إلى بيهق من رجالات هذه الأسره و فصل عنه أبو الحسن على بن زيد البيهقى، المعروف بابن الفندق المتوفى سنه ٥٦٥ فى كتابه تاريخ بيهق و قال انه من أحفاد يزيد بن المهلب فى خراسان(٣) و من جهه الأم من أحفاد فولادوند الديلمى و نقل عن مزيد التاريخ أن جده نصر بن حسن بن فيروزان بن فولادوند(٤).

انتهت إليه الفتوى و الرئاسة، و كان زعيم مدينه بيهق و تلك البلاد.

و هو من جهه الأم جد للسيد أبو السعادات هبه الله بن على الحسنى صاحب كتاب الأمالى شيخ محدثى الشيعة المولود فى بغداد عام ٤٥٠ و المتوفى سنه ٥٤٢ و ترك المترجم له ولدا هو الزعيم الرئيس حمزه الذى تزعم بعد مقتل والده و انتهت إليه الرئاسة، و بنتين إحداهما زوجه الرئيس أبى الحسن على بن أبى جعفر محمد و أم العالم الفاضل ركن الدين أبى منصور هبه الله البيهقى(٥)

السيد محمد اليزدى

توفى سنه ١٣٣٤ فى الكاظميه و دفن فى النجف.

هو أفضل ولد السيد كاظم اليزدى المرجع الشهير فى عصره، و كان سفير أبيه و معتمده و لسانه فى كثير من الوقائع، و قد أخرجته إلى الأهواز سنه ١٣٣٣ خلال الحرب العالميه الأولى و إلى بغداد و الكوت [الكويت] سنه ١٣٣٤ داعياً إلى الدفاع و الانضمام إلى الجيوش العثمانيه فى جهاد الإنكليز.

و كان عارفاً بآداب اللغه العربيه يخطب فيها. و قد اقتنى خزانه كتب حسنه و له تأليف.

محمود خان ملك الشعراء.

"محمود خان" ابن "محمد حسين خان" و اسم الأب المستعار "عندليب" ابن "فتح على خان صبا". و كل من الثلاثه يلقب ب

"ملك الشعراء". ولد سنة ١٢٢٨ هـ.

من أدباء إيران و فضلائها. خطاط رسام عارف بفنون أخرى كالحفر

ص: ٣١٦

-
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
 - ٣- أبو الحسن على بن زيد البيهقى: تاريخ بيهق تحقيق أحمد بهمنيار ص ٩٠ طهران موسى دانش طبعه عام ١٣١٧ ش هـ.
 - ٤- نفس المصدر ص ٩٣.
 - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

على الحجر و الخشب. و فى عهد "فتح على شاه" كانت له خدمه فى البلاط.

فى سنه ١٢٤١ مرض "محمد شاه قاجار" مرضا شديدا، فتطلع بعضهم إلى منصب الملك و تنقلت أخبار عن مطامعهم فى العرش. و كان من هؤلاء الطامعين "الله قلى ميرزا الايلخانى" أحد أسباط "فتح على شاه" و حفيد أخيه الشقيق. و أخذ هذا يسعى للوصول إلى المنصب الشاهانى قبل موت "محمد شاه" أو بعد موته، حسب ما يتهدى له من الظروف. و اجتمعت حوله جماعه من النفعيين يحركونه و يؤيدونه. و لكن "محمد شاه" تحسنت حالته و شفى من مرضه. و عاقب كل من كانت له يد فى مثل هذه الدسائس و التحريكات، و أبعد فريقا منهم.

و كان "الله قلى ميرزا الايلخانى" ربيب الصدر الأعظم "الحاج ميرزا آقاسى"، إذ كان هذا متزوجا من أمه بنت "فتح على شاه"، و قدم الايلخانى أيضا إلى الشاه مبلغ خمسه عشر ألف تومان. و لهذه الاعتبار عفا عنه الشاه و عينه حاكما على "بروجرد" و نواحي أخرى. و عين "محمود خان ملك الشعراء" معاونا له. و لما استقر بهما المقام فى "بروجرد" أعرض "الله قلى ميرزا" عن تعاطى العمل الموكول إليه لا يعتنى به و انصرف إلى استئناف حركاته و تدابير له للوصول إلى المنصب الشاهانى. و جهد "ملك الشعراء" فى نصحه لينصرف عن هذه النهيه و لكنه ظل متشبثا بها لا ينصرف عنها، و انتهى به الأمر إلى أن جهز خمسمائه فارس و سار بهم إلى طهران ليحتلها و ينصب نفسه شاها على إيران.

و كان "ملك الشعراء" قبل ذلك، لا ينفك يوالى إرسال التقارير إلى طهران بواقع الحال. و من ثم كان الشاه على علم بكل شىء، فأرسل إلى الايلخانى من تصدى له فى محله "حوض سلطان". و منها أبعد إلى العراق.

فى أوائل ملك "ناصر الدين شاه" رشح "محمود خان" للسفاره فى إحدى الدول الأجنبية، و لكنه استنكف عن القبول. و قد عمل موظفا فى بعض الدوائر الحكوميه، و كان مده رئيسا لدائرته الصحافه و المطبوعات الحكوميه.

كان "محمود خان ملك الشعراء" رجلا كاملا- محترما فاضلا. و كان مقلا من أكل اللحم و أكثر طعامه الفواكه و الخضار، يتجنب المسكر و المخدر. توفى سنه ١٣١١ هـ. و هو فى الثالثه و الثمانين من عمره.

محمود راميار

الكاتب و المحقق الايرانى ولد عام ١٣٤٠ فى مدينه مشهد و توفى عام ١٤٠٣ و درس إلى أن حاز على شهاده الدكتوراه فى ثلاثه فروع و هى الشريعه الإسلاميه من جامعه باريس و العلوم السياسيه فى جامعه طهران و العلوم الاقتصاديه فى جامعه لندن، ثم عاد من أوروبا إلى إيران حيث صار أستاذا فى جامعه و قد ألف كتبا عديده منها:

كشف الإيمان، و أهم كتاب له هو كتابه عن (تاريخ القرآن) و قد عمل فى أواخر حياته على تفسير القرآن لكن الأجل لم يمهل

(١)

الشيخ محمود مغنيه.

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان)، و عدا ما نشر له من الشعر هناك، فقد عثرنا له على القصائد التاليه:

قال:

ضل الطريق و ضلت العفر إن لم يردك بقصده السفر
و أحله الإدلاج منزله الربع منها موحش قفر
يا خابطا عشواء مجتهدا أرجع فخلفك يطلع الفجر
أمت الغطاء عن الوطاء فقد كشف الغطاء و تهتك الستر
ما أنت ذا عشق و إن خفقت منك الحشا و تحشرج الصدر
للعاشقين علانم ظهرت ما فيك من آثارهم إثر
لا يبصرون سوى الحبيب و لا لهم يمر بغيره فكر
خفضت نفوسهم فما لهم فى حكمها نهى و لا أمر
فسكوتهم فكر إذا سكتوا و حديثهم إن حدثوا ذكر
و استطابوا ضر الهوى فغدوا سيان إن نفعوا و إن ضرروا
فلكل بلوى عندهم نعم و لكل نعمى عندهم شكر
عرجت نفوسهم لمنزله من دونها العيوق و النسر
فر الأنام لما له أمنوا وهم لما أمنوا له فروا
لكنهم شتى فمسلكهم سهل و مسلك غيرهم وعر
أموا الحبيب فلا ينهنهم عن وصله ردع و لا زجر
سكروا لطيب حديثهم فهم سكرى و ما دارت بهم خمر
كر الرجاء إذا هم منعوا (فالأمر يحدث بعده الأمر)

و قال:

أضيق صدر الدهر و الحزم واسع لأى ثنيات العلى أنا طالع

أ مجترئ دهرى على أما درى أنا الصل فى أنياه السم ناقع

أقدم و الليث الهزبر مؤخر و أصعد حيث الطير فى الوكر واقع

و مهما يسابقنى جواد لغايه يرد على أعقابه و هو ضالع

و اقنع بالشىء القليل تعففا و فى كل رزق جاءنى أنا قانع

و قال:

أمر لعينيك عندى غير ممثل ما للخلى و ما للأعين النجل

لا تصبحى لى بعد الشيب عاذله فان فى الشيب ما يغنى عن العذل

قد كنت أسرح فى سرح الهوى ثملا (فعدت لا ناقتى فيه و لا جملى)

فلا يؤرقنى رسم و لا طلل إن أرق الصحب ذكر الرسم و الطلل

و ليس يسحر قلبى ربرب غنج بناظر ملء جفنيه من الكحل

أسرعت يا شيب فى صفوى ترنقه ما كان ضرک لو تمشى على مهل

نفضت عنى بردا للهوى بهجا و جئت تسعى ببرد للهوى ثمل

عصر الشيبه ما هناك من زمن ما كان عمرک إلا مصه الوشل

أعطى ليالىك نفاح الصبا أرجا و جاد يومك و كاف الحيا الهطل

يوم أقمنا سكارى من صبيحته إلى المساء بلا خوف و لا وجل

ترمى به الراح فى أفواهنا شررا يصلى بها القلب فى عل و فى نهل

فمن مغن على إرث يفارقه و من صريع و من باك و من ثمل

و قال:

و ليس يضيق الدهر يوما على امرئ و من دونه درع من الصبر واسع

إذا المرء لم يهلك مطامعه التي تشد عليه أهلكته المطامع
و إن كان فى نيل الغنى يسعد الفتى فخير رفيقك الذى هو جائع
سقى الله أحبابا بسمنان فالنقا سحائب مزن وبلها متتابع
فهم بعثوا للقلب بعد قراره مريشه تندق منها الأضالع
إذا ما أضاعونى فما أنا ضائع و لا أنا مما أحدثوا قط جازع
و إن أنكرتنى بعد عرف نفوسهم فقد عرفتنى فى الرجال المجمع
أينكر نور الشمس و الشمس فى الضحى و يجحد ضوء البدر و البدر طالع
و تصفو و من غير العجيب مشارع و ترتق من عند الحبيب المشارع
و من عجب الدنيا بعيد مواصل يزيدك ودا و القريب مقاطع
و أبعث آمالى إليه و سائلا فتصرف آمالى و هن رواجع
و قال:

زارنا و الليل فى غسقه كهلال لاح فى أفاقه
ناحل الطرف على ضعفه يصرع الأبواب فى حدقه
لا يبالى ما جنت يده كم دم للحب فى عنقه
عينه الوسنى و حاجبها نبها طرفى إلى أرقه
و قال:

تجلى فأجلى دياجى الغسق و منه عمود الصباح انفلق
رشا علم الغصن لين القوام كما علم الريم مرضى الحدق
تأجج خدك نارا و لو لا تموج ماء الصبا لا حترق
و أخرس ألسنه الواصفين طرفك بالسحر لما نطق

فأنت لهذا الوري فتته خلقت فسبحان من قد خلق

مرضى فرح الله ابن الشيخ طاهر.

ولد فى النجف سنة ١٣٣٢ و فيها نشأ و درس قواعد اللغة العربيه، و حاول متابعه الدراسه الحديثه المنتظمه فحالت بينه و بين ذلك الحوائل من جمود و رجعيه.

عاش المترجم فى عقد نفسه مما جرى له و تقلبت به الأحوال بين اليمين و اليسار فطورد و سجن، ثم استقرت أوضاعه و سكنت.

قال عند ما كان فى (طويريج) معلما فى إحدى مدارسها حيث تشاهد محلات الجرش اليدويه على شواطئ الفرات:

قمرية الشاطي عداك الشجى ما هذه الأنشوده الحائره

أنسيتنى نفسى و أشركتنى فى روحك المهضومه الثائره

قد أصبحت روحى كرجع الصدى فرددى ما شئت يا شاعره

أذهلتنى فلم أعد ناظرا إلا لما أنت له ناظره

و رفرفت روحى فى عالم روحك فى آفاقه طائره

ناوحت أنغاما تهز القوى و تستفز الأنفس الخائره

عاطفه كانت كمجرى الغدير صيرتها مواره زاخره

يا بهجه السارى و سلوى المقيم و ندبه الطعائن العابره

فتوه فى الحب نادمتها و كنت فى تمثيلها ماهره

مع المغنين بجنب الغواه روحى من وهم الورى ساخره

ما فاز من يصغى لغير الضمير و خاب من دنيا الهوى الساحره

من سابق: أ ذاريات الجريش؟ أم ذاريات الأدمع الهاميه؟

اجترشى للقوت لا تياسى فالكسب فى ارجائه العافيه

لئن تركت الزوج فى وحشه فعينه من تعب غافيه

لا تهجريه و انظرى فرصه تقصيه عن حياته القاسيه
عن ضفف أبعدت يا غاده أحزانها ما برحت ضافيه
يغمرك الرز و جاروشه و أنت من فقدانه شاكيه
لم تلق من خازنه رحمه يا ليتها من سخطه ناجيه
كالبدر و الهاله حول الرحي بعد المسا تجتمع الجارشات
من فتيات ألفت زهوها أو أمهات نشطت كالبنات
فهذه تشدو بآمالها و تلك في أيامها الذاهبات
تشببك الأيدى كما تلتقى لرقصه، ما أروع العاملات
حمائم الشاطئ لا تهجعى فان روى تعشق الساجعات
فروحي اليقظى تمل الركود و لم تزل تستبق الناشطات
حتى باحلامى أرى يقظه فلم يك الليل لمثلى سبات
ما شاعر يهزه النائمون إذ تكثر السراق تلك السنين
حمائم الشاطئ كم من يد إليك فى الذكرى و كم للفرات
يا مربعا ألقاه فى وحدتى فتستمد الروح منه الصلات
ميلي (طويريج) بثوب الدلال فأننى أعبد هذى الهبات
البدر و النهر و أفق فسيح صحائف تخلد الذكريات
و النخل و الزرع و تلك المروج بكل ما أحسه شاهدات

مرتضى مدرسى جهاردهى جهاردهى

ولد فى مدينه النجف سنه ١٢٩٠ و توفى بطهران عام ١٤٠٦ درس العلوم الإسلاميه فى مدينه رشت ثم فى مدينه النجف ثم دخل
كلية الإلهيات بطهران و تخرج منها و عمل فى عدة مناصب حكوميه و حقق عدة كتب منها:

مصائب النواصب للقاضي التستري - حياه السيد جمال الدين الأسدآبادى - سياسه [تامه نامه] [الخواجه نصير الدين الطوسى و له من المؤلفات: حياه الحاج ملا- هادى السبزوارى، و حياه الشيخ أحمد الأحسائى، تاريخ فلاسفه الإسلام، سيماى برزگان [بزرگان]، شيخنكرى [شيخىگرى] [بابگرى] [بابىگرى]، معالم الأصول(١)

السيد مرتضى بن السيد محمد الحسينى الفيروزآبادى.

كان والده السيد محمد من أجلاء فقهاء النجف الأشرف، له كتاب "أصول الفقه"، توفى سنه ١٣٤٥.

ولد المترجم له بالنجف الأشرف فى آخر ربيع الأول سنه ١٣٢٩ و توفى سنه ١٤١٠ فى قم.

درس فى النجف و كان من أساتذته فيها كل من الشيخ أبو الحسن المشكينى و السيد أبو الحسن الأصفهانى و الشيخ كاظم الشيرازى. كما تولى تدريس كثير من الطلاب. و فى سنه ١٣٩١ اضطر للهجره إلى قم فأقام فيها حتى وفاته.

ص: ٣١٨

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

له من المؤلفات: ١ - عناية الأصول، في شرح كفايه الأصول، في ستة أجزاء، طبع بالنجف الأشرف و طهران و بيروت.

٢ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة و غيرها، و هو في ثلاثة أجزاء، طبع بالنجف الأشرف و طهران و بيروت.

٣ - السبعة من السلف، جزء واحد، طبع ببيروت و قم.

٤ - منتخب المسائل، في مسائل فقهيه و فروع الأحكام طبع بقم.

٥ - خلاصه الجواهر، شرح استدلالى كبير للكتاب السابق، نجز منه إلى مسائل من كتاب الحج، طبع كتاب الطهاره منه بقم في ثلاثة أجزاء.

٦ - الفروع المهمه في أحكام الأئمه، فقه استدلالى مفصل نجز منه كتاب الطهاره في ثلاث مجلدات كبار.

مرضيه خانم و يقال مرضيه بيگم بنت الشيخ محمد صالح ابن الشيخ الملا

محمد الملا تکه ابن الشيخ محمد تقى ابن الشيخ محمد جعفر ابن الشيخ الملا

محمد كاظم البرغانى القزوينى آل الصالحى.

ولدت فى قزوین حدود سنه ١٢٣٣ و توفيت فيها حدود سنه ١٣١٣ بعد اغتيال ناصر الدين شاه كانت من ربات السياسه و الدهاء بصيره بالكلام مفسره فقيهه محدثه أديبه شاعره حافظه للقرآن الكريم. قرأت المقدمات و فنون الأدب و العربيه و الصرف و النحو على أمها العالمه الفاضله آمنه خانم (١) و أختها قره العين الشهيره و تفقّحت على أبيها الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى و عمها الشهيد الثالث المستشهد سنه ١٢٦٣ و أخذت العرفان الربانى عن عمها الشيخ الملا على البرغانى و الفلسفه عن الشيخ الملا- آغا الحكيمى القزوينى فى قسم النساء من المدرسه الصالحيه و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ الميرزا محمد على الشريف القزوينى و هو الابن الأرشد لخالها الشيخ الميرزا عبد الوهاب الشريف القزوينى من أعلم علماء الشيعة فى عصره (٢). ثم تعرفت على آراء مدرسه الشيخ أحمد الاحسانى مؤسس الفرقة الشيخيه المتوفى سنه ١٢٤١ عن طريق عمها الشيخ الملا على البرغانى و خالها الشيخ الميرزا عبد الوهاب الشريف القزوينى الذين كانا من أبرز تلامذه الاحسانى ثم مالت إلى الشيخيه و لازمته أختها قره العين فى جميع رحلاتها إلى العراق و الحجاز فى سفرها إلى بيت الله الحرام و كانت من أعلم نساء عصرها و تفننت فى العلوم العقلية و النقلية و الأدب، كما درست و أفقت فى كل من كربلاء و الكاظمين و بغداد و نزلت فى دار أبى الثناء الآلوسى ببغداد و جادلته و باحثته ثم رجعت إلى موطنها قزوین و تصدت للتدريس و الوعظ و الإرشاد. و فى سنه ١٢٧٠ توفى زوجها الشيخ الميرزا محمد على الشريف القزوينى فتزوجها ابن خالها الثانى الشيخ الميرزا يوسف بن عبد الوهاب الشريف القزوينى و لا يزال أحفادها فى طهران و قزوین و هم من سنده جامع الشاه و متولى أوقافه حتى اليوم فى قزوین.

و مما يجدر ذكره هنا أنها كانت كثيره التشنيع و العدا و التهجم على ناصر الدين شاه القاجارى و كشف مظالم البلاط القاجارى و خاصه بعد قتل أختها قره العين على يد الشاه فى سنه ١٢٦٨ و لكن لم يتعرض لها ناصر الدين شاه بشىء. لها آثار و ماثر، منها توسيع و تجديد بناء مدرسه خالها الشيخ الميرزا عبد الوهاب الشريف القزوينى و من مؤلفاتها بعض الحواشى على

الكتب الفقهيه و الفلسفيه، مجموعه الرسائل، رساله فى العرفان، مجموعه مكاتيب، ديوان شعر كلها موجوده فى مكتبه أحفادها فى قروين(٣)

مرهون الصفار ابن حسن.

ولد فى بغداد سنه ١٣١٥، و فيها نشا ثم انتقل إلى النجف موظفا فى المحكمه الشرعيه، ثم تنقل فى وظيفته فى عدّه مدن عراقيه. نظم الشعر باللغه المحكيه. و له فيها ديوان مطبوع باسم (الدرر اللماعه فى سبيل الشفاعه). و من شعره قوله فى مدينه بيروت و قد زار فيها ولده المريض بالسل و شهد وفاته فيها:

عروس الشرق و الغرب و دنيا الضاد و العرب

لديك الأعين النجل سكارى بالهوى تصبى

و إن لم تقتل الألاحظ عشاق الهوى تسبى

ثوى حبك فى قلبى و فيك قد ثوى (قلبى)

عروس الشرق يا بيروت فيك بهجه الدنيا

رياض العلم و الآداب فى أرجائك تحيا

و شعب دأبه الإصلاح يرقى لسما العليا

سقتك المزن يا بيروت أمواه الحيا سقيا

عروس الشرق لا غرو إذا ما كنت فتانه

فكم من يعشق العليا لكى يعلى لها شانها

و كم غر يرى فيك حليف الخمر و الحانها

فدو العقل و ذو الجهل لقد أصبحت ميزانه

عروس الشرق بيروت لأنت موطن الأنس

فأنت جنه المأوى و أنت منيه النفس

و مذ زرتك أذهلت و سيطرت على حسى

أ يعلو فيك (لبنان) و في بحر الأسي أمسى
عروس الشرق بيروت أ هذى لجه البحر
أم الدمع على الأحباب من آماقك يجرى
أ هذى زفره العشاق قد جاشت من الصدر
و هل ذا دمع مظلوم جرى من سطوه الدهر
عروس الشرق و القلب إلى غيرك لا يهفو
لرؤياك تعشقتا و قد شوقنا الوصف
عسى أن يهنأ العيش إلينا فيك أو يصفو
فعدنا منك ذا ييكى و ذا تحت الثرى يغفو
ص: ٣١٩

-
- ١- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٢ ص ٧.
 - ٢- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٣ ص ١٣٦-١٣٧.
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

مريم بيگم بنت الشيخ محمد تقى ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد تقى

ابن الشيخ مقصود على المجلسى الأصفهانى.

توفيت بعد سنه ١١٥٩ و دفنت فى مقبره آل المجلسى المعروفه فى أصفهان عامله [عالمه] فاضله أديبه من ربات الفصاحه و البلاغه و الزهد.

قرأت المقدمات و فنون الأدب و العرييه على رجال أسرتها آل المجلسى و أمها العالمه زينب بيگم و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ محمد تقى ابن الشيخ الميرزا محمد كاظم ابن الشيخ عزيز الله بن محمد تقى المجلسى الأصفهانى المتوفى سنه ١١٥٩ و المترجم فى المجلد التاسع صفحه ١٩٧ من أعيان الشيعه.

ذكرها السيد مصلح الدين المهودى مع ترجمه أمها العالمه العارفه زينب بيگم بنت الشيخ محمد سعيد المتخلص بأشرف ابن الشيخ محمد صالح المازندرانى المار ذكرهما (١)

السيد الميرزا مسعود شيخ الإسلام ابن السيد الميرزا مفيد شيخ الإسلام

ابن السيد حسن بن تقى بن باقر بن تقى بن بهاء الدين بن محمد شفيح بن بهاء الدين محمد بن كمال الدين حسين (و هو أول من عين بمنصب شيخ الإسلام) ابن عبد العال بن المير حسين الكركى العاملى "أول من هاجر من جبل عامل إلى قزوین" ابن على بن حسن بن حسين بن جعفر بن على بن عبد الله بن مفضل بن أحمد بن جعفر بن محفوظ بن حسن بن عدنان بن جعفر بن أبى محمد بن حسن بن عدى بن محمد الملقب بالديباج ابن الامام جعفر الصادق (ع) العاملى الأصل القزوینى المولد و المنشأ و المدفن.

من أعيان العلماء المبرزين و أكابر المتكلمين شيخ الإسلام بقزوین.

ولد فى قزوین حدود سنه ١٢٦٠ و قتل على يد المطالبين بالانقلاب الدستورى "المشروطه" فى داره فى ربيع الثانى سنه ١٣٢٧ و دفن فى سرداب داره ثم نقل جثمانه إلى بقعه الأنبياء "بيغمبريه [بيغمبريه]" حسب وصيته و قبره مزار معروف فى قزوین.

آل شيخ الإسلام و يقال آل شيخ الإسلامى: من أقدم البيوت العلميه العلويه العامليه القزوینيه و أشرفها و أشهرها تحلوا بالعلم و الرئاسة و الزعامه و بزغ بدرهم فى أفق قزوین فى القرن العاشر للهجره و اشتهروا بلقب شيخ الإسلام الذى كان منصبهم فى قزوین. و أول من عين فى هذا المنصب من هذه الأسره هو السيد كمال الدين حسين الجد الأعلى للمترجم حسب فرمان من السلطان الصفوى موجود عند أحفادهم حتى اليوم. و هم من أصل علوى حسينى هاجر جدهم السيد حسين من جبل عامل إلى قزوین حينما كانت قزوین عاصمه الدوله الصفويه و هم غير الأسره العلويه الرضويه العلميه العامليه الثانیه التى هاجر جدها السيد جعفر من جبل عامل فى عصر نادر شاه الأفشارى و أنعم عليه الشاه بلقب صدر الصدور، و الذى مر ذكره و قد تالق ضوء أسره المترجم و طار صيتها حين نبوغ جدها الأعلى السيد كمال الدين حسين الذى عين بمنصب شيخ الإسلام فى قزوین ثم توارث المنصب أبناؤه الغر الأمائل خلفا عن سلف و تكونت على مرور الأعوام منهم أسره علميه نبغ منها علماء أعلام و شعراء أفذاذ

كما حاز رجال منها الرئاسة الدينية و الدينويه و الزعامه العلميه و منهم السيد محمد شفيح بن بهاء الدين محمد شيخ الإسلام من أعظم علماء عصره المتوفى سنة ١١٢٥ و السيد محمد شفيح الثاني ابن بهاء الدين بن السيد محمد شفيح الأول المتوفى سنة ١٢٠٠ صاحب المؤلفات الكثيره [الكثيره] التي منها كتاب محافل المؤمنين و هو مستدرک على مجالس المؤمنين و كان شاعرا أدبيا. و منهم السيد ميرزا مفيد والد المترجم له المتوفى سنة ١٢٩٣ شيخ الإسلام في عصره و منهم نجل المترجم له السيد ميرزا حسن رئيس المجاهدين المتوفى سنة ١٣٣٣ و غيرهم من الأعلام و العلماء و الشعراء.

ولد المترجم له في قزوین و أخذ المقدمات و العلوم العربيه و فنون الأدب على أفاضل علماء عصره ثم حضر في الفقه و الأصول على والده شيخ الإسلام الميرزا مفيد و خاله الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى الصالحى المتوفى سنة ١٢٩٤ و كذلك العلوم العقلية حتى برع ثم توجه إلى العتبات المقدسه في العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى في كربلاء و النجف الأشرف و تفقه على مدرس الطف الشيخ الميرزا على تقى البرغانى الحائرى آل الصالحى و أخذ الحكمة و الفلسفه و الأصول عن الشيخ الميرزا علامه البرغانى الحائرى الصالحى و كان كثير التتبع واسع الاطلاع و الاحاطه تصدر للتدريس و الفتوى في كربلاء و هو سبط الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و أثناء إقامته في كربلاء تملك عقارات والدته العالمه الفاضله خديجه سلطان المار ذكرها و سجلها باسمه أيام الحكم العثمانى و لا تزال باسمه حتى اليوم ثم عاد إلى موطنه قزوین و تزعم كرسى التدريس و الفتوى و انتهت إليه الرئاسة و زعامه البلده قائما بالوظائف الشرعيه و مرجعا للخاص و العام.

و عند ما ثار الشعب الايرانى بزعامه أبى الأحرار الآخوند ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه المتوفى سنة ١٣٢٩ على النظام الدكتاتورى و الاستبداد الشاهنشاهى مطالبين بالنظام الدستورى كان المترجم له و نجله الميرزا حسن شيخ الإسلام المعروف برئيس المجاهدين في طليعه الثوار إلا- أن بعض الأحداث و الأخطاء و الالتباسات التي حصلت و التي يطول علينا شرحها هنا أدت إلى انشقاق بعض العلماء الثائرين عن الثوره في معظم المدن الإيرانيه و حتى العاصمه طهران الذي كان يتزعم حركه المنشقين فيها الشيخ فضل الله النورى الذي أعدم في ١٣ رجب سنة ١٣٢٧ و من الأسباب التي أدت إلى معارضه المترجم له في قزوین، وصول يفرم خان الأرمنى في سنة ١٣٢٦ إلى قزوین في طريقه إلى رشت و كان يفرم خان هذا من الثوار المطالبين بالانقلاب الدستورى "مشروطه" فخرج أهالى قزوین المطالبين بالانقلاب الدستورى لاستقباله بصفته أحد زعماء الثوره و كانوا يهتفون (زنده باد حامى إسلام يفرم خان أرمنى) أى عاش حامى الإسلام يفرم خان الأرمنى و عارض المترجم له مثل هذه الهتافات و قال كيف يمكن للأرامنه أن يكونوا حماه عن الإسلام و اشتد النزاع و هذا من أقوى العوامل في انشقاق المترجم له عن الثوار و ظل نجله السيد الميرزا حسن شيخ الإسلام في صفوف الثوار فلقب فيما بعد برئيس المجاهدين.

و في ربيع الثانى من عام ١٣٢٧ زحف الثوار من رشت و سائر المدن الإيرانيه لفتح العاصمه طهران و القبض على السلطان محمد على شاه القاجارى و دخلوا مدينه قزوین في طريقهم إلى طهران و انضم إليهم ثوار قزوین فترك معظم المعارضين مدينه قزوین و عرض على المترجم له أن يذهب إلى إحدى القرى المجاوره حتى تهدأ الأوضاع فأبى أن يترك قزوین و ظل في

داره و عند وصول الثوار إلى قزوين حاصروا دار المترجم له و دخلوا عليه و كانت له دار واسعة لها ساحه كبيره فامتألت داره بالثوار و حضر بنفسه إلى الشرفه المطله على ساحه الدار و أخذ يخطب فيهم عن أسباب معارضته و لكنهم أمطروه بالرصاص و أردوه قتيلا و ظل جثمانه حتى الظهر فى الشمس و لم يجرؤ أحد أن يتقدم لدفنه. و عند الظهر تقدم علماء أسره آل البرغانى و التحق بهم ابن خالته و عمائمهم فى رقابهم حفاه الأقدام فى موكب مهيب متوجهين إلى دار المترجم له و الناس مصطفون على جوانب الشوارع ينتظرون حوادث خطيره حتى دخل الموكب إلى داره الواقعه فى شارع سپه و حمل جثمانه إلى ساحه البيت و غسل ثم دفن فى سرداب داره مؤقتا حتى تهدأ الأوضاع و تضع الحرب أوزارها و تنفيذاً لوصيته نقلت بعد ذلك رفاتة إلى مثواه الأخير فى بقعه الأنبياء " بيغمبريه [بيغمبريه]" و رثاه جماعه من الشعراء و منهم الشاعر القزوينى المتخلص برفعت و هو العالم المتصوف الشيخ عباس على الكيوان بقصيده جاء فيها:

از گلشن ختم رسل و باغ مفيد افکند گلى که بود مسعودش نام

بگشود قضا کمان و از شست قدر تيرى بطواف قلب او بست إحرام

رخ کرد سوي مضجع اصلی با شوق تاريخ برفعت اين جنين [چنين] شد الهام

با أول أعداد بميزان حساب جوئى بجنان منزل شيخ الإسلام

۱۳۲۷ ذکره والدى قدس سره فى كتابه (الغرر و الدرر) و ترجمته فى (كربلاء فى حاضرها و ماضيها) و من آثاره و ماثره الباقية فى قزوين مدرسه دينيه عظيمه و مسجد كبير واقعين فى شارع سپه بالقرب من داره و المدرسه و المسجد لا يزالان عامرين بالطلاب و المعلمين (1)

الشيخ مسلم الجابري ابن الشيخ محمد.

ولد فى النجف سنه ۱۳۳۱.

توفى والده و عمره سنتان فكفله خاله، ثم توفى الخال و عمر المترجم ثمان سنين فرعته والدته و وجهته وجهه خطاييه حسينيه، فبرع فى ذلك، و تخرج من كليه الفقه فى النجف، ثم فاجاه مرض خبيث قضى عليه و هو فى عنفوان نضوجه. و قد ترك عدده مؤلفات منها: شرح خطبه الزهراء ع، الغلط المشهور و قد ذكر فيه الكلمات اللغويه التى اشتهرت مغلوطة، مجموعته شعره.

و من شعره قوله من قصيده:

زهرة قد جمع الله بها كل طيب و جمال باهر

عرضتها روضه الحسن لنا فتنه القلب و سحر الناظر

علقت روحى بها لما رأته وجهها يزهو بحسن ساحر

أنا لو قبلتها لاحترق من زفيرى و شعورى الثائر
كنت لا أعرفها فيما مضى ليتنى أجهلها فى حاضرى
ولع القلب بها فامتزجت بدمائى و مشت فى خاطرى
لا تلمنى إن أنا أحببتها و أحببتنى بقلب طاهر
فلأنا من وجود صانه قدسه عن كل حس فاجر
إنما الحب شعاع قد سما أفقه عن كل قلب داعر
زهرتى لا كالأزاهير فقد خالفتها فى الجمال الآسر
إنها أنشوده غنى بها للهوى قيثار صب حائر
زهرتى إنى لحن صاخب يقحم الروح بسيل هادر
نخوتى سارت بصحبي مثلا و إبانى كالصباح السافر
و قال راثيا من قصيده:

قد هد صرح للفضيله عامر فبكت علاه منابر و منائر
و هوى من الإسلام ركن ثابت و خبا من الايمان نجم سائر
و تعطلت للعلم منه مدارس و استوحشت للدرس منه محاضر
بكت الفضيله مجدها بمدامع يحكى غزارتها السحاب الماطر
يا ظافرا بالخلد و هو جزاؤه عش خالدا أبدا و أنت الظافر
هذى نواظرنا تود لو أنها ضمتك، كيف و أنت منها الناظر
هذى حياتك تزدهى بماثر غر و يشكرها الزمان الكافر
حاولت إصلاح الشباب بمنهج فى نوره يهدى الشباب الحائر
يا باعث الإصلاح عزما نائرا و يحقق الإصلاح عزم نائر

ما زعزعتك عواصف الجهل التي هبت و لم يردعك قلب واغر

قد عشت لم تعلق بثوبك و صمه و رحلت و الأيام فيك تفاخر

الشيخ مصطفى زمانى

ولد فى مدينة نجف آباد باقليم أصفهان عام ١٣٥٣ و توفى سنة ١٤١١ فى قم درس العلوم الدينيه فى مسقط رأيه [رأسه] ثم هاجر إلى قم و درس على علمائها، أسس عام ١٣٩٠ مجله (پیام [پیام] اسلام - نداء الإسلام) و استمر فى تحريرها عدة سنوات و كانت تلك المجله تربطه بشتى التيارات الفكرية كانديه الطلبة الجامعيين و المعلمين و غيرهم. قام بتأليف و ترجمه عشرات الكتب الإسلاميه (٢).

الحاج مظفر باكرزاد باك زاد

الفاضل الأديب البارع، كان من أخص أصدقاء العلامة الكلينارى المنشوره ترجمته فى المجلد الثالث، و المتوفى سنة ١٤٠٣ و المعاون له فى بعض نشاطاته العلميه فى تركيا.

له آثار مطبوعه، و قد نقل بعض الكتب إلى التركى منها:

١ - الشهيد، المطهرى.

٢ - أصول الدين، للصابرى التبريزى.

٣ - الأعمال الدينيه، له أيضا (٣).

مظفر الدين شاه

"مظفر الدين شاه قاجار". ملك إيران. ثانى أبناء "ناصر الدين شاه قاجار". ولد سنة ١٢٦٩ هـ. و توفى سنة ١٢٧٧ [١٣٢٤] هـ، و عند ما كان فى الثانيه من عمره، أرسل إلى أذربيجان واليا عليها. و أرسل معه "رضا قلى خان هدايت" (٤) مرييا و "عزيز خان المكرى" (٥) القائد العام و كيلا

ص: ٣٢١

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ على أكبر مهدي بور [مهدي پور].

٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٤- أديب شاعر له مؤلفات.

٥- من كبار العسكريين و مشاهيرهم.

و "الميرزا فتح علي خان صاحب الديوان" (1) معاونا.

و في أواخر ذى الحجه سنة ١٢٧٨ هـ، و كان في التاسعه من عمره، نصب وليا للعهد. و لما وصل إلى منصب السلطنه كان قد أصبح شيخا ضعيفا منهوكا مريضا بلا إرادته.

و في سنة ١٢٨٤ هـ، و كان في الخامسة عشره من عمره، تزوج بابنه عمته "تاج الملوك" الملقبه بـ "أم الخاقان" بنت "الميرزا تقى خان أمير كبير"، و أقيم لعرسه احتفال فخم جدا. و في شهر صفر سنة ١٢٩٣ هـ، و كان لا يزال وليا للعهد، غادر تبريز إلى طهران و أقام فيها. و في تلك السنه طلق زوجته هذه.

و يوم كان "مظفر الدين شاه" مقيما في تبريز وليا للعهد عرف عنه أنه اتبع عقيدته الفرقة الشيعيه. فبعث إليه "فرهاد ميرزا" عم أبيه برسالة نبهه فيها إلى هذا الأمر و قال في رسالته إن العلماء غير مرتاحين إليك و لا يحسنون بك الظن. و يجب عليك الاحتفاظ بالمظاهر و مراعاتها في كل الأمور.

في ٢٥ ذى الحجه سنة ١٣١٣ هـ، بعد انقضاء شهر و ثمانية أيام من مقتل "ناصر الدين شاه"، وصل "مظفر الدين شاه" إلى طهران قادما من تبريز، و تولى مهام الملك مع الصدر الأعظم "الميرزا علي أصغر خان أمين السلطان".

كانت أوضاع إيران، بعد "آغا محمد خان" مؤسس سلسله الشاهات القاجاريين، لا تنفك تزداد فسادا يوما بعد يوم. و الذين شبهوا "مظفر الدين شاه" بالشاه "سلطان حسين الصفوي" أحسنوا التشبيه. فقد كان شديد الغباء غير أهل للمسئوليه ضعيف النفس مهملا. و من ثم كان آله بلا- إرادته في يد البلاطيين و الحواشي الطماعين النفعيين الذين لا تعنيهم شؤون المملكه في شيء.

و حين كان وليا للعهد يقيم في تبريز استدعاه مره أبوه "ناصر الدين شاه" إلى طهران، و أقامه فيها، و هو غاضب عليه. ثم جرى له بمعلم يعلمه الحساب. فقضى مده طويله لم يستطع أن يصل فيها إلى تعلم الطرح فضلا عن الضرب و التقسيم. و كل ما كان يشغل فكره في تلك المده هو تعلم لعبه الشطرنج! و لم يكن يعجب أباه. قرئ عند أبيه مره في إحدى الجرائد ثناء على ولي عهد هذا فنفر من ذلك و أمر بتغيير الموضوع.

و كان في حاشيه "مظفر الدين شاه" أربعة رجال يسيطرون عليه هم الطبيب "الميرزا محمود خان" الملقب بـ "حكيم الملك" و فقيه عرف باسم "السيد البحريني" و ابن لهذا السيد اسمه "حسين" و لقبه "بصير السلطنه" و وزير البلاط "حسين باشا خان" الملقب بـ "أمير بهادر"، و هو من كبار العسكريين. فكان "مظفر الدين" يعد الأول حافظ صحته و الثاني مستجاب الدعوه و الثالث مسامره و الرابع حافظ حياته. و الأربعة يسارعون إلى المغنم من هنا و هناك أينما كان و كيفما كان! كان هذا الشاه سليم النيه عطوف الطبيعه كارها للشر و سفك الدماء ضعيف المزاج كئيب الخاطر ساذجا سريع التصديق معدوم الإراده لا يثبت على رأى، كثير النسيان حتى أصبح لعبه في يد البلاطيين الفاسدين. و كان لا يمتنع عن الاستجاب له لما يستاء منه الناس من طلبات يرفعها إليه الطماعون، تكله عاجزا عن الابتكار في العمل حتى أدت هذه الحال إلى تفاقم الفساد في أمور الحكم كلها. و أصبحت مناصب الحكم على الولايات و المحافظات و أمثالها من المناصب الحكوميه توضع في المزاد علانيه، و ابتذل الإمضاء

الشاهاني حتى عاد لا اعتبار له. و كان لا حظ له من علم بالتاريخ و السياسة.

قصير النظر. سيئ الفصل فى الأمور التى تعرض له. شديد الولع بمشاهدته " الشبيه "، و هو تمثيل واقعه كربلاء فى أيام المحرم. و كان على قدر لا بأس به من المهارة فى الرمايه و معرفه أصولها. مفرطاً فى حب القبط. لا يعجبه سلوك أبية. كارها لكل شكل من أشكال القسوه و الظلم. و لكنه ينقاد كل الانقياد لكل ما يكلفه به أنسباؤه و يذعن كل الإذعان لما يطمع فيه الأجانب من امتيازات فى إيران و استثمار لها.

و فوق هذا كان "مظفر الدين شاه" يؤمن بالخرافات. رعيديا.

و ذكروا أنه كان يخاف خوفا شديدا من العواصف و الرعد و البرق و المطر.

و كان يحتفظ بعباءه "السيد البحريني" فى صره خاصه يضعها فى حقيبته عهد بها إلى ابنه "السيد حسين بصير السلطنه" يرافقه بها فى حله و ترحاله. فإذا وقعت ظاهره من تلك الظواهر الطبيعیه بادر فجاء بها فارتداها لائذا بها.

و يروى أن "مظفر الدين شاه" لما سافر إلى أوروبا أول مره رفض الصدر الأعظم الأتابك "على أصغر خان أمين السلطان"، و كان يرافق الشاه فى سفره هذا، أن يصطحبوا حامل العباءه معهم إلى أوروبا، و أراد أن يبقيه فى طهران و يتولى هو حمل العباءه بدلا منه. و لكن الشاه أصر على اصطحابه. فبذل "أمين السلطان" لحامل العباءه "بصير السلطنه" مبلغا كبيرا من المال ليرضى بالبقاء فى طهران فلم يقبل. و انتهى الأمر إلى أن صحبهم إلى أوروبا.

و يروى أيضا أن "مظفر الدين شاه" كان أحيانا يعطى "السيد البحريني" مبلغا من المال ليفرقه على الفقراء. فكان "السيد البحريني" يحمل المال إلى بيته، و ينزع الثياب عن أجسام أبنائه ثم يعطيهم ذلك المال.

فإذا لقي الشاه بعد ذلك قال له: لقد أعطيت المال من لا ثياب على أبدانهم تسترها.

و من أقوال صدره الأ-عظم الأتابك "أمين السلطان" فيه: "لم أشتم أحدا من صميم قلبى قط. و لكنى اليوم، و قد جاء مظفر الدين، أجدنى مجبرا على اللعن. إذ لم يأتنا شاه على مثل هذه الحماقه. و قلما تجد أبله كهذا الأبله. فى عهده أنزلوا بايران كل ما استطاعوا إنزاله من النوائب. و أسلموا خزانه الدوله و عرض الأمه و شرفها إلى التبار".

أعطى "مظفر الدين شاه" روسيا امتيازاً بإنشاء بنك رهون فى إيرانسنه ١٩٠٠ م الموافق سنه ١٣١٨ هـ. و أعقب هذا الامتياز إقراض روسيا إيران مبلغا من المال، جعل ضمانه وضع جميع الجمارك الإيرانية، ما عدا جمارك الخليج، فى تصرف الروس. و عين هؤلاء من قبلهم موظفين اختاروهم من البلجيكيين و جعلوهم على إداره أمور الجمارك. و أعقب هذا القرض قرض آخر فى سنه ١٩٠٢ م الموافق سنه ١٣٢٠ هـ كان شرطه إعطاء روسيا امتياز وصل بعض المدن الإيرانية ببعض بطرقات مبعده. و قد استغلب.

١- من كبار حكام الولايات و متولى الوظائف المهمه. و وظيفه " صاحب الديوان " كانت تطلق بمعنى " ناظر الميزانيه العامه ". و من اواسط حكم القاجاريين فما بعد أصبحت مجرد لقب لا تعنى منصبا من المناصب.

رجال البلاط و حاشيه " مظفر الدين شاه " جهله فجعلوا هذين القرضين نهبه بينهم فى إيران و فى أوروبا فى أثناء رحلاته إليها.

و أعطى هذا الشاه سنة ١٩٠١ م الموافقه سنة ١٣١٩ ه الإنكليز امتياز استنباط النفط فى جنوب إيران إلى مده ستين عاما فى مقابل حصه زهيده جدا من العائدات لايران. و يسرت الأموال التى رشوا بها الإنكليز الصدر الأعظم " أمين السلطان " و وزير الخارجيه و غيرهما من الكبار الحصول على هذا الامتياز.

و فى سنة ١٩٠٢ م الموافقه سنة ١٣٢٠ ه عدلت تعرفه الجمارك الإيرانيه بما ينفع الروس و يضر بالانكليز. و ساعد على ذلك سرا الأتابك الأعظم "الميرزا على أصغر خان أمين السلطان". و أدى هذا العمل و أمثاله من الانحياز إلى الروس و مضاده الإنكليز إلى سلسله من الفتن أثارها الإنكليز فى إيران، و استمرت إلى ما بعد وفاه " مظفر الدين شاه " حتى أنهت انكلترا و روسيا ما بينهما من تنافس على إيران بعقد معاهده بينهما فى ٣١ آب سنة ١٩٠٧ م الموافق ٢١ رجب سنة ١٣٢٥ ه، تقاسمتا بها النفوذ فى المملكه الإيرانيه بتحديد حدود معينه لكل من النفوذيين. و فى نفس ذلك اليوم الذى عقدت فيه هذه المعاهده اغتيل الأتابك الأعظم " أمين السلطان " صديق الروس، و هو خارج من المجلس النيابى فى عهد "محمد على شاه" خليفه " مظفر الدين شاه"! و يرى بعض المؤرخين أن " أمين السلطان " هذا كان يراهن على حياته يوم حقق تعديل تعرفه الجمر كيه الأنف الذكر. و جرت تلك الامتيازات التى أعطاها " مظفر الدين شاه " ديولا من الامتيازات الأخرى للدولتين الأجنبيةتين الطامعيتين استمرت إلى أواسط سنة ١٩١٤ م الموافقه سنة ١٣٣٣ ه.

سافر " مظفر الدين شاه " إلى أوروبا ثلاث مرات. و كل سفراته هذه كانت بقصد النزاهه و الاستجمام. و نفقاتها من تلك الأموال التى كانت تقترضها الحكومه الإيرانيه من الأجانب و يجر اقتراضها وراءه تلك الامتيازات التى أصبحت إيران تنوء بها. بل لم يكن الداعى إلى تلك القروض سوى توفير نفقات سفر " مظفر الدين شاه " إلى أوروبا.

و فى سفره الأول سنة ١٩٠٠ م الموافقه سنة ١٣١٧ ه تعرض فى باريس لمحاولة اغتيال و نجا منها. و روى أحد مرافقيه فى سفره الثانى سنة ١٩٠٢ م الموافقه سنة ١٣٢٠ ه أن ركوب البحر لعبور مضيق "بادوكاله" كان مصيبه على " مظفر الدين شاه " لما انتابه من رعب من ركوب البحر، مع أن الماء كان ساكنا و سطحه كالمرآه و السفينه تمخر هادئه لا يصدر منها أدنى اضطراب. و كان حضور ابن " السيد البحرى [البحرينى] " مطمئنا له بعض الشيء.

فى كل ثلاث سنوات كان يتنابه هاجس السفر إلى أوروبا. و يحسن له ذلك و يحرضه عليه الفاسدون من البلاطيين و رجال الحاشيه إذ كان هذا السفر موسم ربح و نزاهه و استجمام لهم.

و فى سفره الثالث، و هو آخر سفراته، أشاع أنه مسافر إلى مشهد لزياره مقام الامام الرضا (ع)، و نصب ولى عهده " محمد على ميرزا " نائبا عنه مده غيابيه. و لكنه اتجه إلى أوروبا بدلا من مشهد. فآثار هذا العمل نغمه العامه عليه و استياءهم منه. و أغلقت الأسواق خمسه أيام إظهارا للاستياء و الاعتراض على هذا السفر. و تحصن كثير من التجار فى مقام " شاه عبد العظيم ". و قام بسفره هذا سنة ١٣٢٣ ه الموافقه سنة ١٩٠٥ م. و تجمعت تلك التصرفات لتحمل العامه على كره هذا الشاه، فمن جهه تبذيره المال عبثا و ولعه بالسفر إلى الخارج و تسلط الموظفين البلجيكيين و التعرفه الجمر كيه الجديده و استغلال الأجانب أصحاب الامتيازات للبلاد، و من جهه أخرى ظلم رجال البلاط و الحاشيه ظلما تجاوز حد الاحتمال.

و مهما تكن الأسباب و الدوافع التي أدت إلى إقرار النظام البرلماني في إيران فان هذا النظام أقيم في زمن سلطنه "مظفر الدين شاه"، قبل وفاته بعشره أيام. و كان إقراره يوم ١٤ جمادى الثانيه سنه ١٣٢٤ هـ الموافق يوم ٥ آب سنه ١٩٠٦ م.

ملك "مظفر الدين شاه" عشر سنوات و سبعة أيام. و توفي بطهران في ٢٤ ذى القعدة سنه ١٣٢٤ هـ، و هو في الخامسة و الخمسين من عمره، و قد انتابته أمراض مختلفه. و دفن جثمانه مؤقتا في طهران، ثم نقل بعدها إلى كربلاء حيث دفن في حرم الامام الحسين (ع). و خلفه على العرش ابنه ولى عهده "محمد علي ميرزا".

السيد مظفر علي بن السيد مدد علي

ولد سنه ١٢٢٩ في قضاء لكهنو (الهند) و توفي سنه ١٢٩٩.

درس في بلده ثم جاء لكهنو فأتى دراسته على أكابر علمائها، ثم انصرف إلى السياسة و الشعر. ترك ديوانا شعريا. و ترجم شعرا كتاب (حسن اليقين)، و نسخه الترجمة موجوده في مكتبه واجد علي شاه في بلده (ميتابرج) بالهند.

السيد الميرزا مفيد شيخ الإسلام ابن السيد الميرزا حسن شيخ الإسلام ابن

السيد تقى شيخ الإسلام

ابن السيد باقر شيخ الإسلام ابن السيد تقى شيخ الإسلام ابن السيد بهاء الدين شيخ الإسلام ابن السيد الأمير محمد شفيع شيخ الإسلام ابن السيد الميرزا بهاء الدين محمد شيخ الإسلام ابن الميرزا كمال الدين حسين شيخ الإسلام ابن عبد العال ابن السيد المير حسين الكركي العاملي القزويني و باقى النسب ذكر في الميرزا مسعود.

توفي حدود سنه ١٢٩٣.

آل شيخ الإسلام: من مشاهير الأسر العلميه العلويه العامليه القزوينيه بزغ بدر هذه الأسره في أفق قزوين و اشتهرت بعنوانها شيخ الإسلام الذي صار علما لها منذ عهد جدهم السيد حسين الكركي العاملي سبط المحقق الكركي الذي هاجر من جبل عامل إلى قزوين في القرن العاشر للهجره. و لقب شيخ الإسلام حملوه منذ عينوا به من قبل الملوك الصفويه حينما كانت قزوين عاصمه الدوله الصفويه و ظلوا يتوارثونه خلفا عن سلف.

و أول من عين شيخ الإسلام من هذا البيت الجليل بمقتضى فرمان صفوى لا يزال موجودا عند الأحفاد حتى اليوم هو السيد الميرزا كمال الدين حسين الذي ذكره في أعيان الشيعة في ترجمه حفيده السيد محمد شفيع و قال (...)

السيد كمال الدين حسين شيخ الإسلام بقزوين ابن عبد العال ابن المير السيد حسين الكركي العاملي سبط المحقق الكركي (...)(١)

١- انظر أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٦٤ بيروت دار التعارف.

نبغ من هذه الأسره الجليله علماء أعلام و شعراء أفذاذ و فقهاء مراجع و زعماء عرفوا بعلو الهمه و الصلاح و وصفوا بالعفه و الآباء الكرم و الأخلاق الحميده. منهم شيخ الإسلام السيد المير محمد شفيع الأول المتوفى سنه ١١٢٥ و شيخ الإسلام السيد محمد شفيع الثانى المتوفى سنه ١٢٠٠ صاحب كتاب محافل المؤمنين فى مستدرک مجالس المؤمنين و السيد الميرزا مسعود شيخ الإسلام المتوفى سنه ١٣٢٧ صاحب المدرسه المسعوديه و غيرهم الآتى كل منهم فى محله إن شاء الله.

ولد المترجم له فى قزوين فى بيت علم و رئاسه و نشا نشاه عاليه فتلقى مقدمات العلوم و الصرف و النحو و العربيه و فنون الأدب عن رجال أسرته و أعلام قزوين منهم والده شيخ الإسلام بقزوين ثم حضر فى الخارج على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ و شقيقه الشهيد الثالث المستشهد سنه ١٢٤٣ و أخذ الفلسفه و العرفان على الآخوند الشيخ آغا الحكمى القزوينى و لازم الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى و اختص به و تزوج ابنته العالمه الفاضله خديجه سلطان خانم المار ذكرها و انتهى إليه منصب شيخ الإسلام بعد وفاه والده و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و كان من أكابر زعماء الدين و فرسان البيان و متكلمى الشيعه.

خلف المترجم خمسهُ أولاد ذكور من زوجته خديجه سلطان بنت الشيخ محمد صالح البرغانى و هم السيد الميرزا بزرگ و السيد الميرزا منصور و السيد الميرزا محمود و هؤلاء الثلاثه مالوا إلى الشيخيه. و السيد الميرزا مسعود و السيد الميرزا إسماعيل كانا على عكس ذلك... و انتهى منصب شيخ الإسلام بعد وفاه المترجم له إلى ولده السيد الميرزا مسعود شيخ الإسلام المقتول فى سنه ١٣٢٧ على يد المطالبين بالانقلاب الدستورى (المشروطه) و هو صاحب المدرسه المسعوديه فى قزوين المار الذكر و قد رأيت وقفه مكتبه المترجم التى خصص لها جناحاً ضخماً من داره و موقوفات كثيره و جعل التوليه بيد ولده السيد الميرزا مسعود شيخ الإسلام و نظاره لولده السيد الميرزا إسماعيل و قد صرح فى الوقفيه باستيائه من أولاده الثلاثه الذين مالوا إلى الشيخيه و نص فيها على أن ليس لهم الحق فى التصرف أو المداخله فى مكتبته العامه و له مؤلفات و بعض الحواشى و التحقيقات موجوده عند أحفاده فى طهران و قزوين و له آثار أخرى منها سوق فى قزوين معروف بقيصريه شيخ الإسلام لا يزال فى تصرفهم (١)

الشيخ المقرئ أبو الحسن و يقال أبو محمد مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب

البرقى المصرى

نزىل الإسكندريه.

ولد سنه ٥٠١ و توفى فى الإسكندريه فى السادس من شعبان سنه ٥٧٩ و دفن بها.

مفسر شيخ مقرئ معروف فى مصر هاجر من إيران و سكن مدينه الإسكندريه و أخذ العلم عن جماعه منهم: الشيخ جعفر بن إسماعيل بن خلف النحوى المصرى نجل مؤلف كتاب العنوان المتوفى سنه ٤٥٥ و يروى المترجم له كتاب العنوان عن استاذه الشيخ جعفر النحوى ابن المؤلف و هو يروى كتاب العنوان عن والده. ذكره شيخنا فى طبقات أعلام الشيعه و قال (... و لعل المترجم له من أحفاد البرقيين القميين) (١) و ترجمه أيضا الشيخ شمس الدين محمد الجزرى المتوفى سنه ٨٨٣ فى كتابه (طبقات القراء) ج ٢ ص ٣٠٨ و غيرهما (٢)

المعروف ب (مقيما) و المشتهر ب (فوجي).

توفى فى نيسابور سنه ١٠٧٥ و كان له من العمر اثنان و أربعون سنه.

من أسره نيسابوريه تسلسل فيها الشعر، فأبوه ملا قيدي، و إخوته (عظيما) و (كريما) من الشعراء. و قد سافر أبوه ملا قيدي إلى الهند فى عهد شاه جهان و فى رجوعه من مدينه (فوز عظيم) سنه ١٠٦٤ توفى، كما يروى ابنه ملا عظيما.

على أنه يقال أن ابنه المترجم ملا مقيما كان قد سافر إلى الهند قبل أبيه و كان يسكن فى مدينه أوريسه، و كان ملازما للحاكم جان بيك، و كان يزور ابن الملك مرارا فى مدينه مولتان (السند)، و تملك فيها بستانا سنه ١٠٥٣.

و مهما يكن من أمر فإنه بعد إقامه عدّه سنين فى الهند و السند سافر إلى مكه ثم إلى كربلاء و النجف، و عاد من هناك إلى أصفهان، ثم إلى موطنه نيسابور.

و فى أصفهان التقى نصير آبادي الذى يصف المترجم ببساطه الشعر و لطف البيان.

توجد نسخه من ديوانه فى مكتبه المتحف البريطانى، و فيه خمسه آلاف بيت، ما بين قصيده و رباعيات و غزل.

و له قصائد فى مدح الأئمه ع، و فى مدح مراد ابن الملك و مدح جان بيك، و فى غزلياته و قصائده أفكار عرفانيه، و أسلوبه فى غايه السلاسه. و هو يشبه فى شعره أشعار الخاقاني و الأنورى.

مكى بن أحمد بن سعدويه البرذعى.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته إلا أنه كان من أكابر علماء الشيعة فى أوائل القرن الرابع للهجره أخذ الفقه و الحديث و الفنون الإسلاميه على أفاضل علماء عصره و يروى عن جماعه منهم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد بن مسيب البيهقي و أبى عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقي و أبى منصور محمد بن القاسم بن عبد الرحمن العتكى.

و يروى عن المترجم له الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني الأسوارى الذى كان من مشايخ الشيخ الصدوق المتوفى سنه ٣٨١.

و المترجم له من أسانيد كتاب التوحيد للشيخ الصدوق فى (دعاء يا من أظهر الجميل) و حديث الديك و غيره من الأحاديث. ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعة (٣)

مهدي جلالى

ولد بطهران عام ١٢٨٧ و درس بها فى مدرسه دار المعلمين العاليه و نال شهادتها ثم سافر إلى أمريكا و درس هناك علم النفس و حاز على الدكتوراه من

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الصالحى.

٣- الصالحى.

جامعه كولومبيا ثم عاد إلى طهران و درس في مؤسساتها التعليميه العليا. يعد الدكتور جلالى رائد علم النفس الحديث و مؤسسه و المروج له فى إيران و له تأليفات عديده فى هذا المجال(1).

السيد مهدي حسين

الشهير بأقا أبو صاحب ولد سنة ١٢٥٠ و توفى سنة ١٣٣٦ اشتهر بلقبه و لم يعرف إلا-به. كان عالما جليلا تقيا أديبا، من علماء مدينه لكهنو بالهند.

بنى مدرسه كبيره فى لكهنو لطلاب العلوم الدينيه سماها (سلطان المدارس) تخرج منها العلماء و الفضلاء و الأدباء و الشعراء، و لا تزال قائمه حتى الآن تؤدى رسالتها.

و قد وجد له تقريرظ لكتاب (بغية الطالبين) لمؤلفه السيد حيدر على يدل على اجادته اللغه العربيه.

مهرداد أوستا

ولد سنة ١٩٣٠ فى بروجرد (إيران) و توفى بطهران سنة ١٩٩٠ م.

نشا فى بروجرد و درس فيها، ثم انتقل إلى طهران، و فيها عرف شاعرا أديبا. له من الدواوين الشعرية:(ثيرانا)، و (شراب خانگى)، و (ترس محتسب خورده)، و (بالبيزبان).

و كان آخر ما نظمه:(امام حماسه اى ديگر).

حقق ديوان سلمان ساوجى، و علق على (نوروز خانه خيام)، و كتب فى قواعد اللغه الفارسيه.

تولى تدريس الأدب و الشعر فى كلية الفنون الجميله بطهران، و فى سنة ١٩٨٤ صار رئيسا للقسم الشعرى فى وزاره الإرشاد و الثقافه.

الشيخ موسى العصامى بن محسن

ولد سنة ١٣٠٥ فى النجف و توفى سنة ١٣٥٥ فى كربلاء و دفن فى النجف.

نشا فى النجف و درس فيها، ثم تولى الوكاله عن بعض المراجع فى بعض المدن العراقيه. ثم سكن كربلاء و عاش فيها فقيرا مريضا حتى وفاته.

و قد ترك عدده مؤلفات منها: تاريخ الثورة العراقيه، الدرايه فى تصحيح الروايه، كتاب فى الكلام و غيرها.

و من شعره قوله فى رثاء الحسين (ع) من قصيده:
تموت و لم تبكك البارقات و لا السمر و الضمر الشزب
و لا لف ألويه النيرين لثارك فيلقه مرهب
و للشمس أعمالها عثير به المشرق أسود و المغرب
و لا حطم الخط مطروره طعان و غاه لظى تلهب
و لا اعترضت فى صدور السراه عوال لأرواحها تسلب
و لا الصافنات لبسن الحداد و طاف بها ماتم يتدب
و لا بسريرك قام الرديف و عزت به عزها يعرب
و لا بين إحيائها صارخ و لا فى المحافل من يخطب
كأنك لست زعيم العلى و لا أنت غالبها الأغلب
أ لست عماد وجود الوجود فكيف استقام فلا يقلب
سانعاك ليله لا صارخ سوى البيض بارقه تنحب
و أبكى بأعين شهب السما دما فى مجرتها يسكب
و أصرخ فى غاره صبحت بئارك كل الورى تطلب
بجمع طلائعه المنجدات يغار بها سبب سبب
و توقد نيرانها الممكنات و ما فى الوجود بها يحطب
أحاطت به و بست الجهات أحاط بها الخطر المرعب
رأت منه قله أنصاره فظنت بكثرتها ترعب
و سامته يخضع و هو الأبي و أنى يقاد لها المصعب
فناجزها الحرب فى فتيه لهم باللقا شهدت يعرب

بها ليل تحسب أن الردى إذا جد ما بينها ملعب

لها الموت يحلو خلال الصنفوف و ما مر من طعمه يعذب

سواء عليها الفنا و الحياه إذا استرجع التاج و المنصب

لهم دون مركزهم موقف إلى الحشر نادبه يندب

أشادوا الهدى فوق تاج الأثير و مبنى الضلال به خربوا

و له يمدح الامام عليا (ع) من قصيده:

تاهت بمعناك الورى و تحيرت فيك العقول فلم تكن لك تعرف

و لقد تجلت من علاك أشعه فى الخافقين بها البصائر تخطف

فعمى بها قوم و أبصر معشر وجه الحقيقه و استهام المدنف

فقلتك طائفه و أخرى فيك قد غالت و قد هلك الجميع و أسرفوا

و قال و هو على فراش مرض الموت مصورا بؤسه و حياته:

كم ليله سهرت بها عين امرئ سلبته أيدي الظالمين قراره

يطوى الدجى متمللا فى حسره فتت مرارته و أذكت ناره

و جلا كئيب النفس خاطر ليله بحياته فيه و خاف نهاره

لا يعرف الملوين أيهما له أهدي و أيهما يعز جواره

لا يستغاث و لا يرى من منجد إلا دموعا تكثر استعباره

قعد الزمان و أهله عن نصره و لطالما كان الملا أنصاره

أ تراه فى أطواره اختار البلى فيها أم البارى إليه اختاره

أم أن أسباب الوجود تراحت أطوارهن فغيرت أطواره

و جرى التجارب فى تفاعله له فى الكائنات فبدلت أفكاره

دعها فتلك سفاسف و زخارف قيلت بذات مثلت إداره
بالأمس كان و كل طرف طامح لشعوره و يرى الرقى شعاره
كان المفدى فى النفوس إذا بدا و اليوم تكره نفسه أخباره
و إذا تترست المحافل خلته بدرا أشاع بصدرها أنواره
و اليوم غاب النجم عنه و لم يغب إلا عفاه فأنكرت آثاره
أى النفوس تزد عن صرح العلى سقطت و يرقى غيرهن مناره
و إذا الأمور لها بصرف طباعها حكم فقد عم الورى إجباره
قف و اترك المسعى فدونك حاجز إلا إذا ما بدلت أدواره
و علام قولك ذا قبيح يختفى منه و ذا حسن تود جهازه

ص: ٣٢٥

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

و له من قصيده يمدح بها صديقه الشيخ محمد جواد الجزائري و كان من أبرز وجوه النجف علما و شعرا و كفاحا و صلاحا و نصره للحق:

يا شامخا فوق هام المجد موضعه عطفنا معناك طول الهجر يوجعه
ما ذا يضر ك لو تعفو فتسمح لى عما جنيت و عبء الذنب ترفعه
قاطعتنى لعظيم الجرم و هو لدى خطير عفوك سهل حين أصنعه
جد للمعنى فما أبقي الغرام به إلا صبابه وجد فيك يسفعه
حيران يهتف ما غير الصدى سرع لصوته من مجيب حين يرفعه
و إن تبلج وجه الصبح خالطه من وجده حين يبدو ما يروعه
يئن لا الورق لو أنت على وكن بنعى ثكلى يهد الطود مسمعه
و إن حدا ركب بغداد دجى و سرت أياتق الحى راح القلب يتبعه
واهى القوى غير إنى لو تهب صبا صبوت نحو شذاها حين تشرعه
يا نائيا و بأحشاء المحب له دار ودان و فى بغداد مربعه
و يا رعى الله أياما سررت بها و البشر من وجهك الوضاح مطلعته
طلق المحيا إذا ركب الرجا وفدت له و كل بنجح القصد يرجعه
فتى يرى الناس كلا واحدا و إذا خادعته لسخاء النفس تخدعه
حاز السخا و الندى مع ما خصصن به من مكرمات لهام المجد ترفعه
ذو فكره طالما خاض الخفاء بها فأوضحت كل معنى فيه تجمعه
و ما نشا العلم إلا و هو والده و إن يكن قبل هذا كان يرضعه

منوچهر بوزرگمهر بزرگمهر

ولد عام ۱۳۲۵ ه و توفى سنه ۱۴۱۱. درس فى بريطانيا ثم عاد إلى إيران و خدم فى وزاره التعليم ثم صار أستاذا فى جامعه طهران. يعد بزرگمهر من المترجمين البارعين فى مجال الفلسفه حيث قام بترجمه ۱۵ كتابا من أصول كتب الفلسفه الأوروبيه

ناصر الدين، أبو الفتح، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي

الآمدى

قاض من أهل ديار بكر من مشايخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨ هـ. ترجمه في "معالم العلماء" و صرح بروايته عنه في المناقب، و صرح بتشيعه عند ذكر طرقة إلى كتب الأحاديث و جزم بتشيعه الأفندي في الرياض و النورى في خاتمه المستدرک.

و قد عدّه جماعه من الفضلاء من جمله أجه العلماء الشيعة، منهم ابن شهر آشوب في المناقب كما تقدم.

و الآمدى ينسب إلى "آمد" بكسر الميم، و هى أعظم مدن ديار بكر و أجلها قدرا و أشهرها ذكر (٢) أرخ وفاته "سركيس" فى "معجم المطبوعات، سنة ٥١٠ هـ و ذكر أنه نقل اسم المؤلف عن كتاب مخطوط، تاريخ كتابته ١٠٠٧ هـ (٣) و تبعه الخيابانى (٤) و لكن المحدث الأرموى رجح ما ذكره البغدادي من أنه توفى فى حدود سنة ٥٥٠ هـ.

من آثاره:

١ - غرر الحكم و درر الكلم من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، شرحه السيد جمال الدين الخوانسارى المتوفى سنة ١١٢٥ و طبع فى سبع مجلدات بتحقيقات و فهارس فنيه للمحدث الأرموى و أكمله العلى البغدادي و اسماه: "الجواهر العلية فى الكلمات العلوية" جعله تكمله "للغرر الآمدية" ثم انتخب بنفسه عن "الجواهر العلية" كتابا سماه "منتخب الجواهر".

٢ - جواهر الكلام فى شرح الحكم و الأحكام، من قصه سيد الأنام عليه الصلاة و السلام و قد نقل الأفندي عن الإربلى فى تاريخ أربل، فى ترجمه "أبى عبد الله الهبشى" أنه سمع هذا الكتاب عن المؤلف (٥). و قد عبر عنه البغدادي ب "الحكم و الأحكام من كلام سيد الأنام" (٦) و هو الآن تحت الطبع فى إيران (٧).

ناصر الدين

مرت ترجمته فى المجلد العاشر من (الأعيان)، كما مر بحث عنه فى المجلد الأول من (المستدرکات)، و دراسه فى المجلد الثالث منها.

و نشر هنا هذه الدراسة المكتوبه بقلم الدكتور حسين سلمان سليمان.

أود أن أشير فى مستهل هذا البحث إلى المصاعب التى تعترض الباحث فى تاريخ بلاد الشام عموما و جبل عامل خصوصا، خلال معظم الفتره التى خضعت فيها للحكم العثمانى (١٥١٦ - ١٩١٨)، بسبب غياب المصادر الأصلية لتلك الفتره التاريخيه،

فرغم الحركة الفكرية و العلمية التي عرفها جبل عامل في ذلك الزمن، نلاحظ ندره المشتغلين من أبنائه في علم التاريخ، و إعراضهم عنه و انصرافهم إلى علوم الدين من فقه و توحيد.

و نميل إلى الاعتقاد بان هذا النقص إنما هو نتيجة لما أصاب البلاد العامليه بعد احتلالها من قبل أحمد باشا الجزائر، و ما أعقب ذلك. من مصادرتة للمكتبات العامليه، التي كانت تغص بالكتب و المخطوطات الثمينه. و نامل أن يتم سد هذا النقص، مع نشر مزيد من الوثائق المحليه و الأوروبيه لتلك الحقبة التاريخيه.

و إلى أن يتم ذلك فخير لنا أن نخرج من التوقف عن المشى كليا، و إذا كان التعمق التاريخي ضروره، و الماده العلميه أقل وفره مما نرغب و نتمنى، فما هذا بعذر مقبول لتجنب الموضوع.

و سوف يكون إطار بحثنا للفترة التاريخيه الممتده من منتصف القرن الثامن عشر لغايه نهايه الربع الأول من القرن التاسع عشر، مع التركيز على الموقف العاملي من العثمانيين بعد نهايه الشيخ ناصيب [ناصيف] النصرار سنه ١٧٨١.

لم تشكل حدود لبنان الحاليه مجتمعا سياسيا واحدا خلال الامارتين المعنيه و الشهابيه، و لكن عاش سكانها منذ قرون في أقاليم منفصله، لم تكن تحمل اسما واحدا، و لم تستعمل كلمه لبنان بالمعنى الرسمي المحدد

ص: ٣٢٦

- ١- الشيخ محمد رضا الأنصاري.
- ٢- معجم البلدان ج ١ ص ٥٦.
- ٣- طبقات أعلام الشيعة، القرن السادس ص ١٦٩.
- ٤- ریحانه الأدب ١.
- ٥- رياض العلماء ج ٣ ص ٣٨٤.
- ٦- هديه العارفين ج ١ ص ٤٣٥.
- ٧- الشيخ علي أكبر مهدي يور [مهدي پور].

المضمون، إلا بعد إنشاء المتصرفية اللبنانية سنة ١٨٦١، فقد عرف المعنيون باسم أمراء الدروز لا أمراء لبنان، و كذلك عرف خلفاؤهم الشهابيون، رغم أن هؤلاء لم يكونوا دروزا، ولكن من السنه الذين تنصروا فيها بعد(١) و قد أطلقت عباره جبل لبنان على المقاطعات الجبلية الشماليه (جبه بشرى و جبيل و البترون)، و لم يستعمل العثمانيون هذا التعبير فى مراسلاتهم السياسيه مع أمراء لبنان، لأن الاسم لم يكن متداولاً إلا بين الموارنه، الذين لم يكن لهم كيان سياسى خلال الفتح العثمانى، بعكس الدروز الذين برز زعماءؤهم كقاده سياسيين فى غرب سوريا(٢). و عرفت المنطقه الممتده إلى الشمال من طرابلس باسم عكار [عكا]، و أغلب سكانها من المسلمين، شاركوا فى كثير من الأحيان فى الأحداث السياسيه التى كان مسرحها مقاطعات المرتفعات الجبلية اللبنانية. فى حين أطلق جبل الدروز أو جبل الشوف على البلاد التى تشكل نصف دائره، طرفها الأول شمالاً فى جبيل و الثانى جنوباً فى صيدا(٣)، و قد عرفت بهذا الاسم على الصعيدين الرسمى و الشعبى(٤)، و مع ازدياد هجره موارنه الشمال إلى جبل الدروز، شاع منذ نهايه القرن الثامن عشر، استخدام عباره "جبل لبنان" للدلاله على الاماره بكاملها(٥). أما رسائل التنصيب التى كانت ترسل إلى الشهابيين، فكانت توجه إلى [إلى] جبل الشوف أو جبل الدروز، و استمر هذا الأسلوب متبعاً حتى أواخر حكم الشهابيين سنة ١٨٤١(٦) أما المنطقه الممتده وراء صيدا فقد عرفت باسم جبل عامل، و أطلق على البلاد التى تتصل بها شرقاً اسم إقليم وادى التيم، و هى مهد آل شهاب(٧). و قد ارتبط تاريخ هذه المناطق التى أشرنا إليها ارتباطاً وثيقاً، بحيث غالباً ما كان ينعكس الحدث الذى تصادفه إحداها على الأخرى.

و قد قسمت هذه الأقاليم إلى إقطاعات محدده المساحه، تولى على كل منها إقطاعى من عصبه محليه يحمل لقب أمير أو مقدم أو شيخ، و هو ذو سطوه و نفوذ على سكان مقاطعته، الذين يقفون إلى جانبه عند حاجته إليهم، و لا يخالفونه بشىء. و يتبع هؤلاء المقاطعجيه (المناصب بلغه ذلك العصر) - زعيم قبلى أعلى - (أمير حاكم فى جبل الدروز) و (شيخ مشايخ فى جبل عامل) - يلتزمون هذه المقاطعات من الوالى العثمانى مقابل مبلغ على المقاطعات، فيقوم المقاطعجيه بجبايتها من رعاياهم(٨)، و هذا أحد مظاهر الالتزام الذى طبقتة الدوله العثمانيه فى العديد من الولايات. كما يتوجب على لأمير [الأمير] الحاكم أو شيخ المشايخ، بالاضافه إلى هذا الواجب، أن يقدم خدماته العسكريه حين تدعوه الدوله إلى ذلك، فيحضر و معه أتباعه بالسلاح و الرجال، و عرف هذا الواجب بالاقطاع العسكري(٩).

و هكذا يتبين لنا مما تقدم، بان السلطه العثمانيه لم تفرض حكمها المباشر على هذه الأقاليم، بل طبقت عليها سياستها فى معامله الولايات الجبلية الوعره، أو البعيده عن قلب السلطه المركزيه، و بأنها جمعت فى حكم لبنان نظامين إقطاعيين اعتادت أن تطبق أحدهما أو الاثنين معاً، فى مناطق تتمتع بوضع جغرافى شبيه بلبنان، مثل كردستان و شبه جزيره العرب، و ذلك بجعل الحكم العثمانى فيها اسمياً أو سطحياً بمعنى أنها لم تكن ترسل إلى أقاليمها تلك حكما عثمانيين، و إنما فقط تعترف بوجود زعيم قبلى أو عسكري أو إقطاعى يحكم باسم السلطان، و يدفع فى كل سنه الميرى و الجزيه المقرره عليها، و يحافظ على النظام بين السكان(١٠). و إذا بلغ أحد هؤلاء الزعماء درجه من القوه و النفوذ، و نزع إلى الاستقرار و شكل خطراً على جيرانه، كانت السلطه المركزيه فى الآستانه أو فى الولايات، تتذرع بالصبر و تنتظر الفرصه المناسبه للإيقاع به. و ذلك لاقتناع أولئك المسئولين بان القضاء على جميع المتمردين فى وقت واحد أمر صعب و لا نهايه له، و يتطلب أموالاً و فيره و قوات غفيره. كما أن الاخفاق قد يؤدي إلى استمرار المتمردين فى عصيانهم، و إلى زوال سطوه الدوله و هيبتها، لذلك كانت السلطات العثمانيه تثير على هؤلاء جيرانهم أو أقرباءهم أو أبناءهم أنفسهم(١١).

و لم تكن الأقاليم المشار إليها تخضع مباشرة لسلطه حاكمه واحده تأتمر بأمرها، و لكنها خضعت إلى سلطات عديده موزعه ما بين ثلاثه و لاه عثمانيين، يفرضون أحيانا سلطتهم المباشره على رعاياهم فى عواصم ولاياتهم (دمشق و عكا و طرابلس)، و أحيانا أخرى عن طريق و كلاء عنهم. فى حين كانوا ينيون عنهم متسلمين بالمدن الساحليه الكبرى (١٢)، و يلزمون إداره المقاطعات الجبلية إلى زعيم عصبية محليه، أحد بكوات آل الأسعد المرعبى فى عكار [عكا]، أمراء آل حرفوش فى بلاد بعلبك، أمير شهابى فى وادى التيم، و آخر فى جبل الدروز و نواحي مقاطعه جبيل، و مشايخ آل على الصغير فى جبل عامل.

و قد سار العثمانيون فى حكم جبل عامل على السياسه نفسها، المتبعه فى إداره الولايات الجبلية الوعره، فقد كانت تلك البلاد تتبع ولايه صيدا فين.

ص: ٣٢٧

١- كمال سليمان الصليبي. تاريخ لبنان الحديث. مترجم، الطبعه الثالثه بيروت، دار النهار للنشر ١٩٦٧. ص ١٣٤، محمد جميل بيهم. عروبه لبنان و تطورها فى القديم و الحديث. بيروت: دار الريحاني و النشر، ١٩٦٩، انظر ص ١٩٦.

٢ - HARIK, ELIYA, poLitics and changes in a traditional societies, princeton; University - ١٦.p. ١٩٦٨.press.

٣ - ESMAIL, ADEL, Documents Diplomatiques...ed, des Oeuvres politiques et - ٨٤.t. ١٩٧٥-١٩٨٣. Beryrouth; ٢٥t. Historiques.

٤ - HARIK.op.cit,p. ١٥.

٥ - كمال الصليبي. مرجع سابق، ص (١٢-١٣).

٦ - راجع نص فرمان فى: TESTA.(I. Baron de), Recueil des traites de la porte Ottoman avec les (puissances etrangers. ١٠ vols, ١٨٩٢-١٨٩٤. t. ٣pp. ٨٣-٨٤).

٧ - ISMAIL.op.cit.t. ١٠٤.

٨ - نظام الالتزام. أى أن السلطات العثمانيه كانت تتبع حكام الولايات مناصبهم بالالتزام، مقابل مبلغ معين يدفع بعضه مقدما و البعض الآخر أجلا، ثم يقوم الملتزم بدوره بتلزم مقاطعات ولايته أو أجزاء منها إلى ذوى النفوذ فيها. لمزيد من المعلومات انظر: عبد العزيز شناوى. تاريخ أوروبا فى العصر الحديث. القاهره ١٩٦١. ص ٥٣٤-٥٣٥.

٩ - الاقطاع العسكرى. أطلق عليه فى التركيه اسم "السباهيه" و هم رجال من الجيش منحوا إقطاعات متباينه المساحه للاستقرار فيها و زراعتها، مقابل الخدمه العسكريه حين تدعوهم الدوله إلى ذلك، فيلبون النداء مع أتباعهم مزودين بالخيال و السلاح، و يتوقف عدد أتباع كل إقطاعى على مساحه الأرض المقطعه له و مقدار مواردها. انظر: هارولد بون و هاملتون غب. المجتمع الإسلامى و الغرب. تر. أحمد عبد الرحيم مصطفى، جزءان، القاهره: دار المعارف ١٩٧١، راجع ج ١ ص (٦٧-٦٩).

١٠ - نقولا زياده. أبعاد التاريخ الحديث (القاهره): جامعته الدول العربيه، قسم البحوث و الدراسات التاريخيه و الجغرافيه، ١٩٧٢، ص ٣٤.

١١ - فرنسول، شاسبوف فولنى. سوريا و لبنان و فلسطين فى القرن الثامن عشر. تر. حبيب السيوفى، جزءان المجله المخلصيه

صيدا، ١٩٤٧ - ١٩٤٩، ج ١ ص (٤٦-٤٧).

١٢- المتسلم شغل هذا المنصب موظفان كان كلاهما بمثابة نائب للوالي العثماني فقد أطلق هذا اللقب على حكام السناجق و المقاطعات الصغيره أو المدن الهامه، و أيضا على نائب الوالي في عاصمه الولاية، و كانوا يقومون بجبايه الأموال و يرسلونها إلى الحكام الأصليين.

الفترة موضوع البحث. و كان يتولى إداره مقاطعاتها مجموعه من المشايخ، يقيم كل منهم فى إحدى تلك المقاطعات مع أتباعه المزارعين، الذين يتعهدون أرض المقاطعه لحسابه(١). و ينتمى هؤلاء المشايخ [المشايخ] إلى ثلاث عائلات إقطاعيه لها السيادة الأولى فى تلك البلاد، و هم بنو صعب فى مقاطعه الشقيف، و بنو منكر فى الشومر و التفاح و آل على الصغير فى مقاطعه بلاد بشاره، و كان بمقدور كل شيخ عند الحاجه أن يجند من مائتين و خمسين إلى ثمانمائه رجل، إذا اجتمعوا معا يشكلون قوه قتاليه قوامها تقريبا سته آلاف مقاتل، معظمهم من الفرسان اشتهروا فى كل سوريا بشجاعتهم النادره، التى شهد لهم بها معاصروهم من الفرنسيين(٢)، فقد أشار إلى ذلك الدبلوماسى الفرنسى باراديس (Paradis) بقوله:

"شاهدناهم يقاتلون بترتيب و نظام، مما جعلهم ينتصرون على أعدائهم الذين يفوقونهم عددا..."

و شهد جبل عامل فى النصف الأول من القرن الثامن عشر، ازدهارا اقتصاديا بارزا، نتيجة لنشاط التجار الأوربيين و خصوصا الفرنسيين منهم فى بلاد الشام الجنوبيه و تشجيع التجاره معهم، فاهتم السكان بزراعه القطن و التبغ بعد أن وجدوا أسواقا لها لدى الفرنسيين بالاضافه إلى مصر(٣) كما أخذ التجار الفرنسيون يتصلون مباشرة بمشايخ القرى، و صاروا يدفعون لهؤلاء ثمن قطنهم مقدما، فأدت هذه العلاقه إلى ازدياد المساحه المزروعه قطنا، و اشتهرت بلده أنصار بوجوده إنتاجها من هذا المحصول(٤) و بازدياد مداخيل مشايخ جبل عامل نمت قوتهم العسكريه و زاداد [ازداد] نفوذهم السياسى، و ترعّمهم شيخ المشايخ ناصيف النصار الذى اتخذ من قلعه تبين مقرا له(٥). و استطاع مع باقى المشايخ من ترميم القلاع العامليه و تزويدها بالأسلحه و الذخائر، و تمنعوا عن دفع الضرائب إلى والى صيدا كلما حاول الأخير أن يجيبى منهم أكثر من تلك المقرره عليهم(٦) و أشارت إلى ذلك إحدى الوثائق الفرنسيه الصادره عن صيدا بتاريخ ١٧٥٧/١١/٤ بقولها:

"...الشيخ ناصيب [ناصر] يعتقل نائب قنصل الرمله و يقتاده إلى تبين، أبلغ القنصل الفرنسى فى صيدا باشا الولايه بالحادثه، لكن الأخير أبدى له استياءه من تصرف الشيخ المذكور (أى ناصيف) الذى يرفض أن يدفع له الميرى المتوجبه للباب العالى... (٧) و جاء فى وثيقه أخرى "أرسل الشيخ (أى ناصيف النصار) مائه و خمسين فارسا لمصادره البضائع، و أمرهم بمصادمه قوات الباشا إذا حاولت منعهم..."(٨) و بذلك شكل العامليون قوه مهيبه فى المنطقه، تطلعت إلى محالفتها قوى محليه فى بلاد الشام الجنوبيه و مصر، كانت قد تمردت هى أيضا على السلطات العثمانيه، و تطلعت إلى استغلال موارد بلادها، و التخلص من عسف الولايه و ظلمهم. و تمثلت هذه القوى فى (ظاهر العمر فى الجليل و على بك الكبير فى مصر)، و أنزل المتحالفون هزائم مذلّه بقوات كل من والى الشام عثمان باشا الصادق (١٧٦٠ - ١٧٧١) و أمير جبل الدرروز يوسف الشهابى (١٧٧٠ - ١٧٨٩)، فى دمشق و الحوله و النبطيه و سهل الغازيه و زحله، و لكن هؤلاء الزعماء المتمردين ما لبثوا أن سقطوا الواحد تلو الآخر.

و بإسناد ولايه صيدا إلى أحمد باشا الجزائر (-)، تجنب فى الفترات الأولى من حكمه الصدام مع العاملين، نظرا لما يعلمه عن شجاعتهم و وعوره بلادهم. و لكن ما إن ازدادت ثقته بنفسه و بقدرته على التعامل معهم بحزم، حتى قرر عام ١٧٨١ الاستفاده من فرمان عثمانى يأمره بالسير إلى جبل عامل و تدميره(٩) فوجد فى ذلك فرصه لتحقيق مكاسب عديده، تتلخص فى مضاعفه ثروته و تعزيز مكانته فى الآستانه، و إقامة حكم مركزى فعال. كما أن نجاحه فى ذلك من شأنه إرضاء السلطات العثمانيه التى كانت تنظر شزرا إلى شيعه العراق و لبنان و اليمن.

و في ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٧٨١ تصدى العامليون للحمله عند قريه يارون، فجرى اقتتال انتهى بمقتل الشيخ ناصيف و شقيقه أحمد مع حوالى أربعمائيه من مقاتليه، في حين فقد قائد الحمله ما يقارب ثلث عساكره(١٠) ثم تقدمت القوات الغازيه في جبل عامل لتحطيم قلاعه الرئيسيه، فسقطت جميعها باستثناء قلعه الشقيف، التي صمد فيها الشيخ حيدر الفارس مع ستمائيه من أتباعه، و أيدى شجاعه و بساله في مقاومه الحصار الذي فرض عليهم(١١)، و لم يستسلموا إلا بعد أن بذل لهم الجزار وعودا بأنه لن يلحق بهم أيه أذيه(١٢) و رغم احترام الجزار لوعده، و منحه للشيخ حيدر و أتباعه إقطاعات ليعيشوا عليها. فان الأخير لم يخف عليه أن هدف الباشا من هذه المعامله الحسنه، ليس سوى محاوله منه لتشجيع العاملين الذين فروا من بلادهم، للعوده إليها و استثمارها، مما سيعود على الجزار بموارد و فيره. فما أن عاد الأخير إلى عكا، حتى هرب الشيخ و معه أتباعه إلى دمشق، حيث وجدوا الحمايه من واليه(١٣) و استبدل الباشا بمشايع مقاطعات جبل عامل ضباطا من عنده، مزودين بفرق عسكريه قادره على السيطرة بفعاليه على تلك المقاطعات، أما من استطاع من العاملين الفرار، فقد انتقل إلى بلاد بعلبك و عكار خشيه.

ص: ٣٢٨

١- ملاحظه: تباينت الأرقام لدى مؤرخي هذه الفتره. راجع فولني مصدر سابق ج ١، ص ٤٦٣، عبود الصباغ مخ. الروض الزاهر في تاريخ ظاهر. انظر ورقه ١١ ١٨٧٧V.٢p.٩٦ Mariti,G,Voyage dans liisletdChypre...,٢vols,Paris اعتمدنا على تقرير الوثائق القوميه في باريس من مجموعه (A . E . B) مجلد ١٠٣٥ و ثيقه صادره عن قنصليه صيدا بتاريخ ١٧٧٢/٦/٢٨.

٢- (PARADIS,Memoires sur la syrie M.S a(BNP)N٦٤٣٠-F.R.F(٢٠-٢١)

٣- (COAEN AMNON palestine in the ١٨ th century.jerusalem,١٩٧٣.pp.(١٣-١٥)

٤- دار الوثائق القوميه في باريس مجموع (A.E.B١) تقرير صادر عن قنصليه صيدا مجلد رقم ١٠٣٠ تاريخ ١٧٥٥/١/٣.

٥- (MARITop.cit.v.٢p.٩٦.(٥)

٦- المصدر السابق مجلد رقم ١٠٣٠ تاريخ ١٧٥٥/١/٤.

٧- المكان نفسه.

٨- أرشيف غرفه التجاره و الصناعه في مرسليليا مجموع (J) ملف رقم ٧٩٥ و ثيقه مؤرخه في ١٧٨١/١٢/٤.

٩- دار الوثائق القوميه في باريس مجموع (A.E.b١) تقرير صادر عن قنصليه صيدا مجلد رقم ١٠٣٩ تاريخ ١٧٨١/١٠/٢.

١٠- المكان نفسه.

١١- المكان نفسه.

١٢- المصدر نفسه تاريخ ١٧٨٢/٦/٢٢.

١٣- المكان نفسه.

التعرض للذل. (١) لكن هذا الشعب الذى اعتاد أن يحكم نفسه بنفسه أبى أن يخضع لتسلط الجزائر و قواته. فبادر الشيخ فارس الابن الأكبر للشيخ ناصيف إلى لعب دور والده النضالى، فجمع شمل العاملين الذين تركوا بلادهم، و شكل منهم فرقا انتحاريه للاغاره على معسكرات الجزائر (٢)، كما سعى فى الوقت نفسه إلى الاتصال بمن تبقى فى البلاد العاملية، لتنسيق الكفاح مع الفرق الانتحاريه التى شكلها، فى وقت بدأت تنتشر فيه إشاعات بان الباب العالى غاضب على الجزائر، و سوف يرسل حمله بريه و بحريه لتدميره. فتشكلت خلايا سريه فى جبل عامل، خططت للانقضاض على عساكر الباشا بمجرد تبلغهم أول إشاره رسميه عن عزله، لكن بوصول أنباء هذه المؤامره إلى مسامع الأخير، أصدر أمرا فى أيار (مايو) سنة ١٧٨٢، باقتياد الزعماء المتأمرين إلى عكا مقيدين بالحديد، و بطرد جميع المتاوله و معاملتهم بالشده المتناهيه (٣).

لكن الإرهاب لم يزرع الخوف فى قلوب العاملين، بل زادهم تصميمًا على السعى لاستعادة السيادة التامه على بلادهم، و ضاعفوا غاراتهم و هجماتهم على عساكر الجزائر. و بلغت جرأتهم إلى حد قيام الشيخ عقيل فارس النصار بالهجوم على قلعه تبنين، فافنى العساكر الموجوده فيها (٤) و فشلت كل محاولات الجزائر للإيقاع بتلك الفرق الانتحاريه، و عانى جبل عاقل [عامل] كثيرا من هذا الوضع، لأنه وقع بين نارين، نار ضباط الجزائر و عساكره، و نار الثوار العاملين و لم يكن الجزائر يعترف بالهزائم التى كان يلحقها بجنده هؤلاء بل كان يقلب الحقائق و يبذل جهودا إعلاميه لجعل الأهالى يصدقون كذبه (٥)، كاطلاق المدافع احتفالا بانتصار مزعوم حقيقته قواته، رغم أنها فى الواقع تكون مهزومه. كما كان يحاول أن يوقف نشاط الثوار، عن طريق إثارة الرعب بين الرعايا ليتمنعوا عن إمداد هؤلاء بالمساعدات أو الانضمام إليهم. كإزالة العقاب العلى بصوره وحشيه، فى من يشبه بان لهم علاقه بالثوار. سواء بوضعهم على الخازوق و إبقائهم على هذا الوضع لأيام عديده عند مداخل مدينتى صيدا و عكا، أو برفع رؤوس القتلى على مرأى من الناس فى أعالي أسوار قلعتى المدينتين المذكورتين (٦) و أشارت إلى ذلك الوثائق الفرنسيه الصادره عن عكا بتاريخ ١٦ أيار (مايو) ١٧٨٠ بقولها:

"أصدر أمرا إلى متسلم مدينه صور باعتقال المشايخ و الأعيان المتأمرين و إرسالهم إلى عكا. و فى الرابع عشر منه نفذ الباشا فيهم العقوبه، فأمر برفع أربعة و ثلاثين منهم على الخازوق عند أبواب المدينه، و لا يزالون حتى الآن و يشاع بأنهم سوف يستبدلون بعدد من أبناء وطنهم الموقوفين و المتهمين كذلك بالتحالف مع المتمردين" (٧) عانى جبل عامل كثيرا من تسلط الجزائر و جنده، فعقب كل غاره يشنها الثوار على المعسكرات العثمانيه المقامه فى بلادهم، يوجه الباشا عساكره إلى القرى العاملية لمطاردتهم، فيعيشون فى البلاد فسادا، يصادرون الغلال و يضيقون على السكان، و يفرضون عليهم الغرامات النقديه و القيام باعمال السخره، بحجه أن بعضهم يتعاون مع الثوار و يقدم لهم الامدادات، أو يلصقون بالسكان هذه التهمه زورا فيطالبونهم بتقديم الهدايا للضباط و إيواء الجند و تقديم ما يحتاجونه من طعام و غذاء. و تاديه العلف لخيولهم. و عند مغادره القرية يصادرون الدواب لنقل المؤن و الذخائر للعساكر، و فى ظروف كثيره يسترقون النساء و الأطفال الرضع ليبيعوا فى أسواق النخاسه، و القيام بنهب ما يصادفونه من متاع و أثاث و مؤن (٨) و كان الباشا يكثر من هذه الحملات الحربيه، و يتغاضى أثناء الغزوات عما يرتكبه الجند من جرائم و آثام، لكى يعوض عليهم مرتباتهم المتأخره منذ عدّه أشهر، و بذلك يتحقق هدفان معا إرضاء الجند، و مضاعفه ثروته.

و أشارت الوثائق الفرنسيه الصادره عن صيدا إلى ذلك بقولها.

"هددوا (أى الجند) بالثوره، و أعلنوا بصوت عال بان نهب المدن يجب أن يكون دخلهم، و صرح الباشا لمترجمى بأنه لو لا الذى حدث لكان هؤلاء التعساء (أى الجند) بحاله لا تطاق..."^(٩) و كان من الطبيعى أن يؤدى هذا الوضع إلى تصور السكان من الجوع، فاقترضوا على اقتناء ما هم فى أمس الحاجة إليه من قوت و لبس، و لم يعد أحد يجرؤ أن يبدو عليه أى مظهر يدل على الشراء^(١٠) و تركت تلك النكبات بصماتها على مدينه صور، فقد أفادنا الرحاله الفرنسى أوليفيه (Oliver) الذى زارها فى أواخر القرن الثامن عشر، أنه لا يوجد مدينه فى الامبراطوريه العثمانيه، فيها تعاسه مثل تلك الموجوده فى مدينه صور. كما أن سان إنان (St.Aignant) قد أشار بأنه لم يبق من هذه العاصمه الفينيقيه الأثريه، التى كانت سابقا فى غايه الشراء و القوه، إلا ما لم يتمكن الإنسان أن يسلبه منها.

نجف قلى ميرزا حسام الدوله

من أحفاد فتح على شاه القاجارى، ولد عام ١٣٠٣ فى النجف، كان يجيد اللغه العربيه و الإنكليزيه و الفرنسيه و عمل فى وزاره الخارجيه الإيرانيه لسنوات طويله، ترجع شهرته لكتابه عن العلاقات السياسيه الإيرانيه (تاريخ روابط سياسى إيران با رنيا [دنيا]) فى مجلدين، و يعد هذا الكتاب من المصادر المهمه فى معرفه تاريخ الدبلوماسيه الإيرانيه مع العالم^(١١).

نصر الله فلسفى

من كبار المحققين و المتبعين و المؤرخين الايرانيين فى العقود الأخيره ولد بطهران عام ١٢٨٠ و درس فيها و عمل فى إحدى الدوائر الحكوميه ثم صار أستاذا فى جامعه طهران ثم مستشارا ثقافيا لایران بايطاليا كما درس فى جامعه

ص: ٣٢٩

١- المصدر نفسه تقرير صادر بتاريخ ١٧٨٢/١٠/٢.

٢- إبراهيم العوره. تاريخ ولايه سليمان باشا العادل. مخ. نشره قسطنطين الباشا، حريصا (لا. ت) انظر ص ٣٤.

٣- دار الوثائق القوميه فى باريس (A.E.B) مجلد ٩٧٩ تقرير صادر عن عكا بتاريخ ١٧٨٥/٥/١٦.

٤- المصدر نفسه تاريخ ١٧٨٤/٦/٤.

٥- المكان نفسه.

٦- المصدر نفسه تاريخ ١٧٨٩/٦/٢.

٧- المصدر نفسه تاريخ ١٧٨٥/٥/١٦.

٨- إبراهيم العوره، مصدر سابق ص ٣٥.

٩- المصدر السابق مجلد رقم ١٠٣٧ تقرير صادر عن قنصليه صيدا بتاريخ ١٧٧٧/٢/١٧.

١٠- المصدر نفسه مجلد رقم ١٠٣٩ تقرير صادر عن قنصليه صيدا بتاريخ ١٧٨١/١٠/٢.

١١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

استراسبورغ بفرنسا مدة ٣ سنوات - قام بتحقيقات تاريخيه هامه و اشتهر بكتابه عن حياه الشاه عباس الصفوى (أشهر ملوك الصفويين) مجموع ما ألف طيله حياته يزيد على ٢٠ كتابا و عشرات المقالات فى المجلات الإيرانيه توفى عام ١٤٠٠(١)

الشيخ هادى بن زين العابدين بن إسماعيل بن محمد حسين التبريزى المرندى المرندى

النجفى

ولد فى سنه ١٣١٩ و توفى ليله الخميس ٨ ذى القعدة ١٣٩٠ فى النجف ولد فى النجف الأشرف و تربى فى حجر والده ثم أخذ المقدمات و السطوح من أعلامها و حضر قليلا بحث والده ثم انضم إلى تلامذه الشيخ محمد حسين النائينى الغروى و الشيخ ضياء الدين العراقى فى بحث الفقه و الأصول و اشتغل بالتدريس و كان يقيم الجماعه فى مسجد البراق و يدرس الفقه و الأصول خارجا و له مؤلفات منها:

١ - الرساله العمليه.

٢ - مناسك الحج.

٣ - شرح كفايه الأصول فى أصول الفقه.

٤ - تقارير بحوث أستاذه الشيخ محمد حسين النائينى.

٥ - تقارير بحوث أستاذه الشيخ ضياء الدين العراقى و خلف أولادا فضلاء هم الشيخ موسى و الشيخ عباس و الشيخ كاظم الذى هو اليوم من أئمه جماعه طهران(٢)

هادى الخفاجى بن محيى

اشاره

ولد سنه ١٣٤٠ فى الكوفه و نشا فى النجف ثم فى كربلاء و بها أتم دراسته الابتدائيه و الثانويه فعين معلما، ثم أتم دراسته الجامعيه.

شعره

قال مخاطبا بقايا (الإيوان) التى لا تزال قائمه فى العراق:

برغم الليالى و الليالى حواسد خلودك فأسلم إن مثلك خالد

عصى على كف الفناء كأنما تصول و لم ينهض بها الدهر ساعد

صمدت له كالطود، ثم صدمته بصدر تمنى جانبيه المجاهد
حملت من الأعباء ما ليس قادرا على حمله حتى الجبال الرواكذ
و سوق (٣) بها من حيث ناءت مناكب تزيد رسوخا تحتهن القواعد
و إن صدوعا في كيانك حليه توائم تزهو روعه و فرائد
بساقيك قد جلبجن منها خلاخل و بالصدر قد وسوسن منها قلاند
فكنت كنصل السيف زانت متونه فلول على ما كان أبلى شواهد
مهيب تغض الطرف، دونك رابضا هزبرا، وحوش في الفلاه أوابد
و تبصر فيك الطير في الجو أجدلا فهن و إن لم تدر - عنك طرائد
تسرب في بطن الثرى منك جنه و زاحم أعنان السما منك مارد
خفيت فتاه الفكر، و الفكر حاضر و طلت فأعبي الفكر، و الفكر شارد
فأين اللواتي كنت رجلت في الصبا ذوائب باتت دونهن الفراقذ
و ابن الجناحان انسقن عليهما مقاصير بالبيض الحسان حواشد
فمنهن أمثال البدور ملائكك و منهن أمثال اللاكي ولاند
و أبناء كسرى حولهن غطارف أقارب تخشى بأسهم و أبعاد
و رفر فخلد عبقرى نظامه نمارقه مصفوفه و المقاعد
و من عجب أن تبصر العين جنه و للنار عباد بها و معابد
يعذب فيها كل جان و ربما رمى نفسه فيها لتطهر، واقد
و كسرى على الدست الرفيع قوائما و صدرك من ساسان بالصيد حاشد
و حولك من فرسانه و خيوله جياذ عليها كل أبيض ماجد
ينشئه في السلم للحرب والد و يرمى به في الحرب للموت قائد

و كم فيك قد زفت لكسرى عرائس من الحور ربات الحجال خرائد

مواسم أفرح تواصلن حقه فعرس بها يمضى وعيد يعاود

و قد تعقب الأعراس فيك ماتم و تهزم أيام الرخاء شدائد

و أنت على الحالين ما أنت كائن تهزأ بما يلقي الورى و يشاهد

أراك على الأيام ما زلت باذخا تمانع فيما تبتغى و تعاند

و قد ذهب الأهلون عنك و أقفرت منازل منهم جمه و معاهد

مضت بهم تلك الليالى و لم تعد و هن الليالى ماضيات عوائد

و دك جناحيك الزمان فواحد مهيض، و منسول القوادم واحد

فان كان قد ساءتك حالك بعدهم و قل على أمثالها من يساعد

فانك للشمل الشتيت لشاكر و أنك للدهر المشت لحامد

و قد يحمد البين المفارق صحبه إذا صلحت بالبين منهم مفاصد

هداهم إلى الإسلام هاد فأصبحوا و قد أخدمت للنار فيك مواقد

(بدا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد)

ترهبت تجتاب (٤) المسوح و أنها غبار قرون فوق متنيك عاقد

و أعرضت عن هذى الحياه و أهلها كاخلص ما يستقبل الله عابد

يمر عليك اليوم و الليل بعده و أنت مقيم ساهر الطرف ساهد

و تلقى عليك الشمس كالجمر ضوءها فيطفئه ظل من السحب بارد

و تشرب من ماء الغمام ظامئا و أنت عليها فى سمائك وارد

فغرت فما سل الزمان لسانه فما يخبر السؤال عما تناشد

و أبقى شفاها ما تبين كلامها فضجت معان خلفها و مقاصد

و أخرس فيك اليوم بالناس عالم خبير و للماضى المغيب رائد
تحدث إن أسطعت الحديث فاننى أنا السامع الواعى و غيرى راقد
تحدث فكم وافاك عان معذب أخو وحشه بالعيش مثلك زاهد
و كم دمه أبصرت فى عين بائس يكابد من آلامه ما يكابد
و كم من حبيب بات يلقي جبينه لديك، فمعود و آخر واعد
و كم ماجن قد راح يعترض الدمى يطارحها أشواقه و يطارد
ففيك لها أنى اجتمعن ملاعب و فيك لها أبى التفتن مصائد
و كم شاعر حر الضمير ترددت على شفثيه فى هواك النشائد
ص: ٣٣٠

-
- ١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
 - ٢- الشيخ محمد السمامى.
 - ٣- الوسوق بضم الواو: الأحمال.
 - ٤- تجتاب: تلبس.

يطوف من ركن لركن كعاشق يخاتل من يصبو له و يراود
و كم ملك أمسى لديك ممتعا معافى و أضحى و هو فى الترب هامد
و كم قام قبل اليوم فوقك هادم على كل بان موغر الصدر حاقد
و كم نصبت للناس فيك حائل فاحبطتها من آخرين مكائد
ترى فته منهم حفاظا و غيره تجادل فيها خصمها و تجالد
و تصطرع الأجيال حولك بعضها يصول على بعض و أنت محايد
قد اختلف الوفاد فيك فراكع أمامك مسحور و آخر ساجد
ولاء يرى ضربا من اللهو انه بجنبك ماش أو يظلك قاعد
فما كل من وافاك للعلم قاصد و لا كل من وافاك للفن وافد
و لا كل من عاينت بالحق ناطق و لا كل من شاهدت بالفضل شاهد
و قد لامنى فى وصفك اليوم معشر بليد الشعور مسقم الذوق فاسد
يريدوننى فى الشعر ذا عصبه ضلالا و تأباها على القصائد
و حاشا القوافى أن أراهن خضعا لما نفرت عنه القوافى الشوارد
يقولون لو غنيت بالشعر ما بنى و ناغيت ما أبقى ذووك الأماجد
فما أنت و الإيوان و هو كما ترى غريب دخيل لا سقته الروافد
و هل أنا إلا يعربى لقومه هواه و أبكار المعانى النواهد
أ يجحدها كالشمس تسطع جاحد و ينقدها كالورد تنفح ناقد
و ما أنا و الإيوان إلا مصور صناع لما فيه من الفن واجد
و كل الورى للفن أهل و إنما أعز الفنون ثاكل الأهل فاقد
و له مراسلا صديقا له:

عتبت و ما لى يعلم الله من قصد سوى إن لى قلبا هواك على البعد
و عينا محاها الدمع بعدك و الأسى فأصبحت فى يوم كليلى مسود
حللت فؤادا لم يحل به هوى سواك و لم يعرف لغيرك من ود
(أتانى و ممطول من الناي بيننا قوارص قول هن أورى من الزند)
تفوق نبل الذم نحوى فاتقى شباه الهجا و الذم بالمدح و الحمد
إذا جرحت قلبى رجعت مضمدا جراحى بما قد كان للحب من وعدى
فارجع كالموتور أعياه عضده ذماما و هل لى غيرك من عضد
فلا تشمتن فىنا حسودا يود لو طوانا الردى بين الصفايح و اللحد
و لا تطفان نار العدى بعد ما غدت قلوبهم تغلى عليها من الحقد
يعز على عيني - و عينك - أن ترى نظام الهوى و الود منتشر العقد
ألا ليت شعرى هل أرى لك عوده ترد لنا ما مر من سالف العهد
لتحىى فتى أمسى يسيل صبابه عليك فما فيه سوى العظم و الجلد
و نفس إذا ما جسها الأهل لم يروا سوى شبح فى حر أنفاسه يعدى
صبرت على آلامها غير جازع و إن كان لا يفنى اصطبارى و لا يجدى
كانى و قد أجريت سائل أدمعى كهتان شؤبوب على النحر و الحد
أضفت إلى النار التى فى جوانحى بصيب ذاك الدمع وقدا على وقد
إذا سرت يوما قام يتبعنى الضنا كما يتبع المأسور فى حلق القيد
عجبت لقلب لا يرق لحالتى (و لو أنه أقسى من الحجر الصلد)
أحن وفاء و الوفا غير نافعى حنين العطاشى حلقوها عن الورد
أ أقرب فى ودى إليك فلا أرى جزاء سوى الأعراض عن ذلك الود

أغرّك أنى لست فى الهجر و الجفا صبورا و لا فى نبوه عنك بالجلد

وهبتك روحى و هى غير رخيصة فليس لروحى من نظير و لا ند

لك الأمر فاحكم ما تشاء فليس لى بامر الهوى عن حكمك اليوم من بد

و جر و احتكم أولا فاقسط فاننى عتبت و ما لى يعلم الله من قصد

و قال:

بعز على الأيام أعضاؤها معى و فى نفسها لو كفكفت فيض مدمعى

و لم تترك إلا بقايا شيبه تخلفن عندى بالأسى و التفجع

تمنيت لو فارقتها غير آسف و لاقيت شيبى بعدها غير موجه

و لكننى أبقى عليها فعلى أنال لها ثارا و لما تودع

و ما زلت حتى يلتقى الدمع بالدماء فاشرب منها مترعا بعد مترع

لعلى بها ألقى حياتى فإنها دمائى اغتذى منها الطغاه و أدمعى

هم فجروها سلسلا بعد سلسل و هم نزفوها منبعا [منعا] بعد منع

و كم صاحب لى من بنى أمتى غدا به مثل ما بى من شجى و توجع

سرى الهم فى جنبه كالنار فى الغضا و ما الهم إلا النار تسرى باضلع

يبيت و يضحى ساهد الطرف والها فلا جفنه يغفى و لا عقله يعى

و طفل على ثديين لم يبق فيهما سوى الجلد مطويا على صدر مريض

ذوى و هو ريان الطفوله مومع فاضحى كان لم يرو منها و يومع

و شيخ قضى لم يدر ما النعم ساعه و لم ياو - إلا بعض حين - لمضجع

طوى العمر لم يطعم سوى خبز مله و لم يشتمل إلا بثوب مرقع

فليت الألى لم يفقر الشعب غيرهم أصاحوا إلى شكوى عراه و جوع

عهدت بلادى و هى جنه بابل على الدهر لم تعدم غضاره أربع
جرى الخصب فى أعراقها فتبسمت رياضاً زهت فى كل أرض و موضع
و أخرى (١) على هام السماء تزينها بابهى من الشهب الدرارى و أسطع
تبث خفى السحر فى كل ناظر و تفتن فى أخبارها كل مسمع
فكم أمه ضاقت مواطنها بها و لم يلقها غير العراق بأوسع
أقامت به لا السحب ضنت بديمه عليها و لا البيد الفساح بمرتع
و لا الرافدان الزاهيان تبرما فلم يجريا بالبارد المتدفع
ضجيجان لم تطبق عيونهما و لا تفتحن إلا بالهنا و التمتع
يشقان أرضاً لو أصابا حديدها تورديزرى فى جنائن تبع
فما لى أراها أجذبت بعد خصبها و صوح من غيطانها كل ممرع
و أضحى خلاء لا ترى غير مدقع من الفقر أو قفر من الأرض بلقع
و ما زال فيها من فرات و دجله مسارب لم تنزف و لم تتقطع
بلى إنها لم تبق غير شواطئ بايدي ذئاب ضاريات و أضبع
و مدن بها أمثال تلك فان عوت أجابت باقسي من عواها و أروع
شكا الحرب أقوام صلوها و ما دروا بمن يشتكى فى السلم حرب التشجع
نسوا عندها شتى المطاعم جمه و نحن أثارت عندنا كل مطمع
فمن تاجر لو كان بالفلس ربحه لباع حياه الشعب دون تورع
و من مرتش أغراه دينار مدع عليه فأغضى عن حقوق لمدع
يساوم - لا يخشى عقاباً - رشاته علانيه فى كل ناد و مجمع
فأين الثقات المخلصون؟ ألا أرى سوى خائن أو مجرم متقنع

أريد أكفا مصلحات جديره بقطع أكف هادمات و أذرعقه

ص: ٣٣١

١- هي جنان بابل المعلقه

شباب بلادى الناهضين بعثها هجعتهم و لبس العباثون بهجع
أفيقوا تروا شعبا غدا نهب ناهب مسارح ذؤبان ألعيب خدع
تروعه فى كل آن و قبعه توقعها أو كان لم يتوقع
فما ينفع العزل التيقظ عندها و لم يملكوا غير البكاء و التضرع
و قال:

سلام مودع قد أعجلته شواغل ما أردن لنا اجتماعا
تيمم زائرا يحيا رجاء و يفنى كلما اقترب التياعا
و لكن ساءه أن لا يراكم و إن لا يستطيع لكم وداعا
و كان فراقنا عاما، فما لى رضيت فلم يتح بالقرب ساعا
لقد أتعبت عيني انتظارا و قد أجهدت أذنى استماعا
فلا شدوا وعيت و لا هديلا و لا برقا لمحت و لا شعاعا
و كنت كرائد فى الليل قفرا فأعياه ارتيادا و انتجاعا
دخلت الدار آمل أن أراها و قد زادت نمو و اتساعا
ألم تك إذ تبدل كل فكر لتقدحه ابتكارا و ابتداعا
و كانت روضه للعلم بكرا تارج نفحها زما و ضاعا
معطره الفضا عبقت هواء و مخصبه الثرى كرمت بقاعا
قضينا فى مغانيتها زمانا حمدناه اصطيافا و ارتياعا
أعاد إلى الشباب و قد تولى شيوخا للمشيبي مشوا سراعا
حذار فان دارا شدتموها على الآداب توشك أن تداعى
فما هذا التواكل و التوانى تجاوز فى مساوئه النزاعا

و أين روابع الآداب تجلى فتعشى عين ناظره التماعا
و أين (المهرجان الحى) تحى ليليه القريحه و اليراعا
فرائد نحن ضغناها يتامى فعشن و ليس يعرفن الرضاعا
سوائر من بنات الفكر زفت سوافر ما تعودت القناعا
تهادى كالعرائس حاليات بما قد راق من أدب وراعا
عهدناهن مثل الدر حسنا و فوق الأنجم الزهر ارتفاعا
و كم للشعر من سوق أقيمت شرى لكم بها فضل و باعا
و فيض من شعوركم عنيف كمثل الموج يندفع اندفاعا
طغى و طمى فلم يترك مجالا لغيركم أعاند أو أطاعا
رأيت المدعين الفضل ضاقوا و قد بعد المدى، بكم ذراعا
فلولاكم لما انحطوا مقاما و لا قصروا عن العلياء باعا
أحبتنا أهيب بكم جميعا و أرجو أن تعيرونى سماعا
نصحت لكم و رب أخ ودود لكم محض النصيحة ما استطاعا
عذرنا لو تباعدتم ديارا و لمنا لو تلوثتم طباعا
فكيف و لم يكن هذا و لا ذا أصابكم فطار بكم شعاعا
أعيدوها معاهد مشرقات رودوها منوره رباعا
أ يشغلكم من الدنيا متاع عن الأدب المتاع لكم متاعا
و لستم أول الأدباء عاشوا عراه فى مواطنهم جياعا
و لا الأدباء دون الناس صرعى و لكن أمه قتلت صراعا
و لا هم وجدهم ضاعوا و لكن بلاد كلها ذهبت ضياعا

أقول: و أنتم أبناء شعب أبوكم كان أشبعهم وجاعا

و سودهم فسماهم رعاه و سادوه فسموه رعاعا

أعد لهم ثيابهم حريرا و شاد لهم قصورهم قلاعا

و فجر أدمعا يسقى حقولا و كد سواعدا ينشى ضياعا

و أوب حين أوب نحو بيت شكا من قبل أن بينى انصداعا

و بات يظله كالقبر ضيقا و كالمستقع المسنون قاعا

طويل الليل لا فجر يرجى لناظره و لا نجم يراعى

فكان إذا بكى ألما تغنى و إن غنى بكى أملا مضاعا

هم نرفوا موارد اغتصابا و هم سلبوه لقمته انتزاعا

و هم منعه ثم قضى فقالوا طوى فقضى إباء أو امتناعا

و له:

يا ابنه الشرق ابن منك الثقافه ما أراك اكتسبت إلا السخافه

رمت نيل العلا، و خبت مراما أ منال العلا بشرب السلافه

أم بيع العفاف و الطهر جريا خلف من باع بالخنا أسلافه

هل شققت الحجاب إلا لتبدو منك ملء العيون تلك الشفافه

ضل من قال: تمنع العلم فينا هذه الحجب إن أردنا ارتشافه

ما احتجاب الوجوه يمنع علما إن كشفت الحجا باجلى انكشافه

زعم الغرب إذ أتى مستفزا همم الناس طالبا أنصافه

إن للعلم و الهدى منه رسلا و هو للعلم و الهدى شر آفه

خدع بحرها خضم عريض لا تحد العقول يوما ضفافه

آنس الجهل و هو غير خفى بين قومی و طيشه و خلافه

فاتى ببذر الأمانى و جاء اليوم يجنى ثماره و قطافه

مظهر غرنا كطفل غرير راقه منظر اللهب لطافه

فدنا من سناه حتى إذا ما لالعاب النار أحرقت أطرافه

و قنعنا من الزمان بغث و من العقل و الحجا بالنحافه

يا ابنه الشرق فاحذرى مكر قوم غر أهليك قاصدا أهدافه

هو سم فجانبى كل شهد إن فى الشهد لو علمت زعافه

أنت أشقى الأنام إن لم تصونى عرضك الحر أو تصدى اعتسافه

كل شىء خلا العفاف زهيد لا حياه لمن أضع عفاه

السيد هادى سينا بن السيد مهدي

ولد سنه ١٣١٨ فى تبريز و توفى سنه ١٣٨٣ فى طهران. نشأ فى بيته بيت العلم و السیاده و ربى فى حجر والده الجليل. درس العلوم الإسلامیه على كبار علماء تبريز كالحسينى و الكوه كمرى.

كما درس اللغة العربیه و آدابها على الحاج ميرزا المجتهد التبريزى الذى كان متضلعا بها و هو الذى يقول فيه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

تركت سيوف الهند دونك فى الفتك على العرب العربا و أنت من الترك

تبرزت من تبريز رب فصاحه بها مدنيا قد حسبناك أو مكى

و قد ظل المترجم فى موطنه تبريز عاكفا على الدرس و التدريس و الإفاده حتى الحرب العالمیه الثانيه حيث احتل الروس آذربيجان بما فيها تبريز، فنزح منها إلى طهران فتولى التدريس فى كليه الآداب و كليه الإلهيات، و بقى

فى طهران حتى وفاته.

ترك من المؤلفات: ١ - تاريخ الأدب العربى. ٢ - الشعر و طبقات الشعراء. ٣ - تفسير الآيات المشكلات. ٤ - شرح لبعض أشعار المتنبى.

٥ - رساله فى المنطق. ٦ - رساله فى الفلسفه و غير ذلك.

و له شعر كثير باللغه العربيه.

الشيخ الميرزا هديه الله الشهير ب حاج مجتهد بن الشيخ صادق بن الشهيد

الثالث البرغانى القزوينى آل الشهيدى

ولد فى قزوین سنة ١٢٨١ هجرية و توفى بها سنة ١٣٦٩ هجرية.

أخذ المقدمات و العلوم العربيه و السطوح على أعلام أسرته فى المدرسه الصالحيه منهم والده و الشيخ محمد على بن محمد صالح البرغانى القزوينى ثم هاجر إلى أصفهان و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على أعلامها و منها هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فاخذ الفقه و الأصول فى كربلاء عن حوزة مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى آل الصالحى و منها التحق بحوزه الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد محمد كاظم طباطبائى اليزدى صاحب العروه الوثقى حتى كان من أعلام النجف البارزين و منها رجع إلى موطنه قزوین فأنهى إليه كرسى التدريس و الفتوى و الامامه و كان من مراجع التقليد و قد شارك فى الانقلاب الدستورى (المشروطه) ثم انشق عن المطالبين بالمشروطه و عند ما قتل السيد ميرزا مسعود شيخ الإسلام فى داره بقزوین و هجم الثوار على دار المترجم له تمكن من الفرار و التجأ إلى القنصليه الروسيه فى قزوین فاستقبله القنصل الروسى بالحفاوه، و بذلك تمكن من إنقاذ نفسه حتى هدأت الحاله فى قزوین.

ترك المترجم له مؤلفات، منها تقارير أستاذه مدرس الطف الصالحى و تقارير فى الأصول لأستاذه الخراسانى، و له كتاب تحفه الأنام فى معرفه الامام فى مجلد كبير و له كتاب الامامه بالفارسيه و تفسير القرآن لم يخرج من المسوده.

و من أشهر أولاده الشيخ نصر الله المترجم فى المجلد الثالث من (المستدرکات) (١)

يعقوب بن إسحاق الكندى

مرت ترجمته فى المجلد العاشر من (الأعيان) كما مرت عنه كلمه فى المجلد الثانى من (المستدرکات) و نشر هنا هذه الكلمه المكتوبه بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمى.

١ - إن الكندى من الأوائل الذين درسوا الحكمة اليونانيه دراسه متقنه و وصل فيها إلى ذروه عاليه.

خمس عشره مجلده (١٣٣) فكان السله كانت عندهم مجمعا للمسودات.

٢ - يمثل هذا الفيلسوف دور الانتقال من الاعتزال إلى الفلسفه.

٣ - يكاد يكون مجهولا في الشرق مع ما كان له من خدمه عظيمه في الثقافه العالميه. ٤ - إن أكثر آثاره الفلسفيه قد فقدت في الأصل العربى و موجوده في ترجمتها اللاتينيه فمن الضرورى نشرها و إعادته ترجمتها إلى الغربيه.

٥ - كتب أقدم رساله عن مطارح الشعاع باللغه العربيه. و هى تعد أقدم رساله عربيه في البصريات.

٦ - اكتشف له المستشرقون عددا لا يستهان به من الرسائل في العلوم الطبيعيه، فمن الضرورى، استنساخ هذه الرسائل و طبعها لحفز الشباب إلى العلوم الايجابيه، المهمله اليوم مع الأسف، و التى هى من أهم الأسباب في تقدم الأمم.

٧ - يعده كاردن أحد فلاسفه النهضه في أوروبا و أحدا من اثنى عشر مفكرا هم أنفذ المفكرين عقولا.

٨ - سبق زمنه بعصور، فقد قال بفكره الذره الروحيه، كما فعل ذلك الفيلسوف الألماني "لاينيز [لاينيز]" في القرن السابع عشر.

٩ - سياده روح الترتيب و التنظيم في أفكاره.

١٠ - حاول حل المشكله التى نود حلها في زماننا: ألا و هى، إلى أى درجه يلزم أن نقتبس و إلى أى درجه يقتضى الإبداع.

١١ - قام بطريقه منظمه في استخدام الموسيقى في شفاء المرضى تلك الطريقه التى أصبحت اليوم تحتل مكان الصداره في الطب النفسى و الأعصاب.

١٢ - من المستحيل لعالم واحد أو لعهده علماء الإلمام بما حاول الكندى دراسته، فمن الضرورى تعاون عده علماء، و لا أظننى مغاليا إذا قلت إنه لمن الضرورى تعاون عده حكومات لإظهار هذا العالم بآثاره المبعثره إلى عالم الوجود.

إن هذه الأسباب التى بينها أظنها كافيه إلى تخليد ذكرى هذا العالم و الفيلسوف الفذ.

فمن مطالعه تاريخ الحكماء لابن القفطى و عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعه، و فهرست ابن النديم، و اخبار البيرونى المبعثره و خاصه الجماهر في معرفه الجواهر، نستنتج بان الكندى كان من جنوب الجزيره العربيه و ينتمى إلى قبيله كنده، تلك القبيله التى أنجبت كبار الرجال. كان الصباح جد الكندى يتولى شراء الجواهر من جزيره سرنديبلهارون الرشيد، و كان أبوه إسحاق عاملا على الكوفه، و ولد الكندى نفسه في البصره.

أما عن تاريخ مولده فلا نعلم شيئا. و جل ما نعلم عن هذا الفيلسوف أنه كان يتردد على بلاط الخلفاء العباسيين، و اشتغل منقحا و باحثا في الفلسفه اليونانيه و مريبا لأولاد الخلفاء - المأمون و المعتصم و المتوكل - هذا كل ما نعرفه عن حياته. و لكن كيف كانت سيرته؟ كيف كانت تربيته؟ كيف كانت معاشرته؟ كيف كانت معاملته؟ كل ذلك لا نعلم عنها شيئا كثيرا.

و يذكر البيرونى في كتابه الجماهر في معرفه الجواهر الحكايه الآتية:

" قال الكندي، كان الرشيد سلم إلى يحيى بن خالد جرابا من الجواهر ليحفظه فوضعه في داره و نهض و قد نسيه و تناوله بعض الفراشين، فلما تذكره

ص: ٣٣٣

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

لم يجده فاغتم لفقده، و كنت عنده، فاستحضر أبا يعقوب الزاجر المكفوف، و لما استؤذن له، قال لمن حضر، أنصتوا فلا يسمع منكم شيئا يفسد عليه زجره، و حين دخل قال له إني سائلك عن شيء فانظر ما هو؟ فأطرق مليئا ثم قال: تسألني عن ضاله، قال فما هي؟ فتفكر طويلا و ضرب بيده و قال:

شيء غال رفيع سموط أبيض و أحمر و أخضر و هو في كيس في وعاء - قال:

أصبت - قال فمن أخذه، قال فراش - قال أين هو؟ قال في البالوعه - فانجلى الهم عن يحيى و قال - اطلبوا أثرا على بلاليع، دارنا - فوجدوه على رأس واحده، فكشفوا عنها و اخرجوا جرابا لا يدري بما فيه من الجواهر قيمه - ثم قال: يا غلام ادفع إليه خمسه آلاف درهم، و مر فلانا بابتياح دار له بجوارنا بخمسه آلاف درهم - فقال: أما هذه الخمسه آلاف درهم فأخذها، أما المنزل فلن يبتاع أبدا - سألته يحيى عن زجره فأجابته أن الزجر يكون بالحواس، و ليس لي بصر و إنما ازجر بسمعي، و لما دخلت تسمعت فلم أسمع شيئا و ضللت، فقلت ضاله - و لم أسمع كلاما ما فضربت بيدي على البساط، فوجدت قمع تمره و قلت في النخلة و عاء و فيه الأبيض ثم الأحمر ثم الأخضر و هو كالسموط في طلعه و هذه صفه الجواهر في جراب. و قلت: من أخذه و نهق الحمار و هو عالج، فقلت لا يصل إلى مال الملوك عالج غير الفراشين - و سألتني عن الموضع فسمعت قائلا يقول: صبه في البالوعه - قال فكيف زجرت ما أمرنا لك به؟ قال، لما أمرت بالخمسه آلاف الأولى سمعت الغلمان تقول - نعم، فقلت تصل - و في الخمسه آلاف الأخرى، سمعت بعض هؤلاء يقول: لا. ثم أخذ الخمسه آلاف و مضى، و لم تمض إلا أيام يسيره حتى وقع بالبرامكه ما وقع و حدث بهم النكبه".

و من المعلوم أن نكبه البرامكه حدثت في عام ١٨٧ هـ "٨٠٣ م" إذن يلزم أن يكون الكندي حيا في هذا التاريخ. و لا نعلم على الضبط السن الذي كان فيه، بل نستدل من جملة " و كنت عند "أى عند يحيى بن خالد بأنه كان حاضرا فقط. فإذا علمنا أن جابر بن حيان كان يتردد أيضا على البرامكه و أنه اختفى بعد نكبتهم، نستدل على أنهم كانوا يرعون العلماء و يتفقدون شأنهم. و لعلمهم رأوا في الكندي منذ طفولته، علائم النجابه فتنبوه منذ صغره. يقول ابن النديم في كتاب الفهرست أن أبا معشر درس على الكندي الفلك و هو في السابعة و الأربعين من عمره، و إذا علمنا أن هذا التلميذ " كما جاء في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة " بلغ من العمر مائه عام و توفي في آخر رمضان سنة ٢٧٢ هـ " ٨٨٦ م" فإنه يكون قد اجتمع مع الفيلسوف عام ٢١٩ هـ. " ٨٣٤ م"، و يلزم أن يكون الفيلسوف في هذه المقابله قد تجاوز السادسة و الثلاثين من العمر، لأنه ليس من المعقول أن يكون أصغر من خمس سنوات حينما حضر الرجز في دار يحيى بن خالد البرمكى. و إذا علمنا كما بين لنا ابن أبي أصيبعة بان الكندي كان قبل مقتل المتوكل بشهرين حيا، و قد كان ذلك عام ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م.

يكون الكندي من إلى على قيد الحياه " أى ٥٨ عاما " و يرجع دى پور الهولاندى صاحب كتاب تاريخ الفلسفه فى الإسلام " ترجمه أبى ريده ١٩٣٨ " نظرا لرسائل الكندي فى علم أحكام النجوم بان الكندي حتى عام ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م لا يزال حيا. و على كل يلزم أن يكون قد تجاوز السبعين من العمر.

إن الجاحظ المعاصر للكندى لا ينير لنا الطريق لمعرفة بعض المجاهيل فى حياه الكندي و جل ما نعلم عن الجاحظ بأنه يتهمه بالبخل فى كتابه المعروف بالبخلاء، و يقص عنه حكايات مضحكه، و سواء كان الكندي كريما أم بخيلا فاننا نستدل على المنافسه بين الرجلين و على سيطره روح عدم التلاؤم التى كان مبعثها الاختلاف بين المزاجين، فمن يراجع كتب الكندي بامعان

يجد الرزانه غالباً على طبعه، يكره حشو الكلام، رياضى التفكير، محبا للتنسيق بعيدا عن التهكم، لا يحب أن يحيد عن الموضوع، ومن كانت هذه صفته كان بعيدا عن روح الجمهور. وإذا دققنا فى آثار الجاحظ وجدنا أنه رغم تفكيره العميق لا يثبت على فكره واحده. نعم أنه كان يستند على المنطق والمشاهده فى جزئيات الأمور، ولكنه فى كلياتها كان بعيدا عن روح التنسيق كثير التهكم، محبا للانتقال. وإذا امعنا النظر فى هذين المزاجين وجدنا الفرق بينهما واسعا، ولا يمكن حصول روح التلاؤم بينهما بحال من الأحوال. فلا- غرابه إذن من طعن الجاحظ فى الكندى و لعل عدم إكثاره فى ذلك لاقتناعه بكبير شخصيته و عظم منزلته. و مهما يكن الاختلاف بين الجاحظ و الكندى، كبيرا فإنهما كانا قطبين مختلفين كونا تلك الحركة الفكرية الهائلة فى الشرق الإسلامى، كما يكون القطبان الايجابى و السلبى التيار فى العمود الكهربائى فالكندى هو أول من صهر بيوتقه فكره ماثر العرب و حكمه أثينه، فاسطع شمسا جديده فى سماء الشرق، فتأثيره إذن على رزيني الفكر.

أما الجاحظ فبانتقالاته من موضوع إلى موضوع و إكثار المزمح فى كتاباته مع شديد تعطشه للمعرفه و كشفه عن غوامض الطبيعه، أيقظ الروح العلميه فى الناس، لا- فى العلماء فحسب، بل عند العامه أيضا. و قد أثر هذان العالمان فى تلك الجمعيه العلميه "اخوان الصفاء" التى تأسست فى البصره فى القرن الرابع الهجرى و العاشر الميلادى. أما عن الكتب التى ألفها الكندى فانى سأزيد على ما هو معروف بان الكندى ألف رساله ترد على الكيمائيين ذكرها المسعودى فى مروج الذهب: "طبع باريس، ج ٨، ص ١٧٦ ر ١٧٧" و جعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعه بفعله و خدع أهل هذه الصناعه و حيلهم و ترجم هذه الرساله بابطال دعوى المدعين صناعه الذهب و الفضة من غير معادنها و قد نقض هذه الرساله على الكندى، "كما بين المسعودى" أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف صاحب الكتاب المنصورى فى الطب.

رغم أن الكندى ينقد صناعه الذهب و الكيمياء القديمه فله رساله فى كيمياء العطر و التصعيدات نشرها و ترجمها إلى الألمانيه كارل گربرز فى لايبزيغ ١٩٤٨. فى هذا الكتاب نجد مقدره الكندى الكيمياء الخاليه من السحر و الطلاسم مثل التقطير و التصعيد و غير ذلك و يشير مارتين ليفى فى كتابه باللغه الإنكليزيه عن الكيمياء و الصناعه الكيمياء فى العراق الذى ألفه عام ١٩٥٩ بان لمثل هذه العمليات أصل عراقى قديم، و لدى دراستنا للعقاير التى يذكرها الكندى نجد صلتها مع الهند و كذلك مع إيران قويه أيضا. و يضيق مجال بحث هذه القضايا فى مثل هذه العجاله.

للكندى رساله فى الأحجار، فيقول البيرونى فى كتابه الجماهر فى معرفه الجواهر المطبوع فى حيدرآباد ١٣٥٥ هـ. "ص ٣١":

- و لم يقع لى من هذا الفن " فى الجواهر " غير كتاب أبى يعقوب بن إسحاق الكندى فى الجواهر و الأشباه، قد افترع فيها عذرتيه و ظهر ذروتيه، كاختراعه البدائع فى كل ما وصلت إليه يده من سائر الفنون، فهو امام المحدثين و أسوه الباقي. ثم مقاله لنصر بن يعقوب الدينورى الكاتب عملها بالفارسيه لمن لم يهتد لغيرها و هو تابع الكندى فى أكثرها. ثم يذكر الكندى فى

مواضع عديده، ولأجل أن نعلم مدى معرفته بالأحجار و المعادن يلزم جمع جميع هذه النصوص التي تتعلق بذلك و مقارنتها و نقدتها.

هناك أيضا مخطوطه منسوبه للكندى بعنوان الجواهر فى ملحق كتاب عرف باسم دره الغواص للكندى "مخطوطات غوتا العربيه رقم ٢١١٧" هقا نصها:

"هذا ما تيسر جمعه من منابع الأحجار الجوهريه و صفاتها و منافعها و معادنها و خواصها ملتقطه من كتاب دره الغواص للعلامه السلجوكى:

" و مما وجد مناسق لهذا الكتاب، فصل من تصنيف الشيخ الأوحى الرئيس الأمين يعقوب بن إسحاق، المعروف بالكندى رضى الله عنه. قال الجواهر ينقسم إلى قسمين أولين أحدهما من الحيوان و الآخر أرضى. و الأرضى ينقسم إلى قسمين، أولين أحدهما المشف و الآخر غير المشف، و الذى غير المشف ينقسم إلى قسمين أما أن لا يشف فى كله و منها أن لا يشف فى بعضه، و الذى لا يشف أما أن يكون بدء كونه نباتا و أما أن لا يكون بدء كونه نباتا.

فاما الحيوانى منه فهو الدر و هو ما عظم منه و اللؤلؤ ما صغر منه يخرج من الصدف و المحار الكبار و البلبل. و أما القسم الأرضى المشف فمنه الثمين و غير الثمين. و الثمين منه نوعان أحدهما القاطع و هو الماس و الآخر المقطوع و هو نوعان أحدهما الياقوت و الآخر الزمرد. و الياقوت منفصل بأنواعه و هو نوع الحمره و نوع الصفرة و نوع السماوى و هو الذى يسمى السمانجونى، و نوع البياض، فهذه ألوان الياقوت. فاما نوع الحمره فتقسم إلى أربعة ألوان و هى الوردى و الخمرى و الأحمر و البهرمان. و السمانجونى ينقسم على أربعة ألوان منه أزرق و اللازوردى و هو أشبع لونا من الأزرق و النيلى و هو من اللازوردى و الكحللى و هو أشبع من النيلى. و الأصفر و هو ينقسم إلى أربعة ألوان و هو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشعاع و منه الخلقى و هو أشبع صفرة من الرقيق و منه الجلنارى و هو أشبع من الخلقى و أشد شعاعا و أكثر ماء و أصلب حجرا. و المشف، الذى ليس بثمانين ينقسم إلى قسمين أحدهما الأشباه و الآخر الذى ليس بأشباه، و الأشباه ينقسم إلى نوعين أحدهما الأشباه للياقوت و الآخر أشباه الياقوت و التى هى أربعة أنواع أحدهما شبه الياقوت و الآخر الكركند و الآخر الجزير و الآخر الابدج الأحمر. و شبه الياقوت الأصفر اثنان و هو الكهر كهن و يؤتى به من معدن الياقوت و الأحمر و هو البلورى الأصفر يؤتى به من معدن الياقوت أيضا. و شبه الياقوت السمانى نوعان أحدهما يؤتى به معدن و الآخر يؤتى به من أرض اليمن، و هو الجزع القروانى الرطب.

و شبه الياقوت الأبيض و هو البلور الأعرابى الكر الرطب و شبه الزمرد ثلاثه أنواع أحدهما السن الثانى اليسب و الثالث الياشب يخرج من معدن الزمرد، و الملى يؤتى به من بلاد الهند من ناحيه سبدان من جبل هناك. و أما المشف الذى ليس بثمانين و لا شبه فهو الجمشق و العقيق و البجارى و المادنج و البلورى و المعدنى و أما الكاربا فصمغه كالسند روس أنشب حجرا. و أما المركب من مشف و غير مشف فالجزع و هو ينقسم إلى ستة اضراب و هو البقرانى و القروانى و الفارسى و الحبشى و العسلى و المعرق. و أما الذى ليس بمشف فتسعه أنواع و هى الدهج و اللازوردى و الخلقى و العبرى و الحشيشى و الكزل و الياسمين و البلور. و أما الذى بدء كونه نبات فالسند. و نقول الآن على نوع منها أشد استقصاء من هذا القول، و نحدها بما هو مشابه لهذه الصناعات و نصف مواضعها و معادنها و قيمه أثمانها و ما يعرض لها و محنها و علاجاتها بقدر ما هو ممكن فيها و مشابه لهذه الصناعات من القول و نقدم فى الوصف ما قدمنا فى قسمه أنواعها بتأييد ذى القدره و توفيقه و مشيئته تم."

نظرا لتدقيقات "و. پرچ "W.Pertsch" يوجد أيضا مخطوطات تحمل العنوان الآتي " دره الغواص و كتر الاختصاص فى علم الخواص " و تحتوى على نفس الموضوع واحده فى غوتا " رقم ٢٠٦٥ " و فى كامبريج رقم ٣٥٦ و المتحف البريطانى ١٨٦٤ و رقم ١٣٩٦٥ و أن المؤلف يدعى هناك ايدمر الجلدكى و يذكر أنه عاش فى عام ٧٦٠هـ. راجع أيضا جدول المخطوطات الملكيه فى غوتا ١٨٨٣ ج ٤، ص ١٣٤ و ما بعدها، و براون، جدول المخطوطات الإسلاميه كامبريج ١٩٠٠، ص ٧٠.

إذا قارنا ما ورد فى ملحق مخطوطات السلجوكى مع ما تواتر عن الكندى فى كتاب البيرونى، نجد أن البيرونى يذكر أيضا البهرمانى و الوردى من أقسام الياقوت، و من أشباه الياقوت الكركند و الأبلج، و كذلك ورد ذكر الماذنج. هنا نجد التوافق، و يمكن أن يكون هذا الملحق حقا للكندى. بيد أننا نجد كثيرا من الجواهر تأتى تحت صنوف شتى، مثل البلور الذى يذكر بين أشباه الياقوت و عند الجواهر غير الثمينه. نحن نعلم بان الكندى ميال للتصنيف الرياضى و لكن نظرا لركاكه اللغه و التناقض الذى أدرجناه لا يمكننا أن نقنع بأنه بقيت تلك المخطوطه على وضعها الأصيلى.

اطلعنى الدكتور زكى الدين أستاذ الفيزياء فى جامعه على كره الهند على مخطوطه للكندى عن مطارح الشعاع، كانت محفوظه فى مكاتب القاهره، و استحصلت على صورته فوتوغرافيه منها، أمل نشرها عند سنوح الفرصه، نجد فى مقدمتها ما يلى:

" بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين، كتاب يعقوب بن إسحاق الكندى فى الشعاعات، أطال الله بقاء أمير المؤمنين و أدام عزه و تأييده و فضائله و كمل سعادته و أباد عدوه. انه ليس بصغير الحظر على مخارج الشعاعات الشمسيه و انعكاساتها على الاجرام العاكسه لها و الزوايا الحادثه عنها و نسب أبعاد النقط التى تنعكس إليها من الاجرام العاكسه من تذكىه الأنفس الإنسانيه و تهذيبها و رفع فكرها عن الأشياء البهيميه المعميه أبصارها، فان هذه خاصه جنس العلم به أعنى... " و نجد بعد ذلك نقصا كبيرا، ثم يقول "أحرق بشعاع الشمس، و جب من هذه الجهه إثبات ذلك، فإنه ممكن باضطرار فنحن ناظرون فى ذلك بقدر ما يمكننا واضعون لتهيئه ذلك مقدمات أشياء يسيره نحن إليها مضطرون فيما نريد تهيئته بالمرايا.

فهذا قول اثناميوس، و قد كان يجب على اثناميوس أن لا يقبل خبرا بغير برهان فى التعاليم و فى صناعه الهندسه خاصه، و لا يوجب أيضا شيئا بغير برهان، و قد مثل كيف يعمل مرآه تنعكس منها أربعه و عشرين شعاعا على نقطه واحده، و لم يبين كيف كون النقطه التى يجتمع عليها الشعاع على أى بعد شئنا من وسط سطح المرآه، و نحن ممثلون ذلك على أوضح ما يمكننا و أقربه و مبيئوه بالبراهين الهندسيه. و الجهه الأخرى التى نذكرها على أوضح ما تبلغه طاقتنا، و نتمم من ذلك ما كان ناقصا، فإنه لم يذكر لنا مفروضا، و نرتب ذلك بعد أن نأتى بموضوع غايتنا نحن ليكون فهم ما قال سهلا على من أحب فهمه من محبى التكثير فى المعلومات..".

ثم يأتى الكندى بعد ذلك بالنظريات الشعاعيه و يبرهنها بالبراهين الهندسيه. هذه المخطوطه لم يحط بها مصطفى نظيف علما، لأنه لم يذكرها فى كتابه الفذ عن الحسن بن الهيثم و بحوثه و كشوفه البصريه "القاهره

١٩٤٢"، و ذلك فى الفصل الذى عقده عن علم الضوء قبل عصر ابن الهيثم، و لقد قال مصطفى نظيف عن الكندى أنه من أسبق العلماء و أخطرهم شانا فى مباحث الضوء، و جل معلومات المدقق المار الذكر عن فيلسوفنا بشأن البصريات بان ابن القفطى، يذكر له كتابى اختلاف المناظر و اختلاف مناظر المرآه، و يقول أيضا أن له كتابا موجودا بنصه اللاتينى. أما عن المخطوطه الثمينه هذه فلم يذكر شيئا.

هنا أيضا بعض مخطوطات عن عله لون السماء اشتغل فيها و يده مان الكندى فى مكتبه أكسفورد و خاصه "أستاذ الفيزياء فى ارلانفن" و الذى كان له فضل كبير على بحوث الطبيعيات العربيه.

نشر هذه المخطوطه من مكتبه الاستانه محمد عبد الهادى أبو ريده فى الجزء الثانى من رسائل الكندى "القاهره ١٩٥٣" ص ١٠٣ بعنوان:

"رساله الكندى فى عله اللون اللازوردى الذى يرى فى الجور فى جهه السماء و يظن أنه لون السماء. و قد ترجم خلاصتها إلى اللغه الإنكليزيه الدكتور زكى الدين أستاذ الفيزياء فى جامعه على كره الهند المار الذكر معتمدا على مخطوطه أكسفورد و آيا صوفيا.

لا نريد أن نتطرق عن علاقه الكندى بالموسيقى، فقد بحث فى هذا الموضوع ه. ج. فارمر فى تاريخ الموسيقى العربيه و ترجمه حسين نصار "القاهره ١٩٥٦" و لكنى سوف أتطرق إلى موضوع هام جدا أى الاستفاده من الأنغام لشفاء المرضى أى استخدام الموسيقى فى الطب. من أجل ذلك قام فيلسوفنا فى ترتيب الأنغام المنعشه و الأنغام المقبضه، فهكذا ورد عنه فى ابن القفطى فى مداواه أحد أبناء التجار:

" فلما رأى "الكندى" ابنه و أخذ مجسه أمر بان يحضر إليه من تلاميذه فى علم الموسيقى من قد أنعم [انغم] الحدق بضرب العود و عرف الطرائق المحزنه و المفرحه و المقويه للقلوب و النفوس، فحضر إليه منه أربعة نفر فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه و أن يأخذوا فى طريقه و فقههم عليها...

ما هى هذه الطريقه التى يذكرها الكندى يا ترى؟ و فى تاريخ الطب لا نجد ذكرا لذلك. تلعب اليوم الموسيقى دورا كبيرا فى الشفاء و خاصه الأمراض النفسيه و العصبيه. و هناك مصحات عديده فى كل من أوروبا و خاصه أمريكا تداوى بهذه الطريقه. و من يشتغل فى تاريخ الطب الموسيقى يرجع ذلك إلى ذكره الانسجام عند الفيثاغورسيين. بيد أننا هنا أمام شىء طريف لا نعرف مدى صلته مع الأوائل و ما هى درجه ابداعه و ابتكاره و على ما يظهر فان هناك طريقه جديده و كم كان يستفيد العلم لو تابع المدققون ذلك الأسلوب الذى قد يكون قد كشفه الكندى، و لكن مع الأسف دفن بموته، فلو أن ابن القفطى لم يدون تلك الملاحظه لذهب ما حاول عمله نسيا منسيا.

نعم أن اليونان كانوا السباقين فى هذا الميدان، حتى أننا لو سلمنا جدلا بأنه متبع لا مبتدع فيكفيه فخرا أنه أيقظ تلك الطريقه القديمه التى لم تجد أذنا صاغيه إلا فى العصور الأخيره. فلو دون تاريخ الموسيقى فى الطب، فسيكون للكندى أيضا مكانته المرموقه أيضا.

السيد يوسف الحلو بن السيد عبد الحسين بن محمد رضا

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٢٥ و توفي سنة ١٤٠٤ و قرأ هناك المقدمات و الأوليات ثم اختص بالسيد حسين الحماي و استفاد من أبحاثه و عين مدرسا بالثانويه و لكن لم ينقطع عن الحوزه و دروسه الدينيه. ثم طلب احالته على التقاعد و تفرغ لتدريس العلوم الإسلاميه و حضرت عنده دروس معالم الأصول و شرائع الإسلام و قليلا من المكاسب في المسجد الهندي (في النجف الأشرف) و استفدت منه كثيرا.

كان على جانب من التقوى و الصدق، عارفا بالحوادث و الوقائع التاريخيه، سهل الأسلوب في التدريس.

و كان يقوم بامامه الجماعة في المسجد المجاور لمقبره الخليلي الواقعه في سوق العماره، و له من المؤلفات:

١ - ديوانه الشعري.

٢ - الموسوعه الفقيهيه، في عدة مجلدات.

٣ - تقارير بحث السيد الحماي في الفقه و غير ذلك.

و آل الحلو من السادات الموسويه العريقه يقطنون النجف الأشرف و سائر البلدان العراقيه نزع جدهم الأعلى من قريه الصباغيه (محافظة البصره) إلى النجف الأشرف، فخرج منهم الأدباء و العلماء (١).

السيد يوسف الحكيم بن السيد محسن بن السيد مهدي الطباطبائي

ولد في ١٣٢٧ و توفي في ٢٧ رجب ١٤١١.

ولد في النجف الأشرف و تربى في أحضان العلم و التقى و تعلم القراءه و الكتابه و القرآن، ثم تدرج في أخذ العلم، و لما انتهى من السطوح حضر في خارج الأصول على الشيخ ضياء الدين العراقي و الشيخ حسين الحلبي و المعقول على السيد أبو القاسم الخوئي و الأخلاق على السيد محمد على القاضي الطباطبائي و لازم أبحاث والده في الفقه و الأصول ثم أخذ يدرس السطوح العاليه كالرسائل و المكاسب و الكفايه و درس مده خارج الفقه و الأصول، و تخرج عليه جماعه من أهل الفضل و سجل أبحاثه نفر من تلاميذه منهم السيد محمد صادق الحكيم (المتوفى أول شوال ١٤٠٢) و السيد طاهر الاحسائي.

و كان يقيم الجماعه في غياب والده في الصحن الحيدري و المسجد الهندي.

و بعد وفاه والده استمر على إمامه الجماعة في المسجد الهندي ظهرا و الصحن الحيدري في المغرب و العشاء.

اعتقله نظام الطاغيه صدام حسين مع بقيه أفراد آل الحكيم في مساء يوم ٢٧ رجب ١٤٠٣ و نقل إلى مديره الأمن العامه في

بغداد و سجن هناك و لاقى فى السجن صنوف الالهانات و العذاب النفسى و الجسمى ثم توالى عليه المصائب واحده بعد اخرى فقد استشهد على ايدى جلاوزه الطغيان ثلثه من إخوته هم السيد عبد الصاحب و السيد علاء الدين و السيد محمد حسين الحكيم و أولاده السيد كمال الدين و السيد عبد الوهاب و ابن أخيه السيد أحمد بن السيد محمد رضا و ذلك فى ٧ شعبان ١٤٠٣ و بعد ذلك استشهد أخوه السيد عبد الهادى و أبناءه السيد حسن و السيد حسين و أولاده [أولاد] عمومته السيد محمد رضا و السيد محمد و السيد عبد الصاحب أولاد السيد محمد حسين بن السيد سعيد و السيد عبد المجيد بن السيد محمود و السيد محمد

ص: ٣٣٦

١- الشيخ محمد السامى.

علی بن السید جواد و ابنه السید محمود و ذلك سنه ١٤٠٥ ثم استشهد ابن أخته السید حسن بن السید محمد علی و أحد أولاد عمومته و بعد ذلك استشهد أخوه السید مهدی فی الخرطوم فكان رحمه الله فی جميع الحالات صابرا محتسبا.

ثم فرضوا علیه الحصار و المراقبه فی داره فلا يتصل به أحد إلا بعض النسوه من أرحامه و كان مرقد الامام أمير المؤمنين (ع) هو المكان الوحيد المسموح له بالذهاب إليه و فی الطريق كانوا يراقبونه حتى لا يتصل به أحد و لا يسلم علیه أحد.

أصيب فی السنتين الأخيرتين من عمره بالشلل التام، فكان طريح الفراش، يشكو ظلامته إلى الله تعالى حتى وافاه الأجل مظلوما. فدفن فی جوار قبر أبيه فی مقبرتهم الخاصه المجاوره للمسجد الهندی من طرف الشمال.

و له مؤلفات منها:

١ - بحث حول العلم الاجمالي.

٢ - الخيارات.

٣ - أبحاث فی التفسیر.

٤ - رسائل متفرقه فی بعض أبواب الفقه و الأصول.

٥ - و له قصائد شعریه نشر بعضها فی المجلات الأدبیه فی النجف الأشرف (١).

ص: ٣٣٧

١- الشيخ محمد السامی.

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديدآورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديدآور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

آتشی:

من شعراء القرن (٩-١٠) في إيران و قد كان خبازا، معاصرا لشاعر هو الآخر خباز اسمه صبوحي، و قد كانا يتهاجيان هجاء مبتدلا.

و توجد نسخه من ديوانه في المكتبه المركزيه بجامعة طهران تشتمل على ٢٥ قصيده في مدح أهل البيت (ع).

الأمير آق ملك بن جمال الدين فيروز الكوهي السبزواري المتخلص باسم شاهي:

هو من أصحاب الغزل المعروفين في القرن التاسع الهجري. كان أجداده من أمراء السربداريين و من اتباع المذهب الشيعي، و خاله هو الخواجه علي المؤيد السربداری (٧٦٦ - ٧٨٨ هـ) [\(١\)](#)الذي عرف بحبه للتشيع و سعيه لترويج مناقب الأئمه و اقامه المراسم الشيعيه، و كذلك اشتهر بترويجه للعلم و الأدب، و امضى السنوات السبع الاخيره من عمره في ركاب الأمير تيمور مع الاحتفاظ بمنصب الاماره. و سبب اشتهار الشاعر ب (الأمير) هو انتسابه إلى هذه العائله، و لعل تخلصه ب (شاهي) يعود لنفس السبب، و قد أيد ذلك غياث الدين خواند مير و قال: "كان يتخلص ب (شاهي) لرجوع نسبه إلى سربداري سبزواري و اعتناقه المذهب الشيعي" و أشار دولت شاه و خواند مير إلى المنافسه بين بايسنقر بن شاه رخ الذي كان يتخلص باسم (شاهي) على اسم أبيه و الأميرشاهي حول هذا التخلص ثم يضيف دولت شاه بان بايسنقر ترك التخلص باسم (شاهي) لاشتهار الأميرشاهي بهذا الاسم أكثر منه بينما ذكر خواند مير حادثه دارت بين الطرفين بهذا الشأن. إلى جانب ذلك هناك عدد من المؤرخين و منهم القاضي نور الله ذكر ان تخلص الشاعر باسم (شاهي) انما كان بسبب ارادته ل (شاه الولاية) علي بن أبي طالب (ع). و لست أدري إذا ما كانوا قد استندوا إلى أساس في هذا الأمر.

كان الأميرشاهي قد امضى بدايه حياته في هرات طالبا للعلم و الأدب، و ملازما للأمير بايسنقر ميرزا، و استطاع بمساعدته الأخير استعادة املاكه الموروثه في سبزواري، ثم وقع الخلاف بينهما فترك الشاعر خدمه التيموريين، و ذهب إلى سبزواري قانعا بما تدره عليه املاكه فيها، و بقي في مدينه أجداده هذه أغلب حياته حتى سافر في أواخر عمره إلى أسترآباد و مكث فيها حتى فارق الحياه عام ٨٥٧ هـ. فحملت جنازته إلى سبزواري و دفن خارجها في الخانقاه الذي كان أجداده قد بنوه.

كان رجلا فنانا و ماهرا في الشعر و الخط و الرسم و الموسيقى. و قد اعترف معاصروه و المؤرخون بفضائله هذه، و منهم دولت شاه الذي مدح خصاله قائلا: "كان رجلا فنانا، ليس له نظير في عصره في أنواع الفنون، و استاذا في الكتابه، و بارعا في الرسم، و ماهرا في علم الموسيقى و يعزف على العود باجاده، و اما في المعاشره و حسن الأخلاق و المنادمه في مجالس الأكابر فكان متقدما على اقرانه و انداده".

و امتدح النقاد المتقدمون أشعار الشاهي فوصفوها بالقوه و رقه المعاني و دقه المضامين و انتخاب الألفاظ و الأبيات، فعلى سبيل المثال قال دولت شاه: "اجمع الفضلاء على ان لطف و رقه و صفاء شعر حافظ مجتمعه كلها في شعر الأميرشاهي، و نفس هذه الصفات جعلته يوجز و يختصر..."، و وصف جامي الأستاذ الكبير في القرن التاسع الهجري، شعره بالترتيب و السلاسه، حيث قال:

"كانت أشعاره لطيفه و مرتبه و سلسله ذات عبارات واضحه و معان قويه" و على نفس هذا النمط كان حديث الأمير على شير حيث وصف شعره بالسلاسه و اللطف، و حسن الاختيار فى غزلياته، و امتدح آثاره بقوله: "ان شعره غنى عن التعريف فى القوه و اللطف و السلاسه، و إذا كان مقلداً فى غزله، فان هذا القليل كان مستحسنا و مختاراً لدى جميع الناس" و الحقيقه ان هذه الأحكام التى صدرت بحق شعر الأمير شاهی كانت كلها صحيحه و مناسبه، و المسلم به ان ديوانه كان مليئاً بالغزل المختار و الألفاظ المنظمه و الدقيقه جداً، و لكن معانى و مضامين غزلياته جاءت فى بعض الأحيان تكراراً لما ورد فى غزليات المتقدمين، و جميعها من نوع الغزل الوجدانى المقترن بالمعانى الرفيعه التى وردت فى بعض غزليات خواجو و جميع غزليات حافظ و أحيانا فى شعر اتباعهما.

طبع ديوانه عدده مرات فى الهند و ايران و هو يشتمل على ما يزيد قليلاً على الالف بيت، و كان البعض قد ذكر ان مجموع أشعاره فى مختلف

ص: ٥

١- راجع الحديث عنه و عن السربداريين فى المجلد الثانى من (المستدركات).

الميرزا إبراهيم الملقب ب حيرت الكرمانشاهی بن الميرزا حسين خان الملقب ب الشاهی:

من الشعراء الذواقين المقتدرين فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى. ولد فى كرمانشاه عام ١٢٩٣ هـ، و برزت قابلياته فى دراسه مقدمات الآداب. اشتغل مده كاتباً لدى رضا قلى خان حاكم كلهر، و نظم خلال ذلك قصه مجنون ليلى، و لكن كان عمر هذا الشاعر الذواق قصيراً جداً، حيث توفى عام ١٢١٧ [١٣١٧] هـ، اى لم يتجاوز عمره ٢٥ سنه.

إبراهيم فران بن حيدر.

ولد فى النبطيه (جبل عامل) سنه ١٩٢٠ م و توفى سنه ١٩٨٣ فى أبيدجان (إفريقيا الغربيه) و نقل جثمانه إلى النبطيه فدفن فيها. كان شاعراً مجيداً نشأ فى النبطيه و بدأ دراسته فيها ثم تابعها فى بيروت. و فى سنه ١٩٤٠ م عين معلماً و استقر فى مدرسه النبطيه حتى سنه ١٩٥٢ م حيث هاجر إلى (أبيدجان) فى إفريقيا الغربيه لامتهان التجاره و لكنه لم يوفق فى تجارته، فتركها إلى (الغابون) سنه ١٩٦٧ فلم يكن أكثر توفيقاً. على أنه استطاع بثقافته و شخصيته أن يكون ذا أثر محمود فى جمع شمل المهاجرين، و توجيه الجاليه هناك إلى أفضل السبل الاجتماعيه.

له ديوان شعر بقى مخطوطاً، و رغم محاولتنا الحصول على شعره لم نوفق إلا إلى القليل منه مما يراه القارئ فيما يلى:

قال فى الامام على بن أبى طالب ع:

سالك البید طر، فديتك و احمل شوق قلبى لمن وراء البید

و تحدث عن مدنف ليس تخبو فى حشاه نار المعنى العميد

صبحه حالك الحواشى، كئيب و دجاه فى الهم و التسهيد

لم يهيج كوامن الوجد فيه سحر طرف و لا التفاته جيد

بل نفوس فى نصره الحق طارت و شهيد ألوى وراء شهيد

هتف الحق بالجنود فكانوا لحماء السامى أعز جنود

طلقوا خسه الحياه و باتوا من ذرى المجد فى قران سعيد

شهداء من هاشم شرع الله لهم فى السماء أسمى البنود

رفعوا من دمائهم فوق هام الدهر تاج الفخار، تاج الخلود
اتخذ الناس من سناه منارا هاديا فى دجى الليالى السود
هم نجاه الشقى من شرك الغى و غوث الداعى و رشد الرشيد
كلما صنت حبههم فى فؤادى خاننى خاطرى فباح قصيدى!
سالك البيد طر فداك من سوء عليل يثن بين الضلوع
إن أتيت الغرى قع و الثم الأعتاب عنى و أرو حديث دموعى
و تقدم إلى المقام بعهد من ولائى لأهله و خضوعى
أنا من هزه الحنين لأرض يتعالى فيها ضريح الشفيح
مشرف، دونه تطامنت الأجيال ما بين سجد و ركوع
تحت أقدامه تحطمت الأحداث كالموج تحت حصن منيع
يتخطى القرون كالشمس فى عالى ضحاها، و فى بهاء السطوع
حوله من ملائك المالأ الأعلى جموع تحوم فوق جموع
هو سحر الجمال فى كل نفس هو سر الجلال فى كل روح
هل درى القلب فيه غير خضوع و عرا الطرف فيه غير خشوع
كم يثير النجوم فى أفقها العالى إلى قدسه أشد نزوع
ساهرات الجفون أبعد عنهن بعيد المزار طيب الهجوع
سالك البيد هل ترى تذكر البيد عهد ازدهارها و علاها
إذ أطلت تتيه، زهوا، على الدنيا بوجهى نبيا و فتاها
فأزالت غواشى الجهل عنها بسنى وحيها و نور هداها
ويحها! ما دها مغانيها الزهر و أشجى و هادها و ذراها

لكان السماء لم يأت منها خير هز أرضها و سماها
و كان الزمان لم يك يوما رهن آمالها و تبع هواها
لهف نفسى على الربوع تغشيها غيوم اكتئابها و شقاها

ص: ٦

١- ذبيح الله صفا.

كانت البرء للنفوس فصارت وهج آهاتها و حر أساها
كانت النور فى العيون نديا فهى، اليوم، للعيون قذاها
ينكر العز وجهها حفه الذل فيدمى فؤاده إذ يراها
رب أين الامام يلقي على البيد سناه فتستعيد بهاها؟
أين، يا رب، صرخه منه فى البيد يهز العصور رجع صداها؟!
يا إمام الدنيا لأنت حديث لونه فواجع الأرزاء!
ذكرك المجد، صبحه فى ائتلاق و ضحاه مخضب بالدماء
ذكرك الحق فى الأنام صريعا حطمته عواصف الأهواء
ذكرك الدين ضائعا بين أفاك ضعيف النهى و بين مرائى
ليت شعرى ما ذا ترى تبلغ الدنيا إذا ناصبتك شر عداء
أنت فوق الأقدار، فوق صروف الدهر، فوق الفناء، فوق البقاء!
نهجك الطهر للعلوم خضم مترامى الأطراف رحب الفضاء
زاخر جللت حواشيه الزهراء روح الشريعة السمحاء
لجج الحق فيه و الحكمه الغراء تترى صخابه الأصداء
فى ثنايا هديره روعه يخطر فيها جلال وحى السماء!
يا إمام الدنيا... و هل نلت منها بعد طول العناء، غير العناء
كبرت أن تكون للخير رفدا هى رفد الأشرار و اللؤماء!
أ يهذى الدنيا تنحى، لكك الويل، فما فيك مارب للعلى
يرتع الظلم فى ظلالك لا يشكو جفا ناصر و فقد صفى
أنت نفع النعيم للخامل الغمر و لفتح الجحيم للبعقرى

أنت عون السفية و الجاهل الباغي و حرب النبيه و الألمعي

حير الفكر منك عفه وجه يزدهى سنه و طبع بغى

أى نفس تجرعت بين أبنائك صاب الضنى كنفس الوصى

أى قلب تناهته الرزايا كأبى فى صدره أريحي

كيف يسلو و هو الغريب و من يصغى لسامى بيانه العلوى

أينما مال لا يرى غير أشباه رجال تعسفوا كل غى

لو أصاخوا إليه لم تعرف الأرض عتو الباغي و دمع الشقى

ضيعوه فضيعوا عزه العرب و سلطان دينها الحنفى

فكان البيداء ما أنبتت يوما نبي الهدى و صنو النبي!!

لست منى يا قلب إن كنت تسلو عن على و ذكره لست منى

و إذا لم تفض على الكون شعرا علويا يروى و يؤثر عنى

تتغنى به الطيور فيهتر لمعناه كل روض أغن

و يدوى صدها فى كل قصر هاشمى الهوى و فى كل ظعن

كيف لا يستبى فؤادى هواه و هو إن تهت يهدنى و يصنى

حبه جنه منوره غناء تزهو بكل لون و لحن

حبه للنفوس آيه حسن تتباهى به على كل حسن

حبه فى الحياه رمز جهاد حبه ثوره على كل غبن

و انعتاق من عالم ليس يرضى العيش فيه سوى الدليل القن

يا إمام الدنيا أ تقبل منى دمعه تقرح الجفون و تضنى

بعثتها ذكراك خير رسول من فؤادى المضنى الكئيب لعينى

هى زلفى إلى رضاك ليوم ليس فيه غير الرضى منك يغنى

وقال يرثى المؤرخ العاملى الأستاذ محمد جابر:

ص: ٧

من ذا يؤرخ بعدك الأيام و يميط عن وجه القرون لثاما
و يقود للحق المبين، فيهتدى، طرفا عن الحق المبين تعامى
و ينير من تاريخ (عامل) حقه جالت يراعا و انبرت صمصاما
سمراء غراء الجبين إذا انتمت كان النجار العرب و الاسلاما!
تركت فؤاد المجد نفاقا من الطرب المشير و ثغره بساما
مرت كأحلام الشباب و خلفت بعد الهناء الوجد و الآلاما
فإذا الروابي الضاحكات تسربلت بعد السنا، كآبه و ظلاما
تجتازها الأحداث عاتيه و قد كانت على أقدامها تترامى
يا ويحها أذوى الشقاء بهاءها و كسا محياها الجميل سقاما
يا وحيها عكس الزمان خطوطها فعدت مغانى عزها أوهاما!
قفراء مضرمه الفؤاد من الجوى تهيمى ماقيها الدموع سجاما
قفراء حالكة الأديم كأنها لم ترع للماضى السنى ذماما
أ و لم تكن للفكر أقدس هيكل حضنت ذراه الوحي و الالهاما
تشكو و ما يصغى لبث شكاتها إلا سوام تعبد الأصناما
أين الأباه الصيد تحمى غيلها و تصد عنه كل شر حاما
تدعو إلى رعى الحفاظ جماعه عافوا الحفاظ و أنكروا الأرحاما
ألفوا الهوان كأنما لم يأنثروا عن يعرب الآباء و الأعماما
يا واضع التاريخ قم حدث فكم أطفات فى عذب الحديث أواما
من دك حصن الظلم من أساسه و أطار باغيه القيود رماما
و أعاد للجبل الأشم بهاءه و أعز فوق هضابه الاعلاما

هل عمه من قبل (عاليه) السنا و أنار منه القلب و الأحلاما
إذا عانقتكم مشفقات سجونها رغم الظلام كواكبا تتسامى
لو لم يقيدها الجمود لأسرعت و حنت أمام جلالكم إعظاما
لم لا تتيه تسلم على الدنيا و قد حوت الحفاظ المر و الاقداما
الله للأحرار! كم جرعوا على مفضض من الألم المبرح جاما
الله للأحرار! ما ذا أجرموا حتى استحقوا الأسر و الاعداما
ألا إنهم عافوا الحياه ذليله تحنى أمام الظالمين الهاما
و أبوا عليها أن تكون على المدى ذئبا يمزق نابه الأنعاما!
الله للأحرار! لم يثلم لهم عزم و إن أتت الخطوب جساما
عادت به الآمال و هى نضيره و عليه بنيان العروبه قاما
قم للحديث أبا الفؤاد مرددا و انر بثاقب نوره الأفهاما
فحديث (عاليه) المضمخ بالابا زان الخلود و توج الأياما
ما زال للحر الأبى حياته و الموت للنذل الخئون زواما
يا واضح التاريخ حال أديمه بعد الصفاء، من الفراق، و غاما
ما زال ينعم فى ظلالك آمننا حتى رمته الحادثات فهاما
ذبلت أمانيه العذاب و أصبحت بعد النضاره و البهائم ركاما
قد كان ألقى فى يديك زمامه و اليوم يلقى للوفاء زماما
هذى الرسائل و الطروس تركتها حسرى مسهده الجفون يتامى
كم جلسه لك بينهن هنيهة لا تشتكى ساما و لا إبراما
خاطبتهن خلالها قبس النهى و عصاره القلب الطهور مداما

عذرا إذا كان العزاء لنفسها و الأُنس و الصبر الجميل حراما
لللهفى على تلك الأنامل لم تعد خلف الصفائح تحمل الأقالما

ص: ٨

لهفى على الأدب المنور يكتسى بعد الطلاقه حلكه و جهاما
لهفى على الفكر اللطيف يغوله عدم مع الأبد البهيم تراسى
بئس الحياه تكون وهما خادعا و تكون خاتمه المطاف ظلاما
فيها يقاسى العقل مر عذابه العسف و التضليل و الابهاما
أمدينه الآلام أى رزيه نزلت فروع و جهها الاعلاما
ألوى فأدمى منك قلبا عانيا علم، على عهد الوفاء أقاما
هل تذكرين له مواقف حره كانت لمجدك حائطا و دعاما
العلم و الشرف الرفيع تلاقيا فيها و دكا البطل و الأوهاما
كم هز رائعها حرائر أنفوس طربا و أحفظ غيرهن لثاما
هذى الرياض، أبا الفؤاد، كئيبه حيرى من الخطب الأليم هيامى
لا تستسيغ من الطيور إذا شدت، لونا و لا تستعذب الأنغاما
و إذا النسائم داعبت أفنانها أشجى الدعاب الزهر و الأكماما
كيف السلو و كل يوم صدرها يلقي من القدر العشوم سهامما
هذا الربيع على طلاقه وجهه أهدي إليها الشكل و الآلاما
أ أبا الفؤاد إليك نفثه مهجه أذكى بها الحزن العميق ضراما
تخذت من الود الوثيق شريعته و من الرعايه للعهود ذماما
يروى بها شوق لوجهك كلما شامت وجوها من بنيك وساما
و رأيت بقومك بعد بينك سيدا فطنا رشيدا حازما مقداما
و قال راثيا:

الدين بعدك مطرق متجهم و الشعر مكلوم الفؤاد متيم

و المنبر المحزون ألقه الأسي يبدى تباريح الهموم و يكتم
يا للمقادرا! أين منها حقبه؟ مرت كأحلام الصبا تتبسم
كانت تدغدغها السعاده و المنى فيها و يحضها الرجاء و يرأم
و اليوم روعها القضاء بحكمه و أزال بهجتها المصاب المؤلم
طافت عليها الحادثات تعلها كأسا جرى فى حانيتها العلقم
عذرا إذا جزعت و حال رداؤها فالبين يرهق و الرزیه تقصم
أ ربوع عبقر ما دهاك؟ و ما جرى؟ حتى طوى ناديك ليل أسحم
عرصاتك الفيحاء عاطله الحلى و رياضك الفناء لا تترنم
حسرى يداعبها النسيم فتنحنى و تنن من فرط الجوى تجمجم
فى كل ناحيه بأرضك ماتم فذ يرف عليه روح ملهم
تبكى بنات الشعر فيه عزيزها حيناً، و يغلبها الدهول فتلطم
تبكى أليفا ما تحول قلبه عنها، و لا عن ذكرها غفل الفم
من للقوافى الشاردات بصيدها و يصوغ منها الخالدات و ينظم
غراء تسبى النفس منها طلعه أزهى من الأمل البهى و أنعم
مختاله الأعطاف ساحره الرؤى عن روعه الوحى السنى تترجم
من لفحه البيداء سمرتها و من ترف الحضاره جيدها و المعصم
تهتز فى خفقات عينها إذا هى أتلت، متع الهوى و تحوم
تشقى النفوس فلا يريم شقاؤها حتى تطالعها الغداه فتنعم
يصغى لها الفجر الندى فينتشى و يهز روح الليل حس مبهم
إن أرعدت راع الأسود زئيرها و إذا استرقت خلت ظيبا بيغم

خطرت على ربوات - عامل - فازدهى و ترنج الصخر الأصم الأبكم

و شدت بها الآرام فى أكنافها طربا، و صاح البلبل المترنم

ص: ٩

لله يومك ما أشد شحوبه طورا يفيض أسى و طورا يكظم

يوم به وجم الزمان كآبه و علا محياه قطوب مظلم

الله أكبر! صرخه علويه هتف الفؤاد بها و ردها الفم

الله أكبر! هل إمام عادل؟ يزجى المواكب أو نبى ملهم؟

يحدو إلى دار الخلود ركابه و القلب يشفق و المآقى تسجم

يعتاده خوف الفراق فيثنى و يحثه حب اللقاء فيقدم

يا من رأى العلماء حول سريره كالبدر حفت جانبيه الأنجم

نور الهدى يفتقر فوق جباههم و الطهر فى قساماتهم يتجسم

تذرى عيونهم عليك دموعها و نفوسهم مشبوهه تتصرم

و أروك فى جدث و هم لو خيروا و أروك ما بين الأضالع منهم

يا شاعر الطف المخلد ذكره أين العزاء؟ و أين منك محرم

رجع وراء القبر شجو حديثه فالنفس من ترجيعه لا تسأم

رجع أناشيد البطوله و العلى و ماثرا تفنى العصور و تسلم

و اهتف بذكرى كربلاء و يومها لما هوى فيه الشهيد الأعظم

كم نفته لك فيه سعرها الجوى يلظى بها القلب الخلى و يضرم

تبقى على الأيام منها رنه أشجى من النغم الشجى و أرخم

ما ذا لقيت من الحياه؟ و هل ترى؟ فى حالتها ما يسر و يؤم

إن الهناء بها سراب زائل و كذا الشقاء خديعه و توهم

نسعى و نجهد كى نحقق مغنما فيها و ما غير المنيه مغنم

أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت:

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان) و نشر هذه الدراسة عنه مكتوبه بقلم الأستاذ على أكبر ضيائي:

بنو نوبخت (١) و قال السمعاني: النوبختي بضم النون أو فتحها و فتح ألباء الموحد و سكنون الخاء المعجمه و في آخرها التاء المنقوطة من فوقها بائنتين، هذه النسبه إلى نوبخت و هو اسم لبعض أجداد أبي محمد الحسن بن الحسن بن علي بن عباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت (١٨٩/١٣-١٩٠) و انظر أيضا: ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٣٢٨، ابن طائوس، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، النجف، ٣١١-٣١٢. بيت معروف من الشيعة منسوبون إلى نوبخت الفارسي المنجم (٢)، نبغ منهم كثير من أهل العلم و المعرفة بالكلام و الأخبار و النجوم (٣) و الفرق الإسلاميه و اشتهر منهم بعلم الكلام جماعه أشهرهم أبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي، و أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي و أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت و كان لهم إمام بالفلسفه و سائر علوم الأوائل و نظر في الأصول و اطلاع على الكتب الفلسفيه المترجمه إلى العربية و الحركات السياسيه في عهد الدوله العباسيه.

و لما كان لبعضهم مخالقات يسيره في خصوص بعض المسائل مع سائر متكلمي الشيعة و أهل الفقه و الحديث منهم، تعرض متكلمو الشيعة لجمله منها في أثناء كتبهم و أشاروا إلى من يوافقهم في تلك المسائل أو يخالفهم.

و الظاهر أن الشيخ المفيد هو أول من أشار إلى هذه الخلافات الكلاميه في كتابه المسمى بـ "أوائل المقالات في المذاهب و المختارات".

قال المؤلف (٤) في مقدمته: "فاني بتوفيق الله و مشيئته مثبت في هذا الكتاب ما اثر إثباته من فرق ما بين الشيعة و المعتزله و فصل ما بين العدلية من الشيعة و من ذهب إلى العدل من المعتزله و الفرق ما بينهم من بعد و ما بين الاماميه فيما اتفقوا عليه من خلافهم فيه من الأصول و ذاكر في أصل ذلك ما اجتبته انا من المذاهب المتفرعه في أصول التوحيد و العدل و القول من اللطيف من الكلام و ما كان موافقا منه لبنى نوبخت رحمهم الله و ما هو خلاف لآرائهم في المقال و ما يوافق ذلك مذهبه من

ص: ١٠

١- المشهور ان نوبخت بضم النون و الظاهر ان هذا معرب نوبخت بفتح النون و هو لفظ فارسي مركب معناه جديد البخت و الطالع (أفندي، رياض العلماء (٣٨/٦)

٢- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، باريس، ١٨٧٤ م، ٨/٢٩٠، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينه السلام، دار الكتاب العربي، ٦٧/١، أبو ریحان البيروني، الآثار الباقيه، حققه إدوارد زاخاؤو، ١٩٢٣ م، ص ٢٧٠، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت دار سويدان ٦/٦٣٢، ٦٤٨.

٣- من مدائحهم بعلم النجوم ما مدحهم به ابن الرومي و أفرط على عادته الشعر فقال: أعلم الناس بالنجوم بنو نوبخت علما لم يأتيهم بالحساب بل بان شاهدوا السماء علوا يترقى في المكرمات الصعاب ساورها بكل علياء حتى بلغوها مفتوحه الأبواب راجع عن هذه الأبيات: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، لابن طائوس: النجف، ١٣٦٨.

أهل الاعتزال وغيرهم من أصحاب الكلام ليكون أصلا معتمدا فيما يمتحن للاعتقاد " وقد تعرض الشيخ المفيد لآرائهم الكلامية في أثناء كتابه مرات كثيرة.

و تعرض تلميذه السيد المرتضى لبعض آرائهم في كتاب الذخيره و جاء بعدهما شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي و أشار إلى آرائهم في كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام و هو شرح على القسم النظرى من جمل العلم و العمل للسيد المرتضى و أيضا الفيلسوف الكبير خواجه نصير الدين الطوسي في كتاب تلخيص المحصل و العلامه الحلى في كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد و كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت و جمال الدين مقداد بن عبد الله السيورى الحلى في كتاب إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين.

ثم انتشرت آراؤهم فى الكتب الكلامية و ذاعت شهرتهم بين متكلمى الشيعة و المعتزله و تعرضت آراؤهم للبحث و النقد فى عالم الفكر الإسلامى.

ابن نوبخت:

إشارة

اسمه أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت على ما قاله العلامه الحلى فى مقدمه كتاب أنوار الملكوت فى شرح الياقوت: " قد صنف شيخنا الأقدم و إمامنا الأعظم أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت قدست روحه الزكيه و نفسه العلية مختصرا سماه الياقوت " (١) لكنه اشتهر باسم ابن نوبخت فى الكتب الكلامية.

أما المؤرخون فاختلّفوا فى اسمه، فقال الميرزا عبد الله الأفندى الأصبهاني: " ابن نوبخت قد يطلق على الشيخ إسماعيل بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت الفاضل المتكلم المعروف الذى هو من قدماء الامامية، صاحب الياقوت فى علم الكلام (٢) " و قال: إن هذا الاسم أعنى - ابن نوبخت - يطلق على إسماعيل بن نوبخت الذى كان معاصرا لأبى نواس الشاعر و على الشيخ إسماعيل بن على بن نوبخت المتكلم الذى كان من كبار الشيعة و على أبى الحسن على بن احمد بن نوبخت (٣) و لا ندرى ما هو مستنده فى هذا القول و لكننا وجدنا فى الكتب الكلامية أن هذا الاسم - أى ابن نوبخت - يطلق فقط على مؤلف الياقوت، لا غيره من بنى نوبخت.

و قال السيد حسن الصدر: " أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت صاحب كتاب الياقوت فى الكلام الذى شرحه العلامه ابن المطهر الحلى " ثم أشار إلى قول العلامه فى مقدمه كتاب أنوار الملكوت فى أن مؤلف الياقوت هو أبو إسحاق ابن نوبخت و لكنه لم يشر إلى اسمه أعنى إبراهيم و زعم ان اسمه إسماعيل (٤).

و قال الشيخ عباس القمى (٥): " و من غلمان أبى سهل أبو الحسن السرسنجرى و اسمه محمد بن بشير و يعرف بالحمدونى منسوباً إلى آل حمدون و حفيده أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن أبى سهل صاحب كتاب الياقوت فى الكلام الذى شرحه العلامه ".

و قال عباس إقبال الأشتياني (٤): "كلما ذكر في الكتب الكلامية قول من الياقوت ذكر اسم "ابن نوبخت"، إلا ان العلامة في مقدمه أنوار الملكوت ذكر أنه الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت وهذه الكنية و الاسم رأيتها في ثلاث نسخ من كتاب أنوار الملكوت واحد و بدون اختلاف و مع تصريح العلامة باسم ابن نوبخت ما علمت دليل الميرزا عبد الله أفندي مؤلف رياض العلماء و من تبعه من المؤلفين المتأخرين في العراق و سوريا بان اسم ابن نوبخت إسماعيل و أنه إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت و مستند صاحب الرياض في ذلك غير معلوم".

و تردد محقق كتاب أنوار الملكوت (٧) في اسم ابن نوبخت و قال:

لكنني لا أرى ترجيحاً لقول العلامة على قول صاحب الرياض، إذ لو كان قرب عهد المؤلف (مؤلف الياقوت) من العلامة مرجحاً لقوله، فتضلع صاحب الرياض في تراجم العلماء و تجرّه فيه أيضا يرجح قوله" و لكنه اختار في نهايه القول ما قاله العلامة، لأن خلاف ذلك يحتاج إلى دليل قاطع.

و أما مستند قول الميرزا عبد الله أفندي في اسم أبيه و جده فغير معلوم أيضا و تبعه في ذلك الشيخ عباس القمي و السيد حسن الصدر و أما إذا علمنا أن عهد المؤلف بعيد جدا عن عهد أبي سهل بحيث يبعد أن يكون المؤلف حفيدا له و لنا دلائل تؤيد ذلك، فانا نشك في ما قاله أفندي الاصبهاني في اسم أبيه و جده.

و جاء في كتاب بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض (٨) الذي ألف في حدود ٥٦٠ هـ اسم إبراهيم النوبختي و لكن لا ندرى أ هو مؤلف الياقوت، أم هو إبراهيم آخر غير مؤلف هذا الكتاب و أما إبراهيم الذي أشار اليه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة (٩) فهو غير مؤلف الياقوت، لأن من ذكره الشيخ كان حيا في أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع و عهد المؤلف - أعني أبا إسحاق إبراهيم بن نوبخت - في رأينا بعيد عنه جدا.

عهد ابن نوبخت:

وقع في تحديد عهده خلاف كبير بين المؤرخين الإسلاميين و المستشرقين.

لم يحدد الميرزا عبد الله أفندي (١٠) عهده، لكنه يعتقد أن مؤلف الياقوت هو حفيد أبي سهل بن نوبخت (كان حيا في القرن الثاني) و هذا يعني أن أبا إسحاق كان يعيش في حدود القرن الثالث و زعم السيد حسن الصدر (١١) أن أبا إسحاق عاش في القرن الثاني و استند إلى قول الجاحظ البصري (١٢).

ص: ١١

١- أنوار الملكوت، ص ٢.

٢- رياض العلماء، ٣٨/٦.

٣- نفس المصدر و انظر قول السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة، ٣٧٤/٢.

٤- الشيعة و فنون الإسلام، ٦٩، تأسيس الشيعة، ٣٤٦-٣٦٥.

- ٥- الكنى و الألقاب، ٩٤/١-٩٥.
- ٦- خاندان نوبختى، ١٦٧.
- ٧- أنوار الملكوت، " و " مقدمه.
- ٨- ١٨٤/٢، ١٨٦.
- ٩- ص ٢٢٦-٢٢٧، خاندان نوبختى، ١٧٠.
- ١٠- رياض العلماء ٣٨/٦.
- ١١- تأسيس الشيعة، ٣٦٥-٣٦٥.
- ١٢- البخلاء، ص ١٠٥.

" كان أبو نواس يرتعى (١) على خوان إسماعيل بن نوبخت كما ترتعى الإبل فى الحمض (٢) بعد طول الخله (٣)، ثم كان جزاؤه انه قال:

خبز إسماعيل كالوشى (٤) إذا ما شق يرقا

ثم قال الصدر: " أبو نواس مات سنه ثمان و تسعين و مائه و قيل: قبل ذلك، فلا بد أن يكون إسماعيل بن إسحاق المذكور من أعيان المائة الثانيه و لا أعرف إسماعيل قبله فى آل نوبخت ". ثم استند إلى قول الميرزا أفندى فى أن إسماعيل بن نوبخت كان معاصرا لأبى نواس الشاعر و لكن ليس لدينا أى دليل على أن اسمه إسماعيل، لا إبراهيم و مع هذا الشك يبقى دليل السيد الصدر مشكوكا فيه.

و زعم عباس إقبال الآشتياني (٥) ان أبا إسحاق بن نوبخت صنف الياقوت فى حدود ٣٤٠ ق - و له دلائل متعددة تؤيد نظره و اشتهر هذا القول عنه بين المستشرقين (٦).

و أما ما ذهب إليه ابنا نوبخت فى معنى المكلف، على ما قاله السيد المرتضى (٧)، فلا نعلم ما المراد منهما، لا سيما إذا علمنا ان الشيخ ابن نوبخت ذهب إلى خلاف ما نسب إلى ابني نوبخت فى معنى المكلف.

نقل بول كراوز عن الميرزا محمد خان القزوينى أن منهج أبى إسحاق بن نوبخت فى تأليف الياقوت يدل على ان عهد المؤلف قريب من عهد العلامة الحللى (ت. ٧٧٦ [٧٢٦] ه).

و اعتقد هنرى كوربن أن أبا إسحاق هو أول من نظم الفلسفه الإسلاميه فى كتاب الياقوت فى حدود ٣٥٠ ه - ٩٦١ م و تبعه خواجه نصير الدين الطوسى و أتم فعله.

و قد أشرنا إلى أقوال العلماء فى تحديد عهد المؤلف و نحن نعتقد أن المؤلف عاش بين النصف الثانى من القرن الخامس و النصف الأول من القرن السابع [السادس] و لنا دلائل متعددة نشير إليها بالاختصار كما يلى:

١ - إن المعقدرات الكلاميه للمصنف فى هذا الكتاب لا تناسب الأفكار التى نسبها الشيخ المفيد إلى بنى نوبخت فى كتاب أوائل المقالات و التى نسبها السيد المرتضى فى كتاب الذخيره و الشيخ الطوسى فى كتاب تمهيد الأصول فى علم الكلام.

و الظاهر أن لفرد مادلونج هو أول من نبه على هذا الموضوع من المقارنه بين أقوال بنى نوبخت فى أوائل المقالات و كتاب الياقوت و اعتقد ان زمن تأليف الياقوت يجب ان يكون القرن الخامس أو بعده.

٢ - ذهب أبو إسحاق بن نوبخت إلى ان مناط حاجه الممكن إلى العله هو الإمكان.

و قال خواجه نصير الدين الطوسى: " و القائلون بكون الإمكان عله الحاجه هم الفلاسفه و المتأخرون من المتكلمين و القائلون بكون الحدوث عله لها هم الأقدمون منهم ".

و الجدير بالذكر أن خواجه نصير الدين الطوسي ولد في ٥٩٧ هـ و مات في ٦٧٢ هـ و هذا يدل على أن أبا إسحاق كان معاصرا لنصير الدين الطوسي.

٣ - شرح هذا الكتاب ابن أبي الحديد المعتزلي الذي مات في سنة ٦٥٦ هـ و هذا يعني ان زمن تأليف الياقوت لا- يكون بعد النصف الأول من القرن السابع و المقارنه بين هذا الكتاب و كتاب محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين لفخر الدين الرازي (ت. ٦٠٦ هـ) تكشف لنا أن الياقوت قد أُلّف على ترتيب كتاب الرازي و المؤلف - أي أبو إسحاق - قبل بعض آراء الرازي و رد على البعض الآخر.

آراءه الكلاميه:

نشير إليها كما يلي:

١ - ذهب الحكماء إلى زياده الوجود على الماهيه في الذهن، لا- في الخارج و استدلوا على ذلك بصحة سلب الوجود عن الماهيه و بافتقار حمل الوجود على الماهيه إلى الدليل و بانفكاك الماهيه من الوجود في الذهن و بلزوم اتحاد كل الماهيات لو كان الوجود عينا لها و بلزوم التسلسل لو كان الوجود جزءا للماهيه.

أما أبو الحسن الأشعري و أبو الحسين البصري و أبو إسحاق بن نوبخت فذهبوا إلى ان الوجود هو نفس الماهيات، واجبه كانت أو ممكنه.

٢ - ذهب الشيخ أبو إسحاق إلى ان الايمان هو التصديق القلبي فقط، كما ذهب اليه كمال الدين بن ميثم في قواعده و جمال الدين مقداد بن عبد الله السيوري الحلبي في إرشاده و أما المحقق الطوسي و العلامة الحلبي فذهبا إلى أنه التصديق بالقلب و اللسان معا و ذهب ابن أبي الجمهور الاحسائي إلى أن الايمان لغه هو التصديق و أما شرعا فهو التصديق القلبي للرسول في كل ما علم مجيئه به بالضروره، أي فيما علم انه من الدين، بحيث يعلمه العامه من غير افتقار إلى نظر و استدلال، كوجوب الصلاه و حرمة الخمر و نحو ذلك.

٣ - ذهب الشيخ أبو إسحاق بن نوبخت إلى أن الأجسام يجوز خلوها عن الأعراض الا اللون و الطعم و الرائحه كالهواء و ذهبت المعتزله و الحكماء و فخر الدين الرازي و العلامة الحلبي إلى جواز خلوها عن الأ-عراض الا- الكون و قيد المحقق الطوسي بالمذوقه و المرئيه و المشمومه و خالفت الأشاعره في ذلك و قالوا بامتناع خلوها عن شيء من الأعراض.

٤ - و من معتقداته ان ماهيته تعالى معلومه كوجوده.

٥ - و أن ماهيته تعالى الوجود المعلوم.

٦ - و اعتقد ان اللذه العقليه عليه تعالى جائزه، مع تفسيرها باراده

١- يرتعى: يأكل.

٢- الحمض: ما كان فيه ملوحه.

٣- الخله: خلاف الحمض.

٤- الوشى: الثوب المرقوم.

٥- خاندان نوبختى، ١٦٨-١٧٠.

٦- فؤاد سزجين، تاريخ التراث العربى، - (٣) ٢٩٥-٢٩٦، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، ٣-٣٢٨-٣٢٩.

٧- الذخيره، ١١٤، قال السيد المرتضى: "قالوا: إن الحى الفعال هو الذات من الذوات، ليست بجوهر متحيز ولا حال ولا عرض

فى هذه الجملة و إن كان يفعل فيها و يدبرها و يصرفها و هذا المذاهب محكى عن معمر و اليه كان يذهب ابنا نوبخت "

الكمال من حيث انه كمال.

٧- و ذهب إلى ان استحقاق الثواب و العقاب سمعى، لا عقلى و أما جمهور المعتزله فيذهب إلى انه عقلى، لا سمعى.

٨- و ذهب إلى ان العلم بدوام الثواب و العقاب سمعى و قالت المعتزله انه عقلى و اختاره المحقق الطوسى و العلامه الحلى و ذهب المرجئه إلى انه سمعى.

٩- و له فى مبحث الإراده و الحرکه و السكون آراء يطول ذكرها.

آثاره:

أ - الياقوت و قد أشرنا إلى بعض آراء المصنف فى هذا الكتاب. و أول ما شرح هذا الكتاب عبد الحميد بن محمد المدائنى المعروف بابن أبى الحديد، ثم شرحه العلامه الحلى و سماه أنوار الملكوت فى شرح الياقوت و حققه السيد محمد النجمى الزنجانى و طبع فى جامعه طهران و أعيد طبعه بالأفست فى قم المقدسه و مع ذلك وجدنا فيه أخطاء كثيره.

و من الجدير بالذكر ان المقارنه بين المباحث الكلاميه المطروحه فى كتابى الياقوت و نهج المسترشدين للعلامه الحلى ترشدنا إلى أن العلامه كان إلى حد كبير متأثرا بابن نوبخت و أسلوبه البيانى فى كتاب الياقوت.

و شرح أنوار الملكوت السيد عميد الدين الأعرجى الحلى.

ثم شرح الياقوت أيضا الشيخ شهاب الدين إسماعيل بن الشيخ شرف الدين أبى عبد الله الحسين العاملى و سماه أرجوزه فى شرح الياقوت.

ب - الابتهاج و المراد منه اللذه العقليه و اتفق الحكماء و بعض المتكلمين على ثبوتها لله تعالى لأنه تعالى مدرك لأ-كامل الموجودات - أعنى ذاته - فيكون ملتذا بها و ذهب إليه ابن نوبخت فى كتاب الياقوت و بسط القول فى كتابه المسمى ب "الابتهاج" و ذكر العلامه الحلى فى أنوار الملكوت انه ما عثر على هذا الكتاب و قال ابن أخت العلامه السيد عميد الدين الأعرجى الحلى فى شرحه لأنوار الملكوت انه ما عثر على هذا الكتاب أيضا و نحن نقول كذلك.

أبو الحسن ميرزا الملقب ب حيرت و الشيخ الرئيس ابن الأمير محمد تقى ميرزا حسام الدوله بن فتح على شاه القاجارى:

أحد كبار الشعراء فى أواخر العصر القاجارى. ولد عام ١٢٦٤ هـ فى تبريز، و ذهب إلى المدرسه فى السادسة من عمره، و تعلم القراءه و الكتابه فى فتره قصيره. و فى الحاديه عشره من عمره قدم إلى طهران و باشر بدراسه العلوم القديمه فى مدرسه الملا آقا رضا، ثم سافر مع أبيه إلى مشهد و هو فى الرابعه عشره من عمره. و بعد وفاه أبيه عاد إلى طهران و دخل فى مدرسه نظام بامر من القائد الأعظم الميرزا محمد خان القاجارى و درس فيها لمدته سنتين الحساب و الهندسه، و لكنه لم يكن يرغب فى هذه العلوم فانصرف عنها، و ذهب مع أمه إلى خراسان و ارتدى لباس أهل العلم هناك و باشر بتعلم علوم الأدب و بدأ بنظم الشعر، و اشتغل خلال ذلك بتعلم الحكمه و الكلام و مباحثه الاسفار الأربعة، و كذلك درس الطب. ثم سافر إلى العتبات المقدسه لإكمال

العلوم الشرعيه، فدرس سته أشهر على كبار العلماء و المشايخ ثم انتقل إلى سامراء فحضر دروس الميرزا الشيرازى و بعد ذلك حج بيت الله الحرام ثم سافر إلى عشق آباد و سمرقند و بخارى و عاد فى نهايه المطاف إلى شيراز، و اقام فيها زمنا اشتغل فيه بالوعظ و التدريس و امامه الجماعه و اضحى مرجعا لاهالى تلك النواحي و قدوه للعلماء و رجال الدين و اسوه للحكماء.

تحدث محمد على المدرس عنه فى كتابه (ريحانه الأدب) فقال: "لما كان أبو الحسن ميرزا شريفًا فى حسبه و نسبه و عالما و أدبيا كبيرا فى عصره، و صاحب قدره كبيره فى الوعظ و الخطابه، فإنه لفت انتباه و اهتمام السياسيين القائمين بحركه المشروطه و الداعين إلى انهاء السلطه الاستبداديه، فاستفادوا منه كثيرا فى الخطابه و البيانات، و كان هو بدوره من ابرز شخصيات دعاه المشروطه، حتى كان قصف مجلس الشورى الوطنى بالمدفعيه بامر من محمد على شاه القاجارى و تعرض دعاه التحرر لانواع التعذيب و المطارده، فلم يسلم هو من هذه الأعمال حيث القى عليه القبض و أوثق بالسلاسل فى حديقته الشاه، ثم أفرج عنه فيما بعد.

ألف ثلاثه كتب هى (كتاب الأبرار) و (كتاب اتحاد الإسلام) و (كتاب المنتخب النفيس)، و كان الكتاب الأول فى الرد على احمد القاديانى مدعى المهديه، و ألف الكتاب الثانى للسلطان العثمانى، و اشتمل الثالث على أشعاره العربيه و الفارسيه و بعض مقالاته.

توفى عام ١٣٣٦ هـ فى طهران، و دفن فى ايوان مقبره ناصر الدين شاه القاجارى. (١)

الميرزا أبو الفتح خان السامانى الاصفهانى الملقب بسيف الشعراء و المعروف فى أشعاره بالدهقان ابن بابا خان:

أحد كبار الشعراء فى زمن ناصر الدين شاه و مظفر الدين شاه. ولد عام ١٢٤٩ هـ فى قريه (ساحان [سامان]) الواقعه بين شهر كرد و أصفهان (إلى الشمال الغربى من چهار محال بختيارى) لعائله قرويه مزارعه. درس مقدمات الأدب ثم توجه إلى الشعر فشق طريقه إلى محافل شعراء أصفهان فنال شهره فى أوساطهم. ترك العديد من الآثار الشعريه، منها ديوانه المشتمل على عشره آلاف بيت فى المثنوى و الغزل و القصائد، و منظومه باسم (باستان نامه) و الأهم من ذلك نظمه لالف ليله و ليله باسم سليمان خان ركن الملك الشيرازى فى كتاب اسماء (هزار داستان)، و هو يحتوى على اثنين و خمسين ألفا و خمسمائه بيت، و قد دون بخط نستعليق فى ٦٤٥ صفحه و طبع فى طهران بين عامى ١٣١٧ و ١٣١٨ هـ. بدأ تأليف كتابه هذا فى عام ١٢٩٦ هـ و فرغ منه عام ١٣٠٤ هـ. و كانت وفاته فى عام ١٣٢٦ هـ. (٢)

الميرزا أبو القاسم القائم مقام الفراهانى

المشهور بالثنائىكان وزيراً كبيراً و عالماً بارزاً فى العهد القاجارى و من مشاهير شعراء و أدباء هذا العهد. و هو من سادات أراكان. كان أبوه سيد الوزراء الميرزا عيسى المشهور بالميرزا القائم مقام الكبير قد أرسل إلى آذربايجان فى زمن فتح على شاه لمساعدته ولى العهد عباس ميرزا، و لقب حينئذ بقائم مقام

١- عبد الرفيع حقيقت.

٢- عبد الرفيع حقيقت.

الصدارة الكبرى. و كان أجداده أيضا قد اشتغلوا فى زمن كريم خان زند بالوظائف البلاطيه.

ولد الميرزا أبو القاسم عام ١١٩٣ هـ و أشرف أبوه على تربيته و تدريسه العلوم المتداوله فى عصره. و حين توفى أخوه الأ-كبر الميرزا حسن الوزير عام ١٢٢٦ هـ، تآثر أبوه كثيرا و قرر الركون إلى العزله، و كان الميرزا أبو القاسم حينئذ فى طهران، فاستدعاه أبوه و أوكل اليه وظيفته الرسميه التى كانت عباره عن وزاره نائب السلطنه الميرزا عباس بعد ان استاذن فتح على شاه فى ذلك. و لم يمض وقت طويل على تسلم الابن لمهام أبيه حتى اثبت جدارته و لياقته، و لفت نظر الميرزا عباس اليه، و حظى بمنزله رفيعه عنده.

لقب الميرزا أبو القاسم الفراهانى بلقب (القائم مقام) بعد وفاه أبيه عام ١٢٣٧ هـ. و قد تزامنت وزاره القائم مقام مع الحروب بين ايران و روسيا، و يمكن الوقوف على أسباب هزيمه ايران من خلال التصريحات و الإشارات التى وردت فى نظمه و نشره. و قد ذكر المؤرخون ان فتح على شاه القاجارى سافر إلى تبريز عام ١٢٤٢ هـ، و عقد اجتماعا مع مجلس استشاره ضم أعيان و وجهاء ايران لمداوله الرأى فى خوض الحرب مع روسيا أو عقد الصلح معها، فكان رأى الجميع مع شن الحرب ما عدا القائم مقام الذى كان مخالفا للحرب و مؤيدا للصلح. فآثار رأيه هذا سوء الظن فى نفس الشاه فطرده من البلاط، و لكن هزيمه ايران أظهرت رجاحه رأيه و سلامه نيته، فأعيد مره اخرى إلى منصبه.

بقى القائم مقام ملازما لنائب السلطنه الميرزا عباس حتى وفاه الأخير عام ١٢٤٩ هـ، و بعد وفاه فتح على شاه عام ١٢٥٠ هـ وقف إلى جانب محمد ميرزا بن عباس ميرزا حتى وصل إلى السلطه. و لكن هذا الملك لم يحفظ عهد الصداقه مع الوزير العالم، فما ان استقرت له الأمور حتى أخذ يستمع إلى أقوال المغرضين بحق صديقه القديم، و من ثم امر بخنقه فى بستان (نكارستان) عام ١٢٥١ هـ. و ذكر بعضهم ان عدوه و منافسه الحاج الميرزا الآقاسى كان شريكا فى قتله، حتى انه تولى مهام الصداره بعد مقتل القائم مقام.

يعتبر القائم مقام من كبار رجال السياسه إلى جانب كونه من أساتذته الأدب. و قد جمع ذكاء و نبوغا و فضائل جمه، و هو شاعر كبير و كاتب مقدر، و على حد تعبير صاحب (المرزبان نامه) قلما يحدث ان يجتمع هذان الفنان فى شخص واحد، بحيث يصبح استاذا فيهما معا.

و بغض النظر عن المقام السياسى الشامخ الذى شغله الميرزا أبو القاسم القائم مقام بحكم موقعه فى البلاط، و الآثار الكبيره التى تركها على الأوضاع السياسيه و الاجتماعيه فى البلاد، كان مؤثرا فى المجالات الادبيه و الأمور المعنويه فى ايران من خلال نشره و نظمه، فهو يعد واحدا من فحول العلماء و كبار الأدباء فى عصره.

و قد ذكر الوحيد الدستگردى فى مقدمته التى كتبها على ديوانه ان عدد أبيات شعره تجاوز الثلاثين ألف بيت، و لكن لم يبق منها أكثر من ألفى بيت. و قد اشتملت أكثر قصائده على الأحداث السياسيه لعصره، و على وجه الخصوص الحروب التى دارت فى زمن ولى العهد الميرزا عباس بين ايران و جيرانها. و كانت مثل هذه القصائد اما مشتمله على فتوحات ولى العهد أو الهزائم التى منيت بها ايران، و التى يعقب على ذكرها بالتأكيد على ان الحروب التى وقعت فيها الهزائم لم تكن موافقه لرأيه بل كان القرار فيها بعيدا عن موافقته و رضاه. ثم يخاطب قاده الجيش المنهزمين باستهزاء و سخرية. و جاء قسم آخر من أشعاره فى

الشكوى من اغتنام أعدائه لفرصه فصله عن وظيفته و مبادرتهم إلى نهب املاكه، و هو يأس لما يراه من الغاصبين و المعتدين و يقول ان جزاء ثلاثين سنه من الخدمه الصادقه لا يمكن ان يكون ما رآه من أعدائه.

و فى قسم آخر من أشعاره يدافع بشكل خاص عن الذين حل عليهم غضب الشاه، فهو ينظر إلى الدنيا من خلال نظرتهم و يتحدث عن لسانهم. ثم يشكو فى جانب آخر من شعره من ظلم و جور الحكام و قد قال أغلب هذه الاشعار فى زمن عزله عن منصبه.

و إذا كان القائم مقام قد نظم بعض قصائده فى المدح، فإنه لم يكن يتردد فى ذكر عيوب الدوله، كما فعل مثلاً فى قصيدته التى يمتدح فيها الميرزا عباس. و سوى هذه الأمور لا نرى شيئاً آخر نظم به الا شيئاً قليلاً من الغزل و التشبيب، و لكنه لم يبدع فى هذين الجانبين كابداع الشعراء المتقدمين.

و لم تأت مدائحه مبالغ فيها و مستهجنه كمدائح (صبا) و القآنى لفتح على شاه و لا عذبه و مستحسنه كمدائح سروش و ملك الشعراء محمود خان و قد تحدث ملك الشعراء (بهار) عن شعر الميرزا أبو القاسم القائم مقام فقال: "رغم ان القائم مقام سلك فى شعره مسلك الشعراء المتقدمين فى خراسان، و لكنه كان يتصرف فى هذا المسلك، و خصوصاً فى الاشعار التى يريد فيها ان يقول شيئاً معيناً أو يوضح أمراً بعينه. (١)

أبو القاسم اللاهوتى المعروف ب اللاهوتى خان:

من شعراء عهد الصحوه و استقرار حكمه القانون و المشروطه فى ايران. ولد فى كرمانشاه عام ١٣٠٥ هـ، و كان أبوه الميرزا احمد الالهامى من الشعراء المعروفين فى زمانه.

ترعرع أبو القاسم اللاهوتى فى منزل أبيه وسط اجواء كرمانشاه الاديبه، و لم يكن أبوه قادراً على الإنفاق عليه لإكمال دراسته، و هو من يتوسم فى نفسه موهبه و استعداداً لطلب العلم، فاستعان بأحد أصدقاء الاسره و سافر إلى طهران لهذا الغرض. و كان عمره آنذاك ست عشره سنه. و بعد سنتين أى فى أواخر عهد الاستبداد أخذ ينظم الشعر فى صحيفتى (الحبل المتين) فى كلكتا و (ايران نو) فى ايران، و كان شعره يحمل نغمه التحرر. و كانت أشعاره هذه سبباً إلى اشتهار اسمه على ألسنه الناس (و ذلك فى عام ١٣٢٣ هـ).

نشط اللاهوتى خلال تلك السنين فى فعالياته مع دعاه الحريه و المشروطه و كان ينشر مقالاته السياسيه عام ١٣٢٣ هـ اى قبل صدور قرار المشروطه بسنه واحده، فتعرض للمطارده كسائر الأحرار الآخرين. و يبدو من قصيده له نظمها عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٨ م) باسم (نشان) انه اشترك فى قتال المستبدين فى رشت و نال و سام (ستار خان).

و فى عام ١٣٣٠ هـ (فى زمن احمد شاه) قام ناصر الملك بنفى بعض الديمقراطيين و جماعه من دعاه العداله و التحرر إلى قم، فحدثت ضجه فى أوساط أنصارهم و خصوصاً بين أفراد قوات الدرک، فقام الشباب

منهم بحركه احتجاج صاحبه، و من ابرز المحتجين على أصغر خان قربان زاده التبريزى الذى كان من أصحاب المراكز الكبيره فى الدرك و تميز باخلاصه و مواقفه، و كان حينئذ يشغل منصب قائد منطقتى قم و أراك، فتمرد على الدوله و جرد مراكز خط طهران - قم من السلاح و التحق بسالار الدوله، و لكنه لم يستطع الوصول إلى اهدافه، فألقى القبض عليه و اعدم رميا بالرصاص. و كان اللاهوتى آنذاك رئيسا للدرك فى منطقه قم، فاتهم بالقيام باعمال تخريبية فى درك قم، و تعرض للمطارده، ثم حوكم غيابيا و حكم عليه بالاعدام. الا انه أفلح فى الهرب من الاراضى الإيرانيه و لجأ إلى الاراضى العثمانيه، فوصل اسطنبول عام ١٩١٤ م، و امضى هناك فتره من البطاله و الضياع، حتى ساعده بعض اصدقائه الإيرانيين المقيمين فى اسطنبول على الاشتغال مدرسا للغه الفارسيه فى ابتدائه (أحمديه) الإيرانيه و لكن حياته بقيت صعبه رغم ذلك.

و فى تلك السنين كانت ايران تعيش أقصى مراحل تاريخها، حتى اندلعت الحرب العالميه الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) فاخذ الأعداء يهاجمون الاراضى الإيرانيه من كل حذب و صوب و يتقاسمونها بينهم.

و كان القتال و النزاع يحدثان فى كل المناطق الإيرانيه بين آونه و اخرى.

فمثلا- كان الالمان و العثمانيون يتخاصمون بينهم من جهه، و من جهه اخرى كان هؤلاء يتقاتلون مع الروس. و من جهه ثالثه كانت بريطانيا تشدد من نشاطاتها و هجماتها، و هى التى تعتبر نفسها المالك الاصلى لايران و الهند و بلدان سواحل الخليج الفارسي.

و ساهم الالمان ثم تلاهم العثمانيون فى تشكيل الحكومه الإيرانيه المؤقته برئاسة رضا قلى خان المافى (نظام السلطنه) فى قم أولا ثم فى كرمانشاه، فعمت البلاد الفوضى و الاضطراب. و فى مثل تلك الظروف رأى أبو القاسم اللاهوتى الفرصه مناسبه للعوده إلى ايران، بعد ان كان مرغما على البقاء فى اسطنبول سنين طويله خوفا من الاعدام، و هكذا عاد إلى ايران فى خضم الاضطرابات الداخليه، و توجه من فوره إلى كرمانشاه فدخل معسكر الوطنيين الأحرار، و باشر بشن حملاته على الأجانب من خلال صحيفه (بيستون) التى أسست فى أواخر عام ١٣٢٥ هـ، و تصدر مرتين فى الأسبوع باداره صديق دفتر. و كان اللاهوتى قد تعرض خلال ذلك عدده مرات للاعتقال بامر من الحكومه المؤقته، ثم كان يستأنف نشاطاته و حملاته فى كل مره بعد خروجه من السجن بنفس الصلابه و الجديه. و حين خرج من السجن فى المره الاخيره رأى ان إقامته فى كرمانشاه لا- تعود عليه الا بالضرر، فذهب إلى قبيله (سنجابى)، و أخذ ينسق معهم فى نشاطاتهم الوطنيه.

بقى اللاهوتى حوالى ثلاث سنوات بين القبائل، و خصوصا قبيله (سنجابى) و حين قصفت القوات البريطانيه اراضى السنجابيين بالمدفعيه، رحل هو مع قائد السنجابيين القوى إلى الاراضى العثمانيه (عام ١٣٣٩ هـ). و هناك أسس مجله (بارس) و لم يطل مكث اللاهوتى هذه المره فى ديار الغربه، إذ لم يستطع تحمل البعد عن الوطن، فعاد اليه عن طريق ساوجبلاغ، و توجه إلى تبريز، و لجأ فيها إلى منزل محافظ آذربايجان الحاج مخبر السلطنه هدايت، و طلب منه المساعدة فى إنقاذه من الحكم الصادر بحقه من قبل. فاستجاب مخبر السلطنه لطلبه و بذل مساعيه حتى ألغى الحكم، و عاد بعدها إلى العمل فى قوات الدرك، حيث عين فى البدايه أمر سريره ثم أخذ يتدرج فى المناصب حتى عين معاوننا لرئيس الدرك فى تبريز (الميجر محمود خان بولادين) و ما زال فى منصبه هذا حتى ثار دعاه التحرر فى آذربايجان بقيادته، مناصرين ل (خيابانى) فى اليوم الأول من جمادى الأولى عام ١٣٤٠ هـ. بادر اللاهوتى إلى توقيف مخبر السلطنه هدايت فى مقر الدرك فى تبريز، و عين بدلا عنه إجلال الملك الذى

كان في ذلك الوقت في اروميه.

و لكن قوات مياندوآب وصلت تبريز في العاشر من جمادى الأولى عام ١٣٤٠ هـ بقيادة العميد ظفر الدوله مقدم، و دارت المعركه بين الطرفين فقتل الميرزا سلطان تورج الذى كان مسئولاً عن اداره المعركه، و بقيت قوات الدرك مسيطره على الموقف حتى حين ثم منيت بالهزيمه فى آخر المطاف، فاضطر اللاهوتى إلى مغادره الاراضى الإيرانيه برفقه عدد من الضباط فى نفس الليله التى هزموا فيها، و لجئوا إلى الاراضى الروسيه (و كان ذلك فى أواخر عهد أحمد شاه)، و بقى اللاهوتى و أصحابه مسلحين إلى حين فى آذربايجان الشماليه (القفقاس) حتى اضطروا فى آخر المطاف إلى تسليم أسلحتهم إلى السلطات الروسيه مكرهين. و بقى فى تلك البلاد حتى آخر حياته ينشد الشعر غريباً عن وطنه.

اما بالنسبه لأسلوبه فى الشعر، فقد كان متأثراً بالاسلوب الفارسى القديم بالاضافه إلى الاشعار الوطنيه لأديب الممالك الفراهانى و السيد أشرف الدين الحسينى مدير صحيفه (نسيم الشمال)، و خصوصاً الميرزا على أكبر خان (صابر الاذربايجانى). و اللاهوتى نفسه يعترف بهذه الحقيقه فى انه أخذ الشعر الهزلى الساخر اللاذع كوسيله للكفاح الاجتماعى عن صابر، إذ يقول: "كانت أشعار صابر سهله عذبه ذكيه و مليئه بروح الشهامه إلى حد بعيد بحيث يتأثر بها كل من حمل بين جنبيه روحاً تحريره و قد كان صابر قدوه لى فى مثل هذه الاشعار، فهو استاذى و أستاذ جميع الذين يكتبون الفكاهه، و من الطبيعى ان هناك من تقدم على صابر فى هذا المجال، الا ان مؤسس الفكاهه المقاومه للاستبداد و الاستعمار و التى تناصر الناس و تدعو إلى الحريه هو صابر و لا شخص سواه". و كذلك فان اللاهوتى ذكر بأنه تعرف إلى صابر من خلال ترجمه السيد أشرف الدين الحسينى، مدير صحيفه نسيم الشمال.

طبعت أشعار أبو القاسم اللاهوتى بصوره متفرقه فى موسكو و طهران عدّه مرات، و لكن المجموعه، الكامله لاشعاره تم طبعاها فى مؤسسه أمير كبير فى طهران عام ١٩٧٩ م. (١)

السيد أبو القاسم الخوئى بن السيد على أكبر بن المير الهاشم

السيد أبو القاسم الخوئى بن السيد على أكبر (٢) بن المير الهاشم

ص: ١٥

١- عبد الرفيع حقيقت.

٢- السيد على أكبر الخوئى ولد فى خوى فى ٢٨ صفر ١٢٨٥ هـ و نرح إلى النجف سنة ١٣٠٧ هـ فبقى فى النجف سنه و فى سامراء سنتين ثم عاد إلى النجف سنة ١٣١٠ فحضر بحث الشيخ محمد الفاضل الشريبانى، و الشيخ محمد حسن المامقانى، و فى سنة ١٣١٥ رجع إلى بلده (خوى) و عاد إلى النجف فى أوائل حركه المشروطه سنة ١٣٢٨، و فى سنة ١٣٤٦ سكن عند المشهد الرضوى فى خراسان، توفى فى النجف زائراً ليله الثلاثاء ١٨ شعبان ١٣٧١ و صلى عليه الشيخ آغا بزرگ الطهرانى (صاحب الذريعه) و دفن فى ايوان مقبره شيخ الشريعه الاصفهانى و من آثاره: كتاب فى الأصول فى مجلد من تقرير أستاذه الشريبانى، و عليه تقيظه بخطه.

ولد سنة ١٣١٧ فى مدينه (خوى) (١) من اعمال آذربيجان و توفى سنة ١٤١٣ فى النجف الأشرف.

هاجر والده إلى النجف فرافقه إليها و هو فى الثالثه عشره من عمره و ذلك فى حدود سنة ١٣٣٠ و فى النجف انضم إلى الحلقات الدراسيه فى مراحلها المتعارف عليها، و كان من اساتذته فيها الميرزا محمد حسين النائنى و الشيخ محمد حسن الكمبانى و الشيخ آغا ضياء الدين العراقى و شيخ الشريعه الاصفهانى و الشيخ محمد جواد البلاغى و غيرهم.

و بعد وفاه السيد محسن الحكيم سنة ١٣٨٩ انتهت اليه المرجعيه الدينيه فى النجف، و قلد فى ايران و العراق و دول الخليج و سوريا و لبنان و افغانستان و غيرها.

و لم تشغله شئون المرجعيه عن التدريس و لا عن التأليف. بل نستطيع القول انه تميز فى التأليف عن غيره من كبار المراجع الذين استغرقت المرجعيه أوقاتهم فلم يكتبوا شيئاً يبقى بعدهم سوى رسائلهم العمليه فى حين انه كان يستغل أوقات الفراغ ليكتب و يؤلف فاخرج للناس الكتب الآتية:

١ - أجود التقريرات فى أصول الفقه.

٢ - تقريرات الفقه.

٣ - الفقه الاستدلالى.

٤ - حاشيه على العروه الوثقى.

٥ - نفحات الاعجاز.

٦ - البيان فى تفسير القرآن.

٧ - المسائل المنتخبه - و هى مجموعه فتاواه.

٨ - معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواه (٢٣ مجلدا).

و قد كتب بخط يده عن موسوعه (معجم رجال الحديث) يقول:

"إن علم الرجال كان من العلوم التى اهتم بشأنه علماءنا الأقدمون، و فقهاؤنا السابقون، و لكن أهمل امره فى الاعصار المتاخره حتى كأنه لا يتوقف عليه الاجتهاد، و استنباط الأحكام الشرعيه.

لأجل ذلك عزم على تأليف كتاب جامع كاف بمزايا هذا العلم، و طلبت من الله سبحانه ان يوفقنى لذلك فاستجاب بفضله دعوتى".

كان يرعى الحوزات العلميه بالرواتب كحوزه النجف الأشرف، و حوزه كربلاء فى العراق و حوزات قم و مشهد و غيرها فى

ايران و الحوزات و المعاهد الدينيه فى الهند و باكستان و قد اهتم بالعمل المؤسساتى، تشييدا و دعما. فقد امر بإنشاء "مؤسسه الامام الخوئى الخيريہ"، حيث قامت فى غضون عمرها القصير بمشاريع دينيه و ثقافيه و اجتماعيه فى لندن و نيويورك و بومباي و تايلند و الهند. فمن ذلك مدرسه دار العلم فى بانكوك (تايلاند) و مدرسه صاحب الزمان فى كهولنا بنغلادش و مدرسه أهل البيت فى هوكلې (البنغال الغربيه) و مدرسه أمير المؤمنين فى الهند و مدرسه الامام الباقر فى بهيوندى (الهند) و المدرسه الايمانيه فى بنارس بالهند و الحوزه العلميه فى حيدرآباد. و وضع أساس مدينه متكامله للطلاب و لمدرسى الحوزه العلميه فى قم و هى اليوم مدينه شامخه باسم مدينه العلم و تقوم المؤسسات الخيريہ الثلاث فى بريطانيا و فى الولايات المتحده و فى الهند بتأسيس المدارس و المعاهد و تقديم الخدمات الثقافيه.

كان محلقا فى (علم أصول الفقه) و باحثا ماهرا فيه، حتى صار المدرس الأول لهذا العلم.

و كانت مهارته فى (الفقه) لا تقل عن تتبعه و تعمقه فى (أصوله)، و من خصائصه انه تفرغ ل (علم رجال الحديث) بعد ان اعتبره الاداه الوحيدہ لتشخيص خبر الثقه و الحسن أو الصحيح من الضعيف. فان الجزم بعداله الراوى أو الوثوق بصحه الروايه لا يكاد يحصل الا- بمراجعته علم الرجال. و عن طريق معرفه و ثاقه الراوى يمكن الاطمئنان بصدور الروايه عن المعصوم (ع)، و استنباط الحكم الشرعى فى نهايه المطاف.

و حيث خاض ابحاثا فى (علم التفسير) و (علوم القرآن) عاملها بأسلوب الخبير الماهر المتخصص، فكان اثره القيم (البيان) خير شاهد على مقدرته التفسيريه و تبحره فى ما يتعلق بعلوم القرآن.

و لم يكتف بمعالجه الفقه و أصوله و التفسير و علم الرجال، و انما كان متضلعا فى (أصول الدين) و (العقائد) فكان يعالج الموضوعات المتعلقه بالتوحيد و العدل و النبوه و الامامه و المعاد ضمن ابحاثه الاخرى بنفس العمق و الرصانه اللتين اتصف بهما فى سائر ابحاثه.

و لم يعهد منه ممارسه النظم سوى ما كان ينظمه فى بعض المناسبات الخاصه أحيانا و باللغات العربيه و الفارسيه و التركيه، الا انه ابى الا ان يختم حياته بخير فى نظم ارجوزه فى العدل و الامامه فبلغت ١٥٦ بيتا مع سبعة أبيات فى التاريخ، فصار المجموع ١٦٣ بيتا و ذلك فى السنوات الاخيريه من عمره.

و قد التزم فى أرجوزته بألفاظ الأحاديث غالبا أو بمضمونها من الروايات الصحيحه، و لخص المناقشات المذهبيه حول الامامه و التى خصصت لها الكتب المطوله لعلمائنا العظام من قبيل (الشافى) للسيد المرتضى و (تلخيص الشافى) للشيخ الطوسى و (منهاج الكرامه) للعلامه الحلې و غيرها من كتب الحديث المعتبره، و ذلك فى بيان موجز منظوم على نمط الارجوزه كى يسهل حفظها و فيها يقول:

انى أبو القاسم لست شاعرا و لست فى النظم خبيرا ماهرا

لكن حب العتره المطهره دعا إلى نظم و ربي يسره).

١- من اعمال آذربيجان الإيرانية إقليم شمال غرب ايران يفصله نهر أرس فى الشمال عن جمهوريه آذربيجان التى استقلت عن الاتحاد السوفيتى، أرضه جبلية فى معظمها و توجد بعض سهول خصبه، تنتج الحبوب و الفاكهه، أهم مدنه تبريز، فتحه المسلمون فى القرن ٧ م، حكمه السلاجقه الأتراك (القرنان ١١-١٢ م) غزاه تيمور لنك (القرن ١٤ م) حكمه ملوك فارس من أوائل القرن ١٧ م إلى أوائل القرن ١٩ ضمت روسيا الجزء الشمالى إليها و احتفظت ايران بباقيه ثم قسم سنه ١٩٣٨ إلى محافظتين، و حينما كانتا تحت احتلال السوفيت ١٩٤٤ قامت حكومه انفصاليه بتشجيعهم و لكن قضى عليها. و انتساب العلماء لهذه البلده قديم فمن نسب إليها يوسف بن طاهر الخوى (ت نحو ٥٤٩هـ) صاحب كتاب شرح التنوير على سقط الزند (كشف الظنون ١٢٤٢).

مستحسن منى ذا لكنه ذنب لمن كان القريض فنه

محاسن الأبرار ذنبا تحسب لمن سليم قلبه مقرب

و من نماذج الارجوزه قوله:

الحمد لله العلى الواحد مكون الكون و أقوى شاهد

مصليا على النبى المؤتمن و آله المطهرين من درن

ارجوزتى هديه للبشر تهدي إلى الرشد و خير الخبر

أذكر فيها ما روته المهره عن الرسول فى امام البرره

ذا حيدر إذ خصه الله بما قد خصه من شرف و أكرما

أرجو إلهى صانعى و خالقى و مالكى و ملجأى و رازقى

غفران ذنبى فهو أهل العفو ما كان من عمد أتى أو سهو

نبينا خير نبى مرسل كتابه خير كتاب منزل

أمته امه خير أخرجت تنهى عن المنكر فيما أمرت

تامر بالمعروف و الاطاعه لخالق الكون و رب الساعه

الميرزا أبو القاسم رابع أبناء الميرزا وصال الشيرازى، الملقب ب فرهنگ الشيرازى

و يعد من مشاهير شعراء و مؤلفى و فنانى و خطاطى العصر القاجارى. ولد فى شيراز عام ١٢٤٢ هـ، درس مقدمات العلوم على أبيه ثم تعهد بتدريسه أخوه الأكبر الميرزا احمد وقار، و درس بتشجيع من القآنى اللغه [اللغه] الفرنسيه و بعض العلوم المتداوله فى عصره، و اشتهر بحسن خطه و دماثه أخلاقه و قوه شخصيته. و اشتغل فى شيراز بالتحقيق و التأليف و التصنيف، و ارتبط بعلاقات وثيقه مع فنانى و شعراء عصره، حتى توفى عام ١٣٠٩ هـ.

وضع العديد من المؤلفات هى: رساله طب البله أو (ذخر السفاهه على طب البلاهه) و هى تتحدث بأسلوب نثرى ساخر عن الذين يعتمدون الغموض فى كتاباتهم أو يقفزون من موضوع إلى موضوع دون مناسبه. و قد طبعت هذه الرساله عدده مرات - شرح حدائق السحر لرشيد الوطواط - شرح و ترجمه كتاب البارح فى علم النجوم - معجم فرهنگ و من ميزاته امكانيه الوصول إلى معنى الكلمه العربيه باللغه الفارسيه، و بالعكس - ديوان شعر و هو يشتمل على ما يقارب عشره آلاف بيت فارسى و عربى.

الميرزا أبو القاسم القزويني الملقب ب العارف بن الملا هادي

أحد الشعراء و الفنانين الوطنيين الأحرار، و يعد من شعراء عهد الصحوه الإيرانيه و استقرار حكومه المشروطه فى ايران.

ولد فى قزوین عام ١٢٩٧ هـ، و درس فى كتابتيها القراءه و الكتابه الفارسيه و مقدمات اللغه العربيه من نحو و صرف، و تعلم الخط على ثلاثه من أساتذه الخط المعروفين، و هم: الشيخ رضا الخطاط و محمد رضا كتاب فروش و الشيخ على الشالى المعروف بالسكاك، و درس الموسيقى على الحاج صادق الخرازى، و كان يمتلك حنجره صافيه و صوت شجى، فطلب منه أبوه ان يشتغل بقراءه التعازى و المراثى، و من ثم البسه عمامه و أوكل امره إلى الميرزا حسين واعظ بن الحاج ملا نوروز القزوينى، فاشتغل العارف ستين أو ثلاث فى هذا المجال.

و لكن القدر شاء ان يصرفه عن المراثى إلى عالم الشعر و الفن و الموسيقى، فاشتهر فى ذلك. ثم قدم إلى طهران عام ١٣١٦ هـ، و اقام فى منزل صدر الممالك. و بعد فتره تعرف إلى موثق الدوله و غيره من رجال السياسه بسبب قدرته فى الموسيقى و عدوبه صوته.

توثقت علاقته بامراء القاجاريين، و بلغ بينهم منزله رفيعه، حتى انه كان يجلس على مائده الميرزا على أصغر خان أتابك الذى كان يطعمه بيده، و ما زال امره يرتقى حتى بلغ اسمه مظفر الدين شاه، فأمر بإحضاره و سمع صوته فأعجب به و امر له بخمسائه تومان و امر أيضا بخلع عمامته و تسجيل اسمه مع خدم الخلوات. و بقى على حاله هذه عدّه سنوات، حتى بدأت حركه التحرر و ارتفعت نغمه المشروطه، و كان العارف القزوينى واقفا على كثير من فضائح و جرائم عهد الاستبداد، فلم يتردد فى الالتحاق بصوف المثقفين و دعاه المشروطه، و وقف قريحته الفنيه و قدرته الشعريه على الحركه التحرريه الوطنيه.

فتحمل فى هذا الأمر الكثير من المصاعب و المتاعب، و قد تحدث عنها بنفسه فى ديوانه. و بقى صامدا فى طريقه الذى اختطه لنفسه، حتى فارق الحياه فى همدان عام ١٩٣٣ م.

كان العارف بارعا فى إنشاد الاشعار الوطنيه و كذلك فى التصنيف و الموسيقى و الغناء، و استطاع بقدرته هذه ان يثير إعجاب دعاه التحرر فى فتره الصحوه و استقرار حكومه القانون و المشروطه فى ايران. و كانت تصنيفاته تنتشر بين عامه الناس.

طبع ديوانه الكامل فى طهران ثلاث مرات.(١)

الميرزا احمد الصفائى ابن الميرزا أبو الحسن يغما الجندقى:

أحد شعراء أواخر العصر القاجارى. كان هذا الشاعر يعيش فى سمنان. و أغلب أشعاره جاءت فى رثاء الامام الحسين (ع) طبع ديوانه عام ١٣١٥ باهتمام عميد الممالك السمنانى نائب سمنان فى الدوره الرابعه لمجلس الشورى الوطنى و صهره أسد الله منتخب السادات الجندقى والد حبيب الیغمائى مدير مجله يغما، و هى طباعه حجرية مدونه بخط النسستعليق. و قد ورد فى هذا الديوان ١٢٨ مرثيه للإمام الحسين (ع)، بالاضافه إلى بعض الأحداث التاريخيه.

توفى الميرزا احمد الصفائى الیغمائى عام ١٣١٤ هـ.

١- عبد الرفيع حقيقت.

قال فى محاصره أبى يزيد لمدينه سوسه سنه ٣٣٥ - :

ألم بسوسه و بغى عليها و لكن الإله له نصير

مدينه سوسه للغرب ثغر تدين لها المدائن و القصور

لقد لعن الذين بغوا عليها كما لعنت قريظه و النصير

أعز الدين خالق كل شىء بسوسه بعد ما التوت الأمور

و لو لا سوسه لدهت دواه يشيب لهولها الطفل الصغير

سيبلغ ذكر سوسه كل ارض و يفشى أهلها العدد الكثير

المصدر:

١ - أبو عبيد البكرى: المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، نشر دى سلان، الجزائر ١٨٥٧ ص ٣٥. يقول البكرى أنه شاعر سوسى، و يسميه "أحمد بن بلح السوسى".

٢ - ابن عذارى: البيان... ج ١ ص ٢١٩. أسقط منها البيتين الأخيرين و لم ينسب القطعه إلى قائل.

٣ - رحله التجانى ص ٢٨ و قد أسقط صاحب الرحله البيت الأول، و خفف الفخار بسوسه فى البيت الخامس فصار

" و لو لا نصره لدهت دواه..."

عوض "

و لو لا سوسه..."

. و نسبها إلى "أحمد بن أفلح" و قال انه من "قديم شعرائها (شعراء سوسه) و لم يزد.

٤ - الوزير السراج: الحلل السندسيه تحقيق محمد الحبيب الهليه ص ٣٠١ نقلها السراج عن رحله التجانى و نقل ما قيل هناك عن صاحبها. و أراد محقق الكتاب ان يتثبت من احمد بن أفلح، فنقل ما جاء فى جذوه المقتبس للحميدى. و لكن يظهر أن الشخص الذى ترجم له الحميدى كان فقيها اندلسيا، بدليل ما رواه ابن حزم الفقيه الظاهرى فى شأنه، و قد قال ابن حزم أنه رآه و سمع من شعره. و معلوم ان ابن حزم توفى سنه ٤٥٦ - ١٠٦٣، فلا يمكن ان يكون صاحب الترجمه هو شاعرنا السوسى الذى هجا أبا

التعليق:

هذه الأبيات نظمها شاعر مناهض للخارجي، و هي مع هذا خالية من مناصره للفاطميين، و تتذكر ان الفزاري نظم قصيده بهذا الوزن و هذه القافيه في هجو الفاطميين و لكن لا يمكن ان نلحق بها هذه الأبيات نظرا لاختلاف المنهج السياسي فهي تهجو أبا يزيد لا الفاطميين. ثم ان البكري نسبها إلى شاعر من سوسه، و ان في هذا الإطار القوي لسوسه ما يدعم هذه النسبه.

على أنه لا مانع من ان نعتبر ان هذا الشاعر السوسي قد عارض بأبياته هذه قصيده الفزاري التي تضمنت هي الأخرى مدحا مسهبا للقيروان و أهلها.

أحمد بن إسفنديار بن الموفق بن أبي علي، أبو الحكام البغدادي الصوفي

ولد ببغداد سنة ٥٨٧ على عهد الخليفه الناصر لدين الله، و سمع الحديث النبوي عن الشيوخ المشهورين في عصره من الحنابلة و غيرهم و حفظ القرآن الكريم و عنى بفن الوعظ و أخذه عن أبيه، و درس الأدب و قال الشعر و جمع لنفسه ديوانا يشتمل على مجلدتين و لم يضع فيه هجوا البته لعفه لسانه و طهر جنانه، و بلغ ديوانه عشره آلاف بيت، و كان شيعي المذهب على ما ذكر كمال الدين بن الشعار الموصلى المؤرخ الأديب، صحيح السماع للأحاديث النبويه و الإجازة به، و قد رتب شيخ الرباط الأرجواني ببغداد الموقوف على الصوفيه المنسوب إلى السيده أرجوان والده المقتفى بامر الله الخليفه العباسي.

قال ابن الشعار: و توفي بعد منصرفي من بغداد في أوائل شهر ذي القعدة سنة ٦٣٩ و قد شاهدته في بغداد و أنشدني لنفسه في مولانا أمير المؤمنين (المستنصر بالله) و ذكر أنه أنشدها بالمدرسه التاجيه (الشافعيه) في يوم الغدير:

جود الخليقه لا يقايس

بالحيا الهامى الغزير فى دوله أساسها

تعلو على الفلك الأثيرى أنى و كيف و فضله القدسى من كرم و خير

و مواهب المنصور للإسلام كالحامى النصير مولى يخاف سطاها قلب الباسل الأسد الهصور

فأسلم أمير المؤمنين من الردى حتى النشور تبنى دعائمها برأى وليك المولى الوزير

الناصح البر الوفى الصادق العف الضمير

أراد بالوزير نصير الدين أحمد بن الناقد وزير المستنصر بالله الخليفه العباسى، و كان محبا لآل البيت ع و قد توفى سنه ٦٤٢ و

دفن فى مشهد الامام موسى بن جعفر ع فى تربه اتخذها لنفسه.(١)

الميرزا احمد الآشيانى بن حسن:

ولد سنه ١٨٨٢ م و توفى سنه ١٩٧٥ فى طهران و دفن فى صحن روضه السيد عبد العظيم هو الابن الرابع و الأصغر للفقيه الكبير

الميرزا حسن الآشيانى. بعد دراسته للمقدمات تابع دراسته الفقيهيه على والده، و بعد وفاه والده (١٩٠١ م) تتلمذ على جماعه من المشاهير كالسيد محمد اليزدى و الميرزا هاشم الرشتى و الحكيم الكرمانشاهى و الحكيم الاشكورى.

ثم تولى تدريس الفلسفه و العلوم الشرعيه فى مدرسه سپهسالار، ثم هاجر إلى النجف الأشرف لمتابعه دراسه العلوم الإسلاميه، و فى الوقت نفسه كان يتولى تدريس الفلسفه.

و كان من اساتذته فى النجف كل من الميرزا حسين النائينى و الشيخ ضياء الدين العراقى.

و فى سنه ١٩٣١ م عاد إلى طهران متوليا تدريس الفقه و الأصول و الفلسفه، فضلا عن قيامه بالإرشاد و التأليف.

ثم تولى الاشراف على مدرسه (مروى) التى كانت أكبر حوزة علميه فى طهران، و ظل على ادارتها حتى وفاته.

كان عابدا زاهدا تقيا ورعا متواضعا. و كان ينظم الشعر و يتخلص فى شعره ب (واله) و ترك عدده مؤلفات بقى العديد منها مخطوطا، و يبلغ عدد مؤلفاته و تعليقاته و رسائله ٦٢، و أكثر من ٢٧ منها لم يطبع.

السيد أحمد فرديد

أستاذ الفلسفه و الحكمه فى جامعه طهران، تعلم فى الجامعات الإيرانية و نال شهاده الدكتوراه و استمر يدرس الفلسفه و الحكمه المعنويه فى الجامعات الإيرانية سنين عديده و حتى بعد أن أحيل إلى التقاعد دعى لتدريس الفلسفه فى (نادى الفلسفه و الحكمه) بطهران. كان يجيد عدده لغات و هى العرييه و العبريه و اللاتينيه و السانسكريتيه و الألمانية و غيرها.

أبو على احمد بن الأفضل بن بدر الجمالى:

إشارة

قتل سنة ٥٢٦ في القاهرة، مرت كلمه عنه في موضعها من (الأعيان) و نزيد على ما هنالك ما يلي:

أمر هذا الرجل مضطرب في العقيدة المذهبيه، و إذا كنا نترجمه هنا فلا ليقينا بأنه من شرط كتابنا، بل لأن قول ابن الأثير عنه (الكامل ج ١٠ ص ٧٢ ط بيروت ١٩٦٦) بأنه كان امامى المذهب، لا- يمكن ان يهمل. و ان كان ابن الأثير نفسه يقول و هو يتحدث عنه انه أسقط من الأذان: حتى على خير العمل، فكيف يكون امامى المذهب و يسقط من الأذان حتى على خير العمل.

و كذلك قال ابن الأثير انه أسقط من الدعاء اسم إسماعيل جد الفاطميين الذين اختلفوا في إمامته مع (الاماميه) الذين قالوا بامامه موسى الكاظم لا بامامه إسماعيل.

و لهذا قلنا إن امره مضطرب في العقيدة المذهبيه، كما قلنا ان قول ابن الأثير بأنه كان امامى المذهب، و كذلك قوله بأنه أسقط اسم إسماعيل من الدعاء - إن قول ابن الأثير هذا لا يمكن ان يهمل، و كان علينا ان نترجمه هنا، تاركين للباحثين ان يحققوا و يغربلوا النصوص و يستقروا الأحداث لعلهم يصلون في مذهب احمد الجمالى إلى حقائق لم نصل نحن إليها.

على انه لا بد لنا قبل التحدث عن المترجم نفسه، من التحدث عن أحداث طويله متباعده الزمن، و لكن لا يمكن فهم أحداث عصر المترجم قبل فهمها، و لأن الأحداث على تباعدها مترابطه كل الترابط، متصله الحلقات، متشابكه الأسباب و العوامل.

و طريق الوصول إلى سيره أبى على احمد بن الأفضل بن بدر الجمالى لا بد من ان تمر بالسلاجقه و العباسيين و الايوبيين و علاقه هؤلاء جميعا بالحروب الصليبيه، ثم بما أطلقنا عليه اسم (الدوله الجماليه).

لذلك فاننا نبدأ أولاً بالحديث عن السلاجقه المرتبطه نهايتهم بالخليفه العباسى الناصر لدين الله، المرتبط استقلاله بالخلافه عن السلاجقه بصلاح الدين الايوبى، المرتبط أمره بالصليبيين و أواخر الدوله الفاطميه و علاقه ذلك بالمترجم احمد بن الأفضل بن بدر الجمالى، فنقول:

في المحرم من سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) كان الملك السلجوقي طغرلبيك يتحفز لاقتحام العراق و الحلول محل البويهيين في السيطره على حكم بغداد.

و كان قد أعلن انه يريد الحج و إصلاح طريق مكه و المسير إلى الشام و مصر و القضاء على الخلافه الفاطميه التى كان يمثلها يوم ذاك:

(المستنصر).

و كان يمثل الحكم البويهى (الملك الرحيم أبو نصر بن أبى كاليجار).

ولا- نريد هنا الدخول فى تفاصيل الأحداث لأن ذلك ليس من موضوعنا، و انما نكتفى بالالمام بها إلماما يوصلنا إلى ربط الأحداث بما يتعلق بموضوعنا.

ص: ١٩

١- الدكتور مصطفى جواد.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

و تقدم طغرلبك عن طريق حلوان فالنهر وان(١)، و فى يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان سنه ٤٤٧ (١٠٥٥ م) كان خطب له فى جوامع بغداد بطلب من الخليفه (القائم بامر الله)، و ذلك قبل ان يدخل بغداد، إذ انه دخلها يوم الاثنين لخمس بقين من الشهر [٤٤٧].

و قد ثارت عليه بغداد. و من العجيب ان البغداديين من غير الشيعة كانوا أصحاب هذه الثورة.

بقول ابن الأثير فى تاريخه (ج ٩ ص ٦١١ ط ١٩٦٦) و سمع الناس الصياح فظنوا ان الملك الرحيم (البويهى) و عسكره قد عزموا على قتال طغرلبك فارتج البلد من اقطاره، و أقبلوا من كل حذب ينسلون يقتلون من الغز (جنود طغرلبك) من وجد فى محال بغداد. و يكمل ابن الأثير قوله: الا أهل الكرخ (الشيعة) فإنهم لم يتعرضوا إلى الغز، بل جمعوهم و حفظوهم.

ثم يقول ابن الأثير: و بلغ السلطان طغرلبك ما فعله أهل الكرخ من حمايه أصحابه فأمر بإحسان معاملتهم. فأرسل حميد الملك الوزير إلى عدنان بن الرضى نقيب العلويين(٢) يأمره بالحضور، فحضر، فشكره عن السلطان، و ترك عنده خيلا بامر السلطان تحرسه و تحرس المحله. إن ما يثير الاهتمام هنا ان زوال الحكم البويهى و حلول الحكم السلجوقى محله لم يقابل من السنين بالترحيب، و لا من الشيعة بالنقمه.

فلدى وقوع سوء تفاهم بسيط بين جندى سلجوقى و بين بغدادى - كما يذكر ابن الأثير - صاح العامه بهم (بالجنود السلاجقه) و رجموهم و هاجوا عليهم.

و هنا اعتقد الجمهور البغدادى السننى ان الملك البويهى (الرحيم) قد عزم على الانتقاض على طغرلبك، فهب هذا الجمهور لنصرته، و انثال على الجنود السلاجقه يقتلهم حيث وجدهم.

فى حين ان سكان الجانب الشيعى من بغداد و هو الكرخ لم يشاركو فى هذه الثورة على السلاجقه و ملكهم طغرلبك. بل عمدوا إلى تجميع الجنود السلاجقه عندهم و حفظوهم.

لا يستطيع المؤرخ المنصف ان يمر بهذا الأمر مرورا عابرا فلا يثير انتباهه و لا ينفذ إلى ما وراءه من معان كثيره.

هذا يدل دلالة واضحه ان الحكم البويهى (الشيعى) لم يكن موضع استياء رعاياه السنين، و لم يقابل منهم بالسخط، و لا قوبل زواله بالبهجه و الاغتباط. بل ان الحال كان عكس ذلك تماما. بدليل ان البغداديين السنين قد استغلوا سوء التفاهم البسيط بين الجندى السلجوقى و بين أحد البغداديين ليصبحوا بالسلاجقه و يرموهم و يهيجوا عليهم.

و ان الجمهور البغدادى السننى بمجرد ان استنتج من هذا الصياح و الهياج ان الملك البويهى (الرحيم) قد عزم على قتال طغرلبك، ارتج البلد بهم و أقبلوا من كل حذب ينسلون لنصره الملك البويهى، و أخذوا يقتلون جنود السلاجقه أينما رأوهم.

و فى هذا دلالة قاطعه على ان البويهيين الشيعة لم يكونوا منحايزين لفريق على فريق، و لا محايزين لأصحاب مذهب على أصحاب مذهب آخر، بل كانوا حكاما عادلين، فكان السنون أكثر الناس أسفا لزوال حكمهم، لذلك هبوا للثورة على أعدائهم و نصرتهم فيما حسبه مقاومه منهم لهؤلاء الأعداء.

اما الشيعة فلم يروا في زوال الحكم البويهى (الشيعة) خسرانا يجب الثوره على من سببه لأن هذا الحكم لم يكن يميزهم عن غيرهم فى شىء، بل كان حكما يتساوى فيه الناس و هم من بعض هؤلاء الناس. لذلك حموا الجنود السلاجقه، و لم يشاركوا فى الثوره على طغرلبك.

و هذا يناقض كل المناقضه ما اعتاد بعض الناس على اثارته فى كل مناسبه يذكر فيها البويهيون من عدم العدل فى المعامله بين رعاياهم المختلفى المذاهب. ثم يصف ابن الأثير ما جرى قائلا (ص ٦١١ و ما بعدها):

و أما عامه بغداد فلم يقنعوا بما عملوا، حتى خرجوا و معهم جماعه من العسكر إلى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطانى (السلجوقى)، فلو تبعهم الملك الرحيم و عسكره لبلغوا ما أرادوا، لكن تخلفوا. اه.

و هكذا نرى التصميم البغدادى السننى على مقاومه الاحتلال السلجوقى، فالاحداث الأولى كانت مع الجنود السلاجقه الذين دخلوا بغداد قبل وصول طغرلبك إليها، اما الآن فإنه التصميم على قتال الجيش السلجوقى و منعه من دخول بغداد. و قد استطاع الثوار أن يقنعوا جماعه من عسكر الحكم بالانضمام إليهم، و لكن الملك الرحيم البويهى لم ينضم مع عسكره إليهم. و فى رأى ابن الأثير انه لو انضم الملك الرحيم مع قواته إليهم لأمكن صد السلاجقه عن دخول بغداد و لدام فيها الحكم البويهى.

و هنا لنا ان نتساءل عن السبب فى عدم انضمام الملك البويهى إلى الثائرين مع ما بدا من اندفاع البغداديين من تصميم على قتال السلاجقه؟! ربما كان فيما يرويه الراوندى فى (راحه الصدور) (ص ١٦٩) هو العامل على عدم مشاركة الملك البويهى فى قتال الملك السلجوقى.

فالراوندى يقول ان تفاهما كان قد تم بين القائم بامر الله و بين الملك الرحيم على تسليم الأخير بالأمر الواقع و الرضا بالدخول السلجوقى إلى بغداد و التعاون معه على ان يخطب بعد الخليفه لكل من السلجوقى و البويهى على ان يبدأ باسم السلجوقى ثم البويهى.

و هذا الاتفاق لم يشر اليه ابن الأثير. فإذا صح امره يكون هو المانع للملك البويهى عن المشاركة فى قتال السلاجقه، فقد أراد الملك الرحيم ان يحافظ على وعده فى مصافاه طغرلبك.

وقع الصدام الدموى خارج بغداد بين الثائرين و بين جيش طغرلبك، و لم يلبث هذا الجيش ان تغلب على الثائرين بعد مقتله عمت الفريقين، فانطلق الجيش السلجوقى ينهب و يسلب كل ما يمر به من متاجر و منازل، فاخذ الناهبون من الأموال ما لا يحصى - على تعبير ابن الأثير - ثم يقول ابن الأثير: و اشتد البلاء على الناس و عظم الخوف و تعطلت الجمعات. هذا فى بغداد نفسها. اما فى غير بغداد فيقول ابن الأثير (ص ٦١٣):

و انتشر الغز السلجوقيه فى سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربى من ٩.

١- النهروان بلده اندرست و كانت على صدر نهر النهروان جنوبي بغداد.

٢- هو أبو احمد عدنان بن الشريف الرضى ولي النقابه بعد وفاه عمه الشريف المرتضى سنة ٤٣٦ و استمر حتى توفي ببغداد سنة

٤٤٩.

تكريت إلى النيل. و من الشرقى إلى النهروان و أسافل الأعمال، و أسرفوا فى النهب، حتى بلغ ثمن الثور ببغداد خمسه قراريط إلى عشره، و الحمار بقيراطين إلى خمسه، و خرب السواد و أجلى اهله عنه.

و حين نعود إلى الخريطه العراقيه و نرى المدى الواسع التى تشمله المنطقه التى حددها ابن الأثير و سماها سواد ببغداد و قال انها نهبت و خربت و اجلى عنها أهلها - حين نعود إلى الخريطه العراقيه نرى عظم المحنه التى حلت بالعراق باستيلاء السلاجقه عليه، و ما فعلوه فى تلك المناطق الممتده من تكريت فى الشمال إلى الحله فى الجنوب. و مما يدل على استمرار الظلم على الناس دون انقطاع، قول ابن الأثير و هو يتحدث عن احداث سنه ٤٤٨ فى بغداد: طال مقام السلطان طغرلبك ببغداد و عم الخلق ضرر عسكريه و ضاقت عليهم مساكنهم، فان العساكر نزلوا فيها و غلبوهم على أقواتهم و ارتكبوا منهم كل محذور (ص ٦٢٤). مع العلم ان الأحداث الأولى كانت سنه ٤٤٧.

ثم يتحدث ابن الأثير عن اضطرار طغرلبك لمغادره بغداد مع بعض قواته لمهمه عسكريه: "فلما بلغوا أوانا نهبها العسكري و نهبوا عكبرا و غيرها.

و إذا كان شيعه الكرخ لم يشتركوا فى الثورة على طغرلبك السلجوقى بل حافظوا على جنوده و حموهم من القتل، فأمر طغرلبك بإحسان معاملتهم، و شكرهم على ما فعلوه. - فقد كان ذلك إلى حين، إذ لم يلبث ان تدخل فى شئونهم العقائديه، و ارغمهم على فعل ما لا يرون فعله. يقول ابن الأثير و هو يتحدث عن استياب الأمر لطغرلبك فى بغداد، و عما بدأ يتخذه من اجراءات جديده، يقول: "و أمر أهل الكرخ ان يؤذنوا فى مساجدهم سحرا: الصلاه خير من النوم".

ثم زاد على ذلك بعد ذلك بإحراق مكتبه الشيعه التى أنشأها أبو نصر سابور وزير بهاء الدوله البويهى و كانت من دور العلم المهمه فى بغداد، بناها هذا الوزير الأديب فى محله الكرخ سنه ٣٨١ و قد جمع فيها ما تفرق من كتب فارس و العراق، و استكتب تأليف أهل الهند و الصين و الروم، كما قاله محمد كرد على فى خطط الشام - و نافى كتبها على عشره آلاف كتاب من جلائل الآثار و مهام الاسفار، و أكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين.

قال ياقوت الحموى (معجم البلدان ج ٢): و بها كانت خزانه الكتب التى أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدوله بن عضد الدوله و لم يكن فى الدنيا أحسن كتبها منها، كانت كلها بخطوط الائمة المعتمده و أصولهم المحرره. إلى آخر ما قال... و كان من جملتها مائه مصحف بخط ابن مقله على ما ذكره ابن الأثير (ج ١٠).

و حيث كان الوزير سابور من أهل الفضل و الأدب أخذ العلماء يهدون اليه مؤلفاتهم فأصبحت مكتبه من أغنى دور الكتب ببغداد.

و قد أحرقت هذه المكتبه فيما أحرقت من محال الكرخ عند مجيء طغرلبك. و توسعت الفتنة حتى اتجهت إلى العالم الكبير أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى، الشهير بالشيخ الطوسى فاحرقوا كتبه و كرسية الذى يجلس عليه للتدريس.

يقول ابن الجوزى فى حوادث سنه ٤٤٨: و هرب أبو جعفر الطوسى و نهبت داره. ثم قال فى حوادث سنه ٤٤٩: و فى صفر من هذه السنه [٤٤٩] كبست دار أبى جعفر الطوسى متكلم الشيعه بالكرخ و أخذ ما وجد من دفاتره و كرسى كان يجلس عليه للكلام

و أخرج إلى الكرخ و أضيف إليه ثلاث سناجق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديما يحملونها معهم إذا قصدوا زياره الكوفه فأحرق الجميع يقول (فاسلى فلاديميرو فتش بارتولد) فى كتابه (تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ص ٤٥٥ تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ط ١٩٨١):

لم يكن بوسع السلاجقه ان يشبهوا تماما بالسامانيين و الغزنويين لأنهم ظلوا حتى آخر أيامهم غربيين على أى ضرب من المدينه. هذا و قد وصلت إلينا معلومات غايه فى الثقه تؤكد انه حتى السلطان سنجر آخر السلاجقه الكبار كان أميا، و ليس هناك ما يحملنا على الافتراض بان اسلافه كانوا أكثر ثقافه منه (انتهى).

و نقول: ما داموا كذلك، و ما دام لا يمكن تشبيهم لا بالسامانيين و لا بالغزنويين، فكيف بهم امام أسلافهم البويهيين!؟

مصير آخر الملوك البويهيين ثم مصير آخر الملوك السلاجقه

قبض طغرلبك على الملك الرحيم و أرسله مقيدا إلى قلعه (السيروان) ثم نقله إلى قلعه (الرى) فتوفى فيها سنه ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م). و هكذا تمت السيطرة للسلاجقه بقياده طغرلبك على بغداد و حلوا فيها محل البويهيين.

و لكن ما أمله الخليفه العباسى (القائم بامر الله) بتشجيعه طغرلبك على التحرك نحو بغداد، و دعوته له إلى الوصول إليها. - ان ما أمله فى ذلك من التخلص من سيطره الآخرين على الخلافه، و تحكمهم فى البلاد دون الخليفه لم يتحقق فقد أحكم السلاجقه منذ أول ملوكهم فى بغداد طغرلبك حتى آخر ملوكهم فيها طغرل الثالث - أحكموا قبضتهم على الحكم و عبثوا بالخلافه و الخلفاء و لم يتركوا لهم أى نفوذ، مما لا مجال لتفصيله هنا.

و كل ما نقوله ان الأمر ظل هكذا حتى تولى الناصر لدين الله الخلافه بعد وفاه والده المستضىء بامر الله سنه ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م). فقد استطاع هذا الخليفه القضاء على الملك السلجوقى طغرل الثالث بتحرير الخوارزميين عليه و امدادهم بالجنود و اطماعهم بتملك البلاد.

فساروا اليه و التقى جيشهم بجيشه سنه ٥٩٠ هـ (١١٩٣ م) فدارت الدائره عليه و قتل فى المعركه و أرسل الخوارزميون رأسه إلى الخليفه (الناصر).

و بذلك استقل الناصر بالخلافه، و لما حاول الخوارزميون الحلول محل السلاجقه فى بغداد رفض الناصر ذلك فأرسلوا جيشا للاستيلاء على بغداد ففشل الجيش فى تفاصيل ليس ذكرها من موضوعنا.

صلاح الدين الايوبى و الناصر العباسى:

كان المقال التالى ردا على ما نشر فى بعض الصحف:

أردنا فى بادئ الأمر ان نترك المحتفلين بتاريخ صلاح الدين الايوبى - المحتفلين بذلك دون ايه مناسبه - أردنا ان نتركهم و شأنهم و لا نعرض بشىء مما أفاضوا فيه انشغالا منا بالحاضر المحزن عن الماضى المشجى.

أردنا ان نتركهم و شأنهم، و لكنهم لم يتركونا و شاننا، فصب أحدهم الدكتور فهمي سعد جام غضبه علينا صاحبا شاتما متهما،
ملقيا كلاما، مجرد كلام فارغ من اي محتوى تاريخي علمي و ثائقي، حاسبا ان

ص: ٢١

التحويل بالتعبير المدويه يمكن ان يطمس الحقائق و يلغى الوقائع يقول الدكتور فهمى سعيد فى تقديمه للمحاضرين عن صلاح الدين فى المركز الثقافى للبحوث و التوثيق فى صيدا - يقول فيما يقول و هو بعض ما نشر فى "نهار" يوم السبت ١٠/٣/٩٣:

" و أصحاب الرأى الذى يميل إلى الغض من انجازاته (صلاح الدين) جهدوا فى اصفاء الطابع العلمى على ملاحظاتهم، لكن الباحث و المؤرخ المحايد سرعان ما يكتشف أغراضا ذاتيه بعيده المرامى ".

بهذا القول العنيف واجه الدكتور سعد من لا يرون رأيه، و بهذه الصفه النكراء عرض لهم. و لما كنا نحن لا نميل إلى الغض من منجزات صلاح الدين فقط، و نرى ان وصفنا بهذا الوصف هو قليل فى حقنا و خفيف فى أمرنا، لان حالنا ليس حال (ميل)، بل هى حال توغل و اقتحام، و أقوالنا ليست غضا، بل هى نجريح [تجريح] و اتهام، و ما نكتبه ليس ملاحظات بل هو ضربات.

لذلك نرى اننا لسنا مشمولين بمن عناهم الدكتور سعد فقط، بل نحن فيمن يمكن ان ينالهم من حممه ما هو أغلظ و أعتى، و يطولهم من لسانه ما هو أفظ و أقسى.

و من هنا كان علينا ان نواجه الدكتور سعد لا باتهامه (بالأغراض الذاتيه البعيده المرامى) فحسب، بل بالحقائق الناصعه و البراهين القاطعه و الحجج الرادعه فنقول:

إذا كان للدكتور فهمى سعد ان يجبه أحدا، و إذا كان له ان يعنف بالقول فلسنا نحن الذين عليه ان يجبههم و يعنف عليهم، بل هم المؤرخون الأقدمون الذين لم تطاوعهم أقلامهم للسكوت على ما جرى. و اننا لنقدم للدكتور سعد نموذجا منهم هو عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى المعروف بأبى شامه صاحب (كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين) النوريه و الصلاحيه.

هذا الكتاب الذى ألفه صاحبه للاشاده بنور الدين و صلاح الدين، و ملاً صفحاته بما ملاًها من المفاخر المدعاه لصلاح الدين، و المطاعن المزعومه لأعداء صلاح الدين.

هذا الكتاب ابى الله و ابى التاريخ الصحيح الا ان ينطق صاحبه بما كان يود ان لا ينطق به، فإذا به يسجل ما يحو كل ما حاول ان يعده حسنات، ذلك دون ان يدرك خطوره ما سجل، لأنه فى غمره انبهاره بما يكتب عميت بصيرته عن ادراك هول ما سجل:

يقول أبو شامه فى الصفحه ٥٨١ و ما يليها من الجزء الأول - القسم الثانى من كتابه المطبوع فى القاهره سنه ١٩٦٢ ما نصه:

" و كان نور الدين قد شرع بتجهيز السير إلى مصر لآخذها من صلاح الدين لانه رأى منه فتورا فى غزو الفرنج من ناحيته، فأرسل إلى الموصل و ديار الجزيرة و ديار بكر يطلب العساكر لتركها بالشام لمنعه من الفرنج، ليسير هو بعساكره إلى مصر. و كان المانع لصلاح الدين من الغزو الخوف من نور الدين، فإنه كان يعتقد ان نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه، فكان يحتمى بهم عليه و لا يؤثر استئصالهم، و كان نور الدين لا يرى الا الجسد فى غزوهم بجهد و طاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو و علم غرضه تجهز بالسير اليه، فأتاه امر الله الذى لا يرى " (انتهى).

و مثل هذا القول قال ابن الأثير. على ان ابن العديم و هو ممن الفوا فى تمجيد صلاح الدين يتوسع فى ذكر ذلك فيقول فى

الجزء الثاني من كتابه:

" سار الملك الناصر (صلاح الدين) من مصر غازيا فنازل حصن الشوبك و حصره، فطلبوا الامان و استمهلوه عشره أيام، فلما سمع نور الدين بذلك سار من دمشق ليدخل بلاد الافرنج من الجبهه الاخرى، فقبل للملك الناصر (صلاح الدين): ان دخل نور الدين من جانب و أنت من هذا الجانب ملك بلاد الافرنج فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، و ان جاء و أنت هاهنا فلا بد من الاجتماع به و يبقى هو المتحكم فيك بما يشاء. و المصلحه الرجوع إلى مصر، فرحل عن الشوبك إلى مصر".

و كرر ابن العديم الروايه فى مقام آخر قائلا:

" و اتفق نور الدين و صلاح الدين على ان يصل كل منهما من جهه و تواعدا على يوم معلوم ان يتفقا على قتال الفرنج، و أيهما سبق اقام للآخر منتظرا إلى ان يقدم عليه، فسبق صلاح الدين و وصل الكرك فحصره. و سار نور الدين فوصل الرقيم و بينه و بين الكرك مرحلتان، فخاف صلاح الدين و اتفق رأيه و رأى اهله على العوده إلى مصر، (انتهى).

و يمكن تلخيص الموقف بما يلي:

كانت خطه نور الدين فتح جبهتين على الصليبيين: جبهه مصر بقيادة صلاح الدين، و جبهه الشام بقيادة نور الدين، و حصر الصليبيين بين الجبهتين، و بذلك يتم القضاء عليهم.

و يبدو جليا ان صلاح الدين لم يتوقع النصر السريع على الصليبيين لذلك زحف متجها إلى الكرك، فلما بدت طلائع النصر نكص على عقبيه، فاضطر نور الدين للرجوع.

اما لما ذا فعل صلاح الدين ذلك؟ فلأنه يريد ان يستقل بحكم مصر، فإذا زال الصليبيون توحدت مصر و الشام و صار هو تابعا لنور الدين.

لذلك آثر ان (يحتمى بالصليبيين). نعم يحتمى بهم - كما نص على ذلك - أبو شامه و ابن الأثير و غيرهما، - آثر صلاح الدين ان يحتمى بالصليبيين، و فضل بقاءهم محتلين للبلاد، فاصلين بين مصر و الشام، - فضل ذلك على هزيمتهم و توحيد البلدين.

و لم يقدم على حربهم الا بعد موت نور الدين و ضمان بقائه مستقلا بالحكم.

و انتصر فى حطين و تحررت القدس. و لكن هل كانت معركة حطين حاسمه فانتهدت بجلاء الصليبيين عن بلاد الشام و عودهم من حيث أتوا؟ ابدأ لم تكن كذلك فالصليبيون محتلون للبلاد و يتحكمون فيها.

فى هذا الوقت كان الخليفه العباسى (الناصر) (٥٧٥ - ٥٦٢ هـ) تمكن من التخلص من تسلط السلاجقه على الخلافه و تحكمهم فى أمورها، و استقل فى رقعته كبيره من البلاد العربيه و الإسلاميه تشمل العراق و قسما من ايران و تركيا و ألف فيها جيشا قويا، فاتجهت انظاره للمعاونه فى إنقاذ البلاد الشاميه من الاحتلال الصليبي بجيشه القوى.

و كان لا بد له من استئذان صلاح الدين في ذلك.

و لكن صلاح الدين الذي احتفى بالصليبيين من نور الدين راح

ص: ٢٢

يحتمى بهم الآن من الخليفة (الناصر) فرد على استئذان الخليفة له بالتحالف معه على الصليبيين - رد على ذلك برفض طلب الخليفة.

و نحن لا نريد ان نستشهد على أقوالنا الا بشهادات عملاء صلاح الدين أنفسهم الذين ابى الله و ابى التاريخ الصحيح الا ان ينطقهم بالحق رغما عنهم.

ذكر ما قلناه عن طلب الخليفة الناصر التحالف مع صلاح الدين على الافرنج، و رفض صلاح الدين ذلك - ذكر هذه الواقعة مؤرخ من أقرب الناس إلى صلاح الدين حتى كان بمثابة (سكرتير) شخصى له، هو عماد الدين الاصفهاني صاحب كتاب (الفتح القسى فى الفتح القدسى). ذكر ذلك فى الصفحه ١٧٦ من طبعه مطبعه الاتحاد بالقاهره.

تعلل صلاح الدين فى رفضه بان قواد جيشه غير موافقين على ذلك لأنهم ملوا الحرب.

و هنا لا بد لى من تبيان حقيقه جيش الخليفة العباسى و انه كان يمكنه الحاق الهزيمة بالصليبيين و إخراجهم من البلاد، بدل ان يظلوا محتلين لها مائه سنه بعد ذلك، مع عوده القدس إليهم بسبب تصرفات صلاح الدين نفسه كما سنرى.

بدئ ببيان هذا الجيش فى عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ - ٥٢٩ هـ) حتى بلغ تعداد المقيم منه فى بغداد فى عهد (الناصر) ١٥٠ ألفا. خاض هذا الجيش معارك كثيره خلال (٤٧) سنه هى مده خلافه الناصر أسقط فيها دولا و أنشأ دولا و احتل مدنا و أغاث امارات و ممالك و ولايات، ما ليس هنا مكان تفصيله.

وصف الشاعر ابن البنيه هذا الجيش بقوله:

ملك إذا انتظمت صفوف جيوشه أيقنت ان البر بحر مزبد

انفت صوارمه الجفون فأصبحت بالنصر فى قمم الخوارج تغمد

رفض صلاح الدين طلب الخليفة (الناصر) انجاده بجيش الخلافه القوى، الكفيل بهزيمة الصليبيين و إخراجهم من بلاد الشام. رفض ذلك لان انتصار هذا الجيش سيوحده البلاد العربيه بانضمام ما يسيطر عليه صلاح الدين منها إلى ما تسيطر عليه الخلافه فى العراق و أطراف البلاد الاخرى.

كان ما يسيطر عليه صلاح الدين يشمل بلاد الشام (سوريا و فلسطين و لبنن [لبنان] و الأردن) امتدادا [إلى جبال طورس، و يشمل مصر و اليمن. و بانضمام هذه الأقطار إلى حكومه بغداد تقوم الدوله العربيه الكبرى برعايه الخلافه الإسلاميه المرتبط بها العالم الإسلامى كله ارتباطا معنويا حتى فى حاله ضعفها. اما حين تكون بهذه القوه فان ارتباط هذا العالم بها يكون الارتباط المتناسك المتضامن الطيع.

رفض صلاح الدين ذلك لان قيام هذا الكيان المترامى الأطراف يجعل منه واليا من ولاته و تابعا من تابعيه، و هو يريد الانفراد بالسلطنه، و لو فى رقعه محدوده.

و خوفا من ان يصير الخليفه على إرسال جيشه بادر صلاح الدين إلى التحالف مع الصليبيين و توحيد جيوشه مع جيوشهم لصد جيش الخلافة إذا تقدم إلى بلاد الشام. و رأى الصليبيون حاجه صلاح الدين إليهم فأخذوا يشترطون في شروطهم لعقد هذا التحالف.

و كان أهم ما في شروطهم اعاده فلسطين إليهم و استرجاعهم لكل ما اخذه منهم صلاح الدين فيها من مدن، فخضع صلاح الدين لشروطهم و سلم لهم بكل ما طلبوا، مستثنيا القدس لان احتفاظه بها سيديم النشوه التي عرت المسلمين باسترجاعها فيغطي ذلك على استسلامه للصليبيين فلا يدرك المسلمون في فرحتهم حقيقه ما يجرى حولهم.

قلنا فيما تقدم اننا لا نقدم شهودا على صلاح الدين الا من أهل صلاح الدين، ممن لم يستطيعوا الا ان يدونوا بعض الحقائق، على ان تدوين هذا (البعض) كشف (الكل).

فهذا ابن شداد صاحب كتاب (الاعلاق الخطيره في أمراء الشام و الجزيره) الذى هو ربيب صلاح الدين و أحد رجال بلاطه و صاحب المنصب القضائى فى حكومته يعدد لنا المدن التى أعادها صلاح الدين للصليبيين. عند ما حالفهم على خليفه المسلمين. و كل ما استطاع ابن شداد ان يخدم به صلاح الدين هو انه كان يسمى ذلك التحالف (مهاده).

يقول ابن شداد و هو يتحدث عن مدينه حيفا فى الصفحه (١٧٧-١٧٨).

"لم تزل فى ايدى الفرنج إلى ان فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاث و ثمانين [٥٨٣] فلم تزل فى يده إلى ان نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم فى المهاده التى وقعت بينه و بينهم، و ذلك سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه، و لم تزل فى أيديهم".

و قال و هو يتحدث عن مدينه يافا فى الصفحه (٢٥٦): و لم تزل فى أيديهم (الفرنج) إلى ان فتحها عنوه الملك الناصر صلاح الدين سنة ثمان و ثمانين و خمسمائه على يد أخيه العادل و خربها و بقيت خرابا إلى ان تقررت الهدنه بين الملك الناصر (صلاح الدين) و بين الفرنج و شرطوا عليه إبقاءها فى أيديهم".

و هكذا يقول ابن شداد عن غير حيفا و يافا من المدن الفلسطينيه.

على ان من اخطر ما ذكره ابن شداد هو ان الصليبيين كانوا يملون شروطهم، و صلاح الدين يخضع لتلك الشروط، و هذا ما ذكره صراحه فى حديثه عن يافا.

كان الصليبيون يملون الشروط على صلاح الدين لعلمهم بحاجته إليهم فى الاعداد معهم لحرب الخليفه إذا عزم على التوجه إلى فلسطين، و كان صلاح الدين يخضع لتلك الشروط ليتسنى له الاستناد إلى الصليبيين فى حربته المتوقعه على ان رفض صلاح الدين قبول نجده الناصر، و ما بلغ الناصر من عزم صلاح الدين على قتال جيوشه فى تقدمها إلى فلسطين حال بين الناصر و بين تنفيذ ما عزم عليه، فلم يكن ليقدم على الاشتباك فى حرب اهليه بين المسلمين.

و صلاح الدين الذى تعلق فى رفض طلب الناصر انجاده لانقاذ بلاد الشام من الصليبيين - تعلق بان قواد جيشه ملوا الحرب فهم

لا يريدون حربا جديده مع الصليبين. ان صلاح الدين هذا بعد ان سلم للصليبين بكل ما طلبوا التسليم به و اطمان إلى تحالفه معهم، عاد يفكر فى الحروب لا مع الصليبين - بل مع المسلمين.

ص: ٢٣

يفتش عن مكان آخر يقاتل فيه، لان إنقاذ الوطن الإسلامى من الصليبيين يحد من نفوذه و يقلل من هيمنته. اما القتال فى مناطق أخرى فإنه يزيد من نفوذه و يكثر من هيمنته، فإذا ضمن ذلك فليبق الصليبيون فى بلاد الشام.

و لو ان المناطق الاخرى التى عزم على القتال فيها هى مناطق اجنبيه يريد إدخالها ضمن المناطق الإسلاميه، لهان الأمر. و لكن صلاح الدين الذى سالم الصليبيين و تحالف معهم و أعاد لهم ما كان اخذه منهم، صلاح الدين هذا عاد يخطط لغزو البلاد الإسلاميه و سفك دماء المسلمين تحقيقا لمطامحه الشخصيه. ترك الصليبيين فى أمان و اتجه لترويع المسلمين الآمنين، و لكن الله الرحمن الرحيم انقذهم منه، و نجاهم من السيوف التى أعدها لذبحهم توسيعا لملكه و مدا لسلطانه.

قال ابن الأثير و هو يتحدث عن وفاه صلاح الدين:

" و كان قبل مرضه قد احضر ولده الأفضل عليا و أخاه الملك العادل أبا بكر و استشارهما فيما يفعل، و قال لقد تفرغنا من الفرنج و ليس لنا فى هذه البلاد شاغل، فأى جهة نقصد، فأشار عليه أخوه العادل بقصد (خلاط) لانه كان قد وعده بأنه إذا أخذها ان يسلمها اليه. و أشار ولده الأفضل بقصد بلد الروم (الأناضول) التى بيد أولاد قلع ارسلان، و هى بلاد اسلاميه "

يقول صلاح الدين: تفرغنا من الفرنج، و ليته كان تفرغ منهم باستئصالهم مستعينا عليهم بجيش الخليفه.

و لكن تفرغ منهم بالتحالف معهم على ذلك الجيش.

تفرغ منهم بذلك و راح يحاول الانشغال عنهم بالمسلمين، و نسى ما قاله من ان قواد جيشه ملوا الحرب.

اعتبر البلاد التى استولى عليها ملكا شخصيا له يتملكها كما يتملك المزارع و القرى، لذلك قسمها بين اخوته و أولاده كما يقسم اى مالك املاكه بين وراثته، فاعطى مصر لولده العزيز عماد الدين أبى الفتح، و دمشق و ما حولها لولده الأفضل نور الدين على و هو أكبر أولاده، و حلب و ما إليها لولده الظاهر غازى غياث الدين، و الكرك و الشوبك و بلاد جعبر و بلدان كثيره قاطع الفرات لأخيه العادل، و حماه و معامله اخرى معها لابن أخيه الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر، و حمص و الرجه و غيرها لاسد الدين بن شير كوه بن ناصر الدين بن محمد بن أسد الدين شير كوه الكبير نجم الدين أخى أبيه نجم الدين أيوب، و اليمن بمعاقله و مخاليفه جميعه لأخيه ظهير الدين سيف الإسلامطغتكين بن أيوب، و بعلبك و أعمالها للأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه، و بصرى و أعمالها للظافر بن الناصر. و استقل كل واحد منهم بما فى يده.

و هكذا تمزقت البلاد و انفصمت وحدتها، و عادت مزقا يصارع بعضها بعضا. و قام الورثه يتنازعون فيما بينهم و يستنصر بعضهم بالصليبيين على البعض الآخر. ففى سنه ٦٣٨ سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق للصليبيين صيدا (بلد الدكتور فهمى سعد) سلم صيدا و هونين و تبين و الشقيف للصليبيين فيما سلمهم من البلاد، سلمهم ذلك كله ليساعده على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر.

و فى سنه ٦٢٥ هـ (شباط سنه ١٢٢٩ م) سلم الكامل و الأشرف ولدا العادل أخى صلاح الدين - سلما القدس و ما حولها للملك الصليبي فريديريك الثانى و سلماه معها الناصره و بيت لحم و طريقا يصل القدس و عكا.

و يصف ابن الأثير وقع هذه الرزية على العالم الإسلامي بقوله:

"و استعظم المسلمون ذلك و أكبروه و وجدوا له من الوهن و التألم ما لا يمكن وصفه".

هذا ما أدى إليه تمزيق صلاح الدين للبلاد و توريثها لاسرته قطعاً قطعاً. و إذا كان المسلمون يوم ذاك استعظموا هذا الأمر و وجدوا ما وجدوا فيه من الوهن و التألم، فان الدكتور فهمي سعد وجد فيه اليوم مجالاً للتفاخر و التمجيد.

يتهمنا الدكتور فهمي سعد بان لنا أغراضاً ذاتية بعيدة المرمى في غضنا من صلاح الدين.

اما ان لنا في ذلك أغراضاً بعيدة المرمى فصحيح: ذلك انا نريد رفع الزيف عن تاريخنا، و هو غرض بعيد المرمى حقا.

و اما (الذاتية)، فاننا نقول للدكتور فهمي سعد و لا مثاله: ليت أغراضكم كانت ذاتية فقط، إذن لهان الأمر... و اما نعتنا باننا جهدنا في اصفاء الطابع العلمي على ملاحظتنا، فان ذلك مما يشرفنا و نعترف به، و هو سيلنا دائماً فيما ندون.

اما هو فليس باحثاً و لا مؤرخاً و لا محايداً - كما ادعى لنفسه - بل كان شتاماً للباحثين المؤرخين المحايدين (انتهى).

هل كانت هناك خلافة فاطمية؟

عند مداهمه الخطر الصليبي للعالم الإسلامي لم تكن هناك خلافة فاطمية في مصر، بل كان المسيطرون على الحكم من تغلبوا على الخلفاء و حجبوهم داخل قصورهم لا يملكون من الأمر شيئاً حتى في شئونهم الخاصة لقد انتهت سلطه الفاطميين على مصر قبل وصول الصليبيين إلى أطراف العالم الإسلامي لا سيما بلاد الشام بربع قرن.

فان بدر الجمالي انهى سلطه الخليفه الفاطمي المستنصر و سيطر على الدوله سنة ٤٦٦ هـ و كان ابتداء وصول الصليبيين سنة ٤٩٠ هـ و سقطت انطاكيه في أيديهم سنة ٤٩١.

و يقول ابن الأثير عن سيطره بدر: فلما كانت سنه ست و ستين و اربعمائه ولى الأمر بمصر بدر الجمالي أمير الجيوش و قتل المركز و الوزير و جماعه من المسلحيه و تمكن من الدوله إلى ان مات، و ولى ابنه الأفضل (الصفحه ٨٧ من الجزء العاشر طبعه دار صادر و دار بيروتسنه ١٩٦٦).

و يقول عن موته في احداث سنه ٤٨٧: توفى أمير الجيوش بدر الجمالي صاحب الجيش بمصر و قد جاوز ثمانين سنه، و كان هو الحاكم في دوله المستنصر و المرجوع اليه.

ثم يقول: ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر و تقدم بها و صار صاحب الأمر (الصفحه ٢٣٥ من الجزء العاشر. طبعه دار صادر و دار بيروتسنه ١٩٦٦) على ان بدرا الجمالي لم يكتف بانهاء سلطه الخلافة الفاطميه و السيطرة على البلاد سيطره كامله تنتهي بموته، بل تعدى الأمر إلى ما يمكن ان نسميه إنشاء اسره مالكة جديده إذا لم تحمل اسم الخلافة لاستحاله ذلك عليها، فقد كان لها جميع مظاهر و حقائق الاسره المالكة من سلطه مطلقه و اقامه ولايه عهد، فحين مات بدر الجمالي تولى بعده ابنه و ولى عهده الأفضل الملقب: شاهنشاه.

والمقريزي حين يتحدث عنه في خططه يقر هذه الحقيقة فيقول في ذلك: "فاستتاب ولده شاهنشاه و جعله ولي عهده، و الصفحة ٣٨٢ من طبعه مكتبه الثقافه الدينيه، بدون تاريخ).

و لنلاحظ تلقيبه باللقب الملكي شاهنشاه. ثم يواصل المقريزي الحديث عنه قائلا: "و قد تحكم في مصر تحكم الملوك و لم يبق للمستنصر معه أمر و استبد بالأمور".

و يقول: "و هو أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر".

و يقول عن انتهاء سلطه المستنصر و الخلافة الفاطمية و قيام السلطه الجديده سلطه بدر الجمالي: و كان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي في سنه ست و ستين و اربعمائه و قيامه بسلطنه مصر ما ذكر في ترجمته عند ذكر أبواب القاهره، فلم يزل المستنصر مده أمير الجيوش ملجما عن التصرف إلى ان مات سنه سبع و ثمانين.

ثم يقول عن الأفضل بن بدر الجمالي: فلما مات المستنصر اقام الأفضل ابن أمير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه المستعلي بالله أبا القاسم احمد (الصفحة ٣٥٦ من الجزء الأول و لم يذكر تاريخ الطبع، نشر مكتبه الثقافه الدينيه).

و هكذا نرى ان الأفضل بن بدر الجمالي هو الذي اختار الخليفه و اقامه مقام أبيه لأنه هو الحاكم المسيطر.

و إذا كان بدر و ابنه الأفضل لم يعلنوا إلغاء الخلافة نظريا في حين انهما الغياها عمليا، فلأنهما كانا يريدان غطاء شرعيا لحكمهما يبرران به تسلطهما، و كان وجود الخليفه الشكلي هو الغطاء المطلوب.

ثم يقول المقريزي: و لم يكن للمستعلي مع الأفضل امر و لا نهى و لا نفوذ كلمه. (الصفحة ٣٥٧ من الجزء نفسه).

و في عهد المستعلي هذا الذي لم يكن له امر و لا نهى و لا نفوذ كلمه تقدم الصليبيون إلى البلاد الإسلاميه و احتلوا القدس.

و كان صاحب الأمر و النهى و نفوذ الكلمه هو الأفضل، إذن فلما ذا تنسب أحداث تلك الفتره إلى الفاطميين و خلافتهم؟ انها يجب ان تنسب إلى أصحاب الأمر و النهى و نفوذ الكلمه، و هم غير الفاطميين.

لا نقول هذا لأننا نرى في تصرف الأفضل تقصيرا و ضعفا، أو شيئا مما يؤخذ عليه في موقفه من الصليبيين.

بل على العكس من ذلك نرى انه قام بكل ما يستطيع القيام به في دفع الصليبيين عن الوطن الإسلامى. و وقف في وجههم بحزم و صلابه. فحاول أول الأمر دفعهم سلما، بالمفاوضات كما نقول اليوم، و لما لم ينجح في ذلك قاتلتهم جيوشه أشد قتال و ظلت تقاتل دفاعا عن القدس سبعة أسابيع. و إذا كان الصليبيون قد تغلبوا عليها فقد تغلبوا على غيرها ممن هم أقوى منها.

هل قصر الأفضل بن بدر الجمالي؟

و مع ذلك اننا نتساءل هل فرط الأفضل بن بدر الجمالي حاكم مصر الفعلي في أمر مقاومه الصليبيين؟ إننا نقول: لا، لم يفرط، بل كان موقفه موقف المتفاني في مقاومتهم، بالوسائل السلميه أولا، هذه الوسائل التي رأى فيها محاوله يائسه لا يقاف زحفهم، و

مع ذلك أقدم عليها، فلما لم تنجح ساق الجيوش لقتالهم، و إذا كانوا استطاعوا التغلب على جيوشه، فقد تغلبوا من قبل على جيوش غيره من المسلمين. فلما ذا الحديث عن الفاطميين وحدهم و عن الأفضل بن بدر الجمالي وحده؟ أما الوسائل السلميه التي حاولها بدر الجمالي بعد سقوط أنطاكيه و انهزام كربوقا السلجوقي و قواده بدون قتال - كما سيأتي - و ظهور الخطر الصليبي على أقوى صورته، و تهديد هذا الخطر للقدس و ما فى الطريق إليها من بلاد، اما هذه الوسائل فقد أوضحها الدكتور محمد جمال الدين سرور فى كتابه (النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام و العراق، الصفحه ٦٧).

قال الدكتور سرور: "لما وصل إلى الحكومه الفاطميه فى مصر نبا هجوم الصليبيين على انطاكيه رأت ان تبذل جهدها لمنع زحفهم على بيت المقدس، فأنفذ الوزير الأفضل بن بدر الجمالى سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) سفاره إلى الصليبيين للتفاوض فى عقد اتفاق معهم يتضمن أن يتفردوا بانطاكيه و أن تستقل مصر ببيت المقدس على ان يسمح للصليبيين بزياره الأماكن المقدسه بفلسطين و تكون لهم الحريه فى أداء شعائرهم الدينيه على ان لا تزيد مده إقامتهم بها عن شهر واحد، و الا يدخلوها بسيوفهم. (انتهى).

و من هذا يتبين ان الأفضل بن بدر الجمالى لما رأى سقوط انطاكيه و انهزام قوى كربوقا أيقن أنه لم يبق فى طريق الصليبيين قوى اسلاميه تستطيع التغلب عليهم و الحثول بينهم و بين الوصول إلى القدس، فحاول أن يقنعهم بالوقوف عند انطاكيه على ان تكون لهم حريه زياره القدس أفرادا غير مسلحين و ان يغادرها من يزورها منهم فى مده أقصاها شهر.

و أحسب ان هذا أقصى ما كان يستطيع ان يفعله الأفضل من أجل القدس يوم ذاك، فأين هو موضع التجريح بهذا الرجل؟ و لما فشلت محاولته السلميه لايقاف الصليبيين عند انطاكيه استعد لحربهم، مع علمه بقوتهم و ضعف قوته امام حشودهم اللجه، فقام و اليه على القدس بتسميم الآبار و طم القنوات لئلا يستفيدوا من مائها، و أخرج النصارى من المدينه و عهد بحراسه الأسواق إلى جماعه من العرب و السودان. و يقول الدكتور حسن حبشى فى كتابه (الحروب الصليبيه) فيما يقول عن جيش الأفضل بن بدر الجمالى المدافع عن القدس: "و أدرك الصليبيون انهم واجهوا هذه المره خصما يرى ان فى ضياع بيت المقدس ضياعا لهيبته السياسيه و انتهاكا لحرماته الدينيه".

ثم يصف الدفاع البطولى عن القدس قائلا: "شرع الصليبيون فى الهجوم مساء الأربعاء ١٣ يوليو ١٠٩٩ م (٤٩٢ هـ). و وجدوا من الحاميات الإسلاميه الفاطميه دفاعا قويا رغم ما استعدوا به من آلات الحصار و الأبراج المتحركه، و أخذت حاميه المدينه ترميهم بالنار الإغريقيه". و استمرت المعارك على هذا المنوال العنيف سبعة أسابيع من ٧ يونيو [١٠٩٩] إلى ١٥ يوليو ١٠٩٩ م.

إلى تنكريد الذى كان فى نابلس يستدعيه هو والقوات التى معه للمشاركة فى دفع الخطر الدايم، كما استدعى بقيه الأمراء الذين ساهموا فى فتح بيت المقدس يطلب إليهم الانضمام اليه للدفاع عن القبر المقدس هذه المره، و لم يتخلف منهم أحد، على الرغم مما كان قائما بينهم من خلاف يوم ذاك. وهكذا وحد الخطر (الفاطمى) - إذا أردنا ان نأخذ بتسميه المؤرخين - بين جميع القوى الصليبيه فتحدت بأقصى ما تستطيع من تحشد، ففشلت معركة استرداد القدس فى تفاصيل ليس هنا مكان الخوض فيها.

لم يستسلم بدر الجمالى بعد سقوط القدس للأمر الواقع - كما رأينا - بل ظل يقاتل الصليبين ما وسعه القتال.

يقول المقريزى فى خططه و هو يتحدث عن الأفضل: " و فى سنه اثنتين و تسعين [٤٩٢] ملك الفرنج الرمله و بيت المقدس فخرج الأفضل بالعساكر و سار إلى عسقلان، فسار اليه الفرنج فقاتلوه و قتلوا كثيرا من أصحابه و غنموا منه شيئا كثيرا و حصروه فنجأ بنفسه فى البحر و سار إلى القاهره ".
و يقول المقريزى أيضا: و فى سنه اربع و تسعين [٤٩٤] خرج عسكر مصر لقتال الفرنج و كانت بينهما حروب كثيره و يقول ابن الأثير (ج ١٠ ص ٣٩٤ طبعه ١٩٦٦: سير الأفضل ولده شرف المعالى فى السنه الحالىه إلى الافرنج فقهرهم و أخذ الرمله منهم.

و يقول المقريزى أيضا: (ص ٤٤٣ ج ١): و كوتب الأفضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه إليهم، فلم يبق ممكنا من مال و سلاح و خيل و رجال و استتاب أخاه المظفر أبا محمد جعفر ابن أمير الجيوش بين يدي الخليفه مكانه و قصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل إلى عسقلان و زحف عليها بذلك العسكر (و لكن الحمله لم تنجح).

و قال المقريزى أيضا: (ص ٤٨٠ ج ١): و ذكر تجهيز العساكر فى البرعز [البرغر] ورود كتب صاحبي دمشق و حلب فى سنه سبع عشره و خمسمائه ما يحث على غزو الفرنج و صيرها مع حسام الملك و ركب الخليفه الأمر باحكام الله و توجه إلى الجامع بالمقس و جلس بالنظره فى أعلاه و استدعى مقدم الاسطول الثانى و خلع عليه و انحدرت الاساطيل مشحونه بالرجال و العدد و الآلات و الاسلحه.

و هذا ما يدل على ان الأفضل لم يهدأ، و لم يترك الصليبين يهدءون بل ظل يغير عليهم و يقاتلهم فكانت بينه و بينهم حروب كثيره، على حد تعبير المقريزى.

و إذا كانت القوى الصليبيه المتدفقه من اوروبا هى اكثف و أقوى مما استطاع الأفضل حشده، و إذا كان لقوى الصليبين امداد دائم من الخارج، و ليس للأفضل اى امداد من العالم الإسلامى الواسع، فذلك ليس ذنب الأفضل بن بدر الجمالى.

و بالرغم من أن من جاءوا بعد الفاطميين طمسوا كل ما يستطيعون طمسه من ماثر تلك العهود و ما قيل فيها من الشعر و النثر فقد أمكن ان يصل إلينا بعض ما خلده الشعراء من ماثر الأفضل بن بدر الجمالى فى جهاده للصليبين فمن ذلك قصيده للشاعر أميه بن أبى الصلت يشير فيها إلى انصراف البلاد الإسلاميه الأخرى عن مواجهه الخطر الصليبي، و اقتصار تلك المواجهه على الأفضل و جيشه. و فيها يقول مخاطبا الأفضل:

جردت للدين و الأسياف مغمده سيفاً تفل به الأحداث و الغير

ثم يشير إلى فشل حمله استعادة القدس:

و إن هم نكصوا يوماً فلا عجب قد يكهم السيف و هو الصارم

الذكر

العود أحمد و الأيام ضامنهمعقبى النجاح و وعد الله ينتظر

و ربما ساءت الأقدار ثم جرتبما يسرك ساعات لها آخر

(١)

من هو بدر الجمالى؟

هو مملوك ارمنى الأصل، و إذا كانت قد قامت للمماليك بعد ذلك دولة فى مصر تطاول بها الزمن، فيمكن اعتبار دوله هذا المملوك أول دوله مملوكيه تقوم فى مصر.

و المماليك الذين حكموا بعد ذلك هم من أصول مختلفه تعود إلى جذور غير اسلاميه، و شان هذا المملوك شان غيره ممن حكموا بعده فى مصر و غير مصر(٢) فإذا كان فيهم من أبناء القرم و القفجاق و الروم و الروس و بعض المناطق الأوروييه الاخرى ممن ولدوا غير مسلمين ثم أسلموا، فهو مثلهم(٣) و لم يكن بدر هذا المملوك الوحيد من أصل ارمنى

ص: ٢٦

١- مما يذكر فى مناقب (الأفضل) ما ذكره ابن ميسر فى (أخبار مصر ص ٥٧ من انه وجد فى ثروه الأفضل بن بدر الجمالى خمسمائه ألف مجلد من الكتب.

٢- إذا كان المعروف ان دوله المماليك فى مصر تبدأ فى نظر المؤرخين بتولى عز الدين أيبك عرش مصر (٦٤٨ - ٦٥٥ هـ - ١٢٥٠ م) فاننا نستطيع القول بان الحكم المملوكى لمصر يعود إلى زمن أبعد من هذا الزمن، يعود إلى عهد قيام الدوله الطولونيه التى كانت فى واقعها دوله مملوكيه فان احمد بن طولون مؤسس هذه الدوله سنه ٢٥٤ هـ ابن مملوك تركى أسرف فى احدى الغزوات فى تركستاننوح بن أسد السامانى إلى الخليفه العباسى سنه ٢٠٠ مع ما أهدها من الرقيق و الهدايا. ثم قدر لولده احمد ان يتولى حكم مصر و ان يستقل بها منفصلا عن الدوله العباسيه. و يبدو ان احمد هذا حن إلى أصله فأكثر من شراء المماليك حتى بلغ عدد من اشتراهم أكثر من اربعة و عشرين ألف غلام من الأتراك، و أربعين ألفا من السود. و ان دوله يقوم على رأسها ابن مملوك يحوطه ستون ألف مملوك هم عدته فى حكمه، هى فى واقع الأمر دوله مملوكيه. ثم جاء الإخشيديون و كان مؤسس دولتهم محمد بن طغج الملقب بالإخشيد (٢٦٨ - ٣٣٤ هـ - ٨٨٢ - ٩٤٦ م) من أصل تركى و من أبناء المماليك، فزاد على اسلافه الطولونيين و أنشأ جيشاً من مماليك الأتراك و الديلم، قيل انه بلغ عدده فى مصر و بلاد الشام اربع مائه ألف جندى عدا

جرسه [حرسه] الخاص الذى بلغ ثمانيه آلاف مملوك. و إذا كنا قلنا عن دوله احمد بن طولون انها دوله مملوكيه لأنها ارتكزت فى حكمها على ستين ألف مملوك، فكيف بنا امام الدوله التى تركزت على اربعة مائه ألف و ثمانيه آلاف مملوك.

٣- لا- بد لنا من ان نوجز التعريف بالمماليك و كيفية انتشار أمرهم فى مصر بتلك الكثافه التى عرفتها تلك العصور: تتالف الاكثريه من مجموع المماليك الذين أخذ الايوبيون ثم من بعدهم سلاطين المماليك بإحضارهم إلى مصر من أبناء القوقاز و شبه جزيره القرم و القفجاق و آسيا الصغرى و تركستان و بلاد ما وراء النهر و بعض المناطق الأورويه. فهم بذلك لا ينتمون إلى أصل واحد. و تعدت تجاره الرقيق تجار الشرق، إذ أغرت ارباحها غيرهم، فرأينا نخاسى اوربا يدخلون السوق متاجرين بالرقيق حتى قبل قيام دوله المماليك، لا سيما البنادقه و الجنوبيين الذين وصلوا إلى شواطئ البحر الأسود شارين للرقيق، حاملين فتياهه إلى مصر حتى قيل إن ما كان ينقله هؤلاء إلى مصر يبلغ كل عام نحو ألفين، و فيهم المغول و الشراكسه و الروم و الالبانيون و الصقالبه (السولاف). سبقهم إلى ذلك قبل قرون الجرمانيون الذين باعوا اسراهم من الصقالبه إلى المسلمين فى اسبانيا. و كانت مساهمه التجار الأوربيين فى شراء الرقيق و إرسال ما يرسلونه إلى مصر بما فيها من انتقال هؤلاء إلى الدين الإسلامى - كانت هذه المساهمه حافزا لبعض ملوك اوربا و باباواتها إلى التدخل للحد من نشاط التجار الأوربيين المسيحيين فى هذا الميدان و منعهم من بيع ما يبيعونه إلى المسلمين و إلى البنادقه لان ما يصل إلى ايدى البنادقه سينتقل حتما إلى ايدى المسلمين. و عند ما يقال ان السلطان المملوكى (لا-جين) هو من أصل ينتمى إلى شواطئ بحر البلطيق، و ان أنس والد السلطان (برقوق) هو من فلاحى الدانوب، فهذا يعنى الإشاره إلى ما قلناه من ان نخاسى اوربا ساهموا فى نقل الرقيق إلى مصر. و يمكن القول ان أهم الأسواق التى كان يشتري فيها المماليك من اوربا هى أسواق الساحل الشمالى من البحر الأسود و بحر أزوف. و ممن ساهم فى تكثيف جمهور المماليك فى مصر الأ-تراك الذين كانوا يرسلون اسراهم المجريين لبيعهم فى مصر. و كان المماليك بعد شرائهم من مختلف المناطق يباعون فى مصر و يشترط فيهم فى أوائل اليفاعه من أعمارهم و ان لا يتجاوزوا هذه السن.

الذى حكم مصر، فقد جاءت بعد ذلك (شجره الدر) المملوكه الارمنييه الأصل فحكمت مصر.

كان أبو النجم بدر الجمالى مملوكا لجمال الدوله بن عمار فلذلك عرف بالجمالى. و يقول عنه المقرئى فى خطه(١):

ما زال يأخذ بالجد فى زمن سبيه فيما يباشره، و يوطن نفسه على قوه العزم و ينتقل فى الخدم حتى ولى اماره دمشق من قبل المستنصر ثم سار منها كالهارب، ثم وليها ثانيه فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فثار العسكر و أخرجوا قصره، و تقلد نيابه عكا، فلما كانت الشده بمصر من شده الغلاء و كثره الفتن و الأحوال بالحضره قد فسدت و الأمور قد تغيرت و طوائف العسكر قد شغبت و الوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الأمر و النهى، و الرخاء قد أيس منه، و الصلاح لا مطمع فيه. و لواته قد ملكت الريف. و الصعيد بايدى العبيد. و الطرقات انقطعت برا و بحرا الا بالخفاره الثقيله فلما قتل بلدكوش ناصر الدوله حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته (انتهى).

المستنصر

و قبل الدخول فى تفاصيل تولي بدر الجمالى شئون مصر، لا بد من شىء من التعريف بالخليفه الفاطمى المستنصر الذى بدأت الخلافه فى القسم الأخير من عهده تضعف و تنتقص من أطرافها ثم انتهى أمرها باستيلاء بدر الجمالى عليها.

طالت خلافه المستنصر ستين سنه و اربعة أشهر تحقق له فى القسم الأول منها ما لم يتحقق لأحد من اسلافه إذ خطب باسمه فى بغداد و البصره و واسط و أعمالها أربعون خطبه، بعد ان طرد منها الخليفه العباسى (القائم) و استمر ذلك سنه و تم ذلك بدون معرفه المستنصر فى حديث طويل ليس هنا مكانه، ثم عادت الأمور إلى مجاريها و عاد الخليفه (القائم [القائم]) إلى بغداد.

و فى القسم الثانى من عهده بدأ التضعف انتهاء بسيطره بدر الجمالى، أو بما يمكن ان نسميه انتهاء العهد الفاطمى و حلول العهد الجمالى محله حكما و سيطره. فقد قامت فعلا الدوله (الجماليه) بكل ما للدول فى تلك العصور من واقعيه الحكم و مظاهره. و صار الخليفه سجين قصره محجورا عليه بما نستطيع ان نطلق عليه بلغه العصر الحاضر اسم (الإقامه الجبريه).

و لم يكن فى مصلحه الدوله الجديده قتله أو طرده، بل كان من مصلحتها الاحتفاظ به أسيرا فى يديها لاستغلال اسمه بما يمكن ان يستغل به.(٢)

ص: ٢٧

١- الجزء الأول ص ٣٨١ نفس الطبعه.

٢- لا يمكن و نحن نمر بذكر المستنصر ان نتجاوز حادثا حدث عند ما كان لا يزال فى قوته مسيطرا على الحكم، قبل ان ينحيه عنه بدر الجمالى، حادثا على ما كان يتمتع به هذا الخليفه الفاطمى من حميه اسلاميه و إخلاص لقومه و وطنه. و إذا أخذنا باصطلاحنا فى هذا العصر قلنا: حادثه تدل على وطنيه المستنصر، و وطنيه شماء لا- حدود لها، و وطنيه ترفعه إلى أعلى مقام فى الملوک الوطنيين المخلصين. ذلك - كما يروى المقرئى فى خطه ج ١ ص ٣٣٥ - قائلا: "ان السعر ارتفع بمصر فى سنه ست و أربعين و اربعمائه و تبع الغلاء و بء فبعث الخليفه المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على إلى

متملك الروم بقسطنطينيه ان يحمل الغلال إلى مصر فأطلق اربعمائه ألف اردب و عزم على حملها إلى مصر، فأدركه اجله و مات قبل ذلك. فقام بالملك بعده امرأه و كتبت إلى المستنصر تسأله ان يكون عوناً لها و يمدّها بعساكر مصر إذا ثار عليها أحد فأبى ان يسعفها في طلبها فحددت لذلك و عاقت الغلال عن المسير إلى مصر فحقق المستنصر و جهز العساكر و عليها مكيين الدوله الحسن بن ملهم، و سارت إلى اللاذقيه فحاربتها بسبب نقض الهدنه و إمساك الغلال عن الوصول إلى مصر و أمدّها بالعساكر الكثيره و نودى في بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فاميه و ضايق أهلها و جال في اعمال انطاكيه فسبى و نهب فاخرج صاحب انطاكيه ثمانين قطعه في البحر فحاربها ابن ملهم عدّه مرار و كانت عليه، و أسر هو و جماعه كثيره في شهر ربيع الأول [٤٤٦] منها فبعث المستنصر في سنه سبع و أربعين [٤٤٧] أبا عبد الله القضاعي برسالة إلى القسطنطينيه، فوافى إليها رسول طغرل بك السلجوقي من العراق بكتابه يأمر متملك الروم بان يمكن الرسول من الصلاه في جامع القسطنطينيه فاذن له في ذلك فدخل اليه و صلى فيه صلاه الجمعه و خطب للخليفه القائم بامر الله العباسي. فبعث القاضى القضاعي إلى المستنصر يخبره بذلك. إلى آخر ما جرى. و تلخص الواقعه بالآتي: ان ازمه غذائيه حدثت في مصر و اشتد الغلاء، فاضطر المستنصر لطلب استيراد القمح من القسطنطينيه، فوافق ملك القسطنطينيه على ذلك دون شروط، و لكنه توفى قبل تحقيق ذلك، فتولت الحكم بعده ملكه اشترطت لانقاذ صفه القمح ان يحالفها المستنصر عسكريا و ان يمدّها بالمقاتلين. و لما كان الصراع المفترض ان يقوم هو بين السلاجقه المسلمين و بين البيزنطيين، كان معنى امداد المستنصر لملكه القسطنطينيه بالمقاتلين هو ان يحالفها على السلاجقه. و مع ان السلاجقه هم في الوقت نفسه مزاحمي الفاطميين على بلاد الشام و غيرها، فان وطنيه المستنصر و حميته الإسلاميه رفضت هذا الحلف مع القسطنطينيه على السلاجقه، مع شده اضطرار المستنصر للقمح الذي كان موعودا به من القسطنطينيه، فلجا إلى إعلان الحرب على البيزنطيين و الاشتباك معهم برا و بحرا. فاغتنم السلاجقه ذلك للتقرب إلى البيزنطيين و التحالف معهم على الفاطميين فأرسل ملكهم طغرل بك رسوله إلى القسطنطينيه و أحكم امره معهم.

لقد صور لنا المقريزى فى الكلام الذى تقدم ذكره الفوضى التى وصلت إليها البلاد حتى اضطر المستنصر إلى استدعاء بدر الجمالى من خارج مصر ليضبط الأمور و يعيد للدوله هيبتها و يبسط سلطتها، إذ كان معروفًا عن بدر حزمه و كفاءته، فكان فى نظر المستنصر الرجل المأمّل لتلك المهمه العسيره.

و يصف لنا المقريزى فى خطفه ما جرى مكملًا- كلامه السابق الذى نقلنا بعضه فيما تقدم قائلًا: "كتب المستنصر اليه (بدر) يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشترط ان يحضر معه من يختاره من العساكر و لا يبقى أحدا من عسكر مصر، فأجابه المستنصر إلى ذلك، فاستخدم معه عسكرا و ركب البحر من عكا فى أول كانون و سار بمائه مركب بعد ان قيل له ان العاده لم تجر بر كوب البحر فى الشتاء لهيجانه و خوف التلف، فأبى عليهم و أقلع، فتمادى الصحو و السكون مع الريح الطيبه مدّه أربعين يوما حتى كثر التعجب من ذلك و عد من سعادته. فوصل إلى تينس و دمياط و اقترض المال من تجارها و مياسيرها. و قام بامر ضيافته و ما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتى كبير أهل البحيره. و سار إلى قليوب فنزل بها و أرسل إلى المستنصر يقول: لا ادخل إلى مصر (و المقصود بمصر هنا القاهره) حتى تقبض على (بلدكوش) و كان أحد الأمراء و قد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان(1)، فبادر المستنصر و قبض عليه و اعتقله بحزانه الجنود. فقدم بدر عشيه الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنه خمس و ستين و اربعمائه. فتهيأ له ان قبض على جميع أمراء الدوله. و ذلك انه لما قدم لم يكن عند الأمراء علم من استدعائه، فما منهم الا من أضافه و قدم اليه، فلما انقضت نوبتهم فى ضيافته استدعاهم إلى منزله فى دعوه صنعها لهم و بيت مع أصحابه ان القوم إذا اجنهم الليل فإنهم لا- بد يحتاجون إلى الخلاء، فمن قام منهم إلى الخلاء يقتل هناك. و وكل بكل واحد واحدا من أصحابه و أنعم عليه بجميع ما يتركة ذلك الأمير من دار و مال و أقطاع و غيره، فصار الأمراء اليه و ظلوا نهارهم عنده و باتوا مطمئنين. فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الأمراء و صارت رءوسهم بين يديه، فقويت شوكته و عظم امره، و خلع عليه المستنصر بالطيلسان المفور و قلده وزاره السيف و القلم. فصارت القضاء و الدعاه و سائر المستخدمين من تحت يده، و زيد فى ألقابه: (أمير الجيوش كافل قضاء المسلمين و هادى دعاه المؤمنين).

و تتبع المفسدين فلم يبق منهم أحدا حتى قتله. و قتل من أمثال المصريين و قضاتهم و وزراءهم جماعه. ثم خرج إلى الوجه البحرى فاسرف فى قتل من هنالك من (لواته) و استصفى أموالهم و أزاح المفسدين و أفناهم بأنواع القتل. و صار إلى البر الشرقى فقتل منه كثيرا من المفسدين، و نزل إلى الإسكندريه و قد ثار بها جماعه مع ابنه الأوحد فحاصرها أياما من المحرم سنه سبع و سبعين و اربعمائه إلى ان أخذها عنوه و قتل جماعه ممن كان بها و عمر جامع العطارين من مال المصادرات و فرغ من بنائه فى ربيع الأول سنه سبع و سبعين و ابعماه [اربعمائه]. ثم سار إلى الصعيد فحارب جهينه و الثعالبه و أفنى أكثرهم بالقتل و غنم من الأموال ما لا يعرف قدره كثره فصلح به حال الإقليم بعد فسادة....

إلى ان يقول: فلما كان فى سنه سبع و ثمانين و اربعمائه مات فى ربيع الآخر [٤٨٧] و قيل فى جمادى الأولى [٤٨٧] منها و قد تحكّم فى مصر تحكّم الملوک و لم يبق للمستنصر معه امر، و استبد بالأمور فضبطها أحسن ضبط.

و كان شديد الهيئه وافر الحرمة مخوف السطوه، قتل من مصر خلائق لا يحصيها الا خالفها. منها انه قتل من أهل البحيره نحو العشرين ألف إنسان إلى غير ذلك من أهل دمياط و الإسكندريه و الغريه و الشرقيه و بلاد الصعيد و أسوان و أهل القاهره و

مصر. الا- انه عمر البلاد و أصلحها بعد فسادها و خرابها بإتلاف المفسدين من أهلها. و كان له يوم مات نحو الثمانين سنه. و كانت له محاسن منها: انه أباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت أحوال الفلاحين و استغنوا في أيامه، و منها حضور التجار إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في أيام الشده، و منها كثره كرمه.

و كانت مده أيامه بمصر احدى و عشرين سنه. و هو أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر.

إلى ان يقول:

و قام من بعده بالأمر ابنه شاهنشاه الملقب بالأفضل بن أمير الجيوش.

و كان المقریزی قد قال من قبل عن الأفضل و هو يتحدث عن أبيه بدر: و استتاب ولده شاهنشاه و جعله ولي عهده - كما مر -.

و بتسميته ابنه (ولى العهد) يكون قد أكمل إعلان قيام الحكم الملكى الجديد على انقراض الحكم الفاطمى المنهار. و تكون دوله جديده قامت فى مصر هى وحدها المسئوله عما جرى فى عهدها من احداث.

مسير الدوله الجماليه

كما سيطر الأفضل على الدوله أيام المستنصر كذلك سيطر عليها أيام المستعلى و بعد المستعلى و قيام عهد (الآمر) استمرت سيطرته محكمه كما فى السابق و يقول المقریزی عن موت المستعلى و تولى الأمر:

" فلما مات المستعلى، أقام الأفضل من بعده فى الخلافه ابنه الأمر باحكام الله (ج ١ ص ٣٥٧) و هكذا فان استبداد الأفضل فى شئون الحكم قد وصل إلى انه هو الذى ينصب الخلفاء و يقيمهم و جاء فى كتاب (أدب مصر الفاطميه) للدكتور محمد كامل حسين ص ٥٢ نقلا عن المقریزی و هو يروى بعض الأحداث ما نصه: " و كان إغلاق هذه الدار العلميه وقع وقع [الصاعقه على الخليفه الفاطمى الأمر باحكام الله، و لكن الخليفه كان مسلوب الإراده مع وزيره فصر على مضض.

على ان الأمر قرر التخلص من السيطره (الجماليه) و القضاء نهائيا على هذه الدوله التى قامت إلى جانب الخلافه الفاطميه فحرمتها من سلطتها و حجرت على خلفائها و استبدت بالأمور دونها. فرأى ان أفضل طريقه للتخلص من (الجماليين) هى اغتيال الأفضل، و ان ذلك يتم بان

ص: ٢٨

١- ناصر الدوله الحمدانى و كان قد استبد بالمستنصر و سيطر على الحكم.

يضع عليه من يقتله إذا دخل عليه قصره للسلام، أو في أيام الأعياد(1)و يقول المقرئى عن موت المستعلى و تولى الأمر: " فلما مات المستعلى " أقام الأفضل من بعده فى الخلافة ابنه الأمر باحكام الله (ج ١ ص ٣٥٧) و هكذا فان استبداد الأفضل فى شئون الحكم قد وصل إلى انه هو الذى ينصب الخلفاء و يقيمهم و جاء فى كتاب (أدب مصر الفاطميه) للدكتور محمد كامل حسين ص ٥٢ نقلا عن المقرئى و هو يروى بعض الأحداث ما نصه: " و كان إغلاق هذه الدار العلميه وقع وقع الصاعقه على الخليفه الفاطمى الأمر باحكام الله، و لكن الخليفه كان مسلوب الإراده مع وزيره فصر على مضض " .

فتذاكر فى ذلك مع ابن عمه عبد المجيد فنهاه عن سلوك هذا الطريق فى قتله، و أشار عليه بان يتولى قتله غيرهم، و ذكر أبا عبد الله بن البطائى قائلا: " و رأى ان ترأسل أبا عبد الله بن البطائى فإنه الغالب على أمر الأفضل و المطلع على سره، و تعده أن توليه منصبه و تطلب منه ان يدبر الأمر فى قتله " .

و قد نجحت هذه الخطه بتفاصيل ليس هنا مكان ذكرها، و لما قتل ولى الوزاره بعده أبو عبد الله بن البطائى فتحكم هو الآخر و استبد بالأمر، و أدى به الحال فى النهايه إلى ان يتأمر على الخليفه (الأمر) فأغرى أخاه جعفرًا بقتله و جعله خليفه بعده، و اتصل خبر المؤامره بالأمر فكان هو الاسرع بالقضاء على ابن البطائى.

إذا كان قد بدا ان الدوله (الجماليه) قد انتهت بقتل الأفضل، فان الأمر لم يكن كذلك إذ ان مقتل الأفضل لم يكن هو الفصل الأخير فى حياه هذه الدوله.

و من أعاجيب الزمان، و غرائب تصارييف الأقدار ان عبد المجيد بن عم الأمر الذى دبر مع الأمر قتل الأفضل عاد هو يتعاون مع ابن الأفضل.

انتهت حياه الأمر قتلا- بيد اتباع الحسن الصباح الذى كان قد انشق بهم الحسن عن حكم مصر و عرفوا فى التاريخ باسم (الإسماعيليين النزاريين)(٢)و كان عمر الأمر حين اغتيل أربعا و ثلاثين سنه، و مده خلافته تسعا و عشرين سنه.

و لما قتل لم يكن له ولد بعده، فحل الاشكال بان يتولى الحكم ابن عمه عبد المجيد الذى لقب بالحافظ على ان لا يعطى لقب (الخليفه)، و انما يتولى الأمر نائبا عن الخليفه العتيد، إذ ربما ظهر حمل للأمر، فإذا ظهر سلم الحافظ الخلافه له.

و الحافظ هذا المتأمر مع الأمر على الأفضل بن بدر الجمالى استوزر احمد بن الأفضل بن بدر الجمالى.

و إذا كان الأفضل و من قبله أبوه بدر قد اكتفيا فى امر المستنصر و المستعلى و الأمر بتجريدهم من السلطه و بابقائهم بما يشبه الإقامه الجبريه، فان احمد بن الأفضل بن بدر الجمالى لم يكتف مع (الحافظ) بذلك، بل أضاف إلى الاستبداد بالأمر و الاستئثار بالسلطه - أضاف إلى ذلك: الحجز على الحافظ و ايداعه فى خزانه لا يدخل اليه الا من يريده هو.

و نقل أحمد ابن الأفضل هذا كل ما كان فى قصر الخلافه إلى داره من الأموال و غير الأموال. و مما فعله انه أسقط اسم الحافظ من الخطبه و أمر بان يخطب له وحده بألقاب رنانه طنانه.

و زاد على ذلك بأنه مس العقيد المذهبيه للفاطميين فى الصميم - كما تقدم -، فصمم جماعه على قتله بعيدا عن رأى الحافظ

الذى كان محجورا عليه لا يصل اليه أحد - كما ذكرنا -، و نفذوا التصميم و قتلوه.

و أخرج الحافظ من الخزانه التى كان فيها و بوع هذه المره لا باعتباره نائبا عن الخليفه المنتظر، بل بوع خليفه أصيلا.

و هكذا انتهى امر الجماليين فى حكم مصر بقتل احمد بن الأفضل بن بدر الجمالى.

تصرفات كربوقا

و إتماما للحديث عن الصليبيين نذكر ما يلى:

يحدثنا ابن الأثير فى تاريخه (ج ١٠ ص ٢٧٦ طبعه ١٩٦٦) عن زحف كربوقا لانقاذ انطاكيه كما يلى:

" جمع العساكر و سار إلى الشام و اقام بمرج دابق و اجتمعت معه عساكر الشام، تركها و عربها سوى من كان بحلب. فاجتمع معه دقاق بن تنش و طغتكين أتابك، و جناح الدوله صاحب حمص و ارسلان تاش صاحب سنجار سليمان ابن ارشف و غيرهم من الأمراء أو ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبه عليهم و خافوا لما هم فيه من الوهن و قله الأقوات عندهم. و سار المسلمون فنازلوا انطاكيه.

و أساء كربوقا السيره فيمن معه من المسلمين و أغضب الأمراء و تكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال، فاغضبهم ذلك و أضمروا له فى أنفسهم الغدر إذا كان قتال، و عزموا على إسلامه عند المصدوقه.

و اقام الفرنج بانطاكيه بعد ان ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه، و تقوت الأقوياء بدوابهم، و الضعفاء بالميته و ورق الشجر، فلما رأوا ذلك أرسلوا إلى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد، فلم يعطهم ما طلبوا، و قال: لا- تخرجون الا بالسيف(٢) و كان معهم من الملوك: بردوبل و صخبل و كندفرى و القمص صاحب الرها و بيمنت صاحب انطاكيه، و هو المقدم عليهم.

ص: ٢٩

١- ابن الأثير ج ١٠ ص ٥٩٠ طبعه ١٩٦٦.

٢- فى أواخر عهد المستنصر كان الحسن الصباح فى مصر و شاهد بنفسه تفرد الأفضل بن بدر الجمالى بالحكم و استبداده بالمستنصر، و اقتنع بان المستنصر كان مرغما على صرف ولايه العهد عن ولده الأكبر نزار إلى ولده الأصغر احمد الذى عرف بعد ذلك بلقب المستعلى. فقرر الحسن التمرد على ذلك و رفض بعد موت المستنصر الاعتراف بخلافه أحمد و أعلن أن الخليفه بعد المستنصر هو نزار، و صمم على الانفصال عن الخلافه المحكوميه باسم الجماليين، و أنشا حكم مستقل عنها. و بعد خطوب و احداث ليس هنا مكان ذكرها، أعلن حكومته المستقله فى ايران و اتخذ من قلعه (الموت) قاعده، و أنشا حركه الفدائيين، و صار أعدى أعداء الحكم فى مصر. و من اعمال فدائييه اغتيال (الأمر).

٣- المقصود بطلب الامان: هو ان يلقوا سلاحهم و يستسلموا خارجين بدون سلاح على ان يكونوا آمنين على أرواحهم فلا يقتل

منهم أحد، ولا يكونون اسرى، بل ينطلقون راجعين إلى بلادهم. وقد كانت القيادة الصليبية كلها في انطاكية كما عدد رجالها ابن الأثير فيما تقدم من القول، فطلبها الامان و استسلامها كان معناه انتهاء الحروب الصليبية عند انطاكية و عوده رجالها إلى بلادهم سرازم جائعه عاريه.

و كان معهم راهب مطاع فيهم، و كان داهيه من الرجال، فقال لهم:

إن المسيح (ع) كان له حربته مدفونه بالقسياد الذى بانطاكيه، و هو بناء عظيم، فان وجدتموها فإنكم تظفرون و ان لم تجدوها فالهلاك متحقق.

و كان قد دفن قبل ذلك حربته فى مكان فيه و عفى أثرها، و أمرهم بالصوم و التوبه، ففعلوا ذلك ثلاثه أيام. فلما كان اليوم الرابع أدخلهم فى الموضوع جميعهم و معهم عامتهم و الصناع منهم، و حفروا فى جميع الأماكن فوجدوها كما ذكر، فقال لهم: أبشروا بالظفر، فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة و سته، و نحو ذلك. فقال المسلمون لكربوقا: ينبغى ان نقف على الباب فنقتل كل من يخرج، فان أمرهم الآن و هم متفرقون سهل، فقال: لا تفعلوا، أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم، و لم يتمكن من معاجلتهم. فقتل قوم من المسلمين جماعه من الخارجين، فجاء إليهم هو بنفسه و منعهم و نهاهم.

فلما تكامل خروج الفرنج، و لم يبق بانطاكيه أحد منهم، ضربوا مصافا عظيما، فولى المسلمون منهزمين، لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهان بهم و الاعراض عنهم، و ثانيا من منعهم من قتل الفرنج.

و تمت الهزيمه عليهم، و لم يضرب أحد منهم بسيف و لا طعن برمح و لا رمى بسهم. و آخر من انهزم سقمان بن ارتق و جناح الدوله لأنهما كانا فى الكمين و انهزم كربوقا معهم.

فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدته، إذ لم يجز قتال ينهزم من مثله، و خافوا ان يتبعوهم، و ثبت جماعه من المجاهدين و قاتلوا حسبه. و طلبا للشهاده، فقتل الفرنج منهم ألوف، و غنموا ما فى المعسكر من الأقوات و الأموال و الأثاث و الدواب و الاسلحه، فصلحت حالهم و عادت إليهم قوتهم. (انتهى).

و عند ما ينهى ابن الأثير كلامه هذا يشير إلى ان ما اتاحه تصرف كربوقا و خيانه القاده السلاجقه الآخرين هى التى رسخت عزم الصليبيين على الزحف إلى القدس بعد ما عراهم من الياس و الانخزال، فيقول:

"لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا إلى معره النعمان".

مسئوليه السلاجقه و أتباعهم

كان ابن الأثير واضحا فى تحميل السلاجقه مسئوليه نجاح الصليبيين فى اختراق بلاد الشام و الوصول إلى القدس. السلاجقه و أتباعهم ابتداء من كربوقا و وصولا إلى بقيه الأمراء القاده المرافقين له، مع اختلاف نوع المسئوليه بين كربوقا و بين بقيه الأمراء.

لقد استطاع كربوقا ان يجيش الجيوش الإسلاميه و يجمع جموعها من الموصل حتى بلاد الشام، و ان يحرك العرب و الأتراك و كل من هو فى طريقه الطويل من شمال العراق حتى شمال الشام، و فى هذا المدى الواسع من القوى البشرى ما يتالف منه جيوش جراره، و هذا ما كان، و ما اكده ابن الأثير فى عباراته الصريحه.

و هذا ما أدركه الصليبيون الذين كانوا يعانون الوهن و قله الأقوات، - كما يقول ابن الأثير - بعد تلك الرحله الطويله التى

بدءوها من قلب اوربوا وصولا- إلى انطاكية. و مما زاد في وهنهم و انخذالهم ما عانوه في حصارهم لانطاكية، حتى عادوا و كأنهم المحاصرون (بفتح الصاد) لا المحاصرون (بكسرها).

و قد كانت المجاعة قد حلت بهم لانعدام موارد القوت فيهم، فلم يجدوا سبيلا لاتقاء الجوع سوى التحول إلى عصابات تحاول نهب القرى و المزارع، و لكن أهل هذه القرى و المزارع عرفوا كيف يصدونهم و يفتكون بهم - كما تقدم - فدب الياس فيهم، و بدءوا يتسللون من جيشهم هارين. و حين نعلم انه كان في طليعه الهارين الرجل الأول في الدعوه إلى إشعال الحرب الصليبيه، و بطل جمع جموعها و تحريض الجماهير على الانضمام إلى جيوشها، أعنى بطرس الناسك.

و حين نعلم ان الفرار من الجيش الصليبي الجائع الواهن قد تعدى العامه إلى القاده ففر أمثال (ستيفن) كونت بلوا.

حين نعلم ذلك، ندرک إلى أى مدى كان الصليبيون يائسين منخذلين واهنين جائعين و هم حول انطاكية.

و لو لا خيانه خائن كان داخل انطاكية لارتد الصليبيون عن انطاكية و فشلت الحمله الصليبيه من أساسها.

لقد دخلوها على وهنهم و جوعهم، و ظلوا على هذا الوهن و الجوع و هم داخلها، لأن أسباب الوهن و الجوع كانت لا تزال قائمه، فلا مصادر للقوت تقيهم الجوع و تدفع عنهم الوهن.

وصلت الحمله السلجوقيه إلى انطاكية و الصليبيون على تلك الحال و وصلتهم اخبار ضخامه الجيوش التى أخذت تحاصرهم لذلك قرره الاستسلام - كما ينص على ذلك ابن الأثير -.

و هذا يعنى ان الحمله الصليبيه قد فشلت و ان جيوشها و قوادها على وشك ان يسقطوا اسرى فى ايدي المسلمين، و ان القدس التى كانت هدفهم قد سلمت، و انتهى أمرهم، و لم تعد تقوم لهم قائمه.

فما ذا غير ذلك كله، و ما ذا أحال و منهم إلى قوه و جوعهم إلى شبح و ما ذا غيرهم من موقف طالب الاستسلام إلى المهاجم المنتصر؟ ان ابن الأثير يفصل لنا ذلك بعبارات مقتضبه، فهو يقول:

"... و لما سمعت الفرنج (بقدم الجيوش الإسلاميه الكثيفه عظمت عليهم المصيبه و خافوا لما هم فيه من الوهن و قله الأوقات عندهم".

ثم يسترسل ابن الأثير قائلا:

" و أساء كربوقا السيره فيمن معه من المسلمين و أغضب الأمراء و تكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال، فاغضبهم ذلك و أضمرؤا له فى أنفسهم الغدر إذا كان قتال و عزموا على إسلامه عند المصدوقه".

عوضا عن ان تبعث كثره الجند و ضخامه الجيش فى نفس كربوقا:

ثم يواصل ابن الأثير وصف حال الصليبيين داخل انطاكية قائلا:

" و اقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثني عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه، و تقوت الأقوياء بدوابهم، و الضعفاء بالميته و ورق الشجر، فلما رأوا ذلك أرسلوا إلى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد، فلم يعطهم ما طلبوا، و قال: و لا تخرجون الا بالسيف. و كان معهم من الملوكة بردويل و صخبل و كندفري و القمص صاحب الرها، و بيمنت صاحب انطاكية و هو المقدم عليهم " إلى ان يذكر ابن الأثير عزمهم على الخروج من انطاكية لمصادمه المسلمين بعد رفض كربوقا لاستسلامهم، فيقول:

" فخرجوا من الباب متفرقين من خمسة و ستة و نحو ذلك. فقال المسلمون لكربوقا: ينبغي ان نقف على الباب فنقتل كل من يخرج، فان أمرهم الآن و هم متفرقون سهل. فقال: لا تفعلوا، أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم، و لم يمكن من مفاجاتهم، فقتل قوم من المسلمين جماعه من الخارجين، فجاء إليهم هو بنفسه و منعهم و نهاهم.

فلما تكامل خروج الفرنج، و لم يبق بانطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما، فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانه بهم و الاعراض عنهم، و ثانيا من منعهم عن قتل الفرنج، و تمت الهزيمة عليهم، و لم يضرب أحد منهم بسيف و لا طعن برمح و لا رمى بسهم و انهزم كربوقا معهم.

فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة، إذ لم يجز قتال ينهزم من مثله، و خافوا ان يتبعوهم. و ثبت جماعه من المجاهدين، و قاتلوا حسبه و طلبا للشهادة، فقتل الفرنج منهم ألوف، و غنموا ما فى المعسكر من الأقوات و الأموال و الأثاث و الدواب و الأسلحة، فصلحت حالهم و عادت إليهم قوتهم انتهى كلام ابن الأثير).

ثم يصف بعد ذلك استئنافهم الزحف و وصولهم إلى معره النعمان...

فالامر يلخص كما ذكر ابن الأثير كما يلي:

١: - كان الصليبيون فى منتهى الوهن و الجوع.

٢: - قرروا الاستسلام.

٣: - رفض كربوقا استسلامهم و قرر دخول انطاكية بالسيف.

٤: - بدءوا بالتسلل من انطاكية فرأى المسلمون مقابلتهم و هم شرادم تسهل إبادتها تدريجيا، و بالفعل بدأ ذلك المسلمون فقتلوا كل من خرج، فرفض ذلك كربوقا و جاء بنفسه يمنع المسلمين من هذا.

٥: - كان كربوقا قد أساء معامله الأمراء المنضمين اليه و عاملهم بمهانته.

٦: - حقد هؤلاء الأمراء عليه و قرروا عدم القتال و الانهزام من المعركة عند أول مواجهه لهم مع العدو.

٧: - إصرار كربوقا على منع جمهور المقاتلين معه من تصيد الأعداء و هم شرادم أغضب هذا الجمهور فقرروا ما قرره الأمراء من

الانهزام دون قتال.

٨: - وجدت جماعه فى الجيش الإسلامى رفضت ذلك فقررت الاستشهاد تقربا إلى الله.

فأول ما يطال كربوقا من المسئوليه فى ذلك هو تنفيره قلوب الأمراء منه و الاستعلاء عليهم.

و ثانى ما يطاله - و هو الاخطر فى الأمر - هو رفضه استسلام الصليبيين بلا قتال.

و ثالث ما يناله - و هو ما لا- يقل خطوره عن الثانى - هو رفضه طلب جمهور المقاتلين عدم السماح للصليبيين بالتجمع كتله واحده و مقابلتهم و هم شرادم تسهل إبادتها. فلما ذا فعل كربوقا ذلك؟ نحن يصعب علينا اتهام كربوقا بالخيانة، لذلك فاننا هنا لا- ننسبها اليه، فتصرفاته كلها منذ أخذ يجيش الجيوش حتى وصوله إلى انطاكيه تدل على الإخلاص و العزم على محاربه الصليبيين.

و لكننا لا نتردد ابدأ باتهامه بالانانيه و حب الذات و تغليبهما على كل شىء، مهما تعارض هذا الشىء مع المصلحه العامه.

ان انانيته و حبه لذاته جعله يحقر الأمراء الذين استجابوا لدعوته، و يحاول بذلك إثبات انه هو وحده السيد المطلق الأمر الناهى، و ان هؤلاء الأمراء مجرد اتباع لا شان لهم.

و ان انانيته و حبه لذاته و حرصه على مجده الشخصى جعله يرفض استسلام الصليبيين بأمان بلا قتال و خروجهم من انطاكيه و رجوعهم إلى بلادهم.

لانه - و قد أيقن بوهنهم و حلول المجاعه فيهم - اعتقد انه سيخوض معهم معركة سهله يكون هو بطلبها المنتصر، و استسلامهم بلا قتال سيحرمه من التباهى بالانتصار عليهم فى معركة حاسمه.

و كذلك القول فى منعه جمهور المقاتلين المسلمين من تصيد الصليبيين أفرادا و شرادم و هزيمتهم بهذه الطريقه فان ذلك سيحرمه من المجد الشخصى و التفاخر بالانتصار.

و هكذا فان الأنانيه و حب الذات و طلب المجد الشخصى قد حال بين المسلمين و بين انتهاء الحروب الصليبيه عند انطاكيه، و عرضهم لما عرضهم من فجائع دخول الصليبيين للقدس فاتحين و استمرار الاحتلال الصليبي لبلاد الشام مائتى سنه، و ما اقتضى ذلك من إذلال و سفك دماء.

و هذا فى رأينا و رأى جميع المنصفين لا- يقل جريمه عن تعمد الخيانه اما أولئك الأمراء و اما جمهور المقاتلين فإنهم جمعوا إلى الصفات الذميه التى - كانت لكربوقا - جمعوا إليها الخيانه الصريحه...

هذا كله يتناساه مزيفو التاريخ و يتجاهلونه، و يفتشون عن برىء يتهمونونه و بطل يخونونه و هذا ما ناسف ان يتمسك به فى هذا العصر من يقولون انهم آكاديميون و حمله دكتوراه و أساتذه جامعيون!.

أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء بامر الله الحسن:

مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و مر بحث عن الوظائف الاداريه فى دولته فى المجلد الخامس من (المستدرجات).

و ننشر هنا عنه بحثا للدكتور مصطفى جواد:

ص: ٣١

للدولة العباسية في أواخر عصورها، و تلکم النهضة و ذلكم الاستقلال كانا حصيلة مجهود و كفاح جسيم بدأ بهما الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ - ٥٢٩ هـ) و ابنه الراشد بالله، و أخوه المقتفى لأمر الله (٥٣٠ - ٥٥٥ هـ) و ابنه المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ) ثم انتكست الخلافة العباسية بعض الانتكاس على عهد الخليفة المستضىء بامر الله (٥٦٦ - ٥٧٥ هـ) فهياً الله تعالى لها الخليفة الناصر لدين الله بن المستضىء بامر الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ)، و هو الخليفة الهمام الذى وحد العرب و غيرهم من المسلمين، و بلغ درجه التقديس عندهم، و بقيت سيرته من أعجب السير العالميه، و سياسته من مفاخر السياسات العربيه، و أخباره من نوادر أخبار ذوى السلطان فى الدنيا، لا يكاد التصديق يطور بساحتها لغرابتها و براعتها و أربتها حتى يجدها من الأخبار الصحيحه، التى أجمع عليها المؤرخون و أيدتها الآثار و الأفعال و عضدها التواتر، و إذا نطق العمل صدق القول.

ولد بدار الخلافة العباسية بالجانب الشرقى من بغداد، يوم الثلاثاء عاشر رجب من سنة (٥٥٣ هـ) و أمه جاريه تركيه اسمها " زمرد " و تلقب بخاتون، و قد أدركت خلافته و عاشت من سنيها أربعاً و عشرين سنة، قال ظهير الدين الكازرونى الأصل البغدادى المؤرخ " كانت راعبه فى الخير و الصدقه و أفعال البر، و لها من الصدقات و الوقوف ببغداد و غيرها شىء كثير " .

كان مولد الناصر لدين الله على عهد أبى جده الخليفة المقتفى لأمر الله، المشار إليه آنفاً، قبل وفاته بسنتين، و قضى طفولته و صباه فى عهد جده المستنجد بالله. فالمقتفى أتم محاوله أخيه المسترشد بالله، لاعاده سلطه الخلافة العباسيه، و التخلص من هيمنه الدوله السلجوقيه عليها، و الاستقلال فى الحكم بالعراق، و هو أيامئذ من تكريت فى الشمال إلى البصره فى الجنوب، و من عين التمر فى الغرب إلى البندنجين (١) فى الشرق. و قطعت على عهده الخطبه ببغداد و العراق باسم السلطان السلجوقى فى سنة ٥٤٧ هـ و هى سنة وفاه السلطان الجبار مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقى الذى كان يخطب له بلقب السلطنه ببغداد بعد ذكر الخليفة الذى هو أمير المؤمنين و المقدم فى الدين على الولاه و الأمراء و السلاطين، و بعد ذكر ولى عهده فى الخطبه أيضاً، كما جرت عادته الخلفاء العباسيين فى عصورهم الأخيره. و كان هذا السلطان الجبار قد واطا الإسماعيليه على اغتيال الخليفتين: المسترشد بالله و ابنه الراشد بالله، و شاركه فى هذه المواطاه السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقى ملك خراسان و ما إليها، و هو يومئذ أكبر السلاطين السلجوقيين بالشرق، و كان سلاجقه كرمان و سجلاقه بلاد الروم دونه مقاما. و كان جد الخليفة الناصر لدين الله المستنجد بالله قد شارك أباه الخليفة المقتفى لأمر الله فى النفاخ عن استقلال الدوله العباسيه، و كفاح أعدائها من سلجوقيين و أتباعهم من أمراء الأطراف و الأتباع و الولاه، و كان شديد الوطأه عليهم، غيورا على ناموس الدوله الذى أقامه هو و أبوه، و استعد للأحداث بجمع العساكر و حارب المفسدين و المعتدين، و أحكم الحصون التى على حدود العراق، و كثرت الحروب فى أيامه، و كثر عدوان أتباع السلاجقه على بلاده، فاضطر إلى القسوه فى الحرب و الاعدام، و إلى رمى الخارجين عليه بالتكفير و اللعن لهم على المنابر، فضلا عن حشد الجيوش لمقاومتهم. و كانت شبهتهم الكبرى فى تنقص أطراف العراق و النهب للأموال فى مدنه، هى وجوب اعاده السلطنه السلجوقيه إلى العراق و الخطبه للسلطان ارسلان شاه بن طغرل الثانى بن محمد بن ملك شاه، و هو صبى يومئذ يتولى أتابكيتيه أى تربيته أمير تركى اسمه " ايلدكز " و يحكم فى بلاد مملكته التى أهم مدنها أصفهان و الرى و همذان و عده مدن فى آذربيجان من البلاد المعروفه اليوم بايران.

و تنافس الأمراء السلجوقيون فى طلب الخطبه بالسلطنه ببغداد و العراق حتى قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٦٣ هـ:

" فى هذه السنه أرسل آق سنقر الأحمديلى صاحب مراغه إلى بغداد أن يخطب للملك الذى هو عنده و هو ولد السلطان

محمد شاه. (بن محمود بن محمد بن ملك شاه) و يبذل انه لا يطاء أرض العراق و لا يطلب شيئاً غير ذلك و بذل مالا يحمله (إلى الخليفة) إذا أجيب إلى ملتمسه، فأجيب بتطيب قلبه، و بلغ الخبر ايلدكر صاحب البلاد فساءه ذلك فجهز عسكريا كثيفا و جعل المقدم عليهم ابنه البهلوان و سيرهم إلى سنقر، ف وقعت بينهم حرب أجلت عن هزيمه آق سنقر و تحصنه بمراغه، و نازله البهلوان و حصره و ضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا و عاد البهلوان إلى أبيه بهمدان".

و إذا كان نصف السياسيه اختيار رجالها لا نجد بدأ من أن نذكر أن نهضة الدوله العباسيه الأخيره استندت فيمن استندت إليهم إلى عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة كاتب الخليفه المقتفى لأمر الله، ثم وزيره العالم السياسى المستيقظ المؤلف المتوفى سنه ٥٦١هـ على عهد المستنجد بالله. قال ابن الأثير فى تاريخه: "كان حنبلى المذهب، دينا خيرا عالما يسمع حديث النبى - ص - و له فيه التصانيف الحسنه، و كان ذا رأى سديد، و نفق على المقتفى نفاقا عظيما حتى أن المقتفى كان يقول: لم يزد لبنى العباس مثله. و لما مات قبض على أولاده و أهله. "فهذا الوزير كتب و حسب و نظم و ساس و حارب و ألف و أنفق على العلم، و أیده ابناه عزى.

ص: ٣٢

١- تطور اسمها على اختلاف العصور و تعرف اليوم باسم مندلى.

الدين محمد و شرف الدين ظفر، فكان جزاؤه بعد موته و تمهيده استقلال الدوله العباسيه أن قبض على ابنه المذكورين و أعدما بطريقه الغدر [و] الاحتيال، و هذه الأفعال المنكره أعنى التنكيل بالمخلصين للدوله تدل على اختلال الحكم فيها.

إن الذى ارتكب هذه الجرائم باسم السياسه رجل دخل هو و أبوه فى خدمه الدوله و تدرج فى المراتب حتى صار أستاذ دار الخلافه بعد أبيه، و هو عضد الدين أبو الفرج محمد المعروف بابن رئيس الرؤساء و بابن المسلمه، و أيده أبنائه. و كان الخلفاء العباسيون فى عصورهم المتأخره قد استحدثوا منصبا جديدا تحت الوزاره سموه "نياه الوزاره" فاستتاب الخليفه المستنجد بالله بعد موت الوزير الكبير ابن هبيره قاضى القضاء أبا البركات جعفر بن عبد الواحد الثقفى. ثم رأى تحكّم أستاذ الدار عضد الدين بن المسلمه المذكور فى أمور الدوله فبحث عن وزير أيد حازم ضابط، فوجده و هو أحد ولاته و يدعى شرف الدين أحمد بن محمد بن البلدى. و كان ناظرا بواسطه و ذا كفايه عظيمه.

قال ابن الأثير فى حوادث سنه ٥٦٣هـ: "فى هذه السنه استوزر الخليفه المستنجد شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى. و كان عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكّم تحكما عظيما فتقدم (١) الخليفه إلى ابن البلدى بكف يده و أيدي أهله و أصحابه ففعل ذلك"، و كان الخليفه المستنجد بالله راغبا فى اتباع آثار الخلفاء الصالحين.

و أراد هذا الوزير أن يجرى حكم الشريعه فى السرقة و ينفذ حدودها، فقبض سنه ٥٦٤هـ على أحد موظفى الدوله و اسمه الحسين بن محمد السيبى و على أخيه الأصغر - و كانا ابني عمه أستاذ الدار عضد الدين، فأمر بقطع يد الحسين و رجله و حمله إلى المارستان فمات فيه، قال ابن الأثير: "قيل انه كان عنده صنع يقبض بها، و يحمل إلى الديوان بالصنح الصحيحه. و كان الأصغر عامل المارستان". و بيان ذلك أنه كان عنده عيار أثقل من عيار الدوله الصحيح يستوفى به حقوق الدوله لأن الدنانير كانت تستوفى فى الغالب بالوزن لا بالتعداد، و يحمل إلى بيت المال بالعيار الصحيح، و يستولى على الفرق. فلذلك عد سارقا، و طبقت عليه أغلظ العقوبات فى حدود السرقة المعنيه.

و الذى يبعث الأسى و الأسف على هذا الرجل السيئ الحظ انه كان أديبا شاعرا.

و بهذه الحادثه تحول التنافس الشديد بين أستاذ الدار عضد الدين و الوزير ابن البلدى إلى عداوه زرقاء، تراق فيها الدماء، و ترتكب فيها أسوأ الأسواء. و أخذ أستاذ الدار يهتبل الفرص للإيقاع بالوزير، فانضوى أولا إلى مقدم الجيوش العباسيه أيامئذ و هو قطب الدين قايماز التركى الأصل، المقتفوى - نسبه إلى الخليفه المقتفى لأمر الله لأنه كان من مماليكه - و فى سنه ٥٦٦هـ مرض الخليفه المستنجد بالله مرض الموت، أو مرضا حادا. و كان قطب الدين قايماز و أستاذ الدار عضد الدين قد خافا منه أشد الخوف، و خشيا أعظم الخشيه من تأييده الوزير ابن البلدى، فاتفقا على الائتمار به مع طبيبه المعروف بابن صفيه ليقتلاه بشبهه الطب، فوصف له الطبيب دخول الحمام مع أنه كان مصابا بالحمى المحرقه أى التيفوئيد فأبى أن يدخل الحمام لضعفه، و لكنهم أدخلوه إياه مرغما، و أغلقوا عليه الباب فمات و كان ذلك فى تاسع شهر ربيع الآخر من سنه ٥٦٦هـ المذكوره آنفا.

قال ابن الأثير "كان المستنجد بالله من أحسن الخلفاء سيره مع الرعيه، عادلا فيهم، كثير الرفق بهم، و أطلق كثيرا من المكوس - يعنى أبطلها - و لم يترك بالعراق شيئا منها، و كان شديدا على أهل العيث و الفساد و السعايه بالناس" و ذكر بعد ذلك حكايه نادره تدل على شدة إنكاره للسعايه. و هكذا قضى نجه هذا الخليفه العادل المتيقظ، فقد ائتمر به الخونه الغدره من رجال الدوله

فأسرعوا وفاته، قيل انه أمر وزيره ابن البلدى باستئصال زعيمهم، فترث فى ذلك و فاتته الفرصه، و قرع سنه ندما و دعى إلى دار الخلافه لمبايعه الخليفه الجديد و هو أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله فلما دخلها أدخله خصماه عضد الدين و قطب الدين فى موضع منها، و أمرا رجالا مسلحين من أصحابهما بقتله و تقطيعه إربا إربا، ثم رموا أشلاءه فى نهر دجله، و استولى الخصمان المذكوران على جميع ما فى داره، فرأيا فيها فيما رأيا أوامر من الخليفه المستنجد بالله يأمره فيها بالقبض عليهما و جوابه بالكف عنهما، و لكن العداوه لا تعرف الحدود.

يأبى النظام الوراثى فى الحكم إلا- أن ينتكس و ينعكس، و هكذا انتكست الدوله العباسيه فى نهضتها الأخيره، و ولى خليفه مستضعف و لقب " المستضىء بامر الله ". و شرط المؤتمران بآبيه أن يكون عضد الدين و هو أحدهما وزيرا، و يكون ابنه كمال الدين عبيد الله أستاذ دار الخلافه. و يكون قطب الدين قايماز مقدم الجيوش و هو المؤامر الآخر، و لبث الخليفه المستضىء بامر الله كالمحجور عليه بدار الخلافه.

و اتفق فى عهده انقراض الدوله الفاطميه بمصر سنه ٥٦٧ و الخطبه باسمه فيها.

و لم تهدأ أحوال الخلافه العباسيه، فقد بدأ النزاع بين المتأمرين الاثنى قطب الدين قايماز و عضد الدين محمد الوزير، فكل منهما يريد السلطه العليا و التحكم التام فىل.

ص: ٣٣

١- تقدم فلان بكذا: أى أمر به، و هو الغالب فى الاستعمال على هذا الفعل.

الدوله. و قد كان الغلب لصاحب الجيش قطب الدين، فألزم الخليفة المستضىء بامر الله بعزل الوزير فعزله و لم تمكنه مخالفته، و استناب في الوزاره أبو الفضل يحيى بن عبد الله بن جعفر صاحب المخزن، و المخزن أيامئذ ديوان تجهيزات الدوله جميعها، و فى سنه ٥٦٩ هـ أحس قطب الدين بان الخليفة المستضىء يريد اعاده عضد الدين إلى الوزاره فحاصر دار الخلافه، و أجبر الخليفه إلى ترك ما أراد، و لم يقنع بذلك بل أراد إخراج عضد الدين من بغداد، ثم اجتزأ من ذلك (بما يسمى اليوم) فرض الإقامه الجبريه عليه مده).

و قد شهد الناصر لدين الله و هو أمير جميع هذه [هذه] الهزاهز و الاضطرابات و الاثتمارات، و كانت تبدو منه امارات الشهامه، و علامه الشجاعه و الغيره و التيقظ و التأثير الشديد بما يجرى على الخلافه و ما يقاسى أبوه من تحكم رجال الدوله و سوء تصرفهم فى شئونها و ادارتها، و كأنه لما سمع بمحاصره قطب الدين قايماز مقدم الجيوش لدار الخلافه رقى قبه عاليه من قصر التاج و هو أحد قصور دار الخلافه الفخمه فسقط منها إلى أرض القصر و لكنه سلم و نجا. و كان معه مملوك له اسمه "نجاح".

فلما هوى الأمير أسقط المملوك نفسه معه فقبل له: لم ألقيت نفسك؟ فقال: ما كنت أريد البقاء بعد مولاي. فرعى له الأمير ذلك. و لما تولى الخلافه جعله شرايبا لنفسه، و لقبه بالملك الرحيم عز الدين و قدمه على الأمراء جميعهم.

و تقدم عند الخليفه المستضىء رجل اسمه ظهير الدين منصور بن نصر الحرانى المعروف بابن العطار، فرتبه صاحب المخزن. و هذه الوظيفه من أعلى الوظائف فى الدوله العباسيه فى أواخر عصورها، فحصلت نفره بينه و بين قطب الدين قايماز مقدم الجيوش. و كان ظهير الدين رجلا متعصبا لمذهبه تعصبا أعمى، لكنه مقرب من الخليفه المستضىء جدا و له منه رعايه بالغه، فأرسل قطب الدين يستدعى ابن العطار ليحضر عنده فهرب و التجأ إلى دار الخلافه، فأحرق قطب الدين داره، و كان ذلك سنه "٥٧٠ هـ" و حالف أغلب الأمراء فى الجيش، و طلب منهم المساعدة و المظاهره له و جمعهم و قصد دار الخلافه بالجانب الشرقى من بغداد، لعلمه أن ابن العطار ملتجئ إليها. فلما علم الخليفه المستضىء بذلك، و رأى الغلبه صعده إلى سطح قصر من قصور دار الخلافه و ظهر للعامه - و كان نادر الظهور لهم - و أمر خادما من خدمه أن يصيح و يستغيث و يقول للعامه: "مال قطب الدين لكم، و دمه لى" يحضهم على نهب أمواله دون التعرض له بما يؤدي إلى قتله، فقصدت جموع الناس و خصوصا الرعاع و الغوغاء و العيارين دار قطب الدين لنهب ما فيها، و أيد الخليفه يومئذ مملوك "حبشى" من مماليك جده المقتفى اسمه عماد الدين صندل(١)، و كان أستاذ دار الخلافه إذ ذاك. و هو الرسول الذى حمل خلع الخليفه لنور الدين و صلاح الدين لما قرضا الدوله الفاطميه بمصر، فسار فى جماعه من الجند و أحرق دار قطب الدين بقوارير النفط الطيار التى تقابل اليوم القنابر(٢) المحرقه، فاضطر قطب الدين إلى الهرب من بغداد، و قصد إلى الموصل فتوفى قبل بلوغه إياها، و نجا ظهير الدين بن العطار من عدوه و كذلك عضد الدين محمد بن المسلمه، فاستدعاه الخليفه المستضىء - أعنى عضد الدين - و ولاه الوزاره ثانيه، و بقى ظهير الدين فى رتبته (صاحب المخزن) و زاد نفوذ كلمه الأمراء الأحباش كعماد الدين صندل المذكور و قرينه مجاهد الدين خالص و هو الذى رآه ابن جبير الأندلسى الرحاله فى دخوله بغداد سنه ٥٨٠ هـ فقال:

"و روتق هذا الملك انما هو على الفتیان و الأحابيش المجاييب" منهم فتى اسمه (خالص) و هو قائد للعسكرىه كلها، أبصرناه خارجا أحد الأيام و بين يديه و خلفه أمراء الأجناد من الأتراک و الديلم و سواهم، و حوله نحو خمسين سيفا مسلولة فى أيدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من أمره عجبا فى الدهر، و له القصور و المناظر على دجله" و لم نعرف السبب فى عجب ابن جبير

فقد أجبر الخليفة المقتفى على شراء المماليك الأحباش.

و استتبت أحوال الخلافة العباسية بعد هذه الاضطرابات و الاشتباكات بعض الاستتباب. ثم ظهر استبداد ظهير الدين بن العطار بالتدريج و استؤنفت المنازعات بين أرباب الدولة ففي سنة ٥٧١هـ، قبض على عماد الدين صندل أستاذ الدار و ولى مكانه أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله المعروف بابن الصاحب، و هو من أبناء أسره خدمت الدولة العباسية منذ ابتداء نهضتها على عهد الخليفة المسترشد بالله، و استؤنفت تعدى أمراء الأطراف على العراق بشبهه استمرار الدولة العباسية على عدم الاعتراف بالدولة السلجوقية و ترك الخطبه لسلطانها ببغداد و العراق، و أرسلوا جماعه ففتكوا بالوزير عضد الدين بن المسلمه و هو بالجانب الغربى من بغداد و قد عزم على سلوك طريق الحج، و كان ذلك فى رابع ذى القعدة من سنة ٥٧٣هـ و تم استبداد ظهير الدين بن العطار بأمور الخلافة، و ظهرت الفتن المذهبية ببغداد، و ثار العوام على الحكام الطغام، و حدث غلاء و وباء، ثم عقب ذلك وفاه الخليفة المستضىء بامر الله فى ثانى ذى القعدة من سنة ٥٧٥هـ.

خلف المستضىء بامر الله من الأبناء اثنين أحدهما أبو العباس أحمد الذى مر ذكره غير مره، و أبو منصور هاشم، و كان أحمد هو الأكبر و أرادت جماعه من رجال الدولة صرفه.

ص: ٣٤

١- له قبر بزوايته بالجانب الغربى من بغداد لا يزال معروفا، و قد اتخذت زاويته مسجدا و نسبت اليه المحله المجاوره لقبره و تعرف اليوم بمحل الشيخ صندل.

٢- هو الاسم الصحيح لما يسمى بالقنابل التى هى تصحيف.

الخلافة عنه إلى أخيه هاشم إلا- أن حزب الناصر و فيهم حظيه والده السيده (بنفشه) و أستاذ الدار مجد الدين هبه الله بن صاحب، و القائد عماد الدين صندل حملوا والده المستضىء على أن ينص عليه قبل وفاته، فبوع بالخلافة صبيحه يوم الأحد غره ذى القعدة [٥٧٥]، على قول، أو ثاني ذى القعدة [٥٧٥] على قول آخر، من سنه ٥٧٥ هـ.

و ظن رجال الدوله استمرار الضعف فيها طبيعيا كما كان على عهد أبيه، فانتقم بعضهم من بعض، و قبض على ظهير الدين منصور بن نصر بن العطار الحراني النائب في وزاره، و قيد في دار الخلافة، و بحث عن أمواله و ودائعه ثم قتل و أخرج من دار الخلافة ثاني عشر ذى القعدة ميتا على رأس حمال سرا، فغمز به بعض الناس و ثارت به العامه فألقوا جثته عن رأس الحمال و كشفوا سواته و شدوا بها حبلا- و سحبه ببغداد و كانوا يضعون بيده مغرفه قد غمسوها بالعذره - تشبيها لها بالقلم - و هم يقولون "وقع يا مولانا" استهزاء و تهكما، لما رأوا منه من العسف و الجور و الظلم و التعصب الشنيع.

و جرت العاده عند انتقام بعض رجال الدول من بعض بتمهيد الطريق إلى الاستبداد و ما يسمى اليوم باستغلال الاستقلال، فلا غرابه في أن ينحو هذا النحو أستاذ دار الخلافة مجد الدين هبه الله بن صاحب، و قد أخطأ هذا الرجل خطأ عظيما في تحكمه بشئون الدوله و كان عليه أن يدرس نفسه الخليفه الجديد، و يسبر غوره، و يختبر أمره، فقد كان الناصر لدين الله قوى النفس شجاعا ذكيا ألمعيا جريئا مدهش السياسه ظاهر الكياسه جميل الخلق و الخلق، عالما بحقيقه منصبه، عارفا بالواجب عليه للدين و للأمه الإسلاميه، فمثل هذا الخليفه ينبغي أن لا يفتات عليه، و لا يقطع أمر دون موافقته و استثماره، و قد رآه ابن جبير عند قدومه بغداد سنه "٥٨٠ هـ" قال: "و قد يظهر الخليفه في بعض الأحيان بدجله راكبا في زورقه، و قد يصيد في بعض الأوقات في البريه، و ظهوره على حاله اختصار، تعميه لأمره على العامه، فلا- يزداد أمره مع تلك التعميه إلا اشتهارا، و هو مع ذلك يحب الظهور للعامه، و يؤثر التحبب لهم و هو ميمون النقيبه عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء و عدلا و طيب عيش فالكبير و الصغير منهم داع له. أبصرنا هذا الخليفه (١) المذكور و هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ابن المستضىء بنور الله (كذا) أبي محمد الحسن ابن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف، و يتصل نسبه إلى أبي الفضل جعفر المقتدر بالله إلى السلف فوqe من أجداده الخلفاء - رضوان الله عليهم - بالجانب الغربى أمام منظرته، و قد انحدر عنها صاعدا في الزورق إلى قصره بأعلى الجانب الشرقى على الشط، و هو في فناء من سنه، أشقر اللحيه صغيرها، كما اجتمع بها وجهه، حسن الشكل، جميل المنظر، أبيض اللون، معتدل القامه، رائق الرداء، سنه نحو الخمس و عشرين سنه، لابسا ثوبا أبيض شبه القباء برسوم ذهب فيه، و على رأسه قلنسوه مذهبه مطوقه بوبر أسود من الأوبار الغاليه القيمه، المتخذ للباس الملوك مما هو كالفنك (٢) و أشرف، متعمدا بذلك زى الأتراك، تعميه لشأنه، لكن الشمس لا تخفى و ان سترت و ذلك عشيه يوم السبت السادس لصفري سنه ثمانين و خمسمائه".

و قال ظهير الدين الكازرونى في مختصر التاريخ "قال من شاهده يوم المبايعه: رأيتة و هو شاب أبيض مترك الوجه، مليح العينين، أفتى الأنف، رقيق المحاسن، خفيف العارضين، نقش خاتمه: "رجائي من الله عفوه"، و كان قبل المبايعه قد أهلك الناس الجدب و غلو الأسعار و قله المعاش و كثره الأمراض و الوباء، فلما بوع بالخلافة زال ذلك ببركه بيعته حتى درت الأمطار، و تراخت الأسعار، و هنا الناس بعضهم بعضا ببركته.. فجمع الله شمل الإسلام و المسلمين بيره و جوده ثم انه عمر المساجد و جدد المشاهد.

وجد الناصر لدين الله العباسى أن عليه أن يصلح أمور الدوله الداخليه أولا- ثم يسيطر على العالم العربى و العالم الإسلامى

لتوحيدهما، فنظم ادارته الدوله أحسن تنظيم و أحكم قواعدها أحسن أحكام، و لما رأى إصرار أستاذ الدار مجد الدين ابن الصاحب على استبداده بأمور الدوله و اعتماده على الطائفيه المذهبيه أمر بقتله فقتل. قال ابن الأثير " كان مجد الدين ابن الصاحب متحكما فى الدوله ليس للخليفه معه حكم، و كان هو القيم بالبيعه، و ظهر له أموال عظيمه أخذ جميعها ". و جاء فى عيون الأنباء لابن أبى أصيبه ما يدل على أنه خنق ثريا فاخذ ماله.

و كانت سياسه الناصر لدين الله تعتمد على إحسان انتخاب الرجال للأعمال، فادخل فى خدمه الدوله طائفتين كانتا متعاديتين بينهما و معاديتين للدوله العباسيه، و هما الشيعه و الحنابله، و قطع دابر الطائفيه من دولته، و أزال آثار الأعاجم التى تذكر الشعب بسلطتهم و سلطانهم، حتى لقد رأى لوحا كان السلطان مسعود السلجوقى قد أمر بالصاقه على جدار، و كتب فيه أبطالا لبعض المكوس، فقال الناصر " اقلعوه فلا حاجه لنا بآثار الأعاجم " و أمر بنقض دار السلطنه السلجوقيه فى شمالى بغداد الشرقى ليزيل أثر الاستعباد من البلاد.

ص: ٣٥

-
- ١- قوله " هذا الخليفه " سببه أنه كان فى مراکش و ما حولها ملك من الموحدين يدعى الخلافه و هو من بنى عبد المؤمن.
 - ٢- الفنك بالفاء جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف و فروته من أحسن الفراء و أغلاها.

و صرف همته إلى تجديد الجنود و تحشيد الحشود، فألف جيشا كبيرا كان يخرج منه في احتفال العيد حسب " مائه و خمسون ألف جندي "، و أمر السلطان تكش الملقب بخوارزمشاه بان يزحف إلى السلطان السلجوقي " طغرل الثالث " و يزيل سلطنته، فزحف اليه سنة " ٥٩٠ " و قتله و حمل رأسه إلى بغداد. و وسع أطراف مملكته، و احتل خوزستان و أصفهان و الري و همدان، و جهز جيشه لارساله إلى بلاد الشام للتعاون مع صلاح الدين لطرده الصليبيين من بقية بلاد الشام و لكن صلاح الدين رفض ذلك و سالم الصليبيين و اتفق معهم على محاربه جيش الناصر إذا تقدم إلى بلاد الشام مؤثرا مصالحه الشخصية على مصالح الأمة، لأنه اعتقد أنه إذا جاء جيش الناصر و انتصر على الصليبيين فسيكون الحكم للناصر و يكون هو تابعا له. و جدد نظام الفتوه في العالمين العربي و الإسلامي و أدخل أغلب السلاطين و الملوك و الأمراء فضلا عن الرعايا فيها، و كان هو رئيس الفتوه في جميع البلاد، و نشأ للبلاد الإسلامية جيلا قويا شجاعا يجمع بين الديانة و الصيانة و المتانة. و وضع جهازا و مؤسسه للاستخبارات في داخل العراق و خارجه، و استعمل أنواع حمام الزاجل لنقل الأخبار.

حتى كان لا تخفى عليه خافيه في الداخل و الخارج، و لا يغيب عليه سر من أسرار الدول، بحيث ظن الناس أن الجن كانت تنقل اليه الأخبار، كما ذكر شمس الدين الذهبي في تاريخه، و تدل أنباء استخباراته على أن الدول العصريه التي افتتت أعظم افتنان في التجسس لم تبلغ ما بلغه هو في الاطلاع على أخفى الأمور و أكنم الشئون في أدنى الأرض و أقصاها.

و عنى بنشر الثقافه و العلم و أنشا لوالدته مدرسه و رباطا للصوفيه بجانب تربتها المعروفه اليوم بقبر الست زبيده في مقبره معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد، و وضع ألوف الكتب في المدرسه النظاميه و في قصره الذي ذكره ابن جبير المعروف قديما بدار المسناه و حديثا بالقصر العباسي، و في رباط المأمونيه المنسوب إلى والدته. و ألف كتابا في الحديث النبوي سماه " روح العارفين " رواه عن شيوخه الثقات الإثبات و أجاز للعلماء المشهورين روايته في مشارق الأرض و مغاربها و شرحه جماعه من المشتغلين بالحديث.

و جدد نظام الرمي في مذهب الفتوه، و وضع له القواعد و الأحكام و أوضح أصناف الطيور التي تصطادها الرماه الفتيان و هي المسماه تاره طيور الواجب و تاره " الطير الجليل ". و قد جدد الناصر شباب الأمة الإسلامية بتجديد الفتوه.

و عاصرت خلافته الطويله الأمد ظهور جنكيز خان ملك المغول السفاح المجتاح، فكان على البعد يخشى من الخليفه الناصر، و يطبع اسمه على نقوده حتى تروج بين العالمين، و لما خرج عليه قطب الدين محمد بن تكش الملقب بخوارزمشاه، و حرك المغول على العالم الإسلامي بسوء سياسته و كثره عدوانه، و سسمع الناصر بتقدم المغول إلى الغرب استكثر من الجنود، و جدد المواضع الضعيفه من سور بغداد، و لا- سيما باب سورها الشرقي المعروف بباب الحلبه، و قد عرف بين الناس باب الطلسم، لوجود صورته رجل مسيطر على ثعبانين في جانبه و كانت عماره هذا الباب سنة ٦١٨ هـ و كان هذا الباب من أجمل المباني التحصينيه، و قد نسفه الأتراك العثمانيون بالبارود الذي كان مخزونا فيه ليله احتلال الإنكليز لبغداد في اليوم الحادي عشر من آذار سنة ١٩١٧ م.

توفي الناصر لدين الله، سنة ٦٢٢ و قد دامت خلافته " ٤٧ " سنة و هي أطول خلافه لبنى العباس، و ترك من المآثر و الآثار ما لا يحصى كثره، و لا- يستقصى وفره، و لو لا- نزق سلطان خوارزم لنجا العالم الإسلامي من طوفان المغول و طغيانهم و مجازرهم البشريه و عدوانهم و عيثهم و إفسادهم إلا أن ذلك السلطان الأحقق جنى بخروجه على خليفه المسلمين على نفسه و مملكته و

العالم الإسلامى. قال جلال الدين السيوطى فى تاريخ الخلفاء وقال قبله ابن نباته فى كتابه الاكتفاء بتاريخ الخلفاء نقلا عن تاريخ محب الدين محمد المعروف بابن النجار وكان معاصرا للناصر لدين الله "دانت له السلطين، و دخل فى طاعته من كان من المخلفين و ذلت العتاه و الطغاه، و انقهرت بسيفه الجبابره و البغاه، و اندحض أعداؤه و أضداؤه، و كثر أنصاره و أولياؤه، و فتح البلاد العديده، و ملك من الممالك ما لم يملكه من بعده من الخلفاء و الملوكة، و خطب له ببلاد الأندلس و بلاد الصين، و كان أسد بنى العباس، تتصدع لهيبته الجبال، و تذل لسطوته الأقيال، و كان حسن الخلق، لطيف الخلق. كامل الظرف، فصيح اللسان، له التوقيعات المسدده، و الكلمات. المؤيده، و كانت أيامه غره فى وجه الدهر، و دره فى تاريخ الفخر".

و قد ذكرت آنفا قول ظهير الدين الكازرونى فى مختصر التاريخ "انه عمر المساجد، و جدد المشاهد" و قال بعد ذلك:

و دفن فيه جهته (١) الجبهه عندهم أيامئذ كناية عن الزوجه المحترمه و لم نقل "الزوج" خشيه الالتباس. السعيده سلجوقى خاتون ابنه قلع أرسلان ملك الروم و كانت صالحه محبه لأفعال البر و القرب - رحمها الله - ."

أحمد بن الحسين الهمداني الملقب بديع الزمان الهمداني:

مرت ترجمته فى المجلد الثانى من (الأعيان). و نشر هنا دراسه عن القصه فى مقاماته مكتوبه بقلم الدكتور أحمد على:

ما إن تذكر المقامات أمام أحدهم إلا و يلوى رقبتة مستخفا، برما بهذه المقابر اللفظية! و قد يكون لهذا التبرم ما يسوغه إذا اختص الأمر بالحريرى، أو غيره من الذين تعاطوا هذا الفن الأدبى، و درجوا فيه متأثرين خطى هذا الرائد الثانى للمقامات، و هو الذى أشاع ذكرها، و لكنه أرسلها فى الناس فتاه متبرجه تنوء بالحلى و العقود، فيغريك البريق و تأخذك المساحيق دون الجوهر و الفحوى. غير أن بديع الزمان الهمداني (٣٥٨ - ٣٩٨ هـ) يعتبر مؤسس المقامه و المشرف على ميلادها، و ذا اليد الطولى فى إرساء قواعدها و إخراجها، هذا الأديب أعمل قلمه فاتى عجباً، و تفرد عن سائر كتاب المقامات القدامى بصفات أصيله تشير إلى أن صاحبها علم مطوى و حق له أن يخفق. "مقامات الهمداني تسجل، فى الواقع، حدثاً فى تاريخ الأدب العربى. فهى تقرر وجود نوع جديد... (١) و أن مفجر هذا "الحديث" حرى بكل عناية و تقدير، و أن كرور الأيام يزيدنا تبصراً بمكانه صاحب المقامه الأول، بحيث أن الدراسات الموقوفه على شخصه أخذت تقحم الظلام و تبدى "البديع" فى وضوح النور و هو صنوه.

و لا- يعيننا فى هذا المبحث أن نعرض لبديع الزمان ككل، و أن نلم بجوانب من قرن بديعه بالزمان، و إنما بغيتنا أن نتناول موضوعاً من وحيه، فنقلب فيه وجوه الكلام، عسى أن نهتدى بذلك إلى محصل نصف به الرجل، دون أن نعتسف فى أحكامنا، أو تحملنا عاطفه الاعجاب على الشطط، و لنا فى النهج العلمى، الذى نعول عليه، خير معوان لتجنب الزلل. و بعد المسأله هى: هل المقامه عند بديع الزمان تعتبر قصه؟ أو بشكل آخر: هل من علائق بين القصه و المقامه؟ هذا السؤال ليس بجديد على الآذان، و سبق لعدد من الباحثين أن خاضوا فيه، إلا أن أحكامهم فى معظمها كانت هامشيه مطلقه لأنها، على ما يظهر منها، لا تستند إلى معرفه تقنيه بفن القصه.

المقامه المضيريه:

إن "المقامه المضيريه" (٢) تحل فى المراتب الأولى بين مقامات الهمداني، فلقد وفق فيها بديع الزمان أيما توفيق. و يهمننا الآن أن نوجز القول فى موضوعها، و من ثم نرى فى ما إذا كانت قصه، أو تمت إلى القصه بعلائق متينه. يروى عيسى بن هشام كيف أنه لى، برفقه أبى الفتح الإسكندرى، دعوه بعض التجار، و ذلك فى البصره. و قدمت للضيوف أكله العصر، المضيره (٣)، فى قصعه براقه. فما إن حلت هذه الأكله على الخوان حتى انبرى لها أبو الفتح الإسكندرى باللعن و الشتم، ثم برح المائده مغضبا. عندها رفعت المضيره، فودعتها العيون و الأكباد و هى أسيفه حرقى. و أقبل الصحاب، بعد هجرها القسرى، على أبى الفتح يستفسرونه الأمر، " فقال: قصتى معها أطول من مصيبتى فيها. و لو حدثتكم بها لم آمن المقت و إضاعه الوقت. قلنا: هات."

و يشرع أبو الفتح يحدث كيف أن تاجراً بغدادياً دعاه لتناول المضيره و ألحف فى دعوته، و نزل أبو الفتح عند رجائه و مضى معه إلى منزله.

و أخذ التاجر يقطع الطريق بالحديث عن زوجته و ما تتحلى به من رائق الشمائل، فهي طباخه نفاخه، و لم يفته القول أنها ملساء الخد جميله، و هي ابنه عمه لحا و موطن عشقه، كما أنه موطن عشقها، فسبحان مدير الأمور و جامع القلوب. و انتهى بهما الحديث عن زوجه و خليلته إلى المحله التي يقطن فيها، فما كان من التاجر إلا أن قرظ محلته، فهي مسكن التجار، و يقع داره في الوسط من هذا الحي المختار. و لا تسل كم أنفق من المال على كل دار منه؟ تقول كثيرا! سامحك الله فهو وحده يعلم مبلغ ذلك.

و يتابع أبو الفتح الإسكندري الحديث فيبلغنا أنهما وصلا إلى باب دار التاجر، فاخذ هذا يطرى ما يقع عليه بصره، فالطاقة دقيقة الصنع، اعلم أن الباب " هو ساج من قطعه واحده، لا ماروض و لا عفن ". و قد صنعه رجل بصير بصنعه، و حلى بحلقه اشتراها تاجرنا - أعزه الله - من " أنتيخان " بغداد. غير أن الله سلم و قرع بعدها التاجر الباب و دلغا إلى الدهليز. و بعد الأذعيه بسلامه الدار و التغنى بمعارجها، أخبر المضيف أبا الفتح كيف أن هذه الدار كانت لجاره أبي سليمان، فورثه من طفق يبدد أمواله الكثيره. فاحتال تاجرنا على هذا الوريث، بان أغرقه في السديون، إلى أن وضع يده على الدار، و هو - على حد قوله - " بحمد الله محدود، في مثل هذه الأحوال محمود ".

و بما أنه عرض للحيله و الاحتيال، فليزود أبا الفتح بفيض من ملف " مكارمه ". فقد طرقت بابه منذ ليال امرأه تعرض عليه عقد لآل، فابتاعه بالثمن البخس، و سينفق - بعون الله - بربح وافر. و هناك الحصير الذي يعز وجود مثيله، فإذا به يشتريه و قد عرض في الأسواق بعد نكبه أحد آل الفرات من وزراء العراق.

بعد هذه الافتتاحيه و التمهيد المسهب، يصل بنا أبو الفتح الإسكندري إلى القول أنه قد حانت الظهيره، و أن التاجر نادى غلامه ليأتي بالطست و الماء. فظن أبو الفتح أنه بالغ أخيرا المضيره، و أن الفرج آت بعد الشده. و لكن ما إن تقدم الغلام حتى أدار التاجر الحديث عليه و كيف اشتراه. ثم جاء هذا الغلام بالطست، فتناوله التاجر و قلبه

ص: ٣٧

١- ٥. R.Blachereetp.Masnou:Al-HamadaniMaqamat.IntroductionP.

٢- مقامات الهمداني، ص ١٠٤ إلى ١١٧

٣- ظن الشيخ محمد عبده، شارح مقامات البديع، أن المضيره ربما توازيها " لبنيه " بلاد الشام، و هي التي تدعى عند أهل بيروت " فقاعيه ". و لكن الحقيقه، التي ترضى البطون، هي أنها توازي بالفعل ما يسمى في سوريه " شاكريه "، أو ما نطلق عليه في لبنان " لبن أمه " أو " مربى اللبن ". و المضيره: نوع من الطعام مؤلف من لبن و لحم.

و عرف بمحاسنه و أخبر ضيفه أنه - و الله شهيد على ذلك - من مشتريات عام المجاعه! و قدم له الغلام، تلبيه لطلبه، الإبريق، فما مر دون تعليق. بعدها نادى التاجر " أرسل الماء يا غلام، فقد حان وقت الطعام ". و ما إن جاء الماء الصافى حتى تناوله بالكلام الصافى. ثم أدار لسانه على المنديل فطرزه بما واتاه من الكلم السلسيل.

و " أحس " التاجر بكثرة كلامه، فأمر غلامه بالخوان، و ما إن أتاه به حتى أفرغ ما عنده فى وصفه و الاعجاب بشكله، فقال له أبو الفتح:

" هذا الشكل، فمتى الأكل؟ فقال: الآن. عجل يا غلام الطعام. لكن الخوان قوائمه منه " !شعر أبو الفتح، عند ما عاود التاجر الكلام على الخوان، أنه لن يبلغ المضيره إلا بعد نصب كبير، و أن ثثره طويله تنتظره حول الخبز و كل ما يتصل به من قريب أو بعيد، و عن السكرجات، أى الصحون، و الخل و الأطوار التى تقلب فيها حتى صار ما نعهده، و بقى البقل، ثم أخيرا للمضيره و الأدوار التى مرت بها بحيث خرجت جيده الصنع.. " و هذا خطب يطم، و أمر لا يتم.

فقلت. فقال: أين تريد؟ فقلت: حاجه أفضيها. فقال: يا مولاي، تريد كنيفا يزرى بريعى الأمير، و خريفى الوزير... " و سرد مفاتن هذا الموضع إلى أن قال: " يتمنى الضيف أن يأكل فيه. فقلت: كل أنت من هذا الجراب، لم يكن الكنيف فى الحساب! " و خرج أبو الفتح الإسكندرى من منزل هذا التاجر يعدو، و المضيف يلحق به ناديا: " يا أبا الفتح المضيره ". و خال صبيان المحله أن المضيره لقب أبى الفتح، فصاحوا لمساعدته التاجر فى مناداته لضيفه. غير أن التزق كان قد استبد بأبى الفتح فرمى أحد الصبيان بحجر، فإذا به يصيب رجلا معما فى رأسه. فانهالت عندها النعال من قديمه و حديثه على بطل بديع الزمان الهمذانى، و قادت هذه المضيره اللعينه أبا الفتح إلى الحبس، حيث حل ضيفا عليه طوال عامين، خرج بعدهما و قد نذر أن لا يأكل المضيره مهما عاش.

و يختتم عيسى بن هشام، راويه الهمذانى، هذه المقامه قائلا: " فقبلنا عذره، و نذرنا نذره، و قلنا: قديما جنت المضيره على الأحرار، و قدمت الأراذل على الأخيار ".

"المقامه المضيريه" و مقومات القصه:

هذه المقامه المضيريه لا تنطبق عليها كافه الأحكام و الخصائص التى تلقاها فى أغلب المقامات. فهى تشذ من حيث محتواها، إذ ليس فيها الكديه المؤلفه التى تقوم على ضرب من الاحتيال فى سبيل العيش يكون بطله أبا الفتح الإسكندرى، كما هو الحال مثلا- فى "المقامه القريضيه"، و موضوعها القريض و أهله، أو "المقامه الأنزاديه" و الأنزاد نوع من التمور، أو "المقامه المكفوفيه"، و سميت هكذا لأن أبا الفتح احتال على الناس فى هذا المقام بأنه أعمى مكفوف البصر، إلى ما هناك من مقامات تنزيا بهذا الإطار التقليدى القائم على الخديعه لتحصيل المعاش. و يكون الشاهد على هذه التكدية، كما درجت العاده غالبا، عيسى بن هشام الذى يكتشف دائما فى النهايه أن المكدى هو أبو الفتح نفسه، فى حين أن الراويه الرئيس فى المقامه المضيريه التى نحن بصدها هو أبو الفتح.

الفارق الأهم الذى نسعى لإثباته أنه إذا كان الإطار المؤلف للمقامه، الذى نلقاه فى الكثره من هذه المقامات، هو موضوع

خلاف و يحتمل النقاش في ما إذا كان يمت إلى القصة بنسب أو وشيجه، فان بديع الزمان قد خرج عن هذا الإطار التقليدي في مقامته المضيريه، و أتى بنسج جديد ليست القصة في الواقع من قماشه بعيدة عن نسجه.

فما حظ هذه المقامه من مقومات القصة؟ بادئ ذي بدء هل توفرت "الحادثه"، التي هي الخامه الأولى للقصة، في مقامتنا المعنيه؟ نجيب دون تردد: بلى، فالحادثه في صلب المقامه المضيريه. و لا ينبغي أن تؤخذ كلمه "الحادثه" بمعناها السطحي، فالحياه حافله بالحوادث، و نحن نتعثر بها في كل منعطف من حياتنا، و هي ملقاه على قارعه الطريق تصدم الإنسان في كل حين، و مع ذلك فهذه الحوادث لا يكفى أن يلقيها أى امرئ على الطرس فتغدو أقاصيص ناجحه. الحادثه بتضاعفها هي الألوان المبعثره على ملونه الفنان، فهذه الألوان تستحيل عند الفنان الحق يباع جمال، نغنى بها وجودنا الروحي، و كذا الحادثه تحتاج إلى شحنة إنسانيه تبعث في أوصالها ديب الفن و اليقظه. و بديع الزمان في مقامته يخضب العمل أو الحركه بما يضمنى على كلامه من نعوت و أوصاف و تشابيه، كقوله واصفا المضيره التي نزعت عن الخوان بعد أن حمل عليها أبو الفتح: " و رفعناها فارتفعت معها القلوب، و سافرت خلفها العيون، و تحلبت لها الأفواه، و تلمظت لها الشفاه، و اتقدت لها الأكباد، و مضى في إثرها الفؤاد" و يقول الهمداني بعد سطرين من هذا الكلام مصورا، على لسان أبي الفتح، التاجر الذي ألحف في دعوته للاسكندري: " و لازمى ملازمه الغريم، و الكلب لأصحاب الرقيم". و يحدث التاجر أبا الفتح عن زوجه و مهارتها فيقول: "يا مولاي لو رأيتها، و الخرقه في وسطها، و هي تدور في الدور، من التنور إلى القدور، و من القدور إلى التنور، تنفث بفيها النار، و تدق بيديها الأبزار، و لو رأيت الدخان و قد غبر في ذلك الوجه الجميل، و أثر في ذلك الخد الصقيل، لرأيت منظرا تحار فيه العيون".

فهذه النماذج، التي نكتفى بها للتدليل على حسن تخلص بديع الزمان في تصوير الأشياء، تبعث في النفس بعض التساؤل. من ذلك أن الهمداني يعول في مقامته على الوصف دون التحليل. و على هذا نجيب بان التحليل في الأدب و الاستغراق فيه أمر غير قديم، و قد نتج هذا الإيغال في سبر طوايا النفس البشريه عن تطور علم النفس الحديث. ثم لا يفوتنا أن هناك نوعا من القصة يدعى "قصة الحادثه"، أو "القصة السرديه"، و هذه تعتمد على ما يصدر عن الإنسان من أعمال، أى على الحركه العضويه - بحسب اصطلاح فن القصة.

و ينبغي الكاتب من هذه الحركه تجسيد الحركه الذهنيه، و هذه الأخيره "...تتمثل في تطور الفكره العامه نحو الهدف الذي تهدف إليه القصة" (1).

هذا، و لربما أبدى قارئ المقامه المضيريه شيئا من الاستغراب لتلاحق الأفعال في سلوك التاجر البغدادى، مما يبعد عن الحقيقه، و يجعل الحركه العضويه معقدة العناصر. و الحال أن الأدب تعبیر عن الواقع، و لكنه ليس تعبيرا آليا انعكاسيا، يتم بشكل تلقائى دون معاناه.

ص: ٣٨

أو جهد. لا بد أولاً في الأدب من عملية اختيار، فليس كل ما يحدث لفرد ما صالحاً أو جديراً بالتسجيل. ثم إن الأدب يختصر الزمن و يجمع اللحظات، لأنه يسعى إلى إبراز نماذج و شخصيات إنسانيه. و هذا الكلام يقودنا إلى الحديث عن "الشخصيه" في القصة، و بالتالي في المقامه - القصة التي نندارسها.

قيل في بخيل "مولير" إنه مندوب فوق العاده لكافه البخلاء، بحيث إننا نطالع في شخصه أكثر من بخيل، و ذلك أن الكوميدي الخالد أراد أن يخلق نموذجاً للبخل في شخص هر يغون (Harpagon). و هذا التمثال المسرحي الحي له نظراً في القصة. و لا- نبعث بالتفتيش في زوايا ذاكرتنا، فان بديع الزمان يمدنا بنموذج في مقامته المضيريه. فهذا التاجر البغدادي نستمد عناصر شخصيته من فعالة، فهو إنسان لجوج، مفتون بزوجته، حديث نعمه حصلها بالاحتيال "المشروع"، و هو إلى ذلك ثثار لا يني لسانه من الدوران حول حوائجه، من غلام و طست و إبريق و منديل و خوان إلى ما هناك، بحيث يثير ثائره أبي الفتح و يخرجها عن طوره، فيولي هاربا و هو في غنى عن المضيره و أكلها. فثرثره التاجر و افتتانه بما كثر و حصل أمر ينذر وقوعه على هذا النحو المقيت، و إنما هي عملية يراد بها بلوره شخصيه، فلا مندوحه عندها من طرف مبالغه، لأننا نحشد في شخص ما نجده مفرقا في غير واحد من الناس.

و المقامه المضيريه تدرج في عمليه "البناء"، فينتقل بنا الهمداني من الطريق إلى محله التاجر البغدادي، فإلى داره بما حوت من صنوف النعمه و الثراء.. و هذا كله تمهيد طويل ينبغي أن يوصلنا إلى المضيره، و هي الهدف. و لكن التاجر لا يفرغ من إفراز الكلام و أبو الفتح ينتظر المضيره، فهو في شوق إلى الطعام، فيحاول التخلص من لسان التاجر بارتياح الكنيف، فينعقد لسان التاجر على الكنيف الذي "سطح سقفه، و فرشت بالمرمر أرضه". عند هذا الحادث المفاجئ تمشى المقامه - القصة نحو الحل و النهايه، إذ يفر أبو الفتح من دار التاجر، فيناديه هذا و يساعده صبيه الحي بالصراخ له، فينبرى لهم الإسكندري و يرشقهم بحجر فيصيب به الرجل المعمم، بهذا يقع حادث مفاجئ جديد، و ينتج عنه حل جديد، إذ تتقدم عندها النعال إلى العمل، و يسجن أبو الفتح عامين لفعلة.

بهذا تنتهي القصة منطقياً، و لكن بما أن هذه القصة صيغت بقالب ندعوه المقامه، و بما أن الوعظ لم يكن بالسمة الغريبه على ذلك الزمن، و لأن المقامات درج محدثها بديع الزمان على إنهاؤها بموعظه مستمدة من جو المقامه و أحداثها، لهذا جميعاً ختم عيسى بن هشام هذه المقامه بقفله ساخره. فنحن عرفنا من بدايه المقامه أن أبا الفتح تمنع عن أكل المضيره عند التاجر البصري مكرها، و شاركه المدعوون فتمنعوا عن أكل المضيره آسفين عليها، ثم سرد أبو الفتح حكايته اللعينه معها. أما هذه القفله الأخيره فقد أملتتها تقاليد المقامه، إذا صح القول، و لكنها في الواقع تضمنت لفته ساخره من هذه التقاليد نفسها التي اهتدى إليها الهمداني بوحى من عصره و بيئاته و مشاغله. فالقفله تضمنت مثلاً، إذ أقر المدعوون بعذر أبي الفتح، و نحوا نحوه في عدم تناول المضيره و خلصوا إلى القول: "قديمًا حنت المضيره على الأحرار، و قدمت الأراذل على الأبخار". و المثل يكون عادته زيده الحقب و خلاصه التجارب، فإذا بهم هنا يستخرجون عظه و عبره من حادث طريف وقع لأبي الفتح فشمولوا به الأحرار. فنحن أمام مثل وضعه بديع الزمان و أجراه في آخر مقامته، فيبدو للمطالع "الجاد" أنه وجد قديماً، و هو في واقع الحال من صنيع الهمداني، فكان بديع الزمان رمى به إلى السخرية من الأمثال.

و يؤكد الدارسون لفن القصة على أهميه عنصرى: "الزمان" و "المكان"، إذ القصة تصور دائماً بيئه معينه، و تبدو موفقه بمقدار

كشفتها عن هذه البيئه و صدق تصويرها، و هذه البيئه المعنيه إنما تكونت في زمن محدد نتيجه عوامل مختلفه.

و المقامه المضيريه تسمح لنا أى سماح بوضع حد لهذه الفكره السقيمه التى نلقاها عند أكثر من باحث محترم (١) يقول المستشرق توماس تشنرى ChenerY، أحد مترجمى مقامات الحريرى إلى الإنكليزيه على أن "الأسلوب هو كل شىء" فى مقامات الهمذانى. و يذهب المستشرق نيكلسون Nicholson إلى أن "القصه لا شىء و الأسلوب كل شىء" عند بديع الزمان. (نقلا عن: بديع الزمان الهمذانى، رائد القصه العربيه و مقاله الصحفيهمصطفى الشكعه، ص ٢٧٩ و ٢٨٠)، و يقول شوقى ضيف، موافقا ابن الطقطقى على رأى له فى المقامات: " و إن من يتابع البديع فى مقاماته يحس حقا أنه ألفها لغرض التمرن على الكتابه و الإنشاء...!" (الفن و مذاهبه فى النثر العربى، ص ١٧٧)، أما جرجى زيدان فيبدو أوفر اعتدالا و بعد نظر إذ يقول عن مقامات البديع: " و المراد بها فى الأكثر التفنن بالإنشاء و تضمينه الأمثال و الحكم. و لم يكن هذا كل المراد منها فى زمن الهمذانى". (تاريخ آداب اللغه العربيه، ج ٢ ص ٢٧٥)، و التى يذهب مشيعوها إلى القول إن المقامات قصص لغويه، أو إنه قصدت بها فقط الفائده اللغويه و المهارة فى التصرف بفنون الكلام. و هذا الرأى إذا كان يصدق - و إنه ليصدق - على عدد وافر من كتبه المقامات، و خاصه الحريرى، و الذين تتلمذوا عليه، و منهم ناصيف اليازجى فى مطلع النهضه، فإنه يبدو بين الزيف إذا أجرى على بديع الزمان فى مقاماته، و إنه ليشين الهمذانى أكثر مما يكسبه غارا. و التكلف اللغوى عمد إليه بديع الزمان فى بعض رسائله، و لهذا حديث ليس هنا موضعه، أما مقاماته فلا نقول انها خلت تماما من صنيع لغوى مقصود بذاته، إنما تؤكد على أن هذا الصنيع ليس الصفه الغالبه و السمه المميزه لمقامات الهمذانى.

الصباي متولى ديوان الرسائل، و أبو بكر الخوارزمي الذى عاركة بديع الزمان، و أبو حيان التوحيدى أحد مفاخر العربيه، و غيرهم.

و مع هذا كله فالحرى بالذكر أن الهمداني، مع تقيده إلى حد كبير بالسجع، ابتعد به عن جاده التكلف و التصنع المعيين للأدب. (١) فان قراءه هادئه للمقامه المضيريه، التى هى محور بحثنا، تظهر أن بديع الزمان نزر التكلف، و التكلف يقوم على استعمال حوشى الكلام الذى يندر استعماله و يشكل فهمه، و يغلظ فى الأسماع جرسه، ثم إن السجع المتكلف هو الذى يقود صاحبه إلى ترديد المعانى طمعا فى نيل السجع، و يتم ذلك على حساب المعنى. و هذا " هو العى الأكبر "، على حد تعبير لابن المقفع. و جلنا النظر فى مقامتنا المضيريه فتبدى لنا، بعد تشدد، أن البديع انساق إلى شىء مما تقدم، كقوله فى الدار: " ثم درجته بالمعاملات إلى بيعها حتى حصلت لى بجهد صاعد، و بخت مساعد "، فالجد الصاعد و البخت المساعد يؤديان المعنى نفسه تقريبا، و إنما هو السجع ألجأه إلى هذا التردد، و كذا قوله فى الحطب: " و كيف صفف حتى جفف، و حبس حتى يس " . و قد تخدش كلمه " السطه "، بمعنى الوسط، آذان بعضنا حيث يقول: " و دارى فى السطه من قلاذتها، و النقطة من دائرتها " . و نتساءل أخيرا: لم استعمل الهمداني تعبير " آل همدان " و هو فى البصره - حسب ما ورد فى بدايه المقامه - و ما المراد به؟ أ تراه قصد به اسم العائله التى كان يحضر دعوتها برفقه عيسى بن هشام؟ مع العلم أن الأمر لا علاقه له بالسجع، بل إن الكلام الذى سنورده يدل على أن بديع الزمان يتحرر من ريقه السجع حيناً بعد حين من قوله: " فنذرت أن لا آكل مضيره ما عشت. فهل أنا فى ذا، يا آل همدان، ظالم؟ " . و هذا الذى ذكرنا عن تكلف بديع الزمان فى مقامته المضيريه لا يؤبه له، بل إنه تشدد أملتة الدراسه الحريصه، إذ ما حظ حصاه أن تعكر من صفو بحيره؟! و بعد، فقد سقنا هذا الكلام لنخلص إلى رأى يؤكد توفر عنصرى المكان و الزمان فى بعض مقامات البديع، و متى توفر هذان [هذان] العنصران اكتسب الأدب صفه اجتماعيه، هذه الصفه التى نراها عند الجاحظ و التى قبسها الهمداني بدوره عن أبى عثمان. فالمقامه المضيريه تحكى قصه هذا الرجل الذى ينتسب - على ما يظهر - إلى الطبقة الوسطى، و قد أثرى مهتبلا الفرص، تاره على حساب الأغنياء من الوزراء أصحاب الأموال الفاحشه التى صادروها من الناس و الولاه، ثم جاء الخليفه، فى ساعه قوه، فوضع يده عليها و باع منها الأثاث لحاجته. (٢) و هكذا يقول التاجر البغدادي لأبى الفتح: " اشترت هذا الحصير فى المناداه، و قد أخرج من دور آل الفرات، وقت المصادرات و زمن الغارات " . و فى طور آخر لم تكن المجاعه، التى طرقت أبواب الناس أكثر من مره فى القرن الرابع الهجرى، و كان من شدتها أنها حملت بعض الناس على بيع عقاراتهم لقاء أرغفه من الخبز - كما يخبرنا ابن مسكويه فى " تجارب الأمم " (٣)، و أنها لتجارب قاسيه - نقول لم تكن المجاعه لتمر دون أن يصيب تاجرنا فائده، فإذا به يشتري طستا من النحاس الأصفر " و قد عرف دور الملوك و دارها "، و يتابع طارحا السؤال على أبى الفتح و مجيبا عليه دون انتظار: " تأمل حسنه و سلنى: متى اشتريته؟ اشتريته و الله عام المجاعه، و ادخرته لهذه الساعه " .

و ما دمنا قد أتينا على ذكر الطست، فمن المفيد أن نشير إلى أن التاجر البغدادي يتغنى هزجا بحوزته لهذا الطست و غيره من الأوانى و الحوائج كالإبريق و الدست و الخوان، كما تذكر السكرجات و مفردها السكرجه بمعنى الصحفه و القصعه، فهذه التعبير كلها فارسيه الأصل (٤)، و قد دخلت البيئه العربيه الإسلاميه بمدلولاتها و أخذ بها الناس المرفهون، مما يشير إلى الأثر الفارسى فى تحضر العرب المادى.

إن بديع الزمان ينتسب فى مقاماته إلى زمن عاش فيه و مكان طرقه بذهنه و جاس فيه بجسمه و استشعره بحواسه، فى حين أن

واضع مقامات كناصيف اليازجي كتب مقاماته فى مشارق النهضه، و هى لا- تمت إلى هذه المشارق بخيط مرئى. و المسأله واضحه فى رأينا، فالهمذانى فى مقاماته أديب فنان، إلى حذقه اللغه و ايغاله فى شعابها، بينما اليازجى فى "مجمع البحرين" لغوى متفقه، عليم بغريب اللغه، بصير بأيام العرب و أمثالهم، متمرس بتاريخهم و آدابهم. إن ناصيف اليازجى فى ما كتب من مقامات يعيش بروحه و عقله فى غير زمنه، أما بديع الزمان الهمذانى فقد عاش زمنه و صور بيئاته، بحيث أن الباحث فى العادات الإسلاميه يعثر فى مقامات الهمذانى - "التي يبدو أننا لم نشعر إلى حد كاف بقيمتها الوثائقيه" (٥)- على منهل ثر. أو ليس اختيار الهمذانى للكديه و المكدين دليل على أنه يحمل هويه عصره!؟.

تطور القصة العربيه:

و هكذا لا يسعنا إلا الإقرار بان المقامه المضيريه قصه موفقه، سواء درى بديع الزمان بما كان يصنع أم لا، ثم هى تخالف الإطار التقليدى القائم على الكديه الذى صيغت بواسطته معظم المقامات. فهذا القالب الكلاسيكى للمقامه، كما نرى، لا يرقى إلى القصة فى مفهومنا الحالى بصله ذات شان، و عند ما نقول القصة فنحن نقصد بذلك دائما المفهوم الذى استقرت عليه القصة بعد نضجها خلال العصر الحديث.

و إذا ما قلنا إن القصة عرفت النضوج فى الأدب الغربى خلال العصر الحديث، و تبدت فى نماذج ابداعيه رائعه، فهذا يعنى أنها لم تكن على هذا النحو من النضوج قبلا، و أنها تمشت فى أوصال الأدب الغربى منتقله من الشكل البدائى الخام، ثم نمت و تطورت إلى أن غدت فنا له أصوله و قواعده. و هذا المتطور كان مكتوبا على القصة العربيه أن ٥.

ص: ٤٠

١- يقول أبو منصور الثعالبى إن بديع الزمان أملى مقاماته "... و ضمنها ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام، و سجع رشيق المطع و المقطع كسجع الحمام..."، (يتيمه الدهر، ج ٤ ص ٢٥٧)، و يرى زكى مبارك أن الهمذانى "... أبرع من حمل القلم بين أهل عصره، و لا نعرف كاتباً التزم السجع، و وفق إلى الدقه و الرشاقه و العذوبه كما وفق بديع الزمان"، (النثر الفنى فى القرن الرابع، ج ٢ ص ٣٥٦).

٢- راجع كتابنا "ثوره الزنج و قائدها على بن محمد" ص ٦٧.

٣- نقلا عن: أهل الكديه أبطال المقامات فى الأدب العربى لعبد النافع طليمات، ص ٦٠.

٤- القس طويبا العيسى: كتاب تفسير الألفاظ الدخيله فى اللغه العربيه مع ذكر أصلها بحروفه، ص ١، ٢٥، ٢٧، ٣٦ و ٤٦.

٥- R.BlacherEeTP.Masnou:INtroduction,P.٥

تسلكه. فتصل حاضرها بماضيها، غير أن الانقلاب السريع غشى الدوله الإسلاميه العرييه فقضى على سلطتها السياسيه و تركها بددا، و شل نشاطها الحضارى و رماها فى انحطاط طويل، بحيث إن العرب عند ما استفاقوا من جديد و عادوا إلى ركب الحياه، كانت سنن التطور قد غلبتهم و تخطتهم، و كان على الأدباء العرب أن يعالجوا القصه غير معتمدين على تراثهم الماضى، و إنما كان عليهم، كما تقضى بذلك قوانين التطور و الحياه، أن يلتفتوا شطر الأدب الغربى، أى الآداب الفرنسيه و الإنجليزيه و الروسيه بشكل خاص، و أن يقبسوا عنها المراحل التى فاتتهم، ليعوضوا ما ولى و يرتقوا إلى حال الأدب فى ما وصل إليه من تبلور عند الغربيين. و هذا التطور للقصه فى الأدب العربى الحديث لم يحدث فجاءه، بل تطلب مراحل من النماء و النضوج، و هذه المراحل لم تكن منبعثه من ذات الأدب العربى، و إنما خضعت لتأثيرات الأدب الغربى.

و لا يفوتنا التنويه فى هذا المقام أن أديبا كمحمد المويلحى قد كتب المقامات فى "حديث عيسى بن هشام"، كما أن حافظ إبراهيم عالج هذا الفن فى "ليالى سطيح"، و جرى فى سبيلهما آخرون. بيد أن هذين الأديبين، إن كانا تلقحا بأسلوب المقامات و اعترفا من هذا التراث، فلقد وقفا عند حد الشكل دون المحتوى. فالأسلوب فى عهدهما لم يكن قد تطور بشكل واف بحيث يتحرر من ربه السجع و ينطلق من وقايعه، و يرمى بهذه الرجل الخشبييه، على حد تعبير أحمد فارس الشدياق. و هذا أمر مفهوم، لأن الشكل عاديه يتسم بأنه "محافظ"، فقد يتبدل المحتوى و يظل لابساً للشكل القديم، ذلك أن المحتوى هو أكثر تبديلاً من الشكل، و أن التطور أول ما يطرأ على المحتوى، و لا- نعى بهذا الكلام أن الشكل خالد لا- يحور و لا يزول، و إنما ليس من الالزامى دائماً أن يكون لكل محتوى جديد شكل جديد تواء، و على نحو تلقائى مباشر، إنما فى مرحله تاليه و متقدمه يدخل المحتوى الجديد المتطور فى عراك و خصام و نزاع مع الشكل القديم المتخلف نسبياً، فيتعرى منه و يتزيا بشكل جديد نسبياً. و لا حاجه بنا إلى التأكيد أن الشكل و المحتوى لا ينفصم أحدهما عن الآخر، و أن هذا التطور عند كل منهما لا يتم بمعزل عن الآخر بل باتصال و ثيق به.

نتابع ما انقطع من أفكارنا فنقول إن المويلحى و حافظ قد التزما أسلوب المقامات من غير افتعال مقيت للسجع، أى بخلاف ناصيف اليازجى مثلاً فى "مجمع البحرين". فاليازجى مكمل و متابع أمين لتقاليد الحريرى الباليه، شكلاً و محتوى، لكونه لغويًا متفقهًا أكثر منه أديباً مبدعاً، فى حين أن المويلحى و حافظ لينا السجع و مضياً به فى دروب أنارها لهما الأدب الغربى. و من الأمور ذات الدلاله أن حافظ إبراهيم هو معرب روايه "البؤساء" لفكتور هوغو، و لقد ترجمها بأسلوب مسجع، أى أنه استعان بشكل قديم لتعريب محتوى جديد، و قد ترجمت هذه الروايه إلى لغتنا عدده مرات فى ما بعد بأسلوب جديد لا يعرف معنى للسجع و ملحقاته! و هكذا تنتهى بنا هذه الاستطرادات الموضوعيه إلى أنه من الضلال أن نلزم المقامات الهمدانيه بان تستوفى شروط القصه العصريه الناضجه، فالمرحله التى كتبت فيها المقامات كانت مرحله أوليه فى تطور القصه عند العرب، و القصه الاجتماعيه بنوع خاص، لأنها مدار الخلق الصحيح و الإبداع الحق، ثم انقطع الطريق بهذه المرحله الأولى، كما أسلفنا، و عرف الأدب العربى القصه فى عهد النهضه على يد الأدب الغربى و استنار باقباسه، لذا قلنا: "إن المقامه المضيريه قصه موفقه، سواء درى بديع الزمان بما كان يصنع أم لا!" و ذلك أن الهمداني لم يكن ليعى فن القصه و عينا له اليوم، و إنما كان، كما نعتقد، ذا روح قصصيه، أو على الأصح كان محدثاً لبقاً ماهراً ألمعياً، يرتجل من الكلام عجباً. و إذا كان بديع الزمان قد تآثر فى موضوعات مقاماته بشعراء الكنديه الذين كانوا على جانب كبير من الظرف و الطرافه، أمثال: ابن الحجاج، و ابن سكره، و الأحنف العكبرى، و أبى دلف الخزرجى و غيرهم، فهو فى مقامته المضيريه يقتفى خطى الجاحظ كما نلاحظ. إن مقامته هذه،

بما اشتملت عليه من مضمون اجتماعي، تذكرونا من حيث الجوهر والاتجاه بقصه الكندي الواردة في "البخلاء"، والتي تصور النزاع القديم الجديد بين المالك والمستأجر.

تبقى نقطه أخيره ينبغي بحثها، لئلا يعتقد القارئ أننا وقعنا في شيء من التناقض دون علم منا. فقد قلنا إن المقامه المضيريه قصه ناجحه بعد إخضاعها لعملية تحليليه، راعينا فيها قواعد القصه العصريه و أصولها: من تقييم للحادثه، و إبراز للشخصيه، و إيضاح لعملية البناء في تدرجها، ثم التأكيد على عنصرى الزمان و المكان اللذين يعطيان للقصه هويتها الاجتماعيه، و قلنا أيضا: " إنه من الضلال أن نلزم المقامات الهمدانيه بان تستوفى شروط القصه العصريه الناضجه ". فكيف نوفق بين القولين، و هل هناك من خلل و اضطراب بين الرأيين؟ الواقع أنه لم يقع اختيارنا على المقامه المضيريه اعتبارا، بل هي تنفرد تقريبا عن سائر المقامات و تخرج عن الإطار التقليدى الذى صيغت بواسطته المقامات على العموم و مداره الكديه و المكدون و أساليهم و حيلهم. إن المقامه المضيريه، فى عرفنا، " لقيه " فريده فى أدب بديع الزمان الهمداني، شأنها فى ذلك شان قصه الكى ندى فى "البخلاء"، أو قصه الذبابه الخبيثه مع عين قاضى البصره الزميت عبد الله بن سوار و هي من درر "الحيوان" عند أبى عثمان الجاحظ. فهذه النماذج الجميله نجمت فى المرحله الأوليه التجريبيه [التجريبه] للقصه فى الأدب العربى، كما أبنا، و هي، على ما أصابته من توفيق عز نظيره فى تلك الفتره من أدبنا، تعتبر فى مرتبه ثانيه بالقياس إلى القصه المتطوره، لأن جل اعتمادها على الحوادث، فهى " قصه حادثه " محورها الحركه العضويه، كما أسلفنا، فى حين أن القصه المتطوره تحفل بالحركه الداخليه و التحليل النفسى.

آراء جاهزه:

إذا فالمقامه المضيريه " لقيه " لدى بديع الزمان، " و لو وفق البديع فى جميع مقاماته توفيقه فيها، لبلغ فى هذه الصنعه غايه الغايات (١). "

و من شان اللقيه أن تخرج على المألوف، و تشذ عن العام و تتخطى المتعارف عليه مرحليا، لتطرح نموذجا أرقى يدفع عجله الأدب قدما، و إنه لمن الإجحاف و اصطناع الأمور و تحميلها فوق طاقتها و مرحلتها أن ٩.

ص: ٤١

نعرض بعض مقامات الهمذاني على قواعد القصة و نطلق بصدها التعابير الجاهزه، المقتبسه من قاموس الفن القصصى، دون تحليل لهذه التعابير و مدى انطباقها على المقامات المعنيه بالدرس. من ذلك أن أحد الباحثين (1) تناول "المقامه المؤصليه" بالبحث، فاعتبر " أن القصة فى روحها تكاد تكون كامله الأركان"، و فيها " تفصيل دقيق و تصوير بارع لأبطال القصة و أشخاصها"، و أن " عنصر المخاطره واضح جدا"، كما أن الكاتب " يعطى للقصة شيئا من الحيويه و النشاط و يبعتها عن السذاجه". و هكذا " فالعقد فى القصة محبوبه، و الانتقال واضح و الحركه سريعه، و العرض موفق خال من الفجوات، و القصة بعد ذلك مليئه بالمفاجئات و الوقائع المثيره، و لا تلبث القصة أن تنتهى نهايه فنيه طيبه". و الواقع أن هذا الكلام العام، المفتقر إلى أدله و براهين، يتردد فى التعليق على أكثر من مقامه يترأى للسيد الباحث أنها قصه. فما نصيب هذه الآراء المطلقة من الصحه؟ يقوم موضوع المقامه المؤصليه (2) بشكل موجز على أن أبا الفتح الإسكندرى و عيسى بن هشام عادا من الموصل إلى الوطن، فتعرضا للنهب فى الطريق، و التجأ إلى بعض القرى حيث دخلا دارا مات صاحبها و علا الصياح عليه. و كانوا يهيثون الميت على قدم و ساق لدفنه، عند ما أقدم أبو الفتح على جس عرقه و قال: " يا قوم اتقوا الله لا تدفنوه فهو حى، و إنما عرته بهته، و علتة سكتة، و أنا أسلمه مفتوح العينين، بعد يومين". ثم قام أبو الفتح إلى " ضحيتة" فجرده من ثيابه و علق عليه التمام... شاع الأمر بهذه المعجزه، فانهالت العطايا و الهدايا على أبى الفتح و عيسى، و جهدا فى الهروب ليفوزا بما حصلا من خيرات. و ماطل أبو الفتح فى نشر الميت، ثم لم يعد من مفر من ساعه البعث، فأشار أبو الفتح على أهل الميت بنزع التمام و إنامته ثم إيقافه و تركه، فهوى لا حراك به! " وطن الإسكندرى بفيه، و قال: هو ميت كيف أحياه؟". و بعد أن نال أبو الفتح نصيبه من الضرب انسل هاربا مع عيسى، فيما كان أهل الميت منشغلين بتجهيزه.

و لا- تقف المقامه عند هذا الحد، بل إن أبا الفتح و عيسى دخلا قريه على شفير واد يتهددها السيل و أهلها فى هم و غم، و كالعاده تبرع أبو الفتح بجهوده الخاصه لانقاذ أهل القريه من الأذى، فأوصاهم بذبح بقره صفراء فى مجرى الماء، و طالبهم بجاريه عذراء ليبنى بها، و أشار عليهم بالصلاه خلفه ركعتين متانيتين، بحيث يذهب عنهم الشر الذى يتهددهم، و إلا قدمه عليهم حلال. فعملوا بارشاداته، و كانت الركعتان اللتان طالتا فخلفتا فيهم أنين الأضلاع، و فيما القوم فى السجده الثانيه و وجوههم ملتصقه بالأرض، لا يجراون على رفع رءوسهم لئلا تفسد صلاتهم، انسل الرجلان و سلكا طريق الوادى، و أبو الفتح ينشد متغنيا بحذقه و زوره على الناس.

و بعد، فهل من حسن التقدير و سلامه النهج أن نأخذ بما تقدم من أحكام حول هذه المقامه؟ إن الدكتور الشكعه يتناول المقامه المؤصليه باحكام جاده و ينفى عنها السذاجه، و هذا، لعمري، مما يخالف محتوى المقامه التى بين أيدينا، و يناقض روحها فى الصميم! فابو الفتح الإسكندرى و عيسى بن هشام شخصيتان أطلقهما بديع الزمان الهمذاني بين الناس، فعاشا معهم و رافقا مجالسهم و ضحكا فى ندواتهم و تندرا فى أسماهم، فغدوا شخصيتين شعبيتين يتسمان بصفات المكر المحبب، و الخداع الظريف، و الكديه المستملحه، و الكذب المستلطف، و التجرى و التملق و التخابث و غيرها من الصفات التى لا نحكم عليها بنفس رصينه و روح صارمه، بل نتناولها تناولا هينا، لأنها تصدر عن شخصين فكهين نستغرب منهما الرزانه و الاستقامه، لأننا ألفنا الخفه و الطيش و الدعابه فى سلوكهما، و خاصه لدى أبى الفتح.

المقامات أدب شعبى:

و هكذا فنحن تجاه شخصيتين شعبيتين تذكرا لنا على نحو ما بالشخصيات الشعبيه " التاريخيه "، كعنتر و جحا و قراقوش و غيرهم، مع العلم أن لكل من هذه الشخصيات تركيبها الذى علق فى أذهان القوم و ظروفها الاجتماعيه التى ساعدت فى تكوينها على الشكل الذى استقرت عليه بين الناس لا فى التاريخ القويم. و إننا نجد فى نفسنا جراه تحملنا على التصريح أن المقامات، و هى الغاليه العظمى، التى اتخذت من التكيديه اطارا لها، أقرب إلى أن تندرج فى باب " الأدب الشعبى " منها إلى ما يدعوه بعضهم " الأدب الخاص " أو " الرسمى " دون أن تكون هناك علاقته لهذه التسميه بالسلطه و الحكام، و إننا لنعقد أن الأدب يكون شعبيا، سواء فى ذلك أ كان مكتوبا بلغه عاميه أو فصحى. و نحن لا نحمل فى قرارنا عقده فى فهم جوهر الأدب الشعبى، أو النظر إليه، و إننا لنضع له هذا التعريف المحيط فنقول:

الأدب الشعبى جزء من التراث الشعبى الحافل، و هو يعبر عما يضطرب فى نفوس جماهير الشعب الواسعه من آمال و آلام و أشواق و مطامح. أما أدواته فهى العاميه أو الفصحى. و يستوى فيه الأدب الشفوى أو المنسوخ أو المطبوع، المجهول المؤلف أو المعروف، القديم أو الحديث. و هذا الأدب يتشعب إلى ثلاثه أقسام: أدب الفلاحين، القصص الشعبيه، و أدب الفكره الوطنيه. (٣)

و نرى أن المقامات تدخل فى قسم القصص الشعبيه، كحال قصص البطوله المأثوره عن العرب، أو القصص الدينيه المحكيه عن الأنبياء و الأولياء، أو القصص الأسطوريه فى محتواها كألف ليله و ليله الشهيره.. و هذه القصص الشعبيه على أنواعها لا نراعى فيها تقاليد القصة الاجتماعيه الناضجه، غير أن هناك فى تضاعفها دائما روح القصص و الاخبار كخامه يعوزها أحيانا الصقل و رعشه الفن المرهف.

و مما يؤكد الاعتقاد المتقدم فى أن المقامات قصص شعبيه، أنها " تصور أحداث تلقى فى جماعات " فى معناها الاصطلاحى الذى أرساه بديع الزمان (٤) و كان الهمداني يخاطب أصحابه، فى آخر جلساته و إياهم، بهذه المقامات (٥) و هذا يعنى أن بديع الزمان كان يفرغ من جعبته، التى ملأها له ابن فارس و الصاحب بن عباد لغه و أدبا، و يفيض على حضار مجلسه ظرفا و أنسا، ثم يختم الجلسه بمقامه ترفه عن السامعين، ٤.

ص: ٤٢

١- مصطفى الشكعه: بديع الزمان الهمداني، رائد القصة العربيه و مقاله الصحفيه، ص ٢٨٤ و ٢٨٥.

٢- مقامات الهمداني، ص ٩٨ إلى ١٠٣.

٣- أحمد رشدى صالح: الأدب الشعبى، ص ٩ إلى ١٩.

٤- شوقى ضيف المقامه، ص ٨ - أنس المقدسى: تطور الأساليب النثريه فى الأدب العربى، ص ٣٦٠.

٥- فيكتور الككك: بديعات الزمان، ص ٦٤.

لأنها تحتوى العنصر القصصى، و الإنسان ميال بطبيعته دائما إلى سماع القصص. و بما أن هذه المقامات كانت موجهة إلى طبقه من المثقفين و البلغاء فى بدايه أمرها، فلا- غرابه أن "تغلب عليها الصبغه البلاغيه" (١) بيد أن روحها ظلت فى الغالب شعبيه تغترف من القاع الشعبى و تبرز جوانبه. إنها قصص شعبيه على مستوى بليغ غير محنط.

الهمداني صانع أقصوصه:

و الواقع أن بديع الزمان ما إن يخرج عن القالب التقليدى القائم على الكديه، السارى فى معظم مقاماته، حتى يتبدى رائع اللفتات، عجيب التفنن. و إذا كان الهمداني قد وفق فى المقامه المضيريه إلى كتابه قصه، فهو فى "المقامه الحلوانيه" صانع أقصوصه. و لتزيد الأمر وضوحا نظرح على المتلكئين بين لا- و نعم التعريف المتعارف عليه لفن الأقصوصه فنقول: الأقصوصه تقوم على تصوير مشهد عابر، أو إيراد موقف يتحلى بنكته شفافه، أو رسم سلوك قد يصدر عن إنسان فى فتره ساخره حرجه. فالأقصوصه هى لمسه قصصيه فيه. أو تخرج مقامه بديع الزمان الحلوانيه (٢) عن حدود هذا الضرب القصصى؟ عاد عيسى بن هشام من الحج و نزل حلوان العراق. و وجد نفسه بحاجة إلى حمام و حمامه، فاوصى غلامه أن يبحث له عن حل لائق، بحيث يكون الحمام مريحا و الحمام ماهرة غير ثرثار. و مضى عيسى بن هشام إلى الحمام الذى اختاره الغلام و غشيه، فتناوله رجل هناك و لطخ جبينه بقطعه من طين ثم خرج، فجاء آخر فدلكه بعنف، و كان "يصفر صفيرا يرش البزاق"، ثم صب عليه الماء، غير أن الأول عاود الدخول فضرب زميله بقبضته فى عنقه قائلا له: "يا لكع ما لك و لهذا الرأس و هو لى". فحيا الثانى زميله بتحيه أطيب من تحيته و قال: "بل هذا الرأس حقى و ملكى و فى يدي". فدارت الملا- كمه بينهما، و قصدا بعدها صاحب الحمام، و زعم كل منهما أنه صاحب الرأس! "فقال الحمامى:

اثنوني بصاحب الرأس أسأله أ لك هذا الرأس أم له؟". فقاما إلى عيسى بن هشام و قاده للشهاده. "فقال الحمامى: يا رجل لا تقل غير الصدق، و لا تشهد بغير الحق، و قل لى هذا الرأس لأيهما؟ فقلت: يا عفاك الله هذا رأسى قد صحبني فى الطريق، و طاف معى بالبيت العتيق، و ما شككت أنه لى. فقال لى: اسكت يا فضولى"، ثم أنب صاحب الحمام خادميه على هذه المنافسه حول هذا الرأس الحقيق قائلا:

"و هب أنا هذا الرأس لتيس، و أن لم نر هذا التيس". فما كان من عيسى بن هشام بعدها إلا أن وضع ثيابه عليه و انسل من الحمام، و هو يلعن غلامه الذى منح نصيبه من الضرب المبرح.

بيد أن صاحبنا لم يكتف بما ناله، فبعث بغلام آخر يأتيه بحمام، فجاءه برجل "مليح الحليه فى صورته الدميه". و لكن عيسى اكتشف من ثرثرته و لدى سؤاله الناس عنه، أنه مختبئ ذو جنه، فبينتهى الحال بعيسى بن هشام أنه يقسم بان لا يحلق مهما عاش! فهذه أقصوصه، بل أقصوصتان تنمان عن روح مرحة لا- نستغرب صدورهما عن شخص البديع الذى قال فيه صاحب "يتيمه الدهر" (٣) إنه كان "خفيف الروح، حسن العشره، ناصع الظرف". و تنتهى الأقصوصه الأولى بخروج عيسى بن هشام من الحمام مهرولا لاعنا غلامه. و هى لمسه فكاهيه لا ناجحه. و إذا قلنا الفكاهه لم نقصد بها تلك التى يلقاها القارئ فى زاويه من جريده، أو على ظهر يوم من "روزنامه"، و التى يراد بها مجرد الاضحاك فى الغالب، ففكاهه بديع الزمان التى عقدها حول رأس عيسى بن هشام هى فكاهه فنيه، قصد صاحبها إلى صياغتها فانزلها فى حبه حيه، و رمى إلى أن تحرك أعماقنا بمتعه هى وراء الحروف و الجدار اللفظى للكلمات. فما الكلمه سوى واسطه، و ربما كانت اللغه جدثا لو لا هذه الروح الإنسانيه التى تبعث فى

المفردات قبسا منها، فنختال أمام ناظرنا و تدب في عروقها الحياه الناشطه.

خلاصه:

و بعد، فمقامات الهمذاني احتوت مواضع شتى و أغراضا متنوعه، فهو مبدع فن المقامه، و أول من شرع لها النوافذ و مد لها السبل، فكان البدايه الفنيه الابداعيه و النهايه معا، لأن الذين درجوا وراءه، ابتداء من الحريري إلى ناصيف اليازجي، إنما كانوا ينحتون و يتعملون و يزوقون و يكلفون أنفسهم ما لا يتقبله صاحب ذوق أو بعض ذوق.

و قادننا البحث إلى الحكم بان المقامه المضيريه قصه صائبه، و المقامه الحلوانيه أقصوه ظريفه، و المقامات القائمه على الكديه قصص شعبيه. " و لكن ليست كل مقامات البديع قصصا، فقسم منها لا شيء، و القسم الآخر شيء عظيم، و حسب الرجل ما خلق. إنه لفنان بديع " (٤).

أحمد بهمنيار الكرمانى المتخلص بدهتان بن محمد على

ولد سنه ١٣٠١ فى مدينه كرمان و توفى سنه ١٣٧٤ فى طهران و نقل جثمانه إلى كربلاء فدفن فيها بوصيه منه.

كان ذا مهاره كبيره فى الحساب و الهندسه و الرياضيات و الفلك و الهيئه و علوم المعقول و المنقول و النحو و الصرف و له رساله فى (العوامل) على غرار رساله العوامل لعبد القاهر الجرجاني. كان أبوه محمد عليشيوخيا و مريدا لزعيمهم فى كرمان (حاج محمد كريم خان) و مدرسا و معلما فى مدارسهم بكرمان.

تلقى أحمد العلم عند أبيه و أخيه و عند ما كان عمره ١٦ سنه بدأ يعلم الطلاب و يدرسهم الدروس التى تلقاها عن أبيه و أخيه، و عند ما توفى والده عام ١٣١٩ حل محله فى المدرسه، و برغم أنه كان معلما و لكنه سعى بجد و نشاط فى التعليم و التعلم و درس العلوم العرييه و الفقه و الأصول و الأدبين الفارسى و العربى، كما تعلم اللغات الإنكليزيه و التركيه العثمانيه، و كان ينظم الشعر و يتخلص فيه باسم (دهتان: الفلاح).

كانت له أفكار ثوريه و تحريره و دافع فى مقالاته فى الصحف و المجلات عن ثوره الدستور (المشروطه) و أسس عام ١٣٢٩ مجله باسم (دهتان) فى مدينه كرمان خصصها للدفاع عن ثوره المشروطه و نشر

ص: ٤٣

١- آدم متر: الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى، ج ١ ص ٤٤٢.

٢- مقامات الهمذاني، ص ١٧١ إلى ١٧٥.

٣- أبو منصور الثعالبي: ج ٤ ص ٢٥٧.

٤- مارون عبود: بديع الزمان الهمذاني، ص ٣٧.

المقالات و توعيه الناس، و استمر في هذا النشاط هو و جماعه معه إلى أن اعتقلوا عام ١٣٣٤ على أيدي البريطانيين و نفوا جميعا إلى شيراز حيث أودعوا هناك السجن ففضى أحمد مده ١٤ شهرا في السجن و قد استغل الفرصه في السجن فتعلم فيه اللغه التركيه، كما نظم في السجن أبيات شعريه توصف حاله و حال رفاقه المساجين، و في عام ١٣٣٥ أفرج عنه و نقل إلى طهران و عاش هناك لفترة حياه صعبه، ثم صار موظفا في وزاره الماليه، ثم بعث بصفه مفتش (الترياك) إلى ولايه خراسان و سكن فيها سبع سنوات و نشر عام ١٣٤٠ مجله (فكر آزاد: الفكر الحر) في مشهد و نشر فيها المقالات التي تدعو إلى التحرر و بعث الهمم في نفوس الناس، و استمر في إصدارها مده سنتين إلى أن اضطر إلى إغلاقها عام ١٣٤٣ و استقال من منصبه الحكومى و سافر إلى طهران عام ١٣٤٣ و نشر مجله في العاصمه و لكنها لم تستمر مده طويله فأغلقت بعد سنه أى في عام ١٣٤٤.

و في عام ١٣٤٥ انتخب رئيسا لدار المعلمين العاليه في تبريز و زاول مهنته مده سنه و لكن ضجر منها فعاد إلى طهران عام ١٣٤٦، و دخل عام ١٣٤٦ فدخل سلك القضاء و صار قاضيا في مدينه قزوین ثم همدان، ثم عاد إلى طهران و دخل مجال التعليم فقام بتدريس اللغه العربيه و الفارسيه و الفلسفه و المنطق في مدرسه دار الفنون و دار المعلمين العاليه، و حين أسست جامعه طهران عام ١٣٥٣ صار يدرس في كليه المعقول و المنقول تاريخ الأدب، ثم عين عام ١٣٥٥ أستاذا في كليه الآداب و في عام ١٣٦١ انتخب عضوا في المجمع العلمى الايرانى و استمر في نشاطه العلمى في الجامعه و المجمع انتخب عام ١٣٧٣ رئيسا لمؤسسه الطبع و الترجمه التابعه لجامعه طهران و استمر في نشاطاته برغم مرضه و كبر سنه إلى أن توفى.

كان مجدا في تدريسه مواظبا على المستوى العلمى في محاضراته و دروسه التي كان يلقيها على طلاب الجامعات، كان أدبيا يكتب النثر الفارسى بسلاسه و طلاقه، و كانت اجادته للغه العربيه تعينه في ترجمه مختارات الأدب العربى إلى الفارسيه و كان ماهرا في العثور على الكلمات الفارسيه المعادله لمعاني الألفاظ و المصطلحات العربيه.

كان عالما و محبا للعلم و العلماء و قد قضى معظم عمره بين الكتب و العلماء، و كان لا يبخل بمعلوماته على طلابه، كان متتبعا في الأبحاث التاريخيه قل نظيره. قام خلال حياته بتحقيق و تأليف مجموعه من الكتب و هى كما يلي:

(١) تحقيق كتاب: أسرار التوحيد للشيخ أبى سعيد.

(٢) تحقيق كتاب: التوسل إلى التوسل.

(٣) تحقيق كتاب: تاريخ بيهق لأبى الحسن على بن زيد البيهقى.

(٤) منتخب أسرار التوحيد.

(٥) كتاب (الصرف).

(٦) التحفه الأحمديه في شرح الفيه ابن مالك.

(٧) هديه شرق (منظومه).

٨) ترجمه زبده التواريخ فى تاريخ آل سلجوق. لصدر الدين أبو الحسن على بن ناصر. ٩) ترجمه لصاحب بن عباد.

١٠) تصحيح كتاب: الأبنيه عن حقائق الأدويه للهروى.

١١) الصرف و النحو التركى.

١٢) مجمع الأمثال الفارسى.

١٣) الصرف و النحو العربى ٦ مجلدات.

١٤) تاريخ الأدب العربى ٣ أجزاء.

١٥) مجموعه أشعار.

١٦) ديوان.

١٧) رساله فى المنطق القديم.

و كتب و مقالات عديده أخرى بعضها مطبوع و قسم منها مخطوط(١).

احمد بن ماجد:

مرت ترجمته فى المجلد الرابع من المستدركات. و عثرنا بعد ذلك على بعض اراجيزه الملاحيه فاثرنا أخذ بعضها هنا. كما اننا نشرنا فى (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه) دراسه عن كتابه: (الفوائد فى أصول علم البحر و القواعد) و هذه الأراجيز ماخوذه من مجموعه (الشعر الملاحى عند ابن ماجد) التى حققها إبراهيم الخورى و نشرها المعهد الفرنسى للدراسات العربيه بدمشق و نشر هنا مقدمه المجموعه المكتوبه بقلم المحقق:

الشعر ديوان العرب

و شعر احمد بن ماجد ديوان تجاربه الفريده، و ابتكاراته الجديده فى علم البحر، و ديوان ما كتب قبله فى الملاحه البحرىه عند اليمينين و عند الشعوب القاطنه فى سواحل بحر الهند من زنج و شوليان و غيرهم، و ليس نثره سوى شروح و تعليقات، مجموعه فى كتاب تاره، و متفرقه فى وريقات أحيانا اخرى (الفصول)، أراد بها توضيح بعض نظمه الذى استعصى فهمه على بعض المعالمة المعاصرين له، أو خشى ان يستعصى فى مستقبل الأيام على بعض قرائه من ربانته أو باحثين.

و احمد بن ماجد رائد "بالشعر العلمى"، أو بالعلم فى الشعر، على الرغم من تقصيره الصارخ فى سلامه اللغه أحيانا و فى سلامه الأوزان أحيانا اخرى. فلم يسبقه أحد من اليمينين إلى تصنيف مبادئ علم بحر عصره و ما قبل عصره، بتمامها و كمالها، نظما فى عده بحور شعرىه، و فى أبيات تجاوز عدد ما نعرفه منها ٤٦٠٣ أبيات، وصلت إلينا فى ٢٤ ارجوزه و قصيده، تشتمل أطولها على

١٠٨٢ بيتا و أقصرها على ١٣ بيتا، نشرنا في وقت سابق أهمها و أطولها، نعى حاويه الاختصار في أصول علم البحار، ثم ثلاث عشره قصيده متفاوتة الطول. و ها نحن ننجز "فك رموز" الأراجيز. العشر الباقية في هذه الدرسة، نقدمها محققه و مدققه و محلله.

الأرجوزه الثانيه: السفاليه

ص: ٤٤

١- الدكتور رضا مصطفى السبزواری.

بسم الله الرحمن الرحيم

(تمهيد)

(الحمد له) الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على محمد و آله و صحبه أجمعين.

(اسم الأرجوزه)

هذه الأرجوزه المسماه بالسفاليه.

(نطاق بحث الأرجوزه)

و معناها يقتضى معرفه المجارى و القياسات من مليبار، و كنكن، و جوزرات، و السند، و الاطواح، إلى السيف الطويل، و منه، إلى نواحي السواحل، و الزنج، و ارض السفال، و القمر، و جزره، و نوادر علوم جميع ما فى تلك النواحي إلى آخر الأرض من الجنوب، و ذكر قياسات يعرف بهم المعلم النقصان و الزياده فى جميع الأخنان، و وصف نوادر فى تلك الطريق من القياسات، و الدير، و المجارى، و سكان الأرض، و ملوكها، و موسمها، و سفرها، على ما يليق بذلك المكان و سفره.

(مصنف الارجوزه)

اختراع رابع الثلاثه، حاج الحرمين الشريفين، شهاب الدين احمد بن ماجد، تغمده الله برحمته، آمين.

ص: ٤٥

فاجر على المغيب و الجوزاء للسيف و أنتخه على المجراء

تلقى به السهيل و الظليما سته و نصفا كن به عليما

إذا رأيت القياس قد وفى فاقبل على الغرب و مل بلا خفا

ثم ترى الشرطين فى الغروب مع سادس النعش فخذ تجريبى

اربع أصابع فى قياس واحد و ثلث أيضا فوقهم زوائد

و رتب المجرى مع القياس فى نتخه البر فكن ذا بأس

لا ترقد الليل على التتخات لأنها عظيمه الزلات

و ذاك بر ما له علائم بل عندك المنجى مديم دائم

فيغزر الواجد بالطوفان عشرين من الأزوام يا ربانى

و إن ترى كثر طيور المنجى احذر من البر تفز بالفرج

فكل ربان له سياسه يعرف بالمجرى و بالفراسه

و كثره الجربوب و الطيور و الحوت و الحايه يا نصيرى

ثالثا - (الطرق البحريه من كنكن إلى السيف الطويل) (المجارى من دابول فى كنكن إلى السيف الطويل)

و إن تكن تطلق من دابولافعل باوصافى و خذ بقولى

و أجر منها فى غروب التيرحتى يصير الجاه بالتحريير

ذبان ليس ينقص و لا يزيدو رد فى الإكليل بالتوكيد

تنتخ بها للسيفيه الطويلهتنتختها مامونه جميله

من حد طبقات لفشت مقبلان لم تر البر فقدم و اقبل

لقوه الماء و سهو المجريان كنت من فرسان هذا البحر

منه العلائم قد تقدم ذكرها اما القياسات فهاك شرحها

رابعاً - (قياس بعض النجوم في مطالق بر الهند) (قياس الشرطين و العناق)

ينفع في كل مكان كانا توجد المنتخ يا ربانا

أوله في الشرطين و العناق قياسهم صحيح في الآفاق

بل هم ببر الزنج ضيقاتند كرتهم من قبل ذى الصفات

لكن نفيسات ببر عالياسمع مقالا يشبه اللاكى

و هم بدابول كمثله الجاهثمانيه ما فيهم اشتباه

و كلما ينقص من الجاه إصبعينقص فيهم نصف قسمهم و اسمع

و إن يكن قيدك في الأشراطثمانيه فأتقنه كالمحتاط

و اعلم بان ذلك العناقيصير كالجاه بالاتفاق

(قياس الجاه و البراق في مهائم و بر الهند)

و إن تقيس الجاه عشرا دائما و قيدك البراق في مهائما

ثلث أصابع وافرته في الخشبو كل ما ينقص من الجاه أحسب

زياده البراق إصبع إصبعاً بسدس إصبع قسته موقعا

و البار لا نقص و لا زياده عشر فخذ من هذه الإفاده

و قسه في جميع بر الهند قسدى بذنا حفظ الأصول عندى

أما إذا قيدت للبراقينقص معك البار في الآفاق

في كل رأس إصبعاً الا ربعا حفظ أصول العلم في نقص الصبع

(قياس البار و المرزم في عرض جاه سبع)

و اعلم بان البار ثم المرزما في جاه سبعة، فقسهم محكما

قياسهم ثمانيه في خشبه على الغروب قس لهذا و احسبه

و كلما غاص من الجاه ترينقص نجم البار مع كل الورى

ثلثين فاحفظهن فى الغروبذكرتهم فى النظم عن تجريب

و إن يكن قيدك فى العيوقثمانيه، قيدا على التحقيق

ص: ٤٧

يزيد فى المرزم فى الترفا إصبع الاربع يا حريفا
(قياس المعقل و المربع على رأس الحد و رأس مامى)
و قس على المعقل و المربعفهن معلومات معكم و معى
إذا استقل أنجم الغرابو آخر العواء بالصواب
بل يستوى إذا استوى بالمعقلو فى استواء بظلم يبطل
و هو على الحد اربعة الاربعو نجمه الفوقى يكن فى الرفع
هناك سبعة ثم نصفنا نيطاو الأصل فى ذاك الذى توسط
لكنه نفيس فى القياسانتخ به، قل لجميع الناس
و هو على مامى تسعه فاعلمو نصف درج ذا الخلاف و افهم
(قياس القلب و المعقل على مهايم و فى عرض جاه ست و ربع)
و إن تقيس القلب ثم المعقلاعلى مهايم أربعا مشتملا
حتى تقابل يا همام الديرهفى جاه سته و ربع قدرا
فالقلب يبقى اربعة بحالهو المعقل المشهور خذ زواله
يكون ستا ثم ربع إصبعمثل قياس الأصل قسه و اسمع
إن قياسات النجوم الطالعهو الغاربات فيهم المنازعه
قياسهم يختل لا يعرفهاإلا خبير عالم صنفه
إلا بهذا السيف الطويلأغنى ببر الزنج يا خليلى
ذكرتهم لتعرف الأفلاكو سير ذى الكواكب الزواكى
و قس على المعقل ثم القلبفى خشبه و انظر لصنع ربي
فى جاه سته و ربع سبعةو نصف فافهم بعض تلك الصنعه

لأنهم كانوا على مهايم اربعة فى جاه تسعه دائما
زادوا ثلاث أصابع مع نصفقسهم، ذا بدليل وصفى

(قياس القلب و الظليم على رأس زجد)

و إن تقيس القلب و الظليما على زجد اربعة مديما

و سيره و القلب اعرفوه على مسير المعقل افهموه

و المعقل المذكور و المربع مسيرهم كالجاه إصبع بإصبع

بل يختلف فى جملة الإقليم ربع إصبع يا له تقويم

(قياس التير و العيوق على سائر الرؤوس)

أما إذا قيدت نجم التير ينقص من العيوق فى المسير

فى كل رأس إصبع نفيس كلاهما فى الغرب يا رئيس

كذاك ان قيدت للعيوق يزيد فى التير على التحقيق

و زدهم تجربه لا تنتخابهم و حققهن يا مؤرخا

و هم على مهايم بالوصف صبغان بل زيدهم بنصف

حتى إذا جئت لجاه سبعه فالثير يبقى خمسة و رفعه

و البار لم ينقص و لم يزيد اعن إصبعين و نصف يا حميدا

اعلم أصول العلم فى القياسو لا تعلمه لكل الناس

خامسا - (الطرق البحريه من جوزرات إلى السيف الطويل) (المجارى من رأس مدور و سومنات إلى السيف الطويل)

و إن تكن تطلق رأس مدورا من سومنات فاجر و أحزم و اسهرا

نعم البنادر هن للدخول ثم الخروج عند ذوى العقول

و منهم، الإكليل ثم العقرب لآخر السيف الطويل، تقرب

جیریش و هو أول الهیرابمن الشمال اعرفن حسابی

و آخر الهیراب یا ربانیففی جردیل بذی المكان

لکل فی جاه إصبغ و نصفذراع کالهیراب خذ من وصفی

ص: ۴۸

و إن تراخيت برأس المارزه يوما بيومين إلى المجاوزه
رد على الإكليل يا ربانى و استوف ما ضيعت فى الحسابان
تنتخ به السيف هناك حكما و تلزم البر هناك لزما
ما حاجه اكرر القياسا هذى استهيت عندك الأساسا
(قياس بعض النجوم على ظهر سقطره و جردفون و مقابل جردفون)

و إن ترد زياده فخذها على طريق البر و استفدها
و قس على سقطره بظورها فرغ المقدم الجنوبي تلقها
و إن تر النعش أصابع خمسا غرست ذا يا نعم هذا غرسا
و اسمه الفرغ بعين معجمقال الدميرى ذا بلا توهم
فى شرحه المنهاج يا ربانىثم سمعنا فى كتاب ثانى
و ثم قسنا الحوت بالتحقيقمع بطن ذا الحوت أيا رقيقى
فى خشبه هم خمسه مع نصفقياس ظهر سقطره و صفى
فكان بطن الحوت مع الفؤاد هناك اربع ثم نصفا باعتياد
و هن ابدال بجردفونفى الغرب و الشرق لهم فنون
قسهم بجردفون مثل الجاهفى الغرب و الشرق بلا اشتباه
لكن يطول الحوت فى الغروبفى ذلك الموسم يا حبيبى
هذى العلوم يسير بها الطالببما يكن و هو عليه واجب
و قس مقابل جردفون الرامحامع سهيل عشره يا فالحا
و عندك الجاه معا و الفرقد نعم القياس أصلهن و أكد
و إن ترد سهيل و الظليماهن كمثل الجاه يا عليما

أربعة اربعة فيها النفسقسهن و أجرين كمثل من جرس

فى رأس جردفون ثم هيليافعل بوصفى تعرف سبيلي

سادسا - (الطرق البحريه من السند إلى سقطره و الزنج) (المجارى من ديول السند إلى سقطره و الزنج)

و إن تكن تطلق ارض السندللزنج جز بها و لا تعد

عن مغرب الحمار ثم العقربالى سقطره ثم ادن و أقرب

أقبل على العقرب يا خليليانتخ به و مل على الإكليل

عندك ميدان طويل يحملا تفاوت النتخه و قيت البلا

فانتخ به البر بلا ندامههيت فيه الأمن و السلامه

سابعا - (قياس بعض النجوم فى الباحه) (قياس سهيل و الرامح، و القلب و العيوق، و شامى الشامى و الواقع)

ترى هنا سهيل ثم المعتليثمانيه فقس لهم يا املى

و القلب و العيوق يا معلماثلث أصابع تراهن فى السما

و شامى الشامى ترى و الواقعاربعة و نصف كن لى سامعا

فان ترى قياس يا رفيقيطول ذى الطريق بالتحقيق

إذا خفيت بحر ماء ابيضقس السماكين هناك و اخفض

تراهم حقا على البيانفى شرقهم ستا على الإيقان

درجههم لما يزيد فى السفرو احرص عليهن لتحظى بالظفر

و تلتقى فى طول ذا الميدانصحت قياساتى فلا تنسانى

ذكرتهم فى غير تلك الأرجوزها أيضا و فيها انها عزيزه

(قياس القلب و الظليم، و العيوق و المرزم، و القلب و المعقل، و المربع و الظليم، و التير و العيوق فى جاه سبع)

و قس على القلب بجاه سبعمع الظليم اربعة اربعة

هنالك العيوق ثم المرزمثلاثة و نصف قسهم و اعلم
و تنظر القلب معا و المعقلاسته محكم فى القياس كمالا

ص: ٤٩

ما المربع و الظليم سبعة و نصف إصبع هم بجاه سبعة
و فى مقابل غبه الحشيش كفيت فيها الرجس و النحوس
و التير ذبان على الغروب و ثلث فى العيوق بالتجريب
(قياس الذراع الشامى و الذراع اليمانى، و شامى الشامى و الواقع، و الشعرى فى جاه ثمان و نصف)
و قس على الشامى و اليمانىو القيد فى الشامى يا ربانى
ترى يزيد فى الذراع اليمينىثلث إصبع فى الترفا فأتقن
كذاك نقصان الذراع الشامىو القيد فى اليمنى بلا احجام
و اعلم بان الوصف يا معلما بجاه ثمان و نصف تلقى فى السما
فى شامى الشامى و نجم الواقعمثل قياس الأصل خذ منافعى
هناك تلقى الشعرى الغميصاء خمسا و نصفا ما به تنقيصا
و اعلم بهذا النقص و الزيادةفى الشعر و الذراع مثل العاده
عادتهم فى كل رأس نصفما حاجه أطيل فيهم و صفى
(قياس السماكين و سهيل فى عرض جاه تسع)
أما السماكان بجاه تسععلى طلوعهم فهم كل معى
سته على الأعزل اما الرامخمسه و هذا بين و واضح
إن نقص الجاه إصبعا فالأعزليزيد نصفا ثم ثمنا فاعقلوا
و القيد فى الرامح لما يزلو ينقص الرامح كذا بلا خلل
و ليس هؤلاء قياس منتخبل ذكرهم أليق عندى يا أخى
لكنى لم اترك نجما فى السما إلا جعلت للهدى فيه اسهما
بل ان فى الرامح ثم الأعزلقيود للسهيل حين يعتلى

و هم بجاه تسعه بالقاعدهتقيد الرامح خمسه و اكده

يكون سهيل ذبانينشف ربعا افهم التقيمين (1)

و كلما غاص من الجدى إصبعزاد سهيل يا أخى فاسمع

ثلاثه أرباع قياس صافيمع قيده الرامح خذ او صافى

و فى قياس واحد سبعهفى جاه سبعة يا لها من صنعه

ثم يزيدان بكل رأسنصفا و عشرا احفظن قياسى

لأن هذى أنجم دريهسهيل و الرامح خذ وصيه

(قياس المربع و الظليم و الرامح و الفرقد فى عرض جاه خمس و نصف)

أما بجاه خمسه و نصفكان المربع فاتخذ من وصفى

أما الظليم سبعة بالقاعدهقد عدم التقصان مع زوائده

و قس بنصف ثم إصبعينأعنى به فى الجاه باليقين

هناك ذبان، أنجم المربعأعنى القريبات إلى ألما فاسمع

كذلك الرامح قس ذباناكشفت لك العلم يا ربانا

و ليس يحتاج إلى وصف ثانسوى بليد ما له عينان

إن فاتك الفراقدا الأصليةإذا استقلت صرفه سميه

عليك بالفرقد و هو مستقليصح للأخوار ما فيه خلل

و أصله بالحد هو عشرينيزيد إصبعا و نصفا باليقين

يصح بالتدريج يا أخوانيجربته صحيح بالإيقان

إصبع يا صبع بلا مرءقد قست ذبانه بالخضراء

ثامنا - (الطرق البحريه من الأطواح إلى السيف الطويل) (المجارى من الأطواح إلى سقطره)

وارجع لمجرى يا أخى الأطواحو برقلهات على الفلاحر.

ص: ٥١

١- الشطر مكسور.

فجار للبر هنا على البنات لرأس جمجمه و احذر النبات

و أجرين من مشرفى الرأس فى مغرب السهيل و هو راسى

إلى مصيره ثم رد فى العقرب فى أى صوب شيت اجر و أحسب

إن كان فى النيروز للتسعين فاحذر من الأرياح فى التدجين

لا تعبرن فى مبتدا الحيات فارس و اعزمن على الثبات

و إن أردت غيره للبحر صوب و كن صاحب فكر و أجر

و اعبر من ظفار فى سهيل ترى سقطره و هى دليلى

(المجارى من سقطره إلى حافونى عبر الجزر)

و إن تكن تطلق من ذى الجزر بمغرب المحنث نعم المجرى

هذى مجارى يا أخى السفار ترى سقطره جانب اليسار

و مل على السهيل خوف الماء على مجارى الأصل بالسواء

حتى يكون مجرى إلى حافونيمرتفعا عنه على اليقين

أما الذى يجرى من الجزائر فى مغرب السهيل سكنى عابر

ياتى إلى سمحه و درزه ظاهر فكن حذورا من أذى الجزائر

(مجارى الباحة من وراء سقطره إلى الطبقات)

أما مجارى البحر عن سقطرهتجعلها يمين عند العبره

فى القطب تخفى فى حباب الماء لم ترها الا على الأصحاء

لكنها تطول الطريقا فاعمل بتجريبك يا رفيقا

إن رحى بحريها خذ الحمارو رد فى العقرب يا ذا الجارى

حتى يجيك البر من طبقاتلحد خيريس فخذ صفاتى

هناك هيراب من الرماللبئس بالهيراب خذ مقالى

لكنه أقرب من الهيرابلبحر يعرف بذوى الأكتاب

(المجارى من طبقات إلى السيف الطويل)

و تلقى فى طبقات نجم الرامحو الضلع خمسا فى القياس الواضح

فان نتخت سيفك الطويلافالبر صاف واضح سبيلا

اعمل بتديريك و المشاورهلعائل معاود ذى مخبره

فى كل ما تفعله يا عاقليلا خير فى شخص بأرض جاهل

قد اتفقنا كلنا فالسيفلفشت مقبل كله نظيف

أكدافه عاليه الذرعانكن عارف الأوصاف يا ربانى

(الملاحه من السيف الطويل إلى السواحل) (الهيراب الأول، الهيراب الثانى، الجب، السواحل) (قياس الفرقدين، وصف السحائب

الجنوبيه، المجارى) (المجارى من فشت مقبل إلى شعب المروت)

فان تخلفه يدور البرعن مغرب السهيل هذا خبر

فى مغرب العقرب و الحمارلكل ذاك البطن أشوار

لكن بين الفشت و المروتطحله عليها الماء يا جودتى

و المروت شعب عن البر انعزليحوى الذى يهجم، خذ هذا المثل

فى غالب الأحيان لم تروهلا هو و لا الفشت فاهربوه

لأنهم عالقات البرو السفرى مرتفع للبحر

و الأرض بين المروت و الفشتذرعان هابطات خذ لنعتى

(المجارى من شعب المروت إلى براوه)

و بعده اكداف للصنائيو المروت أحد عشر لا تدانى

و ربما ترى هناك الجبل منجذبا في البر ليس بالعلی

تراه فی البر قریبا دانیاں لم یکن یأخذ بالذرعان

لقرب مقدشوه أما بالمطراً أو فی غبار لم تراه بالنظر

ص: ۵۲

و اسمه الهيراب عند العرب أما لغات الزنج اسم غبى

احتاجه بالعين لا بالاسم إذ ما له هناك شبيه متسم

و أجر لمقدشوه و البلاد إن شيت فادخل أو فضل غادى

لمرکه ثم إلى براوه تقطعها فى يوم بالتلاوه

(وصف براوه و بندرها)

و من علامات براوه فيها سبعة ذرعان ترى عليها

بندرها على منها الرابع من أى صوب جئته فواضع

و ادخل إلى البندر بالسلامه عن شده فى البحر و الملامه

ترى على بندرها جزيرهمنجزله عاليه كبيره

بندر بكل ریح عند العارفهم صفاتها و لا تخالف

فدر من الجزيره و اطرح بهاو الناس تأتى قبل ان تأتيا

تدخل بجوش يمين عند الأزيبان شيت أن تدخلها فرتب

(المجارى من براوه إلى ملوان)

إن لم تردها و ألين و أسرعى طريق البر أن شيت أجر

يجزر معك البحر من ذا البر لآخر السفال يا ذا الخبر

و اجر فى إكليلنا لا تختلف لبطن شيكا و هو بطن معترف

لآخر السفال يا معلميفاعلم به كفيت شر الظلم

أول ما يأتىك فى ذا الغبجزيره على بلاد الجب

مسيره اربعه أزوامبريح أزيب، كملا تمام

منها على ملوان أيضا اربعها و خمسه، احفظ لنظمى و أسمع

(المجاری من ملوان إلى بته)

و من هنا بته مسير ستهو الكل بر المول هاك نعته

لأن بته فوقها جزير هفاز على تسمى، بدأ شهيره

و بينها طريق هي و البربحريها شعب و هو منجر

لقرب وازينا و هم أقوامنى البر كالسارق يا همام

عليهم جزر بلا حسابصغار ثم كبر يا حبابي

و هن من ملوان إلى بته ما بينهم فى الوسط بالسواء

و أرض بته بلد الأجوادو تلك معدن بسس الزباد

(قياس الفرقدين من براوه للأخوار)

و إن ترد شهود فى هذا الطرفها قياس لا يخون معترف

على براوه تنظر الفراقدخمسه مع الصرفه علم واكد

و الفرقد الأكبر و هو مستقلثمانيه و نصف ما فيه خلل

و هو على الجب سبعة و ربعفى بلد ملوان هو الوضع

سبعة إلا ثلث تحقيقافقس عليه تعرف الطريقا

و إن تقيس الفرقد الكبيرفالمستقل عندنا اشتها

سته و نصف اعلمن وصفهفى بلد السارق ثم جزره

و ست إلا ربع فى بته و خمسه و نصف بالسواء

تأتى إلى لاموه مع كتاوهو قس لها و احفظ التلاوه

ما حاجه أشرحه للقاريمن خوف سهو العلم كن دارى

لأنه فى أصل رأس الحداحدى و عشرين و نصفا بيدى

فاخذ بالتدرىج للأخوار إصبع بإصبع فى الترفا جارى

لأنه يقوم فوق القطبما قط فيه خلل أو كذب

إلا قياسا نفسا أو ضيقا جربته محققا تحقيقا

خمسا و ثلثا بل هو دانياً ما على الخضراء فهو دانى

ص: ٥٣

و إن هنا لم تنظر الفراقد عند قياس الأصل فى الشدائد

فقس على الفرقد بهذا الوصف عند الحمارين فهاك وصى

لأنه يصح إصبع إصبع و الأصل عندك واضح فوق

من حد رأس الحد حتى منفيه لم يختلف إصبع فخذ من وصفيا

إن صح ذا القياس لك فافعل و ارجع بنا لوصفى الأول

(المجارى من بته إلى لاموه و كتاوه)

من حد بته طالب الجنوبعلى طريق البر و الشعوب

منها يدور البر، للجزائر كتاوه و لاموه، أشاير

ذرعان عاليات وصف و اكدمدخلهم مدخل خور واحد

لكن ذاك الخور هو طويلمدخل لوازينا لنا قد قيل

فى مدخل الخور تكون كتاوهعلى اليمين افهم التلاوه

و بر لاموه يجى يساراجزيره كانت هنا عمارا

بهم ترى الأعزل بالمشارقمسا كمثل الضلع فى الحقائق

و الأعزل المشهور و المربععشر أصابع فى القياس فاسمع

و سابع النعش مع الدبرانفالبار كل سبعة عيانى

و سابع النعش هنا و الرامحمثل قياس الأصل خذ منافح

و سابع النعش مع الظليمست و نصف كن بهم عليم

(المجارى من لاموه و كتاوه إلى ملندى و منجى حزن)

و إن تخلفهم لشكلا يا وليهى غبه تصغر يا مسائلى

تجزر بالشلى يا ربانيمنها يدور البر بالإيقان

و يستقيم عليك زلويلولو هي جزيره يا أخی تنزل
عن برها و بحرها شعبانفيهم مراسى كل ریح كان
و بعدها غبه على قلمانمن شكه فاحذر و كن يقظان
و بعدها رأس كلومه مرسيكوس و مربا جنوبي أنحسا
و لا هنا في البر فرد مجريغباء و روسا بالنظر أنت ترى
إن كنت عنهم مرتفع في العقريثم الحمارين فسر و جرب
و بعدها أ و لا ترى ملنديو قيل رأسه طويلا يبدى
أما البلاد فوقها الهوادنيفاحذر منه لا تكن مدانى
و الفرقدان هناك خذ من و صفيهم إصبغان كملا بنصف
ترى هناك أول جبال كلفيمنجى حزن تتلوهم فاعرف
(وصف السحابه الجنوبيه)

و كل هذا من بلد بتاء مسير يومين بلا مرأه
في مغرب العقرب و السهيلفاعرف و أجر مغرزا بالليل
و الجوش في السحابه البيضاء و أجر في الليل على السوداء
و البيض يا أخی هم سحابتينو واحده بينه بالعين
و واحده طمسا فاما الينهيين سهيل و التير هي معينه
لكنها تبعد عن سهيلعشر أصابع فاستمع من قبلى
سهما و عن ذا التير هي سهمينفى نسق تراهم بالعين
سحائب السوداء في المربعفى آخر الليل تراها فاسمع
في موسم يسافر السواحليباتير ما يدخل فيها الداخل

(المجاری من ملندی و منجی حزن إلى منبسه)

و خور منوافه من بعدهمو منبسه تأتي جنوبيههم

فراقدا إصبعين ما فيها مرالها قياسات شهود حصرا

و هي جزيره يا أخی و خورهاشامی مطوافه افهم شرحها

إذا بقيت فوق ذا المكانتري ثلاث قطع يا رباني

ص: ٥٤

صغار آكام على منسبه انظر لذا فى البحر ثم احرسه

لتدخل البندر بالتوكيد بغير شك داخل التأيد

فادخل هنيهت بمسرات السفر لمنسبه فيها المبيع و الظفر

(المجارى من براوه إلى واسينى)

و إن تكن تعبره من الذرعانذرعان براوه افهم العنوان

غرب الحمارين من الأزوامعشرون زاما جمه إتمام

و رد فى التير مع الجوزاء ترى جبل كلفى بالسواء

ترى مع منجى جزر فى البعدو من هناك أجر و لا تعد

عن مغرب السهيل نعم المجريلحد واسينى و ذاك المعبر

(المجارى من منسبه إلى واسينى)

من منسبه تجرى إلى واسينيزاما و نصفا فاجر باليقين

و رده فى المحنث المشهور إلى الصباح لا تخالف شورى

جربته مساهرا محررافاجر على هذى المجارى تظفرا

و جار للخضرا من المغاربلأن شرقها وسخ يا صاحبي

فى رأسها الجاهى فكن محاذرالا ترقد الليل هنا و ساهرا

كذاك واسينى عليها وسخمتصل إلى الجنوب يا أخ

و قالت الزنوج إنه منهاكنه فى القطب فاحفظنها

و ذاك عندى خطاء يا صاحاسمع لوصفى تلتق الصلاح

(الملاحه على ساحل بر الزنج و الأخوار) (قياس الفرقدين و النعش - ارتفاع بعض النجوم) (المجارى) (المجارى من واسينى

إلى زنجبار)

فان طلقت يا أخى واسينفالمجرى على اليقين
فى القطب و المحنث يا هماميحتى ترى رأس الحمام السامى
من زنجبار و لها كن داريرأس بشرقها اسمه منشار
مقابلين جنوبى الخضراء فى الشرق و الغرب على السواء
و بينهم طريق للمسافر للقمر أو سعده و الجزائر
فى مطلع الإكليل بالتحقيقهى غايه القلعين يا صديقى
إياك ان تقبل على الخضراء يحويك منشار بلا مرء
و بين منشار و ذاك الرأس رأس الحمام يحذروه الناس
من الوسخ هناك و صول خافيهفمل على اليمين تلق العافيه
فان تفل رأس الحمام جارلزنجبار و هى فى اليسار
فأينما أمسيت أرسيت بهافى ماء سبعة أو يكن تقربها
و جارها حتى ترى البيوتاعلى النظر و بابها المنعوتا
ترى الجزائر كلها يا جاريفخل ثنتين على اليسار
و الكل فى اليمين و المغاربو اطرح على ماشيتها يا صاحبي
ماشيه بيضاء بندر أزيبو الكوس جل الخالق المرتب
ترى بها سهيل و العيوقامرتفعات بالسوا تحقيقا
مع الرباين لها أيضا حسابقد قستهم هناك بالاسطراب
كانوا بها هناك تسعا زاندهعلى الثلاثين درجه بالقاعده
و كل هذى جزر كبارأعنى لك الخضرا و زنجبار
من ظهرهم نطاف ما فيهم نكدو الفرقدان بينهما إصبع بالعدد

و جاهى الخضرا إصبع مع نصفقابل واسينى فهاك و صفى

أما برور المل من واسينىالى هنا يقوم باليقين

فى القطب و المحنث و هو شعبانموسخه فلا تكن مدانى

و بعضهم يجعلها يسارىأعنى بواسينى و لا تمار

ما عنده مخرج إلى البابفى قرب زنجبار خذ حسابى

ص: ٥٥

و حول زنجبار جمله جزر قريب ست عشره اعلم و أدر
و هن فى الجنوب و المغرب عن زنجبار بوسخ يا صاحبى
(وصف جزيره زنجبار)

و زنجبار جزيره عظيمه بأربعين خطبه قديمه
تجرى عليها فرد يوم بالصور فذاك فى العرض فخذ منى الخبر
لكنها تعرف بالتدوير بغلظها فى حسبه المسير
ليس لها ديره تكون دير هكريه المسك فكن خبيره
شاميه رأس الحمام يسميها و منشار فخذ علما
و رأسها يا حى من الجنوب سما كمنذ يسمى أيا حبيبي
أما إلى الجنوب و المغرب برأس وسينا عن ذوى التجارب
و استخف منها ثم جار برها فانظر بعينيك فيما نعم لها
و انظر إلى ماجه فى اليسار هو رأس فى ساحل زنجبار
(المجارى من زنجبار إلى جزيره المشوى)

تسير منها زام إلى الجزيره المشوى و هى صغيره
تنظرها من زنجبار ظاهره بينهم جزر على المياسره
الكل منهم دعهم يسارو اطرح إذا أمسيت يا ذا الجارى
و هى بها فرش من المغاريان جزت بالليل هناك هارب
اتك إذ قابلتها قليلا حتى تجيء التير و الاكليلا
ثم لها من جانب الشمال ظهره بشعب ظاهر موالى

مرسى إلى الكوس معا و العقربيان شيت أن تطرح هناك فاقرب

تجرى بها فى مطلع السهيلمن زنجبار افهم لتاويلي

إن شيت اطرح أو فسر بالأزيبان كان ما لك عندها من أرب

(المجارى من جزيره المشوى إلى جزر سندا)

و أطلق كذا فى مطلع السهيلجزيره الكافر و لو بالليل

زامين بالمولم، طريق ظاهر من الوسخ يمين و المياسر

بالصحو تنظرها زنجبار من الدقل فالزم المجارى

إن شيت نهج البحر بالسواء خذ الحمارين لذا المجراء

زامين بالمولم لرأس الفيلمن عند هذى الجزر بالدليل

و اسمهم سندا و هم خمسو فى الجنوب منهم ترسو

و اسمهم سندا فبالزنجيهان شيتهم خذن للوصيه

من شعب تأتيهم جنوبيهمجزيره الكافر تسمى منهم

إن لم تردها فى المراح خلها أما المجرىء لا بد ان تدخلها

و اسمها عند العرب موصوفهجزيره الكافر و هى معروفه

فيها السنايق مديم دائميأتوا من المل لها كن عالم

لأنها على قريب الملو الأصل هى من دونهم يا خلى

منها لرأس الفيل فى الحمارو رأس ذاك الفيل يا سفارى

صخر على السيف يا ولى المطرد من الشمال حط فيه و أرقد

(المجارى من جزر سندا إلى جزيره الشرقاء)

و إن تكن تطلق من سندا فى مطلع السهيل بالسواء

حتى تغيب عنك ذى الجزير هفرد فى القطب على بصيره

تأتى لرأس الفيل ثم الشعبو شعب الباب فقس و جرب

البعض تتركه على اليمينما تنتخ لمنفيه يقين

فان ترد تجعله يساركسير فى المطرف باختيارك

أين أردت اطرح الأناجرو قبله يأتيك بالأشائر

أشراك سبعة عليها الناسفى قريتين هناك عند الرأس

ص: ٥٦

رأس له غب كبير يدخل للخشب الصغار نعم المكلا

بالأزيب الغامز تدخل داخل للقريتين و هم بالساحل

أما الكبار تلقى فيها مثل الصغار بندرا يوفيهما

و هم قريب الباب بالإشاره ذكرتهم لأنهم اماره

اسم الشماليه شالى ذكرت أما الجنوبيه ملالى شهرت

منهن تنظر شعب ذاك الباب فادخل له بالأمن و الطياب

و الماء فيه خمسه أو سته أعنى الموسط استمع لنعته

أما على أطرافه رقيق بالشعب ثم الممل يا رفيق

من قبله به هنا جزيره قبل كواله تنتج صغيره

و إن تقابلها هناك فاحذرا لأن تحت ألما هناك حجرا

احذر منه قبله الماء يقلع مبيضا و لا خفاء

و بعده يا خى كواله تأتى و الكل فى اليسار خذ وصاتى

و بعدها جزيره الشرقاء هى عنهم فى القطب بالسواء

و اسمها الزنجى أيكوه جونده هذا كلام لخبير أسنده

من رأس ذا المطرد لذى الجزيره مسير زام كن به خبيرا

(المجارى من الشرقاء إلى منفيه)

و أجر منها يا أخى لمنفيهمطلع حمارين و طريق ثانيه

تأتى على العقرب فى الأصلفاعمل بهذا أو بذا يا خلى

لأن فى أوساط ذى الطريقأرقاق تعرفها على التحقيق

و من جرى فى التير و الجوزاء أطلق من جزيره الشرقاء

يضرب جزر البحر خذ من قيلياسمهم قيل مشنجوا بلى
مع و املول و هى الشمالها ما الجنوبيه بعيد فاميه
تسمى فلولوا، شجر عيولو بينهم طريق فيها سولى
بنادر بكل ربح طوبيرا هم من منفيه من جربا
جزيره الشرقاء بريها تريمنيه فاعلم بذا و حررا
كمثل ما قيس و هندرابيو هم على بر كذا يا صاحبي
إن كنت فى البحر الكبير بارزاو اسجى عليك الليل كن مجاوزا
عند فوات منفيه اطرح فيهمو اتك يا صاح هنا عليهم
و أجر فى السهيل منهن إليمنيه وقيت أشرار البلا
أما هنا ديره بر الملفى القطب و المحنث يا خلى
لكنها أوساخها كثيره فمل على السهيل يا خيرا
قبل وصولك منفيه تلقى بهاظهره بشعب و هى لا تسبها
فميل عنها يمنه أو يسرهمنا إلى الماشيه القطب المجرى
لمنيه نعم بها جزيره مختصره مثلته معموره
(قياس الفرقدين و قياس النعش فى منفيه)
يغيب فيها الفرقدان حقا فالنعش اثنا عشر فيها صدقا
قد كذب الزوج فيما قالوا بأنه أزيد و ذا محال
و الفرقد الكبير إصبعينو نصف قد جريته بالعين
أما الصغير يا أخى ثلاثهو نصف من لا قاسه قد فاته
ما حاجه او صف هذا المستقلما غير هذا فى الفراقد محتمل

إذا استقلين الحماران عليقطب الجنوب قسمها يا رجلا

فاق رماك الله يا رباني في الشرق للبحر آخر الزمان

و أنت من بر الهند طالقو جر ك الماء و لم يوافق

خذ القياسات المصححاتو قس على ما قلت في وصاتي

ص: ٥٨

(المجاری من منفيه إلى جزيرة الحنش)

و إن أردت كلوه الملو كمن منفيه فعندك السلوك
في القطب و المحنث فتلقى الشعبو ظهره صغيره بالقرب
و اسمها عند الزوج مانجيو شعبها إلى السهيل ملتجى
حتى تصير مقارب الجزيرها عنى بكلوه يا فتى مشهوره
أما جنوبى كلوه هسواندوالكل عنك فى اليسار يبدو
بينهم طريق للمسافرو إن تخلفهم تر الجزائر
أولى و قوله ولها شاميهاشعب طويل منجذب إليها
فيه الظهار أيها الربانيشابه المطرد يا إنسان
و هى جزيره يا أخى مدوره فيها الشجر أدغال بالعين انظره
ساحلها ابيض يرون منها منفيه فخذ وصاتى عنها
و قبل تأتيها ترى جزيره فيها الشجر عاليه كبيره
غالقه لشعب ذى الأوليفالكل دعه فى اليسار و اعزله
و اسم الجنوبيه كلوه تونيو المل هناك ليس بالمأمون
فى الغلق يجرون لذى الجزائر من منفيه ان بها المعابر
لشنج شنجوه و هى يمينا اسمع لشرحى و افهم التقمينا
و بعد يجرون بظهر الشعبجرى السنايق بريح الجنب
و كل هذا مطردك يسار كفاطرح إذا شيت باختيارك
فيه مفارض تلتقى الأمواجبها و بعض و أنت فيها لاج
كمثل هذا المطرد الذى انقضيه حيز الشرقا شماليك مضى

و اعلم إذا خلفت شنج شنجوهعلى يمينك فاعترض لتنجو

و أقرب لتطرح فى جزيره الحنشان شيت بالسحر أسر منها أو غلس

لأنها آخر ذى الجزائرمن الجنوب كن بها خابر

و قبل شنج شنجوه تلفيالى هنا امریه لم نعرف

أقلها ياتى عليه الماءثلاثه أبواع بلا مرء

و لم يكن تعدم هناك الأمریهحتى ترى جبال كلوه صافیه

و شنج شنجو فوقها عروقاحذر منها و هى فى الطريق

جزيره الحنشان فى جنوبهاشعب بظهره مال فى غربها

و احذر حوالیهن فى الظلامو جود المجرى و كن همام

(المجارى من جزيره الحنش إلى كلوه الملوک)

فأطلق لكلوه من الجزيرهجزيره هى بالحنش شهيره

فى القطب و المحنث بلا محالحتى تقابل جبل الشمال

ترى بعينيك شمال الشعبو شعب كلوه لك بالقرب

فجاره حتى تفول عنهو ادخل بنهج البحر تسلم سنه

و من هناك جزيره الحنشانزامن فى المحنث يا ربانى

فان تجار الشعب فى اليمينحتى يدور كن به فطين

فاقبل هناك فى مغيب التير لاتدخل غربى كلوه مجهلا

حتى تفول بناحیه و هى تجعلى يسارك و تفز بالفرج

و تنشر الأعلام بالسلامو كلوه الملوک من امام

فمن هناك من البيوت كلهابيوت كلوه الملوک خلها

بصدر مركبك و أنت تنظرو الناس ينظرون حول البندر

هنيت منها ذاك خير السفرو بالمنى قبل النصار الأحمر

(قياس الفرقدين و النعش و الحمامين فى كلوه الملوك و منفيه)

أما القياس فعليها الفرقدهو إصبغان قيس علم واكد

ص: ٥٩

و الأعرج هناك ذاك الحينا ثمانية فكن بها فطينا
و النعش أحد عشر و نصف وافى إن جئت للباحه فذاك كافي

أما على منفيه بالفرقد على الصغير فبقولي اهتد
عند اعتدال الحمارين يرى أربعه و نصف قد تحررا

أما قياس النعش اثنا عشر ايزيد فيها نفس فخبرا

(الملاحه الشاطئيه و الملاحه فى الباحه مقابل سفاله) (قياس النعش، المجارى، موسم السفر، نهايه الأرض) (البلدان المجاوره
لسفاله) (ديره البر من كلوه الملوك إلى وميزى و مليونى و سفاله)

و إن ترد من كلوه سفالهفديره البر بلا محاله

نعش أحد عشر و هى وميزيفى قطب سهيل يا عزيزى

و هى جزيره أهلها إسلام بمطلع السهيل تجرى الأنام

كذا إلى سبعة فى سهيلأعنى الشنجاجى بالدليل

و أهلها إسلام تحت الكفريو فوقها شعب طويل يندرى

منها على القطب مليونى يريلمعدن اللجين ثم العنبر

فيها النعوش ثمانية صحيحا أوضحته لك يا فتى توضيحا

لكن قياسها نفيس زائدافهم عنى هذه القواعد

منها سفاله مغيب العقريميل إلى الإكليل كن مهذب

(المجارى من وميزى إلى خليج كوامه و سفاله)

لكن إذا أطلقت ذى الجزيرهاغزر عن البر و عن ذى الديره

مقدار يوم أربعه أزوامفى القطب و السهيل خذ كلامى

ثم اقصد العقرب و الإكليلترق بالليل بذا الدليل

يومين أو ثلاثه بالمعتدى المركب الماشى الذى يعدى
و تلتقى فى ذى الطريق الماء ينقص قرب البر بلا مرء
و عند ما تنتخ ذاك البرعلى كوامه شعب هاك الخبير
دعه يمينا ينقضى بحالهو جار للبر و خذ سؤاله
حتى تجى يا صاح سولناتو ذاك شعب فوق سوفلات
و كلهم رمال يا ربانما فيهم طين و لا شعبان
دعه يمينا ينقضى يا صاحو اعمد لذاك الباب بالأفراح
و ادخل إلى البلاد قرب البابتظرها بالعين بالصواب
و الماء يبيض هنا بالبلد لحد شرق البر خذ من رشدى
إن شيت فى البر تطرح فاطرحو الأرض عينا حط فيها و أفرح
لكن تخاف الموج فى الظهور فإنها مكشوفه خذ شورى
ترميك فى كوامه الكفار لأجل هذا فاعرف الأسفار
و إن تكن ضروره حط بها إلى الصباح ثم كن متبها
لأن أكثر ريحها جنوبيو ألما يشاهر فيه يا حيبى
أما بقرب البر يا ربانما يسقى و يكبر افهم البيانا
و سقيها يرميك فى الجنوب إلى المغيب عند ذى التجريب
و ماؤها يشبه ما كمبايه فافهم الدخول بذى الحكايه
فادخلها عند امتلا الماء مايه كمبايه بالسواء
و أحسن المنتخ نعش خمسهو نصف خوف العقربى الوحشه
و إن تكن تنتخ نعوش سبعه لحد تسعه افهم لوصفه

علامه الشعب على كوامهفالبير يا خى يرتفع قدامه

أما بقرب سفاله هو هابطفاجر لها و لا تكون غالط

إلى سفاله و الإشارات بهاو لم تكن بغيرها فى قربها

يجيك نارجيل بالامار هو فوقها اكداف بالاشاره

ص: ٦٠

ترى هناك الباب عند العريه عليه باعان بغير مريه

تدخلها عند امتلا الماء مايه كمبايه بالسواء

هنا إشارات من الأخشاب للخور ممن يطلب الثواب

(ديره المريكب من كلوه إلى خليج كوامه و سفاله بموازاه الشاطئ)

و أنت من كلوه لذا المكانان شيت جار البر يا ربانى

إن كنت فى مريكب صغير تذلل الأخوار بالتدبير

لأجل خوف هذه الطريقمن اختلاف الريح يا رفيقى

ترتفع للبحر يا ربانىو بعدهم تنتخ على كلوانى

من حد كلوانى إلى كوامهنعوش سبعة منتخ الكرامه

و من مليونى إلى مناتخبالصحو تلقى فيه طودا شامخ

و لا ترى فى هذه الطريقجبل لها يعرف بالتحقيق

الا بمجراك مغيب العقربفان دركت الخور بالليل أقرب

و حط للصباح تلقى البابو حولها أشاير أخشاب

يأتىك سماكون ذى الطرفتدخل سفاله بذافاعترف

تلقى هناك الأعرجين فيهاثلاثه منعدله عليها

و أنجم الهيراب حقا ستهعند قياس الأصل خذ نعته

(مواسم السفر من كلوه إلى سفاله)

و خير ما تطلق يا حى السفرمن كلوه لها اسمع الخبر

من أول النيروز للخمسيناو غيرها فى موسم العشرينا

(مواسم السفر من سفاله إلى كلوه)

أما إذا خرجت من سفالهمائه و سبعين بلا محاله
و قبلها و بعدها كن عالميكون هذا أحسن المواسم
من قبلها يمينك فتور الكوسو بعدها يصلب بتلك الروس
و ترتفع لهم من المطالعيهم بر ظلوم طامع
في قرب مائتين يا ربانيو يكثر الموج بذي الأزمان
بل إن في السبعين بعد المائههو موسم واحد خذ الهدايه
تجرى على السماك و الثريا مرتفعا في البحر يا خيا
مثل عدن لخوريا ديما نيا عرف لشرط البحر يا رباني
حتى إذا ما جاوزوا ثمانيهو نصف شيعوا لبر العافيه
انتخ ملبيونى و ما يليهاو لا هناك مركب يعديها
و قبل تكشفها ترى جبلينأحمر و أبيض تره بالعين
يهدى بهذين على المنادخمنتخ ملبيونى بعلم باذخ
و يهتدى إلى مسنيجى هنا بها، إليهم راحه من العنا
مقدار شهر زاد أو قصر اصار سفرهم شعوبا و وري
كمثل قلهاات إلى البواطنللخور إلى جرون كن فاطن
و ليس يغلق من هناك البحر لنحو كلوه افهمن الشعر
و هى عليها نعشنا ينقاسسبعه و نصفا عند كل الناس
(الملاحه فى الباحه الكبرى من كلوه إلى سفاله)
و إن ترد من كلوه الطريقفى الباحه الكبرى على التحقيق
أجر على المغيب و السهيا لعنى المطالع افهم الدليل

إلى مليونى بعيدا مغزراو رد فى العقرب فهو المجرى

إلى سفاله و هناك ستهبها النعوش افهمن نعته

حذرك ان تضيق القياستخطى و تنساک جميع الناس

عن خمسه و نصف أقصى المنتخوفا من الريح الجنوبي يا أخی

(كفره خور كومه [كوامه] و ملكهم)

أما مليونى فقد قابلها فى الدير خور مومه [كوامه] و أهلها

ص: ٦١

إسلام، أما سبعة فكفرة خور كوامه قلت ذا بمخبره
و ذاك خور قاصى و أهله من ارض نيل مصر هاك فصله
فأهل ما بين السفاله و ما بين كجلوه كافرون ظلما
تسمى منى باسم و هو منى بتور ملك عظيم يا له من كافر
و عنده معدن كالسفالى لأنه من شرقه يوالى
تاليهم كبيرهم، منه ترى مملكه الكفار له تعزى
يملك من الأخوار لزنجبار فى البر و البحر باختيار
و عنده معادن النضار لأنها فى بلد الكفار
مع هؤلاء المكليين السفالى و معدن النوبه لهم يوالى
يتصل بعضهم ببعض و بينهم بحر و حد ارض
راخى على البحر من المغارب خبرنى عنهم ذوو التجارب
مسير يا خى سبعة أيام يجون بالشاشات يا همامى
و ينظرون لبلوغ الكفرة فى بحر الغرب فذا بمخبره
يأتون قال يحفرون النحاس تقاوما لفضه ذى الأنجاس
من طرف الافرنج و المغارب افهم كلامى و اعتبر يا صاحبى
أما شماليهم جزر للبر هى بالمغرب يا هماما شهر
أما سفاله لمنى مناوى و رسم تخت ملك زباوى
مسير شهر عن سفاله مغرب يميل للشمال عن مجرب
يحكمها لآخر الدنيا ما فى الجنوب غيرهم أكفاء
إلا الهمج أو جزر خراب جنوبى الواحات فى الحساب

ما فى سودانك و المغاربه انقل ذا عن خابر قد جربه

(الديره من خور كوامه إلى جزيره وازه)

و ارجع لوصف ذاك الأوللنمش سبعة فى كوامه أعقل

عاليها شعب لنحو المشرقفاحذر من نتخته و حقق

لكنه رمل بمجرى التيرحتى تراه ظاهرا خذ خبرى

و هو مقابل يا فتى ستاوهاهماج كفره افهم التلاوه

سته سفاله و خمس تسميجزائر ستوه فخذ علما

أما نعوش اربعة منارهو منهم للقمر هي مقاره

و نصف ما فيه وسخ و جزرعينت لك جميع ذا بخبر

أما سفاله بندر النصارىحكمها الكلوى فلا تمار

أعنى لك الساحل يا سائللمعدن النصار خذ دلائلى

و فوقهم يا خى لذاك المعدنطريق شهر زائد فأتقن

على جنوبى يا أخى سفالهمسير يومين بلا محالا

بندر بكل ربح فيها يلتقيو النمش عن خمسه و نصف ضيق

و بعدها تلقى على الجنوبنعوش خمسه عن ذوى التجريب

بلاد مليونى [مليونى] تسمى بعدها بعد مليونى فهاك عدها

و بعدها تأتيك ملا بتى و هيقد قيل برمولى يشته

فيها النعوش أربعة نفاسهذا الذى قد ذكروه الناس

و بعدها على الجنوب تأتيجزر سدبوه و هم ثلاث

إحداهم يا صاحبى وشيكاو العاج و العنبر فيها يدركا

بها قياس الجون و العناقأعنى قياس النعش يا رفاقى

ثلاثه مجربه محررهممن رآها من أهيل الخبره

ما بعدهم سوى جزيره وازهو لا جنوبيها أحد قد جازا

ص: ٦٢

أرقاق أوساخ مع جبال يعلمها ربي ذو الجلال

بها النعوش يا أخي بلا غلط هن إصبعان من بعدها إذا سقط

(البلدان و الشعوب بجوار سفاله)

هذا الذى نعرفه يا صاحيو البر هنا يدور فى المغرب

حتى تصل لساحل الواحاتغربى التكاذه هناك ياتى

أعنى لواحات ذوى السودانو غيرها فى ذلك المكان

و بينه و معدن السفالمفازه قيل بها اوحال

مدخلها للبحر من المغاربقد صح هذا عن ذوى التجارب

أقوامها محمره الألوانمن شده البرد هنا يا اخوانى

إلى جبال نيل مصر فيهميميل للشرق فخذ وصفهم

لأن ما هم ينقسم أقسامفالنيل منها جاذب للشام

فيه انقطاعات و لم يحصها إلا اله خالق باريتها

و الثانى الغربى على الكفاراأهماج فى سفاله البرارى

ما بينهم يا أخى سوداناالخالى الموحل يا ربان

و الثالث الشرقى على كوامهميميل للسهيل بالعلامه

فهذه معادن النضارما بين ذى سفاله الأنهار

لأن سكان برها لواحدو بينهم خبت شديد كائد

كثيره الأهماج و السباعو الفيل ألف و بغير راعى

هى ثلثا الدنيا و كل الخلقشمالها و الغرب ثم الشرق

بان يقال الخلق ثلث واحدو قس بهذا البعض و الزوائد

و ليس فيها جاده لمن سلكالا شجر مختلط و مشتبك

أما على الساحل يجرى الجاريو الغرب و الشمال و البرارى

لم ينقطع سايرها المقاربو صح عنهم انهم يا صاحب

يأتون بالزنجفر و النحاسلكفره سفاله النحاس

لمن يواليهم من النصار أيضا من الفضه خذ اختبارى

و لا كذا معدن فى الدير إلا من المغرب و كل يدرى

و لا جنوبيهم سوى جزائر فى البحر مجهوله بلا أشاير

يسكنها الرخ لأن فيها أشتات أفيال و هو يرقبها

يطير بالفيل إلى الجزائر من بر ذاك المل خذ أشايرى

و هن يسمين بعلم واكد جزر السعادات خذ القواعد

من شاطئ الجنوب هم قرايو الخالدات افهم الصوابا

يعرفهم كل خبير ماهرهم أول الأطواح خذ الأشائر

عن أهل تلك الجزر يا ربانيكفى بهذا العلم فى زمانى

بقربهم للشام خذ من خبريقوم قصار كذراع المصرى

و البعض منهم يا همام ياويحقا إلى ملك منى مناوى

و معدن التبر خذ النميرافوق سفاله اسمه وديجرا

و عندها يا صاحبى تنتخاو آخر المدن تسمى سيخا

و هى من المعدن سيرا شهرالغرب و الشمال فيها الفرا

أهماج عريانون فى البرورلا يعرفون لغه التكرور

و بينهم ماء غليظ موحليرونهم بالعين رؤيا تنجلى

و ينظروا المراكب بالساحلقلوعهم فى بحرهم دواخل
و ينظرون النار و الدخاناحشى الذى قد عاين المكانا
و بين ذاك الوحل ماء حالمن نيل مصر افهم المقال
يخالط البحر من المغاربهذا الذى حكى ذوو التجارب

ص: ٦٣

لم اعتبر الا بعلم واكد يسنده الطالب للمعاود

(الملاحه بين ساحل إفريقيا الشرقية و بين القمر و الجزر) (قياس النعش، مواسم السفر، المجارى) (موقع القمر و الجزائر)

أما من السفال للسواحل فليس شريقيهم بخاف واغل

فى البحر إلا القمر و الجزائر ما بينه و المول بالأشائر

أشهرهم أنجزيجا يا صاحفى غرب كل الجزر بالايضاح

بها النعوش أحد عشر و ربعجزيره عظيمه فاستمع

منها إلى القمر على المشارق لأى صوب شيت خذ من صادق

قبلتهم و القمر فى الفراق دو مغرب النعوش خذ بالواكد

و آخر القمر من الجنوب قبلته القطب بلا تكذيب

مع السفاله و من الأخوار و مغرب الفرقد باختبار

إلى حدود الجب و أرض المقدشو من هنا يميل لغرب النعش

(قياس النعش فى القمر و جزره)

و خذ قياسات على الجزائر ما كان عند الناس منها ظاهر

ثم مطالقها على السواحل ما أنا من يخفى العلوم يا خلى

فخذ قياس دمونى أحد عشر اعشرين زاما عن وميزى غزرا

و من كتاوه فى سهيل المجرى إلى دمونى و تنال الجزرا

و فيهم المنى و بيع و شراً ما دمونى عن ديوى بحرا

و فى دمونى عشره و نصفاسمع كلامى لا تمل و صفى

و قس بسعده عشره بالعادهى شرقى الكل خذ الإفاده

لأنها من جزر بر القمر يرونها منها فخذ من خبرى

وقس على النعش فى لنجانيتسه و هى مغزره يا اخوانى
عن ساحل الأخوار من الأزوامنيف و ثلاثين فخذ كلامى
هذه خمس جزائر قد شهرت فيها المبيع و الشرا قد عمرت
أما الخراب فيهم خرابما حاجه أطول الكتاب
حتى يغيب النعش يا سائلينقطع القمر فخذ دلائلى
و آخر القمر من السهيلصح اسمه فقسه يا خليلى
وقس شماليه نعوش اثنى عشراشرين زاما من جزيره منوره
لكنها فى الشرق يا ربانياًبحر من تيرى رجا يا اخوانى
(المجارى من الجزر إلى بر المل)
و مطلق الجزر لبر المثلثاته أيام فى الأقل
فشى منها يقرب للساحلبحايه القلعين يجرى الداخل
و شىء بريح الكوس لم تمسكها إلا من الأخوار قد تملكها
لكنما المعبر بالشوارمثل سقطره كن بهذا دارى
فمن كتاوه هى لرأس الملحفى التير يا ربان هاك نصحى
و إن تكن تطلق إلى دمونيمن منبسه فاعرف بذى النعوت
مطلع حمارين. فزنجبارمنها إلى دمونى المجارى
فى مطلع القلب فاما الكلوبيجرى لها فى التير خذ و أرو
أما السفالى هو و الأخواريقليل يأتون فلا تمار
إن سافروا فللجنوبياتو البعض منهم فى السنين ياتى
و شرقى القمر هنا جزائرقد قال لى عنها حكيم خابر

لأن هذى الجزر تنجر إلنحو السماك و هو فى الشرق إلى

براوه و الجب مع كتاوهو منبسه فافهم التلاوه

و يحسبون يا فتى زرينامن هذه الجزر فكن فطينا

فانى ممن يصدق ذا الخبر لأننى فى الزنج لم الق اثر

ص: ٦٤

لموجه الصليب يا حميدا و الواجب أن هاهنا تزيدا
و كونهم عن بعضهم ببعض متفرقات افهمن وعظى
يراهم السفرى إذا ما أغزرا خوفا من الكوس يريد الخضرا
و نادر السنين فى الأسفار و بعضهم ينتخ زنجبار
من ظهرها لا جانب المغارب فكن بشرحى عاملا أو جارب
شرحته يا صاحبى و العهده على الذى رواه لى و عده
(مواسم السفر بين السواحل و الجزر)

و موسم السواحل للقمر و جزره ثم السفال فادر
من أول النيروز للسبعيناو أهل كلوه موسم التسعينا
أما لها عشرون فى النيروزذكرته من قبل يا عزيزى
و لا لسوفاله إلا موسمواحد، لا غير، فحكم و احكم
أما إلى الأخوار ثم القمر موسم نفيس عن اهيل الخبر
فى العام مرتين أو ثلاثان كان قصدك انجزيجا ياتى
أحسنهم مائه فى النيروزللجاي و الغادى يا عزيزى
لكن بالشوار لا بالغامزفاعبر إليها كى تكون فائز
و الموسم الزايد فى الديرمانيتأتى و لا تروح يا ربانى
فخروج أهل القمر للسواحل بموسمين اعترف يا سائلى
ذكرت ما خلقت منها مجريان جزت فى عمر ك هذا البحر
تلقى بها قولى و صحه فعلياأنه علم كبير عقلى

(الخاتمه)

(علم السفاليه)

ثم تأمله بذى السفاليهتهديك فى الجنوب خذ مقاليا

لا غيرها فى هذه الطريقأعم منها علم بالتحقيق

(عدد أبيات السفاليه)

هى سبع مائه، بيت يزيد عنهاعن أحمد السعدى احفظنها

و ادع لى فى الموت و الحياهمن الإله غافر الزلات

عرفتها حتى بقى ربانهايسالنى عنها و عن شعبانها

لا شك أن من يرى بالعينتركن اليه الناس باليقين

قد ركنوالى و النبى الهاديو اتركوا من عاين البلاد

كفى بذا فى جوده السؤالتصورت فى الجلسه بالكمال

شعبانها و البر و القياساو الريح و الموسم ثم الناسا

ثم المطارح و دخول الجزرحقت بالتدقيق اسمع شورى

و اعبر لها بالحزم و الصلاهعلى النبى و اتخذ وصاتى

صلى الإله فى صباح و سحرعلى النبى المصطفى خير البشر

ما دارت نعوش بالأقطابو اهتدت الزنوج بالسحاب

الأرجوزه الثالثه:

السبعيه:

هذه الأرجوزه المسماه السبعيه لأن فيها سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسه و الإشارات، المستحسنه. قائلها المعلم الشهير، حاج الحرمين الشريفين، شهاب الدين، احمد بن ماجد بن محمد بن عمر السعدى. غفر الله له و للمسلمين أجمعين آمين.

السبعيه بسم الله الرحمن الرحيم

(مطلع الأرجوزه)

ص: ٦٥

(وصيه ابن ماجد بشأن الشحنة و الموسم)

فأولا أوصيك خذ وصاتيتسلم من الضيعه و الآفات

لا تشحن المركب إلا العادهو جود الموسم، خذ الإفاده

أولا - (السفر من بر الهند إلى الحجاز أى إلى بندر جدّه) (موسم السفر من بر الهند)

و خير ما تطلق بر الهندفى مائه النيروز لا تعد

خصوص من ارض مليباراتلأنها كثيره الزلات

فكل من يركب فى السفينهيعرف ما ذكرته فى حينه

لكنه يعجز عن تأويلهو العبد قد حكم فى دليه

(المرحله الأولى: السفر من ارض كالكوت إلى جزيره كفينى من جزر الفال)

و إن طلقت ارض كالكوتو قصدك الحجاز بثوت

اجر على اسم الله فى الجوزاءثنى عشر زاما بلا مرء

حتى ترى فى صدرها كفينيفخلها عنك على اليمين

و احرص على مجراك بالصوابوليه(1) و انشر علمك فى الباب

قد فلت فى الجواش فشت كوريو إن يكن شوار مل للتير

من نحو كفينى لأن الماءيجر تحت النعش بالسواء

(وصف جزيره كفينى من الفال)

فمن صفاتها أنها جزيرهمنقسمه فى البحر و كبيره

يكسر عليها الموج، من بعيدتنظرها بالعين يا سعيدى

و قيل إن نصفها الجاهييسمى بامينى فكن زاهاى

و اتصلت يا صاح فى ذا العصورو بينهم خور يجى بالصدر

و نخبها و الناس و البنادرعلى جنوبيها فكن بالخابر

و عنهم فى الجاه يا خليلينحو سهيل عوان نارجيل

كان كثيرا أول الزمانو قل فى ذا العصر يا ربانى

(جزر أمينى و كورديب و سهيلى من الفال: قياس الجاه و الفرقدين فيها)

و قيل يا ربان أمينى عليجانب كورديب و قيت البلا

أما سهيلى فهى عن كفينفى الغرب ست أزوام باليقين

هذا الأصح عن نواخذ البلدو وصفها فخذة عنى بالسند

و الجاه فيهم يا أخى ثلاثهنسيم لم تلق به علائه

و الفرقدان عشره و نصفمحتكما لا بد تلقى وصفى

(جزيره تورى خراب و فشتها البحرى من الفال: قياس الجاه و فرد الشرطين و العناق فيها)

و الجاه هكذا فى توريو فشتها البحرى فكن خبيرى

تلقى بها الفرد من الشرطينخمس و نصفا صح باليقين

و مثله سادس نجوم النعشيسمى العناق نعم قيد مفشى

يعملن فى تورى و فى كفينفانتخ لها فأنت ذو تمكين

إن ينقص الجاه إصبعا فالناطحينقص إصبع ثم نصفا واضح

أما العناق لم يزل مقيداخمسا و نصفا لم يخالف ابدا

(البارى بين تورى خراب و ملكى من الفال: قياس شامى الشامى و الكاسر، و النعش و الشرطين فيه)

أما إذا كنت فى ذا البارىما بينها و ملكى كن دارى

خمسا و نصفا قس لشامى الشاميمع كاسر فى الشرق يا همامى

أو كان فى الشرطين قيدك فاسمعفالنعش عندى إصبع يا صبع

أو قستهم فى حسبه كن معتلمفى كل رأس نصف بل فىه النسبم

(المرحلة الثانية: السفر من جزيرة كفىنى من جزر الفال إلى رأس جردفون و آخر البنادر)

و إن يكن فالك ترى الأماكانفكن إلى مجرى الثرىا راكنا

حتى ترى السهیل ثم المعقلاخمسا و ربعا یا خلیلى فاعقلال.

ص: ٦٦

١- و یلیه: اتبعه، فعل الأمر ولى یلى: تبع من غیر فصل.

ثم ترى الظليم و السهيدا أربع و فيهم نفس، قليلا
و الجاه لا شك يصير اربعة نفيس، خذ مجرى المغيب و اتبعه
لجردفون، و آخر البنادر فى الجاه و النعش فلا تحاذر
(المرحله الثالثه: السفر من جردفون و البنادر إلى عدن):

ص: ٦٧

لأن هذا البحر لم يحمل فاعرف أين الميل وقيت البلا

أما مناتحك بريح الأزيب من جاه تسع مل و فى النعش أقرب

و أجر فى الفرقد ثم القطب حذار: جر الماء ليلا يصيب

و مل على اليمين مثل الناس و رتب الأوقات و القياس

ثانيا - (قياسات الكواكب فى بحر القلزم من سيان إلى جدّه) (قياس المربع التحتانى و المربعين الأوسطين و الحمارين فى سيان)

أما المربع فهو فى سيانثمان إلا ربع بالعيان

أعنى لك النجم القريب الماء فى مستقل زاويه العواء

و الأوسطان قياسهن تسعه عند السماك بعد ذا خذ نفعه

أما الحماران فثلثا ينقصان تسعه، فى الطير يختصان

(قياس المربع التحتانى و الجاه فوق هديفه و بأقل)

و ينقص اصبيح يا فتى يا صبغى كل بر يا فتى فاستمع

و اعلم، يفى المربع التحتانى الجاه يكفى، يتساويان

بجاه سبع ثم ربع زائد كلاهما فى خشبه تواعد

فوق هديفه يا أخى و بأقليس المكان ذاك عند العاقل

هناك عدّه من الجزائر بما يلى الباحه بالأشائر

ما للمجاوز بينهم طريقكم مركب غار بذا المضيق [المضيق]

(قياس المربع التحتانى و المربعين الأوسطين و الحمارين فى جزر فرسان)

و رحمه الله على فرسانما قط فيها مخطر مكان

عند الذى يعرفها أو زارها و خاض فيها و استقى من مائها

الجاء فيها سبعة و نصفنجم المربع سبعة خذ وصفى

اما المربعان فالأوسطانثمانيه و نصف بالتمكين

قس الحمارين بها ثمانيهنفيسه، تلقاهما بالعافيه

فخذ بهذا، الكل بالتدريجا اجه لكثره التاريخ

(قياس المربع التحتانى فى الخبت، كدمل، الفصيليات، ذو ريش، الصبايا، شيكا، ذو شجيج، جزر الدانق، الأربع الظهار، خريق سمار، ذو حريف، خميس)

و الخبت إن قابلت فالمربعانقصه عن سبعة ربع إصبع

على كدمل و الفصيلياتست و نصف فاتخذ وصاتى

فهو على ذو ريش و الصباياست و ربع افهم الوصايا

و فوق شيكا ثم ذو شجيجترى المربع سته صحيح

و فوق جزر الدانق المشهورسته إلا ثلث بالتحريير

و تلقه فى الأربع الظهارخمسا و نصفا، و خريق سمار

خمس و ربع فاتك بالشماللبر لم تلق سوى الجبال

و ذو الحريف مقابل لعيرياشرفا و غربا يا فتى مجريا

أما خميس، فترى مربعيخمسا بحكم افهم النظم و ع

و الجاه فى خميس دون العشرهثمن إصبع يا بنى محرره

(قياس المربع التحتانى فى الرحل و العوالى فى بحر الحجاز)

إن قياسات الحجاز جمعهاضيقه و لا يليق شرحها

فان رأيت عندك المربعاننقص عن خمسه ربعا فاسرعا

و اجعل الجوش على اليمينان كان بالأزيب يا فطينى

و إن تكن ريحك ريحا مشملهاتك على البر بها لا تهمله

قد صرت بالرحل و العواليفى غايه الأمان و الآمال

(قياس المربع التحتانى مقابل البكار فى بحر الحجاز)

قس المربع أربعا و نصفامقابل البكار غير مخفى

حذار، لا تنقصه بالأزييعن ذا، فتخطى بندرك و تتعب

(قياس المربع التحتانى مقابل جده فى بحر الحجاز)

و إن يكن اربعه و ربعأنت على جده فهالك نفعا

هذا مخور ندخه الشمالفاندخ على جده و لا تبال

ص: ٦٨

إن كان فى صحو و فى غبار لم تخطها قط فخذ أشوارى

تحط يا ربان بالسلامه و تدخل المركب فى أعلامه

(قياس المربع التحتانى فى شعب البوم فى بحر الحجاز)

فان أتى معك المربع أربعهد من شعب البوم فاحذر مقطعه

جود قياسك فترى شاهدازاويه العوا و لا تحدا

عن مستفيد يهتدى بنظمياني قد نظمته بعلمى

من بعد تجريبى على البرينالهند مع ذا البر يا فطينى

(قياسات الحمامين و نجوم المربع أفضل القياسات المدرجه)

خير القياسات المدرجاتعلى الحمامين و المربعات

لأنها تقوم فوق القطبو ليس فيها خلل و كذب

و عيبها إهمال ضبط الأصلو عد من يجهل قدر الكل

و لا تجد فى هذه الطريقمن حد سيبان على التحقيق

أجود من هذى القياسات يريان عابها فى الناس شخص فشرا

و ليس فى ذا فظنه و معرفتهنقلها أجداده عن سلفه

ما هو إلا صنم ملقنلم يفتكك إلا قليلا أو جن

هذى القياسات على المقابلهتزيد فى التكيه فدع عنك البله

ربع إصبع أو نصف بالشوارفى كشفك البر فخذ أشوارى

ثالثا - (أخطار الملاحه بين جزر الفال و بر الهند) (الانحراف عن المجرى بين جزر الفال و بر الهند)

و غير ذا فى هذه الطريقخط حكما جاءت على التحقيق

إذا قلعتك الريح بين الفالو بين بر الهند خذ مقالى

و لا تخالف رأى من جربها معاود بالحزم قد هذبها
أقبل تحت الجاه و الفراقدو البار أيضا لا تكون راقد
لا تكثر الميل على سهيلخاير و عجل بيس ذاك الميل
و دم على صبرك و المطالبهالأن هذا موضع المقابله
إذ ليس فيها موجه تخشاها لأن بر الجزر قد علاها
(الاعتماد على الجاه لتحاشي ثلاثه أخطار)
لا تسقط الجاه بطن الفالغن ثلاثه لتبلغ الآمال
لأنها ضيقه المسالكو ربما تدعو إلى المهالك
لو لم يكن إلا إذا الفلك سقطو رد للكاتكورى فقط
و الثانيه تكثر عليك الجزرفى سافل عند الفوال فادر
و ربما صادفتها بالليلو راكب البحر ضعيف الحيل
و الثالثه إن صلبت أرياحبعد الفوال فاتك الصلاح
و غيب الجاه و وافاك المطرو الزحن و الإتلاف من طول السفر
و غلق الموسم و أنت مغزرو قام ريح الغرب ثم أدبر
و دارت الأمواج بالدبورو صار كل بندر عسير
و أنت فى وهم من القياسأو مغزر بريح أكواس
(الاعتماد على قياسات ابن ماجد المجره)

فخذ قياساتى التى هذبتها بالسعى و التكرار قد جربتها
إن كان ذا فى الغلق أو فى الموسمفاسمع إشاراتى و قسها و اغنم
و إن تكن من زنج أو سومالأو هند أو هرموز خذ مقالى

من جاه إصبع لجاه خمسفلها جربتها بنفسى

و فارس البحار فى ذى الصنعهيقيس لجاه اثنتى عشر معه

رابعاً - (الاعزار و الارقاق فى بحر العرب (حوضه المحيط الهندى الغربيه) (شروط المغرز و المرق)

فاسمع شروط المغرز المرقهى كيميا المعالمة بالصدق

نسيم عاده محتكم و ضيقخذ هذه الشروط حتى ترتقى

ص: ٦٩

لأنها إصبع رأى العين لم تحمل الأوهام يا فطيني

و لا نفس معلق فى خشبه فلا يصح عند من جربه

لأن سير الشعريين سريع أسرع من ذا الواقع اللموع

قد كنت أفعله قديما فى الصبا و كثره التجريب يشى عجا

بل قيد الذراع دوما أربعة فى غربه و النسر وافى مطلع

(الاعزاز ثلاثين زاما عن السيف فى السومال فى عرض "جاه إصبع"، بدلاله قياس الشعري و النسر الواقع و الفرقدين)

و إن ترى الشعري بجاه إصبع أربعة و النسر خمسا كن وعى

و الفرقدين فى انتصاب السنبلهتزيد عن ثمانيه فاعقله

يكون ما بينك و بين السيفالى ثلاثين اعرف التصنيف

و إن تكن فى المائه و التسعينفالكوس و الأمطار فى تمكين

أما على الخمسين فى الصحيحتكثر تصانيفك بكل ربح

و قد تكون الصبا حايا تو العقبى ياتى و لا ياتى

(الاعزاز عشرين زاما عن رأس الهر فى السومال فى عرض "جاه إصبعين" بدلاله قياس الشعري و النسر الكفيت)

و إن يكن فى الجاه إصبعينالشعري أربعة ميين

تقيد فى غربها الجمالقياس عاده ما به زوال

ترى هناك نسرك الكفيتاخمسا تزيد النصف تثبينا

فاعلم بانك مغزر عشرينابينك و بين الهر قس يقينا

و ربما ترى هناك القرعافى طيرها كالمنجى تسعى

تأتيك قبل المنجى كن خابرو تكثر القروش و الأشائر

أما العيان و الموارز لم تزلما بين ذى البرين من طول الأزل

و ينقطع فى آخر الزمانهنا المطر فى غالب الأحيان

عند المرقين فاما المغزر لجاه سبع، دائم فى المطر

و إن يكن قد زاد عن سبع فماعندك إلا الهند حتما لازما

(الاغزار خمسه عشر زاما عن حافونى فى عرض "جاه إصبعين و نصف" بدلاله قياس الغميصاء و الواقع)

و إن تقيس الجاه إصبعينو نصف إصبع يرى بالعين

ترى الغميصاء أربعا مقيدهو النسرينقص ريع عن ست بدا

فخمسه عشر أنت مغزرو المنجى لا شك فيه تبصر

خصوص بالشوار يا سائلين لم يكن كثيرا بالقلائل

و إن رأيت البعض باليقينفأنت بالكوس ترى حافونى

(الاغزار عشره أزوام عن هالوله فى السومال، فى عرض "جاه ثلاث أصابع"، بدلاله قياس النسرين الواقع و الذراع، و كثره المنجى و قلته)

و إن تكن فى الجاه يا سائلثلاثه فى المركب مقابلا

و النسرين ست و الذراع أربعمقيده فى الغرب عنك فدعه

عشره من الأزوام أنت مغزرو المنجى مثل التراب مشتهر

و يولم الريح إذا جا ليلها فاحذر لهالوله و ذا دليلها

(فوات برجردفون بدلاله قله المنجى)

إن لم تر المنجى بذا المكانيعادل الكسلان يا ربانى

فبر جردفون لم يبق معكو ليس ريع الكوس يبقى ينفعك

(مسك جزر سمحه و درزه و سقطره)

فان تر القليل بالشوارو الجاه ثلث استمع تكرارى

أقبل بجهدك لترى الصلاحواو تسلّم الأموال و الأرواحا

عسى تعلق بذى الجزائرسمحه و درزه و سقطره ظاهر

خصوص فى المائه و السبعيناجوش اليسار افهم التعيينا

أما بجوش يمين ما تبالأما لأرياح الصبا الأوالى

(أهميه دلالة المنجى)

و المنجى قيدى لذى الطرقجربته محققا بحق

ص: ٧٠

أصح عندي من قياس العرض يهديك في التنخ بهذي الأرض

أجدادنا قد عاينت أجداده في ذا المكان و به ملاذه

يصح يقصد لطلوع الشمس و غربها إذا النهار يمسي

إشاره صحيحه لا تختلف تخص هذا البر يا خي فاعترف

أما الكريك قد يرى أحيانا إلا على الساحل يا ربانا

(الاغزار خمسه أزوام عن حافوني في السومال في عرض "جاه ثلاث أصابع و نصف"، بدلاله قياس الكاسر و المرزم و الظليم)

و إن يكون الجاه في القياسنصفا مع ثلاثه نفاس

أنت بحافوني و تلقى الكاسراستا و ربع نفيس يا مسافرا

و المرزم المشهور و الظليمافي حسبه ستا فكن عليما

بان مركبك بقي في البحرخمسه أزوام فخذ من خبري

و تكثر الطيور و الأسماكو القد و القروش يا فتاك

و يصلب الكوس و يولم في السفرو ليس يخفى ذا على صاحب سفر

إن كنت أيام وسط الموسمفاحذر لهالوله يا معلمى

تدخل و ما يبقى تفل حافوني عند الصبا و الجوش باليمين

(الارقاق قرب بنه و جردفون في عرض "جاه أربع أصابع" بدلاله قياس الذراع و الكاسر و العيوق و المرزم و سهيل و الظليم)

(الارقاق بين بنه و رأس جردفون)

و إن رأيت الجاه في القياسأربعه فقد خلفت الرأس

و مثله الذراع أما الكاسرنصف على الست خذ المآثر

فأنت من بنه على البصيرهلجردفون في أعالي الديره

ما بين حافوني و رأس الشعبرأس سقطره الجنوبي الغربى

(الارفاق فى بطن بنه)

و إن تر الواقع سبعا محتكمفأنت على البر على شرع العلم

و دارت الموجه و البحر سکنفى بطن بنه للشمال فاعلمن

و خذ حذرک أول الزمانلا تحتشر أصلا بذا المكان

و تلتقى العیوق فى غروبثلاثه و نصف خذ تجربیه

و سته و نصف نجم المرزمخمس و نصف للظلم فاعلم

و كل هذه بجاه أربعهشهود نتخ خذ كلامى و أسمعہ

(نتخه جردفون فى عرض "جاه أربع أصابع و ربع)

و إن ترد نتخه جردفونجاه اربع و ربع بالتمکین

فقس على السهیل أيضا و الظلماربعة ضيقه و کن عليم

إن قستهم أربعه و ربعاقسهن ضيقا و الجدى رفعا

أو كان جاهک و الذراع أربعهو النسر ستا ثم نصفا يتبعه

و لم ترى أم الصنانى و لاترى هنا المنجى و قيت البلا

فأنت هرموزى أو مكرانيبالکوس فافهم و اعرف المكان

(الارفاق قرب جزر سمحه و درزه و سقطره فى عرض "جاه أربع أصابع و نصف "بدلاله قياس الواقع)

و إن یکن أربعه و نصفالجاه، و الواقع سبعا فارفا

باللیل لا شك إلى الجزائرما حاجه أذکرها للخابر

إذا رأیت المنجى یا خلیو لو یكون واحدا بالکل

و من یکن أسمى للرناسهلا بد فى البحر له سیاسه

(الارفاق قرب رأس مامى سقطره فى عرض "جاه خمس أصابع "بدلاله قياس النسر الواقع و الشعرى الغمیصاء)

و إن تقيس الجاه خمسا عادهو النسر سبعا فوقها زياده

ثمن، فاما الشعرى الغميصاء لا فيه تزويد و لا تنقيصا

و عندك الكريك و الطيور و الريح و الحايه اسمع الشور

كبر و همل و انشر الأعلامتهنيك رؤياك لرأس مامى

ص: ٧١

(الاغزار عن رأس مامى سقطره باتجاه هرموز و ما يليها بدلاله الواقع و الجاه و الذراع)

إن شيت هرموزا و ما يليها أو كنت عطشان فارس فيها

و إن تكن مكى أو يمانىحدك إلى نيروزك السلطانى

و إن ترى للواقع سبعةالجاه و الذراع أربعة

إن كان ريع الكوس عطفًا طفلاًفأنت عن بر العرب لا تخلا

و ربما كنت بجاه ستما بين ذى الريحين خذ من نعتى

خصوص إن عاينت بعض المنجياًبشر فأنت ظافر بالفرج

و إن رأيت الكوس صار مسعراتتختك رأس الحد أو شعره

أو رأس جاش استمع إرشاديعلى قدر ما تقبل بالجواد

(الاغزار عن رأس مامى سقطره باتجاه الديو و جوزرات بدلاله الكاسر)

و إن يكون الكاسر المنيرسبعة إلا ربع بالتحريير

و لم تر المنجى و لا الأشأثرفلا يغرنك قياس الكاسر

فى جاه خمس فى أخير الوقتقم فى الركائب و استمع نعتى

إن كان مركبك خفيفا بادرو اقصد إلى الديو أكبر البنادر

و ادخل الخور ان تكن خابراو عتد الحبال و الأناجرا

لأن فى التغليق جوزراتأمطارها ثقيله المئات

(الاغزار عن رأس مامى سقطره باتجاه بنادر بر الهند بدلاله الواقع و الشعرى و العبور)

و إن تكن أغزرت بالكثيرقيدت لك قيدا على التحريير

فى جاه خمس يهتدى المسافرأو عاجز ضرت به الضراير

إن كان بين ذينك البرينبر العرب و الهند بالتعيين

ترى هناك الشعري العبوراو مثلها الواقع كن خيرا
ذاك إصبغان و ربع، ذى مثلهيكفيك هذا فى الخضم كله
أو كنت دابولى أو كنبائتياو من منيار استمع هدايتى
إذا رأيت فى القياس جزرفأنت فى امطار دندرسفورا
إن له دلائل كثيرهقنديل من على شيول شهيره
لو كنت ما رأيته فى العرفأنت فى الترتيب فيه تجرى
لأنه خور كبير مهناعو اسمه بين البرايا قد شاع
و غيره دابول أو سنجيشرأدخلهم فى الغلق ثم واجر
و غير هذا خور ساجوانو ليس يحتاج إلى ربان
ما بين سنجيشر و سندا بورطوطته بيمنه نعم الخور
ما بعدهم سافل يا فطينا إلا أزا ديوا و قنديرنا
لكن امطار منيار اتأتيك سكبأ دائم الأوقات
(الاغزار عن مامى سقطره باتجاه مكران و برجاش)
أو كان امطار بجاه ستتحويك مكران فخذ كلمتى
و إن تكن تلى لجاه خمسفرب تأتي جاش بر الأنس
و المرفىء عسكره و المركبو خيره و شره مرتب
و فى المواسم من جميع البحرين كان فحلا بكلامى يجرى
خامسا - (تقويم الأرجوزه السبعيه) (الإطراء على الأرجوزه و على المعلم الماهر)
أرجوزتى موزونه بالذهبما قد حوت فى الغلق أيام التعب
أذكرنى و اذكر أياما مضضيعت موسمها بهند و انقضت

إذا رمى سالك هذا البحر سلاحه لم يدر أين يجرى

و صار في الخلق بلا جناحيرشده في جملة النواحي

إن كان ربانا سديدا رأيا مسترشدا في سائر البرايا

قياسه مرتب و المجريذا فطنه بارك يوم السرى

ص: ٧٢

أما الذى يسترخص النواخذة فليس له معلم بالقاعده
لا بد ما فى سالفات الدهر يرون عاما فى جميع العمر
تمناهم الصرغه فى الترحال تتلف أرواحا على أموال
إن رقاد العالم المدقق أجمل من ساع و لم يحقق
أما الخبير فيعرف زلاته و يمكث الجاهل فى سقطاته
من لم يحكم فى أمور البحر فغلطه و الله ليس يدرى
من ذا الذى لقي فى ميدانه أى قرين يصرع أقرانه
(نصائح أحمد بن ماجد)

و اعلم بانى شرحت واقعى مع الذراع فاستمع مناعى
إلا بجرى الكوس بالوراب و قيد نجم الميخ فى الحساب
لأننى قد قسته يا هذا غربا و شرقا ما نقص و زادا
و نفعه لى جاهى سهيلى إصبع بنصف إصبع يا خليلى
و إن نشرت علم الفالات و اعتدلت ريحك و الحيات
اقسم بر الفال و السومال فى جاه ثلث و نصف خذ مقالى
و أنت فى مجرى رياح الكوس من نحو حافونى و تلك الروس
خذ ذا من الشهاب لك نصائحا تذكره فى سره و صائحا
يصنع مثلى هذه الأرجوزه لأنها غريبه عزيزه
سهرت فى بحارها ليالى و قدرها يعرفه أمثالى
لو خير الناس جميع الكتب و نظمهم و نثرهم يا صاحبي
لم ينظروا أعم نفعا منها فذر لقول الحاسدين عنها

و لم يرد تصنيفها سوائى لو كان من يكون فى الدنيا
لم يستطع. إنى عليها بالرصد منذ سنين فوق عشرين عدد
و الآن قد كملتها بجهدى على قدر معرفتى و كدى
سهلتها لعرفه الناس فى ضيقه و شده و بأس
إن كان فى ألفاظها و القافيه ضعفا ترى فيها المعانى و افيه
رقت و لكن رقه معناها تعطى نفوس العلماء مناها
يهدى بها الغادون عند الغلق ثبتها لرشد كل الخلق
و إن فى الواقع ثم النسر ناسخ و منسوخا فاقبل عذرى
(اسم الأرجوزه و تاريخ نظمها)

سميتها سبعيه يا قوميلآن فيها سبعة علوم
عام ثمانين و ثمانى مائهو فوقها ثمانيه و فايه
(الخاتمه)

بالواحد المعبود يا خليلي إذا ركبت الغلق، فادعولى
مصليا على النبي التهامي و آله و صحبه الكرام
ما قاس نجم النسر و الذراع حول المجره ندى ذراعى
و ما دعا بالشعريين داعى و أقبل الحجاج للوداع

الأرجوزه الخامسه:

الملعقيه

هذه الأرجوزه المسماه بالملعقيه، من بر الهند إلى بر سيلان، و ناك بارى، و شمطره، و بر السيام، و ملعقه و جاوه، و ما كان فى
طريقهم من الجزر و الشعبان، و مناتخهن و صفتهن، و البلد فيهن، و قفاصى و غيرها، و جميع ما يتعلق به فى المشارق و الجنوب،
و الغور و الصين، إلى حدود الحرات الشارفه على البحر المحيط الذى لا خلفه سوى جبل قاف.

و هي نظم رابع الثلاثه، أحمد بن ماجد. رضی اللہ عنہ، و أرضاه و المسلمین. آمین.

المعلقه (1)

(المطلع)

عزمت و العزم حمید فی السفر لا سیما من بلده فیها ضرر

اطلب تحت الريح بالإذعان فی مركب يطير كالعقبانی.

ص: ٧٣

١- المعلقه فی حین ورد اسم البلد ملعقه فی السطر الثاني.

أولاً - (السفر من أرض كاليكوت إلى جزيرة سيلان) (موسم السفر من كاليكوت إلى سيلان و مجاريه و أزوامه و قياس نجومه)

من أرض كاليكوت بالعنايهأول الستين قبل المائه

أول ما جريت يا إخوانيمن بعد أن قد فرغ الديمانى

فى مغرب المحنث سلكت عشرهازوام جمه صافيه محرره

و بعد، ما يليه فى القطبو مطلع المحنث كذا يا صحبى

و هكذا سهيل و الحماربالكل اجر بالسوا كن دارى

و مل على مطلع قلب العقربكمثلهم ثلاثه لتقرب

و مطلع الإكليل أجر فيهثلاثه، و التير كن نبيه

سبعه أخان لهن جملهاأحد و عشرون كفيت الغفله

عن القياس فهناك المعقلمع سهيل ثمانيه فاعقل

و ربع هذا قيد ذى الطريقما فيه من شك و لا تعويق

و قس هنا السهيل و الظلمسبعا و لكن فيهم التحكيم

(التحقق من الوصول إلى سيلان بالبرق و القياس)

إن كان فى هذى النجوم نفسشرق و أشمل لا تكون أخرس

و إن رأيت فيهم تنقيصااجر على الجنوب يا حريصا

لتسلمن من أذى السيلانو أرصد البرق بذى المكان

تنظره يقوم كالسيوففإنه بقربها معروف

و إن تكن يا حى بعيدا عنهايومض فوق الماء فادن منها

و إن وصلت و القياس قد كملثمانيه و ربع ما فيه خلل

و الفرقدان سبعة مع نصفاسمع كلامى و استفد من وصفى

ثانيا - (السفر من جزيره سيلان إلى جزيره ناك باري من جزر الباري) (المجاری و الأزوام و قياس النجوم)

و رده على اليسار و أجرفى مطلع الطاير يا خى عشر

أزوام حتى تخلف السيلانو ترتفع من وادى الطوفان

و رده يومين فى السماكتدور بالسيلان يا زواكى

يقل عنك الموج و السحابو يرجع البرق على المغارب

و إن ترد شهود ذى المكانسهيل و الظليم يا إخوانى

هم سته و ربع فيهن النفسقسهن إن كان مينا أو غلس

إن زدن فى القياس زد فى المجريأعنى السماك الرامح المشتهرا

و إن نقص رده فى الجوزاو التير إن شيت هنا تفوزا

حتى تراهم سته و ربعاسهيل و المعقل خذ ما وضعا

هم سبعة و نصف فى ذا الوصفو الفرقدان ثمانيه مع نصف

و فيهم الضيق فكن بالعالمحتى تكون للطريق لازم

(التحقق من الوصول إلى جزيره ناك باري بعدد الأزوام و الأيام و الليالى)

و أجر فى الطاير أربعينائم احترز فكن لذا فطينا

تندخ بذا القياس ناك باريو انظر ترى جبالها يسارى

من بعد أربعين اصطلاحاً أزوام جمه كملا صحاحا

من فوله لك عن السيلانمن المشارق دائم الأزمان

فى مركب يشابه المسعودأما الثقال فأولهم مزيدا

من هاهنا منتصف الطريقمن ظهر سيلان على التحقيق

و عد أزوامك من يوم السفربناك باري كى تفوز بالظفر

عشرين فى المحنث و الهيرانو مثلهم فى السبعه الأخنان

يزيد زاما، و أحسب السماكاسته عشر جملة يا فتاكا

سبعه و خمسون و اربعونالناك بارى سبع مع تسعينا

فنصفها السيلان من شرقها بل إن دورتك تزيد فضلها

ص: ٧٤

أزوامك المذكوره المجربه لأجل دورتك تكن منتخبه

أما الليالى معك و الأيام عدتهم سوا بذا الافهام

و إن تكن ريحك من المصالب قصر بها قلحك ثم قالب

إن قالبت يسر أو يمين فلا تزيد الجوش عن زامين

خوفا من التهوس و الضيق و الماء مياد بذى الطريق

من قرب سيلان و ما يليها كم مركب تاه و توه فيها

(وصف جزيره ناك بارى و قياس سهيل و الظليم و المعقل فى شمالها و جنوبها)

و ناك بارى يا أخى جزيرهمخضره عاليه كبيره

ديرتها سهيل يا إخوانو تنقسم و بينها خيران

فى رأسها الجاهى ترى قطعتان جنتها يرون مغزولات

جاهيهم جزيره فيها شجرو النارجيل كثير خذ منى الخبر

ترى عليها يا أخى الفراقد تسعه بالتحقيق غير زائد

فى رأسها الجاهى فكن بالحاذقمر سهيلها على الحقائق

سهيل و الظليم فى جاهيهاسته إلا ثلث يا فقيها

أما سهيلي الجزيره قسمهاو هى على اليسار ثم اعرفهما

بأنهم ست و ربع محتكماًقرب تهنا النقط و انشر العلم

أما سهيل سبعة و المعقلو نصف ياتى من القياس فاعقل

قياس عاده لا يكن فيه نفسيعلمن من فوق القياس كالقبس

إن لم تكن تنتخه رجاليلا رحم الرحمن عظمى البالى

و إن نتخت التتخه المؤيدهاقرأ لنا الفاتحه مشدده

أما سهيلها عليه المعقلمع سهيل خذه منى و اعقل

سبعا و نصف تراهما شمالا بميل للمشرق لا محالا

و اعلم بان الجزر مغزراتجبالهن خضر عاليات

و الكل يا خى اسمهم بالباريعشر جزائر كن بهن دارى

ثالثا - (السفر من جزيره سيلان و من كاليكوت إلى جزيره سرجل أهم جزر البارى، و من جزيره سرجل إلى جزيره سمطره)

(السفر من جزيره سيلان و من كاليكوت إلى جزيره سرجل)

و فيهم الجزيره المشهورهو اسمها سرجل كن خبيره

و هى سهيلى الكل شق الغربطويله مخضره يا صحبى

و المغزرات فى الشمال و الوسطو فى المشارق لا تكون ذا غلط

أغلظ من سقطره و أكبرو أدناهم زائده كما تروا

قياس منتخها من السيلانسهيل و الظليم يا إخوانى

ست و ربع منتخ الثقاتو لا علينا من ذوى الآفات

من بعد خمسين اصطلاحياتأزروام من سيلان خذ وصاتى

أما الحساييات هم ستوناو أربع من بعدهم يأتونا

و لا عجب فهذه الأزوامن ارض كاليكوت يا همام

إن تبلغ المائه أو تزيداجود لها التقمين يا رشيدا

شهودها عندك فى القياسجعلت لك أزوامها اساسى

خوفا من السحائب الدامانيمع عدم القياس يا ربانى

يهدى بذى الأزوام فالدامانيه القياسات على السيلان

بجاه إصبع تلتقى العناقواو مقدم النعوش اتفاقا

اربعه و نصف احذر منها نقصهم حتى تقول عنها
و اجعل الشرطين في المغاريمع العناق أربعا يا صاحبي
تدور عن سيلان لم تحويكاهذا قياس صادق ينجيكا
و هن يا خى فوق ناك بارىخمسه الاربع باختبارى

ص: ٧٥

لكن أزواما لكم أساسى جعلتها خيرا من القياس

فان أزواما لك المذكوره قريب مايه زام هى مشهوره

من صبوب كاليكوت لناك بارى ثلاثه عشر يوم فى المجارى

(السفر من جزيره سرجل إلى جزيره جامس فله فجزيره شمطره)

و كن جريا قبلها و أحزمو لطف القلع بليل مظلم

فان نتخت جار للجزيره من غربها يا خى على بصيره

فى مطلع العقرب و الحمارزامين بالمولم فى المجارى

نضيفه ديرتها سهيليو اعمل بعقلك و الغزر و الميل

و رده فى مطلع الإكليلخمسه أزوام تزد قليل

و مل على مجراك نحو العقربنتخ لجامس فله فاقرب

لها و لا تقرب لها بالمرهو سر على الجوزا إلى شمطره

رابعا - (السفر من جزيره شمطره إلى جزر دنج دنج مرورا بفلوفيرك و فلو فينج) (المجرى فى الباحه إلى فلوفيرك و

فلوتنبورك أو مجاراه البر من فلو فينج إلى دنج دنج)

و إن تكن ريحك زحنا فاسدها طرح بيريا من معك الفائده

إن هناك البلد فيه بيرالكن غزيرا إن أردت فاسرا

مقالبا و طالبا للملو ليس يخفى ذا على ذى عقل

ياتى بذا المجرى فلوتنبورك فى شمالها فلوفيرك

و المل ياتى لفلو فينجان كان قالع أو لدنج دنج

(الاستقاء من جزر دنج دنج)

أرس بها إن شيت أخذ الماء و الماء تحت القطعه الكبراء

تخبرك يا ربان فيها عنهاهل السنايق فادن منه

اجعلها و خرابها يميناو البعض فى اليسار يا فطينا

و الماء عشرون و لا فيه كدرو الأرض فيها من تراب و مدر

(رؤيه القلعى و امتدادها من فلو فيننج إلى دنج دنج فملعقه)

أما جبال المل عالياتمسير يومين فى البرور يأتوا

هن جبال القلعى متسقهملقطعات لقريب ملعقه

فيهم جبل على دنج دنجالى جزيرات فلو فيننج

لأنه يبين من بعيدبل هو أعلى منه بالتاكيد

يشوف من قرب فلو فيركلا بد أن تلقاه فى مسيرك

(موقع فلو فيرك على اربعة أزوام من مل شمطره، ما حولها من الجزر، رؤيه جبال سيام منها وراء فلو فيننج)

أما فلو فيرك هى جزيرهما بين برين و هى صغيره

تميل يا أخى بحريز الملباربعه أزوام خذ يا خلى

تشبهها جزيره الفيرانعلى عنه لم يا ربان

لكن ذى يا صاحبي فيها شجرو البلد خمسون فقف أو أغزر

تنظرها تشوف من رأس الدقلجبال من بر السيام عن كامل

فان رأيت هذه الجبالعلى فلو فيننج خذ مقالا

يشبهن سيان على التأكيدإذا نتختهن من بعيد

تحسبهن جزرا مفرداتأطرافهن الكل مسلوبات

(موقع جزيره فلو فيننج قرب الساحل، ما حولها من الجزر، صغرفلو فيرك و كبر فلو فيننج) (موقع فلو فيننج و ما حولها من الجزر)

أما فلو فيننج فهى جزيره حولها جزائر كثيره

بقربها من جانب السهيلثلاث بل أربع يا خليلي
في ظهرها من جانب الدبورقطعه و فيها شجر كثير
صغيره قائمه مثل الهدفمسوده من المطر فلا تخف
طرح هناك عند ما تراها في ماء عشرين فخذ نباها
و بينها و البر للنواتطريق واضح ما به شبها

ص: ٧٤

(وصف جزيره فلوفيرك و السفر منها إلى باقى الجزر)

هى منتخ القالع و المقابلها ما فلوفيرك فهى مغربه

عنها بقدر أربه أزوامبريح طيب أيا همامى

لم تشبه قط بها جزيره فى برهم لأنها صغيره

و جنبها راخى و جنب عاليل بالكثر افهمن مقالى

معرضه هناك للمسافر عند المراح و المجرى كن خابر

عاليه قريه التدوير و حيده و ماؤها غزير

فحولها مناقع و ألما تريخمسين حولها بلا مرا

و التير منها نحو دنج دنجو مطلع المرزم فلو فيننج

و مطلع العقرب فلو تنبور كقرب قفاصى اقتررب مسيرك

(وصف جزيره فلو فيننج و السفر منها إلى باقى الجزر)

أما فلو فيننج قرب الساحل جزيره كبيره يا سائلى

أكبر من الأولى و أعلى منها و جزرها ليست بعيده عنها

مسلوبه الأطراف إذا تراها فى البعد اقصدها و لا تعداها

الا بريح و اكده محققهو اطرح الأنجر عليها يا ثقه

فى ماء عشرين و ما قاربها لا تدخلن فيها و لا تقربها

أعنى الجزيره بطنها الجنوبيهنا فضاء هائل عجيب

منها إلى شمطره فى التير مغربه حقه فى المسير

و مغرب النجم طريق الراجعو مل على غرب السماك كن وعى

احذر جر الماء تحت الجاهلا تترك الأشياء فى اشتباه

(الرق بعد فلو فيننج ثم جزر دنج دنج)

أما إذا ما جئت ذى الجزيرها عنى فلو فيننج كن خبيره

فاجر زاما فى السهيل منهاو مل يمينا يا همام عنها

ترى هناك الرق فى اليسار أيضا به ألما ابيض كن دارى

فانظر و احذر ثم للجزائرهم دنج دنج و لهم أشاير

إنهم جزائر كبارينهم طريق و الصغار

كأنهم نويات مكبوباتطوال نحو التير بينات

منهم فى النجم و فى المغيالى شمطره اجر يا حيبى

و اعلم أن من فلو فيننجأربعه أزوام لدنج دنج

خمسه عشر باع أو عشرينا أو لثلاثين فكن فطينا

ما تلتقى هناك الا العافيهطريق واضح عمار صافيه

و فوقهن جبل معروفله سنام و به موصوف

خامسا - (السفر من جزر دنج دنج إلى جزر فلو سنيلين ملاقه و جزيره قفاصى و جبل فلفاسلار) (عدد جزر فلو سنيلين ملاقه و وصفها)

ثم ترى قدامك الجزائرفلو سنيلين تسع بالأشائر

قدمت ذكراهم فاعمل شوركو منهم ترى فلو تنبورك

مغزوله فى البحر يا خليلقدرها المهيمن الجليل

و اعلم إذا غابت فلو فيننجفلو سنيلين ملاقه تخرج

فلو سنيلين ملاقه تسعههم فاقصد الجزر سريعا واسع

لهم و حط الأنجر الصينيهلأنها أشبر خذ الوصيه

و استق منها الماء و إن شيت اطرحفى ماء عشرين و بت و أفلح

خل الطويله عنك فى اليمينو حولها جزر على اليقين

و اجعل جزيرتين يا ربانيسراك و الناس بذا المكان

حذرك قبل توصل الشتينصيل جزيره ترها بالعين

قليله أشجارها كالصيلان كان بالليل بها لا تجهل

ص: ٧٧

مائله للبر و الشمال دون الجميع افهمن مقالى

لا ترقدن الليل فالأرياح تضرب هنا من ساير النواح

كثير من يغفل عن مركبه و الماء عشرون هنا خبر به

بين الجزائر و يجر أنجره و لا له يا خى بهذا مخبره

يشغله الأنجر عن السرايه و القلع مبلول و جر المائه

و هن بالقرب فاحسب هذا و لا تكون غافلا رقادا

فى ظهر يا خى هذه الجزائر لأنها مغزره الأشائر

بحريها ترى فلوتنبورك منها ترى البرين هذا شورك

و قيل لى بر شمطره لا يرى من الجزيره يا همام خيرا

إلا إذا ما كنت ما بينهما خذ منى العلم و لا توهما

(المجرى من جزر فلو سنيلن ملاقه إلى جزيره قفاصى فجل فلفاسلار) (الدخول إلى جزيره قفاصى)

اجر من الجزائر التسع عليكطبك و المحنث و قيت البلا

مطلعه أعنى و لا المغاربزامين أو ثلاثه يا صاحبي

حتى تغيب هذه الجزائر فرتب الحبال و الأناجر

و البلد و السنبوق و الأسبابفخذ مقالا من ذوى الألباب

فان رأيت الجزر غابوا عنك مللم يبق منهن سوى قرن جبل

على دنج دنج، حديث و اكدفى الجاه بل فى مطلع الفراقد

تنظر ذا الحين جبل قفاصياسمه فلفاسلار عند الناس

عنك يكن فى مطلع الحماركن عارفا و صفى مع أشوارى

(ايضاض الماء دليل الاقتراب من قفاصى أحيانا)

و ربما تنظر ماء أبيضالحد تسعه فى الطريق فاحفظا
فان أتيت تسعه أبواعلحد ما ابيض لا ترتاع
فلو فاسلار و هو فى الحقهعلى الحمارين بلا مشقه
يميل أيضا لطلوع العقر بفاعلم بانك يا فتى مقرب
فخذ لماء تسعه و عشرهو الماء ابيض يسارك تنظره
و الماء أخضر تنظره يمينا عينت لك جميع ذا تعينا
مجراك فى المحنث أو فى القطبأخرج من السطر هنا يا صحبى
فاجر على ما تسعه حتى تجيلماء سبعة جئت نحو الفرج
و ابيض كل ألما، ترى قفاصيفخفف القلع و كن ذا بأس
و الماء يسقى داخلا كن عار فمدك أو اطرح و لا تخالف
(الرق و جزر الأجار و القطعات قبل قفاصى و فلفاسلار)
يصير عنك الرق فى اليمينغير المجرى بذاك الحين
و أجر هنا فى مطلع الحمارو البلد سبعة ما بها أسرار
إن ملت لليمين رق الماء و الغزر صوب البر لا مرء
هذا و سبوقك فى الدامانلا تجعله فى الجوش يا ربانى
لأن فى الدامان معك الشبو الجوش بالياهووم فيه الطب
بالبلد و الترتيب و التسديدفان ذا من رأيك السديد
تراك تنظر عالقه بالبر جزرا من الأشجار حقا فادر
جزائرا بخلف كل واحدمنهن قطعه افهمن الفائده
فكم كمنا خلفهم طاوينا عنهن للشمال خذ تقمينا

(إشارات الوصول إلى جزيره قفاصى و فلفاسلار)

إن صارت الجاهيه القريبهفى مطلع الجوزا فخذ تجريبه

فأنت فى أول قفاصى سايرعلى الحمارين فخذ أشاير

تسير فيه أزوام بالتحريرحتى يجىء عنك الجبل فى التير

يخضر معك الماء إذا أو يغزرحلصت من كل البلاء و الخطر

ص: ٧٨

فذاك هو فلفاسلار يذكر تراه و ترى فلو سبتا أخبر
من الدقل يرون أو بالصحو لأنها فى ذى الطريق تحوى
و حذرک من قبلها ألما سبعة قبل قفاصى فاعرفن وقعه
لأن فى سبعة رق البحر و لا به الجاهل هناك یدرى
حتى یکن مجراک فى الحمار و الماء سبعة داخل و جارى
إن ملت للعقرب زاد الماء أو ملت للسهيل یا خاء
رق لك البلد فاعلم أنه هذا هو المفرض فاقطعنه
و ربما ینقص أو یزید یمناک أو یسراک یا رشید
فلا تخاف إن فى الطرق کثیره و لیس فى رقه
سليمه ما هی غصص إن زادا زاد ذراعا و نقص کهذا
یمهلك الإقبال و الأنساع و فى الطريق لا تکن مرتاع
بل فى أمکنه و فى الركب یرمیک عنها المد و قیت التعب
و لیس فى حجر مع جسر الكل یا خى فى مکان مدر
فى المطارح لیس فى موج مطرح سلیم هین الولوج
و إن أتاك الليل فى فاطر حا إن كان ریحك قالعا فالحا
لکنه ما هو إلا زاما تقطعه بالزحن بالما
إن السقى مديم هو زامين یرمیک فى الجنوب بالیقین
خصوص إن وافق بعض الریح أقل من زام و استریح
(الطریق السابقه تجارى البر و تعتمد على الأشائر)
هذی طریق البر بالتحقیقواضحه ما مثلها طریق

حلفت بالله يمين برهان جزت فيه غير هذى المره

لن أرمى البلد على قفاصيلأته مضبوط فى قياسى

بالبر و الجبال و الشجرانو البلد و المجرى أو النيشان

و العرض و الطول و ليس تختلففى مثل ذا معرفتى و تحترف

تجارى البر و روس الشجرو الممل يا بنى خذ من خبرى

سادسا: (طريق ثانيه للسفر من فلوسنيلين ملاقه إلى جزيره قفاصى و سالار) (وصف الطريق من فلوسنيلين إلى قفاصى و جبل قفاصى)

أخبرك يا ربان خبرا ثانيا لا تتعب النفس بذى المكان

... تجارى من الجزائرفلوسنيلين و أنت ساير

فى ماء تسعه و يكون عشرهو أنت فى مجراك كن ذا خبره

حتى تراه قد نقص عن عادتهو البلد لم يبلغ فى زيادته

أكثر من سبعة أبواع عليمجرى الحمارين بلغت الأملا

و كانت الجزائر الصغارفى التير و الجوزاء يا سفار

فذاك هو قفاصى المشهورتقطعه فى زام بذى المسير

فان خلصت أخضر معك الماء فالرأى فى البر بلا مرء

و البر مخضر على اليسارتنظر الساحل و أنت جارى

على سهيل، و الذى يليهو أنت فى مرساته تتيه

حتى ترى عنك جبل قفاصيفى مطلع العيوق لا تقاص

(التحذير من وجود عرق و مرء مقابل جبل قفاصى أى فلفاسلار)

احذر هناك العرق فى الطريقخذ عنه ما عشرين بالتحقيق

و ربما تنظر مراء مغزراو لا عليك ضرر من ذا المرا

فاننى جاوزته و الماء عليه اثنا عشر بالسواء

احذر على قريك يا حى منهفخذ حذرک يا خليلى منه

و إن تزد أربع على عشرينافى البلد لم يحوک يا فطينا

هذا إذا ما جزته بالليلاًما النهار ابيض فخیل

ص: ٧٩

فيه سواد كعروق الثور على المخا فكن هنا حذور

حتى إذا صار جبل قفاصى فى مطلع النعش وقيت البأس

خلفت ذاك الرق و المرء فى العجز ثم أخضر معك الماء

سابعاً - السفر من جبل قفاصى (فلفاسلار) إلى بندر ملاقه (المجرى من جبل فلفاسلار (جبل قفاصى) إلى رأس مدور و فلوافى)

و منه زامان لرأس مدورسمى بلفظ الهند خذ من خبرى

مطلعه جزيره فيها شجرمنه ترى شمطره رؤيا النظر

أشجارها فى قرب بر عاروهو خلف ذا بطن فلا تماريه

و خلف ذا البطن هو فلوافيمقدار زام فى المسير وافى

فتلك هى بندر على ملاقهمن المغارب صح يا رفاقه

بريها جزيره صغيرهاشجارها طوال مستديره

تعلى المراكب ثم فى بريها لا بد فى الخالف أن تجيها

فلفاسلار أنت إن تراهميغب فى الغبار خذ نباهم

(استمرار فى السير إلى فلوسينا و عشر جزر اخرى)

فان يغب عنك و لم تراهنظر فلوسينا فخذ نباه

لأنها جنوب و المشارقن هذه قد صح بالحقايق

و حولها عشر من الجزائرمراسى الصينى فلا تكابر

تراهم من قرب رأس مدورو من قفاصى لملاقه تحصر

لأنها خمسه أزوام عليمسير قاطع بريح عجلا

و المركب الكبير فيها إن خطريسير ليله ثم يوما بالصور

(الدخول إلى بندر ملاقه)

أما ملاقه بطنها شرحنايين فلوافى و بين سينا

فادخل إليها ظافرا بالبندرهنيت بالمحصول ثم السفر

فى ماء خمسه و يكون أربعهو ثبت الأنجر فيها و أشفعه

تأتى لك الناس قبيس الناسلم يعترف قط لهم أساس

الخاتمه

(أخلاق أهل ملاقه)

يزوج الكافر مسلماتو يأخذ المسلم كافات

إن قلت كفارا فما هم كفرهاو قلت إسلاما فغير مخبره

عندهم السرقة قد سنوها ما بينهم فليس ينكرونها

و يأكل لحم الكلاب المسلما بينهم فليس فيهم محرم

و يشربون الخمر فى الأسواقو لا يصلون على الإطلاق

و ينقضون العهد و الهد يهيسعوا لها بالرجل و الأذيه

صنعتهم الكذب مع المطالفي المشتري و البيع و الأشغال

فاحتذر منهم كل الحذرلا تضربن جوهرا على حجر

الميرزا أحمد الابن الأول للميرزا محمد شفيح وصال الشيرازى:

لقب بوقار يعد من كبار فنانى و شعراء العهد القاجارى:

درس مقدمات العلوم و الفقه و الأصول و الحكمة الالهيه و فنون الأدب، ثم اشتغل فى الخط، و كان ماهرا فى خط الثلث و الرقعه و النسعليق، و برع بوجه خاص فى خط النسخ، حيث كان يعتبر استاذا مطلقا فى هذا النوع من الخط، إذا كان يتبع طريقه الأستاذ احمد النيريزى و قد كتب عشر نسخ من القرآن و مائه فقره من الأدعيه المتفرقه بخط نسخ جميل.

بعد وفاه أبيه سافر إلى الهند عام ١٢٦٦ هـ استجاب له دعوه كبار الأدباء فى الهند، و خلال إقامته فى بومبي كتب مثنوى المولى بخط النسخ فى كتاب من القطع الصغير و أضاف اليه حواشى مفيده، و طبع هناك. و بعد فتره عاد إلى شيراز و اشتغل فى التأليف و التدريس حتى توفى أخوه الحكيم فسافر مع اثنين من إخوانه هما توحيد و فرهنك إلى طهران عام ١٢٧٤ هـ، و اثر

ابرازه للفضل و الأدب و حسن الخط و متانه الحديث أصبح موضعاً لاحترام أولياء الأمور و مرجعاً للعلماء، حتى أخذ أخوه الآخر (داوری) يشكو من موت بعض إخوانه و سفر الآخرين من شیراز فی رسائل و أشعار كان يبعثها إلى وقار، و تفصح عن مدى حزنه و اساه. و كان لهذه الرسائل و الاشعار وقعا قويا مؤثرا فی نفس وقار، فعاد إلى شیراز و اقام فيها رغم عزمه السابق على الإقامة فی طهران.

ص: ٨٠

و الميرزا محمد شفيع و هو ابنه الأصغر ترك وقار العديد من المؤلفات هي:

(اطواق الذهب) و هو خليط من النثر و الشعر - (انجمن دانش) في الآداب و الأخلاق، و هو على غرار گلستان سعدى، و قد طبع في زمنه - تاريخ المعصومين - ترجمه لمائه كلمه للإمام على (ع) - ترجمه منظومه الحكمة للسبزواري إلى اللغة الفارسيه - ترجمه وصايا الامام على (ع) لمالك الأشر أسماها رموز الاماره - تفسير آيه لِيُعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ - قصه النبي موسى (ع) و الخضر و هي خمسه آلاف بيت مثنوى على وزن مثنوى المولوى - شرح رباعيات المحتشم الكاشانى - العشره الكامله و هي تقسيم لمقتل الامام الحسين (ع) في عشر مجالس (1)

فخر الدين احمد خان بن محسن:

توفى سنه ١٢٣٠ في لكهنؤ (الهند) كان متمكنا في العلوم الرياضيه و النجوم، أدبيا بالعريبه و الفارسيه، فقيها أصوليا. له من المؤلفات: حاشيه تحرير أقليدس، حاشيه المجسطى، الرساله الأصفيه.

الشيخ احمد القمى:

تقع مدينه آيوتايا في شمال بانكوك (تايلند) و هي من أهم المدن التاريخيه و السياحيه يرجع تاريخها [تاريخها] إلى القرن الخامس الميلادى حين أخذ ياتى إليها جماعات من (التاى) و كانت محكومته من (الخمير) و (المؤن).

و لما كثرت أعداد التاى في المدينه اشتدت الحروب بينهم و بين الخمير و المؤن و بعد سبعة قرون استطاع التاى أحكام سيطرتهم على كل البلاد و أعلنوا مدينه آيوتايا عاصمه لهم.

و منطقه آيوتايا استراتيجيه، و لها مزايا كثيره جغرافيا و اقتصاديا، و يمكن لمن يسيطر عليها التحكم في جميع البلاد حيث انها تقع وسط ثلاثه من الأنهار المهمه التى تلتقى ببعضها و هي شبه جزيره محاطه بالأنهار من ثلاث جهات و هي: جائوفرايا، باساک، و لوب يورى. كما انها تقرب من البحر و تتوسط بلاد التاى (تايلند).

و في أواسط القرن السادس عشر و بعد حرب ضروس بدأ الغزو البورمى لآيوتايا و سيطرت قواتهم عليها و لكن اهالى آيوتايا بقياده رجل يسمى نراسوئن [ناراسوئن] شنوا حرب عصابات مريره إلى ان تغلبوا على الجيش البورمى في آيوتايا و أخرجوهم من البلاد، و حكم ناراسوئن المدينه حتى عام ١٥٩٠ م. و بدأ النشاط التجارى و الاقتصادى فيها. و بعد عشر سنين من حكم ناراسوئن جاءت باخره عبر خليج سيام و أبحرت في نهر جائوفرايا إلى ان انتهت إلى سواحل آيوتايا، و كانت بقياده رجل عمره لا يتجاوز الخمسين عاما و ركابها يسمونه ب الشيخ احمد و كان الشيخ احمد هذا رجلا ذكيا نشطا، يتكلم بعده لغات، و من بين المسافرين أيضا أخ له يسمى محمد سعيد. و قد عزموا على البقاء في المدينه و الشروع في اعمال تجاريه كبيره، و استقروا في منطقه تسمى دائى كو (Daikoo) في غرب آيوتايا. و كان أكثر سكان الناحيه من التجار الأجانب. ولد الشيخ احمد القمى بمنطقه باين شهر في مدينه قم (ايران) سنه ١٥٤٣ م. و بدأ يدرس الدروس الإسلاميه و اشتهر بلقب (الشيخ). و كان يعمل في التجاره أيضا. و عند ما سيطرت الدوله الصفويه على البلاد ازداد نشاط ايران التجارى و الثقافى مع بقية بلدان العالم، و كانت تدعو العلماء و المفكرين إلى ايران أو ترسل بعض العلماء إلى بلدان اخرى للتباحث مع أصحاب الأديان و المذاهب. و يقول

المؤرخون ان كثره التجاره بين آيوتايا و العالم الخارجى و تسامح الحكومه التايلنديه آنذاك تجاه التبادل الثقافى و الدينى، كانا سبيين هامين فى تمكين الشيخ من مزاوله العمل التجارى و الدينى بحريه كامله و بعد عشر سنوات بدأ الشيخ بتشكيل جماعه تسمى جائوسن (Chaosen) تحت إشرافه هدفها العمل على نشر الإسلام و التعريف بمذهب أهل البيت بالاضافه إلى تعميق الروابط التجاريه مع كافه الحكومات، و بدأ يشتهر عند الأوساط الحكوميه و التجاريه و الشعبيه، و الكثير منهم يفتخر بمجرد زيارته أو التبادل التجارى معه.

تزوج الشيخ بامرأه تسمى آب جواى (Obchuay) و كانت من الأسر المعروفه المحترمه فى آيوتايا، و رزق منها بولدين و بنت.

مكانته التجاريه و شخصيته:

أصبح الشيخ احمد القمى عنصرًا هامًا فى المجتمع بحيث عين من قبل التجار رئيسًا لجماعتهم و مكنه هذا التعيين من الالتقاء بالملك بين حين و آخر للتباحث فى الأمور الاقتصاديه التى تهتم البلاد، توفى نارسون الكبير و خلفه أخوه اكاتوت ساروت على البلاد و كان اهتمامه الكبير منصبًا على الأمور الاقتصاديه و التجاريه مع دول العالم.

و بسبب علاقه الشيخ مع أفراد البلاط بدأ ارتباطه مع القصر يزداد وثوقًا و كان على اطلاع واسع بأحوال البلاد لكثرة تردده على القصر.

و فى هذه المرحله بدأ المستعمرون و التجار الهولنديون و البريطانيون يدخلون المنطقه من أجل السيطرة على شئونها الاقتصاديه و السياسيه.

و ابتعد الشيخ عن مزاوله الأمور التجاريه و تفرغ لنشر الإسلام فى البلاد و فى الفتره من عام ١٦٠٥ إلى وقعت البلاد فى ازمه سياسيه نتيجته لتدخل بعض الغربيين فى شئون الحكم و الاداره حيث عين الملك سونك هام (SongEham) وزيرًا للدخليه و وزيرًا للتجاره للحد من تدخل الأجانب فى شئون البلاد و كان الوزير من أصدقاء الشيخ حيث عينه مديرا و مسئولًا عن شئون الأجانب فى البلاد.

و مما لا شك فيه ان الدور الثقافى التجارى الذى قام به الشيخ احمد، تساعده فى ذلك مكانته البارزه فى أوساط الحكومه كان له الأثر فى تعيينه وزيرًا و مستشارًا فيما بعد لدائره الجمارك و الموائى فى تايلاند، كما أصبح الشخص الثانى فى وزاره التجاره الخارجيه حتى منحه الملك و البلاط وسام **Thya Sheikh Ahmad Rajsethi** و هو أعلى وسام من البلاط لشخص اجنبى. و من الجدير بالذكر ان هذا الوسام اعطى فيما بعد إلى أحفاد الشيخ أيضا حتى النسل الثامن.

احتفظ الشيخ احمد بروابط جيده مع التجار الهولنديين و البريطانيين كما احتفظ بمكانه فى أوساط التجار المسلمين فى البلاد مما أدى إلى ان تعترف الدوله رسميا بالمذهب الشيعى فى البلاد. و نال الشيخ لقب

(شيخ الإسلام) و هو أعلى منصب فى الجاليه الإسلاميه التايلنديه فى ذلك الوقت و فى هذه الأثناء بدأ تحرك اليابانيين المقيمين لزعره البلاد و السيطرة عليها بتشجيع من حكومتهم و عند ما علم الشيخ بالتحرك اليابانى، و بوصفه المسئول عن أحوال الأجانب فى البلاد استشعر الخطر على مستقبل المسلمين فجمع الأجانب و طلب منهم العمل الجاد لمواجهة المؤامره اليابانيه، و بدأت الحركه اليابانيه تنشط و تسيطر على البلاد شيئاً فشيئاً إلا ان سياسه الشيخ و حنكته و عمله الدءوب مكن البلاط من التغلب على الوضع. و سيطر الملك مره اخرى و انتهى التغلغل اليابانى على مختلف أنحاء البلاد تماما. و قد زاد ذلك من الاحترام و النفوذ للشيخ فى الحكم و عمل مع البلاط لمدة خمس و عشرين سنه (١٦٥٤ -) إلى ان انتقل الحكم إلى الملك (SomdagPhrA Maharg) و أعطى الشيخ بعد تقدمه فى السن بعض مناصبه إلى ابنه و كان هذا يعمل وزيراً و مستشاراً فى البلاط. و توفى الشيخ احمد عن عمر يناهز ٨٥ سنه و دفن فى مدينه آيوتايا، قرب المسجد الذى بناه للمسلمين و يعتبر الشيخ أباً روحياً للمسلمين و قد يسا محترماً عند البوذيين. و نال احترام جميع سكان البلاد.

حول المدينه

مدينه آيوتايا جميله و بها معالم سياحيه عديده. و فيها المعابد الكبيره و القصور القديمه حيث كانت فى العاصمه التايلنديه القديمه، و الكثير من معابدها و بعض القصور محروقه بسبب هجوم البورميين على البلاد سنه ١٧٦٧ ميلاديه كما حرق المسجد الذى بناه الشيخ فى آيوتايا. الا ان آثار المسجد لا زالت موجوده و قبره الآن فى وسط أحد أكبر الكليات فى تايلند و هى كليه التربيه. و بنى قبره على الطريقه الإسلاميه بوضع قبه على قبره و كتب على حجر على القبر (الشيخ احمد رئيس الوزراء فى آيوتايا ولد فى محله پائين شهر فى قم سنه ١٥٤٣، شيعى اثنى عشرى، هاجر إلى آيوتايا فى زمن السلطان ناراسونن الكبير) و القبر مبنى من مرمر أبيض و يذهب كثير من السائحين و الأجانب حتى من غير المسلمين من التايلنديين لزياره مقام الشيخ و يضعون أكاليل من الزهور عليه تعظيماً و احتراماً لمقامه. و فى الواقع ان مكانه الشيخ معروفه من قبل جميع التايلنديين، حتى إذا ذهبت إلى القرى و المدن الصغيره رأيتهم يعرفون الشيخ و يجلوناه. و احتفظ أحفاد الشيخ بلقب شيخ الإسلام إلى اربعه عشر نسلاً و المؤرخون يقولون ان آخر شخص من أحفاده كان يحمل هذا اللقب هو (سورن احمد چولا) الذى توفى سنه ١٩٣٢، و من بعده استلم رئاسه المسلمين فى البلاد ولده حاجى كياسا چولارات (Haji Kiasa Chularate) و بقى على هذا اللقب إلى سنه ١٩٧٣ و عين فى هذه السنه أميراً للحجاج و ذهب مع جماعه كبيره إلى الحج.

و يلاحظ ان أسماء أحفاد الشيخ تايلنديه و ذلك طبيعى لأن المسلمين فى تايلند يحملون اسمين، اسم اسلامى عربى و اسم تايبى الذى يستعملونه للرسائل الرسميه و الدوائر الحكوميه (١) و قد كان انقطاع تلك البلاد عن العالم الإسلامى و ما نالها من الاستعمار الغربى، أضعف الإسلام فيها، حتى لقد تحول المسلمون فى بعض البقاع مع الزمن إلى بوذيين.

و لا تزال بعض الأسر البوذيه تحس بأصلها الإسلامى و تفاخر به، فمن ذلك مثلاً أن أحد أبرز الشخصيات من أحفاد الشيخ احمد قد تحولت بعض سلالاته إلى البوذيه. و فى احدى السنين الأخيره ألقى مندوب ملك تايلند فى احتفال إقامه مسلمو تايلند للمولد النبوى، فقال فى خطابه انه يشعر بالغبطه و السعاده و الفخر و العزه لانه يشارك فى ذكرى المولد النبوى الذى طالما ذكرت له والدته ان جدها الكبير الشيخ احمد كان من المؤمنين به و برسائله.

و من الطريف ان المفكر التايلندى المعاصر (كيكرت) ينتسب إلى الشيخ احمد من احدى جداته. كما ان شقيقه الأكبر هو

رئيس الحزب الديمقراطي، أكبر أحزاب تايلند.

الملا احمد بن الملا محمد مهدي النراقي الملقب بـ "الصفائى النراقى الكاشانى"

أحد مشاهير العلماء و العارفين و الشعراء فى العهد القاجارى. ولد عام ١١٨٥ هـ فى نراق التابعه لكاشان. و درس فى البدايه لدى أبيه الذى يعد من كبار العلماء فى أواخر القرن الثانى عشر للهجره، ثم انتقل إلى العراق فدرس فيه الفقه و الأصول و الرياضيات و النجوم على عدد من علماء العراق. و لكن رقيه الفكرى كان قبل كل شىء و ليد جهده و مطالعته و سعيه الخاص و تفتح قريحته الفطريه، بحيث أحاط بأكثر علوم زمانه، و بلغ شأوا بعيدا فى الكمالات المعنويه، و أصبح مرجعا لأفاضل عصره، و اضحى درسه فى كاشان قبله لعشاق العلم و الأدب. و استمر فيضه دون انقطاع حتى أصيب بمرض الطاعون و فارق الحياه عام ١٢٤٥ هـ و هو فى الستين من عمره.

من آثاره الشعرية المهمه، منظومه المثنوى المعروفه بـ (طاقديس) و هى بيان للوقائع و الحقائق الحياتيه اليوميه التى يمر بها الايرانيون، بأسلوب قصصى ممتع. طبع هذا الكتاب مرتين، و صدرت آخر طبعه له عام ١٩٨٦ م باهتمام حسن النراقى، و هى مشتمله بالاضافه للمنظومه على مختارات من غزلياته غير المعروفه، و جاءت فى ٤٧٠ صفحه.

كتب الرضا قلى خان هدايت الكاتب المعروف فى العهد القاجارى الملا احمد الصفائى النراقى: "... و هو كهف الفضلاء و المعاصرين الملا احمد بن الملا مهدي النراقى، و الملا مهدي والد مولانا احمد مجتهد كبير من مجتهدى الاماميه، و له العديد من المصنفات فى الفقه و الأصول. و الملا احمد أيضا من أهل الاجتهاد، و سالك لمسلك الصلاح و السداد، و هو صاحب كمالات معنويه و مكانه رفيعه فى الزهد و الورع، و معروف بسلامه ذوقه و رقه طبعه و صلاح سريره".

و من المعروف ان الملا احمد الصفائى النراقى كان يرتبط بعلاقه طيبه مع الشاعر المعروف يغما الجندقى، و كان بينهما مجالس انس فى كاشان و مناظرات شعرية(٢).

أسد الله خان الطهرانى الملقب بغالب الطهرانى أو غالب الآذربايجانى ابن رمضان خان المشهور بطرلان خان الآذربايجانى:

أحد شعراء العصر القاجارى. ولد فى طهران عام ١٢٥٥ هـ و بعد

ص: ٨٢

١- السيد محمد سعيد الخلقى.

٢- عبد الرفيق حقيقت.

تجاوزته لبعض المراتب المعنوية ذهب إلى تبريز و اشتغل فيها بخدمه ولى العهد مظفر الدين ميرزا، ثم رجع إلى طهران و اشتغل أميناً لمكتبه مدرسه دار الفنون. كان هذا الشاعر الطهرانى المتصوف يرتبط بعلاقه صداقه مع رضا قلى خان هدايت الذى يعتبر من مشاهير المحققين و المؤلفين فى العصر القاجارى. و فى تلك الأثناء طبع ديوان أشعاره مع كتاب "عشق نامه" الذى انتهى من نظمه بوزن مثنوى المولوي عام ١٢٧٨ هـ.

الدكتور أسعد الحكيم بن أحمد.

إشارة

ولد فى دمشق سنة ١٣٠٤ و توفى فيها سنة ١٣٩٩، هو من أسره دمشقيه عريقه. امتهن القسم الأعظم من رجالها، بيع المواد الصيدليه، إضافه إلى تطيب المرضى و لذلك لقب (الحكيم).

كان من أبرز أطباء سوريا، تميز بأنه جمع إلى التفوق فى الطب، التفوق فى الأدب، إذ كان كاتباً من أبلغ كتاب العرب. أنهى دراسته الابتدائية و الثانويه فى دمشق.

و فى عام ١٩٠٦ م غادر دمشق إلى بيروت و انتسب إلى كلية الطب الفرنسيه التى كانت تابعه لجامعه ليون فى فرنسا.

و فى عام ١٩١١ م تخرج طبيباً.

و فى عام ١٩١٢ تعهدت احدى الشركات مد خط (صامسون - سيواس) الحديد على ساحل البحر الأسود و عينت الدكتور أسعد طبيباً لها، سافر و استقر فى صامون [صامسون] حتى اندلاع الحرب العالميه الأولى عام ١٩١٤ حيث دعى إلى الخدمه العسكريه فى الجيش العثمانى و عين طبيباً برتبة نقيب (يوزباشى).

إن الفرقة التى انتسب إليها سيقت إلى القفقاس، و بعد مده قليله من وصولها أصيب الدكتور بمرض الحمى، فأعيد إلى دمشق للاستشفاء و الراحة و لما تماثل إلى الشفاء أعيد إلى الخدمه و ألحق بالجيش العثمانى المرابط فى المدينه المنوره بالحجاز:

و بعد إقامه مده، قاربت السنه، فى حاميّه مدينه (العلا) التحق بالجيش العثمانى المرابط فى المدينه المنوره (فخرى باشا) و بقى فيها حتى سقوطها بيد جيش الثوره العربيه و وقوع فخرى باشا و جيشه فى الأسر.

اقتيد الدكتور، مع أسرى الجيش العثمانى إلى القاهره، و لم يفرج عن العرب منهم و يسمح لهم بالعوده إلى بلادهم إلا بعد انتهاء الحرب عام ١٩١٨.

و قد تولى فى دمشق عدّه وظائف صحيه إلى أن اختير رئيساً للإداره الصحيه عام ١٩٤٠. ثم أستاذاً فى المعهد الصحى و رئيساً لمستشفى ابن سينا عام ١٩٤٣ م ثم مديراً للشئون الصحيه القائم بالأمانه العامه لوزاره الصحه عام ١٩٤٩. و قد مثل الحكومه السوريه فى بعض المؤتمرات الصحيه الدوليه و العربيه.

و كلف بتدريس ماده (الطب عند العرب) و بإلقاء المحاضرات فى كلية الطب فى الجامعه السوريه لسنوات كثيره.

فى عام ١٩٢٣ اختير عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق، فساهم زهاء نيف و خمسين سنه، فى أعمال المجمع العلميه، كما شارك فى ادارته عضوا فى اللجنه الاداريه حتى عام ١٩٦٤ و اشترك فى المؤتمرات اللغويه و المهرجانات الأدبيه التى أقامها و فى إلقاء المحاضرات العامه فى بهوه كما شارك فى تحرير مجلته.

و فى سنه ١٩٦٩ انتخبه المجمع العلمى العراقى فى بغداد عضوا مؤازرا فيه.

مؤلفاته:

١ - كتاب الأمراض النفسيه: كتاب باللغه الفرنسيه، ألفه بالاشتراك مع الجنرال جود، رئيس الشؤون الصحيه فى الجيش الفرنسى فى سوريه، المنتدب لتدريس الأمراض النفسيه فى كلية الطب فى دمشق.

٢ - الموجز فى الأمراض النفسيه: و هو مجموع المحاضرات التى ألقاها على طلبه كلية الطب فى دمشق (مخطوط).

٣ - ملخص محاضرات فى الأمراض النفسيه: سفر يضم القسم الأكبر من التعابير و الألفاظ و المصطلحات العلميه فى الأمراض النفسيه، لم يسبقه أحد من قبل اليه (مخطوط).

٤ - تاريخ الطب عند العرب:

٥ - الأخلاق و المبادئ العامه فى تطور الأمم و تكوينها: محاضره، ألقى القسم الأول منها فى ردهه المجمع فى ١٤ تشرين أول ١٩٢٤ و القسم الثانى بتاريخ ٣١ تشرين الثانى ١٩٢٤. نشرت المحاضرتان فى الجزء الثالث من مجموعه محاضرات المجمع.

٦ - لمححه عن تاريخ الطب فى الشام: محاضره ألقى فى ردهه المجمع العلمى و نشرت فى مجله العرفان - صيدا المجلد ١٧.

٧ - ماهيه الجنون و تاريخه: محاضره ألقى القسم الأول منها فى ردهه المجمع بتاريخ ٢٨ تشرين الثانى ١٩٣٨ و القسم الثانى فى الردهه نفسها. و نشرت المحاضرتان فى المجلد ١٣ من مجله المجمع.

٨ - المسكرات الكحوليه و مضارها الصحيه: ألقى القسم الأول من هذه المحاضره فى ردهه المجمع فى ١٥ تشرين أول ١٩٣٩ و ألقى القسم الثانى، بعد عده أسابيع، فى الردهه نفسها. نشرت المحاضرتان فى المجلد العاشر من مجله المجمع.

٩ - الكوكابين: محاضره ألقى فى ردهه المجمع بتاريخ ٤ حزيران ١٩٤١ و نشرت فى المجلد الثانى عشر من مجله المجمع. و بالاضافه إلى ما ذكر فقد حفلت مجله المجمع العلمى العربى بتعليقاته على بعض ما قرأه من الكتب تعريفا بها أو نقدا لها.

و قد مارس الأدب المسرحى فكتب عده مسرحيات مثلت على مسارح دمشق و يوم وفاته نعاه الدكتور عدنان الخطيب باسم المجمع العلمى بهذه الكلمه:

"نعى مجمع دمشق صباح يوم الخميس فى السادس و العشرين من صفر سنة ١٣٩٩ الموافق للخامس و العشرين من كانون الثانى سنة ١٩٧٩ للميلاد، الدكتور أسعد الحكيم، عميد أعضائه العاملين، و بقيه الرعيل الأول من رجاله العظام، أولئك الذين هبوا، يوم جلاء الأتراك عن بلاد الشام، متكاتفين متناصرين، ينشرون الفصحى فى

ص: ٨٣

المحافل و المجتمعات، و يرفعون لواء العريه في مختلف الدوائر الحكوميه و المؤسسات، كانوا اخوان صدق، صدقوا في ما عاهدوا الله عليه، و ظلوا على العهد، حتى استوفوا آجالهم واحدا أثر واحد".

الدكتور أسعد الحكيم رئيس أطباء مستشفى ابن سينا للأمراض العقليه

خبرته في المستشفى زهاء ربع قرن قلبت مفاهيم مرض الجنون لم يكن في دمشق، في آخر عهد الدوله العثمانيه، أى مستشفى خاص بالأمراض العقليه، كما أن الاختصاص بتلك الأمراض لم يكن موجودا.

كان المصابون بها، يتجولون في الشوارع على غير هدى، و هم عال على ذويهم. كانت تلتقطهم الشرطه و تسوقهم إلى مأوى خاص، لا شفقه عليهم أو سعيا وراء معالجتهم، بل خوفا من أذاهم و ضررهم، إذ كانوا في أغلب الأحيان، يعتدون على الماره و يشبعونهم ضربا و شتما.

و كان المأوى المذكور يعرف باسم (المارستان) و لا يزال موجودا حتى وقتنا الحاضر عام ١٩٩٢ غير انه أصبح متحفا لمشاهير العرب في علم الطب و هو كائن في طريق المارستان الممتد من سوق الحميديه حتى ساحه الحريقه.

كان المرضى في هذا المأوى يعاملون كالحوانات الضاربه، كانت أيديهم و أرجلهم مقيده بسلاسل من حديد، و الطعام يلقي إليهم عبر نافذه صغيره. و غنى عن البيان بان معاملتهم على هذا النمط كان من شأنها أن تزيدهم مرضا. أما السوريون المنعمون فكانوا يرسلون مرضاهم إلى (مستشفى العصفوريه) الكائن بالقرب من بيروت و المستشفى المذكور كان مؤسسه أجنبيه يقصده مرضى العقول من لبنانيين و سوريين و عراقيين و أردنيين و إيرانيين و سعوديين. و كان أغلب أطبائه من الأخصائيين الأجانب، و بقي ردحا من الزمن الملاذ الوحيد لمرضى منطقته الشرق الأوسط.

ثم أسست حكومه دمشق مستشفى للأمراض العقليه في قريه المزه لقد توجت مديرية الصحه العامه عملها الإنساني الجديد بان عهدت إلى الدكتور أسعد الحكيم، بإداره المستشفى و هو الطيب الذي حباه الله صفات جعلت منه أبا و أخا و قيما على المصابين بأمراض عقليه أو نفسيه. و سنرى آثار الأعمال الجباره التي قام بها، خلال نيف و ربع قرن تمكن خلالها من تحويل بعض مرضاه إلى أناس عاديين يكسبون قوتهم بكذ أيديهم، و عرق جبينهم بعد خروجهم من المستشفى، بحيث يصبحون عمالا زراعيين أو أصحاب مهن، بعد أن كانوا تحت سيطره السوط يعاملون كالأغنام أو بقسوه أشد.

بذل جهودا كبيره لتهيئه ممرضين و ممرضات باعطائهم دروسا نظريه و عمليه تمكنهم من فهم مرضاهم، و التحكم بهم عند الحاجه.

تقديرا لخدماته و لجهوده المتواصله أوفدته مديرية الصحه العامه للتخصص بالأمراض العقليه و النفسيه في جامعه باريس و مستشفياتها.

فتابع الدروس النظرية في كليه الطب، و لازم أشهر أساتذته الأمراض العقليه في التشخيص و الاستقصاء لمعرفة أسباب المرض و تعلم لغة التخاطب مع المرضى فاقدى العقل و الإدراك. بقي مع أساتذته، في مستشفى شارنتون للأمراض العقليه، يعاين

المرضى و يتابع حركاتهم و فهم لغتهم.

و قد دامت إقامته فى باريس أكثر من سنه، و بعد عودته إلى دمشق وضعت مصلحه أملاك الدوله، المبنى القديم الذى تملكه فى مركز (القصور) من أعمال قضاء دوما، مع الأرض التابعه له و البالغه مساحتها خمسون ألف متر مربع تقريبا تحت تصرف مديره الصحه العامه لاتخاذ مقر لمستشفى الأمراض العقليه.

تسلمت دائره الصحه البناء المذكور، و بعد أن قامت بترميمه و إدخال الاصلاحات الضروريه عليه دشنت افتتاحه بحفله رسميه تحت اسم: "مستشفى ابن سينا للأمراض العقليه".

انتقل المرضى من المزه إلى المقر الجديد. و عين لادارته موظف خصص له و لعائلته جناح خاص ليكون على الدوام بالقرب من المرضى، فى الليل و النهار كما خصص، ضمن جناح النساء مشغلا خاصا لتعليم الخياطة و التطريز و شغل الابره و كوى الألبسه، مع قاعه واسععه لعرض منتجات المشغل و بيعها. أما المرضى من الرجال فقد خصهم الدكتور الحكيم بأعمال زراعيه و مهنيه كالتجاره و الدهان و تقشيش المقاعد، و بعض أعمال المطبخ... إلخ.

و للوصول إلى غايته لجأ الدكتور إلى أيدي مهرة لتعليم المرضى و تدريبهم على الأعمال الزراعيه و المهنيه تحت إشرافه و سمعه و بصره.

فعينهم تحت اسم (ممرضين و ممرضات) لفته محدوده. و قد أبلى هؤلاء بلاء حسنا فى تنفيذ المخطط الذى وضعه و كانوا خير مدرسه لهؤلاء المرضى الذين أصبحوا، بين عشيه و ضحاها من المنتجين المثمرين بعد أن كانوا عاله على المجتمع.

من هنا كانت تظهر كفاءه هذا الطبيب النفسانى الذى سجل فى هذا المضممار نتائج قيمه من جراء صبره و تجلده و تفهمه نفسيه كل مريض و الأسباب التى آلت إلى فقدان عقله. و كان يردد على الدوام (ان معرفه السبب تسهل الشفاء) و ان المبدأ القائل "داونى بالتي كانت هى الداء" له الأثر الفعال فى هذا المجال.

لقد اتبع الدكتور الأسلوب التالى فى تفهم مرضاه و معالجتهم:

فى الأسبوع الأول من دخول المريض إلى المستشفى ينتدب الدكتور ممرضا لملازمه المريض و تسجيل حركاته و سكناته و التحدث معه، كصديق فى مواضيع مختلفه، و يقدم بذلك تقريرا مفصلا إلى الدكتور مع التنويه إلى الإشاره أو الفكره أو الكلمه التى كان المريض يرددها، فى أثناء حديثه أكثر من غيرها كان يكرر مثلا فكره الطلاق، الزواج، الإرث، خيانه الزوجه، الانتقام.. إلخ يحضر الممرض مع تقريره إلى مكتب الدكتور و هنا تبدأ الأسئلة و الأجوبه، عن الحب، الطلاق، الإرث، الريح، الحزن... إلخ و فى كل جواب كان الدكتور يقرأ أسرار مريضه من ملامح وجهه و يقدر درجه انفعالاته و عند ما يشعر بان مريضه أعطى انتباها خاصا لإحدى هذه الأسئلة كالزواج مثلا يعود و يستأنف الحديث عن الزواج بصوره أوسع كان يقول لمريضه، جميله، بشعه، هل تريد أن تتزوجها؟ أبوها موافق؟ هل تحب غيرها؟ لما ذا لا تسرع و تخطبها قبل أن يطلبها ابن عمها؟... كانت تلك

الجلسات

تتعاقب و تدوم عده ساعات. و عند ما يشعر بعقم هذه المحادثات الشفهيه يقول لمريضه:

لما ذا لا تكتب لخطيبتك؟ أكتب لها ما تريد و سارسله بالبريد و سأعطيك الجواب لدى وروده. و إذا كنت لا تعرف الكتابه فقد نساعدك.

يأخذ الدكتور المكتوب و يجاوب عليه من روح ما ورد فيه. و بعد بضعه أيام ينادى المريض و يقول له: خذ، فقد أتاك الجواب.

و هنا يتدئ الحديث مجددا بينهما على ضوء ما ورد فى الكتاب و جوابه و كثيرا ما كان الدكتور يستدعى أهل المريض و يطلعهم على الأسئلة و الأجوبه ليوافوه بمعلومات جيده قد تنير أمامه الطريق إلى معرفه سبب المرض.

إن هذه الخطه مع ما يتبعها من مختلف العلاجات قد أعطت أحسن النتائج و مهدت السبيل لشفاء تام لكثير من المرضى الذين غادروا المستشفى و هم يتمتعون بعقل سليم، كغيرهم من ذوى العقول.

بعد سنتين من تدريب النسوه على الأعمال اليدويه و الرجال على الأعمال الزراعيه أنهى الدكتور خدمه من كانوا عينوا مؤقتا من أجل التعليم و التدريب بحيث أصبح فى مقدور المرضى القيام لوحدهم بجميع الأعمال. فكان منهم العامل و المراقب و رئيس الورشه و الفلاح و البناء و الدهان و النجار و الخياطه و المطرزه و الطباخه.

كانت منتوجات النساء تعرض للبيع فى قاعه خاصه مفتوحه للناس فى أيام معينه، و كانت حصيله المبيعات تقيده فى حساب خاص يصرف منه على شراء ما يلزم من مواد أوليه أو ماكينات للخياطه و التطريز.

و على مدار الأيام أصبح مشغل النساء مريحا، و كانت أرباحه تستعمل لشراء ألبسه داخلية و خارجيه للمريضات اللواتى يمزقن ألبستهن أو يحرقنها فى بعض الأحيان.

أما المرضى من الرجال الذين تمرنوا على أعمال زراعيه و نجحوا فيها، فقد استصلحوا الأرض التابعه للمستشفى و حرثوها و زرعوها، و شقوا فيها الأقبية و أمنوا سقايتها، و طعموا أشجارها، و قطفوا ثمارها، و كل ذلك كان بعرق جبينهم و كد يمينهم، دون أن تتحمل خزانه الدوله أى قرش فى هذا السبيل. و بفضل تلك السواعد كان المرضى، من رجال و نساء، يأكلون الفاكهه و الخضره، و يرسلون ما يزيد عن استهلاكهم، بواسطه اداره المستشفى، إلى بعض المستشفيات فى دمشق كهديه منهم و بدون أى ثمن.

و هكذا نرى أن المريض الذى كان يعامل ككذئب كاسر أصبح الآن، بفضل العلم و بفضل الجهود الجباره التى بذلها الدكتور أسعد الحكيم، من ذوى العقول، و عضوا منتجا فى الهيئه الاجتماعيه، يزرع الأرض، و يقطف ثمار أشجارها، و يمارس مهنته يعيش منها، ينام فى السرير، و يأكل فى غرفه الطعام، و أصبح واعيا مدركا، لا خوف عليه و لا خوف منه، يذهب فى إجازته لوحده، ثم يعود كغيره من أولى الألباب، و كثيرا ما كان يتحدث أحد زوار المستشفى مع مريض ما ساعات دون أن يشعر بان المتحدث معه كان مريضا و من نزلاء المستشفى.

إسماعيل الآشتياني:

ولد سنة ١٨٩٢ م في طهران و توفي سنة ١٩٧٠ في طهران.

رسام و شاعر إيراني من اسره دينيه، و كان أبوه الشيخ مرتضى و جده الميرزا حسن ممن اشتهروا بالجد في حركه مقاطعه التباك.

تخرج من مدرسه الإسلام و دار الفنون، و كان قد بدا نبوغه في الرسم منذ طفولته، فدخل (مدرسه صنائع مستظرفه) التي كانت أسست سنة ١٩١١ م. ثم أصبح نائبا لمدير هذه المدرسه ثم مديرا لها.

و كان نبوغه في الرسم قد بدا واضحا. ثم سافر سنة ١٩٣٠ إلى اوربا حيث كلفته شركه (اوبا) السينمائيه في ألمانيا رسم صور عدد من مشاهير الممثلين الالمان. و اقترح عليه البقاء في ألمانيا موظفا في تلك الشركه فرفض و عاد إلى ايران و تولى التدريس في (دار الفنون) و كليه الآداب و دار المعلمين العاليه بطهران.

و في العام ١٩٤٦ منحه المجلس الأعلى للثقافه شهاده الدكتوراه الفخرية و وسام الفن من الدرجه الأولى. و في سنة ١٩٤٧ عين استاذاً في كليه التقنيه. و العام ١٩٤٩ طلب احالته على التقاعد و هو لم يزل في السابعة و الخمسين من العمر، و لكنه ظل مستمرا في الإنتاج الفني، كما انه بقى عضوا في المجلس الأعلى للثقافه و الفنون الجميله و الجمعيه الادبيه للمجمع العلمى.

كان ينزع إلى المذهب الطبيعى في الرسم و يستمد أكثر آثاره من الطبيعه مباشره. و كان إلى ذلك شاعرا يتخلص في شعره ب (شعله) و قد طبع له ديوان شعر. و من مؤلفاته سفرنامه اوروبا (رحله اوروبا) و مناظر و مرايا (علم المناظر) و أدعيه القرآن و نماز در إسلام (الصلاه في الإسلام) و مختارات من رباعيات الخيام و ترانه هاى بابا طاهر و صائب و حافظ و شرح حال و تاريخ حيات كمال الملك.

الميرزا إسماعيل الملقب ب هند ابن الميرزا أبو الحسن يغما الجندقى

أحد شعراء العصر القاجارى:

كان مريدا للحاج محمد كريم خان الكرمانى رئيس الفرقة الشيخيه فى كرمان، و قد بقى على قيد الحياه حتى عا [عام] ١٢٨٨ يوجد ديوانه فى مكتبه المجلس ضمن الدواوين الخطيه تحت رقم ١٠٨٥ و قد طبعت هذه النسخه فى طهران عام ١٣٦٦ هـ فى ٤٥٧ صفحه من القطع الوزيرى باهتمام السيد على آل داود. و هى مكتوبه بخط الشاعر و الظاهر انه بدأ بها عام ١٢٦٨ هـ، و ليس فيها تاريخ يعود إلى ما بعد عام ١٢٨٨ هـ. و قد ورد فى ترجمته انه درس مقدمات العلوم ثم رحل إلى النجف الأشرف لإكمال الدراسه، فنال درجه الاجتهاد. و بالاضافه إلى نظم الشعر باللغه الفارسيه كان ينظم الشعر أيضا باللغه العرييه.

من آثاره المنظومه قصه حب جاءت على شكل رباعيات متصله، و هى محفوظه لدى عائلته. و من اعماله المهمه إكمال المعجم الذى بدأه يغما الجندقى و لم يوفق لإكماله. و من نماذج آثاره المنشوره مقدمته لديوان يغما، و بعض الرسائل و المكاتبات التى يحتفظ بها الأستاذ حبيب الیغمائى مدير مجله يغما.

السيد أشرف الدين الحسيني بن احمد القزويني:

من كبار شعراء و مؤلفي أواخر العصر القاجاري و حركة المشروطه في

ص: ٨٥

إيران. ولد في قزوین عام ۱۲۸۷ هـ، و تيم و هو في الشهر السادس من عمره، ثم غصب بيته و ملكه و ماله، فاشتدت وطاه الفقر عليه، سافر إلى العتبات المقدسه في شبابه و مكث في كربلاء و النجف خمس سنوات، ثم دفعه الشوق و الحنين إلى العوده إلى إيران. و ورد في ترجمته المنظومه لحياته انه ذهب إلى قزوین بعد عودته من العراق ثم رحل إلى تبريز في الثانيه و العشرين من عمره، و التقى في سفرته تلك بصوفي أنار قلبه و علمه الأسرار الحقه.

درس السيد أشرف الحسيني مقدمات العلوم في تبريز و تعلم الهيئه و الجغرافيا و الصرف و النحو و المنطق و الهندسه و بعضا آخر من العلوم التي كانت متداوله في عصره، و طالع خلال ذلك آثار الميرزا فتح على الآخوندزاده و تاثر بها ثم رحل إلى گيلان و اقام في رشت، و كان يؤمن قوت عائلته (زوجته و ابنه) من خلال الكتابه، و رأى من أهل رشت غايه اللطف و المحبه، و أنشد أول أشعاره - خلال ذلك - في حركه المشروطه. و قام بتأسيس صحيفه (نسيم الشمال) المعروفه في رشت عام ۱۳۲۴ هـ بعد ان تحققت المشروطه (الحكم الدستوري). و كانت تصدر اسبوعيا و لكن دون ترتيب. و مع استقرار المشروطه قدم السيد أشرف الحسيني إلى طهران برفقه القائد فتح الله خان الرشتي، و استأنف إصدار صحيفته (ورد بالتفصيل الحديث عن تأسيس صحيفه (نسيم الشمال)).

كانت صحيفه نسيم الشمال من الصحف المعروفه في إيران، و يعود لها الفضل في شهره السيد أشرف الدين الحسيني، بحيث أصبح محلا لاحترام و اهتمام عامه الشعب الايراني، بل انه أصبح أحب و أشهر شاعر وطني لحركه المشروطه في إيران، فقد كان مؤيدا و مناصرا لها بكل معنى الكلمه، و لم يكن يعبا بأحد من أبناء الطبقات المترفه، و لم يحد عن طريقه هذا إلى آخر عمره. و لكنه في النهايه تعرض لما يتعرض له عاده أمثاله من المخلصين، حيث أشيع عام ۱۳۴۵ هـ إصابته بالجنون، و أخذ بعدها إلى مستشفى الأمراض العقليه، و امضى سنينه الاخيريه في فقر و ضيق و مرض حتى فارق الحياه في ذى الحجه عام ۱۳۵۲ هـ.

تحدث المرحوم يحيى آرين پور عن أشعار السيد أشرف الحسيني فقال: "إذا كانت أشعار السيد أشرف لا تصل إلى مستوى الشعراء الكلاسيكيين، فإنها فاقت أكثر الاشعار الفكاهيه و السياسيه لعصره من حيث تركيب العبارات و قوه البيان. و قد كانت أكبر اهدافه و غايه طموحاته الفنيه الدفاع عن استقلال إيران و معاداه المعتدين الأجانب و قد جاء كل ذلك بأسلوب شعري ساخن و طريقه ساخره تعلمها من صابر (الميرزا على أكبر طاهرزاده). و كان خلال أشعاره التي تميزت بسخريتها القويه و البعيده عن الطعن و الجرح يهاجم الذين باعوا وطنهم، و خانوا شعبهم و وقفوا ضد الحريات، و يهاجم أيضا الدبلوماسيين الازدواجيين، و جميع الأشخاص الذين لم يفكروا بشعبهم و وطنهم.

تجاوزت أشعار السيد أشرف عشرين ألف بيت، و قد طبع بعضها باسم (باغ بهشت) و بعضها الآخر باسم آخر. و طبع في طهران في السنوات الاخيريه جميع آثاره الشعريه التي شملت الآثار الفكاهيه و الاجتماعيه و النقدية. و طبع له في طهران أيضا اثر آخر هو (عزيز و غزال) الذي جاء نظما و نثرا(۱).

الأمير الشيخ أويس الإيلكاني بن الأمير الشيخ حسن بن الأمير الشيخ حسين

(زوج بنت أرغون خان) بن آق بوقا بن ايلگانويان. و بعضهم ذكره ايلگان:

وقعت غلظه في ترجمته في الصفحه ۵۱۲ من المجلد الثالث من (الأعيان)، ثم تكررت في ترجمه سميّه أويس بن شاه ولد بن

شاه زاده بن أويس فى الصفحه ٥١٦ من المجلد نفسه. و كان سبق أن وقعت فى ترجمه الأمير الشيخ حسن بن الأمير حسين، كما حصل تخالط فى سلسله نسبه، ما سنوضحه هنا.

أما الغلطه البسيطه فى تركيبها، الكبيره فيما يترتب عليها، فهى ابدال كلمه (الايلىغانى) لكلمه (الايلىخانى). فالأويسان و كذلك الشيخ حسن هم ايلىغانيون لا ايلىخانيون. و الفرق بين النسبتين فرق كبير.

و الشيخ حسن والد المترجم هو كما ذكر فى النسب أعلاه و ينتهى هذا النسب إلى ايلىغانويان أو ايلىغان، و إلى ايلىغان هذا تنسب الأسره كلها لا إلى ايلىخان.

و قد تشبه هذه النسبه بالنسبه إلى الحكومه ايلىخانيه - كما حدث هنا - و الفرق واضح فى أن ايلىخانيه يطلق على هولاكو و أخلافه لأن لقب ايلىخان أعطاه منقوقاآن لأخيه هولاكو خان حينما سيره لاكتساح البلاد الإسلاميه، و لذلك سميت حكومته بالايلىخانيه، بخلاف هذه فإنها تمت إلى ايلىغانويان جدها الأعلى. و ايلىغانيون هذا كان مع هولاكو و له مكانه عنده.

و الحكومه ايلىغانيه اشتهرت باسم: الحكومه الجلائريه، و هى حكومه شيعيه و لحكامها مقابر خاصه بهم فى النجف الأشرف كما ذكر ذلك مفصلا فى ترجمه الشيخ حسن فى الصفحه ٤٨ من المجلد الخامس من (الأعيان).

و جلاير قبيله كبرى من قبائل المغول. و كانت جموعها (كورن) كثيره (٢) و تفرعت إلى فروع عديده و أوشكوا أن يبيدوا فى حروبهم مع الخيتاى فلم يبق منهم سوى طائفه واحده يقال لها (چابولفان)، و هؤلاء كان بينهم و بين فييات حرب أدت إلى أسر قسم كبير منهم، و لما تسلط جنكيز اتصل باقى الجلائريه به. و أصلهم من المغول من أولاد (فكون) من قبيله (دورلكين)، و لم يكن جلاير الجد الأقرب كما توهم صاحب (گلشن خلفا)، و قد غلط صاحب الشذرات فى عده ايلىغانويان ابن هلاكو، لأن قبيله الجلائر لا تتصل بال جنكيز اتصالا قريبا، و ان كان الكل من المغول.

و ايلىغانويان هذا هو رأس الفخذ الأقرب من هذه الطائفه أو الجد الأعلى، و كان قد جاء مع هولاكو فى حملته و افتتح بغداد معه.

و هذه القبيله عارضت جنكيز خان فى بادئ الأمر ثم صارت له عضدا مهما و ناصرا قويا. كما أنها كانت ساعدا عظيما لحكومه هولاكو

ص: ٨٦

١- عبد الرفيع حقيقت.

٢- لجمع يقال له: كورن، و هو ألف بيت.

و أولاده و أحفاده. و ذلك أن آق بوقا كان أمير الأمراء في زمن كيخاتو خان سلطان المغول، و في فتنته [فتنه] بايدو خان قتل. أما ابنه الأمير حسين فقد تزوج بنت أرغون خان و في أيام أبي سعيد كان أمير قبيله (ألوس).

و ابنه الأمير الشيخ حسن حكم الروم زمن السلطان أبي سعيد و قد جرى عليه ما جرى من تطليق زوجته بغداد خاتون و تزوج السلطان أبي سعيد بها بعد نكبه الجوبان و أولاده، و بعد وفاه السلطان أبي سعيد ظهر التغلب و قامت الفتن فورد العراق عدده دفعات و اقتحم مهالك عظمى و مخاطر كبرى في حروبه فاجتاز العقبات إلى أن تملك العراق، و هو الذى يطلق عليه اسم (الشيخ حسن الكبير) كما انه يقال لابن الأمير جوبان (حسن الصغير). و لما انقرضت دوله أبي سعيد و لم يكن له ولد صفا الأمر لعلى باشا الأويرات أثر قتله السلطان ارپا خان فتجاوز (الأويرات) (١). حدودهم و قسوا في تعديهم، و من ثم نفر منهم جماعة مثل الحاج طغاي و الحاج طوغا بك فمالوا عنهم و ركنوا إلى الشيخ حسن الكبير و ندبوه لدفع شرور هذه الطائفة، فأنفذ الشيخ حسن رسولا إلى صورغان شير بن الأمير جوبان و كان في كرجستان فطلبه و كلفه أن يصحب معه عساكر من الكرج فاتى اليه بعسكر عظيم. فعندها توجه الشيخ حسن بالعساكر الجمه إلى محاربه على باشا و قمع شره فوقع الحرب بينهما نهار السبت ١٧ ذى الحجة سنه ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م) فخذل على باشا و استظهر الشيخ حسن و قتل على باشا و خلص الأمر للشيخ حسن سنه ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) و تم له الأمر في بغداد و تمكن من الحكم فيها بلا مزاحم تقريبا، و تزوج دلشاد، و كانت من قبل لدى على باشا الأويرات تدعى الحمل من أبي سعيد، و كانت من أحب النساء للسلطان أبي سعيد و هى بنت الأمير دمشق ابن الأمير جوبان تزوج بها فتمكن من أخذ حيفه منه بالتزوج بها بعد مماته، فقد كان أكرهه على تطليق زوجته بغداد خاتون. و قال الغياثي: " و من الغرائب أن الأمير حسين والذ الشيخ حسن كان قد تزوج بغداد خاتون بنت الأمير جوبان عمه دلشاد خاتون فبلغ أبا سعيد حسنهما فانتزعها منه، فشاء الله تعالى أن جلس ولده موضع أبي سعيد و تزوج امرأته دلشاد خاتون". اه.

و الصحيح أن الشيخ حسن هو الذى انتزعت زوجته و أرغم على تطليقها، فكان أن قدر تزوجه بزوجه أبي سعيد دلشاد خاتون (٢).

الأمير برندق بن الأمير نصرت شاه الخجندی:

يعد من أساتذته الشعر في أواخر القرن الثامن و أوائل القرن التاسع للهجرة، كان ملازما لبلاطات تيمور و بعض ابنائه و أحفاده. و بالرغم من مكانته الرفيعة في الشعر و تفوقه على أغلب شعراء العهد التيمورى، الا اننا لا نجد حديثا جديرا بالانتباه أو شرحا مهما لأحواله في الكتب القريبه من عهده، مثل: تذكرة الشعراء لدولت شاه و مجالس النفائس للأمير على شير النوائى و لطائف الطوائف لصفى الدين على و غيرها.

و إذا كانت هذه الكتب و اخرى غيرها قد ذكرناها مصادر لترجمته، فإنما كان ذلك لأننا أردنا ان لا يبقى القارئ غافلا عنها (٣) و من بين هذه المصادر جاءت (خلاصه الاشعار) لثقى الدين الحاوى مشتملا على معلومات جيدة بشأنه. و الظاهر ان السبب الذى دعا دولت شاه و الأمير على شير و بعض أصحاب التراجم الذين ماشوها إلى عدم منح سيره برندق اهتماما كافيا هو كون هذا الشاعر من ناظمى القصائد على نمط شعراء القرن السادس و لا سيما الخاقانى و قد برع في هذا المجال، و عدم سلوكه مسلك شعراء أواخر القرن التاسع في نظم الغزليات. و الحقيقة ان برندق كان من أساتذته القرن الثامن في نظم القصائد و الاقتداء في ذلك بأساتذته هذا الفن القدماء. و لو لا انه حجم نفسه بتيمور و بنيه لكان حقه ان يدرج اسمه في آخر فهرست شعراء القرن

على ايه حال كان جهل أصحاب التراجم بحياه الشاعر (برندق) سببا لتسميه البعض له بالبخارى، و الحال انه خجندى و سكن سمرقند، و كذلك إلى اكتفاء البعض بوصفه بالنديم دون ذكر الحوادث الطويله فى حياته، و نسبه بذاءه اللسان و الهزل له، و من ثم قالوا بان بذاءه اللسان هذه كانت تدعو بعض الشعراء المعاصرين له إلى التحرج من ذكر اسمه فكانوا يكتفون بتسميته بالاستاذ و ذكر بعض اللطائف المقتضبه عنه، فكان هذا الأمر يوحى بان برندق كان مقتصرًا فى حياته على الهزل و اللطائف و حتى إذا أشار البعض إلى قدرته فى الهجاء، فان فنه فى الحقيقه كان ارفع شأنًا من ذلك، حيث شمل جميع أنواع الشعر و خصوصا المدح و الغزل، بل انه يعد فى هذه الأمور بمصاف اساتذته المتقدمين.

و اما عله اكتفاء معاصريه بتسميته بالاستاذ فليست بذاءه لسانه انما هى كثره و تنوع معلوماته العلميه و الادبيه، و كذلك مهارته و براعته فى نظم الشعر و إيراد الكلام.

و من خلال مجموع الأشعار التى نقلت عنه و كذلك ما نقله تقى الدين بشأنه نرى بين أيدينا معلومات قيمه حول حياته و آثاره، و لعل العثور على ديوانه الكامل سيدلنا على معلومات أكثر قيمه بشأنه.

و حين ذكرنا فى مطلع حديثنا عنه ان اسمه برندق و اسم أبيه نصرت فإنما ورد ذلك مرارا فى شعره، حيث كان يتخلص فى شعره باسمه (برندق) تاره و تاره اخرى ب (ابن نصرت) و أحيانا بكليهما. و كان تخلصه بابن نصرت اقتداء منه بالمتقدمين عليه من شعراء القرنين السابع و الثامن، مثل: ابن همگر و ابن يمين و ابن معين و ابن نضوح و ابن عماد و غيرهم. و اما اسم برندق فهو اسم شائع فى القرنين الثامن و التاسع للهجره فى بلاد ما وراء النهر، و من الأشخاص الذين حملوا هذا الاسم و ورد اسمهم فى التاريخ الأمير برندق بن جهان شاه البرلاسى و هو من

ص: ٨٧

١- فى گلشن خلفا، على باشا أو على شاه، كما أنه جاء فى غيره: على بادشاه، و فى الدرر الكامنه: على باشه، و فى الشذرات على باش. و الأويرات قبيله من قبائل المغول ظهرت للوجود فى عهد ارپا خان و كان على باشا والى بغداد فقام بدوره فانقرضت على يده حكمه المغول، فكانت يدها آله فتح فى أول الأمر و آله تخريب فى الآخر...

٢- تاريخ العراق بين احتلالين.

٣- وردت عن هذا الشاعر معلومات قليله و غير وافية فى المصادر التاليه: تذكره الشعراء لدولت شاه ص ٤١٧-٤١٩ - آتشكده آذر طبع بومبى ص ٢١٩ - لطائف الطوائف ص ٢٥٢-٢٥٣ - مجالس النفايس ص ١٩ - هفت إقليم ج ٣ ص ٤٣٤-٤٣٥ - تاريخ نظم و نثر در ايران ص ٢٩٧.

أمراء وقاده البرلاسيين و كان معاصرا لتيemor و بقى حيا بعده و مؤثرا فى أمور الدوله.

ذكر الشاعر عام ولادته فى بعض قصائده، فكان على وجه التحديد عام ٧٥٧هـ. و كان والده الأمير نصرت شاه " فى بدايه عهد سلطنه الأمير الكبير تيمور گوگان [گورگان] أنار الله برهانه حاكم تلك الولاية (اى خجند) و عرف بكرم ذاته و سخائه و كان عديم النظير بين عظماء و أمراء تلك الولاية(١) و كان برندق يشير مرارا فى شعره إلى رفعه مقامه و شرف نسبه، و يقول ان أصل عائلته من أهل خجند، و إلى جانب ذلك كان يشير فى هذه الاشعار إلى رحلاته التى قام بها إلى خوارزم و ما وراء النهر و خراسان و العراقين و آذربايجان و بلاد السند و الهند.

و لما كان الشاعر برندق قد عاش فتره شبابه فى النصف الثانى من القرن الثامن اى فى الوقت الذى كان أساتذه الشعر يحاولون الاحاطه بفنون الأدب و مقدمات العلوم و يلمون بالثقافه الإيرانيه الإسلاميه، فإنه حذا حذوهم و سعى لدراسه الآداب و العلوم و تعلم كثيرا منها، و يمكن ادراك هذا الأمر من خلال الكلام المتين و المعانى العالیه التى كان يستعملها فى شعره. و قد أشار عدّه مرات إلى كثره معلوماته فى مختلف الفنون، بل انه ادعى ذات مره انه صاحب اطلاع فى الطب و كذلك ادعى بأنه يقرأ الزبور بالخط العبرانى، و يجيد قراءه الإنجيل باللغه السريانيه.

و تزامنت فتره دراسه و تعلم برندق و نشوئه الشعري مع ثورات أوس جغتای و سقوط تلك المناطق بيد البرلاسيين، و النزاعات بين الأمير عبد الله بن الأمير قزغن مع الحاج برلاس و الأمير بيان سلدوز و حمله تيمور على بلاد ما وراء النهر و تعيينه لابنه الياس خواجه حاكما على تلك البلاد، و خروج الأمير حسين حفيد الأمير قزغن عليه و سيطرته على أوس جغتای، ثم اتحاد الأمير حسين مع تيمور و قتل الأول فيما بعد عام ٧٧١هـ بخيانه من تيمور، و ثوره الأمير حسين الصوفى فى خوارزم و انفصال تلك المنطقه عن أوس جغتای حتى وفاته بعد اندحاره بوجه تيمور عام ٧٧٣هـ.

و كان برندق فى جميع هذه الأحداث حائرا فى بلاد ما وراء النهر و خراسان، و مدح خلال ذلك الأمير حسين و هو اما حسين القزغنى أو حسين الصوفى، و الأول أرجح لاستقراره فى سمرقند، و اقامه الشاعر فيها. ثم تنقطع اخباره حتى عام ٧٨٧هـ حين نظم قصيده (محيط المعانى) فى سمرقند. و هو يذكر ذلك العام (٧٨٧هـ) فى قصيده، و إلى جانب هذا التاريخ أورد تاريخا آخر هو عام (٧٨٨هـ) فى قصيده التى مدح بها شيخ الإسلام فى سمرقند عماد الدين عبد الملك العصامى السمرقندى. و شيخ الإسلام هذا كان من مشاهير شعراء و علماء عصره، و هو أستاذ الشاعر البساطى السمرقندى. و كما نعلم فان عام ٧٨٨هـ هو العام الذى بدأ به تيمور هجومه على ايران الذى استمر ثلاث سنوات (٧٨٨ - ٧٩٠هـ).

و كان برندق خلال تلك السنين يكثر من مدح جلال الدين أميران شاه بن تيمور، و يبدو من خلال قصائده التى يمدح بها هذا الأمير انه كان ملازما لبلاطه، و مرافقا له فى أسفاره إلى عدّه مدن، مثل: اندكان و بلخ [بلخ]. و لما كان أميران شاه معيننا من قبل أبيه حاكما على آذربايجان و العراق و الجزيره و مستقرا فى تبريز، فقد كان برندق مرافقا له فى هذه الولاية، و قد أشار عدّه مرات إلى غربته ضمن القصائد التى كان يمدح بها أميره. و حين كان الشاعر مع الأمير فى بلخ حبس بامر من الأخير فى عام ٧٨١هـ، فنظم قصيده يمدح فيها الأمير و يمجّد بمقامه و مكانته فى الشعر.

على ايه حال كانت ملازمه برندق لبلاط أميران شاه سببا لحب الأخير له و تقريبه إياه، مما كان يثير حسد اقرانه، فكان الشاعر

يشكو للأمير ما يعانیه من حسد الحاسدين.

و المعروف ان جلال الدين أميران شاه أصيب في أواخر عهد أبيه باختلال في حواسه نتيجة سقوطه عن ظهر جواده، فعاقب تيمور موافقيه و حاشيته لإهمالهم في التزام الحيطه و الحذر، و لا- يستبعد ان يكون برندق بينهم، حيث غادر تبريز بعد هذه الحادته و توجه إلى خراسان فوصل بلخ (غريبا مفلسا مسكينا) كما وصف حاله في قصيده له، و التجأ إلى كاتب و مستوف فيها اسمه السيد على طالبا منه المساعدة.

سافر برندق بعد فتره إلى خجند، و توجه منها إلى مكه المكرمه، و بعدها إلى الهند، حيث مكث حينا في دلهي و قنوج، و في غضون ذلك التقى السلطان غياث الدين تغلي شاه الذي حكم الهند سته أشهر بين عامي ٧٩٠ و ٧٩١ هـ فمدحه، و لكن لسوء حظه ان الفتره التي أمضاها في الهند كانت مترامنه مع تازم الأمور بالنسبه للسلسله التغلقيه، فرأى بعد حين ان المصلحه تقتضى مغادره الهند و التوجه إلى بلاد ما وراء النهر . و في تلك الفتره كان السلطان خليل بن أميران شاه بن تيمور حاكما على سمرقند (من عام ٨٠٧ - ٨١٢ هـ بعد وفاه جده. و هكذا سافر ابن نصرت (برندق) من دلهي إلى ملتان و منها إلى سمرقند حيث حضر في خدمه السلطان خليل و شرح له قصته في الهند في قصيده يمدحه فيها. و الظاهر انه لم يمكث طويلا في بلاد ما وراء النهر، بل غادرها بعد حين.

و لعل آخر شعر وصلنا عن برندق هو قصيدته التي قالها عام ٨٠٧ هـ مهنتا فيها أحد الأعيان بمناسبة مولوده الجديد.

و من الأمور المهمه التي ينقلها بعض أصحاب التراجم بشأن الشاعر برندق مثل الأمير على شير دولت شاه و من نقل عنهما، و كذلك صفى الدين على في لطائف الطوائف انه كان ملازما للسلطان بايقرا بن الميرزا الشيخ عمر و حسب، و ينقلون طرائف عن صلوات هذا الأمير له و امتناع (الپروانچي) (٢) عن دفع هذه الصلوات كامله. و الأمير هذا هو حاكم بعض نواحي العراق و الجبال منذ عام ٨١٧ هـ ثم تطاول على شيراز فسخط عليه شاه رخ و أرسله إلى قندهار ثم عاد و أرسله عام ٨٢٠ إلى سمرقند، و بعدها انقطعت اخباره. و إذا لم نر بين أشعار برندق قصيده في مدح هذا الأمير، الا انه لا يستبعد ان يكون قد لازمه فتره في سمرقند لان أواخر عمره تزامنت مع فتره اقامه هذا الأمير في سمرقند، ه.

ص: ٨٨

١- خلاصه الأشعار لتقى الدين - النسخه الخطيه.

٢- پروانچي: هو كاتب فرامين و إجازات الشاه.

و لكن لا- يمكن القبول بقول من ذهب إلى ان الشاعر كان مختصا بهذا الأمير (السلطان بايقرا)، و يمكن القبول بأنه مدحه و حسب، و إذا كان برندق قد اختص بشخص فالراجح هو قول تقى الدين بملازمه برندق لا بنى تيمور: جلال الدين أميران شاه (م ٨١٠) كما مر آنفا، و الشيخ عمر الذى كان فى حياه أبيه حاكما على فارس، ثم قتل بالقرب من بغداد (عام ٧٩٦هـ) فى رحلته إلى آسيا الصغرى. و الحق ان نقول بان الشاعر برندق لازم فى بعض حياته الشعريه الأمير أميران شاه و حسب.

امضى ابن نصرت آخر أيامه فى سمرقند و الظاهر انه توفى فيها.

و كانت وفاته حسب (ترجمه روز روشن) فى عام ٨١٥هـ بينما ذكر تقى الدين الكاشانى انها عام (ست و ثمانمائه "٨٠٦") و فى صحف إبراهيم عام ٨١٦هـ. و إذا لم يكن قول تقى الدين سهوا فهو مردود قطعاً لان عام ٨٠٧ ورد فى بعض شعره، و الظاهر عدم صحه عامى ٨١٥ و ٨١٦هـ، لان تقى الدين ذكر ان عمر الشاعر كان ثمانين عاما و يمكن تأييد هذا القول بالأحوال و المعلومات المستفاده من شعره، و الاخبار الوارده عن ملازمته للسلطان بايقرا بن الشيخ عمر، و كذلك إقامته فى هرات عشر سنين و أمثال ذلك، و كل هذه الأمور تؤكد وصول عمر برندق إلى حدود الثمانين عاما. فإذا كانت ولادته عام ٧٥٧هـ فان وفاته حينئذ ستكون فى عام ٨٣٧هـ، و الأرجح ان عام (ست و ثمانمائه) جاء سهوا عن (ست و ثلاثين و ثمانمائه) أو انها بدلت خطأ كما وقع فى تراجم (صحف إبراهيم) و (روز روشن) حين استبدلت ٨٣٦ و ٨٣٥ ب ٨١٦ و ٨١٥هـ. من هنا ينبغى ان نحدد عام ٨٣٥ أو ٨٣٦ تاريخاً لوفاه الشاعر برندق، و الله اعلم.

و فى نهايه المقال و قبل ان نبدأ بمطالعه آثار و أسلوب الشاعر برندق، نود ان نطلع القارئ على المصدر الوحيد الذى يجدر الاهتمام به بشأن ترجمه برندق، و هو خلاصه الاشعار لتقى الدين، و من ثم نورد مقطعاً من هذا المصدر:

"ينحدر مولانا بهاء الدين برندق فى الأصل من خجند، و كان أبوه الأمير نصرت شاه فى بدايه حكمه الأمير الكبير تيمور حاكماً على هذه الولايات، و معروف فيها بحسن سيرته و سخائه، و يعد من أعظم الأمراء. و لكن برندق كان مقيماً فى دار السلطنه سمرقند بعيداً عن عمل أبيه و لا يتدخل فيه، و كان الغالب على طبعه الشعر و الهزل، فاخذ زمام المبادرة فى هذا المجال، و لم يكن أحد من شعراء عصره يطمح للوصول إلى مكاتته، و نال منزله لا توصف لدى أولاد و أحفاد الأمير الكبير تيمور، و لا سيما لدى الأمير ميران شاه و الأمير الشيخ عمر، و ترك بافكاره الرصينه و نظرته البعيده قصائد غراء فى جواب الشعراء و مدح الأمراء و يقال انه لازم السلاطين فتره، ثم سلك طريق السفر، فزار كثيرا من البلدان و تشرف بحج بيت الله الحرام، ثم عاد من سفره و توجه إلى الهند، فكسب فيها ذهباً كثيراً، و صاحب العديد من مشايخها و أخذ يترقى بين سالكى طريق الله، و يتخلص من القيود و التسويات و التخيلات الشيطانيه التى كانت مستوليّه على قلبه بقوه العقل و سلطان الحزم. و بعد خمس و عشرين سنه من السفر عاد إلى وطنه المؤلف، و حط رحاله فى سمرقند و مكث فيها إلى آخر أيام حياته صادق النيه صافى العقيده، ملازماً للدراويز و أرباب التفكير، و كان يبذل الجهد دائماً فى سبيل مساعدته الفقراء و أهل السلوك، و كان سابقاً فى المكارم بين كرماء تلك الديار. ناهز عمره الثمانين عاما امضى أكثرها فى خدمه أهل النظم و أرباب العلم، و سكن هرات عشر سنوات ثم غادرها. و لما كان رجلاً فصيحاً و من نسب رفيع فقد كان شعراء و فضلاء خراسان يتعاملون معه باجلال و احترام و يخاطبونه بالاستاذ. و فى زمن سلطنه أولاد و أحفاد الأمير الكبير تيمور گورگان و خصوصاً بايقرا بن الشيخ عمر سافر الشاعر من خراسان إلى العراق (١)، و أخذ يتنقل بينه و بين فارس و آذربايجان ثم توجه إلى بلاد ما وراء النهر، حتى استقر به الأمر فى مدينه سمرقند فى شهور سنه

و من خلال نظره اجماليه إلى ما كتبه تقي الدين يمكن الأخذ بآرائه بعد اجراء التعديلات التاريخيه، و حينئذ يجب ان نذكر التوضيحات التاليه بشأن قوله:

١ - ما ذكره تقي الدين بشأن مهارته بالهزل كان تكرارا لما ذكره أصحاب التراجم الآخرون، و ما ذكره الشاعر برندق نفسه في بعض شعره. الا ان بروزه لم يكن في مجال الهزل كما زعم الأمير على شير و دولت شاه و من نحا نحوهم، انما كان في المدح إضافة إلى ما كان ينظمه في الوعظ و الحكمه و التوحيد و ذكر مناقب الرسول (ص) و على بن أبي طالب (ع)، فهو شاعر عظيم لا يمكن ان يقتصر بشعره على الهجاء و السخرية.

٢ - ما قاله تقي الدين من ان الشاعر كان ينظم قصائد غراء في جواب الشعراء هو أمر صحيح و سيأتي الحديث عنه في موضعه.

٣ - الظاهر عدم صحه ما ذكره تقي الدين بشأن استغراق سفر برندق و بقاءه في الهند مده خمس و عشرين سنه، إذ يبدو من شعره انه عاش في الهند فتره أقصر من ذلك و انه كان غير راض عن حياته فيها.

و تثبت بعض الشواهد انه لم يترك المدح بعد عودته من الهند، فقد رأينا في شعره مدحا للسلطان خليل، و لكن لا يستبعد ان حجه لبيت الله الحرام و تشرفه بزياره مشايخ الهند أثرا على سلوكه في آخر حياته، فأنشأ ينظم قصائد في التوحيد و ذكر الفضائل و المناقب و المواعظ.

٤ - ليس ثمة دليل بين آثار الشاعر الموجوده يثبت صحه ما ذهب تقي الدين اليه من اقامه الشاعر عشر سنوات في هرات، و كذلك فان ظواهر الأمور لا تؤيد ذلك. و لكن في الوقت ذاته ليس لدينا دليل يدحض قول تقي الدين بهذا الشأن.

٥ - زعم تقي الدين ان سفر برندق إلى العراق و فارس و آذربايجان كان بعد معرفته بالسلطان بايقرا، و لكن الأحداث التي أوردناها آنفا تنفي صحه هذا الأمر، لا سيما و ان معرفه الشاعر بالسلطان بايقرا (على فرض صحتها) لا بد ان تكون في أواخر حياه الشاعر، بعد الثانيه و الستين من عمره، و من الطبيعي ان السياحه ستكون امرا متعذرا على شخص بهذه السن و خصوصا في تلك العصور.

٦ - ما زعمه تقي الدين بشأن كسب الشاعر لمال وافر في الهند، يبدو مخالفا تماما لما ورد في شعره، فهو يشكو من إفلاسه و يشير إلى الحيره التي كان يعيشها في بلاد الهند في قصيدته التي يمدح بها السلطان خليل.١.

و بعد الدراسه و التتبع فى آثار الشاعر الموجوده فى بطون الكتب التاريخيه لم نحصل على معلومات ذات قيمه الا من خلال مجموعه خلاصه الاشعار القيمه التى بلغت أشعار برندق فيها ألفا و ثمانمائه بيت فى مختلف أنواع الشعر، و قد استقيت أغلب معلوماتى حول برندق من هذه الأبيات، و تحدث تقى الدين عن أشعار ابن نصرت (برندق) فقال ان أشعاره التى تميزت بفصاحتها قد ندرت و هجرت فى عصره (عصر تقى الدين) و بعض هذه الاشعار مسطور فى الاسفار القديمه، و اما الاشعار التى نسبها اليه الأمير دولت شاه فى تذكرته فهى لغيره، ثم يتحدث تقى الدين عن ديوان الشاعر الذى حصل عليه فذكر انه يشتمل على عشرين ألف بيت شعر بين قصائد و مشويات حسنه و غزليات مرغوبه، و أكثرها جاء جوابا لاساتذه الشعر و خصوصا الأمير الخاقانى، و البلاغه واضحه فى شعره، و كان يتخلص فيه باسمه (برندق) تاره و ب (ابن نصرت) تاره اخرى.

و اما ما ورد فى صحف إبراهيم بشأنه فهو خلاصه مقتضيه جدا لما جاء فى خلاصه الاشعار، و سيوقعنا ذكره فى التكرار، و لكن الأمر المهم هنا ان هذا الكتاب يذكر اسم الشاعر على انه (برندق الخجندى) خلافا لما ذكر جميع أصحاب التراجم الآخرون حين سموه (برندق البخارى)، و قد أشرنا إلى ذلك آنفا، و الأمر الآخر هو تحديد لوفاه الشاعر فى عام ٨١٦هـ، و قد ذكرنا ان بلوغه ثمانين عاما لا يتناسب مع هذا القول، و رجحنا انه تحريف لعام ٨٣٦هـ.

كان برندق استاذا فى الشعر، و متمكنا فى اقتفاء آثار المتقدمين و كان اقتفاؤه هذا موقوفا على تتبع آثار و أشعار الخاقانى الشروانى، و لا يفهم هذا الأمر بوضوح من خلال طريقه شعره و حسب، بل من تصريحاته التى أشار فيها عدده مرات إلى انه يريد للخاقانى تاره، و تاره نظير له و تلميذ له تاره اخرى، و يصفه بأنه استاذ ذو رأى العالى. و قد أجب فى عدد من قصائده على القصائد المعروفه للخاقانى، و كان مقتنيا فيها لطريقه (استاذ ذى رأى العالى) فى استعمال الجمل التشبيهيه و الاستعاريه و أجاد فى ذلك، و كان فى بعض الأحيان يجيب على قصائد الأنورى و عدد آخر من أساتذه الشعر المتقدمين.

و اسوه بهؤلاء الشعراء الذين كانوا بمنزله المثل و القدوه له كان برندق يكثر من استعمال التركيبات الاستعاريه و التشبيهيه و الأوصاف البديعه فى قصائد التشبيب و بعض الصناعات الشعريه الصعبه، و لكن اقتداره فى الشعر لم يكن يدع هذه التركيبات و الصناعات ان تكون عيبا فى شعره، بل كان شعره دائما سهلا سلسا و قويا، فالشاعر كان بحق من المتميزين بين شعراء عصره، بل انه حرى ان ينظر اليه كاستاذ لهم، و من ثم كان محقا من خاطبه بلقب الأستاذ.

و لعل أغلب مقطعات ابن نصرت جاءت موافقه لاسلوب الأنورى و قد ورد بعضها فى المدح و بعضها فى التمثيل و الموعظه، و سلك فى غزلياته الجميله أسلوب شعراء القرنين السادس و السابع، و يمكن القول بصوره عامه ان ابن نصرت كان مجددا لاسلوب شعراء هذين القرنين فى نهايه القرن الثامن و بدايه القرن التاسع، و لم يدع الانحطاط الادبى السائد فى عصره ينفذ إلى شعره و آثاره. و اما من حيث المذهب فكان على الرغم من حياته فى وسط حنفى و نشوئه فى بيئه راج فيها التسنن كان ككثير من معاصريه يظهر ميله إلى التشيع حين يذكر مناقب الامام على (ع). (١)

الملا بمانعلى الكرمانى:

أحد كبار شعراء العهد القاجارى، و كان يعرف فى أشعاره ب (الراجى). كان من زرادشت كرمان ثم اعتنق الإسلام، و نظم حروب الرسول (ص) و الامام على (ع) باسم ظهير الدوله إبراهيم خان ابن عم فتح على شاه، فنال إعجاباه و حظى برعايته. جاءت

منظومته هذه المعروفة ب (الحمله الحيدريه) فى عشرين ألف بيت شعر، و قد تم طبعها عام ١٢٦٤ هـ لأول مره بسعى الميرزا مظهر الكرماني، ثم أعيد طبعها فى عامى ١٢٧٠ هـ و ١٢٩٨ هـ و صدرت بعد ذلك عدّه طبعات لها. توفى عام ١٢٤٠ هـ. (٢)

الميرزا جعفر الملقب و المشتهر بآصف خان بن بديع الزمان بن الآغا ملا القزوينى:

ولد سنه ١٥٥١ م و توفى سنه ١٦١٢ فى برهان پور بالهند.

شاعر هندى ينظم بالفارسيه، و مؤرخ، و من أمراء بلاط البابين فى عهد محمد أكبر شاه (٣) و جهانگیر.

كان أبوه و جده من كبار رجال الحكم فى العهد الصفوى بايران. كما كان عمه الميرزا غياث الدين على آصف خان من أمراء بلاط أكبر شاه (١٥٥٦ - ١٦٠٥ م) و قد سافر المترجم من ايران إلى الهند فى شبابه سنه ١٥٧٤ و اتصل بالبلاط البابرى عن طريق عمه، و عين فى وظيفه فيه لم ترضه فترك البلاط، ثم أرسل من قبل أكبر شاه فى مهمه إلى البنغال فادى مهمته العسكريه فى فتح (پورسكرى) و عاد إلى العاصمه لعدم استقرار الأحوال هناك، ملازما البلاط. و بعد وفاه عمه سنه ١٥٨١ م عين وزير خزانة البلاط مضافا اليه منصب عسكري و لقب ب (آصف الدوله).

و فى عهد (أكبر) برزت كفاءته العسكريه فيما عهد اليه من مهمات فاعطى ولايه كشمير، ثم منصب (ديوان كل)، و هو منصب الوزاره، ثم عين واليا على (بهار).

و لما تولى جهانگیر الملك عهد اليه بالإشراف على تربيته الأمير (پرويز)، ثم - بصفته مشرفا عليه - إلى الدكن لقمع الفوضى هناك.

و لكنهم لم ينجحوا لانغماس الأمير فى شهواته و اختلاف الأمراء. ثم توفى المترجم فى برهان پور.

كان يتخلص فى شعره ب (جعفر) أو (جعفرى) و بلغ ما نظمه ثلاثه آلاف بيت فيها مقطوعات غزليه و قصائد و مثويات. و له مدائح فى النبى (ص) و على بن أبى طالب (ع)، كما مدح محمد أكبر و هانگیر.

و هو ممن ساهموا فى تأليف كتاب تاريخ ألقى (التاريخ الألقى) الذى ألف سنه ١٥٨٥ م بامر من محمد أكبر فى حلول الذكرى الألفيه للهجره النبويه. و كان الذين عهد إليهم بتأليف هذا الكتاب هم احمد التتوى

ص: ٩٠

١- ذبيح الله صفا.

٢- عبد الرفيع حقيقت.

٣- راجع ترجمه محمد أكبر فى موضعها من (أعيان الشيعه).

و نقيب خان و عبد القادر الباءونى، و لما توفى التتوى انتدب المترجم ليحل محله فتولى تسجيل الأحداث حتى سنه ١٥٨٩ م. و قام عبد القادر البدادونى بمراجعته الجزء الأول و الجزء الثانى من الكتاب، و أكمل المترجم الجزء الثالث.

كما كتب كتابا فى تراجم الشعراء ب (تذكره آصف خانى).

و للمترجم حفيد اسمه جعفر بن زين العابدين كان من شعراء عصر شاه جهان و كان يتخلص فى شعره كجده ب (جعفر). و له حفيد آخر اسمه ميرزا إيزدبخش كان من شعراء عهد أورنك زيب و فضلائه، و كان يتخلص فى شعره ب (وسا).

جعفر الخامنئى بن الشيخ على أكبر الخامنئى:

من الشعراء و الأدباء الأحرار فى عهد الصحوه و استقرار الحكومه المشروطه فى ايران. ولد عام ١٣٠٤ هـ فى تبريز، و أنهى فيها دراسته، و تعلم اللغه الفرنسيه سرا دون علم أبيه المتعصب، و درس أيضا الأدب التركى الحديث.

بدأ بنظم الشعر و ينشره بغير توقيعه فى البدايه بأسلوب بعيد عن أسلوب الشعر الفارسى القديم، مع سلوك نظام جديد فى القوافى، و قد نقل البروفسور إدوارد براون قطعتين من أشعاره فى تاريخ الصحافه و الأدب فى ايران خلال عهد المشروطه. و كانت أشعار جعفر الخامنئى الحماسيه تطبع فى صحف (الحبل المتين فى كلكتا و (جهره نما) فى مصر و (العصر الجديد) و (الشمس) و بعد ذلك فى مجله (دانشكده).

السيد جمال الدين الأصفهانى الواعظ

ولد سنه ١٢٧٩ فى همذان و توفى سنه ١٣٢٦، أبوه السيد عيسى الموسوى العاملى ابن السيد محمد على بن السيد صدر الدين العاملى.

و كان للسيد محمد على عدد من الأولاد منهم السيد إسماعيل الصدر فى بغداد و هو من أعظم علماء العراق، و الآخر السيد جعفر و كان يسكن أصفهان. و كانت أم السيد جمال همذانيه و صار يتيم فى صباه حيث توفى أبوه السيد عيسى و هو رضيع، و بعد أن شب هاجر إلى طهران و سكن فى بيت خالته و بدأ يعمل صانعا فى محل الحياكه، و حينما كان عمره ١٤ سنه بدأ يدرس العلوم الدينيه و كان مجدا فى تحصيله و كان يقرأ كثيرا حتى ضعفت عيناه. و فى الثانيه و العشرين من عمره هاجر مع أمه إلى أصفهان و تزوج فيها بنت ميرزا حسن باقر خان و كان باقر خان حاكما لأصفهان فى فتره من الفترات، و بعد أن بقى فتره فى أصفهان صار من الخطباء المرموقين فيها و لكنه حاول أن يهاجر من أصفهان لأن مسلكه فى الدعوه إلى الحريه كان لا يستسيغه الكثيرون و خاصه حاكم أصفهان (ظل السلطان) المشهور بقساوته و جبروته، و كان أقرب أصدقائه إليه ميرزا نصر الله بهشتى المشتهر ب ملك المتكلمين (الذى أعدم بعد ثوره المشروطه على أيدي جلاوزه الشاه القاجارى). و كان السيد يتردد على مدينه شيراز و يمكث بها فتره و كتب فيها كتاب (لباس التقوى) حيث دعا فيه الناس إلى نبذ المنسوجات البريطانيه و استعمال الأقمشه الوطنيه.

طهران و ذلك بتحريض من بعض زوجاته المتعاطفات مع السيد فعاد السيد إلى طهران و زاول نشاطه حيث كان يرتقى المنبر و يلقي خطبه الدينيه و السياسيه على الناس في مساجد طهران و كانت الجماهير تحب خطاباته. و حينما بدأ الحاكم بالعودة إلى أعماله الظالمه بحق التجار و أهالي العاصمه و نفى بعض رؤوس الأحرار الذين كان يسميهم المشاغبين إلى مدن بعيدة، حاول جنود الحاكم اعتقال أحد رجال الدين فحصلت معركة بين الجنود و المدافعين عن الشيخ فقتل في المعركة السيد عبد الحميد و أحد الجنود فهاجت الناس و عطلت الأسواق و اجتمعوا في المسجد الجامع بطهران و خطب فيهم السيد عبد الله الطباطبائي و قرر العلماء الهجره من طهران إلى مدينه قم للاعتراض على أعمال الحاكم، كما التجأ جماعه من الناس إلى السفاره البريطانيه، و حينما ارتفعت الأصوات اضطر الملك مظفر الدين شاه القاجارى أن يعزل الحاكم و وعد الشعب بإعطائه الحريه و المجلس النيابي ففرح الناس و عاد العلماء إلى طهران و فتحت الأسواق و عاد إليها النشاط و كان السيد جمال في هذه الأثناء دائم النشاط و كان يخطب الخطب السياسيه و يطالب بالحريه و مجلس النواب و حينما مات الملك و خلفه محمد علي ألقى السيد جمال خطبه تنصيه في القصر الملكي، و هكذا علا نجم السيد جمال الدين عند الناس، ثم انه في هذه الفتره كان يسير في خطاه في حث الناس في خطبه و مواعظه في مساجد طهران على المطالبه بالدستور و البرلمان، و قد اضطر الملك محمد علي شاه أن يجتمع به في (قصر قاجار) الذي كان يبعد عن طهران عدّه كيلومترات و تباحث معه حول القضايا الهامه و حاول الملك أن يثنيه عن عزمه في حث الناس و لكن أبي الخضوع و حينما رجع من القصر الملكي إلى طهران دبرت له مؤامره و لكنها باءت بالفشل و نتيجه للمؤامره كسر أحد ساقيه و ظل يعرج إلى آخر حياته، و كانت هذه الحادثه قد أثارت اعتراضات بين الناس و سببت القطيعه النهائيه بين السيد و الملك، و استمرت اعتراضات السيد في مساجد طهران إلى أن حدثت قضيه هجوم الحرس الملكي على بنايه البرلمان و تدميرها بالمدافع حيث وقعت معركة حاميّه بين الأحرار و قوات الحرس و كانت النهايه لصالح الجنود حيث قتل جماعه و هرب آخرون و اعتقل مجموعه من النواب و الأحرار. و كان ينوي السيد صبيحه يوم الهجوم أن يخطب في احدى مدارس طهران المشهوره و حينما بدأ يخطب هجم جلاوزه الملك عليه و انهالوا عليه بالضرب فتوجه إلى بنايه البرلمان القريبه و لكن واجه الهجوم من قوات الحرس فهرب إلى احدى البيوت القريبه ليعد نفسه للهرب إلى النجف عن طريق همدان.

و قد جمعت مجله (الجمال) مجموعه تقارير حكوميه حول نشاطات السيد جمال الدين كتبها جواسيس الدوله، و قد وقفت على أعداد هذه المجله و خلاصه ما فيها هي:

في ربيع الثاني من عام ١٣٢٦ هـ اشتد الخلاف بين الثوريين المطالبين بالحريه و محمد علي شاه القاجارى، فخاف الملك من البقاء في طهران فخرج منها يوم ٩ جمادى الأولى [١٣٢٦] و سكن (باغ شاه) خارج العاصمه و مع خروج الملك اشتد تازم الوضع في العاصمه و حصلت معارك بين أنصار الملك و الثوار. و ازداد الوضع سوءا إلى أن حسم الملك الوضع فأمر القائد الروسي (لياخوف) قائد قوات الحرس الروسي بتدمير عماره البرلمان فضرب القائد في ٢٣ شهر جمادى الأولى من عام ١٣٢٦ العماره بالمدفعية و دمرها بعد معركة داميه استمرت منذ الصباح حتى الغروب، و قاوم النواب لعدّه ساعات في بنايه المجلس و حاربوا بشجاعه لكنهم انهزموا أخيرا و هربوا من البوابه الشرقيه للعماره، و من الفارين السيد جمال الدين و قد كان عاجزا عن الجرى لاصابته في احدى رجليه فمشى قليلا في الشارع الخلفي لعماره المسجد و كان بها منزل ميرزا حسن خان تفرشى فالتجأ إليه. و كان ميرزا حسن من المجاهدين و الأحرار المثقفين و كان هو نفسه مستهدفا فخاف على مصير السيد جمال الدين، و كان منزل أسد الله خان (قائد المدفعية) في جوار منزله و كان لهذا الرجل صله قريبه و علاقات عائله مع العائله المالكه، كما انه كان

مواليا للثوار خفيه، و هكذا تمكن السيد جمال الدين و ميرزا حسن خان من الهرب بعد أن عبر إلى منزله، و لكن كانت المشكله
كيفيه تهريب السيد جمال الدين إلى مدينه الرى للالتجاء إلى زاويه عبد العظيم الحسنى حيث كان ينوى السيد أن يمكث فتره
فى الرى ثم يهاجر منها إلى همذان عند صديقه حاكم المدينه ثم يهاجر من هناك إلى العتات [العتبات] المقدسه فى العراق.

ص: ٩٢

خان سرهنك قائد جيش منطقته همذان يرافقه حسين الخادم إلى الخان الذي كان السيد قد نزل فيه، فاعتقل السيد و أودع في إصطبل دار الحكومه مسجوناً. و في منتصف الليل و حينما خلت دار الحكومه من عمال الحكومه زار مظفر الملك يرافقه ولده غلام رضا خان الذي كان يعد من الأحرار و كان قد فر من طهران بعد الهجوم على البرلمان حيث كان أحد المدافعين عنه زارا السيد و قدموا له الاعتذار عن اعتقاله ثم أمر بنقل السيد إلى أحد غرف قصره الذي أعده للسيد و أوكل ولده غلام رضا بخدمته، و كان غلام رضا يحترم السيد و يكرمه و كثيرا ما كان يركبه على حصانه و يخرج به إلى متنزهات همذان أو يجمعه مع ثوار مدينه همذان و أحرارها في غرفته داخل القصر. و كان يحاول مظفر الملك أن يحصل على حكم براءه السيد لينقذه من الاعدام فاتصل بعلماء همذان المرتبطين مع الملك و البلاط ليحثوا الملك على إصدار عفو عن السيد لكن امتنع بعضهم عن ذلك و خاف الآخرون، و في نفس الفتره كتب رضا قلى ميرزا ابن مؤيد الدوله إلى البلاط و أحاطهم علما باحداث همذان و ان مظفر الملك يحترم السيد و يكرمه و يحاول أن ينقذه، و بعد وصول كتاب رضا قلى إلى طهران وصلت برقيه مستعجله إلى مظفر الملك يأمره باعدام السيد فوراً، فامتنع مظفر الملك عن تنفيذ الاعدام و كتب إلى العاصمه بان الناس في همذان لو علموا باعدام السيد لهجموا على دار الحكومه و حصل شغب و هيجان عظيمان لا تحمد عقباهما و طلب منهم أن ينفذ الحكم حاكم بروجرد - المدينه القريه من همذان - و هو أمير أفخم، فأبرقت العاصمه إلى أمير أفخم بان يستلم السيد و يعدمه و كان أمير أفخم من الحكام الفاسدين، الظالمين، المتجبرين و قد جمع أموالا كثيره و كان يرتبط مع البلاط الملكى بعلاقات مصاهره حيث أن ولده احتشام الدوله كان صهر الملك مظفر الدين شاه القاجارى. و بعد أن استلم أمير أفخم البرقيه طلب من شير محمد خان و هو أحد زعماء العشائر اللور فى المنطقه بان يصحب معه خمسين فارسا إلى همذان ليستلم السيد من مظفر الملك و يحاول أن يعدمه فى الطريق و كان احتشام الملك يمتلك قصرا و حدائق جميله فى قريه شورين القريه من همذان فيصحب حاكم همذان السيد معه إلى شورين حيث كان شير محمد خان و جنوده ينتظرون وصول السيد ليعتقلوه، فوصل الحاكم و برفقته السيد قصر احتشام الملك و بعد فتره قصيره خرج مظفر الملك لحاجه من عند السيد و لم يعد اليه و هكذا قبض الجنود على السيد و أركبوه على حصان و ربطوا رجليه و يديه و تحركوا به صوب مدينه بروجرد، فوزع احتشام الملك على شير محمد خان و جنوده الليرات الذهبية و طلب منهم التخلص من السيد عند ابتعادهم عن همذان، و تحركت القافله صوب بروجرد و فى منتصف الليله الأولى أمر شير محمد خان أحد جنوده بان يخنق السيد فى منتصف الليل و بدأ الجندى يراقب السيد الذى توجه إلى سجاده و بدأ الصلاه و المناجاه مع الله تعالى، و عند ذاك ندم الجندى و أعلن لشيرمحمد خان امتناعه عن أن يلوث يديه بدم السيد، و فى الليله الثانيه أمر شير محمد خان ثلاثه من جنوده بان يستعدوا للانقاض على السيد و قتله و لكنهم شاهدوا من السيد الصلاه و تلاوه القرآن بحيث تراجعوا عن ارتكاب الجريمه كما شاهد شير محمد خان نفسه صلاه السيد و تاثر تأثرا شديدا و دمعت عيناه و وقع على يدى السيد قبلهما و طلب منه أن يرضى عنه و عرض عليه أن يفر به إلى العتبات فى العراق، و لكن السيد رفض آملا أن تتوسط قمر السلطنه بنت مظفر الدين شاه القاجارى و زوجه احتشام الدوله عند الملك، و كانت هذه المرأه معروفه بصلاحها و تقواها، و هكذا اقتيد السيد إلى بروجرد و سمعت قمر السلطنه بما جرى على السيد فأبرقت برقيتين إلى محمد على شاه القاجارى طالبه منه العفو للسيد فلم يرد الملك على البرقيتين، بل أمر وزيره مشير السلطنه أن يبرق لحاكم بروجرد ان يسرع فى اعدام السيد و حينما وصلت البرقيه إلى الحاكم صمم على قتل السيد فتوعدته قمر السلطنه بالويل و الثبور فى الدنيا و الآخره فوعدتها الحاكم كذبا بان لا يتعرض للسيد بسوء، ثم دبر الحاكم مكيدته ليعقد قمر السلطنه عن بروجرد فطلب الحاكم من الأمير أمنع الجولانى أن يستضيف قمر السلطنه فى قصره بجولان الواقع على بعد أربعة فراسخ من بروجرد د، و حينما ذهبت قمر السلطنه برفقه الحاكم إلى جولان أمر الحاكم أحد جلاوزته و اسمه أسد أن يخنق السيد فاستعان أسد باثنين من الجنود و خنقوا

كان عمر السيد حينما مات ٤٨ سنه و مدفنه مدينه بروجرد و عليه بناء أبيض و خلف أربعة أولاد و بنت واحده. كان مؤلفا قديرا و خطيبا ماهرا يجذب الناس إلى حديثه و أقواله، له مقالات في مجله (حبل المتين) و جريده (مظفرى) كان كثير المطالعه للكتب القديمه و المؤلفات الحديثه.

لم يسافر خارج ايران الا مره واحده حيث سافر إلى العراق عن طريق شيراز ثم بوشهر ثم البصره ثم وصل إلى العتبات المقدسه فى النجف و كربلاء.

ابنه الأكبر (محمد على جمال زاده) من أشهر الكتاب الايرانيين الساكنين فى أوروبا، و قد هاجر إلى بيروت أولا و عمره ١٥ سنه درس هناك فى مدرسه الآباء اليسوعيين (لانزارىست) ثم ذهب إلى فرنسا و أخيرا سكن سويسرا و له كتب و قصص كثيره ترجمت إلى اللغات العالميه.

السيد جواد زينى:

ولد سنه ١١٧٥ و توفى سنه ١٢٤٧.

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان) و نضيف إليها هنا ما يلى مكتوبا بقلم الأستاذ عبد الحميد الراضى:

لعل من يدرس هذا الشاعر يقف طويلا عند ظاهره غريبه فى شعره تلك هى ظاهره الهجاء اللاذع المقذع الذى قد ينحط إلى درك البذاء و الفحش فى بعض الأحيان، و لم يكن الهجاء بحد ذاته ظاهره غريبه و ان كان مقذعا أو بذيئا، فهو باب من أبواب الشعر و موضوع من موضوعاته، و لون من ألوان البيان الفنى، تعاطاه الشعراء فى مختلف عصور الأدب، و لا يكاد يخلو منه ديوان شعر، غير أن لشاعرنا الجواد من ظروف نشاته و طبيعه ثقافته، و سلوكه الشخصى فى حياته ما كان كفيلا أن يسمو به و يحول دون هذا الاندفاع، فهو من اسره حسنيه عريقه عرفت بالتقوى و اشتهرت بالعلم و الأدب، فأبوه السيد محمد زينى من أعلام عصره فقها و أدبا و ورعا، و جده لأمه السيد أحمد الحسنى الشهير بالطار من أئمه الفقهاء و أكابر الشعراء معروف فى

ص: ٩٣

عصره بالورع حتى نسبت له بعض الكرامات، و قد نشأ الجواد بين رعايه هذا الوالد البر و توجيه ذلك الجد الورع نشأه علميه دينيه، و كان فى سلوكه الشخصى قد نزع إلى التصوف و ارتدى الملابس السود حتى لقب ب (سياه پوش) أى لابس السواد و لزمه هذا اللقب إلى ما بعد وفاته فلا يكاد يعرف بغيره، و من هنا كان هذا اللون من الهجاء فى شعره ظاهره غريبه تستوقف الدارس طويلا.

كان شاعرنا الجواد فى عمره الصراع الذى احتدم بين الأصوليين و الأخباريين قد أخذ بالطريقه الاخباريه، و تعصب لها، و خاصم و خصم من أجلها، فقد تلمذ على شيخ الأخباريين يوم ذاك الميرزا محمد الاخبارى الذى قتل فى الكاظميه سنه ١٢٣٣ هـ، و قرأ عليه كتابه (ذخيره الأحباب) المعروف ب (دوائر العلوم) و الذى نسخه الشاعر بخطه و صححه على مؤلفه، و أخذ اجازته منه، و بعد أن خضدت شوكة الأخباريين، و ظهرت عليهم طريقه الأصوليين التى حمل لواءها الشيخ محمد باقر الشهير بالوحيد البهبهاني لقى الجواد - كما لقى أمثاله - جفاء من رجال الدين، و عنتا من العامه فدفعه ذلك إلى شىء من التمرد و الجموح فى السلوك، و هنا تكمن بواعث هذا الهجاء و دواعيه، فالهجاء سلاح الشاعر و عدته فى خصوماته و ملاحظاته، و قد تصدى الجواد بهذا السلاح لخصومه، و لم يسلم منه حتى الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، يقول المحقق الطهرانى [الطهرانى]: " رأيت مجموعه جمع فيها شعره و شعر بعض معاصريه فيها الطعن على أساطين الشريعه كالشيخ الأكبر و غيره، و فيها هجاء مقذع أعادنا الله منه و تجاوز الله عنه ".

و قصيدته فى هجاء بيوتات بغداد المعروفه آنذاك لا يزال صداها يتردد فيما يحفظه الناس من أبياتها، و أكثر ما كان يصدر عنه هذا الهجاء أثر حادث جدال أو مشاده بينه و بين خصومه الأصوليين، من ذلك قصيدته الجيميه التى تمثل هذا اللون من شعره، انما نظمها - كما يقول - أثر مشاجره له مع بعض أعلام أهل زمانه قال فيها:

فكم حشرى أحرق متشرع بشره أهل الظن ضل كحجاج

بغى باجتهاد فارتأى بحقوقنا و أنسج دعوى حقه اى انساج

عم و هو لا يدري و يزعم أنه عليم، و حاشا ليس كالهالك الناجى

فلا زلت أهجو امه الظن معشرا أبى الله الا أن أكون لها الهاجى

خوارج فاقوا فى عمى فدعوتهم باجناد إبليس فهاموا باخراجى

على انه بدأ هذه القصيده بلون من الفخر عليه طابع التعالى و الغلو حيث قال:

انا الحقلا ما يدعيه ابن حلاج أنا البحر سار العالمون بامواجى

أنا العلم و النور القديم أنا النهى لعرش و الكرسي نورا بابهاجى

أنا الآيه العظمى أنا العقل و الحجى أنا الفلك الأعلى سموت بابراجى

أنا ابن رسول الله و ابن وصيه على أبى السبطين زين بهم ناجى

بلغت إلى معراج أسرار حكمه الأعظم أشيأى و لله معراجى

سريت بعز الله أسمو إلى العلا بتحقيق نهج الحق سيرى و إدلاجى

و أحسب ان هذا اللون من الفخر من وادى ذلك الهجاء، و البواعث نفسها هى تلك البواعث، و نكتفى هنا بهذه القصيده مثلا لأهأيه الكثيره، و فخره الموعل فى الغلوه. و لعل من غلوه فى الفخر تلقيه نفسه بالأمير السجاعى، على انى لم أتبين ما السجاعى أ هى بالسين المهمله من السجع أم بالشين المعجمه من الشجاعه، و الأمير هى الاخرى فى حاجه إلى تبين، على من كان الرجل أميرا، و فى أى مضممار كانت هذه الإمره. ثم استمع اليه فى تقديمه لمقطوعه من شعره بعث بها إلى الشيخ عبد الباقي جلبي كاتب العريه فى بغداد مهنتا له بحكومته فى الحله الفيحاء، يقول:

" بايع المؤلف سنه ١٢٣١ هـ ثم نكت البيعه أياما، و مال إلى البرانجه، و ارتد، ثم بايع بعدها، و الله اعلم بحاله الآن... "، و هذه البيعه هى ثالثه الأثافى فى الغموض أ هى بيعه خلافه أم بيعه أهل التصوف أم ما ذا؟ و قد أشار إلى مثل هذه البيعه أيضا فى تقديمه لقصيده النونيه فى رثاء الشيخ محسن الاعسم، فقد قال عنه: " كان من المحبين المخلصين للناظم (يعنى نفسه) مبايعا لحضره علاه، و لم يزل فى أيام حياته إذا تكلم أحد على المؤلف الناظم من الخوارج مما هم أحرى به دفع و ذب عنه حمايه لدين خاتم النبين و أولاده المنتخبين سلام الله عليهم أجمعين ".

و فى القصيده السابقه بعد ذلك لمسه صوفيه قويه، و شاعرنا كما قلنا نزاع إلى التصوف فى تفكيره و سيرته، و ما يدرينا لعل هذا المنحى فى التفكير و السلوك هو الآخر كان صدى لما لقيه من جفاء معاصريه و خصومه مناوئيه، شاعرنا متصوف بلا ريب فهو لا يذكر أحد الصوفيه الا بقوله " أخونا " و قد عارض كافيه ابن الفارض المعروفه فقال:

كل صقع أنار لى من سناكا ظاهرى باطنى معا ماواكا

كذلك له تائيه مطوله يبارى بها تائيه ابن الفارض الكبرى، منها:

فتى فارض لم يبق فى القوس منزعا و لكنه ما نال بعض فضيلتى

نبغت بعلم المرسلين و محتدى لسيدهم ينمى و بالله عصمتى

خلقنا و لا طين و لا ماء كائن لآدم فى إبداع سر الهويه

و منها:

منحتك علما ان ترد كشفه فرد سبيلى و أشرع فى اتباع شريعتى

و يقول فى الرد على خصومه الأصوليين:

فقل لبنى الحسبان لا تحسدوننا على ما حباننا ربنا بالعطيه

خفافيش ادراك الظنون ضعيفه لدى صنع نور الحضرة الاقدسيه

قضيتم بسد الباب و الله رافع لنا علم الإسلام يا شر عصبه

فستان بين الانفتاح و قائل بآراء ظلته لتيه و ظلمه

و شعر الجواد فى هذه الفنون الثلاثه الهجاء و الفخر و التصوف كثير جدا تزخر به مجاميعه الخطيه، و هو كثيرا ما يجمع بين هذه الفنون فى القصيده الواحده كما رأيت و هذا مما حملنا على الاعتقاد بان بواعثها و دواعيها جميعا واحده كما قلنا، و أنها أثر من آثار تلك الخصومه الحاده بينه و بين الأصوليين، و رد فعل لما لقي من جفاء معاصريه، ذلك الجفاء الذى لاحقه حتى بعد موته حيث نستمتع إلى مثل صاحب الحصون المنيعه يقول فيه: "فهو من الطالحين الذين يفوض أمرهم إلى جده سيد المرسلين بموجب الخبر الصحيح اليقين".

و هذه العقده التى ولدتها تلك الخصومه مع الأصوليين هى التى حملته أن ينسب إلى بعض أعلامهم التراجع إلى طريقه الأخباريين دون سند أو دليل، فقد قال عن جده السيد أحمد العطار بعد أن اطراه و عدد مؤلفاته، قال: "و قد رجع عما كان عليه من طريقه الأصوليين إلى طريقه الأخباريين، و قال فى كتابه "التحقيق" أصحابنا الأخباريين".

و مدرك الاستنتاج [الاستنتاج] هنا كما ترى فى منتهى التهافت و الضعف، فكتاب التحقيق منه جزءان فى أصول الفقه، و قد نحا المؤلف فى منهج بحثه منحى الأصوليين، فإذا عبر فى سياق مثل هذا البحث عن الأخباريين ب "أصحابنا" فإى دلالة فى ذلك على عدوله إلى طريقتهم.

و مثل هذا أيضا قال عن الشيخ محسن الأعسم حين رثاه بقصيدته النونية فقد قدم لها يقول: "انه لم يرثه الا بعد أن تبين له رجوعه إلى الطريقه الاخباريه".

و قد أشرت في "السبائك" إلى طبيعه الهجاء عند هذا الشاعر و العوامل التي أدت اليه فقلت هناك:

و في سبيل السنه الرشيدهو في سبيل الفكر و العقيدو

عاني من الخصوم كل ضرو هذه محنه كل حر

حتى إذا داعى المهاجاه دعا أقذع في هجائه ما أقذعا

فلو سمعت هجوه المريراحسبته الأخطل أو جريرا

و على الرغم من تمرد الجواد و جموحه و تعصبه لرأيه، و ما تبع ذلك من أهاجيه للناس و تعاليه عليهم و جفاء الناس له... فقد كان له أصدقاء خلصاء و أخلاء أصفياء من أهل العلم و الأدب الذين كانوا أوسع آفاقا من أن يضيقوا بمخالف في رأى أو عقيدته، فقد روا أدبه و علمه و رفعوه إلى المكانه اللائقه، أمثال آل النحوى: الشيخ أحمد و ولديه الرضا و الهادى، و آل الحسنى الشهيرين بال عطار، و كثير غيرهم ممن جرت بينه و بينهم مطارحات أدبيه و مساجلات شعريه تدل على ود عميق و تقدير صادق، و قد حفظ التاريخ شيئا منها عبر السنين الطوال، و لا بأس من عرض بعض ذلك على سبيل المثال:

أرسل الجواد إلى السيد أحمد الحسنى العطار رساله صدرها باربعه أبيات، فخمسهها السيد و أرسلها اليه ضمن الجواب، و هذه هي الأبيات مع التخميس:

أيا ابن المصطفى و أباه يا من تقمص و ارتدى قمص المعالى

إلى ان وصل إلى قوله:

..... تقاعس دونه حالى و مالى

فانبرى الجواد قائلاً: هذا مصراع ركيك فى النظم جدا، و كان السيد باقر ابن السيد إبراهيم الشاعر المعروف حاضرا فقال: و ما كان يقتضى أن يقول الناظم، فقال الجواد مخاطبا إياه:

اما و أبيك أنت رفيع قدر تقاعس دونه همم الرجال

فأعجب السيد الباقر بهذا النقد، و ارتجل القصيده التاليه فى مدح شاعرنا الجواد:

لعمرك أنت نادره الكمال و انك فرع أغصان المعالى

و أنت وحيد هذا العصر، لا بل فريد الدهر مفقود المثل

و أنت جواد حله كل فضل بميدان الفصاحه و الكمال

أتيت بدر نظم قد تسامى برقته على السحر الحلال

ارق من الصبا لطفًا و احلى لدى الظمان من ماء زلال

و كيف و أنت بحر لا يجارى و شان البحر يسمح بالآلى

و كم لك من يد فى الشعر طولى تدين لها ذوو السبع الطوال

و كنت بها لدى الأدباء طرا حميد الذكر محمود الخلال

فيا لله من نظم بديع بعقد حلاه جيد الفضل حالى

فلا عجب فانك من كرام بهم فخر الأواخر و الأوالى

و دان لفضلهم كل، و غالى بمدحهم المعادى و المالىه

فلا برحت بك الأيام تزهو كزهو البدر فى غسق الليالى

و كان أشد أولئك الأدباء الأصفياء صله بشاعرنا و قربا من قلبه السيد حسن الشاعر الشهير بالأصم، فما جرى بينهما من هذه المطارحات الادبيه كثير جدا و هو ينم عن ود خالص عميق متبادل بين الشعارين.

كان السيد الأصم حسن الصوت ينشد الشعر فيضفى عليه روعه، ويزيده تأثيرا و كان الجواد يعجب بإنشاده أشد الاعجاب، فمدحه بقصيده أشار فيها إلى هذه الموهبه، و عرض بالمتزمتين الذين لا يميزون بين إنشاد الشعر و الترتم به و بين الغناء، و هذا بعض أبيات القصيده:

يا صاح حسن الصوت بالحسن انتهى و الفضل منه تجاوز المقدارا

و كذا حسن الخلق و الأخلاق و الوصف الحميد سما به مقدارا

فاق القماقم فاخرا عن فاخر و علاهم نسبا و ساد نجارا

و القصيده زهاء اثنين و أربعين بيتا، و قد أجابه السيد الأصم على وزن قصيدته و رويها قال:

بزغت شمس تخطف الابصارا ليلا فصيرت المساء نهارا

أم ذى بدور أم صباح قد بدا أم نور قدس للعيون أنارا

أم ذى نجوم فى سماء الطرس قد سطعت فحير وشيها الافكارا

و هى قرابه خمسه و أربعين بيتا.

و يخمس السيد الأصم بيتين للقدماء فيباريه الجواد بهذا التخميس، قال السيد الأصم:

إذا ما رماك الدهر فى حادث جلل تجلد و من مولاك لا تقطع الأمل

فان كنت من طلاب فضل ذوى الدول سل الفضل أهل الفضل قدما و لا تسل

غلاما ربي بالفقر حتى تمولا فدنياه عند الشيب حنت ببرها

عليه و وشته بجلباب زهرها و من تسقه الأيام من در فقرها

فلو ملك الدنيا جميعا بأسرها تذكره الأيام ما كان أولا

فقال الجواد:

قد فرشنا لوطى تلك النياق ساهرات كليله الاحداق

قال المقرظ:

الا يا ذوى الإفضال و الفهم و الفطن و يا مالكى رق الفصاحه و اللسن

خذوا للاديب الموصلى قصيده بدر المعالى قلدت جيد ذا الزمن

تسير بها الركبان شرقا و مغربا فتبلغها مصرا و شاما إلى عدن

علت فى مديح الآل قدرا و قيمه فانى لمستام يوفى لها الثمن

و هى أربعه و عشرون بيتا جاء فى آخرها:

فلا زلت فى برد الفصاحه رافلا و شانيك يكسى حله العى و اللكن

هذا و قد أطراه مترجموه و أثنوا عليه فى أدبه و فضله كالشيخ السماوى فى الطليعه، و الشيخ النقدى فى الروض النضير، و المحقق الطهرانى فى الكرام البرره، و عصام الدين العمرى فى الروض النضر، و السيد الأمين فى أعيان الشيعة، و الخاقانى فى شعراء الغرى، حتى صاحب الحصون المنيعه لم يبخل عليه بكلمه ثناء.

و شعر السيد جواد متوسط الجوده، و قد يسمو بعضه فيروعك و يهزك، و أكثره دون هذا المستوى، و إذا راعينا الفتره التى عاش فيها فتره الركود الادبى أعطيناه حقه من الاعجاب و التقدير، و توجد نسخه من ديوانه فى كربلاء عند السيد عيسى البزاز السندى، على ما حكاه المحقق الطهرانى فى الذريعه.

دوحه الأنوار فى ذكر الفريد من الاشعار

هذا السفر من مؤلفات شاعرنا الجواد ضمنه كثيرا من شعره و شعر معاصريه و طرفا من أشعار القدماء، و يقع فى أكثر من جزء واحد، وجدت صاحبه فى مجموعاته الاخرى يشير إلى الجزء الثالث منه، فقد يذكر أبياتا من قصيده ثم يعقب فيقول: " و قد ذكرت جميع أبياتها فى الجزء الثالث من دوحه الأنوار...".

و قد رأيت الجزء الأول من هذا الكتاب بخط المؤلف فى مكتبه السيد الحكيم العامه، فى النجف الأشرف، و قد جاء فى الصفحه الأولى منه:

" هذا المجلد الأول من الكتاب المجموع المسمى بكتاب دوحه الأنوار فى ذكر الفريد من الاشعار تأليف راقمه محمد الملقب بالجواد بن محمد بن زين الدين الحسنى الحسينى الأمير سجاعى قد رتبه لبعض اخوان الصفا سنه ١٢٣٥ هـ....".

و يشير المؤلف فى المقدمه إلى انه لم يذكر فى كتابه هذا من ردىء النظم شيئا الا ما كان من نظم والده السيد محمد زينى و

جده لأمه السيد أحمد الحسنى العطار لوجه لهما و انتسابه إليهما فقد ذكر جميع ما نظموه من الغث و السمين و لم ينتخبه كما عمل فى شعر غيرهم من الأدباء...

و تجد وصفا لهذا الكتاب فى الجزء الثامن من الذريعة للمحقق الطهرانى، و فى الحلقة الأولى "من نوادر مخطوطات مكتبه السيد الحكيم العامه" المطبوع سنة ١٩٦٢ م و يلاحظ ان ما جاء فى هذه الحلقة من ان الجواد حفيد السيد أحمد الحسنى العطار ليس بدقيق لانه سبطه لا حفيده فالسيد أحمد جده لأمه و ليس جده لأبيه.

مجموعه اخرى للجواد

و هذه المجموعه فى مكتبه السيد محمد الحسنى البغدادى فى النجف الأشرف، و هى بخط المؤلف أيضا، جاء فى الصفحه الأولى منها ما نصه: "مجموعه بخط السيد جواد بن السيد محمد الزينى الحسنى كتبها لمحمد صالح بك ابن أحمد آغا والى بغداد" و تجد لهذه المجموعه وصفا مفصلا فى كتاب "مخطوطات مكتبه السيد محمد الحسنى البغدادى" للاستاذ محمد هادى الأمينى، و قد ضمنها المؤلف كثيرا من شعره و شعر أبيه و جده و بعض معاصريه كما اشتملت على مختارات للشريف الرضى و مهيار و غيرهما من القدماء، و من هنا جاءت كبيره الشبه بدوحه الأنوار حتى ظن الأستاذ الأمينى انها هى الدوحه فقال: "و هذه المجموعه هى التى تعرف ب "دوحه الأفكار" و قد حدثتك عنها على صفحات كتابى (من نوادر مخطوطات مكتبه السيد الحكيم العامه ص ١٠٨، غير ان النسخه هذه بخط المؤلف نفسه". و ليس الأمر كما قال فكثيرا ما نجد المؤلف فى هذه المجموعه يحيل إلى الدوحه كان يذكر أبياتا من قصيده ثم يقول:

و هذا المختصر لا- يتسع لها و قد ذكرتها فى جزء كذا من كتابى دوحه الأنوار، و شىء آخر ينبغى أن أنه اليه و هو ان قول الأستاذ الأمينى:

"غير ان النسخه هذه بخط المؤلف نفسه" يوحى بان النسخه الثانیه ليست بخطه، و الواقع ان النسختين جميعا بخط واحد هو خط المؤلف كما يؤيد ذلك ما جاء فى مقدمه النسختين. و فى هذه المجموعه كما فى الدوحه كثير من الشعر الفارسى، و فيهما شعر معرب عن الفارسى للمؤلف و لوالده السيد محمد.

و السيد الجواد شديد الاعجاب بوالده كما يظهر فى هاتين المجموعتين فإنه لم يذكره الا و اصفى عليه أفخم الألقاب و أعلى الصفات، قال فى مقدمه الدوحه:

"و قد جعلتها متوجه بنبذه من شعر سيد علماء الدوران، و فريد هذا العصر و الأوان، سؤدد جهابذه العلماء الأكملين و مصقع أساتذه البلغاء و الفصحاء المهذبين، و أمام المحدثين السيد السند المسدد الوالد الممجد...". و فى موضع آخر من الدوحه يذكر تخميس والده لبائيه ابن الخياط:

"خذا من صبا نجد أمانا لقلبه".

و تدعو المناسبه هنا أن نذكر قصيدته في رثاء والده و تاريخ عام وفاته، و قد كتبها على قبره، قال:

من بالحياه المهنا و مدرك ما تمنى

و الين رام غشوم كم قد أصاب و ثنى

ويلاه من جور دهر أعطى و منى فمنا

كم شن غاره غدر تغادر الجسم شنا

أدوى بطود علوم قد هد فى الدين ركنا

أودى بخير البرايا فى حسن خلق و حسنى

من فقده اليوم أمسى فى مله الخلق و هنا

من بعده اللفظ أضحى كاللفظ من غير معنى

أودى الودود أبونا و الحزن قد نال منا

أودى الشفيق فارخ "محمد غاب عنا"

١٢١٦ هذا و لا بأس بعرض نماذج اخرى من شعره ختاماً لهذه الكلمه، قال معرباً لآبيات فارسىه:

بغيه صادفت شيخاً فعنفها قالت له مقولاً أبدي مساويه

ان الذى هو معروف و متضح من ظاهرى، باطنى صدقا مساويه

هل أنت يا ذا العلا ممن سريرته انطوت على ظاهر أضحى يرى فيه

و الأبيات الفارسىه هذه للخيام، و قد عربها السيد أحمد الصافى النجفى فقال:

قال شيخ لمومس أنت سكرى كل آن بصاحب لك وجد

فأجابت انى كما قلت لكن أنت حقا كما لدى الناس تبدو

و للجواد معرباً عن الفارسىه أيضاً:

لو أن كل حرام كالمدمام به سكر، لبان صريحا من هو الصاحي

و قال مخمسا البيت المشهور و هو من شواهد النحاء، و قد نحا فيه نحو التصوف:

لقد أولاني الباري محلا و بلغني من التوحيد فضلا

مضى عصر الشباب و صرت كهلا فساغ لي الشراب و كنت قبلا

أكاد أغص بالماء الفرات

و مما اختاره له جده السيد أحمد العطار في "الرائق" هذه الأبيات يذكر فيها آيه انشقاق القمر، و رد الشمس، و قد أثنى على الأبيات كثيرا.

أعظم بدرين بصقع الهدى نورهما أشرق للنيرين

لولاهما ما فلک دار، أو نجم سماء سار في الخافقين

لم يدرك العقل لمراقهما كما و لا كيفا و لا قط أين

ما ذا يقول ناطق في الثنا ان رام عد الفضل في فرقين

البدر و الشمس بظليهما رقان مملوكان في النشأتين

هما سراجان بيتيهما كانا لعمري لهما آيتين

ان شق فرد منهما مره لواحد من ذينك النيرين

فإنما الآخر في أوجه قد رد للآخر في موضعين

(١)

الحاج الميرزا حبيب الخراساني بن محمد هاشم

من كبار العارفين و الشعراء في العصر القاجاري. ولد في مشهد في يوم الأحد الموافق للتاسع من جمادى الأولى عام ١٢٦٦ هـ. و توفي أبوه عام ١٢٦٩ هـ فعاش تحت رعايه عمه الحاج الميرزا حسن المشير الذي تزوج من أمه، و درس مقدمات علم عصره، و ينقل عن حده ذكائه و قوه ذاكرته انه كان يحفظ في سن الخامسة عشره عده آلاف من الأبيات الشعريه باللغتين العربية و الفارسيه، و يذكر مفردات معجم الفيروزآبادي عن ظهر قلب و يدرس مغنى اللبيب و شرح المطول للفتازاني مستعينا بذاكرته، و كان يستفيد من دروس زوج أخته المرحوم الحاج الميرزا نصر الله الذي كان من كبار علماء خراسان.

سافر إلى العتبات المقدسه فى العراق، و استمر بطلب العلم فى النجف و الكاظميه و بغداد، مستفيدا من المجالس العلميه و المحافل الادبيه و الحوزات العلميه فى تلك المدن، و عاشر العارفين و الصوفيين من كل طريقه، و اقتطف من ثمارهم جميعا.

و من الثمار التى اكتسبها فى سفرته تلك تعلمه للغه الفرنسيه، مما دعاه إلى ترجمه كتاب (تلماك فنلون) من الفرنسيه إلى الفارسيه، و قد شاهد هذه الترجمة الحاج سياح المحلاتى أثناء سفره إلى خراسان و يقال ان ترجمته فقدت ضمن الكتب و الأوراق التى فقدت من مكتبته.

استفاد الميرزا حبيب الخراسانى كثيرا فى سامراء من دروس الميرزا

ص: ٩٨

١- عبد الحميد الراضى.

حسن الشيرازى، و نال إعجاب رفاقه فى تلك الدروس، و بعد اربع سنوات من الدراسه عاد من العراق إلى خراسان، حيث استقبل فيها استقبالا حافلا و اشتغل برئاسه الأمور الدينيه و امامه الجماعه و التدريس. و بعد زواجه من السيده عالم ابنه الميرزا طاهر متولى مسجد گوهرشاد غادر مشهد متوجها إلى حج بيت الله الحرام.

و فى طريق عودته مكث فى العراق اربع سنوات اخرى حيث استفاد خلالها من دروس الميرزا حبيب الله الرشتى و فاضل الدربندى، و كان يستفيد فى أوقات الصيف من دروس الميرزا حسن الشيرازى فى سامراء، ثم عاد بعد ذلك إلى مشهد عام ١٢٩٩ هـ و بقى فيها حتى آخر حياته، و كان يؤمن معيشته من خلال احيائه لارض كانت ملكا موروثا لعائلته تسمى بحرآباد على بعد فرسخ واحد عن المدينه، كانت بورا قبل ذلك. و خلال الفتره الممتده من بدايه الربيع حتى نهايه الخريف كان يتحين الفرص فيذهب عصرا إلى مزرعته، و يعود صباحا إلى المدينه لمتابعه شئون الناس و البيت فى أمورهم. و استطاع خلال هذه الفرص ان يعمر أرضه و يحدث فيها قناه و منازل للفلاحين و حماما و مسجدا، و جنى من أشجارها ثمارا كثيره و طوال تلك الفتره كان موضع احترام الناس و مرجعا لهم فى البت بأمورهم و طلباتهم. حتى التقى ذات يوم فى بحرآباد بالعارف المشهور السيد أبو القاسم الدرگزى فأثر بعدها اعتزال الناس، فكان يمضى فصل الشتاء فى مشهد و باقى أيام السنه فى بحرآباد. و استمرت فتره عزلته عشر سنوات، و من فضائله منبره فى الوعظ و الإرشاد الذى كان فى غايه البلاغه و التأثير و الذى أسسه فى بدايه زعامته الدينيه فى مشهد و لم يتركه فى أثناء عزلته.

توفى فى السابع و العشرين من شعبان عام ١٣٢٧ هـ. و يقال انه كان مخالفا لدعاه المشروطه، و من ثم كان فى خطر من قبلهم. و قد طبع ديوان أشعاره فى طهران مرتين. (١)

الحبيب القآنى بن الميرزا محمد على گلشن الشيرازى:

من الشعراء المشهورين فى العهد القاجارى. ولد فى شيراز عام ١٢٢٣ هـ، و كان أبوه گلشن (من قبيله زنگنه) شاعرا متوسطا، وردت له بعض الأبيات الشعريه فى مجمع الفصحاء و تذكره دلگشا و (فارسنامه الناصرى) دخل القآنى المدرسه فى سن السابعه، و فقد أباه فى سن الحاديه عشره فعاش و عائلته حياه فقر و ضيق. و جاء فى بعض ترجمه الشاعر لنفسه ما يلى: "لم يكن لدى من نعيم الدنيا سوى حصير و قرص من خبز، و دعانى فقرى و حاجتى لأن اعتمد على نفسى و اسلك طريقى لوحدى، فارتايت ان اسلك طريق الاسلاف، و من ثم ذهبت إلى مدرسه بابله احدى مدارس شيراز دون تشجيع أو حض من أحد. و أخذت فيها حجره و طفقت اطالع و أدرس، و كان لدى رغبه فى الشعر، فنظمت قصيدتين فى مدح حاكم فارس (الميرزا حسين على).

فقرر لى مبلغا زهيدا لا يكاد يسد الرمق، و عكفت بكل جد و اجتهاد على دروسى، حتى تفوقت على اقرانى فى السنه الثانيه، بحيث أصبحت موضعا لاعجاب الجميع، حتى أصبحت فى انظارهم جميلا- رغم قبح منظرى ". درس القآنى فى أصفهان الرياضيات و العلوم الإسلاميه ثم عاد إلى شيراز و اشتغل فيها بتدريس العروض و شرح ديوانى الخاقانى و الأنورى حتى قدم الأمير حسن على ميرزا (الملقب بشجاع السلطنه) بن فتح على شاه القاجارى إلى شيراز عام ١٢٣٩ هـ، فاخذ يقربه اليه و ينعم عليه حتى عين هذا الأمير فى أواخر ذلك العام حاكما على خراسان بامر من أبيه، فاصطحب القآنى معه. و فى مشهد اشتغل تحت حمايه و رعايه الأمير بدراسه الرياضيات و الحساب، و تلقب برغبه منه بالقاءنى بدلا من لقبه المعروف حتى ذلك الوقت و هو

و بعد ان اعتلى محمد شاه العرش عام ١٢٥١ هـ قدم القآنى إلى طهران، و انضم إلى حلقه شعراء البلاط و لقبه الشاه ب (حسان العجم). ثم رافق الشاه محمد فى رحلته لفتح غوريان و قندهار عام ١٢٥٤ هـ، و لكنه مرض حين وصل موكب الشاه إلى بسطام، فاستأذن الشاه و عاد إلى طهران. حتى إذا عاد الشاه من حربه فى افغانستان أنشده قصيده رائعه تحدث فيها عن نصر الايرانيين و شجاعتهم و حسن سيره الشاه مع الأسرى الافغان، و تحدث فيها عن الأعمال المشينه للسفير البريطانى المستر مكنايل، و احتلال السواحل الجنوبيه لايران من قبل السفن الحربيه البريطانيه و التهديد بإعلان الحرب.

عزم القآنى عام ١٢٥٩ هـ على الإقامة الدائمة فى شيراز، فرحب به أهلها بادئ الأمر، ثم أخذت جماعه من أدباء شيراز تؤذيه يوما بعد آخر، حتى اضطر للعوده إلى طهران عام ١٢٦٢ هـ (و هو عام وفاه الميرزا شفيح وصال) و بعد فتره تعرف على الأديب العالم الأمير على قلى ميرزا الملقب باعتضاد الدوله الذى كان يشغل منصب وزير العلوم آنذاك، و حظى منه بعطايا و هدايا كثيره، و تعرف من خلاله على أم ناصر الدين شاه (مهد عليا) ثم على ناصر الدين شاه نفسه الذى كان قد جلس على العرش لتوه، فأصبح منذ ذلك الحين شاعر البلاط و اقام بصوره دائمه فى طهران، ثم أصيب عام ١٢٧٠ هـ بمرض المايخوليا و الهذيان و لازمه هذا المرض حتى اودى بحياته فى يوم الأربعاء الموافق للخامس من شعبان [١٢٧٠] من العام ذاته، و هو فى السابعة و الأربعين من عمره.

طبع ديوانه عدده مرات فى طهران و تبريز و الهند، و كانت أول طبعه صحيحه و واضحه لهذا الديوان فى عام ١٢٧٤ هـ اى بعد اربع سنوات من وفاته، و كان المشرف على طباعتها أحد الأمراء القاجاريين و هو جلال الدوله الملقب بجلال و الذى كان يرتبط معه - على حد قوله - بعلاقه علميه و ادبيه أقوى من علاقته القرابه و النسب. و دوت هذه النسخه بخط الميرزا محمد رضا كلهر أحد كبار أساتذته الخط فى عصره.

يعتبر القآنى من مداحى فتح على شاه و محمد شاه و ناصر الدين شاه، و جاء ديوانه مليئا بالقصائد التى يمدح فيها هؤلاء الشاهات الثلاثه و الأمراء و الحكام و رجال البلاط فى عصره. و إذا كانت أشعاره، لا تخلو من المعانى الجميله و من الأفكار العرفانيه أحيانا فان فنه الخاص كان يكمن فى تركيبه للألفاظ و تمكنه من استعمال الكلمات الفخمه و العبارات الفصفاضه، و يمكن القول انه كان فى قوه طبعه متميزا عن سائر الشعراء

١- عبد الرفيع حقيقت.

٢- أخذ هذا اللقب عن اسم ابن الأمير حسن على ميرزا (اكتافآن).

المعاصرين له، بل قل ان نرى له نظيرا في ذلك بين المتقدمين.

كانت المضامين التي يستعملها القآنى في غزله و تشبيهه و وصفه للطبعه هي نفس المضامين التي استعملها مئات من الشعراء الايرانيين قبله و بعده في قصائدهم، و لكنه اختلف عنهم في ابتداعه لتراكيب جديده في الكلام بحيث يمتلك مشاعر قرائه و ينسيهم قصائد المتقدمين و الظاهر انه اول من استعمل مثل تلك الاساليب الجميله و العبارات الجريئه. و لكن إلى جانب كل قدره التي تمتع بها في الوصف و التشبيه بقيت قصائده فقيره من حيث المحتوى و المضمون.

لم يمتنع القآنى في تشبيهه و غزله أو في هزله و هجائه عن استعمال الألفاظ الفظه و الركيكه في بعض الأحيان، و يصف - دون حياء - الأحداث المخالفه للعفه و الأخلاق و مجالس اللهو و المجون، و لا- يتردد في الحديث عن الأمور الجنسيه بأسلوب مخالف للفطره. و لم يكن القآنى يعرف حدودا، في مدح نفسه أو مدح و ذم الآخرين، فقد كان ينسب الصفات الساميه إلى أوضاع رجال البلاط و حتى الغلمان و الخدم ممن هم بعيدون كل البعد عن تلك الصفات، و لكنه يقول ذلك مبالغه و إغراقا في التملق و التزلف. و إلى ذلك لم يكن وفيا لممدوحيه و المنعمين عليه، فما يكاد هؤلاء يتعدون أو يعدون عن مناصبهم حتى ينسى جميع فضائلهم و نعمهم، فمثلا- بعد أن وصف أحدهم بقلب العالم و روح العالم و الإنسان الكامل و خواجه العالمين و مظهر البارى و موصل فيض الخالق إلى المخلوق تراه ينقلب رأسا على عقب فيصفه بكل قسوه بالظالم الشقى.

و غلبت الركه و التهتك في بيان المواضيع على كتابه (پريشان) الذي جاء تقليدا ضعيفا لكتاب سعدى (گلستان)، و كانت هاتين الصفتان سببا في الحط من قدر الكتاب و التقليل من اهميته. و كان وضعه لكتاب (پريشان) الذي ألفه باسم محمد شاه القاجارى استجابه لرغبه أحد الأعيان، و فرغ من تاليفه في العشرين من رجب عام ۱۲۵۲ هـ، و هو يشتمل على ۱۲۱ حكاية كبيره و صغيره في مختلف المواضيع، و على حد قول المؤلف: "جاء مزيجا بين الجد و الهزل و الشعر و النثر". و هو ينتهي بفصل في نصيحه أبناء الملوك.

و الطابع الغالب على كتابه هو الوعظ و النصيح، و كان قصد المؤلف من جميع الحكايات الوصول إلى نتائج اخلاقيه، و لكن إذا ما وضعناها تحت المحك و عرضناها للنقد رأينا ركتها و ضعف شأنها، ليس لأنها لا تخلص إلى نتائج اخلاقيه و حسب، بل لأن أغلبها جاء بأسلوب متهتك و بعيد عن الأخلاق و الأدب. و إذا ما رأينا بعض الحكايات [الحكايات] التي حافظت إلى حد ما على الأدب، فإنها في حقيقتها حكايات مبتدله، كتبت مرارا قبله بأسلوب أفصح و عبارات أبلغ.

كان القآنى يجيد إلى جانب لغته الأم اللغتين العربيه و التركييه بطلاقه، و هو أول شاعر ايرانى يتعلم اللغه الفرنسيه، فقد ذكر بعض المؤرخين بهذا الشأن ما يلي: "بعد ان غضب الأمير الكبير الميرزا تقى خان على القآنى و قطع راتبه المقرر له كشاعر في البلاط، توسط له اعتضاد السلطنه لدى الأمير، و تمنى عليه ان يعيد له راتبه. فقال الأمير: ما ذا يجيد غير الشعر؟ أجب اعتضاد السلطنه: يجيد الفرنسيه إلى حد ما. فدفع له الأمير الكبير كتابا في الزراعه باللغه الفرنسيه و طلب منه ترجمته إلى الفارسيه، فكان القآنى يترجم منه فصلا في كل أسبوع و يرسله إلى الأمير بواسطه اعتضاد الدوله و يتقاضى عنه ما يقارب الخمسه تومانات". و يذكر محمد على الفروغى ان بعض هذه الاجزاء التي ترجمها القآنى بقيت محفوظه حتى فتره قريبه لدى نجم الدوله الميرزا عبد الغفار.

و خلال مده إقامته فى شيراز التى استمرت ثلاث سنوات من عام ١٢٥٩ إلى عام ١٢٦٢ هـ كان القآننى يستثمر أوقات فراغه، و يتعلم اللغة الإنجليزية، و استمر فى ذلك لثلاثة أو اربعة أشهر كما ذكر هو، و قد أحرز بعض التقدم فى هذا المجال(١).

الميرزا حبيب الاصفهانى المعروف بـ **دستان**:

من اهالى قريه بن من قري لاربخش التابعه لمدينه شرکرد [شهر كرد] (محافظه چهار محال بختيارى) من كبار شعراء و مؤلفى العصر القاجارى. (توفى عام ١٣٠٥ هـ فى مدينه بروسه التركيه).

الميرزا حسن الاصفهانى المعروف بـ **صفى على شاه ابن الآقا محمد باقر**

أحد العارفين و الشعراء المشهورين فى العهد القاجارى:

ولد فى أصفهان فى الثالث من شعبان عام ١٢٥١. و كان أجداده يشتغلون بالتجاره فى أصفهان و تعرف عائلتهم بلقب (الصابرى). و قد ذكر السيد احمد الديوان بيگى الشيرازى فى كتابه (حديقه الشعراء) ان أباه كان يقوم ضمن اعماله التجاريه باسفار عديده، و يتقصى اخبار العارفين و يحاول الوصول إليهم، و من هنا سلم ابنه لاحد العارفين و شجعه على سلوك طريقتهم، و هكذا باشر الميرزا حسن الاصفهانى بدراسه علوم الاساسيه و بعض العلوم المتفرقه، مثل: الاعداد، الطلاسم و الحساب على يد الملا أبو طالب فى أصفهان. و اقتداء بابيه أخذ يبحث عن أهل العرفان، حتى انتقل إلى شيراز و دخل فى سلك مريدى الحاج زين العابدين الشيروانى الذى كان سائحا و محققا و مؤلفا و واحدا من المشايخ المعروفين للفرقه النعمه اللهييه. ثم انتقل منه إلى رحمه على شاه الميرزا كوجك نائب الصدر الشيرازى الذى كان قطب زمانه، فنال عنايته، و لقبه بـ (صفى على شاه)، و رحل بعد ذلك إلى بومبى باذن منه، و هناك نظم مثنوى (زبدہ الأسرار) فى مجمل احداث صحراء كربلاء و طبعه، ثم رحل إلى مكه و عاد بعدها إلى بومبى، و فى غضون ذلك سمع بوفاه رحمه على شاه فسافر إلى شيراز و مكث فيها برفقه الحاج الآقا محمد (منور على شاه) الذى كان وصيا و قائم مقام لتلك الفرقة، و بعد فتره امر بالتوجه إلى يزد و منها إلى طهران. و عكف فى طهران على تربيه و إرشاد مريدى الطريقه، و ما زال يزاول هذا الأمر حتى فارق الحياه فى الرابع و العشرين من ذى القعدة عام ١٣١٦ فى طهران، فدفن فى الخانقاه الذى بناه قبل وفاته بثمان سنين، و الذى يقع بالقرب من ميدان بهارستان.

تبع صفى على شاه فى حياته العديد من المريدين المؤمنين، منهم:

ظهير الدين صهر ناصر الدين شاه، و وزير البلاط مظفر الدين شاه الذى خلف صفى على شاه بعد وفاته.

ص: ١٠٠

بلغ صفى على شاه شاوا بعيدا فى الأدب و الشعر و خصوصا فى العرفان، و يظهر من آثاره انه كان متمكنا من اللغة العرييه. و من مؤلفاته (عرفان الحق) و (بحر الحقائق) و (ميزان المعرفه) و (زیده الأسرار المنظومه) و (التفسير المنظوم للقرآن) التى جاءت على وزن المثنوى لجلال الدين محمد المولوى. طبع ديوانه عدده مرات فى طهران، و كذلك طبع تفسيره مرتين. و تميزت أشعاره بالوجدانيه و العرفان، و جاءت أحيانا عاريه من مراعاة القوافى. (١)

ميرزا حسن المتخلص فى شعره ب آتشی:

شاعر ايرانى عاش فى القرن الثالث عشر الهجرى، له منظومه باسم (جنك نامه) و هى فى وصف حروب على (ع) و مناقب الأئمه الاثنى عشر.

قسم من هذه المنظومه من نوع المثنوى و فى البحر المتقارب، و القسم الآخر قصائد طويله على كثير من الضعف.

توجد نسخه خطيه من هذه المنظومه فى مكتبه الامام الرضا (ع) بمشهد. و قد طبعت طبعه حجرية سنة ١٢٧١.

ميرزا حسن بن الملا محمد صادق، المعروف بآتش الاصفهاني:

ولد سنة ١٢٨٦ و توفى سنة ١٣٣٩ فى أصفهان و دفن فى تكيه سراب قرب تخت فولاد.

هو من الشعراء الغزليين فى أصفهان، و كان يتبع فى الشعر أسلوب صائب و كلیم، و هو الأسلوب المعروف بالاسلوب الهندى.

و والده كان من علماء الدين فى أصفهان ذو مكانه فى الأوساط الشعبيه.

و عدا شاعريه المترجم فقد كان فنانا ماهرا فى صنع الشرائط المزركشه و التطريز. كما تعاطى التجاره حتى آخر حياته.

كان فى أول امره يتخلص فى شعره ب "بينوا"، و معناها "البائس"، ثم عدل عن هذا التخلص إلى تخلص آخر هو "آتش" و معناها "النار".

و هو اللقب الذى عرف به.

و لم يمنع عمله التجارى من حضور الندوات الادبيه التى كانت تعقد آنذاك فى أصفهان مثل ندوه محمد باقر الكزى و ندوه ملك الشعراء محمد حسين عنقا و ندوه شيدا.

على ان متجره كان دائما ملتقى للادباء و الشعراء.

طبع ديوانه سنة ١٩٤٢ م بتحقيق السيد على نوربخش آزاد، و كتب مقدمته جلال الدين همالى [همائى].

السيد حسين الطباطبائي الملقب ب نياز الجوشقاني:

أحد شعراء القرن الثالث عشر الهجرى فى ايران. ولد فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى فى قصبه جوشقان الواقعه بين كاشان و أصفهان، و لما كان نشوؤه و ترعرعه فى أصفهان، فقد نسب إليها. و ليس هناك معلومات أكثر عنه.

و قد ذكر بعض المؤرخين انه عاش فى زمن فتح على شاه القاجارى (١٢١٢ - ١٢٥٠ هـ) و ان أحد أجداده المدعو مير شاه تقى الجوشقانى الذى عرف بالخطابه و الخط و الفضيله كان يحظى بمكانه رفيعه فى بلاط الشاه سليمان الصفوى.

طبع ديوان شعر (نياز الجوشقانى) عام ١٩٨٣ فى طهران باهتمام احمد الكرمى و هو فى ١٢٠ صفحه من القطع الوزيرى.

حسين بن ميرزا جان:

عالم فاضل محدث جامع متبحر فى العلوم الرياضيه له "أنيس السالكين" أتم تأليفه سنه ١٢٩٣. (٢)

السيد حسين الطباطبائى الاردستانى بن السيد على المعروف ب المجرم:

كان من مشاهير الشعراء المعاصرين لفتح على شاه القاجارى. ولد فى زواره من بلاد أصفهان أواخر القرن الثانى عشر للهجره، و درس شيئا من العلوم فى مسقط رأسه ثم انتقل إلى أصفهان لإكمال دراسته، و انضم إلى الشعراء الذين نظموا مع نشاط الاصفهانى جمعيه ادبيه.

بقى فى أصفهان مده ثم انتقل مع (نشاط) إلى طهران، و حين توجه فتح على شاه إلى آذربايجان لخوض الحرب مع روسيا، ذهب هو مع نشاط فى هذه الرحله و قدم خلالها إلى الشاه، فأنشده قصائد و غزليات. و بعد عوده الشاه إلى العاصمه فى رجب عام ١٢١٩ هـ، حظى المجرم بنفوذ فى شئون البلاط تحت إشراف معتمد الدوله نشاط، و فى عام ١٢٢٢ هـ الذى فارق فيه الحياه المير السيد محمد سحاب، لقب المجرم بمجتهد الشعراء، و كتب الميرزا عبد الوهاب معتمد الدوله بخطه امر تلقيبه بهذا اللقب.

كان المجرم نديما لحسن على ميرزا بن فتح على شاه لسنوات طويله، و حظى بصلات كثيره من الأب و الابن. و لكنه فارق الحياه عام ١٢٢٥ هـ و هو فى عنفوان شبابه، حيث لم يكن يتجاوز الخامسة و الثلاثين من العمر. و قال رضا قلى خان عنه: "لو بقى على قيد الحياه لبلغ شانا كبيرا".

لم نعر على أشعار المجرم التى نظمها أثناء إقامته فى أصفهان، و لكن ذكر بعض من التقاه فيها انه كان ذا شان كبير و شهره واسع. و قد طبع ديوانه الذى كان يشتمل على ما يقارب ثلاثه آلاف بيت فى طهران عام ١٣١٢ هـ. (٣)

السيد حسين بن محمد الحسينى:

فقيه متبحر فى علوم الحديث و الرجال، من اعلام أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر. (٤)

السيد حسين بن مرتضى بن احمد بن الحسين الحسنى الحسينى الطباطبائى اليزدى:

مترجم فى نقباء البشر ص ٦٥٦ و نقول:

ولد فى يزىء و سكن كر بلاء؁ و سافر بصحبه والده إلى زياره الامام

ص: ١٠١

١- عبء الرفيع حقيقت.

٢- السيد اءمء الحسينى.

٣- عبء الرفيع حقيقت.

٤- السيد اءمء الحسينى.

الرضا (ع) فى سنة ١٢٧٤.

له "فروزجات طوسيه" فى الأذعيه و الختومات ". (١).

الميرزا حسين على السمنانى الملقب بمشتاق السمنانى:

من الشعراء الذواقين فى أواخر العصر القاجارى. ولد عام ١٢٧١ هـ فى سمنان، و درس مقدمات العلوم فى مدارس سمنان، ثم برز بحسن خطه و شق طريقه نحو دار الحكومه فى سمنان، فاشتغل فيها كاتباً للديوان لدى الأمراء القاجاريين. و كان خلال ذلك ينظم الشعر فى مدح الأمراء الذين كانوا يعينون فى حكومه سمنان و دامغان و شاهرود. و إضافه إلى الشعر كان مشتاق السمنانى عارفا بعلم الموسيقى و مجيدا لخط نستعليق و النسخ، و كان يكتب أشعاره بخط جميل توفى سنة ١٣٢٦. (٢).

الشيخ حسين بن عبد العلى بن عبد المحمود بن أمير احمد الطهرانى الكرمانى:

ولد فى كرمان و أقام فى يزد، و الظاهر انه كان من الخطباء و الراثين، و له كتاب فارسى فى المقتل أتمه فى جمادى الأولى سنة ١٢٢٩. (٣).

السيد حسين الرضوى الملقب بغبار الهدانى ابن رضا:

من الشعراء المتذوقين فى العصر القاجارى. كان جده السيد صادق اماما لجمعه همذان، بينما كان جده الأعلى السيد إبراهيم قد هاجر من قم إلى همذان و اقام فيها.

فى مثل هذه العائله الدينيه ولد السيد حسين عام ١٢٦٥، و سلك مسلك آبائه فى دراسه العلوم الدينيه، و لكنه لم يمكث فيها طويلا- حيث توجه إلى عالم التصوف و عكف على دراسه العرفان و طرق السير و السلوك و أنشأ ينظم الشعر استجابه لذوقه الشعرى، و يلقب نفسه فى أشعاره بغبار.

توفى غبار فى مسقط رأسه همذان عام ١٣٢٢ هـ، و نقل جثمانه إلى قم فدفن فى مرقد السيده المعصومه. و تم طبع ديوانه فى طهران عام ١٩٨٣ باهتمام احمد الكرمى، و جاء فى ٢٢٠ صفحه.

الشيخ حسين بن محمد بن عثمان الدندن الأحسانى المبرزى:

ولد حدود سنة ١٢٨٦ فى الإحساء و توفى سنة ١٣٦٢ فى مدينه المبرز.

آل الدندن أسره علميه معروفه فى مدينه (المبرز) بالأحساء، و يمتد تاريخها العلمى إلى ما قبل نحو من ثلاثه قرون من الزمن، و أقدم من عرفناه منهم: الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الدندن، أحد أساتذته الشيخ أحمد ابن زيد الدين الأحسانى، و منهم اليوم الشيخ جواد بن الشيخ على بن على الدندن (المولود حدود ١٣٦٩ هـ - أحد أساتذته "الكفايه" و السطح العالى فى الحوزه العلميه فى الأحساء.

درس المترجم له أولاً- فى الإحساء بعض المقدمات، ثم هاجر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته، و حضر هناك جملة من الدروس لدى عدد من الأعلام، و بعد مده لم تسمح له ظروفه بالاستمرار فى النجف، فاضطر للعودة إلى بلاده قبل حصوله على كامل بغيته، و فى الإحساء عاد يواصل دراسته لدى أعلامها آنذاك، و كان ملازماً للسيد ناصر الاحسائي و مستفيداً منه أيام تواجده فى البلاد، و بعد عوده السيد ناصر الأخيره للأحساء بدايه عام ١٣٥٨ هـ كان المترجم له من المقربين لديه و المستفيذين من علومه و مكارمه حتى وفاه السيد ناصر فى ٣ شوال ١٣٥٨ هـ.

كان المترجم له من أهل العلم و الفضل البارزين، و قضى ردحا من الزمن إماماً لمحلته (العيونى) فى وطنه المبرز و زعيماً مرشداً لهم حتى وفاته، و أصبح فى الأواخر ذا جاه و مقام معروفاف بفضله و أدبه و جلاله قدره.

له شعر كثير فى مناسبات و مواضع متعددة، لكنه لم يجمع و لم يحتفظ به، و لم اعثر من شعره الا على قصائد معدوده وجدتها فى الأحساء عند ذويه.

قال فى رثاء الامام الحسين (ع) من قصيده:

عج بالغرى معزيا من فيه بمصابه ببناته و بنيه

قل يا على المرتضى عز العزا عد المصاب عليك لا نحصيه

فى من نقول لك العزا و لمن له نرثى و أعيننا دما نبكيه

إن المصائب جمه لم نستطع إحصاءها فاسمع لما نوحيه

إلى ان يقول:

و تنادبت للذب عنه عصبه لبت نفوسهم ندا داعيه

من كل أشوس يرتوى فيض الدما و شبا الحسام من الطلا يرويه (٤)

و غدا وحيدا لم يجد من ناصر غير السنان و صارم يحميه

فردا يجاهد عن شريعته جده بالمشرفيه فى رضا باريه

أفديه من ثاو ثلاثا بالعرا يكسوه من ذارى الثرى سافيه

من حوله الخفرات تندب لوعه ثكلى يجاوب نعيها ناعيه

الشيخ فخر الدين حمزه بن على ملك الطوسى الاسفراينى البيهقى المتخلص ب الأذرى:

أحد مشاهير مشايخ و شعراء القرن التاسع للهجرة، امضى شطرا من حياته فى الهند و الشطر الأكبر منها فى ايران. و قد ذكر دولت شاه اسمه بالصورة التى ذكرناها اما لقبه (فخر الدين) فهو مستقى أيضا من

ص: ١٠٢

-
- ١- السيد احمد الحسينى.
 - ٢- عبد الرفيع حقيقت.
 - ٣- السيد احمد الحسينى.
 - ٤- شبا الحسام: أى حد السيف، و الطلا: العنق.

دولت شاه حيث ذكر ان لقبه هو (مفخر المله و الدين) و هو نفس ما ذكره الحاج خليفه (في كشف الظنون) و إسماعيل باشا (في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ج ٢ بند ٨٦) و عدد آخر من أصحاب التراجم و الفهارس. و من هنا ندرک بطلائق قول جميع الذين ذكروا ان لقبه هو (نور الدين) أو (جمال الدين) لأن هؤلاء جميعا هم من المتأخرين عن دولت شاه و أقل شأنا منه في صحه أقوالهم. و اما اسم أبيه المركب (على ملك) الذي يبدو صحيحا، فقد نقل الحاج خليفه و إسماعيل باشا على انه (على مالك) و ورد في بعض المصادر بصوره اخرى هي (عبد الملك) و ورد اسمه أحيانا (على حمزه). (١)

كان أبوه على ملك واحدا من أعيان ناحيه أسفراين و من رجال السربداريين في بيهق، و ينتهي نسبه إلى معين صاحب الدعوه احمد بن محمد الزمجي الهاشمي المروزي. اشتهر بالطوسي لاقامته بعض الوقت في مدينه طوس، و اما شهرته بالاسفرايني فلولادته عام ٧٨٤هـ في ناحيه أسفراين، و ذكر هو سبب تسميته بالآذري في جوابه لالغ بيك ميرزا و هو ولادته في شهر آذر. (٢)

بدأ الشيخ فخر الدين الآذري نظم الشعر في عنفوان شبابه، و نال شهره في هذا المجال، و مدح الميرزا شاه رخ بقصيده "بلغ فيها من قوه الشعر شاوا بعيدا، فنهض الخواجه عبد القادر العودي (من رجال عهد شاه رخ التيموري) لمعارضته و امتحنه بعدد من قصائد الخواجه سلمان، فأجاب الشيخ بجواب كان له وقع حسن على أكابر الحاضرين، فبادر شاه الإسلام لمدحه و تعظيمه و وعده بان يجعله ملك الشعراء. و لكن في ذلك الوقت كان نسيم الفقر و عالم التحقيق قد لامس رياض قلبه و سطعت شمس الزهد على كوخ احزانه... فخطأ في عرصه التصوف و هجر زخارف الدنيا، و لازم شيخ الشيوخ و قدوه العارفين الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي (٣) قدس سره العزيز و بعد وفاه الشيخ محيي الدين في حلب، توجه الشيخ الآذري إلى السيد نعمه الله (قدس سره) و لازمه فتره من الزمن و حظى منه على إجازة و خرقة التبرك، و بعد الرياضه و المجاهده و السلوك اشتغل في السياحه و اتصل بأولياء الله و حج بيت الله الحرام راجلا مرتين - و مكث بجوار البيت الحرام سنه كامله كتب خلالها (سعى الصفا) و هو كتاب مشتمل على شرح مناسك الحج و تاريخ الكعبه المعظمه شرفها الله تعالى. ثم عاد بعد ذلك إلى بلاد الهند و بقي فيها مده من الزمن " (٤)

نقل البعض ان تغير حال الآذري و التحاقه بحلقه الصوفيين كان في سن الكهوله. و من ثم فهو يشبه في ذلك الشيخ علاء الدوله شريف زاده السمناني، و قد كان حتى ذلك الوقت ملازما لبلاط الميرزا شاه رخ و الرجال و الأمراء التيموريين و لا بد ان يكون لقاؤه بالغ بيك ميرزا في مشهد و الحديث معه حول شهرته بالآذري في تلك الفتره بالذات. و كما رأينا في نهايه حديث دولت شاه فان الآذري عاد إلى بلاد الهند و بعد حجه الثاني و بقائه فتره في مكه. و في الهند لازم الشيخ بلاط السلطان احمد شاه البهمني (الذي حكم ما بين ٨٢٥ و ٨٣٨هـ) و هو من السلاطين البهمنيين في دكن و گل برکه و كان معروفا بحبه للمشايخ و سالكي طريق الحق. فحظى الشيخ الآذري منه بلقب ملك الشعراء " و انشد عده قصائد في مدحه و مدح مدينته و عماراته، و نال جوائز لائقه، ثم بدأ بنظم (بهمن نامه) استجاب له الامر السلطان، ثم استاذنه في الانصراف إلى بلاده " (٥)، و لكن يفهم من تاريخ فرشته أيضا ان السلطان احمد رفض ان يأذن له، فاضطر الآذري إلى البقاء في الهند مع طلب إحضار ابنائه، و لكن بعد وساطه الأمير علاء الدين بن احمد شاه البهمني استطاع الشيخ ان يعود إلى خراسان محملا بأنواع الهدايا، و تعاهد مع احمد شاه ان يواصل في خراسان نظم (بهمن نامه) و بالفعل واصل النظم و كان يبعث سنويا ما ينظمه إلى دكن. و بعد وفاه احمد شاه خلفه ابنه علاء الدين في الحكم (٨٣٨ - ٨٦٢هـ) و كان الأخير مريدا للشيخ الآذري و لم تنقطع الصله بين الاثنين بعد عوده الشيخ إلى ايران. بل تواصلت المكاتبات بينهما. و كان الشيخ يرشد مريده السلطان علاء الدين إلى أسلوب التعامل مع رعاياه، بل انه الأخير

ترك شرب الخمر اثر هذه الارشادات.

و يقول دولت شاه ان الآذرى " انصرف بعد عودته من الهند من السياحه فى عالم الملك إلى السياحه فى عالم الملكوت، حيث توجه إلى التفكير، و جلس ثلاثين سنه على سجاده الطاعه دون ان يطرق باب أحد من أرباب الحكم، بل كان أصحاب الدين و الدوله و أرباب الملك يطلبون مصاحبه للتبرك " و إذا كان الشيخ قد عاش بعد عودته من الهند ثلاثين سنه، فلا بد ان يكون فى سفره إلى الهند فى الثانيه و الخمسين من العمر و ان يكون هذا هو عمره فى عودته إلى خراسان.

توفى عام ٨٦٦هـ فى أسفراين، و كان عمره اثنين و ثمانين عاما، و لا يزال ضريحه مزارا للناس، و قال الخواجه أوحى المستوفى كلمه (خسرو) فى قصيده له كماده تاريخيه لوفاه الشيخ الآذرى، و حروفها تساوى ٨٦٦.

ترك الآذرى عدده آثار فى النظم و النثر. و ديوان أشعاره لا يزال موجودا و كانت له شهره كبيره بين الناس فى عصر غياث الدين خواند مير على حد قوله، و هو يشتمل على قصائد و غزل و ترجيع و تركيب و قطع و رباعيات و مجموع أبياته لا تتجاوز الخمسه الآلاف بيت.

و إضافه إلى ديوانه، ترك أثرا منظوما آخر هو (بهمن نامه) فى شرح سلطنه السلاطين البهميين فى دكن. و كانت سلسله هؤلاء السلاطين قد بدأت فى الهند منذ عام ٧٨٤ حين ثار علاء الدين حسن گانگو الملقب بظفر خان على السلاطين التغلقيين فى الهند، و استمرت حتى عام ٩٣٣هـ. و كان الآذرى معاصرا - كما ذكرنا - لاحد سلاطين هذه السلسله و هو السلطان احمد شاه الأول الذى حكم من عام ٨٢٥ إلى عام ٨٣٨هـ و لازمه مده ثم ترك بلاطه عام ٨٣٦هـ قبل وفاته بثلاثين سنه و توجه إلى خراسان. و كان نظم الآذرى ل (بهمن نامه) استجابته ٧.

ص: ١٠٣

- ١- ورد ذلك فى (تاريخ نظم و نثر در ايران) ص ٢٩٣، و بدايه منتخب جواهر الأسرار و فيها جاء اسم و نسب الآذرى كما يلى:
"على حمزه بن على ملك بن حسن الطوسى".
- ٢- و هو الشهر التاسع من أشهر السنه الإيرانية.
- ٣- من أكابر مشايخ القرنين الثامن و التاسع. توفى عام ٨٣٠هـ.
- ٤- تذكره الشعراء (دولت شاه) ص ٤٤٨-٤٤٩.
- ٥- تاريخ فرشته ج ٢ ص ٦٢٧.

طلب هذا السلطان، حيث نظم تاريخ السلاطين البهمنيين منذ بدايه عهدهم و حتى عهد احمد شاه و حين حصل على الاذن فى الانصراف إلى خراسان " عاهد الشاه على الاستمرار فى نظم " بهمن نامه " ما دام على قيد الحياه. و وفى بعده فى خراسان فكان يصرف بعض أوقاته الشريفه فى نظمها، و يرسل ما ينظمه سنويا إلى دار الخلافه فى دكن. و كان جميع ما ورد فى (بهمن نامه) من بدايتها حتى قصه السلطان المعظم البهمنى (١) من نظم الشيخ الآذرى، ثم تلاه الملا النظرى (٢) و الملا السامعى و غيرهما من الشعراء فواصلوا النظم حتى انقراض الدوله البهمنيه، كل حسب عصره و قدرته و الحقوا نظمهم به منظومه الشيخ الآذرى، و لكن بعض عديمى الضمير قاموا بتغيير بعض أبيات المنظومه و نسبوا كلها لأنفسهم، و لكن تباين درجات الشعر دليل على تعدد الناظمين " (٣) و ثمة نسخه موجوده الآن من (بهمن نامه) الآذرى، و هى بسبب الأمور التى ذكرناها من اختلاطها مع أشعار النظرى و السامعى و ربما آخرين من الشعراء جاءت متفاوتة المستوى فى أبياتها و اشعارها. و نظم (بهمن نامه الآذرى) كان بالبحر المتقارب و هى من المنظومات الحماسيه التاريخيه المتبعه لاسلوب الأستاذ طوس. و هذه المنظومه هى غير منظومه (بهمن نامه) الاخرى التى تتحدث عن قصه بهمن بن إسفنديار التى نظمها الحكيم ايران شاه بن أبى الخير و تعد من المنظومات الوطنيه الحماسيه، و قد نسبت بعض المصادر نظمها للجمالى المهريگردي.

و من الآثار المنظومه الاخرى للشيخ الآذرى كتاب (عجائب الغرائب) و هو منظومه من تفرعات البحر الخفيف تتحدث عن عجائب البلاد و النواحي من عيون و عمارات و حيوانات و طيور و سوى ذلك، و قد استفاد فى نظمها من كتب عجائب المخلوقات و ربيع الأبرار للزمخشري و كذلك من منظومته الاخرى المسماه ب (عجائب الدنيا) و أشار إلى هذه المصادر فى المنظومه، و كان نظمها بأسلوب سهل و لغه بسيطه.

و من آثاره الاخرى كتاب (جواهر الأسرار) الذى ألفه عام ٨٤٠ هـ.

و هو كتاب يشتمل على اربعة أبواب، و كل باب ينقسم إلى عدة فصول، جعلها الشيخ فى ذكر الأسرار العرفانيه و شرح القرآن الكريم و الأحاديث النبويه و كلام مشايخ التصوف و أبياتهم الشعريه المستعصيه. و من بين الشروح شرح لقصيده من نظم عطار. طبع منتخب من جواهر الأسرار فى طهران عام ١٣٠٣ هـ مع كتاب أشعه اللمعات للجامى و عدد من الرسائل الاخرى و من الآثار الاخرى للشيخ الآذرى كتاب (سعى الصفا) فى شرح مناسك الحج.

لقد كان الآذرى الذى يتخلص أحيانا فى نهايه شعره باسمه (حمزه) من كبار الشعراء فى عصره. (٤)

حيدر الصفوى:

اشاره

يستقى الصفويون اسمهم من جد عائلتهم العارف الكبير فى القرن الثامن الهجرى صفى الدين الأردبيلى، يرجع نسب صفى الدين الذى كان من مشايخ الصوفيه إلى الامام موسى الكاظم (ع) و ليس بين أيدينا الا القليل من المعلومات حول طريقه الصوفيه فى الوقت الذى كان اتجاهها دينيا بحثا و بعيدا عن السياسه. و من ذلك ان رئاسه هذه الطريقه (اى شخص المرشد) كانت تنحصر دائما من أحد أفراد الصوفيه، و هو عاده ابن المرشد السابق. (٥)

و كان تعيين الخليفة يتم في الوقت المناسب من قبل المرشد، اى فى زمن حياته، و يعتقد الصوفيون ان هذه الخطوه تنقل الولايه من الأب إلى الابن. و الجدير بالذكر انه ليس من الضروري ابدا ان يكون الابن المنتخب هو أكبر الأبناء.

و لا- يحصل الخليفه على المقام المعنوى و حسب بل يستولى أيضا على الميراث الدينوى كله الذى يشتمل على عائدات الأملاك المحيطه باردبيل (مثل كالخوران، تاجى بيوك، تلخاب، إبراهيم آباد و غيرها).

كان هناك وسطاء بين المرشد و مريديه، يسمون بالخلفاء، و الظاهر ان وجودهم يتأكد فى أوقات معينه، و خصوصا بالنسبه للمريدين فى المناطق البعيده، و يسعى هؤلاء الخلفاء إلى ترويج عقائد و تعاليم الصوفيه. ثم أصبح هؤلاء يتبعون فيما بعد رئيسا مشرفا عليهم يسعى الخليفه الأ-كبر أو خليفه الخلفاء، و كان ذلك لاول مره فى عام ٩١٣ هـ حينما عين الشاه إسماعيل الأول شخصا بعنوان زعيم الصوفيين فى الأناضول، و الذى حظى بشهره واسع و مكانه رفيعه.

و كان خليفه الشيخ صفى الدين هو ابنه صدر الدين (٧٣٤ - ٧٩٤) ثم تبعه ابنه الخواجه على (٧٩٤ - ٨٣٢ هـ) ثم الشيخ إبراهيم بن الخواجه على (٨٣٢ - ٨٥١ هـ) و قد طار صيت زهدهم و ورعهم فى الآفاق حتى بلغ البلاط العثمانى الذى أخذ يرسل سنويا إلى أردبيل (مركز الصفويين) أنواع الهدايا و التحف و الأكياس المليئه بالأموال.

الشيخ جنيد الصفوى

كان انتقال الطريقه الصفويه من الدروشه إلى الحكومه الدينويه على يد الشيخ جنيد بن الشيخ إبراهيم (٨٥١ - ٨٦٥ هـ)، و كان الشيخ جنيد رجلا محنكا و مدبرا، قل نظيره. و بعد ان كان زعيما و مرشدا قويا لجماعه من الدراويش المؤمنين و حسب، ادعى لنفسه الحكومه و الرئاسة الدينويه. و كان حشد الصوفيين و المريدين المحيطين بالشيخ جنيد يبعث على القلق و سوء الظن الشديد فى نفس جهان شاه حاكم قبيله القره قويونلو و نفوس سائر أمراء آذربايجان آنذاك ذلك لان هؤلاء الاتباع كانوا يعيشون فى جوار مرشدهم فى أردبيل مع كامل أفراد أسرهم و جميع املاكهم، حتى اضحت أردبيل معسكرا كبيرا. و على الرغم من ان أسلحتهم لم تكن مهمه كثيرا، الا- ان جهان شاه لم ير صلاحا فى شن هجوم عسكري على رجل دين من اتباع المذهب الشيعى خصوصا و هو

ص: ١٠٤

- ١- المقصود هو علاء الدين شاه الذى حكم من عام ٨٦٢ إلى ٨٦٥ هـ.
- ٢- الملا- النظيرى هو غير النظيرى النيسابورى. و هو من المتربين على يد الخواجه عماد الدين محمود گاوان (م ٨٨٦ هـ)، و قد حصل فى بلاط السلاطين البهمنيين على لقب ملك الشعراء، بدعم من الوزير الفاضل محمود گاوان.
- ٣- تاريخ فرشته: الجزء الأول ص ٦٢٨.
- ٤- ذبيح الله صفا.
- ٥- باستثناء الشاه إسماعيل الصفوى، الذى لم ينتخب لهذا المنصب بعد أبيه مباشرة، بل انتخب بعد أخيه الأكبر سلطان على.

الشيعة المتعصب. من هنا اكتفى بمراسله الشيخ جعفر عم الشيخ جنيد الذي كان حكيما مجربا و في نفس الوقت طالبا للجاه، و لم يكن راضيا عن انتخاب الشيخ إبراهيم مرشدا للطريقه الصفويه، فطلب اليه الاسراع في طرد ابن أخيه من أردبيل. و قد كان هذا الحاكم التركمانى مطلعاً تماماً على الخلافات الموجوده بين الشيخ جنيد و عمه الشيخ جعفر، ذلك لأنه كان قد زوج إحدى بناته للسيد قاسم خان ثانی أبناء الشيخ جعفر، و لم يتردد الأخير في تلبية الطلب، خصوصا و ان هذا العمل سيعود عليه بإداره خانقاه الشيخ صفى و بقعته. فاخذ يكثر من تهديد الشيخ جنيد بأنه في حاله تلكؤه في الخروج من أردبيل فان قبيله القره قويونلو ربما شنت عليه هجوما مسلحا. و من جانب آخر كان جهان شاه يبعث إلى أردبيل برسل تترى لاستعجال تنفيذ الأمر و حينئذ اضطر الشيخ جنيد إلى مغادره أردبيل في جماعه من اتباعه الأوفياء. و أغلب الظن ان هذا الأمر كان في عام ٨٥١ أو ٨٥٢ هـ. و لا يمكن الجزم بالطريق التي سلكها الشيخ جنيد بعد طرده من أردبيل، و لكن أقوى اثر استطعنا الحصول عليه يشير إلى توجهه صوب آسيا الصغرى الخاضعه للحكم العثماني. و من المستبعد ان يكون قد سلك في رحلته تلك طريق تبريز التي كانت عاصمه لعدوه اللدود جهان شاه، و من ثم يمكن القول بأنه سلك طريق قره باغ و ارمينيا في طريقه إلى الأناضول. و لم تكن اقامه الشيخ جنيد في الأناضول و سوريا بين عام ٨٥٣ و ٨٦٠ هـ عديمه التأثير على أوضاع ذلك العصر، و لا يمكن تجاهل اهميتها من حيث التاريخ الثقافى لها.

خلال إقامته في الأناضول و سوريا، التقى باوزون حسن آق آق قويونلو حاكم ديار بكر القوي، فمكث في ضيافته ثلاث سنوات. ثم تزوج من أخته (خديجه بيگم)، و استجاره في إرسال خلفاء له إلى عدده مناطق لكسب اتباع جدد، فأجاره. و حين استولى اوزون حسن على گرجستان عام ٨٦٣ هـ، عاد الشيخ جنيد إلى أردبيل. و كان خبر زواجه من أخت زعيم الآق قويونلو قد شاع في الآفاق مما زاد في شانهِ و قوه شوكتهِ. و اعتبر جهان شاه الشيخ جنيد بعد ارتباطه باوزون حسن منافسا خطيرا، فاخذ يحشد الجند لمواجهته. من هنا اضطر الشيخ جنيد مره اخرى لمغادره أردبيل بعد مده قصيره، و أوكل اداره بقعه و خانقاه أردبيل لعمه الشيخ جعفر، و بادر إلى إرسال الرسل لاستقدام جميع أنصاره و مريديه اليه، و مكث هو خارج المدينه في انتظار قدومهم، حتى إذا اجتمع شملهم و تكون عنده جيش مسلح تكون من آلاف الصوفيين، تحرك في خريف عام ٨٦٤ هـ نحو الشمال، قاصدا جهاد الشراكسه.

و استطاع اجتياز ارض شيروان دون عقبات حتى وصل (طبرسران) فأغار عليها. ثم انكفأ عن ارض القفقاس، و اجتاز شيروان ثم حط رحاله في قره باغ لاعتدال مناخها فامضى شتاءه فيها.

و في شيروان أصيب حاكمها السلطان خليل بالذعر من حملات الشيخ جنيد، و القى في روعه انه ينوى الهجوم على ولايته، فبادر إلى إرسال وفد اليه محملا بالهدايا. و إذا كان لدى السلطان خليل ابسط تردد في مهاجمه رجل دين، فان هذا التردد ارتفع بعد وصول رساله الشيخ جعفر طالب الجاه المحتال. حيث ذكر فيها ان ابن أخيه لا ولايه له، و انما ينبغي الاسراع في القضاء عليه لتمرده و عصيانه. و ما ان وصلت الرساله، حتى طفق ملك شيروان يحشد قواته ليهاجم بها في فصل الربيع، و امده أحد التابعين له و هو حاكم طبرسران أبو المعصوم خان بقوه، و امده جهان شاه من تبريز بفوج من التركمان و قبل ان تقع الحرب أرسل السلطان خليل أحد الأمراء إلى الشيخ جنيد يطلب منه الرحيل عن شيروان على الفور، و بدلا من الرد على هذا الطلب قام الشيخ جنيد بشنق الرسول. و عندئذ تحرك السلطان خليل من عاصمته شماخي. فحاول الشيخ الهرب، و لكنه وقع في الشباك في وادي قره سو الواقع غربى سلسله جبال ألبرز في القفقاس و دارت معركة بين الطرفين، أصاب الشيخ خلالها سهم فأهلكه. و لم يتوان

الصوفيون عن المقاومة و التضحية البطولية، و لكنهم حين رأوا سقوط شيخهم و مرشدهم لاذوا بالفرار، و بعد وفاه الشيخ جنيد (في جمادى الأولى عام ٨٦٤هـ) بشهر ولدت زوجته خديج بيگم ولدا سمى حيدرا.

فتعهده اوزون حسن برعايته، و ترعرع في عاصمه الآق قويونلو، حتى انتصر اوزون حسن في حربه الحاسمه على القره قويونلو، و أصبحت تبريز منذ ذلك الوقت عاصمه لحكم اوزون حسن. و كان عمر حيدر آنذاك تسع سنوات فذهب إلى أردبيل ليكون فيها خليفه لأبيه.

و حضر حيدر بسنيه التسع معارك الآق قويونلو مع (أبو سعيد)، و بعد ان فرغ اوزون حسن من حربه منتصرا، و غادر صحراء مغان في باديه عام ٨٧٤هـ متوجها إلى أردبيل، رافقه حيدر في رحلته، فدخل البقعه المقدسه لعائلته لأول مره. و كان استقبال الشيخ جعفر لهما و ديا رغم سوء ظنه بهما ذلك لانه لا يجوز المزاح مع زعيم الآق قويونلو.

و إذا كان اوزون حسن قد غفل عن الشيخ جعفر بعد مناصرته لجهان شاه ثم لابنه حسن على و لابی سعيد فيما بعد فالظاهر ان السبب في ذلك هو استشفاعه بحاكم شندان القوى - و هو گيلانى - و قبول اوزون حسن شفاعته. و خلال هذه الرحله نصب اوزون حسن حيدرا شيخا و مرشدا للطريقه الصفويه في أردبيل، إذ كان يتوسم الجداره فيه رغم صغر سنه.

و في ذى الحجه عام ٨٧٤هـ غادر اوزون حسن مدينه أردبيل ليستقر في عاصمته الجديده تبريز، و أوكل امر تربيته حيدر إلى الشيخ جعفر، و مما لا شك فيه انه لم يكن يكن الموده لهذا الصبى، ففرض عليه القيود الشديده حتى في أسفاره و تحركاته. و يبدو ان هذه القيمومه القاسيه استمرت حتى وفاه الشيخ جعفر التي لا يعرف تاريخها على وجه الدقه.

و كانت الفرقه الصفويه قد اعترها بعض الخمول و التوقف اثر فشل الشيخ جنيد في توسيع نفوذه و الإمساك بزمام الحكم، و لكن هذه الفرقه استعادت ازدهارها مع عوده هذا الابن، لا سيما و هو يحظى بدعم و تأييد حاكم ايران القوى اوزون حسن. و كان ابرز مظاهر هذا الازدهار هو الإقبال الشديد على أردبيل من قبل أعداد كبيره من الزوار. و كان الموطن الأساس لهؤلاء الصفويين هو آسيا الصغرى و خصوصا مناطقها الجنوبيه مثل قره مان، و تکه و حميد و الشام (سوريا) و گيلان و طالش. و بعبارة اخرى المناطق الغربيه و الجنوبيه الغربيه لبحر الخزر.

و كان الأمر الأهم الذى ساهم في توثيق العلاقه بين الصفويه و اوزون حسن أكثر من اى امر آخر و زاد من قوه شوكة الصفويين هو زواج حيدر من كبرى بنات اوزون حسن، و كان ثمره هذا الزواج من

الأميره دسپينا خاتون التي كان التركمان يسمونها حلیمه بگی آغا و يلقبونها بعالم شاه بيگم ثلاثة أولادهم السلطان على و إسماعيل و إبراهيم و كان إسماعيل (المولود عام ٨٩٢هـ) الشخص الذي استطاع إيجاد أول حكومه وطنيه قادره على توحيد ايران الكبرى، بعد مضي تسعه قرون من تسلط الأجانب مع وجود فواصل قصيره و عابره في هذا التسلط.

و كان الشيخ حيدر في سعي دائم لتحقيق الاهداف التي عجز عنها أبوه الشيخ جنيد، و كان يطمح قبل كل شيء إلى الانتقام من ملك شيروان ثارا لأبيه. من هنا جعل جل همه تسليح اتباعه، حتى انه حول البقعه كلها و حتى الحجر السكنيه إلى مستودعات للأسلحه، بحيث ورد في تاريخ (عالم آراى امينى) انه كانت السيوف في ذلك الوقت أكثر من أقلام القصب. و كان حيدر صانعا ماهرا للأسلحه، إذ يقول صاحب تاريخ (عالم آراى امينى): "سمعت انه صنع بنفسه آلاف الرماح، و الدروع و السيوف دون ان يستعين في ذلك بأحد".

و لم يكن يوقف تصنيع الاسلحه الا للتمرين على الرمايه و استخدام السيف و القوس، أو حين يقوم بتعليم اتباعه. و كان حينئذ يرتدى ملابس دينيه عاديه التي هي عباره عن عباءه الدراويش و القلنسوه الصوفيه. و من خلال الاخبار التي وردت بشأن الشيخ حيدر و وصفت شجاعته و حنكته و حسن تدبيره و احاطته بفنون الحرب يمكن الاستنتاج بأنه كان اقدر من أبيه على تسليح اتباعه و خلق جيش محارب منهم و بالتالى الوصول إلى اهدافه التي كانت عباره عن تحصيل الجاه و النفوذ السياسى. و بابتداعه اللباس الموحد لاتباع طريقته اثبت انه على مستوى كبير من القدره على خلق التنظيمات. و قد أخذ اتباع طريقه الصفويه يضعون على رؤوسهم تاجا صفويا يسمونه تاج حيدر منذ عهد حيدر، و هو يشبه المخروط الناقص، و يحتوى على اثني عشر خرقا. بسعه الإصبع لكل خرق، و لون التاج احمر، و ذلك إشاره إلى آل على و الاثمه الاثني عشر (ع)، و قد نقشت أسماءهم على الخروق. و قد نشأت تسميه القزلباش من اللون الأحمر لهذه التيجان، إذ أطلق العثمانيون هذه التسميه بادئ الأمر استهزاء ثم ما لبثت ان شاع استعمالها. و الغزلباش [القزلباش] تعنى الرأس الأحمر إذ تعنى القزل في التركيه اللون الأحمر و تعنى لفظه (باش) الرأس.

و قد أدى انتشار (تاج حيدر) إلى تلاحم صفوف مريدى الصفويين ذلك لأنه لم يقدم على تبديل القلنسوه التركمانيه بتاج حيدر الا من ترسخت العقيداه الصفويه في نفسه. و قد اقترنت هذه التيجان بالتأريخ الصفوى اقترانا واضحا. و ازداد رواجها بعد وفاه حيدر عام ٨٩٤هـ، ثم تأكد استعمالها و زاد انتشارها أكثر في زمن الشاه إسماعيل، حتى بلغ الأمر بتجار البندقية ان كانوا يقدمون في بدايه القرن العاشر الهجرى (القرن السادس عشر الميلادى) في قوافل محمله بالاقمشه الحمراء سالكين طريق حلب، لبيعها إلى الشاه إسماعيل. و لكن استعمال هذه التيجان أخذ ينحصر بالتدريج في زمن الشاه طهماسب حتى اقتصر في القرن الحادى عشر على الصوفيين الذين يكونون للعائله الصفويه إخلاصا خاصا.

و قد تمتع القزلباش ذوو الأصل التركى بنفوذ واسع في عهد قوه الملوك الايرانيين خلال القرن العاشر الهجرى و ذلك باعتبارهم أشرف الجيش و مؤسسيه. حتى حد الشاه عباس الأول في القرن الحادى عشر الهجرى من نفوذهم بخلق التوازن في البلاد من خلال إطلاقه يد الايرانيين الحقيقيين (الطاجيك) و الغلمان الكرجيين، مما كان له دور كبير في تحسين الأوضاع الايرانيه آنذاك.

و كانت الثمره الأولى لجهود حيدر التسليحيه، و نشاطه في حشد المحاربين ذوى اللباس الموحد في عام ٨٨٨هـ حين قام بعملية

العسكريه الأولى ضد الشركس و له من العمر ٢٢ سنه. (١)و كانت قدوته فى اعماله الحريه أبوه. و يمكن القول ان هدفه الأساس كان الحصول على الغنائم ليزيد من عدد اتباعه و يفرق بينهم الهدايا، و الا فإنه لم يكن يقصد فتح البلدان. و كان وصوله إلى داغستان يتطلب الحصول على إذن من حاكم تلك النواحي و هو ملك شيروان، و قد اجازته الأخير رغما عنه، إذ كان حيدر يحمل امرا من الشاه يعقوب فى هذا الشأن و حين سمعت قبائل الشركس بتحرك حيدر نحوها، بادر بعضها إلى الانسحاب، و أثر بعضها الآخر الدفاع. فوعدت الحرب و انتهت بانتصار حيدر انتصارا كاسحا. و قد دعاه هذا الانتصار إلى التفكير فى الهجوم على ملك شيروان للشار لأبيه منه، و لكن الصوفيين اعتذروا بحاجتهم إلى الاستراحة، و كذلك بحاجه مثل هذه الحرب إلى استعداد أكثر. فوافقهم الشيخ حيدر على رأيهم و عاد أردبيل فدخلها فى خريف عام ٨٨٨ هـ و خلال عودته من حملته العسكريه الأولى على شيروان، استغل الشيخ حيدر الفرصه فأقر ذريه الشيخ زاهد الكيلاني الذى كان استاذا لجدده صفى الدين الأردبيلي على الاراضى التى ورثوها. و قد كتب فى ذلك سندا عام ٨٨٨ هـ، و يمكن الاستنتاج منه انه كان يصدر الأوامر إلى الشخصيات الحكوميه و جباه الضرائب. و يستنتج منه أيضا انه كان فى عام ٨٨٨ هـ يحكم جنوب شيروان أو على الأقل يدعى ذلك. و قد بادر فى أردبيل إلى تقسيم الغنائم بين الاهالى، و كان من بينها الجوارى الشركسيات، و قد امر القزلباش بإنفاق جميع حصصهم من الغنائم فى أعداد الاسلحه و آلات الحرب. كما بعث ببعض الغنائم إلى الشاه يعقوب بن اوزون حسن زعيم الآق قويونلو رعايه منه للمصلحه و حفظا للعلاقه الوديه بينهما.

و فى ربيع عام ٨٩٢ هـ عاود الشيخ حيدر الكره، و سلك نفس الطريق فى حملته، و كانت النتيجة موفقه كما فى المره الأولى. و قد ساهم نجاحه هذا و كثره عطاياه (من قبيل تنازله عن حقوق الأرض فى جميع القرى التابعه له) فى رفعه شأنه و ازدياد نفوذه، فاخذ الاتباع يتقاطرون من كل حذب و صوب للانضواء تحت رايته.

الا- ان الحكم فى تبريز أخذ ينظر إلى ازدياد قوه الحكومه الدينيه فى أردبيل بعين الشك و الريبه. و فى اجتماع لرجال بلاط السلطان يعقوب طرحت هذه المسأله على بساط البحث، فاستقر الرأى على استدعاء حيدر إلى تبريز فورا. فدخلها الشيخ حيدر فى خرقة باليه و تاج قدر، و معه عدد قليل ممن.

ص: ١٠٦

١- ورد أنفا ان ولادته كانت عام ٨٦٤ هـ فيكون عمره فى عام ٨٨٨ هـ ٢٤ سنه و ليس ٢٢ سنه كما ورد فى المتن.

أصحابه، و اقام فى زاويه كان الشاه حسين جلاير قد أبقاها، و كان دخول الشيخ للعاصمه فى عام ٨٩٢هـ. و أخذ وجهاء و أمراء الآق قويونلو يتوافدون عليه التماسا لدعائه، ثم قدم اليه السلطان بنفسه.

و فى اليوم التالى استقبل السلطان الشيخ فى بلاطه و دار بينهما بحث جدى، و كانت رغبه رجال البلاط ان ينصرف الشيخ حيدر نهائيا عن حملاته العسكريه، و ينفى من أردبيل، و الأهم من ذلك كله قطع العلاقات مع خلفائه الذين يمثلون زعماء التجمعات الصفويه فى آسيا الصغرى، و فى غير ذلك يتوقعون حدوث ثوره كبرى. و لكن السلطان يعقوب لم يكن يرغب بأخذ قريبه بمثل هذه الشده، فرضى ان يقر له حيدر بالطاعه المطلقه، و أجبره على القسم على وفائه، حيث اتى بقرآن و أشرف رجل الدين و قاضى القضاة صفى الدين عيسى على تنفيذ مراسم القسم. و بعد فراغه من هذه المراسم استجاز السلطان فى الانصراف و عاد إلى أردبيل مطمئنا.

و بعد فتره قصيره وضعت الأميره مارتا ابنها الثانى، و هو إسماعيل الذى أسس فيما بعد الدوله الصفويه.

و فى أوائل عام ٨٩٣هـ توجهت الأميره خديجه بيگم عمه السلطان يعقوب من أردبيل إلى قم، التى تعد مزارا للشيعة، و هناك ذهبت إلى حرم السلطان يعقوب الذى لجا إلى هذه المدينه هربا من تفشى الطاعون، فاستأذنته فى حمله جديده يقوم بها ابنها حيدر لجهاد الشركه. و كان السلطان مطمئنا لقسم ابن عمته، فكتب إلى فرخ يسار ملك شيروان و هو والد زوجه السلطان ان يساعد حيدرا فى جهاده هذا. و ما ان دخلت أخت اوزون حسن أردبيل بهذا الحكم، حتى بادر الشيخ حيدر إلى تحريك جهازه الخبرى الذى ورثه عن أجداده، و كان هذا الجهاز قادرا على تجاوز الصعاب و العقبات، و إيجاد الارتباط بين مئات الفراسخ دون إشكال و صعوبه تذكر. من هنا أخذ الخلفاء يتوافدون عليه باتباعهم يوما بعد آخر من مناطق طالش الواقعه فى ساحل الخزر، و من قره باغ فى القفقاس. فاجتاز الشيخ حيدر بقواته نهر كسر، ثم عرج على محمودآباد فى سهل (دشت مغان)، فقاوم أهلها غارات القزلباش، فاسال حيدر من دمائهم نهرا. و فى نفس الوقت بعث رسوله إلى ملك شيروان يعلمه بقدمه لقتال الشركه، و يتمنى عليه ان يبقى طريق (دربند) مفتوحا استجابة لامر السلطان يعقوب.

و كان الشيخ حيدر ينبغى من إرساله رسولا خاصا الاطلاع على أوضاع شيروان بصوره عامه و قوتها العسكريه بشكل خاص. و حين دخل رسول حيدر شماخى عاصمه شيروان، كان حاكمها منشغلا بحفل لزواج عدد من ابنائها، فاستقبل الرسول بحفاوه بالغه و خلع عليه، و قدم له جوادا و سلاحا، ثم إعادته إلى الشيخ برفقه أحد اهالى شيروان.

و أدرك الشيخ حيدر مما بلغه ان قوات فرخ يسار متفرقه بسبب الهدوء و السلام، و ليس فى البلاط سوى نفر قليل من الأمراء و رجال البلاط، و هكذا يكون الأمر مهينا لشن الهجوم على شيروان. فعامل ممثل فرخ يسار بشده و تحقير، و امره بإبلاغ اسياده ان الشيخ حيدر قدم إليهم للثار لدم أبيه، بل انه حدد التاريخ الدقيق الذى من المقرر ان يصل شماخى فيه. و لما كان رسول شيروان قد عاد راجلا- فإنه لم يصل العاصمه الا قبل أيام قليله من الموعد المقرر، و من ثم كانت رساله الشيخ مدعاه لاثاره الرعب و الهلع فى نفوس الشيروانيين، و إذ كانت القوات مسرحه من الخدمه، فان جرأه الشيخ دفعت الكثيرين للتفكير فى الهرب. و لم ير فرخ يسار بدا من حمل أمواله و عياله إلى قلعه گلستان المحكمه التى تقع بالقرب من العاصمه و بقى هو بمن معه من جنود معدودين للدفاع عن أسوار المدينه. و فى اليوم التالى امتلأت السهول المحيطه بشماخياالصفويين الذين كانوا يرتدون الدروع فوق خرقهم الزرقاء، و يضعون على رؤوسهم قلنسوات ذات لون أحمر و ابيض. و حاول فرخ يسار قطع طريق قلعه

گلستان، و لكن دون جدوى، إذ اضطره الشيخ حيدر للانكفاء إلى داخل هذه القلعه. و في ذات الوقت دخل القزلباششماخي فأحرقوها و أعملوا السيف في أهلها و ارتكبوا بحقهم جرائم مفرجه. ثم توجه الشيخ حيدر لمحاصره قلعه گلستان و استخدم في محاصرتها المدافع و المجانيق و جميع الوسائل الحربيه الاخرى، و في مثل هذه الحال بعث شاه شيروان (فرخ يسار) رسوله إلى السلطان يعقوب يستمده العون فتسلم السلطان الرساله في گوزل دره بالقرب من قم، و قرر دخول الحرب ضد ابن عمته الشيخ حيدر، فبعث طلائع جنده على الفور بقياده ولي آقا ايشيك آقاسى، الذى توجه بها إلى أردبيل سالكا في ذلك طريق السلطانيه، ثم تبعه السلطان بنفسه على رأس قواته لقتال الشيخ، و التقت الجموع المحاربه في حدود طرسران بالقرب من قريه درتنت على سفوح جبل ألبرز (عام ٨٩٣هـ) و دارت رحى المعركه، فأبدى القزلباش شجاعه منقطعه النظير، و قتلوا عددا كبيرا من الشيروانيين و التركمان، و بادر الشيخ حيدر إلى ضرب سليمان بيك قائد قوات السلطان يعقوب برمحه فاقتلعه عن سرج جواده دون ان يقتله، و هو الذى كان معروفا حتى في زمن اوزون حسن بأنه حرب شجاع لا سيما بعد فتحه بدليس في كردستان.

و في خضم المعركه أصاب الشيخ حيدر سهم طائش فارداه صريعا عن صهوه جواده، فأحاط الصوفيون به في حلقة محكمه، و حاولوا نقله إلى مكان آمن و لكن مقدمه جيش الآق قويونلو كسرت الطوق المضروب حوله، و هكذا سقط الشيخ حيدر في ايدي أعدائه، فبادر بواب السلطان يعقوب إلى قطع رأسه و حمله إلى الأمراء التركمان. و لم يتوقف القزلباش عن القتال رغم مقتل زعيمهم و مرشدهم، و لكن قتالهم لم يعد قادرا على تغيير اتجاه المعركه. و بعث الأمراء المنتصرون إلى سلطانهم يعلمونه خبرهم، و أرسلوا له رأس الشيخ حيدر، فوصله الرأس في شعبان عام ٨٩٣هـ. ثم عادت القوات إلى العاصمه تبريز.

امر السلطان يعقوب في رمضان [٨٩٣] من ذلك العام بحمل رأس الشيخ حيدر و الطواف به في ازقه تبريز، ثم علق بصوره مهينه. و لكن شخصا خطفه على حين غره و أخفاه، حتى كان عام ٩٠٧ حين دخل الشاه إسماعيل مؤسس الدوله الصفويه مدينه تبريز [تبريز] فاتحا، بعد الحاقه الهزيمه بالآق قويونلو، فاخرج هذا الشخص الرأس و سلمه للشاه إسماعيل، فاجزل الأخير له في العطاء. و قام القزلباش بتغسيل جسد الشيخ حيدر و تكفينه ثم دفنوه في قريه الفنديار من نواحي دهكندی الواقعه في ولايه طبرسران، و حين شن الشاه إسماعيل حملته الثانيه على شيروان بعد ذلك بحوالى اثنين و عشرين سنه، امر بنبش القبر، و حمل بقايا الجسد إلى أردبيل، حيث دفن هناك في مقبره شامخه لا تزال قائمه إلى الآن.

و بعد انتصاره مباشره أرسل السلطان يعقوب قسما من التركمان إلى

أردبيل، و كان الصوفيون قد انتخبوا فيها السلطان على خليفه لأبيه الشيخ حيدر. و فى خريف عام ٨٩٣هـ حمل أولاد الشيخ حيدر الثلاثه، و هم السلطان على و إسماعيل، و إبراهيم و أمهم مارتا (عالمشاه بيگم إلى ولاية فارس، فاستلمهم حاكمها منصور بيك برناك و حبسهم فى قلعه داخل مدينه إصطخر الساسانيه القديمه و بعد مضى سنتين على حبسهم، اى فى أواخر عام ٨٩٥هـ توفى السلطان يعقوب و لم يبلغ من العمر ثلاثين عاما. و فى عام ٨٩٨ دخل السلطان على مع أخويه إسماعيل و إبراهيم و أمه مارتا إلى تبريز بصوره رسميه، فاستقبلهم فيها زعيما لآق قويونلو رستم استقبال الملوك. و قام السلطان على و معه مريدوه الذين احتشدوا حوله بسرعه بالقضاء على بايستقر بن يعقوب الذى كان منافسا لرستم، و قد تسنى له ذلك بعد حملتين، و قام أيضا باخماد تمرد حاكم أصفهان، ثم توجه إلى أردبيل ليكون فيها خليفه لأبيه حيدر، و ليحمل على عاتقه مهمه الهدايه فى هذه المدينه الدينيه. و هكذا عادت بقعه صفى الدين الأردبيلي مره اخرى مركزا للاحداث الدينيه و السياسيه.

و أخذ الاتباع و المريدون يتوافدون على أردبيل جماعات و وحدانا، و يبدو ان ذلك كان يقلق رستم، فبعث وراء الشيخ فى أواخر خريف عام ٨٩٩هـ يستدعيه إلى تبريز، و كان الشيخ فيها موضعا للحفاوه و الاحترام فى الظاهر، و لكن الحقيقه ان شبكه من الجواسيس كانت تحيط به لمنع من اللقاء بالصوفيين المؤيدين له. و كان البلاط ينتقل شتاء إلى خوى. فكان اتباع السلطان على يبعثون بالمال و الحاجيات خلسه إلى هناك، و لم يكن ذلك يخفى على رستم، و مما زاد فى قلقه كثره السعيه و الاخبار السريه التى تصله تترى، فعزم فى طريقه من خوى إلى معسكره الصيفى على التخلص من الصوفيين باى طريقه ممكنه. فقام أحد التركمان المؤيدين للسلطان على باخباره بما عزم رستم عليه، فاستشار السلطان على المقربين اليه بالأمر ثم هرب إلى أردبيل فى نفس الليله. و فى صبيحه اليوم التالى عرف رستم بالأمر، فأمر ابنه سلطان و ابن عمه حسين بيك عاليخانى بتعقب الشيخ بأقصى سرعه ممكنه، و قال لهما: "إذا وضع السلطان على قدمه فى أردبيل - و هو ما لا ينبغى ان يحدث - فان عشره آلاف مقاتل من التركمان لن يجدوا نفعا حينها".

و تذكر الروايات انه عند ما وصل الصوفيون الهاربون إلى قريه شماسى بالقرب من أردبيل، أحس الشيخ السلطان على بدنو أجله، و لذلك استدعى أخاه إسماعيل و البسه تاج حيدر، و عينه خليفه له، و فى نفس الوقت اطلعه على اسرار أجداده، و بعد ذلك اختار سبعة من الصوفيين ممن يثق بهم فسلمهم أخويه إسماعيل و إبراهيم ليوصلوهما بأمن و سلام إلى أردبيل و ليتسنى له مواجهه المتعقبين، و كان من بين الصوفيين السبعة حسين بيك لا لا، قره پيرى بيك القاجارى، ابدال بيك و دده بيك الطالشى و هم جميعا ممن شغلوا مناصب مهمه فى حكومه الشاه إسماعيل الأول.

و حين اصطدم الطرفان كانت الغلبه فى البدايه للسلطان على، و لكنه حين تعقب العدو، انشغل أنصاره بالغنائم، فبقى فى نفر قليل من أصحابه حتى وصلوا نهرا، و لسوء الحظ اقتحم جواده النهر و كانت رجله عالقه بالركاب فاختنق. أمرت الأميره مارتا (عالمشاه بيگم) و الحزن العميق يخيم عليها بحمل جسد ابنها الأ-كبر إلى أردبيل، حيث دفن فى أوائل صيف عام ٨٩٩هـ إلى جوار أجداده. (١)

الشيخ داود بن محمد الكر بلائى:

من أعلام القرن الثانى عشر له "ترجمه البلد الأمين" أتمه سنه ١١٣٥. (٢)

ميرزا داود الخراساني:

داود الخراساني عالم جليل و فاضل أديب، له منشآت و مقامات جيده، شاعر بالفارسيه و العربيه، من شعره العربي قوله:

فمن تقرب بالسلطان منزله تبدو إساءته في الناس إحسانا
و من جفاه جفاه الأقبون و ان كانوا له من قديم الدهر إخوانا

(٣)

ديس بن صدقه المزيدي

مرت ترجمته في المجلد السادس من (الأعيان) و مرت كلمه عنه في المجلد الأول من المستدركات، و نشر عنه هنا ما يلي:

قال محمد بن خليفه السنبي شاعر بني مزيد يمدحه بقصيده أولها:

قالوا هجرت بلاد النيل و انقطعت حبال وصلك عنها بعد اعلاق

فقلت اني و قد أقوت منازلها بعد ابن مزيد من وفد و طراق

فمن يكن نائيا يهوى زيارتها على البعاد فاني غير مشتاق

و كيف أشواق أرضا لا صديق بها إلا رسوم عظام تحت أطباق

و النيل هنا: كما يقول ياقوت في معجم البلدان: بليده في سواد الكوفه قرب حله بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف و سماه بنيل مصر.

و إياه عنى [أيضا] مرجان بن نباه بقوله:

قصدتكم أرجو نوال أكفكم فعدت و كفى من نوالكم صفر

فلما أتيت النيل أيقنت بالغنى و نيل المنى منكم فلاحقني الفقر

(انتهى) و النيل اليوم: قريه عامره قرب بابل على بعد حوالى خمسه أميال من مدينه الحله، و إليها ينسب الشاعر الحسين بن الحجاج.

و ما أسماه ياقوت (خليج كبير) هو نهر يتفرع من الفرات شقه الحجاج.

١- عبد الرفيع حقيقت.

٢- السيد احمد الحسينى.

٣- السيد احمد الحسينى.

الميرزا رحيم بن الحاج إبراهيم قلى المعروف بأبو الحسن يغما الجندقى:

من الشعراء المعروفين فى العهد القاجارى. ولد عام ١١٩٦ هـ فى قرية (خور [و] يبابانك جندق) فى الصحراء المركزيه الإيرانيه التى كانت تابعه آنذاك لمدينه سمنان. اشتغل فى صباه برعى الإبل فكان يؤمن معيشه عائلته عن هذا الطريق.

و يقال ان الأمير إسماعيل خان العربى العامرى الذى كان من كبار الأعيان و الملاكين فى تلك المنطقه مر ذات يوم بيغما، فدعاه اليه و طرح عليه بعض الاسئله، فأجاب يغما على الاسئله جوابا حسنا، فأعجب به الأمير و أحضره معه إلى داره و أشرف على تربيته.

تعلم يغما القراءه و الكتابه فى بضع سنين و تعلم إلى جانب ذلك الفنون المتداوله عصرئذ من فروسيه و رمايه و أجاد الخط حتى لفت انتباه الأمير بخطه، فعينه كاتباً خاصاً له. و فى تلك الأثناء تلقب لأول مره بالمجنون و أنشأ ينظم الشعر. و فى عام ١٢١٦ هـ ساءت العلاقات بين إسماعيل خان و الدوله، فبعثت العاصمه قوه لمهاجمته، و دارت معركة بين الجانبين، هزم إسماعيل خان فيها، و هرب إلى خراسان و وقعت جميع املاكه بايدى الفاتحين.

ذهب يغما إلى سمنان للالتحاق بالخدمه العسكريه، فدخل فى زمره جنود حاكم سمنان و دامغان القائد ذو الفقار خان السمنانى، و استطاع بقدرته الادبيه ان يصبح كاتباً فى ديوان رسائل ذو الفقار خان. و فى غضون ذلك كتب "كتاب السرداريه" و استعمل فى أشعاره مرارا كلمه قبيحه كان ذو الفقار يكثر من استعمالها فى كلامه، فغضب ذو الفقار منه، و كما هو متعارف عليه عصرئذ أمر بجلده بالفلقه و مصادره املاكه و أمواله.

و لهذه المناسبه لقب أبو الحسن نفسه ب (يغما) (أى النهب و المصادره) و رحل إلى طهران لتقديم شكواه إلى البلاط، و من البديهي انه لم يفلح فى نيل حقه مقابل قائد قوى مثل ذو الفقار خان. فارتدى لباس الدراويش و ساح فى الأرض ينتقل من بلد إلى بلد و من مكان إلى آخر فزار خلال ذلك كربلاء و بغداد، حتى أخذ القائد ذو الفقار يصفح عنه و يقربه يوما بعد آخر فعاد يغما إلى مسقط رأسه. و لكنه لم يمكث فيه طويلا، بل سافر بعد سته أشهر إلى طهران عن طريق يزد، و التقى صدفه بالصدر الأعظم القوى الحاج الميرزا الاقاسى، و رغم علاقته هذا بالدنيا كان يحب التصوف و يعتبر نفسه متصوفا خالص العقيدته، فما لبث ان أحب يغما و قربه اليه، فاخذ نجم الشاعر يرتفع يوما بعد آخر، حتى نال فى بلاط محمد شاه مكانه رفيعه و شهره كبيره بسبب سلطه و نفوذ الميرزا الاقاسى. و لكن يغما لم يكسب من مكانته فى البلاط شيئا سوى وزاره حكومه كاشان.

و خلال إقامته فى كاشان وقعت حادثه مشينه، فنظم يغما فيها قصيده أسماها (خلاصه الافتضاح) أظهر فيها قدرته فى الهجاء، الذى كان محوره احدى الأسر. فعزمت هذه الاسره على الثار لنفسها منه باى وسيله، و أخذت تتهمه لدى امام جمعه كاشان بشتى التهم، فاتهمه الأخير بدوره علنا بشرب الخمر و عدم رعايه الأحكام الشرعيه، و وصفه فى صلاه الجماعه بالارتداد و اللادينييه. و لكن يغما لم يبق وحده فى قفص الاتهام، بل نهضت جماعه للدفاع عنه، و منهم العالم المشهور الحاج الملا احمد النراقى الذى كانت لديه محكمه شرعيه، حيث لم يال جهدا فى مساعدته. و اضطر يغما إلى إعلان توبته و التظاهر بالزهد، و الظاهر انه فعل ذلك دفعا للاتهام.

و فى مثل هذه الظروف الفى يغما نفسه غير قادر على البقاء فى كاشان، فترك داره و املاكه و ساح فى الأرض، و اقام فتره فى

هرات، و في أواخر حياته عاد إلى مسقط رأسه و له من العمر ثمانون سنه، فبقى فيه حتى فارق الحياه في يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الثاني عام ١٢٧٦ هـ في قرية خور، و دفن فيها بجوار مقبره السيد داود.

ترك يغما بعض الآثار الادبيه منها ديوان أشعاره الذي طبع في طهران عدده مرات و منها عدد من الكتب التي دونها بخط يده و تحتفظ بها أسرته. و جاء ديوانه مشتملا على المثنوى و الغزليات و المراثي و غيرها، و كان في غزلياته يتميز على شعراء عصره بكونه أكثر رقه و أدق معنى، و حظيت بعض أشعاره، بشهره واسعه، حتى أصبحت متداوله على لسان الخاصه و العامه. و ابداع في المراثي بما لم يفعله الآخرون. و عرف يغما بحبه للغه الفارسيه و ثقافتها، بحيث كان يكتب أغلب رسائله بلغه فارسيه سليمه خاليه من المفردات العربيه، و اثبت مهاره كبيره في هذا المجال.

و من فضائله، حسن خطه و الظاهر انه خط بيده كثيرا من الدواوين الشعريه للشعراء المتقدمين، و توجد هذه الدواوين الآن لدى أسرته مع جميع الملحقات و الإضافات. و من الأمور التي تميز بها هذا الشاعر الجريء انه لم يمدح شاها و لا أميرا رغم رواج سوق المدح في زمن القاجاريين.(١)

رضا قلى:

"رضا قلى خان" ابن "الأمير كونه خان كرد زعفرانلو" حاكم "قوشان" و "شيروان" و غيرهما. كان من كبار أمراء خراسان و من أقوى خاناتها و أقدرهم.

و في أيام تولي "محمد ولي ميرزا" ابن "فتح على شاه" القاجارى حكمه خراسان اشتد "رضا قلى خان" هذا في مخالفته في كل مده حكمه. و حاربه أكثر من مره. و في سنه (١٢٣١ هـ) خلف "محمد ولي ميرزا" أخوه "حسن على ميرزا شجاع السلطنه" على حكمه خراسان فاستطاع ان يدخل كل خانات خراسان و أمرائها، و منهم "رضا قلى خان"، في طاعته، و وفدوا عليه، بعد أن كانوا يتحاشون الوفود على "محمد ولي ميرزا" و يخشونه خشيه شديده.

ثم فعل "رضا قلى" في سنه (١٢٤٥ هـ) بالسردار حسين خان، و هو حاكم خراسان يومئذ، ما فعله بمحمد ولي ميرزا، فقد خالفه و نصب له العداوه حتى تمكن من حمل المسئولين على عزله و تعيين "احمد على ميرزا" الابن الثاني عشر لفتح على شاه في مكانه.

و في سنه (١٢٣٣ هـ) حين سار "فتح خان" الوزير المقدم المدبر

ص: ١٠٩

للملك محمود الافغانى بثلاثين ألف فارس من "هرات" قاصدا اختلال [اختلال] أمدينه مشهد، حركت مسيرته هذه الشغب و الفتنة فى كل ناحيه من خراسان، إذ كانت الرسل و الرسائل قد سبقت منه إلى أمراء خراسان و خاناتها فواطئوه على هذا الأمر.

و مع أن "شجاع السلطنة" و قواده العسكريين قد قضوا على غائله "فتح خان" هذه قضاء تاما، فإن "فتح على شاه" سار فى تلك السنه إلى خراسان بنفسه. فلما بلغ "بام صفى آباد" توقف عندها لاختضاع "سعادت قلى خان" البغائرى حاكم "سبزوار [سبزوار]" و أخيه "مرتضى قلى خان" إذ كانا قد شقا عصا الطاعة. فحاصر قلعه "بام" ثم احتلها و أخضعهما.

و انصرف بعد ذلك إلى اخضاع "رضا قلى خان" زعفرانلو.

فغادر هذا "قوشان" إلى "شروان"، متشفعا بالصدر الأعظم "الميرزا محمد شفيح". فذهب هذا إلى "شروان" مع ثلاثة من كبار رجال الدوله لاسترضائه و تطمينه، و لكنه ظل حذرا لا- يطمئن و رفض الذهاب إلى "فتح على شاه". فعاد الصدر الأعظم و مرافقوه خائبين. و غضب "فتح على شاه" من عمله و تمرده فأمر بالاغاره على مساكنه و حصونه و نهب أمواله و مواشيه، و أوقع به خسائر جسيمه. فاضطر إلى توسط جماعه يتشفعون به و بذل مالا عظيما حتى حصل على العفو و لكنه امتنع عن الحضور إلى الشاه.

و استمر "حسن على ميرزا شجاع السلطنة" حاكما على خراسان إلى سنه (١٢٤٣ هـ) إذ استدعى إلى العاصمه و أناب "فتح على شاه" عنه السردار "حسين خان" و أرسل معه أخاه "حسن خان". و بقى حاكما عليها إلى سنه (١٢٤٥ هـ). و فى هذه السنه عاد "رضا قلى" إلى تمرده فخالف "حسين خان" و نصب له العداوه و استولى على "نيسابور" و "شناران" و "رادكان". فاضطر "حسين خان" إلى محاربتة و أرسل اليه جيشا من ستة آلاف جندى إلى "نيسابور". و لكنه لم يصنع شيئا و عجز عن إخضاعه، بل زاده تمردا.

و كتب "رضا قلى خان" رساله إلى "فتح على شاه" قال فيها إن جميع أمراء خراسان و خاناتها يدخلون فى طاعته إن هو أرسل أحد ابنائه حاكما على خراسان بدلا من السردار "حسين خان". فأجابه "فتح على شاه" إلى طلبه و أرسل ابنه الثانى عشر "احمد على ميرزا" حاكما على خراسان و استدعى "حسين خان" و أخاه "حسن خان" إلى أصفهان.

و وفى "رضا قلى" و سائر خانات خراسان بوعدهم فدخلوا فى طاعه الأمير الحاكم و وفدوا عليه.

من جمله الأعمال التى قام بها "رضا قلى خان" شراء "مهدي قلى خان جلال الدوله" ابن "سعادت قلى خان" أحد رؤساء خراسان و خاناتها من التركمان. و ذلك أن "جلال الدوله" سار فى سنه (١٢٤٦ هـ) إلى مشهد لزياره الامام الرضا (ع). فاعترضه فى الطريق جماعه من التركمان، بتحريض من "إله قلى خان" الخوارزمى "خان خوارزم" فقتلوا من أصحابه جماعه و أسروا جماعه. و كان "جلال الدوله" فى جمله الأسرى.

فلما بلغ خبر الواقعة إلى أولياء الأمور، أرسل الشاه إلى "رضا قلى خان" أمرا بافتداء "جلال الدوله" من التركمان باى نحو كان. فقام بمفاوضتهم و اشتراه منهم بعشره آلاف تومان. و فى سنه (١٢٤٧ هـ) خرج "عباس ميرزا" نائب السلطنة بجيشه من "سبزوار" قاصدا "نيسابور" و كان "رضا قلى خان" يحتلها. فترك ما كان بيده من قلاع و تراجع عنها إلى "قوشان" مقر حكومته. و احتل

جيش الدوله تلك القلاع، و دخل نائب السلطنه إلى مشهد فبادر أكثر خانات خراسان و امرؤها إلى الوفود عليه من مختلف نواحيها. إلا ان "رضا قلى خان" و قله آخرين تخلفوا عن الحضور اليه. فتتبعه نائب السلطنه بجيشه إلى "قوشان". فلما وصل إلى حدودها توسل "رضا قلى خان" بالقائم مقام "الميرزا أبو القاسم" و جعله شفيعه إلى نائب السلطنه. الا ان هذا لم ينصرف عن تتبعه، و أخذ يحتل قلاعه واحده بعد أخرى، حتى اضطره إلى التسليم فاعتقله و نصب فى مكانه ابنه "سام خان" رئيسا على جماعته.

ثم حمله مخفورا من "قوشان" إلى مشهد و سجنه فى القلعه الخاصه بسكنى الحاكم. ثم تمكن من اعتقال "محمد خان قرائى" بعده فسجنه معه. و كانت بين هذين الخانين منافسه و يعدان أكبر أمراء خراسان المتمردين.

و قد راعى نائب السلطنه جانب "رضا قلى خان" ففرق به و لم يضيق عليه، نظرا لما كان له من أهميه بين أمراء خراسان و خاناتها، و لأنه كان يعد الأول فيهم. و بعد ثلاثه أيام من وصوله إلى خراسان طلب أن يذهب إلى الحمام فاذن له. و كان قد أوعز إلى خاصته من خدمه أن يعدوا له فرسا و بندقيه و خنجرا يحضرونها اليه عند خروجه من الحمام، ففعلوا. فلما اغتسل و خرج إلى الشارع أخذ البندقيه و الخنجر منهم و امتطى الفرس و فر هاربا. فتبعه ثلاثه من الحراس الموكلين به حتى وصلوا اليه و أمسكوا بلجام الفرس، و لكن "رضا قلى خان" قتل أحدهم برصاصه و آخر بالسيف فأفلت منهم و تابع الفرار.

ثم ترجل عن فرسه و مضى راكضا يقصد حرم الامام الرضا (ع) ليستجير به. و لكن بعض الجند عرفوه فأمسكوا به، فقاومهم بيديه مقاومه شديده، و فى أثناء هذا الاشتباك العنيف نتف الجند لحيته و ضربوه على رأسه بالعصى و الحجاره ضربا شديدا و مزقوا ثيابه قطعه قطعه حتى عاد عاريا، و حملوه على هذه الحاله إلى نائب السلطنه "عباس ميرزا" فلما رآه هذا نزع ثوبه عن جسمه و ألقاه عليه ليستره. ثم أعاده إلى سجنه و زاد فى حراسه فجعلهم خمسين رجلا يراقبونه ليل نهار.

و فى الشهر الأول من سنه (١٢٤٩ هـ) غادر نائب السلطنه خراسان إلى طهران و سحب معه أمراء خراسان و خاناتها، و أرسل "رضا قلى خان" و "محمد خان قرائى" إلى آذربيجان. و وعك "رضا قلى خان" فى "ميانج" بسبب ما لقيه من صدمات و مشاق ثم توفى. و بعد مده قليله نقل جثمانه إلى مشهد فدفن فى حرم الامام الرضا (ع). و أما "محمد خان قرائى" فقد عاش فى تبريز عدده سنوات مع ابنه الصغير.

ميرزاده عشقى

الشاعر الايرانى المبدع، و من الأحرار المناضلين فى سبيل الحريه و الحياه النيابيه الدستوريه (المشروطه) كان شعره سهام موجهه لصدور أعداء الحريه، و حراره و دفا للثوار ديوانه ملئ بمثالب المستبدين و مكارم الثوار و الأحرار، و كان بديء اللسان و القلم فلم يراع فى هجوه المعايير

الأخلاقه و كان يهجو بعنف و قد كلفه ذلك غالبا حيث أودى بحياته، و قد نظم القصائد و الأشعار على جميع الأبحر فى الشعر الفارسى، و قد مدح الجميع جرأته و ذموا قساوته فى الهجاء.

الخواجه سعيد الدين الهروى الملقب ب سعيد و المشهور ب سعيد الهروى:

من مشاهير شعراء القرنين السابع و الثامن للهجره. و قد ذكر تقى الدين اسم هذا الشاعر بنفس الصورة التى ذكرناها، بينما أورد دولت شاه و الذين أخذوا عنه على انه (سعيد الهروى) و ليس سعيد الدين الهروى. و هكذا فعل مؤنس الأحرار الا انه أضاف القابا، مثل: ملك الحكماء أو ملك الحكماء و الشعراء، اما فى مجمع الفصحاء فقد ورد اسمه (سعد الدين الهروى) و لعل هذا الاختلاف هو الذى دعا البعض إلى تسميته ب (سعد الدين سعيد الهروى).

عاش أوائل حياته فى خراسان و درس فيها و اشتهر بشعره، و على حد قول تقى الدين كان مشهورا فى خراسان و ما وراء النهر. و قد ذكر أغلب أصحاب التراجم انه من اقران القاضى شمس الدين الطبسى، مع ان شمس الطبسى مات فى ريعان شبابه، بينما كان سعيد الهروى على قيد الحياه فى عهد السلطان أبى سعيد بهادر (م ٧٣٦ هـ) و من خلال ملاحظه عام وفاته فان من الصعب التصديق بأنه كان من اقران القاضى شمس الدين الطبسى، لانه لكى يكون كذلك لا بد ان يكون عمره تجاوز المائة و خمسين أو المائة و ستين عاما.

و السبب الذى أوقع المؤرخين فى هذا الخطا بشأن سعيد الدين الهروى، هو على حد قول تقى الدين الكاشانى: "ان أفاضل العصر و أعاضم تلك البلاد (أصفهان) كانوا يرجحون شعره على شعر اقرانه مثل الامامى الهروى و القاضى شمس الدين الطبسى، كما كان يفعل پوربها و هو أحد تلاميذه حين كان يبالغ فى ذلك، و يخرج فيه عن الصدق". و سبب هذه المقارنه هو الشبه الموجود بين أسلوب سعيد الدين الهروى و شمس الدين الطبسى و حين قيل عن الأول انه من اقران الامامى و شمس، فإنما أريد بذلك تشابه اسلوبهم و ليس وحده زمانهم، و كانت كلمه (اقران) وحدها كافيه لأن يقع أصحاب التراجم بهذا الخطا لضحاله معلوماتهم عن زمن سعيد الدين الهروى.

تزامن ظهور سعيد الدين الهروى فى الشعر مع عهد نيابه الخواجه عز الدين طاهر المستوفى الفريومدى فى خراسان، حيث مدحه الشاعر بعده قصائد، و لا يزال بعضها موجودا إلى الآن. و كان الخواجه عز الدين طاهر يشغل منصب نيابه خراسان فى عهد حكومه ارغون آقا، اى بعبارة اخرى كان وزيرا لخراسان، و المعروف ان ارغون آقا كان حاكما لايران من جيحون إلى حدود فارس و گرجستان و بلاد الروم فى عهد اوكتاى قاآن من عام ٦٤١ إلى عام ٦٥٤ هـ. و حين قدم هولوكوعام ٦٥٤ هـ إلى طوس ضمن مهمته فى ايران، بادر الأمير ارغون و نائبه الخواجه عز الدين طاهر إلى استقباله.

و تحدث تقى الدين الكاشى عن علاقه سعيد الهروى مع الجهاز الحكومى لعز الدين طاهر الفريومدى فقال: "اتصف فى أوائل نشاته الشعرية بذكائه الوقاد و قدرته الشعرية، فاشتهر اسمه فى أطراف ما وراء النهر و خراسان، و كان الخواجه عز الدين طاهر الفريومدى آنذاك وزيرا لخراسان من قبل هولوكو، فاخذ يتعهد برعايته و يمن عليه بأنواع الصلات. و ينقل عنه انه سافر إلى نيسابور ذات مره فى مهمه رسميه لتحصيل العشر الديوانى، فافتتن هناك بفتاه كانت فى حسننها و جمالها مطمحا للشباب و فى حسن سيرتها اسوه للصالحين... "ثم يقول ان سعيد ترك خراسان بعد وفاه الخواجه طاهر الفريومدى.

و المعروف ان عز الدين طاهر بقى فى منصبه فى خراسان طوال عهد هولاكو، و حين خلف اباقا خان هولاكو عام ٦٦٣ هـ أقر عز [عز] الدين طاهر فى منصبه كوزير لخراسان، و من هنا نعرف ان سعيد بقى فى خدمه الخواجه طاهر فتره طويله، ثم انتقل إلى أصفهان فأقام فيها و تزوج و أحب المدينه و تعلق بها، و يبدو ذلك واضحا فى أشعاره.

و من القصائد العديده التى قالها الشاعر سعيد الهروى فى المدح، انتخب تقى الدين قصائد فى مدح السلطان محمد خدابنده (٧٠٣ - ٧١٦ هـ) و وزيريه رشيد الدين فضل الله و تاج الدين على شاه، إضافة إلى قصائد فى مدح الابن الأكبر للخواجه رشيد الدين فضل الله و هو الخواجه جلال الدين الذى كان يشغل منصب وزاره تيمور تاش بن الأمير چوپان. و من الأشخاص الآخرين الذين مدحهم الشاعر سعيد:

الشيخ على بن الأمير ايرنجين و أخ قتلغ شاه خاتون زوجه أبى سعيد الذى قتل عام ٧١٩ هـ و كذلك نصره الدين أحمد بن الأتابك يوسف شاه الذى شغل منصب وزاره لرستان من عام ٦٩٥ إلى عام ٧٣٠ هـ.

أدرك سعيد الدين الهروى عهد سلطنه أبى سعيد بهادر (٧١٦ - ٧٣٦ هـ) بعد وفاه أولجايتو محمد، و فى هذا العهد نظم مرثيته التى يؤرخ بها وفاه أحد الأعيان و هو الخواجه نظام الدين إسحاق عام ٧١٧ هـ و نظم مرثيه أخرى مؤثره بعد ذلك بعام بمناسبة وفاه رشيد الدين فضل الله (الذى قتل عام ٧١٨ هـ) و بناء على هذا يكون سعيد قد بقى حيا حتى هذا التاريخ.

و إذا كان هدايت قد ذكر بان وفاه سعيد الهروى كانت عام ٦٤٩ هـ، فان قوله هذا خطأ دون شك إذا ما لاحظنا الأمور التى أوردناها آنفا. بينما ذكر سعيد النفيسى ان وفاه سعيد كانت عام ٧٦٦ و لا نعلم من أين استقى هذه المعلومه، و لكن يبدو على أيه حال ان هذا التاريخ بعيد عن الصحة. أما تقى الدين فيرى أن وفاته كانت فى ٧٤١ هـ و الحقيقه أن هذا التاريخ هو الأقرب إلى الصحة، و يجدر أن يعتبر عاما لوفاه الشاعر سعيد الهروى، ما لم يظهر قول محقق أكثر دقه منه.

كان الشاعر سعيد شيعيا و ذكر تقى الدين أن له قصائد فى مدح أهل البيت و ذكر مناقبهم، و قدر ديوان شعره بعشره آلاف بيت. و قد وردت أغلب أشعاره فى (مؤنس الأحرار) و كذلك فى (خلاصه الأشعار).

و يمكن أن ندرک من خلال أشعاره هذه قدرته الكبيره التى كان يتمتع بها فى مجال الشعر، و مهارته و قابليته فى اقتفاء أثر شعراء أواخر القرن السادس الهجرى. فقد جاء لحن شعره قريبا جدا من لحن شعراء خراسان فى عصر ما قبل المغول، بل هو فى الحقيقه استمرار لطريقتهم.

أن الأخير نسب اليه التلمذ على ركن الدين القبائي، إلا أن الجمع بين الأستاذين أمر ممكن. (١)

الشيخ سعيد بن علي بن جعفر أبو المكارم:

ولد في القطيف بقرية العوامية حوالي عام - ١٣٥٦ هـ - و تلقى علومه الأولية في بلده على بعض المشايخ و في الكتاب قبل ذلك، ثم رحل في سبيل طلب المزيد من العلوم الدينية و اللغوية و علوم الآله، ثم عاد إلى بلده و تفتحت مواهبه الأدبية و لا سيما في الخطابه و الشعر.

من مؤلفاته المطبوعه:

- ١ - أعلام العوامية - جزءان - العراق عام ١٣٨١ هـ - ٣٣٩ صفحہ في مجلد واحد، ٢ - وحده الخطيب - جزءان.
- ٣ - دعوات الرسول (ص) جزءان.
- ٤ - الفطره بين التكوين و التشريع.
- ٥ - بين الهيئه و الفلسفه.
- ٦ - بين أيدي القرآن.
- ٧ - رباعيات القرن العشرين - ديوان شعر - جزءان.
- ٨ - ربات الخلود - ديوان شعر.
- ٩ - أبو الحسن العوامي و زواهره العليا و غير ذلك.

شهاب الأصفهاني:

هناك الميرزا نصر الله شهاب الأصفهاني الملقب بتاج الشعراء الذي يعد من مداحي فتره ناصر الدين شاه، و قد ذكر السيد أحمد الديوان بيگي الشيرازي شاعرا آخر يحمل نفس الاسم (شهاب الأصفهاني) و قال عنه: يظهر من ترجمه حسين قلى خان السلطاني انه كان من فحول تلامذه الملا هادي السبزواري. عاش في كرمانشاه و ترك عددا من المؤلفات التي لا زال الصوفيون و طلاب العلم يستفيدون منها. (٢)

صادق التفرشي:

فاضل أديب شاعر عارف، رأيت له في بعض المخطوطات أبياتا هذا بعضها:

معشر العشاق من أهل الجوى اننى آنست نارا بالطوى

فامكثوا يا أهل ودي علني آتكم بالخبر مما حلني

أو لعل آتكم ما تصطلون و على النار سبيلا تهتدون

اننى قد نوديت فى السر الخفى ما لو استقصاه عمرى لا يفى

آه انى لو أهبت حاملا ان فى صدرى لعلمنا كاملا

(٣)

طلّاع بن رزىك

مرت ترجمته فى المجلد التاسع من الأعيان كما مرت كلمه عنه فى المجلد الأول من (المستدركات) و نشر هنا هذه الكلمه: قال المقريزى فى خطته (ص ٢٩٤): فباشر البلاد أحسن مباشره و استبد بالأمر لصغر سن الخليفه الفائز بنصر الله إلى أن مات فأقام من بعده عبد الله بن محمد و لقبه بالعاضد لدين الله و بايع له و كان صغيرا لم يبلغ الحلم فقويت حرقه طلائع و ازداد تمكنه من الدوله فثقل على أهل القصر لكثره تضيقه عليهم و استبداده بالأمر دونهم، فوقف له رجال بدهاليز القصر و ضربوه حتى سقط على الأرض على وجهه و حمل جريحا لا- يعى إلى داره فمات يوم الا-ثنين تاسع عشر شهر رمضان سنه ست و خمسين و خمسمائه. و كان شجاعا كريما جوادا محبا لأهل الأدب جيد الشعر رجل وقته فضلا و عقلا و سياسه و تدبيرا، و كان مهايا فى شكله عظيما فى سطوته. و جمع أمولا عظيمه. و كان محافظا على الصلوات فرائضها و نوافلها شديد المغالاه فى التشيع. صنف كتابا سماه (الاعتماد فى الرد على أهل الفساد) جمع له الفقهاء و ناظرهم عليه، و هو يتضمن إمام [إمامه] على بن أبى طالب و الكلام على الأحاديث الوارده فى ذلك، و له شعر كثير يشتمل على مجلدين فى كل فن. فمنه فى اعتقاده:

يا أمه سلكت ضلالا بينا حتى استوى إقرارها و ججودها

ملتئم إلى أن المعاصى لم يكن الا بتقدير الإله وجودها

لو صح ذا الإله بزعمكم منع الشريعه أن تقام حدودها

حاشا و كلا أن يكون الهنا ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

و له قصيده سماها الجوهرية فى الرد على القديره. و جدد الجامع الذى بالقرافه الكبرى و وقف ناحيه بلقس على أن يكون ثلثاها على الاشراف من بنى حسن و بنى حسين ابني على بن أبى طالب (ع) و سبع قراريط منها على أشراف المدينه النبويه و جعل فيها قيراطا على بنى معصوم أمام مشهد على (ع).

و لما ولى الوزاره مال على المستخدمين بالدوله و على الأمراء و أظهر مذهب الاماميه و هو مخالف لمذهب القوم.

إلى أن يقول: و لم يترك أيامه غزو الفرنج و تسيير الجيوش لقتالهم فى البر و البحر. و كان يخرج البعوث فى كل سنه مرارا. و

كان يحمل فى كل عام إلى أهل الحرمين مكه و المدينه من الاشراف سائر ما يحتاجون اليه من الكسوه و غيرها حتى يحمل إليهم ألواح الصبيان التى يكتب فيها و الأقلام و المداد و آلات النساء، و يحمل كل سنه إلى العلويين الذين بالمشاهد جملا كبيره. و كان أهل العلم يغدون إليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم.

طهماسب الثانى:

الشاه " طهماسب " الصفوى الثانى ابن الشاه " سلطان حسين " الأكبر و ولى عهده. لما حاصر " محمود غليجائى " الأفغانى أصفهان عاصمه

ص: ١١٢

١- ديبىح [ذبيح] الله صفا.

٢- عبد الرفيع حقيقت.

٣- السيد احمد الحسينى.

الصفويين سنة ١١٣٤ هـ ذهب "طهماسب" من أصفهان إلى قزوین و صحب معه ثمانيه فرسان منتخين من قبيله "فاجار" ليجمع جيشا يدفع به الأفاغنه. و مكث في قزوین لم يستطع أن يجمع فيها الجيش المطلوب. و كل ما فعله أنه أقام لنفسه عرسا و انصرف إلى اللهو.

و جلس "طهماسب" على العرش في قزوین. و ذكر أكثر المؤرخين أن جلوسه كان بعد أن قتل الأفاغنه أباه الشاه "سلطان حسين" في أصفهان سنة ١١٤٠ هـ و قال آخرون أن جلوسه كان سنة ١١٣٥ هـ بعد احتلال الأفاغنه لأصفهان و سجنهم أباه في زاويه من قصره.

فر طهماسب إلى قزوین حين محاصره أصفهان، و أخذ يسعى إلى جمع الجند لتقويه الجيش المدافع. فأرسل "محمود غليجائي" جيشا بقياده أفغانى اسمه "أمان الله" يتعقبه ليقبض عليه. و لما بلغ هذا الجيش مكانا يبعد عشره فراسخ عن قزوین فر "طهماسب" منها و معه رجاله القلائل الذين كانوا يرافقونه إلى آذربيجان. و لما بلغ الأفاغنه قزوین استامنهم أهلها فامنوهم و عاهدوهم، و أدخلوهم إلى المدينه. و لكن الأفاغنه غدروا بهم و تعدوا عليهم. فثار القزوينيون عليهم و هبوا إلى محاربتهم و قتلوا جماعه منهم، و فر من كان من الأفاغنه خارج المدينه يقيمون في بساينها. فلما بلغ خبر هذه الواقعة إلى محمود غليجائي انتقم بان قتل أربعة عشر و مائه رجل من عسكر قزلباش.

أما "طهماسب" فقد فر من قزوین إلى تبريز و منها إلى أردبيل و منها إلى طهران. و حين كان في تبريز أرسل في سنه ١١٣٦ هـ سفيرين من قبله، أحدهما إلى السلطان العثماني "أحمد الثالث" و الآخر إلى القيصر الروسي "بطرس الكبير"، يطلب منهما العون على خصمه. فاما العثمانيون فاهملوه لا- يعتنون به. و أما الروس فقد أجاب قيصرهم بأنه حاضر لإخراج الأفاغنه من ايران و اجلاس طهماسب على عرشها، بشرط أن يتخلى له الشاه عن ولايات مازندران و جيلان و أسترآباد و داغستان و مدینتی دربند و بادكوبه، و تبقى التجاره حره بين ايران و روسيا، و بهذه الشروط أمضى طهماسب و القيصر معاهده بينهما.

و لكن القيصر، مع ذلك، لم ينفذ هذه المعاهده، إذ كان قد استولى على "جيلان" قبل إمضاء المعاهده. و كان احتلال مازندران و جرجان أمرا لا صعوبه فيه.

و في تلك الأثناء ظهر أمر "نادر شاه أفشار"، و توفي القيصر (سنه ١٧٢٥ م الموافق سنه ١١٣٨ هـ). و جلا الروس عن "جيلان"، و اكتفوا بابقاء و كيل لهم في "بندر انزلی" للقيام بالأعمال التجاربه.

و قام العثمانيون، و هم ساكتون عن كل مفاوضه و حوار، باحتلال کرمانشاه و کردستان و ايروان و نخجوان و مراغه و خوى، و انحدروا في صوب تبريز. و دفع بطهماسب جنبه و ضعف نفسه إلى مغادره تبريز و الذهاب إلى أردبيل. و لكن التبارزه هبوا إلى الدفاع، و هم منقطعون عن كل مساعده من خارج مدینتهم، و قاوموا العدو المغير مقاومه شديده. و احتل العثمانيون تبريز في سنه ١١٣٧ هـ. و مع ذلك ظل التبارزه على مقاومتهم و اغتالوا جماعه كبيره من جند العثمانيين بعد احتلال مدینتهم. و لما سار "أشرف" الأفغانى من أصفهان ليحتل كاشان و قم و طهران تجنب الشاه طهماسب محاربتة، و ذهب إلى مازندران. و كانت هذه الولايه و ولايه جيلان قد شاع فيهما الوباء و الطاعون فمرض كثير من جنده و ماتوا و لم يبق معه منهم قدر يعتد به. و أراد أن يستعين ب "فتح على خان قاجار" جد السلاطين القاجاريين الأعلى على إخراج خراسان من احتلال "محمود السيستاني". فلما

وصل إلى "دامغان" بلغت مسامعه شهره "نادر قلى" (نادر شاه) حاكم "أبيورد" و "نسا" و أخبار شجاعته و رباطه جاشه. فأرسل "طهماسب" إليه "حسين على" أو "حسين على بيك البسطامى" ليحضره إليه. فقام هذا بمهمته أحسن قيام و جاء ب "نادر قلى" إلى الشاه "طهماسب".

يقول الأب "بازن" طبيب نادر شاه الخاص إن "نادر قلى" كانت عده رجاله، يوم قدم إلى الشاه "طهماسب"، بين خمسمائه و ستمائه لا أكثر.

و يقول "بازن" أيضا: "إن طهماسب ابن سلطان حسين كان يتمسك بحقوقه الموروثة. و يقوم أحيانا ببعض التحركات من أجل الاحتفاظ بهذه الحقوق، و لكنها تحركات ضعيفه. و لم يكن قد بقى معه من رجاله غير قليل ظلوا على وفائهم له. و حتى هؤلاء القلائل ضاقوا ذرعا بهذه الخدمه المحفوفه بالأخطار و المشقات، و أخذوا يتخلون عنه واحدا بعد آخر، بل كان من الممكن أن يقدموا على خيانتة. و فى مثل هذا الظرف سنحت فرصه ظهور "نادر قلى" و قيامه بخدمته و تهيؤه، مع رجاله الخمسمائه أو الستمائه، للقيام بكل عمل من أجل إجلاس "طهماسب" على السرير الشاهانى. فبعث هذا الممدد غير المنتظر الأمل فى قلب الأمير. و بعد حصول "نادر قلى" على بعض الانتصارات نادى بطهماسب شاها على ايران. و عينه "طهماسب" قائدا عاما لجيوشه.

و قسم "نادر قلى" العسكر إلى قسمين، أحدهما عدته مائه ألف قاده "طهماسب" إلى محاربه العثمانيين، و الآخر عدته ستون ألفا قاده "نادر قلى" إلى محاربه الأفاغنه فى خراسان. و فى سنة ١٧٣١ م (١١٤٣ هـ) أوقع العثمانيون بطهماسب هزيمة منكره بعثت الياس فى القلوب "أ.ه.

بعد أن اتصل "نادر قلى" ب "طهماسب" عينه هذا رئيسا لحرسه الخاص و أنعم عليه بلقب "طهماسب قلى خان". ثم أمره بالسير إلى خراسان لاختضاع الملك "محمود السيستانى" الذى نصب نفسه شاها على خراسان. فسار إليها بمن معه من عسكر جمعهم من مختلف النواحي. و بعد بضع معارك تغلب على الملك "محمود السيستانى" و قتله. و من ذلك التاريخ أخذ "طهماسب قلى خان" (نادر قلى) يزداد عظمه و أهميه يوما فيوما. أما الشاه "طهماسب" فلم يكن غير آله مسيره فى يده.

و لما ثارت قبيله "أبدالى" الأفغانيه فى "هرات" و سار "طهماسب قلى خان" إليها لاختضاع الثائرين رافقه الشاه "طهماسب" فى هذا المسير.

و تغلب "طهماسب قلى" على الثائرين و اعتقل رئيسهم "الله يار خان" الأبدالى و عين حاكما على "هرات" من قبله. ثم عادا معا إلى مشهد.

و رافق الشاه "طهماسب" أيضا "طهماسب قلى خان" فى المعركة التى وقعت بينه و بين "أشرف" الأفغانى فى "مهمان دوست" و "دره خوار"

سنة ١١٤٢ هـ. ولكنه، لما سار "طهماسب قلى خان" إلى أصفهان لاستخلاصها من يد الأفغانه، توقف الشاه "طهماسب" فى طهران، و وقعت معركة "مورشه خورت" فى ربيع الثانى سنة ١١٤٢ هـ بالقرب من أصفهان و هو فى طهران. و بعد احتلال أصفهان [و] فرار "أشرف" الأفغانى سارع الشاه إليها. و كان كل من الشاه و "طهماسب قلى خان" شديد الرغبة فى الاسراع ما أمكن بالقضاء على "أشرف" و اراحه ايران من شر الأفغانه. فلم يدخر "طهماسب قلى خان" جهدا فى هذا السبيل حتى وصل إلى مراده.

و فى سنة ١١٤٣ هـ سار "طهماسب قلى خان" من آذربيجان قاصدا خراسان ليقمع ثوره جديده قامت بها قبيله "أبدالى" فى "هرات".

فاغتنم الشاه "طهماسب" فرصه غيابه ليدكر بنفسه و ليثبت أن له كفاءه و شخصيه قويه مستقله، فسار إلى آذربيجان بجيش عدته مائه ألف جندى ليحارب العثمانيين و يخرجهم من آذربيجان. و لكن العثمانيين أوقعوا به هزيمه منكره و أجبروه على توقيع معاهده صلح مذكوره تقضى بان تكون كل البلاد الواقعه فى الجانب الأيسر من نهر "أرس" للعثمانيين.

و كان بضعه آلاف من الايرانيين أسرى عند العثمانيين فسكت "طهماسب" عنهم و لم يطالب باستردادهم، و لا ذكرت المعاهده عنهم شيئا. فألحقت هذه المعاهده خسارات جسيمة بايران، و عاد "طهماسب" إلى أصفهان محتقرا مردولا. و لكنه انصرف إلى اللهو و اللعب مستهترا بدلا من أن يسعى إلى جبر انكساراته المخزيه و تدارك ما أوقعه بيلاده من فساد.

و لما سمع "طهماسب قلى خان" بهذه الواقعه التى حدثت بغير علم و لا مشوره منه و ألحقت بايران اهانه عظيمه أسف كثيرا و غضب غضبا شديدا. و بادر إلى إصدار بيان عممه على جميع حكام الولايات الإيرانيه، فى موضع انكسار الشاه "طهماسب" و تسليم كثير من مدن ايران إلى العثمانيين و عدم استرداد الأسرى. و ضمن هذا البيان تصريحاً بان رجالات ايران و رؤساءها لن يدعوا لمثل هذه الاساءات و لن يقر لهم قرار حتى يخرج العدو من أرض ايران.

ثم أرسل سفيرا إلى بلاط السلطان العثمانى "محمود خان الأول" الذى خلف السلطان "أحمد خان الثالث" و معه رساله بان أحدا من رؤساء ايران و قواد جيشها لن يرضخ لمثل هذه المعاهده المذله، و لن يقبل بها بوجه من الوجوه. فاما أن تعود إلى ايران كل المدن التى غصبها العثمانيون بمقتضى هذه المعاهده و إما أن يستعد العثمانيون للحرب.

و أرسل إلى "أحمد شاه" والى بغداد ينبئه بعزمه هذا.

و فى ذلك التاريخ، إذ كان العثمانيون قد احتلوا قسما كبيرا من الشمال الغربى من ايران و من غربها كان الروس قد اغتصموا فرصه الفتنة الأفغانيه و تشوش الأحوال فى ايران فاعتدوا على سواحل بحر مازندران و استولوا على "بادكوبا - جيلان" و مازندران. فأرسل "طهماسب قلى خان" اثنين من رؤساء عسكره إلى مازندران إلى كبار الضباط الروس، و معهما رساله مضمونها إنذار بان عليهم الجلاء عن هذه البلاد و العوده إلى مملكتهم. فان أبوا فليتهيئوا للحرب. و قد بادر الروس إلى الجلاء عن المدن التى احتلوها فور وصول هذه الرساله إليهم.

و بعد أن اتخذ "طهماسب قلى خان" هذه التدابير و تهيأ للأحداث المقبله، سار من مشهد فى أواخر سنة ١١٤٤ هـ بتجهيزات

عسكريه تامه قاصدا طهران، و أرسل إلى الشاه "طهماسب" يلتمس منه ملاقاته في طهران. و لكن الشاه لم يجبه إلى التماسه و ظل في أصفهان. و وصل "طهماسب قلى خان" إلى طهران فتلثب فيها قليلا ثم سار بجيشه قاصدا أصفهان. فلما وصل إلى قم انضم إليه جيش كان قد طلبه من ولايه فارس يقوده "محمد على قوللر آقاسى" والى فارس و "محمد خان بلوش" حاكم "كوكيلويه".

و دخل "طهماسب قلى خان" أصفهان بهذين الجيشين و نزل فى "باغ هزار جريب". ثم دخل على الشاه "طهماسب" فى "باغ سعادت آباد".

و أراد أن ينفى من نفس الشاه كل سوء ظن به و يجعله مطمئنا اليه، فلاقاه بكل مظاهر التعظيم و التواضع حتى إذا أصبح قريبا منه قبل الأرض ثلاث مرات و لبث واقفا بين يديه حتى أذن له الشاه بالجلوس.

و ما زال بالشاه الساذج يتملقه و يظهر له الخشوع و الخضوع و استعداده للتفديه و أنه يقف نفسه على خدمته حتى ملك قلبه و جعله يقتنع بان "طهماسب قلى خان" هو خادمه المخلص.

ثم قال للشاه: إذ كنت عازما على القيام بعمل عظيم لخدمه صاحب الجلاله، أريد تحذير أعدائه و دفع المتجاوزين لحدود المملكه، فان العبد يلتمس أن تفضل جلالتك برفع رأسه بان تقوم غدا باستعراض جيش خراسان، و يكون ذلك باعنا على تشجيع أمراء العسكر و رؤسائه و تقديرهم و تشيبتهم. فان تفضلتم بالقبول بلغ العبد غايه الافتخار.

و انقسمت حاشيه الشاه إلى فريقين مختلفين. فريق كان يخالف "طهماسب قلى خان"، و كان على اطلاع على ما وراء هذه الدعوه، فافهموا الشاه أن هذه الدعوه شرك ينصبه "طهماسب قلى خان" للشاه و نصحوه بان لا يستجيب لها. و فريق كان من أنصار "طهماسب قلى خان" المخلصين المقيمين على الاعتراف بجميله عليهم فشوقوا الشاه إلى اجابه الدعوه و حرضوه على قبولها. و انتهى الأمر إلى رجحان رأى الفريق الثانى و ذهب الشاه إلى معسكر "طهماسب قلى خان".

و بالغ هذا فى أعداد التشريفات و مظاهر التعظيم للشاه، و خرج إلى استقباله قاطعا مسافه بعيده، و عاد معه راجلا يسير فى ركابه و يحدثه إلى أن بلغا المعسكر. فلما جلس الشاه عرفه بامراء خراسان واحدا واحدا، فشملمهم بالملاطفه و العنايه. ثم قدم إلى الشاه هدايا لائقه. و كان سرور الشاه عظيما بما لقيه من حفاوه و احترام و هدايا و تحف.

ثم التمس "طهماسب قلى خان" من الشاه أن يتفضل بالاستجمام بالمبيت فى منزله تلك الليله، فيزداد عبده افتخارا و رفعه رأس بهذا التشريف. فلاقى هذا الالتماس هوى فى نفس الشاه، إذ كان ما هياه "طهماسب قلى خان" فى هذه الضيافه من وسائل و أسباب لادخال السرور و البهجه و التسليه إلى نفس الشاه قد أقر عينه، فعدل عن العوده و قرر البقاء و قضى الشاه تلك الليله يتمادى فى اللهو و اللعب و الأونس، و أفرط فى شرب الخمر حتى عاد لا يعقل، يترنح و يقع هنا و هناك، و تبدو منه حركات صبيانيه و تصرفات كتصرفات المجانين. أما "طهماسب قلى خان" فجعل يدعو الأمراء و الرؤساء من عسكر خراسان و غيرها إلى أن ينظروا بأعينهم خفيه إلى حركات السكر التى تبدو منه و الأعمال القبيحه

التي يقوم بها، ليعلموا منشا كل هذا الخراب و الفساد الذى يعم المملكه و يعرفوا أى شاه هذا الشاه الذى يحكمهم. و لكنه كان يحاذر أن يفتن الشاه إلى انهم يراقبونه و يلاحظونه.

و ذكر بعضهم أن السبب فى إدمان الشاه "طهماسب" شرب الخمر و انغماسه فى اللهو و الملذات انه بعد احتلال الأفاغنه أصفهان و سجن أبيه، و كان يومئذ فى مطلع شبابه، أصبح دائم الغم و الحزن. و أراد أحد الجهلاء من رجاله أن يصرف عنه غمه و حزنه فدلله على طريق اللهو و الطرب و الخمر ليسلو، فلم يلبث أن تمكن ذلك منه حتى أصبح عاده له، و خرج به عن حد الاعتدال إلى الإفراط.

فلما أصبح الصباح، و كان الشاه قد صحا قليلا من سكره، حاصر جنود نادر غرفه الشاه و تعالت ضوضاء. فسأل الشاه عن الخبر، فدخل عليه "طهماسب قلى خان"، و حياه بالتحيه المرسومه للتعظيم، و قال له:

لا شىء سوى أمراء العسكر يقولون انهم لا يرضون بك سلطانا و يرضون بابنك.

و جرى حوار قصير بينهما. ثم أحضروا "تخت روانا" كانوا قد أعدوه قبلا فاركبوا الشاه فيه و أرسلوه مخفورا بجماعه من الحرس إلى مشهد من طريق يزد. و كان عجيبا أن سار "طهماسب قلى خان" فى ركاب الشاه يشيعه راجلا مسافه سنه كيلومترات، و هو لا ينفك يعتذر اليه من هذا الفعل السيئ و هذا السلوك الفظ الذى قام به أمراء العسكر و رؤسائه، و يبعث فيه الأمل بوعده له بالسعى إلى اقناعهم بالعدول عن رأيهم، فيعود الشاه إلى تخت الملك عن قريب.

عزل "طهماسب قلى خان" الشاه "طهماسب" الصفوى فى شهر ربيع الأول سنه ١١٤٥ هـ و نادى بابنه "عباس"، و له من العمر أربعة شهور أو خمسه، شاها باسم الشاه "عباس الثالث". و أقام "طهماسب" بعد عزله فى مشهد من سنه ١١٤٥ هـ إلى سنه ١١٤٦ هـ. و فى هذه السنه، إذ هزم العثمانيون نادر شاه فى جبهه بغداد فترجع إلى همدان، أمر بنقل الشاه المخلوع "طهماسب" من مشهد إلى مازندران. و كذلك أمر بنقل ابنه عباس، و كان عمره سنتين، من قزوین إليها، و أبقاهما فيها مخفورين مراقبين.

و فى سنه ١١٤٩ هـ، إذ سار نادر شاه (كان قد توج) إلى خرسان الشرقيه لاسترداد بعض الأقسام المفقوده كقندهار و كابل و فتح الهند، نقل الشاه "طهماسب" و الشاه عباس من مازندران إلى "سبزوار" و أقامهما فيها.

و فى أوائل سنه ١١٥٢ هـ، و كان نادر يومئذ فى الهند، انتشرت فى ايران شائعه كاذبه ان نادرا قتل فى الهند. فخشى ابنه ولى عهده و نائبه "رضا قلى ميرزا" من ثوره الايرانيين عليه انتصارا للأسره الصفويه، و اعاده الشاه "طهماسب" أو ابنه الشاه عباس إلى عرش المملكه. فأمر "محمد حسين خان قاجار دولو"، و كان حاكما على "أسترآباد" من قبل نادر شاه، بقتل الشاه "طهماسب" و ابنه، الشاه عباس الثالث و سليمان ميرزا، و الأول عمره سبع سنوات و الثانى ست سنوات، فقتلهم.

و المشهور أن "طهماسب" الثانى دفن فى مدينه قم فى مقبره أبيه الشاه "سلطان حسين" و جده الشاه سليمان. و قيل دفن فى مشهد.

طهماسب قلى خان الكرمانشاهى الملقب بوحدت الكرمانشاهى بن رستم خان

من خوانين قبيله كلهر:

شاعر و عارف عاش في أواخر العصر القاجارى. ولد في كرمانشاه عام ١٢٤١ هـ و درس المقدمات و علوم الصرف و النحو و المنطق و الكلام و المعانى و البيان في مدرسه الحاج شهباز خان، ثم التحق بالميرزا حسن الكرمانى أحد مشايخ التصوف، و دخل في سلك التصوف.

رحل وحدث بعد ذلك إلى العتبات المقدسه في العراق، ثم عاد إلى كرمانشاه، و لم يبق فيها وقتا طويلا حتى انتقل إلى همذان حيث دخل في سلك مريدى حسين على شاه و عكف بضع سنين على تزكيه النفس و ملازمه التفكير و الاذكار. و بعد وفاه الآخوند الملا ولى الله رحل إلى طهران، و اتخذ لنفسه حجره في مسجد محمود الكرمانشاهى اشتغل فيها بتربيته و تهذيب جماعه من الصالحين و الصادقين و الراغبين بالتصوف، و استمر في نشاطه هذا ثلاثين سنه حتى فارق الحياه عام ١٣١١ هـ، فدفن في صحن ابن بابويه في الرى.

طبع ديوان أشعاره الذى تميز بسحر خاص و جاذبيه مميزه في طهران عام ١٩٤٦ م (١)

السيد عابد الحسينى الأردبيلي:

من أعلام العلماء المقيمين بأصبهان في القرن الحادى عشر، قرأ عليه السيد محمد على بن ميرم الحسينى الأردبيلي كتاب "من لا يحضره الفقيه" و صححه و ضبطه بحضرته، فأجازه في آخر شهر ذى القعدة سنه ١٠٨٣. (٢)

الشيخ عاشور بن محمد التبريزي:

فاضل من أعلام القرن الحادى عشر، من المطلعين بالفلسفه و العلوم العقليه.

له "خلة المؤمنين" ألفه سنه ١٠٦٣ باسم المولى خليل القزوينى. (٣)

الشيخ عامر بن فياض الجزائرى، أبو الفتح:

مذكور في "الروضه النضره" المخطوط، و نقول:

جاء في حاشيه نسخه من كتاب "خلاصه الأقوال" للعلامه الحللى نقلا من خط المولى محمد تقى القزوينى السمنانى:

"عامر بن أبو الفتح الجزائرى، نزيل المشهد الرضوى، شيخنا و مولانا ثقه عين صدوق فاضل فقيه كثير الحافظه، أكثر كتب الفقه كمتن الشرائع و الإرشاد و القواعد و كنز العرفان في حفظه و أكثر مسائله في ذكره، حسن الخاطر دقيق الفطنه حاضر الجواب، قرأت عليه قواعد الأحكام خلا كتاب الوقف و الفرائض منه و شرح النفليله للشهيد الثانى و تفسير جوامع الجامع الا بعض سور المفصل في مجالس آخرها يوم الأحد الثانى عشر من المحرم عام خمس عشر و ألف من الهجره في مشهد الرضا (ع)، و سمعت منه أكثر كتب الفقهاء كالنافع و الشرائع و الإرشاد و كنز العرفان". (٤)

- ١- عبد الرفيع حقيقت.
- ٢- السيد احمد الحسيني.
- ٣- عبد الرفيع حقيقت.
- ٤- السيد احمد الحسيني.

عباس بن أبي القاسم بن محمد بن صفى الجعفر آبادى الأرومى:

من علماء مدينه "أروميه" بأذربيجان، و هو اخبارى المسلك فاضل له شعر بالفارسيه، جيد الخط فى النسخ و نستعليق.

قال عنه السيد حسين بن نصر الله العرب باغى فى تقريره كتاب "شرائط الإسلام" للمترجم له: "العالم العامل و الفاضل الكامل المولى الجليل و التحرير النبيل علم الأعلام و سيف الإسلام و مقتدى الأنام..".

له "لطمات المقربين فى مصيبيه سيد المظلومين" و "شرائط الإسلام" و "أحكام الشهادات" و "كشف الفرائض" (١).

الشيخ عباس بن أحمد الخونسارى:

فاضل محدث، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر، و لعله كان من العلماء المقيمين بأصبهان.

له "ترجمه أصول الكافى" فرغ من المجلد الأول سنة ١٢٩٦، و "ترجمه بحار الأنوار" الجزء السابع عشر منه (٢).

الدكتور عباس سعيدى رضوانى:

ولد عام ١٣٤٨ هـ بمدينه مشهد فى إقليم خراسان. و تخرج من مدارسها الابتدائيه و الثانويه ثم واصل دراسته فى فرع الجغرافيا فى جامعه طهران و حصل منها على درجه الليسانس ثم واصل دراسته فى جامعه ويسكانسين الأمريكيه و حصل منها على الماجستير عام ١٣٨٢ هـ و واصل دراسته فى جامعه السربون الفرنسيه و حصل منها على الدكتوراه عام ١٣٩٢ هـ. و كان قد عمل فى الفترات ما بين حصوله على الليسانس و الماجستير و الدكتوراه فى المؤسسات الثقافيه و التعليميه الإيرانيه و قد صار فتره مديرا لدار المعلمين فى ولايه خراسان كما عمل فتره أستاذا لعلم الجغرافيا فى جامعه خراسان و بعد أن حصل على الدكتوراه ظل أستاذا فى هذه الجامعه.

و بعد انتصار الثورة الإسلاميه اختير أمينا لمكتبه (آستان قدس رضوى) التى هى من أقدم مكاتب العالم الإسلامى، و استمر فى منصبه أربع سنوات، ثم انتخب رئيسا لمدرسه الطباعه و النشر التابعه ل (آستان قدس رضوى) التى يعتبر مؤسسها الأول، و هى مؤسسها كبيره، فقام بجهد كبير فى نشر الكتب و ترجمتها إلى اللغه الفارسيه. و قد طبع خلال السنوات التسع التى رئسها فيها مئات الكتب العربيه و الفارسيه و الإنكليزيه.

له عدده مؤلفات فى علم الجغرافيا.

توفى بالسكته القليه سنة ١٤١٣. (٣).

السيد عباس بن على بن أميران الحسنى الأصبهانى

عالم بالنجوم و علم الفلك. لعله المترجم فى "الضياء اللامع" ص ٧٥.

الشاه عباس الأول الصفوي:

مرت ترجمته أولاً في (الأعيان). ثم نشرنا ترجمه أكثر تفصيلاً في (المستدركات). ونشر عنه هنا ما يلي مكتوباً بقلم نصر الله فلسفي في كتابه "زندگان [زندگانی] شاه عباس أول):

كان الشاه عباس غايه في القسوه و الشده و أحياناً في التجبر و الظلم في اداره شئون بلاده و سياستها، شانه في ذلك شان جميع المتفردين بالحكم و لكنه في نفس الوقت كان يحب العدل و الإنصاف و رعايه حقوق الرعيه. فإذا كان يأخذ قاده القزلباش و رجال الدوله و الحكام و المسئولين عن شئون الدوله بالشده و القسوه، فهو يعامل عامه الناس أو ما يسمى اليوم بالشعب بالعطف و الإحسان و الرحمه اللهم إلا في بعض الموارد الخاصه. و قد كان يراقب على الدوام الحكام و المسئولين في تعاملهم مع الشعب بعين الحرص و الريبه لئلا يتناولوا و يجحفوا بحق المظلومين و العاجزين، و يذكر أحد المعاصرين له هذا الجانب من حياته قائلاً:

"... كان الشاه عباس يعتبر الفقراء و المحتاجين أبناء له و هم بدورهم يعدونه أبا لهم، و لكنه كان يسمى الأغنياء و ذوى الجاه من الناس بالآباء، ليأخذ منهم أموالاً - كثيره و حينما يموتون يرثهم كابن لهم، و عن هذا الطريق كانت تدخل خزانه الدوله أموال طائله..."

و في سبيل الاطلاع على حقيقه أوصاع [أوضاع] الناس كان الشاه عباس يعاشر الناس دون واسطه و يستقبل أى شخص دون تكلف أو تصنع، و حينما كان وزراءؤه و رجال دولته ينصحونه بعدم الاقتراب من الناس أكثر من الحد اللازم كان يقول لهم: "لا يدعوكم إلى هذه النصيحه إلا سرفاتكم و سوء سياستكم، تريدون منى أن أبقى بعيداً عن الناس لئلا أطلع على سيئاتكم، و من أراد سياسه الرعيه بالعدل فعليه الاطلاع على أعمالهم و أفكارهم".

و حين كانوا يقولون له أنك تلقى بنفسك في التهلكه بتصرفك هذا كان يجيبهم قائلاً:

"الله هو حارسي، فان لم يشأ بقائى لن تغنى عنى حراسه الناس شيئاً".

و يتحدث أحد المعاصرين له عن قساوته و شدته قائلاً:

"كان الشاه عباس محققاً في قساوته إلى حد ما، إذ لم يكن ينفع سوى هذا الأسلوب مع الأشخاص الجناه المجرمين المحيطين به، و إذا كان يعمد إلى أسلوبه المروع في عقوباته فلأن بطانه السوء الملتفه حوله لم تكن تنقاد لأوامره إلا بهذا الأسلوب".

و ثمه كاتب آخر كان يعيش في ايران بعد وفاه الشاه عباس، يتحدث عن القوانين الإيرانيه في العهد الصفوي بقوله: "...إن قوانين ايران غايه في الاستقامه و هى مفيده للناس كثيراً، و لو توفر ملك عادل يشرف

١- السيد احمد الحسينى.

٢- السيد احمد الحسينى.

٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٤- السيد احمد الحسينى.

على تطبيق هذه القوانين تطبيقاً صحيحاً، و يمنع الوزراء و عمال الدوله من ارتكاب المظالم، لأمكن القول بان الامبراطوريه الإيرانيه ستكون حينئذ أفضل أقطار الأرض قاطبه، و يبدو ان الوضع كان كذلك فى عهد الشاه عباس الكبير. و قد كانت ايران فى بدايه عهده تعيش استبداد الحكام و طغيانهم بحيث لم يكن يعترف بحكمه على بعد عشرين فرسخاً من عاصمته، و من ثم أمضى كل فتره حكمه فى الحروب و إخماد الفتن، و لكن ايران أضحت فى أواخر عهده غنيه و عامره و هادئه، و محلاً لنشاطات التجار من مختلف أقطار الأرض، و أصبح الناس يعيشون حياه جيده فى جميع أنحاء ايران فهم يأكلون طعاماً جيداً و يلبسون ملابساً حسناً و يتمتعون بجميع وسائل الحياه، على الرغم من وجود ما يساوى نصف سكان فرنسا عاطلين عن العمل.

و أفقر النساء الايرانيات كن يتزين بأنواع الحلى الذهبيه، و باعتقادي أننا نبتعد عن الإنصاف و الحقيقه إذا قلنا أن الحكومه الإيرانيه حكومه مستبده و بعيده عن الحضاره...".

و كان الشاه عباس يحرص دوماً على صيانه أملاكه رعاياه و أرواحهم من ظلم حكام و عمال دولته و زعماء الجيش و اللصوص و قطاع الطرق.

و قد نشط الشاه عباس منذ أوائل عهده فى التصدى للصوص و قطاع الطرق و تأديب الحكام المستبدين، فاستطاع فى فتره قصيره إقرار الأمن و الطمأنينه فى جميع أنحاء ايران فأصبحت ايران لا تضاهى فى هذا الجانب.

و قد كان الشاه يلقى بمسئوليه الحفاظ على الأمن و التصدى للصوص و قطاع الطرق فى كل مدينه أو ولايه ايرانيه على حاكم هذه المدينه أو الولايه، فإذا ما سرق أحد سكان المدينه عوقب حاكمها و غرم ما سرقه اللصوص. و كذلك كان الأمر مع قطاع الطرق، فإذا ما هاجم قطاع الطرق قافله ما، أخذت خسائر القافله من القرى المجاوره لموضع الحادثه.

و قد كان اللصوص و قطاع الطرق يعاقبون باقسى أنواع العقوبات ليكونوا عبره للآخرين و من هذه العقوبات، الحرق و قطع الرأس و صب الجص عليه.

و كان الشاه فى أسفاره و حملاته ينهى قاده و أفراد قواته التطاول على أملاكه و مزارع و محصولات رعاياه و يحرص دائماً على أن يكون أفراد جيشه رحماً فى تعاملهم مع الناس، و يتحدث أحد السائحين الأوروبين عن هذا الأمر قائلاً:

"...يتميز جنود الشاه بحسن معاملتهم للناس، و لذلك لم يكن الناس يهربون أمامهم أثناء الزحف خلافاً لما هو قائم فى أوروبا، بل على العكس يرحبون بهم و يقدمون لهم أنواع الهدايا و المأكولات و يدعون لهم بالنصر، لأنهم يعلمون أن جنود الشاه ليسوا ظالمين و لا- سارقين و أنهم لا- يتطاولون على أحد. و قد رأيت بام عيني كيف كان الجنود يشترتون الفاكهه و بعض الأشياء الأخرى من الناس دون أن يتطاولوا على أموال أحد أو يمسوا شخصاً بأذى حتى فى الصحارى و الطرق الخاليه...". يتحدث هذا السائح فى موضع آخر من كتابه عن معاقبه الشاه لحكام أسترآباد الذى عسكر فى احدى الحملات فى أراض زراعيه دون إذن من أهلها، فيقول:

"عسكر بعض أفراد الجيش فى احدى المزارع دون إذن من أهلها و أطلقوا خيولهم فيها موفرين بذلك ثمن العلف، و لجأ أصحاب المزرعه إلى الشاه فقدموا اليه شكواهم، فأمر الشاه عدداً من قاده جيشه بالتحقيق فى الأمر ثم سجن المقصرون و مزقت

خيمهم و أخذ حاكم أسترآباد بجريره اغتصاب فاكهه دون دفع ثمنها فثقب أنفه بسهم و طيف به فى المعسكر على ظهر حصان و الدم يقطر من أنفه...".

و قد بالغ الشاه فى صيانتة لأموال الناس و منع التناول على أملاكهم، و يذكر فلكيه الخاص الملا جلال الدين محمد اليزدى فى حديثه عن حملات الشاه على خراسان فى عام ١٠١٠ هـ أن الشاه لم يكن يسمح بمس شىء من أموال الناس و أملاكهم مهما كان هذا الشىء تافها و العجيب أن آقا محمد الأبهري و ميرزا جان بيك جلسا ذات مره تحت شجره دون أن يستأذنا من صاحبها، و كان هذان الرجلان يفتخران بقربهما من الشاه، فأخذهما الشاه أخذاً عنيفا و صلّم آذانهما.

و كان الشاه خلال أسفاره إلى مختلف أنحاء ايران و مدنّها يختلط بالناس و يسألهم عن أسلوب الحكام فى معاملتهم، فإذا اشتكى أحدهم أمر بإجراء التحقيق على الفور ثم يعاقب المقصر، و لم يكن أحد يجرؤ على منع الناس من طرح شكواهم على الشاه و إلا- تعرض لعقوبه صارمه، فمثلا يذكر فلكى الشاه الخاص ضمن حديثه عن أحداث عام ١٠٢٠ هـ قائلا: "...و فى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى نزل الشاه فى بروجرد، و أراد أحدهم طرح شكواه على الشاه فمنعه رجل كردى من ذلك و انتبه الشاه للأمر فأمر بقطع يد الكردى...".

هذه الحال. ثم أمر بالتحقيق فيما اغتصبه من أموال الناس و دفعه إلى أصحابه.

و ذات يوم بلغه أن أحد قضاة أصفهان أخذ الرشوة من كلا الطرفين المتخاصمين ثم ارغمهما على المصالحة، فأمر باركابه مقلوبا على ظهر حمار و إرغامه على أخذ ذيل الحمار بيده، ثم وضع أحشاء خروف على رأسه و كتفيه و الطواف به على هذه الحال فى ساحة المدينة، و كان أحدهم يتقدم القاضى و ينادى: هذا جزاء القاضى المرتشى.

و إذا كان الشاه عباس يعاقب المذنبين بما تمليه عليه العدالة، فإنه كان فى بعض الأحيان يحيد عن العدالة استجابة لمتطلبات السياسة أو إظهارا لقدرته و ارعابا لأعدائه و من ثم كان يقتل العديد من الناس الأبرياء، و حين كان يشعر بالخطر يهدده أو يهدد دولته فإنه لم يكن يتردد - من أجل دفع هذا الخطر - فى قتل أعز الناس و أقربهم إليه، و من ذلك قتله لابنه الأكبر الميرزا صفى و سمله لعيون أبنيه الآخرين دون تردد أو تلوؤ، و إذا تجرأ أحدهم و انتقد تصرفاته أو انتقص من أحد أفراد العائلة المالكة، فإنه كان يعاقبه باشد العقاب حتى و لو كان محقا فى انتقاده أو فى انتقاصه. فقد حدث ذات مره أن خرج أحد أبناء الشاه و معه حاكم أصفهان لاستقبال الشاه فى عودته إلى المدينة، و فى الطريق أخذ الأمير يتحدث عن جمال زوجته الحاكم، مما أثار غضب الأخير فشتمه، و أسرع الأمير إلى أبيه فاشتكى له الحاكم، فأمره الشاه - دون تردد أو تانى - بإطلاق سهم على الحاكم فأصابه السهم فى فخذه و سقط عن ظهر جواده و خاف الهلاك فاخذ يجر نفسه حتى وقع على رجل الأمير و قبلها، و رضى الشاه بهذا التملق فعفى عنه...

و أنشا الشاه عباس ديوانا للعدالة فى السنين الأولى من عهده، ليحول بذلك دون تقديم الناس شكواهم له فى الشوارع و الأسواق و تعكيرهم صفو جولاته و متعته، و عين على قلى خان شاملو رئيسا لهذا الديوان، و كان رئيس ديوان العدالة أو "ديوان بيگى" مشرفا و رئيسا لجميع محاكم الدولة، و كان سكان الولايات الإيرانية يلجئون إليه فى شكواهم على حكام ولاياتهم فكان ينظر فى شكواهم و يعرض الأمر على الشاه، و فى بعض الأحيان كان الشاه يحضر فى ديوان العدالة و يتابع شكاوى الناس بنفسه.

و إلى جانب رئيس الديوان كان هناك منصبان دينيان كبيران هما صدر الخاصه و صدر العامه، و فى بعض الأحيان كان المنصبان يناطان بشخص واحد، و كان صدر الخاصه ممثلا للشرع فى الديوان و ياتى بعد اعتماد الدولة أو الوزير الأعظم بصفته صاحب أكبر منصب ادارى و يجلس فى مجلس الشاه إلى جانبه الأيمن.

و إضافة إلى اشتراكه فى ديوان العدالة، كان صدر الخاصه مسئولا عن تعيين حكام الشرع فى القسم الأكبر من مدن ايران و ولاياتها المركزيه و الشرقيه و الشماليه، فكانت الأمور الشرعيه فى هذه المدن و الولايات تدار بيد نواب الصداره و العمال التابعين له.

و كان صدر العامه بالاضافه إلى اشتراكه فى ديوان العدالة مسئولا عن تعيين حكام الشرع و المشرفين على الأوقاف و المدارس و المساجد و المزارات فى سائر مدن و ولايات ايران الأخرى مثل آذربيجان و فارس و العراق و خراسان. و ياتى بعد هذين المنصبين الدينيين منصب قاضى الشرع، و هو مسئول عن متابعه الدعاوى الشرعيه لعامه الناس فى أصفهان و لكنه لا يتدخل فى الأمور الشرعيه لجهاز الدولة لأن ذلك من شان صدر الخاصه.

عباس بن علي بن محمد بن الهادي النائيني، صفا

مذكور في "سخنورا [سخنوران] نائين" ص ٧٤، و نقول:

أديب شاعر جيد الشعر بالفارسيه، حسن الخط جدا في النس تعليق، عمره مائه و خمس عشره سنه، و كان مع اشتغاله بالوظائف الحكوميه مشتغلا بالعلوم عارفا باللغه الفرنسيه، و هو من بيت أدب و شعر و فضيله آباؤه شعراء معروفون. أصله من مدينه نائين و كان يقيم بطهران و يتخلص في شعره ب "صفا".

له "ديوان شعر" توفي سنه ١٣٥٨. (١)

الشيخ عباس القمي بن محمد رضا:

مرت ترجمته في المجلد السابع من (الأعيان) و نزيد على ما هنالك ما يلي:

ولد بمدينه قم. و نشا و شب فيها و على أعلامها قرأ المقدمات العلميه و سطوح الفقه و الأصول، و من جمله أساتذته في هذه الفتره الميرزا محمد الأرباب القمي.

و في سنه ١٣١٦ هاجر إلى النجف الأشرف، فاخذ يحضر حلقات دروس العلماء الأفاضل في الفقه و الأصول و غيرها من العلوم الدينيه، إلا انه اختص بالحاج ميرزا حسين النوري و كان يعينه في بعض مؤلفاته استنساخا و مقابله و عرضا و تصحيحا.

و في سنه ١٣١٨ تشرف إلى الحج، و بعد قضاء المناسك و زياره النبي و الأئمه (ع) بالمدينه المنوره ذهب إلى ايران لتجديد العهد بذويه في قم، ثم رجع إلى النجف ملازما لأستاذه النوري.

و في سنه ١٣٢٢ عاد إلى ايران، فهبط قم و بقي يواصل أعماله العلميه، و انصرف إلى البحث و التأليف.

و في سنه ١٣٢٩ تشرف إلى الحج مره ثانيه.

و في سنه ١٣٣١ انتقل إلى مشهد الرضا (ع) و اتخذ منه مقرا دائما له، و انصرف إلى طبع بعض مؤلفاته و عكف على تصنيف غيرها. و كان يتردد خلال ذلك لزياره العتبات المقدسه بالعراق، و وفق في خلال ذلك للحج مره ثالثه.

و عند ما حل الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مدينه قم، كان صاحب الترجمة من أعوانه و أنصاره. (٢)

الميرزا عباس بن موسى البسطامي:

أحد كبار شعراء العهد القاجاري. ولد عام ١٢١٣ هـ في العتبات المقدسه بالعراق، و ما إن بلغ السادسة عشره من العمر حتى فارق أبوه الحياه، فبقى بعده فقيرا معدما. و عاد مع أمه إلى ايران حيث مقر

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- السيد أحمد الحسيني.

أجداده في سمنان و دامغان و بسطام، و فضل السكن في بسطام، ثم رافق عمه (دوست علي البسطامي) بعد فتره إلى مازندران حيث أقام في ساري.

لم يكن عباس البسطامي يتمتع بقدره كافيه على القراءه و الكتابه، و لكنه أجهد نفسه كثيرا في تعلمها، ثم أمضى أكثر أوقاته في مطالعه دواوين كبار الشعراء مثل سعدى و حافظ الشيرازي، و كانت نتيجة مطالعاته و ممارساته أن أخذ ينظم الغزل، و تلقب بالمسكين.

كان عمه دوست علي خان خازن الشاه، فلما عاد من مازندران إلى طهران اصطحب معه ابن أخيه و قدمه إلى فتح علي شاه، فأثنته شعرا كان قد نظم به حقه، فأعجب الشاه به و أمره بالسفر إلى مشهد للالتحاق بوالى خراسان شجاع السلطنه. و رحب هذا به و عينه كاتباً له، و بعد فتره غير لقبه من (المسكين) إلى الفروغى انتماء إلى الأمير فروغ الدوله أحد أبناء شجاع السلطنه. و في تلك الأثناء قدم الشاعر القآنى إلى خراسان للانضمام إلى حاشيه شجاع السلطنه، فتعرف على الفروغى. و مكث الاثنان عدة سنوات في مشهد ثم سافرا مع شجاع السلطنه إلى كرمان، و حين قدم الأخير إلى طهران رافقه الفروغى في سفره و مكث معه. و بقى في طهران حتى آخر سلطنه فتح علي شاه و شطرا من سلطنه محمد شاه الذى حظى منه بصلات عديده، ثم سافر بعد ذلك إلى العتبات المقدسه في العراق، و بعد عودته منها تأثر كثيرا بسيره و آثار كبار العارفين و خصوصا أبناء ولايته مثل:

سلطان العارفين بايزيد البسطامى و الشيخ أبو الحسن الخرقانى و غيرهما، فتغيرت أحواله تماما و أثر اعتزال الناس و سلوك حياه الدروشه، و بلغت شهرته في نظم الغزل العرفانى الأصيل مسامع ناصر الدين شاه فطلبه اليه و قربه و أكرمه، و ازدادت علاقته به و ثوقا حتى كان يطلبه اليه كلما نظم غزلا فيسمعه إياه، و يبادر الفروغى إلى إكماله، و قد ذكر الفروغى نفسه في بعض أشعاره أنه كان يدخل على ناصر الدين شاه مره في كل أسبوع. و قد وردت في ديوانه بعض قصائد الغزل التى كان الشاه ينظم مطلعها و يكملها هو.

استمر الفروغى في حياته العرفانيه، بعيدا عن الناس، و يتردد على الشاه مره في كل أسبوع فيسمعه ما نظم من غزل حتى فارق الحياه في طهران عام ١٢٧٤ هـ، و له من العمر اثنان و ستون سنه، بعد مرض عضال ألم به، و قد طبع ديوانه مرارا في طهران، و آخر طبعه لمجموعته الكامله التى احتوت ثلاثه آلاف و خمسمائه بيت شعر دونت بخط الأستاذ حسن سخاوت المدرس و العضو في جمعيه الخطاطين الايرانيين، و طبعت بواسطته شركه المؤلفين و المترجمين في ايران.

السيد عبد الأعلى الموسوى السبزواري بن علي رضا:

ولد سنه ١٣٢٨ في مدينه سبزواري بايران و توفي بالنجفسنه ١٤١٤.

هاجر إلى النجف الأشرف بالعراق للدراسه فكان من اساتذته هناك الشيخ محمد حسين النائيني و الشيخ ضياء الدين العراقي و السيد أبو الحسن الاصفهاني. ثم استقل بالتدريس في مسجده الذى كان يقيم فيه الجماعه في محله الحويش فتخرج عليه العديد من الفضلاء.

و بعد وفاه السيد الخوئي رجع اليه الكثيرون في التقليد و لكن لم يطل الأمر فتوفى بعد قليل ترك مؤلفات منها:

١ - إفاضه الباری فی نقد ما ألفه الحکیم السبزواری.

٢ - جامع الأحکام الشرعیه.

٣ - حاشیه علی بحار الأنوار للشیخ المجلسی المتوفی سنه ١١١٠ هـ.

٤ - حاشیه علی تفسیر الصافی للفیض الکاشانی المتوفی سنه ١٠٩١ هـ.

٥ - حاشیه علی العروه الوثقی للسید محمد کاظم الیزدی المتوفی سنه ١٣٣٩ هـ.

٦ - حاشیه علی جواهر الکلام للشیخ محمد حسن النجفی المتوفی سنه ١٢٦٦ هـ.

٧ - رفض الفضول عن علم الأصول.

٨ - مواهب الرحمن فی تفسیر القرآن، و غیر ذلك

الحاج المیرزا عبد الباقي ملاباشی شیرازی ابن السید محمد باقر:

ولد سنه ١٢٧٨ فی شیراز و توفی فیها سنه ١٣٥٤.

ینتهي نسب أسرته إلى (صفی الدین) جد الملوك الصفویین المنتهی نسبهم إلى أبی القاسم حمزه بن الامام موسی کاظم (ع).

و آباؤه کلهم علماء اجلاء أصحاب آثار علمیه أو أطباء مشهورون بالطب، و لهم بمنطقه فارس شهره و مکانه مرموقه.

فأبوه السید محمد باقر ملاباشی سکن مشهد الرضا (ع)، و کان من الزهاد المعروفین، و توفی سنه ١٣٢٠.

و جده السید محمد من العلماء الأجلاء، سکن کربلاء و توفی بها.

و جد أبيه الحاج میرزا محمد باقر من العلماء المؤلفین المعروفین، و من آثاره "أنوار القلوب" المطبوع فی ثلاث مجلدات، و

لقب بـ "ملاباشی" و بقى اللقب ملازماً للأسره، و قد توفی سنه ١٢٤٢.

و جده الأعلى السید میرزا محمد عالم جلیل، و هو أول من انتقل من أصفهان إلى شیراز و بها أعقب و أنجب.

و باقى أجداده من أطباء العصر الصفوی، و میرزا سلیمان المعروف بـ "حکیم باشی" کان مشهوراً فی عصره فی الطب و

معالجه المرضی.

و أمه من الساده المعروفین بـ "النسابه" فی شیراز، و كانت علویه عابده تقيه توفیت سنه ١٣٥٥.

و إليه ينسب بيت "آیه اللهی" من البيوتات العلمیه بشیراز.

تعلم المترجم القراءه و الكتابه و بعض المبادئ العلميه فى شيراز ثم نقله والده الميرزا محمد باقر إلى كربلاء و هو فى الرابعه عشر من عمره، و قرأ كتاب "خلاصه الحساب" على جده الميرزا محمد الذى كان يقيم آنذاك بكربلاء، و فى سفره إلى سامراء بقصد الزياره أمر الميرزا محمد حسن الشيرازى والده ان يترك ولده للتحصيل، فترك السيد ولده فى سامراء و ذهب هو إلى شيراز.

و بعد سنين من دراسته هناك ابتلى برمد شديد اضطر على أثره ان يسافر إلى ايران للعلاج، فأقام بشيراز متلمذا على الميرزا محمد حسين اليزدى و الشيخ عبد الجبار الجهرمى.

ص: ١١٩

سنوات متلمذا على حميه السيد عبد الحسين اللارى.

و فى نحو سنه ١٣٢١ ذهب للدراسه إلى النجف الأشرف و اقام بها مده متلمذا على أعلام علمائها، و فى مقدمتهم السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى، و من أساتذته أيضا فى هذه الفتره الحاج ميرزا حسين الخليلى الطهرانى و شيخ الشريعه الأصبهاني.

و عند نشوب حركه المشروطه و ضعف الدراسه فى النجف، انتقل إلى سامراء، و حضر بها أبحاث الميرزا محمد تقى الشيرازى.

ثم عاد إلى "الار"، و لكن على اثر فتن المشروطه فر من المدينه إلى بعض القرى متواريا، و بقى منتقلا- من قريه إلى قريه فى منطقه "فارس" حتى وصل إلى شيراز و اقام بها مرجعا كبيرا. و ترك بعض المؤلفات الفقيهيه.(١)

عبد الباقي بن محمد حسين:

عالم فاضل جامع للعلوم العقلية و النقلية، من أعلام القرن الثانى عشر، اسمه "محمد" و لكنه اشتهر بعبد الباقي كما صرح بذلك فى مقدمه شرحه على الشافيه.

له "القيود الوافيه فى شرح الكافيه و الشافيه" و "حاشيه حاشيه الخفرى على شرح التجريد" ألفهما

عبد الباقي السبزواري:

فاضل له اشتغال بالحديث، سمع كتاب "من لا يحضره الفقيه" من المولى محمد بن عبد الفتاح السراب التنكابنى فأجازه فى أوائل جمادى الأول سنه ١١٠٦ و قال "قد سمع المولى الفاضل الكامل الدين الصالح مولى عبد الباقي السبزواري مد الله تعالى أيام فضله هذا الكتاب منى سماع تدبر و إتقان و تفتيش و إيقان..".

الشيخ عبد الجواد النيشابورى الملقب ب الأديب النيشابورى بن الملا عباس:

من كبار شعراء أواخر العصر القاجارى. ولد فى نيسابور عام ١٢٨١ هـ. و أصيب بمرض الحصبه فى الرابعه من عمره فقد عينه اليمنى و ضعفت عينه اليسرى، و لكن ذلك لم يقف عائقا دون طلب العلم، حيث درس المقدمات فى مسقط رأسه حتى بلغ السادسة عشره، ثم سافر إلى مشهد عام ١٢٩٧ هـ و أقام فى مدرسه خيرات خان ثم مدرسه فاضل خان و بعدها فى مدرسه نواب، عاكفا على المطالعه و التحقيق فى الفنون الأدبيه و الاحاطه باللغه العربيه و الشعر العربى حتى بلغ مكانه رفيعه فى هذه المجالات، و بعدها باشر بتدريس الطلاب فى مشهد و استمر فى ذلك ثلاثا و أربعين سنه. و بقى عازبا حتى فارق الحياه فى عام ١٣٤٤ هـ.

بلغت أشعاره ما يقارب سته آلاف بيت شعر فى القصائد و الغزليات و الرباعيات، و هى فى الغالب على الطريقه الخراسانيه. و بالاضافه إلى الشعر ألف العديد من الرسائل فى العروض و شرح المعلقات السبع و تلخيص شرح الخطيب و [التبريزى و غيرها، و هى إلى الآن لم تطبع.

عبد الجواد بن عبد الرحيم باغبادرانى الأصبهاني:

فاضل خطيب من أعلام القرن الرابع عشر، له ميل إلى كلمات العرفاء و الصوفيه، و كان ينظم الشعر الفارسي و لكن نظمه ليس بالنمط العالى.

له "نسائم الرحمه".

الشيخ عبد الجواد بن محمد جعفر:

من أعلام أواخر القرن الثالث عشر، و كان معنيا بتفسير القرآن الكريم و مدرسا له، و هو فاضل أديب جامع لأطراف العلوم.

لعله الآباده اى الأصبهاني المذكور فى الكرام البرهه ص ٧٠٣.

له "تشریح الصلاة" كتبه سنة ١٢٧٩، و "تفسير سورة الفاتحه" كتبه سنة ١٢٨٠. (٢)

الميرزا عبد الحسين بن ملا أبو الحسن بن گل نظر التبريزى:

هاجر إلى النجف الأشرف للتحصيل فدرس على علمائها و أخذ عنهم الفقه و الأصول العالين، و الظاهر ان من جمله اساتذته الشيخ محمد حسن النجفى صاحب الجواهر، و بعد سنين عاد إلى وطنه تبريز و اقام بها مشتغلا بالوظائف الشرعيه و التأليف.

له "زبدہ الأحكام فى شرح شرائع الإسلام" أتم كتاب الصلاة منه فى سنة ١٢٧٨.

الميرزا عبد الحسين المعروف بالميرزا آقا خان و الملقب ب بهار الكرمانى:

من الشعراء المشهورين فى العهد القاجارى. و قد عرف إلى جانب شعره محققا و كاتبا مثقفا و متحررا، و وطنيا مخلصا كافح سنين طويله فى سبيل الحريه خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر.

كتب عنه السيد احمد الديوان بيگى الشيرازى فى تذكره حديقه الشعراء ما يلى: "اسمه عبد الحسين، و شهرته الميرزا آقا خان، كان يسكن فى بروسير من نواحي كرمان، و هو من أحفاد الميرزا محمد تقى مظفر على شاه. درس العلوم العقليه و النقليه من الرياضيات و الطبيعيات و الإلهيات، و درس لفتره اللغه الإنجليزيه و بعض العلوم التى يصطلح على تسميتها بالكيمياء و الفيزياء. التقيته صدفه فى مجلس باصفهان عام ١٣٠٢ هـ فرأيتة عالما مؤدبا. و هو مشغول الآن فى كتاب تراجم، و خصوصا تراجم شعراء أصفهان. رجوته أن يسمعى بعض شعره فقال: قليلا- أقول و لا- أحسن، فألححت عليه، فكتب لى بعض أشعاره و دفعها لى، و بعضها مثبت هنا" و من الطبيعى ان لقاء السيد احمد الديوان بيگى الشيرازى مع الميرزا آقا خان الكرمانى كان قبل سفر

ص: ١٢٠

١- السيد احمد الحسينى.

٢- السيد احمد الحسينى.

الأخير إلى طهران و اسطنبول و قيامه بالنشاطات الفكرية و السياسيه الوطنيه و تاليفه العديد من الآثار الثوريه، مثل: "آيينه اسكندري" و "تاريخ نامه باستان" أو "سالارنامه" التي جاءت على نمط الشاهنامه، و "يك مكتوب و صد خطابه" و غيرها من الآثار.

و الجدير بالذكر ان النظره الأدبيه للميرزا آقا خان الكرمانى تركت بصماتها فى المحققين و المؤلفين الايرانيين الذين جاءوا من بعده، مثل:

الميرزا جهانگير خان صور إسرافيل و بضعه نفر آخرين.

عبد الحسين اليافعى اليزدى:

ولد سنه ١٢٨٨ فى نفت [تفت] التابعه ليزد و توفى سنه ١٣٧٢ فى يزد.

أديب و كاتب و شاعر ايرانى. كان والده الشيخ محمد من أئمه الجماعه و الوعاظ فى يزد. بدأ المترجم دراسته الأولى فى بلده ثم تابع الدراسه فى يزد، ثم سافر إلى العراق للمزيد من الدراسه الدينيه. و بعد وفاه والده عاد لبلدته و خلف والده سنه ١٣١١ فمارس الوعظ و امامه الجماعه و نبغ فى الأدب الفارسى و قرض الشعر و كان يتخلص ب "ضبابى".

أغواه البهائيون فانتمى إليهم سنه ١٣٢٠ و قضى حوالى ١٨ سنه فى السياحه و الدعايه لهم و ألف كتاب الكواكب الدريره فى ماثر البهائيه، و بدل تخلصه الشعرى من ضبابى إلى (آواره) أى: (المشرد). و حل ضيفا على عبد البهاء فى حيفا لمدته ثلاثه أشهر. و بعد وفاه عبد البهاء سنه ١٣٤٠ سافر إلى اوربا و عاد منها كافرا بالبهائيه ناقما عليها كاشفا أحوالها. و اقام سنه ١٣٤٨ فى طهران مدرسا فى المدارس الثانويه الحكوميه و مال إلى التحقيق الأدبى فاصدر سنه ١٩٢٩ م نشره ادبيه انتقاديه باسم (نمكوان) استمرت فى الصدور بغير انتظام عدده سنين.

و كان خلال ذلك يواصل نظم الشعر متخلصا هذه المره ب (آيتى) و فى سنه ١٣٥٨ انتقل إلى يزد مدرسا فى ثانوياتها حتى وفاته.

ترك عدده مؤلفات منها: تاريخ الفلاسفه، و أشعه الحياه (شعر)، و الإنشاء العالى، و خردنامه (رساله العقل) (شعر)، و نفحه دل (نفحه القلب) شعر، و فرهنگ آيتى (معجم آيتى)، و عدده قصص و غير ذلك.

الشيخ عبد الحسين البغدادي بن الحاج جواد العطار البغدادي:

ولد فى بغداد سنه ١٢٨٠ و توفى فيها سنه ١٣٦٥ و دفن فى النجف.

بدأ بتحصيل العلم فى الكاظميه، و تدرج بها فى المراحل الأولى حتى تهيأ للمراحل العالیه فقها و أصولا، و عندها انتقل إلى سامراء أواخر أيام الميرزا محمد حسن الشيرازى، فأدرك بحثه مده قليله حيث توفى و عاد الشيخ إلى الكاظميه.

بقى قليلا- بالكاظميه ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فحضر على الميرزا حسين الخليلى الطهرانى و الشيخ محمد طه نجف و

المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى سنين عديده.

ثم ذهب إلى سامراء للمره الثانيه، و حضر بها أبحاث الميرزا محمد تقى الشيرازى، و بقى ملازما للحضور عليه و الاستفاده منه إلى حين انتقاله إلى كربلاء. ثم عاد إلى بغداد، فكان من أبرز رجال الدين و مراجع الأمور فيها.

ترك بعض المؤلفات الفقيهيه.(١)

السيد عبد الحسين الطيب:

ولد سنه ١٣١٢ فى أصفهان و توفى فيها سنه ١٤١٢ و دفن فى مقابر تخت فولاد باصفهان.

أحد أعلام أصفهان و أئمتها و درس المقدمات فى العلوم الإسلاميه و السطوح و بحث الخارج فى حوزة أصفهان العلميه و فى معاهدها على يد خيره اساتذتها كالسيد مهدي درجه اى و الشيخ حسن اليزدى و الشيخ عبد الكريم كزى و السيد محمد صادق المدرس و غيرهم.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف و حضر دروس أساطين الحوزه و أعلامها كالشيخ محمد حسين النائينى و السيد أبو الحسن الاصفهانى و الشيخ ضياء الدين العراقى عاد إلى أصفهان فكان فيها اماما للجماعه، و واعظا دينيا للشباب و مهذبا لأخلاقهم و مفسرا لهم القرآن، و مرجعا فى الفتوى و المسائل الشرعيه و مدرسا للعلوم الدينيه. و استمر على ذلك مده تزيد على ٥٠ سنه.

له من المؤلفات (١): أطيب البيان فى تفسير القرآن فى ١٤ مجلدا، امضى فى تاليفه ١٨ سنه (٢) الكلم الطيب فى العقائد ثلاثه مجلدات (٣) العمل الصالح فى الأخلاق.(٢)

عبد الحسين بن على جان السيفى الكابلى المشهدى:

ولد سنه ١٣٠٦، و أصله من كابل و سكن مشهد الرضا (ع)، و هو أديب فاضل شاعر بالفارسيه له ولع بنظم التواريخ، و الظاهر انه كان من الخطباء الواعظين.

له "تاريخه خراسان".(٣)

الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد طاهر بن الشيخ إسماعيل الدزفولى المتخلص فى شعره ب تجلى:

ولد فى دزفول سنه ١٢٧٤ و توفى فيها سنه ١٣٣٩.

من أكابر علماء عصره اصولى ثائر خطيب متكلم أديب شاعر أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء دزفول و تفقه على والده الشيخ محمد طاهر ثم هاجر إلى أصفهان سنه ١٣٠٨ و تخرج فى العلوم العقلية و النقلية على علمائها و نبغ فى فن الخطابه و كان من أعظم الخطباء فى عصره و فى الانقلاب الدستورى المعروف فى ايران ب (مشروطه) انضم إلى صفوف المناضلين و كان من أركان المشروطه فى أصفهان و دزفول و ألف كتابا فى المشروطه و الحكومه الإسلاميه. و المترجم له من

بيت علم و فضل و رئاسه و قد نبغ من أسرته علماء اعلام و أئمه فى الفقه و الأصول منهم جده الشيخ محسن أخ الشيخ أسد الله
التستري المتوفى سنه ١٢٣٤ صاحب المقابس و المترجم مفضلاً فى أعيان الشيعة المجلد الثالث

ص: ١٢١

-
- ١- السيد احمد الحسينى.
 - ٢- السيد احمد الحسينى.
 - ٣- السيد احمد الحسينى.

صفحه ٢٨٣-٢٨٥ و والده الشيخ محمد طاهر المتوفى سنة ١٣١٥ كان من أكابر العلماء فى عصره و هو مترجم أيضا فى أعيان الشيعة المجلد التاسع صفحه ٣٧٦ و خلف المترجم له ولدين الشيخ محمد على المعزى صاحب كتاب (تجديد الدوارس) و الشيخ ميرزا جلال، كما تخرج من هذا البيت الجليل علماء اعلام و شعراء إذاذ يطول بنا المقال بذكرهم.

ترك المترجم له مؤلفات منها ديوان شعر تخلص فى أوائل امره ب (بهار) ثم تخلص فى معظم أشعاره ب (تجلى) كما كان ينظم الشعر بالعربيه و هو شاعر مجيد متفن فى ضروب الشعر عذب الألفاظ و أكثر قصائده فى رثاء و مدائح الأئمه (ع) و أورد شعره الشيخ مرتضى المدرس الجهاردهى فى تذكرته(١) و له أيضا كتاب شرح بعض فصول نهج البلاغه (فارسى) و هو شرح لخطبه همام فى وصف المتقين، ككتاب شرح تبصره المتعلمين للعلامه الحلى لم يتم، كتاب ازاحه الشكوك و الأوهام از مشروطيت و دولت إسلام فرغ منه سنة ١٣٢٨ و هو فى الدفاع عن الانقلاب الدستورى المعروف ب مشروطه(٢)

الشيخ عبد الحسين الشيرازى بن الشيخ محمد طاهر:

ولد فى كربلاء سنة ١٢٩٧ و توفى ١٣٧٠ فى شيراز.

نشا و ترعرع فى كربلاء، و على علمائها تتلمذ ثم على علماء النجف.

كان فقيها أديبا شاعرا.

هاجر إلى شيراز و اشتغل بالإرشاد و الهدايه و قام بالوظائف الدينيه و كان يقيم الجماعه فى المسجد المعروف ب "مسجد سپهسالار" و ترك بعض المؤلفات الفقريه [الفقيهه].(٣)

عبد الحى بن عز الدين بن عبد الحى الحسينى الكبرى الزهدى اللارى، قطب الدين:

فاضل عارف صوفى، من اعلام النصف الأول من القرن الحادى عشر، له اطلاع و مشاركته فى العلوم الشرعيه، و أكثر اشتغاله بالنجوم و الفلك و العلوم الغريبه.

لعل "عز الدين" لقب له لا اسم والده و اشتبه ذلك على بعض من ذكر آثاره من المفهرسين.

له "حل و عقد" و "حل مسائل" و "سراج السالكين" و أتم الأخير فى ١٦ شهر رمضان سنة ١٠٣١.

الشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدى:

مترجم فى "الكرام البرره" ص ٧٢٣، و نقول:

أصله من "يزد" و سكن فى مشهد الرضا (ع)، و بلغ سنة ١٢٦٦ الستين من عمره كما صرح بذلك فى آخر رسالته "أنفسنا"، فيكون مولده سنة ١٢٠٦، و سافر فى السنه المذكوره لزياره العتبات المقدسه بالعراق و أقام حينها فى مدينه قم و كتب بها بعض رسائله.

كان بالاضافه إلى مقامه العلمى أديبا شاعرا بالفارسيه و ينقل بعض شعره فى مؤلفاته.

له من المؤلفات الفارسيه غير ما هو مذكور فى الذريعه "آداب نكاح" و "أصول دين" و "أنفسنا" و "شرح حديث: ما ترددت فى شىء أنا فاعله" و "فضل علم" و "معين الطلاب".

عبد الخالق بن محمد الجيلانى:

فيلسوف متبحر فى العلوم العقليه، من أعلام أواخر القرن العاشر و أوائل القرن الحادى عشر، قابل و صحح نسخه من كتاب "الشفاء" لابن سينا و كتب تملكه فى مواضع منها، و كانت المقابله مع شاه فتح الله الشيرازى، و قد ذكر مقابله له، أحد تلامذته بتاريخ ٩٨٨ و وصفه بأوصاف داله على سموه فى العلم و التحقيق.

الميرزا عبد الرحمن بن نصر الله الشيرازى المشهدى:

مترجم فى "نقباء البشر" ص ١٠٩٧، و وصفه أفضل الملك فى كتابه "سفرنامه خراسان و كرمان" بما ملخصه:

كان يدرس فى الآستانه الرضويه الفقه و الأصول و الكلام و العلوم الرياضيه، و له مكانه عند ولاه خراسان، و فيه صلاح و سداد موثوق به عند أهالى المشهد، جيد الإنشاء حسن الخط جدا.

أقول: توفى بعد سنه ١٣٢٠ التى سافر فيها أفضل الملك إلى مشهد الرضا و التقى للمره الثانيه بصاحب الترجمة، و قد وصف فى بعض المجاميع ب "الفارسى" نسبه إلى فارس منطقته شيراز.

له منشئات و مقامات عربيه تدل على تبحره فى الأدب العربى، و له شعر عربى.

عبد الرحيم بن إبراهيم الحسنى اليزدى:

مترجم فى "نقباء البشر" ص / ١١٠٠، و نقول:

يميل إلى تعاليم الشيخ احمد الاحسائى كما يظهر جليا من كتابه "كاشف الرموز"، و لكنه شديد الطعن على الحاج كريم خان الكرمانى و يعتبره ضالا مبذعا.

أديب شاعر بالفارسيه له: كاشف الرموز و غير ذلك. (٤)

السيد عبد الرحيم الرضى الحسينى العلوى:

فاضل عارف بالعلوم العقليه، و الظاهر انه من اعلام القرن الثاني عشر.

له رساله "علم الله" و "الحدوث و القدم و السرمذ" رساله فارسيه. (٥)

الشيخ عبد الرحيم بن كرم على الپاجنارى الأصبهانى:

عالم فاضل جامع لأطراف العلوم الدينيه، متتبع أديب شاعر بالفارسيه ضعيف الشعر، مائل إلى العرفان و يستشهد كثيرا بشعر الصوفيه، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و لعله أوائل القرن الرابع عشر.

ص: ١٢٢

١- انظر الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ٩ ص ١٦٧.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السيد احمد الحسينى.

٤- السيد احمد الحسينى.

٥- السيد احمد الحسينى.

مؤلفاته التي رأيتها رسائل فارسيه صغيره الا انها تتناول على الأكثر موضوعات غير مبحوث عنها مفردا.

له "رساله نخليه" و "رساله كلبيه" و "رساله رؤيتيه" و "رساله عصمته" و "رساله بترائيه" و ألف الأخيره فى سنه ٢٩٤.(١)

عبد الرحيم بن محمد مهدى الخلقى الخديجى:

فقيه عالم متبحر، من اعلام أواخر القرن الثالث عشر و لعله أوائل القرن الرابع عشر، ملك نسخه من كتاب "الروضه البهيه فى شرح اللمعه الدمشقيه" و كتب فى هوامشها قيودا و تعاليق تدل على كمال فضله و جليل موقعه من الفقه و أصوله، أجازته اجتهادا و روايه الشيخ زين العابدين المازندراني فى سنه ١٢٨٦ و قال عنه فى الإجازة:

"إن جناب العلامة الفهامه قدوه الفضلاء الفخام و نخبه العلماء العظام و زبده النجباء الأعلام نور بصرى و مهجه قلبى العالم النبيل و المحقق الجليل مصباح المحصلين و زبده المدققين صاحب المآثر الجليله الجميله جامع المفاخر البهيه المهذب الصفى النقى التقى العالم الألمعى و الفاضل الباذل اليلمعى السند الكامل و الزاهد الورع شمس الضحى بدر الدجى كهف العلى طود النهى كهف التقى علم الهدى... فحمدا لله ثم حمدا له بتفضله و امتنانه و كرمه بارتقائه إلى اعالي درجات الوصول فى استخراج الفروع من الأصول و تفضل بالملكه القدسيه و الدرجات العليه فى استنباط المسائل الفقيهيه من الأصوليه و قد وجدت له قابليه فى التحقيق بأحسن الطريق و حصل الاطمئنان باجتهاده و ديانتة و وثاقته و حسن سريرته و صفاء سيرته...".(٢)

السيد عبد الرحيم بن نعمه الله الموسوى القزوينى:

فاضل أديب شاعر بالفارسيه و التركيه، من سكنه قزوين و كتب مجموعه فى سنه ١٢٢١ فيها رسائل مختلفه و أبيات من شعره، و كان حيا فى سنه ١٢٣٦ التى وقف فيها كتبه.(٣)

الشيخ عبد الرحيم بن ولى محمد الأردبيلى:

من اعلام القرن الثالث عشر، تتلمذ على السيد كاظم الرشتى و ألف على طريقته الخاصه و كان الرشتى يعتمد عليه فى إرجاع بعض الأمور العلميه اليه، اقام مده فى النجف الأشرف لطلب العلم.

له "أجوبه مسائل بعض الاخوان" كتبها سنه ١٢٤٥.(٤)

الشيخ عبد الرزاق بن على أصغر الخائف القمى:

فاضل أديب شاعر بالفارسيه يتخلص فى شعره ب "خائف" كان سنين متماديه يتولى بيان المسائل الشرعيه للناس فى صحن السيده المعصومه (ع) فى قم.

توفى بقم سنه ١٣٧٠ و هو فى السابعة و الثمانين من عمره.(٥)

عبد الرزاق بن مير الجيلانى الشيرازى:

مذكور في أعيان الشيعة ٤٧١/٧، و نقول:

أصله من "رانكوه" من بلاد جيلان و ولد في شيراز و بها نشأ و عند علمائها درس و أخذ العلم، و هو من أعلام المحدثين في القرن الحادى عشر، يروى عن السيد نسيمى الركنى الشيرازى و الشيخ عبد على الحويزى و الشيخ صالح البحرانى، كما ذكر ذلك في إجازته التى كتبها للمولى محمد إبراهيم بن عبد الله البواناتى المؤرخه ١٤ شهر رجب سنه ١٠٨٤. (٤)

الشيخ عبد السلام بن عبد الله السلماسى:

فاضل متوغل في الفلسفه على طريقه الشيخيه، و هو من تلامذه الميرزا شفيح التبريزى، و يعظم كثيرا الشيخ احمد الاحسائى و من على طريقته.

له "جواب مسأله الله يار خان". (٧)

الشيخ عبد السميع بن فياض محمد الأسدى الحلى:

مترجم في "رياض العلماء" ١٢١/٣ و "أحياء الدائر" ص / ١٢١، و نقول:

متبحر في الفقه جيد التحرير من رجال القرن التاسع.

له "شرح الألفيه" و "حاشيه قواعد الأحكام". (٨)

الشيخ عبد الصاحب بن محمد جعفر بن عبد الصاحب بن محمد جعفر الخشتى الدوانى الفارسى، أبو الحسن:

مترجم في "الكرام البرره" ص ٧٣٥، و نقول:

اخبارى معتدل، سافر في سنه ١٢٥٩ إلى العراق لزياره العتبات المقدسه. يقول: انه كان في بدايه امره أصوليا ينتقد الأخباريين، فسافر إلى ايران و التقى بجماعه من علماء الأخباريين فمال إليهم، و بعد السفر إلى الحجاز و الشام و العوده إلى العراق توغل في الطريقه الاخباريه.

له إجازة الحديث من: الشيخ محمد حسن العصفورى البحرانى أجازة في يوم ١٩ جمادى الأولى سنه ١٢٤٥، الشيخ خلف بن عبد على العصفورى البحرانى أجازة في بوشهر ليله ١٩ جمادى الأولى سنه ١٢٤٥، الشيخ أبو إبراهيم محمد بن احمد العصفورى البحرانى أجازة بنفس التاريخ، الحاج ملا محمد الخراسانى، الحاج محمد حسن النيسابورى، ميرزا على النيسابورى الجزائرى، السيد محمد تقى الحسينى القزوينى أجازة في يوم السبت سابع شوال ١٢٤٣ و أول شهر رمضان سنه ١٢٥٢ في كربلاء، ملا حيدر الخالقي اليزدى أجازة في جمادى الأولى سنه ١٢٥٩. (٩)

عبد الصمد بن الحسين المحلاتى:

فاضل أديب مائل إلى العرفان.

- ١- السيد احمد الحسيني.
- ٢- السيد احمد الحسيني.
- ٣- السيد احمد الحسيني.
- ٤- السيد احمد الحسيني.
- ٥- السيد احمد الحسيني.
- ٦- السيد احمد الحسيني.
- ٧- السيد احمد الحسيني.
- ٨- السيد احمد الحسيني.
- ٩- السيد احمد الحسيني.

درس فى أصبهان على المولى محمد باقر الفشاركى و ميرزا يحيى "البيدآبادى ظاهر"، و كتب مجموعته فيها منظومات فقهيه و أصوليه فى سنة ١٢٨٧ و كتب فيها بعض الفوائد المستفاده منها.

و نسخ أيضا مجموعته فى سنتى ١٢٨١ - فيها رسائل و منتخبات تدل على فضل فيه و علم. توفى بعد سنة ١٢٩٥. (١).

الشيخ عبد الصمد بن عبد الكريم، شيخ الإسلام:

فاضل متبع، لعله من أعلام القرن الثانى عشر أو الثالث عشر، كتب مع اسمه "شيخ الإسلام" و لا نعلم انه لقب له أو منصب.

له "خلاصه الأذكار". (٢).

الشيخ عبد الصمد بن محمد حسين الهمدانى:

فاضل من أعلام القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الرابع عشر، يجل الشيخ احمد الاحسائى و على تعاليمه و الذب عنه كتب بعض الرسائل و المؤلفات.

له "علم إلهى". (٣).

الشيخ عبد العال بن محمد مقيم:

أتم مقابله "الصحيحه السجديه" و حاشيه الفيض الكاشانى عليها فى تواريخ آخرها سنة ١١٤٦، و كتب بامرته تلميذه نظام الدين الخوانسارى ترجمه الصحيحه و كتابه حواش فارسىه عليها فى سنة ١١١٠، و كتب بامرته تلميذه الآخر محمد رضا الخوانسارى ملحقات الصحيحه فى عاشر رمضان ١١١٦ و وصفه بقوله "حسب الأمر الأشرف الأقدس الأعلى شيخنا و أستاذنا و محققنا و مدققنا...". (٤).

الشيخ عبد العزيز اللنكرانى:

فاضل فقيه مدرس، أصله من لكران و كان يقيم بمشهد الرضا (ع)، استكتب بعض تلامذته كتابه الفقهى سنة ١٢٩١ و دعا له بالدوام و وصفه بقوله "الفقيه المجتهد الذى يقصر عن تحرير مدحه و أوصافه القلم".

له "الفقه". (٥).

الشيخ عبد العظيم بن الحسين الكاشانى البيدگلى:

فاضل جليل مشغول بالفقه، من اساتذته فى الدروس العاليه الميرزا أبو القاسم الجيلانى القمى صاحب "القوانين". مولده نحو سنة ١١٨٠ و كان يقيم بكاشان.

له "عائده العقبى" أتم جزأه الثالث فى سنة ١٢٤٩، و "خلاصه العائده". (٦).

الشيخ عبد علي بن احمد بن إبراهيم بن صالح بن عصفور الدرزي البحراني:

يروى عن جماعه كثيرين، منهم الشيخ عبد الله بن علي البحراني. وقد قرأ عليه أخوه الشيخ عبد النبي بن احمد كتاب "الروضه البهيه فى شرح اللمعه الدمشقيه" فأجازه فى آخر الجزء الأول بتاريخ شوال ١١٤٩، وقال الشيخ عبد الله عن أخيه على الورقه الأولى من الجزء الثانى "الشاب الذكى و الحبر التقى و القبس المضى و الشهاب الألمعى و الجواهر الدرى العالم القدسى و العامل الإنسى شيخى و أستاذى و من عليه فى أكثر ما كتبه من العلوم استنادى...".

عبد العلى الحسينى اليزدى:

كتب بخدمته الشيخ على بن يوسف العاملى فى يزد فى يوم الأربعاء ١٩ ذى الحجه ٩٩٣ كتاب "شرح مختصر الأصول" للقاضى عضد الدين الإيجى، و وصفه بقوله:

"فى خدمه المولى الأجل الأعظم ذى المجلس الرفيع و الجناب المنيع قدوه الساده و قطب دائره السعاده جامع شمل الشريعه الزهراء و السالك لطريقه آباءه الغراء... خلد الله ظلال سيادته و نقابته على العالمين إلى يوم الدين".

أقول: يظهر من هذا الكلام ان صاحب الترجمه كان نقيبا للساده فى مدينه يزد. (٧)

الملا عبد العلى البيرجندى:

توفى سنه ٩٣٤.

هو نظام الدين الملا عبد العلى البيرجندى بن محمد حسين عالم الرياضيات و المنجم الكبير فى أواخر القرن التاسع و أوائل القرن العاشر الهجرى. و قد بلغت شهرته فى أوائل القرن العاشر الهجرى شاوا بعيدا، حتى ان غياث الدين خواند مير كتب عنه فى حديثه عن حياته قائلا: "كان جامعا لأصناف العلوم المحسوسه و المعقوله و حاويا لأنواع مسائل الفروع و الأصول". و يضيف انه "كان عديم النظر فى علم النجوم و الحكميات" و قد ذكر خواند مير انه درس الحكمه و الرياضيات على يد منصور بن معين الدين الكاشانى، و قد كان معين الدين "أبو منصور" تلميذ و ابن أخت غياث الدين جمشيد الكاشانى و مساعده فى بناء مرصد سمرقند و تنظيم الزيج الكركانى (٨) الموسوم بالزيج (الألغ بيگى). و قد تتلمذ البيرجندى على عدد آخر من أساتذه هرات فى القرن التاسع الهجرى، و نهل منهم العلوم العقلية و النقلية، ثم باشر بشرح الكتب الرياضيه المشهوره و تأليف عدد من مشاهير الكتب فى العلوم الأخرى. و قد ورد بشأنه انه "كان يتصف بالتواضع و التقوى و الحلم و مراعاة الدين".

صنف البيرجندى العديد من المصنفات، أهمها: (شرح الفوائد البهائيه) فى الحساب، و الأصل من تأليف عماد الدين عبد الله البغدادى و قد شرحه الملا عبد العلى البيرجندى عام ٨٩١ هـ، و وصفه الحاج خليفه بأنه شرح كبير و مفيد جدا.

(شرح التذكرة النصيريه) فى الهيئه للخواجه نصير الدين الطوسى، و قد شرح كتاب الطوسى هذا عدة مرات لايجازه و اشتماله على مواضع

١- السيد احمد الحسينى.

٢- السيد احمد الحسينى.

٣- السيد احمد الحسينى.

٤- السيد احمد الحسينى.

٥- السيد احمد الحسينى.

٦- السيد احمد الحسينى.

٧- السيد احمد الحسينى.

٨- الزيج: معربه عن كلمه (زيگك) الفارسىه، و هى بمعنى الجدول الذى كان يستعمله القدماء لرصد النجوم و تعيين حركاتها.

موجزه و مضغوطه فى علم الهيئه، و قد ذكر الكاتب الجلبى (الحاج خليفه) هذه الشروح و ذكر معها شرح البيرجندى و قال بأنه لم يره.

و هذا الشرح مكتوب باللغه العربيه، و قد فرغ البيرجندى من تاليفه فى ربيع الأول عام ٩١٣ هـ، و ثمه نسخ موجوده منه فى الوقت الحاضر.

(شرح تحرير المجسطى) الذى كتب متنه الخواجه نصير الدين الطوسى أيضا، و كان فراغ البيرجندى منه فى عام ٩٣١ هـ.

(شرح الشمسيه) فى الحساب و متنه من تأليف حسن بن محمد النيسابورى المتوفى عام ٨٢٨ هـ.

(شرح الزيج السلطانى الجديد) (الزيج الكركانى من تأليف الخواجه نصير الدين الطوسى) فرغ من تاليفه عام ٨٩٣ هـ.

كتاب فى عشرين بابا فى معرفه التقويم و الاختيارات، و قد شرحه الملا مظفر الكنابادى.

شرح فى اللغه العربيه على الملخص فى الهيئه من تأليف محمود بن محمد الجغمينى الخوارزمى المتوفى عام ٧٤٥ هـ.

رساله فى الأبعاد و الكتل و موضوعها يتعلق بأبعاد النجوم عن مركز العالم و مقدار كتلتها، و كان الفراغ من تاليفها فى عام ٩٣٠ هـ. و كذلك (رساله تشریح دور پرگار) و كتاب: المسالك و الممالك أو عجائب البلاد، و التحفه الحاتميه فى الأسطربلاب، و رساله فى التقويم كتبها عام ٨٨٣ هـ و ألف كتبها سواها.

الشيخ عبد العلى بن محمد حسن بن ملا محمد حسين بن ملا حسن القاضى بن محمد باقر المغزى البسطامى:

ولد بقرية مغز (مزج) من توابع مدينه شاهرود، و بها نشأ و قرأ أوليات العلوم الدينيه، ثم هاجر إلى النجف الأشرف و تتلمذ على شيوخها فى الفقه و الأصول العالين، و منهم الشيخ حبيب الله الرشتى و الشيخ عبد الله المازندراني، و كتب متفرقات من تقارير أبحاث الأخير الأصوليه، ثم عاد نحو سنه ١٣٣٤ إلى مسقط رأسه "مغز" و اشتغل بالإرشاد الدينى و الأعمال الاجتماعيه معززا معظما عند الأهالى.

أجيز اجتهادا من المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى كما حدثنى بذلك حفيده و الشيخ محمد بن يوسف بن عبد العلى الرجائى المغزى.

له رساله "منجزات المريض" ألفها سنه ١٣٣٢ و "مجموعه متفرقات" فى الفقه و الأصول و فوائد أخرى.

توفى فى قريه "مغز" يوم السبت سابع ربيع الثانى سنه ١٣٤٧ (١) و دفن فى مقبرتها العامه. (٢)

الميرزا عبد الغفار التويسرکانى:

عالم جليل كثير الاطلاع فى العلوم الدينيه، أديب منشى شاعر بالفارسيه، و الظاهر انه غير السيد عبد الغفار الحسينى التويسرکانى

المترجم في "نقباء البشر" ص ١١٤٧ و سيذكر بعد هذا أيضا.

له "حقيقه ايمان" ألفه سنة ١٣١٠. (٣)

عبد الغفار بن علي محمد الأصبهاني:

فاضل له اطلاع في الجغرافيا و العلوم الرياضيه، من أعلام القرن الثالث عشر المتخرجين من "دار الفنون" بطهران.

له "أبعاد ما بين البلاد" ألفه سنة ١٢٧٩. (٤)

السيد عبد الغنى بن محمد معز الدين الحسيني

مذكور في "الكواكب المنتشرة" المخطوط، و نقول:

من العلماء الأفاضل، كتب نسخه من كتاب "شرائع الإسلام" في سنة ١٠٧٤ و في آخرها قيود علميه منه تدل على اطلاعه بالفقه و الحديث، ثم قرأ ولده السيد عبد العظيم الحسيني نفس النسخه على أبيه، ثم وهبها في سنة ١١١٩. (٥)

الشيخ عبد الغنى بن محمد رضا:

فقيه محقق بارع جيد التحرير نقى الكتابه، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر، اقام بالنجف الأشرف سنين و درس على أعلامها و كان بها في سنة ١٢٨٩. و يظهر انه كان له مكانه علميه معروفه بحيث يستفتى عنه في المسائل الفقهييه و يسأل رأيه فيها فيجب عليها فتوى و استدلالا.

و من رسائله "موقف الرجل و المرأه في الصلاه" و "لبس الحرير و الذهب في الصلاه" و "استعمال السعوط" و "البقاء على تقليد الميت" و "نبش القبر" و "تذكيه الحيوانات" و "الحبوه" (٦)

المولوى عبد الغنى بن أبى طالب الكشميري:

فاضل عالم منشئ شاعر بالفارسيه، له إلمام بالفقه و الأدب و التفسير و غيرها، من أعلام الهند في القرن الثاني عشر، تلميذ المولى محمد صالح الشهير بأقا بزرگ الأصبهاني و له منه إجازة الحديث.

له كتابه "الجامع الرضوى" بدأ به سنة ١١٦١. (٧)

علي بن عبد الفتاح بن محمد الطبسى الكيلكى:

قارئ له عنايه بعلوم القرآن الكريم، أصله من مازندران و سكن في مدينه يزد، ولد سنة ١٠٢٠ حيث ألف رسالته في التجويد سنة ١٠٨٣ و صرح فيها أنه في الثالث و الستين من عمره.

له "تجويد القرآن الكريم" (٨).

عبد الكاظم بن عبد العلى الشيرمى الجيلانى الأملى التنكابنى:

مذكور فى رياض العلماء ١٦١/٣ و نقول:

أصله من مدينه آمل و مولده فى تنكابن، و كتب فى نسبه "الشيرمى" و قال فى تعليقه منه على كتابه "قانون الإدراك": إن هذه النسبه إلى "شيرمه" طائفه من أهل مدينه آمل.

رأيت مجموعه من الرسائل كتب بعضها المترجم له و علق عليها

ص: ١٢٥

١- كذا بخط الشيخ يوسف ابن صاحب الترجمه، و حدثنى حفيده الشيخ محمد ان تاريخ الوفاه على لوح قبره (١٣٤٤) و هو خطأ.

٢- السيد احمد الحسينى.

٣- السيد احمد الحسينى.

٤- السيد احمد الحسينى.

٥- السيد احمد الحسينى.

٦- السيد احمد الحسينى.

٧- السيد احمد الحسينى.

٨- السيد احمد الحسينى.

بعض التعليقات بتوقيع "عبد الكاظم"، و في المجموعه "شرح بدايه الدرايه" للشهيد الثاني و قد قرأه التنكابني عند الشيخ بهاء الدين العاملی فأجازه في آخره بتاريخ ثالث شهر رجب سنة ١٠٠٨ في مشهد الرضا (ع) و سماه "محمد كاظم" و قال عنه "قرأ على الأخ الأعز و الأفضل الأجد الذكي الزكي الألمعي اللوذعي سماء الإفاده و الأخوه و الدين...".

و قد أجازه أيضا في نفس المجموعه إجازة اخرى صرح فيها بان التنكابني قرأ عليه جملة جميله من العلوم العقلية و النقلية و الفنون الأدبيه و الشرعيه و ذكر كثيرا من الكتب التي قرأها المترجم له عليه، كتب هذه الإجازة في مشهد الرضا (ع) أوائل شهر شوال سنة ١٠١٠ و قال عنه فيها "فان الأخ الأجل الأفضل واسطه عقد الإخوان العظام صدر جريده الخلان الكرام ذا الذهن الوقاد و الطبع النقاد و التدقيقات الفائقة و التحقيقات الرائقة شمسا للإفاده و الإفاضه و الأخوه و التقوى و الدين...".

و من مؤلفاته كتاب "قانون الإدراك في شرح تشريح الأفلاك"، و رأيت منه نسخه إجازة على الورقه الأولى منها لتلميذه ملك عز الدين بن محمد شرف النويري في البقعه الرضويه سنة ١٠٣٠، و سمي نفسه في مقدمته و خاتمته و في الإجازة "محمد كاظم". (١)

الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن علي نور الدين بن احمد بن مفلح الميسي العاملي:

كتب على بعض المخطوطات تاريخ وفاه والده الشيخ إبراهيم الميسي في سنة ٩٧٩. (٢)

السيد عبد الكريم الحسيني:

نقل عنه المولى محمد رفيع بن محمد شفيح القزويني في كتابه "محي القلوب" بعض الأحاديث واصفا له ب "مجموعه آفاق دانشوري"، و المظنون انه من اعلام القرن الحادى عشر.

له "ضياء العيون". (٣)

السيد عبد الكريم بن جمال الدين الرضوى القزويني:

من علماء قزوین ظاهرا، أوقف كتبه ولده السيد عبد الباقي بعد وفاته في سنة ١٣٠٩ و وصفه بقوله "علامه العلماء و شيخ الفقهاء و رئيس المحدثين و فخر المجتهدين..". (٤)

عبد الكريم بن سلطان محمد التبريزي:

من اعلام القرن العاشر، اهدى نسخه من كتاب "الوسيله" لابن حمزه إلى الشيخ محمد بن خاتون العاملی و يبدو مما كتبه على النسخه انه كان عالما ذا فضل و فقه. (٥)

الميرزا عبد الكريم بن عبد الغنى الطبيب الجيلاني:

فاضل أديب حسن الإنشاء في الفارسيه، كان يزاول الطب و هو من اعلام أوائل القرن الثالث عشر. له "ترياق أعظم". (٦)

الشيخ عبد الكريم بن محمد رضا الحسينى اللاهجى:

عالم جليل طويل النفس فى مباحثه العلميه، من اعلام القرن الثالث عشر. درس عند أفاضل أصبهان، و من اساتذته الشيخ محمد تقى الأصبهانى صاحب "هداياه المسترشدين" و ذكر فى مقدمه كتابه استاذاً آخر قرأ عنده علم أصول الفقه و احترامه كثيراً و لم يسمه الا بأنه "سمى الصادق".

له "الرساله المشقيه فى الظنون الاجتهاديه" (٧).

عبد الكريم بن المرشد الجيلانى:

فاضل متتبع، من أعلام القرن الثالث عشر و كان يميل إلى العرفان و التصوف.

له "التحفة العلويه" ألفه سنه ١٢٣٤. (٨)

المولى عبد الكريم بن محمد هادى الشهابى الكرىنى الطبسى:

مترجم فى "الكواكب المنتثره" المخطوطه، و نقول:

فاضل جليل له اهتمام بعلوم الحديث، أديب قال فى تاريخ ولاده ابنه محمد حسين المولود سنه ١١٢٤:

لتاريخه العقل أنهانى و بشرنى فى مثله كان إبلاغ طه و يس

قرأ نسخه من كتاب "من لا يحضره الفقيه" و علق عليها حواشى داله على تبحره فى العلوم و الآداب، و أجازته روايه الكتاب و غيره بهاء الدين محمد بن الحسن المعروف بالفاضل الهندى فى آخرها. (٩)

السيد عبد الله البلادى بن السيد أبى القاسم:

ولد سنه ١٢٩١ فى النجف.

مرت ترجمته فى المجلد الثامن من (الأعيان) و نزيد على ما هنالك ما يلى:

انحدر من بيت علم و فضيله و زهد و ورع و تقوى، و أبأؤه علماء قضوا حياتهم فى بث العلوم الإسلاميه و الإرشاد.

فأبوه السيد أبو القاسم و جده السيد عبد الله و أبو جده السيد على و جده الأعلى السيد محمد المعروف بالكبير كلهم أعلام معروفون فى مناطق الخليج و خوزستان و نواحى بوشهر و شيراز.

و أما جده الأعلى السيد عبد الله البلادى الأول المعروف بالغريفى فقد كان من أعيان علماء عصره يروى عنه إجازة الشيخ يوسف البحرانى صاحب الحقائق كما ذكره فى لؤلؤه البحرين ص ٩٢، و الساده البلاديون فى شيراز و بهبهان و بوشهر و طهران

-
- ١- السيد احمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- السيد أحمد الحسينى.
 - ٦- السيد أحمد الحسينى.
 - ٧- السيد أحمد الحسينى.
 - ٨- السيد أحمد الحسينى.
 - ٩- السيد أحمد الحسينى.

الأشرف و البحرين كلهم من أولاده، و قبره فى بهبهان مزار مشهور.

و من أجلاء هذا البيت السيد إسماعيل البهبهاني والد السيد عبد الله البهبهاني والد السيد محمد البهبهاني، و السيد مهدي البلادي الغريفي النجفي النسابة، و السيد عدنان المتوفى سنة ١٣٤٠ و الذي كان فى مدينه خرمشهر، و غيرهم.

و قد خلف المترجم له أولادا ذكورا من خمسة أزواج هم: أبو المعالي السيد محمد مهدي المتوفى سنة ١٣٨٥، أبو المكارم السيد إسماعيل، أبو المحاسن السيد إسحاق، أبو الفضائل السيد على، أبو المحامد السيد محمد صادق، السيد أبو القاسم المدفون بشيراز، السيد أبو المناقب المدفون ببوشهر. و أولاده الإناث ثلاث: زهراء، فاطمه، بدر السادات خديجه.

كانت دراسته للمقدمات و أكثر كتب السطوح فى بوشهر و شيراز، ثم هاجر إلى النجف الأشرف فى سنة ١٣١٩ و بقى بها إلى سنة ١٣٢٦، حيث أكمل السطوح و حضر دروس الفقه و الأصول خارجا على أساطين العلم فى عصره.

قرأ النحو و الصرف و المنطق و البيان عند السيد أسد الله الأصفهاني و السيد محمد حسن البرازجاني و الشيخ إسماعيل شارح دعاء الجوشن و السيد عبد الهادي البهبهاني و الشيخ محمد رحيم الكازروني.

و قرأ الطب عند السيد عبد الرضا الطيب البوشهرى.

و قرأ الهيئة القديمه و التقويم عند السيد مرتضى الشيرازى، و الهيئة الحديثه و الحساب عند الشيخ حبيب الله الأراكى السلطان آبادى.

و قرأ السطوح عند عمه السيد محمد مهدي البلادي المعروف بعلم الهدى و السيد محمد الكاشاني و السيد محمد على البهبهاني و السيد سليمان الملقب بصدر الإسلام البهبهاني. و قرأ التفسير عند والده السيد أبو القاسم البلادي.

و فى النجف الأشرف أكمل السطوح عند السيد عباس الكربلائي و الشيخ يوسف الشفتى و السيد أسد الله الإشكورى و الشيخ أسد الله الزنجاني.

و أما خارج الأصول و الفقه فقد كان تتلمذ على الشيخ عبد الهادي شليله البغدادى و السيد محمد بحر العلوم صاحب البلغه و المولى فتح الله شيخ الشريعة الأصبهاني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني.

كان فقيها أصوليا محدثا، عارفا بالتفسير و الكلام و الفلسفه، ذا اطلاع على العلوم الرياضيه و له إلمام بالطب.

و كان بالاضافه إلى كل ذلك ذا باع واسع فى الأدب، يقول الشعر فى المناسبات الدينيه و الاخوانيه، و جمع شعره فى ديوانين عربى، و فارسى.

بعد أن أكمل دراسته فى النجف الأشرف، عاد إلى ايران فى سنة ١٣٢٦ و القى رحل أقامته فى مدينه "بوشهر"، فقام هناك بالوظائف الشرعيه من إمامه الجماعة و الإرشاد و نشر الأحكام و التأليف و التدريس. و ظل فى بوشهر حتى وفاته. (١)

السيد عبد الله الرضوي الجائسي الهندي:

فاضل أديب له شعر بالفارسيه، و الأردويه رأيت من شعره قصيده رثائيه نظمها في سنه ١٢٧٤. (٢)

السيد عبد الله السبزواري بن السيد حسن:

ولد في مدينه سبزوار سنه ١٣٠٤ و توفي فيها سنه ١٣٨٠.

ربي في احضان والدته العالمه و عندها تعلم القراءه و الكتابه، و بدأ دراسه الأوليات العلميه و المقدمات على والده، و استمرت تلمذته عليه إلى مقدار من كتاب "المعالم" في الأصول و "رياض المسائل" في الفقه.

ثم تتلمذ على الشيخ أبي القاسم الدامغاني و الميرزا إسماعيل الملقب بافتخار.

ثم حاضر خارج الأصول و الفقه على الميرزا إسماعيل العلوي.

و العلوم العقلية و الفقه على الميرزا حسين السبزواري.

و يبدو من إجازته أنه حضر برهه من الزمان في النجف الأشرف أبحاث السيد أبو الحسن الأصفهاني.

كان أكثر اشتغاله بالخطابه و المنبر الحسيني، فتجول في كثير من مدن خراسان واعظا مرشدا، كان أديبا شاعرا باللغه العربيه و الفارسيه.

ترك عدده مؤلفات منها: حاشيه على الأسفار غير تامه، البداء و هو تقريرات أحد اساتذته مع آرائه الخاصه. (٣)

السيد عبد الله البهبهاني بن السيد إسماعيل

كان الأب: السيد إسماعيل (السيد نصر الله) في سلك علماء الدين في بهبهان، و لكنه لم يكن بدرجه الاجتهاد، و إنما نال السيد إسماعيل مقام الاجتهاد في النجف، و اختار الإقامة في طهران في زمان سلطنه محمد شاه قاجار، و حظى شيئا فشيئا بعنايه ناصر الدين شاه، و غدا محور اهتمام أهل طهران و صار مجلسه مكانا لفصل قسم من مرافعات الناس.

كان للسيد إسماعيل أولاد متعددون، أكبرهم السيد عبد الله.

ولد السيد عبد الله حوالي سنه ١٢٦٠، و تلقى أوليات الدروس و مقدمات العلوم الشرعيه ثم توجه إلى النجف و أدرك فيها مجالس بحث كبار علماء الدين كالشيخ مرتضى الأنصاري و السيد محمد حسن الشيرازي و السيد حسن الكوه كمرى، و عاد إلى طهران في حدود سنه ١٢٩٥، و نال مقام والده بعد موته، و أوجد لنفسه موقعا في حوزة طهران العلميه في (مرو [مروى]) بما تميز به من ذكاء فطري و صراحه في البيان.

كان البهبهاني أحيانا يخطو على خلاف ما يجرى عليه المجتمع الفقهاءى إبرازا لاستقلال فكره و شخصيته. كما حدث فى خصم الجدل الذى دار حول اتفقيه حصر امتياز التباك التى أوعز فيها الآشتيانى (٤) - مجتهد طهران النافذ - إلى الناس بالثوره، و نشر فى جميع أنحاء إيران فتوى "السيد الشيرازى" المشهوره و التى تتضمن تحريم (التباك)

ص: ١٢٧

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- الميرزا محمد حسن الآشتيانى، كان مجتهدا لامعا، توفى سنه ١٣١٩.

و استعمال أنواع الدخان (سنة ١٣٠٩). ففي المجلس الذي دعت اليه السفاره العثمانيه، تناول السيد البهبهاني لفافه تيغ (سيكاره) و أشعلها بحضور علماء الدين و المدعوين من دون أى محاباه لهم، و هتك بذلك حرمة التحريم، و قال فى جواب اعتراض بعض العلماء عليه: "أنا مجتهد، و أنا عارف بتكاليفي"، و أفتى صراحه بان اتفقيه حصر التباك هي مفيده، و لا مانع شرعى أيضا من استعمال التباك.

كان هذا التاريخ مبدأ جلب البهبهاني انتباه و اهتمام (الأتابك)،^(١) و كان الأتابك يحيل إليه - أحيانا - دعاوى الدوله، و شيئا فشيئا توطدت علاقته بالأتابك، و كانت هذه الصداقه مهمه جدا للبهبهاني فى بسط نفوذه و توسعه المادى، و خلال مدته السنه و النصف التى كان فيها الأتابك عاطلا عن العمل و منهمكا فى قم باعداد الدسائس ضد الدوله، كان البهبهاني يبذل مساعيه لإعادته. و بعد عوده الأتابك، أدت كثره القروض و التكاليف الباهظه لرحلات مظفر الدين شاه، إلى ائتلاف مجموعه من الوطنيين مع مخالفى الأتابك و قاموا بتظاهرات مضاده له، و أشعلوا ألسنه النقد و الاعتراض عليه، و لكن الأتابك لجا إلى إهدار مقادير من الأموال غير المتعوب عليها و استطاع بمساعدته أنصاره و معاونيه إسكات مخالفيه.

و على مدى حوادث دوره الثالثه لتصدى الأتابك كان البهبهاني فى الصف الأول من المدافعين عنه، كما كان يستفيد من علاقته الحميمه به.

أدت القروض المتتاليه، بالشروط الصعبه التى كانت جميعها مضره لايران، إلى اختلال التوازن فى السياسه الخارجيه، و أضحت البلاد أسيره بيد الروس.

لقد دفع النفوذ المتزايد لدوله روسيا و سياسه الجانب الواحد لدوله إيران، إلى ترسيخ عزم مخالفى الأتابك فى معارضتهم، و انضم إليهم كل من الشيخ فضل الله نوري و السيد محمد الطباطبائي.

و فى تلك الأوقات، سافر هاردينك الوزير الانكليزى المنتدب، برفقه تشرشل مدير السفاره الإنكليزيه إلى الخليج الفارسي، بدعوه من اللورد كرز (نائب الملك فى الهند) و أجروا معه مباحثات حول إيران، و توجهوا معه إلى بغداد و النجف، ثم عادوا إلى طهران، و هناك ضغطوا على مظفر الدين شاه لطرده الأتابك.

كفر علماء النجف الأتابك^(٢)، و كانت النهايه أن اشتدت عليه الضغوط الداخليه و الخارجيه فانجرت إلى استعفاء الأتابك و خروجه من إيران، و حل مكانه عين الدوله (سلطان عبد المجيد ميرزا) فى شهر رجب سنة ١٣٢١.

كان عين الدوله رجلا قويا و ذكيا، و لكنه كان لا يتمتع بتدبير الأتابك و سياسته و حلمه، و لم يتعلم أيضا من عاقبه الأتابك، و مال فى سياسته الخارجيه إلى الروس، و لكنه سلك فى السياسه الداخليه ممشى مخالفا لما سار عليه الأتابك، فعزل جميع أنصار الأتابك من المراكز الحساسه، و استبدل الاقتراض الخارجى بضرائب فرضها على الوزراء و الحكام و أصحاب النفوذ فى الداخل ليسد عجز الخزينه، كما أخذ من الميرزا نصر الله خان مشير الدوله وزير الخارجيه مبلغ مائه ألف تومان، و من شوكت الملك حاكم قائنات ثلاثين ألف تومان، و مبالغ كبيره من نصر السلطنه التنكابنى و أمير أفخم همدانى و أمثالهم بعنوان (الخلو) لأعمالهم.

و من البديهي أن هذه الأموال لم تكن تخرج من الجيوب المباركة! لأصحاب المقامات، بل كانوا يجنون أضعافها من الأرباح و ينفقونها فى التجملات و شراء الأملاك و المنتزهات و الادخار و الرحلات.

و كما طرد عين الدوله أنصار و أعوان الأتابك، كذلك لم يعتن بالمجتهدين الذين كانوا مقربين إليه، بل كان يتصرف تجاههم بغرور و كبرياء. و بما أن البهبهاني كان مقربا من الأتابك، فلذا نالته سوء معامله عين الدوله، فقطعت عن محضره مرافعات الدوله، و غدا الشيخ فضل الله نوري - الذى كان مخالفا للأتابك و متفوقا علميا على أكثر علماء طهران - موضع عنايه عين الدوله، فكانت الأعمال الأساسية تحول إليه أو إلى السيد على أكبر تفرشى.

غضب البهبهاني من الوضع الذى آل إليه أمره، و اشتد حنقا عند ما رد عين الدوله المغرور، عدة مرات، توقيعاته بشده و أجاب عليها بصراحه، فبدأ يضم له الخصومه و العدا.

و فى هذه الأيام - المصادفه لأوائل ولايه عين الدوله - حدث نزاع بين طلاب مدرسه الصدر و طلاب مدرسه المحمديه (لأجل السيطرة على المدرسه الآصفيه، فأصيب بالجراح عدد من طلاب مدرسه الصدر الذين كانوا يحاولون السيطرة على المدرسه الآصفيه، بواسطه المدافعين عنها من طلاب المدرسه المحمديه. فاصدرت حكومه طهران أمرا بملاحقه معتمد الإسلام الرشتى الذى كان المحرك لطلاب المدرسه المحمديه، فالتجا إلى منزل البهبهاني و اختفى فيه.

ضاق طلاب مدرسه الصدر من البهبهاني، و أثارهم - سرا - السيد أبو القاسم إمام الجمعة، فقاموا بمهاجمه البهبهاني أثناء عودته فى إحدى الليالى من منزل الشيخ فضل الله، و مع أن البهبهاني لم يصب بأذى و فر بمهاره من أرض المعركه، إلا أن أنصاره رفعوا شكوى بالحادث إلى حكومه طهران التى بادرت - بامر من عين الدوله - إلى اعتقال ثلاثه عشر طالبا من طلاب مدرسه الصدر، و قيدتهم بالسلاسل و طافت بهم فى عربه تجرها الدواب فى شوارع المدينه، ثم سلمتهم خارج أبواب المدينه إلى شرطه (أمير بهادر) و أبعدها إلى أردبيل (بما أن العدد ثلاثه عشر هو رقم نحس، فلذا أضاف إليهم ضباط أمير بهادر طالبا بريئا!).

أحدث اعتقال الطلاب بهذه الطريقه المهينه حاله من الهيجان فى طهران، فأرسل البهبهاني رساله إلى عين الدوله يصفح فيها عن الالهانه التى وجهت إليه، طالبا إطلاق سراح الطلاب. و لكن عين الدوله رفض طلبه و رد بشده و غلاظه قائلا: "ليس لك أن تتدخل فى شئون الدوله".

و بهذا الابعاد المشين للطلاب، أظهر عين الدوله معارضته لرجال الدين بكل وضوح، و أثار الرأى العام عليه، و كانت هذه إحدى شطحاته السياسيه.ك.

ص: ١٢٨

١- هو ميرزا على أصغر خان أتابك.

٢- ليس لهذا التكفير أى علاقه بسفر هاردينك.

و في هذه الأثناء التي كان يسعى فيها البهبهاني ليجد مبررا لبيروز معارضته علنا، نشرت في طهران صورته (للمسيو نوز) (1) مع معاونه البلجيكي و هما بلباس رجال الدين، و أثارت غضب المجتمع الفقهاء. و كانت هذه الصورة قد التقطت في إحدى المجالس و أعطيت للأتابك لمحض الذكرى، فتمكن الميرزا مصطفى الآشتياني من استخراجها من منزل الأتابك.

و في أيام محرم ١٣٢٣، اعتلى البهبهاني المنبر في منزله، و أظهر صورته (نوز) للناس، و تكلم بلسانه اللبق عن الاهانة الموجهه إلى لباس رجال الدين و عن الأضرار التي ألحقها نوز باقتصاد البلاد، و طالب بعزله.

و قد حرك كلام البهبهاني الناس في البازار فتظاهروا ضد (نوز).

كان (نوز) قد استخدم في زمن أمين الدوله، و أتى إلى ايران سنة ١٣١٦ مع اثنين من معاونيه في الدوره الثالثه لصداره الأتابك، و كان يقوم بدور رئيسي في ترتيب القروض و حفظ المنافع الروسيه لمدته ست سنوات، و رغم ذلك لم يبد البهبهاني و التجار مدته السنوات الست تلك أي اعتراض على تصرفات نوز، بل كان دفاعهم عن الأتابك و قروضه يحمل ضمنا تأييدهم لأعمال نوز.

أما الآن فقد اختلفت الموازين، لقد صار موضوع نوز حجه لمخالفه الدوله لأجل بلوغ أهداف سياسيه أكبر، كما أن السفاره الإنكليزيه التي كانت تعتبر نوز أحد أقوى عوامل السيطره الاقتصاديه و السياسيه الروسيه في إيران، استفادت من الظرف الراهن و انشغلت باثاره الناس في معارضه نوز.

فاضطر نوز بعد عده أشهر لمغادره البلاد إلى أوروبا، بعنوان الإجازة.

و في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٣، بدأ السفر الثالث لمظفر الدين شاه إلى أوروبا، و كان سفرا مليئا بالأضرار و بلا أيه فوائد، و رافق عين الدوله الشاه في هذا السفر. و قدم إلى طهران ولى العهد محمد على ميرزا ليتصدى لإداره البلاد في غياب الشاه.

توجه ولى العهد إلى منزل البهبهاني و أعطاه - على ما يقال - مبلغا من المال طالبا منه أن لا يقوم بما يعكر الأجواء [الأجواء] و يخرق هدوء العاصمه حتى عوده الشاه، و هكذا حصل. فلم يحدث في غياب الشاه أي حادث مهم سوى اعتصام التجار في مقام (عبد العظيم) ضد نوز، و انتهت هذه الحادثه بجهود ولى العهد.

و في شهر شعبان [١٣٢٣] عاد الشاه و عين الدوله و المرافقون إلى العاصمه، و ابتداء من هذا التاريخ بدأ البهبهاني يعمل بعزيمه راسخه، فدعا بواسطه معتمد الإسلام و الميرزا مصطفى الآشتياني عددا من رجال الدين للتعاون معه في مخالفه الدوله، و لكنه لم يلق استجابته تامه، و وافقه في ذلك السيد محمد الطباطبائي بشرط أن لا يكون هناك أيه غايات و مارب شخصيه.

كان الطباطبائي يعتقد بان عزل علاء الدوله و نوز هو هدف صغير، و يجب أن يكون الهدف أكبر من ذلك. و صار يميل شيئا فشيئا إلى إيجاد بيت العداله (أو محكمه العدل (عدالتخانه) و أن يرسل ممثلي و نواب الشعب إلى بيت العداله لمراقبه أعمال الدوله.

و في ليله ٢٥ شهر رمضان ١٣٢٣ توجه البهبهاني إلى منزل الطباطبائي و تحالفا جاعلين هدفهما عزل عين الدوله و تأسيس (بيت

العدالة). و من حينها فصاعداً أضحى انتقاد الدوله علنياً، و بدأ البهبهاني و الطباطبائي بدون أيه خشيه و وجل يوقظون أفكار الشعب، و علت على المنابر أصوات الوعاظ أمثال (الشيخ الرئيس قاجار) و (سلطان المحققين) و (بهاء الواعظين) و (السيد جمال الدين) و (ملك المتكلمين) طارحه مواضع: الحريه و العدالة و القانون، ساعين إلى إثارة الرأي العام. و انتفض مخالفو الدوله و أنصار الأتابك و جمع من التجار مؤيدين البهبهاني و الطباطبائي سرا و علانيه، و وصلت إليهما في هذا السبيل مساعدات ماديه و معنويه.

و كانت الدوله الإنكليزيه عازمه بعد فراغها من حروب إفريقيا على تغيير وضع حكومه إيران، و تحصيل موقع مميز في سياسه هذه الدوله، فاستفادت من هذه الحوادث و بدأت بتحريك المخالفين و تقويتهم.

و طلب عدد من العاملين في تلك السفاره اجراء لقاءات مع رؤساء المشروطه (المطالبين بالحكم النيابي الدستوري)، مقدمين الضمانات اللازمه على أن السفاره لن تتوانى في تقديم المساعدات الماديه و المعنويه في سبيل تحصيل الحريه و تغيير الحكومه حتى النصر النهائي. و أدت هذه الاتصالات و الضمانات إلى تشجيع المخالفين، كما قدمت السفاره العثمانيه مساعدات أيضاً، و كانت النتيجة أن تعاضمت قوه تشكيلات مخالفى الدوله بقياده البهبهاني و الطباطبائي.

و في هذه الأثناء ارتفع سعر السكر في طهران، حيث اتخذ التجار المحتكرون من الحرب الروسيه اليابانيه ذريعه لرفع "من" السكر من خمسسه ريالاً إلى سبعة ريالاً، و لكي يقوموا بذلك أخفوا السكر لعدده أيام، فبدأت قصه تأديب التجار المحتكرين.

و في الرابع عشر من شهر شوال [١٣٢٣] أضرب بإزار طهران، و اجتمع الناس في (مسجد الشاه) و أيدهم مجموعه من رجال الدين، و طالبوا بعزل علاء الدوله. و أقدم السيد أبو القاسم إمام الجمعه على اتخاذ بعض الاجراءات ليلفت أنظار التجار و يهدئ الوضع، و لكنها لم تفد.

و صعدت دوله عين الدوله المغرور من اجراءاتها اعتقاداً منها أنها تستطيع أن تمنع جميع الحوادث بالقوه. فاضطر البهبهاني و الطباطبائي و السيد (جمال أفجه ئي) و عدد آخر من المجتهدين و معهم مجموعه من الطلاب و التجار إلى اختيار الاعتصام في مقام عبد العظيم.

و بدأت جموع الملتجئين إلى المقام تزداد يوماً بعد يوم، و تصاعدت نبره الخطابات المضاده للدوله و مؤسساتها، و كان مخالفو عين الدوله و أنصار الأتابك و ظل السلطان و سالار الدوله يتولون مصاريف اقامه الآلاف المؤلفه المتحصنه في المقام، كما أن السفاره الإنكليزيه دعمت هذه الانتفاضه سرا بمقادير من الأموال، و كان التجار أيضاً يدفعون مبالغ من الأموال. و رغم ما اشتهر و أذيع من أن الحاج محمد تقى و الحاج محمد حسن و التجار هم الذين يتولون كفافه المصارف، إلا أن الواقع لم يكن كذلك، بل الحقيقه أن الحاج محمد تقى و أخاه كانان.

١- كان نوز كالأتابك، سدا محكما فى وجه الإنكليز، و كان يدير السياسه الاقتصاديه لايران لصالح الروس، و يمنع نشاطات الإنكليز حيثما وطات أقدامهم حتى فى سيستان و بلوجستان.

يتوليان إنفاق هذه الأموال، كما أن مقادير منها ذهب إلى جيوبهما و إلى بعض أبناء الوجهاء و أهل المنابر.

كان مطلب المعتصمين هو عزل علاء الدوله و طرد المسيو نوز و إقرار بيت العدالة. و أرسل (مظفر الدين شاه) الأمير بهادر ليقابل رؤساء المعتصمين، و لكنه لم يفلح. و عند ما سمع الشاه بان المعتصمين يريدون تأسيس بيت العدالة، قال متعجبا: "إن السيد محمد يريد الجمهوريه، و هذا لن يحصل أبدا في إيران، و السيد عبد الله و سائر رجال الدين لهم غرض شخصي من ذلك كله لأن بيت العدالة لو تأسس فان أول دفعه ستكون إقفال أبواب منازلهم".

و على كل حال، فبعد شهر من الاعتصام، رد الشاه إيجابا على دعوات المعتصمين، و في يوم ١٦ ذى القعدة [١٣٢٣] عاد قاده المعتصمين إلى المدينه بالعربات الملوكيه، و اجتمعوا مع الشاه في قصر (گلستان) بحضور عين الدوله. و قد ازدادت [ازدادت] المدينه بالأضواء بهذه المناسبه، و قام عين الدوله بزيارات لزعماء الحركه.

و من البديهي أن الهدف الأصلي لهذا الاعتصام كان معلوما فقط لرؤساء المعتصمين، و أما باقي الناس فإنهم كانوا يعتصمون و يتجمعون إما تبعا لرجال الدين أو لمصالح شخصيه أو لعلاقات صداقه أو لعواطف وطنيه أو دينيه.

و على أى حال، فقد عزل علاء الدوله، و أعيدت الموقوفات التي انتزعت من رجال الدين لدى هجرتهم للاعتصام في مقام عبد العظيم، و استقرت الأوضاع مؤقتا.

في هذه الأثناء، كانت تتشكل منظمات سريه في كل حذب و صوب.

و من تلك المنظمات منظمتان تحملان اسم (أنجمن كتابخانه) و (أنجمن مخفی) بقيادة السيد نصر الله سادات أخوى (١) و السيد محمد صادق الطباطبائي.

إضافه إلى الأفراد المصلحين و طالبى الحريه، كانت هناك جماعه من أصحاب الأغراض الفاسده تسعى لتأسيس منظمات و تجمعات سياسيه، و كان الشعب المقهور و المحروم الذى قضى السنين تحت سياط عمال الاستبداد مقدا و جوده للناهيين و أصحاب النفوذ، جاهلا تماما بالتحركات و الأهداف التي تحاك خلف الستار، و يسير بنواياه الطيبه و عواطفه غير المرائيه في ركب قاده الشعب! و الخطباء المتحمسين و مؤسسى التنظيمات، و ينخدع بالكلمات المعسوله و الوعود الجميله لقاده المشروطه، و يبذل روحه و أنفوس ما لديه بإخلاص في هذا السبيل.

و مضت عده أشهر و لا من خبر عن تأسيس بيت العدالة، فتتالت الأحداث:

خطبه للشيخ محمد سلطان المحققين (خطيب المشروطه المقدس) ضد عين الدوله، و استتبع اعتقاله تصادمات بين الطلاب و الجنود أدت إلى مقتل طالب العلم السيد عبد الحميد. تظاهرات للناس و إطلاق النار عليهم. حوادث مسجد الجمعة. ثم تلا ذلك: نزوح رجال الدين إلى قم في ٢٤ جمادى الأولى [١٣٢٤].

و اعتصام التجار بامر من البههاني في السفاره الإنكليزيه في ٢٣ جمادى الآخره [١٣٢٤]. و أخيرا تحريكات السفاره و الهيجان العام في المدن و خاصه في أصفهان و تبريز.

فادى ذلك كله إلى دفع الشاه لاقاله عين الدوله و إصدار وثيقه المشروطه (الدستور و الحياه النيابيه).

و بافتتاح المجلس النيابى و استقرار الحياه النيابيه الدستوريه (المشروطه) بلغ البههاني أوج قدرته و عظمته.

كان الكثير من أعمال البلاد يحل فى منزله، و اشتهر ب "شاه سياه" (أى الملك الأسود، لسمره بشرته). و كان أكثر النواب واقعين تحت نفوذه و تأثير كلامه، و كانت موافقته أو مخالفته كافيه لثبات أو تزلزل الحكومات.

و تمكن المجلس الأول بمساعدته البههاني من عزل "مسيو نوز" الذى كان عميلا- للروس و عدوا للإنكليز. و تمكن هذا المجلس من منعه القروض الخارجيه، و طرح مشروع تأسيس المصرف الوطنى (بانك ملي)، و تنظيم ميزانيه الدوله على أساس موازنه صحيحه، و إلزام الوزراء بتحمل مسئولياتهم أمام المجلس. لقد زلزل هذا المجلس أركان الاستبداد، و حطم قدره الحكام.

و لكن الأغراض الشخصيه، و الجهل، و طلب السلطه عند زعماء المجلس، و روح الاستبداد لدى الرجال، توافقت جميعها مع التحريكات الخارجيه، و منعت حكومه (المشروطه) من النمو و الرشد.

لم يكن يوجد فى المجلس أكثر من عشرين شخصا عارفا بشئون السياسه و مقتضيات الزمان و أصول الاقتصاد و الأمور القضائيه و الأنظمه الماليه و الاداريه الجديده. و لهذا السبب، إضافة إلى الأغراض المستعجله، لم يضع المجلس أساسا صحيحا للحكومه الوطنيه، و برز طالبو الفساد و الهرج و المرج فى صفوف الأحرار، و أسست التنظيمات فى كل مكان و انبرت للاستفاده السيئه من الأوضاع و إيجاد حاله الفوضى.

لم يتوان الخطباء و محرر و الجرائد عن كيل الاهانات للشاه و الآخرين، و كان الجميع يتظللون بحمايه المجلس!. عمد الشاه فى هذه الأثناء إلى تعليق متمم للدستور، و عزل مشير الدوله، و استدعى الأتابك لتولى مهمات الدوله فى إيران.

و رد الأتابك من طريق روسيه بسفينه حربيه روسيه، و استقبل استقبالا رسميا فى ميناء أنزلى. و كان مجاهدو أنزلى يريدون منع من دخول البلاد، و لكنه طمانهم إلى أنه سيسعى لحفظ الدستور (المشروطه) و تقويه المجلس. و حصلت تظاهرات مضاده له فى المجلس و عبر التنظيمات، و خاصه تقى زاده و نواب المجلس الذين أحدثوا ضوضاء كبيره ضد الأتابك الذى كان صديقا قديما للروس و سدا مانعا من نفوذ الإنكليز. و لكن البههاني قال فى المجلس بان مجيء الأتابك لا يشكل خطرا، و متى أحدث خطرا فانا سنصده.

و كان الطباطبائى قبل ذلك يعتقد أنه بمجىء الأتابك علينا أن نقول: (فعلى إيران السلام).

أجل، ورد أتابك طهران فى شهر ربيع الأول [١٣٢٥]، و بعد أن اطمأن إليه.

ص: ١٣٠

حمایه الشاه للدستور (للمشروطه) حضر إلى المجلس يوم عشرين ربيع الأول [١٣٢٥] و عرف أعضاء الحكومه، و أقسم اليمين لصيانته الدستور (المشروطه) و المجلس.

كانت أوضاع البلاد فى تلك الأثناء فى غايه الاضطراب: الفقر و انعدام المال قد شل الأعمال، و فقدان الأمن يسود أكثر المدن. و تحصن مجموعه من مظلومى شیراز فى المجلس احتجاجا على التعديات الغاشمه لقوام الملك و ابنه إبراهيم قوام (نصر الدوله)، كما التجأ إلى المجلس جماعه من أهل (أراك) متظلمين من تعديت الحاج آقا محسن أراكى.

و اتخذت التنظيمات الوطنيه من تصويب متمم للدستور و مشروع تنظيم عمل التنظيمات ذريعه للقيام بالتظاهرات و زياده البلبله و الفوضى و انتفض سالار الدوله بدعوى السلطنه فى (لرستان)، و وقعت أكثر المدن تحت الاضطراب.

و كان الأتابك يجاهد لسيطر على الأوضاع، و قد هددته التنظيمات الوطنيه بالقتل مرارا، و لكنه بقى فى ساحه المواجهه، لقد كان نادما عن ماضيه و عن القروض، و يريد أن يكسب نهايه سعيده لحياته، و كان يسعى ليوفق بين المتشددين فى المجلس (الديموقراطيين) و المعتدلين، و يوثق العلاقه بين الشاه و المجلس و يمنع الفوضى و الاضطراب.

و لكن متشددى المجلس و التنظيمات لم يدعوا له مجالا، لقد خاطبه (تقى زاده) فى المجلس ب (الخائن) و ب (بائع إيران)، و أراد أنصار الأتابك أن يخرجوا (تقى زاده) من المجلس، و لكن الأتابك منعهم من ذلك، و لم يعر اهتماما لجساره تقى زاده.

و عند ما كان الأتابك فى غمره سعيه لتحسين أوضاع إيران المترديه، كانت تحاك خطه اغتياله. و كان تقى زاده و عدّه أشخاص من نواب آذربيجان على علم بهذه المؤامره، و المخطط الأصيلى لها هو (حيدر عمواغلى) الارهابى القفقاسى، و قد أمر (عباس آقا تبريزى) الذى كان فى الأصل صانع بنادق فى طهران و يملك محلا للصيرفه و عضوا فى جمعيه سريه إرهابيه، أمره بتنفيذ عمليه الاغتيال.

عصر يوم السبت ٢١ رجب ١٣٢٥ حضر الأتابك إلى المجلس، و عرف بوزيرين جديدين، ثم قرأ بيانا بخط الشاه يتعلق بتعهد الشاه بالبقاء و فيا للدستور (المشروطه) و إقراره بمسئوليه الوزراء أمام المجلس (و قد كان الشاه أمضاه بعد إصرار)، ثم أقسم الأتابك اليمين لحفظ حدود الدستور (المشروطه). فى تلك الأثناء كان (عباس آقا) فى صفوف المشاهدين، فرفع صوته بعده شتائم موجهه إلى الأتابك باللغه التركيه، ثم فر من بين صفوف المشاهدين.

و عند ما انتهت الجلسه، أخذ البهبهانى الأتابك إلى غرفه الاستراحه و تحادث معه لمدّه ساعه تقريبا. و كان قد مضى من الليل ساعه و نصف عند ما أنهيا اجتماعهما، فخرجا متقدمين إلى باب المجلس جنبا إلى جنب. و بينما كان البهبهانى يتحدث إلى الأتابك، و قد تباعد عنهما الجند و حراس الأتابك، تقدم إلى باب المجلس شخص مجهول و تمسك بعباءه البهبهانى يطلب منه مالا، و بينما كان البهبهانى يمد يده إلى جيب قبائه ليخرج مالا للسائل، تقدم الأتابك خطوات إلى الإمام، و فجاه علا صوت رصاص مسدس عباس آقا، و رافقه نشر مقادير كبيره من نشاره الخشب فى الهواء، و فر عباس آقا تحت ستر الظلام، و حاول سيد و جندى اللحاق به، لكن الأول قتل و الثانى جرح. و فى (سرجشمه) أفرغ عباس آقا رصاصه فى حلقه، أو أن (حيدر عمواغلى) قتله.

و باى حال، فقد نقل الأتابك جسدا خاليا من الروح فى عربه إلى منزله فى شارع (لاله زار). و أثناء نقله سرق (السيد أحمد بامنارى).

الذى كان مع الجثمان فى العربيه، خاتم الأتابك الثمين و نظارتيه القيمتين، و كان معروفا أن نظارتي الأتابك من الياقوت. و كانت السفاره الإنكليزيه هى أول المقامات الرسميه التى أبلغت عائله الأتابك بمقتله.

و قد عم الرعب ورثه الأتابك إلى درجه أنهم لم يجرءوا على اقامه مجلس عزاء رسمى عليه. بينما - و فى المقابل - قامت مجموعه من طلاب مدرسه أقدسيه و مظفريه و أعضاء منظمه آذربايجان و سائر المنظمات بتجليل مقام القاتل و أمطروا قبره فى مقبره (جهارده معصوم) بالورود. و حفظ المجلس مسدس القاتل أيضا. (1) خالف و انتخب ناصر الملك (قراگوزلو) فى 18 شهر رمضان [1325].

الشيخ فضل الله نورى الذى كان قد تحصن منذ عدّه أشهر قبل هذه الحادّته هو و أتباعه فى مقام عبد العظيم، نظم أتباعه فى تشكيلات، و أسس مطبعه و أصدر جريده. و عند ما قتل الأتابك عاد إلى طهران.

و كان يشاع أن الأتابك هو الذى يتولى الإنفاق عليه.

هاجم الشيخ فضل الله نورى الإنكليز و أبدى قلقه على مستقبل إيران نتيجة تدخلاتهم فى (المشروطه) و نتيجة خوفه من زياده نفوذ الأقليات الدينيه الحديثه الظهور طرح مسأله "المشروطه المشروعه" (أو الشرعيه)، و قال ما حاصله: إن الإسلام دين شورى و مساواه، فما ذا دهانا مع وجود الآيه الكريمه (وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) لكى نلجا إلى الإنكليز لينظموا لنا الشورى.

و مع أن الشيخ كان مؤيدا من قبل محمد على شاه و الأتابك و أيدى السفاره الروسيه أيضا، إلا أن طرح المجلس الإسلامى و المشروطه الشرعيه هو من ابتكاره.

و بعد مقتل أتابك، ارتعب (صنيع الدوله) و قدم استقالته من رئاسه المجلس، و انتخب مكانه (احتشام السلطنه)، و رشح الشاه (سعدو).

ص: 131

1- أورد (مخبر السلطنه هدايت) أخبارا مغرضه و مخالفه للواقع فى كتاب (خاطرات و خطرات) عند ما نسب القتل إلى "موقر السلطنه" و (محمد على شاه). و تبعه (ملك زاده) فى المجلد الثالث من (تاريخ بر دروغ انقلاب مشروطيت) (التاريخ الملىء بالكذب لثوره المشروطه). و أما (تشرشل) مدير السفاره الإنكليزيه فى طهران الذى سلك أسلوب (هدايت) فى تحريف الحقيقه، فقد اتهم (سعد الدوله) بالقتل!. و لكن لحسن الحظ، فان البرقيه السريه التى أرسلها (السير سبرينك راييس) الوزير الإنكليزى المنتدب لوزاره الخارجيه فى لندن، صرح بان هذه الحادّته من تدبير أعضاء التنظيمات الثوريه المرتبطه بالمجلس (يعنى تنظيم آذربايجان). و كان يرى أن (تقى زاده) متهم و شاهد عيني و (ترجمان الملك فرهنگ) شاهد عيني للحادث، و كلاهما فقط يعتقدان أن (عباس آقا) هو قاتل (أتابك). لو لم يكن البهبهانى فى تلك الأثناء مع الأتابك، لما وصل (عباس آقا)

إليه. إن هذه المرافقه إلى باب المجلس قد وضعت الأتابك أمام رصاصه (عباس آقا). صحيح أن بين البهبهاني و الأتابك صداقه قديمه، لكن هذا العمل أشبه ما يكون بالتواطؤ.

الدولة) لرئاسه الوزراء، و لكن المجلس خالف و انتخب ناصر الملك (قراگوزلو) فى ١٨ شهر رمضان [١٣٢٥].

كان ناصر الملك (ميرزا أبو القاسم خان همدانى قراگوزلو) رجلا مثقفا و متجددا، و تربطه صداقات باللورد كرزى و بعض السياسيين الإنكليز، و لكنه مع ذلك لم يكن مؤمنا بمشروطه إيران (الحياه النيابيه الدستوريه) و يرى مثل هذه الحكومه لايران سابقه لأوانها أثناء دوره رئاسته حضر الشاه إلى المجلس و ألقى كلمه فيه، و شكر السيد عبد الله البهبهانى و أقسم اليمين لصيانته الدستور، كما أقسم النواب اليمين لحفظ حدود و حقوق السلطنه (فى ٧ شوال) [١٣٢٥].

فى الفتره الوجيزه لحكومته ناصر الملك حدثت عده تشنجات و وقعت حادثه (ميدان توبخانه) (١)، و لكن كون ناصر الملك رجلا مددلا و سريع الخوف و الاضطراب، لم يتمكن من الثبات و المواجهه، و قدم استقالته فى ١٥ ذى القعدة [١٣٢٥].

كان من جملة محركى هذه الحادثه (ناصر الملك) نفسه و بعض أعضاء دولته، و لذا أحضروا جميعا إلى البلاط و أوقفوا. و قد تملك الرعب ناصر الملك الجبان الذى كان يفتعل الحوادث ثم يفر منها، فأرسل أحد أقربائه إلى السفير الانكليزى الذى قام بتهيئه ترتيبات نجاته، فاحضر تحت حراسه عملاء السفاره، و غادر إيران.

و بعد ذلك حدثت صدامات أخرى فى المجلس، فقد كان احتشام السلطنه يريد أن يمنع تشدد النواب و الجرائد، و ضاق صدره ذرعا من طموح السيد عبد الله البهبهانى و من الأهداف السياسيه لتقى زاده، فاتهم فى المجلس علانيه السيد عبد الله بالارتشاء و السعى لنيل مناصب عليا، كما اتهم تقى زاده بالخيانه.

و من هنا كان تقى زاده و المتشددى فى المجلس و التنظيمات الوطنيه يخالفون احتشام السلطنه، و هدد مرارا بالقتل من قبل منظمه آذربايجان (التي يرأسها تقى زاده) حتى وقعت حادثه الخامس و العشرين من محرم [١٣٢٦] (السابع من شهر إسفند) [١٢٨٧]، حيث كان الشاه يتوجه من (قصر گلستان) إلى (دوشان تبه) بسيارته التى غطيت نوافذها بالستائر السوداء متقدمه الموكب، و يليها عربه تجرها سته خيول مغطاه النوافذ أيضا، يحيط بها ٣٤ فارسا مرافقا. و أثناء مروره بشارع (باغ وحش)، و طبقا لخطة معده سابقا (و اطلع عليها عده من نواب آذربايجان)، قام (حيدر عمو أوغلى) و أنصاره بإلقاء ثلاثه قنابل على سياره الشاه، فجرح عده أشخاص و قتل شخصان، و أصيب أحد خيول العربيه، فأسرع الشاه يحيط به حراسه باللجوء إلى مركز العربات الحكومى، فيما فر منفذو الهجوم (٢).

و بعد هذه الحادثه، اشتد خلاف الشاه مع المجلس، و استقال نظام السلطنه من رئاسه الوزراء فى ١٢ ربيع الثانى [١٣٢٦]، و فى هذه الأثناء كانت تجرى مبارزه بين البلاط و المجلس لطرده لسته أشخاص من أنصار الشاه و ثمانية أشخاص من الأحرار. و اختير (مشير السلطنه) لرئاسه الوزراء خلفا لنظام السلطنه.

إن سوء النيه لدى متشددى المجلس، و طموح البهبهانى للسلطه و استبداد الرأى لدى أهل البلاط و قله التدبير و تبعيه الروس لدى الشاه، إن كل ذلك كان مانعا من حل الخلافات. توجه الشاه يوم ٤ ربيع الأول ١٣٢٦ مع عائلته من أراك إلى (باغ شاه). أحاط الجند و مرتزقه الشاه بالقصر، كما قامت مجموعات منهم بتظاهرات عسكريه فى المدينه، و أغاروا على ثلاثين محلا فى البازار، أبرق السيد عبد الله البهبهانى و السيد محمد الطباطبائى و التنظيمات إلى المدن يدعون الناس إلى التعبئه العامه، فأحدثوا

الهيجان و الاضطراب فى جميع الأثناء، و انشغل المجلس و المنظمات بأسرع ما يمكن بتشكيل الحرس الوطنى و تدريب الشبان، و انتشر المجاهدون حول المجلس و مسجد سبهسالار و رفعوا المتاريس، و بادروا إلى شراء الأسلحة. و هيئوا أنفسهم لخوض حرب ضد الدوله.

و تشكلت لجنه مؤلفه من نير الدوله و عضوين فى الدوله (مشير الدوله و مؤتمن الملك) لرفع الخلاف، و بذلوا جهودا متضافره لكن بلا نتيجه و استقر قرار الشاه و مشاوريه الذين كانوا يرون أن نشاطات المجلس مخالفه لأصول المشروطه، على تسليم ثمانيه أشخاص من أفراد المجلس، و منع نشر الفضائح، و منع الفتن التى تحدثها التنظيمات، و إيقاف شتائم الخطباء و محررى الصحف، و جمع السلاح من أيدي الناس، و لو أن المجلس كان قد وافق على هذه المقترحات لزال الخلافات، كما كانت هناك طرق عقلائييه عديده لصد النوايا السيئه للشاه و المستبدين، و لكن أصحاب القرار فى المجلس لم يرضخوا، و هم يتحملون حقا جزء من مسئولييه حادثه القصف. لقد غدا قرار قصف المجلس عمليا بإصرار من (أمير بهادر) و (لياخوف) و موافقه السفارتين.

إن يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٦ بقى عارا على محمد على شاه. لقد قاوم المجاهدون و النواب خلف متاريس المجلس و مسجد سبهسالار مدافعين لعدده ساعات، و استمرت هذه المعركه من الساعه الخامسه صباحا حتى الثانيه عشره ظهرا:ه.

ص: ١٣٢

١- فى الخامس من ذى القعدة [١٣٢٥]، قامت مجموعه من الأنصار و الجنود و جماعه من الناس بقياده (صنيع حضرت) و (مقتدر نظام) و (نائب إسماعيل خان) بالتجمع فى (ميدان توبخانه) و بدءوا سلسله تظاهرات ضد دعاه الحياه النيابيه الدستوريه (المشروطه)، و قاموا بعربدات و تصرفات مشينه. و شاركهم مجموعه من أصحاب المحلات محاولين إشعال شراره الفتنة، و قتلوا أحد الشبان المؤيدين للمشروطه فى وسط الميدان يوم الثامن من ذى القعدة [١٣٢٥]. و توجهت جموع المتظاهرين إلى منزل الشيخ فضل الله نورى، و أحضروه إلى ميدان توبخانه محرجين له مستعملين ما استطاعوا من الرجاء و الدعاء لاقناعه، فالقى فى الناس موعظه حول (المشروطه الشرعيه)، و كانت موعظته هذه سببا ليكن له أنصار المشروطه البغض و العدا. و فى اليوم التاسع من ذى القعدة [١٣٢٥]، توجهت هذه المجموعات يرافقه مجموعه من اليهود الخائفين على أنفسهم من غضب المتظاهرين و مرددين شعار: نريد دين النبى - لا نريد المشروطه، إلى المجلس و مسجد (سبهسالار) و أطلقوا النار على المجلس و اندلعت عده أحداث شغب. و بعد عده أسابيع اعتقل رؤساء المتظاهرين بأمر من المجلس و بموافقه الشاه، و نفوا إلى (كلات).

٢- فى كتاب انقلاب إيران (ثوره ايران) نسب المستشرق المعروف (إدوارد برون) هذه الحادثه إلى الرجعيين و أنصار الشاه موهما أن عمليه الهجوم كانت مصطنعه. و سعى فى الكتاب المذكور إلى كتمان الحقيقه و تبرئه (حيدر عمو أوغلى) من تهمة العماله.

الحاج ميرزا إبراهيم آقا نائب تبريز - الذى كان مسلحا و قتل عدة من أنصار الشاه - قتل فى الطريق إلى (باغ شاه).

ملك المتكلمين، و ميرزا جهانكير خان مدير (صور إسرائيل)، قتل خنقا فى (باغ شاه).

السيد محمد رضا مساوات، فر إلى الففقاس.

السيد جمال واعظ، قتل فى همذان، بايعاز من مظفر الملك و أمر من أمير أفخم.

الحاج حسين آقا أمين الضرب، قبل حذاء الشاه، و ظل متضرعا متوسلا حتى أطلق سراحه.

البهبهانى و الطباطبائى اعتقلا فى (بارك أمين الدوله) و بعد تعذيب شديد بالضرب المبرح، اقتيدا إلى (باغ شاه) و كل منهما بدون عمامه و بثياب ممزقه و لحيه مخضبه بالدماء. (1) وزير الحرب، قوام الدوله وزير المالىه، محتشم السلطنه وزير العدل، مشير الدوله (حسن) وزير العلوم، مؤتمن الملك وزير الفوائد العامه، مخبر الدوله وزير البريد و البرق، ميرزا حسين خان علاء معين الوزاره (ابن علاء السلطنه و رئيس مكتب وزاره الخارجيه) الذى كان فى هذه الحادثه يتردد من جانب والده على السفارتين الإنكليزيه و الروسيه، و هو يتحمل شظرا من هذه الحوادث لمقامه الذى كان يحتله.

(التوضيح الثانى):

عند ما انكسرت مقاومه المجلسين و المجاهدين، أصدر البهبهانى أمرا إلى الجميع بترك الأسلحه، و أن يتحركوا جميعا خلفه و خلف الطباطبائى، و لكن هذا الأمر لم ينفذ، و لاذ الجميع بالفرار ليحفظوا أنفسهم، و توجه البهبهانى و الطباطبائى و جمع من مريدى الدستور (المشروطه) إلى حديقه أمين الدوله.

(التوضيح الثالث):

أثناء الدفاع عن المجلس و مسجد سبهبسالار، قتل ما يقرب من ثلاثمائه من المجاهدين و المدافعين و جرح أكثر من مائتين، و هدم قسم من المجلس و المسجد، و نهبت أموال المجلس. و قتل من قوى الدوله خمسه ضباط و ثمانيه عشر جنديا، و جرح سته ضباط و ثمانيه جنود.

(التوضيح الرابع):

أحضر أيضا إلى باغ شاه العديد من أنصار البهبهانى و الطباطبائى و سائر الأحرار، و جرت معهم تحقيقات فى المحكمه، و أطلق سراح الأبرياء، و حكم على البعض الآخر بالتباعد و الحبس. كانت محكمه باغ شاه برئاسة مؤيد الدوله حاكم طهران و يشاركه مؤيد السلطنه و هو من معتمدى أرشد الدوله (من العسكريين)، و تشكل من الميرزا عبد المطلب اليزدى مدير جريده آدميت، و صدر الأشراف محقق دائره الشرطه، و أحمد أشتري من المحكمه القضائيه.

و قد أظهر أعضاء المحكمه - و خصوصا أشتري و صدر - حسن نوايا فى حدود إمكانهم.

(التوضيح الخامس):

أصدر الشاه فى ٢٦ رجب [١٣٢٦] أمرا بالعفو العام، و أطلق سراح أكثر الموقوفين فى باغ شاه، و أصدر أمرا إلى محكمه باغ شاه بمحاكمه الباقيين محاكمه عادله و النظر بتجرد فى التهم الموجهه إليهم.

استقبل الشاه السيدين فى ديوانه، و طلب منهما الاعتذار، فقاما أيضا بتقبيل الشاه. فامرهما الشاه بترك طهران، و لكن لم يجز لهما الخروج من (باغ شاه) حتى أعطى البهبهانى اثنى عشر ألف تومان بعنوان مصارف السفر، و وضع بتصرفه عربتين ملوكتين مجهزتين [مجهزتين] بخيمه و ماء و لوازم الطبخ.

و تحرك الموكب باتجاه العتبات المقدسه فى العراق تحت مراقبه خمسين غلاما من بيت الحراسه (بقياده ضابطين اسمهما أشجع سلطان و زال خان).

و أثناء مرور موكب البهبهانى فى القرى كان القرويون الذين يشاهدون الموكب يرفعون أصواتهم بقولهم: "اللعه على البابى"، و سبب هذه الالهانه أنه كانت هناك أقليات مذهبيه جديده الظهور - و خاصه الأزليون البايون - تنادى ببذل جهود حثيئه لتفعيل المشروطه و تقدمها إلى أهدافها. و فى همدان أراد الشيخ محمد بهارى، المجتهد صاحب النفوذ و المؤيد للمشروطه، أراد أن يهاجم جنود الدوله المرافقين للموكب و يطلق سراح البهبهانى، و لكن البهبهانى منعه من ذلك.

تم تسليم السيد و مرافقيه فى كرمانشاه إلى جنود (أمير كل). و لقد كان للسيد كمال الدين البهبهانى، أخ السيد، مقام الاجتهاد فى كرمانشاه، فخشى (أمير كل) أن يقوم باثاره الناس لتخليص البهبهانى، و لذا [لذا] استضاف البهبهانى و مرافقيه مده ليلتين فى (قرية سليمانيه) بالقرب من (بيستون)، ثم أرسلهم إلى (قصر) على أن يغادروا إيران من هناك عبر طريق (خانقين)، و لكن حاكم (خانقين) العثمانى منعهم من الدخول إلى الأراضى العثمانيه.

أعاد (أمير كل) البهبهانى و مرافقيه إلى كرمانشاه، و سلمهم إلى (ظهير الملك) رئيس فوج (زنكنه)، فأرسلهم (ظهير الملك) إلى قرية (بزهرود) التى يملكها و الواقعه فى ناحيه (دينه ور) و وضعهم فى الإقامه الجبريه تحت المراقبه لمده ثمانيه أشهر.

و بعد ثمانيه أشهر، و باجازه من الدوله، ورد البهبهانى إلى (كرمانشاه) بين استقبال الناس، و نزل ضيفا على أخيه السيد كمال الدين لمده أسبوع ثم استدعاه (أمير أعظم) لعهه أيام إلى قبيله (كلهر) و بعدها توجه إلى العتبات، و استقبل استقبالا حافلا من قبل مجموعه من رجال الدين و الناس فى كربلاء و النجف. (ربيع الأول ١٣٢٧).

و قد عاد السيد إلى طهران بعد (فتح طهران) فى ٢٤ جمادى الثانيه سنه ١٣٢٧، فاستقبله بحفاوه جمع كثير من الناس و عدد من القاده الوطنيين.

و بعد افتتاح المجلس الثانى [الثانى] [الثلاثاء، الثانى من ذى القعهه ١٣٢٧]. قعد البهبهانى فى بيته و تجمع عنده الناس الذين كانوا يعتقدون أنه هو مؤسس الحياه النيابيه الدستوريه (المشروطه) و كانت تتواجد فى منزله مؤسسه حكوميه بلا مسئوليه، و يمتد نفوذها إلى المجالس و المحافل السياسيه.

كما كان المعتدلون الذين يشكلون أكثرية المجلس يتبعون البهبهاني، ولذا فإن الديموقراطيين الذين كانوا يشكلون جبهه المتشددين و الثوريين فى المجلس، خالفوا البهبهاني و كانوا يظهرن انه يرى نفوذه أقوى من الدستور (المشروطه) و أنه يسعى لاضعاف المجلس! و لكنهم فى باطندر

ص: ١٣٣

١- (التوضيح الأول): فى حادثه قصف المجلس، تتحمل هيئه الدوله المسئوليه أمام التاريخ و بالخصوص رئيس الوزراء و وزير الخارجيه و وزير الحرب، فان مسئوليتهم أعظم و أشد. و أعضاؤها هم: مشير السلطنه رئيس الوزراء و وزير الداخليه علاء السلطنه وزير الخارجيه، أمير بهادر

الأمر يعتقدون أن شخصيته و نفوذه مانعان من تقدمهم إلى ماربهم و أهدافهم، و لذا أعدوا خطه اغتياله.

يوم الجمعة ٨ رجب ١٣٢٨ (٢٤ تير ١٢٨٩ ش) و عند بدايات الليل، قام (حيدر عمو أوغلي) و (رجب سراي) و شخصان آخران، طبقا لخطه وضعت باشراف قاده الديموقراطيين، بالتوجه إلى منزل البهبهاني ملثمين بهيئه قطاع الطرق.

دخلوا منزل البهبهاني و ارتقوا بسرعه السلالم المؤديه إلى الإيوان الصيفي، و بثلاث رصاصات متتاليه قتلوا البهبهاني و فروا هارين.

و في اليوم التاسع من رجب [١٣٢٨] عطل المجلس لهذه الحادثه، كما عطل يازار طهران أيضا، و سادت حاله من الصدمه و الانزعاج في كل مكان، و تجمع الآلاف من الناس صبيحه يوم السبت في أطراف بيت البهبهاني، و كان الجو ينذر بنشوء حوادث سيئه، و لكن ولده (السيد محمد)، و بكل صبر و متانه محمودين، نصح الناس باخماد نار الفتنه، و رجاهم بإصرار أن يتفرقوا و يحافظوا على الهدوء في طهران.

و أقيمت مجالس العزاء في جميع مدن إيران، و تركت الحادثه تأثيرا عميقا في النفوس.

ثم نقل جثمانه برفقه السيد علي بهبهاني و عدد من الأقارب و الأعوان إلى النجف، و دفن في مقبره العائله. و أقيمت في العراق أيضا مجالس العزاء أظهر فيها الأسف على هذه الحادثه.

تهيا أنصار البهبهاني و جمع من المعتدلين لطلب الثار. و كانت الجماهير غاضبه تلقي التهمه على (تقي زاده) و تطالب بمعاقبته. و قد فر (حيدر عمو أوغلي) الذي كان من المتهمين الأصليين في هذه المؤامره، و لكنه اعتقل بعد عده أيام و ألقى في السجن زهاء أربعين يوما، ليطلق سراحه بعدها من دون أى محاكمه و عقوبه بسبب تدخل الديموقراطيين و بمساعده بيرم رئيس دائره الشرطه.

و في ليله الثالث و العشرين من رجب [١٣٢٨] قتل علي محمد خان (ابن أخت تقي زاده) و السيد عبد الرزاق خان (من المجاهدين) عند مستديره مخبر الدوله، و قاتلهما هو أحد أفراد مجموعه القائد محيي الجهاديه، بامر من المعتدلين. كان السيد عبد الرزاق خان بريئا و قتل في ذلك اليوم لمرافقته ل (محمد علي خان).

أما تقي زاده الذي كان قبل هذه الحادثه قد أخذ إجازته ثلاثه أشهر من المجلس، فقد كان إلى يوم الخميس الثامن من رجب [١٣٢٨] لا يزال حاضرا في المجلس، و لكنه يوم السبت العاشر منه لم يجرؤ على الظهور، و تخفى لعهده أسابيع في منزل القائد أسعد (سردار أسعد) ثم غادر إلى تركيا و منها إلى أوروبا. (١)

و أظهر المجلس أسفه لموت البهبهاني، و أقر مساعدات لورثته.

كان البهبهاني مجتهدا ألمعيا و جريئا و سياسيا، و لم يكن لتهوره نظير بين علماء الدين في طهران. كان لمهارته و كلامه في الخطابات و المواعظ نفوذ، و بهذا النفوذ كان يتحكم بانفاس البازار. و لكن كان في حديثه كلمات خارجه عن اللياقه و حسن الخلق.

كانت معلوماته عن مقتضيات الزمان و حقوق الدول و الملل ناقصه.

كان طموحا بشده للسلطه، و هذا الوازع هو الذى دفعه إلى حبله الصراع السياسى بإزاء إهمال عين الدوله له.

كان فى داخل المدينه يقلد الميرزا زين العابدين إمام الجمعه، فيركب الفرس، و تسير خلفه مجموعه على الخيول و على الأقدام. و عند ما أهداه محمد على شاه فى أوائل السلطنه عربيه تجرها أربعه خيول، استغنى عن ركوب الخيل إلى ركوب العربيه.

كان يدخل العلاقات الشخصيه فى المسائل العامه و الدعاوى، و يأخذ الهدايا من الناس، و استغل أنصاره المقربون منه نفوذه ليعيشوا فسادا، إلى درجه دفعت البهبهانى إلى نشر إعلان فى مجله المجلس ينفى علاقتهم به.

كان البهبهانى صلبا و وفيا فى نضاله، و كان ثابتا فى صداقته و عداوته، و يسعى ليحفظ حقوق الناس الذين يلتجئون إليه. و على الرغم من أنه فى بدايات النضال لم تكن لديه النيه ليجعل حكومه المشروطه مستقره و انتفض ليحفظ نفوذه و منافعه و انجازاته ضد الدوله، و لكن سعيه و فداءه كان أحد الأسباب المهمه لتقدم ثوره المشروطه. إلا أنه بعد استقرار المشروطه كان يريد أن يدير المجلس بامر و نهيه، و يرى إرادته فوق قدره القانون و المجلس، و هذا الطموح للسلطه و القدره هو الذى أدى إلى قتله. لقد كان موته فى الظرف السياسى لتلك الأيام خساره كبيره للحياه النيابيه الدستوريه (المشروطه) فى إيران. (٢)

(راجع ترجمه الشيخ فضل الله نورى).

الشيخ عبد الله بن راشد البحرانى:

أديب، شاعر، من شعره قوله يمدح قزوين:

بلد بنشر نسيمها يهدى إلى جناتها و لنورها لألاء

بلد عليه لمحه من طيبه خضعت لها العلماء و الفضلاء

ما أنت يا قزوين الا روضه باريجها تتارج الأرجاء

و البحر يقصر دون بحرك مده فلذاك نقصان و ذا استيلاء

ما الجواهر المكنون مثل الجواهر المبدول و هو بما به حصباء

الملا عبد الله الزنوزى المشهور بالمدرس:

هو ابن بابا خان الزنوزى أحد مشاهير الحكماء فى العهد القاجارى خلال القرن الثالث عشر للهجره. ولد فى قصبه زنوز من توابع مرند فى آذربايجان. درس مقدمات اللغتين العربيه و الفارسيه، ثم انتقل إلى مدينه خوى فدرس فيها الأدب العربى، و لذلك

عرف بالملا عبد الله النحوى. و انتقل بعد ذلك إلى العراق لإكمال دراسته، فدرس على السيد على الطباطبائي صاحب الرياض،
و السيد محمد المجاهد. و بعد

ص: ١٣٤

-
- ١- و أما حيدر عمو أوغلى فقد كان يعد للخيانة فى ثوره كيلان، و لكنه قتل بيد (إسماعيل جنكلى) ابن أخت (ميرزا كوجك خان). و أما (رجب سرايى) فقد قتل فى تبريز سنه ١٣٣٠.
 - ٢- مقتبس عما كتبه إبراهيم صفائى فى كتابه (رهبران مشروطه).

فتره عاد إلى إيران، و باشر في مدينة قم حضور دروس الميرزا أبو القاسم القمي صاحب (قوانين الأصول)، ثم انتقل إلى أصفهان ليستفيد من دروس علمائها، فحضر لفترة طويلة دروس بعضى أساتذتها، مثل:

السيد محمد باقر الشفتى، ثم بدأ بتلقى العلوم العقلية على الحكيم و المحقق المشهور في ذلك العصر (الملا على النورى)، و لم يمض وقت طويل حتى أصبح من ابرز تلامذته.

و حين طلب فتح على شاه من الحكيم الملا على النورى ان ينقل درسه من أصفهان إلى طهران، أرسل هذا الحكيم تلميذه الملا عبد الله الزنوزى لتأسيس مدرسه الحكمة القديمه في طهران و التدريس في المدرسه المرويه و على هذا الأساس انشئت في طهران خلال سلطنه فتح على شاه القاجارى مدرسه فلسفيه في الوقت الذى كانت مدرسه الملا على النورى قائمه في مدينة أصفهان. و قد نقل ذلك بعضهم بقوله:

"بعد ان فرغ محمد حسين خان المروى من بناء مدرسته في طهران (في سوق مروى) تمنى على الشاه فتح على شاه القاجارى أن يدعو الحكيم الملا على النورى للحضور إلى طهران لتدريس العقليات في مدرسته، فاستجاب فتح على شاه لهذا الطلب و كتب لملا على النورى في هذا الشأن، فاعتذر الأخير عن تلييه الدعوه، و بعث الملا عبد الله المدرس (الزنوزى) إلى طهران كأفضل مدرس للعلوم العقلية. فاشتغل الزنوزى بتدريس الحكمة الالهيه في المدرسه المرويه لعشرين سنه حتى فارق الحياه عام ١٢٥٧ هـ".

و قد وصف السيد جلال الدين الآشتيانى الملا عبد الله الزنوزى في مقدمته للأنوار الجليه بالقول: "كان الملا عبد الله الزنوزى من خاصه تلاميذ الملا- على النورى في الحكمة و الفلسفه، و كان يكن احتراماً خاصاً لأستاذه، و محيطاً بفكاره احاطه تامه. و كان أستاذاً متضلعا، بارعا في الحكمة العاليه و فك رموز و مشكلات و دقائق كتب الأسفار و الشواهد و المبدأ و المعاد و عقائد الملا صدرا في تفسير الآيات و شرحه للروايات، و متمكنا في العقائد مثل شرح أصول الكافي.

تخرج على يد الملا عبد الله الزنوزى العديد من الطلاب، اشتغل بعضهم في تدريس الكتب الفلسفيه و عدوا من أساتذته الفلسفه من بعده، و تميز بعض تلامذته بتبحرهم في العلوم النقلية حتى كانوا مراجع في ذلك.

من تلامذته الميرزا أبو القاسم المعروف بالكلانتر الذى كان مقررا لدروس الشيخ الأنصارى. و كذلك الآخوند الملا محسن الخوئى الذى كان استاذاً مقدما على الآقا على و الميرزا أبو الحسن جلوه و القمشه إى و قد اشتغل لفترة طويله بالتدريس في مدرسه دار الشفاء في طهران.

و كان الآخوند الملا كاظم الخراسانى قد حضر درسه لثمانيه أشهر حين سافر إلى النجف الأشرف.

و يعتبر على المدرس الزنوزى الطهرانى ابن الملا- عبد الله الزنوزى أحد تلامذته أبيه، رغم انه كان يحضر أيضا دروس الملا القزوينى و الميرزا حسن النورى و الآخوند الملا مصطفى و الملا إسماعيل الأصفهاني و الملا محمد جعفر اللاهيجى.

و إضافه إلى اشتغال هذا الحكيم في التدريس لمدة عشرين سنه، فقد وضع عددا من الكتب القيمه، و فيما يلي فهرست لها: ١ -

(الرسائل العلية) و هي رساله فى كلففه غضب الرب على المذنبين.

٢ - (الأنوار الجليه) شرح جامع لدعاء كميل - و قد طبع فى طهران عام ١٣٥٤ هجرى شمسى (١٩٧٥ م) باهتمام السيد جلال الدين الآشيانى، و جاء فى ٤٠٠ صفحه من القطع الوزيرى.

٣ - اللمعات الالهيه، و هي مجموعه بحوث فى إثبات واجب الوجود و صفاته و طرق معرفته. و قد تم طبع هذا الكتاب بمساعى السيد جلال الدين الآشيانى أيضا، بواسطه الجمعيه الفلسفيه فى ايران.

٤ - المعارف: و هي رساله باللغه الفارسيه، يوجد منها نسخه بخط محمد باقر الجهرمى مؤرخه فى عام ١٢٣٩ هـ و هي فى ٦٢ صفحه محفوظه فى المكتبه الوطنيه تحت رقم ٦٨٠.

٥ - (المنتخب الخاقانى فى كشف الحقائق العرفانيه) و هو يتحدث حول إثبات واجب الوجود و الصفات الجماليه و الجلاليه للبارى تعالى.

و قد صححه نجيب مايل الهروى، و طبع فى طهران عام ١٣٦١ هجرى شمسى فى ١٢٢ صفحه من القطع الوزيرى.

٦ - حاشيه على أسفار الملا صدرا.

٧ - حاشيه على الشواهد الربوبيه.

٨ - حاشيه على المبدأ و المعاد.

٩ - حاشيه على اسرار الآيات.

١٠ - حاشيه على الشوارق.

الشيخ عبد الله بن على أكبر الأصبهانى:

متتبع عارف بالعلوم الإسلاميه المتداوله فى عصره، من اعلام القرن الثالث عشر، و نشاته العلميه كانت فى أصبهان و على اعلامها.

له "التحف الخاقانيه فى المعارف الربانيه" (١).

عبد الله بن على بن مهدي البروجردى:

فاضل خطيب، من اعلام القرن الثانى عشر.

له "سرور الشيعه" (٢).

عبد الله بن عبد القادر المكرى الساوجبلاغي، المولوى:

أصله من "مكره" و سكن فى قصبه "ساوجبلاغ"، و هو طبيب و كحال و كتب بخطه الجيد فى سنه ١٢٩٣ كتاب "أنوار الناصريه" للحكيم قبلى.

ذكر إسناده فى الطب هكذا: عن والده ملا عبد القادر المولوى الطيب، عن ميرزا عبد الوهاب الأصبهاني، عن أبيه ميرزا محمد رفيع الأصبهاني الملقب بميرزا كوچك، عن آباءه، عن حكماء خوزستان، عن حكماء حران، عن بقراط الحكيم (٣).

عبد الله بن عبد الكافي بن على بن عبد الله الحسنى الطباطبائى، نجم الدين:

قارئ المصحف الشريف فى الحضرة النبويه الشريفه بالمدينه

ص: ١٣٥

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.

المنوره، كتب نسخه من كتاب "تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجره" للشيخ زين الدين أبى بكر بن الحسين العثمانى المراغى الشافعى، و أتمها فى تاسع ربيع الأول سنه ٧٤٧ بالمدينه، ثم قرأه على المؤلف فكتب له إجازة فى التاريخ المذكور و عبر عنه ب "سيدنا الشريف الحسيب الشيخ نجم الدين عبد الله بن الشيخ زين الدين عبد الكافى بن الشيخ نور الدين على بن جمال الدين عبد الله الحسنى الطباطبائى...".

الشيخ عبد الله بن كرم الله الحويزى:

مذكور فى أعيان الشيعة ٦٨/٨، و نقول:

ذكر فى أول رسالته الصلاتيه التى ألفها سنه ١١٠٧ ثلاثه من شيوخه فى الروايه هم الشيخ احمد بن يوسف البحرانى و السيد ماجد البحرانى و المولى محمد باقر المجلسى له "الصلاه". (١)

السيد عبد الله الصادق بن محسن:

ولد سنه ١٢٨٥ فى أصفهان و توفى فيها سنه ١٣٨٢ عن ست و تسعين سنه و دفن فى المقبره المعروفه ب (تخت فولاد).

أسره الصادقى من أسر أصبهان المعروفه بالعلم و التقوى، برز فيها جماعه من العلماء الأفاضل، و ينسبون إلى أحد أجدادهم مير محمد صادق بن محمد باقر.

كتب المترجم له عن هذه الأسره - التى ينتسب إليها كتابه "إرشاد المسلمين إلى أولاد أمير المؤمنين"، فذكر فيه عمود نسبهم و البيوت المتفرعه منها، و قد طبع مرارا.

و من هذه الأسره العالم المفسر السيد عبد الحسين المشهور بطيب، صاحب التفسير المطبوع المتداول "أطيب البيان".

و كان أبناء المترجم علماء اجلاء من وجوه اهالى أصبهان، تجد ترجمه جماعه منهم فى كتاب "مكارم الآثار" كلا فى محله.

تعلم الأوليات من القراءه و الكتابه فى مسقط رأسه، و قرأ فيه أيضا مقدمات العلوم - كالصرف و النحو و البلاغه و الأصول و غيرها من العلوم الآليه - على لفيق من أهل الفضل من المدرسين.

ثم توجه إلى العراق فى شهر ربيع الأول من سنه ١٣٠٤، فأقام بالنجف الأشرف يحضر دروس جماعه من علمائها الأعلام، و أول من حضر عليه المولى لطف الله المازندراني، و كان ملازما أيضا لدروس الميرزا محمد على الرشتى، و استفاد فى العلوم العقلية من محاضرات ملا احمد الشيرازى.

ثم ذهب إلى سامراء حيث حضر أبحاث السيد محمد حسن الشيرازى ثم اتجه إلى دروس السيد محمد الفشاركى و الميرزا محمد تقى الشيرازى.

و بعد مده عاد إلى النجف مستفيدا من دروس السيد محمد كاظم الطباطبائى. اليزدى و شيخ الشريعه الأصفهانى و الميرزا حبيب

الله الرشتى، ثم اختص بالمولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى فلازم أبحاثه إلى حين وفاته ١٣٢٩.

ثم عاد إلى أصفهان سنة ١٣٣٠ بعد أن قضى ستا و عشرين سنة فى العتبات المقدسه، و اشتغل فى أصفهان بالتدريس و التأليف و الإفاده و الإرشاد.

و بدأ بتدريس الفقه و الأصول خارجا منذ سنة ١٣٦٤، و استمر تدريسه إلى سنة وفاته، و تخرج من حوزته العلميه كثير من أفاضل الطلبة.

سكن فى "محلّه نو" و أقام الجماعة فى "مسجد رحيم خان"، و كان يرقى المنبر فى أكثر الليالى بعد الصلاه و يعظ الناس.

و قد أجز منه كل من الشيخ محمد صادق بن على أكبر النورانى السدهى، و السيد محمد على الروضاتى، و السيد شهاب الدين النجفى المرعشى.

له شعر فارسى كثير فى مختلف الأغراض الدينيه و الاجتماعيه، و أكثره فى المواعظ و الحكم و الآداب الإسلاميه. و له مقاطع من الشعر العربى.

فمن شعره العربى قوله:

ضيعت عمرى باصفهان و همتى عدم المقام بها مع الخسران

و إذا الفتى بالبؤس ضيع عمره فمن الكفيل له بعمر ثان

من مؤلفاته: إرشاد المسلمين إلى أولاد أمير المؤمنين، فى سلسله نسبه و تراجم آباءه و أجداده، فرغ منه سنة ١٣٤٥. و أصول الدين، للمدارس الحديثه. و التوحيد. و حاشيه كتاب الطهاره للأنصارى.

و الحدود و الديات، فارسى و خلاصه الأصول، أتمه سنة ١٣٠٧. و ديوان شعره، بالفارسيه. و لؤلؤ الصدف فى تاريخ النجف، طبع فى سنة ١٣٢٢ و طبع باصفهان سنة ١٣٧٩. و مقتصر المقال فى علم الرجال. و نور الايمان فى رد بحر العرفان و غير ذلك (٢)

الميرزا عبد الله بن محمد البهبهانى:

توفى بعد ١٣٢٥:

فاضل من أعلام النصف الأول من القرن الرابع عشر، كان يميل إلى تعاليم الشيخ احمد الأحسانى و السيد كاظم الرشتى و ينقل آراءهما فى تليفه، توفى بعد سنة ١٣٢٥.

له "عقائد المؤمنين فى أصول الدين" و "شرح دعاء العديله" و رساله فى "أول ما خلق الله" و "الرساله الطبييه" و "شرح خطبه لعلى (ع)" (٣)

فقيه جليل و عالم متضلع، له اطلاع و تبحر بالعلوم العقليه و النقليه، و هو من أعلام القرن الثانى عشر و كان يقيم بالنجف الأشرف فى بدايه هذا القرن. كما انه كان يستفيد من والده فى بعض المباحث العلميه كما

ص: ١٣٦

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد احمد الحسينى.
 - ٣- السيد احمد الحسينى.

يبدو من طيات مؤلفاته.

له "إهداء الأهبه فى شرح النخبه" و "شرح تجريد العقائد" فارسى أتم جزأه الأول فى سنه ١١١٦. (١)

الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد تقي الكنجوى:

فاضل مشتغل بعلوم الحديث.

له "الوسائل إلى المسائل" ألفه سنه ١٣٢٧. (٢)

الشيخ عبد الله المامقانى بن الشيخ محمد حسن:

ولد سنه ١٢٩٠ فى النجف و توفى فيها سنه ١٣٥١.

نشا فى كنف والده الشيخ محمد حسن المامقانى الذى كان من مراجع عصره و له شهره واسع فى الأوساط العلميه و بلدان ايران و خاصه مقاطعه آذربايجان.

بدأ بتعليم القراءه و هو فى الخامسة من عمره، و قرأ المقدمات العلميه و سطوح الفقه و الأصول على والده و على الشيخ هاشم الأرونقى الملكى، و قرأ قوانين الأصول على الشيخ غلام حسين الدربندى، و قرأ رسائل الأنصارى و المكاسب و مقداراً من رياض المسائل على الشيخ حسن ميرزا الخراسانى.

و حضر فى الدروس العاليه و خارج الفقه و الأصول أبحاث والده.

حاز شهره واسع و مقاما رفيعا، و جمع إلى غزاره الفضل و المعرفه ورعا موصوفا و زهدا معروفا، و إلى سمو المكانه تواضعا جما و حسن أخلاق و تصدى للتدريس فكان يحضر بحثه طلاب العلم و لا سيما من فضلاء الأتراک.

رجع اليه فى التقليد بعض أهالى آذربايجان و العراق و غيرهما، فعلق على رسائل فقهايه لعمل المقلدين و طبع بعضها.

ولع منذ شبابه بالتأليف و التصنيف، و كتب كتبا و رسائل فى مختلف العلوم الدينيه.

و كان بدء شروعه فى التأليف بتشجيع من أستاذه الشيخ حسن ميرزا فى سنه ١٣٠٩، حيث بدأ بشرح كتاب الديات من "شرائع الإسلام" و أكلمه فيما بعد فى موسوعته الكبيره "منتهى مقاصد الأنام فى نكت شرائع الإسلام" الذى بلغ ثلاثا و ستين مجلدا.

و من أهم مؤلفاته: كتاب (تنقيح المقال فى علم الرجال). (٣)

عبد الله بن المقفع

إشاره

لم يكن يدور في خلدنا أن يرد اسم عبد الله بن المقفع فيما نعى به من دراسات في (مستدركات أعيان الشيعة)، و لكننا ما دمنا طلاب حقيقه نسعى وراءها أينما لاحت لنا، فان ملامح من حقيقه بدت لنا في دراسات لباحثين نعرف لهم فضلهم في تحرى الحقائق و تثبتهم فيما يدلون به من آراء، فكان علينا أن ننقل لقرائنا ما أقره هؤلاء الباحثون بشأن ابن المقفع تاركين للقراء أن يستخلصوا ما شاءوا من تلك الآراء، غير مرجحين دخول (ابن المقفع) في موضوع كتابنا، و لكننا في الوقت نفسه محترمين رأى من يرون غير ذلك. و يبقى للقراء أن يكون لكل منهم رأيه في هذا الموضوع.

و نأخذ أولا ما كتبه الدكتور فاروق عمر فوزى عن سلامه عقيدته ابن المقفع الإسلاميه، ثم ما كتبه السيد محسن الموسوى عن النزعه الشيعيه في عقيدته ابن المقفع:

قال الدكتور فاروق عمر فوزى:

المعروف لدى مؤرخى الأدب العربى (٤) أن ابن المقفع لمع نجمه في أوائل القرن الثالث الهجرى - الثامن الميلادى حين ظهر على يديه ما يسمى "النثر الأدبى أو الفنى" إلا أن هذه مقاله لا تعنى ببراعته ابن المقفع الأدبى قدر اهتمامها بسيرته و أفكاره الدينيه - السياسيه التى تعكس صورته واضحه لأحداث ذلك العصر و اتجاهاته الفكرية.

و قد اختلف المؤرخون الرواد فيما عرضه عن سيره ابن المقفع و آرائه و جاءوا بروايات تناقض بعضها بعضا، فمنهم من شكك في عقيدته و سيرته و منهم من دافع عنه مشيدا ببراعته الأدبیه و كفاءته الاداريه.

و كان من الطبيعى أن يختلف الباحثون المحدثون حول ابن المقفع فقد ظهرت عده بحوث عرضت على بساط المناقشه مسأله آراء ابن المقفع و مواقفه. ان اختلاف الباحثين فى الرأى (٥) حول هذا الموضوع يدعو إلى التساؤل، بل إن عده أفكار تتراحم لتبحث لها عن جواب. و قد حاولنا فى هذه الدراسه أن نمحص الروايات و ندقق الاخبار بقدر ما تسمح به الدراسه الموضوعيه الخاليه من التحيز علنا نميط اللثام و نكشف النقاب عن جانب من الحقيقه فى سيره هذا الرجل الذى جمع بين الأدب و السياسه فى آن واحد.

تراث الماضى

روزبه بن داؤويه أو عبد الله بن المقفع فارسى فى أصله و ثقافته الأولى، قضى أغلب سنى حياته الأولى مجوسيا على ديانته آباءه. ولد فى إقليم فارس بمدینه جور و هى مدینه جميله عليه الهواء. و يشير البلاذرى (٦) إلى هذه الفتره من حياه ابن المقفع فيقول:

" إن أباه من أشرف أهل فارس.. و كان دخل فى عمل للحجاج فخرج عليه مال فعذب به حتى تقفعت يده فغلب اسمه (المقفع) و احتال حتى اقترض من صاحب العذاب مالا فكان يسعى عليه من القتل".

إن هذه الحيله البارعه التى يشير إليها البلاذرى تدل على ذكاء داؤويه (المقفع) الذى أورثه، دون شك، لابنه روزبه (عبد الله) كما سنرى فيما بعد. و الواقع أن المقفع لم يكن ذكيا فقط بل كان بعيد النظر كذلك و تظهر هذه الصفه فى حسن تربيته لابنه و تثقيفه له تثقيفا جيدا فى البصره موطن الثقافه و الأدب العربى. يقول البلاذرى:

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- محمد كرد علي، أمراء البيان، الطبعة الأولى الجزء الأول ص ١٠٣. - و شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ج ٣ ص ٥٠٧ فما بعد. طبعه القاهرة. - طه حسين، حديث الشعر و النثر، دار المعارف، ص ٤٦.
- ٥- عن البحوث التي عالجت سيره ابن المقفع: انظر خلدون الوهابي، مراجع تراجم الأدباء العرب، مطبعة المعارف ١٩٦٢ بغداد ج ٤. ص ١٧ - عمر فروخ، ابن المقفع، بيروت، ١٩٤١.
- ٦- البلاذري، مخطوطه أنساب الاشراف، إستانبول، ورقه ٥٣٢.

" و كان منزله البصره و كان حريصا على تهذيب عبد الله ابنه يجمع إليه الأدباء و يأخذه بمشاهده مجالسهم و ألزمه أبا الغول الاعرابي و أبا الجاموس و كانا فصيحين ".^(١)

لقد كان من أهم مستلزمات الكاتب في الديوان أن يتقن العربية و علومها. و قد استطاع عبد الله بن المقفع أن يدخل في الاداره الأمويه بجداره و أصبح كاتباً لوالى نيسابور المسيح بن الحواري الذي عينه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على نيسابور سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م. إلا أن عبد الله بن المقفع لم يكن مجرد كاتب للوالى بل لعب دوراً سياسياً بارزاً كذلك فقد حدث أن عزل المسيح عن منصبه و حل محله سفيان بن معاوية المهلبى و لكن ابن المقفع حاول بدهاء أن يثبت المسيح في مركزه حيث يشير الجهشيارى:

" إن ابن المقفع احتال على سفيان و علله حتى استعد المسيح و كاتب الأكراد و جمع أطرافه و قوى أمره فلما استظهر امتنع على سفيان ".^(٢)

و لكن الأمر لم يدم طويلاً فقد استطاع الوالى الجديد الذى تدعمه السلطه من الاستيلاء على الإقليم و طرد المسيح بن الحواري سنة ١٢٩ هـ - ٧٤٦ م و السيطرة على الأمور، و بقى سفيان المهلبى يحقد بشده على ابن المقفع و كان لذلك آثاره السيئه على العلاقه بينهما فى المستقبل.

انتقل عبد الله بن المقفع من نيسابور إلى كرمان و أصبح كاتباً لداود بن يزيد بن هبيرة سنة ١٣٠ - ١٣١ هـ - ٧٤٨ م كما يشير إلى ذلك الجهشيارى، أما البلاذرى فيقول بان ابن المقفع عمل كاتباً لعامر بن ضباره فى كرمان.^(٣) و كان ابن ضباره هذا قائداً للجيش الذى أرسله يزيد بن عمر بن هبيرة ضد الثوار الخوارج و ضد عبد الله بن معاوية الطالبى. و لعل ابن المقفع عمل فى معيه الرجلين داود بن يزيد و عامر بن ضباره فى فترات متقاربه، على أن المهم ما يشير إليه البلاذرى من أنه انتفع من عمله فيقول:

"كانت لعبد الله بن المقفع حال جميله و غله تأتيه من فارس كافيه و كانت له مروج تقاد اليه منها البراذين و البغال فيهديها و يحمل عليها".

و يؤكد هذا القول الجهشيارى حين يقول بان ابن المقفع " أفاد معه مالا- " أى انتفع من عمله فى كرمان. لم يتبع عبد الله بن المقفع القواد الأمويين المنهزمين أمام الجيوش العباسيه بل انسحب منهم ببراغه و وجد له مكاناً فى البصره فى معيه العباسيين حيث نشاهده فجاه مع أولاد على بن عبد الله بن العباس أعمام الخلفاء العباسيين أبى العباس و المنصور.

و كان أبو العباس قد عين أحد أعمامه سليمان بن على^(٤) والياً على البصره.

ابن المقفع و الدوله العباسيه الجديده

يعتبر ابن المقفع من مخضرمى الدولتين الأمويه و العباسيه فقد شهد انتقال السلطه من الأمويين إلى العباسيين و بسبب تواجده فى فارس و عمله فى دواوين الدوله الأمويه و مع ولاتها فقد تحسس عن قرب بالأحداث الجسيمه التى وقعت فى الطرف الشرقى من الدوله و التى أدت إلى سقوط الأمويين. و لعل ابن المقفع قد أدرك بثاقب بصيرته و رهافه إحساسه و بعد نظره السياسى أن لا

فائده ترتجى من الالتزام بالولاء للأمويين و مكث فى البصره يراقب الأحداث عن كذب ثم قرر الارتباط بأولاد على بن عبد الله العباسى و أصبح كاتباً (٥) لعيسى بن على العباسى عم الخليفه أبى العباس.

و المعروف عن البصره فى تلك الفتره انها عثمانيه لا- تدين بالولاء لفريق من الفرقاء المتنازعين و ربما أمكننا تسميتها بالمحايدته. (٦) و لعل هذه الصفه صفه الحياد جذبت إليها عددا كبيرا من الشخصيات الأمويه أو المعروفه بولائها للأمويين هذا إضافة إلى أن سياسه الوالى العباسى سليمان بن على المرنه المتسامحه جعلت من البصره ملجئاً أميناً للعناصر المناوئه للدولة الجديده.

و فى البصره استطاع عبد الله بن المقفع أن يعقد صداقات وطيده مع شخصيات بارزه مثل سلم بن قتيبه الباهلى والى الأمويين السابق على البصره و معن بن زائده الشيبانى القائد الأموى الشهير، كما تقرب إلى عماره بن حمزه مولى الخليفه العباسى أبى العباس و القاضى ابن أبى ليلى و القاضى ابن شبرمه. (٧) هذا عدا ما ذكرناه عن صلته القريبه باعمام الخليفه أولاد على العباسى و خاصه عيسى و سليمان. إن هذه الارتباطات و الصداقات مع شخصيات من العهد القديم و شخصيات أخرى من الدوله الجديده تعطى أكثر من دليل إلى براعه ابن المقفع و قوه شخصيته و دماثة خلقه.

و فى هذه المرحله من حياته اعتنق ابن المقفع الإسلام حيث تشير روايه البلاذرى انه حين قرر الدخول فى الإسلام فاتح عيسى بن على قائلاً:

"انى أريد الإسلام فقد خامر قلبى حبه و كرهت المجوسيه فقال له إذا أصبحنا جمعت اخوتى و وجوها من وجوه الناس فشهدوا إسلامك و حضر عشاء عيسى فدعاه لياكل فامتنع فعزم عليه و كان نظيفاً حسن المواكله فلم يدن من الطعام إلا على زمزمه فقيل لا تزرم و أنت على الإسلام غدا فقال إنى أكره أن أبيت على غير دين فلما أصبح أسلم". (٨)

مقتل ابن المقفع - لما ذا؟

بقى عبد الله بن المقفع كاتباً لعيسى بن على و متمتعاً بصله سليمان بن ٣.

ص: ١٣٨

- ١- البلاذرى، مخطوطه أنساب الاشراف، ورقه ٥٣٢-٥٣٢. - كان المقفع مولى لبنى الأهم بالبصره و قد عرفوا بفصاحه اللسان.
- ٢- الجهشيارى، الوزراء و الكتاب، القايره ١٩٣٨، ص ٧٢.
- ٣- قارن بين الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٧٥. و البلاذرى، المصدر السابق، ورقه ٥٣٣.
- ٤- البلاذرى، مخطوطه أنساب الاشراف، ورقه ٧٥٣ ب - ٧٥٧ أ.
- ٥- الجهشيارى. الوزراء و الكتاب، ص ٧٠.
- ٦- عن هذا الموضوع راجع، فاروق عمر، العباسيون الأوائل، بيروت ١٩٧٠، الجزء الأول ص ٢٠٤-٢٠٥-٢٤٥، pp. ١٩٦٩، dad, ٢٤٦-246.F.Omar, The Abbasid Calphate, Bagh

- ٧- عن هذه الصداقات انظر: الجهشياري، ص ٧٥ فما بعد. - البلاذري: المصدر السابق ورقه ٣٠٦ أ - ٣٠٨ أ إستانبول ورقه ٥٣٣ - . ياقوت، إرشاد.. ج ٦ ص ٦ فما بعد. - أما عن علاقه عبد الله بن المقفع بعبد الحميد الكاتب فقد دخلت فيها مبالغات كثيره (انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعه القايره ١٩٤٨، ج ٢ ص ٣٩٦ فما بعد).
- ٨- البلاذري، مخطوطه أنساب الأشراف، إستانبول، ورقه ٥٣٣.

على والى البصره حتى عزل هذا الأخير عن الولاية و عين الخليفه المنصور بدله سفيان بن معاويه المهلبى واليا على البصره الذى، كما تؤكد رواياتنا التاريخيه، قتل ابن المقفع قتله شيعه سنه ١٤٢ هـ - ٧٦٠ م. (١)

و إذا كان روايتنا يتفقون فى تشخيص القاتل فإنهم يختلفون فى سبب القتل و الباعث له و المحرض عليه. فالبلاذرى يقول بان المنصور (١٣٦ هـ ١٥٨ هـ) عين سفيان بن معاويه المهلبى واليا على البصره و كان بنو على العباسى أعمام الخليفه قد طلبوا من ابن المقفع أن يكتب لهم نص الأمان الذى سيمنحه الخليفه لعنه الثائر عبد الله بن على و قد وضع ابن المقفع فى الأمان الشرط الشديد التالى:

" فان لم يف أمير المؤمنين عما جعل له فهو برىء من الله و رسوله و الأمه فى حل و سعه من خلعه ". و يمضى البلاذرى فيقول بان ابن المقفع هذا كان يستهزئ من الوالى سفيان المهلبى و يتسقط عيوبه اللغويه و مثالبه الشخصيه و ينعتة بنعوت تهكميه مما جعل المهلبى يكرهه كرها شديدا. و قد أعطته هذه الحادثه فرصه ثمينه لقتله حين دعا المنصور إلى التخلص من عبد الله بن المقفع. و قد ربط ابن المقفع ربطا محكما ثم ألقى فى تنور حار فاحترق و هو يصرخ " يا أعوان الظلمه... ". (٢)

و يشير الجهشيارى (٣) إلى أن المنصور عين سفيان المهلبى واليا على البصره و أمره بالضغط على أعمامه العباسيين بضروره تسليم عبد الله بن على الثائر الهارب إلى البصره و عندئذ طلب عيسى بن على من ابن المقفع أن:

" يعمل نسخه الأمان فعملها و وكدها و احترس من كل تأويل يجوز أن يقع عليه فيها و ترددت بين أبى جعفر (المنصور) و بينهم فى نسخه كتب إلى ان استقرت على ما أرادوا من الاحتياط و لم يتهيا لأبى جعفر اتباع حيلته فيها لفرط احتياط ابن المقفع و كان الذى شق على أبى جعفر أن قال فى نسخه يوقع بخطه فى أسفل الأمان... و كتبت بخطى و لانيه لى سواه و لا يقبل الله منى إلا إياه و الوفاء به ".

و يقول يعقوبى (ت ٢٨٤ هـ) عن الأمان: (٤)

" ثم طلب (عبد الله بن على) الأمان فكتبه له أبو جعفر على نسخه وضعها ابن المقفع بأغظ العهود و المواثيق لا ينال بمكروه و ان لا- يحتال عليه فى ذلك بحيله. و كان فى الأمان (فان أنا فعلت أو دسست فالمسلمون براء من بيعتى و فى حل من الايمان و العهود التى أخذتها عليهم) فلما وقف أبو جعفر على هذا قال من كتبه؟ قيل ابن المقفع فكان ذلك سببا لميته ابن المقفع ".

و يشير ابن أعثم الكوفى إلى سببين فى مقتل ابن المقفع الأمان و العداوه الشخصيه بينه و بين سفيان المهلبى فيقول:

" و كتب سليمان (بن على) إلى المنصور يسأله أن يعطى عبد الله أمانا فأجابته إلى ذلك فقال عيسى بن على لكاتبه عبد الله بن المقفع أحب أن تكتب له أمانا مؤكدا فكتب كتابا لا يكون لأحد مثله و استقصى فيه غايه الاستقصاء. فلما ورد الكتاب بالأمان على أمير المؤمنين نظر فيه فشق ذلك عليه لأنه كان مغتاظا على عبد الله بن على و أراد قتله. فقال من كتب هذا؟ ثم قال: أ ما لنا من يكفينا ابن المقفع و يريحنا منه؟ و بلغت هذه الكلمه سفيان بن معاويه بن يزيد بن المهلب بن أبى صفره و هو بالبصره من قبل المنصور فعزم على قتل ابن المقفع ". (٥)

و تحت عنوان ذكر مقتل ابن المقفع يقول ابن أعثم مره أخرى:

" قال المدائني كان السبب في مقتله أن سفیان المهلبی ربما حضر إلى الديوان بالبصره فتقع المسأله بعد المسأله فيلقيا ابن المقفع على سفیان بن معاويه فإذا لم يفهمها يقول له ابن المقفع وقعت و الله يا مهلبی. قال فغضب المهلبی ذات يوم فشم ابن المقفع... فقال له ابن المقفع (و الله ما رضيت أمك برجال العراق حتى تزوجت برجال أهل الشام) و حقد عليه سفیان. ثم ذات يوم أرسله عيسى (بن علي) إلى سفیان في حاجه فقال ابن المقفع أخاف على نفسي فقال له: تخاف على نفسك و أنا حي فأخذه سفیان و قطع يده و رجله و رماه بالتنور و لم يكن هناك بينه عليهم". (٤)

أما الأزدي (ت ٣٣٤ هـ) في تاريخ الموصل فلا يشير إلى أن كاتب الأمان هو ابن المقفع بل يقول:

" في سنه ١٢٨ هـ قدم سليمان بن علي من البصره على أبي جعفر و أخذ عليه لأخيه عبد الله بن علي الأمان فأعطاه أبو جعفر كلما التمس له من ذلك و كتب له كتابا أشهد فيه على نفسه و حلف بما تضمنه".

و بعد أن يسرد نص الأمان بالتفصيل يقول: "فقدم عبد الله بن علي على أبي جعفر بهذا الأمان بعد أن حلف به و أشهد به على نفسه فلما دخل إليه حبسه". (٧)

و يقول المقرئ عن ابن المقفع أنه كتب أمانا "تعدى فيه ما يكتبه الخلفاء من الأمانات" و يعتمد في بقيه النص على البلاذري. و شان ابن خلکان (ت ٦٨١ هـ) كشان المقرئ حيث يعتمد فيما يخص بحثنا على روايات من سبقه من المؤرخين و يدمج بينها محاولا أن يعطي صورته متكامله بطريقه مختصره و ليس فيما أورده عن ابن المقفع شىء جديد عما ورد في البلاذري و الجهشياري. (٨)

ان معظم الروايات التاريخيه التي أشرنا إليها تتفق، رغم اختلاف أسلوبها أو طريقه عرضها و تصويرها للأحداث، على الطريقه التي انتهت بها حياه ابن المقفع. و يظهر منها أن ابن المقفع لم يكن له علاقه طيبه بسفیان المهلبی والى البصره الذى خلف سليمان بن علي. و ان العداوه بين سفیان و ابن المقفع قديمه تعود إلى أواخر العهد الأموي حين كان سفیان المهلبی واليا على نيسابور، و كان عبد الله بن المقفع ينتهز.

ص: ١٣٩

١- تختلف الروايات في سنه اغتيال ابن المقفع بين ١٤٢ هـ و ١٤٣ هـ و الأولى أصح.

٢- البلاذري، المصدر السابق، ٣١٩ أ - ٣١٩ ب.

٣- الجهشياري، الوزراء و الكتاب، ص ٧١.

٤- اليعقوبي، التاريخ، النصف ١٩٦٤ ج ٣ ص ١٠٨.

٥- ابن أعثم الكوفي، مخطوطه الفتوح، إستانبول، ورقه ٢٣٨ ب.

٦- المصدر السابق ص ٢٣٨ ب - ٢٣٩ ب.

- ٧- أبو زكريا الأزدي، تاريخ الموصل، القاهرة ١٩٦٧. ص ١٦٧-١٦٨ عن أحمد بن الحارث الخزاز، ص ١٧٠.
- ٨- المقرئى، مخطوطه المقفى الكبىر، المكئبه الوطنيه بباريس، ورقه ٢٤٣ ب. - ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعه القاهرة، ١٩٤٨ ج ٢ ص ٣٩٦ فما بعد.

الفرصة تلو الأخرى و يهزأ بلغه الوالى و يستفزه بتعليقاته على سلوكه و تصرفاته و لم يتورع بنعته "يا ابن المغتلمه و الله ما اكتفت أمك برجال أهل العراق حتى تعدتهم إلى أهل الشام"^(١). و قد انتهز سفيان المهلبى غضب المنصور و قتل ابن المقفع بعد أن عذبه أشنع قتله.

و لكن هل يكفى ذلك دليلا قاطعا يبرر قتل عبد الله بن المقفع؟ و هنا تعترضنا المسأله التى أثارها مؤرخون متاخرون و ناقشها مؤرخون محدثون ألا و هى زندقه ابن المقفع.

هل كان ابن المقفع زنديقا؟

فى روايه للجهمشيارى^(٢) أن سفيان المهلبى حين قطع ابن المقفع إربا إربا و أحرقه كان يقول "يا ابن الزنديقه لأحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخره". و فى روايه لابن خلكان أن سفيان المهلبى قال بعد أن مثل و أحرق ابن المقفع "ليس فى المثل بك حرج لأنك زنديق قد أفسدت الناس".^(٣) و حين يتكلم ابن خلكان عن الخليفه المهدي الذى اشتهر بتعقبه للزنادقه ينقل عنه انه قال أن كل كتاب زندقه يعود فى أصله إلى ابن المقفع.^(٤) و يقول البيرونى عن (باب برزويه) من كتاب كليله و دمنه الذى ترجمه ابن المقفع إلى العربيه، بان هذا الأخير كتبه و أضافه من عنده "فاصدا تشكيك ضعيفى العقائد فى الدين و كسرهم فى الدعوه إلى مذهب المنانيه".^(٥)

و إذا صحت الروايه^(٦) التى تشير بان ابن المقفع أحرق بئر نوره فان هذا التقليد كان متبعا فى العهد الساسانى لحرق المنشقين و المنحرفين عن الديانه الرسميه و إن إحراق ابن المقفع بهذه الطريقه كان عمليه مقصوده الغرض منها التشهير بزندقته.^(٧)

و تشير روايه أخرى^(٨) أن عبد الله بن المقفع حين مر ببيت من بيوت النار أنشد بيت الأحوص مبديا حينه إلى ديانته القديمه:

يا بيت عاتكه الذى اتعزل حذر العدى و به الفؤاد موكل

انى لأمنحك الصدود و انى قسما إليك مع الصدود لأميل

و تظهر روايه أخرى معارضته للقرآن و قلبه احترامه له و تستند على ما كتبه القاسم بن إبراهيم فى كتابه الموسوم (الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) و كأنه يرد فيه على رساله كتبها ابن المقفع أو نسبت إليه حيث ينقل فقرات و جمل من آراء ابن المقفع فى هذه الرساله.^(٩) و يرى المسعودى^(١٠) بان ابن المقفع و آخرين من الملاحده ترجموا مؤلفات مانى و ابن ديسان و مرقيون. كما و أن ابن المقفع ترجم كتاب مزدك. و يعلق الصفدى^(١١) "بان كتب الزنادقه الممنوعه تحوى الكثير من آراء ابن المقفع". و بعد ذلك كله تظهر روايات عديده اتصال ابن المقفع بحلقه الشعوبيين و المجان المتهمين بالزندقه و منهم البقلى الذى قتل بامر المنصور لإنكاره البعث و القيامه، و عماره بن حمزه الذى "أنكر عليه أبو جعفر المنصور فى وقت من الأوقات شيئا و نقله إلى الكوفه"^(١٢) و أبان اللاحقى و سهل بن هارون و حماد عجرد و غيرهم ممن كانوا يتواجدون بالبصره.^(١٣)

و أمام هذه الروايات اختلف المؤرخون المحدثون فى مواقفهم من زندقه ابن المقفع. و أول ما يبدو لنا بان اسم ابن المقفع كان قد ارتبط بتهمه الزندقه عند المسعودى و ابن خلكان و البيرونى و الصفدى فلم يكونوا بحاجة إلى اعاده البحث و التحرى عن

الحقيقه المسلم بها في نظرهم. و قد انقسم المؤرخون على أنفسهم فيما يخص زندقه ابن المقفع فقد نفى محمد كرد على و خليل مردم هذه التهمه عن ابن المقفع(١٤)، أما الدكتور البصير فيقول أن الزندقه تهمه لفتتها السلطه العباسيه على ابن المقفع و يرى في الزندقه "ذلك الستار البراق الذي يسدله و لاه الأمور في صدر الدوله العباسيه على كل جريمه يحلو لهم اقترافها". (١٥).

و يشك عباس إقبال في صحه نسبه الكتاب الذي رد عليه القاسم بن إبراهيم لابن المقفع لأنه لا يتفق مع الآراء المدونه في باب برزويه التي دونها ابن المقفع ذاته.(١٦) بينما أكد شوقي ضيف زندقه ابن المقفع.(١٧).

و بين المستشرقين عزا هيوارث مقتل ابن المقفع إلى عامل الانتقام من قبل سفيان المهلبى إضافة إلى ما كان يدين به من آراء.(١٨) أما نيرك قيرى أن اتهام ابن المقفع بالزندقه كانت الباعث الحقيقى لقتله. و يشير جويدى إلى انه "كان قليل الاحترام للقرآن الذى حاول أن يعارضه...". (١٩).

أما جبريلى و هو أفضل من توسع بعمق حول كتابات ابن المقفع و آرائه فقد أشار إلى أن الفقرات التي تنتقد الدين في (باب برزويه) هي من وضع ابن المقفع الذى حشرها دون أن يسفر بوضوح عن عقيدته الالحاديه. يقول جبريلى(٢٠)٥.

ص: ١٤٠

١- الجهشيارى، الوزراء و الكتاب، ص ٧١-٧٢. - ابن أعثم الكوفى، الفتوح، ورقه ٢٣٨ أ.

٢- الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٧٣.

٣- ابن خلكان، المصدر السابق، طبعه و تسنفلد، ج ٢ ص ١٢٦.

٤- المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٥.

٥- البيرونى، تحقيق ما للهند من مقوله، لبيزك، ص ٧٦.

٦- البلاذرى، مخطوطه أنساب الاشراف، ورقه ٥٣٥.

٧- راجع: D.Sourdel, La Bibliographie D ' Ibn al-Mugaffa

٨- أمالى المرتضى، ج ١ ص ١٣٥. - البغدادي، خزانه الأدب، ج ٣ ص ٤٥٩.

٩- القاسم بن إبراهيم بن طباطبا، الرد...، نشر جويدى سنة ١٩٢٧، ص ٨.

١٠- المسعودى، مروج الذهب، ج ٤ ص ٢٤٢.

١١- F.Gabrieli, Le opera d'Ibn al-Mugaffa; E.S.O.XIII. راجع ترجمتها العربيه في عبد الرحمن بدوى، ص

٤٣.

١٢- الجهشيارى، ص ٧٥.

١٣- عن هذه الشخصيات راجع الأصفهاني، الأغاني (الفهرست).

١٤- محمد كرد على، رسائل البلغاء، ص ٨. - خليل مردم، ابن المقفع دمشق ١٩٣٠ ص ٥٢ فما بعد.

١٥- البصير، فى الأدب العباسى، بغداد ١٩٥٥ ص ١٠.

١٦- عباس إقبال، شرح حال عبد الله بن المقفع (بالفارسيه) ص ١٩ فما بعد.

- ١٧- شوقى ضيف. تاريخ الأدب العربى ج ٣ ص ٥٠٩.
- ١٨- Nyberg, Der Kampf Zwischen Islam.,., OLZ, ١٩٢٩p.٤٣٢ -١٨
- ١٩- انظر مقدمه جويدى: Guidi, La letta tra I'Islam eil Manicheism.
- ٢٠- جبريلى، المصدر السابق (الترجمه العربيه) ص ٤٥.

" إن القطعه كلها بما فيها من جرأه فى التفكير و مغزى تهكمى لاذع لا يمكن أن تكون قد كتبت و انتشرت باسم مؤلفها فى دوائر بلاط فارسالساسانيه و دينها الرسمى هو المزدكيه أو فى المجتمع الإسلامى فى القرن الثامن الميلادى. و لكن من المحتمل جدا أن عقلا يسوده الشك و التفكير كما كان عقل ابن المقفع قد أظهر فى هذه القصة آراء ناسبا إياها إلى شخص أجنبى و وسط بعيد غريب " و يضيف جبريلى(١):

" أن علينا أن نرفض أن يكون ابن المقفع و هو فى سن الرجوله (و النضج) قد تعلق بالمجوسيه و آمن بها ايماناً عقلياً و لو انه من الممكن ان يكون ابن المقفع مع ذلك يميل إلى دين الفرس القديم من ناحيتى العاطفه و الحضاره " .

إن جبريلى يؤكد عقيدته ابن المقفع المانويه، و صححه نسبه (باب برزويه) فى كليله و دمنه اليه و كذلك الكتاب الذى رد عليه القاسم بن إبراهيم. و يقول بان ابن المقفع رد على ماده القرآن بطريقه فلسفيه جدليه و براهين عقليه أثارت الامام القاسم أيما اثاره فحملته على الرد بنفس الأسلحه التى صنعتها المعتزله فى تلك الفتره.(٢) على أن جبريلى يرى أن مقتل ابن المقفع لم يكن بسبب زندقته بل انه كان عملاً انتقامياً بحتاً.(٣)

و يستغرب المستشرق كويتين من جرأه ابن المقفع التى دفعته للكتابه (رساله فى الصحابه) اتى تمثل انتقاداً للأوضاع السائده فى البلاط و الاداره العباسيين و إعطائه برنامجاً سياسياً بديلاً لما يجب أن يكون عليه الوضع السياسى و الادارى. و يرى كويتين فى (الرساله) سبباً لمقتل ابن المقفع حيث يقول:

" اننا لا نكون بعيدين جدا عن الحقيقه إذا افترضنا بان الرساله مع انها تدل على اهتمام جدى بترسيخ الخلافه (إصلاحها) فإنها أثارت شكوك المنصور و أدت إلى مقتل ابن المقفع ".(٤)

و لم يكن سفيان المهلبى، فى اعتقاد كويتين نفسه، ليقوم بمقتل ابن المقفع إلا بمعرفه الخليفه المنصور نفسه و إقراره بذلك.

و يؤكد البروفسور سورديل(٥) فى أحدث مقاله له عن ابن المقفع على ما أشار إليه البروفسور كويتين من انه لا يمكن اعتبار الزندقه و لا العلاقه الشخصيه العدائيه بين ابن المقفع و سفيان المهلبى سبباً لمقتل الأول، بل أن سفيان المهلبى لم يكن سوى وسيله بيد الخليفه المنصور الذى كان له الدور الرئيسى فى هذه المسرحيه. إلا- أن سورديل يختلف عن كويتين حين يربط الاغتيال بصوره غير مباشره (بالأمان) الذى كتبه ابن المقفع لعبد الله بن على عم الخليفه، و كان ابن المقفع بكتابه للأمان قد وقف إلى جانب العناصر المعاديه للخلافه. و يحاول البروفسور سورديل أن يربط بين (الأمان) و رساله فى الصحابه إذ أن كليهما فيما تضمناه من آراء و انتقادات يسيران فى نفس الاتجاه المعادى، من وجهه نظر الخليفه، للدولة(٦) و لذلك استقر رأى المنصور على التخلص من ابن المقفع بآيه وسيله.

نظره نقديه للمصادر:

إن قله النصوص التاريخيه الواضحه حول آراء ابن المقفع و أسباب مقتله ربما تضطرننا أحياناً إلى التشبث بالنص و تحميله أكثر من طاقته لتتوصل إلى نتائج تاريخيه حول الموضوع. و لكن هذه النتائج لم يكن بإمكاننا التوصل إليها دون تمحيص و تدقيق و قراءه هادئه لما بين السطور.

أ - النقد الخارجي: ليس بالإمكان، كما فعل جبريلي، الاعتماد كلياً على مصادر متأخرة جداً بالنسبة لتاريخ ابن المقفع حيث استقى معلوماته من ابن خلكان و ابن الجوزي و الصفدي. و قد لاحظ البروفسور سورديل ذلك و استغل البلاذري و الجهشيارى المصدرين الرئيسيين اللذين لم يتيسر لجبريلي الاعتماد عليهما. على أننا أضفنا مصادر أخرى ذات قيمه تاريخيه لم تكن متيسره لدى البروفسور سورديل و هي (مخطوطه الفتوح) لابن أعمش الكوفي (و مخطوطه تاريخ الموصل) لابن زكريا الأزدى (و مخطوطه المقفى الكبير) للمقرزى.

و إذا كانت روايات البلاذري فيما يخص موضوع البحث الذى بين أيدينا تقتصر على الحقائق الجافه ينقلها البلاذري من رواياتها بطريقه مبسطه، فان الجهشيارى، و هو مؤرخ بارع و كاتب فى الديوان متمكن يتحلى بمزايا أدبيه جيده يزودنا بروايات دسمه و واضحه. أما مخطوطه ابن أعمش الكوفي فقد لا- تختلف فى جوهرها عما ورد فى البلاذري إلا- أن هناك اختلافات فى صيغ العبارات و الجمل و فى نص فقرات من كتاب الأمان. و رغم كون الأزدى يكتب فى تاريخ الموصل المحلى إلا انه يضيف معلومات لاحداث هامه وقعت فى أنحاء مختلفه من الخلافه و هو ينقل نص الأمان بكامله. و قد استغل ابن خلكان [و] البلاذري و الجهشيارى بحيث دمج و اختصر ما عندهما عن ابن المقفع حسب ما رآه مناسباً، على أن هذا الدمج شوه أحياناً ما فيهما من أخبار أو معلومات عن قصد أو دون قصد. و رغم كون المقرزى مؤرخاً متأخراً كذلك إلا انه مؤرخ واع و بارع و هو يعتمد فيما يخص هذه الأحداث على البلاذري و ينقل عنه روايات كامله بصوره حرفيه.

ب - النقد الداخلى: لا- بد من التنويه إلى أن الروايات التى تشير إلى زندقه ابن المقفع تأتي غالباً من مصادر متأخرة أو أنها روايات ضعيفه لا سند لها. و مع ذلك فهى لا تتفق على أن زندقه ابن المقفع كانت سبباً فى قتله. pp

ص: ١٤١

١- المصدر السابق ص ٤٢.

٢- المصدر السابق ص ٤٦-٤٨. - تجنب جبريلي فى عناء تحديد الإضافات التى أضافها ابن المقفع إلى باب برزويه رغم قوله بان ابن المقفع هو الذى كتب الجزء الخاص بخلو معارفنا الدينيه من التعيين و تناقض الأديان فيما بين بعضها البعض. و قد رد عليه كروس فرأى بأنه من المحتمل أن يكون ابن المقفع قد أدخل نصوصاً جديده من عنده فى باب برزويه إلا انه يعتقد بان النسخه الأصلية الفهلويه لنفس النص تتضمن أقوالاً- شكوكيه عن الأديان جعلها ابن المقفع أساساً لما دونه من إضافات.

P.Kraus,Zu Ibn al-Mugaffa.,R.S.O.,vol.١٤,١٩٣٣.

٣- المصدر السابق، ص ٥٢.

٤- Gaiteim,A Tturning Point in the history...,I.C.,١٩٤٩,P.١٢٢.

٥- D.Sourdel,La Biographie D'Ibn al-Mugaffa.,,PP.٣١٧-١٨.

٦- انظر: ١٨٨-١٧٦: Idem,la passion dal Hallag,pp (١)Zindiq).E.L.

و قبل مناقشه هذه الروايات و التثبت من صحتها نقول بان اصطلاح "الزندقه" اصطلاح غامض و مرن و قد أوضح المستشرق ماسنيون (٤٦) مدى شموليه هذا الاصطلاح و توسع دلالاته لدى الرواه و الأخباريين المسلمين إلى درجه يصعب معها إعطاء تعريف دقيق و محدد له.

و قد لاحظ المستشرق قيدا (١) كذلك أن لاصطلاح الزندقه معان عده فى تلك الفتره حيث كان يطلق على من يؤمن بالمانويه ثم شمل كل ملحد أو مشكك بالعهديه الإسلاميه و كل من يخالف مذهب الدوله العباسيه الرسمى (٢) كما أطلق على المجان و الخلاء و المستهترين من شعراء أو كتاب تلك الفتره. و رغم أن الزنادقه الذين طاردتهم السلطه العباسيه كانوا مانويه بالدرجه الأولى (٣) إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد فقد اتهم البعض بالزندقه لأسباب سياسيه أو شخصيه و أصبحت الزندقه تهمة تتخذ و سيله للقضاء على الخصوم السياسيين و سبيلا للتخلص من المنافسين على المناصب. و إذا كان الأمر كذلك فمن الصعب الجزم بزندقه ابن المقفع.

أما النعوت التى خاطب بها سفيان المهلبى ابن المقفع مثل "يا ابن الزنديقه" و غيرها مما ذكرناه آنفا فهو تعبير كلامى ليس إلا و استهزاء بابن المقفع على نفس الطريقه التى كان ابن المقفع يستهزئ بسفيان المهلبى. أو أنه، كما يشير سورديلى، تعبير اثارته الطريقه التى عذب بها ابن المقفع قبل موته حيث وضع فى حفره من النوره الحاره و هى عين الطريقه التى كان يعذب بها الزنادقه المنشقين فى العهد الساسانى. و أكثر من هذا فلعلنا نستطيع القول بان سفيان اتهم ابن المقفع بهذه التهمه مبررا قتله و هى أسلوب غير جديد على الوالى أو ممثل السلطه العباسيه حيث استعملت الزندقه و سيله لقتل المعارضين.

أما ما ذكره الخليفه المهدي حين قال: "ما وجدت كتاب زندقه قط إلا و أصله ابن المقفع" فلم يكن هذا التصريح من خليفه حكم بعد حوالى ست عشره سنه من مقتل ابن المقفع أكثر من انطباع خامر الخليفه فى حينه و ليس له من التاريخيه قيمه حقيقيه و لا- يقاس بمستوى الحكم القاطع. إلا- أن صدور مثل هذا القول من خليفه عرف فى التاريخ بمطاردته للزندقه (المانويه) و تشديده عليهم أعطى الانطباع صورته الحقيقه و التعيين و قبلت من قبل المؤرخين المتأخرين كحقيقه تاريخيه مسلم بها فوصفوا ابن المقفع بالزندقه و المانويه.

أما الروايات التى تشير إلى أن زندقه ابن المقفع تعنى الزرادشتيه (٤) فليس لها أساس من الصحه ذلك لأن الزندقه فى العصر العباسى لم تشمل الزرادشتيه بل على العكس فان رجال الدين الزرادشت تعاونوا مع السلطه العباسيه فى القضاء على المتمردين و المنشقين الفرس أمثال بها فريد و أستاذ سيس و المقنع الخراسانى و غيرهم.

و فيما يخص علاقته ابن المقفع ببعض الشعراء و الكتاب المجان و الشكاك و الشعوبيين فى البصره فان الدراسات المستفيضه للعديد منهم لم تثبت زندقته بل أكدت براءتهم من الزندقه (بمعنى المانويه) و ربما كان لبعضهم شك فكرى ليس إلا. (٥)

ثم أن أغلب ما جاءنا عن من يسمون "بالزندقه" كان فى مصادر معاديه لهم بصوره سافره و لذلك لا يمكن الجزم بصحه الاخبار التى ذكرت عنهم و ليس بالمستبعد أن آراءهم بدلت و حرفت أو بولغ فيها و أظهروا بمظهر يسهل التجريح به و الهجوم عليه.

و فيما يتعلق بمؤلفات ابن المقفع و ما نسب إليه من قبل القاسم بن إبراهيم المعتزلى فالرأى مختلف حول صحه نسبه الكتاب الذى رد عليه القاسم بن إبراهيم إلى عبد الله بن المقفع. فالمعروف عن ابن المقفع أنه أديب يمتاز بأسلوب رفيع و قد ألف و ترجم العديد من الكتب و الرسائل. إلا- أن ذلك العصر ابتلى بتقليد سيئ و هو أن ينسب الكاتب كتابه أو رسالته إلى غيره ليروجها بين الناس أو مخافه التشهير أو السلطه أو إلى غير ذلك من الأسباب. يقول الجاحظ فى هذا الباب:

" و ربما ألف الكتاب الذى هو دونه فى معانيه و ألفاظه فيترجمه باسم غيره و يحيله على من تقدمه فى عصره مثل ابن المقفع و الخليل".(٤)

و إلى ذلك يشير المسعودى فيقول(٧):

"..على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين و تعظيم كتب السالفين و مدح الماضى و ذم الباقي و ان كان فى كتب المحدثين ما هو أعظم فائده و أكثر عائده و قد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم فينسبه إلى نفسه فلا يرى الأسماع تصغى اليه و لا الإيرادات تيمم نحوه ثم يؤلف ما هو انقص منه مرتبه و أقل فائده ثم ينحله إلى عبد الله بن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين و من قد طارت أسماؤهم فى المصنفين فيقبلون على كتبها و يسارعون إلى نسخها لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدمين و لما يدخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم و منافسته على المناقب التى يخص بها".

من ذلك نستنتج أن الجاحظ و غيره كانوا يفخرون بنسبه بعض مؤلفاتهم إلى عبد الله بن المقفع و يتساءل البروفسور جبريلى(٨) بحق عن مدى صحه آثار ابن المقفع إليه، و يعتقد بان الأدب الكبير و رساله فى الصحابه فقط يمكن التأكد بأنهما له. أما من حيث الكتب المترجمه فمن المؤكد أن ابن المقفع ترجم كليله و دمنه و خدای نامه و كتاب التاج و آيين نامه و كتاب مزدك إلى العربيه. و يدعو المستشرق شارل بلات(٩) إلى الحذر و يقول "أن هذا الترييف و هذا الوضع و الافتعال يسوغ التحفظ". و الواقع فان المؤرخين المحدثين يختلفون فى نسبه الكتاب أو رساله التى زعم القاسم بن إبراهيم انها لابن المقفع، ففى الوقت ٥.

ص: ١٤٢

١- ٢٢-١٧٣. G.Vajda, Les Zindiqs en pays d'Islam..., R.S.O., XVI, ١٩٣٧pp.

٢- فاروق عمر، العباسيون الأوائل. دمشق، ١٩٧٣ ج ٢ ص ١٣٣ فما بعد.

٣- فاروق عمر، العباسيون الأوائل. دمشق، ١٩٧٣ ج ٢ ص ١٣٣ فما بعد.

٤- ٥٤. Chrirtensen, L'Iran..., ١٩٣٦p.

٥- راجع: ١٠٤ff. J.Goldziher, Salih b.Abd al-Kaddus..I.C.O., ١٨٩٣, pp.

٦- الجاحظ، رساله فى العداوه و الحسد، ص ١٠٨.

٧- المسعودى التنبيه و الاشراف ١٩٣٨، ص ٦٦-٦٧. لقد وقع ذلك للكثير من العلماء و الأدباء المشهورين مثل حنين بن إسحاق العبادى (راجع ابن أبى أصيبعه عيون الأنباء، بيروت ١٩٦٥).

٨- جبريلى، المصدر السابق، ص ١٩٨.

٩- شارل بلات، الجاحظ، دمشق، ١٩٦١، (الترجمه العربيه) ص ١٩٥.

الذى يقبلها جويدى و جبريلى(١)، كما أوردنا ذلك سابقا، يرفضها أو يشك فى صحه نسبتها كل من أحمد أمين و رشترو عباس إقبال و داود(٢). و يرى هذا الأخير بان هذه المقاله لا يمكن أن تنسب إلى ابن المقفع لا من حيث أسلوبها الذى لا يشابه أسلوب ابن المقفع و لا- من حيث تحليلها الذى لا يصل إلى مستوى منطق ابن المقفع. ثم انه من غير المعقول أن نتصور رجلا مدركا مثل ابن المقفع يقحم نفسه فى هجوم عنلى شديد على الإسلام و هو يعيش فى مجتمع اسلامى. كما أن أسلوب الكتاب الذى نسب إلى القاسم بن إبراهيم هو من نوع النثر ذى أسلوب خاص مسجوع لم يتطور إلا بعد فتره طويله من الفتره التى عاش فيها القاسم بن إبراهيم. و بعد هذا كله لا بد لى أن أذكر أن ابن النديم لم يذكر هذا الكتاب ضمن الكتب المؤلفه من قبل القاسم بن إبراهيم.(٣)

أما الفقرات الواردة فى (باب برزويه) من الكتاب المترجم كليله و دمنه، فمن الواضح أنها تعود إلى فتره ما قبل إسلامه و ليس لها علاقه بالفتره الإسلاميه. و سواء كانت هذه الفقرات من أصل الكتاب أم من بنات أفكار ابن المقفع فإنها ليست هجوما على الإسلام و انما تشكيك بالمعتقدات الدينيه عامه و ليست لها صفه مانويه واضحه. و فى ذلك يقول أبو بكر الباقلانى الأشعري (ت سنه ٤٠٣هـ) فى كتاب اعجاز القرآن(٤):

" و قد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن و انما فرغوا إلى الدره اليتيمه و هما كتابان أحدهما يتضمن حكما منقوله توجد عند حكماء كل أمه مذكوره بالفضل فليس فيها شىء بديع من لفظ و لا معنى. و كتابه الذى بيناه فى الحكم منسوخ من كتاب بزرجمهر فى الحكمه فإى صنع له فى ذلك و أى فضيله حازها فيما جاء به؟ و بعد فليس يوجد له كتاب يدع مدع انه عارض فيه القرآن".

أما شعر الأحوص الذى تذكر بعض الروايات أن ابن المقفع رده متغزلا بيت النار فالمؤرخون الأوائل يختلفون حول المناسبه التى ردد فيها ابن المقفع هذا البيت.(٥)

و على هذا فاننا نرى بأنه من الصعب التذليل على مانويه ابن المقفع أو زندقته، فقد دخل الإسلام فى أوائل العصر العباسى و بعد إسلامه استبدل كنيته و سمي ابنه محمدا. و قد ناقش الكثير من المسائل الإسلاميه فيما كتبه و خاصه فى (رسالته فى الصحابه). و لعله يمكننا القول بان ابن المقفع كان متشككا فى الدين بصوره عامه رغم اعتقاده بضرورته الاجتماعيه. يقول ابن المقفع:

" و لعمري أن لقولهم ليس الدين خصومه أصلا يثبه. و صدقوا ما الدين بخصومه و لو كان خصومه لكان موكولا إلى الناس يثبتونه بأرائهم و ظنهم. و كل موكول إلى الناس رهينه ضياع. و ما ينقم أهل البدع إلا انهم اتخذوا الدين رأيا و ليس رأى ثقه و لا حتما و لم يجاوز رأى منزله الشك و الظن إلا قريبا و لم يبلغ أن يكون تعيينا و لا ثبثا. فلا أجد أحدا أشد استخفافا بدينه ممن اتخذ رأيه و رأى الرجال دينا مفروضا".(٦)

و حين يتكلم ابن المقفع عن أقسام الملك يقول انها ثلاثه أولها ملك الدين و يعرف هذا النوع من الحكم قائلا:

" فاما ملك الدين فإنه إذا أقيم لأهله دينهم و كان دينهم هو الذى يعطيهم ما لهم و يلحق بهم الذى عليهم أرضاهم ذلك و نزل الساخط منهم منزله الراضى فى الإقرار و التسليم...".(٧)

هذه الأقوال و غيرها لابن المقفع تدل على إدراكه لأهميه الدين و كونه ضابطا مهما من ضوابط المجتمع الذى كان يعيش فيه بل انه ضروره اجتماعيه فى مجتمعات العصور الوسطى و بخاصه فى مجتمع الخلافه الإسلاميه حيث يمتزج الدين بالسياسه و المجتمع امتزاجا وثيقا. هذا بغض النظر عن كون ابن المقفع نفسه يؤمن بالدين أو لا يؤمن به.

إعادة التقييم:

إن المتمعن فى ظروف الخلافه العباسيه على عهد المنصور لا بد أن يلاحظ المرحله السياسيه الدقيقه و الحرجه التى كانت تمر بها. فقد اعتورت الخلافه عدّه أخطار من مختلف الجهات حيث ثار عبد الله بن على العباسى بالشام ثم لم يلبث أن حدث الشقاق بين أبى مسلم الخراسانى و الخليفه و تمردت الراونديه فى هاشميه الكوفه و هدد العلويون بالثوره فى الحجاز و لم تكن خراسان مستقره بل هزتها عدّه اضطرابات محليه منها تمرد سبأذ و أستاذسيز و غيرهما.

و لم يكن البيت العباسى نفسه متماسكا فالفرع الحاكم و يتكون من أولاد محمد بن على بن عبد الله ابن العباس كان حذرا من بنى على بن عبد الله العباسى و هم أعمامهم. و كان هؤلاء الأعمام (بنو على العباسى) حذرين لم ينسوا بعد كيف نقض أبو العباس و أبو جعفر سلسله من الأمانات أعطيت لشخصيات سياسيه كبيره مثل يزيد بن عمر بن هبيرة آخر والى للأمويين على العراق و أبى مسلم الخراسانى و أبى سلمه الخلال و غيرهم من رجالات الدعوه العباسيه. (٨)

و حين ثار عبد الله بن على العباسى على الخليفه المنصور مطالباً ٣.

ص: ١٤٣

١- هذا رغم أن المستشرقان يختلفان فى طبيعه هذا الكتاب و أغراضه و هل انه يعارض القرآن من حيث الأسلوب و الصوره أم من حيث الماده و الفكر. (راجع). Gabrieli,le Opera...,pp.٤٥-٤٦. (الترجمه العربيه)

٢- أحمد أمين، ضحى الإسلام ج ١ ص ١٩٥. - و... RiiChter,Studien Zur Geschicte...,١٩٢٣,pp.٤٥٥. عباس إقبال، المصدر السابق، ص ٢٠ فما بعد. A.H.Dawwod,A Comparative study of Arabic and Persian. ١٩٦٥.PH.D.Thesis,London University

٣- ابن النديم، الفهرست، طبعه لبيزك، ص ١٩٣.

٤- الباقلانى، اعجاز القرآن القاهره ١٣١٥ ص ١٨.

٥- إذا كان ابن قتيبه (عيون الاخبار، ص ٧١ الطبعه الأوروبيه). و المرتضى فى أماليه (ج ١ ص ١٣٥) يذكر ان انه قالها حين مر ببيت من بيوت النار فان الاصفهانى (الأغانى، ج ١٨ ص ٢٠٠) يشير إلى انه قالها معاتباً أصدقائه الذين قبضت عليهم السلطه بتهمه الزندقه و التشكيك بالدين.

٦- ابن عبد البر، جامع بيان العلم و فضله القاهره ١٣٤٦ ج ٢ ص ٣٣.

٧- ابن المقفع، الأدب الكبير، بيروت ١٩٦٠ ص ١١١. - انظر كذلك الأدب الصغير، ص ٦٠.

٨- عن هذه الأحداث راجع: فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج ١ بيروت ١٩٧٠. ج ٢ دمشق ١٩٧٣.

بالخلافة أرسل إليه الخليفة أبا مسلم الخراساني الذي تمكن من دحره إلا انه لم يأسره بل مكثه من الهرب إلى البصرة حيث أخوه سليمان بن علي واليا عليها منذ سنة ١٣٣ هـ - ٧٥١ م. ولم يطالب به المنصور بصورة جديده إلا بعد أن تخلص من الأخطار الآتية المحيطة به مثل خطر أبي مسلم الخراساني و خطر العلويين، ولكن سليمان بن علي ما ظل في تسليمه و طالب بالأمان لأخيه عبد الله فما كان من المنصور إلا أن يعزل سليمان عن البصرة و يعين بدله سفیان بن معاوية المهلبی في رمضان سنة ١٣٩ هـ - شباط ٧٥٧ م. أما ابن المقفع فكان في صحبه عيسى بن علي العباسي الذي عاد لتوه من الجهاد ضد البيزنطيين في تلك السنة. (١)

و الظاهر أن سفیان المهلبی، رغم الضغوط التي استعملها، لم يستطع إخراج عبد الله بن علي من مأمنه مما اضطر الخليفة إلى الموافقه على فكره إعطاء أمان لعبد الله الثائر. و لكن المنصور كان يريد من الأمان أن يكون وسيله لايقاع عبد الله في الفخ و قد خطط لاعطاء أمان ضعيف يمكن نقضه عند الضروره و لم يكن في نيته إعطاء أمان محكم و متقن و غير مشروط.

و هنا ياتي دور ابن المقفع... ذلك أن مخاوف سليمان و عيسى على أخيهم عبد الله دفعتهم إلى اختيار ابن المقفع كاتب عيسى بن علي لكتابه الأمان و أحكامه احكاما دقيقا لا فجوه فيه و مما زاد في الأمر ما جاء في روايه الجهشيارى آنفه الذكر من اشتراط كتابه الخليفة المنصور لنص الأمان بيده. و قد وضع ابن المقفع في الأمان شروطا تجعل من عبد الله بن علي شخصا خارج سلطنه الخليفه الذي يتعهد بأن لا يطبق عليه أى عقوبه أو اجراء أصولي متبع. و لكن الخليفه اشترط حين رأى (الأمان) قائلا: "إذا وقعت عيني عليه" كما يقول الجهشيارى أو "نافذ أن رأيت عبد الله" كما يقول البلاذري. (٢) أى أن المنصور لا يعطى أمانا لعبد الله بن علي إلا إذا قابله و بغير هذه الحاله يعتبر الأمان غير نافذ. و لا يذكر الطبرى و اليعقوبى (٣) هذا الشرط بل انهما يؤكدا بان عبد الله حين وصل إلى البلاط كان قد حصل على الأمان. و هذا غير معقول لأنه لو حصل عبد الله على الأمان لم يكن هناك موجب له للذهاب إلى البلاط و مقابله المنصور. هذا من جهه و من جهه ثانيه فليس من المعقول أن يعطى الخليفه أمانا غير مشروط لأن معنى ذلك إعطاء عبد الله حريه العمل دون قيد أو شرط.

إن ما حدث هو أن عبد الله الذي كان قد وقع تحت تأثير اجراءات المنصور و إلحاحه و تدابير الوالى الجديد لم يجد أمامه سوى التوجه إلى الخليفه للحصول على الأمان الذى وعد به إذا ما قابل الخليفه خاصه و انه كان مطمئنا من أحكام شروط الأمان بصوره لا تسمح بالنقض.

و لكن عبد الله اقتيد إلى السجن حال وصوله البلاط و لم يسمح له بمقابله المنصور و كان ذلك سنة ١٣٩ هـ - ٧٥٧ م. و قد لقي اتباعه و مواليه نفس المصير و نفى بعضهم إلى خراسان. (٤) و فى سنة ١٤٦ هـ - ٧٤ [٧٥٤] م دبر المنصور أمر اغتيال عبد الله بن علي في ظروف غامضه.

من الواضح أن ابن المقفع استطاع باحكامه لشروط الأمان أن يعرقل محاوله الخليفه إعطاء أمان متهافت يمكن نقضه في المستقبل القريب مما اضطر الخليفه أن يستعمل وسائل أخرى أكثر فاعليه و عنف للتخلص من عبد الله بن علي... إلا أننا نتساءل هل يمكن أن يكون الأمان السبب الوحيد لقتل ابن المقفع؟؟ فى اعتقادنا لا بد أن يكون هناك أسباب أخرى أكثر أهميه و هذا ما يؤيده البروفسور سورديل و لكنه يقول: "و مهما يكن من أمر فستبقى حقيقه كره المنصور لابن المقفع مجال حدس و خيال بسبب عدم توضيح المؤرخين الأوائل لها". (٥)

و هنا تبرز لنا رساله ابن المقفع الموسومه (رساله فى الصحابه) التى تعالج موضوعا حساسا هو أخلاقيه الحكام و أصول السياسه و التدبير.

و هذه الرساله تختلف جذريا عما كتبه أو ترجمه ابن المقفع و قد جاء الكاتب فيها بامثله عمليه عن المشاكل الرئيسيه التى كانت تواجه الخلفه العباسيه. و قد أكد البروفسور كويتين، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، أهميتها التاريخيه و السياسيه خاصه و أن ابن المقفع كتبها باسمه و عنونها إلى الخليفه الأمر الذى أثار حفيظه المنصور و شكوكه.

و يعترف البروفسور سورديل(٤) باهميه (الرساله) و لكنه يربطها كذلك بموقف ابن المقفع السياسى و ولائه لأولاد على بن عبد الله العباسى (أعمام الخليفه المنصور). ذلك أن من أهم النقاط التى تثيرها الرساله هى الدفاع عن الارستقراطيه العربيه و وجوب وضعهم فى مركز القيادة فى أجهزه الدوله. و سواء كان هذا المبدأ من بناه أفكار ابن المقفع أم أن أعمام المنصور قد أشاروا به عليه(٧)، و هو الأرجح، فان هذا الاتفاق بين ارتباطه الوثيق بينهم و بين دعوته لاسهام الاشراف العرب بصوره أوسع فى اداره الدوله و الاعتماد عليهم لا- يمكن أن يكون عفويا خاصه و أن أعمام المنصور من بنى هاشم كانوا على رأس قائمه الاشراف العرب.

و لعنا نشير هنا بان الدوله العباسيه فى عصرها الأول لم تحرم العرب من السلطه و النفوذ بل على العكس فقد كان العصر العباسى الأول عصر النفوذ العربى و ان الخلفاء العباسيين الأوائل شجعوا كل ما هو عربى فى الجيش و الاداره و ثقافه إلا أن ما كان يقصده ابن المقفع هم مجموعه من العرب يعتبرون منافسين للمنصور على الخلفه و هم أعمامه و آخرين معادين للدوله. و لعل خطوره عبد الله بن على بالنسبه للمنصور تظهر من قول الأخير لأعمامه الذين طلبوا منه الوفاء بعهدده:

" لا تكلمونى فيه فإنه أراد أن يفسد علينا و عليكم أمرنا ".(٨)

بينما يدافع ابن المقفع عن أعمام الخليفه بجرأه و صراحه حيثى.

ص: ١٤٤

- ١- الطبرى، تاريخ.. طبعه القاهره ج ٩ ص ١٧٠ فما بعد. - البلاذرى، أنساب..، ورقه ٧٤٧ أ.
- ٢- الجهشيارى، الوزراء، ص ٧١. - البلاذرى أنساب..، ورقه ٧٤٧ أ.
- ٣- يعتقد هيوارت مستندا على غموض الطبرى و اليعقوبى أن شروط الأمان أملاها الخليفه و قدمها لعبد الله بن على. و الواقع فان الطرف الثانى الطالب للأمان هو الذى يضع شروطه التى يريدتها. انظر (١) E.I.).
- ٤- الطبرى، تاريخ، طبعه القاهره ج ٩ ص ١٧٢.
- ٥- Sourdel, Op.Cit., P.٣٢٢ نقول هذا ما أوضحه الأستاذ الموسوى (ح).
- ٦- Ibid .
- ٧- يعتقد جبريلى أن رساله فى الصحابه وثيقه كتبها ابن المقفع بطلب من أعمام الخليفه أولاد على العباسى، (المصدر السابق، ٣٥-٢٣١. PP.

٨- البلاذري، مخطوطه أنساب الأشراف، ورقه ٧٦٧ أ. بل أن المنصور يعتبر عبد الله أكثر خطوره من محمد النفس الزكيه الثائر العلوي.

يذكرهم بالاسم فيقول:

" و مما يذكر به أمير المؤمنين أمر فتیان أهل بيته و بنى أبيه و بنى على و بنى العباس فان فيهم رجالا لو متعوا بجسام الأمور و الأعمال سدوا وجوها و كانوا عده لأخرى ".^(١)

و يدافع ابن المقفع عن أهل الشام^(٢) أعداء العباسيين و يحذر المنصور منهم قائلا " فإنهم أشد الناس مؤثنه و أخوفهم عداوه و بائنه "، و يحاول أن يبرر موقفهم المعادى للدوله العباسيه فيشير بصراحه إلى أنهم ظلموا و لم يؤخذوا بالحق: " فلعمري لئن أخذوا بالحق و لم يؤخذوا به انهم لخلقاء إلا تكون لهم نزوات و نزقات ".

و يهاجم ابن المقفع صحابه الخليفه و يعريهم و يصفهم بالفساد و ضعف الرأى فيقول:

" ما رأينا أعجوبه قط أعجب من هذه الصحابه ممن لا- ينتهى إلى أدب ذى نباهه و لا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأى مشهور بالفجور فى أهل مصره قد غبر عامه دهره صانعا يعمل بيده و لا يعتد مع ذلك ببلاء و لا غناء إلا انه مكنه من الأمر صاغ فانتهى إلى حيث أحب فصار يؤذن له على الخليفه قبل كثير من أبناء المهاجرين و الأنصار و قبل قرابه أمير المؤمنين و أهل بيوتات العرب و يجرى عليه من الرزق الضعف مما يجرى على كثير من بنى هاشم و غيرهم من سروات قريش... ".^(٣)

هذا قليل من كثير أشار إليه ابن المقفع فى (رسالته فى الصحابه) و رغم أهميه ما ذكر و رغم انه بدأ رسالته بالاعتذار للمنصور عما سيقوله و انه انما أراد النصح و الإصلاح حيث يقول " و فى الذى عرفنا من طريقه أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأى على مبادرته بالخبر فيما ظن انه لم يبلغه إياه غيره و بالتذكير بما قد انتهى إليه... " (٧٤) المصدر السابق، ص ١٩٠-١٩١. إلا أن ذلك كله لم يشفع له بل أثار حفيظه الخليفه مثلما أثارها حين كتب الأمان لعبد الله بن على النائر على الخلافه العباسيه.

و لكن هل أن ما دونه ابن المقفع من شروط محكمه فى (الامان)، و ما عبر عنه من آراء فى (رساله فى الصحابه) كان كافيا لتبرير قتله؟ و لا بد هنا أن نشير إلى أن من مظاهر هذه الفتره التى عاش فيها ابن المقفع ظهور جماعات أو حلقات من الكتاب و الشعراء و المفكرين المعجبين بالحضاره الفارسيه و قيمها، الداعين إلى اتخاذها مثلا يحتذى به فى المجتمع العباسى. و بقدر ما يتعلق الأمر بابن المقفع فان أغلب كتاباته تظهر لنا صورته شخص معجب بالحضاره الفارسيه حيث جعل من نفسه واعظا يبشر بقيمها و يعرف بأصولها للمعاصرين له و يدعو الدوله لتقبلها. و لعل الكثير ممن كانوا أصدقاء لابن المقفع ممن ذكرناهم سابقا من الموالى الفرس يحملون نفس النظرة أو تطرفوا أكثر منه. ان ظاهره انتعاش الروح الفارسيه و التبشير بقيمها الحضاريه و أصولها لدى ابن المقفع و حلقتة هى التى حملت الناس على الشك فى عقيدتهم الدينيه و اتهامهم بالزندقه حيث يقول الجاحظ: " و كلهم متهم فى دينه ".^(٤)

لقد أدرك الخلفاء العباسيون الأوائل خطوره هذه الدعوه إلى امتثال النمط الفارسى فى المجتمع و الاداره و حاولوا تقييدها و ضبطها بحيث لا تؤثر على طابع الدوله العربى و قيمها الإسلاميه. و لم يكن دور ابن المقفع المعادى لسياسه الدوله العباسيه فى هذا المجال بأقل من أدواره السابقه بل أن خطره هنا أكثر نظرا لبلاغه أسلوبه و قوه تأثيره.

لقد كان مقتل ابن المقفع نتيجة سياسه مقصوده اتبعها المنصور لحمايه الخلافه العباسيه و لم يكن سفيان المهلبى إلا واسطه فى هذه العمليه رغم انه كان متحمسا لتنفيذها بسبب العداوه الشخصيه و الحقد اللذين يحملهما لابن المقفع. و مما يدل على إقرار المنصور للعمليه تهديده غير المباشر لشهود الإثبات الذين جلبهم أعمام الخليفه ليدنوا سفيان المهلبى. يقول البلاذرى (٥):

" قالوا و شكوا بنو على بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع إلى المنصور فأمر بحمل سفيان اليه فحمل و شخص معه أهل بيته و جاء عيسى بن على يقوم يشهدون أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج و صرفت دوابه و غلماناه يصرخون و ينعونه، و بأخرين يثبتون الشهاده انه قتله. فقال المنصور: أ رأيتكم ان أخرجت ابن المقفع إليكم ما ذا تقولون؟ فانكسروا عن الشهاده و كف عيسى عن الطلب بدمه".

و على ذلك فان فرضيه زندقه ابن المقفع فرضيه بعيده الاحتمال حيث لم يكن المنصور ليهتم بآراء ابن المقفع الدينيه و لا بارتباطه بالمانويه قدر اهتمامه بإخلاص ابن المقفع للخلافه العباسيه نفسها. و لعل موقف المنصور من الراونديه يؤكد ما ذهبنا إليه. فحين أشير عليه أن يجد من فعاليه هذه الفرقة المتطرفه فى آرائها قال " دعهم يدخلون النار فى طاعتنا على أن يدخلوا الجنه فى معصيتنا". (٦)

لقد اغتيل ابن المقفع اغتياالا سياسيا حين عزم المنصور على التخلص منه لأسباب ثلاثه:

أولها: ارتباطه باعمام الخليفه المنافسين له و ذلك بكتابته الأمان للثائر عبد الله بن على.

ثانيها: دفاعه عن أعداء الدوله و انتقاده سياسه الخلافه بصراحه تظهرها رسالته فى الصحابه.

ثالثها: دعوته لتقليد و اقتباس النمط الفارسى الحضارى و هى دعوه لم تكن تتفق مع سياسه المنصور.

و للجاحظ فى هذا الشأن ملاحظه ذكيه و بليغه يعلق فيها على مصير ابن المقفع و لكنها مختصره جدا لا نستطيع أن نحملها أكثر من طاقتها بل نوردها حيث يقول فى (ذم أخلاق الكتاب):

" ثم كتب لبنى العباس عبد الله بن المقفع فأغرى بهم عبد الله بن

ص: ١٤٥

١- رساله فى الصحابه، بيروت ١٩٦٠، ص ٢١٨.

٢- المصدر السابق، ص ٢١٠-٢١٢.

٣- المصدر السابق، ص ٢١٥.

٤- انظر: Daud, Op.Cit., ٣٥ff.

٥- البلاذرى، مخطوطه أنساب الاشراف، ورقه ٥٣٥.

٦- الطبرى، تاريخ، ليدن، القسم الثالث ص ١٣٢.

على فظن له و قتل و هدم البيت على صاحبه [\(١\)](#).

لقد حذر ابن المقفع من التقرب إلى السلطان في عده مناسبات في كتبه و تراجمه و رأى في هذه الصحبه مسئوليه كبيره حيث نراه يقول في نصيحه له:

" إن ابتليت بصحبه وال لا يريد صلاح رعيته فاعلم أنك قد خيرت بين خلتين ليس منهما خيار: أما ميلك مع الوالى على الرعيه و هذا هلاك الدين و أما الميل مع الرعيه على الوالى و هذا هلاك الدنيا و لا حيله لك إلا الموت أو الهرب [\(٢\)](#).

و لعل الكثيرين استفادوا من نصائح ابن المقفع و حكمته إلا- هو فلم يستفد منها حيث أدخل نفسه مدخلا صعبا مع الخليفه المنصور و واليه على البصره سفيان المهلبى لم يستطع الخروج منه فكان مصيره الموت بتدبير من الخليفه الذى كان يقول " إن الملوک لا تحمل الفدح فى الملك [\(٣\)](#)"

رأى السيد محسن الموسوى

هناك من أرجع مقتله إلى أسباب سياسيه، فقد كان ابن المقفع رجلا- سياسيا معارضا للسلطه العباسيه، و عبر عن معارضته باشكال غير مباشره فى كتاباته.

يقول يوسف أبو حلقه فى مقدمته لكتاب "الأدب الصغير و الأدب الكبير و رساله الصحابه":

" و قراءتنا لهذه الكتب توصلنا إلى أن ابن المقفع كان ينظر إلى مثل أعلى لم يجده عند الأمويين، كما انه لم يقع عليه عند العباسيين.. و لكنه رآه أغلب الظن عند بعض جماعات لم يتسلموا مقاليد الحكم [\(٤\)](#).

فمن هم هؤلاء الذين اتخذهم ابن المقفع مثله الأعلى؟ عند التفحص فى كتابه الشهير "الأدب الصغير و الأدب الكبير و رساله الصحابه" نلاحظ تأثره البالغ بالإمام على بن أبى طالب ع ، حتى إنه اعتاد على نقل نصوص من خطب الامام دون أن يذكر اسم الامام، و ما ذلك إلا تخفيا من السلطات العباسيه التى كان يعمل موظفا لديها. و قد أشار إلى ذلك دون أن يدلى بما هو أكثر، فذكر فى الأدب الصغير:

و قد وضعت فى هذا الكتاب من كلام (الناس) المحفوظ حروفا [\(٥\)](#).

فمن هم هؤلاء الناس يا ترى؟. يذكر صاحب مقدمه الكتاب يوسف أبو حلقه: فىرى (أى ابن المقفع) أن البناء الأول فى النثر العربى الأدبى الفنى كان عند أمير المؤمنين الامام على فى نهج البلاغه [\(٦\)](#).

كما يشير إلى ذلك، محمد كرد على فى ترجمته لحياه ابن المقفع:

و قيل انه تخرج فى البلاغه بخطب على بن أبى طالب [\(٧\)](#).

فهل كان الامام على (ع) هو مثله الأعلى فى الحكم و السياسه، كما هو فى الأدب؟ الأدب الصغير و الأدب الكبير رساله الصحابه

"الدره اليتيميه"^(٨)يحاول ابن المقفع و من خلال كتاباته أن يرسم نظريه سياسيه.

فالاتجاه السياسى هو الغالب على كتاباته، و حتى القسم الذى ترجمه من الفارسىه الغالب عليه الجانب السياسى. و من كتبه الشهيره الأدب الصغير و الأدب الكبير و رساله الصحابه التى طبعت فى كتاب واحد، و تضمنت مجموعه نثريه جاءت فى صياغتها على نسق رسائل الامام على ع إلى ولاته، و وصاياه إلى أبنائه. و بالرغم من أنه لم يذكر اسم الامام فى كتابه مطلقا، إلا انه أخذ من الامام الكثير من أقواله و خطبه.

و هذه نماذج عما نقله فى "الأدب الصغير و الأدب الكبير".

يقول فى ص ٤٩: و من نصب نفسه للناس اماما فى الدين فعليه بتعليم نفسه و تقديمها فى السيره و الطعمه.

و هى ماخوذه من

كلمه الامام على ع، من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه.(٩)

و يقول ابن المقفع فى ص ٥٢: ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عما لهم و تفقد أمورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن و لا إساءه مسيء...

و هذا أيضا مأخوذ من

الامام على ع، من رسالته إلى مالك الأشرتر: و لا- يكن المحسن و المسيء عندك بمنزله سواء، فان فى ذلك تزهيدا لأهل الإحسان، و تدريبا لأهل الاساءه على الاساءه.(١٠)

و يقول فى ص ٥٣: و الدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، و ما كان عليك لم تدفعه بقوتك.

و هى عبارات نقلها ابن المقفع

من أمير المؤمنين ع: و ان الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، و ما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك.(١١)

و جاء فى الصفحه ٦٢: العجب آفه العقل، و اللجاجه معقود الهوى، و هو قريب

لكلام أمير المؤمنين ع:

عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله.(١٢)

ص: ١٤٦

الاغتيال و طمس الحقائق حولها فتظهر ابن المقفع و كأنه ينافس المورياني على منصب الوزارة و ان المنصور هدد المورياني بان يستبدله ب ابن المقفع و لذلك فان المورياني لعب دورا فى مقتل ابن المقفع و إنقاذ سفيان المهلبى من العقاب (راجع مخطوطه أنساب الأشراف ورقه ٥٣٤ فما بعد) إلا أن هذه الروايات ضعيفه و نصيبها من الصحة ضئيل.

٢- ابن المقفع، الأدب الكبير، بيروت ١٩٦٠، ص ١٢٢.

٣- الطبرى، تاريخ، ج ٣ ص ٥٣٨ (الطبعه الأوربيه). مما يدل على شدته تجاه الأشخاص الذين يعتبرهم أعداء سياسيين للخلافه.

٤- راجع مقدمه "الأدب الصغير..." التى كتبها يوسف أبو حلقه، ص ٧.

٥- ابن المقفع: الأدب الصغير، ص ٣٧.

٦- أبو حلقه: مقدمه "الأدب الصغير" ص ٦.

٧- كرد على: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ١٠٥.

٨- ذكرها كل من ترجم لابن المقفع، اعتمدنا الطبعه ٣ من "الأدب الصغير.." مكتبه البيان، ١٩٦٤ شرح يوسف أبو حلقه، و اعتمدنا الدرر اليتيمه تصحيح شكيب ارسلان، طبع بيروت ١٨٩٧، المطبعه الأديبه.

٩- عبده: محمد، نهج البلاغه، ص ٦٧٢.

١٠- عبده: محمد، نهج البلاغه، ص ٦٠٤.

١١- عبده: محمد، نهج البلاغه، ص ٦٤٨.

١٢- عبده: محمد، نهج البلاغه، ص ٧٠٥.

و يذكر في الصفحة ٨٤: الظفر بالحزم، و الحزم باجالة الرأي، و الرأي بتكرار النظر و بتحسين الأسرار.

و هو

كلام منقول نصا للإمام أمير المؤمنين ع: الظفر بالحزم، و الحزم باجالة الرأي، و الرأي بتحسين الأسرار. (١)

و يقول ابن المقفع في الصفحة ٨٩: سمعت العلماء قالوا: لا عقل كالتهدير، و لا ورع كالكف، و لا حسب كحسن الخلق، و لا غنى كالرضى.

و هو أيضا مستمد

من كلام أمير المؤمنين ع:

لا- مال أعود من العقل، و لا- وحده أوحش من العجب و لا- عقل كالتهدير، و لا كرم كالتهوى، و لا قرين كحسن الخلق. و لا ميراث كالأدب، و لا قائد كالتهوى، و لا تجاره كالعمل الصالح.. إلى آخر الخطبه. (٢)

و يورد على الصفحة ٤٦ من الأدب الصغير: و على العاقل - ما لم يكن مغلوبا على نفسه - أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعه يرفع فيها حاجته إلى ربه، و ساعه يحاسب فيها نفسه، و ساعه يفضى فيها إلى إخوانه و ثقاته الذى يصدقونه عن عيوبه، و ينصحونه فى أمره، و ساعه يخلى فيها بين نفسه و بين لذاتها مما يحل و يجمل. و قد استوحى هذه الجملة

من كلام أمير المؤمنين ع، للمؤمن ثلاث ساعات، ساعه يناجى فيها ربه، و ساعه يرم معاشه، و ساعه يخلى بين نفسه و بين لذاتها (٣) و جاء فى نهايه الأدب الكبير أو "الدره اليتيمه".

أنى مخبرك عن صاحب، كان أعظم الناس فى عينى، و كان رأس ما أعظمه عندى، صغر الدنيا فى عينه، كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد و لا يكثر إذا وجد، و كان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مروءته، و لا يستحق رأيا و لا بدنا، و كان خارجا من سلطان الجهاله فلا يقدم إلا على ثقه أو منفعه، و كان أكثر دهره صامتا فإذا قال بذا القائلين، كان يرى متضعفا مستضعفا فإذا جاء الجد فهو الليث عاديا. و كان لا يدخل فى دعوى و لا يشرك فى رأى، و لا يدلى بحجه حتى يجد قاضيا عدلا و شهودا عدولا، و كان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعتذاره. و كان لا يشكو وجعا إلا من يرجو عنده البرء، و لا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة. و كان لا يتبرم و لا يتسخط و لا يتشهى و لا يتشكى و لا ينتقم من الولى، و لا يغفل عن العدو، و لا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه و حيلته و قوته (٤).

و هذا الكلام مستوحى أيضا بكامله

من خطبه للإمام أمير المؤمنين ع مطلعها: كان لى فيما مضى أخ فى الله، و كان يعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه "إلى آخر الخطبه (٥) نكتفى بهذا القدر من هذه الاقتباسات التى قام بها ابن المقفع من خطب و كلمات الامام أمير المؤمنين ع، و قد لاحظنا كيف انه ينقل كلاما للإمام مع بعض التغيير الطفيف و فى بعض المرات دون أدنى تغيير (انتهى).

هذا رأى السيد محسن الموسوى، وقد عرض خلال كلامه لرأى يوسف أبو حلقه المؤيد لرأيه.

و نحن - كما قلنا فيما تقدم - لا نجزم فى شىء من هذا، وانما كان علينا أن نعرض للقارئ آراء بعض الباحثين، فنكون بذلك أدينا أمانه القول.

عبد الله بن مهدي اليافعى النجفى، كتاب خوان:

منشئ أديب لا يخلو من فضل علمى، متوغل فى الكيمياء و العلوم الغريبه و قد قرأها على الشيخ احمد بن زين العابدين، ينظم بالفارسيه و العربيه ضعيف الشعر و خاصه العربى منه:

له "سراج الظلمه" فى الكيمياء(٤).

عبد الله بن المهدي النجفى الهندي:

هاجر من الهند إلى العراق و أقام بالنجف الأشرف مده، فاشتغل بالرياضه و ألهم عليه - كما يقول - فى رياضاته الهامات فأسلم و اختار التشيع مذهبا و سمي نفسه ب "عبد الله"، ثم ذهب إلى زياره الامام الرضا (ع)، فالتقى فى "كارزان" (الظاهر انه يريد المدائن عند قبر سلمان الفارسى) بمير على نقى الأوحدى ابن مير حيدر الحسينى و أخذ عنه العرفان و التصوف و لقب نفسه ب "تابع الحسينى الأوحدى".

و لا تخلو كتاباته فى العربيه و الفارسيه من اخطاء و ضعف فى التركيب.

له "مشاهديه" كتبه سنه ١٢٤١ من إفادات شيخه مير على نقى.(٧).

الشيخ عبد الله بن ناصر الحويزى الهيملى:

ذكره السيد عبد الله الجزائرى فى إجازته الكبيره فقال:

كان عالما صالحا، ورعا ماهرا فى العلوم العربيه، فقيها، محدثا، قرأ فى الحويزه و تستر على صهره الشيخ يعقوب و فى أصفهان على الشيخ جعفر القاضى، اجتمعت به فى الدورق و كان مدرسا فى مدرستها،(٨).

ص: ١٤٧

١- عبده: محمد، نهج البلاغه، ص ٦٦٩.

٢- عبده: محمد، نهج البلاغه، ص ٦٨٢-٦٨٣.

٣- الشريف الرضى: نهج البلاغه (الملحق لمعجم ألفاظ نهج البلاغه) ص ٢٢٢.

٤- ابن المقفع. (الأدب الصغير و الأدب الكبير..). ص ١٨٦.

٥- أورده الشريف الرضى ص ٢١٢ من (الملحق) و ذكره السيد عبد الزهراء الحسينى فى مصادر نهج البلاغه ج ٤ ص ٢٢٦ و

أورد مصادر هذه الخطبه قبل الشريف الرضى و بعده.

٦- السيد أحمد الحسينى.

٧- السيد أحمد الحسينى.

٨- (مدرسه الدورق): جاء فى بعض مخطوطات القرنين الحادى عشر و الثانى عشر ذكر لمدارس الدورق بدون تعيين اسم لها، كما وردت أسماء بعض مدرستى تلك المدارس و المشتغلين بطلب العلم فيها، ففى (الرحله المكيه) عبر عن مدرسه فى الدورق بمدرسه الشيخ عبد اللطيف ابن أبى جامع العاملى و ذكر جماعه ممن قرءوا فيها على الشيخ المذكور، منهم السيد خلف بن عبد المطلب المشعشى و ابنه السيد على خان بن خلف و السيد راشد بن سالم المشعشى. و قد عثرت على مخطوطه فى (المكتبه المركزيه لجامعه طهران)، اسمها (مختصر نهج البيان فى الكشف عن معانى القرآن) للشيبانى. قال الكاتب فى نهايتها: تم استنساخها بيد حسن بن عبد الله الجزائرى يوم الاثنين ٢٧ ربيع الثانى سنة ١١١٥ فى المدرسه الابراهيميه فى الدورق، و هذه النسخه المذكوره فى (فهرس مخطوطات المكتبه المركزيه لجامعه طهران ج ١٦ ص ٤٥٨) و فى تاريخ استنساخ الكتاب دلالة على وجود المدرسه الابراهيميه فى الدورق ابان القرن الثانى عشر الهجرى و لعلها كانت موجوده قبل ذلك التاريخ أيضا، و لا يستبعد كونها المدرسه التى عبر عنها السيد الجزائرى فى (إجازته الكبيره) بمدرسه الدورق، أما سبب تسميتها بالابراهيميه فلعله نسبة إلى من يسمى بهذا الاسم من رجال الدورق، فقد كان فيها رجلا من أعلام القرن الثانى عشر أحدهما العالم الأديب السيد إبراهيم بن السيد على باليل الدورقى المتوفى عشر الخمسين بعد الألف و المائه. و الثانى، والى الدورق من قبل الحكومه الصفويه إبراهيم خان بن مراد خان الذى عزل عن ولايته سنة ١١١١ هـ. و المرجح انها منسوبة للسيد إبراهيم آل باليل الدورقى، فقد كان والده السيد على مدرسا فى الدورق و له تلاميذ منهم ولده المذكور و الشيخ عبد الرضا بن أحمد الجزائرى و غيرهما، و بعد وفاته، قام ابنه السيد إبراهيم مقام والده فى الإفاده و التدريس فىكون أساس تلك المدرسه أو تجديد بنائها، أو الاشراف على شئونها يجرى على يده فنسبت اليه. و من أشهر المدرسين فى مدرسه الدورق. الشيخ فتح الدين علوان الكعبى الدورقى المتوفى سنة ١١٣٠، و الشيخ شمس الدين بن صفر الجزائرى المتوفى سنة ١١٤٠، قرأ عليه السيد عبد الله الجزائرى شرح المطالع فى المدرسه المذكوره، و الشيخ الهيملى المترجم فى الأصل.

ثم فى الحويزه ثم فى تستر و استفتدت منه، توفى فى تستر سنه ثلاث و أربعين، و حضرت جنازته رحمه الله عليه.

أقول، و صهره الذى قرأ عليه المترجم فى الحويزه و تستر هو الشيخ يعقوب بن إبراهيم الحويزى البختيارى، أما الهميلى فهى نسبة إلى قصبه بهذا الاسم نفسه، و هى مقاطعه زراعيه تقع على بعد اربعه فراسخ من الشمال الشرقى لمدينه المحمره، مقابله لأم التلول، على حافه نهر ينشق من كارون تجاه الشمال فيتصل بنهر الحنين، و يعرف هذا النهر بنهر الجديد، كما يطلق عليه اسم الهميلى أيضا، و كانت تلك الناحيه معروفه بهذا الاسم فى عصر اماره المشعشعيين تابعه لامارتهم يفوضون أمرها لمن شاءوا من رعاياهم، و قد ورد ذكرها فى كتاب (الرحله المكيه) فى ذكر حوادث ولايه المولى عبد الله بن فرج الله المشعشعى. و يذهب بعض المؤرخين إلى أن أم التلول هى انقاض مدينه بيان القديمه، و ان نهر الهميلى كان يعرف فى صدر الإسلام بنهر بيان و هو ذيل نهر تيرى الممتد من ناحيه الحويزه إلى كارون. (1) قال مؤلف (تاريخ كعب): الهميلى أول منزل نزلته عشائر كعب على عصر أميرهم ناصر بن محمد الكعبى لما خرجوا من العراق و دخلوا الحدود الشرقيه.

أواخر القرن الحادى عشر، و بعد مده قصيره، رحلوا منه إلى الميناو. (2)

عبد اللطيف الكازرونى:

فاضل أديب شاعر بالفارسيه، لعله من اعلام القرن الحادى عشر و الثانى عشر، نظم كثيرا من الفضائل المرويه عن النبى (ص) فى شان أمير المؤمنين (ع) (3).

السيد عبد اللطيف فضل الله بن السيد نجيب:

اشاره

ولد سنه 1904 م فى بلده عيناثا (جبل عامل) و توفى سنه 1991 م.

تلقى على والده فى سن مبكره شيئا من النحو ثم دخل مدرسه بنت جبيل الحكوميه الابتدائيه.

و بعد وفاه والده خلال الحرب العالميه الأولى درس على أخيه السيد محمد سعيد، و بعد ان هاجر أخوه إلى النجف الأشرف سنه 1337 هـ عن إخوته و عن شئون البلده الدينيه، و قد تابع دراسته على الشيخ موسى مغنيه، ثم ارتحل إلى بلده (معركه) فدرس على الشيخ عبد الكريم مغنيه. ثم عاد إلى عيناثا مصمما على الذهاب إلى النجف الأشرف لمتابعه الدراسه و لكن رغبته اصطدمت بإجماع الناس على رجائه البقاء لحاجتهم إليه فاستجاب لذلك.

و قد عكف بعدها على تدريس مجموعات من الطلاب و إعدادهم للذهاب إلى النجف الأشرف مع العمل على تسيير أمور الناس و حل مشاكلهم، مبتعدا بشكل تام عن الصراعات السياسيه المحليه، عاملا فى نفس الوقت على بث الوعى بين الناس بروح رساليه متفانيه. و قد مكنته ذلك من ان يكون قدوة فى محيطه، و على أن يحوز على قداسه، ثبت دعائمها نزعتة إلى الزهد و الإيثار، و الابتعاد عن المظاهر، و العمل على خدمه الفقراء، و مشاركتهم آلامهم. و قد عبر عن ذلك فى شعره الذى كان صورته صادقه عن حياته فى قصيده طويله تأتى فى مختارات من شعره منها:

كان ديوانه فى عيناتنا مسرحا لندوات فكريه و أدبيه، و مقصدا للعلماء و الأدباء من مختلف الاتجاهات و كانت تطلعاته السياسيه تبرز فى ثنايا شعره، الذى كان يتسرب من خلال هذا الوسط مع انه كان شديد الحرص على عدم إشهار هذا الشعر، الذى كان بعيدا عن الصراعات السياسيه المألوفه فهو لم يمدح زعيما سياسيا قط. و كان ينظر إلى الواقع - كما تثبت نماذج شعره و سلوكه - نظره شموليه بعيده. فهو من القلائل الذين استطاعوا فى شعرهم، رصد التوجهات الغربيه بعد الحرب العالميه الثانيه، و استشراف نزعه السيطره عند العرب على صعيد تشكيلات الرأسماليه أو الاعلام أو القوه العسكريه. و قد حفل شعره بمحاولات ربط الوضع السياسى القائم بهذه التطورات. و لعل هذا ما يفسر نهجه الدائم بالدعوه إلى التغيير السياسى، و الثوره على الواقع السياسى من جذوره، و بث الوعى الفردى و الجماعى من خلال استيعاب الخط الإسلامى الشيعى القائم على رفض الظلم. و قد يكون بهذا المعنى الشاعر الإسلامى الذى عمل على إدخال منظومه القيم الإسلاميه إلى واقع الحياه و حركتها، فى فتره غياب هذا التوجه. و قد يكون بذلك الشاعر الأول فى هذه المرحله الذى كان يستبطن رؤيه سياسيه عقائديه اسلاميه لا يختلف خطابها السياسى، عن المفاصل الأساسيه التى قام عليها المد الإسلامى المعاصر الذى ظهر مع تأسيس دوله اسلاميه فى أواخر عشر السبعين.

و لقد كان أمينا على هذا النهج فى سلوكه العملى. فلم يقم ايه علاقته مع أى طرف سياسى، و لم يمنح تأييده لأى اتجاه، رغم الاغراءات التى كانت تبذل له من قبل السياسيين، الذين كانوا يحرصون على زيارته فى منزله، و الذين كانوا لا يعودون الا بخطابه الواضح معهم، و الملئ بالوعظ و النهى عن المنكر و الأمر بالمعروف. و الذى كثيرا ما كان يتطور إلى مجابهه عليه على موقف أو سلوك اتخذوه، و فيه مخالفه للشرع، أو ظلم للناس. و قد كان فى هذا المجال غير هيب لأى مقام سياسى مهما علا شأنه حيث تتبدل صفات الوداعه و المسالمه و التقى عنده إلى شىء

ص: ١٤٨

١- تاريخ جغرافيه خوزستان، تأليف ميريان مطبوع باللغه الفارسيه.

٢- السيد هادى باليل الموسوى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

من الصلابه و الشده، دفاعا عن حقوق الناس، و حدود الشريعه.

و لقد اتخذ نفس الموقف من التيارات و التشكلات العقائديه التي بدأت تبرز منذ أواخر عشر الخمسين، مع استعمال أسلوب الحوار إلى أقصى درجاته، في الشئون الفكرية و العقائديه. و لعل هذا الموقف هو الذى جعله يأخذ احتراما مميذا عند تلك النخب الثقافيه. فضلا عن عامه الناس الذين كان يسعى سعيا حثيثا لسد حاجاتهم، و حل مشاكلهم الشرعيه و الاجتماعيه بمتهى التفانى مما وجد علاقه خاصه بينه و بين جميع الفئات. حيث كان إلى جانبهم فى أشد الظروف الخاصه و العامه. و لقد برز هذا الموقف أكثر ما يكون خلال الاجتياح الاسرائيلى فى آذار عام ١٩٧٨ عند ما عمل الكيان الاسرائيلى على احتلال المنطقه التي أسماها بالشريط الحدودى، و من ضمنها بلده عيناثا. فقد كان أول ما عاد إلى بلده، عاملا على رص صفوف الناس و تقويه معنوياتهم لمواجهة الاحتلال. بعد ان كانوا يعيشون احباطا شديدا، نتيجة المواقف السياسيه و العسكريه حينها، و نتيجة إباحه القرى لعمليات نهب و قتل من قبل إسرائيل و الميليشيات المتعاونه معها. و قد بدأ برفع الصوت بالتنديد بهذه الممارسات و رفض استقبال قائد القطاع الغربى لتلك الميليشيات المتعاونه مع اليهود. و قد شكلت هذه المواقف التي أفرزت التفافا شعبيا، أول خطوات المقاومه فى جبل عامل. حيث تطورت هذه المواقف إلى نوع من حركه الاحتجاج الشعبى على كثير من الاجراءات، مما كان يؤدى إلى إغائها ضمن تحرك عملى و قد تجلى ذلك فى كثير من المواقف، أبرزها ذهابه بنفسه مع أهالى بلده و القيام باغلاق سجن مركزى لمنطقه الشريط الحدودى، كان قد أقيم فى عيناثا.

و مع بدايات الاحتلال الاسرائيلى عام ١٩٨٢ لجبل عامل، و وصوله إلى العاصمه بيروت، كان قد بدأ بالعمل على تكثيف النشاط الدينى، و انهاء مشروع كبير فى البلده يتضمن مركزا اسلاميا و مستوصفا و مكتبه و مدرسه هو من أكبر المراكز فى جبل عامل، و قد تم ذلك بتمويل من الناس أنفسهم الذين كانوا بغالبيتهم قد شكلوا نوعا من العمل الثقافى الإسلامى الشامل كركيزه ضد التطبيع فى العلاقات، التي كان اليهود يعملون على إيجادها. مع الدعوه إلى عزل القله التي تعاونت مع الاحتلال.

و مع تنامي مواجهه مع الاحتلال فى جبل عامل كله، كان المركز الإسلامى فى عيناثا، منطلقا لعشرات الشباب الملاحقين من قبل الاحتلال الذى كان يصدم أول ما يصطدم بالسيد عبد اللطيف فضل الله مع مجموعات الناس حتى كان يتم العمل على اطلاق سراح هؤلاء بمختلف أنواع الضغط الشعبى. الذى كان يشكل طوقا حول المسجد و يمنع الاحتلال من أهدافه فى التنكيل بالشباب المسلمين.

و مع تزايد حده مواجهه، و الاتجاه إلى المجابهه العسكريه. التي أدت إلى عمل الاحتلال على ترحيل الشباب، بأساليب مبتكره من الإرهاب. و مع ازدياد وطاه السن و المرض على السيد عبد اللطيف حيث كان قد تجاوز الثمانين عاما اضطر إلى ترك البلده مريضا مهجرا، بعد ان ضرب عرض الحائط تهديدات اسرائيليه خفيه بقتل أولاده.

و قد ساوى أكثر أهل بلده بالتهجير فى منزل بسيط قدم له فى مدينه صور، عاملا ما استطاع بالقدر الذى تسمح له صحته التي أخذت بالتدهور، على خدمه اهالى المنطقه الحدوديه بعد انسحاب إسرائيل تحت ضربات المقاومه إلى المنطقه الحدوديه التي احتلتها عام ١٩٧٨، مع توسعتها قليلا من ناحيه الشمال الشرقى.

و مع اشتداد وطاه المرض عليه، بقى فى السنوات الثلاث الأخيره من عمره، يراقب العمل على خدمه الناس، و خصوصا المنطقه

الحدوديه، و هى المهمه التى أناطها بأولاده كواجب شرعى لا يتقدم عليه أى امر، خاص أو عام. إلى ان توفى فى ٢٣ كانون أول عام ١٩٩١ ميلاديه فى بيروت التى نقل إلى أحد مستشفياتها من صور. وقد دفن فى عيناثا بمظاهر التكريم الشعبى الذى كان يشكل تحديا للاحتلال الاسرائيلى.

و قد كان يوم جنازته من الأيام التى كسر فيها حاجز الاحتلال و وطاته.

بما يشكل تحديا لهذا الاحتلال. و قد توفى عن اربعة أولادهم نجيب و غالب و محمد صادق و على، و كل واحد منهم يتابع اليوم نهج والده علما و عملا و سلوكا و هم مع أبيهم و عميهم السيد محمد سعيد و السيد عبد الرؤوف و بنى عميهم اكملوا و يكملون مسيره جدهم السيد نجيب الذى كان فى عصره فى جبل عامل من ارفع منارات العلم و الصلاح و الجهر بالحق و حمايه المظلومين و جهاد الظالمين.

شعره

قال يتحدث عن نفسه:

لك السعد.. ما دنيا المحب المروع سوى مهجه حرى و وكاف أدمع

تبادلته منها بأكرم.. ما وعى من الحب و الإنصاف الأم ما تعى

تواثبت الأحداث من كل وجهه اليه و خف البين من كل موضع

و لكنها ما انقضت ظهر صابر و لا أوهنت بالجود عزمه أروع

يعير الرزايا منه نفسا كريمه لما فات لا تاسى و لم تتوجع

إذا ضاق فيها الدهر يوما برحبه تلوذ بصبر منه اوفى و أوسع

طغى فوقها برد التجمل ما ارتدت بأحسن منه فى القلوب و أروع

تحريت فيها النبل.. لا متشعوذا و لا تائها فى حيره المتسكع

و نبئت ان الفجر ليس لماكر و أن العلى ليست لأجدع اقطع

و هل عابنى للناس أنى ماجد.. رعى ذمه الإخلاص فيها و ما رعى

تعففت و الدنيا لمن هان جنه فألفيت فى الحرمان غايه مطمعى

و شاركت أهل البؤس فى طعم بؤسهم و أغليت فى آماقهم كل مدمع

و أسديت للأيام شكران منعم و قد ارهقتني بالبلاء المروع
فلم تطغنى الدنيا بزخرف لهوها و لم يزهني فيها تاله مدع
و لا سكره فيها أعيش معريدا و لا اثره منى.. فتوغر من معى
و ما المجد الا ما زكى و تطاولت دعائمه فى ظل عيش مرقع
نبتت أباطيل الحياه لمن بكى... عليها بكاء الفاقد المتلوع
و يمت وجه القصد وحدى راشدا على سنن المعروف أمضى بمهيع
أمد إلى الأحياء نظره واجم جنائز موتى للقبور مشيع
وجوه على اعتاب كل مذقه أسف الهوى فيها و قال لها ار كعى!
إذا ما بدا برق المطامع اتلعت إليها بجيد المشرف المتطلع
عباديد لو فتشت عنها خباها لعابنت منها مصرعا اثر مصرع
أجاذبها جبل الوداد بشافع إليها من الأخلاق غير مشفع
ترامت بها أحسابها لابن ضله إلى الأرض حطته السما غير طبع
من الحما المسنون يختال سادرا على ظهرها فى حماه الغى يرتعى
تحك السماوات العلى فى متونها بغمره مفتون و طغيان مبدع
و تائه.. ان تبصر العمى أبصرت هداها و اما تسمع الصم تسمع
إذا ما تولاه مضيع لأمرها قضى بعده بالجور فيها لأضيع
على ضله اما هوت تسابقت مسابقه الهيم الظماء لمشرع
تخيلت يعقوبا من الشوق حانيا على يوسف فى قلبه المتصدع
و كم ساد باسم العدل ظالم أمه و حامى على سواءته غير مقلع
أمنتجعا قسط الحياه يروضها و يرقب من شمس الهدى خير مطلع

خذ القول عنها فى طويه أمرها لعلك منها قد وعيت كما أعى
دهى الأرض طوفان الهلاك فعمها و لم يبق منها للرجا قيد إصبع
رويدك ذا طوفان نوح و هذه سفينته فى موجهها المتدفع
فما قيل يا أرض ابلعى لج مائه و لا قيل يوما للسما عنه اقلعى
و قال مراسلا ابن أخيه فى باريس من قصيده:
ناى من ناى عنى و خلف لوعه بقلبي، و داء ما شفاه طيب
بلى ان سهما قد أصاب مقاتلى رمى فيه عن قوس الفراق قصيب
و لكننى إذا اوصل الوصل دربه على تراءت لى اليه دروب
أمثل من أهواه حتى كأنه.. لعينى و ان شط المزار قريب
و تطوى الفضاء الرحب بينى و بينه رسائل شوق تغتدى و تثوب
يروح بها حادى النسيم و ينثنى مجيئا إذا ما حان منه هبوب
يفوح بانفاس العبير إذا سرى فكل مكان مر فيه يطيب
لعينى أ ما لاح فى الأفق بارق و أسفر صبح أو أظل غروب
تلفت قلبى نحوهم يستفزه.. لباريس شوق عارم و وجيب
و للطرف انسانان حين تناءيا و ذابت نفوس بالأسى و قلوب
إذا ما سواد الطرف اخلى منهما فان سواد القلب عنه ينوب
و قال فى أعقاب الحرب العالميه الثانيه من قصيده:
قست الحياه فضيقت أغلالى شتان ما حال الطليق و حالى..
لم اقض للارب الكبار لبانه فيها و لم ابلل صدى اه إلى
أسعى فترصدنى الخطوب كأنما حد الأسنه و السيوف نعالى

دنفأ اقلب ناظرى فأرى به صور الحياه، مریعه الأشكال

ضاق الفضاء بها بعین مسهد أيامه مما یجن لیالى..

یا دهر شرد ما استطعت فلم تهن نفسى بتشريد و لا بنکال

هى فى مراقى العز فوقک فاحتکم ما شئت فى عرض التراب البالى

کست الزمان مهابه و تضوعت فيه اریج لطائم و غوالى

ص: ١٥٠

لو كنت شخصا فى الحياه ممثلا لعلا مثالك فى الفخار مثالى
شالت بهامى عصبه منها التقب شتى الفضائل فى السناء العالى
من هاشم سنوا العلى و ترفعوا فيها عن الأشباه و الأمثال
هم حليه الدنيا و خالد مجدهم فيها سماء رصعت بلئالى
كم أرجفوا بحمى الملوك و أنزلوا من صيحه فيها و من زلزال
نازعتنى الشرف الرفيع فزدتنى فى المجد، أسمى رفعه و كمال
و صقلت نفسى بالأسى فتهذبت و السيف لا يفرى بغير صقال
و إذا لقيت الليث ذلك بأسه كيف اتقاؤك صوله الأشبال
نفذت سهامك فى حشاي و طالما حكمت حد مداك فى اوصالى
إن كان لا يرضيك الا مهجتى.. مما حويت من النفيس الغالى
خذها إليك كريمه و اجعل لها ذكرى بجنب مصارع الأبطال
كبرت لها فى الأرض غايه همه فيها حططت، على السماء رحالى
فأخذت فى يمناي شمس نهارها و حويت بدر تمامها بشمالى
ما للحياه فضيله ان لم تكن لمثوبه غرضا و لا لمعالى
إن الذى خلق الفتى لزواله أنشى ماثره، لغير زوال
تمشى مع الأزمان و هى فتية فيها و تصحب دائم الآزال
الحق أكرم نسبه ينمى لها حسب، إلى الأقوال و الأفعال
ما زال يعلو فى النفوس جلاله حتى تسنم عرش كل جلال
يكفيه من شرف العلى ان اسمه علم لذات الواحد المتعالى
و النفس ان تطع الهوى سقطت به عن برجها الأعلى سقوط هلال

لم تغرني دنياه أشاب قرونها طول التعاقب رثه الأسمال
كم راودتني عن حجابي، فعرتها عين البصير بسبي الأعمال
و جلت لي الأحلام تعبت بالنهي و تضيق عنها فسحه الآجال
للعدل فيها و المظالم ثوره تمشى بفتنتها مع الأجيال
هي مارج النار استطال فلم يزل يهدى الشواظ لذلك الصلصال
صالت بناب و حوشها و مشت إلى هول تلجلج فيه كل مقال
هول تقوم له الحياه، هزيله ثكلى و يقعد قائم الأهوال
طوفان نار طاف في تياره بالعالمين.. فسد كل مجال
الناس في أنواعها.. حطب له و كرائم الأموال، و الأنفال
همت السماء صواعقا فامدها في الأرض زلزال لها متوالى
و كأنما رهج الغبار سحابه تسقى الأديم من الدم السيال
و الكون بات مسارحا لقذائف و ملاعبا لقواضب و عوالى
يا أيها الغرب الذى غرب الهدى عنه ببحر مطامع و ضلال
فتح التمدن منك باب جهنم فينا و شد سلاسل الأغلال
هذا زمانك فى خلاعه غيه دفنت محاسن كل عصر خالى
زمن تعيش به النفوس فان ونت بالجد فهى فريسه الرئبال
ذاد المروءه عن مناهل ورده و أحالها فيه لكل محال
و الحق ضاع فان دعاك فقم به أو نم جريح أسنه و نصال
قوم بصائر.. دينهم و عقولهم ضاعت بنشوه خمرهم و المال
طغت الجرائم و التقت آلامها فى الدهر أثقالا على أثقال

فعلی خفوت اللیل أنه واجد و علی هتاف الصبح عبره جالی

زمر به متشاکسون حدابهم حادی الهوی لتنافس و قتال

ص: ۱۵۱

فلربما سقت الجلال لبئس و جحدت منها عزه الأقيال

الدهر مضممار السباق من الورى و الحادثات به محك رجال

من تغف عنه فيه عين هدايه باتت به ترعاه عين ضلال

و قال من قصيده:

أوغلت فى المرمى البعيد مستلهما وحي الخلود

انشى القريض و انتشى بغنى السما فى لحن عودى

فأرى الحياه سلافه و الكون بيتا من قصيدى

اوريت روى استضىء بنورها سر الوجود

و بكيت إذ ضحك الغبى لهجه العصر الجديد

هو ماتم الأخلاق ذو الطغيان حوله لعيد

فى أفقه شؤم الحياه اطل فى برج السعود

عن حسنه يروى القباحه و الهبوط عن الصعود

كالكلب رجس إهابه يطوى على أسد الأسود

عصر عصاره روى من ذوب أدمغه القروذ

يورى فؤاد الحر أو يسقيه من ماء صديد

هبطت به الأقدار من ملك لشيطان مرید

أم الجهاله قارنته فامهت عرش النفوذ

و بكل حى دونها القى الزمام و قال قودى

فكأنهم بولائها فيهم من الأصلاب نودى

بسطة على أيامه سلطان جبار.. عنيد..

يشكو الهدى طغيانه شكوى حسين من يزيد
و اطل تحت لثامها ما زينته من الوعود
سجدت لعزتها جوارح من دعتة إلى السجود
فتانه أرخت على صبح الهدى ليل الجعود
جمع الزمان و طوقت أفعى الجهاله كل جيد
و الخلق من أدرانها لبسوا الجلود على الجلود
و الحق بات فريسه بين المسود و المسود
فاضرع لربك انها أيام صالح فى ثمود..
كالنار فى هيجانها كمنت بمنفجر الحديد
يا أيها الجد الكريم إليك من نبا الحفيد..
ضحى الكرامه و الابا ما بين صهباء ورود
ما الدين منه و ما العلى غير المظاهر و النقود
قصر المحارم كم بنى للذم من قصر مشيد
هو جسم إنسان يعيش بروح حيوان شرو
يحمى العدالة ثم يخضب شخصها بدم الوريد
أذن الجماد يديرها قلب من الحجر الصلود
دنياه مثقله الخطى تمشى بمطلع كئود
حسرى كثاكله تنوح على ابنها فى يوم عيد
و قال فى الحسين (ع):

يدور كما شاء الزمان المعاند و يهدم ما بينى و مجدك خالد

لقد طاولتكم الحادثات فاخفت و طال عليها من إباءك مارد

أتيت بما لم يسمع الدهر مثله و لا شهدت عيناه فيما يشاهد

طوى كل حى ثم سل جذوره و أنت على كر الجديدين صامد

و سافر فى آفاق مجدك فانثنى حليف عناد لبه فيك شارد

ص: ١٥٢

ترجل عن عرش العلى لك طائعا و أعطاك منها كل ما هو واجد
يطوف على أبيات عزك محرما و يهوى على أعتابها و هو ساجد
لئن زاغ فى يوم الطفوف و قاده عمى كحلت عينيه فى المراود
فما تبعث الأيام الا زلازلا إذا زلزلت للناس فيها العقائد
كبرت فلم يحدث لك الحمد عزه و لكنها تعتر فيك.. المحامد
ببحرك طاف الشعر دهرا فما اهتدى إلى شاطئ فيه تحط القصائد
برى الخلق أشباها و سواك واحدا اله لأكوان العوالم واحد
و هبت حياه الأرض منك إلى السما تطاعن عن ناموسها و تجالد
و ثرت و ما فى الكون الا محارب تطارده عن غيه.. و يطارد
تصارع هول الموت و الموت كالح و تدفع كيد الكفر.. و الكفر حاقد
و تسطو على الأبطال حتى كأنما لك القدر المحتوم كف و ساعد
ضربت بسيف الله للحق داعيا و ليس لسيف سله الله غامد
و لم تعد فى الأصنام سيره احمد و إن بدلت أشكالها و الموارد
أصاب بها أحجارها.. و أصبتها ملوكا على أبوابها الكفر حاشد
خلعت رداء العيش إذ هان و التوى و أزرت مخازيه به و المفاسد
و سرت على درب المنيه واردا إلى العز إذ سدت عليك الموارد
بمثلك ما جاد الزمان و لا اعتلى لمجدك مما أنجب الدهر ماجد
كأنك بدر فى السما.. و كأنما له من مراجيح العقول مراصد
يكاد إليك البين يسعى مسلما و ينسل منه الركن إذ أنت وافد
و ما ذاك من شوق إلى من يحجه و لكن إلى أمثاله الطهر قاصد

أقمت و أقعدت الحياه بضجه يروح بها جيل و جيل يعاود
تظل لك الأبصار منها شواخصا و تتبعك الأمثال و هي شوارد
أ رأس العلى قم و ارفع الرأس عاليا فأنت لما فى الكون راع و قائد
أ لم تر كيف الفخر شال بهامه و كيف عليه.. تاجه العز عاقد
فقد اقلع الليل الذى كان مظلما و أقبل صبح للحقيقه ناقد
جهادك فى الأيام ما مر مثله و مثلك فيها لا يمر مجاهد
وقفت بوجه الموت تلقى كتائبا تضيق الربى فى جمعها و الفدافد
وحيدا غريبا حوله الصحب همدا و أهلوه صرعى لم تلنه الشدائد
و لا أخذت من عزمه و ثباته بروق توالت دونه و رواعد
تباهى السماء الأرض فيك مدله و يحسدها بدر الدجى و الفراقد
مشى الدهر منكوسا و عادت لمارق مدارس كانت للهدى و معابد
ماثر قدس من تراث محمد يصيد بها حوزة الكفر صائد
درى المصطفى و هو الذى عاد فى الورى على يده جبارها و هو ساجد
بان بغاث الطير قد عدن أنسرا تكايده فى آله ما تكايد
تصول فتروى غلها من دمائمهم و تحصد فيهم بالسيوف الحواصد
مشاهد فيها لو رأى الآل احمد و هم خائض لجح الدماء و خامد
و أجسامهم للصفانات مدارج و من لحمهم للمرهفات موائد
لخر كما قد خر موسى بطوره لها صعقا مما يرى و يشاهد
دماء على الأيام تجرى كأنما يبيت لها من لجه البحر رافد
و عقده غيظ حين شد رباطها أرادت لها الا تحل العواقد

أتيت و للدنيا زمام يقودها به ناكث للجاهليه عائد

بها الذكر منبوذ و مهبط وحيها بمغناه شيطان الضلاله راقد

و لم يبق الا سيف خلا مساعدا يواسيك فيها حين قل المساعد

تخوض به الهيجا و نفسك أنفس لما أنت عنه شتاتك رائد

ص: ١٥٣

و تعتق الأسياف حتى كأنها أمامك من حور الجنان خرائد
إلى أن قضت تحت العجاج و أفرغت من السم فيها ما تضم الأسود
عظيمه شان فى السموات لم يزل يسائل عنها خلدتها و يناشد
و أفقر بيت للملائك.. كعبه لها هابط بالوحى منها و صاعد
أشادت يد الرحمن شامخ عزه و قامت بها أركانه و القواعد
نصحت فيبعت بالكساد رخيصة لهم حكم ماثوره و فرائد
عسى ان يلم الدهر شمل شتاتها و يوقظ منها النصيح من هو هاجد
فلم تر عند القوم إلا وقيعه و نيران حرب شها لك و اقد
تنكرت الدنيا إليك فدر بها مهالك أخطار بها و مصائد
و عاد الفضاء الرحب منها فسيحه لسجن على أبوابه الحتف راصد
و ما الدهر للمخذول إلا نوائب و ما أهله الا خصيم و حائد
و جنح ليليه على رغباته ينام به طرف و آخر ساهد
أحلت بك الأعداء حين تسابقت لقتلك ما لا تستحل الأوابد
جناه على الطغيان شب وليدهم و نيطت عليه فى الحجور القلائد
تحاول إنسانا لديها فلم تجد و هيهات يعطى الشىء من هو فاقد
إذا النشء كانت للفساد حياته فلا عاش مولود و لا كان والد
سوائم أنعام و حوش كواسر لها فى أكف الظالمين مقاود
بذكراك من يشدو فاعواد منبر له فى السماء المشتري و عطارد
إذا ما رواها الكون يعقب بالشذا و تردان آفاق و تزهو معاهد
و لو سال الناس الزمان و ما به و عادت عليهم بالبيان العوائد

بمن بدئت فيه المفاخر و انتهى اليه طريف من علاها و تالد
لدان لك الآتى و من هو حاضر و من سلفت فيه القرون الوائد
قضيت عن الإسلام كبش فدائه و قل بان تفدى بما الكون و []
و قال من قصيده:

رباه فيك تعلقى و رجائى و لغير عرشك ما بعثت نداء
أنت الذى أنشأتنى متجملا مترفعا عن منه البخلاء
إنى نظرت فما وجدت بما ارى غير السراب و أنت عذب الماء
الكائنات على تعاضم شأنها من بحر جودك رشحه الأنداء
ضلت بمعناك العقول و هل ترى يوما بغير بصائر الصلحاء
قد عرفوك بما سواك كمن مضى يبغى النهار بلبله ليلاء
أو مبهم أعياء العوالم سره راموا ظهور خفائه بخفاء
أ ترى بطرف قد تكحل بالعمى و بصيره صدأت بغير جلاء
قام الوجود فكان منك صدوره و عليه ظلك وارف الأفياء
فلك البدايه منه غير منازع و إليك يرجع منتهى الأشياء
اثنى عليك و ما أنا؟ ما قدر علمى ما يسير ثنائى

ما كنت الا ذا الجناح إذا دنى فحسى بمنقره من الدأماء
حفلت برحمتك السماء فاغدقت و تالأأت بمشارك الأضواء
و الغيث أحيا الأرض بعد مماتها فبدت بطلعه حسننها الغراء
بسط الربيع بساطه فزهت به و تبسمت عن روضه غناء

نتلو بها صحف الجمال كأنها صحف السماء بالسن القراء

أنى حلت برحبها بك رحبت و تهلت ففانه الأنحاء

أبدعتها بيد الكمال وسيمه و ملأتها بسوايغ الآلاء

و بسطتها فيحاء ليس بمنته ما امتد من سعه لها و فضاء

و حبكت فى شهب النجوم سماءها غررا زهت و مراتبا لضياء

ص: ١٥٤

أطلعتها زهر الوجوه كأنها سرج تشع بقبه زرقاء
و أنرتها بالنيرين على الورى صنوين فى شرف بها و علاء
أتضيق مطبقه الجهات على امرئ و على سواه فسيحه الأرجاء
رباه قد مات العزاء و أوهنت روحى لطول تعاقب الأرزاء
و وقعت فى أسر البلاء مكبلا أ فلا يكون على يديك فدائى
و الدهر ارعن بالمصائب نائرا صلفا يحارب عزتى و إباءى
و قال:

طوبنا للصبأ عهدا حميدا نطالع كل يوم فيه عيدا
طوبناه كما فقد المصلى طهور الماء و التمس الصعيدا
كان حياته صبغت بلون من الفردوس و امتلأت سعودا
خلا مرحا يضوع مع الليالى ملابا أو يضىء بها فريدا
و من فقد الخلود و ما هواه سيفقد بعده العيش الرغيدا
بها جمع الزمان بلا قياد و لا حره تحفز ان يقودا
فاحمد انسه و أباح منا ربيع العمر يحصده حصيدا
و كم باللهو متعنا زمانا و أعطانا فاسعدنا جدودا
أصبنا فيه دنيا قد تملت من الإحسان صافيه ركودا
علاها البشر ممرعه النواحي تروق محاسنا و تفيض جودا
لنا سلسلت كما نهوى قيادا و ما خانت لدمتنا عهدا
و لما أن أضاء الشيب عنها تبدت فيه رعناء شرودا
نضته فى مفارقنا سيوفا و قد كان السواد لها غمودا

توقى أمسها برا رحيمًا و جاء اليوم تغمره جحودا
و حولها القضاء ظلام سجن نجر به السلاسل و القيودا
سل الأحداث كيف أذبن قلبا جلبن عليه ما يبلى الحديدًا
و كيف ذوت صبابه مستهام بها عمر الأباطح و النجودا
و ماض بعده الأيام آلت به و بمثله أن لا تجودا
عدته العين فامتألت سهادا كما قد كان يملؤها رقادا
زهونا فيه زهو الأرض اضفى عليها روضها ثوبا جديدًا
إذا جر الغمام بها ذيولا جلا منها الأزاهر و الورودا
ذكرنا ظل نعمته ظليلا و وجه الدهر بساما ودودا
و عيشا فى مجال الحب حلوا سحبا للشباب به برودا
خطرنا فيه فضفاضا رداه فعاش غلاله و أخضر عودا
و همنا تحت جنح من دجاه نسيم مع الهوى قلبا شريدا
نسبح باسم عزته و نرمى إلى غاياته الغرض البعيدا
و نهشت بالجمال غواه حب نحاول ان نصاد و ان نصيدا
حقائق صبوه كانت لسعدى و علوه لم نجد عنها محيدا
يود الشوق فيها.. ما تشنى من الأرواح مؤتلقا وحيدا
جلوباها مشعشه شمولا و لكننا شربناها صديدا
تخطت فوق جدتها الليالى و صارت للبلبلى فيها وئيدا
و لو فسح الزمان لها مجالًا على أيامه خلدت.. خلودا
و قال فى الثوره الجزائريه على الاستعمار الفرنسى:

المجد قطب و الفضائل سلم و العز يخصب حين يسقيه الدم
و البغى آمن بالحسام موحدًا واعد رحمته لمن لا يرحم
و من الجهاله ما يضم ببرده عقلا يدار به الوجود و ينظم
و الجرح فى قلب المظالم فرجه و أضر شىء من دواه البسلم

ص: ١٥٥

من كان مورده الهوان فعيشه سم يداف و كل ورد علقم

للمرء حاضره الجلى و فى غد ما تحكم الأقدار لا ما يحكم

و إذا استبد هوى النفوس رأى العمى بصرا يضىء بناظره المظلم

و الجور فاتحه الخصام و ربما أخذ البرىء بما جناه المجرم

من شد عن أدب الحياه و وعيها فله الحسام مؤدب و معلم

العمر حلم و الحياه حلاوه فى صلبها كمن البلاء الأعظم

و إذا سالت الدهر أتلع دونه حق يجيب و باطل... يتلثم

كلب الزمان على بنيه و أمعنت صيد البغاث به النسور الحوم

فبكل ناحيه عذاب واقع فى أهله و بكل ربع ماتم

لا يعدم الطاغوت نزوه رأسه إن لم يطأه من العداله منسم

سلم على الجبروت أن عاطيته بيد السلامه لست منه تسلم

يمشى على الأشلاء فيه مغامرا طمع لما تبنى العداله يهدم

غرثان يأكل من حطام زمانه ما تأكل النيران فيه و تهضم

يا أمه بالشهب من أبنائها ما انفك شيطان الغوايه يرجم

أرضعت ثورتك الدما فتحولت شهدا بكاسك أو رحيقا يختم

تمل الزمان بها فرنح عطفه و اختال فيها شاديا يترنم

نادى رفات الطيبين فربما لبت نداك من التراب الأعظم

حياك حيدر و الحسين موسدا من كربلاء على إباك يسلم

قلم القضاء جرى فخط بلوحه أن الكمال بعربه متجسم

و الأرض أعجز أن ترد كرامه فيها تجود يد السماء و تكرم

أضفى الخلود على جهادك موقف بين الحياه و بين موتك مقتحم
إذ أنت فى قلب الحفاظ محجه للخالدين و عروه لا تفصم
أقدمت و الايمان عده حاسر و الصبر صاحبه الذى لا يحجم
و كان عزمك جذوه مشبوهه و ثبات جاشك يذبل و يللم
فى صدره خنقت مطامعه و من سم الخياط.. حياته يتنسم
برزت حماتك للجحيم بحومه ازرى بحد السيف فيها المعصم
برق و رعد يستشيط بافقها و قذائف تهمى و نار تضرم
لجج من الأهوال فى غمراتها أرخى أعتته القضاء المبرم
فيها لسان الحمد هلل داويا للفرخ حين سطا عليه القشعم
غادرت جبار القرون طغى حملا بمادبه الضياغم يولم
و أمته تحت العجامه ميته لم يحييه منها المسيح و مريم
و طلعت كالبركان يقذف بالظى و الحنف ينتاب الحتوف و يحطم
فشردت عن حكم العقول و صدقت فى ذاتك الأوهام ما تتوهم
صب العذاب عليه يوم كالح كالليل مسود الجوانب مظلم
فيه يخال الأرض تهوى تحته و عليه أفلاك السما تتهدم
رام النجاه فكاد يسبق ظله و الرعب عنه معبر و مترجم
حشد السواد على ربوعك سادرا فكأنها منه الغراب الأسحم
من كل ذئب للفريسه كامن من وطء نعليه الثرى يتبرم
ألوى شكيمته الحفاظ و رده خزيان ينهل من دماه المخذم
أ أقالهم و هم أضاح فوفه ما أسرجوا للموبقات و أجموا

تلک اللئام و إن تکاثر جمعهم لم تفد للأحرار ضفرا یقلم
جحد الحساب معاندا حتی حکى یوم القیامه.. یومه المتازم
للسیف فاسد لحمه و دمائه هذا له شرب.. و ذلک مطعم
کم رمت اطلاق السراح لفرجه مما دهاک به الألد الأخصم

ص: ١٥٦

حتى إذا أعيأ البيان و أسرفت في الجور نغمه غاشم لا يفهم
حاولتها حريه جباره حملت رسائلها اللظى و الأسهم
ولد الفخار على ثراك و رأسه بالغار فيك متوجا و معمم
غمزت إياك الحادثات أليمه فإذا الابا في بردتيك مجسم
باهى العصور فكل مجد هاله لسنا علاك و كل مرقى سلم
شرف تواضعت السماء لعزه و تضاءلت في جانبيه الأنجم
و الحق أسفر في يمينك عاريا فيه يكم فم الطغاه و يلجم
إن سقت صولته.. لجوله باطل سرعان منه ما يخور و يهزم
فرد الأثيم على أذاك فعدته للنار.. طعمتها و بئس المطعم
ربما عاف الخلود و طهره مثنى الخبيث فطهرته جهنم

مراثيه

من قصيده السيد محمد حسن الأمين:

تلاألأت و احتواها بعدك الأبد روح تشظى على إيقاعها الجسد
روح كما الجمر مشدود بها وتر من الألوهه باسم الحب... يتقد
غريبه كالذرى... للريح جبهتها و للسفوح بقايا الكبر.. و الصيد
تضىء.. تصفو.. تشف النهر خلت أم الصبح استوى في المدى الغافى له راد
أحبيتها.. لم ينم في نبضها قلق و ما استقر لها في شاطئ ميد
جناحها من شواظ الشمس مختضب و همها بالبعيد الصعب منعقد
أعيابها الجسد المكدود تجذبه حيناً.. و يوسعها قريبا فتبتعد
حتى إذا اتحدا في لحظه وصفا ذاك الجبين.. و شفت فوقه العقد

خلت الضياء استوى جسما فرحت كما حرانه فى مرأيا الصحو تبترد

و من قصيده الأستاذ محمد فلحه:

ما ذا أقول إذا رثيتك موجعا أولى بقول رثائك المحراب

أقوى المصلى لا يزايله الأسى و بكت عليك ماذن و قباب

قدر لعمرى ان قضى لا ينشى حارت به الأفهام و الألباب

ناء مداك أبا النجيب فما جرت إلا لشاؤ فى مدارك ركاب

ليست تجارى إن يجد بها السرى خيل تحامها الكماه عراب

ألا يخطئ المرمى على صهواتها رام و لا يخشى الردى هياب

أنت المجلى و المسابق لاحق ضاقت عليه فى السباق رحاب

يشتاقك القلم السنين و تنتشى فى راحتك صحيفه و كتاب

ما ذا عن النادى الحفيل و سامر هل أفقر النادى و أوصد باب

يا حاملا هم العفاه و واصلا رحم الجفاه إذا جفت أنساب

أقسمت بالقلب الكبير و بالتقى ما سام قلبك لاه و عتاب

تفضى على البلوى و تصفح قادرا فكأنما كل الأنام صحاب

أعرضت عن عرض الحياه مبرأ و نایت لم يعلق بثوبك عاب

و من قصيده الدكتور يحيى شامى:

فى العلم أعلمهم فى الزهد أزهدهم و فى العباده لا خوفا و لا رغبا

جم الخصال من الأبدال لوحه قيامه الليل فى أسحاره نصبا

تبارك الله و الشعر الذى وثقت له عراه و فيه قد مضى حقبا

يا شعره أين منه المذهبات و ما أتى الفحول به من شعرهم عجبا

من ذا زهير و من كعب و نابغه ما كل ما قيل من شعر و ما كتب

تكلف الشعر أقوام فما سبقوا و عنده الشعر طبع ليس مكتسبا

مجلل ببديع الحكمة انفتقت عنه القريحه صدقا منه لا كذبا

إذا تعاطاه جزلا قلت يا عجا هذا هو الشعر مختارا و منتخبا

و إن ارق جرى من رقه نغما ما نغم داود سل نايا و سل قصبيا

ص: ١٥٧

سل عين كبعاً و سل بثر الزيب و سل عينا بافريز يجرى ماؤها صيبا

سل عابري عين عيناثا عشيتهم و من تروح عند العين أو شربا

سل البلابل هل كانت مردده إلا صدى شعره إن حن أو طربا

يا عين جوزة عيناثا ألا ابتذلى ثوب الحداد و غضى الطرف و الهدبا

فان فارس ساح العين أو هنه نرف الجراحات و الطرف الكريم كبا

الشيخ عبد المحسن الخاقانى بن الحسين:

ولد سنه ١٢٨٩ فى احدى قرى لواء الناصريه و توفى سنه ١٣٧٢.

ينتمى "بنو خاقان" إلى عشيره "حمير"، و هى منتشره فى جنوب العراق و عددها كثير.

و من أبرز بطونها "آل جوبير" الذين ينتمى إليهم صاحب الترجمة.

و آباء المترجم له المتحدرون من هذه الأسره، كلهم علماء معروفون لهم آثار علميه كثيره.

نشا المترجم تحت رعايه جده الشيخ على الخاقانى حيث توفى أبوه شاباً و هو طفل صغير لم يتجاوز الستين من عمره.

و توفى جده و هو فى أواسط العقد الثانى من عمره، فتولى شئونه عمه الشيخ محمد الخاقانى بوصيه من الجد، فقرأ عليه و على

الشيخ طاهر و الشيخ نعمه المبادئ العلميه و الدروس الحوزويه الأولى.

ثم هاجر إلى مدينه المحمره (خرمشهر) و هو فى الثانيه و العشرين من سنى عمره، و دخل المدرسه العلميه التى أسسها عمه

الشيخ عيسى الخاقانى لطلاب العلوم الدينيه. و بعد وفاه عمه قام مقامه و رجع اليه فى التقليد جماعات من أهالى خوزستان و

جنوب العراق و البحرين و الكويت، ترك العديد من المؤلفات الفقيهيه.

عبد الملك بن محمد إبراهيم بن عبد الله البواناتى:

مذكور فى "الكواكب المنتشره" المخطوط، و نقول:

فاضل مشغل بالعلوم العقليه، و كان يقيم بشيراز.

من آثاره مجموعه فيها كتب و رسائل من صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازى كتبها فى المدرسه الرفيعه الاماميه بشيراز سنه

١١٢٨ و أتم مقابلتها بعد سنه من هذا التاريخ، و مما كتبه فى آخر بعض كتب هذه المجموعه يعرف تضلعه فى الأدب و العلوم

الشيخ عبد المهدي المظفر بن إبراهيم

توفي سنة ١٣٦٣ هو من آل المظفر، الأسره العلميه الشهيره التي أنجبت الكثير من العلماء و الفضلاء. ولد في النجف و نشا فيها و درس على علمائها، منهم الشيخ على الجواهرى و السيد كاظم اليزدى و شيخ الشريعه الأصفهاني. و قد لازم الجواهرى و اصل حضور درسه طويلا. كان عالما فاضلا، نرح إلى البصره فكان له فيها المنزله الكريمه و المسعى الطيب. و لكنه كان متحجر الذهن جامد الرأى، ما أدى به إلى مناهضه الإصلاح الدينى و الاجتماعى، و مناصره الأباطيل الدخيله على الدين فوقف فى وجه الحركه الاصلاحيه الكبرى التي عرفت بحركه (التنزيه) و هى الداعيه إلى إبطال ما لحق باحتفالات ذكرى مقتل الحسين ع يوم عاشوراء من أمور شوهتها و جعلتها أمرا مستنكرا كادماء الرءوس و لدم الصدور و تقريح. الظهور و التفتن بذكر الأساطير التي لا أصل لها. فجند لمحاربه الإصلاح لسانه و قلمه و ألف كتابا سماه (إرشاد الأمه للتمسك بالأئمه) حشاه بسبى القول و بذئته مهاجما صاحب الدعوه الاصلاحيه و مناصريه بادله سخيغه و آراء تخلفيه و تعابير سوقيه.

كانت وفاته فى البصره فنقل جثمانه منها بالقطار إلى كربلاء و منها إلى النجف حيث دفن فيها.

الشيخ عبد النبى بن احمد بن إبراهيم بن احمد بن صالح بن عصفور الدرازى البحرانى:

مترجم فى "مستدركات أعيان الشيعة" ١٦٤/٢، و نقول:

قرأ على أخيه الشيخ عبد على كتاب "الروضه البهيه فى شرح اللمعه الدمشقيه" و انهى الجزء الأول منه و بدأ بالجزء الثانى فى تاسع عشر من شهر شوال سنة ١١٤٩، و علق على النسخه تعاليق مفيده تدل على مدى فضله فى الفقه و الاستنباط و التتبع و أجازة أخوه المذكور بنفس التاريخ فى آخر الجزء الأول باجازه حديثه ضمن انهاء القراءه.

أديب فاضل له تبحر فى العلوم الأديبيه.

له "بدايه النهايه و نهايه البدايه" فى النحو (٢).

الشيخ عبد النبى الشيرازى القزوينى:

فاضل فقيه، كتب له زين العابدين بن الحاج محمد رفيع الاصبهاني مجموعته فى يزد سنة ١١٧٥ فيها "حاشيه مدارك الأحكام" لميرزا إبراهيم سلطان العلماء القزوينى، و قد علق الشيخ المترجم له تعليقه عليها تدل على اشتغاله بالفقه. (٣)

عبد الواسع التونى:

أديب حسن الإنشاء بالفارسيه، و يبدو انه كان فى خدمه الشاه سلطان حسين الصفوى، و هو من اعلام أوائل القرن الثانى عشر.

له: ترجمه رساله الذهبيه. (٤)

السيد عبد الهادى بن الحسين رفيع الدين الحسينى الدلجاني.

مذكور في "الروضه النضره" المخطوط، و نقول:

فقيه متضلع في الفقه و الأصول و العلوم النقليه.

كتب نسخه من كتاب "المحاكمات" للقطب الرازي و أتمها في ٢٢ محرم سنه ١٠٣٣ و علق عليها تعاليق تدل على تبحره في الفلسفه و العلوم العقلية.

توفى بعد سنه ١٠٤١.

ص: ١٥٨

-
- ١- السيد أحمد الحسيني.
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- السيد أحمد الحسيني.

له "هادى المضلين و مرشد المصلين". (١)

عبد الوهاب بن محمد أشرف الجنازى:

كتب حواشى العلامة ميرك موسى لكتاب "عيون اخبار الرضا" على النسخه التى نسخها محمد قاسم الطاقانى فى سنه ١٠٨٦هـ، و نظن أنه من تلامذه صاحب الحواشى و معلوم انه من علام [اعلام] القرن الحادى عشر المشتغلين بعلوم الحديث. (٢)

السيد الميرزا عبد الوهاب خان نشاط الأصفهانى الملقب بمعتمد الدوله:

أحد كبار الشعراء فى زمن فتح على شاه و رئيس ديوان الرسائل و من المادحين للشاه. ولد فى أصفهان عام ١١٧٥ هـ، و كان جده حاكما لأصفهان فترك لأبنائه ثروه طائله.

باشر نشاط بطلب العلم فى أصفهان و تعلم اللغتين التركيه و العربيه، و برع فى تعلم الخط. و لما كان يحمل ذوقا شعريا فقد درس الشعر و الأدب باللغتين الفارسيه و العربيه. و كانت أصفهان وقتئذ مركزا لحركه و بعث الشعر و الأدب الفارسي، و كان نشاط واحدا من المؤيدين لجمعيه (عوده الأدب) و من ثم كان يشتغل فى داره الأدباء و الشعراء فى يوم محدد من كل أسبوع. و كان هو و رفاقه فى هذه الجمعيه ينظمون الشعر على طريقه القدماء و يحيون تداول التقاليد القديمه فى الآداب الفارسيه.

و قد نقل عنه انه فى الوقت الذى غضب فتح على شاه على الأصفهانيين فى أوائل عهده قدم إلى طهران و التقى فى البلاط قصيده يطلب فيها عفو الشاه. و أعجب الشاه الذى عرف بذوقه الشعرى بقصيدته. و كافاه بخمسه آلاف تومان، و عفا عن الأصفهانيين. ثم عينه الشاه (عام ١٢١٨ هـ) فى منصب رئاسه ديوان الرسائل و لقبه بمعتمد الدوله، و أصبح من مداحى البلاط و المؤتمنين على إسراره.

و بعد أن شغل نشاط منصب رئاسه ديوان الرسائل، أصبح يرافق الشاه فى سفره و حضره، و يكتب بيده أكثر الأحكام و الأوامر الرسميه و الرسائل الخاصه للشاه و عقود و وصايا أفراد العائله المالكه، و استمر فى عمله هذا حتى آخر حياته. و سافر ذات مره إلى باريس فى وفد ممثل لفتح على شاه و التقى بنابليون الأول.

و فى عام ١٢٣٣ هـ امر بالتوجه لآخماد فتنه (غوريان و باخرز) و تولى فى هذه الحرب قياده القوات، و لكنه وقع أسيرا فى يد خصمه، و فى أثناء اسره دفع (بنياد خان) حاكم غوريان و باخرز لارسال كتاب إلى والى خراسان شجاع الدوله يطلب فيه العفو، و هكذا انتهت فتنه بنياد خان، و عاد بعدها إلى طهران. و فى عام ١٢٣٧ امر مره اخرى بالتوجه لآخماد فتنه الأفغان، فأنجز مهمته بنجاح.

و منذ عام ١٢٣٧ و حتى آخر عمره بقى نشاط فى طهران، و كان خلال ذلك يعاشر أهل التصوف و السلوك، حتى فارق الحياه بمرض السل فى يوم الاثنين الموافق للخامس من ذى الحجه عام ١٢٤٤ هـ (أى قبل وفاه فتح على شاه بست سنوات) و كان عمره آنذاك ٦٩ سنه.

اشتملت دواوين الشعر الفارسي لنشاط على أنواع الشعر، من القصائد و الغزل و الرباعيات و المثنوى، و لكنه برع بصورة خاصه

فى الغزل و كان استاذًا فى هذا الفن بحيث يمكن القول بأنه ياتى فى بعض غزلياته فى المرتبه الثانيه بعد حافظ.

كانت أغلب رسائل فتح على شاه إلى نابليون وغيره من الملوك و المستندات الشرعيه من إنشاء نشاط، و قد جمعت آثاره فى كتاب تحت عنوان (گنجينه نشاط)، و طبعت عام ١٢٦٦ هـ و أعيد طبعها عام ١٢٨١ هـ فى طهران بخط جميل بامر من ناصر الدين شاه. و قد اشتملت هذه الآثار على المقدمات و الخطب و كتب الأوقاف و العقود و المدائح و القصائد التى وضعها و الرسائل و الأوامر التى صدرت عن فتح على شاه، و الرسائل التى كتبها للشاه نفسه و الأمراء مع أشعار و مقطوعات أدبيه و أحاديث أخلاقيه. و خلافا لسائر شعراء البلاطات لم تكن قصائد نشاط كثيره، بل جاء حتى هذا العدد منها مشتملا على التعاليم العرفانيه.

كتبت مقدمه ديوان فتح على شاه و مقدمه الشاهنشاه نامه بخط نشاط. و كما ذكرنا فان مسئوليته فى بلاط الشاه كانت تحتم عليه كتابه الرسائل و الفرامين و الأحكام الشاهيه و ما يصدر عن البلاط أو العائله المالكه.. كل ذلك بخط يده، و كان استاذًا فى فن الخط و الإنشاء، بحيث كانت كتاباته قدوة لسائر الكتاب الذين كانوا يتناقلونها و يتداولونها بينهم

الشيخ عزيز الله عبد العزيز بن إسماعيل الخرقانى:

أصله من قريه "رودك" من أعمال خرقان و سكن طهران، و هو فاضل له إلمام بالحديث و التفسير و العقائد، و الظاهر أنه كان خطيبا واعظا. اسمه "عبد العزيز" و كان يدعى "عزيز الله"، و هو من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له "تذكرة العباد فى بيان مسائل المبدأ و المعاد"، أتم نسخ جزئه الأول فى سنه ١٢٨٤ (٣)

السيد عزيز الله بن امام ويردى الموسوى الفندرسكى الأسترآبادى:

كان أولا فى مشهد الرضا (ع)، و يبدو أنه تتلمذ على بعض العلماء هناك و أصبح من الأفاضل قبل ذهابه إلى النجف الأشرف، فقد ألف بمشهد كتابه الكنز فى سنه ١٣٢٠.

له "كنز العقول فى علم الأصول" و "التذكرة فى أصول الفقه" و "المنطق" و "الفقه" و "مشكاة المصابيح فى الأحكام" أتم تأليفه فى خمس مجلدات سنه ١٣٤٠.

الخواجه فخر الدين عصمه الله بن مسعود البخارى:

من علماء و شعراء أوائل العهد التيمورى. يرجع نسبه إلى جعفر بن أبى طالب و كان أجداده معروفين فى بخارى و لهم منزله رفيعه لدى ملوك

ص: ١٥٩

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

و أمراء تلك النواحي. و تحدث عنه تقي الدين الكاشى فى خلاصه الأشعار بقوله: " كان محققا شريف النسب و مدققا جليل الحسب و رجلا عارفا و من أهل القلوب، سبق بإحسانه صنابير بخارى و اشتهر فيما وراء النهر شهره واسع بأخلاقه الحميده و خصاله الفاضله، و رفع رايه المفاخره فى فنون العلوم المعقوله و الوقوف على العلوم المنقوله، و كان قدوة لفضلاء عصره فى هذه العلوم و خصوصا الرياضيات و التاريخ و الإنشاء و فن الشعر و العروض و اللغز، و أظهر براعه فى إملاء الرسائل فى هذه الفنون و العلوم ". و بفضل هذه السجايا و الصفات اكتسب شهره واسع و حظى بسرعه بمناومه الأمراء التيموريين و امتاز بمرتبه و مقامه الدينورى بين الأماثل و الاقران.

بدأ دراسته فى بخارى، و امضى جل حياته من صباه إلى آخر حياته فى طلب العلم و المطالعه و التحقيق، و كما قيل عنه كان ملما فى أغلب علوم عصره، و كان مجلسه فى أواخر حياته مرجعا لخواص أهل بخارى، و قد تمكن الكثير ممن نهلوا من فيضه ان يصلوا إلى مراتب عاليه من العلم و الشهره. و منهم سراج الدين البساطى السمرقندى و الخيالى البخارى (م ٨٧٠هـ) و الخواجه رستم الخورىانى (م ٨٣٤هـ) و طاهر الايبوردى الذين اضحوا من مشاهير شعراء عصرهم.

جرت عاده أصحاب التراجم على تسميته ب (عصمت) من اسمه (عصمه الله) باعتبار هذا الاسم هو ما كان يعرف به فى شعره و يتخلص به. و الحقيقه انه تخلص بهذا الاسم فى بعض شعره، و لكن كان هذا من قبيل التكرار لعاده الكثير من الشعراء المتقدمين عليه أو المعاصرين له فى استعمال القسم الأول من اسمهم المركب (مثل اثير بدلا عن اثير الدين و نجيب بدلا عن نجيب الدين) فى أواخر أشعارهم. فقد كان لقب عصمه الله و تخلصه فى أشعاره هو (نصيرى) الذى استقاه من لقب ممدوحه الأول نصير الدين خليل حفيد تيمور. و قد تصور بعض القدماء و المعاصرين ان هذا الشاعر كان يتخلص من قصائده باسم (نصيرى) و فى باقى أشعاره باسم (عصمت). و من هؤلاء تقي الدين الذى قال: " كان يتخلص فى قصائده باسم (نصيرى) بسبب منادمته و مصاحبته للأمير نصير الدين سلطان خليل، بينما كان يتخلص فى باقى أشعاره باسم (عصمت) " و ذهب بعض المعاصرين إلى هذا الرأى فقال: " كان يتخلص باسم نصيرى قبل تخلصه باسم عصمت " و لكن حقيقه الأمر هى ان الشاعر كان يورد اسمه فى بعض قصائده تاره و يورد تخلصه (نصيرى) فى البعض الآخر تاره اخرى. بينما كان يورد فى غزلياته اسمه (عصمت) و حسب، كونه اقصر و أكثر تناسبا مع الغزل.

و الظاهر فى بعض شعره ان تخلصه باسم (نصيرى) انما كان بفعل نصير الدين سلطان خليل. و قد كان الشاعر (نصيرى) ملازما للأخير منذ توليه السلطه. و المعروف ان + تيمور حينما قصد فتح الصين عسكر فى اترار، و لكنه توفى فيها عام ٨٠٧هـ بعد ان عين حفيد [حفيده] (پير محمد) خليفه له. الا ان الأمراء الحاضرين فى المعسكر بادروا إلى تنصيب الميرزا خليل بن جلال الدين ميران شاه، و أجلسوه على العرش فى سمرقند، فاصطدم فى بدايه امره بمعارضه ابن عمه (پير محمد) و عمه شاه رخ، لكنه خضع، للأخير و أرسل له قسما من خزائن تيمور، فاقره شاه رخ حاكما على ما وراء النهر و بقى فيها حتى عزله امرؤه و حبسوه عام ٨١٢هـ. و المعروف عن الأمير سلطان خليل انه كان شاعرا و محبا للشعر، و قد تتلمذ على عصمه الله فى فنون الأدب و لازمه فى ذلك.

و بعد ان حبس هذا الأمير على ايدي أمرائه فى قلعه (شاهرخيه) التى بناها الأمير تيمور فى بلاد ما وراء النهر، خشى عصمه الله كيد العدى، فخرج من سمرقند خائفا يترقب و بقى سنتين فى ما وراء النهر حيران متواريا عن الأنظار، حتى سار شاه رخ للقضاء

على الأعمراء المتمردين في ما وراء النهر، وأطلق سلطان خليل من حبسه وجعله ملازماً له ثم توجه إلى العراق، وحينئذ عاد عصمه الله إلى ملازمه أميره وبقى في خدمته حتى وفاه الأخير في الري في شهر رجب عام ٨١٤هـ، ورافق جنازته إلى سمرقند ومنها إلى بخارى، ثم اعتزل الناس حتى جاء عهد حكومه ألغ بيك في سمرقند فطلبه اليه وجعله ضمن ندمائه و مداحيه إلى حين ثم استجازه الشاعر في الانصراف إلى بخارى، و مكث هناك حتى فارق الحياة.

ذكر دولت شاه ان وفاته كانت عام ٨٢٩هـ، و كرر تقى الدين هذا القول، الا ان خواند مير أورد في (حبيب السير) ماده تاريخيه تشير إلى عام وفاته يكون مجموع حروفها ٨٤٠، و ورد هذا التاريخ في مخزن الغرائب.

و كان الخواجه عصمت ككثير من المعاصرين له شيعيا، و يفهم ذلك من بعض أشعاره، و لعل نسبة الشريف كان دافعا للاعتقاد بالمذهب الشيعي أو الميل له، و قد ورد في بعض شعره ذكر لنسبه الذي يرجع إلى جعفر بن أبي طالب. و على ايه حال نظم الشاعر عصمت قصائد في ذكر مناقب علي و آله (ع)، على غرار الكثير من شعراء عهده.

بلغت أشعار ديوان عصمت سبعة آلاف و خمسمائه بيت، و رفعها البعض إلى عشرين ألف بيت، و تركزت أغلب قصائد الشاعر حول حمد الله تعالى و الثناء عليه و ذكر مناقب الرسول (ص) و الأئمة الاطهار (ع)، و مدح خليل سلطان و شاه رخ و ألغ بيك و عددا آخر من رجالات العهد التيموري و كان يحذو حذو معاصريه في تقليد قصائد الشعراء المتقدمين المعروفين و لكنه قلما كان يخضع للتصنع و التكلف المعروفين بين شعراء القرنين الثامن و التاسع، و إلى جانب ذلك لم يكن يمتنع عن استعمال بعض التراكيب الصعبة أحيانا، و يعود الفضل في شهرته إلى غزلياته الرقيقه، و كتب دولت شاه بهذا الشأن: " حظيت غزليات الخواجه عصمت العاشقه و أقواله العرفانيه بشهره عظيمه في عهد السلطان شاه رخ، بحيث نسي الناس مطالعه و ملاحظه أقوال الفضلاء المتقدمين ". و في هذا آيه على شهره الشاعر العظيمه في عصره أو السنوات القريبه من عهده. (١)

علاء الدين بن محمد حسن مشكور:

ولد بمدينة قم سنه ١٢٦٦، خبير بالتاريخ ذو اطلاع واسع، توفي بعد سنه ١٣٨١.

له "تاريخ طهران". (٢)

ص: ١٦٠

١- عبد الرفيع حقيقت.

٢- السيد أحمد الحسيني.

السيد علاء الدين حسين سلطان العلماء:

هو ابن الميرزا رفيع الدين محمد ابن الأمير شجاع الدين محمود الحسينى المرعشى الآملى، أحد وزراء الشاه عباس الأول و الشاه صفى الصفوى. ترعرع فى أصفهان و ترقى فى المقامات العلميه و الحكوميه فيها، حتى لقب بسلطان العلماء و خليفه السلطان.

كان جد سلطان العلماء الأمير شجاع الدين و أبوه الميرزا رفيع الدين من مشاهير زمانهم و اعلام عصرهم و حينما كان الأب يشغل منصب الصداره فى زمن الشاه عباس الأول، وصل هو إلى مقام الوزاره، بحيث كان الأب و الابن يجلسان سويا فى بيت واحد، و يشرفان على اداره أمور البلاد، و بلغت مكانه سلطان العلماء لدى الشاه عباس الأول درجه رفيعه، بحيث زوجه من ابنته خان آغا بيگمعام ١٠٣٣ هـ، و قد رزق منها بعده أولاد، كان أكثرهم من مشاهير العلماء فى العهد الصفوى.

شغل سلطان العلماء منصب الوزاره خمس سنوات فى عهد الشاه عباس الأول، و شغل هذا المنصب بعد ذلك فى عهد الشاه صفيلستين و لكنه عزل فيما بعد بسبب الخطأ أو الاهانته التى صدرت عنه بحق الشاه صفى فى احدى الحروب، و سملت عيون بعض ابنائه و نفى إلى قم. فاشتغل فيها بالتدريس و التحقيق.

و بعد فتره استدعاه الشاه صفى إلى أصفهان، فبقى فيها إلى حين ثم ذهب إلى مكه المكرمه، و خلال رحلته توفى الشاه صفى و آلت الأمور إلى الشاه عباس الثانى، الذى استقبله عام ١٠٥٢ هـ استقبالا حافلا- و قربه اليه، ثم سلمه مقام الوزاره، فبقى فى هذا المنصب ثمانى سنوات و بضعه أشهر. و قد امضى الفتره الأخيره من عمره فى مازندران. حتى فارق الحياه فيها عام ١٠٦٤ هـ بعد عودته من فتح قندهار، فحمل جسده من مازندران إلى النجف الأشرف و دفن فيها.

درس سلطان العلماء على أبيه الميرزا رفيع الدين فمحمد [محمد] و الملا-الحاج محمود القزوينى، و كان رفيقا للملا خليل القزوينى فى دروس الشيخ البهائى و سائر علماء زمانه. ترك آثارا عديده فى العلوم الإسلاميه، نورد فيما يلى فهرستا لها حسب روايه صاحب "ريحانه الأدب": آداب الحج - أنموذج العلوم - توضيح الأخلاق (و هو تلخيص لكتاب الخواجه نصير الطوسى "أخلاق ناصرى"). - حاشيه على تفسير البيضاوى - حاشيه لحاشيه الخضرى على شريح [شرح] التجريد للقوشجى - حاشيه لشرح اللمعه - حاشيه لشرح مختصر الأصول للعضدى - حاشيه المعالم فى الأصول - حاشيه على المختلف للعلامه - حاشيه على من لا يحضره الفقيه. و قد ورد عن البعض انه وضع أكثر آثاره هذه بعد ان فقد بصره.

علاء الملك بن نور الله الشوشترى:

ولد سنه ١٠٠٠ و توفى سنه ١٠٥٠.

كان من أفاضل علماء عصره و قد درس فى الهند على والده و انتقل إلى شيراز لمتابعه الدراسه ثم رجع إلى الهند و اشتغل بالدرس و التدريس.

له من المؤلفات: تهذيب المنطق، و تذكره محفل فردوس، و أنوار الهدى.

الأمير علاء الملك المرعشى

(ق ١٠ - بعد ٩٨٦):

الأمير علاء الملك بن عبد القادر بن شكر الله بن عبد القادر بن منصور بن فغفور بن محمد بن المرتضى بن أبي القاسم احمد بن عبد الله بن محمد (وردان شاه) بن عبد الله بن أبي الهيجاء سراهنك بن دارا بن أبي طالب سراهنك بن أبي الهيجاء الحسين بن أبي طالب عزيز بن أبي طالب زيد بن الحسن بن علي (المرعش) بن عبد الله بن محمد الأكبر بن الحسن المدكه بن الحسن الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، الحسيني المرعشي.

مترجم في رياض العلماء ٣/٣١٣ و احياء الدائر ص ١٤٢، و نقول:

رأيت نسخه من "الرجال" للنجاشي نسخها صاحب الترجمة بقزوين في سنة ٩٦٧ و قابلها و حقق فيها بكل دقه و ثبت و كتب في آخرها نسبه كما ذكرناه، و عمله فيها يدل على سعه اطلاعه في الموضوع و منتهى دقته.

و كتب مجموعه فيها "خلاصه الأقوال" و "إيضاح الاشتباه" و "رجال الكشي" في سنة ٩٦٤ و صححها بدقه و قابلها على نسخ ممتازة و كتب عليها حواش برمز "عش" و يبدو أنه كتبها في طريق زيارته للإمام الرضا (ع) في هذه السنه، فقد كتب بعض فوائدها في قريه "مزينان" من قري سبزوار حاله التوجه إلى المشهد الرضوي في يوم الثلاثاء ١٦ رمضان من نفس السنه.

و كتب أيضا نسخه من "تهذيب الأحكام" في سنة ٩٧٤ و قابلها مع نسخه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحائري العاملي بقزوينسنه ٩٨٦.

كان يعرف ب "فاضل خان". (١)

السيد علي بن إبراهيم الحسيني الساوجي:

من أعلام القرن الثالث عشر، انتخب و ترجم مسائل فتاويه في أحكام الطهاره و الصلاه في رساله عمليه من كتاب "نجاه العباد" للشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، و تم الانتخاب في حياه الشيخ، و لعل الساوجي كان من تلامذته.

له "ترجمه نجاه العباد". (٢)

الميرزا علي بن أبي القاسم نجم الدين بن عبد الله بن محمد النراقي:

مجد الدين

فاضل فقيه ذو اطلاع في العلوم الإسلاميه، من أحفاد المولى مهدي بن أبي ذر النراقي، درس في كاشان على المولى محمد النراقي و في النجف الأشرف على السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي و المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني و غيرهما، و كان بها في العشر الرابع من القرن الرابع عشر، ينقل عن بعض أساتذته في الفقه فوائد سمعها عند حضوره لديه في سنة ١٣٣٧.

أديب شاعر متوسط الشعر في الفارسيه و العربيه، و كان يلقب ب "مجد الدين" و يتخلص في شعره ب "مجد" له: (آمال

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- السيد أحمد الحسيني.

شرح تبصره المتعلمين) و (شرح العوامل المائه) و (عوائص العلوم) فى عده أجزاء. (١)

السيد على أكبر بن أبو القاسم الموسوى البيدهندى:

من كبار علماء خونسار، تلمذ فى العراق على الميرزا محمد حسن الشيرازى و كتب تقاريرات درسه، ثم عاد إلى خونسارى [خوانسار] و أقام بها مشغلا بالتدريس و إمامه الجماعة و الإرشاد، و كان موضع حفاوه و تجليل و قد رأيت استفتاءات منه استفتى فأجاب عليها...

تلمذ لديه أكثر علماء خونسار و منهم السيد احمد الخونسارى و كان البيدهندى زوج أخته، و السيد احمد الصفائى و غيرهما من الأعلام.

توفى سنة ١٣٤٣ أو ١٣٤٤ بخونسار مقاربا للتسعين من عمره. (٢)

الشيخ على أبو الوردى الشيرازى:

ولد فى مدينه شيراز، و بها قضى أيام الصبا و على علمائها درس الأوليات العلميه و قطع مراحل المقدمات و السطوح.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف و حضر دروس أعلامها المدرسين فى الفقه و الأصول و غيرهما من العلوم الدينيه، و من أساتذته المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى.

ثم عاد إلى مسقط رأسه شيراز، فكان من وجهاء أهل الفضل بها، قائما بوظائف الشرع و خدمه الشعائر الدينيه و السعى فى حوائج المؤمنين.

و كان جل اشتغاله فى شيراز بالتدريس و تربية الناشئين من طلاب العلوم الدينيه. و كتب كتابات كثيره لم تنظم، أما ما نظم منها فهو:

حاشيه فرائد الأصول، و حاشيه كفايه الأصول. (٣)

السيد على بن أحمد الحسنى الحسينى الطباطبائى الأصبهانى:

فاضل أديب شاعر، من أعلام أوائل القرن الثانى عشر و كان يقيم بأصبهان: كتب نسخه من "التحفه القواميه" للسيد قوام الدين السيفى الحلى بأصبهان، و أتمها فى سابع جمادى الثانيه سنة ١١٢٨ و قال فى تقريرها:

يا أيها المولى الذى هو فى معارفه علم

لله تحفتك التى من ليس يقبلها ظلم

هيئات ينكر فضلها و هو السراج على علم

أبياتها بمدادها تحكى الكواكب فى الظلم

لم يحو طرس مثلها كلا ولا رقم القلم

منى السلام عليك ما غنى الحمام بذى سلم

لشيخ الشيخ على بن احمد بن صالح العاملى:

من أعلام أوائل القرن الحادى عشر، قرأ عليه الشيخ محمد بن يعقوب القطرانى الجزائرى كتاب "الاثنا عشرية" و القسم الفقهى من "معالم الدين" و كلاهما للشيخ حسن العاملى، فأجازه روايتها فى أول شهر محرم سنة ١٠١٠.

و يبدو من إجازاته انه كان من تلامذه الشيخ حسن العاملى المذكور. (٤)

على بن إسماعيل بن إبراهيم بن احمد القزوينى:

من أعلام القرن الثالث عشر الأفاضل، تتلمذ فى المعقول أولا على مشايخ أصبهان، ثم انتقل إلى العتبات المقدسه، فاشتغل فى المنقول على الشيخ احمد الاحسائى بكرىلاء.

يبدو انه كان يناظر استاذه الاحسائى كثيرا فى مجالس درسه، و قد كتب اعتراضا عليه فى مسأله المشياه و قدمه له فما أجاب عنه بحجه رعشه اليد و عدم قدره على الكتابه - على ما نقله ابن القزوينى الشيخ محمد حسين فى مجموعته فلسفيه كتبها سنه ١٢٨٢، و يظهر من دعائه لوالده أنه توفى قبل هذا التاريخ. (٥)

السيد على الحائرى ابن السيد أبو القاسم:

ولد سنه ١٢٨٨ فى لاهور (الباكستان) و توفى فيها سنه ١٣٦٠ كان من اجلاء علماء الشيعة فى لاهور و اقام فيها المؤسسات العلميه و الثقافيه.

كان والده فى لكهنو و جاء إلى لاهور تلبه لطلب قزلباش بيك فاشتغل فيها بالشؤون العلميه فتربى ولده المترجم فى رعايته و درس دروسه الأولى فى لاهور، ثم سافر إلى العراق لمتابعه الدراسه و ذلك على عهد السيد محمد حسن الشيرازى الشهير، فدرس عليه و على الميرزا حبيب الله الرشتى و السيد كاظم الطباطبائى و غيرهم.

و بعد إتمام تحصيله عاد إلى وطنه منشغلا فى التدريس و المطالعه و التبليغ. و قد شارك والده فى تفسير لوامع التنزيل و بعد وفاه والده تابع العمل فيه إلى ثلاثه عشر جزءا.

و قام خلال إقامته فى لاهور بجولات فى بومبى و كلكته و لكهنو و دهلى و بشاور و حيدرآباد الدكن.

كانت لديه مكتبه كبيره تضم بعض نواذر الكتب و بعض المخطوطات و تعتبر من أكبر مكاتب الباكستان، و لكنها تفرقت بعد وفاته و احتفظ أولاده بقسم منها فى بيوتهم. و اقام مسجدا كبيرا بالقرب من منزله.

من مؤلفاته: الفتاوى الحائريه فى ثمانيه مجلدات. و فلسفه الإسلام و غير ذلك.

ص: ١٦٢

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- السيد أحمد الحسينى.

الميرزا على أكبر طاهرزاده صابر الأذربيجاني:

شاعر وطني كبير من أبناء آذربايجان الشماليه (القفقاس) و يعتبر من شعراء و مؤلفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري - و أواخر العصر القاجاري ولد عام ١٨٤٢ م (١٢٧٩ هـ) في شماخي و هي مدينة تجاريه قديمه في شيروان. و كان أبوه رجلا بقالا و مؤمنا ورعا تقيا، فتربى الابن في هذه الأجواء، و دخل في الثامنه من عمره، و لكنه كان يتلقى الكثير من الزجر و الضرب في (الكتاب) على يد الشيخ و في البيت على يد أبيه و أمه. و في سن الثانيه عشره دخل المدرسه التي أسستها جمعيه باكو.

و كان الشاعر السيد عظيم الشيرواني (١٨٣٥ - ١٨٨٨ م) يشتغل آنذاك في المدرسه معلما للغات الفارسيه و الأذربايجانيه و العربيه. و لم يكن صابر يقتصر في نشاطه على دروس المدرسه، بل كان يطالع أشعار نظامي و فضولي و غيرهما من الشعراء الايرانيين، و يحاول نظم الشعر و يترجم الشعر الفارسي، ثم يعرض ما قام به على السيد عظيم الشيرواني فيسدده هذا و يقوم له ما يجب تقويمه، و يده له على مواضع الخلل، و هكذا نمت قدره صابر الشعريه و ازدادت رغبته في نظم الشعر. و بعد سنه أو سنتين من تعلمه للقراءه و الكتابه باللغتين الفارسيه و التركي، منعه أبوه من الذهاب إلى المدرسه، و طلب منه العمل في دكانه، فكان تقبل هذا الأمر في غايه العسر بالنسبه لصابر، و هو عاشق الدرس و تعلم الأدب، فنشأ خلاف بين الأب و ابنه، مما دفع الأب إلى تمزيق دفتر أشعاره. و حتى الثانيه و العشرين من عمره لم يذهب صابر إلى العمل و انما كان عاكفا في كل أوقاته على الشعر و المطالعه.

و في عام ١٨٨٤ م (١٣٠١ هـ) قام برحله زار خلالها طهران و سمنان و بسطام و سبزوار و نيسابور و مشهد و سمرقند و بخارى و عدده مدن أخرى، ثم سافر إلى كربلاء. و بعد عودته اقترن بفتاه من أقاربه. الا- انه ابتلى بكثره العيال، فاضطر إلى فتح دكان لصناعه الصابون، و على حد قوله: "لما لم يكن بمقدوره تطهير بواطن الناس، لجا إلى صناعه الصابون لعله يستطيع ان يظهر ظواهرهم". و لم يستطع الشاعر التخلص من آثار دراسته في (الكتاتيب) و ماضيه المقترن بالخرافات و التعصب، فكان ذلك مانعا لتفتح قريحته و التخلص من الطرق الكلاسيكيه للشعر لفترة طويله. و قد بقي ينظم القصائد و الغزليات وفق الأسلوب القديم حتى أوائل القرن العشرين، و رغم ذلك جاءت أشعاره مقترنه بالمرح و الهزل و انتقاد الأوضاع.

و في عام ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) أسس الميرزا جليل محمد قلى زاده أول صحيفه فكاهيه باسم (ملا نصر الدين)، فجمع مثقفي آذربايجان الشماليه حوله، و انضم صابر إلى هذه الجماعه الأديبيه، فنشرت أشعاره في العدد السادس (٢٦ مايس عام ١٩٠٦ م) من الصحيفه. و هكذا وصلت آهاته الحزينه المنبعثه من وراء جبال القفقاس الشاهقه إلى جميع بلدان الشرق، و هدرت في الأسواق و الأنزقه و أكواخ القرى و قصر الشاه - و إذ كانت فكاهيات صابر تصدر باسم مستعار أو دون اسم أحيانا، فقد كان الناس يشعرون ان تلك الأشعار لا يمكن ان تكون الا من نظمه. من هنا أخذت اللعنات و العداوات تنهال على رأسه من كل حدب و صوب، ممن تظالمهم لذعاته الشعريه - و ما أكثرهم - و إذ كانت حياته قاسيه منذ البدايه فإنها ازدادت قساوه بعد ذلك، حتى عبر عنها بقوله "كنت كسجين محكوم عليه بالأشغال الشاقه". و لم يكن يغفل لحظه واحده عن خدمه الناس، فكان كما عبر عنه صديقه عباس صحت بقوله: "كان حتى يوم وفاته يتقاضى أجر خدماته من ضميره الحي".

افتتح صابر عام ١٩٠٨ م مدرسه في شماخي، و لكنها لم تستمر أكثر من عام واحد، فعاد مره اخرى إلى احضان الفقر و العوز. و كانت الفتره الواقعه بين عامي إلى ١٩١٠ م (١٣٢٤ -) قمه نتاجات صابر الأديبيه. يجدر التذكير بان تيقظ الشعور السياسى فى

الشرق و ظهور الحركات الشعبيه للمظلومين فى ايران و تركيا و كفاحهم الميرير من أجل نيل الحريه كلها أمور تحظى بوقع طيب فى نفوس أهالى آذربايجان الشماليه (القفقاس) التى اقتطعها الروس من ايران. و لكن بالاضافه إلى العلاقات الاقتصاديه و السياسيه و الثقافيه العميقه بين آذربايجان الشماليه (القفقاس) و آذربايجان الجنوبيه التى ظلت ايرانيه، فان أغلب مثقفى القفقاس هم ممن تربو فى المراكز المهمه فى الشرق و من الذين يرتبطون مع الشعب الايرانى ارتباطا عرقيا و تاريخيا و مصيريا واحدا. و لا يرون أنفسهم فى معزل عن ايران و شعبها. و من هنا لم يكونوا يهتمون بمصير ايران و حسب بل كان أهم طموحاتهم و أهدافهم السياسيه الكفاح ضد الرجعيه و الاستبداد و مساعدته الشعب الايرانى فى نهضته و صحوته. و مثال ذلك الميرزا فتح على الآخوندزاده الذى كان قدوة لأحرار ايران فى السبعينات و أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر. و قد ذكر بعض المؤرخين أنه فى الأعوام الأولى من القرن العشرين (١٣١٩ - ١٣٢٧ هـ) التى تزامنت مع أوج الكفاح من أجل الحريه و إقرار حكومه المشروطه فى ايران " كان عشق التقاليد الايرانيه القديمه قد بلغ فى القفقاس حدا بعيدا، بحيث قام أحد عمال القيصير بمنع أهالى آذربايجان من قراءه الشاهنامه خشيه الاقتداء بابطالها: رستم و سهراب و گيو و گودرز".

على أية حال نظم الشاعر الآذربايجانى المتحرر الميرزا على أكبر طاهرزاده الملقب ب (صابر) ما يقارب ثلث أشعاره فى تلك الفتره، و كانت أغلب هذه الأشعار تتحدث عن الأوضاع الاجتماعيه و السياسيه فى ايران و البلاد العثمانيه. هاجر إلى باكو للحصول على عمل فى أوائل عام ١٩١٠ م (١٣٢٨ هـ) بعد إخماد روح الثوره فى ايران، و هناك كان يعمل صباحا بالتدريس فى بعض مدارس المناطق النفطيه، و يتعامل مع الصحف و يبعث لها بالمقالات و الشعر و يشتغل فى المطابع. و هكذا امضى عمره الثمين بين مخالب الفقر و العوز حتى أصيب بمرض السل فى خريف عام ١٩١٠ م ثم فارق الحياه فى عام ١٩١١ م.

و كتب عن صابر الأذربايجاني و فنه الشعري شروح و تفاسير كثيرة (١).

علي بن جعفر بن لطف الله بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي بن أحمد بن مفلح الميسري العاملي الجعفري الحائمي:

كتب سنه ١٠٤٤ بأصبهان في داره المتصله بالمسجد الشاهي العباسي في مجموعه فقيهه مختارات من الحديث و الفقه و غيرهما داله علي مكانته العلميه و فضله، و قد وصف نفسه في بعض تواقيعه ب "المفتي" (٢).

الشيخ علي شريعتمدار الطهراني بن جعفر:

توفي في طهران سنه ١٣١٨، أحد مشاهير المجتهدين في العهد القاجاري. درس العلوم الدينيه علي أبيه، ثم اشتغل بالتدريس و التأليف. و كانت له عدده مصنفات هي:

آينه جهان نما در تاريخ كره ارض و أحوال آن، أنيس الغرباء، إيضاح التحرير، بحر الدرر، البرد اليماني في ألفاظ المعاني، بروج العروج في الهيئه، بروز الرموز، الجامع الناصري في الفقه العملي، و قد ألفه لناصر الدين شاه القاجاري، و كان من المقرر ان يتخذ منه قانونا رسميا للبلاد، الا انه وجه بالمعارضه، و له كتب اخري ورد ذكرها في المجلد الثالث من كتاب ريحانه الأدب، تأليف محمد علي المدرس في الصفحه ٢١٠.

كتب ناظم الإسلام الكرمانى عن المترجم قائلا: "بلغ في حده الذهن و الذكاء درجه كبيره بحيث صنف بعض الكتب باللغه العربيه، و لم يكن يتجاوز سن الثانيه عشره. و حين بلغ العشرين من عمره توفي أبوه، و كان قبل ذلك يؤكد ان الشيخ علي مجتهد أو مراهق للاجتهد.

و بعد وفاه أبيه كانت أسباب الرئاسه و الزعامه مهينه له، كما هو متعارف عليه اليوم بين أولاد العلماء، إذ كان له خادم و محرر و أوقاف كثيره إضافه إلى دار أبيه التي كانت مرجعا و ملجا للدوله و الشعب، فما أكثر ما كان محمد شاه ياتي إلى دار الحاج الملا محمد جعفر و هو مشغول بالمطالعه، فيجلس الشاه في الخارج منتظرا خروجه اليه. و لكن مثل هذه المكانه الرفيعه لم تغير الشيخ علي، إذ اعرض عنها و توجه إلى العتبات المقدسه، حيث دروس صاحب الجواهر، فدرس عليه حتى تخرج و حصل منه و من عدد آخر من العلماء علي إجازة مبسوطه، و بعد وفاه صاحب الجواهر (جواهر الكلام) حضر درس الشيخ مرتضى حتى أجزى منه عام ١٢٧٢، فعاد إلى طهران فانشغل فيها بالتأليف و التصنيف حتى كتب ما يقارب الثمانين مصنفا، و لذلك لم يكن يخالط الناس الا نادرا و لا يتردد علي شخصيات الدوله و أركان السلطنه، و كان امر الرئاسه و يسر المعاش منحصراف في ذلك العهد بمخالطه الناس و مجامله الدوله، من هنا كان يعيش في غايه العسر و العزله و سوى مبلغ قليل كان يصله من الديوان لم يكن يحصل علي شيء.

و حين ثقلت وطاه العيال عليه لجا إلى صنع بنديه و ساعه أسماها ساعه (شب كوك) فإذا كان الشخص يعرف اسمها مر بأمان و الا وقع في كمينها، و كانت صناعته لهذه الساعه في قريه دزاشيب في شميران و شاهداها جميع رجال الدوله. و حين قدم البنديه إلى الشاه ناصر الدين لم يلتفت إليها، فأخذها الشيخ علي و فتحها فحشاها باطلاقه ثم أفرغها، فقام الشاه من مجلسه فرحا، و قال:

لقد فاق هذا الشيخ ابن سينا" فاخذ ناصر الدين شاه البندقيه و أرسلها إلى الخارج، فأرسلوا له بندقيتين على نفس الطراز بعد مرور عام، فقدم الشاه بدوره إحداهما إلى الشيخ على، و قد بقيت لدى ابنه الشيخ محمد رضا شريعتمدار، و حين وقع نظر الشيخ عليها ادلهمت الدنيا في عينيه و ضرب يدا على يد و بكى حسره و أسى قائلا: لقد كنت أريد خدمه الإسلام، فإذا بي اخدم العدو. و أدرك ناصر الدين شاه خطاه فاعتذر للشيخ. ثم قال الشيخ للشاه: أستطيع ان اصنع عربيه (كالسكا) تقطع فرسخا عن طريق الشحن (التكويك) ثم تتوقف لبضع دقائق فتفتح أبوابها من جهاتها الأربع لتخلي بعض القذائف المدفعية، ثم تغلق أبوابها و تعود ادراجها.

و لكنى لن اصنعها حتى يهبئ الشاه قواته و يعزم على قتال احدى دول العدو، عساه على الأقل ان يرجع المدن الإيرانيه(٣). فقال ناصر الدين شاه: لم تبق لدينا حروب الامع رعيتنا، و لدينا ما يكفيها من المدافع.(٤) فتأثر الشيخ على كثيرا لهذا الرد، فسافر إلى مازندران و اشتغل فيها بالزراعه و تربيته المواشى و عزم على اختراع بعض الآلات الزراعيه. و لكنه لم يستمر طويلا في إقامته بمازندران. حيث قرر وزير خارجيه الشاه آنذاك الميرزا سعيد خان إيجاد قانون مدون للبلاد، و تقدم في ذلك إلى شخص الشاه، قائلا: لقد ازدهر الملوك الصفويون لمسايستهم شعبهم، فلو طلب الشاه من العلماء وضع قانون للبلاد، فان الناس - حينئذ - لن يتجاوزوا هذا القانون، و ستبلغ الدوله غايتها من الرقى و الازدهار. و ما زال يحسن هذا الأمر للشاه حتى تحمس له و طلب الاستعجال بتكليف أحد العلماء الحاذقين بوضع قانون اسلامى لتطبيقه في جميع أنحاء البلاد. فقال الوزير: ان هذا الشخص الذى تريده جلالتك هو الشيخ على الذى رحل إلى مازندران و عزم على الإقامة فيها، فأصر الشاه على استقدامه إلى طهران ثانيه، و بالفعل اسكن في دار مجاوره لدار الوزير و هيأت له أسباب الحياه الكريمه. فباشر بتأليفه كتاب في القانون الإسلامى من العبادات و السياسه و العادات و المعاملات، حتى واجبات و وظائف جميع الطبقات الاجتماعيه، من خدم و جند و رؤساء و سلاطين و حكام و غيرهم، و فى تلك الأثناء توفى الميرزا سعيد خان، فطلب الشاه الكتاب، و اطلع عليه ثم امر بطبعه و تنفيذ ما فيه و كلف ابن الوزير بذلك. و كان هذا القانون يحد من سلطه الشاه و الحكومه و تسلطهما و يضع الأمور بيد الشعب، و لم يترك للشاه حريه التصرف فى الأمور، الا القيام بالصيد، و أخذ مرتب محدد.

و إذا فان السلطنه القاهره التى هى وديعه إلهيه و هبه ربانيه و ثمره جهود الأجداد، ستنتهى و تزول، من هنا خشى ناصر الدين شاه عاقبه الأمر، فأمر بحفظ الكتاب فى المكتبه الحكوميه، و هو موجود إلى الآن. و بعد فتره أرسل الشاه إلى الشيخ مره اخرى يطلب منه إكمال الكتاب حتى النهايه، فقال الشيخ على: لقد كان الوزير هو مؤسس هذا الكتاب، و قد توفى، و إلى جانب ذلك لم تعد لدى القدره على هذا العمل.(٥)

ص: ١٦٤

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

٣- لا شك انه يقصد المدن القفقازيه السبع عشره التى استولى عليها الروس.

٤- يقصد قمعه المستمر للناس.

٥- تاريخ الحركات الفكرية فى ايران.

علي بن جعفر الخوئي:

أديب فاضل له منشآت و رسائل فارسيه أديبه جيده، أصله و مسكنه مدينه "خوى" المدينه المعروفه بأذربيجان، و بعض منشآته بتاريخ .

لعله هو ميرزا علي الخوئي الشاعر المتخلص في شعره ب "مهجور" و ناظم منظومه "فراقنامه".

له "منشآت" بالفارسيه.(1)

الشيخ علي بن جعفر بن محمد أبو المكارم:

ولد بالعواميه - احدى قرى القطيف سنه ١٣١٣ و توفي سنه ١٣٦٤ هـ، درس على أبيه - النحو و الصرف و المنطق و البيان و قرأ الفقه و الأصول ثم رحل للعراق للدراسه فدرس على ثله من العلماء الأعلام فقرأ الفقه و الأصول و الحكمه و الكلام و العلوم الرياضيه كاليئه و الحساب و الجغرافيا و قد هاجر إلى البحرين حيث مكث هناك ست سنوات، ثم عاد إلى القطيف حيث توفي فيها و دفن في سبهات.

من مؤلفاته:

١ - اللؤلؤ المنظوم.. في تاريخ الحسين.

٢ - الكبير - جامع في الفقه بالاستدلال.

٣ - المحمديه و الجعفريه - في ترجمتي أبيه و جده.

٤ - المستدرک على الفوائد في مسرح الصمديه. و غير ذلك.

الملا علي النوري المازندراني بن الملا جمشيد:

هو واحدا [واحد] من مشاهير حكماء أوائل القرن الثالث عشر للهجره(العهد القاجارى). درس مقدمات علوم عصره في مازندران، ثم رحل إلى قزوین أول الأمر لإكمال دراسته، و انتقل بعدها إلى أصفهان درس فيها على محمد البيدآبادى و الميرزا أبو القاسم المدرس الاصفهاني و عدد آخر من كبار رجال العلم في عصره. و قد تحدث عنه الأديب و المحقق المعاصر له رضا قلى خان هدايت فقال: "بلغ بمرور الزمن أعلى المراتب في فن الحكمة الالهيه - و انفرد في الإشراق في عصره، فراح يقبل عليه القاصى و الدانى، و يتلمذون على يده، و تخرج منهم أصحاب فضل و شان".

كان درس الملا علي في أصفهان محفلاً لعشاق الحكمة و العرفان في ايران بعد وفاه استاذه محمد البيدآبادى، و كان يحضر درسه أكثر من اربعمائه طالب. و قد ورد ذلك في حديث ابنه علي المدرس في ترجمته لأبيه، حيث قال: "بعد ان أكمل المرحوم الحاج محمد حسين خان المروى بناء المدرسه المرويه في طهران، تمنى علي الشاه ان يستقدم الملا علي النورى إلى

مدرسته، و حين وصل الأخير الأمر أجب: يوجد في أصفهان ما يقارب ألفي طالب، يحضر درسي منهم اربعمائه طالب، فإذا ما قدمت إلى طهران كان ذلك مدعاه لشتتهم و اضطراب أمرهم. فأعاد المرحوم المروى الكره متمنيا على المرحوم النورى فى هذه المره ان يبادر إلى إرسال أحد تلامذته اللائقين إلى العاصمة" و استجاب المرحوم النورى لهذا الطلب فأرسل الملا عبد الله الزنوزى. و فى معرض حديثه عن الملا على النورى يقول السيد جلال الدين الآشتياني: " كان الملا على النورى أكبر أستاذ بعد الملا صدرا و ابرز حكيم جامع فى الحكمة العاليه على طريقه الملا صدرا، و كان هو الشخص الذى لفت انظار أفاضل عصره إلى اهميه الحكمة العاليه، و امضى سبعين سنه فى تدريس آثار الملا صدرا مثل: الاسفار و الشواهد و المبدأ و المعاد و اسرار الآيات و التفسير الكبير، و قد تخرج على يده العديد من الطلاب، و درس عده دورات لكتب الملا صدرا، فكان يتخرج على يده فى كل دوره عدد من كبار الأفاضل.

ترك آثار قيمه، جديره بان تطبع مع ترجمه مفصله له. لقد كانت كلماته محكمه و عميقه و متميزه تماما عن جميع آثار معاصريه و الفضلاء الذين جاءوا بعده، و قد كانت بعض حواشيه المختصره على آثار الملا صدرا كقطع ساطعه من الالماس، و إضافه إلى عمقها و دقتها كانت تتصف بذوق رفيع". (٢)

اشتهر عدد من تلاميذ الملا على النورى، كان ابرزهم: الملا حكيم القزوينى - الحاج محمد جعفر اللنگرودى و ابنه الميرزا حسن - السيد رضى المازندراني - السيد محمد حسين التنكابنى - الملا إسماعيل واحد العين الاصفهاني - الميرزا سليمان التنكابنى - الملا عبد الله الزنوزى - الميرزا أبو القاسم قطب السلسله الصوفيه الذهبيه، إضافه إلى الحاج الملا هادى السبزواري الذى كان أشهرهم على الإطلاق.

عرف الملا على النورى بتأيينه و نشره لفلسفه الملا صدرا. و قد ذكر السيد جلال الدين الآشتياني أسماء اساتذته فى الفلسفه، فقال: " درس النورى على البيدآبادى (محمد)، و درس البيدآبادى على الملا إسماعيل (الخواجوئى)، و درس الخواجوئى على الملا محمد صادق الاردستاني الذى تتلمذ على الملا- رجب على التبريزى و المحقق اللاهيجى و الشيخ حسين التنكابنى و الفيض...".

و كتب مؤلف (ريحانه الأدب) قائلاً: "كانت علاقته الصداقه و ثيقه بين الملا على النورى و الميرزا القمى، و كان بينهما مراسلات و مكاتبات كثيره، جاءت عين عباراتها النثرية و التنظيميه فى أواخر كتاب جامع الشتات للميرزا".

توفى الملا على النورى فى أصفهان عام ١٢٤٦ هـ و نقل جثمانه إلى النجف فدفن فيها. و قد ترك العديد من المؤلفات أهمها:

١ - تفسير سوره التوحيد، نظمها فى ثلاثه آلاف بيت.

٢ - حاشيه على اسفار الملا صدرا، و قد طبعت مع الاسفار عام ١٣٧٨ هـ.

٣ - حاشيه على شرح الفوائد للشيخ أحمد الاحسائى.

٤ - حاشيه على (الشواهد الربويه) للملا صدرا و قد طبعت معه.

٥ - حاشيه على مشاعر الملا صدرا.

٦ - شرح كافي الملا صدرا.

٧ - مجموعه اجوبه باللغه الفارسيه.

وقد تميز هذا الحكيم المعروف ببراعته بين أهل زمانه في الخط

ص: ١٦٥

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- مقدمه (الأنوار الجليه) للملا على الزنوزي، بقلم السيد جلال الدين الآشتياني ص ٢.

الفارسي و كان في ذلك تلميذا لأستاذ الخط الفارسي الشهير عبد المجيد الطالقاني و يوجد الآن بعض آثار خطه في المكتبة الروضاتيه في أصفهان، و إضافه إلى قدرته في الخط كان متمكنا في نظم الشعر.(1)

علي باشا صالح بن ميرزا حسن خان مبصر الممالك الكاشاني:

ولد في كاشان سنة ١٣٢٢ و توفي في طهران سنة ١٤١١.

انهى دراسته الابتدائية في كاشان، و المتوسطة و الثانويه في المدرسه الأمريكيه في طهران.

درس في مدرستي التجاره و النظام، ثم اختير فتره رئيسا لدار الترجمة بوزاره الماليه، ثم صار مديرا عاما لدائره المطبوعات في وزاره المعارف.

و لما تأسست جامعه طهران تولى تدريس الحقوق و النصوص القانونيه باللغه الإنكليزيه فيها، كما تولى تدريس الخطابه في كليه الإلهيات.

قام بترجمه نص الدستور الايراني في اللغه الإنكليزيه و هو النص المعتمد. و كان يعد من المترجمين البارعين و الأدباء القادرين في ايران، عاش حياه علميه هادئه متواضعه، و كان مكبا على الدرس و التأليف و التحقيق، مولعا بتتبع ما يكتبه الأوربيون عن ايران، و قد أسس مكتبه كبيره جعل منها منتدى ادبيا يلتقى فيه لياالي الجمع مجموعه كبيره من المثقفين و الأدباء فيتناقشون في شتى القضايا، و قد ظل هذا المنتدى عامرا طيله خمسين سنة.

له عدده مؤلفات، و أهم اعماله ترجمته إلى الفارسيه كتاب تاريخ الأدب الفارسي (الجزء الأول و الجزء الثاني) الذي ألفه (إدوار براون) في اربعة مجلدات، و تعتبر ترجمته هذه من الأعمال الادبيه الكبيره في ايران.(2)

السيد علي بن الحسن بن علي بن شذقم بن ضامن بن محمد الحسيني المدني

مترجم في رياض العلماء ٤٠٠/٣ و غيره، و نقول:

كانت له صلوات علميه باعلام عصره من الشيعه و السنه، و له معهم مطارحات و أسئله في الفقه و التفسير و العقائد، و أسئلته على الأ-كثر تتجاوز عن حدود السؤال و تصل إلى حد البحث و الأخذ و الرد، مما ينبئ عن اطلاعه الواسع في العلوم و الآداب و تعمقه في تفهم المسائل، مع الاجتناب عن الفتوى و إبداء الرأي القاطع.

قال فيه الشيخ عبد النبي بن سعد الجزائري في رسالته المعموله في الاشهاد في الطلاق:

" حتى وردت رساله جليله و فوائد جميله صادره عن سيد جليل و فاضل نبيل.. تنبئ عن غزاره الفضل و الإفضال و تعطى جوده (؟) القريحه في الإيراد و السؤال..".

و قال الشيخ محمد العاملي حفيد الشهيد الثاني: " اني تشرفت بمكه المشرفه بالاجتماع بالمولى الأمجده الأوحده علامه الزمان و

جوهره الفخر لتاج الأوان..".

و قال فى تقرير رساله الأوزان الشرعيه لصاحب الترجمة: "انى وقعت على هذه الرساله الجليله المشتمله على التحقيق البالغ أسنى المراتب و التدقيق الذى عجز عن الوصول اليه كل ذى فكر ثاقب، و كيف له و هو من قد حاز سهام الفضائل بهمه تقصر دونها جميع الهمم و رقى من المعانى إلى درجه أضحى بها أشهر من نار على علم، و هو سيدنا الأجل الأفضل زبده المتبحرين و خلاصه المتأخرين السيد فضل الله على..".

و قال فيه السيد غضنفر بن جعفر المغلى الحسينى الحنفى:

يا سيد السادات يا بن المصطفى يا آل بيت طاب منه العنصر

(٣)

على بن حسن بن احمد بن مظاهر الحلبي، زين الدين

مترجم فى رياض العلماء ٣/٣٩٣، و نقول:

نقل فى بعض حواشى نسخه من "قواعد الأحكام" بعد إيراد مسأله منقوله مشافهه عن فخر الدين ابن العلامه الحلبي هذه الإجازة لصاحب الترجمة الناقل تلك الحواشى:

" و قد أجزت ذلك لمولانا و شيخنا الامام العلامه زين الدين على بن مظاهر ان يروى هذه المسائل عنى، فإنه قرأها على حرفا حرفا و أجزت له جميع ما قرأه على و نقله عنى فى هذه القواعد و غيرها و مما صنفته و ألفتة و جميع ما حققه والدى قدس الله سره، فليرو ذلك لمن أراد و أحب، و أجزت له جميع ما أمليته عليه من الحواشى و الأوراق فى هذا الكتاب، فليرو ذلك عنى. و كتب محمد بن الحسن بن مطهر فى خامس و عشرين ذى الحجه من شهور سنه أربع و خمسين و سبعمائه (٤)

الشيخ على أكبر النهاوندى بن الشيخ حسين:

ولد سنه ١٢٧٨ فى نهاوند و توفى سنه ١٣٦٩ فى مشهد الرضا و قرأ الأوليات العلميه فى نهاوند على الشيخ جعفر البروجردى و الحاج ملا محمد السره بندى.

ثم انتقل إلى بروجرد فتتلمذ بها على الشيخ آقا حسين شيخ الإسلام، و بقى مده فى مشهد متتلمذا على الشيخ عبد الرحيم البروجردى، ثم فى أصبهان قرأ على بعض العلماء، و فى طهران تتلمذ على الميرزا عبد الرحيم النهاوندى و الميرزا حسن الآشتيانى و فى الفلسفه على الميرزا محمد رضا القمشه إى و الميرزا أبى الحسن المعروف بجلوه و حيدر خان النهاوندى.

ثم هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق مع سميّه المولى على أكبر النهاوندى، فهبط سامراء و لازم درس الميرزا محمد حسن الشيرازى مده.

و فى سنه ١٣٠٨ انتقل إلى النجف الأشرف، فتتلمذ على السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و الشيخ محمد طه نجف و الميرزا حبيب الله الرشتى و شيخ الشريعة الاصبهاني و الشيخ محمد حسن المامقاني و المولى لطف الله المازندراني.

و استفاد فى علوم الحديث من الميرزا حسين النورى صاحب المستدرک.

ص: ١٦٦

١- عبد الرفيع حقيقت.

٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

ثم عاد إلى إيران سنة ١٣١٧ متقللاً بين تبريز و نهاوند و طهران ثم سكن مشهد الرضا فكان بها من مراجعه الكبرى.
ترك العديد من المؤلفات.

الشيخ الميرزا علي رضا بن كمال الدين حسين الأردكاني الشيرازي

المتخلص و المشهور بالتجلي:

توفي في شيراز سنة ١٠٨٥ ترجم في أعيان الشيعة ج ٨ ص ٢٤٠ و نضيف إلى ما هنالك ما يلي:

حكيم متأله متكلم من مشاهير الشعراء أخذ المقدمات و فنون الأدب، من اعلام موطنه اردكان ثم انتقل إلى شيراز و قرأ الفقه و الأصول في مدارسها و منها هاجر إلى أصفهان و تخرج في العلوم العقلية على الآغا حسين الخوانساري (١٠١٦ - ١٠٩٨ هجريه) و غيره و منها هاجر إلى الهند و عظمه السلطان اورنكوزيب من سلاطين المغول في الهند (جلوس ١٠٦٨ - متوفى ١١١٨ هجريه) و التف حوله الأمراء و الزعماء متأثرين بعلمه و شعره، و طلب منه الأمير علي مراد خان أحد أمراء البلاط تعليم أولاده حتى سنه ١٠٧٢ ثم عاد إلى أصفهان و تصدر للتدريس و الفتوى و الرئاسة و كان يدرس في مدرسه الوالده [الجده] و اشتهر امره و طار صيته و التف حوله جمع غفير من طلاب العلوم الدينيه و كان نافذ الكلمه مطاع الأمر في الأكابر و الأصاغر و يعظمه السلطان و قد أهداه السلطان الشاه عباس الثاني (المتوج ١٠٥٢ - المتوفى ١٠٧٧ هجريه) قريه في مسقط رأسه اردكان و في عام ١٠٨٠ قصد زياره بيت الله الحرام حاجا و زار العتبات المقدسه في العراق و عند رجوعه من الحج سكن شيراز و تصدر للتدريس و الفتوى.

ذكره الميرزا عبد الله افندي الاصفهاني المتوفى سنة ١١٣٠ المعاصر له قال (... فاضل شاعر معاصر و كان جيد الشعر بالفارسيه و يتخلص بالتجلي، و هو في أوائل حاله قد قرأ على الأستاذ المحقق ثم سافر إلى ديار الهند ثم رجع إلى بلاد ايروان [إيران] و اعتلى امره في أصفهان حتى صار في أوائل دوله سلطان زماننا معظما عنده إلى ان صار مدرسا بمدرسه الوالده [الجده]، ثم استعفى من ذلك و انعزل و سافر إلى الحج لاسباب يطول ذكرها مما لا طائل تحته، و رجع إلى شيراز و اقام بها قليلا من الزمان و مات هناك سنة خمس و ثمانين و ألف قصصه و حكاياته الغريبه الطويله، غفر الله تعالى لنا و له و لسائر المؤمنين... و لما كان هذا الرجل من مشاهير العصر في بلاد الهند و بلاد ايران ذكرت ترجمته في هذا الكتاب و الا فلم يكن له رتبه العلماء و الأنجاب، و الأولى بحاله تعداده في درجه الشعراء إذ الإنصاف انه ملك الشعراء بل أسهم و رئيسهم فان شعره الفارسي من الطف الاشعار و أرقها و اعدلها).

يقول عبد الحسين الصالحى ان المترجم له من أعظم علمائنا الاعلام كان حكيما فيلسوفا له مؤلفات في الفقه و التفسير و الكلام قل نظيرها لكن براعته في الشعر و شهرته الادبيه سترت سائر فضائله ما حدا بالميرزا عبد الله ان يقول: (... و الا فلم يكن له رتبه العلماء و الأنجاب و الأولى بحاله تعداده في درجه الشعراء...) كما كان المترجم له من التأثيرين على الاخباريه و شن عليهم حربا شعواء و كان من رواد المدرسه الفلسفيه المعارضه للاخباريه و كانت للاخباريه آنذاك صولات و جولات في المراكز العلميه الشيعيه لذا يقول الميرزا عبد الله الافندي (... و له قصصه و حكاياته الغريبه الطويله غفر الله تعالى لنا و له...) كان المترجم له من أشعر شعراء عصره عذب الألفاظ لطيف السبك طويل النفس سابقا فحولهم و من آثاره الخالده ديوان شعر يحتوى على مجموعه من قصائده و رباعياته و غزله و من مؤلفاته العلميه ١ - تفسير القرآن فارسي، ٢ - منظومه معراج الخيال و هي غرامى

عرفنى طبع فى بمبئى عام ١٣١٣ ٣ - سفينه النجاه فى الامامه رتبه على مقامات ثلاث فى معرفه الله و النبوه و الامامه و بسط الكلام فى الامامه فى اثنى عشر أصلا حيث انها الغرض العمده من الكتاب و خاتمه فى المعاد موجزه كتبه أيام إقامته بالهند و فرغ منه يوم الثلاثاء ٢ ربيع الثانى سنه ١٠٦٧ طبع فى بمبئى سنه ١٣٠٦ طبعه حجريه، ٤ - صراط النجاه طبع فى بمبئى سنه ١٣٠٦، ٥ - حاشيه على حاشيه ملا عبد الله اليزدى فى المنطق من كتب و غيرها من المؤلفات و الرسائل.

على قلى بن الحسين النطنزى:

فاضل عارف بالعلوم الدينيه، له مناظرات مع علماء الأديان، من اعلام أوائل القرن الثانى عشر.

له "أصول الدين" ألفه سنه ١١٠٣.

السيد على بن الحسين العاملى:

فاضل أديب شاعر، من اعلام القرن الثالث عشر، من شعره قوله من أبيات فى تقرىظ كتاب "جامع المعارف" للسيد عبد الله شبر - و لعله كان من تلامذته:

من شاكر عنا الهمام الذى أبدى لنا فى العلم نهج الدليل

فسل عن العلم تصانيفه تنبئك عن بحر عريض طويل

و هاك من تياره منهلا يروى الظما منه و يشفى الغليل

لا زال يهدى نوره للهدى و نهتدى فيه لقصد السبيل

السيد على بن الحسين بن السيد يونس الموسوى اللارىجاني الأصل الحائرى المولد و المنشأ الطهرانى المسكن:

ولد كربلاء سنه ١٢٧٠ و توفى فى طهران سنه ١٣٥٣ و دفن فى مدينه الرى فى روضه امام زاده عبد الله.

ص: ١٦٧

على أفاضل علماء الحائر الشريف ثم تفقه على مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقي البرغانى الحائرى آل الصالحى و تخرج فى العقلیات على الشيخ الميرزا علامه البرغانى الحائرى آل الصالحى و فى حدود سنة ۱۳۰۹ هاجر إلى سامراء و التحق بحوزه السيد محمد حسن الشيرازى المتوفى سنة ۱۳۱۲ و قبل وفاه استاذہ الشيرازى أمره بالتوجه إلى طهران فهاجر من سامراء إلى طهران و انتهت اليه الامامه و التدريس و الوعظ و الإرشاد و كان يقيم الجماعه فى المسجد الجامع بطهران ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات اعلام الشيعة قائلاً (... و قرأ على علماء كربلاء و النجف الأشرف مده طويله و قرن العلم بالعمل و فاز منها بالحظ الأوفى، و هبط سامراء فحضر بها على المجدد الشيرازى مده و هبط طهران باذن منه فى سنة ۱۳۱۲ و قبل وفاته بفترة وجيزه و لم يتصدر للزعامة مع انه كان أهلاً لها لشده تقواه و ورعه و زهده فى حطام الدنيا فقد كان على جانب عظيم من الصلاح و العباده انزوى عن الخلق و ترك المعاشره و عكف على التأليف... و استمر على التدريس و الإفاده فكان لا يضيع الوقت فيما لا ينفع بل فيما لا يقرب من الله و يجلب رضاه و كانت لنا معه صحبه...)(۱).

يصف لنا أيام إقامته فى طهران خائبا [خانيا] بامشار الطهرانى بما هذا تعريبه (... عالم فاضل أديب لغوى محدث فقيه مفسر ولد فى كربلاء و نشأ بها ثم هاجر إلى طهران و كان من اعلام علمائها البارزين و لم يكن له نظير فى الورع و الزهد و التقوى و كان له حلقه تفسير لاكثر من اثنين و عشرين سنه متواليه يلقي محاضراته فى تفسير القرآن فى مسجد جامع طهران فى أوائل الليل و بعد صلاه المغرب و العشاء ما عدا شهر رمضان و النصف الأول من محرم الحرام و كانت داره فى احدى فروع زقاق سوق الحدادين القريبه من المسجد الجامع و لم يسلك طول إقامته فى طهران غير الطريق المؤدى بين داره و المسجد الجامع، كما كان يفتح أبواب داره بعد ظهر كل يوم من أيام الجمعه و الأعياد الدينيه لجميع طبقات الناس حتى توفى فى طهران و نقل جثمانه الشريف إلى إمام زاده عبد الله فى مدينه الرى و دفن بها...)(۲) يقول عبد الحسين الصالحى: ان جده السيد يونس الموسوى أول من هاجر من لاريجان و سكن الحائر الشريف فى أوائل القرن الثالث عشر للهجره و داره معروفه فى كربلاء قرب طاق النقيب الذى يعرف اليوم ب سوق (النعل چيه) شرق الروضه الحسينيه، و له مكتبه صغيره تحتوى على مجموعه من المخطوطات و يسكنها نجل المترجم له السيد مهدي شمس الفقهاء و أولاده اليوم و كان المترجم له من علماء الحائر الشريف شغل كرسى التدريس و الفتوى و لا تزال ذريته تقطن فى كربلاء.

ترك المترجم له مؤلفات فى الفقه و التفسير منها كتاب مقتنيات الدرر و ملتقطات الثمر فى اثنى عشر مجلدا طبع المجلد الأول فى طهران سنة ۱۳۳۷ هجرية شمسيه و انتهى المجلد الثانى عشر من الطبع فى سنة ۱۳۴۱ هجرية شمسيه من منشورات مكتبه دار الكتب الإسلاميه و هو تفسير عربى اعتمد على الروايات و الأحاديث المرويه عن الائمة الاطهار ذكره شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرگ الطهرانى فى الذريعه ج ۲۲ ص ۳۵۵ و قال سهوا انه تفسير فارسى و هو تفسير عربى كما أثبتناه و له تفسير ثانى فارسى و هى مجموعه محاضراته فى تفسير القرآن التى كان يلقيها فى مسجد جامع طهران و لا يزال مخطوطا لم يطبع، و له كتاب فى الفقه، و تقريرات فى الأصول و بعض الرسائل كما حدثنى بعض أحفاده.(۳)

على بن الحسين المسعودى:

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان) و ننشر عنه هنا هذه الكلمه:

ولد العام ۲۸۷ هـ - ۹۰۰ م فى بغداد فى أواخر حكم الخليفه المعتضد بالله (۲۷۹ هـ - ۲۹۰ هـ) و بعده حكم ابنه المكتفى (۲۹۰ هـ -

٢٩٥ هـ) ثم بويح المقتدر (٢٩٥ هـ - ٣٢٠ هـ) و هو ابن ثلاثة عشر عاما، فاختل نظام الملك بسبب صغر سنه، و عين أحد أبناء عمومه المرتضى الذى لم يمكث سوى يوم و ليله.

عاصر المسعودى هؤلاء الخلفاء و ما رافق حكمهم من فوضى و اضطرابات بعد تدخل العناصر الاجنبيه خصوصا الأتراك فى الشئون الداخليه للبلاد و لا سيما أيام المقتدر التى ظهر خلالها الفاطميون فى شمال إفريقيا، و عبد الرحمن الثالث الأموى فى اسبانيا.

لكن هذه الأحوال المترديه لم تؤثر فى نشاط بغداد التى اشتهرت بمكانتها الثقافيه و العلميه، فنشأ المسعودى فى هذه الأجواء و اهتمت أسرته بتتقيفه، فألم بالتأريخ و الجغرافيه، و درس العلوم اللغويه و الادبيه، و تعلم اللغات الفارسيه و الهنديه و اليونانيه و السريانيه، كما عاصر كثيرا من المشاهير كالبلاذرى و ابن قتيبه و يعقوبى و الطبرى و البحترى و ابن حنبل و الجنيد... و عاش فى صباه الشاعر ابن الرومى. و فى سنه ٣٠٩ هـ، فيما بغداد مشتعله بنيران الصراعات الداخليه و الهجومات البيزنطيه الخارجيه، غادر المسعودى المدينه صوب الأطراف الشرقيه من الدوله، فطاف ببلاد فارس و كرمان حتى استقر فى إصطخر. و فى العام التالى قصد الهند ثم سيلان، و من هناك ركب البحر إلى بلاد الصين و جاب البحر الهندي و جزائره خصوصا زنجبار و مدغشقر، عاد بعدها إلى عمان لينتقل العام ٣١٤ هـ مره اخرى إلى ما وراء أذربيجان ثم إلى بلاد الشام.

و فى سنه ٣٢٠ هـ ولى الحكم الخليفه القاهر و كان سفاكا للدم، و بعده حكم الراضى العام ٣٢٢ هـ، و فى أيامه تقطعت أوصال الدوله:

بلاد فارس مع بنى بويه، و مصر و الشام مع الاخشيديين، بينما المغرب و إفريقيا بيد المهدي الفاطمى، اما الأندلس فتحت حكم بغداد. و لم يعد بيد الخليفه سوى بغداد. و أعمالها، قبل دخول البويهيين بغداد.

و هذه كانت حال الحكم العباسى التى عاشها المسعودى و لو عن بعد.

و مع ذلك لم يثن عن متابعه ترحاله، فوصل العام ٣٣٢ هـ إلى انطاكيه و الثغور الشاميه و استقر فتره فى دمشق، و من ثم مضى إلى مصر الهادئه فاستقر فى مدينه الفسطاط العام ٣٤٥ هـ و هى تحت حكم كافور الاخشيدى. و فى العام ٣٤٦ هـ توفى بعيدا عن موطنه.

ص: ١٦٨

١- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: نباء البشر ج ٤ ص ١٤٢٢ نجف الطبعة الأولى.

٢- خانيا بامشار مؤلفين كتب چاپى ج ٤ ص ١٧٨-١٧٩ طهران عام ١٣٤٢ هجرىه شمسيه.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

وضع المسعودى ثقافته الشخصية وخبرته التي اكتسبها في اجتيازه المدن و تقصى أخبارها في مجلدات ضخمة، تضمنت اقتباسات من كتب كثيرة سابقه له، فكان مصنفًا للتواريخ ولأخبار الملوك كما كان أخباريًا صاحب غرائب و ملح و نوادر حسب ابن شاکر في "وفاه الوفيات".

و أكثر مؤلفاته لم يصلنا، بل اقتصرت معرفتنا بها على ما ذكره هو في كتابه "مروج الذهب" و "التنبيه و الاشراف" و من تلك الكتب: كتاب ذخائر العلوم، فنون المعارف، نظم الجواهر في تدبير الممالك و العساكر، الاخبار المسعوديات، تقلب الدول، المبادئ و التراكم، طب النفوس، الرؤوس السبعة، القضايا و التجارب، كتاب مقاتل فرسان العجم، الزاهى... اما ما اشتهر من مؤلفاته فثلاثة:

١ - "اخبار الزمان": يقع في ثلاثين جزءا لم يصلنا سوى الجزء الأول، و فيه ذكر الأرض و مدنها و جبالها و معادنها، و تناول اخبار الملوك حتى العام ٣٣٢ هـ.

٢ - "التنبيه و الاشراف": جمع فيه أصنافا متعددة من الثقافات و العلوم، و تحدث عن الفلاسفة، كما ضمنه صورًا تاريخية و جغرافية و وصفا لكثير من الأقاليم، و كلاما عن النجوم و فصول السنه و الرياح و مصاب الأنهار، إضافة إلى سيره النبي و عدد غزواته، و سير الخلفاء من بعده و الملوك و أخلاقهم و كتابهم حتى العام ٣٤٥ هـ.

٣ - "مروج الذهب و معادن الجواهر": بدأ بتأليفه سنة ٣٣٢ هـ، و انتهى منه العام ٣٣٦ هـ. و يعد من أشهر كتب المسعودى على الإطلاق، و هو عبارة عن دراسته تاريخية فريدة تضمنت اخبار البشر و ما مضى من الزمان من اخبار الأنبياء و الملوك و الأمم و مساكنها، مع تعريف بها و دراسته لجغرافيتها. و الكتاب ليس تاريخا متعدد الحلقات، بل مجموعه من الأحداث و الاخبار رتبها بشكل موضوعي. و يمكن تقسيمه إلى جزئين كبيرين. الأول: و يبدأ به بالكلام عن دوافعه لوضع هذا المؤلف و المصادر التي اعتمدها، خصوصا ما ورد في "اخبار الزمان" و "الكتاب الأوسط". ثم ينتقل إلى باب هو بمثابة فهرست مفصل لمواضيع الكتاب (١٣٢ بابا). و يختتم هذا الباب بالقول "...فهذا ما حوى الكتاب من الأبواب على انه قد ياتي من كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم و فنون الاخبار و الآثار ما لم تأت عليه تراجم الأبواب و هو مرتب على حسب ما قدمنا من أبوابه نفردها على سيرهم، مما كان في عصورهم و اخبار وزرائهم و ما جرى من أنواع العلوم في مجالسهم ملوحين بذلك إلى ما سلف من تصنيفنا و تقدم من تالفنا من هذه المعاني و الفنون".

اما في الجزء الثاني، فكلام عن خلافه على بن أبي طالب فالخلفاء الأمويين و العباسيين مع ذكر حروبهم و اخبارهم حتى يصل إلى أيام الخليفة المطيع و ما حدث فيها من اخبار و غزوات.

و علاوة على هذه المؤلفات الثلاثة وضع المسعودى "الكتاب الأوسط في الاخبار على التاريخ" في الفتره بين "اخبار الزمان" و "التنبيه و الاشراف"، و لم يصلنا شيء من هذا الكتاب و تجدر الإشارة هنا إلى ان المسعودى كان ينوى إصدار كتاب يضم فنونا من الاخبار و الآثار اختار له اسم "وصل المجالس"، لكن لم يتمكن من تأليفه بسبب وفاته.

و من خلال كتاب "مروج الذهب" يمكن التعرف جيدا إلى شخصيه المسعودى و منهجه العلمي، و ثقافته الموسوعي و أسلوبه.

و لعل سبب استقراره فى الفسطاط يكمن فى استمرار اضطراب الحاله الداخليه فى بغداد من جهه، و الهدوء و الاستقرار اللذين عرفتهما مصر فى تلك الفتره من جهه اخرى. الا ان ترحال المسعودى المستمر لم ينسه وطنه الاصلى العراق، فها هو يعبر عن حنينه و شوقه لرؤيته: " و أوسط الأقاليم الإقليم الذى ولدنا به، و ان كانت الأيام انات بيننا و بينه، و ولدت فى قلوبنا الحنين اليه، إذ كان وطننا و مسقطنا و هو إقليم بابل".

كان المسعودى متأثرا بالمحيط الذى عاش فيه، فاضطراب الأمور دفعه إلى مغادره موطنه فى وقت كانت أعداد المسافرين و الرحاله فى ازدياد طلبا للعلم و للتجاره بعد اتساع اراضى الخلافه. و استمرت أسفاره خمسه و عشرين عاما جاب خلالها البلاد و تعرف على أحوال الأمم و عاداتها. و كان - حسب ما يذكر هو نفسه - موضوعيا لا يتملق الملك أو يخاف من أمير و لم يتوان عن نقد بعض الخلفاء العباسيين و وصف نقاط ضعفهم و كيف أفلتت زمام الأمور من أيديهم.

أنشأ المسعودى مدرسه جديده فى التاريخ لم يتبع فيها طريقه السرد القديمه، بل اهتم بالتحليل التاريخى و البحث عن الدوافع. و كان الذين قبله يعتمدون الروايه عن طريق السند " حدثنا فلان عن فلان... ". الا ان المسعودى تفرد بذكر الاخبار و الحوادث من غير سند مكثفيا بتعداد من اعتمد عليهم من الرواه و المصادر، مسجلا لنفسه السبق فى وضع نظريه النقد المقارن. و هو فى هذا المجال أشاد ببعض من أخذ عنهم و انتقد الآخر.

اما المسعودى الرحاله و الجغرافى، فيظهر وصفه الدقيق للبحار و الأنهار و منابعها و مصابها، و كذلك فى كلامه عن الاطوال و الاعراض، و عن تقسيم الأرض من خلال رحلاته التى بلغت الصين و مدغشقر.

و هو حين يتناول الرحلات يتبع طريقه موضوعيه اقليميه، فيقسم الدراسات إلى مواضيع مستقله من دون ان يهتم بتتابع اخبار رحلاته و الربط بينها.

وصلت الثقه بالمسعودى إلى حد التصدى و تصحيح المعلومات الجغرافيه، فانقد الجاحظ الذى زعم ان نهر "مران" الذى هو نهر السند من النيل، و استدل بوجود التماسيح فيه، فرد عليه: ان الجاحظ لم يسلك البحار، و لا أكثر من الاسفار و لا يعرف المسالك و الأمصار، انما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين، و يتابع مصححا: ان هذا النهر يخرج من اعلى بلاد السند ثم ينتهى إلى بلاد المنصوره و يصب فى بحر الهند.

و لم يكن ترحال المسعودى الذى استمر ربع قرن الا-لمشاهده أحوال البلاد و معالمها، و ساعده فى هذا معرفته باللغات المتعدده. و إضافه إلى المعلومات الهائله فى "مروج الذهب"، فقد نوع المؤلف فيه و اتى بأخبار علميه و عادات غريبه دلت على سعه ثقافته و فضوله. و فى تناوله بعض الاخبار المميزه، يشير إلى العلامات الداله على وجود الماء عبر رؤيه منابت القصب و اللين من الحشيش فى المواضع التى يشتهه بوجود الماء فيها. كما يشير إلى طريقه ثانيه "من أراد علم ذلك، فلينظر إلى النمل، فان وجدها غلاظا سوداء ثقيله المشى، فعلى قدر مشيهن الماء قريب، و إذا وجد النمل سريع المشى، فالماء على أربعين ذراعا".

علي رضا بن خدا دوست العلياني:

قرأ تفسير علي بن إبراهيم القمي علي شيخه ملا إبراهيم المازندراني، و كتب في آخره انهاء بتاريخ صرح فيه بقراءته عليه في قرية "کردكلا" من قري "كيل خواران" بمازندران. (١)

السيد علي بن خلف بن عبد المطلب بن حيدر الموسوي المشعشي الحويزي:

مترجم في رياض العلماء ٧٧/٤ و أعيان الشيعة ٢٣٥/٨ و ذكر في مقدمه كتابه "النور المبين" معلومات عن نفسه ملخصها:

سافر أواخر سنه ١٠٤٩ إلى بلاد العجم و لازم الشاه صفى الصفوى قريبا من اربع سنوات، و بعد وفاته لازم ابنه الشاه عباس الصفوى شهورا حيث رجع باذن الشاه المذكور إلى اهله.

و بعد بقاءه سنه تقريبا في بلاده ثار خليل خان البخيارى مع الالوار (البختياريه) علي الشاه المذكور فوجهه الشاه إلى دفعهم مع عساكره، و بعد دحرهم عاد إلى "رامهرمز" و بقى بها سنين.

و في سنه ١٠٦١ اعطى حكومه الحويزه.

يروى عن والده السيد خلف المشعشي و الشيخ علي حفيد الشهيد الثاني، و اجازه الأخير في أصبهان سنه ١٠٧٦. (٢)

علي رضا الخونساري:

فاضل أديب منشى خطاط جميل الخط في النسخ و النسثعليق، كتب نسخا من مؤلفات السيد محمد باقر حجه الإسلام الشفتى الاصبهاني بين سنتي ١٢٤٠ - و كتب عليها من منشثاته في الثناء علي المؤلف، و لعله كان من تلامذته. (٣)

الميرزا علي أكبر بن داود وقايع نگار بن محمد جعفر بن محمد صادق بن محمد باقر المروزي، مشكاه السلطان التبريزي:

فاضل أديب شاعر بالفارسيه جيد الخط و الإنشاء، أخذ بعض العلوم الأدبيه عن أخيه ميرزا علي رضا خان تبيان الملك رضائي.

له "ياقوت أحمر" في ترجمه أراجيز شهداء كربلاء نظما أتمه في ربيع الأول سنه ١٣٤٦.

توفى بعد سنه ١٣٤٨. (٤)

الميرزا علي رضا بن داود وقايع نگار بن محمد جعفر بن محمد صادق بن محمد باقر المروزي، تبيان الملك الرضائي التبريزي:

مذكور في "نقباء البشر" ص ١٦١٣، و نقول:

وصفه أخوه الميرزا علي أكبر مشكاه السلطنه في مقدمه كتاب "المقالات التبيانيه" بما حاصله: أنه متبحر في العربية و الآداب و حصل مقدارا وافيا من الفقه و الأصول و العلوم العقليه و يكتب خط النسخ و النسثعليق بوجوده و له في النثر و النظم يد طولى و تبحر.

له "المقالات التبيانيه فى المقامات السياقيه". و غير ذلك.

على داوور:

توفى سنة ١٣٥٢ فى لكهنو (الهند) كان عالما فاضلا خطيبا مؤلفا اصدر مجله شهريه باسم (المبلغ). و هو من اسره علميه شهيره.

الشيخ الميرزا على بن رستم التبريزى المعروف بـ "پيش خدمت":

كان حيا سنة ١٢٨٠.

من اعلام المحققين فى العصر القاجارى عالم فاضل مفسر اديب متضلع حكيم متكلم، كان أصله من تبريز، أخذ المقدمات و فنون الأدب عن اعلامها و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه الشهيد الثالث و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى القزوينى المتوفى سنة ١٢٩٤ و عند ما استوزر الميرزا محمد تقى خان الأمير الكبير المتوفى سنة ٢٦٨ هاجر إلى طهران و كانت بينهم صلات و علاقات موده كان من خطباء المنبر الحسينى فى البلاط القاجارى ترك مؤلفات و آثار نافعه. من مؤلفاته المطبوعه ١ - كتاب آيات الفضائل فى تفسير الآيات النازله فى فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) و الاثمه من أهل البيت (ع) طبع فى طهران سنة ١٢٧٣ طبعه حجره ألفه باسم السلطان ناصر الدين شاه ٢ - كتاب جنه الملوك فى السير و السلوك طبعه فى تبريز سنة ١٢٧١ طبع حجره ينقل عنه صاحب نفائس اللباب و الشيخ حسين بن غلام رضا الفيروزآبادى الحائرى و غيرهما ٣ - رساله جمعها من فتاوى الشيخ مرتضى الأنصارى فى أصول الدين و فروع و غيرها من المؤلفات المخطوطه. (٥)

على السلطانيوى:

فاضل اديب حسن الإنشاء و التعبير جيد الخط، مشغل بمدارسه جم غير من طالبى العلوم الدينيه و المعارف اليقينيه، و يبدو انه كان يعيش فى منتهى الفقر و الحاجه.

كتب بخطه النسخ الجيد النسخه الثالثه من كتاب "عده الداعى" و أتمها فى ليله الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى سنة ٩٧٩، و كتب فى آخرها عبارات تتم عن تبحره فى الأدب العربى و قوته فى التعبير، (٦)

على سيف الدوله الحمدانى:

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان) و كما مرت عنه دراسات فى (المستدركات). و نشر عنه هنا هذه الدارسه المكتوبه بقلم قصى الحسين:

فى كتاب عن الدوله الإسلاميه و امبراطوريه الروم، يذكر الدكتور إبراهيم العدوى ان يوحنا ترمسكيس كان أول من فكر فى مشروع الحرب الصليبيه منذ زمن مبكر يعود إلى أواسط القرن الرابع للهجره - العاشر للميلاد، و ذلك حين فكر فى استرجاع بيت المقدس أثناء زحفه إلى بلاد الشام العام ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م، و هو بذلك يكون سبق إلى فكره الحرب الصليبيه بوقت طويل.

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.

و إذا كان نصيب هذا الاستنتاج من الصحة يحوز على درجة كبيره من التقدير، غير انه من الضروري التنبه إلى ما كان يسبق تلك المرحلة التاريخيه، إذ كانت بلاد الشام تتعرض للعديد من الهجمات التي كان يقوم بها البيزنطيون بقياده قائدهم المعروف نقفور فوكاس و ذلك قبل تزمسكيس ببضعه عشر عاما، و هي شكلت فيما نعتقد البدايات القديمه للحروب الصليبيه على المشرق العربى.

يبدو نقفور فوكاس الذى كان الند الحقيقى للأمير سيف الدوله و كأنه أول من تبنى الحرب الصليبيه و نفذها، بحيث سيطرت كما نرى على كل غزوه شنها على العرب الحمدانيين، و على الأمير سيف الدوله منشئ الدوله العربيه الفتيه على مقربه من حدود الروم. و تظهر لنا المراجع التاريخيه ان هذا القائد البيزنطى كان يمهد لفكرته الصليبيه هذه فى القسطنطينيه نفسها، حين كان يظهر فى أعياد الفصح مرتديا ملابس غريبه مذهبه، منتعلا نعلا مذهبا، تشبها بالسيد المسيح كما يقول شبنغلر. و كان هذا القائد، إذا خرج لحرب الحمدانيين، حشد فى مقدمه جيشه البطاركه و القساوسه و حمل الجنود الصلبان الكبيره، حتى يعطى الحرب صبغه مقدسه.

كان نقفور فوكاس ذاته يفصح فى كثير من الأحيان عن الهدف الاساسى لتلك الحروب التي كان يشنها على بلاد الشام مستهدفا أولا بأول تلك المملكه العربيه التي كان على رأسها سيف الدوله فى حلب، و ذلك للنيل منها و تحطيمها، لأنه كان يرى فيها عقبه كأداء تحول بينه و بين الوصول إلى الديار المقدسه.

و أشار كتاب الدكتور مصطفى الشكعه "سيف الدوله الحمدانى أو مملكه السيف و دوله القلم" أيضا إلى فكره الحروب الصليبيه فى جميع الأعمال العسكريه التي كان يشنها على وجه الخصوص نقفور فوكاس على الدوله العربيه فى زمن سيف الدوله. فهو يرى مثلا ان فكره الحروب الصليبيه كانت الرائد الجوهري لحملات نقفور، و ان ظروف تجميع جيوشه و احتوائها على تلك الأجناس المختلفه و إفصاحه عن غايته من تلك الحروب باسترداد بيت المقدس، كل ذلك كان دافعا للمسلمين ان ينتهبوا إلى هذا الخطر الذى يهدد ديارهم.

كانت الرؤيه واضحه تماما من جانبهم، فنحن نلاحظ كيف بدأت النجدات و الامدادات من مال و رجال تتواكب على حلب من الأمصار العربيه و الإسلاميه، و بخاصه من خراسان التي كانت هى و غيرها فى حكم البويهيين إذ سمعوا حتما بما كانت توقعه جيوش الصليبيه التي كانت تعد فى بيزنطيه بإخوانهم فى طرطوس و المصيصه، و ما كانت تعمله فيهم من قتل و تعذيب، حتى انها لم تتورع عن إخراجهم من دينهم و تحويلهم إلى النصرانيه، و المباشرة بنهب المساجد و حرق منابرها و امتهانها بجعلها حظائر للخيل كما ذكر مسكويه فى كتابه "تجارب الأمم". و كان من جزاء ذلك ان تنبه المسلمون إلى الاخطار الجديده، فتوافدت الآلاف من الجنود المسلمين من شرق الدوله الإسلاميه مجهزين بسلاحهم، و انضموا إلى جانب جيش سيف الدوله دفاعا عن أرضهم الإسلاميه و دفعا للاطماع البيزنطيه الصليبيه بينه المعالم و الحدود.

يقول الدكتور مصطفى الشكعه فى تعليقه على اعمال سيف الدوله العسكريه و شده بأسه فى حروبه مع الروم: "ليس من شك انه ما من قائد أتعب الامبراطوريه البيزنطيه و سقاها كئوس المرمترعه، كما فعل سيف الدوله خلال سنوات طويله من النصف الأول من القرن الرابع للهجره". و يشير إلى انه بدأ حروبه معهم قبل توليه مملكه حلب، و ذلك منذ العام ٣٢٦ هـ، و يضيف بعد ذلك قائلا "على اننا إذا ما حولنا تتبع سيف الدوله فى كل غزوه من غزواته اراضى الروم، فقد يكون ذلك من الأمور الممله

التي ليس مكانها هذه الصفحات، و انما يمكن الرجوع إليها في تاريخ ابن الأثير أو زبده الحلب أو تجارب الأملمسكويه، أو غيرها من كتب التاريخ التي تهتم بالجزئيات، ذلك ان سيف الدولة قد قام بحوالى أربعين غزوه ضد البيزنطيين".

و نحن إذ نضيف إلى هذه الصورة التي قدمها لنا الشكعه عن القائد العربي سيف الدولة، ما كتبه شبنغلر عن ذلك الأمير العربي الذي لم يتهاون في حروبه مع الصليبيه البيزنطيه عصر ذاك، فلكى نكون محايدين و منصفين في وقت واحد معا في الوقوف على الحقيقه من دون زياده أو نقصان. يقول هذا المؤرخ الغربى مثلا في كتابه عن نقفور فوكاس مشيرا إلى سيف الدولة: "و المتصفح لمقتطفات التاريخ البيزنطى في منتصف القرن العاشر و لاكثر من عشرين عاما من إلى ٩٦٧ م (٣٣٤ - ٣٥٦ هـ)، يجد اسما وحيدا - و اكرر ذلك - يطفو على كل صفحه من صفحات ذلك التاريخ كإنسان شجاع لا يمل و لا يكل و لا يتعب، و كان عدوا لدودا للامبراطوريه البيزنطيه، ذلك هو أمير حلبسيف الدولة ابن حمدان الذى كان قاسيا طموحا لا يعبا باى الوسائل فى سبيل الحصول على المال للإنفاق على جيوشه، و كان يتمتع بشجاعه لا يعرف الخور إليها سيلا".

و يحدثنا بعض المؤرخين انه حين كان سيف الدولة مشغولا بحرب الاخشيديين لاستخلاص حلب مملكه يلى أمرها، حام البيزنطيون (٣٣٣ هـ - ٩٤٤ م) و انتهزوها سانحه، و أغاروا على الثغور ظنا منهم بان الأمير العربي، كان غير قادر - كما يظنون - على الحرب فى جبهتين فى وقت واحد معا. و من المفاجئ للبيزنطيين ان سيف الدولة استطاع ان يقدر عواقب الأمور بسرعه و ان يحزم امره. و يقرر وقف معاركه مع الاخشيديين، ليسارع إلى ملاقيه البيزنطيين العدو الرئيسى، خصوصا انه كان يرى مهمته تنحصر فى حمايه الثغور و تامينها قبل إنشاء الملك.

و لهذا تراه يسارع فيجهز و ينزل إلى ارض المعركه فى بفراس و مرعش و يكمن لجيش العدو فى بعض المضائق و الشعاب و ينزل بهم هزيمه منكره، ثم يعود ليثبت ركائز ملكه فى حلب.

وفاؤكما كالربيع أشجاه و طاسمه بان تسعدا، و الدمع أشفاه ساجمه

و لم يتأخر الزمن كثيرا بالأمير سيف الدولة حتى كانت معاركه الشهيره مع الروم فى العام ٣٣٩ هـ - ٩٥٠ م. و يذكر المؤرخون ان الأمير العربى عزم على تلقين الصليبيين البيزنطيين دروسا لن ينسوها بسهولة، إذ نجده يستعد للتقدم منذ ذلك العام فى الاراضى البيزنطيه فاتحا مكتسحا، سيما و انه أخذته نشوه النصر، فظل يضرب فى أكناف الأرض، و الحصون تتساقط أمامه و تحت سنابك خيله: حصنا بعد آخر. و تمكن من أسر عدد كثير من جنود الروم و فتح سمندو و خرشنه و ظل يتقدم حتى وصل إلى صارخه التى تقع على مقربه من القسطنطينيه، ففزع البيزنطيون من ذلك النصر الكاسح الذى سجله الجيش العربى فى أراضيه و سيطر الهلع على نفوسهم. و سجل لنا شعر المتنبى ذلك فى قصيده يمدح بها سيف الدولة و يذكره بانتصاره بصارخه فيقول:

مخلى له المرحج منصوبا بصارخه له المنابر مشهودا بها الجمع

و يذكر أحد الباحثين ان المحاربين العرب انتهوا بخمر النصر فى ظل قياده سيف الدولة، و استهانوا بالجيش البيزنطى و كان يرأسه الدمستق نفسه، و صور لنا المتنبى كل ذلك، خصوصا و انه كان حاضرا تلك المعارك، حيث يقول:

رضينا و الدمستق غير راض بما حكم القواضب و الوشيح

فان يقدم فقد زرنا سمندو و ان يحجم فموعدنا الخليج

و لعل فى هذه الأبيات من الإشارات و الدلالات ما يسمح لنا بالاستنتاج بان جيش سيف الدولة كان عازما الوصول إلى الخليج أى البوسفور و ذلك من أجل الاطباق على القسطنطينيه.

و للأسف فان مثل هذا التقدم الجرىء داخل الحدود البيزنطيه كان محفوفا بالمكاره و المخاطر، إذ ان الأمير سيف الدولة، و قد أخذته نشوه النصر، نسى مخاطر العوده التى سيقطع فيها مسافات طويله فى ارض الأعداء، من دون ان يحسب حسابا لمكايد الأعداء الذين سرعان ما حاولوا التربص به و بجيشه فى الطريق و سدوا عليه المنافذ - و هم الأعلم بطبيعه بلادهم - فاتصلت المعارك بين الجيشين، و اضطر سيف الدولة ان يخفف من احماله التى كانت قد أتعبت خيله و ابله، كما أحس بخطر الأسرى الكثيرين من قواد أعدائه، و خشى انقلابهم عليه. كل ذلك جعل جيشه يفقد توازنه، فتختل [فتختل] عليه الأمور فلا يعرف إذا كان يجب ان يواجه الأعداء و يصمد امامهم و هم قد تكاثروا عليه، أم عليه ان يفر من حوزتهم ناجيا بنفسه معرضا جيشه للهلاك.

و يقال ان سيف الدولة خاطر بنفسه فى تلك المعركة مخاطره جسيمه، حتى ان من رآه يتجشم الأهوال ظن انه يحاول الانتحار. غير ان الصبح انجلى عن نجاته مع فريق كبير من جيشه، على رغم الخسائر الكبيره التى خسرها، مما دعا المؤرخين إلى وصف تلك المعركة بأنها معركة عجيبه الشأن، لأنها جمعت بين طرفى النقيضين: النصر المؤزر، و الهزيمة التى كادت تذهب بالأمير. و وصف لنا المتنبى هذه المعارك بوجهيها، فقال مصورا انتصار الأمير فى معاركه الأولى:

حتى اقام على ارض "خرشنه" تشقى بها الروم و الصلبان و البيع

للسبي ما نكحوا و القتل ما ولدوا و النهب ما جمعوا و النار ما زرعا

يطمع الطير فيهم طول أكلهم حتى تكاد على احيائهم تقع

خروج القبائل على سيف الدوله

لا- نستطيع حتى اليوم ان نجزم فى ان تحرك بعض القبائل التى اجتمعت فى سلميه و تقدمت إلى قنسرين لتقتل والى سيف الدوله عليها العام ٣٤٣ هـ - ٩٥٤ م، كان بوازع خارجى حرضها بعض القوى العدو عليه، تلك القوى التى كانت تحسب ألف حساب لقيام دوله عربيه قويه فى حلب الشهباء، و حكم عربى قوى قادر على الإمساك بزمام الدوله و اعاده القرار العربى إلى ما كان عليه من القوه و المهابه.

فالجزم فى مثل هذه الأمور لا يخلو من الاستهتار فى كثير من الأحيان.

و لكننا مع ذلك نرجح حصول هذا الأمر و ان لم نتوصل إلى اثباتات علميه قاطعه، معتمدين فقط على حسنا السياسى الذى جعلنا نرى فى خروج القبائل على امتداد العصور جميعا امرا لافتا، له انعكاساته الخطيره على سلطه الدوله و بنيتها بزعره كيانها و قرارها معا.

و فى مطلق الأحوال، إذا كانت القبائل التى خرجت عن طاعه سيف الدوله و عصت امره و حرضت على تفويض حكمه، لم تصل إلى مبتغاهما، غير انها اطمعت الطامعين فى الدوله العربيه الفتية، كما انها اعاققت تلك الدوله فى تقدمها السياسى و العسكرى معا. انها خدمه مقصوده أو غير مقصوده قدمتها القبائل العربيه العاصيه للأعداء ممثلين بالصليبيه البيزنطيه.

فى روايات المؤرخين عن حرب القبائل مع سيف الدوله ان قبائل عامر بن صعصعه عقيل و قيشر و العجلان و أولاد كعب بن أبى ربيعه بن عامر و كلاب بن ربيعه، كانت اتفقت على ان تخرج على سيف الدوله، حينما آنست فى نفسها شيئا من القوه، و بدأت تعيث الفساد فى ارض المملكه. و حين اجتمعت فى سلميه و تقدمت إلى قنسرين و قتلت والى سيف الدوله عام ٣٤٣ هـ، خرج إليهم هذا الأخير مع ابن عمه أبى فراس الحمدانى، و ظل يطاردهم و يوقع بهم فى القوبر ثم فى تدمر و باديه السماوه حتى استأصل شافتهم. و تضيف المصادر التاريخيه ان سيف الدوله بوحي من شمائله الطيبه و شيمته الكريمه، عفا عن حريمهم و أكرم كثيرا من الأسرى الذين وقعوا فى حوزته. و خلد أبو فراس انتصارات سيف الدوله على هذه القبائل فى شعره حيث انشد:

ص: ١٧٢

كما ان أبا الطيب المتنبي سارع أيضا إلى تخليدها في قصيدته الجميله الذائعه:

طلبتهم على الأمواء حتى تخوف ان تفتشه السحاب

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

و من حروبه مع القبائل إلى الحروب التي خاضها لمواجهة بعض عماله الخارجين عليه، سيما و نحن نعلم ما كان يحيط بالسياسه العربيه عصر ذاك من حملات تشكيك، و دعوات للانشقاق و التفسخ. فقد طمع مروان العقيلى مثلا فى ملك سيف الدوله و خرج إلى حلب يريد احتلالها، فكان ان تصدى له سيف الدوله و أحبط محاولته و أعاد إلى العرب ثقتهم باميرهم العربى و قائدهم المظفر. كذلك فعل كل من رشيق النسيمى و دزبر الديلمى و غيرهما.

نظام الفدائيين

و مما يذكره المؤرخون عن جيش سيف الدوله و يتندرون به انه كان نظم فيالغ من خيره جنوده، و دربهم تدريبا خاصا فيه جراه و مغامرته و فداء، و إقبال على الأعداء و مباغتتهم من حيث لا يتوقعون. و عرفت هذا الفرق باسم حملات القفز و ذلك لأنها، كما وصفها أحدهم، كانت تعتمد فى سبيل الوصول إلى الأعداء، إلى القفز من قمه إلى قمه و بكل سهوله و يسر، يقفزون بين هاويتين سحيقتين... و أضاف قائلا: "ثم ينزلون على العدو فيوقعون به شر الوقائع و ينزلون الرعب فى صفوفه، و ينشرون الفرع فى معسكراته، و يتركون الكثير من القتلى". و كان الجنود البيزنطيون حين يروون قصص الفدائيين العرب يروونها فى كثير من الفرع و الرعب.

و جيش الأمير العربى الذى يحمى الثغور و يقف سدا منيعا فى وجه الأعداء، كان له قواده المدربون الذين تتلمذوا على يد الأمير و خاضوا المعارك معه، و رسموا خطط الحرب و كابدوها. بالاضافه إلى ذلك فقد كانت تجمعهم مع الأمير أيضا أواصر الدم و القربى، فهذا هو أبو فراس الحمدانى ابن عمه الشاعر و الفارس يخوض كثيرا من المعارك فى صحبته، كم كان ينوب عنه فى قياده الجيش أثناء بعض المغازى التى يقوم بها فى الثغور، أو أثناء بعض المعارك التى ينهض لها لترويض القبائل الثائرة. اما ابن عمه أبو تغلب وائل بن داود بن حمدان، فكان يلي امر حمص و يساند الأمير فى حروبه مع الروم. و هناك أيضا أبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان الذى خاض معارك عده إلى جانب سيف الدوله و منها معركة فى حصن صفصاف الذى فتحه و اوغل بعد ذلك فى بلاد الأعداء، إلى ان لقي مصرعه. و لا ننسى أيضا أبا العشائر الحمدانى الذى كان واليا للأمير على انطاكيه، و قد أسر فى موقعه عرندس سنة ٣٤٥ هـ - ٩٥٦ م حيث حمل إلى القسطنطينيه و مات فيها قبل ان يتم افتداؤه. كما علينا الا ننسى هبه الله و محمد ابنا أخيه ناصر الدوله، و قد ولاهما أكثر من مره على رأس بعض الجيوش لخوض بعض المعارك.

ان الحمدانيين الذين قال عنهم الثعالبى انهم اسره من ملوك العرب "وجوهم للصباحه و ألسنتهم للفصاحه، لعبوا دورا بارزا على صعيد السياسه القوميه، إذ كانوا يشكلون بحق نواه الدوله العربيه فى حلب الشهباء، تلك الدوله التى أسست على قاعدتين اساسيتين: قاعده توحيد العرب و الثانيه العمل على الوقوف سدا منيعا فى وجه جميع الحملات الصليبيه البيزنطيه التى كانت تستهدف استرداد البلاد التى خرجوا منها عقب الفتح العربى الإسلامى.

و حقا، كان بإمكان هذه الدوله التي استقطبت انظار العالم عصر ذاك، و شددت قلوب الناطقين بالضاد إليها، ان تعمل على التوحيد و التحرير، غير ان مؤامره الأعداء نالت منها و هي في تطور تكوينها و تأسيسها، فانتهى الحلم بموت الحالم فزالت بزوال الحاكم.

الميرزا على أكبر بن شير محمد بن گل محمد بن محمد طاهر الهمداني، صدر الإسلام، دبیر الدين

مترجم في "نقباء البشر" ص ١٦٠١، و نقول:

من أساتذته الذين درس عندهم في النجف الأشرف السيد الهندي النجفي و يعبر عنه في مؤلفاته ب "السيد الأستاذ".

له إجازة الحديث من السيد محمد الهندي بتاريخ يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة ١٣٢٣ و ميرزا حسين الخليلي الطهراني بتاريخ ٢٦ رجب [١٣٢٣] من نفس السنة.

و كان بالاضافه إلى مقامه العلمی ذا اطلاع واسع بالأدب الفارسی و له منشآت جیده تدل على تضلعه في البلاغه و تمكنه من الإنشاء. ملك نسخه من كتاب "أنوار البلاغه" لآقا محمد هادي المترجم المازندراني و قابلها و كتب عليها حواش قليلة تدل على مبلغ فضله و تبهره. (١)

على بن الصاعد الدمشقي:

أديب شاعر فاضل واعظ، نقل عنه صدر الدين الثاني محمد بن منصور الدشتكي الشيرازي في كتابه "شافع احشر [الحشر]" هذه الأبيات التي قالها المترجم له عند انقراض دوله سعد الدوله:

محمد من دار باسمه الفلك هذى اليهود القروذ قد هلكوا

و قارن النحاس سعد دولتهم و افتضحوا في البلاد و انتهكوا

و شت الله شمل ملكهم و بالحسام الصقيل قد فتكوا

ففى العذاب المذاب قد منحوا و فى الحديد المديد قد سلکوا

فأنتم شر امه سلفت و أنتم شر أمه تركوا

عبدتم العجل دون خالقكم فضل ذلك الآيات و النسك

فانظروا صحه العذاب لهم فعن قليل تراهم هلكوا

و بما أن كتاب "شافع حشر" المذكور قد ألف سنة ٩٥٩ فالشاعر من أعلام القرن العاشر أو ما قبله.

الحكيم على الصوفي الاصبهاني:

فاضل أديب شاعر بالفارسيه جيد الشعر، كان يشتغل بالطب و هو من أعلام القرن الحادى عشر له شعر نظمه سنه ١٠٤٣(١) له "خرقه على" كشكول ظاهرا.

الشيخ على بن طاهر الصورى:

نقل عنه احمد بن الحسين بن العودى رساله مختصره جدا فى الأصول الاعتقاديه فى المجموعه التى كتبها سنه ٧٤٠ - ٧٤٢، فالصورى مقدم على القرن الثامن و لا نعلم تاريخه بالضبط.

أقول: الظاهر أنه هو أبو على الحسن بن طاهر الصورى المذكور فى الثقات العيون ص ٥٩ و اختلط النسب و الكنيه على ابن العودى كاتب النسخه.(٢)

شاه على بن عبد الجواد الحسينى المرعشى القزوينى:

واعظ، كتب نسخه من كتاب "كشف الغمه" و أتمها فى يوم الأحد ثانى عشر شهر رمضان سنه ١٠٨٣، و يظهر مما كتبه آخر الجزء الأول و الثانى انه كان يتعاطى الأدب و الشعر.(٣)

الشيخ على أكبر بن عبد الكريم اليزدى:

فاضل أديب، تتلمذ فى كربلاء على الحاج الشيخ زين العابدين المازندراني الحائرى، و الظاهر انه كان يقيم فى يزد.

له "حاشيه البهجه المرضيه" و "تقريرات أستاذه المازندراني" كتبها سنه ١٢٧٥.(٤)

الشيخ على الدامغانى بن عبد الله:

ولد سنه ١٢٨٦ فى (الحجاجى) من قرى دامغان و توفى سنه ١٣٦٢ فى همذان و دفن فى جنب مقبره الآخوند عبد الله البروجردى لأنه كان يرى عدم جواز نقل الجنائز. و قد أسست فى أطراف مقبرته مدرسه دينيه علميه بسعى ولده الشيخ محمد على سميت مدرسه الدامغانى، لا تزال من أشهر مدارس همذان حتى الآن.

نشا فى القرية فى كنف والده الشيخ على الدامغانى الذى كان من الوعاظ.

و عنى به عنايه خاصه عمه الشيخ أبو القاسم الدامغانى الذى كان من وجوه علماء دامغان و أحد تلامذه الشيخ مرتضى الأنصارى، فقد كان عمه هذا يحبه حبا شديدا و يشجعه على تحصيل العلم و يسعى فى تعليمه و تربيته.

و بعد دراسه المقدمات و مقدار من السطوح فى دامغان، هاجر إلى مشهد الرضا (ع) فأقام به ثلاث سنين متتلمذا على أعلام مدرسيه، ثم عاد إلى دامغان و أقام بها مده قليله. ثم ذهب إلى النجف الأشرف لتكميل المراحل الدراسيه، فتتلمذ على شيخ الشريعه الاصفهانى و الحاج ميرزا حسين الخليلى الطهرانى و غيرهما، و كان أكثر استفاداته العلميه من الطهرانى و له به

اختصاص.

و بعد تخرجه من النجف ذهب إلى همدان نحو سنة ١٣٢٠ فأقام فيها للهدايه و الإرشاد.(٥)

الدكتور على أكبر فياض بن السيد عبد المجيد:

ولد سنة ١٣١٧ و توفي سنة ١٣٩٢ في مدينة مشهد نشأ في اسره دينيه و بدأ دراسته في المدارس الدينيه فدرس الفقه و الأصول على السيد أبو القاسم أزغندي، و النحو و الصرف و الأدب العربي على الأديب النيسابوري. ثم دخل سلك التعليم عام ١٣٤٧ في مدينة مشهد و قام فيها بتأسيس عده مدارس ابتدائيه و ثانويه، و هو أحد مؤسسي كليه الآداب في جامعه خراسان.

تابع دراسته في جامعه طهران و نال شهاده الدكتوراه، و عاد إلى مشهد استاذًا من أساتذته كليه الآداب في جامعتها، ثم عميدا لتلك الكليه.

انتدب لالقاء محاضرات في جامعه الإسكندريه سنة ١٣٦٧ عن الأدب الفارسي، و قد جمعت تلك المحاضرات في كتاب مستقل مطبوع هو من أنفس ما كتب في هذا الموضوع.

و قد أغرته سياسه فانغمر فيها و انتخب نائبا في المجلس النيابي الايراني لعهده دورات. و كان يجيد عده لغات، منها: العربية و الروسيه و الفرنسيه و الإنكليزيه.(٦)

السيد على محمد شاه عظيم آبادي بن السيد عباس ميرزا بن تفضل على خان بارهوي:

ولد سنة ١٢٦٢ في عظيم آباد تبته (الهند) و توفي في على گرهنه سنة ١٣٤٥ و نقلت جنازته إلى تبته فدفنت فيها.

كان من الوجهاء الرؤساء و لكنه كان له ميل إلى العلم فدرس علوم اللغة العربية على فرحت حسين و الشيخ آغا جان، و الفقه على السيد مهدي شاه و الفيلسوف على السيد عبد الله شاه كشميري و غيره.

و كان شاعرا نظم باللغه العربية بعض القصائد التعليميه في الصرف و النحو العربيين.

معظم مؤلفاته باللغه الأردويه و له بعض المؤلفات باللغه العربية و اللغه الفارسيه. من ذلك ١ - مردم ريده. و هو في تراجم العلم العالميين ٢ - ترجمه الاسلاف (باللغه الفارسيه) في عشره اجزاء ٣ - ذخيره الأدب، و هو في الشعر و البيان و العروض و القوافي الأردويه، و هو كتاب ضخيم ٤ - الامثله الأردويه ٥ - كتاب في تاريخ محافظه بهار ٦ - كليات غزل، و هو قصائد و رباعيات و مقطوعات شعريه ٧ - تذكره الأدباء. و غير ذلك.

ص: ١٧٤

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- السيد أحمد الحسيني.

- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- الشيخ محمد رضا الأنصاري.

الميرزا على أكبر بن علي بن محمد إسماعيل بن محمد مهدي النواب الشيرازي:

فقيه اصولي فيلسوف أديب شاعر حسن الإنشاء بالفارسيه، من أعلام القرن الثالث عشر، تتلمذ على الميرزا حسن الطيب في الفلسفه، له خبره واسعه في الرياضيات و العلوم المتداوله.

كان مدرسا يحضر لديه جماعه من أفاضل الطلبة و المشتغلين، و يبدو من تواريخ بعض مؤلفاته انه كان سريع التأليف مع الاجاده فيه.

له "بحر اللآلئ" في أربعة عشر مجلدا، و "التنبيهات" في الأصول ألفه سنه ١٢٥٧، و "شرح مبحث الوقت و القبلة" من شرح اللمعه أتمه في ربيع الأول سنه ١٢٥٥. (١)

الميرزا على أكبر بن علي بن أبي القاسم بن عيسى الحسيني القائم مقامى الفراهانى:

فاضل جامع متتبع، أديب شاعر بالعربيه و الفارسيه.

و يبدو مما كتبه بعض على بعض كتب صاحب الترجمة انه كان يملك مكتبه كبيره قدرها هذا الكاتب بثلاثين ألف كتاب بيعت بعده و تفرقت.

له "بهارستان" كتب بعض فوائده في سنه ١٢٧٥. (٢)

شرف الدين على بن شمس الدين على اليزدى الملقب و المعروف ب مخدوم و المتخلص ب شرف:

من مشاهير شعراء و كتاب و مؤرخى و علماء النصف الثانى من القرن الثامن و النصف الأول من القرن التاسع الهجرى. ينتسب إلى عائله معروفه فى يزد، و كان يتمتع بين أهل يزد باحترام كبير و عزه و رفعه بسبب مقامه المعنوى، و كانت مقاماته المعنويه و الدنيويه معروفه فى تلك النواحي.

شهد شرف الدين عهد آل المظفر و عهد التيموريين، و حظى بحرمه و احترام فى بلاطات العهدين و عزه و تكريم بين أوساط ملوك و أمراء و رجالات هذين العهدين. و كان أبوه شمس الدين على من كبار رجالات بلاط آل المظفر و هو عالم و شاعر و له قصيده فى مدح الملك يحيى المظفرى، و كما يظهر من قول محمد المستوفى الباقى ان شمس الدين على هذا هو بانى المسجد الجامع فى محله (مير چقماق) فى يزد، ثم بنى شرف الدين المدرسه (الشرفيه) بجوار هذا المسجد، و دفن فيها.

و كان شرف الدين يكثر من الفخر لانتسابه لمثل هذا الأب الجليل الشأن ذى المقام الرفيع.

كان شرف الدين يتخلص فى أشعاره باسم (شرف) كما يبدو ذلك واضحا فى شعره، و فى الوقت ذاته كان مشهورا و ملقبا ب (مخدوم) و قد جاءه هذا اللقب - على ما هو مشهور - من مخاطبه شاه رخ له ب (جناب مخدومى) و الظاهر من بعض شعره ان نسبه يرجع إلى آل البيت (ع)، و يشاهد فى شعره أحيانا ميله للتشيع و حتى اعتقاده بهذا المذهب.

امضى الشاعر فتره شبابه فى طلب العلم، و يظهر هذا الأمر بجلاء من خلال المعلومات الادبيه الواسعه و تنوع مؤلفاته فى المسائل العلميه و الادبيه. سطع نجمه فى عالم الشعر و الأدب فى عهد حكومه الملك يحيى المظفرى (٧٦٠ - ٧٩٥هـ) حين مدح هذا الملك و ذكره بخدمه أبيه فى بلاطه و ربما فى بلاط أبيه (الأمير مبارز الدين). و حين آلت الأمور إلى تيمور باسقا نفوذه على جميع أنحاء ايران، و مستأصلا وجود دوله آل المظفر، دخل شرف الدين فى خدمه دوله التيموريين، و اضحى من خاصه ندماء حاكم فارس مغيث الدين أبو الفتوح الميرزا إبراهيم السلطان بن شاه رخ و من المقربين جدا اليه. و قد امضى عده سنين معه فى مقر حكومته فى شيراز، و ألف فى غضون ذلك (فى عام ٨٢٨هـ) كتاب (ظفرنامه) بامر من هذا الأمير، و بقى ملازما للأمير إبراهيم السلطان حتى وفاه الأخير عام (٨٣٨هـ) فلأزم ابنه الميرزا السلطان عبد الله، أو كما ذكر بعض المؤرخين انتقل إلى يزد و اعتزل فى خانقاه (تفت) تفت أو لازم بلاط قطب الدين ميرزا السلطان محمد بن بايسنقر الذى عينه شاه رخ حاكما على العراق عام ٨٤٦هـ.

و فى حديثه الذى خلط فيه بين بعض مراحل حياه الشاعر شرف، ذكر مفيد المستوفى انه كان فى بدايه امره نديما للسلطان شاه رخ حيث قال " كان لمدته طويله ينعم بموقعه الخاص كانيس و نديم مقرب من الخاقان ذى اللواء المظفر معين السلطنه الميرزا شاه رخ، الذى أنعم عليه بلقب (جناب مخدومى) " ثم يشير المستوفى بعد ذلك مباشرة إلى حادثه تمرد الميرزا السلطان محمد بن الميرزا بايسنقر التى وقعت فى ٨٤٩ و ٨٥٠هـ و يذكر ان شرف كان آنذاك فى ركاب الأمير المذكور. من هنا يمكن الاستنباط بان المستوفى حسب ان شرف الدين بدأ حياته فى خدمه شاه رخ ثم انتقل مباشرة إلى ركاب الميرزا السلطان محمد، دون ان يمر خلال ذلك بملازمه الميرزا السلطان إبراهيم. الا ان ما تجمع عليه التواريخ المتعلقه بيزد هو ان شرف امضى فتره من حياته فى يزد مشتغلا بالافادات المعنويه، بل قيل انه اعتزل فتره فى خانقاه تفت و قام بتربيته المريدين و بقاؤه لعهده سنوات فى يزد و ربما فى تفت لا بد ان يكون بعد خروجه من بلاط حكومه الأمير الصغير الميرزا عبد الله بن الميرزا سلطان إبراهيم، ثم لازم بعد ذلك الأمير الميرزا السلطان محمد بن الميرزا بايسنقر بن شاه رخ بناء على دعوته.

و كان قطب الدين الميرزا سلطان محمد بن الميرزا بايسنقر بن شاه رخ قد عين عام ٨٤٦هـ حاكما على العراق و دخلت ولايه سلطانيه و قزوين و قم فى حكومته، ثم الحق ولايه همذان بهذه المناطق. و طمع عام ٨٤٩هـ بالاستيلاء على أصفهان و شيراز فتوجه على رأس قواته إلى تلك المناطق مما دفع الميرزا السلطان عبد الله إلى التحصن فى شيراز حتى توجه شاه رخ عام ٨٥٠هـ إلى العراق و فارس و هو فى غايه الشيخوخه و وصل منتصف طريق شيراز، و حين رأى الميرزا السلطان محمد ان الأمر يتجه فى غير صالحه رفع الحصار عن شيراز و هرب إلى لهستان بحرمة و حاشيته و عبيده.

و كان شرف الدين اليزدى فى غضون تلك الأحداث ملازما للميرزا السلطان محمد و أحد مستشاريه إلى جانب عدد آخر من الفضلاء و الشعراء الذين كانوا ملازمين لهذا الأمير. و بادر شاه رخ بعد فرار الأمير المتمرد إلى قتل العديد من الأشخاص الذين شجعوه أو دفعوه إلى

التمرد، و لكنه عفا عن شرف الدين على تقديرا لخدماته السابقه و بسبب شهرته و شعبيته.

و فى مطلع السعدين أورد كمال الدين عبد الرزاق السمرقندى تفصيلا لما لقيه شرف من شاه رخ بعد تلك الحادته، و خلاصه قوله ما يلى:

كان شرف الدين قد عرض فى مدحه للميرزا سلطان محمد قائلا ان من الأفضل ان يتنازل شاه رخ عن الحكومه لكبر سنه لشاب مثل السلطان محمد، و كان أيضا يشجعه و يدفعه للعصيان بحجه ان شاه رخ لن يتعقبه إلى داخل العراق، و حين حضر شرف الدين بين يدى شاه رخ أنكر كل ما نسب اليه و قال انه لم يكن يتصور ان سلطانا شابا و برعما يافعا فى حديقته السلطنه مثل السلطان محمد يخطر بباله التمرد و العصيان. و كان السلطان شاه رخ فى غايه الغضب فبادر الميرزا عبد اللطيف بن ألغ بيك بن شاه رخ الذى كان حاضرا فى المجلس فى محاوله منه لانقاذ الشاعر من الانتقام إلى توجيه اهانه قاسيه إلى الشاعر بحضور السلطان ثم طلبه من جده ان ينتقم منه بنفسه، فدفعه السلطان اليه، و استطاع الأمير إنقاذ الشاعر بهذا الأسلوب و تركه ليغادر نحو هرات.

و يزعم مفيد المستوفى ان الميرزا عبد اللطيف أرسل شرف بعد إنقاذه إلى سمرقند، و بقى الشاعر ملازما للميرزا ألغ بيك هناك، حتى توفى شاه رخ عام ٨٥٠هـ، و استولى الميرزا السلطان محمد على فارس و العراق مره اخرى، فاستأذن فى الانصراف " و تقرر لمعاشه سنويا مبلغ خمسة عشر ألف دينار من اموال يزد".

و ذكر مفيد المستوفى ان عوده شرف الدين إلى يزد كانت فى عام ٨٥٣هـ، و قال انه بعد شهر من دخوله يزد " ذهب إلى قريه تفت و أقام فى حديقته مخدوم التى بنيت بهتمته، و باشر بالتدريس استجاب له لرغبه العلماء... " و بقى هناك حتى فارق الحياه عام ٨٥٨هـ و دفن فى (مزار شرفيه) بجوار المسجد الجامع لمحلته مير چقماق فى مدينه يزد الذى كان قد بنى على يد أبيه شمس الدين على. و فى تاريخ حبيب السير ذكر المؤلف ان وفاه الشاعر شرف كانت فى عام ٨٣٤هـ، و هو تاريخ سقيم لعله كان من عمل النساخ أو الاغلاط المطبعيه، و على ايه حال فهو تاريخ مخالف لجميع ما لدينا عن الشاعر و اما عام ٨٥٨هـ فقد تكرر ذكره عاما لوفاته فى تاريخ مفيد المستوى و تاريخ احمد بن حسين بن على الكاتب و فى خلاصه الاشعار لتقى الدين الكاشى.

و ذكر البعض ان شرف الدين امضى فتره من عمره فى السير و الرياضه و التهذيب مع صائى الدين على (أو محمد) تركه الاصفهانى.

شارح فصوص الحكم و مؤلف الكتب و الرسائل المعروفه. و لا يستبعد ان يكون هذا الأمر صحيحا إذا ما لاحظنا إقبال جميع العلماء و الأدباء فى ذلك الوقت على التصوف و الرياضه الروحيه، و لكن فى الوقت ذاته لا يمكن ان نأخذ مشاغل الشاعر فى البلاطات و اعماله العلميه و التعليميه دليلا على صحه الخبر، لا سيما و ان الحياه الصوفيه الزاهده لا بد ان يرافقها الاعتزال و الانقطاع عن العلاقات الدنيويه.

و إذا كان شرف الدين ضعيف البنيه ضئيل الجسم بحيث يسبب له ذلك متاعب فى بعض الأحيان، الا انه كان فى الوقت ذاته قوى الهمه رفيع المقام عزيز الفضل.

ترك شرف الدين العديد من الآثار المنشوره، من أهمها منشآته و كتابه (ظفرنامه)، و إذا كان شرف الدين يذكر عادة ضمن كتاب و مؤرخى القرن التاسع الهجرى، فإنه كان فى عهده معروفا بين معاصريه بالشعر إضافه إلى النشر. و جاء الحديث عن شعره فى آثاره المنشوره و فى العديد من كتب المؤرخين و أصحاب التراجم. ففى تاريخ يزد مثلا- أورد جعفر بن محمد الجعفرى مقدارا كبيرا من أشعاره و هى جديره بالملاحظه إلى حد ما. و إضافه إلى ذلك وضع الشاعر منظومه بالبحر المتقارب فى ذكر فتوحات تيمور، و ضمن كتابه (ظفرنامه) العديد من أبياتها. و ديوان شعره موجود الآن و فى ايران و تركيا نسخ منه، و كان تقى الدين الكاشى قد أورد فى كتابه عددا من قصائد الشاعر و غزلياته و مقطعاته الوارده فى الديوان.

سلك شرف الدين فى قصائده مسلك كبار أساتذته الشعر فى القرنين السادس و السابع الهجريين مثله فى ذلك مثل ناظمى القوائد فى القرن الثامن، و كان موفقا و ناجحا فى هذا المجال، و سلك فى غزلياته مسلك المتقدمين و خصوصا أصحاب الغزل فى القرن الثامن، و لم نلاحظ لحد الآن فى غزلياته أى اثر لخيالات و مضامين أصحاب الغزل فى النصف الثانى من القرن التاسع للهجره، و جاءت آثاره خاليه من اخطائهم اللفظيه و المعنويه. و كان شعره منتخبا و مرتبا.. و لعل ذلك هو السبب الذى جعله يعتقد بسمو مكانته فى الشعر(١).

السيد على محمد بن على الحسينى:

فاضل جليل من اعلام القرن الثالث عشر، له عنايه بالكتب الفقيهيه و قد تملك و استكتب كثيرا منها، و كتبت له فى العقد الخامس و السادس من هذا القرن كتب و مجاميع كبيره رأيت عديدا منها بختمه البيضوى "على محمد بن على الحسينى".(٢)

كتب له الميرزا عبد الله الخوانسارى نسخه من كتب "مسالك الافهام" فى سنه ١٢٥٠، و وصفه فيها بقوله "ممثلا أمر العالم الفاضل الكامل النبيل السيد السند الجليل المحقق المدقق الحرى بالاعظام و التبجيل زبده العلماء و المحققين و عمدته الفضلاء و المدققين سلاله الساده و قاده القاده و صاحب الإفادات الجميله و الإفاضات الجليله".(٣)

السيد على الكوه كمرى بن على نقى:

توفى سنه ١٣٦٠ فى تبريز و دفن فى قم.

كان أكثر دراسته فى النجف الأشرف، حيث تتلمذ فقها و أصولا- على الميرزا حبيب الله الرشدى و المولى محمد الفاضل الايروانى و المولى محمد الفاضل الشرايىانى و غيرهم.

و عاد السيد بعد إكمال دروسه فى النجف، إلى تبريز مشغلا

ص: ١٧٦

١- ذبيح الله صفا.

٢- كتب على بعض المجاميع ان هذا هو صاحب "رياض المسائل"، و هو كلام غير صحيح، فان صاحب الرياض اسمه السيد

علی بن محمد علی و توفی سنه ۱۲۳۱، ای قبل کتابه هذه المجامیع.
۳- السيد أحمد الحسينی.

بالوظائف الشرعيه من الهدايه و الإرشاد و اقامه الجماعه و غيرها من الواجبات الدينيه.

ترك حواشى على بعض كتب الفقه و الأصول.(١)

على أكبر بن غلام على الكرمانى الخراسانى، مروج الإسلام:

عالم جليل ذو اطلاع جيد بالعلوم الدينيه، فقيه محدث أديب شاعر بالفارسيه. يتخلص فى شعره ب "شفيق"، من أعلام القرن الرابع عشر.

له "هديه المحدثين" ألفه سنه ١٣٤٨.(٢)

على بن القاسم المسكنانى:

فاضل فقيه متبحر فى الفقه، من أعلام النصف الثانى من القرن الثانى عشر و لعله عاش إلى أوائل القرن الثالث عشر.

له "منتخب الصنائع فى شرح مفاتيح الشرائع" أتم تأليف بعضه سنه ١١٨٤ - (٣).

الشيخ على القزوينى الحائرى:

فقيه جليل، من علماء كربلاء فى أوائل القرن الرابع عشر.

له "كشف المرام عن اسرار رياض الأحكام" تم كتاب الطهاره منه سنه ١٣٠٤.(٤)

الشيخ على قلى خان بن الأمير قرچغاي خان التركمانى الاصفهانى القزوينى:

ولد سنه ١٠٢٠ هجرية كما صرح فى كتابه احياء الحكمه و كان حيا فى رمضان سنه ١٠٨٣ من أكابر الفلاسفه الإلهيين و العرفاء الربانيين مؤلف مكثر محقق خبير جامع العلوم و الفنون الإسلاميه. ترجم فى أعيان الشيعة المجلد الثامن الصفحه ٣٠٢ و نضيف إلى ما هنالك ما يلى:

لم أقف على تاريخ وفاته الا أنه قد شرع فى تأليف كتابه خزائن جواهر القرآن فى رمضان سنه ١٠٨٣ ه كما صرح بذلك فى مقدمته و قد فرغ من تأليف كتابه احياء الحكمه فى سنه ١٠٧٦ و عمره ست و خمسون سنه فيظهر انه ولد سنه ١٠٢٠.

أخذ العلوم الإسلاميه و فنون الأدب على أفاضل علماء أصفهان و تخرج فى الفلسفه و العرفان من مدرسه العلمين الآغا حسين الخوانسارى و الفيلسوف ملا شمس الكيلانى و أخذ الفقه و الحديث من المجلسى الأول الشيخ محمد تقى المجلسى المتوفى سنه ١٠٧٠ حتى نال قسطا وافرا من العلوم العقليه و النقليه و أحرز كرسى تدريس الفلسفه العاليه من كل من أصفهان و قم و كان من المقربين فى البلاط الصفوى و هو أول من هاجر من هذا البيت الجليل إلى قم مع فرمان من الملوك الصفويين بتعيينه سادنا للروضه. و متوليا لموقوفاتها و حاكما على قم و ضواحيها و انتهت اليه الرئاسة التامه و زعامه العامه و كان والده قرچغاي خان التركمانى من أمراء الشاه عباس الصفوى (جلوس ٩٩٦ - المتوفى ١٠٣٨) و حاكم خراسان و كان له ثلاث أولاد أكبرهم الشيخ

منوچهر خان من أكابر علماء عصره و حاكم خراسان بعد أبيه الآتى ذكره و ثانيهم المترجم له و ثالثهم الشيخ محمد على خان التركمانى والد الشيخ محمد كاظم التركمانى و من اعلام هذه الاسره العريقين فى علم الفلسفه نجل المترجم له الشيخ مهدى قلى خان صاحب مدرسه مهدى قلى خان فى قم المشهوره حتى اليوم باسمه: و هو الآتى ذكره.

لقد ترك المترجم له مؤلفات هامه و تحقيقات رصينه فى العلوم المختلفه لا سيما الفلسفه و العرفان و التفسير نذكر أشهرها و أهمها: تفسير خزائن جواهر القرآن فى اربعة مجلدات جاء فى مقدمته انه لما رأى تفسير آيات الأحكام للمقدس الأردبيلى و قصص الأنبياء للقطب الراوندى تضرع إلى الله بان يوفقه لجمع جميع ما فى القرآن الكريم من آيات التوحيد و آيات الايمان و آيات الأحكام و القصص و آيات المواعظ و الحكم و آيات خلق السموات و الأرض و آيات أحوال الرجعه و البرزخ و آيات الحشر و النشر و آيات الجنه و النار و إيراد تفاسيرها المرويه و تحقيق كلمات الروايات المفسره جمله جمله فوفقه الله و شرع فى التأليف فى (رمضان سنه ١٠٨٣ هجرية) و بدأ فى المجلد الأول منه بآيات التوحيد و ختم المجلد الرابع منه بآيات الجنه و النار و يحتوى كل مجلد على خزائن و فى كل خزينه عدة فصول فانتهت الخزائن فى الكتاب إلى ثلاث و عشرين خزينه فيها ستون فصلا و سبعة أبواب. و يعبر فيه عن السيد المير الداماد بسيد الحكماء المتأخرين، و عن المولى صدر المتألهين الشيرازى بالفاضل العارف الشيرازى، و عن المفسر الشهير الفيض الكاشانى بالفقيه القاشانى و النسخه بخط المؤلف و قد وقفها ولده الشيخ مهدى قلى خان وقفا خاصا لساكنى مدرسته التى بناها فى سنه ١١٢٣ فى قم و تعرف حتى اليوم بمدرسه خان.

٢ - كتاب فرقان الرأيين و بنیان الحكمتين: فى الفرق بين حكمه القدماء مثل أرسطاطاليس و أفلاطون و المتأخرين مثل الفارابى و الشيخ الرئيس ابن سينا و المير باقر الداماد ذكر فيه أربعا و عشرين مسأله مما اختلف فيه القدماء و المتأخرون و فى أواخره اختار الحدوث الدهرى الذى اختاره السيد المير محمد باقر الداماد كما صرح به أرسطو ثم أحال إلى كتابه احياء الحكمه و عندنا نسخه خط المؤلف من مخطوطات مكتبتنا بكرىلاء ٣ - احياء حكمت: (إحياء الحكمه) مشتمل على كل مباحث المنطق و جميع فنون الحكمه المتعاليه فى أكثر من ثلاثين ألف بيت ٤ - كتاب شرح أثولوجيا: فى تمهيدات فى الحكمه خاصه، فى خمسه عشر ألف بيت ٥ - كتاب المنطق المشهور بمنطق على قلى خان: فارسى فى المنطق نسخه مخطوطه منها فى مكتبه الروضه الرضويه فى مشهد برقم ١١٢٠ مسجله فى المكتبه ٦ - زبور عارفين، فارسى فى العرفان رتبه على مقدمه و ثلاثه أبواب فى حقيقه النفس و الترغيب فى العالم العقلى و التزهيد فى العالم الحسى و تعليم مراتب السلوك ٧ - كتاب مزامير العاشقين فى زبده زبور العارفين: فى العرفان معرب كتابه زبور العارفين و براق العاشقين مع بعض الإلحاقات و الإضافات رتبه على مقدمه فى حقيقه النفس و ثلاثه أبواب: ١ - فى التشويق إلى العالم الشريف العقلى الالهى ٢ - فى التزهيد بالعالم الحسى الطبيعى ٣ - فى

ص: ١٧٧

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.

تعليم مراتب السلوك من أولها إلى آخرها الذي هو مقام الفناء و فصول في الأوراد و المناجاة و دفع بعض الشبهات و منه نسخه مخطوطه تحت رقم ٦٥٦٧ فى مكتبه سيهسالار بطهران ٨ - كتاب التعليقات فى الفلسفه ٩ - كتاب التمهيدات فى الفلسفه ١٠ - كتاب التنقيحات ١١ - كتاب الايمان الكامل فى الحكمة المتعالیه ١٢ - كتاب سبعة سماويه، فارسى فى الحكمة المتعالیه. (١)

جلال الدين أبو الفضل على القزوينى المتخلص ب عنقا:

ولد فى قزوین سنه ١٢٦٦ و توفى فيها سنه ١٣٣٣.

عارف متصوف أديب شاعر حكيم متأله مشارك فى الفلسفه و الحساب أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل علماء قزوین و اشتغل السطوح على السيد على علاقته بند و السيد رضى القزوينى ثم تقفه على الشيخ محمد صادق ابن الشهيد الثالث و تخرج فى العرفان و الفلسفه على الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى آل الصالحى و كان من أقطاب الطريقه الأويسيه و هو ابن أخت السيد حسين بن السيد قريش القزوينى و المجاز منه و من الآغا عبد القادر الجهرمى.

ترك مؤلفات نثرا و نظما فى العرفان و غيره و من مؤلفاته ١ - منظومه فى العرفان ٢ - منظومه فى أصول الدين ٣ - كتاب حقايق المناقب ٤ - كتاب الإشارات الحسينيه ٥ - غزليات شوقيه و إرادات ذوقيه ٦ - آيينه جهان بانى ٧ - ديوان شعر. (٢)

الشيخ على القزوينى الحائرى:

فقيه جليل، من علماء كربلاء فى أوائل القرن الرابع عشر.

له "كشف المرام عن أسرار رياض الأحكام" تم كتاب الطهاره منه سنه ١٣٠٤. (٣)

على محمد تاج العلماء:

ولد سنه ١٢٦٢ فى لكهنؤ (الهند) و توفى فيها سنه ١٣١٢ كان عالما فاضلا درس على والده و على علماء لكهنؤ، ثم سافر إلى النجف لإكمال دراسته أيام الشيخ زين العابدين المازندراني و السيد حسين الشهرستاني و الملا حسين الأردكاني و السيد على الطباطبائي.

و فى سنه ١٢٨٥ استجازهم و عاد إلى الهند، فكان له فى حيدرآباد الدكن خدمات علميه دينيه جلى. و تخرج عليه الكثيرون من فضلاء الهند و له عدده مؤلفات منها: ترجمه القرآن، تفسير بعض السور القرآنيه، حاشيه زبده الأصول، رساله فى العروض و القوافى و غير ذلك.

الميرزا على محمد الملقب ب حكيم:

كان أديبا شاعرا فى أواخر العصر القاجارى. اشتغل بتدريس العلوم المتداوله فى عصره فى مدرسه الحاج أبو الحسن فى طهران (بالقرب من مرقد السيد يحيى). و نقل عنه انه بلغ فى تدريسه مكانه رفيعه، و أخذ عدد كبير من الطلاب يحضر درسه و يستفيضون من علمه. و اثر إصرار بعض محبيه اشتغل بالتدريس فى مدرسه العلوم السياسيه التى كان يرأسها آنذاك الميرزا

حسن خان بن الميرزا نصر الله المستوفى، و بقى فى وظيفته هذه حتى أواخر حياته، و تخرج من درسه عدد كبير من الشخصيات المعاصره.

كانت وفاته عام ١٣٤٣ هـ فى مدرسه الصدر فى طهران التى كان يسكن فيها فى و اخر [أواخر] حياته.

الشيخ على أصغر بن محمد حسين البفرونى اليزدى:

فاضل متبحر فى الفقه و أصوله طويل النفس فى أبحاثه، أصله من يزد و يسكن كربلاء و كان من أعلامها فى القرن الثالث عشر. كان من تلامذه شريف العلماء كما وجدته مكتوبا كذلك على نسخه من كتابه.

له "المناهج الحائريه" فى ثلاث مجلدات كبيره أتمها سنه ١٢٥٠. (٤)

على بن محمد على القراجه داغى التبريزى:

فقيه فاضل جليل، من أعلام القرن الثالث عشر و كان يقيم فى تبريز ظاهرا.

له "شرح إرشاد الأذهان". (٥)

على نقى بن محمد رضا الهمداني:

أديب فاضل اشتغل بالطب و معالجه المرضى، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له "حفظ الصحه" ألفه سنه ١٢٧٩. (٦)

الشيخ على أكبر بن محمد أمين اللارى:

فاضل خبير عارف بالحديث و العقائد مع ميل إلى العرفان و التصوف، من أعلام القرن الثالث عشر و كان فى سنه ١٢٨٤ بالنجف الأشرف و تجول فى بعض البلدان الإسلاميه.

له "شرح حديث يا ثار الله و ابن ثاره" و رساله فى "علم الامام" و "تنبيه الغافلين و تذكره الجاهلين" و "عقائد الحقه فى الأصول الدينيه". (٧)

الشيخ على بن محمد الهندو كلائى المازندراني المعروف بسليم:

أصله من قريه "هندو كلا" من توابع "آمل" بمازندران، و كان يقيم بمدينة آمل و يعرف ب "سليم المازندراني".

ولد سنه ١٢١٤، و بعد نشاته الأولى بمسقط رأسه ذهب إلى أصبهان للتحصيل و أقام بها سبع سنوات متلمذا على علمائها، و سافر فى سنه ١٢٧٢ إلى مشهد الرضا (ع) للزياره و كان أيام إقامته فيه مشغلا بالتدريس لجماعه من الطلاب، ثم زار أئمه العراق

(ع) و بعدها ذهب إلى الحج.

و هو فاضل جامع لأطراف العلوم و المعارف، أديب شاعر بالفارسيه.

ص: ١٧٨

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

٦- السيد أحمد الحسيني.

٧- السيد أحمد الحسيني.

توفى بعد سنه ١٢٨٨.

له "مقاليد البيان و جامع التبيان" و "بيت الأحزان" و "وسيله الفيوضات".^(١)

السيد على بن محمد قطب الدين الحسينى النيريزى الشيرازى الملقب بدعاء:

صوفى نشا بفارس و انتقل فى العشرين من عمره إلى النجف الأشرف، و أكثر استفاداته العرفانيه و العلميه من والده الذى حضر مجلس إفاداته خمس عشره سنه خمس منها فى فارس و عشر منها فى النجف. و كان فاضلا أديبا حسن الإنشاء له شعر فارسى ليس من النمط العالى.

كان فى الطريقه من اتباع السلسله الذهبيه الكبرى، و قد أخذها من والده.

له "جامع الكليات" أتمه سنه ١١٨٣ فى كربلاء.^(٢)

السيد على بن محمد رحيم بن محمد الموسوى:

فاضل مؤرخ أديب شاعر بالفارسيه و العربيه حسن الإنشاء له ميل إلى العرفان، من أعلام أوائل القرن الرابع عشر و كان يقيم بمشهد الرضا (ع).

له "بكاء العين" أتم تأليفه سنه ١٣٠٣.^(٣)

الشيخ على محمد بن كريم الرشتى:

فقيه أصولى محقق طويل النفس فيما يكتب، و هو من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له "ذرائع الأصول" كتب بعض مباحثه فى سنه ١٢٨٤.^(٤)

الشيخ على أكبر بن محمد باقر القزوينى:

فقيه أصولى محقق، من أعلام النصف الثانى من القرن الثالث عشر و لعله عاش إلى أوائل القرن الرابع عشر.

له "الأحكام الوضعيه".^(٥)

على نقى بن محمد تقى:

فاضل له اطلاع بالتفسير و الحديث و غيرهما، من علماء الشيخيه و يعظم فى كتاباته الشيخ احمد الاحسائى غايه التعظيم و ينسج على منواله.

له "بشاره المهتدين فى تفسير الحمد لله رب العالمين".^(٦)

المولى على رضا بن محمد آقا جاني:

من أعلام أوائل القرن الحادى عشر، قرأ على الميرزا محمد الاسترآبادى جمله من المجاميع الأربعة الحديثيه، و أقام مده بمكه المكرمه و تملك بها نسخه من كتاب "تهذيب الأحكام" فى سنه ١٠٠٩ و اختار فى هوامشها تعاليق تدل على فضل فيه و اطلاع بعلوم الحديث.

أجازه الاسترآبادى المذكور فى آخر تلك النسخه فى مكه بتاريخ أواخر ذى الحجه سنه ١٠١٦، و قال فيها: "فقد ذاكرنى المولى الفاضل الورع خلاصه الأفاضل و المتورعين مولانا على رضا.. أكثر كتاب تهذيب الأحكام و بحث تفتيش و تحقيق و إمعان فى مده من الزمان و كذلك جمله من بقيه الكتب الأربعة المشهوره فى هذا الزمان فلما لم يساعده على إتمامها حوادث الأيام أجزت له روايتها بطرقى المقرره...". (٧)

السيد على أصغر بن محمد شفيح الموسوى:

فقيه جليل و عالم متبحر، كان يرجع اليه بعض المقلدين فى الفتوى، و هو من أعلام أوائل القرن الرابع عشر ظاهرا. له "كتاب الحج" و "الفصول فى ترتيب مباحث الأصول" و "المناسك الغرويه" (٨)

السيد على اليتربى الكاشانى بن السيد محمد رضا:

ولد سنه ١٣١١ فى كربلاء و توفى سنه ١٣٧٩ فى كاشان.

أسره اليتربى من الأسر المعروفه فى كاشان بالعلم و الجاه و التقى، خرج منها رجال علماء كان لهم دورهم الدينى و العلمى.

و من أعلام هذه الأسره السيد محمد تقى بشت مشهدى (نسبه إلى احدى محلات كاشان) المتوفى سنه ١٢٥٨ و له مزار معروف، و كان من أعظم علماء كاشان.

و جد المترجم، السيد إسماعيل من تلامذه الشيخ مرتضى الأنصارى فى النجف، و له آثار و تأليف فى الفقه و الأصول توجد عند أولاده.

و والده السيد محمد رضا من تلامذه الميرزا محمد حسن الشيرازى، و من أعظم علماء كاشان توفى سنه ١٣٥٠.

و أخوه السيد حسن اليتربى، كان من وجوه العلماء القاطنين بطهران و توفى سنه ١٣٨٦.

و لا يزال فى هذا البيت رجال علماء لهم مكانتهم فى مدينه كاشان.

مولده و نشاته:

استصحبه والده معه من كربلاء إلى كاشان سنه ١٣١٦، فنشأ محاطا برعايته و قرأ عليه و على غيره من العلماء المقدمات و

ثم انتقل إلى النجف الأشرف بتشجيع من والده سنة ١٣٣١، و حضر على أعلام مدرسيها، كالسيد أبي الحسن الاصبهاني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي و شيخ الشريعة الاصفهاني و الميرزا حسين النائيني و الشيخ ضياء الدين العراقي، و لازم الأخير و اختص به.

و في سنة ١٣٣٩ أحضره والده إلى كاشان و في سنة ١٣٤١ طلب منه الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي الإقامة في قم، فأجاب و ذهب إليها و اشتغل بالتدريس سبع سنوات و تخرج عليه عدد كبير من العلماء الأفاضل.

ص: ١٧٩

-
- ١- السيد أحمد الحسيني.
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- السيد أحمد الحسيني.
 - ٥- السيد أحمد الحسيني.
 - ٦- السيد أحمد الحسيني.
 - ٧- السيد أحمد الحسيني.
 - ٨- السيد أحمد الحسيني.

و فى سنة ١٣٤٧ توفى أبوه، فاضطر للعودة إلى كاشان، فقام مقام أبيه فى الامامه و اداره الشئون التى كان يتولاها أبوه، و اشتغل بالتدريس و الإفاده و تربيته الناشئين من رجال العلم.(١)

الشيخ على كاشف الغطاء بن محمد رضا:

ولد سنة ١٢٦٧ فى النجف و توفى فيها سنة ١٣٥٠ مرت ترجمته فى مكانها من (الأعيان) و نعيدها هنا أكثر تفصيلا:

تنحدر هذه الأسره العلميه (آل كاشف الغطاء) من "بنى مالك" القبيله العربيه الكبيره القاطنه فى ضواحي الفرات حوالى الكوفه من أقدم العصور، و كان لها شان و اعتبار فى القرنين الحادى عشر و الثانى عشر، و لهج الشعراء بمدح رؤسائها و شيوخها. و هى قبيله مشهوره ذات فروع و أغصان كثيره منتشره على ضفاف الفرات و غيره من القرى و الأرياف العراقيه.

و أول من هاجر إلى النجف الأشرف من هذه الأسره، هو الشيخ خضر بن يحيى المنتهى اليه نسب "آل الخضرى" و "آل كاشف الغطاء" و "آل راضى" و "آل عليوى"، هاجر من قريه "جناحيه" (قناقيه) من قرى الحله إلى النجف فى أوائل القرن الثانى عشر، و كان عالما مشارا اليه فى عصره فى الفقه و الزهد و التقوى، و أنجب أولادا أربعة كل واحد منهم أبو اسره علميه معروفه فى العراق كما ذكرنا، و هم: الشيخ حسين، الشيخ محسن، الشيخ محمد، الشيخ جعفر.

و "آل كاشف الغطاء" من أولاد الشيخ جعفر المعروف بكتابه الفقهي "كشف الغطاء" الذى أصبح من حين تأليفه من عيون كتب الفقه التى لم يستغن عنها كل فقيه يمارس الاستنباط.

و هذه الأسره كثر فيها العلماء نافذو الكلمه فى القرنين الثالث عشر و الرابع عشر، و لهم مكانه عظيمه فى الأوساط العلميه و الاجتماعيه، و كانت لهم الزعامه الدينيه و الرئاسه الاجتماعيه فى العراق، و جرت على أيديهم حوادث تاريخيه هامه و حفظت بواسطتها كثير من الدماء و الأعراض و الأموال، تناقلتها الألسن و سجل بعضها فى صفحات التاريخ.

نشا المترجم برعايه والده و فى بيت الفقه و الشرف و الدين و تعلم المقدمات و قرأ السطوح على فضلاء بيته و غيرهم من أعلام النجف، و ولع بالأدب فانقطع اليه حتى برع فى النظم و النثر، و نظم الشعر مبكرا و طارح شعراء عصره فى العراق و غيرها.

زار عديدا من البلدان الإسلاميه و الأقطار العربيه، قضى فيها شطرا وافرًا من عمره فكانت حصيله أسفاره مكتبته العامره بالمطبوعات و المخطوطات النادره و مؤلفه الكبير "الحصون المنيعه" فى طبقات الشيعة فى عشره اجزاء.

كانت رحلته إلى ايران فى سنة ١٢٩٥، أقام بأصبهان مده و قضى بينها و بين طهران و شيراز و خراسان سبع سنين حيث عاد إلى العراق سنة ١٣٠٢.

و سافر إلى الآستانه ثم الحجاز و سوريا و مصر و بعض بلاد الهند، و طال سفره هذا أربع سنين كان أكثرها فى تركيا.

و قد كتب فى أسفاره عدده مجاميع موجوده بخطه فى مكتبته، استفاد من موادها بعد ان عاد إلى النجف و استقر إلى آخر أيام حياته.

و كان له شغف بجمع الكتب و اقتنائها، فابتاع في أسفاره إلى إيران و تركيا و غيرهما أعلاقا نفيسه من الكتب المطبوعه و المخطوطه التي قلما توجد في مكتبات العراق، و نسخ بخطه كثيرا من المخطوطات النادره.

و تجاوز مجموع ما استنسخه بخطه مائه كتاب، و لم يفتر عن الكتابه و التأليف حتى بعد ان كبرت سنه و أصابت الرعشه يده (٢).

السيد على الجزائري بن السيد مير محمد علي:

ولد في النجف سنه ١٢٦٥ و توفي سنه ١٢٥٤ في طهران و دفن في قم نشا بطهران، و قرأ على والده و ميرزا محمد حسن الآشتياني و غيره من العلماء الأعلام.

و هاجر إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم فبقى بها سنين متلمذا على الميرزا حبيب الله الرشتي و الحاج ميرزا حسين الخليلي الطهراني.

ثم عاد إلى طهران حيث أقام بها إلى حين وفاته (٣).

الشهيد الشيخ على الرمضان بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن ابن الشيخ علي بن الشيخ عبد النبي آل الشيخ رمضان الخزاعي الأحسائي:

توفي حدود سنه ١٢٧٠.

و آل رمضان من الأسره العلميه الجليله في الأحساء، و قد برز منهم عدد من رجال العلم و الأدب ممن كان لهم الشأن الرفيع و المقام الشامخ، أصلهم البعيد من العراق و من العراق - في حدود القرن التاسع الهجري - هاجر جدهم الأعلى الشيخ رمضان بن سلمان بن عباس الخزاعي - المعروفين بالانتساب اليه - و استوطن البحرين حتى توفي، و فيها ذريته و أحفاده إلى اليوم، و في مطلع القرن الحادي عشر الهجري هاجر بعض الأحفاد من البحرين إلى الأحساء و استوطنوها، و آل رمضان اليوم اسره كبيره معروفه في الأحساء.

و من أبرز علمائهم الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الرمضان - والد صاحب الترجمة - المتوفى سنه ١٢٤٠ هـ، و صاحب القصيده النونيه الغراء المعروفه ب (خير الوصيه).

ولد المترجم بمدينه (الهفوف) عاصمه الأحساء في أواخر القرن الثاني عشر الهجري - و لم يحدد تاريخ دقيق لولادته - و فيها نشا و ترعرع تحت رعايه والده كما تلقى في (الأحساء) أوليات العلوم على يد والده و غيره من الأعلام.

و بعد دراسته المقدمات في الأحساء هاجر إلى إيران لتحصيل العلوم الدينيه، و كان جل إقامته في مدينه شيراز، حيث كان بها عدد من علماء الأحساء و البحرين، و أقام هناك ردحا من الزمن مستفيدا من كبار الأساتذه العلماء، و هذه أسماء أهم أساتذته كما ذكرهم هو في ديوانه المخطوط:

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- السيد أحمد الحسيني.

٣- السيد أحمد الحسيني.

١ - السيد حسين بن السيد عيسى بن السيد هاشم البحراني، صاحب تفسير "البرهان".

٢ - السيد صدر الدين العاملي، و لعله السيد صدر الدين بن السيد صالح بن محمد بن إبراهيم شرف الدين العاملي، المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ.

٣ - الميرزا سليمان الحسيني الطباطبائي النائيني.

٤ - الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك اللويحي الأحسائي، المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ، و كان جل تلمذه عليه.

شيء من سيرته:

عاش بدايه شبابه في بلده (الأحساء) و شب فيها بين أهله و ذويه مستفيدا من والده الجليل و ناهلا من علمه الجم، ثم هاجر من الأحساء سائحا في بلاد الله العريضة مستثمرا أسفاره لصالح دينه و دنياه، فرار كلالا من البحرين و شيراز و يزد و كرمان و سعيدآباد و أكثر مدن ايران الكبيره، كما تشرف بزياره الامام الرضا (ع)، و في ديوانه المخطوط أشعار كثيره في وصف تلك المدن و مدح أعيانها و علمائها.

و يظهر انه قضى معظم حياته في السياحه و الأسفار متجولا في بلدان عديده، كما يصف حاله في ديوانه حيث يقول:

و ذقت من الشدائد كل طعم و جبت من الفدافد كل وادي

و عمت من السرى و الليل داج بسفن العيس في لجج السواد

يبيت على حدائجها فراشى و يصبح فوق أرجلها مهادي

إلى ان أبلت الأسفار جسمي و أخفاني النحول عن العباد

و صرت كأنني سر خفي بافنده الروابي و الوهاد

و استقرت به الدار أخيرا في مدينه شيراز و أطرافها، حيث قضى هناك معظم أيام غربته الطويله.

و كان و هو في دار الغربه كثيرا ما يحن إلى وطنه و مسقط رأسه و يتذكر أهله و أحبته، و في ذلك يقول:

و ب (الأحساء) و هي مناي قوم بعادهم نفى عنى رقادي

لهم جفنى القريح يفيض ريا بفيض دموعه و القلب صادي

هيامي فيهم شغلى و دأبي و وجدى منهم شربي و زادي

أحب لأجلهم خفقان قلبي و أهوى في محبتهم سهادى

و هم حصنى المنيع و هم سنادى و هم ركنى الوثيق و هم عمادى

سقى (الأحساء) باريها بغيث يمد الخصب من صوب العهاد

فل (الأحساء) ما دامت ودادى و فى أرجاء ساحتها مرادى

و يقول أيضا:

أستودع الرحمن ب (الهفوف) من (هجر) أهيل موده و وفاء

قوم هجرت لهم و سادى و الكرى و وصلت فيهم لوعتى و بكائى

يا جيره الأحساء هل من زوره أحيأ بها يا جيره الأحساء

يا جيره الأحساء هل من زوره تمحو ظلام البين بالأضواء

أنا فيكم صادى الحشاشه فاسمحو لى من وصالكم بعذب الماء

أنتم منأى من الزمان و بعدكم كدرى و قربكم الشهى صفائى

و كانت (الأحساء) و عموم البلدان العربيه فى الخليج فى ذلك الحين تعيش اضطرابات و فتن طائفية شديده، و قاسى شيعه المنطقه حينها أبشع ألوان الظلم و الاضطهاد، مما أدى إلى هجره العديد من العلماء و الأعيان من منطقته الخليج و تفرقهم فى بلدان مختلفه.

و المترجم - رغم الظروف الصعبه - عاد فى أواخر عمره إلى وطنه الأحساء، و استقر بها، و كان يقوم فيها بواجباته الدينيه من التدريس و الوعظ و الإرشاد، و من ابرز تلاميذه فى تلك الفتره الشيخ احمد بن محمد مال الله الصفار، المتوفى بعد سنه ١٢٧٠ هـ، و فى الأحساء كتب بعض مؤلفاته، كما جمع ديوان شعره الكائن فى مجلدين.

و فى سنه ١٢٤٠ هـ توفى فى قريه (سلم آباد) بالبحرين و ولد المترجم له الشيخ محمد الرضان، و كان بصحبته نجله صاحب الترجمة، فأثر فيه ذلك الحدث أثره البالغ، و شعر بعد والده بالحزن العميق و المصاب الفادح، و فى ذلك كتب رساله حزينه بليغه إلى أستاذه فى ايران السيد حسين بن السيد عيسى البحرانى، و مما جاء فى الرساله:

"أما بعد، فان أخاك قد أصيب بفقد الشبيهه الطاهره، و النعمه الظاهره، و الذى الأسعد، و سيدى الأمجد، فأصبحت بفقدته مجذوذ الأصل، مقطوع الوصل، مكسور الصلب، موتور القلب - إلى ان قال: - فلم يكن بأسرع من أن دعاه ربه إلى جواره، ليرحبه من الدهر و أكداره، فأجاب غريبا سعيدا كريما شهيدا(١)، فانقلبت عند ذلك القريه بأهلها على فقد إمامها، و اضطربت بنسائها و

١- جاء فى الذريعه ٢٨٤/٧: أن الشيخ محمد بن عبد الله الرمضان - صاحب "خير الوصيه" - قتل شهيدا - فى البحرين بسبب الضرب الموجع من قبل الوهابيين، و يبدو ان الأب كالابن قتل على ايدي الوهابيين، و لم يسلم من ظلمهم رغم فراره بجلده إلى خارج وطنه.

مصائب لم يدع قلبا ضنينا بغلته و لا عينا جمادا

ف "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"....(١)

و يظهر أن المترجم كان يعيش بعد سنة ١٢٤٠ هـ بين البحرين و الأحساء إلى أن قتل شهيدا في الأحساء حدود سنة ١٢٧٠ هـ.
زملاؤه و معاصروه:

كانت للمترجم صداقات و علاقات واسعة مع كثير من علماء و شعراء عصره البارزين، و جرت بينه و بينهم مراسلات شعرية و نثرية، سجل هو الكثير منها في ديوانه المخطوط.

و فيما يلي أهم من ذكرهم في ديوانه من قرنائهم و معاصريه:

١ - أستاذه الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد اللويمى الأحسائي، المتوفى ١٢٤٥ هـ، و ابنه الشيخ علي اللويمى، و كانت له بهما علاقة خاصة و صداقه حميمة مده إقامته في إيران، حيث كان هذان العلمان يقيمان في شيراز و أطرافها، و فيهما يقول:

و لو لا ملاذى بالديار التى بها إمامى (عبد المحسن) العالم الحبير

و فيها ابنه ذخرى (على) أخو العلا و طوبى لإنسان (على) له ذخر

لأصبحت مما قد لقيت من البلا رميما و شخصى فى الملا ما له ذكر

فلا أب عندى مثل شيخى و ابنه إذا عد زيد فى المكارم أو عمرو

فابقاهما الرحمن للوجود كعبه تطوف بها الوفاذ ما طلع البدر

٢ - أستاذه السيد حسين بن السيد عيسى بن السيد هاشم البحرانى.

٣ - الشيخ أحمد بن محمد بن مال الله الصفار الأحسائي، المتوفى بعد ١٢٧٠ هـ، و هو ممن استفاد من المترجم و تتلمذ على يديه،
و مما كتب إليه المترجم فى إحدى رسائله:

إلى حبيبي دون كل الملا سلام صب بالنوى مبتلى

يغشاك ما يشتاقل قلبى إلى مرائك أو أولاك محض الولا

٤ - الشيخ حسن بن محمد بن خلف بن ضيف الدمستاني البحرانى، المتوفى سنة ١٢٨١ هـ.

٥ - الشيخ سليمان بن الشيخ احمد آل عبد الجبار البحرانى القطيفى، المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ.

٦ - الشيخ عبد علي بن الشيخ خلف العصفور البحراني، المتوفى ١٣٠٣ هجرى.

٧ - الشيخ احمد بن الشيخ عبد الله آل دندن الأحسائي. ٨ - الشيخ محمد بن علي البغلي الاحسائي، المتوفى بعد ١٢٤٥ هـ، و هو من شعراء الأحساء و أجلائها اللامعين و تربطه بالترجم علاقة وديه و أدبيه متميزه، و مما قاله المترجم فى رساله بعث بها اليه:

سلام جلا محض الوداد و أغربا و بين صدق الاتحاد و اعربا

و فاح بساحات الصداقه عنبرا و لاح بآفاق العلاقه كوكبا

يخص به منى حبيب مهذب الالبابى ذاك الحبيب المهذبا

(محمد البغلي) من شاع ذكره باقطار أرض الله شرقا و مغربا

و قال فى شأنه أيضا:

يا من أتى من شعره بعزائم سجدت لهن مفالق الشعراء

و تيقنوا أن لا سواك فوحدوا لك مخلصين بغير شوب رياء

قسما بنظمك ذلك النظم الذى ضاعت لديه كواكب الجوزاء

ما اختار شعر سواك فى إنشاده إلا قرين بصيره عمياء

شهادته:

كان عمره حين استشهاده أكثر من ثمانين عاما، و بدأت قصه استشهاده - بنقل أحفاده - كما يلي:

اطلع أحد علماء الوهابيه المتعصبين - و هو قاضى الأحساء الرسمى ذلك الحين - على بعض الكتب العقائديه من تأليف صاحب الترجمة فأثارت غضبه و حنقه لمخالفتها لعقائد الوهابيه، كما حصلت بينه و بين المترجم مناظرات فى مجالس مختلفه أدت إلى هزيمه العالم الوهابى و عجزه عن الرد العلمى، عندها وشى الشيخ الوهابى بالمترجم إلى السلطه الحاكمه آنذاك و حرضها على النيل منه، فما كان من السلطه إلا ان أودعته السجن، حيث لاقى فيه - على شيخوخته - ألوان العذاب و الالهانه.

و بعد مده أطلق سراح المترجم و سمح له بالعوده إلى منزله، و قبل وصوله إلى دار سكناه علم القاضى الوهابى بالافراج عنه فاستشاط غضبا و حقدًا، و أصدر حكما ظالما بقتل الشيخ المترجم أينما وجد، و أمر مناديه أن ينادى فى السوق: "من أراد قصرا فى الجنه فليضرب شيخ الرافضه على بن رمضان!!" و كان المترجم له فى طريقه من سجنه إلى منزله مارا بسوق البلده، فانهاه عليه الأوباش و سفله السوق و القصابون من أتباع الوهابيه، و رشقوه بالحجاره و ضربوه بالحديد و الأخشاب و السكاكين حتى سقط إلى الأرض مضرجا بدمائه، و بينما هو وجود بنفسه إذ قصده أحد القصابين - و اسمه على أبو مجداد - و بيده عظم فخذ

بعير، فـضرب شيخنا الشهيد على رأسه و فلق هامته، ففاضت روحه الطاهره و مضى إلى ربه مظلوما شهيدا صابرا محتسبا.ط.

ص: ١٨٢

١- ديوان الشيخ على الشهيد الرمضان، مخطوط.

و كانت شهادته فى مدينه (الهفوف) بالأحساء حدود سنه ١٢٧٠هـ (١)، و قد رثاه تلميذه الشيخ احمد بن محمد بن مال الله الصفار الأحسانى بقصيده رائعه، وصف فيها الحادث المؤلم و ما جرى لأستاذه من المظالم و القتل بصوره وحشيه، فقال:

أصابنا حادث الأقدار بالخطب و شب نار لظى الأحزان فى اللب

من حين أخبرنا الناعى المشوم ضحى عن مقتل الماجد الموصوف بالأدب

العالم الفاضل الشيخ المهذب ذو الفضل الجلى على عالى الرتب

العابد الساجد الباكى بجنح دجى كهف الأنام و غوث الله فى الكرب

لهفى على ذلك المقتول يوم قضى بين العداه بلا جرم و لا سب

هذا بامر من الطاغوت يحبسه و ذاك يشتمه ظلما بلا أدب

و ذاك يجذبه قهرا بلحيته و ذاك يسحبه جهرا على الترب

و ذاك من حقه أخزاه خالقنا يوجى ضلوع تقى طاهر أرب

و جسمه بعد حسن اللحف يلحفه قتام ضرب من الأحجار و الخشب

و الرأس منكشف قد شج مفرقه و شبيه قد علاه عثير الكتب

و الدم يجرى على وجه به اثر من السجود كجرى الغيث فى الهضب

و طالما فى ظلام الليل عفره حال السجود لرب الخلق فى الترب

لله شيخ عزيز فى عشريته يساق فى سوقهم بالذل و النكب

فيا شهيدا قضى فى الله محتسبا و فى الجنان حباه عالى الرتب

و يا هلالا أحال الخسف مطلعته فغاب فى جدث عنا و لم ياب

و كهف عز لأيتام تطوف به رماه صرف القضا بالهدم و العطب

و يا أنيسا أتانا ثم أوحشنا و بحر علم و جود غاب فى الترب

تنعاك كتبك، و المحراب يندب إذ فيه تقوم تناجى الله فى رهب

يا قلب فاحزن على ذاك الفقيد و يا عيني جودا بدمع هامل سكب

هذا، وقد خلف المترجم ثلاثه اولادهم: حسين و محمد و احمد، و منهم ذريته، و من أحفاده المعاصرين الأديب الحاج محمد بن حسين الرمضان بن محمد بن حسين ابن المترجم له، و أخوه الأديب البحاثة الحاج جواد بن حسين الرمضان، و كلاهما من رجال الأحساء البارزين.

علمه و فضله:

كان عالما فاضلا جليل القدر، له بين أقرانه المقام الشامخ و المكانه الساميه، و عرف عنه شده تورعه و تقواه و كثره عبادته و تهجده لله تعالى، و قد مر فى القصيده السابقه ما يشير إلى بعض صفاته و مزاياه.

و قال فى شأنه أيضا صاحب "أنوار البدرين": "و من أدبائها و علمائها (الأحساء) ابنه - أى ابن الشيخ محمد الرمضان المتقدم ذكره فى الكتاب - الشيخ على من العلماء العاملين و العباد المعروفين، و له يد قويه فى الشعر، قتل شهيدا فى الأحساء فى ملك الوهابيه ظلما و عدوانا، كما قتلت ساداته خير الخلق فضلا و شانا". (٢)

و قال فى "شهداء الفضيله": "العالم البارع الشيخ على بن عبد الله (٣) بن رمضان الأحسائي، أحد الاعلام المبرزين فى العلم، ضم إلى علمه الجرم ورعه الموصوف، و له من الأدب العربى قسطه الأوفى، و فى صياغه الشعر له يد قويه، قتل شهيدا فى (أحساء) على ملك الوهابيه ظلما". (٤)

أما أستاذه السيد حسين بن السيد عيسى بن السيد هاشم البحرانى - صاحب كتاب "البرهان" - فقد قال بشأنه هذه الأبيات:

أسنى سلام و ثناء و دعا من مخلص ما وده بمدعى

لمن علا و جل قدرا و سما و داس بالكعب على هام السما

و من له ابدى النهى وفاقا حتى سما بنى النهى وفاقا

و رق لطفا و صفا و راقا حتى غدا يطرز الأورقا

ذو أدب أصبح كل ذى أدب لنحوه يقصد من كل حذب

مفحم كل ناظم و ناثر فى وصف ما حواه من ماثر

أعنى عليا ذا العلا و السؤدد نجل سمي المصطفى محمد

(٥) ط.

١- فى شهداء الفضيله، ص ٣٦١: أن المترجم استشهد فى الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجرى، و هو خطا حتما، و الصحيح ما ذكرناه.

٢- أنوار البدرين: ٤١٦-٤١٧.

٣- الصحيح ان اسمه: على بن محمد بن عبد الله... و هذا واضح و ثابت عند أحفاده و مثبت فى مؤلفات المترجم الخطيه.

٤- شهداء الفضيله: ٣٦١.

٥- ديوان المترجم المخطوط.

من آثاره:

قال حفيده الأديب محمد حسين الرمضان - فى كتابه الخطى "التعريف بال رمضان "-: "له عدة مؤلفات" لكن لم نطلع - مع الأسف - على شىء من مؤلفاته، و لم يبق منها سوى كتابين هما:

١ - ديوان شعر، كبير فى مجلدين، فقد منه المجلد الأول، و المجلد الثانى يضم نحو ألفى بيت.

٢ - الكشكول، فى مجلدين أيضا.

و كلاهما موجودان عند أحفاد المترجم فى الأحساء.

شعره:

له شعر كثير فى أهل البيت (ع) و مدحهم و رثائهم، و كان يعد فى عصره من الشعراء و الأدباء البارزين، و يضم ما بقى من ديوانه نحو ألفى بيت فيه الغزل و الفكاهة و المديح و الرثاء و مواضيع أخرى، و هذه نماذج من شعره:

قال فى رثاء سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين (ع):

طلع المشيب عليك بالإنذار و أراك منصرفا عن التذكار

جدلان بالعصيان مسرورا به متهاونا أبدا بسخط البارى

حتى كان الشيب جاء مبشرا لك بالخلود فأنت فى استبشار

يا راكضا ركض الجواد بلهوه متحملا بالذنب و الإصرار

حتى م أنت ببحر غييك راكس أ أمنت و يحك سطوه الجبار؟!!

مهلا ألم تعلم بانك ميت و مخلد فى جنه أو نار؟!!

أ تغرك الدنيا و أنت خبرتها علما بما فيها من الأقدار؟!!

دار حوت كل المصائب و البلا و الشر و الآفات و الأخطار

الله ما فعلت و هل تدرى بما فعلت بعتره أحمد المختار

سلبتهم ميراثهم و نفوسهم ظلما بايدى معشر فجار

و أجل كل مصيبه نزلت بهم رزء الحسين و رهطه الأبرار

تلك الرزیه ما لها من مشبه عمر الزمان و مدہ الأعصار

تالله لا أنساه يقدم فتيه كالأسد يقدمها الهزبر الضارى

حتى أتى ارض الطفوف فلم يسر عنها لمحتوم من الأقدار

فعدت عليه من العراق عصابه من كل رجس فاجر غدار

منعوا عليه الماء حتى كظه و قبيله حر الأوام الوارى

فأجابهم و هو ابن بنت محمد

(الموت اولى من ركوب العار)

تأبى ركوب الذل منا أنفس طهرت و نلناها من الأطهار

إلى ان يقول:

و بقى ابن خير المرسلين مجاهدا فردا بذاك العسكر الجرار

و يقول للأخت الحزينه زينب و دموعه كالوابل المدرار

أوصيك بالأيتام لمى شعثهم و تطفى لكبارهم و صغار

و إذا رأيتى جثتى فوق الثرى تذرى عليها للرياح ذوارى

فتجلدى لا تشمتى أعداءنا و تمسكى بسكينه و وقار

و ثنى العنان إلى الطغاه تراه فى ليل الوغى كالكوكب السيار

و يكر فيهم تاره فتراهم قطعاً بحد الصارم البتار

ابدى لهم و هو ابن حيدر فى الوغى حملات والده الفتى الكرار

حتى إذا روى الصوارم و القنا منهم و ألحقهم بدار بوار

وافاه سهم خر منه على الثرى كسجوده لله فى الأسحار

ثم يقول:

أأخى من ذا بعد فقدك يرتجى لقراء ضيف أو حمايه جار
ثم انثنت تدعو الرسول محمدا تنعى له السبط القليل العارى
و تقول يا جداه هذا السبط قد قتلوه عطشانا غريب ديار
هذا حبيبك بالطفوف مجدل تجرى عليه الخيل جرى مغار
هذى نساؤك يا رسول الله فى كرب الخطوب شواخص الأبصار
و فى آخرها يقول:

يا آل بيت محمد إني لكم عبد و ما فى ذاك من انكار
منى لكم محض الموده و الولا و النصح فى الإعلان و الأسرار
إذ حبكم فى الذكر مفروض و فى ما جاء من متواتر الأخبار
و لكم بيوم البعث من رب الملا أمر الشفاعة فى ذوى الأوزار
فلى اشفعوا و لوالدى و اسرتى و السامعين مصابكم و القارى
و إليكم الجانى (على) زفها عذراء قد خلقت من الأفكار
ألبستها - و بكم تعالى قدرها - من ذكركم حللا من الأنوار
فتقبلوها جاعلين صداقها أن تسكنونى منكم بجوار
و عليكم صلى المهيمن ما ابتغى لكم بسيل المكرمات مجارى
و له أيضا مادحا أهل البيت (ع):

ما لى أراك بسكره الإغماء أذكرت جيرانا لى (الأحساء)
ما شام طرفك بارقا من نحوهم إلا انثنى كعوارض الأنواء (1)
لولا نواحك ما اهتدى لك مدرك كلا و لم تحسب من الأحياء
لم تترك الأشواق منك لعله مأوى تحل به و لا لشفاء

يا عاذلى أتعبت نفسك ناصحا لمتيم لم يصغ للنصحاء
مالى وللعدال لا سقيا لهم أنا قد رضيت بعبرتى و بدائى
استودع الرحمن ب (الهفوف) من (هجر) اهيل موده و وفاء
قوم هجرت لهم و سادى و الكرى و وصلت فيهم لوعتى و بكائى
يا جيره (الأحساء) هل من زوره أحيأ بها يا جيره (الأحساء)
يا جيره (الأحساء) هل من زوره تمحو ظلام اليبين بالأضواء
أنا فيكم صادى الحشاشه فاسمحو لى من وصالكم بعذب الماء
أنتم منأى من الزمان و بعدكم كدرى و قربكم الشهى صفائى
لا شىء احلى فى فمى من ذكركم إلا مديح الساده النجباء
أهل الجلال أولو الكمال و خيره ال متعال من ارض له و سماء
آل النبى الطهر زينه يثرب و جمال من قد حل بالبطحاء
غوث الأنام و غيثهم و عمادهم و ملاذهم فى شده و رخاء
نزل الكتاب بدورهم فى فضلهم و الأنبياء حكته فى الأنبياء
خزان علم الله موضع سره أمناؤه فى الجهر و الإخفاء
سل عن مناقبهم عدوهم تجد ما تبتغى منها لدى الأعداء
و اسمع من الصلوات ما يتلى بها من فضلهم و اسمع من الخطباء
أبداهم الرحمن نور هدايه إذ جاش ليل الكفر بالظلماء
و قضى محبتهم و طاعتهم على الثقلين من دانى المحل و نائى
يا ليت شعرى كيف يقدر قدرهم قولى و لو بالغت فى الإطراء
ما ذا أقول و ما عسى أنا بالغ من وصفهم فى مدحتى و ثنائى

تلک المناقب ما لها عدو و لو كانت مدادا لجه الدأماء (٢)

يا سادتی یا ال طه أنتم أملی و ذخری فی غد و رجائی

أعددت حبکم لنیل سعادتی فی النشأتین معا و محو شقائیر.

ص: ١٨٥

١- شام: ای نظر، و العوارض: جمع عارض و هو السحاب، و الأنواء: المطر.

٢- الدأماء: هو البحر.

فتشفعوا في عبد عبدكم و في آبائه طرا مع الأبناء
و عليكم صلى و سلم خالق أنتم لديه أكرم الشفعاء
و له أيضا في مدح الامام على (ع):
تفرقت في الأنبياء البره فضائل تجمعت في حيدر
و محكم الذكر بهذا شاهد ينقله و السنه المطهره
قد استوى الولي و العدو في أوصافه فجل مولى صوره
انظر إلى الدين تجد لواءه هو الذي من طيه قد نشره
و انظر إلى الكفر تجد عموده هو الذي بذى الفقار بتره
سل عنه عمرا من يرى وريده و مرحبا من بالتراب عفره
و استخبر الجيش غداه خبير من الذي إلى اليهود عبره
أثابه الله به لصدقه و الصدق لا بد له من ثمره
و كم له من آيه بينه في الدين أضححت في الملا منتشره
و قد أراد الله ان يظهره فهل يطيق أحد أن يستره؟!
فاستمسكن بحيدر فإنه للعروه الوثقى و مولى البره
و ابشر بجام مترع به (1) من كفه إذا وردت كوثره
و له مخمسا و الأصل لغيره:

بنى المختار فضلكم جليل و في تفصيله ضاق السبيل
و لكنى بمجمله أقول إليكم كل مكرمه تتول
إذا ما قيل جدكم الرسول لكم في مغنم المجد الصفايا
و فصل الحكم في كل الفضايا و أصلكم زكا بين البرايا

أبوكم خير من ركب المطايا و أمكم المطهره البتول

و له أيضا مشطرا البيتين المذكورين:

(إليكم كل مكرمه تثول) فهل عنكم لذي عقل عدول

تهيم بكم ذوو الألباب ودا (إذا ما قيل جدكم الرسول)

(أبوكم خير من ركب المطايا) و ذلك مفخر لكم جليل

و أى فضيله لم تحرزوها (و أمكم المطهره البتول)

فى الغزل:

هواى رضاكم إن تفرقت الأهوا و دائى جفاكم إن تنوعت الأدوا

و وصلكم يا سادتى إن عطفتكم على الواله العانى هو الغايه القصوى

تحكم فى قلبى كما شاء حبكم فحملنى ما لا أطيق و لا أقوى

و عندى شهود من سهادى و مدمعى و سقمى و أشجانى على هذه الدعوى

و فى الحى ظبى لا تزال لحاظه تشن على عشاقه غاره شعوا

له من دموعى مورد غير ناضب و من ربع قلبى ما حييت له مأوى

يقولون بدر التم كفو جماله و هيهات ليس البدر يومه له كفوا

زهى فى محياه من الحسن روضه عليها جفونى تسكب الغيث كالأنواء

عرته من الخمر الشبابة نشوه فراح مدى الأيام لا يعرف الصحوا

يحز بقلبى و هو يلعب لاهيا أ لا يابى من صاحب اللعب و اللهوا

فلو نظرت عيناك حالى و حاله لشاهدت نارا عندها جنه المأوى

شكوت له و هو القضييب صبابه فما مال لى عطفًا و لا رق للشكوى

فيا متلفى رفقا بحال متيم يذوب بأدنى ما تحمله رضوى

كسرت فؤادى و هو ماض بحبه فديتك لم لا فى الهوى تحسن النحوا

و أفتيت يا قاضى الغرام بقتل من تملكته رقا و قد جرت فى الفتوى

و له أيضا متغزلا:

تحملت الهوى و به فسادى و أهملت الحجى و به رشادى

و قادنى الغرام اليه حتى أتيت بكفه سهل القيادى.

ص: ١٨٦

١- جام: الكأس، و مترع: اى ممتلى.

و أهون ما ألقى منه داء تصدع منه أكباد الصلاد
و ب (الأحساء) و هي منى قوم بعادهم نفي عنى رقادى
لهم جفنى القريح يفيض ريا بفيض دموعه و القلب صادى
هيامى فيهم شغلى و دأبى و وجدى منهم شربى و زادى
أحب لأجلهم خفقان قلبى و أهوى فى محبتهم سهادى
و هم حصنى المنيع و هم سنادى و هم ركنى الوثيق و هم عمادى
سقى (الأحساء) باريتها بغيث يمد الخصب من صوب العهاد
فلأحساء ما دامت و دادى و فى أرجاء ساحتها مرادى
و ب (الهفوف) من (هجر) غزال يصيد بطرفه طير الفؤاد
تجور لحاظه ابداء و تسطو على قلبى بأسياف حداد
علقت به و تيمنى هلال محاسنه البديعه فى ازدياد
يضىء الصبح منه تحت ليل بهيم من ذوائبه الجعاد
أغازل منه فى الخلوات طفلا يقود إلى الهوى قلب الجماد
إذا أبدى تبسمه بريقا أهلت مقلتي غيث الفؤاد
و أرشف من مباسمه رضاها هو الخمر المعتق فى اعتقادى
زمان أقول للأيام كوني كما أهوى فتدعن بانقياد
عليه من الملا وقع اختيارى و ما أخطأ و لا كذب انتقادى
لأجل القرب منه فدته نفسى تخيرت التباعد عن بلادى
و ذقت من الشدائد كل طعم و جبت من الفدافد كل وادى
و عمت من السرى و الليل داج بسفن العيس فى لجج السواد

بيت على حدائجها فراشى و يصبح فوق أرجلها مهادى
إلى ان أبلت الأسفار جسمى و أخفانى النحول عن العباد

و صرت كأننى سر خفى بافئده الروابى و الوهاد

فيا و يح المتيم كم يلاقى لمن يهوى من النوب الشداد

فساعد يا إلهى كل صب فانك ذو المكارم و الأيادى

و له أيضا مخمسا:

هوى قلبى الحسان و ما سلاها و كابد للشدائد ما قلاها

وفيت لها و محصولى جفاها و غانيه عدولى فى هواها

عديم حجى بعيد عن صوابه تبدت فى التعطف و التثنى

ترينى لمحه و تصد عنى و حين رأيتها بالقرب منى

كشفت نقابها و أردت أنى أقبلها فقالت: (لا منابه) (١)

و له أيضا هذه الأبيات، و قد التزم جعل مقلوب آخر كلمه من كل بيت أول كلمه للبيت اللاحق:

حجر فى فم من لام على حب ظبى فيه لهو و مرح

حرم السلوان و الصبر امرؤ لبدور التم و الحسن لمح

حمل الحب أديب فاغتندى فى نظام الشعر بيدى ما ملح

حلم الصب على عداله فاغتندى أثقل شىء قد رجح

و له أيضا:

أفدى بنفسى و ما أحويه غانيه مالت لودى و سنى فى الثمانين

ما صدها عن وصالى شيب ناصيتى و لم تقل إن أردت الوصل (مانينى) (٢)

و قال أيضا:

بسهم لحاظه عمدا رمانى غزال فيه جمعت الأمانى

فدیت بمهجتى ظبیا إذا ما أردت الوصل منه قال (مانى) (٣)

و له أيضا فى الحماسه مخمسا، و الأصل ينسب لأحد أبناء الأئمهى.

ص: ١٨٧

١- لا منابه: كلمه محليه تقولها الفتاه فى الإحساء للتمنع و التدلل، و المعنى: لا ما أنا براضيه، و كلمه (راضيه) محذوفه للاختصار.

٢- مانينى: كلمه تمنع و دلال تقولها الفتاه الاحسائيه.

٣- مانى: بمعنى (مانينى) و هى تقال على لسان نساء البحرين و الجنوب العراقى.

(ع):

سما فى المعالى كهلنا و وليدنا و سدنا فأهل الأرض طرا عبيدنا
و لما حوى در المفاجر جيدنا غنينا بنا عن كل من لا يريدنا
و إن كثرت أوصافه و نعوته ملكنا نواصى المجد و الفضل و العلا
و فقنا بنى الدنيا أخيرا و أولا ألا إن من والى فمنا له الولا
و من صد عنا حسبه الصد و القلا و من فاتنا يكفيه أنا نفوته
و له مشطرا البيتين المذكورين:

(غنينا بنا عن كل من لا يريدنا) و إن سار ما بين البريه صيته
علونا فلم نحفل بمن شط و دنا (و لو كثرت أوصافه و نعوته)
(و من صد عنا حسبه الصد و القلا) يسومانه فى الدهر خسفا يميته
و من جاءنا بالود فاز بودنا (و من فاتنا يكفيه أنا نفوته)

(١)

على أكبر بن محمد على:

فاضل عالم بالتجويد و علم القراءات، تعلم القراءه عند الآقا محمد رضا؟، من أعلام القرن الثالث عشر.

له "تجويد القرآن الكريم". (٢)

الشيخ على أصغر بن الشيخ محمد الشكرناى القزوينى

المعروف و المتخلص ب وحدتى:

ولد فى قريه شكر ناب من قرى شرق قزوین بسنه ١٢٨٥ و توفى بقزوین سنه ١٣٥٦ و دفن فى الجانب الشرقى من صحن شاه زاده حسين بن الامام الرضا (ع).

من نوابغ علماء الكيمياء و الرياضيات، فلکى متضلع و شاعر أديب.

أخذ اوليات العلوم فى قريه شكر ناب ثم هاجر إلى قزوین و أخذ المقدمات و العلوم العربيه و فنون الأدب على جمله من أساتذه المدرسه الصالحيه و اولع بالفلسفه و الكيمياء و الرياضيات فأخذها بجد و إتقان و حضر على السيد احمد الطالقانى ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى و سكن كربلاء و تخرج فى الحكمه و الفلسفه على الشيخ الميرزا علامه البرغانى آل الصالحى و أخذ الفقه و الأصول على مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى البرغانى الحائرى آل الصالحى ثم رجع إلى ايران سنه ١٣٢٣ هجرية و استقر فى طهران و تعرف هناك على السيد موسى الزرآبادى القزوینى المتوفى سنه ١٣٥٣ و حضر عليه سنين و اخص به و لازمه و رجع معه إلى قزوین. و اشتهر المترجم له فى قزوین، فكان من أكابر مدرسى الرياضيات فى قزوین.

ترك مؤلفات هامه فى علوم الكيمياء و الرياضيات و غيرها. و ديوان شعر، و منظومه فى العلوم الغربيه، و منظومه فى الكيمياء.

و له رسائل صغيره و منظومات كثيره يطول علينا شرحها.(٣)

الميرزا على محمد بن محمد على الشريف الشريفي الاصبهاني:

من أفضل أوائل القرن الرابع عشر، أديب شاعر بالفارسيه يتخلص فى شعره ب "شريفى".(٤)

على المسكنانى الاصبهاني

فقيه اصولى متبحر، و الظاهر أنه من علماء أصبهان فى القرن الثالث عشر.

له "حاشيه معالم الأصول".(٥)

السيد على بن خان المدنى الشيرازى الشهير بابن معصوم

(٦) ولد فى المدينه المنوره سنه ١٠٥٢ و توفى فى شيراز سنه ١١١٨ و دفن فى حرم السيد احمد بن الامام الكاظم (ع) المعروف بشاه جراغ بجوار السيد ماجد البحرانى.

(المدنى): نسبه إلى مسقط رأسه المدينه المنوره و هذا اللقب هو من أشهر ألقابه و أحبها إليه فيلقب نفسه دائما به كما فى مقدمته لكتابه رياض السالكين.

و (الشيرازى): حيث كان سته عشر جدا من أجداده يستوطنون شيراز و قد اشتهر بهذا اللقب بعد لقب المدنى فى الأوساط الدينيه و العلميه فى ايران.

و (ابن معصوم): نسبه لجدده الأول محمد معصوم صدر الدين و قد كنى نفسه فى مقدمه رياض السالكين به.

و فى الأوساط العلميه فى ايران يعرف بالسيد على خان الكبير - و الكبير هنا من الإكبار و الإجلال، و يعرف بالسيد على شارح الصحيفه.

و أسرته أسره علميه عريقه مشهوره فى التاريخ الإسلامى. برز منهم علماء فى الفلسفه و الأدب و الفقه...

انتشرت فى أماكن عدّه كالحجاز و العراق و إيران و الهند..

و والده هو نظام الدين احمد المولود فى الطائف بالحجاز سنه ١٠٢٧ و عاش مع والده (جد السيد على خان) و تلقى علومه الأوليه فى مكه حتى دعاه سلطان حيدرآباد السلطان عبد الله قطب شاه إلى الهندسنه ١٠٥٥ و عمره ٢٨ سنه فلبى الدعوه و بعد وصوله أسند السلطان

ص: ١٨٨

-
- ١- السيد هاشم الشخص. .
 - ٢- السيد أحمد الحسينى. .
 - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى. .
 - ٤- السيد أحمد الحسينى. .
 - ٥- السيد أحمد الحسينى. .
 - ٦- من الترجمات التى توفى مؤلف (الأعيان) قبل ان يملكها، و عند طبع المسودات التى تركها المؤلف نشرنا ما وجدناه من ترجمته، ثم استدر كنا على ذلك شيئاً من الشعر فى المجلد الأول من المستدر كات. و نشر هنا هذه الترجمة الكامله المكتوبه بقلم الأستاذ محمد العوامى (ح).

عليه تدبير أمور المملكة القطب شاهيه القائمه في حيدرآباد و رشح ليكون وليا للعهد بعد زواجه من ابنه الملك قطب شاه.

و بعد وفاه الملك المذكور تغلب صهره الميرزا أبو الحسن على الحكم فحكم، و أودع السيد نظام الدين احمد و ابنه السيد على خان السجن إلى ان توفي السيد نظام الدين محجوزا في ١٧ صفر ١٠٨٥.

و ارخ وفاته ابنه السيد على خان فقال:

حزنت لموتك طيبه و منى و زمزم و الحطيم

فلذا اتى ببديبه تاريخه حزن عظيم

(١) له ديوان شعر و قصائد كما في سلوه الغريب و اسوه الأريب، و له رساله في التوحيد و رساله في المعاد الجسماني و النبوه.

و والدته هي كريمه الشيخ احمد بن محمد المنوفي المصري امام الشافعيه في الحجاز و المتوفى بدمشق سنه ١٠٤٤ هـ. كان صاحب ثروه.

توفيت عنه والدته و هو في المهد فتولت عمته تربيته.

عقبه:

يقول شاعر هادي شكر: لم يذكر أحد من مترجميه من عقبه شيئا، غير انني وجدت جماعه من العلويين في العراق يعرفون بال السيد على خان ينتمون اليه، و هم يقطنون في الوقت الحاضر في النجف الأشرف، و في طويريج و قال لي أحدهم ان من إخوتهم من يسكنون في أماكن متعدده من محافظات القادسيه و واسط و ديالى، و منهم في بعقوبا السيد عبد الكريم السيد على خان(٢)، و ذكر معاصره صاحب رياض العلماءان للسيد المدني أولادا بشيراز و الصحيح هو ما ذكره صاحب فارسنامه ناصري ان للسيد على خان ابن يسمى مجد الدين محمد. ولد سنه ١١٠٥ هـ في حيدرآباد و انتقل مع والده إلى مكه سنه ١١١٣ هـ ثم إلى شيراز سنه ١١١٧ هـ و توفي و دفن فيها سنه ١١٨١ هـ. (٣) و لمحمد هذا سبعة أولاد معروفون(٤) اشتغل بعضهم بالعلم (كالميرزا محمد حسين والد الميرزا إبراهيم صاحب فصل الخطاب).

و الميرزا حسن المولود بشيراز سنه ١١٨٠ هـ و المتوفى فيها سنه ١٢٣٧ و لميرزا حسن هذا أحفاد منهم ميرزا حسن صاحب كتاب فارسنامه الشهير بالفارسيه و لميرزا حسن هذا اربعة أولاد منهم ميرزا سيد على المولود سنه ١٢٧٠ و الميرزا سيد جواد المولود سنه ١٢٧٣ و اللذان انتقلا لفته زمنيته إلى العراق لطلب العلم و لكنهما عادا إلى شيراز.(٥)

و يذكر الدكتور محمد هادي الأمين اربعة من أحفاد السيد على خان و ذلك في كتابه مع رجال الفكر و الأدب في النجف خلال ألف عام فيذكر منهم: - احمد بن السيد... بن السيد على خان المدني امام الأدب في القرن الحادي عشر و صاحب المؤلفات العتيده - المتوفى... كان عالما فاضلا عبقريا شاعرا ذا مكانه ساميه في الأوساط الادبيه و العلميه، له:

- عبد الحسن بن السيد على آل السيد على خان ١٣٠١ هـ - ١٣٧٦ هـ كان من العلماء الأتقياء سكن - غماس - له مؤلفات فى الفقه والأصول و الاخبار و كتاب فى الادعيه و كلها مخطوطه عند ولده السيد الأجل الفاضل السيد عبد الرسول.

- عبد الحسين بن السيد على [آل] السيد على خان ولد ١٣١٢ هـ - ١٨٩٥ م عالم فاضل مجتهد جليل مثال الفضيله و التقوى و الأخلاق الساميه غادر النجف سنه ١٣٧٠ هـ و سكن ناحيه - بلد - للقيام بامامه الجماعه و الوعظ و التوجيه و الإرشاد له مؤلفات فى الفقه و الأصول.

- عبد الكريم بن السيد على ولد ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م مجتهد جليل عليم فذ اصولى متتبع من أئمه التقليد و الجماعه له إجازة اجتهاد مصدقه من قبل أصحاب السماحه الشيخ آل ياسين و السيد الشيرازى و السيد الحكيم و السيد الحمامى زاهد ورع تقى جامع المعقول و المنقول أبى النفس عفيف الضمير إلى منتهى حدود الشيم و العفه و الاباء يسكن - بعقوبه - له: الحدائق، التبصره، النظرات حاشيه على الكفايه، شرح العروه الوثقى. (٤)

و الأقرب ان الساده عبد الحسن و عبد الحسين و عبد الكريم المذكورين هم أبناء السيد على بن السيد حسن صاحب فارسنامه ناصرى و الله اعلم.

اساتذته و تلاميذه:

اشتغل خلاف فتره صباحه بطلب العلم فى مكه المكرمه إلى ان هاجر إلى حيدرآباد و عمره ١٤ سنه و لكن لم يذكر مترجموه أحدا ممن تلقى علومه عليهم فى تلك الفتره الا عددا محدودا.

و هو يروى عن والده السيد احمد نظام الدين و عن استاذه الشيخ جعفر البحرانى الذى يقول السيد المدنى فيه: شيخى الأفضل، و استاذى الأكمل، مجمع الفضائل و الآداب، و مرجع الأفاضل فى كل باب (٧) وصل الهند سنه ١٠٦٩ و حضر مجلس والد السيد على خان.

توفى سنه ١٠٨٨ هـ فى حيدرآباد بالهند.

و حضر الدرس لدى استاذه الشيخ محمد بن على بن محمود الشامى المتوفى سنه نيف و تسعين و ألف (٨) فاخذ منه علم النحو و البيان و بعض أبواب الفقه و الحساب (٩) و يظهر ان لاستاذه هذا الفضل الأكبر فى تثقيفه و تعليمه لكثيره ما قاله السيد المدنى فى المدح و الثناء عليه و لعله درس عنده بعض فنون الأدب و الشعر و قد أنشده السيد المدنى يوما فقال: ٤.

ص: ١٨٩

١- مقدمه ديوان ابن معصوم ص ٢٤.

٢- رياض العلماء ج ٣، ص ٣٦٥.

- ٣- فارسنامه ناصرى الجزء الثانى ص ٧٧.
- ٤- الكواكب المنشرة فى القرن الثانى بعد العشرة مخطوط.
- ٥- فارسنامه ناصرى الجزء الثانى ص ٩٠.
- ٦- مع رجال الفكر و الأدب فى النجف - فى الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م
- ٧- رحله ابن معصوم ص ٦٦.
- ٨- أنوار الربيع ج ١، ص ٥٠.
- ٩- رحله ابن معصوم ص ٢٠٦.

ما نفثه السحر الا شعرك السامى يا من علا كل نثار و نظام

لانت أفصح من لاقيت من يمن الارأيت الغنى خلفى و قدامى

(١) و يروى عن الشيخ على بن فخر الدين محمد بن الشيخ حسن صاحب المعالم ابن الشهيد الثانى المتوفى سنه ١١٠٤ هـ (٢).

و يروى عنه السيد الأمير محمد حسين بن الأمير محمد صالح الخاتون آبادى المتوفى سنه ١١٥١ هـ و الشيخ باقر بن المولى محمد حسين المكى كما فى الإجازة الكبيره للسيد الجزائرى (٣).

تراثه:

اشتهر فى الوسط الدينى و الحوزات العلميه بكتابه شرح الصحيفه السجديه و كتاب الحدائق النديه.

و اشتهر فى الوسط الادبى بديوانه و كتابه سلوه الغريب و سلافه العصر.

كما لا غنى لمن يبحث فى التاريخ و التراجم عن بعض كتبه كالدرجات الرفيعه و كذا الحال فى اللغه و الطرافه و غيرها واحد و عشرون مؤلفا ذكرها مؤرخوه من تصانيفه لا يزال بعضها مخطوطا و البعض الآخر مفقودا أو ناقصا كما طبع كثير منها فى أماكن كثيره كمصر و لبنان و ايران و العراق و إليك أهمها:

١ - رياض السالكين فى شرح صحيفه سيد الساجدين للإمام على بن الحسين بن على (ع).

و قد اشتهر هذا الشرح فى الأوساط الدينيه حتى عرف السيد المدنيشارح الصحيفه.

٢ - الدرجات الرفيعه فى طبقات الشيعه:

و النسخ المتداوله من هذا الكتاب تحوى فقط على الطبقة الأولى و شىء من الطبقة الرابعه و الحاديه عشر و هى الاجزاء التى عشر عليها دون بقيه الطبقات التى أشار المؤلف فى مقدمته إليها.

و توجد من الكتاب نسخه فى برلين و اخرى فى مكتبه آل كاشف الغطاء بالنجف الأشرف و قد طبع فى المطبعه الحيدريه بالنجف الأشرف سنه ١٣٨٢ هـ ١٩١٢ م فى ٥٩٠ صفحه. و طبعته مكتبه بصيرتى فى قم سنه ١٣٩٧ هـ.

و أعادت مؤسسه الوفاء فى بيروت طبعه سنه ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٢ م.

٣ - الحدائق النديه فى شرح الفوائد الصمديه. و الفوائد الصمديه فى النحو للشيخ البهائى و هو شرحه الكبير لها.

طبع الكتاب سنه ١٢٩٧ هـ طبعه حجريه و اخرى جديده حجريه أيضا طبعتها مؤسسه دار الهجره فى قم المقدسه بايران.

٤ - شرحان - متوسط و صغير على الصمديه و الظاهر انهما مفقودان. (٤) ٥ - ديوان شعره: فى ١٨٣ صفحه متوسطه توجد منه

عده نسخ في العراق. و أكثره مراسلات و مدائح في أبيه و فيه عرسيات كثيره. (٥)

و له شعر كثير لا يوجد في ديوانه منه تخميسه ميميه شرف الدين البوصيري الشهيره بالبرده أولها مخمسا..

يا ساهر الليل يرعى النجم في الظلم و ناكل الجسم من وجد و من الم

ما بال جفنك يذر و الدمع كالغيم أ من تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقله بدم

(٦) و قد حقق شاكر هادي الديوان و طبع في بيروت ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

٦ - سلوه الغريب و اسوه الأريب.. المعروف برحله ابن معصوم.

و هو وصف لما شاهده في رحلته من مكه إلى حيدرآباد سنة ١٠٦٦.

و هو لم يزل حدث السن.

انتهى من تاليفه في جمادى الثانيه سنة ١٠٧٥ هـ و توجد منه نسخه في برلين بالمانيا و اخرى في مكتبه السيد محمد باقر الحجه بكربلاء و ثالثه في طهران لدى السيد محمد باقر بحر العلوم، الكتاب من أشهر كتب المؤلف في الوسط الادبي و تردد ذكره كمصدر ادبي.

يصف السيد المدنى في كتابه هذا المدن و القرى و السكان و المناخ و الماء و الهواء و الجبال و الأشجار و الثمار و الحيوان و المساجد و مراقد العلماء و ترجم بعضهم، و وصف البحار و ما فيها من حيوان و أحجار كريمه و غرائب. فتمق كل ذلك و وشاه بما عرف عنه من القدره على الاستطرد الادبي و الاستدراك العلمى المفيد و أورد الكثير من الشواهد المختاره المفيده نظما و نثرا.. و الحكايات و الفوائد الطريفه المسليه.

و قد قال رحمه الله فيه:

رحلتى المشتهاه تزرى بالروض عند الفتى الأريب

فان تغربت فاصطحبها فإنها سلوه الغريب

(٧) طبع سنة ١٣٠٦ هـ و طبع مؤخرًا في بيروت بتحقيق شاكر هادي شكر.

٧ - أنوار الربيع في أنواع البديع..

فيه شرح لبديعته (١٤٧ بيتا) نظمها في اثني عشر ليله (٨) قارن المؤلف بينها و بين بديعيات جمله من الشعراء الذين تقدموه

كالصفي الحلبي و ابن جابر الأندلسي و عز الدين الموصلي و ابن حجه الحموي و عبد القادر الطبري و شرف الدين المقرئ و غيرهم.

أورد خلال ذلك نجبا من الشواهد الشعرية بلغت أكثر من اثني ٥.

ص: ١٩٠

-
- ١- رحله ابن معصوم ص ٢١٠.
 - ٢- الغدير ج ١١، ص ٣٤٩.
 - ٣- الغدير ج ١١، ص ٣٤٩.
 - ٤- مقدمه ديوان ابن معصوم.
 - ٥- وفيات الأعيان ج ٨، ص ١٥٣.
 - ٦- الغدير ج ١١، ص ٣٤٨.
 - ٧- ديوان ابن معصوم ص ٨٩.
 - ٨- راجع ديوان ابن معصوم لمحققه شاعر هادي شكر ص ٣٦٥.

عشر ألف بيت موارد فيها الحوادث التاريخيه و المسائل الفقهيه و الطرائف الادبيه و قد انتهى من تاليفه سنه ١٠٩٣.

طبع لأول مره فى ايران سنه ١٣٠٤ هـ طبعه حجرىه و الثانىه فى مطبعه النعمان بالنجف سنه ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م بتحقيق شاكرا هادى شكر فى سبعة اجزاء خصص الجزء السابع منه للفهارس.

٨ - سلافه العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر..

و هو مجموعه ادبيه قيمه و يشتمل على تراجم أدباء القرن الحادى عشر و من قاربهم ممن تقدم زمانه قليلا، و هو ذيل ريحانه الألباء لشهاب الدين الخفاجى.

شرح فى تاليفه أواخر سنه ١٠٨١ هـ فى الهند و انتهى فى ٧ ربيع الثانى ١٠٨٢ هـ جمع فيه اخبار المعاصرين و بعض أقوالهم و مؤلفاتهم و أشعارهم و قسمه إلى خمسة أقسام..

الأول محاسن أهل الحرمين.

الثانى محاسن أهل الشام و مصر.

الثالث محاسن أهل اليمن.

الرابع محاسن أهل ايران و العراق و البحرين.

الخامس محاسن أهل المغرب.

طبع فى مصر بمطبعه الخانجى سنه ١٣٢٨ هـ فى ٦٠٧ صفحه و الطبعه الثانىه فى ايران سنه ١٣٨٧.

٩ - ملحق السلافه أو ذيل السلافه و هو تراجم كثيره ألحقها بالسلافه. منها نسخه فى مكتبه السيد المرعشى النجفى فى قم انتهى منه (١٠٨٢ هـ).

و من هذا الكتاب و هو فى مجلدين نسخه فى مكتبه آل كاشف الغطاء.

١١ - نغمه الاغانى فى عشره الاخوان.

١٢ - الكلم الطيب و الغيث الصيب فى الادعيه المأثوره و لم يتمه و هو مطبوع عدة طبعات حجرىه.

١٣ - رساله فى المسلسله بالآباء: شرح فيها الأحاديث الخمسه المسلسله بآبائه فرغ منها سنه ١١٠٩ هـ ١٤ - رساله نفثه المصدور: نوه عنها فى باب الكلام الجامع من كتابه أنوار الربيع حيث قال: "و قد عقدت لكل من ذم الزمان و ذم أبناءه فصلا فى نفثه المصدور و ذكرت فيهما من النثر و النظم ما يشفى الصدور.

١٥ - كتاب محك القريض.

١٦ - المخلاه فى المحاضرات.

١٧ - التذكرة فى الفوائد النادرة.

١٨ - رساله أغلاط الفيروزآبادى فى القاموس، نقل عنه السيد مرتضى الزبيدى فى تاج العروس.

١٩ - موضح الرشاد فى شرح الإرشاد: فى النحو.

٢٠ - حديقته العلم: طبع فى حيدرآباد سنة ١٢٢٦.

٢١ - الزهره فى النحو.

مع الدوله القطب شاهيه فى حيدرآباد

استقر السيد المدنى فى حيدرآباد و قضى فيها ثمانيه عشر عاما (١٠٦٨ هـ - ١٠٨٥ هـ) و حضر مجلس والده الذى عين وليا لعهد السلطان عبد الله قطب شاه المتوفى سنة ١٦٧٢ م - ١٠٨٣ هـ.

و من المؤكد ان مجلس والده كان منتدى للعلماء و الأدباء و الأعيان القادمين من مختلف الأمصار. و قد ذكر السيد المدنى فى كتابه بعضهم و منهم الشيخ محمد بن على الشامى (الآنف الذكر) و السيد عمار بن بركات ابن أبى نمى (١) و الشيخ جعفر البحرانى (الآنف الذكر) و الشيخ حسين بن شهاب الشامى (٢) و الشيخ عبد الله بن الحسين بن شاجل الثقفى (٣).

و تولى السيد المدنى مناصب فى الدوله القطب شاهيه.

بعد وفاه السلطان عبد الله قطب شاه (١٠٨٣ هـ) تغلب صهره الميرزا أبو الحسن المعروف بتاناشاه و كان ضعيفا و آخر ملوك القطب شاهيه حيث هزمه الحاكم المغولى محمد اورنك زيب شاه (٤) فأودعه السجن و انهى دوله القطب شاهيه سنة ١٦٨٧ م.

و قبل ان تهزم الدوله فى عهد أبو الحسن قطب شاه فرضت الإقامة الجبريه على السيد على خان و أبيه الذى توفى محجورا سنة ١٢٠٨٥ هـ.

فاخذ السيد المدنى يكابد و يستغيث النبى (ص) طالبا الفرج فمدح النبى الأكرم و استجار به و أشعر يقول:

طال بى الأسر و طال الأسى و ما على ذلك لى مسعد

قد نفذ الصبر لما نالى و كيف لا يفنى و لا ينفد

فالغار الغاره يا سيدى فانك الملجأ و المقصد

حبك ذخرى يوم لا والد يغنى و لا والده تسعد
و أنت فى الدارين لى موئل إذا جفا الأقرب و الأبعد
فاكشف بلائى سيدى عاجلا عل حرارات الأسى تبرد
و أدنى منك جوارا فقد ضاق بى المضجع و المرقدع.

ص: ١٩١

-
- ١- ترجمته فى سلافه العصر ص و هو سيد جليل القدر أديب شاعر توفى سنه ١٠٦٩ هـ.
 - ٢- ترجمته فى أنوار الربيع ج ١ ص ٥١ توفى سنه ١٠٧٦ هـ.
 - ٣- ترجمته فى سلافه العصر ص ٢٣٧ و نفحه الريحانه للمجيبى ج ٤ ص ١٤١.
 - ٤- (محيى الدين، الملقب عالمگیر) ١٦١٨ م - ١٧٠٧ م سادس و آخر أباطره المغول فى الهند حكم - ١٧٠٧ م (١٦٩٩ [١٠٦٩] هـ - ١١١٨ هـ). عرفت امبراطوريته فى عهده أقصى اتساعها و أسقط الدولتين القطب شاهيه و العادل شاهيه، كان شديد التعصب و العداة للشيعه و غيرهم. و بعد وفاته خلفه ابنه شاه عالم بهادر شاه و كان خلافا لأبيه معلنا و مجاهرا بالتشيع.

و بوأنى طيبه موطننا فإنها لى سابقا مولد

و هى لعمرى مقصدى و المنى لا الأبلق الفرد و لا ثمهد

(١) و بعد وفاه والده فى الحجز نمى له ان القوم يريدون قتله فهرب من حيدرآباد إلى برهان پور التى كان يحكمها فى ذلك الوقت السلطان المغولى محمد اورنك زيب شاه فلاحقه القوم و جدوا فى طلبه و لكن لم يتمكنوا منه فأنشد الشعر قائلا:

و بثوا الجياد السابحات ليلحقوا و هل يدرك الكسلان شاءوا أخى الجد

فساروا و عادوا خائبين على و جى كما خاب من قد بات منهم على وعد

(٢)

إلى الدوله المغوليه فى برهان بور و تلقيه بالسيد على خان

وصل إلى برهان بور بعد ان أفلت من أعدائه كما أسلفنا و استقبله مرحبا سلطانها محمد اورنك زيب شاه و قلده قياده كتيبه من الجيش تعدادها ١٣٠٠ فارس و لقبه بالسيد على خان و هو لقب تشريفى كبير فى الهند يوم ذاك.

و لما ذهب اورنك زيب شاه إلى مدينه احمد نكر شرقى بمبئى بالهند اصطحبه معه و جعله حارسا عليها ثم عينه واليا على حكومه لاهور و توابعها و هى العاصمه القديمه للمسلمين فى الهند.

ثم تقلد رئاسه ديوان السلطان فى برهان پور حتى تكونت حاله ثقه قويه بينه و بين السلطان المذكور يمكن استشفافها من خلال اهدائه للسلطان نظمه فى تخميس قصيده البرده الشهيره للبيصرى حتى قال فى اهدائه:

(و لما انتظم - بحمد الله - عقد ناظمه، و اقترن حسن ابتدائه بحسن ختامه، قدمته إلى الحضرة التى سما ملكها على الملوك، سمو المالك على الملوك، خليفه الله فى أرضه، محبى معالم سنته و فرضه. ظل الله الممدود على الأنام سيف الله المسلول على عبده الأصنام. مؤسس قواعد الدين الحنيف. مشيد عماد المله المنيف. المؤيد بنصر الله فى المحافل و المغازى، أبى الظفر محمد اورنك زيب عالم غير الغازى. لا زالت ألويته بنصره خافقه كقلوب أعدائه، و لا فتئت انديته بذكره منشرحه كصدور أوليائه، و انى ارغب ان يحل هذا التخميس من القبول محل أصله، و ان يجعله من أعظم الوسائل إلى نيل نواله و فضله، و على الله قصد السبيل، و هو حسبى و نعم الوكيل.(٣)

امضى السيد المدنى فى هذه المناصب و غيرها مده طويله ثم طالب الاستعفاء من منصبه و كان ذلك عام ١١١٣ هـ

العودة إلى الوطن

يظهر انه لم يكن على وفاق تام مع السلطان اورنك زيب شاه فى آخر حياته لكبير سنه فنبزه السيد المدنى بالظلم و التغطرس، و الإصغاء إلى أقوال الأعداء، فضاق ذرعا و لم يعد يتحمل البقاء معه فحاول مرارا التخلص منه و الخروج من الهند بالتى هى

أحسن فطلب من السلطان السماح له بالسفر مع عائلته لحج بيت الله الحرام و زياره قبر الرسول الأكرم (ص).

و لقد سجل السيد المدني القلق الذي كان يساوره في تلك الفترة بعده قصائد بنويه طافحه بالالم و مر الشكوى منها بضعه أبيات من قصيده نظمها و هو على ظهر السفينه عند خروجه من الهند يقول فيها: (٤)

إذا ما امتطيت الفلك مقتحم البحر و وليت ظهري الهند منشرح الصدر

فما لمليك الهند إن ضاق صدره على يد تقضى بنهى و لا امر

ألم يضغ للأعداء سمعا و قد عدت عقاربهم نحوى بكيدهم تسرى

فأوتر قوس الظلم لى و هو ساخط و سدد لى سهم التغطرس و الكبر

و سد على الطرق من كل جانب و هم بما ضاقت به ساحه الصبر

إلى ان أراد الله إنفاذ امره على الرغم منه فى مشيئته امرى

فرد عليه سهمه نحو نحره و قلد بالنعماء من فضله نحرى

فأمسيت من تلك المخاوف آمنا و عادت أمورى بعد عسر إلى يسر

(٥) فوصل السيد المدني مع عائلته إلى مكة المكرمة و أدى مناسك الحج ثم زار قبر النبى الأعظم محمد (ص) و قبور أئمه البقيع (ع).

فعمر املا-كه التى فى الحجاز و هى كثيره و أوقفها و ولى عليها أولاده الأكبر فالأكبر كما يذكر حفيده الميرزا حسن صاحب فارسنامه ناصرى الذى قال ان لديه أوراق الوقف و ذكرها بالتفضيل.

العودة إلى شيراز

أراد السيد المدني ان يستقر فى مكة و المدينة التى طالما حن إليهما و لكنه وجد الناس غير الناس الذين فارقهم و الفهم، فلا أصحاب و لا ألفه و كل شىء غريب. فلم يبقى طويلا و غادر مكة و المدينة و هو غير راغب فى مغادرتهم حيث كانت أمنيته ان يبقى فيهما طوال عمره كما يشير فى قصيده له..١.

ص: ١٩٢

١- ديوان ابن معصوم ص ١٣٧.

٢- ديوان ابن معصوم ص ٦٠٦.

۳- تخمیس قصیده البرده للسید علی خان المدنی ص ۱۲ طبعه مؤسسه البعثه بطهران ۱۴۰۴ هـ.

۴- مقدمه دیوان ابن معصوم لشاکر هادی شکر ص ۷.

۵- دیوان ابن معصوم ۱۷۱.

فأبت إلى البيت العتيق مودعا له نويا عودى إليه مدى العمر

و وجهت وجهى نحو طيبه قاصدا إلى خير مقصود من البر و البحر

فتوجه للعراق و زار البصره و النجف و كربلاء و بغداد و سامراء و بعد اقامه قصيره و زياره العتبات المقدسه لم يطب له المقام فيها فسافر إلى خراسان و من ثم إلى أصفهان عاصمه ايران آنذاك بدعوه من شاه ايرانالشاه حسين الصفوى فوصل إليها سنه ١١١٧هـ.

و هناك قدم السيد المدنى كتابه رياض السالكين إلى السلطان الصفوى و لكنه وجد الأمور غير طبيعیه و مضطربه فى العاصمه فقصد مدينه أجداده شيراز و وجدها عامره بالحركه العلميه فاخترها مقرا مؤقتا لسكناه آملا بالعوده إلى الحجاز و انصرف فى التدريس و التأليف فى المدرسه المنصوريه حتى لبي نداء ربه.

ألم الفراق و حنين العوده إلى الوطن

انعكس حبه للوطن و ألمه للفراق و حنين العوده فى مواضع عدّه من شعره و تمتاز مكه المكرمه بمكانه خاصه فى قلبه فيخاطبها عند ما غادرها للهند ملتحقا بوالده:

أ معاد هل يفضى إليك معاد يوما يرغم معاند و عاد

فأفوز منك بكل ما أملتة دخرا [ذخرا] لآخرتى و يوم معاد

و يقول فى مكه أيضا:

فارقت مكه و الأقدار تقحمنى و لى فؤاد بها ثاو مدى الزمن

فارقتها لا رضى منى و قد شهدت بذاك أملاك ذاك الحجر و الدكن [الركن]

فارقتها و بودى إذ فرقت بها لو كان قد فارقت روحى بدنى

و يذكر نجد مستصغرا ارض الهند امامها فيقول:

يقول الهاشمى غداه حزنا بحار الهند نقطع كل وهد(١)

أ تذكر عن هوى تلعات (٢)نجد و اين الهند من تلعات نجد

و فى موضع ثالث يقول عن مكه المكرمه:

خليلى هل عهدى بمكه راجع فقد قلت بالهند منى المضاجع

و هل شربه من ماء زمزم ترتوى بها (كبد) قد أظمانها الوقائع

و هل عامر ربيع الهوى بسويقه (٣) فعهدى بذاك الربيع للشمل جامع

و هل من صفا من سالف العيش بالصفاء يعود لنا يوما فتصفو المشارع

سقى الله ما بين الحجون إلى الصفا مرابع فيها للظباء مراتع

و جاد باجساد (٤) منازل جيره بهن حمام الابطحين سواجع

و حيا الحيا بالمأزمين (٥) معاهدا فما عهدها عندي مدى الدهر ضائع

و يخاطب أهل مكة قائلا:

و حياتكم يا ساكنين أم القرى ما كان حبكم حديثا يفتري

أهوى دياركم التي من حلها حل الجنان بها و عل الكوثر

إلى ان يقول:

لله ايامى بمكه و الصبا تهدي إلى فؤادى مسكا أوفر

أشرى بكل الدهر منها ساعه لو انها مما تباع و تشتري

و يتذكر بحرقة أيام إقامته بالحجاز قائلا:

سقى الله أيامنا بالحجاز و لا جازها الغيدق الهاطل

فما كان ارغد عيشى بها إذ المنزل القفر بى أهل

لقد طال وجدى و ذكرى لها و ليس لعصر مضى طائل

فيها لهف نفسى له ماضيا ترحل و الوجد بى نازل

ترى من عزائى به خارج و داء الاسى فى الحشا داخل

درى ان وجدى به لا يزول و صبرى من بعده زائل

يقولون لى انه خاذل و خير الظبا الشادن الخاذل

أ تعدلنى جاهلا حاله لك الويل يا أيها العاذل

تجيب الصفاه و ليس يجيب و دمعى على و جتى سائل

و يقول فى خاتمه قصيده اخرى:ه.

ص: ١٩٣

١- الوهد: الأرض المنخفضه.

٢- تلعات: جمع تلعه و هى ما علا و ما سفلى من الأرض.

٣- سويقه: اسم لاكثر من موضع فى الحجاز و المقصود هنا بسويقه: حى كان فى مكه المكرمه إلى الشمال من المسجد الحرام و فيه منزل السيد المدنى و لكن دخل مؤخرا هذا الحى فى التوسعه للمسجد الحرام.

٤- أجياد: موضع إلى الغرب من جبل الصفا بمكه المكرمه.

٥- المأزمين (بلفظ التثنيه): موضع بين المشعر و عرفه.

و لآح من الحجاز لنا برىق تلاًلا ىستطىر على حراز(١)

سقى الله الحجاز و ساكنيه و حيا معهد الخلود الكنار(٢)

إلى أهل الحجاز يحق قلبى فوا شوقى إلى أهل الحجاز

و لا يزال الشاعر يعبر نجد جزء من بلده فيشعرها بشاعريته و إحساسه المرهف فيقول:

سل الديار عن أهيل نجد إن كان تسأل الديار يجدى

وقف بهاتيك الرسوم ساعه لعله يطفى لهيب و جدى

منازل قد حزت فيها أربى و نلت سؤلى و قضيت وعدى

ما عن لى ذكر زمان قد مضى بظلمها إلا وهاج و قدى

أصبو من الهند إلى نجد هوى و أين نجد من ديار الهند

و التقى كل رياح خطرت أحسبها ليلا نسيم نجد

آه من البين المشت و النوى كم قرحا من كبد و خد

فهل ترى ينتظم الشمل الذى قد نثرته البين نثر العقد

و هل لأيام الصبا من رجعه أم هل لأيام النوى من بعد

أنوح ما ناح الحمام غدوه هيهات ما قصد الحمام قصدى

أبكى و تبكى لوعه و طربا و ما بكاء الهزل مثل الجد

ظنت حمامات اللوى عشيه فى الحب أن عندها ما عندى

تلهو على غصونها و مهجتى تصبو إلى تلك القدود الملد

شتان ما بين جو و فرح و بين مخف سره و مبد

ما مشربى صاف و ان ساغ و لا عيشى من بعد النوى يرغد

سل أدمعى عما تجن أضلعى فالقلب يخفى و الدموع تبدى

و قال يمدح رسول الله (ص) و يخاطبه:

و قد طال البعاد و زاد شوقيا ليك و عاقنى دهرى و اوانى

فابدلنى ببعد الدار قربا و بوئنى بتلك الدار سكنى

و كانت فرحته كبيره و هو عائد إلى وطنه بعد غربه عنه دامت ٤٧ سنة فأنشد قصيده وصف فيها حاله فى مكه بجوار البيت الحرام
و فى المدينه بجوار النبى المصطفى (ص) فيقول:

اسفت على المرسى بشاطئ جده فجددت الأفراح لى طلعه البر

و هب نسيم القرب من نحو مكه و لاح سنى البيت المحرم و الحجر

و سارت ركابى لا تمل من السرى إلى موطن التقوى منتجع البر

إلى الكعبه البيت الحرام الذى علا على كال عال من بناء و من قصر

فطفت به سبعا و قبلت ركنه و أقبلت نحو الحجر آوى إلى حجر

و قد ساغ لى من ماء زمزم شربه نفعت بها بعد الصدى غله الصدر

هنالك ألفت المسره و الهنا و فزت بها أملت من سالف الدهر

و قمت بفرض الحج طوعا لمن قضى على الناس حج البيت مغتتم الأجر

و سرت إلى تلك المشاعر راجيا من الله غفران المآثم و الوزر

و جئت منى و القلب قد فاز بالمنى و ما راعنى بالخيف خوف من نفر

و باكرت رمى للجمار و انما رميت بها قلب التباعد بالجمر

أقمنا ثلاثا ليتها الدهر كله إلى ان نفرنا من منى رابع العشر

فأبت إلى البيت العتيق مودعا له ناويا عودى اليه مدى العمر

و وجهت وجهى نحو طيبه قاصدا إلى خير مقصود من البر و البحر

إلى السيد البر الذى فاض بره فوافيت من بحر أسير إلى بر

إلى خيره الله الذى شهد الورى له أنه المختار فى عالم الذر

فقبلت من مثواه أعتابه التى أنافت على هام السماكين و النسر

و عفرت وجهى فى ثراه لوجهه و طاب لى التعفير إذ جئت عن عفره.

ص: ١٩٤

١- حراز (كسحاب): جيل بمكه، قاله صاحب القاموس و لم يذكره الحموى.

٢- جاريه كناز (بالكسر): كثيره اللحم صلبه.

فقلت لقلبي قد برئت من الجوى و قلت لنفسى قد نجوت من العسر

و قلت لعيني شاهدى نور حضره أضاءت به الأنوار فى عالم الأمر

أ تدرين ما هذا المقام الذى سما على قمم الأفلاك أم أنت لم تدرى

مقام النبى المصطفى خير من وفى محمد المحمود فى منزل الذكر

رسول الهدى بحر الندى منبع الجدا مبيد العدى مروى الصدى كاشف الضر

هو المجتبى المختار من آل هاشم فى لك من فرع زكى و من نجر

علاقته بوالده

تربط المترجم علاقته وثيقه و حب شاغف بابيه بيتان ذلك فى ديوان شعره الذى حوى على عشرات القصائد و مئات الأبيات و فى مناسبات مختلفه يمدح فيها أبيه و تبتان تلك العلاقة أيضا فى التزامه بأوامر والده حتى لو كان كارها و التى كان أصعبها خروجه من الوطن فهو من جانب كما أسلفنا يحب وطنه حبا جما و من جانب يحب أبيه حبا كبيرا فيقول فى معرض حديثه عن رغبته فى البقاء فى وطنه الحجاز قبال إصرار والده على الخروج منه إلى بلاد الهند: فلم نرى بدا من الاجابه، كى لا نجىء الخطا من باب الاصابه.(1)

و بهذا يلمح إلى انه وقع بين حبين حبه لوطنه و حبه لأبيه فهو يرى ان من الاصابه البقاء فى الوطن الأم و لكن من الخطا ان يخالف رغبه أبيه...

هنا نماذج من شعره التى تعكس العلاقة بينه و بين أبيه من القصائد التى امتدح فيها والده و هو فى طريقه إلى الهند حيث لم يدرك والده بعد و هو فى صباه(2) فيقول:

سريره شوق فى الهوى من أذاعها و مهجه صب بالنوى من أضاعها

أ فى كل يوم للبعاد ملمه تلم بنا لا نستطيع دفاعها

فله جمع فرق البين شمله و ألفه صحب قد أباد اجتماعها

و ساعات انس كان لهوا حديثها سقى الله هاتيك الليالى و ساعها

و لا مثل ليلي إذ تبدت عشيه مددت لها كفى أريد وداعها

و قد أقبلت تدرى الدموع تلهفا إذا هتف الداعى إلى البين راعها

أشاعت بنا أيدي الفراق فأصبحت تؤم بنا شم الذرى و تلاعها

نجوب قفارا ما وقفنا بقاعها و نقطع بيذا ما حللنا بقاعها

تميل بنا الأكوار ليلا كأننا نشاوى سلاف قد أدمنا ارتضاعها

إذا نفحتنا نسمة حاجرته أجدت و هاجت للنفوس التباعها

فمن مهجة لا يستقر قرارها و من كبد نخشى عليها انصداعها

تجادبنا فضل الأزمه ضمير أهاج نزاع البين وجدا نزاعها

نفيس بها طول الفلاه و عرضها إذا هي مدت للمسير ذراعها

و يقول فيه مادحا:

على باب ابن معصوم أنخنا ففرنا بالنجاه و بالنجاح

هو ابن عطاء(٣) المعطى كثيرا لنا من جوده ابن أبى رباح

و قال موريا:

رأيت قوما من بنى هاشم دنوا من العليا و ما ابعدوا

و قد وصفوا بالحمد آباءهم و أظهروا فى المجد ما شيدوا

حتى إذا ما سألوا عن أبى قلت لهم ان أبى احمد

و قال يخاطبه و قد زاره:

أ مشرفا قدرى بسعد قدومه تفديك نفسى من شريف ماجد

البر حقك سيدى فبرزتنى متفضلا فأعجب لبر الوالد

و مما قاله فى قصيده يرثى والده بها:

قد كنت بى برا و كنت مواصلا و جميل برك كافل لى كاف

فاليوم ما لك قد أطلت تجنبي و هجرتنى هجر الحبيب الجافى

أجفا و ما وعدتني منك الجفا و عظيم حزني ليس عنك بخاف

و قال عبد الفتاح المصرى من مقال له:

و ألفاظ النوى و البعد و الفراق و ما إليه كثيره الورود فى شعر ابن معصوم، و ما ذاك إلا لصلتها الوثيقه بحالته النفسيه، تلحظ هذه الكثره.

ص: ١٩٥

١- رحله ابن معصوم ص ٣٧.

٢- ولد السيد المدنى ١٠٥٢ و سافر والده إلى الهند فى فيكون عمر السيد المدنى سنتان حين سفر والده إلى الهند و هذه القصيده قالها فى طريقه إلى الهندسنة ١٠٦٦ و هو لا يزال فى صباه.

٣- ابن عطاء: واصل بن رباح: اسمه عطاء.

فى الأبيات السابقة، و تلحظها أيضا فى هذه الأبيات:

آه يا جبل النوى ما أطولك قطع الله زمانا وصلك

حكمت بالبعد أسباب النوى و قضى فينا بما شاء الفلك

هل نرى بعد التنائى و النوى رجعه يحيا بها من قد هلك

إلى جانب هذا و ذاك ترى لابن معصوم بعض أبيات فى الوصف كقوله:

ألا رب ظبى كالهلال جبينه رمانى بسهم من جفون فواتر

يشير بطرف، و هو يرتاع خيفه كما ارتاع ظبى خوف كفه جازر

و عيناه مملوءان دمعا كترجس عليه سقيط الطل ليس بقاطر

و قوله فى وصف القهوه و هو من أول نظمه:

يا قهوه قشريه حكمت النضار بلونها

و لكم حباك حبابها بخلاصها و لجينها

جليت على مصونه بزفافها و بصونها و كان كل حبابه ترنو إلى بعينها

و إلى جانب هذا اللون من الشعر كان لابن معصوم فى كتابه أشعار قالها فى مدح بعض كبار العلماء و الأدباء الذين أخذ العلم عنهم أو لقيهم فى الهند، يقول مثلا فى مدح جعفر البحرانى ذى العلم الغزير و الفضل الكبير:

هو طود علم لا يبارى رفعه و محيط فضل لا يزال مديدا

أحيا رباع المكرمات بفضله من بعد ان كانت مهامه بيذا

و اليه القى الفضل صعب زمامه و دنا له طوعا و كان بعيدا

كم حجه فى الخلق شاد عمادها كرها و أرضى العدل و التوحيدا

ثقه الإسلام الميرزا على التبريزى بن موسى:

ولد سنة ١٢٧٧ و استشهد سنة ١٣٣٠.

مرت له ترجمه موجزه فى المجلد الثالث من (المستدركات) و نزيد هنا على ما هنالك بما يلى:

أحد مشاهير العلماء فى العهد القاجارى. و هذه العائله فى الأصل هى من خراسان ثم هاجرت إلى تبريز فأقامت فيها. درس الأدب على أدياء العصر فى تبريز و درس العلوم الإسلاميه على جده. و سافر فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى إلى العتبات المقدسه فحضر درس الفاضل الأردكانى، و الشيخ زين العابدين المازندرانى و الحاج الشيخ على اليزدى حتى أكمل دراسته الحوزويه. فعاد إلى وطنه تبريز، و إضافه إلى تضلعه فى الفقه و الأصول و الحكمة و الكلام كان بارعا فى التاريخ و الجغرافيا و النجوم و الأدب و علم الرجال و كان متمكنا من اللغات الفارسيه و العربيه و التركيه و الفرنسيه، و ينظم الشعر و يجيد الخط.

كان ثقة الإسلام التبريزى من دعاه التحرر فى صدر المشروطيه، و من هنا نشط فى تبريز لسنين طويله من أجل الحريه و استقرار حكومه المشروطه، حتى ضحى بنفسه فى سبيل ذلك، و قد ورد نشاطه و فعالياته التحرريه فى كتاب بعنوان (حياه الشهيد ثقة الإسلام التبريزى). (1)

من تأليف نصرت الله فتحى تنظيم فى ٧٧٦ صفحه و طبعته فى طهران، مؤسسه نوريانى الخيري له لقد انتهى امر المترجم باعدامه شنقا عن عمر ناهز الثالثه و الخمسين و تم تنفيذ الحكم به فى المعسكر الحكومى فى تبريز بعد مقاومه عنيفه منه و من عدد من المجاهدين الشجعان للروس الذين احتلوا تبريز للقضاء على الحركه الثوريه فيها.

و قد كتب احمد كسروى عن نهايه حياه ثقة الإسلام التبريزى فى كتابه (آذربايجان فى ثمانى عشره سنه أو قصه الابطال) فقال: "...ان ما يظهر عظمه هذا الرجل أكثر هو صموده البطولى فى القنصليه و غابه الشمال... لقد كان هذا الرجل عاقلا، عالما، مجبا للخير و الإحسان..." و قد ورد الحديث عن التحرر الفكرى لدى ثقة الإسلام التبريزى فى كتاب حياه الشهيد نقلا عن أحد المعاصرين له حيث يقول: "فى الوقت الذى كانت النزاعات قائمه فى تبريز بين الشيخيه و المتشرعه، ذهبت ذات يوم إلى ثقة الإسلام و قلت له: جئت أستشيرك فى اى الفرقتين اتبع، المتشرعه أم الشيخيه؟ فضحك و قال:

لا تكن شيخيا و لا متشرعا، بل اذهب و كن إنسانا، فان تكون إنسانا امر فى غايه العسر" و حين نأخذ بنظر الاعتبار ان والد ثقة الإسلام كان من زعماء الشيخيه، نرى حينئذ ان قوله السابق دليل واضح على مدى تحرره الفكرى من هنا كتب مؤلف تاريخ المشروطه عنه قائلا: "سعى هذا الرجل الصالح منذ البدايه إلى التقليل من توتر العلاقات و العداء بين الشيخيه و المتشرعه، و أظهر نقاءه و طهارته فى ذلك منذ الخطوه الأولى" (انتهى).

و نذكر فيما يلى أسماء مؤلفاته:

(رساله لالان) و فيها يبحث بعض القضايا السياسيه و الاجتماعيه، و يبين أفكاره التحرريه، فرغ من تأليفه عام ١٣٢٦ هـ و طبع فى نفس العام فى اسطنبول (مجموعه برقيات، طبع فى تبريز)، و يرجع أكثرها إلى فتره المشروطه ترجمه (بحث الشكوى) لآبى النصر محمد بن عبد الجبار العتبى، امثالاً لطلب أمير النظام حسن على الكروسى، حين أصبح محافظا لولاية آذربايجان، و قد طبع فى تبريز (إيضاح الأنبياء فى تعيين مولد خاتم الأنبياء و مقتل سيد الشهداء)، و قد اشتغل فى تأليفه فى أوج حركه المشروطه و انقلاب الأوضاع فى تبريز (عام ١٣٢٩ هـ)، و قد طبع فى تبريز عام ١٣٥٢ (تاريخ الأمكنه الشريفه و مشاهير الرجال)،

في ٤٣ صفحة، وقد طبع في تبريز (مرآة

ص: ١٩٦

١- زندگینامه شهید نیکنام ثقه الإسلام التبریزی.

الكتب أو أسماء الكتب) فى سبعة مجلدات، و هى بيان لتراجم و آثار و مصنفات علماء الشيعة (المراسلات و المنشآت) (كتاب تسهيل الزيغ الهندى أو تسهيل زيغ محمد شاه الهندى) فى ٣٨٠ صفحة، و هو مكتوبات بخط جميل، و محفوظ لدى مكتبه مجلس الشورى - رساله (اگر ملت) أو (اگر ما آذربايجانيان) (السياسيه الإسلاميه) (تاريخ السيد حمزه و طاق شاه على و غيرهما) (و آگون ملت به كجا مى رود) (١) (ظلم الوالد لولده) (رساله السياسيه) (المشروطه أم المشروعه) (حواشى و شروح) (علم الرجال) (الحرب الخاصه) كتاب (مجمل الحوادث اليوميه للمشروطه) و هى تسجيل لما جرى من هذه الأحداث فى تبريز من رجب ١٣٢٤ إلى السادس من محرم ١٣٣٠ هـ.

و إضافه إلى النثر ترك آثارا منظومه باللغتين الفارسيه و التركيه. (٢)

الشيخ على الميانجى:

فقيه اصولى طويل النفس فى كتاباته، من أعلام القرن الثالث عشر و كان يقيم بكرىلاء.

له "مشارك الأصول فى حل مغارب الفروع" كتب بعض مباحثه فى سنه ١٢٦٣. (٣)

السيد على الهمذانى ابن السيد شهاب الدين:

ولد سنه ٧١٣ فى مدينه همذان و توفى سنه ٧٨٦.

هو من سلاله أمراء طبرستان، و قد أخذ عن خاله علاء الدوله السمنانى، ثم التحق بحلقه تلاميذ الشيخ تقى الدين أبو البركات على دوستى، و قام برحلات إلى كشمير و بلتستان و غيرهما و فى سنه ٧٨٦ انقطع إلى الصوفيين و لكنه لم يطل الأمر حتى توفى.

من مؤلفاته: الناسخ و المنسوخ فى القرآن، و أحكام القرآن، و فرهنگ در مفردات، و روضه الفردوسى، و الإنسان الكامل (فى السيره النبويه) و غير ذلك.

الشيخ على بن يوسف بن على بن محمد العاملى:

عاملى المولد و المنشأ نجفى الموطن و المسكن، أديب فاضل شاعر، كتب نسخه من "شرح مختصر الأصول" للقاضى عضد الدين الايجى فى يزد بخدمه النقيب شاه عبد العلى الحسينى و أتمه فى يوم الأربعاء ١٩ ذى الحجه سنه ٩٩٣، و كتب فى آخره من نظمه:

يا قارئ الخط بعدى إرثى لفقرى و جهدى

و ابعث إلى دعاء يهبط إلى بلحدى

لعل ربي يهب لى ما كنت أخفى و أبدى

السيد يادعلى بن ممتاز على الحسنى الواسطى البارہ اى البرستاڤادى الهندى:

زيدى النسب و هندی المولد و المسکن، و هو أخبارى المسلك يتحامل على المجتهدين و يعدهم خارجين عن طريقه المذهب.

تتلمذ على ميرزا محمد النيسابورى الأخبارى فتأثر بآرائه و التزم طريقته فى سب العلماء الذين يخالفونه فى الرأى.

له "تحفه الاخوان در رجم شيطان" الملقب بكشف الحال از أهل بدعت و ضلال.

و هو من رجال القرن الثالث عشر. (٥)

عماد الدين اللاهورى:

ولد فى لاهور (الباكستان) و توفى سنة ١٢٩٧ فى مدينه مشهد (ايران) كان فقيها محدثا زاهدا.

درس فى (مشهد) ثم فى أصفهان ثم فى كربلاء، و كان استاذه فى كربلاء السيد إبراهيم القزوينى.

له من المؤلفات، المنهل الرائع فى شرح الشرائع.

ملا عنايت على شاه بخارى بن السيد مرتضى شاه:

ولد سنة ١٢٨٧ فى البنجاب بالهند و توفى فيها سنة ١٢٨٨.

كان والده من فضلاء سيالكوت. و قد نشأ هو من صغره مولعا بالخط فأجاد كتابته، ثم كان من ابرز صحافى الشيعة فى الهند إذ أصدر فى (سيالكوت) جريده (در نجف) اسبوعيه و فى سنة ١٩١٧ نقلها إلى لاهور و شيد لها بنايه خاصه.

و كان ظفر على خان يصدر فى لاهور جريده (زميندار) و يفترى فيها على الشيعة، فاصدر المترجم جريده (جواب زميندار) و كتب كلمه (جواب) بحرف صغير، فاختلط الأمر على الناس و صاروا يشترى الجريدتين على انهما جريده واحده، و بذلك انتشرت جريدته بسرعه و راجت رواجا كبيرا حمل ظفر على خان على الكف عن الافتراء على الشيعة. فلما تحقق الغرض أوقف المترجم جريدته و ظلت (در نجف) تصدر اسبوعيه حتى سنة ١٩٣١ فجعلها يومية و جعل عنوانها (ديلى بنجاب تايمز) و إلى هذا كان فاضلا مناظرا شاعرا مؤلفا. و من مؤلفاته: (ذو الفقار صفورى [صفدرى]).

السيد عنايه على السامانى بن كرم على:

ولد سنة ١٢٥٤ فى الهند و توفى سنة ١٣٢٤ فى تنباله (الهند).

ولد فى بيت علم و دين، و درس دراسته الأولى على بعض أجداده الصالحين حتى بلغ الخامسة عشره من عمره فسافر إلى النجف لمتابعه دراسته و ذلك فى عصر الشيخ مرتضى الأنصارى الذى عنى به و اجازته كما اجازته غيره من كبار العلماء. و عاد

بعد ذلك إلى لكهنو فكان فقيها واعظا خطيبا مناظرا، شاعرا باللغات الثلاث: العربية و الفارسيه

ص: ١٩٧

١- عربه الأمه.. إلى اين.

٢- الحركات الفكرية في ايران.

٣- السيد أحمد الحسيني.

٤- السيد أحمد الحسيني.

٥- السيد أحمد الحسيني.

و الأردويه، و لكنه لم يجمع شىء من شعره فى ديوان.

و قد اهتم بإنشاء المساجد و الحسينيات و تعمير ما تهدم منها. و كان من اخصاء السيد حامد حسين صاحب كتاب (عبارات الأنوار) و السيد اعجاز حسين.

ترك أبلغ الأثر فى أهل (بتياله) و (سامانه) و بقيه مدن البنجاب.

و له من المؤلفات بعض الرسائل.

عوض بن حيدر التستري:

متبحر فى العلوم العقلية و النقلية، له ميل إلى العرفان و ينقل بعض أقوال الصوفيه فى مؤلفاته توفى بعد سنه ١١١٣ قابل مرتين نسخه من "روضه الكافى"، إحداهما مع ابنه محمد محسن حيث تمت المقابله فى ٢٦ شهر شعبان سنه ١٠٩٦، و له عليها حواش تدل على تبخره فى علم الحديث. له "گوهر يك دانه" و "الحق اليقين" ألفه سنه ١١٠١. (١)

الشيخ عيد بن الحسين بن عبد الله بن القاسم النجفى:

كتب بالنجف الأشرف نسخه من كتاب "من لا يحضره الفقيه" و أتمها فى الثانى من شهر رمضان المبارك سنه ١٠٤٤، و قرأ الكتاب على الشيخ محمد بن على البنانى فكتب له انهاء فى آخر الجزء الأول بتاريخ عاشر شوال ١٠٤٤ و قال عنه "أنها.. الشيخ البارع اللوذعى و المحقق الألمعى صاحب الطيبه النقاده و القريحه الوقاده الشيخ المجيد عيد..."، و قرأ أيضا من باب المحصور و المصدود منه على الشيخ عيسى بن محمد النجفى فكتب له بلاغا فى آخر كتاب الحج فى شهر رمضان سنه ١٠٤٤. (٢)

الشيخ عيسى اللواسانى بن الشيخ شكر الله:

ولد سنه ١٢٧٧ فى طهران و توفى فيها سنه ١٣٦٤.

نشا برعايه والده المولى شكر الله اللواسانى المتوفى سنه ١٣١٩ الذى كان من مشاهير علماء طهران الأكابر.

كان جل تلمذه فى طهران - بعد قطع مراحل المقدمات - على الميرزا محمد حسن الآشتيانى.

ثم انتقل إلى النجف الأشرف و بقى بها عشر سنوات، فتتلمذ فى الفقه و الأصول و غيرها على المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و الحاج ميرزا حسين الخليلى و شيخ الشريعه الاصفهانى و السيد إسماعيل الصدر و الشيخ محمد طه نجف و السيد محمد بحر العلوم صاحب "بلغه الفقيه"، و كان أكثر استفاداته العلميه من أستاذه الخليلى و شيخ الشريعه.

ثم عاد إلى طهران فى سنه ١٣٢٢، و اشتغل فيها بالوظائف الشرعيه و إرشاد الناس و امامه الجماعة فى مسجد الأسره المعروف ب "مسجد اللواسانى".

و كان يدرس فى بيته فيحضر لديه الطلاب و المستفيدين من علمه ترك بعض المؤلفات الفقيهيه. (٣)

الشيخ عيسى بن علي الأردبيلي:

قابل "الصحيحه السجادية" من أولها إلى آخرها و أتم المقابلة في سنة ١٠٨٢ و اختار لها حواشي تدل على فضل فيه و دقه. (٤)

الشيخ عيسى بن محمد النجفي:

عالم فقيه محدث أديب شاعر، من أعلام القرن الحادي عشر قرأ عليه الشيخ عيد بن الحسين النجفي مقداراً من كتاب "من لا يحضره الفقيه" فكتب له بلاغاً في آخر كتاب الحج منه في شهر رمضان سنة ١٠٤٤. من شعره قوله من قصيده في مدح أمير يسمي نواب دانشمند خان:

عزني جناحك برهه سرب القطا على أحل برقع من ملك العطا

ربعا لدانشمند خان أربعت فيه اليتامي و الضعيف تنشطا

مولي تواضع للاله فزاده ذاك التواضع رفعه و تسلطا

و قال أيضا:

هديه العبد على قدره يرجو بان يقبلها السيد

فالعين مع تعظيم مقدارها تقبل ما يهدى لها المرود

له "راجحه الميزان في معرفه الأوزان" ألفه سنة ١٠٨١. (٥)

الشيخ عيسى بن يوسف بن علي بن عبد الغني الرشتي:

مترجم في "نقباء البشر" ص ١٦٣٥ و "زندگانی و شخصیت شيخ أنصاری" ص ٣٤٧، و نقول:

فقيه جليل، كان يكتب اسمه "محمد عيسى".

له "فضاء الفوائد" رساله كتبها سنة ١٢٨٩ و "مقدمه الواجب" و كتابات فقيهه مبعثره أخرى رأيتها بخطه. (٦)

الدكتور غلام حسين مصاحب:

مجله (كيهان) الشهريه التي تصدر عن دار جريده (كيهان) اليوميه في طهران باللغه الفارسيه، هي مجله ثقافيه تعنى بشتى فنون الثقافه من علم و أدب و فلسفه و تاريخ، و هي من ارقى المجالات الثقافيه و أكثرها نفعا و أوسعها انتشارا.

و من مآثرها انصاف رجال الثقافه بعد موتهم، و إحياء ذكركم، و تخليد فضلهم. و في هذا المضممار دعت إلى ندوه يتحدث حاضروها عن الدكتور غلام حسين مصاحب، فأفاض الحاضرون في الحديث عما عرفوه في الرجل و قد كان من منهجنا في

(المستدرکات) ان نترجم للدكتور مصاحب، و فيما كنا نفتش عن مصادر ترجمته عثرنا على العدد الذي نشرت فيه تفاصيل الندوة في (كيهان)، فآثرنا آخذ ما فيه

ص: ١٩٨

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- السيد أحمد الحسينى.
 - ٦- السيد أحمد الحسينى.

مقتصرين على ذلك فيما نبغيه من ترجمه الدكتور مصاحب.

و إذا كان تصرفنا هذا شيئاً غير مألوف في التراجم، فاننا نؤمن ان الأخذ بغير المؤلف يكون هو الأفضل عند ما يكون الأخذ به هو الأكثر فائده.

افتتح الندوه مقدمها بما يلي(١):

كما تعرفون فان مجله كيهان الثقافيه دأبت على تاديه واجبها بشأن تكريم رجال العلم و أعضاء العائله الثقافيه فى هذه البلاد. و فى هذا المجال تمت دعوه الساده الحاضرين إلى هذا الاجتماع فى سبيل التعريف بالدرجات العلميه و الخدمات القيمه للدكتور غلام حسين مصاحب.

و نحن بدورنا بعد تقديم الشكر للساده الحضور على تلبيتهم دعوتنا نتمنى على الأستاذ احمد آرام ان يبدأ الاجتماع.

احمد آرام: تعرفت إلى الدكتور مصاحب منذ زمن بعيد اى ما يقارب ٦٥ سنه حينما كنت أدرس فى مدرسه دار الفنون. و مما يسرنى انى دعيت فى أول اجتماع فى داره قبل البدء فى تدوين دائره المعارف. رحمه الله على الأصحاب الذين كانوا معنا ثم فارقوا الحياه. و انى لم أر من الدكتور مصاحب الا خيراً، رغم تشدده إذ كان تشدده ضرورياً فى هذا المجال، لان كتابه دائره المعارف ليس بالأمر اليسير، بل هو امر فى غايه الصعوبه، و إذا كان فى البلاد الإسلاميه بعض من سبقنا فى هذا المجال فاننا لم نكن على اطلاع على ذلك، و من ثم فان عملنا كان يتطلب منا جهوداً مضاعفه، و جلسات متكرره استمرت سنوات طوالاً، كنا نستفيد خلالها من فيضه فى نفس هذا المكان حتى فارق الحياه.

محمود مصاحب: ولد الدكتور غلام حسين مصاحب عام ١٢٨٩ و توفى عام ١٣٥٨. (٢) و هو من اسره اجتماعيه و ثقافيه عريقه يعود تاريخ بروزها إلى ثلاثمائه عام، و قد ظهر منها العديد من رجال العلم و الأدب و الفضل، منهم الملا مصاحب الذى كان يعيش فى عصر الشاه عباس، و كان شاعراً معروفاً. و كذلك جده لأبيه الملا ميرزا محمد، و هو من كبار رجال العلم و الدين، و يعد قبره فى تخت تخت فولاذ فى أصفهان مزاراً.

و كذلك الحاج ميرزا غلام على الخطاط الذى كان معروفاً بخطه و معلوماته فى اللغتين الفارسيه و العربيه، و له أشعار و قصائد كثيره باللغه العربيه و كذلك كتب رسائل دونها بهذه اللغه و أبرزها الالفيه التى ضمنها جميع قواعد الصرف و النحو العربى و قد بلغت ألف بيت. إضافه إلى عبرت مصاحبى النائينى الذى احتل مكاناً بارزاً فى الشعر و العرفان.

درس الدكتور مصاحب فى ايران و فرنسا و بريطانيا و حاز درجه الدكتوراه فى الرياضيات عام ١٣٢٧ من جامعه كمبرج و قد طبعت رسالته فى المجلد السادس لمجله جمعيه الفلسفه فى كمبرج عام ١٩٥٠ م. و قد تميز بذكاء خارق، بحيث كان ينهى صفيين كل عام فى مرحلتى الابتدائيه و المتوسطه، و انتهى مرحله الثانويه فى سن ١٦ سنه بمعدل ١٩ من عشرين. و قد القى كلمه حول الاعتماد على النفس فى الاحتفال السنوى، فوصفه وزير المعارف آنذاك بأنه ليس الطالب الأول فى طهران و حسب بل فى ايران أيضاً، و منحه مداليه علميه من الدرجه الأولى. و إذا كان اختصاصه فى الرياضيات، فان ذلك لم يمنعه من التوسع فى العلوم القديمه و الحديثه، إذ لم يكن يجارى فى سعه أفقه، فقد كان يجيد اللغات العربيه و الفارسيه و الفرنسيه و الإنجليزيه

اجاده تامه، و على اطلاع جيد باللغه الالمانيه، و برع إلى حد كبير فى كتب الرياضيات و الفيزياء، و تبحر فى العلوم العقليه و النقليه و علوم اللغه العربيه و العلوم الإسلاميه.

اشتغل الدكتور مصاحب عام ١٣٠٦ فى وزاره المعارف، بمنصب المدير العام للتعليم العالى، و المدير الفنى العام و المعاون الفنى للوزاره، و لكنه لم يأخذ هذه المناصب بجديه و لم ينسق وراء المناصب و فى بدايه تلك الفتره أدى بعض الخدمات الاجتماعيه و السياسيه و اصدر صحيفه، و لكنه ما لبث ان ترك هذا العمل لينصرف للأعمال و النشاطات العلميه، التى لم يغفل عنها حتى فى وظائفه الاداريه.

كان الدكتور مصاحب يشار اليه بالبنان بين الفضلاء و المحققين، و قد نعته العلماء و أساتذته الجامعات و جمعيه المؤلفين و المجلات المعتمبره بالعالم الجامع، و أبى الرياضيات الحديثه فى ايران و ما إلى ذلك من أوصاف تليق بقدره.

كان الشخص الأول الذى يدخل المنطق الصورى بمعناه الجديد اى المنطق الرياضى إلى ايران. و كانت خدمته فى مجال دائره المعارف الفارسيه كبيره بحق، و له آثار قيمه فى بحوث (الآناليزم الرياضيه و نظريه الاعداد و المنطق الصورى فهو جامع فى تأليفاته سهل فى أسلوبه. على أن ما يميز الدكتور مصاحب فى بحوثه شيان: دقته المفرطه فى بحوثه، فهو لم يكن يقبل بالظن و الحدس و التخمين و التقريب، و مثال ذلك كتاب (حكيم عمر خيام به عنوان عالم جبر) الذى عكس كثره التجارب، و أسلوبه العلمى و روح التحقيق لديه.

و الشىء الثانى هو الإبداع و التحديث، و آيه ذلك دائره المعارف الفارسيه فهو يبدي آراء جديده فى مجال رسم الخط الفارسى، و له أسلوب جديد فى وضع الكلمات العلميه الجديده و ترجمه الاصطلاحات الاجنبيه.

و فيما يتعلق باستعمال الكلمات الحديثه لمقابله الاصطلاحات الاجنبيه التى لا بد من استعمالها، كان يرى رأيا خاصا، و من ثم قام بالتنسيق مع عدد من الأدباء و الفضلاء بعقد ندوه اسبوعيه للبحث فى مثل هذه الاصطلاحات، و كان ثمره هذه الندوات كتابا باسم "قاموس الاصطلاحات الجغرافيه" الذى طبع عام ١٣٣٨.

ترك الدكتور مصاحب العديد من المؤلفات، أهمها: مجله "الرياضيات العالیه و المقدماتيه"، (جبر و مقابله خيام) (طهران) و هى تشتمل على الأصل العربى و الترجمة الفارسيه لرساله الخيام فى الجبر و التاريخ و الرياضيات حتى عهد الخيام. و قد عرف لأول مره فى ايران مقام الخيام فى الرياضيات بصوره مستقله. رساله الدكتوراه التى طبعت فى المجلد السادس لمجله جمعيه الفلسفه فى كمبرج عام ١٩٥٠ م.

مدخل إلى المنطق الصورى، طبعته جامعه طهران عام ١٣٣٤ فى ٧٠٠ صفحه. و "حكيم عمر خيام به عنوان عالم جبر" طبع جمعيه الآثار الوطنيه. و "آناليز رياضى، تئورى مقدماتى أعداد" حيث طبع المجلد الأول عام ١٣٥٣ فى ١٣٩٥ صفحه على قسمين، و طبع المجلد الثانى).

١- كل ما نأخذه مترجم عن الفارسيه.

٢- كل ما يمر هنا من تاريخ السنين هو: هجرى شمسى. و لمعرفه مطابقه السنه الهجرىه الشمسيه للسنه الميلاديه نضيف إلى الهجرىه الشمسيه (٦٢١).

عام ١٣٥٨ في ١٨٠٢ صفحه و هو يتضمن ثلاثه أقسام و قد تزامنت وفاته مع الفراغ من طبع الكتاب الأخير. و قد تم طبع الاجزاء الثلاثه من المجلد الثاني بمساعي ابناؤه و اثنين من اصدقائه الأوفياء. و على الرغم من انه كان في جهوده تلك يهدف إلى خدمه العلم و حسب، الا- ان أكثر كتبه و نتاجاته كانت تحظى بالجوائز الأولى كأفضل كتاب للعام في ايران. و لكن تبقى دائره المعارف الفارسيه أفضل انتاجاته. و قد ارتبط. اسم الرياضيات الحديثه في ايران باسمه، و كذلك فان اسم دائره المعارف الفارسيه ارتبط باسمه بحيث أصبح ملازما له.

و قد أوضح بنفسه الخطوط العريضة لآرائه و اعتقاداته في الأمور الثقافيه التي كانت حصيله ٤٠ سنه من التحقيق و التمحيص، حيث ذكر ذلك في الفصل العاشر تحت عنوان الكلمات و الاصطلاحات الحديثه. و بصوره عامه يمكن اعتبار المدخل الذى كتبه في دائره المعارف الفارسيه في ٨١ صفحه شاخصا مهما يدل على خزانة علمه و فكره و رؤيته الثقافيه و يظهر مدى تضلعه في الفكر و العلم. فما نراه في هذا المدخل حول الحروف و الأرقام و علامات الاختصار و الالفباء الصونيه و ضبط الاعلام و سائر الكلمات، و الاصطلاحات و الكلمات الحديثه، و الإملاء و الإنشاء، و رسم الخط و علامات الترقيم و الكلمات اللاتينيه و اليونانيه جاء موافقا للأساليب العلميه الحديثه المتبعه في العالم.

و فيما يتعلق بخصاله الاخلاقيه ارى من الأنسب ان نتحدث ابنته (ترانه).

ترانه مصاحب: تزوج أبى عام ١٣١٦ من امى و كانت ثمره هذا الزواج ٥ أولاد ٣ ذكور و ٢ إناث و كلهم انهوا الدراسه الجامعيه، فاختي و هى أكبر أفراد العائله حصلت على البكالوريوس فى اللغه، و انا ثانى أفراد العائله حزت على درجه الماجستير فى فرع الاداره، و أخى الأول بكالوريوس فى الاقتصاد، و الاثنان الآخران حائزان على درجه الدكتوراه فى الرياضيات من جامعه كمبرج و جامعه وادينبرو. و فى رأيى ان أهم و ابرز خصله فى أبى هى دقته المفرطه و محافظته على النظام فى اعماله. و كل ما عندى من دقه و ترتيب انما هو حصيله الجهود المضمنيه التي كان يبذلها فى سبيل الحفاظ على النظام و الترتيب، و كان لهذا النظام الدور البارز فى دفعى نحو النجاح فى الحياه.

كانت امى تقول له فى بعض الأحيان أزح الكتاب عن وجهك لاراك فانى أخشى ان انسى وجهك. و كان يرشدنا فى كل شئون حياتنا و يقول دائما: لا تخطوا العلم و طلبه مع المسائل الماديه.

و كنا فى سنى طفولتنا ندرس على يديه اللغه العربيه و أذكر ان كتاب نظريه الاعداد كان حين وفاته الفجائيه تحت الصف (صف الحروف) فاتصل بنا المسئول عن الصف طالبا بعض الأوراق، و حين أخبرناه بوفاه الوالد أخذ فى البكاء و أصبحنا فى حيره من أمرنا بشأن إكمال مراحل الطباعه و الاشراف على التصحيح، و لكنى انتبهت حين كنت اقرأ المقدمه إلى ذكر أحد اصدقائه، حيث ذكر انه شجعه على كتابه هذا المجلد، من هنا بادرت إلى الاتصال به و طرحت الأمر بين يديه، فرحب بالأمر و أخذ على عاتقه إكمال الكتاب.

و اننا نرجو من الدكتور زرياب الخوئى ان يحدثنا عن اهتمام الدكتور مصاحب بترائنا الماضى. عباس زرياب الخوئى: كان الدكتور مصاحب بارعا فى العلوم الحديثه و خصوصا الرياضيات، و كذلك فى العلوم الإنسانيه، و لما كنت لا أملك اطلاعا كافيا عن الرياضيات فمن الطبيعى ان ارتباطى به يكون عن طريق العلوم الإنسانيه، و انى أشهد فى ذلك على مدى التبحر و

التخصص الذى تميز بهما فى هذا المجال، حيث كان صاحب آراء و نظريات فى جميع هذه العلوم. و قد شهدت بنفسى كيف كان يرفض بعض المقالات التى يكتبها مؤلفون و أدباء كبار بسبب الاخطاء الموجوده فيها، و كان يصر على رفضها للمره الثانيه و الثالثه كلما وجد فيها خطأ.

و كان فى بعض الأحيان يطلب منهم ان يعيدوا أعمالهم من البدايه.

كان أثناء العمل يطرح مسأله العداوه و الصداقه جانباً، بل كان فى كثير من الأحيان يغضب من اصدقائه و يطلب إليهم ان يعيدوا كتابه موضوعاتهم. و اما الأشخاص الذين عملوا معه فى مجال العلوم الحديثه و المنطق المعاصر فقد كانوا على اطلاع كامل على دقته المفرطه فى هذه العلوم. و لا بد انهم سيتحدثون عن ذلك فى موضعه. و قد كنت أعمل معه فى مجال التاريخ و الفقه و الفلسفه حيث كان يحيل إلى كتابه المقالات فى هذه المجالات، فرأيت اى دقه و اهتمام كان يبذلها فى المطابقه مع المصادر.

كان لقاؤه يذكرنى بالعالم المتضلع فى مجال علمه، المحيط بجزئيات الأمور، فلم يكن يدع شارده و لا وارده الا و أحاط بها، و لا كتاباً أو مصدرًا يتعلق بمجال اعماله الا و كان لديه اطلاع عنه. و يجدر بالذكر انه إلى جانب تشدده فى مجال اعماله، كان غايه فى اللطف و الرأفه و المحبه، فلم يكن يتوانى عن تلبيه طلب لنا إذا كان بوسعه تلبيته.

و قد أدركت خلال الفتره التى أمضيتها معه انه كان ملماً بكل علوم بلادنا.. لقد كان نموذجاً صالحاً لحب العلم و التعلم و عشق البحث عن الحقيقه. و ما المؤسسسه التى أنشأها لدراسه الماجستير فى الرياضيات الا دليل على ما ذهبنا اليه، حيث كانت هذه المؤسسسه وحيده فى مجالها و غايه فى الاهميه و الضروره. و قد كان دقيقاً فى انتخاب طلابها، حيث رفض العديد من الطلاب الذين كانوا بارعين فى تخصصهم. و كان ينسق فى المؤسسسه مع العديد من الاساتذه الأجانب، و من بينهم أستاذ نروجى رأيتة فى مادبه، فعلمت ما يكنه من احترام لمقامه العلمى الرفيع.

و مما يجب ذكره فى حياه الدكتور مصاحب اهتمامه الخاص بتاريخ الرياضيات فى العصر الإسلامى، و بحوثه العميقه و الهادئه، فى هذا المجال التى أظهرت مدى اهتمامه بالتراث الثقافى لذلك العصر. من هنا نرجو من السيد المهندس معصومى الهمدانى ان يتحدث عن هذا الأمر.

حسين معصومى الهمدانى: أود ان أتحدث عن آثار الدكتور مصاحب فى الرياضيات مع مقدمه عن شخصه.

ايران، و يعد من انجح الأشخاص الذين ساهموا فى هذا المجال منذ ما يقارب المائه عام إلى الآن. و ياتى نشاطه فى الرياضيات فى هذا السبيل.

و فى الواقع يمكن القول انه استطاع التعريف فى ايران بالبعد التاريخى [التاريخى] للرياضيات الإسلاميه، الذى لم نكن نعيه اهتماما كبيرا، انما كان الأوروبيون أول من نبه له. فعلى سبيل المثال حينما ألف كتابه "جبر و مقابله خيام" عام ١٣١٧ لم يكن لدينا اى مصدر يتحدث عن تاريخ الرياضيات فى العصور الإسلاميه. و بصوره عامه إذا سئل وقتئذ أحد الدارسين فى المدارس العصريه عن مثل هذا المصدر، فإنه لم يكن يملك جوابا. و كذلك الأمر إذا سئل أحد الدارسين فى الحوزات العلميه، فإنه سيذكر على أفضل الاحتمالات كتاب "خلاصه الحساب" للشيخ البهائى، و إذا سئل اى شخص عن الخيام فإنه سيقول بأنه شاعر، أو حكيم، و بعبارة اخرى لم يكن هناك من يدري ان الخيام كان عالما رياضيا قدم خدمات جليله فى مجال الرياضيات. و فى الحقيقه فان الأوروبيين هم أول من لفت الانتباه إلى المنزله الرياضيه لدى الخيام.

هذا فى الوقت الذى لم يكن الأوروبيون على معرفه بالخيام فى الوقت الذى باشروا اعمال ترجمه الآثار الإسلاميه، حتى انتهوا اليه فى القرن الثامن عشر، فطبعوا له رسالتين مهمتين فى الجبر و قد بادر الدكتور مصاحب إلى نقل هذه الحقيقه التى اكتشفها الأوروبيون إلى الناطقين بالفارسيه بادق صوره ممكنه، ليظهر بذلك أسلوب التحقيق فى تاريخ الرياضيات و بصوره عامه فى تاريخ الفكر، و ليلفت انتباه المتخصصين إلى انه على الرغم من كون هذه الموضوعات ترتبط بنا ارتباطا وثيقا، الا ان البحث فيها لن يؤتى ثماره ما لم يكن بأسلوب عصرى.

أتذكر الآن انى كنت اقرأ فى كتابه الثانى "حكيم عمر خيام به عنوان عالم جبر" الذى هو فى الواقع متمما للكتاب الأول، و قد رأيت كيف يهاجم بعض كبار المعاصرين بشأن تسميه القطع المكافئ و القطع الزائد و القطع الناقص. و حجته فى ذلك ان الآخرين إذا كانوا يبذلون الجهود المضمنيه من أجل إيضاح الأمور بالاساليب الحديثه، فلما ذا لا نستفيد نحن منهم و نكتفى بما ينقل بأسلوب كلاسيكى قديم. و إلى جانب ذلك كان يحذر من الوقوع فى شباك نسبه الفضل كله إلى الايرانيين أو المسلمين، على عكس الذين يتلاعبون و يحرفون الحقائق العلميه كما قال ذلك القائل بان الخيام هو مكتشف الهندسه الغير اقليديسيه إذ ربما يمكن اعتبار هذا القول صحيحا إذا نظرنا اليه من زاويه محدوده، و لكنه إذا لم يوضح فلعله يكون مضرا أكثر من ان يكون مفيدا، و لم يكن الدكتور مصاحب ابدا من هؤلاء الذين يميلون إلى هذا النوع من الاستنتاجات التى ليست الا حصيله المعرفه الخاطئه بتاريخ الرياضيات الإسلاميه، و تاريخ الرياضيات بصوره عامه و الجانب المهم فى الدكتور مصاحب انه لم يكتف ببيان الأسلوب الصحيح للتحقيق فى تاريخ العلوم الإسلاميه. بل قدم نموذجا مهما فى هذا المجال.

و كما اعلم ليس هناك اى اختلاف بين تاريخ الرياضيات الإسلاميه و تاريخ الرياضيات اليونانيه أو رياضيات القرون الوسطى أو تاريخ ما هو متقدم على الرياضيات الحديثه. و لكن هناك فائدتان: الفائدة الأولى تكون عامه و غير ملموسه و لكنها تكون ذات اثر بليغ، كما هو شان اى تاريخ عند ما يتلاقح مع تاريخ آخر فإنه يسهم فى تقويه الهويه الثقافيه و الوطنيه للمجتمع و يصبح للبلاد ميراث متكامل. و الفائدة الثانيه ما يستفيده أهل العلم، و يحدث ان تكون بعض الأفكار عديمه الاهميه، و لكن يحدث أيضا ان تزال الغبار عن بعض الأفكار و تطرح بأسلوب جديد لتكون مفيده كثيرا، و إذا كان هذا نادرا ما يحصل فإنه يبقى ممكنا، و يعد من الفوائد المتوقعه لدراسه تاريخ العلوم. و الأمر الذى لا بد من التأكيد عليه هو ان العلوم القديمه ليست علوما

ابتدائيه كما يعتقد البعض، فلو اعتبرنا بعض ما جاء في (خلاصه الحساب) رياضيات ابتدائيه، فان ما جاء في رساله الجبر للخيام يختلف عن ذلك كثيرا و يعد من الرياضيات العاليه. و لكن مسأله هل انها لا تزال تمتلك الفائده العمليه أم لا، ذلك شىء آخر. و فى الحقيقه فان بعض العلماء، يمكن التمحيص فى تجاربهم و ما توصلوا إليه لاكتشاف المزيد، كما حدث فى دراسه عالم الرياضيات ارخميدس، حيث اكتشف العلماء العله التى عدل بسببها ارخميدس عن استعمال بعض الطرق السهله فى حساب السطح إلى طرق رياضيه شاقه، و فى ذلك فائده علميه كبيره، قد لا تحصل الا نادرا، و لكنها مفيده حين تحصل.

(و هنا طلب إلى الدكتور اسرافيليان ان يتحدث عن مؤسسه الرياضيات، و الدور الذى قام به الدكتور مصاحب فى إدخال الرياضيات الحديثه و نظريه الاعداد إلى ايران).

إبراهيم اسرافيليان: فى الحقيقه كان من المناسب بمكان لو ان الدكتور مصاحب كان قد تحدث بنفسه، و لكن مع الأسف كان يرفض رفضا قاطعا ان يتحدث عن نفسه. بل لم يكن يقبل ان يمتدحه أحد.

و قد رأيت نموذجا من ذلك حين أخذ أحد طلاب دوراتنا يمتدح الأستاذ، فرجع اليه و قطع عليه كلامه، و خاطبه بشده قائلا: أ تريد ان تستغفلى، انى أدرك جهلى أكثر من غيرى، و اعرف كم من الأمور لا أعرفها.. اذهب فى سبيلك!.

انى أتحدث عنه بصفتى تلميذا من تلاميذه، إذ كنت من طلاب دوره الأولى فى المؤسسه الرياضيه، فى عام ١٣٤٥. و لعله كان يدور فى خلدته ان يرسى دعائم هذه المؤسسه منذ زمن بعيد، و يرسى معها دعائم الرياضيات فى البلاد. و قد نشر إعلانا فى الصحف لثلاث مرات يعلن فيه ان من يجتاز امتحان القبول، سيدخل الجامعه (المؤسسه)، و على ما أعرف، فقد تقدمت مجموعتان للامتحان دون ان يجتازه أحد.

و فى المره الثالثه خفض من المستوى المطلوب، فرضى بامثالى. و مع ان المقرر كان عشرين طالبا أو خمس عشر، الا انه قبل سبعة فقط، ثم قبل بثمانيه آخرين بعد ثلاثه أشهر. و كان تشدده فى الأمر كتشدد الأب مع بنيه، و إذا كان الأب يترك بنيه بعض الأحيان فإنه لم يكن ليفعل ذلك.

و أذكر ان أحد زملائى كان منزعجا بعض الشىء منه، فلما حان وقت الوداع، استقبله الدكتور مصاحب بلطف و محبه و أسلوب أبوى، قائلا: لم أكن اقصد الحاق الأذى بكم، بل جل همى هو ان تتعلموا شيئا، و لا تخرجون خلاه الوفاض. كان جادا إلى أبعد الحدود، و يساعد فى الوقت المناسب، و أتذكر انه ذات مره صدمتنى سياره، فكان أول شخص أراه عند رأسى هو الدكتور مصاحب، و ليس أبى أو أخى.

لكتابه مقال، لكانت أفضل المقالات دون شك، و لا أحسب ان أحدا يستطيع انكار ذلك، إذ كان مستوى الرياضيات فى جامعاتنا متدنيا إلى أبعد الحدود فقد أكملت دوره الليسانس فى العام الدراسى ٣٨ [١٣٣٨] / ٣٩ [١٣٣٩] و رأيت كيف كانوا يكتفون بالحد الأدنى من المعلومات حتى أنهم كانوا يكتفون باستخدام المعدلات الرياضيه من الدرجه الأولى و الثانيه، دون التطرق لذكر الرياضيات الحديثه. و لكن بعد مجيء الدكتور مصاحب تغير الوضع تماما و ادخلت معلومات و أساليب جديده استنادا للمقدمات التى طرحها مسبقا، مثل كتاب "مدخل المنطق الصورى"، و هكذا غير البرنامج الدراسى لي طرح برنامجا معدا اعدادا كاملا، و قام بالحاق بعض الدروس التى كانت تدرس فى دورات الماجستير بدورات البكالوريوس، و عمد إلى جميع دروس دوره البكالوريوس فجمعها فى المراحل الأولى منها: و هكذا ارتقى بمستوى الرياضيات إلى درجات أعلى، إضافة إلى ذلك ما قدمه من نتاجات و تأليفات فى مجال الرياضيات، فكتاب "مدخل إلى المنطق الصورى" الذى ألفه عام ٣٤ [١٣٣٤] كان كتابا اساسيا، و خصوصا فى موضوع النظريات القياسيه التى تعد أساسا لكل الرياضيات و الاستدلال. على الرغم من ان تخصصه فى الآنايز، الا انه كان مقتدرا فى المنطق. حيث وضع كتابه فى نظريه الاعداد ضمن خمس مجلدات. و كذلك كانت له اليد الطولى فى الآنايز، و باعتبارى أحد تلاميذه أستطيع القول انه كان مقتدرا فى جميع فروع الآنايز.

و كما ذكر الساده الحاضرون انه لم يكن يتسامح ابدا فى تجاهل الحقيقه أو مغالطتها. و على خلاف الذين كانوا يفتخرون آنذاك بما يسمى بالتطور و التجديد، و ينشئون يطعنون بالدين و المعتقدات كان هو يفتخر بثقافته الإسلاميه، و على ما أعلم كان ملتزما كثيرا، و يحترم اعتقادات و آراء الآخرين..

(ثم طلب من الدكتور شفيعى ها ان يتحدث عن التأليفات الرياضيه للدكتور مصاحب، لما لديه من خبره طويله فى مجال تدريس الرياضيات).

محمد هادى شفيعى ها: اعتقد ان كل ما ينبغى ان يقال، تحدث عنه الاساتذه، و لكنى أذكر بعض الأمور لتأييد ما تحدثوا به ربما لم تكن نظريه الاعداد معروفه فى ايران قبل الدكتور مصاحب، أو على الأقل ما توضح لنا بعد تأليفاته لم يكن مفهوما بالنسبه لى و لغيرى من أساتذه الرياضيات، و من ثم فان التعريف بنظريه الاعداد التى هى أساس الرياضيات يعد من خدماته الجليله. و الأمر الآخر الذى أود الحديث عنه هو الأسلوب الذى سلكه فى تأليف كتبه، حيث يظهر واضحا من الدقه التى اعتمدها فى التأليف، انه لم يدع كتابا كان موجودا فى وقته الا و طالعه. و هذا امر فى غاية الاهميه ان يطلع المؤلف على آخر ما صدر فيما يتعلق بموضوعه ثم يباشر بالكتابه. و هذا ما يفعله الكثير من أساتذه اوربا. و كنت لبعض الوقت فى اوربا، حيث كان استاذى فى جامعه كامبرج يسألنى عن جميع الكتب التى رأيتها إذا كنت قد قرأتها أم لا؟ ثم سألنى عن كتاب كان قد صدر قبل سته أشهر إذا كنت قد قرأته أم لا، ثم اوصانى بقراءته لنكمل الحديث بعد الفراغ منه. و هكذا كان الدكتور مصاحب، فهو لا يبدأ بالكتابه حتى يكون قد اطلع على جميع الكتب الصادره. (ثم طلب من الدكتور الحسنى ان يتحدث عن الدكتور مصاحب نظرا لكونه أحد تلاميذه، و قد أدرك محاضر درسه).

أكبر الحسنى: لى الفخر ان كنت أحد تلاميذه الدوره الثانيه فى المؤسسه الرياضيه، حيث كنت إذ ذاك تلميذا للدكتور مصاحب. لقد تاثر إلى حد بعيد باساتذته فى كامبرج مثل هاردى و راسل و وايتهد فى الرياضيات و المنطق. فكان هدفه ان يعد اشخاصا يمكنهم إرساء دعائم الرياضيات فى الجامعات الإيرانيه، من هنا كان غايه فى الشده، بحيث كان البعض يضطرون إلى ترك

المؤسسه، و قد كان يكرر القول: "ليس هذا المكان دار الكسالى للشاه عباس، على كل من ياتى هنا ان يعمل كما أعمل، إذ استيقظ فى الساعه الخامسه و اجلس الليل و النهار فى المكتبه، فليس عندنا اى عطله!".

لم يكن يتسامح فى مجال التعليم، و كان يقول: تجدون الغش فى الأعمال الاداريه و الأمور التنفيذيه، ثم يروى انه ذهب ذات مره لاصلاح التعليم العالى، فرأى ان أحدهم ذهب إلى فرنسا أو ايطاليا لسته أشهر فعاد بشهاده الدكتوراه، فأبى المرحوم ان يعترف له بشهادته فاعترض عليه البعض بان هذا الشخص يرتبط بالوزير الفلانى، فلم يعبا بالاعتراضات و أصر على رأيه، فطلب اليه ان يهتم بالاصلاحات المتوسطه و يدع لهم شان اصلاحات الدراسات العليا، و لذلك ترك الوظائف التنفيذيه و الاداريه.

(ثم قيل للدكتور موحد: نشرتم أخيرا كتابا فى المنطق باللغه الفارسيه، فما هو رأيكم فى المدخل إلى المنطق الصورى؟).

الدكتور ضياء موحد: أتحدث إليكم باختصار. ليس لى شرف التلمذه على الدكتور مصاحب و لا الزمالة له، و لم أره أكثر من مرتين كان السبب فيهما هو كتابتى مقالا- حول كتابه المدخل إلى المنطق الصورى، امتدحت الكتاب فيه و أثبتت عليه. و قد ترك ذلك أثرا حسنا فى نفسه، فأبدى استعداداه لاستقبالى، و لم يكن أحد يجرؤ على الاتصال به ليسهل على امر الذهاب اليه، بل كان الكل يتطايرون و يقولون ان ليس لديهم الجرأه على ذلك، فتجرات و ذهبت بنفسى و طلبت إلى الشخص الذى يحمل الشاى اليه أن يخبره بان عبدا فقيرا إلى الله يرغب فى لقاءه. فاستقبلنى و دعانى إلى مؤسسه الرياضيات، و اهدانى بعض المصادر التى استند إليها فى تأليف كتابه المدخل إلى المنطق الصورى.

و لازلت احتفظ بهذه الكتب كذكرى عزيزه.

حينما طبع الكتاب كان عمره ٤٥ سنه، و لست أدرى إذا ما كان قد تتلمذ فى المنطق على أستاذ أم اعتمد على نفسه، و لكن أغلب ظنى انه اهتم بدراسه المنطق منذ عودته إلى ايران عام ١٣٢٧ حتى تأليفه الكتاب، و كما ذكر السيد شفيعى ها انه طالع جميع الكتب المتعلقة بالموضوع، و قد تاثر بصوره اساسيه بكتاب أصول الرياضيات (Princi-Pia Mathematica) لراسل و وايتهد، و كتب روسر (Rosser) و كپى (copi) و غيرهم من الأشخاص الذين مر ذكرهم. و بصوره عامه كان الجو السائد آنذاك هو المسيطر على الكتاب.

أجانب أدرك ان كتابه يحتاج إلى اعاده صياغه. هذا فيما يتعلق بالمحتوى. اما فيما يتعلق بنفس الكتاب فهو ياتي تحت رقم ٢٢٧ من سلسله نشرات جامعه طهران - من هذه الكتب ١٥٠ كتابا منهجيا، و أكثر لا تحمل اسم مؤلفها، و إذا كنت اجيد شيئا من الإنجليزية فذلك لكى اهرب من كتب كهذه سطحيه، كثيره الاغلاط، مغلوطة الترجمة و فائده للتنظيم. و حين حصلت على كتاب المدخل شعرت به كتحول بالنسبه لى، و أدركت انى اواجه شخصا آخر و شيئا آخر، و قد أحسست باطمئنان لهذا الكتاب و الكتب التى تلتها، و عرفت صاحبه استاذا مقتدرا، يمكن السير وراءه حيث يذهب. و كتابه هذا يعتبر آيه فى التأليف، و فى رأى انه ليس لهذا الكتاب نظير فى الكتب المنهجيه.

شفيعى ها: أسمح لى ان أضيف شيئا، و هو ما قلته بشأن اعتقادك بأنه درس المنطق لوحده. و قد سمعت من لسانه بأنه كان يتحين الفرص فى بريطانيا ليحضر دروس المنطق لراسل، كلما سمح له الوقت بذلك.

زرياب الخوئى: نعم و انا سمعت ذلك منه أيضا.

الدكتور موحّد: إذا يتأكد هنا أنه كان متأثرا براسل إلى حد بعيد، و لم يكن يعنى بالتفكيك الدقيق للمسائل المنطقيه على غرار ما كان يفعل راسل نفسه.

إضافه إلى المحتوى، فان هناك خصلتين تميزت بهما مؤلفات الدكتور مصاحب، إحداهما الطباعة الثمينه، و الاخرى استعمال اللغات المناسبه مقابل الاصطلاحات الاجنبيه. نرجو من الأستاذ احمد آرام ان يحدثنا عن وضع الكلمات الجديده و استعمال علامات جديده.

آرام: احدى أهم الخدمات التى قام بها الدكتور مصاحب بمساعدته أصحابه و استمرت حتى نهايه عمره، هى صناعه اللغه فقد كان يختلف مع الكثيرين الذين يميلون إلى إبقاء الكلمات الاجنبيه على حالها، إذ كان يحاول جاهدا ان ينتقى الكلمه الأقرب فى المعنى ليقابل بها الكلمه الاجنبيه. و قبل مده أرسل مراسل امريكى تقريراً مفاده ان بلاد ايرلنده لا تقبل اى كلمه اجنبيه فى لغتها، بل تحاول ترجمه كل الكلمات حتى الراديو و التلفزيون و قد حاولنا جاهدين ان نحول الكلمات الاجنبيه إلى الكلمات الفارسيه، و واجهنا فى ذلك صعوبه كبيره.

و لما كان أسلوب الدكتور مصاحب حادا، فقد كانت تنشب بعض الخلافات بينه و بين بعض الزملاء القائمين على دائره المعارف، حتى انتهت بقراره مقاطعه العمل و لم تفد معه الوساطات و من هنا جاءت المراحل الاخيريه ناقصه و كثيره الاغلاط، بعد انقطاعه عنها.

مصاحب: ينبغى هنا أن أذكر بان أساس دائره المعارف الفارسيه هو دائره معارف كلمبيا الصغيره (columbia desk Encycloedia) و كان من المقرر ان نستعين بكلمومبيا الكبيره الا اننا اصطدمنا ببعض المشاكل و الصعوبات.

غلام حسين البنكورى الحيدرآبادى ابن أشرف حسين:

ولد سنه ١٢٧٠ فى حيدرآباد بالهند و توفى سنه ١٣٥٣.

هو من اسره السيديه فى مدارس و قد انتقل والده إلى حيدرآباد فولد هو فيها و نشأ، درس أول امره فى حيدرآباد ثم انتقل إلى النجف و كربلاء فأكمل دراسته فيهما و قد أجز من كل من الشيخ زين العابدين المازندراني و الشيخ محمد حسين المازندراني و السيد أبو القاسم الطباطبائي و الشيخ محمد حسين الكاظمي.

كان خطيباً، يحسن العربية و الفارسيه، مرجعاً لأبناء حيدرآباد و منطقتها.

من مؤلفاته: شمس الهدايه باللغه العربيه و هو فى علم الكلام.

غلام حسن الكهنوى اللكهنوى:

توفى سنه ١٣٣٦ فى الهند.

كان من ارشد تلاميذ غفران مآب، و قد مات فى حياه استاذة.

له من المؤلفات: الحديقه الهنديه، روضه الصالحين (شعر) فى الردود و العقائد و الفقه.

غلام حسنين كنتورى:

ولد سنه ١٢٤٧ فى كنتور بالهند و توفى فى فيض آباد و دفن فى كنتور كان من فضلاء العلماء فى الهند، يجيد عدّه لغات لا سيما العربيه و الفارسيه متمكناً منهما.

درس الأوليات فى كنتور ثم قدم إلى لكهنو و تابع دراسته فيها و صاهر المفتى محمد قلى على ابنته.

أجز من كبار العلماء. و قد اصدر جريده (اخبار الاخبار)، و كان عاملاً على حل مشاكل المجتمع فكرياً و عقائدياً و اجتماعياً و اقتصادياً و ثقافياً، شديد السعى فى تضامن المسلمين على اختلاف مذاهبهم فساهم فى تأسيس (ندوه العلماء) فى لكهنو و سعى لنشر الإسلام فى المدن و القرى.

عدا مقالاته الاجتماعيه و الثقافيه و الاقتصاديه و الفكرية فى الصحف فقد كتب المؤلفات الآتية:

ترجمه قانون ابن سينا إلى اللغه الأردويه، كتاب انتصار الإسلام، (ثلاثه مجلدات) حواشى مغنى اللبيب، شرح اعجاز خسروى، شواهد اردو، و غير ذلك.

الدكتور غلام حسين صديقى:

ولد سنه ١٣٢٦ فى طهران و توفى فيها سنه ١٤١٢.

هو من اسره صديق الدوله نورى الشهيره، و كان من رجال العلم و السياسه فى ايران.

درس دراسته الابتدائيه و الثانويه فى مدارس الاليانس الفرنسيه فى طهران و فى دار الفنون، ثم سافر إلى فرنسا فحاز الدبلوم من جامعه (سان كلود) فى الآداب. ثم انتمى إلى جامعه السوربون فنال منها الدكتوراه. و كان موضوع رسالته: (الحركات الدينيه للايرانيين فى القرنين الثانى و الثالث الهجريين)، و قد طبعت رساله فى باريس، و هى مرجع مهم فى موضوعها.

و قد اكسبته هذه الرساله شهره واسع فى الأوساط العلميه. و لما عاد إلى ايران عين مدرسا فى كليه الآداب و كليه الإلهيات و الشريعه فى جامعه طهران.

ص: ٢٠٣

و الدراسات الاجتماعيه الملحق بها، و هما من المراكز الهامه فى أعداد أطر علم الاجتماع فى ايران.

و قد اختير مديرا لجامعه طهران و عضوا فى جمعيه الآثار الوطنيه و عضوا فى منظمه اليونسكو العالميه.

شارك فى العمل السياسى مؤيدا لمنهج الدكتور مصدق، و عند ما وصل مصدق إلى رئاسه الوزاره اختار صديقى وزيرا للبرق و البريد ثم وزيرا للداخليه و ظل فى منصبه إلى قيا الانقلاب العسكرى الذى اطاح بمصدق، فقبض على صديقى و حكم عليه بالسجن.

كان فاضلا عالما محبا للعلم و العلماء، قانونيا صارما، مدافعا عن الحريات، محاربا للظلم و الطغيان.

مما كتب عن ابن سينا: ظفرنامه، معراج نامه، قراضه طبيعيات.

و له دراسات اخرى و مقالات نشرت فى المجلات الإيرانيه.(١)

غلام حسين جونبورى بن فتح محمد:

ولد سنه ١٢٠٥ و توفى سنه ١٢٧٩ فى عظيم آباد بالهند.

كان والده عالما كبيرا. و تنقل هو بين محافظه (گيا) استجاب له دعوه خان بهادر بيك، و بين بنارس استجاب له دعوه مهراجا بنارس، ثم عاد إلى مرشدآباد.

له من المؤلفات: شرح تحرير أقليدس، شرح المجسطى، جامع بهادرخانى، الهندسه، الهيئه و الاجرام العلويه و البسائط السفليه، أحكام الزيج و التقويم، علم الابصار و غير ذلك.

المولوى غلام حسين الدهلوى:

أديب منشئ شاعر بالفارسيه عارف بالعلوم العقليه، هاجر من بلده بسبب الفتن الحادته فيه إلى بلده "چيناپتن" فتتلمذ بها على الحكيم أحمد الله خان الدهلوى.

له "زاد المؤمنین" ألفه سنه ١٢١٣.(٢)

الدكتور غلام حسين يوسفى:

ولد سنه ١٣٤٧ فى مدينه مشهد بخراسان و توفى فى طهران سنه ١٤١١ كان من أساتذته الأدب الفارسى، مختصا بالدراسات النقدية للشعر مدرسا لها فى جامعه الفردوسى بمشهد، و كانت له شهره علميه عالميه فى مجال البحوث الإيرانيه، و قد دعى للمشاركة فى كثير من المؤتمرات الدوليه.

ألف عشره كتب و ترجم ثمانيه كتب عن اللغات العربيه و الفرنسيه و الإنكليزيه، و حقق عشره كتب.(٣)

غلام الحسين:

توفي سنة ١٣٥٦ في الهند.

هو من سكان باني بت في الهند. كان عالما فاضلا متمكنا من اللغة الإنكليزية، خطيبا بارعا. تولى اداره (حالي مسلم اسكول) و درس فيها اللغتين العربيه و الفارسيه. من مؤلفاته: سيره النبي، معيار الأخلاق، كشف الحقيقه. و غير ذلك

الشيخ غلام رضا القمي:

درس بالنجف الأشرف، و من أكبر اساتذته الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي، و كان الشيخ حسين بن أبي القاسم النيسابوري يستفيد من بعض ما كتبه القمي من تقارير أبحاث استاذة المذكور و ذكر انه كان من أجل تلامذه الرشتي.

له "تقارير أبحاث الرشتي". (٤)

الميرزا غلام رضا بن الحسين العبدل آبادي الكرمانى:

ولد فى "عبدل آباد" و قطع مراحلہ العلمیہ فى النجف الأشرف و كربلاء متلمذا على شيوخ العلم بهما ثم سكن بكرمان، و كان فاضلا أديبا شاعرا بالفارسيه من اعلام أوائل القرن الرابع عشر.

أوقف الحاج عبد المحمود الكرمانى نسخه من كتاب المترجم له "كفايه الواعظين" فى سنة ١٣٠٧ و وصفه فى الوقفيه بقوله "العلام الفهाम جامع المعقول و المنقول حاوى الفروع و الأصول التحرير الفاضل الفقيه الكامل صاحب المناقب و الفضائل..".

له "كفايه الواعظين" و "دائرہ قاصريه" و "صحيفه قاصريه". (٥)

غلام السیدین بن غلام الثقلین:

ولد سنة ١٣٢١ فى باني بت فى الهند و توفي سنة ١٣٩٩.

هو من اسره علمیه عريقه، و كان والده من الشخصيات العلمیه الرسمیه مرموق المكانه فى الحكومه الهنديه ذا صلوات وثيقه بكبار الهنود المسلمين مثل الشاعر إقبال، و أبو الكلام آزاد، و الدكتور ذاكر حسين الذى صار رئيسا لجمهوريه الهند.

و والدته مشتاق فاطمه ابنه المولوى أخلاق حسين من أبناء الشاعر الهندي الكبير (حالي).

سافر إلى بريطانيا سنة ١٩٣٣ للدراسه الجامعيه و لما عد [عاد] إلى وطنه عين من قبل جامعه على كرسى مسؤولا فى كسجر. و لما تولى أبو الكلام آزاد وزاره المعارف بعد استقلال الهند صار المترجم سكرتيرا فى اداره تعليمات الدوله، و بعد وفاه آزاد تقاعد و انصرف إلى الخطابه و التأليف، و كان خطيبا بارعا، أديبا فاضلا، جذاب الحديث.

ألف أكثر كتبه باللغه الأردويه و اللغه الإنكليزيه، فمن مؤلفاته:

رجحانات التعليمات العصريه فى المغرب، تشكيل السيره القوميّه، تحريك التعليم فى على كمر، المفهوم الحقيقى للتهذيب، أصول التعليم، التعليم الإسلامى فى الهند، رجل درويش (فى سيره والده)، و غير ذلك.

الشيخ غلام على بن عباس بن صفر على البارفروشى المازندرانى:

فقيه اصولى فاضل متتبع، أقام بالنجف الأشرف سنين للتحصيل، و من أساتذته بها المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى.

له "مشكاه الهدايه فى شرح الكفايه" و "المسائل الفقيهيه" و غيرهما. (٤)

ص: ٢٠٤

-
- ١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- السيد أحمد الحسينى.
 - ٦- السيد أحمد الحسينى.

الشيخ غلام علي المرندی:

ولد في "مرند" من مدن آذربايجان، و درس الأوليات عند علماء تبريز، ثم هاجر إلى العراق فتتلمذ في النجف الأشرف على المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي و الفاضل الشراياني و الشيخ محمد حسن المامقاني، و في كربلاء تتلمذ على السيد محمد حسين الشهرستاني.

كان مثالا للورع و التقوى و حسن الخلق و لطف المحضر، و من مشاهير المدرسين خارجا في الفقه و الأصول بكربلاء يقيم الجماعة في الصحن الحسيني الشريف.

توفي بكربلاء نحو سنة ١٣٤٥ و هو في حدود الثمانين من عمره.

له "حاشيه كفايه الأصول" و "الخيارات" و رساله في "منجزات المريض".^(١)

الشيخ غلام علي بن محمد علي، محمد أمين:

اشتهر بمحمد أمين و ليس اسمه.

كتب نسخه من "الصحيحه السجديه" و أتمها في عاشر ذي الحجه سنة ١٠٧٩ على نسخه الشهيد الأول، و اختار لها تعاليق تدل على فضل فيه و تحقيق^(٢)

غياث الدين الكرمانى، أبو إسحاق:

فاضل جامع لأطراف العلوم، أديب منشئ شاعر بالفارسيه جيد الإنشاء و الشعر، له اطلاع واسع في الحساب و العلوم الرياضيه.

كان كاتب ديوان كرمان بخدمه الوزير مجد الدين عبد الرشيد، و هو من أعلام القرن العاشر.

له "جامع الحساب"^(٣)

فاطمه بنت الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد تقى بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم البرغانى القزوينى:

عالمه فاضله فقيهه توفيت حدود سنة ١٣٠٠ محدثه حافظه للقرآن عالمه بتفسيره أخذت المقدمات و فنون الأدب على أخيها الشيخ عبد الحسين و حضرت في الفلسفه العاليه على الآخوند الملا آغا الحكيمى القزوينى و أخذت العرفان و الفقه و الحديث على أبيها المتوفى سنة ١٢٦٩ هجرية و الشيخ احمد الاحسائى المتوفى سنة ١٢٤١ هجرية حين اقام في قزوین، كما حضرت في الفقه و الأصول على عمها الشيخ محمد صالح البرغانى المتوفى سنة ١٢٧١ و الشهيد الثالث المستشهد سنة ١٢٦٣ و لازمت قره العين سنين عديده و لما بلغت سن الرشد زفوها للشيخ حسن و هو ابن عمها و رزقت منه العلمين الشيخ الميرزا علامه الحائرى^(٤) و مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى الحائرى^(٥) و سكنت سنين مع زوجها في النجف الأشرف و بعد وفاه

زوجها في عام ١٢٨١ استقرت في كربلاء حتى توفيت بها و كانت من فواضل نساء عصرها و ربات العقل و الرأى الراجح و الدين و الصلاح كثيره العباده و الزهد كانت لها مقدره عظيمه على الخطابه و الوعظ و كان يراجعها النساء في المسائل الدينيه و ألقت مؤلفات و رسائل عديده في الفقه و لها حواشى على الكتب.(٤)

فتح الله بن احمد بن محمود الشهرستاني السبزواري:

فاضل من أعلام القرن الثالث عشر.

له "تحفه الأئمه العليه في الحكمه العمليه".

الملا فتح على بن گل محمد البرادگاهی اللكراني:

عالم فاضل يميل إلى الأدب و الشعر، يشكو سوء حاله فقراً و مصابه من أبناء الزمان.

له "أصول الفقه" و "حاشيه رياض المسائل" و "حاشيه الفصول" و "حاشيه المكاسب للأنصارى" و "القواعد الأصوليه" و "القواعد الفقهييه و الاصوليه" و "كتاب الدعاء" و "ذريعه الاجابه" و "مجموعه بياضيه".

توفى بعد سنه ١٣٣٩.(٧)

الميرزا فتح الله البسطامي المعروف في أشعاره بالذوقى البسطامي:

عرف واحدا من الشعراء المشهورين في العصر القاجارى. و قد امتدح الميرزا طاهر مؤلف كتاب (گنج شايگان) معرفته بعلم الرياضيات و الهيئه و الحكمه و التاريخ و الاخبار و مقدمات اللغه العربيه، و قال بأنه نظم رساله في علم الحساب و الهيئه. و في زمن حكومه معز الدوله بهرام ميرزا و نصرت الدوله فيروز اميرزا كان هو في زمره الكتاب و عرف خلالها بالشاعر. و قد تحدث عنه رضا قلى خان هدايت في مجمع الفصحاء فقال: "اسمه الشريف الميرزا فتح الله، و هو من الذريه الطيبه لقبيله بنى عامر العربيه، التى حكمت تلك النواحي لفته طويله. و كان خاله حبيب الله خان يرتبط مع حاكم شيراز الأمير حسين على ميرزا بقرابه من جهه أمه فحبذا له القدوم إلى شيراز، و فيها التقيت به و تألفت معه، و بقى هو ملازما للامراء سنين طوال. و فى زمن سلطنه الشاه محمد القاجارى اضطر للسفر إلى طهران و الإقامه فيها. ثم سافر إلى خراسان و مكث فيها بعض الوقت و عاد بعدها إلى العاصمه، و هو الآن فيها (عام ١٢٧١ هـ). و الحق انه حكيم خبير و محدث بصير، و أستاذ فى الخط و محيط بجميع العلوم المتداوله. و نظمه و خطه جيدان، و يتمتع بخصال حميده و أخلاق فاضله، و يعد من فحول شعراء عصره المعروفين فى ايران. و قد امضينا معا سنين فى شيراز و مده فى طهران، كنا نتبارى خلالها أحيانا بقراءه الشعر.(٨)

فتح الله الشيرازى:

عالم بالفلسفه و العلوم العقليه، من أعلام أواخر القرن العاشر و أوائل القرن الحادى عشر، قابل معه مولانا عبد الخالق بن محمد الجيلانى نسخه من كتاب "الشفاء" لابن سينا، و ذكر شخص فى نفس النسخه أن المقابله تمت فى شهر شعبان من سنه ٩٨٨، و

-
- ١- السيد أحمد الحسيني.
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- انظر مستدرکات أعيان الشيعة ج ٣ ص ١٣٧-١٣٨.
 - ٥- نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٥-١٤٦.
 - ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
 - ٧- السيد أحمد الحسيني.
 - ٨- عبد الرفيع حقيقت.

" أعلم العلماء و سيد الفضلاء قدوه المتقدمين و قبله المتأخرين " (١).

أبو النصر فتح الله الشيباني:

كان من مشاهير شعراء العصر القاجارى. و هو من أهل كاشان و ينتمى إلى اسره (صبا). ولد عام ١٢٤١ هـ و كان معاصرا لناصر الدين شاه القاجارى، و انشد فى مدحه قصائد غراء الا ان الشاه لم يكن يلتفت أو يميل اليه، و من ثم خرج الشاعر عن طريقته، فاخذ يشن باشعاره حملات قويه على الأوضاع السياسيه فى البلاد بأسلوب لم يشاهد فى دواوين الشعراء المعاصرين له.

من مؤلفات فتح الله الشيبانى، كتاب اسمه (درج الدرر) ضمنه ترجمه لنفسه و مدح لشخصه، و ذكر فيه بأسلوب مختصر انه من الصوفيين ذوى الكرامات.

رافق القوات الإيرانيه فى محاصره هرات، و شمله القائد الايرانىحسام السلطنه برعايته، و جعله واسطه بينه و بين زعماء الافغان.

و الظاهر ان السبب الأساس فى رغبه الشاه ناصر الدين عن الشيبانى هو التهمه التى ألصقها به بعض السعاه، حين صوروه للشاه بأنه جاسوس انجليزى ينتقل بين المدن بهيئه الدراويش، و الحال ان إقبال الشيبانى على الدروشه انما جاء نتيجة لطرده من البلاط، كما أشار إلى هذا الأمر فى بعض أشعاره.

توسل الشيبانى بشخصيات بارزه مثل حسام السلطنه فاتح هرات و ظل السلطان و أتاكك و أمثالهم فى سبيل الوصول إلى بلاط ناصر الدين شاه، فكان ينشد بحقهم قصائد مؤثره، و لكن بقيت جهوده و مساعيه دون جدوى، إذ بقى الشاه معرضا عنه.

جاءت أغلب أشعار الشيبانى بالاسلوب الخراسانى الأصيل مقتديا فى ذلك باساتذه هذا الفن فى القرنين الرابع و الخامس للهجره، و إذا لم يفلح فى الارتقاء إلى مستواهم فقد أفلح فى تقليدهم، و امتاز بذلك على جميع شعراء العصر القاجارى.

و لعل أشعاره التى نظمها فى الوعظ و النصيح و المفاخره و التى كانت تفصح عن إفراطه فى الياس و التشاؤم، بنظرتة إلى أوضاع البلاد المترديه كانت يتيمة فى أدب القرن الثالث الهجرى، و يلاحظ فيها التأثير المباشر للعلاقات مع اوربا.

توفى فتح الله الشيبانى فى طهران عام ١٣٠٨ و دفن فى منزله الكائن فى شارع الأميريه. طبع ديوانه و جمع رضا قلى خان فى مجمع الفصحاء مختارات من أشعاره التى نظمها فى مدح ملوك و وزراء القاجاريه.

و للمؤلف مجموعه من الآثار التى كتبها نثرا أو نظمها شعرا هى: درج الدرر (گنج گهر) زبده الآثار - الفتح و الظفر - (مسعودنامه) - (تنك شکر) - شرف الملوك اليوسفيه - خطاب الفرح - الكامرانيه - (مقالات سه گانه) - فواكه السحر - الجواهر المخزونه - اللالى المكنونه و نصائح منظومه (٢).

فتح على خان صبا:

يعتبر فتح على خان الكاشانى الملقب ب (صبا) أشهر شاعر فى العهد القاجارى، و هو من عائله عريقه فى كاشان، شغل أكثر أفرادها مناصب حكوميه، و أبوه محمد بن الأمير فاضل بيك بن الأمير شريف بيك بن الأمير غياث بيك. كان الجد الأعلى لصبا

دنبليا فى الأصل ثم هاجر من آذربايجان إلى العراق فى أواخر أيام سلطنه كريم خان زند و أقام فى كاشان، و فيها ولد فتح على خان (على وجه التقريب عام ١١٧٩ هـ) و ترعرع و اشتد عوده. اشتهر فى شبابه باسم فتح على، و تتلمذ على الحاج سليمان بيك الصباحى البيدگلى الكاشانى.

عرف فتح على خان بمدحه للحكام الزنديين و خصوصا البطل الزندى لطف على خان الذى نظم بحقه ديوانا، و بعد حادثه مقتل أخيه توارى عن الأنظار بسبب ديوانه هذا، و بقى مغضوبا عليه من قبل أولياء الأمور فتره طويله، حتى كان عهد بابا خان (فتح على شاه فيما بعد) الذى لقب بالجهانبانى (بانى العالم) و عين حاكما على فارس من قبل محمد خان، فتقرب اليه، و كان بابا خان بدوره شاعرا مثقفا لين الجانب فقربه اليه و شمله برعايته. و من القصائد التى نظمها صبا فى لطف على خان قصيده طويله يدعوه فيها (بعد مقتل أبيه و جلوس صيد مراد خان فى محله) إلى القدوم من بوشهر إلى شيراز ليقطع ايدى الأعداء عن ايران.

قدم فتح على خان صبا إلى طهران عام ١٢١١ هـ، و القى قصيده رائعه فى حفل جلوس فتح على شاه على العرش عام (١٢١٢ هـ).

فأعجب فتح على شاه بها و لقبه بملك الشعراء، و ما زال يعلو شأنه حتى لقب بالخان و فوض اليه منصب (احتساب الممالك)، و عين لبضع سنين حاكما على قم و كاشان، و تولى فتره من الزمن سدانه حرم قم. ثم اقلع عن الحكم و لازم ركاب فتح على شاه. و فى أواخر عام ١٢٢٣ هـ تفشى القحط و المرض فى قم، فقدم صبا إلى طهران باذن من الشاه. و كلفه الشاه بالسفر إلى آذربايجان و مره اخرى إلى تركستان، و حين توجه فتح على شاه إلى آذربايجان عام ١٢٢٨ هـ للاشتراك فى حرب ايران و روسيا، رافقه صبا فى رحلته. و بعد العوده من هذه الرحله امره الشاه بنظم ملحمة على وزن (شاهنامه الفردوسى) باسم (الشاهنشاه نامه)، فامضى صبا فى نظم هذه الملحمة ثلاث سنوات، و كان عدد أبياتها أربعين ألف بيت، فكافأه الشاه بأربعين ألف مثقال من الذهب.

و فى عام ١٢٣٣ هـ أصاب خراسان قحط عظيم، فأمر صبا بالتوجه إلى خراسان على رأس هيئه لتوزيع المساعدات على أهلها، فوصلها بعد رحله قاسيه فى برد قارس و مصاعب جمه، و بعد تأديته لمهمته عاد إلى طهران.

لازم صبا بعد سفرته هذه بلاط فتح على شاه كنديم خاص للشاه، و ملك شعراء البلاط، حتى فارق الحياه فى طهران عام ١٢٣٨ هـ، فى سن التاسعه و الخمسين.

تعتبر ملحمة صبا أهم و ابرز آثاره، و قد جاءت فى أربعين ألف بيت على وزن شاهنامه الفردوسى، و هى تشتمل على تفاصيل حياه فتح على شاه و حروبه و فتوحاته و الهزائم التى منى بها و مناداته و معاشرته للنساء، و ذكر بعض حروب محمد خان و تغلبه على لطف على خان الزندى.

ذكر الشاعر فى ملحمة أسماء أربعين شخصا من أبناء فتح على شاه، و ذكر أيضا قاده الشاه و رجال حاشيته و أعيان دولته و كتابه، و لم

١- السيد أحمد الحسيني.

٢- عبد الرفيع حقيقت.

يغفل حتى عن وصف نسائه و وصف ميدان الصيد و القصور و الابنيه السلطانيه و بين اهتمام الشاه بالأدب و الشعائر الدينيه.

أكثر معاصروه من مدح ملحمته، و بالغوا في ذلك، الا ان السيد احمد الديوان بيگي مؤلف حديقه الشعراء أخذ عليها إدخال الألفاظ المغلقه التي يستعصى فهمها على غير الخواص و أهل العلم و الأدب و اللغه، و كثره استعمال مثل هذه الألفاظ".

و عدا عن الشاهنشاه نامه، ترك فتح على خان صبا آثارا في المثنوى هي: (عبرت نامه) - (گلشن صبا) - (خداوندنامه) - (خلاصه الأحكام) - (تحفه العراقيين) و غيرها. و جاءت خلاصه الأحكام في بيان الشكوك في الصلاه، و من الطبيعي ان مثل هذا الموضوع لا يمكن ان ينظم شعرا مهما كانت قدره الناظم و رفعه ذوقه بينما تتحدث (خداوندنامه) عن غزوات الرسول (ص) دون مراعاة الأصول التاريخيه لها. اما (عبرت نامه) فقد جاءت في الوعظ و الإرشاد و لكن الغالب عليها مدح فتح على شاه و ابنائه و رجال بلاطه، و لكنها لا تشتمل على غزل أو مقدمه يمكن ان يشار لها و أشعاره تفتقد رقه و عذوبه قصائد الشعراء المعاصرين له مثل: القآني و سروش و محمود خان صبا و الداوري الشيرازي.(1)

الشيخ فتح على الزنجاني:

أصله من مدينه زنجان و انتقل إلى مشهد عبد العظيم الحسنی بالري، فقرأ الأوليات العلميه هناك و تتلمذ به على الشيخ مهدي اللاريجاني صهر المولى على الكنى، ثم هاجر إلى النجف الأشرف قبل سنه ١٣٠٠ فقرأ على خاله الآخوند قربان على الزنجاني و السيد حسين الكوه كمرى و الفاضل الايرواني و الميرزا حبيب الله الرشتي، و اختص بالأخير فلازمه سنين، و ذهب برهه إلى سامراء و لكنه عاد إلى النجف قبل وفاه الميرزا حسن الشيرازي.

كان عالما زاهدا ورعا تقيا، و قد تزوج في أواخر حياته بعلويه من آل ياسر ليخدمها و يتقرب بذلك إلى النبي (ص).

له إجازة الحديث من الميرزا حسين النوري، و يروى عنه شفاها السيد شهاب الدين النجفي المرعشي كما حدثني بذلك.

سكن الكوفه من نحو سنه ١٣٢٠ منزويا مشتغلا بالتأليف و التصنيف، و توفي بها سنه ١٣٣٨ و قد تجاوز الثمانين.

له "تفسير القرآن الكريم" و "شرح خلاصه الحساب" و "حاشيه فرائد الأصول" و رسائل و كتابات متفرقه.(2)

فتح الله بن محمد رضا بن إبراهيم الخوئي:

فاضل أديب شاعر بالفارسيه، من أعلام مدينه "خوي" في أوائل القرن الرابع عشر.(3)

الميرزا فخر الدين الطاهري بن أبي القاسم:

ولد سنه ١٢٨١ في مدينه قم و توفي. أسرته من البيوتات العلميه القديمه و من النازحين إلى مدينه قم منذ أمد بعيد جدا.

فجده الميرزا أبو طالب القمي صهر الميرزا أبي القاسم الجيلاني القمي صاحب كتاب "قوانين الأصول"، و هو الذي ينسب اليه "بركه ميرزا أبي طالب".

و أبوه السيد أبو القاسم القمي المعروف بالسيدى، و كان من أعلام علماء وقته و يدعى بشيخ الإسلام القمي.

و اشتهروا بـ "الطاهري" لأن احدى جداتهم بنت المولى محمد طاهر الشيرازى القمي من مشاهير أعلام القرن الحادى عشر الهجرى صاحب المؤلفات و الآثار الكثيره.

و السادات المعروفون بـ "الميرزائى" و "آل امام الجمعه" و "القوانينى" و "السيدى" كلهم من ذريه الميرزا أبى طالب القمي المذكور و ينتهون فى نسبهم إلى أصل واحد.

نشا نشاته الأولى فى قم و على أساتذتها قرأ الأوليات العلميه.

و فى أصفهان قرأ على الحاج آقا منير الدين الاصفهانى.

ثم هاجر إلى العتبات المقدسه، فتلمذ فى الفقه و الأصول على الميرزا محمد تقى الشيرازى و السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى و شيخ الشريعه الاصبهانى و الحاج ميرزا حبيب الله الرشتى و غيرهم و بعد إكمال دراسته عاد إلى قم و اقام فيها وجها من ابرز وجوها العلميه حتى وفاته.

كان يملك مكتبه كبيره فيها كتب ثمينه انتقل أكثرها إلى مكتبه حرم السيده المعصومه (ع) له تعليقات على كثير من كتب الفقه و الأصول و غيرها، و له رساله فى الإرث.(٤)

الشيخ فخر الدين بن حسن بن زين الدين بن طى العاملى:

مترجم فى "احياء الدائر" ص ١٧٨، و نقول:

كتب له حسن بن على القلعي نسخه من كتاب "إرشاد الأذهان" و أتمها فى ٢٧ شهر رجب سنه ٩٦٥ و وصفه فى آخرها بقوله " برسم الشيخ العلامة الفهامه خلاصه المدرسين فى المعقول و المنقول معتمد أهل الفضل فى الأصول و فروع المنقول الشيخ التقى الفاضل فخر المله و الحق و الدنيا و الدين ابن الشيخ الفاضل الكامل الشيخ حسن ابن الشيخ العالم التقى السعيد المولى الشيخ زين الدين...".(٥)

السيد فخر الدين بن ميرزا حسين الحسينى الاسترآبادى:

كتب بخطه نسخه من "الصحيحه السجديه" و أتمها فى أواسط شهر رمضان ١٠٧٣ لبعض أساتذته الذى وصفه بأوصاف عظيمه و محيى [محيى] اسمه من النسخه مع الأسف، و قد قابلها بدقه و اختار لها هوامش تدل على شده دقته و فضله العلمى.(٦)

السيد فخر الدين امامت الكاشانى:

السيد فخر الدين بن السيد محمد مهدى بن على بن رضى بن

-
- ١- عبد الرفيع حقيقت.
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- السيد أحمد الحسيني.
 - ٥- السيد أحمد الحسيني.
 - ٦- السيد أحمد الحسيني.

عبد الغنى بن حسن بن عبد الغنى بن معز الدين بن شمس الدين بن حسين بن عابدين بن محمد بن علي بن فخر الدين بن سعد الدين بن مرتضى بن فخر الدين بن محمد بن اميره بن عماد بن معين الدين بن شمس الدين أميره بن شمس الدين بن مرتضى بن علي بن يحيى عز الدين بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد (سلطان محمد شريف) بن علي بن محمد بن حمزه بن احمد بن محمد الأكبر بن إسماعيل بن محمد الأرقط بن عبد الله الباهر بن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، الحسين الكاشاني المعروف بإمامه.

ولد في مدينة كاشان سنة ١٢٩٢ و توفي بكاشان سنة ٣٩٢ [١٣٩٢].

أسرته العلميه

عرفت أسرته في كاشان بالعلم والعمل والفضيله، برز منهم علماء و مشاهير قديما و حديثا ذوو آثار دينيه معروفه فأبوه السيد محمد مهدي من أعلام أئمه الجماعه و موضع ثقه العامه من أهالي كاشان و قد توفي سنة ١٣٣٠.

و عمه السيد محمد حسين فقيه مدرس معروف في كاشان، توفي نحو سنة ١٣١١.

و عمه الآخر السيد محمد حسن مجتهد بارز، توفي نحو سنة ١٣٣٠.

و عمه الآخر السيد مير عبد الباقي الكرسوي، متولى المدرسه السلطانيه واحد علماء كاشان المعروفين.

و أمه الصالحه "كوچك جان" بنت المؤرخ الشهير ميرزا محمد تقى لسان الملك الملقب بـ "سپهر" صاحب الكتاب المعروف "ناسخ التواريخ".

و أولاده السيد علي امامت و السيد عزيز الله امامت و السيد صدر الدين امامت كلهم علماء مشهورون في كاشان ذو مآثر علميه تأليفا و تحقيقا و تدريسا.

لقب بيتهم بـ "الامام" ثم "امامت"، و هم الآن مشهورون باللقب الثاني.

نشاته

قرأ [قرا] المبادئ عند عميه السيد محمد حسين و السيد محمد حسن، ثم الملا محمد حسين النطنزي و الميرزا محمد حسين النراقي، ثم الميرزا فخر الدين النراقي و ميرزا أبو القاسم النراقي، و في الدروس العاليه في الفقه و الأصول و غيرها تتلمذ على المولى حبيب الله الشريف الكاشاني و كانت أكثر استفاداته منه و لازمه حتى وفاته سنة ١٣٤٠.

في هذه السنه انتقل إلى قم و أقام بها مده تتلمذ فيها على الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، فكان يعده من عيون تلامذته.

ثم عاد إلى مسقط رأسه كاشان، و اشتغل بها بالوظائف العلميه و الدينيه، و زار خلالها العتبات المقدسه بالعراق مرات، كما انه زار الامام الرضا (ع) عدده مرات.

فوضت اليه امامه الجماعه و نظاره أمور الطلاب في المدرسه السلطانيه التي هي من مدارس كاشان المهمه و هي من بناء بعض الملوك القجاريين، فلازم التدريس و تولى اداره شئون الحوزه و تربيته الطلاب بالاضافه إلى قضاء حوائج المؤمنين و المشاركه في شئونهم الدينيه و الاجتماعيه.

كان شاعرا بالفارسيه، له قصائد كثيره في الآداب الإسلاميه و فضائل أهل البيت (ع) و بعض الأغراض الأخرى، و كان تخلصه في شعره "صهر سالك" لأنه صهر المولى حبيب الله الشريف الكاشاني الذي كان يتخلص بـ "سالك".

شيوخ إجازاته

١ - المولى حبيب الله الشريف الكاشاني أجازته اجتهادا و روايه.

٢ - السيد محمد البروجردى العلوى.

٣ - الشيخ آقا بزرك الطهراني.

٤ - الشيخ محمد صالح المازندراني المعروف بالعلامه السمناني.

٥ - عمه السيد محمد حسن أجازته غره ربيع الثاني سنه ١٣٢٦.

٦ - عمه الآخر السيد محمد حسين.

الراوون عنه

١ - السيد شهاب الدين المرعشى النجفى، له منه ثلاث إجازات بتواريخ عاشر شعبان ١٣٦٩ و تاسع شوال ١٣٨٠ و تاسع عشر شعبان ١٣٩٠. ٢ - الشيخ محمد رضا الطبسى. ٣ - السيد عباس الكاشاني. ٤ - السيد مهدي اللاجوردى. ٥ - الشيخ محمد الرازى، إجازته مبسوطه فى شهر صفر سنه ١٣٩٢. ٦ - الشيخ محمد أحمد آبادى المعروف بطبيب زاده الاصبهاني. ٧ - السيد محمد العلوى التبريزى المشهدى. ٨ - الشيخ حسين المقدس المشهدى. ٩ - الشيخ محمد باقر الساعدى المشهدى. ١٠ - السيد محمد كاظم الدزفولى.

١١ - الشيخ ضياء الدين الفيض المهدوى. ١٢ - ميرزا مهدي الولائى المشهدى. ١٣ - الشيخ عماد الدين الطبسى. ١٤ - الشيخ نجم الدين الطبسى. ١٥ - ولده السيد عزيز الله امامت الكاشاني. ١٦ - حفيده السيد احمد امامت الكاشاني.

مؤلفاته

أحكام الإرث، رساله فارسيه.

١ - تنبيهات الغافلين، اسم ثان لـ "راه نجات". ٢ - حاشيه شرائع الإسلام. ٣ - حاشيه المكاسب للشيخ الأنصارى. ٤ - راه

خداشناسى، فارسى فى العقائد مطبوع. ٥ - راه نجات، منظومات فارسىه، طبع. ٦ - شرح منيه الوصول فى علم الأصول. ٧ -
العقد الفضولى، رساله. ٨ - الكشكول، مجلدات فى المواعظ. ٩ - مرآه الحقيقه، فى حالات الصوفيه. ١٠ - هدايه العوام فى
مهمات الأحكام، رساله عمليه مطبوعه. و غير ذلك. (١)

فدا حسين الشيخ:

ولد سنه ١٢٧٨ فى لكهنو بالهند و توفى سنه ١٣٥٣.

هذا هو الاسم الذى اشتهر به، و لكنه فيما كتبه عن نفسه فى كتاب (الاعتذار) يقول ان اسمه محمد الشهير بسراج الدين حسن، و
انه عرف بفدا حسين.

نشا فى لكهنو و درس فيها على ملا حبيب حيدر و المفتى محمد عباس.

ص: ٢٠٨

١- السيد أحمد الحسينى.

و كان زميلا للسير [] السيد احمد خان، أدبيا باللغه العربيه مؤلفا فيها و قد نشر مقالاته فى صحف مصر و بيروت، خبيرا باللغتين الفارسيه و الإنكليزيه، عضوا فى جمعيه تاريخ جامعه البنجاب.

من مؤلفاته: الاستشعار فيما سنح لى من السنه الالهيه من نوادر الأفكار، كتاب الحق المبعثر، كتاب الكشف، عبرات العين، إكمال السنه، الاعتذار عما يتعامل من رسوم العزاء فى تلك الأمصار، تحفه الدهر، اعلام الورى، نقد الآثار، قصيده لاميه الهند، قصائد عربيه، سبيكه اللجين فى مناقب مولانا ناصر حسين، رساله سوز خوانى فى المراثى الحسينيه).

ملا فرج الله الشوشتري:

توفى سنه ١٠٨٥.

من مشاهير علماء حيدرآباد (الهند) و فضلائها و ادبائها و شعرائها، و كان ينظم الشعر باللغه العربيه و أورد له فى (سلافه العصر) مدائح فى نظام الدين احمد على.

فرمان على:

ولد سنه ١٢٢٠ فى بلده (جندن بتى) التابعه لمحافظة (بهار) فى الهند و توفى سنه ١٣٣٤ من علماء بهار، درس الأوليات فى بلده ثم انتقل لإكمال الدراره فى لكهنؤ فدخل المدرسه الناظميه. عمل على ترجمه القرآن و تفسيره تفسيراً مطولاً و تفسيراً موجزاً، و طبعت الترجمة و التفسيران، فلقيا إقبالا حسنا.

و إلى جانب دراسته الفقه و الأصول و الحديث و التفسير درس الطب القديم و صار فيه حاذقا و تعاطى تطيب الناس، كما كان خطيبا بارعا، و عدا ترجمه القرآن و تفسيره فقد ألف كتباً دينيه فى الأصول و الفروع للمدارس، و رساله فى النحو. كما نشر عده بحوث فى الجرائد و المجلات.

الشيخ فضل على بن الشيخ ولى محمد أو ولى الله القزوينى

المعروف بالمهدوى:

ولد فى قزوین سنه ١٢٩٠ و توفى ١٣٦٧ و دفن فى شيخون بقم قريبا من مقبره الميرزا القمى.

أخذ المقدمات و فنون الأدب على أفاضل مدرسى المدرسه الصالحيه قزوین و أكمل السطوح و شطرا من الخارج على الشيخ محمد على البرغانى القزوينى عميد المدرسه الصالحيه ثم توجه إلى طهران و تتلمذ فى الحكمة و الفلسفه على السيد أبو الحسن جلوه المتوفى سنه ١٣١٤ و بعد وفاه استاذه المذكور توجه إلى أصفهان و أخذ عن اعلامها و منها قصد العراق و سكن كربلاء و تفقه على مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى البرغانى الحائرى آل الصالحى و أخذ الفلسفه العالیه عن الشيخ الميرزا علامه البرغانى الحائرى آل الصالحى ثم هاجر إلى النجف الأشرف و التحق به بحوزه درس الآخوند محمد كاظم الخراسانى و تخرج عليه فى الفقه و الأصول ثم عاد إلى موطنه قزوین و تصدر للتدريس و الفتوى و الامامه و التف حول جمع من أفاضل طلاب

العلوم الدينيه و كان يمتاز بحلاوه التعبير و حسن التفهيم و رشاقه البيان و احاطته بآراء السلف مما جعله من أشهر المدرسين فى المدرسه الصالحيه و عند ما اندلعت نيران الثورة الدستوريه فى ايران المعروفه ب (مشروطه) كان فى طليعه الثوار مدافعا عن استاذه الآخوند الخراسانى و ناضل و جاهد من أجلها ثم انتخب عن مدينه قزوين فى دوره الثالثه نائبا فى البرلمان ثم اختلف مع البهلوى الأول و تمكن من الخروج من ايران و التجأ إلى كربلاء مده خمس عشره سنه اشتغل فيها بالتدريس و الإرشاد و الإصلاح و قام بتاديه الوظائف الشرعيه و اداره الأمور و اشتهر اسمه بين الأفاضل و الأوساط العلميه و كان رئيسا مطاعا عند الخاص و العام ثم عاد ثانيه إلى موطنه قزوين و أصبح فى مصاف كبار زعماء الدين و أئمه الفتوى حتى توفى فى سفره إلى قم لزياره السيده فاطمه و دفن هناك.

ترك المترجم له مؤلفات ذكر قسما منها شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرك الطهرانى فى موسوعته (الذريعه إلى تصانيف الشيعه) منها ١ - مقتل الحسين (ع) فى ثلاث مجلدات الجزء الأول فى ذكر رجال و أصحاب أبى عبد الله السيد الحسين (ع) و الجزء الثانى فى حياه الامام (ع) و الجزء الثالث فى ذكر النساء اللواتى شاركن فى واقعه الطف ٢ - كتاب مذهب و جعفر أو جعفر و مذهب فى بيان أحوال الامام الصادق (ع) و ذكر تراجم رؤساء المذاهب الأربعة ٣ - شرح خطبه الزهراء ٤ - تاريخ و أحوال السيده فاطمه أخت امام الرضا (ع) ٥ - ترجمه حياه فاطمه الزهراء (ع) و نجله الشيخ محمود المهدوى هو اليوم من العلماء الأعلام فى قزوين و من مدرسى الخارج و رجال الفتوى و الامامه. (١)

فضل على المعروف بملا فضلى بن أشرف على خان:

ولد سنه ١١٢٣ فى الهند و توفى سنه ١١٩٠.

هو صاحب كتاب (كربل كتها) اى: قصه كربلاء. و هو أول كتاب دون باللغه الأردويه فى الهند، إذ كانت هذه اللغه لغه تخاطب لا لغه تدوين، حتى دون بها هذا الكتاب، فابتدأ به عهد تدوينها.

و فى الكتاب خمس عشر مجلسا: الأول فى أحوال النبى (ص).

و الثانى فى وفاه الزهراء (ع). و الثالث فى شهادة أمير المؤمنين (ع).

و الرابع فى شهادة الحسن (ع). و الخامس فى شهادة مسلم بن عقيل.

و السادس فى شهادة أبناء مسلم بن عقيل. و السابع فى أحوال صحراء كربلاء. و الثامن فى شهادة القاسم بن الحسن (ع). و التاسع فى شهادة العباس (ع) و العاشر فى شهادة على الأكبر (ع). و الحادى عشر فى شهادة على الأصغر. و الثانى عشر فى شهادة الحسين (ع). و هناك خمس مجالس بعنوان الخاتمه.

فضل الله أنجو الشيرازى:

ولد سنه ٧٥٠ و توفى سنه ٨٢٢.

هو من سلالة حسن بن إبراهيم الطباطبائي، و أسرته (أنجو) من الأسر العريقة في شيراز كما في الهند. و كان المترجم من تلاميذ سعد الدين التفتازاني، و كان مقربا من السلطان شمس الدين البهمني الذي كان خالا لفيروز خان و احمد خان، فعند ما تولى فيروز خان أمور السلطنة جعل المترجم و كيل السلطنة، و كان لهم دور هام حيث واجه أعداء الدولة عسكريا و تغلب عليهم. و هو من معاصري لطف السبزواري و الحكيم حسن الكيلاني و السيد محمد كاذرائي و ملا إسحاق

ص: ٢٠٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

الميرزا فضل الله المعروف بشيخ الإسلام الزنجاني:

مرت ترجمته في المجلد الثامن من (الأعيان). و نعيدها بتفاصيل أوسع:

ولد بزنجان يوم الجمعة ٢٣ شهر شوال ١٣٠٤ و توفي سنة ١٣٧٣ العالم الجليل و الكاتب المحقق الخبير.

كان والده الميرزا نصر الله شيخ الإسلام من كبار علماء زنجان، من تلامذه السيد علي القزويني (المتوفى ١٢٩٨ هـ) صاحب الحاشية على القوانين (الذريعة: ج ٦، ص ١٧٧ رقم ٩٦٦) ابن السيد إسماعيل الموسوي القزويني و عنوان "شيخ الإسلام" كان لقباً لأسرته بزنجان منذ عدة أجيال، و هي إحدى الأسر العلمية العريقة القديمة كان الجد الأعلى للمترجم له، الفقيه المجاهد الملا علي الزنجاني المستشهد سنة ١١٣٦ في الدفاع عن بلاده حينما هاجمها العثمانيون من الشمال و الشمال الغربي في حلف بين العثمانيين و الروس عقيب توأطهم على تقسيم إيران بعد حكم علماء استنبول بكفر الشيعة، و لما وصلت هجماتهم نواحي زنجان، خرج الملا علي الزنجاني مع جماعه من الأهلين للدفاع، في قرية "قمچقاي" على سبعة فراسخ من جنوب زنجان، و اشتد القتال حتى استشهد هذا الزعيم الروحي، و لما وصل بنا قتله إلى استاذة السيد قوام الدين السيفي القزويني (المتوفى ١١٥٠) الشاعر، رثاه بأبيات عاطفيه رقيقه بالفارسيه ارخ بها عام استشهاده.

(طبقات أعلام الشيعة: القرن ١٣ ص ٥٣١، و منتظم ناصري ج ٢ ص ٢٢٩-٢٣١، و شهداء الفضيله ص ٢٤٨-٢٥٣)، تعلم المترجم له الأدب الفارسي و العربي، ثم الفقه و الأصول و المنطق ببلدته زنجان، ثم تتلمذ في الفلسفه عند الحكيم الميرزا مجيد الزنجاني من كبار تلامذه الميرزا أبي الحسن جلوه و الآقا علي المدرس و في أصول الفقه علي الميرزا عبد الله بن احمد الزنجاني (المتوفى ١٣٢٧) من كبار تلامذه الميرزا حسن الشيرازي (المتوفى ١٣١٢ هـ ق) و قد جاء من سامراء لزياره مشهد الرضا (ع) و توقف مده بزنجان.

سافر المترجم له سنة ١٣٣١ إلى النجف و بقي فيها ثمانين سنين، يدرس العلوم العاليه الإسلاميه على اساتذتها: السيد كاظم اليزدي، و الملا فتح الله شيخ الشريعه الاصفهاني و الآقا ضياء الدين العراقي، و الميرزا محمد تقى الشيرازي في تدريسه الخاص بكربلاء.

و قد نال الميرزا فضل الله إجازة الروايه و الاجتهاد من عده من العلماء و مراجع التقليد كالسيد حسن الصدر العاملي، و السيد محمد الفيروزآبادي اليزدي و شيخ الشريعه الاصفهاني بالنجف و بعض علماء السنه كالسيد محمود شكرى الآلوسى.

صرف المترجم له عمره في البحث و التحقيق، و جعل انتاجه العلمى في خدمه العلماء و الباحثين، فترى عباس إقبال الآشتياني المؤرخ الشهير (١٣١٤ - ١٣٧٥ هـ ق) في كتابه القيم "خاندان نوبختى ط طهران ص ١٥ - ١٦ من المقدمه "يؤكد ما استفاد منه و من أخيه أبي عبد الله الزنجاني (١٣٠٩ - ١٣٦٠ هـ ق) مؤلف تاريخ القرآن.

اهتم شيخ الإسلام الزنجاني بجمع نفائس المخطوطات القديمه، و انتقل أربع مائه مجلد منها إلى مكتبه مجلس الشورى بطهران.

بدأ شيخ الإسلام بالتأليف والكتابة و عمره ١٦ سنة و أدام ذلك حتى آخر أيام حياته، فألف في أوان تحصيله في زنجان و النجف عدة رسالات مستقلة في الكلام، و حواشي على بعض كتب العلماء المتقدمين، ثم بعد رجوعه إلى موطنه زنجان ألف مقالات في تاريخ علم الكلام و تاريخ التشيع، و رسائل في أحوال هشام بن الحكم و المسعودي و كان يبدو جلياً بعده عن التطرف في الفلسفة الصدرائية و المشى على خط الأفندي في رياض العلماء (١٠٦٦ - ١١٣١ هـ ق) كما يظهر من آثاره الآتية:

ألف في الفلسفة: ألف:

١ - رساله في الرد على قاعده "الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد".

٢ - رساله في الحكمه و أقسامها.

٣ - إثبات الماهيه و الرد على ملا صدر الشيرازي في أصاله الوجود.

٤ - التقريب في شرح التهذيب لسعد الدين التفتازاني (المتوفى ٧٩٣).

٥ - الحاشيه و الرد على الملا صدرا في قوله بالحدوث الذاتى و القدم الزمانى.

٦ - الحاشيه على قسم المنطق من المنظومه للسيزوارى.

٧ - الحاشيه على شوارق الإلهام لعبد الرزاق اللاهيجى "فياض" (المتوفى ١٠٧٣ هـ ق) صهر الملا صدرا.

٨ - الحاشيه على منهج المقال و غيرها من الكتب الرجاليه.

ب: و فى البحوث التاريخيه ألف:

١ - علم الكلام و تاريخه فى الإسلام.

٢ - التشيع فى التاريخ.

٣ - مصنفات الشيعة فى العلوم الإسلاميه.

٤ - تراجم علماء زنجان إلى القرن التاسع.

٥ - مقدمه و تعاليق على كتاب "أوائل المقالات فى المذاهب و المختارات" طبع بتحقيق و تصحيح الحاج الميرزا عباس قلى الواعظ الچرندابى مرتين بتبريز و طبع طبعه مصوره أخيراً بالأفست فى قم و يطبع الآن طبعه أنيقه بتحقيق الأستاذ الدكتور مهدى محقق. (١)

الميرزا فضل الله بن محمد الشريف:

من أعلام القرن الثاني عشر ظاهراً، و له عنايه بالعلوم الأدبيه و اللغه.

له "تبصره الصبيان" (٢).

الشيخ فضل الله المازندراني بن محمد حسن:

توفي سنه ١٣٤٤ فى كربلاء عن سن عاليه.

تخرج أولاً على والده المولى محمد حسن المازندراني الحائري الذي كان من علماء عصره الأعلام.

ثم تتلمذ بالنجف الأشرف فى الفقه و الأصول على الفاضل الايرواني و السيد على بحر العلوم صاحب البرهان و أخيه السيد حسين بحر

ص: ٢١٠

١- الشيخ أبو ذر بيدار.

٢- السيد أحمد الحسيني.

العلوم و السيد حسين الكوه كمرى و الحاج ميرزا حبيب الله الرشتى و المولى لطف الله اللارىجانى و الشيخ زين العابدين المازندراني و غيرهم.

و سكن كربلاء بعد طى المراحل العلميه بالنجف، و بدأ بالتدريس لجماعه من طلاب الحوزه العلميه فتخرج عليه بعض الأفاضل.

له أولاد كلهم أفاضل علماء، ارشدهم الشيخ على المازندراني الحائرى و أشهرهم الشيخ محمد صالح كوبى.

ترك من المؤلفات شرح شرائع الإسلام فى تسعه مجلدات.(1)

السيد قاسم على البحريني:

توفى سنه ١٣٤٩.

كان من أفاضل علماء لكهنو (الهند) خطيباً أديباً شاعراً. ترجم إلى اللغه الأردويه (الصحيفه الكامله) و منها ترجمها احمد على موهانى إلى اللغه الإنكليزيه. كما ترجم إلى الأردويه كتاب (معالم الأصول) و لكن هذه الترجمة لم تطبع.

فقير الله اللاهورى:

ولد سنه ١٠٦٤ و توفى سنه ١١٥٤.

كان من كبار علماء لاهور و فضلائها، و كان يعنى بتدريس علم الكلام و العقائد، كما كان فى الوقت نفسه شاعراً مجيداً.

الحاج فياض حسين الولى بن قاسم على:

ولد سنه ١٢٨٩ فى مظفرآباد (الهند) و توفى سنه ١٣٥١.

هو من حفاظ القرآن و مجودى قراءته. درس التجويد على جعفر على جارجوى. انتقل سنه ١٣١٢ إلى لكهنو و درس فى مدرسه حسينيه غفران مآب ثم فى المدرسه الناظميه.

فى سنه ١٣١٨ ذهب إلى حيدرآباد و أقام هناك مجلساً لحفظ القرآن و تلاوته مجوداً. ثم سافر إلى العراق و التقى فيه كبار العلماء.

ألف: نخبه الأحكام، و رساله القراءه، و تعليم النسوان، و أنيس المحدثين و رفيق الواعظين.

الشيخ فياض الدين الزنجاني بن الآخوند ملا محمد السرخه ديزجى :

ولد سنه ١٢٨٥ فى قريه (سرخه ديزج) على سبعة فراسخ شرقى مدينه زنجان و توفى فى زنجان سنه ١٣٦٠ و بها نشأ نشأته الأولى فى القريه فاخذ المبادئ و السطوح عن علماء أفاضل فى القريه و فى مدينه زنجان، و منهم والده ملا محمد الديزجىالذى كان

عالما فاضلا مدرسا فى كتابى "قوانين الأصول" و "شرح اللمعه".

ثم انتقل إلى طهران و تتلمذ على معاريف علمائها، و فى مقدمتهم الحاج ميرزا محمد حسن الأشتياني و الميرزا أبى الحسن المعروف بجلوه الاصبهاني.

و بعد ذلك هاجر إلى العتبات المقدسه و استقر بالنجف الأشرف، فتتلمذ فى الفقه و الأصول على علمائها الأعلام، و منهم الفقيه الشيخ هادى الطهراني، و كان أكثر استفاداته العلميه منه و هو من عيون تلامذته.

ثم عاد إلى زنجان نحو سنه ١٣٢٦ و أقام بها إلى حين وفاته مشتغلا بالتدريس و تربيه طلاب العلوم الدينيه، و متوليا للشئون العامه و الإرشاد.

و رجع اليه فى الفتيا و التقليد جماعه من أهالى زنجان و نواحيها، و طبعت له رساله عمليه، كما ترك بعض المؤلفات الفقيهيه.(٢)

قادر حسين مدراسى:

ولد سنه ١٢٥٠ فى مدينه مدارس (الهند) و توفى سنه ١٣٢٠.

درس دراسه أوليه فى مدارس و بمبئى ثم انتقل إلى العراق لمتابعه الدراسه فى النجف و كربلاء فمكث هناك عشر سنين. و فى سنه ١٢٩٠ عاد إلى بمبئى مرشدا دينيا لأهلها فادى هناك أحسن الخدمات العلميه و الاجتماعيه و أسس مدارس و مساجد. ترك من المؤلفات: جراغ هدايت (مصباح الهدايه).

الشيخ قاسم بن إبراهيم الخوئى:

هاجر من بلاده و توطن فى كربلاء و اشتغل بالوعظ و الإرشاد، و كانت وفاته قبل سنه ١٢٨٣ التى كتب فيها ابنه الشيخ قربان على كتاب أبيه.

له "تحفه الذاكرين".(٣)

الأمير قرجغاي خان التركمانى القزوينى:

كان حيا سنه ١٠٦٥.

قائد قوات جيش الشاه عباس الصفوى (جلوس ٩٩٦ - ١٠٣٨) لم أفق على تاريخ ولادته و وفاته الا ان نجله الشيخ على قلى خان المار الذكر ولد فى أصفهان سنه ١٠٢٠ و كان ساكنا فى قروين العاصمه آنذاك ثم ساهم فى ثوره الشاه عباس سنه ١٠٠٢ على الصوفيه و ذوى الميول الفلسفيه و اقصائهم عن الجيش حتى بالقيام بمجزره كما ساهم فى نقل العاصمه من قروين إلى أصفهان فى سنه ١٠٠٦ و كان من المقربين إلى الشاه عباس و عينه الشاه حاكما على خراسان و سادنا للروضه الرضويه فى مشهد

و متوليا لموقوفات الروضه و هو أبو الاسره آل التركمانى فى قزوين و أصفهان و خراسان و قم و آل التركمانى: من أعرق الأسر العلميه الشيعيه التى نبغ منها علماء و فلاسفه و رؤساء و انتهت إليهم الرئاسه فى كل من قزوين و أصفهان و خراسان و قم و قد بزغ نجمهم فى أفق قزوين منذ عهد المترجم له فى أواخر القرن العاشر و عند انتقال العاصمه من قزوين سنه ١٠٠٦ إلى أصفهان هاجر المترجم له مع الشاه عباس إلى أصفهان. و قد خلف المترجم له أولادا ثلاثه أكبرهم الشيخ منوچهر خان التركمانى الذى كان من تلاميذ المجلسى الأول الشيخ محمد تقى المتوفى سنه ١٠٧٠ (٤) و قد انتهت إليه حكومه خراسان فى حياه أبيه و ثانيهم الشيخ على قلى خان كان من أكابر الفلاسفه صاحب مؤلفات

ص: ٢١١

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- انظر الروضه النضره فى علماء المائه الحاديه عشره ص ٥٨٧ بيروت مؤسسه فقه الشيعه الطبعة الأولى عام ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

هامه منها تفسير خزائن جواهر القرآن و مؤلفات فلسفيه(١) الآتى ذكره و ثالثهم الشيخ محمد على خان التركمانى والد الشيخ محمد كاظم التركمانى. و كان أول من هاجر إلى قم الشيخ على قلى خان ابن المترجم له و اشتهر فى الأوساط العلميه العالیه فى أواخر القرن الحادى عشر و هو والد الشيخ مهدي قلى خان الذى أسس مدرسته الدينيه سنه ١١٢٣ و لا تزال معروفه حتى اليوم باسمه فى قم(٢) و سوف نذكر كل منهم فى محله ان شاء الله.

ذكره شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرك الطهرانى فى الروضه النضره ص ٤٥٧ قال (قرچغای خان: من الفضلاء الأعيان الاشراف و من أمراء دوله الشاه عباس الماضى (٩٩٦ - ١٠٣٨) و توجد من آثاره الباقيه مجموعه دونها بخطه موجوده فى مكتبه أمير المؤمنين (ع) (فى النجف الأشرف) فيها (سرمایه ايمان) لعبد الرزاق اللاهيجى فرغ من الكتابه ٤ رجب ١٠٦٥ هجرىه و دعا لمصنفها بقوله (وفقه الله لما يرضاه و جعل آخرته خيرا من دنياه..) و كتب قبله (الفوائد الصمدیه) للبهائى مع حواشى منه رحمه الله و فرغ منه ١٧ جمادى الأولى سنه ١٠٦٢ هجرىه و كتب (زهر الحديقه) فى لغز النحو الذى أرسله البهائى إلى تلميذه محمد صادق بن محمد على القويسركانى [التويسركانى] فشرحه التلميذ فى حياه استاذه... بالجمله يظهر من هذه المجموعه انه كان من أهل الفضل و خطه جيد فى الغايه و هو مع فضله كان أب العلماء الاعلام فأكبر ولده الحاج منوچهر الذى كان مجازا عن المجلسى الأول فى ١٠٦٠ هجرىه و ابنه الثانى على قلى العلامه المصنف فى المعقول و المنقول كشرح أثولوجيا... و له ولد ثالث اسمه محمد على لم أظفر له بأثر علمى و لكن له ولد فاضل اسمه محمد كاظم... و قد ترك المترجم له بعض الحواشى على الكتب العلميه و الكلاميه و الفقهيه و له خط جميل(٣).

قليج بيك بن فريدون:

ولد سنه ١٢٧٠ و توفى سنه ١٣٤٨.

أصل أسرته من سكان مدينه تفليس عاصمه جورجيا (گرجستان) لذلك كانوا يلقبون ب (گرجى). و بعد أن كانت جورجيا تخضع للسيطره الروسيه هاجمها الايرانيون سنه ١٧٩٧ م و كان والد فريدون و جد المترجم من حكام المقاطعه. و نتيجه للمعارك و الاضطرابات جاء فريدون إلى تبريز و أصفهان فدرس هناك العلوم الإسلاميه، ثم انتقل إلى السند. و عند ما هاجم الإنكليز السند سنه ١٨٤٣ و دخلوها ارتحل فريدون إلى قريه (تندوتهور) من ضواحي حيدرآباد، فولد له هناك ولده المترجم، فدرس فى القريه و تعلم العرييه و الفارسيه و بعض العلوم على الآخوند شفيح محمد و القاضى احمد متياروى. ثم دخل المدارس الحكوميه فانهى الدراسه المتوسطه و الثانويه. و بعد وفاه والده ذهب إلى بمبئى للدراسه الجامعيه، و هناك التقى ميرزا خيرت فتلقى عليه العلوم الإسلاميه، ثم عاد إلى وطنه فاختر لإحدى الوظائف الحكوميه. و فى سنه ١٩٠٩ تقاعد فانصرف إلى المطالعه و التأليف. كان يمتلك مكتبه كبيره تحتوى على آلاف المجلدات المطبوعه و المخطوطه. و قد ترك من المؤلفات: الأفكار (باللغه العرييه) هسترى أوف هذ (باللغه الإنكليزيه) فى مجلدين: زندگانى حضره على (باللغه الفارسيه). إلى الكثير من المؤلفات الاخرى فى الأدب و التاريخ و الأخلاق و العقيده. و لكن معظم مؤلفاته لم يطبع.

السيد قمر الزمان بن السيد محمد رفيع الرضى السبزوارى:

ولد سنه ١٣٢٥ فى بلده جمهولس التابعه لقضاء بلند سهر (الهند) و توفى سنه ١٣٧٩.

كان فقيها شاعرا أديبا طبييا فى الطب القديم. درس فى امرؤهه و لكهنو. و تعاطى التدريس و التطبيب. و كان يجيد اللغات العربيه و الفارسيه فضلا عن الأردويه و ينظم الشعر باللغات الثلاث.

بعد تقسيم الهند جاء إلى باكستان و اقام فى مدينه لاهور و تولى التدريس فى معاهدها العاليه.

ترك من المؤلفات: الحكمة الطالعه فى شرح الشمس البازغه.

و ترجمه جامع المسائل فى الفقه.

قمر الدين اورنگ آبادى:

توفى سنه ١١٩٥.

من علماء الدكن (الهند) و فضلائها و اتقيائها، و هو من بلده (كيواره) التابعه لقضاء (اورنگ آباد).

وجدت أسماء كتبه فى فهرست المكتبه الأصفيه فى حيدرآباد.

قوامى الرازى:

قوامى، هو الاسم الادبى لعدد من الشعراء الناطقين بالفارسيه قبل هيمنه المغول، منهم الحكيم موفق بن مظفر قوامى فريومذى المذكور فى "تاريخ بيهق" صفحه ٢٥٨. و كان من مداحى قوام الدين أبو القاسم ناصر بن على درگزينى، وزير سلاجقه العراق المعروف، و كذلك قوامى مطرزى كنجى شقيق الشاعر المعروف نظامى، الذى عاش فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى، و أمير قوامى خوافى من معاصرى عوفى صاحب لباب الألباب، و قوامى الرازى الذى نحن بصدد الحديث عنه الآن.

و من المؤسف انه لم يبق لنا من قوامى الرازى، مقادير ملحوظه من الشعر، اما ديوانه فقد تعرض للتلف، شانته فى ذلك، شان غالبية شعراء الرى القدامى، مثل منصور منطقى و بندار و مسعود و أبو المعالى نحاس و غضائرى و شمس و أبو المفاخر، و لم يصل إلينا من شعر قوامى الرازى سوى قطع شعريه متناثره فى بعض المجاميع الشعريه و كتب المذكرات و هذه أيضا يصعب تعيين تاريخها الذى لم يذكر معها ابدا.

و اللافت ان كتب "التذكرة" (٤) و باقى الكتب الفارسيه القديمه مثل "جهار مقاله" (المقالات الأربع) و "تذكرة الشعراء" لدولت شاه، و معجم اسدى و غيرها لم تتطرق إلى ذكر قوامى الرازى، بل ان أقدم مطبوع ورد فيه ذكره، مجموعه تاريخيه تعود إلى القرن العاشر الهجرى، حوت

ص: ٢١٢

١- انظر أعيان الشيعة ج ٨ ص ٣٠٢ بيروت دار التعارف عام ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م و قد استدر كناه عليه كثيرا.

٢- انظر تاريخ مدارس ايران ص ٣٣٨ طهران الطبعة الأولى سنه ١٣٦٤ شمسيه.

٣- انظر تاريخ مدارس ايران ص ٣٣٨ طهران الطبعه الأولى سنه ١٣٦٤ شمسيه

٤- مصطلح فارسي يطلق على الكتب التي تؤرخ الحياه و أحوال الشعراء و العلماء و أهل العرفان.

مقطوعات شعرية لادباء ايرانيين معروفين، أخذت من كتاب "لباب الألباب لعوفى و مصادر اخرى عديده، كما ورد ذكر قوامى الرازى فى كتاب "هفت إقليم" (الأقاليم السبعه) لمؤلفه أمين احمد الرازى الذى كتبه عام ١٠٠٢ هجرى.

فى المجموعه الشعرية السالفه الذكر - لم يرد تفصيل لأحوال اى من الشعراء الوارده قصائدهم فيه - و منهم قوامى الرازى - اما فى "هفت إقليم" فقد اقتصر فى تعريف قوامى الرازى على السطور التاليه - و هى - كما سيلاحظ القارئ - لا تقدم ما يفيد عن حياته:

"أشرف الشعراء، بدر الدين القوامى، شاعر ارتبط اسمه و شعره و فضله ب "قوام".

كل شعر صدر عن ذلك العنديل كان يطرب السامعين، و يسلب ألبابهم، و لكثره معاشرته و مصاحبته لقوام الدين الطغرائى، عرف ب "قوامى" و قد نظم الكثير من الشعر، لكن شعره الآن أكثر ندره من الياقوت الأصفر و الكبريت الأحمر، و بعد ذلك يدرج صاحب "هفت إقليم" عده مقطوعات من شعر قوامى الرازى.

اما المعلومات التى يوردها صاحب مجمع الفصحاء حول قوامى.

فهى مقتبسه أيضا من كتاب "هفت إقليم" السالف الذكر.

ان المعلومه الوحيدة التى تستخلص مما ورد بشأن قوامى الرازى هى انه كان يحمل القابا مثل "أشرف الشعراء" و "بدر الدين"، و انه اكتسب اسمه الادبى "قوام" لكونه من مادحى "قوام الدين الطغرائى".

و فى كتاب قديم و نفيس باسم "بعض مثالب النواصب فى نقض بعض فضائح الرافض" لمؤلفه نصير الدين عبد الجليل القزوينى ورد ذكر قوامى الرازى فى معرض الحديث عن شرف الدين أبو الفضل محمد بن على مرتضى رئيس الرى عند ما قال: لقد كان بيت القصيد فى قصيده طغرائى هو: "حتى يظهر صاحب الزمان لياشر أمور الدين، فان الشخص الأول هو شرف الدين المرتضى" (١)، و نفس هذه العبارة يوردها القاضى نور الله الشوشترى فى كتاب "مجالس المؤمنين" فى فصل "شعراء العجم". هذه الإشارة الموجهه تبين لنا ان قوامى الرازى كان من مداحى شرف الدين محمد بن على مرتضى رئيس الرى و ذلك حوالى العام ٥٥٦هـ.

إذن - فان قوامى الرازى من شعراء القرن السادس الهجرى. اما بالنسبه لشرف الدين محمد بن على - فهو من أبناء عبد الله الباهر بن الامام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب. و قد كان هو و أبوه من زعماء العلويين فى قم و الرى الذين كان يحيط بهم دوما العلماء و الشعراء، يؤلفون عنهم الكتب و يقولون فيهم الشعر.

اما قوام الدين الطغرائى الذى يقول صاحب "هفت إقليم" ان قوامى الرازى اكتسب اسمه الأدبى منه - و ذكره فى أحد أشعاره، فلا يمكن ان يكون غير قوام الدين درگزىنى ابن قوام الدين أبو القاسم ناصر بن على درگزىنى ابن قوام الدين أبو القاسم ناصر بن على درگزىنى الذى حمل لقب قوام الدين بعد مقتل والده عام ٥٢٨هـ، و فى عهد طغرل الأول (٥٧١ - ٥٩٠هـ) خلف قوام الدين أخاه جلال الدين فى منصب الوزارة. و ما يعزز هذا الاعتقاد انه لم يعرف أحد باسم قوام الدين بين أعيان دوله السلاجقه

فى العراق و همدان فى الفتره الفاصله بين مقتل قوام الدين درگزىنى الأول و عهد طغرل الثالث. و هى الفتره التى عاش فيها قوامى الرازى. إذن فكما ان قوامى فريومذى اكتسب اسمه الادبى من لقب قوام الدين درگزىنى الأول وزير سنجر و مسعود، فان قوامى الرازى يبدو انه اكتسب اسمه الادبى أيضا من لقب ابن قوام الدين الأول الذى أصبح فيما بعد وزيرا لطرغل الثالث.

و من مقطوعاته الشعريه ما ورد فى "هفت إقليم" ما ترجمته النثر العربيه.

دع الخضاب فلعله لا- يخفى الشيب و كن كما أنت، دون ستار بياض الشيب كالصبح بنوره، فلما ذا تحوله بالخضاب إلى ليل داكن.

السيد كاظم العصار الطهرانى:

و قد يقال: محمد كاظم بن محمد بن محمود الحسينى اللواسانى الطهرانى.

ولد سنه ١٢٠٥ [١٣٠٥] أو سنه ١٣٠٢ فى الكاظميه و توفى فى طهران سنه ١٣٩٤.

مولده و نشأته:

نشأ فى كنف والده السيد محمد العصار الذى كان من أعلام علماء عصره و له آثار تأليفه كثيره مطبوعه و مخطوطه.

استصحبه والده إلى طهران و هو فى السنه الثانيه من عمره، و تعلم العلوم الادبيه و المقدمات بها على أبيه و غيره، و تخرج فى دراساته الحديثه من دار الفنون.

ثم ذهب إلى أصفهان سنه ١٣٢٣ و هو فى الثامنه عشره من عمره، و بقى بها ثلاث سنوات يدرس الفلسفه الالهيه العالیه على الآخوند ملا محمد الكاشى و الآخوند بهانگیر [جهانگیر] خان القشقائى.

ثم انتقل إلى طهران و بقى بها بعض السنوات متلمذا فى الفلسفه أيضا على الميرزا هاشم الاشكورى الرشتى و الميرزا حسن الكرمانشاهى و مير شهاب الدين النيريزى الشيرازى و ميرزا محمد طاهر التنكابنى، و فى العلوم الدينيه على والده السيد محمد العصار و الشيخ عبد النبى النورى و الشيخ محمد باقر النجم آبادى.

و فى هذه الفتره سافر من طريق روسيا إلى اوربا و بقى سنه واحده فى باريس اتقن بها الفرنسيه و تعلم العلوم الرياضيه على الطريقه الحديثه.

ثم ذهب إلى العتبات المقدسه فى العراق سنه ١٣٣٠، و أقام أولا فى سامراء سنتين متلمذا على الميرزا محمد تقى الشيرازى، و لكن كان أكثر إقامته بالنجف الأشرف متلمذا فى الفقه و الأصول العالين على كبار علمائها، و من أساتذته فيها

شيخ الشريعة الاصفهاني و السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي و الشيخ ضياء الدين العراقي. و كان معجبا باستاذه الأخير غايه الاعجاب و ينقل آراءه العلميه فى كل مناسبه، كما ان استاذه هذا كان شديد العطف عليه و يأمل ان يكون فى المستقبل من الشخصيات العلميه البارزه بالنجف.

ثم عاد السيد إلى طهران سنة ١٣٤٠ و هو فى الخامسة و الثلاثين من سنى عمره، و اشتغل فيها بتدريس الفقه و الأصول العالين و الفلسفه، و ربي جماعه من أفاضل العلماء فى هذه العلوم، كما انه فى نفس الوقت كان يدرس فى دار المعلمين العالیه.

اختير استاذًا فى جامعته طهران منذ تأسيسها سنة ١٣٣٥، فدرس فى كليه الآداب و كليه العلوم العقلية و النقلية سنين، و منذ سنة ١٣٦٥ درس فى مدرسه سپهسالار الجديده حتى وفاته.

كان طيب المحضر فى أحاديثه و محافله، يمزج الجد بالهزل فيحس مستمعه بطلاوه فى كلامه و يرتاح إلى سماعه، له محبه فى قلوب تلاميذه و عارفيه، يعظمونه غايه التعظيم و يذكرونه بالاحترام كلما يجرى ذكره.

كان متبحرا فى العلوم العقلية و النقلية متمكنا منها، و له بعض الاطلاع فى العلوم الحديثه و واقفا على نظريات فلاسفه العصر من الأوربيين، مجدا فى العلوم اكتسابا و إفاده، لا يمل من طول قراءه و كتابه و تربيته الناشئه. مع غايه البساطه فى حياته الخاصه و عدم الاعتناء بالمظاهر.

من مؤلفاته:

١ - ترجمه ثلاث رسائل، إلى الفارسيه:

٢ - تعليقات على جواهر الكلام.

٣ - تفسير سوره الفاتحه، إلى آيه "مالك يوم الدين"، و هو محاضرات فارسيه طبعت فى كراريس بطهران سنة ١٩٣٨ م.

٤ - ثلاث رسائل، فى وحده الوجود و الجبر و التفويض و البداء.

٥ - الجمع بين الرياضيات القديمه و الحديثه.

٦ - حاشيه على الاسفار، لملا صدرا.

٧ - حاشيه على شرح العرشيه.

٨ - حاشيه على العروه الوثقى، استدلاليه.

٩ - حاشيه على كفايه الأصول.

١٠ - حاشيه على المكاسب، غير تامه.

١١ - حاشيه على منظومه السبزواری.

١٢ - حول القرآن الكريم، رد فيه على جماعه من الأوربيين.

١٣ - شذرات في الفقه و الأصول، تقارير دروس بعض أساتذته.

١٤ - علم الحديث، طبع بطهران سنه ١٩٣٨ و سنه ١٩٧٥ م.

١٥ - منظومه في الفلسفه الالهيه. (١)

الميرزا كاظم بن محمد التبريزي الملقب بأسرار علي:

ترجمه السيد شهاب الدين المرعشي على نسخه من كتاب "مرآه سير" بما يلي:

مؤرخ فاضل شاعر عارف، من تلامذه الحاج ميرزا حسن صفا و الحاج محمد علي الخراساني المعروف بمشتاق، ولد سنه ١٢٦٥ و المظنون أنه توفي سنه ١٣١٢.

أقول: كان من الدراويش النعمه اللهييه، و يتخلص في شعره ب "أسرار".

له "تراجم العرفاء" ثلاث مجلدات و "مرآه سير". (٢)

كافي بن محتشم القائني، أبو جعفر:

من أعلام القرن العاشر متبحر في الفلسفه و له تأليف فيها، قرأ عليه الصدر الأمير معز الدين محمد الأصبهاني كما ذكره تلميذ الصدر السيد صفى الدين محمد الحسنى في النسخه التي نسخها من "تحرير المجسطى" لنصير الدين الطوسى في سنه ١٠٢٠. (٣)

السيد كرامت حسين الكنتوري بن السيد سراج حسين:

ولد سنه ١٢٦٩ في بلده جهانسي (الهند) و توفي سنه ١٣٣٥ في لكهنو كان يجيد العربية و الفارسيه و لغات أخرى، تولى التدريس في احدى المدارس، ثم اتيح له السفر إلى بريطانيا حيث درس الحقوق هناك، و عند عوده إلى الهند تولى تدريس الحقوق في جامعه علي گر، و نشر كثيرا من الدراسات و البحوث في الصحف.

ترك من المؤلفات: فقه اللسان، الحقوق الفرائض، الأمور العامه، علم القانون، علم الأخلاق.

الحافظ كفايت حسين بن عبد الله:

ولد سنه ١٣١٦ في بلده شكاربور من توابع فضاء بلند شهر في الهند. و توفي سنه ١٣٨٨ في مدينه لاهور بالباكستان.

كان أبوه تاجرا و كان يتردد على مدينه لكهنو مقر مدارس الشيعه و علمائهم فاستهواه الجو العلمى فرغب ان يدخل ابنه فيه. و كان مولانا محمد عوض تلميذ السيد نجم الحسن قد أنشأ مدرسه لتحفيظ القرآن فالحقه والده بهذه المدرسه و عمره ثمانى سنوات و كان استاذه فيها الحافظ مهدي حسن فحفظ على يديه عشره اجزاء من القرآن. ثم تابع حفظ القرآن على يد الحافظ السيد غلام حسين حتى حفظه كله، و من هنا لحقه لقب (الحافظ).

و فى سنه ١٩١٠ م جاء إلى لكهنو و دخل المدرسه الناظميه و فى سنه ١٩١٧ تخرج بشهاده إتقان العربيه و الفارسيه من مركز (اله آباد) و بدرجه (ممتاز الأفاضل). ثم صار مدرسا للغه الفارسيه فى احدى مدارس لكهنو. و فى سنه ١٩١٩ م انتمى إلى مدرسه الواعظين. و فى سنه ١٩٢٠ أرسل إلى مدينه (بشاور) للإرشاد. و فى سنه ١٩٢٥ جعل قاضيا فى مؤسسه (كورم). و تعلم هناك اللغه السائده لغه (البشتو) و صار يخطب بها و نجح فى إرشاده. على انه قوبل بمعارضه بعض

ص: ٢١٤

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.

العشائر الشرسة حتى حاولوا اغتياله.

و في سنة ١٩٣٤ م تحول من تلك المنطقه، منطقته (باراچار) بدعوه من السيد نجم الحسن إلى البنجاب و عين متوليا للاوقاف هناك. ثم دعاه السيد نجم الحسن إلى التدريس في المدرسه الناطميه، فبقي مدرسا فيها عدة سنوات. و في سنة ١٩٤٦ م أسس (مركز تفسير القرآن) بتعصيد من رضا على خان بيك في (رام پور) فصار المترجم عضوا في هذا المركز و انتقل إلى رام پور. ثم عاد بعد ذلك إلى لاهور مبتعدا عن التدريس و عن العلماء لا سيما عن (لكهنو).

و في سنة ١٩٤٨ أسس (اداره تحفظ حقوق الشيعه) و بقي يدير هذه المؤسسه مده طويله.

و في سنة ١٩٥٧ عازمت الحكومه الباكستانيه على تطبيق التشريعات الإسلاميه فاخترت لجنه للاعداد لهذا الأمر كان المترجم من ابرز اعضائها.

و أسس المدرسه الاماميه لقراء القرآن و العناية بالتجويد. و في سنة ١٩٦٣ عارضه بعض الوجهاء و الاثرياء و ناوأه.

و ظل في لاهور حتى وفاته.

كان من الوجوه العلميه البارزه في الباكستان خطيبا متقنا للفلسفه الإسلاميه على منهج (ملا صدرا) مجيدا لعلوم اللغه العربيه.

كعب بن زهير بن أبي سلمى:

مرت كلمه عنه في المجلد التاسع من (الأعيان). و نشر عنه هنا هذه الدراسه مكتوبه بقلم الدكتور مفيد قميحه.

هو الصحابي الجليل و الشاعر المخضرم المشهور كعب بن زهير بن أبي سلمى، و اسم أبي سلمى ربيعه بن رباح بن قرض بن الحارث بن مازن بن ثعلبه بن ثور بن هذمه بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن إد، و قد جاء في اللسان: و ليس في العرب سلمى بالضم غيره و هو شاعر عالى الطبقة من أهل نجد و كانت محلثهم في بلاد غطفان، فيظن الناس انهم من غطفان، أعنى زهيرا و بنيه و هو غلط و قد وقع ابن قتيبه في الخطا عند ما قال: إن الناس ينسبونه إلى مزينه(١) و إنما نسبه في غطفان، و ليس لهم بيت شعر ينتمون فيه إلى مزينه إلا بيت كعب بن زهير، و هو قوله:

هم الأصل منى حيث كنت و إننى من المزينين المصنفين بالكرم

و لكنه عاد في ترجمته الثانيه لزهير و أصلح ما كان قد ظنه صوابا، و أعاد نسبه إلى مزينه فقال: إنه من مزينه مضر " (٢) أما والدته، فهى " امرأه من بنى عبد الله بن غطفان يقال لها: كبشه بنت عمار بن عدى بن سحيم، و هى أم سائر أولاد زهير " (٣)، و كان زهير قد تزوجها فوق امرأته الأولى أم اوفى التى ذكرها في مطلع معلقته(٤)، لأنها ولدت منه أولادا ماتوا جميعهم و كان زهير يريد لنفسه الولد، فتزوج كبشه تلك فغارت أم اوفى من ذلك و آذته فطلقها ثم ندم فقال:

لعمرك و الخطوب مغيرات و فى طول المعاشره التقالى

لقد باليت مطعن أم اوفى و لكن أم اوفى لا تبالي

(٥) أما مولده، فلا تذكر المصادر شيئا عن تاريخه، و كل الذى ذكرته انه عاش مع والده فى ديار بنى غطفان بعد ان رحل عن مزينه، و أقام فى الحاجر: من ديار نجد، و استمر "أى زهير" فيه و بنوه بعد الإسلام،(٦)و الحاجر: اسم لموضع و هو فى لغه العرب ما يمسك بالماء من شفه الوادى(٧)، و يظهر انه ولد فى ديار قوم أمه و تاثر بهم حتى صار واحدا منهم " يشترك فى جميع ما تيهم حربا و سلما، و قد رثى ربيعه بن مكدم الكنانى لصلته بقوم أمه.(٨)

و يبدو أن شاعريه كعب قد ظهرت فى وقت مبكر، و لا- غرو فى ذلك فهو ينتمى إلى بيت من بيوتات الشعر التى تالقت فى الجاهليه، و خلفت لنا العديد من الشعراء المشهورين، و يتفق الرواه بشكل تام على ان الشعر لم يتصل فى ولد أحد من فحول الجاهليه اتصاله فى زهير و ولده، يقول ابن الأعرابى: كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعرا و خاله شاعرا، و أخته سلمى شاعره، و ابنه كعب و بجير شاعرين، و أخته الخنساء شاعره و هى القائله ترثيه:

و ما يغنى توقي الموت شيئا و لا عقد التميم و لا الغضار(٩)

إذا لاقى منيته فأمسى يساق به و قد حق الخدار

و لاقاه من الأيام يوم كما من قبل لم يخلد قدار(١٠)

ص: ٢١٥

١- مزينه: هم بنو عمرو بن أد بن طابخه بن الياس، نسبوا إلى أمهم مزينه نبت [بنت] كلب بن وبرة، منهم النعمان بن مقرن، و منهم معقل بن سنان بن نبيشه صاحب النبى عليه الصلاه و السلام، و انما مزينه كلها بنو عثمان و أوس بن عمرو بن أد بن طابخه، و فى ذلك يقول كعب بن زهير: متى أدع فى أوس و عثمان تاتنيساعير قوم كلهم ساده دعم هم الأسد عند البأس و الحشد فى القريو هم عند عقد الجار يوفون بالذمم

٢- الشعر و الشعراء، ص ٦٩-٧١، راجع كذلك ديوان كعب، ص ٥٢. راجع العقد الفريد، ص ٢٩٦-٢٩٧، ج ٣ و ديوان كعب، ص ٥٣-٥٤.

٣- الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٧.

٤- قال زهير فى معلقته: أ من أم اوفى دمنه لم تكلمبحومانه الدراج فالمثلثم

٥- راجع شعراء النصرانيه للأب لويش شيخو، ج ٢، ص ٥٦٧، و ديوان كعب بن زهير، ص م الدار القوميه للطباعه و النشر، كذلك راجع كتابنا المعلقات، ص ١٤٦-١٤٧، دار الهلال.

٦- راجع فهرس الأعلام للزركلى، المجلد ٣، ص ٥٢.

٧- راجع معجم البلدان لياقوت الحموى، ج ٢، ص ٢٠٤.

٨- فؤاد أفرام البستاني، الروائع ص ٦٩، أيلول ١٩٣٣.

٩- الغضار: نوع من الخزف الأخضر، كان إذا خشى المرء فى الجاهليه على نفسه يعلقه فى عنقه اتقاء من الموت.

١٠- قدار: هو قدار بن سالف الذى يقال له احمر ثمود عاقر ناقه صالح (ع) "لسان العرب ماده ص ٨٠"، راجع قول ابن الأعرابى فى الأغانى، الجزء التاسع، ص ١٥٨.

و هكذا، فان كعبا قد ورث الشعر من طرفى أبيه و أمه، و ورثه من بعد أبناءه و أحفاده، فيقال، ان ابنه المضرب كان شاعرا و اسمه عقبه بن كعب، لقب بالمضرب لأنه شيب بامرأه فضربه أخوها بالسيف ضربات كثيره فلم يمت، و كذلك حفيده العوام بن عقبه بن كعب كان شاعرا أيضا. (1) و لكعب ابن آخر، من ولده الحجاج بن ذى الرقيبه بن عبد الرحمن بن عقبه بن كعب، و هو الذى روى عنه التبريزى قصيده (بانت سعاد) من طريقه سندا. (2)

مما تقدم نستدل على ان كعبا كان سليل بيت شعري اصيل، له قدم و سبق فى نظم الشعر و ترسيخ قوافيه، و اثر قوى فى صناعته و تهذيبه و صقله، و يشير الحطيئه (3) صراحه إلى مزايا ذلك البيت و عراقته فى الشعر و نظمه و تنقيحه، فينقل الرواه عنه انه اتى كعبا و طلب منه ان يذكره فى شعره حتى يتحقق له الفضل و الشرف على غيره من الشعراء، فعن أبى عبيده قال: اتى الحطيئه كعب بن زهير و كان الحطيئه راويه زهير و آل زهير فقال له: يا كعب، قد علمت روايتى لكم أهل البيت و انقطاعى إليكم، و قد ذهب الفحول غيرى و غيرك، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك و تضعنى موضعا بعدك، فان الناس لأشعاركم اروى، و إليها أسرع فقال كعب:

فمن للقوافى شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب و فوز جروا

كفيتك لا تلقى من الناس واحدا تنخل منها مثل ما اتنخل

يثقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل

(4) هذه الحادته تدل على المكانه الشعريه البالغه لذلك البيت، و هى مكانه كما نرى كان بإمكانها ان ترفع و تضع، و ان تشهر و تخمل، كما بإمكاننا أيضا ان نستشف منها مدى التأثير البالغ و الشهره العريضه التى جعلت من ذلك البيت مدرسه تحوكم الشعر و تعلمه، و تكتب لمن تشاء الخلود و لمن لا تشاء النسيان و خموم الذكر.

و قد نشأ كعب فى ذلك البيت، و تلقى علومه الأوليه فيه، فترعرع على حب الشعر و الاستماع اليه، و كان له من والده خير معلم و مثقف، و تذكر الروايات رعايه والده له، و مراقبه فطرته الشعريه التى تكفلها زهير بالعايه حتى استحكمت، و صلب عودها و ترسخ قدمها فسمح لها ان تنظم الشعر، و تنفى عنه كل ما يسىء اليه، من هذه الروايات: أن كعبا تحرك و هو يتكلم بالشعر، فكان زهير ينهاه مخافه أن يكون لم يستحكم شعره، فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه فى ذلك، ففعل ذلك مرارا، يضربه و يزره، فغلبه، فطال ذلك عليه، فأخذه فحبسه، ثم قال: و الذى أحلف به، لا تتكلم بيت شعر، و لا يبلغنى أنك تريغ الشعر - أى تطلبه - إلا ضربتكم ضربا ينكلك عن ذلك، فمكث محبوسا عدّه أيام، ثم أخبر بأنه يتكلم به، فدعاه فضربه ضربا شديدا، ثم أطلقه و سرحه فى بهمه، و هو غليم صغير فانطلق فرعاها، ثم راح بها عشيه و هو يرتجز:

كأنما احدو ببهمى عيرا من القرى، موقره شعيرا

فخرج زهير اليه و هو غضبان، فدعا بناقته، و كفلها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب، فأخذه بيده فاردفه خلفه، ثم خرج يضرب ناقته و هو يريد ان يتعنن ابنه كعبا، و يعلم ما عنده و يطلع على شعره، فقال زهير، حين برز من الحى:

إني لتعديني على الهم جسره تخب بوصول صروم و تعنق

ثم ضرب كعبا و قال: أجز يا لكع، فقال كعب:

كبنياته القربى موضع رحلها و آثار نسعيها من الدف أبلق

فقال زهير:

على لاحب مثل المجره خلته إذا ما علا نشزا من الأرض مهرق

ثم ضرب كعبا و قال: أجز يا لكع، فقال كعب:

منير هداة، ليله كنهاره جميع إذا يعلو الحزونه أفرق

ثم بدأ زهير فى نعت النعام، و ترك نعت الإبل، فقال زهير يعتسف به عمدا:

و ظل بوعساء الكئيب كأنه خباء على صقبي بوان مروق

فقال كعب:

تراخى به حب الضحاء و قد رأى سماوه قشراء الوظيفين عوهق

فقال زهير:

تحن إلى مثل الحباير جثم لدى منتج، من قيضها المتفلق

ثم قال: أجز يا لكع فقال كعب:

تحطم عنها قيضها عن خراطم و عن حدق كالنبح لم يتفتق

فاخذ زهير بيد ابنه كعب، ثم قال: قد أذنت لك يا بنى فى الشعر، فلما نزل كعب و انتهى إلى اهله، و هو صغير يومئذ قال:

أبيت فلا أهجو الصديق و من يبع بعرض أبيه فى المعاشر، ينفق

و قال زهير:

و يوم تلافيت الصبا، ان يفوتنى برحب الفروج، ذى محال موثق

- ١- راجع خزانة الأدب، ج ٤، ص ١١.
- ٢- راجع ديوان كعب بن زهير، المقدمة ص م، الدار القومية.
- ٣- هو جرول بن أوس من بنى قطيعه بن عبس، و لقب الحطيئه لقصره و قربه من (الأرض)، و يكنى أبا مليكه، و كان راويه زهير، و هو أحد الشعراء المخضرمين المشهورين، راجع الشعر و الشعراء، ص ١٩٩.
- ٤- طبقات الشعراء، ص ٣٧، راجع كذلك الأغاني ج ١٥، ص ١٤٧، و الشعر و الشعراء ص ٨١-٨٢ و ديوان كعب ص ٤٧، مع اختلاف بسيط فى ترتيب الأبيات و ألفاظها.
- ٥- شرح شعر زهير بن أبى زهير بن أبى سلمى - صنعه أبى العباس ثعلب، ص ١٨٢-١٨٦، دار الآفاق الجديده، و الأغاني ج ١٥، ص ١٤٧-١٤٨.

و هناك حادثه اخرى المصادر الأديبه بأساليب متباينه و وقائع مختلفه، فتنسبها حيناً إلى النابغه الذبياني، و حيناً إلى زهير بن أبي سلمى، و لكنها فى النهايه تدل على شاعريه كعب، و فطرته الأصيله، و بديهته المتوقده، فعن الشعبى قال: (١)

تراك الأرض إمامت خفا و تحيا ما حيت بها ثقيلاً

فقال له النعمان: هذا البيت إن لم تأت بعده بيت يوضح معناه، و إلا كان إلى الهجاء أقرب، فتعسر على النابغه النظم، فقال له النعمان:

قد اجلتك ثلاثاً، فان قلت فلك مائه من الإبل العصافير، و إلا فضربه بالسيف بالغه ما بلغت، فخرج النابغه و هو وجل، فلقى زهير بن أبي سلمى فذكر له ذلك فقال: اخرج بنا إلى البريه فتبعهما كعب فرده زهير، فقال له النابغه: دع ابن أخى يخرج معنا و أردفه، فلم يحضرهما شىء، فقال كعب للنابغه: يا عم، ما يمنعك أن تقول:

و ذلك ان فللت الغى عنها فتمنع جانبيها ان تميلاً

فأعجب النابغه و غدا على النعمان فأنشده، فأعطاه المائه، فوهبها لكعب بن زهير فأبى ان يقبلها. (٢)

و فى الأغانى أيضاً ان زهيراً قال بيتاً و نصفاً ثم اكدى، فمر به النابغه فقال له: يا أبا امامه أجز، فقال: ما قلت؟ قال: قلت:

تزيد الأرض إمامت خفا و تحيا إن حيت بها ثقيلاً

نزلت بمستقر العرض منها

أجز، فأكدى و الله النابغه، و أقبل كعب بن زهير و إنه لغلام، فقال أبوه: أجز يا بنى، فقال: و ما أجزه؟ فأنشده فأجاز النصف بيت فقال:

"و تمنع جانبيها أن يزولا"

فضمه زهير إليه و قال: أشهد انك ابنى (٣) و هكذا يبدو من هذه الروايات ان زهيراً قد تكفل ابنه و رعاه، فتمى موهبته بالروايه و الاستماع و النظم، بل و بتعليمه مبادئ القراءه و الكتابه حتى يوفر له كل ما هو ضرورى لنظم الشعر و إتقانه و أحكام ضبطه و مراجعته، فقد ورد فى روايات أهل الأخبار "أن عدداً من الشعراء الجاهليين كانوا يكتبون و يقرءون، و كان منهم من إذا نظم الشعر دونه، ثم ظل يعمل فى إصلاحه و تنقيحه و تحكيك ما نظمه إلى ان يرضى عنه، و ممن كان يكتب و يقرأ، سويد بن الصامت الأوسى صاحب محله نعمان مجله لقمان (٤) و كعب بن زهير و كعب بن مالك الأنصارى، و الربيع بن زياد العبسى". (٥)

و تشهد حياه كعب بن زهير بعد اكتمال عوده منعطفاً اساسياً و هاماً، فقد قدر لذلك الشاعر ان يشهد بزوغ فجر الإسلام، و يتشرف بلقاء الرسول (ص) و الاستماع اليه و الايمان بدعوته المباركه التى نقلت العرب من الجاهليه العمياء إلى نور الحق و

الايمان والهدايه، و تربط بعض المصادر إسلام كعب و بحير أخيه، و ورودهما على النبي (ص) برؤيا كان قد رءاها والدهما زهير من قبل، و مفادها ان زهيرا قد رأى قبيل مماته " أن آتيا أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسخها بيده، ثم ترك فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قص رؤياه على ولده كعب، ثم قال: إني لا أشك انه كائن من خير السماء من بعدى، فان كان فتمسكوا به و سارعوا اليه ".^(٤)

و سواء عمل كعب و أخوه بهذه الوصيه التي لا نعرف مقدار صحتها أم لا، فإنه كان من الواجب على كعب و أخيه بعد انتشار الإسلام و ذبوع دعوته بين الناس و بين بنى قومهما بالذات، ان يسارعا ليتعرفا على هذه الدعوه التي امتلكت القلوب و أنارت العقول و الأبصار، و تهافت عليها الناس ايماننا بها من كل صوب و فح عميق، و قلبت موازين الجاهليه الرعناء إلى نظام من الحكم الالهى العادل الذى يساوى بين البشر و ينظم حياتهم على مبادئ من الحق و الخير و الهدايه، إذا فلا عجب ان يسارع كعب و أخوه إلى لقاء الرسول (ص) و الايمان به، بل العجب كل العجب ان لا يفعل ذلك، و هما من هما من الأدب و العقل و الاتزان، و لذلك فاننا نرى بعض الروايات تذكر حادثه إسلامهما بأساليب مختلفه، و لكنها جميعا تؤكد على خروج كعب و بحير من تلقاء نفسيهما للقاء الرسول و الاستماع منه إلى مبادئ الدعوه، و تقول: خرج كعب و أخوه بحير ابنا زهير إلى رسول الله (ص)، فلما بلغا أبرق العزاف^(٧) قال بحير لكعب^(٨) أثبت أنت فى غنمنا فى هذا المكان حتى القى هذا الرجل يعنى رسول الله (ص)، فاسمع ما يقول، فثبت كعب و خرج بحير، فجاء رسول الله (ص)، فعرض عليه ".^(٩)

ص: ٢١٧

١- هو عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار، الحميرى، أبو عمرو، راويه من التابعين، يضرب المثل بحفظه، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه و سميره و رسوله إلى ملك الروم، و هو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، و كان فقيها شاعرا، نسبه إلى شعب، و هو بطن من همدان.

٢- الاصابه فى تمييز الصحابه لابن حجر العسقلانى، القسم الخامس، ص ٥٩٤-٥٩٥.

٣- الأغانى، ج ١٥، ص ١٤٧.

٤- يحكى ان سويد بن الصامت الأوسى، اتى مكه حاجا أو معتمرا، فتصدى له رسول الله (ص) حين سمع به، فدعاه إلى الإسلام فقال له سويد: فلعل معك مثل الذى معى، فقال رسول الله (ص): و ما الذى معك؟ قال: مجله لقمان، فقال رسول الله (ص): أعرضها على، فعرضها عليه، فقال له: ان هذا الكلام حسن، و الذى معى أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى على، و هو هدى و نور، فتلا- عليه رسول الله (ص) القرآن، و دعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، و قال: ان هذا لقول حسن، ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث ان قتله الخزرج، فإنه كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل و هو مسلم " تهذيب سيره ابن هشام، ص ١٠١".

٥- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١١٠-١١١. و عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٦٧-٢٦٨، و الكامل فى التاريخ، ج ٢،

ص ٢٨٤-٢٧٥، و جمهره أشعار العرب، ص ١٣-١٤، و الاصابه، ج ٥، ص ٥٩٤، و الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣١٣، و الأغانى، ج ١٥، ص ١٤٩-١٥٠.

٦- خزانه الأدب، ص ٣٧٧.

٧- أبرق العزاب، هو ماء لبنى أسد بن خزيمه بن مدركه، مشهور، ذكر فى اخبارهم، و هو فى طريق القاصد إلى المدينه من البصره، و قالوا: و انما سمي العزاف لأنهم يسمعون فيه عزيّف الجن،" راجع معجم البلدان لياقوت، الجزء الأول، ص ٦٧، ماده أبرق".

٨- بعض الروايات تقول: إن كعبا قال لبجير: الحق الرجل و أنا مقيم هاهنا انظر ما يقول لك، "الأغانى" ج ١٥، ص ١٤٥.

الإسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعبا فقال(١):

ألا أبلغا عنى بجيرا رساله فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك

شربت مع المأمون كأسا رويه فانهلك المأمون منها و علكا

و خالفت أسباب الهدى و تبعته على أى شىء ويب غيرك دلكا

على خلق لم تلف أما و لا أبا عليه و لم تدرك عليه أبا لك

قال، و بعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله (ص) فأنشده إياها، فقال رسول الله (ص) لما سمع

"سقاك بها المأمون"

:" صدق و إنه لكذوب، أنا المأمون " و لما سمع

"على خلق لم تلف اما و لا أبا"

عليه قال: أجل لم يلف عليه أباه و لا أمه.

و تذكر الروايات ان كعبا بعد ان غلب الإسلام على قومه مزينه راح يهجوهم هجاء مرا فعلم بذلك رسول الله (ص) فاهدر دمه(٢) و قيل إن سبب إهدار الرسول لدمه هو مناصبته العداء للمسلمين كما فعل بنو غطفان(٣)، و قيل انما امر رسول الله بقتله و قطع لسانه بعد سماعه من بجير تلك الأبيات(٤)، أو لأنه كان تشبب بام هانئ بنت أبى طالب(٥) و خاف بجير على أخيه من القتل فكتب اليه بعد قدوم رسول الله من منصرفه عن الطائف كتابا ضمنه الأبيات التاليه(٦):

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى تلوم عليها باطلا و هى اضرم

إلى الله لا العزى و لا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاء و تسلم

لدى يوم لا ينجو و ليس بمفلت من النار إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير و هو لا شىء دينه و دين أبى سلمى على محرم

و قال له: إن رسول الله (ص) قتل رجلا بمكه ممن كان يهجوهم و يؤذيه، و إن من بقى من شعراء قريش: ابن الزعبرى، و هبيرة بن أبى وهب، قد هربوا فى كل وجه، فان كانت لك فى نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله (ص) فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبا، و ان لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض، قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض و أشفق على نفسه و ارجف به من كان فى حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شىء بدا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله (ص)، و ذكر خوفه و إرجافه الوشاه به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل إلى رجل كانت بينه و بينه معرفة، من جهينه كما ذكر لى،

فغدا به إلى رسول الله (ص) حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله (ص)، ثم أشار له إلى رسول الله (ص) فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستامنه، فذكر لي انه قام إلى رسول الله (ص) حتى جلس اليه فوضع يده في يده، و كان رسول الله (ص) لا يعرفه، فقال يا رسول الله: إن كعب بن زهير قد جاء ليستامن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به؟ فقال رسول الله (ص): نعم، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، قال ابن إسحاق، فحدثني عاصم بن عمر بن قتاده أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله دعني و عدو الله اضرب عنقه، فقال رسول الله (ص): دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه، فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم، و ذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله (ص) (٧) و قد عرض كعب فيها بالأنصار لموقفهم منه، و مدح إخوانهم المهاجرين من قريش، فقال له رسول الله (ص): لو لا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل، فقال كعب قصيده مشهوره في مدحهم (٨) فكساه النبي (ص) برده كانت عليه، فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب ان بعنا برده رسول الله، فقال: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم، و هي البرده التي عند الخلفاء الآن (٩)، و قيل انها بيعت في أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم، و بقيت في خزائن بني العباس (١٠). تلك هي السيرة التاريخية لكعب بن زهير كما استخلصناها من المصادر الأدبية و التاريخية و كتب السيرة، و قد أغفلت جميعها تماماً أى تفاصيل أخرى عن حياته، و لم تشر من قريب أو بعيد إلى احداث حياته بعد إسلامه تلك، حتى ان ديوان شعره يكاد لا يتجاوز فيما تضمنه من قصائد تلك الفتره رغم ان عمره يمتد في بعض الروايات ليبلغ أيام معاوية، كما لم تشر المصادر إلى أوان وفاته الذي يظهر ان الغموض قد لفته لأسباب نجهلها رغم شهرته العريضة و موقعه المؤثر، و لكن بعض الدراسات المعاصره حاولت ان تحدد تاريخا لوفاته فذكرت سنه ٢٤هـ (١١) كما ذكرت سنه ٢٦هـ (١٢)، بينما آثر البعض سنه ٤٢هـ مستندا إلى حادثه البرده و رغبه معاوية بن أبي سفيان في شرائها، و هذا الاستناد في رأى الدكتور فؤاد أفرام البستاني " لا يفرض صحه ما يروى عن رغبه معاوية في شراء البرده من كعب فحسب، بل يفرض ان معاوية كان خليفه إذ ذاك، و هو امر لم يشر اليه أحد من قدماء المؤرخين " و ينتهى الدكتور بستانى إلى القول: " و مهما يكن من امر، فان ذكر سنه بعينها لوفاه كعب، لمن الصعوبه بمكان، و أصعب من ذلك تعيين سنه لمولده، و نحن لا نعرف يقينا إلا سنه إسلامه، و هي السنه التاسعه للهجره، كما ورد في السيره و أقره البرنس كائتانى (١٣) ٨.

ص: ٢١٨

- ١- فى المصادر التى تذكر هذه الروايه اختلاف فى ترتيب الأبيات و ألفاظها، و لا مجال إلى ذكرها، راجع أسد الغابه، ج ٤ ص ٤٧٥، و تهذيب سيره ابن هشام، ص ٢٨٠.
- ٢- راجع بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، ص ١٥٩.
- ٣- راجع بلاشير، تاريخ الأدب العربى، ص ٩٤.
- ٤- راجع أسد الغابه، ج ٤، ص ٤٧٦.
- ٥- راجع الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٦.
- ٦- راجع عيون الأثر، ص ٢٦٨.
- ٧- تهذيب سيره ابن هشام، ص ٢٨١-٢٨٢.
- ٨- تهذيب سيره ابن هشام، ص ٢٨٥.

- ٩- الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٦.
- ١٠- خزانه الأدب، ج ٤، ص ١٣.
- ١١- جرجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربيه، ج ٢، ص ١٠٢.
- ١٢- فهرس الأعلام للزركلى مجلده، ص ٢٢٦.
- ١٣- الروائع، أيلول ١٩٣٣، ص ٦٧-٦٨.

أما سيره كعب الأديبه، فيبدو ان شرف صحبته لرسول الله (ص) قد زاد من هالتها و تالقها، و خاصه بعد إلقائه تلك القصيده الرائعه بين يديه، فقد ارتبطت سيره كعب الأديبه بهذه القصيده التي احتلت مكانها اللائق في عالم الشعر حتى غدت نهجا سلكه أكثر الشعراء و طريقا اقتفوا آثاره في مدح النبي عليه أفضل الصلاه و السلام، و تفتنوا فيه غايه التفتن، فالمراجع لكتب الأدب يلحظ كيف تحولت البرده إلى قصيده فريده اكتسبت بمرور الزمن جده و تالقا و صارت موضع تبرك و استشفاء و تقرب من الله في المناسبات التي تتطلب تضرعا و ابتهاالا، كما تحولت أيضا إلى نموذج أعلى انبرى الشعراء في كل عصر إلى معارضته و تشطيره و تخميسه، و عكف عليه الدارسون شرحا و بحثا و تحليلا و مقارنه، و ترجمه المترجمون إلى لغات عده في الشرق و الغرب على السواء. (١)

كما أن المراجع أيضا سوف يلحظ كيف استأثرت هذه القصيده بالأحكام الأديبه الصادره عن النقاد قديما و حديثا حتى يكاد الدارس لشعر كعب يظن ان ليس لكعب من الشعر غيرها، رغم ان ديوانه يزخر بالقصائد الجياد، لكنها أضحت كالنجوم التي تفقد تالقها حين تسطع الشمس و ترسل أنوارها لتضيء الأرض و الوجود.

و لقد انصبت الأحكام على كعب بوحى من تلك القصيده، بل و بتوجيه منها حتى كادت ان تغفل لكعب كل سيره غيرها، فالمصادر و المراجع لا تذكر كعبا إلا- مرتبطا بها، فهذا ابن سلام في طبقاته يتحدث عن كعب، و يعده في الطبقة الثانيه من الشعراء، و لكنه يخصص حديثه عنه لحادثه إسلامه و القائه تلك القصيده في حضره الرسول عليه أفضل الصلاه و السلام. (٢)

أما صاحب العمده، فإنه يورد كعب مدلا بتلك القصيده على فضل الشعر و أهميته، و على ان الرسول عليه الصلاه و السلام لم ينه عن الشعر، و لم يغض من قدره، بل نهى عن الشعر الذي يتعارض مع قيم الدعوه الإسلاميه و مبادئها الداعيه إلى الحق و الخير و الايمان، فهو إذ يذم الشعر انما يذم منه ما كان داعيا إلى التفرقه و العصبية الجاهليه، و ما كان مذكيا بين الناس الأحقاد و الشرور و المفاسد، و لذلك نرى الرسول يثيب كعبا و يتجاوز عن سيئاته، و يهب له بردته الشريفه التي آثرها كعب على كل عطاء. (٣)

و يذكر ابن قتيبه كعبا فيقتصر على القول: إنه كان فحلا مجيدا، ثم يشير باسهاب إلى حادثه إسلامه، و يروى بعد ذلك باختصار شديد طلب الحطية منه ان يذكره في شعره. (٤)

و هكذا، يظهر لنا ان الأحكام التقويمية التي تناولت كعبا و شعره لم تبن على دراسه حقيقه لشعره، و كلها تقريبا ارتبطت بتلك القصيده و لم تتجاوزها إلى ما عند كعب من شعر، و لذلك كانت تلك الأحكام في أكثرها موجزه بل و متشابهه ان صح التعبير، و هى لم تتعد القول: بان كعبا من الشعراء (٥) المخضرمين و من فحول الشعراء، أو ان كعب بن زهير من فحول الشعراء هو و أبوه و كذلك ابنه عقبه. (٦) أو قولها: كان كعب بن زهير شاعرا مجودا كثير الشعر مقدا في طبقته هو و أخوه بجير، و كعب أشعرهما و أبوهما فوقهما (٧) أو انه كان شاعرا فحلا مجيدا. (٨)

و نذكر في هذا المجال قول خلف الأ-حمر: لو لا قصائد لزهير ما فضلته على ابنه كعب (٩) أو قوله: لو لا- أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت ان كعبا أشعر منه (١٠) هذا و لم يسلم المحدثون من مؤرخى الأدب و دارسيه من تأثير تلك القصيده، فنرى بروكلمان يذكر كعبا و يشير إلى ملكته الشعريه التي ورثها عن أبيه، و يعرج على ذكر قصيده البرده فيقول:

"و هي من أشهر أشعار العرب، و ألبست الشاعر حله مجد لا- يبلى" (١١) كذلك فان طه حسين يستعرض قصيده البرده في حديث له، و ينتهي إلى القول: فما ارى إلا ان مدحه فيها يعدل مدح زهير كله". (١٢).

تلك هي بعض الآراء التي ذكرت كعبا في سيرته الأدبيه نكتفى بهذا القدر منها منتهين إلى القول: إن تلك القصيده قد اضيفت على كعب حقا تلك الشهره العريضه التي هي في رأينا لا تتناسب مع تراثه الشعري الذي خلفه لنا، إذ ليس في ديوانه لو لا هذه القصيده ما يفسر لنا ذلك، ثم ان ما تضمنه ذلك الديوان من قصائد قليله و مقطوعات يسيره لا يتفق أيضا مع عمره المديد الذي تذكر الروايات انه امتد ليشهد خلافه معاويه بن أبي سفيان، و هنا يتبادر إلى الذهن سؤال يطرح نفسه، و لا بد من الإشارة اليه و مناقشته، و هو يدور حول قله شعر كعب بعد الإسلام و تحليل أسباب تلك القله، فهل آثر كعب السكوت في أواخر حياته عن نظم الشعر، و تفرغ إلى دينه و قراءه القرآن كما فعل معاصره لبید بن ربيعه، أم ان شعره ضاع لأسباب تتعلق بمواقف شخصيه له؟ ثم ان المراجع لكتب الأدب و السيره لا- يرى ذكرا لكعب بعد حادثه إسلامه، فأين شعره في تلك السنوات الطوال التي رافق انتشار الإسلام و امتداد فتوحاته و عظمه انتصاراته، و هي في نظرنا من أبرز الدوافع التي تحث على نظم الشعر و تسطيره و إبراز العواطف الدينيه و التعبير عنها، للاجابه على تلك التساؤلات، فاننا ننتهي إلى رأيين اثنين:

أولهما: ان كعبا بعيد إسلامه قد خفف من نظم الشعر إلا مقطوعات يسيره استلهمها من الإسلام و تعاليمه - و سوف نشير إليها عند حديثنا عن شعره - و تفرغ إلى دينه الذي نعتقد انه قد حسن بدليل ان كتب السيره لم تنكر عليه موقفا أو قولاً بعد إسلامه، و بدليل آخر نستخلصه من تمسكه بعباء رسول الله (ص)، ذلك العطاء الذي قال عند ما طلب منه: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله أحدا. (١٣) ثم ان ما تضمنه شعره ٦.

ص: ٢١٩

- ١- راجع فؤاد أفرام البستاني، مجله المشرق عدد ٣١، السنه ١٩٣٣، ص ٦٩٩، و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على الجزء التاسع، ص ٨٦٣ و فهرس الأعلام للزركلي مجلد ٥، ص ٢٢٦.
- ٢- راجع طبقات الشعراء، ص ٤٦-٤٧.
- ٣- راجع العمده في صناعه الشعر، ص ١٧-١٨.
- ٤- راجع الشعر و الشعراء، الجزء الأول، ص ٨١-٨٢.
- ٥- الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٧.
- ٦- عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٧٤.
- ٧- الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣١٥.
- ٨- معجم الشعراء للمرزبانى، ص ٣٤٢، دار الكتب العلميه.
- ٩- خزانه الأدب للبغدادى، ج ٤، ص ١١، و الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣١٥.
- ١٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٩، ص ٨٦٢.
- ١١- بروكلمان - تاريخ الأدب العربى، ج ١ ص ١٥٩.
- ١٢- حديث الأربعة، ج أول، ص ١٢٥.

بعيد إسلامه من معان اسلاميه و ابتعاد عن اعراف الجاهليه و منازعها يوحى جميعه بان كعبا تفرغ لدينه، و أثر قراءه القرآن الذى بهر الناس ببلاغته و ملك عليهم ألبابهم، فانصرف مقتفيا نهج معاصره ليبد بن ربيعه الذى تذكر الروايات عنه حادثه توضح ذلك النهج، و مفادها ان عمر بن الخطاب قد أرسل إلى عامله على الكوفه المغيره بن شعبه ان استنشد من عندك من شعراء مضر ما قالوه فى الإسلام، فأرسل إلى ليبد و غيره بذلك، فانطلق ليبد إلى بيته فكتب سورة البقره فى صحيفه ثم اتى بها فقال: "أبدلنى الله هذا فى الإسلام مكان الشعر". (١)

و كذلك يشير ابن خلدون، ربما بوحى من هذه الحادثه، إلى تفرغ المسلمين فى بدايه الدعوه إلى القرآن و الجهاد فى سبيل الله فيقول: "ثم انصرف العرب عن ذلك" أى عن الشعر "أول الإسلام بما شغلهم من امر الدين و النبوه و الوحي، و ما أدهشهم من أسلوب القرآن و نظمه فاخرسوا عن ذلك، و سكتوا عن الخوض فى النظم و النثر زمانا". (٢)

ثانيهما: إننا لا نستطيع ان نجد تفسيراً لقله شعر كعب، و هو من هو من الشعر و نظمه، إلا- بذلك النزوع عنه إلى الإسلام و تعاليمه، و لا يمكن ان نرد أسباب تلك النزوره و نزورها إلى اشتهار ذلك البيت - أى بيت زهير و أبنائه و أتباعه - بتفقيح الشعر و تهذيبه، فيروى: أن زهيراً كان ينظم القصيده فى شهر و يتقحها و يهذبها فى سنه، و كانت تسمى قصائده حوليات زهير. (٣)

و يشير الجاحظ إلى ذلك البيت فيقول: و من شعراء العرب من كان يدع القصائد تمكث حولا كريتا و زمنا طويلا يردد فيها نظره، و يقلب فيها رأيه، اتهاماً لعقله و تتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه و رأيه عياراً على شعره، إشفافاً على أدبه، و احرازاً لما خوله الله من نعمته (٤) فهب باننا أخذنا بهذا الرأى، و أعدنا نزوره شعر كعب إلى ما أوتر عن ذلك البيت من تهذيب و صقل و مراجعه، فان تراثه الشعرى الذى حفظه لنا ديوانه الذى بين أيدينا مع ذلك، لا يتناسب و عمره المديد و سنه الطويله و شهرته العريضه، حتى اننا أيضاً نجد فى ديوانه قصائد قد شك الدارسون فى نسبتها اليه، و ان ما صح فيه "أى فى ديوانه" من شعر، فإنه فى نظرنا قليل و يستوجب منا تفسيراً يحملنا على القول: بان كثيراً من شعر كعب قد ضاع نتيجة لظروف معينه، و لمواقف نهج تفصيلها، و لكننا نستشف بعضها من خلال قراءه متانيه لشعره تكشف ولاءه السياسى على ما يبدو متفقاً مع الاتجاه السياسى لأولى الأمر فى عصره فاهمل الرواه بسبب ذلك روايه شعره (٥) أو من خلال ما ذكره ابن سلام فى طبقاته عن عمر بن الخطاب حين قال: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، و تشاغلوا بالجهاد، و غزوا فارس و الروم و لهيت عن الشعر و روايته". (٦)

فهذا الحديث أيضاً، قد يفسر لنا بعض ما أردنا تعليه من ضياع شعر كعب و غيره، فلا عجب ان نحن كذلك رددنا نزوره شعر كعب و قلته التى بين أيدينا إلى انشغال العرب و تلهيهم عن الشعر و روايته بالفتوح و نشر الدعوه الإسلاميه و الانصراف عنهما إلى قراءه القرآن و إمعان النظر فى آياته المحكمات، و بلاغته التى بهرت العقول و الأبصار.

أما سيرته الشخصيه، فلم تشر إليها المصادر بشىء يوضح بعض تفصيلها، و كل الذى ذكرته من تلك السيره يوحى إلى القول: بان كعباً كان رجلاً محارفاً مملقاً لا ينمى له مال (٧) و كان يحالفه ابداء إقتار و سوء حال (٨)، و قد انعكس اثر ذلك على شعره، فبتنا نراه فى كثير من أشعاره يشكو دهره، و يتأفف من غيره و أحداثه و تقلباته، و يعزو ما هو فيه من حال سيئه إلى شؤم جده و طالعه، فترك كل ذلك فى نفسه أسى و مراره و تبرماً من الحياه، و ساماً منها نكاد نلمح فيه سام أبيه، يقول كعب:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى و هو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمر ليس يدركها و النفس واحده و الهم منتشر

(٩) و يقول فى موضع آخر مشيرا إلى رزقه المجدود، و جده المحدود:

لعمرك لو لا رحمه الله إننى لأمطو بجد ما يريد ليرفعا

فلو كنت حوتا ركض الماء فوقه و لو كنت يربوعا سرى ثم قصعا

(١٠) و مما لا شك فيه ان تضيق الحياه عليه، و قسوتها التى لم ير لها سببا قد خلفا فى نفسه برما منها، و أدى بالتالى إلى قسوه فيه نلحظها فى فظاظه الطباع عنده و جفوه المعاشره حتى نكاد نحس بان كعبا كان بدويا فظا غليظ القلب نافر الطباع يثور و ينتفض لأدنى ملاحظه ربما لا يكون لها أساس أو حقيقه، و لكنه يتوهمها و يستشعرها نتيجة لذلك الوضع الذى يجد نفسه فيه، و خير دليل على ذلك حادثه أخيه بجير، و إرسال زهير بفرس كعب إلى زيد الخيل لقاء إكرامه لمثوى ابنه و اعتناؤه به، و غضب كعب لفقدانه فرسه، و ملاحظته لأبيه، و هجائه لزيد، و محاولته إيقاع الشر بين رهط زيد و رهط بنى ملقط انسابه، و ذلك من أجل فرس وهبها أبوه لقاء معروف اسدى اليه، حتى رأينا امرأته تفرعه و تلومه و تقول له: أما استحييت من أبيك لشرفه و سنه أن تؤيسه فى هبته عن أخيك، و لامته، و كان قد نزل بكعب قبل ذلك ضيفان فنحر لهم بكرا كان لامرأته، فقال لها: "ما تلومينى إلا لمكان بكرك الذى نحرت ٥.

ص: ٢٢٠

- ١- راجع خزانة الأدب، ج ١، ص ٣٧٧ و الأغاني، ج ١٥، ص ٣٦٩.
- ٢- راجع خزانة الأدب، ج ١، ص ٣٧٧ و الأغاني، ج ١٥، ص ٣٦٩.
- ٣- خزانة الأدب، ج ١، ص ٣٧٦-٣٧٧.
- ٤- البيان و التبيين، ج ٢، ص ٤ - دار الكتب العلميه.
- ٥- و لما ذا لا- يكون الأمر هو العكس، فان عدم اتفاق ولائه مع الاتجاه السياسى لأولى الأمر هو الحامل على إخفاء شعره و تجاهله و اضاعته، و لم يتسرب منه الا القليل و منه ما رواه ابن شهر آشوب فى مناقبه، - كما فى (الأعيان) (ح).
- ٦- طبقات الشعراء ص ٣٤ - دار الكتب العلميه.
- ٧- مقدمه ديوان كعب: صنعه أبى سعيد السكرى ص. ف.
- ٨- الشعر و الشعراء، ص ٨٠.
- ٩- ديوانه، ص ١٦٧.
- ١٠- ديوانه، ص ١٦٥.

لضيوفى فلك بكران" (١) ثم قال قصيدته التى صب بها جام غضبه على زوجته و على النساء بوجه عام، و التى مطلعها (٢):

ألا بكرت عرسى توائم من لحي و أقرب بأحلام النساء من الردى

و دليل آخر، قول كعب لوالده زهير بعد هجائه الحارث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد الذى كان قد أغار على بنى عبد الله بن غطفان - و كان زهير يقيم فيهم - فغنم و استخف إبل زهير و راعيه يسار فهجاه زهير بقصيده جيده (٣):

"أوسعتهم سبا و أودوا بالإبل"

(٤) هاتان الحادثتان فى رأينا ترسمان اطارا شفافا لشخصيه كعب التى قلنا: إن الظروف جعلتها متضخمه الاحساس تثور بسرعه، و نكاد نلمح فيها التمرد، بل و حتى السخريه و الهزه من أعراف و تقاليد كان على رجل مثل كعب واجب مراعاتها و القبول بها، و لكنه لم يكن ليقدر على تمالك أعصابه أو حبس ثورته أو السيطرة على منازع نفسه البدويه، تلك المنازع التى استطاع الإسلام فيما بعد أن يهدبها و يذهب بغلظتها و يحولها إلى شعر نلمح فيه النقمه على الدهر مسبوكه بقالب من الحكمه و المثل، و لكنها خاليه على ما نعتقد من الرحمه و اللين و التواصل...

و المراجع لشعر كعب يلحظ ذلك حتى فى شعره الغزلى الذى يستوجب رقه فى العواطف و لينا فى الطبائع، و عذوبه فى الكلمات، فإنه لن يجد فيه إلا حديثا عن المشاكسه و النفور، و حديثا عن الوعود التى لا تصدق، و الأمانى التى لا تتحقق، و عتابا يتجاوز اللوم إلى حد القطيعه و الهجران (٥)، كل ذلك يوحى لنا بشخصيه كعب التى يمكن أن يكون للطبيعه القاسيه و الظروف الحياتيه الصعبه أثرهما البالغ فى توجيهها و طبعها بطابع الغلظه و الجفاف و التمرد...

ذاك هو كعب بن زهير الشاعر المخضرم الذى حاولنا فيم تقدم أن نرسم له خطوطا متشعبه و لكنها تخرج من مصدر واحد، و حاولنا فيها قدر الإمكان أن نتعرف على جوانب ثلاثه من سيرته التى أفردت لها كتب الأدب و التاريخ حيزا ليس بالقليل، و هذا الحيز يدل على أهميه كعب و على مدى تأثيره و شهرته فى عصره، حيث كان للكلمه التى كان واحدا من رجالها تأثير لا يقل عن تأثير السيف و السنان، فى عصر تضخمت فيه الإحساسات بالذات، و شهد بزوغ فجر جديد أهل بنوره ليمسح كل ذلك التضخم، و يذهب كل تلك المتاهات و الظلمات.

أما ديوان كعب، فقد آثرنا ان نفرده له حديثا خاصا، منفردا عن تلك الجوانب، و لكنه ليس بعيدا عنها، و هى فى رأينا جوانب مساعده على اكتشاف مناحيه و أساليبه و خصائصه، و سينصب حديثنا على ناحيتين اثنتين هما: شعر كعب قبل مجيء الدعوه، و شعره أثناءها و فيها، محاولين قدر الإمكان أن نرسم له خطوطا مميزه تظهر الفوارق إن وجدت، و تلم بأكثر مقوماته و أسس بنائه.. و لا بد لنا قبل أن نتطرق إلى هاتين الناحيتين من أن نشير إلى النمطيه و الاتباعيه اللتين أوقعتا الشعر الجاهلى فى التكرار و استهلاك الأحداث و الصور، و نعزو ذلك إلى تمسك العرب بالأعراف و التقاليد و إلى عنت فى عقولهم و نفور فى طبائعهم، و إلى مفاهيم خاصه جعلت حتى المساس بتلك الأعراف و التقاليد خروجا على الطاعه و شذوذا عن السنن، فقد كانت العصبيه و القبليه متحكمتين فى الناس إلى الحد الذى كان حتى الانتقاد يعتبر تمردا على التماسك و الوحده اللتين كانتا ضروريتين فى مجتمع بدوى تسوده شريعته القوه و ما يتبعها من قتل و نهب و غارات، و لذلك فقد ترسخ فى أذهان الناس مفهوم الولاء لكل

تلك الأعراف و التقاليد، و تجاوزهما حتى إلى الأدب الذى كان الخروج على أنماطه ضعفا فى شاعريه الشاعر، و قصورا فى خياله و تعبيره، كما كان معيار الفحو له مرتبطا بالمحافظة على تلك الأنماط، و السير على منوالها الذى يرفع و يضع بقدر الاجاده فى الالتزام، و ليس بقدر الخروج عنه، و لذا قلنا: إن الشعر الجاهلى كان متشابها فى موضوعاته و كان على الشعراء و منهم كعب بن زهير الالتزام بذلك السنن الذى جعلهم ينخرطون فيه موالين له، و مدافعين عنه، حتى أضحووا جميعهم، إلا ما ندر، من السالكين و المؤسسين و الدائرين فى فلكه، و من ثم كان الخروج تمردا يستوجب الخلع و الافراد، بل السخريه و الاستهزاء.

و إذا ما نحن عدنا إلى شعر كعب، و تفحصنا أغراضه الشعرية، و أساليبه البنائية، فاننا سنجد ذلك الالتزام واضحا كل الوضوح فى سائر قصائده، ما عدا مقطوعات صغيره لا تتجاوز فى أطولها أصابع اليد الواحده، و هى فى مجملها تمثل خواطر أفردتها لبث شكوى من دهره أو لارسال حكمه، أراد لها أن تذهب مثلا بين الناس، فقد حافظ كعب فى قصائده الطوال على السنن التقليدى الذى كان يفرض على الشاعر استهلالا معينا يذكر فيه منازل الأحبه و مظاعنهم و يحمله أشجان نفسه، و حينه الدائم إلى أوقات الوصل و اللقاء و من ثم يعمد إلى وصف الطبيعه مبتدئا بوصف الناقه أو الحصان اللذين يعتبرهما خير و سيله تحمله إلى غاياته، و تحقق له رغباته و أمانيه و يعرج فى حديثه على وصف البيئه الصحراويه و حيواناتها و طرقها، و مكابده الذاتيه فى مهامها، و ينتهى بعد ذلك إلى موضوعه الخاص الذى لا يفرد له فى أبياته إلا يسيرا من القول، و لمحا من النظم، يفيدان الغرض و يدلان عليه، لكنهما لا يلما به إلا إلاما - غالبا ما يكون سطحيا - يمكن القارئ أو السامع من استحضاره أمام العين من دون أن يعيره الشاعر ذاته، أو يحمله ما يجب أن يحمل من رؤى و أبعاد و من تواصل و تواد..

و الحق أن كعبا قد وفق فى التزام ذوق أسلافه و معاصريه، فكان رساما لمشاهد اعتاد الشعراء على رسمها، و أحب هو أن يمسك بريشته و يدلى بدلوه، و يتفحص بعينه ألوانها و مناظرها، و يتقرى بيديه أطرها و خطوطها ليرسم لنا صورا طريفه تحمل أحيانا ذوقه الخاص و ظلاله المضافه، إلا أنها فى أكثرها تقع فى رتابة التفاصيل و الأحداث و التحايل على أساليب الصياغه الشعرية التى تزيد خطا هنا، و ظلا هناك، و تبين بما لا يدعو إلى الشك، كما استغرق " الجمل و الناقه من الشعر و خيال الشاعر، و كم استغرق وصف الأرض سهلها و حزنها " (٦) من وقته ٨.

ص: ٢٢١

- ١- ذيل الأمالى لأبى على القالى، ص ٢٥ - دار الكتب العلميه.
- ٢- راجع ديوانه ص ٩٥-٩٦.
- ٣- راجع ديوان زهير، صنعه أبى العباس ثعلب ص ١٢٧.
- ٤- نهايه الأدب، ج ٣، ص ١٧.
- ٥- راجع ديوانه، ص ١١٢-١١٣، و ص ٩٥-٩٦، و ص ١٤٢.
- ٦- فجر الإسلام، ص ٤٨.

و تلاعبه بالألفاظ و العبارات، و ظل ذلك كله فى اطار الوصف التقريرى الذى يرسم ما تقع عليه العين، و ينقله نقلا أميناً فى أكثر جزئياته و تفاصيله معتمداً على الملاحظه الحسيه التى " أفرغت فى قوالب تحدرت إلى الشعراء من الأجيال القيمه " و لم تفسح " مجالاً واسعاً أمام الشعراء لإظهار شخصياتهم إلا فى القليل النادر حيث تكون المفارقة صريحه جدا " (١).

و لنستمع إلى كعب فى نموذج من قصائده لنتحقق من ذلك الذى رأيناه التزاماً فى شعره: يقول كعب (٢) ديوان كعب، ص ٦٥-٧٤:

أ من أم شداد رسوم المنازل توهمتها من بعد ساف و وابل

و بعد ليال قد خلون و أشهر على أثر حول قد تجرم، كامل

أرى أم شداد بها شبه ظبيّه تطيف بمكحول المدامع خاذل

أغن غضيض الطرف رخص ظلومه ترود بمعتم من الرمل هائل

و ترنو بعينى نعجه أم فرقد تظل بوادى روضه و خمائل

و تفتقر عن غر الثنايا كأنها أقاح تروى من عروق غلاغل

ليالى نحتل المراض و عيشنا غرير و لا نرعى إلى عدل عاذل

فأصبحت قد أنكرت منها شمائلها فما شئت من بخل و من منع نائل

و ما ذاك عن شىء أكون اجترمته سوى أن شيئاً فى المفارق شاملى

إذا ما خليل لم يصلك فلا تقم بتلعته و اعمد لآخر واصل

و مستهلك يهدى الضلوع كأنه حصير صناع بين أيدي الروامل

متى ما تشا تسمع إذا ما هبطته تراطن سرب مغرب الشمس نازل

روايا فراخ بالفلاه توائم تحطم عنها البيض حمر الحواصل

و خرق يخاف الركب أن يدلجوا به يعضون من أهواله بالأنامل

مخوف به الجنان تعوى ذئابه قطعت بفتلاء الذراعين بازل

صموت السرى خرساء فيها تلفت لبناه حق أو لتشبيه باطل

عذافره تختال بالرحل حره تبارى قلاصا كالنعام الجوافل

كان جريرى ينتحى فيه مسحل من القمر بين الأنعمين فعافل

يغرد فى الأرض الفلاه بعانه خماص البطون كالصعاد الذوابل

و نازحه بالقيظ عنها جحاشها و قد خلصت أطباؤها كالمكاحل

و هم بورد بالرسييس مصده رجال قعود فى الدجى بالمعابل

إذا وردت ماء بليل تعرضت مخافه نابل أو مخافه حابل

لقد بدأ كعب هذه القصيده بالغزل، و انتهى إلى اعتلاء ناقته و السير بها فى طرق الصحراء واصفا مشاهداته لها بأسلوب نلمح فيه الدقه و الجزاله و لكننا أيضا نلمح فيه التفاصيل نفسها التى أعتدنا أن نسمعها عند أبيه أو عند غيره من الشعراء.(٢)

إن كعبا فى هذه الأبيات صانع ماهر ورث صنعه تحدرت اليه من أبيه و من أنماط لشعراء سابقين، إلا انه حاول أن يبنى لنفسه بيتا خاصا به، أو يصنع عقدا اختار حباته بنفسه، و لكن الحجاره التى استعملها فى بناء ذلك البيت لم تكن إلا حبات عقود سابقه أفردها و من ثم عاد ليشكل منها عقدا آخر يحمل تقاسيم يديه و ترتيب خياله المتفرد، و استطاع إلى حد ما أن يبنى بيتا متينا، و يصوغ عقدا جميلا، إلا انه لم يستطع أن يخرج فى ذلك البناء و الترتيب على تقاليد عصره و أذواقهم السائده، بحيث ظل البناء أو العقد عملا له نظائره، و صنعه لها ما يحاكيها، فهو لم ينطلق إلى غايته من بواعث نفسه خاصه، أو مشاعر ذاتيه ضاغطة فرضت عليه أن يعبر عن حاجات اعتملت فى النفس، و وجدت فى الشعر متنفسا للافصاح عنها بأسلوب خاص يحمل كل توعات أذات، و هموم الحياه، و أثر كعب أن يسير فى أبياته على طريق من تقدمه، ففقد شعره رونق الجده، و عذوبه التفرد، و حلاوه الابتكار، و ظلت تنقصه تجربه التى تهز المشاعر، و تبعث الكلم دفاعا مستلا من الأعماق، حاملا معه كل عناصر الشعر الأصيل.

و إذا نحن حاولنا أن نتجاوز هذا الموضوع إلى غيره من الموضوعات الأخرى فى شعر كعب، فاننا سنلمح فى ديوانه شعرا متشابهها فى كثير من قصائده، و هذه حقيقه نلمسها فى نزوعه الدائم إلى وصف الناقه و الصحراء و ما فيها من طرق و حيوانات و مشاهد تتكرر هنا و هناك، يقلبها كعب فى صياغات متعدده حصرت خياله أو استولت عليه بيئه لم يستطع التفلت منها فظل يرسف فى تقريريه فلما تركت الخيال يتكرر و يتفتق عن معان جديده و صور ذهنيه مبتكره، حتى فى مدحه للنبيعليه الصلاه و السلام، فان روح التقليد يبدو واضحا و جليا، و كان الشاعر يمدح سيدا من سادات قومه و كبيرا من أكابرهم، لا نيبا جاء بأكبر انقلاب دينى عرفته البشريه، و أحدث تغيرات أصيله فى جوهره.

ص: ٢٢٢

١- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلاميه، ص ٣٠.

٢- راجع ديوان زهير: المعلقه ص ٧٤ - و قصيدته شمال اليتامى، ص ١٩ - دار صادر.

الحياه الإنسانيه و معتقداتها بوجه عام، و ظل تأثره عرضيا بالدعوه الإسلاميه و تعاليمها، قصاراه أن محمدا نبى من أنبياء الله، و سيف من سيوفه المسلوله، العفو عنده مأمول، و الوعد لديه منجز، و التوبه فى حضرته مقبوله، فهو كالأسد قوه و هيبه أصحابه له سامعون، و لأمره منفذون، فلولا قوله:

مهلا هداك الذى أعطاك نافله القرآن فيها مواعظ و تعصيل

أو قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

و أبيات أخرى، تصف همه و قلقه و خوفه و استسلامه لحكم الله، لما أمكنا أن نميز معانيه المدحيه و نعوته الوصفيه، عن شاعر كالنابغه و هو يعتذر إلى النعمان و يطلب عفو و صفحه.

و هكذا نجد كعب فى كل شعر نظمه قبل الإسلام يسير على السنن المرسوم دون أى إخلال بنهجه و صواه، و لكننا لا نريد أن نظلم الرجل أو نبخسه حقه لأنه لم يستطع أن يحقق لنا تلك الفراهه المستحبه فى الشعر، فهو و الحق يقال: كان فى شعره على قدر كبير من الاجاده و الاحاطه التامه بتفاصيل الموصوف الظاهره التى لم يحاول تبطنها، و اكتفى منها بالرسم الخارجى لها مختارا كل العبارات التى توائم المعنى، و تساعد على إبراز الموصوف و إحضاره أمام مرآه العين فى أثواب قشيبه و خطوط جذابه تصور بدقه كل مكوناته الماديه المحسوسه، حتى يبدو لك الشاعر فى عمله نحاتا أصيلا يصنع للموصوف تمثالا يظهره بكل دقائقه كما هو دون أن يمزج فيه مشاعره و يسكب فى تلافيفه نغم الحياه و صوتها الشجى المتحرك، و يشير الدكتور بستانى إلى تلك الظاهره فيقول: "إنما شعره فى أكثرها تصوير دقيق يسمو إلى درجه عاليه من الصناعه، بل من الفن أحيانا، و لا عجب، فهو ابن زهير و تلميذه، و أحد أفراد ذاك المذهب التصويرى المادى الذى بدأ باوس بن حجر زوج أم زهير، و بلغ أوجه مع زهير و النابغه، و كان من ممثليه شاعرنا كعب و الحطيئه كما قدمنا، و ليس من حاجه بهذا المذهب إلى كثير من الشعور الرقيق السيال، و ان كان الشعور يمدد رونقا و تشخيصا و حياه تزيد فى قيمته، إنما حاجته خاصه إلى الصبر فى تتبع الموصوفات و اختيار مواد التشبيهات، و إلى التعقل فى التنسيق و التأليف و تنخل التعابير، و تثقيف القوافى و إلى قوه الخيال أيضا". (١)

و سواء بعد الذى سمعناه، أ كان كعب فى عداد شعراء المدرسيه الأوسيه، أم كان فى غيرها، أو هو تاجر باييه أو بالنابغه أو غيرهما من الشعراء، فهو فى نظرنا شاعر اكتملت مقومات الشاعر به عنده رغم انه لم يستطع أن يخرج عن اطار بيئته التى ظلت تشده إليها بحبال قويه و ثابتة، فنظم على منوال ما نظم معاصروه، فكان علما بارزا منهم، تاجر بما تأثروا، و انتهج ما انتهجوا، بل و نراه فى بعض الموضوعات كوصف الصحراء و طرقها و حيواناتها قد تفوق على أكثرهم، و كان أكثر دقه و تفصيلا، و أكثر اختيارا و استيفاء، و حسب كعب فى هذا المجال انه صفى شعره من الشوائب، و تنخل له أنسب الكلمات، و ألم بموضوعه كل الإلمام الذى يصور المشاهد بريشه فنان متقن، و ينقلها نقلا دقيقا لا غبار عليه و لا شبهات، فكان تلميذا بارعا لأبيه، و شاعرا معتزا بالسير على منواله، يقول كعب(٢):

فان تسأل الأقوام عنى فانتى أنا ابن أبى سلمى على رغم من رغم

أقول شبهات بما قال عالما بهن و من يشبه أباه فما ظلم

و أشبهته من بين من وطئ الحصى و لم يتزعنى شبه خال و لا ابن عم

أما شعره الذى نظمه بعيد إسلامه، فإنه و ان كان لا يختلف فى نهجه فيه عن المسار العام الذى لم يتجاوزه إلا فى القليل النادر، مثله فى ذلك مثل كل الشعراء المخضرمين الذى لم تستطع التغيرات الجديدة أن تدفعهم عن مسارهم و تخرجهم عن سننهم، ذلك لأن الأحداث الأدبية و التغيرات السياسيه التى يشهدها المجتمع "لا تلتقى دائما و أن أزمان حدوثها لا تتلاقى كما يقول الدكتور هداره (٣) بامكاننا أن نلمح فى شعره تحولا ليس جذريا، و لا هو يشكل انقلابا كليا على الذى سميناه التزاما من قبل منه، هذا التحول يمكن أن ندركه فى المعانى الجديدة التى اهتدى إليها بعيد إسلامه، فقد وسع الإسلام مدارك عقله و آفاق خياله، و طرائق أساليبه، و أمدته بأشياء كثيره كان يفتقدها بل و يجهلها، و لم يكن بوسع معرفتها لو لا ذلك الاطلاع على القرآن الكريم و على تعاليم الإسلام و مكوناته الساميه، و لذلك صار كعب فى شعره بعيد الإسلام أعمق فكرا و أشمل نظرا و أبعد رؤى و تطلعات، فلثقافته أثر كبير على الشعراء، لأن الشاعر الأوسع ثقافه و الأشمل معرفه هو الأبعد عطاء و الأبعد خيالا و الاسمى صوراً و تعبيراً، و باستطاعتنا أن نلمح بدايه ذلك التحول عند كعب فى قصيدته التى يمدح بها الأنصار، فهى تبدو و كأنها تخرج فى مسارها على السنن التقليدى، إذ يستهلها استهلالا مغايرا لاستهلال قصيدته فى مدح النبى (ص) و التى قلنا انها كانت جاهليه بمسارها و نهجها، و ان الرجل قد جاء إلى الرسول عليه الصلاه و السلام حاملا معه إرث الجاهليه و نهجها المتبع، و لكنه فى مدحه الأنصار نراه يخلع ذلك النهج و كأنه رأى فيه تكرارا مملا أو ارثا قديما لا يتناسب مع طبيعه العقيدته الجديده التى آمن بها طائعا مختارا، بل و تائبا من قديمه الذى ألحق به الضرر و كاد - لو لا رحمه الله - أن يودى به، لذلك نراه فيها يخرج من طبيعته الأولى، و يخاطب الأنصار فى شعر جميل يحمل لأول مره معارفه الجديده و مكتسباته الايمانيه الحديثه العهد، و يكاد يتحلل فيه إلى حد ما من قيوده الماضيه، و يخلع عنه رداء التقليد الممل، لو لا ذلك التخلص اللبق فى نهايتها إلى موضوع هو من قديمه، ظل يشده الحنين اليه فحمله بعد اجهاد على وصف الناقه دون إكثار، يقول كعب:

من سره كرم الحياه فلا يزل فى منقب من صالحى الأنصار^٨.

ص: ٢٢٣

١- الروائع، ص ٩٩ - أيلول ١٩٣٣.

٢- ديوانه ص ٤٩-٥٢.

٣- اتجاهات الشعر العربى، ص ١٨.

الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج و سطوه الجبار

و الذائدين الناس عن أديانهم بالمشرفى و بالقنا الخطار

يتظهرون كأنه نسك لهم بدماء من علقوا من الكفار

و إليهم استقبلت كل وديقه شهباء يسفح حرها كالنار

و كسوت كاهل حره منهو كه بالفجر حاريا عديم شوار

و كذلك، فاننا نلمح أثر الإسلام و تعاليمه واضحين فى قصيدته التى يدعو فيها قومه إلى دخوله فيما دخل، و اعتناقهم الهدى (الذى اعتنقه) و هى قصيده تظهر تحولا- من نوع آخر، تحولا- يدعو إلى نبذ العصبية و طرح الخلافات الذاتيه و العرقيه، و المسارعه إلى البر و التقوى و عمل الخير، كما يدعو أيضا و هو الأهم فى نظرنا إلى التكاتف و الوحده، لأن هناك مسئوليته جديده تقع على عاتق المسلمين، و هى مسئوليته بناء الحياه الإسلاميه الجديده التى أحس كعب بعد ايمانه، بأنها ستكون مسئوليته العرب الوحيده، و التى يجب أن تتضافر على حملها كل الجهود البناءه و السواعد المؤمنه حتى ينعم الناس بنور الايمان، و هدايه الرحمن، يقول كعب(١):

رحلت إلى قومى لأدعو جلهم إلى أمر حزم أحكمته الجوامع

ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدا بخيف منى و الله راء و سامع

سادعوهم جهدى إلى البر و التقى و أمر العلا ما شايعتنى الأصابع

فكونوا جميعا ما استطعتم فإنه سيلبسكم ثوب من الله واسع

و قوموا فاسوا قومكم فاجمعوهم و كونوا يدا تبني العلا و تدافع

و يستمر كعب فى هذا التحول، فإذا الحرب التى كانت فى الجاهليه عبثيه فى أكثرها، و لا تستهدف الا الغزو و السلب و الغنائم، يتغير مفهومها لديه بفعل الإسلام، و تتحول إلى حرب جهاديه غايتها رضى [رضى] الله، و غنائمها أجره و ثوابه، أما أولئك المخالفين لرسول الله (ص)، فلن يحصدوا فى النهايه إلا الحسر و الندم، فالله وعد رسوله بالنصر و إظهار دينه على الناس و لو كره المشركون، كما وعد الكافرين بالخزى و عذاب السعير، يقول كعب(٢):

صبحناهم بالف من سليم و ألف من بنى عثمان و ألف

رميناهم بشبان و شيب تكفكف كل ممتنع العطاف

و رحنا غانمين بما أردنا و راحوا نادمين على الخلاف

و أعطينا رسول الله منا موثيقا على حسن التصافى

فجزنا بطن مكة و امتنعنا بتقوى الله و البيض الخفاف

أردوا اللات و العزى إليها كفى بالله دون اللات كاف

أما شعره الحكيم الذى قلنا: انه مقطوعات صغيره، فيبدو أن أثر الإسلام فى معانيه أشد وضوحا و أكثر إبانه، بل و نرى فيه كعبا يستفيد من تعاليم دينه، و يستمد منه ما يخفف به عن نفسه غير الدهر و صروفه الموجهه التى آلمت قلبه و لوحته بنيران الفاقه و الهم، فإذا شعره يتحول إلى كلمات زادها الإسلام شموليه و رسوخا، و إلى نغثات خالده ينفثها كل من يكابد من دهره ما كابد كعب، و يتوجع من أوصافه مثل ما توجعه، فهى مستله من الذات، و مشبعه بروح الايمان الداعى إلى الصبر على البلاء، تناسب فى نغم يحاكي وقع المطر، و خفقان النبع الذى لا يصمت عن الدفقان، يقول كعب(٣):

لو كنت أعجب من شىء لأعجبني سعى الفتى و هو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمر ليس يدركها و النفس واحده و الهم منتشر

و المرء ما عاش ممدود له أمل لا تنتهى العين حتى ينتهى الأثر

فالتعاليم الإسلاميه فى هذا الشعر واضحه كل الوضوح، و هى تشعرنا كيف يسلم كعب بقضاء الله و قدره، كما تشعرنا مدى تغلغل الإسلام فى نفسه حيث استطاع كما نرى أن يقضى على ما فيها من نزعات جاهليه، و يحول نغمتها على الحياه إلى أمل بعبء الله و فرج قريب من رحمته الواسعه، و هكذا كان كعب فى كل أشعاره الإسلاميه يوكل أمره إلى الله الذى هو وحده يتكفل بأمر العباد، و يمن عليهم بالرزق و النعمه و الإفضال، يقول كعب(٤):

أعلم أنى متى ما ياتنى قدرى فليس يحبسه شح و لا شفق

بيننا الفتى معجب بالعيش معتبط إذا الفتى للمنايا مسلم غلق

و المرء و المال ينمى ثم يذهبه مر الدهور و يفنيه فينسحق

فلا تخافى علينا الفقر و انتظرى فضل الذى بالغنى من عنده نثق

أن يفن ما عندنا فالله يرزقنا و من سوانا، و لسنا نحن نرتزق

و يمضى كعب فى أشعاره محملا لها ما شاء من تعاليم الإسلام التى ٦.

- ١- ديوان كعب، ص ٨٢-٨٣.
- ٢- المرجع نفسه، ص ١٧٩-١٨٠.
- ٣- ديوانه، ص ١٦٧.
- ٤- ديوانه، ص ١٦٦.

تدعو إلى التوكل على الله في كل أمر، و السعى الدائم الذي لا يقعد المرء عنه خوف من أذى أو مكروه، لأن كل شيء بامر الله و قضائه، يقول كعب:

فأقسمت بالرحمن لا شيء غيره يمين امرئ بر ولا يحلل

لاستشعرن أعلى دريسى مسلما لوجه الذي يحيى الأنام و يقتل

هو الحافظ الوسنان بالليل ميتا على أنه حي من النوم مثقل

من الأسود السارى و ان كان نائرا على حد ناييه السممام المثل

و هكذا نجد كعبا في شعره الحكمى يتمثل المعانى الإسلاميه التى نراها تحدث تغييرا هاما فى نفسيته، كما تحدث تغييرا واضحا فى شعره الذى يميل هنا إلى السلاسه و اللين، بعد أن رأيناه فى قصائد جاهليه شعرا شديدا جافا تضغظه الصحراء و تقطعه تعابير البداوه.

و هذا التغيير ليس تغييرا فى أسلوب كعب الذى ظل ملتزما فيه بالقيم الفنيه التى ورثها عن أبيه، تلك القيم التى حولت الشعر إلى صنعه تتطلب الكثير من الخبرة و الرويه و الدرايه، و لكنها فى رأينا صنعه ليست متكلفه و لا هى بعيده من الذوق و العفويه و الصدق، لأنها كانت تهدف إلى تصفيه الشعر و تنقيحه و تهذيبه من الشوائب و السقطات (1)، بقدر ما هو تهذيب له و تطوير استطاع فيه استلها معان جديده كتب لها الإسلام الخلود و البقاء، فظلت حيه بين الناس، و صارت مالوفه يانسها الذوق فى كل عصر، بعكس تلك المعانى التى بقيت أسيره الصحراء، فغمرتها رمال الزمن، و حرمتها نغمه التطور، و ألبستها ثوبا من الغرابه و الشده و الفناء..

لقد حفل ديوان كعب بقصائد متنوعه ألمت بكل الأغراض الشعريه فى عصره و هى قصائد استطاع كعب فيها أن يكون رساما أو مصورا ينقل إليك عبر لغه جزله متينه، بعيده من الضعف و الركاهه، مشاهد من بيئته الضاغظه التى فرضت عليه منحى من القول، و مسارا من النظم لا- سبيل إلى غيره، و حسب كعب فى هذا المجال أن يكون شاعرا قد سلك لاجبا فى صحرائه، و استطاع أن يصل إلى القمه التى وصل إليها سالكوه، بل و يزيده فخرا على من تقدمه انه لم يكن أسير ذلك اللاحب و نهجه المتعرج و غير المستقيم، بل كان شاعرا إنسانا عرف أين يضع قدمه و يثبت، و لذلك لم يتوان قيد لحظه على سلوك لاحب الخير و الهدايه و الايمان، بعد تيقنه من صوابه و سلامه مسراه.

كعب حسين بن آقا حسن:

ولد سنه ١٣١١ فى لكهنو (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٨٣ هو من أسره علميه عريقه سواء فى (نصرآباد) أو (جائس) و والده كان معدودا فى أساطين علماء لكهنو، و جده لأمه كان من كبار فقهاءها. و فى هذا الجو العلمى نشا المترجم، فبعد أن درس الأوليات دخل مدرسه (سلطان المدارس) و بعد تخرجه منها ذهب لإكمال الدراسه إلى النجف، و بعد ثلاث سنوات رجع إلى وطنه منصرفا إلى مساعده والده فى مهمات أموره.

و فى سنة ١٣٤٨ توفى والده فانتقل زمام الأمر اليه، و تولى امامه مسجد آصف الدوله و نظم أمور الأوقاف. و بعد السيد نجم الحسنالسيد ناصر حسين كان هو مرجع الشيعة فى الهند. و قد قام بتأسيس عده مجلات، و هى: الناطق، و البلاغ و السحاب، و أنشأ اداره بيت المال لمعاونه الفقراء و المالكين. كما عمل لأن تدعم الحكومه المدرسه الناظميه و الميتم و المجلس الشيعى و جريده (سرفراز) و مدرسه سلطان المدارس.

عرف من مؤلفاته كتاب (مجالس الشيعة).

كمال الدين موهانى بن السيد نظام الدين حسين الرضى:

ولد سنة ١٢٢٥ فى بلده موهان (الهند) و توفى سنة ١٢٩٥ فى لكهنؤ درس فى لكهنؤ. و فى سنة ١٢٤٠ ذهب إلى كلكته ليتسلم فيها شئون الوقف، و هو الوقف الكائن فى حى التالى، و الذى كان جده لأمه المولوى سراج الدين قد وقفه على قاضى كلكته.

و من هناك استدعاه واجد على شاه إلى لكهنؤ، و قد كتب شرح بعض كتبه بتكليف من واجد على شاه، كما كانت له هناك حلقة تدريس كبيره، و كذلك كان يطب على طريقه الطب القديم، و يقال انه كان يحفظ قانون ابن سينا عن ظهر قلب. و كانت له مذكرات علميه مستمره مع المفتى محمد عباس و مناقشات كانت تصل فى كثير من الأحيان إلى الحده الحاده.

من مؤلفاته: حاشيه على المجسطى، حاشيه شمس بازغه، حاشيه إشارات.

الميرزا لطف على بن محمد كاظم بن لطف على بن كاظم خان الشيروانى التبريزى، صدر الأفاضل، دانش:

مترجم فى كثير من المصادر و منها "مكارم الآثار" ص ١٩١١، و نقول:

ولد سنة ١٢٤٨ و توفى سنة ١٣٥٠.

كان من هواه الكتب جماعا لها كثير المطالعه فيها، كان يقرؤها بامعان ثم يصفها فى أول النسخه التى يمتلكها أو آخرها و صفا دقيقا تدل على احاطه و ذوق مرهف، و رأيت فى مكتبات ايران عددا و افرا من هذا النمط من المخطوطات و قد عرفها و علق عليها بخطه الجميل مما زاد فى قيمتها العلميه.

يبدو من بعض كتاباته انه كان من المخالفين لدعاه المشروطه و هو ضد هذه الحركه السياسيه و هو بالاضافه إلى مقاماته العلميه الرفيعه منشئ حسن الإنشاء جيد التعبير.

فى العربيه و الفارسيه، و له شعر كثير فى اللغتين يجيد فى الفارسيه، و شعره مبعثر فيما يكتبه على النسخ. (٢)

ص: ٢٢٥

١- راجع كتابنا: المعلقات العشر، ص ١٤٤.

٢- السيد أحمد الحسينى.

لطف الله بن محمد رفيع الفارسي الشيرازي:

ولد في شيراز في عصر السلطان محمد شاه القاجار المتوفى سنة ١٢١١، وتعلم الأدب الفارسي على أبيه، وهاجر بصحبته إلى أصبهان أيام حكمه معتمد الدوله منوچهر خان حيث أصبح والده من المقربين لديه، واستمر صاحب الترجمة بها في آخذ الآداب و العلوم.

له "حياه النفوس" في أصول الدين. (١).

مولانا لطف الله النيسابوري:

من شعراء القرن الثامن و أوائل القرن التاسع للهجرة، و قد عاصر بعمره الطويل نهايه عهد المغول الايلخانيين و عهد التيموريين و آل كرت و السربداريين في خراسان، و خلال سيطره تيمور على مقاليد الحكم في خراسان قام هو بمدحه و مدح ابنه أميران شاه و شاه رخ، و بقي حيا شطرا من عهد شاه رخ. من هنا ينبغي أن يعد من شعراء القرن الثامن الهجري و عهد ما قبل التيموريين، و يبدو هذا الأمر واضحا في نمط شعره.

ورد اسمه في (مجمّل الخوافي) الذي يؤرخ الحوادث إلى ما قبل عام ٨٤٥ هـ في حوادث عام ٨٠٨ هـ، و كانت الإشارة إليه مختصره. ثم تلاه مؤرخو نهايه القرن الثامن و أوائل القرن العاشر [التاسع] فتحدثوا عنه باختصار حتى انهم ذكروا أن ترجمه حياته لا تفضى إلى معلومات وافية و نفعه، و ذلك لندره المعلومات حوله. فمثلا كان دولت شاه يحسب أن ظهور هذا الشاعر كان في عصر تيمور، و بالرغم من أن ولاده هذا الشاعر و نموه و ظهوره كانت متقدمه على غلبه تيمور على خراسان إلا أن مؤلفي أواخر العهد التيموري كانوا يعتبرونه من رجال ذلك العهد و يكتفون بذلك فلا يتحدثون عن حياته التي سبقت ذلك العهد، و لا يتعرضون لذكر أصله و نسبه و لا بدايه حياته.

على أيه حال ورد ذكر هذا الشاعر في جميع المصادر باسم لطف الله و كان يلقب بمولانا نظرا لمقامه المعنوي. و لم يتحدث أي مؤلف عن تخلصه في أشعاره، و يمكن معرفه ذلك فقط من أشعاره، حيث كان يتخلص باسمه (لطف) و لعله كان يقتدى بهذا الأمر ببعض الشعراء المتقدمين عليه أو المعاصرين له.

ولد في نيسابور، و أشار في شعره إلى هذه المدينه إشارات مقتضيه.

و نظم رباعيه في وصف الهزه الأرضيه الشديده التي وقعت في نيسابور، عام ٨٠٨ هـ. و لم يذكر أحد التاريخ الدقيق لولاده لطف الله، إلا- انه كان شاعرا يافعا في أواخر أيام وزاره الخواجه علاء الدين محمد الفريومدي (وزير خراسان المتوفى عام ٧٤٢ هـ)، و من ثم تكون ولادته في أواسط النصف الأول من القرن الثامن للهجرة.

و يفهم من خلال شعر لطف الله انه كان في أوائل حياته يحاول كسب الفضائل و تعلم الفنون في نيسابور، و بعد أن حصل على قدره نظم الشعر التحق بخدمه الخواجه علاء الدين محمد الفريومدي و هو يذكر أن هذا الخواجه الفاضل شمله بعنايته و عينه كاتباً لديه، فنظم عدّه قصائد في مدحه، إلا أن الوزير قتل في يوم الأربعاء الموافق للسابع و العشرين من عام ٧٤٢ هـ بينما كان

يحاول الهرب إلى أسترآباد خوفا من السربداريين.

و يظهر من بعض شعره انه كان ينتمى إلى عائله مرفهه، حيث لم يكن يشغله شىء عن طلب العلم و المتعه ما دام أبوه على قيد الحياه، و بعد فراغه من طلب العلم و الأدب، بدأ ينظم قصائد المدح و الغزل، ثم سلك الطريق إلى مجلس صاحب الديوان علاء الدين محمد الفريومدى فاستفاد من إحسانه و تشجيعه و بقى معه سنتين أو ثلاث، ثم دارت الدوائر على علاء الدين محمد و أغلقت أبوابه، فانعكس ذلك على شاعرنا و بقى مضطرب الحال إلى آخر حياته كما يفهم ذلك من إشارات دولت شاه و سائر أصحاب التراجم الذين كانوا على صلته به أو معرفه به فى أواخر حياته.

من الطبيعى أن دخول لطف الله إلى جهاز صداره علاء الدين محمد الفريومدى كان قبل عام ٧٤٢هـ، و كما يفهم من بعض قصائده انه كان آنذاك فى عنفوان شبابه. ثم بقى فى نيسابور و سبزوار و بيهق مع الأمراء السربداريين و مدح بعضهم. و لعل أقدم أمراء السربداريين الذين مدحهم الشاعر كان تاج الدين على چشمى المعروف بـ "على شمس الدين" و كان هذا الأمير من ممدوحى ابن يمين أيضا (م عام ٧٦٩هـ)، و لكنه قتل فى سبزوار عام ٧٥٥هـ على يد سربدارى آخر اسمه حيدر القصاب بعد سنوات من السلطه.

و من السربداريين الآخرين الذين مدحهم لطف الله السلطان نظام الدين يحيى الكرائى الذى قتل عام ٧٥٩هـ على يد أخ زوجته. و كان هذا السلطان قد مدح عدده مرات من قبل الشاعر ابن يمين. و مدح لطف الله آخر شاه سربدارى و هو الأمير الخواجه نجم الدين على المؤيد (٧٦٦ - ٧٨٨هـ. (٢)

و حين آلت الأمور إلى الأمير تيمور گورگان (تيمور لنك) (م ٨٠٧هـ) نظم لطف الله عدده قصائد فى مدحه، و قال فى القصيده الأولى انه كان قبل أن يتشرف بخدمه الأمير تيمور فقيرا معدما، و لكنه أصبح بعد ذلك مرفها بمنه و نعمته. و كان جلال الدين أميران شاه بن تيمور (م ٨١٠هـ) من جمله ممدوحى لطف الله، و قد ذكر دولت شاه هذا الأمر بقوله: "نظم قصائد غراء فى مدح الأمير المحترم أميران شاه بن تيمور گورگان... فشمله الأمير بلطفه و عنايته و من عليه بصلاته..." و كان لطف الله يقول فى بعض قصائده إذا كان شعره يحظى برضى الأمير، فان ذلك سيزيد من قدره و يرفع من شأنه.

و من الأشخاص الذى مدحهم لطف الله الابن الآخر لتيمور هو الأمير شاه رخ (٨٠٧ - ٨٥٠هـ)، حيث عاصر الشاعر السنوات التسع الأولى من عهده و مدحه بشعره. و قد ذكر الشاعر فى مدحه لشاهرخ الشكوى من فقره و كساد بضاعته، و من ثم يكون ما ذكره أصحاب التراجم بحقه من ضيق ذات اليد و ملازمه العوز له لا يخلو من الصحه.

حتى الآن فان كل ما ذكرناه حول لطف الله انما استقيناه من خلال

ص: ٢٢٦

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- راجع ترجمه على بن المؤيد و الحديث عن السربداريين فى المجلد الثانى من (المستدركات).

شعره. فلنحاول الآن الاستعانه بما ورد في التراجم عن حياته، و على وجه الخصوص فيما يتعلق بأواخر أيام حياته و المعلومات التي تتحدث عن حياه هذا الشاعر في العهد التيمورى، فقد ورد في تذكره الشعراء لدولت شاه ما يلى: "... كان مولانا قليل الالتفات إلى الدنيا، و لذلك كان يقال عنه انه ضعيف الطالع... و كان ظهور مولانا في عهد حكومه الخاقان الكبير... الأمير تيمور گورگان أنار الله برهانه، فنظم قصائد غراء في مدح الأمير المحترم أميران شاه بن تيمور گورگان...

فشمله أميران شاه بلطفه و عنايته و من عليه بصلاته، و كان مولانا ينفق المال بفترة قصيره ثم يخيم عليه الفقر، و فى أواخر عمره و غايه شيخوخته انتقل مولانا من مدينه نيسابور إلى قريه اسفريس(1) المشهوره بموقع أثر قدم الامام الرضا عليه التحيه و الثناء، و كان له هناك بستان فاشتغل فيه و لم يكن يخالط الناس إلا قليلا. و ذات يوم تجمع عدد من الأصدقاء و ذهبوا إلى زياره مولانا، فرأوا باب حجرته مغلقا، فطرقوا الباب و ألحوا فلم يجب، فظنوا انه لم يجبهم عن قصد، فصعد أحدهم إلى سطح الدار فرأى مولانا فى حاله سجد، فنزل و فتح الباب للأصدقاء فدخلوا، و لكن مولانا لم يرفع رأسه، فنهض أحدهم و رفعه عن الأرض فرأى انه قد فارق الحياه، فبكوا عليه بكاء مرا، ثم أجروا عليه مراسيم الإسلام و دفنوه فى موقع قدم الامام المعصوم (ع). و كان ذلك فى عام سته عشر و ثمانمائه (٥٦١٨هـ) حيث كان مولانا قد بلغ الغايه من الشيخوخه".

و قد أشار تقى الدين إلى مقامات لطف الله فى السلوك و خلص إلى القول: "الأجزم أن الكثير من الناس يعدونه من جمله الأولياء و يعتبره عدد كبير من الخواص و الأكابر من خيره العرفاء. و أوردوا ضمن حديثهم عنه انه لم يلتفت إلى الدنيا طوال حياته و كان منشغلا أغلب الأوقات بالطاعات و العبادات، و إذا كان يشتغل فى النظم أحيانا، فلا يشغل باله إلا الحديث عن مناقب خير المرسلين و امام المتقين".

و الحقيقه أن جميع إشارات دولت شاه و تقى الدين إلى مقامات لطف الله الروحانيه العاليه و تركه الدنيا و اعراضه عن الشعر إلا فى الحديث عن مناقب الرسول و الأئمه لا نرى لها صحه من خلال استقراء حياه الشاعر و قصائده، اللهم إلا فى السنوات الأخيره من عمره. و أما حديث أصحاب التراجم عن ضعف طالعه و سوء حظه فلربما كان اعتمادا على شكاوى الشاعر من حظه و طالعه، و ليس غريبا أن تحاك الأساطير حول شاعر معين اعتمادا على بعض شعره، كما نرى ذلك فى القرون الأخيره.

و الأمر الذى يضيفه تقى الدين إلى حديث المتقدمين هو قصه العشق التي يرتبط بها مولانا، و هى من قبيل قصص الحب التي تحاك حول الشعراء و العجيب أن تقى الدين يربط هذه القصة بقصه (ضعف الطالع) و يخلطهما مع بعضهما... ثم يقول بعدها: وصل مولانا لطف الله بعد ذلك إلى حاله الانجذاب، فاعرض عن الدنيا إعراضا تاما، فكان أحيانا يعيش حافى القدمين حاسر الرأس و الأطفال يتعقبونه و يشتمونه...".

و لست أدرى إذا كان المرء قد عاش حاله الانجذاب و أعرض عن الدنيا و ما فيها كيف يمضى عمره إلى ما قبل وفاته بفترة قصيره فى مدح السلاطين و عرض فنه عليهم فى سبيل نيل زخارف الدنيا؟ و إذا كان الشخص يمشى فى الأزقه حافى القدمين حاسر الرأس و يتحول إلى ألعبه بيد الصبيان فكيف يطلب العزه فى البلاطات و بيتغى شرف ملازمه الملوك؟! من هنا نرى أن قول أمين أحمد الرازى أقرب إلى الواقع حينما قال: "انقطع (الشاعر لطف الله) فى آخر عمره عن الناس، و أقام فى اسفريس [اسفريس] حتى وفاته".

ذكر دولت شاه و تقى الدين ان وفاته كانت عام ٨١٦ هـ و هو موافق للعام التاسع من حكمه شاه رخ الذى مدحه لطف الله فى عهد سلطنته، و حين نعلم أن الشاعر قد اعتزل الناس فى أواخر حياته و ترك مدح السلاطين فان هذا العام يكون صحيحا كعام وفاته لكى تكون لديه الفرصه للاعتزال، و لكى يمكن الاعتقاد بصحة اعتزاله.

و يبدو أن ما ورد فى مجالس المؤمنين و الخزانه العامره من أن وفاته كانت فى عام ٨١٠ هـ هو أمر مستبعد. و أما ما ذكره هدايت من انه توفى عام ٧٨٦ هـ فهو من الخطا و الابتعاد عن الصواب بدرجه لا نرى معها ضروره لمناقشته و تفنيده.

و أما بخصوص شعره فقد نقل تقى الدين الكاشى فى خلاصه الأشعار ما يقرب الثمانمائه بيت للطف الله النيسابورى. و ذكر الأستاذ سعيد النفيسى ان ديوانه كان يشتمل على ما يقارب الأربعة آلاف بيت.

و إلى الآن لم أر هذا الديوان، إلا أن الشعر الذى نقله تقى الدين يمكن أن يعرفنا بالكثير من الأمور حول حياه و طريقه شعر الشاعر (لطف الله) و يجعل الحكم على شعره أمرا ممكنا.

ركز الشاعر لطف الله على القصائد، فكان مقتدرا فى هذا المجال حتى انه يعد خليفه لشعراء القصائد الخراسانيين مع بعض الاختلافات التى تكون نتيجته طبيعيا لمرور الأيام و التحول التدريجى فى اللغة. و لو قارنا قصائده مع قصائد ابن يمين لرأينا أن الاثنين يقتربان كثيرا من بعضهما، فلطف الله يسير على خطى أستاذه الكبير فى سهوله القصائد و سلاسه التعبير، مخالفا بذلك ناظمى القصائد فى القرنين السابع و الثامن من اتباع الخاقانى و سلمان الذين يعتمدون التكلف و التصنع، فلطف الله لم يجهد نفسه فى تكلف شعر مصطنع، غريب الوزن، مغلق المعانى، انما سلك طريق فصحاء خراسان فى سلاسه التعبير و قوه المعنى.

و حينئذ نستغرب قول دولت شاه و من نحا منحاه من أصحاب التراجم حين زعموا أن الشاعر لطف الله كان أستاذا فى الشعر الصناعى المتكلف، و لكن ربما اعتمدوا فى قولهم هذا على رباعيه ضمنها الشاعر صناعات الشعر.

و إلى جانب القصائد التى نظمها مولانا لطف الله فى مدح السلاطين. نظم أيضا قصائد عديده فى الثناء على الله تعالى و ذكر مناقب الرسول (ص) و على بن أبى طالب (ع) و الأئمه الأطهار و لا- سيما على بن موسى الرضا (ع)، و قصائد فى النصيح و المواعظه، و من خلال القصائد التى نظمها فى ذكر مناقب الأئمه يمكن معرفه تشييعه، بل انه وصف تيمور بأنه ملجا (آل أبى الحسن) أى آل على. بل أن القاضى نور الله أورد اسمه و ترجمته ضمن شعراء الشيعة و يمكن معرفه مكانهن.

ص: ٢٢٧

الشاعر و عزه نفسه و عدم تمسكه بحطام الدنيا من خلال شعره و مواعظه و نصائحه الواردة في طيات شعره، و الظاهر صحه ما نقل عنه بشأن إنفاق و تبديد ما كان يحصل عليه من صلات السلاطين، فقد كان يعيش أحيانا ظروفًا صعبة، و كثيرا ما اشتكى من فنه، و هو محق في هذا الأمر إذ لم يكن في عصره من يقدر شعره و يعرف مكانته. (١)

الشيخ لطف الله النيسابوري:

مذكور في "رياض العلماء" ٤٢١/٤ و نقول:

توفي بعد سنه ٨٨٠.

كان أديبا منشئا شاعرا بالاضافه إلى تبحره في العلوم العقلية و النقلية، و قد ذكر صاحب الرياض نماذج من شعره الفارسي، و من شعره العربي قوله:

بالخمسه الأشباح أهل العبا أفوز في البعث و أهواله

هل بعد ذكر الله و المصطفى إلا الكرام الغر من آله

في هل أتى فضلهم ظاهر بمحكم الذكر و إجلاله

و قوله في مدح علي (ع):

هو البحر المحيط بكل علم عليه الخلق كلهم عيال

صفا للواردين و راق حتى تفجر من جوانبه الزلال

كان علوم أهل الأرض طرا إذا قيست إلى معناه آل

و له أرجوزه في تاريخ الأئمة (ع). (٢)

لطيف القزويني:

أديب فاضل حسن الإنشاء في الفارسيه، كان يزاول الطب القديم، و هو من تلامذه ميرزا محمد حكيم باشي التبريزي المعروف ب "حكيم قبلي"، و كان من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له "فوائد لطيفيه" ألفه سنه ١٢٨٤. (٣)

السيد محسن الأعرجي

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان) و نضيف إلى ما هنالك هذه الدراره المكتوبه بقلم الشيخ محمد حسن آل ياسين:

هو السيد الامام المحسن، بن الحسن، بن مرتضى، بن شرف الدين، بن نصر الله، بن زرور، بن ناصر، بن منصور، بن أبي الفضل النقيب عماد الدين موسى، بن علي، بن أبي الحسن محمد، بن عماد، بن الفضل، بن محمد، بن أحمد البن، بن الأمير محمد الأشر، بن عبيد الله، بن علي، بن عبيد الله، ابن علي الصالح، بن عبيد الله الأعرج، بن الحسين الأصغر، بن الامام زين العابدين علي بن الحسين، بن الامام سيد الشهداء الحسين، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ع.

و كان الأعرجيون في أوائل هذا القرن - علي ما حدث السيد جعفر الأعرجي النسابة " ملء الدنيا، و لكن أعيانهم و مشايخهم في العراق، بعضهم ببغداد، و بعضهم في مشهد الكاظم " الكاظميه"، و منهم في الحائر الشريف "كربلاء"، و منهم في النجف، و منهم في بلاد الموصل و نصيبين، و منهم بواسط، و الأهواز، و البصره، و منهم في الحله، و منهم بسورا، إلى غير ذلك".

انتقلت أسرته السيد محسن من النجف إلى بغداد في القرن الثاني عشر الهجري، و كان علي رأسها يوم ذاك العلامة المرتضى جد المترجم له (٤)، و يروي السيد جعفر الأعرجي أن هذه الهجرة كانت في سنة ١١٦٥ هـ، و لكن قرائن الأحوال المتوفرة لدينا لا تساعد علي ذلك، و لعلها كانت في أوائل القرن المذكور.

ولد السيد المحسن ببغداد سنة ١١٣٠ هـ علي قول، و في عشر الثلاثين علي قول آخر، و لما كان السيد حين وفاته قد ذرف علي التسعين فان ولادته في أوائل الثلاثينات قطعيه، و بذلك يظهر السهو الذي سقط فيه السيد جعفر الأعرجي النسابة عند ما يذكر هجره آل السيد المحسن إلى بغداد في سنة ١١٦٥ هـ من أن السيد محسن كان دون البلوغ يوم ذاك.

نشا السيد المحسن عاملا في حقل التجاره، و لكنه لم يهمل خلال ذلك دراسه العلوم الأدبيه و مقدمات علوم الشريعه الإسلاميه. ثم ترك الكسب و التجاره - و كان في الأربعين أو الحاديه و الأربعين من العمر - و هاجر إلى النجف مع أخويه السيد راضي و السيد محمد (٥) للتفرغ لدراسه علوم الشريعه و التخصص بها.

و كان أبرز أساتذته في النجف الأشرف هو الآقا محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ و يعبر عنه تلميذه في مؤلفاته ب "الأستاذ"، ثم السيد مهدي الشهير ببحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ هـ و يعبر عنه ب "الأستاذ الشريف".

و ذكر صاحب الروضات - علي ما نقل عنه في الكنى و الألقاب - أن معظم قراءه السيد المحسن كان علي السيد صدر الدين القمي شارح الوافيه، و لم نجد في كتبه ما يدل علي ذلك، خصوصا و أن السيد محسن - فيما يرجح - كان قد هاجر إلى النجف في عشر السبعين بعد المائة و الألف، أي بعد وفاه السيد القمي المشار اليه.

و كانت له الروايه عن الشيخ سليمان بن معتوق العاملي الكاظمي المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ و الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ. حياته.

ص: ٢٢٨

١- ذبيح الله صفا.

٢- السيد أحمد الحسيني.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- توفى السيد مرتضى ببغداد، و حمل [حمل] جثمانه إلى النجف الأشرف، و دفن فى مقابر العلماء فى الأيوان الكبير الذى يقابل باب الطوسى من الصحن الشريف.

٥- كان السيد راضى أن [أسن] من السيد محسن، و اختار البقاء فى النجف إلى آخر أيام حياته. و كان السيد محمد أصغر من السيد محسن، و قد هاجر إلى بغداد و أقام بها حياته.

ترك النجف حفاظا على حياته عند ما دهمها الطاعون سنة ١١٨٦ هـ، ثم عاد إليها بعد زوال الخطر عنها.

و هاجر هجرته الأخيره إلى الكاظميه، و ربما كانت قبل سنه ١١٩٦ هـ و هى السنه التى أتم فيها كتابه "شرح الوافيه"، و أقام فيها مجامع البحث و حلقات الدراسه بشكل لم يمر مثله على هذه البلده، و أصبح بفضل علمه و أدبه و كفاءته و عبقريته ذا مرجعيه دينيه كبرى و مركز علمى مرموق و شهره طبقت الارحاء.

و جمعت حوزته العلميه فى الكاظميه عددا بارزا من أهل الفضل و المعرفه، و كان من جملتهم:

- ١ - الشيخ أحمد بن محمد على البهبهاني، المتوفى سنه ١٢٣٥ هـ.
- ٢ - السيد جواد بن محمد العاملى، المتوفى سنه ١٢٢٦ هـ.
- ٣ - السيد حسن السيد راضى الأعرجى.
- ٤ - السيد حسن السيد محسن الأعرجى، المتوفى بعد سنه ١٢٢٧ هـ.
- ٥ - السيد صدر الدين الموسوى العاملى، المتوفى سنه ١٢٦٣ هـ.
- ٦ - الشيخ عبد الحسين الأعسم، المتوفى سنه ١٢٤٧ هـ.
- ٧ - السيد عبد الله شبر الكاظمى، المتوفى سنه ١٢٤٢ هـ.
- ٨ - السيد على السيد محسن الأعرجى، المتوفى حوالى سنه ١٢٠٠ هـ.
- ٩ - السيد كاظم السيد حسين الأنبارى الكاظمى، المتوفى - ظنا - سنه ١٢٤٧ هـ.
- ١٠ - السيد كاظم السيد راضى الأعرجى.
- ١١ - السيد كاظم السيد محسن الأعرجى المتوفى، قبل أو فى سنه ١٢٤٧ هـ.
- ١٢ - الشيخ محمد بن أحمد البصرى الكاظمى، المتوفى حوالى سنه ١٢٤٧ هـ.
- ١٣ - السيد محمد السيد راضى الأعرجى.
- ١٤ - السيد محمد السيد محسن الأعرجى.
- ١٥ - الشيخ محمد إبراهيم الكلباسى، المتوفى سنه ١٢٦١ هـ.
- ١٦ - السيد محمد باقر الموسوى الرشتى، المتوفى سنه ١٢٦٠ هـ.

١٧ - الشيخ محمد علي البلاغي، المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ.

١٨ - السيد موسى السيد راضى الأعرجى.

١٩ - السيد هاشم السيد راضى الأعرجى، المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ.

و فى عام ١٢٢٧هـ (١) انتقلت روح السيد المحسن إلى بارئها بعد أن قدم أسمى الخدمات لعلوم الشريعة و تراث الإسلام، و بعد أن ذرف على التسعين ف "ماجت البلدان بغداد و الكاظمين، و عطلت الأسواق، و جاء أهل بغداد من الجانبين، و كان يوما مشهودا، و صلى عليه ولده الأكبر السيد كاظم و جلس للتعزیه، و رثته الشعراء (٢)، و بكته العلماء، و ناحته النوائح، على حد تعبير السيد حسن الصدر.

و كان من جمله تواریخ سنه وفاته: "بموتك محسن مات الصلاح" و "نعت المدارس و العلوم لمحسن" و "و زين فى الجنات قصر لمحسن".

و دفن فى مقبرته الخاصه، خلف مسجده، عند باب مدرسته. و ما زالت معروفه و باقيه حتى اليوم خلف الصحن الكاظمى الشريف من جهته الشماليه.

مؤلفاته

١ - المعتصم:

و هو أول مؤلفاته فى أصول الفقه.

ذكره مؤلفه فى مقدمه تعليقه على الوافيه فقال: "و لما من الله تعالى على بالرجوع إلى المدرسه الغرويه، على مشرفها أفضل الصلاه و السلام و التحيه، جعلت كلما مررت ببحث من مباحث هذا الفن أبدل الجهد فيه، و أستفرغ الوسع فى استخراج دقائقه و إظهار خوافيه. فجاء كتابا ضخما طويل الأذيال بعيد الأطراف".

و يعنى برجوعه إلى النجف عودته إليها بعد انقضاء الطاعون الفظيع الذى شمل العراق سنة ١١٨٦ هـ، و تفرق بسببه الناس، و خرج أكثر علماء النجف منها.

و كان السيد حسن الصدر قد رأى مسوده خط المؤلف عند بعض أرحام المؤلف فى الكاظميه.

٢ - المذهب الصافى:

المسمى ب "الوافى"، و هو شرح لكتاب "الوافيه" للملا عبد الله التونى المتوفى سنة ١٠٧١ هـ فى أصول الفقه. ذكر مؤلفه سبب تاليفه فى مقدمه الكتاب فقال: "ثم راودتنى جماعه من الأصحاب على اختصار ما جمعت، و تهذيب ما رسمت، فاستخرت الله جل شانہ و شرعت، و كان البحث يومئذ فى الوافيه، فجعلت أعلق عليها كل يوم ما استطعت، و بقيت مباحث كثيره مطويه على

غرثها، لم يتعرض لها المصنف، فطوينا الكشح عنها، ان من الله عز و جل على رسمت بحوله تعالى و قوته ما ينظم شتات تلك المسائل، و يجمع شمل هاتيك العقائل، و يكون ان شاء الله قانونا في هذا الباب، و دستورا لمن حاول هذا الفن من أولى الألباب، و لا حول و لا قوة إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب و إليه المصير. و قد سميت هذا التعليق بالوافي في شرح الوافيه".
أثنى عليه السيد حسن الصدر و قال في جملة ذلك: "لم ينسج ناسج على منواله حتى اليوم. قد حير أفكار الفضلاء في كنوز عباراته الجامعه، و رموز إشارات اللامعه... حتى كاد أن يكون آيه للعالمين. لم يسمح الزمان بمثله في معناه. اتفق لتاريخه عجب و هو (تمامه شهر رجب) [١١٩٦]". أتم المؤلف تأليفه في أواخر شهر رجب سنة ١١٩٦ هـ، كما جاء في آخر الجزء الثاني منه.

توجد نسخه منه مكتوبه سنة ١٢١١ هـ في كتب الشيخ عبد الرزاقن.

ص: ٢٢٩

-
- ١- و في إيضاح المكنون و هديه العارفين انه توفي سنة ١٢٤٠ هـ، و هو سهو و وهم.
 - ٢- و يراجع أعيان الشيعة: في قصيده السيد إبراهيم بن السيد محمد الحسنى العطار البغدادي في رثاء السيد المحسن.

العاملی، و نسخه من الجزء الثانی - الأدله العقلیه - قد انتهى نسخها يوم الأربعاء ٢٣ / ج / ١٢٣٦/٢ هـ في مكتبه آل الأعرجی العامه، و نسخه من المجلد الأولى مكتوبه سنه ١٢٤٠ هـ في جامعه مدينه العلم، و كانت في مكتبه السماوی نسخه من الكتاب مكتوبه سنه ١٢٧٥ هـ. و وهم في إيضاح المكنون فسمى شرح الوافیه: المحصول في شرح وافیه الأصول.

و يقدر الكتاب كله بخمسين ألف بيت، و جاء في الصفحه الأولى من الجزء الثانی أن هذا الجزء تخمینا عشرون ألف بيت و مائتان و خمسون أو ثلاثمائه.

٣ - المحصول في علم الأصول:

أوله بعد البسملة و التحمید: "أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله الغني، محسن بن الحسن، الحسيني، الأعرجي، غفر الله ذنوبهما و ستر عيوبهما: هذا ما كنت وعدت به جماعه الطلاب من تأليف كتاب محرر في أصول الفقه، ينتظم فيه ما يحتاج اليه، و يقترن بكل أصل ما يدل عليه، موضوعا على طرف التمام، بحيث يناله المتعاطي بأدنى إمام، أرجو من الله جل شأنه أن يكون بحيث يحب الراغب و يهوى الطالب، و سميته بالمحصول في علم الأصول".

توجد نسخه منه تم نسخها في ١٥ / ج / ١٢٢٦/٢ هـ في كتب السيد ضياء شكاره، و نسخه من القرن الثالث عشر الهجري في ٢٨٧ ورقه في جامعه طهران، و قطعه منه تشمل المطلب الأول من الكتاب في (٦٩) ورقه، مقابله على نسخه الأصل في كتب الشيخ إسماعيل الخالصى، و قطعه منه تشمل المطلب الأول في المبادئ اللغويه و المطلب الثاني في المبادئ الاحكاميه و المطلب الثالث في الأوامر و النواهي في ١٢٦ ورقه بمكتبه آل الأعرجي العامه، و نسخه ناقصه الآخر مقابله على نسخه الأصل في جامعه مدينه العلم.

٤ - وسائل الشيعه إلى أحكام الشريعة، في الفقه:

ذكره السيد حسن الصدر فقال: "هو كتاب محرر في الأحكام، قريب التناول، سهل المأخذ، جمع بين الاستدلال و فقه كلمات الفقهاء و التفريع، على أحسن وجه، و أعدل طريقه و أتقن ماخذ. إذا نظر فيه الفقيه المتبحر وجد ما يكفيه كعقد انتظم فتناثرت لثاليه. لم يشذ عنه حل معضله و لا- تنقيح مشكله، أبهر العلماء حتى كان في الكتب آيه. ما كان أعظم منه في نفس سيدنا... الميرزا محمد حسن الشيرازي، كنت أحضر عالي مجلس درسه ثمانية عشر سنه، و ما رأيته يذكر أحدا في موافقه أو مخالفه إلا كلام السيد في الوسائل إذا حضره".

و ذكره الشيخ محمد حرز الدين فقال: "و هو كتاب متين، و كانت أساتذتنا تقول: هو أحسن ما كتب".

و هذا الكتاب - على ما ذكر السيد حسن الصدر - لم يتم تأليفه على الولاء و التسلسل، فخرج منه كتاب الطهاره في جزئين: الأول في الطهاره المائيه و الثاني في الطهاره الحديثيه، و كتاب الصلاه في خمس أجزاء، ثم كتب العقود على الترتيب، ثم كتاب المواريث، ثم كتاب.

القضاء و الشهادات، و هو من أنفس ما كتب، ثم كتاب الحدود و الديات. و للمؤلف مختصر الوسائل.

كما ان له: مقدمه الوسائل، و هي على الضد من مقدمه الحقائق، تشتمل على طريق تناول الأحكام من أدلتها على طريقه الطائفة.

و قد طبع الوسائل فى ايران سنة ١٣٢١ هـ.

و توجد بمكتبه جامعه مدينه العلم بخط المؤلف القطع التاليه منه:

قطعه فى صلاه الجمعه و ما بعدها من أبواب الصلاه.

قطعه فى صلاه القضاء.

قطعه فى صلاه المسافر.

قطعه من الصلح إلى الوصايا.

قطعه فى النكاح إلى آخر النفقات.

قطعه فى النكاح إلى نكاح الإمام.

قطعه فى كتاب الفراق.

قطعه فى الحدود و التعزيرات.

و فى نفس المكتبه قطع أخرى من الكتاب، و فى كتب الشيخ عبد الرزاق العاملى قطعتان منه، و كانت قطعه منه فى كتب الشيخ عبد الحسين الطهرانى فى كربلاء.

٥ - العده، فى علم الرجال:

ذكره السيد حسن الصدر فقال: "اشتمل على فوائد خلت منها كتب الأصحاب من المتقدمين و المتأخرين، و عناوين لم يهتد إليها الناقدون".

ألفه لولده السيد على و قال فى مقدمته: "سالنى أحب الناس إلى و أعزهم على الولد الموفق على أيده الله بالعمرمديد و العيش الرغيد ان ارسم...".

و عند ما توفى السيد على و الكتاب غير تام انصرف المؤلف عن إتمامه، و فى ذلك يقول: " و لما قضى من شرع هذا الكتاب لأجله و صار إلى ربه، فى أفضل الشهور و أشرف الليالى، قدس سره، و انقضت الرغبه، و تقاصرت الخطى، و قعدت الهمة، ثنيت عنان القلم...".

و هذا فهرست مطالب الكتاب التى سماها المؤلف فوائد الكتاب:

الفائده الأولى - فى ضبط مدد أعمار آل الله و أحبائه و حججه و أمناؤه محمد سيد رسله و أنبيائه و أهل بيته صلوات الله عليه و عليهم أجمعين، و ذكر أولادهم و شىء من أحوالهم.

الفائده الثانيه - فى بيان فرق الشيعه.

الفائده الثالثه - فى المصنفين من الصدر الأول.

الفائده الرابعه - فى توجيه الأخذ بخبر غير العدل مع اتفاق الكلمه على اشتراط العدالة.

الفائده الخامسه - فيما يقع به الجرح و التعديل و المدح و القدح.

الفائده السادسه - فيما يكتفى به فى الجرح و التعديل.

الفائده السابعه - فى التعارض.

ص: ٢٣٠

و الكتب المعروضه عليهم (ع)، و من وثقوه و أمروا بالرجوع إليه، و من عرف فيما بين الأصحاب انه لا- يروى إلا عن ثقه حتى عدوا مراسيله فى المسانيد.

الفائده التاسعه - فى بيان العده و ما يجرى مجراها.

الفائده العاشره - فى بيان أسماء رجال يكثر دورها و يشتبه أمرها.

الفائده الحاديه عشره - فى بيان ألفاظ تلهج بها ألسنتهم، و ربما خفى على بعض الناس ما يراد بها.

الفائده الثانيه عشره - فى ذكر الرجل فى باين متناقضين.

و بعد انتهاء هذه الفوائد و وفاه من شرع الكتاب لأجله - على حد تعبير المؤلف - صرف النظر عن الإتمام و اكتفى بالحاق ست فوائد ختم بها الكتاب، و هذه هى الفوائد:

الأولى - فى ذكر كثير من الرواه المنحرفين و من طعن عليه.

الثانيه - فى ذكر جماعه من مشيخه العصابه طعن عليهم أو توهم ذلك فيهم أو لم يعلم حالهم فعدوا فى المجاهيل و هم من الممدوحين بالتوثيق أو نحوه.

الثالثه - فى ذكر بعض أكابر الصحابه و التابعين و تابعيهم، و فيها تتمه فى ذكر مشاهير الأصحاب و الوكلاء المعروفين.

الرابعه - تشتمل على أمور مهمه رجاليه - الخامسه - فى ذكر بعض مشاهير العامه من الرواه و العلماء و تواريخهم.

السادسه - فى نقل مشيخه الصدوق و مشيخه التهذيبين.

رأيت نسخه تامه مخطوطه فى مكتبه آل الأ-عرجى العامه فى (١٣٣) ورقه كانت من كتب السيد حسن السيد محمد مهدى الأعرجى و جاء فى هامش الصفحه الأخيره منها: "بلغ مقابله و تصحيحا على النسخه التى كتبت هذه النسخه عليها، و المكتوب عليها لم يعلم انها صحيحه على حد يوثق بها، و ان كان نقلت من نسخه الأصل على ما نقل صاحبها مخبرا لنا، و الله أعلم".

٦ - تزييف مقدمات الحدائق، بطريق التعليق:

رد فيه ما ذكر صاحب الحدائق فى المقدمتين الأولى و الثانيه، و قد استقصى النقض عليه و على أصحابه بما لا مزيد عليه، و خص الأسترآبادى فى فوائده بحصه الأسد من هذا التزييف.

و ربما سماه بعضهم: "نقض الفوائد"، و قد يسمى "شرح مقدمات الحدائق".

كانت منه نسخه مخطوطه فى مكتبه السماوى.

و فى مكتبه جامعه مدينه العلم مخطوطه كتاب للسيد الأعرجى فى الرد على الأخباريين خصوصا على الأسترآبادى فى الفوائد، و الظاهر انه هذا الكتاب.

و كانت فى مكتبه الشيخ عبد الحسين الطهرانى بكر بلاء نسخه مكتوبه سنه ٢٢٩ [١٢٢٩] ه بخط الشيخ احمد كتان النجفى.

٧ - شرح معاملات الكفايه للمحقق السبزوارى، بطريق التعليق: قال عنه السيد حسن الصدر: " هو كتاب نفيس، لم يخرج إلى البياض إلا فى هذه الأزمان، أخرجه بعض أفاضل نوافله و هو عيسى بن جعفر بن محمد بن الحسن بن المحسن وفقه الله تعالى، و قد بيض جملة من مسودات السيد و أحيائها بعد أن أشرفت على الاندراس، و أعانه على ذلك عمه السيد الأمجد أبو المكارم و الهمم السيد إبراهيم دام عزه و توفيقه".

٨ - تلخيص الاستبصار للشيخ الطوسى:

قال عنه السيد حسن الصدر: " يذكر حاصل ما فى الباب من الروايات و ما ذكره فقهاء الأصحاب، و يختار ما يوافق الصواب. خرج من كتاب الصلاة مسائل صلاه المسافر، و أبواب المواقيت، و أبواب الأذان، و أبواب القراءه فى الصلاه، لا غير، فليته تم فإنه تحرير الاستبصار مع اقامه الدلائل بأحسن تحقيق و بيان. يقرب من خمسة آلاف بيت".

٩ - كتاب أجوبه المسائل التى سئل عنها، فى الفقه:

يقول السيد حسن الصدر عنه: " رأيتها بخطه الشريف، و قد تعرض فى أكثرها للأقوال و الدليل، و هى من أحسن الكتب و أنفع المجاميع، قد حوت حل معضلات و كشف مشكلات لا يجدها الطالب فى المطولات".

١٠ - حواشى على الوافيه للتونى:

يقول السيد حسن الصدر: " بخط يده، من أولها إلى آخرها، غير ما كتبه فى الوافى، أيضا لم تدون، و كتب فى آخرها بقلمه الشريف ما يدل على غايه إتقانه فى تصحيح الكتب، و هذا صوره ما كتب: بلغ قبالا و تصحيحا يحسب الجهد و الطاقه فى مجالس عديده آخرها يوم الأحد [الأحد] سلخ جمادى الأولى سنه ١١٨٨ ه. و كتب الأقل محسن الحسينى الأعرجى. و بلغ بحمد الله قراءه على الأستاذ الشريف الأمجد و الشيخ الأجل الأسعد غره هذا الشهر جمادى الثانى من هذه السنه حامدا لله مصليا على رسوله و آله الطيبين ص". و نسخه كانت فى خزانه السيد حسن الصدر نفسه.

١١ - رساله فى مناظره الشيخ صاحب كشف الغطاء فى ثمره القول بالصحيح:

و الأعم و التمسك باصالة البراءه أو الاشتغال.

١٢ - حواشى على كتاب المصباح المنير للفيومى:

كتبها المؤلف على هامش نسخه بخطه. و لم تدون مستقلة.

١٣ - حواشى على وافى المحدث الكاشانى:

ذكرها السيد حسن الصدر فقال: " رأيتها بخطه على هوامش الكتاب و رأيت تدوينها بخط بعض أولاده، كراريس مجلده مع الجزء الأول من الخلاف للشيخ الطوسى عند بعض أهل طهران، و كانت منحصره بالذى رأيت ".

١٤ - رساله فى المواسعه و المضايقه:

١٥ - سلاله الاجتهاد، فى الفقه:

ص: ٢٣١

نسخه منها بخط السيد إبراهيم بن محمد الأعرجي بجامعة مدينة العلم.

١٧ - منظومه في جمع (جميع) الأشباه و النظائر من مسائل الفروع.

على حذو كتاب نزهه الناظر ليحيى بن سعيد الحلبي ابن عم المحقق.

١٨ - رساله فيما يلزم المسافر في مثل بغداد و الكاظميه أو الكوفه و النجف:

نسخه منها بخط السيد إبراهيم بن محمد الأعرجي في جامعه مدينة العلم.

١٩ - منظومه في الفقه:

قد تسمى "الفقيه المستطرفه"، و قد تسمى "الدرر البهيه في فقه الاماميه"، و سميت في الفوائد الرضويه: "الالفيه الفقيهه"، و ربما كانت ألف بيت.

نسخه منها كتبت سنة ١٢٤١ هـ في جامعه طهران، و في جامعه نسختان أخريان أيضا.

٢٠ - غرر الفوائد و درر القلائد، في الفقه و الأصول، و سميت في بعض الكتب:

غرر الدرر في أصول الفقه. يقرب من أربعة عشر ألف بيت.

توجد نسخه المؤلف بخطه في مكتبه جامعه مدينة العلم.

و قد تم تأليف الكتاب في مرض المؤلف الذي توفي فيه، فيكون خاتمه مؤلفاته.

محمد البيدآبادي

محمد بن الملا- محمد رفيع أحد مشاهير الحكماء في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة. كان في الأصل كيلانيا ثم اشتهر بالبيدآبادي لاقامته في محله بيدآباد في أصفهان.

درس الفلسفه و الحكمه على عدد من الأساتذه أهمهم: السيد قطب الدين محمد النيريزي الشيرازي (١١٠٠ - ١١٧٠ هـ) صاحب (فصل الخطاب). و هو من العارفين و الحكماء المعروفين في القرن الثاني عشر و من أركان السلسله الذهبيه الصوفيه. و الميرزا تقى الألماسي (المتوفى عام ١١٥٩ هـ) و الملا إسماعيل الخواجوي (الخواجوي).

يعتبر محمد البيدآبادي من أكبر العلماء و الحكماء و العارفين في عصره، و قد اشتغل بالتدريس في أصفهان، و تخرج على يده عدد من علماء بدايه القرن الثالث عشر للهجرة (العهد القاجاري)، و منهم السيد أبو القاسم الحسيني الأصفهاني المشهور بالمدرس الذي كان يلقي دروسه في مدرسه (جهار باغ) في أصفهان، و الملا محراب الكيلاني الذي كان من مشاهير العارفين، و الحكيم المشهور الملا على النوري و الحاج الميرزا إبراهيم الكرباسي مؤلف الإشارات و المنهاج.

كان هذا الحكيم العالم العارف معروفا بتحرره و عدم اهتمامه بأعيان الدوله و رجالها، و لم يكن مستعدا لاستقبال أو لقاء أحد منهم، و من ثم كانوا يكون له غايه الاحترام لخصاله هذه و لما يتوسمونه فيه من كرامات. و كان يعيش من كده و اشتغاله في صياغه الذهب. و قد ذكر مؤلف (ريحانه الأدب) بأنه كان يعتقد بوحده الوجود. و وصفه مؤلف روضات الجنات بالقول: "رفع محمد (البيدآبادى) رايه الزهد و التقوى عاليه فى عصره، حتى عجز المؤرخون عن وصفه".

توفى عام ١١٩٧ هـ فى أصفهان و دفن فى مقبره (تخت فولاد) فى الجانب الشرقى من تكيه حسين الخوانسارى.

محسن توى بن نور محمد

ولد سنه ١٢١١ فى باكستان و توفى سنه ١١٦٣. من مواليد (تته) و سكانها، و كانت (تته) ضمن الهند و بعد التقسيم صارت ضمن الباكستان، و هى فى مقاطعه السند.

كان فاضلا شاعرا، اشتهر بقصائده فى مدح أهل البيت (ع) و نظم فى ذلك مجموعات مثل: (عقد دوازده گوهر) و (طراز دانش ميلاد) و غير ذلك.

و عدا هذا فله مجموعه قصائد فى موضوعات أخرى.

محمد جعفر بن أبو الحسن الملقب أبو صاحب:

ولد سنه ١٢٨٩ فى لكهنو (الهند) و توفى فيها سنه ١٣١٠.

كان شاعرا و ترك ديوانا شعريا.

درس على والده و على مولانا حبيب حيدر و الشيخ تفضل حسين.

و سافر و هو فى الثالثه عشره من عمره إلى العراق للدرس، و لكن عوارض مرضيه عرضت له فعاد إلى وطنه لكهنو فتوفى بعد ثمانيه أيام من وصوله إليها.

الشيخ ناصر الدين محمد بن احمد التونى:

من علمائنا المنسيين و أكابر فقهاءنا فى القرن الحادى عشر للهجره مؤلف مكثر، من أئمه الفتوى.

لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته الا ان شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرگ الطهرانى ذكره فى طبقات أعلام الشيعة ضمن علماء المائة الحاديه عشره، ترك مؤلفات منها:

١ - فائده على كتاب إرشاد الأذهان إلى أحكام الايمان للعلامه الحلى المتوفى سنه ٧٢٦ و فيه خمس عشره ألف مسأله ٢ -

فوائد على كتاب قواعد الأحكام فى مسائل الحلال و الحرام أيضا للعلامه الحلى يحتوى على احدى و أربعين ألف و مائه مسأله

٣ - على كتاب شرايع الإسلام فى مسائل الحلال و الحرام للمحقق الحلى المتوفى سنه ٦٧٦ يحتوى على اثنتى عشره ألف مسأله

٤ - فائده حكاها عن تحقيقات الفاضل المقداد في معذوريه الجاهل بالحكم و جميعها بخط المؤلف من مخطوطات مكتبه آل خرسان في النجف الأشرف. (١)

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني:

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان)، كما مرت دراسات عنه في (المستدرجات). و نشر هنا الدراره التاليه مكتوبه بقلم: محمد باقر، ثم تتبعها بدراسه مكتوبه بقلم: محمد صابر خان ثم بدراسه بقلم:

هوشنك مير مطهري.

ص: ٢٣٢

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

من كاث إلى الرى و العوده إلى كاث

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد فى بيرون قرب مدينه كاث(1) (Kath) فى الثالث من ذى الحجه عام ٣٦٢ هـ الموافق للرباع من سبتمبر عام ٩٧٣ م. و يجدر بالذكر أن مدينه (كاث) أصبحت فيما بعد عاصمه خوارزم (و هى ناحيه دلتا آمودريا، التى تتمتع الآن بحكم ذاتى باسم جمهوريه كاراكيلاس أو قراقلباق).(2)

تقع كاراكيلاس فى السواحل الجنوبيه لبحر آرال فى آسيا المركزيه، و كانت تابعه لما كان يسمى بالاتحاد السوفياتى.

أمضى أبو الريحان ٢٥ سنه من عمره فى موطنه الأصلى، و درس على يد [يد] بعض الأساتذه مثل منصور بن أيراك الجيرانى و هو عالم فى الرياضيات. و فى موطنه هذا بدأ أعماله الكتابيه الأوليه، و بدأ بمراسله ابن سينا الشاب البخارى الأعجوبه الذى يصغره بسبع سنين.(3)

يعتقد بعض المؤلفين المعاصرين و بعض المؤلفين الذين تلوا البيرونى بان "بيرون" مسقط رأس البيرونى و مدينه كاث، تقعان فى وادى السند، و ليس لدينا ما يثبت أو يبطل هذا الاعتقاد، و لكن على أى حال فان مدينه كاث أو كات كانت مهمه و عامره لقرون طوال، سواء قبل البيرونى أو بعده.

و يكتب الإصطخرى (المتوفى عام ٣٤٦ هـ ٩٥٨-٧ م) فى كتابه المسالك و الممالك ما مضمونه:

"و مدن خوارزم الأخرى هى: درغان، هزار اسب [أسب]، خيوه، خشميش، أرد خشميش، سافر دز، و گرگانج، و تدعى قصبه هذه النواحي "كاث"، و فيها قلعه قديمه. و قد أتى السيل على المدينه، فانتقل أهلها إلى مكان أعلى منها بعد أن بلغ السيل القلعه. و خشى على مسجد (آدينه) الواقع فى القلعه و قصر خوارزم شاه المحاذى للمسجد، و على السجن المتاخم للقلعه. و ثمه نهر صغير يجرى وسط المدينه، و يقع على ضفتى هذا النهر سوق طويل ذو سماطين...". (4)

و كما يظهر من كتاب المسالك و الممالك، فان مدن خوارزم الأخرى هى درغان، هزار أسب، خيوه، خشميش، سافر دز، و گرگانج و تعرف مدينه كاث عاصمه لهذه المنطقه. و كانت هذه المدينه طوال تاريخها مركزا للحكومات المتعاقبه. و للمدينه سور و برج أتى عليهما السيل بمرور الوقت، و لا تزال أطلالهما باقيه إلى الآن. و قد استبدل الناس بهذه المدينه - بعد انهدام قلعتها و سورها و برجها موضعا آخر أعلى منها، بعد أن بلغت السيول القلعه، و خيف عليها و على مسجد آدينه و مقر خوارزم شاه و سجن المدينه المجاور للمسجد. و ثمه نهر يجرى وسط المدينه ترامت الدكاكين على ضفتيه. و تعرضت بعض بوابات المدينه للخراب و أعيد بناء بعضها.

و يتعرض ابن حوقل لذكر موقع مدينه كاث على الخريطه التى رسمها بنفسه فى كتابه (صوره الأرض) (الذى يحتمل أن يكون تأليفه فى عام ٣٦٧ ٩٧٧ هـ) فيقول ما يلى:

"تحت مصب النهر الخامس لمدينه ترمذ، إلى الشمال من نهر جيحون، و إلى الأسفل منها هاشم جرد و قبر على ضفه جيحون".

" معنى الكاث بلغه أهل خوارزم الحائط فى الصحراء فى غير أن يحيط به شىء، و هى بلدة كبرى من نواحى خوارزم إلا أنها من شرقى جيحون دون جميع نواحى خوارزم، و إنما هى من ناحيه جيحون الغربيه - و بين كاث و گرگانج، مدينه خوارزم عشرون فرسخا.

و يكتب حمد الله المستوفى القزوينى فى كتابه (نزهة القلوب) (٦)، المصنف عام ٧٤٠ ١٣٤٠ م ما يلى:

"فرغانه، هى ولايه من الإقليم الخامس - و قد بناها أنوشيروان العادل، و نقل إليها بعض الأهالى من بيوت شتى، و من ثم فقد سميت "هر خانه" (٧) (و معنى هر خانه: كل بيت)، ثم تغير اسمها لكثرة الاستعمال إلى فرغانه، و قد أعيد بناؤها على يد قيدو بن قاشى بن أوكتاي قآن و دوا بن براق بن يسون بن ماتكان بن جغتاي خان، و كان المشهور فى العصور الغابره: كاث و كاشان و اخسيكت"، و فرغانه إذن هى إحدى ولايات الإقليم الخامس، و قد بناها أنوشيروان العادل، و قد سميت "هر خانه" لأن أهلها جمعوا من بيوت و نواح شتى، و بعد استعمال طويل تحول اسمها إلى (فرغانه) (Farghana)، و اسمها الحالى هو أنديجان (Andighan). و كانت المدن الكبيره فى العصور الغابره: فرغانه، كاث، كاشان، اخسيكت.

و ظلت كاث فى معزل عن الأحداث حتى أواسط القرن الرابع عشر، و من حمله المغول إلى عام ١٣٣٣ م.

و خلال سفره من أورگنجج إلى بخارى، لم يشر السائح العربى، ابن بطوطه إلى وجود مدينه فى طريقه إلى كاث، حيث يقول ما مضمونه:

" و عند ما عزمت على ترك خوارزم، استأجرت عددا من الإبل، و اشتريت هودجا لبروده الجوى، و كان الخدم على ظهور خيولهم، بينما رزمننا الفراش و السجاد على ظهر الإبل. و فى سفرنا هذا ما بين خوارزم و بخارى، مررنا بصحراء، قطعناها فى ثمانيه عشر يوما، و لم نجد طوال الطريق محلا لاستقرارنا إلى مدينه كاث الصغيره التى دخلناها بعد أربعه أيام من حركتنا. و قد نزلنا بالقرب من برکه ماء متجمده يلعب عليها الأطفال، تقع بالقرب من هذه المدينه. و قد حضر قاضى المدينه لاستقبالنا، ثم تبعه حاكمها و حاشيته، و دعونا لضيافتهم و الإقامة عندهم". (٨)

و يشير ابن بطوطه إلى الوقت اللازم لقطع المسافه الفاصله بين كاث و بخارى، فى معرض حديثه عن شرح الأوضاع الطبيعیه لهذه المنطقه، و كذلك يبدى رأيه بخصوص أهميه هذه المدينه، التى ولد فيها "البيرونى" و الذى اضطر لمغادرتها فى أوائل شبابه. ٥٥.

ص: ٢٣٣

١- راجع (رکاته [ريحانه] الأدب) تأليف محمد على مدرس التبريزى ج ٥ ص ٧٦-٧٨.

٣- بور سيناء سعيد نفيسى ص ١٣١.

٤- المسالك و الممالك ص ٢٣٥ فى الترجمة الفارسيه، مصدر ١٦٨ فى الترجمة العربيه.

٥- معجم البلدان لياقوت الحموى المجلد الثانى ص ٣٢٧.

٦- نزهه القلوب، لحمد الله المستوفى ص ٢٢٨.

٧- تعنى كلمه (هر خانه كل بيت).

٨- GF.Gibbi,H,A,R.Ibn Battuta Travels in Asia and Africa,١٧١ and BarthoId,V.V.Four . studies on the History of Central Asia vi,I.P.٥٥

و يبدو ان تيمور ضرب هذه المدينه تقريبا فى حوالى القرن الرابع عشر الميلادى، و لكنها استعادت وجودها و أسوارها مره أخرى، و كما يظهر من حديث على اليزدى(١) فى (ظفرنامه المجلد الأول ص ٢٣٧، ٢٩٣، ٤٤٩ لشرف الدين على اليزدى) أنها كانت فى وقته لا تزال مدينه مهمه.

و ينبغى التذكير بان خوارزم و عاصمتها كاث كانتا فى ذلك الوقت جزءا من ترانسويانا ، و حينما بلغ البيرونى سن الشباب، كانت هذه المنطقه خاضعه لسلطه السامانيين، إذ كان يحكم آنذاك نوح الثانى بن منصور ٣٦٦ - ٣٨٧ هـ ٩٧٦ - ٩٩٧ م و منصور الثانى بن نوح الثانى ٣٨٧ - ٣٨٩ هـ ٩٩٧ - ٩٩٩ م، و يبدو أن البيرونى امتدح الملك خلال سنتى حكم السلطان منصور الثانى بن نوح الثانى السامانى. و فى عام (٣٨٤ هـ ٩٩٤ م) هزم الغزنويون السامانيين فى الجزء الجنوبى لنهر جيحون، و استولوا على الأراضى التابعه لهم. و فى شمال نهر جيحون أوقف أيلك خان تركستان - زعيم قبائل الترك ما بين فرغانه و حدود الصين - جيوش السامانيين و قضى عليهم و أنهى بذلك سلسله السامانيين بعد أن نهب ترانسويانا و احتل بخارى عام (٣٨٠ هـ ٩٩٠ م). (٢)

و بعد سنه من انقراض السلالة السامانيه، رحل البيرونى إلى جرجان (من الأجزاء الجنوبيه لبحر الخزر) لغرض الإقامه الطويله فيها. و يبدو أن ذلك كان فى عام (٣٣٨ هـ ٩٩٨ م) أى فى الوقت الذى عاد فيه السلطان أبو الحسن قابوس بن وشمگیر شمس المعالى (الزيارى) من منفاه.

و يصف ابن حوقل مدينه جرجان بأنها مدينه جميله بنيت من الآجر فى ناحيه تقل رطوبتها عن آمل، و بالتالى فهى أعذب هواء منها، و كذلك فهى أقل من طبرستان مطرا. و تتالف المدينه من شطرين يفصل بينهما نهر، و يربط بينهما جسر عائم، و يطلق اسم جرجان فى أغلب الأحيان على القسم الشرقى من المدينه، و يذكر ابن حوقل بان مساحه شطرى المدينه و الجزء الغربى من ضواحيها يعادل مساحه مدينه الرى القديمه. (٣)

و تكثر الفاكهه فى أطراف المدينه، و يحضر الحرير بكميات كبيره و يذكر المقدسى بان اسم الشطر الأسمى لمدينه جرجان - أى الشطر الشرقى - هو (شهرستان) (٤). و يحتوى هذا الشطر على خمس مساجد و سوق، و يباع فيه الرمان و الزيتون و البطيخ و الباذنجان و العنب باثمان بنخسه، و كل هذه الفاكهه و الثمار من الأنواع الجيده. و يقسم المدينه نهر، أقيمت عليه بعض الجسور العائمه أو من الآجر. و فيها ساحه عامه مقابل قصر الحكومه، و للمدينه تسع بوابات. و عيب جرجان الوحيد هو ارتفاع حرارتها و كثره الذباب و الحشرات الأخرى التى يسمى الأهالى بعضها بالذئاب (گرگان) و من ثم فقد حملت هذه المدينه اسم گرگان نتيجة لذلك. ألف - الطريق من كاث إلى جرجانيه (گرگان):

لم يذكر البيرونى جزئيات سفره من كاث إلى جرجان، و لذلك لم يستطع الباحثون اكتشاف الطريق التى سلكها فى سفره بعد مضى ألف سنه عليه. و من ثم فنحن مضطرون إلى مراجعه الحوادث التاريخه لابن حوقل (بين و ٣٦٧ هـ ٩٦١ - ٩٧٧ م) أى معاصره له أو متاخره عنه قليلا، لأنها أقرب الحوادث إلى حياه البيرونى و ربما أكثرها استدلالا (٥). حيث كان البيرونى قد سلك نفس الطريق التى سلكها ابن حوقل فيما بعد.

و يظهر من الخريطه أن كاث، عاصمه خوارزم الشرقيه، تقع على الضفه الثانيه من نهر جيحون، فى أعالى النهر الذى يسمى ب (جاردو)، و يفصل ابن حوقل الحديث عن الطريق التى سلكها فى رحلته. (٦)

قام أبو الريحان في أواسط عمره - بما يقارب اليقين - بعبور جيحونبوزق ثم وصل أردخشمين التي تقع على الطريق الرئيسي شمال خيوه، و وصل جرجان بعد اجتيازه لعدد من المدن الكبيره التي لم يبق لها أى أثر في الوقت الحاضر.

و يتحدث ياقوت الحموى عن أردخشمين التي سكنها عام ٦١٦ هـ ١٢١٩ م، فيقول ما مضمونه:

" هي مدينة كبيره، ذات أسواق جميله و مراكز تجاريه، و إلى الجنوب من جرجان تقع مدينة نوزفار (Nuzvar)، التي يصفها المقدسى، بأنها مدينة صغيره قويه الاستحكامات، ذات بوابتين حديديتين و برج و حصن و قلعه عاليه، و يحيط بها خندق أقيمت عليه جسور متحركه لتسهيل الدخول إلى المدينه، و ترفع هذه الجسور أثناء الليل و توضع على قوارب.

و يوجد في ساحه سوق المدينه مسجد الجمعه، و هو ملتقى الناس و محل تجمعهم، و يوجد كذلك حمام جيد بالقرب من البوابه الغربيه للمدينه.(٧)

و يبدو أن هذه المدينه هي نفسها التي أسماها يعقوب فيما بعد بنوج كاث (أى كاث الجديده أو الحائط الجديد) و التي دمرها المغول تماما بعد قليل من عوده يعقوب.(٨)

و أما زمخشر فتقع بين نوزفار و گرگان، و كانت هذه المدينه - في زمن البيرونى - تربطها بالخارج جسور متحركه أيضا، و تحتوى على مسجد جامع كبير، و سجن كبير محكم ذى بوابات حديدية، و يحيط بها خندق.

و قد وصفها ياقوت في القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) بأنها قريه.(٩) و حملت هذه المنطقه اسم زمخشر(١٠)، و هي مسقط رأس أحد كبار مفسرى القرآن و هو الزمخشرى إذ ولد فيها عام ٤٦٧ هـ. (١٠٧٥ م)ر.

ص: ٢٣٤

١- "ظفرنامه" شرف الدين على يزدى، المجلد الأول ص ٢٣٧، ٢٩٣، ٤٤٩.

٢- Iane pool the Mohammadan dynas Ties. ١٣٢.

٣- صوره الأرض (النسخه العربيه) ص ٣٢٤.

٤- "أحسن التقاسيم فى معرفه الأقاليم". المقدسى. ص ٢٨٧.

٥- ريحانه الأدب، المدرس التبريزى ج ٤ ص ٢٠٠.

٦- من كاث إلى جرجانيه ثلاث مراحل، فمن كاث إلى أردخشميشن مرحله و منها إلى نوزقار مرحله و من نوزقار إلى جرجانيه مرحله، و يجرى نهر جيحون خلال هذه المسافه (ابن حوقل ص ٢٣٣).

٧- أحسن التقاسيم فى معرفه الأقاليم. المقدسى. ص ٢٨٨.

٨- معجم البلدان. ياقوت الحموى. المجلد الخامس ص ٣٠٩.

٩- معجم البلدان. المجلد الثالث ص ١٤٧.

١٠- نقلا عن (لغت نامه دهخدا) تحت عنوان زمخشر.

و توفي فيها عام ٥٣٧ هـ (١١٤٤ م).

و يذكر ابن بطوطه الذى زار هذه المدينه فى القرن الثامن الهجرى (القرن الرابع عشر الميلادى) بأنها: "تقع على بعد خمسه أميال عن أورگنج".

(ب): جرجان (گرجان):

لأجل أن نتعرف على الطريق التى سلكها البيرونى فى سفره من الجرجانيه (١) إلى جرجان، يجب علينا دراسه ما كتبه ابن حوقل عن هذه الطريق التى سلكها معاكسا لسفر البيرونى، إذ كانت رحله ابن حوقل من جرجان إلى خوارزم.

و يتعرض ابن حوقل لذكر الصحراء التى تفصل خوارزم عن جرجان، فيقول أنها كانت منطلقا لشن حملات الأتراك الغز. (٢) و يوجد على بعد أربعة منازل من جرجان موقع عسكري يحمل نفس الاسم، و هو عباره عن قلعه صغيره، أقيمت لحراسه مدينه آخور التى يتخذها حاكم هذه النواحي مقرا له.

و يذكر المقدسى بان هذه المدينه (آخور) محاطه بأربع و عشرين قرية عامره، و تعد من أكثر مناطق جرجان كشافه فى السكان. (٣) و توجد فى آخور مغاره [مناره] أو برج يمكن مشاهدته بكل وضوح من مسافات بعيدة فى الصحراء.

و ثمة موقع عسكري باسم (پاسدارخانه) فى الجزء الشرقى من مدينه آخور، و هو فى بدايه الصحراء التى تتصل بخوارزم، و يقول المقدسى:

"تحتوى هذه المدينه على ثلاث بوابات، و الكثير من أجزائها خرب فى الوقت الحاضر، إلا- أنه لا- يزال يقطنها الكثير من السكان، و يوجد فيها العديد من الأسواق الكبيره و البيوت الجميله، و خمس مساجد، و أقدم هذه المساجد قائم على أعمده خشبيه... و قد بنى نصف منه على شكل سرداب". (٤)

و يصف حمد الله المستوفى المسير بين جرجان و خوارزم عن طريق ناحيه دهستان، بأنه الحد الفاصل بين المسلمين و الأتراك المجوس و الأكراد.

و تتصف هذه المنطقه بوفره مائها و حراره هوائها، و لكنه على الرغم من وفرة المياه لا تزرع الفاكهه إلا قليلا. (٥)

و أما "جهار إقليم" فهو جزء من (دهستان)، و يقع على حافه الصحراء، أى على الطريق التى تؤدى إلى خوارزم، و تقع مدينه (فروه) فى هذه المنطقه (أى منطقه جهار إقليم)، و يذكر الإصطخرى هذه المنطقه على أنها منطلق و مستقر لأتراك الصحراء الغزاه، و لذلك استحدث فيها مقر للجنود من أجل حراستها من اعتداء الأتراك. و أما مزارعها و بساينها فهى ليست كبيره. و تضم المدينه فى جنباتها ما يقارب الألف البيت. (٦)

و يذهب لسترنج إلى الاعتقاد بوجود خطأ فى تحديد موقع المدينه، و هو يعتقد بان مدينه فروه هى نفس مدينه قزويل آرواات الجديده، التى حرفت عن اسم قزويل رباط. (٧)

و أما المنازل التي تقع بين جرجان و أورگنج - و التي يعتبرها العرب جزءا تابعا للجرجانيه - فقد وردت أسماؤها بصور مختلفه، و لا تعرف الآن أسماء هذه المنازل بصوره دقيقه، و لكن لما كانت في أغلبها مواضع لاستقرار الغزاه أو القوافل - و هي بذلك عباره عن قرى و مدن صغيره - فإنها لا تحظى باهميه كبيره.

ج: من فروه "قزبل آروات" إلى الجرجانيه:

يذكر حمد الله المستوفى فواصل المواضع المختلفه من منازل و محال استراحه عن بعضها البعض، بدأ من فروه و انتهاء بجرجانيه و هي كما يلي:

من فروه إلى (رباط خشت پخته) ثمانيه ليك (٨) (يعادل (الليك) الواحد ثلاثه أميال)، (و قد تركنا كلمه (ليك) كما هي دون أن نطبق عليها القاعده النحويه).

من رباط خشت بخته إلى خوش آبدان - ٨ ليك.

و منها إلى خاورانگاه - ٧ ليك.

و منها إلى سيل باب - ٨ ليك.

و منها إلى مشك مينا - ٧ ليك.

و منها إلى رباط مريم - ٩ ليك.

و منها إلى خوارزم نو - ٨ ليك.

و منها إلى حلم نو أو خلم نو - ٦ ليك.

و منها إلى أورگنج أو (جرجانيه) - ٤ ليك.

و يصبح مجموع هذه المنازل التسعه من فروه إلى الجرجانيه ٧٢ ليك أي ٢١٦ ميل.

و كذلك سافر البيروني إلى الري في رحلته التي ابتدأها من جرجان و يذكر حمد الله المستوفى المسافات التي تفصل المنازل الواقعه على الطريق بين جرجان و الري، عن بعضها البعض كما يلي:

من جرجان إلى بسطام - ٢٣ ليك و من ورامين إلى الري ٦ ليك.

و من دامغان إلى ورامين - ٥٤ ليك و من ورامين إلى الري ٦ ليك.

فتصبح المسافه بمجموعها ٩٦ ليك.

و يذكر ابن حوقل و الاضطخري أن هناك ثلاثة منازل بين عاصمه خوارزم (كاث) و جرجانيه(٩)، و لكن الاثنين لم يذكر المسافات التي تفصل بين هذه المنازل، و على أى حال يمكن الاستعانه بالخريطه لمعرفة هذه الفاصله و تقدر ب ٣٠ ليك، فيصبح مجموع ما قطعه البيروني في ذهابه و إيايه وفقا للمسافات التي سنذكرها فيما يلي، في حدود ٥١٨ ليك:

من كاث إلى جرجانيه ثلاثون ليك.٢.

ص: ٢٣٥

-
- ١- مدينه، كانت مركزا لخوارزم، و وصفها ياقوت الحموي بأنها: " مدينه كبيره تقع على ساحل جيحون".
 - ٢- صوره الأرض لابن حوقل ص ١٢٥.
 - ٣- أحسن التقاسيم في معرفه الأقاليم، المقدسي، ص ٢٨٨.
 - ٤- نفس المصدر، ص ٢٨٩.
 - ٥- دهستان جزء من الإقليم الرابع... و قد بناها قيادين فيروز الساساني و جعلها أحد الثغور، لتفصل بين المسلمين و الأتراك و الأكراد، و تتصف بحراره هواءها. و يجرى ماءها من نهر فيها، و تندر الفاكهه فيها. (نزهه القلوب ص ١٩٠).
 - ٦- المسالك و الممالك) للاضطخري (المتن العربى ص ١٥٤).
 - ٧- ٣٨٠-Iestrange,G,the lands of the ea-stren,Califate
 - ٨- يعادل (الليك) الواحد ثلاثه أميال.
 - ٩- صوره الأرض لابن حوقل ص ٢٤٤ و الاضطخري ص ٢٧٢.

من جرجانيه إلى ورامين ٢٢٣ ليك. (١)

من ورامين إلى الري ٦ ليك.

و على هذا الأساس يكون مجموع المسافات التي قطعها البيروني في ذهابه ٢٥٩ و مجموعها للذهاب و الإياب وفقا لما ذكره البيروني بنفسه ٥١٨ ليك. و كما نعلم فان الليك الواحد يعادل ثلاثه أميال انجليزيه (٢) فعلى هذا يكون ما قطعه البيروني في سفره من كاث إلى الري يعادل ٩٦٠ ميلا (للذهاب فقط) و مجموع المسافه ذهابا و إيابا ١٩٢٠ ميلا. و لم يذكر البيروني الوقت الذي استغرقتة رحلته تلك، و لكن يمكن تقدير هذا الوقت من خلال الحساب الزمني لقطع ليك واحد، حيث يبدو أن المسافه التي يمكن قطعها كحد متوسط هي سته ليك، و على هذا الأساس يكون البيروني قد أمضى مده ثلاثه و أربعين يوما في الذهاب فقط. (٣)

و ليس لدينا اطلاع دقيق و صحيح عن وسائل الحمل و النقل في زمن البيروني، و لكن يغلب على الظن أنهم كانوا يستعملون الحيوانات التي لها القابليه على تحمل المشاق، حيث يكتب ابن بطوطه - الذي سافر إلى نفس المناطق بعد البيروني، فيما بين عام ١٣٢٥ و ١٣٥٤ م - عن ذلك بقوله:

"استأجرت بعيرا بدلا عن الحصان، لأغراض النقل و الحمل، إذ لا يمكن إنجاز هذه الأعمال في المناطق الصحراويه إلا بواسطه الإبل بسبب صعوبه الحصول على علف. و يحاول المسافرون قطع هذه الطريق بأقصى ما يمكنهم من سرعه، بسبب قله الماء و العلف، إذ كثيرا ما تموت بعض الإبل أثناء السفر لنفس هذه الأسباب. و الحصول على الماء في المناطق الصحراويه يستلزم الكثير من الجهد و الصعوبات، و لذلك ينبغي الاحتياط، و الاستعداد لذلك بحفظ الماء بمختلف الطرق، و يستعين المسافرون بالآبار القليله العمق، المعروفه الأماكن أو بالأحواض الصغيره التي تتجمع فيها مياه الأمطار في الحصول على الماء". (٤)

بدأ البيروني بأكبر و أول الأعمال في مواضيع: مبدأ التواريخ، بحث التقاويم، الرياضيات، النجوم، الهيئه و غيرها من المواضيع الأخرى، و أسماها "الآثار الباقية عن القرون الخاليه و يحتمل أن يكون قد قدم عمله هذا إلى السلطان شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن وشمگیر الزيارى في عام ٣٩٠ هـ.

و قد مكث البيروني في جرجان في بلاط السلطان قابوس بن وشمگیر في السنين التاليه: ٣٦٦ هـ (٩٧٤ م) و ٣٧١ هـ (٩٨١ م) و ٣٨٩ هـ (٩٩٨ م) و ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م).

و بعد عودته من جرجان، التي يحتمل أن تكون بين عامي ١٠٠٣ م و ١٠٠٤ م، استقبل بحراره في مسقط رأسه من قبل الأمير أبي الحسن علي بن مأمون، و ظل سبع سنوات برفقه أخى هذا الأمير، "أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه" (٥) و كذلك لغت نامه دهخدا تحت عنوان (أبو العباس). و أنيطت به عده مهام سياسيه و إداريه.

وقوع البيروني في الأسر:

قام السلطان محمود الغزنوي في ربيع عام ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) بفتح خوارزم، ثم نصب أحد أمرائه حاكما للولايه و عاد إلى غزنه

بغنائم كثيره و جيش جرار، و أخذ معه عددا من أمراء عائله المأمون المخلوعه، و عددا من الشخصيات كأسرى حرب، و كان البيرونى من بين هؤلاء الأسرى (٤) و لا- نعرف إلى الآن كيفيه وصوله إلى غزنه، و كذلك ليس هناك أى دليل على كون البيرونى قد اشتغل فى خدمه ملوك غزنه أو أنه كان أحد وزراء هذه الولايه.

و نحن لا نعرف أيضا الطريق التى سلكها السلطان محمود بغنائمه الحربيه إلى غزنه، و لكننا نستنبط ذلك من الأحداث المعاصره لذلك الوقت. و يكون خط المسير الاحتمالى للأسرى و الغنائم التى حملها السلطان محمود الغزنوى كالاتى:

من أورگنج إلى مرو:

من أورگنج إلى نزوار - ٦ ليك و منها إلى أندر آبيان ٢ ليك و منها إلى آردا خوش ميشان - ٦ ليك و منها إلى ده أزرق ٧ ليك و منها إلى هزار أسب ٩ ليك و منها إلى سادور ١٠ ليك و منها إلى دهان شير ٤ ليك و منها إلى دارقان ٥ ليك و منها إلى جاكار بند ٧ ليك و منها إلى رباط بوزنيه ٩ ليك و منها إلى رباط طهرى (طهيريه) ٥ ليك و منها إلى زاغ آباد ٦ ليك. و منها إلى نوشاگرو ٧ ليك و منها إلى جاه هراوان ٧ ليك و منها إلى جاه صاحبى ٧ ليك و منها إلى جاه خاك ٧ ليك و منها إلى رباط سوران ٥ ليك و منها إلى قريه آبدان گنج ٨ ليك و منها إلى قريه سقرى ٢ ليك و منها إلى قريه مرو ٥ ليك.

و يصبح مجموع المسافه بين أورگنج و مرو ١٢٤ ليك.

و أما الفاصله بين مرو و هرات فهى كالاتى:

من مرو إلى فاز ٧ ليك و من فاز إلى مهدى آباد ٦ ليك، و من مهدى آباد إلى يحيى آباد ٧ ليك و من يحيى آباد إلى كريميان ٥ ليك و من كريميان إلى أسدآباد ٧ ليك و من أسدآباد إلى خوارات ٦ ليك و من خوارات إلى قصر الأحنف بن قيس ٤ ليك و من قصر الأحنف بن قيس إلى مرو الرود ٥ ليك و من مرو الرود إلى لوس رود [الروود] ٤ ليك و من لوس الرود إلى باغ شور ٥ ليك و من باغ شور إلى غزار دره ٨ ليك و من غزار دره إلى تون ٥ ليك و من تون إلى بادقيز إلى سلك آباد ٥ ليك و من سلك آباد إلى هرات ٥ ليك.

فيصبح مجموع المسافه ما بين مرو و هرات ٨٤ ليك. (٧)

من هرات إلى غزني:

ليس لدينا اطلاع دقيق عن فواصل المنازل الواقعه فى هذه المنطقه إذ لم يتعرض أحد لذكرها سواء من السابقين للبيرونى أو المعاصرين له،.

ص: ٢٣٦

٣- إذ اعتبرنا أن المسافه المقطوعه فى كل يوم هى ٦ ليك (١٨ ميل)، فحينئذ تكون المده اللازمه لقطع ٩٦٠ ميل هى ٥٣ يوما.

٤- ١٦٧.p Gibb.h.a.r.Abn Battuta Travells in Asia and Africa.

٥- ٣.P Kennedy E.S.Dectionar of scintife biography

٦- ٢٨٨٦ and Iane poolo ١١٢٣٦,١١٢٣٦ and Iane poolo Cf Sachau,L.Ix:Ency IS-T,

٧- تركنا كلمه (ليك) كما هى، دون أن نطبق عليها القاعده النحويه.

و يكتفى الجميع بذكر يسماء و عدد هذه المنازل. و لكنى (١) شاهدت بنفسى (كاتب المقال)، لعدة مرات هذه المنازل التى مر بها الإسكندر المقدونى قبل الميلاد، و البيرونى كاسير لدى السلطان محمود، و التى ذكر أسماءها كل من ابن حوقل و الاضطخرى. و لا تزال إلى الآن تحمل نفس الأسماء.

و وفقا لما حصلت عليه من معلومات بهذا الشأن (عام ١٩٧١ م) فان المسافات بين هذه الأماكن هى كالاتى:

من هرات إلى جادمن منزله واحده.

من جادمن إلى كوه سياه منزله واحده.

من كوه سياه إلى قناه سيرى منزله واحده.

و من قناه سيرى إلى خاشان منزله واحده. و من خاشان إلى كوستان منزله واحده و من كوستان إلى ديزه منزله واحده و من ديزه إلى فرح منزله واحده و من فرح إلى جسر نهر فرح منزله واحده و من هذا الجسر إلى سيرشك (زرنك) منزله واحده. (٢) و من سيرشك إلى كانكارا منزله واحده. (٣) و من كانكارا إلى بوست منزله واحده. (٤)، فيكون مجموع المنازل خمس عشره منزله.

و من جسر نهر فرح إلى جوواين منزله واحده و من جوواين إلى بشتري منزله واحده و من بشتري إلى كركويه منزله واحده و من كركويه إلى زرنج منزله واحده فيكون المجموع ٦٠ ليك. (٥)

و من زرنج إلى زنتيق منزله واحده و من زنتيق إلى ساروزان منزله واحده و من ساروزان إلى قريه هارورى منزله واحده و من قريه هارورى إلى رباط دى هاك منزله واحده و من رباط دى هاك إلى آب شور منزله واحده و من رباط كاروردين إلى كوهستان منزله واحده و من كوهستان إلى رباط عبد الله منزله واحده و من رباط عبد الله إلى بست منزله واحده و من بست إلى رباط فيروزمند منزله واحده و من رباط فيروزمند إلى رباط ميگون منزله واحده و من رباط ميگون إلى رباط كير منزله واحده و من رباط كير إلى بانج وى (بالقرب من قندهار) منزله واحده و من بانج وى إلى تكين آباد منزله واحده و من تكين آباد إلى خيرسانا منزله واحده و من خيرسانا إلى رباط سرآب منزله واحده و من رباط سرآب إلى أك منزله واحده و من أك إلى رباط جنكل آباد منزله واحده و من رباط جنكل آباد إلى قريه قارم منزله واحده و منها إلى قريه خاست منزله واحده و منها إلى جوما منزله واحده و منها إلى خواب سر منزله واحده، و منها إلى قريه خوش باجر منزله واحده و منها إلى رباط نظر منزله واحده و من رباط نظر إلى غزنه منزله واحده، و يكون مجموع هذه المنازل ٢٥ منزله.

و على هذا يكون البيرونى قد قطع فى مسيره أسره ٨٠ منزله (ما يقارب ١٤٣٨ ميلا) من أورگنج إلى هرات و من هرات إلى غزنه و يكون معدل ما كان يقطعه فى كل يوم ١٨ ميلا. و كانت جميع المناطق التى سلكها البيرونى فى رحلته تلك خاضعه للسلطان محمود، و من المناطق الهامه التى تقع على طريقهم هى: خيوه، هزار أسب، داقان، طاهريه، آمل، مرو، مرورود، هرات، فرح جوواين، زرنج، و كانت بعض هذه المناطق آنذاك مراكز للحكم و مناطق ذات أهميه كبيره.

و كان الإصطخرى و ابن حوقل و المقدسى و اليعقوبى و المستوفى قد تعرضوا لذكر الأهميه السياسيه و الاجتماعيه و الثقافيه و الاقتصاديه لهذه المناطق.

و قد اطلع الكاتب (كاتب المقال) خلال سفره بين هرات و لاهور على فقدان مقدار كبير من المفخر الأثريه بسبب عدم الرعايه و الاهتمام و لاحظ الدمار الذى حل بالعديد من البنايات التاريخيه الهامه.

فى عام ٣٢٨ قبل الميلاد سلك الإسكندر هذه الطريق، و كذلك فعل طاهر ذو اليمينين (٨٢٠ - ٨٧٢ م) و هو الذى كان أول ملك مستقل من السلالات الإيرانيه، إذ أخضع هذه المناطق لسلطته و اهتم بتوسعه و إعمار بلخ و هرات و سيستان، مما كان له الدور الفاعل فى إضفاء رونق و جمال على هذه المناطق و ظهورها كمدن عامره، احتلت مركزا هاما فى حضاره العالم و ثقافته و تاريخه.

و يجدر بنا أن نذكر بعض الأحداث المعاصره للبيرونى، فعلى سبيل المثال يذكر البيرونى أنه سمع أصواتا تحدثها بعض التلال الرمليه، أثناء عبوره من تلك المناطق، فبالقرب من (كهان) يوجد تل رملى كبير نسبيا فى وسط الطريق بين (پل فرح) و (جوواين)، و يعكس هذا التل الأصوات بشكل عجيب بحيث استرعى انتباه البيرونى، فهذا التل يحدث صوتا كصوت جلجله الحروب المرعبه فى حال سقوط ماء أو شىء آخر عليه. و توجد مثل هذه التلال فى الوقت الراهن - بين سيستان و كوهستان، و قد حاول الكاتب اختبار ذلك بسيارته و لكنه لم يصل إلى نتيجته.

أبو الريحان البيرونى فى الهند

ثمه العديد من الروايات الأدبيه و التاريخيه تتحدث عن إقامه البيرونى فى الهند. و تتحدث إحدى هذه الروايات عن إقامته فى الهند لمدته أربعين عاما، و لكن لا يمكن أن نصدق هذه الروايه، إذا ما لاحظنا تاريخ مغادرته لخورزم، حيث أرغمه السلطان محمود الغزنوى على مغادره خوارزم فى عام ١٠١٧ م و قد توفى عام ١٠٥٠، فعلى هذا الأساس لا يمكن أن تكون الفتره التى أمضاها فى الهند أربعين عاما.

و ثمه روايه أخرى تشير إلى مرافقته للسلطان محمود فى دخوله الهند، إذ كان السلطان محمود قد هاجم الهند اثنتى عشره مره بين عام ١٠٠١ و ١٠٢٤ م. و لا نرى أن لهذه الروايه الكثير من الأهميه، أو يمكن اعتبارها سندا تاريخيا صحيحا، و كل ما يمكن أخذه منها، أن البيرونى كان يرتبط بعلاقه صداقه مع محمود الغزنوى، و الحقيقه أن البيرونى سافر إلى الهند أثناء حكم السلطان محمود.

و يشير البيرونى فى بعض كتاباته إلى المشاكل الحياتيه التى واجهها فى تلك البلاد، و كيفيه حصوله على الكتب السنسكريتيه، إذ يقول:

"لقد تحملت المصاعب الجمه، من أجل الحصول على المال و على ٩.

١- كاتب المقال.

٢- Istakhri, P. 199 Omits these stages

٣- ابن حوقل ص ١٥٨ و المستوفى ص ٨١٩٨.

٤- المقدسى ص ١٥٠ (بستك Callait)

٥- المستوفى ص ١٩٨ و الاصطخرى ص ١٩٩.

الكتب السنسكريتيه، و لم أتوان عن ذلك لحظه واحده، فقد كنت عاشقا لهدفي كل العشق. و أعتقد أنى وحيد دهرى فى هذا المجال، إذ لم أكن أغفل مطلقا عن جمع المال أو الكتب السنسكريتيه، و كلما علمت محلا- يمكن الحصول على بغيتى فيه، أرغمت نفسى على الذهاب اليه، بل وصلت محاولاتي إلى الطرق البعيده و إلى العلماء الهنود الذين يمكنهم تعليمى ما أريد". و كذلك يضيف بأنه حصل على مهاره فى هذه المجالات رغم إمكانياته المحدوده، ثم يكتب ما يلى:

"ينبغى على كل عالم أن يسعى للحصول على فرص مساعدته و طيبه للدراسه كما فعلت أنا، و لربما تشمله رحمه الله و عنايته التى لم تشملنى فى هذا المجال. و أعتقد أنى لم أحصل مطلقا على ما كنت أحاول الحصول عليه، و بالتالى لم أعش حرا، مستقلا و غير محتاج لأحد، إذ لم أكن صاحب منصب و لم يكن لدى ما يكفى من القدره على ترتيب أعمالى و تحسين أمورى". (١).

و ثمه روايه أخرى، تتحدث عن ذهاب البيرونى مباشره إلى الهند، و رافق السلطان محمود فى فتحه لسومنا. و لكن فى الحقيقه أن البيرونى لم يذهب إلى هناك مطلقا، و يؤيد ما كتبه البيرونى فى هذا المجال صحه ما ذهبنا إليه، حيث يكتب:

"شاهدت من قلاع لاهور حتى ٣٤ درجه و عشر دقائق من العرض الجغرافى، و تبلغ المسافه بين لاهور و كشمير ٥٦ ميلا، و نصف المسافه من المناطق الجبليه و نصفها الآخر من السهول. و أما درجات العرض.

الجغرافى التى استطعت تعيينها فهى كما يلى:

غزنه ٣٣ درجه و ٣٥ دقيقه.

كابل ٣٣ درجه و ٣٧ دقيقه.

كاندى (٢) (و هو مركز استقرار ولى العهد) ٣٣ درجه و ٥٥ درجه.

دنبور (٣) ٣٤ درجه و ٢٠ دقيقه.

لامگان ٣٤ درجه و ٤٣ دقيقه.

پورشاور ٣٤ درجه و ٤٤ دقيقه.

واى هاند ٣٤ درجه و ٣٠ دقيقه.

جای لام ٣٣ درجه و ٢٠ دقيقه.

قلعه ناندنا ٣٢ درجه.

و تبلغ السافه بين قلعه ناندنا و مولتان ما يقارب المائتى ميل.

سيال كت ٣٢ درجه و ٥٨ دقيقه. مانداكاكور ٣١ درجه و ٥٠ دقيقه مولتان ٢٩ درجه و ٤٠ دقيقه.

و يمكن للقارئ معرفه الأطوال الجغرافيه لهذه المناطق من خلال درجات العرض و المسافات الفاصله بين هذه المناطق.

و لم يتسن لي خلال سفرى إلى الهند، المرور بهذه المناطق، و لم أستطع الحصول على درجات عرضها و طولها من الكتب الجغرافيه المختصه بالهند. و إذا ما سألنا لا يجيبنا أحد، و لم يبق سوى الله لاعانتنا فى الوصول إلى هدفنا. و على أى حال، ينبغى أن نعرف أن أبا الريحان البيرونى كان من أكبر علماء اللغه السنسكريتيه. و يظهر بجلاء من خلال متابعه سيرته إنه تحمل الكثير من أجل جمع الكتب السنسكريتيه التى يحتاج إليها فى الوصول إلى أهدافه، و بذل المساعى المضنيه فى سبيل الاستعانه بعلماء الهند لترجمه هذه الكتب إلى اللغه السنسكريتيه، و ربما استطاع بعد ذلك بقليل التمكن من اللغه الهنديه فى ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م). ثم تخصص باللغه السنسكريتيه. و لا نعرف إلى الآن اللغه التى كان يتفاهم بها مع علماء الهند فى لقاءاته الأولى بهم، و على وجه الخصوص فى غزنه.

و أغلب الظن أنه كان يستخدم فى الحديث معهم اللهجه الإيرانيه الخوارزميه، إذ كان هندوس أفغانستان يجيدون هذه اللهجه من اللغه الفارسيه. و حينما قمت بنفسى بزياره أفغانستان، شاهدت هندوس و سيخ هذه البلاد يتحدثون باللغه البنجابيه.

و يتحدث البيرونى بصوره مختصره عن الطريق التى سلكها من غزنه إلى الهند فيقول:

"ابتدأنا فى سفرنا إلى الهند من كابل، و فى الحقيقه لا تنحصر الطرق المؤديه إلى الهند فى طريقنا هذا، و إنما يمكن الوصول إليها من مختلف الطرق...".

صنم مولتان يدعى آديتيا:

و من الأصنام المعروفه عندهم هو صنم مولتان و قد سمي بهذا الاسم (آديتيا) لأنه كان قد أهدى إلى الشمس.

و قد تم صنع هذا الصنم من الخشب و كسى بالجلد و رصعت عيناه بقطعتين من الياقوت الأحمر. و يعتقد البعض أنه صنع فى زمن كارتياوكا الأخير (Kritayuuga). و أغلب الظن أن ذلك كان فى أواخر عهد سلاله كارتياوكا.

(تأسست سلاله كارتياوكا فى عام ٢١٦ و انتهت عام ٤٣٢ م).

و حينما فتح محمود بن الكاظم بن المناييه مدينه مولتان سال أهلها عن سبب شهرتها و غناها، فأجابوه بان وجود الصنم فيها هو سبب ذلك، إذ يتوافد الزوار عليه من الأطراف و المناطق المجاوره، و من ثم فضل ابن المناييه إبقاء هذا الصنم و اكتفى بوضع قطعه من لحم البقر فى عنقه، للسخرية.

ثم أقيم مسجد فى نفس المكان، و حين احتل كارماتيان مدينه مولتان، عمد جلام بن شيبان إلى تحطيم الصنم، و أقام لنفسه قصر [قصر] شامخا على قمه شماء، و جعل هذا القصر على نمط القلاع العسكريه، و بناه من الآجر، ثم هدم المسجد الذى بنى على الطراز الأموى، و أقام بالقرب منه مسجدا آخر.

و حين احتل السلطان محمود الغزنوى تلك النواحي، أمر باعاده بناء المسجد القديم و أسماء مسجد الجمعة. و أما المسجد الآخر فقد تركه الناس شيئا فشيئا حتى آل إلى الخراب و لم يعد الآن إلا مستودعا صحراويا لجمع العلف. (٤).

الأمطار فى الهند:

تسقط فى الهند، أثناء فصل الصيف أمطار حاره، ٧.

ص: ٢٣٨

١- Sachau, I, ١٥٦-٧.

٢- تسعى منطقه كاندى برباط الأمير أيضا، و ربما كانت هى نفس منطقه كندمك أو مكانا قريبا منها.

٣- ربما كانت دنيور [دنيور] نفس جلال آباد الموجوده الآن.

٤- Sachau, I, ١٥٦-٧.

و تسمى ب (وارشاكالا WarshaKala) و تتصف هذه الأمطار بغزارتها و قصر فتره هطولها، و يكثر سقوطها فى المناطق الشماليه للهند التى تحتوى على سلاسل جبلية أقل من غيرها من المناطق الأخرى فى الهند. و قد أكد أهالى مولتان للمؤلف بان الوارشاكالا لا تسقط فى مدينتهم و إنما ينحصر هطولها على المناطق الشماليه بالقرب من السلاسل الجبلية.

سولا أستار SulastaR :

ينقل سى رى بالا SriplA بان أهالى مولتان يشاهدون نجمه حمراء أثناء الصيف، بالقرب من مدار كانوبوس Canopous و يسميها هؤلاء بنجمه سولا Sula أو السهم الصليبي، و يعتقد الهنود بأنها أماره الشؤم أو الخطر، و يكون ذلك حينما يقف القمر فى موضع ("بورواب هادرابادا" PuRvaBhadrapada).

١ - الحوض المقدس: يوجد فى مولتان حوض، يستخدمه الهندوس - إذا لم يحل بينهم و بين ذلك - للاغسال العباديه.

٢ - معبد الصنم: يقوم الهندوس فى هذه الأيام بزياره كشمير، و كانوا يبدون رغبتهم القويه فى ذلك قبل ان تتول مولتان إلى الخراب.

و من خلال مراجعه خريطه المدن الباكستانيه التى مر بها البيرونى و التى حدد درجات العرض الجغرافى لها، نلاحظ اختلافا بسيطا بين تحديد البيرونى، و الدرجات المثبتة على الخرائط الحديثه، و فيما يلى نذكر بعض هذه الفروق.

الدرجات التى حددها البيرونى:

بشاور ٣٤ درجة و ٤٤ دقيقه وى هاند (هاند) ٣٤ درجة و ٣٠ دقيقه جلوم ٣٣ درجة و ٢٠ دقيقه نانداانا ٣٢ درجة و صفر دقيقه سيالكوت ٣٢ درجة و ٥٨ دقيقه لاهور (مانداكور) ٣١ درجة و ٥٠ دقيقه مولتان ٢٩ درجة و ٤٠ دقيقه الدرجات الصحيحه وفقا للخرائط الحديثه:

ببشاور ٣٤ درجة و ٢٥ دقيقه جلوم ٣٢ درجة و ٢٠ دقيقه نانداانا ٣٢ درجة و ٤٣ دقيقه سيالكوت ٣٢ درجة و ٢٠ دقيقه لاهور (مانداكور) ٣٠ درجة و ٣٥ دقيقه مولتان ٣٠ درجة و ١٢ دقيقه.

و قد كانت آخر مره وجد فيها البيرونى فى الهند فى عام (١٠٢٩٥ هـ / ١٠٢٩٥ م) و يحتمل أن يكون قد زارها عدده مرات بين عام (٤١٠ هـ / ١٠١٩٥ م) و تلك السنه، و على هذا الأساس تكون الفتره التى أمضاها البيرونى فى الهند لا تتجاوز العشر السنوات. (١)

بعض النقاط الهامه فى حياه أبى الريحان البيرونى:

١ - كانت ولادته فى مدينه كاث فى ذى الحجه من عام ٣٦٢ هـ الموافق للرابع من سبتمبر عام ٩٧٣ م.

٢ - عاش فى مسقط رأسه (كاث) من ٣٦٢ هـ إلى ٣٨٨ هـ أى من (٩٧٣ - ٩٩٨ م).

٣ - اشتغل فى بلاط منصور الثانى ابن نوح الثانى فى كاث فى عام ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م).

٤ - اشتغل فى بلاط قابوس بن وشمكير بين عامى ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) و ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م).

٥ - رجع إلى كاث قبل ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م).

٦ - اشتغل فى خدمه أبى الحسن على بن المأمون أختى خوارزم شاه فى مدینه كاث بين عامى و ٤٠٨ هـ (١٠١٠ - ١٠١٧ م).

٧ - اعتقل فى غزنه عام ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م).

٨ - أمضى فتره عشر سنين (٤١٠-٤٢٠ هـ - ١٠١٩ - ١٠٢٩ م) فى السياحه فى البنجاب.

٩ - رجع إلى غزنه عام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م).

١٠ - اشتغل فى بلاط السلطان مسعود الغزنوى بين عام ٤٢١ و ٤٣٢ هـ (١٠٣٠ - ١٠٤١ م).

١١ - اشتغل فى بلاط السلطان مودود فى غزنه بين عامى ٤٣٢ و ٤٤١ هـ (١٠٤١ - ١٠٤٩ م).

١٢ - توفى فى غزنه عام ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) و لا يعرف موضع دفنه.

تأثير البيرونى على الميتافيزيقيا فى الهند

بقلم محمد صابر خان على الرغم من كون البيرونى (ت ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م) عالما بكل ما لهذه الكلمه من معنى فى وقتنا الحاضر، إلا- أنه تعرض بالتفصيل لشرح مفاهيم: الله، الروح و الجسم فى الفلسفه الهنديه فى كتابه "فى تحقيق ما للهند" و قد كانت للبيرونى معرفه دقيقه بالأديان القديمه و خصوصا ما كان منها فى الهند. و ليس هذا الأمر بعجيب، إذ كانت دراسه الأديان - التى تشكل الآن جزءا مهما من الفلسفه - إحدى المؤثرات القويه للحضاره الإسلاميه على التطور الفكرى لبنى البشر. و قد كتب العديد من الباحثين و المحققين المسلمين بحوثا فلسفيه عن أديان الشعوب التى لا تدين بالإسلام، و كانت بحوثهم هذه فى منتهى الحياديه و الموضوعيه و من بين هذه الكتب، مؤلفات البيرونى فى مجال الميتافيزيقيا فى الهند و التى كانت من أفضل التحقيقات فى هذا المجال، لأنها اعتمدت على كتب الهندوس المقدسه و ليس على روايات الآخرين.

و تعتمد الميتافيزيقيا الهندوسيه بصوره رئيسيه على (بهاگواد گيتا) (و هى متون سنكها كايلا و يوغاشوتراى پاتانجالى). و لم يتعرض البيرونى فى بحوثه لتعاليم المذاهب الفلسفيه الأخرى للهندوس مثلث.

ص: ٢٣٩

١- يوجد فستيوال (معبد خاص) لهندوس مولتان، يسمى (سامباپورا ياتدا) Sambapurayatra و يستخدمونه لعباداتهم و تجليلهم للشمس.

نيابا، و ايسيككا، و دانتا، ميمانسا و غيرها و لا التعاليم البوذيه و الجينيسم.

و يختص الفصل الثانى من كتاب (فى تحقيق ما للهند) فى بحث المفهوم الهندى لله. و يذكر البيرونى فى البدايه درس العقائد التى يحملها عامه الناس و اتضح له أن هؤلاء العامه يحملون اعتقادات دينيه تختلف من مجموعته إلى أخرى، ثم يضيف بان طلاب العلم لهم القدره على فهم العقائد النظرية حول الله، بينما لا يفهم العوام إلا ما يمكنهم الاحساس به و إدراكه. و قد درس البيرونى بالتفصيل عقائد الهندوس المتعلمين و عقائد العوام حول الله و أوضح التفاوت فيما بين عقائد الطرفين.

الله:

يعتمد البيرونى بصورة رئيسيه على (ودا) الذى نزل على برهمن و يقول برهمن فى (ودا): "اسمه يثبت وجوده، فحيثما يكون ثمة خبر فلا- بد من وجود شىء يتعلق به هذا الخبر. و هو غائب عن الحواس و لا يمكن إدراكه بها، و لكن الروح تدركه و تحيط بصفاته. الراحه ترافق العباده الخالصه له، و يمكن نيل السعاده بمواصله هذه العباده".

و يضيف البيرونى قائلا: "يعتقد الهندوس بوحدانيه الله و خلوده و أزليته و أبديته، و أنه قادر، حكيم، حى، محيى، حاكم، حافظ، واحد فى ملكوته و منزه عن كل شبه و اختلاف، و هو لا يشبه أحدا و لا يشبهه أحد".

و يستند البيرونى فى آرائه إلى الآثار الدينيه و الفلسفيه للهندوس و ينقل عن (بهاگوادگيتا) بعضا من البهاراتا، الفصل العاشر الفقره الثانيه و الثالثه:

"لم يبدأ عالمى بالولاده و لا- ينتهى بالموت، و لا- أقصد الأجر من وراء أعمالى. و ليس لى علاقته خاصه بجماعه من الخلق، فالصديق واحد و العدو واحد، و قد أعطيت كل مخلوق قدر حاجته، و لذلك فان كل من عرف صفتى هذه و سعى إلى الاقتداء بى، ستطلق رجلاه من القيود، و يسهل اعتاقه و نجاته".

و فيما يلى حديث آخر من (دوا) نقلا عن نفس الكتاب:

"إن الطمع هو الذى يجعل أغلب الناس يلجئون إلى الله فى طلب حاجاتهم. و لكن إذا حققت النظر فى عملهم، سترى أنهم لا يزالون بعيدين عن المعرفه الدقيقه له، إذ لا يتجلى الله لأحد، ليتسنى له إدراكه بحواسه، و إذن فهم لا يعرفونه. و بعض هؤلاء لا يرتقون عما تدركه حواسهم، و بعضهم أقل شانا من ذلك، و لكنهم يقفون عند قوانين الطبيعه، و لا يفقهون أن ثمة أحدا، لم يلد و لم يولد، هو فوق كل هذه القوانين، و لا يطال جوهر وجوده علم أحد، و يحيط علمه بكل شىء.

و يتحدث البيرونى فى بحوثه عن الاختلاف الدقيق لمفاهيم أيشور (مصطلح يعنى حاكم العالم) و دوا (مصطلح يعنى الآلهه المشعه) و عن استحقاق دوا للحمد و العباده و لكنه ليس إلها. و ينسب البيرونى هذا المفهوم إلى أشوت (شجره التين المقدسه) التى تتميز بكون جذورها منتصبه إلى الأعلى و أعضائها نحو الأسفل، و يشير هذا الوجود النورانى إلى برهمن. و يعتبر استناد البيرونى إلى هذه الشجره صحيحا، و يشرح البيرونى العقائد الموجوده فى بهاگوادگيتا، ١٠، ٢٦، ١٥، ١ و ٢ و (كاتها أو بانيشاد ٢ و ٣١).

" يوضح لردشري بها گوان لأرجن بأنه روح جميع الأشياء و وارث كل شىء و كذلك هو المبدأ و المحور و النهايه، و يمكن تشبيهه بشجره أشوت التى تتجه جذورها نحو الأعلى و تمتد أغصانها نحو الأسفل.

و نقلا- عن المتعلمين فان أيشور هو: "الغنى الرحيم، و هو الذى يعطى و لا يأخذ، و هؤلاء يعتقدون بان وحدانيه الله مطلقه. و بدون وجود الله و جودا واقعيًا، لأن وجود كل شىء يتعلق بوجوده. و يمكن تصور وجوده و عدم وجود الموجودات، و لكن من المستحيل تصور وجودها و عدمه".

و يعتقد البيرونى بان الله هو العله الأوليه، أى غايه جميع العلل، و يضيف بان اليونانيين القدامى يقتربون فى هذا المجال من الهندوس، و كذلك يقترب هذا الرأى من رأى الصوفيين. و يمكن أن يكون (الله) هذا هو نفس واجب الوجود لدى ابن سينا.

و بالاضافه إلى ذلك، يذکر البيرونى بان عوام الهندوس الأميين يعتقدون بتشبهه الله بالإنسان، و لكن المتعلمين من الهندوس يرفضون هذا الاعتقاد. و يصف أحد الأميين من عوام الهندوس علم الله، بأنه ذو ألف عين.

و يضيف البيرونى قوله: "...و فى أوساط الهندوس، يجتنب المتعلمون هذه الاعتقادات القائله بتشبهه الله بالإنسان، بينما يتمسك بها العوام كثيرا، و يتجاوزون ما ذكرناه إلى ما هو أبعد منه، فهم ينسبون إلى الله الزواج و الابن و البنت و سائر الأحوال الجسمانيه، و لا يتورعون عن الخوض فى أمور غير مناسبه حينما يتكلمون عن هذه الأمور".

و يشير البيرونى إلى نظريه الفعل، فيقول أن الهندوس يختلفون فى تعريف الفعل و الفاعل. فبعضهم يعتقد بان الله هو مصدر الأفعال و هو عله الأشياء. "و يعتقد البعض الآخر بصدور الفعل عن أسباب أخرى غير الله، فلكل فعل عله خاصه به، و يرى آخرون بان اتحاد الفعل و الفاعل يتم تحت تأثير الطبيعه، و لا بد لمثل هذا الأمر أن يتعرض لزياده أو نقصان، كما هو حال جميع الأشياء الأخرى. و ثمه أفراد آخرون يعتقدون أن الروح هى مصدر الأفعال، حيث ورد فى (ودا): إن كل موجود يستمد وجوده من (بوروش)".

و بعد حديثه عن الاختلاف حول الفعل و الفاعل، يذکر البيرونى:

" و كل هذه الآراء غير صحيحه، فالحقيقه أن الفعل يرتبط ارتباطا وثيقا بالماده، لأن الماده هى التى تخلق الروح و تخضعها لظروف شتى ثم تعتقها، و على هذا الأساس فان الماده هى الفاعل و تساهم فى إنجاز الفعل جميع متعلقات الماده. و أما الروح فهى ليست فاعل، لأنها عاريه عن مختلف القابليات".

و يشير البيرونى كذلك إلى اللافعال اللاإرادى (نيسكاما - كارما) الذى ذكر فى (بهاگواد گيتا) ٣، ٣٠، ٤، ٢١، ٦، ١٠.

على أنهم مجموعه واحده، و تحت عنوان المعقولات يصف الله على أنه العقل الصرف، و الأفراد أو الموجودات المنفصله على أنها (دوا بوروش) العناصر الماديه أو الطبيعه على أنها المحسوسات. و هى تشمل أربعة و عشرين جزءا. فالله هو الخالق، و يعنى ذلك أن الطبيعه صادرة عنه، و فى نفس الوقت توجد عدّه نظريات متضاربه فيما بينها حول الخلق و نشوء العالم، و لكن البيرونى لم يتعرض لذكرها. (١)

و تختلف المعتقدات الساميه فى هذا الشأن عن الاعتقادات الهنديه اختلافا تاما، إذ تعتقد الساميه بالخلق الأول و الخلق من العدم، بينما يرى المفكرون الهنود أن لا وجود للخلق الأول و إن الخلق تم من الذرات الأبدية الموجوده مع الله.

و يمكننا أن نعتبر ما كتبه البيرونى عن المفهوم الهندوسى لله و الذى مر ذكره أعلاه، صحيحا بصوره عامه، فهو يتعرض بصوره رئيسيه لآراء المتعلمين حول الله، بينما لا يتطرق للبحث فى الآراء التوحيديه التى فصلت فى (أوپانيشادها) و فى (أدويت و دانتا).

الروح:

و ينقل البيرونى عن (سانكهيا) بحثه عن الفعل و الفاعل فيما يتعلق بموضوع الروح، حيث يكتب ما يلى:

"و يقول البعض بعدم فعاليه الروح و انعدام الحياه فى الجسم، و أن الله الذى هو قائم بذاته، يخلق موجودا يربط بين الروح و الجسم و يفصل بينهما، و من ثم فهو الفاعل، و الفعل صادر عنه، و هو سبب حركه الروح و الجسم، و بناء على ذلك فان الحى القوى هو الذى يحرك الميت و الضعيف (٢) و الروح أو (آتمان) هى فاعل حى، و تقوم بربط الأفراد بالماده بسبب فعاليه (كارما) و هى دائبه للتحرر من الارتباطات الجسمانيه. و تحظى الروح بالهدايه لما أودعه الله من عقل فيها. و يمكن أن يعرض الله من خلال معرفه (جانانا) و الفعل الصحيح أو الفعل اللاإرادى الذى هو الطريق إلى (موكشا) أو الانعتاق من العبوديه الأرضيه. و تستمر هجره الروح هذه حتى يحصل هذا الانعتاق. و يشبه البيرونى انتقال الروح من جسد و حلولها فى جسد آخر، بخلع لباس قديم و ارتداء لباس جديد بدلا عنه. (٣)

و يوضح البيرونى عمليه انتقال الروح بقوله: تسير الهجره أو التناسخ سيرا صعوديا من الأسفل إلى الأعلى و ليس العكس. و يرتبط اختلاف هذه المراحل صعودا و نزولا، باختلاف الأفعال، و هو ناشئ عن التنوع الكمي و الكيفى للأمزجه و الدرجات التركيبيه المختلفه، و تظهر هذه الأمزجه و الدرجات فى اختلاف المراحل " (٤).

و تشتاق الروح باستمرار إلى الاتحاد بالبدن، و من ثم فهى تتحد مع الأرواح الواسطه، و من جانب آخر فان الماده تسعى أيضا للاتصالات و الاتحاد مع الروح. " و توجد الماده مع الإمكانيات المتعلقة بالروح.

و يشبه الهندوس الماده أو (براكيتي) بالراقصه التى تجيد فنها و تعلم تأثير كل حاله أو حركه تؤديها " (٥).

و يتعرض البيرونى للحديث عن الروح و الماده و العقل بقوله: "يعتقد الناس بشبهه الروح بماء المطر الذى ينزل من السماء، فهو دائما بهذه الصوره و له نفس الماهيه. و لكننا إذا ما وضعناه فى آنيه، كأنه الذهب و الفضة و الزجاج و الطين و التراب فان شكله الظاهرى و طعمه و رائحته ستتغير، و على هذا الأساس لا يكون للروح أدنى تأثير على الماده، اللهم إلا منحها الحياه للاتصال

القريب الذى يحصل بينهما. و يمكن تشبيه التعاون بين الروح و الجسد بمساهمه الزيت الجديد و الفتيله الجافه و شعله النار فى إيجاد النور، و الروح فى الماده كالحصان مع العربه، فهو يمتلك الحواس و يسير العربه كما يشاء، و لكن الروح تسير بدورها من قبل العقل، و يستمد العقل إلهامه من الله. و هؤلاء يصفون العقل بأنه الشئ الذى تدرك حقيقه الأشياء به، فهو طريق معرفه الله و يشتمل على الأفعال الحميده". (٤)

و يعنى (موكشا) أو انعتاق النفس، التحرر من الوجود الأرضى أو (سامسارا) و إنهاء الارتباط بين النفس و البدن، و يمكن مشاهدته مثل هذا الاعتقاد فى التعاليم الصوفيه، و لا- يعطى مفهوم (موكشا) معنى ارتقاء النفس بصوره دقيقه، على الرغم من إشاره البيرونى - كما يبدو - إلى نظريه انفصال النفس عن البدن. و يتحدث البيرونى عن وجود طرق مختلفه للوصول إلى (موكشا). و قد ورد هذا المفهوم (موكشا) فى الفصل الرابع من بهاگواد گيتا و (يوگاشوتراى باتانجالى) على أنه المعرفه و العباده و الابتعاد عن النفس.

الماده:

بخصوص الماده، يذكر البيرونى بأنها تحدث من ارتباط ثلاثه قوى أوليه، و هذه القوى هى مظهر لأمر ثلاثه مختلفه هى ساتوا (جزء أو فرع الظهور) و راجاس (فرع القوه) و تاماس (فرع الكتله)، حيث تؤثر هذه القوى على بعضها فى سبيل إيجاد الماده. و يوضح البيرونى بان الطبيعه (براكرتيتى) هى حاله تعادل بين هذه القوى. و قد نشأت هذه النظرية فى العقائد الفكرية ل (سانكهيا) و لقد أخطأ البيرونى حينما سمى هذه الأمور الثلاثه بالقوى، لأنه ليس كل هذه الأمور قوى، بل هى عناصر ثبات الماده.

و يعتقد الهندوس بوجود خمس عناصر فى الكون هى الأثير و الهواء و النار و الماء و التراب و تسمى - (مهابهوت) أو العناصر الكبيره. ثم يستمر البيرونى فى بحثه بتوضيح كل عنصر من هذه العناصر الخمسه و يقول "و الهواء هو الواسطه بين الماء و النار النقيضين لبعضهما فهو يرتبط بالنار برقته و يرتبط بالماء بكثافته، و هو بامتلاكه لهاتين الخاصيتين، يعطى لكل من الطرفين القابليه على الاختلاط مع الآخر.

طرق الانعتاق:

و أما بخصوص طرق الانعتاق أو (موكشا)، فيتحدث البيرونى عنه.

ص: ٢٤١

١- مثل النظريات التى بحثت فى (نيايا) و (ويسسيكا) و (ودانتا) و (مريمانسا) و غيرها، فهذه النظريات تختلف فيما بينهما، بل و تتناقض أحيانا.

٢- المتن، صفحه ٢٢. الترجمة ص ٨٣٠ و قد زالت (السانكهيا) الأصلية، و أما آثار السانكهيا شوترا الموجوده فهى آثار متأخره كثيرا عن الأولى.

٣- المتن، ص ٣٩. الترجمة ص ٥٢.

٤- المتن، ص ٣٨. الترجمة (الفارسيه) ص ٥١.

٥- الصفحه رقم ٣٥ من المتن، و صفحه ٤٧ من الترجمة الفارسيه. و ترجمه زاخو غير واضحه دائما، و لذلك اضطررت إلى تغيير بعض الأمور في سبيل التوضيح (مترجم المقاله الأصلية).

٦- صفحه ٣٧ من المتن و صفحه ٤٩ من الترجمة الفارسيه.

وجود ثلاثة طرق كفيله ببلوغ ذلك و هي العباده و المعرفه و السلوك أو الفعل. و هي فى الاصطلاح الهندوسى بهاكتى، جنانا أو المعرفه عن طريق التعلم و غيره و (كارما) أو (كيرايابوگا) أو السلوك المرافق للأعمال الأخلاقية و منها (سانياس) أو ترك النفس. و يستند البيرونى فى تأييد و دعم بحوثه إلى الفصل السابع من بهاگواد گيتا. و الإنسان سعيد حينما يكون فى طلب المعرفه، و الوصول إلى الاعتقاد عن طريق المعرفه لا يمكن إلا بالابتعاد عن الشر الذى يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام هى الطمع و الغضب و الجهل. و يشير البيرونى إلى طريقه رابعه لتحقيق هذا الهدف و هى التأمل الفكرى الذى يسمى (رساين)، و يذكر (باتانجالى) كمصدر له فى ذلك. و نحن نشك فى صحه هذا الاستناد، إذ لا نجد ذكرا لهذه المسأله فى (يوگاشوتراى باتانجالى) الموجود الآن.

المصادر:

و قبل أن نختم مقالتنا هذه يجدر بنا البحث فى المصادر التى اعتمدها البيرونى فى بحثه حول الميتافيزيقيا فى الهند. فالبيرونى كان فى الحقيقه عالما و رجل علم و عمل، و فى نفس الوقت يثمن و يدرك مدى أهميه المصادر المكتوبه. فقد كان كائى مؤرخ فى الوقت الراهن يعتمد المصادر المكتوبه فى تأليفاته، و قد استند إلى الكتب المقدسه لدى الهندوس و المكتوبه باللغه السنسكريتيه، فى بحوثه حول الميتافيزيقيا لدى الهندوس.

و من الطبيعى الا تتوافر لديه جميع هذه المصادر التى يحتاج إليها.

و قد كان على حظ وافر من إجاده اللغه السنسكريتيه و قدره على الاستفاده المباشره من المصادر الأصلية، و كما ذكرنا آنفا فقد كان يستند فى أغلب بحوثه إلى بهاگواد گيتا و يشنو - يوشوران و سانكهيا، و يوگاشوترا - ، و قام البيرونى بترجمه الكتاب الآخر إلى العربيه و لا يزال موجودا فى الوقت الحاضر.

و قد أصاب البيرونى فى بعض ما أخذه من تلك المصادر - كما مر ذكره آنفا - و لكنه لم يذكر - فى البعض الآخر - إلا خلاصه لتلك المواضع و ليس الترجمه الكامله لهما. و لا يمكن العثور على بعضها فى المتون السنسكريتيه. و أما استناده إلى (ودا) فهو ناقص و مبهم، و يبدو أنه كان على معرفه أكبر ب (أويانيشاد [أوپانيشاد]) الذى يتصف بالجنيه الميتافيزيقية أكثر من غيره. و دون شك فهو لم يكن يستند إلى الأقوال و إنما يستعين بأفضل المصادر التى يمكنه الوصول إليها.

و تتميز بحوث البيرونى بكونها جديده تماما و مطابقه للأساليب الحديثه التى يسلكها علماء العصر الحاضر فى بحوثهم، و هو يقارب الرؤى الميتافيزيقية للهندوس برؤى اليونانيين من جهه و الصوفيين من جهه أخرى، و يستند فى مقارنته هذه إلى المصادر الأصلية لكلا الطرفين، حيث كان يجيد اللغتين اليونانيه و العربيه.

استنتاج:

و فى ختام مقالتنا، يمكن أن نقول بان البيرونى عرض بايجاز و بصوره صحيحه نسيبا المفاهيم الأساسيه للميتافيزيقية السائده آنذاك - فى أوساط المتعلمين و العوام فى الهند فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى. و فى الحقيقه كانت هناك مصادر واسعه و متنوعه لهذا الموضوع، لم يكن البيرونى مطالعا إلا على القليل منها. و على هذا الأساس كانت معرفه البيرونى و معلوماته

و لا بد أن يكون البيروني قد واجه مشاكل و مصاعب جمه في دراسته لهذا الموضوع، لكونه مسلما أجنبيا في بلاد الهند، و يبدو واضحا أنه استطاع بقوه ارادته و بشغفه في الاحاطه بهذا الموضوع التغلب على بعض هذه المشاكل.

و يبدو أن البيروني لم يكن يعرف شيئا عن البوذيه و الجينية، لاحتمال أن تكون هذه الأديان مجهوله تماما بالنسبه اليه، و إضافه إلى ذلك، لم يكن يعرف أى شىء عن النظريات الأساسيه لفلسفه الهندوس التي تشكل القاعده الأساسيه للميتافيزيقيه لديهم.

و على الرغم من وجود هذه النواقص، فإنه كتب بالعرييه بعضا من أروع الصفحات في فلسفه و أديان الهند، و هي من أفضل و أدق ما كتبه المحققون و الكتاب المسلمون في هذا المجال.

و يندر أن نجد في القرون الوسطى مثل الرؤيه الموضوعيه و المحايدته التي كان البيروني يتصف بها، و طول باعه في فهم و تفسير الميتافيزيقيه لدى الهندوس بالاستناد إلى كتبهم المقدسه.

و يبقى البيروني يحتل موقعا رفيعا بين جميع الذين كتبوا عن تاريخ الفكر في الهند.

البيروني و الميثولوجيا

بقلم هوشنك مير مطهرى لسنا نقصد هنا أن نكتب عن تاريخ العلم بكثير من الدقه، أو نشير إلى جميع أعمال البيروني، و إنما نحاول أن نشير إشاره اجماليه إلى ماضى هذا العلم و منزله البيروني في توجيهه نحو مساره الواقعي.

و في مقدمه ينبغي أن نقول بان الحضارات انتقلت منذ بدء التاريخ من الشرق إلى اليونان ثم انتقلت من جديد من الإسكندريه و أثينا إلى إيران فيما قبل الإسلام، و عادت مره أخرى لتتنقل من البلدان الإسلاميه إلى أوروبا و من أوروبا إلى بلدان العالم، و كان انتقال العلوم و الثقافات الإسلاميه إلى أوروبا عن طريق الحروب الصليبيه و عن طريق الأندلس.

و قد انتشر في أوروبا نوع جديد من التحقيق الأكاديمي من خلال العلوم الإسلاميه المتطوره، و يركز هذا النوع الجديد على حضارات للبلدان القديمه ذات الثقافات التاريخيه الأصيله، مثل حضاره الهند و إيران و مصر و سوريه و بلاد ما بين النهرين و سومر و أكد و غيرها.

و لو لاحظنا الآثار العلميه القديمه للاحظنا أن علماءنا هم مؤسسو الحضاره القائمه الآن، و كذلك ينبغي أن ندرك أن نفوذ الحضاره الإسلاميه في أوروبا و كذلك انتشار طرق التحقيق الحديثه فيها يعود لبعض العلماء من أمثال محمد بن زكريا الرازي و البيروني و ابن سينا و ابن الهيثم و الخوارزمي و غياث الدين الكاشاني و مسكويه و كثير غيرهم و يظهر مدى التفاوت الكبير بين ما أخذته أوروبا من حضاره إيران و الرومان و اليونان و الهند و سائر الحضارات القديمه و ما أخذته من الحضاره الإسلاميه.

مؤلفاته ابن سينا و قارنت أفكاره بأفكار أرسطو - فى كتابها عن ابن سينا. إن ابن سينا عرف فى أوروبا قبل أرسطو بمائه و خمسين سنه و نشرت فيها مؤلفاته.

و من هذا ندرى أن معرفه أرسطو و أفلاطون و سائر فلاسفه و محققى البلدان القديمه من سبقوا الإسلام، إنما جاءت من خلال نفوذ الحضاره الإسلاميه التى كانت حصيله جهود جميع علماء الإسلام من كل شعوبه.

و إذا كانت الأسس المنطقيه قد حصلت من خلال كشف العلاقه بين الاستقراء و القياس و النسب العقليه لمختلف القضايا، و بلورت هذه الأسس الفكر البشرى فى شكل خاص لقرون متماديه و استحوذت على العقول البشرى لفترات طويله و هى بعد ذلك كله من المفاهر الخالده لليونانيين، فليس ثمه شك أن الميثولوجيا أو علم المنهج أو علم استخدام المنطق فى العلوم المختلفه أو معرفه الأسلوب الكفيل بتوظيف العقل لاكتشاف العلاقات الموجوده فى الطبيعه و كيان الإنسان و جميع المواضيع التى ترتبط بالتحقيقات العلميه التى يمكن أن تساهم فى تكامل المعارف البشرى و تؤدى إلى معرفه الإنسان لنفسه و لمحيطه و بيئته و إلى النتائج التاليه:

١ - زياده قوه التمييز و التشخيص و التصنيف و التحليل فيما يخص العلاقات بين الظواهر المختلفه.

٢ - اتخاذ أسلوب عقلى و نفسى دقيق فيما يتعلق بالظواهر الخاصه التى تخضع للتحقيق.

٣ - إيجاد أبعاد جديده للقدره البشرى على فك أسرار الخلق. نقول إن الميثولوجيا كانت حصيله جهود و إتعاب علماء مثل البيرونى و ابن خلدون - على غرار علم الاجتماع - قبل أن تكون حصيله جهود أوگست كنت و مساعى البيرونى قبل أن يكون حصيله جهود المحدثين من العلماء.

و تؤكد بان تدوين الميثولوجيا يعد من مختصات حضاره الإسلام و خصوصا أبو الريحان البيرونى، قبل أن يكون من الإنتاجات الفكرية لكلود برنارد و دكارت.

و إذا قارنا حجم المعارف التى أثرت فى أوروبا من حضارات اليونان و الهند و الإسكندريه، و التى اختلطت مع بعضها فى المجتمعات الإسلاميه، و أمكن الوصول إليها فى عصر ازدهار هذه الحضاره إذا قارنا هذه المعارف مع تلك التى نقلها الأوروبيون من ثقافات اليونان و الهند و غيرها، رأينا أن الأوروبيين لم يتصلوا بصوره مباشره بتلك الحضارات إلا من خلال بعض الأسماء القليله و الكتب المحدده.

و إضافه إلى ذلك فإن الكثير من الكتب اليونانيه قد ضاعت متونها الأصلية و لم يبق منها إلا الترجمة العربيه، و لأجل أن نثبت ذلك بالأدله القاطعه، يجدر بنا أن نورد بحثا دقيقا و تفصيلا لذكر تلك الكتب و هذا ما لا يتسع له المجال هنا، و إذا كانت ثمه اكتشافات جديده حصلت على أيدي الأوروبيين، فإنما كان ذلك فى مجال الفنون الجميله و النحت و البناء و الفنون المعماريه، و كل ذلك لم يكن المسلمون يعنون كثيرا فى بحثه بحثا علميا، رغم أن المسلمين أضافوا إلى التراث اليونانى كثيرا فيما يخص العلوم الموسيقيه، حيث تخطى الفارابى اليونانيين فى هذا المجال و برز بصوره تثير الإعجاب.

و إذا طالعنا أسس هذا العلم (الميثولوجيا) و قوانينه فى البيرونى من خلال مجموعه آثاره العلميه، فلا مناص من إنصافه كأحد المؤسسين لهذا العلم، حيث كان يحقق و يحلل بمنتهى الدقه فى جميع المجالات التى يتناولها العلم الجديد.

و كان يستند فى جميع المجالات إلى أقوى الأدله، و يعتمد إلى النقد و التحليل و المقارنه بين الآراء المتنوعه، و يتتهج الحياديه التامه فى الإصغاء إلى هذه الآراء، و لا يعنى باى عقيدته مهما كانت لكون حاملها صاحب نفوذ أو صاحب شهره، و كان اهتمامه ينصب على التجربه و المقارنه بين مختلف النظريات معتمدا فى ذلك على تحقيقه الشخصى و دقته الكبيره، و المراجع المتنوعه، و هو إلى ذلك يدخل فى أعماله هذه المحاسبه و عوامل الزمان و المكان و الحراره و البروده و سائر العوامل الأخرى التى لها ارتباط مباشر فى التغييرات، و بلغ البيرونى فى كل ذلك و فى استعمال القوانين الرياضيه فى القياسات و اكتشاف العلاقات بين الظواهر المختلفه و إعطاء التعريفات للأمور التى تشترك فيها العلوم المختلفه ك (الواحد) مثلا و كثير من الأمور الأخرى مثل رصد السماء و ملاحظه خواص الفلزات و النباتات و التعمق فى خصائص الشعوب و قياس الأطوال و الأعراض الجغرافيه للبلدان و بحث تقاليد و أعراف الناس و التحقيق فى أديان و تقاويم و أعياد و معتقدات الأمم، أقول قد بلغ البيرونى فى كل ذلك شأوا بعيدا حتى أصبح ذكره على لسان العامه و الخاصه، و أكثر هذه الأمور هى من أصول الميثولوجيا.

و يشاهد فى جميع تصانيفه و محاسباته و قياساته نوع من روح الوحده و التنسيق، و يتبادر لذهن المرء أن البيرونى لم يتخصص فى مجال معين، بل نشط فى إرساء دعائم الميثولوجيا فى جميع العلوم و لم يتوان لحظه فى سعيه هذا.

و قد عارض البيرونى منطق أرسطو، و أوضح مواطن الضعف و الوهن فى هندسه إقليدس من خلال تحقيقاته المتواصله حولها، بالرغم من احترامه لها، و أوجد مقدمات الهندسه غير الأقليديسيه التى انتهجها فيما بعد المحقق نصير الدين الطوسى.

و أخضع للتحقيق أساليب الأسلاف مثل الرازى، و استفاد من النواحي الايجابيه منها فى إيجاد الطرق الأصوليه للعلم، و أجرى تعديلات على النواحي السلبيه منها، و يمكن أن نتعرف على مدى قدرته و تمكنه من العلوم و الأساليب العلميه فى التحقيق و استناده إلى الأصول الدقيقه فى ذلك من خلال مباحثاته مع ابن سينا و ما كتبه الضخمه التى تعد من أكبر النتاجات البشريه، إلا حصيله هذه الأساليب العقلانيه و العلمائيه.

و يترجم الإنجليزي رمزي رايت Ramsy Wright كلمه قضايا الهندسه إلى Proposition و ليس: (in view of the fact that geometrical proposition)، و يشير أبو الريحان إلى الاختيار في انتخاب "الواحد" و هو ما يتوافق مع المفاهيم الجديده للواحد في حساب الكمي.

و نكتفي بهذا القدر في هذه المقاله، إذ يتطلب تحليل القدره العلميه للبيروني و مقارنتها مع رؤى ابن سينا و مهاره الأول في المحاسبات، بحوثا مستقلة بذاتها، و يستلزم مقارنه تعريفه للواحد مع تعريف أرسطو و نيوتن مقاله أخرى. و نحاول فيما يلي أن نذكر باختصار بعض أحوال البيروني و بعض آثاره:

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في عام ٣٦٢ هـ أي في عام ٩٧٣ و توفي في الثاني من رجب عام ٤٤٠ أو ٤٤٢ هـ أي عام ١٠٤٨ (أو ١٠٥٠ م و هو معاصر لابن سينا (١٠٣٧ - ٩٨٠ م) و ابن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٩ م) و ابن يونس (أبي الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن يونس المتوفى في القاهره عام ١٠٠٩ م) و علي بن عيسى (في النصف الثاني من القرن الحادي عشر) و الكرخي (أبي بكر محمد بن الحسن الحاسب المتوفى في بغداد عام ١٠١٩ م و ابن جبريول أو ابن جبريل.

و لهذا العالم الكبير العديد من التحقيقات في مختلف المجالات مثل الهندسه و المثلثات و النجوم و الحساب و دراسه الهند و الخرائط و علم الأديان التطبيقي و رصد الكواكب و كذلك في الطبيعيات و الفيزياء و التخمين التقريبي لسرعه النور و الأشعه اللامرئيه للشمس، و الحركه العامه للماده و الكثير من العلوم الأخرى مثل النباتات و الأدوية و المجوهرات و غيرها. و كانت أسماء مؤلفاته سطورا من ذهب في سجل العلوم.

و يضع (سارتن) البيروني - في مقدمته لتاريخ العلم: - Introduction To History of Science, Copy - Right, 1972 Reprinted 1945, (1953, 1950) في عداد طالس (٦٢٥ إلى ٥٤٥ قبل الميلاد) و فيثاغورس و أبرخس (الذي عاش قبل بطليموس) و أفلاطون و أقليدس و بطليموس و جالينوس. و جعله من أصحاب عصور العلوم البشريه، و أفرد له في كتابه عهدا خاصا.

استدراكات:

١ - هناك شك في صحه انتساب الترجمة الفارسيه للتفهيم، إلى البيروني.

٢ - هناك اختلاف بين العلماء حول عدد آثار البيروني.

٣ - من جمله مؤاخذات البيروني للرازي. اكتفاؤه من استخدام الرياضيات في تحقيقاته العلميه بقدر حاجته و عدم ذهابه إلى أبعد من ذلك، و رغم احترامه للرازي، إلا أنه كتب مدافعا عن الهندسه في كتابه استخراج الأوتار - الذي يبدو أنه كتبه لأحد تلامذته - حيث يقول إن اعتقاد الرازي بعدم جدوى التحقيقات الهندسيه، إنما هو نقص في التحقيقات الفلسفيه لديه، ثم يلمح بالقول: "لم يزل الناس أعداء ما جهلوا".

٤ - ليس من السهل البحث الدقيق في القيمه الحقيقيه لآثار و مؤلفات البيروني، إلا إذا توفرت دراسه شامله لجميع هذه المؤلفات

و كذلك دراسه دوره فى العلوم و الفلسفه و الحكمة العالميه، من خلال تحقيق شامل، و تعاون بين المحققين فى برنامج منظم، يشمل ترجمه آثاره إلى لغه عالميه من أجل إيجاد تاريخ علمى عالمى دقيق.

٥ - من خلال التفحص فى النسخه العربيه للتفهيم و مطابقتها مع النسخه الفارسيه، يظهر جليا أن عباره قضايا الهندسه، ينبغى أن تترجم بالانجليزيه إلى **Geometrical Theoremes** و ليس **Geometric al Propositions** حيث تظهر العبارة الأخيره غير دقيقه إذا قورنت مع النص العربى.

٦ - يقصد بمعارضه البيرونى لمنطق أرسطو هو عدم قبوله التام للمنطق الصورى لأرسطو فى كشف الحقائق. و الذى استعمله مؤيدوه أكثر مما ينبغى، و منهم ابن سينا، و فى الحقيقة فان هذا الأسلوب يونانى بحث يعتمد الفكر المجرد فى الوصول إلى الحقائق أكثر من التمعن فى واقعيه و حقيقه الأمور. و قد رفض هذا الأسلوب فى نفس عرض أرسطو، ثم من قبل بعض أتباع فكر أرسطو مثل توفّر.

٧ - لم نقصد فى عبارتنا أن البيرونى أرسى قواعد أساليب التحقيق فى العلوم، أنه أخرج علوم النجوم و الكيمياء و الأحياء و الاجتماع من الدائره الفلسفيه، كما فعل ذلك فيما بعد كل من غاليلو و لاقوازيه و كلود برنارد و اگوست كنت، و إنما قصدنا أنه سلك أسلوبا شاملا فى تلك التحقيقات، و قد اهتم كبار العلماء فيما بعد بهذا الأسلوب حتى امتاز أسلوب التحقيق فى العلم عنه فى الفلسفه.

٨ - على الرغم من كون نالينو يعتقد فى بحثه حول علم الفلك أن رأى البيرونى هو عباره عن خليط من آراء شتى و ليس تحقيق متكامل، إلا أنه يشير إلى المقام الشامخ الذى احتله البيرونى حيث قال مره بصراحه - خلال حديثه عن قانون المسعودى - إن هذا الكتاب القيم ليس له مثيل (علم الفلك، ص ٤٨، ترجمه إلى الفارسيه السيد آرام)، و يقول مره أخرى ملمحا: على الرغم من أن المسلمين تبعوا أرسطو فى تقسيمه لفروع العلوم، إلا أن أكثر الفلاسفه العرب رفضوا أسلوب أرسطو فى تقسيمه هذا. (علم الفلك المترجم.. ص ٢٦ و ص ٣٧).

٩ - لو فرضنا أن غاليلو و نيوتن لم يغيرا الحدود السابقه لعلم النجوم و لم يبدلا الهندسه إلى الرياضيات و الفيزياء، فمن الطبيعى أن علم النجوم لم يكن ليبلغ المكانه الشامخه التى بلغها اليوم.

و فى اعتقادنا أن هذه المسأله لفتت انتباه البيرونى من قبل، حيث يقول: "لأن قضايا الهندسه تستعمل و خاصه فى حساب التنجيم بالحساب" (التفهيم.. النسخه العربيه). و ينبغى أن نعتبر رأى الكاتب هذا أساس علم النجوم فى مؤلفاته، من خلال دراسه ما كتبه فى حساب المثلثات و المثلثات الكرويه و القسم الذى يرتبط بهذه المواضيع فى قانون المسعودى.

هذا الرأى الكثير من المحققين الأجانب و منهم صاحب المقدمه التى كتبت الترجمة اللاتينية للشفاء.

١١ - لم يكن الاختلاف بين ابن سينا و أبو الريحان البيرونى عميقا، إلا فى ما يتعلق بالأمر التجريبيه و المحاسبات الفلكيه، و يعزى هذا الاختلاف إلى ممارسات البيرونى فى المحاسبات الفلكيه و تعمق الشيخ فى الحقائق النظرية للحكمه.

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بن على:

ولد سنة ١٢٩٤ فى النجف و توفى سنة ١٣٧٣ فى كركند (إيران) و دفن فى النجف، نشأ فى بيت جليل (آل كاشف الغطاء) الطامح بالعلم و العلماء نشأه طيبه، و بدأ بدراسه العربية لما بلغ العاشره من سنى عمره، و أتم دراسه سطوح الفقه و الأصول و هو لم يزل فى مقتبل شبابه.

و بعد قطع هذه الأشواط، أخذ بالحضور فى حلقات دروس المولى محمد كاظم الآخوند الخراسانى - إذ حضر أبحاثه فى أصول الفقه ست دورات - كما حضر الأبحاث الفقيهه للسيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و الحاج آقا رضا الهمدانى و الميرزا محمد تقى الشيرازى و السيد محمد الأصبهانى سنين طويله.

و تتلمذ فى الفلسفه و الكلام على الميرزا محمد باقر الإصطهباناتى و الشيخ أحمد الشيرازى و الشيخ على محمد النجف آبادى و غيرهم من فطاحل العلوم العقلية. و كان له عند أساتذته احترام و تقدير لغزاره فضله و كثره تبخره.

كان عالما جامعا لأطراف العلم، أصوليا بارعا فيه، فقيها دقيق النظر فى الاستنباط، كاتب متمكنا من الكتابه، ناقدا لاذع النقد، أدبيا مرهف الشعور، شاعرا واسع الخيال.

امتازت أبحاثه بالتنقيب و دقه النظر، كان مدمنا للقراءه، يقرأ كلما يمر عليه من مطبوع سواء كان قديم الفكره أو حديث الرأى، و ما أن يفرغ منه حتى ترى الهوامش قد ملئت بالتعليقات، فيها ماخذ على صاحب الكتاب و تقويم ما ينبغى تقويمه من الأخطاء و الاشتباهات.

شرح فى التدريس و تأليف شرح على "العروه الوثقى" فى حياه أستاذه الفقيه السيد محمد كاظم الطباطبائى، فكانت له آنذاك حوزة علميه تتالف من الفضلاء يزيد عددهم على المائه، و كان تدريسه فى المسجد الهندى تاره و الصحن العلوى الشريف أو مقبره السيد الشيرازى أخرى. و كان يكتب الشرح المذكور ليلا و يلقيه على تلامذته نهارا.

و كان أستاذه الطباطبائى يعول عليه و على أخيه الشيخ أحمد كاشف الغطاء فى أكثر مهام مرجعيته، و آل أمره إلى أن أوصى إليهما فتحملا وصيته منذ وفاته سنة ١٣٣٧، و رجع الناس إلى أخيه فى التقليد.

تجول فى الأقطار العربية و الإسلاميه فى أسفار عديده، بعضها قصيره المده و بعضها استغرقت سنين، و كانت جولاته علميه مشمره. من مؤلفاته:

الاتحاد و الاقتصاد، خطبه طبعت بالنجف سنة ١٣٥٠، بعضها الأرض و التربه الحسينيه، طبع عدده مرات بالنجف و صيدا، أصل

الشيعة و أصولها، طبع أكثر من عشرين طبعه فى العراق و بيروت و ايران و ترجم إلى الإنجليزية و الفارسيه و الأردويه، تحرير المجله، طبع بالنجف سنة ١٣٥٩ و ايران بالأفست، تعريب حجه السعاده فى حجه الشهاده، تعريب رحله ناصر خسرو، تعريب كتاب الهيئه الفارسي، تعليق على أدب الكاتب لابن قتيبه، تعليق على أمالي المرتضى، تعليق على الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين، تعليق على نهج البلاغه، تعليق على "الوجيز فى تفسير القرآن العزيز" للشيخ على محيى الدين، تنقيح الأصول، التوضيح فيما هو الإنجيل و من هو المسيح، طبع ببغداد سنة ١٣٤٦، الجمع بين الأحكام الظاهريه و الواقعيه و مراتب الحكم، جنه المأوى، طبع بتبريز سنة ١٣٨٠، حاشيه الأسفار الأربعة لملا صدرا، حاشيه العرشيه و رساله الوجود لملا صدرا، حاشيه فرائد الأصول، حاشيه قوانين الأصول، حاشيه كفايه الأصول، حاشيه المكاسب للشيخ الأنصارى، الدين و الإسلام، أو "الدعوه الإسلاميه"، طبع جزؤه الأول ببغداد سنة ١٣٢٩ و صودر ثم طبع جزءان منه بصيدا و بقى جزءان لم يطبعا بعد، ديوان شعره، كبير جمع أكثر شعره، سدره المنتهى، السياسيه الحسينيه، طبع بالنجف سنة ١٣٦٨ و غيرها، شرح العروه الوثقى، و هو أول مؤلفاته الفقيهيه، و هو إلى آخر كتاب الصلاه فى أربع مجلدات، العباقت العنبريه فى الطبقات الجعفريه، فى تراجم أسرته، عقود حياتي، ترجمته الضافيه، عين الميزان، رساله فى الجرح و التعديل طبعت بصيدا سنة ١٣٣٠، مختارات من شعر الأغاني، و هو غير كتابه "مغنى الغواني"، مطبوع المطالعات و المراجعات، أو "المراجعات الريحانيه"، و هو نقود على أمين الريحاني و الكرملى و جرجى زيدان و غيرهم، مغنى الغواني عن الأغاني، مختصر كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصبهاني فى ألف صفحه، ملخص شرح العروه الوثقى، مجلد و الأصل له أيضا، نبذه من السياسه الحسينيه، طبع بالنجف سنة، نزّه السمر و نهزه السفر، رحلته إلى سوريا و الحجاز و مصر سنة ١٣٠٩، نقد كتاب ملوك العرب، و النقود و الردود.

مرض فى أخريات أيامه فذهب إلى بغداد و دخل المستشفى فبقى شهرا، ثم رجع البعض الذهاب إلى قريه "كرند" من توابع كرمانشاه للاستجمام و الاستراحه، فذهب إليها و جاءه الأجل المحتوم بها، و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف، و دفن بمقبره خاصه أعدها لنفسه فى وادى السلام (١).

الشيخ محمد رضا آل ياسين:

ولد فى الكاظميه سنة ١٢٩٧ و توفى سنة ١٣٧٠ فى الكوفه و دفن فى النجف الأشرف.

آل ياسين أسره عريقه فى العلم و الفضل، نبغ منها رجال كانوا نقطه التحول فى تاريخ العلم و العلماء و أشهر من نبغ فيها جد المترجم له الشيخ محمد حسن آل ياسين، فقد ولى الزعامه الدينيه و توارث العلم عن أجداد أفذاذ، هم: والده الشيخ ياسين بن الشيخ محمد على بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محسن الكاظمى، و هؤلاء كانوا قاده البلد و زعماء الدين فى الكاظميه.

ولد المترجم له فى الكاظميه حيث موطنه و موطن أسرته الكريمه، و بدأ يدرس النحو و المقدمات فى عهد جده الكبير و توفى جده و هو فى

ص: ٢٤٥

الحادي عشره من عمره، و قد درس مقدمات العلوم على الشيخ عبد الحسين البغدادي، فى الكاظميه، ثم درس على والده و على خاله السيد حسن الصدر فى الكاظميه أيضا. و أخذ علم أصول الفقه على الشيخ حسن الكربلائي المتوفى ١٣٢٢ هـ و السيد على السيستاني، ثم تابع دراسته على السيد إسماعيل الصدر فى الكاظميه و كربلاء. ثم جاء النجف سنه ١٣٣٩ فكان من اعلامها الشامخه و مراجعها الكبرى.

تخلف بولده الشيخ محمد حسن الذى هو اليوم من أبرز رجال العلم و الأدب و التاريخ و البحث.

ترك مؤلفات لا يزال بعضها مخطوطا كما طبع بعضها، و لم يتم البعض الآخر. فمن مؤلفاته:

١ - سبيل الرشاد فى شرح نجاه العباد للشيخ صاحب الجواهر.

٢ - شرح منظومه السيد بحر العلوم فى الفقه و قد شرحها نظما فاخرج الأصل فى أبيات الشرح، و أحيانا يفرق البيت الواحد بتصديره تاره و بتعجيزه أخرى.

٣ - شرح التبصره فى الفقه و هو كتاب استدلالى.

٤ - شرح مشكلات العروه الوثقى.

٥ - منظومه فى أحكام السلام.

٦ - منظومه فى صلاه المسافر.

٧ - حواشى العروه الوثقى.

٨ - حواشى وسيله النجاه.

٩ - بلغه الراغبين فى فقه آل ياسين، رساله عمليه طبعت ست مرات.

و كان له ميل إلى الأدب لم يفارقه حتى فى دور شيخوخته، و قرض الشعر، و قد ذهب كثير من شعره لعدم عنايته به فمن شعره قوله:

ساد أهل الفضل علما و تقى و حجى كالشامخات الهضب رأس

سار ما بين البرايا صيته ضل من ساوى به الغير و قاس

ساق أرباب المعالى بالعصا و علاهم فى علامه و بأس

ساب ما بين الورى معروفه و بنعليه على العيوق داس

و مما قيل فى رثائه قول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

شيعته أعماله الصالحات و بكنه الصلوات و الصلوات

و نعته إلى بنى العلم و التقوى جميعا علومه النيرات

يا رسول الأخلاق فاقت مزاياك فكانت كأنها معجزات

أتعبتك العليا فتم مستريحا بنعيم جنانه خالداً

و أرخ وفاته الشيخ محمد على اليعقوبى بقوله:

رزيه العلم حلت فى أبى حسنفابته رجال العلم و الدين

أم الكتاب و ياسين بكت أسفاً أرخ لفقد الرضا من آل ياسين

السيد محمد رضا الموسوى الكلبايگانى:

إشارة

ولد سنة ١٣١٦ فى بلدة (گوگد) التابعه لمدينه گلبيگان التى تقع فى وسط إيران. و توفى فى مدينه قم سنة ١٤١٤.

عرفت أسرته بالعلم و الورع و التقوى، و والده العالم الورع الزاهد السيد محمد باقر الموسوى من أعلام علماء البلده و خيارهم.

ولد فى سن متأخره لوالده الذى لم يرزق إلا الإناث إلى أن بلغ الرابعة و الستين من عمره فولد له هذا الولد. و لم يمض أكثر من ثلاث سنوات على ولادته حتى توفيت والدته، و بعد ما بلغ التاسعه من عمره فقد والده. بيد أن حاله اليتيم لم تعقه عن الاتجاه إلى طلب العلم، فقد درس بعض المقدمات على يد بعض أقاربه فى مدينه گلبيگان، ثم انتقل إلى مدينه خوانسار و سكن فى إحدى مدارسها الدينيه للتفرغ إلى طلب العلم.

و عند ما بلغ العام السادس عشر من عمره سمع بقدم الشيخ عبد الكريم الحائرى (مؤسس الحوزه العلميه فى مدينه قم) إلى مدينه سلطان آباد (أراك) فهاجر إليها لحضور دروس الشيخ الحائرى، إلى أن انتقل الشيخ إلى مدينه قم فدعاه إلى الانتقال إليها، فلبى دعوه أستاذه و هاجر إلى (قم) ليواصل حضور دروس أستاذه و أبحاثه حتى صار من أبرز التلامذه و ألمعهم. و كان خلال ذلك يدون أبحاث أستاذه الحائرى و محاضراته و المناقشات التى تدور حولها و قد طبعت تلك التقارير فى كتاب (إفاضه العوائد) و هو كتاب قيم يكشف عن المستوى العلمى الرفيع للمترجم و ذوقه الفقهى و مقدار دأبه الدراسى.

و كان السيد الكلبايگانى إلى جانب حضور دروس الشيخ الحائرى يمارس تدريس مرحله السطوح و هى المرحله الأخيره من الدراسه التى تسبق مرحله حضور البحث الخارجى الذى يمثل المرحله النهائيه فى الدراسات الحوزويه المعروفه، فعرف فى طليعه

الأساتذہ البارزین فی الحوزہ العلمیہ. و لما توفی الشیخ الحائری تحولت زعامہ الحوزہ العلمیہ إلی السید حسین البروجردی. فكان السید الکلپایگانی من أعیان الأعلام العلمیہ المعروفین بالأهلیہ لدور المرجعیہ. و قد ازدحم فی هذه المرحله مجلس درسه بحضور عیون الطلبة و كبار أساتذہ الحوزہ، كما أنه طبع رسالته العلمیہ و صار عدد من المؤمنین يرجعون إلیه، و بعد وفاه السید البروجردی أصبح واحدا من أشهر مراجع التقليد و اتسع نطاق تقلیده و تكفل الرواتب الشهريه للطلبة داخل حوزہ قم و خارجها، و لمع نجمه فی مختلف المجامع و المواقع العلمیہ داخل إيران و خارجها.

و بعد وفاه السید الخوئی اتجهت اليه الأنظار فی كل مكان، و كان المؤهل للمرجعيه العامه.

مؤلفاته:

١ - كتاب القضاء، فقه استدلالی.

٢ - كتاب الشهادات، فقه استدلالی.

ص: ٢٤٦

- ٣ - كتاب الحج، فقه استدلالى.
- ٤ - كتاب الطهاره، فقه استدلالى.
- ٥ - الدر المنضود فى أحكام الحدود.
- ٦ - إفاضه العوائد فى علم أصول الفقه.
- ٧ - بلاغه الطالب فى شرح المكاسب.
- ٨ - مجمع المسائل، مجموعته قيمه من الأسئلة والأجوبه فى مختلف أبواب الفقه.
- ٩ - حاشيه على وسيله النجاه للسيد أبى الحسن الأصفهانى.
- ١٠ - حاشيه على العروه الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدى.
- ١١ - توضيح المسائل، رساله عمليه باللغه الفارسيه.
- ١٢ - رساله فى صلاه الجمعة و صلاه عيد الأضحى و عيد الفطر، فقه استدلالى.
- ١٣ - الهدايه إلى من له الولايه، فقه استدلالى.
- ١٤ - رساله فى المحرمات بالنسب، فقه استدلالى.
- ١٥ - رساله فى عدم تحريف القرآن (عقائد).

أساتذته:

- ١ - أبرز أساتذته الشيخ عبد الكريم الحائرى، و قد درس عليه فى مدينه سلطان آباد و قم أكثر من عشرين عاما.
- ٢ - السيد محمد حسن الخوانسارى المتوفى عام ١٣٣٧، و كان أستاذه فى خوانسار.
- ٣ - الميرزا محمد باقر الكلپايگانى، و قد تتلمذ عليه فى گلپايگان.
- ٤ - الملا محمد تقى الكوكدى.
- ٥ - الميرزا النائينى فى إيران.
- ٦ - الشيخ آغا ضياء العراقى فى النجف.

٧ - الشيخ محمد رضا مسجدشاهی فی ایران.

٨ - السيد أبو الحسن الأصفهانی فی النجف.

و قد تخرج عليه عدد كبير من العلماء و أساتذته الحوزه العلميه، بلغ عدد منهم مرتبه الاجتهاد، و لا بد لي هنا من أن أسجل له تعضيده و تشجيعه لفكره إصدار (دائرته المعارف الإسلاميه الشيعيه) و تفهمه لأهدافها، فكان ذلك من عوامل مغامرتي في إصدارها و السير بهذه المهمه الشاقه.

السيد محمد صادق بحر العلوم بن السيد حسن بن السيد إبراهيم بن السيد حسين بن السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم

بن مرتضى بن محمد بن عبد الكريم بن مراد بن شاه أسد الله بن جلال الدين الأمير بن الحسن بن مجد الدين بن قوام الدين بن إسماعيل بن عباد بن أبي المكارم بن عباد بن أبي المجد بن عباد بن علي بن حمزه بن طاهر بن علي بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ع، الطباطبائي الشهير ببحر العلوم النجفي.

ولد بالنجف الأشرف في العشره الأولى من شهر ذى القعدة سنه ١٣١٥ و توفي فيها سنه ١٣٩٩. مرت له ترجمه من (المستدركات) و نعيدها هنا مفصله:

قرأ المقدمات العلميه من العلوم الأدبيه و غيرها على جماعه من فضلاء الحوزه في النجف، و منهم ابن عم أبيه السيد مهدي بن محسن بحر العلوم حيث قرأ عليه علمي المعاني و البيان، و أخذ الأصول و الفقه عن الشيخ شكر البغدادي و السيد محمود الشاهرودي و الشيخ محمد علي الكاظمي و الشيخ إسماعيل المحلاتي و السيد محسن القزويني و الميرزا أبي الحسن المشكيني و الميرزا فتاح التبريزي و الشيخ محمد حسن المظفر.

و في هذه الفتره تتلمذ في علمي الدرايه و الرجال على السيد أبي تراب الخونساري و التفسير على الشيخ محمد جواد البلاغي.

و بعد طي هذه المدارج حضر في أبحاث الأصول و الفقه خارجا على الميرزا محمد حسين النائيني و السيد أبي الحسن الاصبهاني، و أكثر استفاداته الفقيهيه من دروس السيد محسن الطباطبائي الحكيم حيث تتلمذ عليه منذ سنه ١٣٥٤.

و لم تقف همته عند حدود الدروس الحوزويه، بل راح يواصل السير في قراءه كتب الفلسفه و الكلام و يتابع مطالعه كتب التاريخ و الأنساب و اللغه و الأدب و غير ذلك من الفنون الإسلاميه حتى حاز نصيبا وافرا من كل منها.

لازم سنين طويله صديقه الشيخ محمد السماوي فاستفاد منه و من مكتبته العامره فوائد كبيره كان لها أثر بالغ في نشاته الأدبيه و تقدمه في النشر و الشعر.

تنوعت ثقافته حيث تنوعت مطالعاته في مؤلفات القدامي و المعاصرين و استحصل عبر السنين على مجموعه من المعلومات الثقافيه الممتازه بما رزق من الجلد على القراءه و الفحص و التحقيق، و لم يقنع في سيره العلميه بنوع خاص من العلوم الحوزويه

والإسلاميه، بل جد فى الحصول على المفيد من العلم مهما كان لونه و سمته.

ولع منذ حدائته باقتناء الكتب و خاصه المصادر المهمه من كل فن، فاجتمع لديه أكثر من خمسه آلاف كتاب مطبوع و عشرات النسخ المخطوطه التى أكثرها بخطه الجيد، و كانت بعد الشراء لا تستقر فى الرف الا بعد أن يستوعبها قراءه.

قال الشيخ آقا بزرك الطهرانى:

"له و لع شديد بمطالعه الكتب المتنوعه و اقتنائها [اقتنائها]، و قد أصبحت عنده مكتبه نفيسه".

اتصلت به اداره "المكتبه المرتضويه و مطبعتها الحيدريه" فى النجف و رغبت اليه أن يقوم بنشر و تحقيق ما يراه قيما و مفيدا من كتب القدماء و المتأخرين، و قد نزل عند رغبتها فقام بتحقيق عدد من الكتب القيمه المهمه و علق عليها و أضاف إلى بعضها فوائد جليله...".^(١)

"و بالجمله فان خدماته الجمه للعلم و الأدب و تعاليقه على الكتب القيمه و غيرها و تقييد أنظاره الراقيه و نتائج اطلاعه الواسع فيها، كلها مقدره مشكور، أبقاها لنفسه ماثره خالده".

عين سنه ١٣٤٨ قاضيا شرعيا فى مدينه العماره فبقى فيها ست

ص: ٢٤٧

١- بعض نشاطه فى تحقيق الكتب و نشرها تجده فى معجم المؤلفين العراقيين ١٨٥/٣-١٨٨.

سنوات، ثم نقل إلى البصرة فبقى بها قاضياً قرابه سبع سنوات، و ترك القضاء سنة ١٣٨٠ على أثر وضع قانون الأحوال الشخصية بموارده الجديد ثم فرضه على المحكام الشرعيه فى عهد عبد الكريم قاسم.

و عند ما تم وضع هذا القانون، وجد أن مواده لا تتفق مع الفقه الجعفرى بل يخالف كثير منها صريح آراء جميع فقهاء المسلمين فاستقال من القضاء، بالرغم من أنه كان لم يبق إلى وقت تقاعده الا سنه واحده، فاستقال و حرم من راتب التقاعد.

أدبه و شعره

لقد عاشر كثيرا من الأدباء و الشعراء العراقيين و السوريين و اللبنانيين، و تبودلت بينه و بينهم طرف أدبيه و نكات شعرية احتفظ بجلها فى مجاميعه التى لا زالت مخطوطه.

و هناك شعره فى المناسبات الدينيه و فى أهل البيت (ع)، و قد كونت بمجموعها ديوانا حافلا جمعه بخطه.

أجيز منه كل من السيد شهاب الدين النجفى المرعشى، أجازه يوم الأحد ٢٥ صفر ١٣٥٠.

و السيد محمود المرعشى و السيد محمد رضا الجلالى.

مؤلفاته

له بحوث كثيره مطبوعه فى مجلات عراقيه قديمه و غير مطبوعه، و مقدمات علميه هامه على طائفه من الكتب القديمه و المعاصره. و من مؤلفاته:

(١) اجازاتى، مجموعه من الإجازات التى كتبت له.

(٢) حاشيه فرائد الأصول.

(٣) حاشيه كشف الظنون.

(٤) حاشيه كفايه الأصول.

(٥) حاشيه المكاسب للشيخ الأنصارى.

(٦) الدرر البهيه فى تراجم علماء الاماميه، من القرن الحادى عشر إلى الرابع عشر.

(٧) دليل القضاء الشرعى، سته أجزاء كبار.

(٨) ديوان شعره.

(٩) الرحلة إلى سوريا و لبنان، كتبها سنة ١٣٥٣.

(١٠) السلاسل الذهبية، مجموعه فيها تراجم كثيره.

(١١) سلاسل الروايات و طرق الإجازات، جمع فيها إجازات الحديث و أتمه سنة ١٣٥٣، و سماه بعد ذلك "الإجازات الروائية".

(١٢) الشذور الذهبية، مجموعه شعريه.

(١٣) صكوك الاعلامات و الحجج الشرعيه.

(١٤) اللآلى المنظومه، كشكول.

(١٥) اللؤلؤ المنظوم فى نسب آل بحر العلوم، أرجوزه طبعت بالنجف سنة.

(١٦) المجموع الرائق، فيه تراجم و قصائد كثيره، ألفه سنة ١٣٥٠. (١)

السيد محمد باقر بن هاشم الحسينى الجيلانى

عالم جليل متمكن من العلوم العقليه و النقليه، هاجر من مسقط رأسه إلى أصبهان و بقى بها مده متلمذا على أعلامها، من جملتهم كما ذكر فى هامش أوائل كتابه "مصباح النجاه" ملا- ميرزا محمد بن الحسن الشيروانى و آقا حسين المحقق الخوانسارى و ابنه جمال الدين الخوانسارى و المولى باقر المجلسى.

له "مصباح النجاه فى التدين و النجاه" أتم تأليفه سنة ١١٠٨. (٢)

محمد باقر بيجابورى

ولد فى حدود سنة ١٠٥٠ فى الهند و توفى سنة ١١٢٨ فى أورنگ آباد (الهند).

كان عالما فاضلا درس اللغة العربيه على أبيه، و المعقولات و المنقولات على عده أساتذه.

و هو معاصر لاسكندر عادل شاه و عالمگير. ترك من المؤلفات:

تلخيص المرام فى علم الكلام، و روضه الأنوار، و زبده الأفكار.

محمد باقر بن محمد حسين التبريزى

فاضل، من أعلام النصف الأول من القرن الثانى عشر.

له "ترجمه خلاصه الأقوال" إلى الفارسيه، أتمها سنة ١١٢٩. (٣)

محمد جعفر بن آقا بزرگ آقا كب التستري

مترجم فى "الكرام البرره" ص ٢٤٦، و نقول:

أقام سنين فى كربلاء متلمذا على شريف العلماء المازندراني فى أصول الفقه.

توفى ضحوه تاسع عشر ربيع الأول سنه ١٢٦١.

له "مناهج الأصول" (٤).

محمد مرشد بن عبد على المالميرى الأصبهاني

فاضل مشغل بالحديث و علومه، أصله من "المير" و سكن أصفهان و هو من أعلام أوائل القرن الثانى عشر.

كتب نسخه من كتاب "من لا يحضره الفقيه" و أتم الجزء الأول و الثانى منها فى سنه ١١٠٤ - ، و قرأ النسخه على المولى محمد داود (الأصفهاني) فكتب له انهاء و أجازه روايه فى آخر الجزء الثانى أواسط ذى القعدة سنه ١١٠٤ و قال فى الإنهاء "أنهاه الأخ الصالح التقى مولانا مرشد أیده الله تعالى سماعا و تحقيقا و ضبطا.." (٥).

محمد المعروف بملا آقا الساوجبلاعى الطهرانى

ولد فى طهران سنه ١٢٢٥ و سكن فى قريه "تنگمان" من قري "ساوجبلاغ" من توابع طهران، و عاش إلى أواخر القرن الثالث عشر.

ص: ٢٤٨

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.

له "مفصل البيان في علم القرآن" كان مشغولا به في سنة ١٢٩٤. (١)

الشيخ الميرزا محمد باقر الهمداني بن محمد جعفر

توفي سنة ١٣١٩، من فقهاء الشيخية في همدان. من مؤلفاته: الدرر النجفيه، و الميزان.

السيد محمد باقر المشهدي

من تلامذه الميرداماد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي، قرأ عليه جملة من مؤلفاته الفقيهيه و طائفه من كتب الحديث، فأجازه في شهر محرم من سنة ١٠٣٤ و وصفه في الإجازة ب "السيد الفاضل الكامل المتورع المتعبد الذهن الفطن اليلمعي اللوذعي الملاحظ بلزاز الطاعة و الفائز بلزام العباده... قد خالني برهه من الزمان و صحبني ملاوه من الأوان و قرأ علي في من قرأ و سمع مني في من سمع فالتقط و اختطف و اجتني و اقتني..". (٢)

ميرزا محمد باقر بن أحمد بن لطف علي بن محمد صادق التبريزي

امتلك نسخه جيده من كتاب "كشف الغمه" للإيربلي، و كتب تملكه عليها في الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٢٥٧ حين إقامته بالشام حيث صد عن الحج في هذه السنه و التي قبلها، و يظهر من عباراته أنه عالم متمكن من الأدب العربي حسن الإنشاء. قرأ مع أخويه ميرزا لطف علي و ميرزا محمد جعفر علي أبيه شطرا من الكتب الأدبيه و قسطا من العلوم الشرعيه الأصوليه و الفروعيه. مذكور ضمن ترجمه والده في "الكرام البرره" ص ١٠٣ و قال انه و أخواه ميرزا لطف علي و ميرزا رضا مجازون من والدهم باجازه مشتركه مؤرخه (شهر رجب) ١٢٥٣ و قد جعلهم أوصياءه و لكنهم توفوا جميعا قبله في وباء سنة ١٢٦٢. (٣)

السيد محمد أمين بن محمود شجاع الدين الرضوي

فاضل له اطلاع في العلوم الدينيه، و هو جد الساده المدرسيه الرضويه في قم و قبره في ممر المدرسه الفيضيه.

له "الحق الجلي" رساله جيده في أصول الدين. (٤)

الشيخ محمد إسماعيل بن محمد هادي الفدائي الكزاي

مذكور في "الكرام البرره" ص ١٣٠، و نقول:

أصله من "أراك" و أقام سنين في كربلاء متتلماذا علي جماعه منهم السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض ثم ابنه السيد محمد المجاهد الطباطبائي، كما بقي مده في مشهد الرضا ع مستفيدا من ملا رضا الأسترآبادي.

و يقول في بعض كتاباته انه صدق أهليته للاستنباط أستاذاه السيد المجاهد و الأسترآبادي و ميرزا أبو القاسم الجيلاني القمي صاحب القوانين و الشيخ موسى كاشف الغطاء النجفي و ملا إسماعيل العقداي اليزدي.

بدأ بالتأليف أوان البلوغ أو قبله بقليل، و له شعر فارسي كثير يتخلص فيه ب "فدائي"، و وجدت على نسخه من كتابه "قره العين الناظره" هذه العبارة نصا "قد مات مصنف هذا الكتاب المستطاب تغمده الله بغفرانه و جعل مثواه بحبوحه جناحه فى ليله الخميس سابع شهر ذى القعدة سنه مائتين و ستين و اثنتان بعد الألف..". (٥)

الميرزا محمد الأخبارى بن الميرزا أمان

توفى سنه ١٢٨٩ فى لكهنو (الهند).

من مشاهير علماء لكهنو، اشتهر بالوعظ و الخطابه، و كان اخبارى الاتجاه، ذا علاقته قويه مع المفتى محمد عباس و غيره من العلماء.

سافر إلى العراق و ايران و التقى بكبار العلماء هناك و أجزى من بعضهم، ثم رجع إلى كلكته استجابته لطلب واجد على شاه.

له من المؤلفات: زهد و تقوى فى بحث من و سلوى، و خواتيم الصالحين و غيرهما.

الميرزا السيد محمد بن السيد أحمد الهاتف الأصفهاني:

اشتهر بلقب (سحاب)، و كان شاعرا معاصرا لفتح على شاه القاجارى و أحد المادحين له، ألم بالعلوم النظرية الإيرانية القديمه و الطب و النجوم و حظى باحترام فتح على شاه. و إضافه إلى كونه شاعرا، عرف بتضلعه فى معرفه الشعر و الفنون الأدبيه، و كتب (تذكرة رشحات سحاب) باسم فتح على شاه، و لكنه لم يكملها، و فارق الحياه عام ١٢٢٢ هـ.

عرفت أشعار سحاب ببساطتها و عدوبتها. و بلغ ديوان أشعاره خمسه آلاف بيت (٤)

الحاج محمد بن أحمد الشريف

من أعلام أوائل القرن الحادى عشر، قابل و صحح مرتين نسخه من كتاب "تهذيب الأحكام" قابل عليها الشيخ رشيد الدين محمد السبهرى نسخته فى سنه ١٠٣٦ و ذكره مع جملة "رحمه الله" (٧)

الشيخ محمد بن أحمد صاحب آيات الأحكام بن إسماعيل بن عبد النبى الجزائرى النجفى

مترجم فى كتاب "ماضى النجف و حاضرها" ٩٢/٢، و نقول:

قرأ عليه الشيخ حسن بن سليمان العاملى الحديث و الدرايه و الفقه، فأجازه روايه فى يوم الأحد ٢٩ ربيع الثانى سنه ١١٦٤ (٨)

محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

كان فى الكوفه فينما هو فى بعض الأيام يمشى فى بعض طرق الكوفه

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.
- ٧- السيد أحمد الحسيني.
- ٨- السيد أحمد الحسيني.

إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمل الرطب فلتقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث، فسألها عما تصنع بذلك؟ فقالت انى امرأه لا رجل لى يقوم بمثونتى و لى بنات لا يعدن على أنفسهن بشىء فانا أتبع هذا من الطريق و اتقوته أنا و ولدى.

فبكى بكاء شديد، و قال: أنت و الله و أشباهك تخرجوننى غدا حتى يسفك دمي(١).

الميرزا محمد تقى بن آقا صالح بن أسد الله البروجردى

فاضل، من تلامذه السيد ريحان الله الموسوى الكشفى البروجردى و نقل عن شيخه بعض الفوائد العلميه فى مجموعه كتبها فى جمادى الأولى سنة ١٣٠٣، كما أنه عظم فى آخرها جده الميرزا أسد الله البروجردى غايه التعظيم(٢).

محمد حسن على خير بورى بن مير محمد نصير خان

ولد سنة ١٢٤٠ فى حيدرآباد (الهند) و توفى فيها سنة ١٣٢٤ و دفن فى كربلاء. درس على علماء عصره و كان ممن اعتقلهم الإنكليز و اعتقلوا والده فنالا من تعذيبهم ما نالا حتى مات أبوه خلال الاعتقال.

ترك من المؤلفات: لسان الحق، و هو فى جواب ميزان الحق، و أحسن البيان، أجوبه مسائل محمد على خان، و حمله حيدر يه (و هو باللغه السنديه) و مختارنامه، و فتح نامه، و ترجمه نهج البلاغه نظما باللغه السنديه.

الشيخ محمد حسن بن محمد رحيم اللنجاني الأصبهاني

فاضل متتبع عارف مؤرخ أديب شاعر بالفارسيه، من أعلام القرن الثالث عشر فكان يقيم بأصبهان.

له "جنه الأخبار" أتم تأليفه (٣).

السيد محمد حسن بن السيد محمد النجفى،

المعروف بآغا نجفى القوچانى.

ولد سنة ١٢٩٥ فى قريه خسرويه من توابع قوچان و توفى سنة ١٣٦٣ فى قوچان.

درس أولا- فى قريته ثم فى توچان [قوچان] و بعد دراسه ثلاث سنوات فيها توجه راجلا إلى (مشهد) حيث تابع دراسته. و فى سنة ١٣١٣ توجه راجلا مع رفيق له إلى أصفهان فدرس فيها منظومه السبزوارى على الآخوند الكاشى و الرسائل على الشيخ عبد الكريم الكزى و الفلسفه و الكلام على الميرزا جهانگير خان القشقائى. و كانت حياته فى أصفهان شاقه لضيق ذات يده. و بعد أربع سنوات فى أصفهان توجه إلى النجف راجلا، فحضر دروس الشيخ محمد كاظم الخراسانى و اختص به و ناصره فى الحركه الدستوريه. كما درس على غيره. و بعد اقامه عشرين سنة فى النجف عاد سنة ١٣٣٨ إلى ايران و أقام فى قوچان، و قضى فيها خمسا و عشرين سنة فى الهدايه و الإرشاد و التدريس و القضاء. له عدده مؤلفات أهمها: سياحه شرق (سياحه فى الشرق) و يكاد يكون هذا الكتاب سيره ذاتيه له.

و من مؤلفاته سفرى كوتاه به آباديهائى قوچان (رحله قصيره إلى قرى قوچان) تحدث فيها عن الأوضاع الاجتماعيه و الاعتقاديه للفلاحين.

و غير ذلك.

محمد حسن القزوينى الشيرازى

يعد واحدا من كبار شعراء العهد القاجارى و من صوفييه. ولد فى شيراز، و درس مقدمات العلوم على أبيه، و كان يتمتع بميل فطرى إلى الساحة و الرياضه الروحيه و التحقيق و التمحيص، و انتهى به الأمر إلى العارف المشهور عصرئذ الميرزا أبو القاسم سكوت الشيرازى، فنهل منه و دخل فى سلك مريديه، و قد تنقل ردحا من الزمن من مدينه إلى أخرى حتى استقر به الأمر بعد وفاه مرشده الميرزا أبو القاسم سكوت فى مدينه شيراز و أقام فيها حتى توفى عام ١٢٤٩ هـ أو ١٢٥٠ هـ و له من العمر ٥٧ سنه، فدفن فى مقبره الأحمديه بالقرب من قبر مرشده.

ذكر رضا قلى خان هدايت انه: "كان صاحب مكانه فى فن الشعر، و له سوى القصائد بضع منظومات فى المثنوى، منها: مثنوى إلهى نامه، مثنوى شترنامه - مثنوى مهر و ماه - وامق و عذرا - وصف الحال و غيرها(٤)

الشيخ محمد حسن بن محمد على بن الحسن الأسترآبادى الجابرى الأنصارى النجفى

عالم عارف أديب شاعر بالفارسيه، من أصدقاء الشيخ محمد قاسم الكاظمى المعروف بابن ألوندى، كتب فى سنه ١٠٩٥ مجموعته من شعره(٥)

السيد محمد حسن بن محمد العسكرى الحسنى السمنانى

عالم فاضل حسن الإنشاء بالفارسيه مطلع على العلوم الدينيه، من أعلام القرن الثالث عشر.

له "منهاج العارفين و معراج العابدين" أتم تأليفه سنه ١٢٤٨، و "مقاصد العابدين"(٦)

الشيخ محمد حسن بن محمد إبراهيم بن عبد الغفور اليزدى

مذكور فى "الكرام البرره" ص ٣٠٣، و نقول:

أصله من مدينه "يزد" و بها ولد و نشأ، و كان مولده فى ليله الاثنين ١٩ جمادى الأولى سنه ١٢٣٢.

أقام مده بالنجف الأشرف للتحصيل، و كان له اهتمام بكتب الحديث و ما يخص بتراث مسقط رأسه، فكتب و استكتب جملة منها و قابلها و صححها و دقق فيها، و من جملة ما كتب بعض أجزاء كتاب "سرور المؤمنين" للسيد أحمد الأردكانى فى سنتى ١٢٧٠ - (٧)

-
- ١- مقاتل الطالبين.
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- السيد أحمد الحسيني.
 - ٥- السيد أحمد الحسيني.
 - ٦- السيد أحمد الحسيني.
 - ٧- السيد أحمد الحسيني.

السيد الميرزا محمد جعفر الموسوي الشهرستاني ابن محمد حسين الموسوي الشهرستاني بن السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني بن أبي القاسم

الفقيه العالم المحقق المولود في كربلاء سنة ١٢٠١ و المتوفى في كرمانشاهليه عيد الغدير ١٨ ذى الحجه ١٢٦٠ بعد منصرفه من
مدينه أصفهان في طريق عودته إلى مسقط رأسه كربلاء، معه ولده السيد محمد على الشهير بالسيد ميرزا الذي نقل جنازته من
كرمانشاه إلى كربلاء و دفن جنب والده في مقبره الشهرستانيه في رواق الروضه الحسينيه المطهره.

و كان المترجم قد سافر إلى أصفهان أواخر سنه ١٢٥٣ لمطالبه مستاجري أوقاف أجداده و لا سيما وقف الوزير الميرزا فضل الله
الشهرستاني في أصفهان و سائر مدن ايران بدلات الايجار لأنه كان المستولى عليها بعد وفاه والده و جده، غير أن السيد محمد
باقر الرشتي الأصفهاني قاضى الشرع هناك نقض حكمه الأول بتولية المترجم و ولي غيره على التولية مما دعاه إلى الاسراع في
العودة إلى كربلاء لكن الأجل لم يمهل حيث انه أثناء مروره بكرمانشاه اشتد عليه المرض و وافته المنيه فيها.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في مصنفه (الكرام البرره في القرن الثالث بعد العشره) جزؤه الأول عن المترجم:

هو السيد الميرزا محمد جعفر بن السيد محمد حسين بن الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني الحائري من فقهاء كربلاء
الاعلام في عصره. رأيت في (مكتبه الشيخ عبد الحسين الطهراني) الموقوفه في سنه ١٢٨٨ بعد وفاه صاحبها بعامين عده من
رسائل المترجم في جواز البقاء على تقليد الميت و في الغيبه و في العصر و في نجاسه المرق الواقفه عليه قطره من الدم حين
غليانه و رأيت له في مكتبه السيد ميرزا على الشهرستاني المتوفى سنه ١٣٤٤ كتاب أنساب الوحيد البهبهاني و ذريته و اتصاتهم
بالسلسله المجلسيه و فيها له أيضا رساله في رفع شبهه في موقفه الميرزا فضل الله الشهرستاني باصفهان فرغ من بعضها في).
إلخ.

أقول: أما رسائل المترجم المشار إليها أعلاه و التي نذكر فيما يلي بالتفصيل فهي خطبه و بخط المترجم، و قد دونت بين دفتي
مجموعتين فقط إحداهما في مكتبتى و هي المنوه بكونها موجوده في مكتبه السيد ميرزا على الشهرستاني حيث انها انتقلت لى: و
الأخرى محفوظه في مكتبه (جامعه طهران) و هي من ضمن الكتب المهداه من السيد محمد مشكاه أستاذ الجامعه في طهران إلى
تلك المكتبه. و أعتقد أنها هي النسخه التي كانت موجوده في مكتبه الشيخ عبد الحسين الطهراني. و مجموع الرسائل تسعه و
هي:

١ - رساله دفع شبهات السيد محمد باقر حجه الإسلام الرشتي الأصفهاني بشأن موقوفات الميرزا فضل الشهرستاني (وزير
أصفهان).

و هي باللغتين العربيه و الفارسيه. و الظاهر أن المنيه لم تفسح له المجال بإتمامها.

٢ - رساله في جواز البقاء على تقليد الميت: انتهى، المترجم من تأليفها و كتابتها في شهر ذى الحجه سنه ١٢٥٣ بمدينه قزوین.

٣ - رساله وجيزه فى الغناء: أتمها المؤلف فى ٢٥ ربيع الأول ١٢٥٧ باصفهان.

٤ - رساله فى الغيبه: انتهى المؤلف من تدوينها فى ٩ جمادى الأولى ١٢٥٧ باصفهان.

٥ - رساله فى حكم من تيقن الطهاره و الحدث و شك فى المتأخر:

أنجزها فى ١٩ صفر ١٢٦٠ باصفهان.

٦ - رساله وجيزه فى حكم العصير (عصير العنب): أتم تأليفها و كتابتها فى ١٩ محرم ١٢٥٨ باصفهان.

٧ - رساله فى طهاره ما فى القدر و حليته لو وقعت فيها قطره من الدم حال غليانه: انتهى منها فى ٢٨ ربيع المولود سنه ١٢٥٨ باصفهان.

٨ - رساله فى أصل حكم الشبهه المحصوره، أنجزها فى الثانى من شهر صفر ١٢٦٠ باصفهان.

٩ - رساله فى سلسله نسب الآقا باقر البهبهانى و اتصاله بالمجلسى و ذريته، و هى بالفارسيه لم يتمها المترجم (١)

محمد تقى بن أحمد البروجردى

فاضل من أعلام أواخر القرن الثانى عشر و أوائل القرن الثالث عشر، أديب منشئ شاعر بالفارسيه يتخلص فى شعره بـ "تقى"، و كان مقيماً بكاشان و يمتهن، الوعظ و الخطابه (٢)

محمد تقى السبزواري، أمين الواعظين

فاضل مشغول بالوعظ و الإرشاد، من أعلام القرن الثالث عشر، جيد الخط رأيت بعض ما كتبه من الكتب بخطه الجميل و ليس فيه تاريخ الكتابه. أصله من سبزواري و كان ساكناً فى يزد (٣)

محمد تقى بن محمد رضا

عالم فاضل ملم بالعلوم النقليه كالحدِيث و الفقه و العلوم العقلية كالفلسفه و الكلام و غيرها، أديب شاعر بالفارسيه جيد الشعر حسن الخط، من أعلام القرن الحادى عشر و كان يعرف بـ "شاه تقى". له مكتبه غنيه رأيت نسخاً منها بتملكه و خاتمه "عز من قنع و ذل من طمع محمد تقى" على كثير منها قيود علميه و نماذج من شعره.

رأيت نسخه من كتاب "الاستبصار" كتب المترجم له عليها حواش تدل على علو كعبه فى العلوم النقليه. كما رأيت نسخه من "شرح تجريد العقائد" للقوشجى كتبها أثناء قراءته له كل يوم درس و كل أسبوع جزء، و كتب فى آخرها مقداراً من أبياته المفرده و مقاطيعه و أكثرها فى المعنى و التاريخ و رباعيات و بعضها نظمت سنه ١٠٥١ - (٤).

السيد محمد تقى بن مير محمد تقى بن مير رضا بن مير قاسم أمير الحاج ابن مير محمد باقر قافله باشى الحسينى القزوينى.

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى

ذكر المترجم له نسبة كما ذكرناه في بعض تاليفه، و هو مذكور كذلك في كتب التراجم، و لكن ذكر أيضا هو نفسه بعنوان "محمد تقى بن الأمير مؤمن الحسينى" في بعض تاليفه الأخرى، و كذلك وجدته مذكورا في مخطوطات متفرقة بعضها بخط بعض تلامذته.

كان بالإضافة إلى مكانه الرفيع في العلم و العمل أديبا شاعرا بالفارسيه و العرييه، و وجدت بخط أحد تلامذته تشظيرا له لقصيده السيد محمد مهدي بحر العلوم النجفي في رثاء الامام الحسين ع و نظم دعاء كميل بن زياد النخعي بالفارسيه و قصائد أخرى(١).

السيد محمد تقى بن محمد حسن الرضوى

عالم فاضل جليل جامع لأطراف العلوم، له إنشاء حسن و شعر فارسي جيد و عربى ليس بالعالى، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و لعله عاش في أوائل القرن الرابع عشر، رأيت له كتابات متفرقة بعضها بتاريخ ذى الحجه سنه ١٢٩٤ في كربلاء(٢).

الشيخ محمد تقى موفق

فاضل أديب شاعر بالفارسيه يتخلص في شعره ب "موفق"، و لعله كان من أفاضل القرن الثالث عشر(٣).

الميرزا محمد تقى المراغى

فاضل أديب شاعر طويل النفس، من أعلام القرن الثالث عشر و توفي قبل سنه ١٢٤١ التى كتب فيها الشيخ محمد حسن الخوئى قصيده منه في مجموعه مع ذكره ب "المغفور المرحوم".

و هو غير المولى محمد تقى بن محمد على المراغى المذكور في الكرام البرهه ص ٢٢٤، إذ توفي هذا بعد سنه ١٢٥٠(٤).

الميرزا محمد تقى الشريف الرضوى القمى

من أعلام القرن الثانى عشر، توفي بعد عمر بلغ الأربع و الثمانين سنه و دفن في النجف الأشرف، ذكره ابنه الميرزا محمد باقر الرضوى القمى في أول كتابه "مشارك المهتدين" من جمله شيوخ إجازاته معبرا عنه ب " فأول من صح لى روايته قراءه و عرضا و سماعا و إجازه و مناوله و اعلاما والدى المعظم و شيخنا الأعظم ذو الفطره القدسيه و الملكات الملكوتيه و الكمالات النفسانيه الزاهد العابد الكامل البذل الباذل الواصل، الذى لم أر باستحضاره من المسائل أبدا و لا فى فضيلته و تقواه من بين الأمثال أحدا..".

و ذكر من شيوخ والده صاحب الترجمة: ابن عمه الوالد الميرزا حسن بن عبد الرزاق اللاهجي القمى، المولى محمد باقر المجلسى، آقا جمال الدين محمد الخونسارى [الخونسارى].

توفي قبل سنه ١١٥٦(٥).

ميرزا محمد تقى الطوسى

فاضل أديب، كان من أحرار المشروطيه و كافح من أجلها كل الكفاح.

كان مديرا الجريده (صبح أميد) في أصفهان. توفى سنه ١٣٦٢ في أصفهان(٤)

الميرزا محمد حسن

الملقب بالنجفي لأن جده كان قد سكن النجف ابن الآقا محمد علي ابن الآقا محمد باقر بن محمد باقر الهزارجربى المازندراني.

توفى سنه ١٣٠٥.

في تتمه أمل الآمل هو العالم الفقيه ابن العالم الفقيه ابن العالم الفقيه من بيت العلم الزاخر و الأفاضل الأجلء الأماثل كان من أهل الفضل و التحقيق و الغور و التدقيق من فحول الفقهاء المفرعين و الأصوليين المجتهدين و حكام الشرع المسلم لهم و الشيوخ المعاصرين ذا فكر عميق و نظر دقيق مصداق الولد على سر أبيه جرى ذكره يوما عند سيدنا الميرزا الشيرازى فقال انى أشهد بوثاقته و اجتهاده عن معاشره و اختبار و كان في أصفهان من مراجع الإسلام و الحاكم المطاع الذى لا يختلف فيه اثنان " اه " .

رحل إلى النجف و تخرج بعلمائها و منهم صاحب الجواهر و الشيخ مرتضى الأنصارى و تخرج في كربلاء بصاحب الضوابط و الدلائل و صار من وجوه علماء أصفهان و أم فيها و قلد إلى أن توفى عن ولد اسمه الشيخ محمد على من الطلاب المحصلين في النجف قام مقام أبيه.

السيد محمد حسين بن السيد حسين الزيدى البار هوى اللكهنوى

ولد سنه ١٢٧٦ في لكهنو (الهند) و توفى فيها سنه ١٣٣٧.

ترعرع برعايه والده في أجواء العلم و الايمان، بدأ دراسته الأولى على أبيه و بعض المعاصرين، و في ذهب إلى النجف و كربلاء للدراسه فأجيز من الشيخ زين العابدين المازندراني و الشيخ محمد حسين المازندراني و السيد إسماعيل الصدر.

ثم عاد إلى لكهنو و قام بالتدريس و الخطابه و تجول في الهند و قصد بومباى و غيرها للتبليغ و الخطابه.

من مؤلفاته: تفسير البرهان، و القول المفيد في مسائل الاجتهاد و التقليد، و حديقه الإسلام ثلاثه مجلدات و غيرها.

و ترجم إلى الأردويه كتاب نهج البلاغه، و الصحيفه الكامله.

محمد حسين بن محمد الفاضل

مشتغل بالفلسفه و العلوم العقليه، عارف صوفى مرشده صدر الممالك، خطاط يكتب خط النسستعليق الفارسى بمنتهى الجوده حتى أنه يذهب بعض إلى مقارنته للخطاط المشهور مير عماد القزوينى. ملكك مجموعه فلسفيه فكتب على هوامش الرسائل

تعاليق داله على تبجره فى الفلسفه لالهيه [الإلهيه]. و على الورقه الأولى من المجموعه المذكوره كتابه منه بتاريخ (٧)

ص: ٢٥٢

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- السيد أحمد الحسينى.
 - ٦- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
 - ٧- السيد أحمد الحسينى.

الشيخ محمد حسين بن محمد جعفر الصدوقى النطنزى، صدر الشريعه

عالم متضلّع فى العلوم الإسلاميه خبير بالعقليات و النقليات، فاضل أديب شاعر بالفارسيه و العربيه، حسن الخط فى كتابه المستعليق، حسن الإنشاء بالعربيه و الفارسيه، له ذوق فى مؤلفاته و كيفيه تنظيمها.

كان يقيم بمدينه "نطنز" و يتولى الشؤون الدينيه بها، ينتهى نسبه إلى الشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمى كما صرح بذلك فى بعض مؤلفاته، و لذا كان يلقب بـ "الصدوقى"، و كان يلقب أيضا بـ صدر الشريعه".

له "الصدريه فى شرح الصمديه" و "الصرط المستقيم" و "الضيايئه" و "القواعد السراجيه فى شرح الضيايئه" بدأ بتأليفه سنه ١٣٢٦(١)

الشيخ محمد حسين النجفى بن أبو القاسم

ولد سنه ١٣٠٣ فى النجف و توفى سنه ١٣٨٧ فى طهران و دفن فى قم نشأ فى رعايه أمه و أخواله. و درس دراسته الأولى فى كربلاء و فى سنه ١٣١٣ أرسله جده إلى سامراء إلى حوزة السيد محمد حسن الشيرازى و بعد وفاه الشيرازى بقى فى سامراء مواصلا دراسته، ثم جاء إلى بومباى فى الهند حيث بقى فيها مرشدا دينيا طيله أربعين سنه.

و لما هاجم الروس ايران سنه ١٣٢٩ و أفتى علماء النجف بالجهاد، استجاب لهذه الفتوى كثير من الهنود لا سيما من العلماء و الطلاب، و بينهم المترجم فسافروا إلى ايران. ثم عاد المترجم إلى بومباى فأنشأ مدرسه دينيه.

و فى سنه ١٣٥٣ أسس جمعيه حمايه الإسلام. و فى سنه ١٣٥٤ أنشأ مجله (اثنا عشرى) شهريه. و فى سنه ١٣٥٨ أنشأ جمعيه اخوان الصفا.

و فى سنه ١٣٦٩ أنشأ جريده (صوت النجف).

من مؤلفاته: ارمغان إسلام فى أربعة مجلدات فى الأخلاق و العقائد و الفقه و الثقافه العامه، و كتاب (خزينه دانش) و غير ذلك.

السيد محمد حسين بن جعفر بن باقر بن القاسم الحسينى القزوينى

من الأفاضل المختصين بالبرغانى، و تتلمذ على المولى محمد صالح البرغانى، و نسخ جملة من آثارهم الفقيهيه و غيرها.

أتم نسخ كتاب القضاء من "منهج الاجتهاد" فى يوم الجمعة تاسع ربيع الأول سنه ١٢٦٠ و علق عليه تعاليق قليله داله على اشتغاله بالفقه و فضله فيه.

كما أنه أتم كتابه كتاب "نجاه المؤمنين في معارف الدين" للمولى محمد صالح البرغانى فى يوم الاثنين ١٣ جمادى الثانيه سنه ١٢٤٢ و صرح فى آخره أن البرغانى أستاذة(٢)

الميرزا محمد حسين خان الأصفهاني،

الملقب بذكاء الملك ابن محمد مهدي المعروف ب (أرباب الأصفهاني) أحد المؤلفين و الشعراء المتحررين فى العصر القاجارى. ولد فى أصفهان عام ١٢٥٥ هـ، و درس مقدمات العلوم على أساتذته مدنته و ترقى على أيديهم فى فنون الأدب، ثم أنشا يحقق فى نتاجات الشعراء، فسافر فى سبيل ذلك إلى العديد من المدن الإيرانية. ثم سافر إلى العراق لإكمال دراسته و مكث فيه فتره من الزمن ثم عاد بعدها إلى طهران و اشتغل فيها ضمن جهاز محمد حسن خان اعتماد السلطنة محررا فى الصحف الرسميه.

و حين بدء ببناء عشرت آباد فى شمال طهران عام ١٢٩١ هـ بامر من ناصر الدين شاه، و قدم الشاه إلى المكان و زرع بيده أربع أشجار فى الحديقته و أخذ الآخرون يقتدون به، أنشدهم الميرزا محمد حسين الأصفهاني الذى كان يلقب نفسه آنذاك بالأديب الأصفهاني قصيده أعجبت الشاه فلقبه بالفروغى.

و محمد حسين الفروغى هو والد محمد على الفروغى (ذكاء الملك) و أبو الحسن الفروغى و هما من الشخصيات المشهوره المعاصره. كانت وفاته عام ١٣٢٥ هـ فى طهران فى الثمانين من عمره.

محمد حسين الأصفهاني:

المعروف فى أشعاره ب (زرگر الأصفهاني). أحد شعراء الغزل فى القرن الثالث عشر للهجره فى ايران. لم ترد ترجمه له فى تراجم الشعراء سوى انه عاش فى أواسط القرن الثالث عشر للهجره و كان يشتغل فى صياغه الذهب و توفى عام ١٢٧٠ هـ.

و قد قام أحمد الكرمى بجمع و طبع سبعين و نيف قطعه غزل لهذا الشاعر، و صدرت الطبعة فى طهران عام ١٩٨٣ م.

محمد بن الحسين بن على المقرئ

فاضل عارف بالتجويد و القراءات، استفاد من شرف الإسلام عباس بن محمد شاه بن محمد سلمان الغزنوى الهروى.

الظاهر أنه من أعلام القرن التاسع، و يبدو من تعبيره فى كتابه أنه هروى من أفغانستان.

له "التكميل فى بيان الترتيل" (٣)

السيد محمد حسين بن محمد على بن محمد كاظم الحسنى الحسينى الطباطبائى التبريزى

فاضل أديب شاعر بالفارسيه جيد الشعر و الإنشاء، و كان يتخلص فى شعره ب "نوا"، و هو من أعلام القرن الثالث عشر ظاهرا.

له "الحسينيه" فى مراثى الامام الحسين ع(٤)

الملا محمد حسين ضياء الأصفهاني

أحد مشاهير الشعراء فى العهد القاجارى يتصل من جهه الأب باسره معروفه بعلمها و أدبها و هى منحدره عن الملا محمد إسماعيل الخواجوى، و يتصل من جهه الأم بالميرزا مهدى خان مؤلف (دره نادرى) و (جهان گشای نادرى). جمع هذا الشاعر - بالاضافه إلى قدرته فى الشعر - علم الهيئه و النجوم و الهندسه و علم الحساب فكان

ص: ٢٥٣

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.

أستاذًا في هذه العلوم، و كان بارعا في خط نستعليق، و ينقل أن بيته لم يكن يخلو في وقت من الأوقات من الأدباء و الشعراء.

توفي عام ١٢٦٥ هـ في أصفهان، و دفن في مقبره (تخت فولاد)^(١).

محمد حسين سالمى

ولد في مدينه همذان عام ١٣٤٦ هـ و درس فيها ثم حاز الرتبة الأولى في الامتحانات فأرسل في بعثه دراسيه إلى فرنسا و درس فيها الرياضيات و الفيزياء العامه و الكهرباء و حاز على الدكتوراه من جامعه تولوز ثم عاد إلى ايران و صار أستاذًا في جامعه الفنيه بطهران و استمر يدرس طيله ٣٥ سنه كان يجيد اللغات العربيه و الإنكليزيه و الفرنسيه و الألمانيه، و الروسيه، خلف مؤلفات عديده في المجال العلمى و الأدبى بعضها تاليفه و بعضها ترجمه.

توفي عام ١٤١٥ هـ بطهران^(٢).

الميرزا محمد حسين بن محمد إسماعيل الحسينى التفرشى

انتقل إلى كربلاء و هو فى الرابعه و الأربعين من عمره بعد أن حصل العلوم العقلية و النقلية كما يقول، و هو يميل إلى العرفان و يشتغل بالعلوم الغريبه و له تبحر فيها و فى كتاباته التواء و تقعر، و كان يلقب بـ "جناب".

توفى بعد سنه ١٢٦٥.

له "قصبه الياقوت الثابته فى أجمه اللاهوت"^(٣).

السيد محمد رضى بن محمد تقى بن محمد على الحسينى الخلقى

فقيه يلقب بـ "شيخ الإسلام"، ساكن فى قريه "هراباد" و يرجع اليه فى المسائل الفقيهيه و الأمور الدينيه.

له "الحنفيه فى مناسك الحج و العمره" مناسك ألفه سنه ١٢٨١^(٤).

الشيخ محمد رضا بن محمد حسين بن عبد الله

فاضل عالم مشغول بالفقه، كان من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر.

له "شرح شرائع الإسلام"^(٥).

محمد رفيع بن محمد شفيق القزوينى

من أعلام أوائل القرن الثانى عشر، فاضل جامع للعلوم الإسلاميه، كاتب أديب شاعر بالفارسيه "

السيد محمد الرضى الأكبر آبادى بن محمد

ولد حدود سنة ١٢٥٠ في الهند و توفي سنة ١٣٢٤.

كان عالما فاضلا، درس اللغتين العربيه و الفارسيه في جامعه على كره، و هو من تلاميذ السيد حامد حسين صاحب عباقت الأنوار سكن مده طويله أكره رغبه في مجاوره ضريح الشهيد القاضي نور الله الشوشترى، و قد بذل جهدا كبيرا في اشاده مزاره مؤيدا بذلك من أستاذه السيد حامد حسين.

من أبرز مؤلفاته: تنزيه القرآن.

السيد محمد رضى

توفى سنة ١٣٧٠ في الهند.

هو من بلده (زنگى بور) في الهند. كان من مشاهير العلماء المحققين، ألف عدده كتب و رسائل، و كتب كثيرا من البحوث في المجلات و الجرائد، و تولى اداره مدرسه (جوايه كالج) في بنارس، و عرف من مؤلفاته كتاب نظام الاقتصاد الإسلامى، و تفسير الرضيا لذي لم يكمله.

الشيخ محمد رضا بن محمد صادق الأسترآبادى

انتقل من بلده إلى طهران فأصبحت له صلات ببلاط فتح على شاه القاجار. و هو عالم جليل حسن التعبير و الإنشاء بالفارسيه شاعر أدرج نماذج من شعره في مؤلفاته.

يظهر من مقدمه كتابه "مرشد الواعظين" أنه كان عالما يستفتى منه و ألف كتبا استدلاليه و رسائل عديده و حقق في مسائل من العلوم و المعارف الدينيه.

هو من رجال القرن الثالث عشر (٦).

الشيخ محمد شريعتمدار المازندراني الباروشى

يروى إجازة عن الشيخ أحمد الأحسائي، و يروى عنه والده الشيخ محمد حسن شريعتمدار. توفى سنة ١٢٧١ (٧).

محمد سعيد بن محمد مقيم الارى

وهب له المولى محمد جعفر بن محمد حسين المازندراني نسخه من "الفتوحات" للجزائرى فى تاسع ربيع الأول ١١٢٩ و عظمه فيما كتبه على النسخه غايه التعظيم تدل على مقامه العلمى الرفيع و قدسه و تقواه (٨).

السيد محمد زكى الموسوى المشهدى الدرودى

فاضل أديب شاعر بالفارسيه، من أعلام القرن الثالث عشر (٩).

ولد سنة ١٢٧٠ فى بلده (وئد) و درس فيها دراسته الأولى ثم انتقل إلى أصفهان و فيها التقى بالسيد محمد كاظم اليزدى فكانا صديقين متلازمين و درسا معا على كبار الأساتذه فى أصفهان، ثم هاجر إلى النجف فكان من أساتذته كل من الشيخ زين العابدين المازندراني

ص: ٢٥٤

- ١- عبد الرفيع حقيقت.
- ٢- الشيخ محمد رضا الأنصارى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- السيد أحمد الحسينى.
- ٧- السيد أحمد الحسينى.
- ٨- السيد أحمد الحسينى.
- ٩- السيد أحمد الحسينى.

و الفاضل الايروانى و الميرزا حبيب الله الرشتى و الميرزا حسن الشيرازى.

و بعد قضاء اثنتى عشره سنه فى الدراسه تصدى للتدريس، و لكن سوء صحته دعاه إلى العوده إلى ايران فأقام فى مدينه شيراز و أنشا فيها حوزة علميه ظل يشرف عليها طيله أربعين سنه حتى وفاته.

توفى سنه ١٣٥٢ خلال إقامته فى طهران للمعالجه من أعراض صحيه فنقل جثمانه إلى قم فدفن فيها.

ترك مؤلفات منها: تبصره الناظرين، و كشف المرام فى قانون الإسلام، و كشف البيان فى تربيته الإنسان، و رساله فى الرد على الوهابيه، و مرآه الأصول، و رساله عمليه.

تخلف بثلاثه بنين هم: الفقيه السيد عنايه الله، و السيد عبد الحميد الذى عمل فى الصحافه، و الأديب السيد جلال الدين.

محمد شريف بن حامد الجيلانى

عالم جليل جامع لأطراف العلوم و أديب فاضل منشئ جيد الإنشاء بالعرييه، كتب ديباجه لكتاب محمد صفى بن أبو الفضل تدل على براعته فى الأدب العربى، و هو من أعلام القرن الحادى عشر.

لعله هو محمد شريف بن حاتم المذكور فى "الروضه النضره" و يكون اسم أبيه مصحفا فيه (١).

ميرزا محمد شفيق التبريزى

من مشاهير الخطاطين فى عهد الصفويه، لم يعرف تاريخ ولادته و وفاته و لكن كان حيا عام ١٠٨٥، كان خطه جميلا و توجد مجاميع بخطه حيث كان يجيد قلم النسعليق.

السيد محمد شفيق بن محمد بهاء الدين الحسينى القزوينى

من رجال القرن الثانى عشر، له شعر كثير جيد بالفارسيه و بعض الشعر العربى الذى لا يخلو من ضعف، و كان يتخلص فى شعره ب "قانع" (٢).

محمد شريف بن محمد صادق الخاتون آبادى

فاضل كان يشتغل بالطب، شديد الولاء لأهل البيت ع.

كان من سكنه مشهد الرضا ع و يلقب نفسه فى بعض مؤلفاته ب "الخادم" لأنه كان من خدمه الروضه الرضويه، و هو من أعلام أوائل القرن الثانى عشر.

له "تحفه الأبرار" ألفه سنه ١١١١ و "شرح طب الرضا" و "حافظ الأبدان" (٣).

محمد صادق الخسرشاهى

من أفاضل القرن الرابع عشر، كتب تعليقات يسيره على نسخه من كتاب "حدائق الحقائق" لمسكين الفراهي بعضها بتاريخ، و هي تدل على فضله و شدة مخالفته للعرفاء و الصوفيه (٤)

السيد محمد صادق بن علي نقى بن محمد علي الموسوي الزنجاني الأصبهاني

مذكور في "الكرام البرره" ص ٦٤٣، و نقول:

متبحر في الأدب العربي - بالاضافه إلى مكانته العلميه المرموقه - حسن الإنشاء جيد الشعر في العربيه و الفارسيه.

توفي بعد سنه ١٣٠٨ المؤلف فيها كتاب "معين الوارثين" الذي كتب صاحب الترجمة تقریظا له.

له "الدرر المنثور" أرجوزه في الإرث (٥)

محمد صادق الشريف الخراساني

فاضل عارف بالفلسفه و العلوم العقليه، لعله كان من تلامذه المولى هادي السيزواري في سيزوار، ملك نسخه من كتاب "الأسفار" في سنه ١٣٢٠ و كتب على أوائلها قيودا و حواشي داله على تبحره في المعقول، و هو أديب شاعر بالفارسيه يسلك في شعره مسالك العرفاء، و لعله كان يتخلص في شعره ب "أطوار" (٦)

الشيخ محمد صادق بن محمد أمين بن محمد علي الجهمي الحلبي

مترجم في "الروضه النضره" و تقول:

عالم فاضل فقيه، من أعلام القرن الحادي عشر و كان يسكن في شيراز، قرأ نسخه من كتاب "الأربعون حديثا" للشيخ بهاء الدين العاملي و كتب عليها حواش قليلة داله على علو كعبه في علوم الحديث.

له رساله في "وجوب السوره بعد الحمد" أتمها يوم الخميس ١٢ ربيع الثاني سنه ١٠٥٧ (٧)

السيد محمد الطباطبائي

المعروف بالميرزا السيد محمد السنكلجي بن السيد صادق ولد في كربلاء سنه ١٢٥٨ و توفي في طهران.

والده السيد صادق هو ابن السيد مهدي الطباطبائي من مجتهدي مدينه همذان. و والد السيد مهدي هو السيد علي بن السيد أبي المعالي من كبار فقهاء عصر فتح علي شاه.

و السيد علي أصله من أصفهان و لكنه ولد في الكاظميه بالعراق و سكن كربلاء، و من أشهر مؤلفاته كتاب (رياض المسائل) و شهره الكتاب عرف مؤلفه بصاحب الرياض.

انتقل المترجم من كربلاء إلى همذان و هو فى السنه الثانيه من عمره باشراف جده السيد مهدي. ثم انتقل و هو فى الثامنه إلى طهران و تربى برعايه والده فتعلم المقدمات و مبادئ العلوم و الأدب العربى ثم الفقه و الأصول على والده و الحكمه على الميرزا أبو الحسن جلوه و تلمذ فتره من الزمن على الشيخ هادى نجم آبادى بوصيه من والده فانتفع من تعليماته الأخلاقيه.

ص: ٢٥٥

- ١- السيد أحمد الحسينى.
- ٢- السيد أحمد الحسينى.
- ٣- السيد أحمد الحسينى.
- ٤- السيد أحمد الحسينى.
- ٥- السيد أحمد الحسينى.
- ٦- السيد أحمد الحسينى.
- ٧- السيد أحمد الحسينى.

و فى سنة ١٢٦٩ حج إلى بيت الله الحرام ثم توجه إلى العتبات المقدسه فى العراق و استقر فى سامراء و انتمى إلى حوزة السيد حسن الشيرازى الدراسيه. و فى سنة ١٣٠٠ توفى والده فاحضر أسرته إلى سامراء، و ظل فى سامراء ما يقرب من عشر سنوات و صار فيها من خواص السيد الشيرازى. و فى سنة ١٣١١ سافر إلى طهران و أقام فيها مرجعا دينيا.

بعد عوده مظفر الدين شاه من رحلته الثالثه إلى أوربا سنة ١٣٢٣ انضم المترجم إلى سيد عبد الله البهبهانى فى النضال السياسى، و قد ساهم فى الاعتصام بحرم عبد العظيم الحسنى ثم فى النزوح إلى قم إلى أن قامت الحياه النيابيه فكان من أركانها و أبرز خطبائها.

و بعد قصف المجلس النيابى بالمدافع قبض عليه و بعد الإفراج عنه سافر إلى (مشهد) مع أسرته، و بعد سقوط محمد على شاه و استقرار الحكم الجديد عاد إلى طهران، و قد مال إلى اعتزال السياسه.

و فى أواخر الحرب العالميه الأولى ذهب مع جماعه من الايرانيين إلى اسطنبول فأقام هناك حوالى سته أشهر قابلوا خلالها السلطان محمد رشاد و الصدر الأعظم طلعت ثم عاد إلى طهران سنة ١٣٣٦ و ظل فيها حتى وفاته معتزلا السياسه غير راض عما آلت اليه الحياه النيابيه التى ناضل فى سبيلها.

(راجع ترجمه السيد عبد الله البهبهانى و ترجمه الشيخ فضل الله النورى، فهذه التراجم الثلاث يكمل بعضها بعضا).

محمد محيط الطباطبائى

ولد سنة ١٩٠٤ م فى بلده (زواره) من أعمال أصفهان بايران و توفى سنة ١٩٩٢ م.

بدأ دراسته الأولى فى طفولته فى كتابات زواره. و فى سنة ١٩١٨ دخل مدرسه لطف على خان الترشيذى فى زواره نفسها، ثم انتقل إلى أصفهان فتلقى العلوم الحديثه و اللغه الفرنسيه فى مدرسه (كاسه گران) و لم تطل دراسته فيها حيث امتهن التعليم سنة ١٩٢٣ م فى مدرسه السادات الابتدائيه فى زواره. و فى سنة ١٩٢٤ سافر إلى طهران و انتمى إلى (دار الفنون)، ثم دخل معهد الحقوق.

و بعد ذلك تولى التدريس فى دار الفنون، و كليه الضباط، و دار المعلمين، و فى الجامعات الإيرانيه لا سيما جامعه طهران. و ساهم فى كثير من المؤتمرات العلميه و كتب لها بحوثا قيمه، و قد التقيت به فى أحد هذه المؤتمرات و هو مؤتمر ألفيه الشيخ الطوسى فى مدينه (مشهد).

كان كاتبا صحفيا نشيطا فكتب فى معظم المجلات و الجرائد الإيرانيه لا سيما جريده (اطلاعات). و نال جائزه مجمع الآثار الوطنيه، كما منحه جامعه الدكتور بهشتى دكتوراه فخريه. و كان يجيد عدده لغات.

ترك مؤلفات باللغه الفارسيه هى: (تاريخ إغرام [اعزام] محصل به أوربا)، (زندگى محمد زكريا الرازى)، و (دوران فادر [نادر])، (تاريخ تحول نثر فارسى در قرن سيزدهم)، و (تاريخ تجليلى مطبوعات ايران)، و (نقش سيد جمال الدين أسدآبادى [در] بيزارى [بیدارى] مشرق).

و بمرور سنه على وفاته نشرت احدى الصحف الطهرانيه عنه ما يلي: بحضور وزير الثقافه و الإرشاد الإسلامى و عدد من الشعراء و الجامعيين، تم احياء الذكرى السنويه الأولى لرحيل الكاتب و المحقق و الأستاذ الجامعى الدكتور محيط طباطبائى، و ذلك فى مرقدہ الواقع فى (ابن بابويه) جنوب طهران. و خلال ٧١ عاما من عطاء الراحل، عمل فى تحقيق ٢٠ ألف بيت شعر، و كتابه ٢٠٠٠ مقاله و رساله، و إلقاء ٦٠٠ محاضره.

و كان قد كتب ١٦ مقدمه لأعمال أدبيه و ثقافيه مشهوره فى ايران، منها: (بهارستان جامى)، و (بستان سعدى)، و (ديوان مجمر)، و (دور سيد جمال الدين فى إيقاظ الشعوب). إضافة إلى تاليفه لاثنى عشر مؤلفا، منها: تاريخ المطبوعات فى ايران، و تصحيح ديوان حافظ و گلستان سعدى و غيرها...

و هو، فضلا عن قيامه بالتدريس و التعليم، كان عضوا فى مؤتمر ألفيه الفردوسى و مديرا لمجله الترييه و التعليم، و رئيسا لتحرير مجله الموسيقى، و عمل ملحقا ثقافيا فى الهند و العراق و سوريا و لبنان.

الشيخ محمد بن عبد الله الكرمانشاهى

عالم فقيه فاضل، و لعله من أعلام القرن الثالث عشر.

له "تحقيق الخلع" (١)

الشيخ محمد بن عبد النبي بن نعمه الله البحرانى

فاضل، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له "الذكر و الدعاء" و "وسيله النجاه"، ثم [تم] يوم الخميس ٢٩ شعبان سنه ١٢٩٥ (٢)

السيد محمد بن عبد الحسين بن الحسن بن عبد الله الحسنى النجفى

ولد فى الخامس و العشرين من ذى القعدة سنه ١٠٢٥، و كتب مجموعته فى سنه ١٠٥٦ فيها رسائل كلاميه و غيرها و علق عليها بعض التعاليق الداله على فضل فيه و علم، و الظاهر أنه كان مقيما بأصبهان.

له "زياره الرضاع" و "فوائد حديثه" (٣)

محمد بن عبد الحى الشريف

الشهير بنصير الدين الامامأديب ناثر جيد التعبير حسن الأسلوب، كان يسكن بالبلد الأمين (مكة المكرمة) ثم جاب البلاد لطلب العلم و المعرفه، و لازم الشيخ بهاء الدين العاملى بأصبهان متلمذا عليه إلى أن خرج الشيخ منها فى سنه ١٠١٢ إلى آذربيجان، و مما قرأ عليه كتابه "العروه الوثقى" فكتب له إجازته فى آخره فى أواخر العشر الأول من شهر ذى القعدة سنه ١٠١٢ و قال فيها:

"قرأ على الولد الأعز الأجد الأفضل ذو الطبع الوقار و الدهن الألمعى النقاد و الفطره العالیه و الفطنه الجالیه و التدقیقات الفائقه و التحقیقات الرائقه... قراءه فهم و إتقان و فحص و ايقان و استشراف عن الخفايا و استكشاف عن الجنایا.." (٤)

ص: ٢٥٦

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.

السيد محمد طاهر بن أبي طالب الحسيني

فقيه متضلّع جامع، له إنشاء جيد و خط جميل يدلان على ذوقه الحسن في الكتابه و التأليف، توفي بعد سنه ١٢٦٠.

له "مناسك الحج" ألفه سنه ١٢٥٦(١)

ميرزا محمد علي خان بن قنبر علي السدهي الأصفهاني الملقب بشمس الشعراء

ولد في قريه (سده) على مسافه ثلاثه فراسخ من أصفهان سنه ١٢٢٨ و توفي سنه ١٢٨٥ في طهران و دفن في قم.

كان شاعرا مجيدا يتخلص في شعره باسم سروش (النداء السماوي). و قد لقبه ناصر شاه الملك القاجاري بشمس الشعراء.

و شعره من نوع السهل الممتنع، بعيد عن التعقيد و الغموض.

هاجر من أصفهان سنه ١٢٤٧ إلى كلبايجان ثم منها إلى طهران و مكث فيها سنتين ثم سافر إلى آذربايجان في حاشيه ولي العهد ناصر الدين، ثم رجع معه و هو ملك إلى طهران سنه ١٢٦٤ بعد خمس عشره سنه من الإقامه في آذربايجان.

أكثر قصائده في مدح الرسول (ص) و أهل البيت (ع)، و هي القصائد التي سميت (شمس المناقب). و قصائد في رثاء الحسين (ع) مشهوره تناقلتها الألسن.

كما انه نظم تاريخ الدوله القاجاريه في ديوان كبير على طريقه الشاهنامه.

له خمس دواوين شعريه: واحد في مدح الرسول و عترته، و واحد في غزوات علي (ع)، و واحد في مراثي الحسين (ع)، و واحد

في تاريخ القاجاريين، و واحد في القصائد و الغزليات(٢)

الشيخ محمد علي بن محمد صادق النيشابوري

فاضل متتبع عن الإنشاء بالفارسيه، من أعلام القرن الثاني عشر، و لعله كان من علماء النجف الأشرف.

له "نجاه المؤمنين" ألفه سنه ١١٤٨(٣)

السيد محمد الموسوي بن زين العابدين

فاضل من أعلام القرن الثالث عشر، له اهتمام بالكتب المخطوطه و دقه في نسخها و مقابلتها، كتب مجموعه فيها "حاشيه مشرق

الشمسين" للمولى محمد إسماعيل الخواجوي دونها من خط المؤلف و أتم كتابتها في يوم الأحد ٢٥ شهر شوال سنه ١٢٧٢(٤)

محمد مؤمن الأردستاني

له فوائد رياضييه فقيهه كتبها بخطه في مجموعه كتبت في القرن العاشر، و هو من أعلام القرن الحادي عشر ظاهرا(٥)

محمد قاسم بن محمد شريف

فاضل متتبع في الحديث ذو اطلاع لا بأس به في العلوم الدينيه، له نشاط في التأليف والتصنيف و أكثر كتبه في العقائد والآداب الإسلاميه و الأخلاق و ما أشبه ذلك. ولد بعد سنه ١١٧٠ و كان حيا إلى سنه ١٢٣٤.

له "آداب الجنائز" و "آداب الصلاه" و "أخلاق المؤمنين" و "أرباح المتاجر" و "أركان الايمان" و "أصول الدين" و "ترجمه الصلاه" و "تعقيب الصلاه" و "تنبيه المؤمنين" و "جنه الزائر" و "زبده الأخبار" و "زينه الاخبار" و "زينه الأعمال" و "سراج الليل" و "سواء المنهج" و "فضائل التمتع" و "فضائل الصلاه" و "مباحثه النفس" و "مصباح الأنوار" و "مفتاح النجاه" و "مفرح القلوب" و "مقصر الآمال" و "مناهج التوايين" و "مناهج الدعوات" و "مناهج الزيارات" و "مناهج العلماء" و "مناهج العلوم" و "نصائح الأولاد - الصغير" و "نصائح الأولاد - الكبير" (٤)

محمد كاظم بن محمد شريف الطبيب بن محمد صادق الخاتون آبادي

عالم مدرس بمشهد الرضاع، لقب نفسه في بعض توقيعاته "المدرس الخادم" و صرح في بعضها أنه خادم الروضه الرضويه و مدرس بالجامع (جامع گوهرشاد؟) كتب مجموعه فيها رسائل فقهيه في سنه ١١٠٧ - ، و كتب تلميذه رضا علي بن محمد تقى الرساله الأولى من نفس المجموعه مصرحا بأنه من تلامذته و قد عظمه و بجله (٧)

محمد كاظم بن الرضا الطبرى

فاضل كاتب شاعر لغوى متمكن في الفارسيه، عارف بالنجوم و الحساب و العلوم الرياضيه و الجغرافيا و الهندسه، يجيد العربيه و الإنجليزيه، من أعلام القرن الثالث عشر.

له "جوامع العلم" ألفه سنه ١٢٤٣، و "فصول طبرى" و "كلمات مخزونه" و "حل التراكيب" (٨)

محمد كاظم رحمت

أديب شاعر بالفارسيه، يتخلص في شعره ب "رحمت" و شعره الذى رأيته فى رثاء الامام الحسين ع. ولد سنه ١٢٠٦ و توفى بعد سنه ١٢٤٨.

له "نظم المصائب فتح على شاه" و "نظم المصائب ناصر الدين شاه" (٩)

الآخوند الملا محمد الكاشانى

ولد سنه ١٣٣٣ [١٢٣٣] و توفى فى أصفهان و دفن فى مقبره تخت فولاد جمع بين الفقه و الفلسفه، و كان من كبار مدرسى فلسفه الملا صدررا فى

- ١- السيد أحمد الحسيني.
- ٢- الشيخ محمد رضا الأنصاري.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد أحمد الحسيني.
- ٥- السيد أحمد الحسيني.
- ٦- السيد أحمد الحسيني.
- ٧- السيد أحمد الحسيني.
- ٨- السيد أحمد الحسيني.
- ٩- السيد أحمد الحسيني.

أصفهان، و كان يوافق بين الفلسفه و العرفان. و هو معاصر لعالم الفلسفه جهانگير خان قشقالى [القشقالى]، و كان وجودهما معا و كفاءتهما مما أدى إلى إقبال طالبي الفلسفه على أصفهان من كل مكان.

و كان أستاذا في الحكمة لكثيرين من طالبيها أشهرهم الشيخ محمد حكيم الخراسانى المتوفى سنه ١٣٥٠ و الحاج آغا رحيم أرباب المتوفى سنه ١٣٩٦ و الميرزا أبو القاسم محمد نصير الشيرازى المتوفى سنه ١٣٣٠ و السيد محمد رضا الخراسانى.

و عدا عن تبحره في الفقه و الأصول و الحكمة فقد كان متبحرا في الأدبين العربى و الفارسى و الرياضيات.

و لا يعرف إن له مؤلفات.

الشيخ محمد قاسم الخخالى، الفاضل

عالم جليل ذو فضيله و درايه في العلوم الإسلاميه و توغل في الفلسفه و العرفان، من أعلام القرن الرابع عشر و كان يسكن في طهران و يدعى بـ "الفاضل".

له "شرح دعاء السحر" أتمه سنه ١٣٢٣(١)

محمد قاسم بن غلام على الطبيب الرستمدارى

طبيب عارف اشتغل بالفلسفه و العلوم العقلية، كتب نسخه من كتاب "لوامع الأسرار" للقطب الرازى، و أتم كتابتها في شهر رجب سنه ١٠٤٩ ثم قرأ الكتاب من أوله إلى آخره(٢)

محمد قاسم بن محمد عسكر اليزدى

كتب نسخه من كتاب "الأمالى" للشيخ الصدوق و أتمها في يوم الثلاثاء ١٢ محرم سنه ١٠٨٨ ثم قابلها، فهو من المشتغلين بعلم الحديث(٣)

محمد بن قوج على الحاجى آبادى الأسترآبادى

من أعلام القرن الثالث عشر، أقام سنين في العتبات بالعراق للتحصيل، من أساتذته في كربلاء شريف العلماء المازندرانى.

له "تقرير أبحاث شريف العلماء" في الأصول أتمه سنه ١٢٤١(٤)

السيد محمد بن على بن نظام الدين الجبلى العقلى

كتب بأسترآباد مجموعته في سنه ٩٢٢ فيها بعض حواشى شرح الشمسيه، و فيها قيود و فوائد داله على فضله و اشتغاله بالعلوم العقلية(٥)

محمد على القراجه داغى التبريزى

فاضل فقيه، من أعلام القرن الثالث عشر و كان يقيم بمدينة تبريز.

له "شرح تبصره المتعلمين" (٤)

الشيخ محمد علي بن محمد تقى البروجردى

من أعلام أوائل القرن الرابع عشر، نسخ عده من الكتب كان آخر ما رأيت منها كتب فى سنة ١٣١١، و علق على بعضها تعاليق قصيره تدل على فضل فيه و علم (٧)

الشيخ محمد بن علي بن خاتون العينائى العالمى

مذكور فى رياض العلماء ١٠٢/٥، ١٣٤، ٢٠٦ و أعيان الشيعة ١٠/١٠ و غيرهما و نقول:

أجازة المولى محمد مؤمن بن شرف الدين على الحسينى فى سنة ١٠١٤ فى آخر "الحاشيه الشريفه" و قال فيها "و كان ذلك ببركه مباحته الفاضل الكامل الألمعى اللوذعى التقى النقى الرضى المرضى العالمى العاملى المستغنى عن الأطناب فى الألقاب الشيخ الأجل الأكمل..."، و صرح فيها أيضا أن المجاز ولد بطوس.

كان يدرس بالهند فى التفسير و الحديث، و قد ربي فيهما جماعه من العلماء، منهم المولى محمد على الكربلايى كما صرح التلميذ بذلك فى أول كتابه "هاديه قطب شاهى".

و يبدو من بعض تعبير التلميذ المذكور أن أستاذه كان يتولى بعض شئون الدوله، فإنه قال "عمده وكلاء السلاطين العظام فى العالم" (٨)

الملا محمد علي بن محمد حسن الآرانى الكاشانى

فاضل مدقق جامع للعلوم و الفنون، مولده أواخر القرن الثانى عشر و بقى إلى النصف الثانى من القرن الثالث عشر، و له نشاط فى التأليف نثرا و نظما و تاليفه منوعه [متنوعه] فى علوم شتى.

كان يقيم بمدينة "كلايكان" و يعرف ب "على الآرانى" كما صرح بذلك فى أول بعض مؤلفاته أو آخرها.

من مؤلفاته: "شرح العوامل المائه" ألفه سنة ١٢٠٩ و هو أول مؤلفاته (٩)

محمد على الكشميرى

كتب مجموعته فيها كتاب "إيضاح الاشتباه" و "خلاصه الأقوال" فى "مدرسه يوسف خان" بمشهد الرضاع و أتمها فى ثالث شهر محرم سنة ١٠٣٨، ثم ذاکرهما و عارضهما مع أستاذه الشيخ حسين بن الحسن الشامى العاملى المشغرى فى نفس السنه، فكتب له بعد كل واحد منهما إجازة وصفه فيهما هكذا:

"قد عارضنى و ذاكرنى المولى الفاضل الورع التقى الكامل زبده الفضلاء و المحصلين و خلاصه الأتقياء و الطالبين... معارضه تدبر و تحقيق و مذاكره تأمل و تدقيق.." (١٠)

ص: ٢٥٨

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- السيد أحمد الحسينى.
 - ٦- السيد أحمد الحسينى.
 - ٧- السيد أحمد الحسينى.
 - ٨- السيد أحمد الحسينى.
 - ٩- السيد أحمد الحسينى.
 - ١٠- السيد أحمد الحسينى.

السيد محمد علي الطباطبائي

فاضل عالم فقيه جليل، من أعلام القرن الثالث عشر و كان يميل إلى العرفان.

له "العناوين" في الفقه، و "مرآة القلوب" ألفه سنة ١٢٦٨ (١)

محمد بن وهيب الحميري

شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية و أصله من البصرة، و كان يستميح الناس بشعره و يتكسب بالمديح، فلما اتصل بالحسن بن سهل و سمع شعره أعجب بشعره و اقتطعه اليه و أوصله إلى المأمون فمدحه فأسنى جائزته.

و لم يزل منقطعاً إلى الحسن حتى مات. و كان يتشيع و له مرث في أهل البيت الطاهرين و هو متوسط بين شعراء طبقتهم و لم يعرف تاريخ وفاته (عن كتاب المنتحل لأحمد بن أبي علي الإسكندري ص ٣٥٢ ط ١٣١٩).

السيد محمد بن هاشم الحسيني القمي الكشميري

أصله من قم و ولد في كشمير و سكن النجف الأشرف، تتلمذ في النجف على الفقيه الشيخ محمد الفتوني و في كربلاء على المولى محمد باقر الوحيد البهبهاني.

فقيه فاضل جامع طويل النفس في تاليفه. توفي بعد سنة ١٢٨٥.

له "فوائد الغرى" كتاب كبير في الكلام و الفقه (٢)

محمد هاشم بن محمد طاهر بن الحكيم أبي طالب الطبيب الطهراني

فاضل أديب حسن الإنشاء بالفارسيه جيد المعرفه بالعلوم الدينيه، و هو من أعلام أواخر القرن الحادي عشر و لعله بقي إلى أوائل القرن الثاني عشر، و كان مشتغلاً بعلم الطب ممتهداً به.

له كتب طبيه فارسيه، منها "تحفه سليمانى" ألفه سنة ١٠٨٩ و "درع الصحه" ألفه سنة ١٠٩٤ (٣)

السيد محمد بن نصر الله بن أحمد الموسوي الكاشاني

كان من أعلام النصف الأول من القرن الرابع عشر، أصله من كاشان و يقيم بأصبهان، له ولع بالكيمياء و الرمل و علم الأعداد و الحروف و ما إليها، نسخ و تملك كتباً في هذه الفنون و له عليها تعليقات تدل على تبحره في العلوم الغريبه و تجربته و مزاولته لها.

كان يملك مكتبه غنيه بالمخطوطات و قد رأيت تملكه على كثير منها، و كان يعرف ب "المحقق الكاشاني" مدحه في سنة ١٣٢٩ ميرزا محمد إبراهيم بن علي أكبر الخوانساري بقصيده طويله بمناسبة عيد النيروز، يطلب منه فيها الكشف عن معضلات الكيمياء.

كتب فى آخر بعض الرسائل التى نسخها فى الصنعه "لا- تدهش بظواهر ألفاظ الحكماء لأن تمام ألفاظهم رمز و تدهيش، نصحت لك أيها الناظر قربه إلى الله تعالى".

توفى بعد سنه ١٣٤٠، إذ كتب فى هذه السنه شهادته على صك طلاق(٤)

السيد محمد بن السيد نجم الحسن

ولد فى أمروهه التابعه لقضاء مرادآباد (الهند) و توفى سنه ١٣٣٧ فى لكهنو.

كان عالما فاضلا، تلقى دروسه فى المدرسه الناظميه، ثم درس فيها شرح اللمعه و قوانين الأصول.

من مؤلفاته: شريعه الإسلام، و عقائد الأطفال، و رساله فى جواب معراج العقول، و كد القلم فى الجذر الأصم.

الشيخ محمد مهدي بن محمد شفيح المازندراني

فاضل فقيه متتبع حسن الإنشاء بالفارسيه، من أعلام القرن الثالث عشر.

له "العداله الشرعيه" رساله كتبها سنه ١٢٤٤(٥)

السيد محمد مهدي بن محمد سعيد الشريف الموسوي الخليلي

عالم جليل مشغل بالعلوم العقلية، ملك مجموعه من أبيه فيها كتب فلسفيه و عرفانيه كتب عليها بعض التعاليق فى سنه ١٢٤٦(١)

السيد محمد مهدي الموسوي بن السيد محمد

ولد فى الكاظميه سنه ١٣١٩ و توفى فيها سنه ١٣٩١.

درس دروسه الأولى فى الكاظميه ثم فى كربلاء ثم فى النجف. و عاد بعد ذلك إلى الكاظميه فأقام فيها مرجعا هاديا مرشدا مؤلفا حتى وفاته.

من مؤلفاته المطبوعه: (٢) أحسن الوديعه، و هو فى التراجم (٣) معجم القبور (٤) إيقاظ الأمة (٥) زبده الكلام فى المنطق و الكلام (٦) تحفه الساجد فى أحكام المساجد، و غير ذلك.

تخلف بولده السيد على الذى حل محله فى الإرشاد و امامه الجماعه.

السيد محمد مهدي بن على الكربلائي

مذكور فى "الكرام البرره" القسم المخطوط، و تقول:

فاضل محقق فقيه أصولي، من أعلام القرن الثالث عشر.

له "أصول الفقه" لعل اسمه "اللوامع" (٧)

السيد محمد مهدي الحسيني الخطيب القمي

كتب مجموعه فيها "الجدوات" للمير داماد و "عالم المثل" للاهيجاني في سنه ١١٢٤ بأصبهان، ثم قابل الكتاب الأول بدقه تدل على فضل فيه و علم، و يبدو أنه يميل إلى العلوم العقلية و العرفان (٨)

ص: ٢٥٩

-
- ١- السيد أحمد الحسيني.
 - ٢- السيد أحمد الحسيني.
 - ٣- السيد أحمد الحسيني.
 - ٤- السيد أحمد الحسيني.
 - ٥- السيد أحمد الحسيني.
 - ٦- السيد أحمد الحسيني.
 - ٧- السيد أحمد الحسيني.
 - ٨- السيد أحمد الحسيني.

محمد مهدي بن محمد حسن بن محمد حسين بن بديع الزمان المنجم

من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و كان له درايه بعلم النجوم و الفلك، ملك نسخه من "ترجمه أسرار النجوم" في سنه ١٢٨٩(١)

السيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني

فاضل جليل ذو اطلاع واسع في علوم الكلام و التفسير و الحديث و خبره بعلم الأعداد و الحروف و ما إليهما، و مؤلفاته مفعمه بالتحقيقات العلميه الجيده، و هو من أعلام القرن الثالث عشر و توفي بعد سنه ١٢٦٩.

له غير ما هو مذكور في الذريعه "التبيان" في أربعين حديث، و "الجواهر المقطعه" في الأربعين أيضا، و "ملحقات الأربعون" (٢)

محمد مقيم بن محمد علي

فاضل له اهتمام بالحديث، من أعلام القرن الحادي عشر.

له "ترجمه من لا يحضره الفقيه" أتمها سنه ١٠٥٧(٣)

السيد محمد بن معصوم بن محمد الرضوي الخراساني

الملقب بعلم الهدى.

ولد سنه ١١٨٠ و توفي سنه ١٢٥٥.

مترجم في "الكرام البرره" - القسم المخطوط، و نقول:

كان مدرسا في الحضرة الرضويه في الفقه العالي و تخرج عليه جماعه من العلماء، و قد درس في كربلاء على المير سيد علي الطباطبائي صاحب "رياض المسائل" و السيد محمد باقر و له منهما إجازة الروايه.

له غير ما هو مذكور في ترجمته "مناهج الهدايه" في فقه الصلاه(٤)

محمد معصوم بن الحسين المنشي اليزدجردی

فاضل أديب جيد الإنشاء شاعر بالفارسيه، له اطلاع بالعلوم الغريبه و تبحر في علم الأعداد، و هو من أعلام القرن الحادي عشر، و

الظاهر أنه كان كاتباً في دار الحكومه بأذربايجان.

له "مخزن راز" رتبه سنه ١٠٦٨ (٥)

الشيخ محمد مهدي بن حميد

أقام مده في النجف الأشرف، و من أساتذته في الدروس العاليه السيد حسين الكوه كمرى المتوفى سنه ١٢٩٩.

له "تقريرات أبحاث الكوه كمرى" الأصوليه (٤)

السيد مير محمد باقر بن السيد مير علي بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقاني الأصل القزويني المولد والمنشأ آل الرفيعی

ولد في قزوین حدود سنه ١٢٠٥ و توفي بها سنه ١٢٨٦ من أئمه الفتوى و التقليد و أكابر المجتهدين في قزوین توفي والده و هو في أوائل عمره فعنى بتربيته جده السيد مير عبد الباقي فلقنه المبادئ و أخذ عنه مقدمات العلوم و فنون الأدب و السطوح ثم التحق بحوزه العلمين الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنه ١٢٧١ و شقيقه الشهيد الثالث المستشهد في سنه ١٢٦٣ و أخذ عنهما الفقه و الأصول و الحديث و كما أخذ الفلسفه العاليه و العرفان من الآخوند الشيخ ملا آغا الحكمى و الشيخ يوسف الحكمى ثم جلس للتدريس و الفتوى و التف حولہ جمع من طلاب العلوم الدينيه ذكره السيد محمد علي كلريز في كتابه مينودر بما هنا تعريبه (... السيد مير محمد باقر توفي والده و هو صغير و كفله جده السيد الميرزا عبد الباقي و اهتم بامر تحصيله و تكميل فضائله حتى أصبح من المجتهدين البارزين و هو الذى ثار على مجد الدوله خال ناصر الدين شاه القاجارى الذى كان حاكما في قزوین و كسر شوكته و تمكن من إخراجہ عن قزوین ذليلا بسبب مظالمه في اهالى قزوین توفي سنه ١٢٨٦ هجرية). (٧) يقول عبد الحسين الصالحى: و المترجم له شقيق السيد مير رفيع المتوفى سنه ١٢٧٢ المار الذكر الذى أصبح اسمه عنوان هذا البيت و آل الرفيعی من الأسر العلميه المشهوره في قزوین منذ عهد جدهم السيد مير محمد زمان المتوفى سنه ١١١٠ و أشهر علماء هذا البيت في القرن الأخير السيد أبو الحسن الرفيعی القزوينى المتوفى سنه ١٣٩٦ المار الذكر في المجلد الثالث من مستدركات أعيان الشيعة ص ٧.

ترك المترجم له مؤلفات في الفقه و الأصول منها رساله في الإبرث و رساله في الكلام، و رساله في الامامه، و رساله في الحج (٨)

الشيخ محمد باقر بن محمد إسماعيل اليزدى السيرجاني الكرمانى، أبو جعفر:

أصله من مدينه يزد و ولد في سيرجان من توابع كرمان، و هاجر من ايران و أقام بالهند مشغلا بالوظائف الدينيه.

له "جواهر الايمان في ترجمه تفسير القرآن" أئمه سنه ١٣١٩ (٩)

الشيخ محمد باقر المجد المسجدشاهي

الشهير بأغا نجفي بن محمد تقى بن عبد الرحيم:

ولد سنة ١٢٣٤ و توفي سنة ١٣٠١ فى النجف.

هو سبط الشيخ جعفر كاشف الغطاء. و أصل والده من ايرانكى من توابع طهران و كان الوالد فقيها معروفا له شرح على كتاب المعالم اسمه هدايه المسترشدين و قد نشأ فى العراق لهجره والده عبد الرحيم اليه. ثم عاد محمد تقى إلى ايران و اختار أصفهان مقرا له و أنشأ حوزة علميه فى

ص: ٢٦٠

-
- ١- السيد أحمد الحسينى.
 - ٢- السيد أحمد الحسينى.
 - ٣- السيد أحمد الحسينى.
 - ٤- السيد أحمد الحسينى.
 - ٥- عبد الرفيع حقيقت.
 - ٦- السيد أحمد الحسينى.
 - ٧- السيد محمد على كلريز: مينودر ص ٢٤ م من منشورات جامعه طهران الطبعة الأولى ١٣٣٧ هجرية شمسيه.
 - ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
 - ٩- السيد أحمد الحسينى.

مسجد الشاه، ثم ولي أولاده امر هذا المسجد فعرفوا بال (مسجدشاهي).

درس المترجم دراسته الأولى في أصفهان ثم هاجر إلى العراق لإكمال دراسته فدرس على خاله الشيخ حسن كاشف الغطاء و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و الشيخ مرتضى الأنصاري. ثم عاد إلى أصفهان خليفة لوالده في مسجد الشاه على رأس حوزة علميه، فتخرج عليه بعض من اشتهر و أبعده ذلك كل الاشتهار من أمثال السيد كاظم اليزدي و السيد إسماعيل الصدر و شيخ الشريعة الاصفهاني و ولده الشيخ محمد تقى.

و قد عظم شأنه بعد وفاه كبار علماء أصفهان، فكان يقيم الحدود الشرعيه و يتولى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و يقيم القضاء و الفتيا و يشغل بأمور الناس و حل مشاكلهم، بحيث ضؤل امر سلطه الدوله في عهده.

و قد حكم بالموت على سبعة و عشرين شخصا في يوم واحد فنفذ الحكم في اثني عشر منهم و فر الآخرون.

كما طارد البابين فقتل بامر عدد منهم.

و عند ما عزم على الهجره من أصفهان و المجاوره في النجف سنة ١٣٠٠ حال الاصفهانيون دون تنفيذه هذا العزم لمحبتهم له.

و لكنه سافر ليلا متخفيا. و لم تطل حياته في النجف فتوفى فيها و دفن فيها في ضريح جده الشيخ جعفر.

آقا محمد باقر بن محمد جعفر القهي الاصبهاني:

من رجال القرن الثالث عشر له اطلاع واسع في العلوم العقليه و النقليه، من أعلام الشيخيه و مؤلفاته كلها على طريقتهم، و هو شديد التعظيم للحاج كريم خان الكرمانى و أسلافه.

له "آداب نماز شب" و "الوجيزه"، و "بحوث فلسفيه" و "أجوبه مسائل اعتقاديه" (١).

الميرزا محمد باقر السبزواري بن محمد علي:

مترجم في "نقباء البشر" ص ٢١٩، و ذكره غلام حسين خان أفضل الملك في كتابه "سفرنامه خراسان و كرمان" ص ٩٩ فما بعد و ملخص ما قال فيه:

ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية ابن الامام أمير المؤمنين (ع)، و قبر جماعه من أجداده في قرية "ششتمد" من قرى سبزواري، هاجر بعض أجداده في العهد الصفوي أو قبله بقليل من أصفهان إلى سبزواري و لجا إلى الساده "بنى المختار" الذين كانت لهم الرئاسة العامه في المنطقه.

عاد في سنه ١٣٠٧ من العتبات المقدسه بالعراق إلى طهران بعد أن أكمل دراسته بالنجف الأشرف و حصل إجازات الاجتهاد من أساتذته، و بعد اقامه شهور انتقل إلى مسقط رأسه سبزواري.

كان عظيم المنزله فى سبزوار، رئيسا مرجوعا اليه فى القضايا و الأحكام، يلقب بـ "شريعتمدار" و على يده تفصل المنازعات و الخلافات بين الناس. توفى نحو سنه ١٣٤٣ (٢).

الملا محمد باقر بن محمد محسن الخوزانى الاصبهانى:

فاضل جامع متبع له إمام بالفقه و أصوله، شيخى شديد الولاء للحاج كريم خان الكرمانى كثير التبجيل له فى كتاباته متحامل على مخالفيه، و هو من رجال أواخر القرن الثالث عشر.

كتب الكرمانى تقریضا على بعض رسائله فقال عنه حكيم:

"ان المولى الولى و الأولى الصفى العلامة الفهام ذا العز و الاحترام صاحب المآثر و المفخر.. قد أرانى من تصنيفاته اللطيفه و تحقيقاته الشريفه ما قره عيني و اشتد به أزرى و سر به قلبى فوجدته ذا سليفه مستقيمه و سجيّه قويمه حريا ان يعلو ذروه التحقيق و يتسّم أوج التدقيق و يستقل بالعمل و يستنبط الأحكام من أخبار ساده الأواخر و الأول...

له "الاستصحاب" رساله كتبها سنه ١٢٧٢، و "ذرائع الأصول" و "الرضاع" و "الفرقان الكريم فى تفسير القرآن العظيم" و "اللوامع الفقيهيه" (٣)

محمد تقى بن محمد مقيم اليزدى:

فاضل، من أعلام أواخر القرن الحادى عشر و أوائل الثانى عشر.

له "ترجمه مجمع البيان" أتم الجزء الثانى فى منتصف شهر رمضان سنه ١٠٩٩ (٤)

محمد تقى

المعروف بفصيح الملك و الملقب بـ (شوریده الشيرازى) ابن عباس الملقب بالعباسى.

من الشعراء المعروفين فى أواخر العهد القاجارى ولد فى شيراز عام ١٢٧٤ هـ، أصيب فى السابعه من عمره بمرض الحصبه و فقد نعمه البصر، و لكن نبوغه دفعه إلى تجاوز ذلك، فكان يذهب إلى المدرسه و يتلقى الدروس مستعينا بحاسه السمع. و فى سن التاسعه فقد أباه، فتكفل خاله برعايته، و اصطحبه فى سفرته إلى مكه، و هو فى الثانى عشره من عمره، و بعد عودته إلى شيراز استأنف طلب العلم. و كان يتمتع بصوت شجى و حنجره قويه فدفعه ذلك إلى تعلم الموسيقى، و خلال ذلك كان يدرس بعض العلوم من قبيل الرياضيات و الآداب، و يتلقن بعض الأخبار و الأحاديث بما يعينه على قراءه مجالس التعزیه، و ما زال ينظم الشعر و يقرأ التعزیه حتى ذاع صيته فى فتره قصيره و أصبحت أشعاره على ألسنه الناس.

و فى عام ١٣١١ هـ رافق نظام السلطنه حسين قلبى خان المافى إلى طهران و تقرب فيها إلى الميرزا على أصغر خان، ثم قدم إلى ناصر الدين شاه و مظفر الدين شاه فمدحهما، و لقب بفصيح الملك، و من عليه الشاه بقصبه بورنجان من قرى جبل مره فى فارس اقطاعا له، فعاش من عائداتها حياه مرفهه. ثم تزوج فى شيراز عام ١٣٢٣ هـ و بقى فيها.

١- السيد احمد الحسينى.

٢- السيد احمد الحسينى.

٣- السيد احمد الحسينى.

٤- السيد احمد الحسينى.

فدفن في شيراز إلى جوار قبر سعدى. ولا ريب أن شوریده شیرازی يعد من الشعراء المميزين بذوقهم و تمكنهم من الكلمات والمضامين الشعريه. و قد تميزت أشعاره بعدوبتها و سلاستها مع اقترانها بلحن شجي(١).

السيد محمد تقى القزوينى بن المظفر القزوينى الزيابادى السمنانى المعروف بالصوفى

مترجم فى "الروضه النضره" المخطوط، و نقول:

من رجال القرن الحادى عشر. نقل عنه فوائد رجاليه و بعض تراجم العلماء فى حاشيه نسخه من كتاب "خلاصه الأقوال" للعلامه الحللى، و يبدو أنه كان قزوينى الأصل ثم سكن سمنان، و توفى بها و قبره خارج المدينه فى مقبره يقال لها "علكا".

قرأ على أبى الفتح عامر بن فياض الجزائرى "شرح النفلية" و أكثر كتابى "قواعد الأحكام" للعلامه الحللى " و "جوامع الجامع" للطبرسى و سمع منه أكثر المتون الفقيهيه، و كان آخر دراسته عنده يوم الأحد ٢٢ محرم سنه ١٠١٥ بمشهد الرضا (ع)(٢).

السيد محمد تقى بن السيد رضا بن السيد محمد تقى بن السيد مؤمن بن السيد محمد تقى بن السيد محمد رضا بن المير أبو القاسم الحسينى القزوينى التقوى الشهير بالسيد آغا القزوينى:

ولد فى قزوین حدود سنه ١٢٦٣ و توفى فيها سنه ١٣٣٣ و نقل جثمانه حسب وصيته إلى النجف الأشرف و دفن فى وادى السلام.

من أكابر علمائنا الاعلام فقيه متبحر اصولى محقق حكيم متأله من أئمه الفتوى و التقليد كان مما ذكر به فى أعيان الشيعة المجلد التاسع ص ١٩٦ ما يلى: (... رأيناه فى النجف الأشرف و قرأنا عليه شيئا يسيرا من رسائل الشيخ مرتضى...) يقول عبد الحسين الصالحى: ولد المترجم له فى بيت علم و فضل و ترعرع فى احضان الفضيله و الزهد و التقوى و آل التقوى من أشهر البيوت العلميه فى قزوین و قد بزغ بدرها فى أفق قزوین و طار صيتها من أواسط القرن الثالث عشر للهجره منذ عهد جد هم السيد محمد تقى بن المير مؤمن المتوفى سنه ١٢٧٠ هجرية و المترجم فى أعيان الشيعة أيضا فى المجلد التاسع ص ١٩٦ و هذه الاسره فرع من آل القزوينى الاسره المعروفه فى النجف الأشرف و الحله و الهنديه(٣)أخذ المقدمات و فنون الأدب و المنطق على أفاضل علماء قزوین ثم أكمل السطوح العاليه على الشيخ محمد على البرغانى القزوينى آل الصالحى ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى كربلاء و النجف و تخرج فى العلوم العقلية و الفلسفه العاليه على الشيخ الميرزا علامه البرغانى الحائرى آل الصالحى و أخذ الأصول فى كربلاء على الشيخ حسين الأردكانى المتوفى سنه ١٣٠٢ ثم هاجر إلى النجف الأشرف و التحق بحوزه الشيخ حبيب الله الرشتى المتوفى سنه ١٣١٢ كما حضر على مدرس الطف الميرزا على نقى البرغانى الحائرى آل الصالحى حتى اشتهر اسمه فى الأوساط العلميه و عرف بين العلماء و طلاب العلوم بالتحقيق و التدقيق. ثم جلس للتدريس و الفتوى فى النجف الأشرف و كثر عليه الإقبال و التف حوله جمع من أفاضل الطلاب ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات اعلام الشيعة و وصفه قائلا (... كان فى النجف الأشرف من تلاميذ علامه الميرزا حبيب الله الرشتى و غيره و كتب كثيرا فى الفقه و الأصول حتى عد من اجلاء العلماء و المجتهدين و كان من المدرسين فى النجف يحضر مجلس درسه جماعه من أفاضل طلبة العلم و قد حضرت درسه قرب سته أشهر فى حجيه القطع و الإجماع من كتاب الرسائل و كان متبحرا منقبا و محققا و مدققا قضى سنين من عمره الشريف فى النجف مشغولا بالتدريس و الإفاده متزودا من التقوى و العباده و عاد إلى قزوین فقام هناك بالوظائف الشرعيه... و قد ترجمت جده السيد محمد تقى فى "الكرام" و جده الأعلى المير محمد تقى و المير محمد رضا فى "الكواكب"...(٤)رجع

إلى موطنه قزوین فاستقبلته كافة الطبقات و رجع اليه الكثيرون في العراق و ایران في التقليد و شغل كرسى التدريس و الفتوى و كان من أكابر علماء قزوین و فحول فقهاؤنا و أئمه الفتوى قائما بالوظائف الشرعيه حتى وفاته و خلف مؤلفات منها: ١ - كتاب مجامع الأصول فى علم الأصول ٢ - كتاب مجامع الأحكام فى شرح شرايع الإسلام من الطهارات إلى آخر البيع ٣ - شرح البيان للشهيد ٤ - تفسير ترجمه القرآن فى شرائط الايمان (فارسی): تفسير لما يقرب من خمسمائه آيه من آيات القرآن الكريم ٥ - رساله عمليه لمقلديه ٦ - ترجمه اخبار الاستنطاق ٧ - شرائط الايمان (فارسی) ٨ - حاشيه على القوانين للميرزا [للميرزا] القمى ٩ - حاشيه على الرسائل للشيخ مرتضى الأنصارى ١٠ - حاشيه على الرياض للسيد على الطباطبائى الحائرى ١١ - رساله فى قضاء الصلوات و بيان ما يجب عند اشتباه الواجب منها ١٤ - رساله فى ترتيب الفوائت ١٥ - شرح تاملات الرياض و غيرهما [غيرها] و خلف المترجم له خمسہ بنين و هم السيد جواد و السيد حسين و السيد محمد باقر كلهم من أفاضل علماء آل التقوى فى قزوین و السيد مرتضى و السيد جعفر الذى توفى فى شبابه و لم يبلغ الحلم.

و كان للمترجم له مكتبه عامره فى قزوین تحتوى على مجموعہ من نفائس المخطوطات كانت فى حوزہ نجله الأرشد السيد جواد التقوى ثم تفرقت بعد وفاته(٥)

محمد باقر الدهلوى بن محمد أكبر:

ولد سنه ١٢٠٥ فى دلهى و توفى سنه ١٢٧٤.

عاش فى دلهى برعايه أبيه، و عليه درس دراسته الأولى. و فى سنه ١٨٢٥ م دخل معهد (دلهى كاع) ثم أصبح مدرسا فيها للغه الفارسيه. و قد بقى فيها من سنه ١٨٢٨ إلى سنه ١٨٣٦ م ثم صار رئيسا لبلديه دلهى ستة عشر عاما و لم يلبث ان اختلف مع الإنكليز

ص: ٢٦٢

١- عبد الرفيق حقيقت.

٢- السيد احمد الحسينى.

٣- نظر [انظر] دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه ج ٥ ص ٢٦٥ ماده قزوین بيروت دار التعارف عام ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.

٤- الشيخ آقا بزرگ الطهرانى: نقيب البشر ج ١ ص ٢٥٦-٢٥٧ الطبعة الأولى النجف الأشرف.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

فاستقال و انصرف إلى إنشاء حسينيه ضخمه كانت تقام فيها المجالس على مستوى عالي حتى عمت شهرتها الهند. ثم أسس مسجدا كبيرا.

و كان يحاضر في الحسينيه فتلقى محاضراته الاستحسان، ثم عمل في الطباعة و النشر و اشترى مطبعه كبيره فاصدر (اردو جريده [جريده]) كانت تهاجم السياسه الإنكليزيه بعنف كما أصدر مجله (مظهر الحق).

و ما زال في صراع مع الإنكليز حتى حكموا عليه بالاعدام و نفذوا فيه الحكم.

من مؤلفاته: كتاب في تفسير القرآن و كتاب هادي التاريخ الذي ألفه سنه ١٢٦٨ و هو والد الشاعر و الأديب و العالم محمد حسين آزاد الذي طارت شهرته في الهند و الباكستان.

الشيخ محمد حسن

من أخلاف الشهيد الثاني:

توفي حوالى سنه ١١٩٠.

بهذا الاسم ذكره صاحب كتاب (مطالع أنوار)، و هو ما لفت نظرنا و حملنا على ذكره هنا، إشاره إلى انه جزء من الهجره العامليه إلى مختلف الأقطار الإسلاميه.

قال صاحب المطالع ما ترجمته:

هو من أخلاف الشيخ زين الدين الشهيد الثاني. و بعد فراغه من تحصيل العلم في العراق و ايران جاء إلى الهند و استقر في دهلي، ثم سافر إلى النجف الأشرف و لكنه لم تستقر أفكاره هناك بسبب بعض القلاقل فرجع إلى الهند و استقبله صدر جنك بيك و عهد اليه بتربيته ابنه شجاع الدوله، و لكنه بعد فتره قليله جاء إلى (عظيم آباد) فالتقى هناك بتاجر إيراني و اتفق معه على التجاره بالمضاربه، و لكنه لم يستقر فعاد إلى دهلي و سكن في مقبره برهان الدين.

و لقد أدى خدمات علميه و له تلاميذ، و تحمل مشقات و لاقى صعوبات في خدمه الدين.

الشيخ ملا آغا محمد الطهراني الساوجبلاغي المعروف ب ملا آغا:

ولد في طهران سنه ١٢٢٥ كما صرح في كتابه مفصل البيان في علم القرآن و توفي حدود سنه ١٣٠٠ من أكابر العلماء الاعلام، حكيم متأله مفسر متضلع فقيه متبحر اصولي محقق أخذ المقدمات و فنون الأدب من أفاضل علماء طهران ثم هاجر إلى قزوین و تخرج في الفقه و الأصول و التفسير على الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري المتوفى سنه ١٢٧١ و شقيقه الشهيد الثالث، كما أخذ الحكمة و الفلسفه من الحكيم المتأله الشيخ ملا آغا الحكمي القزويني ثم سكن في ساوجبلاغ من ضواحي طهران و كان من أئمه الفتوى و مراجع لأموال الشريعه في تلك النواحي و اشتغل بالتأليف و التصنيف و من أشهر مؤلفاته كتاب مفصل البيان في علم القرآن و هو ترجمه فارسيه لتفسير مجمع البيان لعلوم القرآن لأبي علي الفضل بن حسن الطبرسي (٤٧٠ - ٥٤٨ هجريه)

مع إلحاقات و إضافات و شرح مفصل فى عشره اجزاء من ثلاثه مجلدات ضخمه و قد فرغ من تأليف المجلد الأول فى غره شهر جمادى الثانيه سنه ١٢٩٤ و منه ثلاثه مجلدات بخط المؤلف من مخطوطات مكتبه جامعه طهران (١) كتاب المقتل، رساله فى الرضاع، بعض الرسائل فى أبواب مختلفه من الفقه (٢)

محمد رضا بن كمال الدين الحسينى الاسترآبادى:

فاضل أديب له اطلاع بالعلوم الدينيه و الأدب الفارسى، ملك نسخه من تفسير على بن إبراهيم القمى و كتب عليه تعليقات تدل على فضله و معرفته بالتفسير و علوم الحديث. له شعر فارسى (٣)

الشيخ محمد حسن بن عباس قلى المراغى:

فاضل جليل، من أعلام أوائل القرن الرابع عشر.

له "الفوائد و العوائد فى أصول العقائد" أتمه سنه ١٣٠٧ (٤)

السيد محمد حسن بن محمد باقر الهزار جريبى:

فقيه محقق فاضل حسن الإنشاء و الخط جيد التقرير، من أعلام القرن الثالث عشر، عاد بعد إكمال دراسته العلميه إلى بعض قرى مازندران فى سنه ١٢٦٠ و أبدى تأسفه فى بعض ما كتبه على ابتعاده عن الأجواء العلميه.

له "الصوم" و "الرجوع فيما وهبه الزوج لزوجته" (٥)

السيد محمد حسن النجفى

المعروف بآغا نجفى القوجانى بن السيد محمد:

ولد سنه ١٢٩٥ فى قريه (خسرويه) من توابع قوجان. و توفى سنه ١٣٦٣ فى قوجان.

درس دراسته الأولى فى بلدته ثم سافر إلى قوجان و هو فى الثالثه عشره من عمره فتابع الدراسه ثلاث سنوات، ثم سافر راجلا إلى مدينه مشهد عن طريق سبزوار و نيسابور، فواصل الدراسه فيها فى مدرسه (دو درب). و فى سنه ١٣١٣ مضى على قدميه مع زميل له فى الدراسه إلى يزد عن طريق صحراء النفوذ و طبس، و كان قد بلغ العشرين من عمره و منها إلى أصفهان فأقام فى مسجد (عربون). و فى أصفهان درس منظومه الشيخ هادى السبزوارى على الآخوند الكاشى و الرسائل على الشيخ عبد الكريم الكزى و الفلسفه و الكلام على الميرزا جهانكير خان القشقائى، كما درس بعض الأحيان الفقه عند آغا نجفى الاصفهانى.

و كانت حياته فى أصفهان حياه فقر شاقه، و بعد اربع سنوات من هذه الحياه قرر الهجره إلى النجف للاستزاده من العلم، فوصل النجف راجلا و هو فى الثالثه و العشرين من عمره فأقام فى غرفه مهجوره فى احدى المدارس، و حضر دروس الآخوند محمد كاظم الخراسانى و توثقت علاقته به توثقا قويا و كان من أعوانه فى الحركه الدستوريه التى عرفت باسم (المشروطه) و بعد

عشرين عاما من إقامته فى النجف غادرها سنة ١٣٣٨ ايران متوجها إلى مشهد للزيارة، و بعد مكثه فيها مده قصيره، دعاه أهل قوجان إلى بلدتهم فلبى الدعوه و اقام فى قوجان و لم يبرحها طيله خمس و عشرين سنه قضاها هاديا مرشدا فاصلا فى

ص: ٢٦٣

١- انظر فهرست المشكاه ج ١ ص ٢١٩-٢٢٢ من منشورات جامعه طهرانعام ١٣٣٠ شمسيه.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السيد احمد الحسينى.

٤- السيد احمد الحسينى.

٥- السيد احمد الحسينى.

الخصومات مدرسا للطلاب حتى وفاته عن ثمانيه و ستين عاما. و قد دفن في حسينته و صار ضريحه مزارا للقوجانيين.

من مؤلفاته: كتاب سياحت شرق (سياحه في الشرق، و هو حديث عما كابدته في حياته و مراحل دراسته في قوجان و مشهد و أصفهان و دخوله النجف و دراسته حتى وصوله إلى درجه الاجتهاد. كما تحدث بالتفصيل عن الحركة الدستورية و أثرها في العراق لا سيما في النجف.

و قد ألف هذا الكتاب سنة ١٣٤٧ (١٩٢٨ م) و طبع في طهران سنة ١٩٨٣ م.

و له شرح و ترجمه رساله التفاحيه لارسطو تحقيق بابا أفضل الكاشاني.

و غير ذلك من المؤلفات.

السيد محمد الحسين الموسوي الشهرستاني

المعروف ب (آقا بزوك [آقا بزرگ]) بن السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني المتوفى في سنة ١٢١٦ في كربلاء و هو العلامة الكبير الذي يعد أحد المهادي الأربعة تلامذه العلامة آقا باقر البهبهاني بن أبو القاسم بن ميرزا محمد باقر بن ميرزا روح الله من علماء عهد السلطان الشاه حسين الصفوي بن جلال الدين حسن بن ميرزا وقيح الدين محمد الصدر بن جلال الدين محمد بن أبو الفتوح بن صدر الدين إسماعيل المشهور بصير [بمير] سيد شهرستاني واقف الموقوفات المعروفة الكثيره في ايران سنة ٩٣١ بموجب وقفه الشهيره (و قد ذكره صاحب كتاب عالم آرا عباس باسم - شريف شهرستاني و كان على عهد الشاه إسماعيل الأول و قبله مستوفيا في أصفهان) بن زين الدين أمير على بن صدر الدين إسماعيل بن زين الدين علي بن علاء الدين الحسين بن معين الدين عبد الله بن ركن الدين حسين بن أشرف بن ركن الدين الحسن بن أشرف بن نور الدين محمد بن أبي طاهر عبد الله بن محمد أبي الحسن بن الحرث بن علي أبي الحسن و يعرف بابن الديلميه بن أبي طاهر عبد الله بن محمد أبي الحسن المحدث بن طاهر أبي الطيب بن الحسين القطعي بن موسى أبي السبحه بن إبراهيم المرتضى بن الامام موسى بن جعفر ع.

جاء في الصفحه (٤٣٢) من كتاب "الكرام البرره في القرن الثالث بعد العشره" جزؤه الأول ما نصه:

هو السيد الميرزا محمد حسين بن ميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني المعروف بأقا بزرگ من كبار علماء عصره في كربلاء كان صهر العلامة الآقا محمد علي الكرمانشاهي بن الوحيد البهبهاني علي بنته (١) كما ذكره ولده السيد ميرزا محمد جعفر الشهرستاني في رسالته "أنساب الوحيد البهبهاني". و كان المترجم من مراجع عصره القائمين بالوظائف الشرعيه في كربلاء و كان جيد الخط للغاية و يوجد بخطه دعاء (اللهم ان هذا مشهد لا يرجو من خائفه فيه رحمتك... " إلخ كتبها بخطه النسخ الجيد على لوحه كبيره في عرض متر و طول متر و نصف تقريبا كانت منصوبه في حرم سيد الشهداء الحسين بن علي ع في طرف الرأس قبال المستقبل للقبلة يتجه إليها و يقرأها كل من يقف عند الرأس الشريف للدعاء و قد رفعت قبل سنوات عند ما زينت جدران المرقد المطهر بالمرايا و هي الآن بدار حفيده السيد إبراهيم بن السيد ميرزا صالح الشهرستاني بن المترجم له رأيتها هناك و تاريخ كتابتها سنة ١٢٢٥ هـ).

أقول: و للمترجم بعض الرسائل فى الفقه و الأصول و تعليقات و شروح على بعض أبواب العبادات من كتب الفقه لا زالت خطيه و بخط المترجم، كما انه استنسخ عدة نسخ من القرآن المجيد بخطه الذى كان يضرب به المثل فى جودته و جماله، و توجد نسخه منها حتى الآن فى مكتبه اسره آل الرشتى أحفاد السيد كاظم الرشتى المعروف فى كربلاء و تاريخ هذه النسخه سنه ١٢٤٥ أى قبل وفاه المترجم بستين.

هذا و قد قام المترجم بعده رحلات إلى الهند و ايران و لا سيما مدينه أصفهان لتفقد أوقاف أجداده التى انتقلت توليتها اليه بعد وفاه والده سنه ١٢١٦.

توفى المترجم فى ٢٥ شوال ١٢٤٧ بمرض الطاعون الذى كان قد عم أكثر أنحاء العراق فى تلك السنه و دفن جنب والده فى مقبرتهما الخاصه (مقبره الشهرستانيه) الواقعه خلف ضريح الشهداء من ناحيه الجنوب فى رواق الروضه الحسينيه.

و خلف فحولا من العلماء و المؤلفين كالسيد الميرزا محمد جعفر و السيد الميرزا عباس الشهرستاني (٢).

محمد حسين مرشد آبادى بن محمد هادى العقيلى الشيرازى:

توفى فى الهند سنه ١٢٠٥.

كان طبيبا شهيرا فى الطب القديم، و من اساتذته الطبيب محمد تقى و محمد هادى و السيد محمد على اليزدى المرشد آبادى و الشيخ على حزين.

من مؤلفاته: مخزن الادويه، قراباذين كبير، و خلاصه الحكمه، و كليات، و رساله الجدرى و الحصبه، و رساله فى أم الصبيان، و رساله فى ذات الجنب، و رساله العرفى المدنى، و توضيح الرشحات، و هو كتاب شعر.

السيد محمد حسين بن على أصغر شيخ الإسلام الحسنى الحسينى الطباطبائى التبريزى:

من أعلام النصف الأول من القرن الرابع عشر، له اطلاع واسع و عناية بالحديث و الرجال بالاضافه إلى تبحره فى بقيه العلوم، صنع لطائفه من مخطوطات كتب الحديث فهارس لأحاديثها تيسر الاستفاده منها.

له "تحقيق لفظ الجلاله" و "الفوائد الكاشفه" و "المشيخه المرتبه" و "سند الفقيه" (٣)

ص: ٢٦٤

١- و اسمها بلقيس و قد تزوجها سنه ١٢٠٠ و ورقه عقد نكاحها تاريخيه حيث انها تحوى شهادات و خطوط و توقيع الاعلام الكبار فى ذلك العصر كالوحيد البهبهانى و ميرزا محمد مهدي الشهرستاني و السيد محمد مهدي بحر العلوم و غيرهم. و هى من ضمن تقييات مكتبه السيد صالح الشهرستاني.

٢- السيد صالح الشهرستاني.

الشيخ محمد حسين بن صفر على البارفروشى المازندراني:

ولد فى "بارفروش" من بلاد مازندران، و هاجر لطلب العلم إلى العتبات المقدسه بالعراق، فبقي فى كربلاء أكثر من عشر سنوات متلمذا على علمائها، و قد كتب تقريرات دروسهم الأصوليه و الفقيهيه ثم عاد إلى مسقط رأسه بارفروش نحو سنه ١٢٩٠ و اشتغل بالوظائف الدينيه (١) و التأليف و التصنيف.

فاضل أكثر اشتغاله بالفقه و الأصول، يبدو أنه كان كثير التأليف و التصنيف، الا أنه ضعيف العبارة كثير اللحن فى العربية توفى بعد سنه ١٣٣٦ التى كتب فيها بعض التواريخ.

له "المسائل المشكله" و "زينه الجامعين" أتمه سن [سنه] ١٢٩١، و "كاشف الظلام و مزيل الأوهام" ألفه سنه ١٢٩٨ (٢).

الشيخ محمد حسين بن ملا غلام على الاويسى القزوينى:

ولد فى قزوین سنه ١٣٣٦ و توفى بها سنه ١٤١١ من أئمه الفتوى و أكابر المتكلمين فى عصره أخذ المقدمات و فنون الأدب على جمع من الأفاضل منهم السيد احمد عماد الحاج السيد جوادى و أكمل السطوح الفقه و الأصول فى حوزة العلمين الشيخ احمد التألهى و السيد محمد مهدى التقوى و أخذ الكلام و قسما من خارج الفقه و الأصول على الشيخ يحيى المفيدى القزوينى ثم تتلمذ فى الحكمة و الفلسفه على السيد أبو الحسن الرفيعی القزوينى حتى سنه ١٣٧٢ حيث هاجر إلى مدينه قم و التحق بحوزه السيد آغا حسين الطباطبائى البروجردى و حضر فى الأصول على الشيخ عباس على الشاهرودى و السيد محمد الداماد و تخرج فى الحكمة و الفلسفه و العرفان الالهى على السيد محمد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان و اختص به و أصبح من حواريه و فى سنه ١٣٨٠ عاد إلى موطنه قزوین و جلس لتدريس الفقه و الأصول و الفلسفه حتى عام ١٣٨٥ و هو العام الذى هاجر فيه استاذة الرفيعی من قزوین إلى طهران فقام فى مقامه فى الامامه فى مسجد الشاه و انتهى اليه كرسى تدريس الفلسفه العاليه فى قزوین بلا نزاع و كان وحيد عصره فى العلوم العقلية و التف حوله جمع من عشاق الفلسفه فى السنوات الاخيره و كان من أشهر استاذة الفلسفه فى ايران كلها و كان يدرس فى المدرسه الالتفاتيه.

ترك مؤلفات كلها مخطوطه منها تفسير القرآن الكريم على مذاق أهل العرفان و الفلاسفه فى عدة مجلدات، حواشى على كتاب الاسفار لصدر المتألهين الشيرازى، حواشى على منظومه السبزوارى، رساله فى حدوث العالم، تقريرات مشايخه فى قم و غير ذلك من الحواشى و الرسائل (٣).

الميرزا محمد حسين خان

الملقب بالعندليب بن ملك الشعراء فى زمن فتح على شاه القاجارى:

يعد من كبار شعراء العهد القاجارى منحه فتح على شاه بعد وفاه أبيه عام ١٢٣٨ هـ لقب و عمل ملك الشعراء، و بقى فى هذه المكانه فى زمن سلطنه محمد شاه القاجارى.

نظم هذا الشاعر قصيده فى تاريخ بناء مسجد الشاه فى سمنان الذى بنى فى زمن فتح على شاه. و القصيده مكتوبه بخط نستعليق

محمد الداوري

هو الابن الثالث لوصال الشيرازي، و يعتبر من مشاهير شعراء القرن الثالث عشر الهجري. ولد في شيراز عام ١٢٣٨ هـ، في بيت كان مركزا لأنواع الفنون المتداوله عصرئذ. و باشر منذ نعومه أظفاره بتلقى العلم على يد أبيه، و لم يمض وقت طويل حتى أصبح وريثا لأبيه في الشعر و الرسم و الخط، و اشتهر على وجه الخصوص بالرسم، و تلقى اللغتين الفارسيه و العربيه و آدابهما على أبيه و اللغه التركيه و آدابها على الحاج أسد الله الذي كان من فضلاء وقته، و استطاع التعمق في هذه اللغات، و يذكر أصحاب التراجم انه وضع معجما كبيرا في اللغه التركيه. و في ديوانه توجد بعض الأشعار الملمعه التي وضعها بهذه اللغات الثلاث.

و قد تحدث صاحب طرائق الحقائق الذي كان تلميذا له فقال: "بذل جهودا كبيره في تعلم العلوم الأدبيه و اللغه العربيه حتى نال منها حظا وافرا، و تمكن في أنواع الخط و لا سيما خط نستعليق، و برع في الرسم.

و قد خط و صور كتاب الشاهنامه للفردوسي استجاب له لطلب المرحوم محمداقلي خان بن جاني خان الإيلخاني، و جاءت النسخه التي دونها و رسمها معجزه في مجالها، و جوهره لا تقدر بثمن، و هي موجوده الآن لدى فتح الله خان بعد تناقلها بين وساطات عديده".

لقد بلغت أشعار الداوري ثلاثه آلاف أو أربعه آلاف بيت، و لكن يذكر بعض المؤرخين أنه بالاضافه إلى هذا المقدار، كان قد نظم أشعارا على نمط الشاهنامه في تاريخ فتره الحكم المغولي، و قد كتب ذلك بتشجيع مؤيد الدوله الميرزا طهماسب، حيث ذكر المؤرخون أن هذا الذي كان عالما اقترح على أبناء وصال الشيرازي الذين كانوا جميعا شعراء أن يكتبوا تاريخ ايران من حيث انتهى الفردوسي، و ترك لكل منهم اختيار القسم الذي يرغب، و كان الداوري ملما باللغه التركيه و آدابها فاختار الفتره التي تبدأ بحكم المغول و تنتهي بحكم الصفويين، و لكنه توفي قبل أن يكمل تاريخه لها، و حزن إخوانه عليه فتركوا ما بدءوه، فبقى تاريخا ناقصا. و الاشعار التي نظمها الداوري في هذا المجال غير متوفره الآن، و الشيء الوحيد الذي بقي منه هو ديوان خطي طبع في شيراز عام ١٣٣٠ هـ في ٦٨٦ صفحه.

و قد تحدث عنه الدكتور مهدي الحميدي فوصفه بأنه كان زهره متفتحه في عائله وصال، و قد ترك عالما من الذوق و الرقه على قصر حياته. و أضاف بان أشعاره كانت أكثر تنوعا من أشعار محمود خان و القائم مقام و سروش، و من ذلك شعره الذي يخاطب به قبر أبيه، فهو يتحدث عن سفر إخوانه و فراقه لهم، و يشتكى بحرقه من الأشخاص الذين يحاربونه، ثم يدعو إخوانه الذين سافروا إلى الهند للعودة إلى شيراز و ركن آباد بأسلوب عذب رقيق، و يصور بعد ذلك جاريته

ص: ٢٦٥

١- المترجم هنا ليس الميرزا محمد حسين بن صفر على اللاهيجي القزويني المترجم في "الكرام البرره" ص ٣٩٥.

٢- السيد احمد الحسيني.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

السوداء، و هي نائمه في فراشها الأبيض. و لم يكن يعجز عن نظم الاشعار فى الأمور التى يعجز سواه من الشعراء عن النظم فيها، فقد كان يظهر الأفكار و الآمال و الحالات النفسية بأسلوب بين و هو يثبت لقارئه أنه بعد سنين طوال جاء شاعر يختلف عن الشعراء المتقدمين بكونه يحمل قلبا رقيقا و مشاعر جياشه، فهو يفرح و يحزن للأمور و يتفاعل معها و يبدو عليه التأثر بسرعته.

تزوج الداورى من ابنه الميرزا مهدي خان ابن عم الميرزا على أكبر قوام الملك، و رزق منها بولد أسماه جلال، و لكن جلال هذا فارق الحياه فى مقتبل عمره، فحزن عليه أبوه الذى عرف برفته غايه الحزن و فارق الحياه عام ١٢٨٣ هـ فى الوقت الذى لم يكن يتجاوز عمره الخامسة و الأربعين. و دفن فى " شيراز فى حرم شاه چراغ" (١)

ميرزا محمد رفيع لكهنوى:

توفى سنه ١٢٤٨ فى الهند.

عرف بميرزا فعل غافل. كان عالما خبيرا فى الفقه و الحديث و الأصول. كما كان شاعرا و طبيا و خطيبا و هو من أرشد تلاميذ غفران مآب، عرف من مؤلفاته: وسيله النجاه، و مثير الأحزان، و ترجمه لبعض مجلدات البحار.

الشيخ محمد رضا القمشه إى

يعتبر الشيخ محمد رضا بن الشيخ أبى القاسم القمشه إى أحد حكماء العهد القاجارى ولد فى قمشه من بلاد أصفهان عام ١٢٤١ هـ، و درس فيها مقدمات العلوم، ثم درس الفلسفه و الحكمة و العرفان على الملا- محمد جعفر اللاهيجى بن محمد صادق اللاهيجى شارح المشاعر و محشى إلهيات شرح التجريد للقوشجى و التلميذ اللامع للملا على النورى و كذلك درس على الميرزا حسن بن الملا على النورى و السيد رضى اللاهيجى المازندرانى. ثم اشتغل فى أصفهان بتدريس الحكمة و العرفان. و كان طوال السنين التى أمضاها فى أصفهان، يمضى فصل الشتاء فى هذه المدينة و بقيه الفصول فى قمشه.

عرف هذا الحكيم بحسن أخلاقه و رفعه ذوقه و آدابه و عرفانه، و كان العديد من الدراويش يحضرون عنده بسبب مسلكه التحررى.

برز من بين تلامذته الميرزا هاشم الإشكورى و الميرزا على محمد الأصفهانى المعروف بالحكيم الذى اشتغل معلما فيما بعد فى المدرسه السياسيه فى طهران، و كذلك الحاج الملا على الحكيم الالهى السمنانى الذى تتلمذ أيضا على الحاج الملا هادى السبزوارى، و صفا الاصفهانى الذى كان شاعرا معروفا و الشيخ العارف محمد الفانى و الشاعر السمنانى.

نقل أن محمد رضا القمشه إى كان معاصرا للحاج الملا- هادى السبزوارى إلا- أن الحوزه العلميه للحكيم الأخير كانت أكثر ازدهارا من محافل دروس العارف القمشه إى، و حين سئل محمد رضا القمشه إى عن سبب ذلك، أجاب: "لما كان ورع و زهد الحاج الملا هادى طاغيين على مقامه العلمى فان أغلب الناس يهرعون إلى حوزته العلميه فى سبزوارة".

تحدث مؤلف طرائق الحقائق عن محمد رضا القمشه إى، فقال:

" كان هذا العالم الذى تميز بحسن أخلاقه و صفائه قد درس كتب الحكمه و العرفان فى هذه المدينه لسنين طوال، و فى عام المجاعه باع كل ما يملكه من ضياع و عقار و أملاك و أنفق أموالها على الطلاب و الفقراء، ثم قدم إلى طهران و اشتغل فيها بالتدريس فى مدرسه الصدر الأعظم الميرزا شفيح الواقعه فى مسجد الشاه. و لعل أحدا لم يفضله بعد الصدر القونيوى فى بحث كتاب فصوص الحكم. و كان فى غايه الأدب و الشرف فكأنه أبو ذر عصره أو سلمان زمانه".

و تحدث عنه الوزير الفرنسى المفوض فى ايران كنت غوبينو (من عام ١٢٧٨ إلى ١٢٨١ هـ) فى كتابه الموسوم ب (الأديان فى آسيا) فقال:

" ياتى هذا الرجل فى المقام الأول من حيث الذكاء و الفطنه، و هو ذو مقام جليل فى العلوم".

توفى هذا الحكيم العارف عام ١٣٠٦ هـ فى طهران و دفن إلى جوار قبر الحاج الآخوند المحلاتى فى مقبره ابن بابويه فى مدينه الرى. و ترك مؤلفات عديده أهمها:

(١) حواش على كتاب تمهيد القواعد لابن ترك [تركه] (٢) حواشى على كتاب الأسفار الأربعة للملا صدرا الشيرازى (٣) حواش على شرح فصوص الحكم للقيصرى (٤) رساله فى موضوع العلم (٥) رساله فى موضوع الخلافه الكبرى (٦) رساله فى وحده الوجود (و هى تتعلق بالفصل الأول لكتاب فصوص الحكم للقيصرى) و قد طبعت هذه الرساله مع حواشى الميرزا أبو الحسن جلوه و متن كتاب تمهيد القواعد: لابن تركه و رساله مفتاح مفاتيح الفصوص لصدر الدين القونيوى مع حواش لأبرز تلاميذه الميرزا هاشم الإشكورى الكيلانى على رساله مفتاح مفاتيح الفصوص، بالاضافه إلى عدده رسائل و حواش أخرى لبعض الحكماء و العارفين فى مجلد واحد عام ١٣١٦ هـ - ق فى طهران (٧) شرح حديث الزنديق.

و إضافه إلى التأليف عرف محمد رضا القمشه إى بدوقه الرفيع و مهارته فى نظم الشعر (٢).

الشيخ محمد زاهد النجفى

مرت ترجمته فى موضعها من (الأعيان) و نضيف إليها هنا ما يلى:

ابن الشيخ جعفر بن الشيخ عيسى بن الشيخ موسى المعروف بزاهد نسبه إلى أسرته (ال زاهد) التى تنتمى إلى قبيله آل (ماح) من ربيعه و هى من أشهر قبائل الحى فى محافظه الكوت نرح جددهم الأعلى من الغراف و جاور النجف قبل قرنين من الزمن و من مشاهير اعلامها فى العلم و الفضل الشيخ عيسى (جد المترجم) فقد كان من أفضل تلامذه (صاحب الجواهر) و خاصته و باشاره من شيخه المذكور سافر إلى ايران و أقام فى عاصمتها طهران ما ينيف على ثلاثين عاما كان فى خلالها مبعولا لدى سائر طبقات الايرانيين و بعد وفاته فيها نقل جثمانه إلى

ص: ٢٦٦

النجف، و كان قد اقترن هناك باحدى كرائم بعض الأسر أعقب منها - عدا البنات - ولدين أحدهما الشيخ جعفر والد المترجم الشيخ محمد(١) فكان مولده و نشأته و تحصيله فى النجف و توفى فيها حوالى سنه (١٣٣٠) و لم يبلغ الستين من العمر و كان الشيخ محمد ماهرا فى العريبه و آدابها و أشهر أساتذته فيها السيد إبراهيم الطباطبائى و برع فى نظم الشعر، و فى العقد الرابع من حياته أصابته زمانه ألزمته البيت و الفراش فكان يحمله أحد أصهاره إلى المحافل الأدبيه و الأندية العلميه و اقتصر بشعره على مدائح العلماء و زعماء الدين من بيوت النجف العريقه و قد تفرق شعره و لم يتصد أحد لجمعه بعد وفاته.

ذكره صاحب الحصون فى ج ١ ص ٤٧٣ فقال: كان شاعرا ماهرا فى صنوف الشعر، أديبا بليغا ليبيا عالما فاضلا، و كان فطنا ذكيا جيد القريحه، ينظم الشعر الجيد الحسن، و فى أواسط عمره أصابه مرض فى رجليه و طال به حتى صار مقعدا لا يقدر على النهوض، و كان صهره يحمله على ظهره و ياتى به إلى المحافل، و كان يحضر عليه جماعه فى العريبه و المعانى و البيان فقد كان ماهرا فيهما، و شعره جيد السبك حسن الديباجه سهل ممتنع، و كم له فينا من مدايح و تهانى و مراثى، و كان فقيرا معدما، و قد تكسب بشعره فهو من شعرائنا المعاصرين.

و ذكره أيضا فى ج ٩ ص ٤٩٧ مع إثبات بعض شعره الذى قاله فى آل كاشف الغطاء و فى صاحب الحصون.

و ذكره الشيخ جعفر النقدي فى كتابه المخطوط (الروض النضر) ص ٢١٩ فقال: الأديب الأريب الفاضل، كان من أهل الفضل و الكمال، بارعا فى جملة من الفنون سيما العلوم العريبه، ولد و نشأ فى النجف الأشرف، و فى أواخر أمره صار مقعدا يرتزق ببنات أفكاره، بيد أنه لم يتعد علماء الدين بمدىحه.

توفى فى النجف يوم الجمعة ٢٧ جمادى الأولى من عام ١٣٢٩ هـ.

و فى الروض النضير عام ١٣٢٧ هـ و دفن فى وادى السلام.

الميرزا محمد صادق الأميرى

المشهور ب (أديب الممالك الفراهانى) ابن الحاج الميرزا حسن و حفيد الميرزا معصوم الملقب ب (المحيط) (أخو الميرزا أبو القاسم القائم مقام الذى كان وزيرا لمحمد شاه و صاحب الديوان و الكاتبات. من كبار شعراء و مؤلفى، أواخر العصر القاجارى أو فتره الصحوه و استقرار المشروطه فى ايران.

ولد عام ١٢٧٧ هـ فى قريه كازران التابعه لمدينه أراك، درس مقدمات الأدب على أبيه، ثم درس على أساتذه الفن الأدبى فى أراك، و بدأ ينظم الشعر. و لم يكمل يبلغ الخامسة عشره من عمره حتى فارق أبوه الحياه عام ١٢٩١ هـ، فاختل نظام عائلته أثر ذلك، و اشتد عليه ضغط الدائنين و اعتداءات حاكم أراك و قائد قواتها الأمير عبد الحميد ميرزا ناصر الدوله، فاضطر إلى مغادره أراك و التوجه إلى طهران سيرا على الأقدام عام ١٢٩٣ هـ. و فى العاصمه أمضى فتره من الوقت فى حياه صعبه، حتى سطع نجمه الأدبى، و نالت أشعاره إعجاب الدواقين، و استطاع الوصول فى ذلك الوقت إلى الأمير طهماسب ميرزا مؤيد الدوله الذى كان أديبا و عالما، فأراد الأمير أن يمتحن قدرته على نظم الشعر، فأنشده بيتا و طلب منه النظم على وزنه بداهه ففعل و أجاد، فنال إعجاب الأمير، و أثبت بذلك مدى تضلعه بالأدب و فنون الشعر.

حدث ذلك عام ١٢٩٥ هـ في طهران و لم يكن الميرزا محمد صادق الفراهانى الذى يلقب نفسه حتى ذلك الوقت ب (بروانه) قد تجاوز الثامنة عشره من عمره، فساهمت هذه الحادثه فى شهرته أكثر فأكثر.

و تعرف خلال ذلك على حسن على أمير نظام الكروسى الذى كان يشغل آنذاك منصب وزير الخدمات العامه، و أثر ذلك لقب ب (أمير الشعراء) و غير تخلصه فى أشعاره من بروانه إلى (الأميدى).

و حين عين أمير نظام عام ١٣٠٩ هـ حاكما على كرمانشاه، اصطحبه معه و بقى الشاعر فى كرمانشاه حتى عام ١٣١٣ هـ حيث عاد فى أواخره إلى طهران. و فى عام ١٣١٤ هـ لقبه مظفر الدين شاه القاجارى ب (أديب الممالك) و فى ذى القعدة [١٣١٤] من نفس ذلك العام عين أمير نظام مشرفا على شؤون آذربايجان، فاصطحب الشاعر الأميدى معه إلى تبريز، ثم عين عام ١٣١٦ هـ نائبا لمدير المدرسه اللقمانيه فى تبريز.

و باشر بإصدار صحيفه (الأدب) فى هذه المدينه. غادر تبريز عام ١٣١٨ هـ متوجها إلى القفقاس و منها إلى خوارزم، ثم سافر إلى مشهد و مكث فيها حتى عام ١٣٢٠ هـ و أصدر فيها صحيفته (الأدب). ثم عاد إلى طهران و اشتغل سكرتيرا و محررا لصحيفه ايران الرسميه. و فى عام ١٣٢٢ هـ عين من قبل وزاره الداخليه مديرا لصحيفه (آفتاب) شبه الرسميه. و فى عام ١٣٢٣ هـ سافر إلى باكو و نسق هناك مع صحيفه (إرشاد) التركيه، و أخذ ينشر معها ملحقا باللغه الفارسيه.

و حين افتتح مجلس الشورى الوطنى فى شعبان عام ١٣٢٤ هـ، كان هو فى طهران، فاخذ على عاتقه مهمه سكرتير صحيفه المجلس التى أسسها الميرزا محمد صادق الطباطبائى. ثم أسس عام ١٣٢٥ صحيفه (عراق العجم) فى طهران، و لكنها لم تستمر طويلا. و فى عام ١٣٢٧ دخل طهران ضمن المجاهدين الفاتحين، و اشتغل بعد مده فى وزاره العدل، فأصبح عام ١٣٢٩ هـ رئيسا لعدليه سمنان و فى عام ١٣٣١ هـ رئيسا لاصلاحيه (ساوجبلاغ) فى طهران و فى عام ١٣٣٤ هـ رئيسا لعدليه أراك و فى عام ١٣٣٥ هـ رئيسا لعدليه يزد. و باشر حملاته ضد ادارات العدليه و رؤسائها منذ توليه مسئوليته فى سمنان عام ١٣٢٩ هـ. و رغم مشاغله الحكوميه و اهتمامه بالشعر لم يغفل عن عمله الأساسى و هو ممارسه الصحافه، حيث كان يصدر عنه خلال ذلك العديد من الصحف، و كانت أغلب أشعاره تطبع و تنشر فى هذه الصحف.

أصيب عام ١٣٣٥ أثناء رئاسته لعدليه يزد بازمه قلبية، فاضطر للعوده إلى طهران، ثم فارق الحياه فيها عام ١٣٣٦ عن عمر بلغ الثامنه و الخمسين. فدفن فى مدينه الرى بالقرب من ضريح الشاه عبد العظيم فى صحن - المرحوم محمد صادق المجتهد الطباطبائى فى حجره المرحوم الميرزا أبو الحسن خان القائم مقام.

طبع ديوان أديب الممالك فى طهران عام ١٩٣٣ م باهتمام و حيد الدستوردى. و جاء هذا الديوان فى ٧٥٠ صفحه مشتملا على عدد كبير

ص: ٢٦٧

الفقه و الأصول و الحديث مما ملأ به المكتبات و المدارس الدينيه و قام من بعده بتعاطى هذه المهنة اولاده.

من القصائد و اللطائف و أشعار الهجاء اللاذع التي نظمها الشاعر بقصد الانتقام من أعدائه. و قد تحدث عنه مصحح ديوانه الوحيد الدستوردي فوصف مقامه الشعري و تأليفاته بما يلي: "كان أديب الممالك متقدما على جميع معاصريه دون استثناء بشاعريته بل انهم كانوا بالنسبه اليه كقطره إلى بحر و كالثرى إلى الثريا، بل ان مكانته بين شعراء فتره تجديد الحياه الأدبيه التي تبدأ بنشاط الاصفهاني و تنتهى به (أديب الممالك) تفوق جميع الشعراء عدا الحكيم القآنى و سروش و شاعرا و شاعرين آخرين. و إلى جانب موافقه عصره مع عصر المشروطه و الثوره و حدوث النزاعات السياسيه، فان ميدان نبوغه و عبقريته سمح له أن يبرز شاعرا قويا مميزا، فاق جميع الشعراء من العصور البعيده، إلى الآن ما عدا عددا قليلا منهم. و أما فى علوم الأدب و اللغه الفارسيه و العرييه فقد كان أستاذا متتبعاً، و كانت ذاكرته القويه تسعفه فى الأوقات المناسبه فى كتاباته. و ليس له نظير فى علم الأنساب و تاريخ العرب فى المتقدمين و المتأخرين، و إضافه إلى ذلك كان ملما بعلوم الحكمة و الرياضيات و النجوم بما هو زائد عن حاجه الشاعر، و كان عارفا باللغات: الروسيه و الكلدانيه و التركيّه و البهلويه و قليلا من الفرنسيه و الإنجليزيه.

أما تأليفات الفراهانى فهى: صيقل المرآه فى الجغرافيا، السماء الدنيا فى الهيئه الجديده، (تابش مهر)، الفلك المشحون، تحفه الوالى فى العروض، مقامات الأميرى، رشحات الأقلام، ديوان فارسى مع معجم، رساله فى عقد الأنامل، و أغلب هذه الرسائل مفقوده، باستثناء الرساله الأخيره التي حصلنا عليها فى ملاير قبل بضع سنين إلا انها فقدت فى العراق".

و تحدث يحيى آريان پور عن أديب الممالك الفراهانى فقال: "كان الأمدى فى غايه الاقتدار فى أنواع الشعر باستثناء الغزليات التي لم ينجح فيها. و كان أسلوبه فى الكتابه يشبه أسلوب الأساتذه المتقدمين و كان يسلك سلوكك أسلافه فى شعره، حيث يتدوه بالمدح قاصدا التزلف و الحصول على صلات الأمراء فى سبيل تامين حاجاته و معيشته". و إضافه إلى ذلك نجد فى ديوانه آثارا قيمه فى الدعوه إلى التحرر و حب الوطن و التجديد و طلب الرفعه لايران و الايرانيين و كذلك مكافحه الخرافات و التقاليد الخاطئه و الظلم و الإجحاف، بحيث يعد نقلها مدعاه لفخر الايرانيين، كونها قدوه فى الفكر و العمل"⁽¹⁾

السيد محمد العصار بن محمود الحسينى اللواسانى الطهرانى

ولد سنه ٢٦٤ [١٢٦٤] فى طهران و توفى سنه ١٣٥٦ فى مشهد الرضا مرت ترجمته فى المجلد العاشر من (الأعيان) و نعيدها هنا بتفاصيل أوسع:

انحدر من بيت يكتنفه العلم و الفضيله و الزهد و التقوى. أسلافه مشهورون فى قرى "لواسانات"، للناس فيهم عقيدته راسخه و قبور بعضهم بارزه يتبرك بها.

منهم السيد محمد الحسينى المدفون فى قريه "ايكه" و قبره مزار معروف.

و من أعمام والده السيد مرتضى اللواسانى، و كان من مشاهير تلامذه الشيخ محمد حسن النجفى صاحب الجواهر. ثم أكبر أولاده مير محمد على بن مرتضى، و كان من أجلاء علماء عصره.

نشا المترجم نشاته الأولى فى طهران برعايه والده و اشتغل بتعلم القرآن الكريم و مبادئ القراءه و الكتابه فى سن مبكره من سنّى صباه، و لما بلغ العاشره كان قد فرغ من قراءه القرآن و تعلم التجويد، و الفارسيه و الحساب و مسك الدفاتر التجاريه.

ثم دخل المدرسه المحمديه من المدارس العلميه بطهران، فتتلمذ على مدرسيها فى العلوم الأدبيه و مبادئ النحو و الصرف و غيرهما، و بعد ذلك حضر على الملا- عزيز الله الطالقانى و الشيخ محمد حسن المعروف بالجاله ميدانى. ثم أخذ حجره فى المسجد الجامع، و فى هذه الفتره تتلمذ فى الفقه و الأصول سطحاً على الحاج ملا إسماعيل القره باغى أيام إقامته بطهران، و كتب خلالها شرحاً على كتاب "معالم الأصول".

و بعد ذلك حضر دروس كبار علماء طهران فى ذلك العصر، كالسيد ميرزا صالح العرب المشتهر بالداماد، و فى الرابعه و العشرين من عمره سافر إلى العراق للدراسه، فوصل كربلاء فى أواخر شهر شعبان من سنه ١٢٨٩، و جعل يحضر بحث الشيخ زين العابدين المازندرانى.

و فى هذه السنه سافر إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، و بقى بمكه المكرمه و المدينه المنوره سنتين رجع بعدهما إلى النجف الأشرف سنه ١٢٩١ و حضر أبحاث الميرزا محمد حسن الشيرازى أيام إقامته بالنجف، و بعد هجره الشيرازى إلى سامراء تتلمذ على المولى على الخليلى و الميرزا حسين الخليلى و الفاضل الإيروانى و الميرزا حبيب الله الرشتى.

و عزم فى سنه ١٢٩٥ على العوده إلى طهران لشده عوزه المالى، و لكن السيد الشيرازى أصر على بقاءه فى سامراء، فذهب إليها فى سنه ١٢٩٦ و بقى بها إلى سنه ١٣٠١ حيث رجع إلى طهران و أقام بها.

قلنا أن المترجم توجه إلى الحجاز فى سنه ١٢٨٩ لأداء مناسك الحج و زياره النبى و الأئمه عليه و عليهم الصلاه و السلام بالمدينه المنوره.

كانت سفرته هذه من طريق البصره فى بحر عمان إلى "جده"، و سببت العراقيل الموجوده فى الطريق أن لا يدرك الموسم فبقى فى جده إلى بعد العاشر من المحرم ثم دخل مكه بعمره مفرده إلى شهر ربيع الأول، و حضر خلال إقامته بها دروس السيد أحمد زينى دحلان فى الفقه الشافعى و الشيخ محمد البسيونى مدرس الأدب العربى فى الآداب و الشيخ عبد الرحمن الهندى فى التفسير.

و عاشر أيام إقامته بمكه المكرمه الشيخ رحمه الله صاحب كتاب "إظهار الحق"، و الشريف عون، و غيرهما من الشخصيات المرموقه! و اشتهر فضله فى الأوساط العلميه و زادت صلاته الوديه بالعلماء و أرباب الفضل، و كان فى تلك الأوساط يتستر بالمذهب الشافعى.

و بعد شهرين ارتحل إلى المدينه المنوره، فدخلها متنكراً و مدح الوالى الأمير خالد بقصيده أنشدها بين يديه فى يوم الجمعة بمحضر جماعه من الشرفاء و العلماء.

و وقعت القصيده موقع الرضا و القبول من نفس خالد و أمر له بصله، فبين المترجم حاله و قال انه لم ينظم القصيده توقعا لأخذ الصله

و انما للتعرف بالوالى.

و حضر أيام إقامته بالمدينه على شيخ الشافعيه فى الفقه الشافعى، و الشيخ الحافظ عبد الغنى الهندى فى صحيحى البخارى و مسلم و موطا مالك، و الأندى عبد الجليل براده فى الأدب العربى. هذا عدا روابطه الخاصه بوجه العلماء و الأدباء و ذوى الفضل و المعرفه.

و بعد اقامه سته أشهر فى المدينه المنوره عاد إلى مكه و بقى إلى موسم الحج حيث أدى المناسك و يم صوب العراق بعد يوم الغدير.

و وصل فى طريق العوده إلى بيروت فانقطع به الطريق لكثرة البرد و الثلوج، فبقى بها أكثر من شهر معاشرًا لجماعه من معارف الأدباء و فى مقدمتهم أولاد الشيخ ناصيف اليازجى الشاعر و الكاتب اللبناى المشهور.

ثم رجع إلى طهران فى اليوم الرابع من شهر شعبان سنه ١٣٠١.

و تولى فى طهران الشئون الاجتماعيه، و كان ساعيا فى قضاء حوائج الناس و رفع مشاكلهم، كما قام بتحقيق و تصحيح عدد من كتب القدماء و الاشراف على طبعها و السعى فى نشرها، و عكف كذلك على التأليف و التصنيف و الإفاده و التدريس.

و منذ سنه ١٣٤٠ انتقل إلى مشهد الرضاع، فورد المشهد فى اليوم الثانى من ذى الحجه [١٣٤٠] من السنه المذكوره.

و كان يقيم الجماعه فى الحرم الرضوى و يؤم بصلاته جماعه من طلبه العلم و المؤمنى الأخيار.

كان شاعرا ينظم باللغه العربيه و الفارسيه، و كان يتخلص فى شعره الفارسى ب "آشفته" ثم غيره إلى "عصار". و له ديوان كبير يحتوى على ما نظمه فى مختلف الأغراض الشعريه.

بدأ السيد بالتأليف منذ أيام تحصيله فى طهران و الحوزات العلميه، فكتب حواشى كثيره على الكتب الدراسيه و غيرها فقد بعضها بسبب تعدد الأسفار و التنقلات، و يبدو انه كان طويل النفس فى أكثر مؤلفاته التى تجاوز بعضها المجلدين و الثلاثه. و انتقل الكثير من هذه الكتب بخطه إلى مكتبه الامام الرضاع فى مشهد^(١).

السيد محمد بن على الحسينى:

فاضل جامع من رجال القرن الثالث عشر، من تلامذه آقا محمد على، أخبارى شديد متحامل على الأصوليين، شديد النكير على العرفاء و الصوفيه، مدرس يبدو من كتاباته أنه تخرج عليه جمع من طلاب العلوم الدينيه.

له "وصيت نامه"^(٢)

محمد على حسن شمس:

ولد سنة ١٢٣٢ فى لكهنؤ (الهند) و توفى فىها سنة ١٣١٢.

كان شاعرا أديبا باللغتين العربيه و الفارسيه، و له عدده قصائد باللغه العربيه، و قد اشتهرت منها قصيدته الطويله التى يقول فى مطلعها:

لك الحمد يا رب البناء المشيدو رب الرواسى و البساط الممهد

و من مؤلفاته: قلائد الفرائد، السبعه السياره و غير ذلك.

محمد على الكشميرى بن صادق:

ولد سنة ١٢٦٠ فى لكهنؤ (الهند) و توفى فيها سنة ١٣٠٩ درس على كبار العلماء، كما درس الطب القديم و فتح عياده لمدواوه المرضى و تعاطى التأليف. فمن مؤلفاته: نجوم السماء، و غفران زار، و روضه الأذهان، و مجمع الفوائد.

محمد بن عبد الله الكاتبى النيسابورى

يعتبر من كبار شعراء ايران فى القرن التاسع الهجرى. و قد جاء فى تذكره الشعراء دولت شاه انه: "ولد و ترعرع فى قريه (طرق و ريوش) و هى من أعمال ترشيز بين نيسابور و ترشيز" و من هنا كان يسمى أحيانا فى كتب التراجم بالنيسابورى تاره و تاره أخرى بالترشيزى. و لكنه كان يصرح فى شعره بان نسبته هى النيسابورى.

أمضى الكاتبى فتره شبابه فى مسقط رأسه، و كما يبدو من شعره و كان ناجحا فى طلب علوم و فنون عصره، و خصوصا فنون الأدب و الشعر.

و من أبرز أساتذته فى نيسابور (سىمى النيسابورى). و كان سيمى هذا من مشاهير شعراء و فنانى القرن التاسع الهجرى، و من مشاهير الخطاطين فى عصره. و قد نقل عنه دولت شاه انه "كان رجلا فنانا موهوبا.. اشتغل بالأدب و اداره مدرسه، و كان يجيد سته أنواع من الخط، و لم يكن له نظير فى عصره فى علم الكتابه و فن الشعر و علم الألغاز، و كان بارعا فى صباغه الورق و صناعه الحبر و التذهيب، و وضع رسائل فى هذه العلوم، و تميز بفنه فى الإنشاء و التأليف، و كان أولاد الأكابر يدرسون عنده".

و كان الكاتبى من بين تلاميذ سيمى النيسابورى، حيث درس عنده مختلف أنواع الفنون و منها الخط و الشعر، و يقال انه أثار بتقدمه السريع فى تعلم هذه الفنون ضغينه أستاذه و حسده، فكان الأستاذ يشدد و يضيق عليه، و أدرك الكاتبى تغير حال أستاذه عليه، فغادر نيسابور متجها إلى هرات. و اعتاد أصحاب التراجم على نقل هذا الحديث، الا انه حقيقه غامضه بالنسبه لنا، و الشىء الوحيد الذى نسلم بصحته هو أن خلافا وقع بين الكاتبى و النيسابورى، حتى انه (الكاتبى) كان يتهم النيسابورى الذى انتقل فى آخر حياته من نيسابور إلى مشهد بانتحال أشعاره، و قد جاء هذا الاتهام فى بعض شعره، حيث يصفه بناكر الجميل بعد أن يذكر انه انتحل شعره. و لكن من يقرأ شعر الكاتبى بهذا الشأن يستبعد أن تكون ثمة علاقته أستاذا و تلميذا بين الكاتبى و سيمى

النيسابورى، اللهم إلا أن يكون نكران الجميل الذى روى الكاتبي به النيسابورى يكون من صفات الكاتبي نفسه. و الأرجح أن يكون السبب فى انتقال الكاتبي من نيسابور إلى هرات هو السعى لإكمال دراسته، فالمعروف أن هرات كانت آنذاك مركزا للعلم و الأدب و الفن و قبله لطالبي الفضيله و الفن. و خلال إقامته فى هرات كان فى خدمه باسنقر بن الميرزا شاه رخ، و يقال أن باسنقر حينما سمع بصيت

ص: ٢٦٩

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

الكاتبى طلبه اليه و امتحنه فى إكمال قصيده ففعل و أجاد. و يزعم أصحاب التراجم الذين لم يطلعوا على ديوان الكاتبى أن الأمير بايسنقر لم يعط الكاتبى حقه و لم ينزله المنزله التى كان يستحقها، فحزن الكاتبى لذلك و انتقل من هرات إلى أسترآباد و منها إلى طبرستان و گيلان...

و لكن الحقيقه غير ذلك لسببين، الأول: ان الكاتبى نظم قصيدتين فى مدح الأمير بايسنقر على نفس وزن القصيده التى اختبره الأمير بها و أجابه على وزنها مادحا له، الثانى: لم يقتصر هذا الشاعر فى مدحه للأمير على هاتين القصيدتين بل مدحه أيضا فى عدة قصائد جيده أخرى. و من هنا نعلم انه بقى فى خدمه الأمير التيمورى الفنان بعض الوقت، و لكن دون أن ينقطع عن ترحاله، حيث سافر من هرات إلى أسترآباد و منها إلى مازندران و گيلان و شيروان و مدح شاه شيروان (منوچهر) عدة مرات، و نال منه صلوات و جوائز، و مدح خلال ذلك الأمير الشيخ إبراهيم بن شاه رخ (المتوفى عام ٨٣٨هـ)، و يقال انه حصل منه على مبلغ قدره عشره آلاف دينار، إلا انه أنفق هذا المبلغ الكبير بأيام معدوده، بحيث لم يبق منه إلا سعر من من الطحين.

سافر الكاتبى بعد ذلك من شيروان إلى آذربايجان، و دخل فى خدمه إسكندر بن يوسف القره قويونلو (٨٢٣ - ٨٣٩هـ) (و لكن هذا التركمانى الجلف لم يدرك عمق شعره و لم يلتفت اليه) فغادر إلى أصفهان و التحق بالخواجه صائن الدين على بن محمد تركه الذى يعد من كبار علماء عصره فاخذ يستفيد من فيضه و ينهل من تصوفه و عرفانه. و على أية حال سافر الكاتبى من أصفهان إلى أسترآباد و بقى فيها حتى وفاته. و ينقل أن وفاته كانت بسبب الوباء أو مرض الطاعون الذى تفشى فى تلك المدينه. و قد نقل الأمير على شير فى (مجالس النفاثس) انه كان حيا فى الوباء الذى أصاب أسترآباد عام ٨٣٨هـ، و لكنه مات فى طاعونها عام ٨٣٩هـ، بينما قال دولت شاه ان وفاته كانت عام ٨٣٩هـ بوباء أسترآباد، و نفس هذا التاريخ تكرر فى حبيب السير، الا ان تقى الدين يرى أن هذه الحادثه تتعلق بعام ٨٣٨هـ إذ ينقل الماده التاريخيه لمولانا بدر الدين الشيروانى التى يحدد فيها عام وفاه الشاعر الكاتبى، و هذا بعض أصحاب التراجم حذوه فى ذلك. و قد دفن هذا الشاعر فى أسترآباد خارج ضريح السيد معصوم فى مقبره (نه گوران).

ترك الشاعر الكاتبى آثارا عديده، كانت بمجموعها دليلا على انصراف هذا الشاعر المقتدر إلى نظم الشعر و تقليد بعض الشعراء المتقدمين. فمثلا- كانت بعض آثاره أجوبه منه على آثار المتقدمين، و يبدو ذلك واضحا فى بعض المنظومات، مثل: (گلشن أبرار) و هى تقليد لمخزن الأسرار، و منظومه (ده باب) و هى تقليد لبوستان سعديو هكذا فى المحب و المحبوب أو (سى نامه)، بينما جاءت بعض أشعاره ثمره لفنه و قدرته فى صناعات الشعر، كما فى منظومته المشهوره (مجمع البحرين) و منظومه (ده باب تجنيسات).

و إذا كانت قصائد الكاتبى بمجموعها تظهر اقتداره و موهبته، فإنها جاءت على عاده الشعراء فى ذلك الوقت، فهى أما جواب للقصائد المشهوره للشعراء المتقدمين، و أما إذا كانت مبتكره فهى متأثره تأثرا مباشرا بالشعراء المتقدمين المعروفين.

و قد كانت آثاره متنوعه و مؤلفه من أجزاء عدده، هى كما يلى: ديوان مشتمل على قصائد فى مدح البارى تعالى و الرسول (ص) و مدح أستاذه صائن الدين و تيمور و شاه رخ و الميرزا بايسنقر و الميرزا سلطان إبراهيم و السلطان خليل و بعض ملوك و أمراء شيروان و عدد من مشاهير زمانه، و جاءت القصائد منظمه حسب الترتيب الأبجدى.

٢) منظومات الكاتبي التي جاءت تقليدا للشعراء المتقدمين، مثل:

گلشن أبرار التي يقلد فيها منظومه مخزن الأسرار للنظامي، و منظومه مجمع البحرين و هي تقليد لمنظومات خورشيد و جمشيد سلمان ساوجيو هما و همايون خواجو و منظومه (ده باب تجنيسات). و الجدير بالذكر أن مجمع البحرين تشتمل على مقدمه نشریه، و موضوع المنظومه هو عشق عرفاني بين الناظر و المنظور، و من هنا تسمى أحيانا ب (الناظر و المنظور)، و المنظومه الأخرى هي منظومه (ده باب) التي جاءت مشتمله على حكايات و نصائح أخلاقيه و كان الكاتبي قد نظمها بهدف تربيته ابنه عنایت، و هي تقليد لبوستان سعدی و على وزنها. و المنظومه الأخرى مثنوی (سى نامه) المشهوره ب (المحب و المحبوب) و هي تشتمل على ثلاثين رساله تبادلها المحب و المحبوب، و الحقيقه أن الكاتبي قلده في (السى نامه: ثلاثين رساله) الشعراء الذين كانوا ينظمون (الده نامه: عشره رسائل) و لكنه لم يكتف بعشره [العشره] فأكمل العده و جعلها ثلاثين. و المنظومه الأخرى هي مثنوی (كتاب دلربای) و هي منظومه عرفانيه ينظمها الشاعر بعد عام ٨٣٠ هـ بقليل، و موضوعها قصه ملك اليمن قباد مع وزيره.

و لا شك أن الكاتبي احتل مكانه شامخه بين شعراء عصره، و لا سيما في تقصى و اقتفاء آثار القدماء، و كانت قصائده العديده و مثنوياته آيه على تفتح قريحته حينما يقع في مضائق الشعر، و أما غزلياته فهي تظهر رفعة ذوقه و متانه كلامه و قوه بيانه. من هنا اعترف جميع مؤلفي العهد التيموري بمهارته و قدرته في الشعر، فمثلا قال عنه الأمير على شيرانه:

" كان في عصره دون نظير، و كان كلما اتجه إلى نوع من الشعر اتى فيه بمعان غريبه و لا سيما في القصائد، بل انه كان يخترع في شعره و جاءت أغلب اختراعاته جيده ". بينما بالغ دولت شاه في وصفه و مدحه و تعداد مواهبه.

و الحقيقه أن إعجاب أصحاب التراجم و الشعراء في القرن التاسع الهجري به، لم يكن بسبب غزلياته الرائعه المليئه بالمعاني و المضامين العرفانيه، التي هي أفضل و أكثر مهاره من جميع أنواع شعره الأخرى، و لم يكن أيضا بسبب قدرته و مهارته المثيره للإعجاب في إبداع المعاني و رعايه قواعد الشعر حتى في أصعب التزاماته الشعريه، انما كان إعجابهم به نتيجة لاهتمامه الخاص بالصناعات الشعريه و حسب. و لا شك أن الكاتبي كان من أكبر أساتذته القرن التاسع الهجري و من أرفعهم شانا.

كانت قصائد الكاتبي في أغلبها تتعلق بمدح السلاطين و الأعيان المعاصرين له، أو في المناقب أو في مصيبه كربلاء أو في المواعظ.

ص: ٢٧٠

تحدثنا آنفا عن علاقه الكاتبي به، و السلطان خليل ميرزا بن ميران شاه بن تيمور الذى خلف جده فى الحكم من عام ٨٠٧ - ٨١٢ هـ، و منوچهر شيروان شاه و هو من سلاله شاهات شيروان شاه و ظهير الدين الشيخ إبراهيم بن شاه رخ المتوفى عام ٨٣٨ هـ و عدد آخر من رجال و أمراء العهد التيمورى مثل الأمير معين الدين محمد و الخواجه جمال الدين محمد(١).

الميرزا محمد على بن قنبر على السدهى الاصفهانى المشهور بسروش الاصفهانى:

أحد الشعراء المعروفين فى العهد القاجارى. ولد عام ١٢٢٨ هـ فى سده من نواحي أصفهان، و برزت علاقته بالشعر و انشاده له منذ نعومه أظفاره. درس فى أصفهان ثم اقتحم ساحه الأدب، و سار على غرار شعراء عصره فى مدح الحكام و الأعيان، و لكنه لم يجن ثمره من ذلك و لم ينل مكسبا من ممدوحيه، فعزم على السياحه فى الأرض و عرض بضاعته الأدبيه فى أماكن أخرى، و كان عمره حين غادر أصفهان تسعا و عشرين سنه، فأقام فتره فى قم و كاشان ثم انتقل بعد ثلاث سنوات إلى تبريز فأقام فيها و حالفه الحظ هناك حيث شمله الميرزا قهرمان و الميرزا محسن من الأمراء القاجاريين برعايتهما ثم وصل إلى ولى العهد فأنشده قصائد قويه فيها الكثير من المبالغه و ذلك فى مناسبات الأعياد، فكانت تحل فى نفس ولى العهد موضع القول و الرضا فيقابلها بالصلات و الهدايا، و استمر الشاعر على هذه الحال بضع سنين نعم خلالها بالدعه و الراحة فى تبريز، حتى فارق محمد شاه الحياه عام ١٢٦٤ هـ، فانتقل إلى طهران و التزم ركاب ناصر الدين شاه و أصبح من خاصه حاشيته.

فنال من الشاه صلوات وافر و أصبح ذا مال و جاه، ثم أصبح الشاعر المقدم فى البلاط بعد وفاه القآننى، و لقبه الشاه بالخان و شمس الشعراء، و عاش بعدها سنوات عدده شاعرا رسميا للبلاط نعم خلالها بالرفاهيه حتى فارق الحياه فى طهران عام ١٢٨٥ هـ و له من العمر سبع و خمسون سنه.

ترك سروش آثارا أدبيه عديده هى: قصائد و مثنويات (ارديبهشت نامه - ساقى نامه - إلهى نامه) و كتاب (شمس المناقب) (كتب بخط الميرزا الكمره إى و طبع فى طهران عام ١٢٠٠ [١٣٠٠] هـ باهتمام المشتري الطوسى) و هو يحتوى على قصائد فى مدح و ذكر مناقب الرسول (ص) و الأئمه الأطهار و ستين مرثيه، و كذلك مثنوى باسم (روضه الأنوار) فى ذكر واقعه كربلاء و ديوان باسم (زينه المدائح). و قد طبع ديوانه الكامل عام ١٩٦٠ م باهتمام الدكتور محمد جعفر المحجوب مع مقدمه للأستاذ جلال الدين الهمائى و حواش و شرح لمعاني الكلمات، و جاءت الطبعة فى مجلدين.

يعتبر سروش من أشهر شعراء العصر القاجارى، و برزت مهارته بقوه فى نظم القصائد، و زعم انه نظم بعض القصائد على خطى السنائى و ناصر خسرو و المنوچهرى الا ان أسلوبه الخاص يذكر بأسلوب الشاعر الفرخى. و كان سروش فى تحصيل المراتب العلميه أقل مستوى من الشعراء المماثلين و المعاصرين له مثل: نشاط و القآننى و محمود خان و غيرهم و ذلك لأنه تعلم القراءه و الكتابه فى الخامسة عشره من عمره، و لم يجد بعد ذلك وقتا للدرس و المطالعه، و كل ما تعلمه كان من مطالعه أشعار الشعراء و كتب أهل الأدب و ما سمعه من أفواه أهل الحديث. و لكنه كان ذا قابليه كبيره فى استعمال الألفاظ الفارسيه الأصليه فى أشعاره، و لعل بعضها كان من وضعه، إذ لم تشاهد فى الكتب الأدبيه، إلا انه كان يخطئ فى استعمال بعض هذه الألفاظ أحيانا. و كان خط سروش غايه فى الرداءه و لا يكاد يقرأ، و إضافه إلى ذلك كان بطيئا فى الكتابه و قليل المهاره فيها. و لكن السهوله و الوضوح و العذوبه فى أشعاره كانت تغطى على تلك العيوب.

من أبرز تلاميذ سروش: المشتري الخراساني الذي كان يحمل صورته خاصة لأستاذه، وقد كتب ديوان سروش بخط يده مرارا.

و لعل أنفع و أهم أثر لسروش الأصفهاني نظمه لاشعار ألف ليله و ليله التي ترجمها الميرزا عبد اللطيف الطسوجي إلى اللغة الفارسيه.

و ذلك بعد أن طلب الأمير فاضل ميرزا (حاكم آذربايجان) الابن الرابع للميرزا عباس من شخصين فاضلين معاصرين له هما الملا عبد اللطيف الطسوجي (والد مظفر الملك) و سروش بترجمه نص ألف ليله و ليله إلى اللغة الفارسيه، بحيث يقوم الأول بترجمه النثر، أما الثاني فيترجم الاشعار العربيه الوارده في المتن. و جاءت ترجمه النثر بأسلوب فصيح رفيع، و أبدع سروش في ترجمه الاشعار حيث كان يستعير أشعار كبار الشعراء مثل سعدى و حافظ لمقابله الشعر الوارد في الأصل بما يناسب سياق الكلام، و لما كانت بعض الاشعار تحكى في ألف ليله و ليله عن حوادث معينه فقد كان يضطر إلى وضع الشعر المناسب بنفسه لمقابله الأصل و هكذا جاءت النسخه الفارسيه لألف ليله و ليله حاويه لأفصح و أعذب و أفضل الأشعار الفارسيه، و هي تفوق بكثير الاشعار العربيه الوارده في الأصل و التي هي في أغلبها أشعار عاميه سخيفه(٢)

الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ع، العلوي الحسني الشجري الكوفي:

ولد في رجب عام ٣٦٧، و توفي في ربيع الأول سنة ٤٤٥.

والده علي بن الحسن من العلماء المحدثين بالكوفه يعرف بابن عبد الرحمن ترجم له شيخنا الرازي في طبقات أعلام الشيعة ١١٨/٥، يروي عن أبي العباس المرهبي و محمد بن الحسين بن سعيد الأزدي و أبي عبد الله محمد بن محمد بن المجدد العطار و علي بن سفيان و محمد بن جعفر المقرئ، و يروي عنه ابنه أبو عبد الله العلوي.

نشا الشريف أبو عبد الله العلوي في الكوفه المدرسه الكبرى للحديث و الفقه و العلوم الإسلاميه.

فترعرع في أسرته علميه علويه عريقه و بيئه علميه أديبه، فبكر إلى سماع الحديث و أدرك جملة من تلامذه الحافظ بن عقده فحمل عنهم العلم و خاصه الحديث و فنونه، ثم رحل إلى بغداد عاصمه العلوم و الآداب و محتشد العلماء في كل فن، فتلمذ عليهم و تخرج بهم و رجع إلى

ص: ٢٧١

١- ذبيح الله صفا.

٢- عبد الرفيع حقيقت.

الكوفه بيت علمه يدرس و يؤلف حتى أصبح رحله يقصده بغاه العلم و هواه الحديث و حتى فاق مشايخ بلده و أعلام عصره، فكانت له المكانه المرموقه و الشهره الواسعه.

و مما يدل على ذلك:

١ - أن مثل الحافظ الصورى - و ناهيك به - قصده من بغداد إلى الكوفه ليقراً عليه و يسمع منه، فكان ينتخب عليه و يفتخر به (١) ٢ - اشتهاره ب (مسند الكوفه) (٢) فاختص بهذا الوسام و أطلق عليه و وصف به دون غيره من أعلام الكوفه على كثره من أنجبته من حفاظ و محدثين هم فى الذروه و السنام كابن أبى شيبه و مطين و ابن عقده و أضربهم [أضربهم]. و فى عصر العلوى أدرك الصورى بالكوفه أربعمائته شيخ.

٣ - اشتهاره بلقب (العلامه) (٣) لكثره علمه و تنوع فنونه، و لم يحرز هذا اللقب فى الكوفه غيره.

شيوخه

١ - أبو إسحاق الطبرى إبراهيم بن احمد المقرئ البغدادي المتوفى سنه ٣٩٣. ترجم له الذهبى فى العبر ٥٤/٣ و وثقه.

٢ - إبراهيم بن محمد النظامى.

٣ - احمد بن أصرم.

٤ - احمد بن زيد بن يسار أبو العباس البيسانى.

٥ - احمد بن عبد الله أبو حازم الجواليقى.

٦ - احمد بن عبد الله بن الخضر أبو الحسين السوسنجردى المعدل البغدادي المتوفى سنه ٤٠٢. تاريخ بغداد ٢٣٧/٤، العبر ٧٨/٣

قال:

و كان ثقه.

٧ - احمد بن محمد بن أبى الاس العطار.

٨ - احمد بن محمد بن احمد أبو طاهر التميمى القصار.

٩ - احمد بن محمد بن بنان أبو الطيب. ١٠ - احمد بن محمد بن على الصوفى التميمى.

١١ - احمد بن محمد بن عمران أبو الحسن ابن الجندى المتوفى سنه ٣٩٦ من شيوخ النجاشى. العبر ٦٠/٣.

١٢ - احمد بن الوزير بن احمد بن على بن سعيد الدهقان الكوفى نزيل بغداد.

- ١٣ - جعفر بن احمد بن عبد ربه الدهقان.
- ١٤ - جعفر بن احمد بن ليث البجلي العطار.
- ١٥ - جعفر بن محمد بن عيسى بن علي بن محمد الجعفري.
- ١٦ - جعفر بن محمد بن الحسين بن حاجب، أبو عبد الله.
- ١٧ - جناح بن نذير بن جناح أبو محمد المحاربي من شيوخ البيهقي صاحب "السنن".
- ١٨ - حسن بن حسين بن حيش المقري.
- ١٩ - الحسن بن علي بن بزيع.
- ٢٠ - الحسن بن احمد بن أبي داود الحفري القطان.
- ٢١ - حسين بن محمد البجلي.
- ٢٢ - الحسين بن محمد بن الحسن المقري.
- ٢٣ - الحسين بن محمد بن الحسين الخزاز.
- ٢٤ - الحسين بن محمد بن إسماعيل بن أبي عابد أبو القاسم قاضي الكوفة المتوفى سنة ٣٩٥. ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١٠٣/٨ و وثقه.
- ٢٥ - زيد بن جعفر بن محمد العلوي.
- ٢٦ - زيد بن جعفر بن محمد بن حاجب أبو الحسين الخزاز.
- ٢٧ - زيد بن محمد بن المؤدب.
- ٢٨ - الضحاك بن عبيد الله بن أبي قتيبه الغنوي.
- ٢٩ - عبد السلام بن احمد بن علي بن حبه الخزاز التغلبي (الاستدراك لابن نقطه ق ١١٣ ب).
- ٣٠ - عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر أبو القاسم البقال البغدادي.
- ٣١ - عبد الله بن جعفر بن محمد الجعفري.

٣٢ - عبد الله بن الحسين بن محمد أبو محمد الفارسي.

٣٣ - عبد الله بن مجالد بن بشر البجلي أبو محمد.

٣٤ - عبد الله بن محمد بن هشام التيملي.

٣٥ - عبد الواحد بن محمد بن عبد الله أبو عمر بن مهدي البغدادي المتوفى سنة ٤١٠ من شيوخ النجاشي و الشيخ الطوسي.

٣٦ - علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، والد المؤلف.

٣٧ - علي بن الحسن بن يحيى أبو الحسين العلوي.

٣٨ - علي بن الحسين أبو القاسم العزمي.

٣٩ - علي بن حماد بن قيس الاسدي.

٤٠ - علي بن سهل بن محمد بن أبي حيان أبو الحسن التيمي المعدل الكوفي رحل إلى بغداد سنة ٣٧٩. ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٤٣١/١١ و وثقه.

٤١ - علي بن عبد الرحمن بن أبي السري أبو الحسن البكائي الكوفي شيخ الكوفة المتوفى سنة ٣٧٦. ترجم له الذهبي في العبر ٢/٣.

٤٢ - علي بن محمد بن إسحاق المقرئ الخزاز...

ص: ٢٧٢

١- حكي الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمه أبي عبد الله العلوي عن بعضهم أنه قال: ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله. قال: و كان حافظا، أخرج عنه الحافظ الصوري و أفاد عنه و كان يفتخر به. و قال في ترجمته أيضا في تاريخ الإسلام: و انتقى عليه الحافظ الصوري. و الحافظ الصوري هو أبو عبد الله بن علي الصوري المتوفى سنة ٤٤١، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١٠٣/٣ و قال: و كان من أحرص الناس عليه (الحديث) و أكثرهم كتبا له و أحسنهم معرفه به و لم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث. و ترجم له ابن الجوزي في المنتظم ١٤٣/٨ و قال: و أكثر كتب الخطيب - سوى التاريخ - استفاده منه.

٢- سير أعلام النبلاء، و فيه: الامام المحدث الثقة العالم الفقيه مسند الكوفه... تاريخ الإسلام في وفيات سنة ٤٤٥، العبر ٢١٠/٣، شذرات الذهب ٢٧٤/٣، التحف شرح الزلف ص ١٢١ و فيه: الامام المحدث الثقة العالم البقيه مسند الكوفه...

٣- قال الحافظ السلفي في المشيخه البغداديه ق ٤٣ نسخه مكتبه فيض الله تحت عنوان: حديث الشريف أبي عبد الله العلوي: سألت الشريف أبا منصور (احمد بن أبي الفوارس عبد الله بن محمد، ابن الديخ الكوفي من تلامذه العلوي و من شيوخ السلفي)

عن الشريف أبي عبد الله هذا؟ فقال: كان من أولاد الحسن بن علي، و كان من أهل الفضل و العفه، و كان يقال له: العلامه الا أنه كان يتشيع...

٤٣ - علي بن محمد بن بيان الشيباني الفقيه.

٤٤ - علي بن محمد بن حاجب أبو القاسم.

٤٥ - علي بن محمد بن الفضل المؤدب الدهقان.

٤٦ - علي بن يعقوب بن السري.

٤٧ - عمر بن إبراهيم أبو حفص الكتاني المقرئ المتوفى سنة ٣٩٠ صاحب ابن مجاهد. ترجم له الذهبي في العبر ٤٦/٣ و وثقه.

٤٨ - عمر بن علي أبو حازم الوشاء القرشي.

٤٩ - كعب بن عمرو بن جعفر بن احمد أبو النصر المكتب البلخي.

تاريخ بغداد ٤٩٣/١٢.

٥٠ - محمد بن إبراهيم بن سلمه بن كهيل الكهيلي.

٥١ - محمد بن إبراهيم الكتاني المقرئ.

٥٢ - محمد بن احمد بن إبراهيم.

٥٣ - محمد بن احمد بن (الحسين بن) عبد الله أبو الحسن الجواليقي (فرحه الغري ص ١٣٩ و ١٤١).

٥٤ - محمد بن احمد النهمي.

٥٥ - محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل أبو الفضل الخزاعي الجرجاني تاريخ بغداد ١٥٧/٢.

٥٦ - محمد بن جعفر بن محمد بن هارون أبو الحسن بن النجار التميمي النحوي الكوفي المقرئ المتوفى سنة ٤٠٢، روى عنه النجاشي أيضا. ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١٥٨/٢، الذهبي في العبر ٨٠/٣ و وثقه.

٥٧ - محمد بن الحجاج أبو الطيب.

٥٨ - محمد بن الحسن بن احمد أبو الفضل بن حطيظ الاسدي.

٥٩ - محمد بن الحسين بن جعفر التيملي البزاز.

٦٠ - محمد بن الحسين السمني.

٦١ - محمد بن الحسين بن الصباغ القرشى.

٦٢ - محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفى.

٦٣ - محمد بن الحسين بن غزال الحارثى أو المحاربى الخزاز.

٦٤ - محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن البجلي المقرئ.

٦٥ - محمد بن الحسين بن جعفر أبو الطيب النخاس التيملى الكوفى المتوفى سنة ٣٨٧. ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد ٢٤٥/٢ و قال:

قدم بغداد سنة ٣٧٦ فكتب الناس عنه ثم رجع إلى الكوفة و كان ثقة يتشيع.

٦٦ - محمد بن زيد بن احمد بن مسلم أبو الحسن النهمى.

٦٧ - محمد بن زيد بن على بن جعفر بن مروان أبو عبد الله البغدادى نزيل الكوفة المتوفى سنة ٣٨٧.

٦٨ - محمد بن طلحة النعالى البغدادى.

٦٩ - محمد بن العباس الحذاء المقرئ.

٧٠ - محمد بن أبى العباس الوراق.

٧١ - محمد بن عبد الرحمن أبو طاهر المخلص الذهبى المتوفى سنة ٣٩٣ العبر ٥٦/٣.

٧٢ - محمد بن عبد الله بن خالويه.

٧٣ - محمد بن عبد الله بن المطلب أبو المفضل الشيبانى المتوفى سنة ٣٨٧ و أكثر عنه المؤلف كما فى الروض النضير. ٧٤ - محمد بن عبد الله بن الحسين القاضى أبو عبد الله الجعفى الكوفى المعروف بالهروانى المتوفى سنة ٤٠٢، و روى عنه النجاشى أيضا. تاريخ بغداد ٤٧٢/٥، العبر ٨١/٣.

٧٥ - محمد بن عبد الله الحنفى، و لعله المتقدم، و هو تصحيف الجعفى. أو لانه كان يفتى على مذهب أبى حنيفة فقيلا له الحنفى، فهما واحد.

٧٦ - محمد بن على بن بزهد أبو جعفر الشمالى الكوفى المتوفى سنة ٣٩٩ (الاستدراك لابن نقطة ق ٣٦ ب).

٧٧ - محمد بن على بن بنان.

٧٨ - محمد بن علي بن الجراح.

٧٩ - محمد بن علي العطار أبو عبد الله المقرئ البجلي.

٨٠ - محمد بن علي بن الحسين بن أبي الجراح أبو عبد الله.

٨١ - محمد بن علي بن عبد الله بن الحكم الخزاز الهمداني أبو عبد الله.

٨٢ - محمد بن علي بن الخطير الهمداني.

٨٣ - محمد بن علي بن عامر الكندي أبو الحسين البندار.

٨٤ - محمد بن علي بن الحسن الوشاء أبو حازم المقرئ.

٨٥ - محمد بن عمر بن يحيى أبو الحسن العلوي الحسن الكوفي، رئيس العلوية بالعراق ٣١٥ - ٣٩٠. تاريخ بغداد ٣/٣٤.

٨٦ - محمد بن محمد بن نوح النخعي.

٨٧ - محمد بن أبي هاشم جعفر بن محمد العلوي.

٨٨ - ميمون بن علي بن حميد المقرئ أبو قاسم.

٨٩ - يحيى بن الحسن بن يحيى العلوي.

٩٠ - أمه السلام بنت القاضي احمد بن كامل بن شجره البغداديه المتوفاه سنه ٣٩٠. العبر ٣/٤٦.

تلامذته الراوون عنه

١ - احمد بن عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، أبو منصور الكوفي البغدادى المولود سنه ٤٢٢، يعرف بابن الديخ، قرأ عليه الحافظ أبو طاهر السلفى سنه ٤٩٤ و ترجمه فى المشيخه البغداديه و روى عنه من أحاديث أبي عبد الله العلوي.

٢ - الشريف النقيب زيد بن ناصر أبو الحسين العلوي الحسيني، قرأ على المؤلف كتابه التعازى و رواه عنه سنه ٤٤٣. ثم رواه محمد بن احمد بن شهر يار الخازن فى مشهد أمير المؤمنين (ع) فى النجف الأشرف. طبقات أعلام الشيعة، القرن ٥ ص ٨٤.

٣ - سعيد بن محمد بن احمد أبو غالب الثقفى الكوفى.

٤ - علي بن الحسين صاحب كتاب المحيط بالإمامه.

٥ - علي بن محمد بن الطيب أبو الحسن بن المغازلي المالكي المعروف بابن الجلابى المتوفى سنه ٤٨٣، روى عنه مكاتبه كما

فى مناقب أمير المؤمنين (ع) له برقم ١٨٤ و ٢٣٢.

٦ - على بن محمد بن أبى الغنائم بن يحيى بن الحسين بن على بن حمزه بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، أبو الحسن العلوى الحسينى الكوفى.

ص: ٢٧٣

عن الشريف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن العلوي، كتب عنه نجا بن احمد.

قرأت (علي) أبي الحسن نجا بن احمد - و أخبرنيه أبو محمد ابن الاكفاني شفاها عنه، أنا الشريف الجليل أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الغنائم بن يحيى بن حمزه العلوي الحسيني، أنا الشريف السيد أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي في مسجده بالكوفه في شارع القلعه...

٧ - محمد بن علي بن ميمون أبو الغنائم النرسي الكوفي المقرئ المعروف بأبي لجوده قراءته المتوفى سنة ٥١٠هـ.

٨ - محمد بن الحسن بن إسحاق أبو الحسن بن فدويه الشاهد الكوفي.

٩ - محمد بن علي بن عبد الله أبو عبد الله الصوري الحافظ المتوفى سنة ٤٤١هـ.

١٠ - محمد بن عبد الوهاب الشعيره الكوفي. سير اعلام النبلاء.

١١ - الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الصمد التميمي النيسابوري.

اعلام الشيعة قرن ٥ ص ١٧٠.

١٢ - علي بن محمد أبو الحارث الحائري الكوفي.

١٣ - علي بن فطر الهمداني الكوفي.

١٤ - علي بن علي الرطاب الكوفي.

١٥ - عبد المنعم بن يحيى بن معقل الكوفي.

١٦ - عمر بن إبراهيم الزيدي النحوي، و هو آخر من روى عنه بالاجازه.

١٧ - محمد بن احمد بن بحشل أبو عبد الله العطار، و هو الذي روى كتاب فضل زياره الحسين عن العلوي المؤلف قراءه عليه في محرم سنة ٤٤٤هـ، و رواه عنه عمر بن إبراهيم أبو البركات الزيدي سنة ٤٤٨هـ.

١٨ - يحيى بن محمد الثقفي، روى الشوكاني في الإتحاف ص ٣٠ كتاب الجامع الكافي بإسناده عن المؤلف العلوي.

١٩ يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو المرشد بالله أبو الحسين الشجري العلوي الزيدي المتوفى سنة ٤٧٩هـ امام الزيديه بالرى و يجتمع مع شيخه المؤلف في النسب في عبد الرحمن الشجري.

١ - الأذان بحى على خير العمل (جزء فى ..) طبع فى دمشق سنة ١٣٩٩.

٢ - أسماء الرواه عن زيد بن على من التابعين، و حديث كل واحد منهم. نقل عنه السياغى فى الروض النضير مكررا، منها فى ج ١ ص ١١٧ و ٤٤٧.

٣ - كتاب التاريخ، نقل عنه ابن نقطه فى كتاب الاستدراك فى كلمه (بزه) و حكاه عنه فى تعاليق كتاب الإكمال لابن مأكولا ٢٥٥/١.

٤ - كتاب التعازى، ذكره شيخنا الطهرانى فى الذريعه ٢٠٥/٤ و ذكره أنه كان عند المحدث النورى، استكتبه عن نسخه فى مكتبه الامام الرضا (ع) فى مشهد، و ذكره النورى فى مستدرک الوسائل ٣٧٠/٣ و عده من مصادرہ و ترجم لمؤلفه. ٥ - فضل الكوفه و فضل أهلها، نسخه من الجزء الأول فى دار الكتب الظاهريه بدمشق ضمن المجموع رقم ٩٣ من الورقه ٢٨٢ إلى ٣٠٨، روايه أبى الغنائم النرسى محمد بن على بن ميمون المتوفى ٥١٠ عن المؤلف، و على نسخه قراه جماعه لها على أبى الغنائم فى سنة ٤٧٤.

٦ - الجامع الكافى، فى الفقه، و هو فى ست مجلدات، و هو الكتاب الذى قال عنه الذهبى فى ترجمه المؤلف فى سير أعلام النبلاء انه: جمع كتابا فيه علم الائمة بالعراق، فاجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره (١). و قال ابن الحابس فى المقصد الحسن: كتاب الجامع الكافى ستة مجلدات و هو أوسع كتبهم (الزيديه) آثارا و علما، جمعه أبو عبد الله محمد بن (على بن عبد الرحمن) الحسنى صاحب المقنع، و اعتمد فيه على ذكر مذهب القاسم بن إبراهيم (الرسى المتوفى ٢٤٦) و احمد بن عيسى و الحسن بن يحيى بن الحسن بن زيد و مذهب محمد بن منصور علامه العراق، و انما خص صاحب الجامع مذهب (٢) هؤلاء قال: لانه رأى الزيديه بالعراق يعولون على مذاهبهم، و ذكر أنه جمعه من نيف على ثلاثين مصنفا من مصنفات محمد بن منصور و انه اختصر اسناد الأحاديث مع ذكر الحجج فيما وافق و خالف - انتهى ملخصا.

و راجع تفاصيل ما يحويه الجامع الكافى تاريخ التراث العربى ٢٩٨/٢.

و يوجد الجامع الكافى فى ميلانو فى مكتبه امبروزيانا رقم ١٤٨. س راجع تاريخ الأدب العربى لبروكلمن ٣٣٤/٣، و نسخه اربعة اجزاء فى مجلدين فى مكتبه الجامع الكبير بصنعاء المجموع رقم ١٣١٠، مجله المورد العراقيه المجلد الثالث العدد ١ ص ٢٢.

و للجامع الكافى مختصران، أحدهما للمؤلف فقد اختصره و سماه المقنع و ياتى و الآخر للقاضى جمال الدين العفيف بن الحسن المذحجى الضرارى و سمي مختصره تحفه الاخوان فى مذهب أئمه كوفان، كما فى المقصد الحسن.

٧ - المقنع، و هو مختصر الجامع الكافى، كما تقدم و قد ذكره ابن حابس فى المقصد الحسن.

٨ - فضل زياره الحسين (ع) (١)

الشيخ محمد على الأراكى:

ولد فى مدينه أراك التى كانت تعرف بسلاطان آباد سنة ١٣١٢ و توفى فى قم عن ثلاث سنين و مائه سنة من العمر، بدا دراسته

الأولى فى أراك على السيد جعفر الذى كان من أركان حوزة أراك فتخرج عنده فى الأدب العربى و فى السطوح، ثم تابع
الدراسة على الشيخ محمد سلطان العلماء صاحب الحاشيه على اللمعه و كتاب مفصل الكفايه و أتم السطوح على السيد محمد
تقى الخونسارى [الخونسارى].

و فى سنة ١٣٢٢ أسس الشيخ عبد الكريم الحائرى الحوزه العلميه فى أراك فانتمى المترجم إلى دروس الشيخ عبد الكريم فى
الفقه و الأصول طيله ثمانى سنوات.

و فى سنة ١٣٤٠ هاجر الشيخ عبد الكريم من مدينه أراك إلى مدينه

ص: ٢٧٤

١- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

قم و أسس فيها الحوزه العلميه فالتحق به المترجم مع جماعه من الفضلاء و سكن في المدرسه الفيضيه و واصل الدراسه على الشيخ الحائري و لازمه ثلاثا و عشرين سنه.

و بعد وفاه السيد محمد تقى الخونسارى سنه ١٣٧١ تصدى المترجم للتدريس فتلمذ على يديه على مدى خمس و ثلاثين سنه الكثيرون من الطلاب المرموقون الذين يعتبرون اليوم من أساتذته حوزة قم.

و بعد وفاه السيد الكلبايگاني اتجهت اليه الأنظار في المرجعيه و لكن الأمر لم يطل إذ انتقل إلى جوار ربه.

ترك من المؤلفات: رساله الاستفتاءات، و حاشيه على العروه الوثقى، و توضيح المسائل، و مناسك الحج، و حاشيه على درر الأصول للشيخ عبد الكريم الحائري، و المكاسب المحرمه، و كتاب الخيارات، و كتاب البيع و غير ذلك.

الشيخ محمد علي الأنصاري القمي ابن الشيخ محمد حسين

هو من نسل سعد بن عبد الله الأشعري الذي فر مع قومه من العراق أيام الحجاج و نشروا التشيع في مدينه قم.

المؤلف و الشاعر. ولد عام ١٢٢٩ [١٣٢٩] في مدينه قم. قرأ مقدمات العلوم الإسلاميه في المدرسه الرضويه بقم ثم اتجه إلى التجاره و لكنه لم يترك المطالعه و الاستزاده من العلوم فقراً الأدب العربي و التاريخ الإسلامى، و كان يمتلك حافظه قويه فحفظ معظم دواوين الشعر العربي و كتب الأدب.

و بدأ ينظم الشعر في سن مبكره. و له دواوين و كتب و مختارات شعريه عديده و أكثر شعره في مدائح أهل البيت و رثائهم، لكن أهم عمل قام به و خلده في ايران هو نظمه "نهج البلاغه" حيث ترجم نهج البلاغه إلى الفارسيه و نظم خطبه في ٦٠,٠٠٠ بيت شعر، له من المؤلفات:

(١) نهج البلاغه المنظوم ١٠ مجلدات. طبع عدة مرات.

(٢) ترجمه كتاب (غرر الحكم و درر الكلم). طبع عدة مرات.

(٣) ترجمه (نهج البلاغه) إلى الفارسيه نثراً.

(٤) شرح و نظم عهد الامام على (ع) إلى مالك الأشر.

(٥) ديوان خزائن المراثى، في شرح وقائع حادثه كربلاء.

(٦) ديوان شعر.

(٧) اختزان [اختران] أدب.

(٨) دفاع از إسلام و روحانيت.

(٩) محمد پیامبر شناخته شده.

(١٠) دفاع از حسین شهید.

كما قام بتحقيق كتاب (أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها) لعبد القادر الرازى من اعلام القرن السابع الهجرى.

توفى سنة ١٤٠٥ بمدينه قم و دفن عند قبور أجداده فى مقابر الأشعريين (مقبره شيخان) فى قم (١).

نصير الدين الطوسى محمد بن محمد بن الحسن

اشاره

مرت ترجمته فى المجلد التاسع من (الأعيان) و مرت عنه دراسه فى المجلد الأول من (المستدركات).

و نشر عنه هذه الكلمه المكتوبه بقلم الأستاذ مفيد آل ياسين، و هى تدل على أن مكتبات بغداد قد سلمت من أذى المغول و كذلك الأوقاف. و قد كانت هذه السلامه سواء للمكتبات أو للأوقاف بفضل نصير الدين الطوسى الذى استطاع أن يقنع هولاء بان يعهد اليه بداره الأوقاف بعد أن كان هولاء قد عهد اليه بإنشاء مرصد مراغه، ففنعه بحمايه الكتب و نقلها إلى مكتبه مرصد مراغه:

إن الغالبية من المؤرخين الأسبقين و المحدثين يرجعون ضياع الكثير من كتب بغداد و فقدانها و تلفها إلى ما فعله المغول بها أثناء غزوهم لها سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) على يد هولاء و يستندون فى ذلك على مصادر معينه تختلف فى تصويرها للاتلاف و الإغراق و الإحراق.

لا بد لنا - بادئ ذى بدء - و نحن نحاول البحث فى مسأله إتلاف المغول لكتب بغداد عاصمه العباسيين، عند سقوطها على يدهم سنة ٦٥٦ هـ أن نذكر بايجاز حاله خزائن الكتب فيها قبل الغزو المغولى، ليعطينا ذلك صورته واضحه عنها و عما جرى عليها بعد الغزو المذكور.

لقد كانت بغداد فى أواخر الدوله العباسيه مركزا مهما من مراكز الاشعاع الفكرى و الثقافى، فيها العلماء الاعلام، اللذين يشد إليهم الرحال، و فيها المدارس العلميه التى تضم بين حناياها جهابذه العلم و أساتذته المعرفه، إلى جانب مراكز التعليم الأخرى من ربط و غيرها.

و لقد كان بعض الخلفاء العباسيين يهتمون بالعلماء و المدارس العلميه، حيث كانوا يزودون دور كتبها بالعديد من مجلدات الكتب، حتى أن الخليفه الناصر لدين الله بنى فى سنة ٥٨٩ هـ دار الكتب فى المدرسه النظاميه و نقل إليها عشره آلاف مجلد، هذا إلى جانب تزويده بالكتب رباط الاخلاطيه و الرباط الذى إلى جانب تربه والدته و رباط الحرير و غير ذلك. و لقد ذكر القفطى فى ترجمه مبشر بن أحمد بن على الرازى المتوفى سنة ٥٨٩ هـ بان الخليفه الناصر قرب منه أبا العباس أحمد المذكور " و اعتمده فى اختيار الكتب التى وقفها بالرباط الخاتونى السلجوقى و بالمدرسه النظاميه و بدار المسناه فإنه أدخله إلى خزائن الكتب بالدار

الخليفيه و أفرده لاختيارها".

و لقد نقل إلى المدرسه المستنصريه عند افتتاحها "من الربعات الشريفه و الكتب النفيسه المحتويه على العلوم الدينيه و الأدبيه ما حملة مائه و ستون حمالا و جعلت فى خزانه الكتب".

كما هناك إشارات إلى اهتمام الخليفه المستعصم بالكتب فقد عين فى سنه ٦٤٠ هـ شمس الدين على بن النيار فى خزانه الكتب التى لخصتها. كما أمر فى سنه ٦٤١ هـ بعمل خزانه للكتب فى داره. و يرد الخبر بإنشاء المستعصم لخزانتين متقابلتين للكتب. كما هناك إشاره إلى اسناد خزانه المستعصم التى استجدها فى آخر أيامه إلى صفى الدين عبد المؤمن بن فاخر الأرموى، و قد كان الخليفه يزورها و يجلس فيها بعد أن عدل عن الخزانه الأولى التى كانت باداره ابن النير المار ذكره.

و لقد ذكر الأرموى نفسه بان المستعصم عينه و الشيخ زكى الدين

ص: ٢٧٥

١- الشيخ محمد رضا الأنصارى.

عبد الله بن حبيب في الخزانة المذكورة. و يمكننا معرفه خزانه الخلفاء العباسيين ببغداد من وصف القلقشندى لها بقوله: "إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن إحداها: خزانه الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثره و لا يقوم عليه نفاسه..".

هذه نبذه موجزه تبين لنا حال خزائن كتب الخلفاء ببغداد كما تلقى ضوءا على خزائن كتب مدارس بغداد. و لا بد لنا أن نشير إلى خزائن الكتب الخاصه، حيث كان لأغلب العلماء و الوزراء ببغداد خزائن كتب خاصه بهم، لا مجال لذكرها هنا و لكننا على سبيل المثال نوه بما ذكره الفخرى عن خزانه الوزير ابن العلقمى التى كانت تضم عشره آلاف مجلد من نفائس الكتب بالاضافه إلى الكتب التى صنفت من أجله كالعباب للصاغانى اللغوى و شرح نهج البلاغه لعز الدين ابن أبى الحديد.

المغول و كتب بغداد:

هناك إجماع فى المصادر على استباحه المغول لمدينه بغداد، و اعمال السيف فى الرقاب، و نهب الأموال، و حرق بعض الأماكن، و ما إلى ذلك من مظاهر الاستباحه و الغزو و الفتح. و المهم هنا معرفه مصير كتب بغداد و ما جرى لها على أيدى هؤلاء الغزاه.

فمن أقدم الإشارات إلى ذلك ما ورد فى الكتاب المنسوب - اشتباها و غلطا - للمؤرخ ابن الساعى المتوفى سنة ٦٧٤ هـ قوله: "و يقال انهم - يقصد المغول - بنوا اسطبلات الخيول و طولات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن" ثم ما ورد عند ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ، من أن المغول استولوا على قصور الخلفاء و ذخائرها "و على ما لا يبلغه الوصف و لا يحصره الضبط و العد، و ألقىت كتب العلم التى كانت بخزائنهم فى دجله و كانت شيئا لا يعبر عنه، مقابله فى زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح فى كتب الفرس و علومهم". كما يذكر القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ عن خزائن كتب الخلفاء ببغداد عند الغزو المغولى بأنها "ذهبت فيما ذهب و ذهبت معالمها و أعفيت آثارها".

و يذكر ابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ عن كتب بغداد بأنها أحرقت كما يقول أن المغول "بنوا] بها جسرا من الطين و الماء عوضا عن الآجر. و يقول "و قيل غير ذلك". و هناك نص طريف لمؤرخ مكى توفى سنة ٩٨٨ أو ٩٩١ هـ جعل فيه بغداد على الفرات و قال: "و رموا كتب بغداد فى بحر الفرات و كانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركبانا و مشاه و تغير لون الماء بمداد الكتابه إلى السواد".

هذه أهم النصوص التى تدين المغول - الذين غزوا بغداد سنة ٦٥٦ هـ - بإتلاف الكتب و خزائنها. و سأناقشها بعد أن أشير بايجاز إلى المصادر التى سكتت عن مصير الكتب عند حادثه سقوط بغداد - و قد يفيد السكوت عدم حصول أى حادث للكتب -.

فمن أهم المصادر التى سكتت عن هذه المسأله، الرساله المنسوبه للخواجه نصير الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ و المرافق لهولاكو عند غزوه لبغداد، فهو لم يذكر شيئا عن الكتب بينما يذكر نهب المدينه و غزو أموالها. و كذلك فعل رشيد الدين فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ - و الذى يعتبر بحق مؤرخ المغول الأول - حيث سكت عن مصير الكتب، و لكنه ذكر القتل العام و النهب و الإحراق و الاستيلاء على قصور الخلفاء. كما نلاحظ السكوت أيضا عند اليونينى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ. و أبى الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ. و الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ. و غيرهم من المتأخرين كابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ.

أما المصادر التي أنارت الطريق للكشف عن المسألة، ففي مقدمتها معجم ابن الفوطى الموسوم بتلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب.

حيث يذكر لنا هذا المؤرخ البغدادي المعاصر للحوادث التي نحن بصدددها فى ترجمه عز الدين بن أبى الحديد ما نصه: "و لما أخذت بغداد كان - يقصد ابن أبى الحديد - ممن خلص من القتل فى دار الوزير مؤيد الدين مع أخيه موفق الدين، و حضر بين يدي المولى السعيد خواجه نصير الدين الطوسى و فوض إليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين و الشيخ تاج الدين على بن أنجب، و لم تطل أيامه فتوفى رحمه الله فى جمادى الآخرة من سنة ست و خمسين و ستمائة". و فى الحوادث الجامعه فى سنة ٦٥٦هـ: "كان أهل الحله و الكوفه و المسيب يجلبون إلى بغداد الأَطعمه [لأطعمه] فانفتح الناس بذلك و كانوا يتبعون بأثمانها الكتب النفيسه..." و فيه أيضا أن على شهاب الدين بن عبد الله عين صدرا فى الوقوف و قد عمر جامع الخليفه الذى أحرقت أثناء الحادثه ثم فتح المدارس و الربط و أثبت الفقهاء و الصوفيه و صرف لهم رواتبهم لما سلمت مفاتيح دار الخليفه إلى مجد الدين محمد بن الأثير و جعل أمره إليه " و فيه كذلك فى حوادث سنة ٦٦٢هـ خبر قدوم نصير الدين الطوسى إلى بغداد لتفقد الأحوال و النظر فى الأوقاف و الأجناد و المماليك و زيارته لواسط و البصره و جمعه الكثير من كتب العراق لأجل الرصد.

و أكد ذلك ابن شاکر الكتبى الذى يذكر تأسيس الطوسى لرصد مهم بمراغه فيه خزانه كتب مهمه ملأها من كتب بغداد و غيرها من المدن " حتى تجمع فيها زياده على أربعمائى ألف مجلد " و ذكر ابن كثير ذلك أيضا و قال " نقل اليه - يعنى الرصد - شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التى كانت ببغداد ". و هناك إشارة عند ابن الفوطى إلى سوق الكتب ببغداد سنة ٧٢٢هـ. كما أن المدرسه المستنصريه قد نجت أثناء حادثه سقوط بغداد " إذ كانت على وضعها حين وصفها ابن بطوطه فى سنة ٧٢٧هـ مطنبا فى تصوير عظمتها، و قد ذكرها حمد الله المستوفى بعد زمن ابن بطوطه باثنتى عشره سنة فقال: "ان بناءها من أجمل المباني الباقية ببغداد يومئذ ". و لدى القلقشندى عن أوقاف بغداد ما يفيدنا فى فهم مدى أثر المغول فى نظم بغداد بعد سقوطها حيث يقول: " و أوقافها جاريه فى مجاريها لم تعترضها أيدي العدوان فى دوله هولاء و لا فيما بعدها، بل كل وقف مستمر بيد متوليه و من له الولايه عليه، و انما نقصت من سوء و لاه أمورها لا من سواها ". و أخيرا لا بد لنا من الإشارة إلى الغرق الشنيع لبغداد فى سنة ٦٥٤هـ، و هو قبل حادثه بغداد بسنتين، و لا بد و انه أدى إلى تلف قسم من كتبها.

و لنا الآن بعد ما أوردناه من نصوص أن نناقش الموضوع، فنقول:

أن أهم المصادر الأوليه فى موضوعنا هذا هى الرساله المنسوبه للطوسى و كتاب رشيد الدين فضل الله و معجم ابن الفوطى و الحوادث الجامعه

المنسوب لابن الفوطى أيضا، فالمصدران الأولان لم يذكر شيئا عن الكتب بوجه الخصوص، و إنما أشارا إلى النهب و القتل الذين [الذين] صاحبا الحادثه بوجه عام. فى حين أن المصدر الثالث و هو معجم ابن الفوطيذكر اناطه أمر خزائن كتب بغداد بعد سقوطها بآبن أبى الحديد و أخيه موفق الدين و ابن الساعى، و هذا النص يشعرا ببقاء خزائن كتب بغداد على حالها، بحيث استوجب الأمر تعيين ثلاثه من كبار أدباء و مؤرخى العصر للاشراف عليها و ادارتها، كما أن هذا النص - فى نفس الوقت - يدلنا على مدى التلاعب و التزوير فى الكتاب المنسوب لابن الساعى الذى سبق لنا أن نقلنا ما ورد فيه عن مصير كتب بغداد حيث بدأ خبره بالتشكيك بلفظه "يقال" - بان المغول - بنوا اسطبلات الخيول و طولات المعالف بكتب العلماء.. فى حين أن ابن الساعى و هو المؤرخ الكبير المعروف كان ببغداد وقت الحادثه و هو ممن نجا منها فلما ذا يشكك فى الأمر و لا يجزم فيه و هو شاهد عيان. هذا إلى جانب كونه أحد الثلاثه الذين أنيطت بهم مسئوليّه خزائن كتب بغداد بعد سقوطها. و لعل هذا الخبر عن كتب بغداد فى هذا الكتاب كخبر الآخريّن عن إسلام هولاء-كو قبل موته بطريقه عجيبه و بمعجزه للرفاعيين. و اخباره عن أبى سعيد آخر سلاطين الايلخانيين الذى كانت وفاه ابن الساعى قبل ولاده السلطان المذكور بأكثر من ثلث قرن من الزمان. كما أن ما ذكره المصدر الرابع و هو الحوادث الجامعه من ابتياع أهل الحلّه و الكوفه و المسيب للكتب النفيسه من بغداد باستبدالها بالأطعمه، يشعرا بانتقال قسم كبير من كتب بغداد إلى المدن المذكوره.

ثم إذا ما لاحظنا ما ذكره صاحب الحوادث الجامعه أيضا، و ابن شاکر الكتبى، و ابن كثير، و المقرئى عن نقل الطوسى للكثير الكثير من كتب بغداد و العراق إلى الرصد الذى أسسه بمرآغه نشعر أيضا بانتقال قسم آخر من كتب بغداد إلى خزانه الرصد المذكور. و بملاحظتنا لما نقله القلقشندى عن أوقاف بغداد بعد سقوطها نستشعر بان قسما من كتبها - و هو جزء من الأوقاف - لم تعترضه أيدي المغول. و فى بقاء المدرسه المستنصريه على حالها و سلامتها من أذى الغزو فى حادثه بغداد، مع علمنا بأنها كانت تضم خزانه كتب عظيمه فريده، لأمر يجلب الانتباه حقا، و يفيد ببقاء خزائنها على ما كانت عليه قبل الغزو المذكور.

الشيخ شرف الدين محمد بن محمد رضا بن محمد التبريزى

المتخلص فى شعره باسم مجذوب.

كان حيا سنه ١٠٨٨، من مشاهير شعراء العصر الصفوى و اقطاب الصوفيه عارف ربانى أديب متضلع أخذ فنون الأدب و الشعر على علماء تبريز ثم اولع بالعرفان و التصوف و سار بذلك بجد و إتقان و حضر على اعلام العرفاء و انتهى إليه كرسى التدريس فى تبريز و كان من أكابر مدرسى العرفان و التصوف و التف حوله عشاق التصوف و العرفان و ازدحموا حوله. ذكره معاصره الميرزا محمد طاهر النصر آبادى فى كتابه تذكره الشعراء و قال (... كان متبحرا فى العرفان و متضلعا فى التصوف التف حوله طلاب تبريز للاستفاده من مدرسته الفياضيه فى كل يوم...) (١) ثم أورد نموذجا من مثنوياته الثلاثه و بعض رباعياته. و ذكره أيضا ميرزا رضا قلى خان هدايت فى كتابه رياض العارفين و قال:

من مشاهير الشعراء فى العصر الصفوى و ديوانه يحتوى على أكثر من خمسه آلاف بيت فى مديح الاثمه (ع) ثم ذكر نموذجا من قصائده (٢) و قد ترك المترجم له مؤلفات و تحقيقات هامه و نفعه أشهرها:

١ - كتاب الهدايا و سرمن رأى: و هو شرح مزجى على الكافي للكلينى فى عده مجلدات (٣) ٢ - حواش على المجلد الأول من

تفسير الفخر الرازي، ٣ - ديوان شعر منه نسخه في مكتبه ملك الوطنيه في طهران تحت رقم ٥٠٠٩ و طبع في الهند سنه ١٣٥٠ و أعيد طبعه في طهران سنه ١٩٤١ م ٤ - كتاب شاه راه نجات مثنوى في الأخلاق فرغ من نظمه سنه ١٠٦٦ هجرية منه نسخه في مكتبه الروضه الرضويه في مشهد تحت رقم ١٥٢٣٥ ٥ - كتاب تاييدات منظومه عرفانيه فرغ من نظمه في سنه ١٠٨٨ هجرية أهده باسم الشاه سليمان الصفوى منه نسختان في مكتبه الروضه الرضويه في خراسان تحت رقم ٤٤٦٣ و كان ولده شرف الدين الميرزا محمد رضا التبريزي من أكابر العلماء، معاصرا للشاه سلطان حسين الصفوى و باسمه ألف كتابه الذي سماه إتمام الحجه بالفارسيه.

و قد خلط الأستاذ أحمد منزوى في كتابه فهرست نسخه هاى خطى فارسى بين المترجم له و ولده المذكور و ذلك للاشتراك في اللقب و الكنيه و الاسم و اسم الأب (٤).

محمد بن محمد بن بقيع الحلبي، عضد الدين:

فاضل أديب شاعر، ألف نجم الدين خضر الجبلرودي باستدعائه كتاب "التوضيح الأنور" في سنه ٨٣٩، و وصفه بأوصاف منها قوله "أخونا العالم الورع التقى.. الزكى الألمعى نتيجه العلماء المجتهدين.." (٥).

محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد:

اشاره

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان). و نعيدها هنا بشيء من التفصيل لبعض سيرته و آثاره:

موجز سيرته:

اشاره

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي، العكبري، البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد، و بابن المعلم.

ولد سنه ٣٣٦ هـ، و قيل: سنه ٣٣٨ هـ، في بلده "عكبرا" (٦) ترعرع في كنف والده الذي كان معلما في واسط، و لذا كان ابنه يكتنى بابن المعلم.

ص: ٢٧٧

١- محمد طاهر النصرآبادي الاصفهاني: تذكره الشعراء النصرآبادي ص ١٩٢ طهران الطبعة الأولى مطبعة ارمغان.

٢- انظر رياض العارفين ص ٢١٦ طهران عام ١٣٤٤ هجرية شمسيه.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٥- السيد أحمد الحسيني.

٦- عكبرا: اسم بليده من نواحي الدجيل، قرب صريفين و أوانا، بينها و بين بغداد عشره فراسخ، و النسبه إليها عكبرى و عكبراوى. (معجم البلدان، ج ٤: ص ١٤٢).

انحدر به أبوه إلى بغداد و هو بعد صبي، و بغداد حين ذاك حاضره العلم، و مركز الحضاره و عاصمه العالم الإسلامى كله و مهد العلماء، و مهوى أفئده المتعلمين.

لقبه الرماني ب "المفيد"، لسبب حاجته المعروفه معه، و كان المترجم له يقرأ آنذاك على أبى عبد الله الحسين بن على المعروف ب "جعل" فى منزله بدرب رباح.

شيوخه و أساتذته يربون على الخمسين، جلهم من أقطاب المدرسه البغداديه، فى الأدب و الفقه و الحديث و غيرها.

كان شيخنا، ربه(1)، أسمر، نحيفاً، قوى النفس، كثير البر و الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاه و الصوم، حسن اللباس، يلبس الخشن من الثياب، دقيق الفطنه، ماضى الخاطر، حسن اللسان و الجدل، صبور على الخصم، ضنين السر، جميل العلانيه.

كان له مجلس نظر فى داره بدرب رباح، يحضره كافه العلماء من سائر الطوائف، يناظر أهل كل عقيدته، زاره ابن النديم - صاحب الفهرست - فى ذلك المجلس و قال عنه: شاهدته فرأيتته بارعاً.

كان مديماً للمطالعه و التعليم، من أحفظ الناس و أحرصهم على التعليم، يدور على حوانيت الحاكه و المكاتب فيتلمح الصبى الفطن فيستأجره من أبويه.

مؤلفاته و مصنفاته ناهزت المائتين أو جاوزتها.

وقعت فى أيامه اضطرابات و فتن طائفية فى بغداد، و كان من مقتضيات السياسيه آنذاك نفيه من بغداد لفته قصيره.

فمن ذلك ما حدث سنه (٣٩٣ هـ)، و تكرر فى رجب عام (٣٩٨ هـ).

توفى فى بغداد، فى العقد الثامن من عمره، سنه (٤١٣ هـ)، و شيعه ثمانون ألفاً من الباكين عليه.

صلى عليه تلميذه الشريف المرتضى الموسوى، بميدان الأشنان، و ضاق بالناس على كبره.

دفن بداره فى بغداد، ثم نقل إلى مقابر قریش، فدفن عند قدمى الامام محمد بن على الجواد ع، بجنب استاذه الشيخ أبى القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمى، صاحب كتاب (كامل الزيارات).

رثاه الشريف المرتضى، و عبد المحسن الصورى و غيرهما من الشعراء، و من مرثيه مهيار الديلمى له، التى جاوزت تسعين بيتاً قوله:

ما بعد يومك سلوه لمعلل منى و لا ظفرت بسمع معذل

سوى المصاب بك القلوب على الجوى فيد الجليل على الحشا المتململ

و تشابه الباكون فيك فلم يبين دمع المحق لنا من المتعمل

كنا نغير بالحلوم إذا هفت جزعا و نهراً بالعيون الهمل

فاليوم صار العذر للفانى أسى و اللوم للمتماسك المتجمل

إلى أن يقول:

يا مرسلا إن كنت مبلغ ميت تحت الصفائح قول حى مرسل

فلج الثرى الراوى فقل "لمحمد" عن ذى فؤاد بالفجيعة مشعل

من للخصوم اللد بعدك غصه فى الصدر لا تهوى و لا هى تعتلى

من للجدال إذا الشفاه تقلصت و إذا اللسان بريقه لم يبلى

من بعد فقدك رب كل غريبه بكربك افترعت و قوله فيصل

و لغامض خاف رفعت قوامه و فتحت منه فى الجواب المقفل

من للطروس يصوغ فى صفحاتها حليا يقعع كلما خرس الحلى

يبقين للذكر المخلد رحمه لك من فم الراوى و عين المجتلى

كم قد ضمنت لدين آل "محمد" من شارد و هديت قلب مضلل

فليجزينك عنهم من لم يزل يبلو القلوب ليجتبى و ليبتلى

و لتنظرن إلى "على" رافعا ضبيك يوم البعث ينظر من عل

إلى أن يقول:

ما إن رأت عيناى أكثر باكيا منه و أوجع رنه من معول

حشدوا على جنبات نعشك وقعا حشد العطاش على شفير المنهل

و تنازفوا الدمع الغريب كأنما الإسلام قبلك أمه لم تشكل

يمشون خلفك و الثرى بك روضه كحل العيون بها تراب الأرجل

و يختم القصيده بقوله:

رقاصه القطرات تختم فى الحفا وسما و تفحص فى الشرى المتهيل

نسجت لها كف الجنوب ملاءه رتقاء لا تفصى بكف الشمال

صبايه الجنبات تسمع حولها للرعء شقشقه القروم البزله.

ص: ٢٧٨

١- أى مستقيم القامه.

ترضى تراک بواکف متدقق يروى صداک و قاطر متسلسل

حتى یرى زوار قبرک إنهم حطوا رحالهم بواد مبقل

و متى ونت أو قصرت أهدابها أمددتها منى بدمع مسبل

و قال السيد على الخامنئى رئيس الجمهوريه الإيرانيه السابق و مرشدها الحالى: إن الشيخ المفيد فى سلسله علماء الشيعه لم يكن متكلماً و فقيهاً متفوقاً شامخاً فحسب، بل أكثر من ذلك فهو مؤسس حركه علميه متكامله فى فرعى الكلام و الفقه و متواصله حتى اليوم فى حوزات الشيعه العلميه، و هذه الحركه لا تزال باقيه فى خصائصها الأصلية و خطوطها الأساسيه رغم عدم انزاعها عن المؤثرات التاريخيه و الجغرافيه و الفكرية.

و تبين أهميه هذه المسأله لو لاحظنا أن هذه الحركه العلميه فى ما يقرب من نصف قرن بعد وفاه المفيد قد شهدت تحولا و تكاملاً سريعاً هائلاً غطى على الدور التأسيسى للشيخ المفيد. التأكيد الأساس فى هذه المسأله على أن النشاط العلمى المتميز الباهر الذى نهض به تلميذ الشيخ المفيد السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) و الذروه الرفيعه التى بلغت هذه السلسله فى عهد شيخ الطائفه محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠ هـ) إنما هو امتداد لتلك الحركه التى أسسها و دفعها محمد بن محمد بن النعمان المفيد. و لتوضيح هذه المسأله لا بد أن نبين دور الشيخ المفيد فيما يلى:

١ - تثبيت ما لمدرسه أهل البيت ع من هويه مستقلة.

٢ - تأسيس الإطار العلمى الصحيح لفقه الشيعه.

٣ - ابتكار أسلوب الجمع المنطقى بين العقل و النقل فى الفقه و الكلام.

الصرح الشامخ الذى شيده فقهاء الشيعه و متكلموهم على مدى عشره قرون و الكنوز العلميه الفريده التى قدموها بآثارهم العلميه تقوم بأجمعها على قاعده أرساها الشيخ المفيد بجهاده العلمى على الأبعاد الثلاثه المذكوره.

قبل أن نتطرق إلى الأبعاد الثلاثه يجدر أن نذكر أن ظاهره الشيخ المفيد و الحوزه العلميه الشيعيه فى بغداد آنذاك لم يسبق لها نظير حتى ذلك الزمان فى تاريخ الشيعه.

قبل هذا التاريخ كانت حوزات الشيعه العلميه منتشره طبعاً فى جميع الأصقاع بين الشامات و ما وراء النهر. حوزه "قم" التى كانت المركز الكبير للحديث و وارثه دور "الكوفه" فى القرنين الثانى و الثالث، و حوزه "الرى" التى نشأ فيها الكلينى و ابن قبه و غيرهما من الأعلام، هاتان الحوزتان كانتا تعتبران فقط جزء من المراكز العلميه الشيعيه. فى الشرق، كانت الحوزه العلميه فى ما وراء النهر و من خريجيها المعروفين العياشى السمرقندى و أبو عمرو الكشى. و فى الغرب كانت حوزه حلب و منها رجال من أمثال الحسن بن أحمد السبيعى الحلبي و على بن خالد الحلبي اللذين يعدان من مشايخ المفيد. و بالحدس المؤيد بالقرائن فان هذه الأصقاع لا- بد أنها كانت من المراكز الهامه لعلوم الشيعه و معارفهم. و نظره فى فهرست مشايخ الكشى تبين أن منطقه خراسان و ما وراء النهر، على بعدها من الحوزات العلميه الشيعيه الأصلية، ربت عدداً كبيراً من العلماء و المحدثين، و من هنا

يقوى الاحتمال بان تلك المناطق كانت إلى جانب الحوزه العلميه مهتمه بتربيته و تخريج علماء من هذا القبيل. عشره من المشايخ المذكورين - على الأقل - منسوبون إلى سمرقند أو كش (قرب سمرقند)، و مثل هذا العدد تقريبا منسوب إلى مدن بخارى، و بلخ، و هرات، و سرخس، و نيشابور، و بيهق، و فارياب و مدن أخرى من ذلك الصقع الإسلامى (١) مشاهده كل هذه الأسماء المنسوبه إلى مدن ما وراء النهر و خراسان، و هم على ما يظهر جميعا أو ما يقرب من الجميع شيعه، و استبعاد ذهاب شخص من قم أو الكوفه أو بغداد صوب كل هؤلاء المشايخ الخراسانيين و التركستانيين، لأن ذلك بعيد عن العاده، يقوى احتمال وجود دار العياشى (٢) فى سمرقند لا فى بغداد (٣) و هى الدار التى قال عنها النجاشى أنها: " كانت مرتعا للشيعة و أهل العلم " (٤) و كانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو معلق مملوءه من الناس " (٥) و هذا يدل أيضا على رواج علوم و معارف أهل البيت و نشاط الحوزه العلميه الشيعيه فى تلك المدينه.

و فى حلب حيث كثره الشيعة و حكومه الحمدانيين و هم شيعه ملتزمون باقامه الشعائر الشيعيه (٦)، كانت توجد دون شك حوزه علميه لا يستهان بها، و لو أن قربها من العراق و حضور محدثيها و فقهاؤها فى بغداد ثم فى زمن الشيخ الطوسى فى النجف، لا يجعلها من الحوزات الكبرى.

هذا هو باختصار وضع الحوزات العاميه للشيعة خلال العصر الذى انتهى بزمن الشيخ المفيد. حوزه بغداد فى ذلك العصر كانت أيضا تتعاطى العلوم و المعارف الإسلاميه، و لكن بظهور الشيخ المفيد و انتشار..

ص: ٢٧٩

١- جبريل بن أحمد الفاريابى (فارياب: مدينه بين بلخ و مرو الرود)، و كان - كما يقول الشيخ الطوسى - يسكن "كش"، و إبراهيم بن نصير الكشى (كش: من قرى سمرقند)، و خلف بن حماد الكشى، و خلف محمد الملقب بالمنان الكشى، و عثمان بن حامد الكشى، و محمد بن الحسن الكشى، و محمد بن سعد بن مزيد الكشى، و إبراهيم بن على الكوفى السمرقندى (يبدو أنه هاجر من الكوفه إلى سمرقند) و إبراهيم الوراق السمرقندى، و جعفر بن أحمد بن أيوب السمرقندى، و محمد بن مسعود العياشى السمرقندى، و آدم بن محمد القلانسى البلخى، و أحمد بن على بن كلثوم السرخسى، و أحمد بن يعقوب البيهقى، و على بن محمد بن قتيبه النيشابورى، و محمد بن أبى عوف البخارى، و محمد بن الحسين الهروى، و محمد بن رشيد الهروى، و نصر بن الصباح البلخى و...

٢- هذا الاستنتاج أخذ بنظر الاعتبار أن الكشى من تلامذه العياشى و أن الكشى كان من غلمان محمد بن مسعود العياشى كما أوضح لنا سماحه السيد حفظه الله (المترجم).

٣- يؤيد ذلك أيضا أن على بن محمد القزوينى جاء لأول مره بكتب العياشى إلى بغداد سنه ٣٥٦ هـ (راجع النجاشى/ص ٢٦٧).

٤- النجاشى فى ترجمه الكشى/ص ٣٧٢.

٥- النجاشى فى ترجمه العياشى/ص ٣٥١.

٦- المولوى فى كتاب المثنوى ينقل قصه شاعر ورد حلب فى عاشوراء و رأى المدينه مجلله بالسواد و معطله الأسواق، فظن أن أميرا فيها قد مات. و حين سأل الناس قالوا له: يظهر أنك غريب..

صيته العلمي، فان بغداد، و هي مركز العالم الإسلامي سياسيا و جغرافيا، قد أصبحت أيضا مركزا أصليا لعلوم الشيعة و معارفهم. و لم تعد مرجعا لحل ما يواجه الشيعة من مسائل فكرية و دينية فحسب (١) بل أصبحت أيضا كعبه لطلاب العلم.

لا يتوفر لدينا فهرس كامل بأسماء تلاميذ الشيخ المفيد، و لا بد أن يكون عددهم أكثر بكثير مما ذكرته كتب التراجم. فما ذكر لا يتجاوز بضع أفراد و جهود المفيد العلميه تواصلت نصف قرن من الزمان.

و لكن ثمه قرائن تبين لنا أن حوزة بغداد باشتهار الشيخ المفيد و تحركه العلمي قد احتلت مكانه لم يبلغ شاوها أیه حوزة علميه شيعيه من قبل. من تلك القرائن: عظيمه نابغه مثل الشيخ الطوسي من طوس إلى بغداد، و عدم اختياره الحوزات العلميه القريبه من مسقط رأسه أى حوزات خراسان و ما وراء النهر، و عدم توقفه فى الرى أو قم. و منها أيضا: عدم اشتهار علماء كبار فى تلك الحوزات حتى مده ليست بالقصيره.

و هذا يعنى أن حوزة بغداد قد استوعبت كل العلوم الرائجه فى مجموع حوزات التشيع، و غطت على رونق سائر الحوزات الأخرى فى العالم الإسلامي. و ظلت حتى ولاده حوزة النجف الأشرف (سنه ٤٤٨ أو ٤٤٩) دره التاج بين مراكز الشيعة العلميه.

محور هذه الحوزة و ربان سفينتها دون شك كان الشيخ المفيد. فهو بنوغه و كفاءاته الفذه و مساعيه الدائبه، و باستثمار مكانه بغداد الاستثنائيه باعتبارها مركزا سياسيا و جغرافيا للعالم الإسلامي و محلا لتردد علماء المذاهب المختلفه، قد نال جامعيه منقطعه النظر، و أصبح قطبا و محورا و عنصرا متميزا فى حوزة بغداد فى زمانه. و مما خلفه الشيخ الكبير من آثار علميه و من سائر القرائن يتضح أن المفيد بؤره قد التقت فيها بشكل مدهش كل الخصائص التى عرف بها رجال الشيعة حتى ذلك الزمان: فقد اجتمع فيه فقه القديمين و ابن بابويه و جعفر بن قولويه، و كلام ابن قبه و بنى نوبخت، و رجال الكشى و البرقى، و حديث الصدوق و الصفار و الكلينى، إلى قدره الجدل و المقارعه الفكرية القويه، إلى غيرها من الخصائص البارزه. كان كل واحد من أولئك الرجال - طبعاً - مشعلا ينير درب واحد من معارف أهل البيت، لكن المفيد كان الثريا التى جمعت كل تلك الأنجم الزاهره. و هذا ما لم نجده فى أیه شخصيه علميه شيعيه قبله. و فى تفرده يكفى أن يشهد بحقه ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ) أنه كان قبل الرابعه و الأربعين من عمره (٢) شيخ كل الشيعة فى الفقه و الكلام و الحديث. و الذهبى الذى تحدث عنه فى تاريخ الإسلام بلغه حاقده بعيده عن الموضوعيه، يروى عن ابن أبى طى بشأن المفيد ما يبين أنه كان فريدا فى كل العلوم: فى الأصولين، و الفقه، و الأخبار، و معرفه الرجال، و القرآن، و التفسير، و النحو و الشعر... و كان يناظر أرباب جميع العقائد (٣) المفيد اجتمعت فيه علوم السابقين متكامله، و ببركه هذه الشخصيه الجامعه المستوعبه الشموليه استمرت الحوزة العلميه لقرون بعده على النمط الذى أسسه و كانت علوم الفقه و الكلام و الأصول و الأدب و الحديث و الرجال فيها تدرس و تحقق و تتكامل مقترنه و منسجمه و يكمل بعضها الآخر. و هذه الحوزة نفسها أنجبت فى مرحله ناضجه من مراحلها السيد المرتضى، و فى قمه كمالها شيخ الطائفه - محمد بن الحسن الطوسى.

انطلاقا مما ذكرناه عن عدم وجود سابق نظير لظاهره الشيخ المفيد و حوزة بغداد فى زمانه، فان المفيد يعتبر حقا مؤسس الحوزات العلميه للشيعة بشكلها الذى تواصل بعده لقرون. أى بالشكل الذى يجعلها مركزا لتدريس مجموعته من العلوم العقلية و النقلية الإسلاميه و يجعل من خريجها متبحرا فى كل هذه العلوم أو أكثرها.

هذا الشكل بقى على الأقل حتى زمن الشهيد الأول، أى إلى زمن اتجاه أغلب الحوزات نحو الاختصاص بالفقه و مقدماته، و هذا استمرار لحركه دفعها الشيخ المفيد و حوزته فى بغداد حتى سنه ٤١٣.

من هنا فلا عجب أن يدعى أن هذه الشخصيه الفريده الممتازه عملت على فتح طريق جديد يمتد على ثلاثه محاور.

و نبدأ بتناول الأبعاد الثلاثه فى شخصيه الشيخ المفيد العلميه:

١ - تثبيت ما لمدرسه أهل البيت ع من هويه مستقله

بعد عصر الغيبه، و خاصه بعد انتهاء مرحله الأعوام الأربعه و السبعين من الغيبه الصغرى، و انقطاع الشيعه عن الامام الغائب أضحى كيان مدرسه أهل البيت تتهدده أخطار منها: نقصان شىء من المدرسه أو زياده شىء عليها نتيجة الأخطاء و الانحرافات العمديه و غير العمديه الصادره عن من ينتسبون إلى هذه المدرسه. و منها: ضمور الخصائص المميزه الأساسيه للمدرسه و بالتالى اختلاطها بالخطوط المنحرفه، و امتزاج انحرافات الاتجاهات العقائديه أو المذاهب المفتعله بالحقائق. فى زمن حضور الامام (ع)، متى ما طرأت ظاهره كهذه أو ظهرت بوادر خطر ظهورها فان شخص الامام كان المحور و المركز المطمئن الذى تقاس به الأمور و تصدر بعد ذلك الأحكام. بوجود الامام - إذن - بين الناس لم يكتب للانحرافات بقاء، بل انه يكشف عن الانحرافات الأساسيه فى الفترات الحساسه. و كانت الشيعه واثقه أن الخط العام لمدرستها لو تعرض فى زاويه من زواياه لانحراف، فان

ص: ٢٨٠

١- نلفت النظر إلى رسائل الشيخ المفيد و جوابه على أسئله كانت ترده من أكناف البلاد، و إلى تنوع هذه الأسئله و سعه نطاقها.. و فى بعض هذه الرسائل لا يكتفى الشيخ المفيد بحل ما يطرحه السائل من مشكله فكريه، بل يدخل فى حله مصارعه فكريه و كلاميه، و كأنه من مركزه فى بغداد يتصدى للدفاع عن حريم مدرسته و يدافع عن اتباعها أمام هجوم خطر. انظر: المسائل الصاغانيه و ما فيها من هجوم قوى يصعد فيه معنويات الشيعه المستضعفين فى خراسان الذين كانوا يواجهون حمله على حريمهم الفكرى. و من هنا من المحتمل أن تكون الرسائل المكتوبه بأسلوب: "إن قيل فقل" مثل: النكت فى مقدمات الأصول، و النكت الاعتقاديه و أمثالها قد دونت لسكنه الأصدقاء البعيده الذين كانوا يتعرضون دوما لضغط أسئله دينيه موجهه و كانوا يطلبون أجوبه كلاميه قويه و توجيهات مناسبه.

٢- كان المفيد المولود سنه ٣٣٦ لادن وفاه ابن النديم ابن الرابعه و الأربعين، و لا ندرى متى ترجم ابن النديم للشيخ المفيد فى فهرسته

٣- قول الذهبى هذا جزء من تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، و لم يطبع بعد، و ما نقل فهو من نسخه يبدو أنها معده للطبع.

الحججه ستتضح و أن طالب الحقيقه سيجد فى النهايه مبتغاه. فى تاريخ حياه الأئمه ع نرى أسماء أفراد تبرأ منهم الأئمه و طعنوا فيهم بصراحه لاستحدثاتهم بدعه أو تاسيسهم طريقا خاطئا أو إشاعتهم عقيدته باطله، مثل محمد بن مقلاص المعروف بابن أبى الخطاب، و ابن أبى العذافر المعروف بالشلمغانى (و هذا المورد الأخير حدث فى عصر الغيبه الصغرى)، و كثير من أمثالهم. و نرى فى مواضع أيضا أن اختلافا ينشأ بين جماعتين من أصحاب الامام المخلصين الصادقين، و تعتمد احدى الجماعتين إلى طرد الجماعة الأخرى و لعنها بسبب اعتقاد من معتقداتها، فينبى الامام للدفاع عن الفرد المطعون فيه أو الجماعة المطعون فيها، و يمدحها، و بذلك يؤيد معتقدها و يرد ما ظن بشأن انحرافها.. كتأييد الامام يونس بن عبد الرحمن حين طرده القميون و روى عنه روايات منكره، و إصداره بحقه عبارات ثناء مثل: "رحمه الله، كان عبدا صالحا"... أو

"إن يونس أول من يجب عليا إذا دعا" (راجع رجال الكشى فى ترجمه يونس بن عبد الرحمن). و أيضا بشأن أسره بنى فضال، الذين كانوا مرجعا لطلاب علوم أهل البيت لوثاقتهم و علمهم،

أصدر الامام عبارته: "خذوا ما روى و ذروا ما دروا"، و بذلك منع نفوذ معتقدتهم الانحرافى (الفتحيه) بين جماهير الشيعة... و أمثال ذلك فى موقف الأئمه من أصحابهم المعاصرين كثير.

بهذا المنظار، فان الامام ع فى عصر الحضور كان الحارس اليقظ المتنبه الذى حمل بنفسه مهمه الحراسه عن الحدود التى تصون كيان المدرسه.

أما فى عصر الغيبه، و خاصه فى عصر الغيبه الكبرى فقد اختلفت المسأله تماما. من جهه ثمة احتياجات متزايدة تحتاج إلى اتخاذ موقف، و هذا الموقف يتخذ فى هذه المرحله علماء الدين لا الامام ع.

و من جهه أخرى هناك اختلاف و جهات النظر التى تبرز بشكل طبيعى بين العلماء و المفكرين و لم يكن لهذه الاختلافات من محور بارز و قاطع يبت فيها... و هذا يعنى انفتاح الطريق أمام مختلف الآراء هذه، لا بد أن تجد عناصر من المدارس المنحرفه أو المذاهب التى خرجت عن خط الامامه الشيعيه، كالفتحيه و غيرها طريقا إلى مجموعته مدرسه أهل البيت ع، مما يهدد نقاءها و إتقانها... و قد يؤدى الأمر فى المدى البعيد إلى تغيير مسار المدرسه بشكل كامل.

و من هنا يتضح واحد من أهم واجبات قاده الأئمه فى تلك البرهه من الزمان. النهوض بهذا الواجب يستطيع أن يكون بمعنى صيانته الدين و يعادل الجهاد المصيرى. و هذا الواجب عبارته عن تدعيم الخصائص المميزه للتشيع باعتبارها نظاما فكريا و عمليا، و رسم إطاره العقائدى و العملى بالاستمداد مما تركه الأئمه ع من تراث قيم فى أقوالهم. و بهذا الشكل يتشخص ما لمذهب أهل البيت ع من هويه مستقلة و خصائص مميزه، و يتيسر فهمه و تطبيقه لاتباعه. هذا العمل يتيح لعلماء الشيعة و مفكريهم إمكان الفرز بين الانحراف المبدئى أى الخروج عن أصول المذهب فى الفقه و الكلام، و بين اختلاف و جهات النظر التى تنشأ داخل اطار المدرسه.

مما لا شك فيه أن هذا العمل لم يتم حتى زمن المفيد (رض). و لا أدل على ذلك من وجود اتجاه قياس فى فقه ابن الجنيد، و ميول اعتراليه فى كلام أسره النوبخت. و هذان نموذجان فقط لنتائج و تبعات عدم تشخيص الخصائص المميزه لمدرسه التشيع فى

حقل أصول الدين و فروعه. في مجال الفقه، عدم الاستفادة من المباني العقلية و الأصوليه للاستنباط و تفرع الفرع على الأصل و هو من التعاليم القطعية للأئمة ع، و في الطرف المقابل الانزلاق إلى وادى القياس، لوان من الانحراف غير العمدى عن نهج المدرسه و نتيجته لعدم تشخص الخصائص و عدم رسم الإطار الواضح. و في مجال الكلام، المظهر الأساس الانحرافى الناتج عن عدم تعيين حدود المذهب يتمثل بالخلط بين الكلام الشيعى و الكلام المعتزلى. و في هذا المجال الأخير كانت تبعات عدم تعيين حدود المذهب كثيره و فادحه. من ذلك:

- المتكلمون الكبار المشهورون كافراد أسره النوبخت كانت لهم فى كثير من مسائل علم الكلام اتجاهات اعتزاليه، و كانوا كالمعتزله فى توجههم المفرط إلى العقل فى فهم المباحث الكلاميه.

ثمه شخصيات من كبار الشيعة ادعى المعتزله انها منهم، و منهم العالم المتكلم الشيعى المعروف الحسن بن موسى النوبختى معاصر كبير أسره النوبختيين أبى سهل إسماعيل بن على النوبختى و ابن أخته(١) الاعتقاد بإمكان الجمع بين التشيع و الاعتزال فى شخص واحد، و تعريف شخصيات معروفه و كبيره بأنها شيعيه و معتزله، و حتى إن بعضهم نفسه قبل هذا الادعاء و كرره و اعتقد به. من ذلك قول صاحب بن عباد:

"فقلت: إني شيعى و معتزلى" بينما المعتقد الذى يميز التشيع هو امامه أهل البيت ع التى لا تقبل أى معتزلى. و المعتقد الذى يميز الاعتزال هو "المنزله بين المنزلتين" و هو مما يتعارض و يتنافى مع بديهيات التشيع.

بعض علماء الشيعة آمن بأصل من أصول المعتزله الخمسه، دون أن يعتبره نفسه أو يعتبره أحد أنه معتزلى. محمد بن البشر الحمدونى - مثلا - يقول عنه النجاشى: كان رجلا حسن الاعتقاد، و يؤمن بالوعيد (النجاشى / ٣٨١).

- بشكل عام هناك من اعتقد بان الكلام الشيعى مأخوذ من المعتزله. و استدل على ذلك بأصل التوحيد و العقل، و هما - على زعمهم - انتقالا من الاعتزال إلى التشيع. و تكرر هذا الزعم كثيرا فى أقوال أرباب الملل و النحل و المتكلمين غير الشيعة منذ القديم حتى العصور المتأخره، و هكذا فى أقوال من استقوا معلوماتهم غالبا عن مصادر غير شيعيه كالمستشرقين. حتى فى زمن الشيخ المفيد نفسه، ظن الصاغانى (و هو المتكلم و الفقيه المعتزلى الحنفى الذى يسميه الشيخ المفيد فى "المسائل الصاغانيه" بالشيخ الضال) مثل هذا الظن الباطل بالمفيد إذ يقول مشيرا إلى الشيخ المفيد: إن شيخا فى بغداد أخذ أفكاره من المعتزله يقول كذا و كذا... (راجع: المسائل الصاغانيه / ٤١).

الباحثون المتعمقون و كتاب الشيعة بقوا مصونين طبعا من الوقوع فى ١.

ص: ٢٨١

هذا الزلل. اللهم إلا- أولئك الذين حذوا حذو المستشرقين في أنهم رجعوا أكثر ما رجعوا إلى مصادر استشراقه أو غير شيعيه(1) مما تقدم تتضح أهميه دور الشيخ المفيد في تعيين حدود مدرسه أهل البيت و خصائصها المميزه. هذا الناغفه تفهم حاجات زمانه، و استند إلى مقدره علميه فائقه، و ورد هذا الميدان الصعب، و نهض بمهمه على غايه الأهميه و الحساسيه، و الحق أنه كان على مستوى أداء هذه المسئوليه الكبرى.

لا نريد من هذا طبعا أن ندعى عدم وقوع أحد بعد عمل المفيد في خطأ أو جهاله في فهم محتوى التشيع، أو بعدم إمكان وقوعه. بل نرى أن فهم هذه المدرسه و معرفه حدودها و خصائصها أضحى ميسرا لمن يطلبه، و أصبح فقه مدرسه أهل البيت و كلامها معروضا أمام الباحثين بخصائصه المتميزه و يستطيعون أن يفهموه دون أن يشبهه عليهم الأمر أو يختلط بنحل أخرى.

لتحقيق هذا الهدف الكبير أنجز الشيخ المفيد مجموعه من الأعمال العلميه يستحق كل واحد منها بحثا مستقلا، و نكتفى بالاشاره إلى فهرس هذه الأعمال في مجالى الفقه و الكلام.

في الفقه صنف "المقنعه" و هى دوره تكاد تكون كامله فى الفقه، و فيه نهج الصراط المستقيم و الطريق الوسط فى الاستنباط الفقهي، الذى هو مزيج من استخدام الأدله اللفظيه و القواعد الأصوليه مع تجنب القياس و الاستحسان و الأدله الأخرى غير المعتمده (و سنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد).

و كذلك ألف "التذكره بأصول الفقه" و يمكن أن نقول عنه - بقدر ما نستطيع أن نستند إلى المدونات الموجوده - أنه جمع لأول مره قواعد الاستنباط الفقهي و أفتى على أساسها (سنعود إلى الحديث عن هذا الكتاب أكثر). و إلى جانب هذا و ذاك دون كتاب "الأعلام" و فيه ذكر مواضع من إجماع فقهاء الشيعه على حكم، و إجماع فقهاء السنه على عدم الإفتاء بذلك الحكم. عدد من أبواب فقه هذا الكتاب بحث و حققت بقصد نقل الإجماع الموجود فيها. و فى حقل رسم الحدود الفقهييه بين فقه الاماميه و فقه الحنفيه دون كتاب "المسائل الصاغانيه" و هو كتاب قيم يجيب فيه المؤلف على إشكالات فقيه حنفى على عدد من مسائل فقه الشيعه.

و فى هذا المجال يعتبر كتاب "النقض على ابن الجنيد" من الأعمال العلميه الأساسيه للشيخ المفيد، و يظهر من عنوانه أنه نحا فيه نهج تبين الخصائص المميزه القاطعه لفقه مدرسه أهل البيت ع.

لا يمكننا أن نصدر طبعا حكما قاطعا على محتوى هذا الكتاب لعدم توفره بين أيدينا. و لكن معرفتنا بنهج الشيخ المفيد و حجته القويه فى البحث و الجدل و سعه اطلاعه على المصادر و استحكام فكره فى ترتيب مقدمات الاستدلال العقلى و موقفه الحاسم من الاتجاه القياسى لابن الجنيد (نرى نموذج ذلك فى المسائل الصاغانيه)(2)... كل ذلك يؤدي بنا إلى الاستنتاج بان الكتاب المذكور ذو مضمون و محتوى علمى مقنع.

و كان لهذا الكتاب دون شك تأثير كبير على عدم استمرار اتجاه القياس بين فقهاء الشيعه.

كان للشيخ المفيد فى مجال تثبيت الهويه المستقله للتشيع على صعيد علم الكلام نشاط أوسع و أهم. و فى هذا الميدان تصدى شيخنا الكبير بدقه و ذكاء إلى بيان الفاصل بين عقائد الشيعه و سائر النحل الكلاميه.

و الحثول دون ورود عناصر من معتقدات الفرق الإسلاميه أو الشيعيه إلى دائره عقائد الاماميه، و دون نسبه أفكار خاطئه لا صلح لها بالشيعه الاماميه إلى مدرسه التشيع. فهو في مقام مجادله المذاهب الأخرى يتصدى لمباحثه كل مدارس زمانه، فيناقش الأشعريه و المعتزله و المرجئه و الخوارج و المشبهه و أهل الحديث و الغلاة و النواصب و غيرها من الفرق الصغيره و الكبيره المنتسبه للإسلام... لكنه يواجه مدرسه الاعتزال و شعبها المعروفه مواجهه فكريه أكثر من غيرها، و يهتم في كتبه و رسائله الصغيره و الكبيره العديده بنقد و رد نظرات المعتزله في المباحث المختلفه. و سر هذا الاهتمام هو أن المعتزله من بين الفرق الإسلاميه - بسبب وجود تشابه بين بعض أصولهم و بين أصول التشيع - قد تعرضوا إلى شبهه مفادها أن الاعتزال منشا كثير من عقائد الشيعه، و أكثر من ذلك أن الاعتزال هو التشيع مع بعض الاختلاف... و هذه الشبهات أدت بدورها إلى ظن خاطئ يرى أن مجموعه كلام الشيعه وليده الكلام المعتزلي، أو إن أصول كلام الشيعه هي نفسها أصول الكلام المعتزلي. و ذكرنا من قبل ما ترتب على هذا الظن الخاطئ من تبعات.

تناول عقائد المعتزله في كتب المفيد إنما هو في الواقع مصداق بارز لما ذكرناه من دور الحراسه و المراقبه. لحدود و ثغور مدرسه التشيع و إثبات ما لها من استقلال و أصاله في النظام الكلامي.

أهم آثار الشيخ في هذا المجال كتابه المعروف "أوائل المقالات في المذاهب و المختارات" و ألفه لبيان الفرق بين الشيعه و المعتزله. و يذكر في مقدمه الكتاب أنه تناول أيضا الاختلاف بين ما اتفقت عليه الفرقتان في بعض المسائل الأصوليه كالعدل، و الفرق في فهم كل فرقه لهذه الأصول (٣) عبارته المفيد في هذه المقدمه القصيره تدل على أن هدفه من تدوين هذا الكتاب تقديم مرجع موثوق عقائدي لمدرسه التشيع تيسر السبيل لمن يريد أن يؤمن بتفاصيل الأسس الفكرية لهذه المدرسه. و هو في هذا الكتاب ينقد حتى عقائد بعض علماء الشيعه الذين سبق أن التقطوا بعض نظرات المعتزله و شابوا كلام الشيعه بها و منهم بنو نوبخت. و هذا هو نفس دور حراسه النظام الفكري للتشيع و الدفاع عنه، و هو دور رفع لواء المفيد رضوان الله عليه لأول مره على ما نعلم بالتفصيل.

و لا ينحصر تعيين الفاصل العقائدي بين الشيعه و المعتزله بكتاب أوائل المقالات. و الشيخ الكبير قد تناول هذه المسأله في كتب أخرى).

ص: ٢٨٢

١- و من الغريب أن مستشرقاً في زماننا أيضا كتب في باب الأفكار الكلاميه للشيخ المفيد، و ذهب فيه إلى أنه من أتباع مدرسه المعتزله.

٢- المفيد يطعن في "المسائل الصاغانيه" بآبن الجنيد، و يعبر عن أقواله بالهذيان، و يصفه بعدم سداد الرأي (راجع المسائل الصاغانيه / ٦٢).

٣- فصل ما بين العدلية من الشيعه و من ذهب إلى العدل في المعتزله و الفرق ما بينهم من بعد و ما بين الاماميه فيما اتفقوا عليه من خلافهم فيه من الأصول " (أوائل المقالات / ٤٠).

بأساليب مختلفه. بلغ فى بعضها ذروه الروعه و التأثير، لكنه فى "أوائل المقالات" قد تناول الموضوع بشكل كامل و شامل.

نرى أنه يصل فى بعض المواضع إلى اشتراك فى العقيدة بين الشيعة و المعتزله. و فى بيان هذا الاشتراك ينتهج أسلوبا يوضح استقلال مدرسه أهل البيت فى تبنى تلك العقيدة، و ينفى تماما احتمال تبعيه الشيعة للمعتزله فى هذا التبنى. يقول مثلا فى باب نفى رؤيه الله سبحانه و تعالى: "أقول إنه لا يصح رؤيه البارى سبحانه بالأبصار و بذلك شهد العقل و نطق القرآن و تواتر الخبر عن أئمه الهدى من آل محمد (ص) و عليه جمهور أهل الامامه و عامه متكلميهم إلا من شذ منهم لشبهه عرضت له فى تأويل الأخبار، و المعتزله بأسرها توافق أهل الامامه فى ذلك و جمهور المرجئه و كثير من الخوارج و الزيديه و طوائف من أصحاب الحديث" (أوائل المقالات/ص ٦٢-٦٣).

فالشيعة يستندون إلى الأدله المعبره و هى الكتاب و السنه المتواتره، و الدليل العقلى يؤيد ذلك أيضا. فلا حاجه إذن أن يأخذوا هذا الكلام من المعتزله أو غيرهم. بل إن المعتزله هم الذين اتفقوا فى هذه المسأله مع الاماميه، و هذا يعنى أن المعتزله فى هذه المسأله مدينون [مدينون] للشيعة.

و فى باب علم الله تعالى بالأشياء قبل وجودها يقول:

"أقول: إن الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه و أنه لا- حادث إلا و قد علمه قبل حدوثه، و لا معلوم و ممكن أن يكون معلوما إلا و هو عالم بحقيقته و أنه سبحانه لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء، و بهذا اقتضت دلائل العقول و الكتاب المسطور و الأخبار المتواتره عن آل الرسول و هو مذهب جميع الاماميه، و لسنا نعرف ما حكاه المعتزله عن هشام بن الحكم فى خلافه، و عندنا انه تخرص منهم عليه، و غلط ممن قلدهم فيه فحكاه من الشيعة عنه... و معنا فيما ذهبنا اليه فى هذا الباب جميع المنتسبين إلى التوحيد سوى الجهم بن صفوان من المجبره و هشام بن عمرو الفوطى من المعتزله" (ص ٦٠-٦١).

و هنا أيضا نرى لحن الحديث فى الاستناد إلى القرآن و الحديث المتواتر يتجه إلى بيان استقلال الشيعة فى منشا الاستناد و لو أن المعتزله مثل الفرق الأخرى قد قبلت ذلك أيضا.

فى بعض الموارد يشترك الشيعة و المعتزله فى قسم من مسأله واحده.

و الشيخ المفيد فى مثل هذه الموارد يبين نقاط الافتراق بين الشيعة و المعتزله كى لا يؤدى اشتراك الفريقين فى عنوان المسأله، إلى ظن الاشتراك فى كل التفاصيل و الجوانب. على سبيل المثال، كلا الشيعة و المعتزله يقولون باللطف و الأصلح، لكن المفيد يهتم برفع أى اشتباه يمكن أن يحدث فى فهم المسأله، و يبعد عن الشيعة ما وقعت فيه المعتزله من اشتباه حين يتحدث فى باب اللطف. فهو بعد بيان الأصلح يقول مباشره: "و أقول أن ما أوجبه أصحاب اللطف من اللطف إنما وجب من جهه الجود و الكرم، لا من حيث ظنوا (المعتزله و آخرون) أن العدل أوجبه (أى أوجب اللطف على الله) و أنه لو لم يفعل لكان ظالما".

(ص ٦٥).

حتى فى المواضع التى اتفق فيها رأى شاذ من آراء متكلمى الشيعة مع المعتزله، يصر على ذكر الشواذ بالاسم أو الإشارة، كى لا

يتخذ ذلك رأى الشاذ طابع عقيدته شيعيه و يحسب على مدرسه التشيع، فى مسأله العصمه مثلا بعد أن يبين رأى الاماميه فى عصمه الأئمه ع عن الصغائر و حتى عن السهو و النسيان، يقول: " و على هذا مذهب سائر الاماميه إلا من شذ منهم و تعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب، و المعتزله بأسرها تخالف فى ذلك و يجوزون من الأئمه وقوع الكبائر و الرده عن الإسلام " (ص ٧٤).

و يبدو انه يشير إلى كلام الشيخ الصدوق فى هذه الأمثله و فى جميع كتاب أوائل المقالات يتبين الدور العظيم الذى نهض به الشيخ المفيد فى تحديد معالم مدرسه أهل البيت و فى حراسه الإطار المميز لهذه المدرسه حراسه الذكى اليقظ المصر على حفظ عقائد المدرسه و كلامها من الاختلاط بآيه فرقه أو نحلته أخرى.

نفس هذا الهدف ينشده فى كتبه الأخرى أيضا، و لو بأساليب متفاوتة تقريبا. فى "الحكايات" مثلا حيث اختص القسم الأكبر برد عقائد المعتزله فى الموضوعات الكلاميه المختلفه، عقد فصلا تحت عنوان:

"اتهام التشبيه" و فيه يقول راوى الحكايات (و يبدو أنه السيد المرتضى):

"فانى لا أزال أسمع المعتزله يدعون على أسلافنا: أنهم كانوا كلهم مشبهه... و أرى جماعه من أصحاب الحديث من الاماميه يطابقونهم على هذه الحكاياه، و يقولون: إن نفى التشبيه إنما أخذناه من المعتزله".

ثم يطلب من الشيخ المفيد (رض) أن يروى حديثا يرد به على هذه التهمه الباطله.

و المفيد فى الجواب بعد أن يبين جذور هذه التهمه و سوابقها و يذكر أن الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت فى رد التشبيه لا تعد و لا -تحصى، يذكر روايه عن أبى عبد الله (ع) ثم يقول: "فهذا قول أبى عبد الله ع... فكيف نكون قد أخذنا ذلك عن المعتزله؟! لو لا قله الدين؟! " (أى لو لا قله الدين عند من يقول هذا الكلام) (الحكايات ص ٧٩-٨١).

و هذا الاهتمام من الشيخ الكبير فى رد تهمه التشبيه و الجبر و الرؤيه عن عقائد الشيعه إنما هو مصداق بارز آخر على دور الشيخ المفيد فى الحراسه و فى تثبيت الهويه المستقله لمدرسه أهل البيت (ع)، و هو ما ندرسه فى هذا المبحث.

مما طرحه الشيخ المفيد فى كتاب "أوائل المقالات" و سائر كتبه الكلاميه مثل: "تصحيح الاعتقاد" و "الفصول المختاره" و غيرها فى بيان عقائد التشيع و الفارق بينها و بين عقائد الفرق الكلاميه الأخرى و خاصه المعتزله نستطيع أن نستنتج أنه استهدف تقديم نظام فكرى منسجم ذى حدود و خصائص واضح للتشيع. و لا شك أن النقطه الشاخصه المميزه فى هذا النظام الفكرى هى مسأله الامامه. أى أن آيه نحلته أخرى لا تشترك مع الشيعه فى هذه المسأله. و المناط فى نسبه فرد أو جماعه إلى مذهب الشيعه هو الاعتقاد بهذه المسأله.

نعم، الشيعه فى كثير من المسائل العقيديه تختلف مع سائر الفرق فى روح هذه المسائل و معانيها أو فى بعض فروع و جزئيات هذه المسائل رغم وجو [وجود] الاشتراك فى العناوين مثل التوحيد و العدل و الصفات

و أمثالها، غير أن التمايز في مسألة الامامه بين الشيعة و غيرهم أوضح من أيه مسأله أخرى. لذلك افتتح الشيخ المفيد كتبه الضخمه مثل أوائل المقالات و نظائره بالكلام عن الامامه، بل كتب رسائل صغيره و كبيره عديده أيضا في موضوع الامامه تحت عناوين مختلفه.

و من المناسب أن نشير هنا أن كون الامامه "نقطه شاخصه" في فكر المفيد كما بينا هو غير ما ذهب إليه أحد المستشرقين في هذا المجال حين قرر أن الامامه هي "محور النظام الفكرى" لدى المفيد. محور النظام الفكرى لدى الشيعة و متكلميهم (المفيد و غير المفيد) هو مسأله الصانع و توحيد الله سبحانه و تعالى. و المسائل المهمه الأخرى مثل: صفات الله تعالى، عددها و معناها و نسبتها إلى ذات البارى عز اسمه، و مسأله النبوه و فروعها، و مسأله العدل، و كذلك مسأله الامامه و المسائل المرتبطه بالتكليف و القيامه و غيرها... كلها فروع تلك المسأله و مبتنيه عليها.

المستشرقون و من ليست له احاطه علميه كافيه بالمفاهيم الإسلاميه يقعون مع الأسف في مثل هذه الاشتباهاات عند دراستهم لأشخاص عظام مثل الشيخ المفيد. و لا بد لمثل هذه الجلسات و البحوث أن تصحح هذه الانحرافات و تلقى الضوء على الحقائق الباحث الغربى الذى كتب عن أفكار الشيخ المفيد يقول عنه حيناً إنه يفتقد النظام الفكرى المشخص، و يقول عنه حيناً آخر إنه صاحب نظام فكرى يقوم على أساس الامامه. و كلا القولين - كما ذكرنا - يجانبان الصواب.

النظام الفكرى للمفيد قد بينه في كتب و رسائل عديده بوضوح.

و محوره، بعد مسأله "المعرفه" التى هى المقدمه الطبيعيه للمسائل الاعتقاديه، مسأله الذات و صفات البارى. سائر المسائل الأساسيه متفرعه عنها حسب مراتبها. مسأله الامامه كما ذكرنا شاخص هذه المدرسه و نقطه تميزها عن سائر المدارس، و عقيدته يعرف بها أتباع التشيع. لعلنا نستطيع أن نقارنها بمسأله "المنزله بين المنزلتين" فى مدرسه المعتزله. فى أصول المعتزله الخمسه هذه المسأله ليست أهم المسائل و أولها و أعمقها، إذ هناك التوحيد و العدل أيضا. لكن مسأله "المنزله بين المنزلتين" قد أوجدها الاعتزال و اختص و تميز بها. و ليس ثم معتزلى يصدق عليه هذا الاسم و لا يؤمن بهذه المسأله. هذه الخاصيه فى النظام الفكرى الشيعى تتمثل بالإمامه.

مما تقدم نفهم أن الشيخ المفيد... النابغه الكبير فى تاريخ التشيع... أول من رسم و ضبط حدود مدرسه التشيع فى الفقه و الكلام. فى علم الكلام بنى نظاما فكريا منسجما من مجموع عقائد الشيعة، و حال دون أن يشته بينه و بين المذاهب و الفرق الأخرى بما فى ذلك المذاهب الشيعيه غير الاماميه. و فى علم الفقه قدم دوره فى الفقه استنادا إلى طريقه الاستنباط القائم على الأصول المتخذة من تعاليم أهل البيت ع، و سد الطريق أمام الأساليب غير المعتره مثل القياس أو الأساليب الابتدائيه و الناقصه مثل أسلوب أهل الحديث.

بعبارة أخرى: انه الرجل الذى ثبت الهويه المستقله لمدرسه أهل البيت ع. و هذا هو البعد الأول من الأبعاد الثلاثه التى تبنى عليها شخصيه الشيخ المفيد باعتباره المؤسس و الحلقة الأولى للتيار العلمى المتكامل فى مدرسه أهل البيت ع.

الفقاهه، بمعنى استنباط حكم الشريعة من الكتاب و السنه، لها جذور عريقه عند الشيعة.

الامام الباقر (ع) يقول لأبان بن تغلب:

"اجلس فى المدينة و أفت الناس" (١)

و يقول لعبد الأعلى: " يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عز و جل. قال الله تعالى: (وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (٢) هذه و أمثالها من الروايات تدل على أن أصحاب الأئمة ع كانوا يمارسون استنباط الأحكام من القرآن و سنه رسول الله ص و كلمات الأئمة.

و الفقه، بمعنى معرفه الأحكام، لم ينحصر فى دائره شيعة الأئمة بالتقليد و العمل بكلمات الأئمة ع، بل اتسع ليشتمل على مزيد من التفاصيل و التعقيد فى الاستدلال. مع ذلك ثمه بون شاسع بين ما كان يمارسه فقهاء أصحاب الأئمة ع فى باب الفقاهه و الإفتاء و بين الفقاهه فى عصر ازدهار فقه الشيعة أى عصر رد الفروع على الأصول و استنباط مئات القواعد العامه و آلاف الأحكام الفقيهه المعقده و الصعبه من الكتاب و السنه و حكم العقل، و تفرع الفروع الهائله القادره فى زمن غيبه الامام المعصوم أن تجيب على أسئلة المكلفين فى حقول الشريعة و تبين الحلال و الحرام فى جميع الأبواب و بكل التفاصيل. و هذا البون الشاسع يجب أن يملأ بمرور الزمان و على مدى التطور التدريجى للفقه.

من سبق المفيد من الفقهاء قطعوا دون شك أشواطاً قيمه على هذا الطريق. لكن هذا الشيخ الكبير بقدره نبوغه الفكرى يعتبر فى هذا الصعيد مبدأً تطور تاريخى و بدايه تيار خلاق متنام متعمق. و يظهر أنه بعد قرون من جمع المصادر الفقيهه المتمثله بنصوص المعصومين و الإفتاء على أساس ظواهر هذه النصوص، استلزم الأمر فى مرحله من تاريخ الفقه أن تصب هذه الكنوز القيمه فى قالب أفكار علميه و أن يبتكر أسلوب فنى للاستنباط.

قبل الشيخ المفيد كان ثمه اتجاهان متفاوتان فى فقه الشيعة. أحدهما اتجاه برز فيه على بن بابويه (ت ٣٢٩)، و قد نستطيع تسميته اتجاه القميين. و أغلب الظن أن أستاذ المفيد فى الفقه أعنى جعفر بن قولويه (ت ٣٦٨) هو من هذه المجموعه. الفقاهه فى هذا الاتجاه تعنى الإفتاء حسب نصوص الروايات، بحيث أن كل فتوى فى كتب هؤلاء الفقهاء تحكى عن وجود روايه فى مضمونها. و لذلك حين يكون صاحب الفتوى ثقه ثبتاً فان فتواه تستطيع أن تقوم مقام حديث. من هنا قال الشهيد (رض) فى الذكرى: "قد كان الأصحاب يتمسكون بما يجدونه فى شرائع الشيخ أبى الحسن بن بابويه رحمه الله عند إعواز النصوص لحسن ظنهم به و إن فتواه كروايتة" (٣) بديهي أن الفقاهه بهذه الكيفيه ابتدائية جداً، و عاريه عن الأسلوب الفنى المعتمد. و الفروع المذكوره فى الكتب الفقيهه لهذا الاتجاه، تنحصر بالفروع المنصوصه، و هى قليله و محدوده. و هذا هو الذى أدى إلى أن يوجه المخالفون طعنهم لفقه الشيعة متهمين إياهم بقله الفروع.

١- رجال النجاشي / ١٠.

٢- الوسائل ٣٢٧/١. و الآيه من سوره الحج: ٧٨.

٣- فتاوى العلمين / ٥.

و الشيخ الطوسى رحمه الله ألف بعد ذلك كتاب "المبسوط" دفعا لهذا الطعن.

الاتجاه الثانى يقع فى النقطه المقابله للاتجاه الأول و يستند إلى الاستدلال و الظن الغالب، متخذاً من فقه أهل السنه منطلقاً و قدوه.

و الشخصيتان المعروفتان فى هذا الاتجاه الحسن بن أبى عقيل العماني (ت؟) و ابن الجنيد الإسكافي (ت حوالى ٣٨١). لا تتوفر لدينا معلومات كافيه عن هذا الاتجاه و لا حتى عن الفقيهين المعروفين، تستطيع أن توضح لنا بدقه طبيعه اجتهادهما فى استنباط المسائل الفقيهيه، و لكن مما قال المفيد و آخرون عن ابن الجنيد يظهر أنه كان يميل إلى القياس و الرأى و بذلك ابتعد عن الطريقه المعروفه و المقبوله لدى الشيعه. أما العماني فلم ينسب إلى هذا الاتجاه بل إنه كما يقول النجاشى: "و سمعت شيخنا أبا عبد الله يكثر الثناء على هذا الرجل رحمه الله" (١). و مما قاله هو و الشيخ فى الفهرستين حول كتابه (٢) نستطيع أن نفهم أنه فقيه مستقيم، و لعله كان قريباً من الطريقه التى انتهجها الشيخ المفيد و ألف و حقق فيها و ربى تلاميذه عليها... و لكن مع ذلك تعتبر آراؤه غالباً فى عداد الشذوذات الفقيهيه و المتروكه، و لعل هذا هو سبب عدم بقاء شىء من كتابه سوى الاسم بعد العلامه و المحقق (رض). و مما تقدم يمكن أن نحس بان فقاوته لم تكن سليمه و لا يمكن أن يكون قد خلف بعده اتجاهاً فى الفقه. و لا شك أن هذا العالم الأقدم الذى يقول عنه بحر العلوم: "هو أول من هذب الفقه و استعمل النظر و فتق البحث عن الأصول و الفروع فى ابتداء الغيبه الكبرى (فتاوى العلمين / ١٣) كان له تأثير على ما توصل اليه الشيخ المفيد لأول مره من قاعده صحيحه للفقاهه، بل كان المقدمه لعمل المفيد العلمى.

و كما يلاحظ فان كل واحد من الاتجاهين الفقهيين ناقص فى جانب من الجوانب. فى الاتجاه الأول الفتوى نفس نص الروايه دون تفريع و دون رد الفرع على الأصل و دون بحث و مناقشه و نقد و استنتاج.

الاجتهاد بمعناه المصطلح لا دخل له فى هذا اللون من الفقاهه و لا تأثير.

و الاتجاه الثانى، مع وجود النظر و الاستدلال فيه، يبدو أنه ليس وفق مدرسه أهل البيت ع، فهو يقترن بالقياس أو ينحو منحى ينتهى بالآراء الشاذه، و لا يقدر له البقاء فى حوزة فقاهه الشيعه.

فقه المفيد مبرأ من هذين العيين، و له كلاله المزيين: مزيه الاستناد إلى الأساليب المعتره لدى الاماميه، و مزيه الاستفادة من الاجتهاد المصطلح و إدخال عنصر الاستدلال و الاستنباط النظرى فى الفقه. من هنا فهو الذى توصل إلى القالب العلمى المقبول و المعتر لدى الشيعه، و أكسب المواد المأثوره و الأصول المتلقاه نظاماً علمياً، و أودعه حوزة الفقاهه الشيعيه، و بعده استمر نظام الفقاهه هذا عبر القرون حتى وصل إلى ما عليه اليوم من نضج و ازدهار.

و من أجل الاطلاع بشكل اجمالى على قيمه عمل المفيد فى حقل الفقه و أهميته، نتحدث فيما يلى عن العناوين الثلاثه التاليه:

أ) كتاب المقنعه.

ب) رسائل فقيهه صغيره للمفيد.

أ - كتاب المقنعه:

"المقنعه" دوره كامله فى الفقه، لم يسبقه كتاب فقهى بهذه الخصائص. مقنع الصدوق لا يبلغ هذا الكتاب فى جامعيه مباحثه الفقهيه على أنه مثل كتاب ابن بابويه يضم نصوص الروايات و أن مباحثه أكثر قصرا و اختصارا. المفيد لم يذكر أدلته فى هذا الكتاب على فتاويه و لذلك ليس من السهل فهم طريقه استدلاله على هذه الفتاوى، و لكن بالقرينه المطمئنه يمكن القول أن ما أفتاه هذا الكتاب يستند إلى استدلال فقهى مستحكم. و إذا كان هذا الاستدلال غير مدون و غير معروض لاستفاده الخلف، فان تلاميذه و طبقه الفقهاء المتصله به قد اتخذوه قدوه لأعمالهم و أضافوا إليه. و القرينه المطمئنه كتاب "التهذيب" للشيخ الطوسى. و كما نعلم أن التهذيب شرح للمقنعه، و بيان لاستدلالاته الفقهيه. الشيخ الطوسى (رض) فى مقدمه ذلك الكتاب يبين دوافع تاليفه و يذكر أن الصديق الذى طلب منه تأليف كتاب "يحتوى على تأويل الأخبار المختلفه و الأحاديث المتنافيه..." اقترح عليه أن يقصد إلى رساله "المقنعه" للمفيد لأنها كافيه شافيه خاليه من الحشو و الزوائد. ثم يبين طريقته فى الاستدلال و هى باختصار كما يلي:

الاستدلال على كل مسأله بظاهر أو صريح القرآن أو أنواع دلالاته المفهوميه (مثل: مفهوم الموافقه و مفهوم المخالفه و الدلاله الالتزاميه و نظائرها)، و هكذا الاستدلال بالسنة القطعيه بمعنى الخبر المتواتر أو الخبر المحفوف بالقرينه، و هكذا إجماع المسلمين أو إجماع الاماميه، ثم ذكر الأحاديث المشهوره فى كل مسأله، ثم النظر فى الدليل المعارض (إن وجد) و السعى فى الجمع الدلالى بين الدليلين، و إن تعذر الجمع الدلالى، يرد الدليل المقابل لضعف السند أو لاعراض الأصحاب عن مضمونه، و إن تساوى الدليلان فى السند و أمثاله (مثل جهه الصدور أو الاعراض المشهور و غيره) و لا ترجيح لأحد على آخر فالترجيح الخبرى الموافق للأصول و القواعد الكليه المستخرجه من الشريعه، و ترك الدليل المخالف للأصل و القاعده. و إن لم يكن ثمة حديث أصلا فالحمل على ما يقتضيه الأصل، و ترجيح الجمع الدلالى على الترجيح السندى، و الجمع الدلالى وفق "شاهد الجمع" المنصوص، و عدم تخطيه قدر الإمكان.

هذا هو أسلوب الشيخ الطوسى فى الاستدلال على كتاب المقنعه كما ورد فى مقدمه كتاب التهذيب. و أهل الفن يعلمون جيدا أنه الأسلوب الجامع فى الاستدلال على مر عصور فقاهاه الشيعه حتى يومنا هذا، و القالب العام للاستدلال الفقهى فى جميع الأعصر التى تلت الشيخ الطوسى (رض) حتى عصرنا الراهن. و هنا يطرح هذا السؤال نفسه هل إن الشيخ المفيد - مؤلف المقنعه - كان غافلا عن طريقه الاستدلال الجامعه هذه التى تستطيع أن توصل الفقيه إلى فتاوى كل الكتاب و هل توصل إلى تلك الفتاوى دون معرفه بطريقه الاستدلال هذه؟ بعبارة أخرى: هل إن الشيخ الطوسى (رض) مبتكر هذه الطريقه

ص: ٢٨٥

(ص ٤٨)، وعبارة الشيخ في الفهرست: "له كتب آخر منها كتاب التمسك.. في الفقه، كبير حسن" (الفهرست / ٣٦٨، و مع قليل من الاختلاف في ص ٩٦).

فى الاستدلال؟ أو إنه تعلمها من أستاذة المفيد؟ يبدو أن الجواب واضح لو أخذنا كل جوانب الموضوع بنظر الاعتبار. نعلم أن الشيخ الطوسى بدأ بتأليف كتاب التهذيب فى حياه الشيخ المفيد أى قبل سنه ٤١٣.

و هذه المقدمه كتبها آنذ. فقد ورد الشيخ الطوسى العراق سنه ٤٠٨ حين كان شابا فى الثالثه و العشرين من عمره، و ترقى فى مدارج العلم و البحث على يد أستاذة الشيخ المفيد، ثم واصل تلقيه العلمى على السيد المرتضى مده ٢٣ سنه. و من هنا لا يبقى مجال للشك أن الشيخ الطوسى تعلم هذا الأسلوب الاستدلالى الفقهى على الشيخ المفيد، و بسبب تعرفه على أسلوب استدلال أستاذة استطاع أن يجعل الكتاب مستدلا وفق أصول استدلال الأستاذ نفسه.

هذا الاستنتاج يزداد قوه و قاطعيه حين نلاحظ المباني الأصوليه للشيخ المفيد فى كتاب الأصول الذى سنتناوله فيما بعد. بملاحظه ذلك الكتاب و ما نهج فيه المفيد من أسلوب الاستناد إلى الكتاب و السنه المتواتره و المحفوظه بالقرائن أو المرسله المشهوره المعمول بها عند الأصحاب و غيرها من آرائه فى الأصول، يتضح بجلاء أن الأسلوب الاستدلالى الذى بينه الشيخ الطوسى فى مقدمه التهذيب هو نفس ما كان يؤمن و يعمل به أستاذة و يعلمه لتلامذته. مما تقدم نفهم أن كتاب المقنع - و إن لم يقترن بالاستدلال - قد توصل ذلك الفقيه الكبير إلى ما فيه من فتاوى بنفس الأسلوب الاستدلالى الذى توصل ألف عام بعده فى حوزة فقاهاه الشيعه.

هذه الطريقه الاستدلاليه هى نفس النهج الاستدلالى الكامل الذى لم يكن موجودا دون شك فى أى واحد من الاتجاهين الفقهيين للشيعه أى اتجاه ابن بابويه و اتجاه القديمين - و شيخنا الكبير مبتكر هذا الاتجاه و مؤسسه و واضع قواعده.

ب - الرسائل الفقيهيه:

هذه الرسائل على قله حجمها تعبر عما كان يتمتع به الشيخ الكبير من عمق علمى فقهى. بعض هذه الرسائل مثل رساله "المسح على الرجلين" و "ذبايح أهل الكتاب" تشتمل على استدلالات جدليه شبه عقليه، لكن بعضها الآخر يحتوى حقا على أسلوب مستحكم و قوى و منظم فقهى مثل رساله "المهر" أو "جوابات أهل الموصل فى الرؤيه و العدد" أو "المسائل الصاغانيه". فى رساله الرؤيه و العدد التى تختص برد القول المنسوب إلى الصدوق (رض) و بعض الفقهاء القدماء بشأن عدد أيام شهر رمضان و أنها ثلاثون يوما، الشيخ المفيد يقرن الاستظهار من الآيات، و الاستنباط من اللغه، و الاستشهاد بالأحكام الفقيهيه المسلمه، و البحث فى فقه الحديث بشأن الروايات التى يستدل بها الخصم، و المناقشه فى السند، و ذكر أحوال الرجال، و ذكر نكات كثيره فى فهم الأحاديث و الاستنباط منها مستفيدا من كل واحد منها على أفضل وجه و أنضجه. و من أعماله الرائعه فى هذه الرساله أنه فى موضع منها بعد ذكر الحديث الذى يستدل به الطرف المقابل، يضعف سنده، و يعتبر مضمونه غير معقول و بعيدا عن الأسلوب الحكيم للإمام و ناتجا عن جعل عامى و جاهل، و إضافه إلى ذلك يثير احتمال إرسال سنده و هذه النكته الأخيره تدل على تبحره و احاطته بالحديث (راجع الرساله المذكوره، ص ٢٣ و ما بعدها. الفصل المرتبط بروايه يعقوب بن شعيب عن أبى عبد الله ع). رساله "المسائل الصاغانيه"، التى يجيب فيها على إشكالات فقيه حنفى من أهل صاغان فى عشر مسائل فقيهيه، نموذج آخر على ما فى الشيخ الكبير من قوه استدلال و تبحر فقهى. هذه الرساله - و إن كانت ذات طبيعه كلاميه أى إنه يواجه فيها الخصم غير الشيعى الذى يتهمه بالبدعه، بنسبه الافتراء و البدعه اليه و إلى إمامه - فهى تبين بوضوح لكل قارئ خبير قوه

الاستدلال و الروح العلميه و الفقاهه الاجتهاديه لدى الشيخ المفيد، لأن المسائل المعروضه فيها فقهيه بشكل عام.

هذه الرساله و رساله "العدد و الرؤيه" تستطيع أن تكون أفضل شاخص لما بلغه الشيخ المفيد من مكانه ابداعيه، و أحسن دليل على أن ما يشاهد في طبقه تلاميذه و تلاميذ تلاميذه من أسلوب علمي في الفقاهه إنما هو ناشئ تماما عن الأسلوب الذي أسسه و وضع قواعده ذلك الرجل الكبير.

ج - كتاب التذکره بأصول الفقه:

علم الأصول، منهج الاستنباط الفقهي... أسلوب للوصول إلى الأحكام العمليه من الأدله المعتمده. تنظيم القوانين و القواعد الأصوليه بمشابه وضع منهج للفقاهه. بدون مثل هذا المنهج تكون ساحه الفقاهه بدون حدود و عرضه للخلط و الشوائب و الاشتباه، و الأحكام المستخرجه تفقد لـ محاله اعتبارها المطلوب. أضف إلى ذلك أن أذواق الفقهاء و آراءهم الشخصيه و فهمهم الفردي سيكون لها دور يتجاوز الحد في نتيجته الفقاهه، و تصاب آراء الفقهاء بالتشتت و عدم الانتظام.

صحيح أن علم الأصول كلما ازداد عمقا و نضجا و تعقيدا ساعد على سلامه الآراء الفقهييه، غير أن الذي يؤثر في غايه الفقاهه و نتيجتها أكثر من ذلك، أصل إيجاد هذا العلم و وضعه. أساس علم أصول الفقه و بنيته نجده دون شك في كلمات الأئمه ع و فيما يطلق عليه اسم "الأصول المتلقاه". و لكن أول كتاب في الأصول لدى الشيعة دون - على ما نعلم - بيد الشيخ المفيد. و هو الكتاب الصغير في الحجم الضخم في محتواه المسمى "التذکره بأصول الفقه" و انه أغلب الظن مختارات انتخبها تلميذه الشيخ أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ) من أصل كتاب المفيد الذي كان هو أيضا صغير الحجم.

هذا الكتاب على صغره له أهميه فائقه لأنه: أولا - أول كتاب دون في أصول الفقه عند الشيعة. يقول الشيخ الطوسي - رحمه الله - في مقدمه كتاب عده الأصول: "و لم يعهد لأحد من أصحابنا في هذا المعنى إلا ما ذكره شيخنا أبو عبد الله رحمه الله في المختصر الذي له في أصول الفقه" (١) و ثانيا - فيه مباحث كثيره بعبارات مقتضبه، و في مباحث الألفاظ خاصه عناوين عديده تشتمل على أبحاث هامه. و ثالثا - في بعض مباحثه توجد نظرات للشيخ الكبير تشبه إلى حد كبير ما ذكره المحققون الأصوليون في عصور متاخره جدا. فما ذكره مثلا - في باب نسبه العام و الخاص يشبه إلى حد كبير ما يسمى "الإراده الجديده و الإراده الاستعماليه" في تحقيقات أسلافنا القريبين من زماننا. عباره الشيخ المفيد في هذا المورد كما يلي: "و الذي يخص اللفظ العام لا يخرج منه

ص: ٢٨٦

شيئا دخل تحته، و انما يدل على أن المتكلم به أراد به الخصوص و لم يقصد به إلى ما بنى في اللفظ له في العموم... " (ص ٣٧). رابعا - الكتاب - و قد أريد له الاختصار (١) - قدمت فيه المباحث التي هي أكثر ضروره و عمليه في استنباط الأحكام الفقهيه. و أهملت المباحث التي يغلب عليها الطابع النظري مثل بحوث حقيقه العلم أو حقيقه الكلام التي تعمق و توسع فيها شيخ الطائفة في بدايه عده الأصول. في اعتقادي أنه من الرائع جدا أن لا يغفل الكتاب - على اختصاره - عن ذكر مباحث من قبيل: أن العموم و الإطلاق خص بالسنة القوليه، و ليس للعموم و الإطلاق مجال في السنه الفعلية (٢)، أو أن الأمر عقيب الخطر لا يفيد أكثر من الاباحه (٣) أو أن الاستثناء عقيب الجمل المتعدده - إن لم توجد قرينه - يعود إليها جميعا (٤) و أمثال ذلك... و لتأثيرها و تكررها في الاستنباطات الفقهيه بينت بعبارات مناسبه.

مما ذكرنا يتضح أن شيخنا الكبير... بتدوينه كتاب الأصول كان يعكف على أعداد المقدمات اللازمه لابداع قالب علمي و فني للاستنباط الفقهى. و علم الأصول - بالنسبه له - ليس مجموعته من المعارف الذهنيه و شبه الكلاميه. بل هو - كما صرح أيضا تلميذه في مقدمه عده الأصول - ما تبتنى عليه أحكام الشريعة، و لا يكتمل علم الشريعة دون استحكام هذا الأساس، و من لم تكن الأصول عنده مستحكمه فهو حاك و مقلد و ليس بعالم (٥).

٣ - ابتكار أسلوب الجمع المنطقي بين العقل و النقل في الفقه و الكلام:

هذا هو البعد الثالث من شخصيه شيخنا الكبير باعتباره مؤسس و رائد الحركه العلميه لدى الشيعه.

و في هذا المجال أيضا فتح الشيخ الكبير طريقا جديدا بين الاتجاه العقلي المطلق للمعتزله و من حذا حذوهم من الشيعه - مثل آل نوبخت - و بين الاتجاه الحديثي عند الشيخ الصدوق.

المعتزله في عصر نشاط الاعتزال - أعنى في أواخر العصر العباسي الأول (المتتهى بأواسط القرن الثالث الهجري) - تأثروا بشده بتيار الأفكار الفلسفيه الأجنبيه (اليونانيه، و البهلويه، و الهنديه، و غيرها) الوافده على العالم الإسلامى و بترجمه آثارها. و في ذلك الزمان كان ذلك التيار الوافد و هكذا أفكار المعتزله موضع تشجيع الخلفاء و خاصه المأمون. رده الفعل أمام هذا الاتجاه العقلي تمثلت في حركه أصحاب الحديث من أهل السنه و المحدثين الشيعه مثل الصدوق رحمه الله، الذين أرادوا أن يفهموا كل المعارف الكلاميه و الاعتقديه من الحديث.

و اتجه المفيد في عمله العلمى الكبير إلى إثبات أن العقل - و هو مستقل - عاجز عن فهم جميع المباحث التي يتناولها علم الكلام. في باب صفات البارى - مثلا - كالاراده و السمع و البصر و أمثالها، العقل انما يستطيع أن يلج باب المعرفه بمدد الوحي، و وروده لوحده في هذا الوادى المرتبط بحضره الربوبيه، هو ورود في التيه و الضلاله. و هذا في الواقع مضمون نفس الروايات التي نهت عن الخوض في صفات الله تعالى. لم يستهدف المفيد - إذن - حرمان العقل من أن يلج ساحته المرتبطه به - التي ليس للسمع و الوحي فيها طريق - أى ساحه إثبات الصانع و الاستدلال على وجود البارى أو التوحيد أو النبوه العامه بل استهدف حد العقل بنفس الحدود التي عينها له خالق العقل كي لا يسقط في التيه و الضلال.

جاءت عبارته أوائل المقالات في موضع: "إن استحقاق القديم سبحانه بهذه الصفات (أعنى كونه تعالى سميعا بصيرا و رائيا و

مدركا " كلها من جهه السمع دون القياس و دلائل العقول " (٤) و فى موضع آخر: " إن كلام الله تعالى محدث و بذلك جاءت الآثار عن آل محمد ص " (٧) و فى موضع آخر: " إن الله تعالى يريد من جهه السمع و الاتباع و التسليم على حسب ما جاء فى القرآن، و لا أوجب ذلك من جهه العقول " (٨) و فى موضع آخر فى عبارته عامه: " اتفقت الاماميه على أن العقل يحتاج فى عمله و نتائجه إلى السمع، و أنه غير منفك عن سمع ينبه العاقل على كيفية الاستدلال... و أجمعت المعتزله... على خلاف ذلك و زعموا أن العقول تعمل بمجردھا عن السمع و التوقيف... " (٩) مثل هذه التصريحات كثيره فى كلمات المفيد. مع ذلك فهو يقبل سنده النقل حيث لم يقم برهان عقلى على امتناعه. و لذلك فى باب ظهور المعجزات عن الأئمه ع، قبل أن يذكر ورود دليل سمعى عليها يقول: " فإنه من الممكن الذى ليس بواجب عقلا- و لا- ممتنع قياسا " (١٠) مثل هذا الكلام كرهه فى مواضع أخرى (١١) و لكنه فى " تصحيح عقائد الاماميه " الذى هو تعليق على " اعتقادات الشيخ الصدوق "، بعد أن يحكم برد الحديث المخالف للقرآن يعلن بصراحه تفوق صراحته فى المواضع الأخرى، و يقول: " و كذلك ان وجدنا حديثا يخالف أحكام العقول اطرحناه، لقضيه العقل بفساده " (١٢) و فى هذا البيان - إضافة - إلى رده الحديث المخالف لحكم العقل - يرى ان أساس هذا الرد هو حكم العقل أيضا. و بذلك يؤكد بشكل مضاعف على حجيه الاستدلال العقلى.

الاعتماد على الاستدلال العقلى فى مدرسه الشيخ المفيد تصل إلى حد نراه فى بحث " الألم للمصلحه دون العوض " بعد بيان رأيه الفريد الذى لا يشاركه فيه العدليه و لا المرجئه، يقول بثقه قل لها نظير: " و قد جمعت

ص: ٢٨٧

- ١- تلاحظ العبارات المنقوله عن العده " فى المختصر الذى له فى أصول الفقه " ..
- ٢- " و ليس يصح فى النظر دعوى العموم بذكر الفعل، و انما يصح ذلك فى الكلام المبنى و الصور منه المخصوصه. فمن تعلق بعموم الفعل فقد خالف العقول " التذكرة / ٣٨.
- ٣- " إذا ورد لفظ الأمر معاقبا لذكر الخطر أفاد الاباحه دون الإيجاب " ص ٣٠.
- ٤- " و الاستثناء إذا أعقب جملا فهو راجع إلى جميعها إلا... " ص ٤١.
- ٥- العده / ص ٨.
- ٦- أوائل المقالات / ٥٩
- ٧- أوائل المقالات / ٥٧
- ٨- أوائل المقالات / ٥٨
- ٩- أوائل المقالات / ٥٠
- ١٠- أوائل المقالات / ٧٩
- ١١- أوائل المقالات، القول فى سماع الأئمه ع كلام الملائكه الكرام... / ص ٨٠.
- ١٢- تصحيح الاعتقاد / ص ١٤٩

فيه أصول يختص بي جمعها دون من وافقني في العدل و الارزاء، بما كشف لي في النظر عن صحته و لم يوحشني من خالف فيه، إذ بالحجه لي أتم أنس و لا- وحشه من حق و الحمد لله ⁽¹⁾ و لما كان قد استند في الألم و البحوث المتفرعه عن اللطف عامه إلى الأدله العقلية لا السمعيه، لذلك فان قصده من (الحجه) في عبارته المذكوره هو الاستدلال العقلي نفسه.

ورود عنصر "السمع" في بناء المدرسه الكلاميه للشيخ المفيد أدى - بالاستمداد من كلمات الأئمه ع - إلى أن تأخذ كثير من المباحث الشائكه التي تتطلب مسيرا طويلا- للتوصل إلى كلام الحق فيها مكانها بسهوله في المجموعه الكلاميه لذلك الشيخ الكبير، و أدى إلى إنقاذ المسيره الكلاميه للشيعة بعد المفيد من الانحرافات و الاضطرابات الفكرية.

على سبيل المثال نذكر أن المعتزله في مسأله صفات الباري طوت طريقا طويلا ابتداء من نفى الصفات كما جاء في كلام واصل بن عطاء و مرورا بنظريه نيابه الذات عن الصفات، حتى الوصول إلى نظريه التوحيد بمعنى عدم زياده الصفات على الذات، و ان صفات الله تعالى عين ذاته في الوجود. بينما نرى هذه المسأله في كلمات المفيد متخذة من السمع أعنى نهج البلاغه و الروايات الصادره عن الأئمه ع.

و من هذه الروايات يستفاد أيضا أن هذه المباحث كانت متداوله في زمن الأئمه ع بين الشيعة، و كانوا ينهلون بشأنها من النبع الخالد لعلم أهل البيت (راجع الكافي ١٠٧/١ باب صفات الذات و الفصول المختلفه من توحيد الصدوق و خطبه نهج البلاغه).

و يلفت النظر أن الشيخ المفيد في الرسائل الكلاميه المختصره مثل:

"النكت في مقدمات الأصول" يلجا حتى في باب صفات الباري (حيث حصر استدلال هذا الباب في أوائل المقالات بالاستدلال السمعي) إلى الاستدلال العقلي إلى جانب الاستدلال السمعي.

يقول مثلا:

"فان قال: ما الدليل على أنه قادر؟ فقل: تعلق الأفعال به مع تعذرهما في البداءه عن العاجز.. " و يقول أيضا: " ما الذي يدل على أنه عالم؟ فقل: الصفه في البداءه على الجاهل "، و نفس الترتيب في باب السميع و البصير و الحكيم. (النكت في مقدمات الأصول ص ٣٣ - ٣٤).

و هذا لا يمكن اعتباره عدولا عن الأصل المذكور في أوائل المقالات.

لقد سبق أن ذكرنا أن الرسائل الموجزه التي دونها الشيخ المفيد على شكل سؤال و جواب هي بالاحتمال القوي منهج عملي لمتعلمي الجدل الكلامي من الشيعة القاصين الذين ما كان بإمكانهم أن ينالوا أستاذا كالشيخ المفيد. و الشيخ الكبير في تلك الرسائل، اختار طريق البحث العقلي باعتباره أجدى طريق لمواجهه أي مخاطب.

بهذا الشكل يتضح أن الجمع بين الحججه العقلية و الدليل النقلي في المنهج الكلامي للشيخ المفيد من أبرز أعماله الكبيره و المبتكره. أمل أن تحظى هذه العناوين الهامه و الجوانب الوضاءه الكثيره الأخرى من الحياه العلميه للشيخ المفيد باهتمام و متابعه هذا المجمع العلمي و التحقيقي.

فى خاتمه هذا المقال يجدر أن نؤكد أن هذا النابغه الكبير قد قام ما قام به من جهاد علمى طويل و تأسيس صرح علم الفقه و شق الطريق الوسط فى الكلام فى ظروف و أوضاع اجتماعيه صعبه.

حكومه آل بويه فى بغداد، و إن استطاعت أن توجد جوا مناسباً للبحث العلمى الحر، لم تستطع أبداً أن تحل مشكله المواقف المتعصبه لفقهاء الحنابله، و ضغوط جهاز الخلافه العباسيه على الشيخ المفيد و عامه الشيعه. مظلوميه شيعه الكرخ فى بغداد و المحن العظيمه التى مرت عليهم و على زعيمهم الكبير حقائق يشهد لها التاريخ بصراحه.

المظنون أن الشيخ المفيد غير المرات الثلاث من النفى ذكرتها كتب التاريخ، قد تعرض لمحنه أخرى خلال مده دامت سنتين تقريبا بين و لا نعرف طبيعه هذه المحنه. و هذا الظن ياتى من عدم وجود أى ذكر للشيخ المفيد فى قضايا وفاه السيد الرضى تلميذه المحبوب سنه ٤٠٦، مع أن الكتب ذكرت تفاصيل التشيع و خصوصياته، و القاعده تقتضى ذكر الشيخ المفيد كراى فى هذا الحادث. و ثمه قرينه أخرى تبعث على هذا الظن هى أن أمالى الشيخ المفيد التى كان يلقى حوالى شهر رمضان من كل سنه، عدد من مجالسها فى بيت الشيخ أو فى مسجده بباب الرباح و استمرت من سنه ٤٠٤ إلى سنه ٤١١، لم تلق خلال السنتين و ، و لا يوجد أى مجلس يرتبط بهاتين السنتين فى مجموعه أمالى الشيخ المفيد.

و أيضاً، هناك قرينه أخرى تتلمسها من قضايا محرم سنه ٤٠٦ إذ اندلعت فتنه كبيره أخرى من الفتن و المحن المكرره التى ألت بالشيعه.

و فيها اختارت حكومه بغداد السيد المرتضى ليكون ممثل الشيعه و رئيسهم الذى يتحدث عندها عنهم، لا الشيخ المفيد، و الحال أن الرئيس المطلق للشيعه بلا منازع فى تلك الأيام و قبلها كان الشيخ المفيد، و السيد المرتضى يعتبر تلميذه و مریده المتواضع و من اتباعه.

هذه القرائن تبعث على الظن بمحنه الشيخ المفيد فى تلك السنتين مما أدت إلى غيابه عن بغداد، و يجب التحقيق فى ذلك. و من المسلم أن الحياه فى بغداد لعامه الشيعه و زعمائهم فى القسم الأعظم من زمن حكومه آل بويه على العراق و بغداد الذى استمر مائه و ثلاثه عشر عاما كانت قاسيه مقرونه بالمحن و الاشتباكات و المجازر و المظلوميه (٢) و الشيخ المفيد وسط هذه المشاكل المتفاقمه و بتحمل مسئوليات قياده الشيعه فى العراق بل فى جميع العالم حقق هذا النجاح الباهر فى حقل معارف الشيعه.

و قال الشيخ محمد حسن آل ياسين متحدثاً عن مؤلفاته:

الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان عالم كبير و فقيه اسلامى مرموق، كان له و لمدرسته الكلاميه و الفقيهيه دور بارز فى تاريخ بغداد الفكرى فى أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس الهجرى).

ص: ٢٨٨

٢- يسنى من ذلك فتره حكومه عضد الدوله على بغداد (٣٦٧ - ٣٢٢ [٣٧٢]).

ولد في عكبراء - بالقرب من بغداد - يوم الحادى عشر من شهر ذى القعدة سنة ست و ثلاثين و ثلاثمائة ٩٤٧ م - و قيل: سنة ثمان و ثلاثين (١) - متحدرا من أصلاب كريمه الحسب، صريحه النسب، زاكيه المحتد و النجار (٢). و ترعرع في كنف والده الذى لم نعرف من أخباره سوى كونه معلما بواسط (٣)، و لذلك كان يكنى ولده ب "ابن المعلم" (٤) و عند ما تجاوز هذا الفتى سنى الطفوله و اتقن مبادئ القراءه و الكتابه قدم به أبوه إلى بغداد (٥) حاضره العلم و مهوى أفئده المتعلمين.

و سارع هذا الصبى أثر قدومه بغداد إلى حضور مجلس درس الشيخ أبى عبد الله الحسين بن على المعروف بالجعل بمنزله بدرب رباح، ثم قرأ على أبى ياسر غلام أبى الجيش بباب خراسان (٦) و على غيره من نخبه اعلام ذلك العصر، الذين بلغوا فى أحصائنا (٥٦) أستاذا و شيخا.

و كما كان هناك هذا العدد الكبير من الشيوخ للمفيد كان مثل ذلك من الطلاب و الدارسين عليه، و كان من جملتهم: الشريف الرضى محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٠٦ هـ و الشريف المرتضى على بن الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ، و سلار بن عبد العزيز الديلمى المتوفى سنة ٤٤٨ هـ و محمد بن على الكراجكى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، و أحمد بن على النجاشى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، و الشيخ الطوسى، محمد بن الحسن، المتوفى سنة ٤٦٠ هـ و محمد بن الحسن بن حمزه الجعفرى، المتوفى سنة ٤٦٣ (٧) عاصر المفيد - فى التاريخ السياسى - فتره انكماش الدوله العباسيه و ضعفها و وهنها، أيام سيطره أمراء الأقاليم على حكم أقاليمهم و تولى بنى بويه شئون السلطه فى بغداد. و حظى هذا الشيخ بما لم يحظ به غيره من أمثاله من ضروب الإعزاز و التقدير و "الجلاله العظيمه فى الدوله البويهيه" (٨)، فكانت له "صوله عظيمه بسبب عضد الدوله" (٩)، و بلغ من احترام عضد الدوله له انه "كان يزوره فى داره و يعود به إذا مرض" (١٠) و كان للدور العلمى البارز الذى قام به المفيد فى عصره اثر كبير فى اشتهاار اسمه و شيوع ذكره، فحفلت كتب الرجال و التاريخ بالترجمه له و التحدث عن سيرته، و ساق كثير من المؤرخين - خلال ترجمه له - كلمات الإطراء و جمل الثناء بما لا مزيد عليه (١١) و وصف المؤرخون حياته الخاصه و صفاته الشخصيه فذكروا فى جمله ما ذكروا: أنه "كان شيخا ربهه نحيفا أسمر. كثير الصدقات. عظيم الخشوع. كثير الصلاه و الصوم. حسن اللباس. كثير التقشف و التخشع و الإكباب على طلب العلم. ما كان ينام من الليل إلا هجعه ثم يقوم يصلى أو يطالع أو يتلو القرآن" (١٢) و اشتهر المفيد بفن "المناظره" بين الناس بمختلف آرائهم و طوائفهم، و ذكر ابن الجوزى انه "كان لابن المعلم مجلس نظر بداره بدرب رباح يحضره كافه العلماء" (١٣) و زاد ابن كثير فى وصف هذا المجلس بقوله:

"كان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف" (١٤) توفى ليله الجمعه لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ (١٥) (أول كانون الأول - ديسمبر - ١٠٢٢ م) (١٦)، و شيعه ثمانون ألفا من الباكين عليه (١٧) و صلى عليه تلميذه الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى بميدان الأشنان (١٨) و هو الميدان الرئيس بكرخ بغداد (١٩) و ضاق على الناس مع كبره (٢٠) و دفن بداره ببغداد ثم نقل إلى الكاظميه فدفن بمقابر قريش، بالقرب من رجلى الامام الجواد (ع)، إلى جانب أستاذه أبى القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمى (٢١)، و قبره الآن معروف فى وسط الرواق الشرقى من المشهد الكاظمى.

"و كان يوم وفاته يوما لم ير أعظم منه، من كثره الناس للصلاه عليه و كثره البكاء من المخالف و الموافق" (٢٢) و تبارى شعراء عصره فى رثائه و فى التعبير عن الفجيعة بفقدته، و كان منهم الشاعر عبد المحسن الصورى المتوفى سنة ٤١٩ هـ و الشريف المرتضى على بن الحسين و الشاعر مهيار الديلمى (٢٣) ٩.

- ١- فهرست ابن النديم: ٢٧٩ و رجال النجاشى: ٢٨٧ و فهرست الطوسى: ١٥٨ و معالم العلماء ١٠٠ و رجال ابن داود: ٣٣٣ و الخلاصه: ٧٢ و بروكلمان - الترجمة العربية: ٣٤٩/٣.
- ٢- يراجع فى نسبه المتصل بيعرب بن قحطان رجال النجاشى: ٢٨٣.
- ٣- لسان الميزان: ٣٦٨/٥ و واسط: اسم لمدين كثيره، و المقصود بها هنا واسط الدجيل التى تبعد عن بغداد ثلاثه فراسخ. معجم البلدان ٣٨٥/٨.
- ٤- فهرست ابن النديم: ٢٥٢ و ٢٧٩ و تاريخ بغداد: ٢٣١/٢ و فهرست الطوسى: ١٥٨ و المنتظم: ١١/٨ و الكامل ٣١٣/٧ و رجال ابن داود: ٣٣٣ و لسان الميزان: ٣٦٨/٥ و ميزان الاعتدال: ٢٦/٤ و شذرات الذهب ٨١٩٩/٣
- ٥- السرائر: الصفحه قبل الأخيره - و الكتاب على ضخامته غير مرقم الصفحات.
- ٦- المصدر السابق.
- ٧- يراجع فى أسماء طلاب المفيد: البدايه و النهايه: ١٥/١٢ و النجوم الزاهره: ٢٥٨/٤ و مقدمه الطبعة الجديده من البحار ٧٨/١.
- ٨- شذرات الذهب ٢٠٠/٣.
- ٩- لسان الميزان ٣٦٨/٥ و ميزان الاعتدال ٣٠/٤.
- ١٠- لسان الميزان: ٣٦٨/٥ و شذرات الذهب: ٢٠٠/٣.
- ١١- أمثال التوحيدى فى الامتاع و المؤانسه: ١٤١/١ و ابن النديم فى الفهرست: ٢٥٢ و ٢٧٩ و النجاشى فى الرجال: ٢٨٣-٢٨٤ و الطوسى فى الفهرست: ١٥٨ و ابن أبى طى كما فى شذرات الذهب: ١٩٩/٣ و الحافظ ابن كثير فى البدايه و النهايه: ١٥/١٢ و الحلى فى الخلاصه: ٧٢ و ابن حجر فى لسان الميزان: ٣٦٨/٥ و ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهره: ٢٥٨/٤.
- ١٢- لسان الميزان: ٣٦٨/٥ و شذرات الذهب: ٢٠٠/٣.
- ١٣-، المنتظم: ١١/٨.
- ١٤- البدايه و النهايه: ١٥/١٢.
- ١٥- تاريخ بغداد: ٢٣١/٣ و فهرست الطوسى: ١٥٨ و رجال النجاشى: ٢٨٧ و معالم العلماء: ١٠١ و الكامل: ٣١٣/٧ و البدايه و النهايه: ١٥/١٢ و النجوم الزاهره: ٢٥٨/٤ و شذرات الذهب ١٩٩/٢.
- ١٦- بروكلمان: ٣٤٩/٣.
- ١٧-، ميزان الاعتدال: ٣٠/٤ و لسان الميزان: ٣٦٨/٥ و شذرات الذهب ٢٠٠/٣.
- ١٨-، رجال النجاشى: ٢٨٧ و الخلاصه: ٧٢.
- ١٩- بغداد قديما و حديثا: ٢٢٨.
- ٢٠- رجال النجاشى: ٢٨٧ و الخلاصه ٧٢.
- ٢١- المصدران السابقان.
- ٢٢- فهرست الطوسى: ١٥٨.
- ٢٣- ديوان الصورى - مخطوط مصور بمكتبه المجمع العراقى - ١٢٠/ أو ديوان المرتضى ٢٠٤/٣-٢٠٦ و ديوان مهيار الديلمى: ١٠٣/٣-١٠٩.

صنف و ألف ما وسعه الوقت، و خلف من بعده تراثا ضخما لا يزال حتى اليوم مرجعا للعلماء و المعنيين بشئون الفكر الإسلامى. و ذكر المؤرخون له قريبا من "مائتى مصنف كبار و صغار" (١) و وصفوها ب "التصانيف البديعه" (٢) و بالنظر إلى أهميه هذه المؤلفات فى تاريخ تراثنا الأصيل و مجدنا الفكرى الزاهر، جردت هذا الفهرست الموسع لتلك الكتب، مسجلا فيه المعلومات المتوفره عن كل واحد منها، مشيرا خلاله إلى أماكن وجود المخطوط و تاريخ طباعه المطبوع، معتمدا فى ذلك على المصادر الأساسيه المعنيه بسيره هذا الرجل و آثاره، و قد رتبت أسماء هذه الكتب على تسلسل الحروف الهجائيه تسهيلا على القارئ و المراجع (٣)

مؤلفاته

– حرف الألف –

اشاره

آى القرآن المنزله:

ذكره السيد على آل طاوس (القرن السابع) فى سعد السعود ١١٦ و قال: انه ينسب للمفيد. و لم تثبت صحه النسبه.

١ – اجازته للشيخ الدقاق:

تاريخها شهر صفر سنه ٤٠٣ هـ. الذريعه: ٢٤٦/١.

٢ – الأجوبه عن المسائل الخوارزميه:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٢٢٠/٥.

٣ – أحكام أهل الجمل:

الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ٢٩٥/١. و لعله نفس كتاب "الجمل" الذى سيأتى ذكره.

٤ – أحكام النساء:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ٣٠٢:١ و بروكلمان: ٣: ٣٥١ و مجله معهد المخطوطات: ٢٠٠/٤.

ألفه للسيدة فاطمه بنت الناصر أبي محمد الأطروش والده الشريفين الرضى و المرتضى. منه نسخه بمكتبه الطهراني بسامراء، و أخرى فى مكتبه السيد ضياء شكاره ببغداد و ثالثه فى مكتبه مجلس بطهران، و رابعه بخطى فى مكتبتى الخاصه، و كانت منه نسخه قديمه فى خزانه المرحوم الشيخ عبد الحسين الحلّى و لا نعلم مكانها اليوم.

٥ - الاختصاص:

البحار: ٧/١ و الذريعه: ٣٥٨/١-٣٦٠ و بروكلمان: ٣/٣٥٠ و فهرست آستان قدس: ٧/٥-٩٩ و فهرست جامعه طهران:

١٠٦٠/٥ و فهرست سبه سالار: ١٩٧/١.

طبع بطهران سنه ١٣٧٩ هـ فى " ٤٥٦ صفحه.

منه نسخه مخطوطه تاريخها ٨٩١ هـ فى آستان قدس بمشهد، و أخرى تاريخها سنه ١٠٥٥ هـ و ثالثه تاريخها ١٣٥١ هـ، كما توجد منه نسخ فى كل من مدرسه سبه سالار (تاريخها ١١١٨ هـ)، و مكتبه السماوى بالنجف (تاريخها ١٠٨٥ هـ) و جامعه طهران. و كانت لدى مؤلف البحار (القرن الحادى عشر) نسخه عتيقه منه.

٦ - اختيار الشعراء:

معالم: ١٠١.

٧ - الإرشاد:

النجاشى: ٢٨٤ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه:

٥٠٩/١ و بروكلمان: ٣/٣٥٠ و فهرست دار الكتب: ٨/١٤ و فهرست آستان قدس: ٥/١٧ و جامعه طهران ٩/١٠٨٣ و ١٣/٣٤٨٤.

ذكره مؤلفه فى كتابه الفصول العشره: ٩. و هو مصادر الإقبال للسيد على آل طاوس (ص ٥٩٨) و البحار للمجلسى (٧/١). منه نسخه مخطوطه بدار الكتب المصريه بالقاهره تاريخها ١٠٩٥ هـ، و أخرى بجامعه طهران تاريخها ١٠٩٦ هـ، و ثالثه بمكتبه مجلس بطهران تاريخها ١٠٧٨ هـ، و رابعه فى آستان قدس بلا تاريخ.

طبع مكررا فى العراق و ايران، كما طبع شرح له و ترجمه إلى الفارسيه.

٨ - الأركان فى دعائم الدين:

النجاشى: ٢٨٤ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ٢٢٥/١ ذكره مؤلفه فى كتابه تصحيح الاعتقاد: ٢٨ و كتابه الفصول المختاره: ١٣٣/٢.

٩ - الأركان فى الفقه:

الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١.

١٠ - الاستبصار فيما جمعه الشافعى من الأخبار:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٦/٢.

١١ - الاشراف فى عام فرائض الإسلام:

النجاشى: ٢٨٤ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ١٠٢/٢ و بروكلمان:

٣٥٠/٣ و فهرست مكتبه مجلس: ١٤/٧ و مجله معهد المخطوطات:

٢٠٠/٤.

من مصادر السيد على آل طاوس فى الإقبال: ٣٣٧.

منه نسخه مخطوطه بمكتبه السيد ضياء شكاره ببغداد، و أخرى بمكتبه مجلس بطهران.

١٢ - أصول الفقه:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ٢٠٩/٢ و بروكلمان: ٣٥٠/٣.

ص: ٢٩٠

١- فهرست الطوسى: ١٥٨ و معالم العلماء: ١٠١ و رجال ابن داود: ٣٣٣ و الخلاصه: ٧٢ و ميزان الاعتدال: ٣٠/٤ و شذرات الذهب: ١٩٩/٣ - ٢٠٠.

٢- ميزان الاعتدال: ٣٠/٤ و لسان الميزان: ٣٦٨/٥.

٣- رعايه للاختصار رمزت للمراجع الرئيسه للبحث بالرموز التاليه المسجله أمام كل كتاب: النجاشى - رجال النجاشيالطوسى - فهرست الطوسىمعالم - معالم العلماءمجمع - مجمع الرجالالذريعه - الذريعه إلى تصانيف الشيعة. بروكلمان - تاريخ الأدب العربى لبروكلمان - الترجمة العربيه آستان قدس - كتابخانه آستان قدس بمشهد - ايرانمكتبه مجلس - كتابخانه مجلس شوراى

أورده بنصه أبو الفتح الكراچكى فى كتابه كنز الفوائد: ١٨٦ - ١٩٤.

١٣ - أطرف الدلائل و أوائل المسائل:

و قد يسمى "أطراف الدلائل فى أوائل المسائل".

معالم: ١٠٢ و الذريعه: ٢١٦/٢ و ٢١٨/١٥.

١٤ - الاعلام فيما اتفقت الاماميه عليه من الأحكام:

النجاشى: ٢٨٥ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ٢٣٧/٢ و بروكلمان:

٣٥٠/٣ و فهرست جامعه طهران: ١٢٨/٨.

طبع فى النجف سنه ١٩٧٠ هـ فى "٢٦" صفحه.

منه نسخه مخطوطه بجامعه طهران تاريخها ١١١٣ هـ.

١٥ - الافتخار:

النجاشى: ٢٨٦ و معالم: ١٠٢ و الذريعه: ٢٥٦/٢.

١٦ - الإفصاح:

مجمع: ٣٤/٦ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ٢٥٨/٢ و بروكلمان: ٣٥١/٣.

طبع فى النجف سنه ١٣٦٨ هـ فى "١٢٩" صفحه.

كانت منه نسخه خطيه بمكتبه السماوى بالنجف، و توجد نسخه مخطوطه باستان قدس تاريخها (١٣٥٠ هـ).

١٧ - الاقتصاد على الثابت من الفتيا:

معالم: ١٠١ و الذريعه: ٧٠/٢.

١٨ - أقسام مولى فى اللسان:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢٧٢/٢.

طبع فى النجف (بدون تاريخ) فى " ٩ صفحات باسم: رساله فى تحقيق لفظ المولى. و منه نسخه مخطوطه بمكتبه مجلس بطهران ضمن مجموعه.

١٩ - الاقناع فى وجوب وجوه الدعوه:

النجاشى: ٢٨٥ و مجمع ٣٥/٦ و الذريعه ٢٧٥/٢.

٢٠ - الأمالى المتفرقات:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٣١٥/٢.

من مصادر السيد على آل طاوس فى محاسبه النفس: ٥ و المجلسى فى البحار: ٧/١. طبع فى النجف سنه ١٣٦٧ هـ فى " ١٩٠ صفحه.

منه نسخه بمكتبه الطهرانى بسامراء تاريخها ١١١٠١ [١١٠١] هـ، و أخرى فى آستان قدس تاريخها ١٣٥٠ هـ.

٢١ - امامه أمير المؤمنين ع من القرآن:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٣٤١/٢.

٢٢ - الانتصار:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ٣٦٠/٢.

٢٣ - أوائل المقالات فى المذاهب المختارات:

النجاشى: ٢٨٤ و معالم: ١٠٢ و الذريعه: ٤٧٢/٢ و بروكلمان ٣/٣٥٠.

من مصادر السيد على آل طاوس فى كتابه فرج المهموم: ٣٧ و ٧٤ و المجلسى فى البحار.

طبع بتبريز مرتين، ثانيتهما سنه ١٣٧١ هـ.

٢٤ - الإيضاح:

النجاشي: ٢٨٤ و الطوسي: ١٥٨ و معالم ١٠١ و الذريعه:

٤٩٠/٢.

منه نسخه مخطوطه بالهند، و أخرى بمكتبه السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

٢٥ - ايمان أبي طالب:

النجاشي: ٢٨٤ و معالم: ١٠٢ و الذريعه: ٥١٣/٢ و فهرست مجلس: ٢٧/٧ من مصادر البحار.

طبع ضمن المجموعه الأولى من نفائس المخطوطات مرتين: سنه ١٣٧٤ هـ و سنه ١٣٨٤ هـ.

منه نسخه أخرى غير التي اعتمدت في مكتبه مجلس بطهران.

- حرف الباء -

٢٦ - الباهر من المعجزات:

هكذا سماه مؤلفه في كتابه "المسائل العشره": ٣٧ و لكن النجاشي سماه "الزاهر في المعجزات".

النجاشي: ٢٨٦ و الذريعه: ١٥/٣ و ١٣/١٢.

٢٧ - البيان عن غلط قطرب في القرآن:

النجاشي: ٢٨٧ و الذريعه: ١٧٢/٣.

البيان في أنواع علوم القرآن:

ذكره في الذريعه: ١٧٢/٣، و لم يثبت لدينا أمره.

٢٨ - البيان في تأليف القرآن:

النجاشي: ٢٨٥ و الذريعه: ١٧٢/٣.

٢٩ - بيان وجوه الأحكام:

النجاشي: ٢٨٤ و الذريعه: ١٨٤/٣.

- حرف التاء -

اشاره

التذكرة بأصول الفقه:

الذريعه: ٢٥/٤ ، و أظنه كتاب "أصول الفقه" المار الذكر.

٣٠ - تفضيل الأئمة على الملائكة:

النجاشي: ٢٨٦ و الذريعه: ٣٥٨/٤.

٣١ - تفضيل الأنبياء على الملائكة:

منه نسخه مخطوطه ضمن مجموعه بمكتبه مجلس بطهران.

٣٢ - تقرير الأحكام:

ص: ٢٩١

ذكره مؤلفه بهذا الاسم في كتابه الفصول المختاره: ١٥/٢ و ٢٢.

و كذا سمي في المعالم: ١٠١ و لكنه سمي في الذريعه: ٣٦٥/٤ (تقريب الأحكام).

٣٣ - التمهيد:

النجاشي: ٢٨٤ و معالم: ١٠٢ و الذريعه: ٤٣٣/٤. ذكره مؤلفه في كتابه تصحيح الاعتقاد: ٧٠ و جوابات المسائل السرويه: ٥٧.

٣٤ - تصحيح الاعتقاد في شرح اعتقادات الصدوق:

الذريعه: ١٠٢/١٣ و بروكلمان: ٣٥٠/٣ و فهرست جامعه طهران ٥٦٧/٣ و فهرست آستان قدس: ١٠١/٥.

و قد يسمى (شرح اعتقادات الصدوق)، و هو من مصادر البحار.

طبع في تبريز مرتين، ثانيتهما في سنة ١٣٧١ هـ، كما طبعت ترجمته إلى الفارسيه سنة ١٣٧١ هـ. منه نسخه مخطوطه تاريخها ١٠٣٦ هـ في جامعه طهران، و أخرى تاريخها ١٠٤٢ هـ في آستان قدس.

٣٥ - التواريخ الشرعيه:

النجاشي: ٢٨٦ و الذريعه: ٤٧٥/٤ و بروكلمان: ٣٥٠/٣ و فهرست جامعه طهران: ١٥٢٨/٥ و ٨٥٥/٩ و ٣٠٦٩/١٣ و فهرست آستان قدس: ٣٥/٢ و ١٦٥/٥. و قد يسمى "مسار الشيعه"، و هو من مصادر السيد على آل طاوس في الإقبال: ٦٧٣، و كانت لديه نسخه مکتوبه في حياه المؤلف.

كما انه من مصادر البحار أيضا.

طبع في تبريز على الحجر سنة ١٣١٣ هـ. منه نسخه مخطوطه كتبت بالخط الكوفي في ٥٨ ورقه (تاريخها سنة ٣٨٩ هـ في جامعه طهران، و أخرى فيها تاريخها سنة ١٠٥٣ هـ و ثالثه فيها أيضا تاريخها ١٣٠٤ هـ.

و في آستان قدس نسخه مخطوطه من الكتاب تاريخها ٩٧٨ هـ، و أخرى تاريخها ١٠٨١ هـ و ثالثه تاريخها ١٣٥٢ هـ.

- حرف الجيم -

٣٦ - الجمل:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ١٤٢/٥، ٣٥٠/١٣ (و سماه حرب الجمل).

طبع فى النجف للمره الثانيه فى (٢٢٠) صفحه سنه ١٣٨٢ هـ.

٣٧ - جمل الفرائض:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه ١٤٥/٥.

منه نسخه مخطوطه بمكتبه السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

٣٨ - جواب ابن واقد:

(و لعله واقد بن أبى واقد الليثى).

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٧٢/٥.

٣٩ - جواب أبى الفرج بن إسحاق عما يفسد الصلاه:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١٧٣/٥.

٤٠ - جواب أبى محمد الحسن بن الحسين النوبندجاني:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١٧٣/٥.

٤١ - جواب أهل جرجان فى تحريم الفقاع:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١٧٥/٥.

٤٢ - جواب أهل الحجاز فى نفي سهو النبي ص:

نسبه المجلسى للمفيد و أورده بنصه فى بحاره: ٢٩٧/٦-٢٩٩، و رجح أبو على فى رجاله: ٢٩٦ أن تكون هذه الرساله للمرتضى، و يراجع فى نفيها عن المفيد الذريعه: ١٧٥/٥-١٧٦ و ٢٦٧/١٢.

٤٣ - جواب أهل الرقه فى الأمله و العدد:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١٧٦/٥.

منه نسخه بمكتبه السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

جواب الباقلانى:

يراجع (مسأله فى النص الجلى) فى حرف الميم.

٤٤ - جواب الكرمانى فى فضل النبى ص على سائر الأنبياء:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١٨٦/٥.

٤٥ - جواب المافروخى فى المسائل:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٨٦/٥.

٤٦ - جواب المسائل فى اختلاف الأخبار:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٨٧/٥.

٤٧ - الجوابات فى خروج المهدي:

النجاشى: ١٨٦ و الذريعه: ١٩٥/٥.

منها نسخه مخطوطه بمكتبه الطهرانى بسامراء.

٤٨ - جوابات ابن الحمامل:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٩٦/٥.

٤٩ - جوابات ابن نباته:

عبد الرحيم بن محمد صاحب الخطب المتوفى سنة ٣٧٤ هـ.

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٩٦/٥.

٥٠ - جوابات أبى جعفر القمى:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٩٧/٥.

٥١ - جوابات أبى جعفر محمد بن الحسين الليثى:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٩٧/٥.

٥٣ - جوابات أبى الحسن سبط المعافى بن زكريا فى اعجاز القرآن:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٩٧/٥.

٥٤ - جوابات أبى الحسن النيسابورى:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٩٧/٥.

٥٥ - جوابات أبى الفتح محمد بن على بن عثمان:

(الكراچكى، المتوفى سنة ٤٤٩ هـ).

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١٧٣/٥ و ١٩٨.

ص: ٢٩٢

٥٦ - جوابات أبي الليث الأوانى:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٩٨/٥ و ٢٢٨ و مجله معهد المخطوطات: ٢٥١/٤ و فهرست آستان قدس: ٦٧/٢ و فهرست جامعه طهران: ٩٤٨/٩.

و اشتهر هذا الكتاب باسم "جوابات المسائل العكبريه" و هي احدى و خمسون مسأله. و كان هذا الكتاب من مصادر البحار. منه نسخه مخطوطه تاريخها ١٠٥٩ هـ فى مكتبه الشيخ هادى كاشف الغطاء فى النجف، و أخرى تاريخها ١٠٧٥ هـ فى جامعه طهران، و ثالثها تاريخها ١٣٥٢ هـ فى آستان قدس، و رابعه فى مكتبه الامام الصادق (ع) بالكاظميه، و فى آستان قدس منتخبات ضمت ٢٢ مسأله.

٥٧ - جوابات الأمير أبي عبد الله:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٩٨/٥.

٥٨ - جوابات أهل الدينور:

و قد تسمى "جوابات المسائل الدينوريه" و "المسائل الدينوريه".

النجاشى: ٢٨٥ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه ٢٢٠/٥.

٥٩ - جوابات أهل طبرستان:

النجاشى: ٢٨٦ و سماها فى الذريعه ٢٢٦/٥ "جوابات المسائل الطبريه".

٦٠ - جوابات أهل الموصل فى العدد و الرؤيه:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٢٣٥/٥ و سماها "جوابات المسائل الموصليات فى العدد و الرؤيه".

ذكرها مؤلفها فى كتابه جوابات المسائل السروييه: ٥٧.

من الكتاب نسخه مخطوطه فى مكتبه صاحب الذريعه فى النجف.

٦١ - جوابات البرقى فى فروع الفقه:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢٠١/٥.

٦٢ - جوابات بنى عرقل:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢٠٢/٥.

٦٣ - جوابات الشرقين فى فروع الدين:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٢٠٧/٥.

٦٤ - جوابات على بن نصر العبد جاني:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢٠٩/٥.

٦٥ - جوابات الفارقين فى الغيبه:

النجاشى: ٢٨٥. و سماها فى الذريعه: ٠٩/٥ "جوابات المسائل الميافارقيات". منه نسخه مخطوطه بمكتبه السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

٦٦ - جوابات الفيلسوف فى الاتحاد:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢١٠/٥.

٦٧ - جوابات المسائل الجاروديه:

طبعت فى النجف فى (٨) صفحات بدون تاريخ، و طبعت معها رساله أخرى باسم "الثقلان" فى (٥) صفحات، و الظاهر من السياق أن الجميع رساله واحده فى الرد على الجاروديه. و من هذه الجوابات نسخه مخطوطه فى مكتبه الامام أمير المؤمنين (ع) فى النجف - و لعلها من خطوط القرن الحادى عشر الهجرى - و نسخه أخرى فى مكتبه مجلس بطهران كما فى فهرستها: ٦٤/٧.

٦٨ - جوابات المسائل الجرجانيه:

الطوسي: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ٢١٧/٥. و لعلها بنفسها "جواب أهل جرجان في تحريم الفقاع" المار الذكر و قد تسمى "المسائل الجرجانيه".

منها نسخه مخطوطه بمكتبه السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

جوابات المسائل الخوارزميه:

يراجع "الأجوبه عن المسائل الخوارزميه" في حرف الألف.

٦٩ - جوابات المسائل السروييه:

معالم: ١٠١ و الذريعه: ٨٣/٢ و ٢٢٢/٥ و بروكلمان: ٣٥١/٣ و فهرست جامعه طهران: ٢٤٨/٩ و مجله معهد المخطوطات:

٢١٨/٤.

طبعت في النجف في (٢٢) صفحه بدون تاريخ.

كانت منها نسخه مخطوطه تاريخها ١٠١٠ هـ بمكتبه السماوى في النجف، و أخرى بمكتبه فيض آباد بالهند، و توجد منها نسخه مخطوطه أيضا بمكتبه الطهراني بسامراء، و أخرى بمكتبه الشيخ هادي كاشف الغطاء بالنجف، و ثالثه في جامعه طهران تاريخها ١٠٧٥ هـ باسم "أجوبه المفيد للسيد". و قطعه منها في آستان قدس سماها مفرس المكتبه اشتباها باسم "رساله في المتعه". و هذه الجوابات من مصادر البحار و سميت فيه "أجوبه المسائل السروييه"، و قد تسمى "المسائل السروييه".

جوابات المسائل العكبريه:

يراجع "جوابات أبي الليث الأواني" المار الذكر.

٧٠ - جوابات المسائل الفارسيه:

أشار إليها مؤلفها في كتابه "جوابات المسائل السروييه": ٥٧.

و سماها في الذريعه: ٢٢٥/٥ "جوابات المسائل الشيرازيه".

٧١ - جوابات مسائل اللطيف من الكلام:

النجاشي: ٢٨٥ و الذريعه: ٢٣٢/٥ و ٣٢٦/١٨. طبع مع "أوائل المقالات" في تبريز سنه ١٣٧١ هـ.

٧٢ - جوابات المسائل المازندرانيات:

الطوسي: ١٥٨ و سماها "المسائل المازندرانيه" و الذريعه ٢٣٢/٥.

أشار إليها مؤلفها في كتابه "جوابات المسائل السروييه": ٥٧.

٧٣ - جوابات المسائل المنشوره:

"نحو من مائه مسأله".

ص: ٢٩٣

الطوسي: ١٥٨.

٧٤ - جوابات المسائل النيسابوريه:

الذريعه: ٢٤٠/٥.

أشار إليها مؤلفها في كتابه "جوابات المسائل السروييه" ٥٧. منه نسخه مخطوطه بمكتبه السيد شهاب الدين النجفي في قم - ايران.

و لعلها "جوابات أبي الحسن النيسابوري" الماره الذكر.

٧٥ - جوابات مقاتل بن عبد الرحمن:

"عما استخرجه من كتب الجاحظ" النجاشي: ٢٨٥ و الذريعه: ٢١٢/٥.

٧٦ - جوابات النصر بن بشير في الصيام:

النجاشي: ٢٨٥ و الذريعه: ٢١٣/٥.

الجواهر المنفرده:

أشار اليه المفيد في "جوابات مسائل اللطف من الكلام" ص ٧٧ و لم يتضح أنه عنوان كتاب أو فصل أو باب.

- حرف الحاء -

٧٧ - حدائق الرياض و زهره المرتاض:

كانت نسخه عصر المؤلف في خزانه السيد علي آل طاوس و روى عنه في كتابه الإقبال: ٣٠٨ و ٥٢٩ و ٥٥٤ و ٥٨٤ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٣ و ٦٢١ و ٦١٨ و ٦٦٧. و ذكر في الذريعه ٢٨٦/٦.

الحكايات:

هكذا سماه في الذريعه: ٥١/٧ و لم نعرف له أثرا، و لعله رساله المفيد في "الحكايه و المحكي" التي سترد في حرف الراء.

- حرف الخاء -

٧٨ - خلاصه الإيجاز في المتعه:

ذكرها بروكلمان: ٣/٣٥٠.

منها نسخه مخطوطه في خزانه الفاتيكان كما في فهرستها: ٦٨.

و سياتي في حرف الميم "مختصر المتعه" و لا نعلم هل يقصد به هذا الكتاب أم غيره. و المفيد قد ألف كتابا في المتعه لا كتابا واحدا كما أشار إلى ذلك في المسائل الصاغانيه: ص ٥.

- حرف الراء -

٧٩ - الرجال:

ذكره في الذريعه: ١٠/٩٠ و قال بأنه طبع مع كتابه "الإرشاد" في بعض طبعاته.

٨٠ - رد الصوفيين:

ذكره بروكلمان: ٣/٣٥١ و أشار إلى وجود نسخه مخطوطه منه في الهند.

٨١ - الرد على ابن الإخشيد:

و في المطبوع من "جوابات المسائل السرويه" ٥١ "أبو بكر بن الاخشاد". النجاشي: ٢٨٦ و الذريعه: ١٠/١٧٦.

٨٢ - الرد على ابن رشيد:

النجاشي: ٢٨٦ و الذريعه ١٠/١٧٨.

٨٣ - الرد على ابن عون في المخلوق:

و ابن عون هو محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي المتوفى سنة ٣١٢ هـ النجاشي: ٢٨٦ و الذريعه: ١٠/١٧٨.

٨٤ - الرد على ابن كلاب في الصفات:

و ابن كلاب هو عبد الله بن محمد بن كلاب القطان و ذكر له ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ "كتاب الصفات".

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٧٨/١٠.

٨٥ – الرد على أبى عبد الله البصرى:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١٨٠/١٠.

٨٦ – الرد على أصحاب العلاج:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ١٨٥/١٠.

٨٧ – الرد على ثعلب فى آيات القرآن:

معالم: ١٠٢.

٨٨ – الرد على الجاحظ فى العثمانيه:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ١٩٢/١٠.

٨٩ – الرد على الجبائى فى التفسير:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٨١/١٠.

٩٠ – الرد على الخالدى:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١٩٤/١٠.

٩١ – الرد على الشعبى:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٢٠٢/١٠.

٩٢ - الرد على الصدوق فى عدد شهر رمضان:

معالم: ١٠١ و سماه "الرد على ابن بابويه" و الذريعه: ٢٠٤/١٠.

كانت منه نسخه بمكتبه السماوى فى النجف.

٩٣ - الرد على العتيقى:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢١١/١٠.

٩٤ - الرد على القتيبى فى الحكايه و المحكى:

و قد يسمى "النقض على ابن قتيبه فى الحكايه و المحكى".

النجاشى: ٢٨٦ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١.

و الذريعه: ٢١٧/١٠.

٩٥ - الرد على الكرايسى:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٢٢٠/١٠.

٩٦ - الرد على من حد المهر:

كانت منه نسخه مخطوطه فى مكتبه السماوى بالنجف كما فى الذريعه: ٢٢٧/١٠.

ص: ٢٩٤

٩٧ - الرد على النسفي:

في مسأله غسل الرجلين في الوضوء.

الذريعه: ٢٣٠/١٠ و فهرست مكتبه مجلس: ١٣٠/٧. و لعله "مسأله في المسح على الرجلين" المذكوره في حرف الميم منه نسخه مخطوطه بمكتبه الطهراني بسامراء، و أخرى بمكتبه مجلس بطهران.

٩٨ - الرساله إلى الأمير عبد الله و أبي طاهر ابني ناصر الدوله:

النجاشي: ٢٨٦ و الذريعه: ١٠٧/١١.

٩٩ - الرساله إلى أهل التقليد:

النجاشي: ٢٨٤ و الذريعه: ١٠٨/١١.

١٠٠ - رساله الجنيدى إلى أهل مصر:

ذكرها النجاشي: ٢٨٥، و أشار إليها مؤلفها في كتابه "جوابات المسائل السرويه" ٥٨، و ينبغي أن تسمى جوابات مسائل الجنيدى أو الرد على مسائل الجنيدى.

١٠١ - الرساله العزيه:

النجاشي: ٢٨٧ و الذريعه: ٢٦٣/١٥.

كانت من مصادر السيد على آل طاوس في الإقبال: ١١ و ١٨٦ و ٦٧٥ و الملاحم و الفتن ١٤٤.

١٠٢ - الرساله العلويه:

النجاشي: ٢٨٤ و الذريعه: ٢١١/١١.

١٠٣ - رساله في الفقه إلى ولده:

الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ١٠٩/١١.

رساله فى معارك اليهود و النصرى:

ذكرها بروكلمان: ٣٥٠/٣ و أشار إلى وجود نسخه مخطوطه منها فى مكتبه برلين. و الظاهر حدوث لبس فى التسميه أو فى النسبه، لعدم ذكر هذه الرساله فى كل المصادر المعنيه، و لعله التبس الأمر على مفهرس مكتبه برلين فسمى "فى ذبائح اليهود و النصرى" باسم "المعارك".

١٠٤ – الرساله الكافيه فى الفقه:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ٣٢٣/١١ و ٢٥٠/١٧.

١٠٥ – الرساله المقنعه فى الفقه:

النجاشى: ٢٨٤ و الطوسى: ٥٨ و معالم: ١٠١ و بروكلمان:

٣٥٠/٣ و فهرست آستان قدس: ١٢٥/٢ و فهرست سبهاالار ٥٣٤/١ و فهرست مجلس: ٩٦/٤.

من مصادر المجلسى فى البحار و من مصادر السيد على آل طاوس فى الإقبال: ١١ و ٨٧ و ٦٧٧.

طبعت ضمن موسوعه "الجوامع الفقيهيه" فى ايران سنه ١٢٧٦ هـ.

شرحها الشيخ الطوسى فى كتاب ضخيم مطبوع هو "تهذيب الأحكام".

منها نسخه مخطوطه فى آستان قدس تاريخها ٩٥٥ هـ و أخرى فيها تاريخ مقابلتها ٩٩٢ هـ، و ثالثه فى سبهاالار تاريخها ١٠٦٥ هـ، و رابعه فى مكتبه الامام أمير المؤمنين فى النجف تاريخ مقابلتها ١٠٧٧ هـ، و خامسه بلا تاريخ فى مكتبه مجلس بطهران.

١٠٦ – الرساله المقنعه فى وفاق البغداديين من المعتزله:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢٢٦/٧١.

– حرف الشين –

اشاره

شرح اعتقادات الصدوق:

يراجع "تصحيح الاعتقاد" في حرف التاء.

١٠٧ - شرح كتاب الاعلام:

و كتاب الاعلام له أيضا كما مر في حرف الألف.

النجاشي: ٢٨٧ و الذريعه: ١٠٣/١٣.

- حرف العين -

١٠٨ - عدد الصوم و الصلاة:

النجاشي: ٢٨٤ و الذريعه: ٢٣٢/١٥.

١٠٩ - عقود الدين:

معالم: ١٠١ و الذريعه: ٣٠٣/١٥.

ذكره مؤلفه في كتابه "تصحيح الاعتقاد": ٢٨.

١١٠ - العمد في الامامه:

النجاشي: ٢٨٧ و الذريعه: ٣٣٣/١٥.

١١١ - العويص في الأحكام:

النجاشي: ٢٨٥ و الذريعه: ٣٦٢/١٥ و فهرست جامعه طهران:

١٩٤٧/٥ و ٦٤٥/٨ و ١٤٩٦/٩.

منه نسخه مخطوطه تاريخها ٩٨٧ هـ في جامعه طهران، و أخرى فيها تاريخها ١٠٥٠ هـ، و ثالثه فيها تاريخها ١٢٢٤ هـ، كما ان منه نسخه مخطوطه بخط صاحب رياض العلماء - الميرزا عبد الله - في خزانه السيد شهاب الدين النجفي بقم - ايران.

و هناك "مختصر العويص" فى مكتبه الطهرانى بسامراء، و نسخه منه بمكتبه الشيخ هادى كاشف الغطاء بالنجف تاريخها ٩٦٨ هـ. و فى جامعه طهران "منتخب مسائل العويص" و قد كتب سنه ١٠٧٢ هـ و "مسائل العويص".

١١٢ - العيون و المحاسن:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ٣٨٦/١٥-٣٨٧ و بروكلمان:

٣٥٠/٣ (و سماه خطأ: العيون و المجالس و "عيون المجالس"). من مصادر السيد على آل طاوس فى الطرائف: ٨ و المجلسى فى البحار.

كانت منه نسخه مخطوطه تاريخها ١٠٨٥ هـ فى مكتبه السماويبالنجف، كما أن نسخه منه تاريخها ١٠٥٥ هـ فى آستان قدس.

- حرف الغين -

الغيبه (الكبير):

هكذا ورد اسم الكتاب فى الذريعه: ٨٠/١٦ و سياتى فى حرف الكاف.

ص: ٢٩٥

١١٣ – الفرائض الشرعيه:

النجاشي: ٢٨٤ و الذريعه: ١٤٩/١٦.

فصل الخطاب:

نسبه [نسبه] بعض المتأخرين للمفيد كما في الذريعه: ٢٣٠/١٦، و لم تثبت لدينا النسبه.

الفصول العشره في الغيبه:

يراجع (المسائل العشره في الغيبه) في حرف الميم.

١١٤ – الفصول من العيون و المحاسن:

النجاشي: ٢٨٤ و الطوسي: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه:

٢٤٥/١٦ و بروكلمان: ٣٥٠/٣ " و أخطأ فسماه تلخيص العيون و المجالس و احتمل أن يكون التلخيص للشيخ الطوسي "

الظاهر انه بنفسه كتاب "الفصول المختاره من العيون و المحاسن" الذي اختاره الشريف المرتضى من كتاب "العيون و المحاسن" المار الذكر.

طبع الكتاب في النجف في جزئين بدون تاريخ ذكر في الذريعه نسخا كثيره منه، و وقفت على نسخه مخطوطه منه ناقصه الآخر في دار الكتب الظاهريه بدمشق، و نسخه أخرى في آستان قدس تاريخها ١٣٤٥ هـ.

١١٥ – الفضائل:

معالم: ١٠١ و منه نسخه مخطوطه بخزانة السيد صادق كموونه ببغداد تاريخها ١٠٥٦ هـ.

فقه الرضا:

نسبه بروكلمان ٣٥٠/٣ للمفيد، و لا علاقه للمفيد به.

فهرست تصانيف الشيخ المفيد:

نسبه فى الذريعه: ٣٧٨/١٦ للمفيد، و لم يقم دليل على ذلك.

– حرف القاف –

١١٦ – قضيه العقل على الأفعال:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٥٥/١٧.

– حرف الكاف –

١١٧ – الكامل فى علوم الدين:

النجاشى: ٢٨٦ و معالم: ١٠١ و الذريعه: ٢٥٦/١٧. ذكره مؤلفه فى كتابه "تصحيح الاعتقاد": ٢٨ و "الفصول المختاره من العيون و المحاسن": ١٣٣/٢.

١١٨ – كتاب فى تأويل قوله تعالى:

(فاسألوا أهل الذكر)

النجاشى: ٢٨٥.

١١٩ – كتاب فى تفضيل أمير المؤمنين:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٣٥٨/٤. طبع فى النجف فى (٧) صفحات بدون تاريخ. منه نسخه مخطوطه بمكتبه مجلس كما فى فهرستها: ٥٠/٧.

١٢٠ – كتاب فى الغيبه:

طبع فى النجف فى (٦) صفحات عام ١٣٧٠ هـ باسم "مسأله فى الغيبه".

١٢١ – كتاب فى قوله – ص –:

"أنت منى بمنزله هارون من موسى".

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٨٩/١٣.

(و سمي فيها: شرح حديث

أنت منى بمنزله هارون).

١٢٢ - كتاب فى القياس:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ٢٢٠/١٧.

١٢٣ - كتاب مسأله فى القياس - مختصر -:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٢٢١/١٧.

١٢٤ - كتاب نقض كتاب الأصم فى الامامه:

النجاشى: ٢٨٥ .

١٢٥ - كشف الإلباس:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ٢٠/١٨.

١٢٦ - كشف السرائر:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ٣٩/١٨، و سمي فى الذريعه:

١٥٥/١٢ "السرائر".

١٢٧ - الكلام على الجبائى فى المعدوم:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١١٠/١٨ (و سمي فيه: كلام فى المعدوم و الرد على الجبائى) و هو خلط بين كتابين.

١٢٨ - الكلام فى أن المكان لا يخلو من متمكن:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ١١٠/١٨.

١٢٩ – الكلام فى الإنسان:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ٣٨٩/٢ (باسم: الإنسان و الكلام فيه) و ١١٠/١٨ باسمه الصحيح.

١٣٠ – الكلام فى حدوث القرآن:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١١٠/١٨.

١٣١ – الكلام فى الخبر المختلف بغير أثر:

النجاشى: ٢٨٥ و الذريعه: ١١٠/١٨.

١٣٢ – الكلام فى دلائل القرآن:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ٢٥٢/٨ (باسم: دلائل القرآن) و ٢٠٨/١٧ (باسم القول فى دلائل القرآن) و ١١٠/١٨ باسمه الصحيح.

١٣٣ – الكلام فى المعدوم:

النجاشى: ٢٨٤ و الذريعه: ١١٠/١٨ و خلط بينه و بين الكتاب

ص: ٢٩٦

السابق: الكلام على الجبائي في المعدوم.

١٣٤ - الكلام في وجوه اعجاز القرآن:

النجاشي: ٢٨٤ و الذريعه: ٢٣٢/٢ (باسم: اعجاز القرآن و الكلام في وجوهه) و ١١٠/١٨ باسمه الصحيح.

الكيمياء:

رساله فارسيه منسوبه إلى الشيخ المفيد بمكة المعظمه، و الظاهر أنها لمفيد آخر. الذريعه: ٢٠٠/١٨ و فهرس جامعه طهران: ٩٨٢/٤.

- حرف اللام -

١٣٥ - لمح البرهان:

النجاشي: ٢٨٤ و الذريعه: ٣٤٠/١٨ ألفه المفيد سنة ٣٤٣ هـ.

من مصادر السيد على آل طاوس في الإقبال: ٥ و ٦.

- حرف الميم -

١٣٦ - المتعه:

النجاشي: ٢٨٤ و الطوسي: ١٥٨ (و سماه: أحكام المتعه) و معالم:

١٠١ (باسم: رساله في المتعه) و الذريعه: ٦٦/١٩ و فهرست آستان قدس: ٦٧/٢ و مجله معهد المخطوطات: ٢٠٠/٤. من مصادر المجلسي في بحاره، و روى كثيرا منها في المجلد الثالث و العشرين منه.

منه نسخه مخطوطه غير مؤرخه في آستان قدس، و أخرى تاريخها ١٣٣٩ هـ في خزانه السيد ضياء شكاره ببغداد، أما نسخه آستان قدس المذكوره في الذريعه فليست كتاب المتعه بل المسأله الأخيره من جوابات المسائل السرويه.

١٣٧ - المجالس المحفوظه في فنون الكلام:

النجاشي: ٢٨٥ و الذريعه: ٣٦٤/١٩ و بروكلمان: ٣٥٠/٣ (و سماه المجالس). من مصادر المجلسي في البحار و كانت لديه "نسخه

عتيقه " من الكتاب.

١٣٨ - مختصر على المعتزله فى الوعيد:

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ٢٢٤/١٠ (و سمي فيها: الرد على المعتزله فى الوعيد).

١٣٩ - مختصر فى الغيبه:

النجاشى: ٢٨٤.

و لعله هو المطبوع فى النجف عام ١٣٧٠ هـ ضمن رسائل المفيد فى الغيبه.

١٤٠ - مختصر المتعه:

النجاشى: ٢٨٤.

و لا نعلم هل هو "خلاصه الايجاز" المار الذكر فى حرف الخاء أم غيره.

١٤١ - المزار الصغير:

النجاشى: ٢٨٥ و معالم: ١٠١ (و سماه: مناسك المزار) و الذريعه:

١٣٤/٤ و بروكلمان ٣/٣٥٠ و فهرست آستان قدس: ٢٨٤/٦ و فهرست جامعه طهران: ٣٠٧/١.

من مصادر المجلسى فى البحار و سماه "المزار".

كانت منه نسخه مكتوبه فى حياه المؤلف و فى آخرها ورقه عليها تعاليق فى خزانه السيد على آل طاوس كما ذكر فى كتابه: محاسبه النفس: ٢٢. و سماه "مناسك الزيارات" منه نسخه مخطوطه فى آستان قدس تاريخها ٩٥٧ هـ.

أما نسخه جامعه طهران فى ليست مزار المفيد و ان سماها ناسخها كذلك لأن فيها نقولا عن كتب متاخره عن عصر المفيد.

١٤٢ - المزورون عن معانى الاخبار:

النجاشى: ٢٨٥.

مسار الشيعة:

(يراجع التواريخ الشرعية) في حرف التاء.

١٤٣ - مسأله فى الإجماع:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٢٦٩/٦ (و سماها: حجيه الإجماع).

١٤٤ - مسأله فى الإراده:

النجاشى: ٢٨٤.

و فى كنز الفوائد: ٢٦-٢٨ كلام للمفيد فى الإراده، لعله مقتبس من هذه الرساله.

١٤٥ - مسأله فى الأصلح:

النجاشى: ٢٨٤.

١٤٦ - مسأله فى انشاق القمر و تكليم الذراع:

النجاشى: ٢٨٧.

١٤٧ - مسأله فى البلوغ:

النجاشى: ٢٨٦.

١٤٨ - مسأله فى تحريم ذبائح أهل الكتاب:

النجاشى: ٢٨٦ و الذريعه: ٤/١٠ (و سماها: الذبيحه).

من مصادر المجلسى فى بحاره، و سماها (رساله ذبائح أهل الكتاب).

١٤٩ - مسأله فى تخصيص الأيام:

النجاشى: ٢٨٦، و لعل كلمه "الأيام" تصحيف "الامام" كما فى مجمع الرجال: ١٣٦/٦.

١٥٠ - مسأله فى خبر ماريه:

النجاشى: ٢٨٦. طبعت ضمن المجموعه الخامسه من نفائس المخطوطات ببغداد سنه ١٣٧٥ هـ. باسم (رساله فيما أشكل من خبر ماريه القبطيه) و منها نسخه مخطوطه بمكتبه مجلس بطهران باسم "حديث ماريه القبطيه" كما فى فهرستها: ١٠٤/٧.

١٥١ - مسأله فى رجوع الشمس:

النجاشى: ٢٨٧.

ص: ٢٩٧

١٥٢ - مسألة في سبب استتار الحجج:

نشرت في النجف عام ١٩٧٠ هـ في (٤) صفحات ضمن مجموع رسائل المفيد في الغيبة.

١٥٣ - مسألة في العترة:

النجاشي: ٢٨٦، و سمي في مجمع الرجال: ٣٦/٦ "مسألة في العتق".

١٥٤ - مسألة في عصمه الأنبياء:

كانت منه نسخه مخطوطة ضمن مجموع صغير في خزانه السيد على آل طاوس و نقل عنه في كتابه الإقبال: ٤٤.

١٥٥ - مسألة في غيبه الحجج و فوائدها:

طبعت في النجف سنة ١٣٧٠ هـ ضمن مجموع رسائل المفيد في الغيبة.

١٥٦ - مسألة في قول المطلقات:

النجاشي: ٢٨٦.

١٥٧ - مسألة في القياس - مختصر -:

النجاشي: ٢٨٦ و الذريعة: ٢٢١/١٧ (و سماها كتاب القياس، مختصر).

١٥٨ - مسألة فيما روته العامه:

النجاشي: ٢٨٦.

١٥٩ - مسألة في المسح على الرجلين:

النجاشي: ٢٨٤. من مصادر المجلسي في بحاره، و سماها: رساله وجوب المسح. الطهراني بسامراء، و أخرى بمكتبه مجلس منها نسخه مخطوطة بمكتبه الطهراني بسامراء.

١٦٠ - مسأله فى المعراج:

النجاهى: ٢٨٧.

١٦١ - مسأله فى معرفه النبى ص بالكتابه:

النجاهى: ٢٨٧ و معالم: ١٠٢ (و سماها: رساله فى كتابه النبى ع).

١٦٢ - مسأله فى معنى قول النبى ص: أصحابى كالنجوم:

النجاهى: ٢٨٦.

١٦٣ - مسأله فى معنى قوله ص: انى مخلف فىكم الثقلين:

النجاهى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٩٠/٣ (و سماها: شرح حديث انى مخلف. إلخ.

١٦٤ - مسأله فىمن مات و لم يعرف امام زمانه:

طبعت فى النجف سنه ١٣٧٠ هـ فى (٥) صفحات ضمن مجموع رسائل المفيد فى الغيبه.

١٦٥ - مسأله فى الموارىث:

النجاهى: ٢٨٧ و معالم: ١٠٢ (و سماها: مختصر الفرائض) و الذريعه: ١٤٧/١٦ (و سماها: الفرائض).

كانت منها نسخه مخطوطه فى خزانه الحاج على محمد بالنجف.

١٦٦ - مسأله فى ميراث النبى ص:

النجاهى: ٢٨٦ ، و أظنها هى المطبوعه بالنجف فى (٣) صفحات باسم "رساله فى تحقيق الخبر المنسوب إلى النبى (ص): نحن معاشر الأنبياء لا نورث".

و فى مكتبه مجلس بطهران كما فى فهرستها: ١٠٥/٧ رساله مخطوطه للمفيد باسم "حديث نحن معاشر الأنبياء" و لعلها هذه

١٦٧ - مسأله فى النص الجلى:

النجالشى: ٢٨٦ و الذريعه: ١٧٧/٥ (و سماها جواب الباقلانى) و فهرست مكتبه مجلس: ٦٥/٧.

و هى جواب على سؤال القاضى أبى بكر الباقلانى المتوفى سنه ٤٠٣ هـ. طبعت فى نفائس المخطوطات/المجموعه الخامسه/بغداد ١٣٧٥ هـ. منها نسخه مخطوطه بمكتبه الطهرانى بسامراء، و أخرى بمكتبه مجلس بطهران.

١٦٨ - مسأله فى نكاح الكنايات:

النجالشى: ٢٨٤. و كانت منه نسخه مخطوطه بمكتبه السماويبالنجف.

١٦٩ - مسأله فى وجوب الجنه:

النجالشى: ٢٨٧.

١٧٠ - مسأله فى الوكاله:

النجالشى: ٢٨٧.

١٧١ - مسأله محمد بن الخضر الفارسى:

النجالشى: ٢٨٦.

١٧٢ - مسأله الجنبليه:

النجالشى: ٢٨٦.

١٧٣ - المسأله على الزيديه:

النجالشى: ٢٨٥ و الذريعه: ٢٠٠/١٠ (و سماها: الرد على الزيديه).

١٧٤ - المسأله فى أفضى الصحابه:

النجاهشى: ٢٨٦، و سماها فى مجمع الرجال: ٣٦/٦ "جوابات المسأله فى أفضى الصحابه" كما سماها فى الذريعه: ٢٧٣/٢ "أفضى الصحابه".

١٧٥ - المسأله الكافيه فى إبطال توبه الخاطئه:

النجاهشى: ٢٨٤ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١ (و سماها: "المسأله الكافيه فى تفسيق الفرقه الخاطئه" و الذريعه: ٣٢٣/١١) و سماها:

الرساله الكافيه.. إلخ و ٢٤٨/١٧ (و سماها: الكافئه فى إبطال...

إلخ).

نسخه منها كانت فى خزانه الفورى بالنجف و أخرى بالهند. من

ص: ٢٩٨

مصادر المجلسى فى البحار.

١٧٦ - المسأله المقنعه فى امامه أمير المؤمنين ع:

النجاشى: ٢٨٧ و معالم: ١٠١ (و سماها: المقنعه فى إثبات النص).

١٧٧ - المسأله الموضحه عن أسباب نكاح أمير المؤمنين ع:

النجاشى: ٢٨٥. من مصادر المجلسى فى بحاره، و سماها (رساله فى تزويج أمير المؤمنين) و لعلها بعض المسأله العاشره من جوابات المسائل السرويه.

١٧٨ - المسأله الموضحه فى تزويج عثمان:

النجاشى: ٢٨٦.

و لعلها بعض المسأله العاشره من جوابات المسائل السرويه.

١٧٩ - مسائل أهل الخلاف:

النجاشى: ٢٨٤.

١٨٠ - مسائل الزيديه:

النجاشى: ٢٨٦.

و لعلها "مسائل الجاروديه" المطبوعه بالنجف.

١٨١ - مسائل النظم:

النجاشى: ٢٨٤.

المسائل الحاجبيه:

هكذا سميت في هديه العارفين: ٦٦/٢، ومرت في حرف الجيم باسم "جوابات أبي الليث الأوانى".

١٨٢ - المسائل الحرائيه:

النجاشي: ٢٨٧ و الذريعه: ٢١٩/٥ (و سماها: جوابات المسائل الحرائيه).

١٨٣ - المسائل الصاغانيه:

النجاشي: ٢٨٤ و الطوسي: ١٥٨ و معالم: ١٠١ و الذريعه ٢٢٥/٥ (باسم: جوابات المسائل الصاغانيات) و ٤/١٥ و فهرست مكتبه مجلس: ٦٦/٧.

طبعت في النجف سنه ١٣٧٠ هـ في (٦٣) صفحه. منها نسخه مخطوطه بمكتبه الطهراني بسامراء و أخرى بمكتبه مجلس بطهران.

و قد كتب المفيد ذيلًا للمسائل الصاغانيه سمى في معالم العلماء:

١٠١ (الشيخ الضال، فيه جوابات عشر مسائل) و سمى في الذريعه:

١٩١/٤ (التشيعات) و في ١٤٨/١١ (رساله التشيعات). و طبع الذيل ملحقًا بالأصل السابق.

١٨٤ - المسائل العشره في الغيبه:

النجاشي: ٢٨٤ و معالم: ١٠١ (باسم: الأجوبه عن المسائل العشره) و الذريعه: ٢٢٨/٥ (باسم: جوابات المسائل العشره) و ٢٤١/١٦ (باسم: الفصول العشره).

كتبها المفيد بين سنتي ٤١٠ - ٤١١ هـ كما في ص ٥ و ٢٢ منها.

طبعت في النجف سنه ١٣٧٠ هـ في (٣٨) صفحه باسم (الفصول العشره في الغيبه).

منها نسخه مخطوطه في القرن (١١) الهجري في مكتبه الامام أمير المؤمنين في النجف، و أخرى بمكتبه مجلس بطهران.

١٨٥ - المسائل الوارده عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفارسي

المقيم بالمشهد بالنوبندجان:

و هو غير "النوبندجاني" المار الذكر في حرف الجيم.

النجاشى: ٢٨٧ و الذريعه: ٦٣/٢ (باسم: الأسئلة النوبندجانيه) و ٢٤٠/٥ (باسم: جوابات المسائل النوبندجانيه).

١٨٦ – المسائل الوارده من خوزستان:

معالم: ١٠١.

النجاشى: ٢٨٤ و معالم: ١٠١.

١٨٧ – مصابيح النور فى أوائل الشهور:

ذكره مؤلفه فى كتابه تصحيح الاعتقاد: ٧٠ و كتابه جوابات المسائل السروييه: ٥٨. و هو من مصادر السيد على آل طاوس فى الإقبال: ٦ و ٦٢٣.

١٨٨ – مقابس الأنوار فى الرد على أهل الأخبار:

النجاشى: ٢٨٦.

١٨٩ – مقاله فى الرد على البهشميه:

رأيت منها نسخه بخزانه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بالنجف.

١٩٠ – مناسك الحج:

النجاشى: ٢٨٤.

١٩١ – مناسك الحج العمليه:

النجاشى: ٢٨٧ و نص ما فيه "مناسك الحج، عمد" و قرأها بعض الباحثين "العمليه".

١٩٢ – مناسك الحج – المختصر –:

النجاشى: ٢٨٤.

١٩٣ - المنير فى الامامه:

الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١ (باسم: المبين).

١٩٤ - الموجز فى المتعه:

النجاشى: ٨٢٤.

و لعله خلاصه الإيجاز المار الذكر فى حرف الخاء.

١٩٥ - الموضح فى الوعد و الوعيد:

النجاشى: ٢٨٤ و معالم: ١٠١.

ذكره مؤلفه فى كتابه جوابات المسائل السرويه: ٦٦.

١٩٦ - مولد النبى ص و الأوصياء ع:

كانت معه نسخه لدى السيد على آل طاوس و ذكر انه غير كتاب الإرشاد و نقل نصوصا منه فى الإقبال: ٥٩٨ و فرج المهموم: ٢٢٤ و الملهوف: ٢٨.

ص: ٢٩٩

– حرف النون –

١٩٧ – النصر فى فضل القرآن:

النجاشى: ٢٨٥.

١٩٨ – النصره لسيد العتره:

النجاشى: ٢٨٧ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١.

١٩٩ – النصوص:

من مصادر المجلسى فى بحاره.

٢٠٠ – نقض الامامه على جعفر بن حرب:

النجاشى: ٢٨٥ .

٢٠١ – نقض فضاء المعتزله:

النجاشى: ٢٨٤ .

٢٠٢ – نقض المروانيه:

النجاشى: ٢٨٤ و فيه " بغض " و هو تصحف [تصحيف].

٢٠٣ – النقض على ابن الجنيد فى اجتهاد الراى:

النجاشى: ٢٨٧.

٢٠٤ – النقض على ابن عباد فى الامامه:

النجاشى: ٢٨٤ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١.

٢٠٥ - النقض على أبى عبد الله البصرى:

النجاشى: ٢٨٤ .

٢٠٦ - النقض على البلخى:

و هى خمس عشره مسأله.

النجاشى: ٢٨٥ .

٢٠٧ - النقض على الجاحظ فى فضيله المعتزله:

النجاشى: ٢٨٧، و فى المطبوع منه سقط أضفناه من مجمع الرجال:

٣٧/٦ .

٢٠٨ - النقض على الطلحى فى الغيبه:

النجاشى: ٢٨٥ .

٢٠٩ - النقض على على بن عيسى الرمانى:

النجاشى: ٢٨٤ و الطوسى: ١٥٨ و معالم: ١٠١.

٢١٠ - النقض على غلام البحرانى:

النجاشى: ٢٨٦ .

٢١١ - النقض على النصيبى:

النجاشى: ٢٨٦ .

٢١٢ - النقض على الواسطى:

النجاشى: ٢٨٥ .

٢١٣ - النكت فى مقدمات الأصول:

النجاشى: ٢٨٤ و معالم: ١٠٢ و الذريعة: ٦٤/١٨ (باسم: الكشف فى مقدمات الأصول و هو تصحيف) و بروكلمان: ٣/٣٥٠ و فهرست جامعه طهران: ٥٣١/٣ و مجله معهد المخطوطات:

٢٣١/٤ .

طبع ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ باسم "النكت الاعتقادية" كما طبعت له ترجمه فارسىه بطهران سنة ١٣٢٤ هـ ش .

كانت منه نسخه مخطوطه بمكتبه السماوى و منه الآن نسخه أخرى مخطوطه بجامعه طهران .

٢١٤ - نهج البيان عن سبيل الايمان:

النجاشى: ٢٨٧ و معالم: ١٠١ (و فيه: إلى سبيل الايمان).

٢١٥ - نهج الحق:

كانت منه نسخه بخزانه السيد على آل طاوس و نقل عنه فى كتابه اليقين: ١٧٤ .

- حرف الهاء -

٢١٦ - الهدايه فى الفقه:

طبعت منسوبه اليه ضمن موسوعه الجوامع الفقهيه فى ايران سنة ١٢٧٦ هـ .

محمد هاشم بن محمد سميع الجنيدى الشيرازى:

فاضل مشارك فى العلوم مشغل بالهيئه و الفلك، من أعلام أوائل القرن الثانى عشر و كان يقيم بمدينة شيراز .

له "معرفه التقويم" (١)

محمد هاشم بن نصر الله النورى:

من رجال القرن الثالث عشر فاضل جليل أديب حسن الإنشاء بالفارسيه، أقام سته أشهر بالنجف الأشرف ملازما للشيخ مرتضى الأنصارى مستفيدا منه.

له "زاد المسافرين" (٢)

الدكتور محمد مصدق:

إشاره

ولد فى ٢٩ أيار من سنه ١٨٨٢ م فى طهران. والده ميرزا هدايت آشتيانى كان وزيرا للماليه فى عهد ناصر الدين شاه و من دعاه التجدد و أعوان ميرزا تقى خاك [خان] (مير كبير)، و والدته ملك تاج خانم نجم السلطنه من حفيدات عباس ميرزا ولى عهد بهادر قاجار.

بعد إتمام دراسته الابتدائيه و المتوسطه و بعد وفاه والده سنه ١٨٩٢ عين وزيرا للماليه فى منطقه خراسان و كانت هذه الوظيفه من المناصب العاليه فى وزاره الماليه آنذاك إذ كانت وزاره الماليه المركزيه فى العاصمه تعين وزيرا لها فى كل منطقه، و من وظائف هذا الوزير مراجعه كل الأمور الماليه و أعداد الميزانيه السنويه لمنطقته و لم يكن يشترط قبل الثوره الدستوريه سنا معينه لتوظيف الأشخاص، لذلك كانت السلطه تنصب أبناء كبار المسئولين فى مناصب عاليه تكريما لهم سواء كان ذلك فى

ص: ٣٠٠

١- السيد أحمد الحسينى.

٢- السيد أحمد الحسينى.

حياتهم أو بعد مماتهم و إذا كان الموظف صغير السن و عمره لا يسمح له بإداره المنصب يتكفله والده أو شخص آخر حتى يتقدم به العمر و يستلم الوظيفة بنفسه. و فى بادئ الأمر خصص معاون للدكتور محمد مصدق ليساعده فى منصبه الجديد و لكن بعد أيام قليله أصبح من البارعين فى هذا المجال كما شهد له أستاذه، و صار من أفضل وزراء الماليه فى تلك الأيام و كان الجميع يتحدثون عن أمانته و حسن ادارته فى وزاره. و لم تمض أيام حتى جذبته السياسه و مال إلى الأفكار التى مهدت للثوره الدستوريه، و لذلك استقال من منصبه الذى توارثه عن أبيه و أجداده، و بعيدا عن كل المسئوليات الحكوميه تفرغ للسياسه على أيدي أساتيد المدرسه السياسيه الحديثه من أمثال الشيخ محمد على كاشانى و عبد الرزاق خان بغائرى و ميرزا غلام حسين خان راهنما و ميرزا جواد خان قريب و غيرهم.

انضم مصدق إلى الوطنيين الأحرار أيام الثوره الدستوريه و انتخب فى المجلس النيابى بعد الثوره نائبا عن مدينه أصفهان، و لكنه رفض تولى النيباه لأن عمره كان يوم ذاك أقل من ثلاثين عاما و كان هذا العمر شرطاً للنيابه فرأى بان من يخالف القانون و يدخل المجلس نائبا لا يستطيع أن يكون مخلصا فى سن القوانين و طلب تطبيقها، و يكون أسوأ مثال لمخالفى القوانين مع العلم انه كان فى المجلس نواب لم يبلغوا الثلاثين من أعمارهم.

بعد الثوره:

و قد رأى أنه لا بد لانتظام الحياه الدستوريه من تشكيل الأحزاب السياسيه، فعمل جاهدا فى هذا السبيل.

و فى اليوم العاشر من شهر تموز سنه ١٩٠٧ و قد مضى على انتصار الثوره الدستوريه عام واحد وقع مصدق على وثيقه الانضمام إلى حزب الإنسانيه (جامع آدميت)، و بذلك بدأ حياته السياسيه فى ظل الحريه، متعهدا بان يحافظ على حقوق الإنسانيه فى كل مكان ما دام حيا. و لكنه لم يلبث بعد مده أن خرج من هذا الحزب بعد أن استبانته له بعض الأمور فيه.

و بعد سقوط الثوره الدستوريه الأولى توارى مصدق عن الأنظار و كان هناك احتمال كبير فى اغتياله و أشير عليه باللجوء إلى السفاره البريطانيه فرفض ذلك. ثم قرر السفر إلى باريس لإتمام دراسته العليا و هناك درس لمدته سنتين فى مدرسه العلوم السياسيه. و لكنه بسبب المرض و الحاجه للاستراحه رجع إلى إيران.

و بعد مده عاد إلى أوروبا و بدأ بدراسه الحقوق فى مدينه "نوشاتل" فى سويسرا و نال الدكتوراه فى الحقوق قبل الحرب العالميه الأولى و بعد إتمام فتره التدريب على العمل حصل على إجازة التفويض القضائى من مركز المفوضين فى نوشاتل ثم رجع إلى إيران. و بطلب من الدكتور ولى الله خان نصر رئيس مدرسه العلوم السياسيه بدأ عمله كاستاذ فى المدرسه و فى هذه الأثناء ألف كتاب القانون للمحاكم الحقوقيه لتدريسه فى هذه المدرسه كبدايه للتحويل و التطور فى الهيئه القضائيه الجديده فى ايران التى تأسست بالاراده القويه للوطنيين الأحرار بعد وصول خبر إلغاء (الكابيتولاسيون) (Capitulation) أى حق التقاضى القنصلى لدوله فى دوله أخرى، و كان مفروضا على تركيا و ايران. و ظلت ايران ترزح بحمله.

و لبيان حقيقه هذا الأمر و ما فيه من ظلم، و لتوعيه الشعب لفهم حقيقته ألف مصدق فى تشرين الأول سنه ١٩١٤ كتابا باسم (الكابيتولاسيون و ايران) تمهيدا لالغاء هذا القانون بعد ذلك.

و لانماء الوضع الاقتصادى فى ايران الذى كان أحد أهداف الثورة الدستوريه و بطلب من بعض التجار الذين كانوا يرغبون فى العمل الجماعى عن طريق إنشاء الشركات التجاريه و كانوا يحتاجون إلى بعض الارشادات لأعمالهم ألف كتابا بعنوان (الشركات التجاريه فى أوروبا).

كان الدكتور مصدق يقضى أكثر أوقاته فى المطالعه و التحقيقات العلميه و كان يسعى لبذل كل ما لديه من علم للشعب الايرانى و فى هذا المضمون تعاون مع الحاج ميرزا يحيى دولت آبادى و غيره من المثقفين الذين درسوا خارج ايران لتحرير مجله العلوم، و صدر منها خمس عشر عددا فقط، و كانت هذه المجله من حيث المحتوى و التنوع أحد أنجح النشريات العلميه بعد الثورة الدستوريه.

و فى سنه ١٩١٧ تولى منصب معاون وزير المالىه و رئيس دائره المحاسبات و بقى فى هذا المنصب حتى سنه ١٩١٨.

و فى هذه الأثناء و فى وجود معاونين غير مخلصين فى وزاره ممن كانوا يتنقلون من وزاره إلى أخرى لمصلحتهم الشخصيه، عمل الدكتور مصدق معاونا مخلصا و كانت له خطوات مؤثره فى ارقاء المسائل المالىه و الوقوف بحزم و إصرار ضد المشاريع الاستعماريه. ثم عين وزيرا للعدل فى وزاره مشير الدوله و لكن بطلب من أهالى منطقته فارس إلى مشير الدوله الذى عرف كقائد وطنى آنذاك عين مصدق حاكما لمنطقه فارس و بقى فى منصبه هذا حتى الثالث من آذار ١٩٢٠، و خلال هذه المده كان مصدق فى نزاع دائم مع ٣٥٠٠ شخص من الشرطه السريه فى جنوب ايران الذى كان يسيطر عليه الاستعمار البريطانى. و هذه القوه العسكريه التى كانت بامر الضباط البريطانيين هى احدى عوامل معاهده ١٩١٩ و هنا سعى مصدق بكل طاقاته لاسترداد حقوق الشعب و إلغاء الشكل الرسمى لهذه القوه العسكريه.

ثم حدث ما جعله يقدم استقالته من منصبه، و فى اليوم الثانى من نيسان عام ١٩٢١ بعث الملك أحمد شاه بجواب إلى مصدق عن استقالته:

تمت الموافقه من رئيس الوزراء على استقالتك لذلك يجب تحويل كل أمور المنطقه إلى قوام الملك، و تحرك فوراً.

- الشاه - بعد ان تمت الموافقه على استقالته، خرج مصدق من شيراز و عند ما كان قرب أصفهان بلغه القرار الذى صدر بتوقيفه لذلك بقى فى منطقته "چهار محال بختيارى" عند آل بختيارى إلى ان سقطت وزاره السيد ضياء الدين الطباطبائى. ثم عين وزيرا للمالىه فى وزاره الجديده و لكن لوجود المستشار البريطانى للوزاره الضابط "اسحت" لم يقبل بهذا المنصب لعدده شهرين إلى أن ذهب المستشار البريطانى و وافقت رئاسه الوزراء على كل الشروط التى وضعها لاصلاح وزاره المالىه. كان مشير الدوله رئيسا للوزراء آنذاك، و كان يعلم بان الأوضاع الداخليه

لآذربيجان لا- يمكن ان تتحسن إلا- بمساعده رجل مثل مصدق و لذلك طلب اليه أن يستلم منصب حاكم آذربيجان، فقبل مصدق هذا المنصب بشرط أن يوضع الجيش تحت تصرفه.

تحرك مصدق نحو آذربيجان و تسلم منصبه في ٢٨ شباط ١٩٢١.

و كان القليلون هم الذين يعتقدون بان مصدقا سوف ينجح في هذا المنصب، و كان هناك اعتقاد بان الدوله أعطته هذا المنصب لتخرجه من دائره الساسيه [السياسه] بعد فشله في مهمته، و الدليل على ذلك أنه بعد وصول أخبار سيطره مصدق على الأوضاع في آذربيجان في أواخر حزيران ١٩٢٢ أى بعد عدة شهور من وصوله إلى آذربيجان أصدر وزير الدفاع أوامره إلى الجيش في آذربيجان بعدم إطاعه أوامر مصدق. و استقال مصدق من منصبه فوراً، و عاد إلى طهران في يوم ٢٠ تموز ١٩٢٢. و في حزيران ١٩٢٣ عين مصدق وزيراً للخارجيه في وزاره مشير الدوله و بقي في هذا المنصب حتى تشرين الأول ١٩٢٣. و في هذه المده القصيره وقف بعزم و إصرار و بكل قواه أمام المطالب التوسعيه للاستعمار البريطاني، فاستطاع مثلاً أن يمنع سيطره بريطانيا على بعض الجزر الإيرانيه مثل: أبو موسى و الشيخ شعيب. و كذلك امتنع عن دفع مبالغ طائله كانت الحكومه البريطانيه تطالب بها كمبالغ دفعتها للحفاظ على الأمن في جنوب ايران. و في الحقيقه كانت هذه المبالغ تدفع على المنافع البريطانيه في جنوبي ايران لمقاومه المنافسين لها على هذه المنطقه و لضرب كل من كان وجوده خطراً على بريطانيا داخل ايران و بعد ذلك تطالب الدوله البريطانيه بهذه المبالغ باسم مبالغ دفعت من أجل حفظ الأمن داخل ايران. ثم استقالت وزاره مشير الدوله فلم يدخل مصدق الوزاره الجديده. و في الدوره الخامسه للمجلس النيابي انتخب نائباً عن مدينه طهران.

الاعتقال و السجن:

بعد انتهاء الدوره السادسه للمجلس سافر مصدق إلى منطقهاً أحمدآباد لأنه كان يعلم بان الحكومه الجديده سوف تنتقم منه بسبب الأعمال الوطنيه التي قام بها خلال الفتره الرابعه و الخامسه للمجلس لا سيما ضد الاحتلال البريطاني و بقي هناك حتى عام ١٩٣٦ حيث عمل في الزراعه. و في هذه السنه ذهب إلى مدينه برلين للمعالجه، ثم رجع إلى ايران بعد شهر و في اليوم الخامس من تموز عام ١٩٤٠ كان في طهران فاعتقل بامر من رئيس الشرطه و أحيل للمحاكمه، و بعد المحاكمه الصوريه بعث مصدق إلى سجن (بيرجند) و سجن هناك إلى اليوم الحادى عشر في تشرين الثانى عام ١٩٤٠ و مع مرضه الشديد فى السجن منعت عنه الزيارات كما منعت عنه الجرائد و المجلات و بعد سجن بيرجند ، سجن فى سجن أحمدآباد إلى يوم ٣٠ أيلول ١٩٤١ حيث اجتاحت الجيوش الإنكليزيه و الروسيه فى الحرب العالميه الثانيه ايران و أسقطت الدكتاتوريه الحاكمه. فبقى مصدق فى مدينه أحمدآباد إلى أن انتخب من قبل أهالى طهران نائباً للمجلس للدوره الرابعه عشره من آذار ١٩٤٢.

بدأ الدكتور مصدق أعماله فى المجلس و كان لديه برنامج يتالف من ثلاث قواعد: تجديد و إصلاح قانون الانتخابات، مقاومه السرقة و الاختلاسات فى الدوله، سياسه الموازنه السلبيه. كانت الشركات الأمريكيه النفطيه تسعى للحصول على مكاسب و امتيازات داخل ايران فالمباحثات التي كانت تجرى سببت قلقاً و خوفاً عند الناس و فى نفس الوقت الذى بدأ مصدق و أعوانه الاستعداد لمقاومه تلك المساعى و العمل لعدم إعطاء أى امتياز لأمریکا داخل ايران، دخل الاتحاد السوفياتى على الخط و طالب أيضاً بامتيازات لدولته. و لكن مصدق الذى كان يمانع بإعطاء أى نوع من الامتيازات إلى الدول الأجنبيه استطاع تصويب قانون يسمى بقانون تحريم الامتيازات النفطيه أن يهدى من قلق الشعب و خوفه على المنابع الاقتصاديه و يعتبر هذا العمل

لمصدق من الأعمال التي تدور في أصل سياسته الموازنه السلبيه في مقابل سياسته الموازنه الايجابيه فالأولى كانت تحفظ الاستقلال لايران و الثانيه كانت تزيد من مطامع الاستعمار و نفوذه داخل ايران.

بعد ذلك و في اطار بحث علمي معتمد على الأرقام و دلائل من شركات النفط الإيرانيه، استطاع مصدق أن يشرح أضرار معاهده ١٩٣٣ بين ايران و شركه نفطيه بريطانيه و كذلك تمديد هذه المعاهده من إلى و نستطيع هنا القول بان هذه الحوادث كانت في الحقيقه أساس تاميم النفط في ايران. بدأ مصدق في اليوم الثاني و العشرين من تشرين الأول سنه ١٩٤٩ بالاتفاق مع عدد من النواب و فريق من رجال الشعب و الجبهه الوطنيه التي كانت قد تأسست حديثا بالاضراب العام الذي استطاع من خلاله أن يلغى انتخابات دوره السادسه عشره ل طهران، و في الانتخابات الثانيه انتخب أكثر النواب من الجبهه الوطنيه و دخل هو نفسه إلى المجلس مره ثانيه نائباً عن طهران و بعد ذلك أصبح عضواً ثم رئيساً للجنة الثروه النفطيه التي كانت مهمتها دراسه أمور الثروه النفطيه ثم تقديم خلاصه عن هذه الدراسه إلى المجلس. و في هذه الدوره أيضاً شكل مصدق حزب الوطن مع نواب الجبهه الوطنيه و استطاع من خلاله بدء مناهضه حكومه (رزم آرا) و لصيانه حريه الشعب وضع قضيه تاميم النفط على رأس قائمه أعمال الجبهه الوطنيه و حزب الوطن و في يوم ٢٤ آذار عام ١٩٥٠ استطاع أن يحمل المجلس على سن قانون التأميم ثم أصبح هذا القانون نافذاً في يوم ٢٩ آذار ١٩٥٠ بعد أن وافق عليه مجلس الشيوخ.

بعد اغتيال رزم آرا تسلّم "حسين علاء" منصب رئاسه الوزراء و مهدت الطريق لرجوع السيد ضياء الدين الطباطبائي إلى رئاسه الوزراء. و في اليوم التالي تحققت تكهنات مصدق فاستقال حسين علاء من منصب رئاسه الوزراء، و النواب الذين كانوا يعتقدون بان مصدق سوف لا يقبل منصب رئاسه الوزراء كما فعل في الدوره الرابعه عشره مهدوا الطريق لدخول السيد ضياء الدين معركه الانتخابات و لكن مصدق قبل منصب رئاسه الوزراء بشرط واحد هو المصادقه على تنفيذ قانون تاميم النفط. و الشرط الذي وضعه مصدق لم يكن شرطاً غير قابل للاجراء، بحكم قوه الشعب و قوه الثوره الوطنيه. فتمت المصادقه على القانون المذكور في اليوم السابع من أيار ١٩٥٠ في المجلس النيابي و في اليوم العاشر في مجلس الشيوخ. و في اليوم الثاني عشر من أيار ١٩٥٠ قدم الدكتور مصدق أعضاء وزارته إلى مجلس النواب و طرح لهم برنامجاً أساسياً:

١ - تنفيذ قانون تاميم النفط على جميع الأراضي الإيرانيه و تخصيص

الأموال العائده منه لانماء الاقتصاد فى الدوله.

٢ - إصلاح قانون الانتخابات للمجلس النيابى و مجالس البلديات.

و فى حزيران ١٩٥١ عين مصدق الهيئه الاداريه الموقته لشركه النفط و أمرها بقطع كامل علاقتها مع شركه نفط الجنوب الاستعماريه، و فى يوم ٢٩ من حزيران ١٩٥١ تم قطع العلاقات الكامله مع هذه الشركه.

و فى يوم الخميس الموافق الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٥١، كان من المقرر أن يشرح مصدق داخل المجلس علل قانون إخراج الأجانب من المناطق النفطية فى ايران. فحضر الجلسه ٦٥ نائبا، و لكن لوجود معارضه من بعض النواب و عدم حضورهم ألغيت الجلسه، و هنا أمر مصدق بفتح الباب الكبير للمجلس فخرج هو و ألقى خطابا أمام جمع كبير من أبناء الشعب الذين أتوا لتأييده فقال:

"أيها الشعب أنتم الحاضرون فى المجلس هذا اليوم الذين يريدون الخير و الرفاه لوطنهم فى الوقت الذى يوجد هناك أشخاص يخالفون الحريه و الاستقلال فلم يحضروا اليوم إلى هنا".

ثم واصل خطابه أمام الجماهير التى تجمعت فى ميدان بهارستان و أوضح لهم بان الشعب سوف لا يترك المجلس إذا قصر فى أعماله و كذلك لن يتركه وحيدا إذا مضى فى طريق مقاومه الاستعمار و المحافظه على الاستقلال.

و بعد تقديم بريطانيا شكوى على ايران فى مجلس الأمن ذهب مصدق للدفاع عن حقوق الشعب الايرانى، و استطاع أن يفند الدعاوى البريطانيه و أن يحول القضيه إلى محكمه العدل الدوليه فى لاهى.

و فى شباط عام ١٩٥٢ أعلن مصدق إغلاق القنصليات البريطانيه و مراكزها الثقافيه فى ايران و هى التى كانت قد تحولت إلى مراكز تعمل خلاف مصلحه الشعب و تبث الشائعات و الفساد فى البلاد. و فى حزيران ١٩٥٢ ذهب مصدق إلى محكمه لاهى و قدم ١٨١ دليلا- على التجاوزات و التدخلات البريطانيه فى الشؤون الإ-إيرانيه. و فى هذه الأثناء أوقفت الدوره السابعه عشره للمجلس بتدخلات الجيش و منع الشعب من إبداء رأيه و لكن لوجود العدد الكافى من النواب الوطنيين افتتح الدكتور مصدق الدوره السابعه عشره بعد رجوعه إلى ايران ثم بعد ذلك قدم استقالته. و مره ثانيه و بإجماع رأى النواب، انتخب مصدق رئيسا للوزراء و لكن لعدم التمكن من تشكيل الهيئه الوزاريه بحريه، قدم استقالته. و فى غياب أربعين نائبا انتخب ثلاثون نائبا قوام السلطنه رئيسا للوزراء و بعد ثوره الثلاثين من تموز التى قام بها الشعب لمعارضه قوام السلطنه استقال قوام السلطنه. و فى اليوم الواحد و الثلاثين من تموز ١٩٥٢ رجع الدكتور مصدق منتصرا إلى المجلس. و فى اليوم الثلاثين من تشرين الأول عام ١٩٥٢، قطعت حكومه الدكتور مصدق علاقتها السياسيه مع بريطانيا.

و فى ٢٥ كانون الأول ١٩٥٢ أعلن المجلس تاميم شركه الاتصالات و مراكز صيد الأسماك فى المدن الإيرانيه.

فى هذه الأثناء كانت تحاك مؤامرات كثيره لإسقاط حكومه مصدق داخل ايران و خارجها و منع الاستعمار توزيع النفط الا-إيرانى فى كل مكان. ثم كانت المؤامره الفاشله لقتل مصدق فى اليوم التاسع من آذار ١٩٥٢ و بعد ذلك و من خلال مؤامره

جديده قتل رئيس الشرطه فى حكومه مصدق بعد خطفه. و أخيرا و بعد كل هذه المؤامرات و بعد ثمانيه و عشرين شهرا من تشكيل حكومه الدكتور مصدق الوطنيه و من خلال مؤامره عملت على تنفيذها أجهزه الاستخبارات الأميركيه و البريطانيه سقطت الحكومه. و فى يوم ٢٨ آب ١٩٥٣ حكمت المحكمه العسكريه على مصدق بالسجن لمدته ثلاث سنوات. و بعد هذه السنوات الثلاث التى قضاهها مصدق فى سجن "سلطنت آباد" "لشكر دو زرهى" أبعده إلى مدينه أحمدآباد و بقى هناك تحت المراقبه الشديده. و لأسباب مرضيه كان يعانى منها رجل التاريخ الدكتور مصدق فى الفم و الفك العلوى و لعدم وجود أطباء متخصصين فى منطقه أحمدآباد تمت الموافقه على نقله إلى مستشفى فى طهران على أن يظل تحت المراقبه الشديده و كان يمنع من مقابله الناس. و بعد الفحوصات التى أجراها فى المستشفى تبين انه مصاب بنوع من السرطان و لأنه لم تكن إقامته فى المستشفى ضروريه، انتقل إلى بيت ابنه فى طهران و لكنه ظل سجين البيت فلم يكن يخرج منه إلا للذهاب إلى المستشفى مع ابنه و أحد موظفى جهاز المخابرات لإجراء الفحوصيات. و لم يمض وقت كثير و يسبب التزيف الداخلى الشديد مات مصدق فى يوم الأحد الواقع فيه الرابع عشر من آذار عام ١٩٦٦.

و قد كان لاعلان تاميم النفط الايرانى صدى عظيم فى البلاد العربيه التى مجدت مصدقا كل التمجيد بلسان صحافتها و كتابها و شعرائها.

و عند ما مر مصدق فى مصر بطريقه إلى أوروبا للدفاع عن قضيه بلاده، قوبل فى القاهره بحفاوه شعبيه بالغه. و من الشعر الذى عبر عن ضمير الشعوب العربيه يوم ذاك ما نظمه الشاعر عبد الكريم الدجيلى الذى قال من قصيده:

قارع فلست يدا تغل رأى رأيك لا يفل

هذى الأمور تعقدت و بغير فكرك لا تحل

و بغير رأيك لا يوقع ساعد إلا الأشل

انى وجدت و اين كنت ففيك يرتفع المحل

و الحكم معقود عليك و هل له بسواك ظل

و برزت فى رهط و يكشر عندك العدد الأقل

و قطعت كفا طالما كادت و كانت تستغل

و هزرت من تلك الجموع قنا و كادت تستدل

الشعر من معناك ينظم بل و أنت المستهل

و من الطريف أن بعض العرب كان يلفظ كلمه (مصدق) بلفظ اسم الفاعل، أى بكسر الدال المشدده، و بعضهم كان يلفظها بلفظ اسم المفعول أى بفتح الدال و منهم هذا الشاعر الذى قال:

حدث فأنت مصدق فحديث مثلك لا يمل

و فى تلك الأيام صدف أن أقيم احتفال كبير فى النجف لمناسبه اقامه الباب الذهبى الذى أهدها جماعه من الايرانيين لمقام أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع ألقى فيه الخطب الثريه و القصائد الشعرية، فمما ألقى قصيده للعالم الشاعر الشيخ عبد المهدي مطر قال فيها مخاطبا أمير المؤمنين (ع):

جاءتك فارس باسم الباب يجذبها لك الولاء على شوق فتنجذب

إن يبعدوا عنك بالأوطان نائبه فكم لهم قربات باسمها قربوا

هم فى المحاريب أشباح مقوسه و فى الحروب ليوث غابها أشب

المرجعون بحد السيف (نفظهم) و القاذفون وراء البحر من غصبوا

سيموا الهوان و إذ نادى (مصدقهم) هبت به و ثياب الليث إذ يشب

فهاج بحر و لكن العباب دم و ساد ليل و لكن فجره الغضب

الدكتور محمد مصدق - ٢ - تأميم البترول

شركة النفط الإيرانية البريطانية التى كانت محمية من قبل السياسه الامبرياليه لبريطانيا كانت تنهب المنايع النفطية فى ايران، هذه المنايع التى كانت تتعلق بملايين من الشعب الفقير الذى لا يكاد يملك لقمه عيشه. كانت هذه الشركة فى الظاهر شركة نفط ايرانيه - بريطانيه و لكن فى الحقيقه كانت شركة نفط بريطانيه استغلاليه تعتقد بأنها المالك الوحيد للنفط الايرانى و فى النتيجة كانت تملك ايران و من فى ايران.

و قد بلغ الأمر بهذه الشركة إلى انها حذفت كلمه ايران من المنتوجات النفطية و وضعت علامتها هى فقط < أى النفط البريطانى".

و فى هذا الجو الخائق المظلم، دعا الدكتور مصدق و بعض نواب المجلس النيابى من أعوانه فى دوره الخامسة عشره للمجلس عددا من رؤساء تحرير الصحف للمساعدة فى إيجاد نوع من الحريه لانتخابات دوره السادسه القادمه.

و قد لى الدعوه كل من: جلالى نائينى مدير جريده "كشور" و عباس خليلى مدير جريده "اقدام"، و المهندس زيرك زاده مدير جريده "جبهه" و عميد نورى مدير جريده "داد"، و الدكتور حسين فاطمى مدير جريده "باختر امروز" و أحمد ملكى مدير جريده "ستاره" و عقدوا اجتماعا قرروا فيه الاعتصام فى بيت السلطنه حتى تتحقق أهدافهم فى تأمين الحريه للناس فى

الأدلاء بأصواتهم فى انتخابات الدورة السادسة عشره للمجلس، و شاركهم الاعتصام، بعض نواب المجلس بينهم الدكتور محمد مصدق، و صحفيون آخرون. و كان المعتصمون هم: الدكتور محمد مصدق، آيه الله غروسى، مشار أعظم، محمود آيتى، حائرى زاده، الدكتور شايگان، الدكتور بقائى حسن صدر، عباس خليلى، عميدى نورى، ارسلان خلعتبرى، شمس الدين أمير علائى، المهندس زيرك زاده، الدكتور سنجابى، الدكتور كاويانى، عبد القدیر آزاد، أحمد ملكى، جلالى نائينى، الدكتور فاطمى، حسين ملكى.

هذا الاعتصام يعتبر من انتصارات الدكتور مصدق فى ابتداء دوره الجديد. و بذلك أمكن أن يصل إلى المجلس فى دورته السادسة عشره أعضاء أقياء.

الجبهه الوطنيه

الأشخاص الذين كانوا يمتلكون الإراده و التصميم القوى، و الذين اتحدوا و أبدوا استعدادهم للتضحيه فى سبيل الحريه، قرروا أن يجدوا اسما لحركتهم و حزبهم و بعد التشاور الطويل اختاروا اسم الجبهه الوطنيه. و هكذا تأسست نواه هذه الجبهه بزعامه الدكتور محمد مصدق فى سنه ١٩٤٩ م ثم خرج منها بعد حين كل من عميدى نورى و عباس خليلى و دخل فيها مكانهما الله يار صالح و أمير تيمور كلالى و كانت السياسه التى اتبعتها هذه النواه للوصول إلى الحريه و الاستقلال جذبت الأحزاب الأخرى فى ايران إليها و بعد اتحاد هذه الأحزاب تأسست الجبهه الوطنيه الإيرانيه، تلك الجبهه التى كانت عقبه كبرى أمام السياسه التوسعيه للغرب فى ايران. و فى اليوم الأول من تشرين الثانى عام ١٩٤٩ اجتمع التسعه عشر شخصا الذين تحصنوا فى بيت السلطنه عند الدكتور محمد مصدق و اتخذوا القرارات التاليه:

١ - تسميه هذا التجمع باسم الجبهه الوطنيه.

٢ - تشكيل لجنه مؤلفه من الساده: مشار أعظم، و الدكتور شايگان، و نديمان، و أمير علائى، و الدكتور سنجابى لاعداد نظام و منهج للجبهه.

التأميم

فى عام ١٩٠١ م أى قبل خمس سنوات من استقرار الحكومه الدستوريه فى ايران أعطى مظفر الدين شاه صلاحيات التنقيب عن النفط و استخراجة فى جميع مناطق ايران عدا خمس مناطق شماليه (خراسان، كيلان، مازندران، آذربيجان، گرگان) إلى المهندس البريطاني وليام ناكس دارسى و كانت مدته العقد ستين سنه و تعهد وليام فى مقابل هذه الصلاحيات ان يعطى مقدار ١٦٪ من المشتقات النفطيه الخالصه إلى الدوله الإيرانيه و فى اليوم الخامس من حزيران ١٩٠٨ وصل العاملون فى حقل بئر مسجد سليمان و بدأ تصدير النفط منذ العام ١٩١٣. معاهده دارسى هذه، ألغيت بعد ذلك من رضا شاه و انتهى الإلغاء إلى توقيع معاهده جديده فى اليوم السابع من حزيران ١٩٣٣ أضافت مدته ٣٢ عاما على مدته المعاهده الأولى التى كانت ستنتهى عام ١٩٦١.

و كان التقدم الاقتصادى فى الدول الأجنبيه آنذاك يحتاج إلى النفط،

و لذلك كانت أهميه النفط تزداد يوما بعد يوم و كانت عيون المستعمرين في العالم تتجه إلى النفط الايراني. و مع سقوط دكتاتوريه رضا شاه أخذت الاعتراضات من قبل الشعب مجرى آخر، و بدأت صرخات الحره تنطلق على الاستعمار من فم الدكتور مصدق في المجلس الرابع عشر. و بدأ الدكتور مصدق بتحدى الأعمال الاستغلايه و النفوذ الاستعماري داخل المجلس. و في اليوم الحادي عشر من كانون الأول ١٩٤٤ استطاع مصدق أن يحصل في المجلس على تصديق قانون منع إعطاء الأجانب الامتيازات النفطيه داخل ايران. و يوما بعد يوم كانت حركه تحرير المنايع النفطيه تزداد داخل المجلس و كان المستعمرون يحاولون كل يوم أن يجمعوا هذه الحركه. و مع تنامي هذه النهضه داخل المجلس، صادق المجلس على قانون يتضمن بان على الحكومه أن تجرى استفتاء على جميع الأعمال التي تؤثر على الحقوق الوطنيه للشعب كالنفط و غيره من الثروات الوطنيه.

و بتوسع النهضه الشعبيه في وجه الاستعمار مع بدء الانتخابات للدوره السادسه عشره للمجلس، بدأ مصدق نضالا جديدا فإنه و أعوانه أخذوا يعترضون على سير الانتخابات للدوره السادسه عشره و لهذا السبب بدأ الاضراب عن الطعام في تشرين الأول ١٩٤٩. و بعد إلغاء الانتخابات الأولى جرت انتخابات ثانيه في آذار ١٩٤٩ و من هذه الانتخابات دخل مصدق و أعوانه إلى المجلس. و في هذه الدوره شكلت لجنه المراقبه على قوانين النفط و ترأسها مصدق نفسه.

و لمقاومه ما يجرى عملت الامبرياليه البريطانيه و عملاؤها في الداخل على اختيار (رزم آرا) رئيسا للوزراء و كان أملهم برئيس الوزراء الجديد أن يساعدهم على انهاء قضيه المعاهده الملحقه بمعاهده النفط البريطانيه التي كان يقوم بها الوطنيون و على رأسهم مصدق. و بعد الدراسه و التحقيق اللذين أجرتهما لجنه مراقبه قوانين النفط على هذه المعاهده اللاحقيه أعلنت معارضتها و رفضها لهذه المعاهده و بسبب هذه المعارضه طرحت قضيه تامين النفط من قبل النواب الوطنيين في المجلس و بعد ما رأى رزم آرا رئيس الوزراء الجديد المعارضه الشديده من النواب الوطنيين و على رأسهم مصدق و كذلك المعارضه الشعبيه و لأجل إيقاف البحث في موضوع تامين النفط داخل المجلس عمل على سحب المعاهده الملحقه و وعد بمشروع جديد يحفظ حقوق الشعب و الثروه النفطيه و هذا المشروع كان يقرر تقسيم العوائد النفطيه بنسبه مناصفه بين الدوله و بين شركه النفط البريطانيه و كانت قضيه تامين النفط على لسان كل ايراني و كان هذا يعطى قدره أكبر للوطنيين للاستمرار في العمل لتحرير الثروه النفطيه من أيدي المستعمرين البريطانيين. و في اليوم السادس عشر من آذار ١٩٥٠ اغتيل رئيس الوزراء رزم آرا على يد خليل طهماسبى فاختر حسين علاء خلقا له، و كانت فتره رئاسه الأخير متزامنه - على قصرها - مع اضطرابات و اضرابات عمال شركه النفط و احداث العنف التي وقعت في الشركه بين الإنجليز و الايرانيين.

و لم تستمر فتره رئاسه أكثر من أربعين يوما، حتى اضطر الشاه إلى القبول بالدكتور محمد مصدق رئيسا للوزراء لشعبيته الكبيره بين الناس و لكونه من أبرز المعارضين في البرلمان.

و قد أوصل النضال البرلماني مصدق إلى رئاسه الوزراء قبل أن توصله الطبقيه الاجتماعيه إلى ذلك، حيث كان يمارس نشاطه السياسى، طوال ثلاثين عاما، بعيدا عن طبقه الوجهاء و الأعيان. و كثيرا ما كانت نشاطاته و آراؤه الليبراليه تفرق بينه و بين رفاق دربه و أصحابه.

و قد يسر له انتسابه إلى طبقه الأعيان الوصول إلى مناصب عليا في الدوله في سن التاسعه و العشرين من عمره - كما ذكرنا من

قبل - حيث تنقل في حكم ثلاث ولايات هي خراسان و آذربيجان و فارس، ثم أصبح وزيرا لعدة مرات قبل مجيء الحكم البهلوي. و انتخب عضوا في البرلمان لست دورات، كان طوالها موضع تأييد الناس الذين لم يروا منه ما لا يرضيهم.

و قد دعت مواقفه و تضحياته البعض إلى اتهامه بخداع الشعب، على الرغم من كل ما عاناه من سنوات نفى، و اعتقال لمرتين في عهد رضا شاه.

و لم يحدث مطلقا أن ناصر أو تعاون مع الشاه البهلوي، خلافا للشخصيات الأخرى من أعيان القاجاريه، و قد خلق من نفسه شخصيه كانت من أفضل و أطهر أفراد طبقه الأعيان. و كان يقف إلى جانب السيد حسن المدرس - في دوره الرابعه للمجلس - في مخالفته للسلطه البهلويه. و قد أمضى فتره حكم رضا شاه بين نفى و مراقبه الشرطه.

عكف فتره من الزمن على دراسه الأمور الحقيقه المتعلقة بامتياز نفط الجنوب، و ما لبث أن اتخذ من هذا الامتياز محورا لنشاطاته السياسيه.

و لم يمض على حوادث ايران وقت طويل، حتى تمخضت عن (مدرس) آخر هو السيد أبو القاسم الكاشاني. و كان مصدق و ثيق الصلّه به منذ عودته من منفاه في لبنان.

و إذا كان السيد الكاشاني قد رفض الانتساب إلى الجبهه الوطنيه، فقد كان مؤثرا في قراراتها أكثر من أى عضو آخر، و كان - بالاضافه إلى ذلك - من أبرز المؤثرين في إيصال مصدق إلى رئاسه الوزراء.

و كان اتحاد مصدق و الكاشاني، اتحادا على بريطانيا، التي كانت مصالحتها الاستعماريه أكبر عامل في منع ايران من تجاوز الواقع المتخلف الذى تعيشه. و قد كان مصدق يدرك أن بريطانيا هي المسئوله عن جميع المفاسد و المآسى المخيمه على البلاد في زمن ما بعد المشروطه. و فى رأيه أن الحضور الأمريكى فى الساحة السياسيه العالميه يمثل الوسيله الأفضل بالنسبه لبلدان العالم الثالث للتخلص من نير الاستعمار و المعاهدات الاستعماريه، و من ثم كان ميالا - خطأ - إلى الخط الأمريكى و متفائلا به. و كان يرغب فى استثمار النفط لرفع المستوى المعاشى للشعب و إيصال الايرانيين إلى ركب الحضرة العالمى.

و من جانب آخر كان السيد الكاشاني معاديا لبريطانيا، فقد اشترك و أبوه فى قتال الإنكليز فى العراق. و قد دفعه عداؤه لبريطانيا - أثناء الحرب العامه الثانيه إلى التنسيق مع مفتى فلسطين، و إلى تأييد رشيد عالى الكيلانى. و كان ذلك مبررا لاعتقاله من القوات الإنجليزيه المحتله، فكان حديثه الذى لا ينقطع هو مهاجمه بريطانيا المستعمره.

و بعد عودته من منفاه فى لبنان، اتخذ - بدفع من مصدق - من موضوع النفط، منطلقا لنضال الحكومه الإنجليزيه المستعمره. فقد كان

يرى أن النفط - إذا ما انتزع من الهيمنة البريطانية - ينبغي أن يستثمر في رفع المستوى المعاشي للشعب الإيراني، ودعم المسلمين في قتال أعدائهم، و منهم إسرائيل.

و هكذا كان وصول مصدق إلى رئاسه الوزاره، ثمره لسعى و جهاد الاثنين معا (مصدق و الكاشاني). و قد أدركت بريطانيا بخبرتها أن أيه محاوله للوقوف بوجه تاميم النفط الايرانى سيكتب لها الفشل ما لم يفرق بين هذين الرجلين. إذ كان السيد الكاشاني يتمتع بدعم الجماهير، رغم أن الكثير من علماء الدين يرمونه بالتوغل فى السياسه أكثر من الحد اللازم. و قد كانت الآلاف من مرتدى الأكفان يتوجهون لنصره مصدق باشاره منه. و أما مصدق فقد كان يتمتع بدعم جميع دعاه الحريه المستقلين من الشباب و طلاب الجامعات و المعلمين و المثقفين و الطبقة المتوسطه.. و كان هؤلاء الأنصار و أولئك يجعلون من اتحاد الرجلين (مصدق و الكاشاني) اتحادا قويا لا يهزم.

و فى اليوم التالى من تنصيبه رئيسا للوزراء، ذهب مصدق إلى منزل السيد الكاشاني، و لم يتجاوز فى زيارته حدود المجاملات و لم يتحدث مع السيد الكاشاني حول أعضاء حكومته. و لم يطرح الكاشاني أسماء للحقائب الوزاريه، و اكتفى بقول حسين مكى له: "بالتاكيد سيكون الوزراء ممن ترتضونهم و لكن اجتماع رؤساء الجبهه الوطنيه، عصر ذلك اليوم لم ينته بمثل تلك البساطه، حيث كان عبد القدير آزاد يطالب بتشكيل "حكومه الجبهه الوطنيه" و أن يكون لكل حزب من أعضاء الجبهه وزيران، و قد برهن بمطالبته هذه أن مناصرته لمصدق لم تكن إلا لتوسم رئاسه الوزراء فيه، و عند ما احتدم النقاش، ترك عبد القدير آزاد الاجتماع، و فى نفس الوقت ترك الجبهه الوطنيه، و انضم إلى صفوف معارضى الحكومه. و أعلن مصدق انه لن يكون عضوا فى الجبهه الوطنيه، ما دام فى منصب رئاسه الوزراء.

و كان الدكتور مصدق مطمئنا لمناصره الشعب له، و يدرك تماما أن السياسيه الخارجيه لأمريكا التى تقضى بانتزاع الهيمنه على البترول الايرانى من الحكومه الإنجليزيه، ستكون إلى جانبه. و من ثم فهو غير مجبر على مراعاة آراء هذا الشخص أو ذاك، و أما مراعاته للسيد الكاشاني فقد كانت استثناء فى هذا المجال. و من جانب آخر لم يجد هو و لا الكاشاني سببا مقنعا للوقوف بوجه الشاه و بلاطه.

و قد بنى مصدق أساس سياسته الداخليه على الشعب الايرانى، و أساس سياسته الخارجيه على الصداقه مع أمريكا و الاعتماد عليها، و كان يولى التنافس بين أمريكا و الاستعمار الأوروبى (و هو بريطانيا هنا) اهتماما كبيرا. و كان ذلك دافعا لأن يقف أعضاء حزب توده بوجهه، لاتباعهم الاتحاد السوفياتى من جهه، و لكونهم يرون فى أمريكا القوه الرأسماليه الكبرى و العدو الأكبر للشيوعيه.

و لم يكن مصدق - فى بدايه رئاسته - يفكر بشىء أكثر من تفكيره بالنفط. إذ كانت نشاطات شركه النفط الإنجليزيه و أعمالها تظهر أنها نهبت من ثروات الشعب الايرانى مقادير هائله طوال نصف القرن الذى مر على استخراج النفط من ايران، فقد أظهرت الاحصاءات - التى تصغر أحيانا - ان شركه النفط الإنجليزيه استخرجت خلال هذه الفتره ٣٢٦ مليون طن من النفط، و لم تدفع إلى ايران من ثمنه سوى ١٠٥ ملايين ليره، فى مقابل ٧٩٠ مليون ليره صرفتها إلى المساهمين فى الشركه و إلى الحكومه البريطانيه بالاضافه إلى ما أنفقته على مؤسساتها الخاصه.

و فى رأى الدكتور مصدق، أن الأهم من كل هذا النهب، هو ما تقوم به بريطانيا من تدخل فى شئون الحكومه الإيرانيه و الشعب الايرانى، و قد كان يعلم أن بريطانيا قامت - منذ اكتشاف النفط فى ايران - بجلب العديد من الحكومات ثم الاطاحه بها، حتى كان الانقلاب الأخير الذى أوقع الشعب الايرانى فى قبضه دكتاتوريه رضا شاه لعشرين سنه.

و كان مصدق يرغب أن يتمكن - فى آخر عمره - من تفويض دعائم هذا البناء البغيض، و كان يرى لزاما عليه فى ذلك أن يستفيد من القوه الأمريكيه، و مداراه البلاط الشاهنشاهى إضافه إلى الاستعانه بتأييد و دعم السيد الكاشانى. و من ثم وضع الاستفاده من الطاقات الشعبيه على رأس الأولويات التى ستبشرها حكومته.

و فى بدايه حكومته، لم يكن هناك أحد يعارضه أو يعاديه سوى أنصار بريطانيا، و حزب توده الذى استقبله استقبالا عدائيا قاسيا، قالوا فيه: "الوطنى هو موضع يكمن خلفه خادعو الشعب و اللصوص، و ناهبوا الثروات و عملاء الاستعمار الوضعاء و الطفيليون و الحشرات القذره التى دأبها التخريب و التحريض و تشويش الأذهان و تعكير النفوس و الاضطرابات و إيجاد المفاسد و الحط من قدر المناضلين فى طريق الحريه. و عقل الوطنى ناقص، و فكره قصير و منطقته ضعيف، و لسانه ألكن و دموعه لا تنضب، و مائدته عامره، و سريره مريح، و قصره شامخ، و أمواله دون حساب، و مؤامراته لا تنقضى.. هذه هى خصال الوطنى!" و لم يكن الوطنيون يستحقون هذه الشتائم لا سيما و أن مطلقها كانوا هم أكثر الناس تملقا لقوام السلطنه، و مناصره لرزم آرا. و كانت هجمات حزب توده على الحكومه التى ينتظرها الكثير من الجهد على سبيل مقارعه سلطه الأجنبي، كانت هذه الهجمات تحدى من شعبيه الحزب و تصنيف إلى مصدق شعبيه و نفوذا.

كانت وزاره مصدق دليلا على مدى ابتعاده عن اليساريين و ميوله إلى اليمينيين، إضافه إلى كونها مؤشرا واضحا على اعتماده الكبير على الدور الأمريكى الايجابى فى حل مسأله النفط.

و قد شكل وزارته من الوجوه المعروفه فى الوزارات السابقه، التى كان هو و الشعب يعارضونها باستمرار، و لم يستثن من ذلك سوى وزيرين هما أمير تيمور كلالى و الدكتور كريم سنجابى اللذين بقيا و فين له على الدوام. و قد انتقل هذان الاثنان من المجلس إلى الحكومه.

و جدير بالذكر أن مصدقا تعرف إلى أمير تيمور فى دوره الثالثه للمجلس نائبا عن مدينه مشهد و رئيسا لقبيله (كلالى) و كان يمتدح نزاهه سياسته، أما كريم سنجابى فقد أعجبه شهامته و وقوفه ضد الإنجليز، حين كان نائبا فى المجلس.

و لعل أغرب الأمور التى شاهدتها الناس فى وزاره مصدق التى كان من المقرر لها أن تقف موقفا متصلبا بوجه تسلط الأجنبي هو وجود جواد

بوشهري و محمد على وارسته فى وزارتى الطرق و المالىه. فمن المفروض ان وزاره المالىه تتحمل دورا كبيرا فى وزاره تحاول تاميم صناعه النفط، لكن وزيرها - فى وزاره مصدق - هو شخص تنقل بين وزارات حكيم الملك و منصور و علاء.. و كان الناس يتساءلون فيما بينهم عن السبب الذى دعا مصدق لاختبار بوشهري الذى يرتبط باواصر وثيقه مع بريطانيا. و قد تجاهل مصدق الانتقادات و التساؤلات بادئ الأمر، إلا أنه عمد فيما بعد إلى تغيير حكومته، و أدخل إليها وجوها جديده، من أمثال صديقى و ملكى و نريمان و طالقانى.

و بالرغم من ذلك، عرضت حكومه مصدق "قانون تاميم صناعه النفط" على المجلس، فاقره المجلس، و باشرت الحكومه بالتنفيذ...

قامت فى بريطانيا أزمة شديده، و بادر السير فرانسيس شپرد - الذى كان مشغولا بركوب الخيل مع الشاه و زوجته الجديده - إلى مطالبه لشاه بعدم التوقيع على القرار. و حذر السيد ضياء الشاه من مغبه لعداء لبريطانيا.. و لكن الشاه كان لا يزال تحت تأثير وعد و وعيد السفير الأمريكى.. هذا من جانب، و من جانب آخر: لم يكن يرى فى نفسه القدره على مواجهه الشعب.

و هرع أنصار بريطانيا إلى أشرف الأخت التوأم للشاه، التى حاكت العديد من المؤامرات ضد حكومتى رزم آرا و قوام على الرغم من الضغوط الأمريكيه.. و لم تتوان أشرف عن الاستجابه لهم. و لكن مصدق لم ينظر إلى تحركاتها نظره جديده، و تجاهل - بالاضافه إلى ذلك - تحركات مجلس الشيوخ الايرانى، فى دورته الأولى.

و قبل أن يبلغ مصدق شركه النفط الإنجليزىه بقرار التأميم، أبلغ بالمؤامرات التى تحاك ضده، فحمل سريره و كتبه و أدويته إلى المجلس و تحصن فيه، و أعلن من هناك أنه سيبقى فى المجلس - لعدم وجود الأمن - حتى نهايه مسأله النفط.

ثم انتخبت لجنه مشتركه من نواب المجلسين - مجلس الشورى و مجلس الشيوخ - لغرض الاشراف على تطبيق القانون القاضى برفع يد بريطانيا عن النفط. و قد انتخب المجلسان أشخاصا يرغب فيهم مصدق هم: شايجان و معظمى و مكى و اردلان و الله يار صالح من مجلس الشورى و بيات و متين دفترى و شفق و سرورى و نجم الملك من مجلس الشيوخ.

و كانت رده الفعل الأمريكيه الأولى على القرار، خدعه فى الحقيقه لكونها كانت تتعرض آنذاك لضغوط بريطانيه شديده. فقد طلب ترومن من مصدق فى رساله بعث بها اليه أن لا- يقدم على عمل من جانب واحد و أكد له: "ان الشركات الأمريكيه المجهزه باحدث الأجهزه و أكثرها تطورا لا- ترغب فى التعاون مع ايران، لقيامها بخطوه من جانب واحد"، و لكن السفير الأمريكى أكد لمصدق - فى اجتماع خاص - الدعم الأمريكى لما يقوم به.

و فى لندن و واشنطن كانت تجرى مباحثات مركزه و أحيانا حاده بين كبار الأخصائيين الأمريكان و الإنجليز فى شئون النفط. و كان ترومن يقصد برسائلته أن يظهر لخليفه الأوروبى بأنه ليس عاجزا على إخراجهم من الساحة بالقوه. و لكنه كان فى الواقع يحاول انتهاز فرصه وجود مصدق على رأس الحكومه فى الحصول على أكبر امتيازات ممكنه... و لم تكن تلك المباحثات هى الأولى بين الدولتين فى هذا المجال. فقد حدث كثيرا أن اضطرت بريطانيا إلى التخلي عن بعض المناطق الخاضعه لها إرضاء للرأسماليين الأمريكيين.. و كان ذلك ضريبه تدفعها إلى القوه العظمى الجديده منذ أن أصبحت هى قوه من الدرجه الثانيه.. و

لكنها كانت توحى إلى أمريكا - كلما أثارت قضية النفط الإيراني - انها إذا كانت قد تخلت عن نפט السعودية والبحرين و الكويت فإنها لن تتخلى عن النفط الإيراني.

و قد أتى جواب مصدق الجدى لأمريكا، مخالفا لتوقعات ترومن، إلا انه كان مناسباً لصد الحملات الدعائية التي كان رجال البلاط و حزب توده يروجون لها، و مفادها أن مصدق عميل لأمريكا. و كان هؤلاء لا يرغبون في أن يفتح مصدق على العالم، خلافا لما كان عليه السيد الكاشانى.

و كانت أنظار العالم مشدوده إلى طهران في ربيع عام ١٩٥١ م. لا سيما الدول التي كانت في صراع مع الاستعمار، أو نالت استقلالها و لا زالت تصارع الآثار التي خلفتها أيام الاستعمار.

و قدمت بريطانيا شكوى إلى محكمه لاهى الدوليه، و بعثت بوفد رفيع المستوى إلى طهران، و تزامنا مع وصول الوفد بعث مصدق بالهيئة المشتركة من المجلسين إلى خوزستان للاشراف على تنفيذ القرار، في سبيل أن يثبت عدم استعداده للتفاوض حول أصل التأميم.. و كان الوضع حرجا فاكد مصدق على أعضاء الهيئة أن يتجهنوا كل ما يعطى الذريعه لبريطانيا.

و كانت بيانات السيد الكاشانى مثمره، فنشط موظفو و عمال صناعه النفط و أهالى خوزستان في إحباط جميع المؤامرات. و قد بلغت حماسه الناس و عداؤهم للمتسلطين الأجانب حدا أن لم يجد رجال البلاط بدا من ضم صوتهم إلى صوت الشعب.

و ارتفع علم إيرانى على أكبر مصفاه نפט فى العام دون أية حادثه.

و فى آخر يوم من فصل الربيع، أعلن مصدق خبر تأميم النفط عبر المذيع، بعد فشل المباحثات التي دارت بينه و بين الوفد الإنجليزى و عوده الأخير إلى بلاده دون نتيجة. و انتخب اللجنه المؤقتة المشرفه على اداره النفط المهندس مهدي بازرگان رئيسا لها بعد أن رفض الدكتور محمود حسابى رئاستها. و بازرگان هو أحد أعضاء البعثه الطلابيه الأولى التي ذهبت إلى أوروبا فى زمن رضا شاه. و قد بقى هذا الطالب محافظا على التزاماته الدينيه على الدوام. و ما أن حل اليوم التالي حتى انس عمال صناعه النفط و أهالى خوزستان بحديث هذا المهندس الهادئ الذى اعتاد أن يبدأ حديثه بآيه من القرآن.

و تحرك الشعب!! و باشرت بريطانيا بتدبير المؤامرات بمساعدة رجال البلاط، فى الوقت الذى حرصت أمريكا على التظاهر بالحياد فى هذه المواجهه الحاده. و استطاعت بريطانيا أن تخضع لمراقبتها جميع الأمريكين و رجال الدوله و أعضاء الجبهه الوطنيه مستعينه فى ذلك بعملائها. و كان الهدف الأول للمراقبه هو الأمريكى تورنبرك، الذى شغل - لسنين طوال - منصب مستشار شئون النفط فى وزاره الخارجيه الأمريكيه، و مدير عدده شركات نפט كبرى فى أمريكا، و كان

شديد العلاقه بالشرق الأوسط فى زمن ما قبل الحرب العالميه الثانيهفاستاجر. جزيره من شيخ البحرين و اشتغل بالأعمال الزراعيه و بعد الحرب بعد عمل فى مؤسسه التخطيط الإيرانيه مستشارا لشئون ما وراء البحار. و قد حصلت بريطانيا على معلومات عن تردده على زعماء الجبهه الوطنيه. و كان الهدف الثانى للمراقبه هو السفير الأمريكى الدكتور كريدى، و كانت بريطانيا مستاءه لاجتماعيه المتكرر بمصدق و زيارته للسيد الكاشانى. و لم تكن لندن غافله عن الشخص الذى يكمن وراء المسانده الأمريكيه لمصدق الخبير الجيولوجى و مستشار العديد من شركات النفط الأمريكيه جورج ملك كى، الذى زار طهران قبل عام، و التقى فيها بمصدق، و هو - فى غضون هذه الأحداث - يؤدى دورا مهما فى مساعده وزاره الخارجيه الأمريكيه، و التخطيط لسياسه واشنطن.

و كانت أحداث ذلك العالم ساخنه و متعاقبه، و قد أرسلت بريطانيا المدمره "موريتوس" إلى الخليج الفارسي، فدخلت الأحداث منعطفا جديدا، و سار آلاف من لابسى الأكفان نحو خوزستان بعد أن تجمعوا من جميع أنحاء البلاد استجابا لدعوه السيد الكاشانى. و فى الوقت ذاته كانت اللجنه المشرفه على النفط تطالب السفن التى تحمل بالنفط الايرانى بتوقيع الفواتير ما دعا لندن لاصدار أوامرها إلى سفنها بتفريغ حمولتها من النفط و العوده أدراجها.

و قبل أسبوع من نظر محكمه لاهای فى شكوى بريطانيا، و صفت الصحف العالميه إرسال بريطانيا لأساطيلها الحربيه إلى المياه المجاوزه لايران بأنه: لعب بالنار.

و حتى الآن، كان مصدق قد أفلح فى الحفاظ على هدوء الساحة الداخليه بمساعده السيد الكاشانى، رغم كل التناقضات و المشاحنات، و لا تزال جميع المؤامرات التى تحكيها بريطانيا عديمه الجدوى. و فى غياب السفير البريطانى شغل ميدلتون منصب القائم باعمال السفاره البريطانيه. و قد قام هو و "زينهر" رئيس دائره الصحافه و المعلومات فى السفاره و بعض خبراء شركه النفط بزيارات سريره لأشرف و أم الشاه و أعضاء مجلس الشيوخ و مجلس الشورى و مدراء الصحف، فى سبيل تهيئه الأجواء لقلب الأوضاع، و كانت المساعى الحثيئه التى يقوم بها عملاء السفاره و شركه النفط تنصب على اختراق الجهاز القيادى فى حكومه مصدق و سندها الرئيس السيد الكاشانى. و قد أفلحت هذه المساعى فى بعض المواقع.

و كان ثمة مؤامرات من نوع آخر تجرى فيما وراء البحار. فقد بدأت الصحف الإنجليزيه تروج لشائعه إرسال المظليين الإنجليز إلى مناطق النفط الإيرانيه. ثم شن انطونى ايدن زعيم المحافظين فى مجلس العوام البريطانى حمله قويه على حكومه العمال متهما إياها بالإهمال فى الحفاظ على المصالح الامبراطوريه و طالبها بالرد على الايرانيين ردا سريعا و قاطعا. و جاء جواب وزير خارجيه الحكومه العماليه على ايدن يؤيد خبر إرسال المظليين بصوره أكثر عمقا مما كتبه احدى الصحف الإنجليزيه و الذى جاء فيه: "ان مثل هذا العمل (إرسال المظليين) يتضمن اعتداء على بلد مستقل و صديق و مقابله مع جيش مجهز بأسلحه أمريكيه و خاضع لقياده أمريكيه". و حتى وصول الشخصيه الأمريكيه المعروفه و ممثل الرئيس الأمريكى ترومن (أول هاريمان) إلى طهران، تبادل مصدق و الرئيس الأمريكى خمس رسائل تؤكد كلها إصرار مصدق فى طلبه من ترومن التسوط و التدخل فى الأزمه بما يخدم المصالح الإيرانيه. و انطلقت أصوات المعارضه فى المجلس بايحاء من ميدلتون، حيث شن كل من محمد على شوشترى عضو مجلس الشورى و يمين اسفنديارى و حيدى من مجلس الشيوخ حملات شديده على حكومه مصدق.. و قد سبقت هذه الحملات وصول هاريمان.

و تزامنا مع وصول هاريمان، دخل حزب توده الساحة، فنظم مظاهرات واسعة بهذه المناسبة.. وجاءت هذه المظاهرات موافقه لرغبه معارضى الدوله من رجال البلاط و أنصار الإنجليز. و هاجمت الدبابات و المصفحات المتظاهرين فسقط خمسون قتيلًا و مائتا جريح. و كان مصدق قد أصدر أوامره للقاده العسكريين بالامتناع عن اطلاق النار، فأدرك أن فى الأمر مكيدته يقف وراءها حزب توده و رجال البلاط، فغضب و أمر بعزل اللواء شفائى من رئاسه الشرطه و احوالته على المحكمه العسكريه. و بادر اللواء زاهدى إلى الاستقاله من منصب وزير الداخليه فى خطوه للتقرب من البلاط و التودد إلى الجيش.. و قد تفرغ بعد ذلك لتشكيل مجموعه مرتبطه بالبلاط و معاديه لمصدق.

و فى سفره إلى طهران، اصطحب هاريمان - ضمن الهيئه المرافقه له - اخصائيا بشئون النفط و خبيراً رفيع المستوى فى الأمور الأمنيه و المخبراته. و فى الوقت الذى اهتم رجال الحكومه بهاريمان، اهتم البلاط و أشرف بالمباحثات مع الشخص الثانى. و هيا هاريمان مصدقا لتقبل نفس المقترحات التى قدمها "مك كى" فى المؤتمر الثلاثى لوزراء الخارجيه، خلال حكومه رزم آرا.

و من جانب آخر سافر إلى لندن ثم عاد منها فى محاوله لاقناعها بالقبول بالشرط الأساس الذى يتبناه مصدق و هو تامين النفط.

و استجاب له لاقتراحه قدم وزير البلاط الإنجليزى "استوكس" إلى طهران للتفاوض مع الحكومه الإيرانيه جنباً إلى جنب مع هاريمان. و أشاع حزب توده فى الأوساط الشعبيه أن مصدق سيقوم ببيع البلاد فيما وراء الكواليس.

و جرت بين المتفاوضين مباحثات حاده، كانت توحى بشيء من الأمل فى بادئ الأمر، ثم ما لبثت أن وصلت إلى طريق مسدود، و قد تمحورت مقترحات استوكس الثمانيه - و هى مماثله لمقترحات هاريمان و مك كى - حول إعطاء شركه "الوكاله العامله" الحق الرئيسى فى شراء النفط الايرانى. و لكن مصدق رفض إعطاء هذه الشركه مثل هذا الحق لصلاحياتها و اسمها. بينما كان الأمريكيون يرون أن مصلحتهم تكمن فى قبول الاقتراحات البريطانيه و من ثم كانوا مصرين عليها.

و مع انتهاء وساطه هاريمان، قدم مصدق تقريره إلى المجلس و طلب منحه الثقه. و اضطر ضغط الرأى العام المؤيد لمصدق العديد من نواب المجلس إلى السكوت، و لكن منوجهر تيمور تاش تصدى للمعارضه، و برر معارضته بقوله: "إذا كانت أمريكا لا تستطيع أن تفعل شيئاً لمساعدتنا، فماذا نستطيع أن نفعل نحن لوحدنا.. أترانا نخضع لنير الشيوعيه؟"، و من جانب آخر نشط حزب توده فى حملاته على مصدق،

واصفا ايه ب (دلال) النفط تاره، و عميل الامبرياليه الأمريكيه تاره أخرى.

و اخرج الخبراء الإنجليز من ايران، و أعلنت الهيئه المشتركه عن المناقصه فى بيع النفط. و أعلنت بريطانيا أن أى شخص يشتري النفط الايرانى سيعرض عيل المحاكم.

و استعد الدكتور مصدق للسفر إلى الأمم المتحده ليدافع بنفسه عن حقوق ايران، فكان يقصد من وراء ذلك، حث الرأى العام الأمريكى لمسانده المطالب الإيرانيه. و كان اجتماع الجمعيه العامه فى الأمم المتحده أفضل وقت و مبرر لذلك. و بلغ مصدق مرامه، فقد ألقى كلمه حماسيه ثائره استقبلها الحاضرون بالترحيب الخار، لا سيما ممثلو الدول الصغيره - و أقرت الجمعيه العامه - على الرغم من معارضه بريطانيا - قرارا جاء فيه: "لن ننظر الجمعيه العامه فى شكوى بريطانيا، حتى تقرر محكمه لاهای سلامتها".

و فى اليوم التالى، سافر مصدق إلى واشنطن استجابة لدعوه ترومن.

و بذل فى مباحثاته فى البيت الأبيض غايه جهده فى حث القاده الأمريكان على مسانده ايران، و اخافتهم من خطر الشيوعيه. و وعد ترومن انه سينقذ ايران من الفقر الناتج عن وقف بيع النفط، وفقا لما سيتوصل اليه خبراء شئون الاقتصاد و النقد. و انصرف مصدق إلى العلاج فى انتظار الحل، و أوكل أمر الاستمرار فى المباحثات إلى وزير الخارجه الأمريكيه دين آجسن الذى زار مصدقا فى المستشفى. ثم أوكل إلى جورج مك بعد سفر مصدق إلى باريس و هو ما كان يتمناه مصدق و تخشاه بريطانيا.

و سرعان ما توصل مصدق و مك گى إلى نتيجه اعتبرها مصدق قادره على إنقاذ تحركاته و إنجاح مساعيه، فأثر ازدياد الفقر فى ايران شده بعد بدايه التصدى للاستثمار الإنجليزى، وافق مك گى على أن منح ايران مساعدات اقتصاديه سيخفف من وطاه الصعوبات الجائمه على الشعب الايرانى، و يسهل على الحكومه الإيرانيه منح الامتيازات. و لكن العقبه الأساس التى كانت تواجه هذا الحل هو احتمال رفض بريطانيا و معارضتها له. و اتفق مصدق مع أمريكا على استلام ايران ثلاثه قروض من أمريكا هى كالاتى: ٧٥، ٨ مليون دولار لسد حاجه ايران للعمله الصعبه، و قرض بمبلغ ٢٥ مليون دولار من مصرف الصادرات و الواردات الأمريكيه لتطوير المشاريع الزراعيه و تعبيد و شق الطرق، و القرض الثالث بمبلغ ٢٣ مليون دولار لدعم المشاريع الإنمائيه، و اعتبرت زياره مصدق ناجحه أثر هذه القروض.

و فجاه هز طهران و واشنطن خبر بلغهما مما وراء البحار، مفاده أن تشرتشل أصبح رئيسا لوزراء بريطانيا مره أخرى، حيث أخرج الشعب البريطانى بطل الحرب و قائد المواقع التاريخه على هتلر، أخرجه من داره ليواجه حربا أخرى. و دخل تشرتشل الساحه ليؤدى آخر خدمه للامبراطوريه. و قد كانت حكومه العمال تواجه بنفره من أمريكا بقدر ما تواجه بدعم من الاتحاد السوفياتى.

و جاء انتخاب تشرتشل موافقا لرغبه أمريكا، و لما كانت تتمنى من الشعب البريطانى أن يفعله، و كان القضاء على مصدق و على حركته هو ما يريده الشعب البريطانى من تشرتشل. و راح مك گى - و هو أكبر نصير لمصدق فى الحكومه الأمريكيه، ضحيه مقدم تشرتشل، حيث نقل إلى السفاره الأمريكيه فى انقره فى اليوم الثانى بعد انتهاء زياره مصدق.

و سبقت الأخبار مصدقا إلى طهران، و تحدث جمال امامى فاعرب عن اطمئنانه لخساره مصدق فى الانتخابات البريطانيه، و كان

حديثه غايه فى الخشونه، إذ لم يدع لفظا بذيتا إلا و استعمله.

و باشر تشرتشل فى اعاده الأواصر مع أمريكا بعد ما ضعفت فى زمن حكومه العمال.. و هكذا أخذت آمال مصدق تتحول إلى يأس الواحده تلو الأخرى.

و كان مصدق واثقا من أن أياما قاسيه فى انتظاره، فلم يكن له بد من الثبات، و كان لا بد للدوله - فى سبيل ذلك - من الاستناد إلى دعم الشعب، ليتسنى لها العمل بقوه.

العوده إلى سير الأحداث

و نعود بعد هذه التفاصيل إلى سير الأحداث فنقول:

و فى النهايه و بعد حمل الشدائد انتصرت الإراده الشعبيه و انتصر مصدق و أعوانه بعد أن تمت الموافقه فى المجلس على دراسه تامين النفط فى اليوم الرابع عشر من آذار ١٩٥٠.

و لمعرفه جميع القوى الفعاله التى ساهمت فى تامين النفط، علينا أن نذكر حزب توده الشيوعى: فى الدوره الرابعه عشره عارض نواب هذا الحزب مصدق عند ما أعلن عن قانون تحريم إعطاء الأجانب أى امتيازات أو صلاحيات للتقيب عن المصادر الطبيعيه فى البلاد. و فى الدوره العاشره أعلنوا موافقتهم على قانون يعطى صلاحيات للروس للتقيب على النفط الشمالى بينما عارض مصدق هذا القانون بشده.

و كانوا يعللون موافقتهم هذه بأنه عند ما يكون للانجليز صلاحيات فى جنوبى ايران فلما ذا لا تعطى صلاحيات للروس فى شمال ايران كذلك.

الامبرياليه الأمريكيه التى كانت تحاول لمدته طويله الدخول فى المنافسه مع البريطانيين و الروس لنهب الخيرات النفطيه داخل ايران، استفادت من احداث ١٩٤٥ - فاستطاعت بمعاونه عملاتها فى الداخل أن تسيطر على بعض المؤسسات و بدأت بأخذ نصيبها من النفط الايرانى.

كان حزب توده يعتقد بان فكره تامين النفط ناتجه عن تضاد فى سياسه الدول الامبرياليه لذلك كان يرى بان نهايه هذا الصراع سوف تكون لصالح احدى هذه الدول. و لهذا عارض مشروع تامين النفط و رفع شعار إلغاء صلاحيات الإنجليز فى الجنوب. و بعد تداول قانون التأميم بين هذه اليد و تلك اليد، و فى اليوم العاشر من أيار عام ١٩٥١ تم التصديق على القانون و فى اليوم الثالث عشر من أيار ١٩٥١ تم التصديق على قانون تنفيذ التأميم الذى كانت الموافقه عليه شرط مصدق لقبول منصب رئاسه الوزراء.

و كان امام مصدق طريق شاق بعد قبول منصب رئاسه الوزراء إذ كان عليه ان يتم اجراءات التأميم و ان يواجه الامبرياليه البريطانيه و أعوانها فى الداخل بعد هزيمتها فى قضيه التأميم و أن يواجهها كذلك فى العالم كله لاثبات حق الشعب الايرانى كما كان عليه أن يواجهه

الامبرياليه الأميركيه الجديده التي كانت تسعى للاستفاده من قانون تاميم النفط لصالحها، و كان عليه حل المشكلات الاقتصادية في البلاد مع العلم بأنه لم يكن من المستطاع الاتكال على موارد النفط و أخيرا كان عليه النضال ضد حزب توده الشيوعى الذى كان يخلق المشاكل دائما لمصلحه الروس.

و فى اليوم التاسع و العشرين من حزيران عام ١٩٥١ تم قطع كل صله بشركه النفط البريطانيه بعد أن كانت بريطانيه قد تقدمت فى اليوم الرابع عشر من حزيران بشكوى على ايران فى محكمه لاهى الدوليه.

و للاستفاده من النفط المؤمم بعثت أميركا المستشار هريمن للتباحث مع الايران، و لأنه لم تكن النيه من تاميم النفط هى ابعاد مستعمر و الإتيان بمستعمر آخر فشلت مهمه هريمن.

و بعد ما رأت بريطانيه التدخل الأمريكى قبلت بموضوع تاميم النفط، و لحل المشكلات بينها و بين ايران بعثت ميسيون استوكس إلى ايران و لكن استوكس فشل أيضا فى مهمته و ترك ايران بدون نتيجته. و بعد هذا الفشل تقدمت بريطانيا فى تشرين الأول ١٩٥١ بشكوى فى مجلس الأمن على ايران، و فى الوقت ذاته أخرج مصدق جميع المستشارين و التقنيين البريطانيين من ايران. و بعد تقديم الشكوى على ايران عملت بريطانيا على منع شراء النفط الايرانى من الدول الأوربيه و بدأ الحصار الاقتصادى على ايران، و بعد ذلك بدأت بريطانيا بمساعدته عملائها بالدس فى صفوف الوطنيين لضربهم.

يقول مصدق فى احدى خطبه: بعد هذه المؤامره: "...يوجد لبريطانيا عملاء فى المجلس، و لبريطانيا عملاء فى الدوله، و يوجد لبريطانيا عملاء فى الجامعه، و يوجد لبريطانيا عملاء فى البلاط الملكى، و لذلك يكون لبريطانيا عملاء فى كل مكان" و من جراء هذه المؤامره عمل مصدق فى الأول من شباط ١٩٥٢ على إغلاق القنصليات البريطانيه فى ايران و بهذا تكون محافل الجاسوسيه البريطانيه قد أغفلت.

و فى شباط ١٩٥١ جرت الانتخابات للدوره السابعه عشره و فى هذه الدوله استطاع عملاء الامبرياليه و الرجعيون ان يسيطروا على مقاعد كثيره فى المجلس.

انتفاضة الثلاثين من تموز

فى اليوم السابع من حزيران سافر مصدق مع هيئه وزاريه إلى لاهى للدفاع عن حقوق الشعب الايرانى أمام محكمه العدل الدوليه و هناك فى لاهى استطاع أن يرفع الستار عن المؤامرات الاستعماريه للدوله البريطانيه و شركه النفط التابعه لها. و عند ما كان مصدق فى لاهى، عملت الدوله البريطانيه على توقيف سفينه ايرانيه حامله للنفط كانت متوجهه إلى ايطاليا فى عدن للضغط على ايران اقتصاديا أو مثلما كانت الدوله البريطانيه تقول: "سوف نصبر إلى أن يجبر الواضع الاقتصادى مصدق على الاستقاله و بعد ذلك تأتى حكومه جديده نستطيع أن نتباحث معها بشأن القضيه النفطيه" و بعد رجوع مصدق من لاهى فى الرابع عشر من تموز أعلن المجلس النيابى عن استعداده لبدء انتخاب رئيس جديد للوزراء فكان على مصدق أن يستقبل من منصبه حتى يتم انتخاب رئيس وزراء جديد. و بعد المحاولات و المشاورات انتخب مصدق مره أخرى باكثره قليله. و فى اليوم الثانى و العشرين من تموز و فى جلسه للمجلس، طلب رئيس الوزراء من المجلس صلاحيات خاصه لمدته سته شهور لاصلاح الأوضاع الماليه، و الاقتصاديه، و القضائيه و غيرها مما اعتبره أمرا ضروريا فوافق عدد من النواب على هذه الصلاحيات و رفضها عدد آخر. و فى

اليوم الخامس و العشرين من تموز و بعد لقاء دام ثلاث ساعات مع الشاه. قدم الدكتور مصدق استقالته من منصب رئاسه الوزراء و جاء فى كتاب الاستقاله ما يلى: "فى الخامس و العشرين من تموز بمحضر مبارك من الشاه أعلنت استنادا إلى التجارب السابقه اننا نعلم أن مصلحه البلاد فى هذا الوقت الحساس تحتاج إلى أن تكون وزاره الدفاع بيد رئيس الوزراء أى بيدي شخصيا و هذا الأمر لا يوافق عليه الشاه.

و كلنا نامل بان تكون الحكومه القادمه معتمده كليا من قبل الشاه و تستطيع أن تنفذ أوامره بالطريقه الصحيحه. و فى الوقت الحاضر و مع هذا الوضع الحساس ليست هناك أى امكانيه لانهايه الانتفاضه الشعبيه بالانتصار الذى كنا نامله لهذه الحركه".

كان الدكتور مصدق يقول بانى أنا رئيس الوزراء و استنادا إلى الدستور يجب أن أعين أنا وزير الدفاع و أن أكون مشرفا على أعمال الوزاره كلها. لذلك الوقت كان الشاه شخصيا هو الذى يعين وزير الدفاع و كانت الوزاره تنفذ أوامره هو وحده و هذا كان ليس بسبب عدم معرفه الحكومه بما يجرى فى الوزاره فحسب بل لم يكن لها أى سلطه على القاده العسكريين عامه و على أركان الجيش خاصه. و بسبب هذه الأوضاع استقال الدكتور مصدق من منصب رئاسه الوزراء.

و فى اليوم السادس و العشرين فى تموز بضغط من الشاه صادق المجلس فى غياب النواب الوطنيين على تكليف (قوام السلطنه) بمنصب رئاسه الوزراء و فى اليوم الثانى أعلنت موافقه الشاه على ذلك و أرجع إليه لقب جناب أشرف الذى كان قد سحب منه بعد حوادث منطقه آذربيجان و كان قوام السلطنه خارج ايران فرجع إليها لتسلم المنصب.

و كان اختيار قوام السلطنه للرئاسه قد تم ترتيبه فى الخارج بتوافق أمريكى بريطانى، و فى هذا المضمون كتبت جريده (پارى پرس الفرنسيه) قبل عشرين يوما من انتفاضه الثلاثين من تموز بان المرشح الوحيد لدى بريطانيا و أميركا هو قوام السلطنه لأنه كما يعتقد الدبلوماسيون البريطانيون لا يوجد بعد سقوط مصدق من يستطيع أن يهدئ الانتفاضه الشعبيه و يجمعها و يفتح علاقات جيده مع الغرب سوى قوام السلطنه) و فى اليوم الذى كانت تجرى فيه انتخابات رئاسه الوزراء (الخميس ٢٦ /تموز/ ١٩٥٢) أصدر الحاكم العسكري الذى كان يعمل بامر الشاه، منشورا شديدا للجهه لحفظ الأمن فى البلاد و بعد ذلك دخل الجيش بدباباته و آلاته الشوارع و حاصر المجلس.

و كان قوام السلطنه بعد تسلمه منصبه الجديد أصدر بيانا عنيفا إلى الشعب توعد فيه بأيام سودا إذا لم يطيعوا أوامره.

و جاء فى بيان قوام السلطنه: "... أصاب ايران جرح عميق و لا تفيد الأدوية المسكنه فى هذا الوقت... أنا فى الوقت الذى أحترم و أقدر التعاليم الإسلاميه لا أجمع الدين مع السياسيه أبدا و سوف أقف بوجه نشر كل الخرافات و العقائد المزوره... الويل ثم الويل لمن يريد أن يعرقل أعمالى أو يريد أن يقف فى طريقى أو يريد أن يخل بأمن

البلاد... ان مثل هؤلاء الأشخاص أقمعهم بشده و سوف لا- أرحمهم، حتى انه من الممكن أن أشكل بتصويب من المجلس محاكم ثوريه و من خلالها أعدم المئات يوميا و أحيل ايامهم إلى سواد... أنا أحذر جميع الشعب بان أيام العصيان قد ذهبت و جاءت أيام الطاعه لأحكام و قوانين الحكومه. طهران ٢٧ من تموز ١٩٥٢ - رئيس الوزراء قوام السلطنه".

بعد انتخاب قوام السلطنه دعا ثلاثون من نواب المجلس الشعب الايراني إلى المقامه و التصدى للحكومه الجديده جا فى بيانهم: " - أيها الشعب الايراني لأجل اعلام الدول الأجنبيه بان هذه النهضه الوطنيه ستستمر إلى الهدف النهائى و هو الحريه و النجاه من ايادى المستعمرين نعلن عن اضراب عام فى جميع ايران يوم الاثنين الثلاثين من تموز ١٩٥٢".

و ردا على بيان قوام السلطنه و فى لقاء صحفى قال السيد أبو القاسم الكاشانى: أيها الإخوه الأعزاء، كان سعيانا لقطع أيادى الفكر و الاستعمار و محو آثار الاستغلال من بلادنا لنعيش فى حريه و الاستقلال، و لكن السياسيه الاستعماريه ضربت هذه الحكومه و أسقطتها و هم يريدون أن ينصبوا شخصا تربى فى أحضان الديكتاتوريه و الاستغلاليه و عمل بالظلم و الجور، و قد اختبر مرارا و أصدرت المحكمه الشعيه حكمها باعدامه و قطع حياته السياسيه. يجب أن نعلم أحمد قوام بان الشعب الذى تحمل الشدائد و المصائب و بذل دمه فى سبيل الحريه، لا يهدد بالقتل العام و الاختناق الفكرى.. اننى أطلب من الشعب المسلم بصوره صريحه أن يسير بطريق الجهاد ليثبت للمستعمرين بان سعيهم إلى التسلط على الحكم قد انتهى، و ان الشعب الايراني المسلم لا يسمح أبدا للمستعمرين الأجانب أن يعثوا باستقلاله و أن يبدلوا العزه و الشرف الذين نالهما ينضاله المخلص إلى سقوط و ذله... " و كان الشعب الايراني و بمجرد اطلاعه على استقاله الدكتور مصدق بدأ الاضراب، و أكثر المحلات و قسم من السوق (البازار) أغلق أبوابه و بدأت التصادمات بين الشعب و الشرطه. و كان العسكريون من مشاه و غير مشاه يضربون الناس بالهراوات لتفريقهم و كذلك شاركت القوه الجويه فكانت طائرات حريه تحوم حول المظاهرات و كذلك كان المجلس محاطا بالدبابات. و لم تكن الاضطرابات و التظاهرات منحصره فى طهران فقد كتبت و كاله أسوشيتدبرس بان تظاهره شعبيه ضخمه انطلقت فى عبادان، و كذلك فى جميع المدن الإيرانيه. و من جهه ثانيه فقد كان يصل من مختلف المدن الإيرانيه إلى طهران عدد كبير من البرقيات التى تندد بحكومه قوام السلطنه و تدافع عن مصدق إلى أن وصلت الحاله إلى أن امتنعت وزاره المواصلات و خلافا للدستور و القوانين الدوليه عن توزيع البرقيات و إيصالها إلى أصحابها.

و فى يوم ٢٨ / تموز / ١٩٥٢ طلب قوام السلطنه صلاحيات استثنائيه من الشاه لقمع الانتفاضه الشعيه و فى اليوم التاسع و العشرين طلب من الشاه قبول استقالته أو حل المجلسين (النواب و الشيوخ) و وعد الشاه بأنه إذا جرت الأمور نحو الأسوأ و لم تهدأ الحاله فسوف يأمر بحل المجلسين و أمر قوام السلطنه أن يستفيد من الجيش لقمع الحركه الشعيه.

و فى هذا الوقت دعا حزب توده الذى لازم الصمت منذ اليوم السادس و العشرين من تموز إعلانه إلى الالتحاق بالانتفاضه و القيام على قوام السلطنه. و بهذه الصوره استمرت الانتفاضه الدمويه للشعب الايراني.

و توسعت الانتفاضه و اشتد النضال فى طهران فى اليوم التاسع و العشرين من تموز و ازداد عدد الجرحى و القتلى، و ازداد الوجود العسكرى فى الشوارع.

و صباح يوم الثلاثين من تموز، كانت مدينه طهران مضربه و جميع أبواب المحلات مغلقه، و الجموع البشريه نساء و رجالا فى

الشوارع المركزيه فى تظاهرات منظمه يهتفون بشعارات ضد الحكومه و كانت الشرطه و الجيش متمركزين فى مراكزهم و متأهين للمواجهه. و أول مواجهه حصلت فى السابعه صباحا عند ما أصابت رصاصه ذراع شاب فى سوق طهران، و بدأت الانتفاضه تتوسع لحظه بلحظه.

و لم تكن الجموع البشريه العظيمه لتتكسر و كانت تقدم فى سيرها و هى تهتف فى كل مكان: " الموت أو مصدق "، " مصدق هو المنتصر "، " الموت لقوام السلطنه ". و حدثت صدامات بين الطلاب الجامعيين و الجيش أمام درب الجامعه و بدأ الاشتباك باليد و جرح عدد من المشتبكين. و بعد هذا الاشتباك وصل الهاتفون بالنصر لمصدق إلى ميدان بهارستان. و تجمعت الجموع البشريه التى كانت تلبس أكفانا فى ميدان بهارستان. و أصبح بهارستان و ناصر خسرو و جميع الشوارع المركزيه ميادين للشهاده. العسكريون المشاه و الدبابات و الآليات و الشرطه كلهم كانوا يهجمون على الجماهير و يرتقون دماءهم.

و كانت قعقه الأسلحه تسمع فى كل مكان و تمتزج مع صيحات الانتصار لمصدق. و فى كل مره كان الجيش يشن هجوما على المتظاهرين كانت هناك أعداد من الشهداء يسقطون فى دمائهم و فى نفس الوقت كانت الحشود المتجمعه فى الشوارع تهاجم بالوسائل التى تملكها الجيش و أعوانه من السافاك. الجرحى فى كل مكان، القتلى فى كل مكان و الدم يغطى أكثر الشوارع فى بهارستان، و اكباتان، و ناصر خسرو و سوق طهران الكبير. لم تكن هذه الاشتباكات فى طهران فقط بل فى كل المناطق الإيرانيه حيث بدأ الناس بالمقاومه و التصدى للحكومه قبل أيام من ثوره الثلاثين من تموز. و جميع الشعب شارك فى الاضراب و فى المقاومه، طهران، مشهد، عبادان، كرمان، شيراز، تبريز، كلما كان رصاص الجيش و السافاك يكثر على الشعب كانت حماسه الشعب تزداد بالخشب و الحجر و الأشياء الأخرى الخفيفه. لقد ثار الناس و انطلقوا نحو الشهاده.

مع تصاعد الثوره وقعت حالات كثيره من التمرد و العصيان داخل الجيش فكان الضباط الشباب يمتنعون عن إصدار أوامرهم إلى الجنود لضرب الشعب و مع الوقت أصبح هذا التمرد شائعا فى كل مكان.

فبعد الشهداء و الجرحى و الدماء التى كانت منتشره على الأرض لم يكن باستطاعه الجيش و الشرطه إعطاء أوامر بضرب الشعب و إمطارهم بالرصاص. فانقسم الجيش و انقسمت الشرطه و لم يعد بإمكانهم التصدى للشعب الذى كان يقاتل بأياديه. فتقدم الشعب و لحظه بعد

لحظه كان التقدم يزداد و في النهايه انتصر الشعب و خسرت السلطه أمام إصرار الشعب و مقاومته.

فاصدرت الاذاعه بيانا يقيل قوام السلطنه من منصبه، و مره ثانيه ينتصر مصدق في ٣٠ من تموز و يرجع إلى القدره ليواصل نضاله مع الشعب المكافح.

و في الساعه السابعه من بعد ظهر يوم الثلاثين من تموز بدأت حشود الشعب تذهب إلى بيت الدكتور مصدق. قال الدكتور مصدق و هو يبكي "يا ليتنى مت قبل أرى الشعب هذا اليوم في هذه المآتم" ثم قال "أيها الشعب أقولها بصراحه انكم لم تكونوا مستقلين أبدا قبل هذا اليوم و لكن بشجاعتكم و جهادكم استطعتم أن ترجعوا استقلالكم إليكم...".

و في يوم ٣١ تموز ١٩٥٢ لم يكن للجيش أو الشرطه أثر في الشوارع، لأنه لم تكن لديهم الجرأه للظهور بعد حوادث اليوم الماضى كان حفظ الأمن و الانتظام هذا اليوم بعهد بعض الشباب المؤمن الذين وضعوا شرائط سوداء حول سواعدهم و مع كل الاجتماعات الجانيبه و الخطابات الثوريه في الشوارع لم يحصل أى شىء يخل بالأمن و الاستقرار.

و في الساعه التاسعه من صباح يوم ٣١ تموز ١٩٥٢ عقد المجلس النيابى جلسه سريه بحضور ٦٤ نائبا و من بين هؤلاء النواب انتخب ٦١ نائبا الدكتور مصدق رئيسا للوزراء.

و في هذا المجال و في رساله تعزبه للشعب موجهه من الحكومه الجديده. أعلنت الحكومه أسفها للحوادث التى وقعت فى البلاد يوم الثلاثين من تموز ١٩٥٢.

و فى النهايه كان يوم الثلاثين فى تموز عام ١٩٥٢ يوم انتصار آخر للشعب الايرانى، و فى نفس اليوم وصل حكم محكمه لاهى إلى ايران حيث أقرت هذه المحكمه حق الشعب الايرانى على حقوقه فى امتلاك ثرواته الطبيعیه، و كان هذا الخبر مكملا لانتصار الشعب فى ثوره ٣٠ من تموز.

بعد إذاعه خبر محكمه لاهى و خبر انتصار ثوره الثلاثين من تموز أعلنت (رويتز) بان بريطانياه أصبحت يائسه جدا إزاء قضيه النفط الايرانيه و ان الحكومه تعتبر بان حكومه مصدق أصبحت بعد هذين الانتصارين أقوى بكثير.

جاء فى جريده نيو استيسمن فى العدد الصادر يوم ١ / آب / ١٩٥٢ و ضمن الإشاره إلى ثوره الثلاثين من تموز بأنه بعد الأحداث التى وقعت داخل ايران ليس من الممكن رجوع الشركه البريطانيه للنفط إلى إيران.

و كذلك كتبت جريده نيو استيسمن فى عددها الصادر ٤ / آب / ٥٢، "كان من المستحسن على راديو انقره الذى بدأ منذ ابتداء قضيه تاميم النفط داخل ايران بالدعايه لبريطانيا على حساب الشعب الايرانى أن يأخذ درسا من القاضى البريطانى فى محكمه لاهى الذى أصدر حكما ضد دولته".

تحت تأثير ثوره الثلاثين من تموز و بسبب [بسبب] التدخلات المباشره للقضاء على ثوره الشعب، أبعدت الملكه الأم و الأميره الأخت أشرف من ايران و أغلقت جميع المكاتب التى كانت قد أسستها الأميره و غيرها من أفراد العائله المالكة و منع الجميع من الاتصال بالادارات الحكوميه.

و كما ذكرت (رويتري) فان الأميره الأخت التي كانت قد دخلت إلى طهران في يوم ١٥ /تموز/ ١٩٥٢ لاضعاف حكومه مصدق و إسقاطه من منصبه، تركت طهران متوجهه إلى روما في يوم ٩ /آب/ ١٩٥٢ و كذلك و للمره الأولى تم تفتيش حقائب سفرها من قبل رجال الجمارك و الأمن.

و في نهايه الجلسه الاستثنائية التي عقدها المجلس النيابي أقر المجلس [المجلس] أن ثوره الثلاثين من تموز هي ثوره وطنيه و ان شهداء ذلك اليوم هم شهداء طريق الحريه و الاستقلال و كذلك أقر قانون صلاحيات الدكتور مصدق.

قانون ثوره الثلاثين من تموز و قانون إعطاء الصلاحيات

باسمه تعالى، انا بهلوى شاهنشاه ايران و على أساس القانون رقم ٢٧ المتمم للدستور أعلن.

الماده الأولى: تنفيذ القانون المتعلق تسميه ثوره الثلاثين من تموز ثوره وطنيه و هو الذي تمت المصادقه عليه من قبل مجلس الشيوخ و المجلس النيابي في الجلسه المنعقده بتاريخ ١٦ /آب/ ١٩٥٢.

الماده الثانيه: الهيئه الوزاريه مكلفه بتنفيذ هذا القانون. التاريخ:

٢١ /آب/ ١٩٥٢.

باسمه تعالى أنا بهلوى شاهنشاه ايران و على أساس القانون رقم ٢٧ المتمم للدستور أعلن:

الماده الأولى: تنفيذ القانون المتعلق بقانون إعطاء الصلاحيات لمدته سته أشهر إلى رئيس الوزراء الدكتور مصدق الذي تمت المصادقه عليه من قبل مجلس الشيوخ و المجلس النيابي في الجلسه المنعقده بتاريخ ٢٠ /آب/ ١٩٥٢.

الماده الثانيه: الهيئه الوزاريه مكلفه بتنفيذ هذا القانون. التاريخ ٢١ /آب/ ١٩٥٢.

انقلاب ٢٨ مرداد ١٩ آب

استطاعت و كاله المخابرات الأمريكية (CIA) عام ١٩٥٣، من خلال انقلاب داخل ايران ان تسقط حكومه الدكتور مصدق و ان تثبت سلطنه محمد رضا شاه، و لكن هناك أقليه معدوده يعلمون بان العامل الأساسي في هذا الانقلاب الذي استطاع إسقاط الحكومه الإيرانيه آنذاك.

هو حفيد تئودور روزفلت رئيس الولايات المتحده الأمريكية الذي كان جاسوسا أمريكيا يعمل لحساب و كاله المخابرات الأمريكية.

اسمه كرميت "كيم" روزفلت و هو الحفيد السابع لروزفلت و لا تزال و كاله المخابرات الأمريكية تشيد به تقديرا لأعماله القيمه التي أنجزها في ايران اشتهر في الوكاله بلقب "سيد ايران" أحد القصص الخياليه التي تنقل داخل و كاله المخابرات الأمريكية عن كرميت انه استطاع أن يغير على طهران و يسقط حكم مصدق بهجوم مباغت بسلاحه الرشاش على رأس كتيبه مدرعه من

الدبابات.

ص: ٣١٢

يصف أحد عملاء وكالة المخابرات الأمريكية الذى له اطلاع على أوضاع إيران هذه القصة بأنها قصة خياليه و قال فى الواقع إن كرميت كان يدير هذه العمليه من داخل ملجا خفى بعيدا من محيط السفاره الأمريكيه، و أضاف بان هذه العمليه تشبه بعمليات جيمس بوند السينمائيه.

كان الجنرال فضل الله زاهدى الذى توفى فى سبتمبر ١٩٦٣ عن عمر يناهز ٦٧ عاما منتخبا من وكالة المخابرات الأمريكية لخلافه مصدق.

اختطف زاهدى من قبل البريطانيين لأنهم كانوا يعتقدون بأنه أحد عملاء النازيه الألمانیه.

و عند ما احتلت بريطانيا و الاتحاد السوفيتى ايران فى الحرب العالميه الثانيه و بعد خطف زاهدى أعلن العملاء البريطانيون أنهم وجدوا الأشياء التاليه فى غرفته "البوم من الأسلحه الرشاشه الألمانیه، ملابس داخلية حديديه، رسائل من المظليين الألمان الذين كانت لهم فعاليات فى الجبال و كذلك البوم صور للموسمات المعروفات مع كامل أسمائهم و عناوينهم".

بعد الحرب العالميه الثانيه، بدأ زاهدى بالصعود على سلم السياسه بسرعه فائقه. و فى عام ١٩٥١ عند ما تسلم الدكتور مصدق منصب رئاسه الوزراء، حصل زاهدى على منصب وزاره الدوله.

فى بادئ الأمر، أمم مصدق شركه النفط الإيرانيه البريطانيه و صادر معامل تكرير البترول التى كانت تطل على الخليج الفارسى.

تسبب إغلاق مراكز التكرير النفطيه التابعه لها وجود عمال كثيرين بدون عمل، و هكذا دخلت ايران فى مرحله اقتصاديه صعبه.

بريطانيه و بمعاونه بقيه الدول الغربيه استطاعت أن تضغط على ايران من خلال منع بيع و شراء النفط الايرانى و كذلك لم يكن بمقدره المهندسين الايرانيين تشغيل المعامل بطاقتها الكامله بدون مساعده المهندسين البريطانيين.

و كان تحالف الدكتور مصدق مع حزب توده الشيوعى سبب انزعاج الغربيين لخوفهم من تسلط الشرق على النفط الايرانى.

و من هنا بدأت المؤامره لإسقاط مصدق و نصب زاهدى من بعده على يد وكالة المخابرات الأمريكية بشخص و كيم [كيم] روزفلت.

وكالة المخابرات الأمريكية أنفقت الملايين من الدولارات

اتفقت بريطانيا و أمريكا على إسقاط حكومه مصدق. و على أساس تنبؤات وكالة المخابرات كانت جميع الشروط مناسبه لهذا الاسقاط.

أعطيت القيادة الفعلية إلى كرميت روزفلت الذى كان يعتبر من أبرز العملاء فى الشرق الأوسط آنذاك.

دخل كرميت روزفلت إلى إيران، بالسياره و اصلا إلى طهران ثم اختفى. و لمعرفته بأوضاع ايران و مقدره اتباع مصدق الذين كانوا يلاحقونه فى كل مكان، كان يغير مكان إقامته باستمرار.

و كان يدير العمليه من مكان بعيد عن محيط السفاره الأمريكیه و كان يساعده على ذلك خمسہ جواسیس أمريكيين متمركزين داخل السفاره و إضافه إلى ذلك سبقه عملاء مختفون ينتسبون إلى وكالة المخابرات الأمريكية.

و من جمله هؤلاء السبعه ايرانيان متمرنان على أمور التجسس و مع أن هذين الايرانيين رافقا كرميت إلى آخر العمليه لكنه لم يقابلهما شخصيا أبدا.

و عند ما كانت المؤامره فى مراحل التهيئه، دخل الجنرال ١ - ج - نورمان شواز ركف إلى ايران و كان من أصدقاء عائله زاهدى و برر زيارته لايران بأنها لتوثيق العلاقه القديمه بينه و بين عائله زاهدى و لكنه كان فى الحقيقه جزءا من المخطط الذى أعدته وكالة المخابرات الأمريكية لإسقاط مصدق.

و فى اليوم الثالث عشر من آب أصدر الشاه مرسوما أعلن فيه اعفاء مصدق من منصبه و تنصيب الجنرال زاهدى بدلا منه.

أوقف الدكتور مصدق الضابط الذى جاءه بمرسوم الشاه.

و خرج الشعب الايرانى إلى الشوارع و قام بتظاهرات واسعه. و مع تزايد غضب الشعب، هرب الشاه مع زوجته ثريا جوا من قصره على سواحل بحر خزر إلى بغداد و خلال يومين كاملين كانت ايران فى حاله اضطراب و مصادمات و انقطعت اتصالات كيم روزفلت بعملائه الايرانيين.

ثم سافر الشاه من بغداد إلى روما و هناك التقى دالس رئيس وكالة المخابرات الأمريكية آنذاك. و حاولت أشرف أخت الشاه أن تعمل على ترتيب مؤامره دوليه لإسقاط مصدق و لكن الشاه لم يوافق على هذه المؤامره. و هنا استلمت القوى الشيوعيه الأمن فى شوارع طهران و أقام الشيوعيون الحفلات لهذه المناسبه. و كذلك تم إنزال تماثيل الشاه من الميادين.

بدأت مخالفه أوامر الدكتور مصدق بشكل مفاجئ و بدأ الجيش باعتقال المتظاهرين. و من الملجأ أمر كيم روزفلت عملاءه صباح يوم التاسع عشر من آب بانزال العملاء إلى الشوارع.

و ذهب عملاء روزفلت إلى أحد الأندية الإيرانيه و هناك اجتمعوا مع العناصر المخربه و كانوا من المصارعين و لاعبي الجمباز و غيرهم من الرياضيين فتوجهت هذه العناصر إلى سوق طهران الكبير و هناك نظموا التظاهرات المعاديه لمصدق و كانت أحجام التظاهرات تتزايد بسرعه و عند منتصف اليوم تقريبا بدأ واضحا بان مصدق قد خسر هذه المعركه و لا يوجد أى شىء يمكن أن يغير هذه الحاله.

و لا شك أن سيطره الشيوعيين على الموقف هو الذى أخاف الناس و حول الكثيرين منهم إلى هذه التظاهرات خشيه تحول الأمر إلى انقلاب شيوعى.

خرج زاهدى من ملجئه و استلم زمام الأمر و رجع الشاه من ايطاليا، و سجن مصدق و تم اعدام رؤساء حزب توده الشيوعى.

و فى هذه الحوادث العصبية استطاعت بريطانيا استرداد سلطتها على النفط الايرانى و لكن ليس بمفردها. و فى آب ١٩٥٨

استطاعت احدى

ص: ٣١٣

الشركات النفطية الغربية الكبيره أن توقع عقدا نفطيا مع ايران و على أساس هذا العقد، يخصص ٤٠٪ من أسهم شركة النفط الإيرانية إلى شركة ايران و بريطانيا النفطية السابقه، ٤٠٪ من الأسهم إلى شركات النفط الأمريكية - لكن كلف اويل، استاندارد اويل أف نيوجرسي و كاليفورنيا، شركة نفط تكاس و سكوني موبيل، ١٤٪ من الأسهم إلى الشركة الهلنديه النفطيه و ٦٪ من الأسهم إلى الشركة الفرنسيه فرانسو دوبرول. و في المقابل يخصص نصف الأرباح إلى ايران و كذلك يجب على ايران دفع مبلغ سبعين مليون دولار إلى شركة نفط ايران و بريطانيا السابقه لخسارتها بسبب الحوادث التي جرت في ايران.

و مما لا بد من ذكره هنا أن الولايات المتحدة لم تعلن عن دور وكالة المخابرات الأمريكية في هذه المؤامره أبدا و لكن دالس رئيس وكالة المخابرات الأمريكية سابقا أعلن بشكل غير مباشر في برنامج تلفزيون عام ١٩٦٢ بعد تقاعده من منصبه عن دور وكالة المخابرات في هذه المؤامره عند ما سئل عن ذلك الدور و عن الأقاويل التي تردد بان الوكالة أنفقت الملايين من الدولارات لجلب الناس إلى الشوارع و القيام ضد مصدق. قال دالس: " بالنسبه إلى الادعاءات باننا أنفقنا ملايين الدولارات فليس لها أى أساس".

و كذلك ذكر دالس في كتابه " فن المخابرات" عن هذا الموضوع قائلا:

"قدمت مساعدات خارجيه إلى مناصرى الشاه" و لم يذكر أبدا عن الدور المباشر للوكالة في هذه المؤامره.

قضية استقاله مصدق

و عن قضيه استقاله مصدق و تولى قوام السلطنه رئاسه الوزراء التي تقدم ذكرها يقول مكى: ذهب مصدق في يوم الأربعاء المصادف ١٦ يوليو ١٩٥٢ فى تمام الساعه الحاديه عشره صباحا إلى القصر الملكى فى سعدآباد للتباحث مع الشاه.

تباحث مصدق و الشاه حول القضايا الدوليه و المسائل الداخليه و مسأله انتخابات الهيئه الوزاريه التي يرأسها، فأخرج مصدق من جيبه ورقه بأسماء الوزراء ليتشاور مع الشاه بشأنهم.

نظر الشاه إلى الورقه بدقه تامه و كان يطلب التفاصيل الدقيقه حول الوزراء المرشحين فردا فردا فكان يسأل عن الخصوصيات الشخصيه، العمر، الخصوصيات الأخلاقيه، السياسيه، العقائديه للأشخاص.

و بالدقه التي كان الشاه ينظر بها إلى الأسماء، كان مصدق ينظر بدقه تامه إلى عيون الشاه فمن خبرته السياسيه الطويله التي تقدر بخمسين سنه كان يعرف رأى الشاه حول كل شخص من نظراته و حركاته إلى أن سأل:

إذا من سوف يستلم منصب وزاره الدفاع؟.

أجاب مصدق: سوف أستلمها أنا.

بعد فتره وجيزه سأل الشاه: أ لم تعثر على شخص معتمد لدينا ليستلم هذه الوزاره أم لك نظره خاصه حول هذا الموضوع؟ فأجاب مصدق بصراحه كامله: " أصبحت وزاره الدفاع هذه الأيام كدوله داخل الدوله، فهي لا تعطى لكلامى أى أهميه و فى

الانتخابات لا تنفذ أوامري، و تكلمت معكم مرارا حول هذا الأمر و أصدرتم أوامركم و لكن فى الواقع لم تنفذ الأوامر".

و بعد بحث طويل حول هذا الموضوع و اخباره بأنه يتوقع انقلابا فى هذه الأيام قال له " إذا لم تعهد إلى وزاره الدفاع فسوف أكون مجبرا لتقديم الاستقاله".

سعى الشاه أن يصرف نظر مصدق عن وزاره الدفاع و لكن مصدق ظل مصمما و فى النهايه رفض الشاه طلب مصدق فنهض مصدق بحاله عصبية متوجها إلى الباب ليخرج و يقدم استقالته و هنا نهض الشاه و أمسك يد مصدق و كان مصدق يمسك الباب باليد الثانيه و هنا بدأ الكلام بصوت عال، مصدق يريد الخروج و لكن الشاه لا يريد ذلك لأنه يعلم ما ذا سوف يكون أثر هذا الخروج على سلطته من الناحيه الشعبيه. بعد ذلك ينقل مصدق: " لا أعلم كيف أغمى على و عند ما استعدت و عيى كنت جالسا على الكرسي المريح و بقربى الشاه و علاء و يزدان يناه [يزدان پناه] ثم أحسست بالارتياح عند ما شربت كأسا من الماء".

ثم بدأت المذاكرات حول الموضوع ذاته من جديد و لأن مصدق كان مصمما على الاستقاله قال له الشاه " ان لم أتصل بك حتى الساعه الثامنه بالهاتف فاعلم انى رفضت طلبك، و عند ذلك أفعل حسب رغبتك".

دعا الشاه الدكتور لتناول الغداء و لكن مصدق رفض و عاد إلى بيته عند الساعه الثالثه ظهرا و دخل غرفته و أغلقها من الخلف و رفض استقبال أى شخص.

يقول مكى راوى هذه الوقائع:

ذهبت فى الساعه السادسه مساء إلى بيت يزدان يناه [يزدان پناه] و لكن زوجته أخبرتنى بأنه خرج منذ الصباح و لم يعد حتى الآن.

فاستنتجت بان هناك شيئا جديدا قد حصل فذهبت مباشره إلى منزل الدكتور مصدق و عند ما أردت أن أدخل إلى غرفته قالت الخادمه " السيد لا يستقبل أحدا فى هذا الوقت " فقلت لها أن تخبره بان " مكى " هو الزائر.

بعد اخباره بزيارتى فتح باب الغرفه و أذن لى بالدخول. ثم فتح باب الشرفه و جلس و بدأ بالكتابة.

سالنى: أين كنت؟ قلت له: كنت فى منزل يزدان پناه و زوجته متزعجه لعدم رجوعه إلى الآن.

ثم قال: نعم و بدأ يشرح لى ما حصل معه عند الشاه و فى ختام حديثه قال: " الآن و الساعه تقترب من الثامنه مساء و لم يتصل الشاه بى، فانى مشغول بكتابه ورقه الاستقاله.

و ستكون الاستقاله سرية لا يعرف بها أحد".

الشاه فى آخر لقاء كان بينهما و كيف دعاه إلى الغذاء. و لكننى أثبت له بالأدلة بأنهم سوف يعتبرونه المسئول عن استقالته ان لم يعلن للشعب أسباب الاستقاله.

فاقتنع الدكتور مصدق بكلامى و كتب هذا فى ورقه الاستقاله و بعث بها إلى قصر سعدآباد الملكى.

ثم بعثنى إلى بيت نىروان ىناه [ىزدان ىناه] لأنقل أخباره إلى زوجته و طلب منى عدم كتمان خبر الاستقاله ثم علمت أن خبر الاستقاله قد نشر فى الوزاره، و علمت أن مصدر هذا الخبر هو العمىد كرزى رئيس الستاد الحربى.

فاتصلت حالا بالدكتور مصدق و أعلمته بموضوع انتشار الخبر و قلت له ىجب أن ىذاع الخبر فى الاذاعه.

و من بعد ظهر هذا الیوم كانت الاذاعه قد احتلت من قبل العسكرىین و كان قد عىن ضابط خاص لمنع انتشار خبر الاستقاله من الاذاعه لأن ىذاعه الخبر ىمكن أن تحدث انقلابا على الشاه و أعوانه.

و لم ىكن عند الشعب أى علم بالاستقاله إلى أن عىن الرئىس الجدىد للوزاره و علم الجمىع بالاستقاله من خلال خبر نشرته شخصىا فى جرىده "باختر امروز".

و فى الیوم التالى أتى (قوام) إلى الوزاره و بقى فى منصب رئاسه الوزراء حتى ثوره الثلاثىن من تموز.

الشیخ ضیاء الدىن محمد یوسف بن المىرزا حسین خان وزیر توبجى القزوىنى:

كان حیا سنه ۱۰۸۳ من اعلام علماء قزوىن فى عصره أخذ العلوم العقلیه و الفلسفه الالهیه عن الحكىم آغا رضى القزوىنى المتوفى سنه ۱۰۹۶ و الشىخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنه ۱۰۹۴ و نبغ فى الفلسفه و الكلام و كان وحىد عصره فى ذلك تصدر للتدرىس و الإفاده و الإرشاد فى قزوىن و انتهى الیه كرسى الفتوى و تدرىس الفلسفه العالیه.

ترك مؤلفات منها: كتاب مجمع البحرین فى تفسىر القرآن ىقول فى مقدمته سماه ب مجمع البحرین لانه خلاصه ما فى تفسىر مجمع البیان و تفسىر جوامع الجامع للشىخ أمىن الإسلام الطبرىسى و ىقع فى مجلدىن كبىرىن بالعربیه فرغ من المجلد الأول لىله ۶ المحرم سنه ۱۰۸۲ و من المجلد الثانى فى سنه ۱۰۸۳ و النسخه بخط المؤلف مسجله فى مكتبه مدرسه سپهسالار بطهران عدد ۱۹۵۵(۱) و هناك نسخه ثانیه من المجلد الأول فى المكتبه المركزیه فى الروضه الرضویه بخط محمد أمىن النائىنى مسجله تحت رقم ۱۰۴۱۵ باسم مجمع البیان مؤرخه سنه ۱۰۸۳(۲) اى سنه انتهاء التألیف، و اسمه مجمع البحرین كما أثبتناه عن خط المؤلف و اسم مجمع البیان هو من سهو الناسخ و ىقول المصنف فى مقدمته (...)

أردت لسهوله ادراك حسن عرائس المعانى من حجال ألفاظ الكتاب الذى لا ىأتیه الباطل من بىن ىدیه تنزىل من حكىم حمىد تحرىر جمله من ظواهر معانى القرآن و تسطىر برهه من فضل قراه السور و الآیات و سبب نزول الآى و نبذه من القصص و الأخبار و ما ىتعلق بهذا الأمر على وجه الإىجاز و الاختصار...) و ىنتهى المجلد الأول إلى آخر سوره الكهف و المجلد الثانى من أول سوره مریم إلى سوره الناس. و له مجموعه رسائل فى علم الكلام و الفلسفه ىظهر منها براعته فى العلوم العقلیه و لم أجد له ذكرا فى كتب التراجم و هو من علمائنا المنسىین و قد حصلت على أسماء مشایخه و سائر خصوصیاته من مؤلفاته(۳)

محمد مهدي بن الحاج حيدر علي المشهور باسوده الشيرازي:

ولد سنة ١٢٦٥ في شيراز و توفي فيها سنة ١٣٢٠.

شاعر إيراني كان يتخلص في شعره ب (آسوده) فاشتهر بذلك. درس العلوم الادبيه و الفلسفه و الرياضيات. عدا علوم اللغه من بديع و عروض و قافيه و نقد الشعر. نظم في أنواع الشعر كالتصيده و الغزل و المقطوعه و الرباعي و المثنوى و المسمط. توجد من ديوانه مخطوطتان: الأولى في مكتبه كليه الآداب بجامعة طهران و هي بخطه. و الثانيه في شيراز عند حفيده.

السيد محمد مهدي بهيك بوري بن السيد علي:

ولد سنة ١٢٦٩ في قضاء سارن بمقاطعه بهار الهند و توفي سنة ١٣٤٨.

كان والده من كبار الاقطاعيين في الهند و لكنه وجه ابنه إلى الدراسات الدينيه، فتعم أولاً في بلده ثم ذهب إلى لكهنو و أكمل دراسته فيها ثم رجع إلى بلده.

كان عالماً مشهوراً و خطيباً كبيراً، بنى أبوه مسجداً في البلده فتولى هو الامامه فيه متخذاً منه وسيله للإرشاد و الدعوه إلى الإسلام.

سافر إلى العراق سنة ١٣٠٧ ثم إلى إيران و استجاز هناك بعض العلماء ثم عاد إلى وطنه.

ترك من المؤلفات: سواء السبيل، مواعظ المتقين، حجه بالغه، هديه الزائرين، لواعج الأحران في مجلدين.

مير محمد علي بن حسين الطالقاني:

من أعلام النجف الأشرف في أواخر القرن الثالث عشر، تتلمذ على علمائها الاعلام، و منهم المولى محمد مهدي الفتونى و كتب بخطه الجيد كتاب أستاذه هذا "نتائج الاخبار و نوافج الازهار" فكتب أستاذه في آخر مجلد المكاسب منه إجازة الحديث له و وصفه فيها بقوله "قد التمس منى من تجب طاعته على البر الزكى التقى النقى الورع الصالح العالم العامل السيد الحسين النجيب.. أن أجزى له أن يروى عنى ما سمعه منى من مشايخي رضى الله عنهم فلما تحققت منه أهليه ذلك و وجدته قد خدم جماعه من العلماء و الفضلاء ذا فطنه و ذكاء قديم الاشتغال في طلب العلوم الدينيه أجزت له دام ظله أن يروى عنى مؤلفى.. و غير ذلك مما سمعه منى كتب الاخبار من التهذيب و الاستبصار و الكافى و الفقيه و شطرا من قواعد الأحكام.." (٤)

ص: ٣١٥

١- انظر فهرست مكتبه مدرسه سپهسالار ج ١ ص ١٦٧.

٢- انظر فهرست المكتبه المركزيه الروضه الرضويه ج ١١ ص ٦٧٠-٦٧١.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الشيخ محمد علي بن محمد قاسم الطبرسي:

علق علي "حاشيه حاشيه الخوانساري" للشيخ احمد الأردكاني اليزدي، تعاليق قليله تدل علي فضل فيه في العلوم العقليه و الكلام و اشتغال بها.

كان يقيم بأصبهان ظاهرا، و توفي بعد سنه ١٢٣٧ التي وقف فيها كتبها علي طلبه أصبهان و بقيه بلاد ايران، و كان الوقف عن غازي الدين حيدر خان بهادر أحد وزراء الهند، و لعله أقام بالهند بعض المده و كان له صلوات بالشخصيات الكبيره (١)

محمد علي مرشد آبادي الدكني:

ولد سنه ١١١٧ في بلده اورنك آباد (الهند) و توفي سنه ١١٩٣ في كلكته هو من عائله علميه عريقه فنشأ في محيط علمي ثقافي و درس علي كبار علماء عصره، ثم كان هو مدرسا يحضر درسه كبار الفضلاء، و لعوامل عديده تنقل بين السند و أحمدآباد و سورت و مرشدآباد. ثم سافر إلى مكه حيث مكث فيها اربع سنوات ثم رجع إلى مرشدآباد و استقر فيها منشغلا بالدرس و التدريس و المطالعه و التأليف.

من مؤلفاته: حواشي شرح مفاتيح ملا محسن، و تصحيح و إصلاح و إضافه علي إخوان الصفا، و شرح الكافيه.

الشيخ محمد بن محمد يوسف الميثمي:

عالم فاضل ذو اطلاع بالفقه، من تلامذه المولى احمد بن محمد مهدي النراقي المهتمين بجمع آثاره، و هو من أعلام القرن الثالث عشر و لعله كان مقيما بمدينة كاشان.

له "مسائل و رسائل في حل غوامض المسائل"

القاضي محمد صادق بن محمد لعل هگلي:

ولد سنه ١٢٠١ في الهند و توفي سنه ١٢٧٥ في اتاده التابعه اليوم لبنغلادش هو من المنطقه التي عرفت بعد تقسيم الهند باسم باكستان الشرقيه و بعد انفصالها عن باكستان عرفت باسم بنغلادش.

و هو من أسره علميه عريقه. درس في بلده ثم توجه إلى لكهنؤ لإكمال دراسته في العلوم الإسلاميه و العلوم العصريه.

ثم عين من قبل غازي الدين حيدر بهادر مديرا لاداره التأليف.

و بعدها صار محافظا في كانبور و بقي في منصبه هذا تسع عشره سنه لم ينقطع فيها عن الدرس و التدريس مهتما بالتاريخ و الأدب و اللغه، و كان يجيد اللغات العربيه و الفارسيه و الأردويه.

من مؤلفاته: المحامد الحيدريه (و هو باللغه العربيه). و بادشاه كي فضائل (باللغه الأردويه). و آفتاب عالم تاب (باللغه الفارسيه). و بهار إقبال. و گلدسته محبت. و صبح صادق. و ديوان بالعربيه و آخر بالفارسيه و ثالث بالاردويه.

الميرزا محمد شفيح الشيرازى بن محمد إسماعيل الملقب بوصال

و المشهور بالميرزا كوچك:

أحد مشاهير شعراء العهد القاجارى فى زمن فتح على شاه و محمد شاه. ولد وصال فى زمن سلطنه كريم خان زند عام ١١٩٧ هـ لعائله شيرازيه. تلقى العلوم المتداوله فى عصره على بعض العلماء من أمثال الميرزا أبو القاسم سكوت أحد مشاهير العارفين، و تعلم أنواع الخط، ثم سلك الطريق إلى محافل الأنس معتمدا على قابلياته الادبيه و حسن خطه و عدوبه صوته و بدأ بنظم اولى قصائده. و حين توجه فتح على شاه إلى ولايه فارس و دخل مركزها شيراز سمع بفضائل و مكارم وصال فأمر بإحضاره. فقدم وصال للشاه نسخه من القرآن الكريم خطها بسبعه أنواع من الخط، و استعمل أنواع الفنون فى تذهيبها و تجليدها، ثم أنشده قصيده كان قد نظمها من قبل. و يقال ان فتح على شاه بالغ بمدح وصال و وصله بالفى تومان، و عين له سنويا مبلغا من المال و مقدارا من المتاع.

كان وصال رجلا رءوفا أنيسا ذا مسلك صوفى، و ارتبط بالعديد من الأصدقاء من أهل العرفان و عشاق الأدب، و لا سيما القاننى الشيرازى الذى كان شاعرا كبيرا فى العهد القاجارى، حيث امضى وقته معه فى الوقت الذى كان القاننى فى شيراز.

امضى هذا الشاعر و الفنان حياته فى شيراز، و فقد بصره فى أواخر حياته، ثم فارق الحياه عام ١٢٦٢ هـ فى زمن سلطنه محمد شاه القاجارى عن عمر ناهز التاسعه و الستين. و ضم ديوان أشعاره ثلاثين ألف بيت من الشعر بين غزل و مثنوى و رثاء و قصائد اخرى. و قد تركت أكثر قصائده فى مدح فتح على شاه و محمد شاه و ناصر الدين شاه و أمراء القاجاريين و أعيانهم، و من ابرزهم حسن على ميرزا بن فتح على شاه الذى حكم ولايه خراسان لعدده سنوات. و جاءت بعض أشعاره فى ذم أهل شيراز لشدته انزعاجه منهم.

و يعتبر وصال من فنانى عصره فى الرسم و الخط و التذهيب و الظاهر انه كان فى هذه المجالات أكثر شهره منه فى الشعر، و من ضمن اعماله الفنيه نسخه بخطه ل (كليات الشيخ سعدى) محفوظه فى مكتبه المجلس تحت رقم ١٣٢٤٩.

ترجم هذا الشاعر و الفنان كتاب (اطواق الذهب) للزمخشري إلى اللغة الفارسيه، و ألف رسائل فى الحكمه و الكلام و الموسيقى و العروض و تفسير الأحاديث، نثرا و نظما، و ألف أيضا كتاب (صبح وصال) على نمط (گلستان) سعدى.

رزق وصال بسته أبناء اشتهروا كلهم فى الخط و الشعر و الفن، هم.

الميرزا احمد و قار المتوفى عام ١٢٧٣ هـ - الميرزا محمود حكيم المتوفى عام ١٢٧٤ هـ - الميرزا محمد الداورى المتوفى عام ١٢٨٣ هـ - الميرزا إسماعيل توحيد المتوفى عام ١٢٨٦ هـ - الميرزا أبو القاسم فرهنگ المتوفى عام ١٣٠٩ هـ و الميرزا عبد الوهاب اليزدانى المتوفى عام ١٣٢٨ هـ. من هنا كان الميرزا محمد شفيح وصال المعروف بالميرزا كوچك و ابناؤه يمثلون أساسا لعائله عرف جميع أفرادها بالخط و الرسم و الشعر و الفن و تركوا آثارا قيمه فى هذه المجالات. و مزار أفراد هذه العائله موجود الآن فى مقبره شاه چراغ فى شيراز.

طبع ديوان وصال عدده مرات حتى الآن، و لا نرى في هذا الديوان افكارا جديده أو تجارب مستقلة أو مضامين بكر، بل كلما نجده فيه انما هو طرح ماهر لاقوال كبار الشعراء المتقدمين. و من ثم فان قراءه

ص: ٣١٦

١- السيد احمد الحسينى.

أشعاره تبعث لده فنيه فى روح قارئها. و قد كانت مراثيه المؤثره التى نظمها على نمط المحتشم الكاشانى، سببا فى ازدياد شهرته
الادبيه(١)

محمد كاظم المعروف بأشفته الشيرازى بن آغا محمد جعفر كدخدا:

ولد سنه ١٢٠٠ فى شيراز و توفى سنه ١٢٨٨.

كان من أسره معروفه ثريه، درس فى شبابه علم العروض و الأدبين الفارسى و العربى.

عمل فى وظائف الدوله فكان رئيسا للشرطه و أمير الديوان العدليه فى خراسان طيله اربع سنوات، ثم عاد إلى شيراز و عمل فى
الزراعه، و أنجز تزويد مدينه بهبهان بمياه نهر كردستان.

هو شاعر محب لآل البيت (ع) مؤمن بهم، و كان يسعى فى إقامه المآتم الحسينيه و مجالس تخليد كبار رجال الدين. و أكثر
شعره فى الغزل و المدح و الرثاء.

من ابرز آثاره الشعرية قصيدته فى مدح على (ع)، و ختمها بمدح ناصر الدين شاه و أمين السلطان و مؤيد الدوله.

و له قصيده ملمعه بالعربيه و الفارسيه نظمها فى طريق الحج. و له قصائد فى إشارات إلى احداث تاريخيه كقصيدته فى وصف
الزلزله التى أصابت شيراز.

و يقدر شعره بأكثر من ثلاثين ألف بيت. و كانت مخطوطات ديوانه الحاوى لخمسه عشر ألف بيت موجوده فى شيراز حتى سنه
١٣٢٧.

المفتى السيد محمد قلى بن السيد محمد حسين الموسوى النيسابورى:

ولد سنه ١١٨٨ و توفى سنه ١٢٦٠ فى لكهنو (الهند).

هو من كبار المتكلمين و اجلاء العلماء فى الهند. درس على كبار علماء عصره مثل غفران مآب و السيد دلدار على.

تولى لفته شؤون القضاء و الإفتاء فى ميرته و بدريورى، و أخيرا جاء إلى لكهنو و استقر فيها منصرفا إلى التأليف، فكتب فى
الحديث و الرجال و التاريخ و المناظره و التفسير.

من مؤلفاته: جواب الباب الثامن من كتاب التحفه الاثنا عشرية، و تقريب الأفهام فى تفسير آيات الأحكام، و سيف ناصرى، و
جواب الباب الأول من التحفه الاثنا عشرية، و برهان السعاده، و مصارع الافهام و غير ذلك.

السيد محمد بن محمود الحسينى اللواسانى الطهرانى

المشهور بعصار و بأشفته الطهرانى:

ولد سنة ١٨٤٨ م في طهران و توفي سنة ١٩٣٧ م في مدينة مشهد.

حكيم و متكلم و فقيه و أصولي و شاعر و مفسر. عاش في طهران و مشهد، و كان أبوه يعيش في لوسان ثم هاجر إلى طهران. تلقى دراسته الأولى في طهران و في الثالثة عشره من عمره سافر إلى طالقان ثم عاد إلى طهران و انتمى إلى مدرسه (مروى). و بعد انتهاء دراسته السطوح و دراسته الخارج في طهران هاجر إلى كربلاء و درس على فقهاؤها و منهم الشيخ زين العابدين المازندراني. ثم زار المدينة المنوره و التقى بخالد باشا والي المدينة آنذاك و مدحه بقصيده أجازة عليها و مكث فتره في المدينة و ألف هناك كتاب التحفه المدنيه في العروض.

و سافر إلى سوريا و لبنان ثم عاد إلى النجف و منها مضى إلى سامراء لحضور درس الميرزا الشيرازي، و بعد مكثه فيها عدده سنوات عاد إلى طهران فمكث فيها سنوات ثم سافر إلى مشهد و بقي فيها حتى وفاته. ترك العديد من المؤلفات سرق بعضها و فقد بعض آخر خلال تنقله من مكان إلى آخر.

ميرزا محمد مهدي الكهنوي:

توفي سنة ١٣٣٠ في الهند.

كان والده عالما فاضلا و طيبا حاذقا. و المترجم له من تلاميذ المفتي محمد عباس. ترك من المؤلفات: تكمله نجوم السماء في مجلدين و قد طبع سنة ١٣٩٧ في مدينة قم، حاشيه سلم العلوم، سفرنامه عراق و ايران، و هي وصف لرحلته إلى العراق و ايران، ديوان اردو، ملاقاته علماء، ديوان فارسي.

السيد محمد هادي الكهنوي:

ولد سنة ١٢٩١ في لكهنو بالهند و توفي سنة ١٣٥٧ في كربلاء هو ابن السيد أبو الحسن المعروف بأبي صاحب و سبط ممتاز العلماء السيد محمد تقى.

درس دراسته الأولى على والده و أخيه السيد باقر ثم سافر إلى العراق لمتابعه الدراسة فكان من اساتذته في النجف شيخ الشريعة الشيخ فتح الله الاصفهاني و السيد كاظم اليزدي و الشيخ محمد كاظم الخراساني و غيرهم. ثم عاد إلى لكهنو و صار نائبا لرئيس المدرسين في مدرسه (سلطان المدارس)، يدرس فيها شرح اللمعه و القوانين و الرسائل، و كان يكثر من زياره قبور الائمة في العراق و في احدى زياراته توفي في كربلاء.

له حواشي على شرح اللمعه، و شرح على الروضه البهيه، و نهج الأدب و غير ذلك.

ميرزا محمد هادي:

ولد سنة ١٢٧٥ في لكهنو و توفي سنة ١٣٥٠.

درس الرياضيات و النجوم و التاريخ و الرجال على أبيه ثم توفي أبوه و هو فى السادسة عشره من سنه فتابع الدراسه على مولانا غلام حسنين كنتورى و ميرزا محمد جعفر أوج ثم انتمى إلى احدى المدارس الثانويه الحديثه، و تولى بعد ذلك بعض الوظائف الحكوميه ثم تركها. و بعد رحله إلى دلهى و حيدرآباد عاد إلى لكهنؤ.

و فى سنه ١٩٠٣ م اصدر مجله الحكمه اسبوعيه فعاشت حتى سنه ١٩٠٧ ثم ألف كتابه الكبير (تحفه السنه) فى خمسه عشر مجلدا فى عقائد الشيعه، كما ألف كتاب (نصوص الحكم) فى الاجتهاد و الاخباريه. ثم ألف كتاب ب (عمل أسطربلاب).

ص: ٣١٧

١- عبد الرفيع حقيقت.

و فى سنه ١٩٢٠ م جاء إلى حيدرآباد و انتمى إلى دار الترجمة، فترجم تسعه كتب. و ألف كتابا فى المقارنه بين الفلسفه القديمه و الفلسفه الحديثه. و حصل على شهاده الدكتوراه فى الفلسفه. و كان يجيد الفارسى و العربى و السنسكرى و العربى و الإنكليزى و الهندوسى مضافا إلى الأردوى. و كانت له مكتبه ضخمة لا يزال قسم منها محفوظا فى مدرسه الواعظين بلكهنو و فيها مؤلفاته و منها كتابه الكبير (تحفه السنه).

و من مؤلفاته عدا ما تقدم ذكره: مبادئ علم النفس، حكمه الإشراق، المنطق الاستقرائى و غير ذلك.

كما ان له الكثير من المقالات و المثنويات.

السيد محمد هارون زنگى بورى بن السيد عبد الحسين:

ولد سنه ١٢٩٢ فى بلده زنگى بور (الهند) و توفى سنه ١٣٣٩.

درس النحو و الصرف على محمد سميع زنگى بورى، ثم تابع الدراسه على الحكيم المولوى محمد هاشم و السيد على حسين، ثم جاء إلى بنارس ليلقى مولانا على جواد، ثم حل فى لكهنو و انتمى إلى المدرسه الناظميه و حصل على شهادتها و على شهاده من جامعه البنجاب. ثم تنقلت به الأيام فهو طورا مدرسا للغه العربيه فى مكان، و طورا مديرا فى مكان آخر. ثم أصبح مديرا لقسم التأليف فى مدرسه الواعظين فى لكهنو.

كان عالما خطيبا مؤلفا، يجيد اللغات العربيه و الفارسى و الأردويه.

من مؤلفاته: ترجمه لكتاب صناجه الطرب، و شهيد الإسلام، السيف اليمانى، الجزيره الخضراء و البحر الأبيض، و نوادر العرب، و براهين الشهاده، و آثار الشهاده، و ترجمه احقاق الحق، و صناديد الوطن، و غير ذلك. عدا مقالات كثيره فى المجالات.

الشيخ محمد بن يوسف العسكرى البحرانى، أبو الحسن:

مذكور فى "الروضه النضره" ص ٥٣٠، و نقول:

أصله من قريه "عسكر" من قرى البحرين، و له شعر بالفارسى.

و احتمال بعض أنه هاجر من موطنه إلى قم و أقام بها لأنه لقب فى بعض المصادر بـ "القمى". هو من رجال أواخر القرن العاشر و أوائل الحادى عشر.

له "زبدہ الدعوات" (١)

أبو جعفر محمد بن يونس بن الحاج راضى بن شويبى الظويهرى الحميدى الربعى

النسب و الأصل، و النجفى الوطن و الاشتغال، و الحلوى الدار و التنزه، و الحسكى المولد و الاكتساب. هكذا نسب نفسه فى مقدمه كتابه الموسوم بميزان العقول فى المنطق المعروف بالحسكى:

توفى حوالى سنة ١٢٣٠هـ.

كان عالما جامعاً، و أديبا شاعرا. أخذ عن الآغا محمد باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ و السيد مهدي الطباطبائي المتوفى سنة ١٢١٢ هـ و الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجى المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ. و هو خال أولاد الشيخ جعفر كاشف الغطاء المذكور. ذكر هو ذلك فى احدى رسائله إلى شيخ خزاعه محسن ال غانم، و كما صرح به ابن أخته الشيخ على الشيخ جعفر فى تقريره بخطه على ظهر براهين العقول بان المؤلف خاله.

و كان المترجم له بالرغم من كثره صلواته بأعيان عصره فى بؤس و فقر مدقع و شقاء، لذلك امتلأت مقدمات كتبه بالشكوى من الفقر، و قد بلغ من فقره انه لم يجد قوت يومه، و هذا مما دعاه مره أن يحترف العطاره و هى من أذل الحرف فى زمانه، كما أشار هو نفسه إلى ذلك فى رساله بعث بها إلى صديق له من رؤساء قبيله عفك. و مع هذا الفقر و الحاجه كان صابرا محتسبا يكتب و يؤلف فى شتى العلوم كالمنطق و الرياضيات و غيرها من العلوم التى لا يحسنها فقهاء عصره حتى زيدت مؤلفاته على الخمسين، و يروى ان ابن أخته الشيخ موسى بن الشيخ جعفر المتوفى فى شهر شعبان سنة ١٢٤١ هـ قال له يوما: الحمد لله يا خالى مصنفاتك كثيره. فقال له انى أبيعها كلها إياك بقليل من حظك.

و أكثر مصنفاته موجوده بخطه فى مكتبات النجف الخاصه، و من بينها:

١ - كتاب ميزان العقول فى كشف أسرار غوامض حقائق مسائل علم المعقول. يقع فى جزئين. الأول منهما فى المطالب التصوريه، و الثانى فى المطالب التصديقيه، صنف الجزء الأول فى محله الجامعين فى الحله فى الثانى من شهر شوال سنة ١٢٢٠ هـ و فرغ منه ضحى يوم الاثنين ٢٦ ذى الحجه سنة ١٢٢٠ هـ، و شرع فى تصنيف الجزء الثانى فى نفس التاريخ و فرغ منه فى ضحى يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٢٢١ هـ.

و قدم له مؤلفه مقدمه قيمه ذكر فيها فوائد علم المنطق و الأشخاص الذين كتبوا فيه ثم الأسباب التى دعتة إلى تاليفه، و ترجم فيها لنفسه و وصف العصر الذى عاش فيه وصفا دقيقا. و قد أثبتنا قسما منها فى ترجمته هذه لأهميتها التاريخيه.

٢ - كتاب براهين العقول فى كشف أسرار أئمه المعقول و المنقول.

و هو شرح لتهديب الوصول إلى علم الأصول، تصنيف العلامة الحلى حامل للتمن ب (قال أقول) يقع فى مجلدين ضخمين صنفه سنة ١٢٢٩ هـ.

٣ - البحر المحيط فى أصول الفقه يقع فى ثلاثه مجلدات فرغ من مجلده الأول سنة ١٢٠٠ هـ و فرغ من الثانى سنة ١٢٠١ هـ.

٤ - مختلف الأنظار و مطرح الأفكار سته مجلدات فى الأصول.

٥ - حجه الخصام فى أصول الأحكام ثلاثه مجلدات.

٦ - منيه اللبيب فى شرح التهذيب.

٧ - موقظ الراقدين و منه الغافلين فى المواعظ يقع فى مجلدين صنفه سنه ١٢٢٨ هـ.

٨ - الحجر الدامغ للعصاه سيما تاركى الصلاه و مانعى الزكاه صنفه سنه ١٢١٢ هـ.

٩ - حياه القلوب فى المواعظ و الإرشاد صنفه سنه ١٢٢٦ هـ.

١٠ - سرور الواعظين و ذكرى للناظرين و السامعين. رساله شعريه أكثرها من نظمه، أخذ معانيها من القرآن الكريم و الاخبار صنفه سنه ١٢٢٧ هـ.

١١ - شرح الأمثال العاميه التى كانت شائعه فى عصره.

ص: ٣١٨

١- السيد احمد الحسينى.

١٢ - اناره العقول. فرغ من تاليفه يوم الجمعة ٨ شوال سنة ١٢١١ هـ.

١٣ - فلك النجاه. فرغ من تصنيفه فى شهر رجب سنة ١٢١٢ هـ.

١٤ - مناظرات. كتاب ردود مجلد واحد.

١٥ - العروه الوثقى فى شرح كتاب الشرائع فى الفقه فى عده أجزاء ضخمة.

١٦ - شرح العلويات السبع لابن أبى الحديد.

١٧ - الجمانه البحريه (فى اللغه) مادته مختصره من بعض الكتب.

١٨ - شرح خلاصه الحساب للشيخ البهائى، فرغ من تصنيفه ضحى يوم الاثنين ١٣ رمضان سنة ١٢١٨ هـ.

١٩ - بغيه الصياد فى معرفه الصائد و الاصطياد، رساله الفها لوالى بغداد سليمان باشا القليل.

٢٠ - منهاج الأحكام فى شرح دره السيد مهدي الطباطبائى.

٢١ - أنيس الناظر فى حكايات الأوائل و الأواخر.

٢٢ - مجموع. يضم طائفه من الكتب و القصائد التى راسل بها أعيان و وجهاء عصره، و هذا المجموع، يعتبر أحسن وثيقه تاريخيه بالنسبه إلى العصر الذى عاش فيه الكاتب، و العيب الوحيد فى هذه الرسائل انها غير مؤرخه و هى لا تخلو من بعض الاصطلاحات العاميه و الكلمات الدخيله، كما و ان الكاتب قد جمع فى بعضها بين الجد و الهزل. توجد نسخه الأصل التى هى بخط الكاتب فى مكتبه آل الجزائرى فى النجف، و هى ناقصه من أولها و آخرها و الباقي منها (٢٢٠) صفحه، و خطها سقيم.

هذه بعض مصنفات الشيخ محمد الموجود أكثرها فى مكتبات النجف الخاصه. و إليك أسماء طائفه من الذين كاتبهم من أعيان عصره:

فمن علماء و فضلاء عصره: الآغا محمد باقر البهبهانى المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ، و الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ و الشيخ محسن ابن الشيخ خضر الجناجى، و الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٤١ هـ و الشيخ على الفراهى، و الشيخ محمد بن الحسن الفتونى، و الشيخ إبراهيم بن نصار اللومى، و الشيخ حمود بن إسماعيل السلامى، و الشيخ حسن الوسواسى، و الشيخ محمد المؤذن و الشيخ عبد الحسين المؤذن، و الشيخ محمد العفجاوى، و الشيخ محمد الكرعوى، و الشيخ أحمد بن عكيرش، و السيد محسن الاعرجى صاحب المحصول المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ، و الشيخ نصار الجليحى، و الشيخ سلمان بن الضحاك الحلّى، و من ولاة بغداد و موظفى الحكومه العثمانيه: عمر باشا (١١٧٧ - ١١٨٩ هـ)، و سليمان باشا الكبير (١١٩٤ - ١٢١٧ هـ)، و سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير (١٢٢٨ - ١٢٣٢ هـ)، و حاج على رضا، و حاكم الحلها إسماعيل بن وهيب، و عمر آغا بن محمد من موظفى الأتراك [الأتراك] فى الحله، و سيد محمد أمين المدرس مفتى الحله، و ملا محمود حاكم

النجف و كليلد دار الروضه الحيدريه المتوفى سنه ١٢٣٢ هـ.

و من شيوخ و رؤساء القبائل العراقيه: حمد بن حمود شيخ الخزاعل المتوفى سنه ١٢١٤ هـ، و حمود بن قنوص من شيوخ الخزاعل، و محسن بن غانم من شيوخ الخزاعل، و ولده سلمان ال محسن أكبر شيوخ الخزاعل فى أيام ولايه داود باشا، و شبيب بن محمد شيخ الأقرع، و سلمان بن داود شيخ عفك، و حاكم (حاجم) بن داود من شيوخ عفك، و محمد بن خنفر من أعيان قبيله عفك، و أخوه محمد بن خنفر، و حمد بن صالح طوش شيخ العوابد، و أخطل بن ماضى شيخ آل إسماعيل، و أحمد بن محمد بن ناصر و حاج منصور أبو ضروس و خشان و رئيس الخمس من آل شاووس، و الجميع من رؤساء جليحه، و سيد حسين (حسون) مگوطر رئيس أهل لملوم، و حسن بن نعمه الحلبي، و محسن بن محمد بن سلمان الحلبي و حسين چلبى و غيرهم.

كما يضم هذا المجموع طائفه من شعره. منه عدده مقاطيع باللغه العاميه الدارجه فى مدح الامام على (ع)، و قصيدتين باللغه الفصحى فى مدح حاجم بن داود رئيس عفك، و ارجوزه هزليه، و ثلاث قصائد فى مدح على باشا والى بغداد، و قصيده فى مدح أهل بلده لملوم و رئيسهم السيد حسين (حسون) مگوطر، و قصيده فى رثاء لسيد محسن الاعرجى المتوفى سنه ١٢٢٧ هـ، و بند فى مدح عمر آغا حاكم الحله، و عدده مقاطيع فى مدح السيد منصور من وجهاء منطقه الحسكه، و قصيده عاميه فى رثاء الحسين بن على (ع)، و مقطوعه شعريه فى مدح والى الفيحاء إسماعيل بن وهيب، و اخرى فى مدح شبيب شيخ الأقرع، و قصيده فى مدح جاسم بك الشاوى رئيس عشيره العبيد المتوفى بعد سنه ١٢٤١ هـ، إلى غير ذلك.

فمن شعره المثبت فى المجموعه المذكوره هذه المقتطفات من الارجوزه التنيه:

انا الفتى ابن يونس الفقير و قوته الكراث و الشعر

أوصيكم بالعلم و الصلاح و التتن اللطيف و المزاح

عليك (بالأصفر) و "العمادى" عليهما يا صاحبي اعتمادى

فبلل الشطب و ندى الأصفر بما ورد يا له معتصرا

للتتن فاعلم يا أخى شرطان تبليلك الشطب و جمرتان

و قال قوم بل له شروط ثالثها العود به مخلوط

إلى آخرها:

و منه قصيده يمدح بها قاسم بيك التساوى شيخ عشيره العبيد.

مطلعها:

أيا من هامه العليا رقاها و حل من المكاره فى ذراها

و منها:

ص: ٣١٩

ذؤابه (حمير الحمراء) قوم بفيض دم العدى رووا قناها

إلى آخرها و هى طويله. و الظاهر من فحوى أبياتها، انها قيلت بمناسبة مصالحة الوزير سليمان باشا القليل لقبيله العبيد و تقريبه لقاسم المذكور ضد شمر الجرباء سنة ١٢٢٣ هـ أو سنة ١٢٣١ هـ و هى السنه التى استخدم فيها سعيد باشا قاسم الشاوى و العبيد فى محاربه شمر و الخزاعل بالقرب من الديوانيه.

و من شعره. هذا البند. أثبتته فى ضمن رساله كتبها بعد سنة ١٢١٥ هـ إلى حاكم الحله عمر آغا بن محمد.

ممن يدعى الود حليف الهم و الوجد. إلى من أكرم الوفد و نال غايه القصد، و من حاز بدنياه صفات مالها حد، فذاك الماهر الباهر، جميل البطن و الظاهر، صدوق فاه بالصدق، و ما مال عن الحق، إلى أن يقول:

فكم جندل فرسان و كم ذلل أقران، و كم دمر أضداد و كم أهلك حساد، فمن قيصر فى عقله و من حاتم فى فضله و من مصعب فى مجده و من هارون فى سعده، فمنه يخفق الدهر، و فيه أشرق العصر، فتى همته البذل و ساحل جوده الفضل، و لا يعيش الا الطعن و الإطعام و الاقدام و الإكرام ليلا و نهارا.

و له يرثى السيد محسن بن السيد حسن الاعرجى صاحب المحصول المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ بقصيده مطلعها:

تهدم أركان العلى و المفخر و قل عرى الإسلام و الدين حاسر

فقابلها بعض أدباء عصره بالنقد و السخرية لركتها، فرد عليهم بالايات التاليه:

فيا أيها الطعان فى كل مجلس فقد صدرت منى و ما أنا شاعر

فان اشتغالى بالعلوم و لا أرى سواها لنا ذخرا فنعم الذخائر

فان لم يكن عذرى لديك موجها فأنت بهذا الطعن باغ و جائر

و له فى مدح على باشا والى بغداد عده قصائد و مقاطيع شعريه، منها قصيده تشتمل على (٢٢) بيتا مطلعها:

الا يا أبا المعروف يا بن الأطائب و يا عمده الأمجاد رأس الحرائب

و ختمها بقوله:

إليك أبا المعروف أمت مطيتى تجوب الفيافى قاطعا للسباب

خرجت و أهلى حائرون و ما دروا إلى بحرك الطامى أثيرت ركائبى

فكن لى ظهيرا يا أبا الجود اننى بليت بدهر قاتنى بالمعاطب

و قال يمدحه و يهنيه بالوزاره (سنه ١٢١٧ هـ) بقصيده تشتمل على (٢٨) بيتا جاء فيها قوله:

تخر له القبائل ساجدات و ترهبه المنيه حيث عنا
و قد عاداه أقوام بغاه فدمرهم و أهلكتهم و أخنى
هنيئا بالوزاره يا (على) فقد أعطاك ربك ما تمنى
و قلذك الرئاسة ثم أوصى بسنه من لدين الحق سنا

و له يرثى حاجم (حاكم) بن داود بن سلمان رئيس قبيله عفك لما قتله قومه بقصيده تشتمل على (٣٩) بيتا مطلعها:

صحبت الشجا و الهم ما دمت باقيا و فارقت أيام الهنا و اللياليا

و له يمدح عمر باشا بهذا الموال:

يا معدن الجود يا طلح اليسار أو يمن

أيضا فلا يلتقى مثله بحجاز أو يمن

يا مطعم الضيف من رز كثير أو سمن

ميتم معاليه لرقاب الخصيم أو سمن

من صرت عدنا العسر و الشر هج اوضعن

من حيث ما قمطت مثلك نساء اوضعن

شارى خصال المروه حين قالوا أ بثمان

أيضا عيون السخا و الجود منك أ بثمان

يا أشوس ينحر خيول العدى لو عدن

و أفعال الأمجاد ما هي عن جنبه عدن

و ان يحيى و حاتمها و فضل او معن

داعوك على المرجله و الجود و التدبير

هذه بعض أشعاره المثبتة فى مجموعـه رسائله، و له أشعار غيرها كثيره، أشار هو إليها فى بعض مؤلفاته. و أما نشره فكثير. منه مقدمات كتبه، و من بين هذه المقدمات: مقدمه الجزء الأول من كتابه الموسوم بميزان العقول فى المنطق الذى لا يزال مخطوطا، و هذه المقدمه تعد بحق أحسن وثيقه تاريخيه لما اشتملت عليه من ترجمته لنفسه، و كذلك وصفه و صفا شاملا للعصر الذى عاش فيه. فقد جاء فيها بعد ذكره لعلم المنطق و أهميته و الأشخاص الذين صنفوا فيه، و الأسباب التى دعتـه إلى تصنيف هذا الكتاب قوله:

بلد إلى بلد و من وديان إلى حماد و من قريه إلى جماعه(1)، في حال الذل و العناء و المجاعه، و من ربه إلى مضيفه بين عقول سخيغه، ليس لهم من الله تعالى خشيه و خيفه، فلما فرغت منه جاء من فضل الله تعالى و لطفه كتابا يرشد العقل إلى ادراك أقصى المشكلات و يهدى الفكر إلى تصور غايات معارج المعضلات. و سميته ميزان العقول في كشف أسرار غوامض حقائق مسائل علم المعقول.

و كان تاريخ الابتداء به في اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١٢٢٠ هـ، و الفراغ منه ضحى يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٢٢١ هـ. فمجموع الأيام التي تصور فيها أربعة أشهر و سبعة و عشرون يوما.

و ان أردت ان تكون في هذا الفن ممتد الباع طويل اليدين و الذراع واسع الدائرته كثير الاطلاع، فراجع الكتب المنطقيه كمنار الأفكار، و ضياء الأذهان، و مرآه العقول. فان فيها عن مطولات الفن كفايه للطالب، و غنيه للراغب. و المرجو ممن اطلع على زله أن يغفرها أو هفوه أن يسترها، لاني شرعت فيه في زمان قد غمر الأنام بلاؤه و ضاقت عليهم ارض الله و سماؤه، فقد ارتفع جهاله و ظلمت عماله، و الخلق فيه مكتئبه، و البلاد مضطربه من الخوارج النجديه و الفراغه الوهابيه، يقدمهم الطاغى الجحود و الباغى الحقود الضال المضل ابن عبد العزيز سعود الجبار العنيد و المبدع له دينا جديدا. و قد هربت العلماء منهم إلى الاراضى النائية و الأمصار القاصيه، و قد خلت منهم الديار و استوطنوا اقصى البلدان و الأمصار، و بكت عليهم أوطانهم و استوحشت عليهم بلدانهم، فللمداد بكاء و دموع، و للكتب حنين و خشوع، و المدارس قد سدت أبوابها و فقدت طلابها، بل اندرست تلك المدارس و تفرقت تلك المحافل و المجالس، و أبيدت عساكر الاشتغال، و أحييت سنن القيل و القال، و الناس متغيره الألوان نحيله الأبدان، قد غمرتهم أثواب الذل و الهوان و حفتهم جنودا لهم و الأَحزان، حاثرون في أنفسهم، يترقبون يوم حتفهم و رمسهم، لما أصابهم من عمالهم و اضمحلل أحوالهم، لما دهم العراق من الوهابيه اولى الكفر و الطغيان و النفاق، و أصحاب الشرك و البغى و الشقاق، فكم ارووا فيه الأرض من الدماء، و ذبحوا فيه من العلماء و الصلحاء، و كم قتلوا فيه من الساده النجباء، فذبحوا العربان، و قتلوا المعدان، ثم هجموا على بلد الحسين (ع) و قتلوا فيه قريبا من ألفين، و ذلك في يوم الغدير من شهر ذى الحجه سنة ١٢١٦ هـ، ثم مضت برهه من الزمان و الأيام، و سطوا على بلد الامام على بن أبى طالب (ع)، في غلس الظلام، فشهر عليهم الحسام و تركهم حول الخندق و السور صرعى نيام، فولى المخذول مكسورا، و ذهب الملعون مقهورا متبورا، و قد كانت الوقعه يوم التاسع من شهر صفر سنة ١٢٢١ هـ. فيا له من زمان ما اكلبه، و وقت ما اصعبه، قد خمدت فيه مصايح الأمه، و انزوى الوكلاء من قبل الأئمه، و اضمحلت شوكة الدين، و استقامت سلطنه الجاهلين، قد ارتفع فيه الجهلاء و انخفض فيه العلماء، فلا مأوى يلتجئون اليه و لا مرجع يعتمدون عليه، و لا سورا به يحتمون، و لا حصنا اليه يلتجئون، قد رقيت منابرهم و يبست محابرهم و غصبت مناصبهم و تكاثرت مصائبهم و عظمت نوائبهم، و قد عمرت قصور الجهل بصخور الفرح و السرور، و بنيت دور العلم بأحجار الذل و الكدور، فالذل قد غمر العلماء، و العز قد كنف الجهلاء، فسييل الجهل معموره، و طرق العلم بالاندراس مغموره، و ما أحسن ما قاله بعض الاعلام في هذا المقام:

مصائب الدهر كفى ان لم تكف فخفى

خرجت اطلب رزقى وجدت رزقى توفى

فلا برزقى أحظى و لا بصنعه كفى

هذا مع ما انا فيه من تراكم الهموم و تسابق الغوموم و تشتيت البال و رداءه الحال، و مع ذلك فقد جعلنى الاخوان نصب الأعين و مدار الألسن، و سلوه للعاقل، و سالفه للجاهل، فلا زالوا يتجسسون عن معايى و يستخبرون عن مناقصى و مثالبى، فسدوا على طرق الرزق، و سنوا على السنه الخلق، فنفر عنى عامه الناس و بعض العلماء و الاشراف و الأكياس، و انا معهم كما قال بعض العلماء حيث انه يشتكى من الاخوان و يتظلم من الخلان:

و اخوان لهم سهم مضيض بعرض من سهام الدهر صما

بغوا إطفاء نور قد تجلى و يأبى الله الا ان يتما

و ما طلبوا سوى كتمان ذكرى و تأبى رفعتى و علاى كتما

و لو تبعوا سبيلى لاستضاءوا بنور هداى فى طخياء ظلما

سأعذرهم لان المرء ضد لطود لم يحط بعلاه علما

و كونى فيهم داعى جفاهم و انى منهم أعزى و أنمى

فان داموا على عكسى و هجرى إفادتهم كسهم حين يرمى

فلا أخشى لهم فى الدهر حربا و لا أرجو لهم فى الدهر سلما

و ذى رأى عديم رام نقصى يعادل بى رعاى القوم ظلما

تعادل لا أبا لك بى رعاى سمعت الدر عاد قط فحما

فلما رأيتهم لا يرتدعون عن اذيتى و لا يمتنعون عن غيبتى، و يطرحون اسمى فى المدارس و يطعنون بى فى المجالس، و ينفرون عنى الناس حتى هجرنى الاشراف و الأكياس. خرجت عنهم باهلى إلى الحله. فاتخذتها لى و طنا و صيرتها لى سكنا، لأنها كانت للعلم دارا، و ان كانت الآن للظلم مقرا و قرارا، و لو اعلم ان لى ذنبا مع الاخوان أو تقصيرا معه.

ص: ٣٢١

الخلان لألقت إليهم عنان الندم و الاعتذار، و ترديت باردية الذله و المسكنه و الاحتقار، و أتيتهم ذليلا صغيرا و مسكينا مستكينا حقيرا، و لكن لا اعرف لى ذنبا سوى الحسد الذى أثاره الشيطان و هيج الأحقاد و الاضغان، كما قال القائل:

تعد ذنوبى عند قوم كثيره و لا ذنب لى الا العلى و الفواضل

و قد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم ياخفاء شمس ضوءها متكامل

فوا عجباً كم يدعى الفضل ناقص و وا اسفاكم يظهر النقص فاضل

و طال اغتاربى [اغترابى] بالزمان و اهله فلست أبالى من تغول الغوائل

إذا أنت أعطيت السعاده لم تبين و ان نظرت شزرا إليك القبائل

و لما رأيت الجهل فى الناس فاشيا تجاهلت حتى ظن أنى جاهل

و اعلم أيها الناظر فى هذا الكتاب و الواعى لهذا الخطاب. بانى صنفت لك هذا الكتاب اللطيف و الشرح الفائق المنيف، و انا فى حيره، و أمشى على غير بصيره، فتاره أفكر فى نفسى لما أصابنى من أبناء جنسى، و تاره أفكر فى أمرى لما صنع بى دهرى، من تشويش البال و رداءه الحال، و مطالب العيال و إرضاء الأطفال، و انا بين قبائل و عشائر، فاقدى العقول و البصائر، ليس فيهم كريم جائد، و لا معروف ذو فوائد، و العالم عندهم لا يطاع، و الجاهل عندهم فى تحصن و امتناع و عز و ارتفاع، هذا مع أن لى عدده من البنات و نيفا من الأمهات لا- زالت بينهن الفتن و الحروب، و لا زلت بينهن كثيبا مكروب، ان كانت الفتنة فى السماء تراها من دارنا نابغه. كما قال أخو شيبان فى بنده(١):

فأمسيت من الجدد، حليف الهم و الجهد، و أصبحت من الناس، على اللأواء و الياس، اعل النفس بالبرق و باللغو من النطق، فلا حر بمنظور و لا نذل بمحذور، و قد عاينت ذا الناس كجثمان بلا رأس، حوالى - كانعام إذا قلت، و أصداء إذا صحت، قعودا و وقوفاً، و على اللؤم عكوفاً، لا- لهم عز الذى عز، و لا بز الذى بز، و قد حرت بدنياى، و ما عاينت الاى، مقيما بين أجناس من الغول و نسناس، و أشباه من الناس، فلا حر توافيه، و لا خل تصافيه، سوى المظهر ودا بفؤاد كظم الغل، و شاء لا تعى القول، و لا تفهم ما العذل، و أوغاد بهم ذل الذى قد جمع الفضل، لذا يسكب للنفس دماها، و من الأعين ماها، و تشال السمهريات على القب الهوادى، بمصاليت عوادى، يستلذون ثرى الرمس، و لا الضيم على النفس، يجدون على العلياء ليلا و نهارا.

و عليك يا إلهى اعتمد و بك استنصر و استنجد و أنت المستعان و عليك التكلان.

و بعد: فهذه لمحه من تاريخ حياه هذا العالم المجهول، و ترجمه حياته كما ظهر لك من خلال هذه السطور، انها صفحه من تاريخ العراق الاجتماعى و الادبى خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى(التاسع عشر الميلادى).

و كان المترجم له حيا فى سنة ١٢٢٩ هـ و هى سنة تصنيفه لكتاب براهين العقول، و لم نقف على المده التى عاشها بعد السنه المذكوره(٢).

محمود بن محمد أبي المكارم بن محمد أبي الفضل الواعظ الحسني، أبو المكارم:

من أعلام النصف الثاني من القرن السابع وربما أوائل القرن الثامن، و هو من أعظم علماء الشيعة في عصره.

جاء على نسخته من كتابه "البلابل" كتبها ابنه أبو المفاخر على الواعظ الحسني و أتم كتابتها في يوم الثلاثاء تاسع شوال سنه ٧٢٠" الامام الهمام العامل (العالم) "العامل الفاضل الكامل ملك المفسرين قدوه العلماء و المحققين السيد النسيب الحسيب مفخر آل طه و ياسين أبو المكارم..".

له "بلابل القلاقل" (٣)

الحاج محمود بن محمد التبريزي، نظام العلماء:

من تلامذه الشيخ احمد الاحسائي المدافع عن تاليفه، ألف كتباً و رسائل كثيرة خاصة في رد الصوفيه و تأييد آراء أستاذه، أصله من تبريز و أقام مده في عبد العظيم بالري في خدمه محمد شاه القاجار، و كان معلماً لناصر الدين شاه القاجار حينما كان ولي العهد له شعر بالفارسيه و العرييه ليس بالنمط الجيد، و منه قوله:

له "التحفه المحقره" ألفه سنه ١٢٥٥، و "الرد على الرادين على الاحسائي" أتمه سنه ١٢٥٦، و "شرح رساله العلم" للأحسائي ألفه سنه ١٢٥٦، و "شفاء القلوب" (٤)

شرف الدين محمود الطالقاني:

مترجم في "احياء الدائر" ص ٢٤١، و نقول:

يستفاد من الوثائق الموجوده الآن أنه كان من العلماء البارزين في منطقته، و كان أحفاده يتبركون بتسميه أولادهم باسمه و لقبه.

و هو جد الساده المتوطنين في قريتي "سوهان" و "كليرد" في طالقان.

توفي قبل سنه ١٩١٤ التي كتب فيها وقفه سوهان و كليرد، و دفن في قريه "يرك" من قرى الموت (٥)

الدكتور محمود حسابي

مؤسس علم الفيزياء العصريه في الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه.

ولد عام ١٩٠٢ م في مدينه تفرش الإيرانيه، و توفي سنه ١٩٩٢ في أحد مستشفيات جنيف و نقل جثمانه إلى تفرش و دفن فيها.

في سن الرابعه، انتقل للعيش في بغداد بعد أن عين والده في السفاره الإيرانيه هناك، بعدها بعامين انتقل مع عائلته إلى دمشق،

- ١- يرید به الشیخ حمید (مصغر) بن الشیخ محمد بن نهاد الشیبانی الملمومی النجفی المشتهر بالشیخ حمید نصار المتوفی سنه ١٢٢٥ - ١٢٢٦ هـ.
- ٢- الشیخ حمود الساعدی.
- ٣- السید احمد الحسینی.
- ٤- السید احمد الحسینی.
- ٥- السید احمد الحسینی.

و بعد عام انتقل إلى بيروت.

أتم دراسته الابتدائية و الثانويه في بيروت، و حصل على عدة شهادات كالاجازه في الأدب و العلوم، هندسه الطرق، علم النجوم، الرياضيات و العلوم الطبيعه خلال عامي /، و في هذه المده درس قسما من العلوم الطبيه في بيروت، و كان يقول دائما: " لا أحب الطب لأنه خال من القوانين"، و قبل أن يسافر إلى فرنسا، عمل في شق الطرق لمده سنتين في سوريا و لبنان، و غالبا ما كان يردد: " لقد مللت من هذا العمل لأن جميع الطرق و الجسور متشابهه". ثم قصد فرنسا، و درس هندسه الكهرباء و حاز على شهاده التخرج... من كليه الكهرباء العليا EcoIE SupereiuR EElectricitE. و بعد عام حصل على وثيقه دراسه المعادن من المدرسه العاليه للمعادن في باريس، و أخيرا نال درجه الدكتوراه في الفيزياء من جامعه السوربون الفرنسيه، و الجدير بالذكر أنه كان يجيد التكلم بأربع لغات هي: الفرنسيه، و الإنكليزيه و الألمانيه و العربيه، و هذا ما ساعده على الوقوف على كافه الأبحاث و الدراسات و الاختراعات الجديده التي تنشر في جميع أنحاء العالم.

و تقوم الجمعيه الفيزيائيه الإيرانيه بإعطاء جائزه سنويه لصاحب أفضل دراسه في مجال الفيزياء باسم جائزه الدكتور حسابي. كما كان المعهد الدولي للرصد الاحيائي قد اختار المترجم: رجل العام ١٩٩٠ في رساله بعثها المعهد اليه، ذاكرا أن الاختيار قد تم للخدمات الجليله التي قدمها للمجتمع الإنساني و قد قام بكثير من الأعمال الهامه نذكر بعضا منها:

١ - رسم خارطه الطرق في لبنان عام ١٩٢١.

٢ - تنفيذ مشاريع تطوير بالتعاون مع شركه فرنسيه عام ١٩٢٣.

٣ - عمل مهندسا للطرق و البناء في دائره طرق لبنان عام ١٩٢٣.

٤ - عمل مهندسا للطرق و البناء في دائره الطرق في سوريا .

٥ - عمل مهندسا للكهرباء في سكك الحديد الكهربائيه في فرنسا عام ١٩٢٥.

٦ - عمل مهندسا للطرق في وزاره الفوائد العامه (الطرق و النقل) في ايران عام ١٩٢٧.

٧ - قام بتأسيس دار المعلمين العالميه.

٨ - إنشاء أول مقر لرصد الجو، و تأسيس أول مرصد لمتابعه الأقمار الصناعيه في شيراز.

٩ - نصب و استثمار أول جهاز راديولوجي في ايران.

١٠ - تأسيس المدارس العشائريه.

١١ - إنشاء مؤسسه (جيوفيزياء)، (ژئوفيزيك) في جامعه طهران.

١٢ - تأسيس الكليات العلميه و الفنيه و رئاستها حتى عام ١٩٣٦، و التدريس فيها فيما بعد.

١٣ - تأسيس أول مشفى خاص فى طهران مشفى (گوهرشاد).

١٤ - إنشاء مركز هاتف أسدآباد فى همدان.

١٥ - إنشاء جامعه طهران و كتابه نظامها الداخلى.

١٦ - تدوين قانون المواصفات العالميه (استاندارد). و قدم المئات من المقالات و البحوث و الكتب و الرسائل و المواضيع العلميه و فيما يلى نورد بعضا منها:

١ - رساله الدكتوراه بعنوان (حساسيه الخلايا الضوئيه) أصدرتها جامعه باريس عام ١٩٢٧ م.

٢ - تحقيق موضوع (استنتاج بناء الذرات الأصلية لمركز الذره من النظرية النسبية العامه) لأنشتاين، و قد تم هذا العمل عمليا و بتوجيه من انشتاين (جامعه برينستون ١٩٤٦ م).

٣ - التحقيق حول موضوع (الانحراف الشعاعى الضوئى بجوار ماده) جامعه شيكاغو ١٩٤٨ م، و العمل على دراسه النظرية المتعلقة ببناء الذرات الأصلية لمركز الذره، و إيجاد مخابر عبور الضوء بجوار ماده فى كليه العلوم بجامعه طهران.

٤ - رساله عن الفيزياء الجديده و فلسفه ايران القديمه.

٥ - رساله عن قدره اللغه الفارسيه.

٦ - كتاب الأسماء الإيرانيه.

٧ - كتاب النظرات الفيزيائيه (جامعه طهران) ١٩٦٦ م.

٨ - كتاب فيزياء الحاله الجامده جامعه طهران ١٩٦٩ م.

٩ - كتاب النظرات (الكوانتيكيه) جامعه طهران ١٩٧٩ م.

١٠ - مقاله عن شكل الذره المنبسطة إلى ما لا نهايه فى نشره الفيزياء الفرنسيه ١٩٥٧ م.

١١ - رساله عن نظريه الذرات المنبسطة إلى ما لا نهايه، جامعه طهران ١٩٧٧ م.

١٢ - كتاب ماده الفيزياء للدوره الأولى من المرحله المتوسطه ١٩٧٧ م.

١٣ - كتاب الكتروديناميك تحت الطبع.

و قد تم طبع رسالته عن قدره اللغه الفارسيه على إعطاء المصطلحات ذات المعانى الدقيقه المرادفه للمصطلحات الأجنبيه، و قد طبع الرساله فى كتاب صغير، إذ أثبت فيه أن اللغه الفارسيه لا يمكن مقياستها باللغات الأورويه و الهندسيه، من حيث سعه هذه اللغه الاستيعابيه.

و فى مجال تبادل الآراء و تطبيق بعض المشاريع البحوثيه، كان له لقاءات عديده هامه مع العلماء المشهورين مثل (ألبرت اينشتاين). فقد سافر فى عام ١٩٤٦ إلى بريطانيا لتقديم نظريته فى (الذرات الأساسيه)، ثم قصد مؤسسه برينستون المقطوره فى أميركا، و خلال سفره التقى بالشخصيات العلميه الشهيره كانشتاين و فون و يمان و غودل و فرمى و ديراك... إلخ.

و فى أميركا التقى الدكتور حسابى بالعالم انشتاين، و طرح عليه نظريته، و فى المقابل أبدى اينشتاين ملاحظاته، التى واصل الدكتور حسابى بحثه على أساسها، و ذلك خلال عام كامل، و كان يتردد على انشتاين كلما احتاج إلى إرشاد معين، و فى آخر العام كانت حصيله عمله مقاله قام باعدادها بمساعدته انشتاين، و نشرتها مجله أكاديميه العلوم

و بقيت هذه الأبحاث القيمه دون إكمال لعوده الدكتور محمود إلى ايران، بسبب قطع المعونه الماليه من قبل رئيس جامعه طهران في زمن الشاه، في الوقت الذي رشح فيه الدكتور الكبير لأفضل المقاعد في جامعات الدرجة الأولى في أميركا و كندا، و كان يقول دائما: "إننى أفضل مجالسه طلابي الايرانيين على تلك الرفاهيه و النعيم الذي أجده في الخارج".

و بدأ نشاطه في ايران و لم يتوقف، و سمي بأبي الفيزياء الجديده و فاتح هذا العلم في ايران، لأنه يعود إليه الفضل في تأسيس جامعه في ايران، و بدايه تاريخ التعليم الجامعي الفيزيائي، و لم تشته مشاغله الكثيره و نشاطاته المتنوعه و مسؤولياته عن حضوره - شتى مجالات التعليم الفيزيائي، و باعتباره أول أستاذ لماده الفيزياء في ايران، فقد استطاع أن يربي أجيالا- من الفيزيائيين الايرانيين، و يمكننا القول بأنه يعتبر أيضا مؤسس لمؤتمر الفيزياء الذي سبق ذكره في الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه، و لا بد لنا أن نتابع ذكر بعض الأعمال التي مارسها:

١ - تطبيق مشاريع الصناعه الجيده مع شركه فرنسيه ١٩٢٣ م.

٢ - عمل مهندسا في وزاره المواصلات الإيرانيه ١٩٢٧ م.

٣ - أسس المدرسه الهندسيه للمواصلات و درس فيها عام ١٩٢٨ م.

٤ - كشف و رسم أول خريطه بنائيه للطريق الساحلي بين موانئ الخليج الفارسي من بوشهر حتى بندر لنكه .

٥ - وظيف من قبل وزاره المواصلات لرسم خريطه طهران (شمشك) من أجل معادن الفحم الحجري ١٩٣٣ م.

٦ - تأسيس كليه العلوم و رئاستها من عام ١٩٤٣ - و حتى عام ١٩٤٩، و من عام ١٩٥٢ و حتى عام ١٩٥٨ و التدريس فيها حاليا، و أسس مركز البحوث و راکتور النووى بجامعه طهران.

٧ - عمل وزيرا للثقافه في حكومه الدكتور مصدق.

٨ - أستاذ في جامعه طهران من عام ١٩٧٣ م.

٩ - خلال أعوامه الستين التي قضاها في تدريسه لماده الفيزياء في ايران، استطاع أن يقدم للعالم آلاف من المتخرجين الفيزيائيين الذين شغلوا منصب التدريس في الجامعات أو المدارس، أو استلموا العمل في المصانع، أو رشحوا لرئاستها في الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه.

و لا- بد أن نذكر من بحوثه الثقافيه ذاك البحث بعنوان (اللغه الفارسيه تفقد المصطلحات الفيزيائيه المرادفه للمصطلحات الأجنبيه)، و هذا ما يستفيد منه الدارسون في المدارس و الجامعات و المؤسسات العلميه. و آخر كتاب من المصطلحات يحمل عنوان (وندها و كهوارهاى الفارسيه) و يطبع حاليا باللغتين الفارسيه و الإنكليزيه، و هذا الكتاب يساعد المحققين في مجال تطبيق

المصطلحات.

و من مقالاته العلميه التي نشرت:

- ١ - تفسير أمواج دو برويل ١٩٤٥ م طهران. ٢ - رساله عن أصل الماده، دار النشر لجامعه طهران.
- ٣ - مقاله عن اقتراح قانون الجاذبيه العامه لنيوتن، و قانون المجال الكهربائي لماكسون، المطبوع في تقرير مؤتمر الذرات الأصلية في جامعه كمبرج البريطانيه .
- ٤ - مقاله عن الذرات مطبوعه في أكاديميه العلوم الأميركيه ١٩٤٧ م.
و قد شغل منصب العضويه في:
 - ١ - الجمعيه الفيزيائيه الأوروبيه.
 - ٢ - الجمعيه الفيزيائيه الأميركيه.
 - ٣ - الجمعيه الفيزيائيه الفرنسيه.
 - ٤ - أكاديميه العلوم في نيويورك.
 - ٥ - العضويه الدائمه في مجمع اللغه الإيرانيه من عام ١٩٣٦ م.
 - ٦ - شوری الجامعه من عام ١٩٣٥ م.
 - ٧ - شوری الثقافه العاليه من عام ١٩٥٣.
 - ٨ - جمعیه المصطلحات العلميه من عام ١٩٥٣ م.
 - ٩ - رئاسه لجنه البحوث الفضائيه الإيرانيه.
 - ١٠ - رئاسه الجمعیه (الجیوفیزیائیه) الإيرانيه وقت انشائها.
 - ١١ - الهيئه العلميه الفضائيه في جنيف ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م.
 - ١٢ - مؤتمر فيينا النووى .
 - ١٣ - عضو علمى و فنى للفضاء في نيويورك عام ١٩٥٨ م.

١٤ - عضو علمى و فنى للفضاء فيينا ١٩٦٨ م.

١٥ - عضو أول مؤتمر نووى فى جنيف عام ١٩٥٨ م.

١٦ - عضو مؤتمر أوسلو للرياضيين فى النروج عام ١٩٣٦ م.

١٧ - عضو مؤتمر موسكو النووى ١٩٥٥ م.

١٨ - عضو فى افتتاح مؤتمر راكتور النووى فى الهند ١٩٦٠ م.

١٩ - دعوته من قبل الحكومه الفرنسيه لالقاء البحوث العلميه و زياره المؤسسات البحثيه فى عام ١٩٥٦ م.

السيد مرتضى حسين النقوى صدر الأفاضل:

ولد فى لكهنؤ (الهند) سنه ١٣٤٦ و توفى سنه ١٤٠٧ فى لاهور (الباكستان).

هو من اسره علويه عريقه ينتهى نسبها إلى الامام على الهادى النقى (ع)، و كان من اعلامها جد المترجم الأعلى السيد محمد النقوى المعروف بآغا ميرزا، و جده السيد إعجاز حسين النقوى، و والده السيد سردار حسين النقوى المعروف بقاسم آغا.

درس دراسته الأولى فى لكهنؤ فى المدرسه العابديه ثم درس النحو و الصرف و المنطق و الأصول و الفقه و التفسير و الكلام فى المدرستين الشهيرتين: مدرسه سلطان المدارس، و مدرسه مشارع الشرائع الناظميه، و فى خلال دراسته كتب شرحا لكتاب (المعالم) و حواشى على

ص: ٣٢٤

الموسوعه الفقهيه الموسومه ب (شرح كبير)، كما أخذ ينشر مقالات علميه و ادبيه فى المجالات و الجرائد.

كان من اساتذته كل من العلماء الاعلام: السيد نجم الحسن و السيد احمد على الموسوى الجزائرى و السيد محمد حسين الفقيه اللكهنوى و السيد ناصر حسين و السيد سعيد بن السيد ناصر حسين و السيد أبى الحسن النقوى و غيرهم.

كما أجز بعد ذلك من كل من آغا بزرك الطهرانى صاحب الذريعه(النجف) و السيد شهاب الدين المرعشى (قم) و الشيخ محمد رضا الطبسى (النجف) و السيد مروج الجزائرى (النجف) و السيد محمد حسين اللكهنوى (لكهنو) و السيد محمد حسن اللكهنوى (نزىل كربلاء) و السيد طيب آغا الموسوى الجزائرى (نزىل قم).

كان عالما جليلا، بحاثه مؤرخا محققا، من أبرز من أنجبتهم شبه القاره الهنديه، و كان يجيد اللغه العربيه كاتباً مجيداً فيها، و ينظم فيها الشعر أحيانا، كريم الأخلاق طيب الذات لطيف المعشر، وفيها جوادا.

لم يقتصر فى دراسته على ما عرف من دراسه العلوم الإسلاميه، بل راح يتابع الدراسات الحديثه على نفسه حتى كان فريدا بين اقرانه سواء كانوا من رجال الدين أو من رجال الثقافات الحديثه. و عند ما بدأت بالصدور دائره المعارف الأردويه فى الباكستان كان هو من الأركان التى اعتمدت عليها فى كثير من البحوث و الدراسات.

ولد - كما قلنا فيما تقدم - فى لكهنو و فيها كان تكوينه العلمى و الفكرى و الادبى الأول، و كان تفوقه فيها بارزا لافتا للانظار. و لما تم تقسيم شبه القاره الهنديه رحل إلى الباكستان و استقر فى مدينه (لاهور) العاصمه الثقافيه للباكستان فكان فيها علما، متفردا فى الكثير من قضايا الفكر و العلم و الأدب لا يجاريه فى هذا مجار، مقرونا ذلك كله بتواضع و نكران للذات و ترفع عن الصغائر و بهارج الحياه الزائفه.

و قام برحلات إلى العراق و الحجاز و ايران و سوريا و لبنان و بنغلادش و امريكا و الهند مستطلعا باحثا، و ترك العشرات من المؤلفات التى طبع بعضها فى حياته، و لا يزال الباقي مخطوطا. و من أهم مؤلفاته المطبوعه كتاب (مطلع أنوار) يحتوى على تراجم علماء الهند و الباكستان، و قد كان مصدرنا فيما كتبنا عنهم فى (المستدركات). و منها: تاريخ الأدب الأردوى، و تاريخ تدوين الحديث، و كليات غالب، و كليات فيضى و گلستان أدب، و مثويات حالى، و شرح غزليات نظيرى، و حياه حكيم، و جواهر دبير. و غير ذلك، و يبلغ عدد ما طبع من مؤلفاته المائه الكتاب هذا عدا كتبه غير المطبوعه.

تخلف بخمسه بنين ابرزهم السيد حسين الذى سار على طريق والده فى العلم و العمل، و قد حاز على درجه (ماجستير) فى الشريعه من جامعه البنجاب، و تابع فى حوزة (قم) دراسه العلوم الإسلاميه، و زوجه السيد حسين السيده طلعه حصلت على (الماجستير) فى علوم الشريعه و تابعت الدراسه فى الاخرى فى حوزة قم، و هكذا ظل بيت السيد مرتضى بيتا علميا برجاله و نسائه.

مرتضى بن محمد الحسينى:

عالم له اطلاع فى الفلسفه و الكلام و العلوم الدينيه الأخرى، من أعلام القرن الحادى عشر.

له "عقائد عباسيه" و "ذريعه سليمانيه" بدأ به سنه ١٠٧٨ (١).

السيد مصطفى بن معصوم الحسينى المازندراني

ولد سنه ١٢٤٥ و هاجر إلى النجف الأشرف سنه ١٢٨١ لإكمال دراساته العاليه، و من جمله أساتذته بها الشيخ ملا لطف الله المازندراني و الشيخ مرتضى الأنصاري، و أتم بعض رسائله فى ليله ١٥ شهر رجب سنه ١٢٨٥.

له "كاشف الأسرار و السرائر عن صلاه المسافر" و "لباس المصلى" و "النهى فى المعامله يدل على الفساد" و "قاعده اللزوم" و "قاعده الخيار" و كتابات متفرقه أخرى (٢).

مطهر بن عبد الله بن على الحسينى، عز الدين

أديب عين فاضل شاعر بالفارسيه عارف مائل إلى التصوف، من أعلام أواخر القرن الثامن، و كان يتخلص فى شعره الفارسى ب "مطهر".

كتب بخطه فى المجموعه المعروفه ب "جنك تاج الدين أحمد الوزير" بعض آثاره و أشعاره، و ذلك فى منتصف شهر رجب سنه ٧٨٢ (٣).

السيد مظفر حسن سهارن بورى بن السيد صادق حسين:

ولد سنه ١٢٦٩ فى سهارن بور (الهند) و توفى سنه ١٣٥٠ درس اللغه الفارسيه على المولوى السيد دلدار على نانوتوى. ثم انتمى إلى المدارس الحكوميه. و لما جاء الشيخ على رضا القزوينى الذى كان مقيما فى بشاور إلى سهارن بورى التقى المترجم له به، فأخذه معه إلى بشاور فدرس هناك الصرف و النحو، ثم عاد إلى لكهنو فدرس الأصول و الفقه، ثم عاد إلى بلده، ثم أصبح مديرا لمدرسه دينيه فى أنباله من توابع لاهور، ثم مدرسا للغه العربيه فى احدى المدارس.

له من المؤلفات: تحفه المتقين، و تاريخ مكه المكرمه، و تاريخ أمير المؤمنين فى مجلدين، و كشف الحقائق، و سوانح الامام جعفر الصادق، و لمعه الضياء فى أحوال الامام الرضاء فى مجلدين، و رساله فى أحوال التوكل العباسى، و سوانح الامام موسى الكاظم، و سوانح الامام زين العابدين، و سوانح الامام الحسين، و تاريخ الأئمه.

الشيخ مفيد بن الحسن البحرانى الشيرازى

مذكور فى "الكواكب المنتثره" المخطوط، و نقول:

وصفه الشيخ أحمد بن إسماعيل الجزائرى فى الإجازة التى كتبها لولد صاحب الترجمة الشيخ عبد النبى البحرانى فى سنه ١١٥٠، بقوله "ولد عين أعيان العصر أفضل الكل المحقق المدقق جامع المعقول و المنقول مرجع الفحول فى الفروع و الأصول الشيخ الأكمل و العالم الأفضل... (٤).

- ١- السيد أحمد الحسيني
- ٢- السيد أحمد الحسيني.
- ٣- السيد أحمد الحسيني.
- ٤- السيد احمد الحسيني.

الحاج مقبول أحمد بن غضنفر على

ولد سنة ١٢٨٧ في الهند و توفي سنة ١٣٤٠ في دلهي.

من مشاهير فضلاء دلهي، خطيبا بارعا مرغوبا محبوبا. فقد والده و عمره سبع سنين فنشأ و ترعرع في ظل أخيه حفيظ الله، و كان هذا يسكن في بلده (باني بست) فانتمى المترجم إلى مدرستها الرسميه مكملا فيها سبعة صفوف، ثم رجع إلى دلهي و دخل ثانويه (اينگلو عربك اسكول). و درس العلوم الإسلاميه على آفتاب حسين، و انشغل بالخطابه و التأليف، و كان من أركان جمعيه المدرسه الاثني عشره في دلهي متحملا بعض مسؤولياتها.

من مؤلفاته: كتب مدرسيه مختلفه المناهج، و مقبول دينيات في خمس اجزاء، و قال نامه دانيال، و تهذيب الإسلام و هو ترجمه حليه المتقين، و وظائف مقبول، و ترجمه القرآن و تفسيره في ثلاثه أقسام، و مفتاح القرآن، و ديباجه مقبول أحمد و غير ذلك.

ملك سعيد بن محمد الخلافي

أصله من آذربايجان و سكن شيراز، و هو عالم محقق ذو اطلاع واسع بالعلوم العقلية و النقلية كثير التحري في المسائل العلميه.

له "التحفة العلويه" في نفى الرؤيه (١)

الشيخ مهدي قلي خان بن الشيخ على خان بن قرچغاي خان التركماني الاصفهاني القزويني:

كان حيا في سنة ١١٢٣.

من أكابر علمائنا المنسيين حكيم متأله فيلسوف متضلع من أئمه الفتوى و الدين و اعلام العلماء في أواخر العهد الصفوي لم أقف على تاريخ ولادته و وفاته الا انه قد انتهى في سنة ١١٢٣ هجريه من بناء مدرسته الدينيه في قم أخذ فنون الأدب و العلوم الإسلاميه على أفاضل علماء عصره ثم تخرج في العقليات و الفلسفه العاليه على والده الفيلسوف الشهير في عصره و أخذ الفقه و الحديث عن العلامة محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هجريه و استقر في قم و انتهت اليه الرئاسة و الامامه بعد أبيه و كان سادن روضه المعصومه (ع) و متولى أوقاف الروضه و حاكم قم و ضواحيها، رئيسا مطاعا و هو من أعظم رجال أسرته التي بزغ نجمها في قم أواخر القرن الحادي عشر للهجره و كان جده قرچغاي خان من أمراء الشاه عباس الصفوي (الجالس على العرش سنة ٩٩٦ و المتوفى ١٠٣٨ هجريه) و حاكم خراسان المار ذكره و عمه الشيخ منوچهر خان من تلاميذ الشيخ محمد تقى المجلسي المتوفى سنة ١٠٧٠ هجريه و حاكم خراسان بعد أبيه و قد نبغ من هذا البيت الجليل علماء اجلاء و فضلاء إفاذا ذكرنا كلا منهم في محله.

ترك المترجم له آثارا و مآثر خالده في قم باقيه حتى اليوم منها (مدرسه خان) و يقال (مدرسه مهدي قلي خان) و هي مدرسه دينيه ضخمه واقعه في شرق ساحه الروضه مقابل (المدرسه الفيضيه) و قد انتهى من بنائها سنة ١١٢٣ هجريه و تعرف حتى اليوم باسمه و قد تجدد بناء هذه المدرسه على يد السيد البروجردي سنة ١٣٧٩ و هو اليوم من أهم المدارس المعموره كما أسس في المدرسه مكتبه عامه و قد أوقف مؤلفات والده على طلاب المدرسه و منها كتاب تفسير خزائن جواهر القرآن الموجود حتى

اليوم في المكتبه و كتب اخرى، كما أوقف املاكا تصرف وارداتها على المدرسه و طلابها و كانت داره جنب المدرسه، و تعرف المحله حتى اليوم ب (كذرخان) كما ترك المترجم له بعض المؤلفات منها حواشى على الكتب الفلسفيه لوالده منها حاشيته على كتاب فرقان الرأيين و بيان الحكمتين و بعض الرسائل الفلسفيه و قد أشار جمع من المؤرخين المعاصرين إلى هذه المدرسه الا انهم جميعهم لم يعرفوا من المؤسس الا اسمه فقط قال الأستاذ حسين سلطان زاده فى كتابه (تاريخ مدارس ايران) (مدرسه مهدي قلى خان لاحد رجال العصر الصفوى باسم مهدي قلى خان و قبره عند مدخل المدرسه) (٢) و اما صديقنا الشيخ محمد شريف الرازى فقد قال فى كتابه (گنجينه دانشمندان) المجلد الأول ص ٤٤ الذى يبحث عن تاريخ قم و مدارسها و علمائها: (... مدرسه مهدي قلى خان تقع فى القسم الشرقى من ساحه روضه السيده المعصومه مقابل المدرسه الفيضيه بجانب زقاق گذر خان و كان مؤسسها المدعو مهدي قلى خان فى العصر الصفوى و انتهى من بنائها فى سنه ١١٢٣ هجرية...) يقول عبد الحسين الصالحى ان مؤسسها من اعلام علمائنا المنسيين - كما تقدم - و هو من أعرق الأسر العلميه الشيعيه التى خلدت تراثا علميا ضخما و كما قام رجالها فى التاريخ الشيعى بدور هام سوف نذكر كل منهم فى محله ان شاء الله (٣)

الشيخ مهدي بن أسد الله الهمداني

فاضل واسع الاطلاع فى الفقه و الأصول، يذهب مذهب الاخباريه على طريقه علماء الشيخيه، و يذب عن الحاج كريم خان الكرمانى بشده و يعتبره "الناطق" الذى يجب على الكل اتباعه و لا يجوز الاختلاف عليه، و لكنه مع ذلك شديد الاحترام عند تسميه أحد العلماء من أصوليين و غيرهم. و هو من اعلام أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر.

له "علم المحججه" ألفه سنه ١٢٩٧ و "توضيح المقال" (٤)

مهدي بن محمد شمس الدين بن معد المطار آبادي

قرأ على محمد بن الحسن بن محمد بن أبى الرضا العلوى كتاب "فصيح ثعلب" و شرحه، فكتب له إجازة فى غره ذى القعدة سنه ٧٢٦، و قال: "قرأ على الأجل الأواحد العالم الفقيه الفاضل الكامل المحقق ناصر الدين نجم الإسلام.. قراءه تعرب عن طبعه السليم و تشهد باجتهاده فى التعلم و استعداده للتعليم" (٥)

الدكتور مهدي المخزومي

ولد فى النجف سنه ١٩١٧ م و توفى سنه ١٩٩٣، هو أحد النحويين العرب المحدثين، ممن جدد فى منهج دراسه النحو و منهج تدريسه فى

ص: ٣٢٦

١- السيد احمد الحسينى.

٢- حسين سلطان زاده: تاريخ مدارس ايران ص ٣٣٨ طهران الطبعة الأولى عام ١٣٦٤ هجرية شمسيه.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- السيد احمد الحسينى.

٥- السيد احمد الحسينى.

الوقت نفسه، و كان أستاذاً بارزاً من أساتذته كلية الآداب في جامعه بغداد لفترة تزيد على أربعين عاماً ألقى فيها المحاضرات المنهجية و ألف الكتب و الأبحاث العديدة في الدراسات اللغوية.

ولد في مدينة النجف، و هي مدينة شهيرة إلى جانب الكوفة التي لا تبعد عنها سوى بضعة أميال، بالعلوم الدينية و اللغوية و الأدبية على مدار ألف عام حتى الآن، هو عمر الحوزة الدينية و العلمية و ظهور مدرسه النجف على يد العلامة و الفقيه المعروف الشيخ الطوسي و أستاذه الشيخ المفيد الذي أرسى علوم الفقه في بغداد. و عكست الكوفة، بما لها من مكانة ثقافية، آثارها على مدينة النجف. و اشتهرت الكوفة بمدرستها النحوية الشهيرة، و لذلك كان كتاب الدكتور مهدي المخزومي المعنون "مدرسه الكوفة و منهجها في دراسه اللغه و النحو" أهم كتاب حديث يعالج آثار هذه المدرسه النحويه التي أسسها النحويان المعروفان الرواسي و الهراء و أرسى قواعد شهرتها النحويان الشهيران أبو علي الكسائي و أبو زكريا الفراء فضلاً عن أن مدرسه الكوفة اشتهرت بعلم من علوم اللغه وضعه مؤسسه الأول أبو مسلم معاذ بن مسلم الكوفي و هو علم الصرف.

صدر هذا الكتاب في بغداد العام ١٩٥٥ للمره الأولى، و أعيدت طباعته في القاهره العام ١٩٥٨.

لكن المخزومي، و هو يعلم شهره و تأثير مدرسه البصره النحويه، اتبع كتابه هذا بكتاب "الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله و منهجه" الذي أصدره في بيروت العام ١٩٦٠ و الفراهيدي مؤسس علم النحو و ليس مدرسه البصره وحدها. و يلاحظ أن المخزومي - و هو المجدد في منهج البحث اللغوي - يركز على مسأله المنهج في دراسه النحو و تقديمه للجمهور و علاقته بوسيله الاتصال الاجتماعي: اللغه، و هو الأمر الذي انشغل به لسنين طويله في محاوله لأحياء العلاقه بين النحو و اللغه العربيه المعاصره و تجديد الموقف من دراسه النحو و تجديد مناهجه، و لذلك أصدر في بيروت العام ١٩٦٤ كتابه "في النحو العربى: نقد و توجيه".

و المخزومي المؤلف هو جزء من المخزومي المحقق، و هو عالم اللغه في كلا الحالين. و يعتبر تحقيقه لأهم كتاب لغوي معجمي عربي و هو كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، إنجازاً ضخماً اشترك معه في تحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي الذي جدد هو الآخر في منهج دراسه النحو.

و اشترك المخزومي في تحقيق النسخه الموثوقه من "ديوان الجواهرى" في عقد السبعينات مع محققين آخرين هم الدكتور إبراهيم السامرائي، الدكتور الناقد على جواد الطاهر و رشيد بكتاش و كان تحقيقهم قد تزامن بالرجوع إلى الجواهرى نفسه.

كان المخزومي، عالم الدراسات اللغويه المجدد، مجدداً في أفكاره كعالم و باحث ارتبط بموقف العالم الحر و كان هذا مدعاه لاضطهاده و سجنه و تعذيبه و تشريده بعد خروجه من السجن و فصله من أستاذه الجامعه خلال انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. و بعد عودته إلى الجامعه بعد سنوات عمل بصمت على تخريج الآلاف من مدرسي اللغه العربيه الذين أخذوا منهجه المجدد في تدريس النحو و كتب العديد من الأبحاث و الدراسات المعنيه بعلم اللغه و النحو و منهج العلوم اللغويه (١).

الشيخ مهدي بن محمد تقى البيدگلى

عالم فقيه متضلع في الفقه و الأصول، له قدم راسخ في العلوم الدينية الأخرى و صاحب ذوق في تنظيم مؤلفاته، من أعلام القرن

الثالث عشر و توفي بعد سنه ١٢٦٧.

له "ترتيل التنزيل" ألفه سنه ١٢٦٦ و "عقد اللاكلى" ألفه بالعربيه و الفارسيه سنه ١٢٦٧(٢).

السيد مهدي بن هادي المازندراني:

ولد نحو ١٢٩٢ في قريه "كلنشين" الواقعه في شمال مدينه "سارى" على بعد فرسخين منها، و نقله أبوه إلى سارى و هو في الثالثه من عمره و بها نشأ و تعلم. و توفي بعد سنه ١٣٦١.

قرأ مقدمات العلوم الدينيه في سارى، و هاجر و هو في التاسع عشره من عمره إلى العتبات المقدسه بالعراق فورد كربلاء في ٢٥ محرم سنه ١٣١٤، و بعد اقامه نحو خمسه أشهر انتقل إلى النجف الأشرف فاشتغل بالتلمذ على أعلام المدرسين بها، و من أساتذته الشيخ محمد طه نجف الذي قرأ عنده كتاب الوقف.

عاد إلى مازندران في سنه ١٣٢٣ و أقام في مدينه بارفروش (بابل) بطلب من أهاليها، و اشتغل بالإرشاد و التأليف و تولى الشئون الاجتماعيه و القضاء و ما شاكل ذلك.

كان له نشاط كبير في التأليف خاصه في علمي الحديث و الفقه، إلا أنه ضعيف في العربيه و في كتاباته أخطاء كثيره(٣).

موسى بن محمد بن سليمان الشريف الطيب التنكابنى

فاضل مشتغل بالطب، ملك نسخه من كتاب "الفاخر في الطب" للرازى و أتم خرومها و كتب عليها تعليقات تدل على اطلاعه بالطب و فضله في العربيه، و ذلك في سنه ١٢٩٦ [١٣٩٦]. و هو ابن ميرزا محمد التنكابنى صاحب كتاب "قصص العلماء" (٤).

نادر شاه الأفشارى:

اشاره

مرت ترجمته المفصله في المجلد الرابع من المستدركات. و نشر عنه هنا هذا البحث:

العلاقه بين ايران و انكلترا في عهد نادر شاه

بدأ الوهن يدب في شوكة الدوله الصفويه و هيبتها بعد وفاه الشاه عباس الأول، و إذا كان خلفاؤه من بعده قد استمروا مائه عام، فإنما كانت هذه الفتره احتضارا لدولتهم و ليس دليل عافيه. و قد بلغ الوهن بهذه الدوله حدا استطاعت معه حفنه من سرازم الافغان التغلب عليها

ص: ٣٢٧

٢- السيد احمد الحسينى.

٣- السيد أحمد الحسينى.

٤- السيد أحمد الحسينى.

و القضاء على كيانها(1) و لكن هؤلاء الافغان لم يستمروا طويلا، إذ تصدى لهم أحد أبناء ايران العظماء فهزمهم و أجلاهم عن البلاد، و أخمد الفتن الداخليه أيضا، حيث عادت ايران فى العهد النادرى إلى ما كانت عليه من قوه و عظمه فى زمن الشاه عباس الأول، فاستعادت سيطرتها على هرات و قندهار و كابل و بلغت حتى ساحل نهر السند، و أصبح الساحل الغربى لنهر السند يشكل حدا للامبراطوريه الإيرانيه.

فى عام ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) اى فى السنه الرابعه لحكومته نادر شاه الافشارى زار ايران بحار انجليزى اسمه جان أتون و معه موظف فى الشركه التجاريه الإنجليزيه يدعى منگو گرم يام الاسكتلندى، و قد سلكا طريق موسكو، و وصلا رشت عن طريق ميناء انزلى و پيره يازار، و كان هذان الشخصان يحاولان فى البدء إخفاء مخططاتهما الاقصاديه، الا ان جماعه من التجار الأرمن استطاعت الكشف عن نواياهما بفراستها فاطلعت حاكم گيلان على الأمر. فأقر جان التون لمساعد الحاكم مصطفى بيك انهما قدما فى سبيل فتح الطريق التجاريه بين بريطانيا و ايران و انه ملاح ماهر فى شئون البحر، و قد امضى سنين طويله فى هذا العمل. و ذكر له استعداداه و صاحبه للسفر إلى مشهد إذا اقتضت الضروره للقاء رضا قلى ميرزا بن نادر شاه و اقامه علاقات تجاريه جديده و بعد موافقه خان گيلان قام جان التون و منگو گرم يام بمكاتبه رضا قلى ميرزا بهذا الخصوص، و ذكرا انه فى حال موافقه الحكومه الإيرانيه فان التجار البريطانيين سيوجدون حركه ملاحه فى بحر الخزر (بحر قزوين) و سيحملون بضائعهم إلى واحد أو أكثر من موانئ هذا البحر، و كتبوا أيضا انه فى حال إصدار الحكومه الإيرانيه الاذن للمباشره بالأعمال التجاريه، فان هؤلاء التجار سيحملون البضائع من الهند و نواحى خيوه و بخارى إلى ايران، و انهم سيتحملون جميع الضرائب المفروضه على هذه البضائع بشرط اعفائهم من اى رسوم اخرى مهما كان عنوانها، و طلبا ان يسمح للتجار البريطانيين بشراء المنازل فى ايران و فتح المراكز و المستودعات التجاريه و الحفاظ على ارواحهم و ارواح القائمين على خدمتهم، و إذا سمح لهؤلاء التجار بحمل الاقمشه فإنهم سيحبسون أفضل أنواعها لبيعها باسعار مناسبه فى ايران، و أخيرا طلبا من الحكومه الإيرانيه ان تشرف على تفتيش بضائعهم لتعلم مدى أمانتهم و صدقهم فى التعامل.

مضى ٣٧ يوما بين إرسال كتابهما و وصول الجواب، ربما كانت بالنسبه لالتون و گرم يام ٣٧ عاما. و قد وصل رسول الأمير من مشهد يحمل الاذن لالتون و صاحبه بمباشره أعمالهما. و فى تقرير كتبه التون فى سان بطرسبرغ للحكومتين الإنجليزيه و الروسيه ذكر انه ما دام قد انقطع وجود موظفى شركه الهند الشرقيه فى ايران و انعدمت فعاليتهم منذ عام ١١٤٧ هـ (١٧٣٤ م) فان فى ذلك خير فرصه لادخال البضائع الإنجليزيه عن طريق بحر قزوين.

و مع فتح هذه الطريق التى لم يفكر بها أحد منذ عهد انطونيو جنكين سون، اوصى جان التون بفتح طريق اخرى من جانب ازمير فى داخل الاراضى العثمانيه، حيث ذكر للشركه الموجوده فى سان بطرسبرغ ان هذه الطريق ستكون مناسبه كثيرا فى حال استقرار العلاقات بين ايران و الدوله العثمانيه.

أسلم جان التون عام ١١٥٦ هـ بعد نزاع له مع القنصل الروسى آرابوق فى رشت، و اثر مراسلات سريه دارت بينه و بين نادر شاه. ثم التقى بنادر شاه، و اصدر الأخير أوامره بتعيينه قائدا للبحر و مفتشا عاما لجميع موانئ بحر قزوين. و قد تزامن تنصيب التون فى هذا المنصب مع إيجاد اسطول جديد فى السواحل الجنوبيه لبحر قزوين التى كانت تحظى باهتمام خاص من قبل نادر شاه، مما أغضب الحكومه الروسيه و دفعها للضغط على الحكومه الإنجليزيه لتوقف مساعده و تنسيق التون مع نادر شاه. فبادرت الحكومه

الإنجليزية إلى منع التون في الظاهر من الاستمرار في أعماله، فأجابها التون بان: "عودته ليست في صالح بريطانيا، ولما كان لم يتعهد لروسيا باى التزام مقرر فان له الحق كسائر رعايا بريطانيا ان يعمل في خدمه اى ملك يرتبط مع دولته بعلاقات طيبه، و انه مطمئن تماما بان خدماته في ايران ستعود بتوطيد أواصر الموده بين بلاده و ايران". ذلك لان اكتساب رضى نادر شاه كان في غاية الاهميه بالنسبه للحكومہ الإنجليزيه.

أكد نادر شاه تأكيدا كاملا على جان التون الذى أصبح اسمه جمال بيك بعد إسلامه بإيجاد قوه بحريه في الشمال، فأبدى نشاطا كبيرا في إيجاد هذه القوه، مما دفع الشركه التجاريه الإنجليزيه الروسيه للاعتراض، و اضطرت الحكومه الإنجليزيه في نهايه المطاف إلى مطالبه نادر شاه بإخراج جان التون من البلاد، ان هذه المطالبه لم تؤت ثمارها. و في مياه الخليج الفارسي سعى نادر شاه إلى تأسيس قوه بحريه، فجمع عشرين سفينه كان البرتغاليون و الهنود يديرونها و ثبت نفوذ القوه الإيرانيه في هذه المنطقه، و حولها إلى حقيقه بعد أن كانت مجرد شبح و إضافه إلى ذلك سعى إلى احداث منصفه بحريه و امر بحمل ألواح الخشب من جميع أنحاء ايران ليستفيد منها صانعو السفن في بناء سفنهم، و ذهب العديد من الناس ضحيه هذه الأعمال. و لكن هذه المخططات الطموحه دخلت بعد مقتل نادر شاه في النسيان و انحدرت القوه البحريه الإيرانيه نحو الاضمحلال و الاندثار.

استمر جان التون في نشاطاته بعد وفاه نادر شاه (١١٦٠ هـ)، و حظى بعنايه ابني أخيه الذين أخلفاه و هما على قلى خان و إبراهيم خان الذين تسميا بالترتيب عادل شاه و إبراهيم شاه. و قد تعرض التون لحادث اغتيال في بعض نواحي رشت أثناء حكم عادل شاه و كان السبب في ذلك هو الترحيض [الترخيص] من قبل جماعه من أهل رشت أو من قبل الحكومه الروسيه التي كانت تعادى التون، و لكنه خرج من هذا الحادث بسلام و في أوائل حكم شاه رخ بن رضا قلى ميرزا (و حفيد نادر شاه) خرج أهالى كيلان على حكام و عمال شاه رخ، فعم الاضطراب جميع أنحاء الولايه بصوره لم يسبق لها مثيل. ثم بادر الاهالى إلى تعيين تاجر كبير في السن مؤمن يدعى الحاج صفى حاكما على رشت و عين الحاج جمال و هو أحد وجهاء رشت مساعدا له. و بعد فتره غير طويله اقتربت قوات محمد حسن خان القاجارى من رشت، فبعث له التون خلسه ينبئه استعداداه للانضمام اليه، و كان حينئذ يقيم في بيته برشت، فاطلع الحاجر.

ص: ٣٢٨

١- لم يكن هجوم الافغان على ايران خاليا من التحريض الاجنبى، ففي ذلك التاريخ كان الشاه السلطان حسين يحاول توطيد العلاقات التجاريه و السياسيه مع الحكومه الفرنسيه، و أرسل محمد رضا بيك لهذا الغرض إلى بلاط لويس الرابع عشر.

صفى و مساعده على رساله التون فبعثا قواتهما لمحاصره داره، فحاول الهرب و لكن الحاج جمال أمسك به و حكم عليه بالموت على ان الأقدار شاءت ان تقف معه مره اخرى، فما كاد الثوار يضعونه على خشبه المشنقه حتى قدم الرسول على عجل ينيئهم بان أقوى قاده گيلان قد انضم إلى محمد حسن خان و انهما فى طريقهما لاحتلال المدينه، فلم يتوان الثوار عن الانسحاب بعد ان انزلوا التون عن منصبه حتفه، و هرعوا إلى فومن. و فى روايه انهم اعدموه هناك رميا بالرصاص فى جمادى الآخره عام ١١٦٤ هـ (ابريل ١٧٥١ م).

نادر ميرزا

و تاريخ تبريز:

مرت ترجمته فى المجلد العاشر من (الأعيان) و مرت عنه كلمه فى المجلد الثالث من (المستدرکات) و نشر عنه هنا الدراسه التاليه:

الأمير نادر ميرزا أديب، عالم، من سلاله القاجار. ولادته، كما يذكر فى مقدمه كتاب تاريخ تبريز، و فى ترجمته المختصره فى مخطوطه..

تهذيب إصلاح المنطق (١) كانت يوم الجمعة الأول من رمضان عام ١٢٤٢ هـ فى أسترآباد.

أبوه بديع الزمان ميرزا الملقب "صاحب اختيار". الذى مارس الحكم بتعيين من فتح على شاه القاجارى. مده ثلاثين عاما و جده محمد على ميرزا المعروف باسم (دولت شاه) القالى، و هو ابن فتح على شاه، و أمه جهان سلطان ابنه حسام السلطنه محمد تقى ميرزا من أبناء فتح على شاه. و جدته هى والده بديع الزمان ميرزا و ابنه شاه رخ ميرزا.

و حفيده نادر شاه أفسار و فاطمه بيغم ابنه شاه سلطان حسين الصفوى و فى عده أماكن، كتب نادر ميرزا ناسبا نفسه استنادا إلى ما سلف، إلى سلاله الساده الاشراف، و الملوك الصفويين و الافشاريين المعروفين، و هو نسب يدفعه إلى المباهاه و التفاخر.

عاش الأمير نادر ميرزا سنوات عمره السبعه الأولى فى مدينه أسترآباد، و عند ما توفى فتح على شاه فى أصفهان، بدأ الأمراء القاجاريون الذين كانوا يحكمون فى أغلب الولايات. جمله معارضه لتولى ولى العهد محمد ميرزا العرش، و توجه عدد منهم - لهذا الغرض - إلى طهران، و كان من بينهم بديع الزمان ميرزا (والد نادر ميرزا) الذى ترك أسترآباد و اتجه مع عائلته إلى طهران.

و عند ما استتب العرش لمحمد شاه، عين الميرزا عباس الايروانى المعروف ب "حاجى ميرزا آقاسى" فى منصب الوزاره، فيما أسندت حكومه آذربايجان إلى بديع الزمان ميرزا، فتوجه إليها تاركا عائلته فى طهران - الا انه تعرض للاعتقال بمجرد وصوله آذربايجان (٢) ظل نادر ميرزا مع أمه فى طهران حتى سن الخامسة عشره، و تعلم خلال ذلك القراءه و الكتابه و مقدمات العلوم. و فى عام ١٢٥٧ هـ، استأذنت أمه.

الملك لزياره زوجها. و ذهبت مع ابنها نادر إلى تبريز، و بقيت هناك. اما نادر فقد انشغل بتحصيل العلوم - و تدريجيا تولى

امتاز الأمير نادر ميرزا بنبوغه و ولعه بالأدب الفارسيه و العرييه و مثابرتة على الدراسه رغم ما كان يعترض المدارس آنذاك من مصاعب و عقبات. فقد تتلمذ على يد عدة أساتذته، مده عشر سنوات، و قد دفع نبوغه، والده إلى توفير كل الوسائل و الإمكانيات التي يحتاجها في مسيرته التعليميه.

و من الذين تتلمذ نادر ميرزا عليهم في مجال فنون الأدب الأستاذ ملا مهر علي(٣) و هو شيخ أديب من أهالي المنطقه الأصليين، كان والد نادر ميرزا يدعوه أيام الجمعة لتعليم نادر الذي كان ينكب على التعلم منه منذ الظهيره حتى المغرب يتعلم خلالها علوم اللغه و الأدب. اما المعلم الثاني فكان الميرزا احمد مجتهد و ولديه للميرزا " لطف علي امام الجمعة و الميرزا جعفر ". و عند ما تنبه مجتهد إلى نبوغه و ذوقه الادبي، اوصى والده بان لا يترك هذا الشغف بالأدب و العلم يضيع سدى، و طلب اليه تعيين أستاذ يعلمه قوانين الأدب و العلوم بالشكل الصحيح، فعين له شابا من أهل طسوج اسمه الملا محمود(٤)، الذي حظى بتزكيه مجتهد الذي قال عنه انه مؤدب و ذكي و عالم و صاحب ذهنيه وقاده، و في تلك المرحله لم يكن للأمير نادر هم غير تحصيل العلم و جمع الكتب، و بسرعه فائقه بدأ تفوقه يتضح و بدأ بتعلم الشعر العربي و أمثال الجاهليه.

و عند ما بلغ نادر ميرزا الخامسة و العشرين من عمره، بدأ العمل في الديوان بهدف تامين وضعه المستقبلي و الاعداد لدخول الحياه الزوجيه و تشكيل العائله. و ظل في هذا العمل مده أربعين عاما، خدم خلالها ولي العهد مظفر الدين ميرزا في مجال الشئون الماليه و الحقيقه و تنظيم السجلات و الرقابه.

ص: ٣٢٩

١- هذه النسخه من كتاب تهذيب إصلاح المنطق - كانت في حياه نادر ميرزا، ضمن مكتبته الخاصه و خلال شرحه لاحوال الخطيب التبريزي في "تاريخ تبريز" يشير إلى ذلك بقوله " هو تهذيب لكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت و هو من الكتب التي سلمت من النهب، قيم و عظيم المنفعه ". كتب نادر ميرزا هذا التوضيح عام ١٢٩٩ هـ. و قبل ذلك بعام واحد، كان خلاف قد نشب بين نادر ميرزا و محمد رحيم خان نسقجي باشي حاكم آذربايجان، اصدر الأخير على اثره أوامر بحجز اموال و نهب ممتلكات نادر ميرزا. هذه النسخه كانت موجوده قبل عدة عقود في المكتبه الخاصه بشخص في تبريز يدعى الحاج محمد آقا النخجواني.

٢- اعتقل مع بديع الزمان ميرزا ثمانيه أمراء آخرون من القاجاريين بتهمه معارضه حكم محمد شاه. و هؤلاء هم. ١ - علي ميرزا ظل السلطان شقيق عباس ميرزا ٢ - حسن علي ميرزا شجاع السلطنه شقيق حسين علي ميرزا قائد فارس العام ٣ - ركن الدوله علي قلى ميرزا الذي كان حاكما لخراسان ثم تولى الحكم في قزوین ٤ - حسام السلطنه محمد تقى ميرزا جد نادر ميرزا الذي كان في حياه أبيه فتح علي شاه حاكما لخوزستان و بروجرد. ٥ - امام ويردى ميرزا كشيکجى باشى الأخ الأصغر لركن الدوله ٦ - شيخ علي ميرزا حاكم ملاء و تويسركان ٧ - محمود ميرزا حاكم نهاوند ٨ - حشمه الدوله محمد حسين ميرزا بن محمد علي ميرزا دولت شاه. هؤلاء الثمانيه و معهم بديع الزمان ميرزا اعتقلوا في قلعه أردبيل لكن ظل السلطان و ركن الدوله و كشيکجى باشى استطاعوا الفرار و لجئوا إلى روسيا، بينما نقل السنه الباقون إلى تبريز.

٣- من فضلاء تبريز المعروفين - عرف باسمه الادبي (فروى) و كان ينظم الشعر بثلاث لغات هي العربيه و الفارسيه و التركيه.
توفى أواخر حكم محمد شاه عن عمر بلغ ثمانين عاما فى مدينه تبريز.

٤- الميرزا محمود ملباشى من أساتذه اللغه و الشعر و كان قد عمل فى تعليم ولى العهد مظفر الدين ميرزا. و قد توفى عام
١٢٨٥ هـ.

و فى عام ١٢٩٨ هـ، عند ما عين محمد رحيم خان قاجار نسقجى باشى، حاكما لآذربايجان و وصل تبريز لاستلام مهام الحكم - ترك نادر ميرزا عمله - و قرر قضاء السنوات - المتبقية من عمره طليقا حرا من ايه مسئوليته، إلا ان ذلك لم يتحقق له، إذ أسند اليه مظفر الدين ميرزا عده مهام فى ، ظل منهمكا فيها حتى وافته المنية فى العاشر من صفر ١٣٠٣

آثار نادر ميرزا:

- لم يتحدث نادر ميرزا فى كتابه "تاريخ تبريز" أو فى ايه ترجمه له فى كتب أخرى، عن مؤلفات اخرى له غير تاريخ تبريز. الا أن مؤلف "المآثر و الآثار" يذكر فى فصل "العلماء و الكتاب" فى الصفحه ١٩٧ عن نادر ميرزا ما يلى: "كان إنسانا فاضلا - و يشهد على ذلك كتاب له عن أنواع الطعام الايرانى و طريقه الطبخ و التركيب المعتمده فى كل مناطق البلاد من بدو و حضر، كتبه بالفارسيه بأسلوب روائى معتمدا فيه الآيات القرآنيه و الأمثال و النوادر و الاخبار و الاشعار. أطعمه الله من طعام الجنة، فقد قدم مجهودا جديدا و قيما".

و فى كتاب "دانشمندان آذربايجان" (١) يذكر ميرزا محمد على خان تربيت، المرحوم نادر ميرزا و فضلا عن كتابه فى الطبخ، له مجموعته نفيسه باسم "النوادر النادره فى أمثال العرب" و كتاب فى مصطلحات التشريح الطبى بجسم الإنسان باللغه العربيه، و كتاب "تاريخ تبريز" باللغه الفارسيه، و على هذا فان لنادر ميرزا آثارا اخرى غير تاريخ تبريز و نشرها سيقدم فائده كبيره لأهل الفن و الأدب.

تاريخ تبريز: - تاريخ التأليف و المصادر المعتمده فيه

كتاب "تاريخ تبريز" عبارته عن مجموعته دراسات و مشاهدات و مسموعات نادر ميرزا عن تاريخ تبريز و جغرافيتها، و كذلك آذربايجان عموما. معتمدا على مصادر عده منها الأسر القديمه و المعروفه فى المنطقه و المطلعين على هذه الأمور، و كذلك الوثائق الحكوميه التى كانت فى متناول يد المؤلف و قد جمع المؤلف كل هذه المعلومات و مصادرها خلال أربعين عاما من إقامته فى تبريز. و فى عام ١٣٠٠ (حينما ترك خدمه الديوان)، قام بتبويب هذه المعلومات و ترتيبها و تدوينها. و فى عام ١٣٠١ و قام باعادته قراءتها و إضافته معلومات جديده إليها.

و من المصادر التاريخيه المعروفه، التى نقل عنها المؤلف:

- وفيات الأعيان لابن خلكان.

- الكامل فى التاريخ لابن الأثير.

- نزهه القلوب للمستوفى.

- تحفه النظار لابن بطوطه.

- ناسخ التواريخ (جزء القاجار).

- روضه الصفا للناصرى.

- آتشكده آذر (فارسى).

- مذكرات رحلات ناصر خسرو.

- مذكرات شاردن.

- تذكره ملا حشرى (٢) عمده الطالب فى أنساب آل أبى طالب.

- تاريخ عالم آراى عباسى.

- تاريخ جهانگیرى. (٣)

- تاريخ جهان نما (ترکى).

- تاريخ سلانیکى (ترکى).

- تاج التواريخ.

- قاموس فيروز آبادى.

- شرف نامه بدلىسى (فى تاريخ الأكراد).

و من الأشخاص الذين ساعدوا فى تأليف تاريخ تبريز مرتضى ميرزا ابن عم نادر ميرزا - و أمين مكتبه ولى العهد الذى ساهم فى الشرح التفصيلى للابنيه التاريخيه فى تبريز و المواد المستخدمه فى تشييدها. و من الذين ساعدوا نادر ميرزا ماديا فى هذا العمل الحاج ميرزا كاظم و كيل الرعايا (٤) - الذى لم يقتصر دوره على وضع مكتبه الخاصه بتصريف نادر ميرزا بل أعطاه كميه كبيره و مهمه من الوثائق الحكوميه الخاصه بأذربايجان و العائده إلى عهد نادر شاه و المراحل اللاحقه، و فيها تفاصيل اقاله و تعيين حاكم، و ترفيع آخرين، و تكريم قسم آخر من المسئولين.

و قد أضافت هذه الوثائق النادره قيمه تاريخيه كبيره لكتاب نادر ميرزا.

و يتعدى دور و كيل الرعايا، تقديم الدعم فقط، إلى التشجيع على تأليف الكتاب (تاريخ تبريز) منذ البدايه. و هذا ما يتضح من كتابات نادر ميرزا الذى يقول انه عكف على تأليف الكتاب بطلب من الميرزا كاظم. و قد قام نادر ميرزا باهداء الكتاب إلى الميرزا كاظم عرفانا بجميله.

أسلوب الكتاب و قيمته التاريخيه: - كتب كتاب تاريخ تبريز بأسلوب سهل ممتنع و بلغه فارسىه خالصه تشبه إلى حد بعيد لغه المؤرخين القدامى، خصوصا البيهقى (٥) و قد اعتمد فى السرد، احداث التاريخ الفارسى و كتب الأدباء الراحلين و مذكرات

- ١- و تعنى علماء آذربايجان.
- ٢- هذا الكتاب مشهور باسم "سامى الاسامى" و هو فى تاريخ مقابر تبريز و قبور الأولياء و العلماء و العظماء المدفونين فيها. إذ ينقل المؤلف فيه روايات و قصص قرأها فى كتب أخرى - أو سمعها من الآخرين دون ان يدقق فى مدى صحتها و حول هذا الكتاب يذكر نادر ميرزا "قرأت هذا الكتاب كله فلم اقتنع به لانه أقرب إلى الأساطير، و لا أدري من اين جاء بهذه الأحاديث و الروايات". غالبية محتويات الكتاب تفتقد القيمة التاريخيه. طبع فى تبريز عام ١٣٠٣.
- ٣- تاريخ جهاكيري [جهانگيري] معروف ب "تاريخ نو" اى التاريخ الجديد أو المعاصر، تأليف جهاكيري ميرزا نجل الحاكم عباس ميرزا، نقل عنه نادر ميرزا عدة مواضيع و كتب حول مؤلفه: ألف هذا الأمير كتابه فى التاريخ لفتهرته تبدأ من ١٢٤٠ هـ، حيث كان قد مضى ثلاثون عاما على حكم الخاقان الأعظم فتح على شاه، و حتى عام ١٢٦٧ هـ، سطر احداث تلك الفتره بعبارات سلسله خاليه من الاستغراق فى التفاصيل، و التعقيد فى الألفاظ."
- ٤- أسره و كيل الرعايا، من الأسر المشهوره فى تبريز و قد تولت منصب " و كاله الرعيه " و الشئون الماليه لآذربايجان لسنوات طويله. و الحاج ميرزا كاظم عالم متقى من عشاق أهل البيت (ع). و بلغ من كرمه و عمله الخير، ان أصبح ملاذا لعموم اهالى تبريز و وفقا لما ذكره نادر ميرزا، فان الميرزا كاظم كان قد ألف كتابا فى أنساب آل أبى طالب وصفه نادر ميرزا بأنه فريد من نوعه على صعيد التفصيل المبنى و الكمال و الدقه فى علم الإنسان. ولد و كيل الرعايا فى ١٢٤٦ هـ و توفى فى ١٣٤١. فى ١٣٠٠ هـ قام و طلب من حسن على خان قائد الجيش بتصحيح كليله و دمنه و طبعه فى المطبعه الحجرية بخط ميرزا باقر الخطاط عام ١٣٠٥.
- ٥- يختلف بعض الكتاب الايرانيين، مع كاتب هذه الدراسه، حول موضوع وضح أسلوب نادر ميرزا فى هذا الكتاب و يرون انه كتب بأسلوب معقد، و بعبارات ضعيفه و غير مفهومه أحيانا.

زاروا إيران و كتبوا حول تاريخ آذربايجان و تبريز و جغرافيتهما، و كذلك النسخ المترجمه لكتب المؤرخين القدماء من الروم و الأرمن. و بذلك قدم أسلوبا جديدا في كتابه التاريخ شمل كل فصول الكتاب، و مما يلفت انتباه القارئ في الكتاب، أسلوب السرد القصصى للحوادث التاريخيه و النوادر، بأسلوب سلس مشوق.

كان نادر ميرزا مطلعاً على الأسلوب الجديد فى البحوث العلميه فى التاريخ، و عند ما كان يورد وجهات نظر الآخرين، كان يتعامل معها بأسلوب نقدى مستعينا بالاساليب العلميه لاثبات صحه أو بطلان هذه الآراء، كما كان يرفض أغلب أقوال المؤرخين الفاقده للقيمه أو البعد الثقافى. فمثلا- عند ما ياتى إلى بناء تبريز و سبب تسميته [تسميته] بهذا الاسم يورد آراء المؤرخين المسلمين الذين ينسبون هذا البناء إلى زيده، و يذكرون أسماء مختلفه لمدينه تبريز، ثم يقارن ذلك بآراء المؤرخين و الجغرافيين قبل الإسلام من الأرمن و الروم - ثم يستخلص نتيجة مؤداها ان تبريز الحاليه كانت منطقه معموره قبل ظهور الإسلام، و تاريخها يعود إلى عده قرون قبل الميلاد.

أما التاريخ المعاصر، و سلاله القاجار - فيدونه و يسرده نادر ميرزا بدقه كبيره و يقول: " كل ما أذكره هنا عن الأولين، يعلم الله انه الحقيقه و لم أقل غيرها " كما انه يعتمد الحياديه الكامله فى نقل الوقائع، فمثلا عند ما يتحدث عن كريم خان زند يشيد بعطائه و خدمته للشعب دون أن يخاف من سخط ملوك القاجار. و عند ما يسرد قصه لجوء بهمن ميرزا إلى دوله اجنييه، ينتقد "سبهر" و "هدايت" بقوله ان هذين المؤرخين " عرضا اعمال هذا الرجل بشكل أظهره عاصيا، و هذا افتراء ذلك اننا لا نتق بمدونى التاريخ، لأنهم كتبوا ذلك ليرضوا الملك " .

محتويات "تاريخ تبريز":

- خصص نادر ميرزا مقدمه الكتاب للحديث عن أوضاعه و أحواله، و وصف لمراحل شبابه بعد ذلك - يخاطب المؤلف، و كيل الرعايا الذى كان داعما لمشروع الكتاب، فيقول: " أيها الكبير - الآن و قد عقدت العزم على الكتابه، بعون من الواحد الأحد، فانى أستعين بالطافك و دعائك لاسطر على الورق ما أعرف، و أقدمه إلى حضرتك هديه مقبوله و لائقه ". اما الفصل الأول فيدور حول " بناء تبريز و البناء و اختلاف المؤرخين " و يتضمن هذا الفصل أيضا قصيده شعريه حول الزلزال الذى ضرب تبريز و الدمار الذى خلفه. فضلا عن شرح مفصل حول حروب تابك مع القاده الإسلاميين و ما أصابه على يد الأفشين. بعد الفصل الأول تأتى عناوين مواضيع الكتاب حسب الآتى: فى أماكن الابنيه، فى كيفيه الهوائيات، فى مياهاها، فى عدد سكانها فى أسماء محلاتها، فى طول تبريز و عرضها، فى الابنيه القديمه و الجديده فيها، فى مقابر تبريز القديمه و الجديده.

شعراء تبريز و حكماؤها، فصل فى عنصر طائفه الأيل و عظماء هذه الطائفه، فصل فى بيان مذكرات الحكام و القاده الذين حكموا فى تبريز منذ عهد ملوك القاجار، و حتى عام ١٣٠١ هـ، فصل فى بيان فواكه تبريز و أنواعها، فصل فى عادات و آداب الحياه لدى أهل تبريز، فى الأسر الكبيره التى عاشت فى تبريز، حديث حول الملوك و القاده الذين حكموا فى تبريز فى القرون الخاليه حتى و حديث فى الحقوق الديوانيه فى تبريز و نواحيها التى وضعت فى عهد الملك خاقان الكبير، و أخيرا ملحق حول تاريخ الأ-كراد. لكن الخلل الكبير فى هذا الكتاب، هو التصنيف غير المنظم لموضوعاته و فصوله إذ تداخلت فيه المواضيع الجغرافيه و التاريخيه.

و عند ما ياتى المؤلف إلى ذكر اسم شخص ما، أو مكان ما، يخرج عن الموضوع الاساسى و يستغرق فى الحديث عن ذلك الشخص أو المكان - و كثيرا ما ينسى المؤلف موضوعه - الاساسى و يبقى الفصل ناقصا.

فمثلا عند ما يتحدث عن مسجد كبود، نراه يستغرق فى الحديث عن الرساله التى بعثها جهان شاه بن قرا يوسف إلى شريف مکه بشأن الحجاج الايرانيين. و فى الفصل الخاص بحكماء و علماء تبريز يستغرق فى الحديث عن "صفه الربع الرشيدى"، رغم انه خصص فصلا مستقلا للحديث عن الابنيه التاريخيه. هذا الخلل، يحرم القارئ من الإفاده من مواضع الكتاب بالشكل الكامل.

نواقص الكتاب و مواضعه الاضافيه:

- فضلا عن الخلل الذى تحدثنا عنه، فان فى الكتاب نواقص و إضافات عديده فعند ما ياتى المؤلف فى الحديث عن اهداف تاريخيه مهمه عديده، نراه يمر عليها مرورا سريعا - بينما نراه يستغرق فى تفصيل و شرح مواضع هى خارج موضوع الكتاب أو البحث. و لتوضيح ذلك نورد الفقرات التاليه:

١ - فى الفصل الخاص بملوك آذربايجان و قاداتها، يكتفى بذكر أسماء ملوك عصور ما قبل الميلاد و قبل الإسلام، رغم ما تحتله هذه المعلومات من اهميه، لأنها لم ترد فى اى من الكتب التاريخيه، العربيه و الفارسيه المعروفه، و قد استطاع نادر ميرزا الوصول إليها بعد بحث و تمحيص مضمينين. و كان ضروريا جدا ان يفصل فى شرح أحوال و أوضاع أولئك الملوك.

٢ - عند ما يتحدث عن آداب و تقاليد و أنماط معيشه اهالى تبريز يكتفى بالحديث عن عادات و تقاليد عصره و يغفل ما يخص منها العصور الماضيه.

٣ - فى حديثه عن الحاج ميرزا كاظم و كيل الرعايا يعدد أجداده - ثم يبدأ بسرد تاريخ أنساب الرسول الأكرم (ص)، و هو ما لا علاقه له بالبحث لا من قريب و لا من بعيد.

٤ - فى الفصل الخاص بالابنيه التاريخيه فى تبريز يقدم نادر ميرزا شرحا تفصيليا لعين "رود ينل [نيل]" و فيضانها - نقلا عن مذكرات ناصر خسرو و يبرر ذلك بقوله "لان ذلك لم يرد بالتفصيل فى اى كتاب فارسى".

مزايا الكتاب:

- بغض النظر عن الخلل و النواقص السالفه الذكر، فان فى هذا الكتاب مزايا عديده. فعلاوه على البعد الادبى الراقى، امتاز الكتاب باحتوائه على أكثر من مائه قرار و حكم تاريخى صادر عن ملوك و قاده مثل نادر شاه، و شاه رخ ميرزا، و كريم خان زند، و آقا محمد خان القاجارى، و فتح على شاه و عباس ميرزا، موجهه إلى القاده و الحكام و العلماء فى آذربايجان. هذه الأوامر و التعليمات تحظى باهميه بالغه فى دراسه الأوضاع السياسيه و الاجتماعيه لآذربايجان و ايران خلال مائه و خمسين عاما.

الضفة الأخرى لنهر آرس منذ عهد الزنديه حتى حروب ايران و روسيا، الذين ارتبطوا بعلاقات عائليه مع ملوك القاجار.

و ياتى تفصيل الحديث عن الابنيه التاريخيه لتبريز (مسجد كبود، أرك على شاه، شب غازان، رشيديه)، ليضيف ميزه اخرى إلى مزايا الكتاب.

كما لا يمكن تجاهل الميزه المهمه للكتاب و هى تفصيليه لتاريخ و أحوال أفراد معروفين و من أسر كبيره و عريقه فى آذربايجان مثل (دنبلى، وكيل الرعايا، سادات و علماء تبريز) و قد كتبت الجانب الأكبر منها، شخصيات معاصره من هذه الأسر بطلب من نادر ميرزا بهدف تكميل تاريخ تبريز.

ملحق الكتاب:

- يضم الكتاب ملحقا خاصا حول انتفاضة [انتفاضة] الأكراد بقيادة الشيخ عبيد الله، و هجومهم على أروميه، و الأحداث المهمه التى شهدت هذه المنطقه و التى شكلت مصدر قلق دام طويلا، لناصر الدين شاه و حكام آذربايجان، و أدت إلى وقوع احداث تاريخيه كبرى. و تعد انتفاضة الأكراد من الأحداث المهمه التى شهدتها ايران فى العهد القاجارى. (1)

المولى نصر الله الهمدانى

المعروف بالآخوند نصرا أو الآخوند نصيرا:

من علماء القرن الحادى عشر فى ايران. درس على علماء أصفهان لا سيما مير محمد باقر الداماد المتوفى سنه ١٠٤٢. و قد تولى التدريس فى همذان فتخرج عليه الكثيرون ممن أصبح أغلبهم من مشاهير عصرهم.

ترك مؤلفات و تعليقات و هوامش على كتب فقيهيه فقدت كلها.

و يقول صاحب (رياض العلماء): و قد رأيت فى تبريز من جمله كتبه كتاب منتهى المطلب للعلامه الحلّى فى الفقه، و كان عليه إفاداته بخطه الشريف بل لعل أصل النسخه كان بخطه و سماعى أنه كانت كتبه كثيره جدا و كلها جياذ و عليها خطه و إفاداته.

جهلت سنه ولادته و سنه وفاته.

السيد نعمه الله بن محمد باقر الحسينى،

المعروف بمير آصف:

فاضل فقيه متبحر فى العلوم و الفنون، من أعلام أواخر القرن الحادى عشر و النصف الأول من القرن الثانى عشر.

كتب نسخه من كتاب "ضيافه الاخوان" الرضى الدين القزوينى فى سنه تاليفه ١٠٩٢، و وصف مؤلفه بأوصاف حميده يظن منها أنه كان من تلامذته، فكان من القاطنين بقزوین آنذاك، و لا نعلم أصله و لا شيئا من نشاته.

ألف رسالته "الأوزان و المقادير" في تفليس، و لعله انتقل إليها و أقام بها بعد طى مراحلہ الدراسيہ، و لكن يبدو أنه لم يكن راضيا على بقاءه فيها، فإنه بعد الإقامه بها اقامه اجباريه يتمنى الرجوع إلى أهله و وطنه.

له "الأوزان و المقادير" ألفه سنه ١١٢٩ (٢)

الملا هادى السبزوارى

(المشهور ب (أسرار):

مرت ترجمته فى المجلد العاشر من (الأعيان) و نذكرها هنا بتفاصيل أوسع:

يعتبر الملا هادى السبزوارى بن الملا هادى أحد أشهر الحكماء فى العهد القاجارى، و هو من ابرز و أشهر تلامذه الملا محمد إسماعيل واحد العين الاصفهانى و الملا على النورى.

كان الملا هادى السبزوارى ابرز و أكبر حكيم و فيلسوف فى العهد القاجارى الذى سبق جميع المفكرين و الفلاسفه و العارفين المعاصرين لهذا العهد فى كونه موضعا لكلام القاصى و الدانى.

بعد انقضاء عهد صدر الدين الشيرازى (الملا صدرا) و عبد الرزاق اللاهيجى و غيره من كبار تلامذه الملا صدرا، قام الشيخ أحمد الاحسائى بتأسيس اتجاه جديد اسماه (كلام أهل البيت) و أخذ طلاب العلم يميلون - بعض الشئ - إلى هذا الاتجاه، حتى جاء عهد استاذى الملا هادى السبزوارى الملا محمد إسماعيل الاصفهانى و الملا على النوريفدأ الأول مره فى بحث و نقد أقوال الشيخ فى مجال الحكمه و العلوم الالهيه، ثم تبعهم فى ذلك الملا هادى السبزوارى الذى أسس فى سبزوارة أكبر حوزة علميه لبحث و تدريس حكمه الإشراقين و المشائين.

طارت شهره الفللسفيه و العرفانيه للملا هادى فى جميع أنحاء ايران، بل تعدتها إلى بعض البلدان الإسلاميه مثل: افغانستان و الهند و العراق، فاخذ عشاق الحكمه الإسلاميه يتوافدون على سبزوارة من المناطق النائية لسمعوا عقائد و آراء حكماء ايران و اليونان و الإسلام من آخر الحكماء المسلمين: فكانوا يقيمون لعهده سنوات فى حجرات مدرسه سبزوارة لينهلوا من دروس الحكيم الكبير السبزوارى و تلامذته.

و قد تميز الاتجاه الاخبارى و الكلامى للشيخ احمد الاحسائى و تلامذته بالترتيب و التنظيم، فكان اتباعهم المخلصون ينشطون فى نشر افكارهم بينما كان الأشخاص الذين يمتلكون ذوقا فلسفيا أو عرفانيا و يتأثرون بأقوال الملا هادى السبزوارى (أسرار) و تلامذته يرون ان أفكار الشيخ احمد الاحسائى و تلامذته بعيده عن آراء الفلاسفه و العارفين، و قد وضعوا عشرات الكتب فى الرد على عقائد الشيخيه.

و منذ ظهور الحكيم السبزوارى و إلى الآن يعتمد فى تدريس و بحث حكم المشائين و الإشراقين على كتاب (شرح المنظومه) لهذا الحكيم، و ذلك فى الحوزات العلميه فى مدن النجف و كربلاء و سامراء و الكاظميه و قم و مشهد و أصفهان و شيراز و سائر المدن الإيرانيه.

كتب هذا الفيلسوف الكبير خلاصه لحياته، كانت كما يلي: بدأ بدراسه الصرف و النحو فى سن السابعه أو الثامنه، و فى العاشره من عمره سافر أبوه إلى مكه، ثم توفى فى شيراز بعد عودته. و فى تلك السنه اخذه ابن عمته الملا حسين السيزوارى إلى مشهد بعد ان كان الأخير مقيما فيها لعدده سنوات. درس فى مشهد الفقه و الأصول و اللغه العربيه و العلوم النقليه على الملا حسين، و استمر بدراسته لهذه العلوم عشر سنوات، و فى سن العشرين انتقل إلى أصفهان التى كانت آنذاك مركزا للعلوم المتداوله فى عصره ليكمل دراسته فى حوزات هذه المدينه، و كان ذلك فى عام ١٢٣٢ هـ. حضر لمدته من الزمن دروس محمد على المعروف بالنجفى، حتى أكمل الفقه و الأصول، ثم انتقل إلى درس الحكيم

ص: ٣٣٢

١- محمد على قوسى.

٢- السيد احمد الحسينى.

المشهور الملا- إسماعيل الاصفهاني فدرس عنده الحكمة لخمس سنوات، و بعد وفاه استاذة هذا انتقل إلى درس الحكيم المعروف الملا على النورى فى الحكمة، حتى بلغ مستوى رفيعا فى الفلسفة المشائية و الاشراقية.

رحل بعد ذلك إلى خراسان و مكث فى مشهد خمس سنوات اشتغل خلالها فى تدريس الفقه و الأصول و الحكمة، و تخرج على يده طلاب بارزون أصبحوا فى عداد كبار المجتهدين و المحققين فى عصرهم. ثم سافر للحج، و بعد عودته بقى فتره فى كرمان، و تزوج زواجه الثانى، و لم ينقطع خلال ذلك عن التحقيق و المجاهدة فى سبيل تزكية النفس و استغرقت سفرته هذه ثلاث سنوات، ثم عاد بعد ذلك فى عام ١٢٤٦ أو ١٢٤٨ هـ إلى مسقط رأسه سبزوار، و اشتغل فيها حتى آخر عمره فى التدريس و المطالعة و التحقيق.

كتب الملا محمد الهيدجى فى آخر حاشيته على شرح المنظومه للملا هادى السبزوارى ما يلى: " يبدو من خلال كلامه (كلام السبزوارى) ان تاليفه لهذا الكتاب كان فى حدود عام ١٢٧٦ هـ " و يضيف قائلا: ولد الحاج الملا هادى عام ١٢١٢ هـ، و رغم كون أبيه من تجار و ملا- كى سبزوار، الا انه أثر طلب العلم و الأدب على الحياه المرفهه.. ثم يتحدث عن بعض أدوار حياته و مراحل دراسته، حتى يقول: كان معاش السبزوارى منحصر فى زوج من البقر و بستان صغير، و فى فصل قطف العنب كان يدعو جميع الطلاب إلى بستانه، و يبدأ أولا بدفع الحقوق المترتبه عليه، ثم يحتفظ بالثلث و يوزعه بالتدرج على الفقراء.

و فى أيام عيد الغدير كان يدفع لكل فقير من فقراء الساده قرانا واحدا، و لسائر الفقراء نصف قران، و قد عرف بعزه نفسه و عدم قبوله مطلقا لشيء من التحف و الهدايا، و عرف أيضا طوال حياته بزهد و تقواه و صدقه و صفاء نفسه، و لم يكن يعر اهتماما لاحد من الأغنياء و الأكابر، و حين زاره ناصر الدين شاه فى داره فى سبزوار جلس على حصير كان مفروشا فى غرفه التدريس، و طلب منه تأليف كتاب باللغه الفارسيه فى الأصول، و بعد عودته بعث له خمسمائه تومان، فلم يأخذها، بل وزعها مناصفه بين الطلاب و الفقراء، و امر بإعطاء الساده ضعف ما يعطى للآخرين.

نقلت عن السبزوارى كرامات عديده لا- مجال لذكرها و لكن ليس هناك كرامه أعلى و اسمى من ضبط النفس و تسخيرها، فذلك أساس كل كرامه.

تعرض مؤلف (ريحانه الأدب) للحديث عن لقاء ناصر الدين شاه القاجارى بالملا هادى السبزوارى فى سبزوار، فكتب عنها ما يلى:

" ينقل شخص موثق رافق ناصر الدين شاه فى رحلته إلى اوروبا حديثا عن لسان شخص (الشاه)، حيث كان يقول (الشاه): كنا كلما دخلنا مدينه بادر أهلها إلى استقبالنا ثم يشيعوننا حين نرحل عنها، و فى سبزوار بادر أهلها بكامل طبقاتهم إلى استقبالنا، ما عدا الملا- هادى السبزوارى، و ذلك لانه لا يعرف الشاه و لا الوزير، فرضيت لهذا الأمر كل الرضا و قلت: إذا لم يكن يعرف الشاه فان الشاه يعرفه، ثم حددت يوما معيننا و ذهبت مع خادم واحد إلى منزل الملا هادى - بدون المراسم السلطانيه التى تزجج أهل العلم - و كان حينها وقت الغداء، و بعد الحديث حول مسائل متفرقه، قلت له: لقد أتم الله نعمته على و لا بد لكل نعمه من شكر، فكما ان شكر نعمه العلم هو تدريس العباد و إرشادهم و شكر الغنى مساعده الفقراء، كذلك فان شكر السلطه و القدره هو قضاء حوائج جميع الناس. لذلك أتمنى عليك أن توكل إلى أمرا أستطيع به أداء الشكر على نعمه السلطه. فأظهر الحاج

(السبزواری) غناه و عدم حاجته، و لم ينفع معه اصراری، حتى ذكرت له انی سمعت بامتلاكه قطعه أرض زراعيه و رجوته ان يتوقف عن دفع الضرائب للدولة، فلعلنا بذلك نكون قد اسدينا و لو خدمه صغيره، و لكنه اعتذر حتى عن هذا الطلب، و علل ذلك بقوله: ان الضرائب ثابتة كما و كيفاً في كل ولايه، و لا يمكن تغيير أساسها من خلال التغييرات الجزئيه، فإذا لم أدفع الضريبه المتوجبه علي، عاد الضرر علي سائر الناس و علي أولياء الأمر، إضافة إلى احتمال ان هذه الضريبه سيتحملها بعض الأيتام و الأراامل و لا- أحسب ان صاحب الجلاله يرضى بالتخفيف عنى و اعفائى من الضرائب إذا كان ذلك سبباً لتحميل الأراامل و الأيتام ما لا يطيقون، و إلى هذا كله فان الدوله تتحمل نفقات باهظه فعلى جميع الناس ان يتحملوا تامينها، و من هنا فانى أودى الضرائب عن رضى و طيب خاطر.

ثم يضيف الشاه قائلاً: قلت لو أمرتم بإحضار الغداء لتناولوه فى خدمتكم، فأشار الحاج (السبزواری) إلى خادمه بإحضار الطعام دون ان يتحرك من مجلسه، فاتى الخادم على الفور بطبق خشبى فيه لبن و ملح و بعض اقراص الخبز و عدد من الملاعق، فاخذ الحاج اقراص الخبز فقبلها بكل أدب و وضعها على جبهته و توجه إلى الله بآيات الشكر، ثم قطعها و غمسها فى اللبن، و وضع امامى ملعقه و قال: كل فهذا خبز حلال زرعت و حصدته بيدي. يقول الشاه: تناولت ملعقه واحده فوجدت الطعام خشنا لا أطيق تناوله، فاستأذنته فى الاحتفاظ بباقي اقراص الخبز و وضعتها فى منديل و دفعته للخادم لنستشفى به إذا ما مرض أحد أفراد العائله المالكه. ثم يتعرض الشاه للحديث عن المتلبسين بلباس أهل العلم و يذمهم و يعترض على أعمالهم غير اللائقه، فى حديث مفصل لا مجال لذكره هنا.. انتهى كلام الشخص الموثوق ⁽¹⁾ و بالاضافه إلى درجاته الرفيعه فى المجالات العلميه و العمليه الاخلاقيه كان يمتلك ذوقاً رفيعاً فى الشعر العربى و الفارسى.

لم يكن الحاج الملا هادى يقبل بحضور كل شخص فى درسه، بل كان يشترط على من يرغب حضور درسه ان يكون قد انهى دراسه المقدمات اى لا بد من انهاء المتقدم لدراسه الكتب التاليه:

(1) الصرف و النحو فى اللغه العربيه و المعانى و البيان من كتب جامع المقدمات و السيوطى و المطول.

(2) المنطق من بعض الكتب من قبيل الكبرى و الشمسيه و شرح المطالع.

(3) الرياضيات المشتمله على هندسه أقليدس و النجوم.

(4) مبانى الفقه 5.

ص: ٣٣٣

١- ریحانه الأدب، تأليف محمد على المدرس، ج ٢ ص ٤٢٤-٤٢٥.

٥) علم الكلام من كتب هدايه الميبدى، و التجريد لنصير الدين الطوسى مع حواشى الملا على القوشجى، و الشوارق للملا عبد الرزاق اللاهيجى صهر الميرداماد.

و كان الأشخاص الذين يجتازون الامتحان فى هذه الدروس يقبلون فى دروس الحاج الملا هادى، و من ثم يباشرون بدراسه الفلسفه و الحكمه الالهيه.

لفت هذا الحكيم الايرانى الشهير انظار الباحثين الأجانب، و منهم:

الكونت دو كوينو الفرنسى و البروفسور الإنجليزى إدوارد براون و العلامه محمد إقبال اللاهورى، و قد تحدث هؤلاء فى كتبهم عنه بالتفصيل.

ترك الملا هادى السبزوارى آثارا عديده أهمها:

١) شرح منظومه الحكمه: عرض فى هذا الكتاب الأبواب المختلفه للحكمه بصوره منظومه أسماها غرر الفرائد، و يقول فى مقدمتها:

سميت [سمت] هذا غرر الفرائد أودعت فيها عقد العقائد

و قد قسم كتابه هذا إلى سبعة مقاصد هى كما يلى: المقصد الأول فى الأمور العامه، المقصد الثانى فى الجوهر و العرض، المقصد الثالث فى الإلهيات بالمعنى الأخص، المقصد الرابع فى الطبيعيات، المقصد الخامس فى النبوءات و الرؤى، المقصد السادس فى المعاد، المقصد السابع فى شطر من علم الأخلاق.

و قد قسم كل مقصد من المقاصد المذكوره إلى عدة فرائد، ثم قسم كل فريده إلى عدة غرر. و قد طبع (شرح منظومه الحكمه) عدة طبعات حجرية، أفضلها المعروفه بالطبعه الناصريه و التى تشمل على ٣٥٥ صفحه. ثم أعيد طبعها عدة مرات بالأفست.

٢ - شرح منظومه المنطق: كتب الملا هادى المنطق بصوره منظومه أيضا، و أسماها "اللالى المنتظمه"، و قد جاء تأليف منظومه المنطق بعد منظومه الحكمه، و أفضل طبعه لشرح منظومه المنطق تلك التى جاءت فى ١٢٢ صفحه و صدرت عام ١٣٧١ هـ اشتملت على منظومه الحكمه و أفضل ما كتب عليها من حواش للشارح الميرزا مهدى الآشتيانى.

ترجم الشيخ جعفر الزاهدى منظومتى المنطق و الحكمه إلى اللغه الفارسيه تحت عنوان (خود آموز منظومه) و طبعها فى مشهد.

٣ - اسرار الحكم: ألف هذا الكتاب باللغه الفارسيه استجابه لرغبه ناصر الدين شاه، و هو فى بحث المبدأ و المعاد، و يشتمل على بحوث فى الحكمه الاشراقية و المشائيه و المشارق الذوقيه.

طبع هذا الكتاب عام ١٣٠٣ هـ بواسطه الميرزا يوسف الآشتيانى الملقب بمستوفى الممالك، ثم تلته عدة طبعات. فقد طبع عام ١٣٨٠ هـ باهتمام العالم المعاصر الميرزا أبو الحسن الشعرانى، و صدرت آخر طبعه لهذا الكتاب فى طهران عام ١٣٦١ هجرى

شمسى (١٩٨٢ م) باهتمام ج. م. فرزاد مع مقدمه لتوشيهيكو ايزوتسو.

٤ - شرح بعض الاشعار المستعصيه فى المثنوى: و هو كتاب باللغه الفارسيه كتبه فى زمن ناصر الدين شاه استجاب له لرغبه الأمير السلطان مراد ميرزا طبع هذا الكتاب طباعه حجرية فى طهران عام ١٢٨٥ هجرى. ٥ - ديوان الأسرار: مجموعه أشعار للحاج الملا هادى السبزوارى، و قد طبع عدة مرات فى طهران.

٦ - حواشى على الشواهد الربوبية: يعتبر كتاب (الشواهد الربوبية فى المناهج السلوكية) أحد الكتب المهمة لصدر الدين الشيرازى، و هو يشتمل على دقائق الحكمه العالیه. و قد كتب السبزواری حواشى قيمه عليه، رفع فيها الكثير من المشكلات و المعضلات الواردة فيه. و لم تكن ثمه طبعة مفیده لهذا الكتاب و حواشيه، حتى بادر السيد جلال الدين الآشتيانى إلى طبعهما عام ١٣٤٦ هجرى شمسى (١٩٨٧ م) بواسطة جامعه مشهد، بعد ان أضاف إليهما مقدمه قيمه مفصّله.

٧ - حواشى على اسفار صدر الدين الشيرازى ٨ - حواشى على مفاتيح الغيب لصدر الدين الشيرازى.

٩ - حواشى على المبدأ و المعاد لصدر الدين الشيرازى.

١٠ - شرح النبراس فى اسرار الأساس: و هو كتاب فى رموز الطاعات و إشارات العبادات. و قد جاء على غرار منظومتى المنطق و الحكمه، اى جاء متنه شعرا مع شرح للسبزواری. و هو يبين فى هذا الكتاب المسائل الفقهيّه من خلال الادله الفلسفيه و الايضاحات العرفانيه - و قد طبع فى طهران طباعه حجرية عام ١٣٧١ هـ.

١١ - شرح الأسماء: و هو شرح لدعاء الجوشن الكبير، و قد طبع مرارا، و فى بعض الطبعات ارفق معه شرح دعاء الصباح، كما فى الطبعة التى صدرت عام ١٣٣٣ هـ.

١٢ - مفتاح الفلاح و مصباح النجاج: شرح لدعاء الصباح، و قد طبع عدة مرات.

١٣ - مجموعه رسائل: تشتمل هذه المجموعه على سبع عشره رساله (باللغتين الفارسيه و العربيه) فى المباحث العرفانيه و الفلسفيه و المسائل العقيديه و هى فى أكثرها إجابات على اسئلة العلماء المعاصرين له.

اشتملت هذه الرسائل على ست رسائل فارسيه و سبع عشره رساله عربيه، جمعها السيد جلال الدين الآشتيانى و طبعتها الاداره العامه للاوقاف فى خراسان (عام ١٣٤٨ هجرى شمسى) (١٩٦٩) بمناسبة الذكرى المئويه الأولى لوفاه الملا هادى السبزواری.

١٤ - الآخوند الملا محمد حسين الشيخ شهاب الدين بن موسى العراقي البزجلوئي ١٦ - الميرزا نصر الله الحكيم القمشه إي ١٧ - السيد عبد الله الموسوي الزنجاني ١٨ - الميرزا شمس الدين الحكيم إلهي اللواساني الطهراني ١٩ - الحاج ملا سلطان محمد بن الملا حيدر محمد الكنابادي (سلطان علي شاه) صاحب تفسير بيان السعاده ٢٠ - الآخوند الملا محمد رضا الأردكاني ٢١ - الآقا محمد اليزدي ٢٢ - وثوق الحكماء السبزواري شارح (كلشن راز) ٢٣ - السيد عبد الغفور الجهرمي ٢٤ - الآخوند الملا صالح الفريديني ٢٥ - الشيخ الميرزا نصر الله المشهدي ٢٦ - الميرزا محمد علي بن عبد الغني التفرشي ٢٧ - الميرزا علي أكبر بن الميرزا عبد الغني التفرشي ٢٨ - الحاج الملا إسماعيل بن الحاج علي أصغر السبزواري ٢٩ - الميرزا أسد الله السبزواري ٣٠ - الحاج الملا محمد صادق الصباغ الكاشاني ٣١ - الشيخ محمود بن الملا إسماعيل الكاشاني ٣٢ - الشيخ احمد الميامي ٣٣ - الميرزا نصر الله الترتبي ٣٤ - الشيخ عبد الأعلى القاضي السبزواري شارح دعاء كميل و بعض أشعار أستاذه ٣٥ - الآخوند الملا محمد حسن الاصفهاني المشهور بالكوهي ٣٦ - الشيخ علي أصغر السبزواري ٣٧ - الميرزا حسين القزويني الطيب ٣٨ - الحاج الميرزا محسن القاضي الطباطبائي التبريزي ٣٩ - الآخوند الملا تقى الاصفهاني الذي كان مدرسا في مدرسه حكيم في أصفهان ٤٠ - السيد جواد الطباطبائي الحائر ٤١ - الشيخ محمد حسين الطريحي النجفي ٤٢ - الميرزا محمد مهدي القمشه إي محشي الأسفار ٤٣ - الملا محمد كاظم بن الآخوند الملا محمد رضا السبزواري المعروف ب (السر) ٤٤ - الحاج الملا عبد الوهاب المنجم القوچاني ٤٥ - شرف الدين السيد علي الحسيني المرعشي التبريزي ٤٦ - الميرزا إبراهيم شريعتمدار السبزواري ٤٧ - الميرزا حسين امام جمعه كرمان ٤٨ - الشيخ علي فاضل التتبي ٤٩ - الميرزا الآقا حكيم الدارابي الجهرمي ٥٠ - الميرزا محمد السروقدی ٥١ - فاضل المغيئه اي السبزواري ٥٢ - الميرزا أبو الحسن الرضوي ٥٣ - الميرزا محمد حسين الكرمانی ٥٤ - السيد عبد الرحيم السبزواري ٥٥ - المولى محمد رضا السبزواري المشهور بالروغني ٥٦ - الحاج صادق الكرمانی أستاذ الرياضيات للميرزا آغا خان الكرمانی ٥٧ - مولانا محمد الخبوشاني السياه دشتي ٥٨ - الميرزا عباس حكيم شريف الدارابي ٥٩ - الملا حسين قلي الدرگزيني الهمداني(١)

الشيخ هادي النجم آبادي الطهراني بن مهدي:

ولد في طهران سنه ١٢٥٠ و توفي فيها سنه ١٣٢٠ و دفن إلى جوار داره التي كان يلقى دروسه فيها.

يعتبر من العلماء الواعين و المجتهدين المتفتحين المتحررين في العهد القاجاري، رحل في الثانيه عشره من عمره إلى النجف الأشرف، فدرس على علمائها، و في عام ١٢٧٠ عاد إلى طهران فتزوج ثم سافر مره اخرى إلى النجف. و بعد وفاه أبيه خلفه في امامه الجماعة و البت في الأمور الشرعيه. و قام بعد ذلك ببعض الاسفار إلى العتبات المقدسه و سفره واحده إلى مشهد و اخرى إلى مكه، ثم عاد بعدها إلى طهران و استقر اماما للجماعه في السوق المعروف بسوق عباس علي الكربلائي و في عام ١٣٠٥ هـ انتقل إلى محله حسن آباد و استقر في الشارع المعروف الآن باسمه حتى وفاته. و قد كان له دور كبير في تحريك الرأي العام و تهيئه مقدمات حركه المشروطه الوطنيه في ايران.

له عدد من الآثار، منها: مدرسه منتظمي الخيرييه التي سميت بعد ذلك ب (ابتدائيه الفيروزكوهي) التي بناها بأموال منتظم الدوله الفيروزكوهي، و الأثر الأخر المستشفى الوزيري، و قد بناه من ثلث المرحوم الوزير الميرزا عيسى. و من آثاره الكتابيه (تحرير العقلاء)، و قد طبعه عام ١٩٣٢ م في طهران باهتمام صهره مرتضى النجم آبادي.

و من ابرز تلامذته المحقق المعروف الميرزا محمد خان القزويني.

جاء في كتاب (المآثر و الآثار) لمحمد حسن خان اعتماد السلطنة الحديث عن الشيخ هادي النجم آبادي، و فيه: "يعتبر الشيخ هادي من المجتهدين المسلم لهم و من مراجع الأمور الشرعيه. و هو متميز ببساطته و زهده و ورعه، و لا يمتنع عن مجالسه علماء سائر المذاهب و يحب الاختلاط بهم، و يجالس دون تحفظ جميع علماء الأديان و زعماء الاتجاهات الدنيويه، و لا يعير اهتماما لانتقاد الفضلاء. و يعد من المتفردين و المتبحرين في الفقه و الأصول و الحديث و التفسير و الرجال و المقالات و غيرها من العلوم و المعارف و الاطلاعات".

و من خلال مجموعه التراجم و الأحاديث التي كتبت عنه، يستنتج انه كان محلا لاحترام العامه و الخاصه لدقته في عمله و ذكائه و انفتاحه الفكري. فمثلا- حين اختلف الوزير الميرزا هدايت الله مع ابن عمه و أخي زوجته الميرزا يوسف حول ملك (أك) الواقع في ناحيه بؤئين من النواحي التابعه لقضاء قزوین، ترافعا في قضيتهما هذه إلى الشيخ هادي فاصدر حكمه الشرعي لصالح الميرزا يوسف في ذي القعدة عام ۱۳۰۲ هـ. و قد جاء في تعليقات الميرزا محمد خان القزويني على كتاب الثوره الإيرانيه للانجليزي إدوارد براون، حول الشيخ هادي النجم آبادي ما يلي: "كان يرفض الفساد رفضا قاطعا. و لا يقبل من اي شخص فلسا واحدا، و كان عصر كل يوم يجلس امام عتبه داره و يستقبل شتى أنواع الناس، من رجال الدوله، و الأمراء و طلاب الجامعات و الشعراء و من سنه و شيعة و بايين و امريكيين و يهود و على اللهيين و غيرهم، و كان يتباحث معهم في شتى المسائل بمنتهى الحرية و الانفتاح. و هو مجتهد و متفتح و مثقف في آن واحد. و قد سعى لتوعيه الناس و دفع الأوهام عنهم و كان ثمره ذلك العديد من إبطال التحرر في ايران. و يعد السيد محمد الطباطبائي من جمله تلاميذه الا انه أخذ يفند آراء الشيخ بعد ان اختلف الأخير مع السيد صادق والد السيد محمد المتوفى عام (۱۳۰۰ هـ) و ذلك لان السيد صادق أعلن ارتداد الشيخ و كفره. و لكن هذا الأمر لم يكن يؤثر على مكانه الشيخ، بل زاد فيها و ضاعف من عدد اتباعه. و لم يكن الأمراء مثل الأمير كامران ميرزا نائب السلطنه و الوزراء مثل أمين السلطنه و حدهم هم الذين يأتون لزيارته بل قدم ناصر الدين الشاه بنفسه لزيارته، و كان استقباله له بعيدا عن التصنع و التكلف، و ما عدا قيامه من مجلسه لتحيه الشاه، فإنه لم يزد شيئا في استقباله عما يصنعه مع سائر الناس".

و كان غايه في التواضع و مواساه الفقراء و المعوزين. و كان بابه مفتوحا لسائر الناس دون طمع في أموالهم. و يعاملهم بالمساواه دون ملاحظه

ص: ۳۳۵

۱- عبد الرفيع حقيقت.

أحوالهم. و كان يوصى من ياتى لزيارته ان يكون محبا للانسانيه، متواضعا، و بعيدا عن التكبر و الاستبداد. و أغلب دعاه الحريه الايرانيين الذين كانوا يكافحون فى سبيل الحريه السياسيه، كانوا يرتبطون بعلاقات مع الشيخ هادى و يذهبون لزيارته أحيانا فيستمعون لنصائحه و آرائه القيمه. و قد ارتبط بعلاقه مع ملكم خان. و حين أسس جمال الدين الافغانى لجمعيته الإسلاميه و سافر إلى اسطنبول استجاب له لدعوه السلطان عبد الحميد العثمانى، أسست فى طهران جمعيه اسلاميه للتنسيق مع جمعيه الافغانى فى اسطنبول، و كان أغلب اعضائها من أصدقاء الافغانى، و يعد الشيخ هادى النجم آبادى من اعضائها النشطين.

كان الشيخ خلال علاقاته الاجتماعيه ينصح مختلف طبقات المجتمع بضروره الابتعاد عن الخرافات و التقليد الأعمى و الأفكار المغلوطة و السيئه.

و على الرغم من تردد وجهاء و أعيان الدوله و على رأسهم ناصر الدين شاه على بيت الشيخ هادى و احترامهم الكبير له، الا انه كان يتوجه لهم دائما بالنقد الصريح، و كأنه بذلك يعرض عن الاهداف التى يطمح إليها رجال الدين آنذاك، و يحاول الوصول بايران إلى مرحله التطور الاجتماعى و السياسى.

و تحدث الشيخ عن تفوق غير المسلمين على المسلمين بعد كل الماضى المشرق للإسلام فقال: "ما ذا حصل ليتفوق غير المسلمين على المسلمين فى بلاد ايران، بحيث يتبعهم الايرانيون بل و يميلون للسكنى بينهم؟ ما ذلك الا لأن العداله فى بلادهم أكثر، و الشعب أكثر اطمئنانا فى حكمهم و أموالهم و نفوسهم محفوظه أكثر تحت سلطتهم.

و يتعرض الشيخ هادى فى كتابه (تحرير العقلاء) للحديث عن الحكام و القضاء، و لا يكتفى بتوجيه الانتقاد اللاذع لهم بل يبين لهم الارشادات اللازمه و النصائح الكفيله بمساعدتهم على تنفيذ مهمتهم الخطيره.

و إذا كان الشيخ هادى مجتهدا، فإنه لم يكن يسكت عما يعتقد أنه نقائص فى بعض المجتهدين المعاصرين له، بل كان يهاجم بكل شده تلك الثله منهم التى يرى انها لا تراعى مصلحه الناس.

و لم يكتف الشيخ هادى بتوجيه النقد للمعاصرين له، بل تعدى ذلك إلى دراسته و تحليل الماضى التاريخى للمذهب الشيعى، فيقول عن بعض رجال الماضى: "انه يقبل كل خبر أو اثر أو رؤيه و إذا واجهته روايه متشابهه أولها و بررها بما يناسب ذوقه و عقيدته " و إذ كان الشيخ يختلف فى هذا المجال مع أكثر المجتهدين، فان آراءه و انتقاداته اللاذعه للعلماء دعت عالم طهران المعروف آنذاك السيد صادق الطباطبائى إلى تكفيره. و يبدو ان هذا الأمر دعا الشيخ هادى لان يكتب ما يلى: "إذا نطق شخص بالحق و أراد ايقاظك من غفلتك و اخراجك عن وهمك فانك تكفره، و تعزم على إيذائه و قتله و تحكم بنفيه عن بلاده...".

و لا نغفل القول ان الشيخ هادى اتهم بالبائيه و الحال انه كتب صفحات مطوله فى رد البائيه.

السيد هاشم الأمين بن السيد محسن:

اشاره

ولد سنه ۱۳۳۰ فى شقرا (جبل عامل) و توفى سنه ۱۴۱۳ و دفن فى شقرا.

هو الابن الرابع لمؤلف (أعيان الشيعة)، أتم دراسته الابتدائية في مدرسه والده في دمشق ثم درس على والده علوم اللغة العربية و بعض الفقه، ثم سافر إلى النجف للدراسة، ثم عاد لاسباب صحيه دون ان يكمل دراسته فيها.

عمل في التدريس و في الصحف، و كتب القصة و الدراسات الادبيه، و كانت ميزته الأولى الشعر إذ كان شاعرا مبرزاً، نظم الشعر فابدى في نظمه بمختلف فنونه، و نشر شعره في المجالات و الجرائد و ألقى في الحفلات دون أن يجمع في ديوان مستقل مطبوع.

و اننا لناخذ من شعره ما يلي:

شعره

قال:

سقتك ميمونه المغدى بانواء يا مطلع الخلد في حبي و أهوائي

يا حالما بنعيم النفس رونقه أما اصطباك على رؤياه إغفائي

بشير دنيای من عيش زهوت به باتت عوافيك تنعاه لدنيائي

ما بال كل حياه فيك تؤيسني و كل شاديه تشكو ببلوائي

خفت له أنه في الصدر والهه شتي هواتف في نفسي و أصدائي

فعبت بالربوه الخضراء أبالها ما ذا فعلت بعهد النازح النائى

تنكرت كل أوطار الحياه له فليس يحملها إلا على داء

كان زهر الليالى ما حفلن بها و لا مشين على الدنيا بنعمائي

تحديث عن عهود الوصل ما فعلت و ما جنت بين إصباح و امساء

نعى نهود على يمناي خافقه أو بسمه في مجال الثغر غراء

أو فتنه من أحاديث و أخيله أو لفته دون وسنى الجفن حوراء

هنا اتكأنا و قد رق الصبا وصفا فليس ينفك عن سحر و إغواء

قر العناق على لذاته عللا تولى هوى النفس آلاء بآلاء

يكاد يحتمل الدنيا على دعه فما نهم بشكوى دون باساء

ما توهن الوصل نجوى من تالفنا إلا تلاقى طرفينا باغضاء

تذكرى الواد إذ هبت خلائقه للنور عرييد أدواح و أجواء

يكاد من فتنه ألا تلم به إلا على شبه رؤيا مقله الرائي

تذكرى الزهر إذ فاضت نوافحه على حقول و غيطان و أرجاء

و نسمة من شذيات الربيع هفت سكرى تهالكك فوق العشب و الماء

حتى عدت سفحك المطول فاحتملت عطر الشفاه على سجواء خرساء

و هدهدت حلمها الهانى مهيمنه لدى نواعم أفنان و أفياء

تذكرى من غصون الدوح حانيه حامت على نسيمات الرائح الجائى

إذا حناها عليل الصبح و انعطفت طافت علينا بأوراق و انداء

تذكرى النهر منسابا على مهل ضاح تكسر أضواء باضواء

تمازج النور فيه و الصفاء على صاف تالألأ من رمل و حصباء

تذكرى ليله خفت لسامرها هواجس الوصل من وجد و إغراء

أوحى بها العيش للدنيا فما برحت تعلقو على خاطر للعيش و ضاء

جلا لها السحر الأعلى نواعسه على حواش قريرات و أنحاء

أغفت عليه فلا حس ينبهها إلا أحاديث ورقاء لورقاء

و نسمة فترت فى الغصن خافقه أسرى بها الصيف فى هون و إيناء

خذى الأحاديث عنا رقه و أسى سكرى الحنان على لحظ و إيماء

خذى شئون الهوى من صبو أو فتنه عربدت للوصل هو جاء

خذى خيال الليالى دون رونقنا نشوان يخطر عن أحلام صهباء

و اضىفى على الليل أفرح اللقا سورا يغفو بهن على قدس و إيحاء

و حديثه حديث الشوق عن كبدى يجلو هوى الكون من سحر بسيماء

و سلسلى صبوه الأهواء ما اعتلجت بتيم آدم أو إغواء حواء

ثم انثنى القمر الساهى على مهل يحبو إلى صفه فى مغرب زهراء

حتى إذا الشرق عمتنا مطالعه و انثال عن موجه فى الأفق بيضاء

تنفس الفجر عن رؤيا تخامره على عطور و انداء و لألاء

فيا رباع احبائى أباعته حلم الربيع على زهر و أشداء

هذا فتاك شريد العيش أخلقه مر الحوادث فى ضنك و إزراء

فهل بظلك روح أطمئن له انا الشريد و هذى الأرض بيدائى

بعثت فى صنوف الحسن تبهجنى لو كنت باعته قلبى باحياء

لمن ضحكوك السنأ تزهو غلائله إذا خلت نظرتى من حسن (أسماء)

و يا رباع ابجائى أطاف بها داعى الحياه لأفراح و أهواء

من كل والهه التحنان صاديه ذابت على مشتهاه اللثم لمياء

و هل حلا بعدنا النوار أو ثملت روح الربيع بادواح و اكلاء

و هل سجا صبحه المخضل يثقله بلال مثقله الأذيال وطفاء

و هل جلاها على أحلام نضرتة ضحى الرياحين من فيماء غناء

و يا رباع احبائى و اى نوى عفت ربيعك عن هجر و اقواء

عودى إلى حرم الماضى مسامره هواتف الوجد من ذكرى أحبائى

الظاعنين و حجب الموت دونهم الصابرين على شجوى و ضرائى

ذكرى تعلل أيامى فاحملها بيضاء تحنو على سقمى و أعيائى

و يا رباع احبائى و كل يد مرهونه عند دنيانا بانهاه

ما ذا لقيت من الحرمان بعدهم دنيا تتابع اسواء باسواء
أما ليالى و الذكري تروعها فليس يسعدها طيف باغفاء
إذا تقاصر صبرى عن فواجعها فزعت لكن إلى جفنى و احشائى

ص: ٣٣٧

فساكب الدمع اقداء تقرحها و سوره الياس نار فى سويدى
ليت الحمام الذى أبلى محاسنهم و حل آصره النعمى بسرائى
يبلى حشاشه ابلتنى لواعجها فكم أكابد احزانى و ارزائى
وارحمته لأهل الحب كم جهدوا حتى مضوا بين أشلاء و أنضاء
كانوا و كانت ماسيهم لهم أبدا يلقونها إرث أموات لأحياء
و قال و هو فى غربه بعيد عن وطنه:

أ رفيف أنفاس الخزام و حفيف أجنحه الحمام
باطل أسحار المصيف له بواديك انسجام
و البدر ساجى النور و سنان تجلى فى التمام
تغفو سكينته على نعمات غرد لا ينام

أرضى و ما أرضى سوى الظل المعطر و الفحام
ريا ترف على حواشى الروض أو برق يشام
بينى و بينك من هوان البعد أحداث جسام
أحداث ما صنع اللثام بها و ما لقى الكرام

أ رفيف أنفاس الخزام نتن الخزام فلا خزام
و حفيف أجنحه الحمام هيض الحمام فلا حمام
و استوحش البدر المنير فليس يسعد مستهام

عفت جمالك بالبلاده و الأذى غير دمام

أما الشذى فوباءه و رياضه أرض وخام

خنقت مناعب بومها طلق الأغاريد الرخام

ما كان عهد البر أن تروى و يقتلنى الأوام
أهواك وادعه لدى فنن و ثغر و ابتسام
و سنوح قبره على خفق كرفرفه السلام
و هزير عاصفه تضح بها سهو لك و الآكام
جنت بها الدنيا فعربد و إبل و رغا زغام
يا طيب أنفاس الخزام رياك فى صدرى سممام
فى ذمه التحنان ما ألقى لبعذك من هيام
وجد و ليل سادر فى الهم عن طيب المنام
و خيال لحن من عتا بايين شجو و اهتضام
هيما يجهش بالحنين و يستطار على غرام
صر الدجى الساجى صباباتى و أدمعى السجم
نضد السهند إذا اطمأنت فى مضاجعها النيام
حنت عتابا من هواك لشيق فبكى و هام
صب يسائل ذكريات الشوق عن خل و جام
كيف الأفايحى فى رباك و كيف زرعك و الوشام
و خمائل الوادى عبير الرند أو نور البشام
فى السفح إذ يغفو الأصيل على حواشيك الوسام
أو يارق السحر الندى على أغاريد اليمام
يا طيب أنفاس الخزام ذكراك إيغار و ذام
و ختامها:

يا طيب أنفاس الخزام و حفيف اجنحه الحمام

يا أرض (عامل) يا جوى فى الروح ليس له انفصام

ص: ٣٣٨

عطر الحنين لك السلام و قل من مثلى السلام

و قال:

هى السلم قد سعرت نارها و شنت على الحرب حربا عوان

ينوح العراق باحزانها و يخضب لبنان منها بقان

و تمسى على الهول هنغاريا و تصبح مخزيه بالهوان

و ترعد بالرعب أقطارنا سعيير اللظى و قتام الدخان

جنت ثمر الموت للمعتفين و روت من النار غرس الجنان

فطل الدماء و سل الدماء و خنق الجنان و قطع اللسان

و قصف الحديد و عصف الوقيد هى السلم فى النصر و المهرجان

فقل لبنى الحق بشراكم أديل له من صروف الزمان!

مضى زمن الحرب لا رجعه و هذا السلام و هذا الأمان!

و قال:

نرخص العيش و النفوس الغوالى لمعاليك يا فريد المثل

ما حوتك الخدود إلا لتحيى كل عين لنا عليك الليالى

طائرات بشوقها نحو عليك و عز الجمال كل المعالى

قد حملنا الجسوم و هى صحاح و ذهبنا بالحب فهى بوالى

ما ثنانا عن الهيام نوايا عن ديار و ياسنا من نوال

نحن للوجد حيث يدعو هوانا أ لقطع ماله أم وصال

سرنا فى الزمان غيب خفى أين منه نعوتنا فى المقال

يلتظى الكون فى مجاليه نارا قد طلعتنا بها من الآزال

عبدتها المجوس قدما و سارت بسناها طلائع الأجيال
هى للخلد و السنا حين يغدو كل كون لظلمه و زوال
و بعثنا القلوب فيها ضراما ذاك قربان حسنك المتعالى
معشر العاشقين أى انبلاج يتسامى فى المشرق المتلالى
إن وجه الحبيب فى فتنه الحسن و لطف إليها و سحر الدلال
إيه وجه الحبيب خروا بكيا إذ تبيت فى خصال الكمال
غشيتهم نوازع الوجد حتى تركتهم فى غشيه و خبال
يموا المشرق المنير حيارى فيك أنضاء صبوه و كالال
حملوا فتنه الجمال و هاموا يسألون الغيوب رسم الجمال
كيف عاشوا و كيف ماتوا بنجوى سر عينيك يا فريد المثال
و قال:

شجو يطيف على حواشى نفحه من روضه و سحابه من نور
يهفو إلى طلق الغيوب و لحظه من عبقرى المجتلى مسحور
حيث الهوى حب إلهى الرؤى و الفكر فيض زواهر و عبير
شجو يطيف و يجتلى ذكرى على طلل بآفاق البلى مهجور
ما ذا تقول له النجوم إذا سجا متوحدا بالقفر و الديجور
يا هائمين على النوى أين النوى من ذكريات مؤانس و سمير
تمضى صبايات و تبلى جده صبوات عافيه و صفو ضمير
و تردد الأحلام ذكرى من هوى يوم على عيش الوثام قرير
ذكرى الشفاه الناضرات على أسى قلب بعسف الحادثات كسير

و خيال نعى لا ىرف خيالها إلا على و له و شجو حسير
شفت حواشى الليل بين مخيم داج و نجم فى السما منير
و استبهمت فيه الوجوه طوالعا فى مد أفق ظاهر مستور
و على سجو الليل حلم تائه و على ائتلاف النجم غيب شعور
و هناك فى الأبعاد ذئب عانس يعوى و حيد جنادل و صخور

ص: ٣٣٩

ليل تغشى الكائنات سريره غمت على متوهد و شفير

أشباحه و ظلاله ما بينها مرأى ظلال الموت بين قبور

و الوحده الخرساء صمت من رؤى فيض باغوار العفا منشور

تنداح فى مد الفضاء كأنما تنداح نجوى من ترى مقبور

سنه ١٩٨١ و قال:

سلاما أيها الغريد محبوبا على القيد مقيما من نواحيه

مقام السيف فى الغمد تبيت الأسد فى القيد

و تبقى شيمه الأسد أبيت المورد الصافى

و شعبك آسن الورد وقفت حيااله ما لكك من ثنتين من بد

و شرا من ظما الأحرار يلفى مورد العبد و قالوا ليله شهد

بعسف القيد و اللد و طلق خياله نكد

على الترويع و الصد لمشثوم و معتسف

و مسود و مربد ساحمل نفحه الصبوات من خد و من ورد

و أنظم من نجوم الليل دريا على عقد و أكتب فى حواشى فجره أنشوده الند

و أنشرها معطره تحايا العز و المجد

تناجى نغمه الأشجان فى حنجره الغرد على الزنزانة السوداء بيت الغل و الحقد

بنتها كف مشثوم و أعلتها يدا و غد

نداء الريف فياح على الربوه و الوهد

هوينا همسه الورد و هادر ضجه الرعد

ثغاء شوييهه ترعى ضحى فى غيضة النجد

و هازج نحلّه بين اصطباح الزهر و الشهد خزامى ذلك المعطار ما زالت على العهد

ترف على الندى ذكرى من التحنان و الود

صبايا الحى تجلوها أغانى الشوق و الوجد

فمن خد إلى ثغر و من ثغر إلى خد

على السفح بنيات حيال الشفق الوردى

و موج من سنابله أوان الجنى و الحصد

و سرب من قنابره يغادى غابه الرند

و يزهر سامر الفتیان من لقيا و من وعد

تهاويل على الذكرى و أشواق على البعد

على نجواك مرسله حديث الهم و السهد

و قالوا بت عن سكن و عن بيت و عن ولد

و أودع ظلمه السجن و عاف حلاوه الرغد

أدل من دوله الطغيان ما جارت عن القصد

بنكر حكومه الرجس و بؤس دوله الجحد

شتات الريب و الأخلاط من مثل و من ضد

إذا سعدوا فبالأشقى و إن يشقوا فبالسعد

رواه الزور و المين و نسل البغى و الكيد

و قالوا يسال الوحده ما حال الهوى بعدى

لئن حجبوك عن وجه و إن صدوك عن جهد

فما البحر سوى البحر على الجزر أو المد

و داجيه إلى فجر و تشريد إلى عود

نداؤك صرخه الدنيا بما تخفى و ما تبدى

ص: ٣٤٠

مضى من ومضه الشمس و جاراها على حد

ضميرا فى صدور الناس من شوق و من وجد حنان الأم فى سكن

و در الثدى فى مهد و روح الأرض فى غرس

و طهر النار فى وقد

سنه ١٩٤٦ و قال:

كم غصه اكنمها صابرا الله صبرى ما عسى ان يكون

و خطره داميه للهوى تهفو على السقم و دامى الشجون

و نزوه للنفس فى ياسها لا تلمس الرشد و لا تستين

يا آمن الليل على نومه شردت عنى كل ليل أمين

يا ناعم الأحلام تعتاده مثل رفيف الورد و الياسمين

مثل هبوب العطر فى نفحها هناءه الوصل و أمن اليقين

أشكو إلى نعماك بؤس الهوى و قسوه البعد و هول الظنون

الكأس من لى أن تعل المنى من نعمه الحسن و فيض الفتون

و عزه للحسن يسمو بها هانت عليها ذله العاشقين

قد نثر الحب على سحرها رؤى الليالى و قتام المنون

و رعشه للحب فى فجره حائمه فوق خيال السنين

و حسره هائمه فى المدى الشعر من آهاتها و الجنون

أبحت شكواى أسى صبوتى و الليل و الصبح الشجى الحنون

الحب دمع و القوافى شجى و الليل ملتاغ الخوافى حزين

و قال:

قتلت كف الليالى فهمى و سبت روح الفؤاد الملهم
عونك اللهم من جامحه زعزعت نسكى و راعت حرمى
لا يعى قلبى مدى اهوائه لا ترى عينى سبيل الظلم
كسف البدر على آفاقها و انطوى عنها شعاع الأنجم
يا إبا النفس على محنتها غربه الفكر و جور السقم
اى كف سقتها ضارعه تسأل الغوث و عطف الرحم
اى طرف حائر أرسلته دون فياض المدى محتدم
نتن الأشلاء فى أرجائه و فسيح السود بين الرمم
ظلت استصرخ حتى لفظت مقلتى دمعى و احشائى دمي
عائر النظره حيران الخطى راعش الكفين دامى القدم
الاسى ويحك يا كون أما لأليم غايه من ألم
قدر أعمى على ظلمته عدم الخلق و خلق العدم
اى كاس فى يد قد عبرت بهوى الدهر و غى الأمم
يا ابنه الآزال هذى كبدى و شجونى و خيالى و فمى
ذا وجودى خاضع مستسلم يا له الرحمن من مستسلم
تعتيه نشوه و اشتملى بسوار الكرب غاوى حلمى
و قال:

هل أنت سلمى فى الصباح، مع الطيور مغرده

حتى هفا قلبى بصوتك بينهن و رددته!!

إنى أراك مع الأزاهر نصب عينى مائله

و أكاد ألمس فى نسيم الصبح روحك سائله

و بثغرك المفتر عن فكر و طول تألم

نور ينير كابتى

فتبسمى، و تبسمى...

أ رأيت أسراب الظلام، تسير مسرعه الخطى؟

و الريح تخفق أثرها، خفقان اجنحه القطا

و تبسم الصبح المنير، عن الأزاهر و الربى؟

و الطير تلطمه حدود الورد أو كف الصبا؟

أومى إليك مناغيا بلسانه المتلثم

لى فى اللمى امنيه..

فتبسمى، و تبسمى...

هل أبصرت عيناك نورا، وامضا خلف الفضاء؟!

فحسبت حظك مشرقا، يتبسمن به القضا؟!

ليس الذى أبصرتة، إلا أشعه مقلتيك

ص: ٣٤١

بعثت بها منك اليه، و أشرفت منه عليك

أ و ليس فى الثغر الجميل، و فيه سلوى المغرم

بالله يا سلمى على

ومض الشعاع تبسمى!!

مثل الورود تنفست، بالمسك نم به العبير

هذى عيونك أوضحت عما يجيش به الضمير

فباى شىء فى فضاء الأفق البعيد تحديقان؟

هل عن مفاتيح المنى، فى اللانهايه تبحثنان؟

ضاعت مفاتيح المنى، فتجلدى و استسلمى

قرى و قولى للشفاه

تبسمى، و تبسمى...

لما أزالته بهجه التفكير عن عيني الغبار

فتشت عما فى الضلوع

، من الأزاهر و الثمار فوجدت قلبى ضاحكا،

للعاطفات يهلهل

جم الخواطر و المنى، لكنما هو مقفل..!!

و رجعت لا اهدى إلى، سر الفؤاد المبهم

و باذن نفسى هامسا

خل الأسى و تبسمى!

سلمى لا تاسى على، ما مزقته العاصفات

هيا بنا ناوى إلى، ظل الهوى و العاطفات

هذا الشباب مهلهل، و غدا إذا جاء المشيب

ما ذا به!... غير التأوه و التحسر و النحيب؟؟

و تأملى فى الروض.. كل ضاحك ملء الفم

كل يقول تبسمى..

فتبسمى، و تبسمى...

و قال:

جرى مثل فى سالف الدهر سائر بمن عكفوا يوما على صنم التمر

أقاموا عليه يستميحون خيره فما نالهم بالخير يوما و لا الشر

و صار لهم فى يوم ضر ذخيره شفتهم غداه الجوع من ذلك الضر

و كان لنا رب من الكرج أحمر عبدناه فى عصر الثقافه و الفكر

و كنا له فى كل يوم فريسه ملايين قتلانا من البيض و الحمر

و حطمتموه بعد ذلك و انطوى كما باد ذاك الرب فى سالف العصر

فاى زمان كان أدنى إلى الرضا و أى إله كان أجدر بالشكر!

سنه ١٩٥٧ و قال:

هذا فتون الكون يا فتتيذا نور بدرى و شذا وردتى

تدفق الفواح من صبوتيو امتدت الآفاق من وحدتى

و فاض فى الكون مهيب الفضامن سرى المكنون فى روعه

و قد تطلين على دى الدجيمن قلبى الحران من صبوتى

فيسهد البدر و يأس الضياو يزفر الورد على حسرتى

يا نافح الموت باعرافهو ناثر الزهر على رمه

القلب - يا للقلب - ما شوقهغير ذهول موحش ميت

سنه ١٩٣٧ و قال:

يا رعهه الجسد العليل و أنه الروح الكسير

يا سوره الياس المريع على تباريح الضمير

يا جنه الأحلام تصخب فى هوى القلب الحسير

يا فجعته الحب الصغير و ضيعه الأمل الكبير

نوحى على مرخ الوجود و جهمى وجه الدهور

هيجى بهذا الكون عاصفه على الدنيا و ثورى

طوفى بزاهى النجم و احتبسيه لا يشرق بنور

كونى ذعاف السم فى زهو الازاهر و العبير

كونى لهيب النار فى العشب المندى و الغدير

كونى زوابع فى سكون الحقل و الروض النضير

كونى الجهامه تجتلى فى كل وضاء ظهور

و تمثلى فى كل شىء يجتلى روح الشرور

أو محنه الكون الكبير تعج فى القلب الصغير

ص: ٣٤٢

لو أستطيع بعثتهن عليه من نار و قبر
و أعدت جنات النعيم بهن من حمام السعير
سيان يا عيش الهوى شاناك فى كل الأمور
مهما عظمت أو احتقرت فأنت إلهيه الغرير
ما دون غمضه ناظر عاد الحقير إلى خطير
من قال للأكوان كونيهما و للأفلاك دورى
قصرت لىالى الطوال عن الهوى و غفا سميرى
و شربتها حتى الثمالة من أساى و من خمورى
و سهرت جم الفكر لا سهد الكواكب و البدور
ما نهنت من فيض أحزاني و طغيان الشعور
هذى الرؤى هل فى الغيوم مطافها أم فى القبور
أين المصير بذا الهوى أواه من هول المصير
و قال عند زيارته قبر الامام على الرضا (ع):
هذا أبو الحسن الرضا و جلاله ملء الربوع
و المهرجان و مجده دقق الجموع على الجموع
السابحات على العطور الساطعات على الشموع
من مهجه حرى و من دمع و من خد ضروع
أو مشرق متهلل نضر التشوف و النزوع
أو هانىء قسماته صفو الوداعه فى الوديع
و ضجيج أفراح و أحزان و تحتان و روع

و الصوت ترجيع الملائك بالصفاء و بالنصوع

و الذكريات تمور بالدامى و تجار بالوجيع

ضربت رواق محامد كالشمس قدسى السطوع

يزهو بال محمد لا بالذليل و لا الخنوع

أيام ثاروا للكرامه و استطالوا عن خضوع

و مضوا على سنن الكرامه من شريد أو صريع

فسل القطيع أ كان غير الذل جزار القطيع

بمذله الجوعان هان الحق لا جور المجيع

ما ساد رب العبد لو لا خسه العبد المطيع

و منها:

أ محمد و لك العزا بالبيت و الشمل الجميع

ما كان عهدك من (خراسان) كعهدك فى (البيع)

ترعاكم ساسان لا نسب سوى الشرف الطيع

و تعقكم عدنان بين الوحى و الرحم الضليع

يخلو حماك لغاصب هو منه فى الرحب الوسيع

و على بنيك مضيق ما بين عان أو مروع

لم يقصروا عن عاجزين و لم يعفوا عن رضيع

بالسيف بالتشريد بالترويع بالسسم النقيع

يا طلعه الشمس اخمدى حتام تؤذن بالطلوع

حاتم تروى الأرض من دام و تشرب من دميع

و تدنس الحرمات فى يد كل دعار خليع

تعطى و تستلب الحياه بكف و غد أو رقيع

و الصدق لعقه لاقق فى شفق كذاب خدوع

و منها:

يا لابسين العار وشح بالسوايح و الدرور

الناعمين على الحقاره بالزرور و بالضرور

قرت عيون الذل و استخذى على الخصب المريع

و مضى بدعوى فى الكرامه من عزيز مستطيع!

و قال و هو فى مدينه بعلبك:

يا جنه الحسن هل للوصف من لغه إنفاظها منك إلهام و وجدان

فكم أضيق بدا لفظا و معرفه إذا بدا لى طلق منك فتان!

يا للجمال تجلت روحه و سرى بين الرياض صميم منه عريان!

صفا الخيال على المحسوس و اختلطت فى نشوه الحس أبصار و آذان

يا للجمال أ هذا شعره هزج ما غمغت فيه ألفاظ و أوزان!

غنت به كل خرساء و شاديه فللزهور كما للطير ألحان

ص: ٣٤٣

و رب مونقه فى "الرأس" وارفه يلفها النبت ريان و فينان
تأزرت أرضها بالعشب و انعقدت سماؤها و هى أفياء و أفنان
يشجى الهوى حالم من حسنها نضر فالروض ثم صبايات و تحنان
ذكرت ليلى على بحلى خمائلها و العين حائره و القلب هيمان
خيال ذكرى جلته من محاسنها هيف شواد و أدواح و غدران
ففاضت العين لم أملك سوابقها مروع لحظها حيرى و حيران
فهل شجاها على الهجران ذكر فتى يبلبه فى الدهر حرمان و هجران
ليلى، و فى أى وجه لم تكن ذكر تعتادنى منك يا ليلى و أشجان!
أظل بالوجد سكران الهوى ثملا و قد يفيق على الأيام سكران!
طرف على الهجران ساهر و حشا على الأشواق طائر
واها هوى النفس المراعه فى صعابك و المخاطر
يا ويح أهلك فى النوى كل إلى ما حرت صائر
يا ليل كم لك مشهدا (أوفى) على نجوى السرائر
كم حار مهجور عليك و كم لها بصفاك هاجر
شتان يا ليل الهوى من سامر فيه و سامر
قرت جفونك يا مهفهف ما غفا للصب ناظر
اهجر و جر أنا صابر يا جائرا أفديك جائر
أخلق بمن قاسى الضنى بك أن يكون عليه صابر
حق لحسنك ذا الوفا لا كنت يوم أكون غادر
أهواى ذنبى إننى أبلى به هل أنت غافر

يا غصن وردك في القلوب على الهوى ريان عاطر

يزهو و يذبلها الجوى حسرى الهوى لا زلت زاهر

رفت عليه مروعه كم حائم منها و حائر

دم لاذوت بك نضره أذوى بهاها كل ناضر

العهد منك ليله الفح الحبيب أ أنت ذاكر

تمضى السنون و ذكرها ملء الهوى ملء الخواطر

و ضمير حبك خالد يبقى و قد تبنى الضمائر

قدس الخلود و ربما ذهبت به أبيات شاعر

سنة ١٩٣٩ و قال:

أطاف البلاد و جاب القفار و لا مستغاث و لا مستقر

كسكران تاه على ظلمه تقاذف فى الربى و الحفر

فلا السمع سمع على أذنه و لا نظر الزيغ منه نظر

و ساوى لديه الضيا و الظلام اسى خالط العيش حتى اعتكر

تكاد تضعضع أضلاعه إذا أن من حيره أو زفر

و يخطو فتحسب فى خطوه شرود الضلال و اختيال البطر

يهيم و ليست له غايه و يمشى و ما يقتضيه وطر

و ييمن فى السير لا يستفيق لغاد غدا أو خيال عبر

كان تصاريف أعضائه تعطلن من سمعه و البصر

يضعضعهن صدى حسره أرنت على رغبه تحتضر

بدا للعناصر تعتاده ففى جسمه من عناها اثر

فما يتقى لسعات الهجير و لا يحتمى من دقوق المطر

أيا لحظه إذ بلتك الهموم و يا وجهه غيرتك الغير

أ عشرون عاما عليك طوت جحود القنوط و زهد العبر

ص: ٣٤٤

كليل تعاور فيك الغضون من الرونق الغض لوحا أغر
فتكسف منك على رغمه رواء الصباح و حسن الزهر
بمعناك كل انكسار الحياه يفل الجلال و يدحو الظفر
على صور صاغهن الغرور و ألسها كبرياء البشر
كفرت بها عله المستريب أضل اليقين و مل الحذر
الا يا مناه أما فسحه لكن بظل القضا و القدر
و ما هن بالخطرات العظام إذا جل عن طوقه ذو الخطر
و لكن تباشير إغفاه تباعد عن عينه ذى الصور
و هيهات لو قدرت لانطوى على وحشيه الحلم منه النظر
أضاق قضاؤهما ان يضم عزاء النفوس و روح الفكر
إلى برهه من مديد الزمان و فى لحظه من قصير العمر
أيا ابن الوحول و يا ابن التراب و يا ابن الزقاق و يا ابن القدر
تساوت على البؤس أقدارنا فلا من عظيم و لا محتقر
لأهدى من الناس فى أرضهم و لو أدركوا الخلد فيها - الحجر
كان الحياه بها هوه و هم يزلقون على منحدر
تخادعهم مغريات الصفاء و ما هن إلا الشجا و الوضر
يروقههم مطعم من سموم و تسكرهم رشفه من كدر
علام السلام يرومونه إذا كان يغتاله ذا الخطر
و فيم الأمان و فيم الرخاء و فيم الحرير و فيم السرر
و كيف بنعماء أحلامهم و قد زمجرت فى فضاها سقر

فسل خاطر العيش أين اهتدى و أين استقام و انى استقر
يروح على نزوات الجنون و يغدو على خطرات الضجر
فهل أدرك الحق من جهده نهار يكر و ليل يفر
لئن ركبوا الجو فاستنسروا و راضوا الهواء و راموا القمر
و طالوا الطبيعه فى خدرها يبيحون من كنهها ما استتر
و عدو الكواكب فى سبحها و جابوا البسيطه بحرا و بر
فهل كفكفوا غرب بكاءه تذود الدموع و تشكو السهر
و هل بردوا من حيارى النفوس غليلا على جانبيها استعر
و هل اوجدوا دون هذا الضلال و غى الاحاسيس من مزدجر
أيا ابن الوحول و يا ابن أتراب و يا ابن الزقاق و يا ابن القدر
فداء لآهاتك الشاكيات طروب الحديد و حلو السم
إذا أنكر الحى حسن الحياه ففيم استنار و فيم ازدهر
رسوم الجمال و هل أزهرت على ظلمه النفس تلك الغرر
لئن كن للدمع هذى العيون فسيان فيها العشا و الحور
وردت على مستهل الحياه مراغ الورود مراغ الصدر
خبرت القضاء على سيرها فقص عليك صحيح الخبر
أفاز بنعمائه من أناب و حلى عن صفوه من كفر
أم استنه لا يرى غايه لخير تبلغنا أو لشر
أيا سفرا قد ظعنا له لنغير فى الدهر فيمن غبر
على جمح من مطايا السنين تبعا الخطا و قفونا الأثر

تأهى العياء فكيف الفرار و ضاق الفضاء فأين المفر

أ فى غاية الموت هذى الرحال لبئس الطعين إذن و السفر

مخيمنا فى فضاءه المجير و موطننا فى مداه الأبر

نجد عطاشى و كم غرنا سراب تلاً ثم انحسر

ص: ٣٤٥

وقال:

آبت إليه بعد طول الجفا تسأل عنه كيف خال الغريب

كان كثيرا دمعته دأبه فى حب الشكوى و طول النحيب

فما له نهنه من بثه أقر قلبا بعد ذاك الوجيب

لقد قضى يا ليل من بعدكم لم يبكه من صاحب أو قريب

فى ساعه ران عليها الأسى و جللتها موحشات الغروب

لا الورد فيها ساطع ناضر و لا وجوه الريح تهفو بطيب

غير اصطفاق الغصن فى عريه و وحشه الأنفس عند الهبوب

ألقي بها تشرين أوراقه على سوافى شمال أو جنوب

و استوحش الحقل بغربانه إذ غادرتة زمرا بالنعيب

لطالما ناداكم لم يجد غير دواهى سقمه من مجيب

و طالما أبلاه طول الالسى فهو عليل فى أساه يذوب

ينشد نجم الليل أشعاره و يندب الصبح و يبكى المغيب

يا صبر نفس و احتمال الأسى فى قلب العانى و دمعى الصيب

ما أهون السهد و أحلى الضنى أنى ملاقيه بعين الحبيب

يمضى على كل سبيل لكم لعلها يوما عليه تنوب

يمضى حسير النفس فى جسمه من وجده السقم و فرط الشحوب

حتى تلاشى مدففا عانيا و أسلم الروح الحزين الكئيب

هناك يا ليلي على نجوه جبانه القرية دون الكئيب

يثوى بها يا ليل فى غربه حتى من الموتى فتاك الغريب

سنه ١٩٣٩ و قال:

أسائل عنك البدر لو عنت البدر اشكاه الهوى المقهور فى الأنة الحرى
فيا بدر هل سلوى لديك تعينيو هل أبقت الأحلام لى فيك من ذكرى
و ما لى و الأوهام يا ليل إننيأقضى بها عمرى فما أضيع العمرا
تنكر هذا الأفق من بعد بهجهو حالت على بؤساي نجمته الغرا
و كان إلى عهد من السعد و الصباتفيض لعينى الكون بالمتعه الكبرى
تراقص أحلامى على رعه الضياو تبعثها فى الجو ناعمه سكرى
و قد نشر الليل المهيب جناحهكما طاف فيه الغيب أو نشر السحرا
أفاض على الدنيا مهابه سرهفعدات مجالى الكون فى جوفه سرا
و سال بروح الشعر فى الأفق حالمافتلك نجوم الأفق ينظمها شعرا
و ماجت بقدس الذكر نجوى مؤذنعلى روحه الساجى ففاض بها طهرا
تشق سكون الجو لحنا معطراتكاد له فى النفس تستشعر النشرا
رعتها نفوس باليقين قريرهصفت لسكون الليل تجلو له الفكر
و يحبو عليه البدر ساه كأنماتراخى على المنأى و كل على المسرى
و من نوره مجلى ذهول و رقهو فيض من التحنان فى الغمره الزهراء
على ساريات للنسيم فواتر كان بها أينا أو ان بها سكرا
و ران على الأطيوار روحا قريرهفقرت به عينا و قرت به و كرا
و صات له الصرار و ان كأنهعلى سهده و سنان لا ياتلى صرا
و قد لاح فى الابعاد من مبهم الكويكليل من الأضواء يرعش مصفرا
سجا كل شىء فيه و سنان حالما تخال به الأكوان منظوره بكر

سجا بخشوع النفس فى وحى سرها فمن روعه الأسرار أحلامه ترى

هى النفس تغشاه على غامض الرؤيو مبهمه الأحلام... إن لها أمرا

ص: ٣٤٦

أحباى هذا الليل ليلى فما له أطال على الهم و استنفد الصبرا
فكم نزوه ولهى لدى وحشه الهوى على قلبى العانى تطير بها ذعرا
بثت نجوم الليل شجوى و حسرتى فما وجدت شجوا و لا فقهدت ذكرا
أ عند نجوم الليل انى مسهد و أن لى الأهواء سادره حسرى
أحباى ترعاكم على البعد صبوتى و تدعوكم نفسى مدلهه حيرى
نعتم باطياف الكرى. إن مقلتى أقامت على الاشواق ماهره عبرى
و طبتم على بشر الحياه فاننى حملت الهوى و الصد لا
هجرت كئوس الخمر ما سلوتى بها؟ سلوا عن معانى الخمر من شرب الخمر
أحباى ليت الصد فى غمره الهوى و فتنه العظمى يضم به الصخرا
هو الحب ما زالت على البعد و اللقا نفوس له تعنو فيوسعها قهرا
إلى أين يزجيه ضعافا اسيره و نت باحتمال القيد و اشتكت الإسرا
و ما حيله الإنسان فى كل محنه أ يعلو على الأقدار أم يقهر الدهرا
و ما زال يلقاها هوانا و ضييعه أمناه طول العيش أم سكن القبرا
نهون على الأيام كونا فليتنا قنعنا فلم نرفع لأكواننا قدرا
و قال لما بلغه خبر وفاه شقيقه عبد المطلب و كان هو فى رحله بعينه:
أعيدى ذكرهم طربا أعيدى شجون البين و الشمل البديد
فلما يان بعد لمستهام سلو من بعاد أو صدود
و لا رقأت على ناى دموعى و لا بعدت على ذكرى عهدى
تمادت سوره الأحزان حتى استطالت عن زمان أو حدود
فتحنانى على وجد قديم كتحنانى على وجد جديد

و لهفه خاطرى من خوف فقد كلهفه على إلف فقيد
و صبرى من أذى يوم قريب كصبرى من أذى يوم بعيد
غريب وحشه الدنيا أنيسى و طرس الشؤم و الجلى بريدى
يكلبنى النصيح على شجونى مقام العارف الفطن الرشيد
و يسال حكمتى أين استطيرت أناه العلم و الخلق الجليل
و ما جدوى المعارف و المعانى إذا مرد الزمان على جحود
فانسج حكى درعا هواء و تعرفونى الحوادث من حديد
أعيدى ذكرهم سهر الليالى صبابه مدنّف و جوى عميد
أشواقا تهيم على الدرارى و آفاق الرؤى و شذى الورود
و نغمه صادح من غصن روض تضج على الفضا أفراح عيد
و حسره شاعر سلف تناءت على نجواه أيام السعود
يطالع للوداع عرار نجد و يجلو للفراق ربي "زرود"
لعل على النجوم حديث وجد ودود إذ يحف إلى ودود
و كل على الربيع ثمال عرف و فى و كناته ذكرى نشيد
أعيدى ذكرهم لحظات طرف تطوف بجفنه رؤيا شهيد
دهته فجاه الأحداث تترى جموحا بالضياح و بالشروذ
يقلب نظره المدهوش فيها و ينقل خطوه الوجل الطريد
و يمسك من ينوب الغدر قلبا سمالا بالحقود و لا الكنود
يسائل خطه الأحرار عنهم و قد كظته أغلال العبيد
و ينشد نفحه الريحان لهفا شريد مهامه و طريد بيد

أسمار النجوم هل العشايا أو أهل بالعهود و بالوفود
و هل نضر الرياض كما عهدنا زواهر بالورود و بالخدود
و خلان الصفاء هل النوادي بحالي أريحيات وجود
تنكرت الوجوه على غريب و أفقرت الديار على وحيد

ص: ٣٤٧

خدى من طلعه الغر الحوانى أمان الفاقد اللغب الشريد
و صوعى من جراح القيد لحنا يرف دما على عض القيود
يطوف فى سماء البيد يحدو بشوق الظامئين إلى الورود
و يجلو العبقریات الغوالى على عرش الكرامه و الخلود
تنزى فى العذاب و فى الدنيا و تزجر بالمهانه و الوعيد
على طغيان جبار عنيد و فى شهوات مافون بليد
تغنى بالجراح و بالرزايا و هزى الكون بالنغم المجيد
تهاليل الكرامه من حسين و وتر الضاغنين على يزيد
تغنى بالنبوغ تعاورته حقيده شانى و أذى حسود
غذته بالمراره كل كف عقوق من بتاريخ حقود
أعيدى ذكرهم نجوى ولى حنين الياس للأمل السعيد
و وسوسه النجوم على ليال طوال فى غمار الهم سود
على درب العفاه هيام شوق و تيه مفاوز و سرى كئود
مشيت و فى عيونى ألف رؤيا نطالعنى على الدرب المديد
و صفر راحتى من كل زاد طريف من تراث أو تليد
فلا الغنم المرجى من عتيد و لا الذكر المعظم من جدود
و خلفت الجمال لمبتغيه فلست من الجمال بمستريد
و ما أنكرته يوما جمالا جلا سر الوجود على الوجود
بلى أنكرته تغريد بوم [يوم] و موعظه بأفواه القروود
كفى زيفا بنا أنا طلبنا نقاء البرء فى خبث الصديد

و عشنا عيشه الحملان هونا و جرجرنا بتزآر الأسود
سقيننا الصفر من خمر الأمانى فعيج يدل بالعدد العديد
نلوم عدونا أن قد رمانا بقارعه و شيطان مرید
وسام ديارنا غصبا و سلبا و بهتانا و خلفا بالوعود
و أنفسنا لأنفسنا عدو طغى أعدى من الخصم اللدود
حملنا وزرها من قبل "فرد" و كنا ثارها قبل اليهود
سأصبر للحوادث ما استطالت و أرضى خطبه الخطب الشديد
و أرهاها حنينا و احتسابا مصارع فتيه و لحدود صيد
و استجلى الربيع ظلال عطر ضفت تحنو على تلك اللحدود
قبور للصباح بها رفيف و للأنداء نجوى من قصيدى
سنه ١٩٧٥ و قال فى رثاء قريب:

أمسيت لا أرجو و لا أتبرم سيان عندى دمعته و تبسم
فى وقفه المنبت فى دنيا الورى حيران لا أمضى و لا أنا أحجم
حسبى و حسبك يا حياه ضلاله أنى بما تبنى يدى أتهدم
و أظل أفنى بالذى [أفنى بالذى] أحيا به أبدا فغمنى فى الحياه المغرم
القبر أرحب من فضائك منزلا و الدود أنقى من بنيك و أرحم
أصبحت بين حلالها و حرامها حقى عليها أن حقى يهضم
يا طالبا فى ذى الحياه صلاحها حتام تهذى لاهديت و تحلم
قالت لك المثل التى زوقتها إنى لأنقى من دناك و أكرم
تمسى معاويه مليك نعيمها و طريد محنتها الامام الأعظم

يا باعث الصاروخ فى كبد الفضا هل فى يدىك لذى جروح مزهم

عزت على يمناك عبره واله و عنت على بعد المنال الأنجم

و مبلسم السرطان فى أبدانه سرطان روحك ما شفاه بلسم

ص: ٣٤٨

يا مسمع الجوزاء رنه صوته ما بال صوتك حول نفسك بيكم
نورت أغوار الدنى فجلوتها و مكان شبر من ضلوعك مظلم
وطات أكناف القضاء مغامرا عبر بين الغياهب تستيح و تقحم
و على ديارك بين أهلك ماتنى تحيا غربيا تستضام و ترغم
و لأنت أنت على البداوه ضاريا و على تهاويل الحضاره تنعم
متحضر لا بل سحيق حضاره ما زلت فى طياتها تتحطم
فى كل روض ورده مسمومه و بكل وجه منك نار أو دم
و على جلاميد الحديد تهالكت من ذات نفسك مهجه تتهشم
ظماى مدماه على لفح اللظى إن اللظى لشرابها و المطعم
تنأى الفتوه عن حماها عفه و تذاذ عنها عزه و تكرم
و يجرر الفن المريض عيائه خاب بمرآه الكليل و يسأم
ويح الحضاره كم يبيح محقق منها الذمار و كم يليها مجرم
بجمالها أضحت تشوه و تغتذى بهوانها و بطبها تتسم
يا رب إن الهائمين على العفا قنتوا لوجهك فى العفاء و أسلموا
هيم حيارى دوى كل ممرد تعمى الشموس على ذراه و تعقم
و تضج بيدااء موحش صمته قفراء فى لفح الهجير تضرم
تهن الصلاه على شفاه كزه شوهاء يثقلها القنوط فتلجم
عز القنوط فليس يقصر قانط و عفا الرجاء فما يغاث متيم
يا رب عفوك حم كل مؤبد غمت مناخيه و حق المبرم
تغشى العيون متاهه ما تنجلى ألهمهم ضاق الفضاءيا ملهم

يا أيها الثاوى على رغم الهوى حدث فقد تجلو الحديث و نبهم
هل كنت تلقى فى الجنادل مرما نلقى أم احلولى لديك العلقم
يا مشرقا فى الموت غض شبابه فكان نعشك فى الدموع تبسم
ما ذا أقول إذا تلجلج مقولى جهد القوافى حيره و تلعثم
صم الأسى فى مهجتى أو مسعدى يا شعر منك على الأسى متردم
فى ذمه الصبر الجميل لواعج باتت باطواء الحشا تنضم
و مروع إن أبهظته يد الردى لم تغن فى بلواه عين أو فم
مرت لياليك القصار عواجلا لمح الطيوف كأنهن توهم
زهرت على الأيام يثقلها الجنى و مضت بمرجو الجنى تنصرم
شيم كما خفق الشعاع على الندى و اهتر فى فيض الحياه البرعم
يا ابن (النجيب) شمائلًا و خلائقا بينى و بينك عروه لا تعصم
عهد بالطفاف الوفا ترعونه حرم على غير الوفاء محرم
و قال لما بلغه وفاه أخيه جعفر:

موكب المجد على هام السنا عبقرى الوفد معطار الخطى
حفه الروض جمالا و بها و جلته الشمس نورا و علا
موكب الرياح فى نصرته ريق الطلعه ريان المدى
فإذا هزت حواشيه الصبا عثر الورد بتيجان الندى
و إذا انداحت ثنايا صبحه علق العطر باسراك الضيا
مر تحدوه الأغاريد على وسوسات النور أو نفح الشذى
يشرق الوجدان فى آفاقه أريحيات و خلقا و هدى

و اللبانات و الأمانى ذمام و وفا نبيل إيثار و حب و ندى

مر مجهولا غريب الوجه فى بلد الضيم و إنسان الأذى

هكذا يومك فى عمر الدنى مر تخييل الرؤى ثم انطوى

ص: ٣٤٩

هكذا عيشك في عليائه وثبه النسرا عرازوا و إبا
نفحه للخلد في أقداسه سطعت يوما على دنيا العفا
أيها الحانى على أشواقنا كفه النعمى و محياه المنى
حدث التحنان عما فعلت حسره الفقد و آلام النوى
و انشد الصبر بقايا مهجه شفها الوجد و جافاها الكرى
ابعث الإصباح شجوا و أسى و انشر الليل هياما و جوى
يا نجوم الليل هل من سامر يؤنس الليل بذاك المنتدى
يا دروب العطر هل من نفحه تسعد الهيمان و جدا و أسى
صرخه للياس لم تلق سوى صمم الياس لها رجع النداء
يا غريب الروح فى موطنه غربه العفه فى دار الخنا
حسدوا مجدك أن قد عشيت فى سنا الشمس خفافيش الدجى
من قلوب كزه تخبطها جنه الأحقاد غيا و جفا
و عيون وقع النور بها حين إذ نورتها وقع القذى
زرعوا الزرع صغارا و عمى فاستطابوا منبت الذل جنى
أجمعوا أمرهم غائله و شروا بالحب ضغنا و عدا
جعلوا الغدر على ديدنهم ليد الإحسان و البرجزا
من رعى العقرب بالعهد جنى حمه العقرب عهدا و وفا
كنت أرجوك و صرف الدهر ما تركت أيامه ما يرتجى
نعمه الإيثار ألقاها يدا منك تأسونى حنانا وفدا
فسل الأعواد عما حملت من لبانات و شوق و هوى

و اطلب الدنيا يبابا تائها بين تشريد و يأس و عنا

و خذ البلغه للدنيا جدا حشرات تنطوى تحت الثرى

و قال:

جلاك على رؤيا صباح معفر تموت عليه الشمس أو تتعثر

أتح لى من طهر المروءات عبره يرف بها قلب و يبكيك محجر

و يرتد إعوالم الثكالى مراثيا على دمك المسفوح تطوى و تنشر

أحسنك يا لبنان فى حماه الأذى و وجهك فى مستنقع الموت مقفر

من السامر المحزون فى غسق الدجى بشكوى الأسى و الرعب قد بات يسمر

شذى قريتى بين الرياض زمازم و نفع خزامها صديد و عثير

و مجلى شباب الناشئين زعازع و زهر رياض الطفل نار تسعر

هى الحرمات الغر نهب مباحه فساحك إرهاب و ناديك منكر

يغولك من أهليك سوى عصائب نبات الأذى و الشؤم تنهى و تامر

و إخوتنا أهل العروبه حسبهم حشايا و ثيرات و ذيل مجرر

سكارى على طيب الحياه و خفضها و لبنان فى أوجاعه يتصور

تضيق به الآفاق لا متحول بقيه الأذى فيها و لا متصبر

نواطير هذا النفط فقتم و سدتم عرائين شماء و خد مصعر

على كل بئر منه ملك مملك و فى كل أنبوب أمير مؤمر

فما عز كسرى فى بواذخ فارس و ما مصر فرعون و روما و قيصر

و هل كنتم إلا الحثالات منزلا فمولى ذليل أو أجير مسخر

هنيئا لأصحاب السمو نعيمهم و عيش لأصحاب الجلاله أخضر

إماء و غلمان و زهو و تخمه و باه و تطريب و خمر و ميسر

و مرحى لأصحاب الفخامه حكمهم عتاد و بوليس عتيد و عسكر

ص: ٣٥٠

إذا طال في لبنان ليل لواله فليلتكم في غفله اللهو تقصر
و إن لف مسود الدخان ديارنا فنشركم في الجو مسك و عنبر
و إن عج في لبنان إعوالم ثاكل فناديكم يجلوه ناي و مزهر
و إن ظل قتلانا عرايا على الثرى فتربه موتاكم لجين و مرمر
و ينعقد الديوان لا قصد غايه و لكنه التشريف رسم مقرر
و تترى أنيقات الرواسم بعده على عاطر القرطاس تجلى و تسطر
فنظم قرارات و صقل مكاتب تهاويل بجلوها [يجلوها] من النسق محضر
منمقه ما فاتها حسن مظهر و قد فاتها من منطق الحق جوهر
أقلوا اختيال العجب لا در دركم و إن جد بالأحرار جد فاقصروا
عفا كنف الأحرار خزيا و ذله فلا الجود مرجو و لا الخير محضر
نضار على وجه القباحه مشرق و غار غدا في مفرق العار يضفر
و قال:

طلعت من زاهرات المشرق و غدت من نوره في زورق
حملت من طور سينا زهره ضمخت بالطيب وجه الأفق
هي ليلي من رأى طلعتها و انبلاج النور فوق المفرق
من رآها في سناها و اجتلى حلم النور بساجي الحدق
من رأى الأملاك حفت ركبها في سنا الحسن و قدس الرونق
يمخر الزورق في هون على مستفيض بالسننا مستغرق
رحله الحسن إلى الغرب و قد يمم الغرب بوجه مشرق
انا في الشاطى يا ليلي على وحشه الياس و ذعر الفرق

انا فى الشاطئ يغشاه الدجى أ تلوى فى الظلام المحدق

أ ترى يا ليل من بعد النوى فى ديار الغرب يوما نلتقى

بعد الزورق لم يسمع ندا و توارى فى الضباب الأزرق

و قال:

نميتم إلى قرد من الوحش أحمق فسؤتم به جدا و ساء بكم ولدا

و ليتكم للكلب كنتم نميتم لطبتم به عهدا وفقتم به رشدا

و أدركتم من طبعه الحب و الوفا و لم تلدوا من نسله النذل و الوغدا

طبعتم على خلق القروود سجيته فان لم يكن قردا لقد ولد القردا

كلوا عنوه نتن الرغائب و اشربوا صديد الأمانى لا مناصق و لا بدا

و قال يخاطب ابن شقيقته هيثم:

حنانيك - لا أعدوك - عندى من الوفا أحاديث أجلوها عليك قوافيا

رواؤك بشر الأريحيه طالعا على ملتقى الخلان وجها و ناديا

و مرآك إشراق المروءه و الندى تجلى أخوا ندبا و خلا مؤاسيا

ترفعت عن لؤم الدينيه طاهرا و أشرقت فى أفق الكرامه ساميا

صديقى إذا عز الصديق و ناصرى إذا خفت من صرف الزمان العواديا

تعهدتنى بالفضل تاسو جراحتى و ما كنت منانا و لا كنت وانيا

و آثرتنى إذ عاد شانى موزعا أصارع جبارا من الدهر عاتيا

تموت على الصبر الطويل نصارتى و ينهد من كد الرزايا كيانيا

أخا النجده الغراء حبيت ماجدا و فديت ميمون النقيبه زاكيا

سلمت (لغيان) و (ريتا) مؤملا و ليا سما كفاء الولايه حانيا

وقال:

خليلى هذى دارها فقفانى على موحش الآثار ثم دعانى
حنانكما ما أجدد القلب بالاسى و أحرى دموع العين بالهملان
عرفت لها شاننا من الناي و البلى فهل عرفت يا ويح قلبى شانى
فيا حسره الأحشاء ما فعل الاسى بواه من الأحشاء دونك عانى

ص: ٣٥١

لها الله من مفعوجه يستيبحها أذى البين فى طاغ من الخفقان
خشعن كليلات على رقه الضنى سوى وثبات القلب بالعزوان
حنانيك بالبلاى أى صبابه و أى شئون الوجد فيك عراني
تقضى شبابى فيك هما و حسره و مر على الغصات فيك زمانى
أعيدى إلى جفنى حلاوه نومه و ردى على عيشى المروع أمانى
مررت بمغنانا الحبيب عشيّه و أغصانه خضر عليه دوانى
و اطيّاره جذلى فهل ذكرت لنا عهدود تلاق عنده و تدانى
أبيت ارى ياسى على كل وجهه و فى عيها النعمى بكل مكان
بكل طروب الطير يعلو جناحها و لى فى الهوى جناحان منكسران
سعدن أ بفواح الربيع و طلقه على الوصل كل اثنين يلتقيان
خذنا كبدى يا طير من حسره النوى إلى فرحه اللقيا التى تجدان
خذنا كبدى طالت على شجونه بدائم اشجانى و طول حنانى
أ عرسكما يجلى على نوح صبوتى و وحشه أحلامى و دعر جنانى
و قال راثيا:

و موسد للموت دون وساده شجو الحياه يضيق بالاحياء
يحلو كان سكونه سنه الكرى و جفونه قرت على الاغفاء
يحلو كان الموت بعض جماله فشحوبه فى الحسن و النعماء
مالى ملكت عليه و يح حشاشتى خوف الظنون المرجفات بكائى
غالى به الراثون ليت فديته غال على حبست عنه رثائى
يا قلب هون من جواى بقوله و لعل خفقك ندبه الورقاء

و قال:

استن م ركس للعالم خطه قفى على آثارها لينين
و أتى ستالين فارسى حكمها ندب على قدس التراث أمين
راض الزمان فاسلست منه العصور لما قضى التخطيط و التقنين
و مضى جفاء باطلا زبد الحياه على العفاء وصفى التكوين
حتى إذا حطم الحمام قناته كانت شئون بعده و شجون
أرهجتم فنكستموه القهقرى فالجهل سوس و جوده و الهون
قد كان أصبح و هو رب يرتجى فيكم فأمس اليوم و هو لعين
ما يوم "بريا" يوم "بريا" وحده بل كلكم عند الحساب ظنين
بارت به لكم جميعا خطه و أديل من زور و أنكر دين
تاريخ ذا التاريخ ينبئ أنه زور بما شاء القوى رهين
إنى لأسال و الحوادث حجه و الهزل جد و اليقين ظنون
هل كان واشنطون حرر أمه حقا و أحرق رومه نيرون!
و قال:

طرف على الهجران ساهر و حشا على الاشواق طائر

واها هوى النفس المراعه فى صعبك و المخاطر

يا ويح أهلك فى النوى كل إلى بؤساي صائر

يا ليل كم لك مشهد موف على نجوى السرائر

كم حار مهجور عليك و كم لها بصفاك هاجر

شتان يا ليل الهوى من سامر فيه و سامر

قوت جفونك يا مهفهف ما غفا للصب ناظر

اهجر و جر أنا صابر يا جائرا أفديك جائر

أحلق بمن قاسى الضنى بك أن يكون عليه صابر

حق لحسنك ذا الوفا لا كنت يوم أكون غادر

أهواى ذنبى اننى أبلى به، هل أنت غافر؟

ص: ٣٥٢

يا غصن وردك في القلوب على الهوى ريان عاطر

يزهو و يذبلها الجوى حسرى الهوى لا زلت زاهر

رفت عليه مروعه كم حائم منها و حائر

دم لاذوت بك نضره اذوى بهاها كل ناضر

العهد منك ليله السفح الحبيب، أ أنت ذاكر؟

تمضى السنون و ذكرها ملء الهوى ملء الخواطر

و ضمير حبك خالد يبقى و قد تفى الضمائر

قدس الخلود و ربما ذهبت به أبيات شاعر

و قال:

أ مؤله بوذا ذليل جاهل و مؤله لينين حر عاقل!

لا فرق بين مغفل و مغفل كل لدى صنم عتيد مائل

قبر بروما لا يمل مزاره أبدا و جثمان هناك يماثل

من كان كفر الدين عوه نفسه فانظر بدین الكفر ما هو فاعل!

و قال:

يميننا بنعمته زعيم تمرس بالسياسة و الكياسه

جلا وجه الحقيقه من ضلال و قاس لنا بمنطقها قياسه

يقول تعصب الأديان شر فلا تؤخذ بباطله الحماسه

مضى زمن العقوق و ذا زمان يكرم عقله و يعز ناسه

رويدك لا تغر فقد تجلى حقيقته لدى صدق الفراسه

تمذهب أو تحزب و اتخذهم مشايخ أو دهاقنه و ساسه

فليست [فليست] سوى مطيه مستغل أحابيل الزعامه و الرئاسة

سياستهم إذا أمعنت دين أرادوه و دينهم سياسه

مضى زمن الرقيق فيا زمانا يوم عقولنا ذل النخاسه

و قال:

آبت اليه بعد طول الجفا تسأل عنه كيف حال الغريب

كان كثيرا دمعته دأبه فى حبه الشكوى طول النحيب

فما له نهنه من بثه أقر قلبا بعد ذاك الرجيب

لقد قضى يا "ليل" من بعدكم لم ييكه من صاحب قريب

فى ساعه ران عليها الاسى و جللتها موحشات الغروب

لا الورد فيها ساطع ناضر و لا وجوه الريح تهفو نظيم

غير اصطفاق الغصن فى عريه و وحشه الأنفس عند المحبوب

ألقي بها تشرين أوراقه على سوافى شمال أو جنوب

و استوحش الحقل بغيربانه إذ غادرته زمرا بالنعيب

لطالما ناداكم لم يجد غير دواهى سقمه من مجيب

و طالما أبلاه طول الاسى فهو عليل فى اساه بدوب

ينشد نجم الليل أشعاره و يندب الصبح و يبكى المغيب

يا صبر نفسى و احتمال الاسى فى قلبى العانى و دمعى الصليب

ما أهون السهد و احلى الضنى انى ملاقيه بعين الحبيب

يمضى على كل سبيل لكم لعلها يوما عليه نبيد

يمضى حسير النفس فى جسمه من وجده السقم و فرط الشعوب

حتى تلاشى مدنفا عانيا و أسلم الروح الحزين الكئيب

هناك يا ليلي على نجوه جبانه القريه دون الكبيد

يثوى بها يا ليل فى غربه حتى عن الموتى فتاك الغريب

ص: ٣٥٣

و قال:

تشيعت تسننتا و فى يوم تمر كستا
و لو عشت تهودتا و لو شئت تمجستا
تعممت و ما ضر ك يوما لو تقلنستا
و بالحق تلبستا و بالإنفك تمرستا
فلا من ذا تقدستا و لا من ذا تدنستا
تريد لتغدى شيئا ألا لست ألا لستا
وراء الشهره الحمقا حتى لو تحرستا
خبطت معالم الأشياء خبطا ما تحرستا
تدق بكل طبل رن تبغى لو ترأستا
فلا أدركتها رأسا و لا أدركتها استا
دعاؤك بالهدى يا شيخ غى إن تفرستا

و قال:

لا تحملى الورد لقد صوحت فى سافيات البيد هذى الورد
و ارمى حرير العرس و احسرتا قد كان فى الأيام حلم سعيد
قد وضح الصوت رهيب النداء لهاتف يدعو وراء الحدود
و موشك فى التيه أن ينتهى فى غايه يا ليل هذا الطريد
يا حسره الأحلام هيمى بها و اغتربى هذى طريق العبيد
أنى تلفت اندعار الهوى و حيث أنصت صراخ الوعيد
مواطنى ديست عليها العلى و عدم هان عليه الوجود

لا تحملى الورد لقد صوحت فى سافيات البيد هذى الورد

أين عهدود العطر من قرحه نضاحه بالدماء و الصديد

أين عهدود النور من موحش لفته بالظلمه بيد و بيد

و قال:

ما ذا ترود النفس إن عاودت فى تائه الأحلام تلك العهدود

كاس جلاها الرعب مجنونه فى سدر الياس و نكر الجحود

و صبوات نفث سيكاره يثقلها الهم و عسف الصدود

و خطرات هن خطو الوجى فى غيهب المجهول خطو الشروود

و الحيره الصماء دأب على هيام تيه فى البعيد البعيد

و قال:

إقبال عيشك مقتنص فعلام شدوك فى القفص

أغروده الأفراح ذى أم تلك أنات الغصص

تشدو لضوء الشمس أم تبكى لعيشك قد نغص

و لرب محزون شدا و لرب مذبوح رقص

يغلو جمالك فى الحبوس و رب غال مرتخص

ما حسن لحنك فى الاسار و ما جناحك فى المقص!

كانت لك الرحب الفساح فكيف فاتتك الفرص

يا شبه قلبى فى الهوى قنص الفريسه من قنص

هون فكل هوى يسأم و كل حق منتقص

و هو الزمان قضاؤه لا غنم من عقل و نص؟؟

كم يحفظ الغر المضيع و كم يضيع من حرص

وقال:

أ يا ثغر ليلي أكل الهناء تحوطك ممراحه لاهيه

بسمت فضوء الصباح الندى يلوح على الورده الزاهيه

عيونى و السهد ينبو بها فداء لنظرتك الساجيه

ص: ٣٥٤

و بي خطرات الصبا و الدلال تحوطك ممراحه لاهيه

جمال أفاض على الشجون لتهنك أحلامه الهانيه

حرمت جناه في حسره تصاحبني حيه داميه

فله من خاطر مكمد و لله من كبد ضاميه

تذوب على شهوات الوصال تنزى مهتكه عاريه

و تظفر في الصدر حرانه تحن لطلعتك الغانيه

أكتم حبي في خاطري يؤج على مهجه عانيه

يرف عليها كما رفرفت حياه على الرمه الباليه

أحن الليالي إلى بلغه و حسبي لها النظره الغاديه

صرير شجوني و ربتما حبست على شفتي آهيه

سيفني الجمال و أهل الجمال و تذوي غضارته الضافيه

و للوصل في أهله بهجه ستغدو على ساعه فانيه

و لكن روعي بما كابدت ستخلد صرختها الداويه

ستنشر في الكون أحلامها خرائد آثمه غاويه

و تنساب فيه جراحاتها أفاعي فتاكه عاتيه

زفير الأسي و لهيب الغرام ستنفثه في غدي الهاويه

و قال:

يا قبله في وجنه النسرين نفس الحياه و زهرتان و مججمه

رعشاتها في مبسم و عيون من دفقها دود القبور المظلمه

دون الشفاه الأنسات بقبله يصطكك قحف الميت

و وراء تلك البسمه تكشيره من رمه

ذاك الإهاب الغض يطوى جمجمخ شوق الحياه لجمجمه!

و يرد حلو الصوت فى غور عظم ميت خلف الشفاه!

و يلف وجه الموت إذ تغتذى من وجهه قبل الحياه!

و قال:

جلاك على رؤياه صبح معفر تموت عليه الشمس أو تتعثر

أتح لى من طهر المروءات عبره يرف بها قلب و يبكيك محجر

و يرتد إعوالم الثكالى مراثيا على دمك المسفوح تطوى و تنشر

أ حسنك يا لبنان فى حماه الأذى! و وجهك فى مستنقع الموت مقفر!

من السامر المحزون فى غسق الدجى بشكوى الأسى و الرعب قد بات يسمر

شذى قريتي بين الرياض زمازم و نفح خزامها صديد و عثير

و مجلى شباب الناشئين زعازع و زهر رياض الطفل نار تسعر

هى الحرمات الغر نهب مباحه فساحك إرهاب و ناديك منكر

يغو لك من أهليك سوء عصائب نبات الأذى و الشؤم تنهى و تامر

و إخوتنا أهل العروبه حسبهم حشايا و ثيرات و ذيل مجرر

سكارى على طيب الحياه و خفضها و لبنان فى أوجاعه يتضور

تضيق به الآفاق لا متحول يقيه الأذى فيها و لا متصبر

نواطير هذا النفط فقتم و سدتم عرائين شماء و خد مصعر

على كل بئر منه ملك مملك و فى كل أنبوب أمير مؤمر

فما عز كسرى فى بواذخ فارس و ما مصر فرعون و روما و قيصر

و هل كنتم غير الصعاليك منزلا فمولى وضع أو أجير مسخر
هنيئا لأصحاب السمو نعيمهم و عيش لأصحاب الجلاله أخضر

ص: ٣٥٥

إماء و غلمان و زهو و تخمه و باه و تطريب و خمر و ميسر
و مرعى لأصحاب الفخامة حكمهم عتاد و بوليس عتيد و عسكر
إذا طال فى لبنان ليل لواله فليلتكم فى غفله اللهو تقصر
و إن لف مسود الدخان ديارنا فنشركم فى الجو مسك و عنبر
و إن عج فى لبنان إعوال ثاكل فناديكم يجلوه ناى و مزهر
و إن ظل قتلانا عرايا على الثرى فترب موتاكم لجين و مرم
و ينعقد الديوان لا قصد غايه و لكنه التشرىف رسم مقرر
و تترى أنيقات الرواسم بعده على عاطر القرطاس تجلى و تسطر
فنظم قرارات و صقل مكاتب تهاويل يجلوها من النسق محضر
منمقه ما فاتها حسن مظهر و قد فاتها من منطق الحق جوهر
أقلوا اختيال العجب لا در دركم و إن جد بالأحرار جد فاقصروا
عفا كنف الأحرار خزيا و ذله فلا الجود مرجو و لا الخير محضر
نضار على وجه القباحه مشرق و غار غدا فى مفرق العار يضفر
سنه ١٩٨٩ و قال :

على مجتلى ذا الليل رؤيا من الأسيو سر من الأهواء يا ليل فاجع
به من هوى الأيام حيران والهو من نزعات النفس و جلان جازع
أمانى من يأس و أفراح تاكلفاى شئون النفس هذى الروائع!
هوى النفس! ما أجزت له مقله الهوى! و ما ضمنت مما يجن الأضالع!
يجيش بغى الحسن خوفا و رغبهضلال على دنياه لم يهد فازع
يغيب بحلم الشعر و الخمر سادرافمن مهجه هذى الطلا و المقاطع

أفازعه الاحساس فى غمره الهوىأ سكر ك رى أم مغنيك ساجع!

غلا نهما حتى فرى لحم نفسهو عب دماه منك صديان جائع

و ثاو على يأس الهوى و شتاتهاذا علل النائين للشمل جامع

غريب فمى أنباهم كيف مهدتو أين استقرت بالغريب المضاجع

و ينكره ليل تعود صفوهيعلله بدر و زهر سواطع

يقولون داو النفس بالصبر داوهاو أى دوا يا نفس ويحك ناجع

و هبنى رضيت الصبر فى الياس كارهاعلى الهون و البؤس فهل أنا قانع

و هبنى أبيت الياس يفجع منيتيفما حيلتى فيه و ما أنا صانع!

أحباى حال الدهر فى كل شانهنفاء و أيام الحياه مصارع

تمر و تترى لا يقينى بحقها بمجد و لا طول التذمر نافع

أحباى هذى النفس لا حال حالها لكم و بكم كانت فقيم التقاطع!

لأى جمال أم لأيه متعهنواظر تخلو منكم و مسامع

فهل منك بعد اليوم يا فتنة اللقاشهى على حس الجوارح ماتع

و من سكرات اللثم رؤيا من الهوييطالعنى من سرها ما يطالع

هنا يا شفاه الحسن أحلام قبلهلها الليل من وجد هوى و نوازع

جلاها فتون النفس لما تملمتبها فوق هاتيك الشفاه مواقع

هنا يا شفاه الحسن لحن محبياً حاديت لم يفتن بمثلك سامع

هنا يا شفاه الحسن أغلال مدنهننا الخافق العانى أسى و مواجع

هنا اللذه الكبرى هنا محنه الهويهننا فتنة أفرأحها و الفواجع

أحببتنا الجافين هل بين نازحو مغترب عن موطن الحب راجع

إلام حنين الروح حسرى لفقداكمو حتام طرفى فى دائم السهر دامع!

فيا سجن هذى الروح هل منك مفزعربيع على طلق من الروح طالع

ص: ٣٥٦

على الأفق الوردى من حسنه بها و فى صفحه البيداء منه طلائع
ذوت جنه الأرواح لا زهرها سنا و لا نشرها غاد على الروح ضائع
كما شئتم نمضى على ذله الهوى و شتان أهلوه عصى و طائع
ستخلو، و ما تخلو، غداه من الأسى و من صبوات الحب تلك المربع
فيا ليت شعرى هل نبيت و فى الهوى عيون لذكرانا جوار دوامع
فيا طالما أ سهرنا لشجوننا و هن على نعمى الحياه هواجع!
و قال:

الهوى هذا المحيا و المنى كاس حميا
فاملأ الكأس دهاقا واسع بالكأس إليا
هاتها أفنى حياتى عندها إثما و غيا
قد أصم الدهر أذنى و أغشى ناظريا
عدت لا أعقل منه أو أعى إلا الدويا
الأمانى و ما ذا تركت بين يديا
قد عرفنا فعيينا أن نعى ثمه شيا
و ثملنا فاستجدت ثره الأحلام ريا
سنه ١٩٣٣ و قال راثيا:

شجن بقلبي لا يفيه رثاء أشجى المراثى دمعه خرساء
يا راعيا حق الوفاء و عهده إن عز فى أهل العقوق وفاء
تلك البشاشه فى ضميرك ألفه و على محياك الكريم بهاء
يلقى بها الاخوان منك تواضع و موده و سماحه و سخاء

مجد المروءه فى خصالك محتد يجلى كما يجلو الشمس ضياء

حوشيت ما جود الكريم تمنن كلا و لا رفق الشريف رياء

لكن طباع الورد فى آلائه طيب بعين المجتلى و رواء

ذكرى شمائلك الحسان تعودى و قد انطوى أمل و فات رجاء

أرتاد فى ظلم القبور جمالها فيعز فى ضيق القنوط عزاء

يا نازلا وادى السلام تحيه مثواك فيه روضه غناء

جار الذى فى العالمين جواره أمن و نيل شفاعه و رضاء

أبكيك، لا تبعد، و ما أبقيت لى من ذكرياتك حسره و بكاء

و قال:

أ من هذه الليلاء يا ليل موهن عمر نابه كونا من الحب طارفا

جلونا وجوه الأفق من حلم سامر على مضجع الاشواق ما انفك طائفا

تغنى له ليل الصبايات و الهوى و بانت نجوم الليل تلهو مقاصفا

و علتة خمر الكأس من كف ساحر فعربد لحظا و استدار معاطفا

تضوع بالأعراف و ابتل بالندى شذيا على الروض المنمق وارففا

فيا لشئون الليل شتى على الهوى و مضجعه الهانى على أيها غفا

هيا سمر الأحلام فى مجلس الهوى عفا من عهود الحسن بعدك ما عفا

و يا سمر الأحلام أى حديثها جلا طررا ثرثاره و سوالفا

على لحنها يغفو العناق مهددا فما انفك معقودا عليهن عاطفا

و يا جنه الأحلام أى عبيرها تضوع لثما عاطرا و مراشفا

و يا متع الأحلام فى ذمه النوى ضنى الروح ما ناجى هواك و ما هفا

دجت هذه الليلاء يا ليل فانظري تهاويل من أمثالها و زخارفا

عرفت هواها و اصطحبت نعيمه فلا تنكريها صحبه و معارفا

إلام الهوى يا ليله توحش الهوى مشاهد من يأس الهوى و مواقف

ص: ٣٥٧

أبيت عليها مهجه راعها النوى و روحا على البلبال و الهم عاكفا

و قال:

هو العمر ما أبقي عزاء لك العمر يجد بما يبلى فمغنمه خسر!

تبدل معهود فشاها محاسن و خابت أمانى و ضل به فكر

فلا الزهو زهو غير ما ذلل الضنى و لا اللهو لهو غير ما أوحش القفر

ألا أيها الموفى بصفو و رونق لمن فى هوى الأحلام أيامك الغر

تطلعت لأحسن الأمانى مسعدى و لا الصبر يجدينى فيجمل بى الصبر

فيا غفوه الأحلام يا حبذا الهوى على ليلك الساجى و يا حبذا الشعر!

و يا حبذا أفق على الروض عاطر أطافت على أرجائه الأنجم الزهر

و يا حبذا ليلى على ملعب الهوى تأود منها العطف و ابتسم الثغر

و يا غفوه الأحلام سرعان ما انطوى على صحوه من عمرى النجم و العطر

فمن فئت ما زلت منه بحسره و من مقبل فى غيبه الخوف و الذعر

و ما جزعى يا ويح نفسى هالكى سيفضى به يوما إلى العدم القبر!

فامسى كما أمسى شقى و صالح و تمسى على آفاقها الشمس و البدر

أرانى على ناء من البيد ظامئا فما سالت البيدا و لا انبجس الصخر

إلى باطل يا نفس عيش حملته أعلت بالنعماء أم مسك الضر

إلى أجل لا بعد فيه مغيب و لا قبل يشجى من نوازله الذكر

كما مات كسرى فى الورى مات غيره تراب مشاع منهما الكوخ و القصر

أ أعنى بذى الدنيا كما شاءنى الهوى و ما خيرها خير و لا شرها شر

هتكت حجاب السر كرها مرغما أروود بكف الغيب ما حجب الستر

تعبده لا للرجاء ولا للمنى سوى ما قضى شان به و جرى أمر
شهدت اضطرام الشمس قبل اضطرامها و من قبل أن أجلوه روعنى السر
ألا ليت أيامى مضين ذو أهلا على خدر الترياق أو غالها سكر
أخلى فلا نهى على ولا أمر و أسدر لا عرف لدى ولا نكر
فيا صاحبى نجواى أشكو إليكما مطالاً من الأيام أيسره عسر
و ليلاً أصم النجم صعباً سهاده إذا مر شطر منه أبهظنى شطر
مقيم على شجو الفراق تمضنى تباريح أشجان يضيق بها الدهر
ألا غنيانى الشوق من شاحط النوى فله قلبى أن يطول به الهجر
أقيماً على عرس من الروض فاجع يروع به الشادى و يشجى به الزهر
كنوس الأسى يا صاحبى فأننى إلى أجل من صعبه الحلو و المر
و قال:

سأقول لا! سأقولها ملء الفم صوت الغضب

سأقولها من لافح أو من دم نفت اللهب

مثل القضاء و القدر

فوق القضاء و القدر

أو أنها هى القضاء و القدر

عمياً تصك الشمس بالحقد الضرير لا تبصر

و ترد غاشيه البلاده و الغرور تتخر

فحیح شوق أرمد

صرير ضغن أسود

من عاثر مهاجر لا يهتدى

بث الظلامه من دم أو نار يتفجر

بين المهانه و الأسى و العار يتعثر

غن أغاريد المنى

على زفير من لظى

و دمدمات غاضبات من عدا

صوت تناديني سرائر غيبه و تهب بى

و تمس ليلى فى مطاوى ريبه و الغيب

من وحشتى سمرها

من غضبى نذرها

محراب و حى عرفها و نكرها

سأقول لا، حد انكسار الطاغيه و جنوده

جلدا على بغى الفتات الباغيه و وعيده

شوق النجوم الساهره

عرف الزهور الناضره

فحش السمات العاتبات الفاجره

ص: ٣٥٨

و قال:

لبنان صبحك ما جحدت ضياءه فى فحمه النكبات و الأرزاء

لم يظلم النهج القويم و إنما نظروا إليه بأعين عمياء

صاغوك بين عشيتين ملفقا من منكر الأنحاء و الأرجاء

صاغوك بين عشيتين ملفقا من منكر الأنحاء و الأرجاء

ما كان أسرع ما نشأت مطاولا شاو الممالك فى نما و سواء

طى السجل طويتهن مسالكا حملتك مقتحما ذرى العلياء

فبلغت رشدك و استويت بلحظه لمنازل الحكام و الأمراء

و بلغت رشدك قبل أن يتبينوا من ذا يكون أباك فى الآباء

صفه الهويه منك بين مشرق و مغرب ضاعت على ضوءاء

سيان عندى أن تكون مهجنا أو خالصا فى نسبه و ولاء

ما همنى و أنا المقيم على الأذى مستنكر السراء و الضراء

أن قد نمتك إلى العلى فينيقيا أو قد نميت ليعرب العرباء

يا ذا "الشراع" الفذ، إنى مغرق و "الحرف" ،إنى أجهل الجهلاء

من كفك الخرقاء أم من أرضك العجفاء أم من سوقك السوداء!

تاسى لمغتربين شط مزارهم! كم من مقيم و هو فى الغرباء

رفعوا منارك من أذى و عداء و بنوا بناءك فى أصول خواء

قم يا قناع الكرنفال مباهيا بمظاهر السفراء و الوزراء

و امنح عصابتك الأولى سودتهم أجر الحكومه من دم و ذماء

بطر الخليع على جداك مرفها و استأثر السلاب بالنعماء

و مضت كرامات تجر هوانها فى الذل و الضراء و البأساء

ثار على الأيام مهذور أما من تائر لمروه و إباء!

و قال:

رقص الذل على طبل الغباء و مشى العار مراح الخيلاء

فانظر الفحشاء فى زفتها من وقاحات و خزى و بذاء

عز (دنكيشوت) إذ ذلت على خطه النذل طواحين الهواء

حاش دنكيشوت مادنه فعلكم من شر بعى و بغاء

يا وجوه الشؤم لم يعلق بها فيض إحسان و لا فضل حياء

ثار حيفا حمل بيروت على خطه النار و إهراق الدماء!

و مناط التيه أن أعددتما للصواريخ طنين الخطباء!

نتمم عن ثاركم يشفيكم أن ولغتم فى دماء الأولياء

من رأى غار العلا عقدا على ميسم الرق بهام الجبناء

رب ضوضاء تشدقتم بها طنطنت ما بين أرض و سماء

ضجت الدنيا بها و اصطخبت ضجه الطبل لهون و خواء

حين جد الجد من مقتدر أخرستها همسه من كبرياء!

١٩٧٦ و قال فى لفافه التبغ:

بعثت فى الدخان سلواى إنى قد تعللت من جناها بوهم

و هل العيش غير وهم أ كانت لذتاه يبقظه أم بحلم

نفثات الدخان تذهب فى الجو و ضربى من المعاش بسهم

قد تساوت لدى قدرا و إنى فى كلا الحاليتين غاد لسقى

قيل إثم فقلت إثم و لكن هل حملنا بعيشنا غير إثم

قيل سم فقلت أى شكول العيش لم يمزج الحياه بسم

و سواء فى الكون نجواى فيها و هى لا شىء أو رجاحه حلمى

كل شىء يمضى علينا خداعا أ لجهل مرده أم لعلم

ص: ٣٥٩

و قال:

(عيد بآيه حبال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيه تجديد)

اما الأحيه فالبيداء دونهم) فإى أفرأنا تجلو الزغاريد

الذكريات جراح فى جوانحنا و حال حاضرنا (هم و تسهيد)

و ظل رايئنا ذل و منقصه و نهج ساستنا غى و تنكيد

يا ناسق القرض من جند و من عدد ليهنك اليوم تجهيز و تجنيد

ما ينفع القرض مصقول البنود علا و العرض متتهك و الركن مهدود

و نافخا لحن ابواق النحاس على وقع الطبول تراجع و ترديد

و شاربا نخب أوهام منقمه هى الكرامه و الافراح و العيد

نوازع الشعب ذل لا تحركها (هذى الملام و لا تلك الاغاريد)

و قال:

أ عند سمار الهنا ما صنع السهد بنا

وا حسرتا لمن حلت تلك الليالى بعدنا

تعتادنى أحلامها و جدا و ياسا و ونى

أخيله و ذكر، فمن هنا و من هنا

أشفاقها ملاعبا ما بين خمر و غنا

و سمرا و سامرا و أنجما و موهنا

عهد الهوى من بعدها أن لا أذوق الوسنا

ما شمتها حتى انطوت منها تهاويل المنى

فقدتها و فتها من قبل أن ترتها

يا ورده فاتت يدى من قبل ان يحلو الجنى

يا قدرا إخالنى سبقت فيه الزمنا

و مولدا لحامل على يديه الكفنا

صبحت روضه الهوى الله يا روضتنا

من اجتلى الورد و من ناجى عليك السوسنا

غرس جناه غيرنا ما غارس كمن جنى

مغارس الورد إذ بلى من مجتلى و مجتنى

و يا طيور لا أمنت مرتعا و وكنا

لا تسكنى من بعد من

كانوا لِنفسى سَكنا

و قال:

بردت أحاسيس الدماء و وهت قلوب من هباء

و قد استكان اللحم مكدود الحياه على العناء

قرت و عادت شره العصب الشديد إلى عياء

و تعطل البصر الحديد فليس ينعم بالضياء

وهنت عظام تحمل الارهاق دب بها الفناء

يا روح عصر الكهرباء هل فى حديدك من غذاء؟!

الحسن حال فليس يزهر بالغضاره و الرواء

و الحب مذعور يراع على الهناء فلا هناء

و لهان يفجعه البعاد و ليس يشفيه اللقاء

قد خابت الآمال لم يسعف على قصد رجاء

عنت النفوس لضعفها ما بين ضحك أو بكاء

يا روح عصر الكهرباء هل فى حديدك من دواء؟!

الزهر! ما للزهر تذروه العواصف فى الفضاء!

الطير! ما للطير أخلى الحقل محبوس الغناء!

المعدم العارى شريد لا غطاء و لا وطاء

كم وحشه تغشى البسيط و تستطيل على السماء!

هو ذا الشتا متجهما بعدا لأحزان الشتاء

يا روح عصر الكهرباء

و هم تالألأ لانقضاء فجع النفوس و لا عزاء

و هم علام تروعنا هذى المآسى بالثناء!

و هم يهز النفس للنعمى و طوراً للشقاء

أ كذاك خطه عيشنا! داء لعمرى أى داء!

يا روح عصر الكهرباء هل فى حديدك من شفاء؟!

أوعيت نجوى آدم يعنو على صرف القضاء؟

ياسى له متخاذلاً أو ليس من طين و ماء؟!

فمتى يهل جنين حملك بالأمان و بالرشاء؟!

يضيفى على خور الحياه و ذعرها كف العفاء

بالقوه السماء تحكم فى البسيط و فى الهواء

يا روح عصر الكهرباء هل أنت حلم الأنبياء؟!

جودى بادمك الجديد و فوضى هذا البناء

فى جسمه عصب الحد يد سرى بحس كهرباء

جودى يحيل الحق لا شطط الخيال و لا الغباء

لا نسل من هاييل أو قاييل سفاح الدماء

لا حس بالأهواء يعصف بالقرار و بالصفاء

يا روح عصر الكهرباء جودى بعثق الأبرياء

و قال:

ص: ٣٦٠

بردت أحاسيس الدماء و وهت قلوب من هباء
و قد استكان اللحم مكدود الحياه على العناء
قوت و عادت شره العصب الشديد إلى عياء
و تعطل البصر الحديد فليس ينعم بالضياء
وهنت عظام تحمل الارهاق دب بها الفناء
يا روح عصر الكهرباء هل فى حديدك من غذاء؟!
الحسن حال فليس يزهر بالغضاره و الرواء
و الحب مذعور يراع على الهناء فلا هناء
و لهان يفجعه البعاد و ليس يشفيه اللقاء
قد خابت الآمال لم يسعف على قصد رجاء
عنت النفوس لضعفها ما بين ضحكك أو بكاء
يا روح عصر الكهرباء هل فى حديدك من دواء؟!
الزهر! ما للزهر تذروه العواصف فى الفضاء!
الطير! ما للطير أخلى الحقل محبوس الغناء!
المعدم العارى شريد لا غطاء و لا وطاء
كم وحشه تغشى البسيط و تستطيل على السماء!
هو ذا الشتا متجهما بعدا لأحزان الشتاء
يا روح عصر الكهرباء
و هم تلاًلاً لانقضاء فجع النفوس و لا عزاء
و هم علام تروعننا هذى المآسى بالرتاء!

و هم يهز النفس للنعمى و طورا للشقاء

أ كذاك خطه عيشنا! داء لعمرى أى داء!

يا روح عصر الكهرباء هل فى حديدك من شفاء؟!

أوعيت نجوى آدم يعنو على صرف القضاء؟

ياسى له متخاذلا أو ليس من طين و ماء؟!

فمتى يهل جنين حملك بالأمان و بالرخاء؟!

يضىفى على خور الحياه و ذعرها كف العفاء

بالقوه السماء تحكم فى البسيط و فى الهواء

يا روح عصر الكهرباء هل أنت حلم الأنبياء؟!

جودى بادمك الجديد و فوضى هذا البناء

فى جسمه عصب الحد يد سرى بحس كهرباء

جودى يجيل الحق لا شطط الخيال و لا الغباء

لا نسل من هاويل أو قاييل سفاح الدماء

لا حس بالأهواء يعصف بالقرار و بالصفاء

يا روح عصر الكهرباء جودى بعنق الأبرياء

و قال:

يتعالى الهباء فى صفحه الأفق و يستغرق الجبال البعيده

و مهاو سحيقه تترامى فى القرارات موحشات و حيده

تتمادى بها دجى الغسق المقفر يضىفى اكتئابه و شروده

و الصخور الجرداء تصفقها الريح عوار إلا الهواء و البروده

و يطيف الفناء فى وحشه الحس رؤى مستكينه مهوده
من أماسى تشرين ما عطر الروض فضاها و لا أغن وروده
تعترىها الرياح مثل نداء الحزن يسرى بهمهمات مديده
و انسياب الطيور فى رقه الدجن تغادى من الخريف عهوده
و الكابات من حنين و شجو طارفات من الأسى و تليده
حدثينى عن الأغانى لما وسوست للنجوم تروى قصيده
و هيام الأشواق فى السحر الصيفى ساج على ونى أغروده
و شرود الحفيف فى الورق المبهم يفسو بهينمات وئيده
نفس الموت كالفحيح تغشى من زمان نحوسه و سعوده
بارد يطفئ الشمس و العطر و يستغرق الأغانى السعيده
الأغانى التى تموت و تنسى فى حدود الفناء ولهى شريده
كل مجلوه على وتر اليباس تنادى خواءه و جحوده
حيث تستوحش النجوم و يستنكر صداد روضه تغريده
تنجلي عبقر السنا و الأمانى و البطولات عن تراب و دوده
و بوجه الضياع تنحل صفراء صفار على صفار حقيده
ضحكه فى وحوله الخزى و الهون و بؤسى ضغينته موءوده
عهد قلب بها ندى و سماح من أمانى عاطفات وديده
لن يعيد الربيع تلك الأغانى يوم يجلو على الرياحين عيده
و الوجود الريان دفنا و نورا ليت يشجيه أنها مفقوده
الفناء المريخ و العدم المقفر يضى انطفاءه و خموده

و الشمالات من سلافه كاس و بقايا الحنين من تصعيده

و قال:

غرام شوقك ما تجلو الأغاريد الحب و الورد و السماء و العيد
صوت تخامر سر الليل حسرته و يذهل النجم من نجواه ترديد
ما ذا يعودك من لحن تراخ به إذ يهزج المنشد الهيمان و المعود
تغشاك رؤيا ضمير لا أمان له كأنه بقاء الموت موعود
كان روحك غل من مدى أبد ضيق القنوط على جنبه جلمود
صفو الأصيل حنين لاهف و ونى و فحمة الليل تهيم و تسهيد
و رب لحن على ذكرى يعاوده حسن على غير الأيام مفقود
أغر أبلج أبلى الدهر جدته أوغض عمر بطى الترب ملحود
صاغوا على قبره الريحان مزدهرا كما تانق فى الزهو المساعيد
بين الفناء و طوق الزهر منزله موسم بردتاه الورد و الدود
لحن ترف على آفاقه مهج و تستهام حشاشات معاميد
لحن تذله لم تعلق به شفه و لا رعته على عهد مواعيد
أوفى على حرم النسيان يهتكه فعصمه الصبر أشتات أباديه
شمل الأحبه رهن بالنوى بدد و لفته الحب ترويع و تنكيد
كان الحنين عزاء إذ يعلله مرجو وصل على الأيام معهود
غاض الحنين باغوار القنوط فما يسليك دمع و لا يشجيك تغريد
إلا وساوس من هم و من نكد تنبت فى غيهب أيامها السود

و قال:

ملأت ثقبوب عالمنا أثيرا و أصبحنا و قد سرب الأثير

لعل الأرض يوما لا تدور وعل الشمس يوما لا تنير

كشفت من الخفايا منتهاها قد استقصيت ما حجب الضمير

فما ازداد الخفى سوى خفاء و لا استقصى يدا إلا القصور

وراء ظهورها سر منيع و فوق رجالها رب قدير

محالكك دونها خور و عجز و عقلك عندها عى حسير

و قال فى رثاء ياسر ابن أخيه:

اسالوهم عن مغانى ربعنا سحر الليل و إشراق الصباح

إذ يغادون الهوى طلق الرؤى أريحى الصفو نشوان المراح

و اللبانات و ما حملهم مبتغاهها فى غدو و رواح

و المروءات التى تزهو بهم فى نقاء الألمعيات الصباح

فى بيوت رفع الحسن لها غره الدهر على داج و ضاح

يعذب الجرس بها ما اشتبكت همسات الورد فى قرع الصفاح

و انشد الصبر على روضتهم حسره الورد و تحنان الأقاحى

و انشر الذكرى على ناديهم و له الياس و سورات الطماح

و أحاديث النداء من صبوات حنين لاغتباق و اصطباح

غاد و أجل نفس الموت على عبقات من شذى الغر الملاح

يا كراما غبر الدهر بهم أوحشت منكم دواوين السماح

خفق النسر على ذروته وهفا للشمس مكسور الجناح

و مضى البلبل عن روضته فى يد القانص مخنوق الصراح

عصبه الغر العوالى عصبتى و الفتوات سجايهم سلاحي

لأريقن دموعى نغما ينشد الشمس أنينى و نواحي

و أصب الفجر فى صدر الفضا نفحه تعبق من نرف جراحي

و قال فى رثاء هانى ابن أخيه:

ما ذا وقوفك بالطلول الهمد أقصر فلا النادى هناك و لا الندى

ص: ٣٦٢

السامرون مرووع و مصرع ما بين مشدوه و شلو ملحد
و مجالس الندمان فى جنباتها أضلاع ولهان و جفن مسهد
و خطى الزمان على معالمها غدت أيام إيحاش وهم سرمد
أ مسامر الحسرات نجوى واله لكواكب خرس و ليل اسود
لحظ العيون على تراب موحش و هوى القلوب على أصم جلمد
غرر الكرام الماجدين عصابتى من شردت نوب الليالى من يدى
مجدى بنو أمى ذؤابه والدى من كل شماخ النجار محسد
عف اللسان عن الخنا مستوحش فى غربه من عيشه متوجد
هى غربه الشهم الأنوف و قد جرت مفدى الحياه بكل دون أنكد،
تأبى له نهج الدنيا خطه عادات إحسان و خلق تمرد
حبس الزمان على فيهم حسره فمصابهم يومى و ذكراهم غدى
لأغنين النسر نغمه أنتى و لأنشدن الشمس لحن تنهدى
و أقر عين الشامتين باننى مستنجد زمنى و ليس بمنجدى
و قال:

غنى وهيب(1) فاستثار شجوننا بلطائف الترجيع و التريد
تشدو العتابا فى مقاطع صوته شدو الحنين بمهجه المعمود
اللفظ خفق من فؤاد متيم و اللحن عطر سواف و حدود
فيرق مشتاق و يطرب عاشق و يحن مودود إلى مودود
يا معشر العشاق وقفه شيق ما بين صفو الود و التغريد
هى وقفه من هائم تعتادها ذكرى مغان للهوى و عهدود

سمر النجوم الزهر فى ليل الصفا و صداح غريد على أملود
و صفا وهيب للقري متهللا بالأريحيه و الندى و الجود
يحبو الضيوف بطيبات سخائه ما لذ من قدر و من سفود
و زكا و أينع فى الجنان طرائفا بالحلو و المعسول و المنضود
يا غره النادى سماحك هزنى فقصدته أجلو عليه قصيدى
دم للندى دم للمروء ماجدا و أسعد بذكر من علاك حميد
و قال:

ها هو ذا ليلى يعود ثانيه
فى القفر فيض الوهم و الذهول و الخلاء
منطلقا فى المبهمات التائهات النائيه
يبسط فى ظلالها وجه السماء.
الحزن الأخرس و السكون يفسو و السرائر
تلفها بهره نجم بارده.
كأنما سجوه و صمته همس المقابر.
بين رؤى عمياء تطفو شارده.
فيضه وهم تائه أكنه يجنه
تنداح فى قضائه مهيمنه
" و البدر " فى غمرتها " كأنه "
"أميره ميته مكفنه" (٢)

غيابه الدهول و السكون و الشرود

فى جوفها تموت كل الكائنات
و تنطوى الأبعاد و الأعماق و الحدود
فى غمره السجو و السكوت و الموات.
و من وراء الوهم فى الآفاق أسمع
صدى ديب الدود فى جوف التراب الرطب.
لعل حلما، حلم ربح زرع
على مجالى مشرق يوما ينادى قلبى
إلى هزى الرعد و العواصف
إلى نقاء التبر فى النيران
بواذخ الزهو و بأس العاصف
هناه الورد على الظمان.
إلى عقوق ينشر المراحم.
لاحد من ماض و لا من آت
إلى انطلاق اللاحود و المعالم.
إلى اتحاد الموت بالحياه.
و قال:

القار و البنزين و الغبار و البحر و البواخر
و زورق الصياد و مومس البار
و صخب الحديد و الأقدام و الحناجر.

١- هو الأستاذ وهيب العجمى.

٢- ما بين قوسين تضمين بيت لبدلر.

و خطره البغى و القواد.

و يثقل الفضاء رطبا خانقا

بالشمس و الدخان و الغمار

كنفس من الجحيم (يا نفسا من الحميم)

يلفها طرائقا.

كمارد من نار

يشرب كأسا من حميم.

كلب هزيل شارد يلهث

بجانب الجدار.

و غصن يبرز من حديقه

مغبر أشعث.

و سكه لسادر عيار

يعلقك فى حذائه طريقه.

و مقعد شحاذ

مقطع الساقين

يثوى على الرصيف.

و حلم الزهور و القرار و المعاذ

شوق ضرير مطلقا العينين

يدب فى جوانحي، محاجرى، كفوفى.

و الذكر الخرساء

فى عمق الغياهب

تطوف بالماضى، بقبر الزمن

تسالنى

و النجمه العمياء

فى غمره الكواكب

ترصدنى

متى ينشد الريحان

أ غنيه الشذى؟

و يجلو الخزامى

ريق الروض ريان

بالعطر و البها؟

ربيع الندامى.

متى؟!

و قال:

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف من الحمام

"المتنبى" وا عجباً! أ حقا ينعم بالقصور من يبنون القصور على أنقاض ضمائرهم؟!

عطور أنتنت فأين العبير؟!

و رياض نباتها الوباء و ماؤها الصديد

و مصاييح كعيون الأفاعى

و طلاء كرخام المقابر

يا أكاليل الزهر على رؤوس القروء

و يا رفيع المراتب استطالت بالمسوخ

فى نفسى عزوف و صدوف

و على شفتى احتقار.

فيا أيها الرفيق المواسى

لا تغرنك المراره فى قلبى

و القذى فى عينى

و لفح الهجير على وجهى

فمن مهب العاصفه

أنا أبدأ طريقى إلى طمانينه جتنى.

مع الرياح السموم

مع الرمضاء

مع وحشه القفر

أمضى قدما إلى أمام طالب ثار

و فى أذنى صراخ الأوباش

و وعيد الأندال

و غيظ الجبناء.

يا أيها الثار المقدس

يا أيها الفولاذ الضامى أبدا إلى سقيا النيران

منذ الأزل كنت.

كنت أمانه الإنسان في عنق الإنسان.

تلك العيون التي ما فتحت على غير الهلع

تلك القلوب التي ما خفقت بغير الذعر

تلك الأرواح التي ما اطمأنت إلى غير الهوان

تلك الحناجر الشجيه الشاديه التي خنقتها النعال

تلك الشفاه التي ما تحركت بغير العويل

تلك السواعد التي ما اشتدت بغير أثقال العبوديه

ذلك الكابوس المطبق

يا أجيال الأغبياء و الحمقى و المحمقين

يا بخور العبيد على أقدام آلهه مهرجه.

و يا ظما الحياه

يا شوق الصحراء إلى الريحان

يا سقم الفولاذ إلى عافيه النيران

يا سبيل الكرامات و الشرف إلى عرش الإنسان الإله

لأنشدن على دماء الشهداء حتى تفور براكين.

لأستصرخن اللعنات المقهوره في صدور المظلومين

حتى تتزلزل بها ديار الظالمين

لأغنين السباع في الفلاه حتى تضج الفلاه

و لأشدون للصحراء حتى تزهو الرمال (الرمضاء)

و لأصوغن يومئذ من نجوم السماء دررا على صدور الأبطال.

وقال:

قبليني قبله الرجس على رنه الإثم و أنفاس الفحيح
أشر بيني ريقك المسموم من كلب اللحم و غسلين الهوى

ص: ٣٦٤

رشفه تسكر إحساسى و روحى.

رغبه تطغى و داء و حزن.

انطوى الليل على أسراره

و فشا المبهم فى مد الفضاء

يترامى مثل روح أسود.

و جلا المخدع فى أنواره

و لمعه الرقشاء فى غور الفناء

أجتليها لفؤاد و يد

ناولينى الخمر كوبا مترعا

و قد استشرت غراما(1) و عنا

يستطير الروح فى سوره خمري.

جمعت كاسى شئونى فزعا

فإذا عوطيت كاسى فانا

من يدى أشرب أوجاعى و ذعري.

قبلىنى

قبله الموت المندى بالعطور

و اجمعى الليل أسى فى مضجعى.

برؤى العمى الأسارى سامرىنى

و انشرى روحك رعبا فى ضميرى

لانجلى صبح كئيب المطلع

و قال:

أنا مذ أحببتكم ما عرفت مقلتي غمضا و لا روحى ربا
ضحك الحب لديكم ناعما و بكى مكتئبا فى مقلتي
ظلموا الحب أ أقضى و المنى ظامئات للجنى عذبا شهيا
أنا عبد الحسن لى من سحره حيثما أنعم كاس و حميا
مانحا ما قدر الحب له كل مفتان به قلبا خليا
آه لو تدرى بمن قد تركت للهوى عيناك ملتاعا شقيا
نظره قرت بنفسى و مضت خاطرا مرا و تذكارا شجيا
أين عن ثغرك ثغرى راشفا تتهادى و انيا بين يديا
أين عن حسنك مجنون الهوى يستبيح الحسن و ثابا عتيا
نزوات همت النفس بها تترامى قبلا من شفقتيا
و رؤى تغمرنى حاله بالصبا غضا و بالحسن جنيا
حبذا نعمتها وارفه فى صحارى العيش لو دامت عليا
أقطع العمر و حيدا شاردا فى فيافيه و لا زاد لديا
العزا منى سليب و المنى طوحت، يا للمنى عنى قصيا
لا سناها فى عيونى لا و لا صوتها ثرثاره فى أذنيا
آه ما أقساك من مرحله نكبت نفسى إعياء و عيا
قد عرفنا كل شىء عندها و انثينا ما عرفنا ثم شيا
و قال من مرثيه:

أمسيت لا أرجو و لا أتبرم سبان عندى دمه و تبسم

فى وقفه المنبت فى دنيا الورى حيران لا أمضى و لا أنا أحجم

حسبى و حسبك يا حياه ضلاله أنى بما تبنى يدى أتهدم

و أظل أفنى بالذى أحيا به أبدا فغنمى فى الحياه المغرم

القبر أرحب من فضائك منزلا و الدود أنقى من بنيك و أرحم

و منها:

يا باعث الصاروخ فى كبد الفضا هل فى يديك لذى جروح مرهم!

عزت على يميناك عبره و اله و عنت على بعد المنال الأنجم!

و مبلسم السرطان فى أبدانه سرطان روحك ما شفاه بلسم

يا مسمع الجوزاء رنه صوته ما بال صوتك حول نفسك ييكم!

نورت أغوار الدنى فجلوتها و مكان شبر من ضلوعك مظلم

وطات أكناف القضاء مغامرا بين الغياهب تستيح و تقحم

و على ديارك بين أهلك ماتنى تحيا غريبا تستضام و ترغم

و لأنت أنت على البداوه جافيا و على تهاويل الحضاره تنعم

متحضر، لا بل سحيق حضاره ما زلت فى أنحائها تتحطمذب

ص: ٣٦٥

فى كل روض ورده مسمومه و بكل وجه منك نار أو دم
و على جلاميد الحديد تهالكت من ذات نفسك مهجه تتهشم
ظماى مدماه على لفح اللظى إن اللظى لشرابها و المطعم
و منها:

يا رب إن الهائمين على العفا قنتوا لوجهك فى العفاء و أسلموا
هيم حيارى دون كل ممرد تعمى الشموس على ذراه و تعقم
و تضج ببداء بموحش صمته قفراء فى لفح الهجير تضرم
تهن الصلاه على شفاء كزه شوهاء يثقلها القنوط فتلجم
عز القنوط فليس يقصر قانط و عفا الرجاء فما يغاث متيم
يا رب عفوك حم كل مؤبد غمت مناخيه و حق المبرم
تغشى العيون متاهه ما تنجلى ألهمهم ضاق الفضاء يا ملهم
و قال:

مر كسى تقدمى رفيق قام يفتى لنا على دين جعفر
إن دجى الليل قال ربي تراب أو بدا الصبح صاح الله أكبر
بين نشر من الليالى و طى وجهه فى التبذل ابيض و احمر
أبيض أحمر لطول ابتذال و لطول الأحقاد لونك أصفر
تحت إبطيه خطبه و مقال و على ظهره كتاب و منبر
أينما حل حط رحليه يخنال و نادى الملا و قال و قرر
ثم ألوى محمقا فى النواحي يسال الكون ما دام قد تفجر

الحاج الميرزا هاشم الآلى:

ولد في مدينة آمل، من المدن الشماليه في ايران سنة ١٣٢٢ و توفي سنة ١٤١٣ و دفن في حرم السيده فاطمه بمدينة قم.

درس المقدمات في آمل على الشيخ احمد الآملي وغيره. ثم سافر إلى طهران لإكمال دراسته فانتفى إلى مدرسه (سبه سالار) حيث درس السطوح و الفقه و الأدب و الأصول، فكان من اساتذته فيها كل من السيد محمد التنكابنى و الشيخ حسين الآملي و الشيخ محمد على اللواسانى و الميرزا عبد الله الغروى الآملي و الميرزا محمد رضا الفقيه الآملي.

و في سنة ١٣٤٥ انتقل إلى مدينة قم لمتابعه الدراسات العليا فكان من اساتذته فيها الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و الشيخ محمد على القمى الحائرى و السيد محمد الحجه الكوه كمره اى و الشيخ محمد على الشاه آبادى الذى كان من كبار علماء الفلسفه و العرفان في عصره.

و بعد أن أجزى من اساتذته سافر إلى النجف الأشرف فحضر دروس السيد أبو الحسن الاصفهانى و الشيخ آغا ضياء العراقى و الشيخ حسين النائينى. و استمر مقيما في النجف سته و ثلاثين عاما.

و بعد وفاه السيد البروجردى في قم سافر المترجم إلى قم فاستقبل فيها بما يليق بمقامه، و شرع في التدريس في مسجد المدرسه الفاطميه و في المسجد الكبير، و ظل مثابرا على التدريس حتى وفاته ترك مؤلفات عديده منها:

١ - كشف الحقائق في البيع ٢ - المعالم المأثوره في الطهاره ٣ - منتهى الأفكار في الأصول ٤ - بدائع الأفكار ٥ - كتاب الرهن ٦ - حاشيه على كتاب التحصيل ٧ - تعليقه على العروه الوثقى ٨ - كتاب البيع ٩ - كتاب الطهاره و له كتب مخطوطه لم تطبع و من تلاميذه السيد صفو [جعفر] كريمى و الشيخ عبد الله الجوادى الآملي، و الشيخ حسن حسن زاده و الشيخ محمد المحمدى الكيلانى و السيد أبو الفضل الموسوى التبريزى، و الشيخ عباس محفوظى و الشيخ إسماعيل الصالحى و السيد على المحقق الداماد.

السيد هبه الله بن السيد مير رفيع بن السيد مير على بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقانى الأصل القزوينى المولد و المنشأ آل الرفيعى:

ولد في قزوین سنة ١٢٣٨ و توفي بها سنة ١٣٢٠.

من كبار علماء عصره في قزوین و أئمه الفتوى و آل الرفيعى من أشهر الأسر العلميه العريقه في قزوین نبغ منها علماء اعلام و أطباء مشاهير و قد بزغ نجم هذه الاسره في أفق قزوین في أواخر القرن الحادى عشر و مطلع القرن الثانى عشر للهجره على عهد جدهم السيد مير محمد زمان الطالقانى القزوينى المتوفى سنة ١١١٠ المار الذكر و اشتهروا بال الرفيعى منذ عهد جدهم السيد مير رفيع بن السيد مير على المتوفى سنة ١٢٧٢ والد المترجم له و كان حكيما متالها و طبيبا حاذقا و أصبح اسمه عنوان هذا البيت و أشهر علماء هذه الاسره الجليله في القرن الأخير السيد أبو الحسن الرفيعى القزوينى المتوفى سنة ١٣٩٦ المار الذكر في المجلد الثالث من مستدركات أعيان الشيعه.

الثالث المستشهد عام ١٢٦٣ و أخذ الفلسفه و العرفان من العلمين الآخوند الشيخ ملا آغا الحكمي القزويني و الآخوند الشيخ ملا يوسف الحكمي القزويني تتلمذ في الطب على والده الطيب الشهيد و اختص باستاذة الشيخ محمد صالح البرغانى و لازمه سنين ثم تزوج بابنته العالمه الفاضله ربابه المار ذكرها في المجلد الرابع من مستدركات أعيان الشيعة ص ١٠٤-١٠٥(١) و اشتهر المترجم له بالطب و كان من ابرز علماء الطب القديم في قزوين و جلس لتدريس الطب في المدرسه الصالحيه و التف حوله جمع من طلاب الطب و أخذوا عنه هذا الفن. ترك مؤلفات منها: كتاب في العقاقير الطبيه و كتاب في تركيب الادويه و كتاب في معالجه أنواع الأمراض، و رساله في معالجه أنواع امراض العين، و رساله عرفانيه و غير ذلك و خلف من زوجته ربابه العالمين الفاضلين السيد محمد الذى كان من أركان ثوره مسجد كوه رشاد في مشهد على البهلوى الأول. و الثانى هو السيد حسين الرفيعى المتوفى سنه ١٣٧٣ الذى انخرط فى سلك القضاء ثم تقاعد و مارس المحاماه و كان من ابرز المحامين فى ايران و كان يحتفظ بأكثر مؤلفات والده(٢)

أبو عباده الوليد بن عبيد الطائى البحتري

مرت له ترجمه فى موضعها عن (الأعيان)، كما مرت عنه دراسه فى المجلد الثالث من (المستدركات) و نشر عنه هنا ما يلى:

كان للبحتري ولد اسمه أبو الغوث يحيى روى شعر والده، و يبدو أنه نشأ بعيداً عن العراق، على أنه حن بعد وفاه أبيه إلى هذه البلاد و تذكر ذلك العصر الذهبى الذى نعم به أبوه فى العيش ببغداد و سامراء. فالعراق هو البلد الذى أعلى ذكر البحتري، و من العراق طارت شهرته إلى الخافقين، و ما ديوانه إلا سجل للأحداث الكبرى التى حدثت فى العراق على ذلك العهد. و البحتري كما لا يخفى شامى من أهل منبج بها ولد و بها نشأ و مات، و كان حامل الذكر فى بلده قبل أن يخرج إلى العراق، و لم يعرفه إلا القرويون و أهل الأرياف. قال صالح بن الأصبغ التنوخى المنبجى: " رأيت البحتري هاهنا قبل أن يخرج إلى العراق يجتاز فى الجامع من هذا الباب إلى هذا الباب - و أوما إلى المسجد - يمدح أصحاب البصل و الباذنجان و ينشد الشعر فى ذهابه و إيباه، ثم كان منه ما كان(٣) أى أنه خرج إلى العراق فأكبر العراقيون أدبه، و عرفوا منزلته و أنقذوه من الخمول و أوصلوه إلى الخلفاء و الرؤساء و أنشأ فيهم قصائده السائره.

هكذا قدم أبو الغوث إلى سامراء ثم إلى بغداد فاجتمع بمن اجتمع به من المكبرين لشاعريه أبيه المتعصبين له.

أصبح أبو الغوث بفضل الخلافة العباسيه و رعايه العراقيين لأبيه و تقديرها البالغ لأدبه يتمتع برئاسه كبيره و يرجع إلى ثراء طائل و أملاك واسعه فى منبج، و إلى كلمه نافذه فى بلاد الشام بأسرها. هذا و من أبناء أبى الغوث أو أحفاد البحتري، عبيد الله و أخوه أبو عباده رؤساء سارت لأبى الطيب المتنبي فيهم قصائد رائعه و صفهم فيها بالشجاعه و السخاء. و كان المتنبي فى الغالب يشد الرحال إلى منبج و ينزل على أحفاد البحتري فيها، و ينعم هناك بحفاوه بالغه و صلوات كبيره تشفع عن شعور عميق بقيمه تلك الزمالة الأدبيه بين أبى الطيب و أبى عباده و ما هذه الحفاوه بالمتنبي خليفه البحتري فى صناعه الشعر إلا حفاوه بأبيهم الراحل خليفه أبى تمام فى هذه الصناعه.

و لنا أن نقول إن بلده منبج و أهلها الطائيين و التنوخيين من أكثر البلاد نصيباً فى شعر المتنبي كما يستفاد ذلك من ديوانه. و يقول البلايينون فى كلمه (السقيا): هى قريه على باب منبج ذات بساتين وقف على ولد البحتري الشاعر، ذكرها أبو فراس فى

شعره (٤) و على الإجمال كانت منازل أحفاد البحترى فى منبج تعج بالوفود من مختلف الطبقات و فى طليعتهم العلماء و الشعراء الفحول.

تضمن ديوان المتنبى ثلاث قصائد مشهوره نظمها فى مدح كل من عبيد الله و أخيه أبى عباده ولدى يحيى أبى الغوث بن البحترى منها قصيده أولها:

بكيث بأربع حتى كدت أبكيكا وجدت بى و بدمعى فى مغانيكا

منها:

نجا امرؤ يا ابن يحيى كنت بغيته و خاب ركب ركب (٥) لم يؤموكا

و له فيه قصيده مشهوره أولها:

أريقك أم ماء الغمامه أم خمر بفى برود و هو فى كبدي جمر

منها:

إليك ابن يحيى بن الوليد تجاوزت بى البيد عنس لحمها و الدم الشعر

نضحت بذكراكم حراره قلبها فسارت و طول الأرض فى عينها ثمر

أبا أحمد ما الفخر إلا لأهله و ما لامرئ لم يمس من (بحر) فخر

و من شعره قصيده فى أبى عباده بن يحيى أبى الغوث أولها:

ما الشوق مقتنعا منى بذا الكمد حتى أكون بلا قلب و لا كبد

فأين من زفراى من كلفت به و أين منك ابن يحيى صوله الأسد

ما دار فى خلد الأيام لى مزح أبا عباده حتى درت فى خلدى

قد كنت أحسب أن المجد فى مضر حتى (تبحتر) فهو اليوم فى أدد

ص: ٣٦٧

١- ذكر فى المجلد الرابع من مستدركات أعيان الشيعة ص ١٠٤ تاريخ وفاتها عام ١٢٩٧ هجرية شمسيه و صحيح تاريخ وفاتها عام ١٣٣٥ هـ.

- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- تاريخ بغداد للخطيب (١٣/٤٧٧).
- ٤- المشترك لياقوت الحموى و انظر وفيات الأعيان (٢/١٧٨).
- ٥- هكذا فى نسخه الديوان، و الأصح وضع كلمه أناس مكان كلمه ركاب فى البيت.

و عن رجوع البحرى من العراق إلى الشام نقول:

بعد مقتل المتوكل كانت الأحداث تتواتر فى سامراء و فى بلاد الخلافه كلها على غير ما يهواه البحرى و راح يشعر هو من معه من ذويه و أفراد أسرته بحرج أو وحشه بالغه من جراء مكثه فى العراق فان حساده و أعداءه فى بغداد و سامراء غير قليلين و لا يوجد فى هذه الفتره وازع يحميه أو يدفع الضيم عنه كما كان يفعل المتوكل و الفتح بن خاقان فصمم على مغادره العراق إلى غير رجعه، و هناك روايه تدل على حرج موقف البحرى فى هذه الفتره العصبيه و تألب فريق من الأعداء عليه و تحين الفرص للوقيعه به رواها لنا المرزبانى(١) قائلا: حدثنى أحمد بن محمد بن زياد قال: سألت أبا الغوث - يعنى ابن البحرى - عن السبب فى خروج أبيه من بغداد فقال لى: كان أبى قال فى قصيدته التى رثى فيها أبا عيسى بن صاعد أبياتا وجد فيها بعض أعدائه مقالا يشنع عليه فيه انه (ثوى) و دارت فى الناس، و كانت العامه حينئذ غالبه فخافهم على نفسه فقال لى: يا بنى قم بنا حتى نطفئ عنا هذه النائره بخرجه تلم بها ببلدنا و نعود. قال فخرجنا و أقام فلم يعد.

و قد ظلت شخوص سامراء الباسمه تراود خيال البحرى بعد خروجه من العراق إلى أن مات، أ ليس هو القائل و قد مل الإقامه فى الشام بل مل العيش و الحياه هناك:

تلفت من عليا دمشق دوننا للبنان هضب كالغمام المعلن

إلى الحيره البيضاء و الكرخ بعد ما ذممت مقامى بين بصرى و جلق

إلى معقلى عزى و دارى اقامتى و قصد التقائى فى الهوى و تعلقى

مقاصير ملك أقبلت بوجوها على منظر من عرض دجله مونق

(٢)

الميرزا يحيى بن الميرزا أسد الله بن الحاج آقا حسين بن ملا حسن امام الجمعه ابن المولى تقي الطسوجى الخوئى:

ولد سنه ١٢٧٦ فى مدينه (خوى) و توفى فى طهران سنه ١٣٦٤ و دفن فى النجف.

"كل آبائه من العلماء، و جلهم الفقهاء المبرزون الأجلاء، بيت علم قديم، فيهم امامه الجمعه و الجماعه من لدن جددهم الحاج آقا حسين صاحب المدرسه المعروفه باسمه.

و أول من نزل منهم بخوى جددهم الفقيه المولى حسن صاحب الجامع الكبير المشهور اليوم باسمه.

و جددهم الأعلى المولى عبد النبى الطسوجى نزيل المشهد الرضوى العالم الجليل المصنف المعاصر لصاحب الحدائق، و يروى عن المولى رفيع الجيلانى المشهدى و هو عن العلامة المجلسى، و من تصانيفه التفسير الكبير و شرح معانى الأخبار". أقول: و خاله الحاج ميرزا حسن الدنبلى الشهيد الذى كان من تلامذه الشيخ مرتضى الأنصارى و له تأليف فى الفقه و الأصول و الأدب.

و ابنه الأرشد الشيخ محمد صدر الإسلام، و كان من معاريف علماء طهران.

و ابنه الآخر جمال الدين الامامى الذى انتخب عضوا للمجلس النيابى الرابع عشر و له مواقف مشهوره ضد الشيوعيين أيام نفوذ الشيوعيه فى ايران.

و قد نسبه بعض إلى طائفه "دنبلى"، و هو اشتباه نشا من انتساب أمه إلى هذه الطائفه(٣) نشا نشاته الأولى فى مدينه (خوى) و على بعض أساتذتها أخذ الأوليات العلميه و مقدمات الدروس الدينيه.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف فتتلمذ بها على الفاضل المولى محمد الايروانى و الشيخ محمد حسين الكاظمى و الحج ميرزا حبيب الله الرشتى.

ثم عاد إلى وطنه "خوى" بعد أن قطع المراحل العلميه فى النجف، كان يقيم صلاه الجماعه و الجمعة فى المسجد المعروف ب "مسجد شاه" و قد جدد بناؤه لأجله، و قد انتقلت اليه امامه الجمعه من آباءه الذين كان لهم هذا المنصب رسميا منذ أمد بعيد.

فى نهضه "المشروطه" المعروفه دخل فى معامع السياسه، و اختاره علماء آذربايجان نائبا عن تبريز فى المجلس النيابى لأول دوره، فانتقل إلى طهران فى سنه ١٣٢٤ بصفه نائب و دخل المجلس و أصبح له نفوذ بين النواب للمؤهلات الخاصه التى كان يتمتع بها، و كان فى المجلس من العلماء الممتازين الذين لهم رد القوانين المطروحه به إذا لم تكن موافقه للشرع الإسلامى.

ثم انتخب فى المجلس النيابى أيضا للدوره الثانيه، و كان من الخمسه الذين انتخبهم علماء النجف بعنوان الفقهاء الناظرين على القوانين. كما انتخب فى الدوره الثالثه عن طهران. و أصبح نفوذه فى الدوله و الناس بحيث كان له يد فى نصب و عزل بعض الوزراء و كبار الموظفين و الشخصيات الاداريه المرموقه.

و كان بيته فى طهران مجمعا للمبرزين من العلماء و السياسيين و أهل الحل و العقد، فكانت محافله مراكز للتداول السياسى و ما يهم المملكه من الشئون.

أما الناس فى السنوات الاخيره من حياته، فكانوا بين مؤيدين فى موافقه تجاه الحكومه و أعماله المؤيده لها و للشاه خصه، و بين جارحين له يرون أن مكانته الروحيه لا تناسب ما هو فيه من الصبغه السباسيه [السياسيه].

و لكنه على كل حال أبدى معارضات فى قضايا حاسمه و كان يقول كلمته فى الظروف المناسبه.

يروى عن الشيخ محمد حسين الكاظمى و شيخ الشريعه الاصفهانى و الفاضل الشريانى و الميرزا حبيب الله الرشتى. و يروى عنه السيد شهاب الدين المرعشى النجفى(٤)

ص: ٣٦٨

٢- الشيبى فى (ابن القوطى).

٣- الطهرانى.

٤- السيد احمد الحسينى.

الشيخ يحيى العراقي:

ترجم فى محله فى (الأعيان) و نزيد على ما هنالك ما يلى:

هو من علماء القرن الثالث عشر الهجرى توفى بعد الخمسين منه، و هو فقيه من الفقهاء المجيزين و ممن أجازهم: الشيخ محمد بن احمد التارونى [التاروتى] (١) و والد الشيخ حسن و الشيخ سليمان و الشيخ على مؤلف (وفاه أمير المؤمنين) و (وفاه الحسن) (ع) و كتاب (عتبه المكلفين).

و المترجم أديب و شاعر، و من شعره تشطيره بيتين شطرهما عدد من الشعراء و هما مع التشطير:

إذا ما روى الهوى عن متبسم حديث هوى منه التصبر دائر

و جالوا أحاديث الصبا به عن فتى سواى فاحاد و عنى تواتر

رواه نحو لى عن سقامى و صبوتى و ما فى الذى يروى النحول تشاجر

حكى ما له الآثار حقا شواهد فجاء بحق طابقتة الظواهر

الشيخ يحيى بن محمد على النائينى:

فقيه فاضل مطلع على الأخبار و الأحاديث، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر و لعله بقى إلى أوائل القرن الرابع عشر.

له "زينه الصالحين" و "شرح قواعد الأحكام" (٢)

يحيى بن محمد بن على بن محمد النقيب الحسينى، عز الدين، أبو القاسم:

أديب كثير الشعر جيده، اختار السيد عز الدين على بن فضل الله الراوندى ألف بيت مما قاله النقيب فى النسيب و قدمه اليه فى كتيب سماه "الحسيب النسيب للحسيب النسيب".

توفى سنة ٥٨٩ (٣)

السيد يحيى الموسوى بن محسن:

عارف صوفى فاضل، من أعلام القرن الثالث عشر، زار العتبات المقدسه بالعراق فى سنة ١٢٦٦ ثم ذهب إلى الحج فى نفس السنه.

له "ضياء المصباح" ألفه سنة ١٢٧٤ (٤)

الميرزا يحيى بن شفيق الشريف المستوفى البيدآبادى الاصبهانى:

ولد نحو سنه ١٢٥٨ و نشا برعايه والده و توفي سنه ١٣٢٥. يبدو أنه ذهب في شبابه إلى النجف الأشرف للتحصيل، و من أساتذته بها الشيخ مرتضى الأنصاري، و عاد إلى أصبهان بامر من والده.

له إجازة حديثه مبسوطه (كما نص عليه في آخر كتابه روح الإسلام) من الشيخ مهدي بن علي كاشف الغطاء النجفي، كتبها له و هو في الرابعه و العشرين من عمره.

عالم كبير متبحر في الكلام و الفلسفه و التفسير و الفقه و الأصول و غيرها من العلوم الإسلاميه الأخرى، من كبار علماء أصبهان و أعيان فضلائها، له في مؤلفاته تتبع ممتاز يجمع فيها أطراف الموضوع (٥)

الميرزا يحيى خان بن الحاج الميرزا عبد الغنى التفرشى

المشتهر ب (سرخوش التفرشى):

من شعراء أواخر العصر القاجارى. امضى صباه و شطرا من شبابه في مسقط رأسه، و درس مقدمات العلوم على أبيه، ثم واصل الدراسه على يد أخيه الأ-كبر الميرزا محمد على الذى كان رجلا- عالما و من تلاميذ الحاج الملا هادى السبزوارى و نشط سرخوش في تعلم الخط حتى بلغ مكانه مرموقه فيه.

اشتغل في خرم آباد سنين محررا لمكاتبات خاله الذى كان وزيرا لخوزستان و لرستان. ثم انتقل إلى دزفول لتلقى العلم على يد بعض العلماء هناك، و رحل بعد ذلك إلى طهران فأقام فيها، و اشتغل عام ١٣٠٨ هـ كاتبا للسفاره البريطانيه، و حظى بمكانه رفيعه.

توفى عام ١٣٣٨ هـ عن عمر ناهز الواحد و الستين. و هو يعد من الغزليين الجيدين في أواخر العهد القاجارى و أوائل القرن الرابع عشر الهجرى. و قد طبع ديوان شعره في طهران عام ١٩٨٣ م باهتمام احمد كرمى. و جاءت الطبعة في ١٧٠ صفحة من القطع الوزيرى (٤)

يوسف بن القاسم الاستر آبادى:

فاضل جليل من المدرسين في أواخر القرن الحادى عشر.

له "وافيه المؤمنين" ألفه سنه ١٠٨٤ (٧)

يوسف بن محمد الحسينى الواعظ اليزدى، عز الدين:

من أعلام أواخر القرن العاشر، و كان يقيم بكر بلا مشغلا بالوعظ و الإرشاد، و هو فاضل أديب له منشئات فارسيه و عربيه جيده و شعر فارسى.

له "مشهد السبطين" ألفه سنه ٩٨٩ (٨)

- ١- نسه إى تاروت من مدن القطف.
- ٢- السىء اءمء الءسنى.
- ٣- السىء اءمء الءسنى.
- ٤- السىء اءمء الءسنى.
- ٥- السىء اءمء الءسنى.
- ٦- عبء الرفىع ءققت.
- ٧- السىء اءمء الءسنى.
- ٨- السىء اءمء الءسنى.

<الذكريات في حياه>

حسن الأمين

اشاره

نشرنا قسما من هذه الذكريات في آخر المجلد الرابع، وقلنا هناك ان القسم الآخر من الذكريات بعضه مكتوب و بعضه الآخر لم يكتب بعد.

و أننا سننشرها تباعا في المجلدات القادمه.

و ننشر هنا صفحه من تلك الذكريات، و لعلنا نوفق في متابعه نشرها كامله في الآتى:

مستدركات أعيان الشيعة

اكتب هذا الكلام الآن في التاسع من شهر شباط السنه ١٩٩٣ (شعبان ١٤١٣) و بين يدي اربعة مجلدات من (مستدركات أعيان الشيعة). و في المطبعه يهتأ المجلد الخامس للصدور، و على رفوف المكتبه إلى يمينى الأغلفه الصفراء مملوءه بمواضيع المجلد السادس التى لا تزال تزداد يوما بعد يوم حتى تكتمل بما يملأ هذا المجلد.

أننى منذ بدأت العمل بعد وفاه والدى باعداد مسودات "الأعيان" غير المطبوعه - اعدادها للطبع، كان أقصى ما اطمح اليه ان أستطيع تنسيق تلك المسودات و إخراجها مطبوعه، و ذلك مطمح كان تحقيقه يبدو بعيد المنال.

أولا: لأن أعداد تلك المسودات و تنسيقها و ضم مواد كل ترجمه إلى مجموعته واحده. لم يكن من الأمور السهله.

ثانيا: هب انى استطعت ذلك فقد كان إخراج تلك المسودات مطبوعه يحتاج إلى اموال كنت لا أملك شيئا منها. و لم يكن من المستطاع العثور على مغامر من المتاجرين بالكتب يقدم على بذل كثير من المال على امر غامض النتائج..

كنت أفكر كيف أستطيع إكمال طبع (أعيان الشيعة). اما ان يكون ل (أعيان الشيعة) المطبوع مستدركات فذلك امر لم يدر فى خلدى ابدأ.

و لكن التصميم الصارم، و العزم الصامد أخرجنا (أعيان الشيعة) فى طبعه كامله لا تقل إتقانا عن أشهر الموسوعات العالميه فى ارقى بلاد الغرب.

و ظننت بعد ذلك أنى سأستريح بعد ان حققت الحلم الذى كان عدم تحقيقه هما منغصا للحياه طيله أكثر من عقدين من السنين.

و قد كان ما تحملته خلال تلك السنين فى تحقيق حلم الحياه - كان شيئا يهد العزائم، كان بعض ما فيه: الخيبه ممن تحسب انهم من الذين لا- تخيب عندهم الآمال الطيبه. و من بعض ما فيه محادثه الجفاه الغلاظ، و مناشده الجهله الأغبياء، و التواضع لمن لا يستحقون الا التكبر عليهم و الترفع عن مجالستهم.

كان ما لقيته شيئاً لا احتاج بعد إنجاز ما انجزته الا للزوف عن مخالطه الناس، و الانكفاء إلى التأمل و مناجاه النفس، و الخلود إلى الراحة الكامله.

و كانت المطالعه سلواى الوحيدده، و كانت تمر بى خلال المطالعات بحوث و أخبار فى غايه الأهميه، تتعلق بمن سجلت تراجمهم فى (أعيان الشيعه)، فكنت آسف لأنى لم أر ذلك قبل طبع الكتاب لأضيفها إلى تراجم أصحابها مشيراً إلى انها مما استدركته على الترجمة، كما حصل ذلك مرارا خلال طبع الكتاب.

و فيما أنا منكب على المطالعه وقعت لى دراسه فى احدى المجالات تتعلق بالفيلسوف (أفضل الدين الكاشانى)، المعروف بأفضل المرقى، فعدت إلى (أعيان الشيعه) لأرى ما سجل فيه عنه، فإذا ما هو مسجل قليل، لأن تفاصيل أخباره لم تكن قد وصلت إلى مؤلف (الأعيان)، و ليس ذلك مستغرباً فصاحب (الأعيان) لم يكن مستطيعاً ان يحيط بكل شىء، و حسبه فضلاً الوصول إلى ما وصل اليه..

ففرزت مكاناً فى محفوظاتى فى المكتبه لترجمه أفضل الدين للرجوع إليها عند الحاجه، دون ان يكون فى خاطرى اى تفكير فى مستدركاتأعيان الشيعه.

على ان ذكريات مراره ما لقيت فى إنجاز طبع (أعيان الشيعه) و الوصول به إلى طبعته الأنيقه. ان ذكريات هذه المراره أخذت تتقلص امام الحلاوه التى أخذت احسها من تداول (الأعيان) فى ايدى الناس.

و إن انطباعات الغصص التى كابدها، صارت تمحوها يوماً بعد يوم هذه الجرعات من الهناء التى كانت تعتادنى من رؤيه مجلدات الكتاب براقه على رفوف خزائن الكتب.

و شيئاً فشيئاً لم يبق فى النفس الا الشعور بالسعاده لإنجاز ما وعدت والدى بانجازه فى إكمال طبع كتابه العظيم بعد وفاته.

و غمرتنى السعاده فانستنى كل ما مر، و فى هذه الغمرات الهائنه وجدتنى مثقلاً بهم جديد هو هم مرور الزمن بعيداً عن أى انتاج، و عدت كما قال المتنبى:

ص: ٣٧٠

و ما فى طبه انى جواد أضر بجسمه طول الجمام

لقد طال الجمام بعد طول العناء، فعاد هذا الجمام أشد على النفس من كل عناء، فهياً إذن إلى العناء من جديد شفاء من طول الجمام.

على ان شكواى لم تكن من العناء الجسدى، بل كانت من العناء النفسى فى محاوله التعاطى مع من كان التعاطى معهم عناء للنفس دونه كل عناء!.

أما الآن فلا عناء نفيساً لأن الإقبال على (أعيان الشيعة) جعل المعرضين بالأمس يقبلون اليوم.

و هنا تذكرت ترجمه أفضل الدين الكاشانى، و تذكرت من ماتوا بعد موت مؤلف (الأعيان) فلم يترجموا فى (الأعيان) لأنه كان من طريقته ان لا يترجم للأحياء.

تذكرت ذلك فقمتم إلى محفوظات المكتبه فاستخرجت منها ترجمه الكاشانى و أعددت لها اضباره خاصه كتبت على ظاهرها بخط عريض (مستدركات أعيان الشيعة)، و أفرزتها ناحيه، فكانت هذه الترجمة نواه (المستدركات)، و كانت هذه الإضباره أساس ما توالى بعدها من إضبارات، امتدت حتى اعطت حتى الآن خمس مجلدات (1).

أوائل العام الخامس و الثمانين

إننى الآن فى أوائل العام الخامس و الثمانين من العمر، فكم ستمتد الحياه من السنين بعد هذا العام، بل الأحرى ان اتساءل كم ستمتد من الأيام و الشهور، فبعد الخامس و الثمانين هل يمكن الطمع بسنين.

إن امتدادها إلى هذا الحد. إلى الخامس و الثمانين مع الاحتفاظ بالصحه و النشاط و الطموح و الفكر لشيء كثير فالأتراب ماتوا، و الرفاق فنوا أو عجزوا!!.

و أنا لا أزال قائماً، و القلم فى يدي اسطر به ما اسطر من بحوث (المستدركات) طورا، و من بحوث (دائرة المعارف الإسلاميه الشيعيه) طورا آخر... فإلى متى سيدوم ذلك.

اللهم هب لى ما تشاء من السنين أو الشهور أو الأيام، و سيكون إعظامى لهبتك ان لا أنفقها إلا فى رضاك، و لا أحسب ان شيئاً يرضيك أكثر من تسطير صفحات مجيده من تاريخ الأمه التى قلت عنها فى كتابك العزيز: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّه أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ: امه العرب و امه المسلمين.

إن ما سجل فى (أعيان الشيعة) و مستدركاته، و ما سيسجل و ان ما سجل فى دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه و ما سيسجل، ليس - كما قد يبدو من العنواين - موضوعاً طائفيًا، أو دراسه مذهبيه أو بحثاً فتويه.

انه نشر لصفحات مطويه من انصع صفحات تاريخ العرب و الإسلام، و تسجيل لأخبار من أنقى اخبار هذه الأوطان التى عاش فيها العرب و المسلمون.

الاضبارة النحيلة التى ضمت ترجمه واحده، و التى استهلت باسم أفضل الدين الكاشانى، كنت أحسب ان ليس من السهل تضخيمها، و كنت لا- أستطيع تقدير الزمن الذى يقتضىنى لجعلها مستهل (المستدركات) المطبوعه. و لكن الأيام كانت تمر متنقصه من العمر، مزيدة فى الاضباره.

و حين تشعر ان الأيام تنتقص من عمرك و تسوقك إلى الموت بلا جدوى، و حين تغيب الشمس فتحس انك خطوت خطوه إلى الفناء بلا أثر خلفته وراءك...

حين يكون الأمر كذلك يكون للحياه مراره العلقم، و يكون طلوع الشمس و غروبها، طلوع للبلاء الذى لا غروب له.

لقد ذقت ذلك سنين من حياتى، يوم أبيت ان أخنع لواقع الدنيا فى هذا الوطن، هذا الواقع الذى يجعلك و أنت الأنوف الأبي - يجعلك تقف موقف صاحب الحاجه أمام اللئام أميى الفكر الذين أوصلتهم أحط الطرق إلى ان يكونوا قاضى الحاجات...

ص: ٣٧٢

١- كان هذا قبل البدء بالعمل فى المجلد السادس الذى هو الآن فى ايدى القراء.

فأثرت الحرمان على الدنو منهم و الوصول إلى أبوابهم.

فكان على ان تمر ايامى خواء، و ان تنقضى حياتى هباء، و أن تشرق الشمس و لا جديد فى شروقها، و ان تغيب فيطلع الأسى من مغييها.

أما اليوم فللشمس ان تطلع ما طلعت، فإنها تطلع و يطلع معها أمل جديد، و تغيب فيشرق مع غيابها عمل عتيد.

ها هى الاضبارة التى كانت وحيدة تصبح اضبارات، و ها هى ترجمه أفضل الدين الكاشانى التى كانت مفردة تصبح لها أخوات و أخوات!.

كانت ثانى ترجمه أكتبها للمستدركات ترجمه المفكر العربى الكبير محمد شراره الذى كان لم يمض على وفاته وقت طويل، و كم شعرت بارتياح نفسى و بهجه روحيه، و انا اخط سطور ترجمه هذا الرجل الذى أعطى أمته أفضل ما يعطى الرجال لأممهم. و كم حمدت الله لأن عملى الذى اخترته لنفسى هو تسطير تاريخ الرجال لأستطيع ان اعطى الرجال مستحقى العطاء - ان أعطيهم بعض حقهم!.

ثم تلت ترجمه محمد شراره ترجمه الشاعر العاملى إبراهيم شراره الذى هو من صانعى النهضه الشعريه فى جبل عامل فى هذا العصر، و ممن عرفتهم المنابر العامليه فى مختلف ندواتها سواء فى أفراحها أو أحزانها، رفيفى الصوت فى استنهاض الهمم، بليغى القول فى استصراخ العزائم.

و أعداد ترجمه إبراهيم شراره و الحصول على بعض شعره كانا مثالا لما كنت أعانيه من أقرباء بعض من أريد ان أذكرهم فى (المستدركات)، فبعض هؤلاء الأقرباء كان يماطل و يطاول فى حصولى على ما أريد، ثم كان يبدو و كأنه يمن على بما يعطى إذا أعطى.

و لم يكن شقيق إبراهيم شراره وحده الذى عانيت منه ما عانيت، ثم بعد انتظار أكثر من سنه لم يصلنى منه شىء، بل وصلنى ما أريده من قريب آخر لإبراهيم.

لم يكن شقيق إبراهيم شراره وحده فى ذلك بل كان له نظائر، و لكنهم قله و فى المقابل كان هناك من بلغهم عملى، فأسرعوا هم من أنفسهم لأمدادى بما أريد سواء من كان منهم فى لبنان أو العراق أو إيران أو الهند أو باكستان أو افغانستان.

و كانت خطتى فى (المستدركات) ذات ثلاث مناحى:

١ - تراجم من توفوا بعد وفاه مؤلف أعيان الشيعة.

٢ - إضافات إلى من ترجمهم، ثم وجدنا لهم ما يجب ان يضاف إلى تراجمهم.

٣ - تراجم القدماء الذين فات المؤلف ذكرهم.

و أخيرا صدر الجزء الأول من المستدركات على نسق الطبعة الجديده من مجلدات الأصل: (أعيان الشيعة)، و لكن بعدد من الصفحات أقل.

و قد كانت قله عدد الصفحات مفروضه علينا، إذ لم يجتمع لدينا من التراجم فى المجلد الأول أكثر مما اجتمع، فاثرتنا ان نخرج ما اجتمع على ان تنتظر اجتماع أكثر مما اجتمع.

و لكننا حددنا بعد ذلك عدد صفحات كل مجلد، على ان لا نتجاوزها و لا نقلل منها، لكى تصدر المجلدات فى حجم واحد ما عدا الأول الذى كان محكوما علينا ان نخرجه بعدد الصفحات التى خرج بها.

دائرة المعارف

لم يشغلنى العمل فى (مستدركات أعيان الشيعة) عن التفكير فى إكمال (دائرة المعارف الإسلاميه الشيعيه)، إذ اننى اقتصرت فى إخراجها على ثلاثه مجلدات فقط. و كنت قد أعددت اضباره خاصه لمواضيع جديده للدائرة اجتمع فيها العديد من المقالات المتنوعه. و قررت ان أسير بالعملين معا فى وقت واحد.

و من أجل ذلك كان لا بد من الانتقال إلى مختلف البلاد العربيه و الإسلاميه للاتصال بالاختصاصيين و استكتابهم، و البحث فى المكتبات العامه و الخاصه، و مشاهده كثير من المواقع مشاهد عيانيه. و كان ذلك متعدرا على لافتقارى إلى المال الذى لم أكن أملك منه شيئا.

ص: ٣٧٣

السفر إلى طهران

و كان أول مكان يجب ان أسافر اليه هو ايران. و كان لي صديق في طهران كان قد اقام مده في بيروت مع أسرته و أولاده الذين ألحقهم بمدارس بيروت، و انصرف هو إلى العمل الذي كان يتعاطاه في طهران و هو حصوله على و كالات لبعض الشركات اليابانيه و استيراد منتجاتها إلى تجار في بيروت، و بقي في بيروت إلى ان نشبت احداث لبنانسنة ١٩٧٥ فاضطر إلى العوده إلى طهران.

و كانت اخباره قد انقطعت عني. و بدا انه كان يتابع اخباري، و علم من بعض المسافرين إلى طهران من بيروت بنيا تفكيرى بالسفر إلى طهران و ترددى في ذلك. و كان يعرف عملى في (أعيان الشيعة) و في (دائرة المعارف).

و في مساء أحد الأيام رن الهاتف في منزلى، و أخذت السماعه فإذا بالصديق الطهرانى يقول انه يسكن وحده في شقه مستقله و ان أسرته تفرقت في منازل متعدده، و لا يوجد غيره في مسكنه الجديد و يدعونى للإقامه معه طيله وجودى في طهران مهما طال هذا الوجود، و اعطانى عنوان منزله و رقم هاتفه، و قال انه في انتظارى.

و غادرت إلى طهران و وصلت منزل الصديق الذى قابلنى بالترحيب و أعد لى فراشا على الأرض بدون سرير لأنه هو نفسه كان بدون سرير.

و لما لم يكن فى البيت نساء، فكان امر الطعام يقع علينا، و فى اليوم الأول تناولنا طعام الإفطار من (حواضر البيت) من حليب و شاي، و قبلت دعوته لتناول الغداء فى المطعم الذى يرتاده، كما قبلت دعوته لتناول العشاء.

و ابتداء من اليوم الثانى كان على ان أتدبر امر الطعام اليومى. و لم يكن فى إمكان طاقتى المالىه تحمل نفقات مطاعم الدرجه الأولى التى يتنوع فيها وحدها الطعام الجيد حسبما يرغب الآكل من تنوع الأطعمه النباتيه و اللحوميه مضافه إلى أطباق الأرز. و لو كان الأمر امر أيام معدوده تنقضى فى الإقامة لكان يمكن تحمل أعباء نفقات تلك الأيام.

و لكن الإقامة ستطول شهورا، و ما استطعت ادخاره من المال ينوء بتحمل تلك الأعباء.

فاقنعت مضيفى بان تتناوب عمل طعامنا فى المنزل بأيدينا يوميا، فاتولى انا عمل الطعام فى يوم و يتولى هو عمله فى يوم. على اننى كنت لا اعرف من اللغة الفارسىه الا بضع كلمات، و اعرف الاعداد من الواحد إلى العشره، لذلك كان يسهل على شراء (الخضروات) و الفواكه، فاثمانها كانت معلقه عليها، فكان يكفى ان أشير إلى النوع الذى أريده و احدد رقم الكيلو الذى أريد.

اما اللحم فكان شراؤه يحتاج إلى تفاصيل لا اعرف النطق بها بالفارسىه، لذلك كان رفيقى هو الذى يتولى شراء اللحم ليوم نوبتى و يوم نوبته. و كنا قبيل النوم نحسب نفقات اليوم و نتقاسمها.

أما انا فكان منهجى ان انطلق فى الصباح للتفتيش فى المكتبات عن المصادر الفارسىه التى تفيدنى فيما أريده من مواضع، حتى إذا وجدت ما أبغى فان كان المصدر فى مكتبه تجاريه اشتريته، و ان كان فى مكتبه خاصه استعترته و صورت ما أريد. ثم اذهب إلى مترجم اتفقت معه على الترجمة لقاء أجر معين.

كما كنت اجمع بعض المعلومات الشفهيه و أدونها، و كذلك استكتب بعض الأكفيااء.

ثم أعود إلى البيت فاجمع ذلك كله و أعود اكتبه من جديد لا سيما المترجم منه لعدم سلامه اللغه المكتوب بها سلامه تامه.

ص: ٣٧٤

و فى يوم كان هو يوم نوبتى فى عمل الطعام، عكفت فيه على تدوين موضوع من أهم المواضيع التاريخيه، و كنت قد عثرت من اجله على مصادر قيمه عربيه و فارسيه. و بدأت الكتابه بعيد الظهر و انطلقت فيها كل الانطلاق، و استمر العمل وقتا طويلا، بدون ان أشعر بممل أو كلل لأهميه الموضوع و انشراحي الكامل للعمل فيه.

فانسانى ذلك اننى لست كاتب دائره معارف فقط، بل اننى (طباخ) أيضا و ان عملى ليس على المكتب بين الأوراق و الأقلام فحسب، بل فى المطبخ [المطبخ] أيضا و بين القدور و المقالي.

و نظرت فى الساعه فإذا هى فى وقت متأخر، و تذكرت ان رفيقى سيحضر بعد قليل و معدته متهياه للطعام، ثم اننى انا نفسى قد بدأت أشعر بالجوع، فرميت القلم من يدى، و ألقيت الأوراق جانبا، و نهضت مسرعا إلى المطبخ، فحرت فيما يمكن ان اطبخه، و ما يمكن ان يخرج طعاما ناضجا فى أقل وقت ممكن، ففكرت فى اللحم فاستبعدته لأن اللحم يحتاج إلى تقطيع و تشذيب و اقتضاء وقت أطول و عمل أشق.

و التفت فرأيت امامى (باذنجان) من النوع المدور الكبير، فعمدت إلى تقطيعها و أعددت المقلى و ملأته بالزيت و وضعته على النار و أخذت ارمى فيه قطع الباذنجان فتز ازيزها المعهود، فيتطاير من المقلى على يدى ما يتطاير من رذاذ الزيت المغلى.

و لم يكن الباذنجان المقلى وحده طعاما يبض الوجه امام الرفيق، بل كان لا بد من شىء آخر يضاف اليه، يمكن إيهامه به أننى أعددت طعاما مقبولا فعمدت إلى الارز و وضعته فى القدر على النار و قررت ان اخترع نوعا من الطعام غير معروف، أوهم فيه الرفيق انه (اكله لبنانيه) شعبيه، و أنى أردت ان أذيقه طعاما لبنانيا طريفا لم يعرفه و هو فى لبنان.

و بعد تفكير لم يطل كثيرا عمدت إلى قطع الباذنجان المقلى فوضعتها فى قدر الأرز و أخذت اخبطها مع الارز فتخبط فيه فيخرج من ذلك مزيج عجيب، الله وحده يعلم ما ذا سيكون طعمه.

و لما أدركت انه نضج صبيته فى الأطباق، فخرج لا هو بالمائع ميوعه الحساء، و لا بالجامد جمود الأرز، بل كان شيئا بين هذا و ذاك. و لم اشأ ان أذوقه، بل تركت شرف تدشين آخر اختراع فى الطعام للرفيق العزيز.

و لكننى لا- أنكر ان شكله و لونه اعجبانى، فقد كان شكله المدور فى الأطباق المدوره، و لونه المتشابهك بين الابيضاض و الاسمرار و شىء من الاحمرار، شكلا لا ينقصه الجمال. أعجبنى المنظر فشغلنى عن التفكير فى المخبر، و عن ان العبره فى الطعام لا بمنظره بل بمخبره، و لا بشكله بل بمذاقه.

و كنت - عند انشغالى بالمقلى - و أنا أبصر الزيت يغلى فى المقلى، و أبصر الباذنجان يتحول من ابيضاض ناصع إلى سمره داكنه مؤطره بالسواد الفاحم - كنت أحاول ان أروح عن نفسى فاحول فى ذهنى الموقف من موقف (قلى الباذنجان) إلى موقف شعرى أبصر فيه و اسمع انفجار فقاعات الزيت الممزوج بماء الباذنجان، و أشاهد تحول الأشياء من لون إلى لون، فاكد احساسى لأخلق من ذلك جوا شاعريا يعزىنى بالوهم - عما أنا فيه.

و لكن تطاير رذاذ فقاعات الزيت بنارها المحرقه على يدى كان يوقظنى من الحلم الشعري الموهوم. و ان التحديق فى قطع الباذنجان الآخذة فى التحول من البياض إلى السمره و الخوف من ان تتحول هذه السمره إلى اسوداد، كان يردنى إلى الحقيقه المريره!.

و فى لحظه من اللحظات طافت على وجهى ابتسامه حزينه، كأنها تقول: ان اليد التى كانت تكتب ما تكتب، تطفى الآين الباذنجان...

و ان الذهن الذى كان يوحى ما يوحى، ضائع الآن بين التأكد من نضج الباذنجان و عدم نضجه، و الخوف من زياده هذا النضج إلى حد الاحتراق!...

و جاء الرفيق العزيز، و إذا قست الأمر على نفسى فهو الآن جائع، لأننى انا الآن فى حاله جوع عارم. و فى الحال وضعت طبقين من (الأكله اللبنانيه الشعبيه)، واحدا امامى و واحدا أمامه.

و إذا كان الإخوان المصريون يمهدون لأكلاتهم الجيده قائلين: ستأكل أصابعك وراها، فانى فى اعماق نفسى كنت أحس بان صاحبي سيعض أصابعه ندما على ان جعلنى اليوم طباخه!.

و مهدت للأمر بمقدمه تناسب الحال، تحدثت فيها عن الأكلات الشعبيه، و ان لكل بلد خصائصه فى ذلك، فما يعجب الأكل فى هذا البلد، قد لا يعجب الأكل فى بلد آخر. قلت ذلك خوفا من رده الفعل عند الرفيق.

و شرحت حرصى على أذاقته من الطعام ما لم يذقه ابدأ، محاولا التباهى بذلك.

و كنت متكلا - فى نفسى - على ما هو عليه من الجوع، فإذا كان الطعام غير جيد، فالجوع الذى هو فيه سيلهيه عن عدم جوده الطعام، فيلتهمه غير مبال.

و أخذ اللقمه الأولى و وضعها فى فمه، و أكون مبالغا إذا قلت انه كان على وشك ان يتقيا، و انا لا أحب المبالغه فى الوصف. و لذلك أقول:

انه لم يكمد يجيل اللقمه فى فمه الجوله الأولى حتى قام فى الحال فلفظ ما فى فمه فى سله الزباله، لاعنا الأكلات الشعبيه لا فى لبنان وحده بل فى العالم كله.

ضيوف آخرون

فى تلك الأيام التى كنت أتناوب فيها و صاحبي الايرانى صنع الطعام، و أنام فى منزله على فراش رقيق على الأرض الصلده، و أقدم له تلك الأكلات الشعبيه، متحملا ذلك فى سبيل إخراج الموسوعات التى فيها ما فيها من تسجيل مفاخر للبلد الذى انزل فيه.

فى تلك الأيام كان ذلك البلد يستضيف لبنانيين آخرين فينمهم لا على الأرض الصلده فى المنزل المتواضع، بل فى الأسره

الفاخره على الفرش الوثيره فى الفنادق المترفه، و يطعمهم لا الأكلات الشعبيه الباذنجانيه بل الأكلات الشعبيه (الفسنجونيه)[\(1\)](#)
لأن أولئك يتقنون التبخير و يتفوقون فى التطبيل و التزمير. و هم لطول ما أكلوا على شتى

ص: ٣٧٥

١- الفسجون طعام ايرانى فاخر.

الموائد يعرفون - كما يقول المثل العربي - يعرفون من اين تؤكل الكتف...

و نحن لا نعرف حتى كيف يؤكل الباذنجان!

معنى الظهر مطاىء الرأس

كنت فى أحد الأيام على موعد للقاء أحد مقتنى المكتبات فى منزله، و ذلك لمراجعته ما قيل لى من ان فى مكتبته الكثير من المصادر المفيدة، فخرجت مع الرفيق العزيز إلى أحد مواقف الحافلات (الأوتوبيسات) لنمتطى أحدها إلى المنزل المقصود.

و الانتقال داخل طهران مشكله من المشاكل المضمنيه، فلاتساع العاصمه و كثره سكانها و تباعد أطرافها، كان التنقل داخلها مضنيا، فهذا التنقل محصور بواسطتين: الحافلات، أو التكسيات. اما الأولى فهى دائما مزدحمه، و للحصول على مكان فيها لا بد من ان يقف الناس فى صفوف طويله قد يبتعد مداها أحيانا ابتعادا اى ابتعاد.

هذا فى مواقفها الرئيسه التى تنطلق منها انطلاقها الأول. اما فى مواقفها فى طرق سيرها فى الشوارع ففى كثير من الأحوال لا يفيدك الوقوف فى الصفوف و لا التكتل غير المنتظم، لأن الحافله تمر ممتلئه امتلاء لا خلاء فيه لموضع قدم، فإذا لم يكن أحد يريد النزول منها فإنها لا تقف، لأنه لا فائده من وقوفها ما دام يتعذر الصعود إليها فى أكثر الأحيان اما (التكسيات) فإنه مع وجود العدادات فيها، فإنه لا فائده من استعمال العدادات، و لا فائده فى أكثر الأحيان من إيقافها لأنها دائما تنقل أشخاصا مختلفى المقاصد، فهى تمر دائما مملوءه، فإذا مر أحدها و فيه فراغ فعليك ان تعين له الجهه التى تقصدها فإذا كانت على طريقه أخذك و الا تركك. و ينذر جدا ان تجد (تكسيا) فارغا فتحدد له الجهه التى تقصدها فينقلك إليها. فذلك انشئت مكاتب لشركات تنفق كل واحده منها مع مجموع سيارات تقف فى مكاتبها، لتنتظر من يهاتفها و يعين لها عنوانه فتذهب السياره اليه و تنقله إلى حيث يريد. و أجور هذه السيارات أجور باهظه لا يستطيع كل أحد تحملها.

و كنت أحيانا اضطر لاستئجار واحده منها، و ذلك عند ما كنت أريد السفر إلى احدى المدن و أكون مضطرا للوصول إلى أماكن تجمع حافلات نقل الركاب إلى المدن، و هى تجمعات فى أطراف طهران البعيده.

فكان صاحب المكان الذى أكون فيه يهاتف شركه من الشركات القريبه فيرسل لنا سياره لتوصلنى إلى مكان تجمع حافلات المدينه التى اقصدها. و أجور هذه السيارات لا مساومه فيها و لا تحديد لها فهى متروكه لتقدير السائق، و عليك ان لا تعترض أى اعتراض. و الأجر التى يفرضها السائق إنما يفرضها على أنها موزعه بينه و بين الشركه، و على أساس انه سيعود بسيارته فارغه. و من هنا كانت أجورها الباهظه.

و فى احدى المرات دفعت لسياره اوصلتنى من المنزل الذى كنت فيه إلى تجمع حافلات مدينه قم سبعين تومانا، فى حين ان ما دفعته للوصول من طهران إلى قم كان سبعة توأمين.

وقفت مع الرفيق العزيز فى موقف الحافلات فى الشارع على أمل ان تقف حافله فنجد فيها مكانا أو يمر (تكسى) فنجد فيه مكانا، و لكن الحافلات كانت تمر مملوءه، و (التكسيات) تجتاز مشحونه و الساعه تتقدم عقاربها نحو وقت الموعد مسرعه، و أخذ هذا

الوقت يراحنا. و فجاه لمحت حافله من الحافلات الأهليه الأصغر حجما من الحافلات الحكوميه و لمحت فيها فراغا يتسع لوقوف اثنين فاهبت برفيقى لايقافها و الصعود إليها، فكان ذلك، و سعدنا و انحشرنا بين المنحشرين، فإذا بهذه الحافله الأهليه كمعظم مثيلاتها واطئه السقف بحيث لا يستطيع الواقف ان يقف فيها الا و هو محنى الظهر مطاطئ الرأس.

و كان المكان الذى نقصده بعيدا، و هكذا وقفنا كغيرنا من الواقفين وقفنا هذه. و من أعجب الأعاجيب ان تصنع مثل هذه الحافلات بسقوف واطئه، مع اليقين انها ستحتوى دائما مجموعه من الواقفين.

و بينما كانت الحافله تسير و نحن فى وقفنا الصعبه، طغت على وجهى نفس الابتسامه الحزينه التى طغت عليه و انا اقلئ الباذنجان، و كأنها تقول:

هكذا يتنقل المؤرخ و هو يسعى لتسجيل أمجاد شعب هذه العاصمه، هكذا يتنقل فى شوارعها محنى الظهر مطاطئ الرأس!..

مؤتمر الشيخ المفيد

تلقيت دعوه لحضور مؤتمر علمى يعقد فى مدينه (قم) احتفالا بمرور ألف عام على وفاه الرجل الكبير الذى اشتهر بلقبه العلمى (الشيخ المفيد) و فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٩٣ كنا نأخذ السيارات من بيروت إلى دمشق و منها نأخذ الطائره إلى طهران.

و وصلنا ليلا إلى مطار طهران و انتقلنا منه فى السيارات إلى (قم) و قضينا الليل فى الفندق المعد لنزلنا مع بقية المدعويين من الأقطار الأخرى.

و قد كان هذا المؤتمر التجربه الأولى لرجال الحوزه العلميه فى قم، إذ ان القائمين به هم من أطلقوا على أنفسهم اسم (جماعه المدرسين)، و المقصود بالمدرسين: مدرسو الحوزه.

و قد اثبت المشرفون على أعداد المؤتمر و تنظيمه و إدارته جداره عاليه فى هذا الأمر، و برهنوا على انهم اكفاء للقيام بمثل هذه المهمات التى لا- عهد لهم بها من قبل. و كان المؤتمر - بفضل جهودهم - ناجحا، سواء بالإقبال على حضوره أو فيما كتب له من بحوث مالقى منها على الحاضرين و ما لم يلق.

و فى الوقت الذى دعيت فيه إلى المساهمه فى مؤتمر الشيخ المفيد فى قم، انبثت اننا مدعوون أيضا إلى مؤتمر تذكارى لعالم الفلسفه الإسلاميه الشهير الشيخ هادى السبزوارى. و قد انبثنا بذلك قبل يوم واحد من موعد السفر من بيروت. لذلك لم يكن مستظعا أعداد دراسه عن السبزوارى.

و لكننى مع ذلك صممت على تلبيه الدعوه لأن لسبزوارى فى ذهنى صورا تاريخيه زاهيه، و يكفى فى ذلك ان منها انبثقت حركه (السربداريين) فى قريه غير بعيده عن المدينه نفسها، هذا فضلا عما يتيح له حضور المؤتمر من لقاءات و مشاهدات فيها الكثير من الفائده.

و مضوا بنا بعد انفراط عقد مؤتمر الشيخ المفيد - مضوا بنا من قم إلى

ص: ٣٧٦

طهران حيث قضينا يوما و ليله فيها، و فى اصيل اليوم الثانى انتقلنا فى الطائره من طهران إلى مشهد، فلم نبرح مطارها، بل مضينا فى الساعه السابعه مساء فى يوم ٢٢ نيسان ١٩٩٣ فى السياره قاصدين مدينه سبزوار، مصحوبين بالسبزواريين الذين انتدبوا لاستقبالنا فى المطار.

و كان الذين لبوا دعوه مؤتمر سبزوار من غير الايرانيين قليلين لا يجاوزون بضعه أشخاص بينهم السيد (شجير و كامادا) أستاذ الدراسات الإسلاميه فى جامعه طوكيو.

سرنا فى جاده عريضه لها اتجاهان فى السير يفصل بينهما وسط مخضوضر، و على جانبيها شواهد البناء، و وراء الشواهد البساتين النضيره.

كنا نسير فى مدينه مشهد فى جاده من جوادها المتماديه فى العرض و الطول، و لم نلبث ان تركنا الجاده منحرفين إلى اليسار فى طريق ضيق تمتد فيه الأشجار و وراءها البساتين ثم انحرفنا إلى اليسار أيضا و لكن فى طريق عريض تتكاثف الأشجار على ضفتيه، و تمثل هذه الأشجار طلائع للبساتين التى وراءها.

و لم يلبث الشجر ان توارى و صارت الأرض جرداء تتخللها البيوت المبنوئه هنا و هناك و هنالك، ثم امتدت إلى يسارنا تلال ترابيه لها أشكال الأهرام. ثم انقطع العمران و صرنا فى سهول مديده أكسبها فصل الربيع خضره يانع، على انها ليست سهولا منبسطة تمام الانبساط، بل فيها ما يرتفع و فيها ما ينخفض. ترتفع فى أكثرها و تنبسط فى أقلها، لا سيما على جانبى الطريق حيث تصبح تلالاً متتابعه.

ثم بدأ الظلام يرخى سدوله، و أخذت بعض الأنوار تلمع فى السهل الواسع، هى أنوار معامل و أنوار سيارات، و قل العمران، ثم انعدم كل الانعدام.

أنها سهول زراعيه مديده لا مكان فيها لغير النبات، فلا قرى و لا دساكر و لا مزارع و لا سكان، و هذا يبدو جليا مما يرين عليها من ظلمه داجيه لا- تلمح خلالها بصيصا من النور. اللهم إلا الأنوار المتماوجه بيضاء فى مصابيح السيارات القادمه و حمراء فى مصابيح الداهبه.

و لم نلبث ان لمعت إلى يسارنا أنوار متكاثفه بعيده علمنا انها أنوار قريه (جمال ده)، ثم تلتها أنوار قريه اخرى. ثم إلى يميننا قريه (فخر داود).

أننا منذ خروجنا من مطار (مشهد) نمشى فى سهول خراسان و نشق البرارى التى تعاقب على شقها منذ صدر الإسلام من نحس الآن ذكراهم فى مسيرنا الليلي الداجى هذا. و مهما استغرقت فى الحاضر و تطلعت إلى الآتى، فانك و أنت فى ليل سهول خراسان ستراك مشدودا إلى الماضى!..

لله ما يثير فى النفس هذا الظلام الدامس تاره، و الموشى بالمصابيح تاره اخرى - لله ما يثير فى النفس حين تعى انه الظلام الذى طالما جازته احداث هى من تاريخك فى الصميم.

و مضت السيارة توغل فى الحاضر، و مضيت معها اوغل فى الغابر!..

ثم طلعت إلى يسارنا أنوار قرية (ديزباد) السفلى و امامها أنوار (ديزباد) العليا، ثم إلى يميننا أنوار (على آباد)، ثم تتابعت أنوار الدساكر و القرى.

هذا الطريق الذى نسير فيه هو فى الحقيقه طريق طهران. مشهد، فنحن حين خرجنا من مشهد فى هذا الطريق كنا نعود راجعين من حيث أتينا، راجعين باتجاه طهران.

ذلك لأن لا- مطار فى (سبزوار)، فمن أجل الوصول إليها لا- بد أولاً من تجاوزها بالطائره وصولاً إلى مشهد، ثم العوده إليها بالسياره من مشهد.

بعد ان كانت الأنوار تبدو بعيدة عنا فى عرض السهل، رأينا الآن أنوار مزرعه قرب الطريق ثم أنوار استراحه يفىء إليها المسافرون المتعبون القادمون برا من طهران إلى مشهد. ثم تتابعت بعد أنوار قرية (حاجى آباد) الملاصقه للطريق - تتابعت أنوار القرى القريبه و البعيده، و تكاثرت بحيث قرب بعضها من بعض.

و بعد حوالى الساعه كنا نخترق أول شارع من شوارع مدينه (نيسابور)، فبدأت أنوار نيسابور ممتده على الجانبين. و ظللنا نمشى فى جاده طويله عريضه مضاءه، إلى ان انقطع نور الجاده، و ابتعدنا عن النور، فبدأ لنا اننا خرجنا من نيسابور.

لقد خرجنا فعلاً من نيسابور، و ما بات يلوح لنا من أنوار قريه أو بعيده انما هو أنوار الضواحي..

و فى هذه الساعه الليله الخراسانيه، و فى هذا الطريق الحضارى المديد، و فى هذا الزمن المنتمى إلى السنين الأخيره من سنى القرن العشرين...

لم أستطع حيال هذه الأنوار التى تدنو حيناً و تنأى حيناً، و تتكاثف مره و تتفرد مره، لم أستطع الا ان أتمثل بالشعر العربى المنتزع من صميم البداوه ابتداء من الشعر الجاهلى فما بعده. هذا الشعر الذى كانت تشغله أنوار النيران المتفرده فى أعراض السهول فيستلهمها أعذب الشعر و أرقه.

لم أملك نفسى من ان انشد و انا مغمور بليل خراسان مندمج فى سهول نيسابور.

الا ان انشد الشعر العربى المستوحى من ليالى الجزيره و المستلهم من فيافى الدهناء و سهوب الدحول و حومل الا ان انشد:

لمعت نارهم و قد عسعس الليل و مل الحادى و حار الدليل

فتأملتها و فكرى من البين عليل و لحظ عيني كليل

و فؤادى ذاك الفؤاد المعنى و غرامى ذاك الغرام الدخيل

ثم قابلتها و قلت لصحبي هذه النار نار ليلي فميلوا

على ان هذا النور لم يكن نور (ليلاى) لأقول لصحبي: هذا نورها فميلوا بى اليه، فنور (ليلاى) هناك بعيد... بعيد...

و هكذا ظللنا نمشى بين نور و ظلام حتى كانت الساعة قد بلغت

ص: ٣٧٧

حوالى التاسعه فإذا أنوار سبزوار تشع أمامنا ممتده فى عرض السهل، ثم كنا ندخلها منحرفين إلى الشمال فى شارع مشع هو سوق من أسواقها، ثم كنا نوغل فى شوارعها التى كان بعضها يعج بالحياه فى تلك الساعه من الليل.

و مضوا بنا إلى مكان نزولنا، فدخلنا مبنى حسبنا أول الأمر انه فندق كغيره من الفنادق، و لكن مظاهر ما فيه كانت غريبه، و أول غرابه بدت لنا هى ان جلوسنا إلى مائده العشاء كان على مقاعد خشبيه مستطيله، إلى موائد هى الاخرى خشبيه مستطيله، مما لا تعهده الفنادق، و كان كل شىء فى غرفه الطعام غريبا.

ثم كشفوا لنا الحقيقه الطريفه عند ما كانوا يهيئوننا للانتقال إلى غرف النوم.

ليس فى مدينه سبزوار فنادق فلا يزال أهلها على الفطره الكريمه القديمه التى تأبى إلا ان يستقبلوا ضيوف المدينه فى بيوتهم. و لما كان ليس من المعقول ان يستضاف هذا العدد الكبير من المشاركين فى المؤتمر فى البيوت، لذلك ارتأى المشرفون على المؤتمر ان يكون نزول الضيوف فى (القسم الداخلى) لجامعه سبزوار، فأفرغوه من الطلاب و أحلوا الضيوف محلهم فبعد غرفه الطعام (الطلابيه) مضوا بنا إلى غرف النوم (الطلابيه) التى كانت أسرتها ذات طبقات ثلاث يؤلف كل سرير طبقه.

فكان هذا الحل أفضل حل لهذه المشكله (السبزواريه). و أشهد أننا لم نشك شيئا يخل بالراحه، بل كنا بذلك معتبتين مانوسين.

على ان هناك من قال ان هذا الحل لم يكن لأن سبزوار تخلو من الفنادق، بل لأن القائمين على المؤتمر هم مجموعه من الناس محدوده الإمكانيات المالىه، فلا تستطيع تحمل نفقات الفنادق للعدد الكبير من المدعوين.

و قد اجتمعنا نحن غير الايرانيين فى غرفه واحده اتسعت لنا جميعا بفضل طبقات أسرتها.

مؤتمر السبزوارى

استمر المؤتمر يومين تعقد فى كل يوم جلستان جلسه قبل الظهر و جلسه بعد الظهر. و الجلسه عباره عن محاضرات يتناوب على إلقائها المدعوون للمشاركة فى المؤتمر، و كانت كلها باللغه الفارسيه، و لا مكان للترجمه الفوريه هنا، و ذلك لأن المؤتمر كان معقودا للايرانيين وحدهم، و لم يكن فى النيه دعوه أحد من خارج ايران و لكن عند ما عرف القائمون على امر المؤتمر بتطابق الوقت بين المؤتمرين: مؤتمر قم و مؤتمرهم فى سبزوار، و ان موعد المؤتمر السبزوارى يصادف بعد نهايه المؤتمر القمى كلفوا القائمين على مؤتمر قم ان يدعوا بالنيابه عنهم المدعوين إلى مؤتمر قم.

و بعد انتهاء مؤتمر الشيخ المفيد خير الضيوف بين زياره أصفهان و بين الذهاب إلى سبزوار، فاخترنا نحن القله الذهاب إلى سبزوار.

و فى الجلسه الاخيره للمؤتمر رأيت ان من حق الداعين لنا ان نشاركهم بكلام عن مؤتمرهم، و انه ليس من الإنصاف ان نظل ساكتين فلا يكون لنا على منبرهم صوت من الأصوات.

و هنا عنت لى فكره المشاركه فى المحاضرات لا بحدیث عن

ص: ٣٧٨

السبزواری، بل بحديث عاطفی عن سبزواری.

فان علی بن المؤید الذی دعا محمد بن مکی الشہید هو خراسانی سبزواری، إذ هو آخر الملوك السربداریین الذین قامت حركتهم أول ما قامت فی قریه من قری سبزواری قریه منها. ثم تمرکزت الحركه أكثر ما تمرکزت فی سبزواری.

فعلی بن المؤید داعی الشہید الأول محمد بن مکی هو فی حقیقه الأمر سبزواری.

و معلوم ان الشہید اعتذر عن اجابه دعوه علی بن المؤید، و أرسل له کتاب (اللمعه) لیكون منه دلیل لطالبي الاسترشاد و الهدایه.

فقررت ان تكون کلمتی المرتجله مستمده من هذه الوقائع فطلبت من صاحبی السبزواری الذی انتدب لمرافقتی مده اقامتی فی سبزواری الأستاذ صاحب علی اکبری رئیس قسم اللغه العربیة فی جامعہ سبزواری ان یصحبني إلى منبر المؤتمر لیترجم ما أقوله جملة جملة.

و أرسلت إلى مدیر الجلسات اطلب الکلام، فأعلن اسمی و مشیت إلى المنبر مع الأستاذ اکبری فكان خلاصه ما قلته: إن بیننا نحن فی جبل عامل و بینکم أنتم فی سبزواری رابطہ لا تنقطع علی مدى الدهر، هی کتاب (اللمعه) الذی کان اقتراحا سبزواریا و تنفیذا عاملیا.

و إذا کان تعذر علی الشہید محمد بن مکی ان یلبی دعوه اسلافکم، فہا انا آتیکم من جبل عامل ملبیا دعوتکم حاملا إلیکم تحیه العاملیین.

و لم أکن أتوقع ان یكون لکلامی ما کان له من الأثر علی السبزواریین الذین ہبوا من مقاعدہم یتفون بأعلى أصواتہم بالصلاه علی محمد و آل محمد، و الہتاف بالصلاه علی محمد و آل محمد هو المتعارف علیہ فی مثل هذه الاحتفالات للتعبیر عن التقدير و الاستحسان، اما التصفيق فلا مکان له.

و لكن السبزواریین لم یکتفوا بالصلاه علی محمد و آل محمد، بل اعقبوها بعاصفه من التصفيق الحاد الطویل.

و الواقع ان ذلك کله کان تحیه لذكريات الماضی المرتبطه بالحاضر، تحیه للسربداریین و لآخر ملوکہم علی بن المؤید داعی العالم العاملی الکبیر، و تحیه لهذا العالم المستشهد فی سبیل الحق و الصدق و الإخلاص، و تحیه لبعث هذه الذکريات فی هذه اللیلۃ السبزواریہ الوفیہ.

لقد كانت لیله سبزواریہ عاملیہ.

نقد الکتاب

قرأت بتقدير و إعجاب الدرسة القیمه التي کتبها الباحث البعید الغور السید محمد رضا الجلالی عن (هشام بن الحکم) فی المجلد الرابع من (المستدرکات)، و انی مع ثنائی علی ما کتب، و تحیتی له علی ما فصل و بین و شرح، لا بد من أن أعاتبه علی

عبارات ندت من قلمه خاطب بها كاتبها كان يناقشه، وانا مع تسليمي فيما اعترض به السيد الجلالى على الكاتب، ارفض ان يصنف الكاتب مع (المغرضين) و أن يقال عنه انه اعتمد على مقدمات (سخيفه)، و ان يوصف بأنه (يتفلسف لاثبات أقيح ما اتهم به (هشام) من أعداء التشيع و خصومه) إلى غير ذلك من مثل كلمه (صلافه).

ان لنا ان نناقش الكاتب فيما نخالفه به، و انا واثق من انه يأخذ بالصواب حين ندلى له به، و لكن ليس لنا ان نصف كاتب بحث (التقيه) بتلك الصفات.

و السيد الجلالى نفسه يسمى ما قاله هشام بن الحكم غفله، و يقول انه سبب للأئمه ع مشاكل و للطائفه عراقيل و اتهامات، و ان الأئمه ع لجئوا إلى توجيه العتاب الشديد إلى هشام و محاسبته على ذلك حسابا عسيرا. كما انه يسمى قول هشام (زله)، و ان الشيخ المفيد يروى ان هشاما رجع عن أقواله، و كذلك الكراجكى.

فإذا كان الأمر كذلك فلما ذا نقيم تلك الضجه على كاتب رأى رأيا فى أقوال لهشام رأى فيها الأئمه و المفيد و الكراجكى و السيد الجلالى نفسه ما يؤاخذونه به؟ ان كاتب بحث (التقيه) يستحق التقدير لا التفرير (1) ناصح الحسينى

تصويب فى المجلد السادس

تكررت ترجمه محمد حسين آزاد فى المجلد السادس، فقد وردت مره فى الصفحه (٢٦٤) ثم مره ثانيه فى الصفحه (٢٦٦) و هما ترجمه واحده لشخص واحد.

ص: ٣٧٩

١- راجع هذا البحث النفيس فى دائره المعارفه الإسلاميه الشيعيه.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

